



الملك لله سبحانه دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغا دار السعادة الشريفة
لسنة ثلث واربعين ومائة
والف



هذا الكتاب المستطاب من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان صاحب نيل الجود والإحسان
منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية مفتح معاقد المراصد بمصابيح الكفاية جامع مجالس العلم والعمل
حائز محامد البر الأكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد والأجر الكبير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير إليه سبحانه وتعالى محمد امين
المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي له



22

Süleymaniye Kütüphanesi
Beşir Ağa
Eski 22



سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الر تلك ايات الكتاب الحكيم
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ۝ هذه السورة مكية الا ثلاث
ايات فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخرهن قاله
ابن عباس وقال الكلبي الا قوله ومنهم من يومن به فانها نزلت في اليهود بالمدينة وقال قوم
نزل من اولها نحو من اربعين اية بمكة ونزل باقيها بالمدينة وقال الحسن وعطاء وجابر هي
مكية وسبب نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الا يتيم ابي طالب فنزلت
وقال ابن جريج عجبت قريش ان بعث رجل منهم فنزلت وقيل لما جحدهم عن البعث
والمعاد والنشور تعجبوا ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما انزل واذا ما انزلت سورة وذكر
تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك
بذكر الكتاب الذي انزل على النبي الذي رسول وان ديدن الضالين واحد متابعيهم
ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبمن جاء بها ولما كان ذكر القران متقدما
على ذكر الرسول في اخر السورة جاء في اول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب
على ذكر الرسول وتقدم ما قاله المفسرون في اوائل هذه السور المفتتحة بحروف
المعجم وذكروا هنا اقوالا عن المفسرين منها انا الله ارى ومنها انا الله الرحمن ومنها
انه يتركب منها ومن حم ومن نون الرحمن فالر بعض حروف الرحمن مفرقة ومنها انا
الرب وغير ذلك والظاهر ان تلك باقية على موضوعها من استعمالها لبعد المشار اليه
فقال مجاهد وقتادة اشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل
والزبور فتكون الايات القصص التي وصفت في تلك الكتب وقال الزجاج
اشار الى ايات القران التي جرى ذكرها وقيل اشار الى الكتاب المحكم الذي هو
مخزون مكتوب عند الله ومنه نسخ كل كتاب كما قال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
وقال وانه في ام الكتاب وقيل الاشارة الى الر واخواتها من حروف المعجم اي تلك
الحروف المفتتح بها السور وان قربت الفاظها فمعانيها بعيدة المنال وهي ايات

الكتاب

الكتاب فان الكتاب بها يتلى والفاظه اليها ترجع ذكره ابن الانباري
وقيل تستعمل تلك بمعنى هذه والمشار اليه حاضر قريب قاله ابن عباس
واختاره ابو عبيدة فقيل ايات القران وقيل ايات السور التي تقدم ذكرها
في قوله واذا ما انزلت سورة وقيل المشار اليه هو الر فانها
كنوز القران وهي العلم التي استاثر الله بها وقيل الاشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم الحاكم او ذو الحكمة
لاشتماله عليها ونطقه بها او المحكم او المحكوم به او المحكم
القول والهمزة في اكان للاستفهام على سبيل الانكار لوقوع العجب
من الايحاء الى بشر منهم بالانذار والتبشير اي لا عجب في ذلك فهي عادة الله في
الامم السالفة اوحى الى رسلهم الكتب بالتبشير والانذار على ايدي من اصطفاه
منهم واسم كان ان اوحينا وعجبا الخبر وللناس فقيل هو في موضع الحال من عجب
لانه لو تاخر لكان صفة فلما تقدم كان حالا وقيل تتعلق بقوله عجبا وليس
مصدرا بل هو بمعنى معجب والمصدر اذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم
معموله عليه كاسم المفعول وقيل هو تبيين اي اعني للناس
وقيل تتعلق بكان وان كانت ناقصة وهذا لا يتم الا اذا
قدرت دالة على الحدث فانها ان تمحضت للدلالة على الزمان
لم يصح تعلق بها وقرا عبد الله عجب فقيل عجب اسم كان وان
اوحينا هو الخبر فيكون نظير يكون مزاجها عسل وماء وهذا محمول على
الشذوذ وهذا تخريج الزمخشري وابن عطية وقيل كان تامة وعجب
فاعل بها والمعنى احدث للناس عجب لان اوحينا وهذا التوجيه
حسن ومعنى للناس عجبا انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه ونصبوه
علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وقرا رؤبة الى رجل بسكون الجيم
وهي لغة تميمية يسكنون فعلا نحو سبع وعضد في سبع وعضد ولما كان الانذار
عاما كان متعلقه وهو الناس عاما والبشارة خاصة فكان متعلقها
خاصا وهو الذين امنوا وان انذر ان تفسيرية او مصدرية مخففة
من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس
قالهما الزمخشري ويجوز ان تكون ان المصدرية الثنائية الوضع لا المخففة
من الثقيلة لانها توصل بالماضي والمضارع والامر فوصلت هنا بالامر
وينسبك منها معه مصدر تقديره بانذار الناس وهذا الوجه اولى
من التفسيرية لان الكوفيين لا يثبتون لان ان تكون تفسيرية ومن المصدرية
المخففة من الثقيلة لتقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجتمع فيها
حذف الاسم والخبر ولان التاصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف وبشر الذين
امنوا ان لهم اي بان لهم وحذفت الباء وقدم صدق قال ابن عباس
ومجاهد والضحاك والربيع بن انس وابن زيد هي الاعمال الصالحة من العبادات
وقال الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقال زيد بن اسلم

وعبره في المصيبة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وغيره هي السعادة
السابقة لهم في اللوح المحفوظ وقال مقاتل سابقة خير عند الله
قدموها وإلى هذا المعنى أشار وضاح اليمن في قوله ○

• مالك وضاح دائم الغزل • ألست تخشى تقارب الأجل •
• صل لذي العرش واتخذ قدما • تنجيك يوم العثار والزلل •

وقال قتادة أيضا سلف صدق وقال عطاء مقام صدق وقال
يمان إيمان صدق وقال الحسن أيضا ولد صالح قدموه وقيل تقديم الله
في البعث لهذه الأمة وفي إدخالهم الجنة كما قال نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة وقيل تقدم شرف ومنه قول العجاج ○

• ذل بنو العوام من آل الحكم • وتركوا الملك لملك ذي قدم •

وقال الزجاج درجة عالية وعنه منزلة رفيعة ومنه ○
قول ذي الرمة ○

• لكم قدم لا ينكر الناس أنها • مع الحسب العادي طمت على البحر •

وقال الزمخشري قدم صدق عند ربهم سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة
قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها
فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى الصدق دلالة على زيادة
فضل وأنه من السوابق العظيمة قال ابن عطية والصدق
في هذه الآية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق وعن الأوزاعي
قدم بكسر القاف تسمية بالمصدر قال الكافرون ذهب
الطبري إلى أن في الكلام حذفا يدل الظاهر عليه تقديره
فلما أنذر وبشر قال الكافرون كذا وكذا قال ابن عطية
قال الكافرون يحتمل أن يكون تفسيرا لقوله أكان للناس أن أوحينا
إلى بشر عجبا قال الكافرون عنه كذا وكذا وقرأ الجمهور والعربيان
ونافع لسحر إشارة إلى الوحي وباقي السبعة وابن مسعود وأبو رزين
ومسروق وابن جبير ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش
وابن محيصن وابن كثير وعيسى بن عمر بخلاف عنهما
لساحر إشارة إلى الرسول • وفي مصحف أبي ما هذا
إلا سحر وقرأ الأعمش أيضا ما هذا إلا ساحر
قال ابن عطية وقولهم في الإنذار والبشارة
سحر إنما هو بسبب أنه فرق كلمتهم وحال
بين القريب وقريبه فأشبه ذلك ما يفعله
الساحر وظنوه من ذلك الباب ○
وقال الزمخشري وفي هذا دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا
كاذبين في تسميته سحرا ظاهر الفساد لم يحتج قولهم إلى جواب لأنهم

يعلمون

يعلمون نشأته معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت بلده بلد علم فما
أتى به من الوحي المتضمن ما لم يتضمنه كتاب إلهي من قصص
الأولين والأخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا
والآخرة مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم إلى غير ذلك
من المعاني التي تضمنها يقضي بفساد مقالتهم وقولهم ذلك
ديدن الكفرة مع أنبيائهم إذا أتوهم بالمعجزات كما قال
فرعون وقومه في موسى عليه السلام إن هذا لساحر عليم
قالوا ساحران تظاهرا وقوم عيسى إن هذا إلا سحر مبين
ودعوى السحر إنما هي على سبيل العناد والجحد ○ إن ربكم
الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش ○ تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة الأعراف
وجاءت عقب ذكر القرآن والتنبيه على المعاد ففي الأعراف
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه وقوله يوم يأتي تأويله
وهنا تلك آيات الكتاب وذكر الإنذار والتبشير وتضمنها
الانتظار لا في المعاد ومناسبة هذه لما قبلها أن من كان
قادرا على إيجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين
وهو ربكم الناظر في مصالحكم فلا يتعجب أن يبعث إلى خلقه
من يحذرهم مخالفته ويبشرهم على طاعته إذ ليس خلقهم عبثا
بل على ما اقتضته حكمته وسبقت به إرادته إذ القادر
على العظيم قادر على ما دونه بطريق الأولى ○ يدبر الأمر
ما من شفيع إلا من بعد إذنه ○ قال مجاهد أي يقضيه
وحده والتدبير تنزيل الأمور في مراتبها والنظر في أدبارها
وعواقبها والأمر أمر الخلق كله علويه وسفليه وقيل يبعث
بالأمر ملائكته فجبريل للوحي وميكائيل للقطر وعزرائيل للقبض
وإسرافيل للصور وهذه الجملة بيان لعظم شأنه وملكه
لما ذكر الإيجاد ذكر ما يكون فيه من الأمور وأنه المنفرد به
إيجادا وتدبيرا لا يشركه أحد في ذلك وأنه لا يجترئ أحد
على الشفاعة عنده إلا بإذنه إذ هو تعالى أعلم بموضع
الحكمة والصواب وفي هذه دليل على عظم عزته وكبريائه
كما قال يوم يقوم الروح والملائكة الآية ولما كان الخطاب
عاما وكان الكفار يقولون عن أصنامهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله رد ذلك تعالى عليهم وناسب ذكر الشفاعة
التي تكون في القيامة بعد ذكر المبدإ ليجمع بين الطرفين
الابتداء والانتهاء وقال أبو مسلم الأصبهاني الشفيع
هنا الذي يخالف الوتر فمعنى الآية أنه أوجد العالم وحده

قوله عز وجل إن ربكم الله

قوله عز وجل يدبر الأمر

ب

لا شريك يعينه ولم يحدث شيء في الوجود الا من بعد ان قال له
كن. وقال ابو البقاء يدبر الامر يجوز ان يكون مستانفا
وخبرا ثانيا وحالا. ذلكم الله ربكم فاعبدوه. اي المتصف
بالايجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم فهو
المستحق للعبادة اذ لا يصلح لان يعبد الا هو تعالى فلا تشركوا
به بعض خلقه. افلا تذكرون. حض على التذكر والتفكر
في الدلائل الدالة على ربوبيته وامحاض العبادة له. اليه
مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون. ذكر ما يقتضي
التذكر وهو كون مرجع الجميع اليه واكد هذا الاخبار بانه وعد الله
الذي لا شك في صدقه ثم استانف الاخبار وفيه معنى التعليل
بابتداء الخلق واعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء
المكلفين على اعمالهم وانتصب وعد الله حقا على انهما
مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا
فلما حذف الناصب اضاف المصدر الى الفاعل وذلك كقوله
صبغة الله وصنع الله والتقدير في حقا حق ذلك حقا وقيل
انتصب حقا بوعد على تقدير في اي وعد الله في حق وقال
علي بن سليمان التقدير وقت حق وانشد
احقا عباد الله ان لست خارجا ولا والجا الا علي رقيب
وقرأ عبد الله وابو جعفر والاعمش وسهل بن شعيب انه
يبدؤ بفتح الهمزة قال الزمخشري هو منصوب بالفعل
اي وعد الله تعالى بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق
بعد بدئه وعد الله على لفظ الفعل ويجوز ان يكون مرفوعا بما
نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله
احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب
انتهى وقال ابن عطية وموضعه النصب على تقدير احق انه
وقال الفراء موضعه رفع على تقدير حق انه قال ابن عطية
ويجوز عندي ان يكون انه بدلا من قوله وعد الله قال ابو الفتح
ان شئت قدرته لانه يبدؤ ومن في قدرته هذا فهو غني عن
اخلاف الوعد وان شئت قدرته وعد الله حقا انه يبدؤ
ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله لانه قد وصف وذلك
يتمامه وقطع عمله. وقرأ ابن ابي عبلة حق بالرفع فهو ابتداء
وخبره انه انتهى وكون حق خبر مبتدأ وانه هو المبتدأ هو الوجه
في الاعراب كما تقول صحيح انك تخرج لان ان معرفة والذي

يقدم

قوله عز وجل ذلكم الله ربكم

يقدم في نحو هذا المثال نكرة والظاهر ان بدء الخلق هو النشأة
الاولى واعادته هو البعث من القبور وليجزي متعلق بيعيده
اي ليقع الجزاء على الاعمال وقيل البدء من التراب ثم يعيده
الى التراب ثم يعيده الى البعث وقيل البدء نشأته من
الماء ثم يعيده من حال الى حال وقيل يبدؤه من العدم
ثم يعيده اليه ثم يوجده وقيل يبدؤه في زمرة الاشقياء ثم
يعيده عند الموت الى زمرة الاولياء وبعكس ذلك وقرأ طلحة
يبدئ من ابدأ رباعيا وبدأ وابدأ بمعنى وبالقسط معناه بالعدل
وهو متعلق بقوله ليجزي اي ليثيب المؤمنين بالعدل والانصاف
في جزائهم فيوصل كلا الى جزائه وثوابه على حسب تفاضلهم فلا
فينصف بينهم ويعدل اذ ليسوا كلهم مستوين في مقادير
الثواب وعلى هذا يكون بالقسط منه تعالى قال الزمخشري
او بقسطهم بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا
الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله
بما كانوا يكفرون انتهى فجعل القسط من فعل الذين امنوا وهو على
طريقة الاعتزال والظاهر ان والذين كفروا مبتدأ ويحتمل
ان يكون معطوفا على قوله الذين امنوا فيكون الجزاء بالعدل
قد شمل الفريقين ولما كان الحديث مع الكفار ومفتتح السورة معهم
ذكر شيئا من انواع عذابهم فقال لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون وتقدم شرح هذا في سورة الانعام. هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات
لقوم يعلمون. لما ذكر تعالى الدلائل على ربوبيته من ايجاد هذا
العالم العلوي والسفلي ذكر ما اودع في العالم العلوي من هذين
الجوهرين النيرين المشرقين فجعل الشمس ضياء اي ذات ضياء
او مضيئة او نفس الضياء مبالغة وجعل يحتمل ان يكون بمعنى
صير فيكون ضياء مفعولا ثانيا ويحتمل ان يكون بمعنى خلق
فيكون حالا والقمر نورا اي ذا نور او منورا او نفس النور مبالغة
او هما مصدران وقيل يجوز ان يكون ضياء جمع ضوء كحوض وحياض
وهذا فيه بعد ولما كانت الشمس اعظم جرما خصت بالضياء
لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اعظم من النور وقال
ارباب علم الهيئة الشمس قدر الارض مائة واربعا وستين
مرة والقمر ليس كذلك فخص الاعظم بالاعظم وقد تقدم الفرق
بين الضياء والنور في قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله

ق عمال

قوله عز وجل هو الذي جعل

بنورهم وقوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضي ان يكون النور اعظم وابلغ في الشروق والا لم عدل الى الاقل الذي هو النور فقال ابن عطية لفظة النور احكم وابلغ وذلك انه شبه هداه ولطفه الذي نصبه لقوم يهتدون واخرين يضلون معه بالنور الذي هو ابدا موجود في الليل واثناء الظلام ولو شبهه بالضياء لوجب ان لا يضل احد اذ كان الهدى يكون كالشمس التي لا يبقى معها ظلمة فمعنى الاية انه تعالى جعل هداه في الكفر كالنور في الظلام فيهتدي قوم ويضل قوم اخرون ولو جعله كالضياء لوجب ان لا يضل احد وبقي الضياء على هذا ابلغ في الشروق كما اقتضته هذه الاية وقرا قنبل ضئاء هنا وفي الانبياء والقصص بهمزة قبل الالف بدل الياء ووجهت على انه من المقلوب جعلت لامه عينا فكانت همزة وتطرفت الواو التي كانت عينا بعد الف زائدة فانقلبت همزة وضعف ذلك بان القياس الفرار من اجتماع همزتين الى تخفيف احداهما فكيف يتخيل الى تقديم وتاخير يؤدي الى اجتماعهما ولم يكونا في الاصل والظاهر عود الضمير على القمر اي مسيره منازل او قدره ذا منازل او قدر له منازل فحذف واوصل الفعل فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف او الحال او المفعول لقوله والقمر قدرناه منازل وعاد الضمير عليه وحده لانه هو المراعي في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب وقال ابن عطية ويحتمل ان يريدهما معا بحسب انهما متصرفان في معرفة عدد السنين والحساب لكنه اجتزى بذكر احدهما كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه وكما

قال الشاعر

رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني

والمنازل هي البروج وكانت العرب تنسب اليها الانواء وهي ثمانية وعشرون منزلة الشرطين • والبطين • والثريا • والدبران • والهقعة • والهنعة • والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعواء • والسماك • والغفر • والزبانان • والاكليل • والقلب • والشولة • والنعائم • والبلدة • وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبية • والفرغ المقدم • والفرغ المؤخر • والرشا وهو الحوت • واللام متعلقة بقوله وقدره منازل قال الاصمعي سئل ابو عمرو عن الحساب افينصب ام يجر فقال ومن يدري ما عدد الحساب انتهى

يريد ان الجر انما يكون مقتضيا ان الحساب يكون يعلم عدده والحساب لا يمكن ان يعلم منتهى عدده والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي مما ينتفع به في المعاش والاجارات وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ وقيل اكتفى بذكر عدد السنين عن عدد الشهور وكنى بالحساب عن المعاملات والاشارة بذلك الى المخلوق وذلك كيشار بها الى الواحد وقد يشار بها الى الجمع ومعنى بالحق ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا كما جاء ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وقال ابن جرير الحق هو الله والمعنى ما خلق الله ذلك الا بالله وحده لا شريك معه انتهى وما قاله تركيب قلق اذ يصير ما ضرب زيد عمرا الا بزيد وقيل الباء بمعنى اللام اي للحق ومواظبتها رصنعته وبيان قدرته ودلالة على وحدانيته وقرا ابن مصرف والحساب بفتح الحاء ورواه ابو نوبه عن العرب وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص يفصل بالياء جريا على لفظ الله وباقي السبعة بالنون على سبيل الالتفات والاخبار بنون العظمة وخص من يعلم بتفصيل الايات لهم لانهم هم الذين ينتفعون بتفصيل الايات ويتدبرون بها في الاستدلال والنظر الصحيح والايات العلامات الدالة او ايات القرآن ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون • الاختلاف تعاقب الليل والنهار وكون احدهما يخلف الاخر وما خلق الله في السموات من الاجرام النيرة التي فيها والملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعلمه الله والارض من الجواهد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون • الظاهر ان الرجاء هو التامل والطمع اي لا يؤملون لقاء ثوابنا وعقابنا وقيل معناه لا يخافون قاله ابن زيد وهذه الاية في الكفار والمعنى ان المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الاخرة ولا يحسن ظنا بانه يلقى الله وفي الكلام محذوف اي ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة والمعنى ان منتهى غرضهم وقصارى امالهم انما هو مقصور على ما

هناء

قوله عز وجل ان في اختلاف

قوله عز وجل ان الذين

قول

يصلون اليه في الدنيا واطمأنوا بها اي سكنوا اليها وقنعوا بها
ورفضوا ما سواها والظاهر ان قوله والذين هم غافلون من الكفار
غير القسم الاول وذلك لتكرير الموصول فيدل على المغايرة ويكون
معطوفا على اسم ان ويكون اولئك اشارة الى صنفي الكفار
ذي الدنيا المتوسع فيها الناظر في الآيات فلم تؤثر عنده رجاء
لقاء الله بل رضي بالحيوة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء والعادم
التوسع الغافل عن آيات الله الدالة على الهداية ويحتمل
ان يكون من عطف الصفات فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون
هم الذين لا يرجون لقاء الله والظاهر ان واطمأنوا بها
عطف على الصلة ويحتمل ان يكون واو الحال وقد اطمأنوا بها
والآيات قيل آيات القرآن وقيل العلامات الدالة
على الوحدانية والقدرة وقال ابن زيد هما انزلناه من حلال
وحرام وفرض من حدود وسائر احكام وبما كانوا يكسبون اشعار
بان الاعمال السابقة يكون عنها العذاب وفي ذلك رد
على الجبرية ونص على تعلق العقاب بالكسب وتجيء بالمضارع
دليل على انهم لم يزالوا مستمرين على ذلك ماضي زمانهم ومستقبله

قوله عز وجل ان الذين آمنوا

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري
من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين [ع] اي يزيدهم في هدايتهم بسبب ايمانهم السابق
ويثيبهم فاما الذين آمنوا فزادتهم او يهديهم الى طريق الجنة
بنور ايمانهم كما قال يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به وفي الحديث
اذا قام من قبره تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول
من انت فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس
هذا في الكافر وقال ابن الانباري ايمانهم يهديهم الى خصائص
المعرفة ومزايا في الالطاف تسر بها قلوبهم وتزول بها
الشكوك والشبهات عنهم كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى وهذه الزوائد والفوائد يجوز حصولها في الدنيا
قبل الموت ويجوز حصولها بعد الموت قال القفال
واذا حملنا الآية على هذا كان المعنى يهديهم ربهم
بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو
وقيل معناه تقدمهم الى الثواب من قول العرب القدم تهدي
الساق وقال الحسن يرحمهم وقال الكلبي يدعوهم
والظاهر ان تجري مستأنفا فيكون قد اخبر عنهم بخبرين

عظيمين

عظيمين احدهما هداية الله لهم وذلك في الدنيا والآخر تجري الانهار
وذلك في الآخرة كما تضمنت الآية في الكفار شيئين احدهما اتصا [فهم]
بانتفاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه والثاني مقرهم
ومأواهم وذلك النار فصار تقسيما للفريقين في المعنى وتقدم
قول القفال ان يكون تجري معطوفا فحذف منه الحرف وان
يكون حالا ومعنى من تحتهم اي من تحت منازلهم وقيل من بين
ايديهم وليس التحت الذي هو بالمسافة بل يكون الى ناحية من
الانسان ومنه قد جعل ربك تحتك سريا وقال وهذه
الانهار تجري من تحتي قال الزمخشري فان قلت دلت
هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية
والتوفيق والنور يوم القيمة هو الايمان المقيد وهو
الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن
بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر
كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان
والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح
ثم قال بايمانهم اي بايمانهم المضموم اليه هذا العمل الصالح
وهو بين واضح لا شبهة فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال
وجوزوا في جنات النعيم ان تتعلق بتجري وان تكون حالا
من الانهار وان تكون خبرا بعد خبر لان ومعنى دعواهم دعاؤهم
ونداؤهم لان اللهم نداء الله والمعنى اللهم انا نسبحك كقول
القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي
ونسجد وقيل عبادتهم كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله
ولا تكليف في الجنة فيكون ذلك على سبيل الابتهاج والالتذاذ
واطلق عليه العبادة مجازا وقال ابو مسلم فعلهم واقرارهم
وقال القاضي طريقتهم في تقديس الله وتحميده وتحيتهم اي
ما يحيي به بعضهم بعضا فيكون مصدرا مضافا للمجموع لا على
سبيل العمل بل يكون كقوله وكنا لحكمهم شاهدين وقيل
يكون مضافا الى المفعول والفاعل الله تعالى او الملائكة
اي تحية الله اياهم او تحية الملائكة اياهم وآخر دعواهم
اي خاتمة دعائهم وذكرهم قال الزجاج اعلم تعالى انهم
يبتدئون بتنزيهه وتعظيمه ويختمون بشكره والثناء عليه
وقال ابن كيسان يفتتحون بالتوحيد ويختمون بالتحميد
وعن الحسن البصري يعزوه الى الرسول ان اهل الجنة يلهمون
التحميد والتسبيح وان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
لازم الحذف والجملة بعدها خبر ان وان وصلتها خبر قوله

وآخر وقرأ عكرمة ومجاهد وقتادة وابن يعمر وبلال بن أبي بردة
وأبو مجلز وأبو حيوة وابن محيصن ويعقوب أن الحمد بالتشديد
ونصب الحمد قال ابن جني ودلت على أن قراءة الجمهور بالتخفيف
ورفع الحمد على أن أنْ هي المخففة كقول الأعشى ○
❁ في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل ❁
وأجاز المبرد إعمال المخففة كحالها مشددة وزعم صاحب النظم أن أنْ هنا
زائدة والحمد لله خبر وآخر دعواهم وهو مخالف لنص س والنحويين
وليس هذا من محال زيادتها ○ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون ❁ قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله
أو ولده ونحو هذا فأخبر تعالى لو فعل مع الناس في إجابته إلى
المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم
ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها فلا
يفعل ذلك ولكن نذر الذين لا يرجون فاقتضب القول ووصل
إلى هذا المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون فتأمل هذا التقدير
تجده صحيحا قاله ابن عطية وقيل نزلت في قولهم ائتنا بما تعدنا
وما جرى مجراه وقال الزمخشري والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر
علينا حجارة يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم
الخير لأميتوا وأهلكوا فإن قلت كيف اتصل به قوله فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله
متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قال ولا نعجل لهم الشر ولا
نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم
النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم ومناسبة هذه الآية
لما قبلها أنه تعالى لما ذكر عجب الناس من إيحائه إلى رجل منهم
وكان فيما أوحي إليه الإنذار والتبشير وكانوا يستهزئون بذلك
ولا يعتقدون حلول ما أنذروه به فقالوا أمطر علينا حجارة
وقال إخبارا عنهم ويستعجلونك بالعذاب وقالوا
فأتنا بما تعدنا ثم استطرد من ذلك إلى وحدانيته تعالى
وذكر إيجاده العالم ثم إلى تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر وذكر
منازل الفريقين ثم رجع إلى ذلك المنذر به الذي طلبوا
وقوعه عجلا لو وقع لهلكوا فلم يكن في إهلاكهم رجاء إيمان
بعضهم وإخراج مؤمن من أصلابهم بل اقتضت حكمته أن لا يعجل لهم
ما طلبوه لما يترتب على ذلك وانتصب استعجالهم على أنه مصدر
مشبه به فقال الزمخشري أصله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم له بالخير موضع تعجيله لهم

الخير

قوله عز وجل ولو يعجل الله

الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم كأن استعجالهم
بالخير تعجيل لهم ه وقال الحوفي وابن عطية التقدير مثل
استعجالهم وكذا قدره أبو البقاء ومدلول عجل غير مدلول استعجل
لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك
واقع من الله وهذا مضاف إليهم فلا يكون التقدير على ما قاله
الزمخشري فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون التقدير تعجيلا مثل
استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لأن طلبهم للخير
ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء والثاني أن يكون ثم محذوف
يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا
به استعجالهم بالخير لأنهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على
سبيل التهكم كما كانوا يستعجلون بالخير وقرأ ابن عامر لقضى
مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب والأعمش لقضينا وباقي السبعة
مبنيا للمفعول وأجلهم بالرفع وقضي لكمل والفاء في فنذر جواب
ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف تقديره فنحن نذر قاله
الحوفي وقال أبو البقاء فنذر معطوف على فعل محذوف
تقديره ولكن نمهلهم فنذر ○ وإذا مس الإنسان الضر دعانا
لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا
إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ❁ ومناسبة
هذه الآية لما قبلها أنه لما استدعوا حلول الشر بهم وأنه تعالى
لا يفعل ذلك بطلبهم بل يترك من لا يرجو لقاءه يعمه في طغيانه
بين شدة افتقار الناس إليه واضطرارهم إليه في استمطار إحسانه
مسيئهم ومحسنهم وأن من لا يرجو لقاءه مضطر إليه حالة مس الضر
له فكل يلجأ إليه حينئذ ويفرده بأنه القادر على كشف الضر
والظاهر أنه لا يراد بالإنسان هنا شخص معين كما قيل إنه
أبو حذيفة هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي قاله ابن عباس
ومقاتل وقيل عتبة بن ربيعة وقيل الوليد بن المغيرة وقيل
مما قاله عطاء وقيل النضر بن الحارث وأنه لا يراد به الكافر
بل المراد الإنسان من حيث هو سواء كان كافرا أم عاصيا بغير
الكفر واحتملت هذه الأحوال الثلاثة أن تكون لشخص واحد
واحتملت أن تكون لأشخاص إذ الإنسان جنس والمعنى أن الذي
أصابه الضر لا يزال داعيا ملتجئا راغبا إلى الله في جميع
حالاته كلها وابتدأ بالحالة الشاقة وهي اضطجاعه وعجزه
عن النهوض وهي أعظم في الدعاء وآكد ثم بما يليها وهي حالة
القعود وهي حالة العجز عن القيام ثم بما يليها وهي حالة
القيام وهي حالة العجز عن المشي فتراه يضطرب ولا ينهض

قوله عز وجل وإذا مس

للشيء كحالة الشيخ الهرم لجنبه مضطجعا ولذلك عطفت عليه الحالان
والكلام على يا ح عند البصريين والتقدير ملقيا لجنبه لا بمعنى على
خلافا للزاعمه وذو الحال الضمير في دعانا والعامل فيه دعانا اي
دعانا ملتبسا باحد هذه الاحوال ٥ وقال ابن عطية ويجوز
ان يكون حالا من الانسان والعامل فيه مس ويجوز ان حالا
من الفاعل في دعانا وذو الحال والعامل فيه دعا وهما معنيان
متباينان والضر لفظ عام لجميع الامراض والرزايا في النفس
والمال والاحبة هذا قول اللغويين وقيل هو مختص برزايا
البدن الهزال والمرض انتهى والقول الاول قول الزجاج وضعف
ابو البقاء ان يكون لجنبه فما بعده احوالا من الانسان والعامل
فيها مس قال لامرين احدهما ان الحال على هذا واقعة بعد جواب
اذا وليس بالوجه والثاني ان المعنى كثرة دعائه في كل احواله
لا على الضر يصيبه في كل احواله وعليه ايات كثيرة في القرآن
انتهى وهذا الثاني يلزم فيه من مسه الضر في هذه الاحوال
دعاؤه في هذه الاحوال لانه جواب ما ذكرت فيه هذه الاحوال
فالقيد في حيز الشرط قيد في الجواب كما تقول اذا جاءنا زيد فقيرا
احسنا اليه فالمعنى احسنا اليه في حال فقره فالقيد في الشرط
قيد في الجزاء ومعنى كشف الضر رفعه وازالته كانه كان
غطاء على الانسان ساترا له وقال صاحب النظم واذا
مس الانسان وضعه للمستقبل وفلما كشفنا للماضي فهذا
النظم يدل على ان معنى الاية انه كان هكذا كان فيما مضى
وهكذا يكون في المستقبل فدل ما في الاية من الفعل المستقبل
على ما فيه من المعنى المستقبل وما فيه من الفعل الماضي على ما
فيه من المعنى الماضي انتهى والمرور هنا مجاز عن المضي على طريقته
الاولى من غير ذكر لما كان عليه من البلاء والضر وقال مقاتل
اعرض عن الدعاء وقيل مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع
اليه كانه لا عهد له به وهذا قريب من القول الذي قبله
والجملة من قوله كان لم يدعنا الى ضر مسه في موضع الحال
اي كانه لم يكشف ضر مسه قاله ابن عطية وقوله مر يقتضي
ان نزولها في الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها
من كافر وعاص فمعنى الاية من في اشراكه بالله وقلة توكله عليه
انتهى والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك وذلك
اشارة الى تزيين الاعراض عن الابتهال الى الله عند كشف
الضر وعدم شكره وذكره على ذلك وزين مبني للمفعول فاحتمل
ان يكون الفاعل الله تعالى على سبيل خلقه ذلك واختراعه

في قلوبهم

في قلوبهم كما تقول اهل السنة واما بتخليته وخذلانه كما تقول المعتزلة
او الشيطان بوسوسته ومخادعته قيل او النفس وفسر المسرفون
بالكافرين والكافر مسرف لتضييعه السعادة الابدية بالشهوة
الخسيسة المنقضية كما يضيع المنفق ماله سفها وزاد فيه الحسد
ما كانوا يعملون من الاعراض عن جناب الله ومن اتباع الشهوات
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون هذا اخبار لمعاصري
الرسول وخطاب لهم باهلاك من سلف قبلهم من الامم
بسبب ظلمهم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال
من سبق من الكفار والوعيد لهم وضرب الامثال فكما فعل بهؤلاء
يفعل بكم ولما ظرف لما مشعرة بالعلية وهي حرف تعليق في الماضي
ومن ذهب الى انها ظرف معمول لاهلكنا كالزمخشري متبعا لغيره
فانما يدل اذ ذاك على وقوع الفعل في حين الظلم فلا يكون لها اشعار اذا
بالعلية لو قلت جئت حين قام زيد لم يكن مجيئك متسببا عن قيام زيد
وانت ترى حيث ما جاءت لما كان جوابها او ما قام مقامه متسببا
عما بعدها فدل ذلك على صحة مذهب سيبويه من انها حرف وجوب
لوجوب وجاءتهم ظاهره انه معطوف على ظلموا اي لما حصل هذان
الامران مجيء الرسل بالبينات وظلمهم اهلكوا وقال الزمخشري
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج
والشواهد على صدقهم وهي المعجزات انتهى وقال مقاتل
البينات مخوفات العذاب والظاهر ان الضمير في قوله وما
كانوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله ظلموا وجوز الزمخشري
ان يكون اعتراضا لا معطوفا قال واللام لتأكيد النفي يعني
وما كانوا ليؤمنوا حقا تأكيد لنفي ايمانهم وان الله تعالى
قد علم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى
ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله تعالى انه لا
فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل انتهى
وقال مقاتل الضمير في قوله وما كانوا عائد على اهل مكة
فعلى قوله يكون التفاتا لانه خروج من ضمير الخطاب الى ضمير
الغيبة ويكون متسقا مع قوله واذا تتلى عليهم والكاف
في كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك
نجزي القوم المجرمين فهذا وعيد شديد لمن اجرم يدخل فيه
اهل مكة وغيرهم **وقرأت فرقة** يجزي بالياء اي يجزي الله
وهو التفات والخطاب في جعلناكم لمن بعث اليهم رسول الله

بيان لمعاصري

صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب لمشركي مكة والمعنى استخلفناكم
في الأرض بعد القرون المهلكة لننظر تعملون خيرا أم شرا
فنعاملكم على حسب عملكم ومعنى لننظر لنبين في الوجود ما علمناه
أزلا فالنظر مجاز عن هذا قال الزمخشري **فإن قلت** كيف
جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة **قلت** هو مستعار
للعلم المحقق الذي هو علم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان
المعاين في تحققه انتهى وكنيه دسيسة الاعتزال وأنه يلزم
من النظر المقابلة وفيه إنكار وصفه تعالى بالبصير ورده إلى
معنى العلم وقيل النظر هو على حذف مضاف أي لينظر رسلنا
وأولياؤنا وأسند النظر إلى الله مجازا وهو لغيره **وقرأ** يحيى
ابن الحارث الذماري لنظر بنون واحدة وتشديد الظاء وقال
هكذا رأيته في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ويعني أنه
رآها بنون واحدة لأن النقط والشكل بالحركات والتشديدات
إنما حدث بعد عثمان ولا يدل كتبه بنون واحدة على حذف النون
من اللفظ ولا على إدغامها في الظاء لأن إدغام النون في الظاء
لا يجوز ومسوغ حذفها أنه لا أثر لها في الأنف فينبغي أن تحمل
قراءة يحيى على أنه بالغ في إخفاء الغنة فتوهم السامع أنه إدغام
فنسب ذلك إليه وكيف معمولة لتعملون والجملة في موضع
نصب لننظر لأنها معلقة وجاء التعليق في نظر وإن لم يكن
من أفعال القلوب لأنها وصلة إلى فعل القلب الذي هو العلم

قوله عز وجل وإذا تتلى عليهم

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء
نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ۝ قال ابن عباس والكلبي نزلت في المستهزئين
بالقرآن من أهل مكة قالوا يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه
ما نسألك وقال مجاهد وقتادة نزلت في جماعة من مشركي
مكة وقال مقاتل في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي
والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس
العامري والعاص بن وائل وقيل الخمسة الوليد والعاصي
والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن حنظلة
وروي هذا عن ابن عباس قال الزمخشري غاظهم ما في القرآن
من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن
غير هذا أي آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك وقال
ابن عطية نزلت في قريش لأن بعض كفار قريش قال هذه المقالة
على معنى ساهلنا يا محمد واجعل هذا الكلام الذي من قبلك هو

باختيارنا

باختيارنا واحلل ما حرمته وحرم ما أحللته ليكون أمرنا حينئذ
واحدا وكلمتنا متصلة انتهى ونبه تعالى على الوصف الحامل لهم
على هذه المقالة وهو كونهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء على ما اقترفوه
والمعنى وإذا تسرد عليهم آيات القرآن واضحات نيرات لا لبس
فيها قالوا ذلك وكيف وأضيفت الآيات إليه تعالى لأنها
كلامه جل وعز والتبديل يكون في الذات بأن يجعل بدل ذات
ذات أخرى ويكون في الصفة والتبديل هنا هو في الصفة
وهو أن يزال البعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة
ولا يراد بالتبديل هنا أن يكون في الذات لأنه يلزم حمل الشيء المقتضي
للتغاير هو الشيء بعينه لأن التبديل في الذات هو الإتيان بقرآن
غير هذا ولما كان الإتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للإنسان
لم يحتج إلى نفيه ونفي ما هو مقدور للإنسان وإن كان مستحيلا
ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي أن أبدله
من تلقاء نفسي وانتفاء الكون هنا هو كقوله تعالى ما كان لكم
أن تنبتوا شجرها أي يستحيل ذلك ويحتمل أن يكون التبديل
في الذات على أن يلحظ في قوله ائت بقرآن غير هذا بقاء هذا
القرآن ويؤتى بقرآن غيره فيكون أو بدله معنى أزله بالكلية
وائت ببدله فيكون المطلوب أحد أمرين إما إزالته بالكلية
وهو التبديل في الذات أو الإتيان بغيره مع بقائه فيحصل
التغاير بين المطلوبين وتلقاء مصدر كالتبيان ولم يجي
مصدر على تفعال غيرهما ويستعمل ظرفا للمقابلة تقول زيد
تلقاءك **وقرئ** بفتح التاء وهو قياس المصادر التي
للمبالغة كالتطواف والتجوال والترداد والمعنى من قبل نفسي
إن أتبع فيما أمركم به وما أنهاكم عنه من غير زيادة ولا نقصان
ولا تبديل إلا ما يجيئني خبره من السماء واستدل بقوله إن أتبع
إلا ما يوحى إلي على نفي الحكم بالاجتهاد وعلى نفي القياس وإنما
قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله لأنهم كانوا لا يعترفون بأن
القرآن معجز وأنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ألا ترى
إلى قولهم ولو نشاء لقلنا مثل هذا وقولهم افترى على الله كذبا
ولا يمكن أن يريدوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي
لقوله إني أخاف قال الزمخشري **فإن قلت** فما كان غرضهم
وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح **قلت** المكر
والكيد أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك
وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل
والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل

فاما ان يهلكه الله فينجو منه او لا يهلكه فيتحرجوا منه ويجعلوا
التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله انتهى وان عصيت
بالتبديل من تلقاء نفسي وبعدم اتباع الوحي وتركي العمل به ونحوه
شرط جوابه محذوف دل عليه ما قبله واليوم العظيم هو يوم القيمة
ووصف بالعظم لطوله او لكثرة شدائده او للمجموع وانظر الى
حسن هذا الجواب لما كان احد المطلوبين التبديل بدا به
في الجواب ثم اتبع بامر عام يشمل انتفاء التبديل وغيره ثم الحق
بالتسبب الحامل على ذلك وهو الخوف وعلقه بمطلق العصيان
فبادي عصيان ترتب الخوف ٥ قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
هذه مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه اي ان تلاوته عليهم
هذا القرآن انما هو بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا
عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد
العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليكم
كتابا فصيحا يبهر كلام كل فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار ما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين
ظهرانيكم اربعين سنة يطلعون على احواله ولا يخفى عليكم
شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه احد من
اقرب الناس منه والصقهم به ومفعول شاء محذوف اي قل لو شاء
الله ان لا اتلوه وجاء جواب لو على الفصيح من عدم اتيان اللام
لكونه منفيا بما ويقال دريت به وادريت زيدا به والمعنى ولا
اعلمكم به على لساني وقرا قنبل والبزي من طريق النقاش عن
ابي ربيعة عنه ولادراكم بلام دخلت على فعل مثبت معطوف
على منفي والمعنى ولاعلمكم به من غير طريقي وعلى لسان غيري ولكنه
يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة وراني لها
اهلا دون الناس وقراءة الجمهور ولا ادراكم به فلا هو لا
وموضحة ان الفعل منفي لكونه معطوفا على منفي وليست لا هي
التي نفي الفعل بها لانه لا يصح نفي الفعل بلا اذا وقع جوابا
والمعطوف على الجواب جواب وانت لا تقول لو كان كذا لا كان
كذا انما يكون ما كان كذا وقرا ابن عباس وابن سيرين
والحسن وابو رجاء ولا ادراتكم به بهمزة ساكنة وخرجت
هذه القراءة على وجهين احدهما ان الاصل ادريتكم بالياء
فقلبها همزة على لغة من قال لبات بالحج ورثات زوجي
بابيات يريد لبيت ورثيت وجاز هذا البدل لان الالف

قوله عز وجل قل لو شاء الله

والهمزة

والهمزة من واد واحد ولذلك اذا حركت الالف انقلبت همزة
كما قالوا في العالم العألم وفي المشتاق المشتئق والوجه الثاني
ان الهمزة اصل وهو من الدرء وهو الدفع يقال درأته دفعته
كما قال ويدرا عنها العذاب وادراته جعلته دارئا والمعنى
ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال وتكذبونني وزعم
ابو الفتح انما هي ادريتكم فقلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها
وهي لغة لعقيل حكاها قطرب يقولون في اعطيتك اعطاتك
وقال ابو حاتم قلب الحسن الياء الفا كما في لغة بني الحرث
ابن كعب السلام علاك قيل ثم همزه على لغة من قال
في العالم العألم وقرا شهر بن حوشب والاعمش ولا انذرتكم به
بالنون والذال من الانذار وكذا هي في حرف ابن مسعود ونبه
على ان ذلك وحي من الله باقامته فيهم عمرا وهو اربعون سنة
من قبل ظهور القرآن على لساني يافعا وكهلا ولم تجربوني في كذب
ولا تعاطيت شيئا من ذلك هذا ولا عانيت اشتغالا فكيف
انتم باختلاقه افلا تعقلون ان من كان بهذه الطريقة من مكثه
الازمان الطويلة من غير تعلم ولا تتلمذ ولا مطالعة كتاب
ولا مراس جدال ثم اتى بما ليس يمكن ان ياتي به احد لا يكون الا محقا
فيما اتى به مبلغا عن ربه ما اوحي اليه وما اختصه به كما جاء في حديث
هرقل هل جربتم عليه كذبا قال لا فقال لم يكن ليدع الكذب
ويكذب على الله وادغم التاء في الثاء ابو عمرو واظهرها باقي
السبعة وقرا الاعمش عمرا باسكان الميم والظاهر
عود الضمير في من قبله على القرآن واجاز الكرماني ان يعود
على التلاوة وعلى النزول وعلى الوقت يعني وقت
نزوله ٥ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته انه لا يفلح المجرمون ٥ تقدم تفسير مثل هذا
الكلام ومساقه هنا باعتبارين احدهما انه لما قالوا ائت
بقرآن غير هذا او بدله كان في ضمنه انهم ينسبونه الى انه
ليس من عند الله وانما هو اختلاق فقوبلوا بظلم من افترى
على الله كذبا كما قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله وقد قام الدليل القاطع على ان هذا
القرآن هو من عند الله وقد كذبتم باياته فلا احد اظلم
منكم والاعتبار الثاني ان ذلك توطئة لما ياتي بعده
من عبادة الاوثان اي لا احد اظلم منكم في افترائكم
على الله ان له شريكا وان له ولدا او فيما نسبتم اليه

قوله عز وجل فمن اظلم

قوله عز وجل ويعبدون

من التحليل والتحريم ۝ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى
عما يشركون ۝ الضمير في ويعبدون عائد على كفار قريش
الذين تقدمت محاورتهم وما لا يضرهم ولا ينفعهم هو الأصنام
جماد لا تقدر على نفع ولا ضر قيل إن عبدوها لم تنفعهم
وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا
على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون
اللات وأهل مكة العزى ومناة وإسافا ونائلة وهبل
والإخبار بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير لهم
ولمعبوداتهم والتنبيه على أنهم عبدوا من لا يستحق العبادة
وفي قوله من دون الله دلالة على أنهم كانوا يعبدون
الأصنام ولا يعبدون الله قال ابن عباس يعنون في الآخرة
وقال النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات
والعزى وقال الحسن شفعاؤنا في إصلاح معاشنا في الدنيا
لأنهم لا يقرون بالبعث وأتنبئون استفهام على سبيل التهكم
بما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي
أنبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا
يتعلق به علمه وما موصولة بمعنى الذي قال الزمخشري وهو كونهم
شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله تعالى وإذا لم يكن
معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن
شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس مخبر عنه انتهى
فيكون ما واقعة على الشفاعة والفاعل بيعلم هو الله والمفعول
الضمير المحذوف العائد على ما وقوله في السموات ولا في الأرض
تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قاله
الزمخشري وفي التحرير أتنبئون معناه التهكم والتقريع
والتوبيخ والإنكار والمعنى على هذا أتخبرون الله بما يعلم
خلافه في السموات والأرض فإن صفات الذات لا يجري
فيها النفي وقيل أتخبرون الله بما لا يعلمه موجودا في السموات
والأرض فكيف يصح وجود ما لا يعلمه الله وهو كما يقال
للرجل قد قلت كذا فيقول ما علم الله هذا مني أي ما كان هذا
قط إذ لو كان لعلمه الله انتهى والذي يظهر أن ما موصول
مراد به الأصنام لا الشفاعة التي ادعوها والفاعل بيعلم
ضمير يعود على ما لا على الله وذلك على حذف مضاف والمعنى
قل أتعلمون الله بشفاعة الأصنام التي انتفى علمها في السموات

والأرض

قوله عز وجل وما كان الناس

والأرض أي ليست متصفة بعلم البتة فيكون ذلك ردا عليهم
في دعواهم أنها تشفع عند الله لأنه إذا كان منتفيا عنه العلم
فكيف يشفع وهو لا يعلم من يشفع فيه ولا ما يشفع فيه ولا
من يشفع عنده كما رد عليهم في العبادة بقوله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم فانتفاء الضر والنفع قادح في العبادة وانتفاء
العلم قادح في الشفاعة فبطل العبادة ودعوى الشفاعة
ويكون قوله في السموات والأرض على هذا تنبيها على محال
المعبودات المدعى شفاعتهم إذ من المعبودات السماوية
الكواكب كالشمس والشعرى وقرئ أتنبئون بالتخفيف
من أنبأ ولما ذكر تعالى عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع وكان ذلك
إشراكا أنشأ نفي تنزيها بقوله سبحانه وتعالى وما يحتمل أن تكون
بمعنى الذي ومصدرية أي شركائهم الذين يشركونهم به أو عن
إشراكهم وقرأ العربيان والحرميان وعاصم يشركون بالياء
على الغيبة هنا وفي حرفي النحل وحرف في الروم وذكر أبو حاتم أنه
قرأها كذلك الحسن والأعرج وابن القعقاع وشيبة وحميد
وطلحة والأعمش وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر في النمل
فقط بالتاء على الخطاب وعاصم وأبو عمرو بالياء على الغيبة
وقرأ حمزة والكسائي الخمسة بالتاء على الخطاب والتي
بالمضارع ولم يأت عما أشركوا للدلالة على استمرارها لهم
كما جاء ويعبدون وأنهم على الشرك في المستقبل كما كانوا
عليه في الماضي ۝ وما كان الناس إلا أمة واحدة
فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه
يختلفون ۝ لما ذكر تعالى الدلالة على فساد عبادة الأصنا[م]
ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس
والظاهر عموم الناس وتصور في آدم وبنيه إلى أن وقع
الاختلاف بعد قتل أحد ابنيه الآخر وقاله أبي بن كعب
وقال الضحاك المراد أصحاب سفينة نوح اتفقوا على
الحنيفية ودين الإسلام وعن ابن عباس من كان من ولد آدم
إلى زمان إبراهيم ورد بأنه عبد في زمان نوح الأصنام كود
وسواع وحكى القشيري أن الناس قوم إبراهيم إلى أن غير الدين
عمرو بن لحي وقال ابن زيد هم الذين أخذ عليهم الميثاق
يوم ألست بربكم لم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم وقال
الأصم هم الأطفال المولودون كانوا على الفطرة فاختلفوا
بعد البلوغ وأبعد من ذهب إلى أن المراد بالناس هنا آدم
وحده وهو مروي عن مجاهد والسدي وعبر عنه بالأمة لأنه

جامع لأنواع الخير وهذه الأقوال تدل على أن المراد بأمة واحدة
في الإسلام والإيمان وقيل في الشرك والمراد قوم إبراهيم
كانوا مجتمعين على الكفر أو من كان قبل المبعث من العرب
وأهل الكتاب كانوا على الكفر والتبديل والتحريف حتى بعث
الرسول فآمن بعضهم أو العرب خاصة أقوال قال الزجاج
والظاهر أن المراد بقوله أمة واحدة في الإسلام لأن هذا
الكلام جاء عقيب إبطال عبادة الأصنام فلا يناسب
أن يقوي عبادة الأصنام فإن الناس كانوا على ملة الكفر
إنما المناسب أن يقال إنهم كانوا على الإسلام حتى يحصل
التنفير من اتباع غير ما كان الناس عليه وأيضاً فقوله ولولا
كلمة هو وعيد فصرفه إلى أقرب مذكور وهو الاختلاف هو
الوجه والاختلاف بسبب الكفر هو المقتضي للوعيد لا الاختلاف
الذي هو بسبب الإيمان إذ لا يصلح أن يكون سبباً للوعيد
وقد تقدم الكلام على نحو هذا في البقرة في قوله كان الناس
أمة واحدة ولكن أعدنا الكلام فيه لبعده والكلمة هنا
هي القضاء والتقدير لبني آدم بالآجال الموقتة قال
ابن عطية ويحتمل أن يريد الكلمة في أمر القيامة وأن العقاب
والثواب إنما يكون حينئذ هو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة
لقضي بينهم عاجلاً فيما اختلفوا فيه وتميز المحق من المبطل وسبقت
كلمة الله بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف
وتلك دار ثواب وعقاب ٥ وقال الكلبي الكلمة أن الله أخر
هذه الأمة لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا إلى يوم القيامة
فلولا هذا التأخير لقضي بينهم بنزول العذاب أو بإقامة
الساعة ٥ وقيل الكلمة السابقة أن لا يأخذ أحداً إلا بالحجة
وهو إرسال الرسل وقيل الكلمة سبقت رحمتي غضبي ولولا
ذلك لما أخر العصاة إلى التوبة ٥ ويقولون لولا أنزل
عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من
المنتظرين ٥٥ هذا من اقتراحهم قال الزمخشري وكانوا لا
يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي
لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية
على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من
بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول فكأنه لم ينزل عليه قط آية
حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم
وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل إنما الغيب لله أي
هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن

قوله عز وجل ويقولون

الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو سبحانه
فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين بما يفعل الله تعالى
بكم لعنادكم وجحدكم الآيات ٥ وقال ابن عطية آية من ربه آية
تضطر الناس إلى الإيمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط
ولا من المعجزات اضطرارية وإنما هي معرضة للنظر ليهتدي
قوم ويضل آخرون فقل إنما الغيب لله إن شاء فعل وإن شاء
لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك أحد وقوله فانتظروا وعيد
وقد صدقه الله تعالى بنصرته محمداً صلى الله عليه وسلم وقيل الآية
التي اقترحوها أن يبرز ما تضمنه قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الأرض الآية وقيل آية كآية موسى وعيسى
كالعصا واليد البيضاء وإحياء الموتى طلبوا ذلك على سبيل التعنت
٥ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر
في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ٥٥
لما ذكر تعالى قوله وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
لا يرجون الآية ثم ذكر قوله وقالوا لولا أنزل عليه آية وذلك
على سبيل التعنت أخبر أن هؤلاء إنما يصيرون لهذه المقالة
عندما يكونون في رخاء من العيش وخلو بال وأن إحسانات
الله تعالى قابلوه بما لا يجوز من ابتغاء المكر لآياته وكان خليقاً
بهم أن يكونوا أول من صدق بآياته وإعراضهم عن الآيات
نظير قوله فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه
سبب نزولها أنه لما دعا على أهل مكة الرسول بالجدب قحطوا
سبع سنين فأتاه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب
فإن أخصبنا صدقناك فسأل الله لهم فسقوا فلم يؤمنوا وهذه
وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله
عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك
في الناس كثير تجد الإنسان يعتقد عند مس الضر التوبة والتنصل
من سائر المعاصي فإذا زال عنه رجع إلى أقبح عاداته والرحمة
هنا الغيث بعد القحط والأمن بعد الخوف والصحة بعد
المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه ذلك ومعنى مستهم
خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ومعنى مكر في آياتنا التكذيب
بالقرآن والشك فيه قاله جماعة وقال مجاهد ومقاتل
الاستهزاء والتكذيب ٥ وقال أبو عبيدة الرد والجحود
وحكى الماوردي النفاق لأنه إظهار الإيمان وإبطان
الكفر وهو شبيه بما قال الزمخشري إن المكر إخفاء الكيد
وقال ابن عطية والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار

قوله عز وجل وإذا أذقنا

واطراح الشكر والخوف من العصاة انتهى والاذاقة والمس هنا
مجازان وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقلب ابن آدم من حالة
الخير الى حالة الشر وذلك بلفظ اذا فيما كانه قيل ولدوا وقت
الرحمة قبل ان بدا ومن استطعامها مكر وبلفظ من المشعرة
بابتداء الغاية اي ينشي المكر كيف كشف الضراء لا يمهل ذلك
وبلفظ اذا الفجائية الواقعة جوابا لاذا الشرطية اي في وقت
اذاقة الرحمة فاجؤوا بالمكر ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن
سرعة المكر منهم قيل قل الله اسرع مكرا فجاءت افعل التفضيل
ومعنى وصف المكر بالاسرعية انه تعالى قبل ان تدبروا مكايدكم
قضى بعقابكم وهو موقعه بكم واستدراجكم بامهاله قال ابن عطية
اسرع من سرع ولا يكون من اسرع يسرع حكى ذلك ابو علي ولو كان
من اسرع لكان شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نار جهنم لهي اسود من القار وما حفظ من النبي صلى الله عليه وسلم
فليس بشاذ انتهى وقيل اسرع هنا ليست للتفضيل من افعل
ثلاثة مذاهب المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ والجواز
مطلقا والتفصيل بين ان تكون الهمزة فيه للنقل فيمنع او لغير
النقل فيجوز نحو اشكل الامر واظلم الليل وتقرير الصحيح من ذلك
هو في علم النحو واما تنظيره اسود من القار باسرع فتناسب لان
اسود ليس فعله على وزن افعل وانما هو على وزن فعل
نحو سود فهو اسود ولم يمتنع التعجب ولا بناء افعل التفضيل
عند البصريين من نحو سود وحمر وادم الا لكونه لونا وقد اجاز
ذلك بعض الكوفيين في الالوان مطلقا وبعضهم في السواد
والبياض فقط والرسل هنا الحفظة بلا خلاف والمعنى ان
ما تظنونه خافيا مطويا عن الله تعالى لا يخفى عليه وهو منتقم
منكم **وقراء** الحسن وابن ابي اسحاق وابو عمرو رسلنا بالتخفيف
وقراء الحسن وقتادة ومجاهد والاعرج ورويس عن يعقوب يمكرون
على الغيبة جريا على ما سبق **وقراء** ابو رجاء وشيبة وابو جعفر
وابن ابي اسحق وعيسى وطلحة والاعمش وايوب بن المتوكل
وابن محيصن وشبل واهل مكة والسبعة بالتاء على الخطاب
مبالغة لهم في الاعلام بحال مكرهم والتفاتا لقوله قل الله
اي قل لهم فناسب الخطاب وفي قوله ان رسلنا التفات
ايضا اذ لم يات ان رسله وقال ايوب بن المتوكل في مصحف
ابي يا ايها الناس ان الله اسرع مكرا وان رسله لديكم يكتبون
ما تمكرون وينبغي ان يحمل هذا على التفسير لانه مخالف
لما اجمع عليه المسلمون من سواد المصحف والمحفوظ عن ابي القراءة

والاقرا

قوله عز وجل هو الذي يسيركم

والاقراء لسواد المصحف ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾
مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما ذكر تعالى ان الناس اذا
اصابهم الضر لجؤوا الى الله تعالى فاذا اذاقهم الرحمة عادوا
الى عادتهم من اهمال لجانب الله تعالى والمكر في اياته وكان
قبل ذلك قد ذكر نحوا من هذا في قوله واذا مس الانسان الضر
الاية وكان المذكور في الايتين امرا كليا اوضح تعالى ذلك
الامر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي
ينقطع فيه رجاء الانسان عن كل متعلق به الا الله تعالى فتخلص
له الدعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها الا هو تعالى
وتبيين بطلان عبادة ما لا يضر ولا ينفع ودعواه انه شفيعه
عند الله ثم بعد كشف هذه النازلة عاد الى عادته من بغيه
في الارض فانجاؤه تعالى اياهم هو مثال لمن اذاقة الرحمة
وما كانوا فيه قبل من اشرافهم على الهلاك هو مثال لمس الضرة
الذي مستهم **وقراء** زيد بن ثابت والحسن وابو العالية
وزيد بن علي وابو جعفر وعبد الله بن جبير وابو عبد الرحمن
وشيبة وابن عامر ينشركم من النشر والبث **وقراء** الحسن
ايضا ينشركم من الانشار وهو الاحياء وهي قراءة عبد الله **وقراء**
بعض الشاميين ينشركم بالتشديد للتكثير من النشر الذي هو
مطاوعه الانتشار **وقراء** باقي السبعة والجمهور يسيركم
من التسيير قال ابو علي هو تضعيف مبالغة لا تضعيف
تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه

قول الهذلي

فلا تجزعن من سنة انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها

قال ابن عطية وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا
في هذا وهو ان يكون الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق
انتهى وما ذكره ابو علي لا يتعين بل الظاهر ان التضعيف
فيه للتعدية لان سار الرجل لازما اكثر من سرت الرجل متعديا
فجعله ناشيا عن الاكثر احسن من جعله ناشيا عن الاقل واما
جعل ابن عطية الضمير كالظرف قال كما تقول سرت الطريق
فهذا لا يجوز عند الجمهور لان الطريق عندهم ظرف مختص كالدار
والمسجد فلا يصل اليه الفعل غير دخلت عند س وانطلقت
وذهبت عند الفراء الا بوساطة في الا في ضرورة واذا كان

كذلك فضميره أجرى أن لا يتعدى إليه الفعل وإذا كان ضمير
الظرف الذي يصل إليه الفعل بنفسه يصل إليه بوساطة
في إلا أن اتسع فيه فلأن يكون الضمير الذي يصل الفعل إلى
ظاهره بفي أولى أن يصل إليه الفعل بوساطة في وزعم ابن الطراوة
أن الطريق ظرف غير مختص فيصل إليه الفعل بغير وساطة في
وهو زعم مردود في النحو ومعنى يسيركم يجعلكم تسيرون والتسيير
معروف وفي قوله والبحر دلالة على جواز ركوب البحر ولما كان
الخوف في البحر أغلب على الإنسان منه في البر وقع المثال به
لذلك المعنى الكلي من التجاء العبد لربه تعالى حالة الشدة
والإهمال لجانبه حالة الرخاء قال الزمخشري **فإن قلت**
كيف جعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر والتسيير في
البحر إنما هو بالكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك
غاية التسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى
بما في خبرها كأنه قال يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة
فكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن
للهلاك والدعاء للإنجاء وهو حسن **وقرأ** أبو الدرداء وأم
الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب وخرج ذلك على زيادتها
كما زادوها في الصفة في نحو أحمري ودواري وفي العلم
كقول الصلتان ٥ أنا الصلتاني الذي قد علمتم
وعلى إرادة النسب مرادا به اللج كأنه قيل في اللج الفلكي وهو
الماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في وجرين
عائد على الفلك على معنى الجمع إذ الفلك كما تقدم في سورة البقرة
يكون مفردا وجمعا والضمير في بهم عائد على الكائنين في الفلك
وهو التفات إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة وفائدة صرف
الكلام من الخطاب إلى الغيبة قال الزمخشري المبالغة
كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار
والتقبيح انتهى والذي يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات
هنا هي أن قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب
فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين والمسيرون في البر
والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم
بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه
النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الأمر في آخرها
إلى أن الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق عدل عن
الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون
بصدور هذه الحالة التي آخرها البغي ٥ وقال

ابن عطية

ابن عطية بهم خروج من الحضور إلى الغيبة وحسن ذلك لأن قوله
كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضكم
في السفن انتهى فكأنه قدر مفردا غائبا فعاد الضمير غائبا
على اسم غائب فلا يكون ذلك من باب الالتفات والباء
في بهم وبريح قال العكبري تتعلق الباءان بجرين انتهى
والذي يظهر أن الباء في بهم متعلقة بجرين تعلق المفعول
نحو مررت بزيد وأن الباء في بريح يجوز أن تكون للسبب فاختلف
المدلول في البائين فجاز أن يتعلقا بفعل واحد ويجوز أن تكون
الباء للحال أي وجرين بهم ملتبسة بريح طيبة فتتعلق بمحذوف
كما تقول جاء زيد بثيابه أي ملتبسا بها وفرحوا بها يحتمل أن يكون
معطوفا على قوله وجرين بهم ويحتمل أن يكون حالا أي وقد فرحوا
بها كما احتمل قوله وجرين أن يكون معطوفا على كنتم وأن يكون
حالا والظاهر أن قوله جاءتها ريح عاصف هو جواب إذا
والظاهر عود الضمير في جاءتها على الفلك لأنه هو المحدث
عنه في قوله وجرين بهم وقاله مقاتل وجوزوا أن يعود على
الريح الطيبة وقاله الفراء وبدأ به الزمخشري ومعنى طيب
الريح لين هبوبها وكونها موافقة **وقرأ** ابن أبي عبلة جاءتهم
ومعنى من كل مكان من أمكنة الموج والظن هنا على بابه الأصلي
من ترجيح أحد الجائزين وقيل معناها اليقين ومعنى أحيط
بهم أي الهلاك كما يحيط العدو بمن يريد إهلاكه وهي كناية عن
استيلاء أسباب الهلاك **وقرأ** زيد بن علي حيط بهم ثلاثيا
والجملة من قوله دعوا الله قال أبو البقاء هي جواب ما اشتمل
عليه المعنى من معنى الشرط تقديره لما ظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله
انتهى وهو كلام لا يتحصل منه شيء وقال الطبري جواب حتى
إذا كنتم في الفلك جاءتها ريح عاصف وجواب قوله وظنوا أنهم
أحيط بهم دعوا الله انتهى وهو مخالف للظاهر لأن قوله وظنوا
ظاهره العطف على جواب إذا لا أنه معطوف على كنتم لكنه
محتمل كما تقول إذا زارك فلان فأكرمه وجاءك خالد فأحسن
إليه وكأن أداة الشرط مذكورة وقال الزمخشري هي بدل
من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به
انتهى وكان أستاذنا أبو جعفر بن الزبير يخرج هذه الآية
على غير ما ذكروا ويقول هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل
فما كان حالهم إذ ذاك فقيل دعوا الله مخلصين له الدين
انتهى ومعنى الإخلاص إفراده بالدعاء من غير إشراك أصنام
ولا غيرها قال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الحسن

قوله عز وجل فلما انجاهم

مخلصين لا اخلاص ايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك
الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري
انتهى والاعتراف بالله مركوز في طبايع العالم وانهم مجبولون
على انه المتصرف في الاشياء ولذلك اذا حقت الحقايق
رجعوا اليه كلهم مؤمنهم وكافرهم لين انجيتنا ثم قسم محذوف
وذلك القسم وما بعده محكي بقول اي قائلين واجرى دعوا
مجرى قالوا لانه نوع من القول والاشارة بهذه الى الشدايد
التي هم فيها وقال الكلبي الى الريح العاصف ۝ فلما انجاهم
اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبيكم بما
كنتم تعملون ۝ قال ابن عباس يبغون بالدعاء الى
عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد قال الزمخشري
فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت
بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق
زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني
قريظة انتهى وكان قد شرح قوله يبغون بانهم يفسدون
ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من بغى الجرح اذا
ترامى للفساد انتهى قال الزجاج البغي الترقي في الفساد
وقال الاصمعي بغى الجرح ترقى الى الفساد وبغت المراة
فجرت انتهى ولا يصح ان يقال في المسلمين انهم باغون
على الكفرة الا ان ذكر ان اصل البغي هو الطلب مطلقا ولا
يتضمن الفساد فحينئذ ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق
ولما حمل ابن عطية البغي هنا على الفساد قال اكد ذلك
بقوله بغير الحق وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها
ومجي اذا وما بعدها جوابا لما دليل على ان لما حرف يترتب
ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعد لما
وانها تفيد الترتب والتعليق في المضي وانها كما قال
س حرف ومذهب غيره انه ظرف وقد اوضحنا ذلك في ما
كتبناه في علم النحو والجواب باذا الفجائية دليل على انه
لم يتاخر بغيهم عن انجائهم بل بنفس ما وقع الانجاء وقع البغي
والخطاب بيايها الناس قال الجمهور لاهل مكة والذي
يظهر انه خطاب لاوليك الذين انجاهم الله وبغوا ويحتمل
كما قالوا العموم فيندرج اوليك فيهم وهذا ذم للبغي في اوجز
لفظ ومعنى على انفسكم وبال البغي ولا يجني ثمرته الا انتم
فقوله على انفسكم خبر للمبتدا الذي هو بغيكم فيتعلق بمحذوف

وعلى

قوله عز وجل انما مثل الحيوة

وعلى التوجيه انتصب متاع في قراة زيد بن علي وحفص وابن ابي اسحاق
وهرون عن ابن كثير على انه مصدر في موضع الحال اي متمتعين
او باقيا على المصدرية اي يتمتعون به متاع او نصبا على الظرف
نحو مقدم الحاج اي وقت متاع الحيوة الدنيا وكل هذه التوجيهات
منقولة والعامل في متاع اذا كان حالا او ظرفا ما تعلق به خبر
بغيكم اي كاين على انفسكم ولا ينتصبان ببغيكم لانه مصدر
قد فصل بينه وبين معموله بالخبر وهو غير جايز وارتفاع متاع
في قراة الجمهور على انه خبر مبتدا محذوف واجاز النحاس وتبعه
الزمخشري ان يكون على انفسكم متعلق بقوله بغيكم كما تعلق في قوله
فبغى عليهم ويكون الخبر متاع اذا رفعته ومعنى على انفسكم على
امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة
الحيوة الدنيا وقرا ابن ابي اسحق ايضا متاعا الحيوة الدنيا بنصب
متاع وتنوينه ونصب الحيوة وقال سفين بن عيينة في هذه
الجملة يعجل لكم عقوبته في الحيوة الدنيا وقرات فرقة
فينبيكم بالياء على الغايب ۝ انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس ۝ مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى
لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا
ضرب مثلا عجيبا غريبا للحيوة الدنيا تذكر من يبغي فيها على
سرعة زوالها وانقضايها وانها بحال ما تعز وتسر تضمحل
ويوول امرها الى الفناء قال الزمخشري هذا من التشبيه
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما
بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه
انتهى وانما هنا ليست للحصر لا وضعا ولا استعمالا لانه تعالى ضرب
للحيوة الدنيا امثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل ان يراد به الصفة
وان يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالاول
والظاهر تشبيه صفة الحيوة الدنيا بماء فيما يكون به ويترتب
عليه من الانتفاع ثم الانقطاع وقيل شبهت الحيوة الدنيا بالنبات
على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ماء فحذف المضاف
وقيل شبهت الحيوة بحيوة مقدرة على هذه الاوصاف فيكون
التقدير كحيوة قوم بماء انزلناه من السماء فنبت ويقوي هذا
قوله وظن اهلها انهم قادرون عليها والسماء اما ان يراد من

السحاب وأما أنزلناه من جهة السماء والظاهر أن النبات اختلط
بالماء ومعنى الاختلاط تشبثه به وتلففه إياه وقبوله له
لأنه يجري له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكلا
مختلطين يصح في كل منهما أن يقال اختلط بصاحبه فلذلك
فسره بعضهم بقوله خالطه الماء وداخله فغذا كل جزء منه
وقال الكرماني فاختلط به اختلاط مجاورة لأن الاختلاط
تداخل الأشياء بعضها في بعض انتهى ولا يمتنع اختلاط النبات
بالماء على سبيل التداخل فلا نقول إنه اختلاط مجاورة وقيل اختلط
اختلط اختلف وتنوع بالماء وينبو لفظ اختلط عن هذا التفسير
وقيل معنى اختلط تركب وقيل امتد وطال وقال الزمخشري
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا وقال ابن عطية
وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط أي اختلط النبات
بعضه ببعض بسبب الماء انتهى وعلى هذه الأقوال الباء في به
للسببية وأبعد من ذهب إلى أن الفاعل في قوله فاختلط هو
ضمير يعود على الماء أي فاختلط الماء بالأرض ويقف هذا
الذاهب على قوله فاختلط ويبتدئ به نبات الأرض على
الابتداء والخبر المقدم قال ابن عطية يحتمل على هذا أن
يعود الضمير في به على الماء وعلى الاختلاط الذي تضمنه
الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة
في القرآن لأنه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيح
اللفظ وذهاب إلى اللغز والتعقيد والمعنى الضعيف
ألا ترى أنه لو صرح بإظهار الاسم الذي الضمير في به كناية عنه
فقيل بالاختلاط نبات الأرض أو بالماء نبات الأرض لم يكد
ينعقد كلاما من مبتدأ وخبر لضعف هذا الإسناد وقربه
من عدم الإفادة ولولا أن ابن عطية ذكره وخرجه على ما ذكرناه عنه
لم نذكره في كتابنا ولما كان النبات ينقسم إلى مأكول وغيره
بين أن المراد أحد القسمين بمن فقال مما يأكل الناس
كالحبوب والثمار والبقول والأنعام كالحشيش وسائر ما يرعى
قال الحوفي من متعلقة باختلط وقال أبو البقاء مما
يأكل حال من النبات فاقتضى قول أبي البقاء أن يكون العامل
في الحال محذوفا لأن المجرور والظرف إذا وقعا
حالين كان العامل محذوفا وقول أبي البقاء هو الظاهر
وتقديره كائنا مما يأكل وحتى غاية فيحتاج أن يكون الفعل
الذي قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فإما أن يقدر قبلها
محذوفا أي فما زال ينمو حتى إذا أو يتجوز في فاختلط ويكون

معناه

معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى إذا وقوله أخذت
الأرض زخرفها وازينت جملة بديعة اللفظ جعلت الأرض
آخذة زخرفها متزينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا
أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتست وتزينت
بأنواع الحلي فاستعير الأخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات
الأرض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة واستعير لتلك البهجة
والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب
لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أي
بنباتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والأزهار ويحتمل
أن يكون قوله وازينت تأكيدا لقوله أخذت الأرض زخرفها
واحتمل أن يكون تأكيدا إذ قد يكون أخذ الزخرف لا للقصد للتزيين
فقيل وازينت ليفيد أنها قصدت التزيين ونسبة الأخذ إلى
الأرض والتزيين من بديع الاستعارة وقرأ الجمهور وازينت وأصله
وتزينت فأدغمت التاء في الزاي فاجتلبت همزة الوصل ضرورة
تسكين الزاي عند الإدغام وقرأ أبي وعبد الله وزيد بن علي
والأعمش وتزينت على وزن تفعلت وقرأ سعد بن أبي وقاص
وأبو عبد الرحمن وابن يعمر والحسن والشعبي وأبو العالية
وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفي وأزينت على
وزن أفعلت كأحصد الزرع أي حضرت زينتها وحانت
وصحت الياء فيه على جهة الندور كأغيلت المرأة والقياس
وأزانت كقولك وأبانت وقرأ أبو عثمان النهدي بهمزة
مفتوحة بوزن افعالت قال عنه صاحب اللوامح قال
كأنه كان في الوزن بوزن احمارت لكنهم كرهوا الجمع بين
ساكنين فحركت الألف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب
ابن عطية هذه القراءة لفرقة فقال وقرأت فرقة
وازيأنت وهي لغة منها قول الشاعر
إذا ما الهوادي بالعبيط احمأرت ن وقرأ أشياخ عوف
ابن أبي جميلة وازيانت بنون مشددة وألف ساكنة قبلها
قال ابن عطية وهي قراءة أبي عثمان النهدي وقرأت فرقة
وازاينت والأصل وتزاينت فأدغم والظن هنا على بابه من
ترجيح أحد الجائزين وقيل بمعنى أيقنوا وليس بسديد ومعنى
القدرة عليها التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك
لحسن نموها وسلامتها من العاهات والضمير في أهلها عائد
على الأرض وهو على حذف مضاف أي أهل نباتها وقيل الضمير
عائد على الغلة وقيل على الزينة وهو ضعيف ن وجواب إذا

قوله اتاها امرنا كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الافات
كالفار والجراد وقيل اتاها امرنا باهلاكها وابهم في قوله
ليلا او نهارا وقد علم تعالى متى ياتيها امره او تكون او للتنويع
لان بعض الارض ياتيها امره تعالى ليلا وبعضه نهارا ولا
يخرج كاين عن وقوعه فيهما والحصيد فعيل بمعنى مفعول
اي المحصود ولم يؤنث كا لم يؤنث امراة جريح وقال ابو عبيدة
الحصيد المستاصل انتهى وعبر بحصيد عن التالف استعارة
جعل ما هلك من الزرع بالافة قبل اوانه حصيدا للعلاقة
ما بينهما من الطرح على الارض وقيل يجوز ان يكون تشبيها
بغير الاداة والتقدير فجعلناها كالحصيد وقوله كان لم
تغن بالامس مبالغة في التلف والهلاك حتى كانها
لم توجد قبل ولم يقم بالارض بهجة خضرة نضرة تسر اهلها
وقرا الحسن وقتادة كان لم يغن بالياء على التذكير فقيل
عايد على التذكير فقيل عايد على المضاف المحذوف الذي هو
الزرع حذف وقامت هاء التانيث مقامه في قوله عليها
وفي قوله اتاها فجعلناها وقيل عايد على الزخرف والاولى
عوده على الحصيد اي كان لم يغن الحصيد وكان مروان بن الحكم
يقرا على المنبر كان لم تتغن بنا ايمن مثل تتفعل ٥
وقال الاعشى طويل الثواء طويل التغني ٥ وهو
من غني بكذا اقام به قال الزمخشري والامس مثل في قوله
الوقت كانه قيل كان لم تغن انفا انتهى وليس الامس
عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف لقوله انفا لان انفا
معناه الساعة والمعنى كان لم يكن لها وجود فيما مضى من
الزمان ٥ ولو ان قايلا قال في غير القران كان لم يكن لها
وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة
فكيف يشبه وينفي وجود لها حقيقة انما يشبه ما انتفي وجوده
الان بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي لسرعة انتقاله
من حالة الوجود الى حالة العدم فكان حالة الوجود ما سبقت
له وفي مصحف ابي كان لم تغن بالامس وما كنا لنهلكها الا
بذنوب اهلها كذلك نفصل الايات رواها عنه ابن عباس
وقيل في مصحفه وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها
وفي التحرير وكان ابو سلمة بن عبد الرحمن يقرا في قراة ابي
كان لم تغن بالامس وما اهلكناها الا بذنوب اهلها ولا
يحسن ان يقرا احد بهذه القراة لانها مخالفة لخط المصحف
الذي اجمع عليه الصحابة والتابعون انتهى ٥ كذلك

قوله تعالى كذلك نفصل

تفصل الايات لقوم يتفكرون ٥ اي مثل هذا التفصيل الذي
فصلناه في الماضي تفصل في المستقبل وقرا ابو الدرداء لقوم يتذكرون
بالذال بدل الفاء ٥ والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من
يشاء الى صراط مستقيم ٥ لما ذكر مثل الحيوة الدنيا وما تؤول
اليه من الفناء والاضمحلال وما تضمنته من الافات والعاهات
ذكر تعالى انه داع الى دار السلامة والصحة والامن وهي
الجنة اذ اهلها سالمون من كل مكروه ويجوز ان يكون تعالى
اضافها الى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف
كما قيل بيت الله وناقة الله ويجوز ان تكون مضافة الى السلم
بمعنى التسليم لفشو ذلك بينهم ولتسليم الملايكة عليهم كما قال
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما قال
الحسن ان السلام لا ينقطع عن اهل الجنة وهو تحيتهم كما قال تعالى
تحيتهم فيها سلام وقد وردت في دعوة الله عباده احاديث
وقال قتادة ذكر لنا ان في التوراة مكتوبا يا باغي الخير
هلم ويا باغي الشر انته ولما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشية
ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشية فقال ويهدي
من يشاء وقال الزمخشري ويهدي يوفق من يشاء وهم الذين
علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمه **رهقه**
غشيه وقيل لحقه ومنه ولا ترهقني من امري عسرا ورجل مرهق
يغشاه الاضياف ٥ وقال الازهري الرهق اسم من الارهاق
وهو ان يحمل الانسان على نفسه ما لا يطيق يقال ارهقته ان
يصلي اذا اعجلته عن الصلاة وقيل اصل الرهق المقاربة يقال
غلام مراهق قارب الحلم وفي الحديث ارهقوا القبلة اي
ادنوا منها ويقال رهقت الكلاب الصيد اذا لحقته
وارهقنا الصلاة اخرناها حتى تدنو من الاخرى **القتر** والقترة
الغبار الذي معه سواد وقال ابن عرفة الغبار ٥
وقال الفرزدق ٥
منوج برداه الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا ٥
اي غبار العسكر وقال ابن بحر اصل القتر دخان النار
ومنه قتار القدر انتهى ويقال القتر يسكون التاء **الشان**
الامر وجمعه شؤون واصله الهمز بمعنى القصد من شانت
شانه اذا قصدت قصده **عزب** يعزب ويعزب بكسر الزاي
وضمها غاب حتى خفي ومنه الروض العازب ٥
وقال ابو تمام ٥
وقلقل نايي من خراسان جاشها فقلت اطمئني انضر الروض عازبه ٥

المفردات



قوله عز وجل للذين احسنوا

وقيل للغائب عن اهله غاب حتى قالوه لمن لا زوجة له ٥ للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون ٥ احسنوا قال ابن عباس
ذكروا كلمة لا اله الا الله وقال الاصم احسنوا في كل ما تعبدوا
به اي اتوا بالمامور به كما ينبغي واجتنبوا المنهي وقيل احسنوا
معاملة الناس وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسنوا العمل في الدنيا وفي الصحيح ما الاحسان قال
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ٥
وعن عيسى عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى
من احسن اليك ذلك مكافاة ولكن الاحسان ان
تحسن الى من اساء اليك والحسنى قال الاكثرون هي
الجنة وروي ذلك عن الرسول ولو صح وجب المصير اليه
وقال الطبري الحسنى عام في كل حسن فهو يعم جميع ما قيل
ووعد الله في جميعها بالزيادة ويؤيد ذلك ايضا قوله اولئك
اصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير
في المعنى وقال عبد الرحمن بن سابط الحسنى النضرة وقال ابن زيد
الجزاء في الاخرة وقيل الامنية ذكره ابن الانباري وقال
الزمخشري المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
وهو التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن
علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى
الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ٥ وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان ٥ وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة
باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا
الا امطرتهم وزعمت المجبرة والمشبهة ان الزيادة النظر
الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث موضوع اذا دخل اهل الجنة
نودوا يا اهل الجنة فيكشفون الحجاب فينظرون اليه
فوالله ما اعطاهم الله تعالى شيئا هو احب اليهم منه انتهى
اما تفسيره اولا ونقله عمن ذكر تفسير الزيادة فليس بموضوع
بل خرجه مسلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول
وخرجه ابن المبارك في رقائقه موقوفا على ابي موسى وقال
بان الزيادة هي النظر الى الله تعالى ابو بكر الصديق وعلي
ابن ابي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت
وكعب بن عجرة وابو موسى وصهيب وابن عباس في رواية
وهو قول جماعة من التابعين ومسالة الرؤية يبحث فيها

في اصول

قوله عز وجل والذين كسبوا

الثاني ح

في اصول الدين قال مجاهد اراد ولا يلحقها خزي والقتر
بتغيره الوجه ويسود قال ابن عباس والذلة الكآبة وقال
غيره الهوان وقيل الخيبة نفى عن المحسنين ما اثبت للكفار
من قوله وترهقهم ذلة وقوله عليها غبرة ترهقها قترة وكنى بالوجه
عن الجملة لكونه اشرفها ولظهور اثر السرور والحزن فيه
وقرأ الحسن وابو رجاء وعيسى بن عمر والاعمش قتر بسكون
التاء وهي لغة كالقدر والقدر وجعلوا اصحاب الجنة لتصرفهم
فيها كما يتصرف الملاك على حسب اختيارهم ٥ والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ٥ لما ذكر ما اعد للذين احسنوا وما لهم
يوم القيامة ومآلهم الى الجنة ذكر ما اعد لاضدادهم وما لهم
ومآلهم وجاءت صلة المؤمنين احسنوا وصلة الكافرين
كسبوا السيئات تنبيها على ان المؤمن لما خلق على الفطرة واصلها
بالاحسان وعلى ان الكافر لما خلق على الفطرة انتقل عنها
وكسب السيئات فجعل ذلك محسنا وهذا كاسبا للسيئات
ليدل على ان المؤمن سلك ما ينبغي وهذا سلك ما لا ينبغي
والظاهر ان والذين مبتدا وجوزوا في الخبر وجوها احدها
انه الجملة التي بعده وهي جزاء سيئة بمثلها وجزاء مبتدا فقيل
خبره مثبت وهو بمثلها واختلفوا في الباء فقيل زائدة قاله
ابن كيسان اي جزاء سيئة مثلها كما قال وجزاء سيئة سيئة
مثلها كما زيدت في الخبر في قوله فمنعكها بشيء يستطاع
اي شيء يستطاع وقيل ليست بزائدة والتقدير مقدر بمثلها
او مستقر بمثلها وقيل محذوف فقدره الحوفي لهم جزاء
سيئة قال ودل على تقديرهم قوله للذين احسنوا الحسنى حتى
تشاكل هذه تلك وقدره ابو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع
والباء في قولهما متعلقة بقوله جزاء والعائد من هذه الجملة
الواقعة خبرا عن الذين محذوف تقديره جزاء سيئة منهم كما
حذف في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم
وعلى تقدير الحوفي لهم جزاء يكون الرابط لهم ان الخبر قوله
ما لهم من الله من عاصم ويكون قد فصل بين المبتدا والخبر
بجملتين على سبيل الاعتراض ولا يجوز ذلك عند ابي علي
الفارسي والصحيح جوازه الثالث ان يكون الخبر كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما الرابع ان يكون
الخبر اولئك وما بعده فيكون في هذا القول فصل

بين المبتدأ والخبر بأربع جمل معترضة وفي القول الثالث بثلاث
جمل والصحيح منع الاعتراض بثلاث جمل وبأربع الجمل وأجاز ابن عطية
أن يكون الذين في موضع جر عطفا على قوله للذين أحسنوا ويكون جزاء
مبتدأ خبره قوله والذين على إسقاط حرف الجر أي وللذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فيتعادل التقسيم كما تقول
في الدار زيد والقصر عمرو أي وفي القصر عمرو وهكذا التركيب
مسموع من لسان العرب فخرجه الأخفش على أنه من العطف
على عاملين وخرجه الجمهور على أنه مما حذف منه حرف الجر
وجره بذلك الحرف المحذوف لا بالعطف على المجرور وهي
مسألة خلاف وتفصيل يتكلم فيها في علم النحو والظاهر أن
السيئات هنا سيئات الكفر ويدل عليه ذكر أوصافهم بعد وقيل
السيئات المعاصي فيندرج فيها الكفر وغيره ولهذا قال
ابن عطية والسيئات هاهنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة
الكفر التخليد في النار ومثل سيئة المعاصي مصروف إلى
مشيئة الله تعالى ومعنى بمثلها أي لا يزاد عليها قال الزمخشري
وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل
بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل بإثبات الزيادة
على المثوبة على فضله انتهى وقيل معنى بمثلها أي بما يليق
بها من العقوبات فالعقوبات تترتب على قدر السيئات
ولهذا كانت جهنم دركات وكان المنافقون في الدرك
الأسفل لقبح معصيتهم **وقرئ** ويرهقهم بالياء لأن تأنيث
الذلة مجاز وفي وصف المؤمنين نفي القتر والذلة عن وجوههم
وهنا غشيتهم الذلة وبولغ فيما يقابل القتر فقيل كأنما أغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما وهذا مبالغة في سواد الوجوه
وقد جاء مصرحا في قوله وتسود وجوه من الله أي من سخطه وعذابه
أو من جهته تعالى ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وأغشيت
كسيت ومنه الغشاء وكون وجوههم مسودة هو حقيقة
لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة قال أبو عبد الله الرازي
واعلم أن حكماء الإسلام قالوا المراد من هذا السواد هاهنا
سواد الجهل وظلمة الضلال فإن الجهل طبيعة طبع الظلمة
فقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة المراد نور العلم
وروحه وبشره وبشارته ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلال انتهى وكثيرا
ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الإسلام في التفسير وينقل كلامهم
تارة منسوبا إليهم وتارة مستبدا به ويعني بحكماء الإسلام

الفلاسفة الذين خلفوا في الملة الإسلامية وهم أحق
بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء إذ هم أعداء الأنبياء
والمحرفون للشريعة الإسلامية وهم أضر على المسلمين من اليهود
والنصارى وإذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن
قراءة التوراة مع كونها كتابا إلهيا فلأن ينهى عن قراءة كلام
الفلاسفة أحق وقد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل
الاشتغال بجهالات الفلاسفة على كثير من الناس ويسمونها
الحكمة ويستجهلون من عري عنها ويعتقدون أنهم الكملة
من الناس ويعكفون على دراستها ولا يكاد يلقى أحدا منهم يحفظ
قرآنا ولا حديثا عن رسول الله ولقد غضضت من ابن سينا
ونسبته للجهل فقال لي بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد
يغض من ابن سينا كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب
للجهل ولما ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم
أحمد بن أبي الوليد بن رشد الاعتناء بمقالات الفلاسفة
والتعظيم لهم أغري به علماء الإسلام بالأندلس المنصور
منصور الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
ابن ملك المغرب والأندلس حتى وقع به ما هو مشهور من
ضربه ولعنه وإهانته وإهانة جماعة منهم على رؤوس
الأشهاد وكان مما خوطب به المنصور في حقهم قول
بعض العلماء الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيرا ... عن الإسلام والسعي الكريم
بحق جهاده جاهدت فيه ... إلى أن فزت بالفتح العظيم
وصيرت الأنام بحسن هدي ... على نهج الصراط المستقيم
فجاهد في أناس قد أضلوا ... طريق الشرع بالعلم القديم
وحرق كتبهم شرقا وغربا ... ففيها كامنات شر العلوم
يدب إلى العقائد من أذاها ... سموم والعقائد كالجسوم
وفي أمثالها إذ لا دواء ... يكون السيف ترياق السموم

وقال

يا وحشة الإسلام من فرقة ... شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادعت الحكمة والفلسفة

وقال

قد ظهرت في عصرنا فرقة ... ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين إلا بما ... سن ابن سينا وأبو نصر

ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات
الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك إذ كنا

نشأنا في جزيرة الاندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وانه اذا
بيع كتاب في المنطق انما يباع خفية وانه لا يتجاسر ان ينطق
بلفظ المنطق انما يسمونه المفعل حتى ان صاحبنا وزير الملك
ابن الاحمر ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم
كتب الينا كتابا من الاندلس يسألني ان اشتري او استنسخ
كتابا لبعض شيوخنا في المنطق فلم يتجاسر ان ينطق بالمنطق
وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعل ٥ ولما البست وجوههم
السواد قال كانما اغشيت وجوههم ولما كانت ظلمة الليل
لها تأثير في السواد شبه سواد وجوههم بقطع من الليل حال
اشتداد ظلمته **وقرأ** ابن كثير والكسائي قطعا بسكون الطاء
وهو مفرد اسم للشيء المقطوع وقال الاخفش في قوله بقطع
من الليل سواد من الليل وابناء اللغة يقولون القطع
ظلمة آخر الليل وقال بعضهم طائفة من الليل وعلى
هذه القراءة يكون قوله مظلما صفة لقوله قطعا كما جاء ذلك
في قراءة ابي كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **وقرأ**
ابن ابي عبلة كذلك الا انه فتح الطاء وقيل قطع جمع
قطعة نحو سدر وسدرة فيجوز اذ ذاك ان يوصف بالمذكر
نحو نخل منقعر وبالمؤنث نحو نخل خاوية ويجوز على هذا ان
يكون مظلما حالا من الليل كما اعربوه في قراءة باقي السبعة
كانما اغشيت وجوههم قطعا بتحريك الطاء بالفتح من الليل
مظلما بالنصب قال الزمخشري **فان قلت** اذا جعلت
مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلو اما
ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا
فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما
ان يكون معنى الفعل في من الليل انتهى اما الوجه الاول
فهو بعيد لان الاصل ان يكون العامل في الحال هو في ذي
الحال والعامل في الليل هو مستقر او واصل اليه بمن
واغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل
فاختلفا فلذلك كان الوجه الآخر اولى اي قطعا مستقرة
او كائنة من الليل في حال اظلامه وقيل مظلما حال
من قوله قطعا او صفة وذكر في هذين الوجهين لان قطعا
في معنى كثير فلوحظ فيه الافراد والتذكير وجوزوا ايضا
في قراءة من سكن الطاء ان يكون مظلما حالا من قطع وحالا
من الضمير في من قال ابن عطية فاذا كانت نعتا يعني مظلما
نعتا لقطع فكان حقه ان يكون قبل الجملة ولكن قد يجيء

بعد

بعد هذا او تقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على
نحو قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك انتهى ولا يتعين
تقديرا لعامل في المجرور بالفعل فيكون جملة بل الظاهر
ان يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير
قطعا كائنا من الليل مظلما ٥ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ٥ الضمير في نحشرهم عائد على من
تقدم ذكرهم من الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات **وقرأ** الحسن
وشيبة والقراء السبعة نحشرهم بالنون **وقرأت** فرقة
بالياء وقيل يعود الضمير على الذين كسبوا السيئات ٥ ومنهم
عائد على غير الله ومن لا يعبد شيئا وانتصب يوم على فعل محذوف
اي ذكرهم او خوفهم ونحوه وجميعا حال والشركاء الشياطين
او الملائكة او الاصنام او من عبد من دون الله كائنا من كان
اربعة اقوال ومن قال الاصنام قال ينفخ فيها الروح
فينطقها الله بذلك مكان الشفاعة التي علقوا بها اطماعهم
وروي عن النبي عليه السلام ان الكفار اذا رأوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون
فيقولون والله لإياكم كنا نعبد فتقول الالهة فكفى
بالله شهيدا الآية قال ابن عطية فظاهر هذه الآية
ان المحاورين انما هي مع الاصنام دون الملائكة وعيسى
ابن مريم بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون
فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم
لغافلين وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم ومكانكم
عده النحويون في اسماء الافعال وقدروا باثبتوا كما
قال الشاعر
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ٥
اي اثبتي ولكونها بمعنى اثبتي جزم تحمدي وتحملت ضميرا فأكد
وعطف عليه في قوله انتم وشركاؤكم والحركة التي في مكانك
ودونك اهي حركة اعراب او حركة بناء تنبني على
الخلاف الذي بين النحويين في اسماء الافعال ألها
موضع من الاعراب ام لا فمن قال هي في موضع نصب جعل
الحركة اعرابا ومن قال لا موضع لها من الاعراب جعلها
حركة بناء وعلى القول الاول قول الزمخشري فقال مكانكم
الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم واختلفوا
في انتم فالظاهر ما ذكرناه من انه تأكيد للضمير المستكن

قوله عز وجل ويوم نحشرهم

في مكانكم وشركاؤكم عطف على ذلك الضمير المستكن وهو قول
الزمخشري قال وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد
قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى يعني عطفا على الضمير
المستكن وتقديره الزموا وأن مكانكم قام مقامه فيحمل الضمير
الذي في الزموا وليس بجيد إذ لو كان كذلك لكان مكانك
الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا ألا ترى أن اسم
الفعل إذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما وإذا كان
متعديا كان متعديا مثال ذلك عليك زيدا لما ناب مناب
الزم تعدى وإليك لما ناب مناب تنح لم يتعد ولكون
مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبت واثبت لا يتعدى
قال الحوفي مكانكم نصب بإضمار فعل أي الزموا مكانكم
أو اثبتوا وقال أبو البقاء مكانكم ظرف مبني لوقوعه موقع
الأمر أي الزموا انتهى وقد بينا أن تقديره الزموا ليس بجيد
إذ لم تقل العرب مكانك زيدا فتعديه كما تعدي الزم
وقال ابن عطية أنتم رفع بالابتداء والخبر مخزيون
أو مهانون ونحوه انتهى فيكون مكانكم قد تم ثم أخبر أنهم
كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال بعض
أجزائه ببعض ولتقدير إضمار لا ضرورة تدعو إليه ولقوله
فزيلنا بينهم إذ يدل على أنهم ثبتوا هم وشركاؤهم في مكان
واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق والقراءة من قرأ
أنتم وشركاءكم بالنصب على أنه مفعول معه والعامل
فيه اسم الفعل ولو كان أنتم مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز
أن يأتي بعده مفعول معه تقول كل رجل وضيعته بالرفع
ولا يجوز فيه النصب ۝ وقال ابن عطية أيضا ويجوز
أن يكون أنتم تأكيدا للضمير الذي في الفعل المقدر الذي
هو قفوا ونحوه انتهى وهذا ليس بجيد إذ لو كان تأكيدا
لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف
إذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تأخره عنه
وهو غير جائز لا تقول أنت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والأصح
أنه لا يجوز حذف المؤكد في التأكيد المعنوي فكذلك
هذا لأن التأكيد ينافي الحذف وليس من كلامهم أنت
زيدا لمن رأيته قد شهر سيفا وأنت تريد اضرب أنت زيدا
إنما كلام العرب زيدا تريد اضرب زيدا يقال زلت
الشيء عن مكانه أزيله قال الفراء تقول العرب زلت الضأن
من المعز فلم تزل ۝ وقال الواحدي التزييل والتزيل

والمزايلة

والمزايلة التمييز والتفريق انتهى وزيل مضاعف للتكثير
لمفارقة الجثث مرة وأنت البناء بخلاف زال يزول فمادتها
مختلفة وزعم ابن قتيبة أن زيلنا من مادة زال يزول
وتبعه أبو البقاء وقال أبو البقاء فزيلنا عين الكلمة
واو لأنه من زال يزول وإنما قلبت ياء لأن وزن الكلمة
فيعل أي زيولنا مثل بيطر وبيقر فلما اجتمعت الواو والياء
على الشرط المعروف قلبت ياء انتهى وليس بجيد لأن فعل
أكثر من فيعل ولأن مصدره تزييل ولو كان فيعل لكان
مصدره فيعلة فكان يكون زيلة كبيطرة لأن فيعل
ملحق بفعلل ولقولهم في قريب من معناه زايل ولم يقولوا زاول
بمعنى فارق إنما قالوه بمعنى حاول وخالط وشرح فزيلنا
بفرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وبين شركائهم كقوله تعالى أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا
ضلوا عنا **وقرأت فرقة** فزايلنا حكاه الفراء قال
الزمخشري كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته انتهى
يعني أن فاعل بمعنى فعل وزايل في لسان العرب بمعنى فارق

قال الشاعر

وقال العذاري إنما أنت عمنا وكان الشباب كالخليط نزايله

وقال آخر

لعمري لموت لا عقوبة بعده لذي البث أشفى من هوى لا يزايله

والظاهر أن التزييل أو المزايلة هو مفارقة الأجسام وتباينها
وقيل فرقنا بينهم في الحجة والمذهب قاله ابن عطية
وزيلنا وقال هنا ماضيان لفظا والمعنى فنزيل بينهم
ونقول لأنهما معطوفان على مستقبل ونفي الشركاء عبادة
المشركين هو رد لقولهم لإياكم كنا نعبد والمعنى إنكم كنتم
تعبدون من أمركم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم ولما
تنازعوا استشهد الشركاء بالله تعالى وانتصب شهيدا
قيل هو على الحال والأصح على التمييز لقبوله من وتقدم
الكلام في كفى وفي الباء وإن هي المخففة من الثقيلة وعند
الفراء هي النافية واللام بمعنى إلا وقد تقدم الكلام
في ذلك واكتفوا هم بشهادة الله هو على انتفاء أنهم
عبدوهم ثم استأنفوا جملة خبرية أنهم كانوا غافلين
عن عبادتهم أي لا شعور لنا بذلك وهذا يرجح أن الشركاء
هي الأصنام كما قال ابن عطية لأنه لو كان الشركاء ممن

قوله عز وجل هنالك

بعقل من انسي وجني او ملك لكان له شعور بعبادتهم ولا شيء
اعظم سببا للغفلة من الجمادية اذ لا تخبر ولا تشعر
بشيء البتة ﴿هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا
إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ هنالك
ظرف مكان اي في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة
والدهش وقيل هو اشارة الى الوقت استعير ظرف
المكان للزمان اي في ذلك الوقت وقرأ الاخوان
وزيد بن علي تتلوا بتاءين اي تتبع وتطلب ما أسلفت
من أعمالها قاله السدي ومنه قول الشاعر
ان المريب يتبع المريبا * كما رأيت الذيب يتلو الذيبا
ويصح ان يكون من التلاوة وهي القراءة اي تقرأ كتبها
التي يدفع اليها وقرأ باقي السبعة تبلوا بالتاء والباء
اي تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح
ام حسن انافع ام ضار مقبول ام مردود كما يتعرف الرجل
الشيء باختباره وروي عن عاصم نبلوا بنون وباء اي
نختبر وكل نفس بالنصب وما أسلفت بدل من كل نفس
او منصوب على اسقاط الخافض اي بما أسلفت او يكون
نبلو من البلاء ومنه العذاب اي نصيب كل نفس عاصية
بسبب ما أسلفت من العمل السيء وعن الحسن تبلو
تتسلم وعن الكلبي تعلم وقيل تذوق وقرأ يحيى
ابن وثاب وردوا بكسر الراء لما سكن للادغام نقل حركة
الدال الى حركة الراء بعد حذف حركتها ومعنى الى الله
الى عقابه وقيل الى موضع جزائه مولاهم الحق لا ما زعموه
من اصنامهم اذ هو المتولي حسابهم فهو مولاهم في الملك والاحاطة
لا في النصر والرحمة وقرئ الحق بالنصب على المدح نحو
الحمد لله اهل الحمد وقال الزمخشري كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل على تأكيد قوله ردوا الى الله انتهى
وقال ابو عبد الله الرازي وردوا الى الله جعلوا
ملجئين الى الاقرار بالاهية بعد ان كانوا في الدنيا يعبدون
غير الله ولذلك قال مولاهم الحق وضل عنهم اي بطل
وذهب ما كانوا يفترون من الكذب او من دعواهم
ان اصنامهم شركاء لله شفعاء لهم عنده ﴿قل من
يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
فسيقولون الله فقل افلا تتقون﴾ لما بين فضائح عبدة

قوله عز وجل قل من يرزقكم

الأوثان

الأوثان اتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوبخهم
ويحجهم بما لا يمكن الا الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واظهار
القدرة الباهرة في الموت والحياة فبدأ بما فيه قوام حياتهم
وهو الرزق الذي لا بد منه فمن السماء بالمطر ومن الارض بالنبات
من لابتداء الغاية وهيئ الرزق بالعالم العلوي والعالم السفلي
معا لم يقتصر على جهة واحدة تعالى توسعة منه واحسانا
ومن ذهب الى ان التقدير من اهل السماء والارض فتكون من
للتبعيض او النبات ثم ذكر ملكه لهاتين الحاستين الشريفتين
السمع الذي هو سبب مدارك الاشياء والبصر الذي يرى
ملكوت السموات والارض ومعنى ملكهما انه يتصرف فيهما
بما يشاء تعالى من ابقاء وحفظ واذهاب وقال الزمخشري
من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على
الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويعصمهما
من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه انتهى ولا يظهر هذان
الوجهان اللذان ذكرهما من لفظ ام من يملك السمع والابصار
وعن علي كرم الله وجهه سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم
وانطق بلحم وام هنا تقتضي تقدير بل دون همزة الاستفهام
كقوله تعالى ام ماذا كنتم تعملون فلا يتقدر ببل والهمزة
لانها دخلت على اسم الاستفهام وليس اضراب ابطال
بل هو انتقال من شيء الى شيء ونبه تعالى بالسمع والبصر على
الحواس لانهما اشرفها ولما ذكر تعالى سبب ادامة الحياة
وسبب انتفاع الحي بالحواس ذكر انشاءه تعالى واختراعه
للحي من الميت والميت من الحي وذلك من باهر قدرته ومن اختراع
الضد من ضده وتقدم تفسير ذلك ومن يدبر الامر شامل لما تقدم
من الاشياء الاربعة المذكورة ولغيرها والامور التي يدبرها
تعالى لا نهاية لها فلذلك جاء بالامر الكلي بعد تفصيل
بعض الامور واعترافهم بان الرازق والمالك والمخرج
والمدبر هو الله امر لا يمكنهم المكابرة ولا المباهتة فيه
ومعنى افلا تتقون افلا تخافون عقوبة الله في افترائكم
وجعلكم الاصنام آلهة وقيل افلا تتعظون فتنتهون
عما حذرت عنه تلك الموعظة ﴿فذلكم الله ربكم
الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك
حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون﴾
فذلكم اشارة الى من اختص بالاوصاف السابقة الحق

قوله عز وجل فذلكم الله

الثابت الربوبية المستوجبة للعبادة واعتقاد اختصاصه
بالالوهية لا اصنامكم المربوبة الباطلة وماذا
استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير
والتوبيخ كانه قيل ما بعد الحق الا الضلال فالحق
والضلال لا واسطة بينهما اذ هما نقيضان فمن يخطي
الحق وقع في الضلال وماذا اسم واحد ركبت ذا مع ما فصارا
لمجموعهما استفهاما كانه قيل اي شيء والخبر بعد الحق
ويجوز ان تكون ذا موصولة وتكون خبر ما كانه قيل ما الذي
قيل بعد الحق وبعد صلة لذا ولما ذكر تعالى تلك الصفات
واشار الى المتصف بها هو الله وانه مالكهم وانه هو الحق
وبخهم على اتباع الضلال بعد وضوح الحق قال تعالى
فاني تصرفون اي كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق وقيام
حججه عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تتركون معبودا
غيره وهو لا يشاركه في تلك الاوصاف شيء من تلك الاوصاف
واستنباط كون الشطرنج ضلالا من قوله فماذا بعد الحق
الا الضلال لا يكاد يظهر لان الاية انما سيقت فيما هو في
الكفر والايمان وعبادة الاصنام وعبادة الله وليس
مساقها في الامور الفرعية التي تختلف فيها الشرائع
وتختلف فيها اقوال علماء ملتنا وقد تعلق الجبائي بظاهر
الاية في الرد على المجبرة اذ يقولون انه تعالى يصرف الكفار
عن الايمان قال لو كان كذلك لما قال اني تصرفون كما لو
كما لو اعمى بصر احدهم لا يقول اني عميت ۝ كذلك حقت كلمة
ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ۝ الكاف للتشبيه
في موضع نصب والاشارة بذلك قيل الى المصدر المفهوم
من تصرفون مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به فسيقولون
الله حق العذاب عليهم اي جزاءهم مثل افعالهم وقيل
اشارة الى الحق قال الزمخشري كذلك مثل ذلك حقت
كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال او كما
حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك وقال
ابن عطية كذلك اي كما كانت صفات الله كما وصف
وعبادته واجبة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم
واكتسبوا كذلك حقت ومعنى فسقوا تمردوا في كفرهم
وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من
كلمة ربك اي حق عليهم انتفاء الايمان ويجوز ان يراد
بالكلمة عدة العذاب ويكون انهم لا يؤمنون تعليلا

اي

اي لانهم لا يؤمنون ويوضح هذا الوجه قراءة ابن ابي عبلة
انهم لا يؤمنون بالكسر وهذا اخبار منه تعالى ان في
الكفار من حتم الله بكفره وقضى بتخليده وقرأ ابو جعفر
وشيبة والصاحبان كلمات على الجمع هنا وفي اخر السورة
وقرأ باقي السبعة على الافراد ۝ قل هل من شركائكم من
يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
فاني تؤفكون ۝ لما استفهم عن اشياء من صفات الله
واعترفوا بها ثم انكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة
الله استفهم عن شيء هو سبب العبادة وهو ابداء الخلق
وهم يسلمون ذلك ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ثم اعادة الخلق وهم منكرون
ذلك لكنه عطفه على ما يسلمونه ليعلم انهما سواء بالنسبة
الى قدرة الله وان ذلك لهما لوضوحه وقيام برهانه قرن
بما يسلمونه اذ لا يدفعه الا مكابر اذ هو من الواضحات التي
لا تختلف في احكامها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب
اعتقاده ولما كانوا لمكابرتهم لا يقرون بذلك امر تعالى
نبيه ان يجيب فقال قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
وابرز الجواب في جملة مبتداة مصرح بجزئيها معاد الخبر
فيها مطابقا للخبر في الاستفهام وذلك تاكيد وتثبيت
ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف
به جاءت الجملة محذوفا منها احد جزئيها في قوله فسيقولون
الله ولم يحتج الى التاكيد بتصريح جزئيها ومعنى تؤفكون
تصرفون وتقلبون عن اتباع الحق ۝ قل هل من شركائكم
من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون
لما بين تعالى عجز اصنامهم عن الابداء والاعادة الذين هما
اقوى اسباب القدرة واعظم دلائل الالوهية بين
عجزهم عن هذا النوع من صفات الاله وهو الهداية الى
الحق والى مناهج الصواب وقد اعقب الخلق بالهداية
في القران في مواضع قال تعالى حكاية عن الكليم قال ربنا
الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ۝ وقال الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود
الصانع وهما حالات للجسد والروح ولما كانت العقول
يلحقها الاضطراب والغلط بين تعالى انه لا يهدي الا هو بخلاف
اصنامهم ومعبوداتهم فانه مما كان منها لا روح فيه جماد لا تا

قوله عز وجل قل هل من شركائكم

قوله عز وجل قل هل من شركائكم

لدونها فيه روح فليس قادرا على الهداية بل الله تعالى
هو الذي يهديه وهدى يتعدى بنفسه الى اثنين
والى الثاني بالى وباللام ويهدى الى الحق حذف مفعوله
الاول ولا يبعد ان يكون لازما بمعنى يهتدي لان مقابله
انما هو متعد وقوله قل الله يهدي للحق اي يهدي من يشاء
للحق وقد انكر المبرد ما قاله الكسائي والفراء وتبعهما
الزمخشري من ان يكون هدى بمعنى اهتدى وقال لا يعرف
هذا واحق ليست افعل تفضيل بل المعنى حقيق بان يتبع وحاكانوا
معتقدين ان شركاءهم تهدي الى الحق ولا يسلمون حصر الهداية
لله تعالى امرنبيه ان يبادر بالجواب فقال قل الله يهدي
للحق ثم عاد لذي السؤال بالهمزة وام بين من هو حقيق
بالاتباع ومن هو غير حقيق وجاء على الافصح الاكثر من فصل
ام مما عطفت عليه بالخبر كقوله اذلك خير ام جنة الخلد
بخلاف قوله اقريب ام بعيد ما توعدون وسبالي القول
في ترجيح الوصل هنا في موضعه ان شاء الله وقرا اهل المدينة
الا ورشا اخى لا يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد
الدال فجمعوا بين ساكنين قال النحاس لا يقدر احد
ان ينطق به وقال المبرد من رام هذا لا بد ان يحرك حركة
خفيفة وس يسمى هذا اختلاس الحركة وقرا ابو عمرو وقالون
في رواية كذلك الا انه اختلس الحركة وقرا ابن عامر
وابن كثير وورش وابن محيصن كذلك الا انهم فتحوا الهاء
واصله يهتدي نقلت حركة التاء الى الهاء وادغمت
التاء في الدال وقرا حفص ويعقوب والاعمش عن ابي بكر
كذلك الا انهم كسروا الهاء لما اضطر الى الحركة حرك بالكسر قال
ابو حاتم هي لغة سفل مضر وقرا ابو بكر في رواية يحيى بن ادم
كذلك الا انه كسر الياء ونقل عن س انه لا يجيز يهدي ويجيز
يهدي ويهدي واهدي قال لان الكسرة في الياء تثقل
وقرا حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن وثاب والاعمش
يهدي مضارع هدى قال الزمخشري هذه الهداية احق
بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي
غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان
الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدي الا ان ينقل او لا يهتدي
ولا يصح منه الاهتداء الا بنقله الله تعالى من حالة الى ان
يجعله حيوانا مكلفا فيهديه انتهى وتقدم انكار المبرد ما
قاله الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري من ان هدى بمعنى اهتدى

وقال

وقال ابو علي الفارسي وصف الاصنام بانها لا تهتدي الا ان
تهدى ونحن نجدها لا تهتدي وان هديت فوجه ذلك انه عامل
في العبارة عنها معاملتهم اذ وصفها باوصاف من يعقل وذلك
مجاز وموجود في كثير من القرآن وقال ابن عطية والذي اقول
ان قراءة حمزة والكسائي يحتمل ان يكون المعنى ام من لا يهدي
احدا الا ان يهدى ذلك الاحد بهداية من عند الله واما على
غيرها من القراءات التي مقتضاها ام من لا يهتدي الا
ان يهدى فيتجه المعنى على ما تقدم لابي علي الفارسي وفيه تجوز
كثير ويحتمل ان يكون مما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها
وقيل تم الكلام عند قوله ام من لا يهدي اي لا يهدي
غيره ثم قال الا ان يهدى استثناء منقطع اي لكنه محتاج
الى ان يهدى كما تقول فلان لا يسمع غيره الا ان يسمع اي لكنه
يحتاج الى ان يسمع وقيل ام من لا يهدي في الرؤساء المضلين
انتهى ويكون استثناء متصلا لانه اذ ذاك يكون فيهم قابلية
الهداية بخلاف الاصنام فما لكم استفهام معناه التعجب
والانكار اي اي شيء لكم في اتخاذها وهؤلاء الشركاء اذا كانوا عاجزين
عن هداية انفسهم فكيف يمكن ان تهدوا غيرهم كيف تحكمون
استفهام اخر اي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله اندادا
وشركاء وهاتان جملتان انكر في الاولى وتعجب من اتباعهم
من لا يهدي ولا يهتدي وانكر في الثاني حكمهم بالباطل وتسويتهم الاصنام
برب العالمين ⁂ وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من
الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ⁂ الظاهر ان اكثرهم على بابه
لان منهم من تبصر في الاصنام ورفضها كما قال
ارب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب ⁂
وقيل المراد بالاكثر جميعهم والمعنى ما يتبع اكثرهم في اعتقادهم
في الله وفي صفاته الا ظنا ليسوا متبصرين ولا مستندين الى برهان
انما ذلك شيء تلقفوه من ابائهم والظن في معرفة الله لا يغني من
الحق شيئا اي من ادراك الحق ومعرفته على ما هو عليه لانه
تخمين لا قطع وقيل وما يتبع اكثرهم في جعلهم الاصنام الهة
واعتقادهم انها تشفع عند الله وتقرب اليه وقرا عبد الله
تفعلون بالتاء على الخطاب التفاتا والجملة تضمنت
التهديد والوعيد على اتباع الظن وتقليدا لاباء وقيل
نزلت في رؤساء اليهود وقريش ⁂ وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ⁂

قوله عز وجل وما يتبع

قوله عز وجل وما كان هذا

لما تقدم من قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله وكان من قولهم
إنه افتراه قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى
أي ما صح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى والإشارة
بهذا فيها تفخيم المشار إليه وتعظيمه وكونه جامعا للأوصاف
التي يستحيل وجودها فيه أن يكون مفترى والظاهر
أن أن يفترى هو خبر كان أي افتراء أي ذا افتراء أو مفترى
وزعم بعض النحويين أن أن هذه هي المضمرة بعد لام الجحود
في قولك ما كان زيد ليفعل وأنه لما حذفت اللام أظهرت
أن وأن اللام وأن يتعاقبان فحيث جيء باللام لم تأت بأن
بل يقدرها وحيث حذفت اللام ظهرت أن والصحيح أنهما
لا يتعاقبان وأنه لا يجوز حذف اللام وإظهار أن إذ لم يقم
دليل على ذلك وعلى زعم هذا الزاعم لا يكون أن يفترى خبرا
لكان بل الخبر محذوف وأن يفترى معمول لذلك الخبر بعد
إسقاط اللام ووقعت لكن هنا أحسن موقع إذ كانت بين
نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق
والذي بين يديه الكتب الإلهية المتقدمة قاله ابن عباس
ومجاهد مصدقا لما معكم وعن الزجاج الذي بين يديه أشراط
الساعة ولا يقوم البرهان على قريش إلا بتصديق القرآن
ما في التوراة والإنجيل مع أن الآتي به يقطعون أنه لم يطالع
تلك الكتب ولا غيرها ولا هي في بلده ولا قومه لا بتصديق
الأشراط لأنهم لم يشاهدوا شيئا منها وتفصيل الكتاب تبيين
ما فرض وكتب فيه من الأحكام والشرائع **وقرأ** الجمهور
تصديق وتفصيل بالنصب فخرجه الكسائي والفراء ومحمد
ابن سعدان والزجاج على أنه خبر كان مضمرة أي
ولكن كان تصديق أي مصدقا ومفصلا وقيل انتصب
مفعولا من أجله والعامل محذوف والتقدير ولكن
أنزل للتصديق وقيل انتصب على المصدر والعامل
فيه فعل محذوف أي ولكن يصدق تصديق كما

قال الشاعر

ولست الشاعر السفساف فيهم ولكن مدره الحرب العوان
أي ولكن أنا وزعم الفراء ومن تابعه أن العرب
إذا قالت ولكن بالواو آثرت تشديد النون
وإذا لم تكن الواو آثرت التخفيف وقد جاء في السبعة
مع الواو التشديد والتخفيف ولا ريب فيه داخل
في حيز الاستدراك كأنه قيل ولكن تصديقا وتفصيلا

منتفيا

منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين قال الزمخشري
ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا
منه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم
انتهى فقوله فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل إنما يعني من جهة المعنى وأما من جهة الإعراب
فلا يكون إلا متعلقا بأحدهما ويكون من باب الإعمال
وانتفاء الريب عنه على ما بين في البقرة في قوله ذلك
الكتاب لا ريب فيه وجمع بينه وبين قوله وإن كنتم في ريب
مما نزلنا ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ لما نفى تعالى
أن يكون القرآن مفترى بل جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب
وبيانا لما فيها ذكر أعظم دليل على أنه من عند الله وهو الإعجاز
الذي اشتمل عليه فأبطل بذلك دعواهم افتراءه وتقدم
الكلام على ذلك مشبعا في البقرة في قوله وإن كنتم في ريب
مما نزلنا الآية وأم متضمنة معنى بل والهمزة على مذهب
س أي بل أيقولون اختلقه والهمزة تقرير لالتزام الحجة
عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد وقالت فرقة أم هذه
بمنزلة همزة الاستفهام وقال أبو عبيدة أم بمعنى
الواو ومجازه ويقولون افتراه وقيل الميم صلة
والتقدير أيقولون وقيل أم هي المعادلة للهمزة
وحذفت الجملة قبلها والتقدير أيقرون به أم يقولون
افتراه وجعل الزمخشري قبل فأتوا جملة شرط محذوفة
فقيل فقال إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم
على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثله في العربية
والفصاحة والألمعية فأتوا بسورة مثله شبيهة
به في البلاغة وحسن النظم انتهى والضمير في مثله
عائد على القرآن أي بسورة مماثلة للقرآن وتقدم
الكلام لنا فيما وقع به الإعجاز **وقرأ** عمرو بن فائد
بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب أو كلام
مثله أي مثل القرآن وقال صاحب اللوامح
هذا مما حذف الموصوف منه وأقيمت الصفة
مقامه أي بسورة بشر مثله فالهاء في ذلك عائدة
إلى النبي عليه السلام وفي العامة إلى القرآن
وادعوا من استطعتم أن تدعوه من خلق الله إلى الاستعانة

قوله عز وجل
أم يقولون

على الاتيان بمثله من دون الله أي من غير الله لانه لا يقدر
على ان ياتي بمثله احد الا الله فلا يستعينوه وحده واستعينوا
بكل من دونه ان كنتم صادقين في انه افتراه وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الآية على خلق القرآن قالوا لانه تحدى به وطلب
الاتيان بمثله وعجزوا ولا يمكن هذا الا اذا كان الاتيان
بمثله صحيح الوجود في الجملة ولو كان قديما لكان الاتيان
بمثل القديم محالا في نفس الامر فوجب ان لا يصح التحدي
به وقال ابو عبد الله الرازي مراتب التحدي بالقرآن
ست تحدى بكل القرآن في قل لئن اجتمعت الآية وتحدى بعشر
سور وتحدى بسورة واحدة وتحدى بحديث مثله في قوله فليأتوا
بحديث مثله وفي هذه الاربع طلب ان يعارض رجل يساوي
الرسول في عدم التتلمذ والتعليم وتحدى طلب منهم معارضة
سورة واحدة من اي انسان كان يعلم العلم او لم يتعلمها وفي
هذه المراتب الخمس تحدى كل واحد من الخلق وتحدى طلب
من المجموع واستعانة بعض ببعض انتهى ملخصا ۵ بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين
من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ قال
الزمخشري بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه
في بديهة السماع قبل ان يفهموه ويعلموا كنه امره وقبل
ان يتدبروه ويفقهوا تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم
عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم وقال
ابن عطية هذا اللفظ يحتمل معنيين احدهما ان
يريد بما الوعيد الذي توعدهم الله على الكفر وتاويله
على هذا يريد به ما يؤول اليه امره كما هو في قوله
هل ينظرون الا تاويله والآية محتملة على هذا التاويل
تتضمن وعيدا والمعنى الثاني انه اراد بل كذبوا بهذا
القرآن العظيم المنبئ بالغيوب الذي لم يتقدم لهم
به معرفة ولا احاطوا بمعرفة غيوبه وحسن نظمه
ولا جاءهم تفسير ذلك وبيانه وقال ابو عبد الله
الرازي يحتمل وجوها **الاول** كلما سمعوا شيئا من القصص
قالوا اساطير الاولين ولم يعرفوا ان المقصود منها
ليس نفس الحكاية بل قدرته تعالى على التصرف
في هذا العالم وتنقله اهله من العز الى الذل ومن الذل
الى العز وبفناء الدنيا فيعتبر بذلك وان ذلك
القصص بوحي من الله اذا علم بذلك على لسان رسوله

قوله عز وجل بل كذبوا

من غير

من غير تحريف مع كونه لم يتعلم ولم يتتلمذ **الثاني** كلما سمعوا
حروف التهجي ولم يفهموا منها شيئا فساء ظنهم وقد اجاب
الله بقوله فيه آيات بينات الآية **الثالث** ظهور
القرآن شيئا فشيئا فساء ظنهم وقالوا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة وقد اجاب تعالى وشرح في مكانه
الرابع القرآن مملوء من الحشر وكانوا الفوا المحسوسات
فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فبين الله تعالى
صحة المعاد بالدلائل الكثيرة **الخامس** انه مملوء من
الامر بالعبادات وكانوا يقولون اله العالم غني عن
طاعتنا وسواء جل ان يامرنا بما لا فائدة له فيه واجاب
تعالى بقوله ان احسنتم الآية وبالجملة فشبه الكفار
كثيرة فلما راوا القرآن مشتملا على امور ما عرفوا حقيقتها
ولا اطلعوا على وجه الحكمة فيها كذبوا بالقرآن فقوله
بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى عدم علمهم بهذه الاشياء
وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى عدم جهدهم واجتهادهم
في طلب اسرار ما تضمنه القرآن انتهى ملخصا وقال
الزمخشري **فان قلت** ما معنى التوقع في قوله تعالى
ولما ياتهم تاويله **قلت** معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد
التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم
به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه
لما كرر عليهم التحدي وراوزوا قواهم في المعارضة واستيقنوا
عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا انتهى ويحتاج
كلامه هذا الى نظر وقال ايضا ويجوز ان يكون
المعنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اكذب هو
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز
نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا
الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد
الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه
وكذبه انتهى ونعني جملة الاحاطة بلم وجملة اتيان
التاويل بلما ويحتاج في ذلك الى فرق ۵ والكاف
في موضع نصب اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين
من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل
تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الاباء وعاندوا

قال ابن عطية قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان لا يجوز أن يعمل فيه انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لأنهم عاملوا كيف في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد ولكيف تصرفات غير هذا تحل محل المصدر الذي هو كيفية وينخلع معنى الاستفهام ويحتمل هذا الموضع أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر كيف قول البخاري كيف كان بدء الوحي فإنه لم يستفهم انتهى. وقول الزجاج لا يجوز أن يعمل فيه انظر وتعليله يريد لا يجوز أن تعمل فيه انظر لفظا لكن الجملة في موضع نصب لأن انظر معلقة وهو من نظر القلب. وقول ابن عطية هذا قانون النحويين إلى آخر تعليله ليس كما ذكر بل لكيف معنيان أحدهما الاستفهام المحض وهو سؤال عن الهيئة إلا أن يعلق عنها العامل فمعناها معنى الأسماء التي يستفهم بها إذا علق عنها العامل والثاني الشرط لقول العرب كيف تكون أكون. وقوله ولكيف تصرفات إلى آخره ليس كيف تحل محل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر إنما ذلك نسبة إلى كيف. وقوله ويحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل أن يكون منها لأنه لم يثبت لها المعنى الذي ذكر من كون كيف بمعنى كيفية وادعاء مصدر كيفية. وأما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية إنما هي شرطية وهو المعنى الثاني لها وجوابها محذوف التقدير كيف شئت فكن كما تقول قم متى شئت فمتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا إن أساء إليك التقدير إن أساء إليك فاضربه وحذف فاضربه لدلالة اضرب المتقدم عليه. وأما قول البخاري كيف كان بدء الوحي فهو استفهام محض إما على سبيل الحكاية كأن قائلا سأله فقال كيف كان بدء الوحي وإما أن يكون من قوله هو كأنه سأل نفسه كيف كان بدء الوحي فأجاب بالحديث الذي فيه كيفية ذلك. والظالمين الظاهر أنه أريد به الذين من قبلهم ويحتمل أن يراد به من عاد عليه ضمير بل كذبوا ۝ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ۝

قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به

الظاهر

الظاهر أنه إخبار عن كفار قريش من سيؤمن به وهو من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن فيوافي على الكفر وقيل هو تقسيم في الكفار الباقين على كفرهم فمنهم من يؤمن به باطنا ويعلم أنه حق ولكنه كذب عنادا ومنهم من لا يؤمن به باطنا ولا ظاهرا إما لسرعة تكذيبه وكونه لم يتدبر وإما لكونه نظر فيه فعارضته الشبهات وليس عنده من الفهم ما يدفعها وفيه تفريق كلمة الكفار وأنهم ليسوا مستوين في اعتقاداتهم بل هم مضطربون وإن شملهم التكذيب والكفر وقيل الضمير في ومنهم عائد على أهل الكتاب والظاهر عوده على من عاد عليه ضمير أم يقولون ويتعلق أعلم بالمفسدين وحده تهديد عظيم لهم ۝ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ۝ أي وإن تمادوا على تكذيبك فتبرأ منهم فقد أعذرت وبلغت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ومعنى لي عملي أي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم ومعنى عملي أي الصالح المشتمل على الإيمان والطاعة ولكم عملكم المشتمل على الشرك والعصيان والظاهر أن هذه الآية منابذة لهم وموادعة وضمنها الوعيد كقوله قل يا أيها الكافرون السورة وقيل المقصود بذلك استمالتهم وتأليف قلوبهم وقال قوم منهم ابن زيد هي منسوخة بآية القتال لأنها مكية وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل وقال المحققون ليست بمنسوخة ومدلولها اختصاص كل واحد بأفعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب ولم ترفع آية السيف شيئا من هذا وبدأ في المأمور بقوله لي عملي لأنه آكد في الانتفاء منهم وفي البراءة بقوله أنتم بريئون مما أعمل لأن هذه الجملة جاءت كالتوكيد والتتميم لما قبلها فناسب أن يلي قوله ولكم عملكم ولمراعاة الفواصل إذ لو تقدم ذكر براءته كما تقدم ذكر لي عملي لم تقع الجملة فاصلة إذ كان يكون التركيب وأنتم بريئون مما أعمل ۝ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ۝ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ۝ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ۝ قال ابن عباس نزلت الآيات في النضر بن الحارث وغيره من المستهزئين وقال ابن الأنباري في قوم من اليهود وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار

قوله عز وجل وإن كذبوك

قوله عز وجل ومنهم من يستمعون

إلى هذين القسمين بعد تقسيم المكذبين إلى من يؤمن ومن لا
يؤمن والضمير في يستمعون عائد على معنى من والعود على المعنى
دون العود على اللفظ في الكثرة وهو كقوله مما يعود على معنى
من والعود على المعنى دون العود ومن الشياطين من يغوصون
له والمعنى من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت
الشرائع ثم تحجد وفي ذلك الاستماع بقوله أفأنت تسمع الصم
أي هم وإن استمعوا إليك صم عن إدراك ما تلقيه إليهم
ليس لهم وعي ولا قبول ولا سيما قد انضاف إلى الصمم
انتفاء العقل فهم بمنزلة من عدم السمع والعقل أن لا يكون له
إدراك لشيء البتة بخلاف أن لو كان الأصم عاقلا فإنه
بعقله يهتدي إلى أشياء وأعاد في قوله ومنهم من ينظر
إليك الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الأكثر في
لسان العرب والمعنى أنهم عمي فلا تقدر على هدايتهم لأن
السبب الذي يهتدى به إلى رؤية الدلائل قد فقدوه
هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة إذ من كان أعمى
فإنه يهديه نور بصيرته إلى أشياء بالحدس وهذا قد جمع
بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة في
انتفاء قبول ما يلقى إلى هؤلاء إذ جمعوا بين الصمم وانتفاء
العقل وبين العمى وفقد البصيرة وفي قوله أفأنت أفأنت
تسلية للرسول وأن لا يكترث بعدم قبولهم فإن الهداية
إنما هي بيده قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من وإذا جاء
الفعل على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى
وإذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على
اللفظ لأن الكلام يلبس حينئذ انتهى وليس كما قال
بل يجوز أن تراعي المعنى أولا فتعيد الضمير على حسب ما تريد
من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع ثم تراعي اللفظ فتعيد الضمير
مذكرا وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو والمقصود من
الآيتين إعلامه عليه السلام بأن هؤلاء الكفار قد
انتهوا في النفرة والعداوة والبغض الشديد في رتبة
من لا ينفع فيه علاج البتة لأن من كان أصم أحمق
وأعمى فاقد البصيرة لا يمكن ذلك أن يقف على محاسن
الكلام وما انطوى عليه من الإعجاز ولا يمكن هذا
أن يرى ما أجرى الله على يدي رسوله من الخوارق فقد
أيس من هداية هؤلاء ٥

وقال الشاعر

وإذا حفيت على العمي فعاذر أن لا ترى مقلة عمياء ٥
ولما ذكر تعالى هؤلاء الأشقياء ذكر تعالى أنه لا يظلمهم شيئا
إذ قد أزاح عللهم ببعثة الرسل وتحذيرهم من عقابه ولكن
هم ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب واحتمل هذا النفي للظلم
أن يكون في الدنيا أي لا يظلمهم شيئا من مصالحهم واحتمل
أن يكون في الآخرة وأن ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه
لأنهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدره تعالى
عليهم لا يسئل عما يفعل وتقدم خلاف القراء في ولكن
الناس من تشديد النون ونصب الناس وتخفيفها
والرفع ٥ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا
مهتدين ٥ **قرأ** الأعمش وحفص يحشرهم بالياء راجعا
الضمير غائبا عائدا على الله إذ تقدم أن الله لا يظلم الناس
شيئا ولما ذكر أولياء الأشقياء أتبعه بالوعيد ووصف
حالهم يوم القيامة والمعنى كأن لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور
يعني بتقليل لبثهم وذلك لهول ما يعاينون من شدائد
القيامة أو لطول يوم القيامة ووقوفهم للحساب قال
ابن عباس رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة
قال ابن عطية ويوم ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر
تقديره واذكر ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه
قوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ويصح نصبه بيتعارفون
والكاف من قوله كأن يصح أن يكون في موضع الصفة لليوم
ويصح أن يكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال ويوم
نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا ويصح أن يكون قوله كأن لم يلبثوا
في موضع الحال من الضمير في نحشرهم انتهى أما قوله ويصح
أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه كأن لم فإنه كلام مجمل
لم يبين الفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا ولعله أراد
ما قاله الحوفي من أن الكاف في موضع نصب بما تضمنت
من معنى الكلام وهو السرعة انتهى فيكون التقدير ويوم
نحشرهم يسرعون كأن لم يلبثوا وأما قوله والكاف من قوله
كأن يصح أن يكون في موضع الصفة لليوم فلا يصح لأن يوم
نحشرهم معرفة والجمل نكرات ولا تنعت المعرفة بالنكرة
لا يقال إن الجمل التي يضاف إليها أسماء الزمان نكرة
على الإطلاق لأنها إن كانت في التقدير تنحل إلى معرفة
فإن ما أضيف إليها يتعرف وإن كانت تنحل إلى نكرة كان

قوله عز وجل ويوم يحشرهم

مما أضيف إليها نكرة تقول مررت في يوم قدم زيد الماضي
فتصرف يوم بالمعرفة وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا
وأيضا فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن تكون صفة لليوم من جهة المعنى
لأن ذلك من وصف المحشور لا من وصف يوم حشرهم وقد تكلف
بعضهم تقدير محذوف يربط فقدره كأن لم يلبثوا قبله فحذف
قبله أي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز
فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول يحشرهم كما قاله ابن عطية
أخرا وكذا أعربه الزمخشري وأبو البقاء قال الزمخشري
فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت
أما الأولى فحال منهم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا
ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف يعني
فيكون حالا وإما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة
لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا انتهى وقال
الحوفي يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا
وهو العامل كأنه قال متعارفين المعنى اجتمعوا متعارفين
ويجوز أن تكون حالا من الهاء والميم في يحشرهم وهو العامل انتهى
وأما قول ابن عطية ويصح أن يكون في موضع نعت للمصدر
كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا فقد حكاه أبو البقا
فقال وقيل هو نعت لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم
يلبثوا قبله انتهى وقد ذكرنا أن حذف مثل هذا الرابط
لا يجوز وجوزوا في يتعارفون أن تكون حالا على ما تقدم
ذكره من الخلاف في ذي الحال والعامل فيها وأن تكون
جملة مستأنفة أخبر تعالى أنه يقع التعارف بينهم
وقال الكلبي يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا
إذا خرجوا من قبورهم وهو تعارف توبيخ وافتضاح يقول
بعضهم لبعض أنت أضللتني وأغويتني وليس تعارف
شفقة وعطف ثم تنقطع المعرفة وإذا عاينوا أهوال
القيمة كما قال تعالى ولا يسأل حميم حميما وقيل
يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقال
الضحاك تعارف تعاطف المؤمنين والكافرين
لا انتساب بينهم وقيل القيمة مواطن ففي موطن
يتعارفون وفي موطن لا يتعارفون والظاهر أن قوله
قد خسر الذين إلى آخره جملة مستأنفة أخبر تعالى بخسران
المكذبين بلقائه قال الزمخشري هو استئناف
فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وقال أيضا

وابتداء

وابتداء به قد خسر على إرادة القول أي يتعارفون بينهم
قائلين ذلك قال ابن عطية وقيل إنه إخبار المحشورين
على جهة التوبيخ لأنفسهم انتهى وهذا يحتمل أن يكون
كقول الزمخشري يتعارفون بينهم قائلين ذلك وأن يكون
كقول غيره يحشرهم قائلين قد خسر فاحتمل هذا المقدر
أن يكون معمولا ليتعارفون وأن يكون معمولا ليحشرهم ونبه
على العلة الموجبة للخسران وهو التكذيب بلقاء الله وما
كانوا مهتدين الظاهر أنه معطوف على قوله قد خسر فيكون
من كلام المحشورين إذا قلنا إن قوله قد خسر من كلامهم
أخبروا عن أنفسهم بخسرانهم في الآخرة وبانتفاء هدايتهم
في الدنيا ويحتمل أن يكون معطوفا على صلة الذين أي
كذبوا بلقاء الله وانتفت هدايتهم في الدنيا وتكون الجملة
كالتوكيد لجملة الصلة لأن من كذب بلقاء الله هو غير
مهتد وقيل وما كانوا مهتدين إلى غاية مصالح التجار
لا فتك للإيمان وقيل في علم الله بل أيهم فمن حتم ضلالهم
وقضي به ٥ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ٥ إما
الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولأجلها جاز دخول
النون الثقيلة ولو كانت إن وحدها لم يجز انتهى يعني
أن دخول النون للتأكيد إنما يكون مع زيادة ما بعد إن
إن وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام س قال ابن خروف
أجاز س الإتيان بما وأن لا يؤتى بها والإتيان بالنون مع ما
وأن لا يؤتى بها والإراءة هنا بصرية ولذلك تعدى الفعل
إلى اثنين والكاف خطاب للرسول وبعض الذي نعدهم
يعني من العذاب في الدنيا وقد أراه تعالى أنواعا من عذاب
الكفار في الدنيا قتلا وأسرا ونهبا للأموال وسبيا للذراري
وضرب جزية وتشتيت شمل بالجلاء إلى غير بلادهم وما يحصل
لهم في الآخرة أعظم لأنه العذاب الدائم الذي لا ينقطع
والظاهر أن جواب الشرط هو قوله فإلينا مرجعهم وكذا
قاله الحوفي وابن عطية قال ابن عطية ومعنى هذه
الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى أي إن أريناك
عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى
الحساب والعذاب ثم الله مع ذلك شهيد من أول تكليفهم
على جميع أعمالهم فثم هاهنا لترتيب الأخبار لا لترتيب
القصص في أنفسها وقال الزمخشري فإلينا مرجعهم

ة

قوله عز وجل وإما نرينك

بيات
بما

لـ

جواب أو نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما
نرينك بعض الذي نعدهم فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه
فنحن نريك في الآخرة انتهى فجعل الزمخشري الكلام شرطين
لهما جوابان ولا حاجة إلى تقدير جواب محذوف لأن قوله
فإلينا مرجعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه
وأيضا فقول الزمخشري فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه
جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح منها جواب
الشرط إذ لا يفهم من قوله فذاك الجزء الذي حذف المتحصل
به فائدة الإسناد وقرأ ابن أبي عبلة ثم الله بفتح الثاء
أي هنالك ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها
ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقبهم
وإلا فهو تعالى شهيد على أفعالهم في الدنيا والآخرة
ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى مؤد شهادته على أفعالهم
يوم القيامة حتى تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
شاهدة عليهم ○ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ○ لما بين حال الرسول
عليه السلام في قومه بين حال الأنبياء عليهم السلام
مع أقوامهم تسلية له وتطمينا لقلبه ودلت الآية
على أنه تعالى ما أهمل أمة بل بعث إليها رسولا كما
قال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وقوله
فإذا جاء رسولهم إما أن يكون إخبارا عن حالة ماضية
فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث إلى
كل أمة رسولا يدعوهم إلى دين الله وينبههم على توحيده
فلما جاءهم بالبينات كذبوه فقضي بينهم أي بين الرسول
وأمته فأنجي الرسول وعذب المكذبون وإما أن يكون
على حالة مستقبلة أي فإذا جاء رسولهم يوم القيامة
للشهادة عليهم قضي بينهم أي بين الأمة بالعدل
فصار قوم إلى الجنة وقوم إلى النار فهذا هو القضاء
بينهم قاله مجاهد وغيره ويكون كقوله تعالى وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ○ ويقولون متى
هذا الوعد إن كنتم صادقين ○ الضمير في ويقولون
عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر استعجلوا
بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد وعلى سبيل
الاستخفاف ولذلك قالوا إن كنتم صادقين فيما وعدتم
به فلا يقع شيء منه وقولهم هذا يشهد للقول الأول

قوله عز وجل ولكل أمة رسول

قوله عز وجل ويقولون

في الآية

في الآية قبلها وأنها حكاية حال ماضية وأن
معنى ذلك فإذا جاءهم الرسول وكذبوه قضي بينهم
في الدنيا وأن كل رسول وعد أمته بالعذاب في الدنيا
إن هي كذبت ○ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا
ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ○ لما التمسوا تعجيل العذاب
أو تعجيل الساعة أمره عليه السلام أن يقول لهم
ليس ذلك إلي بل ذلك إلى الله تعالى وإذا كنت
لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا فكيف أملكه لغيري وكيف
أطلع على ما لم يطلعني عليه الله ولكن لكل أمة أجل
انفرد بعلمه تعالى وتقدم الكلام على نظير قوله لكل
أمة أجل إلى آخر الآية في الأعراف وقرأ ابن سيرين
آجالهم على الجمع وإلا ما شاء الله ظاهره أنه استثناء متصل
أي إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه وقال الزمخشري
هو استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب ولكل أمة
أجل أي إن عذابكم له أجل مضروب عند الله ○
قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل
منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم
به تستعجلون ○ تقدم الكلام في أرأيتم في سورة الأنعام
وقررنا هناك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني
وأنها تتعدى إذ ذاك إلى مفعولين وأن المفعول الثاني
أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها
مبتدأ وخبر كقول العرب أرأيت زيدا ما صنع
المعنى أخبرني عن زيد ما صنع وقبل دخول أرأيت
كان الكلام زيد ما صنع وإذا تقرر هذا فأرأيتم هنا
المفعول الأول لها محذوف والمسألة من باب
الإعمال تنازع أرأيتم وإن أتاكم على قوله عذابه
فأعمل الثاني إذ هو المختار على مذهب البصريين
وهو الذي ورد به السماع أكثر من إعمال الأول فلما
أعمل الثاني حذف من الأول ولم يضمر لأن إضماره
مختص بالشعر أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين
في ذلك والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب
الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب
يستعجله عاقل إذ العذاب كله مر المذاق موجب لنفار

قوله عز وجل قل لا أملك

قوله عز وجل قل أرأيتم

الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل
التلطف بهم والتنبيه لهم ان العذاب لا ينبغي ان يستعجل
ويجوز ان تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل
للعذاب اي اي شيء شديد يستعجلون منه اي ما اشد
واهول ما يستعجلون من العذاب وقال الحوفي الرؤية
من رؤية القلب التي بمعنى العلم لانها داخلة على
الجملة من الاستفهام ومعناها التقرير وجواب الشرط محذوف
وتقدير الكلام ارايتم ما يستعجل من العذاب المجرمون
ان اتاكم عذابه انتهى فظاهر كلام الحوفي ان ارايتم باقية
على موضوعها الاول لم تضمن معنى اخبروني وانها
بمعنى اعلمتم وان جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين
وانه استفهام معناه التقرير ولم يبين الحوفي ما تقدير
جواب الشرط المحذوف وقال الزمخشري **فان قلت**
بم تتعلق الاستفهام واين جواب الشرط **قلت**
تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه
المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه انتهى وما قدره الزمخشري
غير سائغ لانه لا يقدر الجواب الا مما تقدمه لفظا او تقديرا
تقول انت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فانت ظالم
وكذلك وانا ان شاء الله لمهتدون التقدير ان شاء الله
نهتد فالذي يسوغ ان يقدر ان اتاكم عذابه فاخبروني
ماذا يستعجل وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ماذا
يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك
ما تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع
امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا
والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان انتهى اما تجويزه ان يكون ماذا جوابا للشرط
فلا يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه
من الفاء تقول ان زارنا فلان فاي رجل هو وان زارنا فلان
فاي يد له بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة
والمثال الذي ذكره وهو ان اتيتك ما تطعمني هو من
تمثيله لا من كلام العرب واما قوله ثم تتعلق الجملة
بارايتم ان عنى بالجملة جملة الشرط ماذا يستعجل فلا يصح
ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجملة
جملة الشرط فقد فسر هو ارايتم بمعنى اخبرني واخبرني

يطلب

يطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول
اخبرني واما تجويزه ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به
جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا
فلا يصح ايضا لما ذكرناه من ان جملة الاستفهام لا تقع جوابا
للشرط الا ومعها فاء الجواب وايضا فثم هنا وهي حرف
عطف تعطف الجملة التي بعدها على ما قبلها فالجملة
الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح ان
تقع جواب شرط وايضا فارايتم بمعنى اخبرني تحتاج الى
مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه وتقدم الكلام في
بياتا في الاعراف مدلولا واعرابا والمعنى ان اتاكم عذابه
وانتم ساهون غافلون اما بنوم واما باشتغال بالمعاش
والكسب وهو نظير قوله بغتة لان العذاب اذا فاجأ من
غير شعور به كان اشد واصعب بخلاف ان يكون قد
استعد له وتهيأ لحلوله وهذا كقوله بياتا وهم نائمون
ضحى وهم يلعبون ويجوز في ماذا ان يكون ما مبتدا وذا خبره
وهو بمعنى الذي ويستعجل صلته وحذف الضمير العائد على
الموصول التقدير اي شيء يستعجله من العذاب المجرمون
ويجوز في ماذا ان يكون كله مفعولا كانه قيل اي شيء يستعجله
من العذاب المجرمون وقد جوز بعضهم ان يكون ماذا كله
مبتدا وخبره الجملة بعده وضعفه ابو علي لخلو الجملة من
ضمير يعود على المبتدا والظاهر عود الضمير في منه على العذاب
وبه يحصل الربط لجملة الاستفهام بمفعول ارايتم المحذوف
الذي هو مبتدا في الاصل وقيل يعود على الله تعالى
والمجرمون هم المخاطبون في قوله ارايتم ان اتاكم ونبه على
الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لان
من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وان ابطا فكيف يستعجله وثم حرف
عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت
على الواو والفاء في افلم يسيروا وفي اولم يسيروا وتقدم
الكلام على ذلك وخلاف الزمخشري للجماعة في دعواه
ان بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت
عليها الجملة التي بعد حرف العطف وقال الطبري
في قوله اثم بضم الثاء ان معناه اهنالك قال وليست
ثم هذه التي تاتي بمعنى العطف انتهى وما قاله من ان ثم
هنا ليست للعطف دعوى واما قوله ان المعنى اهنالك

... قوله ح

فالذي ينبغي ان يكون ذلك تفسير معنى لا ان ثم المضمومة التاء
معناها معنى هنالك وقرأ طلحة بن مصرف أثم بفتح الثاء
وهذا بنا شبه تفسير الطبري اهنالك وقرأ الجمهور
آلآن على الاستفهام بالمد وكذا آلآن وقد عصيت
وقرأ طلحة والاعرج بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على
اضمار القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به فالناصب لقوله الآن هو آمنتم به وهو محذوف
قيل تقول لهم ذلك الملائكة وقيل الله تعالى والاستفهام
على طريق التوبيخ وفي كتاب اللوامح عيسى البصرة وطلحة آمنتم به
الان بوصل الهمزة من غير استفهام بل على الخبر فيكون نصبه على
الظرف من آمنتم به المذكور واما في العامة فنصبه بفعل
مضمر يدل عليه آمنتم به المذكور لان الاستفهام قد اخذ
صدر الكلام فيمنع ما قبله ان يعمل فيما بعده انتهى وقد
كنتم جملة حالية قال الزمخشري وقد كنتم به تستعجلون
يعني تكذبون لان استعجالكم كان على جهة التكذيب والانكار
وقال بن عطية تستعجلون مكذبين به ۝ ثم قيل للذين
ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ۝
اي يقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر
لا ظلم المعصية لان من دخل النار من عصاة المؤمنين
لا يخلد فيها وثم قيل عطف على المضمر قبل الآن ومن قرأ
بوصل الف الآن فهو استيناف اخبار عما يقال لهم
يوم القيمة وهل تجزون توبيخ لهم وتوضيح ان الجزاء
هو على كسب العبد ۝ ويستنبؤنك احق هو قل اي وربي انه
لحق وما انتم بمعجزين ۝ اي يستخبرونك واحق هو الضمير
عائد على العذاب ۝ وقيل على الشرع والقرآن وقيل
على الوعيد وقيل على امر الساعة والجملة في موضع نصب
فقال الزمخشري فيقولون احق هو فجعل يستنبؤنك
يتعدى الى واحد وقال ابن عطية معناه يستخبرونك
وهي على هذا تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والآخر
في الابتداء والخبر فعلى ما قال تكون يستنبؤنك معلقة
واصل استنبأ ان يتعدى الى مفعولين احدهما بعن تقول
استنبأت زيدا عن عمرو اي طلبت منه ان ينبئني عن عمرو
والظاهر انها معلقة عن المفعول الثاني قال بن عطية
وقيل هي بمعنى يستعلمونك قال فهي على هذا تحتاج
الى مفعولين ثلثة احدها الكاف والابتداء والخبر سد

قوله عز وجل ثم قيل

قوله عز وجل ويستنبئونك

مسد المفعولين انتهى وليس كما ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها
متعدية الى مفاعيل ثلثة لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قائما
فتكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا
يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك ان تتعدى الى ثلثة لان
استعلم لا يتعدى الى ثلثة كما ذكرنا وارتفع هو على انه مبتدا
وحق خبره واجاز الحوفي وابو البقا ان يكون حق مبتدا وهو
فاعل به سد مسد الخبر وحق ليس اسم فاعل ولا مفعول وانما
هو مصدر في الاصل ولا يبعد ان يرفع لانه بمعنى ثابت وهذا
الاستفهام منهم على جهة الاستهزاء والانكار وقرأ الاعمش
آلحق قال الزمخشري وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى
التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل
اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق انتهى وامر
تعالى نبيه ان يقول مجيبا لهم قل اي وربي اي نعم
وربي واي تستعمل في القسم خاصة كما تستعمل هل بمعنى قد في
خاصة قال معناه الزمخشري قال وسمعتهم يقولون
في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به
وحده انتهى ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم
الحجية في كلامه لفساد كلام العرب اذ ذاك وقبله
بازمان كثيرة وقال بن عطية هي لفظة تتقدم القسم
وهي بمعنى نعم ويجي بعدها حرف القسم وقد لا يجي تقول اي وربي
اي وربي انتهى وقد كان يكتفي في الجواب بقوله اي وربي
مسوقة موكدة بان واللام مبالغة في التوكيد في الجواب
ولما تضمن قولهم احق هو السؤال عن العذاب وكان
سؤالا عن العذاب اللاحق بهم لا عن مطلق عذاب يقع من
يقع قيل وما انتم بمعجزين اي فائتين العذاب المسؤول
عنه بل هو لاحق بكم واحتملت هذه الجملة ان تكون داخلة
في جواب القسم فتكون معطوفة على الجواب قبلها
واحتمل ان تكون اخبارا معطوفا على الجملة المقولة
لا على جواب القسم واعجز الهمزة فيه للتعدية كما قال
ولن نعجزه هربا لكنه كثير فيه حذف المفعول حتى
قالت العرب اعجز فلان اذا ذهب في الارض فلم
يقدر عليه وقال الزجاج اي ما انتم ممن يعجز من
يعذبكم ۝ ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت
به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون ۝ ولما ذكر العذاب واقسم على حقيقته

قوله عز وجل ولو ان لكل نفس

وانهم لا يعلمون منه ذكر بعض احوال الظالمين في الآخرة
وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدي
ياتي مطاوعا لفدا فلا يتعدي تقول فديته فافتدي وبمعني
فدا فيتعدي وهنا يحتمل الوجهين وما في الارض اي ما كان
لها في الدنيا من الخزاين والاموال والمنافع واسروا من
الاضداد فانه يعني اظهر **وقال الفرزدق**
ولما راي الحجاج جرد سيفه * اسر الحروري الذي كان اضمرا
وقال آخر
فاسررت الندامة يوم نادي * برد جمال غاضرة المنادي
وثاني بمعني اخفي وهو المشهور فيه كقوله يعلم ما تسرون وما
تعلنون ويحتمل هنا الوجهين اما الاظهار فلانه ليس بيوم
تصبر ولا تجلد ولا يقدر فيه الكافر علي كتمان ما نال
ولان حالة رؤية العذاب يتحير الانسان علي اقتراف
ما اوجبه ويظهر الندامة علي ما فاته من الفوز من الخلاص
من العذاب وقد قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا واما اخفا
الندامة فقيل اخفي رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياء
منهم وخوفا من توبيخهم وهذا فيه بعد لان من عاين العذاب
هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحياء والتوبيخ
الوارد من السفلة وايضا واسروا عام يعود علي كل نفس ظلمت
علي المعني وهو عام في الرؤساء والسفلة وقيل اخفاء
الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولا خطر
ببالهم ومعاينتهم ما اوهي قواهم فلم يطيقوا عند ذلك بكاء
ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوي اسرار الندم والحسرة
في القلوب كما يعرض لمن تقدم للصلب لا يكاد ينبس بكلمة
ويبقي مبهوتا جامدا واما من قال بمعني قوله واسروا
اخلصوا لله في تلك الندامة او بدت بالندامة اسرة
وجوههم اي تكاسير جباههم ففيه بعد عن سياق الآية
والظاهر ان قوله وقضي بينهم بالقسط جملة اخبار
مستانفة وليست معطوفة علي ما في حيز لما وان الضمير
فيما بينهم في بينهم عايد علي كل نفس ظلمت وقال الزمخشري
بين الظالمين والمظلومين دل علي ذلك ذكر الظلم انتهي
وقيل يعود علي المومنين والكافر وقيل علي الرؤساء والاتباع
الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق
ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون
قيل تعلق هذه الآية بما قبلها من جهة انه لما ذكر ان النفس

قوله عز وجل الا ان لله

الظالمة لو كان لها ما في الارض لافتدت به وهي لا شيء
لها البتة لان جميع الاشياء انما هي باسرها ملك لله تعالي
وهو المتصرف فيها اذ له الملك ويظهر ان مناسبتها لما قبلها
انه لما سألوا عن ما وعدوا به من العذاب احق هو واجيبوا بانه
حق لا محالة وكان ذلك جوابا كافيا لمن وفقه الله تعالي
للايمان كما كان جوابا للاعرابي حين سأل الرسول عليه السلام
آلله ارسلك فقوله عليه السلام له ... فقنع منه باخباره
صلي الله عليه وسلم اذ علم انه لا يقول الا الحق والصدق
كما قال هرقل لم يكن ليدع الكذب ويكذب علي الله انتقل
من هذا الجواب الي ذكر البرهان القاطع علي صحته وتقريره
بان القول بالنبوة والمعاد يتفرعان علي اثبات الاله
القادر الحكيم وان ما سواه فهو ملكه وملكه فعبر عن هذا
المعني الآية وكان قد استقصي الدلايل علي ذلك في هذه
السورة ان في اختلاف الليل والنهار الآية وقوله
هو الذي جعل الشمس ضياء فاكتفي هنا عن ذكرها واذا
كان جميع ما في العالم ملكه وملكه كان قادرا علي كل الممكنات
عالما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها
عن النقايص والآفات وبكونه قادرا علي الممكنات
كان قادرا علي انزال العذاب علي الكفار في الدنيا والآخرة
وقادرا علي تاييد رسوله بالدلايل واعلاء دينه فبطل
الاستهزاء والتعجيز وبتنزيهه عن النقايص كان منزها
عن الخلف والكذب فثبت ان قوله الا ان لله ما في
السموات والارض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله
الا ان وعد حق والا كلمة تنبيه دخلت علي الجملتين
تنبيها للغافل اذ كانوا مشغولين بالنظر الي الاسباب
الظاهرة من نسبة اشياء اليهم انها مملوكة لمن جعل له بعض
تصرف فيها واستخلاف ولذلك قال تعالي ولكن اكثرهم
لا يعلمون يعني لغفلتهم عن هذه الدلايل ثم اتبع ذلك بذكر
قدرته علي الاحياء والاماتة فيجب ان يكون قادرا
علي الحياة مرة ثانية ولذلك قال واليه ترجعون
فترون ما وعدتم به **وقرا** الحسن بخلاف عنه وعيسي
ابن عمر يرجعون بالياء علي الغيبة **وقرا** الجمهور بالتاء
علي الخطاب يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمومنين
قيل نزلت في قريش الذين سالوا الرسول احق هو قال الناس

قوله عز وجل يا ايها الناس

بهم كفار قريش وقال ابن عطية موعظة اي لجميع العالم
ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر الادلة
على الالوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدلايل
الدالة على صحة النبوة والطريق المودي اليها وهو القرآن
والمتصف بهذه الاوصاف الشريفة هو القرآن قال
الزمخشري اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظة
وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من
العقايد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم
انتهى ومن ربكم يحتمل ان يتعلق بجاءتكم فمن لابتداء الغاية
ويحتمل ان يكون في موضع الصفة اي من مواعظ ربكم فتتعلق
بمحذوف فمن للتبعيض وفي قوله من ربكم تنبيه على انه من
عند الله ليس من عند احد قال ابن عطية وجعله موعظة
بحسب الناس اجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين
وهذا تقسيم صحيح المعنى اذا تومل بان وجهه انتهى وذكر
ابو عبد الله الرازي هنا كلاما كثيرا ممزوجا بما يسمونه حكمة
نعلم قطعا ان العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من الفاظ القرآن
وطول في ذلك وضرب امثلة حسية يوقف عليها من تفسيره
ثم قال اخر كلامه فالحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة
الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة
وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب
الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة
في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملا لنا قصين
وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول
عليها بهذه الالفاظ القرانية لا يمكن تاخير ما تقدم ذكره
ولا تقديم ما تاخر ذكره ۝ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون ۝ قال الزمخشري عن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا قل بفضل الله وبرحمته
فقال بكتاب الله تعالى والاسلام فضله الاسلام ورحمته
ما وعد عليه انتهى ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه
قال ابن عباس والحسن وقتادة وهلال بن يساف
فضل الله الاسلام والرحمة القرآن وقال الضحاك
وزيد بن اسلم عكس هذا وقال ابو سعيد الخدري الفضل
القرآن والرحمة ان جعلكم من اهله وقال ابن عباس
فيما روى الضحاك عنه الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله

قوله عز وجل قل بفضل الله

عليه

عليه وسلم وقال ابن عمر الفضل الاسلام والرحمة تزيينه
في القلوب وقال مجاهد الفضل والرحمة القرآن
واختاره الزجاج وقال خالد بن معدان الفضل القرآن
والرحمة السنة وعنه ايضا ان الفضل الاسلام والرحمة
الستر وقال عمرو بن عثمان فضل الله كشف الغطاء
ورحمته الروية واللقاء وقال الحسين بن فضل الفضل
الايمان والرحمة الجنة وقيل الفضل التوفيق والرحمة
العصمة وقيل الفضل نعمة الظاهرة والرحمة نعمة
الباطنة وقال الصادق الفضل المغفرة والرحمة
التوفيق وقال ذو النون الفضل الجنان ورحمته
النجاة من النيران وهذه تخصيصات تحتاج الى دليل
وينبغي ان يعتقد انها تمثيلات لان الفضل والرحمة
اريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه وقال ابن عطية
وانما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية
الله الى دينه والتوفيق الى اتباع الشرع والرحمة هي عفوه
وسكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الاسلام والايمان
ومعنى الاية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته فليقع
الفرح منكم لا بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فالمومنون
يقال لهم فليفرحوا وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه ومحصلون
لفضل الله منتظرون لرحمته والكافرون يقال لهم بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا على معنى ان لو اتفق لكم ان لو سعدتم بالهدى
الى تحصيل ذلك انتهى والظاهر ان قوله قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا جملتان وحذف ما تتعلق به
الباء والتقدير قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ثم
عطفت الجملة الثانية على الاولى على سبيل التوكيد
قال الزمخشري والتكرير للتقرير والتاكيد وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا
بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما
ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله
وبرحمته فبذلك اي فبمجيئهما فليفرحوا انتهى اما اضمار
فليعتنوا فلا دليل عليه واما تعليقه بقوله قد جاءكم
فينبغي ان يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا

بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل وقال الحوفي الباء
متعلقة بما دل عليه المعنى أي قد جاءتكم الموعظة بفضل الله
وقيل الفاء الأولى زائدة ويكون بذلك بدلا مما قبله
وأشير به إلى الاثنين الفضل والرحمة وقيل كررت
الفاء الثانية للتوكيد فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة
ويكون أصل التركيب فبذلك ليفرحوا وفي القول قبله
يكون أصل التركيب بذلك فليفرحوا ولا تنافي بين الأمر
بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله لا تفرح إن الله لا يحب
الفرحين لاختلاف المتعلق فالمأمور به هنا الفرح بفضل الله
وبرحمته والمنهي هنالك الفرح بجمع الأموال للرياسة الدنيا
وإرادة العلو بها والفساد والأشر ولذلك جاء بعده
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من
الدنيا وقيل إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
وقوله لفرح فخور جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بإذاقة
النعماء بعد الضراء ويأسه وكفرانه للنعماء إذا نزعت
منه وهذه صفة مذمومة وليس ذلك من أفعال الآخرة
وقول من قال إنه إذا أطلق الفرح كان مذموما وإذا قيد
لم يكن مذموما كما قال فرحين بما آتاهم الله من فضله
ليس بمطرد إذ جاء مقيدا في الذم في قوله تعالى حتى إذا
فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وإنما يمدح الفرح ويذم بحسب
متعلقه فإذا كان بنيل ثواب الآخرة وأعمال البر كان
محمودا وإذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموما
وقرأ عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء
وابن هرمز وابن سيرين وأبو جعفر المدني والسلمي وقتادة
والجحدري وهلال بن يساف والأعمش وعمرو بن فائد
والعباس بن الفضل الأنصاري فلتفرحوا بالتاء على
الخطاب ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله صاحب
اللوامح وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك انتهى وقال
ابن عطية **وقرأ** أبي وابن القعقاع وابن عامر والحسن
على ما زعم هرون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم
فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة وهي
قراءة جماعة من السلف كثيرة وعن أكثرهم خلاف
انتهى والجمهور بالياء على أمر الغائب وما نقله ابن عطية
عن ابن عامر قراءة فلتفرحوا بالتاء ليس هو المشهور عنه
إنما قراءته في مشهور السبعة بالياء أمرا للغائب لكنه

قرأ

قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب وباقي السبعة بالياء على
الخطاب وفي مصحف أبي فبذلك فافرحوا وهذه هي
اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب وأما فلتفرحوا
بالتاء فهي لغة قليلة وفي الحديث لتأخذوا مصافكم **وقرأ**
أبو التياح والحسن فليفرحوا بكسر اللام ويدل على أن ذلك أشير
به إلى واحد عود الضمير عليه موحدا في قوله هو خير مما يجمعون
فالذي ينبغي أن قوله تعالى بفضل الله وبرحمته على أنهما
شيء واحد عبر عنه باسمين على سبيل التأكيد ولذلك
أشير إليه بذلك وعاد الضمير عليه مفردا وقوله مما
يجمعون يعني من حطام الدنيا ومتاعها ٥ قل أرأيتم
ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل
آلله أذن لكم أم على الله تفترون ٥ مناسبة هذه الآية
لما قبلها هي أنه لما ذكر تعالى قل يا أيها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل
على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم
من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك إلى وحي وأرأيتم
هنا بمعنى أخبروني وجوزوا في ما أنزل أن تكون ما موصولة
مفعولا أول لأرأيتم والعائد عليه محذوف والمفعول
الثاني قوله آلله أذن لكم والعائد على المبتدأ من الخبر
محذوف تقديره الله أذن لكم فيه وكرر قل قبل الخبر على سبيل
التوكيد وأن تكون ما استفهامية منصوبة بأنزل قاله الحوفي
والزمخشري وقيل ما استفهامية مبتدأة والضمير من الخبر
محذوف تقديره الله أذن لكم فيه أو به وهذا ضعيف
لحذف العائد وجعل ما موصولة هو الوجه لأن فيه إبقاء
أرأيت على بابها من كونها تتعدى إلى الأول فتؤثر فيه
بخلاف جعلها استفهامية فإن أرأيت إذ ذاك تكون
معلقة وتكون ما قد سدت مسد المفعولين والظاهر
أن أم متصلة والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل
والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون
على الله في نسبة ذلك إليه فنبهه بتوقيفهم على أحد
القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت
افتراؤهم وقال الزمخشري ويجوز أن تكون الهمزة
للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا
للافتراء انتهى وأنزل هنا قيل معناه خلق كقوله
وأنزلنا الحديد وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج

قوله عز وجل قل أرأيتم

وقيل انزل علينا أي وهو على حذف مضاف أي من سبب
رزق وهو المطر وقال ابن عطية لفظة فيه تجوز وانزال
الرزق اما ان يكون في ضمن انزال المطر بالمال او انزال الامر به
الذي يبرز ظهورا لاثر في المخلوق منه المخترع والمجعول حراما
وحلالا قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام وقال الضحاك هو اشارة الى قوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ۝ وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ۝ ما استفهامية
مبتداة خبرها ظن والمعنى اي شيء ظن المفترين يوم القيمة
ابهم الامر على سبيل التهديد والايعاد يوم يكون الجزاء
بالاحسان والاساءة ويوم منصوب بظن ومعمول الظن
قيل تقديره ما ظنهم ان الله فاعل بهم اينجيهم ام يعذبهم
وقرأ عيسى بن عمر وما ظن جعله فعلا ماضيا اي
اي شيء ظن الذين يفترون فما في موضع نصب
على المصدر وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر
تقول ما تضرب زيدا انريد اي ضرب تضرب زيدا ۝
~~ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما~~ **وقال الشاعر**
ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما ۝ لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا ۝
وجيء بلفظ ظن ماضيا لانه كائن لا محالة فكان قد كان
والاولى ان يكون ظن في معنى يظن لكونه عاملا في يوم
القيمة وهو ظرف مستقبل وفضله تعالى على الناس حيث
انعم عليهم ورحمهم فارسل اليهم الرسل وفصل لهم الحلال
والحرام واكثرهم لا يشكر هذه النعمة ۝ وما تكون في شأن
وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليهم
شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين ۝ مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر جملة من احوال الكفار ومذاهبهم والرد
عليهم ومحاورة الرسول لهم وذكر فضله تعالى على
الناس وان اكثرهم لا يشكره على فضله ذكر تعالى اطلاعه
على احوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم وتلاوة
القرآن عليهم وانه تعالى عالم بجميع اعمالهم واستطرد
من ذلك الى ذكر اولياء الله تعالى ليظهر التفاوت بين
الفريقين فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب في قوله

قوله عز وجل وما ظن الذين

قوله عز وجل وما تكون

تعالى

تعالى وما تكون في شأن وما تتلو للرسول عليه السلام
وهو عام لجميع شؤونه عليه السلام وما تتلو مندرج تحت
عموم شأن واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن
وما في الجملتين نافية والضمير في منه عائد على شأن
ومن قرآن تفسير للضمير وخص من العموم لان القرآن هو
اعظم شؤونه عليه السلام وقيل يعود على التنزيل
وفسر بالقرآن لان كل جزء منه قرآن واضمر قبل الذكر
على سبيل التفخيم له وقيل يعود على الله تعالى اي
وما تتلو من عند الله من قرآن والخطاب في قوله ولا تعملون
عام وكذا الا كنا عليكم شهودا وولي الا هنا الفعل
غير مصحوب بقد لانه قد تقدم الا فعل والجملة بعد
الا حال وشهودا رقباء نحصي عليكم واذ معمولة لقوله
شهودا ولما كانت الافعال السابقة المراد بها الحالة
الدائمة وتنسحب على الافعال الماضية كان الظرف
ماضيا وكان المعنى وما كنت في شأن وما تكون من قرآن
ولا عملتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ افضتم فيه واذ
تخلص المضارع لمعنى الماضي ولما كان قوله الا كنا عليكم شهودا
فيه تحذير وتنبيه عدل عن خطابه صلى الله عليه وسلم الى
خطاب امته بقوله ولا تعملون من عمل وان كان الله
شهيدا على اعمال الخلق كلهم وتفيضون تخوضون
او تنتشرون او تندفعون او تنهضون او تاخذون او
تنقلون او تتكلمون او تشيعون اقوال متقاربة ثم واجهه
تعالى بالخطاب وحده في قوله وما يعزب عن ربك تشريفا
له وتعظيما ولما ذكر شهادته تعالى على اعمال الخلق ناسب
تقديم الارض التي هي محل المخاطبين على السماء بخلاف
ما في سورة سبأ وان كانت الاكثر تقديمها على الارض
وقرأ ابن وثاب والاعمش وابن مصرف والكسائي يعزب
بكسر الزاي وكذا في سبأ والمثقال اسم لا صفة ومعناه
هنا وزن ذرة والذر صغار النمل ولما كانت الذر
اصغر الحيوانات المتناسلة المشهورة لنوع عندنا جعلها
الله مثلا لا لاقل الاشياء واحقرها اذ هي احقر ما نشاهد
ثم قال ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولما ذكر
تعالى انه لا يغيب عن علمه ادق الاشياء التي نشاهدها
ناسب تقديم ولا اصغر من ذلك تراقي بقوله ولا اكبر
على سبيل احاطة علمه بجميع الاشياء ومعلوم ان من علم

بقد

تلوت

انتهى

أدق الأشياء وأخفاها كان علمه متعلقا بأكبر الأشياء وأظهرها
وقرأ الجمهور ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح الراء فيهما
ووجهه على العطف على ذرة أو على مثقال على اللفظ وقرأ
حمزة وحده برفع الراء فيهما ووجهه على أنه عطف على موضع
مثقال لأن من زائدة فهو مرفوع بيعزب هكذا وجهه الحوفي
وابن عطية وأبو البقاء وقال الزمخشري تابعا لاختيار
الزجاج والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء
يكون كلاما مبتدأ وفي العطف على محل مثقال ذرة
أو لفظه فتحا في موضع الجر إشكال لأن قولك لا يعزب
عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى وإنما أشكل عنده لأن
التقدير يصير إلا في كتاب فيعزب وهذا كلام لا يصح وخرجه
أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره لكن هو في كتاب
مبين ويزول بهذا التقدير الإشكال وقال أبو عبد الله
الرازي أجاب بعض المحققين من وجهين أحدهما أن
الاستثناء منقطع والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق
البعد والمخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة
كالملائكة والسموات والأرض وقسم أوجده بواسطة
القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون
والفساد وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية
عن مرتبة وجود واجب الوجود فالمعنى لا يبعد عن مرتبة
وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو
في كتاب مبين كتبه الله وأثبت صور تلك
المعلومات فيها انتهى وفيه بعض تلخيص وقال
الجرجاني صاحب النظم إلا بمعنى الواو أي وهو في كتاب
مبين والعرب تضع إلا موضع واو النسق كقوله إلا من
ظلم إلا الذين ظلموا منهم انتهى وهذا قول ضعيف
لم يثبت من لسان العرب وضع إلا موضع الواو وتقدم
الكلام على قوله إلا الذين ظلموا منهم وسيأتي على قوله
إلا من ظلم إن شاء الله تعالى ۝ ألا إن أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ۝ أولياء
الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وعن
سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن

قوله عز وجل ألا إن أولياء الله

اوليا

أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعني
السمت والهيئة وعن ابن عباس الإخبات والسكينة وقيل
هم المتحابون في الله قال ابن عطية وهذه الآية يعطي
ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا
هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وإنما نبهنا هذا التنبيه
حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى
وإنما قال حذرا من مذهب الصوفية لأن بعضهم نقل
عنه أن الولي أفضل من النبي وهذا لا يكاد يخطر في قلب
مسلم ولابن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره
نعوذ بالله منه وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء
يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
ومن هم قال قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال
يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من
نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا
حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله الآية وتقدم
تفسير لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يحتمل أن يكون
منصوبا على الصفة قاله الزمخشري أو على البدل قاله
ابن عطية أو بإضمار أمدح ومرفوعا على إضمار هم
أو على الابتداء والخبر لهم البشرى وأجاز الكوفيون
رفعه على موضع أولياء نعتا أو بدلا وأجيز فيه الجر
بدلا من ضمير عليهم وفي قوله وكانوا يتقون إشعار بمصاحبتهم
للتقوى مدة حياتهم كالمصمم في المستقبل كالمصمم في الماضي
والبشرى في الحيوة الدنيا تظاهرت الروايات عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الرؤيا الصالحة
يراها المؤمن أو ترى له فسرها بذلك وقد سئل وعنه
في صحيح مسلم لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة وقال
قتادة والضحاك هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو
حي عند المعاينة وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعمل العمل
لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة
بالرحمة قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الآية
قال ابن عطية ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن
من الآيات المبشرات ويقوي ذلك قوله في هذه الآية

لا تبديل لكلمات الله وان كان ذلك كله بعارضه قول النبي عليه السلام في الرؤيا الا ان قلنا ان النبي عليه السلام اعطى مثالا من البشرى وهي تعم جميع البشر وبشراهم في الاخرة تلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا خلف في مواعيده لقوله ما يبدل القول لدي والظاهر ان ذلك اشارة الى التبشير والبشرى في معناه قال الزمخشري وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وقال ابن عطية اشارة الى النعيم الذي وقعت به البشرى ۵ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ۵ اما ان يكون قولهم اريد به بعض افراده وهو التكذيب والتهديد وما يتشاورون به في امر الرسول فيكون من اطلاق العام واريد به الخاص وان يكون مما حذفت منه الصفة المخصصة اي قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استانف بقوله ان العزة لله جميعا اي لا عزة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون لك على شيء ولا يؤذونك ان الغلبة والقهر لله وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعازه شيء ولا يغالبه وكان قائلا قال لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن فقيل ان العزة لله جميعا ليس لهم منها شيء وقرأ ابو حيوة أن العزة بفتح الهمزة وليس معمولا لقولهم لان ذلك لا يحزن الرسول اذ هو قول حق وخرجت هذه القراءة على التعليل اي لا يقع منك حزن لما يقولون لاجل ان العزة جميعا ووجهت ايضا على ان تكون ان العزة بدلا من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه قال الزمخشري ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة وقال القاضي فتحها شاذ يقارب الكفر واذا كسرت كان استئنافا وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح ان في هذا الموضع وهو كفر وغلو وانما قال القاضي وابن قتيبة ذلك بناء منهما على ان ان معمولة لقولهم وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح هو السميع لما يقولون

قوله عز وجل ولا يحزنك قولهم

العليم

٢٨

العليم لما يدبرون هذه الاية تاسية للرسول من اضرار الكفار وان الله تعالى يديله عليهم وينصره كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقال الاصم كانوا يتعززون بكثرة خدمهم واموالهم فاخبر انه قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وان ينصرك وينقل اليك اموالهم وديارهم انتهى ولا تضاد بين قوله ان العزة لله جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لان عزتهم انما هي بالله فهي كلها لله ۵ الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ۵ المناسبة ظاهرة في هذه الاية لما ذكر ان العزة له تعالى وهي القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات ملكا له تعالى ومن لاضرورتها ان تكون للعقلاء وهي هنا شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب وحيث جي بما كان تغليبا للكثرة اذ اكثر المخلوقات لا يعقل وقال الزمخشري يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا في ملكه فهم عبيد كلهم لا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما دونهم مما لا يعقل احق ان لا يكون ندا وشريكا ويدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر والظاهر ان ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره الهة او شركاء اي ان الذين جعلوهم الهة واشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة اذ الشركة في الالوهية مستحيلة وان كانوا قد اطلقوا عليهم اسم الشركاء وجوزوا ان تكون ما استفهامية في موضع نصب بيتبع وشركاء منصوب بيدعون اي واي شيء يتبع على تحقير المتبع كانه قيل من يدعو شريكا لله لا يتبع شيئا واجاز الزمخشري ان تكون ما موصولة عطفا على من والعائد محذوف اي والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم واجاز غيره ان تكون ما موصولة في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون وقرأ السلمي تدعون بالتاء على الخطاب قال ابن عطية وهي قراءة غير متجهة وقال الزمخشري وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قوله عز وجل هو الذي

قوله عز وجل قالوا اتخذ الله

تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون
الله تعالى ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة انتهى
وان نافية اي ما يتبعون الا ظنهم انهم شركاء ويخرصون يقدرون
ومن قرأ تدعون بالتاء كان قوله ان يدعون التفاتا اذ هو
خروج من خطاب الى غيبة هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده
فهو المستحق لان يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من
الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار واضاف
الابصار الى النهار مجازا لان الابصار يقع فيه كما قال
ونمت وما ليل المطي بنائم اي يبصرون فيه مطالب
معايشهم وقال قطرب يقال اظلم الليل صار ذا ظلمة
واضاء النهار وابصر اي صار ذا ضياء وبصر انتهى وذكر علة
خلق الليل وهي قوله لتسكنوا فيه وحذفها من النهار وذكر
وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوف
يدل على مقابله والتقدير جعل الليل مظلما لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون
اليه بالحركة ومعنى يسمعون سماع معتبر قالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم
الينا مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
الضمير في قالوا عائد على من نسب الى الله الولد ممن قال
الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله وسبحانه
تنزيه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك هو الغني
علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد انما يكون للحاجة اليه
والله تعالى غير محتاج الى شيء فالولد منتف عنه وكل ما في
السموات والارض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد وان نافية
والسلطان الحجة اي ما عندكم من حجة بهذا القول
قال الحوفي وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي
يتعلق به الظرف وتبعه الزمخشري فقال الباء حقها
ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا
للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم

فيما

قوله عز وجل واتل عليهم نبأ نوح

فيما تقولون سلطان وقال ابو البقاء وهذا متعلق بسلطان
او نعت له واتقولون استفهام انكار وتوبيخ لمن ينسب ما لا يعلم
ويحتج بذلك في ابطال التقليد في اصول الدين واستدل
بها نفاة القياس واخبار الآحاد ولما نفى البرهان عنهم جعلهم
غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك
جهل وليس بعلم والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل
من نسب الى الله الولد ومن قال في الله وفي صفاته قولا بغير
علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الفلاح ولما نفى تعالى عنهم
الفلاح وكان لهم حظ من فلاحهم في الدنيا بحظوظ فيها من مال
وجاه وغير ذلك قيل متاع قليل جواب على تقدير سؤال كان
قائلا قال كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بانواع
مما يتلذذون به فقيل ذلك متاع في الدنيا او لهم متاع
في الدنيا زائل لا بقاء له ثم يلقون الشقاء المؤبد في الآخرة
لفت عنقه لواها وصرفها وقال الازهري لفت الشيء
وفتله لواه وهذا من المقلوب انتهى ومطاوع لفت التفت
وقيل انفتل واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله
توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا
الي ولا تنظرون لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وذكر
ما جرى بين الرسول وبين الكفار ذكر قصصا من قصص الانبياء
وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية للرسول
عليه السلام وليتأسى بمن قبله من الانبياء فيخف عليه
ما يلقى منهم من التكذيب وقلة الاتباع وليعلم المتلو عليهم
هذا القصص عاقبة من كذب الانبياء وما منح الله نبيه
من العلم بهذا القصص وهو لم يطالع كتابا ولا صحب عالما
وانها طبق ما اخبر به فدل ذلك على ان الله اوحاه اليه
واعلمه به وانه نبي لا شك فيه والضمير في عليهم عائد
على اهل مكة الذين تقدم ذكرهم وكبر عظم مقامي اي طول
مقامي فيكم او قيامي للوعظ كما حكي عن عيسى عليه السلام
انه كان يعظ الحواريين قائما ليروه وهم قعود وكقيام الخطيب
ليسمع الناس وليروه او نسب ذلك الى مقامه والمراد
نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل
الظل تريد لاجل فلان وفلان ثقيل قال ابن عطية
ولم يقرأ هنا بضم الميم انتهى وليس كما ذكر بل قرأ مقامي بضم
الميم ابو مجلز وابو رجاء وابو الجوزاء والمقام الاقامة

بالمكان والمقام مكان القيام والتذكير وعظته اياهم وزجرهم عن المعاصي وجواب الشرط محذوف تقديره فافعلوا ما شئتم وقيل الجواب فعلى الله توكلت وفاجمعوا معطوف على الجواب وهو لا يظهر لانه متوكل على الله دايما وقال الاكثرون الجواب فاجمعوا وفعلى الله توكلت جملة اعتراض بين الشرط وجزائه

كقوله

إما تريني قد نحلت ومن يكن ۝ غرضا لاطراف الاسنة ينحل

فلرب ابلج مثل بعلك بادن ۝ ضخم على ظهر الجواد مهبل

وقرأ الجمهور فاجمعوا من اجمع الرجل الشي عزم عليه ونواه

قال الشاعر

اجمعوا امرهم بليل فلما ۝ اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

وقال اخر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ۝ هل اغدون يوما وامري مجمع

وقال ابو فيد السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا قال وتفرقته انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فاذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والاصل اجمعت الامر انتهى وعلى هذه القراة يكون وشركاءكم عطفا على امركم على حذف مضاف اي وامر شركائكم او على امركم من غير مراعاة محذوف لانه يقال ايضا اجمعت شركائي او منصوبا باضمار فعل اي وادعوا شركاءكم وذلك بناء على انه لا يقال اجمعت شركائي يعني في الاكثر فيكون نظير قوله

فعلفتها تبنا وماء باردا ۝ حتى شتت همالة عيناها

في احد المذهبين اي وسقيتها ماء باردا وكذا هي في مصحف ابي وادعوا شركاءكم وقال ابو علي وقد ينصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة ولم يذكر الزمخشري في نصب وشركاءكم غير قوله انه على انه منصوب بواو مع وينبغي ان يكون هذا التخريج على انه مفعول معه من الفاعل وهو الضمير في فاجمعوا لا من المفعول الذي هو امركم وذلك على اشهر الاستعمالين لانه يقال اجمع الشركاء ولا يقال جمع الشركاء امرهم الا قليلا ولا اجمعت الشركاء الا قليلا وفي اشتراط صحة جواز العطف فيما يكون مفعولا معه خلاف فاذا جعلناه من الفاعل كان اولى وقرأ الزهري والاعمش والجحدري وابو رجاء والاعرج والاصمعي عن نافع ويعقوب بخلاف عنه فاجمعوا

يوصل الالف وفتح الميم من جمع وشركاءكم عطف على امركم لانه يقال جمعت شركائي او على انه مفعول معه او على حذف مضاف اي وذوي الامر منكم فجرى على المضاف اليه ما جرى على المضاف لو ثبت قاله ابو علي وفي كتاب اللوامح اجمعت الامر اي جعلته جميعا وجمعت الاموال جمعا فكان الاجماع في الاحداث والجمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الاخر وفي التنزيل فجمع كيده انتهى وقرأ ابو عبد الرحمن والحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب فيما روي عنه وشركاؤكم بالرفع ووجه بانه عطف على الضمير فاجمعوا وقد وقع الفصل بالمفعول فحسن وعلى انه مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه اي وشركاؤكم فليجمعوا امرهم وقرأت فرقة وشركائكم بالخفض عطفا على الضمير في امركم اي وامر شركائكم فحذف

كقول الاخر

اكل امري تحسبين امرا ۝ ونار توقد بالليل نارا

اي وكل نار فحذف كلا لدلالة ما قبله عليه والمراد بالشركاء الانداد من دون الله اضافهم اليهم اذ هم يجعلونهم شركاء بزعمهم واسند الاجماع الى الشركاء على وجه التهكم كقوله تعالى فادعوا شركاءكم ثم كيدون او يراد بالشركاء من كان على دينهم وطريقتهم قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تتركوا من امركم شيا الا احضرتموه انتهى وامره اياهم باجماع امرهم ذليل على عدم مبالاته بهم ثقة بما وعده به ربه من كلاته وعصمته ثم لا يكن عليكم امركم غمة اي حالكم معي وصحبتكم لي غما وهما اي ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة والغم والغمة كالكرب والكربة قال ابو الهيثم هو من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اذا التمس فلم ير

وقال طرفة

لعمرك ما امري علي بغمة ۝ نهاري ولا ليلي علي بسرمد

وقال الليث يقال انه لفي غمة من امره اذا لم يتبين له وقال الزجاج امركم ظاهرا مكشوفا وحسنه الزمخشري فقال وقد ذكر القول الاول الذي يراد بالامر فقال والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه قوله عليه السلام ولا غمة في فرايض الله تعالى اي لا تستر ولكن تجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم بل مكشوفا مشهورا تجاهرون به انتهى ومعنى اقضوا الي اي انفذوا قضاءكم نحوي ومفعول

اقضوا محذوف اي اقضوا الي ذلك الامر وامضوا ما في انفسكم
واقطعوا ما بيني وبينكم وقراءة السري بن ينعم ثم افضوا بالفاء
وقطع الالف اي انتهوا الي بشركم من افضي اليّ كذا انتهي اليه
وقيل معناه اسرعوا وقيل من افضي اذا خرج الي الفضاء
اي فاصحروا به اليّ وابرزوه ومنه قول الشاعر ⁂
⁂ ابي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضي والسيوف معاقله ⁂
ولا تنظرون اي لا تؤخرون والنظرة التاخير ○ فان توليتم
فما سالتكم من اجر ان اجري الا علي الله وامرت ان اكون من المسلمين
فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين ⁂ اي فان دمتم علي توليكم عن ما جئت به اليكم من
توحيد الله ورفض الهتكم فلست ابالي بكم لان توليكم لا
يضرني في خاصتي ولا قطع علي صلة منكم اذا ما دعوتكم اليه
وذكرتكم به ووعظتكم لم اسالكم عليه اجرا انما يثيبني عليه الله
تعالي اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالي لا لغرض من اغراض
الدنيا ثم اخبر انه امر ان يكون من المسلمين من المنقادين
لامر الله الطائعين له فكذبوه فتموا علي تكذيبه وذلك عند
مشارفة الهلاك بالطوفان وفي الفلك متعلق بالاستقرار
الذي تعلق معه او بفنجيناه وجعلناهم جمع ضمير المفعول
علي معني من وخلائف يخلفون الغارقين المهلكين ثم امر
بالنظر في عاقبة المنذرين بالعذاب دار الما صار اليه حالهم
وفي هذا الاخبار توعد للكفار بمحمد صلي الله عليه وسلم
وضرب مثال لهم في انهم بحال من تولاه من التكذيب فسيكون حالهم
كحالهم في التعذيب والخطاب في فانظر للسامع لهذه الصفة
القصة وفي ذلك تعظيم لما جري عليهم وتحذير لمن انذرهم
الرسول وتسلية له ○ ثم بعثنا من بعده رسلا الي قومهم
فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك
نطبع علي قلوب المعتدين ⁂ من بعده اي من بعد نوح رسلا
الي قومهم يعني هودا وصالحا ولوطا وابراهيم وشعيبا والبينات
المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاءوا به وجاء النفي
مصحوبا بلام الجحود ليدل علي ان ايمانهم في حيز الاستحالة
والامتناع والضمير في كذبوا عائد علي ما عاد عليه ضمير
كانوا وهم قوم الرسل والمعني انهم كانوا قبل بعثة الرسل
اهل جاهلية وتكذيب للحق فتساوت حالتهم قبل البعثة
وبعدها كان لم يبعث اليهم احد ومن قبل متعلق بكذبوا

قوله عز وجل فان توليتم

قوله عز وجل ثم بعثنا

اي من

اي من قبل بعثة الرسل وقيل المعني انهم بادروا رسلهم بالتكذيب
كلما جاء رسول ثم لجوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا
بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر وتماديهم وقال
يحيي بن سلام من قبل معناه من قبل العذاب وهذا القول
فيه بعد وقيل الضمير في كذبوا عائد علي قوم نوح اي فما
كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح يعني ان شنشنتهم
واحدة في التكذيب قال ابن عطية ويحتمل اللفظ عندي
معني اخر وهو ان تكون ما مصدرية والمعني فكذبوا رسلهم
فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل اي
من سببه ومن جراه ويؤيد هذا التاويل كذلك انتهي والظاهر
ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا
به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد علي مذكور فيحتاج
ان يتكلف ما يعود عليه الضمير وقراءة الجمهور نطبع بالنون
والعباس بن الفضل بالياء والكاف للتشبيه اي مثل ذلك
ذلك الطبع المحكم الذي يمتنع زواله نطبع علي قلوب المعتدين
المجاوزين طورهم والمبالغين في الكفر ○ ثم بعثنا من بعدهم
موسي وهرون الي فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر
مبين قال موسي اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا
يفلح الساحرون ⁂ اي من بعد اولئك الرسل باياتنا
وهي المعجزات التي ظهرت علي يديه ولا يختص قوله وملايه
بالاشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومشروفهم
فاستكبروا تعاظموا عن قبولها واعظم الكبر ان يتعاظم
العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضا
وباجرامهم الاثام العظيمة استكبروا واجترؤوا علي ردها
والحق هو العصا واليد البيضاء قالوا لحبهم الشهوات
ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر
الذي ليس الا تمويها وباطلا ولم يقولوا ان هذا لسحر
مبين الا عند معاينة العصا وانقلابها واليد وخروجها
بيضاء ولم يتعاطوا الا مقاومة العصا وهي معجزة موسي
التي وقع فيها عجز المعارض وقراءة مجاهد وابن جبير
والاعمش لساحر مبين جعل خبر ان اسم فاعل لا مصدرا
كقراءة الجماعة ولما كابروا موسي عليه السلام فيما جاء به
من الحق خبروا علي جهة الجزم بان ما جاء به سحر مبين
فقال لهم موسي مستفهما علي جهة الانكار والتوبيخ حيث

قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسي

جعلوا الحق سحرا أسحر هذا أي مثل هذا الحق لا يدعي أنه سحر واخبر
أنه لا يفلح من كان ساحرا كقوله تعالى ولا يفلح الساحر
حيث أتى والظاهر أن معمول أتقولون محذوف تقديره
ما تقدم ذكره ومقول هذا السحر ويجوز أن يحذف
معمول القول للدلالة عليه نحو **قول الشاعر**

لنحن الألى قلتم فأنى ملئتم برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعبا

ومسئلة الكتاب متى رأيت أو قلت زيدا منطلقا وقيل
معمول أتقولون هو أسحر هذا إلى آخره كأنهم قالوا أجئتما
بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال
موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله والذين قالوا
بأن الجملة ذات الاستفهام هي محكية بالقول اختلفوا
فقال بعضهم قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي
رأوه بزعمهم كما تقول لفرس تراه يجيد الجري أفرس هذا على
سبيل التعجب والاستغراب وأنت قد علمت أنه فرس
فهو استفهام معناه التعجب والتعظيم وقال بعضهم
قال ذلك منهم كل جاهل بالأمر فهو يسأل أهو سحر لقول
بعضهم إن هذا لسحر وأجاز الزمخشري أن يكون معنى قوله أتقولون
للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له
وتعظموه قال من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر
في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه
في عيبه والطعن عليه ٥ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما
وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض
وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم
ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله
سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق
بكلماته ولو كره المجرمون ٥ أجئتنا خطاب لموسى وحده
لأنه هو الذي ظهرت على يديه معجزة العصا واليد
لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير
الله واتخاذ إله دونه والكبرياء مصدر قال ابن عباس
ومجاهد والضحاك وأكثر المتأولين المراد هنا الملك
إذ الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار
ووصف بالصيد والشوس ٥

وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير

قوله عز وجل قالوا أجئتنا

ملكه

ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
يعني ما عليه الملوك من ذلك ٥

وقال ابن الرقاع ٥

سؤدد غير فاحش لا يدانيه تجبارة ولا كبرياء

وقال الأعمش الكبرياء العظمة وقال ابن زيد العلو
وقال الضحاك أيضا الطاعة والأرض هنا أرض
مصر **وقرأ** ابن مسعود وإسمعيل والحسن فيما زعم خارجة
وأبو عمرو وعاصم بخلاف عنهما ويكون بالياء لمجاز
تأنيث الكبرياء والجمهور بالتاء لمراعاة اللفظ والمعنى
أنهم قالوا المقصود لك في مجيئك إلينا بما جئت به أن تنقل
من دين آبائنا إلى ما تأمر به وتطيعك وتكون لكما العلو والملك
علينا بطاعتنا لك فنصير أتباعا تاركين دين آبائنا
وهذا المقصود لا نراه فلا نصدقك فيما جئت به إذ غرضك
إنما هو ما فهمناك على ما أنت عليه واستعلاؤك علينا
فالسبب الأول هو التقليد والثاني الجد في الرياسة
حتى لا يكونوا تبعا واقتضى هذان السببان اللذان زعموهما
مقصودا التصريح بانتفاء الإيمان الذي هو سبب لحصول
السببين ويجوز أن يقصد والسببين ويجوز أن يقصدوا
الذم بأنهما إن ملكا أرض مصر تكبرا وتجبرا كما قال القبطي
إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ولما ادعوا أن
ما جاء به موسى هو سحر أخذوا في معارضته بأنواع
من السحر ليظهر لسائر الناس أن ما أتى به موسى من باب
السحر والمخاطب بقوله ائتوني خدمته فرعون والمتصرفون
بين يديه **وقرأ** ابن مصرف وابن وثاب وحمزة والكسائي
بكل سحار على المبالغة وفي قوله ألقوا ما أنتم ملقون
استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي إبهام ما أنتم
ملقون تخسيس له وتقليل وإعلام أنه لا شيء يلتفت
إليه قال أبو عبد الله الرازي كيف أمرهم بالكفر
والسحر والأمر بالكفر كفر قلنا إنه عليه السلام أمرهم
بإلقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق أن ما ألقوا عمل
فاسد وسعي باطل لا على طريق أنه عليه السلام أمرهم
بالسحر انتهى **وقرأ** أبو عمرو ومجاهد وأصحابه وابن القعقاع
بهمزة الاستفهام في قوله السحر ممدودة وباقي السبعة
والجمهور بهمزة الوصل فعلى الاستفهام قالوا يجوز
أن تكون ما استفهامية مبتدأة والسحر بدل منها

وان تكون منصوبة بمضمر يفسره جئتم به والسحر خبر مبتدأ محذوف
ويجوز عندي في هذا الوجه ان تكون ما موصولة مبتدأة
وجملة الاستفهام خبر اذ التقدير اهو السحر او السحر هو
فهو الرابط كما تقول الذي جاءك ازيد هو وعلى همزة الوصل
جاز ان تكون ما موصولة مبتدأة والخبر السحر ويدل عليه
قراءة عبد الله والاعمش سحر وقراءة ابي ما اتيتم به سحر
ويجوز عندي في هذا الوجه ان تكون استفهامية في موضع
رفع بالابتداء او في موضع نصب على الاشتغال وهو
استفهام على سبيل التحقير والتعليل لما جاؤا به والسحر
خبر مبتدأ محذوف اي هو السحر قال ابن عطية والتعريف
هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا
لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال اول الرسالة
سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى وهذا
اخذه من الفراء قال الفراء وانما قال السحر بالالف
واللام لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بالالف
واللام ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه انه يسأل له
عن الرجل الذي ذكره له انتهى وما ذكراه هنا في السحر ليس
هو من باب تقدم النكرة ثم اخبر عنه بعد ذلك لان شرط
هذا ان يكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدم
ولا يكون غيره كما قال تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فاكرمت
الرجل ولما كان اياه جاز ان ياتي بالضمير بدله
فتقول فاكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم
ان هذا لسحر لان الذي اخبروا عنه بانه سحر هو ما ظهر
على يدي موسى من معجزة العصا والسحر الذي في قول
موسى انما هو سحرهم الذي جاؤا به فقد اختلف المدلولات
اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عن ما جاؤا به
ولذلك لا يجوز ان ياتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون
عائدا على قولهم لسحر والظاهر ان الجمل بعد من كلام موسى
عليه السلام وسيبطله يمحقه بحيث يذهب او يظهر
بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة وقيل هذه الجمل
من كلام الله تعالى ومعنى بكلماته بقضاياه السابقة في
وعده وقال ابن سلام بكلماته بقوله لا تخف انك انت
الاعلى وقيل بكلماته بحججه وبراهينه وقرئ بكلمته
على التوحيد اي بامره ومشيئته ٥ فما آمن لموسى الا ذرية

من

قوله عز وجل فما آمن لموسى

من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون
لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله تعالى فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين ٥ الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها التعقيب
ان هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الالقاء
والظاهر ان الضمير في قومه عائد على موسى وانه لا يعود على
فرعون لان موسى هو المحدث عنه في هذه الآية وهو اقرب
مذكور ولانه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون
وكان التركيب على خوف منه ومن ملئهم ان يفتنهم وهذا
الايمان من الذرية كان اول مبعثه اذ قد آمن به بنو اسرائيل
قومه كلهم كان اولا دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقال مجاهد
والاعمش معنى الآية ان قوما ادركهم موسى ولم يؤمنوا وانما
آمن ذراريهم بعد هلاكهم لطول الزمن قال ابن عطية
وهذا قول غير صحيح اذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا
معنى لتخصيصهم باسم الذرية وايضا فما روي من اخبار
بني اسرائيل لا يعطي هذا وبتقييد قوله فما آمن لانه يعطي تقليل
المؤمنين به لانه نفى الايمان ثم اوجبه لبعضهم ولو كان الاكثر
مؤمنا لاوجب الايمان اولا ثم نفاه عن الاقل وعلى هذا الوجه
يتخرج قول ابن عباس في الذرية انه القليل لانه اراد
ان لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره وقالت
فرقة انما سماهم ذرية لان امهاتهم كانت من بني اسرائيل
وآباؤهم من القبط رواه عكرمة عن ابن عباس فكان يقال
لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن الابناء وهم الفرس
المنتقلون مع وهرز بسعاية سيف بن ذي يزن وممن
ذهب الى ان الضمير في قومه يعود على موسى ابن عباس
قال وكانوا ستمائة الف وذلك ان يعقوب عليه السلام
دخل مصر في اثنين وسبعين انسانا فتوالدوا بمصر
حتى بلغوا ستمائة الف ٥ وقيل الضمير في قومه يعود
على فرعون روي انه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأة
خازنه وشباب من قومه قاله ابن عباس ايضا والسحرة ايضا
فانهم معدودون في قوم فرعون وقال السدي كانوا
سبعين اهل بيت من قوم فرعون قال ابن عطية ومما
يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ان المعروف

من اخيار بني اسرايل انهم كانوا قوما قد تشتت فيهم السنوات
وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على
يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام
اصفقوا عليه وتابعوه ولم يحفظ قط ان طايفة من بني اسرايل
كفرت به فكيف تعطي هذه الاية ان الاقل منهم كان الذي
امن فالذي يترجح بحسب هذا ان الضمير يعود على فرعون
ويؤيد ذلك ايضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم
وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر الله ذلك عنهم ثم قال
فما امن لموسى الا ذرية من قوم فرعون الذي هذه اقوالهم
وتكون القصة على هذا التاويل بعد ظهور الاية والتعجيز
بالعصا وتكون الفاء مرتبة للمعاني التي عطفت انتهى
ويمكن ان يكون معنى فما امن اي ما اظهر ايمانه واعلن به الا
ذرية من قوم موسى فلا يدل ذلك على ان طايفة من بني
اسرايل كفرت به والظاهر عود الضمير في قوله وملايهم
على الذرية وقاله الاخفش واختاره الطبري اي خوف
من ملاء الذرية وهم اشراف بني اسرايل ان كان الضمير في قوله
عايدا على موسى لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان يفتنهم اي
يعذبهم وقال ابن عباس ان يقتلهم وقيل يعود على قومه
اي وملاء قوم موسى وقوم فرعون وقيل يعود على المضاف
المحذوف تقديره على خوف من ال فرعون قاله الفراء
كما حذف في واسال القرية ورد عليه بان الخوف يمكن من فرعون
ولا يمكن سوال القرية فلا يحذف الا ما دل عليه الدليل
وقد يقال ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير في وملايهم
وقيل ثم معطوف محذوف يدل عليه كون الملك لا يكون
وحده بل له حاشية واجناد وكانه قيل على خوف
من فرعون وقومه وملايهم اي ملاء فرعون وقومه
وقاله الفراء ايضا وقيل لما كان ملكا جبارا اخبر عنه
بفعل الجميع وقيل سميت الجماعة بفرعون مثل ثمود وان
يفتنهم بدل من فرعون بدل اشتمال اي فتنته فيكون في
موضع جر ويجوز ان يكون في موضع نصب بخوف اما على
التعليل واما انه في موضع المفعول به اي على خوف لاجل
فتنته او على خوف فتنته وقرا الحسن والجراح ونبيح
يفتنهم بضم اليا من افتن ولعال لمتجبر او باغ ظالم
او متعال او قاهر كما قال ه

علي ح

فاعمد

فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان ه
اي لما يقهر افواه المتقاربة واسرافه كونه كثير القتل والتعذيب
وقيل كونه من اخس العبيد فادعى الالهية وهذا الاخبار مبين
سبب خوف اوليك المومنين منه وفي الاية مسلاة للرسول
بقلة من امن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر
ولم يومن له الا ذرية من قومه وخطاب موسى عليه السلام لمن امن
بقوله يا قوم دليل على ان المومنين الذرية كانوا من قومه
وخاطبهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون
من قتل الابا وذبح الذرية وقيل قال لهم ذلك حين
قالوا انا لمدركون وقيل حين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جيتنا قيل والاول هو الصواب لان جواب كل من القو
مذكور بعده وهو كلا ان معي ربي سيهدين وقوله عسى ربكم ان يهلك
الاية وعلق توكلهم على شرطين متقدم ومتاخر ومتى كان الشرطان
لا يترتبان في الوجود فالشرط الثاني شرط في الاول فمن حيث
هو شرط فيه يجب ان يكون متقدما عليه فالاسلام هو الانقياد
للتكاليف الصادرة من الله واظهار الخضوع وترك التمرد
والايمان عرفان القلب بالله تعالى ووحدانيته وساير
صفاته وان ما سواه محدث تحت قهره وتدبيره فاذا حصل
هذان الشرطان فوض العبد جميع اموره الى الله تعالى واعتمد
عليه في كل الاحوال وادخلت ان على فعل الشرط وان كانت
في الاغلب انما تدخل على غير المحقق مع علمه بايمانهم على وجه
اقامة الحجة وتنبيه الانفس واثارة الانفة كما تقول
ان كنت رجلا فقاتل تخاطب بذلك رجلا تريد اقامة البينة
وطول ابن عطية هنا في مسيلة التوكل بما يوقف عليه في كتابه
واجابوا موسى عليه السلام بما امرهم به من التوكل على الله لانهم
كانوا مخلصين في ايمانهم واسلامهم ثم سالوا الله تعالى
شيين احدهما ان لا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين قال
الزمخشري اي موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا
عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بها ويقولون لو كان هولاء
على الحق لما اصيبوا وقال مجاهد وابو مجلز وابو الضحى
وغيرهم معنى القول الاخر قال المعنى لا تنزل بنا بلا بايديهم
او بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون ويعتقدون
ان هلاكنا انما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم
وانهم اهل الحق وقالت فرقة المعنى لا تفتنهم وتبتليهم
بقتلنا واذا اتيتنا فتعذبهم على ذلك في الاخرة قال ابن عطية

حين ح

ليت

وفي هذا التأويل قلق وقال ابن الكلبي لا تجعلنا فتنة بتقتير الرزق علينا وبسطه لهم والاخر نجنا منهم من الكافرين اي من تسخيرهم واستعبادهم والذي يظهر انهم سالوا الله ان لا يفتنوا عن دينهم وان يخلصوا من الكفار فقدموا ما كان عندهم اهم وهو سلامة دينهم لهم واخروا سلامة انفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين آكد من الاهتمام بمصالح الابدان ۝ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ۝ لم يصرح باسم اخيه لانه قد تقدم ذكره ولانه في قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون وتبوءا اتخذا مباءة اي مرجعا للعبادة والصلاة كما تقول توطن اتخذ موطنا والظاهر اتخاذ البيوت بمصر قال الضحاك وهي مصر المحروسة ومصر من البحر الى اسوان والاسكندرية من ارض مصر وقال مجاهد هي الاسكندرية وكان فرعون قد استولى على بني اسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم ومنعهم من الصلوات وكلفهم الاعمال الشاقة وكانوا في اول امرهم مامورون بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام **وقرا** حفص في رواية هبيرة تبويا بالياء وهذا تسهيل غير قياسي ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والالف والظاهر ان المامور بان يجعل قبلة هي المامور بتبوئها ومعنى قبلة مساجد امروا بان يتخذوا بيوتهم مساجد قاله النخعي وابن زيد وروي عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا واجعلوا بيوتكم قبل القبلة وعنه ايضا قبل مكة وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء امروا بان يجعلوها مستقبلة الكعبة وعن ابن عباس ايضا وابن جبير قبلة يقابل بعضها بعضا واقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر وبشر المؤمنين يعني بالنصر في الدنيا وبالجنة في الاخرة وهو امر لموسى عليه السلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم خوطب موسى وهرون عليهما السلم ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به ۝ وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا

قوله عز وجل واوحينا الى موسى

قوله عز وجل وقال موسى

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ۝ لما بالغ موسى عليه السلام في اظهار المعجزات وهم مصرون على العناد واشتد اذاهم عليه وعلى من امن معه وهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلم بالتجربة وطول الصحبة انهم لا يجيء منهم الا الغي والضلال او علم ذلك بوحي من الله تعالى دعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الكفرة كما دعا نوح على قومه حين اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وقدم بين يدي الدعاء ما اتاهم الله من النعمة في الدنيا وكان ذلك سببا للايمان به ولشكر نعمه فجعلوا ذلك سببا لجحوده ولكفر نعمه والزينة عبارة عما يتزين به ويتحسن من الملبوس والمركوب والاثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق قال المورخون والمفسرون كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت وفي تكرار ربنا توكيد للدعاء والاستغاثة واللام في ليضلوا الظاهر انها لام كي على معنى اتيتهم ما اتيتهم على سبيل الاستدراج وكان الاتيان لكي يضلوا ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما **قال الشاعر** ۝

۝ وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجد الناس عمرانا

وقال الحسن هو دعاء عليهم وبهذا بدا الزمخشري قال كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وبيعد ان يكون دعاء قراءة من قرا ليضلوا بضم الياء واذ يبعد ان يدعو بان يكونوا مضلين غيرهم وهي قراءة الكوفيين وقتادة والاعمش وعيسى والحسن والاعرج بخلاف عنهما **وقرا** الحرميان والعربيان ومجاهد وابو رجاء والاعرج وشيبة وابو جعفر واهل مكة بفتح **وقرا** الشعبي بكسرها والى بين الكسرات الثلث وقيل لا محذوفة التقدير لئلا يضلوا عن سبيلك قاله ابو علي الجبائي **وقرا** الفضل الرقاشي أإنك اتيت على الاستفهام ولما تقدم ذكر الاموال وهي اعز ما ادخر دعا بالطمس عليها وهي التعفية والتغيير او الاهلاك قال ابن عباس ومحمد بن كعب صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحا واثلاثا وانصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعد وقال

ح قبلة

قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد
وعطية اهلكها حتى لا ترى وقال ابن زيد صارت دنانيرهم
ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة قال محمد بن كعب سالني
عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له فدعا بخريطة اصيبت
بمصر فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة
وقال قتادة والضحاك وابو صالح والقرظي جعل سكرهم
حجارة وقال السدي مسخ الله الثمار والنخل والاطعمة حجارة
وقال شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف
بابن النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتحبير اخبرني جماعة
من الصالحين كان شغلهم السياحة انهم عاينوا الجبال
بجبال مصر وبراريها حجارة على هيئة الدنانير والدراهم وفيها
اثار النقش وعلى هيئة الفلوس وعلى هيئة البطيخ العبدلاوي
وهيئة البطيخ الاخضر وعلى هيئة الخيار وعلى هيئة القثاء
وحجارة مطولة رقيقة معوجة على هيئة الفقوس وربما راوا
على هيئة الشجرة واشدد على قال ابن عباس ومقاتل
والفراء والزجاج اطبع عليها وامنعها من الايمان وقال
ابن عباس ايضا والضحاك اهلكهم كفارا وقال مجاهد
اشدد عليها بالضلالة وقال ابن قتيبة قس قلوبهم وقال
ابن بحر اشدد عليها بالموت وقال الكرماني اي لا يجدوا
سلوا عن اموالهم ولا صبرا عن ذهابها وقرا الشعبي وفرقة
اطمس بضم الميم وهي لغة مشهورة فلا يؤمنوا مجزوم على انه
دعاء عند الكسائي والفراء كما قال الشاعر وهو الاعشى

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني الا وانفك راغم

ومنصوب على انه جواب اشدد بدا به الزمخشري ومعطوف
على ليضلوا على انه منصوب قاله الاخفش وغيره وما بينهما
اعتراض وعلى انه مجزوم على قول من قال ان لام ليضلوا
لام الدعاء وكان رؤية العذاب غاية ونهاية لان الايمان
اذ ذاك لا ينفع ولا يخرج من الكفر وكان العذاب الاليم
غرقهم قاله ابن عباس قال محمد بن كعب كان موسى
يدعو وهرون يؤمن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن ان
يكونا دعوا ويبعد قول من قال كنى عن الواحد بلفظ التثنية
لان الاية تضمنت بعد مخاطبتهما في غير شي وروي عن
ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك ان الدعوة لم تظهر
اجابتها الا بعد اربعين سنة واعلما ان دعاءكما صادف
مقدورا وهذا معنى اجابة الدعاء وقيل لهما لا تتبعان

سبيل

سبيل الذين لا يعلمون اي بان تستعجلا قضائي فان وعدي
لا خلف له وقرا السلمي والضحاك دعواتكما على الجمع وقرا
ابن السميفع قد اجبت دعوتكما خبرا عن الله ونصب دعوة والربيع
دعوتيكما وهذا يؤكد قول من قال ان هرون دعا مع موسى
وقراءة دعوتيكما تدل على انه قرا قد اجيبت على انه فعل وفاعل
ثم امرهما بالاستقامة والمعنى الديمومة عليها وعلى ما امر بتمامه
من الدعوة الى الله والزام حجة الله وقرا الجمهور تتبعان
بتشديد التاء والنون وابن عباس وابن ذكوان بتخفيف
التاء وشد النون وابن ذكوان ايضا بتشديد التاء وتخفيف
النون وفرقة بتخفيف التاء وسكون النون وروى ذلك
الاخفش الدمشقي عن اصحابه عن ابن عامر فاما شد النون
فعلى انها نون التوكيد الشديدة لحقت فعل النهي المتصل
به ضمير الاثنين واما تخفيفها مكسورة فقيل هي نون التوكيد
الخفيفة وكسرت كما كسرت الشديدة وقد حكى النحويون كسر النون
الخفيفة في مثل هذا عن العرب ومذهب سيبويه والكسائي انه
لا تدخل هنا الخفيفة ويونس والفراء يريان ذلك وقيل
النون المكسورة الخفيفة هي علامة الرفع والفعل منفي
والمراد منه النهي او هو خبر في موضع الحال اي غير متبعين
قاله الفارسي والذين لا يعلمون فرعون وقومه قاله
ابن عباس والذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه ذكره
ابو سليمان ۞ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم
فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك
اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ۞ قرا
الحسن وجوزنا بتشديد الواو وتقدم الكلام في الباء في
ببني اسرائيل وكم كان الذين جازوا مع موسى عليه السلام
في سورة الاعراف وقرا الحسن وقتادة فاتبعهم بتشديد
التاء وقرا الجمهور وجاوزنا وفاتبعهم رباعيا قال
الزمخشري وليس من جوز الذي في بيت الاعشى ۞
واذا تجوزها حبال قبيلة ۞ لانه لو كان منه لكان حقه
ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال ۞
كما جوز السكي في الباب فيتنق ۞ انتهى وقال الحوفي
تبع واتبع بمعنى واحد وقال الزمخشري فاتبعهم لحقهم

قوله عز وجل
وجاوزنا

بقال تبعه حتي اتبعه وفي اللوح تبعه اذا مشي خلفه واتبعه
كذلك الا انه حاذاه في المشي واتبعه لحقه وهنه العامة
يعني وهنه القراة العامة فاتبعهم وجنود فرعون قيل الف
الف وستماية الف وقيل غير ذلك **وقرا** الحسن وعدوا
علي وزن علو وتقدمت في الانعام وعدوا وعدوا اهو
العدوان والتباع فرعون هو في مجاوزة البحر روي ان
فرعون لما انتهي الي البحر فوجده قد انفرق ومضي فيه بنو اسرايل
قال لقومه انما انفلق بامري وكان علي فرس ذكر فبعث الله
اليه جبريل علي فرس انثي وديق فدخل بها البحر ولج فرس فرعون
وراءه وجنب الجيوش خلفه فلما راي ان الانفراق ثبت له
استمر وبعث الله ميكاييل يسوق الناس حتي حصل جميعهم
في البحر فانطبق عليهم **وقرا** الجمهور انه بفتح الهمزة
علي حذف البا **وقرا** الكسايي وحمزة بكسرها علي الاستيناف
ابتداء كلام او بدلا من امنت او علي اضمار القول اي قايلا انه
ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعني بثلاث عبارات
اما علي سبيل التعليم اذ ذاك مقام تجارفيه القلوب
او حرصا علي القبول ولم يقبل الله منه اذ فاته وقت
القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف والتوبة
بعد المعاينة لا تنفع الا تري الي قوله تعالي فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
وتقدم الخلاف في قراة الان في قوله الان وقد كنتم
والمعني اتومن الساعة في حال الاضطرار حين ادركك
الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه
الغرق وقيل بعد ان غرق في نفسه قال الزمخشري
والذي يحكي انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال البحر
فدسه في فيه فللغضب لله تعالي علي حال الكافر في وقت
قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشيت
ان تدركه رحمة الله تعالي فمن زيادات الباهتين لله
تعالي وملايكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان
يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخر
ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه علي الكفر فهو كافر
لان الرضا بالكفر كفر والظاهر ان قوله الان الي اخره
من كلام الله له علي لسان ملك فقيل هو جبريل وقيل ميكاييل
وقيل غيرهما يخاطبه فاليوم ننجيك وقيل من قول
فرعون في نفسه وافساده واضلاله الناس ودعواه الربوبية

ان

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون فاليوم ننجيك الظاهر انه
خبر وقيل هو استفهام فيه تهديد اي افاليوم ننجيك
فهلا كان الايمان قبل الاشراف علي الهلاك وهذا بعيد
لحذف همزة الاستفهام ولقوله لتكون لمن خلفك اية لان
التعليل لا يناسب هنا الاستفهام قال ابن عباس ننجيك
نلقيك نجوة من الارض وهي المكان المرتفع وببدنك بدرعك
وكان من لولو منظوم لا مثال له وقيل من ذهب وقيل من حديد
وفيها سلاسل من ذهب والبدن يدن الانسان والبدن
الدرع القصيرة **قال الشاعر**
ترى الابدان فيها مسبغات ... علي الابطال واليلب الحصينا
يعني الدروع **وقال عمرو بن معدي كرب**
اعاذل شكتي بدني وسيفي ... وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقيل نلقيك ببدنك عريانا
ليس عليك ثياب ولا سلاح وذلك ابلغ في اهانته وقيل
تخرج صحيحا لم ياكله شي من الدواب وقيل بدنا بلا روح
قاله مجاهد وقيل تخرج من هلكك وحيدا فريدا وقيل
نلقيك في البحر من النجاة وهو ما سلخته عن الشاة او القيته
عن نفسك من ثياب او سلاح وقيل نتركك حتي تغرق
والنجاة الترك وقيل نجعلك علامة والنجاة العلامة
وقيل نغرقك من قولهم نجي البحر اقواما اذا اغرقهم
وقال الكرماني يحتمل ان يكون من النجاة وهو الاسراع اي
نسرع هلاكك وقيل معني ببدنك بصورتك التي
تعرف بها وكان قصيرا اشقر ازرق قريب اللحية من القامة
ولم يكن في بني اسرايل شبيه له فعرفوه بصورته وببدنك اذا
عني به الجثة تاكيد كما تقول قال فلان بلسانه وجاء بنفسه
وقرا يعقوب ننجيك مخففا مضارع انجي **وقرا** ابي
وابن السميفع ويزيد اليربري ننحيك بالحاء المهملة من
التنحية وروينت عن ابن مسعود اي نلقيك بناحية مما يلي
البحر قال كعب رماه البحر الي الساحل كانه ثور **وقرا**
ابو حنيفة بابدانك اي بدروعك او جعل كل جزء من البدن
بدنا لقولهم شابت مفارقه **وقرا** ابن مسعود وابن السميفع
بندايك مكان ببدنك اي بدعايك اي بقولك امنت الي
اخره لتجعلك اية مع ندايك الذي لا ينفع او بما نادي به
في قومك ونادي فرعون في قومه فحشر فنادي فقال

انا ربكم الاعلى ويا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ولما كذبت بنو اسرائيل بغرق فرعون رمى به البحر على ساحله حتى رأوه قصيرا احمر كأنه ثور لمن خلفك لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن يأتي بعدك من القرون وقيل لمن بقي من قبط مصر وغيرهم **وقرئ** لمن خلقك بفتح اللام اي من الجبابرة والفراعنة ليتعظوا بذلك ويحذروا ان يصيبهم ما اصابك اذا فعلوا فعلك ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته او ليكون عبرة تعتبر بها الامم **وقرأت فرقة** لمن خلقك من الخلق وهو الله تعالى اي ليجعلك الله آية له في عباده وقيل المعنى ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره ۝ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون قاله الحسن وقال مقاتل من اهل مكة عن آياتنا اي العلامات الدالة على الوحدانية وغيرهما من صفاته العلى لغافلون لا يتدبرون وهذا خبر في ضمنه توعد ۝ ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ لما ذكر تعالى ما جرى لفرعون واتباعه من الهلاك ذكر ما احسن به لبني اسرائيل وما امتن به عليهم اذ كان بنو اسرائيل قد اخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون فذكر تعالى انه اختار لهم من الاماكن احسنها والظاهر ان بني اسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من الغرق وسياق الآيات تشهد لهم وقيل هم الذين كانوا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل قريظة والنضير وبني قينقاع وانتصب مبوأ صدق على انه مفعول ثان لبوأنا كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا وقيل يجوز ان يكون مصدرا ومعنى صدق اي فضل وكرامة ومنه في مقعد صدق وقيل مكان صدق الوعد وكان وعدهم فصدقهم وعده وقيل صدق تصدق به عليهم لان الصدقة والبر من الصدق وقيل صدق فيه ظن قاصده وساكنه وقيل منزلا صالحا مرضيا وعن ابن عباس

قوله عز وجل ولقد بوأنا

هو الاردن وفلسطين وقاله الضحاك وابن زيد وقتادة الشام وبيت المقدس وقال مقاتل بيت المقدس وعن الضحاك ايضا مصر وعنه ايضا مصر والشام قال ابن عطية والاصح انه الشام وبيت المقدس بحسب ما حفظ من انهم لم يعودوا الى مصر على انه في القرآن كذلك واورثناها بني اسرائيل ما تركت القبط من جنات وعيون وغير ذلك وقد يحتمل ان يكون واورثناها معناه الحالة من النعمة وان لم يكن في قطر واحد انتهى وقيل هي بين المدينة والشام من ارض يثرب ذكره علي بن احمد النيسابوري وهذا على قول من قال ان بني اسرائيل هم الذين بحضرة النبي عليه السلام ولما ذكر انه بوأهم مبوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وهي المآكل المستلذات او الحلال فما اختلفوا اي كانوا على ملة واحدة وطريقة واحدة مع موسى عليه السلام في اول حاله حتى جاءهم العلم اي علم التوراة فاختلفوا وهذا ذم لهم اي ان سبب الاتفاق هو العلم فصار عندهم سبب الاختلاف فتشعبوا شعبا بعدما قرؤا التوراة وقيل العلم بمعنى المعلوم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لان رسالته كانت معلومة عندهم مكتوبة في التوراة وكانوا يستفتحون به اي يستنصرون وكانوا قبل مجيئه الى المدينة مجمعين على نبوته يستنصرون به في الحروب يقولون اللهم بحرمة النبي المبعوث في آخر الزمان انصرنا فينصرون فلما جاء قالوا النبي الموعود به من ولد يعقوب وهذا من ولد اسمعيل فليس هو ذاك فآمن به بعضهم كعبد الله ابن سلام واصحابه وقيل العلم القرآن واختلافهم فيه قول بعضهم هو من كلام محمد عليه السلام وقول بعضهم من كلام الله وليس لنا انما هو للعرب وصدق به قوم فآمنوا وهذا الاختلاف لا يمكن زواله في الدنيا وانه تعالى يقضي فيه في الآخرة فيميز المحق من المبطل ۝ فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ۝ الظاهر ان ان شرطية وروي عن الحسن والحسين بن الفضل ان ان نافية قال الزمخشري اي فما كنت في شك فسئل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك

قوله عز وجل فان كنت في شك

ولكن لنزداد يقيننا كما اراد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء
الموتى انتهى واذا كانت ان شرطية فذكروا انها تدخل على الممكن
وجوده او المحقق وجوده المبهم زمان وقوعه كقوله تعالى
أفإن مت فهم الخالدون ٥ والذي اقوله ان ان الشرطية
تقتضي تعليق شيء على شيء ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا امكانه
بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين ومستحيل ان يكون له ولد فكذلك
هذا مستحيل ان يكون في شك وفي المستحيل عادة كقوله تعالى
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم
بآية اي فافعل لكن وقوع ان للتعليق على المستحيل قليل
وهذه الآية من ذلك ولما خفي هذا الوجه على اكثر الناس
اختلفوا في تخريج هذه الآية فقال ابن عطية الصواب
انها مخاطبة للنبي عليه السلام والمراد بها سواه من كل
من يمكن ان يشك او يعارض انتهى ولذلك جاء قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني وقال قوم الكلام بمنزلة قولك
ان كنت ابني فبرني وليس هذا المثال بجيد وانما مثال
هذه قوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس انتهى وهذا
القول مروي عن الفراء قال الكرماني واختاره جماعة
وضعف بانه يصير تقدير الآية انت في شك اذ ليس
في الآية ما يدل على نفي الشك وقيل كني هنا بالشك
عن الضيق اي فان كنت في ضيق من اختلافهم فيما انزل
اليك وتعنتهم عليك وقيل كني بالشك عن العجب اي
فان كنت في تعجب من عناد فرعون ومناسبة المجاز ان التعجب
فيه تردد كما ان الشك تردد بين امرين وقال الكسائي
معناه ان كنت في شك ان هذا عادتهم مع الانبياء فسلهم
كيف كان صبر موسى عليه السلام حين اختلفوا عليه
وقال الزمخشري فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل
كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان
خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى
ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال تعالى فان وقع
لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين

ان

ان تسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين
وادلته واما بمقاربته العلماء المنبهين على الحق انتهى
وقيل اقوال غير هذه وقرأ يحيى وابراهيم يقرؤن الكتب
على الجمع والحق مبينا الاسلام او القرآن او النبوة او الآيات
والبراهين القاطعة اقوال فاثبت ودم على ما انت فيه
من انتفاء المرية والتكذيب والخطاب للسامع غير الرسول
وكثيرا ما يأتي الخطاب في ظاهره للشخص والمراد غيره وروي
انه عليه السلام قال لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه
الحق وعن ابن عباس والله ما شك طرفة عين ولا سأل
احدا منهم والامتراء التوقف في الشيء والشك فيه وامره
اسهل من امر المكذب فبدي به اولا فنهي عنه واتبع بذكر
المكذب ونهي ان يكون منهم ٥ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ٥

قوله عز وجل ان الذين حقت

ذكر تعالى عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير والكلمة
التي حقت عليهم قال قتادة هي اللعنة والغضب
وقيل وعيده انهم يصيرون الى العذاب ٥ وقال الزمخشري
قول الله تعالى الذي كتب في اللوح واخبر به الملائكة
انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا
كتابة مقدر ومراد لله تعالى عن ذلك انتهى وكلامه آخرا
على طريقة الاعتزال ٥ وقال ابو عبد الله الرازي المراد
من هذه الكلمة حكم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في العبد
مجموع القدرة والداعية وهو موجب لحصول ذلك الاثر
وقال ابن عطية المعنى ان الله اوجب لهم سخطه من
الازل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل بيان
وكل وضوح الا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه الايمان
كما صنع فرعون واشباهه وذلك وقت المعاينة وفي
ضمن الالفاظ التحذير من هذه الحال وبعث كل على المبا
الى الايمان والفرار من سخط الله تعالى ويجوز ان يكون
العذاب الاليم عند تقطع اسبابهم يوم القيامة وتقدم
الخلاف في قراءة كلمة بالافراد وبالجمع ٥ فلولا كانت قرية
آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ٥

ع

درة

قوله عز وجل فلولا كانت

لولا هنا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت
في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا وقرأ ابي وعبد الله
فهلا وكذا هو في مصحفيهما والتحضيض ان يريد الانسان

فعل الشيء الذي يحض عليه واذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم
الحض على ذلك الشيء كقول الشاعره
تعدون عقر النيب اكبر مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا
لم يقصد حضهم على عقر الكمي المقنع وانما وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى
فهلا امن اهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا
لهم في هذه الحال وقوم منصوب على الاستثناء المنقطع وهو قول س
والكسائي والفراء والاخفش اذ ليسوا مندرجين تحت لفظ قرية وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما
امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وقال ابن عطية
هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون وهو بحسب
المعنى متصل لان تقديره ما امن اهل قرية الا قوم يونس والنصب
هو الوجه ولذلك ادخله س في باب ما لا يكون فيه الا النصب
وذلك مع انقطاع الاستثناء وقالت فرقة يجوز فيه الرفع وهذا
مع اتصال الاستثناء وقال المهدوي والرفع على البدل من قرية
وقاله الزمخشري وقرئ بالرفع على البدل عن الجرمي والكسائي
وتقدم الخلاف في قراءة يونس بضم النون وكسرها وذكر جواز فتحها
وقوم يونس هم اهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم يونس فاقاموا على تكذيبه سبع سنين وتوعدهم
العذاب بعد ثلثة ايام وقيل بعد اربعين يوما وذكر المفسرون قصة
قوم يونس وتفاصيل فيها وفي كيفية عذابهم الله اعلم بصحة ذلك
ويتوقف على ذلك في كتبهم وقال الطبري وذكر عن جماعة ان قوم
يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم بعد معاينة العذاب وقال
الزجاج هولاء دنا منهم العذاب ولم يباشرهم كما باشر فرعون فكانوا كالمريض
الذي يخاف الموت ويرجو العافية فاما الذي يباشره العذاب فلا توبة
له وقال ابن الانباري علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم
من الهالكين قال السدي الى حين الى وقت انقضاء اجالهم وقيل
الى يوم القيمة وروي عن ابن عباس ولعله لا يصح فعلى هذا يكونون
باقين احياء وسترهم الله تعالى عن الناس ٥ ولو شاء ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ٥ قيل انزلت
في ابي طالب لانه صلى الله عليه وسلم اسف بموته على ملة عبد المطلب
وكان حريصا على ايمانه ولما كان احرص الناس على هدايتهم واسعى في
وصول الخير اليهم والفوز بالايمان منهم واكثر اجتهادا في نجاة العالمين
من العذاب اخبر تعالى انه خلق اهلا للسعادة واهلا للشقاوة وانه
لو اراد ايمانهم كلهم لفعل وانه لا قدرة لاحد على التصرف في احد والمقصود

افضل

قوله عز وجل ولو شاء ربك

بيان ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا لله تعالى وتقديم الاسم
في الاستفهام على الفعل يدل على امكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم
فالله تعالى ان يكره الناس على الايمان لو شاء وليس ذلك لغيره وقال
الزمخشري ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لامن من في الارض كلهم
على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه
لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله تعالى افانت تكره الناس يعني انما
يقدر على اكراههم واضطرارهم على الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف
الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره
من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه تعالى هو القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر
انتهى وقوله مشية القسر والالجاء هو مذهب المعتزلة وقال ابن عطية
المعنى ان هذا الذي تقدم ذكره انما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيته فيهم
ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنا فلا تاسف انت يا محمد على كفر من لم يؤمن
بك وادع ولا عليك فالامر محتوم اتريد انت ان تكره الناس بادخال الايمان
في قلوبهم وتضطرهم الى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره فهذا التاويل
الاية عليه محكمة اي ادع وقاتل من خالفك وايمان من امن مصروف
الى المشية وقالت فرقة المعنى افانت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا
في الايمان وزعمت ان هذه الاية في صدر الاسلام وانها منسوخة
باية السيف والاية على كلا التاويلين رادة على المعتزلة انتهى
ولذلك ذهب الزمخشري الى تفسير المشية بمشية القسر والالجاء وهو
تفسير الجبائي والقاضي ومعنى الا باذن الله اي بارادته وتقديره لذلك
والتمكين منه وقال الزمخشري بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل
الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر وسمي الخذلان
رجسا وهو العذاب لانه سببه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال
ابن عباس الرجس السخط وعنه الاثم والعدوان وقال مجاهد ما لا خير فيه
وقال الحسن وابو عبيدة والزجاج العذاب وقال الفراء العذاب
والغضب وقال الحسن ايضا الكفر وقال قتادة الشيطان
وقد تقدم تفسيره ولكن نقلنا ما قاله العلماء هنا وقرا ابو بكر وزيد
ابن علي ونجعل بالنون وقرا الاعمش ويجعل الله الرجز بالزاي ٥ قل
انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن
قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل انتظروا اني معكم من المنتظرين ٥ امر تعالى بالفكر فيما اودعه
تعالى في السموات والارض اذ السبيل الى معرفته تعالى هو بالتفكر
في مصنوعاته ففي العالم العلوي في حركات الافلاك ومقاديرها
واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع والفوايد وفي

قوله عز وجل قل انظروا

العالم السفلي في احوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا
حال الانسان وكثيرا ما ذكر الله تعالى في كتابه الحض على الفكر في مخلوقاته
تعالى وقال ماذا في السموات والارض تنبيها على القاعدة الكلية
والعاقل يتنبه لتفاصيلها واقسامها ثم لما امر بالنظر اخبر انه من لا يؤمن
لا تغنيه الايات والنذر جمع نذير اما مصدر بمعنى الانذارات
واما بمعنى منذر بمعنى المنذرون والرسل وما الظاهر انها للنفي
ويجوز ان تكون استفهاما اي واي شيء تغني الايات وهي لمن لا يقبل
وهو استفهام على جهة التقرير وفي الاية توبيخ لحاضري رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المشركين وقرأ الحرميان والعربيان والكسائي
قل انظروا بضم اللام وقرأ وما تغني بالتاء وهي قراءة الجمهور وبالياء
وماذا يحتمل ان تكون استفهاما ما في موضع رفع بالابتداء والخبر في السموات
ويحتمل ان يكون الخبر ذا بمعنى الذي وصلته في السموات وانظروا معلقة فالجملة
الابتدائية في موضع نصب ويبعد ان يكون ماذا كلها موصولا بمعنى الذي
ويكون مفعولا لقوله انظروا لانه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت
قلبية تعدت بفي وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون ما في قوله وما تغني
مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا اي تاملوا قدر غناء الايات
والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب
في الدنيا والاخرة وينجي من الهلكات فالاية على هذا تحريض على الايمان
ويجوز اللفظ على هذا التاويل بما هو في قوله لا يؤمنون انتهى وهذا
احتمال فيه ضعف وفي قوله مفعوله معطوفة على قوله ماذا تجوز يعني
ان الجملة الاستفهامية التي هي ماذا في السموات والارض في موضع المفعول
لا ان ماذا منصوب وحده بانظروا فتكون ماذا موصولة وانظروا
بصرية لما تقدم والايام هنا وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها
وفي الاستفهام تقرير وتوعد وحض على الايمان والمعنى اذا لجوا في الكفر
حل بهم العذاب واذا امنوا نجوا هذه سنة الله في الامم قل فانتظروا
امر تهديد اي انتظروا ما يحل بكم كما حل بمن قبلكم من مكذبي الرسل ۝ ثم
ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ۝ لما تقدم
قوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وكان ذلك مشعرا
بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا بهلاكهم في غير ما اية اخبر تعالى
عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم ننجي رسلنا والمعنى ان الذين خلوا
اهلكناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين ولذلك قال الزمخشري
ثم ننجي معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية والظاهر
ان كذلك في موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذي نجينا الرسل
ومؤمنيهم ننجي من امن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا

قوله عز وجل ثم ننجي رسلنا

وقال

وقال ابو البقاء يجوز ان يكون حقا بدلا من المحذوف النائب عنه الكاف
تقديره انجاء مثل ذلك حقا واجاز ان يكون كذلك وحقا منصوبين بننجي التي
بعدهما وان يكون كذلك منصوبا بننجي الاولى وحقا بننجي الثانية واجاز
متابعا لابن عطية ان تكون الكاف في موضع رفع وتقديره الامر كذلك وحقا
منصوب بما بعدها وقال الزمخشري مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم
ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا قال القاضي
حقا علينا المراد به الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب الى
الثواب واجب ولولاه ما حسن من الله ان يلزمهم الافعال الشاقة واذا ثبت
لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم واجيب بانه حق
بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لما ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه
شيئا وقرأ الكسائي وحفص ننج المؤمنين بالتخفيف مضارع انجى وخط المصحف
ننج بغير ياء ۝ قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين
وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما
لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء
من عباده وهو الغفور الرحيم ۝ خطاب لاهل مكة يقول ان كنتم لا تعرفون
ما انا عليه فانا ابينه لكم فبدا اولا بالانتفاء من عبادة ما تعبدون
من الاصنام تسفيها لارائهم واثبت ثانيا من الذي يعبده وهو الذي يتوفاكم
وفي ذكر هذا الوصف الدال على التوفي دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الاعادة
فكانه اشار الى انه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيرا ما صرح في
القرآن بهذه الاطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من
التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم الى الله بعده فهو الجدير
بان يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها وامرت ان اكون من
المؤمنين لما ذكر انه يعبد الله وكانت العبادة اغلب ما عليها عمل الجوارح اخبر
انه امر بان يكون من المصدقين بالله الموحدين له المفردين بالعبادة وانتقل
من عمل الجوارح الى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر قال الزمخشري يعني
ان الله تعالى امرني بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل
معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت ام اتركه واوافقكم
فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا
اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى
كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله
بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي
هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن وان يكون من الحذف غير المطرد
وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر انتهى يعني بالحذف غير المطرد

قوله عز وجل قل يا ايها الناس

وهو قوله امرتك الخير انه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني الا في افعال محصورة
سماعا لا قياسا وهو اختار واستغفر وامر وسمي وكنى ودعا بمعنى سمى وزوج
وصدق خلافا لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث تعين الحرف
موضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب وجواب
ان كنتم في شك قوله فلا اعبد والتقدير فانا لا اعبد لان الفعل المنفي
بلا اذا وقع جوابا انجزم فاذا دخلت عليه الفاء علم انه على اضمار المبتدا
وكذلك لو ارتفع دون لا كقوله ومن عاد فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه
وتضمن قوله فلا اعبد معنى فانا مخالف لكم وان اقم يحتمل ان تكون معمولة لقوله
وامرت مراعا فيه المعنى لا لفظ قوله ان اكون من المؤمنين فتكون ان مصدرية
صلتها الامر وقد اجاز ذلك النحويون فلم يلتزموا في صلتها ما التزم في صلات
الاسماء الموصولة من كونها لا تكون الا خبرية بشروطها المذكورة في علم النحو
ويحتمل ان يكون على اضمار فعل اي واوحي الي ان اقم فاحتمل ان تكون مصدرية
واحتمل ان تكون حرف تفسير لان الجملة المقدرة فيها معنى القول واضمار
الفعل اولى ليزول قلق العطف لوجود الكاف اذ لو كان وان اقم عطفا
على ان اكون لكان التركيب وجهي بياء المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف
واضمار الفعل اكثر من مراعاة العطف على المعنى والوجه هنا المنهج والمقصد
اي استقم للدين ولا تحد عنه وكنى بذلك عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين
وحنيفا حال من الضمير في اقم او من المفعول واجاز الزمخشري ان يكون حالا
من الدين ولا تدع يحتمل ان يكون استيناف نهي ويحتمل ان يكون معطوفا
على اقم فيكون في حيز ان على قسميها من كونها مصدرية وكونها حرف تفسير
واذا كان دعاء الاصنام منهيا عنه فاحرى النهي عن عبادتها فان فعلت
كنى بالفعل عن الدعاء ايجازا اي فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك
وجواب الشرط فانك وخبرها وتوسطت اذا بين اسم ان والخبر ورتبتها
بعد الخبر لكن روعي في ذلك الفاصلة قال الحوفي الفاء جواب الشرط
واذا متوسطة لا عمل لها بل ان في هذا اذا كان ذلك هذا تقدير المعنى
لا يجيء على معنى الجواب انتهى وقال الزمخشري اذا جواب الشرط وجواب
لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين
لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم انتهى وكلامه في اذا
يحتاج الى تامل وقد تقدم لنا الكلام فيه مشبعا في سورة البقرة
ولما وقع النهي عن دعاء الاصنام وهي لا تضر ولا تنفع وكون ان الحول
والقوة والنفع والضر ليس ذلك الا لله وانه تعالى هو المنفرد بذلك
واتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة وطابق بين الضر
والخير مطابقة معنوية لا لفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل
الخير الشر فجاءت لفظة الضر الطف واخص من لفظة الشر وجاءت
لفظة الخير اتم من لفظة النفع ولفظة المس اوجز من لفظ الارادة وانص

على

على الاصابة وانسب لقوله فلا كاشف له الا هو ولفظ الارادة ادل
على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وانسب للفظ الخير وان كانت
المس والارادة معناهما الاصابة وجاء جواب وان يمسسك بنفي
عام وايجاب وجاء جواب وان يردك بنفي عام لان ما اراده لا يرده راد
لا هو ولا غيره لان ارادته قديمة لا تتغير فلذلك لم يجيء التركيب فلا راد له
الا هو والمس من حيث هو فعل يوصف به فعل يوقعه ويرفعه بخلاف
الارادة فانها صفة ذات وجاء فلا راد لفضله سمي الخير فضلا اشعارا
بان الخير من الله تعالى يجيء صادرا على سبيل الفضل والاحسان
والتفضل ثم اتسع في الاخبار عن الفضل والخير فقال يصيب به
من يشاء من عباده ثم اخبر بالصفتين اللتين على عدم المواخذة وهما
الغفور الذي يستر ويصفح عن الذنوب والرحيم الذي رحمته سبقت
غضبه ولما تقدم قوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فاخر الضر ناسب ان تكون البداءة بجملة الشرط المتعلقة بالضر
وايضا فانه لما كانت الكفار يتوقع منهم الضر للمؤمنين والنفع لا يرجى منهم
كان تقديم جملة الضر اكد في الاخبار فبدئ بها وقال الزمخشري **فان قلت**
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني **قلت** كانه اراد ان يذكر
الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد
لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس
وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك
على انه قد ذكر الاصابة في الخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده
والمراد بالمشيئة المصلحة ٥ قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن
اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم
بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ٥

قوله عز وجل قل يا ايها الناس

الحق القرآن او الرسول او دين الاسلام ثلثة اقوال والمعنى فانما ثواب
هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية والضلال واقعات
بارادة الله من العبد هذا مذهب اهل السنة وان من حكم له في الازل
بالاهتداء فسيقع ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في
ذلك وقال القاضي انه تعالى بين انه اكمل الشريعة وازاح العلة
وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
وما انا عليكم بوكيل فلا يجب علي من السعي في ايصالكم الى الثواب العظيم
وفي تخليصكم من العذاب الاليم اريد مما فعلت وقال الزمخشري لم يبق
لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع
باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى
على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ازاحة العلل وابانة الحق
وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل

٤

بحفيظ موكول الي امركم وحملكم علي ما اريد انما انا بشير ونذير انتهي وكلامه
تذييل كلام القاضي وهو جار علي مذهب المعتزلة وامره تعالي نبيه باتباع ما
يوحي اليه امر بالديمومة وبالصبر علي ما يناله في الله من اذي الكفار واعراضهم
وغيي الامر بالصبر بقوله حتي يحكم الله وهو وعد منه تعالي باعلاء كلمته ونصره
علي اعدائه كما وقع وذهب ابن عباس وجماعة الي ان قوله وما انا عليكم
بوكيل واصبر منسوخ باية السيف وذهب جماعة الي انه محكم وحملوا وما
انا عليكم بوكيل علي انه ليس بحفيظ علي اعمالهم ليجازيهم عليها بل ذلك لله
وقوله واصبر علي الصبر علي طاعة الله وحمل اثقال النبوة واداء الرسالة
وعلي هذا لا تعارض بين هاتين الايتين وبين اية السيف ٥ والي هذا مال
المحققون وروي انه لما نزلت واصبر جمع رسول الله صلي الله عليه وسلم الانصار
فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتي تلقوني قال الزمخشري
يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر علي ما سامني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم
علي ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر ثم ذكر حكاية جرت بين
ابي قتادة ومعاوية رضي الله عنهما يوقف عليها من كتابه **ثني** الشيء ثنيا
طواه يقال ثني عطفه وثني صدره وطوي كشحه **الحزب** جماعة من الناس
يجتمعون علي امر يتعصبون فيه **رذل** الرجل رذالة فهو رذل اذا كان
سفلة لا خلاق له ولا يبالي بما يقول وما يفعل **الاخبات** التواضع
والتذلل ماخوذ من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل البراح القفر
المستوي ويقال اخبت دخل في الخبت كانجد دخل نجدا واتهم دخل
تهامة ثم توسع فيه فقيل خبت ذكره خمد ويتعدي اخبت بالي
وباللام ويقال للشيء الدني الخبيث ٥

قال الشاعر

ينفع الطيب الخبيث من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

لزم الشيء واظب عليه لا يفارقه ومنه اللزام **زوي** يزوي حقر
وازدري عليه عابه وازدري افتعل من زري اي احتقر **التنور** مستوقد
النار ووزنه فعول عند ابي علي وهو اعجمي وليس بمشتق وقال ثعلب
وزنه تفعول من النور واصله تنوور فهمزت الواو ثم خففت وشدد
الحرف الذي قبله كما **قال الشاعر**

رايت عرابة اللوسي يسمو الي الغايات منقطع القرين

يريد عرابة الاوسي وللمفسرين اقوال في التنور ستاتي ان شاء الله تعالي

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الر كتاب احكمت اياته
ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الي اجل مسمي ويؤت
كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الي الله

المفردات
مزاول هود

مرجعكم

مرجعكم وهو علي كل شيء قدير ٥ قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد
وقتادة وجابر بن زيد هذه السورة مكية كلها وعن ابن عباس مكية كلها
الا قوله فلعلك تارك الاية وقال مقاتل مكية الا قوله فلعلك
تارك الاية وقوله اولئك يؤمنون به نزلت في ابن سلام واصحابه
وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في نبهان التمار وكتاب
خبر مبتدا محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة
كقوله الم ذلك الكتاب واحكمت صفة له ومعني الاحكام نظمه نظما رصينا
لا نقض فيه ولا خلل كالبناء المحكم وهو الموثق في الترصيف وعلي هذا فالهمزة
في احكمت ليست للنقل ويجوز ان يكون للنقل من حكم بضم الكاف اذا صار
حكيما فالمعني جعلت حكيمة كقولك تلك ايات الكتاب الحكيمة علي احد
التاويلين في قوله الكتاب الحكيم وقيل من احكمت الدابة اذا منعتها من
الجماح بوضع الحكمة عليها فالمعني منعت من الفساد كما **قال جرير**

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا

وعن قتادة احكمت من الباطل قال ابن عطية احكمت اتقنت شبه ما يحكم من
الامور المتقنة الكاملة وبهذه الصفة كان القرآن في الاول ثم فصلت
بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره علي محمد عليه السلام فثم علي بابها وهذه
طريقة الاحكام والتفصيل اذ الاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو
بحسب من يفصل له والكتاب اجمعه محكم مفصل والاحكام الذي هو ضد
النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الاجمال انما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك
وحكي الطبري عن بعض المتاولين احكمت بالامر والنهي وفصلت بالثواب
والعقاب ٥ وعن بعضهم احكمت من الباطل وفصلت بالحلال والحرام ونحو هذا
من التخصيص الذي هو صحيح المعني ولكن لا يقتضيه اللفظ وقيل فصلت
معناه فسرت وقال الزمخشري ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل
من دلايل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص وجعلت فصولا سورة
سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل بها
ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص **وقرا** عكرمة والضحاك والجحدري
وزيد بن علي وابن كثير في رواية ثم فصلت بفتحتين خفيفة علي لزوم الفعل
للايات قال صاحب اللوامح يعني انفصلت وصدرت ٥ وقال ابن عطية
فصلت بين المحق والمبطل من الناس او نزلت الي الناس كما تقول فصل
فلان بسفره قال الزمخشري **وقري** احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها
انا ثم فصلتها **فان قلت** ما معني ثم **قلت** ليس معناها التراخي في
الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة
احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل انتهي يعني ان ثم جاءت
لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان واحتمل من لدن ان يكون
في موضع الصفة ومن اجاز تعداد الاخبار اذا لم تكن في معني خبر واحد

كت

لغ ل

اجاز ان يكون خبرا بعد خبر قال الزمخشري وان يكون صلة احكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها
حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير بكيفيات الامور انتهى ولا يريد ان
من لدن متعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الاعراب بل يريد ان ذلك
من باب الاعمال فهي متعلقة بهما من حيث المعنى وان لا تعبدوا يحتمل ان يكون
ان حرف تفسير لان في تفصيل الايات معنى القول وهذا اظهر لانه لا يحتاج
الى اضمار وقيل التقدير لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فيكون مفعولا
من اجله ووصلت ان بالنهي وقيل انتصب لا تعبدوا فالفعل خبر منفي
وقيل ان هي المخففة من الثقيلة وجملة النهي في موضع الخبر وفي هذه
الاقوال العامل فصلت واما من اعربه انه بدل من لفظ ايات
او من موضعها او التقدير من النظر ان لا تعبدوا الا الله او في الكتاب
ان لا تعبدوا او هي ان لا تعبدوا او ضمن ان لا تعبدوا او تفصيله
ان لا تعبدوا فهو بمعزل عن علم الاعراب والظاهر عود الضمير في منه
الى الله اي اني لكم نذير من جهته وبشير فيكون في موضع الصفة فتعلق
بمحذوف اي كاين من جهته او يتعلق بنذير اي انذركم من عذابه ان كفرتم
وابشركم بثوابه ان امنتم وقيل يعود على الكتاب اي نذير لكم من مخالفته
وبشير منه لمن امن وعمل به وقدم النذير لان التخويف هو الاهم
وان استغفروا معطوف على ان لا تعبدوا نهي ونفي اي لا تعبدوا
الا الله وامر بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة وبينهما معنيان
متباينات لان الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر والمعنى انه
لا يبقى لها تبعة والتوبة الانسلاخ من المعاصي والندم على ما سلف
منها والعزم على عدم العود اليها ومن قال الاستغفار توبة جعل
قوله ثم توبوا بمعنى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها قال ابن عطية
وثم مرتبة لان الكافر اول ما ينيب فانه في طلب مغفرة ربه فاذا
تاب وتجرد من الكفر تم ايمانه وقال الزمخشري فان قلت ما معنى
ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا
اليه بالطاعة وقرا الحسن وابن هرمز وزيد بن علي وابن محيصن
يمتعكم بالتخفيف من امتع وانتصب متاعا على انه مصدر جار على غير
الفعل او على انه مفعول به لانك تقول متعت زيدا ثوبا والمتاع
الحسن الرضى بالميسور والصبر على المقدور او حسن العمل وقطع الامل
او النعمة الكافية مع الصحة والعافية او الحلال الذي لا طلب
فيه ولا تعب او لزوم القناعة وتوفيق الطاعة اقوال وقال
الزمخشري يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة
واسعة ونعمة متتابعة قال ابن عطية وقيل هو من فوايد الدنيا وزينتها
وهذا ضعيف لان الكفار يشاركون في ذلك اعظم مشاركة وربما

زادوا

زادوا على المسلمين في ذلك قال ووصف المتاع بالحسن انما هو لطيب
عيش المومن برجايه في الله عز وجل وفي ثوابه وفرحه بالتقرب اليه
بمفترضاته والسرور بمواعيده والكافر ليس في شي من هذا والاجل المسمى
هو اجل الموت قاله ابن عباس والحسن وقال ابن جبير يوم القيمة والضمير
في فضله يحتمل ان يعود على الله اي يعطي في الاخرة كل من كان له فضل
في عمل الخير وزيادة ما تفضل به تعالى وزيادته ويحتمل ان يعود على كل اي
جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شي كما قال
نوف اليهم اعمالهم اي جزاءها والدرجات تتفاضل في الجنة بتفاضل الطا
عات
وتقدم امران بينهما تراخ وترتب عليهما جوابان بينهما تراخ ترتب
على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن في الدنيا كما قال فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية وترتب على التوبة
ايتاء الفضل في الاخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له لان الاستغفار
من الذنب اول الحال الراجع الى الله فناسب ان يترتب عليه حال الدنيا
والتوبة هي المنجية من النار والتي تدخل الجنة فناسب ان يترتب
عليها حال الاخرة والظاهر ان تولوا مضارع حذف منه التاء اي وان
تتولوا وقيل هو ماض للغايبين والتقدير فقل لهم اني اخاف عليكم وقرا
اليماني وعيسى بن عمرو وان تولوا بضم التاء واللام وفتح الواو ومضارع ولى
والاولى مضارع تولى وفي كتاب اللوامح اليماني وعيسى البصرة وان
تولوا بثلث ضمات مرتبا للمفعول به وهو ضد التبري وقرا الاعرج
تولوا بضم التاء واللام وسكون الواو ومضارع اولى ووصف يوم بكبير
وهو يوم القيمة لما يقع فيه من الاهوال وقيل هو يوم بدر وغيره من
الايام التي رموا فيها بالخذلات والقتل والسبي والنهب وابعد من ذهب
الى ان كبير صفة لعذاب وخفض على الجوار وفي الاية تضمنت تهديدا
عظيما وصرحت بالبعث وذكر ان قدرته عامة لجميع ما يشاء ومن ذلك
البعث فهو لا يعجزه ما يشاء من عذابهم ۝ الا انهم يثنون صدورهم
ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور ۝ نزلت في الاخنس بن شريق كان يجالس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف انه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر
قاله ابن عباس وعنه ايضا في ناس كانوا يستحيون ان يفضوا الى السماء
في الخلاء ومجامعة النساء وقيل في بعض المنافقين كان اذا مر بالرسول
ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله
عبد الله بن شداد وقيل في طايفة قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوته كيف يعلم بنا
ذكره الزجاج وقيل فعلوا ذلك ليبعد عليهم صوت الرسول ولا يدخل
اسماعهم القران ذكره ابن الانباري ويثنون مضارع ثنى قراءة الجمهور

قوله عز وجل الا انهم يثنون

وقرأ سعيد بن جبير يثنون بضم الياء مضارع اثنى صدورهم بالنصب
قال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثناء في هذا الباب الا ان يراد به
وجدتها مثنية مثل احمدته وامجدته ولعله فتح النون وهذا مما فعل بهم
فيكون نصب صدورهم بنزع الجار ويجوز على ذلك ان يكون صدورهم رفعا
على البدل بدل البعض من الكل وقال ابو البقاء ماضيه اثنى ولا يعرف
في اللغة الا ان يقال معناه عرضوها للاثناء كما يقال ابعت
الفرس اذا عرضته للبيع وقرأ ابن عباس وعلي بن الحسين وابناه
زيد ومحمد وابنه جعفر ومجاهد وابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الرحمن
ابن ابزى والجحدري وابن ابي اسحق وابو الاسود الدؤلي وابو رزين
والضحاك تثنوني بالتاء مضارع اثنوني على وزن افعوعل نحو اعشوشب
المكان صدورهم بالرفع بمعنى تنطوي صدورهم وقرأ ايضا ابن عباس
ومجاهد وابن يعمر وابن ابي اسحق يثنوني بالياء صدورهم بالرفع ذكر على
معنى الجمع دون الجماعة وقرأ ابن عباس ايضا ليثنون بلام التوكيد
في خبر ان وحذف الياء تخفيفا وصدورهم رفع وقرأ ابن عباس ايضا
وعروة وابن ابي ابزى والاعشى يثنونّ ووزنه يفعوعل من الثن بني
منه افعوعل وهو ما هش وضعف من الكلأ واصله يثنونن يريد مطاوعة
نفوسهم للشيء كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض
قلوبهم وصدورهم بالرفع وقرأ عروة ومجاهد ايضا كذلك الا انه همز
فقرأ تثنئن مثل تطمئن وصدورهم رفع وهذه مما استثقل فيه الكسر
على الواو كما قيل اشاح وقد قيل ان تثنئن تفعيل من الثن المتقدم
مثل تحمار وتصفار فحركت الالف لالتقائهما بالكسر فانقلبت همزة
وقرأ الاعشى يثنؤون مثل يفعلون مهموز اللام صدورهم بالنصب
قال صاحب اللوامح ولا اعرف وجهه لانه يقال ثنيت ولم اسمع
ثنأت ويجوز انه قلب الياء الفا على لغة من يقول اعطأت في اعطيت
ثم همز على لغة من يقول ولا الضألين وقرأ ابن عباس تثنوي بتقديم
الثاء على النون وبغير نون بعد الواو وعلى وزن ترعوي قال ابو حاتم
وهذه القراءة غلط لا تتجه انتهى وانما قال ذلك لانه لا حظ للواو
في هذا الفعل اذ لا يقال ثنوته فانثوى كما يقال رعوته اي كففته
فارعوى فانكف ووزنه افعل وقرأ نصير بن عاصم وابن يعمر وابن
ابي اسحق ينثون بتقديم النون على الثاء فهذه عشر قراءات في هذه
الكلمة والضمير في انهم عائد على بعض من بحضرة الرسول من الكفار اي
يطوون صدورهم على عداوته قال الزمخشري يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه ليستخفوا منه ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره

الاضمار

الاضمار في قوله ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق
ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون
ثيابهم ايضا لكراهة استماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم انتهى فالضمير في منه على قوله عائد على الله قال
ابن عطية وهذا هو الافصح الاجزل في المعنى انتهى ويظهر من بعض اسباب
النزول انه عائد على الرسول كما قال ابن عطية قال قيل ان هذه
الآية نزلت في الكفار الذين كانوا اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم
بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقائه وهم يظنون ان ذلك يخفى عليه
او عن الله تعالى فنزلت الآية انتهى فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقا
بقوله يثنون وكذا قال الحوفي وقيل هي استعارة للغل والحقد
الذي كانوا ينطوون عليه كما تقول فلان يطوي كشحه على عداوته ويثني
صدره عليها فمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون لها
ليخفى في ظنهم عن الله عز وجل وهو تعالى حين تغشيهم ثيابهم وابلاغهم
في التستر يعلم ما يسرون انتهى فعلى هذا يكون حين معمولا لقوله يعلم
وكذا قاله الحوفي لا للمضمر الذي قدره الزمخشري وهو قوله ويريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم وقال ابو البقاء الا حين العامل
في الظرف محذوف اي الا حين يستغشون ثيابهم يستخفون ويجوز
ان يكون ظرفا ليعلم وقيل كان بعضهم ينحني على بعض ليساره في الطعن
على المسلمين وبلغ من جهلهم ان ذلك يخفى على الله قال قتادة اخفى ما يكون
اذا احنى ظهره واستغشى ثوبه واضمر في نفسه همته وقال مجاهد
يطوونها على الكفر وقال ابن عباس يخفون ما في صدورهم من
الشحناء وقال قتادة يخفون ليسمعوا كلام الله وقال ابن زيد يكتمونها
اذا ناجى بعضهم بعضا في امر الرسول وقيل يثنونها حياء من الله تعالى
ومعنى يستغشون يجعلونها اغشية ومنه قول الخنساء

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها ... وتارة اتغشى فضل اطماري

وقيل المراد بالثياب الليل واستعيرت له لما بينهما من العلاقة بالستر
لان الليل يستر كما تستر الثياب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقرأ
ابن عباس على حين يستغشون قال ابن عطية ومن هذا الاستعمال

قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما اصح والشيب وازع

انتهى وقال ابن عباس ما يسرون بقلوبهم وما يعلنون بافواههم وقيل
ما يسرون بالليل وما يعلنون بالنهار وقال ابن الانباري معناه
انه يعلم سرائرهم كما يعلم مظاهراتهم وقال الزمخشري يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من

الاستخفاء واستطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير
نافع عنده وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق الاية انه
اراد بما يسرون ما انطوت عليه صدورهم من الشرك والنفاق والغل
والحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان ذلك كله من اعمال
القلوب خفية جدا واراد بما يعلنون ما يظهرونه من استدبارهم النبي
صلى الله عليه وسلم وتغشية ثيابهم وسدادة اذانهم وهذه كلها اعمال ظاهرة
لا تخفى ۝ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها

قوله عز وجل
وما من دابة

كل في كتاب مبين ۝ الدابة هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله
ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى ان يتفضل به
عليهم ابرزه في حيز الوجوب قال ابن عباس مستقرها حيث تاوي اليه
من الارض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن وعنه ايضا
مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب وقال الربيع بن انس مستقرها
ايام حيوتها ومستودعها حين تموت وحيث تبعث وقيل مستقرها
في الجنة او في النار ومستودعها في القبر ويدل عليه حسنت مستقرا
وساءت مستقرا وقيل ما تستقر عليه عملها ومستودعها ما تصير
اليه وقيل المستقر ما حصل موجودا من الحيوان والمستودع ما سيوجد
بعد المستقر وقال الزمخشري المستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع
حيث كان مودوعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة انتهى
ومستقر ومستودع يحتمل ان يكونا اسمي مكان ويحتمل مستودع ان يكون
اسم مفعول لتعدي الفعل منه ولا يحتمله مستقر للزوم فعله كل اي كل
من الرزق والمستقر والمستودع في اللوح يعني وذكرها مكتوب فيه مبين
وقيل الكتاب هنا مجاز وهو اشارة الى علم الله وحمله على الظاهر
اولى ۝ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه

قوله عز وجل
وهو الذي

على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم
العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس
مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ لما ذكر تعالى ما يدل
على كونه تعالى عالما ذكر ما يدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الاولى
في سورة يونس والظاهر ان قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل
خلق السموات والارض وفي هذا دليل على ان الماء والعرش كانا
مخلوقين قبل قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء فنظر اليها
بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع
العرش على الماء وروي عن ابن عباس انه قد قيل له على اي شيء
كان الماء قال على متن الريح والظاهر تعلق ليبلوكم بخلق
قال الزمخشري اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن

لعباده

لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك
اختبار المختبرين قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى
العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واستمع
ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم انتهى وفي قوله ومن
كفر وعصى عاقبه دسيسة الاعتزال واما قوله واستمع ايهم احسن صوتا
فلا اعلم احدا ذكر استمع تعلق وانما ذكروا من غير افعال القلوب سل وانظر
وفي جواز تعليق راى البصرية خلاف وقيل ليبلوكم متعلق بفعل محذوف
تقديره اعلم بذلك ليبلوكم ومقصد هذا التاويل ان هذه المخلوقات لم يكن
بسبب البشر وقيل التقدير وخلقكم ليبلوكم وقيل في الكلام جمل محذوفة
التقدير وكان خلقه لهما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الاخرى
وفعل ذلك ليبلوكم ومعنى ايكم احسن عملا اهذا احسن ام هذا قال ابن بحر
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله ولو صح هذا التفسير عن الرسول لم يعدل عنه وقال الحسن
ازهد في الدنيا وقال مقاتل اتقى لله وقال الضحاك اكثركم شكرا
قال الزمخشري فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين
فتفاوتهما الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون
وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح
ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك تيقظا
للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم انتهى ولئن قلت خطاب للرسول
وقرا عيسى الثقفي ولئن قلت بضم التاء اخبارا عنه تعالى والمعنى
ولئن قلت مستدلا على البعث من بعد الموت اذ في قوله تعالى وهو الذي
خلق دلالة على القدرة العظيمة فمتى اخبر بوقوع ممكن وقع لا محالة
وقد اخبر بالبعث فوجب قبوله وتيقن وقوعه وقرئ انكم بفتح الهمزة
قال الزمخشري ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما
بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه
لا تبتوا القول بانكاره لقالوا ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت انتهى
يعني فتفتح الهمزة لانها في موضع مفعول ذكرت والظاهر الاشارة بهذا
الى القول اي ان قولك انكم مبعوثون الا سحر اي بطلان هذا القول
كبطلان السحر ويحتمل ان يكون اشارة الى ما دلت عليه الجملة من البعث
اي ان البعث وقيل اشاروا بهذا الى القرآن وهو الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره قال
ابن عطية كذبوا وقالوا هذا سحر فهذا تناقض منهم ان كان مفطورا بغير باب

الله فاطر السموات والأرض فهو من جملة المقرين بهذا وهم مع ذلك ينكرون
ما هو أيسر منه بكثير وهو البعث من القبور إذ البداءة أعسر من الإعادة
وإذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس انتهى وقرأ الحسن والأعرج
وأبو جعفر وشيبة وفرقة من السبعة سحر وقرأت فرقة ساحر
يريدون والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا حكى تعالى نوعا آخر من أباطيلهم
واستهزائهم والعذاب هنا عذاب القيمة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس قتل جبريل المستهزئين والظاهر العذاب الموعود به والأمة هنا
المدة من الزمان قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور ومعناه
ومعناه إلى حين ووقت معلوم ما يحبسه استفهام قالوه على سبيل التكذيب
والاستهزاء قال الطبري سميت المدة أمة لأنها تقضي فيها أمة من الناس
وتحدث أخرى فهي على هذا المدة الطويلة ثم استفتح الإخبار بأنه
يوم يأتي لا يرده شيء ولا يصرفه والظاهر أن يوم منصوب بقوله مصروفا
فهو معمول لخبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليها قالوا لأن
تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر
البصريين وذهب الكوفيون والمبرد إلى أنه لا يجوز ذلك وقالوا لا يدل
جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وأيضا فإن الظرف والمجرور يتسع
فيهما ما لا يتسع في غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيهما نحو إن اليوم
زيدا مسافر وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس
عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة ... وكنت أبيا في الخنا لست أقدم

وتقدم تفسير جملة وحاق بهم ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها
منه إنه ليؤوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك
لهم مغفرة وأجر كبير لما ذكر تعالى عذاب الكفار وأن تأخر لا بد
أن يحيق بهم ذكر ما يدل على كفرهم وكونهم مستحقين العذاب لما جبلوا عليه
من كفر نعماء الله وما يترتب على إحسانه تعالى إليهم مما لا يليق بهم من
فخرهم على عباد الله والظاهر أن الإنسان هنا جنس والمعنى أن
هذا الخلق في سجايا الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع
والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح ولذلك جاء الاستثناء منه
في قوله إلا الذين صبروا متصلا وقيل المراد هنا بالإنسان الكافر
وقيل المراد به إنسان معين فقال ابن عباس هو الوليد بن المغيرة
وفيه نزلت وقيل عبد الله بن أمية المخزومي وذكره الواحدي وعلى
هذين القولين يكون استثناء منقطعا ومعنى رحمة نعمة من صحة وأمن
وجدة ثم نزعناها أي سلبناها منه ويؤوس كفور صفتا مبالغة والمعنى
أنه شديد اليأس كثيره بيأس أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة

قوله عز وجل ولئن أذقناه

ويقطع

ويقطع رجاءه من فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور كثير الكفران
لما سلف لله عليه من نعمه ذكر حالة الإنسان إذا بدئ بالنعمة ولم يتقدمه
الضر ثم ذكر حاله إذا جاءته النعمة بعد الضر ومعنى ذهب السيئات أي المصائب
التي تسوئني وقوله هذا يقتضي بطرا وجهلا لأن ذلك بإنعام من الله وهو يعتقد
أن ذلك اتفاق أو بسعيه وهو اعتقاد فاسد إنه لفرح أشر بطر وهذا
الفرح مطلق فلذلك ذم المتصف به ولم يأت في القرآن للمدح إلا
مقيدا بما فيه خير لقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله وقرأ الجمهور
لفرح بكسر الراء وهي قياس اسم الفاعل من فعل اللازم وقرأت فرقة
لفرح بضم الراء كما تقول ندس ونطس وفخور هو المتعاظم على الناس
بما أصابه من النعماء واستثنى تعالى الصابرين يعني على الضراء وعاملي
الصالحات ومنها الشكر على النعماء أولئك لهم مغفرة لذنوبهم يقتضي
زوال العقاب والخلاص منه وأجر كبير هو الجنة فيقتضي الفوز بالثواب
ووصف الأجر بقوله كبير لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف
والأمن من العذاب ورضى الله عنهم والنظر إلى وجهه الكريم فلعلك
تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل
عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل
قال الزمخشري كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا
لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم
ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون
بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق
صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم
واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك
أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم به وضائق به
صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز
هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه
ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن
تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا
أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون
وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وقال
ابن عطية سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت
سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا ائت
بقرآن غير هذا أو بدله ونحو هذا من الأقوال فخاطب الله تعالى نبيه
عليه السلام على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا
على أقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى أنه عليه السلام هم بشيء من ذلك

قوله عز وجل فلعلك تارك

مخرج عنه فانه لم يرد فقط ترك شي مما اوحي اليه ولا ضاق صدره به وانما
كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان ولعلك هاهنا
بمعنى التوقيف والتقرير وما يوحى اليه هو القرآن والشريعة والدعا
الى الله كان في ذلك سب الهتهم وتسفيه آبايهم او غيره ويحتمل ان يكون
النبي عليه السلام قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال الى ان يكون من
الله اذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات
التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جات ايات الموادعة وعبر بضايق
دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك وان كان ضيق اكثر استعمالا لانه
وصف لازم وضايق وصف عارض وقال الزمخشري **فان قلت** لم عدل
عن ضيق الى ضايق **قلت** ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك
سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت
الحدوث قلت ساید وجايد انتهى وليس هذا الحكم مختصا بهذه الالفاظ
بل كل ما بني من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد اليه
اذا اريد معنى الحدوث فتقول حاسن من حسن وثاقل من ثقل وفارح من
فرح وسامن من سمن وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن
فيه • بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها
والظاهر عود الضمير في به على بعض وقيل على ما وقيل على التبليغ
وقيل على التكذيب قيل ولعل هنا للاستفهام بمنزلة هل والمعنى
هل انت تارك ما فيه تسفيه احلامهم وسب الهتهم كما سالوك
وقدروا كراهة ان يقولوا ولئلا يقولوا وبان يقولوا ثلاثة اقوال
والكنز المال الكثير وقالوا انزل ولم يقولوا اعطي لان مرادهم التعجيز
وانهم التمسوا ان ينزل عليه من السماء كنز على خلاف العادة فان الكنوز
انما تكون في الارض وطلبهم اية تضطر الى الايمان والله عز وجل
لم يبعث الانبياء بايات اضطرار انما بعثهم بايات النظر والاستدلال
ولم يجعل اية الاضطرار الا للامة التي اراد تعذيبها لكفرها بعد
اية الاستدلال كالناقة لثمود واشار تعالى بقوله انما انت نذير
اي الذي فوض اليه هو النذارة لا تحصيل هدايتهم فان ذلك انما هو
لله تعالى وقال مقاتل وكيل كافل بالمصالح قادر عليها وقال
ابن عطية المحصي لايمان من شاء وكفر من شاء قيل وهذه الاية منسوخ
وقيل محكمة ٥ ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون
الظاهر ان ام منقطعة تتقدر ببل والهمزة اي ايقولون افتراه
وقال القشيري ام استفهام توسط الكلام على معنى ايكتفون بما

بعض ح

قوله عز وجل ام يقولون

اوحيت

اوحيت اليك من القرآن ام يقولون انه ليس من عند الله فان قالوا انه
ليس من عند الله فليأتوا بمثله فجعل ام متصلة والظاهر الانقطاع
كما قلنا والضمير في افتراه عايد على قوله ما يوحى اليك وهو القرآن
ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه لا يتعلق اطماعهم بان يترك
بعض ما يوحى اليه الا لدعواهم انه ليس من عند الله وانه هو الذي افتراه
وانما تحداهم اولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة اذ كانت
هذه السورة مكية والبقرة مدنية وسورة يونس ايضا مكية ويقتضي
التحدي بعشر ان يكون قبل طلب المعارضة بسورة فلما نسبوه الى الافترا
طلب منهم ان ياتوا بعشر سور مثله مفتريات ارخاء لعنانهم وكانه
يقول هبوا اني اختلقته ولم يوح الي فاتوا انتم بكلام مثله مختلق
من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه
من الكلام وانما عنى بقوله مثله في حسن النظم والبيان وان كان
مفترى وشان من يريد تعجيز شخص ان يطالبه اولا بان يفعل
امثالا مما يفعل هو ثم اذا تبين عجزه قال له افعل مثلا واحدا
ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع كما قال تعالى انؤمن لبشرين
مثلنا ويجوز المطابقة في التثنية والجمع كقوله ثم لا يكونوا امثالكم
وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون واذا افرد وهو تابع لمثنى ومجموع
فهو بتقدير المثنى والمجموع اي مثلين وامثال والمعنى هنا بعشر
سور امثاله ذهابا الى مماثلة كل سورة منها له وقال ابن عطية
وقع التحدي في هذه الاية بعشر لانه قيدها بالافترا فوسع عليهم
في القدر لتقوم الحجة غاية القيام اذ قد عجزهم في غير هذه الاية
بسورة مثله دون تقييد فهي مماثلة تامة في غيوب القرآن
ونظمه ووعده ووعيده وعجزوا في هذه الاية بان قيل لهم
عارضوا القدر منه بعشر امثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه
مفترى لا يبقى لكم الا نظمه فهذه غاية التوسعة وليس المعنى
عارضوا عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجي معارضة سورة بسو
مفتراة ولا يبالي عن تقديم نزول هذه على هذه ويؤيد هذا النظر
ان التكليف في اية البقرة انما هو بسبب الريب ولا يزيل الريب
الا العلم بانهم لا يقدرون على المماثلة التامة وفي هذه الاية انما التكليف
بسبب قولهم افتراه وكلفوا نحو ما قالوا ولا يطرد هذا في اية يونس
وقال بعض الناس هذه مقدمة في النزول على تلك ولا يصح ان
تكون السورة الواحدة الا مفتراة واية يونس في تكليف سورة مرتبة
على قولهم افتراه وكذلك اية البقرة انما رماهم بان القرآن مفترى
وقائل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة
مرة ووقوفه على النظم مرة انتهى والظاهر ان قوله مثله لا يراد به

رة ح

المثلية في كون المعارض عشر سور بل مثله يدل على مماثلة في مقدار ما
من القرآن وروي عن ابن عباس ان السور التي وقع بها طلب المعارضة
لها بين معينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
والانفال والتوبة ويونس وهود بقوله مثله اي مثل هذه عشر السور
وهذه السور اكثرها مدني فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد
ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس والضمير في فان لم يستجيبوا عائد على من طلب
منهم المعارضة ولكم الضمير خطاب جمع يشمل الرسول والمؤمنين وجوزان
يكون خطابا للرسول على سبيل التعظيم كما جاء فان لم يستجيبوا لك قاله
مجاهد وقيل ضمير يستجيبوا عائد على المدعوين ولكم خطاب للمأمورين
بدعاء من استطاعوا قاله الضحاك اي فان لم يستجب من تدعونه الى
المعارضة فادعوا اجنبيين واعلموا انه من عند الله وانه انزل ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه
واعلموا عند ذلك انه لا اله الا هو وان توحيده واجب فهل انتم مسلمون
اي تابعون للاسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة وعلى ان الخطاب
للمؤمنين معنى فاعلموا اي دوموا على العلم وازدادوا يقينا وثبات قدم
انه من عند الله ومعنى فهل انتم مسلمون اي مخلصوا الاسلام وقال
مقاتل بعلم الله باذن الله وقال الكلبي بامره وقال القتبي من
عند الله والذي يظهر ان الضمير في فان لم يستجيبوا عائد على من استطعتم
وفي لكم عائد على الكفار لعود الضمير على اقرب مذكور ولكون الخطاب
يكون لواحد ولترتب الجواب على الشرط ترتيبا حقيقيا من الامر بالعلم
ولا يتجوز بانه اريد فدوموا على العلم ودوموا على العلم بان لا اله
الا هو ولا يكون قوله فهل انتم مسلمون تحريضا على تحصيل الاسلام
لانه يراد به الاخلاص ولما طولبوا بالمعارضة وامروا بان يدعوا من
يساعدهم فلم تمكن المعارضة ولا استجاب اصنامهم والهتهم لهم امروا
بان يعلموا انه من عند الله وليس مفترى فيمكن معارضته وانه تعالى
هو المختص بالالوهية لا يشركه في شيء منها الهتهم واصنامهم فلا يمكن
ان يجيبوا لظهور عجزهم وانها لا تنفع ولا تضر في شيء من المطالب **وقرأ**
زيد بن علي نما نزل بفتح النون والزاي وتشديدها واحتمل ان تكون
ما مصدرية اي ان التنزيل واحتمل ان يكون بمعنى الذي اي ان
الذي نزله وحذف الضمير المنصوب لوجود شرط جواز الحذف ٥
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما
صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ٥ مناسبة هذه الآية
لما قبلها انه تعالى لما ذكر اشياء من احوال الكفار والمنافقين
في القرآن ذكر شيئا من احوالهم الدنيوية وما يؤولون اليه في الآخرة

وظاهر

قوله عز وجل
من كان يريد الحيوة

وظاهر من العموم في كل من يريد زينة الحيوة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئة
تعالى كما بين ذلك في قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
الآية وقال مجاهد هي في الكفرة وفي اهل الرياء من المؤمنين والى هذا
ذهب معاوية حين حدث بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرائين فتلا
هذه الآية وقال انس هي في اليهود والنصارى قال ابن عطية ومعنى هذا
انهم يدخلون في هذه الآية لا انها ليست في غيرهم وقيل في المنافقين
الذين جاهدوا مع الرسول فاسهم لهم ومعنى يريد الحيوة الدنيا اي بقصد
باعماله التي يظهر انها صالحة الدنيا فقط ولا يعتقد الآخرة فان الله يجازيه
على حسن اعماله كما جاء واما الكافر فيطعمه في الدنيا بحسناته وان اندرج
في العموم المراؤون من اهل القبلة كما ترى احدهم اذا صلى اماما يتنغم بالقرآن
القرآن ويرتله احسن ترتيل ويطيل ركوعه وسجوده ويتباكى في قراءته
واذا صلى وحده يختلسها اختلاسا واذا تصدق اظهر صدقته امام من
يثني عليه ودفعها لمن لا يستحقها حتى يثني عليه الناس واهل الرباط
المتصدق عليهم واين هذا من رجل يتصدق في خفية وعلى من لا يعرفه كما جاء
في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق
بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه وهذا مبالغة
في اخفاء الصدقة جدا واذا تعلم علما رأى به وتبجح وطلب بمعظمه يسير
حطام من عرض الدنيا وقد فشا الرياء في هذه الامة فشوا كثيرا حتى لا
يكاد ترى مخلصا لله لا في قول ولا في فعل فهؤلاء من اول من تسعر بهم
النار يوم القيمة **وقرأ** الجمهور نوف بنون العظمة وطلحة بن ميمون
يوف بالياء على الغيبة **وقرأ** زيد بن علي يوف بالياء مخففا مضارع
اوفى **وقرئ** توف بالتاء مبنيا للمفعول واعمالهم بالرفع وهو على هذه
القراءات مجزوم جواب الشرط كما انجزم في قوله من كان يريد حرث
الآخرة نزد له في حرثه وحكى الفراء ان كان زائدة ولهذا جزم الجواب
ولعله لا يصح اذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط يريد وكان يكون مجزوما
وهذا التركيب من مجيء فعل الشرط ماضيا والجواب مضارعا ليس مخصوصا
بكان بل هو جائز في غيرها كما روي في بيت زهير
٥ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم ٥
وقرأ الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء فاحتمل ان يكون مجزوما
بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال الم ياتيك وهي لغة لبعض
العرب واحتمل ان يكون مرفوعا كما ارتفع في **قول الشاعر**
٥ وان شل ريعان الجميع مخافة ٥ نقول جهارا ويلكم لا تنفروا ٥
والحصر في كينونة النار لهم ظاهر في ان الآية في الكفار فان اندرج
اهل الرياء فيها فيكون المعنى في حقهم ليس يجب لهم او لا يحق لهم الا
النار كقوله فجزاؤهم جهنم وجائز ان يتغمدهم الله برحمته وهو ظاهر

ظ

قول ابن عباس وابن جبير والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر انه عائد على الآخرة والمجرور متعلق بحبط والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بقوله صنعوا فيكون عائدا على الحيوة الدنيا كما عاد عليه في فيها قبل وما في ما صنعوا بمعنى الذي او مصدرية وباطل وما بعده توكيد لقوله وحبط ما صنعوا وباطل خبر مقدم ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدا وان كان خبرا بعد خبر ارتفع ما بباطل على الفاعلية وقرأ زيد بن علي وبطل جعله فعلا ماضيا وقرأ ابي وابن مسعود وباطلا بالنصب وخرجه صاحب اللوامح على انه مفعول ليعملون فهو معمول خبر كان متقدما وما زائدة اي وكانوا يعملون باطلا وفي جواز هذا التركيب خلاف بين النحويين وهو ان يتقدم معمول الخبر على الجملة باسرها من كان واسمها وخبرها ويشهد للجواز قوله تعالى اهؤلاء اياكم كانوا ومن منع تاول واجاز الزمخشري ان ينتصب باطلا على معنى المصدر الذي هو يجيء من الفعل على يبطل بطلانا ما كانوا يعملون فتكون ما فاعلة وتكون من اعمال المصدر الذي هو بدل من الفعل في غير الاستفهام والامر وحق ان يبطل اعمالهم لانها لم تعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له ۞ افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۞ لما ذكر حال من يريد الحيوة الدنيا ذكر حال من يريد وجه الله تعالى باعماله الصالحة وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير كمن يريد الحيوة الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله امن هو قانت وهذا استفهام معناه التقرير قال الزمخشري اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه ومن قبل القرآن التوراة اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه انتهى وقيل في افمن كان المؤمنون بالرسول وقيل محمد عليه السلام خاصة وقال علي بن ابي طالب وابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك محمد والمؤمنون جميعا والبينة

القرآن

القرآن او الرسول والهاء للمبالغة والشاهد قال ابن عباس والنخعي ومجاهد والضحاك وابو صالح وعكرمة هو جبريل وقال الحسن بن علي هو الرسول وقال ايضا مجاهد هو ملك وكله الله يحفظ القرآن قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بهذين الالفاظ جبريل وقيل هو علي بن ابي طالب وروي المنهال عن عباد بن عبد الله قال علي كرم الله وجهه ما في قريش احد الا وقد نزلت فيه آية قيل فما نزل فيك قال ويتلوه شاهد منه ورويه قال محمد بن علي وزيد بن علي وقيل هو الانجيل قاله الفراء وقيل هو القرآن وقيل هو اعجاز القرآن قاله الحسين بن الفضل وقيل صورة الرسول ووجهه ومخايله لان كل عاقل نظر اليه علم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر الصديق والضمير في منه يعود الى الدين او الى الرسول او الى القرآن ويتلوه بمعنى يتبعه او بقروه والضمير المرفوع في يتلوه والمنصوب والمجرور في منه يترتب على ما يناسبه كل قول من هذه وقرأ محمد بن السايب الكلبي وغيره كتاب موسى بالنصب عطفا على مفعول يتلوه او باضمار فعل واذا لم يعن بالشاهد الانجيل فانما خص التوراة بالذكر لان الملتين مجتمعتان على انها من عند الله والانجيل تخالف فيه اليهود فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الفريقين اولى وهذا يجري مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ومع قول النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكوة واحدة وانتصب اماما على الحال والذي يظهر في تفسير هذه الآية انه تعالى لما ذكر الكفار وانهم ليس لهم الا النار اعقب بضدهم وهم المؤمنون وهم الذين على بينة من ربهم والشاهد القرآن ومنه عائد على ربه ويدل على الشاهد القرآن ذكر قوله ومن قبله اي ومن قبل القرآن كتاب موسى فمعناه انه تظافر على هدايته شيئان كونه على امر واضح من برهان العقل وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الالهيين القرآن والتوراة فاجتمع له العقل والنقل والاشارة باولئك الى من كان على بينة راعى معنى من فجمع والضمير في به يعود الى التوراة او الى القرآن او الى الرسول ثلثة اقوال والاحزاب جميع الملل قاله ابن جبير او اليهود والنصارى قاله قتادة او قريش قاله السدي او بنو امية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وآل ابي طلحة ابن عبيد الله قاله مقاتل وقال الزمخشري يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فالنار موعده اي مكان وعده الذي يصيرون اليه وقال حسان

اوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والموت لاقيها ۞

والضمير في منه عائد على القرآن وقيل على الخبر بان الكفار موعدهم النار وقرأ الجمهور في مرية بكسر الميم وهي لغة الحجاز وقرأ السلمي وابو رجاء وابو الخطاب السدوسي والحسن بضمها وهي لغة اسد وتميم والناس اهل مكة قاله ابن عباس او جميع الكفار من شاك وجاهل ومعاند قاله

قوله عز وجل افمن كان على

بيان يعقبونهم

لب

قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى

صاحب الغنيات • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف
لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك
الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة
هم الاخسرون • لما سبق قولهم ام يقولون افتراه ذكر انه لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذبا وهم المفترون الذين نسبوا الى الله الولد واتخذوا
معه الهة وحرموا وحللوا من غير شرع الله وعرضهم على الله بمعنى التشهير بخزيهم
وعرضوا على ربك صفا والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع
شهيد كشريف واشراف والاشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم اعمالهم
في الدنيا او الانبياء او هما والمؤمنون او ما شهد عليهم من اعضائهم اقوال
وفي قوله هؤلاء اشارة الى تحقيرهم واصغارهم بسوء مرتكبهم وفي قوله على ربهم
اي على من يحسن اليهم وعلى نواصيهم وكانوا جديرين ان لا يكذبوا عليه
وهذا كما تقول اذا رايت مجرما هذا الذي فعل كذا وكذا وتقدم تفسير
الجملة بعد هذا وهم تاكيد لقوله وهم وقوله معجزين اي كانوا لا يعجزون الله
في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من ينصرهم ويمنعهم من العذاب
ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم قال الزمخشري وهو كلام
الاشهاد يعني ان كلامهم من قولهم هؤلاء الى آخره الجملة التي هي وما كان
لهم من دون الله من اولياء وقد يظهر ان قوله تعالى الا لعنة الله على
الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية ويدل لقول الزمخشري قوله
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الاية فكما انه من كلام
المخلوقين في تلك الاية فكذلك هنا يضاعف لهم العذاب يشدد ويكثر
وهذا استيناف اخبار عن حالهم في الاخرة لانهم جمعوا الى الكفر بالبعث
الكذب على الله وصد عباده عن سبيل الله وبغي العوج لها وهي الطريقة
المستقيمة ما كانوا يستطيعون السمع اخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل
المبالغة يعني السمع للقرآن ولما جاء به الرسول وما كانوا يبصرون اي
ينظرون اليه لبغضهم فيه الا ترى الى حشو الطفيل بن عمرو اذنيه
من الكرسف وابابة قريش ان يسمعوا ما نقل اليهم من كلام الرسول
حتى يرده ثم عن ذلك مشيختهم او اخبار عن حالهم اذا ضعف لهم العذاب
اي انه تعالى ختم عليهم بذلك فهم لا يسمعون لذلك سماعا ينتفعون
به ولا يبصرون لذلك وقيل الضمير في كانوا عائد على اولياء وهم
الهتهم اي فما كان لهم في الحقيقة من اولياء وان كانوا يعتقدون
انهم اولياء ويعني انه من لا يستطيع ان يسمع ولا يبصر فكيف يصلح للولاية
ويكون يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وابصارهم

والمعنى

والمعنى ان العذاب وتضعيفه دائم لهم متماد واجاز الفراء ان تكون
ما مصدرية وحذف حرف الجر منها كما يحذف مع ان وان اختيها وهذا فيه
بعد في اللفظ وفي المعنى وقال الزمخشري اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع
الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر
عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان
هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي انتهى يعني انه يمكن ان يستدل
به على ان العبد لا قدرة له لان الله تعالى قد نفى عنه استطاعة السمع واذا
انتفت الاستطاعة منه انتفت قدرته والزمخشري على عادته في السفه
على اهل السنة وخسرانهم انفسهم كونهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله
فخسروا في تجارتهم خسرانا لا خسران اعظم منه وهو على حذف مضاف اي راحة
او سعادة انفسهم والا فانفسهم باقية معذبة وبطل عنهم ما افتروه من
عبادة الالهة وكونهم يعتقدون شفاعتها اذا راوا انها لا تشفع ولا
تنفع لا جرم مذهب الخليل وس انهما ركبا من لا وجرم وبنيا والمعنى حق
وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الحوفي جرم منفي بلا بمعنى حق وهو
مبني مع لا في موضع رفع بالابتداء وانهم في موضع رفع على خبر جرم وقال
قوم ان جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا
محالة وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فيكون اسم لا وهي مبنية
على الفتح كالقول الذي قبله ويكون جرم هنا من معنى القطع تقول جرمت
اي قطعت وقال الزجاج لا تركيب بينهما والمارد عليهم ولما تقدم من
كلام قبلها مما قالوا ان الاصنام تنفعهم وجرم فعل ماض معناه كسب
والفاعل مضمر اي كسب هو اي فعلهم وان وما بعدها في موضع نصب
على المفعول به وجرم القوم كاسبهم وقال الشاعر

نصبنا راسه في جذع نخل ... بما جرمت يداه وما اعتديا ن

وقال اخر

جريمة ناهض في راس نيق ... ترى لعظام ما جمعت صليبا ه

ويقال لا جرم بالكسر ولا جر بحذف الميم قال النحاس وزعم الكسائي ان فيها
اربع لغات لا جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم قال وناس من فزارة
يقولون لا جرم وحكى الفراء فيه لغتين اخريين قال بنو عامر يقولون
لا ذا جرم وناس من العرب يقولون لا جرم بضم الميم وقال اللحياني
في نوادره حكي عن فزارة لا جر والله لا افعل ذاك قال ويقال
لا ذا جرم ولا ذو جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا ان جرم ولا عن
جرم ولا ذا جر والله بغير ميم لا افعل ذاك وحكي بعضهم بغير لا جرم انك
انت فعلت ذاك وعن ابي عمرو لا جرم ان لهم النار على وزن لا كرم
ولا جر حذفوه لكثرة الاستعمال كما قالوا سو ترى يريدون سوف
ترى ولما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم بانهم هم الزائدون

قوله عز وجل ان الذين امنوا

في الخسران على كل خاسر من سواهم اذ كان خسران من سواهم من العصاة مآله الى
الراحة والى انقطاع خسرانه بخلاف هولاء فان خسرانهم لا انقطاع له ۝
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اوليك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۝ لما ذكر ما يوول اليه الكفار من النار
ذكر ما يوول اليه المومنون من الجنة والفريقان هنا الكافر والمومن
ولما كان تقدم ذكر الكفار واعقب بذكر المومنين جاء التمثيل هنا مبتدا
بالكافر فقال كالاعمى والاصم ويمكن ان يكون من باب تشبيه اثنين
باثنين فقوبل الاعمى بالبصير وهو طباق وقوبل الاصم بالسميع وهو طباق
ايضا والعمى والصمم افتان يمنعان من الابصار والسمع وليسا بضدين
لانه لا تعاقب بينهما ويحتمل ان يكون من تشبيه واحد بوصفيه بواحد
بوصفيه فيكون من عطف الصفات كما قال الشاعر
۝ الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ۝
ولم يجي التركيب كالاعمى والبصير والاصم والسميع فيكون مقابلة في لفظ الاعمى
وضده وفي لفظة الاصم وضده لانه تعالى لما ذكر انسداد العين اتبعه
بانسداد السمع ولما ذكر انفتاح البصر اتبعه بانفتاح السمع وذلك
هو الاسلوب في المقابلة والاتم في الاعجاز ويأتي ان شاء الله نظير هذه
المقابلة في قوله في طه ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى واحتمل ان تكون الكاف نفسها هي خبرا للمبتدا
فيكون معناها معنى المثل فكانه قيل مثل الفريقين مثل الاعمى
واحتمل ان يراد بالمثل الصفة وبالكاف مثل فيكون على حذف مضاف
اي كمثل الاعمى وهذا التشبيه تشبيه معقول بمحسوس فاعمى البصيرة
اصم شبه باعمى البصر اصم السمع ذلك في ظلمات الضلالات متردد
تايه وهذا في الطرقات محير لا يهتدي اليها وجاء افلا تذكرون
لينبه على انه يمكن زوال هذا العمى وهذا الصمم المعقول فيجب
على العاقل ان يتذكر ما هو فيه ويسعى في هداية نفسه وانتصب مثلا على
التمييز قال ابن عطية ويجوز ان يكون حالا انتهى وفيه بعد والظاهر
التمييز وانه منقول من الفاعل اصله هل يستوي مثلاهما ۝ ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم
علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ۝ هذه السورة في قصصها شبيهة
بسورة الاعراف بدي فيها بنوح ثم بهود ثم بصالح ثم بلوط مقدما عليه ابراهيم
بسبب قوم لوط ثم بشعيب ثم بموسى وهرون صلى الله على نبينا وعليهم
اجمعين وذكروا وجوه حكم وفوايد لتكرار هذه القصص في القران

قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا

وقرا

وقرأ النحويان وابن كثير اني بفتح الهمزة اي باني وباقي السبعة بكسرها على
اضمار القول وقال ابو علي في قراءة الفتح خروج من الغيبة الى المخاطبة قال
ابن عطية وفي هذا نظر وانما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج
من غيبة الى مخاطبة ولو كان الكلام ان انذرهم او نحوه لصح ذلك انتهى وان لا
تعبدوا الا الله ظاهر في انهم كانوا يعبدون الاوثان كما جاء مصرحا به في غير هذه
السورة وان بدل من اني لكم في قراءة من فتح ويحتمل ان تكون ان المفسرة واما
في قراءة من كسر فيحتمل ان تكون المفسرة والمراعى قبلها اما ارسلنا واما نذير مبين
ويحتمل ان يكون معمولة لارسلنا اي بان لا تعبدوا الا الله واسناد الالم الى اليوم
مجاز لوقوع الالم فيه لا به قال الزمخشري فان قلت فاذا وصف به
العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما
قولك نهاره صايم انتهى وهذا على ان يكون اليم صفة مبالغة من الم وهو
من كثر المه فان كان اليم بمعنى مولم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب حقيقة
لما انذرهم عذاب الله وامرهم بافراده بالعبادة واخبر انه رسول من عند الله
ذكروا انه مماثلهم في البشرية فاستبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر كانهم
ذهبوا الى مذهب البراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق ثم عيروه
بانه لم يتبعه الا الاراذل اي فنحن لا نساويهم ثم نفوا ان يكون له عليهم
فضل اي انت مساوينا في البشرية ولا فضل لك علينا فكيف امتزت
بانك رسول الله وفي قوله الا الذين هم اراذلنا مبالغة في الاخبار وكا
موذن بتاكيد حصر من اتبعه وانهم هم الاراذل لم يتبعهم شريف في ذلك
وفي الحديث انهم كانوا حاكة وحجامين وقال النحاس هم الفقرا والذين
لا حسب لهم والخسيسوا الصناعات وفي حديث هرقل اشراف الناس
اتبعوه ام ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هم اتباع الرسل
قيل وانما كان كذلك لاستيلاء الرياسة على الاشراف
وصعوبة الانفكاك عنها والانفة من الانقياد لغيرهم والفقير خلي
عن تلك الموانع فهو سريع الى الاجابة والانقياد ونرى يحتمل ان تكون
بصرية وان تكون علمية قالوا والاراذل جمع الجمع فقيل جمع ارذل ككلب
واكلب واكالب وقيل جمع ارذال وقياسه اراذيل والظاهر انه
جمع ارذل التي هي افعل التفضيل وجاء جمعا كما جاء اكابر مجرميها واحاسنكم
اخلاقا وقال الزمخشري ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة
وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك
واحد من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى
قولهم وما نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغي ان يكون
ملكا لا بشرا ولا يظهر ما قاله الزمخشري من الاية وقرأ ابو عمرو وعيسى
الثقفي بادي الراي من بدا يبدا ومعناه اول الراي وقرأ باقي
السبعة بادي بالياء من بدا يبدو ومعناه ظاهر الراي وقيل بادي

نه

بالياء معناه بادي بالهمز فسهلت الهمزة بابدالها ياء لكسر ما قبلها
وذكروا انه منصوب على الظرف والعامل فيه نراك او اتبعك اي وما نراك
وما نراك فيما يظهر لنا من الرأي وفي اول رأينا او وما نراك اتبعك
اول رأيهم او ظاهر رأيهم واحتمل هذا الوجه معنيين احدهما ان
يريد اتبعك في ظاهر امرهم وعسى ان يكون بواطنهم ليست معك والمعنى
الثاني ان يريد اتبعوك باول نظر وبالرأي البادي دون تعقب
ولو تثبتوا لم يتبعوك وفي هذا الوجه ذم الرأي غير المروي ه وقال
الزمخشري اتبعوك اول الرأي وظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث
اول امرهم او وقت حصول ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا
ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر انتهى وكونه منصوبا على
الظرف هو قول ابي علي في الحجة وانما حمله على الظرف وليس بزمان ولا مكان لان
في مقدرة فيه اي في ظاهر الامر او في اول الامر وعلى هذين التقديرين اعني ان
يكون العامل فيه نراك او اتبعك تقتضي ان لا يجوز ذلك لان ما بعد الا لا يكون
معمولا لما قبلها الا ان كان مستثنى منه نحو ما قام الا زيدا القوم او مستثنى
نحو جاء القوم الا زيدا او تابعا للمستثنى منه نحو ما جاءني احد الا زيد اخير من عمرو
وبادي الرأي ليس واحدا من هذه الثلاثة واجيب بانه ظرف وكالظرف مثل جهد
رأيي انك ذاهب اي انك ذاهب في جهد رأيي والظروف يتسع فيها واذا كان
العامل اراذلنا فمعناه الذين هم اراذلنا باول نظر فيهم وببادي الرأي يعلم
ذلك منهم وقيل بادي الرأي نعت لقوله بشرا وقيل انتصب حالا من ضمير
نوح في اتبعك اي وانت مكشوف الرأي لا حصافة لك وقيل انتصب
على النداء لنوح اي يا بادي الرأي اي ما في نفسك من الرأي ظاهر لكل احد
قالوا ذلك تعجيزا له وقيل انتصب على المصدر وجاء الظرف والمصدر
على فاعل وليس بالقياس فالرأي هنا اما من رؤية العين واما من الفكر
قال الزمخشري وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا
فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال انتهى وظاهر الخطاب في لكم
شامل لنوح ومن اتبعه والمعنى ليس لكم علينا زيادة في مال ولا نسب
ولا دين وقال ابن عباس في الخلق والخلق وقيل بكثرة الملك والملك
وقيل في اتباعكم نوحا ومخالفتكم لنا وقيل من شرف يؤهلكم للنبوة وقال
الكلبي نظنكم نتيقنكم وقال مقاتل نحسبكم اي في دعوى نوح وتصديقكم
وقال صاحب الغنيان بل نظنكم كاذبين توسلا الى الرياسة والشهرة
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده
فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون لما حكى شبههم في انكار
نبوة نوح عليه السلام وهي قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا ذكر ان المساواة
في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر

الطريق الدال على امكانه على جهة التعليق والامكان وهو متيقن انه على
بينة من معرفة الله وتوحيده وما يجب له وما يمتنع لكنه ابرزه في طريق
الشرط والجزاء على سبيل الفرض لهم والاستدراج للاقرار بالحق وقيام
الحجة على الخصم ولو قال اني على حق من ربي لقالوا انه كذب كقوله
اتقتلون رجلا الآية فقال فيه وان يك كاذبا فعليه كذبه والبينة
البرهان والشاهد بصحة دعواه قال ابن عباس الرحمة النبوة مقابل
الهداية غيرهما التوفيق والنبوة والحكمة والظاهر ان البينة غير الرحمة
فيجوز ان يراد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة ويجوز ان تكون البينة
هي الرحمة ومن عنده تأكيد وفائدته رفع الاشتراك ولو بالاستعارة
فعميت عليكم الظاهر ان الضمير عائد على البينة وبذلك يحصل الذم
لهم من انه اتى بالمعجزة الجلية الواضحة وانه على وضوح واستنارة
خفيت عليهم وذلك بانه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها فان كانت
الرحمة هي البينة فعود الضمير مفردا ظاهر وان كانت غيرها كما اخترناه
فقوله واتاني رحمة من عنده اعتراض بين المتعاطفين قال الزمخشري
حقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة
وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره فتلخص ان الضمير يعود اما على البينة
واما على الرحمة واما عليهما باعتبار انهما واحد ويقال للسحاب
العماء لانه يخفي ما فيه كما يقال له الغمام لانه يغمه وقيل هذا
من المقلوب اي فعميتم انتم عنها كما تقول العرب ادخلت القلنسوة
في رأسي ومنه قول الشاعر
ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ه قال ابو علي وهذا مما يقلب اذ
ليس فيه اشكال وفي القرآن ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله
انتهى والقلب عند اصحابنا مطلقا لا يجوز الا في الضرورة واما قول
الشاعر فليس من باب القلب بل من باب الاتساع في الظرف واما الآية
فاخلف يتعدى الى مفعولين ولك ان تضيف الى ايهما شئت فليس
من باب القلب ولو كان فعميت عليكم من باب القلب لكان التعدي
بعن دون على الا ترى انك تقول عميت عن كذا ولا تقول عميت على كذا
وقرأ الاخوان وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم مبنيا
للمفعول اي ابهمت عليكم واخفيت ه وباقي السبعة فعميت
بفتح العين وتخفيف الميم مبنيا للفاعل وقرأ ابي وعلي والسلمي
والحسن والاعمش فعماها عليكم وروي الاعمش عن ابي وثاب
وعميت بالواو خفيفة قال الزمخشري فان قلت فما حقيقته
قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء
لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة
فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد

[*هامش: ٤*]

فإن قلت فما معنى قراءة أبي **قلت** المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها
فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية نعمة منه والدليل عليه
أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء
بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين انتهى وتوجيهه
قراءة أبي هو على طريقة المعتزلة وتقدم في سورة الأنعام الكلام على أرأيتم
مشبعًا وذكرنا أن العرب تعديها إلى مفعولين أحدهما منصوب والثاني
أغلب ما يكون جملة استفهامية تقول أرأيتك زيدًا ما صنع وليس
استفهامًا حقيقيًا عن الجملة وأن العرب ضمنت هذه الجملة معنى أخبرني
وقررنا هناك أن قوله أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أنه من باب الإعمال
تنازع على عذاب الله أرأيتكم يطلبه منصوبًا وفعل الشرط يطلبه
مرفوعًا فأعمل الثاني وهذا البحث يتقرر هنا أيضًا فمفعول أرأيتكم
محذوف والتقدير أرأيتكم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها
فهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله أرأيتكم
وجواب الشرط محذوف يدل عليه أرأيتم وجيء بالضمير من متصلين
في أنلزمكموها لتقدم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة ولو انعكس لانفصل
لا نفصل ضمير الخطاب خلافًا لمن أجاز الاتصال قال الزمخشري
ويجوز أن يكون الثاني منفصلًا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم
ويجوز فسيكفيك إياهم وهذا الذي قاله الزمخشري من جواز
انفصال الضمير في نحو أنلزمكموها هو نحو قول ابن مالك في التسهيل
قال ويختار اتصال نحو هاء أعطيتكه وقال ابن أبي الربيع إذا
قدمت ما له الرتبة اتصل لا غير أعطيتكه قال تعالى أنلزمكموها
وفي كتاب س ما يشهد له قال س فإذا كان المفعولان
اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطبًا وغائبًا فبدأت بالمخاطب
قبل الغائب فإن علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها إياه وذلك
قولك أعطيتكه وقد أعطاكه قال الله عز وجل أنلزمكموها وأنتم
لها كارهون فهذا هكذا إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب انتهى
فهذا نص من س على ما قاله ابن أبي الربيع خلافًا للزمخشري وابن مالك
ومن سبقهما إلى القول بذلك ونقل الزمخشري وحكى عن أبي عمرو
إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها
الراوي سكونًا والإسكان الصريح لحن عند الخليل وس وحذاق
البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر
انتهى وأخذه الزمخشري من الزجاج قال الزجاج أجمع النحويون
البصريون على أنه لا يجوز إسكان حركة الإعراب إلا في ضرورة
الشعر فأما ما روي عن أبي عمرو فلم يضبطه عنه القراء وروى
عنه س أنه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق وإنما يجوز

[*هامش: لا يتبع*]

الإسكان

الإسكان في الشعر نحو **قول امرئ القيس**
فاليوم أشرب غير مستحقب ... والزمخشري على عادته في تجهيل القراء
ونسبتهم إلى الخطأ من أجل أن التبس عليهم الاختلاس بالسكون وقد حكى الكسائي والفراء
أنلزمكموها بإسكان الميم الأولى تخفيفًا قال النحاس ويجوز على قول يونس
أنلزمكمها كما تقول أنلزمكم ذلك ويريد أن الإلزام جبرًا بالقتل ونحوه وأما الإلزام من
الإيجاب فهو حاصل وقال النحاس أوجبها عليكم وقوله في ذلك خطأ
قال ابن عطية وفي قراءة أبي بن كعب أنلزمكموها من شطر أنفسنا ومعناه من تلقاء
أنفسنا وروي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك من شطر قلوبنا انتهى ومعنى
شطر نحو وهذا على جهة التفسير لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف

[*هامش: قوله عز وجل ويا قوم لا أسألكم*]

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين
آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قومًا تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله
إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب
ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرًا الله
أعلم بما في أنفسهم إني إذًا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به
الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم
إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون تلطف نوح
عليه السلام بندائه إياهم بقوله ويا قوم ويا قوم استدراجًا لهم في قبول
كلامه كما تلطف إبراهيم عليه السلام بقوله يا أبت يا أبت وكما تلطف
مؤمن آل فرعون بقوله يا قوم يا قوم والضمير في عليه عائد إلى الإنذار
وإفراد الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا
إلا الله وقيل على الدين وقيل على الدعاء إلى التوحيد وقيل
على تبليغ الرسالة وكلها أقوال متقاربة والمعنى أنكم وتولاء
الذين اتبعوك سواء في أن أدعوكم إلى الله وإني لا أبتغي على ما ألقيه
إليكم من شرائع الله مالا فلا يتفاوت حالكم وحالهم وأيضًا فلعلهم
ظنوا أنه يريد الاستنزاف دونهم فنفاه بقوله لا أسألكم عليه مالا
إن أجري إلا على الله فلا تحرموا أنفسكم السعادة الأبدية بتوهم

[*هامش: نضواء*]

فاسد ثم ذكر أنه قام بهؤلاء وصف يجب العكوف عليهم به وألا
معهم وهو ثبوت الإيمان فلا يمكن طردهم وكانوا سألوا منه طرد هؤلاء
المؤمنين رفعًا لأنفسهم من مساواة أولئك الفقراء ونظير هذا
ما اقترحت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرد أتباعه الذين
لم يكونوا من قريش **وقرئ** بطارد بالتنوين قال الزمخشري
على الأصل يعني أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال أصله
أن يعمل ولا يضاف وهذا ظاهر كلام **س** ويمكن أن يقال إن الأصل
الإضافة لا العمل لأنه قد اعتوره شبهان أحدهما شبهه بالمضارع

وهو شبيه بغير جنسه والآخر شبيهه بالأسماء اذا كانت في الاضافة وكانت
الحاقه بجنسه اولى من الحاقه بغير جنسه انهم ملاقوا ربهم ظاهره التعليل
لانتفاء طردهم اي انهم يلاقون الله اي جزاءه فيوصلهم الى حقهم عندي
ان ظلمتهم بالطرد وقال الزمخشري معناه انهم يلاقون الله فيعاقب
من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر
لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما يعرفونهم به من بناء ايمانهم
على بادي الراي من غير نظر ولا تفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف
ذلك منهم حتى اطردهم ونحوه ولا تطرد الذين يدعون الآية اوهم مصدقون
بلقاء الله موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة انتهى ووصفهم بالجهل
لكونهم بنوا امرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر او لانهم يتسافلون
على المؤمنين ويدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا
او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم او وصفهم بالجهل في هذا
الاقتراح وهو طرد المؤمنين ونحوه من ينصرني استفهام معناه لا ناصر لي
من عقاب الله ان طردتهم عن الخير الذي قد قبلوه او لاجل ايمانهم قال
الفراء وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة منهم ان يكونوا معهم
على سواء ووقفهم بقوله افلا تذكرون على النظر المؤدي الى صحة هذا الاحتجاج
وتقدم تفسير الجمل الثلاث في الانعام وتزدري تفتعل والدال بدل من التاء

وقال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد هصور

وانشد الفراء

يباعده الصديق وتزدريه حليلته وينهره الصغير

والعائد على الموصول محذوف اي تزدريهم اي تحتقرهم اعينكم ولن يؤتيهم معمول
لقوله ولا اقول وللذين معناه لاجل الذين ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس
لن يؤتيكم بكاف الخطاب اي ليس احتقاركم اياهم ينقص ثوابهم عند الله ولا
يبطل اجورهم الله اعلم بما في انفسهم تسليم لله تعالى اي لست احكم عليهم
بشيء من هذا وانما الحكم بذلك لله الذي يعلم ما في انفسهم فيجازيهم عليه
وقيل هو رد على قولهم اتبعك اراذلنا اي لست احكم عليهم بان لا يكون
لهم خير لظنكم بهم ان بواطنهم ليست كظواهرهم الله عز وجل اعلم بما في
نفوسهم اي لو فعلت ذلك لمن الظالمين وهم الذين يضعون الشيء في
غير موضعه قد جادلتنا الظاهر المبالغة في الخصومة والمناظرة
وقال الكلبي دعوتنا وقيل وعظتنا وقيل اتيت بانواع الجدال
وفنونه فما صح دعواك وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا كقوله وكان
الانسان اكثر شيء جدلا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل وما
بمعنى الذي والعائد محذوف اي بما تعدناه او مصدرية وانما كثرت
مجادلته لهم لانه اقام فيهم ما اخبر الله عنه الف سنة الا خمسين

عاما

عاما وهو كلما وقفت يدعوهم الى الله وهم يجيبونه بعبادة اصنامهم قال
انما ياتيكم به الله اي ليس ذلك الي انما هو لله الذي يعاقبكم على عصيانكم
ان شاء ايجابه اقتضت حكمته ان يعجل عذابكم وانتم في قبضته لا يمكن
ان تفلتوا منه ولا ان تمتنعوا ولما قالوا قد جادلتنا وطلبوا تعجيل العذاب
وكانت مجادلته لهم انما هو على سبيل النصح والانقاذ من عذاب الله
قال ولا ينفعكم نصحي وقرأ عيسى بن عمر الثقفي بفتح النون
وهو مصدر وقراءة الجماعة بضمها فاحتمل ان يكون مصدرا كالشكر
واحتمل ان يكون اسما وهذان الشرطان اعتقب الاول منهما قوله
ولا ينفعكم نصحي والشرط الثاني اعتقب الشرط الاول وجوابه ايضا
ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم
فلا ينفعكم نصحي وصار الشرط الثاني شرطا في الاول وصار الشرط
الثاني شرطا في الاول وصار المتقدم متاخرا والمتاخر متقدما
وكان التركيب ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ينفعكم
نصحي وهو من حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد ان
يغويكم فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي ونظيره وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها وقال الزمخشري
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي
وهذا الدليل في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قوله
ان احسنت الي احسنت اليك اي امكنني وقال ابن عطية وليس
نصحي لكم بنافع ولا ارادتي الخير لكم مغنية اذا كان الله تعالى
قد اراد بكم الاغواء والاضلال والاهلاك والشرط الثاني اعتراض
بين الكلام وفيه بلاغة من اقتران الارادتين وان ارادة البشر
غير مغنية وتعلق هذا الشرط هو بنصحي وتعلق الاخر هو بلا ينفع انتهى
وكذا قال ابو الفرج بن الجوزي قال جواب الاول النصح وجواب
الثاني النفع والظاهر ان معنى يغويكم يضلكم من قولهم غوي الرجل يغوي
وهو الضلال وفيه اسناد الاغواء الى الله فهو حجة على المعتزلة اذ
يقولون الضلال هو من العبد وقال الزمخشري اذا عرف الله
من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا
كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهدى
انتهى وهو على طريقة الاعتزال

ونصوا على انه لا يوصف الله بانه غاو فلا ينبغي ان يقال اذا عرف
الله كما قال الزمخشري وللمعتزلي ان يقول لا يتعين ان تكون ان شرطية
بل نافية والمعنى ما كان الله يريد ان يغويكم ففي ذلك دليل
على نفي الاضلال عن الله ويكون قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح اخبارا منه لهم وتعزية لنفسه عنهم لما راى من اصرارهم وتماديهم

على الكفر وقيل معنى يغويكم يهلككم والغوي المرض والهلاك وفي لغة طي اصبح
فلان غاويا اي مريضا والغوي بشم الفصيل وقاله يعقوب في الاصلاح
وقيل فقد اللبن حتى يموت جوعا قاله الفراء وحكاه الطبري يقال منه
غوي يغوى وحكى الزهراوي انه الذي قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك
ولما يهلك بعد قال ابن الانباري وكون معنى يغويكم يهلككم قول
مرغوب عنه وانكر مكي ان يكون الغوي بمعنى الهلاك موجودا في لسان العرب
وهو محجوج بنقل الفراء وغيره واذا كان معنى يغويكم يهلككم فلا حجة فيه
للمعتزلي ولا للسني بل الحجة من غير هذا ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم
على الكفر فالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه
كيف ينفعكم نصحي وفي قوله هو ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق وانه هو
الناظر في مصالحكم ان شاء ان يغويكم وان شاء ان يهديكم وفي قوله واليه
ترجعون وعيد وتخويف ۞ ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي

قوله عز وجل ام يقولون

اجرامي وانا بريء مما تجرمون ۞ قيل هذه الاية اعترضت
في قصة نوح والاخبار فيها عن قريش يقولون ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي افترى القرآن وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه ولو صح ذلك
بسند صحيح لوقف عنده ولكن الظاهر ان الضمير في يقولون عائد على
قوم نوح اي بل تقولون افترى ما اخبر به من دين الله وعقاب من اعرض
عنه فقال عليه السلام فعلي اجرامي والاجرام مصدر اجرم ويقال

قل ان افتريته ج

اجرم وهو الكثير وجرم بمعنى ومنه **قول الشاعر**

طريد عشيرة ورهين ذنب ۞ بما جرمت يدي وجنى لساني

وقرئ اجرامي بفتح الهمزة جمع جرم ذكره النحاس وفسر باثامي ومعنى
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي وقيل مما تجرمون من الكفر
والتكذيب ۞ واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني

قوله عز وجل واوحي الى نوح

في الذين ظلموا انهم مغرقون ۞ **قرأ** الجمهور واوحي مبنيا للمفعول انه بفتح الهمزة
وقرأ ابو البرهسم واوحى مبنيا للفاعل انه بكسر الهمزة على اضمار القول
على مذهب البصريين وعلى اجراء اوحى مجرى قال على مذهب الكوفيين
آيسه الله من ايمانهم وانه صار كالمستحيل عقلا باخباره تعالى عنهم ومعنى
الا من قد آمن اي من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه ونهاه تعالى
عن ابتئاسه بما كانوا يفعلون وهو حزنه عليهم في استكانة وابتأس
افتعل من البؤس ويقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه ۞

وقال الشاعر

وكم من خليل او حميم رزئته ۞ فلم نبتئس والرزء فيه جليل

وقال اخر

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس ۞ منه واقعد كريما ناعم البال

وقال اخر

فارس الخيل اذا ما ولولت ۞ ربة الخدر بصوت مبتئس

وقال اخر

في مأتم كنعاج صارة ۞ يبتئسن بما لقينا

صارة اسم موضع بما كانوا
يعملون من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام
منهم واصنع عطف على فلا تبتئس باعيننا بمرأى منا وكلاءة وحفظ
فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها ولا يحول بينك وبين العمل احد والجمع هنا
كالمفرد في قوله ولتصنع على عيني وجمعت هنا لتكثير الكلاءة والحفظ ودوامها
وقرأ طلحة بن مصرف باعينا مدغمة ووحينا نوحي اليك ونلهمك
كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها
مثل جؤجؤ الطائر قيل ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا الذين جعلناهم
عيونا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون اللفظ هنا للجمع حقيقة وقول
من قال ووحينا بامرنا لك او بعلمنا ضعيف لان قوله واصنع الفلك
مغن عن ذلك وفي الحديث كان زان في سفينة نوح عليه السلام جبريل والزان
القيم بعمل السفينة والذين ظلموا قوم نوح تقدم الى نوح ان لا تشفع فيهم
فتطلب امهالهم وعلل منع مخاطبته بانه حكم عليهم بالغرق ونهاه عن سؤال
ما لا يجاب اليه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم
آتيهم عذاب غير مردود وقيل الذين ظلموا واعلة زوجته وكنعان ابنه
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل ۞ ويصنع الفلك حكاية حال ماضية والفلك السفينة

قوله عز وجل ويصنع الفلك

ولما امره تعالى بان يصنع الفلك قال يا رب ما انا بنجار فقال بلى ذلك
بعيني فاخذ القدوم وجعلت بيده لا تخطئ فكانوا يمرون به ويقولون
هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا وقيل كانت الملائكة تعلمه واستأجر
اجراء كانوا ينحتون معه واوحى الله اليه ان عجل عمل السفينة فقد اشتد
غضبي على من عصاني ۞ وكان حام وسام ويافث ينحتون معه والخشب
من الساج قاله قتادة وعكرمة والكلبي قيل وغرسه عشرين سنة
وقيل مكث مائة سنة يغرس ويقطع وييبس وقال عمرو بن الحارث لم يغرسها
بل قطعها من جبل لبنان وقال ابن عباس من خشب الشمشار وهو البقص
قطعه من جبل لبنان واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول وفي
مقدار مدة عملها وفي المكان الذي عملت فيه وفي مقدار طولها وعرضها على
اقوال متعارضة لم يصح منها شيء وسخريتهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة
ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا

يمشي على الماء فتعجبوا من قوله وسخروا منه قاله مقاتل وقيل لكونه يبني في قرية
لا قرب لها من البحر فكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما
كنت نبيا وكلما ظرف والعامل فيه سخروا منه وقال مستأنف على تقدير
سؤال سائل وجوزوا أن يكون العامل قال وسخروا صفة لملأ أو بدل
من مر ويبعد البدل لأن سخر ليس في معنى مر لا مرادفا ولا نوعا منه قال
ابن عطية وسخروا منه استجهلوه فإن كان الأمر كما روي أنهم لم يكونوا
رأوا سفينة قط ولا كانت فوجه الاستجهال واضح وبذلك تظاهرت
التفاسير وإن كانت السفاين حينئذ معروفة فاستجهلوه في أن صنعها
في قرية لا قرب لها من البحر انتهى فإنا نسخر منكم في المستقبل كما تسخرون
منا الآن أي مثل سخريتكم إذا أغرقتم في الدنيا وأحرقتم في الآخرة
أو إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض
لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا قاله قريبا من معناه
الزجاج أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون
إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقائق وقال ابن جريج إن تسخروا منا في الدنيا فإنا
نسخر منكم في الآخرة والسخرية استجهال مع استهزاء وفي قوله فسوف
تعلمون تهديد بالغ والعذاب المخزي الغرق والعذاب المقيم عذاب
الآخرة لأنه دائم عليهم سرمدا ومن يأتيه مفعول بتعلمون وما موصولة
وتعدى تعلمون إلى واحد استعمالا لها استعمال عرف في التعدية
إلى واحد وقال ابن عطية وجائز أن تكون التعدية إلى مفعولين واقتصر
على الواحد انتهى ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا لأن أصله خبر مبتدأ
ولا اختصارا هنا لأنه لا دليل على حذفه وتعينهم بقوله من يأتيه وقيل
من استفهام في موضع رفع على الابتداء ويأتيه الخبر والجملة في موضع نصب
وتعلمون معلق وسدت الجملة مسد المفعولين وحكى الزهراوي أنه
يقرأ ويحل بضم الحاء ويحل بكسرها بمعنى ويجب قال الزمخشري
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه ومعنى يخزيه
يفضحه أو يهلكه أو يذله وهو الغرق أقوال متقاربة حتى إذا جاء
أمرنا تقدم الكلام على دخول حتى إذا في أوائل سورة الأنعام وهي هنا
غاية لقوله ويصنع الفلك ويصنع كما قلنا حكاية حال أي وكان
يصنع الفلك إلى أن جاء وقت الوعد الموعود والجملة من قوله وكلما
مر عليه حال كأنه قيل ويصنعه والحال أنه كلما مر وأمرنا واحد الأمور
أو مصدر أي أمرنا بالفوران أو للسحاب بالإرسال وللملائكة بالتصرف
في ذلك ونحو هذا مما يقدر في النازلة وفار معناه انبعث بقوة
والتنور وجه الأرض والعرب تسميه تنورا قاله ابن عباس
وعكرمة والزهري وابن عيينة أو التنور الذي يخبز فيه وكان من

حجارة

حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح قاله الحسن ومجاهد وروي أيضا
عن ابن عباس وقيل كان لآدم وقيل كان تنور نوح أو أعلى الأرض
والمواضع المرتفعة قاله قتادة أو العين التي بالجزيرة عين الوردة
رواه عكرمة أو من أقصى دار نوح عليه السلام قاله مقاتل أو موضع
اجتماع الماء في السفينة روي عن الحسن أو طلوع الشمس وروي
عن علي أو نور الصبح من قولهم نور الفجر تنويرا قاله علي ومجاهد أو هو
مجاز والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال عليه السلام لشدة
الحرب حمي الوطيس والوطيس أيضا مستوقد النار فلا فرق بين حمي وفار
إذ يستعملان في النار قال تعالى سمعوا لها شهيقا وهي تفور ولا فرق
بين الوطيس والتنور والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور
الذي هو مستوقد النار ويحتمل أن تكون أل فيه للعهد لتنور مخصوص
ويحتمل أن تكون للجنس ففار الماء من التنانير وكان ذلك من أعجب
الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران ولا تنافي بين هذا
وبين قوله وفجرنا الأرض عيونا إذ يمكن أن يراد بالأرض أماكن
التنانير والتفجير غير الفوران فحصل الفوران للتنور والتفجير للأرض
والضمير في فيها عائد على الفلك وهو مذكر أنث على معنى السفينة وكذلك
قوله وقال اركبوا فيها وقرأ حفص من كل زوجين بتنوين كل أي من
كل حيوان وزوجين مفعول واثنين نعت توكيد وباقي السبعة بالإضافة
واثنين مفعول احمل وزوجين بمعنى العموم أي من ما له ازدواج هذا
معنى من كل زوجين قاله أبو علي وغيره قال ابن عطية ولو كان المعنى
احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة
والزوج في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج فيقال هذا
زوج هذا وهما زوجان وهذا هو المهيع في القرآن في قوله ثمانية
أزواج ثم فسرها وفي قوله وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى وقال
الأخفش وقد يقال في كلام العرب للاثنين زوج وهكذا يأخذه
العدديون والزوج أيضا في كلام العرب النوع كقوله تعالى وأنبتنا
فيها من كل زوج بهيج وقال تعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها
انتهى ولما جعل المطر ينزل كأفواه القرب جعلت الوحوش تطلب
وسط الأرض هربا من الماء حتى اجتمعن عند السفينة فأمره الله أن
يحمل من الزوجين اثنين يعني ذكرا وأنثى ليبقى أصل التناسل بعد الطوفان
فروي أنه كان يأتيه أنواع الحيوانات فيضع يمينه على الذكر ويساره
على الأنثى وكانت السفينة ثلاث طبقات السفلى للوحوش والوسطى
للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن وأهلك معطوف على زوجين
إن نون كل وعلى اثنين إن أضيف واستثنى من أهله من سبق
عليه القول بالهلاك وأنه من أهل النار قال الزمخشري سبق

٤

عليه القول أنه يختار الكفر لا لتقدير عليه وإرادة له تعالى عن ذلك انتهى وهو
على طريقة الاعتزال والذي سبق عليه القول امرأته واعلة بالعين المهملة
وابنه كنعان ومن آمن عطف على أهلك قيل كانوا ثمانين رجلا وثمانين
امرأة وقيل كانوا ثلاثة وثمانين وقال ابن عباس آمن معه ثمانون وعنه
ثمانون إنسانا ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وثلاث كنائن له ولما خرجوا
من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل وقيل
كانوا ثمانية وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال ابن إسحق
كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة ناس ممن كان
آمن به وأزواجهم جميعا وعن ابن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقيل كانوا تسعة نوح وثمانية أبناء له وزوجته وقيل كانوا
ثمانية نوح وزوجته غير التي عوقبت وبنوه الثلاثة وزوجاتهم وهو قول
الحكم بن عتيبة وابن جريج ومحمد بن كعب وقال الأعمش كانوا سبعة
نوح وثلاث كنائن وثلاثة بنين وهذه أقوال متعارضة والذي أخبرنا الله
به أنه ما آمن معه إلا قليل ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر
القليل الذي أبهم الله عدده لم ينص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

المفردات

رسا الشيء رسوا ثبت واستقر قال الشاعر

٥ فصبرت نفسا عند ذلك حرة ٭ ترسو إذا نفس الجبان تطلع ٥

البلع معروف والفعل منه بلع بكسر اللام وبفتحها لغة حكاها الكسائي
والفراء يبلع بلعا والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء الإقلاع الإمساك
يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى أي أمسكت عن المحموم وقيل أقلع عن
الشيء تركه وهو قريب من الإمساك غاض الماء نقص في نفسه وغضته
نقصته جاء لازما ومتعديا الجودي علم جبل بالموصل ومن قال بالجزيرة
أو بآمد فلأنهما قريبان من الموصل وقيل الجودي لكل جبل
ومنه قول الشاعر وهو زيد بن عمرو بن نفيل

٥ سبحانه ثم سبحانا يعود له ٭ وقبلنا سبح الجودي والجمد ٥

اعتراه بكذا أصابه به وهو افتعل من عراه يعروه الناصية منبت الشعر
في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته ونصوت
الرجل أنصوه نصوا مددت ناصيته الجبار المتكبر العنيد الطاغي
الذي لا يقبل الحق ولا يصغي إليه من عند يعند إذا حاد عن الحق إلى جانب
قيل ومنه عندي كذا أي في جانبي وقال أبو عبيدة العنيد والعنود
والعاند والمعاند المعارض بالخلاف ومنه قيل للعرق الذي ينفجر
بالدم عاند

قوله عز وجل وقال اركبوا فيها

٥ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي
لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في
معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل
يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما

الموج

الموج فكان من المغرقين ٥ الضمير في وقال عائد على نوح أي وقال نوح حين
أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ومن أمر بحمله اركبوا فيها وقيل الضمير عائد
على الله والتقدير وقال الله لنوح ومن معه ويبعد ذلك قوله إن ربي لغفور
رحيم قيل وغلب من يعقل في قوله اركبوا وإن كانوا قليلا بالنسبة لما لا
يعقل ممن حمل فيها والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصة لأنه لا يليق
بما لا يعقل وعدي اركبوا بفي لتضمنه معنى صيروا فيها أو معنى ادخلوا فيها
وقيل التقدير اركبوا الماء فيها وقيل في زائدة للتوكيد أي اركبوها والباء
في بسم الله في موضع الحال أي متبركين باسم الله ومجراها ومرساها منصو-
بان إما على أنهما ظرفا زمان أو مكان لأنهما يجيئان لذلك أو ظرفا زمان
على جهة الحذف كما حذف من جئتك مقدم الحاج أي وقت قدوم الحاج
فيكون مجراها ومرساها مصدرين في الأصل حذف منهما المضاف
وانتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل ويجوز أن يكون باسم الله حالا
من ضمير فيها ومجراها ومرساها مصدرين مرفوعان على الفاعلية أي اركبوا
فيها ملتبسا باسم الله إجراؤها وإرساؤها أي ببركة اسم الله أو يكون
مجراها ومرساها مرفوعين على الابتداء وباسم الله الخبر والجملة حال
من الضمير في فيها وعلى هذه التوجيهات الثلاثة فالكلام جملة
واحدة والحال مقدرة ولا يجوز مع رفع مجراها ومرساها على الفاعلية
أو الابتداء أن يكون حالا من ضمير اركبوا لأنه لا عائد عليه فيما وقع
حالا ويجوز أن يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدإ
وخبر لا تعلق لها بالجملة الأولى من حيث الإعراب أمرهم أولا بالركوب ثم أخبر
أن مجراها ومرساها بذكر الله أو بأمره وقدرته فالجملتان كلامان محكيان
بقال كما أن الجملة الثانية محكية أيضا بقال وقال الضحاك إذا
أراد جري السفينة قال بسم الله مجراها فتجري وإذا أراد وقوفها قال
بسم الله مرساها فتقف وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء والأعرج
وشيبة والجمهور من السبعة الحرميان والعربيان وأبو بكر مجراها بضم الميم
وقرأ الإخوان وحفص بفتحها وكلهم ضم ميم مرساها وقرأ ابن مسعود
وعيسى الثقفي وزيد بن علي والأعمش مجراها ومرساها بفتح الميمين
ظرفي زمان أو مكان أو مصدرين على التقادير السابقة وقرأ الضحاك
والنخعي وابن وثاب وأبو رجاء ومجاهد وابن جندب والكلبي والجحدري
مجريها ومرسيها اسمي فاعل من أجرى وأرسى على البدل من اسم الله فهما في موضع
جر ولا يكونان صفتين لكونهما نكرتين وقال ابن عطية وهما على هذه
القراءة صفتان عائدتان على ذكره في قولهم بسم الله انتهى ولا يكونان
صفتين إلا على تقدير أن يكونا معرفتين وقد ذهب الخليل إلى أن ما
كانت إضافته غير محضة قد تصح أن تجعل محضة فتعرف إلا ما كان
من الصفة المشبهة فلا تتمحض إضافتها فلا تعرف إن ربي لغفور

يرسل عليكم ذنوبكم بتوبتكم وايمانكم رحمة لكم اذ انجاكم من الغرق وروي في الحديث ان نوحا ركب في السفينة اول يوم من رجب وصام الشهر اجمع وعن عكرمة لعشر خلون من رجب وهي تجري بهم اخبار من الله تعالى بما جرى للسفينة وهم حال اي ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم فيها في موج كالجبال اي في موج الطوفان شبه كل موجة منه بجبل في تراكمها وارتفاعها وروي ان السماء امطرت جميعها حتى لم يكن في الهواء جانب الا امطر وتفجرت الارض كلها بالنبع وهذا معنى التقاء الماء وروي ان الماء علا على الجبال واعالي الارض اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر وكون السفينة تجري في موج دليل على انه كان في الماء موج وانه لم يطبق الماء ما بين السماء والارض وان السفينة لم تكن تجري في جوف الماء اعلاها واسفلها فكانت تسبح في الماء كما تسبح السمكة كما اشار اليه الزجاج والزمخشري وغيرهما وقد استبعد ابن عطية هذا قال وان كان الموج كالجبال على هذا ثم كيف استقلت حيوة من في السفينة واجاز الزمخشري بان الجريان في الموج كان قبل التطبيق وقيل ان يغمر الماء الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء ونادى نوح ابنه الواو لا ترتب وهذا النداء كان قبل جري السفينة في قوله وهي تجري بهم في موج كالجبال وفي اضافته اليه هنا وفي قوله ان ابني من اهلي وندائه على انه ابنه لصلبه وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة والضحاك وابن جبير وميمون بن مهران والجمهور واسمه كنعان وقيل يام وقيل كان ابن قريب له ودعاه بالبنوة حنانا منه وتلطفا **وقرأ** الجمهور بكسر تنوين نوح **وقرأ** وكيع بن الجراح بضمه اتبع حركته حركة الاعراب في الحاء قال ابو حاتم هي لغة سوء لا تعرف **وقرأ** الجمهور بوصل هاء الكناية بواو **وقرأ** ابن عباس ابنه بسكون الهاء قال ابن عطية وابو الفضل الرازي وهذا على لغة لازد السراة يسكنون هاء الكناية من المذكر ومنه

قول الشاعر ونضواي مشتاقان له ارقان

وذكر غيره انها لغة لبني كلاب وعقيل ومن النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة وينشدون

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش الا لان عيونه سيل واديها

وقرأ السدي ابناه بالف وهاء السكت قال ابو الفتح ذلك على النداء وذهبت فرقة الى انه على الندبة والرثاء **وقرأ** علي وعروة وعلي بن الحسين وابنه ابو جعفر وابنه جعفر ابنه بفتح الهاء من غير الف اي ابنها مضافا لضمير امرأته فاكتفى بالفتحة عن الالف قال ابن عطية وهي لغة ومنه **قول الشاعر**

اما تقود بها شاة فتاكلها او ان تبيعه في بعض الاراكيب

وانشد ابن الاعرابي على هذا

بيان مشتاقان

فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني

انتهى يريد بلهفا وبليتا وخطأ النحاس ابا حاتم في حذف هذه الالف قال ابن عطية وليس كما قال انتهى وهذا اعني مثل بلهف بحذف الالف عند اصحابنا ضرورة ولذلك لا يجيزون يا غلام بحذف الالف والاجتزاء بالفتحة عنها كما اجتزؤا بالكسرة في يا غلام عن الياء واجاز ذلك الاخفش **وقرأ** ايضا علي وعروة ابنها بفتح الهاء والف اي ابن امرأته وكونه ليس ابنه لصلبه وانما كان ابن امرأته قول علي والحسن وابن سيرين وعبيد ابن عمير وكان الحسن يحلف انه ليس ابنه لصلبه قال قتادة فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني فعلى هذا يكون ربيبا وكان عكرمة والضحاك يحلفان على انه ابنه ولا يتوهم انه كان لغير رشدة لان ذلك غضاضة عصمت منه الانبياء عليهم السلام وروي ذلك عن الحسن وابن جريج ولعله لا يصح عنهما وقال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط والذي يدل عليه ظاهر الاية انه ابنه واما قراءة من قرأ ابنه او ابنها فشاذة ويمكن ان نسب الى امه واضيف اليها ولم يضف الى ابيه لانه كان كافرا مثلها فلحظ فيه هذا المعنى ولم يضف اليه استبعادا له ورعيا ان لا يضاف اليه كافر وانما ناداه ظنا منه انه مؤمن ولولا ذلك ما احب نجاته او ظنا منه انه يؤمن ان كان كافرا لما شاهد من الاهوال العظيمة وانه يقبل الايمان ويكون قوله اركب معنا كالدلالة على انه طلب منه الايمان وتأكد بقوله ولا تكن مع الكافرين اي اركب مع المؤمنين اذ لا يركب معهم الا مؤمن لقوله ومن آمن وفي معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل في معزل عن دين ابيه وناداه بالتصغير خطاب تحنن ورأفة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتهلك **وقرأ** عاصم يا بني بفتح الياء ووجه على انه اجتزاء بالفتحة عن الالف واصله يا بنيا كقولك يا غلاما كما اجتزاء باقي السبعة بالكسرة عن الياء في قراءتهم يا بني بكسر الياء او ان الالف انحذفت لالتقائها مع راء اركب وظن ابن نوح ان ذلك المطر والتفجير على العادة فلذلك قال ساوي اي يعصمني من وصول الماء الي فلا اغرق وهذا يدل على عادته في الكفر وعدم وثوقه بابيه فيما اخبر به قيل والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه والظاهر ابقاء عاصم على حقيقته وانه نفى كل عاصم من امر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير الموصول محذوف ويكون الاستثناء منقطعا اي لكن من رحمه الله معصوم وجوزوا ان يكون من رحمه تعالى اي

بت

لا عاصم الا الراحم وان يكون عاصم بمعنى ذي عصمة كما قالوا لابن اي ذو لبن
وذو عصمة يطلق على عاصم وعلى معصوم والمراد به هنا المعصوم او فاعل
بمعنى مفعول فيكون عاصم بمعنى معصوم كما ان دافق بمعنى مدفوق ه

وقال الشاعر

بطيء القيام رخيم الكلام امسى فؤادي به فاتنا ه

اي مفتونا ومن للمعصوم اي لا ذا عصمة او لا معصوم الا المرحوم وعلى هذين
التقديرين يكون استثناء متصلا بطريقة اخرى وسوى حذف مضاف وتقديره
لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من
رحمهم الله ونجاهم يعني في السفينة انتهى والظاهر ان خبر لا عاصم محذوف
لانه اذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنو تميم وكثر حذفه عند اهل الحجاز
لانه لما قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال له نوح لا عاصم اي
لا عاصم موجود ويكون اليوم منصوبا على اضمار فعل يدل عليه عاصم اي لا
عاصم يعصم اليوم من امر الله ومن امر متعلق بذلك الفعل المحذوف ولا
يجوز ان يكون اليوم منصوبا بقوله لا عاصم ولا ان يكون من امر الله متعلقا
به لانه لو كان ذلك كان يكون مطولا واذا كان مطولا لزم تنوينه
واعرابه ولا يبنى وهو مبني فبطل ذلك واجاز الحوفي وابن عطية
ان يكون اليوم خبرا لقوله لا عاصم قال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم
خبرا ويتعلق بمعنى الاستقرار ويكون من متعلقة بما تعلق به اليوم وقال
ابن عطية واليوم ظرف وهو متعلق بقوله من امر الله او بالخبر الذي
تقديره كائن اليوم انتهى ويرد ذلك ابو البقاء فقال فاما خبر لا فلا يجوز
ان يكون اليوم لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة بل الخبر من امر الله واليوم
معمول من امر الله وقال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم نعتا لعاصم ومن الخبر
انتهى ويرد بما رد به ابو البقاء من ان ظرف الزمان لا يكون نعتا للجثة
كما لا يكون خبرا وقرئ الا من رحم بضم الراء مبنيا للمفعول وهذا يدل على
ان المراد بمن في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء هو المرحوم لا الراحم وحال
بينهما اي بين نوح وابنه قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت
المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر واعجب
بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح بغرق وذلك الغرق
بينهما اي بين ابن نوح والجبل الذي ظن انه يعصمه ه وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك
الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب
اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من
الخاسرين ❀ قال الزمخشري نداء الارض والسماء بما ينادى به

قوله عز وجل وقيل يا ارض

الانسان

الانسان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر
المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل
من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات
والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة
عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته
على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون
من التوقف دون الامتثال له والنزول عن مشيئته على الفور من غير ريث
فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء وبسط الزمخشري
وذيل في هذا الكلام الحسن قال الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام
والحق تعالى مستول عليها متصرف فيها كيف شاء واراد فصار ذلك سببا
لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قدرته وهيبته
انتهى وبناء الفعل في وقيل وما بعدها للمفعول ابلغ في التعظيم والجبروت
واخصر قال الزمخشري ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة
على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر
وتكوين مكون قاهر وان فاعل هذه الافعال فاعل واحد لا يشارك في افعاله
فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان
يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على الجودي وتستقر
عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء
البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما
قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان الكلام لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت
اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور انتهى واكثر
خطابه وهذا النداء والخطاب بالامر هو استعارة مجازية وعلى هذا
جمهور الحذاق وقيل ان الله تعالى احدث فيهما ادراكا وفهما لمعاني
الخطاب وروي ان اعرابيا سمع هذه الاية فقال هذا كلام القادرين
وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل الى هذه الاية امسك عن المعارضة
وقال هذا الكلام لا يستطيع احد من البشر ان يأتي بمثله وقال ابن عباس
في قوله وقضي الامر غرق من غرق ونجا من نجا وقال مجاهد قضي الامر
بهلاكهم وقال ابن عطية قضي الامر فرغ منه وقال ابن الانباري
احكمت هلكة قوم نوح وقال الزمخشري انجز ما وعد الله نوحا من هلاك
قومه واستوت اي استقرت السفينة على الجودي واستقرارها يوم
عاشوراء من المحرم قاله ابن عباس والضحاك وقيل يوم الجمعة وقيل
في ذي الحجة واقامت على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وذكروا
ان الجبال تطاولت وتخاشع الجودي وحديث بعث نوح عليه السلام
الغراب والحمامة ليأتياه بخبر كمال الغرق الله اعلم بما كان من ذلك
وقرأ الاعمش وابن ابي عبلة على الجودي بسكون الياء مخففة قال

ابن عطية وهما لغتان وقال صاحب اللوامح سوى تخفيف ياء النسب وهذا التخفيف من بابه الشعر لشذوذه والظاهر أن قوله وقيل بعدًا من قول الله تعالى كالأفعال السابقة وبني الجميع للمفعول للعلم بالفاعل وقيل من قول نوح والمؤمنين قيل ويحتمل أن يكون من قول الملائكة قيل ويحتمل أن يكون ذلك عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغ وإن لم يكن ثم قول محسوس ومعنى بعدًا هلاكًا يقال بعد يبعد بعدًا وبعدًا إذا هلك واللام في القوم من صلة المصدر وقيل يتعلق بقوله وقيل وأن التقدير وقيل لأجل الظالمين إذ لا يمكن أن يخاطب الهالك إلا على سبيل المجاز ومعنى ونادى نوح ربه أي أراد أن يناديه ولذلك أدخل الفاء إذ لو كان أراد حقيقة النداء والإخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في فقال ولسقطت كما لم تدخل في قوله إذ نادى ربه نداء خفيًا قال رب والواو في هذه الجملة لا ترتب أيضًا وذلك أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ويظهر من كلام الطبري أن ذلك من بعد غرق الابن وفي قوله إن ابني من أهلي ظهور أنه ولده لصلبه ومعنى من أهلي أي الذين أمرت أن أحملهم في السفينة بقوله احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه الله بقوله إلا من سبق عليه القول لظنه أنه مؤمن وعموم قوله ومن آمن يشمل من آمن من أهله ومن غير أهله وحسن الخطاب بقوله وإن وعدك الحق أي الوعد الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي وأنت أعلم الحكام وأعدلهم قال الزمخشري ويجوز أن يكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما يقال دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انتهى ومعنى ليس من أهلك على قول من قال إنه ابنه لصلبه أي الناجين أو الذين عمهم الوعد ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله حقيقة إذ لا نسبة بينه وبينه بولادة فعلى هذا ينفي ما قدر أنه داخل في قوله وأهلك ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه عمل غير صالح والظاهر أن الضمير في أنه عائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله ونادى المتضمن سؤال ربه وجعله نفس العمل مبالغة في ذمه فقال إنما هي إقبال وإدبار هذا على قراءة جمهور السبعة **وقرأ** الكسائي عمل غير صالح جعله فعلا ناصبًا غير صالح وهي قراءة علي وأنس وابن عباس وعائشة وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يرجح أن الضمير يعود على ابن نوح قيل ويرجح كون الضمير في أنه عائدًا على نداء نوح المتضمن السؤال أن في مصحف ابن مسعود أنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم وقيل يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سؤال نوح المعنى أن كونه مع الكافرين وتركه الركوب مع المؤمنين عمل غير صالح وكون الضمير في أنه عائدًا على غير ابن نوح عليه

السلام

السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن قال الزمخشري **فإن قلت** فهلا قيل إنه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك **وقرأ** الصاحبيان تسألن بتشديد النون مكسورة **وقرأ** أبو جعفر وشيبة وزيد بن علي كذلك إلا أنهم أثبتوا الياء بعد النون وابن كثير بتشديدها مفتوحة وهي قراءة ابن عباس **وقرأ** الحسن وابن أبي مليكة تسألني من غير همز من سال يسال وهما يتساولان وهي لغة سائرة **وقرأ** باقي السبعة بالهمز وإسكان اللام وكسر النون وتخفيفها وأثبت الياء في الوصل ورش وأبو عمرو وحذفها الباقون قال الزمخشري فلا تلتمس ملتمسًا أو التماسًا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه **فإن قلت** لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين **فإن قلت** قد وعد الله أن ينجي أهله وما كان عنده أن الابن ليس منهم دينًا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيمًا لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر وجعل سؤاله جهلا **قلت** إن الله عز وجل قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب العذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب بما يجب أن لا يشتبه وقال ابن عطية ومعنى قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم أي إذ وعدتك فاعلم يقينًا أنه لا خلف في الوعد فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أن ذلك لحق واجب عند الله ولكن نوحًا عليه السلام حملته شفقة البنوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفيع في قوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم أي لا تطلب مني أمرًا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا إلى هذا أبو علي الفارسي وقال إن به يجوز أن يتعلق بلفظ عام كما **قال الشاعر**

كان جزائي بالعصا أن أجلدا ه ويجوز أن يكون به بمنزلة فيه فتتعلق

الباء بالمستقر واختلاف هذين الوجهين انما هو لفظي والمعنى في الاية واحد
وذكر الطبري عن ابن زيد تاويلا في قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين
لا يليق بمنصب النبوة تركناه وتوقف عليه في تفسير ابن عطية وقيل سال نوح
ربه حين صار عنه ابنه بمعزل وقيل قبل ان غرق هلاكه وقيل بعد ان عرف
هلاكه ثم سال الله له المغفرة انا اسالك من ان اطلب في المستقبل ما لا علم
لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك وهذه انابة من نوح عليه
السلام وتسليم لامر الله قال ابن عطية والسؤال الذي وقع النهي عنه
والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة
وطلبة ملحة فيما قد حجبت وجه الحكمة فيه واما السؤال في الامور
على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا وظاهر قوله فلا تسالني
ما ليس لك به علم يعم النحوين من السؤال ولذلك نبهت على ان المراد
احدهما دون الاخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير انتهى
ونسب نوح عليه السلام النقص والذنب الى نفسه تادبا مع ربه فقال
وان لا تغفر لي اي ما فرط من سؤالي وترحمني بفضلك وهذا كما قال ادم
عليه السلام ⊙ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم
ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب
نوحيها ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين
⊙ بني الفعل للمفعول فقيل القائل هو الله تعالى وقيل الملائكة تبليغا
عن الله والظاهر الاول لقوله منا وسنمتعهم امر عند نزوله بالهبوط
من السفينة او من الجبل مع اصحابه للانتشار في الارض والباء للحال
اي مصحوبا بسلامة وامن وبركات وهي الخيرات النامية في كل الجهات
ويجوز ان يكون السلام بمعنى التسليم اي اهبط مسلما عليك مكرما وقرئ
اهبط بضم الباء وحكى عبد العزيز بن يحيى وبركة على التوحيد عن الكسائي
وبشر بالسلامة ايذانا له بمغفرة ربه له ورحمته اياه وباقامته في الارض
امنا من الافات الدنيوية اذ كانت الارض قد خلت مما ينتفع به من
النبات والحيوان فكان ذلك تبشيرا له بعود الارض الى احسن حالها
ولذلك قال وبركات عليك اي دائمة باقية عليك والظاهر
ان من لابتداء الغاية اي ناشئة من الذين معك وهم الامم المؤمنون
الى اخر الدهر قال الزمخشري ويحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين
كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وقيل لهم امم لان الامم
تتشعب منهم انتهى وهذا فيه بعد تكلف اذ يصير التقدير وعلى امم
هم من معك ولو اريد هذا المعنى لاغنى عنه وعلى امم معك او وعلى من معك
فكان يكون اخصر واقرب الى الفهم وابعد عن اللبس وارتفع امم
على الابتداء قال الزمخشري وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره
وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى

قوله عز وجل قيل يا نوح

ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وامم
ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار انتهى ويجوز ان تكون امم مبتدا ومحذوف
الصفة وهي المسوغة لجواز الابتداء بالنكرة والتقدير وامم منهم اي ممن
معك اي ناشئة ممن معك وسنمتعهم هو الخبر كما قالوا السمن منوان بدرهم
اي منوان منه فحذف منه وهو صفة لمنوان ولذلك جاز الابتداء بمنوان
وهو نكرة ويجوز ان يقدر مبتدا ولا يقدر صفة والخبر سنمتعهم ومسوغ
الابتداء كون المكان مكان تفصيل فكان مثل قول الشاعر
⊙ اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
وقال القرطبي ارتفعت وامم على معنى ويكون امم انتهى فان كان اراد تفسير
معنى فحسن وان اراد الاعراب فليس بجيد لان هذا ليس من مواضع اضمار يكون
وقال الاخفش هذا كما تقول كلمت زيدا وعمرو جالس انتهى فاحتمل ان يكون
من باب عطف الجمل واحتمل ان تكون الواو للحال ويكون حالا مقدرة لانه
وقت الامر بالهبوط لم تكن تلك الامم موجودة وقال ابو البقاء وامم معطوف
على الضمير في اهبط تقديره اهبط انت وامم وكان الفصل بينهما مغنيا
عن التاكيد وسنمتعهم نعت لامم انتهى وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان
لان الذين كانوا مع نوح في السفينة انما كانوا مؤمنين لقوله ومن امن ولم
يكونوا قسمين كفارا ومؤمنين فيكون الكفار مامورين بالهبوط مع نوح
الا ان قدر انهم اولئك المؤمنين من يكفر بعد الهبوط واخبر عنهم بالحالة التي
يؤولون اليها فيمكن على بعد والذي ينبغي ان يفهم من الاية ان من معه
ينشا منهم مؤمنون وكافرون ونبه على الايمان بان المتصفين به
من الله عليهم سلام وبركة وعلى الكفر بان المتصفين به يمتعون في
الدنيا ثم يعذبون في الاخرة وذلك من باب الكناية لقولهم فلان
طويل النجاد كثير الرماد وظاهر قوله ممن معك يدل على ان المؤمنين
والكافرين نشؤا ممن معه والذين كانوا معه في السفينة ان كانوا اولاده
الثلاثة فقط او معهم نساؤه انتظم قول المفسرين ان نوحا عليه السلام هو
ابو الخلق كلهم وسمي ادم الاصغر لذلك وان كانوا اولاده وغيرهم على الاختلاف
في العدد فان كان غير اولاده مات ولم ينسل صح انه ابو البشر بعد ادم
ولم يصح انه نشا ممن معه مؤمن وكافر الا ان اريد بالذين معه اولاده
فيكون من اطلاق العام ويراد به الخاص وان كانوا نسلوا كما عليه اكثر
المفسرين فلا ينتظم انه ابو البشر بعد ادم بل الخلق بعد الطوفان منه
وممن كان معه في السفينة والامم الممتعة ليسوا معينين بل هم عبارة
عن الكفار وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام تلك
اشارة الى قصة نوح عليه السلام وتقدمت اعاريب في مثل هذا التركيب
في قوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك في ال عمران وتلك اشارة
للبعيد لان بين هذه القصة والرسول مددا لا تحصى وقيل الاشارة

ف

قوله عز وجل والى عاد

تلك الى آيات القرآن ومن انباء الغيب وهو الذي تقادم عهده ولم يبق علمه الا عند الله وتوجيه الينك ليكون لك هذه آية واسوة فيما لقيته غيرك من الانبياء ولم يكن علمها عندك ولا عند قومك واعلمناهم بها ليكون مثالا لهم وتحذيرا ان يصيبهم اذا كذبوك ما اصاب اولئك وللحظ هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله فاصبر اي فاصبر على اذاهم مجتهدا في التبليغ عن الله فالعاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة ومعنى ما كنت تعلمها اي مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان وان كان معلوما عند العالم على سبيل الاجمال والمجوس الان ينكرونه والجملة من قوله ما كنت في موضع الحال من مفعول نوحيها او من مجرور اليك وقدرها الزمخشري معنى فقال اي مجهولة عندك وعند قومك ويحتمل ان يكون خبرا بعد خبر والاشارة بقوله من قبل هذا الى الوقت او الى الايحاء او الى العلم الذي اكتسبته بالوحي احتمالات وفي مصحف ابن مسعود من قبل هذا القرآن وقال الزمخشري ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده ۝ والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون ۝ يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ۝ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ۝ والى عاد معطوف على قوله ارسلنا نوحا الى قومه عطفت الواو المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب كما تعطف المرفوع والمنصوب على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا وليس من باب الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف والمعطوف نحو ضربت زيدا وفي البيت عمرا فيجيء فيه الخلاف الذي بين النحويين هل يجوز في الكلام او يختص بالشعر وتقدير الكلام في هود وعاد واخوته منهم في الاعراف وقرا الكسائي غيره بالخفض وقيل هو من فعل محذوف اي وارسلنا الى عاد اخاهم فيكون اذ ذاك من عطف الجمل والاول من عطف المفردات وهذا اقرب لطول الفصل بالجمل الكثيرة بين المتعاطفين وهودا بدلا وعطف بيان وقرا ابن محيصن يا قوم بضم الميم كقراءة حفص قل رب احكم بالضم وهي لغة في المنادى المضاف حكاها سيبويه وغيره وافتراؤهم قال الحسن في جعلهم الالوهية لغير الله تعالى وقال الزمخشري باتخاذكم الاوثان له شركاء والضمير في عليه عائد على الدعاء الى الله ونبه بقوله الذي فطرني على الرد عليهم في عبادتهم الاصنام واعتقادهم انها تفعل وكونه تعالى هو الفاطر للموجودات يستحق افراده بالعبادة وافلا تعقلون توقيف على استحالة الالوهية لغير الفاطر ويحتمل ان يكون افلا تعقلون راجعا الى انه اذا لم اطلب عرضا منكم وانما

قوله عز وجل قالوا يا هود

اريد نفعكم فيجب انقيادكم لما فيه نجاتكم كانه قيل افلا تعقلون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك وتقدم الكلام في استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اول هذه السورة فقصد هود استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من هذه القوة والبطش والباس مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل في النكاح قيل وحبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وقد انتزع الحسن بن علي كرم الله وجهه من هذا او من قوله ويمددكم باموال وبنين ان كثرة الاستغفار قد يجعل الله سببا لكثرة الولد واجاب من سأله وأخبره انه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار فاكثر من ذلك فولد له عشر بنين ۝ وروى ابو صالح عن ابن عباس في قوله ويزدكم قوة انه الولد وولد الولد وقال مجاهد وابن زيد في الجسم والباس وقال الضحاك خصبا الى خصبكم وقيل نعمة الى نعمته الاولى عليكم وقيل قوة في ايمانكم الى قوة في ابدانكم ۝ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ۝ ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ۝ اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ۝ ببينة اي بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قريش في قولهم لولا انزل عليه آية من ربه وقد جاءهم بآيات كثيرة او لعماهم عن الحق وعدم نظرهم في الايات اعتقدوا انه ما جاء بآية فقالوا لو ما جئتنا ببينة تلجئنا الى الايمان والا فهود وغيره من الانبياء لهم معجزات وان لم يعين لنا بعضها الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وعن في عن قولك حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل صادرين عن قولك قاله الزمخشري وقيل عن للتعليل كقوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه فتتعلق بتاركي كانه قيل لقولك وقد اشار الى التعليل والسبب فيها ابن عطية فقال اي لا يكون قولك سببا لتركنا اذ هو مجرد عن آية والجملة بعدها تاكيد وتقنيط له من دخولهم في دينه ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم الى الله وافراده بالالوهية الى الخبل والجنون وان ذلك مما اعتراه به بعض الهتهم لكونه سبها وحرض على تركها ودعا الى ترك عبادتها فجعلته يتكلم مكافاة بما يتكلم به المجانين كما قالت قريش معلم مجنون ام يقولون به جنة واعتراك جملة محكية بنقول وهي في موضع المفعول ودلت على بله شديد وجهل مفرط حيث اعتقدوا

في حجارة انها تنتصر وتنتقم وقول هود عليه السلام لهم في جواب ذلك اني اشهد
الله الى اخره حيث تبرأ من الهتهم وحرضهم كلهم مع انفراده وحده على كيده
بما شاؤا وعدم مناجزه من اعظم الايات على صدقه وثقته بموعود ربه من النصرة
والتأييد والعصمة من ان ينالوه بمكروه وهذا وهم حريصون على قتله يرمونه
عن قوس واحدة ومثله قول نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون
واكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم
الامر بشهادة الله وشهادة العباد وقال الزمخشري **فان قلت** هلا
قيل اني اشهد الله واشهدكم **قلت** لان اشهاد الله على البراءة
من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد واما اشهادهم
فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به
عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة انتهى
واني بريء تنازع فيه اشهد واشهدوا وقد يتنازع المختلفان في التعدي
الاسم الذي يكون صالحا لان يعملا فيه تقول اعطيت زيدا ووهبت
لعمرو دينارا كما يتنازع اللازم والمتعدي نحو قام وضربت زيدا وما في
مما تشركون موصولة اما مصدرية واما بمعنى الذي اي بريء من اشراككم
الهة من دونه او من الذي تشركون وجميعا حال من ضمير كيدوني الفاعل
والخطاب انما هو لقومه وقال الزمخشري انتم والهتكم انتهى قيل
ومجاهرة هود عليه السلام لهم بالبراءة من اوثانهم وحضهم اياه على كيده
هم واصنامهم معجزة لهود عليه السلام اذ حرض جماعتهم عليه مع انفراده
وقوتهم وكثرتهم فلم يقدروا على نيله بسوء ثم ذكر توكله على الله معلما انه
ربه وربهم ومنبها على انه من حيث هو ربكم يجب عليكم ان لا تعبدوا الا اياه
ومفوضا امره اليه تعالى ثقة بحفظه وانجاز موعوده ثم وصف قدرة
الله تعالى وعظم ملكه من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه فانتم من جملة اولئك المقهورين وقوله اخذ بناصيتها تمثيل
اذ كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الاسير
والفرس بناصيته حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان
وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه
وقبض على ناصيته قال ابن جريج وخص الناصية لان العرب اذا وصفت
انسانا بالذلة والخضوع قالت ما ناصية فلان الا بيد فلان اي
انه مطيع له يصرفه كيف يشاء ثم اخبر ان افعاله تعالى في غاية الاحكام
وعلى طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده من توكل
عليه قوله الصدق ووعده الحق **وقرأ** الجمهور فان تولوا اي تتولوا
مضارع تولى **وقرأ** الاعرج وعيسى الثقفي تولوا بضم التاء واللام
مضارع ولي وقيل تولوا ماض ويحتاج في الجواب الى اضمار قول
اي فقل لهم فقد ابلغتكم ولا حاجة تدعو الى جعله ماضيا واضمار القول

وقال

وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون تولوا فعلا ماضيا ويجيء في الكلام رجوع من
غيبة الى خطاب اي فقد ابلغتكم انتهى فلا يحتاج الى اضمار والظاهر ان
الضمير في تولوا عائد على قوم هود وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبل
وقال التبريزي هو عائد على كفار قريش وهو من تلوين الخطاب انتقل من خطاب
قوم هود الى الاخبار عن من بحضرة الرسول وكانه قيل اخبرهم عن قصة قوم
هود وادعهم الى الايمان بالله لئلا يصيبهم كما اصاب قوم هود فان تولوا
فقل لهم قد ابلغتكم وجواب الشرط هو قوله فقد ابلغتكم وصح ان يكون جوابا
لان في ابلاغهم اليهم ابلاغه اليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب
المستأصل فكانه قيل فان تتولوا استؤصلتم بالعذاب وتدل على ذلك الجملة
الخبرية وهي قوله ويستخلف ربي قوما غيركم وقال الزمخشري **فان قلت**
الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط **قلت** معناه فان تولوا لم اعاتب
على تفريط في الابلاغ فانما ارسلت به اليكم فقد بلغتكم فابيتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ه وقال ابن عطية المعنى انه ما علي كبير همّ منكم ان توليتم
فقد برئت ساحتي بالتبليغ وانتم اصحاب الذنب في الاعراض عن الايمان
وقرأ الجمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف اي يهلككم
ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم **وقرأ** حفص في رواية
هبيرة بجزمها عطفا على موضع الجزاء **وقرأ** عبد الله كذلك وبجزم
ولا تضروه **وقرأ** الجمهور ولا تضرونه اي شيئا من الضرر بتوليكم لانه تعالى
لا يجوز عليه المضار والمنافع قال ابن عطية يحتمل من المعنى وجهين
احدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا اي لا ينتقص ملكه ولا يختل
امره وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا والمعنى
الاخر ولا تضرونه اي ولا تقدرون اذا اهلككم على اضراره بشيء ولا
على انتصار منه ولا تقابلون فعله بشيء يضره انتهى وهذا فعل منفي
ومدلوله نكرة فينتفي جميع وجوه الضرر ولا يتعين واحد منها ومعنى حفيظ
رقيب محيط بالاشياء علما لا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم
وهو يحفظني مما تكيدونني به ه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا
معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ه
الامر واحد الامور فيكون كناية عن العذاب او عن القضاء بهلاكهم
او مصدر امر اي امرنا للريح او للخزنة والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة
الاف وقيل ثلاثة الاف والظاهر تعلق برحمة منا بقوله نجينا
اي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم لا باعمالهم الصالحة او كني بالرحمة
عن اعمالهم الصالحة اذ توفيقهم لها انما هو بسبب رحمته تعالى اياهم
ويحتمل ان يكون متعلقا بامنوا اي ان ايمانهم بالله وبتصديق رسوله

قب

قوله عز وجل ولما جاء امرنا

انما هو برحمة الله تعالى اياهم اذ وفقهم لذلك وتكررت التنجية على سبيل
التوكيد ولتعلق من لولا صفت منا فاعيدت التنجية ومعنى الاولى وتكون
هذه التنجية هي من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه فاعيدت لاجل
اختلاف متعلقها وقال الزمخشري **فان قلت** فما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من
عذاب غليظ قال وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت
تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم وتقطعهم عضوا عضوا انتهى وهذا قاله
الزجاج وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد وكانت النجاة المتقدمة من
عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديدا للنعمة ومشهور
عذابهم الريح انها كانت تحمل الحجر وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الظعينة
كما هي ونحو هذا وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال
سيحوا في الارض وانظروا اليها واعتبروا ثم استانف الاخبار عنهم
فقال جحدوا بآيات ربهم اي انكروها واضاف الآيات الى ربهم
تنبيها على انه مالكهم ومربيهم فانكروا آياته والواجب اقرارهم بها واصل
جحد ان يتعدى بنفسه لكنه اجري مجرى كفر فعدي بالباء كما عدي كفر
بنفسه في قوله الا ان عادا كفروا ربهم اجراء له مجرى جحد وقيل كفر كشكر
يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر وعصوا رسله قيل عصوا هودا
والرسل الذين كانوا من قبله وقيل نزل تكذيب الرسول الواحد منزلة
تكذيب الرسل لانهم كلهم مجمعون على الايمان بالله والاقرار بربوبيته
كقوله لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا اي اتبع سقاطهم امر رؤسائهم
وكبرائهم والمعنى انهم اطاعوهم فيما امروهم به قال الكلبي الجبار هو الذي
يقتل على الغضب ويعاقب على المعصية وقال الزجاج هو الذي يجبر
الناس على ما يريد وذكر ابن الانباري انه العظيم في نفسه المتكبر على
العباد والظاهر ان قوله واتبعوا عام في جميع عاد وقال الزمخشري
لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم على وجوههم في عذاب الله انتهى فظاهر كلامه يدل على ان اللعنة
مختصة بالتابعين للرؤساء ونبه على علة اتباع اللعنة لهم
في الدارين بانهم كفروا ربهم فالكفر هو الموجب للعنة ثم كرر التنبيه
بقوله الا وفي الدعاء عليهم تهويلا لامرهم وتفظيعا له وبعثا على
الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وفائدة قوله قوم هود مزيد التاكيد
للمبالغة في التنصيص وتعيين عاد هذه من عاد ارم لان عادا اثنان
ولذلك قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فتحقق على ان الدعاء
على عاد هذه ولم يلتبس بغيرها ه **الصيحة** فعلة للمرة الواحدة من الصياح
يقال صاح يصيح اذا صوت بقوة **حنذت** الشاة احنذها حنذا
شويتها وجعلت فوقها حجارة لتنضجها فهي حنيذ وحنذت الفرس

المفردات

احضرته

احضرته شوطا او شوطين ثم ظاهرت عليه الجلال لتخرج السمن ليعرق **اوجس**
الرجل قال الاخفش خامر قلبه وقال الفراء استشعر وقيل احس والوجيس
ما يعتري النفس عند اوائل الفزع ووجس في نفسه كذا اخطره بها يجس وجسا
ووجوسا وتوجس تسمع وتحسس **قال الشاعر**

وصادقتا سمع التوجس للسرى ... لهجس خفي او لصوت مندد

الضحك معروف وكان ينبغي ان يذكر في سورة التوبة في قوله فليضحكوا قليلا
ويقال ضحكت بفتح الحاء والضحكة الكثير الضحك والضحكة المضحوك
منه ويقال ضحكت الارنب اي حاضت وانكره ابو عبيدة والفراء وابو عبيد
ضحكت بمعنى حاضت وعرفه غيرهم ه

وقال الشاعر انشده اللغويون

وضحك الارانب فوق الصفا ... كمثل دم الجوف يوم اللقا

وقال آخر

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ... ولم يعد حقا ثديها ان تحلما

اي حائضا في لبانة واللبانة الحاجة والشوذ واحد ومنه ضحكت
الكافورة اذا انشقت وضحكت الشجرة سال صمغها وهو شبه الدم
وضحك الحوض امتلأ وفاض **الشيخ** معروف والفعل شاخ يشيخ
وقد يقال للانثى شيخة **قال** وتضحك مني شيخة عبشمية
ويجمع على اشياخ وشيوخ وشيخان ومن اسماء الجموع مشيخة ومشيوخاء
المجيد قال ابن الاعرابي الرفيع يقال مجد يمجد مجدا ومجادة ومجد لغتان
اي كرم وشرف واصله من مجدت الابل تمجد مجدا شبعت وقال الاصمعي
امجدت الدابة اكثرت علفها وقال ابو حية النميري

تزيد على صواحبها وليست ... بماجدة الطعام ولا الشراب

اي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب وقال الليث امجد فلان عطاءه
ومجده اذا كثره ومن امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي
استكثر من النار وقال ابن عطية مجد الشيء اذا حسنت اوصافه

الروع الفزع **قال الشاعر**

اذا اخذتها هزة الروع امسكت ... بمنكب مقدام على الهول اروعا

والفعل راع يروع **قال الشاعر**

ما راعني الا حمولة اهلها ... وسط الديار تسف حب الخمخم

وقال النابغة

فارتاع من صوت كلاب فبات له ... طوع الشوامت من خوف ومن صرد

والروع بضم الراء النفس لانها موضع الروع **الذرع** مصدر ذرع البعير
بيديه في سيره اذا سار على قدر خطوه ماخوذ من الذراع ثم وضع موضع
الطاقة فقيل ضاق به ذرعا وقد يجعلون الذراع موضع الذرع
قال الشاعر اليك اليك ضاق بها ذراعا وقيل

قوله عز وجل وإلى ثمود

كنى بذلك عن ضيق الصدر العصيب والعصبصب والعصوصب الشديد اللازم
الشر الملتف بعضه ببعض قال الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد ... وقد سلكوك في يوم عصيب

قال أبو عبيدة سمي عصيبا لأنه يعصب الناس بالشر والعصبة والعصابة
الجماعة المجتمعة كلمتهم أو المجتمعون في النسب وتعصبت لفلان وفلان
معصوب أي مجتمع الخلق الإهراع قال شمر مشي بين الهرولة والجمز وقال
الهروي هرع الرجل وأهرع استحث الضيف مصدر وإذا أخبر به
أو وصف لم يطابق في تثنية ولا جمع هذا المشهور وسمع فيه ضيوف وأضياف
وضيفان الركن معروف وسمي الناحية من البيت أو الجبل ويقال ركن
بضم الكاف ويجمع على أركان سرى وأسرى بمعنى واحد قاله أبو عبيدة
والأزهري وعن الليث سرى سار أول الليل وسرى سار آخره ولا يقال
في النهار إلا سار السجيل والسجين الشديد من الحجر قاله أبو عبيدة
وقال الفراء طين طبخ حتى صار بمنزلة الآجر وقيل هو فارسي وسنك الحجر
وكل الطين فعرب فقيل سجيل المنضود المجعول بعضه فوق بعض

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم
من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا
لفي شك مما تدعونا إليه مريب قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وإلى ثمود بالصرف
على إرادة الحي والجمهور على منع الصرف ذهابا إلى القبيلة أنشأكم اخترعكم
وأوجدكم وذلك باختراع آدم عليه السلام أصلهم فكان إنشاء الأصل
إنشاء للفرع وقيل من الأرض باعتبار الأصل المتولد منه النبات المتولد
منه الغذاء المتولد منه المني ودم الطمث المتولد منهما الإنسان وقيل
من بمعنى في واستعمركم جعلكم عمارا وقيل استعمركم من العمر أي استبقاكم فيها
قاله الضحاك أي أطال أعماركم وقيل من العمرى قاله مجاهد فيكون
استعمر في معنى أعمر كاستهلكه في معنى أهلكه والمعنى أعمركم فيها دياركم ثم
هو وارثها منكم أو بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن من ورث داره من
بعده فإنه أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره وقال زيد بن أسلم
استعمركم أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار
وقيل ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها إن ربي قريب
أي داني الرحمة مجيب لمن دعاه قد كنت فينا مرجوا قال كعب الأحبار
كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم لأنه كان ذا حسب وثروة وعن ابن عباس
فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقال مقاتل كانوا يرجون رجوعه إلى
دينهم إذ كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم فلما أظهر إنذارهم انقطع
رجاؤهم منه وبسط الزمخشري هذا القول فقال فينا فيما بيننا مرجوا
كانت تلوح فيك مخايل وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك

وتكون

سار وأرخ

وتكون مشاورا في الأمور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول
انقطع رجاؤنا منك وعلمنا أن لا خير فيك انتهى وقيل لما كان قوي الخاطر
وكان من قبيلتهم قوي رجاؤهم فيه أن ينصر دينهم ويقوي مذهبهم وقال
ابن عطية والظاهر الذي حكاه الجمهور أن قوله مرجوا مشورا نؤمل فيك
أن تكون سيدا سادا مسد الأكابر ثم قرروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم
أتنهانا وحكى النقاش عن بعضهم أنه قال معناه حقيرا فأما أن يكون لفظ
مرجو بمعنى حقير فليس ذلك في كلام العرب وإنما يتجه ذلك على جهة
التفسير للمعنى وذلك أن القصد بقولهم مرجوا يقول لقد كنت فينا سهلا
مرامك قريبا رد أمرك ممن لا يظن أن يستفحل من أمره مثل هذا فمعنى
مرجوا أي مؤخرا اطراحه وغلبته ونحو هذا فيكون ذلك على جهة الاحتقار
ولذلك فسره بحقير ثم يجيء قولهم أتنهانا على جهة التوعد والاستبشاع
لهذه المقالة منه انتهى وما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية وإننا وإنا
لغتان لقريش قال الفراء من قال إننا أخرج الحرف على أصله لأن
كناية المتكلمين نا فاجتمعت ثلاث نونات ومن قال إنا استثقل
اجتماعها فأسقط الثالثة وأبقى الأوليين انتهى والذي أختاره
أن نا ضمير المتكلمين لا تكون المحذوفة لأن في حذفها حذف بعض اسم
وبقي منه حرف ساكن وإنما المحذوفة النون الثانية من إن فحذفت
لاجتماع الأمثال وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة وهذا أولى
من حذف ما بقي منه حرف وأيضا فقد عهد حذف هذه النون مع غير
ضمير المتكلمين ولم يعهد حذف نون نا فكان حذفها من إن أولى
ومريب اسم فاعل من أرابه أو فعيل في الريبة وهي قلق النفس
وانتفاء الطمأنينة أو من لازم أراب الرجل إذا كان ذا ريبة وأسند
ذلك إلى الشك إسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود التصميم
على الكفر

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه
رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك
وعد غير مكذوب تقدم الكلام في أرأيتم في قصة نوح والمفعول
الثاني هنا لأرأيتم محذوف يدل عليه قوله فمن ينصرني من الله
إن عصيته والتقدير أعصيه في ترك ما أنا عليه من البينة وقال
ابن عطية أرأيتم هو من رؤية القلب والشرط الذي بعده وجوابه يسد
مسد مفعولي علمت وأخواتها وأدخل أداة الشرط التي هي إن على
جملة محققة وهي كان على بينة من ربه لكنه خاطب الجاحدين
للبينة فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وانظروا إن تابعتكم
وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذابه قال ابن عطية وفي الكلام

قوله عز وجل قال يا قوم

محذوف تقديره ايضرني شككم او ايكسبني طاعتكم ونحو هذا مما يليق بمعنى الاية
انتهى وهذا التقدير الذي قدره استشعار منه بالمفعول الثاني الذي
يقتضيه أرأيتم وان الشرط وجوابه لا يقعان ولا يسدان مسد مفعولي
ارأيتم والذي قدرناه نحن يبدو الظاهر لدلالة قوله فمن ينصرني من الله ان
عصيته فما تزيدونني غير تخسير قال الزمخشري غير ان اخسركم اي
انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون انتهى ففعل هنا للنسبة
كفسقته وفجرته اي نسبته الى الفسق والفجور وقال ابن عباس معناه
ما تزيدونني بعبادتكم الا بصارة في خساركم انتهى فهو على حذف مضاف
اي غير بصارة بخسركم وقال مجاهد ما تزدادون انتم باحتجاجكم بعبادة
ابائكم الا خسارا واضاف الزيادة الى نفسه لانهم اعطوه ذلك وكان
سألهم الايمان وقال ابن عطية فما تعطونني فيما اقتضيه منكم من الايمان
غير تخسير لانفسكم ومعنى الخسارة وليس التخسير الا لهم وفي حيزهم واضاف
الزيادة اليه من حيث هو مقتض لاقوالهم موكل بايمانهم كما تقول لمن توصيه
انا اريد بك خيرا وانت تزيدني شرا وكان الوجه البين ان تقول وانت
تزيد شرا لكن من حيث كنت مريد خير ومقتضي ذلك حسن ان تضيف
الزيادة الى نفسك انتهى وقيل التقدير فما تحملونني عليه غير اني اخسركم
اي ارى منكم الخسران وقيل التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها قيل
وهذا اقرب لان قوله فمن ينصرني من الله ان عصيته كالدلالة على انه
ان اراد اتباعكم فيما انتم عليه ودعوتموني اليه لم ازدد الا خسرانا
في الدين فاصير من الهالكين الخاسرين وانتصب اية على الحال
والخلاف في الناصب في نحو هذا زيد منطلقا امن حرف التنبيه او اسم
الاشارة او فعل محذوف جار في نصب اية ولكم في موضع الحال
لانه لو تأخر لكان نعتا لاية فلما تقدم على النكرة كان حالا والعامل فيها
محذوف ٥ وقال الزمخشري **فان قلت** فيم يتعلق لكم **قلت**
باية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصب على الحال انتهى وهذا متناقض لانه من حيث تعلق لكم باية
كان لكم معمولا لاية واذا كان معمولا لها امتنع ان يكون حالا منها لان الحال
تتعلق بمحذوف فتناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها
كانت هي العاملة ومن حيث كونه حالا منها كان العامل غيرها وتقدم
الكلام على الجمل التي بعد اية **وقرأت فرقة** تأكل بالرفع على
الاستئناف او على الحال وقريب عاجل لا يستأخر عن مسكم اياها بسوء
الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم تقع عليكم وهذا الاخبار بوحي من الله
تعالى فعقروها نسب الى جميعهم وان كان العاقر واحدا لانه كان
برضى منهم وتمالؤ ومعنى تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم
وتسمى البلاد الديار لانها يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر

لبلادهم

لبلادهم قاله الزمخشري وقال ابن عطية في داركم جمع دارة كساحة وساح
وسوح ومنه **قول امية بن ابي الصلت** ٥
٥ له داع بمكة مشمعل ... وآخر فوق دارته ينادي ٥
ويمكن ان يسمى جميع مسكن الحي دارا انتهى ذلك اي الوعد بالعذاب
غير مكذوب اي صدق حق والاصل غير مكذوب فيه فاتسع بحذف الحرف
واجري الضمير مجرى المفعول به او جعل غير مكذوب لانه وفي به فاذا وفي به
فقد صدق او على ان المكذوب هنا مصدر عند من يثبت ان المصدر يجيء على
زنة مفعول ٥ فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
الا بعدا لثمود ٥ والكلام في جاء امرنا كالكلام السابق في قصة قوم هود
قيل والواو زائدة في ومن خزي يومئذ فتتعلق من بنجينا وهذا لا يجوز
عند البصريين لان الواو لا تزاد عندهم بل تتعلق من بمحذوف اي ونجيناهم
من خزي اي وكانت التنجية من خزي يومئذ **وقرأ** طلحة وابان بن تغلب
ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي **وقرأ** الجمهور
بالاضافة وفتح الميم نافع والكسائي وهي فتحة بناء لاضافته الى اذ وهو غير متمكن
وقرأ باقي السبعة بكسر الميم وهي حركة اعراب والتنوين في اذ تنوين عوض
من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم
وقال الزمخشري ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الاخرة انتهى وهذا ليس بجيد لانه لا تنوين في اذ تنوين
العوض ولم يتقدم الا قوله فلما جاء امرنا ولم يتقدم جملة فيها ذكر يوم القيمة
ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضا من الجملة التي تكون في يوم
القيمة وناسب مجيء الامر وصفه تعالى بالقوي العزيز فانهما من صفات
الغلبة والقهر والانتقام والجملة التي بعد هذا تقدم الكلام عليها
في الاعراف الا ان ثمود منع حمزة وحفص صرفه وصرفه الباقون لثمود
صرفه الكسائي ومنعه باقي السبعة ٥ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل
اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته
قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قالت
يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ٥ تقدم
ان ترتيب قصص هذه السورة كترتيب قصص الاعراف وانما ادرج
شيئا من اخبار ابراهيم عليه السلام بين قصة صالح ولوط لان له مدخلا
في قصة لوط وكان ابراهيم ابن خالة لوط والرسل هنا الملائكة بشرت
ابراهيم بثلث بشائر بالولد وبالخلة وبانجاء لوط ومن امن معه

قوله عز وجل فلما جاء امرنا نجينا صالحا

قوله عز وجل ولقد جاءت

فقيل كانوا اثني عشر ملكا روي ذلك عن ابن عباس وقال السدي احد عشر وحكى
صاحب الغنيان عشرة منهم جبريل وقال الضحاك تسعة وقال محمد بن كعب
ثمانية وحكى الماوردي اربعة وقال ابن عباس وابن جبير ثلثة جبريل
وميكائيل واسرافيل وقال مقاتل جبريل وميكائيل وملك الموت
وروي ان جبريل كان مختصا باهلاك قوم لوط وميكائيل ببشرى ابراهيم
واسحق واسرافيل بانجاء لوط ومن آمن معه قيل وكانت الملائكة جردا
مردا على غاية من الحسن والجمال والبهجة ولهذا يضرب بهم المثل في الحسن
كما قال تعالى حكاية عن من قيل في يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم **وقال الغزي**

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصب سلاما على اضمار الفعل اي سلمنا عليك سلاما فسلاما قطعة
معمولا للفعل المضمر المحكي فقالوا قال ابن عطية ويتجه ان يكون سلاما حكاية
لمعنى ما قالوا لا حكاية للفظهم قاله مجاهد والسدي ولذلك عمل فيه
القول كما تقول للرجل قال لا اله الا الله فقلت حقا واخلاصا
ولو حكيت لفظهم لم يصح ان يعمل فيه القول انتهى ويعني لم يصح ان يعمل
في لفظهم القول يعني في اللفظ وان كان ما لفظوا به في موضع المفعول
للقول وسلام خبر مبتدا محذوف اي امري او امركم سلام او مبتدا محذوف
الخبر اي عليكم سلام والجملة محكية وان كان حذف منها احد جزئيها كما
قال اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة اي طعمه
طعم مدامة **وقرأ** الاخوان قال سلم والسلم السلم الحرمة وحرام
وحرمة **قول الشاعر**

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

اكتل اتخذ اكليلا قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالسلم ضد الحرب
تقول نحن سلم لكم انتهى ونصب سلاما يدل على التجدد ورفع سلام يدل
على الثبوت والاستقرار والاقرب في اعراب فما لبث ان تكون ما نافية
ولبث معناه تأخر وابطأ وان جاء فاعل بلبث التقدير فما تأخر مجيئه
قاله الفراء وجوزوا ان يكون في لبث ضمير ابراهيم فهو فاعل وان جاء
على اسقاط الحرف فقدروا بان وبعن وبفي وجعل بعضهم ان بمعنى حتى حكاه
ابن العربي وان تكون ما مصدرية وذلك المصدر في موضع رفع بالابتداء
وان تكون بمعنى الذي اي فلبثه او الذي لبثه والخبر ان جاء على حذف
اي قدر مجيئه وهذا من ادب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال
ابراهيم البقر فقدم احسن ما فيه وهو العجل قال مجاهد حنيذ مطبوخ
وقال الحسن نضيج مشوي سمين يقطر ودكا وقال السدي سميت
وقيل سميط لا تصل اليه اي الى العجل والمعنى لا يمدون ايديهم الى الاكل
فلم يبق للوصول الناشئ عن المد بل جعل عدم الوصول استعارة عن امتناعهم

من الاكل نكرهم اي انكرهم **قال الشاعر**

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

وانكر فيما لا يرى من المعاني فكان الشاعر قال وانكرتني مودتي ثم جاءت
بنكر الشيب والصلع مما يرى بالبصر ومنه **قول ابي ذؤيب**

فنكرته فنفرت وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع

وروي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت بايديهم في اللحم ولا تصل ايديهم اليه
وينبغي ان ينظر من الضيف هل ياكل او لا ويكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد
النظر لان ذلك مما يجعل الضيف مقصرا في الاكل قيل كان ابراهيم ينزل
في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم اذا مس
من يطرقهم طعامهم امنوا والا خافوه قال الزمخشري والظاهر انه احس بانهم
ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه
الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيما ارسلوا قال مقاتل اوجس وقع في قلبه وقال الحسن
حدث به نفسه قيل واصل الوجوس الدخول فكان الخوف دخل عليه والظاهر
انه لم يعرف انهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر وكان مشغوفا باكرام الضيف
فلذلك جاء في صورتهم ولمسارعته الى احضار الطعام اليهم ولان امتناع
الملائكة من الاكل لا يدل على حصول الشر وانما عرف انهم ملائكة بقولهم لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط فنهوه عن تخوف وقع في نفسه وعرفوا حقيقته بكون
الله جعل لهم من الاطلاع ما لا يجعل لغيرهم كما قال تعالى يعلمون ما تفعلون
وفي الحديث الصحيح قالت الملائكة رب عبدك هذا يريد ان يعمل سيئة
الحديث او بما يلوح في صفحات وجه الخائف وامرأته قائمة جملة من ابتدا
وخبر قال الحوفي وابو البقاء في موضع الحال قال ابو البقاء من ضمير
الفاعل في ارسلنا يعني المفعول الذي لم يسم فاعله والزمخشري يسميه
فاعلا لقيامه مقام الفاعل وقال الحوفي والتقدير ارسلنا الى
قوم لوط في حال قيام امرأته يعني امرأة ابراهيم والظاهر انه حال من ضمير
قالوا اي قالوا لابراهيم لا تخف في حال قيام امرأته وهي سارة بنت
هاران بن ناحور وهي ابنة عمه قائمة اي لخدمة الاضياف وكانت
نساؤهم لا تحتجب كعادة الاعراب ونازلة البوادي والصحراء ولم
يكن التبرج مكروها وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم
الاخلاق قاله مجاهد وجاء في شريعتنا مثل هذا من حديث ابي اسيد
الساعدي وكانت امرأته عروسا فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه
من اصحابه وقال وهب كانت قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
وقال ابن اسحق قائمة تصلي وقال المبرد قائمة عن الولد قال
الزمخشري وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد وقال
ابن عطية وفي قراءة ابن مسعود وهي قائمة وهو جالس ولم يتقدم ذكر امرأة

ابراهيم فيضحر لكنه يفسره سياق الكلام قال مجاهد وعكرمة فضحكت حاضت
وقال الجمهور هو الضحك المعروف فقيل هو مجاز معبر به عن طلاقة
الوجه وسرور بنجاة اخيها وهلاك قومه يقال نبتت على روضة تضحك
اي مشرقة وقيل هو حقيقة فقال مقاتل وروي عن ابن عباس ضحكت
من شدة خوف ابراهيم وهو في اهله وغلمانه والذين جاؤه ثلاثة وهو يعهدهم
يغلب الاربعين وقيل المائة وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم
لوط وقرب العذاب منهم وقال السدي ضحكت من امساك الاضياف
عن الاكل وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا وهم لا ياكلون طعامنا
وقال وهب بن منبه وروي عن ابن عباس ضحكت من البشارة باسحق وقال
هذا مقدم بمعنى التاخير وذكر ابن الانباري ان ضحكها كان سرورا بصدق ظنها
لانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا وكان اخاها فانه سينزل
العذاب بقومه وقيل ضحكت لما رات من المعجز وهو ان الملائكة مسحت
العجل الحنيذ فقام حيا يطفر والذي يظهر والله اعلم انهم لما لم ياكلوا
واوجس في نفسه خيفة بعدما نكرهم لحق المراة من ذلك اعظم ما يلحق
الرجل فلما قالوا لا تخف وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسر
فلحقها من السرور ان ضحكت اذ النساء في باب الفرح والسرور اطرب
من الرجال وغالب عليهن ذلك وقد اشار الزمخشري الى طرف من هذا
فقال فضحكت سرورا بزوال الخيفة وذكر محمد بن قيس سببا لضحكها
تركنا ذكره لفظاعته يوقف عليه في تفسير ابن عطية وقرا محمد بن زياد
الاعرابي رجل من قراء مكة فضحكت بفتح الحاء قال المهدوي وفتح الحاء
غير معروف فبشرناها هذا موافق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة باسحق
وبان اسحق سيلد يعقوب قال ابن عطية اضاف فعل الملائكة الى
ضمير اسم الله تعالى اذ كان ذلك بامره ووحيه وقال غيره لما ولد
لابراهيم عليه السلام اسمعيل من هاجر تمنت سارة ان يكون لها ابن
وايست لكبر سنها فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان هذا بشارة
لها بان ترى ولد ولدها وانما بشروها دونه لان المراة اعجل فرحا بالولد
ولان ابراهيم قد بشروه وامنوه من خوفه فاتبعوه بشارته بشارتها
وقيل خصت بالبشارة حيث لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد اسمعيل
عليه السلام والظاهر ان وراء هنا هو ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول
من عليه كانه قيل ومن بعد اسحق او من خلف اسحق وبمعنى بعد روي
عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة وعن ابن عباس ايضا
ان الوراء ولد الولد وبه قال الشعبي واختاره ابو عبيدة وتسميته وراء
هي قريبة من معنى وراء الظرف اذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده فان قيل
كيف يكون يعقوب وراء لاسحاق وهو ولده لصلبه وانما الوراء ولد الولد

فقد

فقد اجاب عنه ابن الانباري فقال المعنى ومن الوراء المنسوب الى اسحق
يعقوب لانه قد كان الوراء لابراهيم من جهة اسحق فلو قال ومن الوراء
يعقوب لم يعلم اهذا الوراء منسوب الى اسحق ام الى اسمعيل فاضيف
الى اسحق لينكشف المعنى ويزول اللبس انتهى وبشرت من بين
اولاد اسحق بيعقوب لانها راته ولم تر غيره وهذه البشارة لسارة
كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وقيل
كان سنهما غير ذلك وهي اقوال متناقضة وهذه الاية تدل على ان اسمعيل
هو الذبيح لان سارة حين اخدمها الملك الجبار هاجر ام اسمعيل كانت
شابة جميلة فاتخذها ابراهيم سرية فغارت منها سارة فخرج بها
وبابنها اسمعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة وانصرف الى
الشام من يومه ثم كانت البشارة باسحق وسارة عجوز متحالة وسياتي
الدليل على ذلك ايضا من سورة والصافات ويجوز ان يكون الله د
سماها حالة البشارة بهذين الاسمين ويجوز ان يكون الاسمان
حدثا لهما وقت الولادة وتكون البشارة بولد ذكر بعده ولد ذكر وحالة
الاخبار عن البشارة ذكرا باسميهما كما يقول المخبر اذا بشر في النوم بولد ذكر
فولد له ولد ذكر فسماه مثلا عبد الله بشرت بعبد الله وقرا الحرميان
والنحويان وابو بكر يعقوب بالرفع على الابتداء ومن وراء الخبر
كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب كائن وقدره الزمخشري مولود
او موجود قال النحاس والجملة حال داخلة في البشارة اي
فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب واجاز ابو علي ان يرتفع بالجار
والمجرور كما اجازه الاخفش اي واستقر لها من وراء اسحق يعقوب
وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى ومن وراء اسحق يحدث يعقوب
وقال النحاس ويجوز ان يكون فاعلا باضمار فعل تقديره ويحدث
من وراء اسحق يعقوب قال ابن عطية وعلى هذا لا يدخل في البشارة
انتهى ولا حاجة الى تكلف القطع والعدول عن الظاهر المقتضي للدخول
في البشارة وقرا ابن عامر وحمزة وحفص وزيد بن علي يعقوب
بالنصب قال الزمخشري كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن
وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها

انتهى يعني انه عطف على التوهم والعطف على التوهم لا ينقاس والاظهر
ان ينتصب يعقوب باضمار فعل تقديره ومن وراء اسحق وهبنا يعقوب
ودل عليه قوله فبشرناها لان البشارة في معنى الهبة ورجح هذا الوجه ابو علي
ومن ذهب الى انه مجرور معطوف على لفظ باسحق او على موضعه فقوله
ضعيف لانه لا يجوز الفصل بالظرف او المجرور بين حرف العطف
ومعطوفه المجرور لا يجوز مررت بزيد اليوم وامس عمرو فان جاء ففي

شعر فان كان المعطوف منصوبا او مرفوعا ففي جواز ذلك خلاف نحو
قام زيد واليوم عمرو وضربت زيدا واليوم عمرا والظاهر ان الالف
في يا ويلتى بدل من ياء الاضافة نحو يا لهفا ويا عجبا وامال الالف
من يا ويلتى عاصم وابو عمرو والاعشى اذ هي بدل من الياء وقرأ الحسن يا ويلتي
بالياء على الاصل وقيل الالف الف الندبة ويوقف عليها بالهاء واصل
الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس ثم استعمل بعد في
عجب يدهم النفس ويا ويلتى كلمة تخف على افواه النساء اذا طرأ عليهن
ما يعجبن منه واستفهمت بقولها أألد استفهام انكار وتعجب وانا عجوز
وما بعده جملتا حال وانتصب شيخا على الحال عند البصريين وخبر التقريب
عند الكوفيين ولا يستغنى عن هذه الحال اذا كان الخبر معروفا عند المخاطب
لان الفائدة انما تقع بهذه الحال اما اذا كان مجهولا عنده فاردت ان تفيد
المخاطب ما كان يجهله فتجيء الحال على بابها مستغنى عنها وقرأ ابن مسعود
وهو في مصحفه والاعمش شيخ بالرفع وجوزوا فيه وفي بعلي ان يكونا خبرين
لقولهم هذا حلو حامض وان يكون بعلي الخبر وشيخ خبر مبتدأ محذوف وبدلا
من بعلي وان يكون بعلي بدلا او عطف بيان وشيخ الخبر والاشارة بهذا الى
الولادة او البشارة بها تعجبت من حدوث ولد بين شيخين هرمين واستغربت
ذلك من حيث العادة لا انكارا لقدرة الله تعالى قالوا اي الملائكة
اتعجبين استفهام انكار لعجبها قال الزمخشري لانها كانت في بيت الآيات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب
والى ذلك اشارت الملائكة في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل
بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله
وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك
والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل
الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم انتهى وقيل رحمته تحيته وبركاته فواضل خيره
بالخلة والامامة وروي ان سارة قالت لجبريل ما آية ذلك فاخذ
عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر فسكن روعها وزال عجبها
وهذه الجملة المستأنفة تحتمل ان تكون خبرا وهو الاظهر لانه يقتضي حصول
الرحمة والبركة لهم ويحتمل ان يكون دعاء وهو مرجوح لان الدعاء انما
يقتضي انه امر يترجى ولم يتحصل بعد واهل منصوب على النداء او الاختصاص
وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعلهما
س في بابين وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما
ان المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم ولا الذم كقوله ه

بنا

بنا تميما يكشف الضباب ه وقوله ولا الحجاج عيني بنت ماء ه
وخطاب الملائكة اياها بقولهم اهل البيت دليل على اندراج الزوجة
في اهل البيت وقد دل على ذلك ايضا في سورة الاحزاب خلافا للشيعة
اذ لا يعدون الزوجة من اهل البيت بيت زوجها والبيت يراد به بيت
السكنى انه حميد قال ابو الهيثم تحمد افعاله وهو بمعنى المحمود وقال
الزمخشري فاعل ما يستوجب من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم ه

قوله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم

فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم
اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب
غير مردود ه الروع الخيفة اذ كان اوجس في نفسه حين نكر اضيافه
والمعنى اطمأن قلبه بعلمه انهم ملائكة والبشرى تبشيره بالولد او بان المراد مجيئهم
غيره وجواب لما محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وتقديره اجترأ على
الخطاب او فطن للمجادلة او قال كيت وكيت وقيل الجواب يجادلنا
وضع المضارع موضع الماضي اي جادلنا وجاز ذلك لوضوح المعنى وهذا
اقرب الاقوال وقيل يجادلنا حال من ابراهيم وجاءته حال ايضا او من ضمير
في جاءته وجواب لما محذوف تقديره قلنا يا ابراهيم اعرض عن هذا واختار
هذا التوجيه ابو علي وقيل الجواب محذوف تقديره ظل واخذ يجادلنا
فحذف اختصارا لدلالة ظاهر الكلام عليه والمجادلة في سؤاله
العذاب واقع بهم لا محالة ام على سبيل الاخافة ليرجعوا الى الطاعة
وقيل يكلمنا على سبيل الشفاعة والمعنى يجادل رسلنا وعن حذيفة
انهم لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال ارأيتم ان كان
فيها خمسون من المسلمين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلاثون قالوا لا قال فعشرون قالوا لا قال فان كان
فيهم عشرة او خمسة شك الراوي قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل
واحد من المسلمين اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وكان ذلك من ابراهيم عليه السلام
حرصا على ايمان قوم لوط ونجاتهم وكان في القرية اربعة آلاف
الف انسان وتقدم تفسير حليم واواه ومنيب يا ابراهيم اي قالت
الملائكة والاشارة بهذا الى الجدال والمحاورة في شيء مفروغ
منه والامر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لا محالة ولا مرد له
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك وقرأ عمرو بن هرم وانهم اتاهم بلفظ الماضي
وعذاب فاعل به عبر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه كقوله اتى امر الله

قوله عز وجل ولما جاءت

ه ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم
عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون
في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق

وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ** خرجت الملائكة من قرية ابراهيم الى قرية لوط وقيل بينهما ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ فأتوها عشاء وقيل نصف النهار ووجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي اكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم اوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال اشهد بالله انهم شر قوم في الارض وكان الله قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل هذه واحدة وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة اربع مرار ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سيء بهم اي لحقه سوء بسببهم وضاق ذرعه بهم وقال هذا يوم عصيب اي شديد لما كان يتخوفه من تعدي قومه على اضيافه وجاءه قومه يهرعون اليه لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك احد الا اهل بيته فخرجت امرأته حتى اتت مجالس قومها فقالت ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما رأي مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاؤا يهرعون اي يسرعون كأنما يدفعون دفعا فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه **وقرأ** الجمهور يهرعون مبنيا للمفعول من اهرع اي يهرعهم الطمع **وقرأت فرقة** يهرعون بفتح الياء من هرع **وقال مهلهل**

** فجاؤا يهرعون وهم أسارى   نقودهم على رغم الانوف **

ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي كان ذلك دينهم وعادتهم اصروا على ذلك ومرنوا عليه فليس ذلك باول انشاء هذه المعصية جاؤا يهرعون لا يكفهم حياء لضراوتهم عليه والتقدير في ومن قبل اي من قبل مجيئهم الى هؤلاء الاضياف وطلبهم اياهم وقيل ومن قبل بعث لوط رسولا اليهم وجمعت السيئات وان كان المراد معصية اتيان الذكور اما باعتبار فاعليها او باعتبار تكررها وقيل كانت سيئات كثيرة باختلاف انواعها منها اتيان الذكور واتيان النساء في غير المأتى وحذف الحصى والحبق في المجالس والاسواق والمكاء والصفير واللعب بالحمام والقمار والاستهزاء بالناس في الطرقات ووضع درهم على الارض وهم يتباعدون عنه فمن اخذه صاحوا عليه وخجلوه وان اخذ صبيا تابعوه وراودوه هؤلاء بناتي الاحسن ان تكون الاضافة مجازية اي بنات قومي اي البنات اطهر لكم اذ النبي يتنزل منزلة الاب لقومه وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم ويدل عليه ايضا فيما قيل لم يكن له الا ابنتان وهذا بلفظ الجمع وايضا فلا يمكن ان يزوج ابنتيه من جميع قومه وقيل اشار الى بنات نفسه وندبهم الى النكاح اذ كان من سنتهم تزويج المؤمنة بالكافر او على ان في ضمن كلامه

ان يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه زعورا وزيتا وقيل كن ثلاثا ومعنى اطهر انظف فعلا وقيل احل واطهر ليس افعل التفضيل اذ لا طهارة في اتيان الذكور **وقرأ** الجمهور اطهر بالرفع والاحسن في الاعراب ان تكون جملتان كل منهما مبتدا وخبر وجوز في بناتي ان يكون بدلا او عطف بيان وهن فصل واطهر الخبر **وقرأ** الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدي اطهر بالنصب وقال سيبويه هو لحن وقال ابو عمرو بن العلاء احتبى فيه ابن مروان في لحنه يعني تربع وروبت هذه القراءة عن مروان بن الحكم وخرجت هذه القراءة على ان نصب اطهر على الحال فقيل هؤلاء مبتدا وبناتي مبتدا وخبر في موضع خبر هؤلاء وروي هذا عن المبرد وقيل هؤلاء بناتي مبتدا وخبر وهن مبتدا ولكم خبره فقيل العامل فيه المضمر وقيل لكم بما فيه من معنى الاستقرار وقيل هؤلاء بناتي مبتدا وخبر وهن فصل واطهر حال ورد بان الفصل لا يقع الا بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد اجاز ذلك بعضهم وادعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل ثم امرهم بتقوى الله في ان يؤثروا البنات على الاضياف ولا تخزون يحتمل ان يكون من الخزي وهو الفضيحة او من الخزاية وهو الاستحياء لانه اذا اخزي ضيف الرجل وجاره فقد خزي هو وذلك من عراقة الكرم واصل المروءة ليس منكم رجل يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وفي ذلك توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رشيد البتة قال ابن عباس رشيد مؤمن وقال ابو مالك ناه عن المنكر ورشيد ذو رشد او مرشد كالحكيم بمعنى المحكم والظاهر ان معنى من حق من نصيب ولا من غرض ولا شهوة قالوا له ذلك على وجه الخلاعة وقيل من حق لانك لا ترى مناكحتنا لانهم كانوا خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم ان من رد في خطبة امرأة لم تحل له ابدا وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل وقيل لان عادتهم كانت ان لا يتزوج الرجل منهم الا واحدة وكانوا كلهم متزوجين وانك لتعلم ما نريد يعني من اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف كما حذف في ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وتقديره لفعلت بكم وصنعت والمعنى في الى ركن شديد من يستند اليه ويمتنع به من عشيرته شبهه الذي يمتنع به بالركن من الجبل في شدته ومنعته وكانه امتنع عليه ان يمتنع بنفسه او بغيره مما يمكن ان يستند اليه وقال الحوفي وابو البقاء او آوي عطف على المعنى تقديره او اني آوي والظاهر انه عطف جملة فعلية على جملة فعلية ان قدرت ان في موضع رفع على الفاعلية على ما ذهب اليه المبرد اي لو ثبت

لنصب

يتنصروا

ان لي بكم قوة او آوي ويكون المضارع المقدر واوي هذا اوقعا موقع الماضي
ولو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره يقلب المضارع الى الماضي
وان المقدرة وما بعدها جملة اسمية على مذهب س وهي عطف عليهما
من حيث ان لو يصلح ان تأتي بعدها الجملة المقدرة اسمية اذا كان الذي
ينسبك اليه ان ومعمولاها وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون او آوي
مستانفا انتهى ويجوز على رأي الكوفيين ان تكون او بمعنى بل ويكون
قد اضرب عن الجملة السابقة وقال بل آوي في حالي معكم الى ركن شديد
وكنى به عن جناب الله تعالى وقرأ شيبة وابو جعفر او آوي بنصب
الياء باضمار ان بعد او فيتقدر بالمصدر عطفا على قوله قوة ونظيره
من النصب باضمار ان بعد او قول الشاعر ٥

ولولا رجال من رزام اعزة وآل سبيع او اسوءك علقما

اي او مساءتك علقما ٥ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا
عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد ٥ روي ان لوطا عليه السلام غلبوه
وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الرسل تنح عن الباب فتنحى وانفتح
الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا
على اعقابهم يقولون النجاء النجاء فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا
فحينئذ قالوا له انا رسل ربك وروي ان جبريل نفث من خصاص الباب
ورمى في اعينهم فعموا وقيل اخذ قبضة من تراب واذراها في وجوههم
فاوصل الى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمست اعينهم
فلم يعرفوا طريقا ولم يهتدوا الى بيوتهم وقيل كسروا بابه وهجموا عليه
ففعل بهم جبريل ما فعل والجملة من قوله لن يصلوا اليك موضحة للذي
قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ثم
امروه بان يسري باهله وقرأ الحرميان فاسر وان اسر بوصل الالف
من سرى وباقي السبعة بقطعها واهله ابنتاه وطائفة يسيرة من
المؤمنين بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال
الضحاك ببقية من آخره وقال قتادة بعد مضي صدر منه
وقال ابن الاعرابي ساعة من الليل وقيل بظلمة وقيل انه نصف
وقيل انه نصف الليل ماخوذ من قطعه نصفين ٥

وقال الشاعر ٥

ونائحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة الصعيد

وقال محمد بن زياد السحر لقوله نجيناهم بسحر قال ابن عطية ويحتمل
ان اسرى باهله من اول الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته

قوله عز وجل قالوا يا لوط

بسحر

بسحر فيجتمع هاتان الآيتان مع قوله الا آل لوط نجيناهم بسحر وقال ابن الانباري
القطع بمعنى القطعة مختص بالليل ولا يقال عندي قطع من الثوب وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الا امرأتك بالرفع وباقي السبعة بالنصب فوجه النصب
على انه استثناء من قوله باهلك اذ قبله امر والامر عندهم كالواجب
ويتعين النصب على الاستثناء من اهلك في قراءة عبد الله اذ سقط في
قراءته وفي مصحفه ولا يلتفت منكم احد وجوزوا ان يكون منصوبا على
الاستثناء من احد وان كان قبله نهي والنهي كالنفي على اصل الاستثناء
كقراءة ابن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب وان كان قبله نفي ووجه
الرفع على انه بدل من احد وهو استثناء متصل وقال ابو عبيد لو كان
الكلام ولا يلتفت برفع الفعل ولكنه نهي فاذا استثنيت المرأة
من احد وجب ان تكون المرأة ابيح لها الالتفات فيفسد معنى الآية
يعني ان التقدير يصير الا امرأتك فانها لم تنه عن الالتفات قال
ابن عطية وهذا الاعتراض حسن يلزم الاستثناء من احد رفعت التاء
او نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام محكي عن المبرد وهو ان النهي
انما قصد به لوط وحده والالتفات منفي عنهم بالمعنى اي لا تدع احدا منهم
يلتفت وهذا كما تقول لرجل لا يقم من هؤلاء احد واولئك لم يسمعوك
فالمعنى لا تدع احدا من هؤلاء يقوم والقيام في المعنى منفي عن المشار
اليهم وقال الزمخشري وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها
معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان
يخلفها مع قومها وان هواها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين انتهى وهذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على
اختلاف الروايتين من انه سرى بها او انه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار
يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب
وقيل في الاستثناء من الاهل اشكال من جهة المعنى اذ يلزم ان لا يكون
سرى بها ولما التفتت كانت قد سرت معهم قطعا وزال هذا الاشكال
ان يكون لم يسر بها ولكنها لما تبعتهم التفتت وقيل الذي يظهر ان
الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به اخراجها من المأمور
بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استؤنف الاخبار
عنها فالمعنى لكن امرأتك يجري لها كذا وكذا ويؤيد هذا المعنى ان
مثل هذه الآية جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناء البتة
قال تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت
منكم احد وامضوا حيث تؤمرون فلم تقع العناية في ذلك الا بذكر
من انجاهم الله تعالى فجاء شرح حال امرأته في سورة هود تبعا لا مقصو
با بالاخراج مما تقدم واذا اتضح هذا المعنى علم ان القراءتين وردتا على

ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع ففيه النصب والرفع لغة أهل
الحجاز وعليه الاكثر والرفع لبني تميم وعليه اثنان من القراء انتهى
وهذا الذي طوّل به لا تحقيق فيه فانه اذا لم يقصد اخراجها من المأمور
بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات وجعل استثناء منقطعا
كان من الاستثناء المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل بحال وهذا
النوع من الاستثناء المنقطع يجب فيه النصب باجماع من العرب
وليس فيه النصب والرفع باعتبار اللغتين وانما هذا في الاستثناء
المنقطع وهو الذي يمكن توجيه العامل عليه وفي كلا النوعين يكون
ما بعد الا من غير الجنس المستثنى منه فكونه جاز فيه اللغتان دليل
على انه مما يمكن ان يتوجه عليه العامل وهو قد فرض انه لم يقصد
بالاستثناء اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات
فكان يجب فيه اذ ذاك النصب قولا واحدا والظاهر ان قوله ولا يلتفت
من الالتفات البصري وقالت فرقة من التفات الشيء بلغته اذا ثناه ولواه فمعناه
ولا يتثبط وفي كتاب الزهراوي المعنى ولا يلتفت احد الى ما خلف
بل يخرج مسرعا والضمير في انه ضمير الشأن ومصيبها مبتدأ وما اصابهم
الخبر ويجوز على مذهب الكوفيين ان يكون مصيبها خبر ان وما اصابهم فاعل
به لانهم يجيزون انه قائم اخوانك ومذهب البصريين ان ضمير الشأن
لا يكون خبره الا جملة مصرحا بجزئيها فلا يجوز هذا الاعراب عندهم
وقرأ عيسى بن عمر الصبح بضم الباء فقيل هي لغة فلا يكون ذلك
اتباعا وهو على حذف مضاف اي ان موعد هلاكهم الصبح وروي ان
لوطا عليه السلام قال اريد اسرع من ذلك فقالت له الملائكة
أليس الصبح بقريب ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والراحة
فيه اجمع ويروى ان لوطا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع
الفجر وطوى الله له الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم والضمير
في عليها عائد على مداين قوم لوط جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات سبع مداين وقيل
خمس عدّها المفسرون وفي ضبطها اشكال فاهملت ذكرها وسدوم هي القرية
العظمى وامطرنا عليها اي على اهلها وروي ان الحجارة اصابت منهم من كان
خارج مدنهم حتى قتلتهم اجمعين وان رجلا كان في الحرم فبقي الحجر
معلقا في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر قال ابو العالية
وابن زيد السجيل اسم لسماء الدنيا وهذا ضعيف لوصفه بمنضود
وتقدم شرحه في المفردات وقيل من اسجله اذا ارسله وقيل مما
كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل الدلاء ومعنى هذه اللفظة
ماء وطين هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة والسدي

وغيرهم

وغيرهم وذهبوا الى ان الحجارة التي رموا بها كانت كالآجر المطبوخ وقيل
حجر مخلوط بطين اي حجر وطين ويمكن ان يعود هذا الى الآجر وقال
ابو عبيدة السديد من الحجارة الصلب مسومة عليها سيما يعلم بها انها
ليست من حجارة الارض قاله ابن جريج وقال عكرمة وقتادة انه كان
فيها بياض وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمي به قاله الربيع وعن ابن عباس
والحسن بياض في حمرة وعن ابن عباس ايضا الحجر ابيض فيه نقطة سودا
واسود فيه نقطة بيضا وعن عكرمة وقتادة ايضا فيها احمر على هيئة
الجزع وقيل وكانت مثل رؤوس الابل ومثل مبارك الابل ومثل قبضة
الرجل قاله ابن عيسى ومعنى من عند ربك جاءت من عند ربك وقيل
معدة عند ربك قاله ابو بكر الهذلي وقال ابن الانباري المعنى لزم هذا
التسويم الحجارة عند الله ايذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه والظاهر ان
ضمير هي عائد على القرى التي جعل الله عاليها سافلها والمعنى ان ذوات
هذه المدن كانت بين المدينة والشام تمر عليها قريش في سفرهم فالنظر
اليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ وقيل هي عائدة على الحجارة وهي اقرب مذكور
وقال ابن عباس وما عقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد والظاهر عموم
الظالمين وقيل عني به قريش وفي الحديث سيكون في امتي خسف ومسخ
وقذف بالحجارة وقيل مشركو العرب وقيل قوم لوط اي لم تكن الحجارة تخطيهم
وفي الحديث سيكون في اخر امتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنساء بالنساء
فاذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل
ثم تلا وما هي من الظالمين ببعيد واذا كان الضمير في قوله وما هي عائد
على الحجارة فيحتمل ان يراد بشيء بعيد ويحتمل ان يراد بمكان بعيد لانها
وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع
شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه

المفردات

الرهط قال ابن عطية
جماعة الرجل وقيل الرهط والراهط اسم لما دون العشرة من الرجال
ولا يقع الرهط والعصبة والنفر الا على الرجال وقال الزمخشري
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة ويجمع على ارهط ويجمع ارهط
على اراهط فهو جمع جمع قال الرماني واصل الرهط الشد ومنه الرهيط
شدة الاكل والراهط اسم بجحر اليربوع لانه يتوثق به ويخبأ فيه ولده **الورد**
قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء والورد الابل الواردة اتى
فيكون مصدرا بمعنى الورود واسم مفعول في المعنى كالطحن بمعنى المطحون
رفد الرجل يرفده رفدا ورفدا اعطاه واعانه من رفد الحائط دعمه
وعن الاصمعي الرفد بالفتح القدح والرفد بالكسر ما في القدح من الشراب
وقال الليث اصل الرفد العطاء والمعونة ومنه رفادة قريش
يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بكسر الراء وفتحها ويقال بالكسر
الاسم وبالفتح المصدر **التتبيب** التخسير تبّ خسر وتببه خسره

وقال لبيد

ولقد بليت وكل صاحب جدة ... ببلى يعود وذاكم التتبيب

الزفير والشهيق زعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق بمنزلة آخر نهيقه

وقال رؤبة

حشرج في الصدر صهيلا أو شهق ... حتى يقال ناهق وما نهق

وقال ابن فارس الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير إخراج النفس من شدة الجري مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته

قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته ... زفير ويتلوه شهيق محشرج

والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل وقال الليث الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق أن يخرج ذلك النفس بشدة ويقال إنه عظيم الزفرة **الشقاء** نكد العيش وسوءه يقال منه شقي يشقى شقاء وشقوة وشقاوة والسعادة ضده يقال منه سعد يسعد ويتعديان بالهمزة فيقال أشقاه الله وأسعده الله وقد قرئ شقوا وسعدوا بضم الشين والسين فدل على أنهما قد يتعديان ومنه قولهم مسعود وذكر أن الفراء حكى أن هذيلا تقول سعده الله بمعنى أسعده وقال الجوهري سعد بالكسر فهو سعيد مثل قولهم سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري ورد سعده الله فهو مسعود وأسعده الله فهو مسعد **الجذ** القطع بالمعجمة والمهملة قال ابن قتيبة جذذت وجددت ومنه الجذاذ الكسر

قال النابغة

تجذ السلوقي المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب

قوله عز وجل وإلى مدين

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ كان قوم شعيب عبدة أوثان فدعاهم إلى عبادة الله وحده وبالكفر استوجبوا العذاب ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال إلا بالكفر وإن انضافت إلى ذلك معصية كانت تابعة قال ابن عباس بخير أي في خصب لا تسعار وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلاء المهلك وينظر هذا التأويل إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان إلا ارتفع عنهم الرزق ونبه بقوله بخير على العلة المقتضية للوفاء لا للنقص وقال غيره بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو بنعمة حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه

عنكم

طة

عنكم بما أنتم عليه يوم محيط أي مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو وهو العذاب الذي حل بهم في آخر ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ونهوا أولا عن القبيح الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال والميزان وفي التصريح بالنهي نعي على المنهي وتعيير له وأمروا ثانيا بالإيفاء مصرحا بلفظهما ترغيبا في الإيفاء وبعثا عليه وجيء بالقسط ليكون الإيفاء على جهة العدل والتسوية وهو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه ونهوا ثالثا عن نقص الناس أشياءهم وهو عام في الناس وفيما بأيديهم من الأشياء كانت مما يكال ويوزن أو غير ذلك ونهوا رابعا عن الفساد في الأرض وهو أعم من أن تكون نقصا أو غيره فبدأ أولا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله ثم ارتقى إلى عام ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله وتفسير معاني هذه الجمل سبق في الأعراف بقيت الله قال ابن عباس ما أبقى الله لكم من الحلال بعد الإيفاء خير من البخس وعنه رزق الله وقال مجاهد والزجاج طاعة الله وقال قتادة حظكم من الله وقال ابن زيد رحمة الله وقال الربيع وصية الله وقال مقاتل ثواب الله في الآخرة وذكر الفراء مراقبة الله وقال قتادة ذخيرة الله وقال الحسن فرائض الله وقيل ما أبقاه الله حلالا لكم ولم يحرمه قال ابن عطية وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم وقوله إن كنتم مؤمنين شرط في أن تكون البقية خيرا لهم وأما مع الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب والمعنى إنما أنا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأعمال انتهى وليس جواب الشرط متقدما كما ذكروا إنما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين وقال الزمخشري وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان ويجوز أن يريد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وأضاف البقية إلى الله ولا يسمى رزقا انتهى على طريق المعتزلة في الرزق **وقرأ** إسمعيل بن جعفر عن أهل المدينة بقيت بتخفيف الياء قال ابن عطية هي لغة انتهى وذلك أن قياس فعلة من اللازم أن تكون على وزن فعلة نحو شجيت المرأة فهي شجية فإذا شددت الياء كان على وزن فعيلة للمبالغة **وقرأ** الحسن تقية بالتاء وهي تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصي

قوله عز وجل قالوا يا شعيب

قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا

ج

ع

ما تشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت
واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود لما امرهم شعيب عليه السلام
بعبادة الله وترك عبادة الاوثان وبايفاء المكيال والميزان ردوا
عليه على سبيل الاستهزاء والهزء بقولهم اصلواتك وكان كثير الصلوات
وكان اذا صلوا تغامزوا وتضاحكوا ان نترك ما يعبد اباؤنا مقابل لقوله
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء مقابل لقوله
ولا تنقصوا المكيال والميزان وكون الصلوة امرة هو على وجه المجاز
كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر او يقال
انها تامرنا بالجميل والمعروف اي تدعوا اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا
الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة امرة على سبيل التهكم بصلواته
والمعنى تامرك بتكليفنا ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر
بفعل غيره والظاهر انه اريد بالصلوات الصلاة المعهودة في تلك
الشريعة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلوة والزكوة
وقيل اريد قراءتك وقيل مساجدك وقيل دعواتك وقرا ابن وثاب
والاخوان وحفص اصلاتك على التوحيد وقرا الجمهور او ان نفعل
في اموالنا ما نشاء بالنون فيهما وقرا الضحاك بن قيس وابن ابي عبلة
وزيد بن علي بالتاء فيهما على الخطاب ورويت عن ابي عبد الرحمن وقرا
ابو عبد الرحمن وطلحة نفعل بالنون ما تشاء بالتاء على الخطاب ورويت
عن ابن عباس فمن قرا بالنون فيهما فقوله وان نفعل معطوف
على قوله ما نعبد اي نترك ما يعبد اباؤنا وفعلنا في اموالنا ما نشاء
ومن قرا بالتاء فيهما او بالنون فيهما فمعطوف على ان نترك اي تامرك
بترك ما يعبد اباؤنا وفعلك في اموالنا ما تشاء او وفعلنا في اموالنا
ما نشاء واو للتنويع اي تامرك مرة بهذا ومرة بهذا وقيل بمعنى الواو
والظاهر ان الذي كانوا يفعلونه في اموالهم هو بخس الكيل والوزن
المقدم ذكره وقال محمد بن كعب قرضهم الدينار والدرهم واجراء
ذلك مع الصحيح على جهة التدليس وعن ابن المسيب قطع الدنانير
والدراهم من الفساد في الارض وقيل تبديل السكك التي يقصد بها
اكل اموال الناس ومن قرا بالتاء فيهما او في تشاء فالظاهر انه
ايفاء المكيال والميزان وقال سفيان الثوري كان يامرهم بالزكوة
وقوله انك لانت الحليم الرشيد الظاهر انه اخبار منهم عنه بهذين
الوصفين الجميلين فيحتمل ان يريدوا بذلك الحقيقة اي انك للمتصف

بهذين

بيان للتلميح

بهذين الوصفين فكيف وقعت في هذا الامر من مخالفتك دين اباءنا
وما كانوا عليه ومثلك من تمنعه حلمه ورشده عن ذلك او يحتمل ان يريدوا
بذلك انك لانت الحليم الرشيد بزعمك اذ تامرنا بما تامرنا به او يحتمل
ان قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم قاله قتادة والمبرد
نسبته الى الطيش والغي كما تقول للشحيح لو راك حاتم لسجد لك وقالوا
للحبشي ابو البيضاء قال يا قوم ارايتم هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن
واستدعاء رفيق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند ارباب علم البيان
وهو نوع لطيف غريب المغزى يتوصل به الى بلوغ الغرض وقد ورد منه في
قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وفي قصة نوح وهود وصالح عليهم السلام
وفي قصة مؤمن آل فرعون مع قومه قال الزمخشري **فان قلت** اين
جواب ارايتم وما له لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح **قلت**
جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ساوق عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين
من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان
والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسميه هذا
جوابا لارايتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها في موضع المفعول
الثاني لارايتم لان ارايتم اذا تضمنت معنى اخبرني تعدت الى مفعولين
والغالب في الثاني ان تكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول
الاول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب ارايتك زيدا ما صنع وقال
الحوفي وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير فاعدل
عما انا عليه من عبادته على هذه الحال وقال ابن عطية وجواب
الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره واضل
كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة انتهى
وليس قوله اضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن ان يكون جوابا
لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع
المفعول الثاني لارايتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه الجملة السابقة
مع متعلقها والظاهر في قوله رزقا حسنا انه الحلال الطيب من غير بخس ولا
تطفيف ادخلتموه اموالكم قال ابن عباس الحلال وكان شعيب
عليه السلام كثير المال وقيل النبوة وقيل العلم وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه المعنى لست اريد ان افعل الشيء الذي نهيتكم عنه
من نقص الكيل والوزن واستاثر بالمال قاله ابن عطية وقال قتادة
لم اكن لانهاكم عن امر ثم ارتكبه وقال صاحب الغنيان ما اريد ان
اخالفكم في السر الى ما انهاكم عنه في العلانية ويقال خالفني فلان
الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت

فاصده وبلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا
والمعنى ان سبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم فعلى
هذا الظاهر ان قوله ان اخالفكم في موضع المفعول لاريد اي وما
اريد مخالفتكم ويكون خالف بمعنى خلف نحو جاوز وجاز اي وما
اريد ان اخلفكم اي اكون خلفا منكم ويتعلق الى باخالفكم او بمحذوف
اي مائلا الى ما انهاكم عنه ولذلك قال بعضهم فيه حذف
يقتضيه الى تقديره واميل الى او يبقى ان اخالفكم على ظاهره مما يفهم
من المخالفة ويكون في موضع المفعول به باريد ويقدر مائلا الى او يكون
ان اخالفكم مفعولا من اجله وتتعلق الى بقوله وما اريد بمعنى وما اقصد اي
وما اقصد لاجل مخالفتكم الى ما انهاكم عنه ولذلك قال الزجاج وما
اقصد بخلافكم الى ارتكاب ما انهاكم عنه والظاهر ان ما مصدرية ظرفية
اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا واجاز
الزمخشري في ما وجوها احدها ان تكون بدلا من الاصلاح اي المقدار الذي
استطعته او على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت
فهذان وجهان في البدل والثالث ان تكون مفعولا كقوله
ضعيف النكاية اعداءه ن اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه
من فاسدكم وهذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرف بال لا يجوز اعماله
في المفعول به عند الكوفيين واما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل
وما توفيقي لان تكون افعالي مسددة موافقة لرضى الله الا بمعونته عليه
توكلت اي لا على غيره واليه انيب ارجع في جميع اقوالي وافعالي وفي هذا
طلب التأييد من الله وتهديد للكفار وحسم لاطماعهم ان ينالوه بشر ومعنى
لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي اي خلافي وعداوتي قال السدي كان في شق
وهم في شق وقال الحسن ضراري جعله من المشقة وقيل فراقي وقرأ
ابن وثاب والاعمش بضم الياء من اجرم ونسبها الزمخشري الى ابن كثير في
التعدية مثل كسب يتعدى الى واحد جرم فلان الذنب وكسب زيد
المال ويتعدى الى اثنين جرمت زيدا الذنب وكسبت زيدا المال
وتقدم الكلام في جرم في العقود وقرأ مجاهد والجحدري وابن ابي اسحق
ورويت عن نافع بفتح اللام وخرج على وجهين احدهما ان تكون الفتحة فتحة
بناء وهو فاعل كحاله حين كان مرفوعا ولما اضيف الى غير متمكن جاز فيه البناء
كقراءة من قرأ انه لحق مثل ما انكم تنطقون والثاني ان تكون الفتحة فتحة
اعراب وانتصب على انه نعت لمصدر محذوف اي اصابة مثل ما اصابه
اصابة قوم نوح والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام اي ان يصيبكم
هو اي العذاب وما قوم لوط منكم ببعيد اما في الزمان لقرب عهد
هلاكهم اذ هم اقرب الهالكين واما في الكفر والمعاصي وما يستحق

به الهلاك واجري بعيدا على قوم لهما باعتبار الزمان او المكان اي
بزمان بعيد او بمكان بعيد او باعتبار موصوف غيرهما اي بشيء بعيد
او باعتبار مضاف الى قوم اي وما اهلاك قوم لوط ويجوز ان يسوي
في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع وبين المذكر والمؤنث
كما قالوا هو صديق وهم صديق وهن صديق وودود بناء مبالغة
من ود الشيء احبه وآثره وهو فعول بمعنى فاعل وسمع الكسائي وددت بفتح العين
والمصدر ود وودادا وودادة وودادة وقال بعض اهل اللغة يجوز
ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول وقال المفسرون ودود متحبب
الى عباده بالاحسان اليهم وقيل محبوب المؤمنين ورحمته لعباده ومحبته
لهم سببت في استغفارهم وتوبتهم ولولا ذلك ما وفقهم الى استغفاره والرجوع
اليه فهو يفعل بهم فعل الواد ممن يوده من الاحسان اليه

قوله عز وجل قالوا يا شعيب

قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون
محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا
والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود كانوا لا يلقون
اليه اذهانهم ولا يصغون لكلامه رغبة عنه وكراهة له كقوله تعالى
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه
فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على جهة الاستهانة به كما يقول الرجل
لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا
وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفقهون كلامه وهو خطيب الانبياء
ثم الذي حاورهم به من الكلام وخاطبهم به هو من افصح الكلام واجله
وادله على معانيه بحيث يفقهه من كان بعيدا لفهم فضلا عن الاذكياء
العقلاء ولكن الله تعالى اراد خذلانهم ومعنى ضعيفا لا قوة لك ولا عز
فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردناك بمكروه وعن الحسن ضعيفا
مهينا وقيل كان ناحل البدن زمنه لا يقع في القلب منه هيبة ولا في
العين منه امتلاء والعرب تعظم بكبر الاجسام وتذم بدمامتها وقال
الباقر مهجورا لا تجالس ولا تعاشر وقال مقاتل ضعيفا اي لم يؤمن
بك رهطك وقال السدي وحيدا في مذهبك واعتقادك وقال
ابن جبير وشريك القاضي ضعيفا ضرير البصر اعمى وحكى الزهراوي
والزمخشري ان حمير تسمي الاعمى ضعيفا ويبعد تفسيره هنا باعمى او بناحل
البدن او بضعيف البصر كما قاله الثوري وزعم ابو روق ان الله لم يبعث
نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة بل الظاهر انه ضعيف الانتصار والقدرة
ولولا رهطك احترموه لرهطه اذ كانوا كفارا مثلهم او كانت في عزة ومنعة

منهم لرجمناك ظاهره القتل بالحجارة وهي من شر القتلات وبه قال ابن زيد وقال
الطبري لرجمناك بالسب وهذا أيضا تستعمله العرب ه ومنه قوله
لارجمنك واهجرني مليا وقيل لأبعدناك وأخرجناك من أرضنا وما أنت
علينا بعزيز أي لا تعز ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما
يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا وقيل بعزيز بذي
منعة وعزة ومنزلة في نفوسنا وقيل بذي غلبة وقيل بملك وكانوا
يسمون الملك عزيزا قال الزمخشري وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي
على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا
بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز
عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب **فان قلت**
فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف
صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله **قلت** تهاونهم به وهو نبي الله تهاون
بالله فحين عز عليهم رهطه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله انتهى والظاهر في قوله واتخذتموه
ان الضمير عائد على الله اي ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر
لا يعبأ به والظهري بكسر الظاء منسوب الى الظهر من تغييرات النسب
ونظيره قولهم في النسب الى الأمس إمسي بكسر الهمزة ولما خاطبوه خطاب
الاهانة والجفاء جريا على عادة الكفار مع انبيائهم خاطبهم خطاب
الاستعطاف والتلطف جريا على عادته في الانة القول لهم والمعنى
اعز عليكم من الله حتى جعلتم مراعاتي من اجلهم ولم تسندوها الى الله وانا
اولى واحق ان اراعى من اجله فالمراعاة لاجل الخالق اعظم من المراعاة
لاجل المخلوق والظهري المنسي المتروك الذي جعل كأنه خلف الظهر
وقيل الضمير في واتخذتموه عائد على الشرع الذي جاء به شعيب
وقيل الظهري العون وما يتقوى به قال المبرد فالمعنى واتخذتم
العصيان عدة لدفعي انتهى فيكون على حذف مضاف اي واتخذتموه
اي عصيانه قال ابن عطية وقالت فرقة واتخذتموه اي وانتم تتخذون
الله سند ظهوركم وعمادا لما لكم فقول الجمهور على ان كان كفر قوم شعيب
جحدا بالله وجهلا به وهذا القول الثاني على انهم كانوا يقرون بالخالق
الرازق ويعتقدون الاصنام وسائط ووسائل ومن اللفظة الاستظهار
بالبينة وقال ابن زيد الظهري الفضل مثل الجمال يخرج معه بإبل
ظهارية يعدها ان احتاج اليها والا فهي فضلة محيط احاط باعمالكم
فلا يخفى عليه شيء منها وفي ضمنه توعد وتهديد وتقدم تفسير نظير
قوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم وخلاف القراء في مكاناتكم وجوز
الفراء والزمخشري في من يأتيه ان تكون موصولة مفعولة بقوله تعلمون
اي يعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب

واستفهامية

واستفهامية في موضع رفع على الابتداء وتعلمون معلق كانه قيل أينا يأتيه
عذاب يخزيه وأينا هو كاذب قال ابن عطية والاول احسن يعني كونها
مفعولة قال لانها موصولة ولا يوصل في الاستفهام ويقضي بصلتها
ان المعطوفة عليها موصولة لا محالة انتهى وقوله ويقضي بصلتها الى آخره لا يقضي
بصلتها اذ لا يتعين ان تكون موصولة لا محالة كما قال بل تكون استفهامية
اذا قدرتها معطوفة على من الاستفهامية كما قدرناه وأينا هو كاذب
قال الزمخشري **فان قلت** اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف
تعلمون **قلت** ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها
وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم
قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف
تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء
من العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب
علم البيان تتكاثر محاسنه قال الزمخشري **فان قلت** قد ذكر عملهم
على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه
عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم **قلت**
القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم
ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي الفاظ هذا الرجل سوء ادب والذي قاله
ليس بمتناسب لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل
في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم
واعمل على مكانتي ولا سوف تعلمون واعلم وانما التهديد مختص بهم واسلف
الزمخشري قوله قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا
فاسدا لان المرتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها
انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين
في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا وارتقبوا انتظروا العاقبة
وما اقول لكم والرقيب بمعنى الراقب فعيل للمبالغة او بمعنى المراقب كالعشير
والجليس او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وحسن هذا
مقابلة فارتقبوا وقال الزمخشري **فان قلت** ما بال ساقتي قصة
عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء **قلت**
قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك
وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد
كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا بتلك المنزلة وانما وقعتا
مبتدأتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما يعطف قصة
على قصة انتهى وتقدم تفسير مثل ولما جاء امرنا الى قوله كان لم يغنوا فيها

السلمي وابو حيوة كما بعدت بضم العين من البعد الذي هو ضد القرب
والجمهور بكسرها ارادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين
غيره فغيروا البناء وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد
من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه
بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها وقال ابن قتيبة
بعد يبعد اذا كان بعده هلكة وبعد يبعد اذا نأى وقال النحاس
المعروف في اللغة بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك وقال المهدوي
بعد يستعمل في الخير والشر وبعد في الشر خاصة وقال ابن الانباري من العرب
من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب فيقول فيهما بعد
يبعد وبعد يبعد انشد قال مالك بن الريب في بعد بمعنى هلك

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني … واين مكان البعد الا مكانيا

ويقال بعدا لفلان دعاء عليه ولا يدعى به الا على مبغض كقولك سحقا للكافرين
وقال اهل علم البيان لم يرد في القرآن استطراد الا هذا الموضع والاستطراد
قالوا هو ان يمدح شيئا او يذمه ثم ياتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في اوله

قال حسان

ان كنت كاذبة الذي حدثتني … فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم … ونجا براس طمرة ولجام

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاتبعوا
امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم
النار وبيس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بيس
الرفد المرفود الايات المعجزات التسع العصا واليد والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
ومنهم من ابدل النقص باظلال الجبل وقيل الايات التوراة وهذا
ليس بسديد لانه قال الى فرعون وملايه والتوراة انما نزلت
بعد هلاك فرعون وملايه والسلطان المبين هو الحجة الواضحة
ويحتمل ان يريد بقوله وسلطان تعيين فرد من الايات وهي دالة
على صدق موسى عليه السلام ويحتمل ان يريد بها العصا لانها اشهر
تلك الايات فنص عليها كما نص على جبريل وميكائيل بعد ذكر الملايكة
على سبيل التشريف بالذكر والظاهر ان يراد بقوله امر فرعون امره اياهم
بالكفر وجحد معجزات موسى عليه السلام ويحتمل ان يريد الطريق
والشان وما امر فرعون برشيد نفي عنه الرشد وذلك تجهيل
لمتبعه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه
ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم عاينوا
الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان
معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في اتباعه

رشد

رشد ويحتمل ان يكون رشيد بمعنى راشد ويكون رشيد بمعنى مرشد اي
مرشد الى خير وكان فرعون دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول
لا اله للعالم وانما يجب على اهل كل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم
فلذلك كان امره خاليا عن الرشد بالكلية والرشد يستعمل في كل ما يحمد
ويرتضى والغي ضده ويقال قدم زيد القوم يقدمهم قدما وقدوما
تقدمهم والمعنى انه يقدم قومه المغرقين الى النار وكما كان قدوة متبعا
كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويحتمل ان يكون قوله برشيد
بحميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا
اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته وعدل عن فيوردهم الى فاوردهم
لتحقق وقوعه لا محالة فكانه قد وقع ولما في ذلك من الارهاب
والتخويف او هو ماض حقيقة اي فاوردهم في الدنيا النار اي موجبه
وهو الكفر ويبعد هذا التاويل الفاء والورود في هذه الاية ورود
الخلود وليس بورود الاشراف على الشيء والاشفاء كقوله ولما ورد ماء
مدين ويحتمل ان يكون النار نصبه على اعمال الثاني لانه لا تنازع
يقدم اي الى النار فاوردهم فاعمل الثاني وحذف معمول الاول
والهمزة في فاوردهم للتعدية ورد يتعدى الى واحد فلما دخلت الهمزة
تعدى الى اثنين فتضمن واردا ومورودا وقد يطلق الورد على الوارد
فالورد لا يكون المورود فاحتيج الى حذف ليطابق فاعل بيس المخصوص
بالذم المورود وهي النار ويجوز في اعراب المورود ما يجوز في زيد من
قولك بيس الرجل زيد وجوز ابن عطية وابو البقاء ان يكون المورود
صفة للورد اي بيس مكان الورد المورود النار ويكون المخصوص
محذوفا لفهم المعنى كما حذف في قوله فبيس المهاد وهذا التخريج
ينبني على جواز وصف فاعل نعم وبيس وفيه خلاف ذهب ابن السراج
والفارسي الى ان ذلك لا يجوز وقال الزمخشري والورد المورود والمورد
الذي ورده شبهه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه
اتباعه بالواردة ثم قيل بيس الورد الذي يردونه النار لان الورد
انما يورد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده انتهى وقوله
والورد المورود اطلاق الورد على المورود مجاز اذ نقلوا انه يكون مصدرا
بمعنى الورود او بمعنى الواردة من الابل وتقديره بيس الورد الذي يردونه
النار يدل على ان المورود صفة للورد وان المخصوص بالذم محذوف
ولذلك قدره النار وقد ذكرنا ان ذلك ينبني على جواز وصف
فاعل بيس ونعم وقيل التقدير بيس القوم المورود بهم هم فيكون
الورد عني به الجمع الوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم الضمير
المحذوف وهو هم فيكون ذلك ذما للواردين لا ذما لموضع الورود
والاشارة بقوله في هذه الى الدنيا وقد جاء مصرحا به في قصة هود

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ الْآخِرَةُ فَيَوْمَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعِ فِي هَذِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أُلْحِقُوا اللَّعْنَةَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ قَالَ الْكَلْبِيُّ فِي هَذِهِ لَعْنَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ بِالْغَرَقِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ بِالنَّارِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فَلَهُمْ لَعْنَتَانِ ۝ وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ التَّقْسِيمَ هُوَ أَنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ مَا يُرْفَدُونَ فَهِيَ لَعْنَةٌ وَاحِدَةٌ أَوَّلًا وَقُبْحُ إِرْفَادٍ آخِرًا انْتَهَى وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْمُولٌ لِبِئْسَ وَبِئْسَ لَا يَتَصَرَّفُ فَلَا يَتَقَدَّمُ مَعْمُولُهَا عَلَيْهَا فَلَوْ تَأَخَّرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَحَّ كَمَا

قَالَ الشَّاعِرُ ۝

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ رِفْدُهُمْ أَيْ بِئْسَ الْعَوْنُ الْمُعَانُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّعْنَةَ فِي الدُّنْيَا رِفْدٌ لِلْعَذَابِ وَمَدَدٌ لَهُ وَقَدْ رُفِدَتْ بِاللَّعْنَةِ فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ بِئْسَ الْعَطَاءُ الْمُعْطَى انْتَهَى وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ الْمَرْفُودَ صِفَةٌ لِلرِّفْدِ وَأَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ رِفْدُهُمْ وَمَا ذَكَرَ مِنْ تَفْسِيرِهِ أَيْ بِئْسَ الْعَوْنُ الْمُعَانُ هُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسُمِّيَ الْعَذَابُ رِفْدًا عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِمْ ۝ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ ۝ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ الرِّفْدُ الرِّفَادَةُ أَيْ بِئْسَ مَا يُرْفَدُونَ بِهِ بَعْدَ الْغَرَقِ النَّارُ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمِهِمْ وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ أَيْ ذَلِكَ النَّبَأُ بَعْضُ أَنْبَاءِ الْقُرَى وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعْنِيَ بِالْقُرَى قُرَى أُولَئِكَ الْمُهْلَكِينَ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُمْ وَأَنْ يَعْنِيَ الْقُرَى عُمُومًا أَيْ هَذَا النَّبَأُ الْمَقْصُوصُ عَلَيْكَ هُوَ دَيْدَنُ الْمُدُنِ إِذَا كَفَرَتْ ۝ فَتَدْخُلُ الْمُدُنُ الْمُعَاصِرَةُ وَالضَّمِيرُ فِي مِنْهَا عَائِدٌ عَلَى الْقُرَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ عَامِرٌ وَدَاثِرٌ وَهَذَا عَلَى تَأْوِيلِ عُمُومِ الْقُرَى وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ قَائِمُ الْجُدْرَانِ وَمُتَهَدِّمٌ وَهَذَا عَلَى تَأْوِيلِ خُصُوصِ الْقُرَى وَأَنَّهَا قُرَى أُولَئِكَ الْأُمَمِ الْمُهْلَكِينَ وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ بَعْضُهَا بَاقٍ وَبَعْضُهَا عَافِي الْأَثَرِ كَالزَّرْعِ الْقَائِمِ عَلَى سَاقِهِ وَالَّذِي حُصِدَ انْتَهَى وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ قَالَ قَتَادَةُ قَائِمُ الْأَثَرِ وَدَارِسُهُ جَعَلَ حَصِيدًا لِلزَّرْعِ كِنَايَةً عَنِ الْفَنَاءِ ۝

قَالَ الشَّاعِرُ

وَالنَّاسُ فِي قَسْمِ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُمْ كَالزَّرْعِ مِنْهُ قَائِمٌ وَحَصِيدُ

وَقَالَ الضَّحَّاكُ قَائِمٌ لَمْ يُخْسَفْ وَحَصِيدٌ قَدْ خُسِفَ وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَائِمٌ لَمْ يَهْلِكْ بَعْدُ وَحَصِيدٌ قَدْ أُهْلِكَ وَقِيلَ قَائِمٌ أَيْ بَاقٍ نَسْلُهُ وَحَصِيدٌ أَيْ مُنْقَطِعٌ نَسْلُهُ وَهَذَا يَقْتَضِي عَلَى أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى وَقَدْ قِيلَ هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ مِنْ أَنْبَاءِ أَهْلِ

قوله عز وجل ذلك من انباء القرى

اهلها

القرى

الْقُرَى وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ثُمَّ أَعَادَ الضَّمِيرَ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ ۝ وَقَالَ الْأَخْفَشُ حَصِيدٌ أَيْ مَحْصُودٌ وَجَمْعُهُ حَصْدَى وَحِصَادٌ مِثْلُ مَرْضَى وَمِرَاضٍ وَبَابُ فَعْلَى جَمْعًا لِفَعِيلٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَنْ يَكُونَ فِيمَنْ يَعْقِلُ نَحْوَ قَتِيلٍ وَقَتْلَى وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فَإِنْ قُلْتَ مَا مَحَلُّ هَذِهِ الْجُمْلَةِ قُلْتُ هِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا انْتَهَى وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ وَمِنْهَا قَائِمٌ ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْهَاءِ فِي نَقُصُّهُ وَحَصِيدٌ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ أَيْ وَمِنْهَا حَصِيدٌ انْتَهَى وَمَا ذَكَرَهُ مُجَوَّزٌ أَيْ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ وَحَالُ الْقُرَى ذَلِكَ وَالْحَالُ أَبْلَغُ فِي التَّخْوِيفِ وَضَرْبِ الْمَثَلِ لِلْحَاضِرِينَ أَيْ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَعْضَ أَنْبَاءِ الْقُرَى وَهِيَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تُشَاهِدُونَ فِعْلَ اللَّهِ بِهَا وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ أَيْ بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ بَلْ وَضَعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِوَضْعِ الْكُفْرِ مَوْضِعَ الْإِيمَانِ وَارْتِكَابِ مَا بِهِ أُهْلِكُوا وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ فَمَا أَغْنَتْ نَفْيٌ أَيْ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا أَجْدَتْ يَدْعُونَ حِكَايَةَ حَالٍ أَيِ الَّتِي كَانُوا يَدْعُونَ أَيْ يَعْبُدُونَ أَوْ يَدْعُونَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَهُبَلَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَلَمَّا مَنْصُوبٌ بِمَا أَغْنَتْ انْتَهَى وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ لَمَّا ظَرْفٌ وَهُوَ خِلَافُ مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّهَا حَرْفُ وُجُوبٍ لِوُجُوبٍ وَأَمْرُ رَبِّكَ هُوَ عَذَابُهُ وَنِقْمَتُهُ وَمَا زَادُوهُمْ عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْعُقَلَاءِ فِي الْإِسْنَادِ إِلَى الْوَاوِ وَالضَّمِيرُ الَّذِي هُوَ لِمَنْ يَعْقِلُ لِأَنَّهُمْ نَزَّلُوهُمْ مَنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ فِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا تَنْفَعُ وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا وَالتَّتْبِيبُ التَّخْسِيرُ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ الشَّرُّ وَقَالَ قَتَادَةُ الْخُسْرَانُ وَالضَّلَالُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ التَّخْسِيرُ وَقِيلَ التَّدْمِيرُ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَقْوَالٌ مُتَقَارِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَصُورَةُ زِيَادَةِ الْأَصْنَامِ التَّتْبِيبَ إِنَّمَا هُوَ بِتَصَوُّرِ أَنَّ تَأْمِيلَهَا وَالثِّقَةَ بِهَا وَالتَّعَبَ فِي عِبَادَتِهَا شَغَلَتْ نُفُوسَهُمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الشَّرْعِ وَعَاقَتْهُ فَلَحِقَ عَنْ ذَلِكَ عَنَتٌ وَخُسْرَانٌ وَأَمَّا بِأَنَّ عَذَابَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ يُزَادُ بِهِ عَذَابٌ عَلَى مُجَرَّدِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ۝ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ أَيْ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْأَخْذِ أَخْذِ اللَّهِ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ أَخْذُ رَبِّكَ وَالْقُرَى عَامٌّ فِي الْقُرَى الظَّالِمَةِ وَالظُّلْمُ يَشْمَلُ ظُلْمَ الْكُفْرِ وَغَيْرَهُ وَقَدْ يُمْهِلُ اللَّهُ بَعْضَ الْكَفَرَةِ وَأَمَّا الظَّلَمَةُ فِي الْغَالِبِ فَمُعَاجَلُونَ وَفِي الْحَدِيثِ إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ الْآيَةَ وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ وَالْجَحْدَرِيُّ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذْ أَخَذَ عَلَى أَنَّ أَخَذَ رَبُّكَ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَإِذْ ظَرْفٌ لِمَا مَضَى وَهُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ اللَّهِ فِي إِهْلَاكِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَهِيَ قِرَاءَةٌ مُتَمَكِّنَةُ الْمَعْنَى وَلَكِنَّ قِرَاءَةَ الْجَمَاعَةِ تُعْطِي الْوَعِيدَ وَاسْتِمْرَارَهُ فِي الزَّمَانِ وَهُوَ الْبَابُ فِي وَضْعِ الْمُسْتَقْبَلِ مَوْضِعَ الْمَاضِي وَالْقُرَى مَفْعُولٌ بِأَخْذِ عَلَى الْإِعْمَالِ إِذْ تَنَازَعَهُ

قوله عز وجل وكذلك اخذ ربك

المصدر وهو أخذ ربك وأخذ فاعل الناصب وهي ظالمة جملة حالية إن
أخذه أليم موجع صعب على المأخوذ والأخذ هنا أخذ الإهلاك إن في
ذلك أي فيما قص الله من أخبار الأمم الماضية وإهلاكهم لآية لعلامة
لمن خاف عذاب الآخرة أي إنهم إذا عذبوا في الدنيا لأجل تكذيبهم الأنبياء
وإشراكهم بالله وهي دار العمل فلأن يعذبوا على ذلك في الآخرة التي هي
دار الجزاء أولى وذلك أن الأنبياء أخبروا باستئصال من كذبهم وأشركوا
بالله ووقع ما أخبروا به فوافق إخبارهم فدل على أن ما أخبروا به من البعث
والجزاء صدق لا شك فيه قال الزمخشري لآية لمن خاف لعبرة له
لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما
أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمته وشدته اعتبر به من عظم العذاب
الموعود فيكون له عظة وعبرة ولطفا في زيادة التقوى والخشية
من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة
الدال عليه عذاب الآخرة والناس مفعول لم يسم فاعله رافعه
مجموع وأجاز ابن عطية أن تكون الناس مبتدأ ومجموع خبر مقدم وهو
بعيد لإفراد الضمير في مجموع وقياسه على إعرابه مجموعون ومجموع له
الناس عبارة عن الحشر ومشهود عام يشهده الأولون والآخرون
من الإنس والجن والملائكة والحيوان في قول الجمهور قال الزمخشري
فإن قلت أي فائدة في أن أوثر اسم المفعول على فعله **قلت**
لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه لا بد أن
يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه هو الموصوف بذلك صفة
لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه
وفيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ومعنى مشهود مشهود
فيه فاتسع في الجار والمجرور ووصل الفعل إلى الضمير إجراء له مجرى
المفعول به على السعة كقوله ه ويوما شهدناه سليما وعامرا ه
والمعنى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور وإنما لم يجعل اليوم مشهودا في نفسه
كما قال فمن شهد منكم الشهر لأن الغرض وصف ذلك اليوم بالهول
والعظم وتمييزه من بين الأيام وكونه مشهودا في نفسه لا يميزه إذ هو موافق
لسائر الأيام في كونها مشهودة وما نؤخره أي ذلك اليوم وقيل يعود
على الجزاء قاله الحوفي إلا لأجل معدود أي لقضاء سابق قد نفذ فيه
بأجل محدود لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه **وقرأ** الأعمش وما يؤخره
بالياء **وقرأ** النحويان ونافع يأتي بإثبات الياء وصلا وحذفها
وقفا وابن كثير بإثباتها وصلا ووقفا وهي ثابتة في مصحف أبي
وقرأ باقي السبعة بحذفها وقفا وسقطت في مصحف عثمان **وقرأ**
الأعمش يأتون وكذا في مصحف عبد الله وإثباتها وصلا ووقفا

وصلا

هو

هو الوجه ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل وقفا ووصلا
التخفيف كما قالوا لا أدر ولا أبال وذكر الزمخشري أن الاجتزاء بالكسرة
عن الياء كثير في لغة هذيل وأنشد الطبري
كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما
والظاهر أن فاعل يأتي ضمير يعود على ما عاد عليه الضمير في نؤخره
وهو قوله ذلك يوم والناصب له لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم يأتي
ذلك اليوم إلا بإذن الله وذلك من عظم المهابة والهول في ذلك اليوم
وهو نظير لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهو ناصب لقوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا والمراد بإتيان اليوم إتيان أهواله وشدائده إذ اليوم لا يكون
وقتا لإتيان اليوم وأجاز الزمخشري أن يكون فاعل يأتي ضميرا عائدا على الله
قال كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك
ويعضده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله بإذنه وأجاز أيضا أن ينتصب
يوم يأتي باذكر أو بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي
الأجل يوم يأتي وأجاز الحوفي أن تكون لا تكلم حالا من ضمير اليوم المتقدم في مشهود
أو نعتا له لأنه نكرة والتقدير لا تكلم نفس فيه يوم يأتي إلا بإذنه وقال
ابن عطية لا تكلم نفس يصح أن تكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في
يأتي وهو العائد على قوله ذلك يوم ويكون على هذا عائد محذوف تقديره
لا تكلم نفس فيه إلا بإذنه ويصح أن تكون قوله لا تكلم نفس صفة لقوله
يوم يأتي يراد به الحين والوقت لا النهار بعينه وما ورد في القرآن
من ذكر كلام أهل الموقف في التلاوم والتساؤل والتجادل فإما أن يكون
بإذن الله وإما أن تكون هذه هنا مختصة في تكلم شفاعة أو إقامة
حجة انتهى وكلامه في إعراب لا تكلم كأنه منقول من كلام الحوفي وقيل
يوم القيامة يوم طويل له مواقف ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها
يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي
بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم والضمير في فمنهم
عائد على الناس في قوله مجموع له الناس ه وقال الزمخشري الضمير
لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس
يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس وقال ابن عطية
فمنهم عائد على الجميع الذي تضمنه قوله نفس إذ هو اسم جنس يراد به
الجميع انتهى قال ابن عباس الشقي من كتبت عليه الشقاوة والسعيد
الذي كتبت له السعادة وقيل معذب ومنعم وقيل محروم ومرزوق
وقيل الضمير في فمنهم عائد على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكره ابن الأنباري
فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض

قوله عز وجل فأما الذين شقوا

الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ۞ قال الضحاك ومقاتل والفراء الزفير
اول نهيق الحمار والشهيق آخره وروي عن ابن عباس وقال ابو العالية
والربيع بن انس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وروي عن ابن عباس
ايضا وقال ابن السائب الزفير زفير الحمار والشهيق شهيق البغال
وانتصاب خالدين على انها حال مقدرة وما مصدرية ظرفية اي مدة
دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت التابيد كقول العرب
ما اقام ثبير وما لاح كوكب وضعت العرب ذلك للتابيد من غير
نظر لفناء ثبير او الكوكب او عدم فنائهما وقيل المراد سموات الآخرة
وارضها وهي دائمة ابدا ويدل على ذلك يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولا بد
لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم
العرش وكل ما اظلك فهو سماء وعن ابن عباس ان السموات والارض في الآخرة
يردان الى النور الذي اخذتا منه فهما دائمتان ابدا في نور العرش
والظاهر ان قوله الا ما شاء ربك استثناء من الزمان الدال عليه
قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض والمعنى الا الزمان الذي
شاءه الله فلا يكون في النار ولا في الجنة ويمكن ان يكون هذا الزمان
المستثنى هو الزمان الذي يفصل الله فيه بين الخلق يوم القيمة اذا
كان الاستثناء من الكون في النار او الجنة لانه زمان يخلو فيه الشقي
والسعيد من دخول النار او الجنة واما ان كان الاستثناء من الخلود فيمكن
ذلك بالنسبة الى اهل النار ويكون الزمان المستثنى هو الزمان الذي
فات اهل النار العصاة من المؤمنين الذين يخرجون من النار ويدخلون
الجنة فليسوا خالدين في النار اذ قد اخرجوا منها وصاروا في الجنة
وهذا روي معناه عن قتادة والضحاك وغيرهما ويكون الذين شقوا
شاملا للكفار وعصاة المسلمين واما بالنسبة الى اهل الجنة فلا
يتاتى فيهم ما تاتى في اهل النار اذ ليس منهم من يدخل الجنة ثم لا يخلد
لكن يمكن ذلك باعتبار ان يكون المراد الزمان الذي فات اهل النار
العصاة من المؤمنين او الذي فات اصحاب الاعراف فانه بفوات
تلك المدة التي دخل المؤمنون فيها الجنة وخلدوا فيها صدق على العصاة
المؤمنين واصحاب الاعراف انهم ما خلدوا في الجنة تخليد من دخلها
لاول وهلة ويجوز ان يكون استثناء من الضمير المستكن في الجار والمجرور
او في خالدين ويكون ما واقعة على نوع من يعقل كما وقعت في قوله
فانكحوا ما طاب لكم من النساء او يكون واقعة على من يعقل على مذهب
من يرى وقوعها على من يعقل مطلقا ويكون المستثنى في قصة النار
عصاة المؤمنين وفي قصة الجنة هم او اصحاب الاعراف لانهم
لم يدخلوا الجنة لاول وهلة ولا خلدوا فيها خلود من دخلها اولا قال

الزمخشري

الزمخشري **فان قلت** ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك
وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء **قلت**
هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم اهل الجنة وذلك
ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع
من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم
وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم مع نعيم الجنة ما هو
اكبر منه واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله الآية الى قوله
ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا
يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ
ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد
من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان
القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء
خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على
تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
لما روي لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم
تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني
ان من الضلال من اعتقد هذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار
وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق
ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص
فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق
ابوابها انتهى وهو على طريق الاعتزال في تخليد اهل الكبائر من غير التائبين
من المؤمنين في النار واما ما ذكره من الاستثناء في اهل النار من كونهم لا يخلدون
في عذاب النار اذ ينقلون الى الزمهرير فلا يصدق عليهم انهم خالدون
في عذاب النار فقد ينبغي واما ما ذكره من الاستثناء في اهل الجنة من
قوله خالدين فلا ينبغي لانهم مع ما اعطاهم الله من رضوانه وما تفضل
عليهم به من سوى ثواب الجنة لا يخرجهم ذلك عن كونهم خالدين في الجنة
فلا يصح الاستثناء على هذا الحكم بخلاف اهل النار فانه بخروجهم
من عذابها الى الزمهرير يصح الاستثناء وقال ابن عطية واما قوله الا
ما شاء ربك فقيل فيه ان ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع
الى استعماله في كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين استثناء في واجب وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كانه
قال ان شاء الله فليس يحتاج ان يوصف بمتصل ولا منقطع وقيل
هو استثناء من طول المدة وذلك على ما روي ان جهنم تخرب ويعدم
اهلها وتخفق ابوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير امرهم الى هذا وهذا
قول مخيل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره انها تخلو من النار

المفردات

انما هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المؤمنين وهو الذي يسمى جهنم ويسمى الكل به تجوزا وقيل الا بمعنى الواو فمعنى الآية وما شاء الله زايدا على ذلك وقيل الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لي عندك الف درهم الا الالف التي كنت اسلفتك بمعنى سوى تلك الالف فكانه قال خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ما شاء الله زايدا على ذلك ويؤيد هذا التاويل قوله تعالى بعد هذا عطاء غير مجذوذ وهذا قول الفراء وقيل سوى ما اعد لهم من انواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير وقيل استثناء من مدة السموات والارض التي فرطت لهم في الحيوة الدنيا وقيل في البرزخ بين الدنيا والاخرة وقيل في المسافة التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم انما هو زمرا بعد زمر وقيل الاستثناء من قوله ففي النار كانه قال الا ما شاء ربك من تاخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه ابو نضرة عن جابر او عن ابي سعيد الخدري ثم اخبر منبها على قدرة الله تعالى فقال ان ربك فعال لما يريد انتهى وقال ابو مجلز الا ما شاء ربك ان يتجاوز عنه بعدان يكون جزاؤه الخلود في النار فلا يدخله النار وقيل معنى الا ما شاء ربك قيل كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي كما قد سلف **وقرا** الحسن شقوا بضم الشين والجمهور بفتحها **وقرا** بن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ولا يتعجب من ذلك اذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه وقد احتج الكسائي بقولهم مسعود وقيل لا حجة فيه لانه يقال كان مسعود فيه ثم حذف فيه وسمي به وقال المهدوي من قرا سعدوا فهو محمول على مسعود وهو شاذ قليل لانه لا يقال سعده الله انما يقال اسعده الله وقال الثعلبي سعد واسعد بمعنى واحد وانتصب عطاء على المصدر اي اعطوا عطاء بمعنى اعطاء كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ومعنى غير مجذوذ غير مقطوع بل هو ممتد الى غير نهاية **الزلفة** قال الليث طايفة من اول الليل والجمع الزلف وقال ثعلب الزلف اول ساعات الليل واحدها زلفة وقال ابو عبيدة والاخفش وابن قتيبة الزلف ساعات الليل واناؤه وكل ساعة زلفة **وقال العجاج** ناج طواه الاين مما وجفا

طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا

واصل الكلمة من الزلفى وهي القربة ويقال ازلفه فازدلف اي قربه فاقترب وازلفني ادناني **الترف** النعمة صبي مترف منعم البدن ومترف البطر نالنعمة وسعة العيش وقال الفراء اترف عود الترفة

قوله عز وجل فلا تك في مرية

وهي النعمة ﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ لما ذكر تعالى قصص عبدة الاوثان من الامم السالفة واتبع ذلك بذكر احوال الاشقياء والسعداء شرح للرسول احوال الكفار من قومه وانهم متبعوا اباءهم كحال من تقدم من الامم في اتباع اباءهم في الضلال وهؤلاء اشارة الى مشركي العرب باتفاق وان ديدنهم كديدن الامم الماضية في التقليد والعمى عن النظر في الدلايل والحجج وهذه تسلية للرسول وعدة بالانتقام منهم اذ حالهم في ذلك حال الامم السالفة وقد قصصنا عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة والتشبيه في قوله كما يعبد معناه ان حالهم في الشرك مثل حال اباءهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل باسلافهم فسينزل بهم مثله وما يعبد استيناف جرى مجرى التعليل للنهي عن المرية وما في مما وفي كما يحتمل ان تكون مصدرية وبمعنى الذي **وقرا** الجمهور لموفوهم مشددا من وفى وابن محيصن مخففا من اوفى والنصيب هنا قال ابن عباس ما قدر لهم من خير ومن شر وقال ابو العالية من الرزق وقال ابن زيد من العذاب وكذا قال الزمخشري قال كما وفينا اباءهم انصباءهم وغير منقوص حال من نصيبهم وهو عندي حال مؤكدة لان التوفية تقتضي التكميل وقال الزمخشري **فان قلت** كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى **قلت** يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا انتهى وهذه مغلطة اذ قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت في الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى اعطيته الشطر او الثلث كاملا لم انقصه منه شيئا واما قوله وحقه كاملا وناقصا اما كاملا فصحيح وهي حال مؤكدة لان التوفية تقتضي الاكمال واما وناقصا فلا يقال لمنافاة التوفية والخطاب فلا تك متوجه الى من داخله الشك لا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله اعلم فلا يا محمد لكل من شك لا تك في مرية مما يعبد هؤلاء فان الله لم يامرهم بذلك وانما اتبعوا في ذلك اباءهم تقليدا لهم واعراضا عن حجج العقول ﴿ ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ﴾ لما بين تعالى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد ونبوة الرسول والقرآن الذي اتى به بين ان الكفار من الامم السابقة كانوا على هذه السيرة الفاجرة مع انبياءهم فليس ذلك ببدع ممن عاصر الرسول وضرب لذلك مثلا وهو انزال التوراة على موسى فاختلفوا فيه والكتاب هنا التوراة فقبله بعض وانكره بعض كما اختلف هؤلاء في القرآن والظاهر عود الضمير في فيه على الكتاب لقربه ويجوز ان يعود على موسى ويلزم من الاختلاف في احدهما الاختلاف في الاخر ويجوز ان تكون في بمعنى على اي فاختلف عليه وكان بنو اسرائيل اشد تعنتا على موسى واكثر اختلافا عليه وقد تقدم

قوله تعالى ولقد اتينا موسى

قوله عز وجل وان كلا لما ليوفينهم

شرح ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى اذ هم المختلفون فيه او في الكتاب وقيل يعود على المختلفين في الرسول من معاصريه قال ابن عطية وان يعمهم اللفظ احسن عندي وهذه الجملة من جملة تسليته ايضا ○ وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير ○ الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر وقال الزمخشري التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه وقال مقاتل يعني به كفار هذه الامة وقرأ الحرميان وابو بكر وان كلا بتخفيف النون ساكنة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد هنا وفي يس وفي الطارق واجتمعت السبعة على نصب كلا فتصور في قراءتهم اربع قراءات احدها تخفيف ان ولما وهي قراءة الحرميين والثانية تشديدهما وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص والثالثة تخفيف ان وتشديد لما وهي قراءة ابي بكر والرابعة تشديدان وتخفيف لما وهي قراءة الكسائي وابي عمرو وقرأ ابي والحسن بخلاف عنه وابان بن تغلب وان بالتخفيف كل بالرفع لما مشددا وقرأ الزهري وسليمان ابن ارقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها ولم يتعرضوا لتخفيف ان ولا تشديدها وقال ابو حاتم الذي في مصحف ابي وان من كل الا ليوفينهم وقرأ الاعمش وان كل الا وهو حرف ابن مسعود فهذه اربعة وجوه في الشاذ فاما القراءة الاولى فاعمال ان مخففة كاعمالها مشددة وهذه المسئلة فيها خلاف ذهب الكوفيون الى ان تخفيف ان يبطل عملها ولا يجوز ان تعمل وذهب البصريون الى ان اعمالها جائز لكنه قليل الا مع المضمر فلا يجوز الا ان ورد في شعر وهذا هو الصحيح لثبوت ذلك في لسان العرب حكى س ان الثقة اخبره انه سمع بعض العرب ان عمرا لمنطلق ولثبوت هذه القراءة المتواترة وقد تأولها الكوفيون واما لما فقال الفراء فاللام فيها هي اللام الداخلة على خبر ان وما موصولة بمعنى الذين كما جاء فانكحوا ما طاب لكم والجملة من القسم المحذوف وجوابه الذي هو ليوفينهم صلة لما نحو قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وهذا وجه حسن ومن ايقاع ما على من يعقل قولهم لا سيما زيد بالرفع اي لا سي الذي هو زيد وقيل ما نكرة موصوفة وهي لمن يعقل والجملة القسمية وجوابها قامت مقام الصفة لان المعنى وان كلا لخلق موفي عمله ورجح الطبري هذا القول واختاره وقال ابو علي العرف ان تدخل لام الابتداء على الخبر هنا والخبر هنا هو القسم وفيه لام تدخل على جوابه فلما اجتمع اللامان والقسم محذوف واتفقا في اللفظ وفي تلقي القسم فصل بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام انتهى ويظهر من كلامه ان اللام في لما هي اللام التي تدخل في الخبر ونص الحوفي على ان اللام ان اللام المنقول عن ابي علي ان الخبر هو ليوفينهم وتحرير ما ذكرنا وهو القسم وجوابه وقيل اللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والخبر الجملة القسمية وجوابها والى هذا القول في التحقيق يؤول قول ابي علي واما القراءة الثانية فتشديدان واعمالها في كل واضح واما

تشديد

تشديد لما فقال المبرد هذا لحن لا تقول العرب ان زيدا لما خارج وهذه جسارة من المبرد على عادته وكيف تكون قراءة متواترة لحنا وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال وهو ان زيدا لما خارج هذا المثال لحن واما في الآية فليس لحنا ولو سكت وقال كما قال الكسائي ما ادري ما وجه هذه القراءة لكان قد وفق واما غير هذين من النحويين فاختلفوا في تخريجها فقال ابو عبيد اصله لما منونا وقد قرئ كذلك ثم بني منه فعلى فصار كتترى نون اذ جعلت الفه للالحاق كارطى ومنع الصرف اذ جعلت الفه تانيث وهو ماخوذ من لممته اي جمعته والتقدير وان كلا جميعا ليوفينهم ويكون جميعا فيه معنى التوكيد ككل ولا يقال لما هذه هي لما المنونة وقف عليها بالالف لانها بدل من التنوين واجري الوصل مجرى الوقف لان ذلك انما يكون في الشعر وما قاله ابو عبيد بعيد اذ لا يعرف بناء فعلى من لم ولما يلزم لمن امال فعلى ان يميلها ولم يملها احد بالاجماع ومن كتبها بالياء ولم تكتب بها وقيل لما المشددة هي لما المخففة وشدد في الوقف كقولك رايت فرجا تريد فرحا واجري الوصل مجرى الوقف وهذا بعيد جدا وروي عن المازني وقال ابن جني وغيره تنقح الا زائدة فلا يبعد ان تنقح لما بمعناها زائدة انتهى وهذا وجه ضعيف مبني على وجه ضعيف في الا وقال المازني هي المخففة ثقلت وهي نافية بمعنى ما كما خففت ان ومعناها المثقلة ولما بمعنى الا وهذا باطل لانه لم يعهد تثقيل ان النافية ولنصب كل وان النافية لا تنصب وقيل لما بمعنى الا كقولك نشدتك بالله لما فعلت تريد الا فعلت وقاله الحوفي وضعفه ابو علي قال لان لما هذه لا تفارق القسم انتهى وليس كما ذكر وقد تفارق القسم وانما يبطل هذا الوجه لانه ليس موضع دخول الا لو قلت ان زيدا الا ضربته لم يكن تركيبا عربيا وقيل لما اصلها لمن ما ومن هي الموصولة وما بعدها زائدة واللام في لما هي الداخلة في خبر ان والصلة الجملة القسمية فلما ادغمت ميم من في ما الزائدة اجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون واجتمع المثلان فادغمت ميم من في ميم ما فصار لما وقاله المهدوي وقال الفراء وتبعه جماعة منهم نصر الشيرازي اصل لما لمن ما دخلت من الجارة على ما كما في قول الشاعر ○

وانا لمن ما يضرب الكبش ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم ○

فعلى هذا ما على الوجه الذي قبله وهذان الوجهان ضعيفان جدا لم يعهد حذف نون من ولا حذف نون من الا في الشعر اذا لقيت لام التعريف او شبهها غير المدغمة نحو قولهم ملمال يريدون من المال وهذه كلها تخريجات ضعيفة جدا ينزه القرآن عنها وكنت قد ظهر لي فيها وجه جار على قواعد العربية وهو ان لما هذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه كما حذفوه في قولهم قاربت المدينة ولما يريدون ولما ادخلها

وكذلك هنا التقدير وان كلا لما ينقص من جزاء عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم لما اخبر بانتفاء نقص جزاء اعمالهم اكده بالقسم فقال ليوفينهم ربك اعمالهم وكنت اعتقدت اني سبقت الى هذا التخريج السايغ العاري من التكليف وذكرت ذلك لبعض من يقرأ علي فقال قد ذكر ذلك ابو عمرو بن الحاجب والزكي المنطقي في كلام هذا الرجل لم اقف عليه ثم رأيت في كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال لما هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم خرجت ولما وسافرت ولما ونحوه وهو سايغ فصيح فيكون التقدير لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين في قوله فمنهم شقي وسعيد ثم ذكر الاشقيا والسعدا ومجازاتهم ثم بين ذلك بقوله ليوفينهم ربك اعمالهم قال وما اعرف وجها اشبه من هذا وان كانت النفوس تستبعده من جهة ان مثله لم يقع في القرآن **واما القراة الثالثة والرابعة** فتخريجهما مفهوم من تخريج القراتين قبلهما **واما قراة** ابي ومن ذكر معه فان نافية ولما بمعنى الا والتقدير ما كل الا والله ليوفينهم وكل مبتداء والخبر الجملة القسمية وجوابها التي بعد لما كقراة من قرأ وان كل لما جميع وان كل نفس لما عليها حافظ ولا التفات الى قول ابي عبيد والفراء من انكارهما ان لما تكون بمعنى الا قال ابو عبيد لم نجد هذا في كلام العرب ومن قال هذا لزمه ان يقول رأيت القوم لما اخاك يريد الا اخاك وهذا غير موجود وقال الفراء اما من جعل لما بمعنى الا فانه وجه لا نعرفه وقد قالت العرب مع اليمين بالله لما قمت عنا والا قمت عنا فاما في الاستثناء فلم تقله في شعر الا ترى ان ذلك لو جاز لسمع في الكلام ذهب الناس لما زيدا والقراة المتواترة في قوله وان كل لما وان كل نفس لما حجة عليهما وكون لما بمعنى الا نقله الخليل و**س** والكساي وكون العرب خصصت مجيها ببعض التراكيب لا يقدح ولا يلزم اطرادها في باب الاستثناء فكم من شي خص بتركيب دون ما اشبهه **واما قراة** الزهري وابن ارقم لما مشددا منونا فلما مصدر من قولهم لممت الشي جمعته وخرج نصبه على وجهين احدهما ان يكون صفة لكل وصف بالمصدر وقدر كل مضافا الى نكرة حتى يصح الوصف بالنكرة كما وصف به في قوله اكلا لما وهذا تخريج ابي علي والوجه الثاني ان يكون منصوبا بقوله ليوفينهم على حد قولهم قياما لاقومن وقعودا لاقعدن فالتقدير توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم وهذا تخريج ابن جني وخبر ان على هذين الوجهين هو جملة القسم وجوابه واما ما في مصحف ابي فان نافية ومن زايدة **واما قراة** الاعمش فواضحة والمعنى جميع ما لهم قبيل وهذه الجملة تضمنت توكيدات بان وبكل وباللام في الخبر وبالقسم وبما اذا كانت زايدة وبنون التوكيد وباللام قبلها وذلك مبالغة في وعد الطايع ووعيد العاصي واردف ذلك بالجملة المؤكدة وهي انه بما يعملون خبير وهذا

٢

ص بالتنوين والتشديد

الوصف

الوصف يقتضي علم ما خفي وقرأ ابن هرمز بما تعملون على الخطاب ﴿فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير﴾ قال ابن عيينة وجماعة معناه استقم على القرآن وقال الضحاك استقم بالجهاد وقال مقاتل امض على التوحيد وقال جماعة استقم على امر ربك بالدعاء اليه وقال جعفر الصادق استقم في الاخبار عن الله بصحة العزم وقال الزمخشري فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها وقال ابن عطية امر بالاستقامة وهو عليها وهو امر بالدوام والثبوت والخطاب للرسول واصحابه الذين تابوا من الكفر ولساير الامة بالمعنى وامرت مخاطبة تعظيم انتهى وقيل استفعل هنا للطلب اي اطلب الاقامة على الدين كما تقول استغفر اي اطلب الغفران ومن تاب معطوف على الضمير المستكن في فاستقم واغنى الفاصل عن التوكيد ولا تطغوا قال ابن عباس في القرآن فتحلوا وتحرموا ما لم امركم به وقال ابن زيد لا تعصوا ربكم وقال مقاتل لا تخلطوا التوحيد بالشك وقال الزمخشري لا تخرجوا عن حدود الله **وقرأ** الحسن والاعمش بما يعملون بالياء على الغيبة ورويت عن عيسى الثقفي بصير مطلع على اعمالهم يراها ويجازي عليها ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون﴾ قال ابن عباس معنى الركون الميل وقال السدي وابن زيد لا تداهنوا الظلمة وقال قتادة لا تلحقوا بهم وقال سفين لا تدنوا الى الذين ظلموا وقال ابو العالية لا ترضوا اعمالهم وقيل لا تجالسوهم وقال جعفر الصادق الى الذين ظلموا الى انفسكم فانها ظالمة وهذا شبيه بتفسير الباطنية وقيل لا تتشبهوا بهم **وقرأ** الجمهور تركنوا بفتح الكاف والماضي ركن بكسرها وهي لغة قريش وقال الازهري هي اللغة الفصحى وعن ابي عمرو بكسر التاء على لغة تميم في مضارع علم غير الياء **وقرأ** قتادة وطلحة والاشهب ورويت عن ابي عمرو تركنوا بضم الكاف ماضي ركن بفتحها وهي لغة قيس وتميم وقال الكساي واهل نجد وشذ تركن بفتح الكاف مضارع ركن بفتحها **وقرأ** ابن ابي عبلة ولا تركنوا مبنيا للمفعول من اركنه اذا امالة والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين قاله الزمخشري وقال ابن عطية ومعناه السكون الى الشي والرضى به قال ابو العالية الركون الرضى وقال ابن زيد الركون الادهان والركون يقع في قليل هذا وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون عن الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة والذين

قوله عز وجل فاستقم كما امرت

قوله عز وجل ولا تركنوا

حبتهم

ليه

ظلموا انتم الكفرة وسموا النص للمشاولين ويدخل بالمعنى اهل المعاصي
انتهى وقال سفين الثوري في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
الملوك وسئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة
ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ٥ وفي الحديث من دعا
لظالم فقد احب ان يعصي الله في ارضه وكتب الى الزهري حين خالط السلاطين
اخ له في الدين كتابا طويلا قرعه فيه اشد التقريع يوقف عليه في تفسير
الزمخشري **وقرأ** ابن وثاب وعلقمة والاعمش وابن مصرف وحمزة فيما
روي عنه فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم والمس كناية عن الاصابة وانتصب
الفعل في جواب النهي والجملة بعدها حال ومعنى من اولياء من انصار يقدرون
على منعكم من عذابه ثم لا تنصرون قال الزمخشري ثم لا ينصركم هو لانه وجب
في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** معناها
الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب وقضاء حكمته
له انتهى وهي الفاظ المعتزلة **وقرأ** زيد بن علي ثم لا تنصروا بحذف نون
الفعل منصوب عطفا على قوله فتمسكم والجملة حال او اعتراض بين المتعاطفين

قوله عز وجل واقم الصلوة

٥ واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ٥ سبب
نزولها ما في صحيح مسلم من حديث الرجل الذي عالج امرأة اجنبية منه فاصاب
منها ما سوى اتيانها فنزلت ٥ وقيل نزلت قبل ذلك واستعملها الرسول
في قصة هذا الرجل فقال رجل اله خاصة قال لا بل للناس عامة وانظر
الى الامر والنهي في هذه الآيات حيث جاء الخطاب في الامر فاستقم كما امرت
واقم الصلاة موحدا في الظاهر وان كان المامور به من حيث المعنى عاما
وجاء الخطاب في النهي ولا تطغوا ولا تركنوا موجها الى غير الرسول مخاطبا
به امته فحيث كان الامر بافعال الخير توجه الخطاب اليه وحيث كان
النهي عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من امته وهذا من جليل
الفصاحة ولا خلاف ان المامور باقامتها هي الصلاة المكتوبة واقامتها
دوامها وقيل اداؤها على تمامها وقيل فعلها في افضل اوقاتها
وهي ثلثة الاقوال التي في قوله تعالى ويقيمون الصلاة وانتصب طرفي النهار
على الظرف وطرفي الشيء يقتضي ان يكون من الشيء فالذي يظهر انهما الصبح
والعصر لانهما طرفا النهار ولذلك وقع الاجماع الا من شذ على ان من اكل
او جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه يوم فطر وعليه القضا والكفارة
وما بعد طلوع الفجر من النهار وقد ادعى الطبري والماوردي الاجماع
على ان احد الطرفين الصبح والخلاف في ذلك على ما نذكره وممن قال
بهما الصبح والعصر الحسن وقتادة والضحاك وقالوا الزلف المغرب
والعشاء وليست الظهر في هذه الآية على هذا القول بل هي في غيرها
وقال مجاهد ومحمد بن كعب الطرف الاول الصبح والثاني الظهر والعصر

والزلف

والزلف المغرب والعشاء وليست الصبح في هذه وقال ابن عباس والحسن
ايضا هما الصبح والمغرب والزلف العشاء وليست الظهر والعصر في الآية
وقيل هما الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح وكان هذا
القائل راعى الجهر بالقراءة والاخفاء واختار ابن عطية قول مجاهد وجعل
الظهر من الطرف الثاني ليس بواضح انما الظهر نصف النهار والطرف
لا يسمى طرفا الا بمجاز بعيد ٥ ورجح الطبري قول ابن عباس وهو ان الطرفين
هما الصبح والمغرب ولا يجعل المغرب طرفا للنهار الا بمجاز انما هو طرف لليل
وقال الزمخشري غدوة وعشية قال وصلاة الغدوة الصبح وصلاة
العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب
والعشاء انتهى ولا يلزم من اطلاق العشي على ما بعد الزوال ان تكون الظهر
طرفا للنهار لان الامر انما جاء بالاقامة للصلاة في طرفي النهار لا في
الغداة والعشي **وقرأ** الجمهور زلفا بفتح اللام وطلحة وعيسى البصرة
وابن ابي اسحق وابو جعفر بضمها كانه اسم مفرد **وقرأ** ابن محيصن ومجاهد
باسكانها وروي عنهما زلفى على وزن فعلى على صفة الواحد من المؤنث
لما كانت بمعنى المنزلة واما القراءات الاخر من الجموع فمنزلة بعد منزلة
فزلف جمع كظلم وزلف كبسر في بسرة وزلف في بسرة فهما اسم جنس وزلفى بمنزلة (كبسرة)
الزلفة والظاهر عطف وزلفا من الليل على طرفي النهار عطف طرفا على
طرف وقال الزمخشري وقد ذكر هذه القراءات وهو ما يقرب من آخر النهار
من الليل وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقهما على هذا التفسير
ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلاة طرفي النهار واقم زلفى من الليل على
معنى صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل والظاهر عموم الحسنات (ت)
من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وما اشبهها من فرائض الاسلام
وخصوص السيئات وهي الصغائر ويدل عليه الحديث الصحيح ما اجتنبت
الكبائر وذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات
يراد بها الصلوات الخمس واليه ذهب عثمان عند وضوئه على المقاعد
وهو تأويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وينبغي
ان يحمل هذا كله على جهة المثال في الحسنات ومن اجل ان الصلوات
الخمس هي اعظم الاعمال والصغائر التي تذهب هي بشرط التوبة منها وعدم
الاصرار عليها وهذا نص حذاق الاصوليين ومعنى اذهابها تكفير الصغائر
فالصغائر قد وجدت واذهبت الحسنات ما كان يترتب عليها الا انها تذهب
حقايقها اذ هي قد وجدت وقيل المعنى ان فعل الحسنات يكون لطفا في
ترك السيئات لا انها واقعة كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
والظاهر ان الاشارة بقوله ذلك الى اقرب مذكور وهو قوله اقم الصلاة
اي اقامتها في هذه الاوقات ذكرى اي سبب عظة وتذكرة للذاكرين

بيان الصبر

اي المتعظين وقيل اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات فيكون
في هذه الذكرى حضا على فعل الحسنات وقيل اشارة الى ما تقدم من الوصية
بالاستقامة واقامة الصلاة والنهي عن الطغيان والركون الى الظالمين
وهو قول الزمخشري وقال الطبري اشارة الى الاوامر والنواهي في هذه
السورة وقيل اشارة الى القرآن وقيل ذكرى معناها توبة ثم امر تعالى
بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات الله بعد ما تقدم من الاوامر والنواهي
ونبه على محل الصبر اذ لا يتم شيء مما وقع الامر به والنهي عنه الا به
واتى بعام وهو قوله اجر المحسنين ليندرج فيه كل من احسن بسائر
خصال الاحسان مما يحتاج الى الصبر فيه وما قد لا يحتاج كطبع من خلق
كريما فلا يتكلف الاحسان اذ هو مركوز في طبعه وقال ابن عباس المحسنون
هنا المصلون كانه نظر الى سياق الكلام وقال مقاتل هم المخلصون
وقال ابو سليمان المحسنون في اعمالهم ۝ فلولا كان من القرون من قبلكم

قوله عز وجل فلولا كان

اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع
الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝ لولا هنا للتحضيض صحبه
معنى التفجيع والتأسف الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم التي
لم تهتد وهذا نحو قوله يا حسرة على العباد والقرون قوم نوح وعاد وثمود
ومن تقدم ذكره والبقية هنا يراد بها الخير والنظر والحزم في الدين
وسمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار
مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر
بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ۝ ومنه قولهم في الزوايا خبايا
وفي الرجال بقايا وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها في
اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر
الاول وبقية فعيلة اسم فاعل للمبالغة وقال الزمخشري ويجوز ان
تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء
على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرأت فرقة بقية
بتخفيف الياء اسم فاعل من بقي نحو شجيت فهي شجية وقرأ ابو جعفر
وشيبة بقية بضم الباء وسكون القاف وزن فعلة وقرئ بقية
على وزن فعلة للمرة من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره والمعنى فلولا كان
منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه
بهم لاشفاقهم والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي وفي ذلك
تنبيه لهذه الامة وحض لها على تغيير المنكر الا قليلا استثناء منقطع
اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد وهو قليل بالاضافة
الى جماعاتهم ولا يصح ان يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على
ظاهره لفساد المعنى وصيرورته الى ان الناجين لم يحرضوا على النهي
عن الفساد والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب وغيره يراه منفيا من حيث

معناه

معناه لم يكن فيهم اولو بقية ولهذا قال الزمخشري بعد ان منع ان يكون متصلا
فان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان
من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان
انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرجع على البدل انتهى وقرأ
زيد بن علي الا قليل بالرفع لحظ ان التحضيض تضمن النفي فابدل كما يبدل
في صريح النفي وقال الفراء المعنى فلم يكن لان في الاستفهام ضربا من الجحد
وابى الاخفش كون الاستثناء منقطعا والظاهر ان الذين ظلموا هم تاركوا النهي
عن الفساد وما اترفوا فيه اي ما نعموا فيه من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهني ورفضوا ما فيه صلاح دينهم واتبع استئناف اخبار
عن حال هؤلاء الذين ظلموا واخبار عنهم انهم مع كونهم تاركين للنهي عن الفساد
كانوا مجرمين اي ذوي جرائم غير ذلك وقال الزمخشري ان كان معناه
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم
نهوا عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان
كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل
وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وقال وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي
اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى
فجعل ما في قوله ما اترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره واتبعوا الاتراف
والظاهر انها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها واجاز ايضا ان يكون
معطوفا على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك قال ويجوز
ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا
اعتراضا في اصطلاح النحو لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج احدهما
الى الآخر وقرأ جعفر بن محمد والعلاء بن سيابة كذا في كتاب اللوامح
وابو عمرو في رواية الجعفي واتبعوا ساكنة التاء مبنيا للمفعول
على حذف مضاف لانه مما يتعدى الى مفعولين جزاء ما اترفوا فيه وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم
وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم
وهلك السائر ۝ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

قوله عز وجل وما كان ربك

۝ تقدم تفسير شبيه هذه الآية في الانعام الا ان هنا ليهلك وهي
آكد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زيدت اللام في خبر كان على
سبيل التوكيد وعلى مذهب البصريين يوجه النفي الى الخبر المحذوف
المتعلق به اللام وهنا واهلها مصلحون قال الطبري بشرك منهم
وهم مصلحون اي مصلحون في اعمالهم وسيرهم وعدل بعضهم في بعض
اي انه لا بد من معصية تقترن بكفرهم قاله الطبري ناقلا قال ابن عطية
وهذا ضعيف وانما ذهب قائله الى نحو ما قال ان الله يمهل الدول
على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور ولو عكس لكان ذلك متجها اي ما كان الله

ليعذب أمة يظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الأعمال والذي رجح ابن عطية
أن يكون الناس وبالظلم منه تعالى عن ذلك وقال الزمخشري وأهلها مصلحون
تنزيهاً لذاته عن الظلم وإيذاناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم انتهى
وهو مضاد من الحديث أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وللآية واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

قوله عز وجل ولو شاء ربك

۝ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة
واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ۝ قال الزمخشري يعني لاضطرهم
إلى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله وإن هذه أمتكم
أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يقهرهم على الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار
بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين إلا من رحم
ربك إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين
فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال ابن عباس وقتادة أمة واحدة
مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه تعالى لم يشأ ذلك وقال الضحاك
لو شاء لجعلهم على هدى أو ضلالة والظاهر أن قوله ولا يزالون مختلفين
هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق وأن المعنى في الحق والباطل قاله
ابن عباس وقال مجاهد في الأديان وقال الحسن في الأرزاق
والأحوال من تسخير بعضهم لبعض وقال عكرمة في الأهواء وقال
ابن بحر المراد أن بعضهم يخلف بعضاً فيكون الآتي خلفاً للماضي قال
ومنه قولهم ما اختلف الجديدان أي خلف أحدهما صاحبه وإلا من رحم
استثناء متصل من قوله ولا يزالون مختلفين ولا ضرورة تدعو إلى أنه
بمعنى لكن فيكون استثناء منقطعاً كما ذهب إليه الحوفي والإشارة
بقوله ولذلك خلقهم إلى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال
إذا نهي السفيه جرى إليه فعاد الضمير على المصدر المفهوم من اسم
الفاعل كأنه قيل وللاختلاف خلقهم ويكون على حذف مضاف
أي لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم ودل على هذا
المحذوف أنه قد تقرر من قاعدة الشريعة أن الله عز وجل خلق خلقاً
للسعادة وخلقاً للشقاوة ثم يسر كلاً لما خلق له وهذا نص في الحديث
الصحيح وهذه اللام في التحقيق هي لام الصيرورة في ذلك المحذوف
أو تكون لام الصيرورة بغير ذلك المحذوف أي خلقهم ليصير أمرهم
إلى الاختلاف ولا يتعارض هذا مع قوله وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون لأن معنى هذا الأمر بالعبادة وقال مجاهد وقتادة
ذلك إشارة إلى الرحمة التي تضمنها قوله إلا من رحم ربك والضمير
في خلقهم عائد على المرحومين وقال ابن عباس واختاره الطبري
الإشارة بذلك إلى الاختلاف والرحمة معاً فيكون على هذا أشير

بالمفرد

بالمفرد إلى اثنين كقوله عوان بين ذلك أي بين الفارض والبكر والضمير في خلقهم
عائد على الصنفين المستثنى والمستثنى منه وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود
عليه الضمير إلا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء أو الرحمة كما قال
مجاهد وقتادة أو كلاهما كما قال ابن عباس وقد أبعد المتأولون
في تقدير غير هذه الثلاث فروي أنه إشارة إلى ما بعده وفيه تقديم
وتأخير أي وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
ولذلك خلقهم أي لملء جهنم منهم وهذا بعيد جداً من تراكيب كلام العرب
وقيل إشارة إلى شهود ذلك اليوم المشهود وقيل إلى قوله فمنهم شقي
وسعيد وقيل إشارة إلى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير
وقيل إشارة إلى قوله ينهون عن الفساد في الأرض وقيل إشارة إلى
العبادة وقيل إلى الجنة والنار وقيل للسعادة والشقاوة وقال
الزمخشري ولذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام أولاً من التمكين والاختيار
الذي عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب
مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهذا على طريقة الاعتزال ولولا أن
هذه الأقوال سطرت في كتب التفسير لضربت عن ذكرها صفحاً وتمت
كلمة ربك أي نفذ قضاؤه وحق أمره واللام في لأملأن هي التي يتلقى
بها القسم إذ الجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد قال ابن عطية والهاء
فيه للمبالغة وإن كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه انتهى فيكون
مما يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء لقول بعض العرب كمء
للواحد وكمأة للجمع

قوله عز وجل وكلا نقص عليك

۝ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ۝ الظاهر
أن كلا مفعول به والعامل فيه نقص عليك ومن أنباء الرسل في موضع
الصفة لقوله وكلا إذ هي مضافة في التقدير إلى نكرة وما صلة كما هي
في قوله قليلاً ما تذكرون قيل أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف أي هو ما
نثبت فتكون ما بمعنى الذي أو مصدرية وأجازوا أن ينتصب كلا على
المصدر وما نثبت مفعول به بقولك نقص كأنه قيل ونقص عليك
الشيء الذي نثبت به فؤادك كل قص وأجازوا أن تكون كلا نكرة بمعنى
جميعاً وينتصب على الحال من المفعول الذي هو ما أو من المجرور الذي
هو الضمير في به على مذهب من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه ونقص
عليك من أنباء الرسل الأشياء التي نثبت بها فؤادك جميعاً أي المثبتة
فؤادك جميعاً قال ابن عباس نثبت نسكن وقال الضحاك
نشد وقال ابن جريج نقوي وتثبيت الفؤاد هو بما جرى للأنبياء عليهم
السلام ولأتباعهم المؤمنين وما لقوا من مكذبيهم من الأذى ففي هذا كله
أسوة بهم إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهون ما يلقى الإنسان من الأذى

من الاعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستاصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف وغير ذلك فيه ما فيه طمانينة للنفس وتانيس بان يصيب من كذب الرسول عليه السلام بالعذاب كما جرى لمكذبي الرسل وانباء له عليه السلام بحسن العاقبة له ولاتباعه كما اتفق للرسل واتباعهم والاشارة بقوله في هذه الى انباء الرسل التي قصها الله تعالى عليه اي النبا الصدق الحق الذي هو مطابق لما جرى ليس فيه تغيير ولا تحريف كما ينقل شيئا من ذلك المؤرخون وموعظة اي اتعاظ وازدجار لسامعه وذكرى لمن امن اذ الموعظة والذكرى لا ينتفع بهما الا المؤمن لقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى وقال ابن عباس الاشارة الى السورة والايات التي فيها تذكر قصص الامم وهذا قول الجمهور ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بالحق والقران كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر اي جاءك في هذه السورة الحق الذي اصاب الامم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق ياتي في غير شديدة وغير ما وجه ولا يستعمل في ذلك جاء الحق وقال الحسن وقتادة الاشارة الى دار الدنيا قال قتادة والحق النبوة وقيل اشارة الى السورة مع نظائرها وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون اعملوا صيغة امر ومعناه التهديد والوعيد والخطاب لاهل مكة وغيرها على مكانتكم اي جهتكم وحالكم التي انتم عليها وقيل اعملوا في هلاكي على امكانكم وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ويشبه ان تكون الايتان موادعة فلذلك قيل انهما منسوختان وقيل محكمتان وهما للتهديد والوعيد والحرب قائمة ۝ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ۝ لا يخفى عليه شيء من اعمالكم ولا يخط المخلوق في علم الغيب وقرا نافع وحفص يرجع مبنيا للمفعول الامر كله امرهم وامرك فينتقم لك منهم وقال ابو علي الفارسي علم ما غاب في السموات والارض اضاف الغيب اليهما توسعا انتهى والجملة الاولى دلت على ان علمه محيط بجميع الكائنات كلها وجزئها حاضرها وغائبها لانه اذا احاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط اذ علمه تعالى لا يتفاوت والجملة الثانية دلت على القدرة النافذة والمشية والجملة الثالثة دلت على الامر بافراد من هذه صفاته بالعبادة الجسدية والقلبية والعبادة اولى الرتب التي تتحلى بها العبد والجملة الرابعة دلت على الامر بالتوكل وهي اخيرة الرتب لانه بنور العبادة ابصر جميع الكائنات معذوقة بالله تعالى وانه هو المتصرف وحده في جميعها لا يشركه في شيء منها احد من خلقه فوكل نفسه اليه تعالى ورفض سائر ما يتوهم انه سبب في شيء منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلا يضيع طاعة مطيع

ولا

قوله عز وجل وقل للذين لا يؤمنون

قوله عز وجل ولله غيب السموات

ولا يهمل حال المتمرد وقرا الصاحبان وحفص وقتادة والاعرج وشيبة وابو جعفر والجحدري تعملون بتاء الخطاب لان قبله اعملوا على مكانتكم وقرا باقي السبعة بالياء على الغيبة واختلف عن الحسن وعيسى بن عمر

مفردات اول يوسف

الطرح للشيء رميه والقاؤه وطرح عليه الثوب القاه وطرحت الشيء ابعدته ومنه قول عروة بن الورد ۝
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح ۝
والنوى الطروح البعيدة الجب الركية التي لم تطو واذا طويت فهو بير قال الاعشى ۝
لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ۝
ويجمع على جبب وجباب واجباب وسمي جبا لانه قطع في الارض من جببت اي قطعت الالتقاط تناول الشيء من الطريق يقال لقطه والتقطه ۝ وقال ومنهل وردته التقاطا ۝ ومنه اللقطة واللقيط ارتعى افتعل من الرعي بمعنى المراعاة وهي الحفظ للشيء او من الرعي وهو اكل الحشيش والنبات يقال رعت الماشية الكلا ترعاه رعيا اكلته والرعي بالكسر الكلا ومنه ارتعى قال الاعشى ۝
ترتعي السفح فالكثيب فذا قار فروض القطا فذات الرمال ۝
رتع اقام في خصب وتنعم ومنه قول الغضبان بن القبعثري القيد والرتعة وقلة المنعة وقول الشاعر ۝
اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا ۝
الذئب سبع معروف وليس في صقعنا الاندلسي ويجمع على اذوب وذئاب وذؤبان قال الشاعر ۝

بيات الذوابة

وارض يعطوني بلاد بعيدة تعاوي به ذؤبانه وثعالبه ۝
وارض مذابة كثيرة الذئاب وتذاءبت الريح جاءت من هنا ومن هنا فعل الذئب ومنه الذؤابة من الشعر لكونها تنوس الى هنا والى هنا الكذب بالدال المهملة الكدر وقيل الطري سول من السول ومعناه سهل وقيل زينت ادلى الدلو ارسلها ليملاها ودلاها يدلوها جذبها واخرجها من البير قال ۝ لا تقلوها وادلوها دلوا ۝
والدلو معروف وهي مؤنثة فتصغر على دلية وتجمع على ادل ودلاء ودلي البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعته اذا قطعته ومنه المبضع المراودة الطلب برفق ولين القول والرود التاني يقال ارود في امهلني والريادة طلب النكاح ومشي رويدا اي برفق اغلق الباب واصفقه واقفله بمعنى ۝ وقال الفرزدق ۝
ما زلت اغلق ابوابا وافتحها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار ۝
هيت اسم فعل بمعنى اسرع قد الثوب شقه السيد فيعل

من سواد يسود يطلق على المالك وعلى رئيس القوم وفيحل بتاء مختص بالمحتنك
وسيد بين السؤدد وصبعل اسم امراة التجر الحبش ۝

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الر تلك آيات الكتاب المبين
انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ۝ هذه السورة مكية كلها وقال
ابن عباس وقتادة الا ثلاث ايات من اولها وسبب نزولها ان كفار مكة امرتهم
اليهود ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي احل بني اسرائيل
بمصر فنزلت وقيل سببه تسلية الرسول عما يفعله به قومه بما فعل
اخوة يوسف وقيل سالت اليهود الرسول ان يحدثهم امر يعقوب وولده
وشان يوسف وقال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن فتلاه عليهم
زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت ووجه مناسبتها لما قبلها
وارتباطها ان في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فؤادك وكان في تلك الانباء المقصوصة فيها ما لاقى الانبياء
من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف وما لاقاه من اخوته وما آلت اليه
حاله من حسن العاقبة ليحصل للرسول التسلية الجامعة لما يلاقيه
من اذى البعيد والقريب وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة
فلذلك لم تتكرر في القرآن الا ما اخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر
والاشارة بتلك ايات الى الر وسائر حروف المعجم التي تركبت منها ايات
القرآن او الى التوراة والانجيل او الايات التي ذكرت في سورة هود
او الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات
التي نزلت اليك في هذه السورة اقوال والظاهر ان المراد بالكتاب
القرآن والمبين اما البين في نفسه الظاهر امره في اعجاز العرب
وتبكيتهم واما المبين الحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج
اليه في امر الدين قاله ابن عباس ومجاهد او المبين الهدى والرشد
والبركة قاله قتادة او المبين ما سالت عنه اليهود او ما امرت ان يسال
من حال انتقال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف او المبين
من جهة بيان اللسان العربي وجودته اذ فيه ستة احرف لم تجتمع في
لسان روي هذا عن معاذ بن جبل وهي الطاء والظاء والضاد
والصاد والعين والخاء انتهى والضمير في انزلناه عائد على الكتاب
الذي فيه قصة يوسف وقيل على القرآن وقيل على نبا يوسف
قاله الزجاج وابن الانباري وقيل هو ضمير الانزال وقرانا هو المفعول
به وهذان ضعيفان وانتصب قرانا على البدل من الضمير وقيل على
الحال الموطئة وسمي بعض القرآن قرانا لانه اسم جنس يقع على القليل
والكثير وعربيا منسوب الى العرب والعرب جمع عربي كروم ورومي
وعربة ناحية دار اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ۝

قال

قال الشاعر

وعربة ارض ما يحل حرامها من الناس الا اللوذعي الحلاحل

ويعني النبي صلى الله عليه وسلم احلت له مكة راء عربة الشاعر ضرورة قيل وان
شئت نسبت القرآن اليه ابتداء اي على لغة اهل هذه الناحية لعلكم تعقلون
ما تضمن من المعاني واحتوى عليه من البلاغة والاعجاز فتؤمنون اذ لو كان
بغير العربية لقيل لولا فصلت اياته ۝ نحن نقص عليك احسن القصص
بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال
يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان
للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم
نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق
ان ربك عليم حكيم ۝ القصص مصدر قص واسم مفعول اما للتسمية بالمصدر
واما لكون الفعل يكون للمفعول كالقبض والنقض والقصص هنا يحتمل الاوجه
الثلاثة فان كان المصدر فالمراد بكونه احسن انه اقتص على ابدع طريقة
واحسن اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي
كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في
القرآن وان كان المفعول فكان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم والنكت والعجائب
التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقص في بابه كما يقال للرجل هو اعلم
الناس واعلمهم يراد في فنه وقيل كانت هذه السورة احسن القصص
لانفرادها عن سائرها بما فيها من ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين
والانس والجن والانعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال
والنساء وكيدهن ومكرهن مع ما فيها من ذكر التوحيد والفقه والسير والسياسة
وحسن الملكة والعفو عند المقدرة وحسن المعاشرة والحيل وتدبير المعاش
والمعاد وحسن العاقبة في العفة والجهاد والخلاص من المرهوب الى المرغوب
وذكر الحبيب والمحبوب ومرائي السنين وتعبير الرؤيا والعجائب التي تصلح للدين
والدنيا وقيل كانت احسن القصص لان كل من ذكر فيها كان مآله الى السعادة
انظر الى يوسف وابيه واخوته وامراة العزيز والملك اسلم بيوسف وحسن
اسلامه ومعبر الرؤيا الساقي والشاهد فيما يقال وقيل احسن هنا ليست
افعل التفضيل بل هي بمعنى حسن كانه قيل حسن القصص من باب اضافة الصفة
الى الموصوف اي القصص الحسن وما في بما اوحينا مصدرية اي بايحائنا واذا
كان القصص مصدرا فمفعول نقص من حيث المعنى هو هذا القرآن الا انه من
باب الاعمال اذ تنازعه نقص واوحينا فاعمل الثاني على الاكثر والضمير
في من قبله يعود على الايحاء وتقدمت مذاهب النحاة في ان المخففة الجائي
اللام في ثاني الجزئين ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة
ولا سبق لك علم فيها ولا طرق سمعك طرف منها والعامل في اذ قال الزمخشري

قوله عز وجل نحن نقص عليك

وابن عطية اذكر واجاز الزمخشري ان يكون بدلاً من احسن القصص قال وهو بدل اشتمال لان الوقت يشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص وقال ابن عطية ويجوز ان يعمل فيه نقص فكان المعنى نقص عليك الحال اذ وهذه التقديرات لا تتجه حتى يخلع اذ من دلالتها على الوقت الماضي وتجرد للوقت المطلق الصالح للازمان كلها على جهة البدلية وحكى مكي ان العامل فيه اذ الغافلين والذي يظهر ان العامل فيه قال يا بني كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وبقي اذ على وضعها الاصلي من كونها ظرفاً لما مضى ويوسف اسم عبراني وتقدمت ست اللغات فيه ومنعه الصرف دليل على بطلان قول من ذهب الى انه عربي مشتق من الاسف وان كان في بعض لغاته يكون فيه الوزن الغالب لامتناع ان يكون اعجمياً غير اعجمي **وقرأ** طلحة بن مصرف بالهمز وفتح السين **وقرأ** ابن عامر وابو جعفر والاعرج يا ابت بفتح التاء وباقي السبعة والجمهور بكسرها ووقف الابنان عليها بالهاء وهذه التاء عوض من ياء الاضافة فلا يجتمعان وتجامع الالف التي هي بدل من الياء قال يا ابتا علك او عساكا ٭ ووجه الاقتصار على التاء مفتوحة انه اجتزأ بالفتحة عن الالف او رخم بحذف التاء ثم اقحمت قاله ابو علي والالف في ابتا للندبة فحذفها قاله الفراء وابو عبيد وابو حاتم وقطرب ورد بانه ليس موضع ندبة او الاصل يا ابة بالتنوين فحذف والنداء باب حذف قاله قطرب ورد بان التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب نحو يا ضاربا رجلا وفتح ابو جعفر يا ابتي **وقرأ** الحسن وابو جعفر وطلحة بن سليمان احد عشر بسكون العين لتوالي الحركات وليظهر جعل الاسمين اسماً واحداً ورايت هي حلمية لدلالة متعلقها على انه منام والظاهر انه راى في منامه كواكب والشمس والقمر وقيل راى اخوته وابويه فعبر عنهم بذلك وعبر بالشمس عن امه وقيل عن خالته راحيل لان امه كانت ماتت ومن حديث جابر بن عبد الله ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسماء الكواكب التي راها يوسف فسكت عنه ونزل جبريل فاخبره باسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل انت مؤمن ان اخبرتك بذلك فقال نعم فقال حرثان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضيا والنور فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وذكر السهيلي مسنداً الى الحرث بن ابي اسامة فذكر الحديث وفيه بعض اختلاف وذكر النطح عوضاً عن المصبح وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكوكب سجوداً له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وكان بين رؤيا يوسف

ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون وروي ان رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة والظاهر ان الشمس والقمر ليسا مندرجين في الاحد عشر كوكباً ولذلك حين عد اسماءها لليهودي ذكر الاحد عشر كوكباً غير الشمس والقمر ويظهر من كلام الزمخشري انهما مندرجان في الاحد عشر قال الزمخشري **فان قلت** لم اخر الشمس والقمر **قلت** اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى والذي يظهر ان التاخير انما هو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ولم يقع الترقي في الشمس والقمر جرياً على ما استقر في القرآن من انه اذا اجتمعا قدمت عليه قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال وجمع الشمس والقمر وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وسخر الشمس والقمر وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها واستمداده منها وعلو مكانها والظاهر ان رايتهم كرر على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل كما كرر انكم في قوله انكم مخرجون لطول الفصل بالظرف وما تعلق به وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى تكرار رايتهم **قلت** ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جواباً له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكباً والشمس والقمر كيف رايتها سائلاً عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين انتهى وجمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل وهذا سائغ في كلام العرب وهو ان يعطى الشيء حكم الشيء للاشتراك في وصف ما وان كان ذلك الوصف اصله ان يخص احدهما والسجود سجود كرامة كما سجدت الملائكة لآدم وقيل كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض ولما خاطب يوسف اباه بقوله يا ابت وفيه اظهار الطواعية والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الابوة خاطبه ابوه بقوله يا بني تصغير التحبيب والتقريب والشفقة **وقرأ** حفص هنا وفي لقمان يا بني لا تشرك وقيل يا بني اقم باسكانها وباقي السبعة بالكسر **وقرأ** زيد بن علي لا تقص مدغماً وهي لغة تميم والجمهور بالفك وهي لغة الحجاز والرؤيا مصدر كالبقيا وقال الزمخشري الرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان في النوم دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى انتهى **وقرأ** الجمهور رؤياك والرؤيا حيث وقعت بالهمز من غير امالة **وقرأ** الكسائي بالامالة وبغير همز وهي لغة اهل الحجاز واخوة يوسف هم كاذ ٭ وبنيامين ٭ ويهوذا ٭ ونفتالي ٭ وزبولون ٭ وشمعون ٭ وروبين ٭ ويقال باللام كجبريل وجبرين ويساخا ٭ ولاوي ودان ٭ وياشير ٭ فيكيدوا لك منصوب باضمار ان على جواب النهي وعدي فيكيدوا باللام وفي فكيدوني دون بنفسه فاحتمل ان يكون من باب

شكرت زيداً او شكرت لزيد واحتمل ان يكون من باب التضمين ضمن فيكيدوا معنى
ما يتعدى باللام فكانه قال فيحتالوا لك بالكيد والتضمين ابلغ لدلالته
على معنى الفعلين وللمبالغة اكّد بالمصدر ونبّه يعقوب على سبب الكيد
وهو ما يزينه الشيطان للانسان ويسوله له وذلك للعداوة التي بينهما فهو يجتهد
دائماً ان يوقعه في المعاصي ويدخله فيها ويحضه عليها وكان يعقوب دلته رؤيا يوسف
عليهما السلام على ان الله تعالى يبلغه مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة ويتم عليه
بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه عن ان يقص رؤياه
لهم وفي خطاب يعقوب ليوسف بنهيه عن ان يقص على اخوته مخافة كيدهم
دلالة على تحذير المسلم اخاه المسلم ممن يخافه عليه والتنبيه على بعض ما لا يليق
ولا يكون ذلك داخلا في باب الغيبة وكذلك يجتبيك ربك اي مثل ذلك الاجتباء
وهو ما اراه من تلك الرؤيا التي دلت على جليل قدره وشريف منصبه ومآله
الى النبوة والرسالة والملك ويجتبيك يختارك ربك للنبوة والملك
قاله الحسن للنبوة وقال مقاتل للسجود لك وقال الزمخشري لامور عظام
ويعلمك من تأويل الاحاديث كلام مستأنف ليس داخلا في التشبيه كانه قال وهو
يعلمك قال مجاهد والسدي تأويل الاحاديث عبارة الرؤيا وقال الحسن
عواقب الامور وقيل عامة لذلك ولغيره من المغيبات وقال مقاتل غرائب
الرؤيا وقال ابن زيد العلم والحكمة وقال الزمخشري الاحاديث الرؤى
لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها
فكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة ويجوز ان يراد بتأويل
الاحاديث معاني كتب الله وسير الانبياء وما غمض واشتبه على الناس
في اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات
حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله
وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله
نزل احسن الحديث كتاباً وهي اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة انتهى
وليس باسم جمع كما ذكر بل هو جمع تكسير لحديث على غير قياس كما قالوا اباطل في باطل
ولم يأت اسم جمع على هذا الوزن واذا كانوا يقولون في عباديد وبناذير انهما
جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد فكيف لا يكون احاديث واباطيل جمعي تكسير
ويتم نعمته عليك واتمامها بانه تعالى وصلهم نعمة الدنيا بان جعلهم
انبياء وملوكاً بنعمة الآخرة بان نقلهم الى اعلى الدرجات في الجنة وقال
مقاتل باعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك وقال الحسن هذا شيء اعلمه
الله يعقوب من انه سيعطي يوسف النبوة وقيل بان يحوج اخوتك اليك
فتقابل الذنب بالغفران والاساءة بالاحسان وقيل بانجائك من كل
مكروه وآل يعقوب الظاهر انهم اولاده ونسلهم اي يجعل النبوة فيهم
وقال الزمخشري هم نسله وغيرهم وقيل اهل دينه واتباعهم كما جاء
في الحديث من آلك فقال كل تقي وقيل امرأته واولاده الاحد عشر

وقيل

قوله عز وجل لقد كان في يوسف

وقيل المراد بيعقوب نفسه خاصة واتمام النعمة على ابراهيم بالخلة
والانجاء من النار واهلاك عدوه نمرود وعلى اسحاق باخراج يعقوب
والاسباط من صلبه وسمى الجد وابا الجد ابوين لانهما في عمود النسب
كما قال واله آبائك ولهذا يقولون ابن فلان وان كان بينهما عدة
في عمود النسب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يضع الاشياء مواضعها
وهذه الصفات مناسبات لهذا الوعد الذي وعده يعقوب يوسف
في قوله وكذلك يجتبيك ربك قيل وعلم يعقوب ذلك من دعوة
اسحاق حين تشبه بعيصو ﴿لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ
قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال
مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده
قوماً صالحين﴾ آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء
للسائلين لمن سأل عنهم وعرف قصتهم وقيل آيات على نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة
كتاب والذي يظهر ان الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما
اظهره الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه وصدق رؤياه وصحة
تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الامانة وحدوث السرور بعد
الياس وقيل المعنى لمن سأل ولمن لم يسأل كقوله سواء للسائلين اي
سواء لمن سأل ولمن لم يسأل وحسن الحذف لدلالة قوة الكلام عليه
كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقال ابن عطية وقوله للسائلين
يقتضي تخضيضاً للناس على تعلم هذه الانباء لانه انما المراد آيات للناس
فوصفهم بالسؤال اذ كل واحد ينبغي ان يسأل عن مثل هذه القصص اذ هي مقر
العبر والاتعاظ وتقدم لنا ذكر اسماء اخوة يوسف منقولة من خط الحسن
بن احمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ونقلها من خط الشريف
النقيب النسابة ابي البركات محمد بن اسعد الحسيني الجواني مجردة بالنقط
وتوجد في كتب التفسير محرفة مختلفة وكان روبيل اكبرهم وهو ويهوذا
وشمعون ولاوي وزبولون ويساخا   شقائق امهم ليا بنت ليان
ابن ناهر بن آزر وهي بنت خال يعقوب ودان ونفتالي وكاذ وياشير اربعة
من سريتين كانتا لليا واختها راحيل فوهبتاهما ليعقوب فجمع بينهما ولم
يحل الجمع بين الاختين لاحد بعده واسماء السريتين فيما قيل ليا وتلتا
وتوفيت ام السبعة فتزوج بعدها يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف
وبنيامين وماتت من نفاسه وقرأ مجاهد وشبل واهل مكة وابن كثير
آية على الافراد والجمهور آيات وفي مصحف ابي عبرة للسائلين مكان
آية والضمير في قالوا عائد على اخوة يوسف واخوه هو بنيامين ولما
كانا شقيقين اضافوه الى يوسف واللام في ليوسف لام الابتداء
وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة اي كثرة حبه لهما ثابت لا شبهة فيه

وأحب افعل تفضيل وهو مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بإلى لأنه إذا
كان مما يتعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي إليه بإلى وإذا كان مفعولا عدي إليه بفي
تقول زيد أحب إلى عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو
المحب وإذا قلت زيد أحب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب
ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثاني فاعل ولم يثن أحب لتعديه بمن
وكان بنيامين أصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت
أمهما وحب الصغير والشفقة عليه مركوز في فطرة البشر وقيل لابنة
الحسن أي بنيك أحب إليك قالت الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم
والمريض حتى يفيق وقد نظم بعض الشعراء في محبة الولد الصغير قديما
وحديثا ومن ذلك ما قاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري
في قصيدته التي بعث بها إلى أولاده وهو في السجن ٥

وصغيرهم عبد العزيز فإنني ... أطوي لفرقته جوى لم يصغر
ذاك المقدم في الفؤاد وإن غدا ... كفؤا لكم في المنتمى والعنصر
إن البنان الخمس أكفاء معا ... والحلي دون جميعها للخنصر
وإذا الفتى فقد الشباب سما له ... حب البنين ولا كحب الأصغر

ونحن عصبة جملة حالية أي يفضلهما علينا في المحبة وهما ابنان صغيران
لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه
فنحن أحق بزيادة المحبة منهما وروى النزال بن سبرة عن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه ونحن عصبة وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة فيكون
الخبر محذوفا وهو عامل في عصبة وانتصب عصبة على الحال وهذا
كقول العرب حكمك مسمطا أراد لك حكمك مسمطا واستعمل هذا فكثر حتى حذف
استخفافا لعلم السامع ما يريد القائل كقولك الهلال والله أي هذا الهلال
والمسمط المرسل غير المردود وقال ابن الأنباري هذا كما تقول العرب
إنما العامري عمته أي يتعمم عمته انتهى وليس مثله لأن عصبة ليس
مصدرا ولا هيئة فالأجود أن يكون من باب حكمك مسمطا وقدره بعضهم
حكمك ثبت مسمطا وعن ابن عباس العصبة ما زاد على العشرة وعنه
ما بين العشرة إلى الأربعين وعن قتادة ما فوق العشرة إلى الأربعين
وعن مجاهد من عشرة إلى خمسة عشر وعن مقاتل عشرة وعن مقاتل ستة
أو سبعة وقيل ما بين الواحد إلى العشرة وقيل إلى خمسة عشر وعن
الفراء عشرة فما زاد وعن ابن زيد والزجاج وابن قتيبة العصبة
الجماعة ولا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط وفي الزهراوي ثلاثة
نفر فإذا زادوا فهم رهط إلى التسعة فإذا زادوا فهم عصبة ولا يقال
لأقل من عشرة عصبة والضلال هنا هو الهوى قاله ابن عباس والخطأ
من الرأي قاله ابن زيد والجور في الفعل قاله ابن كامل والغلط في
أمر الدنيا روي أنه بعد إخباره لأبيه بالرؤيا كان يضمه كل ساعة إلى

صدره وكان أيقن بالفراق فلا يكاد يصبر عنه والظاهر أن اقتلوا يوسف
من جملة قولهم وقيل هو من قول قوم استشارهم إخوة يوسف فيما يفعل
به فقالوا ذلك والظاهر أن أو اطرحوه هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين
ويجوز أن تكون أو للتنويع أي قال بعض اقتلوا يوسف وبعض اطرحوه
وانتصب أرضا على إسقاط حرف الجر قاله الحوفي وابن عطية أي في أرض
بعيدة من الأرض التي هو فيها قريب من أرض يعقوب وقيل مفعول ثان
على تضمين اطرحوه معنى أنزلوه كما تقول أنزلت زيدا الدار وقالت فرقة
ظرف واختاره الزمخشري وتبعه أبو البقاء قال الزمخشري أرضا منكورة
مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الناس ولإبهامها
من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة وقال ابن عطية وذلك خطأ
بمعنى كونها منصوبة على الظرف قال لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهما وهذه
ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال
بذلك إبهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم
أرادوا أرضا بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه انتهى وهذا الرد صحيح
لو قلت جلست دارا بعيدة أو قعدت مكانا بعيدا لم يصح إلا بوساطة في ولا
يجوز حذفها إلا في ضرورة شعر أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أهي لازمة أو
متعدية والوجه هنا قبل الذات أي يخل لكم أبوكم وقيل هو استعارة عن
شغله بهم وصرف مودته إليهم لأن من أقبل عليك صرف وجهه إليك وهذا
كقول نعامة حين أحبته أمه لما قتل إخوته وكانت قبل لا تحبه قال
الثكل أرأمها أي عطفها والضمير في بعده عائد على يوسف أو قتله أو طرحه
وصلاحهم إما صلاح حالهم عند أبيهم وهو قول مقاتل وصلاحهم بالتوبة
والتنصل من هذا الفعل وهذا أظهر وهو قول الجمهور ومنهم الكلبي واحتمل
وتكونوا أن يكون مجزوما عطفا على مجزوم أو منصوبا على إضمار أن والقائل
لا تقتلوا يوسف روبيل قاله قتادة وابن إسحق أو شمعون قاله مجاهد
أو يهوذا وكان أحلمهم وأحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض
قال لهم القتل عظيم قاله السدي أو دان أربعة أقوال وهذا عطف
منهم على أخيهم لما أراد الله من إنفاذ قضائه وإبقاء على نفسه وسبب
لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة وهو إتلاف النفس بالقتل قال
الهروي الغيابة في الجب شبه لحف أو طاق في البئر فويق الماء
يغيب ما فيه عن العيون وقال الكلبي الغيابة تكون في قعر الجب
لأن أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه
وقال الزمخشري غوره وهو ما غاب منه عن عين الناظر وأظلم
من أسفله انتهى ومنه قيل للقبر غيابة ٥

قال المفضل السعدي ٥

فإن أنا يوما غيبتني غيابتي ... فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

وقرأ الجمهور غيابة على الإفراد ونافع غيابات على الجمع جعل كل جزء مما يغيب
فيه غيابة وقرأ ابن هرمز غيّابات بالتشديد والجمع والذي يظهر أنه سمي باسم الفاعل
الذي للمبالغة فهو وصف في الأصل وألحقه أبو علي بالاسم الجائي على فعّال نحو ما ذكر
سن من الفيّاد قال أبو الفتح ووجدت من ذلك المسار المرح والفخار الخزف
وقال صاحب اللوامح يجوز أن يكون على فعّالات كحمّامات ويجوز أن يكون
على فيعالات كشيطانات في جمع شيطانة وكل للمبالغة وقرأ الحسن
في غيبة فاحتمل أن يكون في الأصل مصدرا كالغلبة واحتمل أن يكون جمع
غائب كصانع وصنعة وفي حرف أبي في غيبة بسكون الياء وهي ظلمة الركية
وقال قتادة في جماعة الجب بئر بيت المقدس وقال وهب بأرض
الأردن وقال مقاتل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وقيل بين مدين ومصر
وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وأبو رجاء تلتقطه بتاء التأنيث أنث
على المعنى كما قال ه

❊ إذا بعض السنين تعرقتنا ٭ كفى الأيتام فقد أبي اليتيم ه

والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الأرض والظاهر أن الجب كان فيه ماء
ولذلك قالوا يلتقطه بعض السيارة وقيل كان فيه ماء كثير يغرق
يوسف فنشز حجر من أسفل الجب حتى ثبت يوسف عليه وقيل لم يكن فيه
ماء فأخرجه الله فيه حتى قصده الناس وروي أنهم رموه بحبل في الجب
فتماسك بيديه حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ وهموا بعد
برضخه بالحجارة فمنعهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك ومفعول فاعلين محذوف
أي فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه وبين أبيه ه قالوا يا أبانا
ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا نرتع
ونلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة
إنا إذا لخاسرون ❊ لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف وأبيه أعملوا
الحيلة على يعقوب وتلطفوا في إخراجه معهم وذكروا نصحهم له وما في إرساله
معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب إذ هو مما يشرح الصبيان وذكروا
حفظهم له مما يسوؤه وفي قولهم ما لك لا تأمنا دليل على أنه تقدم منهم
سؤال في أن يخرج معهم وذكروا سبب الأمن وهو النصح أي لم لا تأمنا
عليه وحالتنا هذه والنصح دليل على الأمانة ولهذا قرنا في قوله ناصح
أمين وكان قد أحس منهم قبل ما أوجب أن لا يأمنهم عليه ولا تأمنا
جملة حالية وهذا الاستفهام صحبه معنى التعجب وقرأ زيد بن علي
وأبو جعفر والزهري وعمرو بن عبيد بإدغام نون تأمن في نون الضمير
من غير إشمام وجيء به بعد ما لك والمعنى يرشد إلى أنه نفي لا نهي وليس كقولهم
ما أحسننا في التعجب لأنه لو أدغم لالتبس بالنفي وقرأ الجمهور بالإدغام
والإشمام للضم وعنهم إخفاء الحركة فلا يكون إدغاما محضا وقرأ

قوله عز وجل قالوا يا أبانا

ابن هرمز بضم الميم فتكون الضمة منقولة إلى الميم من النون الأولى بعد سلب
الميم حركتها وإدغام النون في النون وقرأ أبي والحسن وطلحة بن مصرف
والأعمش لا تأمننا بالإظهار وضم النون على الأصل وخط المصحف بنون
واحدة وقرأ ابن وثاب وأبو رزين لا تيمنا على لغة تميم وسهل الهمزة
بعد الكسرة ابن وثاب وفي لفظة أرسله دليل على أنه كان يمسكه ويصحبه
دائما وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم يلي
يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك وأصله
غدو فحذفت لامه وقد جاء تاما وقرأ الجمهور يرتع ويلعب بالياء والجزم
والابنان وأبو عمرو بالنون والجزم وكسر العين مجزوما كالحرميان واختلف
عن قنبل في إثبات الياء وحذفها وروي عن ابن كثير ويلعب بالياء
وهي قراءة جعفر بن محمد وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بالياء وكسر العين مجزوما
محذوف اللام ويلعب بالياء وضم الباء خبر مبتدأ محذوف أي وهو يلعب
وقرأ مجاهد وقتادة وابن محيصن نرتع بنون مضمومة من أرتعنا
ونلعب بالنون وكذلك أبو رجاء إلا أنه بالياء فيهما يرتع ويلعب
والقراءتان على حذف المفعول أي نرتع المواشي أو غيرها وقرأ النخعي نرتع
بنون ويلعب بياء بإسناد اللعب إلى يوسف وحده لصباه وجاء
كذلك عن ابن إسحاق ويعقوب وكل هذه القراءات الفعلان فيها
مبنيان للفاعل وقرأ زيد بن علي يرتع ويلعب بضم الياءين مبنيا
للمفعول وتخريجها على أنه أضمر المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ضمير
غد وكان أصله يرتع فيه ويلعب فيه ثم حذف واتسع فعدي الفعل للضمير
فكان التقدير يرتعه ويلعبه ثم بناه للمفعول فاستكن الضمير الذي كان منصوبا
لكونه نائبا عن الفاعل واللعب هنا هو الاستباق والانتضال يتدربون
بذلك لقتال العدو وسموه لعبا لأنه بصورة اللعب ولم يكن ذلك للهو
بدليل قولهم إنا ذهبنا نستبق ولو كان لعب لهو ما أقرهم عليه يعقوب
ومن كسر العين من نرتع فهو نفتعل قال مجاهد هي من المراعاة أي يراعي بعضنا
بعضا ويحرسه وقال ابن زيد من رعي الإبل أي نتدرب في الرعي وحفظ
المال أو من رعي النبات والكلأ أي نرتع على حذف مضاف أي دوابنا شيئا
ومن أثبت الياء فقال ابن عطية هي قراءة ضعيفة لا تجوز إلا في الشعر
كقول الشاعر

❊ ألم يأتيك والأنباء تنمي ٭ بما لاقت لبون بني زياد ❊

انتهى وقيل تقدير حذف الحركة في الياء لغة فعلى هذا لا تكون ضرورة
ومن قرأ بسكون العين فالمعنى نقم في خصب وسعة ونحوه من الأكل
والشرب وإنا له لحافظون جملة حالية والعامل فيها الأمر أو الجواب
ولا يكون ذلك من باب الإعمال لأن الحال لا تضمر وباب الإعمال
لا بد فيه من الإضمار إذا أعمل الأول ثم اعتذر لهم يعقوب بشيئين أحدهما

عاجلا في الحال وهو ما يلحقه من الحزن لمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذئب ان غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو بقلة اهتمامهم لحفظه وعنايتهم فيأكله ويحزن عليه الحزن المؤبد وخص الذئب لانه كان السبع الغالب على قطرهم او لصغر يوسف فخاف عليه هذا السبع الحقير وكان تنبيها على خوفه عليه مما هو أعظم افتراسا ولحقارة الذئب خصه الربيع بن ضبع القزاري في كونه يخشاه لما بلغ من السن في قوله

۝ والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا ۝

وكان يعقوب بقوله وأخاف ان يأكله الذئب لقنهم ما يقولون من العذر اذا جاؤا وليس معهم يوسف فلقنوا ذلك وجعلوه عدة للجواب وتقدم خلاف القراء في يحزن **وقرأ** زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن ليحزني بتشديد النون والجمهور بالفك وليحزنني مضارع مستقبل لا حال لان المضارع اذا اسند الى متوقع تخلص للاستقبال لان ذلك المتوقع مستقبل وهو المسبب لأثره فمحال ان يتقدم الامر عليه فالذهاب لم يقع فالحزن لم يقع كما

قال الشاعر

۝ يهولك ان تموت وانت ملغ لما فيه النجاة من العذاب ۝

وقرأ زيد بن علي تذهبوا به من اذهب رباعيا ويخرج على زيادة الباء في به كما خرج بعضهم تنبت بالدهن في قراءة من ضم التاء وكسر الباء اي تنبت الدهن ويذهبوا **وقرأ** الجمهور الذئب بالهمز وهي لغة الحجاز **وقرأ** الكسائي وورش وحمزة اذا وقف بغير همز وقال نصر سمعت ابا عمرو لا يهمز وعدل اخوة يوسف عن احد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب وعدلوا الى قصة الذئب وهو السبب الاقوى في منعه ان يذهبوا به فحلفوا له لئن كان ما خافه من خطفه الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانهم لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون بان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرنا وروي ان يعقوب رأى في منامه كأنه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي فاذا عشرة من الذئاب قد احتوشته يردن اكله فدرأ عنه واحد ثم انشقت الارض فتوارى يوسف فيها ثلثة ايام ۝ فلما ذهبوا به

قوله عز وجل فلما ذهبوا به

واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة

فأرسلوا

فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۝ حكي انهم قالوا ليوسف اطلب من ابيك ان يبعثك معنا فاقبل على يوسف فقال اتحب ذلك قال نعم قال يعقوب اذا كان غدا اذنت لك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وخرج مع اخوته فشيعهم يعقوب وقال يا بني اوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف ثم اقبل على يوسف وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف فحملوا يوسف على اكتافهم ما دام يعقوب يراهم ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعدو معهم اضرارا به وذكر المفسرون اشياء كثيرة تتضمن كيفية القائه في غيابة الجب ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون الا قساوة ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشيء منها فيوقف عليها في كتب التفسير وبين هذه الجملة والجمل التي قبلها محذوف يدل عليه المعنى تقديره فاجابهم الى ما سألوه وارسل معهم يوسف فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا واتفقوا على القائه في الجب وان يجعلوه مفعول اجمعوا يقال اجمع الامر وازمعه بمعنى العزم عليه واحتمل ان يكون الجعل هنا بمعنى الالقاء وبمعنى التصيير واختلفوا في جواب لما اهو مثبت او محذوف فمن قال هو مثبت قال هو قوله قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي لما كان كيت وكيت قالوا وهو تخريج حسن وقيل هو اوحينا والواو زائدة وهذا على مذهب الكوفيين بزيادتها عندهم بعد لما وحتى واذا وعلى ذلك خرجوا قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه وقوله حتى اذا جاؤها وفتحت اي فتحت **وقول امري القيس**

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى

ومن قال هو محذوف وهو رأي البصريين فقدره الزمخشري فعلوا به ما فعلوا من الاذى وحكى الحكاية الطويلة فيما فعلوا به وما حاوروه وحاورهم به وقدره بعضهم جعلوه فيها وهذا اولى اذ يدل عليه قوله واجمعوا ان يجعلوه والظاهر ان الضمير في واوحينا اليه عائد على يوسف وهو وحي الهام قاله مجاهد وروي عن ابن عباس او منام وقال الضحاك وقتادة نزل عليه جبريل في البير وقال الحسن اعطاه الله النبوة في الجب وكان صغيرا كما اوحى الى عيسى عليهم السلام وهو ظاهر اوحينا ويدل على ان الضمير عائد على يوسف قوله لهم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقيل الضمير في اليه عائد على يعقوب وانما اوحى اليه ليانس في الظلمة والوحدة والتبشير بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون جملة حالية من قوله لتنبئنهم اي غير عالمين انك انت يوسف وقت التنبئة قاله ابن جريج وذلك لعلو شأنك وعظمة سلطانك وبعد حالك عن اذهانهم ولطول المدة المبدلة للهيئات والاشكال وذكر انهم حين دخلوا عليه ممتارين

فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم وقدره بعضهم صح

يحيى صح

تعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضع على يده ثم نقره فطن فقال ان هذا
ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم
وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتم
بثمن بخس ويجوز ان يكون وهم لا يشعرون حالا من قوله واوحينا اي
وهم لا يشعرون قاله قتادة اي بايحائنا اليك وما اخبرناك به من نجاتك
وطول عمرك الى ان تنبئهم بما فعلوا بك **وقرا** الجمهور لتنبئنهم بتا الخطاب
وابن عمر بيا الغيبة وكذا في بعض مصاحف البصرة **وقرا** سلام بالنون
والذي يظهر من سياق الاخبار والقصص ان يوسف كان صغيرا فقيل
كان عمره اذ ذاك سبع سنين وقيل ست قاله الضحاك وابعد
من ذهب الى انه اثنتا عشرة سنة او ثمان عشرة سنة وكلاهما عن الحسن
او سبع عشرة سنة قاله ابن السائب ويدل على انه كان صغيرا بحيث لا يدفع عن
نفسه قوله واخاف ان ياكله الذئب ويرتع ويلعب وانا له لحافظون
واخذ السيارة له وقول الوارد هذا غلام وقول العزيز عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا وما حكي من حمله اياه واحدا بعد واحد من كلامه يهوذا ارحم
ضعفي وعجزي وحداثة سني وارحم قلب ابيك يعقوب ومن يكون ابن ثمان
عشرة او سبع عشرة سنة لا يخاف عليه من الذئب ولا سيما ان كان في رفقة
ولا يقال فيه وانا له لحافظون لانه اذ ذاك قادر على التحيل في نجاة
نفسه ولا يسمى غلاما الا بمجاز ولا يقال فيه او نتخذه ولدا وعشاء نصب
على الظرف او من العشوة والعشوة الظلام فجمع على فعال مثل رعاه ورعاء
راع ورعاء ويكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن عشاء على وزن دجى
جمع عاش حذف منه الهاء كما حذفت في مالك واصله مالكة وعن
الحسن عشيا على التصغير قيل وانما جاؤا عشيا ليكونوا اقدر على الاعتذار
في الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين
ولا تعتذر في النهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار وفي الكلام حذف
تقديره وجاؤا اباهم دون يوسف عشاء يبكون فقال اين يوسف
قالوا انا ذهبنا نستبق وروي ان يعقوب لما سمع بكاءهم قال ما بالكم
اجرى في الغنم شيء قالوا لا قال فاين يوسف قالوا انا ذهبنا نستبق
فاكله الذئب فبكى وصاح وخر مغشيا عليه فافاضوا عليه الماء فلم
يتحرك ونادوه فلم يجب ووضع يهوذا يده على مخارج نفسه فلم يحس
بتنفس ولا تحرك له عرق فقال ويل لنا من ديان يوم الدين ضيعنا
اخانا وقتلنا ابانا فلم يفق الا ببرد السحر قال الاعمش لا يصدق باك
بعد اخوة يوسف ونستبق اي نترامى بالسهام او نتجارى على الاقدام
اينا اشد عدوا او نستبق في اعمال نتوزعها من سقي ورعي واحتطاب
او نتصيد اربعة اقوال عند متاعنا اي عند ثيابنا وما تجردنا له حالة
الاستباق وهذا ايضا يدل على صغر يوسف اذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة

اوسبع

او سبع عشرة لكان يستبق معهم فاكله الذئب قد ذكرنا انهم تلقنوا هذا الجواب
من قول ابيهم واخاف ان ياكله الذئب لان اكل الذئب اياه كان اغلب
ما كان يخاف عليه وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا الان ولو كنا صادقين
او لست مصدقا لنا على كل حال حتى في حالة الصدق لما غلب عليك من
تهمتنا وكراهتنا في يوسف وانا نرتاد له الغوائل ونكيد له المكايد
واوهموا بقولهم ولو كنا صادقين انهم صادقون في اكل الذئب يوسف
فيكون صدقهم مقيدا بهذه النازلة او من اهل الصدق والثقة عند
يعقوب قبل هذه النازلة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء
الظن بنا في هذه النازلة غير واثق بقولنا فيه روي انهم اخذوا جديا
او سخلة فذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قميص
يوسف فاخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تامله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل
بذلك على خلاف ما زعموا وقال لهم متى كان الذئب حليما ياكل يوسف ولا
يخرق قميصه قيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب
على ان يوسف لم ياكله الذئب والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا
على براءة يوسف حين قد من دبر قال الزمخشري **فان قلت** على قميصه
ما محله **قلت** محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه
بدم كما تقول جاء على جماله باحمال **فان قلت** هل يجوز ان تكون حالا متقدمة
قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساعد المعنى على
نصب على على الظرف بمعنى فوق لان العامل فيه اذ ذاك جاؤا وليس الفوق
ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وقال الحوفي على متعلق بجاؤا
ولا يصح ايضا واما المثال الذي ذكره الزمخشري وهو جاء على جماله باحمال
فيمكن ان يكون ظرفا للجائي لانه تمكن الظرفية فيه باعتبار تبدله من جمل
على جمل ويكون باحمال في موضع الحال اي مصحوبا باحمال وقال ابو البقاء
على قميصه في موضع نصب حالا من الدم لان التقدير جاؤا بدم كذب
على قميصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جوازه خلاف
ومن اجاز استدل على ذلك بانه موجود في لسان العرب وانشدوا على ذلك
شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ما قاله ابو البقاء **وقرا**
الجمهور كذب وصف لدم على سبيل المبالغة او على حذف مضاف
اي ذي كذب لما كان دالا على الكذب وصف به وان كان الكذب
صادرا من غيره **وقرا** زيد بن علي كذبا بالنصب فاحتمل ان يكون مصدرا
في موضع الحال وان يكون مفعولا من اجله **وقرات** عائشة والحسن
كدب بالدال غير معجمة وفسر بالكدر وقيل الطري وقيل اليابس
وقال صاحب اللوامح ومعناه ذي كدب اي اثر لان الكدب
هو بياض يخرج في اظافير الشبان ويؤثر فيها فهو كالنقش ويسمى ذلك
البياض الفوف فيكون هذا استعارة لتاثيره في القميص كتاثير ذلك

في الاظاهر قال بل سولت هنا محذوف تقديره لم يأكله الذئب بل سولت قال
ابن عباس امرتكم امرا وقال قتادة زينت وقيل رضيت امرا اي صنيعا قبيحا
وقيل سهلت فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وقرا ابي
والاشهب وعيسى بن عمر فصبرا جميلا بنصبهما وكذا هي في مصحف ابي ومصحف
انس بن مالك وروي كذلك عن الكسائي ونصبه على المصدر الخبري اي فاصبر
صبرا جميلا قيل وهي قراءة ضعيفة عند س ولا يصلح النصب في مثل هذا
الا مع الامر ولذلك يحسن النصب في قوله

شكا الي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

ويروى صبر جميل في البيت وانما تصح قراءة النصب على ان يقدر ان يعقوب
رجع الى مخاطبة نفسه فكانه قال فاصبري يا نفس صبرا جميلا وفي الحديث ان
الصبر الجميل انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل اتجمل لكم في صبري فلا اعاشركم على كابة الوجه وعبوس الجبين
بل على ما كنت عليه معكم وقال الثوري من الصبر ان لا تحدث الا بما يوجعك
ولا بمصيبتك ولا تبكي نفسك والله المستعان اي المطلوب منه العون على
احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية وجاءت سيارة
قيل كانوا من مدين قاصدين الى مصر وقيل في الكلام حذف تقديره واقام
يوسف في الجب ثلاثة ايام وكان اخوه يهوذا ياتيه بالطعام خفية من
اخوته وقيل جاءت السيارة في اليوم الثاني من طرحه في الجب وقيل
كان التسبيح غذاءه في الجب وقيل كانت السيارة تائهة تسير من ارض
الى ارض وقيل سيارة في الطريق اخطؤوه فنزلوا قريبا من الجب وكان
في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وفيهم مالك بن ذعر الخزاعي
فارسلوه ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم واضافة
الوارد للضمير كاضافته في قوله القيت كاسبهم ليست اضافة
الى المفعول بل المعنى الذي يرد لهم والذي يكسب لهم والظاهر ان الوارد
واحد وقال ابن عطية والوارد هنا يمكن ان يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى
وحمل على معنى السيارة في قوله فارسلوا ولو حمل على اللفظ لكان التركيب فارسلت
واردها فادلى دلوه اي ارسلها ليستقي الماء قال يا بشراي في الكلام حذف
تقديره فتعلق يوسف بحبل الدلو فلما بصر به المدلي قال يا بشراي وتعلقه
بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر او سبعة عشر لم يحمله الحبل
غالبا ولفظه غلام يرجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ
حقيقة وقد يطلق على الرجل الكامل لقول ليلى الاخيلية في الحجاج بن يوسف
غلام اذا هز القناة سقاها وقوله يا بشراي هو على سبيل السرور
والفرح بيوسف اذ راى احسن ما خلق وابعد السدي في زعمه ان بشرى
اسم رجل واضاف البشرى الى نفسه كانه قال تعالى فهذا من اوانك
وقرا يا بشري بغير اضافة الكوفيون وروى ورش عن نافع يا بشراي

بسكون

بسكون ياء الاضافة وهو جمع بين ساكنين على غير حده وتقدم تقرير مثله في
ومحياي وقرا ابو الطفيل والحسن وابن ابي اسحق والجحدري يا بشريّ
بقلب الالف ياء وادغامها في ياء الاضافة وهي لغة لهذيل ولناس غيرهم
تقدم الكلام عليها في البقرة في فمن تبع هداي قيل ذهب به الوارد فلما
دنا من اصحابه صاح بذلك فبشرهم به واسروه الظاهر ان الضمير للسيارة
التي الوارد منهم اي اخفوه من الرفقة او كتموا امره من وجدانهم له في الجب وقالوا
دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقال ابن عباس الضمير في واسروه
وشروه لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام قد ابق لنا فاشتروه منا
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وذلك انه روي ان بعضهم رجع الى الجب
ليتحقق امر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده فلما علموا ان الوارد قد
اخذوه جاؤهم وقالوا تلك المقالة وانتصب بضاعة على الحال اي
متجرا لهم ومكسبا والله عليم بما يعملون اي لم يخف عليه اسرارهم
وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بعمل اخوة يوسف
بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وفي ذلك اعظم تذكار لما فعلوا بيوسف قيل
اوحى الله اليه في الجب ان لا يطلع اباه ولا غيره على حاله لحكمة اراد امضاءها
وظهر بعد ذلك ما جرى له من جعله على خزائن الارض واحواج اخوته اليه
ورفع ابويه على العرش وما جرى مجرى ذلك مما كان مكنونا في القدر

قوله عز وجل وشروه بثمن

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي
اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك
مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على
امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين شرى بمعنى باع وبمعنى اشترى قال يزيد بن مفرغ الحميري

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه

اي بعت بردا وبرد غلامه وقال الاخر

ولو ان هذا الموت يقبل فدية شريت ابا زيد بما ملكت يدي

اي اشتريت ابا زيد والظاهر ان الضمير في وشروه عائد على السيارة اي وباعوا
يوسف ومن قال ان الضمير في واسروه عائد على اخوة يوسف جعله هنا
عائدا عليهم اي وباعوا اخاهم يوسف بثمن بخس والبخس مصدر وصف
به بمعنى مبخوس قال مقاتل زيف ناقص العيار وقال عكرمة والشعبي
قليل وهو معنى قول الزمخشري ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا وقال ابن قتيبة
البخس الخسيس الذي بخس به البائع وقال قتادة بخس ظلم لانهم ظلموه
في بيعه وقال ابن عباس والضحاك وقتادة ايضا في آخرين بخس حرام
وقال ابن عطاء انما جعله بخسا لانه عوض نفيس لا يقابل بعوض
وان جل انتهى وذلك ان الذين باعوه ان كانوا الواردة فانهم لم يعطوا به
ثمنا فما اخذوا فيه ربح كله وان كانوا اخوته فالمقصود خلو وجه ابيهم

منه لا عينه ودراهم بدل من ثمن فلم يبيعوه بدنانير ومعدودة اشارة الى القلة
وكانت عادتهم انهم لا يزنون الا ما يبلغ اوقية وهي اربعون درهما لان الكثرة
يعسر فيها العد بخلاف القليلة قال عكرمة في رواية عن ابن عباس وابن اسحق
اربعون درهما وقيل ثلثون درهما ونعلان وحلة وقال السدي
كانت اثنين وعشرين درهما كذا نقله الزمخشري عنه ونقله ابن عطية
عن مجاهد اخذها اخوته درهمين درهمين وصاحب التحرير عنه وعن ابن عباس
وقال ابن مسعود وابن عباس في رواية وعكرمة في رواية ونوف الشامي
ووهب والشعبي وعطية والسدي ومقاتل في آخرين عشرون درهما وعن ابن عباس
ايضا عشرون وحلة ونعلان وقيل ثمانية عشر درهما اشتروا بها اخفافا
ونعالا وقيل عشرة دراهم والظاهر عود الضمير في فيه الى يوسف اي لم يعلموا
مكانه من الله قاله الضحاك وابن جريج وقيل يعود على الثمن وزهدهم فيه
لرداءة الثمن او لقصد ابعاد يوسف لا الثمن وهذا اذا كان
الضمير في وشروه وكانوا عائدا على اخوة يوسف فاما اذا كان عائدا على
السيارة فزهدهم فيه لكونهم ارتابوا فيه او لوصف اخوته له بالخيانة والاباق
او لعلمهم انه وقال الزمخشري من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه
بما طف من الثمن والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه
يخاف ان يعرض له عه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن
ويجوز ان يكون معنى وشروه اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من
الزاهدين لانهم اعتقدوا فيه انه آبق فخافوا ان يخاطروا بمالهم فيه ويروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه انه ابق انتهى وفيه تقدم
نظير في اني لكما لمن الناصحين وانه خرج تعلق الجار اما باعني مضمرة
او بمحذوف يدل عليه من الزاهدين اي وكانوا فيه زاهدين فيه من الزاهدين
او بالزاهدين لانه يتسامح في الجار والظرف فيجوز فيهما ما لا يجوز في غيرهما
وقال الذي اشتراه من مصر ذكروا اقوالا متعارضة فيمن اشتراه وفي
الثمن الذي اشتراه به ولا يتوقف تفسير كتاب الله على تلك الاقوال
المتعارضة فقيل اشتراه رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات
في حيوة يوسف قيل وهو اذ ذاك الملك بمصر واسمه الريان بن الوليد
ابن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح فملك
بعده قابوس بن مصعب بن معز بن السلواس بن فاران بن عمرو المذكور في
نسب الريان فدعاه يوسف الى الايمان فابى فاشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد
وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلاثين سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى
عاش اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل عرض في السوق وكان

أجمل

اجمل الناس فوقعت فيه مزايدة حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن
فضة ومن حرير فاشتراه وهو كان صاحب الملك وخازنه واسم الملك الريان
ابن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة واسم العزيز قطفير قاله
ابن عباس وقيل اطفير وقيل قنطور واسم امرأته راعيل وقيل زليخا قاله
ابن عطية وظاهر امر العزيز انه كان كافرا ويدل على ذلك كون الصنم في بيته
حسبما نذكر وقال مجاهد كان مسلما واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعابيل وقال
السدي العزيز هو الملك واسم امرأته زليخا بنت تمليخا ومثواه مكان اقامته
وهو كناية عن الاحسان اليه في ماكل ومشرب وملبس واللام لامرأته متعلق
بقال فهي للتبليغ نحو قلت لك لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب
وراض الامور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفايته
او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد
فقال ذلك وكذلك اي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وامر
امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر يتصرف فيها بامره ونهيه
اي حكمناه فيها ولام ولنعلمه متعلقة بمحذوف اما قبله اي ليملكه ولنعلمه
واما بعده اي ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين
او الواو مقحمة اي مكنا ليوسف في الارض لنعلمه وكل مقول والاحاديث الرؤى
قاله مجاهد وقيل احاديث الانبياء والامم والضمير في على امره الظاهر عوده
على الله قاله ابن جبير لا يمتنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على يوسف
قاله الطبري اي يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن
الا ما اراده الله ودبره واكثر الناس المنفي عنهم العلم هم الكفار قاله ابن عطية
وقال الزمخشري لا يعلمون ان الامر بيد الله وقيل المراد بالاكثر الجميع اي لا
يطلعون على غيبه وقيل المراد باكثر الناس اهل مصر وقيل اهل مكة والاشد
عند س جمع واحده شدة واشد كنعمة وانعم وقال الكسائي شد واشد
نحو صك واصك وقال الشاعر
عهدي به شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم
وزعم ابو عبيدة انه لا واحد له من لفظه عند العرب والاشد بلوغ الحلم
قاله الشعبي وربيعة وزيد بن اسلم او سبعة عشر عاما الى نحو الاربعين
قاله الزجاج او ثمانية عشر قاله عكرمة ورواه ابو صالح عن ابن عباس
او عشرون قاله الضحاك او احدى وعشرون سنة او ثلاثون او ثلث
وثلثون قاله مجاهد وقتادة ورواه ابن جبير عن ابن عباس او ثمان
وثلثون حكاه ابن قتيبة او اربعون قاله الحسن وسئل القاضي النحوي مهذب
الدين محمد بن علي بن علي بن ابي طالب الخيمي عن الاشد فقال هو خمسة وثلثون
وتمامه اربعون وقيل اقصاه اثنان وستون والحكم الحكمة والعلم النبوة
وقيل الحكم بين الناس والعلم الفقه في الدين وهذا اشبه لمجي قصة المراودة
بعد هذه القصة وكذلك اي مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضي بالمقادير نجزي

المحسنين وفيه تنبيه على ان يوسف عليه السلام كان محسنا في عنفوان
شبابه فاتاه الله الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة الله
في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله وقال ابن عباس المحسنين المهتدين
وقال الضحاك الصابرين على النوائب ٥ وراودته التي هو في بيتها عن

قوله عز وجل وراودته

نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ٥
المراودة المطالبة من قولهم راد يرود اذا ذهب وجاء وهي مفاعلة من
واحد نحو داويت المريض وكني به عن طلب النكاح والمخادعة لاجله كان
المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التي هو في بيتها
ولم يصرح باسمها ولا بامراة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت
الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت ٥

وقال الشاعر

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ٥

وغلقت الابواب هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب
باب قيل وكانت سبعة ابواب هيت اسم فعل بمعنى اسرع ولك للتبيين
اي لك اقول امرته بان يسرع اليها وزعم الكسائي والفراء انها لغة حورانية
وقعت الى اهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وقاله عكرمة وقال
ابو زيد هي عبرانية هيتلخ اي تعال فاعربه القران وقال ابن عباس
والحسن بالسريانية وقال السدي بالقبطية هلم لك وقال مجاهد وغيره
عربية تدعوه بها الى نفسها وهي كلمة حث واقبال انتهى ولا يبعد اتفاق
اللغات في لفظ فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم وقال
الجوهري هوت وهيت به صاح به فدعاه ولا يبعد ان تكون مشتقا من اسم
الفعل كما اشتقوا من الجمل نحو سبح وحمدل ولما كان اسم فعل لم يبرز فيه الضمير
بل يدل على رتبة الضمير بما يتصل باللام من الخطاب نحو هيت لك وهيت
لك وهيت لكما وهيت لكم وهيت لكن وقرا نافع وابن ذكوان والاعرج
وشيبة وابو جعفر هيت بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وفتح التاء والحلواني
عن هشام كذلك الا انه همز وعلي وابو وائل وابو رجاء ويحيى وعكرمة ومجاهد
وقتادة وطلحة والمقرئ وابن عباس وابن عامر في رواية عنهما وابو عمرو
في رواية وهشام في رواية كذلك الا انهم ضموا التاء وزيد بن علي وابن ابي
اسحق كذلك الا انهما سهلا الهمزة وذكر النحاس انه قرئ بكسر الهاء بعدها
ياء ساكنة وكسر التاء وقرا ابن كثير واهل مكة بفتح الهاء وسكون
الياء وضم التاء وباقي السبعة ابو عمرو والكوفيون وابن مسعود والحسن
والبصريون كذلك الا انهم فتحوا التاء وابن عباس وابو الاسود وابن ابي اسحق
وابن محيصن وعيسى البصرة كذلك الا انهم كسروا التاء وعن ابن عباس

هيت

هييت مثل حييت فهذه تسع قراءات هي فيها اسم فعل الا قراءة ابن عباس
الاخيرة فانها فعل مبني للمفعول مسهل الهمزة من هيات الشيء والا من ضم التاء
وكسر الهاء سواء همز ام لم يهمز فانه يحتمل ان يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء
او كسرها ويحتمل ان يكون فعلا واقعا ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيء اذا احسن
هيئته على مثال جاء يجيء او بمعنى تهيأت يقال هئت وتهيات بمعنى
واحد فاذا كان فعلا تعلقت اللام به وفي هذه الكلمة لغات اخر
وانتصب معاذ الله على المصدر اي عياذا بالله من فعل السوء والضمير
في انه الاصح ان يعود على الله اي ان الله ربي احسن مثواي اذ نجاني من الجب
واقامني في احسن مقام واما ان يكون ضمير الشان وعني بربه سيده العزيز
فلا يصلح الي ان اخونه وقد اكرم مثواي وائتمنني فقال له مجاهد والسدي
وابن اسحق ويبعد جدا اذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق انه ربه ولا بمعنى
السيد لانه لم يكن في الحقيقة مملوكا له انه لا يفلح الظالمون اي المجازون
الاحسان بالسوء وقيل الزناة وقيل الخائنون وقرا ابو الطفيل والجحدري
مثوي كما قرا بشري وما احسن هذا التنصل من الوقوع في السوء استعاذ
اولا بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء ثم نبه على ان احسان الله او
احسان العزيز الذي سبق منه لا يناسب ان يجازى بالاساءة ثم نفى الفلاح
عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية فلا يناسب ان اكون ظالما اضع
الشيء غير موضعه واتعدى ما حده الله لي ٥ ولقد همت به وهم بها لولا ان
راى برهان ربه ٥ طول المفسرون في تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم
ليوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته لاحاد الفساق والذي اختاره
ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية
البرهان كما تقول لقد قارفت لولا ان عصمك الله ولا تقول ان جواب لولا
متقدم عليها وان كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح ادوات الشرط
العاملة مختلف في جواز تقديم اجوبتها عليها وقد ذهب الى ذلك الكوفيون
ومن اعلام البصريين ابو زيد الانصاري وابو العباس المبرد بل نقول
ان جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه كما تقول جمهور البصريين
في قول العرب انت ظالم ان فعلت كذا فيقدرونه ان فعلت فانت
ظالم ولا يدل قوله انت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود
الفعل وكذلك هنا التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بها فكان وجود
الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان
فانتفى الهم ولا التفات الى قول الزجاج ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا
فكيف مع سقوط اللام لانه يوهم ان قوله وهم بها هو جواب لولا ونحن
لم نقل بذلك وانما هو دليل الجواب وعلى تقدير ان يكون نفس الجواب
فاللام ليست بلازمة لجواز ان ما في جواب لولا اذا كان بصيغة الماضي
باللام وبغير لام تقول لولا زيد لاكرمتك ولولا زيد اكرمتك فمن ذهب

الى ان قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد ولا التفات الى قول ابن عطية ان
قول من قال ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم
بها وان المعنى لولا ان راى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال
وهذا قول يرده لسان العرب واقوال السلف انتهى اما قوله يرده لسان العرب
فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب
قال الله ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين
فقوله ان كادت لتبدي به اما ان يتخرج على انه الجواب على ما ذهب اليه ذلك
القائل واما ان يتخرج على ما ذهبنا اليه من انه دليل الجواب والتقدير لولا
ان ربطنا على قلبها لكادت تبدي به واما اقوال السلف فنعتقد انه لا يصح عن احد
منهم شي من ذلك لانها اقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة
في بعض فساق المسلمين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذي روي عن
السلف لا يساعد عليه كلام العرب لانهم قدروا جواب لولا محذوفا ولا يدل
عليه دليل لانهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الا على ان يكون المحذوف
من معنى ما قبل الشرط لان ما قبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشي لغير دليل
عليه وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره واقتصرنا
على ما دل عليه لسان العرب ومساق الايات التي في هذه السورة مما يدل
على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين ومن اراد ان يقف
على ما نقل عن المفسرين في هذه الاية فليطالع في تفسير الزمخشري وابن عطية
وغيرهما والبرهان الذي راه يوسف هو ما اتاه الله من العلم الدال على تحريم
ما حرمه الله وانه لا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع فيه كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء قال الزمخشري الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك وقال ابن عطية والكاف من قوله كذلك متعلقة
بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف
في موضع رفع بتقدير عصمته كذلك لنصرف وقيل في الكلام تقديم وتاخير
تقديره همت به وهم بها كذلك ثم قال لولا ان راى برهان ربه لنصرف عنه
ما هم به انتهى وقال الحوفي كذلك الكاف للتشبيه في موضع نصب
اي اريناه البراهين كذلك وقيل في موضع رفع اي امر البراهين كذلك والنصب
اجود لمطالبة حروف الجر للافعال او معانيها وقال ابو البقاء كذلك في موضع
رفع اي الامر كذلك وقيل في موضع نصب اي نراعيه كذلك انتهى واقول ان
التقدير مثل تلك الروية او مثل ذلك الراي نري براهيننا لنصرف عنه فيجعل
الاشارة الى الراي او الروية والناصب للكاف ما دل عليه قوله لولا ان راى
برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف ومصدر راى روية
وراي **قال الراجز**

۝ ورأي عيني الفتى اباكا يعطي الجزيل فعليك ذاكا ۝ **وقرا** الاعمش
ليصرف بياء الغيبة عايدا على ربه **وقرا** العربيان وابن كثير المخلصين

اذاكان

قوله عز وجل واستبقا الباب

اذا كان فيه ال حيث وقع بكسر اللام وباقي السبعة بفتحها وفي صرف السوء والفحشا
عنه وكونه من المخلصين دليل على عصمته ۝ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر
والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما
راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ۝ اي واستبق يوسف
وامراة العزيز الى الباب هذا الى الخروج والهروب منها وهذه لمنعه ومراودته
واصل استبق ان يتعدى بالى فحذف اتساعا وتقدم ان الابواب سبعة فكان
ينفتح له الابواب بابا بابا من غير مفتاح على ما نقل عن كعب ان فراش القفل
كان يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب ويحتمل ان تكون الابواب المغلقة
ليست على الترتيب بابا فبابا بل تكون في جهات مختلفة كلها منافذ
للمكان الذي كانا فيه فاستبقا الى باب يخرج منه ولا يكون التتابع على
الترتيب بل احدها وقدت يحتمل ان يكون معطوفا على واستبقا ويحتمل ان
يكون حالا اي وقد قدت جذبته من خلفه باعلى القميص من طوقه فانخرق الى اسفله
والقد القطع والشق واكثر استعماله فيما كان طولا **قال الشاعر**

۝ تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب ۝

والقط يستعمل فيما كان عرضا وقال المفضل بن حرب رايت في مصحف
قط من دبر اي شق قال يعقوب الشق في الجلد الصحيح والثوب الصحيح
وقال ابن عطية **وقرات فرقة** قط والفيا سيدها اي وجدا وصادفا
زوجها وهو قطفير والمراة تقول لبعلها سيدي ولم يضف اليهما
لان قطفير ليس سيد يوسف على الحقيقة ويقال الفاه ووارطه وصادفه
ووالطه ولاطه كله بمعنى واحد قيل الفياه يريدان يدخل وقيل مع ابن عم
المراة وفي الكلام حذف تقديره فرابه امرهما وقال ما لكما فلما سال
وقد خافت لومه او سبق يوسف بالقول بادرت ان جاءت بحيلة
جمعت فيها بين تبرئة ساحتها من الريبة وغضبها على يوسف وتخويفه
طمعا في مواقعتها خيفة من مكرها كرها لما ايست ان يوافقها طوعا الا
ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن ولم تصرح باسم يوسف بل
اتت بلفظ عام وهو قولها ما جزاء من اراد وهو ابلغ في التخويف
وما الظاهر انها نافية ويجوز ان تكون استفهامية اي اي شي جزاؤه
الا السجن وبدات بالسجن ابقاء على محبوبها ثم ترقت الى العذاب
الاليم قيل وهو الضرب بالسوط وقولها ما جزاء اي ان الذنب ثابت
متقرر في حقه واتت بلفظ بسوء اي بما يسوء وليس نصا في معصية كبرى
اذ يحتمل خطابه لها بما يسوءها او ضربه اياها وقولها الا ان يسجن
او عذاب يدل على عظم موقع السجن من ذوي الاقدار حيث قرنته

بالعذاب الاليم وقرأ زيد بن علي او عذابا اليما وقدره الكسائي او يعذب
عذابا اليما ولما اغرت بيوسف واظهرت تهمته احتاج الى ازالة
التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولم يسبق الى القول اولا
سترا عليها فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الطاهر قال هي واتى
بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء ان يشير اليها ويعينها بالاشارة
فيقول هذه راودتني او تلك راودتني لان في المواجهة بالقبيح ما ليس
في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناءة ونصفة
طلب الشاهد من كل منهما فشهد شاهد من اهلها فقال ابو هريرة
وابن عباس والحسن وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك كان
ابن خالة لها طفلا في المهد انطقه الله ليكون ادل على الحجة وروي في
الحديث ان من الصغار الذين تكلموا في المهد واسنده الطبري وفي صحيح البخاري
وصحيح مسلم لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن السوداء
وقيل كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب ولا يبتلي في هذا قول
قتادة كان رجلا حليما من اهلها ذا رأي يأخذ الملك برأيه ويستشيره وقيل
كان حكما حكمه زوجها فحكم بينهما وكان الشاهد من اهلها ليكون اوجب
للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة ويحتمل ان يكون معهما
في الدار بحيث لا يشعر به فبصر بما جرى بينهما فاغضبه الله ليوسف
وشهد بالحق ويبعد قول مجاهد وابن حبيب ان الشاهد هو القميص المقدود
لقوله شاهد من اهلها ولا يوصف القميص بكونه شاهدا من اهل المرأة وسمي
الرجل شاهدا من حيث دل على الشاهد وهو تخريق القميص وقال الزمخشري
سمي قوله شهادة لانه ادي تأديتها في ان ثبت قول يوسف وبطل قولها وان
كان قميصه محكي اما بقال المضمرة على مذهب البصريين واما بشهد لان الشهادة
قول من الاقوال على مذهب الكوفيين وكان هنا دخلت عليها اداة الشرط والمعنى
ان يتبين وتقدم خلاف المبرد والجمهور فيها هل هي باقية على مضيها ولم تقلبها
اداة الشرط او المعنى ان يتبين كونه فاداة الشرط في الحقيقة انما دخلت
على هذا المقدر وجواب الشرط فصدقت وفكذبت وهو على اضمار قد اي
فقد صدقت وفقد كذبت ولو كان فعلا جامدا او دعاء لم يحتج الى تقدير
قد وقرأ الجمهور من قبل ومن دبر بضم البائين فيهما والتنوين وقرأ الحسن
وابو عمرو في رواية بتسكينهما وبالتنوين وهي لغة الحجاز واسد وقرأ ابن يعمر
وابن ابي اسحق والعطاردي وابو الزناد ونوح القاري والجارود بن ابي سبرة
بخلاف عنه من قبل ومن دبر بثلث ضمات وقرأ ابن يعمر وابن ابي اسحق
والجارود ايضا في رواية عنهم باسكان الباء مع بنائهما على الضم
جعلوهما غاية نحو من قبل ومعنى الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه
بعدما كان المضاف اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان
وليسا بظرفين وقال ابو حاتم وهذا ردي في العربية وانما يقع هذا

البناء

البناء في الظروف قال الزمخشري والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما
التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق
انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف
للعلمية والتانيث وقال ايضا فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها
كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل
قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما
انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني
ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في قدام قميصه فيشقه انتهى وقوله وهو
من الكاذبين وهو من الصادقين جملتان مؤكدتان لان من قوله فصدقت
يعلم كذبه ومن قوله فكذبت يعلم صدقه وفي بناء قد للمفعول ستر على من قده
ولما كان الشاهد من اهلها راعى جهة المرأة فبدأ بتعليق صدقها على تبيين
كون القميص قد من قبل ولما كانت جملة مستقلة بنفسها ابرزتهم كانت
بلفظ المظهر ولم يضمر ليدل على الاستقلال ولكون التصريح به اوضح وهو
نظير قوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى
فلما رأى العزيز وقيل الشاهد قميصه قد من دبر قال انه اي ان قولك ما
جزاء الى آخره قاله الزجاج او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف ذكره
الماوردي والزمخشري او الى تخريق القميص قاله مقاتل والخطاب
في من كيدكن لها ولجواريها او لها وللنساء ووصف كيد النساء بالعظم وان كان
قد يوجد في الرجال لانهن الطف كيدا بما جبلن عليه وبما تفرغن له واكتسب
بعضهن من بعض ومن انفذ حيلة وقال تعالى ومن شر النفاثات
في العقد واما اللواتي في القصور فمعهن من ذلك ما لا يوجد لغيرهن لكونهن
اكثر تفرغا من غيرهن واكثر تأنسا بامثالهن يوسف اعرض عن هذا اي
عن هذا الامر واكتمه ولا تتحدث به وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف
ثم اقبل عليها وقال استغفري لذنبك والظاهر ان المتكلم بهذا هو
العزيز وقال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزيز وقال
استغفري اي زوجك وسيدك انتهى ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله
لذنبك ثم اكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات
لان الخاطئين اعم لانه يتطلق على الذكور والاناث بالتغليب يقال
خطئ اذا اذنب متعمدا قال الزمخشري وما كان العزيز الا حليما
روي انه كان قليل الغيرة انتهى وتربة اقليم قطفير اقتضت هذا وابن
هذا مما جرى لبعض ملوكنا انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس انس
وجارية تغنيهم من وراء ستر فاستعاد بعض خلصائه بيتين من الجارية كانت
غنت بهما فما لبث ان جيء براس الجارية مقطوعا في طشت وقال له
الملك استعد البيتين من هذا الراس فسقط في يد ذلك المستعيد
ومرض مدة حياة ذلك الملك النسوة بكسر النون فعلة وهو جمع

المفردات

تكسير للقلة لا واحد له من لفظه وزعم ابن السراج انه اسم جمع وقال الزمخشري
النسوة اسم مفرد بجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي ولذا لم يلحق فعله تاء التأنيث
انتهى وعلى انه جمع تكسير لا يلحق التاء لانه يجوز قامت المولود وقام الهنود
وقد تضم نونه فيكون اذ ذاك اسم جمع وتكسيره لكثرة على نسوان والنساء
جمع تكسير للكثرة ايضا ولا واحد له من لفظه **شغف** حرق الشغاف
وهو حجاب القلب وقيل سويداؤه وقيل داء يصل الى القلب فينفذ
الى القلب وكسر العين لغة تميم وقيل الشغاف جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب شغف وصلت الحدة الى القلب فكاد يحترق من شعف
البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران والمشعوف الذي احرق الحب قلبه
ومنه **قول الاعشى**

بعصي الوشاة وكان الحب آونة ٭ مما يزين للمشعوف ما صنعا

وقد تكسر عليه **المتكأ** الوسادة والنمرقة **المتك** الاترج والواحد متكة
قال الشاعر فاهتدت متكة لبني ابيها ٭ اي اترجة
وقيل اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين كالاترج وغيره من الفواكه **قال**

يشرب الاثم بالصواع جهارا ٭ وترى المتك بيننا مستعارا

وهو من متك بمعنى بتك الشيء اي قطعه وقال صاحب اللوامح المتك
بالضم عند الخليل العسل وعند الاصمعي الاترج وقال ابو عمرو هو الشراب
الخالص وقال ابو عمر فيه ثلث لغات المتك بالحركات الثلاث
وقيل بالكسر الحلال وقيل كل المتك وقال الكسائي ايضا فيه اللغات
الثلث وقد يكون بالفتح المجمر عند قضاعة وقال ايضا فيه اللغات
الثلث الغالوذ المعقد وقال المفضل في اللغات الثلث هو البزماورد
وكل ملفوف بلحم ورقاق وقال ايضا المتك بالضم المائدة او الخمر في لغة
كندة **السكين** تذكر وتؤنث قاله الفراء والكسائي ولم يعرف الاصمعي فيه
الا التذكير **حاشى** قال الفراء من العرب من يتمها وفي الحجاز حاش لك
وبعض العرب حشى زيد كانه اراد حشى لزيد وهي في اهل الحجاز انتهى
وقال الزمخشري حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء
تقول اساء القوم حاشى زيد وقد **قال الشاعر**

حاشى ابي ثوبان ان لنا ضنا ٭ عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاش لله
براءة الله وتنزيه الله انتهى وما ذكر انها تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء غير معروف عند النحويين لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا
وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله اساء القوم حاشى زيد وفهم
من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها في كل موضع
واما ما انشده من قوله حاشى ابي ثوبان فكذا ينشده ابن عطية واكثر
النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر ومما من بيتين

ومما

ومما حاشى ابي ثوبان ان ابا ثوبان ليس ببكمة فدم ٭
عمرو بن عبد الله ان به ضنا عن الملحاة والشتم ٭
عصر العنب وغيره اخرج ما فيه من المائع بقوة **الخبز** معروف وجمعه اخباز
ومعانيه خباز **البضع** ما بين الثلاث الى التسع قاله قتادة وقال مجاهد
من الثلاثة الى السبعة وقال ابو عبيدة البضع لا يبلغ العقد ولا نصف
العقد وانما هو من الواحد الى العشرة وقال الفراء ولا يذكر البضع الا
مع العشرات ولا يذكر مع مائة ولا الف **السمن** معروف وهو مصدر
سمن يسمن واسم الفاعل سمين والمصدر واسم الفاعل على غير قياس
العجفاء المهزول لا جدا **قال الشاعر**

ورجال مكة مسنتون عجاف ٭

الضغث اقل من الحزمة واكثر من
القبضة من النبات والعشب من جنس واحد او من اخلاط النبات
والعشب فمن جنس واحد ما روي في قوله وخذ بيدك ضغثا انه اخذ
عثكالا من النخل وروي ان الرسول عليه السلام فعل نحو هذا في اقامة
حد على رجل **وقال ابن مقبل**

خود كأن فراشها وضعت به ٭ اضغاث ريحان غداة شمال

ومن الاخلاط قول العرب في امثالها ضغث على ابالة ٭ **وقال**
نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا
انا لنراها في ضلال مبين ٭ لم يلحق تاء التأنيث لانه جمع تكسير المؤنث
ويجوز فيه الوجهان ونسوة كما ذكرنا جمع قلة وكن على ما نقل خمسا
امرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة بوابه وامرأة سجانه وامرأة صاحب
دوابه في المدينة هي مصر ومعنى في المدينة انهم اشاعوا هذا الامر
من حب امرأة العزيز ليوسف وصرحوا باضافتها الى العزيز مبالغة
في التشنيع لان النفوس اقبل لسماع ذوي الاخطار وما يجري لهم
وعبرت بتراود وهو المضارع الدال على انه صار ذلك سجية لها
تخادعه دائما عن نفسه كما تقول زيد يعطي ويمنع ولم يقلن راودت
فتاها ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهي كونه قد شغفها حبا
اي بلغ حبه شغاف قلبها وانتصب حبا على التمييز المنقول
من الفاعل كقولك ملأت الاناء ماء اصله ملأ الماء الاناء
واصل هذا شغفها حبه والفتى الغلام وعرفه في المملوك
وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي
وقد قيل في غير المملوك واصل الفتى في اللغة الشاب ولكنه
لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى **وقرأ** ثابت
البناني شعفها بكسر العين المعجمة والجمهور بالفتح **وقرأ** علي
ابن ابي طالب وعلي بن الحسين وابنه محمد بن علي وابنه جعفر
ابن محمد والشعبي وعوف الاعرابي بفتح العين المهملة وكذلك

قوله عز وجل وقال النسوة

قتادة وابن هرمز ومجاهد وحميد والزهري بخلاف عنهم وروي عن ثابت البناني وابن رجاء بكسر العين المهملة قال ابن زيد الشغف في الحب والشعف في البغض وقال الشعبي الشغف والمشغوف بالغين منقوطة في الحب والشعف الجنون والمشعوف المجنون وادغم النحويان وحمزة وهشام وابن محيصن دال قد في شين شغفها ثم نعى عليها فعلها فقلن انا لنراها في ضلال مبين اي في تحير واضح للناس فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ه وروي ان تلك المقالة الصادرة عن النسوة انما قصدت بها المكر بامرأة العزيز ليغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف لتبدي عذرها ويحق لومها ومكرهن هو اغتيابهن اياها وسوء مقالتهن فيها انها عشقت يوسف وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل انها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن ليحضرن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها واعتدت لهن متكأ اي يسرت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك مما يكون في مجلس اعد للكرامة ومن المعلوم ان هذا النوع من الاكرام لا يخلو من طعام وشراب وهنا محذوف تقديره فجئن واتكأن ومتكأ اما ان يراد به الجنس واما ان يكون المراد واعتدت لكل واحدة منهن متكأ كما جاء وآتت كل واحدة منهن سكينا قال ابن عباس متكأ مجلسا ذكره الزهراوي ويكون متكأ ظرف مكان اي مكانا يتكئن فيه وعلى ما تقدم تكون الآلات التي يتكأ عليها وقال مجاهد المتكأ الطعام يحز حزا قال القتيبي يقال اتكأنا عند فلان اي اكلنا ويكون هذا من المجاز عبر بالهيئة التي يكون عليها الآكل المترف بالمتكأ وهي عادة المترفين الا ترى الى قوله عليه السلام اما انا فلا آكل متكئا او كما قال واذا كان المتكأ ليس عبارة به عن ما يؤكل فمعلوم ان مثل هذا المجلس لا بد فيه من طعام وشراب فيكون في جملة الطعام ما يقطع بالسكاكين فقيل كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما كانوا يأكلونه حزا بالسكاكين وقيل كان اترجا وقيل كان بزماورد وهو شبيه بالاترج موجود في تلك البلاد وقيل هو مصنوع من سكر ولوز واخلاط ومضمونه انه يحتاج الى ان يقطع بالسكين وعادة من يقطع شيئا ان يعتمد عليه فيكون متكئا عليه قيل وكان قصدها ان يبرزن على هذه الهيئات متكئات في ايديهن سكاكين يحززن بها شيئين احدهما دهشتهن عند رؤيته وشغلهن بانفسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتهن ويكون ذلك مكرا بهن اذ ذهلن عما اصابهن من تقطيع ايديهن

قوله عز وجل فلما سمعت

ليغضبنها

وما

وما احسسن به مع الالم الشديد لفرط ما غلب عليهن من استحسان يوسف وسلبه عقولهن والثاني التهويل على يوسف بمكرها اذا خرج على نساء مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه فيكون يحذر مكرها دائما ولعله يجيبها الى مرادها على زعمها ذلك ويوسف قد عصمه الله من كل ما تريده به من السوء وقرأ الزهري وابو جعفر وشيبة متكا مشددا التاء من غير همز بوزن متقي فاحتمل ذلك وجهين احدهما ان يكون من الاتكاء وفيه تخفيف الهمز كما قالوا في توضأت توضيت والثاني ان يكون مفتعلا من اوكيت السقاء اذا شددته اي ما يشتددن عليه اما بالاتكاء واما بالقطع بالسكين وقرأ الاعرج متكا مفعلا من تكا يتكا اذا اتكأ وقرأ الحسن وابن هرمز متكاء بالمد والهمز وهو مفتعل من الاتكاء الا انه اشبع الفتحة فتولدت منها الالف كما قالوا ومن ذم الرجال بمنتزاح وقالوا اعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الاذناب وقرأ ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والضحاك والجحدري والكلبي وابان بن تغلب متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف وجاء كذلك عن ابن هرمز وقرأ عبد الله ومعاذ كذلك الا انهما فتحا الميم وتقدم تفسير متك وخلاف في المفردات وقالت اخرج عليهن هذا الخطاب ليوسف وخروجه يدل على طواعيته فيما لا يعصي الله فيه وفي الكلام حذف تقديره فخرج عليهن ومعنى اكبرنه اعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وفي حديث الاسراء ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما اخبر بلقيا يوسف قيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل انه كان اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي عن ابيه عن جده معناه حضن وانشد بعض الناس حجة لهذا التأويل

يأتي النساء على اطهارهن ولا ... يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا

قال ابن عطية وهذا قول ضعيف والبيت مصنوع مختلق كذلك قاله الطبري وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله وقال الزمخشري وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته من الكبر لانها بالحيض تخرج عن حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فان لحت حاضت في الخدور العواتق

انتهى واجماع القراء على ضم الهاء في الوصل دليل على انها ليست هاء السكت اذ لو كانت هاء السكت وكان من اجراء الوصل مجرى الوقف لم تضم الهاء والظاهر ان الضمير يعود في اكبرنه على يوسف وان ثبت ان اكبرن بمعنى حاض فتكون الهاء عائدة على المصدر اي اكبرن الاكبار وقطعن ايديهن

أي جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي والتضعيف للتكثير
إما بالنسبة لكثرة القاطعات وإما بالنسبة لتكثير الحز في يد كل واحدة
منهن فالجرح كأنه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت
بما راعها من جمال يوسف فكأنها غابت عن حسها والظاهر أن الأيدي
هي الجوارح المسماة بهذا الاسم وقال عكرمة الأيدي هنا الأكمام ولما
فعلن هذا الفعل الصعب من جرح أيديهن وغلب عليهن ما رأين من يوسف
وحسنه قلن حاش لله **وقرأ** الجمهور حاش لله بغير ألف بعد الشين ولله
بلام الجر **وقرأ** أبو عمرو حاشى لله بألف ولام الجر **وقرأت فرقة** منهم
الأعمش حشى على وزن رمى لله بلام الجر **وقرأ** الحسن حاش بسكون الشين
وصلا ووقفا لله بلام الجر **وقرأ** أبي وعبد الله حاشى الله بالإضافة وعنهما
كقراءة أبي عمرو قال صاحب اللوامح **وقرأ** الحسن حاشى الإله قال ابن عطية
محذوفا من حاشى وقال صاحب اللوامح بحذف الألف وهذه تدل على كونه
حرف جر يجر ما بعده فأما الإله فإنه فكه عن الإدغام وهو مصدر أقيم مقام
المفعول ومعناه المألوه بمعنى المعبود قال وحذفت الألف من حاش
للتخفيف انتهى وهذا الذي قاله ابن عطية وصاحب اللوامح من أن الألف
في حاشى في قراءة الحسن محذوفة لا يتعين إلا أن نقل عنه أنه يقف في هذه
القراءة بسكون الشين فإن لم ينقل عنه في ذلك شيء فاحتمل أن تكون الألف
حذفت لالتقاء الساكنين إذ الأصل حاشا الإله ثم نقل فحذف الهمزة
وحرك اللام بحركتها ولم يعتد بهذا التحريك لأنه عارض كما تحذف في يخشى
الإله ولو اعتد بالحركة لم يحذف الألف **وقرأ** أبو السمال حاشا لله بالتنوين
كرعيا لله فأما القراءات لله بلام الجر في غير قراءة أبي السمال فلا يجوز أن يكون
ما قبلها من حاشى وحاش أو حشى وحاش حرف جر لأن حرف الجر لا يدخل على
حرف الجر ولأنه تصرف فيها بالحذف وأصل التصرف بالحذف أن لا يكون
في الحروف وزعم المبرد وغيره كابن عطية أنه يتعين فعليتها ويكون
الفاعل ضمير يوسف أي حاشى يوسف أن يقارف ما رمته به ومعنى
لله لطاعة الله أو لمكانه من الله أو لترفيع الله أن يرمى بما رمته به أو
يدعى إلى مثله لأن تلك أفعال البشر وهو ليس منهم إنما هو ملك وعلى
هذا تكون اللام في لله للتعليل أي جانب يوسف المعصية لأجل طاعة
الله أو لما ذكر قبل وذهب غير المبرد إلى أنها اسم وانتصابها انتصاب
المصدر الواقع بدلا من اللفظ بالفعل كأنه قال تنزيها لله ويدل على
اسميتها قراءة أبي السمال حاشا منونا وعلى هذا القول يتعلق لله بمحذوف
على البيان كلك بعد سقيا ولم ينون في القراءات المشهورة مراعاة
لأصله الذي نقل منه وهو الحرف لأنهم قالوا من عن يمينه فجعلوا عن
اسما ولم يعربوه وقالوا من عليه فلم يثبتوا الألف مع المضمر بل أقروا عن على
بنائه وقلبوا ألف على مع المضمر مراعاة لأصلهما وأما قراءة الحسن وقراءة

أبي

أبي بالإضافة فهو مصدر مضاف إلى الله كما قالوا سبحان الله وهذا اختيار
الزمخشري وقال ابن عطية وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود فقال أبو علي
إن حاشى حرف استثناء كما **قال الشاعر**
حاشى أبي ثوبان ... انتهى وأما قراءة الحسن حاش بالتسكين ففيها جمع بين
ساكنين وقد ضعفوا ذلك قال الزمخشري والمعنى تنزيه الله من صفات
العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشى لله ما علمنا
عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا لما كان غريب
الجمال فائق الحسن عما عليه حسن صور الإنسان نفين عنه البشرية
وأثبتن له الملكية لما كان مركوزا في الطباع حسن الملك وإن كان لا يرى
وقد نطق بذلك شعر العرب والمحدثون قال بعض العرب

فلست لإنسي ولكن لملأك ... تنزل من جو السماء يصوب

وقال بعض المحدثين

نزلت إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا ... وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصب بشرا على لغة الحجاز وكذا جاء ما هن أمهاتهم فما منكم من أحد عنه حاجزين
ولغة تميم الرفع قال ابن عطية ولم يقرأ به وقال الزمخشري ومن
قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود انتهى وقرأ
الحسن وأبو الحويرث الحنفي ما هذا بشرى قال صاحب اللوامح فيحتمل
أن يكون معناه بمبيع أو بمشرى أي ليس هذا مما يشترى ويباع ويجوز أن يكون
ليس بثمن كأنه قال هو أرفع من أن يجري عليه شيء من هذه الأشياء فالشرى
هو مصدر أقيم مقام المفعول به وثنايهما عبد الوارث عن أبي عمرو وعلى ذلك
وزاد عليهما إلا ملك بكسر اللام واحد الملوك فهم نفوا بذلك عنه ذل
المماليك وجعلوه في حيز الملوك والله أعلم انتهى ونسب ابن عطية
كسر اللام للحسن وأبي الحويرث اللذين قرأا بشرى قال لما استعظمن
حسن صورته قلن ما يصلح أن يكون عبدا بشرى أن هذا لا يصلح أن يكون
إلا ملكا كريما وقال الزمخشري **وقرئ** ما هذا بشرى أي بعبد مملوك
لئيم إن هذا إلا ملك كريم تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا
مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى قال وإعمال ما عمل ليس
هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن انتهى وإنما قال القدمى
لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء فتقول ما زيد بقائم
وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر فمن لغة الحجاز القديمة
حتى إن النحويين لم يجدوا شاهدا على نصب الخبر في أشعار الحجازيين
غير **قول الشاعر**

وأنا النذير بحرة مسودة ... تصل الجيوش إليكم أقوادها
أبناؤها متكنفون أباهم ... حنقو الصدور وما هم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون

قوله عز وجل قالت فذلكن

الا بالياء فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالياء قال الزمخشري اللغة القدمى الحجازية فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ ذا اسم الاشارة واللام للبعد المشار وكن خطاب لتلك النسوة واحتمل ان يكون لما رأى دهشهن وتقطيع أيديهن بالسكاكين وقولهن ما هذا بشرا بعد عنهن انقضاء عليهن في ان لا تزداد فتنتهن وفي ان يرجعن الى حسهن فاشارت اليه باسم الاشارة الذي للبعد ويحتمل ان يكون اشارت اليه وهو قريب بلفظ البعيد رفعا لمنزلته في الحسن واستبعادا للحال فيه وانه لغرابته يبعد ان يوجد مثله واسم الاشارة تضمن الاوصاف السابقة فيه كانه قال الذي قطعتن ايديكن بسببه واكبرتنه وقلتن فيه ما قلتن من نفي البشرية عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتنني فيه اي في محبته وشغفي به قال الزمخشري ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هذا ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به انتهى والضمير في فيه عائد على يوسف وقال ابن عطية ويجوز ان يكون الاشارة الى حب يوسف والضمير عائد على الحب فيكون ذلك اشارة الى غائب على بابه انتهى ثم اقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستنامت اليهن في ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها فاستعصم قال ابن عطية معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني وقال الزمخشري والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان انتهى والذي ذكر التصريفيون في استعصم انه موافق لاعتصم فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا اجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم يدل على وجود اعتصامه وطلب العصمة لا يدل على حصولها واما انه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة فلم يذكر التصريفيون هذا المعنى لاستفعل واما استمسك واستوسع واستجمع الرأي فاستفعل فيه موافقة لافتعل والمعنى امتسك واتسع واجتمع الرأي واما استفحل الخطب فاستفعل فيه موافقة لتفعل اي تفحل الخطب نحو استكبر وتكبر ثم جعلت تتوعده مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها بقولها ولئن لم يفعل ما آمره والضمير في آمره عائد على الموصول اي ما آمر به فحذف

الجار

الجار كما حذف في امرتك الخير ومفعول آمر الاول محذوف وكان التقدير ما آمره به وان جعلت ما مصدرية جاز فيعود الضمير على يوسف اي امري اياه ومعناه موجب امري وقرأت فرقة وليكونن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالالف مراعاة لقراءة الجمهور بالنون الخفيفة ويوقف عليها بالالف كقول الاعشى

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ومن الصاغرين من الاذلاء ولم تذكرها العذاب الاليم الذي ذكرته في ما جزاء من اراد باهلك سوءا لانها اذ ذاك كانت في طراوة غيظها ومتنصلة من انها هي التي راودته فناسب هناك التغليظ بالعقوبة واما هنا فانها في طماعية ورجاء واقامة عذرها عند النسوة فرقت عليه فتوعدته بالسجن وقال له النسوة أطع وافعل ما امرتك به فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فاسند الفعل اليهن لما ينصحن له وزين له مطاوعتها ونهينه عن القاء نفسه في السجن والصغار فالتجأ الى الله والتقدير دخول السجن وقرأ عثمان ومولاه طارق وزيد بن علي والزهري وابن ابي اسحق وابن هرمز ويعقوب السجن بفتح السين وهو مصدر سجن اي حبسهم اياي في السجن احب الي واحب هنا ليست على بابها من التفضيل لانه لم يحب ما يدعونه اليه قط وانما هذان شران فآثر احد الشرين على الآخر وان كان في احدهما مشقة وفي الآخر لذة لكن لما يترتب على تلك اللذة من معصية الله وسوء العاقبة لم يخطر له ببال ولما في الآخر من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله في كل وقت داعيا له في تخليصه آثره ثم ناط العصمة بالله واستسلم لله كعادة الانبياء والصالحين وانه تعالى لا يصرف السوء الا هو فقال والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن اي امل الى ما دعونني اليه وجعل جواب الشرط قوله اصب وهي كلمة مشعرة بالميل فقط لا بمباشرة المعصية وقرئ أصب اليهن من صببت صبابة فانا صب والصبابة افراط الشوق كانه ينصب فيما يهوى وقراءة الجمهور اصب من صبا الى اللهو يصبو صباء وصبوا ويقال صبي يصبا صبا والصبا بالكسر اللهو واللعب واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الوقوع في موافقة النساء والميل اليهن سفاهة قال الشاعر

احدى بلي وما هام الفؤاد بها الا السفاه والا ذكرة حلما

وذكر استجابة الله له ولم يتقدم لفظ دعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء وكانه قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن اي حال بينه وبين المعصية انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما انطوت عليه نياتهم ثم بدا لهم بدا ماض والفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى اي بدا لهم هو اي رأي

او بداء كما قال الشاعر

بدا لك من تلك القلوص بداء

هكذا قاله المفسرون والمعربون الا من اجاز ان تكون الجملة فاعلة
فانه زعم ان قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا اي سجنه حتى حين
والرد على هذا المذهب مذكور في علم النحو والذي ذهب اليه ان الفاعل
ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله ليسجنن او من قوله السجن على قراءة
الجمهور او على السجن على قراءة من فتح السين والضمير في لهم للعزيز واهله
والايات هي الشواهد الدالة على براءة يوسف قال مجاهد وغيره قد القميص
فان كان الشاهد طفلا فهي اية عظيمة وان كان رجلا فيكون استدلالا بالعادة
والذي يظهر ان الاية انما يعبر بها عن الواضح الجلي وجمعها يدل على ظهور امور
واضحة دلت على براءته وقد تكون الايات التي راوها لم ينص على جميعها
في القرآن بل راوا قول الشاهد وقد القميص وغير ذلك مما لم يذكر واما ما ذكر
عكرمة ان من الايات خمش وجهها والسدي من حز ايديهن فليس في ذلك دلالة
على البراءة فلا يكون اية وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول
لقول محذوف تقديره قائلين وقرأ الحسن لتسجننه بالتاء على خطاب بعضهم العزيز
ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم وقرأ ابن مسعود عتى بابدال حاء حتى
عينا وهي لغة هذيل واقرأ بذلك فكتب اليه عمر ان يقرئ بلغة قريش
حتى لا بلغة هذيل والمعنى الى زمان والحين يدل على مطلق الوقت ومن
عين له هنا زمانا فانما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لا انه
موضوع في اللغة لذلك وكانها اقترحت زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي
سجنهم ليوسف دليل على مكيدة النساء واستنزال المرأة لزوجها ومطاوعته
لها وعشقه لها وجعله زمام امره بيدها هذا مع ظهور خيانتها وبراءة يوسف
روي انه لما امتنع يوسف من المعصية ويئست منه امراة العزيز قالت
لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم
ويصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لي فخرجت
الى الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا محبوسة فحينئذ بدا لهم
سجنه قال ابن عباس فامر به فحمل على حمار وضرب بالطبل ونودي عليه
في اسواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فهذا جزاؤه ان يسجن
قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكى ۝ ودخل معه السجن
فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني
احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين ۝
في الكلام حذف تقديره فسجنوه فدخل معه السجن غلامان روي انهما كانا
للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه والاخر ساقيه وروي
ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه ووافقه على ذلك الساقي
فسجنهما قاله السدي ومع تدل على الصحبة واستحداثها فدل على انهم سجنوا

قوله عز وجل ودخل معه

الثلاثة

الثلاثة في ساعة واحدة ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه
وفضله ونبله وكان يسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسال لفقيرهم ويندبهم الى
الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال
له كن في اي البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبني يرحمك الله فلقد
ادخلت علي المحبة مضرات احبتني عمتي فامتحنت بمحبتها واحبني ابي
فامتحنت بمحبته واحبتني امراة العزيز فامتحنت بمحبتها بما ترى وكان
يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن اني اعبر الرؤيا واجيد وروي
ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما الله ان لا
تحباني وذكر ما تقدم وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا
بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا
في جوارك فمن انت يا فتى قال يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق
ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك
وهذه الرؤيا التي للفتيين قال مجاهد راياها حقيقة فاراد سؤاله
وقال ابن مسعود والشعبي استعملاها ليجرباه والذي راى عصر الخمر اسمه
بنو قال رايت حبلة من كرم لها ثلاثة اغصان حسان فيها عناقيد عنب
حسان فكنت اعصرها واسقي الملك والذي راى الخبز اسمه ملحب
قال كنت اراني اخرج من مطبخة الملك وعلى راسي ثلاث سلال
فيها خبز والطير تاكل من اعلاه وراي الحلمية جرت مجرى افعال القلوب
في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعنى فاراني فيه ضمير
الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتكلم المتصل وهو رافع
للضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يجوز ان تقول اضربني ولا
اكرمني وسمي العنب خمرا باعتبار ما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة غسان
اسم للعنب وقيل في لغة ازد عمان وقال المعتمر لقيت اعرابيا يحمل
عنبا في وعاء فقلت ما تحمل فقال خمرا اراد العنب وقرأ ابي وعبد الله
اعصر عنبا وينبغي ان يحمل ذلك على التفسير لمخالفته سواد المصحف وللثابت
عنهما بالتواتر قراءتهما اعصر خمرا قال ابن عطية ويجوز ان يكون وصف
الخمر بانها معصورة اذ العصر لها ومن اجلها وفي مصحف عبد الله فوق
راسي ثريدا تاكل الطير منه وهو ايضا تفسير لا قراءة والضمير في نبئنا بتاويله عائد
اليهما قصا عليه اجري مجرى اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك وقال
الجمهور من المحسنين اي في العلم لانهما رايا منه ما علما به انه عالم وقال
الضحاك وقتادة من المحسنين في حديثه مع اهل السجن واجماله
معهم وقال ابن اسحق لما اراد اخباره انهما رايا له احسانا عليهما ويدا
اذا تاولت لهما ما راياه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله

وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب
ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال الزمخشري لما استعبراه ووصفاه بالإحسان
افترص ذلك فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار
بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما
ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما أخبرهما ويجعل ذلك تخليصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما
الإيمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم
أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الإرشاد
والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى
فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن
من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير
المشكل والإعراب عن معانيه انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري يدل
على أن إتيان الطعام يكون في اليقظة وهو قول ابن جريج قال أراد يوسف
لا يأتيكما طعام في اليقظة ترزقانه إلا أنبأتكما منه بعلم وبما يؤول إليه
أمركما قبل أن يأتيكما فعلى هذا أراد أن يعلمهما أنه يعلم مغيبات لا تتعلق
بالرؤيا وهذا على ما روي أنه نبئ في السجن وقال السدي
وابن إسحق لما علم من تعبير منامة رأى الخبز أنها تؤذن بقتله أخذ
في غير ذلك الحديث تنسية لهما أمر المنام وطماعية في إيمانهما ليأخذ
المقتول بحظه من الإيمان وتسلم له آخرته فقال لهما معلنا بعظيم علمه
للتعبير إنه لا يجيئكما طعام في نومكما تريان أنكما رزقتماه إلا أعلمتكما بتأويل
ذلك الطعام أي بما يؤول إليه أمره في اليقظة قبل أن يظهر ذلك
التأويل الذي أعلمكما به فروي أنهما قالا له ومن أين لك ما تدعيه
من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمني ربي
والظاهر أن قوله لا يأتيكما إلى آخره أنه في اليقظة وأن قوله مما علمني
ربي دليل على أنه إذ ذاك كان نبيا يوحى إليه والظاهر أن قوله
إني تركت استئناف إخبار بما هو عليه إذ كانا قد أحباه وكلفا بحبه
وبحسن أخلاقه ليعلمهما ما هو عليه من مخالفة قومهما فيتبعاه وفي
الحديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وعبر بتركت
مع أنه لم يتشبث بتلك الملة قط إجراء للترك مجرى التجنب من أول
حالة واستجلابا لهما لأن يتركا تلك الملة التي كانا فيها ويجوز أن يكون
إني تركت تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت
ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء وهي الملة الحنيفية وهؤلاء الذين
لا يؤمنون هم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم ونبه على أصلين

عظيمين وهما الإيمان بالله والإيمان بدار الجزاء وكرر هم على سبيل التوكيد
وحسن ذلك الفصل وقال الزمخشري وتكريرهم للدلالة على أنهم
خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء
تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر
بدار الجزاء انتهى وليست عندنا هم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ
المعتزلة ولما ذكر أنه رفض ملة أولئك ذكر اتباعه ملة آبائه ليريهما
أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما بأنه نبي بما ذكر من إخباره بالغيوب
ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله وقرأ الأشهب العقيلي
والكوفيون آبائي بإسكان الياء وهي مروية عن أبي عمرو ما كان لنا
ما صح وما استقام لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء عموم في الملك
والجني والإنسي فكيف بالصنم الذي لا يسمع ولا يبصر فشيء يراد به المشرك
ويجوز أن يراد به المصدر أي من شيء من الإشراك فيعم الإشراك ويلزم عموم
متعلقاته ومن زائدة لأنها في حيز النفي إذ المعنى ما نشرك بالله شيئا
والإشارة بذلك إلى شرعهم وملتهم أي ذلك الدين والشرع الحنيفي الذي
انتفى فيه الإشراك بالله من فضل الله علينا أي على الرسل إذ خصوا بأن كانوا
وسائط بين الله وعباده وعلى الناس أي على المرسل إليهم إذ يساقون به إلى
النجاة حيث أرشدوهم إليه وقوله لا يشكرون أي لا يشكرون فضل الله
فيشركون ولا ينتبهون وقيل ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا
الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل ذلك لسائر الناس
من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يشكرون اتباعا لأهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين ۝ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا
إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ لما ذكر ما هو
عليه من الدين الحنيفي تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم
الفتيين من عبادة الأصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق
الذي تخلص فيه المودة وتتمحض فيه النصيحة واحتمل قوله يا صاحبي
السجن أن يكون من باب الإضافة إلى الظرف والمعنى يا صاحبي في
السجن واحتمل أن يكون من إضافته إلى شبه المفعول كأنه قال
يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة ثم أورد الدليل
على بطلان ملة قومهما بقوله أأرباب فأبرز ذلك في صورة الاستفهام
حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه
في محاجة الجهلة أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلونها فإذا
قبلوها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ثم كذلك حتى يصل إلى الإذعان
بالحق وقابل تفرق أربابهم بالواحد وجاء بصفة القهار تنبيها على أنه

قوله عز وجل يا صاحبي السجن

تعالى لانه هذا الوجه الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما
بعرو اصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي ان يعبد الا المتصف به
وبهم علموا ان تلك الاصنام جماد والمعنى اعبادة ارباب متكاثرة في العدد
خير ام عبادة واحد قهار وهو الله فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادة
الله ثم استطرد بعد الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما يعبدون
والخطاب بقوله ما تعبدون لهما ولقومهما من اهل مصر ومعنى الا اسماء
اي الفاظا احدثتموها انتم واباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها وتقدم
تفسير مثل هذه الجملة في الاعراف ان الحكم الا لله اي ليس لكم ولا لاصنامكم
حكم ما الحكم في العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به تعالى فقال امر
ان لا تعبدوا الا اياه ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين
لا يعلمون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم ○ يا صاحبي السجن اما احدكما

قوله عز وجل يا صاحبي السجن

فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر
الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ○ لما
القى اليهما ما كان اهم وهو امر الدين رجاء في ايمانهما ناداهما ثانيا لتجتمع
انفسهما لسماع الجواب فروي انه قال لنبو اما انت فتعود الى
مرتبتك وسقاية ربك وما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن
حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن
ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للخباز اما انت فما رايت
من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتصلب فروي انهما قالا ما راينا شيئا
وانما تحاملنا لنجربك وروي انه لم يقل ذلك الا الذي حدثه بالصلب
وروي انهما راياه ثم انكرا وقرا الجمهور فيسقي ربه من سقى وفرقة فيسقي
من اسقى وهما لغتان بمعنى واحد وقرئ في السبعة نسقيكم ونُسقيكم
وقال صاحب اللوامح سقى واسقى بمعنى واحد في اللغة والمعروف
ان سقاه ناوله ليشرب واسقاه جعل له سقيا ونسب ضم الياء
لعكرمة والجحدري ومعنى ربه سيده وقال ابن عطية وقرا
عكرمة والجحدري فيسقي ربه خمرا بضم الياء وفتح القاف اي ما
يروى به وقال الزمخشري وقرا عكرمة فيسقي ربه فيسقى ما يروى
به على البناء للمفعول ثم اخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه
من قبل الله ان الامر قد قضي ووافق القدر وسواء كان ذلك منكما
حكم ام تحالم وافرد الامر وان كان امرهما مختلفا لان المقصود انما
هو عاقبة امرهما الذي ادخلا به السجن وهو اتهام الملك اياهما
بسمه فرايا ما رايا او تحالما بذلك فقضيت وامضيت تلك العاقبة
من نجاة احدهما وهلاك الاخر وقال اي يوسف للذي ظن اي ايقن
هو اي يوسف انه ناج وهو الساقي ويحتمل ان يكون ظن على بابه والضمير

عائد

عائد على الذي وهو الساقي اي لما اخبره يوسف بما اخبره ترجح عنده انه ينجو
ويبعد ان يكون الظن على بابه ويكون مسندا الى يوسف على ما ذهب اليه
قتادة والزمخشري قال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن
وقال الزمخشري الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق
الاجتهاد ويبعد لان قوله قضي الامر يحتم ما جرى به القدر وامضاؤه
ويظهر انه ذلك بطريق الوحي الا ان حمل قضي الامر على قضي كلامي وقلت
ما عندي فيجوز ان يعود على يوسف والمعنى ان يوسف قال لنبو في الملك
حين علم انه سيعود الى حالته الاولى مع الملك اذكرني عند ربك اي بعلمي

الملك

ومكانتي وما انا عليه مما اتاني الله او اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير
حق وهذا من يوسف عليه السلام على سبيل الاستعانة والتعاون في تفريج
كربه وجعله باذن الله وتقديره سببا للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام
من انصاري الى الله وكما كان الرسول يطلب من يحرسه والذي اختاره ان يوسف
عليه السلام انما قال لنبو في الملك اذكرني عند ربك ليتوصل الى هدايته وايمانه
بالله كما توصل الى ايضاح الحق للساقي ورفيقه والضمير في فانساه عائد على
الساقي ومعنى ذكر ربه ذكر يوسف لربه والاضافة تكون بادنى ملابسة
وانساء الشيطان له بما يوسوس اليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له
يوسف لما اراد الله بيوسف من اجزال الاجر بطول مقامه في السجن والبضع
سنين مجمل فقيل سبع وقيل اثنا عشر والظاهر ان قوله فلبث في السجن
اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن الى ان اخرج وقيل هذا اللبث
يوما بعد خروج الفتيين وذلك سبع وقيل سنتان وقيل الضمير في انساه
عائد على يوسف عليه السلام ورتبوا على ذلك اخبارا لا تليق نسبتها الى
الانبياء عليهم السلام ○ وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن

قوله عز وجل وقال الملك

سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين ○ لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا
عجيبة هالته فراى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع
بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها
ارى يعني في منامه ودل على ذلك افتوني في رؤياي واتى حكاية حال
فلذلك جاء بالمضارع دون رايت وسمان صفة لقوله بقرات ميز العدد
بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو نصب صفة لسبع
لكان التمييز بالجنس لا بالنوع ويلزم من وصف البقرات بالسمن وصف
السبع به ولا يلزم من وصف السبع به وصف الجنس به لانه يصير المعنى
سبعا من البقرات سمانا وفرق بين قولك عندي ثلاثة رجال كرام

وثلثة رجال كرام لان المعنى في الاول ثلثة من الرجال الكرام فيلزم كرم الثلثة
لانهم بعض من الرجال الكرام والمعنى في الثاني ثلثة من الرجال الكرام فلا يدل
على وصف الرجال بالكرم ولم يضف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف
الى الصفة الا في الشعر انما تتبعه الصفة وثلثة فرسان وخمسة اصحاب
من الصفات التي اجريت مجرى الاسماء ودل قوله سبع بقرات على ان السبع
العجاف بقرات كانه قيل سبع بقرات عجاف او بقرات سبع عجاف وجاء جمع
عجفاء على عجاف وقياسه عجف كخضراء وخضر حملا على سمان لانه
نقيضه وقد يحمل النقيض على النقيض كما يحمل النظير على النظير والتقسيم في
البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات فيكون قد حذف اسم العدد من قوله
واخر يابسات لدلالة قسيمه وما قبله عليه فيكون التقدير سبعا اخر
يابسات ولا يصح ان يكون واخر مجرورا عطفا على سنبلات خضر لانه من حيث
العطف عليه كان من جملة مميز سبع ومن جهة كونه اخر كان مباينا لسبع فتدافعا
بخلاف ان لو كان التركيب سبع سنبلات خضر ويابسات فانه كان يصح
العطف ويكون من توزيع السنبلات الى خضر ويابسات والملاء اشراف
دولته واعيانهم الذين يحضرون عند الملك **وقراء** ابو جعفر بالادغام في
الرؤيا وبابه بعد قلب الهمزة واوا ثم قلبها ياء لاجتماع الواو والياء
وقد سبقت احداهما بالسكون ونصوا على شذوذه لان الواو هي بدل
غير لازم واللام في الرؤيا مقوية لدخول الفعل الى مفعوله اذا تقدم عليه
فلو تاخر لم يحسن ذلك بخلاف اسم الفاعل فانه لضعفه قد يقوى بها
فتقول زيد ضارب لعمرو فصيحا والظاهر ان خبر كنتم هو قوله تعبرون
واجاز الزمخشري فيه وجوها متكلفة **احدها** ان يكون للرؤيا للبيان
قال كقوله وكانوا فيه من الزاهدين فيتعلق بمحذوف تقديره اعني
فيه وكذلك تقدير هذا ان كنتم اعني للرؤيا تعبرون ويكون مفعول
تعبرون محذوفا تقديره تعبرونها **والثاني** ان يكون للرؤيا خبر كان
قال كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا اخر وحالا **والثالث** ان يضمن تعبرون معنى فعل
يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وعبارة
الرؤيا ماخوذة من عبر النهر اذا اجازه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا
ينتهي الى اخر تاويلها وعبر الرؤيا بتخفيف الباء ثلاثيا وهو المشهور
وانكر التشديد بعضهم وانشد المبرد في الكامل

رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا

واضغاث جمع ضغث اي تخاليط احلام وهي ما يكون من حديث النفس
او وسوسة الشيطان او مزاج الانسان واصله اخلاط النبات
استعير للاحلام وجمعوا الاحلام وان كانت رؤياه واحدة اما باعتبار
متعلقاتها اذ هي اشياء واما باعتبار جواز ذلك كما تقول فلان

يركب

يركب الخيل وان لم يركب الا فرسا واحدا تعليقا بالجنس واما بكونه قص
عليهم مع هذه الرؤيا غيرها والاحلام جمع حلم واضغاث خبر مبتداء
محذوف اي هي اضغاث احلام والظاهر انهم نفوا عن انفسهم العلم بتاويل
الاحلام اي لسنا من اهل تعبير الرؤيا ويجوز ان يكون الاحلام المنفي علمها
ارادوا بها الموصوفة بالتخليط والاباطيل اي وما نحن بتاويل الاحلام
التي هي اضغاث بعالمين اي لا يتعلق علم لنا بتاويل تلك لانه لا تاويل
لها انما التاويل للمنام الصحيح فلا يكون في ذلك نفي للعلم بتاويل المنام
الصحيح ولا قصور علمهم والباء في بتاويل متعلقة بقوله بعالمين **امه**
بامه امهنا وامهتا نسي **يغاث** يحتمل ان يكون من الغوث وهو الفرج
يقال اغاثهم الله فرج عنهم ويحتمل ان يكون من الغيث تقول غيثت
البلاد اذا امطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا **الخطب**
الشان والامر الذي فيه خطر ويجمع على خطوب ٥

قال الشاعر

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل ٥

حصحص تبين بعد الخفاء وقاله الخليل وهو ماخوذ من الحصة حصحص
الحق بانت حصته من حصة الباطل وقيل بان واستقر ويكون متعديا
من حصحص البعير التي ثفناته للاناخة ٥

قال الشاعر حصحص في صم الصفا ثفناته ٥

الجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع وكل ما يحمل وجهاز العروس
ما يكون معها من الاثاث والشورة وجهاز الميت ما يحتاج اليه في
دفنه **الرحل** ما على ظهر المركوب من متاع الراكب او غيره وجمعه رحال
في الكثرة وارحل في القلة **مار** يمير واماره يميره اذا جلب الخير وهي
الميرة **قال الشاعر**

بعثتك مائرا فمكثت حولا متى ياتي غياثك من تغيث

البعير في الاشهر الجمل مقابل الناقة وقد يطلق على الناقة كما يطلق
على الجمل فتقول على هذا لهم البعير الجمل لحمه ويمتنع على الاشهر لترادفه
وفي لغة بكسر باؤه ويجمع في القلة على ابعرة وفي الكثرة على بعران ٥

وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا
قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

لما استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملاء تاويلها تذكر الناجي
من القتل وتوسل في الملك بيوسف وتاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وادكر اي تذكر ما سبق له مع يوسف

المفردات

قوله عزوجل وقال الذي

بعد امة اي مدة طويلة والجملة من قوله وادكر حالية واصله واذتكر ابدلت
التاء دالا وادغمت الذال فيها فصار ادكر وهي قراءة الجمهور **وقرأ** الحسن
واذكر بابدال التاء ذالا وادغام الذال فيها **وقرأ** الاشهب العقيلي
بعد امة بكسر الهمزة اي بعد نعمة انعم عليه بالنجاة من القتل وقال
ابن عطية بعد نعمة انعم الله بها على يوسف في تقريب اطلاقه والامة النعمة

قال الشاعر

الا لا ارى ذا امة اصبحت به ... فتتركه الايام وهي كما هيا

قال الاعلم الامة النعمة والحال الحسنة **وقرأ** ابن عباس وزيد بن علي
والضحاك وقتادة وابو رجاء وشبيل بن عزرة بعد امه بسكون الميم
الضبعي وربيعة بن عمرو بعد امة بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء وكذلك
قرأ ابن عمر ومجاهد وعكرمة واختلف عنهم **وقرأ** عكرمة وايضا مجاهد
وشبيل بن عزرة بعد امة بسكون الميم مصدر امه على غير قياس وقال
الزمخشري ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انتهى وهذا على عادته في نسبة
الخطاء الى القراء انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به عمن عنده علمه لا من جهتي
وقرأ الحسن انا آتيكم مضارع اتى من الاتيان وكذا في الامام وفي مصحف ابي
فارسلون اي ابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره استاذن في المضي
الى يوسف فقال ابن عباس كان في السجن في غير مدينة الملك وقيل كان
فيها ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط
ثمانية اميال وفي الكلام حذف التقدير فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال
والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير وكان قد صحبه زمانا وجرب
صدقه في غير ما شيء كتاويل رؤياه ورؤيا صاحبه وقوله لعلي ارجع الى الناس
اي بتفسير هذه الرؤيا واحترز بلفظة لعلي لانه ليس على يقين من الرجوع
اليهم اذ من الجائز ان يخترم دون بلوغه اليهم وقوله لعلهم يعلمون كالتعليل
لرجوعه اليهم بتاويل الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم
فيطلبونك ويخلصونك من محنتك فتكون لعل كالتعليل لقوله افتنا
قال تزرعون الى آخره تضمن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة
انواع من القول **احدها** تعبير بالمعنى لا باللفظ **والثاني** عرض راي وامر به
وهو قوله فذروه في سنبله **والثالث** الاعلام بالغيب في امر العام
الثامن قاله قتادة قال ابن عطية ويحتمل هذا ان لا يكون غيبا بل
علم العبارة اعطى انقطاع الخوف بعد سبع ومعلوم انه الا الخصب انتهى
والظاهر ان قوله تزرعون سبع سنين دابا خبر اخبرهم انهم تتوالى لهم هذه
السنون السبع لا ينقطع فيها زرعهم للري الذي يوجد وقال الزمخشري
تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما
يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل
كانه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في

سنبله انتهى ولا يدل الامر بتركه في سنبله على ان تزرعون في معنى ازرعوا بل تزرعون
اخبار غيب بما يكون منهم من توالي الزرع سبع سنين واما قوله فذروه فهو امر
اشارة بما ينبغي ان يفعلوه ومعنى دابا ملازما لعادتكم في الزراعة **وقرأ** حفص
دأبا بفتح الهمزة والجمهور باسكانها وهما مصدران لدأب وانتصابه بفعل
محذوف من لفظه اي تدأبون دابا فهو منصوب على المصدر وعند المبرد تزرعون
بمعنى تدأبون وهي عنده مثل قعد القرفصاء وقيل مصدر في موضع الحال اي
دائبين او ذوي دأب حالا من ضمير تزرعون وما في قوله فما حصدتم شرطية
او موصولة فذروه في سنبله اشارة براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي
لا تبقى عامين بوجه الا بالحيلة ابقائها في السنبل فاذا بقيت فيها
انحفظت والمعنى اتركوا الزرع في السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجتمع الطعام
ويتركب ويؤكل الاقدم فالاقدم فاذا جاءت السنون الجدبة تقوت الاقدم
فالاقدم من ذلك المدخر **وقرأ** السلمي مما يأكلون بالياء على الغيبة اي يأكل
الناس ومن حذف المميز في قوله سبع شداد اي سبع سنين شداد لدلالة قوله
سبع سنين عليه واسند الاكل اليهن في قوله يأكلن على سبيل المجاز من
حيث انه يؤكل فيهن كما قال والنهار مبصرا ومعنى تحصنون تحرزون
وتخبئون ماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ وقال ابن عباس ومجاهد
والجمهور يغاث من الغيث وقيل من الغوث وهو الفرج ففي الاول بني من ثلاثي
وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث **وقرأ**
الاخوان تعصرون بالتاء على الخطاب وباقي السبعة بالياء على الغيبة
والجمهور على انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسمسم
والفجل وجميع ما يعصر ومصر بلد عصير لاشياء كثيرة والحلب منه لانه عصر
للضروع وروي انهم لم يعصروا شيئا مدة الجدب وقال ابو عبيدة وغيره
ماخوذ من العصرة والعصر وهو المنجي ومنه **قول**
ابي زبيد في عثمن رضي الله عنه

صاديا يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عصرة المنجود

فالمعنى ينجون بالعصرة **وقرأ** جعفر بن محمد والاعرج وعيسى البصرة يعصرون
بضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول وعن عيسى ايضا تعصرون بالتاء على
الخطاب مبنيا للمفعول ومعناه ينجون من عصره اذا انجاه وهو مناسب
لقوله يغاث الناس وقال ابن المستنير معناه يمطرون من اعصرت السحابة
ماءها عليهم فجعلوا معصرين مجازا باسناد ذلك اليهم وهو للماء الذي
يمطرون به وحكى النقاش انه قرئ يعصرون بضم الياء وكسر الصاد وشد
من عصر مشددا للتكثير **وقرأ** زيد بن علي وفيه تعصرون بكسر التاء والعين
والصاد وشدها واصله تعتصرون فادغم التاء في الصاد ونقل حركتها
الى العين واتبع حركة التاء لحركة العين واحتمل ان يكون من اعتصر
العنب ونحوه ومن اعتصر بمعنى نجا **قال الشاعر**

عليه السلام

لو بغير المأ حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري ٥
اي بخلاف تاويل يوسف البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بمجي العام
الثامن مغيثا مباركا خصيبا كثير الخير غزيرا لنعم وذلك من جهة الوحي وعن
قتادة زاده الله علم سنة والذي من جهة الوحي هو التفصيل بحال العام
بانه فيه يغاث الناس وفيه يعصرون والا فمعلومات بانتهاء السبع الشداد
مجي الخصب ٥ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك

قوله عز وجل
وقال الملك

فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ٥ في الكلام حذف
تقديره فحفظ الرسول ما اوله به يوسف الرؤيا وجاء الى الملك ومن
ارسله واخبرهم بذلك وقال الملك وقال ابن عطية في نضاعيف
هذه الايات محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها والمعنى فرجع
الرسول الى الملك ومن مع الملك فنقص عليهم مقالة يوسف فراي
الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الراي وتضمن الغيب في امر العام
الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنام المتقدم فعظم يوسف
في نفس الملك وقال ائتوني به فلما وصل الرسول في اخراجه اليه
وقال ان الملك قد امر بان تخرج اليه قال له ارجع الى ربك
اي الى الملك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام انما كان
وقل له يستقصي عن ذنبي وينظر في امري هل سجنت بحق او بظلم وكان هذا
الفعل من يوسف عليه السلام اناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك
انه فيما روي خشي ان يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن امر ذنبه
صفحا فيراه الناس بتلك العين ابدا ويقولون هذا الذي راود امراة مولاه
فاراد يوسف عليه السلام ان يبين براءته ويحقق منزلته من العفة والخير
وحينئذ يخرج للاحظاء والمنزلة وقال الزمخشري انما تانى وتثبت في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون
الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن
سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويكشف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها
قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم انتهى ولاجل
هذا كان الزمخشري وكان مغطوع الرجل قد اثبت على القضاة ان رجله لم تقطع في
خيانة ولا فساد وكان يظهر ذلك المكتوب في كل بلد دخله خوفا من تهمة السوء
وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عنهن لان السؤال
مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال
ليجري التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا

يتبين

يتبين فيه الحق من الباطل ومن كرم يوسف عليه السلام انه لم يذكر زوج العزيز مع ما
صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات الايدي
وقرا ابو حيوة وابو بكر عن عاصم في رواية النسوة بضم النون وقرات فرقة
اللائي بالياء وكلاهما جمع التي ان ربي اي ان الله بكيدهن عليم اراد ان كيدهن عظيم
لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما
قذف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وقال
ابن عطية ويحتمل ان يريد بالرب العزيز مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع
له وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يسوغ والضمير في بكيدهن عائد على
النسوة المذكورات لا للجنس لانها حالة توقيف على ذنب قال ما خطبكن
في الكلام حذف تقديره فرجع الرسول واخبره بما قال يوسف فجمع الملك
النسوة وامراة العزيز وقال لهن ما خطبكن وهذا استدعا منه ان يعلمنه
بالقصة ونزه جانب يوسف بقوله اذ راودتن يوسف عن نفسه ومراودتهن له قولهن
ليوسف اطع مولاتك قال الزمخشري هل وجدتن منه ميلا لكن قلن حاش لله تعجبا
من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها وقال ابن عطية اجاب
النساء بجواب جيد يظهر منه براءة انفسهن جملة واعطين يوسف بعض براءة وذلك
ان الملك لما قرر لهن انهن راودنه قلن جوابا عن ذلك حاش لله ويحتمل ان يكون قولهن
حاش لله في جهة يوسف عليه السلام وقولهن ما علمنا عليه من سوء ليس بابراء تام
وانما كان الابراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطاء في جهتهن
فلما سمعت امراة العزيز مقالتهن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت الآن حصحص
الحق وقرئ حصحص على البناء للمفعول اقرت على نفسها بالمراودة والتزمت
الذنب وابرات يوسف البراءة التامة ٥ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان
الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي ان ربي غفور رحيم ٥ الظاهر انه من كلام امراة العزيز وهو داخل تحت قوله قالت
والمعنى ذلك الاقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته والكذب
عليه وارميه بذنب هو منه بريء ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه
البشر من الشهوات بقولها وما ابرئ نفسي والنفوس مائلة الى الشهوات
امارة بالسوء وقال الزمخشري وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني
قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء
الا نفسا رحمها الله بالعصمة ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته
مما ارتكبت وذهب الى ان قوله ذلك ليعلم الى آخره من كلام يوسف يحتاج
الى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ولا دليل يدل على انه من كلام يوسف
فقال ابن جريج في الكلام تقديم وتاخير وهذا الكلام متصل بقول يوسف
ان ربي بكيدهن عليم وعلى هذا فالاشارة بقوله ذلك الى اقامته في السجن
والتماسه البراءة اي هذا ليعلم سيدي اني لم اخنه وقال بعضهم انما قال

قوله عز وجل
ذلك ليعلم

يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها الى قولها وانه لمن الصادقين
فالاشارة على هذا الى قولها وصنع الله فيه وهذا يضعف لانه يقتضي حضوره
مع النسوة عند الملك فكيف يقول الملك بعد ذلك ائتوني به وفسر الزمخشري
الاية اولا على انها من كلام يوسف فقال اي ذلك التثبت والتشمر لظهور المرأة
ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته وان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته
امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون توكيدا لامانته
وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه
لئلا يكون لها مزكيا ولحالها في الامانة معجبا كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده
وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما
اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي
هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل على ما فيه من الشهوات انتهى وفيه تكثير وتحميل اللفظ
ما ليس فيه ويزيد على عادته في خطابته ولما احس الزمخشري باشكال قول
من قال انه من كلام يوسف قال فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام
يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان
يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم
انتهى وهذا ليس كما ذكر اذ لا يتعين في هذا التركيب ان يكون من كلام فرعون
بل هو من كلام الملأ تقدمهم فرعون الى هذه المقالة فقالوا ذلك بعض لبعض
فيكون في قوله فرعون يريد ان يخرجكم خطابا للملأ من فرعون ويكون
في هذا التركيب خطابا من بعضهم لبعض ولا يتنافى اجتماع المقالتين
وبالغيب يحتمل ان يكون حالا من الفاعل اي غائبا عنه او من المفعول
اي غائبا عني او ظرفا اي بمكان الغيب والظاهر ان الا ما رحم ربي استثناء
متصل من قوله لامارة بالسوء لانه اراد الجنس بقوله ان النفس فكانه
قال الا النفس التي رحمها ربي فلا تامر بالسوء فيكون استثناء من الضمير
المستكن في امارة ويجوز ان يكون مستثنى من مفعول امارة المحذوف اذ التقدير
لامارة بالسوء صاحبها الا الذي رحمه ربي فلا تامره بالسوء وجوزوا ان يكون
مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه من ما قبل الاستثناء وما ظرفية اذ التقدير
لامارة بالسوء مدة بقائها الا وقت رحمة الله العبد وذهابه بها
عن اشتهاء المعاصي وجوزوا ان يكون استثناء منقطعا وما مصدرية وذكر
ابن عطية انه قول الجمهور اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة ﴿ وقال
الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين
امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا

قوله عز وجل وقال الملك

تضييع

تضييع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون ﴿ روي ان
الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف
عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم بالاخبار في الواقعات
وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على
الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابائي وكان
الملك يعرف بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال
ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصفهن
واحوالهن وما كان من حسنهن وقبح وصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي
راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حفظك ان تجعل الطعام
في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
ما لم يجتمع لاحد قبلك كان يوسف قصدا ولا بتثبيته في السجن ان يرتقي
الى اعلى المنازل فكان استدعاء الملك اياه اولا بسبب علم الرؤيا
فلذلك قال ائتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل فظهرت امانته
وصبره وهمته وجودة نظره وتانيه في عدم التسرع اليه بالطلب
عظمت منزلته عنده فطلبه ثانيا بمقصوده لنفسه ومعنى استخلصه
اجعله خالصا لنفسي وخاصا في وسمى الله فرعون مصر ملكا اذ هي حكاية
اسم مضى حكمه وتصرم زمنه فلو كان حيا لكان حكما له اذا قيل لكافر ملك
او امير ولهذا كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم
ولم يقل ملكا ولا اميرا لان ذلك حكم والحكم ان يسلم ويسلموا واما كونه عظيمهم
فتلك صفة لا تفارقه كيف ما تقلب وفي الكلام حذف التقدير
فسمع الملك كلام النسوة وبراءة يوسف مما رمي به فاراد رؤيته وقال
ائتوني به فاتاه فلما كلمه والظاهر ان الفاعل بكلمه هو ضمير الملك اي فلما
كلمه الملك وراى حسن جوابه ومحاورته ويحتمل ان يكون الفاعل
ضمير يوسف فلما كلم يوسف الملك وراى الملك حسن منطقه بما صدق
به الخبر والمرء مخبوء تحت لسانه قال انك اليوم لدينا مكين امين
اي ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء وقيل امين آمن والوصف
بالامانة هو الا بلغ في الاكرام وبالامن يحط من اكرام يوسف ولما وصفه
الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين
الوصفين فقال اجعلني على خزائن الارض اي ولني خزائن ارضك
اني حفيظ احفظ ما تستحفظه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه
بالامانة والكفاية وهما مقصود الملوك ممن يولونه اذ هما يعمان
وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لعامل وقيل حفيظ للحساب
عليم بالالسن وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني الجوع وهذا التخصيص

ية

لا وجه له ودل اثناء يوسف على نفسه على انه يجوز للانسان ان يثني على نفسه
بالحق اذا جهل امره ولا يكون ذلك التزكية المنهي عنها وعلى جواز عمل الرجل
الصالح للرجل الفاجر بما يقتضيه الشرع والعدل لا بما يختاره ويشتهيه مما لا
يستبيحه الشرع وانما طلب يوسف هذه الولاية ليتوصل الى امضاء حكم الله
واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد ولعلمه
ان غيره لا يقوم مقامه في ذلك فان كان الملك قد اسلم كما روي مجاهد فلا كلام
وان كان كافرا ولا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكينه فللمتولي
ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن راي يوسف ولا يعترض عليه
في كل ما راى فكان التابع وما زال قضاة الاسلام يتولون القضاء من جهة
من ليس بصالح ولولا ذلك لبطلت احكام الشرع فهم ماجورون على ذلك اذا
عدلوا وكذلك اي مثل ذلك التمكين في نفس الملك مكنا ليوسف في ارض مصر
يتبوا منها حيث يشاء اي يتخذ منها مباءة ومنزلا كل مكان اراد فاستولى
على جميعها ودخلت تحت سلطانه وروي ان الملك توجه بتاجه وختمه
بخاتمه وردّاه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل
قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا
مما طلبت فوجدها عذراء لان العزيز كان لا يطا فولدت له ولدين افرايم ومنشا
واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم ثم
استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال
للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم
املاكهم وكان لا يبيع احدا من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين وقرا الحسن وابن كثير بخلاف عنهما وابو جعفر
وشيبة ونافع حيث نشاء بالنون والجمهور بالياء والظاهر ان قراءة الياء
تكون فاعل نشاء ضميرا يعود على يوسف ومشيئته معذوقة بمشيئة الله
اذ هو نبيه ورسوله واما ان يكون الضمير عائدا على الله اي حيث يشاء الله
فيكون التفاتا نصيب برحمتنا اي بنعمتنا من الملك والغنى وغيرهما
ولا نضيع في الدنيا اجر من احسن ثم ذكر ان اجر الاخرة خير لانه الدائم الذي
لا يفنى ۝ وقال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة
والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية
وفي الحديث ما يوافق ما قال سفيان وفي الاية اشارة الى ان حال
يوسف عليه السلام في الاخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا

قوله عز وجل وجاء اخوة يوسف

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا
لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها
اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ۝ اي جاءوا من القربات من ارض فلسطين
بغور الشام وقيل من الاولاج من ناحية الشعب الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى
يوسف للميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك
ولان همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وروي انهم انتسبوا
في الاستئذان عليه فعرفهم وامر بانزالهم ولذلك قال الحسن ما عرفهم حتى
تعرفوا له وانكاره اياه قال الزمخشري لطول العهد ومفارقته اياهم
في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم
فيه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه
عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم لكذبوا انفسهم
ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر
منه المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير
في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر لهم انه هو وقيل ما راوه الا من
بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقفوا الا من حيث يقف طلاب
الحوائج ولما جهزهم بجهازهم وكان الجهاز الذي لهم هو الطعام الذي امتاروه
وفي الكلام حذف تقديره وقد كان استوضح منهم انه لهم اخ قعد عند ابيهم
روي انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بان قال لهم ترجمانه
اظنكم جواسيس فاحتاجوا الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل صديق
وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا نحن للميرة
وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف
ولم تخلف احدكم قالوا لمحبة ابينا فيه قال فاتوني بهذا الاخ حتى اعلم
حقيقة قولكم وارى لم احبه ابيكم اكثر منكم ان كنتم صادقين واورد الزمخشري
هذا القصص بالفاظ اخر متقاربة تقارب هذه في المعنى وفي اخره قال
فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا
فيها احد يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة واتوني باخيكم من ابيكم
وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم
وضيافتهم وقال لم يرتهن احدا وروي غير هذا في طلب الاخ من ابيهم
قيل كان يوسف ملثما ابدا سترا لجماله وكان ينقر في الصواع فيفهم
من طنينه صدق ما يحدث او كذبه فسئلوا عن اخبارهم فكلما صدقوا قال
لهم صدقتم فلما قالوا وكان لنا اخ اكله الذيب اطن يوسف الصواع
وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس وكلفهم سوق الاخ الباقي

ليظهر صدقهم ﴿وقرئ﴾ بجهازهم بكسر الجيم وتنكير أخ ولم يقل بأخيكم وإن كان قد عرفه
وعرفهم مبالغة في كونه لا يريد أن يتعرف لهم ولأنه يدري متى ألا ترى فرقا بين مررت
بغلامك ومررت بغلام لك أنك في التعريف تكون عارفا بالغلام وفي التنكير
أنت جاهل به فالتعريف يفيد نوع عهد في الغلام بينك وبين المخاطب والتنكير
لا عهد فيه البتة وجاز أن يخبر عمن يعرفه إخبار النكرة فتقول قال رجل كذا
وأنت تعرفه لصدق إطلاق النكرة على المعرفة ثم ذكر ما يحرضهم به على الإتيان
بأخيهم بقوله ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ أي المضيفين يعني في
قطره وفي زمانه يؤنسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم أن لم يأتوا به بالحرمان
من الميرة في المستقبل واحتمل قوله ﴿ولا تقربون﴾ أن يكون نهيا وأن يكون نفيا مستقبلا
ومعناه النهي وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في فبم تبشرون وأن
يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما
والمعنى أنهم لا يقربون له بلدا ولا طاعة وظاهر كلام ما فعله يوسف عليه السلام
معهم أنه بوحي وإلا فإنه كان يقتضي البر أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه لكن الله
تعالى أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته ولتتفسر الرؤيا الأولى ﴿قالوا سنراود
عنه أباه﴾ أي سنخادعه ونستميله في رفق إلى أن يتركه يأتي معنا إليك
ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلوا ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى
﴿وقرأ﴾ الأخوان وحفص لفتيانه وباقي السبعة لفتيته بالكثرة على مراعاة
المأمورين والقلة على مراعاة المتناولين فهم الخدمة الكايلون أمرهم
بجعل المال الذي اشتروا به الطعام في رحالهم مبالغة في استمالتهم
لعلهم يعرفونها أي يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين فيرغبون
فينا إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم ولعلهم يعرفونها تعليق بالجعل
ولعلهم يرجعون تعليق بترجي معرفة البضاعة بالرجوع إلى يوسف
قيل وكانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل يرجعون متعلق بالمعنى
لعلهم يردون البضاعة وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع
ما يرجعون به وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون
إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل
أخيه بعد ذلك ليتبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة قال ابن عطية ويظهر
أنما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه
إذ هو ملك عادل وهم أهل إيمان ونبوة ۞ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا
يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون
قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا
وهو أرحم الراحمين﴾ ۞ أي رجعوا من مصر مبتدرين بادروا بما كان أهم الأشياء
عندهم من التوطئة لإرسال أخيهم معهم وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم
بإحسان العزيز إليهم من رد بضاعتهم وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز
الذي على أهراء مصر وأنهم استدعى منهم العزيز أن يأتوا بأخيهم حتى يتبين

قوله عز وجل فلما رجعوا

صدقهم أنهم ليسوا جواسيس وقولهم منع منا الكيل إشارة إلى قول يوسف
فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ويكون منع يراد به في المستقبل
وإلا فقد كيل لهم وجاؤوا أباهم بالميرة لكن لما أنذروا بمنع الكيل قالوا منع
وقيل أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من الميرة وهذا أولى لحمل منع على
الماضي حقيقة ولقولهم فأرسل معنا أخانا نكتل ويقويه قراءة يكتل بالياء
أي يكتل أخونا فإنما منع كيل بعيره لغيبته أو يكن سببا للاكتيال فإن
امتناعه في المستقبل بسببه وهي قراءة الأخوين وقرأ باقي السبعة بالنون
أي نرفع المانع من الكيل أو نكتل من الطعام ما نحتاج إليه وضمنوا له حفظه
وحياطته قال هل آمنكم هذا توقيف وتقرير وتألم من فراقه بنيامين ولم
يصرح بمنعه من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان في ابنه
هذا بائتمانه إياهم في حق يوسف قلتم فيه وإنا له لحافظون كما قلتم
في هذا فلخاف أن تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب لم يخف عليه كما خاف
على يوسف واستسلم لله وقال فالله خير حفظا ﴿وقرأ﴾ الأخوان وحفص
حافظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا على التمييز والمنسوب له الخير
هو حفظ الله والحافظ الذي من جهة الله وأجاز الزمخشري أن يكون حافظا
حالا وليس بجيد لأن فيه تقييد خير بهذه الحال ﴿وقرأ﴾ الأعمش خير حافظ
على الإضافة فالله تعالى متصف بالحفظ وزيادته على كل حافظ ﴿وقرأ﴾
أبو هريرة خير الحافظين كذا نقل الزمخشري وقال ابن عطية ﴿وقرأ﴾
ابن مسعود فالله خير حافظا وهو خير الحافظين وينبغي أن تجعل هذه الجملة
تفسيرا لقوله فالله خير حافظا لأنها قراءة وهو أرحم الراحمين اعتراف
بأن الله هو ذو الرحمة الواسعة فأرجو منه حفظه وأن لا يجمع على مصيبته
ومصيبة أخيه ۞ ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم
قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا
ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على
ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم
ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها
وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ۞ ﴿قرأ﴾ علقمة
ويحيى بن وثاب والأعمش ردت بكسر الراء نقل حركة الدال المدغمة إلى الراء
بعد توهم خلوها من الضمة وهي لغة لبني ضبة كما تنقل العرب في قيل
وبيع وحكى قطرب النقل في الحرف الصحيح غير المدغم نحو ضرب زيد بمعنى
المشدود المربوط بجملته متاعا فلذلك حسن الفتح فيه وما نبغي ما فيه
استفهامية أي أي شيء نبغي ونطلب من الكرامة هذه أموالنا ردت إلينا

قوله عز وجل ولما فتحوا

قاله قتادة وكانوا قالوا لابيهم قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقال الزجاج يحتمل ان تكون
ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل ايضا ان تكون نافية من البغي
اي ما افترينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف اجماله واكرامه هذه
البضاعة مردودة وهذا معنى قول الزمخشري ما نبغي في القول ما نتزيد
فيما وصفنا لك من احسان الملك والكرامة وقيل معناه ما نريد منك
بضاعة اخرى وقرأ عبد الله وابو حيوة ما تبغي بالتاء على خطاب يعقوب
ورويها عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحتمل ما في هذه القراءة
الاستفهام والنفي كقراءة النون وقرأت عايشة وابو عبد الرحمن
السلمي وغيرهم بضم النون والجملة من قولهم هذه بضاعتنا ردت الينا
موضحة لقولهم ما نبغي والجمل عليها معطوفة عليها على تقدير فنستظهر بها
ونستعين بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه
شيء مما تخافه واذا كان ما نبغي بمعنى ما نتزيد وما نكذب جاز ان يكون ونمير
معطوفا على ما نبغي اي ما نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت
وجاز ان يكون كلاما مبتدأ وكرر واحفظ الاخ مبالغة في الحض على ارساله
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير على اوساق بعيرنا لانه انما كان حمل
لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه والظاهر ان البعير
هو من الابل وقال مجاهد كيل حمار قال وبعض العرب يقول للحمار
بعير وهذا شاذ والظاهر ان قوله ذلك كيل يسير من كلامهم لا من كلام
يعقوب والاشارة بذلك الظاهر انها الى كيل بعير اي يسير بمعنى
قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او يسير بمعنى سهل
عليه متيسر لا يتعاظمه وقيل يسير عليه ان يعطيه وقال الحسن
وقد كان يوسف عليه السلام وعدهم ان زادهم حمل بعير بغير ثمن قال
الزمخشري اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم فازدادوا اليه
ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون من كلام يعقوب اي حمل بعير واحد شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم انتهى ويعني ان ظاهر الكلام انه
من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام
امرأة العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد
تحميله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب
غير مختار لارسال ابنه والحوا عليه في ذلك علق ارساله باخذ
الموثق عليهم وهو الحلف بالله اذ به تؤكد العهود وتشدد ولتأتنني
به جواب للحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا لي لتأتنني
به وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى تعمكم
الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص وقال
مجاهد الا ان تهلكوا وعنه ايضا الا ان لا تطيقوا ذلك وهذا الاستثناء

من المفعول من اجله مراعى في قوله لتأتنني به وان كان مثبتا معنى النفي لان المعنى
لا تمتنعون من الاتيان به لشيء من الاشياء الا لان يحاط بكم ومثاله من
المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم انشدك الله الا فعلت اي ما انشدك
الا الفعل ولا يجوز ان يكون مستثنى من الاحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا
وان كان صريح المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير لتأتنني به على كل حال
الا الاحاطة بكم لانهم نصوا على ان ان الناصبة للفعل لا تقع حالا وان كانت
مقدرة بالمصدر الذي قد يقع بنفسه حالا فان جعلت ان والفعل واقعة
موقع المصدر الواقع ظرف زمان ويكون التقدير لتأتنني به في كل وقت
الا احاطة بكم اي الا وقت احاطة بكم قلت منع ذلك ابن الانباري فقال
ما معناه يجوز خروجنا صياح الديك اي وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا
ان يصيح الديك ولا ما يصيح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما
يقع ظرفا المصدر المصرح بلفظه واجاز ابن جني ان يقع ان ظرفا كما يقع صريح المصدر
فاجاز في قول تابط شرا

وقالوا لها لا تنكحيه فانه لاول فصل ان يلاقي مجمعا

وقال ابو ذؤيب الهذلي

وتالله ما ان شهلة ام واحد باوجد مني ان يهان صغيرها

ان يكون ان يلاقي تقديره وقت لقائه وان يكون ان يهان تقديره وقت
اهانة صغيرها فعلى ما اجازه ابن جني يجوز ان تخرج الآية ويبقى لتأتنني
به على ظاهره من الاثبات ولا يقدر فيه معنى النفي وفي الكلام حذف تقديره
فاجابوه الى ما طلب فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول من طلب
الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع ونهيه اياهم ان يدخلوا من باب واحد
هو خشية العين وكانوا احد عشر لرجل واحد اهل جمال وبسطة قاله
ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم والعين حق وفي الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي التعوذ ومن كل عين لامة وخطب
الزمخشري فقال لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم
اهل مصر بالقربة عند الملك والكرامة الخاصة التي لم تكن لغيرهم
فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من الوفود وان يشار اليهم بالاصابع
ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان
وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافد
عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة
امرهم في الصدور ويصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في
المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس انتهى ويظهر
ان خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب ان محبوبه فيهم
وهو بنيامين الذي كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم
في الكرة الاولى فاهمل امرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف

وقيل بها انهم خشية ان يستراب بهم لقول يوسف انتم جواسيس وقيل طمع بافتراقهم
ان يتسمعوا خبر يوسف ثم نفى عن نفسه ان يغني عنهم شيئا يعني بوصاته ان الحكم
الا لله اي ليس الذي يحكم وحده وينفذ ما يريد فعليه وحده توكلت ومن حيث
امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة روي انهم لما ودعوا اباهم قال لهم بلغوا ملك
مصر سلامي وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا
وفي كتاب ابي منصور المهراني انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى
وجواب لما قوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء وفيه حجة لمن زعم ان لما
حرف وجوب لوجوب لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كان ظرف زمان
ما جاز ان يكون معمولا لما بعد ما النافية لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو
ويجوز لما قام زيد ما قام عمرو فدل ذلك على ان لما حرف يترتب جوابه على
ما بعده وقال ابن عطية ويجوز ان يكون جواب لما محذوفا مقدرا ثم يخبر
عن دخولهم انه ما كان يغني ومعنى الجملة لم يكن في دخولهم متفرقين دفع قدر
الله الذي قضاه عليهم من تشريفهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان
الصاع في رحله وتزايد مصيبته على ابيهم بل كان اربا ليعقوب قضاه
وتطييبا لنفسه وقيل معنى ما كان يغني عنهم من الله من شيء ما يرد عنهم قدرا
لانه لو قضي ان تصيبهم عين لاصابتهم متفرقين او مجتمعين وانما طمع
يعقوب ان تصادف وصيته قدر السلامة فوصى وقضى بذلك
حاجة نفسه في ان بقي يتنعم برجائه ان تصادف وصيته القدر في
سلامتهم وانه لذو علم يعني لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه
بان القدر لا يدفعه الحذر وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام
وقال قتادة لعامل لما علمناه وقال سفين من لا يعمل لا يكون
عالما ولفظة ذو علم لا تساعد على هذا التفسير وان كان صحيحا في نفسه

المفردات

وقرا الاعمش مما علمناه ٥ **العير** الابل التي عليها الاحمال سميت
بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل
لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به
ما فعل ببيض وعيد والعير مؤنث وقالوا في الجمع عيرات فشذوا في جمعه
بالالف والتاء وفي فتح يائه ٥

وقال الشاعر

غشيت ديار الحي بالبكرات ❊ فعارمة فبرقة العيرات ٥

قال الاعلم العيرات هنا مواضع الاعيار وهي الحمير **الصواع** الصاع
وفيه لغات تاتي في القراآت ويؤنث ويذكر **الوعاء** الظرف الذي
يحفظ فيه الشيء وتضم واوه ويجوز ان تبدل واوه همزة **فتئ** من اخوات
كان الناقصة **قال اوس بن حجر**

فما فتئت حتى كان غبارها ❊ سرادق يوم ذي رياح يرفع

وقال ايضا ٥ فما فتئت خيل تثوب وتدعي ❊ ويلحق منها لاحق وتقطع ٥

ويقال

ويقال فيها افتا على وزن ضرب وافتاء على وزن اكرم وزعم ابن مالك
انها تكون بمعنى سكن واطفا فتكون تامة ورددنا عليه ذلك في شرح التسهيل
وبينا ان ذلك تصحيف منه صحف الثاء بثلث بالتاء بثنتين من فوق
وشرحها يسكن واطفا **الحرض** المشفي على الهلاك يقال حرض فهو حرض
بكسر الراء حرضا بفتحها وهو المصدر ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث
والمفرد والجمع واحرضه المرض فهو محرض **قال الشاعر**

ارى المرء كالاذواد يصبح محرضا ❊ كاحراض بكر في الديار مريض ٥

وقال آخر

اني امرؤ لج بي حب فاحرضني ❊ حتى بليت وحتى شفني السقم ٥

وقالوا رجل حرض بضمتين كجنب وشلل ٥ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه
اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن
جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في
الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ٥ روي انهم قالوا له
هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي
فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخيكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة
فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه
اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت
اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف وقام اليه وعانقه وقال له انا اخوك يوسف فلا تبتئس
فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا
على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك ٥ وعن ابن عباس تعرف اليه انه اخوه وهو
الظاهر وهو قول ابن اسحاق وغيره اعلمه انه اخوه حقيقة واستكتمه
وقال له لا تبال بكل ما تراه من المكروه في تحيلي في اخذك منهم قال
ابن عطية وعلى هذا التاويل يحتمل ان يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله
فتيان يوسف من امر السقاية ونحو ذلك انتهى ولا يحتمل ذلك لانه لو كان
التركيب بما يعملون بغير كان لامكن على بعد لان الكلام انما هو مع اخوة
يوسف واما ذكر فتيانه فبعيد جدا لانه لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله
وقال لفتيانه وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا
لا ينبغي ان يعدل عن ان الضمير عائد اليهم وان ذلك اشارة الى ما كان

قوله عز وجل
ولما دخلوا

يلتقي منهم قديما من الاذى اذ قد امن من ذلك باجتماعه باخيه يوسف
وقال وهب انما اخبر انه اخوه في الود مقام اخيه الذاهب ولم يكشف
اليه الامر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر اخوته والظاهر ان الذي
جعل السقاية في رحل اخيه هو يوسف ويظهر من حيث كونه ملكا انه
لم يباشر ذلك بنفسه بل جعل غيره من فتيانه او غيرهم ان يجعلها وتقدم
قول وهب انه لم يكشف له انه اخوه وانه تركه تجوز عليه الحيلة وروى
انه قال ليوسف انا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي
فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا
يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك
انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال
افعل **وقرأ** عبد الله فيما نقل الزمخشري وجعل السقاية في رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن وفي نقل ابن عطية وجعل السقاية بزيادة
واو في جعل دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله في رحل اخيه
فاحتمل ان تكون الواو زائدة على مذهب الكوفيين واحتمل ان يكون
جواب لما محذوفا تقديره فقدها حافظها كما قيل انما اوحي الى يوسف
ان يجعل السقاية فقط ثم ان حافظها فقدها فنادى برأيه على ما ظهر له
ورجحه الطبري وتفتيش الاوعية يرد هذا القول والذي يظهر ان
تأذين المؤذن كان عن امر يوسف وقال السدي كان هذا الجعل
بغير علم من بنيامين وما تقدم انه كان بعلم منه وقال الجمهور وابن عمر
وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد السقاية اناء يشرب
به الملك وبه كان يكال الطعام للناس وقيل كانت الدواب تسقى بها
ويكال بها وقال ابن جبير الصواع هو مثل المكوك الفارسي وكان اناء يوسف
الذي يشرب فيه وكان الى الطول ما هو قال وحدثني ابن عباس انه
كان للعباس مثله يشرب به في الجاهلية وقال ابن جبير ايضا الصواع المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم والسقاية من فضة
او ذهب او فضة مموهة بالذهب او نحاس او مسك او كانت
مرصعة بالجواهر اقوال اولها للجمهور ولعزة الطعام في تلك الاعوام
قصر كيله على ذلك الاناء ثم اذن مؤذن اي نادى مناد اذن اعلم واذن
اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وثم تقتضي مهلة بين
جعل السقاية والتأذين فروي انه لما فصلت العير باوقارها
وخرجوا من مصر ادركوا وقيل قبل الخروج من مصر
امر بهم فحبسوا واذن مؤذن والظاهر وقول الجمهور ان العير الابل
وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ومناداة العير والمراد اصحابها
كقوله يا خيل الله اركبي ولذلك جاء الخطاب انكم لسارقون فروعي
المحذوف ولم يراع العير كما روعي في اركبي وفي قوله والعير التي اقبلنا

فيها

يدل علي حج

فيها ويجوز ان يطلق العير على القافلة او الرفقة فلا يكون من مجاز الحذف
والذي يظهر ان هذا التحيل ورمي ابرياء بالسرقة وادخال الهم على يعقوب
عليه السلام بوحي من الله لما علم تعالى في ذلك من الصلاح ولما اراد من محنتهم
بذلك ويقويه قوله كذلك كدنا ليوسف وقيل لما كانوا باعوا يوسف
استجيز ان يقال لهم هذا ونسبة السرقة اليهم جميعا وان كان الصواع
انما وجد في رحل واحد منهم كما تقول بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
منهم قالوا اي اخوة يوسف واقبلوا جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم
اي على طالبي السقاية او على المؤذن ان كان اريد به جمع كانه جعل
مؤذنين ينادون وساءهم ان يرموا بهذه المثلبة وقالوا ماذا تفقدون
ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من اول بل سألوا كمال الدعوى
رجاء ان يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام واحتمل ان تكون ماذا
استفهاما منصوبا في موضع نصب بتفقدون واحتمل ان تكون ما وحدها
استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عن ما وتفقدون صلة
لذا والعائد محذوف اي تفقدونه **وقرأ** السلمي تُفقدون بضم التاء
من افقدته اذا وجدته فقيدا نحو احمدته اذا وجدته محمودا وضعف
هذه القراءة ابو حاتم ووجهها ما ذكرناه وصواع الملك هو المكيال
وهو السقاية سماه اولا باحدى جهتيه وآخرا بالثانية **وقرأ** الجمهور صواع بضم
الصاد بعدها واو مفتوحة بعدها الف بعدها عين مهملة **وقرأ** ابو حيوة
والحسن وابن جبير فيما نقل ابن عطية كذلك الا انه كسر الصاد **وقرأ**
ابو هريرة ومجاهد صاع بغير واو على وزن فعل فالالف فيه بدل من الواو
المفتوحة **وقرأ** ابو رجاء صوع على وزن قوس **وقرأ** عبد الله بن عون
ابن ابي ارطبان صوع بضم الصاد وكلها لغات في الصاع **وقرأ** الحسن
وابن جبير فيما نقل عنهما صاحب اللوامح صواغ بالغين معجمة على وزن
غراب **وقرأ** يحيى بن يعمر كذلك الا انه حذف الالف وسكن الواو
وقرأ زيد بن علي صوغ مصدر صاغ وصواغ وصوغ مشتقان من الصوغ مصدر
صاغ يصوغ اقيما مقام المفعول بمعنى مصوغ الملك ولمن جاء به اي لمن دل على
سارقه وفضحه وهذا جعل وانا به زعيم من كلام المؤذن اي وانا بحمل البعير
كفيل اؤديه لمن جاء به واراد به وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله قالوا تالله اقسموا بالتاء لانها يكون فيها التعجب غالبا كانهم
عجبوا من رميهم بهذا الامر وروي انهم ردوا البضاعة التي وجدوها
في الطعام وتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن وكانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح
وعفة وكانوا يجعلون الاكمة في افواه ابلهم لئلا تتناول زروع الناس
فاقسموا على اثبات شيء قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم ان مجيئنا لم يكن لفساد
ثم استأنفوا الاخبار عن نفي صفة السرقة عنهم وان ذلك لم يوجد منهم قط
ويحتمل ان يكون في حيز جواب القسم فيكون معطوفا على قوله لقد علمتم

قال ابن عطية والتاء في تالله بدل من واو كما أبدلت في تراث وفي التوراة
والتخمة ولا تدخل التاء في القسم إلا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى
وغير ذلك لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم انتهى أما قوله والتاء في تالله بدل
من واو فهو قول أكثر النحويين وخالفهم السهيلي فزعم أنها أصل بنفسها وليست
بدلا من واو وهو الصحيح على ما قررناه في النحو وأما قوله وفي التوراة فعلى
مذهب البصريين إذ زعموا أن الأصل وورية من وري الزند ومن النحويين من
زعم أن التاء زائدة وذلك مذكور في النحو وأما قوله ولا تدخل إلى آخره فقد
حكي عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة
وتالرحمن وتحياتك والخطاب في لقد علمتم لطالبي الصواع والضمير في جزاؤه
عائد على السارق أي فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين
قاله ابن عطية وقال الزمخشري فما جزاؤه الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته
إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه انتهى وقوله هو الظاهر لاتحاد
الضمائر في قوله قالوا جزاؤه من وجد في رحله إذ التقدير إذ ذاك قالوا جزاء
الصاع أي سرقته من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله
كلام من لم يشك أنهم براء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على
وجدان الصاع لا على سرقته فكأنهم يقولون لا يمكن أن نسرق ولا يمكن أن يوجد
الصاع في رحالنا وكان في دين يعقوب استعباد السارق قال الزمخشري
سنة وكان في دين مصر أن يضرب ويضعف عليه الغرم ولذلك أجابوا
على شريعتهم وجوزوا في إعراب هذا الكلام وجوها **أحدها** أن يكون جزاؤه
مبتدأ ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان وفهو جزاؤه جواب الشرط أو خبر
من الموصولة والجملة من قوله من وجد إلى آخره خبر المبتدأ الأول والضمير
في قالوا جزاؤه للسارق قاله ابن عطية وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة
خبرا عن جزاؤه من رابط **الثاني** أن المعنى قالوا جزاء سرقته ويكون جزاؤه
مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر
والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول
لصاحبك من أخو زيد فتقول أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول
إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للظاهر مقام المضمر قاله الزمخشري
ووضع الظاهر موضع المضمر للربط إنما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل
وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه وقال
لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام وكان ههنا ضعيفا ولم
يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لأنك قد استغنيت عن إظهاره وإنما
ينبغي لك أن تضمره **الثالث** أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف
أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما
يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله
منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قاله الزمخشري وهو متكلف إذ تصير

الجملة من قوله المسؤول عنه جزاؤه على هذا التفسير ليس فيه كبير فائدة إذ
قد علم من قوله فما جزاؤه أن الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته فأي فائدة في نطقهم
بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي **الرابع** أن يكون
جزاؤه مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله أي أخذ من وجد
في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه
لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك جزاؤه أو فهو حقه
ليقرر ما ذكرته من استحقاقه قاله الزمخشري وقال معناه ابن عطية إلا أنه
جعل القول الواحد قولين قال ويصح أن يكون من خبرا على أن المعنى جزاء
السارق من وجد في رحله والضمير في رحله عائد على من ويكون قوله فهو جزاؤه
زيادة بيان وتأكيد ثم قال ويحتمل أن يكون التقدير جزاؤه استرقاق
من وجد في رحله ثم يؤكد بقوله فهو جزاؤه وهذا القول هو الذي قبله غير
أنه أبرز المضاف المحذوف في قوله استرقاق من وجد في رحله وفيما قبله
لا بد من تقديره لأن الذات لا تكون خبرا عن المصدر فالتقدير في القول قبله
جزاؤه أخذ من وجد في رحله إذ استرقاق وهذا لا بد منه على هذا الإعراب
وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف كذلك أي مثل ذلك الجزاء
وهو الاسترقاق نجزي الظالمين أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة

قوله عز وجل فبدأ بأوعيتهم

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء
وفوق كل ذي علم عليم قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى
يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين
الحيلة وإبقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا
فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا
فاستخرجوه منه **وقرأ** الحسن من وعاء بضم الواو وجاء كذلك عن نافع
وقرأ ابن جبير من إعاء بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح
وإسادة في وشاح ووسادة وذلك مطرد في لغة هذيل يبدلون من
الواو المكسورة الواقعة أولا همزة وأنث في قوله ثم استخرجها على
معنى السقاية أو لكون الصواع يذكر ويؤنث وقال أبو عبيد يؤنث
الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صواع وكأن أبا عبيد لم
يحفظ تأنيث الصواع وقيل الضمير في قوله ثم استخرجها عائد على السرقة
كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه
وأوحينا به إليه وقال الضحاك والسدي كدنا صنعنا قال ابن عطية
وأضاف الله تعالى الكيد إلى ضميره لما أخرج القدر الذي أباح ليوسف
أخذ أخيه مخرج ما هو في اعتقاد الناس كيد وفسر ابن عباس في دين

الملك بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم انتهى قال الزمخشري ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر
وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء
الله الا بمشيئته واذنه وقال ابن عطية والاستثناء حكاية حال التقدير
الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة انتهى والذي يظهر انه استثناء منقطع
اي لكن بمشيئة الله أخذه في دين غير الملك وهو دين آل يعقوب ان الاسترقاق
جزاء السارق **وقرأ** الكوفيون وابن محيصن نرفع بنون درجات
منونا من نشاء بالنون وباقي السبعة كذلك الا انهم اضافوا درجات
وقرأ يعقوب بالياء في يرفع ويشاء اي يرفع الله درجات من يشاء رفع
درجاته **وقرأ** عيسى البصرة نرفع درجات منونا من يشاء بالياء قال
صاحب اللوامح وهذه قراءة مرغوب عنها تلاوة وجملة وان لم يمكن انكارها
وقال ابن عطية **وقرأ** الجمهور نرفع على ضمير المعظم وكذلك نشاء **وقرأ**
الحسن وعيسى ويعقوب بالياء اي الله تعالى انتهى ومعناه في العلم كما رفعنا
درجة يوسف فيه وعليم صفة مبالغة وقوله ذي علم اي عالم فالمعنى
ان فوقه ارفع منه درجة في علمه وهذا معنى قول الحسن وقتادة وابن عباس
وعنه ان العليم هو الله عز وجل قيل وروي عنه انه حدث بحديث عجيب
فتعجب منه رجل ممن حضر فقال الحمد لله وفوق كل ذي علم عليم فقال له
ابن عباس بئس ما قلت انما العليم الله وهو فوق كل ذي علم **وقرأ** عبد الله
وفوق كل ذي عالم فخرجت على زيادة ذي او على ان قوله عالم مصدر بمعنى علم
كالباطل او على ان التقدير وفوق كل ذي شخص عالم وروي ان اخوة يوسف
لما رأوا اخراج الصواع من رحل اخيهم بنيامين قالوا يا بنيامين بن راحيل
قبحك الله ولدت امك اخوين لصين كيف سرقت هذه السقاية فرفع
يديه الى السماء فقال والله ما فعلت فقالوا فمن وضعها في رحلك قال
الذي وضع البضاعة في رحالكم وقال الزمخشري ما معناه رموا بالسرقة
تورية عن ما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وان كنتم كاذبين فرض لانتفاء
براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح به كما صرح بالتسريق لكان له
وجه لانهم قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب والكيد حكم
الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله وخذ
بيدك ضغثا فيتخلص من جلدها ولا يحنث وقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد
الكافر وعلم الله في هذه الحيلة التي لقنها ليوسف عليه السلام مصالح
عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة انتهى وقولهم
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل لا يدل على الجزم بانه سرق بل اخرجوا ذلك
مخرج الشرط اي ان كان وقعت منه سرقة فتاسى بمن سرق قبله فقد سرق
اخ له من قبل والتعليق على الشرط على ان السرقة في حق بنيامين واخيه
لم تثبت مجزوما بها كانهم قالوا ان كان هذا رمي به بنيامين حقا فالذي

بالنون

رمي به

رمي به يوسف من قبل حق لكنه قوي الظن عندهم في حق يوسف بما ظهر لهم
انه خرى من بنيامين ولذلك قالوا ان ابنك سرق وقيل حققوا السرقة في جانب
بنيامين واخيه بحسب ظاهر الامر فكانهم قالوا ان كان قد سرق فغير بدع من
ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء على
يوسف وبنيامين وقيل التقدير فقد قيل عن يوسف انه سرق
وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والاخبار بامر جرى لتزول المعرة عنهم
وتختص بالشقيقين وتنكير اخ في قوله فقد سرق اخ له من قبل لان
الحاضرين لا علم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه والجمهور على ان السرقة
التي نسبت هي ان عمته ربته وشب واراد يعقوب اخذه فاشفقت
من فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها
من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت فقدت المنطقة ففتشت فوجدت
عند يوسف فاسترقته حسبما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار
عند ابيه وقال قتادة وابن جبير امرته امه ان يسرق صنما وفي كتاب
الزجاج من ذهب لابيها فسرقه وكسره وكان ذلك منهما تغييرا للمنكر وقال
ابن ادريس عن ابيه انما اكل بنو يعقوب طعاما فاخذ يوسف عرقا فخباه
وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل **وقرأ** احمد
ابن جبير الانطاكي وابن ابي سريج عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب
وغيرهم فقد سُرِّق بالتشديد مبنيا للمفعول بمعنى نسب الى السرقة
بمعنى جعل سارقا ولم يكن كذلك حقيقة والضمير في قوله فاسرها يفسره
سياق الكلام اي الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم كما فسر في **قول**
حاتم لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقيل اسر المجازاة وقيل الحجة وقال الزمخشري اضمار على شريطة التفسير
تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم
الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله
وقرأ عبد الله وابن ابي عبلة فاسره بضمير تذكير قال الزمخشري
يريد القول او الكلام انتهى والظاهر من قوله انتم شر مكانا خطابهم بهذا
القول في الوجه فكانه اسر كراهية مقالتهم ثم وبخهم بقوله انتم شر مكانا
وفيه اشارة الى تكذيبهم وتقويه انهم تركوا ان يشفعوا باخيهم وعدلوا الى
الشفاعة بابيه الشيخ يعقوب عليه السلام وقال قوم لم يقل يوسف
هذا الكلام لهم مواجهة انما قاله في نفسه وهو تفسير قوله الذي اسر في
نفسه وهو قول الزمخشري المتقدم ومعنى شر مكانا اي منزلة في السرق
لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم ومعنى اعلم بما تصفون
يعني هو اعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق الامور وكيف كانت سرقة
اخيه التي احلتم سرقته عليه وروي ان روبيل غضب ووقف شعره
حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بعض بنيه ان يمسه فسكن غضبه فقال

روبيل لقد مسني احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا في محاربة يوسف
وكانوا اهل قوة لا يدانون في ذلك فلما احس يوسف بذلك قام الى روبيل
فلقفه وصرعه فرأوا من قوته ما استعظموه وعند ذلك ۞ قالوا يا ايها العزيز

قوله عز وجل قالوا يا ايها العزيز

ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان
نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون ۞ استعطفوا يوسف
اذ كان قد اخذ عليهم الميثاق ومعنى كبيرا في السن او القدر وكانوا قد اعلموا يوسف
بانه كان له ابن قد هلك وهذا شقيقه يستأنس به وخاطبوه بالعزيز اذ كان في
تلك الخطة بعزل قطفير او موته على ما سبق ومعنى مكانه اي بدله على جهة
الاسترهان او الاستعباد قاله الزمخشري وقال ابن عطية يحتمل قولهم
او يكون مجازا وهم يعلمون انه لا يصح اخذ حر بسارق بدل من قد احكمت السنة رقه
وانما هذا كما تقول لمن تكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وانت لا تريد
ان يقتلك ولكنك تبالغ في استنزاله وعلى هذا يتجه قول يوسف معاذ الله
لانه تعوذ من غير جائز ويحتمل ان يكون قولهم حقيقة وبعيد عليهم وهم انبياء ان يريدوا
استرقاق حر فلم يبق الا ان يريدوا بذلك الحمالة اي خذ احدنا حتى ينصرف اليك
صاحبك ومقصدهم بذلك ان يصل بنيامين الى ابيه ويعرف يعقوب جلية
الامر وقوله من المحسنين وصفوه بما شاهدوه من احسانه لهم ولغيرهم او من
المحسنين الينا في هذه اليد ان اسديتها الينا وهذا تأويل ابن اسحق ومعاذ
الله تقدم الكلام في قوله معاذ الله انه ربي والمعنى وجب على قضية فتواكم
اخذ من وجدنا الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين
واحتباسه لمصلحة او مصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه
كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي وان نأخذ تقديره من ان نأخذ واذن
جواب وجزاء اي ان اخذنا بدله ظلمنا وروي انه قال لما ايأسهم
من حملة من معهم اذا اتيتم اباكم فاقرؤوا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر
يدعو لك ان لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان في ارض مصر صديقين
مثله ۞ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم

قوله عز وجل فلما استيأسوا

قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض
حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ۞
واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا
انه هو العليم الحكيم ۞ استفعل هنا بمعنى المجرد يئس واستيأس بمعنى واحد
نحو سخر واستسخر وعجب واستعجب وزعم الزمخشري ان زيادة السين
والتاء في المبالغة قال نحو ما مر في استعصم انتهى وقرأ ابن كثير استايسوا
استفعلوا من ايس مقلوبا من يئس ودليل القلب كون ياء ايس لم تنقلب الفا

لتحركها

لتحركها وانفتاح ما قبلها ومعنى خلصوا نجيا انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضا
والنجي فعيل بمعنى مفاعل كالخليط والعشير وبمعنى المصدر الذي هو التناجي
كما قيل النجوى بمعنى التناجي وهو لفظ يوصف به من له نجوى واحدا كان
او جماعة مؤنثا او مذكرا فهو كعدي ويجمع على انجية ۞

قال لبيد ۞

۞ وشهدت انجية الخلافة عاليا ... كعبي وارداف الملوك شهود ۞

وقال آخر اني اذا ما القوم كانوا انجيه ۞ وتقول
قوم نجي وهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يكون هم نجي من
باب هم صديق لانه بزنة المصادر وتمحضوا للتناجي ينظرون ماذا يقولون
لابيهم في شأن اخيهم لهذا الذي دهمهم من الخطب فيه فاحتاجوا الى التشاور
وكبيرهم اي رأيا وتدبيرا وعلما وهو شمعون قاله مجاهد وكبيرهم في السن
وهو روبيل قاله قتادة وقيل في العقل والرأي وهو يهوذا ذكرهم الميثاق
في قول يعقوب لتأتنني به الا ان يحاط بكم وما زائدة اي ومن قبل هذا
فرطتم في يوسف ومن قبل متعلق بفرطتم وقد جوزوا في اعرابه وجوها **احدها**
ان تكون ما مصدرية اي ومن قبل تفريطكم قال الزمخشري على ان محل المصدر الرفع
على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف
وقال ابن عطية ولا يجوز ان يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم وانما تكون على هذا
مصدرية والتقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله
من قبل انتهى وهذا وقول الزمخشري راجع الى معنى واحد وهو ان ما فرطتم بتقدير مصدر
مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا عن قاعدة عربية وحق لهما ان يذهلا
وهو ان هذه الظروف التي هي غايات اذا بنيت لا تقع اخبارا للمبتدأ جرت
او لم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمرو وزيد
خلفه ولا يقال عمرو وزيد خلف وعلى ما ذكراه يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل
خبر وهو مبني وذلك لا يجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب ابو علي الى
ان المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر اي كائن او مستقر في يوسف
والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لانه في موضع خبر واجاز الزمخشري
وابن عطية ان تكون ما مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير الم
تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا من الله وتفريطكم في يوسف وقدره الزمخشري
وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهبا اليه ليس بجيد لان فيه الفصل
بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير
ضربت زيدا وبسيف عمرا وقد زعم ابو علي الفارسي انه لا يجوز ذلك الا في ضرورة
الشعر واما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف فلا يجوز لان فيه تقديم
معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه وهو لا يجوز واجازوا ايضا ان
تكون موصولة بمعنى الذي قال الزمخشري ومحله الرفع او النصب على الوجهين
انتهى يعني بالرفع ان يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد ذكرنا ان ذلك لا يجوز ويعني

بالنصب أن يكون عطفا على المصدر المنسبك من قوله أن أباكم قد أخذ وفيه الفصل
بين حرف العطف الذي هو الواو وبين المعطوف وأحسن هذه الأوجه ما بدأنا به من
كون ما زائدة وبرح التامة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر ومنه برح الخفاء أي ظهر وذهب
لا ينتصب الظرف المكاني المختص بها إنما تصل إليه بوساطة في فاحتيج إلى اعتقاد
تضمين برح معنى فارق فانتصب الأرض على أنه مفعول به ولا يجوز أن تكون ناقصة
لأنه لا ينعقد من اسمها والأرض المنصوب على الظرف مبتدأ وخبر لأنه لا يصل إلا بحرف
في لو قلت زيد الأرض لم يجز وعنى بالأرض أرض مصر التي فيها الواقعة ثم غيّى
ذلك بغايتين إحداهما خاصة وهي قوله حتى يأذن لي أبي يعني في الانصراف إليه
والثانية عامة وهي قوله أو يحكم الله لي لأن إذن الله له هو من حكم الله له
في مفارقة أرض مصر وكأنه لما علق الأمر بالغاية الخاصة رجع إلى نفسه
فأتى بغاية عامة تفويضا لحكم الله تعالى ورجوعا إلى من له الحكم حقيقة
ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سجنها في القطر الذي أداه إلى سخط
أبيه إبلاء لعذره وحكم الله له يجمع أنواع العذر كالموت وخلاص أخيه
أو انتصافه ممن أخذ أخيه وقال أبو صالح أو يحكم الله لي بالسيف وغير ذلك
والظاهر أن أو يحكم معطوف على يأذن وجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن بعد
أو في جواب النفي وهو فلن أبرح أي إلا أن يحكم الله لي كقولك لألزمنك أو
تقضيني حقي أي إلا أن تقضيني ومعناها ومعنى الغاية متقاربان روي أنهم
لما وصلوا إلى يعقوب أخبروه بالقصة فبكى وقال يا بني ما تذهبون عني
مرة إلا نقصتم ذهبتم فنقصتم شمعون حيث ارتهن ثم ذهبتم فنقصتم بيامين
وروبيل والظاهر أن الأمر بالرجوع هو قول كبيرهم وقيل من قول يوسف لهم
الجمهور سرق ثلاثيا مبنيا للفاعل إخبارا بظاهر الحال ابن عباس
وأبو رزين والكسائي في رواية سُرِّق بتشديد الراء مبنيا للمفعول لم يقطعوا
عليه بالسرقة بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة ويكون معنى وما شهدنا
إلا بما علمنا من التسريق وما كنا للغيب أي للأمر الخفي حافظين أسرق بالصحة
أم دس الصاع في رحله ولم يشعر الضحاك سارقا اسم فاعل وعلى
قراءة سرق وسارق اختلف التأويل في قوله إلا بما علمنا قال الزمخشري
بما علمنا من سرقته وتيقنا لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا
وقال ابن عطية أي وقلنا لك إن ابنك سرق إنما هي شهادة عندك بما علمناه
من ظاهر ما جرى والعلم في الغيب إلى الله ليس ذلك في حفظنا هذا قول
ابن إسحق وقال ابن زيد أراد وما شهدنا به عند يوسف أن السارق
يسترق في شرعك إلا بما علمنا من ذلك وما كنا للغيب حافظين أن السرقة
تخرج من رحل أحدنا بل حسبنا أن ذلك لا يكون البتة فشهدنا عنده حين
سألنا بعلمنا ويحتمل قوله وما كنا للغيب حافظين أي حين واثقناك
إنما قصدنا أن لا يقع منا نحن في جهته شيء تكرهه ولم نعلم الغيب في أنه
سيأتي هو بما يوجب رقه وقال الزمخشري وما كنا للغيب حافظين

وما

وما علمنا أنه يسرق حين أعطيناك الموثق أو وما علمنا أنك تصاب كما أصبت
بيوسف ومن غريب التفسير أن معنى قولهم للغيب لليل والغيب الليل
بلغة حمير وكأنهم قالوا وما شهدنا إلا بما علمنا من ظاهر حاله وما كنا بالليل
حافظين لما يقع من سرقته هو أو التدليس عليه وفي الكلام حذف تقديره
فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا ثم استشهدوا بأهل
القرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس أي أرسل إلى القرية وسل عن كنه القصة
والعير كانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء والظاهر
أن ذلك على إضمار أهل كأنه قيل وسل أهل القرية وأهل العير إلا أن أريد
بالعير القافلة فلا إضمار في قوله والعير وأحالوا في توضيح القصة على ناس
حاضرين الحال فيشهدون بما سمعوا وعلى ناس غيب يرسل إليهم فيسألون
وقالت فرقة بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة من حيث هو نبي
فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة وحذف المضاف هو قول الجمهور قال ابن عطية وهذا
مجاز وحكى أبو المعالي عن بعض المتكلمين أنه قال هذا من الحذف وليس من المجاز
قال وإنما المجاز لفظة استعيرت لغير ما هي له قال وحذف
المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره وحكي أنه قول
الجمهور أو نحو هذا انتهى وفي المحصول لأبي عبد الله محمد الرازي وفي مختصراته
أن الإضمار والمجاز متباينان ليس أحدهما قسما من الآخر وبل للإضراب
فيقتضي كلاما محذوفا قبلها حتى يصح الإضراب فيها وتقديره ليس الأمر حقيقة
كما أخبرتم بل سولت قال ابن عطية والظاهر أن قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا
إنما هو ظن سوء بهم كما كان في قصة يوسف قبل فاتفق أن صدق ظنه هناك
ولم يتحقق هنا وقال الزمخشري بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه وإلا فما
أدري ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم وتقدم شرح
سولت وإعراب فصبر جميل ثم ترجى من الله أن يجمعهم عليه وهم يوسف وبنيامين
وكبيرهم على الخلاف الذي فيه وترجي يعقوب للرؤيا التي رآها يوسف فكان
ينتظرها ويحسن ظنه بالله في كل حال ولما أخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له برؤية
ابنه ووصفه الله بهاتين الصفتين لائق بما يرجوه تعالى من لقاء بنيه
وتسليم لحكمة الله فيما جرى عليه ۝ وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى
تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم
من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا
من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۝ وتولى عنهم
أي أعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به وأنه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل
يتفجع ويتأسف قال الحسن خصت هذه الأمة بالاسترجاع ألا ترى
إلى قول يعقوب يا أسفا ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك
فاحضر والظاهر أنه مضاف إلى ياء المتكلم قلبت ألفا كما قالوا في يا غلامي يا غلاما

قوله عز وجل وتولى عنهم

وقيل هو على الندبة وحذف الهاء التي للسكت قال الزمخشري والتجانس بين
لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم
الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا
من سبأ بنبأ ويسمى هذا التجنيس التصريف وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن
الاخرى بحرف وذكر يعقوب ما دهاه من امر بنيامين والقائل لن ابرح الارض
فقدان يوسف فتأسف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لانه هو الذي لا يعلم
احي هو ام ميت بخلاف اخويه ولانه كان اصلا لرزاياه عنده اذ ترتب عليه
وكان احب اولاده اليه وكان دائما يذكره ولا ينساه وابيضاض عينيه من
توالي العبرة فينقلب سواد العين الى بياض كدر والظاهر انه كان عمي لقوله
فارتد بصيرا وقال وما يستوي الاعمى والبصير فقابل البصير بالاعمى
وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكاء
المتوالي وهو ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن
وقرأ ابن عباس ومجاهد من الحزن بفتح الحاء والزاي وقتادة بضمهما
وقرأ الجمهور بضم الحاء واسكان الزاي والكظيم اما للمبالغة وهو الظاهر
اللائق بحال يعقوب اي شديد الكظم كما قال والكاظمين الغيظ ولم يشك
يعقوب الى احد وانما كان يكتمه في نفسه ويمسك همه في صدره فكان
يكظمه اي يرده الى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر واما
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال في يونس
اذ نادى وهو مكظوم قال ابن عطية وانما يتجه على تقدير انه مليء بحزنه فكانه
كظم حزنه في صدره وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود وروي انه ما جفت
عيناه من فراق يوسف الى لقائه ثمانين عاما وان وجده عليه وجد سبعين
ثكلى واجره اجر مائة شهيد وقال الزمخشري فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ولا يظهر ما يسوءهم انتهى وقد ذكرنا ان فعيلا بمعنى مفعول لا ينقاس وجواب القسم
تفتؤ حذفت منه لا وحذفها جائز والمعنى لا تزال وقال مجاهد لا تفتر من حبه
كانه جعل الفتوء والفتور اخوين والحرض الذي قد دنا موته قال مجاهد ما دون
الموت وقال قتادة البالي الهرم وقال نحوه الضحاك والحسن وقال
ابن اسحق الفاسد الذي لا عقل له وكانهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد الرأي
اي لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك او الى ان تهلك فقال
هو انما اشكو بثي وحزني الى الله اي لا اشكو الى احد منكم ولا غيركم وقال
ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطيق حمله فيبثه
اي ينشره وقرأ الحسن وعيسى وحزني بفتحتين وقرأ قتادة بضمتين
واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتي بالفرج من حيث
لا احتسب قاله الزمخشري وقال ابن عطية ويحتمل انه اشار الى الرؤيا المنتظرة
او الى ما وقع في نفسه من قول ملك مصر اني ادعو له برؤية ابنه قبل الموت وقيل
رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا هو حي

فاطلبه

فاطلبه اذهبوا امر بالذهاب الى الارض التي جاء منها وترك بها اخويه بنيامين
والمقيم بها وامرهم بالتحسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس ويستعمل في الخير
والشر وقرئ بالجيم كالذي في الحجرات ولا تجسسوا والمعنى فتحسسوا نبأ من
امر يوسف واخيه وانما خصهما لان الذي اقام وقال فلن ابرح الارض
انما اقام مختارا وقرأ الجمهور تيأسوا وقرأ تأيسوا وقرأ الاعرج تيئسوا
بكسر التاء وروح الله رحمته وفرجه وتنفيسه وقرأ عمر بن عبد العزيز والحسن
وقتادة من روح الله بضم الراء قال ابن عطية وكان معنى هذه القراءة لا تيأسوا من
حي معه روح الله الذي وهبه فان من بقي روحه يرجى ومن هذا
قول الشاعر وفي غير من قد وارت الارض فاطمع ومن هذا
قول عبيد بن الابرص

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

وقال الزمخشري من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد انتهى
وقرأ ابي من رحمة الله وعبد الله من فضل الله وكلاهما تفسير لا قرآن وكان
اليأس من رحمة الله من صفات الكافر اذ فيه التكذيب بالربوبية او الجهل
بصفات الله المزجاة المدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب

المفردات

وقال حاتم الطائي

ليبك على ملحان ضيف مدفع وارملة تزجي مع الليل ارملا

الايثار لفظ يعم جميع التفضيل وانواع العطايا التثريب التأنيب
والعتب وعبر بعضهم عنه بالتعيير ومنه اذا زنت امة احدكم فليجلدها ولا يثرب
اي لا يعير واصله من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة
الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بهاء الوجه
الفند الفساد قال الشاعر

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند

وفندت الرجل افسدت رأيه ورددته

قال الشاعر

يا عاذلي دعا لومي وتفنيدي فليس ما قلت من امر بمردود

وافند الدهر فلانا افسده قال ابن مقبل

دع الدهر يفعل ما اراد فانه اذا كلف الافناد بالناس افندا

القديم الذي مرت عليه اعصار وهو مرسي البدو البادية وهي خلاف الحاضرة

قوله عز وجل فلما دخلوا عليه

فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة
مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون في الكلام حذف تقديره
فذهبوا من الشام الى مصر ودخلوها فلما دخلوا عليه والضمير في عليه عائد على يوسف

وكان أكثر ما جاءوا به فيه شكوى ما أصابهم من الجهد قبل ما وصاتهم به من تحسيس نبأ يوسف وأخيه والضر الهزال من الشدة والجوع والبضاعة كانت زيوفا قاله ابن عباس وقال الحسن قليلة وقال ابن جبير ناقصة وقيل كانت عروضا قيل كانت صوفا وسمنا وقيل صنوبر وحبة الخضراء وهي الفستق قاله أبو صالح وزيد ابن أسلم وقيل سويق المقل والأقط وقيل قديد وحش وقيل حبال وأعدال وأقتاب ثم التمسوا منه إيفاء الكيل وقد استدل بهذا أن الكيل على البائع ولا دليل فيه وتصدق علينا أي بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة قيل لأن الصدقات محرمة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم قال الزمخشري والظاهر أنهم تمسكنوا وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه انتهى وقيل كانت الصدقة محرمة ولكن قالوها تجوزا استعطافا منهم له في المبايعة كما تقول لمن ساومته في سلعة هبني من ثمنها كذا فلم تقصد أن تهبك وإنما حسنت معه الأفعال حتى يرجع معك إلى سومك وقال ابن جريج إنما خصوا بقولهم وتصدق علينا أمر أخيهم بنيامين أي أوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا برد أخينا على أبيه وقال النقاش في قوله إن الله يجزي المتصدقين هو من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب وذلك أنهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا على غير دينهم ولو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك في دينك فيصدقنا في ظنهم كذبوا فقالوا له لفظا يوهم أنهم أرادوه ويصح لهم إخراجه منه بالتأويل وروي أنهم لما قالوا له مسنا وأهلنا الضر واستعطفوه رق لهم ورحمهم قال ابن إسحاق وارفض دمعه باكيا فشرع في كشف أمره إليهم فروي أنه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أي من التفريق بينهما في الصغر وأذايته بإثر بنيامين بعد تغييب يوسف وكانوا يذلونه ويشتمونه قال ابن عطية ونسبهم إما إلى جهل المعصية وإما إلى جهل الشباب وقلة الحنكة وقال الزمخشري أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين وإيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها انتهى وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما فعلوا ما لا يقتضيه العلم ويقدم عليه إلا الجاهل سماهم جاهلين وفي التحرير ملخصا منه وهو أن قوله

الجمهور هل علمتم استفهام معناه التقرير والتوبيخ ومراده تعظيم الواقعة أي ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف كما يقال هل تدري من عصيت وقيل هل بمعنى قد لأنهم كانوا عالمين وفعلتم بيوسف إفراده من أبيهم وقولهم بأن الذئب أكله وإلقاؤه في الجب وبيعه بثمن بخس إن كانوا هم الذين باعوه وقولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل والذي فعلوا بأخيه إذايتهم له وجفاؤهم له واتهامه بسرقة الصاع وتعييرهم بأنه سرق ولم يذكر لهم ما آذوا به أباهم تعظيما لقدره وتفخيما لشأنه أن يذكره لتفضحه مع نفسه وأخيه قال ابن عباس والحسن جاهلون صبيان وقال مقاتل مذنبون وقيل جاهلون بما يجب به من بر الأب وصلة الرحم وترك الهوى وقيل جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف وقيل جاهلون بالفكر في العاقبة وعدم النظر في المصلحة وقال المفسرون وغرض يوسف توبيخ إخوته وتنبيههم على ما فعلوا في حق أبيهم وفي حق أخويهم قاله والصحيح أنه قال ذلك تأنيسا لقلوبهم وبسط عذر كأنه قال إنما أقدمكم على ذلك الفعل القبيح جهالة الصبا والغرور وكأنه لقنهم الحجة كقوله ما غرك بربك الكريم وما حكاه ابن الهيصم في قصته من أنه صلبهم والثعلبي في حكايته أنه غضب عليهم فأمر بقتلهم فبكوا وجزعوا فرق لهم وقال هل علمتم الآية لا تصح البتة وكان يوسف ممن رزق خلق الله وأشفقهم على الأجانب فكيف مع إخوته ولما اعترفوا بالخطأ قال لا تثريب عليكم الآية ۝ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ۝ لما خاطبهم بقوله هل علمتم أدركوا أنه لا يستفهم ملك لم يتشأ عندهم ولا يتتبع أحوالهم ولبس منهم فيما يظهر إلا وعنده علم بحالهم فيقال إنه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ما حوله من نور تبسمه أو رأوا المعة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها لأبيه وجده وسارة فتوسموا أنه يوسف واستفهموه استفهام استخبار وقيل استفهام تقرير لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها قال الزمخشري **فإن قلت** كيف عرفوه **قلت** رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر **وقرأ** الجمهور أإنك على الاستفهام والخلاف في تحقيق الهمزتين أو تليين الثانية وإدخال ألف في التليين أو التحقيق مذكور في القراءات السبع **وقرأ** قتادة وابن محيصن وابن كثير إنك بغير همزة استفهام والظاهر أنها مرادة ويبعد حمله على الخبر المحض وقد قاله بعضهم لتعارض الاستفهام والخبر إن اتحد القائلون في القول وهو الظاهر فإن

قوله عز وجل قالوا أإنك

قدر ان بعضًا استفهم وبعضا أخبر ونسب في كل من القرائتين الي المجموع قول بعضهم
امكن وهو مع ذلك بعيد **وقرأ** ابي أئنك او انت يوسف وخرجه ابن جني
علي حذف خبر ان وقدره ائنك لغير يوسف او انت يوسف وقدره الزمخشري
أئنك يوسف او أنت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال
وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو تكرار الاستثبات انتهي وحكي ابو عمرو
الداني في قراءة ابي بن كعب قالوا او انت يوسف وفي قراءة الجمهور ائنك
لانت يجوز ان تكون اللام دخلت علي انت وهو فصل وخبر ان يوسف كما تقول
ان كان زيد لهو الفاضل ويجوز ان تكون دخلت علي انت وهو مبتدأ ويوسف
خبره والجملة في موضع خبر ان ولا يجوز ان تكون انت توكيدا للضمير
الذي هو اسم ان لحيلولة اللام بينهما ولما استفهموه اجابهم فقال
انا يوسف كاشفا لهم امره وزادهم في الجواب قوله وهذا اخي
لانه سبق قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان في ذكر اخيه
بيان لما سالوا عنه وان كان معلوما عندهم وتوطئة لما ذكر بعد
من قوله قد من الله علينا اي بالاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة
ثم ذكر ان سبب من الله هو بالتقوي والصبر والاحسن ان لا يخص التقوي
بحالة ولا الصبر وقال مجاهد من يتق في ترك المعصية ويصبر في السجن
وقال النخعي من يتق الزنا ويصبر علي العزوبة وقيل من يتق الله ويصبر
علي المصائب وقال الزمخشري من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر
عن المعاصي وعلي الطاعات وقيل من يتق معاصي الله ويصبر علي
اذي الناس وهذه كلها تخصيصات بحسب حالة يوسف ونوازله
وقرأ قنبل من يتقي فقيل هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة
وهذه الياء اشباع وقيل جزمه بحذف الحركة علي لغة من يقول لم يرمي
زيد وقد حكوا ذلك لغة وقيل هو مرفوع ومن موصول بمعني الذي وعطف
عليه مجزوم وهو ويصبر وذلك علي التوهم كانه توهم ان من شرطية
وتتقي مجزوم وقيل ويصبر مرفوع عطفا علي مرفوع وسكنت الراء لا للجزم
بل لتوالي الحركات وان كان ذلك من كلمتين كما سكنت في يامركم ويشعركم
ويعولتهن او مسكنا للوقف واجري الوصل مجري الوقف
والاحسن من هذه الاقوال ان يكون يتقي مجزوما علي لغة وان كانت قليلة
ولا يرجع الي قول الفارسي قال وهذا مما لا يحمل عليه لانه انما يجي في الشعر
لا في الكلام لان غيره من رؤساء النحويين قد نقلوا انه لغة والمحسنين
عام يندرج فيه من تقدم او وضع موضع الضمير لاشتماله علي المتقين
والصابرين كانه قيل لا نضيع اجرهم وآثرك فضلك بالملك او بالصبر
والعلم قاله ابن عباس او بالحلم والصفح ذكره ابو سليمان الدمشقي او
بحسن الخلق والخلق والعلم والحلم والاحسان والملك والسلطان
ويصبرك علي اذايتنا قاله صاحب الغنيان او بالتقوي والصبر وسيرة

المحسنين قاله الزمخشري وهو مناسب لقوله انه من يتق الآية وخطاؤهم
اياه بذلك استنزال لاحسانه واعتراف بما صدر منهم في حقه وخاطئين
من خطئ اذا تعمد واما اخطأ فقصد الصواب ولم يوفق له ولا تثريب
لا لوم ولا عقوبة وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل
في الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم وقال الزمخشري **فان قلت**
بم تعلق اليوم **قلت** بالتثريب لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة
التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم
بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك علي لفظ الماضي
والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
علي خطيئتهم انتهي اما قوله ان اليوم متعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لان
التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم وعليكم اما
ان يكون خبرا او صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لان معمول المصدر
من تمامه وايضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه وكان يكون من
قبيل المشبه بالمضاف وهو الذي يسمي المطول ويسمي الممطول فكان يكون
معربا منونا واما تقديره الثاني فتقدير حسن ولذلك وقف علي قوله
اليوم اكثر القراء وابتدؤا يغفر الله لكم علي جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحق
والطبري واما تقديره الثالث وهو ان يكون اليوم متعلقا بيغفر فمقول وقد
وقف بعض القراء علي عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم قال ابن عطية والوقف
علي اليوم ارجح في المعني لان الآخر فيه حكم علي مغفرة الله اللهم الا ان يكون
ذلك بوحي واما قوله فبشارة الي آخره فعلي طريق المعتزلة فان الغفران
لا يكون للتائب وقال ابن الانباري انما اشار الي ذلك اليوم
لانه اول اوقات العفو وسبيل العافي في مثله ان لا يراجع عقوبة
واجاز الحوفي ان يكون عليكم في موضع الصفة لتثريب ويكون الخبر اليوم
وهو وجه حسن وقيل عليكم بيان كاللام في قولهم سقيا لك فيتعلق
بمحذوف ونصوا علي انه لا يجوز ان يتعلق عليكم بتثريب لانه كان يعرب
فيكون منونا لانه يصير من باب المشبه بالمضاف ولو قيل ان الخبر محذوف
وعليكم متعلق بمحذوف يدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل
في اليوم وتقديره لا تثريب يثرب عليكم اليوم كما قدروا في لا عاصم اليوم
من امر الله اي يعصم اليوم لكان وجها قويا لان خبر لا اذا علم كثر حذفه عند
اهل الحجاز ولم يلفظ به بنو تميم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله بالصفة
التي هي سبب الغفران وهو انه تعالي ارحم الراحمين فهو يرجو منه قبول
دعائه لهم بالمغفرة والباء في بقميصي الظاهر انها للحال اي مصحوبين
او ملتبسين به وقيل للتعدية اي اذهبوا بقميصي اي احملوا قميصي قيل هو القميص
الذي توارثه يوسف وكان في عنقه وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله

فبشارة

إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي وقيل كان لإبراهيم
كساه الله إياه من الجنة حين خرج من النار ثم لإسحاق ثم ليعقوب ثم ليوسف
وقيل هو القميص الذي قد من دبر ليعلم يعقوب أنه عصم من الفاحشة والظاهر
أنه قميص من ملبوس يوسف بمنزلة قميص كل أحد قال ابن عطية وهكذا تتبين
الغرابة في أن وجد يعقوب ريحه من بعد ولو كان من قمص الجنة ما كان في
ذلك غرابة ولوجده كل أحد وقوله فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا يدل
على أنه علم أنه عمي من الحزن إما بإعلامهم وإما بحزن يوحي وقوله يأت
بصيرا يظهر أنه بوحي وأهلوه الذين أمر أن يؤتى بهم سبعون أو ثمانون
أو ثلاثة وتسعون أو ستة وتسعون أقوال أولها للكلبي وثانيها
لمسروق وفي واحد من هذا العدد دخلوا مصر ونموا حتى خرج من ذريتهم مع موسى
عليه السلام ستمائة ألف ومعنى يأت يأتيني وانتصب بصيرا على الحال

ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا
تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا
قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا
إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (ق)

قوله عز وجل ولما فصلت

فصل من البلد يفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل
الشيء فصلا فرق وهو متعد ومعنى فصلت العير انفصلت من عريش مصر
قاصدة مكان يعقوب وكان قريبا من بيت المقدس وقيل بالجزيرة وبيت
المقدس هو الصحيح لأن آثارهم وقبورهم هناك إلى الآن وقرأ ابن عباس
ولما انفصل العير قال ابن عباس وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام هاجت
عرفه وقال الحسن وابن جريج من ثمانين فرسخا وكانت مدة فراقه
منه سبعا وسبعين سنة وعن الحسن أيضا وجده من مسيرة ثلاثين يوما
وعنه مسيرة عشر ليال وعن أبي أيوب الهروي أن الريح استأذنت في إيصال
عرف يوسف إلى يعقوب فأذن لها في ذلك وقال مجاهد صفقت الريح
القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة
فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص ومعنى
لأجد لأشم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر

وإني لأستشفي بكل غمامة ... يهب بها من نحو أرضك ريح

ومعنى تفندون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تسفهون وعن ابن عباس
أيضا تجهلون وعنه أيضا تضعفون وقال عطاء وابن جبير تكذبون
وقال الحسن تهرمون وقال ابن زيد والضحاك ومجاهد أيضا تقولون
ذهب عقلك وخرفت وقال أبو عمرو تقبحون وقال الكسائي تعجزون
وقال أبو عبيد تضللون وقيل تخطئون وهذه كلها متقاربة في المعنى
وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفند إما لجهله أو لهوى غالب عليه أو
لكذبه أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه وقال المنذر بن سعيد

البلوطي

البلوطي يقال شيخ مفند أي قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة لأن المرأة
لم يكن لها رأي قط أصيل فيدخله التفنيد وقال معناه الزمخشري قال
التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها
ولولا هنا حرف امتناع لوجود وجوابها محذوف قال الزمخشري المعنى لولا تفنيدكم
إياي لصدقتموني انتهى وقد يقال تقديره لولا أن تفندون لأخبرتكم بكونه
حيا لم يمت لأن وجدان ريحه دال على حياته والمخاطب بقوله تفندون
الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا
يمتارون إذ كان أولاده جماعة وقيل المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته
من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضد الهدى والرشاد قال ابن عباس
المعنى إنك لفي خطئك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة يامين ولذلك
يقال له ذو الحزنين وقال مقاتل الشقاء والعناء وقال ابن جبير الجنون
ويعني والله أعلم غلبة المحبة وقيل الهلاك والذهاب من قولهم ضل الماء
في اللبن أي ذهب فيه وعدم وقيل الحب ويطلق الضلال على المحبة وقال
ابن عطية ذلك من الجفاء الذي لا يسوغ لهم مواجهتهم به وقد تأوله
بعض الناس على ذلك ولهذا قال قتادة قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن
ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري
لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
لقاءه وكان عندهم أنه قد مات روي عن ابن عباس أن البشير كان يهوذا لأنه كان
جاء بقميص الدم وقال أبو الفضل الجوهري قال يهوذا لإخوته قد علمتم أني
ذهبت إليه بقميص الترحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة فتركوه وقال
هذا المعنى السدي وأن تطرد زيادتها بعد لما والضمير المستكن في ألقاه عائد
على البشير وهو الظاهر لقوله فألقوه وقيل يعود على يعقوب والظاهر أنه أريد الوجه
كله كما جرت العادة أنه متى وجد الإنسان شيئا يعتقد فيه البركة مسح به
وجهه وقيل عبر بالوجه عن العينين لأنهما فيه وقيل عبر بالكل عن البعض
وارتد عده بعضهم في أخوات كان والصحيح أنها ليست من أخواتها فانتصب
بصيرا على الحال والمعنى أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البصر قيل وفي
الكلام ما يشعر أن بصره عاد أقوى مما كان عليه وأحسن لأن فعيلا من صيغ المبالغة
وما عدل من مفعل إلى فعيل إلا لهذا المعنى انتهى وليس كذلك لأن فعيلا هنا ليس
للمبالغة إذ فعيل الذي للمبالغة هو معدول عن فاعل لهذا المعنى وأما بصير
هنا فهو اسم فاعل من بصر بالشيء فهو جار على قياس فعل نحو ظرف فهو ظريف ولو كان
كما زعم بمعنى مبصر لم يكن للمبالغة أيضا لأن فعيلا بمعنى مفعل ليس للمبالغة نحو أليم
وسميع بمعنى مؤلم ومسمع وروي أن يعقوب سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك
مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على الإسلام قال الآن تمت
النعمة وقال الحسن لم يجد البشير عند يعقوب شيئا يثيبه به فقال والله

٣

لغة

ما حبرنا سببا منذ سبع ليال ولكن يموت الله غلبتك سكرات الموت وقالت الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى والقوة بعد الضعف والشباب بعد الهرم والسرور بعد الكرب ٥ والظاهر ان قوله اني اعلم محكي بالقول ويريد به انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل ما لا تعلمون من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وقيل من صحة رؤيا يوسف وقيل من بلوى الانبياء بالحزن ونزول الفرج وقيل من اخبار ملك الموت اياي وكان اخبره انه لم يقبض روحه قال ابن عطية ما لا تعلمون هو انتظاره لتاويل الرؤيا ويحتمل ان يشير الى حسن ظنه بالله تعالى فقط وقال الزمخشري الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول انتهى وهو خلاف الظاهر الذي قدمناه ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالمسير الى ابنه يوسف وقررهم على قوله الم اقل لكم طلبوا منه ان يستغفر لهم الله ذنوبهم واعترفوا بالخطا السابق منهم وسوف استغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهي ابلغ في التنفيس من السين فعن ابن مسعود انه اخر الاستغفار لهم الى السحر وعن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه الى سحرها قال السدي ومقاتل والزجاج اخر لاجابة الدعاء لا ضنة عليهم بالاستغفار وقالت فرقة سوفهم الى قيام الليل وقال ابن جبير وفرقة الى الليالي البيض فان الدعاء فيها يستجاب ٥ وقال الشعبي اخره حتى يسال يوسف فان عفا عنهم استغفر لهم وقيل اخر ليعلم حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم

كمل الجزو من التفسير المسمى بالبحر المحيط يتلوه قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه



بسم الله الرحمن الرحيم • لا اله الا هو عليه توكلت واليه انيب •

فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين • في الكلام حذف تقديره فرحل يعقوب باهله اجمعين وساروا حتى اتوا يوسف قبل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف قيل والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر فقال لا هذا ولدك فلما لقيه يعقوب قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك آوى اليه ابويه اي ضمهما اليه وعانقهما والظاهر انهما ابوه وامه راحيل فقال الحسن وابن اسحاق كانت امه بالحيوة وقيل كانت ماتت من نفاس بنيامين واحياها الله له ليصدق رؤياه في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين حكى هذا عن الحسن وابن اسحاق ايضا وقيل ابوه وخالته وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل والخالة ام ام روي عن ابن عباس وكانت ربت يوسف والرابة تدعى اما وقال بعضهم ابوه وجدته ام امه حكاه الزهراوي وفي مصحف عبد الله آوى اليه ابويه واخوته وظاهر قوله ادخلوا مصر انه امرهم انشاء دخول مصر قال السدي قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى فيبقى قوله فلما دخلوا على يوسف كانه ضرب له مضرب او بيت حاله التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه وقيل دخلوا عليه في مصر ومعنى ادخلوا مصر اي تمكنوا منها واستقروا فيها والظاهر تعلق الدخول على مشيئة الله لما امرهم بالدخول علق ذلك على مشيئة الله لان جميع الكائنات انما يكون بمشيئة الله تعالى وما لا يشا لا يكون وقال الزمخشري التقدير ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين

ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعه بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب انتهى وهذا البدع من التفسير مروي عن ابن جريج وهو في غاية البعد بل في غاية الامتناع والعرش سرير الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس في مجلسه على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير ويحتمل ان يكون الرفع والخرور قبل دخول مصر بعد قوله ادخلوا مصر فكان يكون في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال والابل حين دخلوا عليه آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ورفع ابويه وخروا له والضمير في وخروا عائد على ابويه وعلى اخوته وقيل الضمير في وخروا عائد على اخوته وساير من كان يدخل عليه لاجل هيبته ولم يدخل في الضمير ابواه بل رفعهما على سرير ملكه تعظيما لهما وظاهر قوله وخروا له سجدا انه السجود المعهود وان الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله اني رايت احد عشر كوكبا الآية وكان السجود اذ ذاك جائزا من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير وقال قتادة كانت تحية الملوك عندهم واعطى الله هذه الامة السلام تحية اهل الجنة وقيل هذا السجود كان ايماء بالراس فقط وقيل كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الارض ولفظة وخروا تابى هذين التفسيرين قال الحسن الضمير في له عائد على الله اي خروا لله سجدا شكرا على ما اوزعهم من هذه النعمة وقد تاول قوله رايتهم لي ساجدين على ان معناه رايتهم لاجلي ساجدين واذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون كان السجود تحية لا عبادة وقال ابو عبد الله الرازي لا يكون السجود الا لله لا ليوسف ويبعد من عقله ودينه ان يرضى بان يسجد له ابوه مع سابقته من صون الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة وقيل الضمير وان عاد على يوسف فالسجود كان لله وجعلوا يوسف قبلة كما تقول صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة وقال حسان •

• ما كنت اعرف ان الدهر منصرف • عن هاشم ثم عنها عن ابي حسن •
• اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالاشيا والسنن •

وقيل السجود هنا التواضع والخرور بمعنى المرور لا السقوط على الارض لقوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا عليها وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من اي سجودكم هذا تاويل اي عاقبة رؤياي ان تلك الكواكب والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ومن قبل متعلق برؤياي والمحذوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكوائن والحوادث التي جرت بعد رؤياي ومن تاول ان ابويه لم يسجدا له زعم ان تعبير الرؤيا لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فسجود الكواكب والشمس والقمر يعبر بتعظيم الاكابر من الناس ولا شك ان ذهاب يعقوب مع ولده من كنعان الى مصر لاجل يوسف نهاية في التعظيم له فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا عن ابن عباس انه لما راى سجود ابويه واخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب هذا تاويل رؤياي من قبل ثم ابتدا يوسف عليه السلام بتعديد نعم الله عليه فقال قد جعلها ربي حقا اي صادقة رايت ما وقع لي في المنام يقظة لا باطل فيها ولا لغو وفي المدة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض قيل ثمانون سنة وقيل ثمانية عشر عاما وقيل غير ذلك من رتب العدد

وكذا المدة التي أقام يعقوب فيها بمصر عند ابنه يوسف خلاف متناقض وأحسن أصله أن يتعدى بإلى قال تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك وقد يتعدى بالباء قال وبالوالدين إحسانا كما تعدى الإساءة إليه وبه قال الشاعر

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ● لدينا ولا مقلية إن تقلت ●

وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف فعداه بالباء وذكر إخراجه من السجن وعدل عن إخراجه من الجب صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل إخوته وتناسيا لما جرى منهم إذ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتنبيها على طهارة نفسه وبراءتها مما نسبته إليه المراودة وعلى ما ينتقل إليه من الرياسة في الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل إليه بالخروج من الجب إلى أن بيع مع العبيد وجاء بكم من البدو من البادية وكان منزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام ببادية فلسطين وكان رب إبل وغنم وبادية وقال الزمخشري كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع قيل كان تحول إلى بادية وسكنها وإن الله لم يبعث نبيا من أهل البادية وقيل كان خرج إلى بدا وهو موضع وإياه عنى جميل بقوله

● وأنت التي حببت شغبا إلى بدا ● إلي وأوطاني بلاد سواهما ●

وليعقوب عليه السلام بهذا الموضع مسجد تحت جبل يقال بدا القوم بدوا إذا أتوا بدا كما يقال غاروا غورا إذا أتوا الغور والمعنى وجاء بكم من مكان بدا ذكره القشيري وحكاه الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس وقابل يوسف عليه السلام نعمة إخراجه من السجن بمجيئهم من البدو والإشارة بذلك إلى الاجتماع بأبيه وإخوته وزوال حزن أبيه وفي الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة من بعد أن نزغ أي أفسد وتقدم الكلام على نزغ وأسند النزغ إلى الشيطان لأنه الموسوس كما قال فأزلهما الشيطان عنها وذكر هذا القدر من أمر إخوته لأن النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء كانت أحسن موقعا إن ربي لطيف أي لطيف التدبير لما يشاء من الأمور رفيق ومن في قوله من الملك وفي من تأويل للتبعيض لأنه لم يؤته إلا بعض ملك الدنيا ولا علمه إلا بعض التأويل ويبعد قول من جعل من زائدة أو جعلها لبيان الجنس والظاهر أن الملك هنا ملك مصر وقيل ملك نفسه من إنفاذ شهوته وقال عطاء ملك حساده بالطاعة وقيل الأماني من الملك وقرأ عبد الله وعمرو بن ذر آتيتن وعلمتن بحذف الياء منهما اكتفاء بالكسرة عنهما مع كونهما ثابتتين خطا وحكى ابن عطية عن ابن ذر أنه قرأ رب آتيتني بغير قد وانتصب فاطر على الصفة أو على النداء وأنت وليي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي وذكر كثير من المفسرين أنه لما عد نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولحاقه بصالح سلفه ورأى أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت وقال ابن عباس لم يتمن الموت حي غير يوسف والذي يظهر أنه ليس في الآية تمني الموت وإنما عدد نعمه تعالى عليه ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره أي توفني إذا حان أجلي على الإسلام واجعل لحاقي بالصالحين وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت والصالحين أهل الجنة والأنبياء أو آباؤه إبراهيم وإسحق ويعقوب وعلماء التاريخ يزعمون أن يوسف عليه السلام عاش مائة عام وسبعة أعوام وله من الولد إفرائيم وميشا ورحمة زوجة أيوب قال الزهري وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع وهو فتى موسى وولد لميشا موسى وهو قبل موسى بن عمران ويزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر وكان ابن عباس ينكر ذلك وثبت في الصحيح أن صاحب

الخضر

قوله عز وجل ذلك من أنباء الغيب

لعله موسى

الخضر موسى بن عمران وتوارثت الفراعنة ملك مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ● ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ● قال ابن الأنباري سألت قريش واليهود الرسول عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحا وافيا وأمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم فخالفوا تأمله فعزاه الله بقوله وما أكثر الناس الآيات وقيل في المنافقين وقيل الثنوية وقيل في النصارى وقال ابن عباس في تلبية المشركين وقيل في أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض فجمعوا بين الإيمان والشرك والإشارة بذلك إلى ما قصه الله تعالى من قصة يوسف وإخوته وما كنت لديهم أي عند بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في الجب ولا حين القود فيه ولا حين التقطته السيارة ولا حين بيع وهم يمكرون أي يبغون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيما يفعلون به أو يمكرون بيعقوب حين أتوا بالقميص ملطخا بالدم وفي هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع في علم البيان يسمى بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظير ذلك في آل عمران وفي هود وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص الذي أعجز حملته ورواته لم يقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر فقوله وما كنت هنالك على جهة التهكم لأنه قد علم كل أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم وأجمعوا أمرهم أي عزموا على إلقاء يوسف في الجب وهم يمكرون جملة حالية والمكر أن يدبر على الإنسان تدبيرا يضره ويؤذيه والناس الظاهر العموم لقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أنهم أهل مكة ولو حرصت ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف أي ولو حرصت لم يؤمنوا إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه والضمير في عليه عائد على دين الله أي ما تبتغي منهم أجرا على دين الله وقيل على القرآن وقيل على التبليغ وقيل على الإنباء بمعنى القول وفيه توبيخ للكفرة وإقامة الحجة عليهم أو وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا عظة وذكر من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ مبشر بن عبيد وما نسألهم بالنون أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التي تكون سببا للإيمان ولا يؤثر فيهم وإن تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراءة ابن كثير وكائن وقال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان فهو كائن ومعناها معنى كم في التكثير انتهى وهذا يروى عن يونس وهو قول مرجوح في النحو والمشهور عندهم أنه مركب من كاف التشبيه

ومن آي وتلاعب العرب بها فجاءت بها لغات وذكر صاحب اللوامح ابن الحسن قرا وكأين بياء
مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد وجاء كذلك عن ابن محيصن فهي لغة انتهى من آية
من علامة على توحيد الله وصفاته وصدق ما جاء به عنده تعالى **وقرا** عكرمة وعمرو بن فايد
والارض بالرفع على الابتداء وما بعده خبر ومعنى يمرون عليها يشاهدون ما فيها من
الآيات **وقرا** السدي والارض بالنصب وهو من باب الاشتغال اي ويطؤون الارض
يمرون عليها اي على آياتها وما اودع فيها من الدلالات والضمير في عليها وعنها في هاتين
القراءتين يعود على الارض وفي قراءة الجمهور وهي بجر الارض يعود الضمير على آية اي يمرون
على تلك الآيات ويشاهدون تلك الدلالات ومع ذلك لا يعتبرون بها **وقرا** عبد الله
والارض برفع الضاد ومكان يمرون يمشون والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة
وغير ذلك من العبر وهم مشركون جملة حالية اي ايمانهم ملتبس بالشرك وقال ابن عباس
هم اهل الكتاب اشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه او من حيث عزير والمسيح وقال عكرمة
ومجاهد وقتادة وابن زيد هم كفار العرب اقروا بالخالق الرازق المميت واشركوا
بعبادة الاوثان والاصنام وقال ابن عباس ايضا هم الذين يشبهون بخلقه وقيل اهل مكة
قالوا الله ربنا لا شريك له والملائكة بناته فاشركوا ولم يوحدوا وعن ابن عباس ومجاهد
وعكرمة والشعبي وقتادة ايضا ذلك في تلبيتهم يقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك وفي الحديث كان عليه السلام اذا سمع احدهم يقول لبيك
لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا تزد الا شريك هو لك وقيل هم الثنوية قالوا
بالنور والظلمة وقال عطاء هذا في الدعاء وينسى الكفار ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء
اخلصوا في الدعاء وقيل هم المنافقون جهروا بالايمان واخفوا الكفر وقيل على بعض
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح والمجوس عبدوا النار وعبدة الهياكل عبدوا
الاصنام والصابئة عبدوا الكواكب وقيل قريش لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا
انا مؤمنون ثم عادوا الى الشرك بعد كشفه وقيل جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم
فالكفار تقدم ذكر شركهم والمؤمنون فيهم الشرك الخفي فاقربهم الى الكفر المشبهة ولذلك قال
ابن عباس آمنوا مجملا وكفروا مفصلا وثانيها من يطيع الخلق بمعصية الخالق وثالثها من يقول نفعني
فلان وضرني فلان افأمنوا استفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد غاشية نقمة تغشاهم اي
تغطيهم لقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال الضحاك يعني الصواعق
والقوارع انتهى والاتيان الغاشية يعني في الدنيا وذلك لمقابلته بقوله او تأتيهم الساعة
اي يوم القيمة بغتة اي فجأة في الزمان من حيث لا يتوقع وهم لا يشعرون تأكيد لقوله بغتة
قال الكرماني لا يشعرون باتيانها اي وهم غير مستعدين لها قال ابن عباس تأخذهم
الصيحة وهم على اسواقهم ومواضعهم **وقرا** ابو حفص ومبشر بن عبيد او يأتيهم الساعة
بالياء ٭ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا
من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا
يعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد
بأسنا عن القوم المجرمين ٭ لما تقدم من قول يوسف عليه السلام توفني مسلما وكان قوله

نعمة ع

قوله عز وجل قل هذه سبيلي

تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين دالا على انه حارص على ايمانهم مجتهد
في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكر وما تسألهم عليه من اجر اشار الى ما هم من ذلك
وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله فقال قل يا محمد هذه الطريقة والدعوة
طريقي التي سلكتها وانا عليها ثم فسر تلك السبيل فقال ادعوا الى الله يعني لا الى
غيره من ملك او انسان او كوكب او صنم انما دعائي الى الله وحده قال ابن عباس
سبيلي دعوتي وقال عكرمة صلواتي وقال ابن زيد سنتي وقال مقاتل والجمهور
ديني **وقرا** عبد الله قل هذا سبيلي على التذكير والسبيل يذكر ويؤنث ومفعول
ادعوا محذوف تقديره ادعوا الناس والظاهر تعلق على بصيرة بادعوا وانا توكيد
للضمير المستكن في ادعوا ومن معطوف على ذلك الضمير والمعنى ادعوا انا اليها ويدعو اليها من
اتبعني ويجوز ان يكون على بصيرة خبرا مقدما وانا مبتدأ ومن معطوف عليه ويجوز ان يكون
على بصيرة حالا من ضمير ادعو فيتعلق بمحذوف ويكون انا فاعلا بالجار والمجرور النائب
عن ذلك المحذوف ومن اتبعني معطوف على انا واجاز ابو البقاء ان يكون ومن اتبعني
مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك اي داع الى الله على بصيرة ومعنى بصيرة حجة واضحة
وبرهان متيقن من قوله قد جاءكم بصائر من ربكم وسبحان الله داخل تحت قوله قل اي قل
وتبرئة الله من الشركاء اي براءة الله من ان يكون له شريك ولما امره ان يخبر عن نفسه
عليه السلام انه يدعو هو ومن اتبعه الى الله وامره ان يخبر انه ينزه الله عن الشركاء امره ايضا
ان يخبر انه في خاصة نفسه منتف عن الشرك وانه ليس من اهل الشرك وهو نفي عام في الازمان
لم يكن منهم ولا في وقت من الاوقات الا رجالا لا حصر في الرسل دعاة الى الله فلا يكون ملكا
وهذا رد على من قال لو شاء ربنا لانزل ملائكة ولذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وقال ابن عباس يعني رجالا لا نساء فالرسول لا يكون امرأة وهل كان في النساء
نبية فيه خلاف والنبي اعم من الرسول لانه منطلق على من يأتيه الوحي سواء ارسل ام لم يرسل

وقال الشاعر في سجاح المتنبئة

امست نبيتنا هذي مؤنثة ٭ ولم تزل انبياء الله ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم ٭ على سجاح ومن بالافك اغرانا
اعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ٭ اصداؤه ماء مزن اينما كانا

وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء موافقا لقوله وما ارسلنا **وقرا**
الجمهور بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول واهل القرى المدن قال ابن زيد لان اهل القرى اعلم واحلم
من اهل البادية فانهم قليل نبلهم ولم ينبئ الله قط منهم رسولا وقال الحسن لم يبعث
الله رسولا من اهل البادية ولا من النساء ولا من الجن والتبدي مكروه الا في الفتن
وفي الحديث من بدا جفا ثم استفهام استفهام توبيخ وتقريع والضمير في يسيروا عائد على من
انكر ارسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول وانكر رسالته وكفر اي هلا يسيرون
في الارض فيعلمون بالتواتر اخبار الرسل السابقة ويرون مصارع الامم المكذبة
فيعتبرون بذلك ولدار الآخرة خير هذا حض على العمل للدار الآخرة والاستعداد لها
واتقاء المهلكات وفي هذه الاضافة تخريجان احدهما انها من اضافة الموصوف
الى صفته واصله وللدار الآخرة والثاني ان يكون من حذف الموصوف واقامة صفته

مقامه واضلاله ولدار المدة الاخرة او النشاة الاخرة والاول تخريج كوفي والثاني تخريج
بصري وقرا الجمهور افلا يعقلون بالياء رعيا لقوله افلم يسيروا وقرا الحسن وعلقمة والاعرج
وعاصم وابن عباس ونافع بالتاء على خطاب هذه الامة تحذيرا لهم مما وقع فيه اولئك فيصيبهم
ما اصابهم قال الكرماني افلا تعقلون الآخرة فيتوسلوا اليها بالايمان انتهى والاستيئاس
من النصر او من ايمان قومهم قولان وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية
فاحتيج الى التقدير فقدره الزمخشري وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا
عن النصر وقال ابن عطية ويتضمن قوله افلم يسيروا الى من قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من اهل
القرى دعوهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن
حسن ان يدخل حتى في قوله حتى اذا استيأس الرسل انتهى ولم يتحصل لنا من كلامه شيء يكون ما بعد
حتى غاية له لانه علق الغاية بما ادعى انه فهم ذلك من قوله افلم يسيروا الآية وقال
ابو الفرج بن الجوزي المعنى متعلق بالآية الاولى فتقديره وما ارسلنا قبلك الا رجالا فدعوا
قومهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا استيأس الرسل وقال القرطبي
في تفسيره المعنى وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا ثم لم نعاقب اممهم بالعقاب حتى اذا استيأس
الرسل وقرا ابي وعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والاعمش والكوفيون كذبوا بتخفيف
الذال وباقي السبعة والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وابو رجاء وابن ابي مليكة والاعرج
وعائشة بخلاف عنها بتشديدها وهما مبنيان للمفعول فالضمائر على قراءة التشديد عائدة
على الرسل والمعنى ان الرسل ايقنوا انهم كذبهم قومهم المشركون قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون الظن على بابه يعني من ترجيح احد الجائزين قال والضمير للرسل والمكذبون
مؤمنون ارسل اليهم اي لما طالت المواعيد حسبت الرسل ان المؤمنين اولا قد كذبوهم
وارتابوا بقولهم وعلى قراءة التخفيف فالضمير في وظنوا عائد على المرسل اليهم لتقدمهم
في الذكر في قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولان الرسل يستدعي مرسلا اليهم
وفي انهم وفي قد كذبوا عائد على الرسل والمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبهم من
ادعوا انه جاءهم بالوحي عن الله وبنصرهم اذا لم يؤمنوا به ويجوز في هذه القراءة ان تكون
الضمائر الثلاثة عائدة على المرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم انهم قد كذبهم الرسل
فيما ادعوه من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب وهذا هو المشهور من قول
ابن عباس وتاويل عبد الله وابن جبير ومجاهد ولا يجوز ان تكون الضمائر في هذه القراءة
عائدة على الرسل لانهم معصومون فلا يمكن ان يظن احد منهم انه قد كذبه من جاءه بالوحي عن الله
وقال الزمخشري في هذه القراءة حتى اذا استيأسوا من النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي
كذبتهم انفسهم حين حدثتهم انهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت
عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة
من غير احتساب انتهى فجعل الضمائر كلها للرسل وجعل الفاعل الذي حذف من قوله قد كذبوا
اما انفسهم واما رجاؤهم وفي قوله اخراج الظن عن معنى الترجيح وعن معنى اليقين الى
معنى التوهم حتى تجري الضمائر كلها في القراءتين على سنن واحد وروي عن ابن مسعود وابن عباس
وابن جبير ان الضمير في وظنوا وفي قد كذبوا عائد على الرسل والمعنى كذبهم من اخبرهم عن الله

والظن

والظن على بابه قالوا والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم وردت عائشة وجماعة من اهل
العلم هذا التاويل واعظموا ان توصف الرسل بهذا وقال الزمخشري ان صح هذا عن
ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الآخر
فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف بربهم وانه متعال عن خلف
الميعاد منزه عن كل قبيح انتهى واخره مذهب الاعتزال وقال ابو علي ان ذهب
ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل ان الذي وعد الله اممهم على لسانهم قد كذبوا فيه فقد اتى عظيما
لا يجوز ان ينسب مثله الى الانبياء ولا الى صالحي عباد الله قال وكذلك من زعم ان
ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله لا يخلف الميعاد
ولا مبدل لكلماته وقرا ابن عباس ومجاهد والضحاك قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيا للفاعل
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن على بابه وجواب
اذا جاءهم نصرنا والظاهر ان الضمير في جاءهم عائد على الرسل وقيل عائد عليهم وعلى من آمن بهم
وقرا عاصم وابن عامر فنجي بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول وقرا مجاهد
والحسن والجحدري وطلحة وابن هرمز كذلك الا انهم سكنوا الياء وخرج على انه مضارع
ادغمت فيه النون في الجيم وهذا ليس بشيء لانه لا يدغم النون في الجيم وتخريجه على انه
ماض كالقراءة التي قبلها سكنت الياء فيه على لغة من يستثقل الحركة على الياء
القراءة من قرا ما تطعمون اهاليكم بسكون الياء وروبت هذه القراءة عن الكسائي ونافع وقرا
في المشهور وباقي السبعة فننجي بنونين مضارع انجى وقرا فرقة كذلك الا انهم فتحوا الياء
قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى وليست غلطا ولها
وجه في العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز ان ياتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار ان
بعد الفاء كقراءة من قرا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب
يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين ان تكون اداة الشرط جازمة او غير جازمة
وقرا نصر بن عاصم والحسن وابو حيوة وابن السميفع ومجاهد وعيسى البصرة وابن محيصن
فنجا جعلوه فعلا ماضيا مخفف الجيم وقال ابو عمرو الداني وقرات لابن محيصن فنجا
بتشديد الجيم فعلا ماضيا على معنى فنجى النصر وذكر الداني ان المصاحف متفقة على كتبها
بنون واحدة وفي التحبير ان الحسن قرا فننجي بنونين الثانية مفتوحة والجيم مشددة والياء
ساكنة وقرا ابو حيوة من يشاء بالياء اي فنجي من يشاء الله نجاته ومن يشاء هم المؤمنون لقوله
ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين والباس هنا الهلاك وقرا الحسن باسه بضمير الغائب
اي باس الله وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري الرسول ۝ لقد كان في قصصهم عبرة
لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون ۝ الضمير في قصصهم عائد على الرسل او على يوسف وابويه واخوته
او عليهم وعلى الرسل ثلاثة اقوال الاول اختاره الزمخشري قال ويتصره قراءة من قرا
قصصهم بكسر القاف انتهى ولا ينصره اذ قصص يوسف وابيه واخوته مشتمل على قصص
كثيرة وانباء مختلفة والذي قرا بكسر القاف هو احمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي
والقصبي عن عبد الوارث عن ابي عمرو جمع قصة واختار ابن عطية الثالث بل لم تذكر غيره

قوله عز وجل
لقد كان في قصصهم

والعبرة الدلالة التي يعبر بها عن العلم واذا اعاد الضمير على يوسف وابويه واخوته فالاعتبار
بقصصهم من وجوه اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاؤه بعد حبسه في السجن وتملكه مصر
بعد استعباده واجتماعه مع والديه واخوته على ما احب بعد الفرقة الطويلة والاخبار
بهذا القصص اخبارا عن الغيب والاعلام بما لله تعالى من العلم والقدرة والتصرف في الاشياء
على ما لا يخطر على بال ولا يجول في فكر وانما خص اولوا الالباب لانهم هم الذين ينتفعون بالعبر
ومن له لب واجاد النظر ورأى ما فيها من امتحان ولطف واحسان علم انه امر من عند الله
والظاهر انه لما كان مضمر يعود على القصص اي ما كان القصص حديثا مختلفا بل هو حديث
صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتلمذ لاحد ولا خالط العلماء فمحال ان يفتري
هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت وقيل يعود على القرآن اي
ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف وغيره حديثا مختلق ولكن كان تصديق الكتب
المتقدمة الالهية وتفصيل كل شيء واقع ليوسف مع ابويه واخوته ان كان الضمير عائدا
على قصص يوسف او كل شيء مما يحتاج الى تفصيله في الشريعة ان عاد على القرآن وقرأ حمران
ابن اعين وعيسى الكوفي فيما ذكر صاحب اللوامح وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية تصديق
وتفصيل وهدى ورحمة برفع الاربعة اي ولكن هو تصديق والجمهور بالنصب على اضمار كان
اي ولكن تصديق اي كان هو اي الحديث ذا تصديق الذي بين يديه وينشد قول ذي الرمة

• وما كان مالي من تراث ورثته • ولا دية كانت ولا كسب مأثم •
• ولكن عطاء الله من كل رحلة • الى كل محجوب السرادق خضرم •

بالرفع في عطاء ونصبه اي ولكن هو عطاء الله او ولكن كان عطاء الله ومثله قول
لوط بن عبيد الطائي اللص •

• واني بحمد الله لا مال مسلم • اخذت ولا معطي اليمين محالف •
• ولكن عطاء الله من مال فاجر • قصي المحل معور للمقاذف •

وهدى اي سبب هداية في الدنيا ورحمة اي سبب لحصول الرحمة في الآخرة وخص المؤمنون
بذلك لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال هدى للمتقين وتقدم اول السورة
قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا وقوله نحن نقص عليك احسن القصص وفي آخرها
ما كان حديثا يفترى فلذلك احتمل ان يعود الضمير على القرآن وان يعود على القصص ۞

المفردات

العمد اسم جمع ومن اطلق عليه جمعا فلكونه يفهم منه ما يفهم من الجمع وهي الاساطين قال

• وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •

والمفرد عماد وعمد كاهاب واهب وقيل عمود وعمد كاديم وادم وقضيم وقضم والعماد
والعمود ما يعمد به يقال عمدت الحائط اعمده عمدا اذا دعمته فاعتمد الحائط على العماد
اي امتسك به ويقال لفلان عمدة قومه اذا كانوا يعتمدونه فيما حزبهم ويجمع عماد على عمد
بضمتين كشهاب وشهب وعمود على عمد ايضا كرسول ورسل وزبور وزبر هذا في الكثرة
ويجمعان في القلة على اعمدة الصنو الفرع يجمعه وآخر اصل واحد واصله المثل ومنه قيل
للعم صنو وجمعه في لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان ويضمها في لغة تميم وقيس
كذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من ابنية
الجديد ضد الخلق والبالي ويقال ثوب جديد اي كما قطع من عمله وهو فعيل بمعنى مفعول

كانه

كانه كما قطع من النسج المثلة العقوبة ويجمع بالالف والتاء كسمرة وسمرات ولغة الحجاز
مثلة بفتح الميم وسكون الثاء ولغة تميم بضم الميم وسكون الثاء سميت العقوبة بذلك
لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او لانها من المثال
بمعنى القصاص يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته او لانها لعظم نكالها يضرب
بها المثل السارب اسم فاعل من سرب اي يصرف كيف شاء قال الشاعر

• اني سربت وكنت غير سروب • وتقرب الاحلام غير قريب •

وقال الآخر •

• وكل اناس قاربوا قيد فحلهم • ونحن خلعنا قيده فهو سارب •

اي فهو متصرف كيف شاء لا يدفع عن جهة تفتخر بعزه قومه المحال القوة والاهلاك
قال الاعشى •

• فرع نبع يهتز في غصن المجد • عظيم الندى شديد المحال •

وقال عبد المطلب لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ۞ ويقال ماحل
الرجل بالرجل مكر به واخذه بسعاية شديدة والمماحلة المكايدة والمماكرة ومنه تمحل لكذا
اي تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه وقال ابو زيد المحال النقمة وقال ابن عرفة
المحال الجدال ماحل عن امره اي جادل وقال القتيبي اي شديد الكيد واصله من الحيلة
جعل ميمه كميم مكان واصله من الكون ثم يقال تمكنت وغلطه الازهري في زيادة الميم
قال ولو كان مفعلا لظهرت الواو مثل مرود ومحول ومحور وانما هو مفعال كمهاد ومراس
الكف عضو معروف وجمعه في القلة اكف كصك واصك وفي الكثرة كفوف كصكوك
واصله مصدر كف طل التي مما يظهر من ضياء لدى النور وعليه الصوا الزبد قال
ابو الحجاج الاعلم هو ما يطرحه الوادي اذا جاش ماؤه واضطربت امواجه وقال ابن عطية
هو ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمي به ضفتيه من الحباب الملتبك وقال
ابن عيسى الزبد وضر الغليان وخبثه وقال الشاعر

• فما الفرات اذا هب الرياح له • ترمي غواربه العبرين بالزبد •

الجفاء اسم لما يجفاه السيل اي يرمي به يقال جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل
بزبده واجفأ واجفل وقال ابن الانباري جفاء اي متفرقا من جفأت الريح الغيم
اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته ويقال جفأ الوادي واجفأ اذا نشف •

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ المر تلك آيات الكتاب
والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۞ هذه السورة مكية في قول
الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير وعن عطاء الا قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا
وعن غيره الا قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق ومدنية في قول الكلبي
ومقاتل وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال الى آخرهما وعن ابن عباس الا قوله ولا يزال الذين كفروا الى آخر الآية
وعن قتادة مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الى آخر الآية حكاه المهدوي وقيل

السورة مدنية حكاه منذر بن سعيد البلوطي وعلي بن أبي طالب قال الزمخشري تلك
إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك آيات السورة الكاملة
العجيبة في بابها وقال ابن عطية من قال حروف أوائل السور مثال لحروف المعجم قال
الإشارة هنا بتلك هي إلى حروف المعجم ويصح على هذا أن يكون الكتاب يراد به القرآن
ويصح أن يراد به التوراة والإنجيل والمراد على هذا ابتداء وتلك ابتداء ثان وآيات
خبر الثاني والجملة خبر الأول انتهى ويكون الرابط اسم الإشارة وهو تلك وقيل الإشارة
بتلك إلى ما قص عليه من أنباء الرسل المشار إليها بقوله تلك من أنباء الغيب والذي قال ويصح
أن يراد به التوراة والإنجيل هو قريب من قول مجاهد وقتادة قالا أشار بتلك إلى جميع كتب الله
المنزلة ويكون المعنى تلك الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي أنزلته
قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك والظاهر أن قوله والذي مبتدأ والحق خبر ومن ربك
متعلق بأنزل وأجاز الحوفي أن يكون من ربك الخبر والحق خبر مبتدأ محذوف أو هو خبر بعد خبر أو كلاهما
خبر واحد انتهى وهو إعراب متكلف وأجاز الحوفي أيضا أن يكون والذي في موضع رفع عطفا على آيات
وأجاز هو وابن عطية أن يكون والذي في موضع خفض وعلى هذين الإعرابين يكون الحق خبر مبتدأ
محذوف أي هو الحق ويكون والذي مما عطف فيه الوصف على الوصف وهما لشيء واحد كما تقول
جاءني الظريف والعاقل وأنت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ○ وأجاز الحوفي أن يكون الحق
صفة للذي يعني إذا جعلت والذي معطوفا على آيات وأكثر الناس قيل كفار مكة لا يصدقون
أن القرآن منزل من عند الله وقيل المراد به اليهود والنصارى والأولى العموم ولما ذكر
انتفاء الإيمان عن أكثر الناس ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجذبهم إلى
الإيمان مما يفكر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدأ
والذي هو الخبر بدليل قوله وهو الذي مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر
يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات قاله الزمخشري وقرأ الجمهور
عمد بفتحتين وقرأ أبو حيوة ويحيى بن وثاب بضمتين وبغير عمد في موضع الحال أي خالية عن عمد
والضمير في ترونها عائد على السموات أي تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتمل هذا الوجه
أن يكون ترونها كلاما مستأنفا واحتمل أن يكون جملة حالية أي رفعها مرئية لكم بغير عمد
وهي حال مقدرة لأنه حين رفعها لم تكونوا مخلوقين وقيل ضمير النصب في ترونها عائد على عمد
أي بغير عمد مرئية فترونها صفة للعمد ويدل على كونه صفة للعمد قراءة أبي ترونه فعاد
الضمير مذكرا على لفظ عمد إذ هو اسم جمع قال ابن عطية اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد
بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسل انتهى وهذا وهم وصوابه بضم الحرفين لأن الثالث
هو حرف الإعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع وهذا التخريج يحتمل وجهين أحدهما أنها
لها عمد ولكن لا ترى تلك العمد وهذا ذهب إليه مجاهد وقتادة وقال ابن عباس
وما يدريك أنها بعمد لا ترى وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف المحيط بالأرض والسماء
عليه كالقبة والوجه الثاني أن يكون نفي العمد والمقصود نفي الرؤية عن العمد فلا عمد
ولا رؤية أي لا عمد لها فترى والجمهور على أن السموات لا عمد لها البتة ولو كان لها عمد
لاحتاجت تلك العمد إلى عمد ويتسلسل الأمر فالظاهر أنها ممسكة بالقدرة الإلهية

وبصح

الا ترى إلى قوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ونحو هذا من الآيات
وقال أبو عبد الله الرازي العماد ما يعتمد عليه وهذه الأجسام واقفة في الحيز
العالي بقدرة الله فعمدها قدرة الله فلها عماد في الحقيقة إلا أن تلك العمد
إمساك الله وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الحيز العالي وأنتم لا ترون
ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك انتهى وعن ابن عباس ليس من
دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها وأبعد من ذهب إلى أن ترونها خبر
في اللفظ ومعناه الأمر أي روها وانظروا هل لها من عمد لها وتقدم تفسير ثم
استوى على العرش قال ابن عطية ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لأن الاستواء على
العرش قبل رفع السموات وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم
يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض انتهى وسخر الشمس والقمر
أي ذللهما لما يريد منهما وقيل للمنافع العباد وعبر بالجري عن السير الذي فيه سرعة
وكل مضافة في التقدير والظاهر أن المحذوف هو ضمير الشمس والقمر أي كلهما يجري إلى أجل
مسمى وقال ابن عطية والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك قال
كل يجري إلى أجل مسمى أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من المسخر وكل لفظة تقتضي الإضافة
ظاهرة أو مقدرة انتهى وشرح كل يجري بقوله أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر ما خرج
الشمس والقمر من ذكر جريانهما إلى أجل مسمى وتخريج أن يقول على زعمه إذ الكواكب في ضمن
ذكرهما أي كل منهما وكما هو في معناهما إلى أجل مسمى قال ابن عباس منازل الشمس
والقمر وهي الحدود التي لا يتعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا إلى جهة خاصة بمقدار
خاص من السرعة والبطء وقيل الأجل المسمى هو يوم القيامة فعنده ينقطع ذلك الجري
والتسيير كما قال إذا الشمس كورت وقال وجمع الشمس والقمر ومعنى تدبير الأمر إنفاذه
وإبرامه وعبر بالتدبير تقريبا للأفهام إذ التدبير إنما هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها
وذلك من صفات البشر والأمر أمر ملكوته وربوبيته وهو عام في جميع الأمور من إيجاد
وإعدام وإحياء وإماتة وإنزال وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك وقال
مجاهد يدبر الأمر يقضيه وحده ويفصل الآيات يجعلها فصولا مبينة مميزا بعضها
من بعض والآيات هنا دلالاته وعلاماته في سماواته على وحدانيته أو آيات
الكتب المنزلة أو آيات القرآن أقوال وقرأ النخعي وأبو رزين وأبان بن تغلب
عن قتادة ندبر الأمر نفصل بالنون فيهما وكذا قال أبو عمرو الداني عن الحسن فيهما
ووافق في نفصل بالنون الخفاف وعبد الوهاب عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص وقال
صاحب اللوامح جاء عن الحسن والأعمش نفصل بالنون فقط وقال المهدوي لم يختلف في يدبر وليس
كما قال إذ قد نقلت قراءة أبان ونقل الداني عن الحسن والذي تقتضيه الفصاحة
أن هاتين الجملتين استئناف إخبار عن الله تعالى وقيل يدبر حال من الضمير في وسخر ونفصل
حال من الضمير في يدبر والخطاب في لعلكم للكفرة وتوقنون بالجزاء وبأن هذا المدبر

قوله عز وجل وهو الذي

والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه ○ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
○ لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية ومد الأرض بسطها

طولا وعرضا يمكن التصرف فيها والاستقرار عليها فبين مدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقيل كانت مجتمعة عند بيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا قال ابن عطية وقوله مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة قال ابو عبد الله الرازي ثبت بالدليل ان الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله مد الارض وذلك ان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله الا ترى انه قال والجبال اوتادا مع ان العالم والناس يستقرون عليها فكذلك هنا وايضا انما ذكر مد الارض ليستدل به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت امر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتاويل مد الارض انه جعلها بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص امر جائز ممكن في نفسه فالاختصاص بذلك المقدار المعين لا بد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وبهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخصا وقال ابو بكر الاصم المد البسط الى ما لا يرى منتهاه فالمعنى جعل حجم الارض حجما يسيرا لا يقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به انتهى وهذا الذي ذكره من انها لو كانت اصغر الى آخره غير مسلم لان المنتفع به من الارض هو المعمور والمعمور اقل من غير المعمور بكثير فلو اراد تعالى ان يجعلها مقدار المعمور المنتفع به لم يكن ذلك ممتنعا ويحصل في قوله مد الارض ثلاثة تاويلات بسطها بعد ان كانت مجتمعة واختصاصها بمقدار معين وجعل حجمها كبيرا لا يرى منتهاه والرواسي الثوابت ومنه **قول الشاعر**

بها خالدات ما يرمن وهامد ۞ واشعث ارسته الوليدة بالفهر ۞

والمعنى جبالا رواسي وفواعل الاصل لا تطرد الا في الاناث الا ان جمع التكسير من المذكر الذي لا يعقل يجري مجرى جمع الاناث وايضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل وقيل رواسي جمع راسية والهاء للمبالغة وهو وصف الجبل كانت الارض مضطربة فثقلها الله بالجبال في احيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل من جهة ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون بعض لا بد ان يكون بتخليق قادر حكيم ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرها كالنفط والكبريت يكون الجبل واحدا في الطبع وتاثير الشمس واحدا دليل على ان ذلك بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات ومن جهة تولد الانهار منها قيل وذلك ان الجبل جسم صلب وتتصاعد ابخرة الارض قعر الارض اليه وتحتبس هناك فلا تزال تتكامل فيحصل بسببه مياه كثيرة فلقوتها تشق وتخرج وتسيل على وجه الارض ولهذا في اكثر الامر اذا ذكر الله الجبال ذكر الانهار كهذه الاية وكقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا والانهار المياه الجارية في الارض وقال الكرماني جعل الماء وتقدم الكلام في الانهار في اوائل البقرة والظاهر ان قوله من كل الثمرات متعلق بجعل **ولما** ذكر الانهار ذكر ما ينشا عنها وهو الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين يعني انه حين مد الارض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة وقال ابن عطية وهذه الاية

تقتضي ان كل ثمرة موجود منها نوعان فان اتفق ان يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار في معنى الاية وقال الكرماني الزوج واحد والزوج اثنان ولهذا قيد ليعلم ان المراد بالزوج هنا الفرد لا التثنية فيكون اربعا وخص اثنين بالذكر وان كان من اجناس الثمار ما يزيد على ذلك لانه الاقل اذ لا نوع ينقص اصنافه عن اثنين انتهى ويقال ان في كل ثمرة ذكرا وانثى واشار الى ذلك الفراء وقال ابو عبد الله الرازي لما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع او الشخص فلما قال اثنين علمنا انه اول ما خلق من كل زوجين اثنين لا اقل ولا ازيد فالشجر والزرع كبني آدم حصل منهم كثرة وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص وهما آدم وحواء والاستدلال بخلق الثمرات على ما ذكر تعالى من جهة نبت الحبة في الارض وشق اعلاها واسفلها فمن الشق الاعلى الشجرة الصاعدة ومن الاسفل العروق الغائصة وطبيعة تلك الحبة واحدة وتاثيرات الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم يخرج من الاعلى ما يذهب صعدا في الهواء ومن الاسفل ما يغوص في الثرى ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك بتقدير قادر حكيم ثم تلك الشجرة يكون بعضها خشبا وبعضها نورا وبعضها ثمرا ثم تلك الثمرة يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع وذلك بتقدير القادر الحكيم انتهى وفيه تلخيص وقيل تم الكلام عند قوله ومن كل الثمرات فيكون معطوفا على ما قبله من عطف المفردات ويتعلق بقوله وجعل فيها رواسي فالمعنى انه جعل في الارض من كل ذكر وانثى اثنين وقيل الزوجان الشمس والقمر وقيل الليل والنهار يغشي الليل النهار تقدم تفسير هذه الجملة وقراءتها في الاعراف وخص المتفكرين لان ما احتوت عليه هذه الايات من الصنع العجيب لا يدرك الا بالتفكر ۞ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ۞ قطع جمع قطعة وهي الجزء ومتجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض قال ابن عباس ومجاهد وابو العالية والضحاك ارض طيبة وارض سبخة تنبت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت وقال ابن قتيبة وقتادة يعني القرى المتجاورة وقيل متجاورة في المكان مختلفة في الصفة مصلبة الى رخوة وشجراء الى مرداء ومخصبة الى مجدبة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها مع انتظام جميعها في الارضية وقيل في الكلام حذف معطوف اي وغير متجاورات والمتجاورات المدن وما كان عامرا وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر قال ابن عطية والذي يظهر من وصفها بالتجاور انما هو من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في هذا ابين لانها مع اتفاقها في التربة والماء تفضل القدرة والارادة بعض اكلها على بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه الاية فقال الدقل والفارسي والحلو والحامض وقال ابن عطية ايضا وقيد منها في هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك في الاكل اغرب وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات بالنصب على جعل **وقرأ** الجمهور وجنات بالرفع **وقرأ** الحسن بالنصب باضمار فعل وقيل عطفا على رواسي وقال الزمخشري بالعطف على زوجين اثنين او بالجر على كل الثمرات انتهى والاولى اضمار فعل لبعد ما بين المتعاطفين في هذا التاريخ والفصل بينهما بجمل كثيرة **وقرأ** ابن كثير وابو عمرو

وحصص وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع في الجميع على مراعاة قطع وقال ابن عطية عطفا على قطع
وليست عبارة محررة لأن فيها ما ليس بقطع وهو قوله صنوان وقرأ باقي السبعة بخفض الأربعة
على مراعاة من أعناب وقال ابن عطية عطفا على أعناب وليست عبارة محررة أيضا لأن فيها
ما ليس يعطف قوله صنوان قال وجعل الجنة من الأعناب من رفع الزرع والجنة حقيقة إنما هي
الأرض التي فيها الأعناب وفي ذلك تجوز ومنه قول الشاعر

كأن عيني في غربي مقتلة ٭ من النواضح تسقي جنة سحقا ٭

أي نخيل جنة إذ لا يوصف بالسحق إلا النخل ومن خفض الزرع فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع
وحده لأنه لا يقال للمزرعة جنة إلا إذا خالطها شجرات وقرأ الجمهور صنوان بكسر الصاد
فيهما وابن مصرف والسلمي وزيد بن علي بضمها والحسن وقتادة بفتحها وبالفتح هو اسم للجمع
كالسعدان وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي يسقى بالياء أي يسقى ما ذكر وباقي السبعة
بالتاء وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وأهل مكة أنث لعود الضمير على لفظ ما تقدم ولقوله ونفضل
بعضها فأنث وأمالت فتحة القاف حمزة والكسائي وقرأ الجمهور ونفضل بالنون وحمزة
والكسائي بالياء وابن محيصن بالياء في يسقى وفي ويفضل وقرأ يحيى بن يعمر وأبو حيوة
والحلبي عن عبد الوارث ويفضل بالياء وفتح الضاد بعضها بالرفع قال أبو حاتم وجدته كذلك
في مصحف يحيى بن يعمر وهو أول من نقط المصاحف وتقدم في البقرة خلاف القراء في ضم
كاف الأكل وسكونها والأكل بضم الهمزة المأكول كالنقض بمعنى المنقوض وبفتحها المصدر والظاهر
من تفسير أكثر المفسرين للصنوان أن يكون قوله صنوان صفة لقوله ونخيل ومن فسره منهم بالمثل
جعله وصفا لجميع ما تقدم أي أشكال وغير أشكال ونظير هذه الكلمة قنو وقنوان ولا يوجد
لهما ثالث ونص على الصنوان لأنها بمثابة التجاور في القطع فظهر فيها غرابة اختلاف الأكل
ومعنى بماء واحد ماء مطر أو ماء بحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض وخص
التفضيل في الأكل وإن كانت متفاضلة في غيره لأنه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات الأمر
إلى التفاوت في الأشكال والألوان والروائح والمنافع وما يجري مجرى ذلك قيل نبه
تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته وأنه المدبر للأشياء كلها وذلك أن الشجر تخرج أغصانها
وثمراتها في وقت معلوم لا تتأخر عنه ولا تتقدم ثم تصعد الماء في ذلك الوقت علوا علوا وليس
من طبعه إلا التسفل ثم تتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كل بقسطه وبقدر
ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على
مدبر دبره وأحكمه لا يشبه المخلوقات وقال بعض الرجاز

والأرض فيها عبرة للمعتبر ٭ تخبر عن صنع مليك مقتدر ٭
تسقى بماء واحد أشجارها ٭ وبقعة واحدة قرارها ٭
والشمس والهواء ليس يختلف ٭ وأكلها مختلف لا يأتلف ٭
لو أن ذا من عمل الطبائع ٭ أو أنه صنعة غير صانع ٭
لم يختلف وكان شيئا واحدا ٭ هل يشبه الأولاد إلا الوالدا ٭
الشمس والهواء يا معاند ٭ والماء والتراب شيء واحد ٭
فما الذي أوجب ذا التفاضلا ٭ إلا حكيم لم يرده باطلا ٭

وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة فسطحها

فصارت قطعا متجاورة فنزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة
وملحا وخبثا وكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب
وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت قلوب وقال الحسن ما جالس أحد القرآن إلا
قام عنه بزيادة أو نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين إلا خسارا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية إن في ذلك قال
ابن عباس في اختلاف الألوان والروائح والطعوم لآيات لحجج ودلالات لقوم يعقلون
يعلمون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال
في هذه الآية ناشئا في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها
وتفضلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التي قبلها فإن الاستدلال
بها يحتاج إلى تأمل ومزيد نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون ٭ وإن تعجب فعجب قولهم
أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت
من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب
٭ لما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها
سواه عجب رسوله من إنكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فقال
وإن تعجب قال ابن عباس وإن تعجب من تكذيبهم إياك بعدما كانوا حكموا عليك أنك من
الصادقين فهذا العجب وقيل وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا
نفعا بعدما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا العجب وقال الزمخشري
وإن تعجب يا محمد من قولهم في إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر
على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الإعادة أهون شيء عليه
وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب انتهى وليس مدلول اللفظ ما ذكر لأنه
جعل متعلق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في إنكار البعث وجواب الشرط هو قولهم
في إنكار البعث فاتحد الجزاء والشرط إذ صار التقدير وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث
فاعجب من قولهم في إنكار البعث وإنما مدلول اللفظ أن يقع منك عجب فليكن من
قولهم أإذا متنا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو إنكار البعث
لأنه تعالى هو المخترع للأشياء ومن كان قادرا على إبرازها من العدم الصرف كان قادرا
على الإعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أي
هين عليه وقال ابن عطية هذه الآية توبيخ للكفرة أي إن تعجب يا محمد من جهالتهم
وإعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجيب وغريب أن تنكر قلوبهم العود بعد كوننا
ترابا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا آخر أي إن كنت تريد عجبا فهلم فإن من عجيب
العجب قولهم انتهى واختلف القراء في الاستفهامين إذا اجتمعا في أحد عشر موضعا
هنا موضع وكذا في المؤمنين وفي العنكبوت وفي النمل وفي السجدة وفي الواقعة وفي
والنازعات وفي بني إسرائيل موضعان وكذا في والصافات فقرأ نافع والكسائي
يجعل الأول استفهاما والثاني خبرا إلا في العنكبوت والنمل بعكس نافع وجمع الكسائي
بين الاستفهامين في العنكبوت وأما في النمل فعلى أصله إلا أنه زاد نونا فقرأ إننا لمخرجون

فعلى تقديره وإن تعجب

وقرأ ابن عباس بجعل الاول خبرا والثاني استفهاما الا في النمل والنازعات فعكس وزاد في النمل
نونا كالكسائي والا في الواقعة فقرأهما باستفهامين وهي قراءة باقي السبعة في هذا الباب
الا ابن كثير وحفصا قرآ في العنكبوت بالخبر في الاول وبالاستفهام في الثاني وهم على اصولهم
في اجتماع الهمزتين من تخفيف وتحقيق وفصل بين الهمزتين وتركه وقيل فعجب مؤخر مقدم
ولا بد فيه من تقدير صفة لانه لا يتمكن المعنى بمطلق فلا بد من قيد وتقديره والله اعلم فعجب
اي عجيب او فعجب غريب واذا قدرناه موصوفا جاز ان يعرب مبتدأ لانه نكرة فيها مسوغ
الابتداء وهو الوصف وقد وقعت موقع الابتداء ولا يضر كون الخبر معرفة وذلك كما اجاز
ذلك في كم مالك لمسوغ الابتداء فيه وهو الاستفهام وفي نحو اقصد رجلا خير منه ابوه لمسوغ
الابتداء ايضا وهو كونه عاملا فيما بعده وقال ابو البقاء وقيل عجب بمعنى معجب فعلى
هذا يجوز ان يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذي اجازه لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشيء
بمعنى الشيء ان يكون حكمه في العمل كحكمه فمعجب يعمل وعجب لا يعمل الا ترى ان فعلا كذبح وفعلا
كقبض وفعله كغرفة هي بمعنى مفعول ولا يعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض
ماله ولا برجل غرفة ماؤه بمعنى مذبوح كبشه ومقبوض ماله ومغروف ماؤه وقد نصوا على
ان هذه تنوب في الدلالة لا العمل عن المفعول وقد حصر النحويون ما يرفع الفاعل وليس منه
المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل والظاهر ان أئذا معمول لقولهم محكي به وقال الزمخشري
أئذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم انتهى وهذا اعراب متكلف
وعدول عن الظاهر واذا متمحضة للظرف وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف
يفسره ما تدل عليه الجملة الثانية وتقديره انبعث او انحشر اولئك اشارة الى قائلي تلك المقالة
وهي تقرير مصمم على انكار البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر اذ عجزوا قدرته من اعادة ما انشأ واخترع
ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر في الدنيا ذكر ما يؤولون اليه في الآخرة على سبيل الوعيد وابرز ذلك
في جملة مستقلة مشارا اليهم والظاهر ان الاغلال تكون حقيقة في اعناقهم في الآخرة كما قال
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل وقيل يحتمل ان يكون مجازا اي هم مغلولون عن الايمان
فيجري اذن مجرى الطبع والختم على القلوب كما قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
وكما قال **الشاعر** لهم عن الرشد اغلال واقياد ٥ وقيل الاغلال هنا عبارة عن
اعمالهم الفاسدة في اعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة وابرز ذلك
في جملة مستقلة مشارا اليهم زيادة عليهم مما انكروه من البعث اذ لا يكون اصحاب النار
الا بعد الحشر ولما كانوا متوعدين بالعذاب ان اصروا على الكفر وكانوا مكذبين بما انذروا
به من العذاب سألوا واستعجلوا في الطلب ان يأتيهم العذاب وذلك على سبيل الاستهزاء
كما قالوا فامطر علينا حجارة وقالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس
السيئة العذاب والحسنة العافية وقال قتادة بالشر قبل الخير وقيل بالبلاء
والعقوبة قبل الرخاء والعافية وهذه اقوال متقاربة وقد خلت من قبلهم المثلات
اي يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم من مكذبي الرسل في الامم السالفة وهذا يدل
على سخف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه فلو انه لم يسبق تعذيب امثالهم لكانوا
ربما يكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزئون قال ابن عباس المثلات العقوبات
المستأصلات كمثلة قطع الانف والاذن ونحوهما وقال السدي النقمات وقال قتادة

وقايع

وقائع الله الفاضحة كالقردة والخنازير وقال مجاهد الامثال المضروبة وقرأ الجمهور بفتح
الميم وضم الثاء ومجاهد والاعمش بفتحهما وقرأ عيسى بن عمر في رواية الاعمش وابو بكر بضمهما
وابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء وابن مصرف بفتح الميم وسكون الثاء وانه لذو مغفرة للناس
على ظلمهم توجيه للغفران وعلى ظلمهم في موضع الحال والمعنى انه يغفر لهم مع ظلمهم انفسهم باكتساب
الذنوب اي ظالمين انفسهم قال ابن عباس ليس في القرآن آية ارجى من هذه وقال الطبري
يغفر لهم في الآخرة وقال القشيري يجيء قوم ليغفر لهم الظلم السالف بتوبتهم في الآنف وقيل
يغفر السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر وقيل ليغفر لهم بستره وامهاله فلا يعجل لهم العذاب
مع تعجيلهم بالمعصية قال ابن عطية والظاهر من معنى المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وامهاله
للكفرة الا ترى التيسير في لفظ مغفرة وانها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة كما في قوله
واني لغفار لمن تاب ومحط الآية يعطي هذا الا ترى حكمه عليهم بالنار ثم قال ويستعجلونك
فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فاخبر بسيرته في الامم وانه يمهل مع ظلم الكفر
انتهى والتشديد العقاب تخويف وارهاب بعد ترجية وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه
الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما تهنأ احد عيش ولولا عقابه
لاتكل كل احد وفي حديث آخر ان العبد لو علم قدر عفو الله لما امسك عن ذنب ولو علم قدر عقوبته
لبخع نفسه في عبادة الله ٥ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر
ولكل قوم هاد ٥ عن ابن عباس لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال
انا المنذر واومأ بيده الى منكب علي وقال انت الهادي يا علي بك يهتدي من بعدي وقال
القشيري نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب والذين كفروا مشركوا العرب او من انكر
نبوته من مشركيهم والكفار ولم يعتدوا بالآيات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر وانقياد
الشجر وانقلاب العصا سيفا ونبع الماء من بين الاصابع وامثال هذه فاقترحوا عنادا آيات
كالمذكورة في سبحان وفي الفرقان كالتفجير للينبوع والرقي في السماء والملك والكنز فقال
تعالى لنبيه انما انت منذر تخوفهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل وليس لك الاتيان
بما اقترحوا اذ قد اتى بآيات عدد الحصى والآيات كلها متماثلة في صحة الدعوى لا تفاوت فيها
فالاقتراح انما هو عناد ولم يجر الله العادة باظهار الآيات المقترحة الا للامة التي حتم
بعذابها واستيصالها وهاد يحتمل ان يكون قد عطف على منذر وفصل بينهما بقوله لكل لاجل
جعله فاصلة فيكون من صفات الرسول فالتقدير منذر وهاد لكل قوم وبه قال عكرمة
وابو الضحى فان اخذت ولكل قوم هاد على العموم فمعناه داع الى الهدى كما قال بعثت
الى الاسود والاحمر وان اخذت هاد على حقيقته فلكل قوم مخصوص اي ولكل قوم قابلين للهداية
هاد وقيل ولكل امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم والمقصد فليس امرك ببدع ولا منكر
وبه قال مجاهد وابن زيد والزجاج قال نبي يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يتحكمون فيه
من الاقتراحات وتبعهم الزمخشري فقال هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله
بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة وقالت
فرقة الهادي في هذه الآية هو الله تعالى روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير
وهاد على هذا مخترع للارشاد قال ابن عطية والالفاظ تتعلق بهذا المعنى ويعرف
ان الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع وقال الزمخشري في هذا القول وجه آخر

قوله عز وجل ويقول الذين

وهو أن يكون المعنى إنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت
منذر فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان بالإلجاء والذي يثبته بالإلجاء هو الله تعالى انتهى
ودس كلاما اعتزاليا على الاعتزال وقال في معنى القول الذي فيه مجاهد وابن زيد ما قصده ولقد دلت
بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء وعلى قضايا الحكمة أن إعطاء كل منذر آيات أمر مدبر بالعلم
النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة لأجابهم إليه وقال
الزمخشري أيضا في معنى أن الهادي هو الله أي بالإلجاء على زعمه ما نصه وأما على الوجه الثاني
فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم
ولا سبيل إلى ذلك لغيره انتهى وقالت فرقة الهادي علي بن أبي طالب وإن صح ما روي
عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الآية فإنما جعل الرسول علي بن أبي طالب مثالا من علماء
الأمة وهداتها إلى الدين فكأنه قال أنت يا علي هذا وصفك ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان
وسائر علماء الصحابة ثم كذلك علماء كل عصر فيكون المعنى على هذا إنما أنت يا محمد منذر ولكل قوم
في القديم والحديث دعاة هداة إلى الخير وقال أبو العالية الهادي العمل وقال علي بن عيسى
ولكل قوم سابق سبقهم إلى الهدى وهذا يرجع إلى أن الهادي هو النبي الذي لأولئك القوم
لأنه لا يسبق إلى الهدى إلا نبي أولئك القوم وقيل هاد قائد إلى الخير أو إلى الشر قال في الخير
وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد وقال في الشر فاهدوهم إلى صراط الجحيم قاله أبو صالح
ووقف ابن كثير على هاد ووال وواق حيث وقعا وعلى وال هنا وباق في النحل بإثبات الياء وباقي السبعة
بحذفها وفي الإقناع لأبي جعفر بن الباذش عن ابن مجاهد الوقف على جميع الباب لابن كثير بالياء
وهذا لا يعرفه المكيون وفيه عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش أنه خيره في الوقف في جميع الباب
بين أن يقف بالياء وبين أن يقف بحذفها والباب هو كل منقوص منون غير منصرف الله يعلم ما
تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال مناسبة هذه الآية لما قبلها
هو ما نبه عليه الزمخشري من أنه تعالى لما طلب الكفار أن تنزل على الرسول آية وكم آية نزلت أردف
ذلك بذكر آيات علمه الباهر وقدرته النافذة وحكمته البليغة وأن ما أنزله عليه من الآيات
كافية لمن تبصر فلا يقترح آية غيرها وأن نزول الآيات إنما هو على ما يقدره تعالى وقيل
مناسبة ذلك أنه لما تقدم إنكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيأ
الامتياز بينها نبه على إحاطة علمه وأن من كان عالما بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ
وقيل مناسبة ذلك أنهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات وأنه إنما ينزل العذاب
بحسب ما يعلم كونه مصلحة قال ابن عطية تضمن هذه الأمثال المنبهة على قدرة الله القاضية بتجويز
البعث فمن ذلك الواحدة من الجنس التي هي مثال تبحر الغيب يعني التي لا يعلمها إلا هو وهي ما تحمل به
الإناث من الأجنة من كل نوع من الحيوان وهذه البداءة يعتبر أنه لا يتعذر على القادر عليها الإعادة
والله يعلم كلام مستأنف مبتدأ وخبر ومن قرأ الهادي بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف
أي هو الله ثم ابتدأ إخبارا عنه فقال يعلم ويعلم هنا متعدية إلى واحد لأنه لا يراد هنا النسبة
إنما المراد تعلق العلم بالمفردات وما جوزوا أن يكون بمعنى الذي والعائد عليها في صلتها محذوف

قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل

ويكون

ويكون تغيض متعديا وأن تكون مصدرية فيكون تغيض وتزداد لازمان وسماع تعديتهما
ولزومهما ثابت من كلام العرب وأن تكون استفهامية مبتدأ وتحمل خبره ويعلم معلقة والجملة
في موضع المفعول وتحمل هنا من حمل البطن لا من الحمل على الظهر وفي مصحف أبي ما تحمل كل أنثى
وما تضع وتحمل على التفسير لأنها زيادة لم تثبت في سواد المصحف قال ابن عباس تغيض تنقص
من الخلقة وتزداد تتم وقال مجاهد غيض الرحم أن يهريق دما على الحمل فيضعف الولد في البطن
ويشحب فإذا أبقى الولد في بطنها بعد تسعة أشهر مدة يكمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بهراقة
الدم انتهى كلام ابن عباس وقال عكرمة تغيض بظهور الحيض في الحبل وتزداد في النفاس
بعد الوضع وقال قتادة الغيض السقط والزيادة البقاء فوق تسعة أشهر وقال
الضحاك غيض الرحم أن تسقط المرأة الولد والزيادة أن تضعه لمدة كاملة تامة وعن
الضحاك أيضا الغيض النقص من تسعة أشهر والازدياد إلى سنتين وقيل من عدد الأولاد
فقد تحمل واحدا وقد تحمل أكثر وقال الجمهور غيض الرحم الدم على الحمل قال الزمخشري إن كانت
موصولة يعني ما فالمعنى أنه يعلم ما تحمل من الولد على أي حالة هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام
تنقصه وما تزداد أي تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه وازدادوا
تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها
تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة في بطن
أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة
أشهر فما زاد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك
وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي
هرما ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى فإنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض
الأرحام وازديادها ولا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما في
الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين ويعضده قول
الحسن الغيضوضة أن تقع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر
وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام انتهى وهو جمع ما قاله
المفسرون مفرقا وبمقدار بقدر وقد يطلق المقدار على القدر وعلى ما يقدر به الشيء والظاهر
عموم قوله وكل شيء عنده بمقدار أي بحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه وقال ابن عباس وكل شيء
من الثواب والعقاب عنده بمقدار أي بقدر الطاعة والمعصية وقال الضحاك من الغيض والازدياد
وقال قتادة من الرزق والأجل وقيل صحة الجنين ومرضه وموته وحياته ورزقه
وأجله والأحسن حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص لأنه لا دليل عليه والمراد من
العندية العلم أي هو عالم تعالى بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع
اللبس في تلك المعلومات وقيل المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت بعينه
وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية ولما ذكر أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها
إلا هو وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء فعلمه تعالى متعلق بما
يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم وقيل الغائب المعدوم والشاهد الموجود وقيل
ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر للحس وقرأ زيد بن علي عالم الغيب بالنصب الكبير العظيم

الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المحدثين
وتعالى عنها واثبت ابن كثير وابو عمرو في رواية يا المتعال وقفا ووصلا وهو الكثير في لسان العرب
وحذفها الباقون وصلا ووقفا لانها كذلك رسمت في الخط واستشهد س حذفها في الفواصل
وفي القوافي واجاز غيره حذفها مطلقا ووجه حذفها مع انها تحذف مع التنوين وال تعاقب التنوين
فحذفت مع المعاقب اجراء له مجرى المعاقب ولما ذكر تعالى انه عالم الغيب والشهادة على العموم
ذكر تعالى تعلق علمه بشيء خاص من احوال المكلفين فقال سواء منكم الاية والمعنى سواء في علمه
المسر القول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من اقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا
بمعنى مستو وهو لا يثنى في اشهر اللغات وحكى ابو زيد تثنيته فيقول هما سواءان وقيل هو على
حذف اي ذو سواء منكم من اسر القول وجهر به واعربوا سواء خبر مبتدا او من اسر والمعطوف
عليه مبتدا ويجوز ان يكون سواء مبتدا لانه موصوف بقوله منكم ومن المعطوف الخبر وكذا اعراب
س قول العرب سواء عليه الخير والشر وقول ابن عطية ان س ضعف ذلك بانه ابتداء بنكرة لا يصح
وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر وقال مجاهد مستخف بالمعاصي وتفسير الاخفش
وقطرب المستخفي هنا بالظاهر وان كان موجودا في اللغة ينبو عنه اقترانه بالليل واقتران
السارب بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ومن هو مستخف اذ قابل من اسر القول وفي قوله
وسارب بالنهار اذ قابل ومن جهر به والمعنى والله اعلم ان الله تعالى محيط علمه باقوال المكلفين
وافعالهم لا يعزب عنه شيء من ذلك وظاهر التقسيم يقتضي تكرار من لكنه حذف للعلم به اذ قد
تقدم قوله من اسر القول ومن جهر به لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين واجازه الكوفيون
ويجوز ان يكون وسارب معطوفا على من لا على مستخف فيصح التقسيم كانه قيل سواء شخص هو مستخف
بالليل وشخص سارب بالنهار ويجوز ان يكون معطوفا على مستخف واريد بمن اثنان وحمل على المعنى
في تقسيم خبر المبتدا الذي هو هو وعلى لفظ من في افراد هو والمعنى سواء اللذان هما مستخف بالليل
والسارب بالنهار وهو رجل واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار ليرى تصرفه في الناس قال
ابن عطية فهذا قسم واحد جعل الله نهاره راحته والمعنى هذا والذي امره كله واحد بري من الريب سواء
في اطلاع الله على الكل ويؤيد هذا التاويل عطف السارب دون تكرار من ولا ياتي حذفها الا في الشعر
ويحتمل الاية ان تتضمن ثلاثة اصناف فالذي يسر طرف والذي يجهر طرف مضاد للاول والثالث
متوسط متلون يعصي بالليل مستخفيا ويظهر البراءة بالنهار انتهى وقيل ومن هو مستخف بالليل
بظلمته يريد اخفى عمله فيه كما قال • ازورهم وسواد الليل يشفع لي ⊙ وقال
وكم لظلام الليل عندك من يد • والظاهر عود الضمير في له على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن
استخفى ومن سرب معقبات وقال ابن عباس هو عائد على من في قوله ومن هو مستخف وكذلك باقي
الضمائر التي في الاية قال ابن عطية والمعقبات على هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه
قالوا والاية على هذا في الرؤساء الكافرين واختار هذا القول الطبري وهو قول عكرمة وجماعة
وقال الضحاك هو السلطان المحترس من امر الله المشرك وذكر الماوردي ان الكلام على هذا
التاويل نفي تقديره لا يحفظونه من امر الله انتهى وحذف لا في جواب قسم بعيد قال المهدوي
ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من امر الله على ظنه وزعمه وقيل الضمير في له عائد
على الله تعالى اي لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذا الملائكة
الحفظة على العباد اعمالهم والحفظة لهم ايضا وروي فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وهو قول مجاهد والنخعي وقيل الضمير في له عائد على الرسول وان لم يجر له ذكر قريب وقد جرى ذكره
في قوله ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه والمعنى ان الله جعل للنبي حفظة من مردة الجن
والانس قال ابن زيد الاية في النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت في حفظ الله له من اربد بن قيس وعامر
ابن الطفيل في القصة التي سنشير اليها بعد في ذكر الصواعق والقول الاول في عود الضمير هو الاولى
والذي ينبغي ان يحمل عليه وعليه يفسر قول لما تقدم اذ من اسر القول ومن جهر به ومن استخفى
بالليل وسرب بالنهار داخلون في علم الله لا يخفى عليه من احوالهم شيء ذكر ايضا ان لذلك المذكور
معقبات وهم جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته ومعقب وزنه مفعل من عقب
الرجل اذا جاء على عقب الاخر لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه
وقال الزمخشري والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني
المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به انتهى وهذا وهم فاحش لا تدغم التاء في القاف
ولا القاف في التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون على ان القاف والكاف كل منهما
يدغم في الاخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما واما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا
يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقد تقدم في براءة توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه واما قوله
ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناه على ان اصله معتقبات فادغمت التاء في القاف
وقد ذكرنا ان ذلك وهم فاحش والمعقبات جمع معقبة قيل والهاء في معقبة للمبالغة فيكون
كرجل نسابة وقيل جمع معقبة وهي الجماعة التي تاتي بعد الاخرى جمعت باعتبار كثرة الجماعات
ومعقبة ليس جمع معقب كما ذكر الطبري وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات وليس الامر كما ذكر
لان ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقب ومعقبة ومعقبات انما هي كضارب وضاربة وضاربات قال ابن عطية
وينبغي ان يتاول كلام الطبري على انه اراد بقوله جمع معقب انه اطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب
وان كان اصله ان يطلق على مؤنث معقب فصار مثل الواردة للجماعة الذين يردون وان كان
اصله ان يطلق على مؤنث وارد من حيث ان جمع جموع التكسير للعاقل يجوز ان يعامل معاملة
المفردة المؤنثة في الاخبار وفي عود الضمير كقوله العلماء قائلة كذا وكقولهم الرجال واعضا
وتشبيه الطبري ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا من حيث صناعة النحويين فبين
ان معقبة من حيث اريد بها الجمع كرجال من حيث وضع للجمع وان معقبات من حيث استعمل جمعا لمعقبة
المستعمل للجمع كرجالات الذي هو جمع رجال وقرا عبيد الله بن زياد على المنبر له المعقبات وهي
قراءة ابي وابراهيم وقال الزمخشري وقرئ له معاقيب قال ابو الفتح هو تكسير معقب
بسكون العين وكسر القاف كمطعم ومطاعم ومقدم ومقاديم وكان معقبا جمع على معاقبة
ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة وقال الزمخشري جمع معقب
او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير وقرئ له معيقبات من اعتقب
وقرا ابي من بين يديه ورقيب من خلفه وقرا ابن عباس ورقباء من خلفه وذكر عنه ابو حاتم
انه قرا له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير
لا انها قران لمخالفتها سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون والظاهر ان قوله من امر الله
متعلق بقوله يحفظونه فقيل من للسبب كقولك كسوته من عري ويكون معناها ومعنى الباء
سواء كانه قيل يحفظونه بامر الله وباذنه فحفظهم اياه متسبب عن امر الله لهم بذلك قال
ابن جريج يحفظون عليه عمله فحذف المضاف وقال قتادة يكتبون اقواله وافعاله

دها

وقراءة علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد يحفظونه بأمر الله يؤيد تأويل السببية في من وفي هذا التأويل قال الزمخشري يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه وقال ابن عطية وقال قتادة معنى من أمر الله بأمر الله أي يحفظونه بما أمر الله وهذا تحكم في التأويل انتهى وليس بتحكم وورود من للسبب ثابت من لسان العرب وقيل يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك حرست زيدا من الأسد ومعنى ذلك إذا أذنب أذن الله لهم في دعائهم أن يمهله رجاء أن يتوب عليه وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ويصير معنى الكلام إلى التضمين أي يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته ومن جعل المعقبات الحرس وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه في زعمه وتوهمه من قدر الله ويدفعون قضاءه في ظنه وذلك لجهالته بالله تعالى ويكون ذلك على معنى التهكم به وحقيقة التهكم هو أن يخبر بشيء ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف وفي الحقيقة هو منتف وكذلك حمل بعضهم يحفظونه على أنه مراد به لا يحفظونه بحذف لا وعلى هذا التأويل في من تكون متعلقة كما ذكرنا بيحفظونه وهي في موضع نصب وقال الفراء وجماعة في الكلام تقديم وتأخير أي له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وروي هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريج فيكون من أمر الله في موضع رفع لأنه صفة لمرفوع ويتعلق إذ ذاك بمحذوف أي كائنة من أمر الله ولا يحتاج في هذا المعنى إلى تقديم وتأخير بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر أحدها من بين يديه ومن خلفه أي كائنة من بين يديه والثانية يحفظونه أي حافظات له والثالثة كونها من أمر الله وإن جعلنا من بين يديه ومن خلفه يتعلق بيحفظونه فيكون إذ ذاك معقبات وصفت بصفتين إحداهما يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والثانية قوله من أمر الله أي كائنة من أمر الله غاية ما في ذلك أنه بدئ بالوصف بالجملة قبل وصف بالجار والمجرور وذلك سائغ جيد فصيح وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة في الحفظ آكد فلذلك قدم الوصف بها وذكر أبو عبد الله الرازي في الملائكة الموكلة علينا وفي الكتبة منهم أقوالا لا عن المنجمين وأصحاب الطلسمات وناس سماهم حكماء الإسلام لوقف على ذلك من تفسيره ولما ذكر تعالى إحاطة علمه بخفايا الأشياء وجلاياها وأن الملائكة تعتقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وكان الصادر منهم خيرا وشرا ذكر تعالى أن ما خولهم فيه من النعم وأسبغ عليهم من الإحسانات لا يزيله عنهم إلى الانتقام منهم إلا بكفر تلك النعم وإهمال أمره بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكأن في ذكر ذلك تنبيها على لزوم الطاعة وتحذيرا لوبال المعصية والظاهر أنه لا يقع تغييرا لنعم بقوم حتى يقع تغيير منهم بالمعاصي قال ابن عطية وهذا الموضع متأول لأنه الخبر بما قررت الشريعة من أخذ العامة بذنوب الخاصة وبمن دونها نقوا فتنة الآية وسؤالهم للرسول أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث في أشياء كثيرة فمعنى الآية حتى يقع تغيير إما منهم وإما من الناظر لهم أو ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم إلى غير هذا من أمثلة الشريعة فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وثم أيضا مصائب يريد الله بها أجر المصاب فتلك ليست تغييرا انتهى وفي الحديث إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقيل هذا يرجع إلى قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة فبين تعالى أنه لا يترك بهم عذاب الاستئصال إلا والمعلوم منهم الإصرار على الكفر والمعاصي إلا إن علم تعالى أن فيهم من يؤمن أو في عقبه من يؤمن فإنه تعالى لا ينزل بهم عذاب الاستئصال وما موصولة ا

صلتها بقوم وكذا ما بأنفسهم وفي ما إبهام وفي ما إبهام لا يتعين المراد منها إلا بسياق الكلام واعتقاد محذوف يتبين به المعنى والتقدير لا يغير ما بقوم من نعمة وخير إلى ضد ذلك حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى نوع من معصيته والسوء يجمع كل ما يسوء من مرض وفقر وعذاب وغير ذلك من البلاء ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة **اقتصر على قوله سوءا** والأفالسوء والخير إذا أراد الله تعالى شيئا منها فلا مرد له وتذكر السوء مبالغة في التخويف وقال السدي من وال من ملجأ وقال الزمخشري ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم وقيل من ناصر يمنع من عذابه هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال لما خوف تعالى العباد بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرة الله وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد والصواعق والسحاب في البقرة قال ابن عباس والحسن خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقال قتادة خوفا للمسافر من أذى المطر وطمعا للمقيم في نفعه وقريب منه ما ذكر الزجاج ومخوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر له وطمعا لمن يرجو الانتفاع به **وذكر الماوردي** خوفا من العقاب وطمعا في الثواب وعن ابن عباس وغيره أنه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر غالبا وذلك من باب إطلاق الشيء مجازا على ما يقارنه غالبا قال الحوفي خوفا وطمعا مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب وجوز الزمخشري أي خائفين وطامعين قال ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ● يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق ●

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر انتهى وقوله الأول في تفسير الخوف والطمع هو قول ابن عباس والحسن الذي تقدم وقوله كأهل مصر ليس كما ذكر بل ينتفعون بالمطر في كثير من أوقات نمو الزرع وإنه به ينمو ويجود بل يحتاج على الزرع أوقات يتضرر وينقص نموه بامتناع المطر وأجاز الزمخشري أن يكونا منصوبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وطمع وقال أبو البقاء خوفا وطمعا مفعول من أجله وقال الزمخشري لا يصح أن يكون مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا انتهى وإنما لم يكونا على ظاهرهما بفعل لفاعل الفعل المعلل لأن الإرادة فعل الله والخوف والطمع فعل للمخاطبين فلم يتحد الفاعل في الفعل والمصدر وهذا الذي ذكره الزمخشري من شرط اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعا عليه بل من النحويين من لا يشترط ذلك وهو مذهب ابن خروف والسحاب اسم جنس يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع كما قال والنخل باسقات ولذلك جمع في قوله الثقال ويعني بالماء وهو جمع ثقيلة قال مجاهد وقتادة معناه بحمل الماء والعرب تصفها بذلك ● وقال قيس بن الخطيم

● فما روضة من رياض القطا ● كأن المصابيح حوذانها ●

باحسن منها ولا مزنة • دلوح تكشف ادجانها •
والدلوح المثقلة والظاهر اسناد التسبيح الى الرعد فان كان مما يصح منه التسبيح فهو اسناد
حقيقي وان كان مما لا يصح منه فهو اسناد مجازي وتنكيره في قوله فيه ظلمات ورعد وبرق
ينفي ان يكون علما للملك وقال ابن الانباري الاخبار عن الصوت بالتسبيح مجاز كما يقول القائل
قد غمني كلامك وقال الزمخشري ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له
اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وفي الحديث سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي سبحان
من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة
والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم انتهى وقال ابن عطية وقيل في الرعد انه ريح
تختنق بين السحاب روي ذلك عن ابن عباس وهذا عندي لا يصح لان هذا نزغات الطبيعيين
وغيرهم من الملحدة وقال ابو عبد الله الرازي اعلم ان المحققين من الحكماء يذكرون ان هذه
الآثار العلوية انما تتم بقوى روحانية فلكية وللسحاب روح معين من الارواح الفلكية
يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا عين ما قلناه ان الرعد اسم لملك
من الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره
المحققون من الحكماء فكيف يليق بالعاقل الانكار انتهى وهذا الرجل غرضه جريان ما تنتحله الفلاسفة
على مناهج الشريعة ولن يكون ذلك ابدا وقد تقدمت اقوال المفسرين في الرعد في البقرة فلم
يجمعوا على ان الرعد اسم لملك وعلى تقدير ان يكون اسما لملك لا يلزم ان يكون ذلك الملك يدبر
السحاب ولا غيره اذ لا يستفاد مثل هذا الا من النبي المعصوم لا من الفلاسفة
الضلال والظاهر عود الضمير في قوله من خيفته على الله تعالى كما عاد عليه في قوله بحمده
ومعنى من خيفته من هيبته واجلاله وقيل يعود على الرعد والملائكة اعوان جعل الله له
ذلك فهم خائفون خاضعون طائعون له واذا الرعد وان كان مندرجا تحت لفظ الملائكة فهو
تعميم بعد تخصيص انتهى وهو قول ضعيف ومن مفعول فيصيب وهو من باب الاعمال اعمل فيه
الثاني اذ يرسل تطلبه وفيصيب تطلبه ولو اعمل الاول لكان التركيب ويرسل الصواعق
فيصيب بها على من يشاء لكن جاء على الكثير في لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال
الثاني ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته وفي الخبر ان الرسول بعث الى جبار من العرب
ليسلم فقال اخبروني عن اله محمد امن لؤلؤ هو ام من ذهب فنزلت عليه صاعقة فنزلت الآية
فيه وقال مجاهد ناظر يهودي الرسول فبينا هو كذلك نزلت صاعقة فاخذت قحف
رأسه فنزلت الآية فيه وقال ابن جريج سبب نزولها قصة اربد بن ربيعة وعامر
بن الطفيل وذكر قصتهما المشهورة ومضمونها ان عامرا توعد الرسول اذ لم يجبه الى ما طلب
وانه واربد راما الفتك به فعصمه الله واصاب عامرا بغدة فمات غريبا واربد بصاعقة
فقتلته ولاخيه لبيد فيه عدة مراث منها **قوله**

اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد •
فجعني البرق والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد •

وهذه الصفات الاربع التي وصلت بها الذي تدل على القدرة الباهرة والتصرف التام
في العالم العلوي والسفلي فالمتصف بها ينبغي ان لا يجادل فيه وان يعتقد ما هو عليه من

الصفات العلية والضمير في وهم عائد على الكفار المكذبين للرسول المنكرين الآيات يجادلون
في قدرته اذ استبعدوا البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم وفي وحدانيته باتخاذ
الشركاء والانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملائكة بنات الله والمعنى انه تعالى متصف
بهذه الاوصاف ومع ذلك رتبوا عليها غير مقتضاها من المجادلة فيه وفي اوصافه تعالى وكان
مقتضاها التسليم لما جاءت به الانبياء وقيل وهم يجادلون حال من مفعول يشاء اي فيصيب بها
من يشاء في حال جدالهم كما جرى لليهودي ولذلك الجبار ولاربد وهو شديد المحال جملة حالية من
الجلالة **وقرأ** الجمهور المحال بكسر الميم فعن ابن عباس المحال العداوة وعنه الحقد وعن علي الاخذ
وعن مجاهد القوة وعن وهب الغضب وعن الحسن الهلاك بالمحل وهو القحط **وقرأ** الضحاك والاعرج
المحال بفتح الميم فعن ابن عباس الحول وعن ابي عبيدة الحيلة يقال المحال والمحالة وهي الحيلة ومنه
قول العرب في مثل المرء يعجز لا المحالة قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون
مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان
منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان
الفقار عمود الظهر وقوامه والضمير في له عائد على الله تعالى ودعوة الحق قال ابن عباس
دعوة الحق لا اله الا الله وما كان من الشريعة في معناها وقال علي بن ابي طالب دعوة الحق
التوحيد وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف
فانه لا يدعى فيه الا هو كما قال ضل من تدعون الا اياه قال الماوردي وهو اشبه بسياق
الآية وقيل دعوة الطلب الحق اي مرجو الاجابة ودعاء غير الله لا يجاب وقال الزمخشري فيه
وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله
كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة
للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا
يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي
يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهى وهذا الوجه الثاني
الذي ذكره الزمخشري لا يظهر لان مآله الى تقدير لله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا
التركيب لا يصح والذي يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله ولدار
الآخرة على احد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان لله
تعالى الدعوة التي هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى وكان جدالهم في اثبات
آلهة معه ذكر تعالى انه له الدعوة الحق اي من يدعو له فدعوته هي الحق بخلاف اصنامهم التي
جادلوا في الله لاجلها فان دعاءها باطل لا يحصل منه شيء فقال والذين تدعون قال
الزمخشري والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم
الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه
ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب
دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه انتهى فالضمير في يدعون

عائد على الكفار والعائد على الذين محذوف أي يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء في تدعون
وهي قراءة اليزيدي عن أبي عمرو وقيل والذين أي الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون محذوف
أي يدعون الأصنام والعائد على الذين الواو في يدعون والواو في لا يستجيبون عائد في هذا
القول على مفعول يدعون المحذوف وعلى القول الأول على الذين قال ابن عباس كالناظر إلى خياله
في الماء يريد تناوله فكذا المحتاج يخيل إليه المحتاج إليه خيالا لا احتياج إليه وقال الضحاك
كمن يبسط يديه إلى الماء ليصل إليه بلا اغتراف وقال أبو عبيدة أي كالقابض على الماء ليس على شيء
قال والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بالقابض على الماء وأنشد

• فأصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد •

وقال آخر وإني وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسعه أنامله •

وقيل شبه الكفار في دعائهم لأصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشان لا يقدر على الماء جالس على شفير بئر
يدعو الماء ليبل غلته ولا هو يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا الماء يرتفع إليه لأنه جماد لا يحس بعطشه
ودعائه كذلك ما يدعو الكفار من الأوثان جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر
على نفعهم انتهى والكاف في موضع نصب أي مثل استجابة واستجابة مضافة في التقدير إلى
باسط وهي إضافة المصدر إلى المفعول وفاعل المصدر محذوف تقديره كإجابة الماء من يبسط
كفيه إليه فلما حذف أظهر في قوله إلى الماء ولو كان ملفوظا به لعاد الضمير إليه فكان
يكون التركيب كفيه إليه هذا الذي تقرر من كلام الزمخشري في هذا التشبيه وتبعه أبو البقاء
وقال ابن عطية ومعنى الكلام الذين يدعونهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون
ثم مثل تعالى هذا لا إجابتهم بالذي يبسط كفيه إلى الماء ويشير إليه بالإقبال فهو لا يبلغ فمه
أبدا فكذلك إجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع انتهى وفاعل ليبلغ ضمير الماء وليبلغ متعلق
بباسط وما هو أي وما الماء ببالغه أي ببالغ الفم ويجوز أن يكون هو ضمير الفم والهاء في ببالغه
للماء أي وما الفم ببالغ الماء لأن كلا منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحال وقرئ كباسط كفيه
بالتنوين باسط وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي في حيرة أو في اضمحلال لأنه لا يجدي شيئا
ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعو قال تعالى أينما كنتم تدعون من دون الله
قالوا ضلوا عنا قال الزمخشري إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا
الآلهة لم تستطع إجابتهم وقال ابن عباس أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاءهم

۝ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب
السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل
هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ۝ إن كان السجود بمعنى
الخضوع والانقياد فمن على عمومه إذ كلهم منقادون لما أراده تعالى بهم شاؤوا أو أبوا وتنقاد له
تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال وإن كان السجود
عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون
عاما مخصوصا إذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره
عن سجود من ضمه السيف إلى الإسلام كما قال قتادة فيسجد كرها وإما نفاقا أو يكون الكره
أول حاله فيستمر عليه الصفة وإن صح إيمانه بعد وقيل طوعا لا يثقل عليه السجود وكرها

قوله عز وجل ولله يسجد

يثقل

يثقل عليه لأن التزام التكاليف مشقة وقيل من طالت مدة إسلامه فألف السجود وكرها من بدأ
بالإسلام إلى أن يألف السجود قاله ابن الأنباري وقيل هو عام على تقدير كون السجود عبارة عن
الهيئة المخصوصة وذلك بأن يكون يسجد صيغته صيغة الخبر ومدلوله أمرا ويكون معناه يجب أن
يسجد له كل من في السموات والأرض فعبر عن الوجوب بالوقوع والذي يظهر أن مساق هذه الآية
إنما هو أن العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أراده منه مقصور على مشيئته لا يكون منه إلا ما قدر
تعالى فالذين تعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال
في السجود والظلال ليست أشخاصا يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت
مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد إذ هي من العالم فالعالم جواهره وأعراضه داخلة تحت إرادته
كما قال تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكون
الظلال يراد بها الأشخاص كما قال بعضهم ضعيف وأضعف منه قول ابن الأنباري إنه تعالى جعل
للظلال عقولا تسجد بها وتخشع بها كما جعل للجبال أفهاما حتى خاطبت وخوطبت لأن الجبل يمكن أن يكون
له عقل بشرط تقدير الحياة وأما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به وإنما معنى سجود الظلال ميلها
من جانب إلى جانب كما أراد تعالى وقال الفراء الظل مصدر يعني في الأصل ثم أطلق على الخيال
الذي يظهر للجرم وطوله بسبب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله في طوله
وقصره وميله من جانب إلى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما
وتقدم شرح الغدو والآصال في أواخر الأعراف وروي أن الكافر إذا سجد لصنمه كان ظله
يسجد لله حينئذ وقرأ أبو مجلز والإيصال قال ابن جني هو مصدر آصل أي دخل في الأصيل كما تقول
أصبح أي دخل في الإصباح ولما كان السؤال عن أمر واضح لا يمكن أن يدفعه أحد كان جوابه من
السائل فكان السبق إليه أفصح في الاحتجاج عليهم وأسرع في قطعهم من انتظار الجواب منهم إذ لا
جواب إلا هذا الذي وقعت المبادرة إليه كما قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والأرض
قل الله وبعد ما قال مكي من أنهم جهلوا الجواب فطلبوه من جهة السائل فأعلمهم به السائل
لأنه قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فإذا كانوا مقرين بأن
منشئ السموات والأرض ومخترعها هو الله فكيف يقال إنهم جهلوا الجواب فطلبوه من السائل
وقال الزمخشري قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض
لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله
وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره
تقريرا عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون
تلقينا أي إن كفوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه وقال الكرماني
قل يا محمد للكفار من رب السموات والأرض استفهام تقرير واستنطاق فإنهم يقولون الله فإذا
قالوها قل الله أي هو كما قلتم وقيل فإن أجابوك وإلا فقل الله إذ لا جواب غير هذا انتهى وهو
تلخيص القولين اللذين قالهما الزمخشري وقال البغوي روي أنه لما قال هذا للمشركين
عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله فقال قل الله انتهى واستفهم بقوله قل أفاتخذتم
على سبيل التوبيخ والإنكار أي بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون
من دونه أولياء وتتركونه فجعلتم ما كان يجب أن يكون سببا للتوحيد من علمكم وإقراركم سببا
للإشراك ثم وصف تلك الأولياء بصفة العجز وهي كونها لا تملك لا تنفع لأنفسها نفعا ولا ضرا ومن هو

المنافية فكيف تملك لهم نفعا أو ضرا ثم مثل ذلك حالة الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والإيمان
وأبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادر المخاطب إلى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله
قل هل يستوي الأعمى والبصير ثم انتقل إلى الاستفهام عن الوصفين اللذين بين الكافر ومثلوا الظلمات
وبالمؤمن ومثلوا النور وتقدم الكلام في جمع الظلمات وإفراد النور في سورة البقرة وقرأ
الأخوان نورا وأبو بكر أم هل يستوي بالياء والجمهور بالتاء وأم في قوله أم هل منقطعة
تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل تستوي وهل وإن نابت عن همزة الاستفهام
في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر • أهل رأونا بوادي القف ذي الأكم • وإذا
جامعتها مع التصريح بها فلأن تجامعها مع أم المتضمنة لها أولى وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن
يؤتى بها لشبهها بالأدوات الاسمية التي للاستفهام في عدم الأصالة فيه كقوله أم من يملك
السمع والأبصار ويجوز أن لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة لأن أم تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين أم
والهمزة لذلك وقال الشاعر في عدم الإتيان بهل بعدها والإتيان بها
• • بهل بعدها والإتيان بها • هل ما علمت وما استودعت مكتوم • أم حبلها
إذ نأتك اليوم مصروم • أم هل كبير بكى لم يقض عبرته • إثر الأحبة يوم البين مشكوم • ثم انتقل
من خطابهم إلى الإخبار عنهم غايبا إعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعل شركاء لله وتعجبا منهم
وإنكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التهكم بهم لأنه معلوم بالضرورة أن هذه الأصنام وما
اتخذوا من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء لا يقدر على خلق ذرة ولا اتخاذ شيء البتة والمعنى
أن هؤلاء الشركاء لم يخلقوا شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلوا شركاء لله أي جعلوا لله شركاء
موصوفين بالخلق مثل خلق الله فتشابه ذلك عليهم فعبدوهم ومعلوم أنهم لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون فكيف يشركون في العبادة من يخلق بمن لا يخلق ثم أمره تعالى فقال قل الله
خالق كل شيء أي موجد الأشياء كلها معبوداتهم وغيرها وهم أيضا مقرون بذلك ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله واحتمل أن يكون قوله وهو الواحد القهار ردا لاختلاف الأمر بقل
فيكون قد أمر أن يخبر بأنه تعالى الواحد المنفرد بالألوهية القهار الذي جميع الأشياء تحت قدرته
وقهره واحتمل أن يكون استئناف إخبار منه تعالى بهذين الوصفين الوحدانية والقهر فهو
تعالى لا يغالب وما سواه مقهور مربوب له تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب
الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك
يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض
جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾
قال الزمخشري هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير
والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية
الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ
الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك
ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب
والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة
اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي

قوله عز وجل أنزل من السماء

يطفو

يطفو فوقه إذا أذيب وقال ابن عطية صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله وإقامة الحجة
على الكفرة به فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثلا للحق والباطل والإيمان والكفر والشك في الشرع
واليقين به انتهى وقيل هذا مثل ضربه الله للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القرآن
لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والأودية مثل القلوب ومعنى بقدرها على
سعة القلوب وضيقها فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه فتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدرك
تأويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزبد مثل الشكوك
والشبه وإنكار الكافرين أنه كلام الله ودفعهم إياه والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى
وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثت به من الهدى
والعلم كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب
الكثير وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا وزرعوا وكانت
منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل ما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل
هدى الله الذي أرسلت به وقال ابن عطية وروي عن ابن عباس أنه قال قوله تعالى أنزل من
السماء ماء يريد به الشرع والدين فسالت أودية يريد القلوب أي أخذ النبيل بحظه والبليد
بحظه وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي
وأهل ذلك الطريق ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو إلى ذلك والله
الموفق للصواب وإن صح هذا القول عن ابن عباس فإنما قصد أن قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق
والباطل معناه الحق الذي يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها أيضا انتهى والماء المطر
ونكر أودية لأن المطر إنما يدل على طريق المناوبة فتسيل بعض الأودية دون بعض ومعنى بقدرها
أي على قدر صغرها وكبرها أو بما قدر لها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضررهم ألا ترى إلى قوله
فأما ما ينفع الناس فالمطر مثل الحق فهو نفع خال من الضرر وقرأ الجمهور بقدرها بفتح الدال
وقرأ الأشهب العقيلي وزيد بن علي وأبو عمرو في رواية بسكونها وقال الحوفي بقدرها متعلق
بسالت وقال أبو البقاء بقدرها صفة لأودية وعرف السيل لأنه عني به ما فهم من الفعل والذي
يتضمنه الفعل من المصدر وإن كان نكرة فإذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة
وكذلك يضمر إذا عاد على ما دل عليه الفعل من المصدر نحو من كذب كان شرا له أي كان الكذب
ولو جاء هنا مضمرا لكان جائزا عائدا على المصدر المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل
بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ورابيا منتفخا عاليا على وجه السيل ومنه الربوة ومما توقدون أي ومن
الأشياء التي توقدون عليها وهي الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها
مما يوقد عليه وله زبد وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى
وأهل الكوفة يوقدون بالياء على الغيبة أي يوقد الناس وقرأ باقي السبعة والحسن
وأبو جعفر والأعرج وشيبة بالتاء على الخطاب وعليه متعلق بتوقدون وفي النار قال
أبو علي والحوفي متعلق بتوقدون وقال أبو علي قد يوقد على الشيء وليس في النار كقوله تعالى
فأوقد لي يا هامان على الطين فذلك البناء الذي أمر به يوقد عليه وليس في النار لكن يصيبه
لهبها وقال مكي وغيره في النار متعلق بمحذوف تقديره كائنا أو ثابتا ومنعوا تعليقه بقوله
توقدون لأنهم زعموا أنه لا يوقد على شيء إلا وهو في النار وتعليق حرف الجر بتوقدون يتضمن
تخصيص حال من حال أخرى انتهى ولو قلنا إنه لا يوقد على شيء إلا وهو في النار لجاز أن يكون متعلقا

ينوقدون ويكون ذلك على سبيل التوكيد كما قالوا في قوله يطير بجناحيه وانتصب ابتغاء على انه
مفعول من اجله وشروط المفعول من اجله موجودة فيه وقال الحوفي هو مصدر في موضع الحال اي
مبتغين حلية وفي ذكر متعلق ابتغاء تنبيه على منفعة ما توقدون عليه والحلية ما يعمل للنساء
مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما اشبههما من الالات التي
هي قوام العيش كالاواني والمساحي والات الحرث وقطاعات الاشجار والسكك وغيرة ذلك
وزبد مرفوع بالابتداء وخبره في قوله ومما توقدون ومن الظاهر انها للتبعيض لان ذلك
الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن واجاز الزمخشري ان يكون لابتداء الغاية
اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار
والحق والباطل على حذف مضاف اي مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من جوهر
هذه المعادن من الاقذار والخبث ودوام الانتفاع به وشبه الباطل بالزبد المجتمع
من الخبث والاقذار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به ومن الزبد فبدا
بالزبد اذ هو المتاخر في قوله زبدا رابيا وفي قوله زبد مثله ولكون الباطل كناية عنه
وهو متاخر وهي طريقة فصيحة يبدا في التقسيم بما ذكر آخرا كقوله يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم والبداءة بالسابق فصيحة مثل قوله فمنهم شقي
وسعيد فاما الذين شقوا وكان والله اعلم يبدا في التفصيل بما هو في الذكر وانتصب
جفاء على الحال اي مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له والزبد يراد به ما سبق من ما
احتمله السيل وما خرج من خبث المعادن وافرد الزبد ولم يثن وان تقدم زبدان لاشتراكهما
في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك وقرا رؤبة جفالا باللام بدلا الهمزة
من قولهم جفلت الريح السحاب اذا حملته وفرقته وعن ابي حاتم لا يقرا بقراءة رؤبة لانه كان
ياكل الفار يعني انه كان اعرابيا جافيا وعن ابي حاتم ايضا لا يعتبر قراءة الاعراب في القرآن
واما ما ينفع الناس اي من الماء الخالص من الغثاء ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث
فيمكث في الارض لانتفاع الناس به والكاف في موضع نصب اي مثل ذلك الضرب لمثل
الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل
انتقل الى ما لاهل الحق من الثواب واهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا
لربهم الحسنى اي الذين دعاهم الله على لسان رسوله فاجابوه الى ما دعاهم اليه من اتباع
دينه الحالة الحسنى وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمة الله ودخول الجنة
في الاخرة فالحسنى مبتدا وخبره في قوله للذين والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره ما بعده
وغاير من جملتي الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور من الاعتناء والاهتمام وعلى راي
الزمخشري من الاختصاص اي لهؤلاء الحسنى لا لغيرهم وكان قراءة شيوخنا يقفوننا على قوله الامثال
ويبتدئون للذين وعلى هذا المفهوم اعرب الحوفي الحسنى مبتدا والذين خبره وكثير عطية وفهم
السلف قال ابن عباس جزاء الحسنى وهي لا اله الا الله وقال مجاهد الحياة الحسنى وهي
الطيبة وقيل الجنة لانها في نهاية الحسن وقيل المكافاة اضعافا وعلق الزمخشري
للذين بقوله يضرب فقال للذين استجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال
للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى
صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا ذكر

ما اعد

ما اعد لغير المستجيبين انتهى والتفسير الاول اولى لان فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين
والله تعالى قد ضرب امثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ولانه فيه ذكر ثواب المستجيبين
بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب
ولان تقدير الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة الحسنى ومقابلها ليس
نفي الاستجابة مطلقا انما مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقا
ولانه على قوله يكون قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا كلاما مفلتا مما قبله او كالمفلت
اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين لو ان لهم ما في الارض
فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال ذا التفلت وايضا فيوهم الاشتراك في الضميرات
وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما وايضا فقد جاء هذا التركيب وتقدم تفسير مثل قوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وسوء الحساب قال ابن عباس ان لا تقبل
حسناتهم ولا تغفر سيئاتهم وقال النخعي وشهر وفرقد ان يحاسب على ذنوبه كلها ويؤاخذ بها
من غير ان يغفر له شيء وقال ابو الجوزاء المناقشة وقيل التوبيخ عند الحساب والتقريع
وتقدم تفسير مثل وما واهم جهنم وبئس المهاد القارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها
اي تضربه بشدة كالقتل والاسر والنهب وكشف الحريم وقال الشاعر

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ● ببعض ابت عيدانه ان تكسرا

اي ضربنا بقوة وقال الزجاج القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل بامر عظيم
المحو الازالة محوت الخط اذا ذهبت اثره ومحا المطر رسم الدار اذا ذهبه وازاله ويقال
في مضارعه يمحو ويمحا لان عينه حرف حلق والاثبات ضد المحو ن افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب
والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ن قال ابن عباس نزلت افمن يعلم في حمزة وابي جهل وقيل في عمر بن الخطاب
وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وابي جهل قرا زيد بن علي ومن بالواو مكان الفاء انما انزل
مبنيا للفاعل ولما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن من الثواب وما للكافر من
العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وانكر ذلك فقال افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى اي ليسا مشتبهين لان العالم بالشيء بصير به والجاهل به كالاعمى والمراد
عمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به الانكار ان يشبه بعد
ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال
الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز ذكر انه
لا يتذكر بالموعظة وضرب الامثال الا اصحاب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة الاستفهام
لانه صدر الكلام والتقدير افامن يعلم ويبعدها ان يكون فعل محذوف بين الهمزة والفاء
والفاء عاطفة ما بعدها على ذلك الفعل كما قدره الزمخشري في قوله افلم يسيروا وقوله
افلا يعقلون وجوزوا في الذين ان يكون بدلا من اولو وصفة له وصفة لمن من قوله

أفمن يعلم وإنما يتذكر اعتراض وحينئذ أخبر أولئك لهم عقبى الدار لقوله والذين ينقضون ثم قال أولئك لهم
اللعنة والظاهر عموم العهد وقيل هو خاص فقال السدي ما عهد إليهم في القرآن وقال قتادة
في الأزل وهو قوله ألست بربكم قالوا بلى وقال القفال ما في حكم جبلتهم وعقولهم من دلائل التوحيد
والنبوات وقيل في الكتب المتقدمة والقرآن وقيل المأخوذ على ألسنة الرسل وقيل الإيمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والظاهر إضافة العهد إلى الفاعل أي بما عهد
الله والظاهر أن قوله ولا ينقضون الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لأن العهد
هو الميثاق ويلزم من إيفاء العهد انتفاء نقضه وقال الزمخشري عهد الله ما عقدوه على أنفسهم
من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى فأضاف العهد إلى المفعول وغاير بين الجملتين تكون
الثانية تعميما بعد تخصيص إذ أخذ الميثاق عاما بينهم وبين الله وبين العباد وقال ابن عطية
بعهد الله اسم الجنس أي بجميع عهود الله وبين أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في هذه
الألفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق أي إذا اعتقدوا
في طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة وتقدم الله إلى عباده في نقض الميثاق
ونهى عنه في بضع وعشرين آية ويحتمل أن يشير إلى ميثاق معين وهو الذي أخذه تعالى على
ظهر أبيهم آدم عليه السلام انتهى وقال ابن العربي من أعظم المواثيق في الذكر أن لا يسأل سواه
وذكر قصة أبي حمزة الخراساني ووقوعه في البير ومرور الناس عليه وتغطيتهم البير وهو
لا يسألهم أن يخرجوه إلى أن جاء من أخرجه بغير سؤال ولم ير من أخرجه وهتف به هاتف كيف رأيت
ثمرة التوكل قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام فاقتدوا به وقد أنكر
أبو الفرج بن الجوزي فعل أبي حمزة هذا وبين خطاه وأن التوكل لا ينافي الاستغاثة في تلك
الحال وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا لو أن إنسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار
ولا ينكر أن يكون الله لطف بأبي حمزة الجاهل وما أمر الله به أن يوصل ظاهره العموم في كل
ما أمر به في كتابه وعلى لسان نبيه وقال الحسن المراد به صلة الرسول عليه السلام بالإيمان
به وقال نحوه ابن جبير وقال قتادة الرحم وقيل صلة الإيمان بالعمل وقيل صلة قرابة
الإسلام بإفشاء السلام وعيادة المرضى وشهود الجنائز ومراعاة حق الجيران والرفقاء والأصحاب
والخدم وقيل نصرة المؤمنين وأمر يتعدى إلى اثنين بحرف جر وهو به والأول محذوف تقديره
ما أمرهم الله به وأن يوصل في موضع جر بدل من الضمير أي بوصله ويخشون ربهم أي وعيده كله
ويخافون سوء الحساب أي استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وقيل يخشون ربهم
يعظمونه وقيل في قطع الرحم وقيل في جميع المعاصي وقيل فيما أمرهم بوصله وصبروا مطلق فيما
يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي
وفي الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون وما عطف عليهما
على سبيل التفنن في الفصاحة لأن المبتدأ هنا في معنى اسم الشرط بالماضي كالمضارع في اسم الشرط
فكذلك في ما أشبهه ولذلك قال النحويون إذا وقع الماضي صلة أو صفة لنكرة عامة
احتمل أن يراد به المضي وأن يراد به الاستقبال فمن المراد به المضي في الصلة الذين قال لهم
الناس ومن المراد به الاستقبال إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ويظهر أيضا أن اختصاص

بالماضي

هذه

هذه الصلة بالماضي وتينك بالمضارع أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس
دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لأن حصول تلك الصلات
إنما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها ولذلك لم يأت صلة في القرآن إلا بصيغة الماضي إذ هو
شرط في حصول التكاليف وإيقاعها وابتغاء وجه الله وانتصب ابتغاء قيل على أنه مصدر في موضع الحال
والأولى أن يكون مفعولا لأجله أي أن صبرهم هو لابتغاء وجه الله خالصا لا لرجاء أن يقال ما أصبره
ولا لمخافة أن يعاب بالجزع أو يشمت به الأعداء كما **قال الشاعر**

• وتجلدي للشامتين أريهم • أني لريب الدهر لا أتضعضع •

ولا لأن الجزع لا طائل تحته أو يعلم أنه لا مرد لما فات ولا لما وقع والظاهر في معنى الوجه
هنا جهة الله أي الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة كما تقول خرج زيد
لوجه كذا ونبه عليها بين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية إذ هما عمودا الدين
والصبر عليهما أعظم صبر لتكرر الصلوة ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال ونبه على حالتي الإنفاق
فالسر أفضل حالات إنفاق التطوع كما جاء في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورجل
تصدق بصدقة فأخفاها والعلانية أفضل حالات إنفاق الفروض لأن الإظهار فيها أفضل
وقال الزمخشري مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله انتهى وهذا
على طريق المعتزلة وللسلف هنا في الصبر أقوال متقاربة قال ابن عباس صبروا على أمر الله
وقال أبو عمران الجوني صبروا على دينهم وقال عطاء صبروا على الرزايا والمصائب
وقال ابن زيد صبروا على الطاعة وعن المعصية ويدرؤون يدفعون قال ابن زيد الشر بالخير
وقال قتادة ردوا عليهم معروفا كقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال
الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وقال القتبي إذا سفه عليهم
حلموا وقال ابن جبير يدفعون المنكر بالمعروف وقال ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا
أنابوا ليدفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرة الذنب وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الضحاك
عنه وقيل يدفعون بلا إله إلا الله شركهم وقيل بالسلام غوائل الناس وقيل من رأوا منه مكروها
بالتي هي أحسن وقيل بالصالح من العمل السيء من العمل ويؤيده ما روي في الحديث أن معاذا قال
أوصني يا رسول الله فقال إذا عملت سيئة فاعمل إلى جنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية
بالعلانية وقيل العذاب بالصدقة وقيل إذا هموا بالسيئة فكروا ورجعوا عنها واستغفروا
وهذه الأقوال كلها على سبيل المثال وبالجملة لا يكافئون الشر بالشر كما **قال الشاعر**

• يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة • ومن إساءة أهل السوء إحسانا •

وهذا بخلاف خلق الجاهلية كما **قال الشاعر**

• جريء متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا وإن لا يبد بالظلم يظلم •

وروي أن هذه الآية نزلت في الأنصار ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه
الصفات وعقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا
ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار ويحتمل أن يراد عقبى دار الآخرة لدار الدنيا
أي العقبى الحسنة في الدار الآخرة هي لهم ويحتمل أن يكون جنات خبر مبتدأ محذوف **وقرأ**
الجمهور جنات والنخعي جنة بالإفراد وروي عن ابن كثير وأبي عمرو يدخلونها مبنيا للمفعول **وقرأ**
ابن أبي عبلة ومن صلح بضم اللام والجمهور بفتحها وهو أفصح **وقرأ** عيسى الثقفي وذريتهم بالتوحيد

ق

والجمهور بالجمع **وقرا** ابن يعمر فنعم بفتح النون وكسر العين وهي الاصل كما قال نعم الساعون في اليوم المشطر **وقرا** ابن وثاب فنعم بفتح النون وسكون العين وتخفيف فعل لغة تميمية والجمهور نعم بكسر النون وسكون العين وهي اكثر استعمالا قال مجاهد وغيره ومن صلح اي عمل صالحا وامن انتهى وهذا يدل على ان مجرد النسب من الصالح لا ينفع انما ينفع الاعمال الصالحة وقيل يحتمل قوله ومن صلح اي لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه وقال ابن عباس هذا الصلاح هو الايمان بالله وبالرسول وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة والظاهر ان ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول وقيل يجوز ان يكون مفعولا معه اي يدخلونها مع من صلح ويشمل قوله من اباىهم ابوي كل واحد والده ووالدته وغلب الذكور على الاناث فكانه قيل ومن صلح من اباىهم وامهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب اي بالتحف والهدايا من الله تكرمة لهم قال ابو بكر الوراق هذه ثمانية اعمال تشير الى ثمانية ابواب الجنة من عملها دخلها من اي باب شا وقال الاصم نحو هذا قال من كل باب باب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر ولابي عبد الله الرازي كلام عجيب في الملائكة ذكر ان الملائكة طوائف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا راض نفسه بانواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ولكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يختص لتلك الصفة مزيد اختصاص فعند الموت اذا اشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر الا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى الا في مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب انتهى وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الانبيا فهو كلام مطرح لا يلتفت اليه المسلمون قال ابن عطية وحكى الطبري في صفة دخول الملائكة احاديث لم يطول بها لضعف اسانيدها انتهى وارتفع سلام على الابتدا وعليكم الخبر والجملة محكية بقول محذوف اي تقولون سلام عليكم والظاهر ان قولهم سلام عليكم تحية الملائكة لهم ويكون بما صبرتم خبر مبتدا محذوف اي هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا على المشاق او يكون الباء بمعنى بدل اي بدل صبركم اي بدل ما احتملتم من مشاق الصبر هذه الملاذ والنعم وقيل سلام جمع سلامة اي انما سلمكم الله من هول يوم القيامة بصبركم في الدنيا وقال الزمخشري ويجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم والمخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار الجنة من جهنم والدار تحتمل الدنيا وتحتمل الاخرة وقالت فرقة المعنى ان عقبوا الجنة من جهنم قال ابن عطية وهذا التاويل مبني على حديث ورد وهو ان كل رجل في الجنة قد كان له مقعد معروف في النار فصرفه الله عنه الى النعيم فيعرض عليه ويقال له هذا مكان مقعدك فبدلك الله منه الجنة بايمانك وطاعتك وصبرك انتهى ولما كان الصبر هو الذي نشا عنه تلك الطاعات السابقة ذكرت الملائكة ان النعيم السرمدي انما هو حاصل بسبب الصبر ولم يات التركيب بالايفاء بالعهد ولا بغير ذلك ○ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اوليك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع ○ قال مقاتل نزلت والذين ينقضون في اهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت الله يبسط في مشركي مكة ولما ذكر تعالى حال السعداء وما ترتب لهم من الامور السنية

الرديئة ذكر حال الاشقيا وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض في اوايل البقرة وترتيب للسعداء هناك التفريح بعقبى الدار وهي الجنة واكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتانيس وهنا ترتب للاشقيا الابعاد من رحمة الله وسوء الدار اي الدار السوء وهي النار وسوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الاشقيا قد فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وان الكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المومن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد اثامه ويقدر مقابل يبسط وهو التضييق من قوله ومن قدر عليه رزقه وعليه يحمل فظن ان لن نقدر عليه وقول ذلك الذي احرق وذري في البحرين لين قدر الله علي اي لين ضيق وقيل يقدر يعطي بقدر الكفاية **وقرا** زيد بن علي ويقدر بضم الدال حيث وقع والضمير في وفرحوا عايد على الذين ينقضون وهو استيناف اخبار عن جهلهم بما اوتوا من بسطة الدنيا عليهم وفرحهم فرح بطر وتسليط لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة بفضل الله به واستجهلهم لهذا الفرح اذ هو فرح بما يزول عن قريب وينقضي وبعيد قول من ذهب الى انه معطوف على صلات والذين ينقضون اي ويفسدون في الارض وفرحوا بالحيوة الدنيا وان في الكلام تقديما وتاخيرا ومتاع معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى كما **قال الشاعر**

تمتع يا مشعث ان شيا … سبقت به الممات هو المتاع

وقال اخر انت نعم المتاع لو كنت تبقى … غير ان لا بقا للانسان

وقال اخر تمتع من الدنيا فانك فان … من النشوات والنسا الحسان

قال الزمخشري خفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك انتهى وهذا معنى قول الحسن قال الحسن اعلم الله نبيه ان الحيوة الدنيا في جنب ما اعد الله لاوليايه في الاخرة نزر يسير يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات وشربة سويق ونحو ذلك وقال ابن عباس زاد كزاد الراعي وقال مجاهد قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع النهار فلا بد له من زوال ○ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشا ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب ○ نزلت ويقول الذين كفروا في مشركي مكة طلبوا امثال ايات الانبيا والملتمس ذلك هو عبد الله بن ابي امية واصحابه رد تعالى على مقترحي الايات من كفار قريش كسقوط السما عليهم كسفا وقولهم سير علينا الاخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا كالاردن واحي لنا قصيا واسلافنا ولم يجر عادة الله في الاتيان بالايات المقترحة الا اذا اراد هلاك مقترحها فرد تعالى عليهم بان نزول الاية لا تقتضي ضرورة ايمانكم وهداكم لان الامر بيد الله يضل من يشا ويهدي من يشا وقال الزمخشري فان قلت كيف يطابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشا قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يوتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراكل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا

قوله عز وجل والذين ينقضون

قوله عز وجل ويقول الذين كفروا

الآية نزلت في

للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء فمن
كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل اية ويهدي
اليه من كان على خلاف صفتكم وقال ابو علي الجبائي يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره
ويهدي اليه من اناب اي الى جنته من اناب من تاب والهدى تعلقه بالمؤمن هو الثواب لانه يستحقه
على ايمانه وذلك يدل على انه انما يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين بالكفر على ما ذهب اليه
من خالفنا انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في اليه قالوا عائد على القران او على الرسول
والظاهر انه عائد على الله على حذف مضاف اي الى دينه وشرعه والاناب الاقبال الى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير والذين امنوا بدل من اناب واطمينان القلوب سكونها بعد الاضطراب من
خشيته وذكر الله ذكر رحمته ومغفرته او ذكر دلائله على وحدانيته المزيلة لقلق الشبه او تطمئن
بالقران لانه اعظم المعجزات يسكن القلب وينبته ثم ذكر الحض على ذكر الله وانه به تحصل الطمانينة
ترغيبا في الايمان والمعنى انه بذكره تعالى تطمئن القلوب لا بالايات المقترحة بل ربما كفر بعدها
فنزل العذاب كما سلف في بعض الامم وجوزوا في الذين ان يكون بدلا من الذين وبدلا من القلوب
على حذف مضاف اي قلوب الذين وان يكون خبر مبتدا محذوف اي هم الذين وان تكون مبتدا خبره
ما بعده وطوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كما قلبت في موسر واختلفوا
في مدلولها فقال ابو الحسن الهنائي هي جمع طيبة كما قالوا في جمع كيسة كوسى وصيفة صوفى
وفعلى ليست من الفاظ الجموع فلعله يعني انها اسم جمع وقال الجمهور هي مفرد مصدر كبشرى
وسقيا ورجعى ومنتهى واختلف القائلون بهذا في معناها فقال الضحاك ان المعنى غبطة
لهم وعنه ايضا اصبت خيرا وقال عكرمة نعمى لهم وقال ابن عباس فرح وقرة عين وقال
قتادة حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وعنه ايضا كرامة لهم وعن سميط بن عجلان
دوام الخير وهذه اقوال متقاربة والمعنى العيش الطيب لهم وعن ابن عباس وابن جبير طوبى
اسم الجنة بالحبشية وقيل بلغة الهند وقال ابو هريرة وابن عباس ايضا ومغيث بن سمي
وعبيد بن عمير ووهب بن منبه هي شجرة في الجنة وروي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حديث عتبة بن عبيد السلمي انه قال وقد سأله اعرابي يا رسول الله افي الجنة فاكهة
قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى وذكر الحديث قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث
المرفوع حديث عتبة وهو صحيح على ما ذكره السهيلي وذكره ابو عمر في التمهيد والثعلبي وطوبى
مبتدا وخبره لهم فان كانت علما للشجرة في الجنة فلا كلام في جواز الابتداء بها وان كانت
نكرة فمسوغ الابتداء بها ما ذهب اليه سيبويه من انه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم سلام
عليك الا انه التزم فيه الرفع على الابتداء فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك
ويرده انه قرئ وحسن مآب بالنصب قراءة كذلك عيسى الثقفي وخرج ذلك ثعلب على انه
معطوف على طوبى وانها في موضع نصب وحسن مآب معطوف عليها قال ثعلب وطوبى على
هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح على النداء قال بتقدير يا طوبى لهم
ويا حسن مآب فحسن معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة فهذا نداء للتحنين والتشويق
كما قال يا اسفي على الفوت والندبة انتهى ويعني بقوله معطوف على المنادى المضاف ان طوبى
مضاف للضمير واللام مقحمة كما اقحمت في قوله يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام ۞ وفي قوله
يا بؤس للحرب التي ولهذا سقط التنوين من بؤس وكانه قيل يا طوباهم وحسن مآب اي ما

اطيبهم واحسن مآبهم كما تقول يا طيبها ليلة اي ما اطيبها ليلة وقرأ بكرون الاعرابي طيبى
بكسر الطاء لتسلم الياء من القلب وان كان وزنها فعلى كما كسروا في بيض لتسلم الياء وان كان
وزنها فعلا كحمر وقال الزمخشري اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك
طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب
يدلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك وقرئ وحسن مآب بفتح النون
ورفع مآب فحسن فعل ماض اصله وحسن نقلت ضمة سينه الى الحاء وهذا جائز في فعل
اذا كان للمدح او الذم كما قالوا حسن ذا اذا بان ۞ كذلك ارسلناك في امة قد خلت من
قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب ۞ قال قتادة وابن جريج ومقاتل لما رأوا كتاب الصلح يوم
الحديبية وقد كتب علي بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
نزلت وقيل سمع ابو جهل الرسول يقول يا رحمن فقال ان محمدا ينهانا عن عبادة الالهة
وهو يدعو الهين فنزلت ذكر هذا علي بن احمد النيسابوري وعن ابن عباس لما قيل لكفار قريش
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت قال الزمخشري مثل ذلك الارسال ارسلناك
يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات انتهى ولم يتقدم ارسال يشار
اليه بذلك الا ان كان يفهم من المعنى فيمكن ذلك وقال الحسن كارسالنا الرسل ارسلناك
فذلك اشارة الى ارساله الرسل وقيل الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب كما نفذ الله هذا كذلك ارسلناك وقال ابن عطية
والذي يظهر لي ان المعنى كما اجرينا العادة بان الله يضل ويهدي لا بالايات المقترحة
فكذلك ايضا فعلنا في هذه الامة ارسلناك اليهم بوحي لا بالايات مقترحة فيضل الله
الله من يشاء ويهدي من يشاء انتهى وقال الحوفي الكاف للتشبيه في موضع نصب اي كفعلنا
الهداية والاضلال والاشارة بذلك الى ما وصف به نفسه من انه يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقال ابو البقاء كذلك التقدير الامر كذلك فدخلت من قبلها امم اي تقدمتها امم كثيرة
والمعنى ارسلت فيهم رسل فمثل ذلك الارسال ارسلناك ودل هذا المحذوف الذي يقتضيه
المعنى على ان الاشارة بذلك الى ارساله تعالى رسلا كما قال الحسن ولتتلو اي لتقرأ
عليهم الكتاب المنزل عليك وعلة الارسال هي الابلاغ للدين الذي اتى به الرسول وهم يكفرون
بالرحمن جملة حالية اي ارسلناك في امة رحمة لها مني وهم يكفرون بي اي وحال هؤلاء انهم
يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر ان الضمير من قوله وهم عائد على امة المرسل اليهم
الرسول اعاد على المعنى اذ لو عاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر والمعنى ارسلناك اليهم
وهم يدينون دين الكفر فهدى الله بك من اراد هدايته وقيل يعود على الذين قالوا لولا انزل
عليه اية من ربه وقيل يعود على امة وعلى امم والمعنى والاخبار بان الامم السابقة الرسل اليهم
والامة التي ارسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر فيكون في ذلك تسلية
للرسول اذا امته مثل الامم السالفة وتنبيه على الوصف الموجب لارسال الرسول وهو الرحمة
الموجبة لشكر الله على انعامه عليهم ببعثة الرسول والايمان به قل هو اي الرحمن الذي كفروا
به هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وجميع اموري واليه مرجعي فيثيبني
على مجاهدتكم ۞ ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر

جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ
برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ن قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما إن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضا
قطعا غراسة وأحي لنا آباءنا وأجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت معلمة أنهم لا يؤمنون
ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى علة الإرسال أرسلناك وهي تلاوة ما أوحاه إليه ذكر
تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآن تسير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الأرض حتى تتزايل
قطعا أو تكلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية
في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية فجواب لو محذوف
وهو ما قدرناه وحذف جواب لو لدلالة المعنى عليه جائز نحو قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا إذ
يرون العذاب ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال الشاعر

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد عنك مدفعا

وقيل التقدير لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
الآية قاله الزجاج وقال الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وعلى قول الفراء يترتب جواب لو أن يكون لما آمنوا
لأن قوله وهم يكفرون بالرحمن ليس جوابا وإنما هو دليل على الجواب وقيل معنى قطعت به
الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا ويترتب على أن يكون الجواب المحذوف لما آمنوا قوله
بل لله الأمر جميعا أي الإيمان والكفر إنما يخلقهما الله ويريدهما وأما على تقدير لكان هذا
القرآن فيحتاج إلى ضميمة وهو أن يقدر لكان هذا القرآن الذي أوحينا إليك المطلوب
فيه إيمانهم وما تضمنه من التكاليف ثم قال بل لله الأمر جميعا أي الإيمان والكفر بيد الله
يخلقهما فيمن يشاء وقال الزمخشري بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على
كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني
بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده
قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا انتهى وهو على
طريقة الاعتزال واليأس القنوط من الشيء وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم كأنه قيل أفلم يعلم
الذين آمنوا قال القاسم بن معن هي لغة هوازن وقال ابن الكلبي هي لغة حي من النخع وأنشدوا
على ذلك لسحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

وقال رباح بن عدي ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

وقال آخر حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصامها

أي حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وأنكر الفراء أن يكون يئس بمعنى علم وزعم أنه
لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت انتهى وقد حفظ ذلك غيره وهذا القاسم بن معن
من ثقات الكوفيين وأجلائهم نقل أنها لغة هوازن وابن الكلبي نقل أنها لغة حي من النخع
ومن حفظ حجة على من لم يحفظ وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس
من الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك وجهل

جماعة

جماعة منها اليأس على المعروف فيه في اللغة وهو القنوط من الشيء وتأولوا ذلك فقال الكسائي
المعنى أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان الكفار من قريش المعاندين لله ورسوله وذلك أنهم لما سألوا
هذه الآيات اشرأب المؤمنون إليها وأحبوا نزولها ليؤمن هؤلاء الذين علم الله تعالى منهم أنهم
لا يؤمنون فقال أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمانهم وقال الفراء أوقع الله للمؤمنين أن لو يشاء
هدى الناس جميعا فقال أفلم ييأسوا علما يقول أيأسهم العلم فصار مضمرا كما تقول في الكلام يئست منك
أن لا تفلح كأنه قال علمته علما قال فيئست بمعنى علمت وإن لم يكن قد سمع فإنه يتوجه إلى ذلك بالتأويل
وقال أبو العباس أفلم ييأسوا بعلمهم أن لا هداية إلا بالمشيئة وإيضاح هذا المعنى بتصحيح الإعراب
أن يكون أن لو يشاء الله متعلقا بآمنوا أي أفلم يقنط من إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولهداهم إلى الإيمان أو الجنة وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون اليأس في هذه
الآية على بابه وذلك أنه لما أبعد إيمانهم في قوله ولو أن قرآنا الآية على التأويل في المحذوف
المقدر قال في هذه أفلم ييأس المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفرة علما منهم أن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا انتهى وهذا قول الفراء الذي ذكرناه وقال الزمخشري ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء
بآمنوا على أولم يقنط من إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
انتهى وهذا قول أبي العباس ويحتمل عندي وجه آخر غير ما ذكروه وهو أن الكلام تام عند قوله أفلم
ييأس الذين آمنوا وهو تقرير أي قد يئس المؤمنون من إيمان هؤلاء المعاندين وأن لو يشاء جواب
قسم محذوف أي وأقسم لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ويدل على إضمار هذا القسم وجود أن مع لو كقول
الشاعر أما والله أن لو كنت حرا وما بالحر أنت ولا العتيق

وقول الآخر فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لنا يوم من الشر مظلم

وقد ذكر سيبويه أن أن تأتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة المقسم عليها وأما على تأويل الجمهور فأن عندهم
هي المخففة من الثقيلة أي أنه لو يشاء الله وقرأ علي وابن عباس فيما قال الزمخشري وجماعة من الصحابة
والتابعين وقال غيره وعكرمة وابن أبي مليكة والجحدري وعلي بن الحسين وابنه زيد بن محمد
وأبو يزيد المدني وعلي بن بذيمة وعبد الله بن يزيد أفلم يتبين من تبينت كذا إذا عرفته وتدل
هذه القراءة على أن معنى أفلم ييأس هنا معنى أفلم يعلم كما تظافرت النقول أنها لغة لبعض العرب
وهذه القراءة قراءة تفسير لقوله أفلم ييأس كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري بل هي قراءة مسندة
إلى الرسول وليست مخالفة للسواد إذ كتبوا ييئس بغير صورة الهمزة وهذه كقراءة فتبينوا وفتثبتوا
وكلتاهما في السبعة وأما قول من قال إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين
فقول زنديق ملحد وقال الزمخشري وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا
في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه
خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها
مرية انتهى وقال الفراء لا يتلى إلا كما أنزل أفلم ييأس انتهى والكفار عام في جميع الكفار
وهذا الأمر مستمر فيهم إلى يوم القيامة قاله الحسن وابن السائب وهو ظاهر اللفظ وقال
ابن عطية كفار قريش والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغزواته وقال مقاتل والزمخشري كفار مكة قال الزمخشري تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء
أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب

في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم
شرارها ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة انتهى وقال الحسن
حال الكفرة هكذا أبدا ووعد الله قيام الساعة والظاهر أن الضمير في تحل عائد على قارعة
قاله الحسن وقالت فرقة التاء للخطاب والضمير للرسول وتحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك
كما حل بالحديبية وعزاه الطبري إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وقاله عكرمة ويكون وعد الله
فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك وقاله ابن عباس ومقاتل وقرأ مجاهد وابن جبير
أو يحل بالياء على الغيبة واحتمل أن يكون عائدا على معنى القارعة راعى فيه التذكير لأنها بمعنى
البلاء أو تكون الهاء في قارعة للمبالغة فذكر واحتمل أن يكون عائدا على الرسول أي أو يحل
الرسول قريبا وقرأ أيضا من ديارهم على الجمع وقال ابن عباس القارعة العذاب من السماء وقال
عكرمة السرايا والطلائع وفي قوله ولقد استهزئ الآية تسلية للرسول وأن حالك حال
من تقدمك من الرسل وأن المستهزئين يملى لهم أي يمهلون ثم يؤخذون وتنبيه على أن حال من استهزأ
بك وإن أمهل حال أولئك في أخذهم ووعيد لهم وفي قوله فكيف كان عقاب استفهام معناه
التعجب مما حل بهم وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول من الكفار أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين
كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدأ
والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله أفمن شرح
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه تقديره كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة ودل عليه قوله
وجعلوا لله شركاء كما دل على القاسي قوله فويل للقاسية ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون
مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفمن يعلم ثم قال كمن هو أعمى والظاهر
أن قوله وجعلوا لله شركاء استئناف إخبار عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح
للألوهية نعى عليهم هذا الفعل القبيح هذا والباري تعالى هو المحيط بأحوال النفوس جليها وخفيها
ونبه على بعض أحوالها وهو الكسب ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر وما يترتب على الكسب
من الجزاء وعبر بقائم عن الإحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها وقال الزمخشري ويجوز أن يقدر
ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له
وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء انتهى وفي هذا التوجيه إقامة الظاهر مقام
المضمر في قوله وجعلوا لله أي وجعلوا له وفيه حذف الخبر عن المقابل وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا
وفي تفسير أبي عبد الله الرازي قال السيد صاحب العقد الواو في قوله وجعلوا واو الحال
والتقدير أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال أنهم جعلوا له شركاء ثم أقيم الظاهر
وهو الله مقام المضمر تقريرا للإلهية وتصريحا بها كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي
انتهى وقال ابن عطية أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي
لا تضر ولا تنفع هذا تأويل ويظهر أن القول مرتبط بقوله وجعلوا لله شركاء كأن المعنى أفمن له القدرة
والوحدانية ويجعل له شريك أهل أن ينتقم ويعاقب أم لا وأبعد من ذهب إلى أن قوله أفمن هو
قائم المراد به الملائكة الموكلون ببني آدم حكاه القرطبي عن الضحاك والخبر أيضا محذوف
تقديره كغيرهم من المخلوقين وأبعد أيضا من ذهب إلى أن قوله وجعلوا معطوفا على استهزئ

أي

أي استهزؤوا وجعلوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم سموهم أي اذكروهم بأسمائهم والمعنى أنهم ليسوا ممن
يذكر ولا يسمى إنما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر وهذا مثل أن يذكر لك أن شخصا يوقر ويعظم وهو
عندك لا يستحق ذلك فتقول لذاكره سمه حتى أبين لك زيفه وأنه ليس كما تذكر وقريب من هذا قول
من قال في قوله قل سموهم إنما يقال ذلك في الشيء المستحقر الذي يبلغ في الحقارة إلى أن لا يذكر
ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال سمه إن شئت أي هو أخس من أن يذكر ويسمى ولكن إن شئت أن تضع
له اسما فافعل فكأنه قال سموهم بالآلهة على جهة التهديد والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم
أم لم تسموهم به فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها وقيل سموهم بما خلقوا
وصنعوا وأماتوا وأحيوا لتصح الشركة وقيل طالبوهم بحجة على أنها آلهة وقيل صفوهم
وانظروا هل يستحقون الألوهية وقال الزمخشري جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه
بأسمائهم وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على ذنب الحر سم الحر بعد هذا وأم في قوله أم
تنبئونه منقطعة وهو استفهام توبيخ قال الزمخشري بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض
وهو العالم بما في السماوات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي
أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض انتهى فجعل الفاعل
في قوله بما لا يعلم عائدا على الله والعائد على ما محذوف أي بما لا يعلمه الله وكنا قد خرجنا تلك الآية
على أن الفاعل في قوله بما لا يعلم عائد على ما وقررنا ذلك هناك وهو يتقرر هنا أيضا أي أتنبئون
الله بشركة الأصنام التي لا تتصف بعلم البتة وذكر نفي العلم في الأرض إذ الأرض هي مقر تلك
الأصنام فإذا انتفى علمها في المقر التي هي فيه فانتفاؤه في السماوات أحرى وقرأ الحسن أتنبئونه
من أنبأ وقيل المراد يقدرون على أن تعلموه بأمر تعلمونه أنتم وهو لا يعلمه وخص الأرض بنفي الشريك
وإن لم يكن شريك البتة لأنهم ادعوا أن لله شركاء في الأرض لا في غيرها والظاهر في أم من قوله
أم بظاهر أنها منقطعة أيضا أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة
أي أنكم تنطقون بتلك الأسماء وتسمونها آلهة ولا حقيقة لها إذ أنتم تعلمون أنها لا تتصف
بشيء من أوصاف الإله كقوله ما تعبدون من دونه إلا أسماء وقال مجاهد أم بظاهر
من القول الذي بطن من القول وقال أبو علي أم بظاهر من القول تحتجون وقال الضحاك
بكذب من القول وقال قتادة بباطل من القول لا باطن له من الحقيقة ومنه قول
الشاعر أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهره
أي باطل وقيل أم منفصلة والتقدير أم تنبئونه بظاهر من القول لا حقيقة له كقوله ذلك
قولهم بأفواههم ثم قال بعد هذا الحجاج على وجه التحقير لما هم عليه بل زين للذين كفروا مكرهم
وقال الواحدي لما ذكر الدلائل على فساد قولهم قال دع ذلك الدليل لأنهم لا ينتفعون
به لأنه زين لهم مكرهم وقرأ مجاهد بل زين على البناء للفاعل مكرهم بالنصب والجمهور
زين على البناء للمفعول مكرهم بالرفع أي كيدهم للإسلام بشركهم وما قصدوا بأقوالهم وأفعالهم
من فتنة الشرع وقرأ الكوفيون وصدوا هنا وفي المؤمن وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول
فالفعل متعد وقرأ باقي السبعة بفتحها فاحتمل التعدي واللزوم أي صدوا أنفسهم
أو غيرهم وقرأ ابن وثاب وصدوا بكسر الصاد وهي كقراءة ردت إلينا بكسر الراء وفي اللوامح
الكسائي لابن يعمر وصدوا بالكسر لغة في الضم أجراه مجرى الحروف نحو قيل فأما في المؤمن
فبالكسر لابن وثاب انتهى وقرأ ابن أبي إسحاق وصد بالتنوين عطفا على مكرهم قال

الزمخشري ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته انتهى وهو على طريقة الاعتزال والعذاب في الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والاسر والنهب والذلة والجدوب والبلايا في اجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به الكافر وكان عذاب الاخرة اشق على النفوس لانه احراق بالنار دائما كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وحرّاق من ساتر يحفظهم من العذاب ويحميهم ولما ذكر ما اعدّ للكفار في الاخرة ذكر ما اعدّ للمؤمنين فقال مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل وتقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل لها فهو كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وانكر ابو علي ان يكون مثل بمعنى صفة قال وانما معناه الشبه وقال الفراء صفة انها تجري من تحتها الانهار ونحو هذا موجود في كلام العرب انتهى ولا يمكن حذف انها وانما فسر المعنى ولم يذكر الاعراب وتاول قوم على الفراء ان مثل مقحم وان التقدير الجنة التي وعد المتقون تجري واقحام الاسما لا يجوز وحكوا عن الفراء ان العرب تقحم كثيرا المثل والمثل وخرج على ذلك ليس كمثله شيء اي كهو شيء وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وهذا ايضا لا يصح ان يكون تجري خبرا عن الصفة وانما تاول تجري على اسقاط ان ورفع الفعل والتقدير ان تجري اي جريان الانهار وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد انتهى وقال ابو علي لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة ولا على معنى الشبه لان الجنة التي قدرها جنة ولا تكون الصفة ولان الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة جثة فلا تكون المماثلة وقرا علي وابن مسعود امثال الجنة على الجمع اي صفاتها وفي اللوامح عن السلمي امثال الجنة جمع ومعناه صفات الجنة وذلك لانها صفات مختلفة فلذلك جمع نحو الحلول والاشغال والاكل ما يوكل فيها ومعنى دوامه انه لا ينقطع ابدا كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ابراهيم التيمي في لذته دايمة لا تزاد بجوع ولا تمل من شبع وظلها اي دايم البقاء والراحة لا تنسخه شمس ولا يميل ليرد كما في الدنيا تلك اي تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك ۵ والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ۵ نزلت في مؤمني اهل الكتابين ذكره الماوردي واختاره الزمخشري فقال من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه انتهى وعن ابن عباس وابن زيد في مؤمني اليهود كعبد الله بن سلام واصحابه وعن قتادة في اصحاب الرسول مدحهم تعالى بانهم يفرحون بما انزل اليك من امر الدين وعن مجاهد والحسن وقتادة ان المراد بمثل الكتاب جميعهم يفرحون بما انزل من القران اذ فيه تصديق كتبهم وثناء على انبيائهم واحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى الحق وضعف

قوله عز وجل والذين آتيناهم

هذا القول بانهم بدا اكثر من فرحهم فلا نعتد بفرحهم وايضا فان اليهود والنصارى ينكرون بعضه وقد فرق تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين اتيناهم الكتاب والاحزاب قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس وقالت فرقة هم احزاب الجاهلية من العرب وقال مقاتل الاحزاب بنو امية وبنو المغيرة وال ابي طلحة ولما كان ما انزل اليه يتضمن عبادة الله ونفي الشريك امر بجواب المنكرين فقيل له قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم لبعض القران الذي انزل انكار لعبادة الله وتوحيده وانتم تدعون وجوب العبادة ونفي الشريك اليه ادعو اي الى شرعه ودينه واليه مرجعي عند البعث يوم القيمة او اليه مرجعي في جميع احوالي في الدنيا والاخرة وقرا ابو خليد عن نافع ولا اشرك بالرفع على القطع اي وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون حالا اي انا اعبد الله غير مشرك به وكذلك اي مثل انزالنا الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين اتيناهم الكتاب يتضمن انزاله تعالى الكتاب وهذا الذي انزلناه هو بلسان العرب كما الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم واراد بالحكم انه يفصل بين الحق والباطل ويحكم وقال ابن عطية وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء لانكار البعض كذلك انزلناه حكما عربيا انتهى وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب في انزلناه والضمير عائد على القران والحكم ما تضمنه القران من المعاني ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه اليها ولئن اتبعت الخطاب لغير الرسول لان الرسول معصوم من اتباع اهوائهم وقال الزمخشري وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان ۵ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ۵ واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۵ قال الكلبي عيرت اليهود الرسول وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فنزلت هذه الاية قيل وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فرد الله عليهم بان الرسل قبله كانوا امثاله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا باية من تلقائهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب فيه على العباد اي يفرض عليهم ما يريده تعالى وقوله لكل اجل كتاب لفظ عام في الاشيا التي لها اجال لانه ليس منها شيء لا وله اجل في بدايته وفي خاتمته وذلك الاجل مكتوب محصور وقال الضحاك والفراء المعنى لكل كتاب اجل ولا يجوز ادعاء القلب الا في ضرورة الشعر واما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه اذ ثم اشيا كتبها الله ازلية كالجنة ونعيم اهلها لا اجل لها والظاهر ان المحو عبارة عن ما نسخ من الشرائع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها اي يمحو ما يشاء محوه ويثبت ما يشاء اثباته وقيل هذا عام في الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ونسب هذا الى عمر بن مسعود وابي وائل والضحاك وابن جريج وكعب الاحبار والكلبي وروي عن عمر وابن مسعود وابي وائل في دعائهم ما معناه ان كنت كتبتني في السعداء فاثبتني فيهم وان في الاشقياء فامحني منهم وان صح هذا عنهم فينبغي ان يتاول على ان المعنى ان كنت

قوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا

استثنينا بالمعصية قابلها عنا بالمغفرة ومعلوم ان الشقاوة والسعادة والرزق والخلق
والاجل لا يتغير شي منها وقال ابن عباس يمحو الله ما يشا من امور عباده الا السعادة والشقاوة
والاجال فانه لا محو فيها وقال الحسن وفرقة هي اجال بني آدم تكتب في ليلة القدر
وقيل في ليلة نصف شعبان اجال الموتى فيمحي ناس من ديوان الاحيا ويثبتون في ديوان
الموتى وقال قيس بن عباد في العاشر من رجب يمحو الله ما يشا ويثبت وقال ابن عباس
والضحاك يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتابة كل
قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم
وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار
وصفاتها واحوالها وقال الزمخشري يمحو الله ما يشا ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله
ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ والكلام في نحو هذا واسع المجال انتهى وهو قول
قتادة وابن جبير وابن زيد قالوا يمحو الله ما يشا من الشرايع والفرايض فينسخه ويبدله
ويثبت ما يشا فلا ينسخه وقال مجاهد حكم الله امر السنة في رمضان فيمحو ما يشا ويثبت
ما يشاء الا الحيوة والموت والشقاء والسعادة وقال الكلبي يمحو من الرزق ويزيد فيه
وقال ابن جبير ايضا يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشا فلا يغفره وقال عكرمة يمحو
يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالى الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وقيل ينسي الحفظة من الذنوب ولا ينسي
وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من جا اجله ويثبت من لم يات اجله وقال السدي يعني
القمر ويثبت يعني الشمس بيانه فمحونا اية الليل الاية وقال ابن عباس ايضا ان لله لوحا
محفوظا وذكر وصفه في كتاب التحبير ثم قال لله فيه في كل يوم ثلثماية وستون نظرة يثبت
ما يشا ويمحو ما يشا وقال الربيع هذا في الارواح حالة النوم يقبضها عند النوم اذا اراد موته
فجاءة امسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله الله يتوفى الانفس حين موتها
الاية وقال علي بن ابي طالب يمحو الله ما يشا من القرون لقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من
القرون ويثبت ما يشا منها لقوله ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقال
ابن عباس يمحو يميت الرجل على ضلالة وقد عمل بالطاعة الزمن الطويل تختم بالمعصية ويثبت
عكسه وقيل يمحو الدنيا ويثبت الاخرة وفي الحديث عن ابي الدرداء انه تعالى يفتح الذكر في
ثلث ساعات بقين من الليل فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء
ويثبت ما يشا وقال الغزنوي ما في اللوح خرج عن الغيب لاحاطة بعض الملايكة فيحتمل
التبديل واحاطة الخلق بجميع علم الله محال وما في علمه من تقدير الاشيا لا يبدل انتهى وقيل
غير ذلك مما يطول نقله وقد استدلت الرافضة بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت على ان البداء
جايز على الله تعالى وهو انه يعتقد شيا ثم يظهر له ان الامر خلاف ما اعتقده وهذا باطل
لان علمه من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا
واما الاية فقد احتملت تلك التاويلات المتقدمة فليست نصا فيما ادعوه ولو كانت
نصا وجب تاويله وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت مخففا من اثبت وباقي السبعة
مثقلا من ثبت واما قوله ام الكتاب فقال ابن عباس ام الكتاب الذكر وقال ايضا
هو وكعب هو علم الله بما هو خالق وما خلقه عاملون وقالت فرقة الحلال والحرام وهو

قول الحسن وقال الزمخشري ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه انتهى
وما جرى مجرى الاصل للشي تسميه العرب اما كقولهم ام الراس للدماغ وام القرى لمكة
وقال ابن عطية واصوب ما يفسر به ام الكتاب انه ديوان الامور المحدثة التي قد سبق في القضا
ان يبدل او يمحي او يثبت وقال نحوه قتادة وتقدم الكلام على قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك في سورة يونس وادعا الزمخشري ان جواب الشرط الاول محذوف وكلام ابن عطية
في ما ونون التوكيد وقال الزمخشري واما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة
فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاوهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذا
انتهى قال الحوفي وغيره فانما عليك البلاغ جواب الشرط والذي تقدم شرطان لان المعطوف
على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر لانه لا يترتب عليه اذ يصير المعنى
واما نرينك بعض ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ واما كونه جوابا للشرط الثاني
وهو او نتوفينك فكذلك لانه يصير التقدير اما نتوفينك فانما عليك البلاغ ولا يترتب
وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه السلام لان التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تاويل
وهو ان يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب ان يكون جزا مترتبا عليه وذلك ان يكون التقدير
والله اعلم واما نرينك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من اعدايك ودليل
على صدقك اذ اخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم فاحتمل ان يقع ذلك في حياتك
واحتمل ان يقع بهم بعد وفاتك او نتوفينك اي او ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك
ولا عتب اذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فانما عليك البلاغ لا حلول
العذاب بهم اذ ذاك راجع الي وعلينا جزاوهم في تكذيبهم اياك وكفرهم بما جيت به ۝ اولم يروا
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم
فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ۝ الضمير في اولم يروا عايد على
الذين وعدوا ان ذلك اتعاظ لمن اتعظ نبهوا على ان ينظروا بعض الارض من اطرافها وناتي يعني
بالامر والقدرة كقوله فاتى الله بنيانهم والارض ارض الكفار المذكورين ويعني بنقصها من اطرا
للمسلمين من جوانبها كان المسلمون يغزون من حول ارض الكفار مما يلي المدينة ويغلبون على جوانب
ارض مكة والاطراف الجوانب وقيل الطرف من كل شي خياره ومنه قول علي بن ابي طالب العلوم اودية
في اي واد اخذت منها حسرت فخذوا من كل شي طرفا يعني خيارا قال ابن عطية والذي يظهر ان
معنى طرفا جانبا وبعضا كانه اشار الى ان الانسان يكون متشاركا في اطراف من العلوم لانه
لا يمكنه استيعاب جميعها ولم يشر الى انه يستغرق زمانه في علم واحد وقال ابن عباس والضحاك
ناتي ارض هولا بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبايل والبلاد المجاورة لهم
فما يومنهم ان يمكنك منهم وهذا التفسير لا يتاتي الا ان قدر نزول هذه الاية بالمدينة وقيل
الارض اسم جنس والانتقاص من الاطراف بتخريب العمران الذي يحله الله بالكفرة وروي
هذا عن ابن عباس ايضا ومجاهد وعنهما ايضا الانتقاص هو موت البشر وهلاك الثمرات
ونقص البركة وعن ابن عباس ايضا موت اشرافها وكبرائها وذهاب الصلحاء والاخيار وقيل
هذا الاطراف هنا الاشراف وقال ابن الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم وعن عطاء

قوله عز وجل اولم يروا انا ناتي الارض

ابن أبي رباح ذهاب فقهائها وخيار أهلها وعن مجاهد موت العلماء وقال عكرمة والشعبي
هو نقص الأنفس وقيل هلاك من أهلك من الأمم قبل قريش وهلاك أرضهم بعدهم والمناسب من هذه
الأقوال هو الأول ولم يذكر الزمخشري إلا ما هو قريب منه قال أنا نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها
من أطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في دار الإسلام وذلك من آيات
الغلبة والنصرة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون
سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك
فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي
لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ويتجه قول من قال النقص بموت
الأشراف والعلماء والخيار وتقريره أولم يروا أنا نحدث في الدنيا من الاختلافات خرابا بعد عمارة
وموتا بعد حياة وذلا بعد عز ونقصا بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن
يقلب الله الأمر عليهم ويصيرون ذليلين بعد أن كانوا قاهرين **وقرأ** الضحاك ننقصها مثقلا
من نقص عداه بالتضعيف من نقص اللازم والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي
يعقبه أي بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب
قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى
الكفر بالإدبار والانتكاس وقيل لا يتعقب أحكامه أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا والجملة
من قوله لا معقب لحكمه في موضع الحال أي نافذا حكمه وهو سريع الحساب تقدم الكلام على مثل هذه
الجملة ثم أخبر تعالى أن الأمم السابقة كان يصدر منهم المكر بأنبيائهم كما فعلت قريش وإن ذلك
عادة المكذبين للرسل مكر بإبراهيم نمرود وبموسى فرعون وبعيسى اليهود وجعل تعالى مكرهم كلا مكر
إذ أضاف المكر كله له تعالى ومعنى مكره تعالى عقوبته إياهم سماها مكرا إذ كانت ناشئة عن المكر
وذلك على سبيل المقابلة كقوله الله يستهزئ بهم ثم فسر قوله فلله المكر بقوله يعلم ما تكسب كل
نفس والمعنى يجازي كل نفس بما كسبت ثم هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار إذ يأتيه
العذاب من حيث هو في غفلة عنه فحينئذ يعلم لمن العاقبة المحمودة **وقرأ** جناح بن حبيش
وسيعلم الكافر مبنيا للمفعول من أعلم وسيخبر **وقرأ** الحرميان وأبو عمرو الكافر على الإفراد والمراد
به الجنس وباقي السبعة الكفار جمع تكسير وابن مسعود الكافرون جمع سلامة وأبي الذين كفروا
وفسر عطاء الكافر بالمستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون وقال ابن عباس
يريد بالكافر أبا جهل وينبغي أن يحمل تفسيره وتفسير عطاء على التمثيل لأن الإخبار يعلم الكافر لمن
عقبى الدار معني به جميع الكفار ولما قال الكفار لست مرسلا أي إنما أنت مدع ما ليس لك أمره
تعالى أن يكتفي بشهادة الله بينهم إذ قد أظهر على يديه من الأدلة على رسالته ما في بعضه كفاية لمن
وفق ثم أردف شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب والكتاب هنا القرآن والمعنى أن
من عرف ما ألف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لقدر البشر يشهد بذلك وقيل
الكتاب التوراة والإنجيل والذي عنده علم الكتاب من أسلم من علمائهم لأنهم يشهدون بنعته عليه
السلام في كتبهم قال قتادة كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي وقال مجاهد
يريد عبد الله بن سلام خاصة وهذان القولان لا يستقيمان إلا على أن تكون الآية مدنية
والجمهور على أنها مكية وقال محمد بن الحنفية والباقر هو علي بن أبي طالب وقيل جبريل والكتاب
اللوح المحفوظ وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج وعن الحسن لا والله ما يعني إلا الله

والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم قال ابن عطية
ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الصفة وذلك لا يجوز وإنما تعطف الصفات
بعضها على بعض انتهى وليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لأن من لا يوصف بها ولا بالتي
من الموصولات إلا بالذي والتي وفروعهما وذو وذوات الطائيين وقوله وإنما تعطف
الصفات بعضها على بعض ليس على إطلاقه بل له شرط وهو أن يختلف مدلولها ويعني ابن عطية
لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف والعالم على الاسم وهو علم لم يلحظ منه معنى صفة وكذلك
الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر قوله الله الذي يستحق العبادة
حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة على الاسم ومن في قراءة الجمهور في موضع
خفض عطفا على لفظ الله أو في موضع رفع عطفا على موضع الله إذ هو في مذهب من جعل الباء زائدة
فاعل بكفى وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره أعدل
وأمضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه لفظ شهيدا ويراد بذلك الله تعالى وقرئ وبمن بدخول
الباء على من عطفا على بالله **وقرأ** علي وأبي وابن عباس وعكرمة وابن جبير وعبد الرحمن بن أبي بكرة
والضحاك وسالم بن عبد الله بن عمر وابن أبي إسحاق ومجاهد والحكم والأعمش ومن عنده علم الكتاب
بجعل من حرف جر وجر ما بعده به وارتفاع علم بالابتداء والجار والمجرور في موضع الخبر **وقرأ**
علي أيضا وابن السميفع والحسن بخلاف عنه ومن عنده بجعل من حرف جر وعلم الكتاب بجعل علم فعلا
مبنيا للمفعول والكتاب رفع به وقرئ ومن عنده بحرف جر وعلم الكتاب مشددا مبنيا للمفعول
والضمير في عنده في هذه القراءات الثلاث عائد على الله تعالى وقال الزمخشري في القراءة التي
وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة
أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه
فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري ليس على وجه
التحتم لأن الظرف والجار والمجرور إذا وقعا صلتين أو حالين أو خبرين إما في الأصل وإما في
الناسخ أو تقدمهما أداة نفي أو استفهام جاز فيما بعدهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل
وهو الأجود وجاز أن يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف أو الجار والمجرور في موضع خبره والجملة من
المبتدأ والخبر صلة أو صفة أو حال أو خبر وهذا مبني على اسم الفاعل فكما جاز ذلك في اسم الفاعل
وإن كان الأحسن إعماله في الاسم الظاهر فكذلك يجوز في ما ناب عنه من ظرف أو مجرور وقد نص
سيبويه على إجازة ذلك في نحو مررت برجل حسن وجهه فأجاز حسن وجهه على رفع حسن على أنه خبر
مقدم وهكذا تلقفنا هذه المسألة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشأة في النحو أن اسم الفاعل إذا اعتمد
على شيء مما ذكرناه يتحتم إعماله في الظاهر وليس كذلك وقد أعرب الحوفي عنده علم الكتاب مبتدأ
وخبرا في صلة من وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون خبرا يعني عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى
ومن قرأ ومن عنده على أنه حرف جر فالكتاب في قراءته هو القرآن والمعنى أنه تعالى من جهة فضله
وإحسانه علم الكتاب أو علم الكتاب على القرآنين أي علمت معانيه وكونه أعظم المعجزات الباقي
على مر الأعصار فتشريف العبد بعلوم القرآن إنما ذلك من إحسانات الله تعالى إليه وتوفيقه
على كونه معجزا وتوفيقه لإدراك ذلك ۝

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الر ۝ كتاب أنزلناه إليك لتخرج

الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات
وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة
ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ۝ هذه السورة مكية كلها
في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الا من قوله الم تر الى الذين بدلوا الى قوله الى النار
وارتباط اول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جدا لانه ذكر فيها ولو ان قرانا ثم وكذلك انزلناه
حكما عربيا ثم ومن عنده علم الكتاب فناسب هذا قوله الر كتاب انزلناه اليك وايضا فانهم
لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا انزل عليه آية من ربه وقيل له قل ان الله يضل من يشاء
ويهدي اليه من اناب انزل الكتاب انزلناه اليك كانه قيل اولم يكفهم من الآيات كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال الى النور وهو الهدى وجوزوا في اعراب الر
ان يكون في موضع رفع بالابتداء وكتاب الخبر وفي موضع رفع على خبر مبتدا محذوف تقديره اي
هذه الر وفي موضع نصب على تقدير الزم او اقرا الر وكتاب انزلناه اليك جملة مفسرة في هذين
الاعرابين وكتاب مبتدا وسوغ الابتداء به كونه موصوفا في التقدير اي كتاب
اي عظيم انزلناه اليك وجوزوا ان يكون كتاب خبر مبتدا محذوف تقديره هذا كتاب وانزلناه
جملة في موضع الصفة وفي قوله انزلناه واسناد الانزال الى نون العظمة ومخاطبته تعالى
بقوله اليك واسناد الاخراج اليه عليه السلام تنويه عظيم وتشريف له عليه السلام من حيث المشاركة
في تحصيل الهداية بارسال له تعالى وباخراجه عليه السلام اذ هو الداعي والمنذر وان كان في الحقيقة
مخترع الهداية هو الله تعالى والناس عام اذ هو مبعوث الى الخلق كلهم والظلمات والنور مستعاران
للكفر والايمان ولما ذكر علة انزال الكتاب وهي قوله لتخرج قال باذن ربهم اي ذلك الاخراج
بتسهيل مالكهم الناظر في مصالحهم اذ هم عبيده فناسب ذكر الرب هنا تنبيها على منة المالك
وكونه ناظرا في حال عبيده وباذن ظاهره التعلق بقوله لتخرج وجوز ابو البقاء ان يكون
باذن ربهم في موضع الحال قال اي مأذونا لك وقال الزمخشري باذن ربهم بتسهيله
وتيسيره مستعارا من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر ان قوله الى صراط بدل من قوله الى النور ولا يضر
هذا الفصل بين المبدل منه والبدل لان باذن معمول للعامل في المبدل منه وهو لتخرج واجاز
الزمخشري ان يكون الى صراط على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز
الحميد وقرئ ليخرج مضارع خرج بالياء بنقطتين من تحتها والناس رفع به ولما كان قوله الى
النور فيه ابهام ما اوضحه بقوله الى صراط ولما تقدم شيئان احدهما اسناد انزال هذا الكتاب
اليه والثاني اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين
صفة العزة المتضمنة المقدرة والغلبة وذلك من حيث انزال الكتاب وصفة الحمد المتضمنة
استحقاقه الحمد من حيث الاخراج من الظلمات الى النور اذ الهداية الى الايمان هي النعمة التي
يجب على العبد الحمد عليها والشكر وتقدمت صفة العزيز لتقدم ما دل عليها وتليها صفة
الحميد لتلو ما دل عليها وقرا نافع وابن عباس الله بالرفع فقيل مبتدا محذوف اي هو الله
وهذا الاعراب امكن لظهور تعلقه بما قبله وتفلته على التقدير الاول وقرا باقي السبعة
والاصمعي عن نافع الله بالجر على البدل في قول ابن عطية والحوفي وابي البقاء وعلى عطف
البيان في قول الزمخشري قال لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود

الحقيقة

٤

الذي

الذي يحق له العبادة كما غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لا يتم الا على تقدير ان يكون
اصله الالاه ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل
والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال في هذا اللفظ
في البسملة اول الحمد وقال الاستاذ ابو الحسن بن عصفور لا تقدم صفة على موصوف
الا حيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجد من ذلك وجهان احدهما ان تقدم الصفة
وتبقيها على ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان احدهما اعرابه نعتا مقدما والثاني ان
يجعل ما بعد الصفة بدلا والوجه الثاني ان تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى
فعلى هذا الذي ذكره ابن عصفور يجوز ان يكون العزيز الحميد يعرب صفتين متقدمتين ويعرب
لفظ الله موصوفا متاخرا ومما جاء فيه تقديم ما لو تاخر لكان صفة وتاخر ما لو تقدم لكان
موصوفا قول الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد

فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمؤمن الطير العائذات وارتفع ويل على الابتداء وللكافرين
خبره لما تقدم ذكر الظلمات دعا بالهلكة على من لم يخرج منها ومن عذاب شديد في موضع الصفة
لويل ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف ولا يجوز ان يكون متعلقا بويل لانه مصدر
ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري انه ليس في موضع
الصفة قال فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى
انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا
انتهى وظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب ان يكون واقعا
بهم في الدنيا او واقعا بهم في الآخرة والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة
لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر ويجوز ان يكون
استفعل بمعنى افعل كاستجاب واجاب ولما ضمن معنى الايثار عدي بعلى وجوزوا في اعراب الذين
ان يكون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد وان يكون معطوفا على الذم اما خبر مبتدا محذوف
اي هم الذين واما منصوبا باضمار فعل تقديره اذم وان يكون بدلا وان يكون صفة للكافرين ونص
على هذا الوجه الاخير الحوفي والزمخشري وابو البقاء وهو لا يجوز لان فيه الفصل بين الصفة
والموصوف باجنبي منهما ويكون قوله من عذاب شديد سواء كان في موضع الصفة
لويل ام متعلقا بفعل محذوف اي يضجون ويولولون من عذاب شديد ونظيره اذا كان صفة
ان تقول الدار لزيد الحسنة القرشي فهذا التركيب لا يجوز لانك فصلت بين زيد وصفته
باجنبي منهما وهو صفة الدار والتركيب الفصيح ان تقول الدار الحسنة لزيد القرشي او الدار لزيد
القرشي الحسنة وقرا الحسن ويصدون مضارع اصد الداخل عليه همزة النقل من صد
اللازم صدودا وتقدم الكلام على قوله ويبغونها عوجا في آل عمران وعلى وصف الضلال
بالبعد ۝ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء وهو العزيز الحكيم ۝ ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ۝ سبب نزولها ان
قريشا قالوا ما بال الكتب كلها اعجمية وهذا عربي فنزلت وسياق قصة موسى انه
تعالى ارسله الى قومه بلسانه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور كما ارسلك لتخرج الناس

قوله عز وجل وما ارسلنا

من الظلمات الى النور والظاهر ان قوله وما ارسلنا من رسول العموم فيندرج فيه الرسول
عليه السلام فان كانت الدعوة عامة للناس كلهم او اندرج في اتباع ذلك الرسول من ليس
من قومه كان من لم تكن لغته لغة ذلك النبي موقوفا على تعلم تلك اللغة حتى يفهمها الى
او ان يرجع في تفسيرها الى من يعلمها وقيل في الكلام حذف تقديره وما ارسلنا من رسول
قبلك الا بلسان قومه وانت ارسلناك للناس كافة بلسان قومك وقومك يترجمون
لغيرهم بالسنتهم ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرأ ابو السمال وابو الجوزاء وابو عمران
الجوني بلسن باسكان السين قالوا هو كالريش والرياش وقال صاحب اللوامح واللسن
خاص باللغة واللسان قد يقع على العضو وعلى الكلام وقال ابن عطية مثل ذلك قال اللسان
في هذه الاية يراد به اللغة ويقال لسن ولسان في اللغة فاما العضو فلا يقال فيه لسن
وقرأ ابو رجاء وابو المتوكل والجحدري بلسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان كعماد وعمد
وقرئ ايضا بضم اللام وسكون السين مخفف كرسل ورسل والضمير في قومه عائد على رسول اي قوم
ذلك الرسول وقال الضحاك والضمير في قومه عائد على محمد صلى الله عليه وسلم قال والكتب
كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه قال الزمخشري وليس بصحيح لان قوله ليبين
لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب
وهذا معنى فاسد انتهى وقال الكلبي جميع الكتب نادت الى جبريل بالعربية وامره تعالى
ان ياتي رسول كل قوم بلغتهم واورد الزمخشري هنا سؤالا وابن عطية اخرها في كتابيهما
ويقول قامت الحجة على البشر باذعان الفصحاء الذين يظن بهم القدرة على المعارضة
واقرارهم بالعجز كما قامت باذعان السحرة لموسى والاطباء لعيسى عليهما وبين تعالى العلة
في كون من ارسل من الرسل بلغة قومه وهي التبيين لهم ثم ذكر انه تعالى يضل من يشاء اضلاله
ويهدي من يشاء هدايته فليس على ذلك الرسول غير التبليغ والتبيين ولم يكلف ان يهدي
بل ذلك بيد الله على ما سبق به قضاؤه وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم الواضع الاشياء
على ما اقتضته ارادته وحكمته وقال الزمخشري والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف
وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغالب
على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف انتهى وهو على
طريقة الاعتزال والجمهور على تفسير قوله باياتنا انها التسع الايات التي اجراها الله على يد موسى
عليه السلام وقيل يجوز ان يراد بها ايات التوراة والتقدير كما ارسلناك يا محمد بالقران
بلسان عربي وهو اياتنا كذلك ارسلنا موسى بالتوراة بلسان قومه وان اخرج يحتمل ان
ان يكون للتفسير وان تكون مصدرية ويضعف زعم من زعم انها زائدة وفي قوله قومك خصوص
لرسالته الى قومه بخلاف لتخرج الناس والظاهر قومه هم بنوا اسرائيل وقيل القبط فان كانوا
القبط فالظلمات هنا الكفر والنور الايمان وان كانوا بني اسرائيل وقلنا انهم كلهم كانوا
مومنين فالظلمات ذل العبودية والنور العز بالدين وظهور امر الله وان كانوا اشياعا
متفرقين في الدين قوم مع القبط في عبادة فرعون وقوم على غير شيء فالظلمات الكفر
والنور الايمان قيل وكان موسى مبعوثا الى القبط وبني اسرائيل وقيل الى القبط بالاعتراف
بوحدانية الله وان لا يشرك به والايمان بموسى وانه نبي من عند الله والى بني اسرائيل
بالتكليف وبفروع شريعته اذ كانوا مؤمنين ويحتمل وذكرهم ان يكون امرا مستانفا وان يكون

معطوفا

معطوفا على ان اخرج فيكون في حيز ان وايام الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نعم الله عليهم
ورواه ابي مرفوعا ومنه **قول الشاعر** ه

● وايام لنا غر طوال ● عصينا الملك فيها ان ندينا ●

وعن ابن عباس ايضا ومقاتل وابن زيد وقايعه ونقماته في الامم الماضية ويقال فلان
عالم بايام العرب اي وقايعها وحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة
وغيرها وروي عن مالك قال بلاؤه **وقال الشاعر** ه

وايامنا مشهورة في عدونا ه اي وقايعنا وعن ابن عباس ايضا نعماؤه وبلاؤه واختاره
الطبري فنعماؤه بتظليله عليهم الغمام وانزال المن والسلوى وفلق البحر وبلاؤهم باستعباد
فرعون لهم وتذبيح ابنائهم واهلاك القرون قبلهم وفي حديث ابي في قصة موسى والخضر
بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بايام الله وايام الله بلاؤه ونعماؤه واختار الطبري
هذا القول الاخر ولفظة الايام تعم المعنيين لان التذكير يقع بالوجهين جميعا وفي هذه
اللفظة تعظيم الكواين المذكر بها وعبر عنها بالظرف الذي وقعت فيه وكثيرا ما يقع الاسناد
الى الظروف وفي الحقيقة الاسناد لغيرها كقوله بل مكر الليل والنهار ومن ذلك قولهم
يوم عبوس ويوم عصيب ويوم بسام والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة او سرور والاشارة
بقوله ان في ذلك الى التذكير بايام الله وصبار وشكور صفتا مبالغة وهما مشعرتان بان
ايام الله المراد بها بلاؤه ونعماؤه اي صبار على بلائه شكور لنعمائه فاذا سمع بما انزل الله
من البلاء على الامم او بما افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر اذا اصابه بلاء
ومن الشكر اذا اصابته نعما وخص الصبار والشكور لانهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير
والتنبيه ويتعظان به وقيل اراد لكل مومن ناظر لنفسه لان الصبر والشكر من سجايا اهل
الايمان ه واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ه واذ تاذن ربكم
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا فان الله لغني حميد ه لما تقدم امره تعالى لموسى بالتذكير بايام الله ذكرهم بما انعم تعالى
عليهم من نجاتهم من ال فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب اذ في نحو
هذا التركيب في قوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء وتفسير نظير هذه الاية الا ان هنا
ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون فحيث لم يوت بالواو جعل الفعل تفسيرا
لقوله يسومونكم وحيث اتى بها دل على المغايرة وان سوم سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره وحيث
جا يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح ولغيره من انواع القتل **وقرأ** ابن محيصن ويذبحون مضارع
ذبح ثلاثيا **وقرأ** زيد بن علي كذلك الا انه حذف الواو وتقدم شرح تاذن ومعناه بالقسم في قوله
في الاعراف واذ تاذن ربك ليبعثن واحتمل اذ ان يكون منصوبا باذكروا وان يكون معطوفا على
اذ انجاكم لان هذا الاعلام بالمزيد على الشكر من نعمه تعالى والظاهر ان متعلق الشكر هو الانعام
اي لئن شكرتم انعامي وقال الحسن والربيع قال الحسن لازيدنكم من طاعتي وقال
الربيع لازيدنكم من فضلي وقال ابن عباس لئن وحدتم واطعتم لازيدنكم في الثواب وكانه
راعى ظاهر المقابلة في قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وظاهر الكفر المراد به الشرك فلذلك
فسر الشكر بالتوحيد والطاعة وغيره قال ولئن كفرتم نعمتي فلم تشكروها رتب العذاب الشديد

قوله عز وجل واذ قال موسى

على كفران نعمه تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن تكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما
وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسند إليه تعالى وإذا ذكر العذاب
بعده عدل عن نسبته إليه فقال لأزيدنكم فنسب الزيادة إليه وقال إن عذابي لشديد
ولم يأت التركيب لأعذبنكم وصرح في لأزيدنكم بالمفعول وهنا لم يذكر وإن كان المعنى عليه
أي إن عذابي لكم لشديد **وقرأ** عبد الله وإذ قال ربكم كما فسر قوله تأذن لأن معنى أذن
أي أعلم وأعلم يكون بالقول ثم نبه موسى عليه السلام قومه على أن الباري تعالى وإن أوعد بالعذاب
الشديد على الكفر فهو غير مفتقر إلى شكركم لأنه تعالى هو الغني عن شكركم الحميد المستوجب الحمد
على ما أسبغ من نعمه وإن لم يحمده الحامدون فثمرة شكركم إنما هي عائدة إليكم وأنتم خطاب
لقومه وقال ومن في الأرض يعني الناس كلهم لأن من كان في العالم العلوي وهم الملائكة لا يدخلون
في من في الأرض وجواب إن تكفروا محذوف لدلالة المعنى والتقدير فإنما ضرر كفركم لاحق بكم والله
تعالى متصف بالغنى المطلق والحمد سواء كفروا أم شكروا وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم
لله تعالى وكذلك في ذكر هاتين الصفتين ۝ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا
إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ۝ قالت رسلهم أفي الله شك
فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا
تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ۝ الظاهر أن هذا
من خطاب موسى لقومه وقيل ابتداء خطاب من الله لهذه الأمة وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه
الله في كتابه وتقدم في الأعراف وهود والهمزة في ألم للتقرير والتوبيخ والظاهر أن
والذين في موضع خفض عطفا على ما قبله إما على الذين وإما على قوم نوح وعاد وثمود وقال
الزمخشري والجملة من قوله لا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
إلا الله انتهى وليست جملة اعتراض لأن جملة الاعتراض تكون بين جزئين يطلب أحدهما الآخر
وقال أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم فإن عنى من الضمير المجرور في بعدهم
فلا يجوز لأنه حال من مجرور بالإضافة وليس له محل إعراب من رفع أو نصب وإن عنى من الضمير
المستقر في الجار والمجرور المنتقل عن العامل فهو ممكن وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون
مستأنفا وكذلك جاءتهم وأجاز الزمخشري وتبعه أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لا يعلمهم
إلا الله وقال الزمخشري والجملة من المبتدأ والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست باعتراض لأنها
لم تقع بين جزئين أحدهما يطلب الآخر والضمير في جاءتهم عائد على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية
للنبأ والظاهر أن الأيدي هي الجوارح وأن الضمير في أيديهم وفي أفواههم عائد على الذين
جاءتهم الرسل قال ابن مسعود وابن زيد جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم ليعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل **وقرأ** ابن زيد عضوا عليكم الأنامل من الغيظ والعض بسبب شدة الغيظ من البشر

وقال الشاعر

قد أفنى أنامله أزمه ۝ وأضحى يعض علي الوظيفا

وقال آخر

لو أن سلمى أبصرت تخددي ۝ ودقة في عظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفاء عودي ۝ عضت من الوجد بأطراف اليد

وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال أبو صالح لما قال لهم

قوله عز وجل ألم يأتكم نبأ الذين

رسول الله أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت تكذيبا له وردا لقوله
واستبشاعا للمجاب به وقيل ردوا أيديهم في أفواههم ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده
على فيه وقيل أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا
جواب لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق وقيل الضميران عائدان على الرسل قال
مقاتل قال أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم وقال
الحسن وغيره جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه الرسل ردا لقولهم وهذا أشنع في الرد وأذهب في الا
على الرسل والنيل منهم فعلى هذا الضمير في أيديهم عائد على الكفار وفي أفواههم عائد على الرسل
وقيل المراد بالأيدي هنا النعم جمع يد المراد بها النعمة أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم
من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواه الأنبياء لأنهم إذا كذبوها ولم
يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل وقيل الضمير في أفواههم
من هذا القول عائد على الكفار وفي بمعنى الباء أي بأفواههم والمعنى كذبوهم بأفواههم وفي بمعنى الباء
يقال جلست في البيت وبالبيت وقال الفراء قد وجدنا من العرب من يجعل في موضع الباء فيقول
أدخلك الله الجنة وفي الجنة **وأنشد** وأرغب من لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست أرغب
يريد أرغب بها وقال أبو عبيدة هذا ضرب مثل أي لم يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل إذا
سكت عن الجواب وأمسك رد يده في فيه وقاله الأخفش أيضا وقال القتبي لم يسمع أحد من
العرب يقول رد يده في فيه إذا ترك ما أمر به انتهى ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا أبو عبيدة
والأخفش نقلا ذلك عن العرب فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل كأن الممسك
عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه وقد رد الطبري قول أبي عبيدة وقال إنهم قد أجابوا
بالتكذيب لأنهم قالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ولا يرد ما قاله الطبري لأنه يريد أبو عبيدة أنهم أمسكوا
وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبينات وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق
للرسل قال ابن عطية ويحتمل أن يتجوز في لفظة الأيدي أي أنهم ردوا قوتهم ومدافعتهم ومكافحتهم
فيما قالوا بأفواههم من التكذيب فكأن المعنى ردوا جميع مدافعتهم في أفواههم أي في أقوال الخصم
وعبر عن جميع المدافعة بالأيدي إذ الأيدي موضع أشد المدافعة والمرادة انتهى بادروا أولا
إلى الكفر وهو التكذيب المحض ثم أخبروا بأنهم في شك وهو التردد كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى
أن انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردد أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب
والكفر وطائفة شكت والشك في مثل ما جاءت به الرسل كفر **وقرأ** طلحة مما يدعونا بإدغام
نون الرفع في الضمير كما تدغم في نون الوقاية في مثل أتحاجوني والمعنى مما تدعوننا إليه
من الإيمان بالله ومريب صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام على الذي بعده الإنكار على
الظرف الذي هو خبر عن المبتدأ لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل
الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه وقدر مضاف فقيل في إلهية الله وقيل في وحدانيته
ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي أن لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشئ العالم وموجده
فقال فاطر السموات والأرض وفاطر صفة لله ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل
هذا المبتدأ فيجوز أن تقول في الدار زيد الحسنة وإن كان أصل التركيب في الدار الحسنة زيد
وقرأ زيد بن علي فاطر نصب على المدح ولما ذكر أنه موجد العالم ونبه على الوصف الذي
لا يناسب أن يكون معه فيه شك ذكر ما هو عليه من اللطف بهم والإحسان إليهم فقال

ستطالة

فحتهم

يدعوكم ليغفر أي يدعوكم إلى الإيمان كما قال إذ تدعون إلى الإيمان أو يدعوكم لأجل المغفرة نحو دعوته
لينصرني وقال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور
ومن ذنوبكم ذهب أبو عبيدة والأخفش إلى زيادة من أي ليغفر لكم ذنوبكم وجمهور البصريين لا يجيز
زيادتها في الواجب ولا إذا جرت المعرفة والتبعيض يصح فيها إذ المغفور هو ما بينهم وبين
الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وبطريق آخر يصح التبعيض وهو أن الإسلام
يجب ما قبله ويبقى ما يستأنف بعد الإيمان من الذنوب مسكوتا عنه فهو في المشيئة
والوعد إنما هو بغفران ما تقدم لا بغفران ما يستأنف وقال الزمخشري ما معناه أنه ما استقري
في الكافرين أن يأتي من ذنوبكم وفي المؤمنين ذنوبكم وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولأن
لا يسوى بين الفريقين انتهى ويقال ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك إذ الكافر
إذا آمن والمؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب في الكافر
الذي آمن هو موجود في المؤمن الذي تاب وقال أبو عبد الله الرازي أما قول صاحب الكشاف
المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب ' لأن هذا التبعيض إن حصل
فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا وقال إلى أجل مسمى
إلى وقت قد بيناه وبين مقداره إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت انتهى
وهذا بناء على القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وتقدم الكلام في طرف من هذا في
سورة الأعراف في قوله ولكل أمة أجل وقيل هنا ويؤخركم إلى أجل مسمى قبل الموت
فلا يعاجلكم بالعذاب إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا قال الزمخشري ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم
وهم الملائكة انتهى وهذا على مذهب المعتزلة في تفضيل الملائكة على من سواهم وقال
ابن عطية في قولهم استبعاد بعثة الرسل من البشر وقال بعض الناس بل أرادوا إحالته وذهبوا
مذهب البراهمة أو من يقول من الفلاسفة إن الأجناس لا يقع فيها هذا القياس وظاهر كلامهم
لا يقتضي أنهم أغمضوا هذا الإغماض ويدل على ما ذكرت أنهم طلبوا منهم حجة ويحتمل أن طلبهم
منهم السلطان إنما هو على جهة التعجيز أي بعثتكم محال وإلا فأتوا بسلطان مبين أي إنكم لا تفعلون
ذلك أبدا فيقوى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة انتهى والذي يظهر أن طلبهم السلطان
المبين وقد أتتهم الرسل بالبينات إنما هو على سبيل التعنت والاقتراح وإلا فما أتوا به من
الدلائل والآيات كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال ألا ترى إلى
أنهم لما ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أي ليس مقصودكم
إلا أن نكون لكم تبعا ونترك ما نشأنا عليه من دين آبائنا وقرأ طلحة أن تصدونا بتشديد النون
جعل أن هي المخففة من الثقيلة وقد فصلا بينها وبين الفعل وكان الأصل أنه تصدوننا
فأدغم نون الرفع في الضمير والأولى أن تكون أن الثنائية التي تنصب المضارع لكنه
لم يعملها بل ألغاها كما ألغاها من قرأ لمن أراد أن يتم الرضاعة برفع يتم حملا على ما المصدرية
أختها ۝ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا
أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ۝ وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين

قوله عز وجل قالت لهم رسلهم

ولنسكننكم

ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ۝
من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن
ورائه عذاب غليظ ۝ سلموا لهم في أنهم مماثلوهم في البشرية وحدها وأما ما سوى ذلك من الأوصاف
التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعا منهم ونسبة
ذلك إلى الله ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده والمعنى
يمن بالنبوة على من يشاء تنبئته ومعنى بإذن الله بتسويغه وإرادته أي الآية التي اقترحتموها
ليس لنا الإتيان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وإنما ذلك
أمر متعلق بالمشيئة وفليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا
وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما
يجري علينا منكم ألا ترى إلى قولهم وما لنا أن لا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا في أن لا
نتوكل على الله وقد هدانا وفعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا
سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين والأمر الأول وهو قوله فليتوكل المؤمنون
لاستحداث التوكل والثاني للثبات على ما استحدثوا من توكلهم ولنصبرن جواب قسم ويدل
على سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى وما مصدرية وجوزوا أن تكون بمعنى الذي والضمير
محذوف أي ما آذيتمونا وكان أصله به فهل حذف به أو أتى فوصل الفعل إلى الضمير قولان وقرأ
الحسن بكسر لام الأمر في ليتوكل وهو الأصل أو لتعودن أحد الأمرين أقسموا على أنه لا بد من إخراجهم
أو عودهم في ملتهم كأنهم قالوا ليكونن أحد هذين وتقديرها هنا بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن قول
من لم يشم النظر في ما بعدها لأنه لا يصح تركيب حتى ولا تركيب إلا أن مع قوله لتعودن بخلاف
لألزمنك أو تقضيني حقي والعود هنا بمعنى الصيرورة أو يكون خطابا للرسل ومن آمن بهم
وغلب حكم من آمن بهم لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم فيصح إبقاء لتعودن على المفهوم منها أولا إذ سبق
كونهم كانوا في ملتهم وأما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط أو يكون المعنى في عودهم إلى ملتهم سكوتهم
عنهم وكونهم أغفالا عنهم لا يطالبونهم بالإيمان بالله وما جاءت به الرسل وقرأ أبو حيوة
ليهلكن الظالمين وليسكننكم بياء الغائب اعتبارا بقوله فأوحى إليهم ربهم إذ لفظه لفظ الغائب
وجاء ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفا لهم بالخطاب ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله فأوحى
إليهم ربهم ولما أقسموا هم على إخراج الرسل والعودة في ملتهم أقسم تعالى على إهلاكهم وأي إخراج
أعظم من الإهلاك بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبدا وعلى إسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم
أرض أولئك المقسمين على إخراج الرسل قال ابن عطية وخص الظالمين من الذين كفروا إذ جائز أن
يؤمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس وإنما توعد بالإهلاك من خلص للظلم وقال غيره
أراد بالظالمين المشركين قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم والإشارة بذلك إلى توريث
الأرض الأنبياء ومن آمن بهم بعد إهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام
يحتمل المصدر والمكان فقال الفراء مقامي مصدر أضيف إلى الفاعل أي قيامي عليه بالحفظ
لأعماله ومراقبتي إياه لقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال الزجاج مكان وقوفه
بين يدي للحساب وهو موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة كقوله ولمن خاف
مقام ربه أو على إقحام المقام أي لمن خافني والظاهر أن الضمير في واستفتحوا عائد على
الأنبياء أي استنصروا الله على أعدائهم كقوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وجوز أن يكون

يب

من الفتاحة وهي الحكومة اي استحكموا الله اطلبوا منه القضاء بينهم واستفتاح الرسل في القرآن
كثير كقول نوح فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني وقول لوط رب نجني واهلي مما يعملون وقول
شعيب ربنا افتح بيننا وقول موسى ربنا انك آتيت الآية وقال ابن زيد الضمير عائد على
الكفار اي واستفتح الكفار على نحو ما قالت قريش عجل لنا قطنا وقول ابي جهل اللهم اقطعنا
للرحم واتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة وكانهم لما قوي تكذيبهم واذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة
ظنوا ان ما جاؤوا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء كقول قوم نوح فاتنا
بما تعدنا وقوم شعيب فاسقط علينا كسفا وعاد وما نحن بمعذبين وبعض قريش
فامطر علينا حجارة وقيل الضمير عائد على الفريقين الانبياء ومكذبيهم لانهم كانوا كلهم
سألوا ان ينصر الحق ويبطل المبطل ويقوي عود الضمير على الرسل خاصة قراءة ابن عباس
ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا بكسر التاء امرا للرسل معطوفا على لنهلكن اي واوحى اليهم
ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا اي اطلبوا النصر وسلوه من ربكم وقال الزمخشري
ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت
عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقي
في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف
منقطع عن حديث الرسل واممهم انتهى وخاب معطوف على محذوف تقديره فنصروا وظفروا وخاب
كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعنى المخالط على
قول من جعل الضمير عائدا على الكفار كان وخاب عطفا على واستفتحوا من ورائه قال
ابو عبيدة وابن الانباري اي من بعده **وقال الشاعر**

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال ابو عبيدة ايضا وقطرب والطبري وجماعة من ورائه اي من امامه وهو معنى
قول الزمخشري من بين يديه **وانشد**

عسى الكرب الذي امسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف
حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف **وقال الشاعر**

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال آخر اليس ورائي ان تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

ووراء من الاضداد قاله ابو عبيدة والازهري وقيل ليس من الاضداد وقال ثعلب اسم لما
توارى عنك سواء كان امامك ام خلفك وقيل بمعنى من خلفه اي في طلبه كما تقول الامر
من ورائك اي سوف يأتيك ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى فيها ويسقى او معطوف
على العامل في من ورائه وهو واقع موقع الصفة وارتفاع جهنم على الفاعلية والظاهر ارادة
حقيقة الماء وصديد قال ابن عطية نعت لماء كما تقول هذا خاتم حديد وليس بماء ولكنه
لما كان بدل الماء في العرف عندنا يعني اطلق عليه ماء وقيل نعت على اسقاط اداة التشبيه
كما تقول مررت برجل اسد التقدير مثل صديد فعلى قول ابن عطية هو نفس الصديد وليس بماء
حقيقة وعلى هذا القول لا يكون صديدا ولكنه ماء شبيه بالصديد وقال الزمخشري صديد
عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون

ظنوا

لا يجيزون

لا يجيزون عطف البيان في النكرات واجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فاعرب زيتونة عطف
بيان لشجرة مباركة فعلى راي البصريين لا يجوز ان يكون قوله صديد عطف بيان وقال
الحوفي صديد نعت لماء قال مجاهد وقتادة والضحاك هو ما يسيل من اجساد اهل النار
قال محمد بن كعب والربيع هو غسالة اهل النار في النار وهو ما يسيل من فروج الزناة
والزواني وقيل صديد بمعنى مصدود عنه اي لكراهته يصد عنه فيكون ماخوذا من الصد
وذكر ابن المبارك من حديث ابي امامة عن الرسول قال في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه واذا شربه
قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد ذاي ولا يقارب ان يسيغه فكيف
تكون الاساغة والظاهر هنا انتفاء مقاربة اساغته اياه واذا انتفت انتفت الاساغة
فيكون كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها والحديث جاء بانه يشربه فان صح
الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل ان يشربه ثم يشربه كما جاء فذبحوها وما كادوا يفعلون
قبل الذبح اي وما كادوا يفعلون قبل الذبح وتجرع تفعل ويحتمل هنا وجوها ان يكون للمطاوعة
اي جرعه فتجرع كقولك علمته فتعلم وان يكون للتكلف نحو تحلم وان يكون لمواصلة العمل في
مهلة نحو تفهم اي ياخذ شيئا فشيئا وان يكون موافقا للمجرد اي يجرعه كما تقول عدا الشيء
وتعداه ويتجرعه صفة لما قبله او حال من ضمير ويسقى او استئناف ويأتيه الموت اي اسبابه
والظاهر ان قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك لفظيع ما يصيبه من الالام
وقال ابراهيم التيمي من كل مكان من جسده حتى من اطراف شعره وقيل حتى من ابهام رجليه
والظاهر ان هذا في الاخرة وقال الاخفش اراد البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا
سماها موتا وهذا بعيد لان سياق الكلام يدل على ان هذا من احوال الكافر في جهنم
وقوله وما هو بميت لتطاول شدائد الموت وامتداد سكراته ومن ورائه الخلاف في ورائه
كالخلاف في من ورائه جهنم وقال الزمخشري ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت
يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد
انتهى وقيل الضمير في ورائه هو يعود على العذاب المتقدم لا على كل جبار ر ه الرماد معروف
وقال ابن عيسى هو جسم يسحقه الاحراق سحق الغبار ويجمع على رمد في الكثرة وارمدة في القلة
وشذ جمعه على افعلاء قالوا ارمداء ورماد رمدد اذا صار هباء ارق ما يكون الجزع عدم
احتمال الشدة وهو نقيض الصبر **قال الشاعر**

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا ... وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

المصرخ المغيث **قال الشاعر**

فلا تجزعوا اني لكم غير مصرخ ... وليس لكم عندي غناء ولا نصر

والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخا وصراخا وصرخة قال سلامة بن جندل

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

واصرخ بمعنى صرخ ويصرخ تكلف الصراخ واستصرخ استغاث فقال استصرختي فاصرخته
والصريخ مصدر كالزفير ويوصف به المغيث والمستغيث من الاضداد الفرع الغصن من
الشجرة ويطلق على ما يولد من الشيء والفرع الشعر يقال رجل افرع وامراة فرعاء لمن كثر شعره
وقال الشاعر وفرع يغشي المتن اسود فاحم • اجتث الشيء اقتلعه وجث الشيء

المفردات

قوله عز وجل مثل الذين كفروا

نلعة، والجثة شخص الانسان قاعدا وقايما • وقال لقيط الايادي •
• هو الجلا الذي يجتث اصلكم • فمن راي مثل ذا آت ومن سمعا •
البوار الهلاك قال الشاعر
• فلم ار مثلهم ابطال حرب • غداة الحرب اذ خيف البوار •
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا
على شيء ذلك هو الضلال البعيد • ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند س
فيما يتلى عليكم او يقص والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة واعمالهم كرماد جملة مستانفة
على تقدير سوال كانه قيل كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله
مبذول وقال ابن عطية وهو مذهب الكسائي والفرا انه على الغاء مثل وان المعنى الذين كفروا
اعمالهم كرماد وقال الحوفي مثل رفع بالابتدا واعمالهم بدل من مثل بدل اشتمال كما قال
الشاعر ما للجمال مشيها وئيدا اجندلا يحملن ام حديدا • وكرماد الخبر وقال
الزمخشري او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقال ابن عطية
وقيل هو ابتدا واعمالهم ابتدا ثان وكرماد خبر للثاني والجملة خبر الاول وهذا عندي ارجح الاقوال
وكانك قلت المتحصل مثلا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي اعمالهم في فسادها
وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى له اثر ولا يجتمع منه شيء
انتهى وهذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لا يجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدا
الاول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدا في المعنى فلا تحتاج الى
رابط واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدا الاساري
وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك شبهها في حبوطها وذهابها
هباء منثورا لبنايها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته
الريح العاصف وقرا نافع وابو جعفر الرياح على الجمع والجمهور على الافراد ووصف اليوم بقوله
عاصف وان كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ماطر وليل نايم وقال الهروي
التقدير في يوم عاصف الريح فحذف لتقدم ذكرها كما قال الشاعر
اذا جا يوم مظلم الشمس كاسف • يريد كاسف الشمس وقيل عاصف من صفة الريح الا انه
لما جا بعد اليوم اتبع اعرابه كما قيل جحر ضب خرب يعني ما ذكر من الجوار وقرا ابن ابي اسحق وابراهيم
ابن ابي بكر عن الحسن في يوم عاصف على اضافة اليوم لعاصف وهو على حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه تقديره في يوم ريح عاصف وتقدم تفسير العصوف في يونس في قوله جاءتها
ريح عاصف وعلى قول من اجاز اضافة الموصوف الى صفته يجوز ان تكون هذه القراة منه
لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر
من الرماد المطير بالريح على شيء وقيل لا يقدرون من ثواب ما كسبوا فهو على حذف مضاف
وفي الصحيح عن عايشة قالت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم
ويطعم المسكين هل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
وفي الصحيح ايضا ان الكافر ليطعم بحسناته في الدنيا ما عمل لله بها ذلك اشارة الى
كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرر والبعيد الذي يعمق فيه صاحبه ويبعد عن طريق
النجاة او البعيد عن الحق او الثواب وفي الفقرة لا يقدرون مما كسبوا على شيء من البقيع

قوله عز وجل الم تر ان الله خلق السموات والارض

في الفصاحة والمغايرة في التقدير والتاخير والمعنى واحد • الم تر ان الله خلق السموات
والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا
فقال الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء
قالوا لو هدانا الله لهديناكم سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص • قرا السلمي
الم تر بسكون الرا ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف وتوجيه آخر وهو ان ترى حذفت
العرب الفها في قولهم قام القوم ولو تر ما زيد كما حذفت يا لا ابالي في لا ابال
فلما دخل الجازم تخيل ان الرا هي اخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا لا ابال لم ابل فتخيلوا اللام
اخر الكلمة والروية هنا بمعنى العلم فهي من روية القلب وقرا الاخوان خالق السموات
والارض بالخفض وقرا الباقون خلق فعلا ماضيا والارض بالفتح ومعنى بالحق قال
الزمخشري بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقال
ابن عطية بالحق اي بما يحق من جهة مصالح عباده وانفاذ سابق قضايه وليدل عليه وعلى
قدرته وقيل بقوله وكلامه وقيل بالحق حال اي محقا والظاهر ان قوله يذهبكم خطاب
عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار ويات بخلق جديد يحتمل ان يكون المعنى ان يشا
يعدمكم ايها الناس ويات بناس اخرين من جنسكم ادميين ويحتمل من غير جنسكم والاول قول
جمهور المفسرين وتقدم تجويز هذين الاحتمالين للمفسرين في قوله في النسا ان يشا يذهبكم
ايها الناس ويات باخرين وبينا في ذلك انه لا يحتمل الا الوجه الاول وما ذلك اي وما
اذهابكم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى لانه تعالى هو القادر على ما يشا
وقال الزمخشري لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له
الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعا اليه داع ولم
يعترض من دونه صارف انتهى وفيه دسيسة الاعتزال لقوله القادر لانهم لا يثبتون القدرة
وينفون القدرة والتشبيه فعله تعالى بفعل العبد في قوله كتحريك اصبعك وعندنا ان
تحريك اصبعنا ليس الا بقدرة الله وان ما ينسب الينا من القدرة ليس موثرا في ايجاد شيء
وقال الزمخشري ايضا وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطيهم في الكفر
بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو
الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء انتهى وبرزوا اي ظهروا من
قبورهم الى جزاء الله وحسابه وقال الزمخشري ومعنى برزوا لله والله تعالى لا يتوارى
عليه شيء حتى يبرز انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك
خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه
خافية وقال ابن عطية وبرزوا معناه صاروا بالبراز وهي الارض المتسعة فاستعير
ذلك لجمع يوم القيامة وقال ابو عبد الله الرازي تاويل الحكما ان النفس اذا فارقت
الجسد فكانه زال الغطا وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز
لله تعالى انتهى وهذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لاهل الشرايع
في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم اهل الفلسفة
فتفسيرهم كاللغز والاحاجي ويسميهم هذا الرجل حكما وهم من اجهل الكفرة بالله تعالى وبانبيايه
والضمير في وبرزوا عايد على الخلق المحاسبين وعبر بلفظ الماضي لصدق المخبر به فكانه قد وقع

وقرأ زيد بن علي وبرزوا مبنيا للمفعول وبتشديد الراء أي الضعفاء الأتباع والعوام وكتب
بواو في المصحف قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ومثله
علماء بني إسرائيل والذين استكبروا هم رؤساؤهم وقادتهم استغووا الضعفاء واستتبعوهم
واستكبروا وتكبروا وأظهروا تعظيم أنفسهم أو استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة الله وتبعا
يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وغائب وغيب ويحتمل أن يكون مصدرا كقوله
عدل ورضي وهل أنتم مغنون استفهام معناه توبيخهم إياهم وتقريعهم وقد علموا أنهم
لن يغنوا والمعنى إنا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيئا ثم
ولذلك جاء جوابهم لو هدانا الله لهديناكم أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل ورد الهداية
إلى الله تعالى وهو كلام حق في نفسه وقال الزمخشري من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض
كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله انتهى
وهذان التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري في من في المكانين يقتضيان ولهما التقديم
في قوله من شيء على قوله من عذاب الله لأنه جعل من شيء هو المبين بقوله من عذاب الله ومن
التبيينية تتقدم عليه ما تبينه ولا يتأخر والتوجيه الثاني وهو بعض شيء هو بعض العذاب
يقتضي أن يكون بدلا فيكون بدل عام من خاص لأن من شيء أعم من قوله من عذاب الله وأعني
بشيء شيئا من العذاب فيؤول المعنى إلى ما قدره هو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لأن
بعضية الشيء مطلقة فلا يكون لها بعض ونص الحوفي وأبو البقاء على أن من في قوله
من شيء زائدة قال الحوفي من عذاب الله متعلق بمغنون ومن في شيء لاستغراق الجنس
زائدة للتوكيد وقال أبو البقاء ومن زائدة أي شيئا كائنا من عذاب الله ويكون محمولا على
المعنى تقديره هل تمنعون عنا شيئا ويجوز أن يكون شيء واقعا موقع المصدر أي غناء فيكون
من عذاب الله متعلقا بمغنون انتهى ومسوغ الزيادة كون الخبر في سياق الاستفهام ثم
فكأن الاستفهام دخل عليه وباشره وصارت الزيادة شيئا كالزيادة في تركيب فهل تغنون
وقال الزمخشري أجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان
لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة
كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء انتهى وحكى أبو عبد الله الرازي عن
الزمخشري أنهم قالوا ذلك مع أنهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله قال أبو عبد الله واعلم أن المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب على أهل
القيامة فكان هذا القول منه مخالفا لأصول مشايخه فلا يقبل منه وقال الزمخشري أيضا
ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان
قال أبو عبد الله الرازي وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه بأن قال لا يجوز حمل هذا على
اللطف لأن ذلك قد فعله الله وقيل لو خلصنا الله من العذاب وهدانا إلى طريق
الجنة لهديناكم وقال الزمخشري في بسط هذا القول لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة
انتهى وقيل ويدل على المراد بالهدى الهدى إلى طريق الجنة أنه هو الذي التمسوه وطلبوه

فوجب

فوجب أن يكون المراد وقال ابن عباس لو أرشدنا الله لأرشدناكم والظاهر أن قوله سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا إلى آخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جملة بلا واو عطف كأن كل جملة أنشئت
مستقلة غير معطوفة وإن كانت مرتبطا بعضها ببعض من جهة المعنى لأن سواء علينا هل أنتم مغنون
عنا إنما كان لجزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سواء عليهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في
عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع
كما لا فائدة في الصبر ولما قالوا لو هدانا الله أتبعوا ذلك بالإقناط من النجاة فقالوا
ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا وقيل سواء علينا من كلام الضعفاء والذين
استكبروا والتقدير قالوا جميعا سواء علينا يخبرون عن حالهم وتقدم الكلام في مثل هذه
التسوية في أول البقرة والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع
العرض وقت البروز بين يدي الله وعن محمد بن كعب وابن زيد أن قولهم سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا بعد صبرهم في النار خمسمائة عام وبعد جزعهم مثلها ۝ وقال الشيطان
لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي
إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ۝ مناسبة هذه الآية لما
قبلها أنه لما ذكر محاورة الأتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الإنس وذلك
لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال والشيطان هنا إبليس وهو رأس الشياطين
وفي حديث الشفاعة من حديث عقبة بن عامر أن الكافرين يقولون وجد المؤمنون من شفع لهم
فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون
من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمه أحد ويقول
عند ذلك إن الله وعدكم الآية وعن الحسن يقف إبليس خطيبا في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق
جميعا فيقول إن الله وعدكم وعد الحق يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب
العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فأخلفتكم قضي
الأمر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف وعليه يدل حديث الشفاعة
أو بعد حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويدل عليه ما ذكرناه عن الحسن وهو
تأويل الطبري وقيل قضي الأمر قطع وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين إلى مقريهما
ووعد الحق يحتمل أن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته أي الوعد الحق وأن يكون الحق صفة الله
أي وعده وأن يكون الحق الشيء الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال أي فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وإلا أن دعوتكم الظاهر أنه استثناء منقطع لأن دعاءه
إياهم إلى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة قيل ويحتمل
أن يريد بالسلطان الغلبة والتسليط والقدرة أي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة مني بل
عرضت عليكم شيئا فأتى رأيكم عليه وقيل هو استثناء متصل لأن القدرة على حمل الإنسان
على الشيء تارة يكون بالقهر من الحامل وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بإلقاء الوسواس
إليه فهذا نوع من أنواع التسليط قيل وظاهر هذا الكلام يدل على أن السلطان لا قدرة له على
صرع الإنسان وتعويج أعضائه وجوارحه وإزالة عقله فلا تلوموني وقرئ فلا يلوموني بالياء
على الغيبة وهو التفات ربي في ما ابتغوه من الضلال ولوموا أنفسكم في سوء نظركم واستجابتكم

قوله عز وجل وقال الشيطان

في الشيطان

لدعاي من غير تثبت ولا حجة وقال الزمخشري ولوموا انفسكم حيث اغتررتم واطعتموني اذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة
ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر
كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه انتهى
وهو على طريق الاعتزال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس ما انا بنافعكم وقال ابن جبير بمنقذكم وقال الربيع بمنجيكم
وقال مجاهد بمغيثكم وكلها اقوال متقاربة **وقرا** يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة بمصرخي بكسر الياء
وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة قال الفراء لعلها من وهم القراء فانه قل من سلم منهم من الوهم
ولعله ظن ان الباء في بمصرخي خافضة للفظ كله والياء للمتكلم خارجة من ذلك وقال ابو عبيد
نراهم غلطوا ظنوا ان الياء تكسر لما بعدها وقال الاخفش ما سمعت هذا من احد من العرب ولا من
احد من النحويين وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها
الا وجه ضعيف وقال النحاس صار هذا اجماعا ولا يجوز ان يحمل كتاب الله على الشذوذ وقال
الزمخشري هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت
له ما انت بالمرضي ٥ وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه
اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف
نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل
الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل **قلت**
هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات
انتهى اما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول قد ذكر غيره انه للاغلب العجلي وهي لغة باقية
في افواه كثير من الناس الى اليوم يقول القايل ما في افعل كذا بكسر الياء واما التقدير الذي قال
فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج واما قوله في غضون كلامه حيث قبلها الف فلا اعلم
حيث يضاف الى الجملة المصدرة بالظرف نحو قعد زيد حيث امام عمرو بكر فيحتاج هذا التركيب
الى سماع واما قوله لان ياء الاضافة الى اخره قد روي سكون الياء بعد الالف وقرا بذلك
القراء نحو محياي وما ذهب اليه من ذكرنا من النحاة لا ينبغي ان يلتفت اليه واقتفى اثارهم فيها
الخلف فلا يجوز ان يقال فيها انها خطا او قبيحة او رديئة وقد نقل جماعة من اهل اللغة انها
لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على انها لغة في بني يربوع وقال القاسم بن معن وهو من
روساء النحويين الكوفيين هي صواب وسال حسين الجعفي ابا عمرو بن العلاء وذكر تلحين اهل
النحو فقال هي جايزة وقال ايضا لا تبالي الى اسفل حركتها او الى فوق وعنه انه قال هي بالخفض
حسنة وعنه ايضا انه قال هي جايزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات الى انكار
ابي حاتم على ابي عمرو تحسينها فابو عمرو امام لغة وامام نحو وامام قراءة وعربي صريح وقد اجازها
وحسنها وقد رووا بيت النابغة • علي لعمرو نعمة بعد نعمة • لوالده ليست بذات عقارب ٥
بخفض الياء من علي وما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وقال ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقيل موصولة بمعنى الذي والتقدير كفرت
بالصنم الذي اشركتمونيه فحذف العايد وقيل من قبل متعلق بكفرت وما بمعنى الذي اي كفرت
من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا اردت

همزة

همزة النقل قلت اشركت زيدا عمرا اي جعلته له شريكا الا ان في هذا نقل اطلاق ما على الله تعالى
وما الاصح فيها انها لا تطلق على احاد من يعلم وقال الزمخشري ونحو ما هذه بمعنى الذي اطلاقها على الله
قولهم سبحان ما سخركن لنا انتهى ومن منع ذلك جعل سبحان علما على معنى التسبيح كما جعل برة
علما للبر وما مصدرية ظرفية ويكون ذلك من ابليس اقرارا على نفسه بكفره الاقدم اي خطيئتي
قبل خطيئتكم فلا اصراخ عندي ٥ ان الظالمين لهم عذاب اليم الظاهر انه من تمام كلام ابليس حكى الله
عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيها للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد لما
لا بد منه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم وقيل هو من كلام الخزنة يومذاك وقيل من كلام الله تعالى ولابي عبد الله
الرازي كلام هنا في الشيطان والملائكة يوقف عليه من تفسيره ٥ وادخل الذين امنوا

قوله عز وجل وادخل الذين

وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ٥
لما جمع الفريقين في قوله وبرزوا لله جميعا وذكر شيئا من احوال الكفار ذكر ما آل اليه امر المومنين
من ادخالهم الجنة **وقرا** الجمهور وادخل ماضيا مبنيا للمفعول **وقرا** الحسن وعمرو بن عبيد وادخل
بهمزة المتكلم مضارع ادخل اي وانا ادخل وعلى قراءة الجمهور يحتمل ان يكون الفاعل الملائكة والظا
هر
تعلق باذن ربهم بادخل وقال الزمخشري **فان قلت** فيم تتعلق يعني باذن ربهم في القراءة
الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم **قلت** الوجه في هذه القراءة ان تتعلق
قوله باذن ربهم بما بعده اي تحييهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم
انتهى ٥ فظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله تحيتهم ولذلك قال يعني ان الملائكة يحيونهم
باذن ربهم وهذا لا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدري والفعل عليه وهو
غير جائز وقال ابو الفضل عبد الرحمن بن احمد الرازي الحسن ادخل برفع اللام على الاستقبال
باخبار الله تعالى عن نفسه فيصير بذلك باذن ربهم الطف لهم واحنى عليهم وتقدم تفسير

قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله

تحيتهم فيها سلام في اوائل سورة يونس ٥ الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون ٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل
الله ما يشا ٥ تقدم الكلام في ضرب مع المثل في اوايل البقرة فكان ذلك يغني عن الكلام
فيه هنا الا ان المفسرين ابدوا هنا تقديرات فاعرب الحوفي والمهدوي وابو البقا مثلا مفعولا
بضرب وكلمة بدلا من مثلا واعرابهم هذا تفريع على ان ضرب مع المثل لا يتعدى الا الى مفعول
واحد وقال ابن عطية واجازه الزمخشري مثلا مفعول بضرب وكلمة مفعول اول تفريعا على انها
مع المثل تتعدى الى اثنين لانها بمعنى جعل وعلى هذا تكون كشجرة خبر مبتدا محذوف اي جعل
كلمة طيبة مثلا هي اي الكلمة كشجرة طيبة وعلى البدل تكون كشجرة نعتا للكلمة واجاز الزمخشري
وبدا به ان تكون كلمة نصبا بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس انتهى وفيه تكلف اضمار لا ضرورة تدعو اليه
وقري شاذا كلمة طيبة بالرفع قال ابو البقا على الابتدا وكشجرة خبره انتهى ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير هو اي المثل كلمة طيبة كشجرة وكشجرة نعت للكلمة والكلمة
الطيبة هي لا اله الا الله قاله ابن عباس والايمان قاله مجاهد وابن جريج او المومن نفسه

قاله عطية العوفي والربيع أو جميع طاعاته أو القرآن قاله الأصم أو دعوة الإسلام قاله ابن بحر أو الثناء على الله أو التسبيح والتنزيه والشجرة الطيبة المؤمن قاله ابن عباس أو جوزة الهند قاله علي وابن عباس أو شجرة في الجنة قاله ابن عباس أيضا أو النخلة وعليه أكثر المتأولين وهو قول ابن مسعود وابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد وجاء ذلك نصا من حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الآية فقال أتدرون ما هي فوقع في نفسي أنها النخلة الحديث وقال أبو العالية أتيت أنس بن مالك فجيء بطبق عليه رطب فقال أنس كل يا أبا العالية فإنها الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه الآية وفي الترمذي من حديث أنس نحو هذا وقال الزمخشري كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك انتهى وقد شبه الرسول المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة فلا يبعد أن يشبه أيضا بشجرتها أصلها ثابت أي في الأرض ضارب بعروقه فيها **وقرأ** أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها أجريت الصفة على الشجرة لفظا وإن كانت في الحقيقة للسبب **وقرأ** الجماعة فيها إسناد الثبوت إلى السبب لفظا ومعنى وفيها حسن التقسيم إذ جاء أصلها ثابت وفرعها في السماء يريد بالفرع أعلاها ورأسها وإن كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس ومعنى في السماء جهة العلو والصعود لا المظلة وفي الحديث خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد إلى السماء إلى الله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها ووصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف الأول قوله طيبة أي كريمة المنبت والأصل في الشجرة له لذة في المطعم •

قال الشاعر طيبو الباءة سهل ولهم • سبل إن شئت في وحش وعر •

أي ساحتهم طيبة سهلة **الثاني** رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها وأن الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء وما كان كذلك حصل الفرح بوجدانه **والثالث** علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها عن عفونات الأرض وعلى صفائها من الشوائب **الرابع** ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان •

قال الشاعر تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه حينا وحينا تراجع

والمعنى تعطي جناها كل وقت وقته الله له وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن أي كل سنة ولذلك قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء من حلف أن لا يفعل شيئا حينا فإنه لا يفعله سنة واستشهدوا بهذه الآية وقيل ثمانية أشهر قاله علي ومجاهد أو ستة أشهر وهي مدة بقاء الثمر عليها وقال ابن المسيب الحين شهران لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين وقيل لا تتعطل من ثمر تحمل في كل شهر وهي شجرة جوز الهند وقال ابن عباس أيضا والضحاك والربيع كل حين أي كل غدوة وعشية ومتى أريد جناها ويتخرج على أنها شجرة في الجنة والتذكر المرجو بضرب الأمثال هو التفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل فمتى أبرزت مشتبهة بالمحسوسات لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم والوصول إلى المطلوب والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر على قول الجمهور وقال مسروق الكذب وقال أن تجرد دعوة الكفر وما يعزى إليها الكافر وقيل كل كلام لا يرضاه الله تعالى **وقرأ** أبي

وضرب الله مثلا كلمة خبيثة وقرئ ومثل كلمة بنصب مثل عطفا على كلمة طيبة والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل قاله الأكثرون ابن عباس ومجاهد وأنس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج وفرقة شجرة الثوم وقيل شجرة الكشوث وهي شجرة لا ورق لها ولا أصل قال وهي كشوث فلا أصل ولا ثمر وقال ابن عطية ويرد على هذه الأقوال أن هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى إنما مثل بالشجر فلا تسمى هذه شجرة إلا بتجوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثوم والبصل من أكل من هذه الشجرة وقيل الطحلبة وقيل الكمأة وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر وعن ابن عباس هي الكافر وعنه أيضا شجرة لم تخلق على الأرض وقال ابن عطية والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذ وجدت فيها هذه الأوصاف هو أن تكون كالعضاة أو شجرة السموم ونحوها إذا اجتثت أي اقتلعت جثتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهي والضعف فتقلبها أقل ريح فالكافر يرى أن بيده شيئا وهو لا يستقر ولا يغني عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل أنها شيء نافع وهي خبيثة الجنى غير باقية انتهى واجتثت من فوق الأرض مقابل لقوله أصلها ثابت أي لم يتمكن لها أصل ولا عرق في الأرض وإنما هي نابتة على وجه الأرض ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا ثبت ثباتا شبهت بهذه الشجرة القول الذي لم يعضد بحجة فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا كونهم لو فتنوا عن دينهم في الدنيا لثبتوا عليه وما زلوا كما جرى لأصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير وكشطت لحومهم بأمشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمعون وبلال حتى كان يعذب بالرمضاء وهو يقول أحد أحد وتثبيتهم في الآخرة كونهم إذا سئلوا عند توافق الأشهاد عن معتقدهم ولم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر والذين امتحنوا عامة من لدن آدم إلى يوم القيامة وقال طاوس وقتادة وجمهور من العلماء إن تثبيتهم في الدنيا هو مدة حياة الإنسان وفي الآخرة هو وقت سؤاله في قبره ورجح هذا القول الطبري وقال البراء بن عازب وجماعة في الحياة الدنيا هي وقت سؤاله في قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الآخرة هو يوم القيامة عند العرض وقيل معنى تثبيتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو حياتهم على الإيمان وحشرهم عليه وقيل التثبيت في الدنيا الفتح والنصر وفي الآخرة الجنة والثواب وما صح عن الرسول في حديث البراء من تلاوته عند إقعاد المؤمن في قبره وسؤاله وشهادة الإخلاص قوله تعالى يثبت الله الآية لا يظهر منه يعني أن الحياة الدنيا هي حياة الإنسان ولأن الآخرة في القبر ولا أن الحياة الدنيا هي في القبر وأن الآخرة هي يوم القيامة بل اللفظ محتمل ومعنى يثبتهم يديمهم عليه ويمنعهم من الزلل • ومنه قول عبد الله بن رواحة •

• فثبت الله ما آتاك من حسن • تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا •

والظاهر أن بالقول الثابت متعلق بقوله يثبت وقيل متعلق بآمنوا وسؤال العبد في قبره معتقد أهل السنة ويضل الله الظالمين أي الكافرين لمقابلتهم المؤمنين وإضلالهم في الدنيا كونهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم وهي الحيرة التي تلحقهم إذ ليسوا متمسكين بحجة وفي الآخرة هو اضطرابهم في جوابهم ولما تقدم تشبيه الكلمة الطيبة على تشبيه الكلمة الخبيثة تقدم في هذا الكلام من تثبت إليه الكلمة الطيبة وتلاه من نسبت إليه الكلمة الخبيثة ولما ذكر تعالى حال كل واحد من القسمين ذكر أنه لا يكون اعتراض فيما اختص به كل واحد منهما

إذ ذلك راجع إلى مشيئته تعالى أن الله يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل وقال الزمخشري
ويفعل الله ما يشاء أي توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم
وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند
زللهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ۝ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار
البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم
إلى النار ۝ لما ذكر حال المؤمنين وهداهم وحال الكافرين وإضلالهم ذكر السبب في إضلالهم
والذين بدلوا ظاهره أنه عام في جميع المشركين قاله الحسن بدلوا بنعمة الإيمان الكفر وقال
مجاهد هم أهل مكة أنعم تعالى عليهم ببعثة رسول منهم يعلمهم أمر دينه وشرفهم به وأسكنهم
حرمه وجعلهم قوام بيته فوضعوا مكان شكرهم النعمة كفرا وقال ابن عباس عمر عنهم فقال
هما الأفجران من قريش أخوالي أي بني مخزوم واستؤصلوا ببدر وأعمامك أي بني أمية ومتعوا إلى حين
وعن علي نحو من ذلك وقال قتادة هم قادة المشركين يوم بدر وعن علي هم قريش الذين تحزبوا
يوم بدر وعلى أنهم قريش جماعة من الصحابة والتابعين وعن علي أيضا هم منافقو قريش أنعم عليهم
بإظهار علم الإسلام بأن صان دماءهم وأموالهم وذراريهم ثم عادوا إلى الكفر وعن ابن عباس
في جبلة بن الأيهم ولا يريد أنها نزلت فيه لأن نزول الآية قبل قصته وقصته كانت في خلافة
عمر وإنما يريد ابن عباس أنها تخص من فعل فعل جبلة إلى يوم القيامة ونعمة الله على حذف مضاف
أي بدلوا شكر نعمة الله كقوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم كأنه وجب عليهم
الشكر فوضعوا مكانه كفرا وجعلوا مكان شكرهم التكذيب قال الزمخشري ووجه آخر وهو أنهم
بدلوا نفس النعمة بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم
قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما ألزمهم من الشكر العظيم
أو أصابهم الله بالنعمة والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم الله بالقحط سبع
سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم انتهى ونعمة الله هو المفعول
الثاني لأنه هو الذي يدخل عليه حرف الجر أي بنعمة الله وكفرا هو المفعول الأول كقوله فأولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات أي بسيئاتهم حسنات فالمنصوب هو الحاصل والمجرور بالباء أو المنصوب
على إسقاطها هو الذاهب على هذا لسان العرب وهو على خلاف ما يفهمه العوام وكثير ممن ينتمي
إلى العلم وقد أوضحنا هذه المسألة في قوله في البقرة ومن يتبدل الكفر بالإيمان وإذا قدرت
مضافا محذوفا وهو شكر نعمة الله فهو الذي دخلت عليه الباء ثم حذفت وإذا لم يقدر مضاف
محذوف فالباء دخلت على نعمة ثم حذفت وأحلوا قومهم أي من تابعهم على الكفر وزعم الحوفي
وأبو البقاء أن كفرا هو مفعول ثان لبدلوا وليس بصحيح لأن بدل من أخوات اختار فالذي يباشره
حرف الجر هو المفعول الثاني والذي يصل إليه الفعل بنفسه لا بوساطة حرف الجر هو المفعول
الأول وأعرب الحوفي وأبو البقاء جهنم بدلا من دار البوار والزمخشري عطف بيان فعلى هذا
يكون الإحلال في الآخرة ودار البوار هي جهنم وقاله ابن زيد وقيل عن علي يوم بدر وعن عطاء
ابن يسار نزلت في قتلى بدر فيكون دار البوار أي الهلاك في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع
التي قتلوا فيها وعلى هذا أعرب ابن عطية وأبو البقاء جهنم منصوبا على الاشتغال أي يصلون جهنم
يصلونها ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن أبي عبلة جهنم بالرفع على أنه يحتمل أن يكون جهنم مرفوعا
على أنه خبر مبتدأ محذوف وهذا التأويل أولى لأن النصب على الاشتغال مرجوح من حيث إنه

قوله عز وجل ألم تر إلى الذين

لم يتقدم

لم يتقدم ما يرجحه ولا ما يكون مساويا وجمهور القراء على النصب ولم يكونوا ليقرؤوا بغير الراجح أو المساوي
إذ زيدا ضربته أفصح من زيد ضربته فلذلك كان ارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف في قراءة ابن أبي عبلة
راجحا وعلى تأويل الاشتغال يكون يصلونها لا موضع له من الإعراب وعلى التأويل الأول جوزوا
أن يكون حالا من جهنم أو حالا من دار البوار أو حالا من قومهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس
القرار هي جهنم وجعلوا لله أندادا أي زادوا إلى كفر نعمته أن صيروا له أندادا وهي الأصنام التي
اتخذوا آلهة من دون الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضلوا هنا وليضل في الحج ولقمان والزمر
بفتح الياء وباقي السبعة بضمها والظاهر أن اللام لام الصيرورة والمآل لما كانت نتيجة جعل
الأنداد آلهة الضلال أو الإضلال جرى مجرى لام العلة في قولك جئتك لتكرمني على طريقة
التشبيه وقيل قراءة الفتح لا يحتمل أن تكون اللام لام العاقبة وأما بالضم فيحتمل العاقبة
والعلة والأمر بالتمتع أمر تهديد ووعيد على حد قوله اعملوا ما شئتم قال الزمخشري إيذانا
بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم
آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى
إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة فإن مصيركم إلى النار ويجوز أن يراد الخذلان
والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار انتهى ومصيركم مصدر صار
التامة بمعنى رجع وخبر إن هو قوله إلى النار ولا يقال صار بمعنى انتقل ولذلك تعدت
بإلى أي فإن انتقالكم إلى النار لأنه تبقى إن بلا خبر ولا ينبغي أن يدعى حذفه فيكون التقدير
فإن مصيركم إلى النار واقع لا محالة أو كائن لأن حذف الخبر في مثل هذا التركيب قليل وأكثر ما
يحذف إذا كان اسم إن نكرة والخبر جار ومجرور وقد أجاز الحوفي أن يكون إلى النار متعلقا
بمصيركم فعلى هذا يكون الخبر محذوفا ۝ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل
من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ۝ لما ذكر تعالى حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم
له أندادا وتهددهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لأنفسهم والتزام عمودي الإسلام
الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة ومعمول قل محذوف تقديره أقيموا الصلاة يقيموا ويقيموا
مجزوم على جواب الأمر وهذا قول الأخفش والمازني ورد بأنه لا يلزم من القول أن يقيموا ورد هذا
الرد بأنه أمر المؤمنين بالإقامة لا الكافرين والمؤمنون متى أمرهم الرسول بشيء فعلوه لا محالة
قال ابن عطية ويحتمل أن يكون يقيموا جواب الأمر الذي يعطينا معناه قوله قل وذلك أن تجعل
قل في هذه الآية بمعنى بلغ وأد الشريعة يقيموا الصلاة انتهى وهذا قريب مما قبله إلا أن
في ما قبله معمول القول أقيموا وفي هذا الشريعة على تقدير بلغ الشريعة وذهب الكسائي والزجاج
وجماعة إلى أن معمول قل هو قوله يقيموا وهو أمر مجزوم بلام الأمر محذوفة على حد قول
الشاعر محمد تفد نفسك كل نفس • أنشده س إلا أنه قال إن هذا لا يجوز إلا في الشعر
وقال الزمخشري في هذا القول وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي هو قل عوض منه ولو
قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد إلى أن التقدير
قل لهم أقيموا يقيموا فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين أحدهما

قوله عز وجل قل لعبادي الذين آمنوا

ان جواب الشرط يخالف الشرط اما في الفعل او في الفاعل او فيهما فاما اذا كان مثله فيهما
فهو خطأ كقولك قم يقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثاني ان الامر المقدر
للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا وقيل التقدير ان تقل لهم
اقيموا يقيموا قاله س فيما حكاه ابن عطية وقال الفرا جواب الامر معه شرط مقدر تقول
اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه يدخلك الجنة ومخالفة هذا القول للقول قبله ان الشرط
في هذا مقدر بعد فعل الامر وفي الذي قبله الامر مضمن معنى الشرط وقيل هو مضارع بلفظ
الخبر صرف عن لفظ الامر والمعنى اقيموا قاله ابو علي وفرقة ورد بانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر
ومعناه الامر لبقي على اعرابه بالنون كقوله هل ادلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى امنوا
واعتل ابو علي لذلك بانه لما كان بمعنى الامر بني يعني على حذف النون لان المراد اقيموا وهذا
كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا زيد يعني على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهى ومتعلق
القول الملفوظ به او المقدر في هذه التخاريج هو الامر بالاقامة والانفاق الا في قول ابن عطية
فمتعلقه الشريعة فهو اعم اذ قدر قل بمعنى بلغ واد الشريعة قال ابن عطية ويظهر ان المقول
هو الآية التي بعد اعني قوله الله الذي خلق السموات والارض انتهى وهذا الذي ذهب اليه
من كون معمولا القول هو قوله تعالى الله الذي الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب
ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله او يكون جوابا فصل به بين القول
ومعموله ولا يترتب ان يكون جوابا لان قوله الله الذي خلق السموات والارض لا يستدعي
اقامة الصلاة والانفاق الا بتقدير بعيد جدا واحتمل الصلاة ان يراد بها العموم اي كل صلوة
فرض وتطوع وان يراد بها الخمس وكذلك فسرها ابن عباس وفسر الانفاق بزكوة الاموال وتقدم
اعراب سرا وعلانية وشرحهما اواخر البقرة وقال ابو عبيدة البيع هنا البدل والخلال المخالة
وهو مصدر من خاللت خلالا ومخالة وهي المصاحبة انتهى ويعني بالبدل مقابلتي •

وقال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى • ولست بمقلي الخلال ولا قالي

وقال الاخفش الخلال جمع خلة ونقدم الخلاف في قراءة لا بيع فيه ولا خلال بالفتح
او بالرفع في البقرة والمراد بهذا اليوم يوم القيامة قال الزمخشري فان قلت كيف
طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس
يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات
ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله
خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون
الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله انتهى ولما اطال تعالى الكلام في وصف احوال السعداء والاشقياء
وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفهم
بالدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته فقال الله الذي خلق السموات
والارض وذكر عشرة انواع من الدلايل فذكر اولا ابداعه وانشاءه السموات والارض ثم اعقب
بباقي الدلايل وابرزها في جمل مستقلة ليدل ونبه على ان كل جملة منها مستقلة في الدلالة

ولم يجعل متقلبا بها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذي خبره قاله
ابن عطية ومن اخبر بهذه الجملة وتقررت في النفس امن وصلي وانفق انتهى يشير الى ما تقدم من
قوله ان معمول قل هو قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض الاية فكانه يقول يقيموا
الصلوة جواب لقوله قل لعبادي الله الذي خلق السموات والظاهر ان مفعول اخرج هو رزقا
لكم ومن للتبعيض ولما تقدم على النكرة كان في موضع الحال ويكون المعنى ان الرزق هو بعض جني
الاشجار ويخرج منها ما ليس برزق كالمجرد للمضرة ويجوز ان تكون من لبيان الجنس قاله ابن عطية
والزمخشري وكانه قال فاخرج به رزقا لكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لان من التي لبيان الجنس
انما تاتي بعد المبهم التي تبينه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا اخرج ورزقا
حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق وقيل من زائده وهذا لا يجوز عند
جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش والفلك هنا جمع فلك
ولذلك قال لتجري ومعنى بامره راجع الى الامر القائم بالذات وقال الزمخشري بقوله كن وانطوى
في تسخير الفلك تسخير البحار وتسخير الرياح واما تسخير الانهار فبتفجيرها وبتفجيرها للانتفاع بها
وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاحهما ما يصلحان من
الارض والابدان والنبات عن مقاتل بن حيان يرفعه الى ابن عباس انه قال معناه دائبين في
طاعة الله قال ابن عطية وهذا قول ان كان يراد به ان الطاعة انقياد منهما في التسخير فذلك
موجود في قوله سخر وان كان يراد انها طاعة مقصودة كطاعة العبادة من البشر فهذا جيد والله
اعلم انتهى وتسخير الليل والنهار كونهما يتعاقبان خلفة للمنام والمعاش وقال المتكلمون تسخير
الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض لا تسخر ولما ذكر تعالى تلك النعم العظيمة ذكر انه لم
يقتصر عليها فقال واتاكم من كل ما سألتموه والخطاب للجنس من البشر اي ان الانسان قد اوتي من
كل ما شانه ان يسال وينتفع به ولا يطرد هذا في كل واحد واحد من الناس وانما تفرقت هذه النعم
في البشر فيقال بحسب هذا الجميع اوتيتم كذا على جهة التقرير للنعمة وقرا ابن عباس والضحاك
والحسن ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن قايد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع في رواية من كل
بالتنوين اي من كل هذه المخلوقات المذكورات وما موصولة مفعول ثان اي ما شانه ان يسال
بمعنى يطلب الانتفاع به وقيل ما نافية والمفعول الثاني هو من كل كقوله واوتيت من كل شيء اي من غير
سايليه اخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسالوه من النعم ولم يعرض لما سالوه والجملة المنفية في موضع نصب
على الحال وهذا القول بداه به الزمخشري وثنى به ابن عطية وقال انه تفسير الضحاك ومثل هذا التفسير
يظهر انه مخالف لقراءة الجمهور من كل ما سالتموه بالاضافة لان في تلك القراءة على ذلك التخريج تكون
ما نافية فيكونون لم يسالوه وفي هذه القراءة يكونون قد سالوه وما بمعنى الذي والاجود ان تكون
مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول ولما احس الزمخشري بظهور التنافي بين هذه القراءة وبين
تلك على تقدير ان ما نافية قال ويجوز ان يكون ما موصولة على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه
ولم يصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال فتاول سالتموه بقوله
ما احتجتم اليه والضمير في سالتموه ان كانت ما مصدرية عايد على الله تعالى ويكون المصدر يراد به
المسؤول وان كانت موصولة بمعنى الذي عاد عليها والتقدير من كل الذي سالتموه اياه ولا يجوز ان يكون
عايدا على الله والرابط للصلة بالموصول محذوف لانك ان قدرته متصلا فيكون التقدير ما سالتموه
فلا يجوز او منفصلا فيكون التقدير ما سالتموه اياه فالمنفصل لا يجوز حذفه والنعمة هنا قال

الواحدي اسم اقيم مقام المصدر يقال انعم انعاما ونعمة اقيم الاسم مقام الانعام كقولك انفقت
انفاقا ونفقة ولذلك لم يجمع لانه في معنى المصدر انتهى والذي يظهر ان النعمة هو المنعم به
وانه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كانه قيل وان تعدوا نعمة الله ومعنى لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها هذا اذا ارادوا ان تعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله وقال ابو الدرداء من لم ير نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل
علمه وحضر عذابه والمراد بالانسان هنا الجنس اي توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر
يظلم النعمة باغفال شكرها ويكفرها بجحدها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع وفي النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والفرق بين الختمين
انه هنا تقدم قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وبعده وجعلوا لله اندادا فكان ذلك
نصا على ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك بجعل الانداد ناسب ان يختم
بذم من وقع ذلك منه فجاء ان الانسان لظلوم كفار واما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات واطنب
فيها وقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي من اوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ولا على
شيء منه ذكر من تفضلاته اتصافه بالغفران والرحمة تحريضا على الرجوع اليه وان هاتين الصفتين
هو متصف بهما كما هو متصف بالخلق ففي ذلك اطماع لمن آمن به وانتقل من عبادة المخلوق الى عبادة
الخالق انه يغفر زلله السابق ويرحمه وايضا فانه لما ذكر انه تعالى هو المتفضل بالنعم على الانسان
ذكر ما حصل من المنعم ومن جنس المنعم عليه فحصل من المنعم ما يناسبه حالة عطائه وهو الغفران والرحمة
اذ لولاهما لما انعم عليه وحصل من جنس المنعم عليه ما يناسبه حالة الانعام عليه وهو الظلم والكفران
فكانه قيل ان صدر من الانسان ظلم فالله غفور او كفران لنعمه فالله رحيم لعلمه بعجز الانسان وقصوره
ودعوى ان هذه الاية منسوخة باية النحل لا يلتفت اليها ونقل ذلك السخاوي عن عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم • جنب مخففا واجنب رباعيا لغة نجد وجنب مشددا لغة الحجاز والمعنى منع واصله
من الجانب • الهوي الهبوط بسرعة **قال الشاعر**

• واذا رميت به الفجاج رأيته • يهوي مخارمها هوي الاجدل •

شخص البصر احدّ النظر ولم يستقر في مكانه • المهطع المسرع في مشيه **قال الشاعر**

• بمهطع سرح كان عنانه • في رأس جذع من اوال مشذب •

وقال عمران بن حطان اذا دعانا فاهطعنا لدعوته • داع سميع فلبونا وساقونا
وقال ابو عبيدة قد يكون الاهطاع الاسراع وادامة النظر • المقنع هو الرافع رأسه
المقبل ببصره على ما بين يديه قاله ابن عرفة والقتبي •

وقال الشاعر يباكرن العضاة بمقنعات • نواجذهن كالحدأ الوقيع •

يصف الابل بالاقناع عند رعيها اعالي الشجر ويقال اقنع رأسه نكسه وطأطأه فهو من
الاضداد قاله المبرد وكونه بمعنى رفع اعرف في اللغة انتهى وقيل منه قنع الرجل اذا
رضي كانه رفع رأسه عن السؤال وفم مقنع معطوفة اسنانه الى داخل ورجل مقنع بالتشديد
عليه بيضة الرأس معروف ويجمع في القلة على أرؤس • الطرف العين •

قال الشاعر واغض طرفي ما بدت لي جارتي • حتى يواري جارتي مأواها •

ويقال طرف الرجل طبق جفنه على الآخر وسمي الجفن طرفا لانه يكون فيه ذلك • الهواء ما بين
السماء والارض وهو الخلاء الذي لم يشغله الاجرام الكثيفة واستعير للجبان فقيل

المفردات

قلب

قلب فلان هواء **وقال الشاعر**

كأن الرحل منها فوق صعل • من الظلمان جؤجؤه هواء • المقرن المشدود في القرن
وهو الحبل • الصفد الغل والقيد يقال صفده صفدا قيده والاسم الصفد وفيه التكثير صفّده
مشددا **قال الشاعر** وابقى بالملوك مصفدينا • واصفدته اعطيته
وقيل صفد واصفد معا في القيد والاعطاء **قال الشاعر** فلم اعرض ابيت اللعن بالصفد
اي بالعطاء وسمي العطاء صفدا لانه يقيد ويعبد • السربال القميص يقال سربلته فتسربل
القطران ما يحلب من شجر الابهل فيطبخ وتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وهو
قابل للاشتعال وفيه لغات قطران بوزن سكران وقطران بوزن سرحان • واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا
من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • مناسبة هذه الآية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر التعجيب من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا لله اندادا وهم قريش ومن تابعهم
من العرب الذين اتخذوا آلهة من دون الله وكان من نعمة الله عليهم اسكانه اياهم حرمه
اردف ذلك بذكر اصلهم ابراهيم وانه صلوات الله عليه دعا الله تعالى ان يجعل مكة آمنة
ودعا بان يجنب بنيه عبادة الاصنام وانه اسكنه ذريته ليعبدوه وحده بالعبادة التي
هي اشرف العبادات وهي الصلاة ليتنظروا في دين ابيهم وانهم مخالفون لما ارتكبوه من عبادة
الاصنام فيزدجروا ويرجعوا عنها وتقدم الكلام على قوله هنا هذا البلد معرفا وفي البقرة
هذا بلدا منكرا وقال الزمخشري هنا سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن
اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الأمن
كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا انتهى ودعا ابراهيم اولا بما هو معين على طاعة
الله تعالى وهو كون محل العابد آمنا لا يخاف فيه اذ يتمكن فيه من عبادة الله ثم دعا ثانيا بان
يجنب هو وبنوه من عبادة الاصنام ومعنى واجنبني وبني ادمني واياهم على اجتناب عبادة
الاصنام واراد بقوله وبني اولاده من صلبه الاقربا واجابه الله تعالى فجعل الحرم آمنا
ولم يعبد احد من بنيه الاقربا لصلبه صنما قال سفيان بن عيينة وقد سئل كيف عبدت
العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما وكانوا انما كانت لهم حجارة
ينصبونها ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمعنى البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار انتهى قال ابن عطية وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام
يقتضي افراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه الآية
ينبغي ان يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة وكرر النداء استعطافا لربه وذكر سبب طلبه
ان يجنب هو وبنوه عبادة الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس اذ قد شاهد اباه
وقومه يعبدون الاصنام ومعنى اضللن كن سببا لاضلال كثير من الناس والمعنى انهم ضلوا
بعبادتها كما تقول فتنتهم الدنيا اي افتتنوا بها واغتروا بسببها **وقرأ** الجحدري وعيسى الثقفي
واجنبني من اجنب وانث الاصنام لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه اخبار المؤنث كما تقول
الاجذاع انكسرن والاحبار رغتهم اخبار جمع العاقل المذكر قالوا ومجاز نحو قوله وقد اضلوا
كثيرا ومن تبعني اي على ديني وما انا عليه فانه مني جعله بعضه لفرط الاختصاص به وملابسته
له كقوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين تنبيها على تعظيم الغش بحيث هو يسلب

قوله عز وجل وإذ قال إبراهيم

يسلب

الفاسق الايمان والمعنى ان الغش ليس من اوصاف اهل الايمان ومن عصاني هذا فيه طباق
معنوي لان التبعية طاعة وقوله فانك غفور رحيم قال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك
وقال الزمخشري تغفر لي ما سلف من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقال
ابن عطية ومن عصاني ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعني فانه مني واذا كان كذلك
فقوله فانك غفور رحيم معناه حتى يؤمنوا لا انه اراد ان الله يغفر لكل كافر لكنه
حمله على هذه العبارة ما كان ياخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب
صلى الله عليه وكذلك قال نبي الله عيسى وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ۞ ربنا اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من
الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ۞ كرر النداء رغبة في الاجابة
واظهارا للتذلل والالتجاء الى الله تعالى واتى بضمير جماعة المتكلمين لانه تقدم ذكره وذكر بنيه
في قوله واجنبني وبني ومن ذريتي هو اسمعيل ومن ولد منه وذلك ان هاجر لما ولدت اسمعيل غارت
منها سارة فروي انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد من الشام الى بطن مكة فنزل
وترك ابنه وامته هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحي من الله تعالى
فلما ولى دعا بضمن هذه الاية واما كيفية بقاء هاجر وما جرى لها ولاسمعيل هناك ففي
كتاب البخاري والسير وغيره ومن للتبعيض لان اسحق كان بالشام والوادي ما بين الجبلين
وليس من شرطه ان يكون فيه ماء وانما قال غير ذي زرع لانه كان علم ان الله لا يضيع هاجر
وابنها في ذلك الوادي وانه يرزقها الماء وانما نظر النظر البعيد فقال غير ذي زرع ولو لم يعلم
ذلك من الله لقال غير ذي ماء على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك قاله ابن عطية وقد يقال
ان انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء اذ لا يمكن ان يوجد زرع الا حيث الماء فنفى ما يتسبب
عن الماء وهو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء وقال الزمخشري بواد هو وادي مكة غير ذي زرع
لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه
الا الاستقامة لا غير انتهى واستعمل قط وهو ظرف لا يستعمل الا مع الماضي معمولا لقوله لا يكون
وليس هو ماضيا وهو مكان ابدا الذي يستعمل مع غير الماضي من المستقبلات والظاهر ان قوله
عند بيتك المحرم يقتضي وجود البيت حالة الدعاء وسبقه قبله وتقدم الكلام في البيت
ومتى وضع في البقرة وفي آل عمران ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي
بعتيق لانه اعتق منه فلم يستول عليه او لكونه لم يزل عزيزا ممنعا من الجبابرة او لكونه محترما
لا يحل انتهاكه وليقيموا متعلق باسكنت وربنا دعاء معترض والمعنى انه لا يخلو هذا البيت
المعظم من العبادة وقيل هي لام الامر دعا لهم باقامة الصلاة وقال ابو الفرج بن الجوزي
اللام متعلقة بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلاة انتهى وهذا بعيد جدا
وخص الصلوة دون سائر العبادات لانها افضلها او لانها سبب لكل خير وقوله ليقيموا
بضمير الجمع دلالة على ان الله اعلمه بان هذا الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل وافئدة
جمع فؤاد وهي القلوب سمي القلب فؤادا لانقياده ماخوذ من فاد ومنه المفتاد وهو مستوقد
النار حيث يشوى اللحم وقال مؤرج الافئدة القطع من الناس بلغة قريش واليه ذهب
ابن بحر قال مجاهد لو قال ابراهيم افئدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم
وقال ابن جبير لحجته اليهود والنصارى والظاهر ان من للتبعيض اذ التقدير افئدة من

افئدة الناس قال الزمخشري ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكانه
قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة لتتناول
بعض الافئدة انتهى ولا يظهر كونها للابتداء لانه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية
ينتهي اليها اذ لا يصح ابتداء جعل الافئدة من الناس وانما الظاهر في من التبعيض وقرأ هشام
افئيدة بياء بعد الهمزة نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الاشباع ولما كان الاشباع لا
يكون الا في ضرورة الشعر حمل بعض العلماء هذه القراءة على ان هشاما قرأ بتسهيل الهمزة
كالياء فعبر الراوي عنها بالياء فظن من اخطأ فهمه انها بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوضا
من الهمزة قال فيكون هذا التحريف من جنس التحريف المنسوب الى من روى عن ابي عمرو بارئكم ويامركم
ونحوه باسكان حركة الاعراب وانما كان ذلك اختلاسا قال ابو عمرو الداني الحافظ ما ذكره
صاحب هذا القول لا يعتمد عليه لان النقلة عن هشام وعن ابي عمرو كانوا من اعلم الناس بالقراءة ووجوهها
وليس يفضي بهم الجهل الى ان يعتقد فيهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن فاعلة فاحتمل ان يكون
اسم فاعل بالحذف من افد اي دنا وقرب وعجل اي جماعة آفدة او جماعات آفدة وان يكون ذلك
جمع فؤاد ويكون من باب القلب وصار بالقلب أأفدة فابدلت الهمزة الساكنة الفا كما قالوا في أرآم
آرام فوزنه اعفلة وقرئ أفدة على وزن فعلة فاحتمل ان يكون جمع فؤاد وذلك بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الفاء وان كان تسهيلها بين بين هو الوجه وان يكون
اسم فاعل من افد كما تقول فرح فهو فرح وقرأت ام الهيثم افودة بالواو المكسورة بدلا من الهمزة
قال صاحب اللوامح وهو جمع وفد والقراءة حسنة لكني لا اعرف هذه المراة بل ذكرها ابو حاتم
انتهى ابدل الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما ابدلت في جون ثم جمع فاقرها في الجمع اقرارها في المفرد
او هو جمع وفد كما قال صاحب اللوامح وقلب اذ الاصل اوفدة وجمع فعل على افعلة شاذ نحو نجد
وانجدة ووهي واوهية وام الهيثم امراة نقل عنها شيء من لغات العرب وقرأ زيد بن علي افادة
على وزن امارة ويظهر ان الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا اشاح في وشاح فالوزن فعالة
اي فاجعل ذوي وفادة ويجوز ان يكون مصدر افاد افادة اي ذوي افادة وهم الناس الذين يفيدون
وينتفع بهم وقرأ الجمهور تهوي اليهم اي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ولما ضمن تهوي
معنى تميل عداه بالى واصله ان يتعدى باللام ۞
قال الشاعر ۞ حتى اذا ما هوت كف الوليد لها ۞ طارت وفي كفه من ريشها بتك ۞
ومثال ما في الاية قول الشاعر ۞
۞ تهوي الى مكة تبغي الهدى ۞ ما مؤمن الجن كانجاسها ۞
وقرأ مسلمة بن عبد الله تهوى بضم التاء مبنيا للمفعول من اهوى المنقولة بهمزة التعدية من هوى اللازمة
كانه قيل تسرع بها اليهم وقرأ علي بن ابي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد تهوى
مضارع هوي بمعنى احب ولما ضمن معنى النزوع والميل عدي بالى ۞ وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد كقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وروي
عن محمد بن مسلم الطائفي انه لما دعا عليه السلام بان يرزق سكان مكة الثمرات بعث الله جبريل
فاقتلع بجناحه قطعة من فلسطين وقيل من الاردن فجاء بها وطاف حول البيت بها سبعا ووضعها
قرب مكة فهي الطائف وبهذه القصة سميت وهي موضع ثقيف وبها اشجار وثمرات ۞
وروي نحوه عن ابن عباس لعلهم يشكرون قال الزمخشري النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات

حاضرة في واد بباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوة ابراهيم فجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى
اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله
بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب ۵ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق
ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ۵ كرر النداء للتضرع والالتجاء ولا يظهر تفاوت بين اضافته رب
الى يا المتكلم وبين اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام في جميع ما يخفونه وما يعلنونه وقيل
ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق
وما نعلن مما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت
الله امرك بهذا قال نعم قالت لا نخشى تركتنا الى كاف والظاهر ان قوله وما يخفى على الله من شيء
في الارض ولا في السماء من كلام ابراهيم لاكتناف ما قبله وما بعده بكلام ابراهيم لما ذكر انه تعالى
عم ما يخفى هو ومن كنا عنه عم جميع الاشيا وانها غير خافية عنه تعالى وقيل وما يخفى الاية
من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلم كقوله وكذلك يفعلون والظاهر ان هذه الجمل
التي تكلم بها ابراهيم لم تقع منه في زمان واحد وانما حكى الله عنه تعالى مما وقع منه في ازمان مختلفة
يدل على ذلك ان اسحق لم يكن موجودا حالة دعايه اذ ترك هاجر والطفل بمكة فالظاهر ان حمده
الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحق وعلى الكبر يدل على مطلق الكبر ولم يتعرض لتعيين
المدة التي وهب له فيها ولداه وروي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له
اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن
ابن جبير لم يولد له الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة فيها بهبة الولد
اعظم من حيث ان الكبر مظنة الياس من الولد ومجيء الشيء بعد الياس احلى في النفس وابهج لها وعلى
الكبر في موضع الحال كانه قال وانا كبير وعلى على بابها من الاستعلاء لكنه مجاز اذ الكبر معنى
لا جرم يكون وكانه لما اسن وكبر صار مستعليا على الكبر وقال الزمخشري على في قوله على الكبر
بمعنى مع كقوله ۰ اني على ما ترين من كبري ۰ اعلم من حيث يوكل الكتف ۵
وكنى بسميع الدعاء عن الاجابة والتقبل وكان قد دعا الله ان يهبه ولدا بقوله رب هب لي
من الصالحين فحمد الله على ما وهبه من الولد واكرمه به من اجابة دعايه والظاهر اضافة سميع
الى المفعول وهو من اضافة المثال الذي على وزن فعيل الى المفعول فيكون اضافة من نصب
ويكون ذلك حجة على اعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول على ما ذهب اليه س وقد خالف
في ذلك جمهور البصريين وخالف الكوفيين فيه وفي اعمال باقي الخمسة الامثلة فعول
وفعال ومفعال وفعل وهذا مذكور في علم النحو ويمكن ان يقال في هذا ليس ذلك اضافة من
نصب فيلزم جواز اعماله بل هي اضافة كاضافة اسم الفاعل في نحو هذا ضارب زيد امس
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد
المجازي والمراد سماع الله انتهى وهو بعيد لاستلزامه ان يكون من باب الصفة المشبهة والصفة
متعدية ولا يجوز ذلك الا عند ابي علي الفارسي حيث لا يكون لبس واما هنا فاللبس حاصل

قوله عز وجل
ربنا انك تعلم

اذ الظاهر انه من اضافة المثال للمفعول لا من اضافته الى الفاعل وانما اجاز ذلك الفارسي
في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم ان له عبيدا ظالمين ودعاؤه بان يجعله مقيم الصلوة وهو مقيمها
انما يريد بذلك الديمومة ومن ذريتي من للتبعيض لانه اعلم ان من ذريته من يكون كافرا ومن يهمل
اقامتها وان كان مؤمنا وقرأ طلحة والاعمش دعاء ربنا بغير ياء وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بياء ساكنة في الوصل واثبتها بعضهم في الوقف وروى ورش عن نافع اثباتها في الوصل
والظاهر ان ابراهيم سال المغفرة لابويه القريبين وكانت امه مؤمنة وكان والده لم
ييأس من ايمانه ولم تتبين له عداوة الله وهذا يتمشى اذا قلنا ان هذه الادعية كانت
في اوقات مختلفة فجمع هنا اشياء مما كان دعا بها وقيل اراد امه ونوحا عليه السلم
وقيل ادم وحواء والاظهر القول الاول وقد جاء نصا دعاؤه لابيه بالمغفرة في قوله واغفر
لابي انه كان من الضالين قال الزمخشري فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه
وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف انتهى وهو
في ذلك موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا
علي الخبر وابن يعمر والزهري والنخعي ولولدي بغير الف وبفتح اللام يعني اسمعيل واسحاق
وانكر عاصم الجحدري هذه القراءة وقال ان في مصحف ابي بن كعب ولابوي وعن يحيى بن يعمر
ولولدي بضم الواو وسكون اللام فاحتمل ان يكون جمع ولد كاسد في اسد ويكون قد دعا
لذريته وان يكون لغة في الولد وقال الشاعر ۵

۰ فليت زيادا كان في بطن امه وليت زيادا كان ولد حمار ۵

كما قالوا العدم والعدم وقرأ ابن جبير ولوالدي باسكان اليا على الافراد كقوله واغفر
لابي وقيام الحساب مجاز عن وقوعه وثبوته كما يقال قامت الحرب على ساق او على حذف
مضاف اي اهل الحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ۵ ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء ۵ الخطاب بقوله ولا تحسبن للسامع الذي يمكن منه
حسبان مثل هذا لجهله بصفات الله لا للرسول عليه السلم فانه مستحيل ذلك في حقه وفي
هذه الاية وعيد عظيم للظالمين وتسلية للمظلومين وقرأ طلحة ولا تحسب بغير نون
التوكيد وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه
عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد
والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وقرأ السلمي
والحسن والاعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهرون العتكي ويونس بن حبيب
عن ابي عمرو نؤخرهم بنون العظمة والجمهور بالياء اي يؤخرهم الله مهطعين مسرعين قاله ابن جبير
وقتادة وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير والخائف وقال ابن عباس وابو الضحى
شديدي النظر من غير ان يطرفوا وقال ابن زيد غير رافعي رؤسهم وقال مجاهد مديمي النظر
وقال الاخفش مقبلين للاصغاء وانشد ۵

۰ بدجلة دارهم ولقد اراهم ۰ بدجلة مهطعين الى السماع ۰

وقال الحسن مقنعي رؤسهم وجوه الناس يومئذ الى السماء لا ينظر احد الى احد انتهى

قوله عز وجل
ولا تحسبن الله

وقال ابن جريج هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وقال ابن عباس
ومجاهد وابن زيد خربة خاوية ليس فيها خير ولا عقل وقال سفيان خالية الا من فزع ذلك اليوم
كقوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي الا من هم موسى وهو تشبيه محض لانها ليست بهوا حقيقة
ويحتمل ان يكون التشبيه في فراغها من الرجا والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة الهوا في تفرغه
من الاشيا وانخراقه وان يكون في اضطراب افيدتهم وجيشانها في الصدور وانها تجي وتذهب
وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهوا الذي هو ابدا في اضطراب وحصول هذه الصفات
الخمس للظالمين قيل عند المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله يوم يقوم الحساب وقيل عند اجابة
الداعي والقيام من القبور وقيل عند ذهاب السعدا الى الجنة والاشقيا الى النار ۝ وانذر الناس
يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ۝ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم
وضربنا لكم الامثال ۝ هذا خطاب للرسول ويوم منصوب على انه مفعول ثان لانذر ولا يصح ان يكون
ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان للانذار وهذا اليوم هو يوم القيامة والمعنى وانذر الناس
الظالمين ويبين ذلك قوله فيقول الذين ظلموا لان المومنين يبشرون ولا ينذرون وقيل اليوم
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملايكة بلا بشرى
كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ومعنى التاخير الى اجل قريب الرد الى الدنيا قاله الضحاك
اذ الامهال الى امد وحد من الزمان قريب قاله السدي اي لنتدارك ما فرطنا من اجابة الدعوة
واتباع الرسل اولم تكونوا هو على اضمار القول والظاهر ان التقدير فيقال لهم والقايل الملايكة
او القايل تعالى يوبخون بذلك ويذكرون مقالتهم في انكار البعث واقسامهم على ذلك كما قال
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ومعنى ما لكم من زوال من الارض بعد الموت
اي لا نبعث من القبور وقال محمد بن كعب ان هذا القول يكون منهم وهم في النار ويرد عليهم اولم
تكونوا ومعناه التوبيخ والتقريع وقال الزمخشري اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه
وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا
بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جا بلفظ الخطاب
لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال ۝ والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا
لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى انتهى فجعل الزمخشري اولم تكونوا محكيا
بقولهم وهو مخالف لما قدمناه من انه يقال لهم ذلك وقوله لا تزولون بالموت والفنا ليس بجيد
لانهم معترفون بالموت والفنا وقوله وقيل هو قول مجاهد وسكنتم ان كان من السكون فالمعنى انهم
قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس سايرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الظالمون
قبلهم وان كان من السكنى فان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كما يقال
اقام في الدار وقر فيها ولكنه لما اطلق على سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل
تبواها وتبين لكم بالخبر وبالمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام وقرا الجمهور وتبين فعلا
ماضيا وفاعله مضمر يدل عليه الكلام اي وتبين لكم هو اي حالهم ولا يجوز ان يكون الفاعل كيف
لان كيف انما ياتي اسم استفهام او شرط وكلاهما لا يعمل فيه ما قبله الا ما روي شاذا من دخول
على على كيف في قولهم على كيف تبيع الاحمرين والى في قولهم انظر الى كيف تصنع وانما كيف هنا سوال
عن حال في موضع نصب بفعلنا وقرا السلمي فيما حكى عنه ابو عمرو الداني ونبين بضم النون ورفع النون

قوله عز وجل وانذر الناس

والشاد

قوله عز وجل وقد مكروا

الاخيرة مضارع بين وحكاها صاحب اللوامح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك على اضمار
ونحن نبين والجملة حالية وقال المهدوي عن السلمي انه قرا كذلك الا انه جزم النون
عطفا على اولم تكونوا اي ولم نبين فهو مشارك في التقرير وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ۝ وقد مكروا مكرهم وعند الله
مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ۝ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز
ذو انتقام ۝ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ۝ وترى
المجرمين يوميذ مقرنين في الاصفاد ۝ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ۝ ليجزي الله
كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ۝ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله
واحد وليذكر اولوا الالباب ۝ الظاهر ان الضمير في مكروا عايد على المخاطبين في قوله
اولم تكونوا اقسمتم اي مكروا بالشرك بالله وتكذيب الرسل وقيل الضمير عايد على قوم الرسول كقوله
وانذر الناس وقد مكر قومك يا محمد وهو الذي في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
ومعنى مكرهم اي المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم والظاهر ان هذا اخبار من الله
لنبيه بما صدر منهم في الدنيا وانه ليس مقولا في الاخرة وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون
مما يقال يوم القيامة للظلمة الذين سكن في منازلهم وعند الله مكرهم اي علم مكرهم فهو
مطلع عليه فلا ينفذ لهم فيه قصدا ولا يبلغهم فيه املا او جزا مكرهم وهو عذابه لهم والظاهر
اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف في الاول اليه كانه قيل وعند الله ما
مكروا اي مكرهم وقال الزمخشري او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم
الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
انتهى وهذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو اذ قدر يمكرهم به والمحفوظ ان
مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وتقول زيد ممكور
به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا وقرا الجمهور وان كان بالنون وقرا عمر وعلي وعبد الله
وابي وابو سلمة بن عبد الرحمن وابو اسحاق السبيعي وزيد بن علي وان كاد بدال مكان
النون لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية وروي كذلك عن ابن عباس وقرا
ابن عباس ومجاهد وابن وثاب والكسائي كذلك الا انهم قرءوا وان كان بالنون فعلى
هاتين القراءتين تكون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وذلك على مذهب
البصريين واما على مذهب الكوفيين فان نافية واللام بمعنى الا فمن قرا كاد بالدال
فالمعنى انه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال وعلى قراءة كان بالنون يكون
زوال الجبال قد وقع ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدته اي هو بحيث يزول منه الجبال
وتنقطع عن اماكنها ويحتمل ان يكون معنى لتزول ليقرب زوالها فيصير المعنى كمعنى قراءة
كاد ويويد هذا التاويل ما ذكره ابو حاتم من ان في قراءة ابي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم
الجبال وينبغي ان تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المجمع عليه وقرا
الجمهور وباقي السبعة وان كان بالنون مكرهم لتزول بكسر اللام ونصب الاخيرة وروي
هذه القراءة عن علي واختلف في تخريجها فعن الحسن وجماعة ان ان نافية وكان تامة
والمعنى وتحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات واقدار الله التي هي
كالجبال في ثبوتها وقوتها ويويد هذا التاويل ما روي عن ابن مسعود انه قرا وما كان بالنافية

لكن هذا التأويل وما روي عن ابن مسعود من قراءة وما بالنفي فيعارض ما تقدم من القراءات لأن فيهما
تعظيم مكرهم وفي هذا تحقيره ويحتمل على تقدير أن نافية أن تكون ناقصة واللام لام الجحود وخبر كان
على الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين أهو محذوف أو هو الفعل الذي دخلت عليه اللام
وعلى أن نافية وكان ناقصة واللام في لتزول متعلقة بفعل في موضع خبر كان خرجه الحوفي
وقال الزمخشري وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال
الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقال
ابن عطية ويحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرهم أي وإن كان شديدا إنما يفعل
ليذهب به عظام الأمور انتهى وعلى تخريج هذين تكون أن هي المخففة من الثقيلة وكان هي الناقصة
وعلى هذا التخريج تتفق معاني القراءات أو تتقارب وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا **وقرئ** لتزول
بفتح اللام الأولى ونصب الثانية وذلك على لغة من فتح لام كي والذي يظهر أن زوال الجبال
مجاز ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال لا تزول وهذا من باب الغلو والإيغال والمبالغة
في ذم مكرهم وأما ما روي أن جبلا زال بحلف امرأة اتهمها زوجها وكان ذلك الجبل من حلف
عليه كاذبا مات فحملها للحلف فكرت بأن رمت نفسها من الدابة وكانت وعدت من اتهمت به
أن يكون في المكان الذي وقعت فيه من الدابة فأركبها زوجها وذلك الرجل وحلفت على الجبل
أنهما ما مسها غيرهما فنزلت سالمة وأصبح الجبل قد اندك وكانت المرأة من عدنان وما روي من
قصة النمرود وبخت نصر واتخاذ الأنسر وصعودهما عليها إلى قرب السماء في قصة طويلة وما تأول
بعضهم أنه عنى بالجبال الإسلام والقرآن لثبوته ورسوخه وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم
هذا سحر هذا شعر هذا إفك فأقوال ينبو عنها ظاهر اللفظ وبعيد جدا قصة الأنسر والنهي
عن الحسبان كهو في قوله ولا تحسبن الله غافلا والطلق الحسبان على الأمر المتحقق هنا كما **قال
الشاعر** فلا تحسبن أني أضل منيتي فكل امرئ كأس الحمام يذوق ٥
وهذا الوعد قوله تعالى إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي **وقرأ** الجمهور بإضافة
مخلف إلى وعده ونصب رسله واختلف في إعرابه فقال الجمهور والفراء وقطرب والحوفي والزمخشري
وابن عطية وأبو البقاء أنه مما أضيف فيه اسم الفاعل إلى المفعول الثاني كقولهم هذا معطي درهم
زيدا لما كان يتعدى إلى اثنين جازت إضافته إلى كل واحد منهما فينتصب ما تأخر وأنشد
بعضهم نظيرا له **قال الشاعر** ٥
• ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس أجمع ٥
وقال أبو البقاء هو قريب من قولهم يا سارق الليلة أهل الدار • وقال الفراء وقطرب
لما تعدى الفعل إليهما جميعا لم يبال بالتقديم والتأخير وقال الزمخشري **فإن قلت** هلا
قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول **قلت** قدم الوعد ليعلم أنه
لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف
وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته
انتهى وهو جواب على طريقة الاعتزال في أن ما وعد الله واقع لا محالة فمن وعده بالنار
من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا ومذهب أهل السنة أن كل ما وعد من العذاب
للعصاة المؤمنين هو مشروط إنفاذه بالمشيئة وقيل مخلف هنا متعد إلى واحد كقوله
لا يخلف الميعاد فأضيف إليه وانتصب رسله بوعده إذ هو مصدر ينحل بحرف مصدري

والفعل

والفعل كأنه قال مخلف ما وعد رسله وما مصدرية لا بمعنى الذي وقرأت فرقة مخلف وعده
رسله بنصب وعده وإضافة مخلف إلى رسله ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول
وهو كقراءة قتل أولادهم شركائهم وتقدم الكلام عليه مشبعا في الأنعام وهذه القراءة تؤيد
إعراب الجمهور في القراءة الأولى وأنه مما تعدى فيه مخلف إلى مفعولين إن الله عزيز لا يمتنع
عليه شيء ولا يغالب ذو انتقام من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون في الذات أي تزول
ذات ويجيء أخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين ويكون في الصفات
كقولك بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل إلى شكل واختلفوا في التبديل
هنا أهو في الذات أو في الصفات فقال ابن عباس تمد كما يمد الأديم وتزال عنها جبالها
وآكامها وشجرها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل
السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها وقال ابن مسعود تبدل
الأرض بأرض كالفضة نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة وقال علي تبدل الأرض
من فضة والجنة من ذهب وقال محمد بن كعب وابن جبير هي أرض من خبز يأكل منها المؤمنون من
تحت أقدامهم وجاء هذا مرفوعا وقيل تصير نارا والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها وقال
أبي تصير السموات جفانا وقيل تبديلها طيها وقيل مرة كالمهل ومرة وردة كالدهان قاله
ابن الأنباري وقيل بانشقاقها فلا تظل وفي الحديث أن الله يبدل هذه الأرض بأرض عفرا
بيضا كأنها قرصة نقي وفي كتاب الزمخشري وعن علي تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب
وعن الضحاك أرضا من فضة بيضا كالصحائف وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير
وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم ٥
قال ابن عطية وسمعت من أبي رضي الله عنه روي أن التبديل يقع في الأرض ولكن تبدل لكل
فريق بما يقتضيه حاله فالمؤمن يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته إليه وفريق يكون على فضة
إن صح السند وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا وكله واقع تحت قدرة الله وفي الحديث
المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش وفيه أنهم ذلك الوقت على الصراط وقال أبو عبد الله
الرازي المراد من تبديل الأرض والسموات هو أنه تعالى يجعل الأرض جهنم ويجعل السموات الجنة
والدليل عليه قوله تعالى كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين
انتهى وكلامه هذا يدل على أن أهل الجنة والنار غير مخلوقتين وظاهر القرآن والحديث أنهما
قد خلقتا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع عليهما ولا يمكن أن يطلع عليهما حقيقة
إلا بعد خلقهما وبرزوا أي ظهروا لا يواريهم بناء ولا حصن وانتصاب يوم على أنه بدل من يوم
يأتيهم قاله الزمخشري أو معمولا لمخلف وعده وإن وما بعدها اعتراض قاله الحوفي وقال
أبو البقاء لا يجوز أن يكون ظرفا لمخلف ولا لوعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعدها ولكن جوز
أن يلحق من معنى الكلام ما يعمل في الظرف أي لا يخلف وعده يوم تبدل انتهى وإذا كان إن وما بعد
اعتراضا لم يبال أنه فصل بين العامل والمعمول أو معمولا لانتقام قاله الزمخشري والحوفي وأبو البقاء
أو لاذكر قاله أبو البقاء **وقرئ** نبدل بالنون الأرض بالنصب والسموات معطوف على الأرض
وثم محذوف أي غير السموات حذف لدلالة ما قبله عليه والظاهر استئناف وبرزوا وقال
أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من الأرض وقد معه مرادة ومعنى لله لحكم الله أو لموعده من الجنة
والنار **وقرأ** زيد بن علي وبرزوا بضم الباء وكسر الراء مشددة جعله مبنيا للمفعول على سبيل التكثير

بالنسبة الى العالم وكثرتهم لا بالنسبة الى تكرير الفعل وجيء بهذين الوصفين وهما الواحد وهو الواحد
الذي لا يشركه احد في الوهيته ونبه به على ان الهتهم في ذلك اليوم لا تنفع والقهار وهو الغالب
لكل شيء وهذا نظير قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ يوم
اذ تبدل وبرزوا مقرنين مشدودا بعضهم الى بعض في القرن اي مقرونين بعضهم مع بعض في القيود والاغلال
او مع شياطينهم كل كافر مع شيطانه في غل او تقرن ايديهم الى ارجلهم مغللين والظاهر تعلق
في الاصفاد بقوله مقرنين اي يقرنون في الاصفاد ويجوز ان يكون في موضع الصفة لمقرنين
وفي موضع الحال فيتعلق بمحذوف كانه قيل مستقرين في الاصفاد وقال الحسن ما في جهنم
واد ولا مفازة ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبه عليه مكتوب **وقرأ** علي وابو هريرة وابن عباس
وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المحبق وزيد بن علي وقتادة
وابو صالح والكلبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد من قطر بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين
الراء آن اسم فاعل من انى صفة لقطر قيل وهو القصدير وقيل النحاس وعن عمر رضي الله عنه انه قال
ليس بالقطران ولكنه النحاس يصفر بلونه والآني الذائب الحار الذي قد تناهى حره قال الحسن
قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره وقال ابن عباس اي آن ان يعذبوا به يعني حان تعذيبهم
به وقال الزمخشري ومن شأنه اي القطران ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو
اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع
عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على
ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة
فبينه وبين ما يشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات
ثمة فنكره الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه انتهى **وقرأ** عمر
ابن الخطاب وعلي بن ابي طالب من قطران بفتح القاف واسكان الطاء وهو في شعر ابي النجم

قال لبسنه القطران والمسوحا ۞ **وقرأ** الجمهور وتغشى وجوههم بالنصب **وقرئ**
بالرفع فالاول على نحو قوله والليل اذا يغشى فهو على حقيقة الغشيان والثانية على التجوز جعل
ورود الوجوه على النار غشيانا **وقرئ** وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى وخص الوجوه هنا وفي قوله
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ويوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر
البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وليجزي متعلق بمحذوف
تقديره يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس اي مجرمة بما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قاله الزمخشري ويظهر انه
متعلق بقوله وبرزوا اي الخلق كلهم وتكون كل نفس عاما اي مطيعة ومجرمة والجملة من قوله وترى
معترضة وقال ابن عطية اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعل هذا او انفذ هذا العقاب
على المجرمين ليجزي في ذلك المسيء على اساءته انتهى والاشارة بهذا الى ما ذكر به تعالى من
قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب وقيل الاشارة الى القرآن وقيل الى
السورة ومعنى بلاغ كفاية في الوعظ والتذكير ولينذروا قال الماوردي الواو زائدة
وعن المبرد هو عطف مفرد على مفرد اي هذا بلاغ وانذار انتهى وهو تفسير معنى لا تفسير
اعراب وقيل هو محمول على المعنى اي ليبلغوا ولينذروا وقيل اللام لام الامر قال بعضهم
وهو حسن لولا قوله وليذكر فانه منصوب لا غير انتهى ولا يخدش ذلك اذ يكون وليذكر ليس

معطوفا

معطوفا على الامر بل يضمر له فعل يتعلق به وقال ابن عطية المعنى هذا بلاغ للناس وهو لينذروا
به انتهى فجعله في موضع رفع خبرا لهو المحذوفة وقال الزمخشري ولينذروا معطوف على
محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ انتهى **وقرأ** مجاهد وحميد بتاء مضمومة وكسر
الذال كان البلاغ للعموم والانذار للمخاطبين **وقرأ** يحيى بن عمارة الذارع عن ابيه واحمد
ابن يزيد السلمي ولينذروا بفتح الياء والذال مضارع نذر بالشيء اذا علم به فاستعد
له قالوا ولم يعرف لهذا الفعل مصدر فهو مثل عسى وغيرها مما استعمل من الافعال ولم يعرف
له اصل وليعلموا انهم اذا خافوا ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر فيتوصلون الى التوحيد
وافراده بالعبادة اذ الخشية اصل الخير وليذكر اي يتعظ ويراجع نفسه بما سمع من المواعظ
واسند التذكر لاولي الالباب لانهم هم الذين يجدي فيهم التذكر وقيل هي في
ابي بكر الصديق وناسب مختتم هذه السورة مفتتحها وكثيرا ما جاء هذا في سور القرآن حتى
ان بعضهم زعم ان قوله ولينذروا به معطوف على قوله لتخرج الناس ۞

المفردات من اول الحجر

رب حرف جر لا اسم خلافا للكوفيين والاخفش في احد قوليه وابن الطراوة ومعناها في المشهور
التقليل لا التكثير خلافا لزاعمه وناسبيه الى سيبويه ولمن قال لا يفيد تقليلا ولا تكثيرا بل
هي حرف اثبات ودعوى ابي عبد الله الرازي الاتفاق على انها موضوعة للتقليل باطلة
وقول الزجاج ان رب للكثرة ضد ما يعرفه اهل اللغة ليس بصحيح وفيها لغات واحكامها
كثيرة ذكرت في النحو ولم تقع في القرآن الا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب
ذر امر استغني غالبا عن ماضيه بترك وفي الحديث ذروا الحبشة ما وذرتكم لوما
حرف تحضيض فيليها الفعل ظاهرا او مضمرا وحرف امتناع لوجود فيليها الاسم مبتدأ على مذهب
البصريين ومنه **قول الشاعر** ۞

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري ۞

وقال بعضهم الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولى على الشيء واستومى وخاللته
وخالمته فهو خلي وخلمي اي صديقي وقال الزمخشري لو ركبت مع لا ومع ما لمعنيين واما هل فلم
تركب الا مع لا وحدها للتحضيض انتهى والذي اختاره البساطة فيهما لا التركيب وان ما
ليست بدلا من لا سلك الخيط في الابرة واسلكها ادخله فيها ونظمه ۞

قال الشاعر ۞

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ۞ شلا كما تطرد الجمالة الشردا ۞

وقال الآخر ۞

وكنت لزاز خصمك لم اعرد ۞ وقد سلكوك في يوم عصيب ۞

الشهاب شعلة النار ويطلق على الكوكب لبريقه شبيه بالنار ۞

وقال ابو تمام ۞

والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب ۞

اللواقح الظاهر انها جمع لاقح اي ذوات لقاح كلابن وتامر وذلك ان الريح تمر على الماء
ثم تمر على السحاب والشجر فيكون فيها لقاح قاله الفراء وقال الازهري حوامل تحمل
السحاب وتصرفه وناقة لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها ۞

وقال زهير

• اذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس انيابها عصل •

وقال ابو عبيدة اي ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بالقاء الماء وقال • ومختبط مما تطيح الطوائح • اي المطاوح جمع مطيحة الصلصال قال ابو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف وقال ابو الهيثم الصلصال صوت اللجام وما اشبهه وهو مثل القعقعة في الثوب وقيل التراب المدقق وصلصل الرمل صوت وصلصال بمعنى مصلصل كالقضقاض بمعنى المقضقض وهو فيه كثير ويكون هذا النوع من المضعف مصدرا فتقول زلزل زلزالا بالفتح وزلزالا بالكسر ووزنه عند البصريين فعلال وهكذا جميع المضاعف حروفه كلها اصول لا فعفع خلافا للفراء وكثير من النحويين ولا فعفل خلافا لبعض البصريين ولبعض الكوفيين ولا ان اصله فعّل بتشديد العين ابدل من الثاني حرف من جنس الحرف الاول خلافا لبعض الكوفيين ويبنى على هذه الاقوال وزن صلصال الحماء الطين الاسود المنتن واحده حماة بتحريك الميم قاله الليث ووهم في ذلك وقالوا لا نعرف في كلام العرب الحماة الا ساكنة الميم قاله ابو عبيدة والاكثرون كما قال ابو الاسود • يجيئك بملئها طورا وطورا تجيء بحماة وقليل ماء • وعلى هذا لا يكون حماء بينه وبين مفرده تاء التانيث لاختلاف الوزن السموم افراط الحر يدخل في المسام حتى يقتل من نار او شمس او ريح وقيل السموم بالليل والحرور بالنهار •

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم • الر تلك ايات الكتاب وقران مبين • ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون • وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم • ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون • هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر في اخر السورة قبلها اشياء من احوال القيامة من تبديل السموات والارض واحوال الكفار في ذلك اليوم وان ما اتى به هو على حسب التبليغ والانذار ابتدا في هذه السورة بذكر القران الذي هو بلاغ للناس واحوال الكفرة وودادتهم لو كانوا مسلمين قال مجاهد وقتادة الكتاب هنا ما نزل من الكتب قبل القران فعلى قولهما تكون تلك اشارة الى ايات الكتب قال ابن عطية ويحتمل ان يراد بالكتاب القران وعطفت الصفة عليه ولم يذكر الزمخشري الا ان تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات قال والكتاب والقران المبين السورة وتنكير القران للتفخيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قران مبين كانه قيل والكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان والظاهر ان ما في ربما مهيئة وذلك انها من حيث هي حرف جر لا يليها الا الاسماء فجيء بما مهيئة لمجيء الفعل بعدها وجوزوا في ما ان تكون نكرة موصوفة ورب جارة لها والعائد من جملة الصفة محذوف تقديره رب شيء يوده الذين كفروا ولو كانوا مسلمين بدل من ما على ان لو مصدرية وعلى القول الاول تكون في موضع نصب على المفعول ليود ومن لا يرى ان لو تاتي مصدرية جعل مفعول يود محذوفا ولو كانوا مسلمين حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجواب لو محذوف اي ربما يود الذين كفروا الاسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وخلصوا من العذاب ولما كانت رب عند الاكثرين لا تدخل على مستقبل تاولوا يود في معنى ود لما كان المستقبل في اخبار الله لتحقق وقوعه

كالماضي

كالماضي فكانه قيل ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل على المستقبل لكنه قليل بالنسبة الى دخولها على الماضي ومما وردت فيه للمستقبل قول سليم القشيري

• ومعتصم بالجبن من خشية الردى سيردى وغاز مشفق سيؤوب •

وقول هند ام معاوية • يا رب قائلة غدا يا لهف ام معاوية •

وقول جحدر

• فان اهلك فرب فتى سيبكي علي مهذب رخص البنان •

في عدة ابيات وقول ابي عبد الله الرازي انهم اتفقوا على ان كلمة رب مختصة بالدخول على الماضي لا يصح فعلى هذا لا يكون يود محتاجا الى تاويل واما من اول ذلك على اضمار كان اي ربما كان يود فقوله ضعيف وليس هذا من مواضع اضمار كان ولما كان عند الزمخشري وغيره ان رب للتقليل احتاجوا الى تاويل مجيء رب هنا وطول الزمخشري في تاويل ذلك ومن قال انها للتكثير فالتكثير فيها هنا ظاهر لان ودادتهم ذلك كثيرة ومن قال ان التقليل والتكثير انما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب قال دل سياق الكلام على الكثرة وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل وقرا عاصم ونافع ربما بتخفيف الباء وباقي السبعة بتشديدها وعن ابي عمرو الوجهان وقرا طلحة بن مصرف وزيد بن علي ربتما بزيادة تاء ومتى يود ذلك فقيل في الدنيا فقال الضحاك عند معاينة الموت وقال ابن مسعود هم كفار قريش ودوا ذلك يوم بدر حين راوا الغلبة للمسلمين وقيل حين حل بهم ما حل من تملك المسلمين ارضهم واموالهم ونسائهم وودوا ذلك قبل ان يحل بهم ما حل وقيل ودوا ذلك في الاخرة اذا اخرج عصاة المسلمين من النار قاله ابن عباس وانس بن مالك ومجاهد وعطا وابو العالية وابراهيم ورواه ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا الرسول هذه الاية وقيل حين يشفع الرسول ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة رواه مجاهد عن ابن عباس وقيل اذا عاينوا القيامة ذكره الزجاج وقيل عند كل حالة يعذب فيها الكافر ويسلم المؤمن ذكره ابن الانباري ثم امر تعالى نبيه بان يذرهم وهو امر وعيد لهم وتهديد اي ليسوا ممن يرعوي عما هو فيه من الكفر والتكذيب ولا ممن ينفعه النصيحة والتذكير فهم انما حظهم حظ البهائم من الاكل والتمتع بالحيوة الدنيا والامل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن الايمان بالله ورسوله وفي قوله ياكلوا ويتمتعوا اشارة الى ان التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتاهب له ليس من اخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله في الاخرة وعن بعض العلما التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين وقال الحسن ما اطال عبد الامل الا اساء العمل والجزم في ياكلوا وما عطف عليه جوابا للامر وليظهر انه امر بتركهم وتخليتهم سبيلهم ومهادنتهم وموادعتهم ولذلك ترتب ذلك ان يكون جوابا لانه لو شغلهم بالقتال ومصالتة السيوف وايقاع الحرب ما هناهم اكل ولا تمتع ويدل على ذلك ان السورة مكية واذا جعلت ذرهم امرا بترك نصيحتهم وشغل بالهم فلا يترتب عليه الجواب لانهم ياكلون ويتمتعون سوا ترك نصيحتهم ام لم يتركها فسوف يعلمون تهديد ووعيد اي فسوف يعلمون عاقبة امرهم وما يؤولون اليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي وفي الاخرة من العذاب السرمدي ولما توعدهم بما يحل بهم اردف ذلك بما يشعر بهلاكهم وانه لا يستبطا فان له اجلا لا يتعداه

والمعنى من أهل قرية كافرين والظاهر أن المراد بالهلاك هلاك الاستئصال للمكذبي الرسل
وهو أبلغ في الزجر وقيل المراد الإهلاك بالموت والواو في قوله ولها واو الحال وقال
بعضهم مقحمة أي زائدة وليس بشيء وقرأ ابن أبي عبلة بإسقاطها وقال الزمخشري الجملة
واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا
من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب انتهى ووافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة
نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا إلا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة
في قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه أبو البقا
ولا نعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبني على أن ما بعد إلا يجوز أن يكون صفة وقد منعوا
ذلك قال الأخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بإلا ثم قال ونحو ما جاءني رجل إلا
راكب تقديره إلا رجل راكب وفيه قبح بجعلك الصفة كالاسم وقال أبو علي الفارسي تقول
ما مررت بأحد إلا قائما فقائما حال من أحد ولا يجوز إلا قائم لأن إلا لا تعترض بين الصفة
والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر ما ذهب إليه الزمخشري في قوله ما مررت بأحد إلا زيد
خير منه أن الجملة بعد إلا صفة لأحد أنه مذهب لم يعرف لبصري ولا كوفي فلا يلتفت إليه
وأبطل ابن مالك قول الزمخشري أن الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف
وقال منذر بن سعيد هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي
في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو ومنه قوله تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها
انتهى والظاهر أن الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ويدل على ذلك ما
بعده وقيل مكتوب فيه أعمالهم وأعمارهم وآجال هلاكهم وذكر الماوردي كتاب معلوم
أي فرض محتوم ومن زائدة تفيد استغراق الجنس أي ما تسبق أمة وأنث أجلها على لفظ أمة
وجمع وذكر في وما يستأخرون حملا على المعنى وحذف عنه لدلالة الكلام عليه ۝ وقالوا يا أيها
الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ۝ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ۝ ما ننزل
الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ۝ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ۝
قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي أمية والنضر بن الحارث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة
وقرأ زيد بن علي نزل عليه الذكر ماضيا مخففا مبنيا للفاعل وقرأ يا أيها الذي ألقي
إليه الذكر وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسيرا لأنها مخالفة لسواد المصحف وهذا الوصف
بأنه الذي نزل عليه الذكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لأنهم لا يقرون بتنزيل
الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون إذ لو كانوا مؤمنين برسالته ما أخبروا عنه بالجنون ثم
اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين لصدقك وبصحة دعواك وإنذارك كما قال
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو معاقبين على تكذيبك كما كانت تأتي الأمم المكذبة
وقرأ الحرميان والعربيان ما تنزل مضارع تنزل أي ما تتنزل الملائكة بالرفع وقرأ أبو بكر
ويحيى بن وثاب ما تنزل بضم التاء وفتح النون والزاي الملائكة بالرفع وقرأ الأخوان
وحفص وابن مصرف ما ننزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي الملائكة
بالنصب وقرأ زيد بن علي ما نزل ماضيا مخففا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع والحق
هنا العذاب قاله الحسن أو الرسالة قاله مجاهد أو قبض الأرواح عند الموت قاله

في خروجه

قوله عز وجل وقالوا يا أيها الذي

ابن السائب

السائب أو القرآن ذكره الماوردي وقال الزمخشري إلا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا
حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ
مصدقون عن اضطرار وقال ابن عطية والظاهر أن معناها كما يجب ويحق من الوحي والمنافع
التي أرادها الله لعباده لا على اقتراح كافر ولا باختيار معترض ثم ذكر عادة الله في الأمم
من أنه لم يأتهم بآية اقتراح إلا ومعها العذاب في إثرها إن لم يؤمنوا فكأن الكلام ما تنزل
الملائكة إلا بحق واجب لا باقتراحكم وأيضا فلو نزلت لم تنظروا بعد ذلك بالعذاب
أي تؤخروا والمعنى وهذا لا يكون إذ كان في علم الله أن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن وقال
الزمخشري وإذن جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء بالشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة
ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم ولما قالوا على سبيل الاستهزاء يا أيها الذي نزل عليه الذكر
رد عليهم بأنه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا قبل أحد بل هو تعالى الذي بعث به جبريل
إلى رسوله وأكد ذلك بقوله إنا نحن بدخول إن وبلفظ نحن ونحن مبتدأ أو تأكيد لاسم
إن ثم قال وإنا له لحافظون أي حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه
فلا تعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة
فإنه تعالى لم يتكفل حفظها بل قال تعالى إن الربانيين والأحبار استحفظوها ولذلك
وقع فيها الاختلاف وحفظه إياه دليل على أنه من عنده تعالى إذ لو كان من قول البشر لتطرق
إليه ما تطرق لكلام البشر وقال الحسن حفظه بإبقاء شريعته إلى يوم القيامة وقيل يحفظه
في قلوب من أراد بهم خيرا حتى لو غير أحد نقطة لقال له الصبيان كذبت وصوابه كذا ولم يتفق
هذا لشيء من الكتب سواه وعلى هذا فالظاهر أن الضمير في له عائد على الذكر لأنه المصرح به
في الآية وهو قول الأكثر مجاهد وقتادة وغيرهما وقالت فرقة الضمير في له عائد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي يحفظه من أذاكم ويحوطه من مكركم كما قال تعالى والله يعصمك من الناس وفي ضمن هذه
الآية التبشير بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظهر الله به الدين ۝ ولقد أرسلنا
من قبلك في شيع الأولين ۝ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ۝ كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ۝ ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون ۝ لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ لما ذكر
تعالى استهزاء الكفار به ونسبته إلى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه تعالى بأن
من أرسل من قبلك كانت عادة الرسل إليهم مثل هذا من هؤلاء معك وتقدم تفسير الشيع
في أواخر الأنعام ومفعول أرسلنا محذوف أي رسلا من قبلك وقال الفراء في شيع الأولين
هو من إضافة الشيء إلى صفته كقوله حق اليقين وبجانب الغربي أي الشيع الموصوف
أي في شيع الأمم الأولين والأولون هم الأقدمون وقال الزمخشري وما يأتيهم حكاية
حال ماضية لأن ما لا يدخل على مضارع إلا وهو في موضع الحال ولا على ماض إلا وهو
قريب من الحال انتهى وهذا الذي ذكر هو قول الأكثر من أن ما تخلص المضارع للحال وعقده
له وذهب غيره إلى أنها يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا
به الاستقبال وأنشد على ذلك قول أبي ذؤيب ۝

أودى بني وأودعوني حسرة ... عند الرقاد وعبرة ما تقلع ۝

وقول الأعشى يمدح الرسول عليه السلام ۝

الضمير

قوله عز وجل ولقد أرسلنا

لدنا فلاة ما يغيث نوالها وليس لها عطا اليوم مانعه غدا
وقال تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي والضمير في نسلكه عائد
على الذكر قاله الزمخشري قال والضمير للذكر أي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر
في قلوب المجرمين على معنى أنه نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم
حاجة فلم يجبك إليها فقلت كذلك أنزلها باللئام يعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة
غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون النصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك
نسلكه انتهى وما ذهب إليه من أن الضمير عائد على الذكر ذكره الغزنوي عن الحسن قال
الحسن معناه نسلك الذكر إلزاما للحجة وقال ابن عطية الضمير في نسلكه عائد على
الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد ويكون الضمير
في به يعود أيضا على ذلك نفسه ويكون بالسبب أي لا يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم
ويكون قوله لا يؤمنون به في موضع الحال ويحتمل أن يكون الضمير في نسلكه عائدا على الذكر
المحفوظ المتقدم الذكر وهو القرآن أي مكذبا به مردودا مستهزأ به ندخله في قلوب المجرمين
ويكون الضمير في به عائدا عليه ويحتمل أن يكون الضمير في نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك
والضمير في به يعود على القرآن فيختلف على هذا عود الضميرين انتهى وروى ابن جريج عن مجاهد
نسلك التكذيب فعلى هذا تكون الباء في به للسبب والذي يظهر عوده على الاستهزاء المفهوم
من قوله يستهزءون وأن الباء في به للسبب والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول إلى الإيمان
ولا يؤمنون إن كان إخبارا مستأنفا فهو من العام المراد به الخصوص فيمن حتم عليه إذ قد
آمن عالم ممن كذب الرسول وقد خلت سنة الأولين في تكذيبهم رسلهم أو في إهلاكهم حين
كذبوا رسلهم واستهزءوا بهم وهو تهديد لمشركي قريش والضمير في عليهم عائد على المشركين
وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الإيمان حتى ينكروا ما هو محسوس مشاهد بالأعين مماس
بالأجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة التامة في إنكار الحق والظاهر
أن الضمير في فظلوا عائد على من عاد عليه في قوله عليهم أي لو فتح لهم باب من السماء
وجعل لهم معارج يصعدون فيها لقالوا هو شيء نتخيله لا حقيقة له وقد سحرنا بذلك
وجاء لفظ فظلوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا على أن ظل
يأتي بمعنى صار أيضا وعن ابن عباس أن الضمير في فظلوا يعود على الملائكة لقولهم لو ما
تأتينا بالملائكة أي ولو رأوا الملائكة تصعد وتتصرف في باب مفتوح في السماء
لما آمنوا وقرأ الأعمش وأبو حيوة يعرجون بكسر الراء وهي لغة هذيل في العروج بمعنى
الصعود وجاء لفظ إنما مشعرا بالحصر كأنه قال ليس ذلك إلا تسكيرا للأبصار وقرأ
الحسن ومجاهد وابن كثير سكرت بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول وقرأ باقي السبعة
بشدها مبنيا للمفعول وقرأ الزهري بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنيا للفاعل
شبهوا رؤية أبصارهم برؤية السكران لقلة تصوره ما يراه فأما قراءة التشديد
فعن ابن عباس وقتادة منعت عن رؤية الحقيقة من السكر بكسر السين وهو السد وعن الحسن
وعن الضحاك سدت وعن جويبر خدعت وعن مجاهد حبست وعن الكلبي عميت وعن أبي عمرو
غطيت وعن قتادة أيضا أخذت وعن أبي عبيد غشيت وأما قراءة التخفيف فقيل
بالتشديد إلا أنه للتكثير والتخفيف يؤدي عن معناه وقيل معنى التشديد أخذت

ومعنى

ومعنى التخفيف سحرت والمشهور أن سكر لا يتعدى قال أبو علي ويجوز أن يكون سمع متعديا
في البصر وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه يقال سكرت أبصارهم إذا غشيها سمادير حتى
لا يبصروا وقيل التشديد من سكر الماء والتخفيف من سكر الشراب وتقول العرب سكرت
الريح تسكر سكرا إذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله أولا وسكر الرجل من الشراب
سكرا إذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما كان للإنسان أن ينفذ فيه ومن هذا
المعنى سكران لا يبت أي لا يقطع أمرا وتقول العرب سكرت في مجاري الماء إذا
طمست وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه فإن كان من سكر الشراب أو من سكر الريح
فالتضعيف للتعدية أو من سكر مجاري الماء فللتكثير لأن مخففه متعد وأما سكرت
بالتخفيف فإن كان من سكر الماء ففعل متعد أو من سكر الشراب أو الريح فيكون من باب
رجع زيد ورجعه غيره فتقول سكر الرجل وسكره غيره وسكرت الريح وسكرها غيرها كما جاء
سعد زيد وسعده غيره ولخص الزمخشري في هذا فقال وسكرت حيرت أو حبست
من السكر أو السكر وقرئ بالتخفيف أي حبست كما يحبس النهر عن الجري انتهى وقرأ
أبان بن تغلب سحرت أبصارنا ويجيء قوله بل نحن قوم مسحورون انتقالا إلى درجة عظمى
من سحر العقل وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسير معنى لا تلاوة لمخالفتها سواد المصحف
وجاء جواب ولو قوله لقالوا أي أنهم يشاهدون ما يشاهدون ولا يشكون في رؤية المحسوس
ولكنهم يقولون ما لا يعتقدون مواطأة على العناد ودفع الحجة ومكابرة وإيثارا
للغلبة كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا • ولقد جعلنا في السماء
بروجا وزيناها للناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم • إلا من استرق السمع فأتبعه
شهاب مبين • لما ذكر تعالى حال منكري النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلائله السماوية
وبدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الأرضية وقال ابن عطية لما ذكر تعالى أنهم لو رأوا الآية
المذكورة في السماء لعاندوا فيها عقب ذلك بهذه الآية كأنه قال وإن في السماء لعبرا
منصوبة غير هذه المذكورة وكفرهم بها وإعراضهم عنها إصرارا منهم وعتوا انتهى والظاهر
أن جعلنا بمعنى خلقنا وفي السماء متعلق بجعلنا ويحتمل أن يكون بمعنى صيرنا فيكون في السماء المفعول
الثاني فيتعلق بمحذوف والبروج جمع برج وتقدم شرحه لغة قال الحسن وقتادة هي
النجوم وقال أبو صالح الكواكب السيارة وقال علي بن عيسى اثنا عشر برجا • الحمل • والثور
• والجوزاء • والسرطان • والأسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي
• والدلو • والحوت • وهي منازل الشمس والقمر وقال ابن عطية قصور في السماء فيها الحرس
وهي المذكورة في قوله ملئت حرسا شديدا وشهبا وقيل الفلك اثنا عشر برجا كل برج ميلا
ونصف والظاهر أن الضمير في وزيناها عائد على البروج لأنها المحدث عنها والأقرب
في اللفظ وقيل على السماء وهو قول الجمهور وخص بالناظرين لأنها من المحسوسات التي لا
تدرك إلا بنظر العين ويجوز أن يكون من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية وهو ما فيها
من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة والضمير في وحفظناها عائد على السماء وكذلك
قال الجمهور أن الضمير في وزيناها عائد على السماء حتى لا تختلف الضمائر وحفظ السماء هو بالرجم
بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشياطين
تقرب من السماء أفواجا فينفرد المارد منها فيستمع فيرمى بالشهاب فيقول لأصحابه وهو

قوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء

يلتهب انه الامر كذا وكذا فيرى الشياطين ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة
ونحو هذا الحديث وقال ابن عباس ان الشهب تخرج وتؤذي ولا تقتل وقال الحسن تقتل وفي الاحاديث
ما يدل على ان الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الاسلام وحفظت السماء حفظا تاما
وعن ابن عباس كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من السموات كلها والظاهر ان قوله الا من استرق استثناء متصل والمعنى
فانها لم تحفظ منه ذكره الزهراوي وغيره والمعنى انه سمع من خبرها شيئا والقاه الى الشياطين
وقيل هو استثناء منقطع والمعنى انها حفظت منه وعلى كلا التقديرين فمن في موضع نصب
وقال الحوفي من بدل من كل شيطان وكذا قال ابو البقاء جر على البدل اي الا ممن استرق السمع
وهذا الاعراب غير سائغ لان ما قبله موجب فلا يمكن التفريغ فلا يكون بدلا لكنه يجوز
ان يكون الا من استرق نعتا على خلاف في ذلك وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون من في موضع رفع
على الابتداء وفاتبعه الخبر وجاز دخول الفاء من اجل ان من بمعنى الذي او شرط انتهى والاستراق
افتعال من السرقة وهي اخذ الشيء بخفية وهو ان يخطف الكلام خطفة يسيرة والسمع المسموع
ومعنى مبين ظاهر للمبصرين • والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين • وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم • وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له
بخازنين • وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون • ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين • وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم • مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع
لمن حلها قال الحسن اخذ الله طينة فقال لها انبسطي فانبسطت وقيل بسطت من تحت الكعبة
ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتدا
فلذلك نصب والارض والرواسي الجبال وفي الحديث ان الارض كانت تتكفا باهلها كما تتكفا
السفينة فثبتها الله بالجبال ومن في من كل للتبعيض وعند الاخفش هي زائدة اي كل شيء
والظاهر ان الضمير في فيها عائد على الارض الممدودة وقيل يعود على الجبال وقيل عليها
وعلى الارض معا قال ابن عباس وابن جبير موزون مقدر بقدر وقال الزمخشري [illegible]
قال وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان وقال
ابن عطية قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار وقال
ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة وغير ذلك مما يوزن وقال قتادة
موزون مقسوم وقال مجاهد معدود وقال الزمخشري او له وزن وقدر في ابواب
النعمة والمنفعة وبسطه غيره فقال ما له منزلة كما تقول ليس له وزن اي قدر
ومنزلة ويقال هذا كلام موزون اي منظوم غير منتثر فعلى هذا اي انبتنا فيها
ما يوزن من الجواهر والمعادن والحيوان وقال تعالى وانبتها نباتا حسنا والمقصود
بالانبات الانشاء والايجاد وقرا الاعرج وخارجة عن نافع معائش بالهمز قال
ابن عطية والوجه ترك الهمز وعلة ذلك على ما هو معروف في النحو وقال الزمخشري معايش
بالياء وهو الصحيح بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطا والصواب الهمز
او اخراج الياء بين بين وتقدم تفسير المعايش اول الاعراف والظاهر ان من لم يعقل
ويراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان

قوله عز وجل والارض مددناها

الله هو الرزاق يرزقهم واياهم وقال معناه الفراء ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب
كالانعام والدواب وما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون
وقال معناه الزجاج وقال مجاهد الدواب والانعام والبهائم وقيل الوحوش والسباع
والطير فعلى هذين القولين يكون من لما لا يعقل والظاهر ان من في موضع جر عطفا على الضمير
المجرور في لكم وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش وقد استدل للقائل بصحة هذا المذهب
في البقرة في قوله وكفر به والمسجد الحرام وقال الزجاج من منصوب بفعل محذوف تقديره
واعشنا من لستم اي امما غيركم لان المعنى اعشناكم وقيل عطفا على معايش اي وجعلنا لكم من لستم
له برازقين من العبيد والصناع قيل والحيوان وقيل عطفا على محل لكم وقيل من مبتدا خبره محذوف
لدلالة المعنى عليه اي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش وهذا لا بأس به فقد
اجازوا ضربت زيدا وعمرو بالرفع على الابتداء اي وعمرو ضربته فحذف الخبر لدلالة ما قبله
عليه وتقدم شرح الخزائن وان نافية ومن زائدة والظاهر ان المعنى وما من شيء ينتفع به
العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به فتكون الخزائن وهي ما يحفظ فيه
الاشياء مستعارة من المحسوس للذي هو الجسم الى المعقول وقال قوم المراد الخزائن حقيقة وهي
التي يحفظ فيها الاشياء وان للريح مكانا وللمطر مكانا ولكل مكان ملك وحفظة فاذا امر الله
باخراج شيء منه اخرجته الحفظة وقيل المراد بالشيء هنا المطر قاله ابن جريج وقرا الاعمش
وما نرسله مكان وما ننزله والارسال اعم وهي قراءة تفسير معنى لا انها لفظ قرآن
لمخالفتها سواد المصحف وعن ابن عباس والحكم بن عتيبة انه ليس عام اكثر مطرا من عام
ولكن الله تعالى ينزله من مواضع دون مواضع ولواقح جمع لاقح يقال ريح لاقح جائيات
بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير بل بشر ريح عقيم او ملاقح اي حاملات
للمطر وفي صحيح البخاري لواقح ملاقح ملقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة تقم
الارض قما ثم المثيرة فتثير السحاب ثم المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر
ومن قرا بافراد الريح فعلى تاويل الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم
البيض وسقى واسقى قد يكونان بمعنى واحد وقال ابو عبيدة من سقى الشفة سقى فقط او الارض
والثمار اسقى وللداعي لارض وغيرها بالسقيا اسقى فقط وقال الازهري العرب تقول
لكل ما كان من بطون الانعام ومن السماء او نهر يجري اسقيته اي جعلته شربا له وجعلت له
منه مسقى فاذا كان للشفة قالوا سقى ولم يقولوا اسقى وقال ابو علي سقيته حتى روي
واسقيته نهرا جعلته شربا له وجاء الضمير هنا متصلا بعد ضمير متصل كما تقدم في قوله انلزمكموها
وتقدم ان مذهب سيبويه فيه وجوب الانفصال وما انتم له بخازنين اي بقادرين على ايجاده
تنبيها على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم اي لستم بقادرين عليه حين احتياجكم اليه وقال
سفيان بخازنين اي بمانعين المطر ونحيي نخرجه من العدم الصرف الى الحياة ونميت نزيل
حياته ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق والمستقدمين قال ابن عباس
والضحاك الاموات والمستاخرين الاحياء وقال قتادة وعكرمة وغيرهما المستقدمين
في الخلق والمستاخرين الذين لم يخلقوا بعد وقال مجاهد المستقدمين من الامم والمستاخرين
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة ايضا في الطاعة والخير والمستاخرين
بالمعصية والشر وقال ابن جبير في صفوف الحرب والمستاخرين فيها وقيل من قتل في الجهاد

قوله عز وجل ولقد خلقنا

والمستأخرين من لم يقتل وقيل في صفوف الصلاة والمستأخرين بسبب النساء لينظروا اليهن
وقال قتادة أيضا السابقين الى الاسلام والمتقاعسين عنه والاولى حمل هذه الاقوال
على التمثيل لا على الحصر والمعنى انه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وباحوالهم ثم اعلم تعالى
انه يحشرهم وقرأ الاعمش يحشرهم بكسر الشين وقال ابن عباس ومروان بن الحكم وابو الجوزاء
كانت تصلي وراء الرسول امرأة جميلة فبعض يتقدم لئلا تفتنه وبعض يتأخر ليسرق النظر
اليها في الصلاة فنزلت الآية فيهم وفصل هذه الآية بهاتين الصفتين من الحكمة والعلم
في غاية المناسبة ● ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون ● والجان خلقناه
من قبل من نار السموم ● واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ● فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ● فسجد الملائكة كلهم اجمعون ● الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين ● قال يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين ● قال
لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ● قال فاخرج منها فانك رجيم ●
وان عليك اللعنة الى يوم الدين ● قال رب فانظرني الى يوم يبعثون ● قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ● قال رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ● قال هذا صراط علي مستقيم ● ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين ● وان جهنم لموعدهم اجمعين ● لها سبعة ابواب
لكل باب منهم جزء مقسوم ● لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما
يستقرون فيه نبههم على مبدأ اصلهم آدم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالى
وتقدم شيء من هذه القصة في اوائل البقرة عقيب ذكر الاماتة والاحياء والرجوع اليه
تعالى وفي الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفي الكهف بعد ذكر الحشر
وكذا في سورة ص بعد ذكر ما اعد من الجنة والنار لخلقه وحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر
مبدأهم وقضيته مع عدوه ابليس ليحذرهم من كيده ولينظروا ما جرى له معه حتى اخرجه من الجنة
مقر السعادة والراحة الى الارض مقر التكليف والتعب فيتحرزوا من كيده ومن حمإ قال
الحوفي بدل من صلصال باعادة الجار وقال ابو البقاء من حمإ في موضع جر صفة لصلصال
وقال ابن عباس المسنون الطين ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب
فكنى عن المصبوب بوصفه لانه موضوع له وقال مجاهد وقتادة ومعمر المنتن قال
الزمخشري من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون
الا منتنا وقال غيره من اسن الماء اذا تغير ولا يصح لاختلاف المادتين وقيل مصبوب
من سننت التراب والماء اذا صببته شيئا بعد شيء فكان المعنى افرغ صورة الانسان
كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها قال الزمخشري وحق مسنون بمعنى مصور
ان يكون صفة لصلصال كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر انتهى وقيل المسنون المصور من سنة الوجه
وهي صورته قال الشاعر ●
تريك سنة وجه غير مقرفة ● وقيل المسنون المنسوب اي ينسب اليه ذريته والجان
هو ابو الجن قاله ابن عباس قال الزمخشري والجان للجن كآدم للناس وقال الحسن هو
ابليس خلق قبل آدم وقال ابن بحر هو اسم لجنس الجن والانسان المراد به آدم ومن قبل

اي من قبل خلق الانسان وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز والسموم قال ابن عباس
الريح الحارة التي تقتل وعنه نار لا دخان لها منها تكون الصواعق وقال الحسن نار
دونها حجاب وعن ابن عباس نفس النار وعنه لهب النار وقيل نار لهب السموم وقيل
اضاف الموصوف الى صفته اي النار السموم وسويته اكملت خلقه والتسوية عبارة عن الاتقان
وجعل اجزائه مستوية فيما خلقت ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحياة فيه ولا نفخ هناك
ولا منفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واضاف الروح اليه تعالى على سبيل
التشريف نحو بيت الله وناقة الله او الملك اذ هو المتصرف في الانشاء للروح والمودعها حيث
يشاء وقعوا له اي اسقطوا على الارض وحرف الجر محذوف من ان اي ما لك في ان لا تكون واي
داع دعاك الى ابائك السجود ولاسجد اللام لام الجحود والمعنى لا يناسب حالي السجود له
وفي البقرة نبه على العلة المانعة له وهي الاستكبار ورأى نفسه اكبر من ان يسجد وفي
الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهي ادعاء الخيرية والافضلية بادعاء المادة المخلوق
منها كل منهما ومنافاته على مادة آدم وهنا فاخرج منها وفي الاعراف فاهبط منها
وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها وقد تقدمت مباحث وشرح في سورة البقرة
والاعراف اعادها المفسرون هنا ونحن نحيل على ما تقدم الا ما له خصوصية بهذه
السورة فنحن نذكره فنقول وضرب يوم الدين غاية للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها
الناس في كلامهم واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض
الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم
الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وهو وقت النفخة الاولى حتى يموت
الخلائق ووصف بالمعلوم اما لانفراد الله بعلمه كما قال قل انما علمها عند ربي
ان الله عنده علم الساعة او لانه معلوم فناء العالم فيه فيكون قد عبر بيوم الدين
ويوم يبعثون بما كان قريبا من ذلك اليوم قال الزمخشري ومعنى اغوائه اياه تسبيبه
لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن
وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار
فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضى به انتهى وهو على طريقة المعتزلة والضمير
في لهم عائد على غير مذكور بل على ما يفهم من الكلام وهو ذرية آدم ولذلك قال في الآية
الاخرى لئن اخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا والتزيين تحسين المعاصي
لهم ووسوسته حتى يقعوا فيها في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى
اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من
الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده اقدر او اراد لأجعلن مكان التزيين
عندهم الارض ولأوقعن تزييني فيها اي لأزيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا
وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي قال
الزمخشري والا عبادك استثنى القليل من الكثير اذ المخلصون بالنسبة الى الغاوين
قليل واستثناهم ابليس لانه علم ان تزيينه لا يؤثر فيهم وفيه دليل على جلالة هذا الوصف
وانه افضل ما اتصف به الطائع وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والاعرج بفتح اللام
ومعناه الا من اخلصه للطاعة انت فلا يؤثر فيه تزييني وقرأ باقي السبعة والجمهور

يكرها اي الا من اخلص العباده لله ولم يشرك فيه غيره ولا راأى به والفاعل المستثنى اي قال الله والاشارة بهذا الى ما تضمنه المخلصين من المصدر اي الاخلاص الذي يكون في عبادي هو صراط مستقيم لا يسلكه احد فيضل او يزل لان من اصطفيته او اخلص لي العمل لا سبيل لك عليه وقيل لما قسم ابليس ذريه ادم الى غاو ومخلص قال تعالى هذا امر مصيره الي ووصفه بالاستقامة اي هو حق وصيرورتهم الى هذين القسمين ليست لك والعرب تقول طريقك في هذا الامر على فلان اي اليه يصير النظر في امرك وقال الزمخشري هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته انتهى فجعل هذا اشارة الى انتفاء تزيينه واغوايه وكونه ليس له عليهم سلطان فكان تاحد الاشارة اليما استثناه ابليس والى ما قرره تعالى يقوله ان عبادي وتضمن كلامه مذهب المعتزلة وقال صاحب اللوامح اي هذا صراط عهدة استقامته علي وفي حفظه اي حفظه علي وهو مستقيم غير معوج وقال الحسن معنى على الي وقيل على كانه من مر عليه مر علي اي على رضواني وكرامتي **وقرأ** الضحاك وابراهيم وابو رجا وابن سيرين ومجاهد وقتادة وقيس بن عباد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن ابي حفصة وابو شرف مولى كندة ويعقوب علي مستقيم اي عال لارتفاع شانه وهذه القراءة تؤكد ان الاشارة الى الاخلاص وهو اقرب اليه والاضافة في قوله ان عبادي اضافة تشريف اي ان المخلصين بعبادتي وعلى هذا لا يكون قوله الا من اتبعك استثناء متصلا لان من اتبعه لم يندرج في قوله ان عبادي وان كان اريد بعبادي عموم الخلق فيكون الا من اتبعك استثناء من عموم ويكون فيه دلالة على استثناء الاكثر وابقاء المستثنى منه اقل وهي مسئلة اختلف فيها النحاة فاجاز ذلك الكوفيون وتبعهم من اصحابنا الاستاذ ابو الحسن ابن خروف ودلائل ذلك مسطرة في كتب النحو والذي يظهر ان ابليس لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله ان عبادي اي عبادي المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ومن في من الغاوين لبيان الجنس اي الذين هم الغاوون وقال الجبائي هذه الاية تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وازالة عقولهم كما تقوله العامة وربما نسبوا ذلك الى السحرة قال وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه والموعد مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين وقال ابن عطية واجمعين تاكيد وفيه معنى الحال انتهى وهذا جنوح لمذهب من زعم ان اجمعين تدل على اتحاد الوقت والصحيح ان مدلوله مدلول كلهم والظاهر ان جهنم هي واحدة ولها سبعة ابواب وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابيين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين **وقرأ** ابن القعقاع جزء بتشديد الزاي من غير همز ووجهه انه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي ثم وقف بالتشديد نحو هذا فرج ثم اجرى الوصل مجرى الوقف واختلف عن الزهري ففي كتاب ابن عطية **وقرأ** ابن شهاب بضم الزاي ولعله تصحيف من الناسخ لاني وجدت في التحرير **وقرأ** ابن وثاب بضمها مهموزا فيهما **وقرأ** الزهري بتشديد الزاي دون همز وهي قراءة ابن القعقاع والذي في قراءات بالتشديد منهم ابن القعقاع وفي كتاب الزمخشري وكتاب اللوامح انه قرأ بالتشديد وفي اللوامح هو وابو جعفر ﴿ السرر جمع سرير وكليب وبعض تميم بفتح الراء وكذا كل مضاعفة فعيل النصب التعب القنوط اتم الياس فقال قنط يقنط بفتح

وفرقا

وقنط بفتح النون يقنط بكسرها وبضمها القنط والفضيحة مصدران لفضح يفضح اذا اتى من امر الانسان ما يلزمه به العار ويقال فضحك الصبح اذا تبين للناس

قال الشاعر

• ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا • مثل القلامة قد قصت من الظفر •

التوسم تفعل من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسم فيه الخير اذا راى ميسم ذلك وقال عبد الله بن رواحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم

• اني توسمت فيك الخير اعرفه • والله يعلم اني ثابت البصر •

وقال الشاعر

• توسمته لما ان رايت مهابة • عليه وقلت المرء من آل هاشم •

واتسم الرجل جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلا الوسمي وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك واصل التوسم التثبت والتفكر ماخوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة في جلد البعير وغيره الايكة الشجرة الملتفة واحدة ايك

قال الشاعر

• تجلو بقادمتي حمامة ايكة • بردا أسف لثاته بالاثمد •

الخفض مقابل الرفع وهو كناية عن الالانة والرفق عضين جمع عضة واصلها الواو والهاء يقال عضيت الشيء تعضية فرقته وكل فرقة عضة فاصله عضوة وقيل العضة في لغة قريش السحر يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة

قال الشاعر • اعوذ بربي من النافثات • في عقد العاضه المعضه •

وفي الحديث لعن العاضهة والمستعضهة وفسر بالساحرة والمستسحرة فاصله الهاء وقيل من العضه يقال عضهه عضها وعضيهة رماه بالبهتان قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون وذهب الفراء الى ان عضين من العضاة وهي شجرة تؤذي تخرج كالشوك ومن العرب من يلزم الياء ويجعل الاعراب في النون فيقول عضينك كما قالوا سنينك وهي كثيرة في تميم واسد الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فانصدع اي شققته فانشق وقال مورج اصدع افصل وقال ابن الاعرابي اقصد ﴿ ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ﴿ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴿ نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ﴿ وان عذابي هو العذاب الاليم ﴿ لما ذكر تعالى ما اعد لاهل النار ذكر ما اعد لاهل الجنة ليظهر تباين ما بين الفريقين ولما كان حال المؤمنين معتنى به اخبر انهم في جنات وعيون جعل ما يستقرون فيه في الاخرة كانهم مستقرون فيه في الدنيا ولذلك جاء ادخلوها على قراءة الامر لان من استقر في الشيء لا يقال له ادخل فيه وجاء حال الغاوين موعودا به في قوله لموعدهم لانهم لم يدخلوها والعيون جمع عين **وقرأ** نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين وباقي السبعة بكسرها **وقرأ** الحسن ادخلوها ماضيا مبنيا للمفعول من الادخال **وقرأ** يعقوب في رواية رويس كذلك وبضم التنوين وعنه فتحه وما بعده امر على تقدير ادخلوها اياهم من الادخال امر الملائكة بادخال المتقين الجنة وسقطت الهمزة في القراءتين **وقرأ** الجمهور ادخلوها امر من الدخول فعلى قراءة الامر ثم محذوف اي يقال لهم او يقال للملائكة وبسلام في موضع نصب على الحال

أعرفه

قوله عز وجل ان المتقين

واحتمل ان يكون المعنى مصحوبين بالسلامة وان يكون المعنى مسلما عليكم اي محيون كما حكى عن الملائكة
انهم يدخلون على اهل الجنة يقولون سلام عليكم ونزعنا ما في صدورهم من غل تقدم شرحه في الاعراف
قيل وانتصب اخوانا على الحال وهي حال من الضمير والحال من المضاف اليه اذا لم يكن معمولا لما
اضيف على سبيل الرفع او النصب تندر فلذلك قال بعضهم انه اذا كان المضاف جزأ من
المضاف اليه كهذا لان الصدور بعض ما اضيفت اليه وكالجزء كقوله واتبع ملة ابراهيم
حنيفا جاءت الحال من المضاف وقد قررنا ان ذلك لا يجوز وما استدلوا به له تأويل غير ما ذكروا
فتأويله هنا انه منصوب على المدح والتقدير امدح اخوانا لما لم يكن ان يكون نعتا للضمير قطع
من اعرابه نصبا على المدح وقد ذكر ابو البقاء انه حال من الضمير في الظرف في قوله في جنات
وان يكون حالا من الفاعل في ادخلوها او من الضمير في آمنين ومعنى اخوانا ذوو تواصل ووداد
وعلى سرر متقابلين حالان والقعود على السرير دليل على الرفعة والكرامة التامة كما قال
يركبون في هذا البحر ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة وعن ابن عباس على سرر مكللة
بالياقوت والزبرجد والدر وقال قتادة متقابلين متحابين وقيل في التواصل والتزاور
وعن مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين انتهى ولما كانت الدنيا محل تعب بما يقاسي فيها من طلب المعيشة ومعاناة
التكاليف الضرورية لحياة الدنيا وحياة الآخرة ومعاشرة الاضداد وعروض الآفات والاسقام
ومحل انتقال منها الى دار اخرى مخوف امرها عند المؤمن لا محل اقامة اخبر تعالى بانتفاء ذلك
في الجنة بقوله لا يمسهم فيها نصب واذا انتفى المس انتفت الديمومة واكد انتفاء الاخراج
بدخول الباء في بمخرجين وقيل للثواب اربع شرائط ان يكون منافع والى الاشارة بقوله في جنات
وعيون مقرونة بالتعظيم والى الاشارة بقوله ادخلوها بسلام آمنين خالصة عن مضار
الشوائب الروحانية كالحقد والحسد والغل والجسمانية كالاعياء والنصب والى الاشارة
بقوله ونزعنا الى لا يمسهم فيها نصب دائمة والى الاشارة بقوله وما هم منها بمخرجين وعن
علي بن الحسين ان قوله ونزعنا الآية نزلت في ابي بكر وعمر والغل غل الجاهلية وقيل كانت
بين بني تيم وعدي وهاشم اضغان فلما اسلموا تحابوا ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في
الجنة اكد تعالى تنبيه الناس وتقرير ذلك وتمكينه في النفس بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين وتقديما لهذين الوصفين
العظيمين اللذين وصف بهما نفسه وجاء قوله وان عذابي في غاية اللطف اذ لم يقل على وجه
المقابلة واني المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة وسدت ان مسد مفعولي
نبئ ان قلنا انها تعدت الى ثلثة ومسد واحد ان قلنا تعدت الى اثنين وعن ابن عباس
غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي قوله نبئ الآية ترجيح جهة الخير من جهة امره تعالى
رسوله بهذا التبليغ فكانه اشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة وكونه اضاف
العباد اليه فهو تشريف لهم وتأكيد اسم ان بقوله انا وادخال ال على هاتين الصفتين
وكونهما جاءا بصيغة المبالغة والبداءة بالصفة السارة اولا وهي الغفران واتباعها
بالصفة التي نشأ عنها الغفران وهي الرحمة وروي في الحديث لو يعلم العبد قدر عفو الله
لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه وفي الحديث عن ابن المبارك باسناده ان الرسول
طلع من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال الا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان

قوله عز وجل ونبئهم

عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال جاء جبريل فقال يقول الله لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم ۝ ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم
وجلون ۝ قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ۝ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون
قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ۝ قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ۝
ولما ذكر تعالى ما اعد للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذكر العرب باحوال من يعرفونه
ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا
بما حل بغيرهم فبدأ بذكر جدهم الاعلى ابراهيم عليه السلم وما جرى لقوم ابن اخيه لوط ثم بذكر اصحاب
الحجر وهم قوم صالح ثم باصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقرأ ابو حيوة ونبيهم بابدال الهمزة
ياء وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط واضيفوا الى ابراهيم
وان لم يكونوا اضيافا لانهم في صورة من كان ينزل به من الاضياف اذ كان لا ينزل به احد الا ضافه
وكان يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب من كل جهة باب لئلا يفوته احد والضيف
اصله المصدر والافصح ان لا يثنى ولا يجمع للمثنى والمجموع ولا حاجة الى تكلف اضمار كما قاله
النحاس وغيره من تقدير اصحاب ضيف وسلاما مقتطع من جملة محكية بقالوا فليس منصوبا به
والتقدير سلمت سلاما من السلامة او سلمنا سلاما من التحية وقيل سلاما نعت لمصدر محذوف
تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه هنا بانه وجل منهم كان بعد تقريبه اليهم ما اضافهم به
وهو العجل الحنيذ وامتناعهم من الاكل وفي هود انه اوجس في نفسه خيفة فيمكن ان هذا التصريح
كان بعد ايجاس الخيفة ويحتمل ان يكون القول هنا مجازا بانه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار
كالمصرح به القائل وقرأ الجمهور لا توجل مبنيا للفاعل وقرأ الحسن بضم التاء مبنيا للمفعول
من الايجال وقرئ لا تأجل بابدال الواو الفا كما قالوا تابة في توبة وقرئ لا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك بمثابة الآمن المبشر
فلا توجل والمبشر به هو اسحق وذلك بعد ان ولد له اسمعيل وشب بشروه بامرين احدهما انه
ذكر والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة فقيل النبوة كقوله تعالى وبشرناه باسحق
نبيا وقيل عليم بالدين وقرأ الاعرج بشرتموني بغير همزة الاستفهام وعلى ان مسني الكبر
في موضع الحال وقرأ ابن محيصن الكبر بضم الكاف وسكون الباء واستنكر ابراهيم عليه
السلم ان يولد له مع الكبر وفبم تبشرون تأكيد استبعاد وتعجب وكانه لم يعلم انهم ملائكة
رسل الله اليه فلذلك استفهم واستنكر ان يولد له ولو علم انهم رسل الله لما تعجب ولا استنكر
ولا سيما وقد رأى من آيات الله عيانا كيف احيى الموتى قال الزمخشري كانه قال فبأي اعجوبة
تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني
في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون
سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في
العادة انتهى وكانه قال اعلى وصفي بالكبر ام على اني ارد الى الشباب وقيل لما استطاب
البشارة اعاد السؤال ويضعف هذا قولهم له بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
وقرأ الحسن تبشروني بنون مشددة وياء المتكلم ادغم نون الرفع في نون الوقاية
وابن كثير يشددها مكسورة دون ياء ونافع بكسرها مخففة وغلطه ابو حاتم وقال
هذا يكون في الشعر اضطرارا وخرجت على انه حذف نون الوقاية وكسر نون الرفع للياء

ثم حذفت اليا لدلالة الكسرة عليها وقالوا هو مثل قوله بسوء الغاليات اذا فليني •
وقول الآخر لاباك تخوفيني • وقرأ باقي السبعة بفتح النون وهي علامة الرفع قال
الحسن فبم تبشرون على وجه الاحتقار وقلة المبالاة بالمبشرات لمضي العمر واستيلاء الكبر وقال
مجاهد عجب من كبره وكبر امراته وتقدم ذكر سنه وقت البشارة وبالحق اي باليقين الذي لا ليس
فيه او بالطريقة التي هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرأ ابن وثاب وطلحة والاعمش ورويت عن ابي عمرو من القنطين
من قنط يقنط وقرأ النحويان والاعمش ومن يقنط وفي الروم والزمر بكسر النون وباقي السبعة
بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وهو استفهام في ضمنه النفي ولذلك دخلت الا في قوله
الا الضالون وقولهم له فلا تكن من القانطين نهي والنهي عن الشيء لا يدل على تلبس المنهي عنه
به ولا مقاربته وقوله ومن يقنط رد عليهم وان المجاوزة في البشارة لا تدل على القنوط بل ذلك
على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى ان هبة الولد على الكبر من
رحمة الله اذ يشد عضده ويؤازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه

قال فما خطبكم ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • الا آل لوط انا لمنجوهم
اجمعين • الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين • فلما جاء آل لوط المرسلون • قال انكم قوم
منكرون • قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • واتيناك بالحق وانا لصادقون •
فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون •
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • لما بشروه بالولد راجعوه
في ذلك علم انهم ملائكة الله ورسله فاستفهم بقوله فما خطبكم والخطب لا يكاد يقال الا
في الامر الشديد فاضافه اليهم من حيث انهم حاملوه الى اولئك القوم المعذبين ونكر
قوما ووصفهم تقليلا لهم واستهانة بهم ويعني قوم لوط اهل مدينة سدوم والمعنى ارسلنا
باهلاك والا آل لوط يحتمل ان يكون استثناء من الضمير المستكن في مجرمين التقدير اجرموا
كلهم الا آل لوط فيكون استثناء متصلا والمعنى الا آل لوط فانهم لم يجرموا ويكون قوله
انا لمنجوهم اجمعين استئناف اخبار عن نجاتهم وذلك لكونهم لم يجرموا ويكون حكم الارسال
منسحبا على قوم مجرمين وعلى آل لوط لاهلاك هؤلاء وانجاء هؤلاء والظاهر انه استثناء منقطع
لان آل لوط لم يندرج في قوله قوم مجرمين لا على عموم البدل لان وصف الاجرام منتف عن آل
لوط ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين ولانتفاء وصف الاجرام عن آل لوط واذا كان استثناء
منقطعا فهو مما يجب فيه النصب لانه من الاستثناء الذي لا يمكن توجه العامل على المستثنى فيه
لانهم لم يرسلوا اليهم اصلا وانما ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوهم
جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجوهم وقد زعم بعض النحويين
في الاستثناء المنقطع المقدر بلكن اذا لم يكن بعده ما يصح ان يكون خبرا ان الخبر محذوف وانه
في موضع رفع لجريان الا وتقديرها بلكن قال الزمخشري **فان قلت** فقوله الا امراته
مم استثني وهل هو استثناء من استثناء **قلت** استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم
وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم
فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق
ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما

قوله عز وجل قال فما خطبكم

في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته
قد تعلق بمنجوهم فاني يكون استثناء من استثناء انتهى ولما استسلف الزمخشري ان الا امراته
مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم لم يجوز ان يكون استثناء من استثناء ومن قال انه
استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه باحد وجهين احدهما انه لما كان الضمير
في لمنجوهم عائدا على آل لوط وقد استثني منه المراة صار كانه مستثنى من آل لوط
لان المضمر هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر ان قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير
الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوهم اجمعين تاكيدا لمعنى
الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط فلم يرسل اليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم
الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم او الا زيدا
لم يقم فهذه الجملة تاكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق
على المستثنى منه فالا امراته على هذا التقدير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء
مما جيء به للتاسيس اولى من الاستثناء مما جيء به للتاكيد وقرأ الاخوان لمنجوهم بالتخفيف
وباقي السبعة بالتشديد وقرأ ابو بكر قدرنا بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد
وكسرت انها اجراء لفعل التقدير مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لترتبه عليه
واسندوا التقدير اليهم ولم يقولوا قدر الله لانهم هم المامورون باهلاكهم
كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو متصرف باوامره امرنا بكذا والآمر هو الملك وقال
الزمخشري لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم انتهى فادرج
مذهب الاعتزال في تفضيل الملائكة في غضون كلامه ووصف قوم بمنكرون لانه
نكرهم نفسه ونفرت منهم وخاف ان يطرقوه بشر وبل اضراب عن قول محذوف اي
ما جئناك بشيء تخافه بل جئناك بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه
اي يشكون في وقوعه او يجادلونك فيه تكذيبا لك بما وعدتهم عن الله ويحتمل
ان يكون نكرهم لكونهم ليسوا بمعروفين في هذا القطر فخاف ان يهجموا منهم عليه
او ان يتعرض اليهم احد من قومه اذ كانوا في صورة شباب حسان مرد واتيناك
بالحق اي باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بحلوله بهم وتقدم الخلاف
في القراءة في فاسر وروى صاحب الاقليد فسر من السير وحكاها ابن عطية وصاحب
اللوامح عن اليماني وحكى منذر بن سعيد ان فرقة قرات بقطع بفتح الطاء وتقدم الكلام
في القطع وفي الالتفات في سورة هود وخطب الزمخشري هنا فقال **فان قلت** ما معنى
امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات **قلت** قد بعث الله الهلاك على قومه
ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد في شكر الله
وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه
وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يفرط منهم التفاتة احتشاما منه
ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد
لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به
وحيث تؤمرون قال ابن عباس الشام وقيل زغر وقيل موضع نجاة غير معروف وقيل
مصر وقيل الى ارض الخليل بمكان يقال له اليقين وحيث على بابها من انها ظرف مكان

وادعا انها قد تكون منها ظرف زمان من حيث انه ليس في الاية امر الا قوله فاسر باهلك
بقطع من الليل ثم قيل له حيث تومر ضعيف ولفظ تومر يدل على خلاف ذلك اذ كان يكون ذلك
التركيب امرتم وحيث من الظروف المكانية المبهمة ولذلك يتعدى اليها الفعل وهو امضوا
بنفسه تقول قعدت حيث قعد زيد وجاء في الشعر دخول في عليها قال الشاعر

• فاصبح في حيث التقينا شريدهم طليق ومكتوف اليدين ومزعف ه

ولما ضمن قضينا معنى اوحينا تعدت تعديتها بالى نحو واوحينا الى لوط مقضيا مبينا والاشارة
بذلك الى ما وعده تعالى من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع
نصب على البدل من ذلك قاله الاخفش او على اسقاط الباء اي بان دابر قاله الفراء وجوزها
الحوفي وان دابر هؤلاء مقطوع كناية عن الاستئصال وتقدم تفسير مثله في قوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا ومصبحين داخلين في الصباح وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع
على المعنى ولذلك جمعه وقدره الفراء وابو عبيدة اذا كانوا مصبحين كما تقول انت راكبا
احسن منك ماشيا فان كان تفسير معنى فصحيح وان اراد الاعراب فلا ضرورة تدعو الى هذا
التقدير وقرأ الاعمش وزيد بن علي ان دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى اوحينا
فكان المعنى اعلمنا علق الفعل فكسرت او لما كان القضا بمعنى الايحاء معناه القول كسران
ويؤيده قراءة عبد الله وقلنا ان دابر وهي قراءة تفسير لا قران لمخالفتها السواد والمدينة
سدوم وهي التي ضرب بقاضيها المثل في الجور ه وجاء اهل المدينة يستبشرون • قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون • واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين
قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين • لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون • فاخذتهم الصيحة
مشرقين • فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل • ان في ذلك
لايات للمتوسمين • وانها لبسبيل مقيم • ان في ذلك لاية للمؤمنين ه استبشارهم
فرحهم بالاضياف الذين وردوا على لوط عليه السلام والظاهر ان هذا المجيء والمحاورة
مع قومه في حق اضيافه وعرضه بناته عليهم كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه
وعلمه بانهم رسل الله ولذلك سماهم ضيفا وخاف الفضيحة لاجل تعاطيهم ما لا
يجوز من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا في هود والواو لا ترتب قال ابن عطية
ويحتمل ان يكون المجيء والمحاورة بعد علمه بهلاكهم وجاورت تلك المحاورة على جهة
التكتم عنهم والاملاء لهم والتربص بهم انتهى ونهاهم عن فضحهم اياه لان من اسا
الى ضيفه او جاره فقد اسا اليه ولا تخزون من الخزي وهو الاذلال او من الخزاية
وهو الاستحيا وفي قولهم اولم ننهك دليل على تقدم نهيهم اياه عن ان يضيف
او يجير احدا او يدفع عنه او يمنع بينهم وبينه فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان هو
صلى الله على نبينا وعليه يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينه وبين من تعرض له فاوعدوه
بانه ان لم ينته اخرجوه وتقدم الكلام في قوله بناتي ومعنى الاضافة في هود وان
كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضا الشهوة فيما احل الله دون ما حرم واللام في لعمرك
لام الابتداء والكاف خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة للوط
لعمرك وكني عن الضلالة والغفلة بالسكرة اي تحيرهم في غفلتهم وضلالتهم منعهم

قوله عز وجل وجا اهل المدينة

عن

عن ادراك الصواب الذي تشير به من ترك البنين الى البنات وقيل الخطاب للرسول
عليه السلام وهو قول الجمهور ابن عباس وابو الجوزاء وغيرهما اقسم تعالى بحياته تكريما له
والعمر بفتح العين وضمها البقاء والزموا الفتح القسم ويجوز حذف اللام وبذلك قرأ
ابن عباس وعمرك وقال ابو الهيثم لعمرك لدينك الذي يعمر وانشد ه

• ايها المنكح الثريا سهيلا • عمرك الله كيف يلتقيان ه

اي عبادتك الله وقال ابن الاعرابي عمرت ربي اي عبدته وفلان عامر لربه اي عابد
قال ويقال تركت فلانا يعمر ربه اي يعبده فعلى هذا لعمرك لعبادتك وقال
الزجاج الزموا الفتح القسم لانه اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك فلزموا
الاخف وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف اي ما اقسم به وقال بعض اصحاب المعاني
لا يجوز ان يضاف الى الله لانه لا يقال لله تعالى عمر وانما يقال هو ازلي وكانه يوهم
ان العمر لا يقال الا فيما له انقطاع وليس كذلك العمر والعمر البقاء ه

قال الشاعر ه

• اذا رضيت علي بنو قشير • لعمر الله اعجبني رضاها ه

وقال الاعشى ه

• ولعمر من جعل الشهور علامة • فبين منها نقصها وكمالها ه

وكره النخعي ان يقال لعمري لانه حلف بحياة المقسم وقال النابغة
لعمري وما عمري علي بهين ه والضمير في سكرتهم عائد على قوم لوط وقال الطبري لقريش
وهذا مروي عن ابن عباس قال ما خلق الله نفسا اكرم على الله من محمد قال له وحياتك
انهم اي قومك من قريش لفي سكرتهم اي في ضلالهم وجهلهم يعمهون يترددون قال ابن عطية
وهذا بعيد لانقطاعه مما قبله ومما بعده وقرأ الاشهب سكرتهم بضم السين وابن ابي عبلة
سكراتهم بالجمع والاعمش سكرهم بغير تاء وابو عمرو في رواية الجهضمي انهم بفتح همزة انهم
والصيحة صيحة الهلاك وقيل صوت جبريل وقال ابن عطية هي صيحة الوجبة وليست
كصيحة ثمود مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس وقيل اول العذاب كان عند
الصبح وامتد الى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والضمير في عاليها سافلها
عائد على المدينة المتقدمة الذكر وقال الزمخشري لقرى قوم لوط ولم يتقدم لفظ القرى
وقال مقاتل وابن زيد للمتوسمين للمتفكرين وقال الضحاك للناظرين •

قال الشاعر ه

• او كلما وردت عكاظ قبيلة • بعثوا الي عريفهم يتوسم •

وقال ابو عبيدة للمتبصرين وقال قتادة للمعتبرين وروى نهشل عن ابن عباس
للمتوسمين قال لاهل الصلاح والخير والضمير في وانها عائد على المدينة المهلكة اي انها
لبطريق ظاهر بين للمعتبر قاله مجاهد وقتادة وابن زيد قيل ويحتمل ان يعود على الايات
ويحتمل ان يعود على الحجارة وقوله لبسبيل اي ممر ثابت وهي بحيث يراها الناس
ويعتبرون بها لم تندرس وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
وقيل عائد على الصيحة اي ان الصيحة لبمرصد لمن يعمل عملهم لقوله وما هي من الظالمين
ببعيد وقيل مقيم معلوم وقيل معتد دائم السلوك وقال ابن عباس لهلاك دائم ان في ذلك

قوله عز وجل وإن كان

أي في صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلاً لمن آمن بالله ه وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين
فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ه هم قوم شعيب والأيكة التي أضيفوا إليها كانت
شجر الدوم وقيل المقل وقيل السدر وقيل الأيكة اسم الناحية فيكون علماً ويقويه
قراءة من قرأ في الشعراء وص ليكة ممنوع الصرف كفروا فسلط الله عليهم الحر وأهلكوا
بعذاب الظلة ويأتي ذلك مستوفى في سورة الشعراء وإن عند البصريين هي المخففة
من الثقيلة وعند الفراء نافية واللام بمعنى إلا وتقدم نظير ذلك في وإن كانت لكبيرة
في البقرة والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في وإنهما عائد على قريتي قوم لوط وقوم شعيب
أي وإنهما على ممر السابلة وقيل يعود على لوط وشعيب أي وإنهما لبإمام مبين أي لبطريق
من الحق واضح والإمام الطريق وقيل وإنهما أي الخبر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة
لفي مكتوب مبين أي اللوح المحفوظ قال مؤرج والإمام الكتاب بلغة حمير وقيل يعود
على أصحاب الأيكة ومدين لأنه مرسل إليهما فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير إليهما

قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب

ه ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين • وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين • وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين • فأخذتهم الصيحة مصبحين • فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ه أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام والحجر أرض بين الحجاز والشام وتقدمت
قصتهم في الأعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لأن من كذب واحداً منهم فكأنما
كذبهم جميعاً قال الزمخشري أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون
في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال
لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب
هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه ثم قال
هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلا رجلاً كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل
من هو يا رسول الله قال أبو رغال وإليه تنسب ثقيف وآتيناهم آياتنا قيل أنزل إليهم
آيات من كتاب الله وقيل يراد نصب الأدلة فأعرضوا عنها وقيل كان في الناقة آيات
خمس خروجها من الصخرة ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها
حتى يكفيهم جميعاً وقيل كانت له آيات غير الناقة وقرأ الجمهور تنحتون بكسر الحاء وقرأ
الحسن وأبو حيوة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها قد ذكر مرة لك منا لا
ومن نقرهم بالمعاول ونحوها في الحجارة وآمنين قيل من الانهدام وقيل من حوادث الدنيا
وقيل من الموت لاغترارهم بطول الأعمار وقيل من نقب اللصوص ومن الأعداء وقيل
من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه قال ابن عطية وأصح ما يظهر في ذلك أنهم
كانوا يأمنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها
ومصبحين داخلين في الصباح والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ويحتمل الاستفهام
المراد منه التعجب وما في ما كانوا يحتمل أن تكون مصدرية والظاهر أنها بمعنى الذي
والضمير محذوف أي يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد بل خروا جاثمين

قوله عز وجل وما خلقنا

هلكى ه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية
فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم • ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن
العظيم • لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك

للمؤمنين

للمؤمنين • وقل إني أنا النذير المبين • كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون • فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
إنا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون • ولقد نعلم
أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين ه إلا بالحق أي خلقاً ملتبساً بالحق لم يخلق شيء من ذلك عبثاً والإهمال
بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشأة الآخرة بحدوث النشأة
الأولى ولذلك نبه من ينتبه بقوله وإن الساعة لآتية فيجازي من أطاع ومن عصى
ثم أمر نبيه بالصفح وذلك يقتضي المهادنة وهي منسوخة بآية السيف قاله قتادة
أو إظهار الحلم عنهم والإغضاء لهم ولما ذكر خلق السموات والأرض وما بينهما قال إن ربك
هو الخلاق أتى بصفة المبالغة لكثرة ما خلق والخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاء
وقال الزمخشري الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى
عليه ما يجري بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح
اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح وقرأ زيد بن علي والجحدري والأعمش ومالك
ابن دينار هو الخالق وكذا في مصحف أبي وعثمان من المثاني والمثاني جمع مثناة والمثنى
كل شيء يثنى أي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء ثنياً أي عطفته وضممت إليه آخر ومنه
يقال لركبتي الدابة ومرفقيه مثاني لأنه يثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي
معاطفه فتقول سبعاً من المثاني مفهوم سبعة أشياء من جنس الأشياء التي يثنى وهذا
مجمل ولا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل منفصل قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد
وابن جبير السبع هنا هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام
والأعراف والأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وسميت
الطول مثاني لأن الحدود والفرائض والأمثال ثنيت فيها قاله ابن عباس وعلى قوله
من لبيان الجنس وقيل السابعة سورة يونس قاله ابن جبير وقيل براءة وحدها قاله
أبو مالك والمثاني على قول هؤلاء وابن عباس في قوله المتقدم القرآن كما قال تعالى
كتاباً متشابهاً مثاني وسمي بذلك لأن القصص والأخبار تثنى فيه وتردد وقيل
السبع آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع وقيل السبع هي المعاني التي أنزلت
في القرآن أمر ونهي وبشارة وإنذار وضرب أمثال وتعداد النعم وأخبار الأمم
قاله زياد بن أبي مريم وقال عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس أيضاً والحسن
وأبو العالية وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وجماعة السبع هنا هي آيات الحمد
قال ابن عباس هي سبع ببسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره سبع دون البسملة وقال
أبو العالية لقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطول شيء ولا ينبغي أن يعدل
عن هذا القول بل لا يجوز العدول عنه لما في حديث أبي في آخره هي السبع المثاني وحديث
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها السبع المثاني وأم القرآن وفاتحة الكتاب
وسميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى جوزه
الزجاج قال ابن عطية وفي هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى ولا نظر في ذلك
لأنها جمع مثنى بضم الميم مفعل من أثنى رباعياً أي مقر ثناء على الله تعالى إذ فيها ثناء

على الله تعالى وقال ابن عباس لان الله استثناها لهذه الامة ولم يعطها لغيرها وقال
نحوه ابن ابي مليكة وعلى هذا التفسير الوارد في الحديث تكون من لبيان الجنس كانه قيل
التي هي المثاني وكذا في قول من جعلها اسباع القران او سبع المعاني واما من جعلها
السبع الطوال او الحواميم فمن للتبعيض وكذا في قول من جعل سبعا الفاتحة والمثاني
القران قال الزمخشري يجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها
من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها **وقرأ** الجمهور والقران العظيم بالنصب
فان عني بالسبع الفاتحة او السبع الطوال كان ذلك من عطف العام على الخاص
وصار الخاص مذكورا مرتين احداهما بجهة الخصوص والاخرى بجهة العموم ولان
ما دون الفاتحة او السبع الطوال ينطلق عليه لفظ القران اذ هو اسم يقع على البعض
الذي كما يقع على كله وان عني الاسباع فهو من باب عطف الشي على نفسه من حيث ان المعنى
ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين
وهو الثنا او التثنية والعظم **وقرأت** فرقة والقران العظيم بالخفض عطفا
على المثاني وابعد من ذهب الى ان الواو مقحمة وان التقدير سبعا من المثاني القران العظيم
ولما ذكر تعالى ما انعم على رسوله من اياته بما اتاه نهاه وقد قلنا ان النهي لا يقتضي الملابسة
ولا المقاربة عن طموح عينه الى شي من متاع الدنيا وهذا وان كان خطابا للرسول فالمعنى
نهي امته عن ذلك لان من اوتي القران شغله النظر فيه والامتثال لتكاليفه وفهم معانيه
عن الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشي انما هو لاستحسانه وايثاره قال ابن عباس
اي لا تتمنين ما فضلنا به احدا من متاع الدنيا ازواجا منهم اي رجالا مع نسائهم او امثالا
في النعم او اصنافا من اليهود والنصارى والمشركين اقوال ونهاه تعالى عن الحزن
عليهم ان لم يؤمنوا وكان كثيرا لشفقته على من بعث اليه وادا ان يؤمنوا بالله كلهم فكان
يلحقه الحزن عليهم فنهاه تعالى عن الحزن على من لم يؤمن وامره بخفض جناحه لمن امن
وهي كناية عن التلطف والرفق واصله ان الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه
له ثم قبضه على فرخه والجناحان من ابن ادم جانباه ثم امره ان يبلغ انه هو النذير
الكاشف لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تؤمنوا وانزال نقم الله المخوفة بكم
والكاف قال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك
اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران
عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول
بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤونه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض
والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا
بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين اي وانذر قريشا
مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير
جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان

يكون

يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤون القران
الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر
ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد
ابن المغيرة والعاصي بن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط
الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم
فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى
توسط لا تمدن الى اخره بينهما **قلت** لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين انتهى اما
الوجه الاول وهو تعلق كما باتيناك فذكره ابو البقا على تقدير وهو ان تكون في موضع
نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره اتيناك سبعا من المثاني ايتاء كما انزلنا او انزالا
كما انزلنا لان اتيناك بمعنى انزلنا عليك واما قوله ان المقتسمين هم اهل الكتاب
فهو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس واما قوله اقتسموا القران
فهو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير واما قوله اقتسموه فقال بعضهم
سورة البقرة لي الى اخره فقاله عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب
والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصي والحرث بن قيس ذكروا القران فمن قايل
البعوض لي ومن قايل النمل لي وقايل الذباب لي وقايل العنكبوت لي استهزا فاهلك
الله جميعهم واما قوله ان القران عبارة عما يقرؤونه من كتبهم الى اخره فقاله مجاهد
واما قوله ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
فلا يجوز ان يكون منصوبا بالنذير كما ذكر لانه موصوف بالمبين ولا يجوز ان يعمل اذا
وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا عالم شجاع علم النحو فتفصل
بين عالم وعلم بقوله شجاع واجاز ذلك الكوفيون وهي مسئلة خلافية تذكر دلايلها
في علم النحو واما قوله الذين يجزؤون القران الى سحر وشعر واساطير فروي عن
قتادة الا انه قال بدل شعر كهانة واما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو
قول ابن السايب وفيه ان الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم
شاعر وبعضكم غاو وهم حنظلة بن ابي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد
ابن المغيرة وابو جهل والعاصي بن هشام وابو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير
ابن امية وهلال بن عبد الاسود والسايب بن صيفي والنضر بن الحرث وابو البختري
ابن هشام وزمعة بن الحجاج وامية بن خلف واوس بن المغيرة تقاسموا على تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهلكوا جميعا واما قوله انهم الذين تقاسموا على ان
يبيتوا صالحا فقول عبد الرحمن بن زيد وقال ابن عطية والكاف من قوله كما متعلقة
بمحذوف تقديره وقل اني انا النذير عذابا كالذي انزلنا على المقتسمين فالكاف اسم
في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لان كما ليس مما يقوله محمد

...بفعل

عليه السلام من قول الله تعالى فينفصل الكلام وانما يترتب هذا القول بان يقدر ان
الله تعالى قال له انذر عذابا كما والذي اقول في هذا المعنى وقل انا النذير المبين كما
قال قبلك رسلنا وانزلنا عليهم كما انزلنا عليك ويحتمل ان يكون المعنى وقل اني انا
النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا وهذا على ان المقتسمين اهل
الكتاب انتهى اما قوله وهو عندي غير صحيح الى اخره فقد استبعد بعضهم عن ذلك
فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره انا النذير بعذاب مثل ما انزلنا
وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الملك هو الامر
واما قوله والذي اقول في هذا المعنى الى اخره فكلام شيخ واصله من الناسخ ولعله
ان يكون وانزلنا عليك كما انزلنا عليهم وقال ابو البقاء وقيل التقدير متعناهم تمتيعا
كما انزلنا والمعنى نعمنا بعضهم كما عذبنا بعضهم وقيل التقدير انذارا مثل ما انزلنا
فيكون وصفا للمصدر وقيل هو وصف لمفعول تقديره لنسألنهم اجمعين مثل ما انزلنا انتهى
وقيل الكاف زائدة التقدير انا النذير المبين ما انزلناه على المقتسمين وهذه اقوال
وتوجيهات متكلفة والذي يظهر لي انه تعالى لما امره بان لا يحزن على من لم يؤمن وامره
بخفض جناحه للمؤمنين امره ان يعلم المؤمنين وغيرهم انه هو النذير المبين لئلا يظن
المؤمنون انهم لما امر عليه السلام بخفض جناحه لهم خرجوا من عهدة النذارة فامر تعالى
بان يقول لهم اني انا النذير المبين لكم ولغيركم كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها
وتكون الكاف نعتا لمصدر محذوف تقديره وقل قولا مثل ما انزلنا على المقتسمين انك
نذير لهم فالقول للمؤمنين في النذارة كالقول للكفار المقتسمين لئلا يظن انذارك
للكفار مخالف لانذار المؤمنين بل انت في وصف النذارة لهم بمنزلة واحدة تنذر
المؤمن كما تنذر الكافر كما قال تعالى نذير وبشير لقوم يؤمنون والظاهر ان الذين صفة
للمقتسمين وجوزوا ان يكون خبر مبتدا محذوف ويجوز ان ينتصب على الذم وتقدم تجويز
الزمخشري له ان يكون مفعولا بالنذير فوربك اقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافا
الى رسوله على جهة التشريف والضمير في لنسألنهم يظهر عوده على المقتسمين وهو
وعيد من سؤال التقريع ويقال انه يعود على الجميع من كافر ومؤمن اذ تقدم ذكرهما والسؤال
عام للخلق ويجوز ان يكون السؤال كناية عن الجزاء وعن ما كانوا يعملون عام في جميع
الاعمال وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عن ما كانوا يعبدون وما
اجابوا المرسلين وقال ابن عباس يقال لهم لم عملتم كذا قال انس وابن عمر
ومجاهد السؤال عن لا اله الا الله وذكر الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت
ذلك فيكون المعنى عن الوفاء بلا اله الا الله والصدق لمقالها كما قال الحسن ليس
الايمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال
وقال ابن عباس فاصدع بما تؤمر امضه وقال الكلبي اجهر به واظهره من الصديع
وهو الفجر قال الشاعر
كأن بياض غرته صديع ﴿ وقال السدي تكلم بما تؤمر وقال ابن زيد اعلم بالتبليغ
وقال ابن بحر جرد لهم القول في الدعاء الى الايمان وقال ابو عبيدة عن رؤبة ما في
القرآن اغرب من قوله فاصدع بما تؤمر وما في بما بمعنى الذي والمفعول الثاني

محذوف

محذوف تقديره بما تؤمر وكان اصله تؤمر به من الشرائع فحذف الحرف فتعدى الفعل اليه
وقال الاخفش ما موصولة والتقدير فاصدع بما تؤمر بصدعه فحذف المضاف ثم الجار
ثم الضمير وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني
للمفعول انتهى وهذا ينبني على مذهب من يجوز ان يكون المصدر مرادا به ان والفعل المبني للمفعول
والصحيح ان ذلك لا يجوز واعرض عن المشركين من الايات التي نسختها
اية السيف قاله ابن عباس ثم اخبره تعالى انه كفاه المستهزئين بخطابيه اصابتهم
لم يسع فيها الرسول ولا تكلف لها مشقة قال عروة وابن جبير هم خمسة الوليد
ابن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب ابو زمعة والاسود بن عبد يغوث
ومن بني خزاعة الحرث بن الطلاطلة قال ابو بكر الهذلي قلت للزهري ان ابن جبير وعكرمة
اختلفا في رجل من المستهزئين فقال ابن جبير هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث
ابن قيس فقال الزهري صدقا امه عيطلة وابوه قيس وذكر الشعبي في المستهزئين هبار
ابن الاسود وذلك وهم لان هبارا اسلم يوم الفتح ورحل الى المدينة وعن ابن عباس ان
المستهزئين كانوا ثمانية وفي رواية مكان الحرث بن قيس عدي بن قيس وقال الشعبي
وابن ابي بزة كانوا سبعة فذكرا الوليد والحرث بن عدي والاسودين والاثرم وبعككا
ابني الحرث بن السباق وكذا قال مقاتل الا انه قال مكان الحرث بن عدي الحرث بن قيس
السهمي وذكر المفسرون والمورخون ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فمنعه
الكبر ان يطامن لنزعه فاصاب عرقا في عقبه قال قتادة ومقسم وهو الاكحل فقطعه
فمات واومأ الى اخمص العاصي فدخلت فيه شوكة وقيل ضربته حية فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات واومأ الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي وهلك واشار الى
انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات وقيل اصابته سموم فاسود حتى صار كانه
حبشي فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب في وجهه فصار يطوف في شعاب مكة حتى
مات وفي بعض ما اصاب هولاء اختلاف والله اعلم وقال مقاتل اصاب الاثرم
وبعككا الزبيلة والاخر ذات الجنب فماتا فسوف يعلمون وعيد لهم بالمجازاة على
استهزائهم وجعلهم الها مع الله في الاخرة كما جوزوا في الدنيا وكني بالصدر عن القلب
لانه محله وجعل سبب الضيق ما يقولون وهو ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن
فيما جاء به ثم امره تعالى بتنزيهه عما نسبوا اليه من اتخاذ الشريك معه مصحوبا بحمد
والثناء على ما اسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا
في المعتقد والفعل القلبي وامره بكونه من الساجدين والمراد والله اعلم من المصلين
فكنى بالسجود عن الصلاة وهي اشرف افعال الجسد واقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادا وهو فعل القلب وقولا وهو ما تقولون
في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة امر تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله ومن
السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم امره تعالى بالعبادة التي هي
شاملة لجميع انواع ما يتقرب به الى الله تعالى وهذه الاوامر معناها دم على كذا لانه
صلى الله عليه وسلم ما دام متلبسا بها اي دم على التسبيح والسجود والعبادة والجمهور على ان

المراد باليقين الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وهو تفسير ابن عمر ومجاهد والحسن
وقتادة وابن زيد ومنه قوله عليه السلام في عثمان بن مظعون عند موته اما هو فقد
رأى اليقين ويروى فقد جاءه اليقين وليس اليقين من اسماء الموت وانما العلم به
يقين لا يمتري فيه عاقل فسمي يقينا تجوزا اي يأتيك الامر اليقين علمه ووقوعه
وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى حتى يأتيك اليقين في النصر الذي وعدته انتهى
وقال ابن بحر قال اليقين النصر على الكافرين انتهى وحكمة الغية باليقين وهو الموت
انه يقتضي ديمومة العبادة ما دام حيا بخلاف الاقتصار على الامر بالعبادة غير
مغيى لانه يكون مطلقا فيكون مطيعا بالمرة الواحدة والمقصود ان لا يفارق العبادة
حتى يموت •

مفردات اوائل سورة النحل

النطفة القطرة من الماء نطف رأسه ماء اي قطر • الدفء اسم لما يدفأ به اي يسخن
وتقول العرب دفئ يومنا فهو دفيء اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد ودفئ الرجل
دفاوة ودفاء وجمع الدفء ادفاء ورجل دفآن وامرأة دفأى والمدفئة الابل الكثيرة
الاوبار لان دفأ بعضها بعضا بانفاسها وقد يشدد وعن الاصمعي المدفئة الكثيرة الاوبار
والشحوم وقال الجوهري الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها • البغل
معروف ولعمرو بن بحر الجاحظ كتاب البغال • الحمار معروف يجمع في القلة على احمرة
وفي الكثرة على حمر وهو القياس وعلى حمير • الطري فعيل من طرو يطرو طراوة مثل سرو
يسرو سراوة وقال الفراء طري يطرى طراة وطراوة مثل شقي يشقى شقاء وشقاوة
المخر شق الماء عن يمين وشمال يقال مخر الماء الارض وقال الفراء صوت جري الفلك
بالرياح وقيل الصوت الذي يكون من هبوب الريح اذا اشتدت وقد يكون من السفينة
ونحوها اذا تحركت • السقف معروف ويجمع على سقوف وهو القياس وعلى سقف وسقف
وفعل وفعل محفوظان في فعل وليسا مقيسين فيه •

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم • اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه
وتعالى عما يشركون • ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون • خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون •
خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع ومنها تاكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم • والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون • وعلى الله قصد السبيل
ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين • قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر هي كلها
مكية وقال ابن عباس الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهي قوله
ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله باحسن ما كانوا يعملون وقيل
الا ثلاث آيات وان عاقبتم الآية نزلت في المدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى
احد وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا وقيل
من اولها الى قوله يشركون مكي وما سواه مدني وعن قتادة عكس هذا ووجه



ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم اجمعين كان ذلك تنبيها على
حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما اجرموه في دار الدنيا فقيل اتى امر الله وهو يوم
القيامة على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالامر نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهوره على الكفار وقال الزمخشري كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة
او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد انتهى وهذا الثاني قاله
ابن جريج قال الامر هنا ما وعد الله نبيه من النصر والظفر باعدائه والانتقام
منهم بالقتل والسبي ونهب الاموال والاستيلاء على منازلهم وديارهم وقال
الضحاك الامر هنا مصدر امر والمراد به فرائضه واحكامه قيل وهذا فيه بعد
لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل فرائض من قبل ان تفرض عليهم وقال
الحسن وابن جريج ايضا الامر عقاب الله لمن اقام على الشرك وتكذيب الرسول واستعجال
العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم وقريب من هذا القول قول الزجاج هو ما وعدهم
به من المجازاة على كفرهم وقيل الامر بعض اشراط الساعة واتى قبل باق على معناه من
المضي والمعنى اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا وقيل اتى امر الله اتت مباديه
واماراته وقيل عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفي ذلك وعيد
للكفار وقرأ الجمهور تستعجلوه بالتاء على الخطاب وهو خطاب للمؤمنين او خطاب
للكفار على معنى قل لهم فلا تستعجلوه وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
وقرأ ابن جبير بالياء نهيا للكفار والظاهر عود الضمير في فلا تستعجلوه على الامر لانه
هو المحدث عنه وقيل يعود على الله اي فلا تستعجلوا الله بالعذاب او باتيان يوم القيامة
كقوله ويستعجلونك بالعذاب وقرأ حمزة والكسائي تشركون بتاء الخطاب وباقي السبعة
والاعرج وابو جعفر وابن نصاح وابو رجاء والحسن وقرأ عيسى الاولى بالتاء من فوق
والثانية بالياء وبالتاء من فوق معا الاعمش وابو العالية وطلحة وابو عبد الرحمن
وابن وثاب والجحدري وما يحتمل ان يكون بمعنى الذي ومصدرية وافصل قراءته
عما يشركون باستعجالهم لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل مخففا وباقي السبعة مشددا وزيد بن علي والاعمش وابو بكر
تنزل مشددا مبنيا للمفعول الملائكة بالرفع والجحدري كذلك الا انه خفف والحسن
وابو العالية والاعرج والمفضل عن عاصم ويعقوب بفتح التاء مشددا مبنيا للفاعل
وقرأ ابن ابي عبلة ننزل بنون العظمة والتشديد وقتادة بالنون والتخفيف قال
ابن عطية وفيهما شذوذ كثير انتهى وشذوذهما ان ما قبله وما بعده ضمير غيبة
ووجهه انه التفات والملائكة هنا جبريل وحده قاله الجمهور والملائكة المشار
اليهم بقوله والنازعات غرقا وقال ابن عباس الروح الوحي تنزل به الملائكة
على الانبياء ونظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وقال الربيع بن انس هو القرآن
ومنه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال مجاهد المراد بالروح ارواح الخلق
لا ينزل ملك الا ومعه روح وقال الحسن وقتادة الروح الرحمة وقال الزجاج
ما معناه الروح الهداية لانها تحيي بها القلوب كما تحيي الابدان بالارواح وقيل الروح
جبريل ويدل عليه نزل به الروح الامين ويكون الباء للحال اي ملتبسة بالروح وقيل

بمعنى مع وقيل الروح حفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما الملائكة حفظة علينا
لا نراهم وقال مجاهد ايضا الروح اسم ملك ومنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
وعن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله كصور بني آدم لا ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد
منهم وقال نحوه ابن جريج قال ابن عطية وهذا قول ضعيف لم يأت به سند وقال
الزمخشري بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين
مقام الروح في الجسد انتهى ومن للتبعيض او لبيان الجنس ومن يشاء هم الانبياء عليهم
السلام وان مصدرية وهي التي من شأنها ان تنصب المضارع وصلت بالامر كما وصلت
في قولهم كتبت اليه بان قم وهو بدل من الروح او على اسقاط الخافض بان انذروا فيجري
الخلاف فيه اهو في موضع نصب او في موضع خفض وقال الزمخشري وان انذروا بدل من الروح
اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا انه لا اله الا انا
انتهى فجعلها المخففة من الثقيلة واضمر اسمها وهو ضمير الشان وقدر اضمار القول حتى
يكون الخبر جملة خبرية وهي اقول ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة كونها الثنائية
التي من شأنها نصب المضارع وجوز ابن عطية وابو البقاء وصاحب الغنيان ان تكون ان مفسرة
فلا موضع لها من الاعراب وذلك لما في التنزيل بالوحي من معنى القول اي اعلموا الناس من نذرت
بكذا اذا اعلمته قال الزمخشري والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا
فاتقون انتهى لما جعل ان هي التي حذف منها ضمير الشان قدر هذا التقدير وهو يقول لهم اعلموا
وقرئ لينذروا انه وحسنت النذارة هنا وان لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من حيث كان
المنذرون كافرين بالوهية الله ففي ضمن امرهم مكان خوف وفي ضمن الاخبار بالوحدانية
نهي عما كانوا عليه ووعيد وتحذير من عبادة الاوثان ومعنى فاتقون اي اتقوا عقابي باتخاذكم
الها غيري وجاءت الحكاية على المعنى في قوله الا انا ولو جاءت على اللفظ لكان لا اله الا
الله وكلاهما سائغ وحكاية المعنى ابلغ اذ فيها نسبة الحكم الى ضمير المتكلم المنزل
الملائكة بخبر دال على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق
السموات والارض وهم مقرون بانه تعالى خالقهما وبالحق اي بالواجب اللائق
وذلك انها تدل على صفات يحق لمن كانت له ان يخلق ويخترع وهي الحياة والعلم
والقدرة والارادة بخلاف شركائهم التي لا يحق لها شي من ذلك وقرأ الاعمش
فتعالى بزيادة فاء وجاءت هذه الجملة منبهة على تنزيه الله موجد هذا العالم العلوي
والعالم السفلي عن ان يتخذ معه شريك في العبادة ولما ذكر ما دل على وحدانيته
من خلق العالم العلوي والارض وهو استدلال بالخارج ذكر الاستدلال من نفس
الانسان فذكر انشاءه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وكان حقه والواجب عليه
ان يطيع وينقاد لامر الله والخصيم من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم او بمعنى
مخاصم كالخليط والجليس والمبين الظاهر الخصومة او المظهرها والظاهر ان سياق
هذين الوصفين سياق ذم لما تقدم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله ان انذروا
الآية ولتكرير تعالى عما يشركون ولقوله في يس اولم ير الانسان الآية وقال
بل هم قوم خصمون وعني بهم مخاصمتهم لانبياء الله واوليائه بالحجج الداحضة واكثر
ما ذكر الانسان في القرآن في معرض الذم او مردفا بالذم وقيل المراد بالانسان

هنا

هنا ابي بن خلف الجمحي وقال قوم هما في سياق المدح لانه تعالى قواه على منازعة
الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجمادية وهو كونه نطفة
الى الحالة العالية الشريفة وهي حالة النطق والابانة واذا هنا للمفاجأة وبعد
خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة الا بعد احوال تطورت فيها فتلك الاحوال
محذوفة وتقع المفاجأة بعدها وقال ابو عبد الله الرازي اعلم ان اشرف الاجسام
بعد الافلاك والكواكب هو الانسان ثم ذكر الانسان وانه مركب من بدن ونفس في كلام
كثير يوقف عليه في تفسيره ولا نسلم ما ذكر من ان الافلاك والكواكب اشرف من الانسان
ولما ذكر خلق الانسان ذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته فذكر اولا اكثرها منافع
والزمها لمن انزل القرآن بلغتهم وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام في الانعام
والاظهر ان يكون لكم فيها دفء استئنافا لذكر ما ينتفع به من جهتها ودفء مبتدا
وخبره لكم ومتعلق فيها بما في لكم من معنى الاستقرار وجوز ابو البقاء ان يكون فيها حالا
من دفء اذ لو تأخر لكان صفة وجوزوا ايضا ان يكون لكم حالا من دفء وفيها الخبر وهذا
لا يجوز لان الحال اذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة باسرها لا يجوز
قائما في الدار زيد فان تأخرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف او توسطت فاجاز ذلك
الاخفش ومنعه الجمهور واجازوا ايضا ان يرتفع دفء بلكم او بفيها والجملة كلها حال من الضمير
المنصوب انتهى ولا تسمى جملة لان التقدير خلقها لكم فيها دفء او خلقها لكم كائنا فيها
دفء وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة وجوزوا ان يكون لكم متعلقا بخلقها وفيها
دفء استئنافا لذكر منافع الانعام ويؤيد كون لكم فيها دفء يظهر فيه الاستئناف مقابلته
بقوله ولكم فيها جمال فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية وقال ابن عباس
الدفء نسل كل شيء وذكر الاموي في لغة بعض العرب والظاهر ان نصب والانعام على
الاشتغال وحسن النصب كون جملة فعلية تقدمت ويؤيد ذلك قراءته في الشاذ برفع
الانعام وقال الزمخشري وابن عطية يجوز ان يكون قد عطف على الانسان وعلى هذا يكون لكم
استئنافا او متعلق بخلقها وقرأ الزهري وابو جعفر دف بضم الفاء وشدها وتنوينها
ووجهه انه نقل الحركة من الهمزة الى الفاء بعد حذفها ثم شدد الفاء اجراء للوصل مجرى
الوقف اذ يجوز تشديدها في الوقف وقرأ زيد بن علي دف بنقل الحركة وحذف الهمزة
دون تشديد الفاء وقال صاحب اللوامح الزهري دف بضم الفاء من غير همز والفاء محركة
بحركة الهمزة المحذوفة ومنهم من يعوض من هذه الهمزة فيشدد الفاء وهو احد وجهي حمزة
ابن حبيب وقفا وقال مجاهد ومنافع الركوب والحمل والالبان والسمن والنضح عليها
وغير ذلك وافرد منفعة الاكل بالذكر كما افرد منفعة الدفء لان الاكل من اعظم المنافع وقال
الزمخشري فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل
من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل
من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه
وما قاله بناء منه على ان تقديم الظرف او المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه
ذلك في قوله اياك نعبد والظاهر ان من للتبعيض كقولك اذا اكلت من الرغيف وقال
الزمخشري ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تأكلونها منها

ويكتسبون بأكراء الإبل ويبيعون نتاجها وألبانها وجلودها انتهى فعلى هذا يكون التبعيض
مجازاً أو تكون من للتبيين ٥ الجمال مصدر جمل بضم الميم والرجل جميل والمرأة جميلة وجملاء عن الكسائي

وأنشد ٥

• فهي جملاء كبدر طالع • بذت الخلق جميعاً بالجمال ٥

ويطلق الجمال ويراد به التجمل كأنه مصدر على إسقاط الزوائد والجمال يكون في الصورة
بحسن التركيب يدركه البصر ويلقيه في القلب فتتعلق به النفس من غير معرفة وفي الأخلاق
باشتمالها على الصفات المحمودة كالعلم والعفة والحلم وفي الأفعال بوجودها ملائمة
لمصالح الخلق وجلب المنفعة إليهم وصرف الشر عنهم والجمال الذي لنا في الأنعام هو
خارج عن هذه الأنواع الثلاثة والمعنى أنه لنا فيها تجمل وعظمة عند الناس باقتنائها ودلالتها
على سعادة الإنسان في الدنيا وكونه فيها من أهل السعة فمن تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع
الضروري لأن التجمل بها من أغراض أصحاب المواشي ومفاخر أهلها والعرب تفتخر بذلك ألا ترى
إلى **قول الشاعر** ٥

• لعمري لقوم قد نرى أمس فيهم • مرابط للأمهار والعكر الدثر •
• أحب إلينا من أناس بقنة • يروح على آثار شائهم النمر •

والعكرة من الإبل ما بين الستين إلى السبعين والجمع عكر والدثر الكثير ويقال أراح الماشية
ردها بالعشي من المرعى وسرحها يسرحها سرحاً وسروحاً أخرجها غدوة إلى المرعى وسرحت هي
يكون متعدياً ولازماً وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع إذا سقط الغيث وكثر الكلأ وخرجوا
للنجعة وقدم الإراحة على السرح لأن الجمال فيها أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حاملة
الضروع متراوحة إلى الحظائر بخلاف وقت سرحها وإن كانت في الوقتين تزين الأفنية
وتجاوب فيها الرغاء والثغاء فتأنس أهلها وتفرح أربابها وتجلها أعين الناظرين إليها
وتكسبهم الجاه والحرمة لقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى
زين للناس حب الشهوات ثم قال تعالى والأنعام والحرث **وقرأ** عكرمة والضحاك
والجحدري حيناً فيهما بالتنوين وفك الإضافة وجعلوا الجملتين صفتين حذف منهما
العائد كقوله واتقوا يوماً لا تجزي ويكون العامل في حيناً على هذا إما المبتدأ لأنه
في معنى التجمل وإما خبره بما فيه من معنى الاستقرار والأثقال الأمتعة واحدها ثقل وقيل
الأجسام لقوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها أي أجساد بني آدم وقوله إلى بلد لا يراد به
معين أي إلى بلد بعيد توجهتم إليه لأغراضكم وقيل المراد به معين وهو مكة قاله ابن عباس
وعكرمة والربيع بن أنس وقيل مدينة الرسول وقيل مصر وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل
لا على المراد إذ المنة لا تختص بالحمل إليها ولم تكونوا بالغيه صفة للبلد ويحتمل أن يكون
التقدير بها وذلك تنبيه على بعد البلد وأنه مع الاستعانة بالحمل الأثقال لا يصلون
إليه إلا بالمشقة أو يكون التقدير لم تكونوا بالغيه بأنفسكم دونها إلا بالمشقة فمن تحملوا
على ظهوركم أثقالكم **وقرأ** الجمهور بشق بكسر الشين **وقرأ** مجاهد والأعرج وأبو جعفر وعمرو
ابن ميمون وابن أرقم بفتحها ورويت عن نافع وأبي عمرو وهما مصدران معناهما المشقة
وقيل الشق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويعني به المشقة •

وقال الشاعر في الكثير ٥

• وذي إبل يسعى ويحسبها له • أخي نصب من شقها ودؤوب ٥

أي من مشقتها وشق الشيء نصفه وعلى هذا حمله الفراء هنا أي بذهاب نصف الأنفس
كأنها قد ذابت تعباً ونصباً كما تقول لا تقدر على كذا إلا بذهاب جل نفسك وبقطعة من
كبدك ونحو هذا من المجاز ويقال أخذت شق الشاة أي نصفها والشق الجانب والأخ
الشقيق وشق اسم كاهن وناسب الامتنان بهذه النعمة من حملها الأثقال الختم بصفة
الرأفة والرحمة لأن من رأفته تيسير هذه المصالح وتسخير الأنعام لكم ولما ذكر تعالى
منته بالأنعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التي ليست
بضرورية **وقرأ** الجمهور والخيل وما عطف عليه عطفاً على والأنعام **وقرأ** ابن أبي عبلة
بالرفع ولما كان الركوب أعظم منافعها اقتصر عليه ولا يدل ذلك على أنه لا يجوز أكل
الخيل خلافاً لمن استدل بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل إلى الركوب
بوساطة الحرف وكلاهما مفعول من أجله لأن التقدير خلقها والركوب من صفات المخلوق
لهم فذلك فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل فعدي باللام والزينة من وصف
الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل إليه بنفسه وقال ابن عطية وزينة نصب بإضمار
فعل تقديره وجعلناها زينة وروى قتادة عن ابن عباس لتركبوها زينة بغير واو
قال صاحب اللوامح والزينة مصدر أقيم مقام الاسم وانتصابه على الحال من الضمير
في خلقها أو من لتركبوها وقال الزمخشري أي وخلقها زينة لتركبوها أو بجعل زينة
حالاً من ها وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال وقال ابن عطية والنصب حينئذ على الحال
من الهاء في تركبوها والظاهر نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى فقال الجمهور المعنى ما لا
تعلمون من الآدميين والحيوانات والجمادات التي خلقها كلها لمنافعكم فأخبرنا بأن له
من الخلائق ما لا علم لنا به لتزداد دلالة على قدرته بالإخبار وإن طوى عنا علمه لحكمة له في
طيه وما خلق تعالى من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمه بشر وقال قتادة ما لا تعلمون أصل
حدوثه كالسوس في النبات والدود في الفواكه وقال ابن بحر لا تعلمون كيف يخلقه
وقال مقاتل ما أعد الله لأوليائه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر قال الطبري وزاد بعد في الجنة وفي النار لأهلها وأليق
بالمعنى ورويت تفاسير في ما لا تعلمون في الحديث وعن ابن عباس ووهب بن منبه والشعبي
الله أعلم بصحتها ويظهر لما ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاعاً ضرورياً وغير ضروري
أعقب بذكر الحيوان الذي لا ينتفع به غالباً على سبيل الإجمال إذ تفاصيله خارج عن الإحصاء
والعد والقصد مصدر يوصف به بمعنى السبيل قصد وقاصد إذا كان مستقيماً كأنه
يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ فقيل مفرد
المدلول وأل فيه للعهد وهي سبيل الشرع وليست للجنس إذ لو كانت له لم يكن منها
جائر والمعنى وعلى الله تبيين طريق الهدى وذلك بنصب الأدلة وبعثة الرسل وقال
ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى أن من سلك الطريق القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمه
طريقه وإلى ذلك مصيره وعلى أن أل للعهد يكون الضمير في قوله ومنها جائر عائداً على السبل
التي يتضمنها معنى الآية كأنه قيل ومن السبيل جائر فأعاد عليها وإن لم يجر لها ذكر لأن
مقابلها يدل عليها قال ابن عطية ويحتمل أن يعود على سبيل الشرع وتكون من للتبعيض

والمراد فرقها الضالة من امة محمد عليه السلام كانه قال ومن بنيات الطرق في هذه السبيل
ومن شعبها وقيل ال في السبيل للجنس وانقسمت الى مستقيم وهو طريق الحق والى جائر وهو طريق
الباطل والجائر العادل عن الاستقامة والهداية كما قال ●
يجور بها الملاح طورا ويهتدي ● وكما قال الآخر ●
● ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخله
قسم الطريقة الى جائر والى هدى والى ذي دخل وهو الفساد وقال الزمخشري ومعنى قوله
وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه لقوله ان علينا
للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز
اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل
وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء
اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء انتهى وهو تفسير على طريقة الاعتزال
وقيل الضمير في ومنها يعود على الخلائق اي ومن الخلائق جائر عن الحق ويؤيده قراءة عيسى ومنكم
جائر وكذا هي في مصحف عبد الله وقراءة علي فمنكم جائر بالفاء قال ابن عباس هم اهل الملل
المختلفة وقيل اليهود والنصارى والمجوس ولهداكم لخلق فيكم الهداية فلم يضل احد منكم
وهي مشيئة الاختيار وقال الزجاج لعرض عليكم آية تضطركم الى الاهتداء والايمان
قال ابن عطية وهذا قول سوء لاهل البدع الذين يرون ان الله لا يخلق افعال العباد
لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى ولم يعرف ابن عطية ان الزجاج معتزلي
فلذلك تأول عليه انه لم يحصل وانه وقع فيه من غير قصد وقال ابو علي لو شاء لهداكم الى الثواب
او الى الجنة بغير استحقاق وقال ابن زيد لو شاء لهداكم قصد السبيل دون الجائر ومفعول
شاء محذوف لدلالة لهداكم اي ولو شاء هدايتكم ● هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسيمون ● ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ● وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه
ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ● مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما امتن بايجادهم
بعد العدم وايجاد ما ينتفعون به من الانعام وغيرها من الركوب ذكر ما امتن به عليهم من انزال
الماء الذي هو قوام حياتهم وحياة الحيوان وما يتولد عنه من اقواتهم واقوات انعامهم من الزرع
وما عطف عليه فذكر منها الاغلب ثم عمم بقوله ومن كل الثمرات ثم اتبع ذلك بخلق
الليل الذي هو سكن لهم والنهار الذي هو معاش ثم بالنيرين اللذين جعلهما تعالى
مؤثرين بارادته في اصلاح ما يحتاجون اليه ثم بما ذرأ في الارض والظاهر ان لكم في
موضع الصفة لماء فيتعلق بمحذوف ويرتفع شراب به اي ماء كائنا لكم منه شراب ويجوز ان
يتعلق بانزل ويجوز ان يكون استئنافا وشراب مبتدأ لما ذكر انزال الماء اخذ في تقسيمه
والشراب هو المشروب والتبعيض في منه ظاهر واما في منه شجر فمجاز لما كان الشجر انباته
على سقيه بالماء جعل الشجر من الماء كما قال اسنمة الآبال في ربابه ●
اي في سحاب المطر وقال ابن الانباري هو على حذف المضاف اما قبل الضمير اي ومن جهته
او سقيه شجر واما قبل شجر اي شرب شجر كقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حبه والشجر

قوله عز وجل هو الذي انزل

هنا كل ما تنبته الارض قاله الزجاج وقال ● تطعمها اللحم اذا عز الشجر ●
فسمى الكلأ شجرا وقال ابن قتيبة الشجر هنا الكلأ وفي حديث عكرمة لا تأكلوا الشجر
فانه سحت يعني الكلأ ويقال اسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها
فهي سائمة وسوائم رعت حيث شاءت قال الزجاج من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر في الارض علامات وقرأ زيد بن علي تسيمون بفتح التاء فان سمع متعديا كان
هو واسام بمعنى واحد وان كان لازما فتأويله على حذف مضاف تسيمون اي تسيم
مواشيكم لما ذكر ومنه شجر اخذ في ذكر غالب ما ينتفع به من الشجر ان كان المراد من قوله
ومنه شجر العموم وان كان المراد الكلأ فهو استئناف اخبار بما ينتج الماء ويقال
نبت الشيء وانبته الله فهو منبوت وهذا قياسه منبت وقيل يقال انبت
الشجر لازما وانشد الفراء
● رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت البقل ●
اي نبت وكان الاصمعي يأبى انبت بمعنى نبت وقرأ ابو بكر ننبت بنون العظمة وقرأ
الزهري ننبت بالتشديد قيل للتكثير والتكرير والذي يظهر انه تضعيف التعدية
وقرأ ابي ينبت من نبت ورفع الزرع وما عطف عليه وخص الاربعة بالذكر
لانها اشرف ما ينبت واجمعها للمنافع وبدأ بالزرع لانه قوت اكثر العالم ثم بالزيتون
لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهي ضرورية مع منفعة الاكل والائتدام به وبدهنه
والاطلاء بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من اطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم
بالاعناب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات اي بعض من التي للتبعيض
لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ولما
ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل اعقبه بقوله ويخلق ما لا تعلمون كذلك هنا
ذكر انواع المنتفع بها من النبات ثم قال ومن كل الثمرات تنبيها على ان تفصيل القول في اجناسها
وانواعها وصفاتها ومنافعها مما لا يكاد يحصر كما ان تفصيل ما خلق من باقي الحيوانات
لا يكاد يحصر وختم ذلك تعالى بقوله لآية لقوم يتفكرون لان النظر في ذلك يحتاج
الى فضل تأمل واستعمال فكر الا ترى ان الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومر
عليها مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الارض ما تنتفخ به فينشق اعلاها
فيصعد منه شجرة الى الهواء واسفلها تغوص منه في عمق الارض شجرة اخرى وهي العروق
ثم ينمو الاعلى ويقوى ويخرج الاوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على
اجسام مختلفة الطبائع والطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع وذلك
بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى وقرأ الجمهور والشمس وما بعده منصوبا وانتصب
مسخرات على انها حال مؤكدة ان كان مسخرات اسم مفعول وهو اعراب الجمهور وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى
تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات
بامره انتهى وقرأ ابن عامر والشمس وما بعده بالرفع على الابتداء والخبر وخفض
والنجوم مسخرات برفعهما وهاتان القراءتان سدتا قول الزمخشري ان مسخرات
بمعنى تسخيرات وقرأ ابن مسعود والاعمش وابن مصرف والرياح مسخرات في موضع

والنجوم وهي مخالفة لسواد المصحف والظاهر في قراءة نصب الجميع ان والنجوم معطوف
على ما قبله وقال الاخفش والنجوم منصوب على اضمار فعل تقديره وجعل النجوم مسخرات
فاضمر الفعل وعلى هذا الاعراب لا تكون مسخرات حالا مؤكدة بل مفعولا ثانيا لجعل ان
كان جعل المقدرة بمعنى صير وحالا مبينة ان كان بمعنى خلق وتقدم شرح تسخير هذه
النيرات في الاعراف وجمع الآيات هنا وذكر العقل وافرد فيما قبل وذكر التفكر لان
فيما قبل استدلالا بانبات الماء وهو واحد وان كثرت انواع النبات والاستدلال
هنا متعدد ولان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وما ذرأ معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه من البياض والسواد وغير ذلك وقيل مختلفا الوانه
اصنافه كما تقول هذه الوان من التمر ومن الطعام وقيل المراد به المعادن ان في ذلك
اي فيما ذرأ على هذه الحال من اختلاف الالوان او ان في ذلك اي اختلاف الالوان
وختم هذا بقوله يذكرون ومعناه الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سابق
طرأ عليه النسيان فقيل يذكرون اي يتذكرون ما نسوا من تسخير هذه المكنونات
في الارض ● وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ● والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم ● وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون ● وعلامات وبالنجم هم
يهتدون ● لما ذكر تعالى الاستدلال بما ذرأ في الارض ذكر ما امتن به من تسخير
البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس من الانتفاع به للركوب في المصالح وللغوص
في استخراج ما فيه وللاصطياد لما فيه والبحر جنس يشمل الملح والعذب وبدأ اولا
من منافعه بما هو الاهم وهو الاكل ومنه على حذف مضاف اي لتأكلوا من حيوانه
طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية
وهو اللبس وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطري من الملح والعذب والحلية من الملح وقيل
ان العذب يخرج منه لؤلؤ لا يلبس الا قليلا وانما يتداوى به ويقال ان في الزمرد
بحريا فاما لتأكلوا فعام في النساء والرجال واما تلبسونها فخاص بالنساء والمعنى يلبسها
نساؤكم واسند اللبس الى الذكور لان النساء انما يتزين بالحلية من اجل رجالهن فكانها زينتهم
ولباسهم ولما ذكر تعالى نعمة الاكل منه والاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك
فيه ماخرة اي شاقة فيه او ذات صوت لشق الماء بحمل الامتعة والاقوات للتجارة
وغيرها واسند الرؤية الى المخاطب المفرد فقال وترى وجعلها جملة معترضة بين
التعليلين تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء فلذلك عدل عن جمع المخاطب والظاهر
عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما اشرنا اليه واجاز ابن الانباري ان يكون معطوفا
على علة محذوفة اي لتبتغوا بذلك ولتبتغوا وان يكون على اضمار فعل اي وفعل ذلك
لتبتغوا والفضل هنا حصول الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة
وفي هذا دليل على جواز ركوب البحر ولعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم قيل
خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وعطف وانهارا على رواسي ومعنى

قوله عز وجل وهو الذي سخر البحر

التعليلين

التي

التي جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وقوله وجعل فيها رواسي
من فوقها وقال والقيت عليك محبة مني اي جعلت وقال ابن عطية قال المتأولون
القى بمعنى خلق وجعل وهي عندي اخص من خلق وجعل وذلك ان القى يقتضي ان الله اوجد
الجبال ليس من الارض لكن من قدرته واختراعه ويؤيد هذا النظر ما روي في القصص عن الحسن
عن قيس بن عباد ان الله تعالى لما خلق الارض جعلت تمور الى آخر الكلام السابق وهو ايضا
مروي عن وهب بن منبه وقال ابن عطية ايضا وقوله وانهارا منصوب بفعل مضمر
تقديره وجعل او خلق انهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص القى
ولو كانت القى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى واي اجماع في هذا وقد حكي
عن المتأولين ان القى بمعنى خلق وجعل وقال الزمخشري وانهارا وجعل فيها
انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا وقال ابو البقاء اي وشق انهارا وعلامات اي وضع علامات
ويجوز ان يعطف على رواسي وقال ابو عبد الله الرازي ثبت في العلوم
العقلية ان اكثر الانهار انما تتفجر منابعها في الجبال فلهذا السبب اتبع ذكرها
بتفجير الانهار وسبلا طرقا الى مقاصدكم لعلكم تهتدون بالسبل الى مقاصدكم
هذا هو الظاهر ويؤيده ما بعده وقال تعالى وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
وقيل تهتدون بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانعها فهو من الهداية
الى الحق ودين الله وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل
وغير ذلك قاله الزمخشري وهو معنى قول ابن عباس وقال ابو عبد الله الرازي
ورأيت جماعة يتعرفون الطرقات بشم التراب وقال ابن عيسى العلامة صورة
يعلم بها ما يراد من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقال ابن عطية وعلامات نصب
كالمصدر اي فعل هذه الاشياء لعلكم تعتبرون بها وعلامات اي عبرة واعلاما في
كل سلوك فقد يهتدى بالجبال وبالانهار وبالسبل انتهى وقال ابن الكلبي العلامات
الجبال وقال النخعي ومجاهد النجوم واغرب ما فسرت به العلامات انها حيتان
طوال رقاق كالحيات في الوانها وحركاتها تسمى بالعلامات وذلك في بحر الهند
الذي يسار اليه من اليمن فاذا ظهرت كانت علامة للوصول الى البلاد الهندية وامارة
للنجاة وقرأ الجمهور والنجم على انه اسم جنس ويؤيد ذلك قراءة ابن وثاب وبالنجم
بضم النون والجيم وقرأ الحسن بضم النون وفي اللوامح الحسن النجم بضمتين
وابن وثاب بضمة واحدة وجاء كذلك عن ابي هشام الرفاعي والاسناد اليه يذكر
عن اصحاب عاصم انتهى وذلك جمع كسقف وسقف ورهن ورهن وجعله جمعا على فعل
اولى من حمله على انه اراد النجوم فحذف الواو لان ابن عصفور ذكر ان قولهم النجم
من ضرورة الشعر وانشد

ان الذي قضى بذا قاض حكم ان يرد الماء اذا غاب النجم

قال يريد النجوم مثل قوله حتى اذا ابتلت حلاقيم الحلق يريد الحلوق
والتسكين قيل تخفيف وقيل لغة وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقال الفراء المراد الجدي والفرقدان انتهى وقيل الجدي هو السابع من بنات

وانهارا

تعبّس الصغرى والفرقدان الاولان منها وليس بالجدي الذي هو المنزلة وبعضهم يصغّر
فيقول الجُدَيّ وفي الحديث عن ابن عباس انه سأل الرسول عليه السلام عن قوله وبالنجم فقال
هو الجدي ولو صح هذا لم يعدل احد عنه وقال ابن عباس رضي الله عنه قبلتكم وبه تهتدون
في بركم وبحركم وقيل هو القطب الذي لا يجري وقيل هو الثريا

وقال الشاعر

• اذا طلب الجوزاء والنجم طالع • فكل مخاضات الفرات معابر •

وقال آخر

• حتى اذا ما استقل النجم في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود •

اي منه ملوي ومنه محصود وذلك انما يكون عند طلوع الثريا وهم ضمير غيبة خرج من الخطاب
الى الغيبة كأن الضمير المعنى به الى قريش اذ كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم
بذلك علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم وقدم المجرور على ما
يتعلق به اعتناء ولاجل الفاصلة وان الزمخشري على عادته قال كأنه قيل وبالنجم خصوصا
هم يهتدون • افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الله لغفور رحيم • والله يعلم ما تسرون وما تعلنون • والذين تدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون • اموات غير احياء وما يشعرون • ايان يبعثون
الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون •
لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • انه لا يحب المستكبرين • ذكر
التباين بين من يخلق وهو الباري تعالى وبين من لا يخلق وهي الاصنام ومن عبد ممن
يعقل بجدير ان يفرد بالعبادة من له الانفراد دون غيره وجيء بمن في الثاني لاشتمال
المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل ولاعتقاد الكفار ان لها تأثيرا وافعالا
فعوملت معاملة اولي العلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للتخصيص بمن يعلم فاذا وقع
التباين بين الخالق وبين غير الخالق من اولي العلم فكيف بمن لا يعلم الالهية كقوله ألهم
ارجل يمشون بها الآيات المعنى ان الآلهة منحطة عن حال من له ارجل لان من له هذه حي وتلك
اموات فكيف يصح ان تعبد لا ان من له رجل يصح ان يعبد قال الزمخشري **فان قلت**
هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل
الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق **قلت** حين جعلوا
غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله
من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق ثم وبخهم
بقوله افلا تذكرون اي مثل هذا لا ينبغي ان يقع فيه الغفلة والنعمة يراد بها
النعم لا نعمة واحدة يدل على ذلك وان تعدوا ولا تحصوها اذ ينبغي العد والاحصاء
في الواحدة والمعنى لا تحصوا عدها لانها لكثرتها خرجت عن احصائكم لها وانتفاء
احصائها يقتضي انتفاء القيام بحقها من الشكر ولما ذكر نعما سابغة اجزاء جميع نعمه
لا يطيقون عدها واتبع ذلك بقوله ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر النعم ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ولما
كان الانسان غير قادر على اداء شكر النعم وان له حالة يعرض فيها عند كفرانها قال

قوله عز وجل افمن يخلق

في عقب الآية التي في ابراهيم ان الانسان لظلوم كفار اي لظلوم بترك الشكر كفار
للنعمة وفي هذه الآية ذكر الغفران والرحمة لطفا به وايذانا في التجاوز عنه
واخبر تعالى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون وضمنه الوعيد لهم والاخبار بعلمه تعالى وفيه
التنبيه على نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم **وقرأ** الجمهور بالتاء من فوق
في تسرون وتعلنون وتدعون وهي قراءة مجاهد والاعرج وشيبة وابي جعفر
وهبيرة عن عاصم على معنى قل لهم **وقرأ** عاصم في مشهوره يدعون بالياء من تحت وبالتاء
في السابقتين **وقرأ** الاعمش واصحاب عبد الله يعلم الذي يبدون وما يكتمون
وتدعون بالتاء من فوق في الثلاثة **وقرأ** طلحة ما يخفون وما يعلنون ويدعون
بالتاء من فوق وهاتان القراءتان مخالفتان لسواد المصحف والمشهور ما روي عن
الاعمش وغيره فوجب حملهما على التفسير لا على انهما قراءتان ولما اظهر تعالى التباين بين
الخالق وغيره نص على ان آلهتهم لا تخلق وعلى انها مخلوقة واخبر انهم اموات واكد
ذلك بقوله غير احياء ثم نفى عنهم الشعور الذي يكون للبهائم فضلا عن العلم الذي
يتصف به العقلاء واعتبر بالذين وهو للعاقل عوملت معاملته لكونها عبدت واعتقد
فيها الالوهية **وقرأ** محمد اليماني يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول والظاهر
ان قوله وهم يخلقون اي انشأهم واخترعهم وقال الزمخشري ووجه آخر وهو ان يكون
المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم اعجز من عبدتهم
انتهى واموات خبر مبتدأ محذوف اي هم اموات ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر والظاهر
ان هذه كلها مما جرت به عن الاصنام ويكون بعثهم اعادتها بعد فنائها الا ترى الى
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل معنى بعثها اثارتها كما تقول
بعثت النائم من نومه اذا نبهته كانه وصفهم بغاية الجمود وان طلبتهم بالتحريك
او حركتهم لم يشعروا بذلك ونفى عنهم الحياة لان من الاموات ما يعقب موته حياة
كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الاصنام
من الحجارة والخشب فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وقيل
والذين تدعونهم الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم واموات اي لا بد لهم من الموت
وغير احياء اي غير باق حياتهم وما يشعرون اي لا علم لهم بوقت بعثهم وجوزوا في قراءة
والذين يدعون بالياء من تحت ان يكون قوله اموات يراد به الكفار الذين ضميرهم في
يدعون شبههم بالاموات غير الاحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين وما يشعرون عائد عليهم
والبعث الحشر من قبورهم وقيل في هذا التقدير وعيدا اي ايان يبعثون الى التعذيب
وقيل الضمير في وما يشعرون للاصنام وفي يبعثون لعبدتها اي لا تشعر الاصنام
متى تبعث عبدتها وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعث عبدتهم فكيف
يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم وتلخص من هذه الاقوال ان تكون الاخبار بتلك الجمل
كلها عن المدعوين آلهة اما الاصنام واما الملائكة او يكون من قوله اموات الى آخره
اخبارا عن الكفار او يكون وما يشعرون ايان يبعثون فقط اخبارا عن الكفار
او يكون وما يشعرون اخبارا عن المدعوين ويبعثون اخبارا عن الداعين العابدين
وقرأ ابو عبد الرحمن ايان بكسر الهمزة وهي لغة قومه سليم والظاهر ان قوله ايان

معمول ليبعثون والجملة في موضع نصب بيشعرون لانه معلق اذ معناه العلم والمعنى انه نفى
عنهم علم ما انفرد بعلمه الحي القيوم وهو وقت البعث اذا اريد بالبعث الحشر الى الاخرة
وقيل تم الكلام عند قوله وما يشعرون وايان يبعثون ظرف لقوله الهكم اله واحد
اخبر عن يوم القيامة ان الاله فيه واحد انتهى ولا يصح هذا القول لان ايان اذ ذاك
تخرج عما استقر فيها من كونها ظرفا اما استفهاما واما شرطا وفي هذا التقدير يكون ظرفا
بمعنى وقت مضافا للجملة بعدها معمولا لقوله واحد كقولك يوم يقوم زيد قائم وفي قوله
ايان يبعثون دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ولما ذكر تعالى ما اتصفت
به الهتهم مما ينافي الالوهية اخبر تعالى ان اله العالم هو واحد لا يتعدد ولا يتجزا
وان الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان ان تكون الالهية لغيره بل له وحده هم
مستمرون على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الاقرار بها لاعتقادهم الالهية
اصنامهم وتكبرها في الوجود ووصفهم بانهم لا يؤمنون بالاخرة مبالغة في نسبة الكفر
اليهم اذ عدم التصديق بالجزاء في الاخرة يتضمن التكذيب بالله وبالبعث اذ من آمن
بالبعث يستحيل ان يكذب الله وقيل مستكبرون عن الايات برسول الله واتباعه وقال
العلما كل ذنب يمكن التستر به واخفاؤه الا التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وفي الحديث
الصحيح ان المستكبرين يجيئون امثال الذر يوم القيمة يطؤهم الناس باقدامهم او كما قال
صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام في لا جرم في هود وقرا عيسى الثقفي ان بكسر الهمزة على
الاستيناف والقطع مما قبله وقال بعض اصحابنا وقد يغني لا جرم عن لفظ القسم تقول
لا جرم لآتينك فعلى هذا يكون قوله ان الله بكسر الهمزة تعلق بلا جرم ولا يكون استينافا
وقد قال بعض الاعراب لمرداس الخارجي لا جرم والله لا افارقك ابدا نفى كلامه
فعلقها بالقسم وفي قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد وتنبيه على المجازاة وقال
يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا بما يسرون تشاورهم في دار الندوة في قتل النبي
عليه السلم انتهى ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمومنين ياخذ كل واحد منهم
بقسطه • واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين • ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا سا ما يزرون • قد
مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون • ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاءي الذين
كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين •
الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون • فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبيس مثوى المتكبرين •
قيل سبب نزول واذا قيل لهم الاية ان النضر بن الحارث سافر عن مكة الى الحيرة وكان
قد اتخذ كتب التواريخ والامثال ككليلة ودمنة واخبار اسفنديار ورستم
فجا الى مكة فقال انما يحدث محمد باساطير الاولين وحديثي اجمل من حديثه وماذا كله
استفهام مفعول لما انزل وما مبتدا خبره ذا بمعنى الذي وعايده في انزل محذوف اي اي
شي الذي انزله واجاز الزمخشري ان يكون ماذا مرفوعا بالابتدا قال بمعنى اي شي
انزله ربكم وهذا لا يجوز عند البصريين الا في ضرورة الشعر والضمير في لهم عايد على

قوله عز وجل واذا قيل لهم

كفار

كفار قريش وماذا انزل ليس معمولا لقيل على مذهب البصريين لانه جملة والجملة لا تقع موقع
المفعول الذي لم يسم فاعله كما لا يقع موقع الفاعل وقرا شاذا اساطير بالنصب على معنى ذكرتم
اساطير او انزل اساطير على سبيل التهكم والسخرية لان التصديق بالانزال ينافي اساطير
وهم يعتقدون انه ما انزل شي ولا ان ثم منزل وبني قيل للمفعول فاحتمل ان يكون القايل
بعضهم لبعض واحتمل ان يكون المومنون قالوا لهم ذلك على سبيل الامتحان وقيل قايل
ذلك الذين تقاسموا مداخل مكة ينفرون عن الرسول اذا سالهم وفود الحاج ماذا انزل
على رسول الله قالوا احاديث الاولين وقرا الجمهور برفع اساطير فاحتمل ان يكون التقدير
المذكور اساطير او المنزل اساطير جعلوه منزلا على سبيل الاستهزا وان كانوا لا يومنون بذلك
واللام في ليحملوا لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم او لام التعليل
من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر وهي التي يعبر عنها بلام العاقبة
لانهم لم يقصدوا بقولهم اساطير الاولين ان يحملوا الاوزار ولما قال ابن عطية انه يحتمل
ان يكون لام العاقبة قال ويحتمل ان يكون صريح لام كي على معنى قدر هذا لكذا او هي لام
التعليل لكنه لم يعلقها بقوله قالوا بل اضمر فعلا اخر وهو قدر هذا وكاملة حال اي
لا ينقص منها شي ومن للتبعيض فالمعنى انه يحمل من وزر كل من اضل اي بعض وزر من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه
على اضلاله فيتحاملان الوزر وقال الاخفش من زايدة اي واوزار الذين يضلونهم
والمعنى ومثل اوزار الذين يضلونهم كقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم
القيمة المراد ومثل وزر والمعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى
ان ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدى به في ذلك وقال الواحدي
ليست من للتبعيض لانه يستلزم تخفيف الاوزار عن الاتباع وذلك غير جايز لقوله عليه
السلم من غير ان ينقص من اوزارهم شيا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع
انتهى ولا تتقدر من التي لبيان الجنس هذا التقدير الذي قدره الواحدي وانما تقدر
الاوزار التي هي اوزار الذين يضلونهم فيوول من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلفا
في التقدير وبغير علم قال الزمخشري حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وقال غيره حال من الفاعل وهو اولى اذ هو المحدث عنه المسند اليه الاضلال على جهة
الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
الشديد على ذلك الاضلال ثم اخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للاخرة وتقدم الكلام
في اعراب مثل سا ما يزرون فاتى الله اي امره وعذابه والبنيان قيل حقيقة قال
ابن عباس وغيره الذين من قبلهم نمرود بنى صرحا ليصعد بزعمه الى السما وافرط في علوه
وطوله في السما فرسخين على ما حكى النقاش وقال كعب الاحبار وقال ابن عباس
ووهب طوله في السما خمسة الاف ذراع وعرضه ثلثة الاف ذراع فبعث الله عليه
ريحا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى اتباعه وقيل هدمه جبريل بجناحه والقى اعلاه
في البحر وانجعف من اسفله وقال ابن الكلبي المراد المقتسمون المذكورون في سورة الحجر
وقيل الذين من قبلهم بخت نصر واصحابه وقال الضحاك قريات قوم لوط وقالت
فرقة المراد بالذين من قبلهم من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة من الله

ويكون فاتى الله بنيانهم الى آخره تمثيلا والمعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان تضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ومن للقواعد لابتداء الغاية اي اتاهم امر الله من جهة القواعد وقالت فرقة المراد بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم جاءهم العذاب من قبل السماء التي هي فوقهم وقال ابن عباس وقيل المعنى احبط الله اعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه قال ابن عطية وهذا يخرج الى اللغز ومعنى قوله من فوقهم وقع الاجماع الذي رفع قوله فخر عليهم السقف قالت تقول انهدم على فلان بناء وهو ليس تحته كما تقول انفسد عليه وقوله من فوقهم الزم انهم كانوا تحته انتهى وهذا الذي قاله ابن الاعرابي قال ثعلب انهم كانوا جالسين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذي في كلام العرب فقال من فوقهم اي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا فاتاهم العذاب قال ابن عباس يعني البعوضة التي اهلكت بها نمرود وقيل من حيث لا يشعرون من حيث ظنوا انهم في امان وقرا الجمهور بنيانهم وقرات فرقة بنيتهم وقرا جعفر بيتهم والضحاك بيوتهم وقرا الجمهور السقف مفردا والاعرج السقف بضمتين وزيد بن علي ومجاهد بضم السين فقط وتقدم توجيه مثل هاتين القراءتين في والنجم وقرات فرقة السقف بفتح السين وضم القاف وهي لغة في السقف ولعل السقف مخفف منه ولكنه كثر استعماله كما قالوا رجل رجل وهي لغة تميمية ولما ذكر تعالى ما حل بهم في دار الدنيا ذكر ما يحل بهم في الآخرة وخزيهم تعم جميع المكاره التي تحل بهم ويقتضي ذلك ادخالهم النار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته كل الاهانة وجمع بين الاهانة بالفعل والاهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله يخزيهم ويقول اين شركاي اي اضاف تعالى الشركا اليه والاضافة تكون بادنى ملابسة والمعنى شركاي في زعمكم اذ اضاف على الاستهزاء وقرا الجمهور شركاي ممدودا مهموزا مفتوح الياء وفرقة كذلك مسكنها فتسقط في الدرج لالتقاء الساكنين والبزي عن ابن كثير بخلاف عنه مقصورا وفتح الياء هنا خاصة وروي عنه ترك الهمز في القصص والعمل على الهمز فيه وقصر الممدود ذكروا انه من ضرورة الشعر ولا ينبغي ذلك لثبوته في هذه القراءة فيجوز قليلا في الكلام والمشاقة المعاداة والمخاصمة للمؤمنين وقرا الجمهور تشاقون بفتح النون ونافع بكسرها ورويت عن الحسن ولا يلتفت الى تضعيف ابي حاتم هذه القراءة وقرات فرقة بتشديدها ادغم نون الرفع في نون الوقاية والذين اوتوا العلم عام فيمن اوتي العلم من الانبياء وعلماء اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم وينكرون عليهم وقيل هم الملائكة وقاله ابن عباس وقال مقاتل الحفظة من الملائكة وقيل من حضر الموقف من ملك وانسي وغير ذلك وقال يحيى بن سلام هم المؤمنون انتهى ويقول مثل العلم ذلك شماتة بالكفار وتسميعا لهم وفي ذلك اعظام للعلم اذ لا يقول ذلك الا اهله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم تقدم تفسيره في سورة النساء والظاهر ان الذين صفة للكافرين فيكون ذلك داخلا في المقول

فان كان

فان كان القول يوم القيامة فيكون تتوفاهم حكاية حال ماضية وان كان القول في الدنيا اي لما اخبر تعالى انه يخزيهم يوم القيامة ويقول الخزي ما يقول قال اهل العلم اذا اخبر الله بذلك ان الخزي اليوم الذي اخبر الله انه يخزيهم فيه فيكون تتوفاهم على بابها ويشمل من حيث المعنى من توفته ومن تتوفاه ويجوز ان يكون الذين خبر مبتدا محذوف وان يكون منصوبا على الذم فاحتمل ان يكون مقولا لاهل العلم واحتمل ان يكون غير مقول بل من اخبار الله تعالى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الذين مرتفعا بالابتداء منقطعا مما قبله وخبره في قوله فالقوا السلم فزيدت الفا في الخبر وقد يجي مثل هذا انتهى وهذا لا يجوز الا على مذهب الاخفش فانه يجيز زيد فقائم اي قائم ولا يتوهم ان الفا هي الداخلة في خبر المبتدا اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا يجوز دخولها في مثل هذا الفعل مع صريح اداة الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه وقرا حمزة والاعمش يتوفاهم بالياء من اسفل في الموضعين وقرئ بادغام تا المضارعة في التا بعدها وفي مصحف عبد الله بتاء واحدة في الموضعين والسلم هنا الاستسلام قاله الاخفش او الخضوع قاله مقاتل اي انقادوا حين عاينوا الموت قد نزل بهم وقيل في القيامة انقادوا واجابوا بما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر والظاهر عطف فالقوا على تتوفاهم واجاز ابو البقاء ان يكون معطوفا على قوله الذين وان يكون مستانفا وقيل تم الكلام عند قوله ظالمي انفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة فعلى هذا يكون قوله قال الذين الى قوله فالقوا جملة اعتراضية بين الاخبار باحوال الكفار ما كنا نعمل من سوء هو على اضمار القول اي ونفيهم بجحد السوء اما ان يكون صريح كذب كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقال تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واما ان يكون المعنى عند انفسنا اي لو كان الكفر عند انفسنا سوءا ما عملناه ويرجح الوجه الاول الرد عليهم ببلى اذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب ببلى على انه يصح على الوجه الثاني ان يرد عليهم ببلى والمعنى انكم كذبتم في اعتقادكم انه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون انه سوء لانكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم لقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا والظاهر ان هذا السياق كله من اهل العلم والكفار وان اهل العلم هم الذين ردوا عليهم اخبارهم بنفي عمل السوء ويجوز ان يكون الرد من الملائكة وهم الامرون بالدخول في النار يسوقونهم اليها وقيل الخزنة والظاهر الابواب حقيقة وقيل المراد الدركات ه وقيل الاصناف كما يقال فلان يتطرق بابا من العلم اي صنفا وابعد من قال المراد بذلك عذاب القبر مستدلا بما جاء القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولما اكذبوهم في دعواهم اخبروا انه تعالى عالم باعمالهم فهو المجازي عليها ثم امروهم بالدخول واللام في فلبئس لانه تاكيد ولا تدخل على الماضي المنصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الافعال وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف اي فلبئس مثوى المتكبرين هي اي جهنم ووصفه بالتكبر دليل على استحقاق صاحبه النار وذلك اشارة الى قوله قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ه خسف المكان يخسف خسوفا ذهب وخسفه الله يريد اذهبه في الارض دحر يدحر دحورا تصاغر وفعل ما يؤمر به شاء او ابى وقال ابن عطية تواضع قال ذو الرمة

فلم يبق الا داخر في مخيس ومنجحر في غير ارضك في جحر

قوله عز وجل وقيل للذين

وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين • جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين • الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون • تقدم اعراب ماذا انزل الا انه اذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السؤال لكن ما ذا مبتدأ وخبر والجواب نصب وهو جائز ولكن المطابقة في الاعراب احسن وقرأ الجمهور خيرا بالنصب اي انزل خيرا قال الزمخشري **فان قلت** لم نصب هذا ورفع الاول **قلت** فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء انتهى وقرأ زيد بن علي خير بالرفع اي المنزل خير فتطابق هذه القراءة تأويل من جعل ذا موصولة ولا تطابق من جعل ذا منصوبة لاختلافهما في الاعراب وان كان الاختلاف جائزا كما ذكرنا وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا والظاهر ان قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي انزل الله في الوحي ان من احسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة وقال الزمخشري للذين احسنوا وما بعده بدل من خير حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه انتهى وقالت فرقة هو ابتداء كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله وهو بالمعنى وعد متصل بذكر احسان المتقين في مقالتهم ومعنى حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منه ولما ذكر حال الكفار في الدنيا والآخرة ذكر حال المؤمنين في الدارين والظاهر ان المخصوص بالمدح هو جنات عدن وقال الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف انتهى وقاله ابن عطية وقبلهما الزجاج وابن الانباري وجوزوا ان تكون جنات عدن مبتدأ والخبر يدخلونها وقرأ زيد بن ثابت وابو عبد الرحمن جنات عدن بالنصب على الاشتغال اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذه القراءة تقوي اعراب جنات عدن بالرفع انه مبتدأ ويدخلونها الخبر وقرأ زيد بن علي ولنعمت دار بتاء مفتوحة ودار مخفوض بالاضافة فيكون نعمت مبتدأ وجنات الخبر وقرأ السلمي تدخلونها بتاء الخطاب وقرأ اسمعيل بن جعفر عن نافع يدخلونها بالياء على الغيبة والفعل مبني للمفعول ورويت عن ابي جعفر وشيبة تجري قال ابن عطية في موضع الحال وقال الحوفي في موضع نعت لجنات انتهى وكان ابن عطية لحظ كون جنات عدن معرفة والحوفي لحظ كونه نكرة وذلك على الخلاف في عدن أهي علم او نكرة بمعنى اقامة والكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف اي جزاء مثل جزاء الذين احسنوا يجزي الله المتقين وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى انهم صالحو الاحوال مستعدون للموت والطيب الذي لا خبث فيه ومنه طبتم فادخلوها خالدين

وقال ا

قوله عز وجل هل ينظرون الا

وقال ابو معاذ طيبين طاهرين من الشرك بالكلمة الطيبة وقيل طيبين سهلا وفاتهم لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما تقبض روح الكافر والمخلط وقيل طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى وقيل زاكية افعالهم واقوالهم وقيل صالحين وقال الزمخشري طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم ويقولون نصب على الحال من الملائكة وتسليم الملائكة عليهم بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى احاديث صحاح وقولهم هذا للمتقين هو وقت قبض ارواحهم قاله ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد والاكثرون جعلوا التبشير بالجنة دخولا مجازا وقال مقاتل والحسن عند دخول الجنة وهو قول خزنة الجنة لهم في الآخرة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فعلى هذا القول يكون يقولون حالا مقدرة ولا يكون القول وقت التوفي وعلى هذا يحتمل ان يكون الذين مبتدأ والخبر يقولون والمعنى يقولون لهم سلام عليكم ويدل على هذا القول قولهم ادخلوا الجنة ووقت الموت لا يقال لهم ادخلوا الجنة فالتوفي هنا توفي الملائكة لهم وقت الحشر وقوله بما كنتم تعملون ظاهر في دخول الجنة بالعمل الصالح • هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون • فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين • ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر طعن الكفار في القرآن بقولهم اساطير الاولين ثم اتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم توعدهم ووصف القرآن بالخيرية بين ان اولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم الا ان تأتيهم الملائكة بالتهديد او امر الله بعذاب الاستئصال **وقرأ** حمزة والكسائي يأتيهم بالياء وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والاعمش وباقي السبعة بالتاء على تأنيث الجمع واتيان الملائكة لقبض الارواح وهم ظالموا انفسهم وامر ربك العذاب المستأصل او القيامة والكاف في موضع نصب اي مثل فعلهم في انتظار الملائكة او امر الله فعل الكفار الذين تقدموهم وقيل مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه فعل متقدموهم من الكفار وقيل فعل هنا كناية عن اغترارهم كانه قيل مثل اغترارهم باستبطاء العذاب اغتر الذين من قبلهم والظاهر القول الاول لدلالة هل ينظرون عليه وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الذي اوجب لهم العذاب في الدنيا والآخرة وقوله فاصابهم معطوف على فعل وما ظلمهم اعتراض وسيئات عقوبات كفرهم وحاق بهم احاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا تقدم تفسير مثل هذه الآية في آخر الانعام فاغنى عن الكلام في هذا وقال الزمخشري هنا يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله

عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه انتهى وهو
على طريقة الاعتزال وهذا القول صادر ممن اقر بوجود الباري تعالى وهم الاكثرون
او ممن لا يقول بوجوده تعالى تقديرا ان الرب الذي يعبده محمد ويصفه بالعلم وبالقدرة
يعلم حالنا وهذا جدا لمراي الصفتين كان ليسر فيه استهزاء وقال الزجاج قالوا
ذلك على سبيل الهزء من الطايفة التي انكرت الاله اقامت الحجة من مذهب حصمها
مستهزئة في ذلك • ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين • ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ••
قال الزمخشري ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث
فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله واجتناب الشر الذي هو الطاغوت
فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي ثبتت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة واني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث
افعل ما افعل بالاشرار انتهى وهو على طريقة الاعتزال ولما قال فهل على الرسل الا
البلاغ المبين بين ذلك هنا بانه بعث الرسل بعبادته وتجنب عبادة غيره فمنهم
من اعتبر فهداه الله ومنهم من اعرض وكفر تخراجا لهم في معرفة ذلك على السير في الارض
واستقراء الامم والوقوف على عذاب الكافرين المكذبين ثم خاطب نبيه واعلمه ان
من حتم تعالى عليه بالضلالة لا يجدي فيه الحرص على هدايته وقراه النخعي وان بزيادة
واو وهو والحسن وابو حيوة تحرص بفتح الراء مضارع حرص بكسرها وهي لغة وقراه الجمهور
بالكسر مضارع حرص بالفتح وهي لغة الحجاز وقراه الحرميان والعربيان والحسن والاعرج
ومجاهد وشيبة وشبل ومزاحم الخراساني والعطاردي وابن سيرين لا يهدى مبنيا
للمفعول ومن مفعول لم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله والعايد على من محذوف تقديره
من يضله الله وقراه الكوفيون وابن مسعود وابن المسيب وجماعة يهدي مبنيا للفاعل
والظاهر ان في يهدي ضميرا يعود على الله ومن مفعول وعلى ما حكي الفراء ان هدى ياتي
بمعنى اهتدى يكون لازما والفاعل من اي لا يهتدي من يضله الله وقرات فرقة
منهم عبد الله لا يهدي بفتح الياء وكسر الهاء والدال كذا قال ابن عطية ويعني وتشديد
الدال واصله يهتدي فادغم كقولك في يختصم يخصم وقرات فرقة يهدي بضم
الياء وكسر الدال قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى واذا ثبت ان هدى لازم بمعنى
اهتدى لم تكن ضعيفة لانه ادخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لا يجعل مهتديا
من اضله وفي مصحف ابي لا هادي لمن اضل وقال الزمخشري وفي قراءة ابي فان الله
لا هادي لمن يضل ولمن اضل وقرى يضل بفتح الياء وقال ايضا حرص رسول الله
على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف
بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبايح التي لا تجوز عليه

قوله عز وجل ولقد بعثنا

انتهى

انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير في لهم عايد على معنى من والضمير في واقسموا عايد
على كفار قريش وعن ابي العالية نزلت في رجل من المسلمين تقاضى دينا على رجل من المشركين
فكان فيما تكلم به المسلم الذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتبعث بعد الموت
واقسم بالله لا يبعث الله من يموت بلى رد عليه ما نفاه واكده بالقسم والتقدير بلى يبعثه
وانتصب وعدا وحقا على انهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى وعد وحق والتقدير
بعثهم وعد عليه حق وحق صفة لوعد وقال الزمخشري واقسموا بالله معطوف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا ودونا توريك
ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق
واجب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم
يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة انتهى وهو على طريقة
الاعتزال واكثر الناس هم الكفار المكذبون بالبعث واما قول الشيعة ان الاشارة
بهذه الاية انما هي لعلي بن ابي طالب وان الله سيبعثه في الدنيا فسخافة من القول
والقول بالرجعة باطل وافتراء على الله على عادتهم رده ابن عباس وغيره واللام في ليبين
متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى اي يبعثهم ليبين لهم كما يقول الرجل ما ضرب احدا فتقول
بلى زيدا اي ضربت زيدا ويعود الضمير في يبعثهم المقدر وفي لهم على معنى من في قوله من يموت
وهو شامل للمؤمنين والكفار والذي اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا
من جعل الالهة مع الله وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما امروا به وبين لهم
انه دين الله فكذبوا به وكذبوا في نسبة اشيا الى الله تعالى وقال الزمخشري انهم
كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت
انتهى وفي قولهم دسيسة الاعتزال وقيل تتعلق ليبين بقوله ولقد بعثنا في كل امة
رسولا اي ليظهر لهم اختلافهم وان الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعث ذلك الرسول
كاذبين في رد ما يجيء به الرسل • انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوينهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون • الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون •• لما تقدم انكارهم البعث واكدوا
ذلك بالحلف بالله الذي اوجدهم ورد عليهم تعالى بقوله بلى وذكر حكمة وعده بذلك
اوضح انه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شيء اوجده وقد اقر بانه تعالى خالق هذا العالم
سماواته وارضه وان ايجاده ذلك لم يتوقف على سبق مادة ولا اله فكما قدر على الايجاد
ابتداء وجب ان يكون قادرا على الاعادة وتقدم تفسير قوله تعالى كن فيكون في البقرة
فاغنى عن اعادته والظاهر ان اللام في لشيء وفي له للتبليغ كقولك قلت لزيد قم وقال
الزجاج هي لام السبب اي لاجل ايجاده وكذلك له اي لاجله قال ابن عطية وما في
الفاظ هذه الاية من معنى الاستقبال والاستيناف انما هو راجع الى المراد لا الى
الارادة وذلك ان الاشيا المرادة المكونة في وجودها استيناف واستقبال لا في
ارادة ذلك ولا في الامر به لان ذينك قديمان فمن اجل المراد عبر باذا ونقول واما قوله
لشيء فيحتمل وجهين احدهما انه لما كان وجوده حتما جاز ان يسمى شيئا وهو في حال
عدم والثاني ان قوله لشيء تنبيه على الامثلة التي ينظر فيها وان ما كان منها موجودا

من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه وقال الحوفي حقا نعت لوعدا وقراه الضحاك بل يبعثهم

ع

ع

قوله عز وجل انما قولنا لشيء

كان مرادًا أو قيل له كن فكان فصار رحمنا لا لما بيناه من الأمور بما تقدم وفي هذا المخلص من
تسمية المعدوم شيئا انتهى وفيه بعض تلخيص وقال إذا أردناه منزل منزلة مراد ولكنه
أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء وتظهر شيئا بعد شيء فكأنه قال
إذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم وقوله ليعلم الذين آمنوا
منكم ونحو هذا معناه يقع منكم ما رآه الله تعالى في الأزل وعلمه وقوله أن نقول ينزل
منزلة المصدر كأنه قال قولنا ولكن أن مع الفعل تعطي استئنافا ليس في المصدر في أغلب
أمرها وقد يجيء في مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم
السماء والأرض بأمره وغير ذلك انتهى وقوله ولكن أن مع الفعل يعني المضارع وقوله
في أغلب أمرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل في جميع أمرها وقوله وقد يجيء إلى آخره فلم يفهم ذلك
من دلالة أن وإنما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله لأن هذا لا يختص بالمستقبل
دون الماضي في حقه تعالى ونظيره أن الله كان على شيء قديرا فكان تدل على اقتران مضمون
الجملة بالزمن الماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد
الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن والذين هاجروا قال قتادة نزلت في مهاجري
أصحاب الرسول وقال داود بن أبي هند في أبي جندل بن سهيل بن عمرو وعن ابن عباس في
صهيب وبلال وخباب بن الأرت وأضرابهم عذبهم المشركون بمكة فبوأهم الله المدينة
وعلى هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد بقوله والذين هاجروا قال ابن عطية لما
ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا بالله لا يبعث من يموت ورد على قولهم ذكر مؤمني
مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح
في سبب الآية لأن هجرة المدينة لم تكن إلا بعد وقت نزول الآية انتهى والذين هاجروا
عموم في المهاجرين كائنا ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم **وقرأ** الجمهور لنبوئنهم والظاهر
انتصاب حسنة على أنه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل أي تبوئة حسنة وقيل
انتصاب حسنة على المصدر على غير الصدر لأن معنى لنبوئنهم في الدنيا لنحسنن إليهم
فحسنة في معنى إحسانا وقال أبو البقاء حسنة مفعول ثان لنبوئنهم لأن معناه لنعطينهم
ويجوز أن تكون صفة لمحذوف أي دارا حسنة انتهى وقال الحسن والشعبي وقتادة
دارا حسنة وهي المدينة وقيل التقدير منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين
ظلموا وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقال مجاهد الرزق الحسن وقال
الضحاك النصر على عدوهم وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها
من الولايات وقيل ما بقي لهم فيها من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف وقيل
الحسنة كل شيء مستحسن ناله المهاجرون **وقرأ** علي وعبد الله ونعيم بن ميسرة والربيع
ابن خثيم لنثوينهم بالثاء المثلثة مضارع أثوى المنقول بهمزة التعدية من ثوى بالمكان
أقام فيه وانتصب حسنة على تقدير إثواءة حسنة أو على نزع الخافض أي في حسنة أي
دار حسنة أو منزلة حسنة ودل هذا الإخبار المؤكد بالقسم على عظيم محل الهجرة لأنه
بسببها ظهرت قوة الإسلام كما أنه بنصرة الأنصار قويت شوكته وفي الله دليل على إخلاص
العمل لله ومن هاجر لغير الله فهجرته لما هاجر إليه وفي الإخبار عن الذين بجملة القسم المحذوفة
الدال عليها الجملة المقسم عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدأ خلافا

لثعلب

لثعلب وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنبوئنهم وهذا يجوز
لأنه لا يفسر إلا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز زيدا لأضربن فلا يجوز زيدا لأضربنه وعن عمر
رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر ۞ ولأجر الآخرة أي ولأجر الدار
الآخرة أكبر أي أكبر أن يعلمه أحد قبل مشاهدته كما قال وإذا رأيت ثم رأيت نعيما
وملكا كبيرا والضمير في يعلمون عائد على الكفار أي لو كانوا يعلمون أن الله يجمع لهؤلاء
المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم وقيل يعود على المؤمنين أي
لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على تقديرهم الذين
أو أعني الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لا سيما حرم الله المحبوب لكل
قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط رأسه وعلى بذل الروح في ذات الله واحتمال
الغربة في دار لم ينشأ بها وناس لم يألفهم أجانب حتى في النسب **قوله عز وجل** وما
أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات
والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ۞ أفأمن
الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم ۞ نزلت
في مشركي مكة أنكروا نبوة الرسول وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا
فهلا بعث إلينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة في آخر يوسف والمعنى يوحى إليهم على
ألسنة الملائكة **وقرأ** الجمهور يوحى بالياء وفتح الحاء **وقرأت** فرقة بالياء وكسرها
وعبد الله والسلمي وطلحة وحفص بالنون وكسرها وأهل الذكر اليهود والنصارى
قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وعن مجاهد أيضا اليهود والذكر التوراة لقوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وعنه عبد الله بن سلام وسلمان وقال الأعمش
وابن عيينة من أسلم من اليهود والنصارى وقال الزجاج عام فيمن يعزى إلى علم وقال
أبو جعفر وابن زيد أهل القرآن وضعف هذا القول وقول من قال من أسلم من الفريقين
لأنه لا حجة على الكفار في أخبار المؤمنين لأنهم مكذبون لهم قال ابن عطية والأظهر
أنهم اليهود والنصارى الذين لم يسلموا وهم في هذه النازلة إنما يخبرون بأن
الرسل من البشر وأخبارهم حجة على هؤلاء فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم ولا يتهمون
بشهادة لنا لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد عليه السلام وهذا هو كسر حجتهم ومذهبهم
لا أنا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش إلى
يهود يثرب يسألونهم ويستندون إليهم انتهى والأجود قوله أن يتعلق بالبينات
بمضمر يدل عليه ما قبله كأنه قيل بم أرسلوا قال أرسلناهم بالبينات والزبر
فكيف يكون على كلامين وقاله الزمخشري وابن عطية وغيرهما وقد يتعلق بقوله
وما أرسلنا وهذا فيه وجهان أحدهما أن النية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء
والتقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا حتى لا يكون ما بعد
إلا معمولين متأخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها وهذا حكاه
ابن عطية عن فرقة والوجه الثاني أن لا ينوى به التقديم بل وقعا بعد إلا في هذا الحصر

وما أرسلنا

قوله ح

وهذا قاله الحوفي والزمخشري وبدأ به قال يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط انتهى وقال ابو البقاء وفيه ضعف لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام على الا وما يليها الا انه قد جاء في الشعر

قال الشاعر

نبئتهم عذبوا بالنار جارتهم ٭ ولا يعذب الا الله بالنار

انتهى وهذا الذي اجازه الحوفي والزمخشري لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لانهم لا يجيزون ان يقع بعد الا الا مستثنى او مستثنى منه او تابعا وما ظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل الا قدر له عامل واجاز الكسائي ان يقع معمولا لما قبل الا منصوبا نحو ما ضرب الا زيد عمرا ومخفوضا نحو ما مر الا زيد بعمرو ومرفوعا نحو ما ضرب الا زيدا عمرو ووافقه ابن الانباري في المرفوع والاخفش في الظرف والجار والمجرور فالقول الذي قاله الحوفي والزمخشري يتمشى على مذهب الكسائي والاخفش ودلائل هذه المذاهب مذكورة في علم النحو واجاز الزمخشري ان يكون صفة لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات فيتعلق بمحذوف وهذا وجه سائغ لانه في موضع صفة لما بعد الا فوصف رجالا لا بيوحي اليهم وبذلك العامل في بالبينات كما تقول ما اكرمت الا رجلا مثلا ملتبسا بالخير واجاز ايضا ان يتعلق بيوحي اليهم وان يتعلق بلا تعلمون فاعلى ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة يعني من التي ذكر غير الوجه الاخير وانزلنا اليك الذكر هو القرآن وقيل له ذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين وقيل الذكر العلم لتبين للناس ما نزل اليهم من المشكل والمتشابه لان النص والظاهر لا يحتاجان الى بيان وقال الزمخشري مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا وقال ابن عطية لتبين بسردك بنص القرآن ما انزل اليهم ويحتمل ان يريد لتبين بتفسيرك المجمل وشرحك ما اشكل فيدخل في هذا ما تبينه السنة من امر الشريعة وهذا قول مجاهد انتهى ولعلهم يتفكرون اي وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا والسيئات نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات قاله الزمخشري او مفعول بمكروا على تضمين مكروا معنى فعلوا وعملوا والسيئات على هذا معاصي الكفر وغيره قاله قتادة او مفعول بامن ويعني به العقوبات التي تسوءهم ذكرهما ابن عطية وعلى هذا الاخير يكون ان يخسف بدلا من السيئات وعلى القولين قبله مفعول بامن والذين مكروا في قول الاكثرين هم اهل مكة مكروا بالرسول وقال مجاهد هو نمرود والخسف بلع الارض المخسوف به وقعودها به الى اسفل وذكر النقاش انه وقع الخسف في هذه الامة بقوم اهل الارض كما فعل ببغداد وذكر لنا ان اخلاطا من بلاد الروم خسف بها وحين احس اهلها بذلك فر اكثرهم وان بعض التجار ممن كان يرد اليها رأى ذلك من بعيد فرجع ذلك بتجارته من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها كما فعل بقوم لوط في تقلبهم في اسفارهم قاله قتادة او في منامهم روي هذا وما قبله عن ابن عباس وقال الضحاك وابن جريج

ومقاتل

ومقاتل في ليلهم ونهارهم اي حالة ذهابهم ومجيئهم فيهما وقيل في تقلبهم في مكرهم وحيلهم فيأخذهم قبل تمام ذلك وقال الزجاج جميع ما يتقلبون فيه فما هم بسابقين الله ولا فائتيه والاخذ هنا الاهلاك كقوله فكلا اخذنا بذنبه وعلى تخوف على تنقص قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال ابن قتيبة يقال تخوفه وتحوفه اذا تنقصه واخذ من ماله وجسمه وقال الهيثم بن عدي هو التنقص بلغة ازد شنوءة وفي حديث لعمر انه سأل عن التخوف فاجابه شيخ بانه التنقص في لغة هذيل وانشده قول ابي كبير الهذلي

تخوف الرجل منها تامكا قردا ٭ كما تخوف عود النبعة السفن

وهذا التخوف يعني التنقص قيل من اعمالهم وقيل باخذ واحدا بعد واحد وروي عن ابن عباس وقال الزجاج ينقص من اموالهم وانفسهم حتى يهلكهم وقيل على تخوف على خوف ان يعاقبهم او يتجاوز عنهم قاله قتادة وقال الزمخشري على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون انتهى وقال الضحاك يأخذ قرية فتخاف القرية الاخرى وقال ابن بحر على تخوف ضد البغتة اي على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله ان ربكم لرؤوف رحيم لان في ذلك مهلة وامتدادا وقت فيمكن فيه التلافي وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع بما قدموه وهذا مروي عن ابن عباس ولما كان تعالى قادرا على هذه الامور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة ٭ اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ٭ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ٭ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ٭ لما ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين واهلاكهم بانواع من الاخذ ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين لينبههم على انه ينبغي بل يجب عليهم ان يكونوا طائعين منقادين لامره وقرأ السلمي والاعرج والاخوان اولم تروا بتاء الخطاب اما على العموم للخلق استؤنف به الاخبار واما على معنى قل لهم اذا كان خطابا خاصا وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واحتمل ايضا ان يعود الضمير على الذين مكروا واحتمل ان يكون اخبارا عن المكلفين والاول اظهر لتقدم ذكرهم وقرأ ابو عمرو وعيسى ويعقوب تتفيؤا بالتاء على التأنيث وباقي السبعة بالياء وقرأ الجمهور ظلاله جمع ظل وقرأ عيسى ظلله جمع ظلة كحلة وحلل والرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار ولكنها بوساطة رؤية العين قيل والاستفهام معناه التوبيخ قيل ويجوز ان يكون معناه التعجب والتقرير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شركاء وقد رأوا هذه المصنوعات التي اظهرت عجائب قدرته وغرائب صنعه مع علمهم بان آلهتهم التي اتخذوها شركاء لا تقدر على شيء البتة والجملة من قوله يتفيؤا في موضع الصفة قاله الحوفي وتبعه ابن عطية والزمخشري قال ابن عطية من شيء لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله يتفيؤا ظلاله لان ذلك صفة لما عرض للعبرة في جميع الاشخاص التي لها ظل وقال الزمخشري وما موصولة بخلق الله وهو مبهم

قوله عز وجل اولم يروا الى ما خلق الله

بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله فقال عن شمائل والمعنى من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم
قائم وقوله يتفيؤا ظلاله اخبار عن قوله من شيء يوصف له وهذا الاخبار يدل على
ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل ويتفيؤا يتفعل من الفيء وهو الرجوع يقال
فاء الظل يفيء فيئا رجع وعاد بعد ما نسخه ضياء الشمس وفاء اذا عدي فبالهمزة كقوله
ما افاء الله على رسوله او بالتضعيف نحو فيأ الله الظل فتفيأ وتفيأ مطاوع فيأ المطاوع عن
وهو لازم وقد استعمله ابو تمام متعديا **قال**

• طلبت ربيع ربيعة الممهى لها وتفيأت ظلاله ممدودا •

ويحتاج ذلك الى نقله من كلام العرب متعديا قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها
بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل ما
يكون بالغداة وهو ما لم تنله **قال الشاعر**

• فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق •

وقال امرؤ القيس

• تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي •

وعن رؤبة ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه فهو ظل وذلك
ان الشمس من طلوعها الى وقت الزوال تنسخ الظل فاذا زالت رجع ولا يزال ينمو الى ان
يغيب والمشهور ان الفيء لا يكون الا بعد الزوال ولا اعتبار في هذه الآية من اول
النهار الى آخره فمعنى يتفيؤا تنتقل وتميل واضاف الظلال وهي جمع الى ضمير مفرد
لانه ضمير ما وهو جمع من حيث المعنى لقوله لتستووا على ظهوره وقال صاحب اللوامح في
قراءة عيسى ظلله والظلة الغيم وهو جسم وبالكسر الفيء وهو عرض فرأى
عيسى ان التفيؤ الذي هو الرجوع بالاجسام اولى واما في العامة فعلى الاستعارة
انتهى قالوا في قوله عن اليمين والشمائل بحثان احدهما ما المراد بذلك والثاني
ما الحكمة في افراد اليمين وجمع الشمائل اما الاول فقالوا يمين الفلك وهو المشرق
وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين لان اقوى جانبي الانسان
يمينه ومنه تظهر الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق الى المغرب لاجرم كان
المشرق يمين الفلك والغرب شماله فعلى هذا نقول الشمس عند طلوعها الى وقت
انتهائها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربي فاذا انحدرت من وسط
الفلك عن الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي فهذا المراد من تفيؤ
الظلال من اليمين الى الشمال وقيل البلدة التي عرضها اقل من مقدار الميل تكون الشمس
في الصيف عن يمين البلدة فتقع الظلال على يمينهم وقال الزمخشري المعنى اولم يروا
الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها عن جانبي كل
واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله بجانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب انتهى وقال ابن عطية والمقصود للعبرة في هذه الآية هو كل جرم
له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك والذي يترتب فيه ايمان وشمائل انما هو البشر
فقط لكن ذكر الايمان والشمائل هنا على حسب الاستعارة لغير البشر تقدر ذا يمين
وشمال وتقدر مستقبل اي جهة شئت ثم تنظر ظله فتراه يميل اما الى الجهة اليمين

واما

واما الى جهة الشمال وذلك في كل اقطار الدنيا فهذا يعم الفاظ الآية وفيه
تجوز واتساع ومن ذهب الى ان اليمين من غدوة الى الزوال ويكون من الزوال الى
المغيب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جريج فانما يترتب فيما قدره مستقبل
الجنوب انتهى واما الثاني فقال الزمخشري واليمين بمعنى الايمان وجعله وهو
مفرد بمعنى الجمع فطابق الشمائل من حيث المعنى كما قال ويولون الدبر يريد الادبار
وقال الفراء كانه اذا وحد ذهب الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب
الى كلها لان قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع فعبر عن احدهما
بلفظ الواحد لقوله وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وقيل اذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة
بعينها فكانت اليمين واحدة واما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك
الظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع وقال الكرماني
يحتمل ان يراد بالشمائل الشمال والقدام والخلف لان الظل يفيء من الجهات كلها فبدئ
باليمين لان ابتداء التفيؤ منها او تيمنا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين
اليمين والشمال من التضاد ونزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين
من الخلاف وقيل وحد اليمين وجمع الشمائل لان الابتداء عن اليمين ثم ينقبض شيئا
فشيئا حالا بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات
وقال ابن عطية وما قال بعض الناس من ان اليمين اول وقعة للظل بعد الزوال
ثم الآخر الى الغروب هي عن الشمائل وافراد اليمين فتخليط من القول ومبطل من جهات
وقال ابن عباس اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث
الله علينا الشمس دليلا فقبض الله الظل فعلى هذا تاول دوران الشمس بالظل عن يمين
مستقبل الجنوب ثم بداءة الانحراف فهو عن الشمائل لانه حركات كثيرة وظلال منقطعة
فهي شمائل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلا واحدا عاما لكل شيء انتهى وقال
شيخنا الاستاذ ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الضائع افرد
وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير فكانه
في جهة واحدة وهو بالعشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت
الغايتان في الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة للفظ
للمعنى لان سجدا جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة
اللفظ للمعنى ولحظهما معا وتلك الغاية في الاعجاز انتهى والظاهر حمل
الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام اكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت
الشمس وانت متوجه الى القبلة كان الظل قدامك فاذا ارتفعت كان على
يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا دنت للغروب كان عن يسارك
وقالت فرقة الظلال هنا الاشخاص وهي المرادة نفسها والعرب تخبر احيانا
عن الاشخاص بالظلال ومنه **قول عبدة بن الطبيب**

• اذا نزلنا نصبنا ظل اخبية وفار للقوم باللحم المراجيل •

وانما نصبنا الاخبية ومنه **قول الشاعر**

تا

تتفيأ الظلال عشية . اي فيأ الاشخاص قال ابن عطية وهذا كله محتمل غير صريح
وان كان ابو علي قرره انتهى . والظاهر ان السجود هنا عبارة عن الانقياد وجريانها على
ما اراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها كما يقال للمشير برأسه الى الارض على جهة
الخضوع ساجد قال الزمخشري سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير
في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من
اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى ان الظلال منقادة لله
غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة
منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع انتهى فغاير الزمخشري بين الحالين جعل سجدا حالا
من الظلال وهم داخرون حالا من الضمير في ظلاله واجاز ابو البقاء ان يكون
وهم داخرون حالا من الضمير في سجدا وان يكون حالا ثانية من الظلال كما تقول جاء
زيد راكبا وهو ضاحك فيجوز ان يكون وهو ضاحك حالا من الضمير في راكبا ويجوز ان يكون
حالا من زيد وهذا الثاني عندي اظهر والعامل في الحالين يتفيأ وعن متعلقة به
وقال الحوفي وقال في موضع الحال وقال ابو البقاء وقيل عن اليمين اي على جانب اليمين
فيكون اذ ذاك منصوبا على الظرف واما ما اجازه الزمخشري من قوله وهم داخرون
حال من الضمير في ظلاله فعلى مذهب الجمهور لا يجوز وهي مسألة جاءني غلام هند ضاحكة
ومن ذهب الى انه اذا كان المضاف جزءا او كالجزء جاز فقد يجيز هنا وتقول الظلال
وان لم يكن جزءا من الاجرام فهي كالجزء لان وجودها ناشئ عن وجودها وذهبت فرقة
الى ان السجود هنا حقيقة قال الضحاك اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبل القبلة
من نبت وشجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت وقال
مجاهد انما تسجد الظلال دون الاشخاص وعنه ايضا اذا زالت الشمس سجد
كل شيء وقال الحسن اما ظلك فيسجد لله واما انت فلا تسجد له وقيل لما كانت
الظلال ملتصقة بالارض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود وكون
السجود يراد به الحقيقة وهو الوقوع على الارض على سبيل العبادة وقصدها
يبعد اذ يستدعي ذلك الحياة والعلم والقصد بالعبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع
التغير والتغير يقتضي مغيرا غيره ومدبرا له ولما كان سجود الظلال في غاية الظهور
بدئ به ثم انتقل الى سجود ما في السموات والارض ومن دابة يجوز ان يكون بيانا
لما في الطرفين ويكون من في السموات خلق يدبون ويجوز ان يكون بيانا لما في الارض
ولهذا قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض وعطف والملائكة على ما في السموات
وما في الارض وهم مندرجون في عموم ما تشريفا لهم وتكريما ويجوز ان يراد بهم
الحفظة الذين في الارض وبما في السموات ملائكتهن فلم يدخلوا في العموم وقيل بين
تعالى في اية الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله وبين ان اشرف الموجودات
وهم الملائكة واخسها وهي الدواب منقادة له تعالى ودل ذلك على ان الجميع
منقاد لله تعالى وقيل الدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب فلما ميز الله
الملائكة عن الدابة علمنا انها ليست مما يدب بل هي ارواح محضة مجردة انتهى وهو
قول فلسفي ولما كان بين المكلفين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو الانقياد لارادة

اشترك بينهما فيه وان اختلفا في كيفية السجود وقال الزمخشري **فان قلت** فهلا
جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه
دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة
العموم انتهى وظاهر السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر
الجواب تخصيص من بالعقلاء وان الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب
لانه اورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى ان من تغليب فيها
والجواب لا تغليب فيها وهذا في الحقيقة ليس بجواب والظاهر ان الضمير في قوله يخافون عائد
على المنسوب اليهم السجود في ولله يسجد قاله ابو سليمان الدمشقي وقال ابن السائب
ومقاتل يخافون من صفة الملائكة خاصة فيعود الضمير عليهم وقال الكرماني والملائكة
موصوفون بالخوف لانهم قادرون على العصيان وان كانوا لا يعصون والفوقية المكانية
مستحيلة بالنسبة اليه تعالى فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف اي يخافون
عذابه كائنا من فوقهم لان العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا منه اي
يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون .
وفي نسبة الخوف لمن نسب اليه السجود والملائكة خاصة دليل على تكليف الملائكة
كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء مدارون على الوعد والوعيد كما قال تعالى
وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقيل
الخوف خوف جلال ومهابة والجملة من يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون
ويجوز ان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته وقوله
ويفعلون ما يؤمرون اما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة واما غيرهم من الحيوان
فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم الى ما نفذ من امر الله تعالى .

المفردات

وصب الشيء دام **قال ابو الاسود الدؤلي**

لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه . يوما بذم الدهر اجمع واصبا .

وقال حسان .

غيرته الريح تسفي به . وهزيم رعده واصب .

والعليل وصب لكن المرض لازم له وقيل الوصب التعب وصب الشيء شق ومفازة
واصبة بعيدة لا غاية لها الجؤار رفع الصوت بالدعاء .

وقال الاعشى يصف راهبا

يداوم من صلوات المليك . طورا سجودا وطورا جؤارا .

ويروى يراوح . دس الشيء في الشيء اخفاه فيه . الفرث كثيف ما يبقى من المأكول في الكرش
او المعى . النحل حيوان معروف . الحفدة الاعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة حفد
يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه واليك نسعى ونحفد اي نسرع في الطاعة .

وقال الشاعر .

حفد الولائد حولهن واسلمت . باكفهن ازمة الاجمال .

وقال الاعشى .

كلفت مجهودها نوقا يمانية . اذ الحداة على اكسائها حفدوا .

ومتعدي فيقال احتفدني فهو حافدي •
قال الشاعر يحفدون الضيف في أبياتهم كرماً ذلك منهم غير ذل ه
قال أبو عبيدة وفيه لغة أخرى احتفد احتفاداً وقال الجعد الحمل والخدمة وقال الخليل
الحفدة عند العرب الخدم وقال الأزهري الحفدة أولاد الأولاد وقيل الأختان ه
وأنشد فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت لها حفد مما يعد كثير •
• ولكنها نفس علي أبية عيوف لأصهار اللئام قذور •
وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون • وله ما في
السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون • وما بكم من نعمة فمن الله ثم
إذا مسكم الضر فإليه تجأرون • ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون
ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون • لما ذكر انقياد ما في السموات وما في
الأرض لما يريد تعالى منهما فكان هو المنفرد بذلك نهى أن يشرك به وذلك النهي عن اتخاذ
الإلهين على النهي عن اتخاذ الآلهة ولما كان الاسم الموضوع للإفراد والتثنية قد يتجوز فيه
فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان ه
وقول الشاعر
• فإن النار بالعودين تذكى • وإن الحرب أولها الكلام ه
أكد الموضوع لهما بالوصف فقيل إلهين اثنين وقيل إله واحد وقال الزمخشري الاسم
الحامل لمعنى الإفراد أو التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فإذا أردت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد
شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك إذا قلت إنما هو إله
ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية انتهى والظاهر
أن لا تتخذوا تعدى إلى واحد واثنين كما تقدم تأكيد وقيل هو متعد إلى مفعولين فقيل
تقدم الثاني على الأول وذلك جائز والتقدير لا تتخذوا اثنين إلهين وقيل حذف
الثاني للدلالة تقديره معبوداً واثنين على هذا القول تأكيد وتقرير منافاة
الاثنينية للإلهية من وجوه ذكرت في علم أصول الدين ولما نهى عن اتخاذ الإلهين
واستلزم النهي عن اتخاذ الآلهة أخبر تعالى أنه إله واحد كما قال وإلهكم إله واحد
بأداة الحصر وتأكيد بالوحدة ثم أمرهم بأن يرهبوه والتفت من الغيبة إلى
الحضور لأنه أبلغ في الرهبة وانتصب إياي بفعل محذوف مقدر التأخر عنه يدل
عليه فارهبون وتقديره وإياي ارهبوا وقول ابن عطية فإياي منصوب بفعل مضمر
تقديره فارهبوا إياي فارهبون ذهول عن القاعدة في النحو أنه إذا كان المعمول ضميراً
منفصلاً والفعل متعد إلى واحد هو الضمير وجب تأخر الفعل كقوله إياك نعبد ولا
يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة نحو قوله إليك حتى بلغت إياك ه ثم التفت من التكلم
إلى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض لأنه لما كان هو الإله الواحد
الواجب لذاته كان ما سواه موجوداً بإيجاده وخلقه وأخبر أن له الدين واصباً قال
مجاهد الدين الإخلاص وقال ابن جبير العبادة وقال عكرمة شهادة أن لا إله إلا
الله وإقامة الحدود والفرائض وقال الزمخشري وابن عطية الطاعة زاد ابن عطية

قوله عز وجل وقال الله

والملك

والملك وأنشد في دين عمرو وحالت بيننا فدك ه أي في طاعته وملكه وقال
الزمخشري أو وله الجزاء دائماً ثابتاً سرمداً لا يزول يعني الثواب والعقاب وقال
ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد والثوري واصباً
دائماً قال الزمخشري والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه بالطاعة واجبة
له على كل منعم عليه وذكر ابن الأنباري أنه من الوصب وهو التعب وهو على معنى النسب
أي ذا وصب كما قال • أضحى فؤادي به فاتنا ه أي ذا فتون قال الزمخشري
أو وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفاً انتهى وقال الزجاج يجوز أن
يكون المعنى وله الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه أم لا يسهل فله
الدين وإن كان فيه الوصب والوصب شدة التعب ه وقال الربيع بن أنس واصباً خالصاً
قال ابن عطية والواو في وله ما في السموات والأرض عاطفة على قوله إله واحد ويجوز أن
تكون واو ابتداء انتهى ولا يقال واو ابتداء إلا لواو الحال ولا يظهر هنا الحال والعا
هي عاطفة فأما على الخبر كما ذكر أولاً فتكون الجملة في تقدير المفرد لأنها معطوفة على
الخبر وأما على الجملة بأسرها التي هي إنما هو إله واحد فيكون من عطف الجمل وانتصب
واصباً على الحال والعامل فيه هو ما يتعلق به المجرور أفغير الله استفهام تضمن التوبيخ
والتعجب أي بعدما عرفتم وحدانيته وأن ما سواه له ومحتاج إليه كيف تتقون وتخافون
غيره ولا نفع ولا ضر يقدر عليه ثم أخبر تعالى بأن جميع النعم الممتن بها إنما هي من إيجاده
واختراعه ففيه إشارة إلى وجوب الشكر على ما أسدى من النعم الدينية والدنيوية
ونعمه تعالى لا تحصى كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما موصولة وصلتها بكم
والعامل فعل الاستقرار أي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر فمن الله أي فهي من قبل الله
وتقدير الفعل العامل في بكم خاصاً كحل أو نزل ليس بجيد وأجاز الفراء والحوفي أن تكون
ما شرطية وحذف فعل الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم من نعمة وهذا ضعيف
جداً لأنه لا يجوز حذفه إلا بعد إن وحدها في باب الاشتغال أو متلوة بلا النافية
مدلولاً عليه بما قبله نحو قوله • فطلقها فلست لها بكفؤ • وإلا يعل مفرقك الحسام
أي وإلا تطلقها حذف تطلقها لدلالة طلقها عليه وحذفه بعد إن غير متلوة بلا
مختص بالضرورة نحو قوله • قالت بنات العم يا سلمى وإن كان عييا معدماً قالت
وإن أي وإن كان عييا معدماً وأما غير إن من أدوات الشرط فلا يجوز حذفه إلا معمولاً
عليه في باب الاشتغال مخصوصاً بالضرورة نحو قوله • أينما الريح تميلها تمل ه التقدير
أينما تميلها الريح تميلها تمل ولما ذكر تعالى أن جميع النعم منه ذكر حالة افتقار
العبد إليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهي حالة الضر والضر يشمل كل ما
يتضرر به من مرض أو فقر أو حبس أو نهب مال وغير ذلك وقرأ الزهري تجرون
بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ كاشف وفاعل هنا بمعنى فعل وإذا
الثانية للفجاءة وفي ذلك دليل على أن إذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لأنه
لا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها ومنكم خطاب للذين خوطبوا بقوله وما بكم
من نعمة إذ بكم خطاب عام والفريق هنا هم المشركون المعتقدون حالة الرخاء
أن أصنامهم تنفع وتضر وتشفع وعن ابن عباس المنافقون وعن ابن السائب الكفار

ومنكم في موضع الصفة ومن للتبعيض وأجاز الزمخشري أن تكون من للبيان لا للتبعيض قال
كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم قال ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم
إلى البر فمنهم مقتصد انتهى. واللام في ليكفروا إن كانت للتعليل كان المعنى أن إشراكهم
بالله سببه كفرهم به أي جحودهم أو كفران نعمته وبما آتيناهم من النعم أو من كشف الضر
أو من العذاب المنزل بهم وإن كانت للصيرورة فالمعنى صار أمرهم ليكفروا وهم
لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا بل آل أمرهم إلى ذلك الجؤار والرغبة إلى الكفر بما أنعم
عليهم أو إلى الكفر الذي هو جحوده والشرك به وإن كانت للأمر فمعناه التهديد
والوعيد وقال الزمخشري ليكفروا فتمتعوا يجوز أن يكون من الأمر الوارد في معنى
الخذلان والتخلية واللام لام الأمر انتهى. ولم يخل كلامه من ألفاظ المعتزلة وهي قوله
في معنى الخذلان والتخلية. وقرأ أبو العالية فيمتعوا بالياء باثنتين من تحتها
مضمومة مبنيا للمفعول ساكن الميم وهو مضارع متع مخففا وهو معطوف على ليكفروا وحذفت
النون إما للنصب عطفا إن كان ليكفروا منصوبا وإما للجزم إن كان مجزوما إن كان عطفا
وإما للنصب إن كان جواب الأمر وعنه فسوف يعلمون بالياء على الغيبة وقد رواها مكحول
الشامي عن أبي رافع مولى النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم والتمتع هنا هو بالحياة الدنيا ومآلها
إلى الزوال. ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون. وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه
مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب
ألا ساء ما يحكمون. للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز
الحكيم. الضمير في ويجعلون عائد على الكفار والظاهر أن في يعلمون عائد عليهم
وما هي الأصنام أي للأصنام التي لا يعلم الكفار أنها تضر وتنفع أو لا يعلمون في اتخاذها
آلهة حجة ولا برهانا وحقيقتها أنها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تشفع فهم جاهلون
بها وقيل الضمير في لا يعلمون للأصنام أي للأصنام التي لا تعلم شيئا ولا تشعر به إذ هي
جماد لم يقم بها علم البتة والنصيب هو ما جعلوه لها من الحرث والأنعام قبح تعالى فعلهم
ذلك وهو أن يفردوا نصيبا مما أنعم به تعالى عليهم لجمادات لا تضر ولا تنفع ولا تشفع
هي بجعل ذلك النصيب لها ثم أقسم تعالى على أنه يسألهم عن افترائهم واختلاقهم في
إشراكهم مع الله آلهة وأنها أهل للتقرب إليها بجعل النصيب لها والسؤال في الآخرة
أو عند عذاب القبر أو عند القرب من الموت أقوال ولما ذكر تعالى أنه يسألهم عن افترائهم
ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهة نسبوا إلى الله تعالى الولد وهو مستحيل ونسبوا ذلك
إليه فيما لم يرتضوه وتربد وجوههم من نسبته إليهم ويكرهونه أشد الكراهة وكانت
خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له تعالى عن نسبة الولد
إليه ولهم ما يشتهون وهم الذكور وهذه الجملة مبتدأ وخبر وقال الزمخشري
ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات
أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور انتهى وهذا الذي أجازه من النصب
تبع فيه الفراء والحوفي وقال أبو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن
قاعدة في النحو وهو أن الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل لا يتعدى إلى ضميره المتصل

المنصوب

المنصوب فلا يجوز زيد ضربه يريد ضرب نفسه إلا في باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية
وفقد وعدم فيجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وزيد عدمه والضمير المجرور بالحرف كالمنصوب
المتصل فلا يجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه فعلى هذا الذي تقرر لا يجوز
النصب إذ يكون التقدير ويجعلون لهم ما يشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور
باللام فهو نظير زيد غضب عليه. وإذا بشر المشهور أن البشارة أول خبر يسر وهنا
قد يراد به مطلق الإخبار أو تغير البشرة وهو القدر المشترك بين الخبر السار والمخبر (?)
وفي هذا تقبيح لنسبتهم إلى الله المنزه عن الولد البنات وأحدهم أكره الناس فيهن وأنفر
طبعا عنهن وظل تكون بمعنى صار وبمعنى أقام نهارا على الصفة التي تسند إلى اسمها
تحتمل الوجهين والأظهر أن تكون بمعنى صار لأن التبشير قد يكون في ليل ونهار وقد
تلحظ الحالة الغالبة وأن أكثر الولادات تكون بالليل ويتأخر إخبار المولود له
إلى النهار وخصوصا بالأنثى فيكون ظلوله على ذلك الوصف طول النهار واسوداد الوجه
كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى قيل إذا قوي
الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب
والدماغ من التعلق الشديد فترى الوجه مشرقا متلألئا وإذا قوي الغم انحصر الروح
إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه فيربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه
أثر الأرضية فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده
واسوداده فلذلك كني عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد وهو كظيم أي ممتلئ
القلب حزنا وغما أخبر عما يظهر في وجهه وعما يجنه في قلبه وكظيم يحتمل أن يكون
للمبالغة ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم ويقال سقاء مكظوم أي مملوء
مشدود الفم وروى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتا سمتها الزلفاء فهجرها زوجها
فقالت

ما لأبي الزلفاء لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
يحرد أن لا نلد البنينا ... وإنما نأخذ ما يعطينا

يتوارى يختفي من الناس ومن سوء للتعليل أي الحامل له على التواري هو سوء ما أخبر به
وقد كان بعضهم في الجاهلية يتوارى حالة الطلق فإن أخبر بذكر ابتهج أو بأنثى حزن
وتوارى أياما يدبر فيها ما يصنع أيمسكه في موضع الحال المحذوفة دل عليها المعنى والتقدير
مفكرا أو مدبرا أيمسكه وذكر الضمير ملاحظة للفظ ما في قوله من سوء ما بشر به
وقرأ الجحدري أيمسكها على هوان أم يدسها بالتأنيث عودا على قوله بالأنثى
أو على معنى ما بشر به ووافقه عيسى على قراءة هوان على وزن فعال وقرأت فرقة
أيمسكه بضمير التذكير أم يدسها بضمير التأنيث وقرأت فرقة على هون بفتح الهاء
وقرأ الأعمش على سوء وهي عندي تفسير لا قراءة لمخالفتها السواد المجمع عليه ومعنى
الإمساك حبسه وتربيته والهون الهوان كما قال عذاب الهون والهون
بالفتح الرفق والذين يمشون على الأرض هونا وفي قوله على هون قولان أحدهما
أنه حال من الفاعل وهو مروي عن ابن عباس قال ابن عباس إنه صفة للأب والمعنى
أيمسكها مع رضاه بهوان نفسه وعلى رغم أنفه وقيل حال من المفعول أي يمسكها مهانة

قوله عز وجل ويجعلون لما لا يعلمون

ذليلة والظاهر من قوله ام يدسه في التراب انه يئدها ويدفنها حية حتى تموت وقيل
دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب والظاهر من قوله الا ساء
ما يحكمون رجوعه الى قوله ويجعلون لله البنات الاية اي ساء ما يحكمون في نسبتهم
الى الله ما هو مستنكره عندهم تا فر عنهن طبعهم بحيث لا يحتملون نسبتهن اليهم ويئدونهن
استنكافا منهن وينسبون اليهم الذكر كما قال الكم الذكر وله الانثى وقال ابن عطية
ومعنى الاية يدبر ايمسك هذه الانثى على هوان يتجلد له ام يئدها فيدفنها حية فهو
الدس في التراب ثم استقبح الله سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على الله
انتهى فعلى الا ساء ما يحكمون بصنعهم في بناتهم مثل السوء قيل مثل بمعنى صفة اي
صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي
الغنى عن العالمين والنزاهة عن سمات المحدثين وقيل مثل السوء هو وصفهم الله تعالى
بان له البنات وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد الى الله وخصوصا على طريق الانوثة
التي هم يستكرهونها وقال ابن عباس مثل السوء النار وقال ابن عطية قالت
فرقة مثل بمعنى صفة اي لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف الاعلى وهذا لا نضطر
اليه لانه خروج عن اللفظ بل هو في قوله مثل على بابه وذلك انهم اذا قالوا ان البنات
لله فقد جعلوا لله مثلا فالبنات من البشر وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو
المثل السوء والذي اخبر الله تعالى انهم لهم وليس في البنات فقط بل لما جعلوه
هم البنات جعله هو لهم على الاطلاق في كل سوء ولا غاية ابعد من عذاب النار
وقوله ولله المثل الاعلى على الاطلاق اي الكمال المستغني وقال قتادة
المثل الاعلى لا اله الا الله انتهى وقول قتادة مروي عن ابن عباس ولما تقدم
قوله ويجعلون لله البنات الاية تقدم ما نسبوا الى الله وان ذا بنا ما كانت
منسوبا لانفسهم بداء هنا بقوله للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء واتى بعد ذلك
بما يقابل قوله سبحانه من التنزيه وهو قوله ولله المثل الاعلى وهو الوصف المنزه
عن سمات الحدوث والتوالد وهو الوصف الاعلى الذي ليس يشركه فيه غيره
وناسب الختم بالعزيز وهو الذي لا يوجد نظيره الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها
۝ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ ويجعلون لله ما
يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم
مفرطون ۝ تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ۝ وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ والله انزل من السماء ماء
فاحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ۝ لما حكى تعالى عن
الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالد بين انه تعالى يمهلهم ولا يعاجلهم
بالعقوبة اظهارا لفضله ورحمته ويؤاخذ مضارع واخذ والظاهر انه بمعنى
المجرد الذي هو اخذ وقال ابن عطية كان احد المواخذين ياخذ من الاخر اما بمعصية

قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله

كما هي

كما هي في حق الله تعالى او بادائه في جهة المخلوقين فياخذ الاخر من الاول بالمعاقبة والجزاء
انتهى والظاهر عموم الناس وقيل اهل مكة والثاني بظلمهم بالتكذيب وظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم والضمير في عليها عائد على غير مذكور ودل على انه الارض قوله من دابة
لان الدبيب من الناس لا يكون الا في الارض فهو كقوله فاثرن به نقعا اي بالمكان
لان العاديات معلوم انها لا تعدو الا في مكان وكذلك الاشارة والنقع
والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع ما يدب على الارض
حتى الجعلان في جحرها قاله ابن مسعود وقال قتادة وقد فعل تعالى ذلك في زمن
نوح عليه السلام وقال السدي ومقاتل اذا قحط المطر لم تبق دابة الا هلكت
وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وهذا ينظر الى قوله واتقوا فتنة الاية والحديث انهلك وفينا
الصالحون وقال ابن السائب واختاره الزجاج من دابة من الانس والجن وقال
ابن جريج خاصة وقالت فرقة منهم ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها ولكن
يؤخرهم الى اجل الاية تقدم تفسير ما يشبهه في الاعراف وما في ما يكرهون
لمن يعقل واريد به النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك
ويحكمون به وقال الزمخشري ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم
ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى انتهى وقال مجاهد الحسنى قول قريش لنا البنون يعني قالوا لله
البنات ولنا البنون وقيل الحسنى الجنة وقوله لا جرم ان لهم النار والمعنى على
هذا يجعلون لله المكره ويدعون مع ذلك انهم يدخلون الجنة كما تقول انت تعصي الله
وتقول مع ذلك انك تنجو اي هذا بعيد مع هذا وهذا القول لا يتاتى الا ممن يقول
بالبعث وكان فيهم من يقول به او على تقدير ان كان ما يقول من البعث صحيحا وان لهم
الحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف اي بان لهم وقراء الحسن ومجاهد
باختلاف السنتهم باسكان التاء وهي لغة تميم جمع لسانا المذكر نحو حمار واحمرة
وفي التانيث السن كذراع واذرع وقراء معاذ بن جبل وبعض اهل الشام الكذب
بضم الكاف والذال والباء صفة للالسنة جمع كذوب كصبور وصبر وهو مقيس
او جمع كاذب كشارف وشرف ولا ينقاس وعلى هذه القراءة ان لهم مفعول تصف
وتقدم الكلام في لا جرم ان وقراء الحسن وعيسى بن عمر ان لهم بكسر الهمزة واءت
جواب قسم اغنت عنه لا جرم وقراء ابن عباس وابن مسعود وابو رجاء وشيبة
ونافع واكثر اهل المدينة مفرطون من افرط اي متجاوزون الحد في معاصي الله وباقي
السبعة والحسن والاعرج واصحاب ابن عباس ونافع في رواية بفتح الراء من فرطته
الى كذا قدمته فهو معدى بالهمزة من فرط الى كذا تقدم اليه ۝

قال القطامي ۝

۝ واستعجلونا وكانوا من صحابتنا ۝ كما تعجل فراط لوراد ۝

ومنه انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم وقال ابن جبير ومجاهد وابن ابي هند

مفرطون مخلفون متروكون منزوكون في النار من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته
قال ابو البقاء تقول العرب افرطت منهم ناسا اي خلفتهم ونسيتهم وقرأ
ابو جعفر مفرّطون مشددا من فرّط اي مقصرون مضيعون وعنه ايضا فتح الراء
وشدها اي مقدمون من فرّطته المعدى بالتضعيف من فرط بمعنى تقدم ثم اخبر
تعالى بارسال الرسل الى امم من قبل امتك مقسما على ذلك ومؤكدا بالقسم وبقدم
التي تقتضي تحقيق الامر بتسلية التسلية للرسول لما كان يناله بسبب جهالات
قومه ونسبته الى الله ما لا يجوز فزين لهم الشيطان اعمالهم من تماديهم على الكفر
فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية اي لا ناصر لهم في حياتهم الا هو او عبر باليوم
عن وقت الارسال ومحاورة الرسل لهم او حكاية حال آتية وهي يوم القيمة وال
في اليوم للعهد وهو اليوم المشهود فهو وليهم في ذلك اليوم اي قرينهم وبئس
القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى امم وقال الزمخشري ويجوز ان يرجع
الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم
منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم انتهى وهذا فيه
بعد لاختلاف الضماير من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف واللام
في ليبين لام التعليل والكتاب القرآن والذي اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد
والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدون من الاحكام كتحريم
البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الاحكام وهدى ورحمة في موضع نصب
على انهما مفعول من اجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما لان المنزل
هو الله وهو الهادي والراحم ودخلت اللام على ليبين لاختلاف الفاعل لان
المنزل هو الله والتبيين مسند للمخاطب وهو الرسول وقول الزمخشري معطوفان
على محل ليبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه الا ترى انه
لو نصب لم يجز لاختلاف الفاعل ه والله انزل من السماء ماء قال ابو عبد الله
الرازي المقصود من القرآن اربعة الالهيات والنبوات والمعاد والقدر والاعظم
منها الالهيات فابتدأ هنا ذكر دلايلها بالاجرام الفلكية ثم بالانسان
ثم بالحيوان ثم بالنبات ثم باحوال البحر والارض ثم عاد الى تقرير دلايل
الالهيات فبدأ بذكر الفلكيات انتهى ملخصا وقال ابن عطية لما صرح بتبيين
ما اختلفت فيه نص العبر المودية الى بيان امر الربوبية فبدأ بنعمة المطر التي
هي ابين العبر وهي ملاك الحيوة وهي في غاية الظهور ولا يختلف فيها عاقل انتهى
ونقول لما ذكر انزال الكتاب للتبيين كان القرآن حيوة الارواح وشفاء لما في الصدور
من علل العقايد ولذلك ختم بقوله لقوم يؤمنون اي يصدقون والتصديق محله
القلب ذكر انزال المطر الذي هو حيوة الاجسام وسبب لبقائها ثم اشار باحياء
الارض بعد موتها الى احياء القلوب بالقرآن كما قال او من كان ميتا فاحييناه
فكما تصير الارض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيى بالقرآن
بعد ان كان ميتا بالجهل ولذلك ختم بقوله يسمعون اي يسمعون هذا التشبيه
المشار اليه والمعنى سماع انصاف وتدبر ولملاحظة هذا المعنى والله اعلم

قوله عز وجل وان لكم في الانعام

لقوم لم يختم بلقوم يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر ويشاهد وقال ابن عطية وقوله
يسمعون يدل على الظهور وهذا المعتبر فيه وبيانه لانه لا يحتاج الى نظر ولا تفكر وانما يحتاج
المنبه الى ان يسمع القول فقط ه وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين • ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون • واوحى ربك الى النحل
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي
سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون ع لما ذكر تعالى احيا الارض بعد موتها ذكر ما ينشا عن ما ينشا
عن المطر وهو حياة الانعام التي هي مالوف العرب بما يتناول من النبات الناشي عن المطر
ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم وقرأ ابن مسعود بخلاف
والحسن وزيد بن علي وابن عامر وابو بكر ونافع واهل المدينة نسقيكم هنا وفي قد افلح
بفتح النون مضارع سقى وباقي السبعة بضمها مضارع اسقى وتقدم الكلام في سقى
واسقى في قوله فاسقيناكموه وقرأ ابو رجاء يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عايد على الله
اي يسقيكم الله قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون مسندا الى النعم وذكر لان النعم مما يذكر
ويؤنث ومعناه وان لكم في الانعام نعما يسقيكم اي يجعل لكم سقيا انتهى وقرأت فرقة
بالتاء مفتوحة منهم ابو جعفر قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى وضعفها عنده والله اعلم
من حيث انث في تسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة لان
التانيث والتذكير باعتبارين واعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس لانه اذا صح وقوع
المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو احسن الفتيان
وانبله لانه يصح هو احسن فتى وان كان هذا لا ينقاس عند س انما يقتصر فيه على
ما قالته العرب وقيل جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع
فيعود الضمير عليه مفردا كقوله مثل الفراخ نتفت حواصله ه وقيل افرد
على تقدير المذكور كما يفرد اسم الاشارة بعد الجمع كما قال ه
ع فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق ه
فقال كانه وتقدير كأن المذكور قال الكسائي اي في بطون ما ذكرنا قال المبرد وهذا
شايع في القرآن قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وقال
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي اي هذا الشيء الطالع ولا يكون هذا الا في التانيث
المجازي لا يجوز جاريتك ذهب ه وقالت فرقة الضمير عائد على البعض اذ الذكور
لا البان لها فكان العبرة انما هي في بعض الانعام وقال الزمخشري ذكر س الانعام
في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع
الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال
في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا
مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله ه
ع في كل عام نعم تحوونه • يلقحه قوم وتنتجونه ه
واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع انتهى واما ما ذكر عن س

فهي كتابه في هذا في باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل ما نصه واما اجمال وقلوس
فانها تنصرف وما اشبهها لانها ضارعت الواحد الا ترى انك تقول اقوال واقاويل
واعراب واعاريب وايد وايادٍ فهذه الاحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج اليه
الواحد اذا كسر للجمع واما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فيخرج الجمع الى بناء غير هذا لان هذا
البناء هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل
الفلوس لان يجمع جميعا لاخرجته الى فعائل كما تقول جدود وجدائد وركوب وركائب
ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوي ذلك ان بعض العرب
تقول اتي للواحد فيضم الالف واما افعال فقد يقع للواحد من العرب من يقول هو
الانعام قال الله تعالى نسقيكم مما في بطونه وقال ابو الخطاب سمعت العرب
يقولون هذا ثوب اكياش انتهى والذي ذكره س هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وبين
افعال وفعول وان كان الجميع ابنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان
وافعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبيه مفاعل ومفاعيل لشبه ذينك بالمفرد
من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد بان بعض
العرب قال في اتي بضم الهمزة يعني انه قد جاء نادرا فعول من غير المصدر للمفرد
وبان بعض العرب قد يوقع افعالا للواحد من حيث افرد الضمير فنقول هو الانعام
وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لان الانعام في معنى النعم كما قال
الشاعر تركنا الخيل والنعم المفدى • وقلنا للنساء بها اقيمي ه
ولذلك قال س واما افعال فقد يقع للواحد دليل على انه ليس ذلك بالوضع
فقول الزمخشري انه ذكره في الاسماء المفردة على افعال تحريف في اللفظ وفهم
عن س ما لم يرده ويدل على ما قلناه ان س حين ذكر ابنية الاسماء المفردة نص
على ان افعالا ليس من ابنيتها قال س في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة
وليس في الكلام افعيل ولا افعول ولا افعال ولا افعيل ولا افعال الا ان تكسر عليه اسما
للجميع انتهى فهذا نص منه على ان افعالا لا يكون في الابنية المفردة ونسقيكم مما في بطونه
تبيين للعبرة وقال الزمخشري وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص
من ذلك كله انتهى قال ابن عباس اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا
واعلاه دما يجري في العروق واوسطه لبنا يجري في الضرع وقال
ابن جبير الفرث في اسفل المصارين والدم في اعلاها واللبن بينهما والكبد
يقسم الفرث الى الكرش والدم الى العروق واللبن الى الضروع وقال ابو عبد الله
الرازي قال المفسرون المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد
في موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم في اعلاه واللبن في الاوسط
وقد دللنا على ان هذا القول على خلاف الحس والتجربة وكان الرازي قد قدم ان
الحيوان يذبح ولا يرى في كرشه دم ولا لبن بل الحق ان الغذاء اذا تناوله وصل
الى الكرش وانطبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه كثيفا نزل الى الامعاء وصافيا

انحدر الى الكبد فينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني مخلوطا بالصفراء والسوداء
وزيادة المائية فتذهب الصفراء الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية
وخالص الدم يذهب الى الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد فيحصل الهضم الثالث
وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع وهو
لحم رخو ابيض فينقلب من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو الصحيح في كيفية تولد
اللبن انتهى ملخصا وقال ايضا واما نحن فنقول المراد لا يبعد ان اللبن انما
يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء
المأكولة الحاصلة في الكرش فاللبن متولد مما كان حاصلا فيما بين الفرث اولا ثم مما كان
حاصلا فيما بين الدم ثانيا انتهى ملخصا ايضا والذي يظهر من لفظ الآية ان اللبن يكون
وسيطا بين الفرث والدم فالبينية يحتمل ان تكون باعتبار المكانية حقيقة كما قاله المفسرون
والدم وادعى الرازي انه على خلاف الحس والمشاهدة ويحتمل ان تكون البينية مجازية
باعتبار تولده مما حصل في الفرث اولا وتولده من الدم ثانيا ثم من لطيف ما كان في
الفرث ثانيا كما قرره الرازي ومن الاولى للتبعيض متعلقة بنسقيكم وجاز تعلقهما
بعامل واحد والثانية لابتداء الغاية متعلقة بنسقيكم وجاز تعلقهما بعامل واحد
لاختلاف مدلوليهما ويجوز ان يكون من بين في موضع الحال فيتعلق بمحذوف لانه
لو تاخر لكان صفة اي كائنا من بين فرث ودم ويجوز ان يكون من بين فرث بدلا مما في
بطونه وقرات فرقة سيغا بتشديد الياء وعيسى بن عمر سيغا مخففا من سيغ كهين
المخفف من هين وليس بفعل لانه كان يكون سوغا والسائغ السهل في الحلق اللذيذ
وروي في الحديث ان اللبن لم يشرق به احد قط ولما ذكر تعالى ما من به من بعض
منافع الحيوان ذكر ما من به من منافع النبات والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون
وكررت من للتاكيد وكان الضمير مفردا رعيا للمحذوف اي ومن عصير ثمرات او على
معنى الثمرات وهو الثمر او بتقدير من المذكور وقيل تتعلق بنسقيكم فيكون معطوفا على مما في
بطونه او بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة فيكون من عطف الجمل والذي
قبله من عطف المفردات اذا اشتركا في العامل وقيل معطوف على الانعام اي ومن
ثمرات النخيل والاعناب عبرة ثم بين العبرة بقوله تتخذون وقال الطبري
التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما وهو لا يجوز على مذهب
البصريين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون صفة موصوف محذوف كقوله
يكفي كان من ارمى البشر ه تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه انتهى
وهذا الذي اجازه قاله الحوفي قال اي وان من ثمرات وان شئت شيء بالرفع بالابتداء
ومن ثمرات خبره انتهى والسكر في اللغة الخمر قال الشاعر ه

• بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم • اذا جرى فيهم المزاء والسكر ه

وقال الزمخشري سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا

قال الشاعر ه

• وجاؤونا بهم سكر علينا • فاجلى اليوم والسكران صاحي ه

وقال ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وابن ابي ليلى

والكلبي وابن جبير وابو ثور والجمهور وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت
بالمدينة فهي منسوخة قال الحسن ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر وقال ابن عباس
هو الخل بلغة الحبشة وقيل العصير الحلو الحلال وسمي سكرا باعتبار مآله اذا ترك
وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم واختاره الطبري قال
والسكر في كلام العرب ما يطعم وانشد ابو عبيدة جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا تنزلت في اعراض الناس فكانه تخمر بها قاله
الزمخشري وتبع الزجاج قال الوصف انه يخمر بعيوب الناس وعلى هذه الاقوال لا نسخ وقال
الزجاج قول ابي عبيدة لا يصح واهل التفسير على خلافه وقيل السكر ما لا يسكر من الانبذة
وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك
حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر انتهى واذا اريد بالسكر الخمر فقد
تقدم ان ذلك منسوخ واذا لم تقل بنسخ فقيل جمع بين العتاب والمنة يعني بالعتاب
على اتخاذ ما يحرم وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والرب والزبيب والتمر وقال الزمخشري
ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن انتهى فيكون
من عطف الصفات وظاهر العطف المغايرة ولما كان مفتتح الكلام وان لكم في الانعام لعبرة
ناسب الختم بقوله يعقلون لانه لا يعتبر الا ذوو العقول كما قال ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار وانظر الى الاخبار عن عجيب نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن
لا يحتاج الى معالجة من الناس اخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق
الحسن ولا بد مما تجربه العرب العرباء عن معالجة رضيته ولما ذكر تعالى المنة بالمشروب اللبن
وغيره انجز النعمة بذكر العسل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب في الناس
اكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه وقدم اللبن على ما بعده لانه المحتاج اليه كثيرا
وهو الدليل على الفطرة ولذلك اختاره الرسول حين اسري به وعرض عليه اللبن والخمر
والعسل وجاء ترتيبها في الجنة بهذه الآية قال تعالى وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ففي اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن
من ثمرات النخيل والاعناب والعسل من النحل دلائل باهرة على الالوهية والقدرة والاختيار
والايحاء هنا الالهام والالقاء في روعها وتعليمها على وجه هو تعالى اعلم بكنهه لا سبيل
الى الوقوف عليه والنحل جنس واحده نحلة ويؤنث في لغة الحجاز ولذلك قال ان اتخذي
وقرأ ابن وثاب النحل بفتح الحاء وان تفسيرية لانه تقدم معنى القول وهو واوحى
او مصدرية اي باتخاذ قال ابو عبد الله الرازي ان هنا هي المفسرة لما في الوحي من معنى
القول هذا قول جمهور المفسرين وفيه نظر لان الوحي هنا بالاجماع منهم هو الالهام وليس
في الالهام معنى القول وقال قرر تعالى في انفسها الاعمال العجيبة التي يعجز عنها
العقلاء من البشر منها بناؤها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية بمجرد طباعها
ولا يتم مثل ذلك للعقلاء الا بالات كالمسطرة والبركار ولم نتمها باشكال غير تلك
فتضيق تلك البيوت عنها لبقاء فرج لا يسعها ولها امير اكبر جثة منها نافذ الحكم يخدمونه
واذا نفرت عن وكرها الى موضع آخر وارادوا عودها الى وكرها ضربوا لها الطبول والات
الموسيقا وبواسطة تلك الالحان تعود الى وكرها فلما امتازت بهذه الخواص

العجيبة

العجيبة وليس الا على سبيل الالهام وهي حالة تشبه الوحي لذلك قال واوحى ربك الى
النحل انتهى ملخصا ومن للتبعيض لانها لا تبني في كل جبل وشجر وكل ما يعرش ولا في كل
مكان منها والظاهر ان البيوت هنا عبارة عن الكوى التي تكون في الجبال وفي متجوف الاشجار
واما من ما يعرشون ابن آدم فالخلايا التي يصنعها للنحل ابن آدم والكوى التي تكون في الحيطان
ولما كان النحل نوعين منه ما مقره في الجبال والغياض ولا يتعهده احد ومنه ما يكون في
بيوت الناس ويتعهد في الخلايا ونحوها شمل الامر باتخاذ البيوت النوعين وقال
الزمخشري ما يدل على ان البيوت ليست الكوى وانما هي ما تبنيه هي فقال اريد
معنى البعضية بمن وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش وقال
ابن زيد ومما يعرشون الكروم وقال الطبري مما يبنون من السقوف قال ابن عطية وهذا
منهما تفسير غير متقن انتهى وقرأ السلمي وعبيد بن نضلة وابن عامر وابو بكر عن عاصم
بضم الراء وباقي السبعة بكسرها ويقتضي ثم المهملة التراخي بين الاتخاذ والاكل الذي
تدخر منه العسل فلذلك كان العطف بثم وهو معطوف على اتخذي وهو مخرج امر معطوف
على امر وسيأتي الكلام على امر غير المكلف في قوله يا ايها النمل ادخلوا ان شاء الله وكل
الثمرات عام مخصوص اي المعتادة لاكلها قال الزمخشري اي ابني البيوت ثم كلي من كل
ثمرة تشتهيها انتهى فدل قوله اي ابني البيوت انه لا يريد بقوله بيوتا الكوى التي في الجبال
ومتجوف الاشجار ولا الخلايا وانما اراد البيوت المسدسة التي تبنيها هي وظاهر من في
قوله من كل الثمرات انها للتبعيض فتاكل من الاشجار الطيبة والاوراق العطرة اشياء يولد الله
منها في اجوافها عسلا قال ابن عطية انما تاكل النوار من الاشجار وقال ابو عبد الله الرازي
ما ملخصه يحدث الله تعالى في الهواء طلا كثيرا يجتمع منه اجزاء محسوسة مثل الترنجبين
وهو محسوس وقليلا لطيف الاجزاء صغيرها وهو الذي الهم الله تعالى النحل التقاطه
من الازهار واوراق الاشجار وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت بافواهها شيئا من تلك
الاجزاء ووضعتها في بيوتها كانها تحاول ان تدخر لنفسها غذاءها فالمجتمع من ذلك هو
العسل وعلى هذا القول يكون من لابتداء الغاية لا للتبعيض انتهى وظاهر العطف
بالفاء في فاسلكي انه يعقب الاكل اي فاذا اكلت فاسلكي سبل ربك اي طرق ربك
الى بيوتك راجعة والسبل اذ ذاك مسالكها في الطيران وربما اخذت مكانا نائيا
فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الاول وقيل سبل ربك اي الطرق التي
الهمك ان تفهمت في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت اي في سبل ربك اي في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ مأكلك وعلى هذا القول
ينتصب سبل ربك على الظرف وعلى ما قبله ينتصب على المفعول به وقيل المراد بقوله
ثم كلي ثم اقصدي الاكل من الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك وهذا القول
والقول الاول قريب في المجاز في سبل ربك من القولين اللذين بينهما الا ان كلي بمعنى
اقصدي الاكل مجاز واضاف السبل الى رب النحل من حيث انه تعالى هو خالقها ومالكها
والناظر في تهيئة مصالحها ومعاشها وقال مجاهد ذللا غير متوعرة عليها سبيل تسلكه
فعلى هذا ذللا حال من سبل ربك لقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وقال
قتادة اي مطيعة منقادة وقال ابن زيد يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم فعلى هذا

المحلة

ذللا حال من النحل كقوله وذللناها لهم ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيه على
المنة ثمرة هذا الاتخاذ والاكل والسلوك وهو قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل وسماه
شرابا لانه مما يشرب كما ذكر ثمرة الانعام وهو سقي اللبن وثمرة النخيل والاعناب وهو اتخاذ
السكر والرزق الحسن وذكر تعالى المقر الذي يخرج منه الشراب وهو بطونها وهو مبدأ الغاية
الاولى والجمهور على انه يخرج من افواهها وهذا مبدأ الغاية الاخيرة ولذلك ۝

قال الحريري ۝

۝ تقول هذا مجاج النحل تمدحه ۝ وان ذممت تقل قيء الزنابير ۝

والمجاج والقيء لا يكونان الا من الفم وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال في تحقير الدنيا
اشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة وعندنا ايضا اما العسل فهو نيم
ذباب فظاهر هذا ان العسل يخرج من غير الفم وقد خفي من اي المخرجين يخرج أمن الفم ام من اسفل
وحكي ان سليمان عليه السلام والاسكندر وارسطاطاليس صنعوا لها بيوتا من زجاج لينظروا
الى كيفية صنعها وهل يخرج العسل من فيها ام من اسفلها فلم تصنع من العسل شيئا حتى لطخت باطن
الزجاج بالطين بحيث يمنع المشاهدة وقال الحسن لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن
ما عابه مسلم فجعله لعابا كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم وقيل من بطونها من افواهها
سمي الفم بطنا لانه في حكم البطن ولانه مما يبطن ولا يظهر واختلاف الوانه بالبياض والصفرة
والحمرة والسواد وذلك لاختلاف طباع النحل واختلاف المراعي وقد يختلف طعمه لاختلاف
المرعى كما في الحديث جرست نحله العرفط وقيل الابيض تلقيه شباب النحل والاصفر
كهولها والاحمر شيبها والظاهر عود الضمير فيه الى الشراب وهو العسل لانه شفاء من جملة
الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه
العسل والعسل موجود كثير في اكثر البلدان واما السكر فمختص به بعض البلاد وهو
محدث ولم يكن فيما تقدم من الازمان يجعل في الاشربة والادوية الا العسل وليس
المراد بالناس هنا العموم لان كثيرا من الامراض لا يدخل في دوائها العسل وانما المعنى
للناس الذين ينجع العسل في امراضهم وتنكير شفاء اما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفاء اي
شفاء واما للدلالة على مطلق الشفاء اي فيه بعض الشفاء وروي عن ابن عباس
والحسن ومجاهد والضحاك والفراء وابن كيسان ان الضمير في فيه عائد على القرآن
اي في القرآن شفاء للناس قال النحاس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم من الآيات
والبراهين شفاء للناس قال القاضي ابو بكر بن العربي اري هذا القول لا يصح نقله عن هؤلاء
ولو صح نقلا لم يصح عقلا فان سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر ولما كان امر النحل
عجيبا في بنائها تلك البيوت المسدسة وفي اكلها من نوار الازهار والاوراق الحامض
والمر والضار وفي طواعيتها لاميرها ولمن يملكها في النقلة معه وكان النظر في ذلك يحتاج
الى تأمل وزيادة تدبر ختم بقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ۝ والله خلقكم
ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير ۝ والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ۝ والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم بنين
وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ۝ ويعبدون

قوله عز وجل والله خلقكم

من دون

من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا
لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ لما ذكر تعالى تلك الآيات التي في الانعام
والثمرات والنحل ذكر ما نبهنا به على قدرته التامة في انشائنا من العدم واماتتنا
وتنقلنا في حال الحياة من حالة العلم الى حالة الجهل وذلك كله دليل على القدرة التامة
والعلم الواسع ولذلك ختم بقوله عليم قدير وارذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل
النطق والفكر وخص بالرذيلة لانها حالة لا رجاء بعدها لاصلاح ما فسد بخلاف حال
الطفولة فانها حالة تتقدم فيها الى القوة وادراك الاشياء ولا يتقيد ارذل العمر بسن
مختص كما روي عن علي انه خمس وسبعون سنة وعن قتادة انه تسعون وانما ذلك بحسب
انسان انسان فرب ابن خمسين انتهى الى ارذل العمر ورب ابن مائة لم يرد اليه والظاهر ان
من يرد الى ارذل العمر عام فيمن يلحقه الخرف والهرم وقيل هذا في الكافر لان المسلم لا يزداد
بطول عمره الا كرامة على الله ولذلك قال تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي لم يرد الى اسفل سافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى
ارذل العمر واللام في لكي قال الحوفي هي لام كي دخلت على كي للتوكيد وهي متعلقة بيرد انتهى
والذي ذهب اليه محققوا النحاة في مثل لكي ان كي حرف مصدري اذا دخلت عليها اللام
وهي الناصبة كان وان اللام جارة فينسبك من كي والمضارع بعدها مصدر مجرور باللام
مقدرا باللام على هذا لم يدخل على كي للتوكيد لاختلاف معناهما واختلاف عملهما لان اللام
مشعرة بالتعليل وكي حرف مصدري واللام جارة وكي ناصبة وقال ابن عطية يشبه
ان تكون لام صيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيئا وهذه عبارة
عن قلة علمه لا انه لا يعلم شيئا البتة وقال الزمخشري ليصير الى حالة شبيهة بحال
الطفولة في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل
لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه انتهى وانتصب شيئا
اما بالمصدر على مذهب البصريين في اختيار اعمال الثاني للقرب او بيعلم على مذهب الكوفيين
في اختيار اعمال ما سبق للسبق ولما ذكر ما يعرض في الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء
العلم ذكر علمه وقدرته اللذان لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث وليست
صفة العلم ما جاوزها من انتفاء العلم وتقدم ايضا ذكر مناسبة الختم بهذين الوصفين
ولما ذكر تعالى خلقنا ثم اماتتنا وتفاوتنا في السن ذكر تفاوتنا في الرزق وان رزقنا
افضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا وربما كان المملوك خيرا من المولى في العقل والدين
والتصرف وان الفاضل في الرزق لا يساهم مملوكه فيما رزق فيساويه وكان ينبغي
ان يرد فضل ما رزق عليه ويساويه في المطعم والملبس كما يحكى عن ابي ذر انه رئي عبده
وازاره مثل ازاره ورداؤه مثل ردائه من غير تفاوت عملا بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون وعن ابن عباس وقتادة
ان الاخبار بقوله فما الذين فضلوا على سبيل المثال اي ان المفضلين في الرزق لا يصح منهم
ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى يستوي احوالهم فاذا كان هذا في البشر فكيف
تنسبون انتم ايها الكفرة الى الله تعالى انه يشرك في الوهيته الاوثان والاصنام
ومن عبد من الملائكة وغيرهم والجميع عبيده وخلقه وعن ابن عباس ان الآية مشيرة

الى عيسى بن مريم وقال المفسرون هذه الآية كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الآية
وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن
الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه
اليهم على ايديهم وعلى هذا القول يكون فهم فيه سواء جملة اخبار عن تساوي الجميع
في ان الله تعالى هو رازقهم وعلى القولين الآخرين تكون الجملة في موضع جواب
النفي كانه قيل فيستووا وقيل هي جملة استفهامية حذف منها الهمزة التقدير فهم فيه
سواء اي ليسوا مستوين في الرزق بل التفضيل واقع لا محالة ثم استفهم عن جحودهم
نعمة استفهام انكار واتى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التي لا تحصى اي
انعم تفضل عليكم بالنشأة اولا ثم بما فيه قوام حياتكم جدير بان تشكر نعمه ولا تكفر
وقرأ ابو بكر عن عاصم وابو عبد الرحمن والاعرج بخلاف عنه تجحدون بالتاء على الخطاب
لقوله فضل مبكتا لهم في جحد نعمة الله ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق
المفضل فيه ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما يأنس به ويستنصر به ويخدمه
واحتمل من انفسكم ان يكون المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل ان يكون ذلك باعتبار خلق حواء
من ضلع من اضلاع آدم فينسب ذلك الى بني آدم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر عطف
حفدة على بنين فيكون الجميع من الازواج وانهم غير البنين فقال الحسن هم بنو ابنك
وقال ابن عباس والازهري الحفدة اولاد الاولاد واختاره ابن العربي وقال
ابن عباس ايضا البنون صغار الاولاد والحفدة كبارهم وقال مقاتل بعكسه
وقيل البنات لانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة ففي هذا القول خص البنين بالذكر
لانه جمع مذكر كما قال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وانما الزينة في الذكور وعن
ابن عباس هم اولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمته وقيل وحفدة منصوب
بجعل مضمرة وليسوا داخلين في كونهم من الازواج فقال ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى
وابراهيم بن جبير الاصهار وهم قرابة الزوجة كابيها واخيها وقال مجاهد هم الانصار
والاعوان والخدم وقالت فرقة الحفدة هم البنون اي جامعون بين البنوة والخدمة
فهو من عطف الصفات لموصوف واحد قال ابن عطية ما معناه وهذه الاقوال مبنية
على ان كل احد جعل له من زوجة بنين وحفدة وهذا انما هو في الغالب وعظم
الناس ويحتمل عندي ان قوله من ازواجكم انما هو على العموم والاشتراك اي من ازواج
البشر جعل الله منهم البنين ومنهم جعل الخدمة وهكذا رتبت الآية النعمة
التي تشمل العالم ويستقيم لفظ الحفدة على مجراها في اللغة اذ البشر بجملتهم
لا يستغني احد منهم عن حفدة انتهى وفي قوله من انفسكم ازواجا دلالة على كذب
العرب في اعتقادها ان الآدمي قد يتزوج من الجن ويباضعها حتى حكوا ذلك عن عمرو
ابن هند انه تزوج سعلاة ومن في الطيبات للتبعيض لان كل الطيبات في الجنة
والذي في الدنيا انموذج منها والظاهر ان الطيبات هنا المستلذات لا الحلال لان
المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل الازواج وما
ينتفع به من جهتين ذكر منته بالرزق والطيبات عام في النبات والثمار والحبوب
والاشربة ومن الحيوان وقيل الطيبات الغنائم وقيل ما اتى من غير نهب وقال مقاتل

الباطل

الباطل الشيطان ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي طاعة الشيطان
في الحلال والحرام وقيل ما يرجى من شفاعة الاصنام وبركتها قال الزمخشري
افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها
وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه
شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل
وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل
الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما
احل لهم انتهى وقرأ الجمهور يؤمنون بالياء وهو توقيف للرسول عليه السلام
على ايمانهم بالباطل ويندرج في التوقيف المعطوف بعدها وقرأ السلمي بالتاء
ورويت عن عاصم وهو خطاب انكار وتقريع لهم والجملة بعد ذلك مجرد اخبار عنهم
فالظاهر انه لا يندرج في التقريع ويعبدون استئناف اخبار عن حالهم في عبادة
الاصنام وفي ذلك تبيين لقوله افبالباطل يؤمنون ونعي عليهم فساد نظرهم في عبادة
ما لا يمكن ان يقع منه ما يسعى عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته
فنفى اولا ان يكون شيء من الرزق في ملكهم ونفى ثانيا قدرتهم على ان يتحاولوا ذلك وما لا
يملك عام في جميع من عبد من دون الله من ملك او آدمي او غير ذلك واجازوا في شيئا
انتصابه بقوله رزقا اجاز ذلك ابو علي وغيره ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق هو
المرزوق كالرعي والطحن والمصدر هو الرزق بفتح الراء كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة
بان الرزق بالكسر يكون ايضا مصدرا وسمع ذلك فيه فصح ان يعمل في المفعول به والمعنى
ما لا يملك لهم ان يرزق من السموات والارض شيئا ومن السموات متعلق اذ ذاك بالمصدر
قال ابن عطية بعد ان ذكر اعمال المصدر منونا والمصدر يعمل مضافا باتفاق لانه في
تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الاسماء
وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الالف
واللام في قول الشاعر ضعيف النكاية اعداءه ... البيت
وقوله لحقت فلم انكل عن الضرب مسمعا ... انتهى اما قوله يعمل مضافا باتفاق
ان عنى من البصريين فصحيح وان عنى من النحويين فغير صحيح لان بعض النحويين ذهب
الى انه وان اضيف لا يعمل وان نصب ما بعده او رفعه انما هو على اضمار الفعل المدلول
عليه بالمصدر واما قوله لانه في تقدير الانفصال فليس كذلك لانه لو كان في تقدير
الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك ابو القاسم بن برهان
وابو الحسين بن الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر المضاف وتوكيده
بالمعرفة واما قوله ولا يعمل الى آخره فقد ناقضه في قوله اخيرا وقد جاء عاملا
مع الالف واللام واما كونه لا يعمل مع الالف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين
ومذهب س جواز اعماله قال س وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت
من الضارب زيدا تكون الالف واللام بمنزلة التنوين واذا كان رزقا يراد به
المرزوق فقالوا انتصب شيئا على انه بدل من رزقا كانه قيل ما لا يملك لهم من
السموات والارض وهو البدل ليس جاريا على جهة البيان لانه اعم من رزق ولا على

جملة التوكيد لانه لعمومه ليس مرادفا فينبغي ان لا يجوز اذ لا يخلو البدل من احد نوعيه هذين اما البيان واما التاكيد واجازوا ايضا ان يكون مصدرا اي شيئا من الملك كقوله ولا تضرونه شيئا اي شيئا من الضرر وعلى هذين الاعرابين تتعلق من السموات بقوله لا يملك او يكون في موضع الصفة لرزق فيتعلق بمحذوف ومن السموات رزقا يعني به المطر واطلق عليه رزق لانه عنه ينشأ الرزق والارض يعني الشجر والثمر والزرع والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها لانه يراد بها الهتهم بعدما اعاد على اللفظ في قوله ما لا يملك فافرد وجاز ان يكون داخلا في صلة ما وجاز ان لا يكون داخلا بل اخبارا عنهم بانتفاء الاستطاعة اصلا لانهم اموات واما قول الزمخشري انه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة وقال ابن عباس ولا يستطيعون ان يرزقوا انفسهم وجوز الزمخشري وابن عطية ان يعود الضمير على ما عاد عليه في قوله ويعبدون وهم الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الباب شيئا من ذلك فكيف بالجماد الذي لا حس به قاله الزمخشري وقال ابن عطية لا يستطيعون ذلك ببرهان يظهرونه وحجة يثبتونها انتهى ونهى تعالى عن ضرب الامثال لله وضرب الامثال تمثيلها والمعنى هنا تمثيل الاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة من قولهم هذا ضرب لهذا اي مثل والضرب النوع تنوع الحيوانات على ضروب اي انواع وهذا من ضرب واحد اي من نوع واحد وقال ابن عباس معناه لا تشبهوه بخلقه انتهى وقال ان الله يعلم اثبت العلم لنفسه والمعنى انه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر عن الجزاء بالعلم وانتم لا تعلمون كنه ما اقدمتم عليه ولا وبال عاقبته فعدم علمكم بذلك جركم وجراكم وهو كالتعليل للنهي عن الاشراك قال الزمخشري ويجوز ان يراد ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون انتهى وقال ابن السائب فلا يعلم بضرب المثل وانتم لا تعلمون ذلك وقال مقاتل يعلم انه ليس له شريك وانتم لا تعلمون ذلك وقيل يعلم خطأ ما تضربون من الامثال وانتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه • الكل الثقيل وقد يسمي اليتيم كلا لثقله على من يكفله

وقال الشاعر

• اكول لمال الكل قبل شبابه • اذا كان عظم الكل غير شديد •

والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع كلول • اللمح النظر بعجلة لمحه لمحا ولمحانا • الجو مسافة ما بين السماء والارض وقيل هو ما يلي الارض في سمت العلو واللوح والسكاك ابعد منه • الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع والظعن الهودج ايضا • الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز قاله اهل اللغة في قوله ومن اصوافها الاية • الاثاث قال المفضل متاع البيت كالفرش والاكسية وقال الفراء لا واحد له من لفظه كما ان المتاع لا واحد له من لفظه ولو جمعت لقلت اأثثة في القليل واثث في الكثير وقال ابو زيد واحده اثاثة وقال الخليل اصله من قولهم اثث النبات والشعر فهو اثيث اذا كثر •

قال امرؤ القيس

• وفرع يغشي المتن اسود فاحم • اثيث كقنو النخلة المتعثكل •

قوله عز وجل ضرب الله مثلا

المفردات

الكن ما حفظ ومنع من الريح والمطر وغير ذلك وهو في الجبل الغار • استعتبت الرجل بمعنى اعتبته اي ازلت عنه ما يعتب عليه وبلا امره والاسم العتبى وجاءت استفعل بمعنى افعل نحو استدنيته وادنيته • ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم • ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير • والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون • الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون • مناسبة ضرب هذا المثل انه لما بين تعالى ضلال المشركين في اشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعا ولا ضرا لنفسه ولا لعابده ضرب لهم مثلا قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف وحر غني متصرف فيما اتاه الله فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من ادمي وغيره مع تباين الاوصاف وان موجد الوجود لا يمكن ان يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن العاقل ان يشبه به غيره قال مجاهد هذا مثل لله وللاصنام وقال قتادة للمؤمن والكافر فالكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الاخرة ومن رزقناه المؤمن وقال ابن جبير مثل للبخيل والسخي انتهى ولما كان لفظ عبد قد يطلق على الحر خصص بمملوك ولما كان المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالماذون له والمكاتب خصص بقوله لا يقدر على شيء والمعنى على شيء من التصرف في المال لانه يقدر على اشياء من حركات كالقيام والقعود والاكل والشرب والنوم وغير ذلك والظاهر كون من موصولة اي والذي رزقناه وذلك الصفة وما عطف على انه يراد به الحر وقال ابو البقاء موصوفة قال الزمخشري الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة وقال الحوفي من بمعنى الذي ولا يقتضي ضرب المثل لشخصين موصوفين باوصاف متباينة تعيينهما بل ما روي في تعيينهما من انهما عثمان بن عفان وعبد له او انهما ابو بكر الصديق وابو جهل لا يصح اسناده وجمع الضمير في يستوون ولم يثن لسبق اثنين لان من يحتمل ان يراد بها الجمع فيصير اذ ذاك جمع الضمير لانتظام العبد المملوك والاغنياء في الجمع وكانه قيل عبيدا مملوكا والملاك المرزوقون المنفقون ويحتمل ان يراد بعبيد مملوكا الجنس فيصح عود الضمير جمعا عليه وعلى جنس الاغنياء ويحتمل ان يعود على العبيد والاحرار وان لم يجر للجمعين ذكر لدلالة عبد مملوك ومن رزقناه عليهما قل الحمد لله الظاهر انه خطاب للرسول وقيل يحتمل ان يكون خطابا لمن رزقه الله امره ان يحمد الله على انه ميزه بهذه القدرة على ذلك الضعيف • وقال ابن عطية الحمد لله شكر على بيان الامر بهذا المثل وعلى اذعان الخصم له كما تقول لمن اذعن لك في حجة وسلم تبني انت عليه قولك الله اكبر على هذا يكون كذا وكذا فلما قال هنا هل يستوون فكان الخصم قال له لا فقال الحمد لله ظهرت الحجة انتهى

وقيل الحمد لله أي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه إذ لا نعمة للأصنام عليهم
فتحمد عليها إنما الحمد الكامل لله لأنه المنعم الخالق وقال ابن عباس الحمد لله على ما فعل
بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد والظاهر نفي العلم عن أكثرهم لأنهم لا دينهم من بيان له
الحق ورجع إليه أو أكثر الخلق لأن الأكثر هم المشركون وقيل المراد في العموم أي بل هم
لا يعلمون ومتعلق يعلمون محذوف إما لأن المعنى نفي العلم عن الأكثر ولم يلحظ متعلقه
وإما لأنه محذوف يترتب على الأقوال التي سبقها قوله الحمد لله وضرب الله مثلا
رجلين أي قصة رجلين قال الزمخشري وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما تفضل على
عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنياوية والأصنام
التي هي أموات لا تضر ولا تنفع والأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل
على مولاه أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيث ما يرسله ويصرفه
في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل ومن هو في نفسه على صراط
مستقيم بلغة سيرة صالحة ودين قويم انتهى وقال ابن عباس أحدهما أبكم مثل للكافر والذي
يأمر بالعدل المؤمن وقال قتادة هذا مثل لله تعالى والأصنام فهي كالأبكم الذي
لا نطق له ولا يقدر على شيء وهو عيال على من والاه من قريب أو صديق كما الأصنام تحتاج
إلى أن تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا يأتي من جهتها خير البتة وعن قتادة أيضا وغيره
هذا مثل ضربه الله لنفسه وللوثن فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يأمر
بالعدل هو الله تعالى وهذا ليس كذلك لأنه قال مثلا رجلين ولا بد أن يكون عديل
الأبكم الموصوف بتلك الصفات ومقابله رجل موصوف بما يقابل تلك الصفات من النطق
والقدرة والكفاية ولكنه حذف المقابل لدلالة مقابله عليه ثم قيل هل يستوي
ذلك الأبكم الموصوف بتلك الصفات وهو الناطق ففي ذكر استوائهما أيضا دليل
على حذف المقابل ولما كان الأبكم هو المبدأ به من الأوصاف وعند تكون الأوصاف
التي بعده قابله في الاستواء بالنطق وثمرته من الأمر بالعدل وغيره وهو في نفسه على
طريقة مستقيمة فحيث ما توجه صدر منه الخير ونفع وليس بكل على أحد وقد تقرر في بداية
العقول أن الأبكم العاجز لا يكون مساويا في الفضل والشرف للناطق القادر الكامل
مع استوائهما في البشرية فلأن يحكم بأن الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في الألوهية
أحرى وأولى وكما قلنا في المثل السابق لا يحتاج إلى تعيين المضروب بهما المثل فكذلك
هنا فتعيين الأبكم بأبي جهل والآمر بالعدل بعمار أو بأبي بن خلف وعثمان بن مظعون أو بهاشم
ابن عمرو بن الحارث كان يعادي الرسول عليه السلام لا يصح إسناده وقرأ عبد الله وعلقمة
وابن وثاب ومجاهد وطلحة يوجه بهاء واحدة ساكنة مبنيا وفاعله ضمير يعود على
مولاه وضمير المفعول محذوف لدلالة المعنى عليه ويجوز أن يكون ضميرا للفاعل عائدا
على الأبكم ويكون الفعل لازما وجه بمعنى توجه كأن المعنى أينما يتوجه وعن عبد الله
أيضا توجهه بتاء الخطاب والجمهور بياء والهاءين وعن علقمة وابن وثاب
وطلحة توجه بهاء واحدة ساكنة والفعل مبني للمفعول وعن علقمة وطلحة يوجه
بكسر الجيم وهاء واحدة مضمومة قال صاحب اللوامح فإن صح ذلك فإن الهاء التي

هي لام

هي لام الفعل محذوفة فرارا من التضعيف ولأن اللفظ به صعب مع التضعيف
أو لم يرد به الشرط بل أمر هو بتقدير أينما هو يوجه وقد حذف منه ضمير المفعول به فيكون
حذف الياء من الآيات يجتزئ على التخفيف نحو يوم يأت وإذا يسر انتهى وما يخرج ابن عطية
الشرط أو الاستفهام وقال أبو حاتم هذه القراءة ضعيفة لأن الجزم لازم انتهى
والذي توجه عليه هذه القراءة إن صحت أن أينما شرط حملت على إذا بجامع ما اشتركا
فيه من الشرطية ثم حذفت الياء من الآيات تخفيفا أو جزمه على توهم أنه نطق بأينما
المهملة معملة لغة وأما من قرأ أينما يوجه ففيه وجهان أحدهما أن يكون معنى يوجه
يتوجه فهو فعل لازم لا متعد ثم ذكر تعالى أن له غيب السماوات والأرض وهو ما غاب
عن العباد وخفي عليهم علمه والظاهر اتصاله بقوله إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون
أخبر باستيثاره بعلم غيب السماوات والأرض بما لقدرته على الإتيان بالساعة
التي ينكرونها في لمحة البصر أو أقرب والمعنى بهذا الإخبار أن الآلهة التي تعبدونها
منتف عنها هذان الوصفان اللذان للإله وهما العلم المحيط بالمغيبات والقدرة
البالغة الناجزة ثم ذكر أن قوله ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى ذكر ارتباط هذه الجملة
بما قبلها بأن من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة فبين
ذلك بهاتين الجملتين وقيل والغيب هنا ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل وقال
المفضل ما غاب عن الخلائق هو في قبضته لا يعزب عنه وقيل هو ما في قوله إن الله
عنده علم الساعة وقال الزمخشري أو أراد بغيب السماوات والأرض يوم القيامة
على أن علمه غائب عن أهل السماوات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم قيل لما كانت الساعة
آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر
وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها أي يقول للشيء كن فيكون وقيل هذا تمثيل
للقرب كما تقول ما السنة إلا لحظة وقال الزمخشري هو عند الله وإن تراخى كما تقولون
أنتم في الشيء الذي تستقربونه كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون
أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء
الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على أن
يقيم الساعة ويبعث الخلائق لأنه بعض المقدورات وقال ابن عطية والمعنى على ما قال
قتادة وغيره وما تكون الساعة وإقامتها في قدرة الله تعالى إلا أن يقول لها كن فلو اتفق
أن يقف على ذلك شخص من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر أو هي
أقرب من ذلك فأو على هذا على بابها في الشك وقيل هي للتخيير انتهى والشك والتخيير
بعيدان لأن هذا إخبار من الله تعالى عن أمر الساعة فالشك مستحيل عليه ولأن التخيير
إنما يكون في المحظورات كقولهم خذ من مالي دينارا أو درهما أو في التكليفات كآية الكفارات
والذين يظاهرون وأو هنا للإبهام على المخاطب كقوله وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون
وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا وهو تعالى قد علم عددهم ومتى يأتيها أمره كما علم أمر
الساعة لكنه أبهم على المخاطب وكون أو هنا للإبهام هنا ذكره الزجاج هنا وقال
القاضي هذا لا يصح لأن إقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال إنه تعالى يأتي بها

في زمان يمضي الماضي فيكون الإبهام على المخاطب في ذلك الزمان وليس زمان تكليف
والذي نقوله ان الإبهام وقع وقت الخطاب المتقدم على امر الساعة لا وقت
الإتيان به وليس من شرط الإبهام على المخاطب في الإخبار عن شيء اتحاد زمان الإخبار
وزمان وقوع ذلك الشيء الا ترى في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
كيف تأخر زمان الإخبار عن زمان وقوع ذلك الإرسال ووجود حالة الشك او يزيدون
او يزيدون وقال ابو عبد الله الرازي لمح البصر انتقال الجسم بالطرف من اعلى الحدقة
وهي مؤلفة من اجزاء وتلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه اللمح مركب من آنات
متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلذلك
قال او هو اقرب ولما كان اسرع الأحوال والحوادث في عقولنا هو لمح البصر ذكره ثم قال
او هو اقرب تنبيها على ما ذكرناه وليس المراد طريقة الشك والمراد بل هو اقرب انتهى وفيه
بعض تلخيص وما ذكره من ان او بمعنى بل هو قول الفراء ولا يصح لان الإضراب على قسمين كلاهما
لا يصح هنا اما احدهما فان يكون ابطالا للإسناد السابق وانه ليس هو المراد وهذا مستحيل
هنا لانه يؤول الى اسناد غير مطابق والثاني ان يكون انتقالا من شيء الى شيء من غير ابطال
لذلك الشيء السابق وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الإخبار بكونه مثل لمح البصر في
السرعة والإخبار بالأقربية فلا يمكن صدقهما معا وقال صاحب الغنيان وهذا
وان كان يعسر ادراكه حقيقة الا ان المقصود المبالغة على مذهب العرب والادباء
النظر وما احسن قول الابله الشاعر في المعنى

• قال له البرق وقالت له الريح • جميعا وهما ما هما •
• انا ارتياد الطرف قد فته • الى المدى سبقا فمن انتما •

ولما ذكر تعالى امر الساعة وانها كائنة لا محالة فكان في ذلك دلالة على النشأة
الأخرى وتقدم وصفهم بانتفاء العلم ذكر تعالى النشأة الأولى وهي اخراجهم من بطون
امهاتهم غير عالمين شيئا تنبيها على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر تعالى امتنانه عليهم بجعل
الحواس التي هي سبب لإدراك الأشياء والعلم ولما كانت النشأة الأولى وجعل ما يعلمون
به لهم من اعظم النعم عليهم قال لعلكم تشكرون وتقدم الكلام في امهات في النساء
وقرأ حمزة بكسر الهمزة والميم هنا وفي النور والزمر والنجم والكسائي بكسر الهمزة فيهن
والأعمش بحذف الهمزة وكسر الميم وابن ابي ليلى بحذفها وفتح الميم قال ابو حاتم حذف الهمزة
رديء ولكن قراءة ابن ابي ليلى اصوب انتهى وانما كانت اصوب لان كسر الميم انما هو لاتباعها
حركة الهمزة فاذا كانت الهمزة محذوفة زال الاتباع بخلاف قراءة ابن ابي ليلى فانه
اقر الميم على حركتها ولا يعلمون جملة حالية اي غير عالمين وقالوا لا تعلمون شيئا مما اخذ
عليكم من الميثاق في اصلاب آبائكم او شيئا مما قضي عليكم من السعادة او الشقاوة او شيئا
من منافعكم والأولى عموم لفظ شيء ولا سيما في سياق النفي وقال وهب يولد المولود
خدرا الى سبعة ايام لا يدرك راحة ولا ألما ويحتمل وجعل ان يكون معطوفا على اخرجكم
فيكون واجدا في حيز خبر المبتدا ويحتمل ان يكون استئناف اخبار معطوفا على الجملة الابتدائية
كما سبقنا فيها والمراد بالسمع والأبصار والأفئدة احساسها وادراكها فعبر عن ذلك
بالآلة وقال ابو عبد الله الرازي ما معناه انما جمع الفؤاد جمع قلة لانه انما خلق

للمعارف الحقيقية اليقينية واكثر الخلق مشغولون بالأفعال البهيمية فكأن فؤادهم
ليس بفؤاد فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة انتهى ملخصا وهو قول هذياني ولو حلا له
قائله وتسلطح في الكتب ما ذكرته وانما يأتي في هذا ما قاله الزمخشري انه من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع
في جمع شسع لا غير فجرى ذلك المجرى انتهى الا ان دعوى الزمخشري انه
لم يجئ في جمع شسع الا شسوع لا غير ليس بصحيح بل جاء فيه جمع القلة قالوا
وقرأ ابن عباس وحمزة وطلحة والأعمش وابن هرمز الم تروا بتاء الخطاب وباقي
السبعة بالياء قال ابن عطية واختلف عن الحسن وعيسى الثقفي وعاصم وابي عمرو
ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والنظر والعقل والأولان مدرك
المحسوس والثالث مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه اغرب
لما يشاهد به من عظم المخلوقات على بعدها التفاوت كمشاهدته النيرات التي في الأفلاك
وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطائر فان طيرانه في الهواء مع ثقل جسمه
مما يتعجب منه ويعتبر به وتضمنت الآية ايضا ذكر مدرك العقل في كونه لا يسقط اذ ليس
تحته ما يدعمه ولا فوقه ما يتعلق به فيعلم بالعقل ان له ممسكا قادرا على امساكه وهو
الله تعالى كما قال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا
الرحمن فانتظم في الآية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات مذللات
وفي للمعقول دلالة على ان له مسخرا كما قال ابو عبد الله الرازي هذا دليل على كمال
قدرة الله وحكمته فانه تعالى خلق الطائر خلقة معها يمكنه الطيران اعطاه جناحا
يبسطه مرة ويكنه اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران
خلقه خلقة لطيفة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران
ممكنا انتهى وكلامه منتزع من كلام القاضي قال انما اضاف الإمساك الى نفسه لانه
تعالى هو الذي اعطى الآلات لأجلها تمكن الطائر من تلك الأفعال فلما كان هو المسبب
لذلك صحت هذه الإضافة انتهى والذي نقوله انه كان يمكنه ان يطير ولو لم يخلق له
جناح وانه كان يمكنه خرق الجو الكثيف وذلك بقدرة الله تعالى وان الممسك له في جو
السماء هو الله تعالى وقد قام الدليل على ان جميع الأفعال كلها مخلوقة لله تعالى وقام
الدليل على انه تعالى هو الفاعل المختار فلا نقول انه لولا الجناح ولطف الجو ما امكن
الطيران ولا لولا الآلات ما امكن وقال الزمخشري ما يوافق كلامهما قال
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك ثم
احسن اخرانا في قوله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته
انتهى لآيات جمع ولم يفرد لما في ذلك من الآيات خلقة الطائر التي جعلها الله فيه
لا يرتفع ولتعلمه الذي جعل الله فيه لان يتزلق والفضاء الذي بين السماء والأرض
والإمساك الذي لله تعالى اوجع باعتبار ما في هذه الآية آيات المسخر والممسك لهما
هو الله فهو اخبار منه تعالى بما يصدق به الا المؤمن **قوله عز وجل** والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم •
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين • والله جعل لكم

مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم
بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون • لما ذكر تعالى ما من به عليهم من خلقهم
وما خلق لهم من مدارك العلم ذكر ما امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم من الأمور
الخارجة عن ذواتهم من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والأخشاب وغيرها والسكن
فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض **وأنشد الفراء**

• جاء الشتاء ولما أتخذ سكنا • يا ويح نفسي من حفر القرابيص

وليس السكن بمصدر كما ذهب إليه ابن عطية وكأنه تعالى ذكر أولا أغلب البيوت عليه
من كونها لا تنقل بل ينتقل الناس إليها ثم ذكر ثانيا ما من به علينا من البيت المتخذ من جلود الأنعام
وهو ما ينقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الأدم أو ذكر أولا البيوت على طريق
العموم ثم ذكر بيوت الجلود خصوصا تنبيها على حال أكثر العرب فإنهم لانتجاعهم إنما بيوتهم
من الجلود والظاهر أنه لا يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام بيوت الشعر وبيوت
الصوف والوبر قال ابن سلام تندرج لأنها ثابتة فيها فهي منها ومعنى تستخفونها
تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها
ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها والمراد لا تستخفونها في وقتي
السفر والحضر أي مدة الظعن والإقامة **وقرأ** الحرميان وأبو عمرو ظعنكم بفتح
العين وباقي السبعة بسكونها وهما لغتان وليس السكون بتخفيف كما جاء في نحو
الشعر والشعر لكان حرف الحلق والظاهر أن أثاثا مفعول والتقدير وجعل
من أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتا فيكون ذلك معطوفا على من جلود الأنعام
كما تقول جعلت لك من الماء شرابا ومن اللبن وفي التقدير الأول يكون قد عطف مجرورا
على مجرور ومنصوبا على منصوب كما تقول ضربت في الدار زيدا وفي القصر عمرا ولما كان
بلادهم بلاد قطن وكتان وحرير اقتصر على هذه الثلاثة سنا واندرجت في قوله
سرابيل تقيكم الحر والمتاع ما يتمتع به أي ينتفع به وقال ابن عباس الزينة وقال
المفضل المتجر والمعاش وقال الخليل الأثاث والمتاع واحد وجمع بينهما لاختلاف
اللفظين **كقوله** والفي قولها كذبا ومينا • وغيا تعالى ذلك بقوله إلى حين
فقال ابن عباس إلى الموت وقال مقاتل إلى بلى ذلك الشيء وقيل إلى انقضاء
حاجتكم منه فلما ذكر تعالى ما من به عليهم مما سبق ذكره وكانت بلادهم غالبا عليها
الحر ذكر امتنانه عليهم بما يقيهم الحر من خلق الأجرام التي لها ظل كالشجر وغيره
مما يمنع من أذى الشمس وقال ابن عباس ومجاهد ظلالا الغمام وقال ابن السائب
ظلالا البيوت وقال قتادة والزجاج ظلالا الشجر وقال ابن قتيبة ظلالا
الشجر والجبال والأكنان من الجبال هي الغيران والكهوف والبيوت المنحوتة
منها والسرابيل ما لبس على البدن من قميص وقرقل ومجول ودرع وجوشن ونحو ذلك
من صوف وكتان وقطن وغيرها واقتصر على ذكر الحر إما لأن ما يقي الحر يقي البرد
قاله الزجاج أو حذف البرد لدلالة ضده عليه قاله المبرد أو لأنه أهم في تلك
البلاد والبرد فيها معدوم في الأكثر وإذا جاء توقي بالأثاث فتخلص السرابيل

لتوقي

لتوقي الحر فقط قاله عطاء الخراساني وهذا في بلاد الحجاز وأما غيرها من بلاد العرب
فيوجد فيها البرد الشديد كما **قال متمم** •

إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا • **وقال الآخر** •

• في ليلة من جمادى ذات أندية • والسرابيل التي تقي البأس هي الدروع •

قال كعب بن زهير •

• شم العرانين أبطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل •

والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره والبأس في أصل اللغة الشدة وهنا
الحرب وفي الحديث كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
تقيكم أذى الحرب وهو ما يعرض فيها من الجراح الناشئة من ضرب السيف والدبوس
والرمح والسهم وغير ذلك مما يعد للحرب كذلك أي مثل ذلك الإتمام للنعمة فيما سبق
في المستقبل **وقرأ** ابن عباس تتم بتاء مفتوحة نعمته بالرفع أسند التمام إليها اتساعا
وعنه نعمه جمعا **وقرأ** لعلكم تسلمون بفتح التاء واللام من السلامة والخلاص فكانت
تعليل لوقاية السرابيل من أذى الحرب أو تسلمون من الشرك وأما تسلمون في قراءة الجمهور
فالمعنى تؤمنون أو تنقادون لأن النظر في النعم أنها من الله تعالى يفضي إلى الإيمان والانقياد
روي أن أعرابيا سمع قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا إلى آخر الآيتين فقال
عند كل نعمة اللهم نعم فلما سمع لعلكم تسلمون قال اللهم هذا فلا فنزلت فإن تولوا يحتمل
أن يكون ماضيا أي فإن أعرضوا عن الإسلام ويحتمل أن يكون مضارعا أي فإن تتولوا وحذفت
التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق والماضي على الالتفات والفاء وما بعدها جواب
الشرط صورة والجواب حقيقة محذوف أي فأنت معذور إذ أديت ما وجب عليك فأقيم
سبب العذر وهو البلاغ مقام المسبب لدلالته عليه وقال ابن عطية المعنى إن أعرضوا
فلست بقادر على خلق الإيمان في قلوبهم فإنما عليك أن تبين وتبلغ أمر الله ونهيه
انتهى ثم أخبر عنهم على سبيل التقريع والتوبيخ بأنهم يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها
وعرفانهم للنعم التي عددت عليهم حيث يعترفون بها وأنها من عند الله تعالى وإنكارهم لها حيث
يعبدون غير الله وجعل ذلك إنكارا على سبيل المجاز إذ لم يرتبوا على معرفة نعمه تعالى
مقتضاها من عبادته وإفراده بالعبادة دون ما نسبوا إليه من الشركاء قال قريبا من هذا
المعنى مجاهد وقال السدي النعمة هنا محمد عليه السلام والمعنى يعرفون معجزاته
وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب ورجحه الطبري وعن مجاهد أيضا إنكارهم
قولهم ورثناها من آبائنا وعن ابن عون إضافتها إلى الأسباب لا إلى مسببها وحكى
صاحب الغنيان يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء وقيل إنكارهم هي بشفاعة
أصنامهم عند الله وقيل يعرفونها بتقلبهم فيها ثم ينكرونها بترك الشكر عليها وقيل
يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بألسنتهم والظاهر أن المراد من أكثرهم موضوعه الأصلي
وقال الحسن وكلهم ما منع أحد بعضهم من واجب حق الشكر فجعله من كفران النعمة والظاهر
أن الكفر هنا هو مقابل الإيمان وقيل ذكر الأكثر لأن منهم من آمن وقيل معنى الكافرون
الجاحدون المعاندون لأن فيهم من كان جاهلا لم يعرف فيعاند وقال الزمخشري
فإن قلت ما معنى ثم **قلت** الدلالة على أن إنكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة

مقتضاها

قوله عز وجل ويوم نبعث

لانه حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ۞ ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم
لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون • واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون • واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون • والقوا الى الله
يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿ش﴾ لما ذكر انكارهم لنعمة الله تعالى ذكر حال
يوم القيامة حيث لا ينتفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب
يوم باضمار اذكر قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية وابو البقاء وقال الزمخشري
او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وقال الطبري هو معطوف على ظرف محذوف والعامل
فيه ثم ينكرونها اي ينكرونها اليوم ويوم نبعث اي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد والشهيد
نبي تلك الامة يشهد عليهم بايمانهم وبكفرهم ومتعلق الاذن محذوف فقيل في الرجوع
الى دار الدنيا وقيل في الكلام والاعتذار كما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون اي بعد شهادة انبيائهم عليهم والا فقبل ذلك تجادل كل امة عن نفسها
وجاء كلامهم في ذلك ولكنها مواطن يتكلمون في بعضها ولا ينطقون في بعضها ولا هم
يستعتبون اي من ازالة عتبهم العتب وقال قوم معناه لا يسألون ان يرجعوا عما كانوا
عليه في الدنيا فهذا استعتاب معناه طلب عتباهم ونحوه قوله تعالى ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل قاله الزمخشري وقال الطبري
معناه يعطون الرجوع الى الدنيا فيقع منهم توبة وعمل قال الزمخشري **فان قلت** فما
معنى ثم هذه **قلت** معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منه وانهم
يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة انتهى ولما كانت حالة
العذاب في الدنيا مخالفة لحال الاخرة اذ من رأى العذاب في الدنيا رجا ان يؤخر عنه
وان وقع فيه ان يخفف عنه اخبر تعالى ان عذاب الاخرة لا يكون فيه تخفيف ولا نظرة
والظاهر ان جواب اذا قوله فلا يخفف وهو على اضمار هو فهو لا يخفف لانه لولا تقدير
الاضمار لم تدخل الفاء لان جواب اذا اذا كان مضارعا لا يحتاج الى دخول الفاء سواء
كان موجبا ام منفيا كما قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر وتقول اذا جاء زيد لا يجيء عمرو وقال الحوفي فلا يخفف جواب اذا وهو العامل
في اذا وقد تقدم لنا انما نعتقده ان الجواب في غير ما لا تعمل فيما قبله وبينا ان العامل
في اذا الفعل الذي يليها كسائر ادوات الشرط وان كان ليس قول الجمهور وجعل الزمخشري
جواب اذا محذوفا فقال وقد قدر العامل في يوم نبعث محذوفا قال ويوم نبعث
وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الاية انتهى والظاهر ان قوله
شركاءهم عام في كل من اتخذوه شريكا لله من صنم ووثن وادمي وشيطان وملك فيكذبهم
من له منهم عقل فيكون فالقوا عائدا على من له الكلام ويجوز ان يكون عاما بنطق الله

تعالى

تعالى بقدرته الاوثان والاصنام واضافة الشركاء اليهم على هذا القول لكونهم هم
الذين جعلوهم شركاء لله وقال الحسن شركاؤهم الشياطين شركوهم في الاموال والاولاد
كقوله تعالى وشاركهم وقيل شركاؤهم في الكفر وعلى القول الاول شركاؤهم في ان اتخذوهم
الهة مع الله وعبدوهم او شركاؤهم في ان جعلوا لهم نصيبا من اموالهم وانعامهم
والظاهر ان القول منسوب اليهم حقيقة وقيل منسوب الى جوارحهم لانهم لما انكروا
الاشراك بقولهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اصمت الله السنتهم
وانطق جوارحهم ومعنى ندعو نعبد قالوا ذلك رجاء ان يشركوا معهم في العذاب اذ يحصل
التأسي واعتذارا عن كفرهم اذ زين لهم الشيطان ذلك وحملوهم عليه ان كان الشركاء
هم الشياطين وقال ابو مسلم الاصبهاني قالوا ذلك احالة هذا الذنب على
تلك الاصنام وظنا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم فعند هذا
تكذبهم تلك الاصنام وقال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعلمون علما ضروريا
في الاخرة ان العذاب سينزل بهم ولا نصرة ولا فدية ولا شفاعة وتقدم الاخبار
بانهم شركاء والاخبار انهم كانوا يدعونهم اي يعبدونهم فاحتمل التكذيب ان يكون عائدا
للاخبار الاول اي لسنا شركاء لله في العبادة ولا الهة نزهوا الله تعالى ان يكونوا
شركاء له واحتمل ان يكون عائدا على الاخبار الثاني وهو العبادة لما لم يكونوا راضين
بالعبادة جعلوا عبادتهم كلا عبادة او لما لم يدعوهم الى العبادة الا ترى ان الاصنام
والاوثان لا شعور لها بالعبادة فضلا عن ان يدعوا ومن عبد من صالحي المؤمنين
والملائكة لم يدع الى عبادته وان كان الشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في اخبارهم بكذب من عبدهم كما كذب ابليس في قوله اني كفرت بما اشركتموني من قبل
والضمير في والقوا الى الله عائد على الذين اشركوا قاله الاكثرون والسلم الاستسلام
والانقياد لحكم الله بعد الاباء والاستكبار في الدنيا فلم يكن لهم اذ ذاك حيلة ولا
دفع وروى يعقوب عن ابي عمرو السلم باسكان اللام **وقرأ** مجاهد بضم السين واللام
وقيل الضمير عائد على الذين اشركوا وشركائهم كلهم قال الكلبي استسلموا منقادين لحكمه
والضمير في وضل عائد على الذين اشركوا خاصة اي وبطل عنهم ما كانوا يفترون
من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم والظاهر
ان الذين مبتدأ وزدناهم الخبر وقال ابن عطية يحتمل ان يكون قوله الذين بدلا من الضمير
في يفترون وزدناهم فعل مستأنف اخبار وصدوا عن سبيل الله اي غيرهم زدناهم عذابا
بسبب الصد فوق العذاب الذي ترتب لهم على الكفر ضاعفوا كفرهم فضاعف
الله عقابهم وهذا المزيد عن ابن مسعود عقارب كامثال النخل الطوال وعنه حيات
كامثال الفيلة وعقارب كامثال البغال وعن ابن عباس انها انهار من صفر مذاب تسيل
من تحت العرش يعذبون بها وعن الزجاج يخرجون من حر النار الى الزمهرير فيبادرون
من شدة برده الى النار وعلل تلك الزيادة بكونهم مفسدين غيرهم وحاملهم على
الكفر وفي كل امة فيها منها حذف في السابق من انفسهم واثبته هنا وحذف هنالك
في واثبته هنا والمعنى في كليهما انه يبعث انبياء الامم فيهم منهم والخطاب
في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى امته وقال ابن عطية ويجوز

ان يبعث الله شهيدا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت احدا
على معصية فانهه فان اطاعك والا كنت عليه شهيدا يوم القيامة انتهى وكان
الشهيد من انفسهم لانه كان كذلك حين ارسل اليهم في الدنيا من انفسهم وقال الامام
ابو بكر المراد بالشهيد انه تعالى ينطق عشرة من اجزاء الانسان حتى تشهد عليه لانه
قال في صفة الشهيد من انفسهم وهذا بعيد لمقابلته بقوله وجئنا بك شهيدا
على هؤلاء فيقتضي المقابلة ان الشهداء على الامم انبياؤهم كرسول الله صلى الله عليه
وسلم ونزلنا استئناف اخبار وليس داخلا مع ما قبله لاختلاف الزمانين لما ذكر
ما شرفه الله به من الشهادة على امته ذكر ما انزل عليه مما فيه بيان كل شي من امور
الدين ليزيح بذلك عللهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر ان تبيانا مصدر
جاء على تفعال وان كان باب المصادر ان يجي على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف
ونظير تبيان في كسر التاء تلقاء وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن وقال ابن عطية
تبيانا اسم وليس بمصدر وهو قول اكثر النحاة وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن
البصريين انه مصدر ولم يجي على تفعال من المصادر الا ضربان تبيان وتلقاء قال الزمخشري
فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شي قلت المعنى انه بين كل شي
من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع
غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتدا
بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا
طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة
الى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شي وقوله وقد رضي رسول الله الى قوله
اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن حزم في رسالته في ابطال
الرأي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه وهذا خبر مكذوب
موضوع باطل لم يصح قط وذكر اسناده الى البزار صاحب المسند قال سألتم عما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في ايدي العامة ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما
مثل اصحابي كمثل النجوم او كالنجوم بايها اقتدوا اهتدوا وهذا الكلام لم يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن ابيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما اتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم لان اهل العلم
سكتوا عن الرواية لحديثه والكلام ايضا منكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من اصحابه هذا نص كلام البزار قال
ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشي وقال البخاري هو متروك
ورواه ايضا حمزة الجزري وحمزة هذا ساقط متروك ونصب تبيانا على الحال
ويجوز ان يكون مفعولا من اجله وللمسلمين متعلق ببشرى وهو من حيث المعنى متو
متعلق بهدى ورحمة • النقض ضد الابرام وهو في الجرم فك اجزائه بعضها من بعض
التوكيد التثبيت ويقال توكيد وتأكيد وهما لغتان وزعم الزجاج ان الهمزة بدل

المفردات

من لو او

قوله عز وجل ان الله يأمر بالعدل

من لو او وليس بجيد لان التصريف جائز في التركيبين فدل على انهما اصلان • الغزل معروف
وفعله غزل يغزل بكسر الزاي غزلا واطلق المصدر على المغزول نقد النبي بنقد في العجمي
التي لا يتكلم بالعربية • ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون • واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان
تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون • عن ابن عباس في حديث فيه طول ان عثمن بن مظعون كان جليس
النبي صلى الله عليه وسلم وقتا فقال له عثمن ما رايتك تفعل فعلتك الغداة
قال وما رايتني فعلت قال شخص بصرك الى السماء ثم وضعته على يمينك فتحرفت
عني اليه وتركتني فاخذت تنغض رأسك كانك تستفقه شيا يقال لك قال
او فطنت لذلك اتاني رسول الله انفا وانت جالس قال فماذا قال لك قال
قال لي ان الله يأمر بالعدل الاية قال عثمن فذلك حين استقر الايمان في قلبي
فاحببت محمدا عليه السلم لما ذكر الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي
وصل به ما يقتضي التكاليف فرضا ونفلا واخلاقا وادابا والعدل فعل كل
مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في اداء الامانات وترك الظلم
والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه قاله ابن عطية وقال
الزمخشري العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه
عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان
الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب انتهى وفي قوله تحت طاقتهم نزغة
الاعتزال وعن ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وعنه ايضا
ان العدل هو الحق وعن سفين بن عيينة انه استوا السريرة والعلانية في العمل
وذكر الماوردي انه القضا بالحق قال تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وقال ابو سليمن العدل في لسان العرب الانصاف وقيل خلع الانداد وقيل
العدل في الافعال والاحسان في الاقوال وايتاء ذي القربى هو صلة الرحم
وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه عليه اهتماما به وحضا على الاحسان
اليه والفحشاء الزنا او ما شنعته ظاهرة من المعاصي وفاعلها ابدا مستترها
او القبيح من فعل او قول او البخل او موجب الحد في الدنيا والعذاب في الاخرة
او مجاوزة حدود الله اقوال اوسطها لابن عباس والمنكر الشرك عن مقاتل او ما
وعد عليه بالنار عن ابن السائب او مخالفة السريرة للعلانية عن ابن عيينة او ما
لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في الاخرة او ما تنكره العقول اقوال والظاهر
انه اعم من الفحشاء لاشتماله على المعاصي والرذائل والبغي التطاول بالظلم والسعي
فيه وهو داخل في المنكر ونبه عليه اهتماما باجتنابه وجمع في المامور به والمنهي
عنه بين ما يجب ويندب وما يحرم ويكره لاشتراك ذلك في قدر مشترك وهو
الطلب في الامر والترك في النهي وقال ابو عبد الله الرازي امر بثلثة ونهى

عن ذلك فالعدل التوسط بين الافراط والتفريط وذلك في العقايد واعمال الرعاة
فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله وهو اثبات الاله الواحد فليس تعطيلاً
محضاً ولا اثبات اكثر من اله واثبات كونه عالماً قادراً واجب الصفات فليس
نفياً للصفات ولا اثبات صفة حادثة متغيرة وكون فعل العبد بواسطة قدرته
تعالى والداعية التي خلقها فيه فليس جبراً محضاً ولا استقلالاً بالفعل وكونه تعالى
يخرج من النار من دخلها من اهل التوحيد فليس ارجاء ولا تخليداً بالمعصية واما اعمال
الرعاة فالتكاليف اللازمة لهم فليس قولاً بانه لا تكليف ولا قولاً بتعذيب
النفس واجتناب ما يميل الطبع اليه من اكل الطيب والتزوج ورمي نفسه من شاهق
والقصاص او الدية او العفو فليس تشديداً في تعيين القصاص كشريعة موسى عليه
السلام ولا عفواً حتماً كشريعة عيسى عليه السلام وتجنب الحايض في اجتناب وطيها
فقط فليس اجتناباً مطلقاً كشريعة موسى عليه السلام ولا حل وطيها حالة الحيض كشريعة
عيسى عليه السلام والاختتان فليس ابقاً للقلفة ولا قطعاً للآلة كما ذهب اليه المانوية
وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً والذين اذا انفقوا ولا تجعل الايتين
ومن المشهور فوقهم بالعدل قامت السموات والارض ومعناه ان مقادير العناصر
لو لم تكن متعادلة وكانت بعضها ازيد لغلب الاردياد وانقلبت الطبايع فالشمس
لو قربت من العالم لعظمت السخونة واحترق ما فيه ولو زاد بعدها لاستولى
البرد وكذا مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطيها والاحسان الزيادة
على الواجب من الطاعات بحسب الكمية والكيفية والدواعي والصوارف والاستغراق
في شهود مقامات العبودية والربوبية ومن الاحسان الشفقة على الخلق
واصلها صلة الرحم والمنهي عنه ثلثة وذلك انه اودع في النفس البشرية
قوى اربعة الشهوانية وهي تحصيل اللذات والغضبية وهي ايصال الشر والوهمية
وهي شيطانية تسعى في الترفع والتراوس على الناس فالفحشا ما نشأ عن القوة
الشهوانية الخارجة عن ادب الشريعة والمنكر ما نشأ عن الغضبية والبغي ما
نشأ عن الوهمية انتهى ما تلخص من كلامه عفا الله عنه ولما امر تعالى بتلك الثلاث
ونهى عن تلك الثلاث قال يعظكم به اي بما ذكر تعالى من امر ونهي والمعنى ينبهكم
احسن تنبيه لعلكم تذكرون اي تتنبهون لما امرتم به ونهيتم عنه وعهد الله علم
ما عقده الانسان والتزمه مما يوافق الشريعة وقال الزمخشري هي البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله انتهى وكانه لحظ
ما قيل انها نزلت في الذين بايعوا الرسول على الاسلام رواه عن بريدة وقال
قتادة ومجاهد فيما كان من تحالف الجاهلية في امر معروف او نهي عن منكر وقال
ميمون بن مهران الوفاء لمن عاهدته مسلماً كان او كافراً فانما العهد لله وقال
الاصم الجهاد وما فرض في الاموال من حق وقيل اليمين بالله ولا تنقضوا العهود
الموثقة بالايمان نهى عن نقضها تهمماً بها بعد توكيدها اي توثيقها باسم الله وكفالة
الله شاهدة ومراقبة لكن الكفيل مراعي لحال المكفول به ولا تكونوا اي في نقض
العهد بعد توكيده بالله كالمرأة الورهاء تبرم فتل غزلها ثم تنقضه نكثاً و[illegible]

يحل فتله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به وقال السدي وعبد الله بن كثير هي
امرأة حمقاء كانت بمكة وعن الكلبي ومقاتل هي من قريش خرقاء اسمها ريطة بنت سعد
من تيم تلقب بجعراء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها
فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وعن
مجاهد هذا فعل نساء نجد تنقض احداهن غزلها ثم تنفشه وتخلطه بالصوف فتغزله
وقال ابن الانباري ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجعراء من اهل مكة وكانت معروفة
عند المخاطبين والظاهر ان المراد بقوله من بعد قوة اي شدة حدثت من تركيب قوى
الغزل ولو قدرناها واحدة القوى لم تكن تنتقض انكاثاً والنكث في اللغة الحبل
اذا انتقضت قواه وقال مجاهد المعنى من بعد امر رفوة والدخل الفساد والدغل
جعلوا الايمان ذريعة الى الخدع والغدر وذلك ان المحلوف له مطمئن فيمكن الحالف
ضره بما يريد قال انزلت في العرب كانوا اذا حالفوا قبيلة فجاء اكثر منها عدداً
حالفوه وغدروا بالتي كانت اقل وقيل ان تكونوا انتم ازيد خيراً فاسند الى امة والمراد
المخاطبون وقال ابن بحر الدخل الداخل في الشيء لم يكن منه ودخلاً مفعول ثان وقيل
مفعول من اجله وان تكون اي بسبب ان تكون وهي اربى مبتدأ وخبر واجاز الكوفيون
ان تكون هي عماداً اي يعنون فصلاً فتكون اربى في موضع نصب ولا يجوز ذلك عند البصريين
لتنكير امة والضمير في به عايد على المصدر المنسبك من ان تكون اي بسبب كون امة اربى
من امة يختبركم بذلك قال الزمخشري لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما
عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة للرسول ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم
وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبين لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة
الاسلام انتهى وقيل يعود على الوفاء بالعهد وقال ابن جبير وابن السايب ومقاتل
يعود على الكثرة قال ابن الانباري لما كان تانيثها غير حقيقي حمل على معنى التذكير كما حملت
الصيحة على الصياح ۞ ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون • ولا تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد
ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم • ولا تشتروا
بعهد الله ثمناً قليلاً انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون • ما عندكم ينفد وما عند الله
باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • من عمل صالحاً من ذكر
او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ۞
مذهب المشيئة مشيئة اختيار على مذهب اهل السنة ابتلى الناس بالامر والنهي ليذهب
كل الى ما يسر وذلك لحق الملك لا يسأل عما يفعل ولو شاء لكانوا كلهم على طريق واحد
اما هدى واما ضلالة ولكنه فرق فناس للسعادة وناس للشقاوة فخلق الهدى
والضلال وتوعد بالسؤال عن العمل وهو سؤال توبيخ لا سؤال تفهم وسؤال التفهم
هو المنفي في ايات ومذهب المعتزلة ان هذه المشيئة مشيئة قسر قال العسكري المراد
انه قادر على ان يجمعكم على الاسلام قهراً فلم يفعل ذلك وخلقكم ليعذب من يشاء على معصيته
ويثيب من يشاء على طاعته ولا يشاء شيئاً من ذلك الا ان يستحقه ويجوز ان يكون المعنى
انه لو شاء خلقكم في الجنة ولكن لم يفعل ذلك ليثيب المطيعين منكم ويعذب العصاة ثم

قوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة

قال ولتسألن عما كنتم تعملون ه يعني سؤال المحاسبة والمجازاة وفيه دليل على ان الاضلال
في الاية العقاب ولو كان الاضلال عن الدين لم يكن لسؤاله اياهم معنى وقال الزمخشري
امة واحدة حنيفية مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة
اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء
وهو ان يلطف بمن علم الله انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما
يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به
شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال
والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه انتهى قالوا كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا تهمما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين قال ابن عطية
وتردده في معاملات الناس وقال الزمخشري تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب
منهم منه انتهى وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لان الاول نهي فيه عن الدخول
في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل في الايمان التي يراد
بها اقتطاع حقوق فكانه قال لا تحلفوا بايمانكم لتتوصلوا بها الى قطع اموال المسلمين والاول
لم يتكرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بانهم اتخذوا ايمانهم دخلا
معللا بشيء خاص وهو ان تكون امة هي اربى من امة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا
استئناف انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف
في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك والمنصب فنزل على جواب النهي وهو استعارة
لمن كان مستقيما ووقع في امر عظيم وسقط لان القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال
خير الى حال شر وقال كثير فلما توافينا ثبت وزلت ه قال الزمخشري
فتزل قدم اكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها فان قلت لم وحدت القدم ونكرت
قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام
كثيرة انتهى ونقول الجمع تارة تلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه
اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ فيه المجموع كان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا لوحظ
كل فرد فرد كان الاسناد مطابقا للفظ الجمع كثيرا فيجمع ما اسند اليه ومطابقا لكل
فرد فرد مفرد كقوله واعتدت لهن متكئا اي فرد متكئا لما كان لوحظ في قوله لهن
معنى لكل واحدة ولو جاء مرادا به الجمعية او على الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكأ وعلى
هذا المعنى ينبغي ان يحمل قول الشاعر

فاني وجدت الضامرين متاعهم * يموت ويفنى فارضخي من وعائيا

اي رايت كل ضامر ولذلك افرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى هنا لا تتخذ
كل واحد منكم جاء فتزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع
او للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فتكون الاية
قد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل
على ذلك بافراد قدم وبجمع الضمير في وتذوقوا وما مصدرية في بما صددتم اي
بصدودكم او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا الايمان وارتدوا لاتخذ نقضها سنة
لغيرهم فيستنون بها وذوق السوء في الدنيا ولكم عذاب عظيم اي في الاخرة والسوء

ما يسوؤهم من قتل ونهب واسر وجلاء وغير ذلك مما يسوء قال ابن عطية وقوله صددتم عن
سبيل الله يدل على ان الاية فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فسر الزمخشري
قال لانهم قد نقضوا ايمان البيعة ولا يدل على ذلك لخصوصه بل نقض الايمان في البيعة
مندرج في العموم ه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا هذا نهي عن نقض عهد الله تعالى والعهد
لاخذ حطام من عرض الدنيا قال الزمخشري كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم
مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان
رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم
ومن ثواب الاخرة خير لكم وقال ابن عطية هذه اية نهي عن الرشا واخذ الاموال على ترك
ما يجب على الاخذ فعله او فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هي التي عهد الله الى عباده فيها
وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرة بان هذه تنفد وتنقضي عن الانسان وينقضي
عنها والتي في الاخرة باقية دائمة ودل قوله وما عند الله باق على ان نعيم الجنة
لا ينقطع وفي ذلك حجة على جهم بن صفوان اذ زعم ان نعيم الجنة منقطع وقرأ عاصم
وابن كثير ولنجزين بالنون وباقي السبعة بالياء وصبروا اي جاهدوا انفسهم
على ميثاق الاسلام واذى الكفار وترك المعاصي وكسب المال بالوجه الذي لا يحل
باحسن ما كانوا يعملون فيلزم منه التنفل بالطاعات وكانت احسن لانها لم يحتم فعلها
فكان الانسان ياتي بالتنفلات مختارا غير ملزم ومرتبطا وقيل ذكر الاحسن ترغيبا
في عمله وان كانت المجازاة على الحسن والاحسن وقيل الاحسن هنا بمعنى الحسن
فليس افعل التي للتفضيل والذي يظهر ان المراد بالاحسن هنا الصبر اي ولنجزين
الذين صبروا بصبرهم اي بجزاء صبرهم وجعل الصبر احسن الاعمال لاحتياج جميع التكاليف
اليه فالصبر هو راسها فكان الاحسن لذلك ومن صالحة للمفرد والمذكر وفرع عليهما
لكن بنيا ذكرا الى الذكر الى الافراد والتذكير فبين بالنوعين ليعم الوعد كلاهما
وهو مؤمن جملة حالية والايمان شرط في العمل الصالح مختص لقوله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره او يراد بمثقال ذرة من ايمان كما جاء في من يخرج من النار من عصاة
المؤمنين والظاهر من قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة ان ذلك في الدنيا وهو قول
الجمهور ويدل عليه قوله ولنجزينهم اجرهم يعني في الاخرة وقال الحسن ومجاهد
وابن جبير وقتادة وابن زيد ذلك في الجنة وقال شريك في القبر وقال
علي ووهب بن منبه وابن عباس والحسن في رواية عنهما هي القناعة وعن ابن عباس
ايضا والضحاك الرزق الحلال وعنه ايضا السعادة وقال عكرمة الطاعة
وقال قتادة رزق يوم بيوم وقال اسمعيل بن ابي خالد الرزق الطيب
والعمل الصالح وقال ابو بكر الوراق حلاوة الطاعة وقيل العافية والكفاية
وقيل الرضا بالقضا ذكرهما الماوردي وقال الزمخشري المؤمن مع العمل
الصالح ان كان موسرا فلا يقال لعيشه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله تعالى والفاجر ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا
فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وقال ابن عطية طيب الحياة للصالحين بانبساط

قوله عز وجل فاذا قرات

نفوسهم وتيلها وقوة رجائهم والرجا للنفس امر ملذ وبانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم
فانتقلت الى هذا من الحلال وصحة وقناعة فذلك كماله والا فالطيب فيما ذكرت
رايت وعاد الضمير في فلنحيينه على لفظ من مفردا وفي ولنجزينهم على معناها من الجمع فجمع
وروي عن نافع وليجزينهم بالياء بدل النون التفت من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة
وينبغي ان يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية
على جملة قسمية وكلتاهما محذوفتان ولا يكون من عطف جواب على جواب لتغاير الاسناد
ولا افضا وافضا الثاني الى اخبار المتكلم عن نفسه باخبار الغايب وذلك لا يجوز فعلى
هذا لا يجوز زيد قلت والله لاضربن هندا ولينفينها يريد ولينفينها زيد فان جعلته
على اضمار قسم ثان جاز اي وقال زيد لينفينها لان لك في هذا التركيب ان تحكي لفظه وان
تحكي على المعنى فمن الاول وليحلفن بالله ان اردنا الا الحسنى ومن الثاني يحلفون بالله
ما قالوا ولو جاء على اللفظ لكان ما قلنا ﴿ فاذا قرات القران فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم ● انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ● انما
سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ● واذا بدلنا اية مكان اية
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون ● قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ● ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ لما ذكر
تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وذكر اشيا مما بين في الكتاب ثم ذكر
قوله من عمل صالحا ذكر ما يصون به القاري قراته من وسوسة الشيطان ونزغه فخاطب
السامع بالاستعاذة منه اذا اخذ في القراة فان كان الخطاب للرسول لفظا فالمراد امته
اذ كانت قراة القران من اجل الاعمال الصالحة كما ورد في الحديث ان ثواب قراة
كل حرف عشر حسنات والظاهر تعقيب الاستعاذة وقد روي ذلك بعض الرواة عن
حمزة وروي عن ابن سيرين انه قال كلما قرات الفاتحة حين تقول امين فاستعذ
وروي عن ابي هريرة ومالك وداود تعقيبها القراة كما روي عن حمزة والجمهور على ترك
هذا الظاهر وان المعنى فاذا اردت القراة قال الزمخشري لان الفعل يوجد
عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان بسبب قوي وملابسة
ظاهرة كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله
وقال ابن عطية فاذا وصلة بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير
الاية فاذا اخذت في قراة القران فاستعذ امر بالاستعاذة فالجمهور على الندب
وعن عطا الوجوب والظاهر طلب الاستعاذة عند القراة مطلقا
والظاهر ان الشيطان المراد به ابليس واعوانه وقيل عام في كل متمرد عات
من جن وانس كما قال شياطين الانس والجن واختلف في كيفية الاستعاذة
والذي صار اليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم لما روى عبد الله بن مسعود وابو هريرة وجبير بن مطعم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه استعاذ عند القراة بهذا اللفظ بعينه ونفى تعالى سلطان الشيطان

عن المؤمنين والسلطان هنا التسلط والولاية والمعنى انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه
فيما يريد منهم من اتباع خطواته كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكما اخبر تعالى عنه فقال في قصته اوليائه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي وقيل المراد بالسلطان الحجة وظاهر الاخبار انتفا سلطنته
على المؤمنين مطلقا وقيل ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه وقيل ليس له
قدرة ان يحملهم على ذنب والضمير في به عايد على ربهم وقيل على الشيطان وهو
الظاهر لاتفاق الضماير والمعنى والذين هم باشراكهم ابليس مشركون بالله ويكون
البا للسببية والامر بالاستعاذة يقتضي انها تصرف كيد الشيطان كانها متضمنة
التوكل على الله والانقطاع اليه ولما ذكر تعالى انزال الكتاب تبيانا لكل شي
وامر بالاستعاذة عند قراته ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لاوليائه المشركين
وما يلقيه اليهم من الاباطيل فالتي لهم انكار النسخ لما راوا تبديل اية مكان اية
وتقدم الكلام في النسخ في البقرة والظاهر ان هذا التبديل رفع اية لفظا ومعنى
ويجوز ان يكون التبديل حكم المعنى وابقا اللفظ ووجد الكفار بذلك طعنا في الدين
وما علموا ان المصالح تختلف بحسب الاوقات والاشخاص وكما وقع نسخ شريعة بشريعة
يقع في شريعة واحدة واخبر تعالى انه العالم بما ينزل لانه وما ينزل مما يقره وما
يرفعه فمرجع علم ذلك اليه وهو على حسب الحوادث والمصالح ومن حكمة انزاله
شيئا فشيئا وهذه الجملة اعتراض بين الشرط وجوابه قيل ويحتمل ان يكون حالا واوقعوا
في نسبة الافترا للرسول بلفظ انما وبمواجهة الخطاب وباسم الفاعل الدال على
الثبوت وقال بل اكثرهم لان بعضهم يعلم ويكفر عنادا ومفعول لا يعلمون
محذوف لدلالة المعنى عليه اي لا يعلمون ان الشرايع حكم ومصالح وهذه الاية
دلت على وقوع نسخ القران بالقران وروح القدس هنا هو جبريل بلا خلاف
وتقدم لم سمي روح القدس واضاف الرب الى كاف الخطاب تشريفا للرسول باختصاص
الاضافة واعراضا عنهم اذ لم يضف اليهم وبالحق حال اي ملتبسا بالحق سواء كان
ناسخا او منسوخا فكله مصحوب بالحق لا يعتريه شي من الباطل وليثبت معناه
انهم لا يضطربون في شي منه لكونه نسخ بل النسخ مثبت لهم على ايمانهم لعلمهم انه
جميعه من عند الله لصحة ايمانهم واطمينان قلوبهم يعلمون انه حكيم وان افعاله
كلها صادرة عن حكمة فهي صواب كلها ودل الاختصاص لتعليل بالمسلمين على اتصاف
الكفار بهذه فضلا من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقايدهم وضلالهم وقرى
ليثبت مخففا من اثبت قال الزمخشري وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان
على محل ليثبت انتهى وتقدم الرد عليه في نحو هذا وهو قوله لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه وهدى ورحمة في هذه السورة ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك
من ان والفعل لانه مجرور فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما تقول جئت لاحسن
الى زيد واكرام لخالد اذ التقدير لاحسان الى زيد واجاز ابو البقا ان يكون
ارتفاع هدى وبشرى على اضمار مبتدا اي وهو هدى وبشرى ولما نسبوا عليه
السلام للافترا ذموا الكذب على الله لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافترا

الذي تنسبون هو من تعليم بشر اياه فليس هو المختلق بل المختلق غيره وهو ناقل عنه
وظاهر قولهم انما انت مفتر ان معناه يختلق الكذب وهو بيّن في التعلم من البشر
فيحتمل ان يكون قوله مفتر في نسبة ذلك الى الله ويحتمل ان يكونوا فيه طائفتين
طائفة ذهبت الى انه هو المفتري وطائفة انه يتعلم من البشر ويعلم مضارع اللفظ
ومعناه المضي اي ولقد علمنا وجاء اسناد التعليم الى مبهم لم يعيّن فقيل هو جبر
غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عائش او يعيش وكان صاحب كتب مولى حويطب
ابن عبد العزى وكان قد اسلم فحسن اسلامه قاله الفراء والزجاج وقيل ابو فكيهة
اعجمي مولى لامراة بمكة قيل واسمه يسار وكان يهوديا قاله مقاتل وابن جبير الا انه لم يقل
كان يهوديا وقال ابن زيد كان رجلا حدادا نصرانيا اسمه يحنس وقال حصين بن عبد الله
ابن مسلم كان لنا غلامان نصرانيان من اهل عين التمر يسار وجبر كانا يقرآن كتبا لهما بلسانهم
وكان صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما قيل وكانا حدادين يصنعان السيوف
فقال المشركون يتعلم منهما فقيل لاحدهما ذلك فقال انه هو يعلمني وقال ابن عباس
كان في مكة غلام اعجمي لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمه الاسلام فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الاعاجم وقال الضحاك
الاشارة الى سلمان الفارسي وضعف هذا من جهة ان سلمان انما اسلم بعد الهجرة
وهذه السورة مكية الا ما نبه عليه انه مدني واللسان هنا اللغة وقرأ
الحسن اللسان الذي بتعريف اللسان بال والذي صفته وقرأ حمزة والكسائي
يلحدون من لحد ثلاثيا وهي قراءة عبد الله بن طلحة والسلمي والاعمش ومجاهد وقرأ
باقي السبعة وابن القعقاع بضم الياء وكسر الحاء من الحد رباعيا وهما بمعنى قال
الزمخشري يقال الحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر
في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه لانه امال دينه عن الاديان كلها لم يمله من دين الى دين والمعنى لسان
الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بيّن وهذا القرآن
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم انتهى وظاهر قول
الزمخشري ان اللسان في الموضعين اللغة وقال ابن عطية وهذا اشارة الى القرآن
والتقدير وهذا سرد لسان او نطق لسان فهو على حذف مضاف وهذا على ان يجعل
اللسان هنا الجارحة واللسان في كلام العرب اللغة ويحتمل ان يراد في هذه الآية
وقال الكرماني المعنى انتم افصح وابلغهم واقدرهم على الكلام نظما ونثرا
وقد عجزتم وعجز جميع العرب فكيف تنسبونه الى اعجمي الكن قال الزمخشري
فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت
لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل
رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
انتهى ويجوز عندي ان تكون جملة حالية فموضعها نصب وذلك ابلغ في الانكار
عليهم اي يقولون ذلك والحالة هذه اي علمهم باعجمية هذا البشر وابانة
عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد احسن

اليك

اليك اي علمك باحسانه لك كان يقتضي منعك من شتمه وانما ذهب الزمخشري الى
الاستئناف ولم يذهب الى الحال لان من مذهبه ان مجيء الجملة الحالية الاسمية بغير
واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ويجيء ذلك بغير واو ولا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب
وهو مذهب تبع فيه الفراء واما الله اعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية
من ضمير يعود على ذي الحال هو ضمير قالوا وفي هذه الآية ذو الحال الضمير يقولون
والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير المجرور في يلحدون فالجملة وان عريت
عن الواو ففيها ضمير ذي الحال ٥ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
ولهم عذاب اليم • انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم
الكاذبون • من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • ذلك بانهم استحبوا
الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين • اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون • لا جرم انهم
في الآخرة هم الخاسرون • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم د لما ذكر تعالى نسبتهم الافتراء الى الرسول
وان ما اتى به من عند الله انما يعلمه اياه بشر كان ذلك تسجيلا عليهم بانتفاء الايمان فاخبر
تعالى عنهم انهم لا يهديهم الله ابدا اذ كانوا جاحدين آيات الله وهو ما اتى به الرسول
من المعجزات وخصوصا القرآن فمن بالغ في جحد آيات الله سد الله عليه باب الهداية
وذكر تعالى وعيده بالعذاب الاليم لهم ومعنى لا يهديهم لا يخلق الايمان في قلوبهم
وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله وقال الزمخشري لا يهديهم
الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل
اللطف والثواب انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال ابن عطية المفهوم من الوجود
ان الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته ولكنه قدم في هذا الترتيب واخبر
عنهم بتقبيح فعلهم والتشنيع لخطئهم وذلك كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
والمراد ما ذكرناه فكانه قال ان الذين لا يؤمنون لم يهديهم الله انتهى وقال
القاضي اقوى ما قيل في ذلك لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعد ولهم
عذاب اليم والمراد انهم لما تركوا الايمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم
الى النار وقال العسكري يجوز ان يكون المعنى انهم ان لم يؤمنوا بهذه الآيات لم
يهتدوا والمراد بقوله لا يهديهم الله اي لا يهتدون وانما يقال هدى الله فلانا
على الاطلاق اذا اهتدى هو واما من لم يقبل الهدى فانه يقال ان الله هداه
فلم يهتد كما قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ثم رد تعالى قولهم
انما انت مفتر بقوله انما يفتري الكذب اي انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه
لا يترقب عقابا عليه ولما كان في كلامهم انما وهي تقتضي الحصر عند بعضهم جاء
الرد عليهم بانما ايضا وجاء بلفظ يفتري الذي يقتضي التجدد ثم علق الحكم على
الوصف المقتضي للافتراء وهو انتفاء الايمان وختم بقوله واولئك هم الكاذبون
فاقتضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الاشارة والتاكيد بلفظ هم وادخال ال على

قوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون

الكاذبون وكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوام فجا يفتري يقتضي التجدد وجا
الكاذبون يقتضي الثبوت والدوام وقال الزمخشري واولئك اشارة الى قريش
هم الكاذبون هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي
واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله
اعظم الكذب او واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شي لا يحجبهم
عنه مروة ولا دين او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انتهى والوجه
الذي بدا به بعيد وسوات واولئك اشارة الى قريش والظاهر ان من شرطية
في موضع رفع على الابتداء وهو استئناف اخبار لا تعلق له بما قبله من جهة الاعراب
ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه
مطمئن بالايمان ورخص له في النطق بكلمة الكفر اذا كان قلبه مؤمنا وذلك مع الاكراه
والمعنى الا من اكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما بعده عليه تقديره الكافرون بعد الايمان غير المكرهين فعليهم غضب ويصح
ان يكون الاستثناء من ما تضمنه جواب الشرط المحذوف اي فعليهم غضب الا من اكره
فلا غضب عليه ولا عذاب ولكن من شرح وكذا قدره الزمخشري اعني الجواب قبل الاستثناء
في قول من جعل من شرطا وقال ابن عطية وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتدا وقوله
من شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثناء الاول
الاستدراك بلكن وقوله فعليهم خبر عن من الاولى والثانية اذ هو واحد بالمعنى
لان الاخبار في قوله من كفر انما قصد به الصنف الشارح بالكفر انتهى وهذا وان كان
كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلا بد لكل
واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه فتقدير الحذف اجرى على
صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب ابي الحسن في ادعائه ان قوله فسلام لك
من اصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لاما ولان هذا وهما اداتا شرط
احداهما تلي الاخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز ان تكون شرطية كما ذكرنا
ويجوز ان تكون موصولة وما بعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه
كما ذكرنا في حذف جواب الشرط الا ان من الثانية لا يجوز ان تكون شرطا حتى يقدر
قبلها مبتدأ لان من وليت لكن فتتعين اذ ذاك ان تكون من موصولة فان قدر
مبتدأ بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقوله
ولكن متى يسترفد القوم ارفد اي ولكن انا متى يسترفد القوم ارفد وكذلك
تقدير هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا اي منهم واجاز الحوفي والزمخشري ان تكون من
بدلا من الذين لا يؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الا ان تكون بدلا من الكاذبون
لانه راي الكلام الى اخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله واجاز الزمخشري ان
تكون بدلا من اولئك فاذا كان بدلا من الذين لا يؤمنون فيكون قوله واولئك هم
الكاذبون جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا كان بدلا من الكاذبون فالتقدير واولئك هم
من كفر بالله من بعد ايمانه واذا كان بدلا من اولئك فالتقدير ومن كفر بالله من بعد ايمانه

هم الكاذبون وهذه الاوجه الثلاثة عندي ضعيفة لان الاول يقتضي انه لا يفتري
الكذب الا من كفر بالله من بعد ايمانه والوجود يقتضي ان من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن
وسواء كان ممن كفر بعد الايمان او كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثرون
المفترون الكذب واما الثاني فيؤول المعنى الى ذلك اذ التقدير واولئك اي الذين
لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد ايمانه والذين لا يؤمنون هم المفترون واما الثالث
فكذلك اذ التقدير ان المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد ايمانه مخبر عنهم بانهم الكاذبون
وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب على الذم انتهى وهذا ايضا بعيد والذي تقتضيه
فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الاعراب بل من حيث
المعنى والمناسبة وفي قوله الا من اكره دليل على ان فعل المكره لا يترتب عليه شي واذا
كان قد سومح لكلمة الكفر وفعل ما يؤدي اليه فالمسامحة بغيره من المعاصي اولى وقد تكلموا
في كيفية الاكراه المبيح لذلك وفي تفصيل الاشيا التي يقع الاكراه فيها وذلك كله مذكور
في كتب الفقه والمكرهون على الكفر المعذبون على الاسلام خباب وصهيب وبلال
وعمار وابواه ياسر وسمية وسالم وجبر عذبوا فاجابهم عمار وجبر باللفظ فخلى سبيلهما وتمادي
الباقون على الاسلام فقتل ياسر وسمية وهما اول قتيل في الاسلام وعذب بلال
وهو يقول احد احد وعذب خباب بالنار فما اطفاها الا ودك ظهره وجمع الضمير في فعليهم
على معنى من وافرد في شرح على لفظها والظاهر ان ذلك اشارة الى ما استحقوه من
الغضب والعذاب اي كاين لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة وقال الزمخشري
واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم انتهى وهي نزعة اعتزالية والضمير في بانهم عائد
على من في شرح ولما فعلوا فعل من استحب لزموا ذلك وان كانوا غير مصدقين
بالاخرة لكن من حيث اعرضوا عن النظر فيها كانوا ممن استحب غيرها وقوله استحبوا منو
تكسب منهم علق به العقاب وان الله لا يهدي اشارة الى اختراع الله الكفر في قلوبهم
فجمعت الاية بين الكسب والاختراع وهذا عقيدة اهل السنة وقيل ذلك اشارة
الى الارتداد والاقدام على الكفر لاجل انهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولانه تعالى ما
هداهم الى الايمان وتقدم الكلام على الطبع على القلوب والسمع والابصار والختم
عليها واولئك هم الغافلون قال ابن عباس عن ما يراد منهم في الاخرة وقال
الزمخشري الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر
العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ولما كان الانسان يكتسب بالطاعات
سعادة الاخرة فعمل على عكس ذلك من المعاصي الكفر وغيره عظم خسرانه فقيل فيهم
هم الخاسرون لا غيرهم ومن اخسر ممن اتصف بتلك الاوصاف السابقة من كينونة
غضب الله عليهم والعذاب الاليم واستحباب الدنيا وانتفا هدايتهم والاختيار
بالطبع وبغفلتهم ولما ذكر تعالى حال من كفر بعد الايمان وحال من اكره ذكر حال من هاجر
بعد ما فتن قال ابن عطية وهذه الاية مدنية ولا اعلم في ذلك خلافا وقال
ابن عباس نزلت فكتب بها المسلمون الى من كان اسلم بمكة ان الله قد جعل لكم مخرجا
فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل وعلى هذا السبب
يكون جهادهم مع الرسول عليه السلام وروي انهم خرجوا واتبعوا وجاهدوا متبعيهم

فقتل من قتل ونجا من نجا فنزلت حينئذ فيعني بالجهاد جهادهم لمتبعيهم وقال ابن اسحاق
نزلت في عمار وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد قال ابن عطية وذكر عمار رضي الله عنه في هذا
غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من باب من شرح بالكفر صدرا فتح الله
لهم باب التوبة في اخر الاية وقال عكرمة والحسن نزلت في شان عبد الله بن
ابي سرح واشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وقال الزمخشري ثم
ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه وللذين
عند الزمخشري في موضع خبر ان قال ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه
وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور انتهى وقوله منفوعا اسم مفعول من نفع وهو قياسه لانه متعد ثلاثي وزعم
الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفوع وقفت له عليه في
شرح موجز الرماني وقال ابو البقاء خبر ان الاولى قوله ان ربك لغفور وان الثانية
واسمها تكرير للتوكيد انتهى واذا كانت ان الثانية واسمها تكريرا للتوكيد كما ذكر فالذي
تقتضيه صناعة العربية ان يكون خبر ان الاولى هو قوله لغفور ويكون للذين متعلقا
بقوله لغفور او برحيم على الاعمال لان ان ربك الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من
حيث الاعراب كما انك اذا قلت قام قام زيد فزيد انما هو مرفوع بقام الاولى لان
الثانية ذكرت على سبيل التوكيد للاولى وقيل لا خبر لان الاولى في اللفظ لان خبر الثانية
اغنى عنه انتهى وهذا ليس بجيد لانه الغى حكم الاولى وجعل الحكم للثانية وهو عكس
ما تقدم ولا يجوز وقيل للذين متعلق بمحذوف على جهة البيان كانه قيل اعني
للذين اي الغفران للذين **وقرا** الجمهور فتنوا مبنيا للمفعول اي بالعذاب والاكراه
على كلمة الكفر **وقرا** ابن عامر فتنوا مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير عائد على الذين
هاجروا فالمعنى فتنوا انفسهم بما اعطوا المشركين من القول كما فعل عمار ولما كانوا
صابرين على الاسلام وعذبوا بسبب ذلك صاروا كانهم هم المعذبون انفسهم
ويجوز ان يكون عائدا على المشركين اي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه
والضمير في من بعدها عائد على المصادر المفهومة من الافعال السابقة اي من بعد
الفتنة والهجرة والجهاد والصبر وقال ابن عطية والضمير في بعدها عائد على الفتنة
او الهجرة او التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح • يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون • وضرب الله مثلا قرية كانت امنة
مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف بما كانوا يصنعون • ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون • فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه
تعبدون • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • يوم منصوب على الظرف وناصبه
رحيم او على المفعول به وناصبه اذكروا والظاهر عموم كل نفس فيجادل المؤمن والكافر
ويجادل بالكذب والجحد فتشهد عليهم الرسل والجوارح فحينئذ لا ينطقون وقالت
فرقة الجدال قول كل احد من الانبياء وغيرهم نفسي نفسي قال ابن عطية وهذا ليس

قوله عز وجل يوم تاتي كل نفس

بجدال

بجدال ولا احتجاج انما هو مجرد رغبة واختار الزمخشري هذا القول وركب معه ما قبله
فقال كانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي
نفسي ومعنى المجادلة الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك
وقال يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس
الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها وقال ابن عطية اي كل ذي نفس ثم اجري الفعل
على المضاف اليه المذكور فانث العلامة والنفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية
هي بمعنى البدن كما تقول نفس الشيء وعينه اي ذاته وقال العسكري الانسان يسمى
نفسا تقول العرب ما جاءني الا نفس واحد اي انسان واحد والنفس في الحقيقة
لا تاتي لانها هي الشيء الذي يحيى به الانسان انتهى **فان قلت** لم لم يتعد الفعل
الى الضمير لا الى لفظ النفس **قلت** منع من ذلك ان الفعل اذا لم يكن من باب ظن
وفقد لا يتعدى فعل ظاهر من فاعله ولا مضمره الى مضمره المتصل فلذلك لم يجيء التركيب
تجادل عنها ولذلك لا يجوز ضربتها هند ولا هند ضربتها وانما تقول ضربت نفسها هند
وضربت هند نفسها ما عملت اي جزاء ما عملت من احسان او اساءة وانث الفعل في تاتي
والضمير في تجادل وفي عن نفسها وفي توفى وفي عملت حملا على معنى كل ولو روعي اللفظ لذكر

وقال الشاعر

• جادت عليها كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم

فانث على المعنى وما ذكر عن ابن عباس ان الجدال بينا هو جدال الجسد للروح والروح
للجسد ولا يظهر قال يقول الجسد رب جاء الروح بامرك به نطق لساني وابصرت
عيني ومشت رجلي فتقول الروح انت كسبت وعصيت لا انا وانت كنت الحامل
وانا المحمول فيقول الله عز وجل اضرب لكما مثلا اعمى حمل مقعدا الى بستان فاصاب
من ثماره فالعذاب عليكما وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة ان القرية
المضروب بها المثل مكة كانت لا تغزى ولا يغار عليها والارزاق تجلب اليها
وانعم الله عليها بالرسول فكفرت فاصابها السنون والخوف وسرايا الرسول
وغزواته ضربت مثلا لغيرها مما ياتي بعدها وهذا وان كانت الاية مدنية
وان كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب ويؤيد كونها مكة
قوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ويجوز ان تكون قرية من قرى الاولين وعن
حفصة انها المدينة وقال ابن عطية يتوجه عندي انها قصد بها قرية غير معينة
جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة
وقال الزمخشري يجوز ان يكون يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون
في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل
عاقبتها انتهى ولا يجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لا بد من وجودها
لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون كانت امنة
ابتداء بصفة الامن لانه لا نعيم لخائف والاطمئنان زيادة في الامن فلا يزعجها
خوف ياتيها اقواتها واسعة من جميع جهاتها لا يتعذر منها جهة وانعم جمع
نعمة كشدة واشد وقال قطرب جمع نعم بمعنى النعيم يقال هذه ايام طعم ونعم

انتهى فيكون كبؤس وأبؤس وقال الزمخشري جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع وقال العقلاء

• ثلثة ليس لهم نهاية • الأمن والصحة والكفاية ٥

قال أبو عبد الله الرازي آمنة إشارة إلى الأمن مطمئنة إشارة إلى الصحة لأن هواء ذلك لما كان ملائماً لأمزجتهم اطمأنوا إليه واستقروا يأتيها رزقها السبب في ذلك دعوة إبراهيم فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات وقال الأنعم جمع قلة ولم يأت بنعم الله وذلك أنه قصد التنبيه بالأدنى على الأعلى بمعنى أن كفران النعم القليلة أوجب العذاب فكفران الكثيرة أولى بإيجابه قال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا **كقول الأعشى**

• إذا ما الضجيع ثنى جيدها • تثنت عليه فصارت لباسا ٥

ونحو قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومنه **قول الشاعر**

• وقد لبست بعد الزبير مجاشع • ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما ٥

كان العار لما باشرهم ولصق بهم جعلهم لبسوه وقوله فأذاقها نظير قوله ذق إنك أنت العزيز الكريم ونظير **قول الشاعر** ٥

دونك ما جنيته فاحس وذق ٥ وقال الزمخشري الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس فما وجه صحة إيقاعها **قلت** أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه هاهنا ونحوه **قول كثير** ٥

• غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً • غلقت لضحكته رقاب المال ٥

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظراً إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار **كقوله** ٥

• ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا أخا عمرو بن بكر

• لي الشطر الذي ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر ٥

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً ٥ انتهى وهو كلام حسن ولما تقدم ذكر الأمن والإتيان بالرزق قابلهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتأخر وهو إتيان الرزق لقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت

وجوههم

نصبه صح

وجوههم ثم قال وأما قوله فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار فقدم ما بدئ به وهما طريقان **وقرأ** الجمهور والخوف بالجر عطفاً على الجوع وروى العباس عن أبي عمرو والخوف بالنصب عطفاً على لباس قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون بإضمار فعل وقال الزمخشري يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف **وقرأ** عبد الله فأذاقها الله الخوف والجوع ولا يذكر لباس والذي قوله أن هذا تفسير المعنى لا قراءة لأن المنقول عنه مستفيضاً مثل ما في سواد المصحف وفي مصحف أبي بن كعب لباس الخوف والجوع بدأ بمقابل ما بدأ به في قوله كانت آمنة وهذا عندي مما كان في مصحفه قبل أن يجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الآن شرقاً وغرباً ولذلك المستفيض عن أبي في القراءة إنما هو كقراءة الجماعة بما كانوا يصنعون من كفران نعم الله ومنه تكذيب الرسول الذي جاءهم والضمير في بما كانوا يصنعون عائد على المحذوف في قوله وضرب الله مثلاً قرية أي قصة أهل قرية أعاد الضمير أولاً على لفظ قرية ثم على المضاف المحذوف كقوله فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون والظاهر أن الضمير في ولقد جاءهم عائد على ما عاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون وقال ابن عطية يحتمل أن يكون الضمير في جاءهم لأهل تلك المدينة يكون هذا مما جرى فيها كمدينة شعيب وغيرهم ويحتمل أن يكون لأهل مكة وقال أبو عبد الله الرازي لما ذكر المثل قال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم يعني من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه ولما وعظ تعالى بضرب ذلك المثل وصل هذا الأمر للمؤمنين بالفاء فأمر المؤمنين بأكل ما رزقهم وشكر نعمته ليباينوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله ولما تقدم فكفرت بأنعم الله جاء هنا واشكروا نعمة الله وفي البقرة جاء يا أيها الذين آمنوا كلوا مما رزقناكم لم يذكر من كفر نعمته فقال واشكروا الله ولما أمرهم بالأكل مما رزقهم عدد عليهم محرماته تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وكذا جاء في البقرة ذكر ما حرم إثر قوله كلوا مما رزقناكم وقوله إنما حرم الآية تقدم تفسير مثلها في البقرة ٥ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم • وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون • ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ٥ لما بين تعالى ما حرم بالغ في تأكيد ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم كالبحيرة والسائبة وفيما أحل كالميتة والدم وذكر تعالى تحريم هذه الأربع في سورة الأنعام وهذه السورة وهما مكيتان بأداة الحصر ثم كذلك في سورة البقرة والمائدة بقوله أحلت لكم الآية وأجمعوا على أن المراد بما يتلى عليكم هو قوله حرمت الآية وهما مدنيتان فكان هذا التحريم لهذه الأربع مشروعاً ثابتاً في أول مكة وآخرها وأول المدينة وآخرها فنهى تعالى أن يحرموا ويحلوا من عند أنفسهم ويفتروا بذلك على الله حيث ينسبون ذلك إليه **وقرأ** الجمهور

قوله عز وجل ولا تقولوا

الكذب بفتح الكاف والياء وكسر الذال وجوّزوا فيما في هذه القراءة أن يكون بمعنى الذي
والعائد محذوف تقديره للذي تصفه ألسنتكم وانتصب الكذب على أنه معمول لتقولوا
أي ولا تقولوا الكذب للذي تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة من غير استناد
ذلك الوصف إلى الوحي وهذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب أو على إضمار فعل
أي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يكون انتصاب
الكذب على أنه بدل من الضمير المحذوف العائد على ما كما تقول جاءني الذي ضربت
أخاك أي ضربته أخاك وأجاز أبو البقاء أن يكون منصوبا بإضمار أعني وقال
الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصب الكذب على المفعول به أي لوصف ألسنتكم
الكذب وهو معمول ولا تقولوا الجملة من قوله هذا حلال وهذا حرام والمعنى ولا تحللوا
ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم كذبا لا بحجة وبينة وهذا معنى بديع جعل
قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته
وصورته بصورته كقولهم وجهه يصف الجمال وعينها تصف السحر **وقرأ** الحسن
وابن يعمر وطلحة والأعرج وابن أبي إسحاق وابن عبيد ونعيم بن ميسرة بكسر الباء وخرج
على أن يكون بدلا من ما والمعنى للذي تصفه ألسنتكم الكذب وأجاز الزمخشري وغيره
أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية قال الزمخشري كأنه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة
انتهى وهذا عندي لا يجوز وذلك أنهم نصوا على أن المصدرية لا ينعت المصدر
المنسبك منها ومن الفعل ولا يوجد من كلامهم يعجبني أن قمت السريع تريد قيامك
السريع ولا عجبت من أن تخرج السريع أي من خروجك السريع وحكم باقي الحروف
المصدرية حكم أن فلا يوجد من كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا
من كي بخلاف صريح المصدر فإنه يجوز أن ينعت وليس لكل مقدر حكم المنطوق به وإنما
يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب **وقرأ** معاذ وابن أبي عبلة وبعض أهل الشام
الكذب بضم الثلاثة صفة للألسنة جمع كذوب قاله صاحب اللوامح أو جمع
كاذب أو كذاب انتهى فيكون كشارف وشرف أو مثل كتاب وكتب ونسب هذه
القراءة صاحب اللوامح لمسلمة بن محارب وقال ابن عطية **وقرأ** مسلمة بن محارب
الكذب بفتح الباء على أنه جمع كذاب ككتب في جمع كتاب وقال صاحب اللوامح وجاء
عن يعقوب الكذب بضمتين والنصب فأما الضمتان فلأنه جمع كذاب وهو مصدر
ومثله كتاب وكتب وقال الزمخشري بالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب
أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني انتهى والخطاب على قول الجمهور
بقوله ولا تقولوا للكفار في شأن ما أحلوا وما حرموا من أمور الجاهلية وعلى ذلك
الزمخشري وابن عطية وقال العسكري الخطاب للمكلفين كلهم أي لا تسموا
ما لم يأتكم حظره ولا إباحته عن الله ورسوله حلالا ولا حراما فتكونوا كاذبين
على الله في أخباركم بأنه حلله وحرمه انتهى وهذا هو الظاهر لأنه خطاب معطوف
على خطاب وهو فكلوا إنما حرم عليكم فهو شامل لجميع المكلفين واللام في لتفتروا
لام التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض قاله الزمخشري وهي التي تسمى لام العاقبة

ولام الصيرورة فيه ذلك الافتراء ما كان غرضا لهم والظاهر أنها لام التعليل
وأنهم قصدوا الافتراء كما قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ولا يكون ذلك
على سبيل التوكيد لما تقدم لتضمنه الكذب لأن هذا التعليل فيه التنبيه على من افتروه
عليه وهو الله تعالى وقال الواحدي وصفهم الكذب هو افتراء على الله ففسر وصفهم
بالافتراء على الله انتهى وهو على تقدير ما مصدرية وأما إذا كانت بمعنى الذي فاللام في لما
ليست للتعليل فيبدل منها ما يقتضي التعليل بل اللام متعلقة بلا تقولوا على حد تعلقها
في قولك لا تقولوا لما أحل الله هذا حرام أي لا تسموا الحلال حراما وكما تقول لا تقل لزيد
عمرو أي لا تطلق على زيد هذا الاسم والظاهر أنهم افتروا على الله حقيقة وهو ظاهر
الافتراء الوارد في آي القرآن وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد أنه كان شرعهم
لاتباعهم سننا لا يرضاها الله افتراء عليه لأن من شرع أمرا فكأنه قال لتباعه هذا
هو الحق وهذا مراد الله ثم أخبر تعالى عن الذين يفترون على الله الكذب بانتفاء
الفلاح والفلاح الظفر بما يؤمل فتارة يكون في البقاء كما **قال الشاعر**

والمسي والصبح لا فلاح معه ٭ وتارة في نجح المساعي كما **قال**
عبيد بن الأبرص ٭ أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الأريب ٭

وارتفع متاع على أنه خبر مبتدأ محذوف فقدره الزمخشري منفعتهم فيما هم عليه
من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وقال ابن عطية عيشهم في الدنيا
وقال العسكري يجوز أن يكون المتاع متنا ما خلقوه لأنفسهم مما حرمه الله تعالى
وقال أبو البقاء بقاؤهم متاع قليل وقال الحوفي متاع قليل ابتداء وخبر انتهى
ولا يصح إلا بتقدير الإضافة أي متاعهم قليل ولما بين تعالى ما يحل وما يحرم لأهل
الإسلام أتبعه بما كان خص به اليهود محالا على ما تقدم ذكره في سورة الأنعام
وهذا يدل على أن سورة الأنعام نزلت قبل هذه السورة إذ لا يصح الحوالة إلا
بذلك ويتعلق من قبل بقصصنا وهو الظاهر وقيل بحرمنا والمحذوف الذي هو
قبل تقديره من قبل تحريمنا على أهل ملتك والسوء هنا قال ابن عباس الشرك
قبل المعرفة بالله انتهى والسوء ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية غيره والكلام
في للذين عملوا وما يتعلق به تقدم نظيره في قوله ثم إن ربك للذين هاجروا
فأغنى عن إعادته وقال قوم بجهالة بعمد وقال ابن عطية ليست هنا ضد
العلم بل تعدي الطور وركوب الرأس ومنه أو أجهل أو يجهل علي ٭

وقول الشاعر

٭ ألا لا يجهلن أحد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭

والتي هي ضد العلم تصحب هذه كثيرا ولكن يخرج منها المتعمد وهو الأكثر وقل ما يوجد
في العصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي يواقع انتهى ملخصا وقال الزمخشري
بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير
متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وقال سفين جهالة أن يلتذ بهواه
ولا يبالي بمعصية مولاه وقال الضحاك باغترار الجاهل عن الله وقال العسكري
ليس المعنى أنه يغفر لمن يجهل السوء بجهالة ولا يغفر لمن عمله بغير جهالة بل المراد

قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة

ان جميع من تاب فهذا سبيله وانما خص من يعمل السوء بجهالة لان اكثر من ياتي الذنوب
ياتيها بغفلة فكر في عاقبته او عند غلبة شهوة او في جهالة شباب فذكر الاكثر
على عادة العرب في مثل ذلك والاشارة بذلك الى عمل السوء واصلحوا استمروا
على الاقلاع عن تلك المعصية وقيل اصلحوا امنوا واطاعوا والضمير في من بعدها
عائد على المصادر المفهومة من الافعال السابقة اي من بعد عمل السوء والتوبة
والاصلاح وقيل يعود على الجهالة وقيل على السوء على معنى المعصية ٥ ان ابراهيم
كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لانعمه اجتباه وهداه
الى صراط مستقيم • واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين • ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • لما ابطل
تعالى مذاهب المشركين في هذه السورة من اثبات الشركاء لله والطعن في نبوة رسول الله
وتحليل ما حرم وتحريم ما احل وكانوا مفتخرين بجدهم ابراهيم صلوات الله على نبينا
وعليه معترفين بحسن طريقته ووجوب الاقتداء به ذكره في اخر السورة واوضح منهاجه
وما كان عليه من توحيد الله تعالى ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم على الاقتداء
به وايضا فلما جرى ذكر اليهود بين طريقة ابراهيم ليظهر الفرق بين حاله وحالهم
وحال قريش وقال مجاهد سمي امة لانفراده بالايمان في وقته مدة ما وفي البخاري
انه قال لسارة ليس على الارض اليوم مؤمن غيري وغيرك والامة لفظ مشترك
بين معان منها الجمع الكثير من الناس ثم يشبه به الرجل العالم او الملك
او المنفرد بطريقه وحده عن الناس فسمي امة وقال ابن مسعود والفراء وابن قتيبة
وقال ابن عباس كان عنده من الخير ما كان عند امة ومن هنا اخذ الحسن بن هانئ
قوله • وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد •
وعن ابن مسعود انه معلم الخير واطلق هو وعمر ذلك على معاذ فقال كان امة قانتا
وقال ابن الانباري هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون
بالتانيث التناهي في المعنى الموصوف به وقيل الامة الامام الذي يقتدى به من ام
يؤم والمفعول قد يبنى للكثرة على فعلة وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكرا
لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا
هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما فقال
الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم واتيناه في الدنيا حسنة
قال قتادة حببه الله الى كل الخلق فكل اهل الاديان يتولونه اليهود والنصارى
والمسلمون وخصوصا كفار قريش فان فخرهم انما هو به وذلك باجابة دعوته
واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقيل الحسنة قول المصلي منا كما صليت
على ابراهيم وقال ابن عباس الذكر الحسن وقال الحسن النبوة وقال مجاهد لسان
صدق وقال قتادة القبول وعنه تنويه الله بذكره وقيل الاولاد الابرار
على الكبر وقيل المال يصرفه في الخير والبر وانه لمن الصالحين تقدم الكلام على هذه
الجملة في البقرة ولما وصف ابراهيم عليه السلام بتلك الاوصاف الشريفة

امر نبيه

امر نبيه ان يتبع ملته وهذا الامر من جملة الحسنة التي اتاها الله ابراهيم في الدنيا
قال ابن فورك وامر الفاضل باتباع المفضول لما كان سابقا الى قول الصواب والعمل
به وقال الزمخشري ثم اوحينا في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه
السلام من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه
بها النبي وان تفسيرية او في موضع المفعول واتباع ملته قال قتادة في الاسلام
وعنه ايضا جميع ملته الا ما امر بتركه وعن عمرو بن العاص مناسك الحج وقال
القرطبي الصحيح عقائد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وقيل في التبري من الاوثان وقال قوم كان على شريعة ابراهيم
وليس له شرع ينفرد به وانما المقصود من بعثته احياء شرع ابراهيم قال
ابو عبد الله الرازي وهذا القول ضعيف لانه وصف ابراهيم في هذه الاية بانه
ما كان من المشركين فلما قال اتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك **فان قيل**
النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية
واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب
حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها **قلت** يحتمل ان يكون المراد منها
في كيفية الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة
وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة في القران
انتهى ولا يحتاج الى هذا لان المعتقد التي تقتضيه دلائل العقول لا يمتنع ان يوحى
ليتظافر المعقول والمنقول على اعتقاده الا ترى الى قوله تعالى قل انما يوحى الي
انما الهكم اله واحد فليس اعتقاد الوحدانية بمجرد الوحي فقط وانما تظافر
المنقول عن الله في ذلك مع دليل العقل وكذلك هنا اخبر تعالى ان ابراهيم لم يكن
مشركا وامر الرسول باتباعه في ذلك وان كان انتفاء الشرك ليس مستنده مجرد الوحي
بل الدليل العقلي والدليل الشرعي تظافرا على ذلك وقال ابن عطية قال
مكي ولا يكون يعني حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان
الحال قد يعمل فيها حروف الخفض اذا عملت في ذي الحال كقولك مررت بزيد
قائما انتهى اما ما حكي عن مكي وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافا اليه فليس
على اطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف اليه في محل رفع او نصب جازت
الحال منه نحو يعجبني قيام زيد مسرعا او شرب السويق ملتوتا وقال بعض النحاة
ويجوز ايضا ذلك اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا او كالجزء منه كقوله ملة ابراهيم حنيفا وقد مر التصحيح
في ذلك فيما كتبناه على التسهيل وعلى الالفية لابن مالك واما قول ابن عطية
في رده على مكي بقوله وليس كما قال لان الحال الى اخره فقول بعيد عن قول
اهل الصنعة لان الباء في بزيد ليست هي العاملة في قائما وانما العامل
في الحال مررت والباء وان عملت الجر في زيد فان زيدا في موضع نصب

بعثه

بمررت ولذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذي كان مجرورا بالحرف ولما امر الله رسوله باتباع ملة ابراهيم وكان الرسول قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك على انه كان في شرع ابراهيم بين ان يوم السبت لم يكن تعظيمه واتخاذه للعبادة من شرع ابراهيم ولا دينه والسبت مصدر وبه سمي اليوم وتقدم الكلام في هذا اللفظ في الاعراف قال الزمخشري سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وان المعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته **فان قلت** فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين **قلت** معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه انتهى وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله وقال الكرماني عدي جعل بعلى لان اليوم صار عليهم لا لهم لارتكابهم المعاصي فيه انتهى ولهذا قدر الزمخشري انما جعل وبال السبت وقال الحسن جعل السبت لعنة عليهم بان جعل منهم القردة وقال ابن عباس ان الله سبحانه قال ذروا الاعمال يوم الجمعة وتفرغوا فيه لعبادتي فقالوا لا نريد الا السبت لان الله تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فهو اولى بالراحة **وقرأ** ابو حيوة جعل بفتح الجيم والعين مبنيا للفاعل وعن ابن مسعود والاعمش انهما قرآ انا انزلنا السبت وهي تفسير معنى لا قراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ولما استفاض عن الاعمش وابن مسعود انهما قرآ كالجماعة ۝ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۝ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ۝ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ۝ امر تعالى رسوله عليه السلام ان يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو ان يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس اجمل موقع وعن ابن عباس

قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك

ان الحكمة القرآن وعنه الفقه وقيل النبوة وقيل ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة والمرهبة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس وعنه ايضا الادب الجميل الذي يعرفونه وقال ابن جرير هي العبر المعدودة في هذه السورة وقال ابن عيسى الحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وقال الزمخشري الى سبيل ربك الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقال ابن عطية الموعظة الحسنة التخويف والترجية والتلطف بالانسان بان تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا وقالت فرقة هذه الاية منسوخة باية القتال وقالت فرقة هي محكمة ۝ وان عاقبتم اطبق اهل التفسير ان هذه الاية مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة وغيره في يوم احد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب النحاس الى انها مكية والمعنى متصل بما قبلها اتصالا حسنا لانها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ الى الذي يجادل الى الذي يجازى على فعله ولكن ما روى الجمهور اثبت انتهى وذهبت فرقة منهم ابن سيرين ومجاهد الى انها نزلت فيمن اصيب بظلامة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداها الى غيرها وسمي المجازاة على الذنب معاقبة لاجل المقابلة والمعنى قابلوا من صنع بكم صنيع سوء بمثله وهو عكس ومكروا ومكر الله المجاز في الثاني وفي وان عاقبتم في الاول **وقرأ** ابن سيرين وان عقبتم فعقبوا بتشديد القاف فيهما اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم والظاهر عود الضمير الى المصدر الدال عليه الفعل مبتدا بالاضافة اليهم اي لصبركم وللصابرين اي لكم ايها المخاطبون فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بصبرهم على الشدائد ويصبرهم على المعاقبة وقيل يعود الى جنس الصبر ويراد بالصابرين جنسهم فكانه قيل والصبر خير للصابرين فيندرج صبر المخاطبين في الصبر ويندرجون هم في الصابرين ونحوه فمن عفا واصلح وان تعفوا اقرب للتقوى ولما خير المخاطبين في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول في الذي هو خير وهو الصبر فامره وحده بالصبر ومعنى بالله بتوفيقه وتيسيره وارادته والضمير في عليهم يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال فلا تاس على القوم الكافرين وقيل يعود على القتلى الممثل بهم حمزة ومن مثل به يوم احد **وقرأ** الجمهور في ضيق بفتح الضاد **وقرأ** ابن كثير بكسرها ورويت عن نافع ولا يصح عنه وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين وقال ابو عبيدة بفتح الضاد مخفف من ضيق اي ولا تك في امر ضيق كلين في لين وقال ابو علي الصواب ان يكون الضيق لغة في المصدر لانه ان كان مخففا من ضيق لزم ان تقام الصفة مقام الموصوف اذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك والصفة انما تقام مقام الموصوف اذا تخصص

ان الحكمة

مفردات اول سورة الاسرا

الموصوف من نفس الصفة كما تقول رايت ضاحكا فانما تختص الانسان ولو قلت
رايت باردا لم يحسن وبارد مثل سن وضيق لا يختص الموصوف وقال ابن عباس
وابن زيد ان ما في هذه الايات من الامر بالصبر منسوخ ومعنى المعية هنا بالنصر
والتاييد والاعانة **جاس** يجوس جوسا وجوسانا تردد في الغارة قال الليث
وقال ابو عبيدة جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل وقال الفرا قتلوا •

قال حسان ۵

• ومنا الذي لاقى لسيف محمد • فجاس به الاعداء عرض العساكر ۵

وقال قطرب نزلوا **قال الشاعر** ۵

• فجسنا ديارهم عنوة • واُبنا بساداتهم موثقينا ۵

وقيل داسوا ومنه • اليك جسنا الليل بالمطي ۵ وقال ابو زيد الجوس
والجوس والعوس والحوس الطواف بالليل فالجوس والحوس طلب الشي باستقصاء
حظرت البني منعته ۵

قوله عز وجل سبحان الذي اسرى

سورة الاسرا

بسم الله الرحمن الرحيم • سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير • واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا • سبب نزول سبحان الذي اسرى بعبده
ذكر رسول الله لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فانزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة
مكية قال صاحب الغنيان باجماع وقيل الا ابتين وان كادوا ليفتنونك وان كادوا
ليستفزونك وقيل الا اربع هاتان وقوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
وقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق وزاد مقاتل قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم
من قبله الاية وقال قتادة الا ثماني ايات انزلت بالمدينة وهي من قوله
وان كادوا ليفتنونك الى اخرهن ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها انه تعالى
لما امره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته
الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به اعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله
واحتفائه به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام على سبحان في البقرة وزعم الزمخشري
انه علم للتسبيح كعثمان للرجل وقال ابن عطية ولم ينصرف لان في اخره زائدتين وهو معرفة
بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا انتهى ويغنيان والله اعلم انه اذا لم يضف كقوله
سبحان من علقمة الفاجر • واما اذا اضيف فلو فرضنا انه علم لنوي تنكيره ثم يضاف
وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية واسرى بمعنى سرى وليست الهمزة فيه
للتعدية وعدّيا بالباء ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل بل المعنى جعله
يسري لان السرى يدل على الانتقال كمشى وجرى وهو مستحيل على الله تعالى فهو كقوله
لذهب بسمعهم اي لاذهب سمعهم فاسرى وسرى على هذا كسقى واسقى اذا كانا بمعنى
واحد ولذلك قال المفسرون معناه سرى بعبده وقال ابن عطية ويظهر ان اسرى
معداة بالهمزة الى المفعول محذوف تقديره اسرى الملائكة بعبده لانه يقلق ان يسند

اسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى اذ هو فعل يعطي النقلة كمشى وجرى واحضر وانتقل
فلا يحسن اسناد شي من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشي من هذا النحو
كقوله في الحديث اتيته سعيا واتيته هرولة حمل ذلك بالتاويل على الوجه المخلص من نفي
الحوادث واسرى في هذه الاية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل
هذه اللفظة فانه لزم للنقلة من انبنته واتى الله بنيانهم انتهى وانما احتاج ابن عطية
الى هذه الدعوى اعتقادا انه اذا كان اسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة
الفاعل للمفعول وهذا شي ذهب اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه قيامك
وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده باء التعدية بباء الحال فباء الحال
يلزم فيه المشاركة اذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة فقمت
بزيد والباء للتعدية كقولك اقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك ان تقوم انت قال
ابن عطية ويحتمل ان يكون اسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله
بنورهم يعني ان يكون التقدير لسرت ملايكته بعبده فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وهذا مبني على اعتقاده انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وايضا فورود
القراءتين في فاسر بقطع الهمزة ووصلها يقتضي انهما بمعنى واحد الا ترى ان قوله فاسر
باهلك وان اسر بعبادي قرئ بالقطع والوصل ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف
اذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف والظاهر ان الاسرا كان بشخصه
ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قص ذلك على ام هاني قالت له لا تحدث
الناس فيكذبوك ولو كان مناما ما استنكر ذلك وهذا قول جمهور اهل العلم
وهو الذي ينبغي ان يعتقد وحديث الاسرى مروي في المسانيد عن الصحابة في كل اقطار
الاسلام وذكر انه رواه عشرون من الصحابة فقيل وما روي عن عايشة ومعاوية
انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن في ذلك حجة لانهما لم يشاهدا ذلك
لصغر عايشة وكفر معاوية اذ ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى الرسول ولا حدثا به
عنه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وقوله بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابو القاسم سليمان الانصاري لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية
والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله اليه يا محمد بم شرفك قال يا رب بنسبتي
اليك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي اسرى بعبده الاية انتهى وعنه قالوا
عبد الله ورسوله وعنه انما انا عبد وهذه اضافة تشريف واختصاص ۵

وقال الشاعر ۵

• لا تدعني الا بيا عبدها لانه اشرف اسمائي ۵

وقال العلما لو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك
الحالة وانتصب ليلا على الظرف ومعلوم ان السرى لا يكون في اللغة الا بالليل
ولكنه ذكر على سبيل التوكيد وقيل اي في جوف الليل فلم يكن ادلاجا ولا ادلاجا
وقال الزمخشري اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري به
في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل
على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل

كقوله ومن الليل فتهجد به على الامر بالقيام في بعض الليل انتهى والظاهر ان قوله من المسجد
الحرام هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه وهو قول انس وقيل من الحجر وقيل من بين زمزم
والمقام وقيل من شعب ابي طالب وقيل من بيت ام هاني وقيل من سقف بيته عليه
السلم وعلى هذه الاقوال الثلثة يكون اطلق المسجد الحرام على مكة وقال قتادة
ومقاتل قبل الهجرة بعام وقالت عايشة بعام ونصف في رجب وقيل في سبع عشرة
من ربيع الاول والرسول ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرون يوما
وعن ابن شهاب بعد المبعث بسبعة اعوام وعن الحربي ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر
قبل الهجرة بسنة والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ووقع
لشريك بن ابي نمر في الصحيح ان ذلك كان قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان ذلك
وهم من شريك وحكى الزمخشري عن انس والحسن انه كان قبل المبعث وقال ابو بكر محمد بن علي
ابن القاسم الرعيني في تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السما قبل مبعثه
بثمانية عشر شهرا ويروى انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به ورجع من
ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت
ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج
فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي
هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به
وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر اليهم فاستنعتوه المسجد فجلي
له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال يقدم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله
الشمس قد شرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال
محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما في تلك الليلة وكان
العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السما من العجايب وانه لقي الانبيا
وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وهذا على قول من قال ان هذه الليلة هي ليلة المعراج
وهو قول ابن مسعود وجماعة وذهب بعضهم الى ان ليلة المعراج هي غير ليلة الاسرا
والمسجد الاقصى مسجد بيت المقدس وسمي الاقصى لانه كان في ذلك الوقت اقصى بيوت الله
الفاضلة من الكعبة قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة
بينه وبين سواه ويكون المقصد اظهار العجب في الاسرا الى هذا البعد في ليلة انتهى
ولفظة الى تقتضي انه انتهى الاسرا به الى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على
دخوله والذي باركنا حوله صفة مدح لازالة اشتراك عارض وبركته بما خص به
من مجامع الدينية كالنبوة والشرايع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه
وبواديه والدنيا وبه من كثرة الاشجار والانهار وطيب الارض وفي الحديث ان الله تعالى
بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وقرأ الجمهور لنريه بالنون
وهو التفات من ضمير الغايب الى ضمير المتكلم وقرأ الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات

في آياتنا وهذه رؤيا عين والآيات التي اراه هي العجايب التي اخبر بها الناس واسراؤه
من مكة وعروجه الى السما ووصفه الانبيا واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح وقال
ابن عطية ويحتمل ان يريد ليري محمدا للناس آية اي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية
في ان يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية قلب قال الزمخشري
انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على
حسب ذلك وقال ابن عطية وعيد من الله للكفار على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
في امر الاسرا فهي اشارة لطيفة بليغة الى ذلك اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم
انتهى ولما ذكر تشريف الرسول بالاسرا واراءته الآيات ذكر تشريف موسى بايتائه
التوراة وآتينا معطوف على الجملة السابقة من تنزيه الله تعالى وبراءته من السوء ولا يلزم
من عطف الجمل المشاركة في الجزا وغيره وقال ابن عطية عطف قوله وآتينا على ما في قوله
اسرى بعبده من تقدير الخبر كانه قال اسرينا بعبدنا واريناه آياتنا وآتينا وقال
العكبري وآتينا معطوف على اسرى انتهى وفيه بعد والكتاب هنا التوراة والظاهر عود
الضمير من وجعلناه على الكتاب ويحتمل ان يعود على موسى ويجوز ان تكون ان تفسيرية
ولا نهي وان تكون مصدرية تعليلا اي لان لا تتخذوا ولا نفي ولا يجوز ان تكون ان زايدة
ولا تتخذوا معمولا لقول محذوف خلافا لمجوز ذلك اذ ليس من مواضع زيادة ان وقرأ
ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وابو رجا وابو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء
على الغيبة وباقي السبعة بتا الخطاب والوكيل فعيل من التوكل اي متوكلا عليه وقال
الزمخشري ربا تكلون اليه اموركم وقال ابن جرير حفيظا لكم سواي وقال
ابو الفرج ابن الجوزي قيل للرب وكيل لكفايته وقيامه بشؤون عباده لا على معنى
ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط امر الوكيل انتهى وانتصب ذرية على النداء اي يا ذرية
او على البدل من وكيلا او على المفعول الثاني لتتخذوا ووكيلا في معنى الجمع اي لا تتخذوا
وكلاء ذرية او على اضمار اعني وقرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على ان يكون
بدلا من الضمير في يتخذوا على قراءة من قرأ بيا الغيبة وقال ابن عطية ولا يجوز في القراءة
بالتا لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى وما
ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان
في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان في بدل شي من شي وهما لعين
واحدة وان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد
التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو
الصحيح لوجود ذلك في كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب
التكميل وذكر من حملنا مع نوح تنبيه على النعمة التي نجاهم بها من الغرق وقرأ
زيد بن ثابت وابان بن عثمان وزيد بن علي ومجاهد في رواية بكسر الذال ذرية
مجاهد ايضا بفتحها وعن زيد بن ثابت ذرية بفتح الذال وتخفيف الرا وتشديد اليا
على وزن فعيلة كمطية والظاهر ان الضمير في انه عايد على نوح قال سلمان الفارسي
كان يحمد الله على طعامه وقال ابراهيم شكره اذا اكل قال بسم الله فاذا فرغ قال
الحمد لله وقال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله

قوله عز وجل وقضينا

وقيل الضمير في انه عايد الى نوح اثنى عليه على الشكر لانه يستلزم التوحيد اذ النعم
التي يجب الشكر عليها هي من عنده تعالى فكانه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم الله
مقتدين بنوح الذي انتم ذرية من حمل معه ۞ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا • فاذا جا وعد اولاهما بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم
رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا • ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جا وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا • عسى ربكم ان يرحمكم
وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ۞ قضى يتعدى بنفسه الى
مفعول كقوله فلما قضى موسى الاجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء او الانفاذ تعدى
بالى اي واوحينا او انفذنا الى بني اسرائيل في القضاء المحتوم المبتوت وعن ابن عباس
معناه اعلمناهم وعنه ايضا قضينا عليهم وعنه ايضا كتبنا واللام في لتفسدن
جواب قسم فاما ان يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا
الى بني اسرائيل بفسادهم في الارض وعلوهم ثم اقسم على وقوع ذلك وانه كاين لا محالة
فحذف متعلق قضينا وابقى منصوب القسم المحذوف ويجوز ان يكون قضينا اجري
مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله لاقومن وقرا ابو العالية وابن جبير
في الكتب على الجمع والجمهور على الافراد فاحتمل ان يريد به الجنس والظاهر ان يراد التوراة
وقرا ابن عباس ونصر بن علي وجابر بن زيد لتفسدن بضم التاء وفتح السين مبنيا
للمفعول اي يفسدكم غيركم فقيل من الاضلال وقيل من الغلبة وقرا عيسى لتفسدن
بفتح التاء وضم السين اي فسدتم بانفسكم بارتكاب المعاصي مرتين اولاهما قتل زكريا
عليه السلام قاله السدي عن اشياخه وقاله ابن مسعود وابن عباس وذلك انه لما مات
صديقة ملكهم تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا ولا يسمعون من زكريا فقال الله له
قم في قومك اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله عليه اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب
فانفلقت له شجرة فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها
فوضعوا المنشار في وسطها حتى قطعوه في وسطها وقيل سبب قتل زكريا انهم اتهموه
بمريم قيل قالوا حين حملت مريم ضيع بنت سيدنا حتى زنت فقطعوه بالمنشار
في الشجرة وقيل شعيا قال ابن اسحق وان زكريا مات موتا ولم يقتل وان الذي
دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار في وسطها هو شعيا وكان قبل زكريا وحبس
ارمياء حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم
اعلم بني اسرائيل في التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله تعالى في الرسل
وفي الكتب وغير ذلك وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم
بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم الاولى من الظهور فيقع منهم المعاصي
وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم فيبعث الله عليهم امة اخرى تخرب
ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا ودل الوجود بعد ذلك على هذا الامر كله قيل
وكان بين اخر الاولى والثانية مايتا سنة وعشر سنين ملكا مؤبدا ثابتا وقيل

سبعون

سبعون سنة وقال الكلبي لتفسدن في الارض المقدسة ولتعلن اي لتطغون وتتعظمون
وقرا زيد بن علي عليا كبيرا في الموضعين بكسر العين واللام والياء المشددة وقراءة
الجمهور علوا والتصحيح في فعول المصدر اكثر كقوله وعتوا عتوا كبيرا بخلاف الجمع فان
الاعلال فيه هو المقيس وشذ التصحيح نحو نهو ونهو خلافا للفراء اذ جعل ذلك
قياسا فاذا جا وعد اولاهما اي موعود اولاهما لان الوعد قد سبق بذلك والموعود
هو العقاب وقال الزمخشري معناه وعد عقاب اولاهما وقيل الوعد بمعنى الوعيد
وقيل بمعنى الموعد الذي يراد به الوقت والضمير في اولاهما عايد على المرتين وقرا
الجمهور عبادا لنا وقرا الحسن وزيد بن علي عبيدا قال ابن عباس وقتادة غزاهم جالوت
من اهل الجزيرة وقال ابن جبير وابن اسحق غزاهم سنحاريب وجنوده ملك بابل وقيل
بخت نصر وروي انه دخل قبل في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع
من جور بني اسرائيل على ما لم يعلمه الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك
للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه وخرب بيت
المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه واستمرت
حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقيل هم العمالقة وكانوا كفارا وقيل كان المبعو

لوث

قوما مؤمنين بعثهم الله وامرهم بغزو بني اسرائيل والبعث هنا الارسال والتسليط
وقال الزمخشري معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا
اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال
الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم
انتهى وفي قوله خلينا بينهم وبين ما فعلوا دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية
بعثنا يحتمل ان يكون الله ارسل الى ملك تلك الامة رسولا يامره بغزو بني اسرائيل
فتكون البعثة بامر ويحتمل ان يكون عبر بالبعث عما القي في نفس الملك الذي غزاهم
انتهى اولي باس شديد اي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم
وقرا الجمهور فجاسوا بالجيم وقرا ابو السمال وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة وقرئ
فتجوسوا على وزن تكسروا بالجيم وقرا الحسن خلل الديار واحدا ويجمع على خلال
كجبل وجبال ويجوز ان يكون خلال مفردا كالخلل وهو وسط الديار وما بينها والجمهور
على انه في هذه البعثة الاولى خرب بيت المقدس ووقع القتل فيهم والجلاء والاسر
وعن ابن عباس ومجاهد انه حين غزوا جاسوا الغارون خلال الديار ولم يكن قتل
ولا قتال في بني اسرائيل وانصرفت عنهم الجيوش والضمير في وكان عايد على وعد اولاهما
قال الزمخشري وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل انتهى وقيل يعود على الجوس
ثم رددنا لكم الكرة عليهم هذا اخبار من الله لبني اسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع
نرد اذ وقت اخبارهم لم يقع الامر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة انه يقع عبر
عن مستقبله بالماضي والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حين تابوا ورجعوا
عن الفساد وملكوا بيت المقدس قيل الكرة قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم
واموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر في سبب ذلك ان ملكا غزا اهل بابل وكان

بخت نصر فقتل من بني اسرائيل اربعين الفا ممن يقرا التوراة وبقي بقيتهم عنده ببابل
في الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بني اسرائيل فطلبت منه ان
يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبيا فرجعوا الى احسن
ما كانوا وقيل الكرة هي تقوية طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود حتى قتل جالوت
وقال قتادة كانوا اكثر ما في زمان داود عليه السلام وانتصب نفيرا على التمييز فقيل
النفير والنافر واحد واصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وامثل بيته قاله ابو مسلم
وقال الزجاج يجوز ان يكون جمع نفر ككلب وكليب وعبد وعبيد وهم المجتمعون للمصير
الى الاعداء وقيل النفير مصدر اي اكثر خروجا الى الغزو وكما في **قول الشاعر**

● فاكرم بقحطان من والد ● وحمير اكرم بقوم نفيرا ●

ويروي وبالحمير اكرم نفيرا ○ والمفضل عليه محذوف قدره الزمخشري واكثر نفيرا
مما كنتم وقدره مخبرو واكثر نفيرا من الاعدا ان احسنتم اي اطعتم الله كان ثواب الطاعة
لانفسكم وان اساتم بمعصيته كان عقاب الاساءة لانفسكم لا يتعدى الاحسان والاساءة
الى غيركم وجواب وان اساتم قوله فلها على حذف مبتدا محذوف والجار تقديره
فالاساءة قال الكرماني جا فلها باللام ازدواجا انتهى يعني انه قابل قوله لانفسكم
بقوله فلها وقال الطبري اللام بمعنى الى اي فاليها ترجع الاساءة وقيل اللام
بمعنى على اي فعليها كما في قوله فخروا يخرا للبذر وللغم ○ فاذا جا وعد الاخرة اي المرة
الاخرة في افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره
بعثناهم عليكم وافسادهم في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وسبب قتله
فيما روي عن ابن عباس وغيره ان ملكا اراد ان يتزوج من لا يجوز له نكاحها فنهاه يحيى
ابن زكريا وكان لتلك المراة حاجة كل يوم عند الملك لتقضيها فالقت امها اليها ان تسال
عن ذبح يحيى بن زكريا بسبب ما كان منعه من تزوج ابنتها فسالته ذلك ودافعها فالحت
عليه فدعا بطست فذبحه فندرت قطرة على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم
بخت نصر والقي في نفسه ان يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم
سبعين الفا وقال السهيلي لا يصح ان يكون المبعوث في المرة الاخرة بخت نصر لان
قتل يحيى بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بزمن طويل وقيل المبعوث عليهم
الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلثماية سنة ولكنه ان اريد بالمرة الاخرى
حين قتلوا اشعيا فكان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس
واتبعهم الى مصر واخرجهم منها وروي عن عبد الله بن الزبير ان الذي غزاهم اخرا ملك اسمه
خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكريا قائد له فسكن الدم وقيل قتله ملك من ملوك
بني اسرائيل يقال له لاحب وقال الربيع بن انس كان يحيى قد اعطي حسنا وجمالا فراودته
امراة الملك عن نفسه فابى فقالت لابنتها سلي اباك راس يحيى فاعطاها ما سالت
وقرا الجمهور ليسوءوا بلام كي وبيا الغيبة وضمير الجمع الغايب العايد على المبعوثين
وقرا ابن عباس وحمزة وابو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الافراد والفاعل
المضمر العايد المفرد عايد على الله تعالى او على الوعد او على البعث الدال عليه
جملة الجزاء المحذوفة **وقرا** علي بن ابي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون

التي

التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله **وقرا** ابي لنسوءن بلام الامر والنون التي للعظمة
ونون التوكيد الخفيفة اخرا وعن علي ايضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون
التوكيد الشديدة وهي لام القسم ودخلت لام الامر في قراءة ابي على المتكلم كقوله ولنحمل
خطاياكم وجواب اذا هو الجملة الامرية على تقدير الفاء وفي مصحف ابي ليسيء
بيا مضمومة بغير واو وفي مصحف ليسوء وجهكم على الافراد والظاهر انه اريد بالوجوه
الحقيقة لان الاثار الاعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ففي الفرح يظهر الاسفار
والاشراق وفي الحزن تظهر الكلوح والغبرة ويحتمل ان يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساءوهم
بالقتل والنهب والسبي فحصلت الاساءة للذوات كلها او عن سادتهم وكبرائهم
بالوجوه ومنه قول عمر في الخطاب يا وجه العرب واللام في وليدخلوا لام كي معطوفا
على ما قبلها من لام كي ومن قرا بلام الامر او بلام القسم جاز ان يكون وليدخلوا وما
بعده لام امر وجاز ان تكون لام كي اي وبعثناهم ليدخلوا والمسجد مسجد بيت المقدس
ومعنى كما دخلوه اول مرة اي بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول
من ذهب الى ان اولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب وتقدم الكلام في
اول مرة في سورة التوبة وليتبروا يهلكوا وقال قطرب يهدموا ○

قال الشاعر ○

● فما الناس الا عاملات فعامل ● يتبر ما يبني وآخر رافع ○

والظاهر ان ما مفعول به ليتبروا اي يهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار ويحتمل ان تكون
ما ظرفية اي مدة استيلائهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم
عن المعاصي وهذه الترجية ليست لرجوع دولة وانما هي من باب ترحم المطيع منهم
وكان من الطاعة ان يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما السلام فلم يفعلوا وان عدتم الى
المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط
الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ○ وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث
الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة انتهى ومعنى
عدنا في الدنيا الى العقوبة وقال تعالى واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
من يسومهم سوء العذاب ثم ذكر ما اعد لهم في الاخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا
والحصير السجن ○ **وقال لبيد** ○

● ومقامة غلب الرقاب كانهم ● جن لدى باب الحصير قيام ○

وقال الحسن يعني فراشا وعنه ايضا هو ماخوذ من الحصر والذي يظهر انها حاصرة لهم
محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء
لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة على معنى النسب كقوله السما منفطر به اي ذات
انفطار ○ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ● وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما ● ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ● وجعلنا الليل
والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم

تم

قوله عز وجل
ان هذا القرآن

ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا • وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ٥ لما ذكر تعالى من
اختصه بالاسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آتاه التوراة وهو
موسى عليه السلام وانها هدى لبني اسرائيل وذكر ما قضى عليهم فيها من التسليط
عليهم بذنوبهم كان ذلك مزدجرا عن معاصي الله فذكر ما شرف الله به رسوله
من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الهي وانه يهدي للطريقة او الحالة
التي هي اقوم وقال الضحاك والكلبي والفراء التي هي اقوم هي شهادة التوحيد
وقال مقاتل للاوامر والنواهي واقوم هنا افعل التفضيل على قول الزجاج
اذ قدر اقوم الحالات وقدره غيره اقوم مما عداها او من كل حال والذي يظهر من
حيث المعنى ان اقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التي
يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التي هي قيمة
اي مستقيمة كما قال وذلك دين القيمة وفيها كتب قيمة اي مستقيمة الطريقة
قائمة بما يحتاج اليه من امر الدين وقال الزمخشري للتي هي اقوم للحالة التي
هي اقوم الحالات واشدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات
ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد
مع ايضاحه انتهى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات قيد في الايمان
الكامل اذ العمل هو كمال الايمان تنبيه على الحالة الكاملة لينحل بها المؤمن والمؤمن
المفرد في عمله لذنب لما نه حظه في عمل الصالحات والاجر الكبير الجنة وقال
الزمخشري **فان قلت** كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفساق
قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة
بين المنزلتين بعد ذلك انتهى وهذه مكابرة بل قد وقع في زمان الرسول من بعض
المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها مذكور في الحديث
الصحيح الثابت وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على قوله ان لهم اجرا
كبيرا بشروا بفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لاعدائهم الكفار اذ في علم
المؤمنين بذلك وسرورهم به مسرة لهم فرحهما بشارتان وفيه وعيد للكفار
وقال الزمخشري ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون انتهى فلا يكون
اذ ذاك داخلا تحت البشارة وفي قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
دليل على ان من امن بالآخرة لا يعد له عذاب اليم وانه ليس عمل الصالحات
شرطا في نجاته من العذاب **وقرأ** الجمهور ويبشر مشددا مضارع بشر المشدد
وقرأ عبد الله وطلحة وابن وثاب والاخوان ويبشر مضارع بشر المخفف
ومعنى اعتدنا اعددنا وهيأنا وهذه الاية جاءت عقب ذكر احوال اليهود
واندرجوا فيمن لا يؤمن بالآخرة لان اكثرهم لا يقولوا بالثواب والعقاب الجسماني
وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة فلم يؤمنوا بالآخرة حقيقة

الايمان

الايمان بطاه ويدع الانسان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نزلت ذامة لما
يفعله الناس من الدعاء على اموالهم وابنائهم في اوقات الغضب والضجر
ومناسبتها لما قبلها ان بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما
وعد به من الشر في الآخرة كقول النضر فامطر علينا حجارة الاية وكتب ويدع
بغير واو على حسب السمع والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى ان في طباع
الانسان انه اذا ضجر وغضب دعا على نفسه واهله وماله بالشر ان يصيبه
كما يدعو بالخير ان يصيبه ثم ذكر تعالى ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره وعن
سلمان الفارسي وابن عباس اشارة الى آدم لما نفخ الروح في رأسه عطس وابصر
فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقه اعجبته نفسه فذهب يمشي مستعجلا فلم يقدر
والمعنى ذو عجلة موروثة من ابيكم انتهى وهذا القول تنبو عنه الفاظ الاية وقالت
فرقة هذه الاية ذم لعرب الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وكانت
الاولى ان يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا وقالت فرقة هي معاتبة للناس
على انهم اذا نابهم شر وضر دعوا وألحوا في الدعاء واستعجلوا الفرج مثل الدعاء
الذي كان يجب ان يدعو في حالة الخير انتهى والباء في بالشر وبالخير على هذا بمعنى
في والمدعو به ليس الشر ولا الخير وبرا دعلى هذا ان تكون حالتاه في الشر والخير
متساوية في الدعاء والتضرع لله والرغبة والذكر ويبعد هذا المعنى قوله
دعاءه اذ هو مصدر تشبيهي يقتضي وجوده وفي هذا القول يشبه دعاءه
في حالة الشر بدعاء مفقود كان ينبغي ان يوجد في حالة الخير وقيل المعنى
ويدعو الانسان في طلب المحرم كما يدعو في طلب المباح وجعلنا الليل والنهار
آيتين لما ذكر تعالى القرآن وانه هاد الى الطريقة المستقيمة ذكر ما انعم به
مما لم يكمل الانتفاع الا به وما دل على توحيده من عجائب العالم العلوي وايضا لما
ذكر عجلة الانسان وانتقاله من حال الى حال ذكر ان كل هذا العالم كذلك
في الانتقال لا يثبت على حال فنور عقب ظلمة وبالعكس وازدياد نور وانتقاص
والظاهر ان الليل والنهار مفعولا اول لجعل بمعنى صير وآيتين ثاني المفعولين
ويكونان في انفسهما آيتين لانهما علامتان للنظر والعبرة وتكون الاضافة
في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا
الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة وقيل هو على حذف مضاف
فقدره بعضهم وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين وقدره بعضهم وجعلنا
ذوي الليل والنهار اي صاحبي الليل والنهار وعلى كلا التقديرين يراد به
الشمس والقمر ويظهر ان آيتين هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان في
موضع المفعول الثاني اي وجعلنا في الليل والنهار آيتين وقال الكرماني
ليس جعل هنا بمعنى صير لان ذلك يقتضي حالة تقدمت نقل الشيء عنها الى
حالة اخرى ولا بمعنى سمى وحكم والاية فيهما اقبال كل واحد منهما وادباره من
حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة الاخر وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا
آية الليل اذا قلنا ان الليل والنهار هما المجعولان آيتين فمحو آية الليل

عبارة عن السواد الذي فيه بل خلق أسود من أول حاله ولا تقتضي الفاء تعقيبا وهذا كما
تقول بنيت داري فبدأت بالأس وإذا قلنا إن الآيتين هما الشمس والقمر فقيل
محو القمر كونه لم يجعل له نورا وقيل محو طلوعه صغيرا ثم ينمو ثم ينقص حتى يستسر وقيل
محوه نقصه عما كان خلق عليه من الإضاءة وأنه جعل نور الشمس سبعين جزءا
ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر حتى صار على جزء واحد وجعل ما محا منه زائدا في
نور الشمس وهذا مروي عن علي وابن عباس وقال ابن عيسى جعلناهما آيتين للمرئيات
فيهما لأنه لا يبصر ما يمحى من الكتاب قال وهذا من البلاغة الحسنة جدا وقال
الزمخشري فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان
منه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي يبصر فيه الأشياء
وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس
فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
انتهى ونسب الإبصار إلى آية النهار على سبيل المجاز كما تقول ليل قائم ونائم
أي يقام فيه وينام فيه فالمعنى يبصر فيه وقيل معنى مبصرة مضيئة وقيل هو من باب
أفعل المراد به غير من أسند الفعل إليه كقولهم أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وأضعف
وأضعف إذا كانت دوابه ضعافا فأبصرت الآية إذا كان أصحابها بصراء وقرأ
قتادة وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر أقيم مقام الاسم وكثر
مثل ذلك في صفات الأمكنة كقولهم أرض مسبعة ومكان مضبة وعلل
المحو والإبصار بابتغاء الفضل وعلم عدد السنين والحساب وولي التعليل بالابتغاء
ما وليه من آية النهار وتأخر التعليل بالعلم عن آية الليل وجاء في قوله ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله البداءة بتعليل المتقدم
ثم تعليل المتأخر بالعلة المتأخرة وهما طريقان تقدم الكلام عليهما ومعنى لتبتغوا لتتوصلوا
إلى استبانة أعمالكم وتصرفكم في معايشكم والحساب الشهور والأيام والساعات ومعرفة
ذلك في الشرع إنما هو من جهة آية الليل لا من جهة آية النهار وكل شيء مما تفتقرون
إليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه تبيينا غير ملتبس وانتصب وكل شيء
على الاشتغال وكذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية في قوله وجعلنا الليل
والنهار وأبعد من ذهب إلى أن وكل شيء معطوف على قوله والحساب والطائر قال
ابن عباس ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الآية بما تعرف إذ كان من عادتها
التيمن والتشاؤم بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء
وحيوان الفلاة وسمي ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية
بما يلقى الإنسان من خير وشر فقد سبق به القضاء وألزم حظه وعمله ومكسبه في عنقه
فعبر عن الحظ والعمل إذ هما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب
معتقد العرب في التطير وقولهم في الأمور على الطائر الميمون وبأسعد طائر
ومنه ما طار في المحاصة والسهم ومنه فطار لنا من القادمين عثمن بن مظعون
أي كان ذلك حظنا وعن ابن عباس طائره عمله وعن السدي كتابه الذي يطير إليه
وعن أبي عبيدة الطائر عند العرب الحظ وهو الذي تسميه البخت وعن الحسن يا ابن آدم

ن المحو

بسطت

بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك وخص العنق لأنه محل الزينة والشين
فإن كان خيرا زانه كما يزين الطوق والحلي وإن كان شرا شانه كالغل في الرقبة وقرأ
مجاهد والحسن وأبو رجاء طيره وقرئ في عنقه بسكون النون وقرأ الجمهور ومنهم
أبو جعفر ونخرج بنون مضارع أخرج كتابا بالنصب وعن أبي جعفر أيضا ويخرج بالياء
مبنيا للمفعول كتابا أي ويخرج الطائر كتابا وعنه أيضا كتاب بالرفع على أنه مفعول
ما لم يسم فاعله وقرأ الحسن وابن محيصن ومجاهد ويخرج بفتح الياء وضم الراء أي
طائره كتابا إلا الحسن فقرأ كتاب على أنه فاعل يخرج وقرأت فرقة ويخرج بضم
الياء وكسر الراء أي ويخرج الله وقرأ الجمهور يلقاه بفتح الياء وسكون اللام وقرأ
ابن عامر وأبو جعفر والجحدري والحسن بخلاف عنه يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد
القاف منشورا غير مطوي ليمكنه قراءته ويلقاه ومنشورا صفتان للكتاب ويجوز أن
يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه اقرأ كتابك معمول لقول محذوف أي يقال له اقرأ كتابك
وقال قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقال الزمخشري
وغيره وبنفسك فاعل كفى انتهى وهذا مذهب الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز
لا اللزوم ويدل عليه أنه إذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى

قال الشاعر

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وقال آخر

ويخبرني عن غائب المرء هديه ... كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا

وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء بنفسك وقيل كفى اسم
فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لا تكون الباء زائدة
وإذا فرعنا على قول الجمهور إن بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس أن تدخل تاء التأنيث
لتأنيث الفاعل فكان يكون التركيب كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل
إذا كان مؤنثا كقوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها وقوله وما تأتيهم
من آية ولا يحفظ جاء التأنيث في كفى إذا كان الفاعل مؤنثا مجرورا بالباء والظاهر
أن المراد بنفسك ذاتك أي كفى بك وقال مقاتل يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه إذا أنكر
وقال أبو عبيدة أي ما أشد كفايته ما علمت بما عملت واليوم منصوب بكفى وعليك
متعلق بحسيبا ومعنى حسيبا حاكما عليك بعملك قاله الحسن قال يا ابن آدم لقد
أنصفك الله وجعلك حسيب نفسك وقال الكلبي محاسبا بمعنى فعيلا بمعنى مفاعل
كجليس وخليط وقيل حاسبا كضريب القداح أي ضاربها وصريم بمعنى صارم يعني أنه بنا
مبالغة كرحيم وحفيظ وذكر حسيبا لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لأن الغالب
أن هذه الأمور يتولاها الرجال وكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وقال ابن الأنباري
وإنما قال حسيبا والنفس مؤنثة لأنه يعني بالنفس الشخص أو لأنه لا علامة
للتأنيث في لفظ النفس فشبهت بالسماء والأرض قال تعالى السماء منفطر به

وقال الشاعر

ولا أرض أبقل إبقالها

من اهتدى الآية قالت
فرقة نزلت الآية في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود وفي الضلال إلى
الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في الوليد هذا قال يا أهل مكة اكفروا بمحمد وإثمكم

على وتقدير تفسير ولا تزر وازرة وزر اخرى في اخر الانعام وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا عبثا انتفاء التعذيب ببعثة الرسول والمعنى حتى نبعث رسولا فيكذب
ولا يؤمن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب اعم من ان يكون في الدنيا بالهلاك ونحوه
من العذاب او في الاخرة بالنار فهو يشملهما ويدل على الشمول قوله في الهلاك في الدنيا
بعد هذه الاية واذا اردنا وفي اخره فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واي كثيرة
نص فيها على الهلاك في الدنيا بانواع من العذاب حين كذبت الرسل وقوله في عذاب
الاخرة كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير وكلما
تدل على عموم ازمان الالقاء فتعم الملقين وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير
وذهب الجمهور الى ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا من
بعد الرسالة اليهم والانذار قال الزمخشري **فان قلت** الحجة لازمة لهم
قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر
وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك
لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان
قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا
يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل انتهى
وقال مقاتل المعنى وما كنا مستاصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الالهية
حتى نبعث رسولا اقامة للحجة عليهم وقطعا للعذر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود
والمؤتفكات وغيرها ۞ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ۞ وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ۞ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ۞ ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ۞ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء
ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۞ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا ۞ لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا ۞
لما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة
اهلاكهم وهي مخالفة امر الرسول والتمادي على الفساد وقال الزمخشري واذا
اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان اهلاكهم الا قليل انتهى فتاول
اردنا على معنى دنا وقت اهلاكهم وذلك على مذهب الاعتزال **وقرا** الجمهور
امرنا وفي هذه القراءة قولان احدهما وهو الظاهر انه من الامر الذي هو ضد النهي
واختلف في متعلقه فذهب الاكثرون منهم ابن عباس وابن جبير الى ان التقدير
امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا وذهب الزمخشري الى ان التقدير امرناهم
بالفسق ففسقوا ورد على من قال ان التقدير امرناهم بالطاعة فقال اي امرناهم
بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا
لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صبت عليهم النعمة صبا فجعلوها
ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء

النعمة

قوله عز وجل واذا اردنا

النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر
كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية
فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهي كلمة العذاب فدمرهم **فان قلت**
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت** لان حذف ما لا دليل عليه
غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف
لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه
الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم
الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر
مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل
دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان
من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن منه
طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول **فان قلت**
هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد
امرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك
اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير
امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن
اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر
خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان
او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة
لم تكن على سداد انتهى اما ما ارتكبه من المجاز وهو ان امرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة
صبا فبعيد جدا واما قوله واقدرهم على الخير والشر الى اخره فمذهب الاعتزال وقوله
لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز تعليل لا يصح فيما نحن بسبيله بل ثم ما يدل على حذفه
وقوله فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه الى قوله علم الغيب فنقول حذف
الشيء تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه ما مثل به في قوله امرته فقام وامرته
فقرا وتارة يكون لدلالة خلافه او ضده او نقيضه فمن ذلك قوله تعالى وله
ما سكن في الليل والنهار قالوا تقديره ما سكن وما تحرك وقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر قالوا الحر والبرد **وقول الشاعر**

وما ادري اذا يممت ارضا ۞ اريد الخير ايهما يليني
االخير الذي انا ابتغيه ۞ ام الشر الذي هو يبتغيني

تقديره اريد الخير واجتنب الشر وتقول امرته فلم يحسن فليس المعنى امرته بعدم
الاحسان فلم يحسن بل المعنى امرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الاية من هذا
القبيل يستدل على حذف النقيض باثبات نقيضه ودلالة النقيض على النقيض
كدلالة النظير على النظير وكذلك امرته فاساء الي ليس المعنى امرته بالاساءة
فاساء الي انما يفهم منه امرته بالاحسان فاساء الي ولا يلزم من هذا قولهم
امرته فعصاني نقول بل يلزم وقوله لان ذلك مناف اي لان العصيان مناف

ومو بكلام صحيح وقوله فكان المامور به غير مدلول عليه ولا منوي هذا لا يسلم بل هو
مدلول عليه ومنوي لا دلالة الموافق بل دلالة المنافي كما بينا واما قوله لان
من تكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به هذا ايضا لا يسلم وقوله في جواب
السؤال لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه قلنا
نعم يدعي اضمار خلافه ودل على ذلك نقيضه وقوله ونظير امرت شاء في ان مفعوله
استفاض فيه الحذف **قلت** ليس نظيره لان مفعول امر لم يستفض فيه الحذف لدلالة
ما بعده عليه بل لا يكاد يستعمل مثبتا محذوفا مفعوله لدلالة ما بعده عليه واكثر
استعماله مثبت المفعول لانتفاء الدلالة على حذفه قال تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء
امر الا تعبدوا الا اياه ام تامرهم احلامهم بهذا قل امر ربي بالقسط اسجد لما تامرنا
به ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة **وقال الشاعر** ٥
امرتك الخير فافعل ما امرت به ٥ وقال ابو عبد الله الرازي ولقائل ان يقول
كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق
عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه
معصية ينافي كونها مامورا بها فوجب ان يدل هذا اللفظ على ان المامور به ليس
بفسق هذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم اصر صاحب الكشاف على قوله
مع ظهور فساده فثبت ان الحق ما ذكرناه وهو ان المعنى امرناهم بالاعمال الصالحة
وهي الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك عنادا واقدموا على الفسق انتهى
القول الثاني ان معنى امرنا كثرنا اي كثرنا مترفيها يقال امر الله القوم
اي كثرهم حكاه ابو حاتم عن ابي زيد وقال الواحدي العرب تقول امر القوم اذا
كثروا وامرهم الله اذا كثرهم انتهى وقال ابو علي الفارسي الجيد في امرنا ان
يكون بمعنى كثرنا واستدل ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بما جاء في الحديث خير المال
سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النسل يقال امر الله المهرة اي كثر ولدها
ومن انكر امر الله القوم بمعنى كثرهم لم يلتفت اليه لثبوت ذلك لغة ويكون من باب
ما لزم وعدي بالحركة المختلفة اذ يقال امر القوم كثروا وامرهم الله كثرهم
وهو من باب المطاوعة امرهم الله فامروا كقولك شتر الله عينه فشترت وجدع
انفه وثلم سنه فثلمت **وقرا** الحسن ويحيى بن يعمر وعكرمة امرنا بكسر الميم وحكاها
النحاس وصاحب اللوامح عن ابن عباس ورد الفراء هذه القراءة لا يلتفت اليه
اذ نقل انها لغة كفتح الميم ومعناها كثرنا حكى ابو حاتم عن ابي زيد يقال امر الله
ماله وامره اي كثره بكسر الميم وفتحها **وقرا** علي بن ابي طالب وابن ابي اسحاق
وابو رجاء وعيسى بن عمر وسلام وعبد الله بن ابي يزيد والكلبي آمرنا بالمد وجاء
كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة وابي العالية وابن هرمز وعاصم وابن كثير
وابي عمرو ونافع وهو اختيار يعقوب ومعناه كثرنا يقال امر الله القوم وآمرهم
الله فعدي بالهمزة **وقرا** ابن عباس وابو عثمان النهدي والسدي وزيد بن علي
وابو العالية أمّرنا بتشديد الميم وروي ذلك عن علي والحسن والباقر وعاصم
وابي عمرو وعدي امر بالتضعيف والمعنى ايضا كثرنا وقد يكون أمّرنا بالتشديد

بمعنى وليناهم وصيرناهم امراء واللازم من ذلك امر فلان اذا صار اميرا اي ولي الامر
وقال ابو علي الفارسي لا وجه لكون أمّرنا من الامارة لان رياستهم لا تكون الا لواحد
بعد واحد والاهلاك انما يكون في مدة واحدة منهم ورد ما قاله ابو علي بانه لا يلزم لانا لا
نسلم ان الامير هو الملك بل كونه ممن يامر ويؤتمر به والعرب تسمي اميرا من يؤتمر به وان لم
يكن ملكا ولئن سلمنا انه اريد به الملك فلا يلزم ما قال لان القرية اذا ملك
عليها مترف ثم فسق ثم آخر ففسق ثم كذلك كثر الفساد وتوالى الكفر ونزل بهم
على الآخر من ملوكهم ورايت في التوراة في قرانت وقرا الجحدري واذا اردنا ان نهلك
قرية أمّرنا مترفيها الاية بتشديد الميم فاقول في التوراة ما افصح هذه القراءة
والقول الذي حق عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم وقيل القول لاملأن
وهؤلاء في النار ولا ابالي والتدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء
وكم في موضع نصب على المفعول باهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا ومن القرون
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعني بالاهلاك
هنا الاهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد لمشركي مكة وقال من بعد نوح
ولم يقل من بعد آدم لان نوحا اول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه اول من حلت بهم
العقوبة العظمى وهي الاستيصال بالطوفان وتقدم ان العول في عمر القرن ومن
الاولى للتبيين والثانية لابتداء الغاية وتعلقا باهلكنا لاختلاف معنييهما
وقال الحوفي من بعد نوح من الثانية بدل من الاولى انتهى وهذا ليس بجيد وقال
ابن عطية هذه الباء يعني في وكفى بربك انما تجيء في الاغلب في مدح او ذم انتهى
وبذنوب عباده تنبيه على ان الذنوب هي اسباب الهلكة وخبيرا بصيرا تنبيه
على انه عالم بها فيعاقب عليها وتتعلق بذنوب بخبيرا او ببصيرا وقال الحوفي
تتعلق بكفى انتهى وهذا وهم والعاجلة هي الدنيا ومعنى ارادتها ايثارها
على الآخرة ولا بد من تقدير حذف دل عليه المقابل في قوله ومن اراد الآخرة وسعى
لها سعيها وهو مؤمن فالتقدير من كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو
كافر وقيل المراد من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر
للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال عليه السلام من طلب
الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب وقيل نزلت في المنافقين
كانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب ومن شرط وجوابه عجلنا له فيها
ما نشاء فقيد المعجل بمشيئته اي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض
من كل لان الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاءت
الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى فقيد المعجل بارادته فليس من يريد العاجلة
يحصل له ما يريده الا ترى ان كثيرا من الناس يختار دون الدنيا ولا يحصل لهم
منها الا ما قسمه الله لهم وكثيرا منهم يتمنون النزر اليسير فلا يحصل لهم
ويجمع لهم شقاوة الدنيا وشقاوة الآخرة **وقرا** الجمهور ما نشاء بالنون
وروي عن نافع ما يشاء بالياء فقيل الضمير في يشاء يعود على الله ومن يريد

الالتفات فقراءة النون والياء سواء وقيل يجوز ان يعود على من العائد عليها
الضمير في له وليس ذلك عامًا بل لا يكون له ما يشاء احد اراد الله له ذلك
والظاهر ان الضمير في لمن نريد تقدير مع تقديره مضاف محذوف يدل عليه ما قبله اي
لمن نريد تعجيله له اي تعجيل ما نشاء وقال ابو اسحق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته
ومما قاله لا يدل عليه لفظ في الاية وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الاول
جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدا وخبر فتقول جهنم للكافر كما قال هؤلاء
للنار وهؤلاء للجنة ويصلاها حال من جهنم وقال ابو البقاء او من الضمير الذي
في له وقال صاحب الغنيان مفعول جعلنا الثاني محذوف تقديره مصيرًا او جزاء
انتهى مذمومًا اشارة الى الاهانة مدحورًا اشارة الى البعد والطرد من رحمة
الله ومن اراد الاخرة اي ثواب الاخرة بان يؤثرها على الدنيا ويعقد ارادته
بها وسعى فيما كلف من الاعمال والاقوال سعيها اي السعي المعد للنجاة فيها وهو مؤمن
هو الشرط الاعظم في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشي
عنه ارادة الاخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب وعن بعض المتقدمين
من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا
هذه الاية فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف وراعى معنى من فلذلك
كان بلفظ الجمع والله تعالى يشكرهم على طاعتهم وهو تعالى المشكور على ما اعطى من
العقل وانزال الكتب وايضاح الدلايل وهو المستحق للشكر حقيقة ومعنى شكره
تعالى المطيع الاثناء عليه وثوابه على طاعته وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة
بالشيء والمعنى كلا من الفريقين نمد كذا قدره الزمخشري واعربوا هؤلاء بدلا من كلا
ولا يصح ان يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض
فينبغي ان يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر
ان هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا وهو تاويل الحسن وقتادة اي ان الله يرزق
في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الاخرة المؤمنين ويمد الجميع
بالرزق وانما يقع التفاوت في الاخرة ويدل على هذا التاويل وما كان عطاء
ربك محظورًا اي ان رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وعن ابن عباس ان معنى من
عطاء ربك من الطاعات لمريد الاخرة والمعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء
عبارة عما قسم الله للعبد من خير او شر وينبو لفظ العطاء على الامداد بالمعاصي
والظاهر ان انظر بصرية لان التفاوت في الدنيا مشاهد وكيف في موضع نصب
بعد حذف حرف الجر لان نظر يتعدى به فانظر هنا معلقة ولما كان النظر مفضيًا
وسببًا الى العلم جاز ان يعلق ويجوز ان يكون انظر من نظر الفكر فلا كلام في تعليقه
اذ هو فعل قلبي والتفضيل هنا عبارة عن الطاعات المؤدية الى الجنة
والمفضل عليهم الكفار كانه قيل انظر في تفضيل فريق على فريق وعلى التاويل
الاول كانه قيل في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين والكافرين والمفضول
في قوله اكبر درجات واكبر تفضيلا محذوف تقديره من درجات الدنيا ومن
تفضيل الدنيا وروي ان قومًا من الاشراف من دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله

عنه

عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا
من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر
فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة
اكثر **وقرئ** اكثر بالثاء المثلثة وقال ابن عطية وقوله اكبر درجات ليس
في اللفظ من اي شيء لكنه في المعنى ولا بد اكبر درجات من كل ما يضاف بالوجود
او بالفرض ورأى بعض العلماء ان هذه الدرجات والتفضيل انما هو فيما بين المؤمنين
واسند الطبري في ذلك حديثًا نصه ان انزل اهل الجنة واسفلهم درجة
كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها وقد رضي الله الجميع فما يغبط احد احدًا
والخطاب في لا تجعل للسامع غير الرسول وقال الطبري وغيره الخطاب لمحمد عليه السلام
والمراد بجميع الخلق فتقعد قال الزمخشري من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعًا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك
من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له انتهى وما ذهب اليه
من استعمال فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند اصحابنا وقعد عندهم بمعنى صار
مقصورة على المثل وذهب الفراء الى انه يطرد جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك

قول الراجز

لا يقنع الجارية الخضاب ۝ ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون ان تلتقي الاركاب ۝ ويقعد الاير له لعاب

وحكى الكسائي قعد لا يسال حاجة الا قضاها بمعنى صار فالزمخشري اخذ في
الاية بقول الفراء فالقعود هنا عبارة عن المكث اي فتمكث في الناس مذمومًا
مخذولا كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في اسوإ حال ومعناه ماكث ومقيم
وسواء كان قائمًا ام جالسًا وهو يراد القعود حقيقة لان من شان المذموم المخذول
ان يقعد حائرًا متفكرًا وعبر بغالب حاله وهي القعود وقيل معنى فتقعد فتعجز
والعرب تقول ما اقعدك عن المكارم وذكر هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي
العقول في ان يكون الانسان يجعل عودًا او حجرًا افضل من نفسه ويخصه بالكرامة
وينسب اليه الالوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وانعم عليه
والخذلان في هذا يكون باسلام الله ولا يكفل له بنصره والمخذول الذي لا ينصره
من يحب ان ينصره وانتصب مذمومًا مخذولا على الحال وعند الفراء والزمخشري
على انه خبر لتقعد ۝ كلا المذكرين مثنى معنى اتفاقًا مفرد لفظا عند البصريين
على وزن فعل كمعي فلامه الف منقلبة عن واو وعند الاكثر مثنى لفظا عند الكوفيين
وتبعهم السهيلي فالفه للتثنية لا اصل ولامه لام محذوفة عند السهيلي
ولا نص عن الكوفيين فيه ويحتمل ان تكون موضوعة على حرفين على اصل مذهبهم
ولا تنفك عن الاضافة واذا اضيفت الى مظهر فالفه ثابتة مطلقًا في مشهور
اللغات وكنانة تجعله كمشهور المثنى او الى مضمر فالمشهور قلب الفه ياء
نصبًا وجرًا والذي يضاف اليه مثنى او في معناه وجاء التفريق في الشعر
مضافا للظاهر وحفظ الكوفيون كلاي وكلاك قاما ويستعمل تابعا توكيدا

المفردات

ومبتدأ ومنصوبا ومجرورا ويخبر عنه اخبار المفرد فصيحا وربما وجب واخبار المثنى
قليلا وربما وجب **اف** اسم فعل بمعنى اتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع الا قليلا
نحو اف واوه بمعنى اتوجع وكان قياسه ان لا يبنى لانه لم يقع موقع المبني وذكر الرماني
في كتاب الحدود له ان في اف لغات تقارب الاربعين ونحن نسردها مضبوطة
كما رأيناها وهي أُفَّ أُفِّ أُفُّ أُفًّا أُفٍّ أُفٌّ أُفْ أُفَ أُفِ أُفُ
أُفْ أُفِّي بغير امالة أُفِّي بالامالة المحضة أُفِّي بالامالة بين بين أُفُّو
أُفَّهْ أُفِّهْ أُفُّهْ فهذا اثنان وعشرون مع الهمزة المضمومة إِفَّ إِفِّ إِفُّ إِفْ إِفّ
إِفًّا إِفِّي بالامالة إِفِّي فهذه احدى عشرة مع الهمزة المكسورة أَفَّ أَفِّ
أَفُّ آفّ وذكر ابن عطية آفّاه بهاء السكت وهي تمام الاربعين **النهر** الزجر بصياح
واغلاظ قال العسكري واصله الظهور ومنه النهر والانتهار لظهورهما والنهار لظهوره
واساله وانتهر الرجل اظهر له الاهانة بقبح الزجر والطرد وقال ابن عطية الانتهار
اظهار الغضب في الصوت واللفظ وقال الزمخشري النهي والنهر والنهم اخوات
التبذير الاسراف قال ابو عبيدة يعني في النفقة واصله التفريق و[illegible]
البذر ومنه سمي التبذير بذرا لانه يفرق في المزرعة **وقال الشاعر**

• ترائب تستضيء الحلي فيها • كجمر النار بذر بالظلام •

ويروى بدد اي فرق **الحسور** قال الفراء تقول العرب بعير محسور اذا انقطع سيره
وحسرت الدابة حسرتها حتى انقطع سيرها وقيل الحسير فعيل بمعنى مفعول
ويجمع على حسرى **قال الشاعر**

• بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الاولى والصاد قال مؤرج السدوسي
هو الميزان بلغة الروم وسيأتي اقوال المفسرين فيه **المرح** شدة الفرح يقال مرح
يمرح مرحا **الطول** ضد القصر ومنه الطول خلاف العرض **الحجاب** ما ستر الشيء
من الوصول اليه **الرفات** قال الفراء التراب وقيل الذي بولغ في دقه حتى
تفتت ويقال رفت الشيء كسره يرفته بالكسر والرفات الاجزاء المتفتتة من كل
شيء مكسر ونظائره فعال لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والدقاق

قوله عز وجل وقضى ربك

۝ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن
عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا **قرأه**
الجمهور وقضى فعلا ماضيا من القضاء **وقرأ** بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك
مصدر قضى مرفوعا على الابتداء وان لا تعبدوا الخبر وفي مصحف ابن مسعود
وابي ووصى ربك وهي قراءة ابن مسعود واصحابه وابن عباس وابن جبير والنخعي
وميمون بن مهران من التوصية **وقرأ** بعضهم واوصى من الايصاء وينبغي ان يحمل
ذلك على التفسير لانها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو وقضى
وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في اسانيد القراء السبعة

وقضى

وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى امر وقال ابن مسعود واصحابه بمعنى
وصى وقيل اوجب والزم وحكم وقيل بمعنى احكم وقال ابن عطية والقول ان المعنى
وقضى ربك امره ان لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الالفاظ الا امر بالاقتصار
على عبادة الله فذلك هو المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الامر انتهى كانه
رام ان يترك قضى على مشهور موضوعها بمعنى قدر فجعل متعلقه الامر بالعبادة
لا العبادة لانه لا يستقيم ان يقضي شيئا بمعنى ان يقدره لا ويقع والذي فسر
المفسرون غيره ان متعلق قضى هو ان لا تعبدوا وسواء كانت ان تفسيرية ام مصدرية
وقال ابو البقاء ويجوز ان تكون في موضع نصب اي الزم ربك عبادته ولا زائدة
انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدوا فلزم ان يكون منفيا او منهيا والخطاب
بقوله لا تعبدوا عام للخلق وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون قضى على مشهورها في الكلام
ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس الى يوم القيامة انتهى قال الحوفي
الباء متعلقة بقضى ويجوز ان تكون متعلقة بفعل محذوف تقديره واوصى بالوالدين
احسانا واحسانا مصدر اي تحسنوا احسانا وقال ابن عطية قوله وبالوالدين
احسانا عطف على ان الاولى اي امر الله ان لا تعبدوا الا اياه وان تحسنوا
بالوالدين احسانا وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون قوله وبالوالدين احسانا
مقطوعا من الاول كانه اخبرهم بقضاء الله ثم امرهم بالاحسان الى الوالدين
وقال الزمخشري لا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته وذكر الواحدي في البسيط ان الباء في قوله بالوالدين
من صلة الاحسان وقدمت عليه كما تقول بزيد فامرر انتهى واحسن واساء
يتعدى بالى وبالباء قال تعالى وقد احسن بي **وقال الشاعر** ۝

اسيئي بنا او احسني لا ملومة ۝

وكانه تضمن احسن معنى لطف فعدي بالباء
واحسانا ان كان مصدرا ينحل لان والفعل فلا يجوز تقديم متعلقه به وان كان بمعنى
احسنوا فيكون بدلا من اللفظ بالفعل نحو ضربا زيدا فيجوز تقديم معموله عليه والذي
نختاره ان تكون ان حرف تفسير ولا تعبدوا نهي واحسانا مصدر بمعنى الامر
عطف ما معناه امر على نهي كما عطف في قوله يقولون لا تهلك اسى وتجمل ۝
وقد اعتنى بالامر بالاحسان الى الوالدين حيث قرن بقوله لا تعبدوا وبتقديمهما
اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة
من حيث ان الله تعالى هو الموجد حقيقة والوالدين وساطة في انشائه وهو تعالى
المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه وقال الزمخشري اما هي
الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل
ولو افردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه
انتهى وهذا الذي ذكر مخالف لمذهب **س** لان مذهبه انه يجوز ان يجمع بين
اما ونون التوكيد وان يأتي بان وحدها ونون التوكيد وان يأتي باما
وحدها دون نون التوكيد وقال **س** في هذه المسئلة وان شئت لم تقحم
النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها وعندك ظرف

معمول لبيلغن ومعنى العندية هنا انهما يكونان عنده في بيته وفي كنفه لا كافل لهما غيره لكبرهما وعجزهما وكونهما كلًّا عليه واحدهما فاعل يبلغن او كلاهما معطوف على احدهما **وقرا** الجمهور يبلغن بنون التوكيد الشديدة والفعل مسند الى احدهما وروى عن ابن ذكوان بالنون الخفيفة **وقراء** الاخوان اما يبلغان بالف التثنية ونون التوكيد المشددة وهي قراءة السلمي وابن وثاب وطلحة والاعمش والجحدري فقيل الالف علامة تثنية لا ضمير على لغة اكلوني البراغيث واحدهما فاعل وكلاهما عطف عليه وهذا لا يجوز لان شرط الفاعل في الفعل الذي لحقته علامة التثنية ان يكون مسندا لمثنى او مفرق بالعطف بالواو نحو قاما اخواك او قاما زيد وعمرو على خلاف في هذا الاخير هل يجوز او لا يجوز والصحيح جوازه واحدهما ليس مثنى ولا هو مفرق بالعطف بالواو مع مفرد وقيل الالف ضمير الوالدين واحدهما بدل من الضمير وكلاهما عطف على احدهما والمعطوف على البدل بدل قال الزمخشري **فان قلت** لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل **قلت** لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله **فان قلت** ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل **قلت** لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول وقال ابن عطية وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قوله احدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم **كقول الشاعر** ٥

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ⁕ ورجل رمى فيها الزمان فشلت ٥

انتهى ويلزم من قوله ان يكون كلاهما معطوفا على احدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه ان يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت احدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز ان يكون بدل بعض من كل لان كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز ان يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه واما قول ابن عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر وكنت كذي رجلين البيت فليس من بدل التقسيم لان شرط ذلك العطف بالواو وايضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل منه على احد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه فليس من المقسم ونقل عن ابي علي ان كلاهما توكيد وهذا لا يتم الا بان يعرب احدهما بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع الضمير ويكون كلاهما توكيدا لذلك الضمير والتقدير او يبلغا كلاهما وفيه حذف المؤكد وقد اجازه **س** والخليل قال مررت بزيد واتاني اخوه انفسهما بالرفع والنصب الرفع على تقدير هما صاحباي انفسهما والنصب على تقدير اعنيهما انفسهما الا ان المنقول عن ابي علي وابن جني والاخفش قبلهما انه لا يجوز حذف المؤكد واقامة المؤكد مقامه والذي نختاره ان يكون احدهما بدلا من الضمير وكلاهما مرفوع

يفعل

٢

يعرب

٢٢٧

يفعل محذوف تقديره او يبلغ كلاهما فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات وصار المعنى ان يبلغ احد الوالدين او يبلغ كلاهما عندك الكبر وجواب الشرط فلا تقل لهما اف وتقدم مدلول لفظ اف في المفردات واللغات التي فيها واذا كان قد نهى ان يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر والتبرم بهما فالنهي عما هو اشد كالشتم والضرب هو بجهة الاولى وليست دلالة اف على انواع الايذاء دلالة لفظية خلافا لمن ذهب الى ذلك وقال ابن عباس اف كلمة كراهة بالغ تعالى في الوصية بالوالدين واستعمال وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا تقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها قال القرطبي قال علماؤنا وانما صار قول اف للابوين اردى شيء لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد وصية الله وان كلمة مقوله لكل شيء مرفوض ولذلك قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله اي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم انتهى **وقرا** الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة وعيسى ونافع وحفص اف بالكسر والتشديد والتنوين **وقرا** ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر كذلك بغير تنوين **وقرا** ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين وحكى هرون قراءة بالرفع والتنوين **وقرا** ابو السمال اف بضم الفاء من غير تنوين **وقرا** زيد ابن علي افا بالنصب والتشديد والتنوين **وقرا** ابن عباس اف خفيفة فهذه سبع قراءات من اللغات التي حكيت في اف وقال مجاهد المعنى اذا رايت منهما في حال الشيخ الغائط والبول الذي رايا منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول اف انتهى والاية اعم من ذلك ولما نهاه تعالى ان يقول لهما ما مدلوله التضجر منهما ارتقى الى النهي عما هو من حيث الوضع اشد من اف وهو نهرهما وان كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول اف لانه اذا نهى عن الادنى كان ذلك نهيا عن الاعلى بجهة الاولى والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول اف ونهرهما قولا كريما اي جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ وقيل قولا كريما اي جميلا كما يقتضيه حسن الادب وقال عمر ان تقول يا ابتاه يا اماه انتهى كما خاطب ابراهيم لابيه يا ابت مع كفره ولا تدعوهما باسمائهما لانه من الجفاء وسوء الادب ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا ولما نهاه تعالى عن القول المؤذي وكان لا يستلزم ذلك الامر بالقول الطيب امره تعالى بان يقول لهما القول الطيب السار الحسن وان يكون قوله دالا على التعظيم لهما والتبجيل وقال عطا تتكلم معهما بشرط ان لا ترفع اليهما بصرك ولا تشد اليهما نظرك لان ذلك ينافي القول الكريم وقال الزجاج قولا سهلا سلسا لا شراسة فيه ثم امره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال القفال في تقريره وجهان احدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكانه قيل للولد اكفل والديك

طب

بان تقيهما الى نفسك كما فعلاه ذلك بك حال صغرك الثاني ان الطائر اذا اراد
الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد ترك الطيران وترك الارتفاع
خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه وقال
ابن عطية استعارة اي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك
وبولغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وذلك بسبب عظم الحق انتهى وبسبب شرف المأمور فانه لا ينبغي نسبة
الذل اليه وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى جناح الذل **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض
جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل والذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض
لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله او لذله جناحا خفيضا
كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى والمعنى
انه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا المجاز بان امر بخفضه وحكي
ان ابا تمام لما نظم **قوله**

لا تسقني ماء الملام فانني ⁂ صب قد استعذبت ماء بكائي

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تاتيني بريشة
من جناح الذل وجناح الانسان جانباه فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه فعل
المتكبر عليهما **وقال بعض المتاخرين فاحسن**

اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى ⁂ فلم استطع من ارضهم طيرانا

وقرأ الجمهور من الذل بضم الذال **وقرأ** ابن عباس وعروة وابن جبير والجحدري
وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لان ذلك يستعمل في الدواب
في ضد الصعوبة كما ان الذل بالضم في ضد العز من الناس ومن الظاهر انه للتسبب
اي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما اذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما
كنت مفتقرا اليهما حالة الصغر قال ابو البقاء من الرحمة اي من اجل رفقك
بهما فمن متعلقة باخفض ويجوز ان يكون حالا من جناح وقال ابن عطية من الرحمة هنا
لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك
استعمالا ويصح ان يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى ثم امر تعالى بان يدعو لهما
بان يرحمهما رحمته الباقية اذ رحمته عليهما لا بقاء لها ثم رتبه على العلة الموجبة
للاحسان اليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك
الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما اذ هي تذكير لحالة احسانهما اليه وقت
انه لا يقدر على الاحسان لنفسه وقال قتادة نسخ الله من هذه الاية هذا اللفظ
يعني وقل رب ارحمهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين وقيل هي مخصوصة في حق المشركين وقيل لا نسخ ولا تخصيص لانه له
ان يدعو الله لوالديه الكافرين بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما
بعد حصول الايمان والظاهر ان الكاف في كما للتعليل اي رب ارحمهما لتربيتهما
لي وجزاء على احسانهما الي حالة الصغر والافتقار وقال الحوفي الكاف في موضع

نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل تربيتي صغيرا وقال ابو البقاء نعت
لمصدر محذوف اي رحمة مثل رحمتهما وسرد الزمخشري وغيره احاديث واثارا كثيرة
في بر الوالدين نوقف عليها في كتبهم ولما نهى تعالى عن عبادة غيره وامر بالاحسان
الى الوالدين ولا سيما عند الكبر وكان الانسان ربما تظاهر بعبادة واحسان
الى والديه دون عقد ضمير على ذلك رياء وسمعة اخبر تعالى انه اعلم بما انطوت
عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين ثم قال ان تكونوا صالحين
اي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في عبادة او بر وابتم الى الخير فانه غفور لما
فرط من عبادتكم والظاهر ان هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها
ويندرج فيه من جنى على ابويه ثم تاب من جنايته وقال ابن جبير هي في البادرة
تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير ۝ وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ۝ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا ۝ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم
قولا ميسورا ۝ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا ۝ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا
لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة قال الحسن نزلت في قرابة الرسول
والظاهر انه خطاب لمن خوطب بقوله اما يبلغن عندك الكبر والحق هنا
ما يتعلق به من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة
بكل وجه قال بنحوه ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم وقال علي بن الحسين
فيهما هم قرابة الرسول امر باعطائهم حقوقهم من بيت المال والظاهر ان الحق
هنا مجمل وان ذا القربى عام في ذي القرابة فيرجع في تعيين الحق وفي تخصيص
ذي القرابة الى السنة وعن ابي حنيفة ان القرابة اذا كانوا محارم فقراء عاجزين
عن التكسب وهو موسر حقهم ان ينفق عليهم وعند الشافعي ينفق على الولد
والوالدين فحسب على ما تقرر في كتب الفقه ونهى تعالى عن التبذير وكانت
الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك
في اشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وما يقرب منه تعالى
وعن ابن مسعود وابن عباس التبذير انفاق المال في غير حق وقال مجاهد لو انفق
ماله كله في حق ما كان مبذرا وذكر الماوردي انه الاسراف المتلف للمال
وقد احتج بهذه الاية على الحجر على المبذر فيجب على الامام منعه منه بالحجر
والحيلولة بينه وبين ماله الا بمقدار نفقة مثله وابو حنيفة لا يرى الحجر للتبذير
وان كان منهيا عنه وقال القرطبي يحجر عليه ان بذله في الشهوات وخيف عليه
النفاد فان انفق وحفظ الاصل فليس بمبذر واخوة الشياطين كونهم قرناءهم في
الدنيا وفي النار في الاخرة وتدل هذه الاخوة على ان التبذير هو في معصية الله
او كونهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف في الدنيا **وقرأ** الحسن والضحاك
اخوان الشيطان على الافراد وكذا ثبت في مصحف انس وذكر كفر الشيطان لربه
ليحذر ولا يطاع لانه لا يدعو الى خير كما قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب

قوله عز وجل وآت ذا القربى

التبذير وأما تعرضن قيل نزلت في ناس من مزينة استحملوا الرسول فقال لا أجد ما احملكم عليه فبكوا وقيل في بلال وصهيب وسالم وخباب سألوه ما لا يجد فأعرض عنهم وروي أنه عليه السلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله وإياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقال ابن زيد الرحمة الأجر والثواب وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يعطيهم لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الأجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فأمره الله تعالى أن يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح انتهى من كلام ابن عطية وقال الزمخشري وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء ويجوز أن يكون معنى وإما تعرضن عنهم وإن لم تنفعهم وترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه انتهى والذي يظهر أنه تعالى لما أمر بإيتاء ذي القربى حقه ومن ذكر معه ونهاه عن التبذير قال وإن لم يكن منك إعراض عنهم فالضمير عائد عليهم وعلل الإعراض بطلب الرحمة وهي كناية عن الرزق والتوسعة وطلب ذلك ناشئ عن فقدان ما يجود به ويؤتيه من سأله فكان المعنى وإن تعرض عنهم لإعسارك فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو الإعسار وأجاز الزمخشري أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به وقدم عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم انتهى وما أجازه لا يجوز لأن ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله لا يجوز في قولك إن يقم فاضرب خالدا أن تقول إن يقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فإن حذفت الفاء في مثل إن يقم يضرب خالدا فمذهب س والكسائي الجواز فيقول إن يقم خالدا يضرب ومذهب الفراء المنع فإن كان معمول الفعل مرفوعا نحو إن تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بيفعل هذه وأجاز س أن يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كأنك قلت إن تفعل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائي والفراء وقال ابن جبير الضمير في عنهم عائد على المشركين والمعنى وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم إياك ابتغاء رحمة أي نصرك عليهم أو هداية من الله لهم وعلى هذا القول الميسور المداراة لهم باللسان قال أبو سليمان الدمشقي ويسر يكون لازما ومتعديا فميسور من المتعدي تقول يسرت لك كذا إذا أعددته قال الزمخشري يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد ونحس فهو مفعول انتهى والمعنى هذه الآية أشار الشاعر في القصيدة التي تسمى باليتيمة في قوله

• إن لا يكن لديك لسائل فرج • إن لم يكن فليحسن الرد •

وقال آخر

ان لم

• إن لم يكن ورق يوما أجود به • للسائلين فإني لين العود •

• لا يعدم السائلون الخير من خلقي • إما نوالي وإما حسن مردود •

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية قيل نزلت في إعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره وبقي عريانا وقيل أعطى الأقرع مائة من الإبل وعيينة مثل ذلك والعباس ابن مرداس خمسين ثم كملها مائة فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك أن البخل معنى قائم بالإنسان يمنعه من التصرف في ما له فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق فامتنع من تصرف يده وإجالتها حيث تريد وذكر اليد لأن بها الأخذ والإعطاء واستعير بسط اليد لإذهاب المال وذلك أن قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وطابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها أبلغ في القبض وقد طابق بينهما أبو تمام

فقال في المعتصم

• تعود بسط الكف حتى لو أنه • ثناها لقبض لم تجبه أنامله •

وقال الزمخشري هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والإقتار انتهى والظاهر أنه مراد بالخطاب أمة الرسول وإلا فهو صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد وكذلك من كان واثقا بالله كأبي بكر حين تصدق بجميع ما له وقال ابن جريج وغيره المعنى لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق ولا تبسطها فيما نهيتك عنه وروي عن قالون كل البسط بالصاد فتقعد جواب للنهيين باعتبار الحالين فالملوم راجع لقوله ولا تجعل يدك كما قال

الشاعر إن البخيل ملوم حيث كان • ولكن الجواد على علاته هرم •

والمحسور راجع لقوله ولا تبسطها وكأنه قيل فتلام وتحسر ثم سلاه تعالى عما كان يلحقه من الإضاقة بأن ذلك ليس بهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الرزق وتضييقه إنما ذلك بمشيئته وإرادته لما يعلم في ذلك من المصلحة لعباده أو يكون المعنى القبض والبسط من سنة الله وأما أنتم فعليكم الاقتصاد وختم ذلك بقوله خبيرا وهو العلم بخفيات الأمور وبصيرا أي بمصالح عباده حيث يبسط لقوم ويضيق على قوم ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا لما بين تعالى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد حيث قال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد وتقدم تفسير نظير هذه الآية والفرق بين خشية إملاق ومن إملاق وبين قوله نرزقهم ونرزقكم وقرأ الأعمش وابن وثاب ولا تقتلوا بالتضعيف وقرئ خشية بكسر الخاء وقرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء وقرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما وقال النحاس لا أعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا وقال الفارسي هي مصدر من خاطأ يخاطئ وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه فمنه

قول الشاعر

قوله عز وجل ولا تقتلوا

س

تخاطأت النبل احشاءه • وأخر يومي فلم يعجل ٥

وقول الآخر في كماة •

تخاطأه القناص حتى وجدته • وخرطومه في منقع الماء راسب ٥

فكأن هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل **وقرأ** ابن ذكوان خطأ على وزن نبأ **وقرأ** الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قال ابن جني وقال أبو حاتم هي غلط غير جائز ولا يعرف هذا في اللغة وعنه أيضا خطى كهوى خفف الهمزة فانقلبت ألفا وذهبت لالتقائهما **وقرأ** أبو رجاء والزهري كذلك إلا أنهما كسرا الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطئ في الدين وأخطأ في الرأي لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الآخر وحكي عن ابن عباس خطأ بالفتح والقصر مع إسكان الطاء وهو مصدر من خطئ بالكسر ٥ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا • ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا • وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا • لما نهى تعالى عن قتل الولد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا والزنا الأكثر فيه القصر ويمد لغة لا ضرورة هكذا نقل اللغويون ومن المد •

قول الشاعر وهو الفرزدق

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه • ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا ٥

ويروى يا خالد **وقال آخر**

كانت فريضة ما تقول كما • كان الزناء فريضة الرجم ٥

وكان يعني لم يزل أي لم يزل فاحشة أي معصية فاحشة أي قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا أي وبئس طريقا طريقه لأنها سبيل تؤدي إلى النار قال ابن عطية وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله انتهى وإذا كان سبيلا نصبا على التمييز فإنما هو تمييز للضمير المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف وإذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لأنه لا يكون إذ ذاك فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ويبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق في أواخر الأنعام قال الضحاك هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل انتهى ولما نهى عن قتل الأولاد وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص إلى العام والظاهر أن هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت قوله وقضى ربك كاندراج أن لا تعبدوا وانتصب مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى أنه قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو الطالب بدمه شرعا وعند أبي حنيفة وأصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء والصبيان في الولي على قدر مواريثهم لأن الولي عندهم هو الوارث سنا وقال مالك ليس للنساء شيء من القصاص

قوله عز وجل ولا تقربوا

وان

وإنما القصاص للرجال وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم ليس إلى النساء شيء من العفو عن الدم والسلطان التسلط على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه قاله الزمخشري وقال ابن عطية والسلطان الحجة والملك الذي جعل إليه من التخيير في قبول الدم أو العفو قاله ابن عباس والضحاك وقال قتادة السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان القود والولاية وقال ابن عباس البينة في طلب القود وقال الحسن القود وقال مجاهد الحجة وقال ابن زيد الوالي أي والي ينصفه في حقه والظاهر عود الضمير في فلا يسرف على الولي والإسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله ابن عباس والحسن أو يقتل اثنين بواحد قاله ابن جبير أو أسرف من الذي قتل قاله ابن زيد أو يمثل قاله قتادة أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان ذكره الزجاج وقال أبو عبد الله الرازي السلطنة مجملة يفسرها كتب عليكم القصاص الآية ويدل عليه أنه مخير بين القصاص والدية وقوله عليه السلام يوم الفتح من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا الدية فمعنى لا يسرف في القتل لا يقدم على استيفاء القتل ويكتفي بأخذ الدية أو يميل إلى العفو ولفظة في محمولة على الباء أي فلا يصير مسرفا بسبب إقدامه على القتل ويكون معناه الترغيب في العفو كما قال وأن تعفوا أقرب للتقوى انتهى ملخصا ولو سلم أن في بمعنى الباء لم يكن صحيح المعنى لأن من قتل بحق قاتل موليه لا يصير مسرفا بقتله وأما الظاهر والله أعلم النهي عن ما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة ومكافأة الذي يقتل لمن قتله وقال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في فلا يسرف ليس عائدا على الولي وإنما يعود على القاتل الدال عليه ومن قتل أي لا يسرف في القتل تعديا وظلما فيقتل من ليس له قتله **وقرأ** الجمهور فلا يسرف بياء الغيبة **وقرأ** الأخوان وزيد بن علي وحذيفة وابن وثاب والأعمش ومجاهد بخلاف وجماعة وفي نسخة من تفسير ابن عطية وابن عامر وهو وهم بتاء الخطاب والظاهر أنه على خطاب الولي فالضمير له وقال الطبري الخطاب للرسول والأئمة من بعده أي فلا تقتلوا غير القاتل انتهى قال ابن عطية **وقرأ** أبو مسلم السراج صاحب الدعوة العباسية وقال الزمخشري **قرأ** أبو مسلم صاحب الدولة وقال صاحب كتاب اللوامح أبو مسلم العجلي مولى صاحب الدولة فلا يسرف بضم الفاء على الخبر ومعناه النهي وقد يأتي الأمر والنهي بلفظ الخبر وقال ابن عطية في الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر وفي قراءة أبي فلا تسرفوا في القتل إن ولي المقتول كان منصورا انتهى رده على ولا تقتلوا والأولى حمل قوله إن ولي المقتول على التفسير لا على القراءة لمخالفته السواد ولأن المستفيض عنه أنه كان منصورا كقراءة الجماعة والضمير في إنه عائد على الولي لتناسق الضمائر ونصره إياه بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق وقيل يعود الضمير على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله في الدنيا ونصره بالثواب في الآخرة قال ابن عطية وهو أرجح لأنه المظلوم ولفظة النصر تقارن أبدا الظلم كقوله عليه السلام ونصر المظلوم وإبرار القسم

وكونه انصر اخاك ظالما او مظلوما الى كثير من الامثلة وقيل على المقتول وقال
ابو عبيد على القاتل لانه اذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر
وهذا ضعيف بعيد القصد وقال الزمخشري وانما يجئ ان يكون الضمير في انه ل
الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف
انتهى وهذا بعيد جدا ۞ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده لما
نهى عن اتلاف النفوس نهى عن اخذ الاموال كما قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم
حرام عليكم ولما كان اليتيم ضعيفا عن ان يدفع عن ماله لصغره نص على النهي عن قربان
ماله وتقدم تفسير هذه الآية في اواخر الانعام ۞ واوفوا بالعهد عام فيما عقده
الانسان بينه وبين ربه او بينه وبين آدمي في طاعة ان العهد كان مسؤلا ظاهره
ان العهد هو المسؤل من المعاهد ان يفي به ولا يضيعه او يكون من باب التخييل كانه
يقال للعهد لم نكثت فمثل كانه ذات من الذوات تسأل لم نكثت دلالة على المطالبة
بنكثه والزام ما يترتب على نكثه كما جاء واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت فيمن
قرأ بسكون اللام وكسر التاء التي للخطاب وقيل هو على حذف مضاف اي ان ذا
العهد كان مسؤلا عنه ان لم يف به ثم امر تعالى بايفاء الكيل والوزن المستقيم
وذلك مما يرجع الى المعاملة بالاموال وفي قوله واوفوا الكيل دلالة على ان
الكيل هو على البائع لانه لا ايفاء لذلك للمشتري وقال الحسن القسطاس القبان
وهو القلسطون ويقال القرسطون وقال مجاهد القسطاس العدل لا انه آلة
وقرأ الاخوان وحفص بكسر القاف وباقي السبعة بضمها وهما لغتان وقرأت
فرقة بالابدال من السين الاولى صادا قال ابن عطية واللفظة للمبالغة من القسط
انتهى ولا يجوز ان يكون من القسط لاختلاف المادتين لان القسط مادته ق س ط
وذلك مادته ق س ط س الا ان اعتقد زيادة السين اخرا كسين قدموس وضغبوس
وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة والتقييد بقوله اذا كلتم
اي وقت كيلكم على سبيل التاكيد وان لا يتاخر الايفاء بان يكيله بنقصان ما ثم
يوفيه بعد فلا يتاخر الايفاء عن وقت الكيل ذلك خير اي الايفاء والوزن لان فيه
تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والايصال للحق واحسن تاويلا اي عاقبة اذ لا
يبقى على الموفي والوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو من المآل وهو المرجع كما قال
خير مردا خير عقبا خير املا وانما كانت عاقبته احسن لانه اشتهر بالاحتراز عن
التطفيف فعول عليه في المعاملات ومالت القلوب اليه ۞ ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ۞ ولا تمش
في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ۞ كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر
فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ۞ لما امر تعالى بثلاثة اشياء الايفاء بالعهد والايفاء
بالكيل والوزن بالقسطاس اتبع ذلك بثلاثة مناه ولا تقف ولا تمش ولا
تجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل ونهى ان تقول
ما لا تعلم وان تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لانه اتباع بما لا

قوله عز وجل ولا تقف

يعلم صحته

يعلم صحته وقال ابن عباس معناه لا ترم احدا بما لا تعلم وقال قتادة لا تقل رأيت
ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال محمد بن الحنفية لا تشهد بالزور
وقال ابن عطية ولا تقل لكنها لفظة تستعمل في القذف والعضه انتهى وفي الحديث
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقال في الحديث
ايضا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا ومنه

قول النابغة الجعدي

ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

وقال الكميت

فلا ارمي البري بغير ذنب ۞ ولا اقفو الحواصن ان قفينا

وحاصل هذا انه نهي عن اتباع ما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية تندرج تحتها
انواع فكل من القائلين حمل على واحد من تلك الانواع قال الزمخشري وقد استدل
به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن
مقام العلم وامر بالعمل به انتهى وقرأ الجمهور ولا تقف بحذف الواو للجزم مضارع قفا
وقرأ زيد بن علي ولا تقفو باثبات الواو كما قال

هجوت زبان ثم جئت معتذرا ۞ من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

واثبات الواو والياء والالف مع الجازم لغة لبعض العرب وضرورة لغيرهم
معاذ القاري ولا تقف مثل تقل من قاف يقوف تقول العرب قفت اثره وقفوت
اثره وهما لغتان لوجود التصاريف فيهما كجبذ وجذب وقاع الجمل الناقة وقعاها
اذا ركبها وليس قاف مقلوبا من قفا كما جوزه صاحب اللوامح وقرأ الجراح العقيلي
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب
القلب مع الفتح وهي لغة في الفؤاد وانكرها ابو حاتم وغيره وبه لا يتعلق بعلم لانه
لا يتقدم معموله عليه وقال الحوفي يتعلق بما يتعلق به لك وهو الاستقرار وهو
لا يظهر وفي قوله ان السمع والبصر والفؤاد دليل على ان العلوم مستفادة من الحواس
ومن العقول وجاء هذا على الترتيب القرآني في البداءة بالسمع ثم يليه البصر
ثم يليه الفؤاد واولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد وهو اسم اشارة للجمع المذكر
والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية انه يختص بالعاقل فقال وعبر عن السمع
والبصر والفؤاد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الآية مسؤلة
فهي حالة من يعقل ولذلك عبر عنها باولئك وقد قال س رحمه الله في قوله
تعالى رأيتهم لي ساجدين انما قال رأيتهم في نجوم لانه لما وصفها بالسجود وهو من فعل
من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكى الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعما لا
يعقل باولئك وانشد هو والطبري

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ۞ والعيش بعد اولئك الايام

واما حكاية ابي اسحق عن اللغة فامر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه
الاقوام انتهى وليس ما تخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد اولئك الايام
ولم يكونوا لينشدوا الا ما رووا ذا طالت اولاء واولاك واولائك واولالك

على ما لا يحتمل لانعلم خلافا فيه وكل مبتدأ والجملة خبره واسم كان عايد على كل وكذا الضمير في مسؤلا والضمير في عنه عايد على ما من قوله ما ليس لك به علم فيكون المعنى ان كل واحد من السمع والبصر والفواد يسأل عما لا علم له به اي عن انتفاء ما لا علم له به وهذا الظاهر وقال الزجاج يستشهد بها كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال القرطبي في احكامه تسأل الفواد عما اعتقد والسمع عما سمع والبصر عما راى وقال ابن عطية ان الله تعالى يسأل سمع الانسان وبصره وفواده عما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي وقيل الضمير في كان مسؤلا عايدات على القايف ما ليس له به علم والضمير في عنه عايد على كل فيكون ذلك من الالتفات اذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كلك اوليك كنت عنه مسؤلا وقال الزمخشري وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه انتهى وهذا الذي ذهب اليه من ان عنه في موضع الرفع بالفاعلية ويعني به انه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لان الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطهما جار مجرى الفاعل فكما ان الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه واقيم مقامه فاذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكي الاتفاق من النحويين على انه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل ابو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تاليفه فليس عنه مسؤلا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسؤلا وتاخيره في المغضوب عليهم وقول الزمخشري ولم نظرت ما لم يحل لك اسقط الى وهو لا يجوز الا ان جاء في ضرورة شعر لان نظر يتعدى بالى فكان التركيب ولم نظرت الى ما لم يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالى وانتصب مرحا على الحال اي مرحا كما تقول جاء زيد ركضا اي راكضا او على حذف مضاف اي ذا مرح واجاز بعضهم ان يكون مفعولا من اجله اي ولا تمش في الارض للمرح ولا يظهر ذلك وتقدم ان المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكانه ضمن معنى الاختيال لان غلبة السرور والفرح يصحبه التكبر والاختيال ولذلك علل بقوله انك لن تخرق الارض

وقرات فرقة فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الراء وهو حال اي لا تمش متكبرا مختالا قال مجاهد لن تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وبغيا ولن تبلغ الجبال بالمشي على صدور قدميك تفاخرا وطولا والمنى وبيان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة الى الاختيال وقال الزجاج لا تمش في الارض مختالا فخورا ونظيره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واقصد في مشيك ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور وقال الزمخشري لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطيك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال **وقراه** الجراح الاعرابي لن تخرق بضم الراء قال ابو حاتم لا تعرف هذه اللغة وفيه

اشير

اشير بذلك الى ان الانسان محصور بين جمادين ضعيف عن التاثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول ومن كان بهذه المثابة لا يليق به التكبر **وقال الشاعر**

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ... فكم تحتها قوم هم منك ارفع

والاجود انتصاب قوله طولا على التمييز اي لن تبلغ طولك الجبال وقال الحوفي طولا نصب على الحال والعامل فيه الحال تبلغ ويجوز ان يكون العامل تخرق وطولا بمعنى متطاولا انتهى وليس طول بمعنى متطاول وقال ابو البقا طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول ويجوز ان يكون تمييزا ومفعولا له ومصدرا من معنى تبلغ انتهى **وقراه** الحرميان وابو عمرو وابو جعفر والاعرج سيئة بالنصب والتانيث **وقراه** باقي السبعة والحسن ومسروق سيئه بضم الهمزة مضافا لها المذكر الغايب **وقرا** عبد الله سيأته بالجمع مضافا للهاء وعنه ايضا سيات بغيرها وعنه ايضا كان خبيثة **فاما** القراة الاولى فالظاهر ان ذلك اشارة الى مصدري النهيين السابقين وهو قفو ما ليس له به علم والمشي في الارض مرحا وقيل اشارة الى جميع المناهي المذكورة فيما تقدم في هذه السورة وسيئة خبر كان وانث حملا على معنى كل ثم قال مكروها فذكر على لفظ كل وقال الزمخشري السيئة في حكم الاسما بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث انتهى وهو تخريج حسن وقيل ذكر مكروها على لفظ كل وجوزوا في مكروها ان يكون خبرا ثانيا لكان على مذهب من يجيز تعداد الاخبار لكان وان يكون بدلا من سيئة والبدل بالمشتق ضعيف وان يكون حالا من الضمير المستكن في الظرف قبله والظرف في موضع الصفة قيل ويجوز ان يكون نعتا لسيئة لما كان تانيثها مجازيا جاز ان توصف بمذكر وضعف هذا بان جواز ذلك انما هو في الاسناد الى المونث المجازي اذا تقدم اما اذا تاخر واسند الى ضميرها فهو قبيح تقول ابقل الارض فصيحا والارض ابقل قبيح واما من قرا سيئه بالتذكير والاضافة فسيئه اسم كان ومكروها الخبر ولما تقدم من الخصال ما هو سيء وما هو حسن اشير بذلك الى المجموع وافرد سيئه وهو المنهي عنه فالحكم عليه بالكراهة من قوله لا تجعل الى اخر المنهيات واما قراة عبد الله فخرج على ان يكون فتخرج على ان يكون مما اخبر فيه عن الجمع اخبار الواحد المذكر وهو قليل نحو **قوله**

فان الحوادث اودى بها

لصلاحية الحدثان مكان الحوادث ولذلك هذا ايضا كان ما يسوء مكان سياته ذلك اشارة الى جميع انواع التكاليف من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى قوله ولا تمش في الارض مرحا وهي اربعة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها امر وبعضها نهي بداها بقوله لا تجعل واختتم الايات بقوله ولا تجعل وقال مما اوحى لان ذلك بعض مما اوحى اليه اذ اوحى تكاليف اخر ومما اوحي خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز ان يكون متعلقا باوحى وان يكون بدلا من ما وان يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العايد على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع الطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة والعقول تدل على صحتها وهي شرايع

في جميع الأديان لا تقبل النسخ وعن ابن عباس هذه الآيات كانت في ألواح موسى
عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل
شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكرر تعالى النهي عن الشرك ففي النهي الأول
فتقعد مذموما مخذولا وفي الثاني فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين
مذموم وملوم أن كونه مذموما أن يذكر أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح
منكر وكونه ملوما أن يقال له بعد الفعل ولم فعلت كذا وما حملك
عليه وما استفدت منه إلا إلحاق الضرر بنفسك فأول الأمر الذم وآخره
اللوم والفرق بين مخذولا ومدحورا أن المخذول هو المتروك إعانته ونصره والمفوض
إلى نفسه والمدحور المطرود المبعد على سبيل الإهانة له والاستخفاف به فأول
الأمر الخذلان وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون في الدنيا
ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة ولذلك جاء فتلقى في جهنم والخطاب
بالنهي في هذه الآيات للسامع غير الرسول وقال الزمخشري ولقد جعل الله عز وعلا
فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه
لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن
الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ۝ أفأصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ۝ ولقد صرفنا في هذا القرآن
ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا ۝ قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذن لابتغوا
إلى ذي العرش سبيلا ۝ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ۝ تسبح له السماوات
السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
إنه كان حليما غفورا ۝ لما نبه تعالى على فساد من أثبت لله شريكا ونظيرا نبه على
فساد طريقة من أثبت لله ولدا والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ والخطاب
لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله ومعنى أفأصفاكم آثركم وخصكم وهذا كما قال
أله البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الأنثى وهذا خلاف الحكمة وما عليه
معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب
ويكون أردأها وأدونها للسادات ومعنى عظيما مبالغا في المنكر والقبح حيث
أضفتم إليه الأولاد ثم حيث فضلتم عليه تعالى أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون
ثم نسبتم الملائكة الذين هم من أشرف ما خلق إلى الأنوثة ومعنى صرفنا نوعنا من
جهة إلى جهة ومن مثال إلى مثال والتصريف لغة صرف الشيء من جهة إلى جهة
ثم صار كناية عن التبيين وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء فقيل لم نجعله نوعا
واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وأمرا ونهيا وناسخا ومنسوخا
وأخبارا وأمثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال ومفعول
صرفنا على هذا المعنى محذوف وهي هذه الأشياء أي صرفنا الأمثال والعبر
والحكم والأحكام والإعلام وقيل المعنى لم ننزله مرة واحدة بل نجوما ومعناه
أكثرنا صرف جبريل إليك والمفعول محذوف أي صرفنا جبريل وقيل في زائدة
أي صرفنا هذا القرآن كما قال وأصلح لي في ذريتي وهذا ضعيف لأن في لا تزاد

قوله عز وجل أفأصفاكم

وقال

وقال الزمخشري يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه
مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف
فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد
صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم انتهى فجعل
التصريف خاصا بما دلت عليه الآية قبله وجعل مفعول صرفنا إما القول في هذا
المعنى أو المعنى وهو الضمير الذي قدره في صرفناه وغيره جعل التصريف عاما في أشياء
فقدر ما يشمل ما سوله ما قبله وغيره وقرأ الحسن بتخفيف الراء فقال صاحب
اللوامح هو بمعنى العامة يعني بالعامة قراءة الجمهور قال لأن فعل وفعل ربما تعاقبا
على معنى واحد وقال ابن عطية على معنى صرفنا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله
وقرأ الجمهور ليذكروا أي ليتذكروا من التذكر أدغمت التاء في الذال وقرأ الأخوان
وطلحة وابن وثاب والأعمش ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف من الذكر أو الذكر
أي ليتعظوا ويعتبروا وينظروا فيما يحتج به عليهم ويطمئنوا إليه وما يزيدهم أي
التصريف إلا نفورا أي بعدا وفرارا عن الحق كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقال
فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة والنفور من أوصاف الدواب
الشديدة الشماس ولما ذكر تعالى نسبة الولد إليهم ورد عليهم في ذلك ذكر قولهم
أنه تعالى معه آلهة ورد عليهم وقرأ ابن كثير وحفص عما يقولون بالياء من تحت والجمهور
بالتاء ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش إلى مغالبته وإفساد ملكه لأنهم شركاؤه كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض وقال هذا المعنى ومثله ابن جبير وأبو علي الفارسي والنقاش
والمتكلمون أبو منصور وغيره وعلى هذا تكون الآية بيانا للتمانع كما في قوله لو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا ويأتي تفسيرها إن شاء الله تعالى وقال قتادة ما معناه
لابتغوا إلى التقرب إلى ذي العرش والزلفى لديه وكانوا يقولون إن الأصنام تقربهم
إلى الله فإذا علموا أنها تحتاج إلى الله فقد بطل كونها آلهة ويكون كقوله أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب والكاف من كما في موضع نصب
فقال الحوفي متعلقة بما تعلقت به مع وهو الاستقرار ومعه خبر كان وقال
أبو البقاء كونا كقولكم وقال الزمخشري وإذا دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو انتهى وعطف وتعالى على قوله سبحانه لأنه اسم
قام مقام المصدر الذي هو في معنى الفعل أي براءة وقدر تنزه وتعالى ويتعلق به
عن على سبيل الإعمال إذ يصح أن يتعلق بسبحان عن كما في قوله سبحان ربك رب
العزة عما يصفون والتعالي في حقه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان وقرأ الأخوان
عما تقولون بالتاء من فوق وباقي السبعة بالياء وانتصب علوا على أنه مصدر
على غير الصدر أي تعاليا ووصف بكبيرا مبالغة في معنى البراءة والبعد عما
وصفوه به لأن المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين القديم والمحدث
وبين الغني والمحتاج منافاة لا تقبل الزيادة ونسبة التسبيح للسماوات والأرض
ومن فيهن من ملك وإنس وجن حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وأن ما لا
حياة فيه ولا نطق يحدث الله له نطقا وهذا هو ظاهر اللفظ ولذلك جاء ولكن

لا تفقهون تسبيحهم خطابا للمشركين وهم وإن كانوا معترفين بالخالق أنه الله لكنهم
لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت
وقال بعضهم ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة وبه قال عكرمة قال
الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح وسئل الحسن عن الخوان أيسبح فقال قد كان
يسبح مرة يشير إلى أنه حين كان شجرة كان يسبح وحين صار خوانا مدهونا صار جمادا
لا يسبح وقيل التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز ومعناه أنها تسبح بلسان الحال
حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه
الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها ويكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
خطابا للمشركين وهم وإن كانوا معترفين بالخالق أنه الله لكنهم لما جعلوا معه
آلهة لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف
ما كانوا عليه فإذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق
فيكون التسبيح المسند إلى السموات والأرض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرا مشتركا
بين الجميع وإن كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وإنس وجان ولا يحمل
نسبته إلى السموات والأرض على المجاز ونسبته إلى الملائكة والثقلين على الحقيقة
لئلا يكون جمعا بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد وقال ابن عطية ثم أعاد على السموات
والأرض ضمير من يعقل لما أسند إليهما فعل العاقل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير
في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل أن هن لا يكون إلا لمن يعقل من المؤنثات وليس
كما تخيل بل هن يكون ضمير الجمع المؤنث مطلقا وقرأ النحويان وحمزة وحفص تسبح بالتاء
من فوق وباقي السبعة بالياء وفي بعض المصاحف سبحت له السموات بلفظ
الماضي وتاء التأنيث وهي قراءة عبد الله والأعمش وطلحة بن مصرف إنه كان حليما
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم غفورا إن رجعتم ووحدتم الله تعالى ه

قوله عز وجل وإذا قرأت القرآن

وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ● وجعلنا
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على أدبارهم نفورا ● نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك
وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ● انظر كيف ضربوا
لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ● وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا
أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ٥٥ نزلت وإذا قرأت القرآن في أبي سفيان والنضر
وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون الرسول إذا قرأ القرآن فحجب الله
أبصارهم إذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي وعن ابن عباس
نزلت في امرأة أبي لهب دخلت منزل أبي بكر وبيدها فهر والرسول عنده وقالت
هجاني صاحبك قال ما هو بشاعر قالت قال في جيدها حبل من مسد وما يدريه
ما في جيدي فقال لأبي بكر سلها هل ترى غيرك فإن ملكا لم يزل يسترني عنها
فسألها فقالت أتهزأ بي ما أرى غيرك فانصرفت ولم تر الرسول ه وقيل نزلت
في قوم من بني عبد الدار كانوا يؤذونه في الليل إذا صلى وجهر بالقراءة فحال الله

بينهم

بينهم وبين إذاه ولما تقدم الكلام في تقرير الإلهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شيء
من أحوال الكفرة في إنكارها وإنكار المعاد والمعنى إذا شرعت في القراءة وليس
المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى على أنك إذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد
بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم فإنك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا يقرأ
القرآن والظاهر أن القرآن هنا هو ما قرأ من القرآن أي شيء كان منه وقيل ثلاث
آيات منه معينة وهي في النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي الكهف
ومن أظلم إلى قوله أبدا وفي الجاثية أفرأيت من اتخذ إلهه هواه إلى أفلا تذكرون
وعن كعب أن الرسول كان يستتر بهذه الآيات وعن ابن سيرين أنه غيبه لها نفر
من جانب البيت وعن بعضهم أنه أسر زمانا ثم اهتدى إلى قراءتها فخرج لا يبصره الكفار
وهم يطلبونه يمس ثيابهم بثيابه قال القرطبي ويزاد إلى هذه الآي أول يس إلى فهم
لا يبصرون ففي السيرة أن الرسول حين نام علي على فراشه خرج ينثر التراب على رؤوس
الكفار فلا يرونه ويتلون هذه الآيات من يس ولم يبق أحد منهم إلا وضع على رأسه
ترابا والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة
كما ورد في سبب النزول وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه جعلنا بين
فهم ما تقرأ وبينهم حجابا فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث فالمعنى قريب من الآية
بعدها والظاهر إقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أي مستورا عن أعين
الكفار فلا يرونه أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ونسب الستر إليه لما كان
مستورا به قاله المبرد ويؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر
أي ذو لبن وذو تمر وقالوا رجل مرطوب أي ذو رطوبة ولا يقال رطبته ومكان
مهول أي ذو هول وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية وقال
الأخفش وجماعة مستورا ساترا واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤوم
وميمون يريدون شائم ويامن وقيل مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر
شاعر ورد بأن المبالغة إنما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول ه وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا تقدم تفسيره في أوائل الأنعام ه وإذا ذكرت
ربك في القرآن وحده قيل دخل ملأ قريش على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله
تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت هذه الآية والظاهر
أن الآية في حال الفارين عند وقت قراءته القرآن ومروره بتوحيد الله والمعنى
إذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار إنكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها
وقال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب
رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله
وحد يحد وحده بمعنى واحدا انتهى وما ذهب إليه من أن وحده مصدر ساد
مسد الحال خلاف مذهب س ووحده عند س ليس مصدرا بل هو اسم وضع موضع
المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع موضع إيحاد والإيحاد موضوع
موضع موحد وذهب يونس إلى أن وحده منصوب على الظرف وذهب قوم إلى أنه

مصدر لافعل وقوم الى انه مصدر لا وحد على حذف الزيادة وقوم الى انه مصدرا وحد
كما ذهب اليه الزمخشري وحجج هذه الاقوال مذكورة في كتب النحو واذا ذكرت وحده
بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدًا وحده فمذهب س انه حال من الفاعل اي موحدًا له بالضرب
ومذهب المبرد انه يجوز ان يكون حالا من المفعول فعلى مذهب س يكون التقدير
واذا ذكرت ربك موحدًا له بالذكر وعلى مذهب ابي العباس يجوز ان يكون التقدير
موحدًا بالذكر و نفورًا حال جمع نافر كقاعد وقعود او مصدر على غير المصدر لان
معنى ولوا نفروا والظاهر عود الضمير في ولوا على الكفار المتقدم ذكرهم وقالت
فرقة هو ضمير الشياطين لانهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى وان لم يجر لهم ذكر
وقال ابو الجوزاء اوس بن عبد الله ليس شي اطرد للشيطان من
القلب من لا اله الا الله ثم تلا واذا ذكرت الاية وقال علي بن الحسين هو البسملة
نحن اعلم بما يستمعون به اي بالاستخفاف الذي يستمعون به والهزء بك وبالقرآن
واللغو كان اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبد الله عن يمينه
ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما
يتعلق باعلم وما كان في معنى العلم والجهل وان كان متعديًا لمفعول بنفسه فانه
اذا كان في باب افعل في التعجب وافعل التفضيل بالالف تعدى بالباء تقول
ما اعلم زيدًا بكذا وما اجهله بكذا وهو اعلم بكذا واجهل بكذا بخلاف سائر الافعال
المتعدية لمفعول بنفسه فانه يتعدى في افعل في التعجب وافعل التفضيل باللام
تقول ما اضرب زيدًا لعمرو وزيد اضرب لعمرو من بكر وبه قال الزمخشري في موضع الحال
كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون وبما به يتناجون اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم انتهى وقال
الحوفي لم يقل يستمعونه ولا يستمعونك لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع
فقط وكان مضمنًا ان الاستماع كان على طريق الهزء بان يقولوا مجنون او مسحور جاء
الاستماع بالباء والى ليعلم ان الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا
المقصد اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى فاذ الاولى تتعلق بيستمعون به وكذا
واذ هم نجوى لان المعنى نحن اعلم بالذي يستمعون به اليك والى قراءتك وكلامك
انما يستمعون لسقطك وتتبع عيبك والتماس ما يطعنون به عليك يعني في زعمهم
ولهذا ذكر تعديته بالباء والى انتهى وقال ابو البقاء يستمعون به قيل الباء بمعنى اللام واذ ظرف
ليستمعون الاولى والنجوى مصدر ويجوز ان يكون جمع نجي كقتيل وقتل واذ بدل من اذ الاولى
وقيل التقدير اذكر اذ تقول وقال ابن عطية الضمير في به عائد على ما وهو بمعنى الذي
والمراد الاستخفاف والاعراض فكانه قال نحن اعلم بالاستخفاف والاستهزاء
الذي يستمعون به اي هو ملازمهم ففضح الله بهذه الاية سرهم والعامل في اذ الاولى
وفي المعطوف يستمعون الاولى انتهى تناجوا فقال النضر ما افهم ما يقول وقال
ابو سفيان ارى بعضه حقا وقال ابو جهل مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال
حويطب شاعر وقال بعضهم اساطير الاولين وبعضهم انما يعلمه بشر وروي
ان تناجيهم كان عند عتبة دعا اشراف قريش الى طعام فدخل عليهم النبي صلى الله

عليه وسلم وقرا عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر مجنون والظاهر
ان مسحورًا من السحر اي خبل عقله السحر وقال مجاهد مخدوعًا نحو فاني تسحرون
اي تخدعون وقال ابو عبيدة مسحورًا معناه ان له سحرًا اي رئة فهو لا يستغني عن الطعام
والشراب فهو مثلكم وليس بملك وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل
او شرب من ادمي وغيره مسحور قال

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

اي نغذى ونعلل ونسحر قال لبيد

فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر

قال ابن قتيبة لا ادري ما الذي حمل ابا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع ان السلف
فسروه بالوجوه الواضحة وقال ابن عطية الاية التي بعد هذا تقوي ان اللفظة من السحر
بكسر السين لان في قولهم ضرب مثل واما على انها من السحر الذي هو الرئة ومن التغذي
وان تكون الاشارة الى انه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقية له
والامثال التقدم ما قالوه في تناجيهم وكان ذلك منهم على جهة التسلية والتلبيس
ثم راي الوليد بن المغيرة ان اقربها للتخييل الطارئين عليهم هو انه ساحر فضلوا في
جميع ذلك ضلال من يطلب فيه طريقًا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره فلا
يستطيعون سبيلا الى الهدى والنظر المؤدي الى الايمان او سبيلا الى افساد امرك
واطفاء نور الله بضربهم الامثال واتباعهم كل حيلة في جهتك وحكى الطبري انها
نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وقالوا ائذا كنا هذا استفهام تعجب وانكار
واستبعاد لما ضربوا له الامثال وقالوا عنه انه مسحور ذكروا ما استدلوا به على
زعمهم على اتصافه بما نسبوا اليه واستبعدوا انه بعد ما يصير الانسان رفاتا
يحييه الله ويعيده وتقدم عليهم ذلك بانه تعالى هو الذي فطرهم بعد العدم الصرف
علمًا بما في شرحه في الاية بعد هذا ومن قرا من القراء اذا او ائنا معًا او واحدهما على
صورة الخبر فلا يريد الخبر حقيقة لان ذلك كان يكون تصديقا بالبعث والنشاة
الاخرة ولكنه حذف همزة الاستفهام لدلالة المعنى وفي الكلام حذف تقديره ااذا
كنا ترابا وعظاما نبعث او نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه وهذا المحذوف
هو جواب الشرط عند س والذي تعلق به الاستفهام وانتصب عليه عند يونس وخلقا حال
وهو في الاصل مصدر اطلق على المفعول اي مخلوقا الحديد معروف نغضت ينغض تحرك
قال ونغضت من هرم اسنانها ه نغض ونغض نغضا ونغوضا وانغض راسه
حركه برفع وخفض قال لما رانى انغضت لي الراسا ه
وقال الاخر

انغض نحوي راسه واقنعا • كانه يطلب شيئًا اطمعا ه

وقال الفراء انغض راسه حركه الى فوق والى اسفل وقال ابو الهيثم
اذا اخبر بشيء فحرك راسه انكارًا له فقد انغض راسه وقال ذو الرمة

ظعائن لم يسكن اكناف قرية بسيف ولا تنغض لهن القناطر ه

حنك الدابة واحتنكها جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به واحتنك الجراد

الارض كلا بنا بها **قال**

• نشكوا اليك سنة قد اجحفت • جهدا الى جهد بنا فاضعفت •
واحتنكت اموالنا وجلفت •

ومنه ما ذكر ش من قولهم احتنك السنا بين اي اكلهما **استفز** الرجل استخفه والفز الخفيف واصله القطع ومنه تفزز الثوب انقطع واستفزني فلان خدعني حتى وقعت في امر اراده وقيل لولد البقرة فز لخفته **قال الشاعر**

• كما استغاث بسيء فز غيطلة • خاف العيون فلم ينظر به الحشك •

الجلبة الصياح قاله ابو عبيدة والفرا وقال ابو عبيدة جلب واجلب وقال الزجاج اجلب على العدو وجمع عليه الخيل وقال ابن السكيت جلب عليه اعان عليه وقال ابن الاعرابي اجلب على الرجل اذا توعده الشر وجمع عليه الجمع **الصوت** معروف **الحاصب** الريح ترمي بالحصباء قاله الفراء والحصب الرمي بالحصبا وهي الحجارة الصغار **وقال الفرزدق**

• مستقبلين شمال الشام تضربهم • بحاصب كنديف القطن منثور •

والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة **تارة** مرة ويجمع على تير وتارات **قال الشاعر**

• وانسان عيني يحسر الماء تارة • فيبدو وتارات يجم فيغرق •

القاصف الذي يكسر ما يلقي ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره • **وقال ابو تمام**

• ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولا يعبان بالرتم •

وقيل القاصف الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر • **قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا** • قال الزمخشري لما قالوا ايذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر وهو ان يكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقال ابن عطية كونوا ان استطعتم هذه الاشيا الصعبة الممتنعة التاني لابد من بعثكم وقوله كونوا هو الذي تسميه المتكلمون التعجيز من انواع افعل وبهذه الاية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر وانما التعجيز حيث يقتضي بالامر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى فادرؤا عن انفسكم الموت ونحوه واما هذه الاية فمعناها كونوا

قوله عز وجل قل كونوا حجارة

بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطركم كذلك هو يعيدكم انتهى وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون وقال النحاس هذا قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة وانما المعنى انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة انتهى او خلقا مما يكبر في صدوركم اي صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته ولم يعينه ترك ذلك الى افكارهم وجولانها فيما هو اصلب من الحديد فبدا اولا بالصلب ثم ذكر على سبيل الترقي الاصلب منه ثم الاصلب من الحديد اي افرضوا ذواتكم شيئا من هذه فانه لا بد لكم من البعث على اي حال كنتم وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله ابن عمرو والحسن وابن جبير والضحاك الذي يكبر الموت اي لو كنتم الموت لاماتكم ثم احياكم وهذا التفسير لا يتم الا اذا اريد المبالغة لا نفس الامر لان البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضا ولو فرض انقلابه عرضا لم يكن ليقبل الحيوة لاجل الضدية وقال مجاهد الذي يكبر السموات والارض والجبال ولما ذكر انهم لو كانوا اصلب شيء وابعده من حلول الحيوة به كان خلق الحيوة فيه ممكنة قالوا من الذي هو قادر على صيرورة الحيوة فينا واعادتنا فنبههم على ما يقتضي الاعادة وهو ان الذي انشاكم واخترعكم اول مرة هو الذي يعيدكم والذي مبتدا وخبره محذوف التقدير الذي فطركم اول مرة يعيدكم فيطابق الجواب السؤال ويجوز ان يكون فاعلا اي يعيدكم الذي فطركم ويجوز ان يكون خبر مبتدا اي يعيدكم الذي فطركم واول مرة ظرف العامل فيه فطركم قاله الحوفي فسينغضون اي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ويقولون متى هو اي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن حيدة وانتقال لما لا يسال عنه لان ما يثبت امكانه بالدليل العقلي لا يسال عن تعيين وقوعه ولكن اجابهم على سوالهم بقربه وقوعه لا بتعيين زمانه لان ذلك مما استاثر تعالى بعلمه واحتمل ان يكون في عسى اضمار اي عسى هو اي العود واحتمل ان يكون مرفوعه ان يكون فتكون تامة وقريبا يحتمل ان يكون خبركان على انه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل ان يكون ظرفا اي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يوم يدعوكم بدلا من قريبا وقال ابو البقاء يوم يدعوكم ظرف ليكون ولا يجوز ان يكون ظرفا لاسم كان وان كان ضميرا للمصدر لان الضمير لا يعمل انتهى اما كونه ظرفا ليكون فهذا مبني على جواز عمل كان الناقصة في الظرف وفيه خلاف واما قوله لان الضمير لا يعمل فهو مذهب البصريين واما الكوفيون فيجيزون ان يعمل نحو مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح يعلقون بعمرو بلفظ هو اي ومروري بعمرو قبيح والظاهر ان الدعاء حقيقة اي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادي المنادي من مكان قريب الاية ويقال ان اسرافيل عليه السلام ينادي ايتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت وروي في الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم اليه وقال الزمخشري الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم

كم

يبعثكم فتستجيبون مطاوعين منقادين لا تمتنعون انتهى والظاهر ان الخطاب للكفار
اذ الكلام قبله ذلك معهم فالضمير لهم وبحمده حال منهم قال الزمخشري وهي مبالغة
في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه
وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك انتهى وذلك لما ظهر لهم من قدرته وقيل معنى بحمده ان الرسول
قائل ذلك لا انهم يكون بحمده حالا منهم فكانه قال عسى ان تكون الساعة قريبة يوم
يدعون فيقومون بخلاف ما يعتقدون الان وذلك بحمد الله على صدق خبري كما تقول
لرجل خصمته او حاورته في علم قد اخطأت بحمد الله فبحمد الله ليس حالا من فاعل
اخطأت بل المعنى اخطأت والحمد لله وهذا معنى متكلف نحى اليه الطبري وكان
بحمده يكون اعتراضا اذ معناه والحمد لله ونظيره **قول الشاعر**

> فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

اي فاني والحمد لله فهذا اعتراض بين اسم ان وخبرها كما ان بحمده اعتراض بين
المتعاطفين ووقع في لفظ ابن عطية حين قرر هذا المعنى قوله عسى ان الساعة
قريبة وهو تركيب لا يجوز لا تقول عسى ان زيدا قائم بخلاف عسى ان يقوم زيد وعلى ان
يكون بحمده حالا من ضمير فتستجيبون قال المفسرون حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال
معناه بمعرفته وطاعته وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال ابن عباس بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في ذلك الوقت ويدل عليه من بعثنا
من مرقدنا هذا فهذا عائد الى لبثهم في القبور فيما بين النفختين وقال
الحسن تقريب وقت البعث فكانك بالدنيا ولم تكن وبالاخرة لم تزل فهذا يرجع
الى استقلال مدة اللبث في الدنيا وقال الزمخشري وتظنون وترون الهول
فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن
قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة انتهى وقيل استقلوا لبثهم
في عرصة القيامة لانه لما كانت عاقبة امرهم الدخول الى النار استقصروا مدة
لبثهم في برزخ القيامة وقيل تم الكلام عند قوله قل عسى ان يكون قريبا ويوم
يدعوكم خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لانهم يستجيبون بحمده يحمدونه على
احسانه اليهم فلا يليق هذا الا بهم وقيل يحمد المؤمن اختيارا والكافر اضطرارا
وهذا يدل على ان الخطاب للكافر والمؤمن وهو الذي يدل عليه ما روي عن ابن جبير
واذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر فيحتمل ان يكون الظن على بابه فيكون لما رجعوا
الى حالة الحياة وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن الدنيا الا في زمن قليل اذ كانوا في
ظلمتهم نائمين ويحتمل ان يكون بمعنى اليقين من حيث علموا ان ذلك منقض منصرم
والظاهر ان وتظنون معطوف على تستجيبون وقال الحوفي وقال ابو البقاء اي
وانتم تظنون والجملة حال انتهى وان هنا نافية وتظنون معلق عن العمل فالجملة
بعده في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في ادوات التعليق ان النافية ويظهر
ان انتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي الا زمانا قليلا لقوله قالوا

قوله عز وجل وقل لعبادي

لبثنا يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لبثنا قليلا ودل لبثنا
الفعل على مصدره دلالة قوية ۝ وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ۝ ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا ۝ وربك اعلم بمن في السموات
والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا ۝ قيل سبب
نزولها ان عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفرة فسبه عمر وهم بقتله فكاد يثير
فتنة فنزلت الاية وهي منسوخة باية السيف ومناسبتها لما قبلها انه لما
تقدم ما نسب الكفار لله تعالى من الولد ونفورهم عن كتاب الله اذا سمعوه وايذاء
الرسول ونسبته الى انه مسحور وانكار البعث كان ذلك مدعاة لايذاء المؤمنين
ومجلبة لبغض المؤمنين اياهم ومعاملتهم بما عاملوهم فامر الله تعالى نبيه ان
يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللطف بهم في القول وان لا يعاملوهم بمثل افعالهم
واقوالهم فعلى هذا يكون المعنى قل لعبادي المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي
احسن وقيل المعنى يقولوا اي يقول بعض المؤمنين لبعض الكلمة التي هي احسن اي يجل
بعضهم بعضا ويعظمه ولا يصدر منه الا الكلام الطيب والقول الجميل فيكونوا مثل
المشركين في معاملة بعضهم بعضا بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للاموال
والسبي للنساء والذراري وقيل عبادي هنا المشركون اذ المقصود الدعاء الى الاسلام
خوطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سببا الى قبول الدين كانه قيل قل للذين
اقروا انهم عباد لي يقولوا التي هي احسن وهو توحيد الله وتنزيهه عن الولد واتخاذ
الملائكة بنات فان ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته وتخبيطه وقيل عبادي شامل
للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي في تفسير التي هي احسن والذي يظهر ان
لفظة عبادي مضافة اليه تعالى كثيرا استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله فبشر
عبادي الذين يستمعون القول وقوله فادخلي في عبادي عينا يشرب بها عباد الله وقل
خطاب للرسول وهو امر ومعمول القول محذوف تقديره قولوا التي هي احسن والجزم
يقولوا على انه جواب للامر الذي هو قل قاله الاخفش وهو صحيح المعنى على تقدير ان
يكون عبادي يراد به المؤمنون لانهم لمسارعتهم لامتثال امر الله تعالى بنفس
ما يقول لهم ذلك قالوا التي هي احسن وعن س انه انجزم على جواب شرط محذوف
اي ان يقل لهم يقولوا فيكون في قوله حذف معمول القول وحذف الشرط الذي يقولوا
جوابه وقال المبرد انجزم جوابا للامر الذي هو معمول قل اي قولوا التي هي احسن
يقولوا وقيل معمول قل مذكور لا محذوف وهو يقولوا على تقدير لام الامر وهو مجزوم
بها قاله الزجاج وقيل يقولوا وهو مبني وهو مضارع حل محل المبني الذي هو
فعل الامر فبني والمعنى قل لعبادي قولوا قاله المازني وهذه الاقوال جرت
في قوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وترجيح ما ينبغي ان يرجح مذكور في علم
النحو والتي هي احسن قالت فرقة منهم ابن عباس هي قول لا اله الا الله قال
ابن عطية ويلزم على هذا ان يكون قوله لعبادي يريد به جميع الخلق لان جميعهم
مدعو الى لا اله الا الله ويجيء قوله بعد ذلك ان الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب

للمعنى الأعلى يعني أن يجعل بينهم بمعنى خلالهم وأثناءهم ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة
والإملال وقال الحسن يرحمك الله يغفر الله لك وعنه أيضا الأمر بأحسن الأقوال
واجتناب المناهي وقيل القول للمؤمن يرحمك الله وللكافر هداك الله وقال
الجمهور وهي المحاورة الحسنى بحسب معنى معنى وقال الزمخشري فسر التي هي أحسن
بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم يعني يقول لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم
ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وقال أبو عبد الله الرازي
ما ملخصه إذا أردتم الحجة على المخالف فاذكروها بالطريق الأحسن وهو أن لا
يخلط بالسب كقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وخلط الحجة بالسب
سبب للمقابلة بمثله وتنفير عن حصول المقصود من إظهار الحجة وتأثيرها ثم نبه
على هذا الطريق بقوله إن الشيطان ينزغ بينهم جامعا للفريقين أي متى امتزجت
الحجة بالإيذاء كانت الفتنة انتهى **وقرأ** طلحة ينزغ بكسر الزاي قال أبو حاتم لعلها
لغة والقراءة بالفتح وقال صاحب اللوامح هي لغة وقال الزمخشري هما لغتان نحو
يعرشون ويعرشون انتهى ولو مثل بينطح وينطح كان أنسب وبين تعالى سبب النزغ
وهي العداوة القديمة لأبيهم آدم فتلك لهم وقوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
الآية وغيرها من الآيات الدالة على تسلطه على الإنسان وابتغائه الغوائل المهلكة له
والخطاب بقوله ربكم إن كان للمؤمنين فالرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم والتعذيب
تسليطهم عليهم وما أرسلناك عليهم أي على الكفار حافظا وكفيلا فاشتغل أنت بالدعوة
وإنما هدايتهم إلى الله وقيل يرحمكم بالهداية إلى التوفيق والأعمال الصالحة وإن شاء عذبكم
بالخذلان وإن كان الخطاب للكفار فالمعنى إن يشأ يرحمكم الله بالهداية إلى الإيمان ويعذبكم
بميتتكم على الكفر وذكر أبو سليمان الدمشقي لما نزل القحط بالمشركين قالوا ربنا اكشف عنا
العذاب إنا مؤمنون فقال الله ربكم أعلم بكم بالذي يؤمن من الذي لا يؤمن إن يشأ يرحمكم
فيكشف القحط عنكم أو إن يشأ يعذبكم فيتركه عليكم وقال ابن عطية هذه الآية تقوي
أن الآية التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك أن قوله ربكم أعلم
بكم مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا فكأنه أمر
المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال للكفار إنه أعلم بهم ورجاهم وخوفهم
ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم قاله ابن جريج وغيره انتهى وتقدم من قول الزمخشري
أن قوله ربكم أعلم بكم هي من قول المؤمنين للكفار وأنه تفسير لقوله التي هي أحسن
وقال ابن الأنباري أو دخلت هنا لسعة الأمرين عند الله ولا يرد عنهما فكانت
ملحقة بأو المبيحة في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين يعنون قد وسعنا
لك الأمر وقال الكرماني أو للإضراب ولهذا كررت إن ولما ذكر تعالى أنه
أعلم بمن خاطبهم بقوله ربكم أعلم بكم انتقل من الخصوص إلى العموم فقال مخاطبا لرسوله
وربك أعلم بمن في السموات والأرض ليبين أنه علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق

بجميع

بجميع من في السموات والأرض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل كل واحد منهم وبمن
متعلق بأعلم كما تعلق بكم قبله بأعلم ولا يدل تعلقه به على اختصاص أعلميته تعالى
بما يعلق به كقولك زيد أعلم بالنحو لا يدل هذا على أنه ليس أعلم بغير النحو من العلوم
وقال أبو علي الباء تتعلق بفعل تقديره علم بمن قال لأنه لو علقها بأعلم لاقتضى أنه
ليس بأعلم بغير ذلك وهذا لا يلزم وأيضا فإن علم لا يتعدى بالباء إنما يتعدى لواحد
بنفسه لا بواسطة حرف الجر ولا يبين على ما تقرر في علم النحو ولما كان الكفار
قد استبعدوا تنبئة البشر وفيه تفضيل الأنبياء على غيرهم أخبر تعالى بتفضيل
بعض الأنبياء على بعض إشارة إلى أنه لا يستبعد تفضيل الأنبياء على غيرهم إذ قد وقع
التفضيل في هذا الجنس المفضل على الناس والله تعالى أعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو
يفضل من يشاء منهم على من يشاء إذ هو الحكيم فلا يصدر شيء إلا عن حكمة وفيه إشارة إلى
أنه لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وخص داود بالذكر هنا لأنه ذكر
تعالى في الزبور أن محمدا خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم وقال تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته وكانت
قريش ترجع إلى اليهود كثيرا فيما يخبرون به مما في كتبهم فنبه على أن زبور داود تضمن
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك إشارة رد على مكابري اليهود حيث قالوا لا نبي
بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة ونص هنا على إيتاء داود الزبور وإن كان قد آتاه
مع ذلك الملك إشارة إلى أن التفضيل المحض هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي
أنزل عليه كما فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بما آتاه من العلم والقرآن الذي خصه به وتقدم
تفسير وآتينا داود زبورا في أواخر النساء وذكر الخلاف في ضم الزاي وفتحها وقال
الزمخشري هنا **فإن قلت** هلا عرف الزبور كما عرف في ولقد كتبنا في الزبور **قلت**
يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود
بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي
ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا ٥ قل ادعوا الذين زعمتم من
دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا • أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان
محذورا • وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا • وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها
الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا
٥٦ قال ابن مسعود نزلت في عبدة الشياطين وهم خزاعة أسلمت الشياطين
وبقوا يعبدونهم وقال ابن عباس في عزير والمسيح وأمه وعنه أيضا وعن ابن مسعود
وابن زيد والحسن في عبدة الملائكة وعن ابن عباس في عبدة الشمس والقمر والكواكب
وعزير والمسيح وأمه انتهى ويكون الذين زعمتم من دونه عاما غلب فيه من يعقل على من
لا يعقل والمعنى ادعوهم فلا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب
ولا أن يحولوه من واحد إلى واحد أو يبدلوه **وقرأ** الجمهور يدعون بياء الغيبة
وابن مسعود وقتادة بتاء الخطاب وزيد بن علي بياء الغيبة مبنيا للمفعول

قوله عز وجل قل ادعوا الذين

والمعنى يدعونهم آلهة أو يدعونهم لكشف ما حل بكم من الضر كما حذف من قوله قل ادعوا أي
ادعوهم لكشف الضر وفي قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الأول
والثاني محذوف تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله وأولئك مبتدأ والذين صفته
والخبر يبتغون والوسيلة القربة إلى الله تعالى والظاهر أن أولئك إشارة إلى
المعبودين والواو في يدعون للعابدين والعائد على الذين منصوب محذوف أي
يدعونهم وقال ابن فورك الإشارة بأولئك إلى النبيين الذين تقدم ذكرهم والضمير
المرفوع في يدعون ويبتغون عائد عليهم والمعنى يدعون الناس إلى دين الله والمعنى
على هذا أن الذين عظمت منزلتهم وهم الأنبياء لا يعبدون إلا الله ولا يبتغون الوسيلة
إلا إليه فهم أحق بأن تقتدوا بهم فلا تعبدوا غير الله وقرأ الجمهور إلى ربهم بضمير الجمع
الغائب وقرأ ابن مسعود إلى ربك بالكاف خطابا للرسول واختلفوا في إعراب أيهم
أقرب وتقدم قول الحوفي أيهم أقرب ابتداء وخبر والمعنى ينظرون أيهم أقرب
فيتوسلون به ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلا من الواو في يبتغون انتهى ففي الوجه
الأول أضمر فعل التعليق وأيهم أقرب في موضع نصب على إسقاط حرف الجر لأن نظر
إن كان بمعنى الفكر تعدى بفي وإن كانت بصرية تعدت بإلى فالجملة المعلق عنها الفعل
على كلا التقديرين تكون في موضع نصب على إسقاط حرف الجر كقوله فلينظر أيها
أزكى طعاما وفي إضمار الفعل المعلق نظر والوجه الثاني قاله الزمخشري قال
وتكون أي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير
الأقرب انتهى فعلى الوجه يكون أقرب خبر مبتدأ محذوف واحتمل أيهم أن يكون
معربا وهو الوجه وأن يكون مبنيا لوجود مسوغ البناء قال الزمخشري أو ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله
وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح فيكون قد ضمن يبتغون معنى فعل قلبي
وهو يحرصون حتى يصح التعليق وتكون الجملة الابتدائية في موضع نصب على
إسقاط حرف الجر لأن حرص يتعدى بعلى كقوله إن تحرص على هداهم وقال ابن عطية
وأيهم ابتداء وأقرب خبره والتقدير نظرهم ووكدهم أيهم أقرب وهذا كما قال
عمر بن الخطاب فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها أي يتبارون في طلب
القرب فجعل المحذوف نظرهم ووكدهم وهذا مبتدأ فإن جعلت أيهم أقرب في موضع
نصب بنظرهم المحذوف بقي المبتدأ الذي هو نظرهم بغير خبر محتاج إلى إضمار الخبر
وإن جعلت أيهم أقرب هو الخبر فلا يصح لأن نظرهم ليس هو أيهم أقرب وإن
جعلت التقدير نظرهم في أيهم أقرب أي كائن أو حاصل فلا يصح ذلك لأن كائنا
وحاصلا ليس مما يعلق وقال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره وهو استفهام
في موضع نصب بيدعون ويجوز أن يكون أيهم بمعنى الذي وهو بدل من الضمير في
يدعون والضمير الذي هو أقرب انتهى ففي الوجه الأول علق يدعون وهو ليس
فعلا قلبيا وفي الثاني فصل بين الصلة ومعمولها بالجملة الحالية ولا يضر ذلك
لأنها معمولة للصلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله
فكيف يزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا يحذره كل أحد وإن من

قرية إن نافية ومن زائدة في المبتدأ تدل على استغراق الجنس والجملة بعد إلا خبر المبتدأ
وقيل المراد الخصوص والتقدير وإن من قرية ظالمة وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس
انتهى والتي لبيان الجنس على قول من يثبت لها هذا المعنى هو أن يتقدم قبل ذلك ما يفهم
منه إبهام ما فتأتي من لبيان ما أريد بذلك الذي فيه إبهام ما كقوله ما يفتح الله
للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شيء مبهم تكون من فيه بيانا له ولعل قوله لبيان الجنس
من الناسخ ويكون هو قد قال لاستغراق الجنس ألا ترى أنه قال بعد ذلك وقيل المراد
الخصوص انتهى والظاهر أن جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة وإهلاكها تخريبها
وفناؤها ويتضمن تخريبها هلاك أهلها بالاستئصال أو شيئا فشيئا أو تعذب والمعنى
أهلها بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وقال
مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فتخربها الحبشة وتهلك
المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا ونحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه
أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش كان ذلك في
الكتاب مسطورا أي في سابق القضاء أو في اللوح المحفوظ أي مكتوبا أسطارا وما منعنا
أن نرسل بالآيات عن ابن عباس أن أهل مكة سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم
الجبال فيزرعون فاقترحوا ذلك على الرسول فأوحى الله إليه إن شئت أن أفعل ذلك
لهم فإن تأخروا عاجلتهم بالعقوبة وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبي منهم
مؤمنين فقال بل تستأني بهم يا رب فنزلت واستعير المنع للترك أي ما تركنا إرسال
الآيات المقترحة إلا لتكذيب الأولين بها وتكذيب الأولين ليس علة في إرسال
الآيات لقريش فالمعنى إلا اتباعهم طريقة تكذيب الأولين بها فتكذيب الأولين قائم على
حذف المضاف فإذا كذبوا بها كما كذب الأولون عاجلتهم بالعقوبة بعذاب
الاستئصال وقد اقتضت الحكمة أن لا استئصال لهم وقال الزمخشري فالمعنى وما
صرفنا عن إرسال ما تقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع
على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر
مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من
بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا
بها لما أرسلت إليهم فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب
قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم انتهى وقرأ الجمهور ثمود ممنوع الصرف
وقال هارون أهل الكوفة ينونون ثمود في كل وجه وقال أبو حاتم لا ينون العامة
والعلماء بالقرآن ثمود في وجه من الوجوه وفي أربعة مواطن ألف مكتوبة ونحن نقرؤها
بغير ألف انتهى وانتصب مبصرة على الحال وهي قراءة الجمهور وقرأ زيد بن علي مبصرة بالرفع
على إضمار مبتدأ أي هي مبصرة وأضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها
الناس والتقدير آية مبصرة وقرأ قوم بفتح الصاد اسم مفعول أي يبصرها الناس
ويشاهدونها وقرأ قتادة بفتح الميم والصاد مفعلة من البصر أي محل إبصار
كقوله والكفر مخبثة لنفس المنعم ۝ أجراها مجرى صفات الأمكنة نحو أرض

مسبعة ومكان مضيعة وقالوا الولد مبخلة مجبنة فظلموا بها اي جحدوها بعد قوله ر
فذروها تاكل في ارض الله الاية وقيل المعنى انهم جحدوا كونها من عند الله وقيل
جعلوا التكذيب بها موضع التصديق وهو معنى لقول قبله والظاهر ان الايات الاخيرة
غير الايات الاولى لوحظ في ذلك وقت الاقتراح وفي هذه وصف غير المقترحة وهي
ايات مع امهال لا معاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة وقال الحسن والموت
الذريع وفي حديث الكسوف فافزعوا الى الصلاة قال ابن عطية وايات الله المعتبر
بها ثلاثة اقسام قسم عام في كل شيء اذ حيث ما وضعت نظرك وجدت اية وهنا
فكرة العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم
خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وانما يعتبر توهما لما سلف منه انتهى
وهذا القسم لا حصر فيه وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا
القسم لغير الانبياء ويسميه كرامة وقال الزمخشري ان اراد بالايات المقترحة فالمعنى
لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا
وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران
وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة وقيل الايات التي جعلها الله
تخويفا لعباده سماوية كسوف الشمس وخسوف القمر والرعد والبرق والصواعق
والرجوم وما يجري مجرى ذلك وارضية زلازل وخسف ومحول ونيران تظهر
في بعض البلاد وغور ماء العيون وزيادتها على الحد حتى يغرق بعض الارضين
ولا سماوية ولا ارضية الرياح العواصف وما يحدث عنها من قلع الاشجار
وتدمير الديار وما تسوقه من السوافي والرياح السموم ۵ واذ قلنا لك ان ربك
احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة
في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۵ لما طلبوا الرسول بالايات
المقترحة واخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه وقالوا لو كان
رسولا حقا لاتى بالايات المقترحة فبين الله انه ينصره ويؤيده وانه احاط بالناس
فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه وقيل بقدرته فقدرته غالبة كل شيء وقيل الاحاطة
هنا الاهلاك كقوله واحيط بثمره والظاهر ان الناس عام وقيل اهل مكة بشر د
تعالى انه يغلبهم ويظهر عليهم واحاط بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لانه واقع
لا محالة والوقت الذي وقعت فيه الاحاطة بهم قيل يوم بدر وقال العسكري
هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ويجوز ان يكون ذلك في امر الخندق ومجيء الاحزاب
يطلبون ثارهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وقيل يوم بدر ويوم
الفتح وقيل الاشبه انه يوم الفتح فانه اليوم الذي احاط الله امرهم باهلاك
اهل مكة فيه وامكن منهم وقال الطبري احاط بالناس في منعك يا محمد وحياطتك
وحياطتك وحفظك فالاية اخبار له انه محفوظ من الكفرة امن ان يقتل وينال
بمكروه عظيم اي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب احدا من المخلوقين قال ابن عطية
وهذا تاويل بين جار مع اللفظ وقد روي نحوه عن الحسن والسدي الا انه لا يناسب
ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل ان يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له فاقول

قوله عز وجل
واذ قلنا لك

اختلف

اختلف الناس في الرؤيا فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما راى في ليلة
الاسراء من العجائب قال الكفار ان هذا لعجب نخب الى بيت المقدس شهرين اقبالا
وادبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء
المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فعلى هذا
يحسن ان يكون معنى قوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي في اضلالهم
وهدايتهم وان كلا واحد ميسر لما خلق له اي فلا تهتم انت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم
فقد قيل لك ان الله محيط بهم مالك لامرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من
سبق عليه الكفر وجاءت الرؤية في هذا التاويل رؤيا اذ هما مصدران من راى وقال
النقاش جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد انها منامة وان كانت الحقيقة غير ذلك انتهى وعن
ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم هو قصة الاسرى والمعراج عيانا اخبر به المؤمنون
وكفر به المخذولون وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وعن
ابن عباس ايضا هو رؤياه انه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية ورد فافتتن الناس
وهذا مناسب لصدر الاية فان الاحاطة بمكة اكثر ما كانت وعن سهل بن سعد ان رؤياه
بني امية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ
حتى مات فنزلت الاية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله
فتنة للناس ويجيء قوله احاط بالناس اي باقداره وان كان ما قدره الله فلا تهتم
بما يكون بعدك من ذلك وقال الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وقالت عائشة الرؤيا رؤيا منام قال
ابن عطية وهذه الاية يقضي بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان
احد لينكرها انتهى وليس كما قال ابن عطية فان رؤيا الانبياء حق ويخبر النبي بوقوع
ذلك لا محالة فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك وقال صاحب التحرير
سالت ابا العباس القرطبي عن هذه الاية فقال ذهب المفسرون فيها الى امور غير ملائم
في سياق الاية والصحيح انها رؤية عين يقظة لما اتاه بدرا اراه جبريل مصارع
القوم فاراها الناس وكانت فتنة لقريش فانهم لما سمعوا اخذوا في الهزء والسخر
بالرسول والشجرة الملعونة مناهي ابو جهل انتهى وقال الزمخشري ولعل الله تعالى
اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى
مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم
فكانوا يضحكون ويستسخرون به استهزاء وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون
منبره كما يتداول الصبيان الكرة انتهى والظاهر انه اريد بالشجرة حقيقتها فقال
ابن عباس هي الكشوث المذكور في قوله كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار وعنه ايضا هي الشجرة التي تلتوي على الشجرة فتفسدها قال والفتنة
قولهم ما بال الحشائش تذكر في القران وقال الجمهور هي شجرة الزقوم لما نزل امرها
في الصافات وغيرها قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم
يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد تزقموا

ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة
بعض الضعفاء قال الزمخشري وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار
فهذا وبر السمندر وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار
فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد المحمي كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا
فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل
بها تخويفا للعباد وهولاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك
منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب
الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوف الدنيا والآخرة
فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون
من الآيات انتهى وقوله بعد الوحي اليك هو قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
قل للذين كفروا ستغلبون والظاهر اسناد اللعنة الى الشجرة واللعن الابعاد من
الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة **وقيل** تقول العرب لكل طعام
مكروه ضار ملعون قال الزمخشري وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون
القشب الممحوق **وقال** ابن عباس الملعونة يريد آكلها ونفيه الزمخشري فقال
لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على
الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز انتهى **وقيل** لما شبه طلعها
برؤوس الشياطين والشيطان ملعون نسبت اللعنة اليها **وقال** قوم الشجرة
هنا مجاز عن واحد وهو ابو جهل وقيل هو الشيطان وقيل مجاز عن جماعة وهم اليهود
الذين تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله وفتنتهم انهم كانوا
ينتظرون بعثة الرسول فلما بعثه الله كفروا به وقالوا ليس هو الذي كنا ننتظره
فثبطوا كثيرا من الناس بمقالتهم عن الاسلام **وقيل** بنو امية حتى ان من المعتبرين
من لا يعبر عنهم الا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة
واخذ الاموال من غير حلها وتغيير قواعد الدين وتبديل الاحكام ولعنها في القرآن
الا لعنة الله على الظالمين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة **وقرأ** الجمهور والشجرة الملعونة عطفا على الرؤيا فهي مندرجة في الحصر
اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس
وقرأ زيد بن علي برفع والشجرة الملعونة على الابتداء والخبر محذوف تقديره
كذلك اي فتنة والضمير في ونخوفهم لكفار مكة **وقيل** لملوك بني امية بعد
الخلافة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا
عضوضا والاول اصوب **وقرأ** الاعمش ويخوفهم بياء الغيبة والجمهور بنون العظمة
۝ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن
خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا ۝ واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك

قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة

وشاركهم

وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۝ ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين
احدهما انه لما نازعوا الرسول في النبوة واقترحوا عليه الآيات كان ذلك لكبرهم
وحسدهم للرسول على ما آتاه الله من النبوة والدرجة الرفيعة فناسب ذكر قصة
آدم عليه السلام وابليس حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود والثاني انه
لما قال فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا بين ما سبب هذا الطغيان وهو قول ابليس
لاحتنكن ذريته الا قليلا وانتصب طينا على الحال قاله الزجاج وتبعه الحوفي
فقال من الهاء في خلقته المحذوفة والعامل خلقت والزمخشري فقال طينا اما
من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع
اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا انتهى **وهذا** تفسير معنى
وقال ابو البقاء والعامل فيه خلقت يعني اذا كان حالا من العائد المحذوف واجاز
الحوفي ان يكون نصبا على حذف من التقدير من طين كما صرح به في قوله وخلقته من طين
واجاز الزجاج ايضا وتبعه ابن عطية ان يكون تمييزا ولا يظهر كونه تمييزا وقوله
أأسجد استفهام انكار وتعجب وبين قوله أأسجد وما قبله كلام محذوف وكان
تقديره قال لم لا تسجد لآدم قال أأسجد وبين قوله قال ارايتك وقال أأسجد جمل
قد ذكرت حيث طولت قصته والكاف في ارايتك للخطاب **وتقدم** الكلام عليها
في سورة الانعام ولا تلحق كاف الخطاب هذه الا اذا كانت بمعنى اخبرني وبهذا
المعنى قدرها الحوفي وتبعه الزمخشري وهو قول س فيها والزجاج قال الحوفي وارايتك
بمعنى عرفني واخبرني وهذا منصوب بارايتك والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته
علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين وحذف هذا لما في الكلام
من الدليل عليه **وقال** الزمخشري الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني
عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف
ذلك ثم **ابتدأ** فقال لئن اخرتني وقال ابن عطية والكاف في ارايتك حرف
خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة **ومعنى** ارايت
اتاملت ونحوه كان المخاطب ينبهه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد وقال
س هو بمعنى اخبرني ومثل بقوله ارايتك زيدا ابو من هو وقاله الزجاج ولم يمثل
وقول س صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله **واما** في هذه الآية فهي كما قلت
وليست التي ذكر س رحمه الله انتهى وما ذهب اليه الحوفي والزمخشري في ارايتك
هنا هو الصحيح ولذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته علي فقد انعقد من قوله هذا
الذي كرمته علي لم كرمته علي جملة من مبتدا وخبر وصار مثل زيدا ابو من هو دخلت
عليه ارايتك فعملت في الاول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في
ارايت بمعنى اخبرني ان يدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما فان صرح به فذلك
واضح وان لم يقدر وقد اشبعنا الكلام في ذلك في الانعام وفي شرح التسهيل
وقال الفراء هنا للكاف محل من الاعراب وهو النصب اي ارايت نفسك قال
وهذا كما تقول اتدبرت آخر امرك فاني صانع فيه كذا ثم ابتدا هذا الذي كرمت

على انتهى والرد عليه مذكور في علم النحو ولو ذهب ذاهب الى ان هذا مفعول اول لقوله
ارأيتك بمعنى اخبرني والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدأ وخبرا قبل
دخول ارأيتك لذهب مذهبا حسنا اذ لا يكون في الكلام اضمار وتلخص من هذا كله ان
الكاف اما في موضع نصب وهذا مبتدأ واما حرف خطاب وهذا مفعول برأيت
بمعنى محذوف وهو الجملة الاستفهامية او مذكور وهو الجملة القسمية ومعنى لئن اخرتني اي اخرت
مماتي وابقيتني حيا وقال ابن عباس لاحتنكن لاستولين عليهم وقال الفراء وقال ابن زيد لاضلنهم
وقال الطبري لاستأصلن وكأن ابليس يحتمله صفة العدل من الله حين حقنته الانفة والكبر
وظهر ذلك من قوله ارأيتك هذا الذي كرمت علي اذ نص على انه لا ينبغي ان يكون بالسجود مني
من انا خير منه واقسم ابليس على انه يحتنك ذرية آدم وعلم ذلك اما بسماعه من الملائكة
وقد اخبرهم الله به او استدل على ذلك بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او نظر
اليه فتوسم في مخايله انه ذو شهوة وعوارض كالغضب ونحوه ورأى خلقته مجوفة مختلفة الاجزاء
وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزما فظن ذلك بذريته وهذا ليس
بظاهر لان قوله ذلك كان قبل وسوسته لآدم في اكل الشجرة واستثنى القليل لانه علم
انه يكون في ذرية آدم من لا يتسلط عليه كما قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين والامر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء ولكن المعنى اذهب لشأنك
الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزائه وجزاء اتباعه جهنم **ولما تقدم**
اسم غائب وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم ويجوز ان يكون ضميرا على سبيل
الالتفات والموفور المكمل ووفر متعد **كقوله**

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ولازم تقول وفر المال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر والعامل فيه جزاؤكم
او يجازون مضمرا او على الحال الموطئة وقيل تمييز ولا يتعقل واستفزز معطوف على
فاذهب وعطف عليه ما بعده من الامر وكلها بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم
ومن في من استطعت موصولة مفعولة باستفزز وقال ابو البقاء من استطعت من استفهام
في موضع نصب باستطعت وهذا ليس بظاهر لان استفزز يبقى معمولا واستطعت محذوف
تقديره من استطعت ان تستفزه والصوت هنا الدعاء الى معصية الله وقال مجاهد
الغناء والمزامير واللهو وقال الضحاك صوت المزمار وذكر الغزنوي ان آدم اسكن
ولد هابيل اعلى الجبل وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر الشيطان فلم يتمالكوا
ان انحدروا وافتتنوا **وقيل** الصوت هنا الوسوسة وقرأ الحسن واجلب عليهم بوصل
الالف وضم اللام من جلب ثلاثيا والظاهر ان ابليس له خيل ورجالة من الجن جنسه
قال قتادة والخيل تطلق على الافراس حقيقة وعلى اصحابها وهم الفرسان مجازا
ومنه يا خيل الله اركبي والباء في بخيلك قيل زائدة وقيل من الآدميين اضيفوا اليه
لانخراطهم في طاعته وكونهم اعوانه على غيرهم قاله مجاهد وقال ابن عطية وقوله
بخيلك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك انتهى
وقال ابو علي ليس للشيطان خيل ولا رجل وانما هو زجر واستخفاف به
كما تقول لمن تهدده اذهب فاصنع ما شئت واستعن بمن شئت وقال الزمخشري

قال

فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله **قلت** هو كلام
وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت
بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة
حتى استأصلهم انتهى وقرأ الجمهور ورجلك بفتح الراء وسكون الجيم وهو اسم جمع واحده
راجل كركب وراكب وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية وحفص بكسر الجيم قال صاحب
اللوامح بمعنى الرجال وقال ابن عطية هي صفة يقال فلان يمشي رجلا اي غير راكب
ومنه قول الشاعر رجلا الا باصحاب وقال الزمخشري وقرئ ورجلك على ان
فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل
حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما انتهى وقرأ قتادة وعكرمة ورجالك
وقرئ ورجالك بضم الراء وتشديد الجيم والمشاركة في الاموال قال الضحاك ما يذبحون
لالهتهم وقال قتادة البحيرة والسائبة **وقيل** ما اصيب من مال حرام **وقيل**
ما جعلوا من اموالهم لغير الله وقيل ما صرف في الزنا والاولى ما اخذ من غير حقه
وما وضع في غير حقه والمشاركة في الاولاد تسميتهم عبد العزى وعبد اللات
وعبد الشمس وعبد الحارث وعنه ايضا ترغيبهم في الاديان الباطلة كاليهودية
والنصرانية **وعنه** ايضا اقدامهم على قتل الاولاد قال الحسن وقتادة ما
مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوهم غير صبغة الاسلام وقال مجاهد عدم التسمية
عند الجماع فالجان اذ ذاك ينطوي على احليله فيجامع معه **وقيل** ترغيبهم في القتال
والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش والاولى انه كل تصرف في الولد يؤدي
الى ارتكاب منكر وقبيح **واما** وعده فهو الوعد الكاذب كوعدهم ان لا بعث
وهذه مشاركة في النفوس وقال الزمخشري ووعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة
الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا
حمما وايثار العاجل على الآجل انتهى وهو جار على مذهب المعتزلة في انه لا تغفر
الذنوب بدون التوبة وبانه لا شفاعة في الكبائر وبانه لا يخرج من النار ابدا
من دخلها من فاسق مؤمن وانتصب غرورا وهو مصدر على انه وصف لمصدر محذوف
اي وعدا غرورا على الوجوه التي في رجل صوم ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله اي وما
يعدكم ويمنيكم ما لا يتم ولا يقع الا لان يغركم والاضافة اليه تعالى في ان عبادي
اضافة تشريف والمعنى المختصين بكونهم عبادي لا يضافون الى غيري كما قال
في مقابلهم اولياؤهم الطاغوت واولياء الشيطان **وقيل** ثم صفة محذوفة
اي ان عبادي الصالحين ونفي السلطان وهو الحجة والاقتدار على اغوائهم عن
الايمان ويدل على حذف الصفة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقال
الجبائي عبادي عام في المكلفين ولذلك استثنى منه في آي من يتبعه في قوله الا
من اتبعك من الغاوين واستدل بهذا على انه لا سبيل له ولا قدرة على تخليط العقل
وانما قدرته على الوسوسة ولو كان له قدرة على ذلك لخبط العلماء ليكون ضرره
اتم ومعنى وكيلا حافظا لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان

قوله عز وجل ربكم الذي يزجي

او وكيلا يكلون امورهم اليه فهو حافظهم يتوكلهم عليه ٥ ربكم الذي يزجي لكم الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ٭ واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ٭ افامنتم ان يخسف بكم
جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ٭ ام امنتم ان يعيدكم فيه
تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا ٭ لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم الهتهم وانها تضر وتنفع واتبع
ذلك بقصة ابليس مع ادم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من افعاله
على وحدانيته وانه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم
بحرا وبرا وانه تعالى متمكن بقدرته مما يريد والازجاء للفلك سوقه من مكان الى
مكان بالريح اللينة والمجاديف وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب
التجارة او الحج فيه او الغزو والضر في البحر الخوف من الغرق والاضطراب وعصف
الريح ومعنى ضل ذهب عن اوهامكم من تدعونه الها فيشفع او ينفع او ضل من تعبدونه
الا الله وحده فتفردونه اذ ذاك بالالتجاء اليه والاعتقاد انه لا يكشف الضر
الا هو ولا يرجون لكشف الضر غيره ثم ذكر حالهم اذا كشف عنهم من اعراضهم
عنه وكفرانهم نعمة انجائهم من الغرق وجاءت صفة كفورا دالة على المبالغة ثم لم
يخاطبهم بذلك بل اسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل
احد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله وقال الزجاج المراد بالانسان الكفار والظاهر
ان الا اياه استثناء منقطع لانه لم يندرج في قوله من تدعون اذ المعنى ضلت الهتهم
اي معبوداتهم وهم لا يعبدون الله وقيل هو استثناء متصل وهذا على معنى
ضل من يلجؤون اليه وهم كانوا يلجؤون في بعض امورهم الى معبوداتهم وفي هذه
الحالة لا يلجؤون الا الى الله والهمزة في افامنتم للانكار قال الزمخشري والفاء
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم انتهى ولنقدم لنا الكلام معه
في دعواه ان الفاء والواو في مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف
العطف وان مذهب الجماعة ان لا محذوف هناك وان الفاء والواو للعطف على ما
قبلها وانه اعتني بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التاخير
وان التقدير فامنتم وقد رجع الزمخشري الى مذهب الجماعة والخطاب للسابق ذكرهم
اي افامنتم ايها الناجون المعرضون عن صنع الله الذي نجاكم وانتصب جانبا على المفعول
به بيخسف كقوله فخسفنا به وبداره الارض والمعنى ان نغيره بكم فتهلكون بذلك
وقال الزمخشري ان نقلبه وانتم عليه وقال الحوفي جانب البر منصوب على الظرف
ولما كان الخسف تغييبا في التراب قال جانب البر وبكم حال اي يخسف جانب البر مصحوبا
بكم وقيل الباء للسبب اي بسببكم ويكون المعنى جانب البر الذي انتم فيه فيحصل
بخسفه اهلاككم والا فلا يلزم من خسف جانب البر تحقيبهم بسببهم اهلاككم
قال قتادة الحاصب الحجارة وقال السدي رام يرميكم بحجارة من سجيل والمعنى
ان قدرته تعالى بالغة فان كان نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تامنوا هلاككم
اذا كنتم في البر اما بامر يكون من تحتكم وهو تغويره الارض بكم او من فوقكم بارسال

حاصب عليكم وهذه الغاية في تمكن القدرة ثم لا تجدوا عند حلول هذين بكم من تكلون
اموركم اليه فيتوكل في صرف ذلك عنكم وام في ام امنتم منقطعة تقدر ببل والهمزة
اي بل امنتم والضمير في فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف اي وقتا غير
الوقت الاول والباء في بما كفرتم سببية وما مصدرية اي بسبب كفركم السابق
منكم او الوقت الاول الذي نجاكم فيه او بسبب كفركم الذي هو دابكم دائما والضمير
في به عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم اذ هو اقرب مذكور وهو نتيجة الارسال
وقيل عائد على الارسال وقيل عليهما فيكون كاسم الاشارة والمعنى بما وقع من
الارسال والاغراق والتبيع قال ابن عباس النصير وقال القرطبي الثائر
وقال ابو عبيدة المطالب وقال الزجاج من يتبع بالانكار ما نزل بكم ونظيره قوله
تعالى فسواها ولا يخاف عقباها وفي الحديث اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع ٭
وقال الشماخ ٥ كما لاذ الغريم من التبيع ٥ ويقال
فلان على فلان تبيع اي مسيطر بحقه مطالب به وانشد ابن عطية
٥ غدوا وغدت غزلانهم فكانها ٭ ضوامن غرم لزهن تبيع ٥
اي مطالب بحقه وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف او نرسل وان نعيدكم فنرسل
فنغرقكم خمستها بالنون وباقي السبعة بالياء الغيبة ومجاهد وابو جعفر فتغرقكم بالتاء
للخطاب مسندا الى الريح والحسن وابو رجاء فيغرقكم بالياء الغيبة وفتح الغين وشد الراء
عداه بالتضعيف والمقري لابي جعفر كذلك الا انه بتاء الخطاب وحميد بالنون
واسكان الغين وادغام القاف في الكاف ورويت عن ابي عمرو وابن محيصن
وقرا الجمهور من الريح بالافراد وابو جعفر من الرياح جمعا ٥ ولقد كرمنا بني ادم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا ٭ يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون
كتابهم ولا يظلمون فتيلا ٭ ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل
سبيلا ٭ لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن نجاتهم
من الغرق تمم ذكر المنة بذكر تكرمتهم ورزقهم وتفضيلهم اولما هددهم بما هدد
من الخسف والغرق وانهم كفروا نعمته ذكر ما انعم به عليهم ليتذكروا فيشكروا
نعمه ويقلعوا عما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى وفي ذكر النعم وتعدادها
هز لشكرها وكرمنا معدى بالتضعيف من كرم اي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف
والمحاسن الجمة كما تقول ثوب كريم وفرس كريم اي جامع للمحاسن وليس من كرم المال
وما جاء عن اهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم باشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل
لا على الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس ان التفضيل بالعقل وعن الضحاك بالنطق
وعن عطا بتعديل القامة وامتدادها وعن زيد بن اسلم بالمطاعم واللذات وعن
يمان بحسن الصورة وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلاة والسلام منهم وعن ابن جرير
بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له وقيل بالخط وقيل باللحية للرجل
والذوائب للمراة وعن ابن عباس باكله بيده وغيره بفمه وقيل بتدبير المعاش والمعاد
وقيل بخلق الله ادم بيده قاله ابن عطية وقد ذكر ان من الحيوان ما يفضل نوع ما

قوله عز وجل ولقد كرمنا

ابن آدم كحوى الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك قال
وانما التكريم والتفضيل بالعقل الذي به يملك الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه
ويوصل الى نعيمه انتهى وحملناهم في البر والبحر وهذا ايضا من تكريمهم قال ابن عباس
في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن **وقال** غيره على
اكباد رطبة واعواد يابسة والطيبات كما تقدم الحلال او المستلذ ولا يتسع غيره
من الحيوان في الرزق اتساعه لانه يكتسب المال ويلبس الثياب ويأكل المركب من الاطعمة
بخلاف الحيوان فانه لا يكتسب ولا يلبس ولا يأكل غالبا الا لحما نيا وطعاما غير مركب
والظاهر ان كثيرا باق على حقيقته فقالت طائفة فضلوا على الخلائق كلهم غير جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم وهذا عن ابن عباس **وعنه** ان الانسان
ليس افضل من الملك وهو اختيار الزجاج **وقال** ابن عطية والحيوان والجن هو الكثير
المفضول والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول وقالت فرقة الاية تقتضي
تفضيل الملائكة على الانس من حيث هم المستثنون **وقد قال** تعالى ولا الملائكة
المقربون وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل بين الانس والجن لم يعن له الاية بل
يحتمل ان الملائكة افضل **ويحتمل** التساوي وانما يصح تفضيل الملائكة من
مواضع اخر من الشرع انتهى وقال الزمخشري على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة
صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم
عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم
المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك **ثم** ذكر تشنيعا افذع فيه
يوقف عليه من كتابه **وقيل** وفضلناهم على كثير بالغلبة والاستيلاء **وقيل**
بالثواب والجزاء يوم القيامة وعلى هذين القولين لم تتعرض الاية للتفضيل المختلف
فيه بين الانس والملائكة **وقيل** المراد بكثير مجاز وهو اطلاقه على الجميع
والعرب تفعل ذلك وهذا القول لا ينبغي ان يقال هنا لانك لو جعلت جميعا
مكان كثير فقلت على جميع ممن خلقنا لكان نابيا عن الفصاحة ولا يليق ان يحمل كلام الله
الذي هو افصح الكلام عليه **ولابي** عبد الله الرازي كلام في تكريم بني آدم وتفضيله
مستمد من كلام الذين يسميهم حكما ويوقف عليه في تفسيره اذ هو خارج عن طريقة
العرب في كلامها **ولما** ذكر تعالى انواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر
شيئا من احوال الاخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم **واختلفوا** في العامل
في يوم فقيل العامل فيه ما دل عليه قوله متى هو وقيل فتستجيبون وقيل هو بدل
من يوم يدعوكم وهذه اقوال في غاية الضعف ولولا انهم ذكروها لضربت عن ذكرها
صفحا وفي هذه الاقوال ظرف وقال الحوفي وابن عطية انتصب على الظرف
والعامل فيه اذكر وعلى تقدير اذكر لا يكون ظرفا بل هو مفعول به وقال ابن عطية
ايضا بعد قوله هو ظرف والعامل فيه اذكر او فعل يدل عليه قوله ولا يظلمون
وحكاه ابو البقاء وقدره ولا يظلمون يوم ندعو وقال ابن عطية ايضا ويصح ان
يعمل فيه وفضلناهم وذلك ان فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان
بين لانهم المنعمون المكلفون المحاسبون الذين لهم العذاب الا ان هذا يرده

ان الكفار

ان الكفار يومئذ اخسر من كل حيوان اذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابن عطية
ايضا ويصح ان يكون يوم منصوبا على البناء لما اضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا
بالابتداء والخبر في التقسيم الذي اتى بعد في قوله فمن اوتي كتابه الى قوله ومن كان انتهى
وقوله منصوبا على البناء كان ينبغي ان يقول مبنيا على الفتح وقوله لما اضيف الى غير متمكن
ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا اضيف الى فعل
مضارع ومذهب البصريين انه اذا اضيف الى فعل مضارع معرب لا يجوز بناؤه فهذا
الوجه الذي ذكره هو على راي الكوفيين واما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار
عن رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدا الا ان قدر محذوفا فقد يمكن اي فمن اوتي
كتابه بيمينه منهم وهو بعد ذلك تخريج متكلف وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم
على تقدير وفضلناهم بالثواب وهذا القول قريب من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه
قبل وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجد لك وقال الفراء هو معمول لقوله
نعيدكم مضمرة اي نعيدكم يوم ندعو والاقرب من هذه الاقوال ان يكون منصوبا على المفعول
به باذكر مضمرة **وقرأ** الجمهور ندعو بنون العظمة ومجاهد يدعو بياء الغيبة اي يدعو الله
والحسن فيما ذكر ابو عمرو الداني يدعى مبنيا للمفعول كل مرفوع به وفيما ذكر غيره
يدعو بالواو وخرج على ابدال الالف واوا على لغة من يقول افعو في الوقف على افعى
واجراء الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع به وعلى ان تكون الواو ضميرا مفعولا لم
يسم فاعله واصله يدعون فحذفت النون كما حذفت في قوله

ابيت اسري وتبيتي تدلكي ... وجهك بالعنبر والمسك الذكي

اي تبيتين تدلكين وكل بدل من الواو والضمير واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والباء
في بامامهم الظاهر انها تتعلق بندعو اي باسم امامهم وقيل هي باء الحال اي مصحوبين
بامامهم والامام هنا قال ابن عباس والحسن وابو العالية والربيع كتابهم الذي
فيه اعمالهم وقال الضحاك وابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم وقال مجاهد وقتادة
نبيهم وقال ابن عطية والامام يعم هذا كله لانه مما يؤتم به وقال الزمخشري
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان
يا اهل دين كذا او كتاب كذا **وقيل** بكتاب اعمالهم يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب
كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس
يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق
عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع
اصحة لفظه ام بهاء حكمته انتهى واتيان الكتاب دليل على ما تقرر في الشريعة من
الصحف التي يؤتاها المؤمن والكافر واتيانه باليمين دليل على نجاة الطائع وخلاص
الفاسق من النار ان دخلها وبشارته انه لا يخلد فيها فاولئك جاء جمعا على معنى من اذ
قد حمل على اللفظ اولا فافرد في قوله اوتي كتابه بيمينه وقراءتهم كتبهم هو على سبيل
التلذذ بالاطلاع على ما تضمنته من البشارة والا فقد علموا من حيث ايتاؤهم اياها
باليمين انهم من اهل السعادة ومن فرحهم بذلك يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم
اقرؤا كتابيه ولم يأت هنا قسيم من اوتي كتابه بيمينه وهو من يؤتى كتابه بشماله

وان كان قد اوتي في غير هذه الاية بالحجاء تقسيمه قوله ومن كان في هذه اعمى وذلك من حيث المعنى مقابلة لان من اوتي كتابه بيمينه هم اهل السعادة ومن كان في هذه اعمى هم اهل الشقاوة ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون ادنى شيء وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء والظاهر ان الاشارة بقوله في هذه الى الدنيا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات الله وعبره والايمان بانبيائه فهو في الاخرة اعمى اما ان يكون على حذف مضاف اي في شان الاخرة واما ان يكون فهو يوم القيامة اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح وقال مجاهد هو اعمى في الاخرة عن حججه وقال ابن عباس ايضا ومن كان في هذه النعم يشير الى نعم التكريم والتفضيل فهو في الاخرة التي لم تر ولم تعاين اعمى وقيل ومن كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل وفي الدنيا يهتدي الى التخلص من الافات وفي الاخرة لا يهتدي الى ذلك البتة وقيل فهو في الاخرة اعمى عن طريق الجنة وقيل اعمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقيل من كان في الدنيا اعمى عن ابصار الحق والاعتبار فهو في الاخرة اعمى عن الاعتذار وقال ابن عطية والظاهر عندي ان الاشارة بهذه الى الدنيا اي من كان في دنياه هذه وقت ادراكه وفهمه اعمى عن النظر في ايات الله فهو في يوم القيمة اشد حيرة واعمى لانه قد باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب وبهذا التاويل تكون معادلة التي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه واذا جعلنا قوله في الاخرة بمعنى في شان الاخرة لم تطرد المعادلة بين الايتين وقال الزمخشري والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة انتهى وتعليله ترك امالة اعمى الثاني اخذه الزمخشري من ابي علي قال ابو علي لان الامالة انما تحسن في الاواخر واعمى ليس كذلك لان تقديره اعمى من كذا فليس يتم الا في قولنا من كذا فهو اذن ليس باخر ويقوي هذا التاويل عطف واضل سبيلا لان الانسان في الدنيا يمكنه ان يؤمن فينجو وهو في الاخرة لا يمكنه ذلك فهو اضل سبيلا واشد حيرة واقرب الى العذاب واعمى هنا من عمى القلب لا من عمى البصر لان ذلك يقع فيه التفاضل لا هذا ○ وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ● ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ● اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ● وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ● سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ● الضمير في وان كادوا قيل لقريش

قوله عز وجل وان كادوا

وقيل

وقيل لثقيف وذكروا اسباب نزول مختلفة وفي بعضها ما لا يصح نسبته الى الرسول ويوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير وغير ذلك ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما عدد نعمه على بني ادم ثم ذكر حالهم في الاخرة من ايتاء الكتاب باليمين لاهل السعادة ومن عمي اهل الشقاوة اتبع ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد اهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك في ظنهم لا انهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم عليه السلام ان يقاربوا فتنته عما اوحى الله اليه وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم ان يفتري على الله غير ما اوحى الله اليه من تبديل الوعد وعيدا او الوعيد وعدا وما اقترحه ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه وان هذه هي المخففة من الثقيلة وليتها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من افعال المقاربة وانما يدخل على مذهب البصريين من الافعال على النواسخ التي للاثبات على ما تقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا حرف جواب وجزاء ويقدر قسم هنا يكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله اذا اي ان فتنت لافتريت لاتخذوك ولاتخذوك في معنى ليتخذونك كقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي ليظلن لان اذا تقتضي الاستقبال لانها من حيث المعنى جزاء فعذر موضعها باداة الشرط وقال الزمخشري واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي انتهى وهو تفسير معنى لان لاتخذوك جواب لو محذوفة قال الزمخشري ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت انتهى وجواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الركون لم يقع منه فضلا عن الركون والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله وقرا قتادة وابن ابي اسحاق وابن مصرف تركن بضم الكاف مضارع ركن بفتحها وانتصب شيئا على المصدر وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب

الجوع وضعف عذاب الممات على معنى انما يستحقه من اذنب من عقوبتنا في الدنيا
والاخرة كنا نضعفه وذهب ابن الانباري الى ان المعنى لقد كاد ان يخبروا عنك انك
ركنت الى قولهم بسبب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك
اي كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت وقال ابن عباس كان الرسول معصوما
ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين في شيء من احكام الله وشرايعه
انتهى واللام في لاذقناك جواب قسم محذوف فيلزم اذا اي والله ان حصل ركون
ليكونن كذا واللام في لاذقناك كاللام في لاتخذوك من وقوع الماضي موقع المضارع
الداخل عليه اللام والنون وممن نص على ان اللام في لاتخذوك ولاذقناك
هي لام القسم الحوفي وقال الزمخشري وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم
قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته انتهى ومن ذلك يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة الاية قال الزمخشري وفيه ان ادنى مداهنة للغواة
مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله انتهى وروي انه لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين قال الحضرمي
الضمير في وان كادوا ليهود المدينة وناحيتها كحيي بن اخطب وغيره وذلك انهم
ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه الارض ليست بارض
الانبيا وانما ارض الانبيا الشام ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها
فان الله سيحميك كما حمى غيرك من الانبيا فنزلت واخبر تعالى انه لو خرج لم يلبثهم بعد
الا قليلا وحكى النقاش انه خرج بسبب قولهم وعسكر بذي الحليفة واقام ينتظر
اصحابه فنزلت فرجع قال ابن عطية وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه وذو
الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة انتهى وقالت فرقة الضمير لقريش قال ابن عباس
وقتادة واستفزازهم هو ما ذهبوا اليه من اخراجه من مكة كما ذهبوا الى حصره في الشعب
ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الاية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه الى الغار ونفذ
عليهم الوعيد في ان لم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال الزجاج حاكيا ان استفزازهم
ما اجمعوا عليه في دار الندوة من قتله والارض على هذا الدنيا وقال مجاهد ذهبت
قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد تعالى استبقا قريش وان لا يستاصلها
اذن لرسوله في الهجرة فخرج باذنه لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها
ومن اعقابها من اسلم قال ولو اخرجته قريش لعذبوا ذهب مجاهد الى ان الضمير في يلبثون
لجميعهم وقال الحسن ليستفزونك ليقتلونك وقال ابن عيسى ليزعجونك
ويستخفونك **وانشد**

• يطيع سفيه القوم اذ يستفزه ويعصي حليما شيبته الهزاهز •

والظاهر ان الاية تدل على مقاربة استفزازه لان يخرجوه فما وقع الاستفزاز ولا اخراجهم
اياه المعلل به الاستفزاز بل خرج كما في القران وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك اهلكناهم وفي الحديث يا ليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال
او مخرجي هم الحديث فدل ذلك على انهم اخرجوه لكن الاخراج الذي هو علة للاستفزاز

لم يقع

لم يقع فلا تعارض بين الايتين والحديث وقال ابو عبد الله الرازي ما خرج بسبب اخراجهم
وانما خرج بامر الله فزال التناقض انتهى ولا يلبثون جواب قسم محذوف اي والله ان
استفزوك فخرجت لا يلبثون ولذلك لم تعمل اذا لانها توسطت بين قسم مقدر والفعل فالا يلبثون
ليست منصبة عليه من جهة الاعراب ويحتمل ان تكون لا يلبثون خبرا لمبتدا محذوف يدل
عليه المعنى تقديره وهم اذا لا يلبثون فوقعت اذا بين المبتدا وخبره فالغيت **وقرا** ابي
واذا لا يلبثوا بحذف النون اعمل اذا فنصب به على قول الجمهور وبان مضمرة بعدها على
قول بعضهم وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون قال الزمخشري **فان قلت**
ما وجه القراتين **قلت** اما الشايعة فقد عطفت فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم **واما** قراة ابي ففيها الجملة براسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على
جملة قوله وان كادوا ليستفزونك انتهى **وقرا** عطا لا يلبثون بضم اليا وفتح اللام والبا
مشددة **وقرا** يعقوب كذلك الا انه كسر البا **وقرا** الاخوان وابن عباس وحفص خلافك
وباقي السبعة خلفك والمعنى واحد **قال الشاعر**

• عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا •

وهذا كقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله اي خلف رسول الله في احد القولين
وقرا عطا بن ابي رباح بعدك مكان خلفك والاحسن ان يجعل تفسيرا لخلفك لا قراة
لانها تخالف سواد المصحف فاراد ان يبين ان خلفك هنا ليست ظرف مكان وانما
تجوز فيها فاستعملت ظرف زمان بمعنى بعدك وهذه الظروف التي هي قبل وبعد ونحوها
اطرد اضافتها الى اسما الاعيان على حذف مضاف يدل عليه ما قبله في نحو خلفك
اي خلف اخراجك وجا زيد قبل عمرو اي قبل مجي عمرو وضحك بكر بعد خالد اي بعد ضحك
خالد وانتصب سنة على المصدر المؤكد اي سن الله سنة والمعنى ان كل قوم اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم بعد اخراجه ويستاصلهم ولا يبقون
بعده الا قليلا وقال الفرا انتصب سنة على اسقاط الخافض لان المعنى كسنة فنصب
بعد حذف الكاف وعلى هذا لا يقف على قوله الا قليلا وقال ابو البقا سنة منصوب
على المصدر اي سننا بك سنة من تقدم من الانبيا ويجوز ان يكون مفعولا به اي اتبع سنة
من قد ارسلنا كما قال تعالى فبهداهم اقتده انتهى وهذا معنى غير الاول والاول المعترض على
الاول وهو المناسب لمعنى الاية قبلها ولن تجد لما اجريناه العادة تحويلا منه الى
غيره اذ لكل حادث له وقت معين وصفة معينة ونفي الوجدان هنا وفي ما اشبهه
معناه نفي الوجود الدلوك الغروب قاله الفرا وابن قتيبة واستدل الفرا
بقول الشاعر

• هذا مقام قدمي رباح غدوة حتى دلكت براح •

اي حتى غابت الشمس وبراح اسم الشمس وانشد ابن قتيبة **لذي الرمة**

• مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك •

وقيل الدلوك زوال الشمس نصف النهار واشتقاقه من الدلك لان الانسان
تدلك عينه عند النظر اليها وقيل الدلوك من وقت الزوال الى الغروب **الغسق** سواد
الليل وظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين وقال

عه

يلبثوا

يلاث

النضر بن شميل غسق الليل دخول أوله ۝ **قال الشاعر**
إن هذا الليل قد غسقا • واشتكيت الهم والأرقا •
وأصله من السيلان غسقت العين تغسق هملت بالماء والغاسق السائل وذلك أن الظلمة تنصب على العالم

قال الشاعر ۝
• ظلت تجود يداها وهي لاهية • حتى إذا جنح الإظلام والغسق ۝
وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال دخول الليل بظلمته ويقال غسقت العين امتلأت دمًا وحكى الفراء غسق الليل وأغسق وظلم وأظلم ودجى وأدجى وغبش وأغبش ۝ أبو عبيدة المتهجد النائم والمصلي وقال ابن الأعرابي هجد الرجل صلى من الليل وهجد نام بالليل وقال الليث تهجد استيقظ للصلاة وقال ابن برزخ هجدته أيقظته وعلى ما ذكروا يكون من الأضداد والمعروف في كلام العرب أن الهاجد النائم وقد هجد هجودًا نام **قال الشاعر** ۝
• ألا زارت وأهل منى هجود • وليت خيالها بمنى يعود ۝
وقال آخر ألا طرقتنا والرفاق رقود ۝
وقال آخر وبرك هجود قد أثارت مخافتي ۝
زهقت نفسه تزهق زهوقًا ذهبت وزهق الباطل زال واضمحل ولم يثبت ۝
قال الشاعر
• ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها إقدامه مزالة لم يزهق
الشاكلة الطريقة والمذهب الذي جبل عليه قال الفراء وهو مأخوذ من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي والشكل المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة يقال جارية حسنة الشكل **الينبوع** مفعول من النبع وهو عين نفور بالماء **الكسف** القطع واحدها كسفة تقول العرب كسفت الثوب ونحوه قطعته وما زعم الزجاج من أن كسف بمعنى غطى ليس بمعروف في دواوين اللغة **الرقي** والرقي الصعود يقال رقيت في السلم أرقى **قال الشاعر**
• أنت الذي كلفتني رقي الدرج • على الكلال والمشيب والعرج •
خبت النار تخبو سكن لهيبها وخمدت سكن جمرها وضعف وهمدت طفئت جملة
قال الشاعر
• أمن زينب ذي النار قبيل الصبح ما تخبو • إذا ما أخمدت ألقي عليها المندل الرطب
وقال آخر وسطه كاليراع أو سرج المجدل طورًا يخبو وطورًا ينير •
الثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورًا أهلكه **وقال ابن الزبعرى**
• إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
اللفيف الجماعات من قبائل شتى مختلطة قد لف بعضهم ببعض وقال بعض اللغويين هو من أسماء الجموع لا واحد له من لفظه وقال الطبري هو بمعنى المصدر كقولك لفيته لفًا ولفيفًا **المكث** التطاول في المدة يقال مكث ومكث أطال الإقامة
الأذقان مجتمع اللحيين **قال الشاعر**
• فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم سباع من الطير العوادي وتنتف •

قوله عز وجل أقم الصلاة

خافت بالكلام أسرّ بحيث لا يكاد يسمعه المتكلم وضربه حتى خفت أي لا يسمع له حس
۝ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا • وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا • وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ۝ ومناسبة أقم الصلوة لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر كيدهم للرسول وما كانوا يرمونه به أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم من الغول في الإلهيات والمعاد والنبوات فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان وهي الصلاة وتقدم الكلام في إقامة الصلاة والمواجه بالأمر الرسول عليه السلام واللام في لدلوك قالوا بمعنى بعد أي بعد دلوك الشمس كما قالوا ذلك في قول **متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكًا**
۝ فلما تفرقنا كأني ومالكًا لطول اجتماع لم نبت ليلة معًا •
أي بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلاث خلون من شهر كذا وقال الواحدي اللام للسبب لأنها إنما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس قال ابن عطية أقم الصلوة الآية هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر وغسق الليل إشارة إلى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات ۝ وروي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم دلوك الشمس غروبها والإشارة بذلك إلى المغرب وغسق الليل ظلمته فالإشارة إلى العتمة وقرآن الفجر صلاة الصبح ولم تقع الإشارة على هذا التأويل إلى الظهر والعصر انتهى وعن علي أنه الغروب وتعلق اللام وإلى بأقم تكون إلى غاية للإقامة وأجاز أبو البقاء أن تكون حالًا من الصلوة قال أي ممدودة وتعني بقرآن الفجر صلاة الصبح وخصت بالقرآن وهو القراءة لأنه عظمها إذ قراءتها طويلة مجهور بها وانتصب وقرآن عطفًا على الصلاة ۝ وقال الأخفش انتصب بإضمار فعل تقديره وآثر قرآن الفجر أو وعليك قرآن الفجر انتهى وسميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها وقال الزمخشري سميت صلاة الفجر قرآنًا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعًا وسجودًا وقنوتًا وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن انتهى **وقيل** إذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركًا بين الظهر والعصر إذ غيّيت الإقامة بغسق الليل ويكون الغسق وقتًا مشتركًا بين المغرب والعشاء ويكون المذكور ثلاثة أوقات أول وقت الزوال وأول وقت المغرب وأول وقت الفجر انتهى والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أمر بإقامة الصلوة إما من أول الزوال إلى الغسق وبقرآن الفجر وإما من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور به الصلوة في وقتين ولا تؤخذ أوقات

الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه وقال أبو عبد الله الرازي في قوله وقرآن
الفجر دلالة على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب ولا قراءة في ذلك
الوقت واجبة إلا في الصلاة ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط لأنه
صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل ولأن في نسق التلاوة ومن الليل فتهجد
به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلاً والهاء في به كناية عن قرآن الفجر
المذكور قبله فثبت أن المراد حقيقة القرآن لإمكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة
الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر وعلى أنه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا
لكانت دلالة قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لم يجعل القراءة عبارة عن الصلاة
إلا وهي من أركانها انتهى وفيه بعض تلخيص والظاهر ندبية إيقاع صلاة الصبح في
أول الوقت لأنه مأمور بإيقاع قرآن الفجر فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الصبح
لكن الإجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية فإذا انتفى وجوبه بقي ندبه
وأعاد وقرآن الفجر في قوله إن قرآن الفجر ولم يأت مضمراً فيكون أنه على سبيل التعظيم
والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهوداً تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار
كما جاء في الحديث أنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر وهذا قول
الجمهور **وقيل** يشهده الكثير من المصلين في العادة **وقيل** من حقه أن تشهده
الجماعة الكثيرة قال الزمخشري ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثاً على طول القراءة في صلاة
الفجر لكونها مكثوراً عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول
الصلوات قراءة انتهى ويعني بقوله حثاً أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم
وقال محمد بن سهل بن عسكر مشهوداً يشهده الله وملائكته وذكر حديث أبي الدرداء
أنه تعالى ينزل في آخر الليل ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله مشهوداً على عادته
في تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب والذي ينبغي بل لا يعدل إلى غيره ما فسره
به الرسول عليه السلام من قوله فيه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال
فيه الترمذي حديث حسن صحيح **ولما أمره** تعالى بإقامة الصلاة للوقت المذكور
ولم يدل أمره تعالى إياه على اختصاصه بذلك دون أمته ذكر ما اختصه به تعالى
وأوجبه عليه من قيام الليل وهو في أمته تطوع فقال ومن الليل فتهجد به أي بالقرآن
في الصلاة نافلة زيادة مخصوصاً بها أنت وتهجد هنا تفعل بمعنى الإزالة والترك
كقولهم تأثم وتحنث ترك الإثم وترك الحنث ومنه يتحنث بغار حراء أي يترك الحنث
وشرح بلازمه وهو التعبد ومن للتبعيض وقال الحوفي من متعلقة بفعل دل عليه معنى
الكلام تقديره واسهر من الليل بالقرآن قال ويجوز أن يكون التقدير وقم بعد نومة من
الليل وقال ابن عطية ومن للتبعيض التقدير ووقتاً من الليل أي وقم وقتاً من الليل
وقال الزمخشري ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود
للصلاة انتهى فإن كان تفسيره وعليك بعض الليل تفسير معنى فيقرب وإن كان
أراد صناعة النحو والإعراب فلا يصح لأن المغرى به لا يكون حرفاً وتقديره ببعض فيه
مسامحة لأنه ليس بمرادفه البتة إذ لو كان مرادفه للزم أن يكون اسماً ولا قائل بذلك
ألا ترى إجماع النحويين على أن واو مع حرف وإن قدرت بمع والظاهر أن الضمير

في به يعود على القرآن لتقدمه في الذكر ولا تلحظ الإضافة فيه والتقدير فتهجد
بالقرآن في الصلاة وقال ابن عطية والضمير في به عائد على وقت المقدر في وقم وقتاً
من الليل انتهى فتكون الباء ظرفية أي فتهجد فيه وانتصب نافلة قال الحوفي على
المصدر أي نفلناك ذلك نافلة قال ويجوز أن تنتصب نافلة بتهجد إذا ذهبت
بذلك إلى معنى صل به نافلة أي صل نافلة لك وقال أبو البقاء فيه وجهان أحدهما
هو مصدر بمعنى تهجد أي تنفل نفلاً ونافلة هنا مصدر كالعاقبة والثاني هو حال
أي صلاة نافلة انتهى وهو حال من الضمير في به ويكون عائداً على القرآن لا على وقت
الذي قدره ابن عطية وقال الأسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الأسود والحجاج بن عمرو
التهجد بعد نومة وقال الحسن ما كان بعد العشاء الآخرة وقال ابن عباس نافلة
زيادة لك في الفرض وكان قيام الليل فرضاً عليه وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون
على جهة الندب في التنفل والخطاب له والمراد هو وأمته كخطابه في أقم الصلاة
وقال مجاهد والسدي إنما هي نافلة له لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام
الحديبية فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل وقرباً أشرف من نوافل
أمته لأن هذه أعني نوافل أمته إما أن يجبر بها فرائضهم وإما أن يحط بها خطيئاتهم
وضعف الطبري قول مجاهد واستحسنه أبو عبد الله الرازي وقال مقاتل
فله كرامة وعطاء لك **وقيل** كانت فرضاً ثم رخص في تركها ومن حديث زيد بن خالد
الجهني رمق صلاة النبي عليه السلام ليلة فصلى بالوتر ثلاث عشرة ركعة **وعن** عائشة أنه
ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة وعسى مدلولها في المحبوبات
الترجي فقيل هي على بابها في الترجي تقديره لتكون على رجاء أن يبعثك وقيل هي بمعنى
كي وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى والأجود أن تكون الترجية والإطماع بمعنى الوجوب
من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها أن يبعثك
وربك فاعل يبعثك ومقاماً الظاهر أنه معمول ليبعثك هو مصدر من غير لفظ الفعل لأن
يبعثك بمعنى يقيمك تقول أقيم من قبره وبعث من قبره وقال ابن عطية منصوب على
الظرف أي في مقام محمود **وقيل** منصوب على الحال أي ذا مقام وقيل هو مصدر
لفعل محذوف التقدير فيقوم مقاماً ولا يجوز أن تكون عسى هنا ناقصة وتقدم الخبر
على الاسم فيكون ربك مرفوعاً اسم عسى وأن يبعثك الخبر في موضع نصب بها في هذا
الإعراب الأخير وأما في قبله فلا يجوز لأن مقاماً منصوب بيبعثك وربك مرفوع ب
عسى فلزم الفصل بأجنبي بين ما هو موصول وبين معموله وهو لا يجوز وفي تفسير المقام
المحمود أقوال **أحدها** أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه عليه السلام
والحديث في الصحيح وهذه عدة من الله تعالى له عليه السلام وفي هذه الشفاعة يحمده
أهل الجمع كلهم وفي دعائه المشهور وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واتفقوا
على أن المراد منه الشفاعة **الثاني** أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجه لمذنبهم
من النار وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار
وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وقد روي حديث هذه الشفاعة
وفي آخره حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال

نزلت هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا دعا انه يبرح انه عليه السلام
قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي فظاهر هذا الكلام تخصيص
شفاعته لامته وقد تاوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى التي يحمده بسببها
الخلق كلهم على ان المراد لامته وغيرهم او يقال ان كل مقام منهما محمود **الثالث**
عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك
واليك لا منجا ولا ملجا الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال
فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **الرابع** قال الزمخشري معنى المقام
المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب
الحمد من انواع الكرامات انتهى وهذا قول حسن ولذلك نكر مقاما محمودا فلم يتناول
مقاما مخصوصا بل كل مقام محمود صدق عليه اطلاق اللفظ **الخامس** ما قالت
فرقة منهم مجاهد وقد روي ايضا عن ابن عباس ان المقام المحمود هو ان يجلسه الله
معه على العرش وذكر الطبري في ذلك حديثا وذكر النقاش عن ابي داود السجستاني
انه قال من انكر هذا الحديث فانه عندنا متهم ما زال اهل العلم يحدثون بهذا قال ابن عطية
يعني من انكر جوازه على تاويله وقال ابو عمر ومجاهد ان كان احد الايمة بتاويل القران فان له
قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا والثاني في تاويل الى ربها ناظرة قال ينتظر
الثواب ليس من النظر وقد يؤول قوله معه على رفع محله وتشريفه على خلقه كقوله اذ الذين
عند ربك وقوله ابن لي عندك بيتا وان الله لمع المحسنين كل ذلك كناية عن المكانة لا عن
المكان وقال الواحدي هذا القول مروي عن ابن عباس وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح
مثله عن ابن عباس ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه **الاول** ان البعث ضد الاجلاس
بعثت التارك وبعث الله الميت اقامه من قبره فتفسيره البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد
الثاني لو كان جالسا تعالى على العرش لكان محدودا متناهيا فكان يكون محدثا **الثالث**
انه قال مقاما ولم يقل مقعدا محمودا والمقام موضع القيام لا موضع القعود **الرابع** ان
الحمقى والجهال يقولون ان اهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسالهم عن احوالهم الدنياوية
فلا مزية له باجلاسه معه **الخامس** انه اذا قيل بعث السلطان فلانا لا يفهم منه اجلسه
مع نفسه انتهى وفيه بعض تلخيص ولما امر تعالى باقامة الصلاة بالتهجد ووعده بعثه
مقاما محمودا وذلك في الاخرة امره بان يدعو بما يشمل اموره الدنياوية والاخراوية
فقال وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والظاهر انه عام في جميع موارده
ومصادره دنياوية واخراوية والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب
المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء وقال ابن عباس والحسن وقتادة
هو ادخال خاص وهو في المدينة واخراج خاص وهو من مكة فيكون المقدم في الذكر هو
المؤخر في الوقوع ومكان الواو هو الاهم فبدئ به وقال مجاهد وابو صالح ما معناه
ادخاله فيما حمله من اعباء النبوة واداء الشرع واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط
وقال الزمخشري ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من
السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط

يدل عليه ذكره على ذكر البعث ٥ وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
آمنا من المشركين وقال محمد بن المنكدر ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل الاخراج
من المدينة والادخال مكة بالفتح وقيل الادخال في الصلوة والاخراج منها
وقيل الادخال في الجنة والاخراج من مكة وقيل الادخال فيما امره والاخراج
مما نهاه عنه وقيل ادخلني في بحار دلايل التوحيد والتنزيه واخرجني من الاشتغال
بالدليل الى معرفة المدلول والتامل في اثار محدثاته الى الاستغراق في معرفة الاحد
الفرد وقال ابو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها
الاذل يعني ادخال عز واخراج نصر الى مكة والاحسن في هذه الاقوال ان يكون على سبيل
التمثيل لا التعيين ويكون اللفظ كما ذكرناه يتناول جميع الموارد والمصادر **وقرأ**
الجمهور مدخل ومخرج بضم ميميهما وهو جار قياسا على افعل مصدر نحو اكرمته مكرما
اي اكراما **وقرأ** قتادة وابو حيوة وحميد وابراهيم بن ابي عبلة بفتحهما وقال
صاحب اللوامح وهما مصدران من دخل وخرج لكنه جاء من معنى ادخلني واخرجني
المتقدمين دون لفظهما ومثلهما انبتكم من الارض نباتا ويجوز ان يكونا اسم المكان وانتصابهما
على الظرف ٥ وقال غيره منصوبان مصدرين على تقدير فعل اي ادخلني فادخل مدخل
صدق واخرجني فاخرج مخرج صدق والسلطان هنا قال الحسن التسليط على الكافرين
بالسيف وعلى المنافقين باقامة الحدود وقال قتادة ملكا عزيزا تنصرني به على
كل من ناواني وقال مجاهد حجة بينة وقيل كتابا يحوي الحدود والاحكام وقيل فتح
مكة وقيل في كل عصر سلطانا ينصر دينك ونصيرا مبالغة في ناصر وقيل فعيل
بمعنى مفعول اي منصورا وهذه الاقوال كلها محتملة لقوله سلطانا نصيرا وروي انه
تعالى وعده ذلك وانجزه له في حياته وتممه بعد وفاته قال قتادة والحق القرآن
والباطل الشيطان ٥ وقال ابن جريج الجهاد والباطل الشرك وقيل الايمان والكفر
وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وهذه الاية نزلت
بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام
وسقوطها لطعنه اياها بالمخصرة حسبما ذكر في السير وزهوقا صفة مبالغة في اضمحلاله
وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القران لابتداء الغاية وقيل للتبعيض قاله
الحوفي وانكر ذلك لاستلزامه ان بعضه لا شفاء فيه ورد هذا الانكار لان انزاله انما
هو مبعض وقيل لبيان الجنس قاله الزمخشري وابن عطية وابو البقا وقد ذكرنا
ان من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متاخرة عنه **وقرأ**
الجمهور وننزل بالنون ومجاهد بالياء خفيفة ورواها المروزي عن حفص **وقرأ**
زيد بن علي شفاء ورحمة بنصبهما ويتخرج النصب على الحال والخبر هو قوله للمؤمنين
والعامل فيه ما في الجار والمجرور من الفعل ونظيره قراءة من قرا والسموات مطويات
بيمينه بنصب مطويات **ومثله قول الشاعر**

٥ رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذار ٥

وتقديم الحال على العامل فيه من الظرف او المجرور لا يجوز الا عند الاخفش ومن منع
جعله منصوبا على اضمار اعني وشفاؤه كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب

ل

ن شفاوه

بهم المعجزات والأمور الدالة على الله المعترض لديه فصار لعلات القلوب كالشفاء
لعلات الأجسام وقيل شفاء بالرقى والعوذ كما جاء في حديث الذي رقي بالفاتحة
من لسعة العقرب واختلفوا في النشرة وهو أن يكتب شيء من أسماء الله تعالى أو من القرآن
ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض أو يسقاه فأجاز ذلك ابن المسيب ولم يره مجاهد وعن
عائشة كانت تقرأ المعوذتين في إناء ثم تأمر أن يصب على المريض وقال أبو عبد الله
المازري النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم سميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها
أي تحل ومنعها الحسن والنخعي وروى أبو داود من حديث جابر أن الرسول قال
وقد سئل عن النشرة هي من عمل الشيطان ويحمل ذلك على ما إذا كانت خارجة عن
ما في كتاب الله وسنة الرسول والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل
وقال مالك لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على
وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين وهذا معناه قبل أن
ينزل به شيء من العين أما بعد نزول البلاء فيجوز رجاء الفرج والبرء والمرض
كالرقى المباحة التي وردت السنة بها من العين وغيرها وقال ابن المسيب يجوز تعليق
العوذة في قصبة أو رقعة من كتاب الله ويضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص
الباقر في العوذة تعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشيء من القرآن
يعلقه الإنسان وخسار الظالمين هم الذين يضعون الشيء في غير موضعه
هو بإعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فإنه يزداد بالنظر فيه وتدبر معانيه
إيمانا ٥ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا
قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ٥ ويسألونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ٥ ولئن شئنا لنذهبن بالذي
أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ٥ إلا رحمة من ربك إن فضله كان
عليك كبيرا ٥ ولما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وزيادة
خسار للظالم عرض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان ومع ذلك
أعرض عنه وبعد بجانبه عنه استهزاء له وتكبرا عن قرب سماعه وتبديلا مكان شكر
الإنعام كفره وقرأ الجمهور ونأى من النأي وهو البعد وقرأ ابن عامر وناء وقيل هو
مقلوب نأى فمعناه بعد وقيل معناه نهض بجانبه وقال الشاعر ٥

حتى إذا ما التأمت مفاصله ٥ وناء في شق الشمال كاهله ٥

أي نهض متوكئا على شماله ومعنى يؤوسا قنوطا من أن ينعم الله عليه والظاهر أن
المراد بالإنسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس كقوله إن الإنسان
لربه لكنود إن الإنسان خلق هلوعا الآية وهو راجع لمعنى الكافر والإعراض
يكون بالوجه والنأي بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأى بجانبه الاستكبار
لأن ذلك من عادة المتكبرين والشاكلة قال ابن عباس ناحيته وقال مجاهد
طبيعته وقال الضحاك حدته وقال قتادة والحسن نيته وقال ابن زيد دينه
وقال مقاتل خليقته وهذه أقوال متقاربة وقال الزمخشري على مذهبه الذي
يشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعبت

قوله عز وجل وإذا أنعمنا

انظر استنباط الخلفاء الأربع رضي الله عنهم أجمعين

منه

منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أسد مذهبا وطريقة وعن
أبي بكر الصديق لم أر في القرآن أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل
بالرب إلا الغفران ٥ وعن عمر لم أر آية أرجى من التي فيها غافر الذنب وقابل التوب
قدم الغفران قبل قبول التوبة ٥ وعن عثمان لم أر آية أرجى من نبئ عبادي أني أنا
الغفور الرحيم ٥ وعن علي لم أر آية أرجى من يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية
قالوا ذلك حين تذاكروا القرآن ٥ وعن القرطبي لم أر آية أرجى من الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم وقال أبو عبد الله الرازي الأرواح والنفوس مختلفة بماهيتها
فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها
من القرآن ضلال ونكال انتهى وثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه قال إني مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود
فقال سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا
يا أبا القاسم ما تقول في الروح فسكت ثم ماج فأمسكت بيدي على جبهته فعرفت أنه
ينزل عليه فأنزل عليه ويسألونك عن الروح الآية وروي أن يهوديا قالوا لقريش سلوه
عن الروح وعن فتية فقدوا في أول الزمان وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها فإن أجاب
في ذلك كله أو لم يجب في شيء فهو كذاب وإن أجاب في بعض ذلك وسكت عن بعض فهو نبي
وفي بعض طرق هذا أن فسر الثلاثة فهو كذاب وإن سكت عن الروح فهو نبي فنزل في شأن
الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف ونزل في شأن الذي بلغ الشرق والغرب ويسألونك
عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسألونك والظاهر من حديث ابن مسعود أن الآية
مدنية ومن سؤال قريش أنها مكية والروح على قول الجمهور هنا الروح التي في الحيوان
وهو اسم جنس وهو الظاهر وقال قتادة هو جبريل قال وكان ابن عباس يكتمه
وقيل عيسى ابن مريم وعن علي أنه ملك وذكر من وصفه ما الله أعلم به ولا يصح عن علي وقيل
الروح القرآن ويدل عليه الآية قبله والآية بعده وقيل خلق عظيم روحاني
أعظم من الملك وقيل الروح جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام
ذكره العربوني وقال أبو صالح خلق كخلق بني آدم وليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل
ولا ينزل ملك من السماء إلا ومعه واحد منهم والصحيح من هذه الأقوال القول الأول
والظاهر أنهم سألوا عن ماهيته وحقيقته وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني
وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه إلا الله وقد رأيت
كتابا يترجم بكتاب النفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيه أن الجواب
في قوله قل الروح من أمر ربي إنما هو للعوام وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح
وأجمع علماء الإسلام إلى أنها قديمة واختلاف الناس في الروح بلغ إلى سبعين قولا
وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم هي غيرها ومعنى من أمر ربي أي فعل ربي كونها
بأمره وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى وما أمر
فرعون برشيد أي فعله ويحتمل أن يكون أمر واحد الأمور وهو اسم جنس لها أي من جملة
أمور الله التي استأثر بعلمها وقيل من وحي ربي كلامه ليس من كلام البشر ويتخرج
على قول من قال إن الروح هنا القرآن وقيل من علم ربي والظاهر أن الخطاب

ليست

في وما أوتيتم هو للذين سألوا عن الروح وهم طائفة من اليهود وقيل اليهود بجملتهم وقيل الناس كلهم قاله ابن عطية وهذا هو الصحيح لأن قوله قل الروح انما هو امر بالقول لجميع العالم اذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى وقرأ عبد الله بن مسعود والأعمش وما أوتوا بضمير الغيبة عائدا على السائلين ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله شفاء ورحمة وقدرته على ذلك ذكر قدرته على انه لو شاء لذهب بما أوحى ولكنه تعالى لم يشأ ذلك والمعنى انا كما نحن قادرون على إنزاله نحن قادرون على إذهابه وقال ابو سهل هذا تهديد لغير الرسول بإذهاب ما أوتوا ليصدهم عن سؤال ما لم يؤتوا كعلم الروح وعلم الساعة وروي لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن الحديث وفي حديث ابن مسعود يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وقال صاحب التحرير ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم لما ابطأ عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية فانزل الله تعالى تهدئيا له هذه الآية ويكون التقدير أيعز عليك تأخر الوحي فانا لو شئنا ذهبنا بما أوحينا إليك جميعه فسكت النبي وطاب قلبه ولزم الأدب انتهى والباء في لنذهبن بالذي للتعدية كالهمزة وتقدير الكلام على ذلك في قوله لذهب بسمعهم وهي أوائل البقرة والكفيل منا قيل من يحفظ ما أوحينا إليك وقيل كفيلا بإعادته إلى الصدور وقيل كفيلا يضمن لك ان يأتيك ما اخذ منك وقال الزمخشري والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف ولم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بهذا الذهاب من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته يتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة في تنزيله وحفظه انتهى وعلى الاستثناء المنقطع خرجه ابن الانباري وابن عطية قال ابن الانباري لكن رحمة من ربك تمنع ان نسلبك القرآن وقال في زاد المسير المعنى لكن الله يرحمك فأثبت ذلك في قلبك وقال ابن عطية لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وتخريج الزمخشري الأول جعله استثناء متصلا جعل رحمته تعالى مندرجة تحت قوله وكيلا ٥ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٥ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا ٥ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ٥ او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا ٥ او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ٥ ولما ذكر تعالى انعامه على نبيه بالنبوة وبإنزال الوحي عليه وبإظهار قدرته بانه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القرآن الذي

قوله عز وجل قل لئن اجتمعت

عجز العالم عن الاتيان بمثله وانه من أكبر النعم عليه والفضل الذي ابتغى له ذكرا الى آخر الدهر ورفع له قدرا به في الدنيا والآخرة واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاؤهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلأن يكونوا اعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله ولما كانت الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان اندرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك ابلغ في العجز ويحتمل ان تكون الملائكة مندرجين تحت لفظ الجن لانه قد يطلق عليهم هذا الاسم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وان كان الأكثر استعماله في غير الملائكة من الاشكال الجنية المستترين عن أبصار الانس ويحتمل ان يكون ذكر الجن هنا لانه عليه السلام بعث الى الانس والجن فوقع التعجيز للثقلين معا لذلك وروي ان جماعة من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئنا بآية غريبة غير هذا القرآن فانا نحن نقدر على المجيء بمثل هذا فنزلت ولا يأتون جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فالجواب في نحو هذا للقسم المحذوف لا للشرط ولذلك جاء مرفوعا فأما قول الأعشى

لئن منيت بنا عن غب معركة لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل ٥

فاللام في لئن زائدة وليست موطئة لقسم قبلها فلذلك جزم في قوله لا تلفنا وقد احتج بهذا ونحوه الفراء في زعمه انه اذا اجتمع القسم والشرط وتقدم القسم ولم يسبقهما ذو خبر انه يجوز ان يكون الجواب للقسم وهو الأكثر وللشرط ومذهب البصريين يحتم الجواب للقسم خاصة وذكر ابن عطية هنا فصلا حسنا في ذكر الإعجاز نقلناه بنصه قال وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة وشاهده وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله وشاهده علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم اعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائز في ميز الكلام الا ترى الى فهم الفرزدق شعر جرير في الرحمة

في قول الفرزدق علام تلفتين وانت تحتي ٥

وفي قول جرير تلفتت انها تحت ابن قين ٥

والا ترى قول الأعرابي عز فحكم فقطع والا ترى الى استدلال الآخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال ان الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى وأنكرتني وما كان الذي نكرت ٥ ومنه قول الأعرابي للأصمعي من أحوج الكريم الى ان يقسم فهم مع هذه الافهام أقروا بالعجز ولجأ المجاد منهم الى السيف ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة انتهى ما اقتصرنا عليه من كلامه وكان قد ذكر قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القرآن انما وقع في النظم وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها الا الله عز وجل والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص فاذا نظم كلمة خفي عنه العلل التي ذكرنا وقال الزمخشري ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله

يقول لا غائب مالي ولا حرم ٥

لأن الشرط وقع ماضيا انتهى يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت

وان أتاه خليل يوم مسألة ٥

فأتاه فعل ماض دخلت عليه

نعم

اداة الشرط مخلصته للاستقبال والمفسر كلام الزمخشري ان يقول وان كان مرفوعا هو
جواب الشرط الذي هو وان اتاه وهذا الذي ذهب اليه هو مخالف لمذهب سيبويه ولمذهب
الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو ان يكون فعل الشرط ماضيا ويكون
مضارع مرفوعا ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب
الكوفيين والمبرد انه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه جواب
الشرط وهو الذي قال به الزمخشري والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو وقال
الزمخشري والعجب من النوابت ومن زعم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون
العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه
والمحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل
قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على
المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مال المكابرة بهت وقلب
الحقائق انتهى وتكرر لفظ مثل في قوله لا يأتون بمثله على سبيل التأكيد والتوضيح
وان المراد منهم ان يأتوا بمثله اذ قد يراد بمثل الشيء في موضع الشيء نفسه فيبين
بتكرار بمثله ولم يكن التركيب لا يأتون به رفعا لهذا الاحتمال وان المطلوب منهم
ان يأتوا بالمثل لا ان يأتوا بالقرآن ولما ذكر تعالى عجز الانس والجن عن ان يأتوا بمثل
هذا القرآن نبه على فضله تعالى بما ردد فيه وضرب من الامثال والعبر التي تدل على
توحيده تعالى ومع كثرة ما ردد من الامثلة والتبيين لهم لم يكونوا الا كافرين به وبمنزله
وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء والحسن بتخفيفها والظاهر ان مفعول صرفنا محذوف
تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية وقال ابن عطية ويجوز ان تكون مؤكدة
زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج
هو على مذهب الكوفيين والاخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر ان المراد
بالمثل هو القول الغريب السائر في الافاق والقرآن ملآن من الامثال التي ضربها
الله تعالى وقال الزمخشري من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقال
ابو عبد الله الرازي من كل مثل اشارة الى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل
القرآن كالذي هنا وبسورة مثله وبكلام من سورة كقوله فليأتوا بحديث مثله ومع
ظهور عجزهم ابوا الا كفورا انتهى ملخصا وقيل من كل مثل من الترغيب والترهيب وانباء
الاولين والآخرين وذكر الجنة والنار ولكن اكثر الناس قيل من كان في عهد الرسول من
المشركين واهل الكتاب وقيل اهل مكة وهو الظاهر بدليل ما اتى بعده من قوله وقالوا
لن نؤمن لك وتقدم الكلام في دخول الا بعد ابى في سورة براءة وروي في مقالتهم هذه
اخبار مطولة جاءت في كتب الحديث والسير ملخصها ان صناديد قريش اجتمعوا وسيروا
للنبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء اليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم وطلبه
منهم ان يوحدوا ويعبدوا الله فارغبوه بالمال والرياسة والملك فابى فقال
لست اطلب ذلك فاقترحوا عليه ست الايات التي ذكرها الله هنا ومناسبة هذه
الاية لما قبلها انه تعالى لما تحداهم بان يأتوا بمثل القرآن فتبين عجزهم عن ذلك
واعجازه وانضمت اليه معجزات اخر وبينات واضحة فلزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا

يتعللون باقتراح الآيات الحائر المبهوت المحجوج فقالوا ما حكاه الله عنهم وقرأ الكوفيون
تفجر من فجر مخففا وباقي السبعة من فجر مشددا والتضعيف للمبالغة لا للتعدية والاعمش
وعبد الله بن مسلم بن يسار من افجر رباعيا وهي لغة في فجر والارض هنا ارض مكة وهي الارض
التي فيها تصرف العالمين ومعاشهم روي عنهم انهم قالوا له ازل جبال مكة وفجر لنا ينبوعا
حتى يسهل علينا الحرث والزرع واحي لنا قصيا فانه كان صدوقا يخبرنا عن صدقك
او فجروا الصخر والاهن الاية ثم اقترحوا اخرى عليك لنسلم ان تكون لك جنة من نخيل وعنب
وبها كانا الغالب على بلادهم ومن اعظم ما يقتنون ومعنى خلالها اي وسط تلك
الجنة واثناءها فتسقي ذلك النخل وتلك الكروم وانتصب خلالها على الظرف
وقرأ الجمهور تسقط بتاء الخطاب مضارع اسقط السماء نصبا ومجاهد بياء الغيبة
مضارع سقط السماء رفعا وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي كسفا بسكون السين
وباقي السبعة بفتحها وقولهم كما زعمت اشارة الى قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل وقيل
هو ما في هذه السورة من قوله افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا
قال ابو علي قبيلا معاينة كقوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال غيره
قبيلا كفيلا من تقبله بكذا اذا كفله والقبيل والزعيم والكفيل بمعنى واحد وقال
الزمخشري قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا لصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا والملائكة
قبيلا كقوله

كنت منه ووالدي بريئا • واني وقيار بها لغريب

اي مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة
حالا من الملائكة وقرأ الاعرج قبلا من المقابلة وقرأ الجمهور من زخرف وعبد الله من
ذهب ولا تحمل على انها قراءة لمخالفتها سواد المصحف وانما هي تفسير وقال مجاهد كنا
لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله من ذهب وقال الزجاج الزخرف
الزينة وتقدم شرح الزخرف وفي السماء على حذف مضاف اي في معارج السماء
والظاهر ان السماء هنا هي المظلة وقيل المراد الى مكان عال وكل ما علا وارتفع
يسمى سماء وقال الشاعر

وقد يسمى سماء كل مرتفع • وانما الفضل حيث الشمس والقمر

قيل وقائل هذه هو ابن ابي امية قال لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا
انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك
ان الامر كما تقول ويحتمل ان يكون مجموع اولئك الصناديد قالوا ذلك وغيوا ايمانهم
بحصول واحد من هذه المقترحات ويحتمل ان يكون كل واحد اقترح واحدا منها ونسب
ذلك للجميع لرضاهم به او تكون او فيها للتفصيل اي قال كل واحد منهم مقالة
مخصوصة منها وما اكتفوا بالتغيية بالرقي في السماء حتى غيوا ذلك بان ينزل
عليهم كتابا يقرؤونه ولما تضمن اقتراحهم ما هو مستحيل في حق الله تعالى وهو ان
يأتي بالله والملائكة قبيلا امره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به وعن ان
يقترح عليه ما ذكر ثم قال قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي ما كنت

يفسدون

قوله عز وجل وما منع الناس

الا بشرا رسولا اي من الله اليكم لا مقترحا عليه ما ذكرتم من الآيات وقال الزمخشري
وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا
هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات
وليست بدون ما اقترحوا بل هي اعظم لم يكن انتهى وشق القمر اعظم من
شق الأرض ونبع الماء من بين اصابعه اعظم من نبع الماء من الحجر وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان ربي على الخبر تعجب عليه السلام من اقتراحاتهم عليه وتنزيه ربه عما جوزوا
عليه من الاتيان والانتقال وذلك في حق الله مستحيل هل كنت الا بشرا مثلهم رسولا
والرسل لا تأتي الا بما يظهره الله عليهم من الآيات وليس امرها اليهم انما ذلك
الى الله ۝ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا
رسولا ۝ قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا ۝ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ۝ ومن يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ۝ ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب
فيه فابى الظالمون الا كفورا ۝ الظاهر قوله وما منع الناس اخبار من الله تعالى
عن السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد ان يبعث
الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا وبعد ان ظهر المعجز يجب الاقرار والاعتراف
برسالته فقولهم لا بد ان يكون من الملائكة تحكم فاسد ويظهر من كلام ابن عطية ان قوله
وما منع الناس هو من قول الرسول قال هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي
عليه السلام كانه يقول متعجبا منهم ما شاء الله كان ما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى الا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لا يستند الى حجة وبعثه البشر رسلا
غير بدع ولا غريب فيه يقع الافهام ويتمكن من النظر كما لو كان في الارض ملائكة
يسكنونها مطمئنين لكان الرسول اليهم من الملائكة ليقع الافهام واما البشر فلو بعث
اليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته ولم تحتمله ابصارهم ولا تجلدت له قلوبهم
وانما الله اجرى احوالهم على معتادها انتهى وان لم يؤمنوا في موضع نصب وان
قالوا في موضع رفع واذ ظرف العامل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك
المقالات السابقة والهدى هو القرآن ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم
الناشي عن اعتقاد وهم والهمزة في ابعث للانكار ورسولا ظاهره انه نعت ويجوز ان
يكون رسولا مفعول بعث وبشرا حال متقدمة عليه اي بعث الله رسولا في حال
كونه بشرا وكذلك يجوز في قوله ملكا رسولا اي لنزلنا عليهم من السماء رسولا في
حال كونه ملكا وقوله يمشون يتصرفون فيها بالمشي وليس لهم صعود الى السماء
فيسمعوا من اهلها ويعلمون ما يجب علمه بل هم مقيمون في الارض يلزمهم ما يلزم
المكلفين من عبادات مخصوصة واحكام لا يدرك تفصيلها بالعقل لنزلنا عليهم من

جنسهم

جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان وتحدى على
صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه امره تعالى ان يعلمهم بانه تعالى هو الشهيد بينه
وبينهم على تبليغه وما قام به من اعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا
عليه من الآيات على سبيل العناد واردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان
بعباده خبيرا بخفيات اسرارهم بصيرا مطلقا على ما يظهر من افعالهم والظاهر
ان قوله ومن يهد الله اخبار من الله تعالى وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم
ويحتمل ان يكون مندرجا المجيء ومن بالواو ويكون ونحشرهم اخبار من الله تعالى وعلى القول
الاول يكون التفاتا اذ خرج من الغيبة للتكلم ولما تقدم دعوة الرسول الى الايمان
والتحدي بالمعجز الذي اتاه الله ولجوا في كفرهم وعنادهم ولم يجد فيهم ما جاء به من
الهدى اخبر بان ذلك كله راجع الى مشيئته تعالى وانه هو الهادي وهو المضل فسلاه
تعالى بذلك واخبر تعالى على سبيل التهديد لهم والوعيد الصادق لحالهم وقت حشرهم
يوم القيامة وقال الزمخشري ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي
لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء
انصارا انتهى وهو على طريقة الاعتزال ومن مفعول بيهد وبيضلل وحمل على اللفظ
في قوله فهو المهتدي فافرد ملاحظة لسبيل الهدى وهي واحدة فناسب التوحيد
التوحيد وحمل على المعنى في قوله فلن تجد لهم اولياء لا على اللفظ ملاحظة لسبيل الضلال
فانها متشعبة متعددة فناسب التشعيب والتعديد الجمع وهذا من المواضع التي جاء
فيها الحمل على المعنى ابتداء من غير ان يتقدم الحمل على اللفظ وهي قليلة في القرآن والظاهر
ان قوله على وجوههم حقيقة كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم وفي هذا حديث قيل يا رسول الله كيف يمشي
الكافر على وجهه قال اليس الذي امشاه في الدنيا على رجلين قادرا ان يمشيه
في الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا وقيل على وجوههم مجاز يقال
للمنصرف عن امر خائبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير كانما يمشي
على وجهه وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القوم
على وجوههم اذا اسرعوا والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما هو حقيقة وذلك عند
قيامهم من قبورهم ثم يرد الله اليهم ابصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار
ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم وقيل هي استعارات اما لانهم
من الحيرة والذهول يشبهون اصحاب هذه الصفات واما من حيث لا يرون ما يسرهم
ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة وقال الزمخشري كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون
ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى انتهى وهذا قول ابن عباس والحسن
قال المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم وقيل عميا عن النظر
الى ما جعل الله لاوليائه بكما عن مخاطبة الله صما عما مدح الله به اولياءه
وانتصب عميا وما بعده على الحال والعامل فيها نحشرهم وقيل يحصل لهم ذلك

حقيقة عند قوله قال اخسئوا فيها ولا تكلمون فعلى هذا تكون حالا مقدرة لان ذلك
لم يكن مقارنا لمصيرهم وقت الحشر كلما خبت قال ابن عباس كلما فرغت من احراقهم فيسكن
اللهب القائم عليهم قدر ما يعادون ثم يثور فتلك زيادة السعير فالزيادة في حيزهم
واما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون خبت مجازا عن سكون
لهيبها مقدار ما يكون الاعادة ثم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله
جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على
الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم ولانه ادخل في الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم والاشارة بذلك الى ما تقدم
من حشرهم على تلك الحال وصيرورتهم الى جهنم والعذاب فيها والايات تعم القرآن
والحجج التي جاء بها الرسول ونص على انكار البعث اذ هو طعن في القدرة الالهية
هذا مع اعترافهم ان الله تعالى منشئ العالم ومخترعه ثم انهم ينكرون الاعادة
فصار ذلك تعجيزا لقدرته **وتقدم** الكلام على قوله ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا في هذه السورة فاغنى عن اعادته ولما انكروا البعث نبههم
تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته فقال اولم يروا وهو استفهام انكار وتوبيخ لهم
على ما كانوا يستبعدونه من الاعادة واحتجاج عليهم بانهم قد رأوا قدرة الله على
خلق هذه الاجرام العظيمة التي بعض ما يحويه البشر فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق
العظيم ثم ينكرون اعادة بعض ما خلقه وذلك مما لا يحيله العقل بل هو مما يجوزه
ثم اخبر الصادق بوقوعه فوجب قبوله والرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم
ومعنى مثلهم من الانس لانهم ليسوا اشد خلقا منهن كما قال أانتم اشد خلقا ام السماء
واذا كان قادرا على انشاء امثالهم من الانس من العدم الصرف فهو قادر على ان يعيدهم
كما قال وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وعطف قوله وجعل
لهم على قوله اولم يروا لانه استفهام تضمن التقرير والمعنى قد علموا بدليل العقل
كيت وكيت وجعل لهم اي للعالمين ذلك اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة
وليس هذا الجعل واحدا في الاستفهام المتضمن التقرير ان كان الاجل القيامة
لانهم منكروها واذا كان الاجل الموت فهو اسم جنس واقع موقع آجال فابى الظالمون
وهم الواضعون الشيء غير موضعه على سبيل الاعتداء الا كفورا جحودا لما اتى به الصادق
من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة للجزاء ۝ قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ۝ ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني
لاظنك يا موسى مسحورا ۝ قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا ۝ فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه
ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا
بكم لفيفا ۝ مناسبة قوله قل لو انتم الاية ان المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدهم لتكثر اقواتهم

قوله عز وجل قل لو انتم تملكون

وتتسع عليهم فبين تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما
قدموا على ايصال النفع لاحد وعلى هذا فلا فائدة في اسعافهم بما طلبوا هذا ما قيل
في ارتباط هذه الاية وقال العسكري والذي يظهر لي ان المناسب هو انه لما تقدم
قد منحه الله ما لم يمنحه لاحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو احرص الناس على
ايصال الخير وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه في دعائهم الى الله ويعرض
ذلك على القبائل واحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهم اجرا وهؤلاء قرابته
لا يكاد يجيب منهم احد الا الواحد بعد الواحد قد لجوا في عناده وبغضائه فلا يصل
منهم اليه الا الاذى فنبه تعالى بهذه الاية على سماحته عليه السلام وبذله
ما آتاه الله وعلى امتناع هؤلاء ان يصل منهم شيء من الخير اليه فقال لو ملكوا التصرف
في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شيء لكانوا ابخل من كل احد بما اوتوه من ذلك بحيث
لا يصل منهم لاحد شيء من النفع اذ طبيعتهم الاقتار وهو الامساك عن التوسع في
النفقة هذا مع ما اوتوه من الخزائن فهذه الاية جاءت مبينة تباين ما بينه وبينهم
عليه السلام من حرصه على نفعهم وعدم ايصال شيء من الخير منهم اليه والمستقر في لو التي هي
حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ان يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله
لو نشاء لجعلناه حطاما او منفيا بلم او ان وهنا في قوله قل لو انتم تملكون وليها الاسم
فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي والزمخشري وابن عطية وابو البقاء وغيرهم الى انه
مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو يملك انفصل
الضمير وهو الفاعل بملك كقوله وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ۝ التقدير وان لم يحمل
فحذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل
البارز وهو الواو فصار انتم وهذا التخريج بناء على ان لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا
في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين قال الاستاذ ابو الحسن بن عصفور
لا يلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة او نادر كلام مثل ما جاء في
المثل من قولهم لو ذات سوار لطمتني وقال شيخنا الاستاذ ابو الحسن بن الضايع
البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لاكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا
كقولهم لو ذات سوار لطمتني وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره فهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك ابو الحسن علي بن فضال
المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم انتم تملكون فظاهر هذا التخريج انه حذف
كنتم برمته وبقي انتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا
الاستاذ ابو الحسن بن الضايع الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا
بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج
احسن لان حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب ۝ والرحمة هنا الرزق
وسائر نعمه على خلقه والكلام في اذا لامسكتم تقدم نظيره في قوله اذا لاذقناك
وخشية مفعول من اجله والظاهر ان الانفاق على مشهور مدلوله فيكون على
حذف مضاف اي خشية عاقبة الانفاق وهو النفاد وقال ابو عبيدة انفق
واملق واعدم واصرم بمعنى واحد فيكون المعنى خشية الافتقار والقتور

ف

المسند الجنس والانسان سنا للجنس ولما حكى تعنت قريش ما حكى من تعنتهم في اقتراحهم
وعنادهم للرسول سلاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم ارنا الله
جهرة اذ قالت قريش او تاتي بالله وقالت او نرى ربنا وسكن قلبه ونبه على ان
عاقبتهم للدمار والهلاك كما جرى لفرعون اذ اهلكه الله ومن معه والتسع الآيات
قال ابن عباس وجماعة من الصحابة هي اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم هذه سبع باتفاق واما الثنتان فعن ابن عباس
لسانه كان به عقدة فحلها الله والبحر الذي فلق له وعنه ايضا البحر والجبل
الذي نتق عليهم وعنه ايضا السنون ونقص من الثمرات وقاله مجاهد
والشعبي وعكرمة وقتادة وقال الحسن السنون ونقص من الثمرات آية
واحدة وعن الحسن ووهب البحر والموت ارسل عليهم وعن ابن جبير الحجر
والبحر وعن محمد بن كعب البحر والسنون وقيل تسع آيات هي من الكتاب وذلك
ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الآخر لا تقل
انه نبي فانه لو سمع كلامك صارت له اربعة اعين فاتياه وسالاه عن تسع آيات
بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى سلطان
ليقتله ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
يهود ان لا تعتدوا في السبت قال فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي فقال
ما منعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف
ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقرأ
الجمهور فسل بني اسرائيل وبنو اسرائيل معاصرون وفسل معمول للقول المحذوف اي فقلنا
سل والظاهر انه خطاب للرسول محمد عليه السلام امر ان يسالهم عما اعلمه به من
غيب القصة ثم قال اذ جاءهم يريد آباءهم وادخلهم في الضمير اذ هم منهم
وقال الزمخشري سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله
المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا
وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظافرت كان اقوى واثبت كقول ابراهيم
ولكن ليطمئن قلبي انتهى وهذا القول سوالا ول ومو ما اعلمه به من غيب القصة
ولما كان متعلق السؤال محذوفا احتمل هذه التقديرات والظاهر ان الامر بالسؤال
لبني اسرائيل بنو حنيفة وقال ابن عطية ما معناه يحتمل ان يكون السؤال لعيانه عن
تطلب اخبارهم والنظر في احوالهم وما في كتبهم نحو قوله وسل من ارسلنا قبلك
من رسلنا جعل النظر والتطلب معبرا عنه بالسؤال ولذلك قال الحسن
سؤالك اياهم نظرك في القرآن والظاهر ان اذ معمولة لآتينا اي آتيناه حين
جاءهم وقال الزمخشري **فان قلت** بم تعلق اذ جاءهم **قلت** اما على
الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم واما على الآخر
فبآتينا او باضمار اذكر او يخبرونك انتهى ولا يتاتى تعلقه باذكر ولا بيخبرونك

ذلك هو

لانه ظرف

لانه ظرف ماض وقراءة فسال مروية عن ابن عباس وقال ابن عباس كلام محذوف
وتقديره فسال موسى فرعون بني اسرائيل اي طلبهم لينجيهم من العذاب انتهى وعلى
قراءة فسل يكون التقدير فقلنا له سل بني اسرائيل اي سل فرعون اطلاق بني اسرائيل
وقال ابو عبد الله الرازي فسل بني اسرائيل اعتراض في الكلام والتقدير ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بني اسرائيل فسلهم وليس المطلوب من سؤال بني اسرائيل
ان يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود ان يظهر لعامة اليهود صدق ما ذكره الرسول
فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد انتهى وعلى قراءة فسال ماضيا وتقديره فسال فرعون
بني اسرائيل يكون المفعول الاول لسال محذوفا والثاني هو بني اسرائيل وجاز ان يكون
من الاعمال لانه توارد على فرعون سال وفقال فاعمل الثاني على ما هو الراجح والظاهر
ان قوله مسحورا اسم مفعول اي قد سحرت فكلامك هذا مختل وما ياتي به غير مستقيم
وهذا خطاب تنقيص وقال الفراء والطبري مفعول بمعنى فاعل اي ساحرا فهذه
العجائب التي تاتي بها من السحر وقالوا مفعول بمعنى فاعل مشؤوم وميمون وانما هو شائم
ويامن **وقرأ** الجمهور لقد علمت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته في قوله
عنه انه مسحور اي لقد علمت ان ما جئت به ليس من باب السحر ولا اني خدعت في عقلي
بل علمت انه ما انزلها الا الله وما احسن ما جاء به من اسناد انزالها الى لفظ رب
السموات والارض اذ هو لما ساله فرعون في اول المحاورة فقال له وما رب
العالمين قال رب السموات والارض ينبهه على نقصه وانه لا تصرف له في الوجود
فدعواه الربوبية دعوى مستحيلة فبكته واعلمه انه يعلم آيات الله ومن انزلها ولكنه
مكابر معاند كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وخاطبه بذلك على
سبيل التوبيخ اي انت بحال من يعلم هذا وهي من الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه
على جهة اخباره عن علمه **وقرأ** علي بن ابي طالب وزيد بن علي والكسائي علمت بضم التاء
خبر موسى عن نفسه انه ليس بمسحور كما وصفه فرعون بل هو يعلم انما انزل هؤلاء الآيات
الا الله وروي عن علي انه قال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى وهذا القول
عن علي لا يصح لانه رواه كلثوم المرادي وهو مجهول وكيف يصح هذا القول وقراءة
الجماعة بالفتح على خطاب فرعون وما انزل جملة في موضع نصب علق عنها علمت
ومعنى بصائر دلالات على وحدانية الله وصدق رسوله والاشارة بهؤلاء الى
الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال في قول ابن عطية والحوفي وابي البقاء
وقالا الحال من هؤلاء وهذا لا يصح الا على مذهب الكسائي والاخفش لانهما يجيزان
ما ضرب هندا هذا الا زيد ضاحكة ومذهب الجمهور انه لا يجوز فان ورد ما
ظاهره ذلك اول على اضمار فعل يدل عليه ما قبله التقدير ضربها ضاحكة وكذلك
يقدرون هنا انزلها بصائر وعند هؤلاء لا يعمل ما قبل الا فيما بعدها الا ان
يكون مستثنى منه او تابعا له وقابل موسى ظنه بظن فرعون فقال واني لاظنك
يا فرعون مثبورا وشتان ما بين الظنين ظن فرعون ظن باطل وظن موسى
ظن صدق ولذلك آل امر فرعون الى الهلاك وكان اولا موسى عليه السلام
يتوقع من فرعون اذى كما قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فامر ان يقول

فان

له قولا لينا فلما قال له الله لا تخف وثق بحماية الله فصال على فرعون صولة المحمي
وقابله من الكلام بما لم يكن يقابله به قبل ذلك ومثبور مهلك في قول الحسن ومجاهد
وملعون في قول ابن عباس وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران ومسحور في قول
الضحاك قال رد عليه مثل ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ وعن الفراء مثبور
مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرأ
أبي وإن أخالك يا فرعون لمثبورا وهي إن الخفيفة واللام الفارقة واستفزازه
أي يمحوهم استخفافه لموسى ولقومه بأن يقلعهم من أرض مصر بقتل وجلاء فحاق به مكره
وأغرقه الله وقبطه أراد أن تخلو أرض مصر منهم فأخلاها الله منه ومن قومه
والضمير في من بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه والأرض المأمور بسكناها هنا
أرض الشام والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام ووعد
الآخرة قيام الساعة ۝ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا
ونذيرا ۝ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ۝ قل آمنوا به
أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ۝ ويخرون للأذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا ۝ وبالحق أنزلناه مردود على قوله لئن اجتمعت الإنس الآية
وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر ثم إلى آخر
ثم إلى آخر ثم تعود إلى ما ذكرته أولا والأبعد من ذهب إلى أن الضمير في أنزلناه عائدا
على موسى عليه السلام وجعل منزلا كما قال وأنزلنا الحديد أو عائدا على الآيات
التسع وذكر على المعنى أو عائدا على الوعد المذكور قبله وقال أبو سليمان الدمشقي
وبالحق أنزلناه أي بالتوحيد وبالحق نزل أي بالوعد والوعيد والأمر والنهي وقال
الزهراوي بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس وبالحق نزل أي بالحق
في أوامره ونواهيه وأخباره وقال الزمخشري وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة
المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى
كل خير وما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين انتهى وقد يكون وبالحق نزل توكيدا من حيث
المعنى لما كان يقال أنزلته فنزل وأنزلته فلم ينزل إذا عرض له مانع من نزوله جاء
وبالحق نزل مزيلا لهذا الاحتمال ومؤكدا حقيقة وبالحق أنزلناه وإلى معنى التأكيد
نحا الطبري وانتصب مبشرا ونذيرا على الحال أي مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار
ليس لك شيء من إكراههم على الدين وقرأ الجمهور فرقناه بتخفيف الراء أي بينا حلاله
وحرامه قاله ابن عباس وعن الحسن فرقنا فيه بين الحق والباطل وقال الفراء أحكمناه
وفصلناه كقوله فيها يفرق كل أمر حكيم وقرأ أبي وعبد الله وعلي وابن عباس
وأبو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن قائد وزيد بن علي وعمرو بن ذر وعكرمة
والحسن بخلاف عنه بشد الراء أي أنزلناه نجما بعد نجم وفصلناه في النجوم وقال
بعض من اختار ذلك لم ينزل في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا
سنتين قال ابن عباس كان بين أوله وآخره عشرون سنة هكذا قال الزمخشري

قوله عز وجل وبالحق أنزلناه

عن ابن عباس

عن ابن عباس وحكي عن ابن عباس في ثلاث وعشرين وقيل في خمس وعشرين وهذا الاختلاف
مبني على الاختلاف في سنه عليه السلام وعن الحسن نزل في ثمان عشرة سنة قال
ابن عطية وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن **وقيل** معنا فرقناه بالتشديد فرقنا آياته
بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار مغيبات أتت وتأتي
وانتصب قرآنا على إضمار فعل يفسره فرقناه أي وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب الاشتغال
وحسن النصب ورجحه على الرفع كونه عطف على جملة فعلية وهي قوله وما أرسلناك
ولا بد من تقدير صفة لقوله وقرآنا حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لأنه نكرة لا
مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا أي قرآن أي عظيما جليلا وعلى
أنه منصوب بإضمار فعل يفسره الظاهر بعده خرجه الحوفي والزمخشري وقال
ابن عطية هو مذهب س وقال الفراء هو منصوب بأرسلناك أي ما أرسلناك إلا
مبشرا ونذيرا وقرآنا كما تقول ورحمة لأن القرآن رحمة وهذا إعراب متكلف وأكثر
تكلفا منه قول ابن عطية ويصح أن يكون معطوفا على الكاف في أرسلناك من حيث كان
إرسال هذا وإنزال هذا المعنى واحدا وقرأ أبي وعبد الله فرقناه عليك بزيادة
عليك ولتقرأه متعلق بفرقناه والظاهر تعلق على مكث بقوله لتقرأه ولا يبالي بكون
الفعل يتعلق به حرفا جر من جنس واحد لأنه اختلف معنى الحرفين في موضع المفعول به والثاني
في موضع الحال أي متمهلا مترسلا قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج على مكث على ترسل
في التلاوة **وقيل** على مكث أي تطاول في المدة شيئا بعد شيء وقال الحوفي على مكث بدل
من على الناس وهذا لا يصح لأن قوله على مكث هو من صفة الرسول وهو القارئ أو من صفات
المقروء في المعنى وليس من صفات الناس فيكون بدلا منهم **وقيل** يتعلق على مكث بقوله
فرقناه ويقال مكث بضم الميم وفتحها وكسرها وقال ابن عطية وأجمع القراء على ضم الميم
من مكث وقال الحوفي والمكث بالضم والفتح لغتان وقد قرئ بهما وفيه لغة أخرى
كسر الميم ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث من الأقوال والأفعال قل آمنوا به أو لا تؤمنوا
يتضمن الإعراض عنهم واحتقارهم وازدراءهم وعدم الاكتراث بهم وبإيمانهم
وبامتناعهم عنه وأنهم لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية
وشرك فإن خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتاب وعلموا ما الوحي وما الشرائع
قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من
بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله إن كان وعد
ربنا لمفعولا وإن الذين أوتوا العلم من قبله يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أو لا
تؤمنوا أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وأن يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كأنه قيل تسل عن إيمان الجاهلية بإيمان العلماء انتهى من كلام الزمخشري وفيه
بعض تلخيص وقال ابن عطية قل آمنوا الآية تحقير للكفار وفي ضمنه ضرب من التوعد والمعنى
أنكم لستم بحجة فسواء علينا آمنتم أم كفرتم وإنما ضرر ذلك على أنفسكم وإنما الحجة
أهل العلم انتهى والظاهر أن الضمير في قوله آمنوا به عائد على القرآن والذين أوتوا
العلم هم مؤمنو أهل الكتاب **وقيل** ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى

بحرا سهما فانهما كانا ممن اوتي العلم واطلعا على التوراة والانجيل ووجدا فيهما صفته عليه السلام **وقيل** هم جماعة من اهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا امر النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسجدوا لله وقالوا هذا وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام هذا الجنوح فنزلت هذه الآية فيهم **وقيل** المراد بالذين اوتوا العلم من قبله هو محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الضمير في من قبله عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله به ويدل عليه ما قبله وما بعده **وقيل** الضميران في به وفي من قبله عائدان على الرسول عليه السلام واستأنف ذكر القرآن في قوله اذا يتلى عليهم والظاهر في قوله اذا يتلى عليهم ان الضمير في يتلى عائد على القرآن **وقيل** هو عائد على التوراة وما فيها من تصديق القرآن ومعرفة النبي عليه السلام ويخرون اي يسقطون بسرعة ومنه فخر عليهم السقف وانتصب سجدا على الحال والسجود وهو وضع الجبهة على الارض هو غاية الخرور ونهاية الخضوع واول ما يلقى الارض حالة السجود الذقن وعبر عن الوجوه بالاذقان كما يعبر عن كل الشيء ببعض ما يلاقيه **وقال الشاعر**

۞ فخروا للاذقان الوجوه تنوشهم ۞ سباع من الطير العوادي وتنتف ۞

وقيل اريد حقيقة الاذقان لان ذلك غاية التواضع وكان سجودهم كذلك وقال ابن عباس المعنى للوجوه وقال الزمخشري **فان قلت** حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه **قال** فخر صريعا لليدين وللفم ۞ **قلت** معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص انتهى **وقيل** اللام بمعنى على وسبحان ربنا نزهوا الله عما نسبه اليه كفار قريش وغيرهم من انه لا يرسل البشر رسلا وانه لا يعيدهم للجزاء وان هنا المخففة من الثقيلة والمعنى انما وعد به من ارسال محمد عليه السلام وانزال القرآن عليه قد فعله وانجزه وتكرر الخرور لاختلاف حالي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن الحالة الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد وذلك ان البكاء ناشئ عن التفكر فهم دائما في فكرة وتذكر فناسب ذكر الفعل اذ هو مشعر بالتجدد **ولما** كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم ويزيدهم اي ما تلي عليهم خشوعا اي تواضعا وقال عبد الاعلى التيمي من اوتي من العلم ما لا يبكيه خليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم الآية وقال ابن عطية ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو ان يكون قوله قل آمنوا به او لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون التخيير المعنى فستعرفون ما تجازون به ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من اهل الكتاب اي ان الناس لم يكونوا كما انتم في الكفر بل كان الذين اوتوا التوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة اذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى وقد تقدمت الاشارة الى طرف من هذا ۞ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ۞ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ۞

قوله عز وجل قل ادعوا الله

قال ابن عباس تهجد الرسول ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا فهو الآن يدعو الهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت قاله في التحرير ونقل ابن عطية نحوا منه عن مكحول وقال عن ابن عباس سمعه المشركون يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان يدعو الها واحدا وهو يدعو الهين فنزلت وقال ميمون بن مهران كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم حتى نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها فقال مشركو العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن فنزلت ۞ وقال الضحاك قال اهل الكتاب للرسول انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت لما الحوا في انكار القرآن ان يكون الله نزله على رسوله وعجزوا عن معارضته وكان عليه السلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لالهتهم عدلوا الى رميه عليه السلام بان ما نهاهم عنه رجع هو اليه فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ادعوا الله الآية والظاهر من اسباب النزول ان الدعاء هنا قوله يا رحمن يا رحيم او يا الله يا رحمن فهو من الدعاء بمعنى النداء والمعنى ان دعوتم الله فهو اسمه وان دعوتم الرحمن فهو صفته وقال الزمخشري والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا انتهى ودعوت هذا من الافعال التي تتعدى الى اثنين ثانيهما بحرف جر تقول دعوت والذي يزيد ثم تتسع فتحذف الباء **وقال الشاعر**

۞ دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن ۞ اخاها ولم ارضع لها بلبان ۞

وهي افعال تتعدى الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر تحفظ ويقتصر فيها على السماع وعلى ما قاله الزمخشري يكون الثاني لقوله ادعوا لفظ الجلالة ولفظ الرحمن وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف وكان التقدير ادعوا معبودكم بالله او ادعوه بالرحمن ولهذا قال الزمخشري المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا انتهى وكذا قال ابن عطية هما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذاك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذلك واي هنا شرطية والتنوين فيه عوض من المضاف وما زائدة مؤكدة وقيل ما شرط ودخل شرط على شرط **وقرأ** طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فاحتمل ان تكون من زائدة على مذهب الكسائي اذ قد ادعى زيادتها في قوله يا شاة من قنص لمن حلت له ۞ واحتمل ان يكون جمع بين اداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر في **قول الشاعر** ۞ فاصبحن لا يسألنني عن بما به ۞ وذلك لاختلاف اللفظ والضمير في فله عائد على مسمى الاسمين وهو واحد اي فلمسماهما الاسماء الحسنى وتقدم الكلام على قوله الاسماء الحسنى في الاعراف وقوله فله هو جواب الشرط وقيل ومن وقف على ايا جعل معناه اي اللفظين دعوتموه به جاز ثم استأنف فقال ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا لا يصح لان ما لا تطلق على آحاد اولي العلم ولان الشرط يقتضي عموما ولا يصح هنا والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس وعائشة

وجماعة وعن ابن عباس ايضا هي قراءة القرآن في الصلاة فهو على حذف مضاف
اي بقراءة الصلاة ولا يلتبس بتقدير هذا المضاف لانه معلوم ان الجهر والمخافتة
متعقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان عليه السلام يرفع
صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فامر بان يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركين
وان لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة
سبيلا وسطا **وتقدم** الكلام على بين ذلك في قوله عوان بين ذلك وقال
ابن عباس ايضا والحسن لا تحسن علانيتها وتسيء سريتها **وعن** عائشة الصلاة يراد
بها هنا التشهد وقال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية
في ذلك وكان ابو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك فقال ابو بكر انما اناجي
ربي وهو يعلم حاجتي وقال عمر انا اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
قيل لابي بكر ارفع انت قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا وعن ابن عباس ايضا
المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل وقال ابن زيد معنى الاية
عن ما يفعله اهل الانجيل والتوراة من رفع الصوت احيانا فيرفع الناس معه
ويخفض احيانا فيسكت الناس خلفه انتهى كما يفعله الان زمانيا من رفع الصوت
بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء ولما ذكر تعالى انه واحد وان تعددت اسماؤه
امره تعالى ان يحمده على ما انعم به عليه مما اتاه من شرف الرسالة والاصطفاء
ووصف نفسه بانه لم يتخذ ولدا فيعتقد فيه تكثر بالنوع وكان ذلك ردا على
اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله والعرب
الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا انهم بنات الله ونفى اولا الولد خصوصا
ثم نفى الشريك في ملكه وهو اعم من ان ينسب اليه ولد فيشركه في ملكه او غيره
ولما نفى الولد ونفى الشريك نفى الولي وهو الناصر وهو اعم من ان يكون ولدا او شريكا
او غير شريك ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء
من الذل وقد يكون للتفضل والرحمة لمن والى من صالحي عباده كان النفي لمن ينتصر به
من اجل المذلة اذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لاجل النقص
بخلاف الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق وجاء الوصف الاول بقوله الذي
لم يتخذ ولدا والمعنى انه تعالى لم يسم ولم يعد احدا ولدا ولم ينفه بجهة التوالد لاستحالة
ذلك في بداية العقول فلا يتعرض لنفيه بالمنقول ولذلك جاء ما اتخذ الله من ولد
لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وقال مجاهد في قوله ولم يكن له ولي من الذل المعنى
لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد وقال الزمخشري ولي من الذل ناصر من الذل
ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته انتهى
وقيل ولم يكن له ولي من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس فيكون من الذل صفة
لولي انتهى اي ولي من اهل الذل فعلى هذا وما تقدم يكون من في معنى المفعول له
او للتسبيب او للتبعيض وقال الزمخشري **فان قلت** كيف لاق وصفه بنفي الولد
والشريك والذل بكلمة التحميد **قلت** لان هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل
نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد والذي نقرره ان النفي تسلط من حيث المعنى على القيد

اي لا ذل يوجد في حقه فيكون له ولي ينتصر به منه فالذل والولي الذي يكون لاتخاذه
بسببه منتفيان وكبره تكبيرا التبليغ التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم
والاجلال واكدها بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه وابتدئت هذه السورة
بتنزيه الله تعالى واختتمت به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وقل الحمد لله الى آخرها ۝

مفردات اول سورة الكهف

بخع بخع بخعا وبخوعا اهلك من شدة الوجد واصله الجهد قاله الاخفش والفراء
وفي حديث عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها
من اموال الملوك وقال الكسائي بخع الارض بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب
متابعة الحراثة وقال الليث بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجد وانشد
قول الفرزدق ۝

الا ايهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر ۝

اي نحته بشد الحاء فخفف قال ابو عبيدة كان ذو الرمة ينشد الوجد بالرفع وقال
الاصمعي انما هو الوجد بالفتح انتهى فيكون نصبه على انه مفعول من اجله **جرزت**
بالقحط او جرادا ونحوه ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها وارضون اجراز ويقال سنة
جرز وسنون اجراز لا مطر فيها وجرز الارض الجراد اكل ما فيها والمرأة جروز اي اكول
قال الشاعر ۝

ان العجوز خبة جروزا   تاكل كل ليلة قفيزا ۝

الكهف النقب المتسع في الجبل فان لم يك واسعا فهو غار **وقال** ابن الانباري
حكى اللغويون انه بمنزلة الغار في الجبل **الرقيم** فعيل من رقم اما بمعنى مفعول
واما بمعنى فاعل ويأتي ان شاء الله الاختلاف في المراد به عن المفسرين فاما **قول
امية بن ابي الصلت**

وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد ۝

فعنى به كلبهم **احصى** الشيء حفظه وضبطه **الشطط** الجور وتعدي الحد والغلو وقال
الفراء اشتط في السوم جاوز القدر وشط المنزل بعد شطوطا وشط الرجل
واشتط جار وشطت الجارية شطاطا وشطاطة طالت **تزاور** تزوغ وتميل
وقال الاخفش تزور تنقبض انتهى والزور الميل والازور المائل بعينه الى ناحية
ويكون في غير العين **قال ابن ابي ربيعة**
وجنبني خيفة القوم ازور **وقال عنترة**

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمحم ۝

وقال بشر بن ابي خازم

تؤم بها الحداة مياه نخل وفيها عن ابانين ازورار ۝

ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق **قرض** الشيء قطعه تقول
العرب قرضت موضع كذا اي قطعته **وقال ذو الرمة**

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس ۝

وقال الكوفيون فرضت موضع كذا اي جاذيته وحكوا عن العرب فرضته قبالة ودبرا الفجوة المتسع من الفجا وهو تباعد ما بين الفخذين رجل افجا وامراة فجوآء وجمع الفجوة فجاء اليقظ المتنبه وجمعه ايقاظ كعضد واعضاد ويقاظ كرجل ورجال ورجل يقظان وامراة يقظي الرقاد معروف وسمي به علما الوصيد الفنا وقيل العتبة وقيل الباب قال الشاعر

بارض فضا لا يسد وصيدها ۞ علي ومعروفي بها غير منكر

الورق الفضة مضروبة وغير مضروبة السرادق قال ابو منصور الجواليقي هو فارسي معرب واصله سرادار وهو الدهليز قال الفرزدق

تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم ۞ تركت لهم قبل الضراب السرادقا

وبيت مسردق اي ذو سرادق المهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت سوي الجمر الفضة من غير عرف السوار ما جعل في الذراع من ذهب او فضة او نحاس او رصاص ويجمع على اسورة في القلة كحمار واحمرة وعلى حمر في الكثرة كحمار وحمر الا انه تسكن عينه الا في الشعر فتحرك واسا ورجمع اسورة وقال ابو عبيدة جمع اسوار ويقال لكل ما في الذراع من حلي وعنه وعن قطرب هو على حذف الزيادة واصله اساوير وانشد ابن الانباري

والله لولا صبية صغار ۞ كانما وجوههم اقمار
تضمهم من العتيك دار ۞ اخاف ان يصيبهم اقتار
او لاطم ليس له اسوار ۞ لما رآني ملك جبار
ببابه ما وضح النهار

السندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه والاستبرق رومي عرب واصله استبره ابدلوا الهاء قافا قاله ابن قتيبة وقيل سمي بالفعل وهو استبرق من البريق فقطعت همزة وصله وقيل الاستبرق اسم الحرير وقال المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة ۞ واستبرق الديباج طورا لباسها

وقال ابن بحر الاستبرق المنسوج بالذهب الاريكة السرير في حجله فان كان وحده فلا يسمي اريكة وقال الزجاج الارائك الفرش في الحجال

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ۞ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ۞ وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ۞ هي مكية كلها في قول ابن عباس وقتادة الا قوله واصبر نفسك الاية فمدنية وقال مقاتل الا من اولها الى جرزا ومن قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الايتين فمدني وسبب نزولها ان قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة

ابن ابي

ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى اتيا المدينة فسالاهم فقالت سلوه فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نباوه وسلوه عن الروح فاقبل النضر وعقبة الى مكة فسالوه فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فاستمسك الوحي خمسة عشر يوما فارجف كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه ربه الذي كان ياتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى الامد جاءه الوحي بجواب الاسئلة وغيرها وروي في هذا السبب ان اليهود قالت ان اجابكم عن الثلاثة فليس بنبي وان اجاب عن اثنتين وامسك عن الاخرى فهو نبي فانزل الله سورة الكهف وانزل بعد ذلك ويسالونك عن الروح ومناسبة اول هذه السورة لآخر ما قبلها انه لما قال وبالحق انزلناه وبالحق نزل وذكر المؤمنين به اهل العلم وانه يزيدهم خشوعا وانه تعالى امر بالحمد له وانه لم يتخذ ولدا امره تعالى بحمده على انزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بالاجر الحسن ثم استطرد الى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله وكبره تكبيرا الى الغيبة في قوله على عبده لما في عبده من الاضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ التركيب انزل عليك والكتاب القرآن والعوج في المعاني كالعوج في الاشخاص ونكر عوجا ليعم جميع انواعه لانها نكرة في سياق النفي والمعنى انه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ولا حوشية ولا عي في تراكيبه ومبانيه وقيما تاكيد لاثبات الاستقامة ان كان مدلوله مستقيما وهو قول ابن عباس والضحاك وقيل قيما بمصالح العباد وشرائع دينهم واحوال معاشهم ومعادهم وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها واختلفوا في هذه الجملة المنفية فزعم الزمخشري انها معطوفة على انزل فهي داخلة في الصلة ورتب على هذا ان الاحسن في انتصاب قيما ان ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وقدر جعله قيما وقال ابن عطية قيما نصب على الحال من الكتاب فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ اي انزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذي الحال قوله ولم يجعل له عوجا ذكره الطبري عن ابن عباس ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره انزله او جعله قيما اما اذا قلنا بان الجملة المنفية اعتراض فهو جائز ويفصل بجمل للاعتراض بين الحال وصاحبها وقال العسكري في الاية تقديم وتاخير كانه قال احمدوا الله على انزال القرآن قيما لا عوج فيه ومن عادة البلغاء ان يقدموا الاهم وقال ابو عبد الله الرازي ولم يجعل له عوجا يدل على كونه مكملا في ذاته وقوله قيما يدل على كونه مكملا لغيره فثبت بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله وان ما ذكروه من التقديم والتاخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه وقال الكرماني اذا جعلته حالا وهو الاظهر

اعلم

فليس فيه تقديم ولا تأخير والصحيح أنهما حالان من الكتاب الأولى جملة والثانية
مفرد وهذا على مذهب من يجوّز وقوع حالين من ذي حال واحد بغير عطف وكثير
من أصحابنا على منع ذلك انتهى واختاره الأصبهاني وقال هما حالان من إليه و
والتقدير غير جاعل له عوجًا قيمًا وقال صاحب حل العقد يمكن أن يكون قوله
قيمًا بدلًا من قوله ولم يجعل له عوجًا أي جعله مستقيمًا قيمًا انتهى ويكون بدل مفرد
من جملة كما قالوا في عرفت زيدًا أبو من أنه بدل جملة من مفرد وفيه خلاف وقيل
قيمًا حال من الضمير المجرور في ولم يجعل له مؤكدة وقيل منتقلة والظاهر أن
الضمير في له عائد على الكتاب وعليه التخاريج الإعرابية السابقة وزعم
قوم أن الضمير في له عائد على عبده وانتصب على التقدير على عبده وجعله قيمًا وحفص
يسكت على قوله عوجًا سكتة خفيفة ثم يقول قيمًا وفي بعض مصاحف الصحابة
ولم يجعل له عوجًا لكن جعله قيمًا ويحمل ذلك على تفسير المعنى لا أنها قراءة
وأنذر يتعدى لمفعولين قال إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا وحذف هنا المفعول
الأول وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسوق إليه فاقتصر عليه ثم صرح
بالمنذر في قوله حين كرر الإنذار فقال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا
فحذف المنذر ولا لدلالة الثاني عليه وحذف المنذر به لدلالة الأول عليه
وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ولما لم يكرر البشارة أتى بالمبشر والمبشر به
والظاهر أن لينذر متعلقة بأنزل وقال الحوفي متعلق بقيمًا والمفعول لينذر
المحذوف قدره ابن عطية لينذر العالم وأبو البقاء لينذر العباد أو لينذركم والزمخشري
قدره خاصًا فقال وأصله لينذر الذين كفروا بأسًا شديدًا والبأس من قوله
بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسًا وبآسة انتهى وكأنه راعى
في تعيين المحذوف مقابله وهو ويبشر المؤمنين الذين والبأس الشديد عذاب
الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا ومعنى من لدنه صادرًا من عنده
وقرأ أبو بكر بسكون الدال وإشمامها الضم وكسر النون والتنوين وتقدم الكلام عليها
في أول هود وقرئ ويبشر بالرفع والجمهور بالنصب عطفًا على لينذر والأجر الحسن
الجنة ولما كنى لنا عن الجنة بقوله أجرًا حسنًا قال ماكثين فيه أبدًا أي منعمين
فيه فجعله ظرفًا لإقامتهم ولما كان المكث لا يقتضي التأبيد قال أبدًا وهو ظرف
دال على زمن غير متناه وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير في لهم
والذين نسبوا الولد إلى الله تعالى بعض اليهود في عزير وبعض النصارى في
المسيح وبعض العرب في الملائكة والضمير في به الظاهر أنه عائد على الولد الذي
ادعوه قال المهدوي فتكون الجملة صفة للولد قال ابن عطية وهذا معترض لأنه
لا يصفه إلا القائل وهم ليس قصدهم أن يصفوه والصواب عندي أنه نفي مؤتنف
أخبر الله تعالى به بجهلهم في ذلك ولا موضع للجملة من الإعراب ويحتمل أن يعود على الله تعالى
وهذا التأويل أذم لهم وأقضى بالجهل التام عليهم وهو قول الطبري انتهى وقيل
والمعنى ما لهم بالله من علم فينزهوه عما لا يجوز عليه ويحتمل أن يعود على القول المفهوم
من قالوا أي ما لهم بقولهم هذا من علم فالجملة في موضع الحال أي قالوا جاهلين

من غير فكر ولا روية ولا نظر في ما يجوز ويمتنع وقيل يعود على الاتخاذ المفهوم من اتخذ
أي ما لهم بحكمة الاتخاذ من علم إذ لا يتخذه إلا من هو عاجز مقهور يحتاج إلى معين
يشد به عضده وهذا مستحيل على الله قال الزمخشري اتخاذ الله ولدًا في نفسه
محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم
لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه في
نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به انتهى ولا لآبائهم معطوف على لهم وهم
من تقدم من أسلافهم الذين ذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة بل من قال إنما قاله
عن جهل وتقليد وذكر الآباء لأن تلك المقالة قد أخذوها عنهم وتلقفوها منهم
وقرأ الجمهور كلمة بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على
المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدًا وفي ذلك معنى التعجب أي ما أكبرها
كلمة والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها وإخراجها من
أفواههم فإن كثيرًا مما يوسوس به الشيطان في القلوب ويحدث به النفس لا يمكن أن
يتفوه به بل يصرف عنه الفكر فكيف بمثل هذا المنكر وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
كلمة وقال ابن عطية وهذه المقالة هي قائمة في النفس معنى واحدًا فيحسن أن تسمى
كلمة وقال أيضًا وقرأ الجمهور بنصب الكلمة كما تقول نعم رجلًا زيد وفسر بالكلمة
ووصفها بالخروج من أفواههم فقال بعضهم نصبها على التمييز على حد نصب قوله تعالى
وساءت مرتفقًا وقالت فرقة نصبها على الحال أي كبرت فريتهم ونحو هذا انتهى فعلى
قوله كما تقول نعم رجلًا زيد يكون المخصوص بالذم محذوفًا لأنه جعل تخرج صفة لكلمة
والتقدير كبرت كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة التي فاهوا بها وهي مقالتهم
اتخذ الله ولدًا والضمير في كبرت ليس عائدًا على ما قبله بل هو مضمر يفسره ما بعده وهو
التمييز على مذهب البصريين ويجوز أن يكون المخصوص بالذم محذوفًا وتخرج صفة له أي كبرت
كلمة كلمة تخرج من أفواههم وقال أبو عبيدة نصب على التعجب أي أكبر بها كلمة أي من كلمة
وقرئ كبرت بسكون الباء وهي في لغة تميم وقرأ الحسن وابن يعمر وابن محيصن والقواس
عن ابن كثير بالرفع على الفاعلية والنصب أبلغ في المعنى وأقوى وإن نافية أي ما يقولون
إلا كذبًا نعت لمصدر محذوف أي قولًا كذبًا فلعلك باخع لعل للترجي في المحبوب وللإشفاق
في المحذور وقال العسكري هي هاهنا موضوعة موضع النهي يعني أن المعنى لا تبخع نفسك
وقيل وضعت موضع الاستفهام تقديره هل أنت باخع نفسك وقال ابن عطية تقرير وتوقيف
بمعنى الإنكار عليه أي لا تكن كذلك وقال الزمخشري شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم
يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقته أحبته وأعزته
فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدًا عليهم وتلهفًا على فراقهم انتهى
ويكون لعل للاستفهام من قول الكوفيين والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخع الرسول
نفسه عليهم لكونهم لم يؤمنوا وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم
إدبار وتباعد عن الإيمان وإعراض عن الشرع فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو
في آثارهم يحزن عليهم ومعنى على آثارهم من بعدهم أي بعد يأسك من إيمانهم أو بعد موتهم
على الكفر ويقال مات فلان على أثر فلان أي بعده وقرئ باخع نفسك بالإضافة

وقرأ الجمهور بأحسن بالتنوين تمسك بالنصب قال الزمخشري على الاصل يعني ان اسم الفاعل
اذا استوفي شروط العمل فالاصل ان يعمل وقد اشار الى ذلك س في كتابه وقال الكسائي
العمل والاضافة سوا وقد ذهبنا الى ان الاضافة احسن من العمل عا قررناه في ما وضعنا
في علم النحو وقرئ انهم لا يومنوا بكسر الهمزة وفتحها فمن كسر فقال الزمخشري هو بمعنى اسم
الفاعل للاستقبال ومن فتح فللمضي يعني حالة الاضافة اي لان لم يومنوا والاشارة
بهذا الحديث الى القران قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها واسفا قال
مجاهد جزعا وقال قتادة غضبا وعنه ايضا حزنا وقال السدي ندما وتحسرا
وقال الزجاج الاسف المبالغة في الحزن والغضب ٥ وقال المنذر بن سعيد الاسف
هنا الحزن لانه على من لا يملك ولا من تحت يد الاسف ولو كان الاسف من مقتدر على من هو
في قبضته وملكه كان غضبا كقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا قال
ابن عطية واذا تأملت هذا في كلام العرب اطرد انتهى وانتصاب اسفا على انه مفعول
من اجله او على انه مصدر في موضع الحال وارتباط قوله انا جعلنا الاية بما قبلها هو على
سبيل التسلية للرسول لانه تعالى اخبر انه خلق ما على الارض من الزينة للابتلاء
والاختبار اي الناس احسن عملا فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل بل لا
بد ان يكون فيهم من هو احسن عملا ومن هو اسوء عملا فلا تغتم وتحزن على من فضلت
عليه بانه يكون اسوء عملا ومع كونهم يكفرون في لا اقطع عنهم مواد هذه النعم
التي خلقتها وجعلنا هنا بمعنى خلقنا والظاهر انما يراد بما عن العاقل وانه يراد به
العموم فيما لا يعقل وزينة كل شي بحسبه وقيل لا يدخل في ذلك ما كان فيه ايذاء
من حيوان وحجر ونبات لانه لا زينة فيه ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة
خلقه وصنعته واحكامه وقيل المراد بما هنا خصوص ما لا يعقل فقيل الاشجار والانهار
وقيل النبات لما فيه من الاختلاف والازهار وقيل الحيوان المختلف الاشكال
والمنافع والافعال وقيل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت
والزبرجد والجوهر والمرجان وما يجري مجرى ذلك من نفائس الاحجار وقال
الزمخشري ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها وكنت فرقة اراد النعيم والملابس والثمار والخضرة
والمياه وقيل ما هنا لمن يعقل فعن مجاهد هو الرجال وقاله ابن جبير عن ابن عباس
وروي عكرمة ان الزينة الخلفاء والعلماء والامراء وانتصب زينة على الحال
او على المفعول من اجله ان كانت جعلنا بمعنى خلقنا واوجدنا وان كانت بمعنى صيرنا
فانتصب على انه مفعول ثان واللام من لنبلوهم تتعلق بجعلنا والابتلاء الاختبار
وسوء منا وليا لتنبيه الى الله تعالى والضمير في لنبلوهم ان كانت ما لمن يعقل فهو
عايد عليها على المعنى وان لا يعود على ما يفهم من سياق الكلام وهو سكان الارض
المكلفون وايهم يحتمل ان يكون الضمير فيها اعرابا فيكون ايهم مبتدا واحسن
خبره والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق لنبلوهم اجراء لها مجرى
العلم لان الابتلاء والاختبار سبب للعلم كما علقوا سبيل والنظر البصرية لانهما سببان
للعلم والى ان الجملة استفهامية مبتدا وخبر ذهب الحوفي ويحتمل ان تكون الضمة فيها

بناء على مذهب س لوجود شرط جواز البناء في اي وهو كونها مضافة وقد حذف صدر صلتها
فاحسن خبر مبتدا محذوف فتقديره هو احسن ويكون ايهم في موضع نصب بدلا من
الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس احسن عملا وقال الثوري
احسنهم عملا ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني اترك لها وقال الزمخشري
حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها وقال ابو بكر غالب بن عطية احسن
العمل اخذ بحق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب
اليه وقال الكلبي احسن طاعة وقال القاسم بن محمد ما عليها من الانبياء
والعلماء ليبلو المرسل اليهم والمقلدين للعلماء ايهم احسن قبولا واجابة وقال
سهل احسن توكلا علينا فيها وقيل اصفى قلبا واحسن سمتا وقال ابن اسحق
ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وانا لجاعلون اي مصيرون ما عليها مما كان
زينة لها او ما عليها مما هو اعم من الزينة وغيره صعيدا ترابا جرزا لا نبات فيه
وهذا اشارة الى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية للرسول عن ما تضمنته
ايدي المترفين من زينتها اذ مآل ذلك كله الى الفناء والمحاق وقال الزمخشري
ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت
خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من
اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك انتهى قيل والصعيد ما
تصاعد على وجه الارض وقال مجاهد الارض التي لا نبات بها وقال السدي
الاملس المستوي وقيل الطريق وفي الحديث اياكم والقعود على الصعدات ٥
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ٭ اذ اوى الفتية الى
الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ٭ فضربنا على
اذانهم في الكهف سنين عددا ٭ ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما
لبثوا امدا ٭ نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى ٭ وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ٭ ام هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة
قيل للاضراب عن الكلام الاول بمعنى الانتقال من كلام الى اخر لا بمعنى الابطال والهمزة
للاستفهام وزعم بعض النحويين ان ام هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر في ام حسبت
انه خطاب للرسول فقال مجاهد لم ينهه عن التعجب وانما اراد كل اياتنا كذلك
وقال قتادة لا تتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والارض اكثر وقال
ابن عباس سالوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك وسائر ايات
القران ابلغ واعجب وادل على صدقك وقال الطبري تقرير له عليه السلام
على حسبانه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه ان لا يعظم
ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فان سائر ايات الله اعظم
من قصتهم قال وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحق وقال
الزهراوي يحتمل معنى اخر وهو ان يكون استفهاما له هل علم ان اصحاب الكهف
كانوا عجبا بمعنى اثبات انهم عجب ويكون فائدة تقريره جمع نفسه للامر لان

قوله عز وجل
ام حسبت

بوابه ان يقول لم احسب ولا علمت فيقال له وصفهم عند ذلك وانه لا يجوز في هذا التاويل
سوى لفظة حسبت انتهى وقال غيره معناه اعلمت اي لم تعلمه حتى اعلمتك وقال
الزمخشري ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر
لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اهل
الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة انتهى وقيل اي ام علمت اي فاعلم انهم كانوا
عجبا كما تقول اعلمت ان فلانا فعل كذا اي قد فعل فاعلمه وقيل الخطاب
للسامع والمراد المشركون اي فلا يهولهم ام حسبتم الاية والظن قد يقام مقام العلم
فكذلك حسبت بمعنى علمت والكهف تقدم تفسيره في المفردات وعن انس الكهف
الجبل قال القاضي وهذا غير مشهور في اللغة وقال مجاهد تفريج بين الجبلين
والظاهر ان اصحاب الكهف والرقيم هم الفتية المذكورون هنا وعن ابن المسيب
انهم قوم كان حالهم كاصحاب الكهف فقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم
فيها غار فيه احد وعشرون نفسا اموات كلهم نيام على هيئة اصحاب الكهف
وقيل هم اصحاب الغار في الحديث عن النعمان بن بشير انه سمع الرسول يذكر الرقيم
قال ان ثلثة نفر اصابتهم السما فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل
فانطبقت على باب الكهف وذكر الحديث وهو حديث المستاجر والعفيف والبار بوالديه
وفيما اوردوه فيه زيادة الفاظ على ما في الصحيح ومن قال انهم طائفتان
قال اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء ومن قال انهم
طائفة واحدة اختلفوا في شرح الرقيم فعن ابن عباس انه لا يدري ما الرقيم
اكتاب ام بنيان وعنه انه كتاب كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به
من دين عيسى عليه السلام وقيل من دين قبل عيسى ه وعن ابن عباس ووهب
انه اسم قريتهم وقيل لوح من ذهب تحت الجدار اقامه الخضر عليه السلام وقيل
كتب فيه اسماؤهم وقصتهم وسبب خروجهم وقيل لوح من رصاص كتب فيه شان
الفتية ووضع في تابوت من نحاس في فم الكهف ه وقيل صخرة كتب فيها اسماؤهم
وجعلت في سور المدينة وقيل اسم كلبهم وتقدم بيت امية قاله انس والشعبي
وابن جبير وعن الحسن الجبل الذي به الكهف وعن عكرمة اسم الدواة بالرومية وقيل
اسم للوادي الذي فيه الكهف وقيل رقم الناس حديثهم نقرا في الجبل وعجبا
نصب على انه صفة لمحذوف دل عليه ما قبله وتقديره اية عجبا وصفت بالمصدر
او على تقدير ذات عجب ه واما اسماء فتية اهل الكهف فاعجمية لا تنضبط
بشكل ولا نقط والسند في معرفتها ضعيف والرواة مختلفون في قصصهم وكيف
كان اجتماعهم وخروجهم ولم يات في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن
الا ما قص تعالى علينا من قصصهم ومن اراد تطلب ذلك في كتب التفسير وروي ان اسم
الملك الكافر الذي خرجوا في ايامه عن ملته اسمه دقيوس وروي انهم كانوا في الروم
وقيل في الشام وان بالشام كهفا فيه موتى ويزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف
وعليهم مسجد وبنا يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة وبالاندلس في جهة غرناطة
بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة واكثرهم قد انجرد لحمه

وبعضهم

وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شانهم ويزعم ناس
انهم اصحاب الكهف قال ابن عطية دخلت اليهم فرايتهم منذ اربع وخمسماية وهم
بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بنا رومي يسمى الرقيم كانه قصر مخلق قد بقي
بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وبا على حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار
مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب في قبورها ونحوها
وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده لانه عجب يتخلد ذكره ما شا الله عز وجل انتهى
وحين كنا بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون في
عدتهم اذا عدوهم وان معهم كلبا ويرحل الناس الى لوشة لزيارتهم واما ما ذكر
من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها
حجارة كبارا ويترجح كون اهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى انها
هي بلاد مملكتهم العظمى ولان الاخبار بما هو في اقصى مكان من ارض الحجاز اغرب وابعد
ان يعرفه احد الا بوحي من الله تعالى ه والعامل في اذ قيل اذكر مضمرة وقيل عجبا ومعنى
اوى جعلوه ماوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله تعالى ان يوتيهم رحمة من عنده
وفسرها المفسرون بالرزق وقال الزمخشري هي المغفرة والرزق والامن من الاعدا
والفتية جمع فتى جمع تكسير جمع قلة وكذلك كانوا قليلين وعند ابن السراج انه اسم
جمع لا جمع تكسير ولفظ الفتية يشعر بانهم كانوا شبابا وكذا روي انهم كانوا شبابا
من ابناء الاشراف والعظماء مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وهم من الروم
اتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واصحابنا الاندلسيون يكثر في الفاظهم تسمية
نصارى الاندلس بالروم في نثرهم ونظمهم ومخاطبة عامتهم فيقولون غزونا الروم
جانا الروم وقل من ينطق بلفظ النصارى ولما دعوا بايتاء الرحمة وهي تتضمن الرزق
وغيره دعوا الله بان يهيي لهم من امرهم الذي صاروا اليه من مفارقة دين اهليهم
وتوحيد الله رشدا وهو الاهتدا والديمومة عليه وقال الزمخشري واجعل امرنا رشدا
كله كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو جعفر وشيبة والزهري وهيي وتهيي بيائين
من غير همز يعني انه ابدل الهمزة الساكنة ياء وفي كتاب ابن خالويه الاعشى عن ابي بكر عن
عاصم وهيي لنا ويهيي لكم لا يهمز انتهى فاحتمل ان يكون ابدل الهمزة ياء واحتمل ان
يكون حذفها فالاول ابدال قياسي والثاني مختلف فيه اقياس حذف الحرف المبدل
من الهمزة في الامر والمضارع اذا كان مجزوما وقرا ابو رجا رشدا بضم الرا واسكان
الشين وقرا الجمهور رشدا بفتحهما قال ابن عطية وهي ارجح لشبهها بفواصل الايات
قبل وبعد وهذا الدعا منهم كان في امر دنياهم والفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا
على ثقة من رشد الاخرة ورحمتها وينبغي لكل مومن ان يجعل دعاءه في امر دنياه
هذه الاية فانها كافية ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الاخرة انتهى ه فضربنا
على اذانهم استعارة بديعة للانامة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها وعبر بالضرب
ليدل على قوة المباشرة واللصوق واللزوم ومنه ضربت عليهم الذلة وضرب
الجزية وضرب البعث وقال الفرزدق ه

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ه وقضى عليك به الكتاب المنزل ه

وقال الاسود بن يعفر

ومن الحوادث لا ابا لك انني ۞ ضربت علي الارض بالاسداد

وقال اخر

ان المروءة والسماحة والندي ۞ في قبة ضربت علي ابن الحشرج

استعار للزوم هذه الاوصاف لهذا الممدوح وذكر الجارحة التي هي الاذان اذ هي التي يكون منها السمع لانه لا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع وفي الحديث ذاك رجل بال الشيطان في اذنه اي استثقل نومه جدا حتي لا يقوم بالليل ومفعول ضربنا محذوف اي حجابا من ان يسمع كما يقال بني علي امراته يريدون بني عليها القبة وانتصب سنين علي الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا مصدر وصف به او منتصب بفعل مضمر اي نعد عددا او بمعني اسم المفعول كالقبض والنفض ووصف به سنين اي سنين معدودة والظاهر في قوله عددا الدلالة علي الكثرة لانه لا يحتاج ان يعد الا ما كثر لا ما قل وقال الزمخشري ويحتمل ان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهي وهذا تخريج في التشبيه لان لفظ الاية كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا اذا راوا العذاب كما قال الشاعر

كان الفتي لم يعر يوما اذا اكتسي ۞ ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

ثم بعثناهم اي ايقظناهم من نومهم والبعث التحريك عن سكون اما في الشخص واما عن الامر المبعوث فيه وان كان المبعوث متحركا ولنعلم اي لنظهر لهم ما علمناه من امرهم وتقدم الكلام في نظير هذا في قوله لنعلم من يتبع الرسول وفي التحرير وقرا الجمهور لنعلم بالنون وقرا الزهري ليعلم بالياء وفي كتاب ابن خالويه ليعلم اي الحزبين حكاه الاخفش وفي الكشاف وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم انتهي فاما قراءة ليعلم فيظهر ان ذلك التفات خرج من ضمير المتكلم الي ضمير الغيبة فيكون معناها ومعني لنعلم بالنون سواء واما ليعلم فيظهر ان المفعول الاول محذوف لدلالة المعني عليه والتقدير ليعلم الله الناس اي الحزبين والجملة من الابتداء والخبر في موضع مفعولي يعلم الثاني والثالث ويعلم معلق واما ما في الكشاف فلا يجوز ما ذكر علي مذهب البصريين لان الجملة اذ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل فكما ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم مقام ما ناب عنه وللكوفيين مذهبان احدهما انه يجوز الاسناد الي الجملة اللفظية مطلقا والثاني انه لا يجوز الا ان كان مما يصح تعليقه والظاهر ان الحزبين هما منهم لقوله تعالي وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل الاية وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم علموا ان لبثهم تطاول او لدليل علي ذلك انه تعالي بدا بقصتهم ولا مختصرة من قوله ام حسبت الي قوله امدا ثم قصها تعالي مطولة مشبعة من قوله نحن نقص الي قوله قل الله اعلم بما لبثوا وقال ابن عطية والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اي ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم اهل

المدينة

المدينة الذين بعث الفتية علي عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهي وقالت فرقة هما حزبان كافران اختلفا في مدة اهل الكهف قال السدي من اليهود والنصاري الذين علموا قريشا السؤال عن اهل الكهف وعن الخضر وعن الروح وكانوا قد اختلفوا في مدة اقامة اهل الكهف في الكهف وقال مجاهد قوم من اهل الكهف كان منهم مؤمنون وكافرون واختلفوا في مدة اقامتهم وقيل حزبان من المؤمنين في زمن اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم قاله الفراء وقال ابن عباس الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب واهل الكهف حزب وقال ابن بحر الحزبان الله والخلق كقوله ءانتم اعلم ام الله وهذه كلها اقوال مضطربة وقال قتادة لم يكن للفريقين علم بلبثهم لا لمؤمن ولا لكافر بدليل قوله الله اعلم بما لبثوا وقال مقاتل لما بعثوا زال الشك وعرفت حقيقة اللبث واحصي جوز الحوفي وابو البقاء ان يكون فعلا ماضيا وما مصدرية وامدا مفعول به وان يكون افعل للتفضيل وامدا تمييز واختار الزجاج والتبريزي ان يكون افعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية ان يكون فعلا ماضيا ورجحوا هذا بان احصي اذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي وعندهم ان ما اعطاه وما اولاه للمعروف واعدي من الجرب شاذ لا ينقاس ويقول ابو اسحاق انه قد كثر من الرباعي فيجوز وخلط ابن عطية فيما فاورد فيما بني من الرباعي ما اعطاه للمال واتاه للخير وهي اسود من القار وماؤه ابيض من اللبن وقوله لما سواها اضيع قال وهذه كلها افعل من الرباعي انتهي واسود وابيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء افعل للتعجب والتفضيل ثلاثة مذاهب يبني منه مطلقا وهو ظاهر كلام س وقد جاءت منه الفاظ ولا يبني منه مطلقا وما ورد حمل علي الشذوذ والتفصيل بين ان تكون الهمزة للنقل فلا يجوز او لغير النقل كاشكل الامر واظلم الليل فيجوز تقول ما اشكل هذه المسالة وما اظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من اصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو واذا قلنا بان احصي اسم للتفضيل جاز ان يكون اي الحزبين موصولا مبنيا علي مذهب س لوجود شرط بناء اي وهو اضافتها وحذف صدر صلتها والتقدير لنعلم الفريق الذي هو احصي لما لبثوا امدا من الذين لم يحصوا واذا كان فعلا ماضيا امتنع ذلك لانه اذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة بنفسه علي تقدير جعل اي موصولة فلا يجوز بناؤها لانه فات تمام شرطها وهو ان يكون حذف صدر صلتها وقال فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدي من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس علي الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعني فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصي كما اضمر في قوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا ۞ علي يضرب القوانس فقد ابعدت المتناول

وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصي فعلا ثم رجعت مضطرا الي تقديره واضماره انتهي اما دعواه الشذوذ فهو مذهب ابي علي وقد ذكرنا ان ظاهر مذهب س جوازه

عي

بناؤه من فعل مطلقا وانه مذهب ابي اسحق وان التفضيل اختيار ابن عصفور وقول
غيره والهمزة في احصى ليست للنقل واما قوله فافعل لا تعمل ليس بصحيح لانه يعمل في التمييز
وامدا تمييز وهكذا اعربه من زعم ان احصى افعل التفضيل كما تقول زيد اقطع الناس
سيفا وزيد اقطع للهام سيفا ولم يعربه مفعولا به واما قوله واما ان ينصب بلبثوا
فلا يسد عليه المعنى اي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري الى ان نصب امدا بلبثوا
قال ابن عطية وهذا غير متجه انتهى وقد يتجه وذلك ان الامد هو الغاية ويكون
عبارة عن المدة من حيث ان للمدة غاية اي بمعنى احصى امدا المدة على الحقيقة واما بمعنى الذي
وامدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من امد اي مدة ويصير من امد
تفسيرا لما ابهم في لفظ ما كقوله ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما
سقط الحرف وصل اليه الفعل واما قوله فان زعمت الى آخره فنقول لا يحتاج الى
هذا الزعم لانه لقائل ذلك ان يسلك مذهب الكوفيين في ان افعل التفضيل
ينصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب باضرب نصب المفعول به وان تأوله
نضرب القوانس فقول البصريين ولذلك ذهب بعض النحويين الى ان قوله اعلم من يضل
من منصوبة باعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود مثل واضرب منا بالسيوف القوانسا
لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان افعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك
التضمن الا ترى ان المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانس على ضرب غيرنا ۞ ولما ذكر تعالى
قوله لنعلم مشعرا باختلاف في امرهم عقب بانه تعالى هو الذي يقص نبأهم على
رسوله خبرهم بالحق اي على وجه الصدق وجاء لفظ نحن نقص موازنا لقوله لنعلم
نحن فالذين امنوا بربهم فتية اضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده
ولم يأت التركيب امنوا بنا للاشعار بتلك الرتبة وهي انهم مربوبون له مملوكون
نحن فالذ وزدناهم هدى ولم يأت التركيب وزادهم لما في لفظة نا من العظمة والجلال
وزيادة انه تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع اليه ومباعدة
الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة في الايمان الذي حصل لهم وفي التحرير
زدناهم ثبات هدى او يقينا قولان وما حصلت به الزيادة امتثال المأمور
وترك المنهي او انطاق الكلب لهم بانه هو على ما هم عليه من الايمان او انزال
ملك عليهم بالتبشير والتثبيت واخبارهم بظهور نبي من العرب يكون الدين به كله
لله فامنوا به قبل بعثه اقوال ملخصة من التحرير وربطنا على قلوبهم ثبتناها
وقويناها على الصبر على هجر الوطن والنعيم والفرار بالدين الى غار في مكان قفر
لا انيس به ولا ماء ولا طعام ولما كان الفزع وخوف النفس يشبه بالتناسب
الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم ان تشبه الربط ومنه فلان رابط
الجاش اذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفزع والحرب وقال تعالى ان كادت لتبدي
به لولا ان ربطنا على قلبها والعامل في اذ ربطنا اي ربطنا حين قاموا ويحتمل
القيام ان يكون مقامهم بين يدي الملك الكافر دقيانوس فانه مقام محتاج الى
الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخلعوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته
ويحتمل ان يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة الناس

كما يقال قام فلان الى كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد وقال الكرماني قاموا
على ارجلهم وقيل قاموا يدعون الناس سرا وقال عطاء قاموا عند قيامهم
من نومهم قالوا وقيل قاموا على ايمانهم وقال صاحب الغنيان اذ قاموا بين
فتحركت هرة وقيل فارة فتفزع دقيانوس فنظر بعضهم الى بعض فلم يتمالكوا ان قالوا
ربنا رب السموات والارض وكان قومهم عباد اصنام وما احسن ما وحدوا الله
بان ربهم هو موجد السموات والارض المتصرف فيها على ما يشاء ثم اكدوا الكلام
في التوحيد هذا التوحيد بالبراءة من اله غيره بنفي اللفظ المستغرق لما يبدا الزمان على
قول واللام في لقد لام توكيد واذا حرف جواب وجزاء اي لقد قلنا ان ندعو
من دونه الها قولا شططا اي ذا شطط وهو التعدي والجور فشططا نعت
لمصدر محذوف اما على الحذف كما قدرناه واما على الوصف به على جهة المبالغة
وقيل مفعول به بقلنا وقال قتادة شططا كذبا وقال ابو زيد خطا ۞ هؤلاء

قوله عز وجل هؤلاء قومنا

قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ۞ فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ۞ ولما وحدوا الله تعالى
ورفضوا ما دونه من الالهة اخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة
لهم في عبادة غير الله ثم عظموا جرم من افترى على الله كذبا وهذه الجملة
تحتمل ان تكون قالوها في مقامهم بين يدي الملك تقبيحا لما هو قومهم عليه وذلك
ابلغ في التبري من عبادة الاصنام وانت في عضد الملك اذ احتجوا عليه بذم
ما هو عليه ويحتمل ان قالوا ذلك عند قيامهم للامر الذي عزموا عليه وهؤلاء
مبتدا وقومنا قال الحوفي خبر واتخذوا في موضع الحال وقال الزمخشري وتبعه
ابو البقاء قومنا عطف بيان واتخذوا في موضع الخبر والضمير في من دونه عائد
على الله ولولا تحضيض صحبه الانكار اذ يستحيل وقوع سلطان بين على ذلك فلا
يمكن فيه التحضيض الصرف لحصوله على ذلك على سبيل التعجيز لهم ومعنى عليهم على
اتخاذهم الهة واتخذوا هنا يحتمل ان يكون بمعنى عملوا لانها اصنام هم نحتوها
وان يكون بمعنى صيروا وفي ما ذكروه دليل على ان الدين لا يؤخذ الا بالحجة والدعوى
اذا لم يكن عليها دليل فاسدة وهي ظلم وافتراء على الله وكذب بنسبة شركا لله
۞ واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة اوطان قومهم
ومعتقداتهم فهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف على المفعول في اعتزلتموهم
اي واعتزلتم معبودهم والا الله استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع الهتهم
لاندراج لفظ الجلالة في قوله وما يعبدون وذكر ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني
انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك
الالهة ولم يعتزلوا عبادة الله وقال هذا ايضا الفراء ومنقطع ان كانوا لا
يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم وفي مصحف عبد الله
وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها قال هرون وفي بعض
المصاحف وما يعبدون من دوننا انتهى وما في مصحف عبد الله وفي ما ذكر هرون

انما اريد به تفسير المعنى وان هولاء الفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله
وليس ذلك قرانا لمخالفتها سواد المصحف ولان المستفيض عن عبد الله بل هو متواتر
ما ثبت في السواد وهو وما يعبدون الا الله وقيل وما يعبدون الا الله كلام
معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فعلى هذا
ما نافية والاستثناء مفرغ له العامل فاووا الى الكهف اي اجعلوه ماوى
لكم تقيمون فيه وتاوون اليه وقوله ينشر فيه ما كانوا عليه من التوكل حيث
اووا الى الكهف ورتبوا على ما واهم اليه نشر رحمة الله عليهم وتمهيد
رفقه تعالى بهم لان من اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان لا يضيعه والمعنى
ان الله تعالى سيبسط علينا رحمته ويهيئ لنا ما نرتفق به في امرنا قال ابن عباس
ويهيئ لكم يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف
وقال ابن الانباري المعنى ويهيئ لكم بدلا من امركم الصعب مرفقا ○

قال الشاعر ○

○ فليت لنا من ماء زمزم شربة ○ مبردة باتت على طهيان ○

اي بدلا من ماء زمزم قال الزمخشري اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة
في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون
بعضهم نبيا **وقرأ** ابو جعفر والاعرج وشيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر
وابو بكر في رواية الاعشى والبرجمي والجعفي عنه وابو عمرو في رواية هارون
بفتح الميم وكسر الفاء **وقرأ** ابن ابي اسحق وطلحة والاعمش وباقي السبعة بكسر الميم
وفتح الفاء فقالا ان جميعا في الامر الذي يرتفق به وفي الجارحة حكاه الزجاج وثعلب
ونقل مكي عن الفراء انه قال لا اعرف في الامر وفي اليد وفي كل شيء الا كسر الميم وانكر
الكسائي ان يكون المرفق من الجارحة الا بفتح الميم وكسر الفاء وخالفه ابو حاتم وقال
المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وقال ابو زيد هو مصدر كالرفق جاء على مفعل وقيل
هما لغتان فيما يرتفق به واما من اليد فبكسر الميم وفتح الفاء لا غير وعن الفراء اهل الحجاز
يقولون مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الانسان
والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعا انتهى واجاز معاذ فتح الميم والفاء ○ وترى
الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا ○ وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا ○ هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فاووا الى الكهف
فالقى الله عليهم النوم واستجاب دعاءهم وارفقهم في الكهف باشياء **وقرأ**
الحرميان وابو عمرو تزاور بادغام التاء في الزاي **وقرأ** الكوفيون والاعمش
وطلحة وابن ابي ليلى وابن مناذر وخلف وابو عبيد وابن سعدان ومحمد بن عيسى
الاصبهاني واحمد بن جبير الانطاكي بتخفيف الزاي اذ حذفوا التاء **وقرأ**
ابن ابي اسحاق وابن عامر وقتادة وحميد ويعقوب عن العمري تزور على وزن

قوله عز وجل وترى الشمس

تحمر

تحمر **وقرأ** الجحدري وابو رجاء والسختياني ايوب وابن ابي عبلة وجابر وورودان عن
ايوب تزوار على وزن تحمار **وقرأ** ابن مسعود وابو المتوكل تزوئر بهمزة قبل الراء
على قولهم ادهام واسعال بالهمزة فرارا من التقاء الساكنين والمعنى تروغ
وتميل وذات اليمين جهة يمين الكهف وحقيقته الجهة المسماة باليمين يعني
يمين الداخل الى الكهف اي يمين الفتية وتقرضهم لا تقربهم من معنى القطيعة
وهم في فجوة اي متسع من الكهف **وقرأ** الجمهور تقرضهم بالتاء **وقرأت فرقة**
بالياء اي يقرضهم الكهف قال ابن عباس المعنى انهم كانوا لا تصيبهم الشمس البتة
وقالت فرقة انما كانت الشمس بالعشي تنالهم بما في مسها صلاح لاجسامهم
وهذه الصفة مع الشمس تقتضي انه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب
من جهة الدبور وهم في زاوية وقال عبد الله بن مسلم كان باب الكهف ينظر
الى بنات نعش وعلى هذا كان اعلى الكهف مستورا من المطر قال ابن عطية كان
كهفهم مستقبل بنات نعش لا تدخله الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب اختار
الله لهم مضجعا متسعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم وتدفع عنهم
كربة الغار وغمومه وقال الزمخشري المعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم
الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس
لولا ان الله يحجبها عنهم انتهى ○ وهو بسط قول الزجاج قال الزجاج فعل الشمس
كان اية من ايات الله دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك وقال
ابو علي معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئا ثم تزول سريعا كالقرض يسترد والمعنى عنده
ان الشمس تميل بالغدوة وتصيبه بالعشي اصابة خفيفة انتهى ولو كان من القرض
الذي يعطى ثم يسترد لكان الفعل رباعيا فكان يكون تقرضهم بالتاء مضمومة لكنه
من القطع وانما التقدير تقرض لهم اي تقتطع لهم من ضوئها شيئا قيل ولو كانت الشمس لا
تصيب مكانهم اصلا لكان يفسد هواؤه ويتعفن ما فيه فيهلكوا والمعنى انه تعالى
دبر امرهم فاسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة دائمة
فيعفن والاشارة بذلك الى ما صنعه تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة
وغاربة اية من اياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة ومن قال انه كان مستقبل بنات نعش بحيث كان له حاجب
من الشمس كانت الاشارة الى ان حديثهم من ايات الله وهو هدايتهم الى توحيده واخرا
جهم من بين عبدة الاوثان وايواؤهم الى ذلك الكهف وحمايتهم من عدوهم والقاء
الهيبة عليهم وصرف الشمس عنهم يمينا وشمالا لئلا تفسد اجسامهم وانامتهم
هذه المدة الطويلة وصونهم من البلى وثيابهم من التمزق ويدل على انه اشارة الى
الهداية قوله من يهد الله فهو المهتدي وهو لفظ عام يدخل فيه ما سيق
بسببهم وهم اهل الكهف ومن يضلل عام ايضا يدخل فيه دقيانوس واصحابه والخطاب
في وتحسبهم وفي وترى الشمس لمن قدر له انه يطلع عليهم قيل كانوا مفتحة اعينهم
وهم نيام فيحسبهم الناظر منتبهين قال ابو محمد بن عطية ويحتمل ان يحسب
الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغير وذلك ان الغالب

على النوم أن يكون لهم استرخاء من هيئات تقتضي النوم فيحسبه الرائي يقظان وان
كان مسدود العينين ولو صح فتح اعينهم بسند يقطع العذر كان ابين في ان يحسب
عليهم التيقظ والظاهر ان قوله وتحسبهم ايقاظا اخبار مستأنف وليس على تقدير
وقيل في الكلام حذف تقديره لو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا والظاهر ان قوله ونقلبهم
خبر مستأنف وقيل انما وقع الحسبان من جهة تقلبهم ولا سيما اذا كان من اليمين
الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وفي قراءة الجمهور ونقلبهم بالنون مسندا اعتناء
الله بهم حيث اسند التقليب اليه تعالى والله هو الفاعل لذلك وحكى الزمخشري
انه قرئ ويقلبهم بالياء مسندا الى يقلبهم الله وقرأ الحسن فيما حكى الاهوازي
في الاقناع ويقلبهم بياء مفتوحة ساكنة القاف مخففة اللام وقرأ
الحسن فيما حكى ابن جني وتقلبهم مصدر وتقلب منصوبا وقال هذا نصب بفعل
مقدر كانه قال وترى او تشاهد تقلبهم وعنه ايضا انه قرأ كذلك الا انه ضم
الباء وهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله ابو حاتم وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن
اليماني وذكر ان عكرمة قرأ وتقلبهم بالتاء باثنتين من فوق مضارع قلب مخففا
قيل والفائدة في تقليبهم في الجهتين لئلا تبلي الارض ثيابهم وتأكل لحومهم فيعتقدوا
انهم ماتوا وهذا فيه بعد فان الله الذي قدر على ان يبقيهم احياء تلك المدة
الطويلة هو قادر على حفظ اجسامهم وثيابهم وعن ابن عباس لو مستهم الشمس
لاحرقتهم ولولا التقليب لاكلتهم الارض انتهى وذات بمعنى صاحبة اي
جهة ذات اليمين ونقل المفسرون الخلاف في اوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات
عن ابن عباس وابي هريرة وقتادة ومجاهد وابن عياض باقوال متعارضة متناقضة
ضربنا عن نقلها صفحا وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع او غيره
لان مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك الا بالعقل وانما يدرك بالسمع
والسمع لا يكون في مثل هذا الا عن الانبياء او الكتب الالهية ويستحيل
ورود هذا الاختلاف عنهما والظاهر ان قوله وكلبهم اريد به الحيوان
المعروف والابعد من ذهب الى انه اسد وابعد من ذلك قول من ذهب الى انه
رجل طباخ لهم تبعهم او احدهم قعد عند الباب طليعة لهم وحكى ابو عمر الزاهد
غلام ثعلب انه قرئ وكالبهم اسم فاعل من كلاء اذا حفظ فينبغي ان يحمل على انه
الكالي لحفظه للانسان قيل ويحتمل ان يراد بالكالي الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين
واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه وقرأ
جعفر الصادق وكالبهم بالباء بواحدة اي صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر اي
صاحب لبن وتمر وقال الزمخشري باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم
الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام
زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية انتهى وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل اذا
كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن اصحابنا ابو جعفر
ابن مضاء الى انه يجوز ان يعمل ووجه القرينتين مذكور في علم النحو والوصيد قال ابن عباس
الباب وعنه وعن مجاهد وابن جبير الفناء وعن قتادة الصعيد والتراب

وقيل

وقيل العتبة وعن ابن جبير ايضا التراب ه والخطاب في لو اطلعت لمن يصلح له في قوله
وترى الشمس وتحسبهم ايقاظا وقرأ ابن وثاب والاعمش لو اطلعت بضم الواو وصلا
وقرأ الجمهور بكسرها وقد ذكرهما عن شيبة وابي جعفر ونافع وغلبة الرعب لما البس الله
عليهم من الهيبة والجلال فمن رام الاطلاع عليهم ادركته تلك الهيبة ومعنى لوليت
اعرضت بوجهك عنهم واوليتهم كشحك وانتصب فرارا على المصدر اما لفررت
محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت واما مفعولا من اجله وانتصب رعبا على انه
مفعول ثان وابعد من ذهب الى انه تمييز منقول من المفعول كقوله وفجرنا الارض عيونا
على مذهب من اجاز نقل التمييز من المفعول لانك لو سلطت عليه الفعل ما تعدى اليه
تعدي المفعول به بخلاف وفجرنا الارض عيونا وقيل سبب الرعب طول شعورهم
واظفارهم وصفرة وجوههم وتغبير اطمارهم وقيل لاظلام المكان وايحاشه
وليس هذان القولان بشيء لانهم لو كانوا بتلك الصفة انكروا حالهم ولم يقولوا
لبثنا يوما او بعض يوم ولان الذي بعث الى المدينة لم ينكر الا العالم والبناء لا حاله
في نفسه ولانهم بحالة حسنة بحيث لا يفرق الرائي بينهم وبين الايقاظ وهم في
فجوة تخترقها الرياح والمكان الذي بهذه الصورة لا يكون موحشا وقرأ ابن عباس
والحرميان وابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد اللام والهمزة وقرأ باقي السبعة بتخفيف
اللام والهمزة وقرأ ابو جعفر وشيبة بتشديد اللام وابدال الياء من الهمزة وقرأ
الزهري بتخفيف اللام وابدال الهمزة ياء وتقدم الخلاف في رعبا في آل عمران وقرأ سلام
بضم العين ابو جعفر وعيسى ه وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه
الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم
احدا ه انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا ه
الكاف للتشبيه والاشارة بذلك قيل الى المصدر المفهوم من فضربنا على اذانهم اي
مثل جعلنا اناماتهم هذه المدة الطويلة آية جعلنا بعثهم آية وقاله الزجاج وحسنه
الزمخشري فقال وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة
والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا
على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به انتهى
وناسب هذا التشبيه قوله تعالى حين اورد قصتهم اولا مختصرة فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم وقال ابن عطية الاشارة بذلك الى الامر
الذي ذكره الله في جهتهم والعبرة التي فعلها فيهم واللام في ليتساءلوا لام
الصيرورة لان بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم انتهى والقائل قيل كبيرهم مكسلمينا
وقيل صاحب نفقتهم امليخا وكم سؤال عن العدد والمعنى كم يوما اقمتم نائمين
والظاهر صدور الشك من المسؤولين وقيل او للتفصيل قال بعضهم لبثنا يوما وقال
بعضهم بعض يوم والتأمل احس في خاطره طول نومهم ولذلك شاهد قيل ناموا اول
النهار واستيقظوا آخر النهار وجوابهم هذا مبني على غلبة الظن والقول بالظن
الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك في الاخبار ردوا علم لبثهم الى الله تعالى

قوله عز وجل وكذلك بعثناهم

لو

وقال الزمخشري قالوا ربكم أعلم بما لبثتم إنكار عليهم من بعضهم وأن الله تعالى أعلم بمدة لبثهم
كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه
إلا الله انتهى ولما انتبهوا من نومهم أخذهم ما يأخذ من نام طويلاً من الحاجة إلى الطعام
والتفضل فابعثوا بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك إلى الله
والمبعوث قيل هو يمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا فارين دراهم لنفقتهم وكانت
حاضرة عندهم فلهذا أشاروا إليها بقولهم هذه **وقرأ** أبو عمرو وحمزة وأبو بكر وحفص
والأعمش واليزيدي ويعقوب في رواية وخلف وأبو عبيد وابن سعدان بورقكم بإسكان
الراء **وقرأ** باقي السبعة وزيد بن علي بكسرها **وقرأ** أبو رجاء بكسر الواو وإسكان الراء
وإدغام القاف في الكاف وكذا إسمعيل عن ابن محيصن وعن ابن محيصن أيضاً كذلك
إلا أنه كسر الراء ليصح الإدغام وقال الزمخشري **وقرأ** ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام
القاف في الكاف انتهى وهو مخالف لما نقل الناس عنه وحكى الزجاج قراءة بكسر الواو
وسكون الراء دون إدغام **وقرأ** علي بن أبي طالب بوارقكم على وزن فاعل جعله اسم
جمع كباقر وجامل والمدينة هي مدينتهم التي خرجوا منها قيل وتسمى الآن طرسوس
وكان اسمها عند خروجهم وقسوس فلينظر يجوز أن يكون من نظر العين ويجوز أن يكون
من نظر القلب والجملة في موضع نصب بفلينظر معلق عنها الفعل وأيها استفهام
مبتدأ وأزكى خبره ويجوز أن يكون أيها موصولاً مبنياً مفعولاً لينظر على مذهب
سيبويه وأزكى خبر مبتدإ محذوف وأزكى قال ابن عباس وعطاء أحل ذبيحة وأطهر لأن عامة
بلدتهم كانوا كفاراً يذبحون للطواغيت وقال ابن جبير أحل طعاماً قال الضحاك
وكان أكثر أموالهم غصوباً وقال مجاهد قالوا له لا تبتع طعاماً فيه ظلم وقال
عكرمة أكثر وقال قتادة أجود وقال ابن السائب ومقاتل أطيب وقال يمان
ابن رئاب أرخص وقيل أكثر بركة وريعاً وقيل هو الأرز وقيل التمر وقيل الزبيب
وقيل في الكلام حذف أي أي أهلها أزكى طعاماً فيكون ضمير المؤنث عائداً على
المدينة وإذا لم يكن حذف فيكون عائداً على ما يفهم من سياق الكلام كأنه قيل
أي المآكل فهي قوله فابعثوا أحدكم بورقكم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر
هو رأي المتوكلين على الله دون المتوكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية الناس
وقال بعض العلماء هذا الحديث يعني شعر الحج الاستئناف سند الحيات والتوكل
على الرحمن وليتلطف في اختفائه وتحيله مدخلاً ومخرجاً وقال الزمخشري وليتكلف
اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف
انتهى والوجه الثاني هو الظاهر **وقرأ** الحسن وليتلطف بكسر لام الأمر وعن قتيبة
الميال وليتلطف بضم الياء مبنياً للمفعول ولا يشعرن أي لا يفعلن ما يؤدي من غير قصد
منه إلى الشعور بنا سمى ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه **وقرأ** أبو صالح ويزيد
ابن القعقاع وقتيبة ولا يشعرن بكم أحد مبنياً للفعل للفاعل ورافع أحد والضمير
في إنهم عائد على ما دل عليه المعنى من كفار تلك المدينة قيل ويجوز أن يعود على أحد
لأن لفظه للعموم فيجوز أن يجمع الضمير لقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين فجيء
حاجزين ضمير جمع عائداً على أحد وقال الزمخشري الضمير في إنهم راجع إلى الأهل المقدر

في أيمانا والظهور هنا الاطلاع عليهم والعلم بمكانهم وقيل العلو والغلبة **وقرأ** زيد
ابن علي يظهروا بضم الياء مبنياً للمفعول والظاهر أن الرجم بالحجارة وكان الملك عازماً
على قتلهم لو ظفر بهم والرجم كان عادة فيما سلف لمن خالف من الناس إذ هي أشفى ولهم
فيه مشاركة وقال حجاج معناه بالقول بريد السب وقاله ابن جريج أو يعيدوكم بدخولكم
فيها مكرهين ولا يلزم من العود إلى الشيء التلبس به قبل إذ يطلق ويراد به الصيرورة
ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم وإذاً حرف جزاء وجواب وقد تقدم الكلام عليها وكثيراً
ما يتضح تقدير شرط وجزاء ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة
لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال
الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم
بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى
أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ قيل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا
أحدهم ونظر أيها أزكى طعاماً وتلطف ولم يشعر بهم أحداً فاطلع الله أهل المدينة على
حالهم وقصة ذهابه إلى المدينة وما جرى له مع أهلها وحمله إلى الملك وادعائهم
عليه أنه أصاب كنزاً من كنوز الأقدمين وحمل الملك ومن ذهب معه إليهم مذكور في
التفاسير ذلك بأطول مما جرى والله أعلم بتفاصيل ذلك ويقال عثرت على الأمر
إذا اطلعت عليه وأعثرني غيري إذا أطلعني عليه وتقدم الكلام على هذه المادة
في قوله فإن عثر على أنهما استحقا إثماً ومفعول أعثرنا محذوف تقديره أعثرنا عليهم
أهل مدينتهم والكاف في وكذلك للتشبيه والتقدير وكما أنمناهم وبعثناهم لما في
ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم والضمير في ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا وإليه ذهب
الطبري ووعد الله هو البعث لأن حالتهم في نومهم وانتباههم بعدها كحالة المدة
المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها أي لا شك ولا ارتياب في قيامها
والمجازات فيها وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة في أمر الحشر
وبعث الأجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا إنما تحشر الأرواح
فشق على ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على
الرماد وتضرع إلى الله في حجة وبيان فأعثر الله على أهل الكهف فلما بعثهم الله
تعالى وتبين الناس أمرهم سر الملك ورجع من كان شك في أمر بعث الأجساد
إلى اليقين وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله إذ يتنازعون بينهم أمرهم وإذ
معمولة لأعثرنا أو ليعلموا وقيل يحتمل أن يعود الضمير في وليعلموا على أصحاب الكهف
أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور وقوله إذ يتنازعون
على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع إذ ذاك
في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة وقيل التنازع إنما هو في أن اطلعوا
عليهم فقال بعضهم أموات وقال بعضهم أحياء ﴿ وروي أن الملك
وأهل المدينة انطلقوا مع تمليخا إلى الكهف وأبصروهم ثم قالت الفئة

قوله عز وجل
وكذلك أعثرنا

[illegible]

للكلب نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفي
الله انفسهم والقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم
في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف والظاهر ان قوله
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين داخل تحت القول اي امروا بالبناء واخبروا
بمضمون هذه الجملة كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم ويحتمل ان يكون
من كلام الله تعالى ۵ ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين
او من الذين تنازعوا فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
والذين غلبوا قال قتادة هم الولاة وروي ان طايفة ذهبت الى ان يطمس الكهف
عليهم ويتركوا فيه مغيبين وقالت الطائفة الغالبة لنتخذن عليهم مسجدا
فاتخذوه وروي ان التي دعت الى البنيان كانت كافرة ارادت بناء بيعة او مصنع
لكفرهم فمانعهم المؤمنون وبنوا عليهم مسجدا وقرأ الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم
الغين وكسر اللام والمعنى ان الطائفة التي ارادت المسجد كانت تريد ان لا يبنى عليهم
شيء ولا تعرض لموضعهم وروي ان طائفة اخرى مؤمنة ارادت ان لا يطمس الكهف
فلما غلبت الاولى على ان يكون بنيان ولا بد قالت يكون مسجدا فكان وعن ابن عمر
ان الله عمى على الناس امرهم وحجبهم عنه فلذلك دعا الى بناء البنيان ليكون معلما
لهم والظاهر ان الضمير في سيقولون عائد على من تقدم ذكرهم وهم المتنازعون
في حديثهم قبل ظهورهم عليهم فاخبر تعالى نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم
وكون الضمير عائدا على ما قلنا ذكره الماوردي وقيل يعود على نصارى نجران تناظروا
مع الرسول في عددهم فقالت الملكية الجملة الاولى واليعقوبية الجملة الثانية
والنسطورية الجملة الثالثة وهذا يروى عن ابن عباس وفي الكشاف ان السيد
قال الجملة الاولى وكان يعقوبيا والعاقب قال الثانية وكان نسطوريا والمسلمون
قالوا الثالثة واصابوا وعرفوا ذلك باخبار الرسول عن جبريل فتكون الضمائر في
سيقولون ويقولون عائدا بعضها على نصارى نجران وبعضها على المؤمنين وعن
علي هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشليتا ومشلينا هولاء اصحاب يمين الملك
وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة
في امره والسابع الراعي الذي وافقهم هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم
افسوس واسم كلبهم قطمير انتهى وقال ابن عطية الضمير في قوله سيقولون
يراد به اهل التوراة من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في
عدد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص انتهى قيل وجاء بسين الاستقبال
لانه كان في الكلام طي وادماج والتقدير فاذا اجبتهم عن سؤالهم وقصصت عليهم
قصة اهل الكهف فاسالهم عن عددهم فانهم اذا سالتهم سيقولون وقرأ
ابن محيصن ثلث بادغام الثاء في التاء وحسن ذلك لقرب مخرجيهما وكونهما مهموسين
لان التاء الذي قبل الثاء من حروف اللين محسن ذلك ويقولون لم يات
بالسين فيه ولا في ما بعده لانه معطوف على المستقبل فدخل في الاستقبال او لانه

اريد به

اريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له وقرأ شبل بن عباد عن ابن كثير بفتح ميم خمسة
وهي لغة كعشرة وقرأ ابن محيصن بكسر الخاء والميم وبادغام التاء في السين وعنه
ايضا ادغام التنوين في السين بغير غنة رجما بالغيب رميا بالشيء المغيب عنهم
او ظنا استعير من الرجم كان الانسان يرمي الموضع المجهول عنده بظنه المرة بعد
المرة يرجم به على ان يصيب ومنه الترجمان وترجمة الكتاب ۵

وقول زهير ۵

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم ۵

اي المظنون وانت هذه عقيب ما تقدم ليدل على ان قايل تلك المقالة لم يقولوا
ذلك عن علم وانما قالوا ذلك على سبيل التخمين والحدس وجاءت المقالة الثالثة
خالية عن هذا القيد مشعرة انما هي المقالة الصادقة كما تقدم ذكر ذلك عن علي
وعن رسول الله عن جبريل وانتصب رجما على انه مصدر لفعل مضمر اي يرجمون بذلك
او لتضمين سيقولون ويقولون معنى يرجمون او لكونه مفعولا من اجله اي قالوا ذلك
لرميهم بالخبر الخفي والظنهم ذلك اي الحامل لهم على هذا القول هو الرجم بالغيب
وثلثة خبر مبتدا محذوف ۵ والجملة بعده صفة اي هم ثلثة اشخاص وانما قدرنا
اشخاصا لان رابعهم اسم فاعل اضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم اي جعلهم اربعة
وصيرهم الى هذا العدد فلو قدر ثلثة اشخاصا لان يصير ثلثة رجال اربعة لاختلاف
الجنسين والواو في وثامنهم للعطف على الجملة السابقة اي يقولون هم سبعة وثامنهم
كلبهم فاخبروا اولا بسبعة رجال جزما ثم اخبروا اخبارا ثانيا ان ثامنهم كلبهم بخلاف
القولين السابقين فان كلا منهما جملة واحدة وصف المحدث عنه بصفة ولم يعطف
الجملة عليه وذكر عن ابي بكر بن عياش وابن خالويه انها واو الثمانية وان قريشا اذا
حدثت تقول ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية وكونهما جملتان
معطوف احداهما على الاخرى مؤذن بالتثبيت في الاخبار بخلاف ما تقدم فانهم اخبروا
بشيء موصوف بشيء لم يثبتا خبر عن الاخبار ولذلك جاء فيه رجما بالغيب ولم يجيء
في هاتين الجملتين بشيء يقدح فيهما وقرئ وثامنهم كالبهم اي صاحب كلبهم وزعم
بعضهم انهم ثمانية رجال واستدل بهذه القراءة وان قوله وكلبهم على حذف مضاف
اي وصاحب كلبهم وذهب بعض المعربين الى ان قوله وثامنهم ليس داخلا تحت
قولهم بل بين لهم بقوله ويقولون سبعة ثم اخبر تعالى بهذا على سبيل
الاستئناف واذا كان استئنافا فيكون من الله دل ذلك على انهم ثمانية بالكلب ۵ واما
رابعهم كلبهم وسادسهم كلبهم فهو من جملة المحكي من قولهم لان كلا من الجملتين
صفة والى ان العدة ثمانية بالكلب ذهب الاكثرون من الصحابة والتابعين
وائمة التفسير وقال الزمخشري فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولتين قلت هي الواو الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت
بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه

بها أمر ثابت مستقر وهي الواو التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم
قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم انتهى. وكون الواو تدخل
على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها
شيء لا يعرفه النحويون بل قرروا أنه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى
إلا إذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالاً على المغايرة وأما إذا لم يختلف فلا
يجوز العطف في الأسماء المفردة وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز
ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب إلى أن قول س وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل
سوعلامات وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وأن الواو دخلت في الجملة بأن ذلك
ليس من كلام العرب ليس من كلام العرب مررت برجل ويأكل على تقدير الصفة وأما
قوله تعالى إلا ولها فالجملة حالية ويكفي رداً لقول الزمخشري أنا لا نعلم أحداً من علماء
النحو ذهب إلى ذلك ولما أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم في عددهم أمره تعالى أن
يقول قل ربي أعلم بعدتهم أي لا يخبر بعددهم إلا من يعلمهم حقيقة وهو الله تعالى
ما يعلمهم إلا قليل والمثبت في حق الله تعالى هو الأعلمية وفي حق القليل العالمية فلا
تعارض قيل من الملائكة وقيل من العلماء وعلم القليل لا يكون إلا بإعلام الله وقال
ابن عباس أنا من القليل نهاه تعالى عن الجدال فيهم أي في عدتهم والمراء وسمي
مراجعته لهم مراءً على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له في ذلك وقيد
بقوله ظاهراً أي غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحي إليك فحسب من غير تجهيل
ولا تعنيف كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن وقال ابن زيد مراء ظاهراً هو قولك
لهم ليس كما تعلمون وحكى الماوردي إلا بحجة ظاهرة وقال ابن الأنباري إلا جدال
متيقن عالم بحقيقة الخبر والله تعالى ألقى إليك ما لا يشوبه باطل وقال ابن بحر
ظاهراً يشهده الناس وقال التبريزي ظاهراً ذاهباً بحجة الخصم وأنشد
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ۞ أي ذاهب نهاه أن يستفتي أحداً من أهل الكتاب
عن قصتهم لا سؤال متعنت لأنه خلاف ما أمرت به من الجدال بالتي هي أحسن ولا
سؤال مسترشد لأنه تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم نهاه أن يخبر
بأنه يفعل في الزمن المستقبل شيئاً إلا ويقرن ذلك بمشيئة الله تعالى وتقدم
في سبب النزول أنه عليه السلام حين سألته قريش عن أهل الكهف والخضر والروح
قال غداً أخبركم ولم يقل إن شاء الله فتأخر عنه الوحي مدة قيل خمسة عشر يوماً وقيل
أربعين وإلا أن يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لأنه يكون داخلاً تحت القول
فيكون من المقول ولا ينهاه الله أن يقول إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله لأنه كلام
صحيح في نفسه لا يمكن أن ينهى عنه فاحتيج في تأويل هذا الظاهر إلى تقدير فقال
ابن عطية في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز تقديره إلا أن تقول
إلا أن يشاء الله أو إلا أن تقول إن شاء الله فالمعنى إلا أن تذكر مشيئة الله فليس
إلا أن يشاء الله من القول الذي نهي عنه وقال الزمخشري إلا أن يشاء الله متعلق
بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا
أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي

على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني
ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال أي إلا ملتبساً بمشيئة الله
قائلاً إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إلا أن يشاء الله في معنى كلمة تأبيد
كأنه قيل ولا تقولنه أبداً ونحوه وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا لأن
عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قال ائتوني غداً
أخبركم ولم يستثن انتهى قال ابن عطية وقالت فرقة هو استثناء من قوله ولا تقولن
وحكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد من حيث كان الواجب أن لا يحكى انتهى وتقدم
تخريج الزمخشري ذلك على أن يكون متعلقاً بالنهي وتكلم المفسرون في هذه الآية
في الاستثناء في اليمين وليست الآية في الأيمان والظاهر أمره تعالى بذكر الله إذا عرض
له نسيان ومتعلق النسيان غير متعلق الذكر فقيل بالتقدير واذكر ربك إذا تركت بعض
ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل قتادة ذلك
على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقيل واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا
نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر مشيئة ربك
إذا فرط منك نسيان لذلك أي إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها
بالذكر قال ابن جبير قال ولو بعد يوم أو شهر أو سنة وقال ابن الأنباري بعد انقضاء
النسيان كما تقول اذكر لعبد الله إذا صلى صاحبك أي إذا قضى الصلاة والإشارة
بقوله لأقرب من هذا إلى الشيء المنسي أي اذكر ربك عند نسيانه بأن تقول عسى أن يهديني
ربي لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة ولعل النسيان
كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها قال الزمخشري وهذا إشارة إلى نبأ أهل
الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة
وأقرب رشداً من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء
والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل انتهى وهذا تقدمه إليه الزجاج قال
المعنى عسى أن ييسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف وقال
ابن الأنباري عسى أن يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم ويعجل لي
من جهته الرشاد وقال محمد الكوفي المفسر هي بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من لم
يستثن وإنها كفارة لنسيان الاستثناء ۞ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع
ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ۞ واتل ما أوحي إليك من كتاب
ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ۞ الظاهر أن قوله ولبثوا الآية
إخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياماً في الكهف إلى أن أطلع الله عليهم فقال مجاهد
وهو بيان لمجمل قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ولما تحرر هذا
العدد بإخبار من الله تعالى أمر نبيه أن يقول قل الله أعلم بما لبثوا فخبره هذا هو الحق
والصدق الذي لا يدخله ريب لأنه عالم غيب السموات والأرض والظاهر أن قوله
بما لبثوا إشارة إلى المدة السابق ذكرها وقال بعضهم بما لبثوا إشارة إلى المدة التي
بعد الاطلاع عليهم إلى مدة الرسول عليه السلام وقيل لما قال وازدادوا تسعاً كانت

كرّ

لدّ

قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم

الشمسية مبهمة في الساعات والايام والشهور والاعوام واختلفت بنو اسرائيل بحسب ذلك فامر تعالى برد العلم اليه يعني في التسع وهذا بعيد لانه اذا سبق عدد مفسر وعطف عليه ما لم يفسر حمل تفسيره على السابق وحكى النقاش انها ثلثماية شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع اذ حساب العرب هو بالقمر لاتفاق الحساب وقال قتادة ومطر الوراق وليثوا اخبار من بني اسرائيل واحتجوا بان في مصحف عبد الله وقالوا لبثوا وعلى غير قراءة عبد الله يكون معطوفا على المحكي بقوله سيقولون ثلاثة امر الله نبيه ان يرد العلم اليه بما لبثوا ردا عليهم وتفنيدا لمقالتهم قيل هو من قول المتنازعين في امرهم وهو الصحيح على مقتضى سياق الاية ويؤيده قل الله اعلم بما لبثوا جعل ذلك من الغيوب التي هو تعالى مختص بها وقرأ الجمهور مائة بالتنوين قال ابن عطية على البدل وعطف البيان وقيل على التفسير والتمييز وقال الزمخشري عطف بيان لثلثماية وحكى ابو البقاء ان قوما اجازوا ان يكون بدلا من ماية لان ماية في معنى مئات فاما عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين واما نصبه على التمييز فالمحفوظ من لسان العرب المشهور ان ماية لا يفسر الا بمفرد مجرور وان قوله اذا عاش الفتى مائتين عاما من الضرورات ولا سيما وقد انضاف الى ذلك كون سنين جمعا وقرأ حمزة والكسائي وطلحة ويحيى والاعمش والحسن وابن ابي ليلى وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي مائة بغير تنوين مضافا الى سنين اوقع الجمع موقع المفرد وانحى ابو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك وقال ابو علي هذه تضاف في المشهور الى المفرد وقد تضاف الى الجمع وقرأ ابي سنة وكذا في مصحف عبد الله وقرأ الضحاك سنون بالواو وعلى اضمار هي سنون وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية اللؤلؤي عنه تسعا بفتح التاء كما قالوا عشر ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلهما وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر والضمير في به عائد على الله تعالى وهو في موضع رفع او نصب وهل اسمع وابصر امران حقيقة ام امران لفظا معنا انشاء التعجب في ذلك من خلاف مقرر في النحو وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى ابصر بدين الله واسمع اي ابصر بهدى الله واسمع فترجع الهاء اما على الهدى واما على الله ذكره ابن الانباري وقرأ عيسى اسمع به وابصر على الخبر فعلا ماضيا لا على التعجب اي ابصر عباده بمعرفته واسمعهم والهاء كناية عن الله تعالى والضمير في قوله ما لهم قال الزمخشري لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في قضائه احدا منهم وقيل يحتمل ان يعود على اصحاب الكهف اي هذه قدرته وحده ولم يوالهم غيره بتلطف بهم ولا اشرك معه احدا في هذا الحكم ويحتمل ان يعود على معاصري الرسول من الكفار ومشاقيه وتكون الاية اعتراضا بتهديد قاله ابن عطية وقيل يحتمل ان يعود على مؤمني اهل السموات والارض اي لن تتخذوا من دونه وليا وقيل يعود على المختلفين في مدة لبثهم اي ليس لهم من دون الله من يتولى تدبيرهم

فكيف يكون اعلم منه او كيف يعلمون من غير اعلامه اياهم وقرأ الجمهور ولا يشرك بالياء على النفي وقرأ مجاهد بالياء والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه وقرأ ابن عامر والحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري وابو حيوة وزيد بن حميد بن الوزير عن يعقوب والجعفي واللؤلؤي عن ابي بكر ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي ولما انزل عليه ما انزل من قصة اهل الكهف امره بان يقص ويتلو على معاصريه ما اوحي اليه تعالى من كتابه في قصة اهل الكهف وفي غيرهم وان ما اوحاه اليه لا مبدل له ولا مبدل على هذا لكلماته عام ايضا فالتخصيص اما في لا مبدل اي لا مبدل له سواه الا ترى الى قوله واذا بدلنا اية مكان اية واما في كلماته اي الكلمة المتضمنة الخبر لان ما تضمن غير الخبر وقع النسخ في بعضه وفي امره تعالى ان يتلو ما اوحي اليه واخباره لا مبدل لكلماته اشارة الى تبديل المتنازعين في امر اهل الكهف وتحريف اخبارهم والملتحد الملتجا الذي يميل اليه ويعدل ٥ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ٥ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ٥٥ قال كفار قريش لو ابعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ريح جبابهم تؤذينا فنزلت واصبر نفسك الاية وعن سلمان ان قائل ذلك عيينة بن حصن والاقرع وذووهم من المؤلفة فنزلت فالاية على هذا مدنية والاول اصح لان السورة مكية وفعل المؤلفة فعل قريش فرد بالاية عليهم واصبر نفسك اي احبسها وثبتها قال ابو ذؤيب ٥

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع ٥

وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان اي حبسه للرمي ومع تقتضي الصحبة والموافقة والامر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتناء بهؤلاء الذين امر ان يصبر نفسه معهم وهي ابلغ من التي في الانعام ولا تطرد الذين يدعون الاية وقال ابن عمر ومجاهد وابراهيم بالغداة والعشي اشارة الى الصلوات الخمس وقال قتادة الى صلاة الفجر وصلاة العصر وقد يقال ان ذلك يراد به العموم اي يدعون ربهم دائما ويكون مثل ضرب زيد الظهر والبطن يراد جميع بدنه لا خصوص المدلول بالوضع وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشي قراءة واعرابا في الانعام ولا تعد اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى ابناء الدنيا وعدا متعد تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا زيدا فلذلك قدروا المفعول محذوفا ليبقى الفعل على اصله من التعدية وقال الزمخشري وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم يعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم ونحو قوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها

تبديل

قوله عز وجل واصبر نفسك

انتهى وما ذكر من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة اما
اذا امكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فانه يكون اولى وقرأ الحسن ولا تعد
من اعدى وعنه ايضا وعن عيسى والاعمش ولا تعدّ من عدّى قال الزمخشري نقلا بالهمزة
وبثقل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه
فعد همك عما ترى انتهى وكذا قال صاحب اللوامح قال وهذا مما عديته
بالتضعيف كما كان في الاولى بالهمزة وما ذهبا اليه ليس بجيد بل الهمزة والتضعيف
في هذه الكلمة ليس للتعدية وانما ذلك لموافقة افعل وفعّل للفعل المجرد وانما
قلنا ذلك لانه اذا كان مجردا متعد وقد اقر بذلك الزمخشري فانه قال يقال
عداه اذا جاوزه ثم قال وانما عدي بعن للتضمين والمستعمل في التضمين هو مجاز ولا
يتسعون فيه اذا ضمنوا فيعدونه بالهمزة او التضعيف ولو عدي بهما وهو متعد
لتعدى الى اثنين وهو في هذه القراءة ناصب مفعولا واحدا فدل على انه ليس متعدى
بهما وقال الزمخشري تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال انتهى وقال
صاحب الحال ان قدر عيناك فكان يكون التركيب تريدان وان قدر الكاف فمجيء الحال
من المجرور بالاضافة مثل هذا فيه اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال
وقد اجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزءا او كالجزء وحسن ذلك ان المقصود
نهيه عليه السلام عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم والمناجي بقوله عيناك
والمقصود هو لانهما بهما تكون المراماة للشخص والتلفت له والمعنى ولا تعد
انت عنهم النظر الى غيرهم وقال الزمخشري من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته واخفته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم
من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه
انتهى وهذا على مذهب المعتزلة والتاويل الاخير تاويل الرماني وكان معتزليا
قال لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين مما يبين به فلاحهم كما قال كتب في قلوبهم
الايمان من قولهم بعير غفل لم يكن عليه سمة وكتاب غفل لم يكن عليه اعجام واما
اهل السنة فيقولون ان الله تعالى اغفله حقيقة وهو خالق الضلال فيه والغفلة
وقال المفضل اخليناه عن الذكر وهو القرآن وقال ابن جريج شغلنا قلبه بالكفر
وغلبة الشقاء والظاهر ان المراد بمن اغفلنا كفار قريش وقيل عيينة والاقرع
والاولى ان لا تكون الاية مكية وقرأ عمرو بن فايد وموسى الاسواري وعمرو بن عبيد
اغفلنا بفتح اللام قلبه بضم الباء اسند الافعال الى القلب قال ابن جني من ظننا
غافلين عنه وقال الزمخشري حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا
انتهى واتبع هواه في طلب الشهوات وكان امره فرطا قال قتادة ومجاهد
ضياعا وقال مقاتل بن حيان سرفا وقال الفراء متروكا وقال الاخفش
مجاوزا للحد قيل وهو قول عيينة ان اسلمنا اسلم الناس وقال ابن بحر الفرط العاجل
السريع كما قال وكان الانسان عجولا وقيل ندما وقيل باطلا وقال ابن زيد
مخالفا للحق وقال ابن عطية الفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط والتضييع

اي امره الذي يجب ان يلزم ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف اي امره وهواه
الذي هو بسبيله انتهى والحق يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف فقدره ابن عطية هذا
الحق اي هذا القرآن او هذا الاعراض عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المؤمنين
وقال الزمخشري الحق خبر ابتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل
فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك
وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير
ما شاء من النجدين انتهى وهو على طريقة المعتزلة ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره من ربكم
قال الضحاك هو التوحيد وقال مقاتل هو القرآن وقال مكي اي الهدى والتوفيق
والخذلان من عند الله يهدي من يشاء فيوفقه فيؤمن ويضل من يشاء فيخذله فيكفر
ليس الي من ذلك شيء وقال الكرماني اي الاسلام والقرآن وهذا الذي لفظه
لفظ الامر معناه التهديد والوعيد ولذلك عقبه بقوله انا اعتدنا للظالمين قال
معناه ابن عباس وقال السدي هو منسوخ بقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله
وهذا قول ضعيف والظاهر ان الفاعل بشاء عائد على من وعن ابن عباس من شاء الله له
بالايمان امن ومن لا فلا انتهى وحكى ابن عطية عن فرقة ان الضمير في شاء عائد على الله
تعالى وكانه لما كان الايمان والكفر تابعين لمشيئة الله جاء بصيغة الامر حتى
كانه مخير وقوعه مامور به مطلوب منه وقرأ السماك فعتيب وقل الحق بفتح اللام
حيث وقع قال ابو حاتم وذلك رديء في العربية انتهى وعنه ايضا ضم اللام
حيث وقع كانه اتباع لحركة القاف وقرأ ايضا الحق بالنصب قال صاحب اللوامح
هو على صفة المصدر المقدر لان الفعل يدل على مصدره وان لم يذكر فينصبه معرفة
كنصبه اياه نكرة وتقديره وقل القول الحق ويعلق من بمضمر على ذلك مثل هو او جاء والله اعلم
وقرأ الحسن وعيسى الثقفي بكسر لامي الامر لما تقدم الايمان والكفر اعقب بما اعد لهما فذكر
ما اعد للكافرين بقوله فليكفر واتى بعد ذلك بما اعد للمؤمنين ولما كان الكلام مع الكفار
وفي سياق ما طلبوا من الرسول كانت البداءة بما اعد لهم اهم واكد وهما طريقان للعرب
هذه الطريق والاخرى انه يجعل للاول في التقسيم للاول وفي الذكر والثاني للثاني
والسرادق قال ابن عباس حائط من نار محيط بهم وحكى اقضى القضاة الماوردي انه البحر
المحيط بالدنيا وحكى الكلبي انه عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار وقيل دخان وان يستغيثوا
يطلبوا الغوث مما حل بهم من النار وشدة احراقها واشتداد عطشهم يغاثوا هذا على
سبيل المقابلة والا فليست اغاثة وروي في الحديث انه عكر الزيت اذا قرب
منه سقطت فروة وجهه وقال ابن عباس ماء غليظ مثل دردي الزيت وعن
مجاهد انه القيح والدم الاسود وعن ابن جبير كل شيء ذائب قد انتهى حره وذكر
ابن الانباري انه الصديد وعن الحسن انه الرماد الذي ينفض اذا اخرج من التنور
وقيل ضرب من القطران ويشوي في موضع الصفة لماء او في موضع الحال منه
لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه وانما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب
حرها من وجوههم وقيل عبر بالوجوه عن جميع ابدانهم والمعنى انه ينضج به
جميع جلودهم كقوله كلما نضجت جلودهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره

بيس الشراب هو اي الماء الذي يغاثون به والضمير في ساءت عائد على النار والمرتفق قال ابن عباس المنزل وقال عطا المقر وقال القتبي المجلس وقال مجاهد المجتمع وانكر الطبري ان يعرف لقول مجاهد معنى وليس كذلك كان مجاهد ذهب الى معنى الرفاقة ومنه الرفقة وقال ابو عبيدة المتكا وقال الزجاج المتكا على المرفق واخذه الزمخشري فقال متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا وقال ابن الانباري ساءت مطلعا للمرفق للرفق لان من طلب رفقا من جهتها عدمه وقال ابن عطية قريبا من قول ابن الانباري قال والاظهر عندي ان يكون المرتفق بمعنى الشي الذي يطلب رفقه باتكا وغيره وقال ابو عبدالله الرازي والمعنى بيس الرفقا هؤلا وبيس موضع الترافق النار ٥ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ٥ اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ٥ لما ذكر تعالى حال اهل الكفر وما اعد لهم في النار ذكر حال اهل الايمان وما اعد لهم في الجنة وخبر ان يحتمل ان تكون الجملة من قوله اولئك لهم وقوله انا لا نضيع الجملة اعتراض قال ابن عطية ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر

٥ ان الخليفة ان الله البسه سربال ملك به ترجى الخواتيم ٥ انتهى

ولا يتعين في قوله ان الله البسه ان يكون اعتراضا بين اسم ان وخبرها الذي هو ترجى الخواتيم بل يجوز ان يكون ان الله البسه هو الخبر ويحتمل ان يكون الخبر قوله انا لا نضيع اجر والعائد محذوف تقديره من احسن عملا منهم او هو قوله من احسن عملا على مذهب الاخفش في ربطه الجملة بالاسم اذا كان هو المبتدا في المعنى لان من احسن عملا هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فكانه قال انا لا نضيع اجرهم ويحتمل ان تكون الجملتان خبرين لان على مذهب من يقتضي المبتدا خبرين فصاعدا من غير شرط ان يكونا او يكونا في معنى خبر واحد واذا كانت خبرات قوله انا لا نضيع كان قوله اولئك استينافا اخبارا موضحا لما ابهم في قوله انا لا نضيع من مبهم الجزاء وقرا عيسى الثقفي لا نضيع من ضيع عداه بالتضعيف والجمهور من اضاع عداه بالهمزة ولما ذكر مكان اهل الكفر وهو النار ذكر مكان اهل الايمان وهي جنات عدن ولما ذكر هناك ما يغاثون به وهو الما كالمهل ذكر هنا ما خص به اهل الجنة من كون الانهار تجري من تحتهم ثم ذكر ما انعم عليهم من التحلية واللباس الذين هما زينة ظاهرة وقال سعيد بن جبير يحلى كل واحد ثلثة اساور سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وياقوت قال الزمخشري ومن الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن انتهى ويحتمل ان تكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين وقرا ابان عن عاصم من اسورة من غير الف وبزيادة هاء وهو جمع سوار وقرا ايضا ابان عن عاصم وابن ابي حماد عن ابي بكر ويلبسون بكسر الباء وقرا ابن محيصن واستبرق بوصل الالف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعل

قوله عز وجل ان الذين آمنوا

من البريق ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول قر واستقر وبفتح القاف ذكره الاهوازي في الاقناع عن ابن محيصن قال ابن محيصن وحده واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى فظاهر انه ليس فعلا ماضيا بل هو اسم ممنوع الصرف وقال ابن خالويه جعله استفعل من البريق ابن محيصن فظاهر انه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح قال ابن محيصن واستبرق بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز انه حذف الهمزة تخفيفا على غير قياس ويجوز انه جعله عربية من برق يبرق بريقا وذلك اذا تلالا الثوب بجدته ونضارته فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الاسماء في الصرف والتنوين واكثر التفاسير على انه عربية وليس بمستعرب دخل في كلامهم فاعربوه انتهى ويمكن ان يكون القولان روايتين عنه فتح القاف وصرفه التنوين وذكر ابو الفتح بن جني قراءة فتح القاف وقال هذا سهو او كالسهو انتهى وانما قال ذلك لانه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لانه غير علم واذا امكن جعله فعلا ماضيا فلا تكون هذه القراءة سهوا قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وقدمت التحلية على اللباس لان الحلي في النفس اعظم والى القلب احب وفي القيمة اغلا وفي العين احلا وبنا فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بانفسهم كما قال الشاعر

٥ من آل برني كن وصوت ونغمة تحليت يا قوتا وشذرا مفقرا ٥

واسند اللباس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة ووصف الثياب بالخضرة لانها احسن الالوان والنفس تنبسط لها اكثر من غيرها وقد روي في ذلك اثر انها تزيد في ضوء البصر وقال بعض الادباء ٥

٥ اربعة مذهبة لكل هم وحزن ٥ الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن ٥

وخص الاتكا لانها هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم وقرا ابن محيصن على الارائك بنقل الهمزة الى لام التعريف وادغام لام على فيها فتحذف الف على لتوهم سكون لام التعريف والنطق به علراءيك ومثله قول الشاعر ٥

٥ فما اصبحت علرض نفس بريئة ولا غيرها الا سليمان نالها ٥ ٥

يريد على الارض والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم الثواب ما وعدوا به والضمير في حسنت عائد على الجنات حفته طاف به من جوانبه قال الشاعر

٥ يحفه جانبا نيق ويتبعه ٥ مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد ٥

وحففته به جعلته مطيفا به وحف به القوم صاروا في حفته وهي جوانبه كلتا اسم مفرد اللفظ عند البصريين مثنى المعنى ومثنى لفظا ومعنى عند البغداديين وتاؤه عند البصريين غير الجرمي بدل من واو وفاصله كلوي والالف فيه للتانيث وزائدة عند الجرمي والالف منقلبة عن اصله ووزنها عنده فعتل المحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع البيدودة الهلاك يقال منه باد يبيد بيودا وبيودة قال الشاعر

فلئن باد اهله لبما كان يوهل النطفة

القليل من الماء يقال له ما في القربة من الماء نطفة المعنى ليس فيه قليل ولا كثير وسمي
المني نطفة لانه ينطف اي يقطر قطرة بعد قطرة وفي الحديث جا وراسه ينطف
ماء اي يقطر الحسبان في اللغة الحساب وتاتي اقوال اهل التفسير فيه الزلق
ما لا يثبت فيه القدم من الارض ۝ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها
ولم تظلم منه شيئا ۝ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره
انا اكثر منك مالا واعز نفرا ۝ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد
هذه ابدا وما اظن الساعة قايمة ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا ۝ قيل نزلت في اخوين من بني مخزوم الاسود بن عبد الاسود بن عبد ياليل
وكان كافرا وابي سلمة عبد الله بن الاسود كان مومنا وقيل اخوان من بني اسرايل قطروس
وهو الكافر وقيل اسمه قنطفير ويهوذا وهو المومن في قول ابن عباس وقال مقاتل
اسمه يمليخا وهو المذكور في والصافات في قوله قال قايل منهم اني كان لي قرين
وعن ابن عباس انهما ابنا ملك من بني اسرايل انفق احدهما ماله في سبيل الله وكفر
الاخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله وعن مكي انهما رجلان من بني اسرايل اشتركا
في مال كان ستة آلاف فاقتسماها وروي انهما كانا حدادين كسبا مالا وروي
انهما ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر ارضا بالف وبنى دارا بالف
وتزوج امراة بالف واشترى خدما ومتاعا بالف واشترى المومن ارضا في الجنة
بالف فتصدق به واشترى دارا في الجنة بالف فتصدق به وجعل الفا صداقا للحور
فتصدق به واشترى الولدان المخلدون بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس
لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله والضمير في
لهم عايد على المتجبرين الطالبين من الرسول طرد الضعفا المومنين فالرجل الكافر
بازاء المتجبرين والرجل المومن بازاء ضعفا المومنين وظاهر ضرب هذا المثل الربط
بين هذه الاية والتي قبلها اذ كان من اشرك انما افتخر بماله وانصاره وهذا قد يزول
فيصير الغني فقيرا وانما المفاخرة بطاعة الله والتقدير واضرب لهم مثلا قصة
رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب ويجوز ان يكون موضعه نصبا
نعتا لرجلين وابهم في قوله جعلنا لاحدهما وتبين انه هو الكافر الشاك في البعث
وابهم تعالى مكان الجنتين اذ لا تعلق بتعيينه كبير فايدة وذكر ابراهيم بن القسم
الكاتب في كتابه في عجايب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا
لاخوين فباع احدهما نصيبه من الاخر وانفق في طاعة الله حتى عيره الاخر وجرت
بينهما هذه المحاورة قال فغرقها الله في ليلة واياها عنى بهذه الاية قال
ابن عطية وتامل هذه الهيئة التي ذكر الله فان المرء لا يكاد يتخيل اجمل منها في مكاسب
الناس جنتا عنب احاط بهما نخل بينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء
المعين يسقي جميع ذلك من النهر وقال الزمخشري جنتين من اعناب بساتين من
كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثر الدهاقين
في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار المثمرة انتهى وقرا الجمهور كلتا الجنتين

قوله عز وجل واضرب لهم مثلا

وفي

وفي مصحف عبد الله كلا الجنتين اتى بصيغة التذكير لان تانيث الجنتين مجازي
ثم قرا اتت فانث لانه ضمير مونث فصار نظير قولهم طلع الشمس واشرقت وقال
الفرا وفي قراة ابن مسعود كل الجنتين اتى اكله انتهى فاعاد الضمير على كل وقال
الزمخشري جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها
متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب
الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته
من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر
وقرا الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم وقال الفرا انما شدد وفجرنا وهو نهر واحد
لان النهر يمتد فكان التفجر فيه كله اعلم تعالى ان شربهما كان من نهر واحد وهو من
اغزر الشرب وقرا الاعمش وسلام ويعقوب وعيسى بن عمر بتخفيف الجيم وكذا قراه
الاعمش في سورة القمر والتشديد في سورة القمر اظهر لقوله عيونا وقوله منها نهرا
وانتصب خلالهما على الظرف اي وسطهما كان النهر يجري من داخل الجنتين وقرا
الجمهور نهرا بفتح الهاء وقرا ابو السمال والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان
بسكون الهاء وقرا ابن عباس ومجاهد وابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير ونافع
وجماعة قراء المدينة ثمر وبثمره بضم الثاء والميم جمع ثمار وقرا الاعمش وابو رجا
وابو عمرو باسكان الميم فيهما تخفيفا او جمع ثمرة كبدنة وبدن وقرا ابو جعفر
والحسن وجابر بن زيد والحجاج وعاصم وابو حاتم ويعقوب عن رويس عنه بفتح الثاء
والميم فيهما وقرا رويس عن يعقوب ثمر بضمهما وبثمره بفتحهما في من قرا بالضم
قال ابن عباس وقتادة الثمر جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك ۝

وقال النابغة

۝ مهلا فداء لك الاقوام كلهم   وما اثمر من مال ومن ولد ۝

وقال مجاهد يراد به الذهب والفضة خاصة وقال ابن زيد هي الاصول
فيها الثمر وقال ابو عمرو بن العلا الثمر المال فيعل هذا المعنى انه كانت له
الى الجنتين اموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان متمكنا من عمارة الجنتين
واما من قرا بالفتح فلا اشكال انه يعني به حمل الشجر وقرا ابو رجا في رواية
ثمر بفتح الثاء وسكون الميم وفي مصحف ابي واتيناه ثمرا كثيرا وينبغي ان يجعل
تفسيرا ويظهر من قوله فقال لصاحبه انه ليس باخيه وهو يحاوره جملة حالية
والظاهر ان ذا الحال هو القايل اي يراجعه الكلام في انكار البعث وفي اشراكه
بالله وقيل هي حال من صاحبه اي المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعا الى الله والى
الايمان بالبعث والظاهر كون افعل للتفضيل وان صاحبه كان له مال ونفر
ولم يكن سبروتا كما ذكر اهل التاريخ وانه جا يستعطيه ويدل على ذلك كونه قابله
بقوله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا وعلى عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال
وعزة العشيرة والتكبر والاغترار بما نال من حطام الدنيا ومقالته تلك لصاحبه
بازاء مقالة عيينة والاقرع للرسول عن سادات العرب واهل الوبر والمدر فنح عنا
سلمان وقرناءه وعني بالنفر انصاره وحشمه وقيل اولاده اذ ذكورا لانهم ينفرون

هذا

معه دون الاناث واستدل على انه لم يكن اخاه بقوله واعز نفرا اذ لو كان اخاه لكان
نفره وعشيرته نفر اخيه وعشيرته وعلى التفسير من النساء بنين لا يرد هذا اما من
فسر النفر بالعشيرة التي هي مشتركة بينهما فيرد وافرد الجنة في قوله ودخل جنته
من حيث الوجود كذلك لانه لا يدخلهما معا في وقت واحد وقال الزمخشري
فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له
جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا
هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى ولا يتصور ما قال لان
قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد ان قصد
في الاخبار انه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن ان يدخلهما معا في وقت واحد والمعنى
ودخل جنته يري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه
جملة حالية اي وهو كافر بنعمة ربه مغترا بما ملكه شاك في نفاد ما خوله وفي البعث
الذي جاوره فيه صاحبه والظاهر ان الاشارة بقوله هذه الى الجنة التي دخلها
وعنى بالابد ابد حياته وذلك لطول امله وتمادي غفلته والحسن قيامه عليها
بما اوتي من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة والحسن
يقتضي ان احوال الدنيا باسرها غير باقية او يكون قال لا نعدم العالم وانما حوته
هذه الجنة ان فنيت اشخاص اشجارها فتخلفها اشخاص اخر وكذا دائما ويبعد قول
من قال يحتمل ان يشير بهذه الى الهيئة من السموات والارض وانواع المخلوقات
وذلك لانه هذا على ان المحاورة التي كانت بينهما هي فيما هذا العالم الذي
هذه الجنة جزء منه وفي البعث الاخراوي وان صاحبه كان يعرض له هذين الامرين
وهو يشك فيهما ثم اقسم على انه ان رد الى ربه على سبيل الغرض والتقدير وقياس
الاخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا
وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين
في الدنيا الا لاستحقاقه وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي
عنده للحسنى واما ما حكى الله تعالى عن ما قاله العاص بن وائل لاوتين مالا وولدا
فليس على حد مقاله هذا لصاحبه لان العاصي قصد الاستخفاف وهو مصمم على
التكذيب وهذا قال ما معناه اذ كان ثم رجوع فسيكون حالي كذا وكذا **وقرأ**
ابن الزبير وزيد بن علي وابو بحرية وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد وابن مناذر
ونافع وابن كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنتين وكذا في مصاحف
مكة والمدينة والشام **وقرأ** الكوفيون وابو عمرو منها على التوحيد وعود الضمير على
الجنة المدخولة وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة ومعنى منقلبا مرجعا وعاقبة
اي منقلب الاخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على التمييز
المنقول من المبتدأ ۞ قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ۞ لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ۞ ولولا
اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا ۞ فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا

قوله عز وجل قال له صاحبه

زلقا

زلقا ۞ او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ۞ واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ۞ ولم تكن له
فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ۞ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا
وخير عقبا ۞ وهو يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه المؤمن **وقرأ** ابي وهو يخاصمه
وهي قراءة تفسير لا قراءة رواية لمخالفته سواد المصحف ولان الذي روي بالتواتر
هو يحاوره لا يخاصمه واكفرت استفهام انكار وتوبيخ حيث اشرك مع الله غيره **وقرأ**
ثابت البناني ويلك اكفرت وهو تفسير معنى التوبيخ والانكار لا قراءة ثابتة عن الرسول
ثم نبهه على اصل نشأته وايجاده بعد العدم وان ذلك دليل على جواز البعث من القبور
ثم يحتم ذلك باخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام وقوله خلقك من تراب
اما ان يراد خلق اصلك من تراب وهو آدم عليه السلام وخلق اصله سبب في خلقه
فكان خلقه خلقا له او اريد ان ماء الرجل يتولد من اغذية راجعة الى التراب فنبهه اولا
على ما تولد منه ماء ابيه ثم ثانيه على النطفة التي هي ماء ابيه واما ما نقل ان ملكا
وكل بالنطفة يلقي فيها قليلا من تراب قبل دخولها الى الرحم فيحتاج الى صحة نقل ثم نبهه
على تسويته رجلا وهو خلقه معتدلا صحيح الاعضاء ويقال للغلام اذا تم شبابه قد
استوى وقيل ذكره بنعمة الله عليه في كونه رجلا ولم يخلقه انثى نبهه بهذه التنقلات
على كمال قدرته وانه لا يعجزه شيء قال الزمخشري سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب
بالرسول كافرا انتهى وانتصب رجلا على الحال وقال الحوفي رجلا نصب بسوى اي جعلك
رجلا فظاهره انه عداه سوى الى اثنين ولما لم يكن الاستفهام استفهام استعلام
وانما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة تقرير على كفره واخبار عنه به لا تعناه
فذكرت بالذي استدرك هو مخبر عن نفسه فقال لكنا هو الله ربي اقرارا بتوحيد الله وانه
لا يشرك به غيره **وقرأ** الكوفيون وابو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون
لكن بتشديد النون بغير الف في الوصل وبالف في الوقف واصله ولكن انا
نقل حركة الهمزة الى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى مثلان فادغم احدهما
في الاخر وقيل حذفت الهمزة من انا على غير قياس فالتقت نون لكن وهي
ساكنة مع نون انا فادغمت فيها واما في الوقف فانه اثبت الف انا وهو
المشهور في الوقف على انا واما في الوصل فالمشهور حذفها وقد ابدلها الف
في الوقف ابو عمرو في رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه وقال ابن عطية
وروى هارون عن ابي عمرو لكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن **وقرأ** ابن عامر ونافع
في رواية المسيلي وزيد بن علي والحسن والزهري وابو بحرية وابو يعقوب في رواية
وابو عمرو في رواية وكردم وورش في رواية وابو جعفر باثبات الالف
وقفا ووصلا اما في الوقف فظاهر واما في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام
وغيرهم في الاضطرار فجاء على لغة بني تميم وعن ابي جعفر حذف الالف وصلا
ووقفا وذلك من رواية الهاشمي وذلك اثباتها في الوصل ايضا على ان اصله
ذلك لكن انا وقال الزمخشري وحسن ذلك يعني اثبات الالف في الوصل

وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة انتهى ويدل على ذلك ايضا قراءة فرقة لكنا
بحذف الهمزة وتخفيف النونين وقال ايضا الزمخشري ونحوه يعني ونحو ادغام
نون لكن في نون انا بعد حذف الهمزة **قول القايل**

وترمينني بالطرف اي انت مذنب ... وتقلينني لكن اياك لا اقلي

اي لكن انا لا اقليك انتهى ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز ان يكون التقدير
لكنني فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وانشدوا على ذلك
قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجي عظيم المشافر

اي ولكنك زنجي واجاز ابو علي ان تكون لكنّ لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا
وضربنا ووقع الادغام لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى ولو اتبع اللفظ
لقال ربنا انتهى وهو قول بعيد وقال ابن عطية ويتوجه في لكنا ان تكون المشهورة
من اخوات ان المعنى لكن قولي هو الله ربي الا اني لا اعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا
انتهى وذكر ابو القسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل في القراءات
من تأليفه ما نصه بحذفها في الحالين يعني الالف وفي الحالين يعني الوصل والوقف
حمصي وابن عتبة وقتيبة عن الثقفي ويونس عن ابي عمرو ويعني بحمصي ابن ابي عبلة
وابا حيوة وابا بحرية **وقرأ** ابي والحسن لكن انا هو الله على الانفصال وفكه من
الادغام وتحقيق الهمز وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود **وقرأ** عيسى الثقفي لكن
هو الله بغير انا وحكاها ابن خالويه عن ابن مسعود وحكاها الاهوازي عن الحسن
فاما من اثبت هو فانه ضمير الامر والشان ثم قول محذوف اي لكن انا اقول
هو الله ويجوز ان يعود على الذي خلقك من تراب اي انا اقول هو اي خالقك الله
ربي وربي نعت او عطف بيان او بدل ويجوز ان لا يقدر اقول محذوفه فيكون
انا مبتدا وهو ضمير الشان مبتدا ثان والله مبتدا ثالث وربي خبره والثالث
وخبره خبر عن الثاني والثاني وخبره خبر عن انا والعايد عليه هو الياء في ربي
وصار التركيب نظير هند هو زيد ضاربها وعلى رواية هارون يجوز ان يكون
هو تاكيدا لضمير النصب في لكنه العايد على الذي خلقك ويجوز ان يكون فصلا
لوقوعه بين معرفتين ولا يجوز ان يكون ضمير شان لانه لا عايد على اسم لكن من
الجملة الواقعة خبرا وفي قوله ولا اشرك بربي احدا تعريض باشراك صاحبه
وانه مخالفه في ذلك وقد صرح بذلك صاحبه في قوله يا ليتني لم اشرك بربي
احدا وقيل اراد بذلك انه لا يرى الغنى والفقر الا منه تعالى يفقر من يشاء ويغني
من يشاء وقيل لا اعجز قدرته على الاعادة فاسوي بينه وبين غيره فيكون اشراكا
كما فعلت انت ولما وبخ المومن الكافر اورد له ما ينصحه به تخضه على ان كان
يقول اذا دخل جنته ما شاء الله لا قوة الا بالله اي الاشياء موقوفة بمشية الله
ان شاء افقر وان شاء اغنى وان شاء نصر وان شاء خذل ويحتمل ان تكون شرطية منصوبة
بشاء والجواب محذوف اي اي شيء شاء الله كان ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي
مرفوعة على الابتداء اي الذي شاء الله كاين او على الخبر اي الامر ما شاء الله ولولا

تخصيصه

تخصيصه وفصل بين الفعل وبينها بالظرف وهو معمول لقوله قلت ثم نصحه بالتبري
من القوة فيما يحاوله ويعانيه وان يجعل القوة لله تعالى وفي الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لابي موسى الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله
قال لا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم
وهو من حديث ابي موسى وفيه لا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ارد تلك النصيحة
بترجية من الله وتوقعه اي يقلب ما به وبصاحبه من الفقر والغنى فقال ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا اي ان توقع من صنع الله تعالى واحسانه ان يمنحني جنة
خيرا من جنتك لايمانيه ويزيل عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك **وقرأ** الجمهور
اقل بالنصب مفعولا ثانيا لترني وهي علمية لا بصرية لوقوع انا فصلا ويجوز ان
يكون توكيدا للضمير المنصوب في ترني ويجوز ان تكون بصرية وانا توكيد للضمير
في ترني المنصوب فيكون اقل حالا **وقرأ** عيسى بن عمر اقل بالرفع على ان تكون انا
مبتدا واقل خبره والجملة في موضع مفعول ترني الثاني ان كانت علمية وفي موضع
الحال ان كانت بصرية ويدل قوله وولدا على ان قول صاحبه واعز نفرا عنى به
الاولاد ان قابل المال بالقلة وعز النفر بقلة الولد والحسبان قال ابن عباس
وقتادة العذاب وقال الضحاك البرد وقال الكلبي النار وقال ابن زيد
القضاء وقال الاخفش سهاما ترمى في مجرى فتقل ما تخطي وقيل النبل الصغار
وقيل الصواعق وقيل افة مجتاحة وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك
الحسبان حساب ما كسبت يداك وهذا الترجي ان كان ذلك ان يوتيه
في الدنيا فهي انكى للكافر والام اذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت الى صاحبه
وان كان ذلك ان يوتيه في الاخرة فهو اشرف واذهب مع الخير والصلاح فتصبح
صعيدا اي ارضا بيضاء لا نبات فيها لا من كرم ولا نخل ولا زرع قد اصطلم جميع ذلك
فبقيت يبابا قفرا تزلق عليها الاملاس والزلق التي لا تثبت فيه قدم ذهب
غراسه وبناؤه وسلب المنافع حتى المشي فيه فهو وحل لا ينبت ولا يثبت فيه قدم
وقال الحسن الزلق الطريق الذي لا نبات فيه وقيل الخراب وقال مجاهد رملا
هايلا وقيل الزلق الارض السبخة وترجى المومن بجنة هذا الكافر افة علوية من
السماء او افة سفلية من الارض وهو غور ماءها فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع
وغور مصدر خبر عن اسم اصبح على سبيل المبالغة او يصبح معطوف على قوله ويرسل لان
غور الماء لا يتسبب على الافة السماوية الا ان عني بالحسبان القضاء الالهي فحينئذ
يتسبب عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا او اصباح ماءها غورا **وقرأ** الجمهور غورا بفتح
الغين **وقرأ** البرجمي غؤورا بضم الغين **وقرأت فرقة** بضم الغين وهمز الواو
وبعدها واو وبعد الهمزة فيكون غؤورا كما جاء في مصدر غارت عينه غؤورا والضمير في
له عايد على الماء اي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورا على رده ما غوره الله تعالى
وحكى الماوردي ان معناه لن تستطيع طلب غيره بدلا منه وبلغ الله المومن ما ترجاه من
هلاك ما بيد صاحبه الكافر وابادته على خلاف ما ظن في قوله ما اظن ان تبيد هذه
ابدا فاخبر تعالى انه احيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك واصله من احاط به العدو

منفعة حم

وهو استدارته به من جميع جوانبه ومعنى احاط به ملككه واستولى عليه ثم استعملت في كل اهلاك ومنه الا ان يحاط بكم وقال ابن عطية الاحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد انتهى والظاهر ان الاحاطة كانت ليلا لقوله فاصبح على انه يحتمل ان يكون معنى فاصبح فصار فلا يدل على تقييد الخبر بالصباح وتقليب كفيه ظاهره انه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو انه يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته المتاسف على فقدانه كما يكنى بقبض الكف والسقوط في اليد وقيل يصفق بيده على الاخرى وتقلب كفيه ظهرا لبطن وقيل يضع باطن احداهما على ظهر الاخرى ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعدية فعل الندم فقال على ما انفق فيها كانه قال فاصبح نادما على ذهاب ما انفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها تقدم الكلام على هذه الجملة في اواخر البقرة وتمنيه انتفاء الشرك الظاهر انه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة وفي ذلك زجر للكفرة من قريش وغيرهم لئلا يجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم قيل ارسل عليها نارا فاكلتها فتذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا وقال بعض المفسرين هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة ولما افتخر بكثرة ماله وعزة نفره اخبر تعالى انه لم تكن له فئة اي جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير في ينصرونه على المعنى كما افرده على اللفظ في قوله فئة تقاتل في سبيل الله واحتمل النفي ان يكون منسحبا على القيد فقط اي له فئة لكنه لا يقدر على نصره وان يكون منسحبا على القيد والمراد انتفاؤه لانتفاء ما هو وصف له اي لا فئة فلا نصر وما كان منتصرا يمتنع من انتقام الله **وقرا** الاخوان ومجاهد وابن وثاب والاعمش وطلحة وايوب وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير ولم يكن بالياء لان تانيث الفئة مجاز **وقرا** باقي السبعة والحسن وابو جعفر وشيبة بالتاء **وقرا** ابن ابي عبلة فئة تنصره على اللفظ والحقيقة في هنالك ان تكون ظرف مكان للبعد والظاهر انه اشير به لدار الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم قيل لما نفى عنه الفئة الناصرة في الدنيا نفى عنه ان ينتصر في الآخرة فقال وما كان منتصرا هنالك اي في الدار الآخرة فيكون هنالك معمولا لقوله منتصرا وقال الزجاج اي وما كان منتصرا في تلك الحال والولاية لله على هذا مبتدا وخبر وقيل هنالك الولاية لله مبتدا وخبر والوقف على قوله منتصرا **وقرا** الاخوان والاعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة والرعاية **وقرا** باقي السبعة بفتحها بمعنى الموالاة والصلة وحكي عن ابي عمرو والاصمعي ان كسر الواو هنا لحن لان فعالة انما تجيء فيما كان صنعة او معنى متقلدا وليس هنالك تولي امور وقال الزمخشري الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

او هنالك

او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه انتهى **وقرا** النحويان وحميد والاعمش وابن ابي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الاصبهاني الحق برفع القاف صفة للولاية **وقرا** باقي السبعة بخفضها وصفا لله تعالى **وقرا** ابي هنالك الولاية الحق لله برفع الحق صفة للولاية وتقديمها على قوله لله **وقرا** ابو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال ويعقوب عن عصمة عن ابي عمرو لله الحق بنصب القاف قال الزمخشري على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم انتهى وكان قد قال الزمخشري وقراءة عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه انتهى فترحم عليه وترضى عنه اذ هو من اوائل اكابر شيوخه المعتزلة وكان على غاية من الزهد والعبادة وله اخبار في ذلك الا ان اهل السنة يطعنون عليه وعلى اتباعه وفي ذلك يقول ابو عمرو الداني في ارجوزته التي سماها المنبهة

وابن عبيد شيخ الاعتزال ... وشارع البدعة والضلال

وقرا الحسن والاعمش وعاصم وحمزة عقبا بسكون القاف والتنوين وعن عاصم عقبى بالف التانيث المقصورة على وزن رجعى والجمهور بضم القاف والتنوين والعاقبة والعقب والعقبى بمعنى العاقبة

المفردات

الهشيم اليابس قاله الفراء واحده هشيمة وقال الزجاج وابن قتيبة كل ما كان رطبا ويبس ومنه كهشيم المحتظر وهشمت الثريد واصل الهشم المتفتت من يابس العشب **ذرا** واذرى لغتان فرق قاله ابو عبيدة وقال ابن كيسان تذروه تجيء به وتذهب وقال الاخفش ترفعه **غادر** ترك من الغدر ومنه ترك الوفاء ومنه الغدير وهو ما تركه السيل **الصف** السطر بازاء الآخر الى نهايتهم وقوفا او جلوسا او على غيرهما من الحالتين طولا او تحليقا يقال منه صف يصف والجمع صفوف **العضد** العضو من الانسان وغيره معروف وفيه لغات فتح العين وضم الضاد واسكانها وفتحها وضم العين والضاد واسكان الضاد ويستعمل في العون والنصير قال الزجاج والاعتضاد التقوي وطلب المعونة يقال اعتضدت بفلان استعنت به **الموبق** المهلك يقال وبق يوبق وبقا ووبق يبق وبوقا اذا هلك فهو وابق واوبقته ذنوبه اهلكته **ادحض** الحق ازهقه قاله ثعلب واصله من ادحاض القدم وهو ازلاقها

قال الشاعر

وردت ونجى اليشكري حذاره ... وحاد كما حاد البعير عن الدحض

وقال آخر

أبا منذر رمت الوفاء وهبته • وحدت كما حاد البعير المدحض
والدحض الطين الذي يزهق فيه **الموئل** قال الفراء المنجي يقال وألت نفس فلان تئل **وقال الأعشى**

وقد أخالس رب البيت غفلته • وقد يحاذر مني ثم ما يئل

أي ما ينجو وقال ابن قتيبة الملجأ يقال وأل فلان إلى كذا وألا ووؤولا

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا • المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا • ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا • وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا • ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا • لما بين تعالى في المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل إليه ما افتخر به الكافر من الهلاك بين في هذا المثل حال الحيوة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه إلى الهلاك وكماء قدره ابن عطية خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الحيوة الدنيا كماء وقال الحوفي الكاف متعلقة بمعنى المصدر أي ضربا كماء أنزلناه والأولى أن كماء في موضع المفعول الثاني لقوله واضرب أي وصير لهم مثل الحياة الدنيا أي صفتها شبه ماء وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في قوله إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام في يونس فأصبح أي صار ولا يراد تقييد الخبر بالصباح فهو **كقوله**

أصبحت لا أحمل السلاح ولا • أملك رأس البعير إن نفرا

وقيل هي دالة على التقييد بالصباح لأن الآفات السماوية أكثر ما تطرق ليلا فهي كقوله فأصبح يقلب كفيه **وقرأ** ابن مسعود تذريه من أذرى رباعيا **وقرأ** زيد بن علي والحسن والنخعي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير الريح على الإفراد والجمهور تذروه الرياح ولما ذكر تعالى قدرته الباهرة في صيرورة ما كان في غاية النضرة والبهجة إلى حال التفتت والتلاشي إلى أن فرقته الرياح ولعبت به ذاهبة وجائية أخبر تعالى عن اقتداره على كل شيء من الإنشاء والإفناء وغيرهما مما تتعلق به قدرته تعالى ولما حقر تعالى حال الدنيا بما ضربه من ذلك المثل ذكر أن ما افتخر به عيينة وأضرابه من المال والبنين إنما ذلك زينة هذه الحيوة المحتقرة وأن مصير ذلك إنما هو إلى النفاد فينبغي أن لا يكترث به وأخبر تعالى بزينة المال والبنين على تقدير حذف مضاف أي مقر زينة أو وضع المال والبنين منزلة المعنى والكثرة فأخبر عن ذلك بقوله زينة ولما ذكر مآل ما في الحيوة الدنيا إلى الفناء اندرج فيه هذا الجزئي من كون المال والبنين زينة وأنتج أن زينة الحيوة الدنيا فانية إذ ذاك فرد من أفراد ما في الحيوة الدنيا وترتيب هذا الإنتاج أن يقال المال والبنون زينة

قوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة

الحيوة

الحيوة الدنيا وكل ما كان زينة الحيوة الدنيا فهو سريع الانقضاء فالمال والبنون سريع الانقضاء ومن بديهة العقل أن ما كان كذلك يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه وهذا برهان على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد والباقيات الصالحات قال الجمهور هي الكلمات المأثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس أنه كل عمل صالح من قول وفعل يبقى للآخرة ورجحه الطبري وقول الجمهور مروي عن الرسول من طريق أبي هريرة وغيره وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله وعن الحسن وابن عطاء أنها النيات الصالحة فإن بها تتقبل الأعمال وترفع ومعنى خير عند ربك ثوابا أنها دائمة باقية وخيرات الدنيا منقرضة فانية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي وخير أملا أي وخير رجاء لأن صاحبها يؤمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة دون ذي المال والبنين العاري من الباقيات الصالحات فإنه لا يرجو ثوابا ولما ذكر تعالى ما يؤول إليه حال الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيمة فقال ويوم نسير الجبال كقوله يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا وقال وإذا الجبال سيرت والمعنى أنه ينفك نظام هذا العالم الدنيوي ويؤتى بالعالم الأخروي وانتصب ويوم على إضمار اذكر يوم أو بالفعل المضمر عند قوله لقد جئتمونا أي قلنا يوم كذا **وقرأ** نافع وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وعاصم وابن مصرف وأبو عبد الرحمن نسير بنون العظمة الجبال بالنصب وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو والحسن وشبل وقتادة وعيسى والزهري وحميد وطلحة واليزيدي والزبيري عن رجاله عن يعقوب بضم التاء وفتح الياء المشددة مبنيا للمفعول الجبال بالرفع وعن الحسن كذلك إلا أنه يضم الياء باثنتين من تحتها وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو تسير من سارت الجبال **وقرأ** أبي سيرت الجبال وترى الأرض بارزة أي منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب والشجر والعمارة وترى أهل الأرض بارزين من بطنها **وقرأ** عيسى وترى الأرض مبنيا للمفعول وحشرناهم أي أقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة وقال الزمخشري **فإن قلت** لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى **قلت** للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والأولى أن تكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم أي يوقع التسيير في حالة حشرهم وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه **وقرأ** الجمهور نغادر بنون العظمة وقتادة تغادر على الإسناد إلى القدرة أو الأرض وأبان بن يزيد عن عاصم كذلك أو بفتح الدال مبنيا للمفعول وأحد بالرفع وعصمة كذلك والضحاك نغدر بضم النون وإسكان الغين وكسر الدال وانتصب صفا

على الحال وهو مفرد نزل منزلة الجمع أي صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الأولين
والآخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله
وفي حديث آخر أهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون
صفا أو انتصب على المصدر الموضوع موضع الحال أي مصطفين وقيل المعنى صفا
صفا فحذف صفا وهو مراد وهكذا التكرار مبني على سبيل الصفوف إلى آخرها
شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم
كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا معمول القول المحذوف أي وقلنا وكما
خلقناكم نعت لمصدر محذوف أي مجيئا كمثل مجيء خلقكم أي حفاة عراة غرلا كما جاء
في الحديث وخالين من المال والولد وإن زعمنا مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين
الفعل بحرف النفي وهو لن كما فصل في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع وبل للإضراب
بمعنى الانتقال من خبر إلى خبر ليس بمعنى الإبطال والمعنى أن لن نجعل لإعادتكم وحشركم
موعدا أي مكان وعد أو زمان وعد لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث
والنشور والخطاب في لقد جئتمونا للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم
ووضع الكتاب **وقرأ** زيد بن علي ووضع مبنيا للفاعل الكتاب بالنصب والكتاب
اسم جنس أي كتب أعمال الخلق ويجوز أن تكون الصحائف كلها جعلت كتابا واحدا
ووضعته الملائكة لمحاسبة الخلق وأشفقوا تحرحوفهم من كشف أعمالهم السيئة
وفضيحتهم وما يترتب على ذلك من العذاب السرمدي ونادوا هلكتهم التي هلكوا
خاصة من بين الهلكات فقالوا يا ويلتنا والمراد من يحضرهم كأنهم قالوا يا
من يحضرنا انظروا هلكتنا وكذا ما جاء من ندا ما لا يعقل كقوله يا أسفى على يوسف
يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله يا ويلنا من بعثنا من **وقول الشاعر**

• يا عجبا لهذه الفليقة فيا عجبا من رحلها المتحمل ٥

إنما يراد به تنبيه من يعقل بالتعجب مما حل بالمنادي ولا يغادر جملة في موضع الحال
وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن ابن جبير العيلة والزنا
وعن عنرم الشهود والعهد وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر
وقدمت الصغيرة اهتماما بها وإذا أحصيت فالكبيرة أحرى إلا أحصاها
ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا
يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل ويزيد في عقابه الذي يستحقه أو يعذبه
بغير جرم قال الزمخشري كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين انتهى
ولا يقال إن ذلك ظلم منه تعالى لأنه تعالى كل مملوك له فله أن يتصرف
في مملوكيه بما يشاء لا يسأل عما يفعل والصحيح في أطفال المشركين أنهم يكونون
في الجنة خدما لأهلها نص عليه في البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر
ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا •
ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين
عضدا • ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم

قوله عز وجل وإذ قلنا للملائكة

وجعلنا

وجعلنا بينهم موبقا • ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا
عنها مصرفا • ذكروا في ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما أمر نبيه عليه
السلام بمجالسة الفقراء وكان أولئك المتكبرون قد أنفوا عن مجالستهم
وذكروا للرسول طردهم عنه وذلك لما جبلوا عليه من التكبر والتكثر بالأموال
والأولاد وشرف الأصل والنسب وكان أولئك الفقراء بخلافهم في ذلك
ناسب ذكر قصة إبليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالأصل
الذي منه خلق وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للآيات
السابقة قبل ضرب المثلين وأما أنه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا والذي
يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها هو أنه لما ذكر يوم القيامة والحشر
وذكر خوف المجرمين مما سطر في ذلك الكتاب وكان إبليس هو الذي حمل المجرمين
على معاصيهم واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر إبليس والنهي عن اتخاذ ذريته
أولياء من دون الله تبعيدا عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس وتقدم الكلام
في استثناء إبليس هو استثناء متصل أم منقطع وهل هو من الملائكة أم ليس منهم
في أوائل سورة البقرة فأغنى عن إعادته والظاهر من هذه الآية ليس من الملائكة
وإنما هو من الجن قال قتادة الجن حي من الملائكة خلقوا من نار السموم وقال
شهر بن حوشب هو من الجن الذين ظفرت بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب
به إلى السماء وقال الحسن وغيره هو أول الجن وبداءتهم كآدم في الإنس وقالت
فرقة كان إبليس وقبيله جنا لكن الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الإنس
وقال الزمخشري كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس
من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء
للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني أنه لو كان ملكا كسائر من سجد
لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على
الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم
فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم أنه كان ملكا ورئيسا
على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس انتهى والظاهر
أن معنى ففسق عن أمر ربه فخرج عما أمره ربه به من السجود **قال رؤبة**

• يهوين في نجد وغورا غائرا • فواسقا عن قصدها جوائرا ٥

وقيل ففسق صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم حيث لم يمتثله
قيل ويحتمل أن يكون المعنى ففسق بأمر ربه أي بمشيئته وقضائه لأن المشيئة يطلق عليها
أمر كما تقول فعلت ذلك عن أمرك أي بحسب مرادك والهمزة في أفتتخذونه للتوبيخ والإنكار
والتعجب أي أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته أولياء من دوني
مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه وليا **وقرأ** عبيد الله بن زياد على المنبر وهو يخطب
أفتتخذونه وذريته بفتح الذال والظاهر أن لإبليس ذرية وقال بذلك
قوم منهم قتادة والشعبي وابن زيد والضحاك والأعمش قال قتادة ينكح وينسل

٢

كما يتناسل بنو آدم وقال الشعبي لا يكون ذرية الا من زوجة وقال ابن زيد ان الله قال
لابليس اني لا اخلق لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس يولد لولد آدم ولد الا ولد
معه شيطان يقرن به وقيل للرسول عليه السلام الك شيطان قال نعم الا ان الله
تعالى اعانني عليه فاسلم وسمى الضحاك وغيره من ذرية ابليس جماعة الله اعلم بصحة
ذلك وكذلك ذكروا كيفية تفريخه ووطيه والنسل الله اعلم بذلك وذهب قوم الى
ان ليس لابليس ولد وانما الشياطين هم الذين يعينونه على بلوغ مقاصده
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال
للظالمين لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم الله ولايتهم
ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع الشيء في غير موضعه وقرا الجمهور ما اشهدتهم
بتاء المتكلم وقرا ابو جعفر وشيبة والسختياني وعون العقيلي وابن مقسم ما
اشهدناهم بنون العظمة والظاهر عود ضمير المفعول في اشهدتهم على ابليس وذريته
اي لم اشاورهم في خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم بل خلقتهم على ما اردت
ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضدا وقال الزمخشري يعني انكم اتخذتم
شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية
فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد
بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا
انفسكم وما كنت متخذهم اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال
فاذا لم يكونوا لي عضدا في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة انتهى وقيل يعود
على الملائكة والمعنى انه ما اشهدتهم ذلك ولا استعنت بهم في خلقها بل خلقتهم
ليطيعوني ويعبدوني فكيف يعبدونهم وقيل يعود على الكفار وقيل على جميع الخلق
وقال ابن عطية الضمير في اشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن
الاية الرد على طوائف من المنجمين واهل الطبائع والمتحكمين الاطباء وسواهم من كل من
يتخرص في هذه الاشياء وقال لي عبد الحق الصقلي وتاول هذا التاويل في هذه الاية
وانها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الاصوليين انتهى وقرا ابو جعفر
والجحدري والحسن وشيبة وما كنت بفتح التاء خطابا للرسول قال الزمخشري
والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم انتهى والمعنى
الذي اقوله ان المعنى اخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كونه
متخذ عضد من المضلين بل هو مذ كان وجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد
عنهم لتعلم امته انه لم يزل محفوظا من اول نشاته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه صلى الله
عليه وقرا علي بن ابي طالب متخذا المضلين اعمل اسم الفاعل وقرا الحسن وعكرمة
عضدا بسكون الضاد ونقل حركتها الى العين وقرا عيسى عضدا بسكون الضاد
خفف فعلا كما قالوا رجل وسبع في رجل وسبع وهي لغة عن تميم وعنه ايضا بفتحتين
وقرا شيبة وابو عمرو في رواية هارون وخارجة والخفاف وابي زيد عضدا
بضمتين وعن الحسن عضدا بفتحتين وعنه ايضا بضمتين وقرا الضحاك
عضدا بكسر العين وفتح الضاد وقرا الجمهور ويوم يقول بالياء اي الله وقرا

الاعمش وطلحة ويحيى وابن ابي ليلى وحمزة وابن مقسم نقول بنون العظمة اي للذين اشركوا
بي في الدنيا نادوا شركائي وليس المعنى انه تعالى اخبر انهم شركاؤه ولكن ذلك على زعمكم
والاضافة تكون بادنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما اي
التقدير زعمتموهم شركائي والنداء بمعنى الاستغاثة اي استغيثوا بشركائكم والمراد ادعوهم
لدفع العذاب عنكم او للشفاعة لكم والظاهر ان الضمير في بينهم عائد على الداعين
والمدعوين وهم المشركون والشركاء وقيل يعود على اهل الهدى واهل الضلالة
والظاهر وقوع الدعاء حقيقة وانتفاء الاجابة وقيل يحتمل ان تكون استغاثة
كانت فكرة الكافر ونظره في ان تلك الجمادات لا تغني شيئا ولا تنفع وهي بمنزلة
الدعاء وترك الاجابة وقرا الجمهور شركاي ممدودا مضافا للياء وابن كثير
واهل مكة مقصورا مضافا لها ايضا والظاهر انتصاب بينهم على الظرف
وقال الفراء البين هنا الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم
القيامة فعلى هذا يكون مفعولا اول لجعلنا وعلى الظرف يكون في موضع المفعول
الثاني ه وقال ابن عباس وقتادة والضحاك الموبق المهلك وقال الزجاج
جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم وقال عبد الله بن عمرو وانس ومجاهد واد
في جهنم يجري بدم وصديد وقال الحسن عداوة وقال الربيع بن انس
انه المجلس وقال ابو عبيدة الموعد وراى المجرمون النار الرؤية هنا رؤية عين اي
عاينوها والظن هنا قيل على موضعه من كونه ترجيح احد الجائزين وكونهم لم يجزموا
بدخولها رجاء وطمعا في رحمة الله وقيل معنى فظنوا ايقنوا قاله اكثر الناس
ومعنى مواقعوها مخالطوها واقعون فيها كقوله وظنوا ان لا ملجا من الله الا
اليه الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال ابن عطية اطلق الناس ان الظن
هنا بمعنى اليقين ولو قال بدل ظنوا ايقنوا لكان الكلام متسقا على مبالغة
فيه ولكن العبارة بالظن لا تجيء ابدا في موضع يقين تام قد قاله الحس بل
اعظم درجاته ان يجيء في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع
ويحس لا يكاد يوجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتامل هذه الاية
وتامل قول دريد ه
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ه انتهى وفي مصحف عبد الله ملاقوها
مكان مواقعوها وقراه كذلك الاعمش وابن غزوان عن طلحة والاولى جعله
تفسيرا لمخالفة سواد المصحف وعن علقمة انه قراها ملافوها بالفاء مشددة
من لففت وفي الحديث ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين
سنة ومعنى مصرفا معدلا ومراغا ومنه قول ابي كبير الهذلي ه
ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف ه
واجاز ابو معاذ مصرفا بفتح الراء وهي قراءة زيد بن علي جعله مصدرا كالمضرب
لان مضارعه يصرف على يفعل كيضرب ه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا ه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا

ها

قوله عز وجل ولقد صرفنا

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا
به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا • ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا • وتلك القرى
اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا • نقدم تفسير نظير صدر هذه الاية
وشيء هنا مفرد معناه الجمع اي اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال ان فصلتها واحدا
بعد واحد جدلا لا خصومة ومماراة يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه
فاذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز قيل الانسان هنا النضر بن الحرث
وقيل ابن الزبعرى وقيل ابي بن خلف وكان جداله في البعث حين اتى بعظم فذرّه
فقال ايقدر الله على اعادة هذا قاله ابن السائب وقيل كل من يعقل من ملك وجن
يجادل والانسان اكثر هذه الاشياء جدلا انتهى وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض
الذم وقد تلا الرسول قوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا حين عاتب عليا كرم الله
وجهه على النوم عن صلوة الليل فقال له علي انما نفسي بيد الله فاستعمل الانسان
على العموم وفي قوله وما منع الناس الاية تاسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم
لان هذا المنع لم يكن بقصد منهم ان يمتنعوا ليجيئهم العذاب وانما امتنعوا هم
مع اعتقاد انهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا فكان حالهم تقتضي
التاسف عليهم والناس يراد به كفار عصر الرسول الذين تولوا دفع الشريعة
وتكذيبها قاله ابن عطية وقال الزمخشري ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلهما
مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان الا انتظار ان تاتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة انتهى
وهو مسترق من قول الزجاج قال الزجاج تقديره ما منعهم من الايمان الا طلب
ان تاتيهم سنة الاولين وقال الواحدي ما منعهم الا اني قد قدرت عليهم
العذاب وهذه الاية في من قتل ببدر واحد من المشركين وهذا القول نحو من قول
من قال التقدير وما منع الناس ان يؤمنوا الا ما سبق في علمنا وقضائنا ان يجري
عليهم سنة الاولين من عذاب الاستيصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق
وعذاب الظلة ونحو ذلك واراد بالاولين من هلك من الامم السالفة وقال
صاحب الغنيان الا ارادة او انتظار ان تاتيهم سنتنا في الاولين ومن قدر المضاف
هذا او الطلب فانما ذلك لاعتقادهم عدم صدق الانبيا فيما وعدوا به من العذاب
كما قال حكاية عن بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل ما هنا استفهامية
لا نافية والتقدير واي شيء منع الناس ان يؤمنوا والهدى الرسول والقران
قولان وقرا الحسن والاعرج والاعمش وابن ابي ليلى وخلف وايوب
وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والباء
فاحتمل ان يكون بمعنى قبلا لان ابا عبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة وان
يكون جمع قبيل اي يجيئهم العذاب انواعا والوانا وقرا باقي السبعة ومجاهد

وعيسى بن عمر قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه عيانا وقرا ابو رجا والحسن ايضا
بضم القاف وسكون الباء وهو تخفيف قبل على لغة تميم وذكر ابن قتيبة انه قرئ
بفتحتين وحكاه الزمخشري وقال مستقبلا وقرا ابي بن كعب وابن غزوان عن طلحة
قبيلا بفتح القاف وياء مكسورة بعدها يا على وزن فعيل وما نرسل المرسلين الا
مبشرين اي بالنعيم المقيم لمن امن ومنذرين اي بالعذاب الاليم لمن كفر لا ليجادلوا
ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات ليدحضوا ليزيلوا واتخذوا اياتي يجمع ايات القران
وعلامات الرسول قولا وفعلا وما انذروا من عذاب الاخرة واحتملت ما ان تكون
بمعنى الذي والعائد محذوف اي وما انذروه وان تكون مصدرية اي وانذارهم
فلا يحتاج الى عائد على الاصح هزوا اي سخرية واستخفافا لقولهم اساطير الاولين
لو نشاء لقلنا مثل هذا وجدالهم للرسل قولهم ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله
لانزل ملائكة وما اشبه ذلك والايات المضاف الى الرب هو القران ولذلك عاد
الضمير مفردا في قوله ان يفقهوه واعراضه عنها كونه لا يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي
عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان المحسن والمسيء
يجزيان بما عملا وتقدم تفسير نظير قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا ثم اخبر تعالى ان هؤلاء لا يهتدون ابدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو
من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفرة وامنوا
ويحتمل ان يكون ذلك حكما على الجميع اي وان تدعهم الى الهدى جميعا فلن يهتدوا جميعا
ابدا وحملا على لفظ من فافرد ثم على المعنى في قوله انا جعلنا على قلوبهم فجمع وجعلوا
دعوة الرسول الى الهدى وهي التي تكون سببا لوجود الاهتداء سببا لانتفاء هدايتهم
وهذا الشرط كانه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم الى الهدى حرصا منه عليه
السلام على حصول ايمانهم فقيل وان تدعهم وتقييده بالابدية مبالغة في انتفاء هدايتهم
والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه
لا يؤاخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم في الكفر وعداوة الرسول والموعد اجل الموت
او عذاب الاخرة او يوم بدر او يوم بدر وايام النصر او العذاب اما في الدنيا واما في
الاخرة اقوال والموئل قال مجاهد المحرز وقال الضحاك الملجا والضمير في من دونه
عائد على الموعد وقرا الزهري موّلا بتشديد الواو من غير همز ولا يا وقرا ابو جعفر
عن الحلواني عنه مولا بكسر الواو خفيفة من غير همز ولا يا وقرا الجمهور بسكون الواو
وهمزة بعدها مكسورة واشار تعالى بقوله وتلك القرى الى القرى المجاورة اهل
مكة والعرب كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى عليهم وليحذروا ما يحل
بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدا والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم
ويجوز ان تكون القرى الخبر واهلكناهم جملة حالية كقوله فتلك بيوتهم خاوية
ويجوز ان تكون تلك منصوبة باضمار فعل يفسره ما بعده اي واهلكنا تلك القرى
اهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف اي واصحاب تلك القرى ولذلك عاد
الضمير على ذلك المضمر في قوله اهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك
وهي الظلم وبهذا استدل الاستاذ ابو الحسن بن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى

حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلية وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل الموعد ان يكون مصدرا او زمانا **وقرأ** الجمهور بضم الميم وفتح اللام واحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى المفعول وان يكون زمانا **وقرأ** حفص وهرون عن ابي بكر بفتحهما وهو زمان الهلاك **وقرأ** حفص بفتح الميم وكسر اللام مصدر هلك يهلك وهو مضاف للفاعل وقيل هلك يكون لازما ومتعديا فعلى تعديته يكون مضافا للمفعول وانشد ابو علي في ذلك ومهمه هالك من تعرجا ٥ ولا يتعين ما قاله ابو علي في هذا البيت بل قد ذهب بعض النحويين الى ان هالكا فيه لازم وانه من باب الصفة المشبهة اصله هالك من يعرجا فمن فاعل ثم اضمر في هالك ضمير مهمه وانتصب من على التشبيه بالمفعول ثم اضافه من نصب وقد اختلف في الموصول هل يكون من باب الصفة المشبهة والصحيح جواز ذلك وقد ثبت في اشعار العرب **قال الشاعر** وهو عمر بن ابي ربيعة

شعر اسيلات ابدان دقاق خصورها • وثيرات ما التفت عليها الملاحف ٥

وقال آخر ٥

شعر فعجتها قبل الاخيار منزلة • والطيبي كل ما التاثت به الازر ٥

برح زال مضارع يزول ومضارع يزال فيكون من اخوات كان الناقصة **الحقب** السنون واحدها حقبة **قال الشاعر ٥**

شعر فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها • فانك مما احدثت بالمجرب ٥

وقال الفراء الحقب سنة وبلغة قيس سنة والحقب عند اهل التفسير فيه **السرب** المسلك في جوف الارض **النصب** التعب والمشقة **الصخرة** معروفة وهي حجر كبير **السفينة** معروفة وتجمع على سفن وعلى سفائن وتحذف التاء فيقال سفينة وسفين وهو مما بينه وبين مفرده تاء التانيث وهو كثير في المخلوق نادر في المصنوع نحو عمامة وعمام ٥

قال الشاعر ٥

شعر متى تاتنا تلفنا في مجرة • تقاذف في غوارب السفين ٥

الامر الشيء من الامور كالداهية والادد ونحوه **الجدار** معروف ويجمع على جدر وجدران **النقض** سقوط وهو من ابيات معاياة الاعراب

شعر مر كما انقض على كوكب • عفريت جن في الدجى الاجدل ٥

عاب الرجل ذكره وصفا فيه يذم به وعاب السفينة احدث فيها ما تنقص به ٥ واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا • فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا • فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا • قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا • قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما • قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا • قال انك لن تستطيع معي صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا • قال فان اتبعتني فلا

المعزان

قوله عز وجل واذ قال موسى

تسالني

تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ٥ موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره ومن ذهب الى انه غيره وهو موسى بن منشا بن يوسف او موسى بن افرايم بن يوسف فقوله لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح وفي التواريخ انه موسى بن عمران نبي بني اسرائيل والمرسل هو واخوه هرون الى فرعون وفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب والفتى الشاب ولما كان الخدم اكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك ففي الحديث لا يقل احدكم عبدي ولا امتي فليقل فتاي وفتاتي وقال لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ عنه العلم ويقال ان يوشع كان ابن اخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة ان موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه ان يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا فقد الحوت فانه هنالك فنفعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لا ابرح اسيرا اي لا ازال قال ابن عطية وانما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا **قول الفرزدق**

شعر فما برحوا حتى تهادت نساؤهم • ببطحاء ذي قار عياب اللطائم ٥

انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا ابرح وهي من اخوات كان ونص اصحابنا على ان حذف كان واخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله • لهفي عليك للهفة من خائف • يبغي جوارك حين ليس مجير ٥ اي حين ليس في الدنيا وقال الزمخشري **فان قلت** لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر **قلت** هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف انتهى ومما وجهان خلطهما الزمخشري اما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره ابن عطية وحتى ابلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له والوجه الثاني جعل لا ابرح مسندا من حيث اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف وجعله لا ابرح هو حتى ابلغ فهو عمدة اذ اصله خبر للمبتدا لانه خبر ابرح وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان انتهى يعني ان برح يكون بمعنى فارق فيتعدى اذ ذاك الى مفعول ويحتاج هذا الى صحة نقل وذكر الطبري عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر انزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بآلاء الله وايامه عند بني اسرائيل ثم ذكر ما هو عليه من انه لا يعلم احدا اعلم منه قال ابن عطية وما يرى قط ان موسى عليه السلام

ازال قومه بمصر الا في هذا الكلام وهما اراه يصح بل المتظاهرات موسى مات بعض
التيه قبل فتح ديار الجبابرة وهذا المروي عن ابن عباس ذكره الزمخشري فقال
روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط امره الله ان
يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه
فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم
الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر
في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى
وذكر ايضا في اسئلة موسى انه قال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه
قال اعلم منك الخضر انتهى وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح من انه قيل له هل احد
اعلم منك قال لا ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس وبحر
الروم قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض فارس
من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين
على هذا القول ۝ وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي هو عند طنجة حيث
مجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا وعن ابي بافريقية وقيل هو بحر
الاندلس والقرية التي ابت ان تضيفهما هي بجزيرة الخضراء وقيل مجمع البحرين
بحر ملح وبحر عذب فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت فرقة
البحران كناية عن موسى والخضر لانهما بحرا علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة
الصوفية والاحاديث تدل على انهما بحرا ماء وقال الزمخشري بدع التفاسير
ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم انتهى ۝ وقيل بحر القلزم
وقيل بحر الازرق **وقرا** الضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار مجمع بكسر الميم الثانية
والنضر عن ابن مسلم في كلا الحرفين وهو شاذ وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور
والظاهر ان مجمع البحرين هو اسم مكان جمع البحرين وقيل مصدر قال ابن عباس الحقب
الدهر وقال عبد الله بن عمر وابو هريرة ثمانون سنة وقال الحسن سبعون وقيل
سنة بلغة قريش ذكره الفرا وقيل وقت غير محدود قاله ابو عبيدة والظاهر
ان قوله او امضي معطوف على ابلغ فغيا باحد الامرين اما بلوغه المجمع واما
بمضيه حقبا وقيل هي تغيية لقوله لا ابرح كقولك لا افارقك او تقضيني حقي
فالمعنى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى ان امضي زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين
وقرا الضحاك حقبا باسكان القاف والجمهور بضمها فلما بلغا مجمع بينهما ثم جملة
محذوفة التقدير فسارا فلما بلغا اي موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين
نسيا حوتهما وكان من امر الحوت وقصته ان موسى عليه السلام حين اوحي اليه ان لي
عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك
حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة ووضعا رؤسهما
فنام موسى واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر سربا وامسك الله عن
الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق قيل وكان الحوت مالحا وقيل مشويا وقيل

طريا وقيل جمع يوشع الحوت والخبز في مكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة
ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الما وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل
توضا يوشع من تلك العين فانتضح الما على الحوت فعاش ووقع في الما والظاهر نسبة
النسيان الى موسى وفتاه وقيل كان النسيان من احدهما وهو فتى موسى نسي ان يعلم موسى
امر الحوت اذ كان نائما وقد احس يوشع بخروجه من المكتل الى البحر وراه قد اتخذ السرب
فاشفق ان يوقظ موسى وقال اوخر الى ان يستيقظ ثم نسي ان يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا
وقد يسند الشي الى الجماعة وان كان الذي فعله واحد منهم وقيل هو حذف مضاف
اي نسي احدهما وقال الزمخشري ان نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة
على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامر فيه بشي انتهى
وشبه بالسرب مسلك الحوت في الما حين لم ينطبق الما بعده بل بقي كالطاق هذا
الذي ورد في الحديث وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغا وقال قتادة ما جامدا
وعن ابن عباس حجرا صلدا وقال ابن زيد انما اتخذ سبيله سربا في البر حتى وصل الى البحر
ثم عام على العادة كانه يعني بقوله سربا تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب اي مهمل
يرعى حيث شا ومنه قوله تعالى وسارب بالنهار اي متصرف وقال قوم اتخذ سربا
في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجرا فنقبه والظاهر ان السرب كان في الما
ولا يفسر الا بما ورد في الحديث الصحيح ان الما صار عليه كالطاق وهو معجزة لموسى
او الخضر ان قلنا انه نبي والا تكن كرامة وقيل عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا
وان موسى مشى عليه متبعا الحوت حتى افضى به ذلك الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر
فلما جاوزا اي مجمع البحرين وقال الزمخشري الموعد وهي الصخرة فقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد
ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى
مسيرهما وراء الصخرة **وقرا** الجمهور نصبا بفتحتين وعبد الله بن عبيد بن عمير
بضمتين قاله صاحب اللوامح وهي احدى اللغات الاربع التي فيها قال الزمخشري
فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة
التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول
منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الما وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في
مثل السرب ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى
ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت **قلت** قد شغله الشيطان بوساوسه
فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله
عند موسى من العجائب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام انتهى قال
ابو بكر غالب بن عطية والد ابي عبد الحق المفسر سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظ
مشى موسى الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع في
بعض يوم وقال الزمخشري ارايت بمعنى اخبرني **فان قلت** ما وجه التئام هذا
الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له
قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك

الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا
إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون أرأيتك بمعنى أخبرني ذكره
وقد أمعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام وفي شرحنا لكتاب التسهيل وأما
ما يختص بأرأيت في هذا الموضع فقال أبو الحسن الأخفش إن العرب أخرجتها عن معناها
بالكلية فقالوا أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة إذا كانت بمعنى أخبرني وإذا كانت
بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى
ولا تقول فيها أبدا أراني زيد عمرا ما صنع وتقول هذا على معنى أعلم وشذت أيضا
فأخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله أرأيت إذ أوينا إلى
الصخرة فإني نسيت الحوت فما دخلت الفاء إلا وقد أخرجت لمعنى أما أو تنبه
والمعنى أما إذ أوينا إلى الصخرة فالأمر كذا وقد أخرجتها أيضا إلى معنى أخبرني
كما قدمنا وإذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة
التي بعدها الاستفهام وقد تخرج لمعنى أما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف
الزمان فقوله فإني نسيت الحوت معناه أما إذ أوينا فإني نسيت الحوت
أو تنبه إذ أوينا وليست الفاء إلا جوابا لأرأيت لأن إذ لا يصح أن يجازى بها إلا
مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الأخفش وفيه أن أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني
فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ولزوم الجملة التي بعدها الاستفهام وهذان
مفقودان في تقدير الزمخشري أرأيت هنا بمعنى أخبرني ومعنى نسيت الحوت
نسيت ذكر ما جرى فيه لك وفي قوله وما أنسانيه إلا الشيطان حسن أدب
بنسبة النسيان إلى المتسبب فيه بوسوسته وأن أذكره بدل اشتمال من الضمير العائد
على الحوت والظاهر أن الضميرين في واتخذ سبيله في البحر عجبا عائد على الحوت كما عاد
في قوله واتخذ سبيله في البحر سربا وهو من كلام يوشع وقيل الضمير عائد على موسى
أي اتخذ موسى ومعنى عجبا أي تعجب من ذلك واتخاذ عجبا ومرات أثره بقي إلى حيث
سار وقدر الزمخشري سبيله عجبا وهو كونه شبيه السرب قال أو قال عجبا
في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين
وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذلك انتهى وقال ابن عطية واتخذ سبيله
في البحر عجبا يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أي اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس
ويحتمل أن يكون قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر ثم استأنف التعجب فقال
من قبل نفسه عجبا لهذا الأمر وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه
ثم حيي بعد ذلك قال أبو شجاع في كتاب الطبري رأيته أتيت به فإذا هو شقة
حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شيء قال ابن عطية وأنا رأيته والشق
الذي ليس فيه شيء عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة ويحتمل أن يكون واتخذ سبيله
الآية إخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين إما أن يخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل
الحوت من البحر عجبا أي تعجب منه وإما أن يخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجبا
للناس انتهى وقرأ حفص وما أنسانيه بضم الهاء وفي الفتح عليه الله وذلك

في الوصل وأمال الكسائي فتحة السين وفي مصحف عبد الله وقراءته أن أذكركه
إلا الشيطان وقرأ أبو حيوة واتخاذ سبيله عطف المصدر على ضمير المفعول في أذكره
والإشارة بقوله ذلك إلى أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر لأنه أمارة
الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد الصالح وما موصولة والعائد محذوف أي نبغيه
وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ونافع وأما
الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لرسم المصحف وأثبتها في الحالين ابن كثير فارتدا
رجعا على أدراجهما من حيث جاءا قصصا أي يقصان الأثر قصصا فانتصب على المصدرية
بإضمار يقصان أو يكون في موضع الحال أي مقتصين فينتصب بقوله فارتدا فوجدا
أي موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه إضافة تشريف واختصاص وجداه عند الصخرة
التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوبه مستلقيا على الأرض فقال السلام عليك فرفع
رأسه وقال أنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بني
إسرائيل فالخضر قال له ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى مثلنا قال
بلى ولكن أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال له إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه
أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه أنا والجمهور على أنه الخضر وخالف
من لا يعتد بخلافه فزعم أنه عالم آخر وقيل اليسع وقيل إلياس وقيل خضرون بن قابيل
ابن آدم قيل واسم الخضر بليا بن ملكان والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن
قد أوحيت إليه وعلم موسى الأحكام والفتيا بالظاهر وروي أنه وجد قاعدا على
ثبج البحر وفي الحديث سمي خضرا لأنه جلس على فروة بالية فاهتزت تحته خضراء وقيل
كان إذا صلى اخضر ما حوله وقيل جلس على فروة بيضاء وهي الأرض المرتفعة وقيل
الصلبة فاهتزت تحته خضراء وقيل كانت أمه رومية وأبوه فارسي وقيل
كان ابن ملك من الملوك أراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر
فطلبه أبوه فلم يقدر عليه والجمهور على أنه مات وقال شرف الدين أبو عبد الله
محمد بن أبي الفضل المرسي أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لأنه لو كان حيا للزمه
المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به واتباعه وقد روي عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما إلا اتباعي انتهى هكذا أورد
هذا الحديث ومذهب المسلمين أن عيسى حي وأنه ينزل من السماء ولعل الحديث لو كان
موسى حيا لم يسعه إلا اتباعي والرحمة التي آتاه الله إياها هي الوحي والنبوة
وقيل الرزق وعلمناه من لدنا علما أي من عندنا أي مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار
عن الغيوب وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو ومن لدنا بتخفيف النون وهي لغة في لدن
وهي الأصل قيل وقد أولع كثير ممن ينتمي إلى الصلاح بادعاء هذا العلم ويسمونه العلم
اللدني وأنه يلقى في روع الصالح منهم حتى من ذلك يحكى بحيث بأن من كان من أصحابه هو
من أهل الجنة على سبيل القطع وأن بعضهم يرى الخضر وكان قاضي القضاة أبو الفتح
محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له أنه رأى
الخضر وحدثه فقيل له من أعلمه أنه الخضر ومن أين عرف ذلك فسكت وبعضهم يزعم
أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر وسمعنا الحديث على شيخ

يقال له عبد الواحد العباسي الحنبلي وكان اصحابه الحنابلة يعتقدون فيه انه يجتمع بالخضر ٥ قال له موسى في الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذي ورد في الحديث الصحيح قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل على التواضع للعالم وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والادب في طلب العلم بقوله هل اتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوايده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك واتصب رشدا على انه مفعول ثان لقوله تعلمني او على انه مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك وقال الزمخشري علما ذا رشد ارشد به في ديني **فان قلت** اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين **قلت** لاغضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي قبله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى ابن ميشا فقال كذب عدو الله انتهى **وقراه** الحسن والزهري وابو بحرية وابن محيصن وابن مناذر ويعقوب وابو عبيد واليزيدي رشدا بفتحتين وهي قراة ابي عمرو من السبعة **وقراه** باقي السبعة بضم الراء واسكان الشين ونفي الخضر استطاعة الصبر معه على سبيل التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها يتكرها الرجل الصالح فكيف النبي ولا يتمالك ان يشمئز لذلك ويبادر بالانكار وكيف تصبر اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد وفيه ابداء عذر له حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه من شريعته وانتصب خبرا على التمييز اي مما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل او على انه مصدر على غير الصدر لان معنى ما لم تحط به لم تخبره **وقراه** الحسن وابن هرمز خبرا بضم الباء ٥ قال ستجدني ان شاء الله صابرا وعده بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما ينافي ما هو عليه اذا راه ولا اعصي يحتمل ان يكون معطوفا على صابرا اي صابرا وغير عاص فيكون في موضع نصب عطف الاسم على الفعل اذ كان في معناه كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات ويجوز ان يكون معطوفا على ستجدني فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشية لفظا وقال القشيري وعد موسى من نفسه بشيين بالصبر وقرنه بالاستثنا بالمشية فصبر حين وجد على يدي الخضر فيما كان منه من الفعل وبان لا يعصيه فاطلق ولم يقرنه بالاستثنا فعصاه حيث قال له فلا تساليني فكان يساله فما قرن بالاستثنا لم يخالف فيه وما اطلقه وقع فيه الخلف انتهى وهذا منه على تقدير ان يكون ولا اعصي معطوفا على ستجدني فلم يندرج تحت المشية قال فان اتبعتني اي اذا رايت مني شيا خفي عليك وجهه فانكرته في نفسك فلا تفاتحني بالسوال حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم المتبوع **وقراه** نافع وابن عامر فلا تسالني وعن ابي جعفر بفتح السين واللام من غير همز مشددة النون وباقي السبعة بالهمز وسكون اللام وتخفيف النون قال ابو علي كلهم بالياء في الحالين انتهى وعن ابن عباس

في حذف

قوله عز وجل فانطلقا حتى

في حذف الياء خلاف غريب ٥ فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا • قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا • قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا • فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جيت شيا نكرا • قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا • قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شيت لتخذت عليه اجرا • قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ٥ فانطلقا اي موسى والخضر وكان معهم يوشع ولم يضم لانه في حكم التبع وقيل كان موسى قد صرفه ورده الى بني اسرايل والالف واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة وروي في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها اقوال والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قال فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجا عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر واللام في لتغرق اهلها قيل لام العاقبة وقيل لام العلة **وقراه** زيد بن علي والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وحمزة والكسائي وخلف وابو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني ليغرق بفتح الياء والرا وسكون الغين اهلها بالرفع **وقراه** باقي السبعة بضم تا الخطاب واسكان الغين وكسر الراء ونصب لام اهلها **وقراه** الحسن وابو رجا كذلك الا انهما فتحا الغين وشددا الرا تحتمل ذكره الخضر بما سبق له من نفي استطاعته الصبر لما يرى فقال لا تواخذني بما نسيت والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عليه السلام كانت الاولى من موسى نسيانا والمعنى انه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سواله حتى يكون هو المخبر له اولا وهذا قول الجمهور وعن ابي بن كعب انه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام قال الزمخشري اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان توهمه انه نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي ينفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة انتهى وقد بين ابن عطية كلام ابي بكلام طويل يوقف عليه في كتابه ولا يعتمد الا قول الرسول كانت الاولى من موسى نسيانا ٥ ولا ترهقني لا تغشني ولا تكلفني من امري وهو اتباعه عسرا اي شيا صعبا بل سهل علي في متابعتك بترك المناقشة **وقراه** ابو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع ٥ فانطلقا في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق باهلها

فانطلقا فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان
وفي بعض الروايات فمر بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضي الوجه
فاقتلع راسه وقيل رضخه بحجر وقيل ذبحه وقيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه
الحائط فقتل وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم ولهذا قال اقتلت نفسا زاكية وقيل
كان بالغا شابا والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه **قول ليلى الاخيلية في الحجاج**

شفاها من الداء الذي قد اصابها • غلام اذا هز القناة سقاها

وقال اخر

تلق ذباب السيف عني فانني • غلام اذا هوجيت لست بشاعر

وقيل اصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشباب الذين قد بلغوا
الحلم وينطلق على الصبي الصغير تجوزا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه واختلف في اسم
هذا الغلام واسم ابيه واسم امه ولم يرد شيء من ذلك في الحديث وفي الخبر ان هذا
الغلام كان يفسد ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه
وحكى القرطبي عن صاحب العرس والعرائس ان موسى عليه السلام لما قال للخضر اقتلت
نفسا زاكية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم
كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا وقال الزمخشري **فان قلت** لم قيل خرقها بغير
فاء وفقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط
معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت **فان قلت** فلم خولف بينهما **قلت** لان خرق
السفينة لم يتعقبه الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام انتهى ومعنى زاكية طاهرة
من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لانه لم يرها اذنبت قيل او لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث وقوله بغير نفس يرده ويدل على كبر الغلام وان لا فلو كان لم يحتلم لم يجب
قتله بنفس ولا بغير نفس **وقرا** ابن عباس والاعرج وابو جعفر وشيبة وابن محيصن
وحميد والزهري ونافع واليزيدي وابن مسلم وزيد وابن بكير عن يعقوب والتمار عن رويس
عنه وابو عبيد وابن جبير الانطاكي وابن كثير وابو عمرو زاكية بالالف **وقرا** زيد
ابن علي والحسن والجحدري وابن عامر والكوفيون زكية بغير الف وبتشديد الياء وهي
ابلغ من زاكية لان فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة **وقرا** الجمهور نكرا باسكان
الكاف **وقرا** نافع وابو بكر وابن ذكوان وابو جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وابو حاتم
برفع الكاف حيث كان منصوبا والنكر قيل اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون
من اغراق اهل السفينة وقيل معناه شيئا انكر من الاول لان الخرق يمكن سده والقتل
لا سبيل الى تدارك الحياة معه وفي قوله لك زجر واغلاظ ليس في الاول لان
مواقعة السؤال منه بعد التقدم الى ترك السؤال واستعذاره اولا بالنسيان
اقطع وافظع في المخالفة مما كان اخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان
قال ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد هذه القصة او بعد هذه المسألة فلا
تصاحبني اي فاوقع الفراق بيني وبينك **وقرا** الجمهور فلا تصاحبني من باب
المفاعلة **وقرا** عيسى ويعقوب فلا تصحبني مضارع صحب وعيسى ايضا بضم

التاء وكسر الحاء مضارع اصحب ورواها سهل عن ابي عمرو اي فلا تصحبني علمك وقدره
بعضهم فلا تصحبني اياك وبعضهم نفسك **وقرا** الاعرج بفتح التاء والباء وشد
النون ومصحبني قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعتذرت الي وبلغت الى العذر ⁄
وقرا الجمهور من لدني بادغام نون لدن في نون الوقاية التي اتصلت بياء المتكلم
وقرا نافع وعاصم بتخفيف النون وهي نون لدن اتصلت بياء المتكلم وهو
القياس لان اصل الاسماء اذا اضيفت الى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية
نحو غلامي وفرسي واشم شعبة الضم في الدال وروي عن عاصم سكون الدال قال ابن مجاهد
وهو غلط وكانه يعني من جهة الرواية واما من حيث اللغة فليست بغلط لان
من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال **وقرا** عيسى عذرا بضم الذال ورويت
عن ابي عمرو وعن ابي عذري بكسر الراء مضافا الى ياء المتكلم وفي البخاري قال يرحم الله
موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما واسند الطبري قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه فقال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى
لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ⁄
والقرية التي اتيا اهلها انطاكية او الابلة او الجزيرة الاندلس وهي الجزيرة
الخضراء او برقة او ابو حران بناحية اذربيجان او ناصرة من ارض الروم او قرية بارمينية
اقوال مضطربة بحسب اختلافهم في اي ناحية من الارض كانت قصتهما والله اعلم
بحقيقة ذلك وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولئك القوم يستطعمانهم
وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى وتكرر لفظ اهل على سبيل التوكيد وقد
يظهر له فائدة غير التوكيد وهو انهما حين اتيا اهل القرية لم ياتيا جميع اهل القرية
انما اتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل انهما لم يستطعما الا ذلك البعض الذي
اتياه فجيء بلفظ اهلها ليعم جميعهم وانهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام
ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي **وقرا** الجمهور يضيفوهما
بالتشديد من ضيف **وقرا** ابن الزبير والحسن وابو رجاء وابو رزين وابن محيصن وعاصم
في رواية المفضل وابان بكسر الضاد واسكان الياء من اضاف كما تقول ميل واما ل
واسناد الارادة الى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد
في كلام العرب اسناد اشياء تكون من افعال العقلاء الى ما لا يعقل من الحيوان والى
الجماد والمعنى لو كان الجماد او الحيوان الذي لا يعقل مكان العاقل لكان صادرا منه
ذلك الفعل وقد اكثر الزمخشري وغيره من ايراد الشواهد على ذلك ومن له ادنى
مطالعة لكلام العرب لا يحتاج الى شاهد في ذلك قال الزمخشري ولقد
بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما
كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل
ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز ادخل في الاعجاز
انتهى وما ذكره اهل اصول الفقه عن ابي بكر محمد بن داود الاصبهاني من انه ينكر
المجاز في القرآن لعله لا يصح عنه وكيف يكون ذلك وهو احد الادباء الشعراء
الفحول المجيدين في النظم والنثر **وقرا** الجمهور ينقض اي يسقط من انقضاض

ووزنه انفعل نحو انجرّ قال صاحب اللوامح من القضة وهي الحصى الصغار ومنه
طعام قضض إذا كان فيه حصى فعلى هذا يريد أن ينقض أي يتفتت فيصير حصاة
انتهى وقيل وزنه افعلّ من النقض كاحمرّ **وقرأ** أبي ينقض بضم الياء وفتح القاف
والضاد مبنياً للمفعول من نقضته وهي مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حرف
عبد الله وقراءة الأعمش يريد لينقض كذلك إلا أنه منصوب بأن المقدرة بعد اللام
وقرأ علي وعكرمة وأبو شيخ خيوان بن خالد الهنائي وخليد بن سعد ويحيى بن يعمر
ينقاص بالصاد غير معجمة مع الألف ووزنه ينفعل اللازم من قاص يقيص إذا كسرته
تقول قصته فانقاص قال ابن خالويه وتقول العرب انقاصت السن إذا انشقت
طولاً قال ذو الرمة منقاص ومنكثب ٥ وقيل إذا تصدعت كيف كان ومنه

قول ابي ذؤيب ٥

فراق كقيص السن فالصبر إنه لكل أناس عثرة وجبور ٥

وقرأ الزهري ينقاض بالألف وضاد معجمة وهو من قولهم قضته فانقاض أي
هدمته فانهدم قاله أبو علي والمشهور عن الزهري بصاد غير معجمة فأقامه الظاهر
أنه لم يهدمه وبناه كما ذهب إليه بعضهم من أنه هدمه وقعد يبنيه ويؤيد هذا
في مصحف عبد الله وأيد بقوله لتخذت عليه أجراً لأن بناءه بعد هدمه يستحق
عليه أجر وقال ابن جبير مسحه بيده وأقامه فقام وقيل أقامه بعمود عمده
به وقال مقاتل سواه بالشيد أي ليسه به وهو الجيار وعن ابن عباس دفعه
بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء قال الزمخشري كانت الحال
حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو
المسألة فلم يجدا مواسياً فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان
ومساس الحاجة أن قال لو شئت لتخذت عليه أجراً وطلبت على عملك جعلاً
حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة انتهى قال ابن عطية وقوله لو شئت لتخذت عليه
أجراً وإن لم يكن سؤالاً ففي ضمنه الإنكار والقول بتصويب أخذ الأجر وفي ذلك
تخطئة ترك الأجر انتهى **وقرأ** عبد الله والحسن وقتادة وأبو بحرية وابن محيصن
وحميد واليزيدي ويعقوب وأبو حاتم ومن السبعة ابن كثير وأبو عمرو لتخذت
بتاء مفتوحة وخاء مكسورة يقال تخذ واتخذ نحو تبع واتبع افتعل من تخذ وأدغم
التاء في التاء **قال الشاعر** ٥

وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق ٥

والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ وزعم بعضهم أن الاتخاذ افتعال من الأخذ
وأنهم توهموا التاء أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقى من اتقى والظاهر
أن هذا إشارة إلى قوله لو شئت أي هذا الاعتراض سبب الفراق بيني وبينك
على حسب ما سبق من ميعاده أنه قال إن سألتك ومعنى الجملة وإن لم تكن سؤالاً
فإنها تتضمنه إذ المعنى ألم تكن تتخذ عليه أجراً لاحتياجنا إليه وقال الزمخشري
قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول

هذا

هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ انتهى وفيه ما فيه فالأولى نظر **وقرأ** ابن أبي عبلة
فراقٌ بينِي بالتنوين والجمهور على الإضافة والبين قال ابن عطية الصلاح الذي يكون
بين المصطحبين ونحوهما وذلك مستعار فيه من الظرفية ويستعمل استعمال الأسماء
وتكرير بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التأكيد سأنبئك أي سأخبرك بتأويل
ما رأيت من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار أي بما آل إليه الأمر فيما
كان ظاهره أن لا يكون **وقرأ** ابن وثاب سأنبيك بإخلاص الياء من غير همز وعن ابن عباس
كان قوله في السفينة وفي الغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من
الدنيا فكان سبب الفراق وقال أرباب المعاني هذه الأمثلة التي وقعت
لموسى مع الخضر حجة على موسى وإعجاب له وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي
يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم فلما أنكر قتل
الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما أنكر إقامة
الجدار نودي أين هذا من رفعك الحجر لبنات شعيب دون أجرة سأنبئك في معاني
هذا معك ولا أفارقك حتى أوضح لك ما استبهم عليه ٥ أما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً
وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن
يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً • وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما • وكان أبوهما صالحاً • فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك • وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً
٥ روي أن موسى لما عزم الخضر على مفارقته أخذ بثيابه وقال لا أفارقك حتى
تخبرني بما أباح لك فعل ما فعلت فلما التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل
فقال أما السفينة فبدأ بقصة ما وقع له أولاً قيل كانت لعشرة إخوة خمسة
زمنى وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا أجراء فنسبت إليهم للاختصاص **وقرأ**
الجمهور مساكين بتخفيف السين جمع مسكين **وقرأ** علي كرم الله وجهه بتشديد السين
جمع مسّاك جمع تصحيح فقيل المعنى ملاحين والمسّاك الذي يمسك رجل السفينة وكل
منهم يصلح لذلك وقيل المساكون دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والقراءة
الأولى تدل على أن السفينة كانت لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم واحتج بهذه الآية
على أن المسكين هو الذي يملك شيئاً من العيش كالسفينة لهؤلاء وأنه أصلح حالاً من الفقير وقوله
فأردت فيه إسناد إرادة العيب إليه وفي قوله فأراد ربك أن يبلغا لما في ذكر
العيب ما فيه فلم يسنده إلى الله ولما في ذلك من فعل الخير أسنده إلى الله تعالى
قال الزمخشري **فإن قلت** قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب
عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه **قلت** النية به التأخير
وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها
للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة
صالحة انتهى ومعنى أن أعيبها بخرقها **وقرأ** الجمهور وراءهم وهو لفظ يطلق
على الخلف وعلى الأمام ومعناه هنا أمامهم وكذا قرأ ابن عباس وابن جبير وكون

قوله عز وجل أما السفينة

هما

وراءهم بمعنى امامهم قول قتادة وابي عبيد وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند اهل اللغة ان وراء يجوز بمعنى قدام وجاء في التنزيل والشعر قال تعالى من ورائه جهنم وقال ومن ورائه عذاب غليظ وقال ومن ورائهم برزخ ٥

وقال لبيد ٥

اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحني عليها الاصابع ٥

وقال سوار بن المضرب السعدي ٥

ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا ٥

وقال آخر ٥

اليس ورائي ان ادب على العصا • فيأمن اعدائي ويسأمني اهلي

وقال ابن عطية وقوله وراءهم عندي هو على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجي مراعى بها الزمن والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر بادي الرأي وتامل هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الاية معناها ان هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي انهم كانوا يسيرون الى بلد وقوله تعالى في التوراة والانجيل انها بين يدي القرآن مطرد على ما قلناه في الزمن وقوله من ورائهم جهنم مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمن وتامل هذه المقالة فانها مريحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتب الطبري وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهي بين ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها قاله الزجاج ويجوز ان كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة انتهى وهو كلام فيه تكثير وكانه ينظر الى ما قال الفراء قال الفراء لا يجوز ان يقال للرجل بين يديك هو وراءك انما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والايام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهان لان البرد اذا لحقك صار من ورائك وكانك اذا بلغته صار بين يديك قال انما جاز هذا في اللغة لان ما بين يديك وما قدامك اذا توارى عنك فقد صار وراءك وقال ابو علي انما جاز استعمال وراء بمعنى امام على الاتساع لانها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى اذا لم يرد معنى المواجهة ويجوز ذلك في الاجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الاخر واكثر اهل اللغة على ان وراء من الاضداد انتهى قيل واسم هذا الملك هدد بن بدد وكان كافرا وقيل الجلندي ملك غسان وقوله فكان ابواه مؤمنين في هذا حذف وهو ان المعنى وكان كافرا وكذا وجد في مصحف ابي وقرأ ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين ونص في الحديث على انه كان كافرا مطبوعا على الكفر ويراد بابويه ابوه وامه ثني تغليبا من باب القمرين في القمر والشمس وهي تثنية لا تنقاس وقرأ ابو سعيد الخدري والجحدري فكان ابواه مؤمنان فخرجه الزمخشري وابن عطية وابو الفضل

الرازي على ان في كان ضمير الشان والجملة في موضع خبر لكان واجاز ابو الفضل الرازي ان يكون مؤمنان على لغة بني الحرث بن كعب فيكون منصوبا ويجوز ايضا ان يكون في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان فخشينا اي خفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك قاله الزمخشري وفي قوله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته مذهب المعتزلة في قولهم بالاجلين والظاهر اسناد فعل الخشية في فخشينا الى ضمير الخضر واصحابه الصالحين الذين اهمهم الامر وتكلموا وقيل هو في جهة الله وعنه عبر الخضر وهو الذي قال فيه الزمخشري ويجوز ان يكون الى آخر كلامه قال الطبري ومعناه وقال معناه فكرهنا قال ابن عطية والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للوالدين وقرأ ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين الاستعارة في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى فان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم ايها المخاطبون ويرهقهما معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه وقرأ نافع وابو عمرو وابو جعفر وشيبة وحميد والاعمش وابن جرير ان يبدلهما بالتشديد هنا وفي التحريم والقلم وقرأ باقي السبعة والحسن وابن محيصن بالتخفيف والزكوة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم الرحمة والعطف مصدران كالكثر والكثرة وافعل هنا ليست منا للتفضيل لان ذلك الغلام لا زكوة فيه ولا رحمة والظاهر ان قوله واقرب رحما اي رحمة والديه وقال ابن جريج برحماته ٥

وقال رؤبة العجاج ٥

يا منزل الرحم على ادريسا • ومنزل اللعن على ابليسا ٥

وقرأ ابن عامر وابو جعفر في رواية ويعقوب وابو حاتم رحما بضم الحاء وقرأ ابن عباس رحما بفتح الراء وكسر الحاء وقيل الرحم من الرحم والقرابة اي اوصل للرحم قيل ولدت غلاما مسلما وقيل جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا روي ذلك عن ابن عباس قال ابن عطية وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الانبياء الا في بني اسرائيل ولم تكن هذه المراة منهم انتهى ووصف الغلامين باليتيم يدل على انهما كانا صغيرين وفي الحديث لا يتم بعد بلوغ قال ابن عطية وهذا يحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتيم بعد البلوغ اي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما قيل واسمهما اصرم وصريم واسم ابيهما كاشح واسم امهما دهنا والظاهر في الكنز انه مال مدفون جسيم ذهب وفضة قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس وابن جبير

كان علمًا في صحف مدفونة وقيل لوح من ذهب فيه كلمات حكمة وذكر قد ذكرها المفسرون
في كتبهم ولا نطول بذكرها والظاهر انه مال وهو الاقرب ابوهما الذي ولدهما
دنية وقيل السابع وقيل العاشر وحفظ هذان الغلامان بصلاح ابيهما وفي الحديث
ان الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته وانتصب رحمة على المفعول له واجاز الزمخشري
ان ينتصب على المصدر بارادة قال لانه في معنى رحمهما واجاز ابو البقا ان ينتصب
على الحال وكلاهما متكلف وما فعلته اي وما فعلت ما رايت من خرق السفينة
وقتل الغلام واقامة الجدار عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله
وهذا يدل على انه نبي اوحي اليه وتسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل قال
ابن السكيت يقال ما استطيع وما اسطيع وما استيع واستيع اربع لغات
واصل اسطاع استطاع على وزن استفعل فالمحذوف في اسطاع تا الافتعال
لوجود الطا التي هي اصل ولا حاجة تدعو الى ان المحذوف هي الطا التي هي فا الفعل
ثم ابدلوا من تا الافتعال طا واما استيع فقيل انهم ابدلوا من الطا تا وينبغي
في تستيع ان يكون المحذوف تا الافتعال كما في تسطيع وفي كتاب التحرير والتحبير
ما نصه تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر على ان الخضر افضل من موسى وطردوا
الحكم فقالوا قد يكون بعض الاولياء افضل من احاد الانبيا واستدلوا ايضا بقول
ابي يزيد خضت بحرًا وقف الانبياء على ساحله وهذا كله من ترهات الرعونة والغفلة
بالنفس انتهى وهذا سمعنا من يحكي هذه المقالة عن بعض الضالين المضلين وهو
ابن العربي الطائي الحاتمي صاحب الفتوح المكية فكان ينبغي ان يسمى بالفتوح
الهلكية وانه كان يزعم ان الولي خير من النبي قال لان الولي ياخذ عن الله بغير
واسطة والنبي ياخذ بواسطة عن الله ولان الولي قاعد في الحضرة الالهية
والنبي مرسل الى قوم ومن كان في الحضرة افضل ممن يرسله صاحب الحضرة الى اشيا
من هذه الكفريات والزندقة وقد كثر معظمو هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة
الزنادقة القائلة بالوحدة فنسأل الله السلامة في اديانا وابداننا **السد**
الحاجز والحائل بين الشيئين وفيه لغتان بالضم وبالفتح **الردم** السد وقيل الردم اكبر
من السد لان الردم ما جعل بعضه على بعض يقال ثوب مردم اذا كان قد رقع رقعة
فوق رقعة وقيل سد الخلل ○
قال عنترة هل غادر الشعراء من متردم ○ اي خلا في المعاني فيسد ردمًا **الزبرة**
القطعة واصله الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع على كاهله من الشعر وزبرت
الكتاب جمعت حروفه **الصدفان** جانبا الجبل اذا تحاذيا لتقاربهما لتلاقيهما
قال الازهري ويقال صُدُف بضمهما وبفتحهما وبضم الصاد وسكون الدال
وعكسه قال بعض اللغويين وفتحهما لغة تميم وضمهما لغة حمير وقال ابو عبيدة
الصدف كل بناء عظيم مرتفع **القطر** النحاس المذاب في قول الاكثرين وقيل
الحديد المذاب وقيل الرصاص المذاب **النقب** مصدر نقب اي حفر وقطع
الغطاء معروف وجمعه اغطية وهو من غطى اذا ستر **الفردوس** قال الفراء
البستان الذي فيه الكرم وقال ثعلب كل بستان يحوط عليه فهو فردوس

المفردات

قوله عز وجل ويسألونك

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا ○ انا مكنا له في الارض
واتيناه من كل شيء سببًا فاتبع سببًا ○ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة ووجد عندها قومًا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ
فيهم حسنا ○ قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ○
واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرًا ○ ثم اتبع
سببًا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا ○ كذلك وقد احطنا بما لديه خبرًا ○ ه والضمير في ويسألونك عائد على قريش
او على اليهود والمشهور ان السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح
والرجل الطواف وفتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو
الاسكندر اليوناني ذكره ابن اسحق وقال وهب هو رومي وهل هو نبي او عبد صالح
ليس بنبي قولان وقيل كان ملكا من الملائكة وهذا غريب قيل ملك الدنيا مؤمنان
سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ وعن علي كان
عبدًا صالحًا ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه الايمن فمات في طاعة الله ثم
بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وقيل
طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ظفيرتان
وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس
وروي الروم والترك وعنه كانت صفيحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه
قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين قال الزمخشري ويجوز ان يسمى بذلك
لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها
ولد غيره انتهى وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين والمشهور انه الاسكندر وقال
ابو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية
هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقس الحميري بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها وهو الذي
افتخر به احد الشعراء من حمير حيث **قال** ○

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ○ ملكا علا في الارض غير مبعد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ○ اسباب ملك من كريم سيد

قال ابو الريحان ويشبه ان يكون هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم
الذين لا يخلون اسماءهم من ذي كذا كذي المنار وذي نواس انتهى والشعر الذي
انشدته تنسب ايضا الى تبع الحميري وهو قد كان ذو القرنين جدي مسلما ○ وعن علي
وابن عباس ان اسمه عبد الله بن الضحاك وعن محمد بن علي بن الحسين عياش وعن ابي خيثمة
هو الصعب بن جابر بن القلمس وقيل مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث
وعن علي هو من القرن الاول من ولد يافث بن نوح وعن الحسن كان بعد ثمود وكان عمره
الفا سنة وست مائة وعن وهب كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
والخطاب في عليكم للسائلين اما اليهود واما قريش على الخلاف الذي سبق
في السائلين ومنه ذكرا يحتمل ان يريد قرآنا وان يريد حديثا وخبرا والتمكين
الذي له في الارض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها قال بعض المفسرين

والدليل على انه الاسكندر ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى
اقصى المغرب والى اقصى المشرق والى اقصى الشمال بدليل ان ياجوج وماجوج قوم
من الترك يسكنون في اقصى الشمال وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية
المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان
كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يكون مختفيا والملك الذي
اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك
انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب
وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في
مذبحه ثم عطف الى ارمينية ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم نحو دارا
ابن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حربه واستولى الاسكندر على ممالك الفرس
وقصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة
ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وورد في الحديث ان الذين ملكوا الارض
اربعة مؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين وقد تقدم ذكر ذلك وثبت في علم
التواريخ ان الذي هذا شانه ما كان الا الاسكندر فوجب القطع ان المراد بذي
القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقيل تمكينه في الارض بالنبوة واجراء المعجزات
وقيل تمكينه بان سخر له السحاب وحمله عليها وبسط له النور فكان الليل والنهار
عليه سواء وقيل بكثرة اعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب في قلوب
اعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الارض واستيلائه على برها وبحرها
وآتيناه من كل شيء اي يحتاج اليه في الوصول الى اغراضه سببا اي طريقا موصلا اليه
والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع
سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين
فاتبع سببا واصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به
الى المقصود وقال الحسن بلاغا الى حيث اراد وقرا زيد بن علي والزهري والاعمش
وطلحة وابن ابي ليلى والكوفيون وابن عامر فاتبع ثلاثتها بالتخفيف وقرا
باقي السبعة بالتشديد والظاهر انهما بمعنى واحد وعن يونس بن حبيب وابي زيد انه
بقطع الهمزة عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبوصلها انما يتضمن الاقتفاء
دون هذه الصفات وقرا عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابن عمر
وعبد الله بن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية
بالياء اي حارة وقرا ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن ابي ليلى ويعقوب
وابو حاتم وابن جبير الانطاكي حمئة بهمزة مفتوحة والزهري بلينها يقال
حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة وحماتها نزعت حماتها واحماتها القيت فيها
الحماة ولا تنافي بين الحامية والحمئة اذ تكون العين جامعة للوصفين وقال
ابو حاتم وقد يمكن ان تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حماة فتكون القراءتان بمعنى واحد
يعني انه سهلت الهمزة بابدالها ياء لكسرة ما قبلها وفي التوراة تغرب في ماء وطين

وقال تبع

فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى
الشمس عند غروبها فقال اتدري اين تغرب يا ابا ذر فقلت لا فقال انها تغرب
في عين حامية وهذا الحديث وظاهر النص دليل على ان قوله في عين متعلق بقوله
تغرب لا كما قاله بعض المتعسفين ان قوله في عين حمئة انما المراد ان ذا القرنين كان
فيها اي هي آخر الارض ومعنى تغرب في عين اي فيما ترى العين لا ان ذلك حقيقة
كما نشاهدها في الارض الملساء كانها تدخل في الارض ويجوز ان تكون هذه العين
من البحر ويجوز ان تكون الشمس تغيب وراها وزعم بعض البغداديين ان في بمعنى
عند اي تغرب عند عين ووجد عندها قوما اي عند تلك العين قال ابن السائب
مؤمنين وكافرين وقال ابن جريج لباسهم جلود السباع وطعامهم ما احرقته
الشمس من الدواب وما لفظته العين من الحوت اذا غربت وقال وهب انطلق
يوم المغرب الى ان انتهى الى ناسك فوجد جمعا لا يحصيهم الا الله فضرب حولهم ثلاثة
عساكر حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم في النور فدعاهم الى عبادة الله
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وقال ابو زيد البلخي هم اهل جابرس ويقال
لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام
وظاهر قوله قلنا انه اوحى الله اليه على لسان ملك وقيل كلمه كفاحا من غير رسول
كما كلم موسى وعلى هذين القولين يكون نبيا وبعدهما قاله بعض العلماء وقيل انه
الالهام والقاء في روعه لان مثل هذا التخيير لا يكون الا بوحي اذ التكاليف
وازهاق النفوس لا يتحقق بالالهام الا باعلام وقال علي بن عيسى المعنى قلنا
يا محمد قالوا يا ذا القرنين ثم حذف القول لان ذا القرنين لم يصح انه نبي فيخاطبه
الله وعلى هذا يكون الضمير الذي في قالوا المحذوفة يعود على جنده وعسكره الذين
كانوا معه وقوله اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا
اي بالحمل على الايمان والهدى والمعنى اما ان تكفروا فتعذب واما ان تؤمنوا فتحسن
فعبر في التخيير بالمسبب عن السبب قال الطبري اتخاذ الحسن هو اسرهم مع كفرهم
يعني انه خير مع كفرهم بين قتلهم وبين اسرهم وتفصيل ذي القرنين اما من ظلم واما
من آمن يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم الى الاسلام
اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء
على الظلم وهو الكفر هنا بالاخلاف فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن
وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى واتى بحرف التنفيس في فسوف نعذبه
لما تخلل بين اظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه الى الايمان وتأبيه عنه فهو لا
يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فان رجعوا والا فالقتل وقوله ثم
يرد الى ربه اي يوم القيامة واتى بنون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم
نحن فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير لذي القرنين ليس من الله تعالى
اذ لو كان كذلك لكان التركيب ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد ان يكون التخيير من الله

ويكون فذا علم ذو القرنين بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لاتباعه لا لربه تعالى وما
احسن مجي هذه الجمل لما ذكر ما يستحقه من ظلم بداء بما هو اقرب لهم ومحسوس عندهم
وهو قوله فسوف نعذبه ثم اخبر بما يلحقه اخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله اياه
العذاب النكر ولان الترتيب الواقع هو كذا ولما ذكر ما يستحقه من امن وعمل صالحا
ذكر جزاء الله له في الاخرة وهو الحسنى اي الجنة لان طمع المؤمن في الاخرة ورجاءه
هو الذي حمله على الايمان لاجل جزائه في الاخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان في الدنيا
ثم اتبع ذلك باحسانه له في الدنيا بقوله وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نقول له ما
يتكلفه مما هو شاق عليه اي قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا ولما ذكر ما
اعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب ان يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول ادبا معه
تعالى وان كان يعلم انه يحسن اليه فعلا وقولا **وقراء** حمزة والكسائي وحفص
وابو بحرية والاعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وابو عبيد وابن سعدان
وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي ومحمد بن جرير فله جزاء بالنصب والتنوين
وانتصب جزاء على انه مصدر في موضع الحال اي مجازى كقولك في الدار قائما زيد
وقال ابو علي قال ابو الحسن هذا لا تكاد العرب تكلم به مقدما الا في الشعر
وقيل انتصب على المصدر اي يجزي جزاء وقال الفراء منصوب على التفسير والمراد بالحسنى
على قراءة النصب الجنة **وقراء** باقي السبعة جزاء الحسنى برفع جزاء مضافا الى الحسنى
قال ابو علي جزاء الخلال الحسنة التي اتاها وعملها او يراد بالحسنى الحسنة والجنة
هي الجزاء واضاف كما قال دار الاخرة وجزاء مبتدا وله الخبر **وقراء** عبد الله
بن ابي اسحاق فله جزاء مرفوع وهو مبتداء وخبر والحسنى بدل من جزاء **وقراء** ابن عباس
ومسروق جزاء نصب بغير تنوين الحسنى بالاضافة ويخرج على حذف المبتدا لدلالة
المعنى عليه اي فله الجزاء جزاء الحسنى وخرجه المهدوي على حذف التنوين لالتقاء
الساكنين **وقراء** ابو جعفر يسرا بضم السين حيث وقع ° ثم اتبع سببا اي طريقا
الى مقصده الذي يسره له **وقراء** الحسن وعيسى وابن محيصن مطلع بفتح اللام وروبت
عن ابن كثير واهل مكة وهو القياس **وقراء** الجمهور بكسرها وهو سماع في احرف معدودة
وقياس كسره ان يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائي يقول هذه لغة ماتت
في كثير من لغات العرب يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقي مطلع بكسرها
في اسم المكان والزمان على ذلك القياس والقوم هنا الزنج وقال قتادة وهم
الهنود وما وراءهم والستر البنيان او الثياب او الشجر والجبال اقوال والمعنى
انهم لا شيء لهم يسترهم من حر الشمس وقيل تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل
الى اجسامهم فقيل اذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة
وابن جريج وقيل يدخلون اسرابا وقال مجاهد السودان عند مطلع الشمس اكثر
من جميع اهل الارض قال ابن عطية والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن
قرب الشمس منهم وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم اسراب
لكان سترا كثيفا انتهى **وقال بعض الرجاز**

بالزنج حر غير الاجسادا ° حتى كسا جلودها سوادا

جزء

وذلك

وذلك انما هو من قوة حر الشمس عندهم واستمرارها كذلك لاستارة الى البلوغ اي كما
بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها وقيل اتبع سببا كما اتبع سببا وقيل كما وجد اولئك عند
مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم وقيل كذلك
امرهم كما قصصنا عليكم وقيل مطلع طلوعها مثل مغربها وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا كذلك اي مثل اولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفرة مثلهم وحكمهم مثل
حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والاحسان لمن امن وقال الزمخشري كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقال ابن عطية كذلك معناه فعل معهم كفعله
مع الاولين اهل المغرب واوجز لقوله كذلك ثم اخبر تعالى عن احاطته بجميع ما
لدي ذي القرنين وما تصرف فيه من افعاله ويحتمل ان يكون كذلك استيناف
قول ولا يكون راجعا على الطائفة الاولى فتامله والاول اصوب انتهى
واذا كان هذا نعتا لا تعلق له بما قبله فيحتاج الى تقدير يتم به كلاما ° ثم اتبع
سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا
قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة
اجعل بينكم وبينهم ردما ° اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا ° فما اسطاعوا
ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا ° قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد
ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا ° وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في
الصور فجمعناهم جمعا ° وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ° الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا ° افحسب الذين كفروا ان
يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ° سببا اي
طريقا او مسيرا موصلا الى الشمال فان السدين هنالك قال وهب السدان جبلان
منيفان في السماء من ورائهما ومن امامهما البلدان وهما بمنقطع ارض الترك
مما يلي ارمينية واذربيجان وذكر الهروي انهما جبلان من وراء بلاد الترك
وقيل هما جبلان من جهة الشمال لينان املسان يزلق عليهما كل شيء وسمي الجبلان
سدين لان كل واحد منهما سد فجاج الارض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها
ياجوج وماجوج **وقراء** مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وابو عمرو بين
السدين بفتح السين **وقراء** باقي السبعة بضمها قال الكسائي هما لغتان
بمعنى واحد وقال الخليل وسيبويه بالضم الاسم وبالفتح المصدر وقال عكرمة
وابو عمرو بن العلاء وابو عبيدة ما كان من خلق الله لم يشارك فيه احد فهو بالضم
وما كان من صنع البشر فبالفتح وقال ابن ابي اسحق ما راته عيناك فبالضم وما
لا يرى فبالفتح وانتصب بين على انه مفعول به ببلغ كما ارتفع في لقد تقطع بينكم
والجر بالاضافة في هذا فراق بيني وبينك وبين من الظروف المتصرفة ما لم تركب

قوله عز وجل ثم اتبع سببا

٥

مع أخرى مثلها نحو قولهم بمئزة بين بين ﴿من دونهما﴾ من دون السدين ﴿قوما﴾ يعني
من البشر وقال الزمخشري هم الترك انتهى ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ قال
الزمخشري وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ونفي مقاربته فقههم
قولا يتضمن نفي فقههم وقال الزمخشري لا يكادون يفقهونه إلا بجهد ومشقة
كأنه فهم من نفي يكاد أنه يقع منهم الفقه بعد عسر وهو قول لبعضهم إن نفيها إثبات
وإثباتها نفي وليس بالمختار وقرأ الأعمش وابن أبي ليلى وخلف وابن عيسى الأصبهاني
وحمزة والكسائي يُفقهون بضم الياء وكسر القاف أي يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه
لأن لغتهم غريبة مجهولة والضمير في قالوا عائد على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من
يأجوج ومأجوج إذ رجوا عنده ما ينفعهم لكونه ملك الأرض ودوخ الملوك وبلغ
إليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله ويأجوج ومأجوج من ولد آدم قبيلتان وقيل
هما من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقال
السدي والضحاك الترك شرذمة منهم خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب
السد فبقيت في هذا الجانب وقال قتادة والسدي بنى السد على أحد وعشرين
قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف في عددهم
وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء ومنعا ممنوعا الصرف فمن زعم أنهما أعجميان فللعجمة
والعلمية ومن زعم أنهما عربيان فللتأنيث والعلمية لأنهما اسما قبيلتين وقال
الأخفش إن جعلنا ألفهما أصلية فيأجوج يفعول ومأجوج مفعول كأنه من أجيج
النار ومن لم يهمزهما جعلهما زائدة فياجوج من يججت وماجوج من مججت وقال
قطرب في غير الهمز ماجوج فاعول من المج وياجوج فاعول من يجج وقال أبو الحسن علي
ابن عبد الصمد السخاوي أحد شيوخنا الظاهر أنه عربي وأصله الهمز وترك الهمز على
التخفيف وهو إما من الأجة وهو الاختلاط كما قال تعالى وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون
وقال الشاعر يؤج كما أج الظليم المنفر ٥
أو من الأجة وهو شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا إذا كان ملحا مرا انتهى وقرأ
عاصم والأعمش ويعقوب في رواية بالهمز في يأجوج ومأجوج وكذا في الأنبياء وهي
لغة بني أسد ذكره الفراء قيل ولا وجه له إلا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج
أنه كان يهمز العألم والخأتم وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة وهي لغة كل العرب
غير بني أسد وقرأ العجاج ورؤبة ابنه آجوج بهمزة بدل الياء مفسدون الظاهر
تحقق الإفساد منهم لا توقعه لأنهم شكوا من ضرر نالهم وقال سعيد بن عبد العزيز
إفسادهم أكل بني آدم وقيل هو الظلم والقتل ووجوه الإفساد المعلوم من البشر
وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا
إلا احتملوه وروي أنه لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل
السلاح ٥ فهل نجعل لك خرجا استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على
ما طلبوا على جهة حسن الأدب إذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر هل أتبعك على أن
تعلمني وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني

وابن جبير الأنطاكي ومن السبعة حمزة والكسائي خراجا بألف هنا وفي حرفي قد أفلح
وسكن ابن عامر الراء فيه وقرأ باقي السبعة خرجا فيهما بسكون الراء فخراج بالألف
والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا وكل
ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج وقيل الخرج المصدر أطلق على
الخراج والخراج الاسم لما يخرج وقال ابن الأعرابي الخرج على الرؤوس يقال أد خرج
رأسك والخراج على الأرض وقال ثعلب الخرج أخص والخراج أعم وقيل الخرج
المال يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها
أمر السد وقال ابن عباس خراجا أجرا وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر سدا بضم
السين وابن محيصن وحميد والزهري والأعمش وطلحة [illegible] ويعقوب
في رواية وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وباقي السبعة بفتحها قال ما مكني فيه ربي
خير أي ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم فأعينوني بقوة أي بما أتقوى
به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء قاله مقاتل وبالآلات قاله الكلبي ٥
ردما حاجزا حصينا موثقا وقرأ ابن كثير وحميد ما مكنني بنونين متحركتين وباقي
السبعة بإدغام نون مكن في نون الوقاية ثم فسر الإعانة بالقوة فقال
آتوني زبر الحديد أي أعطوني قال ابن عطية إنما هو استدعاء مناولة لا استدعاء
عطية وهبة لأنه قد ارتبط من قوله أنه لا يأخذ منهم الخراج فلم يبق إلا استدعاء
المناولة انتهى وقرأ الجمهور آتوني وقرأ أبو بكر عن عاصم ايتوني أي جيئوني
وانتصب زبر بآتوني على إسقاط حرف الجر أي جيئوني بزبر الحديد وقرأ الجمهور زبر
بفتح الباء والحسن بضمها وفي الكلام حذف تقديره فأتوه أو فآتوه بها فأمر بجعل
بعضها فوق بعض حتى إذا ساوى وقرأ الجمهور ساوى وقتادة سوى وابن أبي أمية
عن أبي بكر عن عاصم سووي مبنيا للمفعول وحكي في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين
الصدفين ثم حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذابا
ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين
الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب
على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل طول ما بين
السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون وفي الحديث أن رجلا أخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم به فقال كيف رأيته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء
قال قد رأيته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والزهري ومجاهد والحسن
الصدفين بضم الصاد والدال وأبو بكر وابن محيصن وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن
كذلك إلا أنه سكن الدال وباقي السبعة وأبو جعفر وشيبة وحميد وطلحة وابن أبي
ليلى وجماعة عن يعقوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وابن سعدان بفتحهما
وابن جندب بالفتح وإسكان الدال ورويت عن قتادة وقرأ الماجشون
بالفتح وضم الدال وقرأ قتادة وأبان عن عاصم بضم الصاد وفتح الدال
حتى إذا جعله نارا في الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى وقرأ الجمهور قال
آتوني أي أعطوني وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة وأبو بكر بخلاف عنه

قال اتوني اي جيئوني وقطرا منصوب بافرغ على اعمال الثاني ومفعول اتوني محذوف
لدلالة الثاني عليه فما اسطاعوا اي ياجوج وماجوج ان يظهروه اي يصعدوا عليه
لبعده وارتفاعه واملاسه ولا ان ينقبوه لصلابته وثخانته فلا سبيل الى مجاوزته
الى غيرهم من الامم الا باحد هذين اما الارتقاء واما النقب وقد سلب قدرتهم على ذلك
وقرا الجمهور فما اسطاعوا بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرا حمزة وطلحة
بادغامها في الطاء وهو ادغام على غير حده وقال ابو علي هي غير جائزة وقرا الاعشى
عن ابي بكر فما اصطاعوا بالابدال من السين صادا لاجل الطاء وقرا الاعمش
فما استطاعوا بالتاء من غير حذف قال هذا رحمة من ربي اي قال ذو القرنين
والاشارة بهذا قال ابن عطية الى الردم والقوة عليه والانتفاع به وقال
الزمخشري اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا
الاقدار والتمكين من تسويته قيل وفي الكلام حذف وتقديره فلما اكمل بناء السد
واستوى واستحكم قال هذا رحمة من ربي وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة من ربي
بتانيث اسم الاشارة والوعد يحتمل ان يراد به يوم القيامة وان يراد به وقت
خروج ياجوج وماجوج وقال الزمخشري فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف
ان ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا منبسطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع
فقد اندك انتهى وقرا الكوفيون دكاء بالمد ممنوع الصرف وباقي السبعة دكا
منونة مصدر دككته والظاهر ان جعل بمعنى صير فدكا مفعول ثان ه وقال
ابن عطية ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال انتهى وهذا بعيد
جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيئاته
الى هيئة اخرى ووعد بمعنى موعود لا المصدر والمعنى فاذا جاء موعود ربي لا يريد المصدر
لان المصدر قد سبق وتركنا الضمير لله تعالى والاظهر ان الضمير في بعضهم
عائد على ياجوج وماجوج والجملة المحذوفة بعد اذ المعوض منها التنوين مقدرة
باذ جاء الوعد بخروجهم وانتشارهم في الارض او مقدرة باذ حجز السد بينهم وبين
القوم الذين كانوا يفسدون عندهم وهم متعجبون من السد فماج بعضهم في بعض وقيل
الضمير في بعضهم يعود على الخلق اي يوم اذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة ويقويه
قوله ونفخ في الصور فيظهر ان ذلك هو يوم القيامة وكذلك ما جاء بعد من الجمع
وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الانعام وجمعا مصدر
كوعد وعرضنا اي ابرزنا جهنم يومئذ اي يوم اذ جمعناهم وقيل اللام بمعنى على
كقوله فخر صريعا لليدين وللفم ه وابعد من ذهب الى انه مقلوب والتقدير
وعرضنا الكافرين على جهنم عرضا وتخصيصه بالكافرين بشارة للمؤمنين والذين
كانت اعينهم صفة ذم وفي غطاء استعارة الغطاء لاعينهم والمراد انهم لا يبصرون
اياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها واذكر بالتعظيم وهذا على حذف مضاف اي عن
ايات ذكري وقيل عن ذكري عن القرآن وتامل معانيه ويكون المراد بالاعين
هنا البصائر لا الجوارح لان الجوارح لا نسبة بينها وبين الذكر وكانوا لا يستطيعون
سمعا مبالغة في انتفاء السمع اذ نفيت الاستطاعة وهم وان كانوا صما لان الاصم

قد يستطيع السمع اذا صيح به وكان هؤلاء اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع ه
افحسب الذين كفروا هم من عبد الملائكة وعزيرا وعيسى واتخذوهم اولياء من دون الله
وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ
والمعنى انهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولوهم شيء ولا يجدون عندهم منتفعا
ويظهر ان في الكلام حذفا والتقدير ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء فيجدي ذلك
وينتفعون بذلك الاتخاذ وقيل العباد هنا الشياطين روي عن ابن عباس
وقال مقاتل الاصنام لانها خلقه وملكه والاظهر تفسير العباد بما قلناه ه
لا الاصنام فانهم اليه والاكثر ان تكون الاضافة في مثل هذا اللفظ اضافة تشريف
وحسب هنا بمعنى ظن وبه قرا عبد الله افظن وقرا علي بن ابي طالب وزيد
ابن علي بن الحسين ويحيى بن يعمر ومجاهد وعكرمة وقتادة ونعيم بن ميسرة والضحاك
وابن ابي ليلى وابن كثير ويعقوب بخلاف عنهما وابن محيصن وابو حيوة والشافعي
ومسعود بن صالح افحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين اي افكافيهم
ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا
وقال ابو الفضل الرازي قال سهل يعني ابا حاتم معناه افحسبهم وحظهم الا ان
افحسب ابلغ في الذم لانه جعله غاية مرادهم انتهى وارتفع حسب على الابتداء
والخبر ان يتخذوا وقال الزمخشري او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا
اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان وهي قراءة محكمة
جيدة انتهى والذي يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل
ولا يلزم من تفسير شيء بشيء ان يجري عليه جميع احكامه وقد ذكر س اشياء من الصفات
التي تجري مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع ثم قال وذلك مررت برجل خير منه
ابوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل اب له صاحبه ومررت
برجل حسبك من رجل هو ومررت برجل ايما رجل هو انتهى ولا يبعد ان يرفع به الظاهر
فقد اجازوا في مررت برجل ابي عشرة ابوه ارتفاع ابوه بابي عشرة لانه في معنى والد
عشرة ه انا اعتدنا اي اعددنا ويسرنا والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما
يقدم للضيف ويهيا له وللقادم من الطعام والنزل هنا يحتمل التفسيرين وكونه موضع
النزول قاله الزجاج هنا وما هيء من الطعام للنزيل قول القتيبي وقيل جمع نازل
ونصبه على الحال نحو شارف وشرف فان كان ما يقدم للضيف وللقادم فيكون
كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول الشاعر ه
تحية بينهم ضرب وجيع ه وقرا ابو حيوة وابو عمرو بخلاف عنه نزلا بسكون
الزاي ه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ه اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ه ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا
اياتي ورسلي هزوا ه اي قل يا محمد للكافرين هل نخبركم الاية فاذا طلبوا ذلك
فقل لهم اولئك الذين كفروا والاخسرون اعمالا عن علي هم الرهبان كقوله
عاملة ناصبة وعن مجاهد هم اهل الكتاب وقيل هم الصابئون وسال

قوله عز وجل
قل هل ننبئكم ه

ابن الكوا عليًا عنهم فقال منهم اهل حروراء وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر اذ الاخسرون اعمالًا هم كل من دان بدين غير الاسلام او راءى بعمله او اقام على بدعة تؤول به الى الكفر والاخسر من اتعب نفسه فادى تعبه به الى النار وانتصب اعمالًا على التمييز وجمع لان اعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد والذين يصح رفعه على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين وكانه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على الذم وخبره على الوصف والبدل ضل سعيهم اي هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس التصحيف وهو ان يكون النقط فرقًا بين الكلمتين ومنه **قول لابي عبادة البحتري** ٥

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ٭ ليعجز والمعتز بالله طالبه ٥

ومن غريب هذا النوع من التجنيس **قول الشاعر** ٥

سقيتني ربي وغنيتني ٭ بحت بحبي حين بن الخرد ٥

صحف بقوله سقيتني ربي وغنيتني ٭ بحت بحبي خنث بن الجرد ٥

وقرأ ابن عباس وابو السمال فحبطت بفتح الباء والجمهور بكسرها **وقرأ** الجمهور فلا نقيم بالنون ووزنا بالنصب ومجاهد وعبيد بن عمير فلا يقيم بالياء لتقدم قوله بايات ربهم وعن عبيد ايضا يقوم بفتح الياء كانه جعل قام متعديًا وعن مجاهد وابن محيصن ويعقوب بخلاف عنهم فلا يقوم مضارع قام وزن مرفوع به واحتمل قوله فلا نقيم الاية انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار واحتمل ان يريد المجاز كانه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وفي الحديث يؤتى بالاكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم الاية وفي الحديث ايضا يؤتى ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئًا ذلك جزاؤهم مبتدأ وخبر وجهنم بدل وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن ويجوز ان يشار بذلك وان كان مفردا الى الجمع فيكون بمعنى اوليك ويكون جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبرا وقال ابو البقا ذلك اي الامر ذلك وما بعده مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون مبتدأ وخبر ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبره والجملة خبر الاول والعائد محذوف اي جزاؤه انتهى ويحتاج هذا التوجيه الى نظر قال ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ وجزاؤهم بدلا او عطف بيان وجهنم الخبر ويجوز ان تكون جهنم بدلا من جزاء او خبر لابتدا محذوف اي هو جهنم وبما كفروا خبر ذلك ولا يجوز ان تتعلق الباء بجزاؤهم للفصل بينهما واتخذوا يجوز ان يكون معطوفا على كفروا وان يكون مستانفا انتهى والايات هي المعجزات الظاهرة على ايدي الانبياء والصحف الالهية المنزلة عليهم ٥ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ٭ خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ٥ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ٭ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ٥ لما ذكر تعالى ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للمؤمنين وفي الصحيح جنات الفردوس اربع ثنتان من ذهب حليتهما

قوله عز وجل ان الذين امنوا

وانيتهما

وانيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وانيتهما وما فيهما وفي حديث عبادة الفردوس اعلاها يعني اعلى الجنة قال قتادة وربوتها ومنها تنفجر انهار الجنة وقال ابو هريرة جبل تتفجر منه انهار الجنة وفي حديث ابي امامة الفردوس سرة الجنة وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية وقال كعب والضحاك جنات الفردوس الاعناب وقال عبيد الله بن الحارث بن كعب انه جنات الكروم والاعناب خاصة من الثمار وقال المبرد الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والاغلب عليه العنب وحكى الزجاج انه الاودية التي تنبت ضروبًا من النبت وسئل هو عربي ام عجمي فقال وان قلنا اعجمي عربي فهل هو فارسي او رومي او سرياني اقوال **وقال حسان** ٥

وان ثواب الله كل موحد ٭ جنان من الفردوس فيها يخلد ٥

قيل ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب الا في هذا البيت بيت حسان وهذا لا يصح فقد **قال امية بن ابي الصلت** ٥

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة ٭ فيها الفراديس ثم الفوم والبصل ٥

الفراديس جمع فردوس والظاهر انه يعني جنات الفردوس بساتين حول الفردوس ولذلك اضاف الجنات اليه ويقال كرم مفردس اي معرش وكذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها على ارضها وفي دمشق باب الفراديس يخرج منه الى البساتين ونزلا يحتمل من التاويل ما احتمل قوله نزلا المتقدم ومعنى حولا اي محولا الى غيرها قال ابن عيسى هو مصدر كالعوج والصغر قال الزمخشري يقال حال عن مكانه حولا كقوله عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واماني ثم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود انتهى ٥ وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول قال مجاهد متحولا **قال الشاعر** ٥

لكل دولة اجل ٭ ثم يتاح لها حول ٥

وكانه اسم جمع وكان واحده حوالة وفي هذا نظر وقال الزجاج عن قوم هي بمعنى الحيلة في التنقل وهذا ضعيف متكلف قل لو كان البحر قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للرسول كيف تزعم انك نبي الامم كلها ومبعوث اليها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه فنزلت معلمة باتساع معلومات الله وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكر فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله قل لو كان البحر وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل لو كان البحر اي ماء البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض لكلمات ربي اي معدا لكتب كلمات ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد لنفد البحر اي فنا ماؤه الذي هو المداد قبل ان تنفد الكلمات

لان كلمات الله تعالى لا يمكن نفادها لانها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة
وليس ببدع ان اجهل شيئا من معلوماته وانما انا بشر مثلكم لم اعلم الا ما اوحي اليّ به
واعلمت وقرأ الجمهور مدادا للكلمات ربي وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش
ومجاهد والاعرج والحسن والمنقري عن ابي عمرو مددا لكلمات ربي وقرأ الجمهور
تنفد بالتاء من فوق وقرأ حمزة والكسائي وعمرو بن عبيد والاعمش وطلحة
وابن ابي ليلى بالياء وقرأ السلمي ان تنفد بالتشديد على تفعل على المعنى وجاء كذلك
عن عاصم وابي عمرو فهو مطاوع من نفد مشددا نحو كسرته فتكسر وفي قراءة الجماعة مطاوع
لانفد وجواب لو محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره لنفد وقرأ الجمهور بمثله مددا
بفتح الميم والدال بغير الف والاعرج بكسر الميم وانتصب مددا على التمييز عن مثل كقوله
فان الهوى يكفيكه مثله صبرا ه وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والاعمش بخلاف
والتيمي وابن محيصن وحميد والحسن في رواية وابو عمرو في رواية وحفص في رواية بمثله
مدادا بالف بين الدالين وكسر الميم قال ابو الفضل الرازي ويجوز ان يكون نصبه
على المصدر بمعنى ولو امددناه بمثله امدادا ثم ناب المداد مناب الامداد مثل انبتكم
نباتا وفي قوله بشر مثلكم اعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا ادعي انني ملك يوحى اليّ
اي على انما هو مستند الى وحي ربي ونبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام
ثم حض على ما فيه النجاة ويرجو بمعنى يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف اي حسن لقاء
ربه وقيل يرجو اي يخاف سوء لقاء ربه اي لقاء جزاء ربه وحمل الرجاء على بابه اجود لبسط
النفس الى احسان الله تعالى ونهى عن الاشراك بعبادة الله وقال ابن جبير لا يرائي
في عمله فلا يبتغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره قيل نزلت في جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية
وذلك اذا قصد ان يقتدى به وقال معاوية بن ابي سفيان هذه آخر آية
نزلت من القرآن وقرأ الجمهور ولا يشرك بالياء للغائب كالامر في قوله فليعمل وقرأ
ابو عمرو في رواية الجعفي عنه ولا تشرك بالتاء خطابا للسامع والتفاتا من ضمير الغائب
الى ضمير الخطاب المخاطب وهو المامور بالعمل الصالح ثم عاد الى الالتفات من الخطاب
الى الغيبة في قوله بربه ولم يأت التركيب بربك ايذانا بان الضميرين لمدلول
واحد وهو من في قوله فمن كان يرجو اشتعال النار تفرقها في التهابها فصارت
شعلا وقيل شعاع النار الشيب معروف شاب شعره ابيض بعد ما كان
بلون غيره المخاض اشتداد وجع الولادة والطلق الجذع ما بين الارض
التي فيها الشجرة منها وبين متشعب الاغصان ويقال للغصن ايضا
جذع وجمعه اجذاع في القلة وجذوع في الكثرة السري المرتفع القدر يقال
سرو ويسرو ويجمع على سراة بفتح السين وسرواء ومما شذ ان فيه وقياسه
افعلاء والسري النهر الصغير لان الماء يسري فيه ولامه ياء كما ان لام ذلك
واو وقال لبيد ه

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها ه

المفردات

اي جدولا الهز التحريك الرطب معروف واحده رطبة وجمع شذا على رطاب
كربع ورباع وهو ما قطع قبل ان يشتد ويبس الجني ما طاب وصلح للاجتناء وقال
ابو عمرو بن العلاء لم يجف ولم ييبس وقيل الجني ما رطب من البسر وقال الفراء الجني
والمجني واحد وعنه الجني المقطوع قرة العين ماخوذ من القر وذلك ان دمع الفرح بارد
اللمس ودمع الحزن سخن اللمس وقال ابو تمام ه

فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون الشامتين فقرت ه

وقريش تقول قررت به عينا وقررت بالمكان اقر واهل نجد قررت به عينا
بالكسر الفري العظيم من الامر يستعمل في الخير وفي الشر ومنه في وصف عمر فلم ار
عبقريا يفري فريه والفري القطع وفي المثل جاء يفري الفري اي يعمل عظيما من
العمل قولا او فعلا وقال الزمخشري الفري البديع وهو من فري الجلد الاشارة
معروفة تكون باليد والعين والثوب والرأس والعمرو اشار الفه منقلبة
عن ياء يقال تشايرنا الهلال للمفاعلة وقال كثير ه

فقلت وفي الاحشاء داء مخامر الا حبذا يا عز ذاك التشاير ه

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى
ربه نداء خفيا • قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك
رب شقيا • واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك
وليا • يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا • يا زكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا • قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا • قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا • قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا • فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا •
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا • وحنانا من لدنا وزكاة وكان
تقيا • وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا • وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا • هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها وقال مقاتل الا آية السجدة
فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة ومناسبتها لما قبلها انه تعالى
ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة اهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة
ذي القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فاني
وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير اب فلما اجتمعا في هذا المعنى المستغرب
ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك وتقدم الكلام في اول البقرة على هذه الحروف
المقطعة التي في فواتح السور بما يوقف عليه هناك وذكر خبر مبتدأ محذوف
اي هذا المتلو من هذا القرآن ذكر وقيل ذكر خبر لقوله كهيعص وهو مبتدأ ذكره الفراء
قيل وفيه بعد لان الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة
ولا في ذكر الرحمة معناها وقيل ذكر مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم
ذكر وقرأ الجمهور كاف باسكان الفاء وروي عن الحسن ضمها واما لت نافع

هاوياً بين اللفظين وأظهر دال الصاد عند ذال ذكر **وقرأ** الحسن بضم الهاء وعنه أيضاً ضم الياء وكسر الهاء وعن عاصم ضم الياء وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء قال أبو عمرو الداني معنى الضم في الهاء والياء إشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب ٥ وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراءات خارجة عن الحسن كاف بضم الكاف ونصر بن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن إسماعيل عنه بالضم وهذه الثلاث مترجم عليها بالضم وليس بمضمومات المحال في الحقيقة لأنهن لو كن كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نحيت هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز وهي التي تسمى ألف التفخيم بضد الألف الممالة فأشبهت الفتحات التي تولدت منهن الضمات وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسر بالكسر لتقريب الألف بعدها من الياء انتهى **وقرأ** أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض فرقاً بينها وبين ما ائتلف من الحروف فيصير أجزاء الكلم فاقتضت إسكان آخرهن وأظهر الأكثرون دال الصاد عند ذال ذكر وأدغمها أبو عمرو **وقرأ** حفص عن عاصم وفرقة بإظهار دال النون من عين والجمهور على إخفائها **وقرأ** الحسن وابن يعمر ذكر فعلاً ماضياً رحمة بالنصب حكاه أبو الفتح وذكره الزمخشري عن الحسن أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وذكر الداني عن ابن يعمر ذكر فعل أمر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحمة أي ذكر أن رحمة ربك عبده وذكر صاحب اللوامح أن ذكر بالتشديد ماضياً عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر ومعناه أن المتلو أي القرآن ذكر برحمة ربك فلما نزع الباء انتصب ويجوز أن يكون معناه أن القرآن ذكر الناس تذكيراً أن رحم الله عبده فيكون المصدر عاملاً في عبده زكريا لأنه ذكرهم بما نسوه من رحمة الله فتجدد عليهم بالقرآن ونزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون ذكر على المضي مسنداً إلى الله سبحانه **وقرأ** الكلبي ذكر على المضي خفيفاً من الذكر رحمة ربك بنصب التاء عبده بالرفع بإسناد الفعل إليه وقال ابن خالويه ذكر رحمة ربك عبده يحيى بن يعمر وذكر على الأمر عنه أيضاً انتهى والظرف العامل فيه قال الحوفي ذكر وقال أبو البقاء وإذ ظرف لرحمة أو لذكر انتهى ووصف نداءه بالخفي قال ابن جريج لئلا يخالطه رياء مقاتل لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر قتادة لأن السر والعلانية عنده تعالى سواء وقيل أسر من مواليه الذين خافهم وقيل لأنه أمر دنياوي فأخفاه لأنه إن أجيب فذاك بغيته وإن لا فلا يعرف ذلك أحد وقيل لأنه كان في جوف الليل وقيل للإخلاص فيه فلا يعلمه إلا الله وقيل لضعف صوته بسبب كبره كما قيل الشيخ صوته خفات وسمعه تارات وقيل لأن الإخفاء سنة الأنبياء والجهرية بعد من الاعتداء وفي التنزيل ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين وفي الحديث إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ٥ قال رب إني وهن العظم مني هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه **وقرأ** الجمهور وهن بفتح الهاء **وقرأ** الأعمش بكسرها **وقرئ** بضمها لغات

ثلاث ومعناه ضعف وأسند الوهن إلى العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى ما وراءه وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحد العظم لأنه يدل على الجنس وقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وقال قتادة اشتكى سقوط الأضراس قال الكرماني وكان له سبعون سنة وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل ستون وقيل خمس وستون وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشري وإلى هذا نظر ابن دريد **فقال**

● واشتعل المبيض في مسوده ● مثل اشتعال النار في جزل الغضا ٥

وبعضهم أعرب شيباً مصدراً قال لأن معنى واشتعل الرأس شاب فهو مصدر من المعنى وقيل هو مصدر في موضع نصب على الحال واستعار الاشتعال للرأس استعارة المحسوس للمحسوس إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار ولم أكن نفى فيما مضى أي ما كنت بدعائك رب شقياً بل كنت سعيداً موفقاً إذ كنت تجيب دعائي فأسعد بذلك فعلى هذا الكاف مفعول وقيل المعنى بدعائك إلى الإيمان شقياً بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصاً فالكاف على هذا فاعل والظاهر الأول شكر الله تعالى بما سلف إليه من إنعامه عليه أي قد أحسنت إلي فيما سلف وسعدت بدعائي إياك فالإنعام يقتضي أن تجيبني آخراً كما أجبتني أولاً وروي أن حاتماً الطائي أتاه طالب حاجة فقال أنا الذي أحسنت إليه وقت كذا فقال حاتم مرحباً بالذي توسل بنا إلينا وقضى حاجته ٥ وإني خفت الموالي من ورائي الموالي بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب **قال الشاعر**

● مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ● لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا ٥

وقال لبيد ٥

● ومولى قد دفعت الضيم عنه ● وقد أمسى بمنزلة المضيم ٥

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح الموالي هنا الكلالة خاف أن يرثوا ماله وأن ترثه الكلالة وروى قتادة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله وقالت فرقة إنما كان مواليه مهملين الدين فخاف بموته أن يضيع الدين فطلب ولياً يقوم بالدين بعده وهذا لا يصح عنه إذ قال عليه السلام نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة والظاهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا وكذلك قول من قال إنما خاف أن تنقطع النبوة من ولده وترجع إلى عصبته لأن ذلك إنما يضعه الله حيث يشاء ولا يعترض على الله فيمن شاء واصطفاه من عباده قال الزمخشري كان مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل فخافهم

على الدين ان يغيروه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا صالحا من صلبه
يقتدي به في احياء الدين وقرأ الجمهور خفت من الخوف وقرأ عثمان بن عفان وزيد
بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاصي وابن يعمر وابن جبير وعلي بن الحسين وولداه
محمد وزيد وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم لابن عامر خفت بفتح الخاء والفاء مشددة
وكسر التاء لتانيث الموالي بسكون الياء والمعنى انقطع موالي وماتوا فانما طلب وليا
يقوم بالدين وقرأ الزهري خفت من الخوف الموالي بسكون الياء وعلى قراءة خفت
من الخوف يكون من ورائي اي من بعد موتي وعلى قراءة خفت يحتمل ان يتعلق من ورائي بخفت
وهو الظاهر فالمعنى انهم خفوا قدامه اي درجوا فلم يبق منهم من له تقوى واعتضاد
وان يتعلق بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين وورائي بمعنى خلفي ومن بعدي
فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه وروى عن ابن كثير من وراي مقصورا
كعصاي وتقدم الكلام في شرح العاقر في آل عمران وقوله من لدنك تاكيد لكونه وليا
مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده او اراد اختراعا منك بلا سبب
لاني وامراتي لا نصلح للولادة والظاهر انه طلب من الله تعالى ان يهبه وليا ولم يصرح
بان يكون ولدا لبعد ذلك عنده لكبره وكون امراته عاقرا وقيل انما سال الولد
وقرأ الجمهور يرثني ويرث برفع الفعلين صفة للولي فان كان طلب الولد فوصفه
بان تكون الاجابة في حياته حتى يرثه لئلا تكون الاجابة في الولد لكن بحرمه فلا
يحصل ما قصده وقرأ النحويان والزهري والاعمش وطلحة واليزيدي وابن عيسى
الاصبهاني وابن محيصن وقتادة بجزمهما على جواب الامر وقرأ علي وابن عباس
والحسن وابن يعمر والجحدري وقتادة وابو حرب بن ابي الاسود وجعفر بن محمد وابو نهيك
يرثني بالرفع واليا وارث جعلوه فاعلا مضارعا من ورث قال صاحب اللوامح
وفيه تقدير ومعناه فهب لي من لدنك وليا من آل يعقوب يرثني ارث قبله اي
نبوتي وارثه ارث قبلي اياها له وهذا معنى قول الحسن وقرأ علي وابن عباس
والجحدري يرثني وارث من آل يعقوب قال ابو الفتح هذا هو التجريد التقدير يرثني
منه وارث وقال الزمخشري وارث اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان
والمراد بالارث ارث العلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من
للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب ليسوا كلهم انبياء ولا علماء وقرأ مجاهد
اويرث من آل يعقوب على التصغير واصله وويرث فابدلت الواو همزة على اللزوم
لاجتماع الواوين وهو تصغير وارث اي غليم صغير وعن الجحدري وارث بكسر الواو
يعني به الامالة المحضة لا الكسر الخالص والظاهر ان يعقوب هو ابن اسحاق بن
ابراهيم وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم
اخوان من نسل سليمان بن داود ومرضيا بمعنى مرضي ه يا زكريا اي فقيل له اثر الدعا
وقيل رزقه بعد اربعين سنة من دعائه وقيل بعد ستين والمنادي والمبشر زكريا
هم الملائكة بوحي من الله تعالى قال تعالى فنادته الملائكة الاية والغلام الولد
الذكر وقد يقال للانثى غلامة كما قال تهان لها الغلامة والغلام ه والظا

ان يحيى

ان يحيى ليس عربيا لانه لم تكن عادتهم ان يسموا بالفاظ العربية فيكون منعه الصرف
للعلمية والعجمة وان كان عربيا فيكون مسمى بالفعل كيعمر ويعيش وقد سموا بيموت وهو
يموت بن المزرع ابن اخت الجاحظ وعلى انه عربي فقيل سمي بذلك لانه يحيى بالحكمة والعفة
وقيل يحيي بهدايته وارشاده خلق كثير وقيل لانه يستشهد والشهداء احياء وقيل
لانه يعمر زمانا طويلا وقيل لانه حيي بين شيخ كبير وام عاقر وقيل لانه حيي به عقر امه
وكانت لا تلد وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن اسلم لم تسم قبله احدا بيحيى
قال الزمخشري وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة بالاثرة واياها كانت
العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح
قوم ه سنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب ه
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت
انتهى وقيل للصلت بن عطاء كيف تقدمت عند البرامكة وعندهم من هو ادب منك
فقال كنت غريب الدار غريب الاسم خفيف الجرم شحيحا بالاشلاء فذكر مما قدمه
كونه غريب الاسم اذ كان اسمه الصلت وقال مجاهد وغيره سميا اي مثلا ونظيرا
وكانه من المساماة والسمو قال ابن عطية وهذا فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم
وموسى وقال ابن عباس ايضا لم تلد العواقر مثله قال الزمخشري وانما قيل للمثل
سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير
فكل واحد منهما سمي لصاحبه وقيل لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية
قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا انتهى ه واني يكون
وتقدم الكلام عليه في قوله قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي
عاقر في آل عمران والعتي المبالغة في الكبر ويبس العود وقرأ ابو بحرية وابن ابي ليلى
والاعمش وحمزة والكسائي عتيا بكسر العين وباقي السبعة بالضم وعبد الله بفتح العين
وصاد صليا جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل وفي الضم هما كذلك الا انهما على
فعول وعن عبد الله ومجاهد عسيا بضم العين وبالسين كمسورة وحكاها الداني عن
ابن عباس وحكاها الزمخشري عن ابي ومجاهد يقال عتا العود وعسا يبس وجسا
ه قال كذلك اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك فالكاف رفع او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا
على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون ووجه اخر وهو ان يشار
بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين
اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى
انه قال ذلك ووعده وقوله الحق قاله الزمخشري وقال ابن عطية وقوله
قال كذلك قيل ان المعنى قال له الملك كذلك فليكن الوجود كما قيل لك قال
ربك خلق الغلام علي هين اي غير بدع وكما خلقتك قبل واخرجتك من عدم الى
وجود كذلك افعل الان وقال الطبري معنى قوله كذلك اي الامران اللذان
ذكرت من المراة العاقر والكبر هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى عندي قال الملك

كذلك اي على هذه الحال قال ربك هو على هين انتهى وقرأ الحسن هو على هين بكسر الياء وقد انشدوا قول النابغة

على لعمرو نعمة بعد نعمة • لوالده ليست بذات عقارب

بكسر يا المتكلم وكسرها شبيه بقراءة حمزة وما انتم بمصرخي بكسر الياء وقرأ الجمهور وقد خلقتك بتا المتكلم وقرأ الاعمش وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي خلقناك بنون العظمة ولم تك شيئا اي شيئا موجودا قال الزمخشري شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء اذا رأى غير شيء ظنه رجلا قال اي زكريا رب اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينه كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي لا لتوقف منه على صدق ما وعد به ولا لتوهم ان ذلك من عند غير الله لعصمة الانبيا عن مثل ذلك وقال الزجاج وقعت البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الآية ليعرف وقت الوقوع قال آيتك روي عن ابن زيد انه لما حملت زوجته بيحيى اصبح لا يستطيع ان يكلم احدا وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله فاذا اراد مناداة احد لم يطقه وسويا حال من ضمير الا تكلم اي في حال صحتك ليس بك خرس ولا علة قاله الجمهور وعن ابن عباس سويا عائد على الليالي اي كاملات مستويات فتكون صفة لثلث ودل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر له ثلثة ايام بلياليهن وقرأ ابن ابي عبلة وزيد بن علي ان لا تكلم برفع الميم جعلها ان المخففة من الثقيلة التقدير انه لا يكلم وقرأ الجمهور بنصبها جعلوا ان الناصبة للمضارع فخرج على قومه من المحراب اي وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع ان يكلم الناس والمحراب موضع مصلاه والمحراب تقدم الكلام عليه في آل عمران فاوحى اليهم اي اشار قاله قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي وحي اليهم اشار وذكره الزمخشري عن مجاهد قال ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وقال ابن عطية وقال مجاهد كتب لهم في التراب وكلا الوجهين وحي انتهى وقال عكرمة كتب في ورقة والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول ذي الرمة

سوى الاربع الدهم اللواتي كانها • بقية وحي في بطون الصحائف

وقال عنترة

كوحي صحائف من عهد كسرى • فاهداها لاعجم طمطمي

وقال جرير

كان اخا اليهود يخط وحيا • بكاف في منازلها ولام

والجمهور على ان معنى ان سبحوا صلوا وقيل امرهم بذكر الله والتسبيح قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة وقال صاحب التحرير والتحبير وعندي في هذا معنى لطيف وهو انه انما خص بالتسبيح بالذكر لان العادة جارية ان كل من رأى امرا عجب منه او رأى فيه بديع صنعة او غريب حكمة يقول سبحان الله سبحان الخالق فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وامر بالتسبيح انتهى وقال الزمخشري وابن عطية وان مفسرة وقال الحوفي ان

سبحوا

سبحوا ان نصب باوحى وقال ابو البقا يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى اي انتهى وقرأ طلحة ان سبحوه بها الضمير عائد على الله تعالى وروي ابن غزوان عن طلحة ان سبحن بنون مشددة من غير واو والحق فعل الامر نون التوكيد الشديدة يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله له على لسان الملك وابعد التبريزي في قوله ان المنادي له ابوه حين ترعرع ونشا والصحيح ما سبق لقوله وآتيناه الحكم صبيا والكتاب هو التوراة قال ابن عطية بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا انتهى وليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبيا بمثل ذلك وقيل الكتاب هنا اسم جنس اي اتل كتب الله وقيل الكتاب صحف ابراهيم وقال الحسن وعلمه التوراة والانجيل وارسله الى بني اسرائيل وكان يصوم ويصلي في حال طفوليته ويدعو الى الله بقوة بجد واستظهار وعمل بما فيه والحكم النبوة او حكم الكتاب او الحكمة او العلم بالاحكام او اللب وهو العقل او آداب الخدمة او الفراسة الصادقة اقوال صبيا اي شابا لم يبلغ سن الكهولة وقيل ابن سنتين وقيل ابن ثلث وعن ابن عباس في حديث مرفوع ابن سبع سنين وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وابو عبيدة والفرا وانشد ابو عبيدة

تحنن على هداك المليك • فان لكل مقام مقالا

قال واكثر ما تستعمل مثنى كما قال حنانيك بعض الشر اهون من بعض وقال ابن الانباري المعنى وجعلناه حنانا لاهل زمانه وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه وعن ابن جبير لينا وعن عكرمة وابن زيد محبة وعن عطا تعظيما وقوله وزكوة عن الضحاك وقتادة عمل صالح وعن ابن السايب صدقة تصدق بها على ابويه وعن الزجاج تطهير وعن ابن الانباري زيادة في الخير وقيل ثناء كما يزكي الشهود وكان تقيا قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة وقال ابن عباس جعله متقيا له لا يعدل به غيره وقال مجاهد كان طعامه العشب المباح وكان للدمع في خديه مجاري ثابتة وبرا بوالديه اي كثير البر والاكرام والتبجيل وقرأ الحسن وابو جعفر في رواية وابو نهيك وابو مجلز وبرا في الموضعين بكسر الباء اي وذا بر ولم يكن جبارا اي متكبرا عصيا اي عاصيا كثير العصيان واصله عصوي فعول للمبالغة ويحتمل ان يكون فعيلا وهي من صيغ المبالغة وسلام عليه قال الطبري اي امان قال ابن عطية والاظهر انها التحية المتعارفة وانما الشرف في ان سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع لي فانت خير مني فقال له عيسى بل انت ادع لي فانت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي وقال ابو عبد الله الرازي يوم ولد اي امان عليه من ان يناله الشيطان ويوم يموت اي امان من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب الله يوم القيامة وفي قوله ويوم يبعث حيا تنبيه على كونه

قوله عز وجل واذكر في الكتاب

من الشهداء لقوله بل احياء عند ربهم يرزقون وهذا السلام يحتمل ان يكون من الله وان
يكون من الملائكة انتهى والاظهر انه من الله لانه في سياق وآتيناه الحكم ۞ واذكر في
الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ۞ فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ۞ قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ۞ قال
انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ۞ قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا ۞ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان امرا مقضيا ۞ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ۞ فاجاءها المخاض الى جذع
النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ۞ فناداها من تحتها
الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ۞ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا ۞ فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن
صوما فلن اكلم اليوم انسيا ۞ مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر
قصة زكريا وطلبه الولد واجابة الله اياه فولد له من شيخ فان وعجوز له عاقر وكان
ذلك مما يتعجب منه اردفه بما هو اعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير
ذكر فدل ذلك على عظم قدرة الله وحكمته وايضا فقص عليهم ما سالوه من قصة
اهل الكهف واتبع ذلك بقصة الخضر وموسى ثم قص عليهم ما سالوه ايضا
وهو قصة ذي القرنين فذكر في هذه السورة قصصا لم يسالوه عنها وفيها غرابة
ثم اتبع ذلك بقصة ابراهيم وموسى وهارون موجزة ثم بقصة اسمعيل وادريس
ليستقر في اذهانهم انه اطلع نبيه على ما سالوه وعلى ما لم يسالوه وان الرسول
عليه السلام وجميع ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته من امي لم يقرا الكتب
ولا رحل ولا خالط من له علم ولا عني بجمع سير والكتاب القرآن ومريم هي ابنة عمران
ام عيسى واذ قيل ظرف زمان منصوب باذكر ولا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية
لان الاستقبال لا يقع في الماضي وقال الزمخشري اذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع
هذه القصة العجيبة فيه انتهى ونصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف
في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالاولى
ان يجعل ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون العامل في اذ وتبقى على ظرفيتها
وعدم تصرفها وهو ان تقدر مريم وما جرى لها اذ انتبذت واستبعد ابو البقاء
قول الزمخشري قال لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا
لها لم يكن بدلا منها انتهى واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة قال وقيل
التقدير خبر مريم فاذ منصوبة لخبر وقيل حال من هذا المضاف المحذوف
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمك اذ لم تكرمني اي ان لم تكرمني قال
ابو البقاء فعلى هذا يصح بدل الاشتمال اي واذكر مريم انتباذها انتهى وانتبذت
افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت قال السدي انتبذت لتطهر
من حيض وقال غيره لتعبد الله وكانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة
فتنحت من الناس كذلك وانتصب مكانا على الظرف اي في مكان ووصف بشرقي

لانه كان مما يلي بيت المقدس او من دارها وسبب كونه في الشرق انهم كانوا يعظمون
جهة الشرق من حيث تطلع الشمس وعن ابن عباس اتخذت النصارى الشرق قبلة
لميلاد عيسى وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها
وكان موضعها المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد
وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا او حسن
الصورة مستوي الخلق وقال قتادة شرقيا شاسعا بعيدا انتهى والحجاب
الذي اتخذته لتستتر به عن الناس لعبادة ربها قال السدي كان من جدران وقيل
من ثياب وعن ابن عباس جعلت الجبل بينها وبين الناس حجابا والظاهر ان الارسال
من الله اليها ومحاورة الملك يدل على انها نبية وقيل لم تنبأ وانما كلمها مثال
بشر ورؤيتها للملك كما رئي جبريل في صفة دحية وفي سؤاله عن الايمان والاسلام
والظاهر ان الروح جبريل لان الدين يحيى به ويوحيه او سماه روحه على المجاز محبة
له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقيل عيسى كما قال وروح منه وعلى هذا
يكون قوله فتمثل اي الملك وقرا ابو حيوة وسهل روحنا بفتح الراء لانه سبب
لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما
ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي
مقربنا وذا روحنا وذكر النقاش انه قرئ روحنا بتشديد النون اسم ملك من الملائكة
وانتصب بشرا سويا على الحال وقوله واحيانا يتمثل لي الملك رجلا قيل وانما مثل
لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على
عفافها وورعها انها تعوذت به من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان
تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا
ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة
في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل
فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت
المقدس وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لانه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي الا
عند من يتقي الله اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به
فاني عائذة به منك وجواب الشرط محذوف اي فاني اعوذ وقال الزجاج فستتعظ
بتعويذي بالله منك وقيل فاخرج عني وقيل فلا تتعرض لي وقول من قال تقي
اسم رجل صالح او رجل فاسد ليس بسديد وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا اي
بدخولك علي ونظرك الي ولياذها بالله وعياذها به وقت التمثل دليل على
انه اول ما تمثل لها استعاذت من غير جري كلام بينهما قال اي جبريل انما انا
رسول ربك اي الناظر في مصلحتك والمالك لامرك وهو الذي استعذت به وقوله
لها ذلك تطمين لها واني لست ممن تظن به ريبة ارسلني اليك ليهب وقرا شيبة
وابو الحسن وابو بحرية والزهري وابن مناذر ويعقوب واليزيدي ومن السبعة
نافع وابو عمرو وليهب اي ليهب ربك وقرا الجمهور وباقي السبعة لاهب بهمزة المتكلم

واسند الهبة اليه لما كان الاعلام بها من قبله وقال الزمخشري لاهب لك
لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الروح وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك
ويحتمل ان يكون محكيا بقول محذوف اي قال لاهب والغلام اسم الصبي اول ما يولد
الى ان يخرج الى سن الكهولة وفسرت الزكوة هنا بالصلاح وبالنمو وتعجبت من بشر
وعلمت بما القي في روعها انه من عند الله وتقدم الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل
عمران في قصتها وفي قولها ولم اك بغيا تخصيص بعد تعميم لان مسيس البشر يكون
بنكاح وبسفاح وقال الزمخشري جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه
كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث
بها وما اشبه ذلك وليس بقمين ان تراعى فيه الكنايات والاداب انتهى والبغي
المجاهرة المشتهرة في الزنا ووزنه فعول عند المبرد اجتمعت واو وياء وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء وكسر ما قبلها لاجل الياء
كما كسرت في عصي ودلي فقيل ولو كان فعيلا لحقتها هاء التانيث فيقال بغية وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن
المنكر انتهى قيل ولما كان هذا اللفظ خاصا بالمؤنث لم يحتج الى علامة التانيث
فصار كحائض وطالق وانما يقال للرجل باغ وقيل بغي فعيل بمعنى مفعول كعين
كحيل اي مبغية يطلبها امثالها قال كذلك قال ربك هو علي هين الكلام
عليه كالكلام السابق في قصة زكريا ولنجعله يحتمل ان يكون معطوفا على تعليل
محذوف تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله او محذوف متاخر اي فعلنا ذلك
والضمير في ولنجعله عائد على الغلام وكذلك في قوله وكان اي وكان وجوده
امرا مفروغا منه وكونه رحمة من الله اي طريق هدى لعالم كثير فينالون الرحمة
بذلك وذكروا ان جبريل نفخ في جيب درعها او في كمها وقال اي دخل
الروح المنفوخ من فمها والظاهر ان المسند اليه النفخ هو الله تعالى لقوله فنفخنا
ويحتمل ما قالوا فحملته اي في بطنها والمعنى فحملت به قيل وكانت بنت عشر سنين
وقيل بنت خمس عشرة سنة قاله وهب ومجاهد وقيل بنت ثلث عشرة سنة
وقيل بنت اثني عشرة وقيل عشر سنين قيل بعد ان حاضت حيضتين وحكى
محمد بن الهيصم انها لم تكن حاضت بعد وقيل لم تحض قط مريم وهي مطهرة من الحيض
فلما احست وخافت ملامة الناس ان يظن بها الشر فارتبت به الى مكان
قصيا وفرارا روي انها فرت الى بلاد مصر او نحوها قاله وهب وقيل الى
موضع يعرف ببيت لحم بينه وبين ايليا اربعة اميال وقيل بعيدا من اهلها
وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما
قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته
نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها
حملته في ساعة واحدة فكما حملته نبذته عن ابن وقيل كانت مدة الحمل ثلاث
ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة وقيل ستة
اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود

وضع

وضع لثمانية اشهر الا عيسى وثم اقوال مضطربة متنافية كان ينبغي ان يضرب عنها
صفحا الا ان المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق والجائي به الحال اي مصحوبة
به اي اعتزلت وهو في بطنها كما **قال الشاعر**

تدوس بنا الجماجم والتريبا

اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ومعنى فاجاءها اي
جاء بها تارة تعدى جاء بالباء وتارة بالهمزة قال الزمخشري الا ان استعماله قد تغير
بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول
بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان
وآتانيه فلان انتهى اما قوله وقوله غير ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء
فيحتاج الى نقل ائمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والاجاءة تدل
على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت اقمت زيدا
فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام واما قوله الا تراك
لا تقول الى آخره فمن راى ان التعدية بالهمزة قياس اجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه
قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا اجاء فيجيز ذلك واما تنظيره ذلك بآتى
فهو تنظير غير صحيح لانه بناه على ان الهمزة فيه للتعدية وان اصله اتى وليس كذلك
بل اتى مما بني على افعل وليس منقولا من اتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من اتى المتعدية
لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الاول اذا عديته بالهمزة
تقول اتى المال زيدا وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند
النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ما ذكره الزمخشري كان
يكون العكس فدل على انه ليس على ما قاله وايضا فآتى مرادف لاعطى فهو مخالف
من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم تقل اتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل
يقال اتيت المكان كما تقول جئت المكان **وقال الشاعر**

اتوا ناري فقلت منون انتم • فقالوا الجن قلت عموا صباحا

خ ظلاما

ومن راى النقل بالهمزة قياسا قال اتانيه **وقرأ** الجمهور فاجاءها اي ساقها

وقال الشاعر

وجار سار معتمدا اليكم • اجاءته المخافة والرجاء

وامال فتحة الجيم الاعمش وطلحة **وقرأ** حماد بن سلمة عن عاصم قال ابن عطية
وشبيل بن عزرة فاجاها من المفاجاة وقال صاحب اللوامح شبيل بن عزرة
فاجاها فقيل هو من المفاجاة بوزن فاعلها فبدلت همزتها بالالف تخفيفا على غير
قياس ويحتمل ان تكون همزة بين بين غير مقلوبة وروى عن مجاهد كقراءة حماد عن عاصم
وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض
الولد في بطنها والى يتعلق بفاجاها ومن قرا فاجاها من المفاجاة فيتعلق بمحذوف
اي مستندة اي في حال استنادها الى النخلة والمنقول المشهور انه ميلاد عيسى
كان ببيت لحم وانها لما هربت وخافت عليه اسرعت به وجاءت به الى البيت
المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الآن
موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد ايام توجهت به الى بحر الاردن فعمدته فيه

وهو اليوم الذي يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه
في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في كل ماء ومن زعم أنها ولدته بمصر
قال بكورة اهناس قيل ونخلة مريم قائمة إلى اليوم والظاهر أن النخلة كانت
موجودة قبل مجيء مريم إليها وقيل إن الله أنبت لها نخلة تعلقت بها وروي
أنها بلغت إلى موضع كان فيه جذع نخلة يابس بال أصله مدود لا رأس له ولا ثمر
ولا خضرة وأل إما لتعريف الجنس أو الداخلة على الأسماء الغالبة كأن تلك الصحرا
كان بها جذع نخلة معروف فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره
وأرشدها تعالى إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة
لها ولظهور تلك الآيات منها لها فتستقر نفسها وتقر عينها فاشتد بها الأمر هنالك
واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها
لما آتته من الآلام والتغريب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه يا ليتني
مت قبل هذا وتمنت مريم الموت من جهة الدين إذ خافت أن يظن بها الشر في دينها
وتعير فيفتنها ذلك وهذا مباح وعلى هذا الحد تمنى عمر بن الخطاب وجماعة من
الصالحين وأما النهي عن ذلك فإنما هو لضر نزل بالبدن ٥ وتقدم الخلاف من
القراء في كسر الميم من مت وضمها في آل عمران والنسي الشيء الحقير الذي من شأنه
أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث وقرأ الجمهور بكسر النون
وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما من شأنه أن يذبح وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش
وابن أبي ليلى وحمزة وحفص بفتح النون وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بكسر النون
والهمز مكان الياء وهي قراءة نوف الأعرابي وقرأ بكر بن حبيب السهمي ومحمد بن كعب
أيضا نسأ بفتح النون والهمز وهو مصدر من نسأت اللبن إذا صببت عليه ماء
فاستهلك اللبن فيه لقلته فكأنها تمنت أن تكون مثل ذلك اللبن الذي لا يرى
ولا يتميز من الماء وقال ابن عطية وقرأ بكر بن حبيب نسا بفتح النون والسين من غير همز
بناء على فعل كالقبض والنقض فقال الفراء هي لغتان كالوتر والوتر والفتح أحب
إلي وقال أبو علي الفارسي الكسر على اللغتين وقال ابن الأنباري من كسر فهو اسم
لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض ومن فتح فمصدر نائب عن الاسم كما يقال الرجل دنف ودنف فالمكسور
هو الوصف الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف ويمكن أن يكونا لمعنى كالرطل والرطل
والإشارة بقوله هذا إلى الحمل وقيل قبل هذا اليوم وقبل هذا الأمر الذي جرى وقرأ
الأعمش وأبو جعفر في رواية منسيا بكسر الميم إتباعا لحركة السين كما قالوا منتن
بإتباع حركة الميم بحركة التاء وقيل تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء على حكم
العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي
عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال
والإكرام والإكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أو لحزنها على الناس أن يأثم
الناس بسببها وروي أنها سمعت نداء اخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت
وقالت يا ليتني مت وقال وهب أنساها كرب الولادة وما سمعت من الناس

بشارة

بشارة الملائكة بعيسى وقرأ زر وعلقمة فخاطبها ملك فناداها وينبغي أن
يكون تفسيرا لا قراءة لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه والمنادي الظاهر
أنه عيسى أي فولدته فأنطقه الله وناداها أي حالة الوضع وقيل جبريل وكان
في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها وقاله الحسن وأقسم على ذلك
قيل وكان يقبل الولد كالقابلة وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها وقرأ
البراء بن عازب وابن عباس والحسن وزيد بن علي والضحاك وعمرو بن ميمون ونافع
وحمزة والكسائي وحفص من حرف جر وقرأ الابنان والأبوان وعاصم وزر ومجاهد
والجحدري والحسن وابن عباس في رواية عنهما من بفتح الميم بمعنى الذي وتحتها
ظرف منصوب صلة لمن وهو عيسى أي ناداها المولود قاله أبي والحسن وابن جبير
ومجاهد والزخرف تفسيرا أي لا تحزني والسري في قول الجمهور الجدول وقال
الحسن وابن زيد وقتادة عظيما من الرجال له شأن وروي أن الحسن فسر الآية
فقال إن كان لعظيما كريما فقال له حميد بن عبد الرحمن يا أبا سعيد
إنما يعني بالسري الجدول فقال الحسن لهذه وأشباهها أحب قربك ولكن غلبنا
الأمراء ٥ ثم أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع وقالت
فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا وأجري
تحته النهر لحينه والظاهر أن الكلام من عيسى وأن الجذع كان يابسا وعلى هذا ظهرت
لها آيات تسكن إليها والحزن لم يكن لفقد الطعام والشراب حتى تسلي بالأكل والشرب
ولكن لما ظهر في ذلك من خرق العادة حتى يتبين لقومها أن ولادها من غير فحل ليس
ببدع من شأنها قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت إذا السعف قد طلع ثم نظرت
إلى الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا
كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع من بين يديها لا يتشرخ منه شيء وإلى حرف
بلا خلاف ويتعلق بقوله وهزي وهذا جاء على خلاف ما تقرر في علم النحو من أن الفعل
لا يتعدى إلى الضمير المتصل وقد رفع الضمير المتصل وليس من باب ظن ولا فقد وعدم
وهما لمدلول واحد لا يقال ضربتك ولا زيد ضربه أي ضرب نفسه ولا ضربتني إنما
يؤتى في مثل هذه التراكيب بالنفس فيقول ضربت نفسك وزيد ضرب نفسه وضربت
نفسي والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب فلا تقول هززت إليك ولا زيد هز
إليه ولا هززت إلي ولهذا زعموا أن في **قول الشاعر**

دع عنك نهبا صيح في حجراته ٭ ولكن حديثا ما حديث الرواحل ٥

وفي **قول الآخر** ٥

هون عليك فإن الأمور ٭ بكف الإله مقاديرها ٥

أن عن وعلى ليسا حرفين وإنما هما اسمان ظرفان وهذا ليس ببعيد لأن عن وعلى
قد ثبت كونهما اسمين في قوله ٭ من عن يمين الحبيا نظرة قبل ٥ وفي **قوله**
غدت من عليه بعدما تم ظمؤها ٥ وبعض النحويين زعم أن على لا تكون حرفا البتة
وإنها اسم في كل مواردها ونسب إلى س ولا يمكن أن يدعى أن إلى تكون اسما
لإجماع النحاة على حرفيتها كما قلنا ونظير قوله تعالى وهزي إليك قوله تعالى

واضمم إليك جناحك، وعلى تقرير تلك القاعدة ينبغي تأويل هذين وتأويله على أن يكون قوله إليك ليس متعلقا بهزي ولا باضمم وإنما ذلك على سبيل البيان والتقدير أعني إليك فهو متعلق بمحذوف كما قالوا في قوله إني لكما لمن الناصحين وما أشبهه على بعض التأويلات. والباء في بجذع زائدة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. قال أبو علي كما يقال ألقى بيده أي ألقى يده **وكقوله**
سود المحاجر لا يقرأن بالسور أي لا يقرأن السور **وأنشد الطبري:**

بواد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

وقال الزمخشري أو على معنى افعلي الهز به **كقوله** يجرح في عراقيبها نصلي

قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة قاله محمد بن كعب. وقيل ما للنفساء خير من الرطب وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب. **وقرأ** الجمهور تساقط بفتح التاء والسين وشدها بعد الألف وفتح القاف. **وقرأ** الأعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك إلا أنهم خففوا السين. **وقرأ** حفص تساقط مضارع ساقطت. **وقرأ** أبو السمال تتساقط بتاءين. **وقرأ** البراء بن عازب والأعمش في رواية يساقط بالياء من تحت مضارع أساقط. وعن أبي حيوة ومسروق تسقط بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف. وعن أبي حيوة كذلك إلا أنه بالياء من تحت. وعنه تسقط بالتاء من فوق مفتوحة وضم القاف. وعنه كذلك إلا أنه بالياء من تحت. وقال بعضهم في قراءة أبي حيوة في هذه أنه قرأ رطب جني بالرفع على الفاعلية، وأما النصب فإن قرئ بفعل متعد نصبه على المفعول أو بفعل لازم فنصبه على التمييز. ومن قرأ بالياء من تحت فالفعل مسند إلى الجذع ومن قرأ بالتاء فمسند إلى النخلة. ويجوز أن يكون مسندا إلى الجذع على حد يلتقطه بعض السيارة في قراءة من قرأ تلتقطه بالتاء من فوق. وأجاز المبرد في قوله رطبا أن يكون منصوبا بقوله وهزي أي وهزي إليك بجذع النخلة رطبا تساقط عليك. فعلى هذا الذي أجازه تكون المسألة من باب الإعمال فيكون قد حذف معمول تساقط فمن قرأه بالياء من تحت فظاهر ومن قرأ بالتاء من فوق فإن كان الفعل متعديا جاز أن يكون من باب الإعمال وإن كان لازما فلا لاختلاف متعلق هزي إذ ذاك والفعل اللازم. **وقرأ** طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم إتباعا لحركة النون. والرزق وإن كان مفروغا منه فقد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه ولذلك أمرت مريم بهز الجذع وعلى هذا جاءت الشريعة وليس ذلك بمناف للتوكل. وعن ابن زيد قال عيسى لها لا تحزني فقالت كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا. فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فكلي واشربي وقري عينا. قال الزمخشري أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي

وطيبي

أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك انتهى. ولما كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدم في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا ولما كان المحزون قد يأكل ويشرب قال وقري عينا أي لا تحزني. ثم ألقى إليها ما تقول إن رأت أحدا. **وقرئ** وقري بكسر القاف وهي لغة نجدية وتقدم ذكرها. **وقرأ** أبو عمرو فيما روى عنه ابن رومي ترئن بالإبدال من الياء همزة. وروي عنه لترؤن بالهمز أيضا بدل الواو. وقال ابن خالويه وهو عند أكثر النحويين لحن. وقال الزمخشري وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الإبدال انتهى. **وقرأ** طلحة وأبو جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة. قال ابن جني وهي شاذة يعني لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون كما **قال الأفوه الأودي:**

أما ترى رأسي أزرى به * مأس زمان ذي انتكاس مؤوس

والأمر لها بالأكل والشرب وذلك القول الظاهر أنه من ولدها وقيل جبريل على الخلاف الذي سبق. والظاهر أنه أبيح لها أن تقول ما أمرت بقوله وهو قول الجمهور. وقالت فرقة معنى فقولي بالإشارة لا بالكلام وإلا فكان التناقض بينا في قولها انتهى. ولا تناقض لأن المعنى فلن أكلم اليوم إنسيا بعد قولي هذا. وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى أي فإما ترين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي. **وقرأ** زيد بن علي صياما وفسر صوما بالإمساك عن الكلام. وفي مصحف عبد الله صمتا. وعن أنس بن مالك مثله. وقال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام انتهى. والصمت منهي عنه ولا يصح نذره. وفي الحديث مره فليتكلم. وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق. وأمرت بنذر الصوم لأن عيسى بما يظهر الله عليه يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء. وقوله إنسيا لأنها كانت تكلم الملائكة دون الإنس.

قوله عز وجل فأتت به قومها

فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا *

فأتت به قيل إنها لما كان من ذاتها قيل طهرت من النفاس بعد أربعين يوما وكان الله تعالى قد أراها الآيات وأصحات وكلمها ابنها عيسى وحنت إلى الوطن وعلمت أن عيسى سيكفيها من يكلمها فعادت إلى قومها. وقيل أرسلوا إليها لتحضري إلينا بولدك وكان الشيطان قد أخبر قومها بولادتها. وفي الكلام حذف أي فلما رأوها وابنها قالوا. قال مجاهد والسدي الفري العظيم الشنيع. **وقرأ** أبو حيوة فيما نقل ابن عطية فريا بسكون الراء. وفيما نقل ابن خالويه فريا بالهمز. وهارون شقيقها أو أخوها من أمها وكان من أمثل بني إسرائيل أو هارون أخو موسى إذ كانت من نسله أو رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به أو رجل من الفساق شبهوها به أقوال. الأولى أنه أخوها الأقرب

وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله تعالى يا اخت هارون والمدة
بينهما طويلة جدا فقال له الرسول الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بانبيائهم
والصالحين قبلهم واتكروا عليها ما جاءت به وان ابويها كانا صالحين فكيف
صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على ان الفروع غالبا تكون زاكية
اذا زكت الاصول وينكر عليها اذا جاءت بضد ذلك **وقرأ** عمر بن لجاء التيمي الشاعر
الذي كان يهاجي جريرا ما كان اباك امرؤ سوء فجعل الخبر المعرفة والاسم النكرة
وحسن ذلك قليلا كونها فيها مسوغ جواز الابتداء وهو الاضافة ولما اتهموها بما
اتهموها نفوا عن ابويها السوء لمناسبة الولادة ولم ينصوا على اثبات الصلاح وان
كان نفي السوء يوجب الصلاح ونفي البغا يوجب العفة لانهما بالنسبة اليهما نقيضان
روي انها لما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل
هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه
وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا ويروى انهم لما اشاروا الى الطفل قالوا استخفافها
بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الانكار والتهكم به اي من كان في المهد
يعني لا يكلم وانما اشارت اليه لما تقدم لها من وعده انه يجيبهم عنها ويغنيها عن
الكلام وقيل بوحي من الله اليها وكان قال ابو عبيدة زائدة وقيل تامة وينتصب
صبيا على الحال في هذين القولين والظاهر انها ناقصة فتكون بمعنى صار او تبقى على
مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم
يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما وفي قوله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
والمعنى كان وهو الان على ما كان ولذلك عبر بعض اصحابنا عن كان هذه بانها
ترادف لم يزل وما رد به ابن الانباري كونها زائدة من ان الزائدة لا خبر لها وهذه
قد نصبت صبيا خبرا لها ليس بشي لانه اذ ذاك ينتصب على الحال والعامل فيها
الاستقرار وقال الزمخشري كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح
لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق
للتعجب ٥ ووجه اخر ان يكون يكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم
الناس صبيا في المهد صبيا فيما سلف من الزمان حتى يكلم هذا انتهى والظاهر ان
من مفعول يكلم ونقل عن الفراء والزجاج ان من شرطية وكان في معنى يكن وجواب الشرط
محذوف تقديره فكيف يكلم وهو قول بعيد جدا وعرفنا دة ان المهد حجر امه وقيل
سريره وقيل المكان الذي يستقر عليه وروي انه قام متكئا على يساره واشار
اليهم بسبابته اليمنى وانطقه الله تعالى ولا يقوله اني عبد الله ردا للوهم
الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله ذا الجلال التي تجب تنبيه على برأه
امه مما اتهمت به لانه تعالى لا يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال الحميدة الا مبرأة
مصطفاة والكتاب الانجيل او التوراة او مجموعهما اقوال والظاهر قوله وجعلني
نبيا انه تعالى نبأه حال طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا وقيل ان ذلك
سبق في قضائه وسابق حكمه ويحتمل ان يكون يجعل الاتي لتحقيقه كانه قد وجد ٥
وجعلني مباركا قال مجاهد نفاعا وقال سفيان معلم خير وقيل امرا بمعروف

ناهيا

ناهيا عن منكر وعن الضحاك قضاء للحوائج وا اينما كنت شرط وجزاؤه محذوف تقديره
جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه ولا يجوز ان يكون معمولا لجعلني السابق
لان اين لا يكون الا استفهاما او شرطا لا جائز ان يكون هنا استفهاما فتعينت الشرطية
واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله انما هو معمول للفعل الذي يليه والظاهر حمل الصلاة
والزكوة على ما شرع في البدن والمال وقيل الزكوة زكاة الرؤوس في الفطر وقيل
الصلاة الدعاء والزكوة التطهر وما في ما دمت مصدرية ظرفية وقال ابن عطية
وقرأ دمت بضم الدال عاصم وجماعة **وقرأ** دمت بكسر الدال اهل المدينة وابن كثير
وابو عمرو انتهى والذي في كتب القراءات ان القراء السبعة قرؤا دمت حيا بضم الدال
وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها الا في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها
لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات وسبق انه قرئ وبرا بكسر الباء فاما على حذف
مضاف اي وذا بر واما على المبالغة جعل ذاته من فرط بره ويجوز ان يضمر فعل في معنى
اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد ومن قرأ وبرا بفتح الباء
فقال الحوفي وابو البقاء انه معطوف على مباركا وفيه بعد للفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بالجملة التي هي اوصاني ومتعلقها والاولى اضمار فعل اي وجعلني
برا وحكى الزهراوي وابو البقاء انه قرئ وبر بكسر الباء والراء عطفا على الصلوة والزكوة
وقوله بوالدتي بيان محل البر وانه لا والد له وبهذا القول براها قومها والجبار
كما تقدم المتعاظم وكان في غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب
حيث جنه الليل لا مسكن له وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي والالف
واللام في والسلام للجنس قال الزمخشري هذا التعريف تعريض بلعنة متهمي مريم
واعدائهما من اليهود وحقيقته ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي
خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب
على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض
وقيل ال للتعريف المنكر في قصة يحيى في قوله وسلام نحو كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول اي وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه
موجه الي وسبق القول في تخصيص هذه المواطن **وقرأ** زيد بن علي يوم ولدت اي
يوم ولدتني جعله ماضيا لحقته تاء التانيث وقرأ وسلام علي والسلام لكونه من الله
وهذا من قول عيسى وقيل سلام على عيسى ارجح لانه تعالى اقامه في ذلك مقام نفسه
فسلم نائبا عن الله ٥ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • ما كان لله
ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • وان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم • اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين • وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون •
انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون • **لم** الاشارة بذلك الى المولود
الذي ولدته مريم المتصف بتلك الاوصاف الجميلة وذلك مبتدا وعيسى خبره
وابن مريم صفة لعيسى او خبر بعد خبر او بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم

قوله عز وجل ذلك عيسى بن مريم

لا



خاصة من عجزات فليس بابن الله كما يزعمه النصارى ولا لغير رشدة كما يزعم اليهود وقرأ زيد
ابن علي وابن عباس وعاصم وحمزة وابن ابي اسحاق والحسن ويعقوب قول الحق بنصب
اللام وانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي هذا الاخبار عن عيسى ابن مريم
ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها اي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق
لا الباطل اي اقول الحق واقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق وهو من اضافة
الموصوف الى صفته اي القول الحق كما قال وعد الصدق اي الوعد الصدق وان عني به
الله تعالى كان القول مرادا به الكلمة كما قالوا كلمة الله كان انتصابه على المدح
وعلى هذا تكون الذي صفة للقول وعلى الوجه الاول تكون الذي صفة للحق وقرأ
الجمهور قول برفع اللام وقرأ ابن مسعود والاعمش قال بالف ورفع اللام وقرأ
الحسن قول بضم القاف ورفع اللام وهي مصادر كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو اي نسبته الى امه فقط قول الحق فتتفق اذ ذاك
قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى وقال الزمخشري وارتفاعه على انه خبر بعد
خبر او بدل انتهى وهذا الذي ذكر لا يكون الا على المجاز في قول وهو ان يراد به كلمة الله
لان اللفظ لا يكون الذات وقرأ طلحة والاعمش في رواية زائدة قال بالف جعله
فعلا ماضيا الحق برفع القاف على الفاعلية والمعنى قال الحق وهو الله ذلك
الناطق الموصوف بتلك الاوصاف هو عيسى بن مريم والذي على هذا خبر مبتدأ محذوف
اي هو الذي وقرأ علي كرم الله وجهه والسلمي وداود بن ابي هند ونافع في رواية
والكسائي في رواية تمترون بتاء الخطاب والجمهور بياء الغيبة وامترى افتعل
من المرية وهي الشك وامام المرأة وهو المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول
هنا قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وهو الله ٥
ما كان لله ان يتخذ من ولد هذا تكذيب للنصارى في دعواهم انه ابن الله واذا استحال
البنوة فاستحالة الالهية مستقلة او بالتثليث ابلغ في الاستحالة وهذا التركيب
معناه الانتفاء فتارة يدل من جهة المعنى على الزجر ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وتارة على التعجيز ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
وتارة على التنزيه كهذه الاية ولذلك اعقب هذا النفي بقوله سبحانه اي تنزه عن
الولد اذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته اذ
هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شيء وجد فهو منزه عن التوالد وتقدم الكلام
على الجملة من قوله اذا قضى امرا وقرأ الجمهور وان الله بكسر الهمزة على الاستئناف
وقرأ ابي بالكسر دون واو وقرأ الحرميان وابو عمرو وان بالواو وفتح الهمزة
وخرجه ابن عطية على ان يكون معطوفا على قوله هذا قول الحق وان الله ربي كذلك
وخرجه الزمخشري على ان معناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا انتهى وهذا قول الخليل وس وفي حرف ابي ايضا وبان
الله بالواو وباء الجر اي بسبب ذلك فاعبدوه واجاز الفراء في وان يكون في موضع
خفض معطوفا على والزكوة اي واوصاني بالصلوة والزكوة وبان الله ربي وربكم
انتهى وهذا في غاية البعد للفصل الكبير واجاز الكسائي ان يكون في موضع رفع بمعنى

الامر ان الله ربي وربكم وحكى ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء ان يكون المعنى وقضى
ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله امرا من قوله اذا قضى امرا والمعنى اذا قضى
امرا وقضى ان الله انتهى وهذا تخبيط في الاعراب لانه اذا كان معطوفا على امرا كان
في حيز الشرط وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد ان يكون قاله ابو عمرو
ابن العلاء فانه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل ان يوازنه احد مع كونه
عربيا ولعل ذلك من فهم ابي عبيدة فانه يضعف في النحو ٥ والخطاب في قوله وربكم
قيل لمعاصري رسول الله من اليهود والنصارى امر الله تعالى ان يقول لهم ذلك عيسى
ابن مريم اي قل لهم يا محمد هذا الكلام وقيل الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله
اني عبد الله الاية وان الله معطوف على الكتاب وقد قال وهب عهد عيسى اليهم
ان الله ربي وربكم ومن كسر الهمزة عطف على قوله اني عبد الله فيكون محكيا بقال
وعلى هذا القول يكون قوله ذلك عيسى بن مريم الى وان الله جمل اعتراض اخبر الله
تعالى بها رسوله عليه السلام والاشارة بقوله هذا اي القول بالتوحيد ونفي الولد
والصاحبة هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده الى النجاة فاختلف
الاحزاب من بينهم هذا اخبار من الله للرسول بتفرق بني اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم
ان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بينه غيرهم
والاحزاب قال الكلبي اليهود والنصارى وقال الحسن الذين تحزبوا على الانبياء
لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس انتهى فالضمير في بينهم على هذا
ليس عائدا على الاحزاب وقيل الاحزاب هنا المسلمون واليهود والنصارى وقيل
هم النصارى فقط وعن قتادة ان بني اسرائيل جمعوا اربعة من احبارهم فقال احدهم
عيسى هو الله نزل الى الارض واحيى من احيى وامات من امات فكذبه الثلاثة واتبعته
اليعقوبية ثم قال احد الثلاثة عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية
وقال احد الاثنين عيسى عبد الله وكلمته القاها احد ثلثة الله اله وهو اله
وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعته الاسرائيلية وقال الرابع عبد الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه فاتبعه فرقة من بني اسرائيل ثم اقتتل الاربعة فغلب المؤمنون
وظهرت اليعقوبية على الجميع فروي ان في ذلك نزلت ان الذين يكفرون بايات
الله الاية آل عمران والاربعة يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل وبين هنا اصله
ظرف استعمل اسما بدخول من عليه وقيل من زائدة وقيل البين هنا البعد اي اختلفوا
فيه لبعدهم عن الحق ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور او من الشهادة ويكون
مصدرا ومكانا وزمانا فمن الشهود يجوز ان يكون المعنى من شهود هول الحساب
والجزاء في يوم القيامة وان يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وان
يكون من وقت الشهود ومن الشهادة يجوز ان يكون المعنى من شهادة ذلك
اليوم وان تشهد عليهم الملائكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم
بالكفر وان يكون من مكان الشهادة او ان يكون من وقت الشهادة واليوم
العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة وعن قتادة هو يوم قتل المؤمنين
حين اختلفت الاحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم اختلافهم

وتقدم الكلام على التعجب الوارد من الله في قوله تعالى فما اصبرهم على النار وانه لا يوصف
بالتعجب قال الحسن وقتادة لئن كانوا صما وعميا عن الحق فما اسمعهم وابصرهم يوم
القيامة ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر وعن ابن عباس
انهم اسمع شيء وابصره وقال علي بن عيسى هو وعيد وتهديد اي سوف يسمعون
ما يخلع قلوبهم ويبصرون ما يسود وجوههم وعن ابي العالية انه امر حقيقة للرسول
اي اسمع الناس اليوم وابصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب اذا اتوا
محشورين مغلولين لكن الظالمون عموم يندرج فيه هؤلاء الاحزاب الكفار وغيرهم
من الظالمين واليوم اي في دار الدنيا وقال الزمخشري اوقع الظاهر اعني الظالمين
موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع
انتهى ٥ وانذرهم الخطاب للرسول والضمير لجميع الناس وقيل يعود على الظالمين
ويوم الحسرة يوم ذبح الموت وفيه حديث وعن ابن زيد يوم القيامة وقيل حين يصدر
الفريقان الى الجنة والنار وعن ابن مسعود حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم
من الجنة لو كانوا مؤمنين ٥ وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون يوم الحشر اسم جنس
لان هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة ومنها يوم الموت ومنها وقت اخذ الكتاب
بالشمال وغير ذلك انتهى واذ بدل من يوم الحسرة قال السدي وابن جريج قضي الامر
ذبح الموت وقال مقاتل قضي العذاب وقال ابن الانباري المعنى اذ قضي
الامر الذي فيه هلاككم وقال الضحاك يكون ذلك اذا برزت جهنم ورمت
بالشرر وعن ابن جريج ايضا اذا فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار وقيل اذا قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل اذا قيل امتازوا
اليوم ايها المجرمون وقيل اذا قضي سد باب التوبة وذلك حين تطلع الشمس
من مغربها ٥ وهم في غفلة قال الزمخشري متعلق بقوله في ضلال مبين عن
الحسن وانذرهم اعتراض وهو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال
غافلين غير مؤمنين وقال ابن عطية وهم في غفلة يريد في الدنيا الان وهم
لا يؤمنون كذلك انتهى وعلى هذا يكون حالا والعامل فيه وانذرهم والمعنى
انهم مشتغلون بامور دنياهم معرضون عما يراد منهم والظاهر ان يكون المراد
بقوله وقضي الامر يوم القيامة انا نحن نرث الارض ومن عليها تجوز وعبارة
عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق فكانها وراثة **وقراءة** الجمهور يرجعون بالياء
من تحت مبنيا للمفعول والاعرج بالتاء من فوق **وقرا** السلمي وابن ابي اسحاق
وعيسى بالياء من تحت مبنيا للفاعل وحكي عنهم الداني بالتاء ٥ واذكر في
الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا • اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا • يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا • يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا • قال اراغب
انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا • قال سلام عليك

قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم

سأستغفر

سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا • واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا
ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا • فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا • ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا
لهم لسان صدق عليا • واذكر خطاب للرسول والمراد اتل عليهم نبأ ابراهيم
وذكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه
تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما
من دون الله وكانا من قبيل من قامت بهما الحيوة ذكر الفريق الضال الذي
عبد جمادا او الفريقان واشتركا في الضلال فالفريق العابد الجماد اضل
ثم ذكر قصة ابراهيم مع ابيه تذكيرا للعرب بما كان ابراهيم عليه من توحيد الله
وتبيين انهم سالكوا غير طريقه وفيه صدق رسول الله فيما اخبر به وان ذلك متلقى
بالوحي والصديق من ابنية المبالغة وهو منحى من الثلاثي للمبالغة اي كثير
الصدق والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال
والخلق وفيما لا يعقل يقال صدقني الطعام كذا وكذا قفيزا وعود صدق
للصلب الجيد فوصف ابراهيم بالصدق على العموم في اقواله وافعاله والصد
مراتب الا ترى الى وصف المؤمنين بها في قوله من النبيين والصديقين ومن
غريب النقل ما ذهب اليه بعض النحويين من ان فعيلا اذا كان من متعد جاز
ان يعمل فيقول هذا شريب مسكرا كما اعملوا عند البصريين فعولا وفعالا ومفعالا
وقال الزمخشري والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته
وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل
اي كان مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه لقوله تعالى
بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت
اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم
الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص
الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات انتهى **فالتخريج الاول**
يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا انها لا تتصرف **والتخريج الثاني** مبني على ان كان
الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسئلة فيها خلاف **والتخريج الثالث**
لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد اما ان ينسب الى مركب من مجموع لفظين
فلا وجائز ان يكون معمولا لصديقا لانه قد نعت الا على راي الكوفيين ويحتمل
ان يكون معمولا لنبيا اي منبئا في وقت قوله لابيه ما قال وان التنبئة
كانت في ذلك الوقت وهو بعيد **وقرا** ابو البرهسم انه كان صادقا وفي قوله
يا ابت تلطف واستدعاء بالنسب **وقرا** ابن عامر والاعرج وابو جعفر يا ابت
بفتح التاء وقد لحن هرون هذه القراءة وتقدم الكلام على يا ابت في سورة يوسف
عليه السلم وفي مصحف عبد الله وا ابت بواو بدل الياء واستفهم ابراهيم على السبب
الحامل لابيه على عبادة الصنم وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه

بقية

شيئا تنبيها على شنعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف
وخطب الزمخشري فقال انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا
فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن
قضية التمييز كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق
مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن
منتصحا في ذلك نصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي
واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري ه وسرد الزمخشري بعد هذا كلاما
كثيرا من نوع الخطابة تركناه وما لا يسمع الظاهر انها موصولة وجوزوا ان تكون
نكرة موصوفة ومعمول يسمع ويبصر منسي ولا يشوي اي ما ليس به استماع ولا ابصار
لان المقصود نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق وشيئا اما مصدر او مفعول به
ولما سأله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن ان يجد جوابا انتقل معه الى اخباره
بانه قد جاءه من العلم ما لم يأته ولم يصف اباه بالجهل اذ يغني عنه السؤال السابق
وقال من العلم على سبيل التبعيض اي شيء من العلم ليس معك وهذه المجاورة تدل
على ان ذلك كان بعد ما نبئ اذ في لفظ جاءني تجدد العلم والذي جاءه الوحي الذي
اتى به الملك او العلم بامور الآخرة وثوابها وعقابها او توحيد الله وافراده
بالالوهية والعبادة اقوال ثلثة فاتبعني على توحيد الله بالعبادة وارفض
الاصنام اهدك صراطا مستقيما وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وانتقل
من امره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه في عبادة
الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى
حين امره بالسجود لآدم فأبى فهو عدو لك ولابيك آدم من قبل وكان لفظ الرحمن
هنا تنبيها على سعة رحمته وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي ان يعبد ولا يعصى
واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ما طرده
من هذه الرحمة وان من كان مختارا لنفسه عصيان ربه لا يختار لذريته من عصى لاجله
الا ما اختار لنفسه من عصيانه ثم يا ابت اني اخاف قال الفراء والطبري اخاف
اعلم كما قال فخشينا ان يرهقهما اي تيقنا والاولى حمل اخاف على موضوعه الاصلي
لانه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا ان لا يؤمن وان يتمادى على الكفر
فيمسه العذاب وخوفه ابراهيم سوء العاقبة وتأدب معه اذ لم يصرح بلحوق
العذاب به بل اخرج ذلك مخرج الخائف واتى بلفظ المس الذي هو الطف من المعاقبة
ونكر العذاب ورتب على مس العذاب ما هو اكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال
في مقابل ذلك ورضوان من الله اكبر اي من النعيم السابق ذكره وصدر كل نصيحة
بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا وقيل الولاية هنا كونه مقرونا معه
في الآخرة وان تباغضا وتبرأ بعضهما من بعض وقيل في الكلام تقديم وتأخير
والتقدير اني اخاف ان تكون وليا في الدنيا للشيطان فيمسك في الآخرة عذاب من الرحمن

وقوله

وقوله ان يمسك عذاب من الرحمن لا يتعين ان العذاب يكون في الآخرة بل يحتمل
ان يحمل العذاب على الخذلان اي خذلان من الله فتصير مواليا للشيطان ويحتمل ان
يكون مس العذاب في الدنيا بان يبتلى على كفره بعذاب في الدنيا فيكون ذلك
العذاب سببا لتماديه على الكفر وصيرورته الى ولاية الشيطان الى ان يوافي
على الكفر كما قال وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وهذه المناصحات
تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة ابيه والطماعية في هدايته قضاء لحق الابوة وارشادا
الى الهدى لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ه قال اي ابوه اراغب
انت عن الهتي يا ابراهيم استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشيء تركه عمدا والهته
اصنامه واغلظ له في هذا الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني قال
الزمخشري وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده
وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما
ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى والمختار في اعراب اراغب انت
ان يكون راغب مبتدا لانه قد اعتمد على اداة الاستفهام وانت فاعل سد مسد
الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما اعربه الزمخشري من كون اراغب خبرا وانت مبتدا
بوجهين احدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر ان يتأخر عن المبتدا
والثاني ان لا يكون فصل بين العامل الذي هو اراغب وبين معموله الذي هو عن
الهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدا بخلاف كون انت فاعلا
لانه معمول اراغب فلم يفصل بين اراغب وبين عن الهتي باجنبي انما فصل بمعمول له
ولما انكر عليه رغبته عن الهته توعده مقسما على انفاذ ما توعده به اذ لم ينته ومتعلق
تنته محذوف واحتمل ان يكون عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني اليه وان يكون
لئن لم تنته عن الرغبة عن الهتي لارجمنك جواب القسم المحذوف قبل لئن قال
الحسن بالحجارة وقيل لاقتلنك وقال السدي والضحاك وابن جريج لاشتمنك
قال الزمخشري فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف
يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع انتهى
وانما احتاج الى الحذف ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم
عند س بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف
على قوله لئن لم تنته لارجمنك وكلاهما معمول للقول والنصب وانتصب مليا على
الظرف اي دهرا طويلا قاله الجمهور الحسن ومجاهد وغيرهما ومنه الملوان وهما
الليل والنهار والملاوة بتثليث حركة الميم الدهر الطويل من قولهم امليت
لفلان في الامر اذا اطلت له وقال الشاعر

فعشينا بها من الشباب ملاوة فالحج آيات الرسول المحبب ه

وقال س سير عليه ملي من الدهر اي زمان طويل وقال ابن عباس وغيره مليا
معناه سالما سويا فهو حال من فاعل واهجرني قال ابن عطية وتلخيص هذا ان يكون
بمعنى قوله مستغنيا بحالك غنيا عني مليا بالاكتفاء وقال السدي معناه ابدا

ومنه **قول مهلهل** °

فتصدعت صم الجبال لموته ° وبكت عليه المرملات مليا °

وقال ابن جبير دهرا واصل الحرف الملاوة يقال تمليت حينا وقال الزمخشري
او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح
فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به انتهى قال سلام عليك **قراءة**
ابو البرهسم سلاما بالنصب قال الجمهور هذا بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية اي
امنة مني لك وبهذا قاله لا يرون ابتداء الكافر بالسلام وقال النقاش حليم
خاطب سفيها كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقيل هي تحية
مفارق وجوز قائل هذا تحية الكافر وان يبدأ بالسلام المشروع وهو مذهب
سفيان بن عيينة مستدلا بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الاية
وبقوله كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الاية وقال ابراهيم لابيه سلام عليك
وما استدل به متأول ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم لا تبدءوا اليهود
والنصارى بالسلام ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر اي سلمت سلاما
دعا له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حصول
ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وهذا كما يرد الامر
والنهي على الكافر ولا يصح الامتثال الا بشرط الايمان ومعنى سأستغفر لك
ادعو الله في هدايتك فيغفر لك بالايمان ولا يتأول على ابراهيم عليه السلام
انه لم يوح اليه ان الله لا يغفر لكافر قال ابن عطية ويجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام
اول نبي اوحى الله اليه ان الله لا يغفر لكافر لان هذه الطريقة انما طريقها السمع وكانت
هذه المقالة منه لابيه قبل ان يوحى اليه وذلك انه انما تبين له في ابيه انه عدو
لله باحد وجهين اما بموته على الكفر كما روي واما ان يوحى اليه الحتم عليه وقال
الزمخشري ولقائل ان يقول الذي يمنع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما
القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل
ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه
وقول من قال انما استغفر له لانه وعده ان يؤمن مستدلا بقوله الا عن موعدة
وعدها اياه فجعل الواعد ازر والموعود ابراهيم ليس بجيد لاعتقابه في هذه الاية
الوعد بالاستغفار بعد ذلك القول الجافي من قوله لئن لم تنته الاية فكيف
يكون وعده بالايمان ولان الواعد هو ابراهيم ويدل عليه قراءة حماد الراوية
وعدها اباه ° والحفي المكرم المحتفل الكثير البر والالطاف وتقدم شرحه
لغة في قوله كانك حفي عنها وقال ابن عباس رحيما وقال الكلبي حليما وقال
القتبي بارا وقال السدي حفيك من يهمه امرك ولما كان في قوله لارجمنك
فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام والامن ووعده بالاستغفار
قضاء لحق الابوة وان كان قد صدر منه اغلاظ ولما امره بهجره الزمان الطويل
اخبر بانه يمتثل امره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام قيل والى

انه لم يعلم

حران

حران وكانوا بارض كوثا وفي هجرته هذه تزوج سارة ولقي الجبار الذي اخدم
سارة هاجر والاظهر ان قوله وادعو ربي معناه واعبد ربي كما جاء في الحديث الدعاء
العبادة لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز ان يراد الدعاء
الذي حكاه الله في سورة الشعراء رب هب لي حكما الى اخره وعرض بشقاوتهم
بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة
عسى وما فيه من هضم النفس وفي عسى ترج في ضمنه خوف شديد ولما فارق الكفار
وارضهم ابدله الله منهم اولادا انبياء والارض المقدسة فكان فيها ويتردد
الى مكة فولد له اسحاق وابنه يعقوب تسلية له وشدا لعضده واسحاق
اصغر من اسمعيل ولما حملت هاجر باسمعيل غارت سارة ثم حملت باسحاق وقوله
من رحمتنا قال الحسن هي النبوة وقال الكلبي المال والولد والاحسن ان يكون
الخير الديني والدنياوي من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الاخرة
ولسان الصدق الثناء الحسن الباقي عليهم اخر الابد قاله ابن عباس وعبر باللسان
كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية واللسان في كلام العرب الرسالة الرائعة
كانت في خير او شر **قال الشاعر** °

اني اتتني لسان لا اسر بها ° وقال اخر ندمت على لسان كان مني ° ولسان
العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين
فصيره قدوة حتى عظمه اهل الاديان كلهم وادعوه وقال تعالى ملة ابيكم ابراهيم
وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته
فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه ° **جثيا** قعد على ركبتيه وهي
قعدة الخائف الذليل جثا يجثو ويجثي جثوا وجثاية **حتم الامر** اوجبه **الندي** والنادي
المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة او مشورة وقيل مجلس اهل الندى وهو الكرم
وقيل المجلس فيه الجماعة **قال حاتم** °

فدعيت في اولى الندي ولم ينظر الي باعين خزر °

الري مصدر رويت من الماء واسم مفعول اي مروي قاله ابو علي **الزي** محاسن
مجموعة من الزي وهو الجمع **كلا** حرف ردع وزجر عند الخليل و**س** والاخفش
والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي ونصير بن يوسف وابن واصل وابن الانباري
الى انها بمعنى حقا وذهب النضر بن شميل الى انها حرف تصديق بمعنى نعم وقد
تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى ان كلا رد لما قبلها فيجوز
الوقف عليها وما بعدها استئناف ويكون ايضا صلة للكلام بمنزلة اي والكلام
على هذه المذاهب مذكور في النحو **الضد** العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان
العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه **الاز** والهز
والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج ومنه ازيز المرجل وهو
غليانه وحركته **وقد** يفد وفدا ووفودا ووفادة قدم على سبيل التكرمة **الاد**
والاد بفتح الهمزة وكسرها العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة واد الامر
وآدني اثقلني وعظم علي ادا **الهد** قال الجوهري هد البناء هدا كسره وقال

المفردات

المبرد هذا سقوطا بصوت شديد والهدة صوت وقع الحائط ونحوه تقول هد يهد
بالكسر هديدا وقال الليث الهد الهدم الشديد **الركز** الصوت الخفي ومنه ركز
الرمح غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون وقيل الصوت الخفي دون نطق
بحروف ولا فم **قال الشاعر**

فتوجست ركز الانيس فراعها • عن ظهر غيب والانيس سقامها

قوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى

واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا • وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا • ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا • واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا • وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان
عند ربه مرضيا • واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا
عليا • اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح
ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا
سجدا وبكيا • **ثم قرأ** الكوفيون مخلصا بفتح اللام وهي قراءة ابي رزين ويحيى
وقتادة اي اخلصه الله للعبادة والنبوة كما قال تعالى انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار **وقرأ** باقي السبعة والجمهور بكسر اللام اي اخلص العبادة عن الشرك
والرياء واخلص نفسه واسلم وجهه لله ونداؤه اياه هو تكليمه تعالى اياه والطور
الجبل المشهور بالشام والظاهر ان الايمن صفة للجانب لقوله في اية اخرى جانب
الطور الايمن بنصب الايمن نعتا للجانب والجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة
ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفه فيه وان كان من اليمن احتمل ان يكون صفة
للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك في الايتين واحتمل ان يكون صفة للطور اذ معناه
الاسعد المبارك قال ابن القشيري في الكلام حذف تقديره وناديناه حين اقبل من مدين
ورأى النار من الشجرة وهو يريد من يهديه الى طريق مصر من جانب الطور اي من ناحية الجبل
وقربناه نجيا قال الجمهور تقريب التشريف والكلام والنبوة وقال ابن عباس
ادني موسى من الملكوت ورفعت له الحجب حتى سمع صريف الاقلام وقاله ابو العالية
وميسرة وقال سعيد اردفه جبريل قال الزمخشري شبهه بمن قربه بعض العظماء
للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك انتهى ونجي فعيل من المناجاة بمعنى مناج
كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة وهي المسارة بالقول وقال قتادة معناه
نجاه صدقه ومن في من رحمتنا للسبب اي من اجل رحمتنا له او للتبعيض اي بعض
رحمتنا قال الزمخشري واخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك
رايت رجلا اخاك زيدا انتهى والذي يظهر ان اخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا
ترادف من بعضا فتبدل منها وكان هارون اسن من موسى طلب من الله ان يشد
ازره بنبوته ومعونته فاجابه واسمعيل هو ابن ابراهيم ابو العرب يمنيها ومضريها
وهو قول الجمهور وقيل انه اسمعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة راسه
فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي ثوابه وفوض امرهم اليه في عفوه
وعقوبته وصدق وعده انه كانت منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع فلذلك
خص بصدق الوعد قال ابن جريج لم يعد ربه موعدة الا انجزها فمن مواعيده الصبر

وتسليم نفسه للذبح ووعد رجلا ان يقيم له بمكان فغاب عنه مدة قيل سنة
وقيل اثنين وعشرين يوما فجاءه فقال برحت من مكانك فقال لا والله ما كنت لاخلف
موعدي وكان يامر اهله قال الحسن قومه وامته وفي مصحف عبد الله وكان يامر
قومه وقال الزمخشري كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم
قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم بالاحسان
الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد
اهاليهم وفيه ان حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين
به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك انتهى وقال ايضا ذكر اسمعيل
عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما
كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله **وقرأ**
الجمهور مرضيا وهو اسم مفعول اي مرضو فاعل بقلب واوه ياء لانها طرف بعد واو
ساكنة والساكن ليس بحاجز حصين فكانها وليت حركة ولو بنيت من ذوات الواو
مفعلا لصار مفعلا لان الواو لا تكون طرفا وقبلها متحرك في الاسماء المتمكنة غير
المتقيدة بالاضافة الا ترى انهم حين سموا بيغزو والغازي من الضمير قالوا يغز حين
صار اسما وهذا الاعلال ارجح من التصحيح ولانه اعتل في رضي وفي رضيان تثنية
رضي **وقرأ** ابن ابي عبلة مرضوا مصححا وقالت العرب ارض مسنية ومسنوة وهي
التي تسقى بالسواني • وادريس هو جد ابي نوح وهو اخنوخ وهو اول من نظر في النجوم
والحساب وجعله الله من معجزاته واول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط
وكان خياطا وكانوا قبل يلبسون الجلود واول مرسل بعد ادم واول من اتخذ الموازين
والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقال ابن مسعود هو الياس بعث الى قومه
بان يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاؤوا فابوا واهلكوا وادريس اسم اعجمي منع
من الصرف للعلمية والعجمة ولا يجوز ان يكون افعيلا من الدرس كما قال بعضهم
لانه كان يجب صرفه اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية قال الزمخشري
ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك اي من معنى الدرس فحسبه
القائل مشتقا من الدرس والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل
الله عليه ثلثين صحيفة انتهى وقال جماعة هو رفع النبوة والتشريف
والمنزلة وهو في السماء كسائر الانبياء وقيل رفع الى السماء قال ابن عباس كان
ذلك بامر الله كما رفع عيسى كان له خليل من الملائكة فحمله على جناحه وصعد به حتى
بلغ السماء الرابعة فلقي هناك ملك الموت فقال له انه قيل لي اهبط الى السماء الرا
بعة فاقبض فيها روح ادريس واني لاعجب كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد
هذا ادريس معي فقبض روحه وروي ان هذا كله كان في السماء السادسة قاله
ابن عباس وكذلك هي رتبته في حديث الاسراء في بعض الروايات من حديث ابي هريرة
وانس يقتضي انه في السماء الرابعة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وقال
قتادة يعبد الله مع الملائكة في السماء السابعة وتارة يرتع في الجنة حيث شاء

وقال مقاتل هو مبيت في السماء ٥ اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة
من الانبياء ومن في من التبيين للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية
للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم من ذرية من حمل
مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم اسحاق واسمعيل ويعقوب واسرائيل
واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيى وموسى وهرون من ذرية اسرائيل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والظاهر
ان الذين خبر لاولئك واذا تتلى كلام مستانف ويجوز ان يكون الذين صفة لاولئك
والجملة الشرطية خبر وقرا الجمهور تتلى بتاء التانيث **وقرا** عبد الله وابو جعفر وشيبة
وشبل بن عباد وابو حيوة وعبد الله بن احمد العجلي عن حمزة وقتيبة في رواية وورش
في رواية النحاس وابن ذكوان في رواية الثعلبي بالياء وانتصب سجدا على الحال
المقدرة قال الزجاج لانه حال الخرور لا يكون ساجدا والبكي جمع باك كشاهد
وشهود ولا يحفظ فيه جمعه المقيس وهو فعلة كرام ورماة والقياس يقتضيه
وقرا الجمهور بكيا بضم الباء وعبد الله ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي بكسرها اتباعا
لحركة الكاف كعصي ودلي والذي يظهر انه جمع لمناسبة الجمع قبله قيل ويجوز ان
يكون مصدرا لبكا بمعنى بكاء واصله بكوو كجلس جلوسا وقال ابن عطية وبكيا
بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى وقوله ليس بسديد لان اتباع حركة
الكاف لا يعين المصدرية الا ترانهم قروا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ٥ الا
من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا ٥ جنات عدن
التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا ٥ لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ٥ تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا ٥ رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته
هل تعلم له سميا ٥ نزل فخلف في اليهود عن ابن عباس ومقاتل وفيهم وفي النصارى
عن السدي وفي قوم من امة الرسول يأتون عند ذهاب صالحيها يتبارزون بالزنا
وفي الازقة بعضهم على بعض عن مجاهد وقتادة وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وعن
وهب هم شاربوا القهوة وتقدم الكلام على خلف في الاعراف واضاعة الصلوة
تاخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود والنخعي والقسم بن مخيمرة ومجاهد وابراهيم وعمر
ابن عبد العزيز وقال القرظي واختاره الزجاج اضاعتها الاخلال بشروطها
وقيل اقامتها في غير الجماعات وقيل عدم اعتقاد وجوبها وقيل تعطيل المساجد
والاشتغال بالصناع والاسباب والشهوات عام في كل مشتهى يشغل عن الصلوة
وذكر الله وعن علي من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **وقرا** عبد الله
والحسن وابو رزين العقيلي والضحاك وابن مقسم الصلوات جمعا والغي عند العرب
كل شر والرشاد كل خير قال الشاعر ٥

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٥ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٥

قوله عز وجل فخلف من بعدهم

وقال

وقال ابن زيد ضلالا وقال الزمخشري او غيا عن طريق جنته وحكي الكسائي ابار في جهنم

وقال الزجاج هو على حذف مضاف اي جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة آثام
وقال ابن زيد الغي الخسران والحصول في الورطات وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود
وكعب غي واد في جهنم يسيل اليها الصديد والقيح وقيل هلاك وقيل شر **وقرئ**
فيما حكى الاخفش يلقون بضم الياء وفتح اللام وشد القاف الا من تاب استثناء ظاهره
الاتصال وقال الزجاج منقطع وامن هذا يدل على ان تلك الاضاعة اضاعة
كفر **وقرا** الحسن يدخلون مبنيا للفاعل وكذا كل ما في القرآن من يدخلون **وقرا** كذلك
هنا الزهري وحميد وشيبة والاعمش وابن ابي ليلى وابن مناذر وابن سعدان **وقرا**
ابن غزوان عن طلحة سيدخلون بسين الاستقبال مبنيا للفاعل **وقرا** الجمهور جنات
بالنصب نصبا جمعا بدلا من الجنة ولا يظلمون شيا اعتراض او حال **وقرا** الحسن وابو حيوة
وعيسى بن عمر والاعمش واحمد بن موسى عن ابي عمرو جنات رفعا جمعا اي تلك جنات
وقال الزمخشري الرفع على الابتداء انتهى يعني والخبر التي **وقرا** الحسن بن حي وعلي
ابن صالح جنة عدن نصبا مفردا ورويت عن الاعمش وهي كذلك في مصحف عبد الله
وقرا اليماني والحسن واسحاق الازرق عن حمزة جنة رفعا مفردا وعدن ان كان
علما شخصيا كانت التي نعتا لما اضيف الى عدن وان كان المعنى اقامة كان التي
بدلا وقال الزمخشري عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة
وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس مجرى العدن
لذلك او هو علم لارض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال
لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى وما
ذكره متعقب اما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من
العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه واما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة
فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن
موصوفة وانما ذلك شيء قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه
في كتبنا في النحو فملازمته فاسدة واما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين
كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا وبالغيب حال اي وعدها وهي
غائبة عنهم او وهم غائبون عنها لا يشاهدونها ويحتمل ان تكون الباء للسببية
اي بتصديق الغيب والايمان به وقال ابو مسلم المراد الذين يكونون عبادا
بالغيب اي الذين يعبدونه في السر والظاهر ان وعده مصدر فقيل ماتيا بمعنى
آتيا وقيل هو على موضوعه من انه اسم المفعول وقال الزمخشري ماتيا مفعول
بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه
احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا والقول الثاني هو قوله والوجه ماخوذ
من قول ابن جريج قال الوعد هنا موعوده وهو الجنة وماتيا ياتيه اولياؤه
انتهى الا سلاما استثناء منقطع وهو قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم وقيل
يسلم الله عليهم عند دخولها ومعنى بكرة وعشيا ياتيهم طعامهم مرتين في مقدار
اليوم والليلة من الزمن وقال مجاهد لا بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على
ما كانوا يشتهون في الدنيا وقد ذكر نحوه قتادة ان تكون مخاطبة بما تعرف العرب

في رفاهية العيش وقال الحسن خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من فضل العيش
وذلك ان كثيرا من العرب انما كان يجد الطعام المرة في اليوم وكان عيش اكثرهم
من شجر البرية ومن الحيوان وقال الزمخشري اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته
وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي
لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه الاية اي ان كان تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون
لغوا الا ذلك فهو من وادي **قوله**

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع
او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن
الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه
من فائدة الاكرام وقال ايضا ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان
المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول
انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ولا يقصد الوقتين المعلومين انتهى
وقرأ الجمهور نورث مضارع اورث والاعمش نورثها بابراز الضمير العائد على
الموصول والحسن والاعرج وقتادة ورويس وحميد وابن ابي عبلة وابو حيوة
ومحبوب عن ابي عمرو بفتح الواو وتشديد الراء والتوريث استعارة اي نبقي عليه
الجنة كما يبقي على الوارث مال الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم قد انقضت اعمالهم
وثمرتها باقية وهي الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من
المتوفى وقيل ورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما
نتنزل الا بامر ربك ابطا جبريل عن الرسول مرة فلما جاء قال يا جبريل قد اشتقت
اليك افلا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت • وقال مجاهد والضحاك سببها
ان جبريل تاخر في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف وهي كالتي في الضحى وتنزل
تفعل وهي للمطاوعة وهي احد معاني تفعل تنزل نزلته فتنزل فيكون لمواصلة العمل
في مهلة وقد يكون لا يلحظ فيه ذلك اذا كان بمعنى المجرد كقولهم تعدى الشي
وعداه ولا يكون مطاوعا فيكون تنزل في معنى نزل كما **قال الشاعر**

• فلست لانسي ولكن لملاك • تنزل من جو السماء يصوب •

وقال الزمخشري التنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق
كقوله فلست لانسي البيت لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج
واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا
غب وقت انتهى وقال ابن عطية وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي
عاطفة جملة كلام على اخرى واصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا
وحكى النقاش عن قوم ان قوله وما نتنزل متصل بقوله انما انا رسول ربك لاهب لك
غلاما زكيا وهذا قول ضعيف انتهى والذي يظهر في مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر قصة زكريا ومريم وذكر ابراهيم وموسى واسمعيل وادريس

ثم ذكر انهم ممن انعم الله تعالى عليهم وقال ومن ذرية ابراهيم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذرية ابراهيم وذكر تعالى انه خلف بعد هؤلاء خلف وهم اليهود والنصارى
اصحاب الكتب لان غيرهم لا يقال فيهم اضاعوا الصلوة انما يقال ذلك فيمن كانت
له شريعة وفرض عليهم فيها الصلوة بوحي من الله تعالى وكانت اليهود هم سبب سؤال
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تلك المسائل الثلاث وابطاء الوحي عنه وفرحت بذلك
قريش واليهود وكان ذلك من اتباع شهواتهم هذا وهم عالمون بنبوة رسول الله
فانزل الله تعالى وما نتنزل تنبيها على قصة قريش واليهود وان اصل تلك القصة
انما حدثت من اولئك الخلف الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وختما ل
لقصص اولئك المنعم عليهم المخاطبة اشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم واستعذارا
من جبريل للرسول بان ذلك الابطاء لم يكن منه اذ لا يتنزل الا بامر الله تعالى ولما
كان ابطاء الوحي سببه قصة السؤال وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقرن ان يجيبهم بالمشية
وكان السؤال متسببا عن اتباع اليهود شهواتهم وخبايا خبثهم اكتفى بذكر النتيجة
المتاخرة عن ذكر ما انتجته شهواتهم الدنيوية وخبثهم قال ابو العالية ما بين الايدي
الدنيا باسرها الى النفخة الاولى وما خلف ذلك الاخرة من وقت البعث وما بين ذلك
ما بين النفختين قال ابن عطية وقول ابي العالية انما يتصور في بني ادم وهذه المقالة
هي للملائكة فتامله وقال ابن جريج ما بين الايدي هو ما مر من الزمان قبل الايجاد
وما خلف هو ما بعد موتهم الى استمرار الاخرة وما بين ذلك هو مدة الحيوة وفي
كتاب التحرير والتحبير ما بين ايدينا الاخرة وما خلفنا الدنيا رواه العوفي عن
ابن عباس وبه قال ابن جبير وقتادة ومقاتل وسفيان وقال مجاهد عكسه وقال
الاخفش ما بين ايدينا قبل ان نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك ما بين
الدنيا والاخرة وقال مجاهد وعكرمة وابو العالية ما بين النفختين وقال
الاخفش حين كوننا وقال صاحب الغنيان نزول الملائكة من السما وما خلفنا
من الارض وما بين ذلك ما بين السما والارض وقال ابن القشيري مثل قول
ابن جريج ثم قال الحصر للازمنة الثلاثة وهي ان كلها لله هو منشيها ومدبر
امرها على ما يشاء من تقديرات لو تاخر انتهى وفيه بعض تلخيص وتصرف
وقال ابن عطية انما القصد الاشعار بملك الله تعالى لملائكته وان قليل تصرفهم
وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحكمته اذ الامكنة له
وهم له فلو ذهب بالاية الى ان المراد بما بين الايدي وما خلف الامكنة التي
فيها تصرفهم والمراد بما بين ذلك هم انفسهم ومقاماتهم لكان وجها كانه قال
نحن مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا نتنزل الا بامر ربك انتهى وما قاله ابن عطية
له الى اخره ذهب الى نحوه الزمخشري قال له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات
والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى
مكان الا بامر المليك ومشيئته والمعنى انه محيط بكل شي لا يخفى عليه خافية
فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا ويأذن لنا
فيه انتهى وقال البغوي له علم ما بين ايدينا وقال ابو مسلم وابن بحر

وما نتنزل الاية ليس من كلام الملائكة وانما هو من كلام اهل الجنة بعضهم لبعض اذا
دخلوها وهي متصلة بالاية الاولى الى قوله وما بين ذلك اي ما تنزل الجنة الا
بامر ربك له ما بين ايدينا اي في الجنة مستقبلا وما خلفنا مما كان في الدنيا وما
بينهما اي ما بين الوقتين وحكى الزمخشري هذا القول فقال وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة اي وما نتنزل الجنة الا باذن من الله علينا بثواب اعمالنا
وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك
نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة
على ذي ملكوت السموات والارض وما بينهما انتهى وقال القاضي هذا مخالف
للظاهر من وجوه **احدها** ان ظاهر التنزيل نزول الملائكة الى الرسول عليه الصلاة
والسلام وكقوله بامر ربك فظاهر الامر بحال المكلفين اليق **وثانيها** خطاب من جماعة
لواحد وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة **وثالثها** ان ما في مساقة
وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما لا يليق بحال التكليف ولا يوصف
به الرسول انتهى **وقراءة** الجمهور وما نتنزل بالنون عني جبريل نفسه والملائكة **وقرا**
الاعرج بالياء على انه خبر من الله قيل والضمير في يتنزل عائد على جبريل قال ابن عطية
ويرده له ما بين ايدينا لانه لا يطرد معه وانما يتجه ان يكون خبرا عن جبريل ان القران
لا يتنزل الا بامر الله في الاوقات التي يقدرها وكذا قال الزمخشري على الحكاية
عن جبريل والضمير للوحي انتهى ٥ ويحتمل ذلك القول على اضمار اي وما يتنزل
جبريل الا بامر ربك قائلا له ما بين ايدينا اي يقول ذلك على سبيل الاعتذار في
البطء عنك بان ربك متصرف فينا ليس لنا ان نتصرف الا بمشيئته واخبارا منه
تعالى ليسر نبيك وان تاخر عنك الوحي وارتفع رب السموات على البدل وعلى خبر
مبتدا محذوف **وقرا** الجمهور هل تعلم باظهار اللام عند التاء **وقراءة** الاخوان
وهشام وعلي بن نصر وهرون كلاهما عن ابي عمرو والحسن والاعمش وعيسى وابن محيصن
بالادغام فيهما قال ابو عبيدة هما لغتان وعلى الادغام انشدوا •

بيت من اراجيز العقيلي ٥

• فذر ذا ولكن هل تعين متيما • على ضوء برق اخر الليل ناصب ٥

وعدي فاصطبر باللام على سبيل التضمين اي اثبت بالصبر لعبادته لان العبادة
تورد شدائد فاثبت لها واصله التعدية بعلى كقوله تعالى واصطبر عليها والسمي
من يوافق في الاسم تقول هذا سميك اي اسمه مثل اسمك فالمعنى انه لم يسم بلفظ
الله شي قط وكان المشركون يسمون اصنامهم الهة والعزى اله واما لفظ الله
فلم يطلقوه على شي من اصنامهم وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره وقيل يحتمل
ان يعود على ذلك على قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل تعلم من
يسمى ويوصف بهذا الوصف اي ليس احد من الامم يسمي شيئا بهذا الاسم سوى الله
وقال مجاهد وابن جبير وقتادة سميا مثلا وشبيها وروي ذلك عن
ابن عباس ايضا قال ابن عطية وكان التسمي بمعنى المساميي والمضاهي فهو من

السمو وهذا قول حسن ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى يعني لم يجعل له من قبل سميا وقال
غيرهم يقال فلان سمي فلان اذا شاركه في اللفظ وسميه اذا كان مماثلا له في صفاته
الجميلة ومناقبه ومنه **قول الشاعر ٥**

• فانت سمي للزبير ولست للزبير سميا اذا غدا ما له مثل ٥

وقال الزجاج هل تعلم احدا يستحق ان يقال له خالق وقادر الا هو وقال
الضحاك ولدا ردا على من يقول ولد الله ٥ ويقول الانسان أئذا ما مت
لسوف اخرج حيا • اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا • فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا • ثم لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتيا • ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا • وان منكم الا وارد
كان على ربك حتما مقضيا • ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا • واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا **ش** قيل سبب النزول
ان رجلا من قريش قيل هو ابي بن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه وقال للرسول ايبعث
هذا وكذب وسخر واسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم •

كقول الفرزدق ٥

• فسيف بني عبس وقد ضربوا به • نبا بيدي ورقاء عن راس خالد ٥

اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
او للجنس الكافر المنكر للبعث او المعني ابي بن خلف او العاصي بن وائل او ابو جهل او الوليد
ابن المغيرة اقوال **وقراءة** الجمهور ائذا بهمزة الاستفهام **وقرات فرقة** منهم ابن ذكوان
بخلاف عنه اذا بدون همزة الاستفهام **وقراءة** الجمهور لسوف باللام **وقراءة** طلحة
ابن مصرف ساخرج بغير لام وسين الاستقبال عوض سوف فعلى قراءته يكون اذا معمولا
لقوله ساخرج لان حرف التنفيس لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله على رغبه
خلافا لشاذ وصاحبه محجوج بالسماع **قال الشاعر ٥**

• فلما رأته امنا هان وجدها • وقالت ابونا هكذا سوف يفعل ٥

فهكذا منصوب بيفعل وسوف حرف الاستقبال وحكى الزمخشري ان طلحة بن مصرف قرأ
لساخرج واما على قراءة الجمهور وما نقله الزمخشري من قراءة طلحة فاللام لام الابتداء
فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فيقدر العامل محذوفا من معنى لسوف اخرج تقديره
اذا ما مت ابعث وقال الزمخشري **فان قلت** لام الابتداء الداخلة على المضارع
تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال **قلت** لم تجامعها الا مخلصة
للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف انتهى
وما ذكر من ان اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك
يسقط السؤال واما قوله كما اخلصت الهمزة الى اخره فليس ذلك الا على مذهب من
يزعم ان الاصل فيه اله واما من يزعم ان اصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض
اذ لم يحذف منه شي ولو قلنا ان اصله اله وحذفت فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه
في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما

ته

قوله عز وجل
ويقول الانسان

ها

جاز حذفها في النداء فقالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء
شاذ وقال ابن عطية واللام في قوله لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا
المعنى كأن قائلا قال للكافر إذا مت يا فلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام على
الكلام على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الأول انتهى ولا يحتاج إلى هذا
التقدير ولا أن هذا حكاية لقول تقدم بل هذا من كلام الكافر استفهام فيه معنى الجحد والإنكار
ومن قرأ إذا ما فإما أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه وإما أن تكون أخبارا
على سبيل الهزء والتهكم بمن يقول ذلك إذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى **وقرأ**
الجمهور أخرج مبنيا للمفعول **وقرأ** الحسن وأبو حيوة مبنيا للفاعل وقال الزمخشري
وإيلاؤه أي وإيلاء الظرف حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة
منكرة ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان
أسأت إليه **وقرأ** أبو بحرية والحسن وشيبة وابن أبي ليلى وابن مناذر وأبو حاتم
ومن السبعة عاصم وابن عامر ونافع أولا يذكر خفيفا مضارع ذكر **وقرأ** باقي السبعة
بفتح الذال والكاف وتشديدهما أصله يتذكر أدغم التاء في الذال **وقرأ** أبي يتذكر
على الأصل قال الزمخشري الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين
المعطوف عليه وحرف العطف انتهى وهذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أن حرف
العطف إذا تقدمته الهمزة فإنما عطفت ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة
لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف
عليه ما بعد الواو فيقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه
هذه المقالة أنا خلقناه من قبل أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف إلى الوجود
فكيف ينكر النشأة الثانية وهذه الحجة في غاية الاختصار والإلزام للخصم ويسمى
هذا النوع الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وقد تقرر هذا
الاحتجاج في القرآن ولم يك شيئا إشارة إلى العدم الصرف وانتفاء الشيئية
عند من يدعي أن المعدوم لا يسمى شيئا وقال أبو علي الفارسي ولم يك شيئا موجودا
وهي نزعة اعتزالية وأن المحذوف المضاف إليه قبل في التقدير فقدره بعضهم من قبل
بعثه وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه انتهى ولما
أقام تعالى الحجة الدامغة على حقية البعث أقسم على ذلك باسمه مضافا إلى
رسوله تشريفا له وتفخيما لقدره وقد تكرر هذا القسم في القرآن تعظيما لحقه ورفعا
منه كما رفع من شأن السماء والأرض بقوله فورب السماء والأرض إنه لحق والواو
في والشياطين للعطف أو بمعنى مع يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم
يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وهذا إذا كان الضمير في لنحشرنهم للكفرة
وهو قول ابن عطية وما جاء بعد ذلك فهو من الإخبار عنهم وبدأ به الزمخشري والظاهر
أنه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين كما فرق
في الجزاء وأحضروا جميعا ووردوا النار ليعاين المؤمنون الأهوال التي نجوا منها
فيسروا بذلك ويشمتوا بأعدائهم الكفار وإذا كان الضمير عاما فالمعنى أنهم

يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف
للحساب قبل الوصول إلى الثواب والعقاب وقال تعالى في حالة الموقف وترى
كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها وجثيا حال مقدرة وعن ابن عباس قعودا
وعنه جماعات جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة وقال مجاهد
والحسن والزجاج على الركب وقال السدي قياما على الركب لضيق المكان بهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد
والجمهور بضمها ثم لننزعن أي لنخرجن كقوله ونزع يده وقيل لنرمين من نزع القوس
وهو الرمي بالسهم والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب قال أبو الأحوص نبدأ
بالأكابر فالأكابر جرما وقال الزمخشري يمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد
أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار
على الترتيب فقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم والضمير في أيهم عائد على المحشورين
المحضرين **وقرأ** الجمهور أيهم بالرفع وهي حركة بناء على مذهب **س** فأيهم مفعول
بننزعن وهي موصولة وأشد خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة لأيهم وحركة إعراب
على مذهب الخليل ويونس على اختلاف في التخريج وأيهم أشد مبتدأ وخبر محكي
على مذهب الخليل أي الذين يقال فيهم أيهم أشد وفي موضع نصب فيعلق عنه
لننزعن على مذهب يونس والترجيح بين هذه المذاهب مذكور في علم النحو وقال
الزمخشري ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم
من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد
عتيا انتهى فتكون أيهم موصولة خبر مبتدأ محذوف وهذا تكلف وادعاء إضمار
لا ضرورة تدعو إليه وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين وقرن الخليل
تخريجه **بقول الشاعر**

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي فأبيت يقال فيّ لا حرج ولا محروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عن النحاة
أنه غلط **س** في هذه المسألة قال **س** ويلزم على هذا أن يجوز اضرب السارق
الخبيث الذي يقال له قيل وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة
وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة ومذهب الكسائي أن معنى لننزعن
لننادين فعومل معاملته فلم تعمل في أي انتهى ونقل هذا عن الفراء قال
المهدوي ونادى تعلق إذا كان بعده جملة نصب فتعمل في المعنى ولا تعمل في
اللفظ وقال المبرد أيهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعنى من الذين
تشايعوا أيهم أشد كأنهم يتبادرون إلى هذا ويلزمه أن يقدر مفعولا لننزعن
محذوفا وقدر أيضا في هذا المذهب من الذين تشايعوا أيهم أي من الذين تعاونوا
فنظروا أيهم أشد قال النحاس وهذا قول حسن وقد حكى الكسائي أن التشايع
هو التعاون وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول في أيهم معنى الشرط
تقول ضربت القوم أيهم غضب المعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا فعلى هذا يكون
التقدير إن اشتد عتوهم أو لم يشتد **وقرأ** طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء

استاذ الفراء وزائدة عن الاعمش ايهم بالنصب مفعولا بلننزعن وهاتان القراءتان
تدل على ان مذهب س انه لا يتحتم فيها البناء اذا اضيفت وحذف صدر صلتها
وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي ان يكون فيه على مذهبه البناء والاعراب قال ابو عمر
الجرمي خرجت من البصرة فلم اسمع منذ فارقت الخندق الى مكة احدا يقول لاضربن
ايهم قائم بالضم بل ينصبها انتهى وقال ابو جعفر النحاس وما علمت احدا من النحويين
الا وقد خطأ س وسمعت ابا اسحاق يعني الزجاج يقول ما تبين ان س غلط في كتابه
الا في موضعين هذا احدهما قال وقد اعرب س ايا وهي مفردة لانها تضاف فكيف
يبنيها وهي مضافة ه وعلى الرحمن متعلق باشد وعتيا تمييز محول من المبتدا تقديره
ايهم هو عتوه اشد على الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في اشد العذاب
او فيبدا بعذابه ثم بمن دونه الى اخرهم عذابا وفي الحديث انه تبدو عنق من النار
فتقول اني امرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم وفي بعض الاثار يحضرون جميعا حول جهنم
مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر قال ابن عباس عتيا جراءة وقال
مجاهد فجرا وقيل افترا بلغة تميم وقيل عتيا جمع عات فانتصابه على الحال ثم لنحن
اعلم اي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا في غير موضعه لانا قد احطنا علما بكل احد فاولى
بصلي النار نعلمه قال ابن جريج اولى بالخلود وقال الكلبي صليا دخولا وقيل لزوما
وقيل جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق باولى والواو في قوله وان منكم
للعطف وقال ابن عطية وان منكم الواو وردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول
النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم انتهى
وذهل عن قول النحويين انه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان
الجواب باللام او بان والجواب هنا جا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم
على ما نصوا وقوله والواو تقتضيه يدل على انها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي
الى مثل هذه الواو واو قسم لانه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقا الجار ولا يجوز ذلك
الا ان وقع في شعر او نادر كلام بشرط ان تقوم صفة المحذوف مقامه كما اولوا في
قولهم نعم السير على بيس العير اي على عير بيس العير وقول الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه ه اي برجل نام صاحبه وهذه الاية ليست من هذا الضرب
اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه وقرا الجمهور منكم بكاف الخطاب
والظاهر انه عام للخلق وانه ليس الورود الدخول لجميعهم فعن ابن مسعود والحسن
وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء
ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد ولم تدخله ولكن
قربت منه او وصلت اليه قال الشاعر

فلما وردن الماء زرقا جمامه ● وضعن عصي الحاضر المتخيم ه

وتقول العرب وردنا ما بني تميم وبني كلب اذا حضروهم ودخلوا بلادهم وليس يراد به
الما بعينه وقيل الخطاب للكفار اي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول
وعلى قول من قال الخطاب عام وان المؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن
لا تضر المؤمنين وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي

هذا لشناعة قولهم ان المؤمنين يدخلون النار وان لم تضرهم وقرا ابن عباس
وعكرمة وجماعة وان منهم بالها للغيبة على ما تقدم من الضمائر وقال
الزمخشري ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى
بين ه واسم كان مضمر يعود على الورود اي كان ورودهم حتما اي واجبا قضي به
وقرا الجمهور ثم بحرف العطف وهذا يدل على ان الورود عام وقرا عبد الله
وابن عباس وابي وعلي والجحدري وابن ابي ليلى ومعاوية بن قرة ويعقوب
ثم بفتح الثاء اي هناك ه ووقف ابن ابي ليلى عليه بها السكت وقرا الجمهور
ننجي بفتح النون وتشديد الجيم وقرا يحيى والاعمش والكسائي وابن محيصن
باسكان النون وتخفيف الجيم وقرات فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم
مشددة وقرا علي ننحي بحا مهملة مضارع نحى ومفعول اتقوا محذوف اي الشرك
والظلم هنا ظلم الكفر ه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات نزلت في النضر بن الحارث
واصحابه كانوا يفتخرون على الصحابة في خشونة عيشهم ورثاثة سربالهم والمشركون يدهنون
رؤسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس فقالوا للمؤمنين
اي الفريقين خير مقاما اي منزلا ومسكنا واحسن نديا ولما قامت الحجة على منكري
البعث واتبعه بما يكون يوم القيامة اخبر عنهم انهم عارضوا تلك الحجة الداحضة
بحسن شاراتهم في الدنيا وذلك عندهم يدل على كرامتهم على الله وقرا ابو حيوة
والاعرج وابن محيصن يتلى بالياء والجمهور بالتاء من فوق كان المؤمن يتلو على
الكافر القران ويلوم بايات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الكافر انما يحسن الله
لاحب الخلق اليه وينعم على اهل الحق ونحن قد انعم علينا دونكم فنحن اغنيا وانتم
فقرا ونحن احسن مجلسا واجمل شارة ومعنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات
المعاني او ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين وبينات حال مؤكدة لان اياته
تعالى لا تكون الا بهذا الوصف دايما وقرا الجمهور مقاما بفتح الميم وقرا ابن كثير
وابن محيصن وحميد والجعفي وابو حاتم عن ابي عمرو بضم الميم واحتمل الفتح والضم
ان يكون مصدرا او موضع قيام او اقامة وانتصابه على التمييز ه ثم ذكر تعالى كثرة
ما اهلك من القرون ممن كان احسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على انه تعالى يهلكهم
ويستاصل شافتهم كما فعل بغيرهم وان تعاظم المصران كانوا ممن يتعظ ولم تغن عنهم
ما كانوا فيه من حسن الاثاث والري ويعني اهلاك تكذيب لما جات به الرسل ومن
قرن تبيين لكم وكم مفعول باهلكنا وقال الزمخشري وهم احسن في محل النصب
صفة لكم الا ترى انك لو تركتهم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية انتهى
وتابعه ابو البقا على ان هم احسن صفة لكم ونص اصحابنا على ان كم الاستفهامية
والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون هم احسن في موضع الصفة لقرن
وجمع لان القرن مشتمل على افراد كثيرة فروعي معناه ولو افرد الضمير على اللفظ
لكان عربيا كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون وقالوا نحن جميع منتصر فوصف
بالجمع وبالمفرد وتقدم تفسير الاثاث في سورة النحل وقرا الجمهور ورئيا بالهمز
من رؤية العين فعل بمعنى مفعول كالطحن والسقي وقال ابن عباس الري المنظر

وقال الحسن معناه صورًا وقال الزهري وابو جعفر وشيبة وطلحة في رواية
الهمداني وايوب وابن سعدان وابن ذكوان وقالون وريًّا بتشديد الياء من غير همز
فاحتمل ان يكون مهموزا الاصل من الرواء والمنظر سهلت همزته بابدالها ياء ثم ادغمت
الياء في الياء واحتمل ان يكون من الري ضد العطش لان الريان من النبات له من الحسن والنضارة
ما يستحب ويستحسن كما له منظر حسن من وجه اخر مما يرى ويقابل وقرا ابو بكر في رواية
الاعمش عن عاصم وحميد وريئا بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب ووزنه
فلعا وكانه من راء قال الشاعر

وكل خليل راءني فهو قائل ... من اجلك هذا هامة اليوم او غد

وقرئ وريا بياء بعدها الف بعدها همزة حكاها اليزيدي واصله وريئا من المراءة
اي يرى بعضهم بعضا حسنه وقرا ابن عباس فيما روي عنه طلحة وريا من غير همز
ولا تشديد فتجاسر بعض الناس وقال هي لحن وليس كذلك بل لها توجيه بان يكون
من الرواء وقلب فصار وريئا ثم نقلت حركة الهمزة الى الياء وحذفت او بان
يكون من الري وحذفت احدى اليائين تخفيفا كما حذفت في الاسماء والمحذوفة
الثانية لانها لام الكلمة لان الثقل انما حصل للكلمة بانضمامها الى الاولى
فهي اولى بالحذف وقرا ابن عباس ايضا وابن جبير ويزيد البربري والاعصم المكي
وزيا بالزاي مشددة الياء وهي البزة الحسنة والالات المجتمعة المستحسنة

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب
واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول
وياتينا فردا واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فليمدد يحتمل ان يكون على معناه من الطلب
ويكون دعاء وكان المعنى الاضل منا ومنكم مده الله له اي امله حتى يؤول الى عذابه
وكان الدعاء على صيغة الطلب لانه الاصل ويحتمل ان يكون خبرا في المعنى وصورته
صورة الامر كانه يقول من كان ضالا من الامم فعادة الله له انه يمد له ولا يعاجله
حتى يفضي ذلك الى عذابه في الاخرة وقال الزمخشري اخرج على لفظ الامر ايذانا
بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضال
ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وكقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما والظاهر ان حتى غاية لقوله فليمدد والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود
لهم فيها الى ان يعاينوا العذاب بنصرة الله المومنين او الساعة ومقدماتها
وقال الزمخشري في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي
هي رابعتها والايات اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به
لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو

قوله عز وجل قل من كان في الضلالة

غلبة

غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين
كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون
عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما
واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم انتهى هذا الوجه وهو في غاية البعد
لطول الفصل بين قوله قالوا اي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض
ولا يجيز ذلك ابو علي قال الزمخشري والثاني ان تتصل بما يليها فذكر نحوا مما قدمناه
وقابل قوله خير مكانا بقوله شر مكانا وقوله واحسن نديا بقوله واضعف جندا
لان الندي هو المجلس الجامع لوجوه القوم والاعوان والانصار والجند هم الاعوان
والانصار واما العذاب واما الساعة بدل من ما المفعولة براوا ومن موصولة
مفعولة بقوله فسيعلمون وتعدى الى واحد واستفهامية والفعل قبلها معلق والجملة
في موضع نصب ولما ذكر امداد الضال في ضلالته وارتباكه في الافتخار بنعم الدنيا
عقب ذلك بزيادة هدى للمهتدي وبذكر الباقيات التي هي بدل من تنعمهم في الدنيا
الذي يضمحل ولا يثبت ومردا معناه مرجعا وتقدم تفسير الباقيات الصالحات
في الكهف وقال الزمخشري يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر
تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه انتهى ولا يصح ان يكون ويزيد معطوفا
على موضع فليمدد سواء كان دعاء ام خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت
من موصولة او في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدا
وجملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر
والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان
يكون في جملة الجزاء ضميره او ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها
وقال الزمخشري يحتمل ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة
او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف
قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت
كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله

شجعاء جرتها الذميل تلوكه ... اصلا اذا راح المطي غراثا

وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم
الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل
في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف
احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده انتهى افرايت الذي كفر باياتنا
نزلت في العاصي بن وائل عمل له خباب بن الارت عملا وكان قينا فاجتمع له عنده
دين فتقاضاه فقال لا انصفك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى
يميتك الله ويبعثك فقال العاصي او مبعوث انا بعد الموت فقال خباب نعم
قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك اقضيك دينك وقال

الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض
ولما كانت رؤية الاشيا سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا
ارايت بمعنى اخبر والفا للعطف افادت التعقيب كانه قيل اخبر ايضا بقصة هذا
الكافر عقيب قصة اوليك والايات القرآن والدلالات على البعث وقرا الجمهور
ولدا وفي الزخرف بفتح اللام والواو وباقي الخلاف في نوح وقرا الاعمش
وطلحة وحمزة والكساي وابن ابي ليلى وابن عيسى الاصبهاني بضم الواو واسكان
اللام فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظا فيه الافراد وان كان مفرد اللفظ
وعلى هذه القراءة فقيل هو جمع كأسد وأسد واحتج قايل ذلك بقول الشاعر

ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا

وقيل هو مرادف للولد بالفتح واحتجوا بقوله

فليت فلانا كان في بطن امه • وليت فلانا كان ولد حمار

وقراءة عبد الله ويحيى بن يعمر بكسر الواو وسكون اللام والهمزة في اطلع للاستفهام
ولذلك عادلتها ام وقرئ بكسر الهمزة في الابتداء وحذفها في الوصل على تقدير
حذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليها كقوله • بسبع رمين الجمر ام بثمان • يريدا
بسبع وجاء التركيب في ارايت على الوضع الذي ذكره س من انها تتعدى لواحد تنصبه
ويكون الثاني استفهاما فاطلع وما بعده في موضع المفعول الثاني لارايت ولما جا
من تركيب ارايت بمعنى اخبرني على خلاف هذا في الظاهر ينبغي ان يرد الى هذا بالتاويل
قال الزمخشري اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع الثنية
قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا • وتقول مر مطلعا لذلك الامر اي
عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان تقول اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى
الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه
لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما
توصل الى ذلك والعهد قيل كلمة الشهادة وقال قتادة هل له عمل صالح قدمه
فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وكلا ردع وتنبيه
على الخطا وهو مخطي فيما تصوره لنفسه وتمناه فليرتدع عنه وقراءة ابو نهيك كلا
بالتنوين فيهما هنا وهو مصدر من كل السيف كلا اذا نبا عن الضريبة وانتصابه على اضمار
فعل من لفظه وتقديره كلوا كلا عن عبادة الله او عن الحق ونحو ذلك وكنى بالكتابة
عن ما يترتب عليها من الجزاء فلذلك دخلت السين التي للاستقبال اي سنجازيه
على ما يقوله وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما سيظهر له ويعلم انا كتبنا
قوله على طريقة قوله

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بن لئيمة والثاني
ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به
الزمان واستاخر فجردها هنا لمعنى الوعيد انتهى وقراءة الجمهور سنكتب بالنون
والاعمش بيا مضمومة والتا مفتوحة مبنيا للمفعول وذكرت عن عاصم ونمد له
نطول له من العذاب الذي يعذب به المستهزئون او نزيد من العذاب ونضاعف

له من المدد وقراءة علي بن ابي طالب ونمد له بضم النون من امد بمعنى مد ونرثه ما يقول اي
نسلبه المال والولد فيكون كالوارث له وقال الكلبي نجعل ما يتمنى من الجنة لغيره
وقال ابو سهل نحرمه ما تمناه من المال والولد ونجعله لغيره قال الزمخشري ويحتمل
انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان
تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول
الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا
فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الاية فما يجدي
عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا
قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قايل
له انتهى وقال النحاس ونرثه ما يقول معناه نحفظه عليه للعاقبة
ومنه العلماء ورثة الانبيا اي حفظة ما قالوه انتهى وفردا تتضمن ذلته
وعدم انصاره ويقول صلة ما مضارع والمعنى على المضي اي ما قال والضمير
في واتخذوا العبادة الاصنام وقد تقدم ما يعود عليه وهم الظالمون في قوله
ونذر الظالمين فكل ضمير جمع مما بعده عايد عليه ان كان مما يمكن عوده عليه
واللام في ليكونوا لام كي اي ليكونوا اي الالهة لهم عزا يتعززون بها في النصرة
والمنفعة والانقاذ من العذاب كلا قال الزمخشري كلا ردع لهم وانكار
لتعززهم بالالهة وقراءة ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب بن جني كلا
بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد كلا
ولقايل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف
عليها الفها نونا كما في قواريرا انتهى فقوله وقرا ابن نهيك الذي ذكر بن خالويه
وصاحب اللوامح وابن عطية ابو نهيك بالكنية وهو الذي يحكي عنه القراءة
في الشواذ وانه قرا كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه ابو الفتح وقال
ابن عطية وهو نعت للالهة قال وحكى عنه اي عن ابي نهيك ابو عمرو
الداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون
تقديره يرفضون او يتركون او يجحدون او نحوه واما قول الزمخشري ولقايل
ان يقول الى اخره فليس بجيد لانه قال انها التي للردع والتي للردع حرف
ولا وجه لقلب الفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد لان قواريرا اسم
رجع به الى اصله فالتنوين ليس بدلا من الف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع
مختلف فيه ايتحتم منع صرفه ام يجوز ايضا ومنقول ايضا ان لغة للعرب
يصرفون ما لا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين اما على قول من لا يرى
بالتحتم او على تلك اللغة وذكر الطبري عن ابي نهيك انه قرا كل بضم الكاف
ورفع اللام ورفعه على الابتداء والجملة بعده الخبر وتقدم ظاهر وهو الالهة
وتلاه ضمير في قوله فيكونوا فالاظهر ان الضمير في سيكفرون عايد على اقرب مذكور
محدث عنه فالمعنى ان الالهة سيجحدون عبادة هولا اياهم كما قال واذا

راي الذين اشركوا شركاءهم وفي اخرها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ونكون الهة مثنا مخصوصا بمن يعقل او يجعل الله للالهة عقلا العاقلة ادراكا تنكر به عبادة عابديه ويجوز ان يكون الضمير للمشركين يتكرون لسوء العاقبة ان يكونوا كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لكن قوله ويكونون يرجح القول الاول لاتساق الضماير لواحد وعلى القول الاخر يختلف الضماير اذ يكون في سيكفرون للمشركين وفي ويكونون للالهة ومعنى ضدا اعوانا قاله ابن عباس وقال الضحاك اعداء وقال قتادة قرنا وقال ابن زيد بلاء وقال ابن عطية معناه يجيئهم منهم خلاف ما كانوا املوه فيؤول بهم ذلك الى ذلة ضد ما املوه من العز فالضد هنا مصدر وصف به الجمع كما يوصف به الواحد وقال الزمخشري والضد العون وحد توحيد وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشي واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كونهم عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتهم ﴿الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا • فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا • يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا • لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • لقد جئتم شيئا ادا • تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا • ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا • لقد احصاهم وعدهم عدا • وكلهم اتيه يوم القيامة فردا • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا • فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا﴾ ارسلنا معناه سلطنا او لم نحل بينهم وبينهم مثل قوله نقيض له شيطانا وتعديته بعلى دليل على انه تسليط وتؤزهم تحركهم الى الكفر وقال قتادة تزعجهم وقال ابن زيد تسليهم وقال الزمخشري تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شئنا لمنعهم والمراد تعجيب رسول الله بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة من الكفار واقاويلهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا يعجل عليهم بان يهلكوا فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى وقيل نعد اعمالهم لنجازيهم وقيل اجالهم فاذا جاء اجلنا العقوبة بهم وقيل ايامهم التي سبق قضاؤنا ان نمهلهم اليها وقيل انفاسهم وانتصب يوم باذكر او احذر مضمرة او على تقدير يكون ذلك جوابا لسوال مقدر تقديره متى يكون ذلك او سيكفرون بعبادتهم او يكونون عليهم ضدا او معنى نعد او تضمن العد والاحصاء

قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا

معنى

معنى المجازاة او يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او بلا يملكون وكلها منقول في نصب يوم والاوجه الاخير وعدي نحشر بالى الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صفة الرحمانية التي خصهم بها كرامة اذ لفظ الحشر فيه جمع من اماكن متفرقة واقطار شاسعة على سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن موذنة بانهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظ السوق فيه ازعاج وهوان عدي بالى جهنم تقطيعا لهم وتشنيعا لحال المجرمين ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وعنه ايضا انهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد وروي عمرو بن قيس الملائي انهم يركبون تماثيل من اعمالهم الصالحة هي في غاية الحسن روي انه يركب كل احد منهم ما احب من ابل او خيل او سفن تجيء عائمة بهم والظاهر انه ذهاب الوفادة بعد انقضاء الحساب وانها النهوض الى الجنة كما قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر وشبهوا بالوفود لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا وليست وفادة حقيقة لانها تتضمن الانصراف من الموفود عليه وهولاء مقيمون ابدا في ثواب ربهم وسوى الجنة والورد العطاش قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن والورد مصدر ورد اي سار الى الماء قال الراجز

ردي ردي ورد قطاة صما • كدرية اعجبها برد الماء

والماكان من يرد الماء لا يرده الا لعطش اطلق الورد على العطاش تسمية للشي بسببه وقرا الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق المجرمون مبنيا للمفعول والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذ هم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير او نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار وقيل موضعه على الحال من الضمير في لا يملكون ويكون عائدا على المجرمين والمعنى غير مالكين ان يشفع لهم ويكون على هذا الاستثناء منقطعا وقيل الضمير في لا يملكون عائد على المتقين والمجرمين والاستثناء متصل وقيل عائد على المتقين واتخاذ العهد هو العمل الصالح الذي يحصل به في حيز من يشفع وتظافرت الاحاديث على ان اهل العلم والصلاح يشفعون فيشفعون وفي الحديث ان في امتي رجلا يدخل الله بشفاعته اكثر من بني تميم وقال قتادة كنا نحدث ان الشهيد يشفع في سبعين وقال بعض من جعل الضمير للمتقين المعنى لا يملك المتقون الشفاعة الا لهذا الصنف فعلى هذا يكون من اتخذ للمشفوع فيهم وعلى هذا وعلى الاول يكون من اتخذ استثناء فعلى التقدير على التاويل الثاني لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ فيكون في موضع نصب كما قال فلم يدر الا الجفن سيف ومئزرا ٥ اي لم يدر لني الاجفن سيف وعلى هذه الاقوال الواو ضمير وقال الزمخشري ويجوز ان يكون تعني الواو في لا يملكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع انتهى ولا ينبغي حمل القران على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الاستاد

ابو الحسن بن عصفور انها لغة ضعيفة وايضا قالوا والالف والواو والنون التي
تكون علامات لا ضماير لا تحفظ ما يجي بعدها فاعلا الا بصيغة الجمع وصيغة
التثنية او العطف اما ان ياتي بلفظ مفرد يطلق على جمع او على مثنى فيحتاج في
اثبات ذلك الى نقل واما عود الضماير مثناة ومجموعة على مفرد في اللفظ يراد
به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب على انه يمكن قياس هذه
العلامات على تلك الضماير ولكن الاحفظ ان لا يقال ذلك الا بسماع
وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب يعني من على تقدير حذف المضاف اي الا
شفاعة من اتخذ والعهد منا قال ابن عباس لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي الحديث من قال لا اله الا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد
وقال السدي العهد الطاعة وقال ابن جريج العمل الصالح وقال
الليث حفظ كتاب الله وقيل عهد الله اذن لمن شاء في الشفاعة من عهد
الامر الى فلان بكذا اي امره به اي لا يشفع الا الماموريا لشفاعة الماذون له
فيها ويويده ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن له الرحمن لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا
ويرضى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم اخبر
انهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المومنون فانهم سيشفع فيهم فيكون
الاستثنا متصلا وفي الحديث لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال
لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي انتهى وحمل المجرمين على
الكفار والعصاة بعيد وقال ابن عطية ايضا ويحتمل ان يراد بمن اتخذ محمد
عليه السلام والشفاعة الخاصة لمحمد العامة للناس وقوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والضمير في لا يملكون لاهل الموقف انتهى
وفيه بعض تلخيص وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير في قالوا عايد على بعض
اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض
مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله لقد جيتم اي قل لهم يا محمد
لقد جيتم ويكون التفاتا خرج من الغيبة الى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجراة
على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا **وقرا** الجمهور ادا بكسر الهمزة
وعلي بن ابي طالب وابو عبد الرحمن بفتحها اي شيا ادا حذف المضاف واقيم
المصدر مقامه **وقرا** نافع والكساي يكاد بالياء من تحت وكذا في الشورى
وهي قراة ابي حيوة والاعمش **وقرا** باقي السبعة بالتاء **وقرا** ينفطرن
مضارع انفطر ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وابن عامر هنا وهي قراة ابي بحرية
والزهري وطلحة وحميد واليزيدي ويعقوب وابي عبيد **وقرا** باقي السبعة
يتفطرن مضارع تفطر والتي في الشورى قراها ابو عمرو وابو بكر عن عاصم بالياء
والنون وباقي السبعة بالياء والتاء والتشديد **وقرا** ابن مسعود يتصدعن
وينبغي ان يجعل تفسيرا لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه ولرواية الثقات
عنه كقراة الجمهور وقال الاخفش تكاد تريد وكذلك قوله اكاد اخفيها وانشد

شاهدا

شاهدا على ذلك **قول الشاعر**

كادت وكدت وتلك خير ارادة • لو عاد من زمن الصبابة ما مضى

ولا حجة في هذا البيت والمعروف ان الكيدودة مقاربة الشي وهذه الجمل
عند الجمهور من باب الاستعارة لبشاعة هذا القول اي هذا حقه لو فهمت
الجمادات قدره وهذا مهيع للعرب **قال جرير**

لما اتى خبر الزبير تواضعت • سور المدينة والجبال الخشع

وقال اخر

الم تر صدعا في السما مبينا • على ابن لبيني الحارث بن هشام

وقال الاخر

فاصبح بطن مكة مقشعرا • كان الارض ليس بها هشام

وقال اخر

بكى حارث الجولان من فقد ربه • وحوران منه خاشع متضايل

حارث الجولان موضع وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات **قلت**
فيه وجهان احدهما ان الله يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل
بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض الاية والثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده
وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي
قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر انتهى وقال ابن عباس ان هذا الكلام فزعت
منه السموات والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكدن ان يزلن منه
تعظيما لله تعالى وقيل المعنى كادت القيامة ان تقوم فان هذه الاشيا تكون حقيقة
يوم القيامة وقيل تكاد السموات يتفطرن اي تسقط عليهم وتنشق الارض
اي تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تنطبق عليهم وقال ابو مسلم تكاد تفعل ذلك
لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وانتصب هدا عند النحاس على المصدر قال لان
معنى تخر تنهد انتهى وهذا على ان يكون هدا مصدر الهد الحايط يهد بالكسر هديدا
وهدا وهو فعل لازم وقيل هدا مصدر في موضع الحال اي مهدودة وهذا على ان يكون
هدا مصدر هد الحايط اذا هدمه وهو فعل متعد واجاز الزمخشري ان يكون
مفعولا له اي لانها تنهد واجاز الزمخشري في ان دعوا ثلاثة اوجه قال
ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه **كقوله**

• على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم •

وهذا فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والبدل منه بجملتين قال ومنصوبا بتقدير
سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء
الولد للرحمن وهذا فيه بعد لان الظاهر ان هدا لا يكون مفعولا بل مصدر من
معنى وتخر او في موضع الحال قال ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعا الولد

للرحمن ومنذا فيه بعد لان ظاهر هذا ان يكون مصدرا تاكيديا والمصدر التوكيدي
لا يعمل ولو فرضناه غير توكيد لم يعمل بقياس الا ان كان امرا او استفهاما عند نحو ضربا
زيدا واضربا زيدا على خلاف فيه واما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري اي هدها
دعا الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك متؤولا دل **كقوله**
وقوفا بها صحبي على مطيهم ◦ اي وقف صحبي وقال الحوفي وابو البقاء ان
دعوا في موضع نصب مفعول له ولم يبينا العامل فيه وقال ابو البقاء ايضا
هو في موضع جر على تقدير اللام قال وفي موضع رفع اي الموجب لذلك دعاؤهم
ومعنى دعوا سموا وهي تتعدى الى اثنين حذف الاول منهما والتقدير سموا
معبودهم ولدا للرحمن اي بولد لان دعا هذه تتعدى لاثنين ويجوز دخول الباء على
الثاني تقول دعوت ولدي بزيد او دعوت ولدي زيدا ◦

وقال الشاعر ◦

دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن ◦ اخاها ولم ارضع لها بلبان

وقال اخر ◦

الا رب من يدعى نصيحا وان يغب ◦ تجده بغيب منك غير نصيح

وقال الزمخشري اقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة
بكل ما دعي له ولدا قال او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه
السلام من ادعى الى غير مواليه **وقول الشاعر** ◦

انا بني نهشل لا ندعي لاب ◦ اي لا ننتسب اليه انتهى وكون دعوا هنا بمعنى
سموا هو قول الاكثرين وقيل دعوا بمعنى جعلوا وينبغي مطاوع بغى بمعنى طلب
اي وما يتأتى له اتخاذ الولد لان التوالد مستحيل والتبني لا يكون الا فيما هو
من جنس المتبني وليس له تعالى جنس وينبغي ليس من الافعال التي لا تتصرف بل سمع لها
الماضي قالوا انبغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الافعال التي لا تتصرف وهو
غلط ومن موصولة بمعنى الذي اي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي
لانها تاتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق ونحو وكل الذي حملتني
اتحمل وقال الزمخشري من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها
بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره ◦ انتهى والاولى جعلها
موصولة لان كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل **وقرا** عبد الله وابن الزبير
وابو حيوة وطلحة وابو بحرية وابن ابي عبلة ويعقوب آت بالتنوين
الرحمن بالنصب والجمهور بالاضافة وآت خبر كل وانتصب عبدا على الحال
وتكرر لفظ الرحمن تنبيها على انه لا يستحق هذا الاسم غيره اذ اصول النعم
وفروعها منه ومن في السموات والارض يشمل من اتخذوه معبودا من الملائكة
وعيسى وعزير بحكم ادعائهم صحة التوالد او بحكم زعمهم ذلك فاشركوهم
في العبادة اذ خدمة الابناء خدمة الآباء فاخبر تعالى انه ما من معبود لهم
في السموات او في الارض الا ياتي الرحمن عبدا منقادا لا يدعي لنفسه شيئا
مما نسبوه اليه ثم ذكر تعالى انه احصاهم واحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته

احد

احد منهم وانتصب فردا على الحال اي منفردا ليس معه احد ممن جعلوهم شريكا له
وخبر كلهم آتيه فردا وكل اذا اضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس
فالمنقول انه يجوز ان يعود الضمير مفردا على لفظ كل فيقول كلكم ذاهب ويجوز ان يعود
جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم بن اصبغ في كتاب رؤوس
المسائل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جاء لفظ الزمخشري في تفسير هذه
الاية في الكشاف وكلكم منقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وقد خدش في ذلك
ابو زيد السهيلي فقال كل اذا ابتديت وكانت مضافة لفظا يعني الى معرفة فلا
يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب اي كل واحد منكم ذاهب
هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث والكلام الفصيح **فان قلت** في قوله
وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد **قلنا** بل هو اسم للجمع واسم
الجمع لا يخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان كان
لفظ القوم كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب
فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى ويحتاج في اثبات كلكم ذاهبون بالجمع
ونحوه الى سماع ونقل عن العرب اما ان حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب
الوجهان والسين في سيجعل للاستقبال فاحتمل ان يكون هذا الجعل في الدنيا
وجيء باداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا
ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك اذا ظهر الاسلام وقتا واحتمل ان يكون ذلك
في الدنيا على الاطلاق كما في الترمذي قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل
اني قد احببت فلانا فاحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض
فذلك قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الى
آخر الحديث وقال هذا حديث صحيح قال ابن عطية ويحتمل ان تكون الاية متصلة
بما قبلها في المعنى اي ان الله تعالى لما اخبر عن اتيان كل من في السموات والارض في حال
العبودية والانفراد انس المؤمنين بانه سيجعل لهم في ذلك اليوم ودا وهو ما
يظهر عليهم من كرامته لان محبة الله للعبد انما هي ما يظهر عليه من نعمه وامارات
غفرانه انتهى وقال الزمخشري واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم
الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وقال ايضا والمعنى
سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم
ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة
او اصطناع مبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه
لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما
لهم واجلالا لمكانهم انتهى وقيل في الكلام حذف والتقدير سيدخلهم دار
كرامته ويجعل لهم ودا بسبب نزع الغل من صدورهم بخلاف الكفار فانهم
يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وفي النار ايضا يتبرأ بعضهم
من بعض **وقرا** الجمهور ودا بضم الواو **وقرا** ابو الحارث الحنفي بفتحها **وقرا** جناح
ابن حبيش ودا بكسر الواو وقيل نزلت هذه الاية في عبد الرحمن بن عوف كان لليهود

والنصارى والمنافقون يجبهونه وكان لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكا ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل نزلت في المهاجرين الى الحبشة مع جعفر
ابن ابي طالب الى الله لطفهم ود ابي قلب النجاشي وذكر الثعلبي انها نزلت في علي
ابن ابي طالب وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا واهل بيته
انتهى **ومن غريب** هذا ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله
محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي رحمه الله لزيننا ابن اسحق النفراني الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه * اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وذكر ابو محمد بن حزم ان بغض علي من الكبائر ٥ والضمير في يسرناه عائد على القرآن اي
انزلناه عليك ميسرا سهلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين لتبشر به
المتقين اي تخبرهم بما يسرهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم واللد جمع الد قال
ابن عباس لدا ظلمة ومجاهد فجارا والحسن صما وابو صالح عوجا عن الحق وقتادة
ذوي جدل بالباطل آخذين في كل لديد بالمراء اي في كل جانب لفرط لجاجهم يريد اهل
مكة ٥ وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار بالاهلاك بالعذاب والضمير في قوله قبلهم
عائد على قوما لدا وهل تحس استفهام معناه النفي اي لا تحس **وقرأ** الجمهور هل تحس
مضارع احس **وقرأ** ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة وابو جعفر المدني تحس
بفتح التاء وضم الحاء **وقرئ** تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات
وقرأ حنظلة او تسمع مضارع اسمعت مبنيا للمفعول قال ابن عباس الركز الصوت
الخفي وقال ابن زيد الحس وقال الحسن لما اتاهم عذابنا لم يبق منهم شخص يرى ولا
صوت يسمع وقيل المعنى ماتوا ونسي ذكرهم فلا يخبر عنهم مخبر ٥ **الثرى** التراب الذي
ويبنى ثريات ويقال ثربت التربة بللتها وثريت الارض تثرى ثرى فهي ثرية
اي بل ترابها بعد الجدوبة واثرت فهي مثرية كثر ثراها وارض ثرية ذات ثرى ٥
وقال ابن الاعرابي يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط للذي يعد ولا يفي ويقال
اني لارى ثرى الغضب في وجه فلان اي اثره ويقال الثرى بيني وبين فلان اذا
انقطع ما بينكما **وقال جرير** *

* فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى * فان الذي بيني وبينكم مثري *

آنس وجد تقول العرب هل آنست فلانا اي وجدته وقيل احس وهو قريب من وجد
قال الحرث بن حلزة ٥

* آنست نبأة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء ٥

القبس جذوة من النار تكون على راس عود او قصبة او نحو فعل بمعنى مفعول
كالقبض والنقض يقال قبست منه نارا اقبس فاقبسني اعطاني منه قبسا ومنه
المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة وغيرها واقتبست منه نارا وعلما اي استفدته
وقال المبرد اقبست الرجل علما وقبسته نارا وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما

المفردات من طه

وقبسته

وقبسته ايضا فيهما **خلع** النعل والنعل معروف وهو ما لبسته من الرجل وقيل النعل
ما هو وقاية للرجل من الارض كان من جلد او حديد او خشب او غيره **طوى** اسم موضع
السعي المشي بسرعة وقد يطلق على العمل **ردي** يردى ردى هلك واردأه اهلكه
قال دريد بن الصمة ٥

* تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي ٥

توكا من الذي يتحامل عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى
وتقدمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله متكأ وشرحت هنا لاختلاف الوزنين
وان كان الاصل واحدا **هش** على الغنم يهش بضم الهاء خبط اوراق الشجر ليسقط
وهش الى الرجل يهش بالكسر قال ثعلب اذا بشر واظهر الفرح به والاصل في هذه
المادة الرخاوة يقال رجل هش **الغنم** معروف وهو اسم جنس مؤنث **المآربة**
بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة وتجمع على مآرب والارية ايضا الحاجة
الحية الحنش يطلق على الذكر والانثى والصغير والكبير وتقدمت مادته وكررت
هنا لخصوصية المدلول وفوله هو حواء للذي يصيد الحيات من باب قوة فالمادتان
مختلفتان كسبط وسبطر **الازر** الظهر قاله الخليل وابو عبيدة والازر القوة
والازر ايضا القوة **وقال الشاعر**

* بمحنية قد آزر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب ٥

القذف الرمي والالقاء **الساحل** شاطئ البحر وهو جانبه الخالي من الماء سمي بذلك
لان الماء يسحله اي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول **وقال ابو تمام** ٥

* هو البحر من اي النواحي اتيته * فلجته المعروف والجود ساحله ٥

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى الا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش
استوى * له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى * وان
تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ٥ هذه
السورة مكية بلا خلاف كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت
قاله علي وقال الضحاك صلى عليه السلام هو واصحابه فاطال القيام لما انزل
عليه القرآن فقالت قريش ما انزل عليه الا ليشقى وقال مقاتل قال ابو جهل
والنضر والمطعم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت ومناسبة هذه السورة لآخر
ما قبلها انه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول في لغته وكان فيما
علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا اكد ذلك بقوله ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة هي البشارة والنذارة وان
ما ادعاه المشركون من انزاله للشقاء ليس كذلك بل انما نزل تذكرة والظاهر
ان طه من الحروف المقطعة نحو يس والر وما اشبههما وتقدم الكلام على
ذلك في اول البقرة وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطا وعكرمة
معنى طه يا رجل فقيل بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالعبرانية وقيل لغة

يمينتمني في عك وقيل في عكل وقال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول
طه وقال السدي معنى طه يا فلان وانشد الطبري في معنى يا رجل في لغة عك

قول شاعرهم

دعوت بطه في القتال فلم يجب * فخفت عليه ان يكون موائلا

وقول الآخر

ان السفاهة طه من خلائقكم * لا بارك الله في القوم الملاعين

وقيل هو اسم من اسماء الرسول وقيل من اسماء الله وقال الزمخشري ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا
على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طه في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين انتهى وكان قد قدم انه تعالى انطقها في لغة
عك في معنى يا رجل ثم تخرص وحزر على عك بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا الياء
طاء وهذا لا يوجد في لغات العرب قلب يا التي للنداء طاء وكذلك حذف
اسم الاشارة في النداء واقرارها التي للتنبيه وقيل طا فعل امر واصله طأ فخففت
الهمزة بابدالها الفا وها مفعول وهو ضمير الارض اي طأ الارض بقدميك ولا
تراوح اذ كان يراوح حتى تورمت قدماه وقرات فرقة منهم الحسن وعكرمة
وابو حنيفة وورش في اختياره طه واصله طأ فحذفت الهمزة بناء على قلبها
في يطأ على حد لا هناك المرتع بنى الامر عليه وادخلت ها السكت واجرى الوصل مجرى
الوقف او اصله طا وابدلت همزته هاء فقيل طه وقرا الضحاك وعمرو بن فايد
طاوي وقرا طلحة ما نزل عليك بنون مضمومة وزاي مكسورة مشددة مبنيا
للمفعول القرآن بالرفع وقرا الجمهور ما انزلنا عليك القرآن ومعنى لتشقى لتتعب
بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك
والشقا يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر
قال الزمخشري اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة
بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة انتهى وقيل اريد رد ما قاله
ابو جهل وغيره مما تقدم ذكره في سبب النزول ولتشقى وتذكرة علة لقوله ما انزلنا
وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف الفاعل اذ ضمير ما انزلنا هو الله وضمير لتشقى
للرسول ولما اتحد الفاعل في انزلنا وتذكرة اذ هو مصدر ذكر والمذكر هو الله وهو
المنزل تعدى اليه الفعل فنصب على ان في اشتراط اتحاد الفاعل خلافا والجمهور
يشترطونه وقال الزمخشري فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن
ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في
واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد
المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها انتهى وليس كون ان تشقى اذا حذف
الجار منصوبا متفقا عليه بل في ذلك خلاف اهو منصوب تعدى اليه الفعل
بعد اسقاط الحرف او مجرور باسقاط الجار وابقاء عمله وقال ابن عطية الا
تذكرة يصح ان ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح ان ينصب باضمار فعل

تقديره

تقديره لكن انزلناه تذكرة انتهى وقدره الزمخشري تخريج ابن عطية الاول فقال
فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف
الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن انتهى
ويعني باختلاف الجنسين ان نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة
التي تكون في لتشقى بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي نقول انه ليس له محل
البتة فيتوهم البدل منه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى انا انزلنا اليك
القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم
وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب
الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له
لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية انتهى وهذا معنى متكلف بعيد من اللفظ وكون
الا تذكرة بدلا من محل لتشقى هو قول الزجاج وقال النحاس هذا وجه بعيد وانكره
ابو علي من قبل ان التذكرة ليست بشقاء وقال الحوفي ويجوز ان تكون تذكرة بدلا من
القرآن ويكون القرآن هو التذكرة واجاز هو وابو البقا ان تكون مصدرا اي لكن
ذكرنا به تذكرة قال ابو البقا ولا يجوز ان تكون مفعولا له لانزلنا المذكور لانه
قد تعدى الى مفعول وهو لتشقى ولا يتعدى الى آخر من جنسه انتهى والخشية باعثة
على الايمان والعمل الصالح وانتصب تنزيلا على انه مصدر لفعل محذوف اي نزل
تنزيلا ممن خلق وقال الزمخشري في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا
جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا
وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب
على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى
تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين انتهى والاحسن ما قدمناه اولا من انه
منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلف اما الاول
ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس
وايضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيل بعض تذكرة فان كان بدلا فيكون
بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على
التذكرة وغيرها واما قوله لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة فليس
كذلك لان معنى الحصر يفوت في قوله انزلناه تذكرة واما نصبه على المدح فبعيد
واما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لان يخشى راس آية وفاصلة فلا يناسب
ان يكون تنزيلا مفعولا بيخشى وقوله فيه وهو معنى حسن واعراب بين عجمة وبعد
عن ادراك الفصاحة وقرا ابن ابي عبلة تنزيل رفعا على اضمار هو وهذه القراءة
تدل على عدم تعلق يخشى بتنزيلا وانه منقطع مما قبله فنصبه على اضمار نزل كما
ذكرناه ومن الظاهر انها متعلقة بتنزيلا ويجوز ان يكون في موضع الصفة
فيتعلق بمحذوف وفي قوله ممن خلق تفخيم وتعظيم لشان القرآن اذ هو منسوب
تنزيله الى من هذه افعاله وصفاته وتحقير لمعبوداتهم وتحريض للنفوس على الفكر
والنظر وكان في قوله ممن خلق التفات اذ فيهما الخروج من ضمير المتكلم وهو

في ما انزلنا الى الغيبة وفيه عادة التفنن في الكلام وهو مما يحسن اذ لا يبقى على
نظام واحد وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم باسناد الانزال الى
ضمير الواحد المعظم نفسه ثم اسناده الى من اختص بصفات العظمة التحلم بشركه
فيهما احد فحصل التعظيم من الوجهين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون انزلنا حكاية
لكلام جبريل والملايكة النازلين معه انتهى وهذا تجويز بعيد بل الظاهر انه
اخبار من الله تعالى عن نفسه والعلى جمع العليا ووصف السموات بالعلى دليل
على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى والظاهر
رفع الرحمن على خبر مبتدا محذوف تقديره هو الرحمن وقال ابن عطية ويجوز ان
يكون بدلا من الضمير المستتر في خلق انتهى واري ان مثل هذا لا يجوز لان البدل
يحل محل المبدل منه والرحمن لا يمكن ان يحل محل الضمير لان الضمير عايد على
من الموصولة وخلق صلته والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط
واجاز الزمخشري ان يكون رفع الرحمن على الابتدا قال يكون مبتدا مشارا بلامه
الى من خلق وروي جناح بن حبيش عن بعضهم انه قرا الرحمن بالكسر قال الزمخشري
صفة لمن خلق يعني لمن الموصول ومذهب الكوفيين ان الاسما النواقص التي لا تتم
الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم
لا يجوز ان يكون الرحمن صفة لمن فالاحسن ان يكون الرحمن بدلا من من وقد
جرى الرحمن في القرآن مجرى العلم في ولايته العوامل وعلى قراة الجر يكون التقدير
هو على العرش استوى وعلى قراة الرفع اذا كان بدلا كما ذهب اليه ابن عطية فكذلك
او مبتدا كما ذكر الزمخشري ففي موضع الخبر او خبر مبتدا كما هو الظاهر فيكون
الرحمن والجملة خبرين من هو المضمرة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الاعراف
وما روي عن ابن عباس من الوقف على قوله على العرش ثم يقرا استوى له ما في
السموات على ان يكون فاعلا لاستوى لا يصح ان شا الله ولما ذكر تعالى انه اخترع
السموات والارض وانه استوى على العرش ذكر انه تعالى له ملك جميع ما حوت
السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى اي تحت الارض السابعة
قاله ابن عامر ومحمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة
وقيل ما تحت الثرى ما هو في باطن الارض فيكون ذلك توكيدا لقوله وما
في الارض لا ان كان المراد بفي الارض ما هو عليها فلا يكون توكيدا وقيل
المعنى ان علمه تعالى محيط بجميع ذلك لانه منشيه فعلى هذا يكون التقدير له علم
ما في السموات ولما ذكر تعالى اولا انشا السموات والارض وذكر ان جميع ذلك
وما فيهما ملكه ذكر تعالى صفة العلم وان علمه لا يغيب عنه شي والخطاب
بقوله وان تجهر للرسول ظاهرا والمراد هو امته ولما كان خطاب الناس لا يتاتى
الا بالجهر بالكلام جا الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر
يتضمن علمه بالجهر اي اذا كان يعلم السر فاحرى ان يعلم الجهر والسر مقابل للجهر
كما قال يعلم سركم وجهركم والظاهر ان اخفى افعل تفضيل اي واخفى من السر قال
ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والاخفى ما تخفيه في نفسك وقاله الفرا وعن

ابن عباس ايضا السر ما اسره في نفسه والاخفى ما خفي عنه مما هو فاعله وهو لا يعلمه وعن
قتادة قريب من هذا وقال مجاهد السر ما تخفيه من الناس واخفى منه الوسوسة وقال
ابن زيد السر سر الخلايق واخفى منه سره تعالى وانكر ذلك الطبري وقيل السر العزيمة
واخفى منه ما لم يخطر على القلب وذهب بعض السلف الى ان قوله واخفى هو فعل
ماض لا افعل تفضيل اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشي من علمه وقوله ولا يحيطون به علما قال ابن عطية
وهو ضعيف وقال الزمخشري وليس بذلك قال **فان قلت** كيف طابق
الجزا الشرط **قلت** معناه ان تجهر بذكر الله من دعا او غيره فاعلم انه غني عن جهرك
فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر
من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر انتهى
والجلالة مبتدا ولا اله الا هو الخبر وله الاسما الحسنى خبر ثان ويجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف كانه قيل من الذي يعلم السر واخفى فقيل هو الله والحسنى تانيث
الاحسن وصفة المونثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك كونها وقعت
فاصلة والاحسنية كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس
والتعظيم والربوبية والافعال التي لا يمكن صدورها الا منه وذكروا ان هذه
الاسما هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين
اسما من احصاها دخل الجنة وذكرها الترمذي مسندة ۞ وهل اتاك حديث
موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس
او اجد على النار هدى • فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك انك بالواد المقدس طوى • وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية
اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى • فلا يصدنك عنها من لا يومن بها
واتبع هواه فتردى • وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا
عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى • قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى • قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها
الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضا من غير سو اية اخرى • لنريك
من اياتنا الكبرى • اذهب الى فرعون انه طغى • ولما ذكر تعالى تعظيم كتابه
ونضمن تعظيم رسوله اتبعه بقصة موسى ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف
الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد كما قال تعالى وكلا نقص عليك من
انبا الرسل ما نثبت به فوادك فقال تعالى وهل اتاك حديث موسى وهذا
استفهام تقرير يحث على الاصغا لما يلقى اليه وعلى التاسي وقيل هل بمعنى
قد اي قد اتاك والظاهر خلاف هذا لان السورة مكية والظاهر انه لم يكن
اطلعه على قصة موسى قبل هذا وقيل انه استفهام معناه النفي اي ما اخبرناه
قبل هذه السورة بقصة موسى ونحن الان قاصون قصته لتتسلى وتتاسى
وكان من حديثه انه لما قضى اكمل الاجلين استاذن شعيبا في الرجوع من مدين

قوله عز وجل وهل اتاك حديث

الى مصر لزيارة والدته واخته فاذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء
امره فخرج باهله وماله وكان في فصل الشتاء واخذ على غير الطريق مخافة
ملوك الشام وامراته حامل فلا يدري اليلا تضع ام نهارا فسار في البرية
لا يعرف طرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة
مثلجة شديدة البرد واخذ امراته الطلق فقدح زنده فلم يور وقيل كان رجلا
غيورا يصحب الرفقة ليلا ويفارقهم نهارا لئلا ترى امراته فاضل الطريق
قال وهب ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده راى نارا والظاهر ان
اذ ظرف للحديث لانه حدث واجاز الزمخشري ان يكون ظرفا لمضمر اي حين كان
كيت وكيت وان يكون مفعولا لاذكر امكثوا اي اقيموا في مكانكم وخاطب امراته
وولديه والخادم وقرا الاعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية لاهله امكثوا
بضم الهاء وكذا في القصص والجمهور بكسرها انست اي احسست والنار
على بعد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برايت والايناس اعم من الرؤية
لانك تقول انست من فلان خيرا وقال الزمخشري الايناس الابصار البين
الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم
كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد منه الايناس فكان
مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس
ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال
لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به انتهى والظاهر
انه راى نورا حقيقة وقال الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند الله
نورا قيل وخيل له انه نار وقيل ولا يجوز هذا لانه اخبار بغير المطابق ولا يجوز
على الانبياء ولفظة على هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا
تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى

وبات على النار الندى والمحلق

وقال ابن الانباري على بمعنى عند
وبمعنى مع وبمعنى الباء وذكر الزجاج انه ضل عن الماء فترجى ان يلقى من
يهديه الى الطريق او يدله على الماء وانتصب هدى على انه مفعول به على
تقدير محذوف اي ذا هدى او على تقدير حذف لانه اذا وجد الهادي فقد
وجد الهدى هدى الطريق وقيل هدى في الدين قاله مجاهد وقتادة وهو
بعيد وهو وان كان طلب من يهديه الطريق فقد وجد الهدى على الاطلاق
والضمير في اتاها عائد على النار اتاها فاذا هي مضطرمة في شجرة خضراء
يانعة عناب قاله ابن عباس وقيل سمرة قاله عبد الله وقيل عوسج قاله
وهب وقيل عليقة عن قتادة ومقاتل والكلبي فكان كلما قرب منها تباعدت
فاذا ادبر اتبعته فايقن ان هذا امر من امور الله الخارقة للعادة ووقف
متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة ونودي وهو تكليم
الله اياه وقرا الجمهور اني بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى معاملة

النداء معاملة القول لانه ضرب منه على مذهب الكوفيين وانا مبتدا او فصل
او توكيد لضمير النصب وفي هذه الاعاريب حصل التركيب لتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة وقرا ابن كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة والظاهر ان التقدير باني انا ربك
وقال ابن عطية على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك ونودي قد يوصل
بحرف الجر وانشد ابو علي

ناديت باسم ربيعة بن مكدم ● ان المنوه باسمه الموثوق

انتهى وعلمه بان الذي ناداه هو الله تعالى حصل له بالضرورة خلقا منه تعالى
فيه او بالاستدلال بالمعجزة وعند المعتزلة لا يكون ذلك الا بالمعجز فمنهم من عينه
ومنهم من قال لا يلزم ان يعرف ما ذلك المعجز قالوا ولا يجوز ان يكون ذلك بالعلم
الضروري لانه ينافي التكليف والظاهر ان امره تعالى اياه بخلع النعلين لعظم
الحال التي حصل فيها كما يخلع عند الملوك غاية في التواضع وقيل كانتا من
جلد حمار ميت فامر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل
صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب والكمة القلنسوة
الصغيرة وكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ قول عكرمة وقتادة والسدي
ومقاتل والكلبي والضحاك وقيل كانتا من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما
ليباشر بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته وروي انه خلع نعليه
والقاهما من وراء الوادي والمقدس المطهر وطوى اسم علم عليه فيكون بدلا
او عطف بيان وقرا الحسن والاعمش وابو حيوة وابن ابي اسحاق وابو السمال
وابن محيصن بكسر الطاء منونا وقرا الكوفيون وابن عامر بضمها منونا وقرا
الحرميان وابو عمرو بضمها غير منون وقرا ابو زيد عن ابي عمرو بكسرها غير منون
وقرا عيسى بن عمر والضحاك طاوي اذهب فمن نون فعلى تاويل المكان ومن لم
ينون وضم الطاء فيحتمل ان يكون معدولا عن فعل نحو زفر وقثم او اعجميا او على
معنى البقعة ومن كسر ولم ينون فمنع الصرف باعتبار البقعة وقال الحسن طوى
بكسر الطاء والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين فهو بوزن الثناء
وبمعناه وذلك لان الثناء بالكسر والقصر الشيء الذي تكرره فكذلك الطوى على
هذه القراءة وقال قطرب طوى من الليل اي ساعة اي قدس لك في ساعة من
الليل لانه نودي بالليل فلحق الوادي تقديس مجدد اي انك بالوادي المقدس
ليلا وقرا طلحة والاعمش وابن ابي ليلى وحمزة وخلف في اختياره وانا بفتح
الهمزة وشد النون اخترناك بنون العظمة وقرا السلمي وابن هرمز والاعمش
في رواية وانا بكسر الهمزة والالف بعد النون بلفظ الجمع دون معناه لانه من
خطاب الملوك اخترناك بالنون والالف عطفا على اني انا ربك لانهم كسروا
ذلك ايضا والجمهور وانا اخترتك بضمير المتكلم المفرد غير المعظم نفسه وقرا
ابي واني بفتح الهمزة وياء المتكلم اخترتك بتاء عطفا على اني انا ربك ومفعول
اخترتك الثاني المتعدي اليه بمن محذوف تقديره من قومك والظاهر ان لما يوحى

من صلة استمع وما بمعنى الذي وقال الزمخشري وغيره لما يوحي للذي يوحي او للوحي
فعلق اللام باستمع او باخترتك انتهى ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب
الاعمال فيجب او يختار اعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحي
فدل على انه من اعمال الثاني وقال ابو الفضل الجوهري لما قيل لموسى صلوات الله
على نبينا وعليه استمع لما يوحي وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على
شماله والقى ذقنه على صدره ووقف ليستمع وكان كل لباسه صوفا وقال
وهب ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور
العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع لما يحب الله وحذف الفاعل في
يوحي للعلم به ويحسنه كونه فاصلة فلو كان مبنيا للفاعل لم يكن فاصلة والموحى
قوله انني انا الله الى آخر الجمل جاء ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله
لما يوحي وقال المفسرون فاعبدني هنا وحدني كقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون معناه ليوحدون والاولى ان يكون فاعبدني لفظ يتناول ما كلف به من العبادة
ثم عطف عليه ما هو قد يدخل تحت ذلك المطلق فبدا بالصلاة اذ هي افضل الاعمال
وانفعها في الآخرة والذكر مصدر يحتمل ان يضاف الى الفاعل اي ليذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلى لي او ليذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار او لاني ذكرتها في الكتب
وامرت بها ويحتمل ان يضاف الى المفعول اي لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك
لسان صدق او لان تذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي
لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم
ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا واللام على هذا القول مثلها في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس وقد حمل
على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها قال الزمخشري وكان حق العبادة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او بتقدير
حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة انتهى
وفي الحديث بعد قوله فليصلها اذا ذكرها قوله انه لا كفارة لها الا ذلك
ثم قرأ واقم الصلاة لذكري وقرأ السلمي والنخعي وابو رجا للذكرى بلام التعريف
والف التانيث فالذكرى بمعنى التذكرة اي لتذكيري اياك اي اذا ذكرتك بعد
نسيانك فاقمها وقرات فرقة لذكرى بلا لام وبالف التانيث. وقرات فرقة ح لذكر ولما ذكر تعالى الامر بالعبادة واقامة الصلاة
ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد للجزاء فقال ان الساعة آتية وهي
التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزاء ذلك اما ثوابا واما عقابا وقرأ
ابو الدردا وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح الهمزة وروت عن
ابن كثير وعاصم بمعنى اظهرها اي انها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر لكن
تاخرت الى الاجل المعلوم وتقول العرب خفيت الشي اي اظهرته وقال الشاعر
خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب

وقال

وقال الآخر
فان تدفنوا الدا لا نخفه وان توقدوا الحرب لا نقعد
ولام لتجزى على هذه القراءة متعلقة باخفيها اي اظهرها لتجزى كل نفس وقرأ الجمهور
اخفيها بضم الهمزة وهو مضارع اخفى بمعنى ستر والهمزة هنا للازالة اي ازلت الخفاء
وهو الظهور واذا ازلت الظهور صار للستر كقولك اعجمت الكتاب اذا ازلت عنه العجمة
وقال ابو علي هذا من باب السلب ومعناه ازيل عنها خفاءها وهو سترها واللام
على قراءة الجمهور قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كانه قال ان الساعة آتية
لتجزى انتهى ولا يتم ذلك الا اذا قدرنا اكاد اخفيها جملة اعتراضية فان جعلتها
في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على راي البصريين لان اسم الفاعل لا يعمل اذا وصف
قبل اخذ معموله وقيل اخفيها بضم الهمزة بمعنى اظهرها فتتحد القراآت واخفى من
الاضداد بمعنى الاظهار وبمعنى الستر قال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد
وقد حكاه ابو الخطاب وهو رئيس من رؤسا اللغة لا شك في صدقه واكاد من افعال
المقاربة لكنها مجاز هنا ولما كانت الآية عبارة عن شدة اخفاء امر القيامة
ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اشبه على النفوس بالغ في ابهام
وقتها فقال اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن لا بد من ظهورها وقالت فرقة
اكاد بمعنى اريد فالمعنى اريد اخفاءها وقاله الاخفش وابن الانباري وابو مسلم قال
ابو مسلم ومن امثالهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقالت فرقة
خبر كاد محذوف تقديره اكاد آتي بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول
صابي البرجمي
همت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله
اي وكدت افعل وتم الكلام ثم استانف الاخبار بانه يخفيها واختاره النحاس وقالت
فرقة معناه اكاد اخفيها من نفسي اشارة الى شدة غموضها على المخلوقين وهو مروي
عن ابن عباس ولما راى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي من تلقاي ومن عندي
وقالت فرقة اكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل الاخبار ان الساعة آتية
وان الله يخفي وقت اتيانها وروي هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة كاد
بقوله تعالى لم يكد يراها وبقول الشاعر وهو زيد الخيل
سريع الى الهيجاء شاك سلاحه • فما ان يكاد قرنه يتنفس
وبقول الآخر
وان لا الوم النفس فيما اصابني • وان لا اكاد بالذي نلت انجح
ولا حجة في شي من هذا وقال الزمخشري اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي
اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل
معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل
عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض
المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها انتهى وروي هذه الزيادة
ايضا عن ابي ذكر ذلك ابن خالويه وفي مصحف عبد الله اكاد اخفيها من نفسي فكيف

يعلمها مخلوق وفي بعض القراآت وكيف اظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر

ايام تصحبني هند واخبرها • ما كدت اكتمه عني من الخبر •

وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والضمير في اخفيها عائد على الساعة والساعة يوم القيامة بلا خلاف والشيء هنا الحمل والظاهر ان الضمير في عنها وبها عائد على الساعة وقيل على الصلاة وقيل عنها عن الصلاة وبها اي بالساعة والابعد جدا من ذهب الى ان الضمير في عنها يعود على ما تقدم من كلمة لا اله الا انا فاعبدني والظاهر ان الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهي عن الشيء امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي ان يكون لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه والابعد من ذهب الى انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولامته معنا وقال الزمخشري فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امر بالتصديق قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه وفتردى يجوز ان يكون منصوبا على جواب النهي وان يكون مرفوعا اي فانت تردى وقرا يحيى فتردى بكسر التاء ه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى هو تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لما يورد عليها وقد علم تعالى في الازل ما هي وانما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليتقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدا وتلك خبره وبيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل اسم الاشارة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز ان يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كانه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفا كانه قيل وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى استيناس عظيم وتشريف كريم قال هي عصاي وقرا ابن ابي اسحاق والجحدري عصي بقلب الالف ياء وادغامها في ياء المتكلم وقرا الحسن عصاي بكسر الياء وهي مروية عن ابن ابي اسحاق ايضا وابي عمرو معا وهذه الكسرة لالتقاء الساكنين وعن ابن ابي اسحق عصاي بسكون الياء اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف وهذه زيادة في الجواب كما جاء هو الطهور ماؤه الحل ميتته في جواب من سال اينتوضا بما البحر وكما جاء في جواب المعداج قال نعم ولك اجر وحكمة

وحكمة

وحكمة زيادة موسى رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى وازدياد لذاذته بذلك كما قال الشاعر

• وامُلي حديثا يستطاب فليتني • اطلت ذنوبا كي يطول عتابه •

وتعداده نعمه تعالى عليه بما جعل له فيها من المنافع وتضمنت هذه الزيادة تفصيلا في قوله اتوكا عليها واهش بها على غنمي واجمالا في قوله ولي فيها مآرب اخرى وقيل اتوكا عليها جواب لسؤال آخر وهو انه لما قال هي عصاي قال له تعالى فما تصنع بها قال اتوكا عليها الاية وقيل ساله تعالى عن شيئين عن العصا بقوله وما تلك وبقوله بيمينك عما يملكه فاجابه عن وما تلك بقوله هي عصاي وعن قوله بيمينك بقوله اتوكا عليها واهش الى آخره انتهى وفي التحقيق ليس قوله بيمينك بسؤال وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله اتوكا عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله واهش وقرا الجمهور واهش بضم الهاء والشين المعجمة والنخعي بكسر الهاء وكذا ذكر ابو الفضل الرازي وابن عطية وهي بمعنى المضمومة الهاء والمفعول محذوف وهو الورق قال ابو الفضل ويحتمل ذلك ان يكون من هش يهش هشاشة اذا مال اي اميل بها على غنمي بما اصلحها من السوق وتكسير العلف ونحوهما يقال منه هش الورق والكلا والنبات اذا جف ولان انتهى وقرا الحسن وعكرمة واهس بضم الهاء والسين غير معجمة والهس السوق ومن ذلك الهس والهساس غير معجمة في الصفة ونقل ابن خالويه عن النخعي انه قرا واهش بضم الهمزة من اهش رباعيا وذكر صاحب اللوامح عن عكرمة ومجاهد واهش بضم الهاء وتخفيف الشين قال ولا اعرف وجهه الا ان يكون بمعنى العامة لكن فر من التضعيف لان الشين فيه تفشي فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي فيكون كتخفيف ظلت ونحوه وذكر الزمخشري عن النخعي انه قرا واهش بضم الهمزة والشين المعجمة من اهش رباعيا قال وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها كما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الاية العظيمة كانه قال يعني اين انت من هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا اسم العصا نبعة انتهى وقرات فرقة غنمي بسكون النون وفرقة علي غنمي بايقاع الفعل على الغنم والمآرب ذكر المفسرون انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتان بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها

فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ويرد بها غنمه وان يجدوا وهذه العصا اخذها من نبت عصا الانبياء التي كانت عند شعيب حين اتفقا على الرعية هبط بها آدم من الجنة وطولها عشرة اذرع **وقيل** اثنتا عشرة بذراع موسى عليه السلام وعامل المآرب وان كان جمعا معاملة الواحد المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل وكان اجوز واحسن في الفواصل **وقرأ** الزهري وشيبة مارب بغير همز كذا قال الاهوازي في كتاب الاقناع في القراءات ويعني والله اعلم بغير همز محقق وكانه يعني انهما سهلاها بين بين قال القهها الطايرات القابل بامر الله تعالى ويبعد قول من قال يجوز ان يكون القابل الملك باذن الله ومعنى القها اطرحها على الارض ومنه **قول الشاعر**

فالقت عصاها واستقرت بها النوى ٭ واذا هي اي للمفاجاة والحية تنطلق على الصغير والكبير والذكر والانثى والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا تنافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما راها تهتز كانها جان وبين كونها ثعبان لان تشبيهها بالجان في اول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا او شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها قيل كان لها عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما وبين لحييها اربعون ذراعا وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر والشجر والحجر عنقا وعيناها تتقدان فلما راى هذا الامر العجيب الهائل لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الاهوال والمخاوف لا سيما هذا الامر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى تنتقل وتمشي بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تانيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه دهشة منها في ذلك الوقت اذ قد جرت له بذلك عادة وتدريبه في تلقي تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم امره تعالى بالاقدام على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها وذلك حين ولى مدبرا ولم يعقب **وقيل** انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها **وقيل** لما قال له الله لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها ويبعد ما ذكر مكي في تفسيره انه قيل له خذها مرة وثانية حتى قيل له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى فاخذها في الثالثة لان منصب النبوة لا يليق ان يامره ربه مرة وثانية فلا يمتثل ما امر به وحين اخذها بيده صارت عصا والسيرة من السير كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فتنقلب الى معنى المذهب والطريقة **وقيل** سير الاولين ٭

وقال الشاعر

٭ فلا تغضبن من سيرة انت سرتها فاول راض سيرة من يسيرها ٭

واختلفوا في اعراب سيرتها فقال الحوفي مفعول ثان لسنعيدها على حذف الجار مثل واختار موسى قومه يعني الى سيرتها قال ويجوز ان يكون بدلا من مفعول سنعيدها وقال هذا الثاني ابو البقاء قال بدلا شتمالا اي صفتها وطريقتها وقال الزمخشري يجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى

اي في حال ما كانت عصا انتهى وسيرتها وطريقتها ظرف مختص فلا يتعدى اليه الفعل على طريقة الظرفية الا بوساطة في ولا يجوز الحذف الا في ضرورة او فيما شذت فيه العرب قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه **بيت زهير** وعادك ان تلاقيها عداء ٭ فيتعدى الى مفعولين انتهى وهذا هو الوجه الاول الذي ذكره الحوفي قال ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي يسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها انتهى والجناح حقيقة في الطاير والملك ثم توسع فيه فاطلق على اليد وعلى العضد وعلى جنب الرجل **وقيل** لمجنبتي العسكر جناحان على سبيل الاستعارة وسمي جناح الطاير لانه يجنح به عند الطيران ولما كان المرء من ظلمة او غيرها اذا اضم يده الى جناحه فتر رعبه وربط جاشه امره تعالى ان يضم يده الى جناحه ليقوي جاشه ولتظهر له هذه الاية العظيمة في اليد والمراد الى جنبك تحت العضد ولهذا قال تخرج فلو لم يكن دخول لم يكن خروج كما قال في الاية الاخرى وادخل يدك في جيبك تخرج وفي الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك الى جناحك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الاول وابقي مقابله ومن الثاني وابقي مقابله وهو اضمم لانه بمعنى ادخل كما تبين في الاية الاخرى تخرج بيضاء من غير سوء قيل خرجت بيضاء تشف وتضيء كانها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكما كنوا عن جذيمة وكان ابرص بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وطباعهم تنفر منه واسماعهم تمج ذكره فكني عنه وقوله من غير سوء متعلق ببيضاء كانه قال ابيضت من غير سوء وقال الحوفي من غير سوء في موضع النعت لبيضاء والعامل فيه الاستقرار انتهى ويقال له عند ارباب البيان الاحتراس لانه لو اقتصر على قوله بيضاء لاوهم ان ذلك من برص او بهق وانتصب اية على الحال وهذا على مذهب من يجيز تعداد الحال لذي حال واحد واجاز الزمخشري ان يكون منصوبا على اضمار خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال فاما تقدير خذ فسائغ واما دونك فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغراء فلا يجوز ان يحذف النائب والمنوب عنه ولذلك لم يجر مجراه في جميع احكامه واجاز ابو البقاء والحوفي ان يكون اية بدلا من بيضاء واجاز ابو البقاء ان يكون حالا من الضمير في بيضاء اي تبيض اية **وقيل** منصوب بمحذوف تقديره جعلناها اية او اتيناك اية واللام في لنريك قال الحوفي متعلقة باضمم ويجوز ان يتعلق بتخرج وقال ابو البقاء يتعلق بهذا المحذوف يعني المقدر جعلناها او اتيناك ويجوز ان يتعلق بما دل عليه اية اي دللنا بها لنريك وقال الزمخشري لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك من اياتنا الكبرى فعلنا ذلك ويعني انه اجاز ان يكون مفعول لنريك

الثاني الكبرى او يكون من اياتنا في موضع المفعول الثاني وتكون الكبرى صفة لاياتنا
على حد الاسماء الحسنى ومآرب اخرى يجريا من مثل هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنثة واجاز
هذين الوجهين من الاعراب الحوفي وابن عطية وابو البقا والذي نختاره ان يكون من اياتنا
في موضع المفعول الثاني والكبرى صفة لاياتنا لانه يلزم من ذلك ان تكون ايات الله تعالى
كلها هي الكبر لان ما كان بعض الايات الكبر صدق عليه انه الكبرى واذا جعلت الكبرى
مفعولا لم تتصف الايات بالكبر لانها هي المتصفة بافعل التفضيل وايضا اذا جعلت الكبرى
مفعولا فلا يمكن ان يكون صفة للعصا واليد معا لانهما كان يلزم التثنية في وصفهما
فكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن ان يخص احدهما لان كلا منهما فيها معنى التفضيل •
وبعيد ما قال الحسن من ان اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك
من اياتنا الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا الى الاية القريبة
وهي اخراج اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس في اليد الا تغيير اللون
واما العصا ففيها تغيير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحيوة والقدرة والاعضاء
المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا
فكانت اعظم من اليد ولما اراه تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين في نفسه وفيما يلابسه
وهو العصا امره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى وعلل حكمة الذهاب اليه
بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه راس الكفر ومدعي الالهية
وقومه تباعه قال وهب بن منبه قال الله لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ
وصيتي وانطلق برسالتي ارعاك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري والبسك جنة
من سلطاني تستكمل بها العزة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن
مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي فبعزتي لولا الحجة والعذر الذي
وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني
فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقولا له قولا لينا فان ناصيته بيدي
لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام **وقيل** اكثر
فجاءه ملك فقال انفذ ما امرك ربك • قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به
ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا • قال
قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي
وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم
على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا • فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى
واصطنعتك لنفسي • ع لما امره تعالى بالذهاب الى فرعون عرف انه كلف امرا
عظيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فسال ربه
ورغب اليه ان يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التي يضيق لها الصدر
وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة جلائل الخطوب

قوله عز وجل رب اشرح لي صدري

وقد علم

ولبيته ع

وقد علم ما عليه فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط وقال ابن جزي معناه وسع لي
صدري لاعي عنك ما تودعه من وحيك ومن وقال الكرماني وسع قلبي [illegible]
لفهم خطابك واداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من اعبائها والعقدة استعارة
لثقل كان في لسانه خلقة وقال مجاهد من الجمرة التي ادخلها فاه وكانت آسية
قد القيت محبته في قلبها وسالت فرعون ان لا يذبحه فبينما هي ترقصه يوما
اخذه فرعون في حجره فاخذ خصلة من لحيته **وقيل** لطمه **وقيل** ضربه بقضيب
في يده فغضب فرعون فدعا بالسياف فقالت انما هو صبي لا يفرق بين الياقوت
والجمر فاحضرا واراد ان يمد يده الى الياقوت فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمرة فاخذها
ووضعها في فيه فاحرق لسانه انتهى واحراق النار وتاثيرها في لسانه لا في يده دليل
على فساد التعليل بالطبيعة **وعن** ابن عباس كانت في لسانه رتة **وقيل** حدثت
العقدة بعد المناجاة حتى لا يكلم احدا بعدها وقال قطرب كانت فيه مسكة
عن الكلام وقال ابن عيسى العقدة كالتمتمة والفافاة وطلب موسى من حل العقدة قدر
ما يفقه قوله فقيل وبقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وهو قول الحسن قيل وهو ضعيف لانه
لم يقل واحلل العقدة بل قال عقدة فاذا حل عقدة فقد اتاه الله سؤله **وقيل**
في قوله ولا يكاد يبين ان معناه لا ياتي ببيان وحجة وانما قال ذلك فرعون تمويها
وقد خاطبه وقومه وكانوا يفهمون عنه فكيف يمكن نفي البيان او مقاربته وقال
الزمخشري **فان قلت** لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام
بدونه مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره
وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد
من طريقي الاجمال والتفصيل • وقال ايضا وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل
عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة
الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قال عقدة من عقد لساني انتهى ويظهر
ان من لساني متعلق باحلل لان موضع الصفة لعقدة وكذا قال الحوفي واجاز ابو البقا
الوجهين والوزير المعين القائم بوزر الامور اي بثقلها فوزير الملك يتحمل عنه اوزاره
ومؤنه **وقيل** من الوزر وهو الملجا يلتجي اليه الانسان **وقال الشاعر**

ع من السباع الضواري دونه وزر • والناس شرهم ما دونه وزر •

ع كم معشر سلموا لم يوذهم سبع • وما نرى بشرا لم يوذهم بشر •

فالملك يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره وقال الاصمعي هو من الموازرة وهي المعاونة
والمساعدة والقياس ازير وكذا قال الزمخشري قال وكان القياس ازيرا فقلبت
الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كعشير وجليس
وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشي على نظيره
ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة انتهى ولا حاجة الى دعوى قلب
الهمزة واوا لان لنا اشتقاقا واضحا وهو الوزر واما قلبها في يوازر

ولأجل ضمة ما قبل الواو وهو ايضا ابدال غير لازم وجوزوا ان يكون لي وزيرا مفعولين
لاجعل وهرون بدلا او عطف بيان وان يكون وزيرا وهرون مفعوليه وقدم الثاني
اعتناء بامر الوزارة واخي بدل من هرون في هذين الوجهين قال الزمخشري وان جعل
عطف بيان آخر جاز وحسن انتهى ويبعد فيه عطف البيان لان الاكثر في عطف البيان
ان يكون الاول دونه في الشهرة والامر هنا بالعكس وجوزوا ان يكون وزيرا من اهلي هما
المفعولان ولي مثل قوله ولم يكن له كفوا احد يعنون انه به يتم المعنى وهرون على ما تقدم
وجوزوا ان ينتصب هرون بفعل محذوف اي اضمم الي هرون وهذا لا حاجة اليه
لان الكلام تام بدون هذا المحذوف **وقرأ** الحسن وزيد بن علي وابن عامر أشدد
بفتح الهمزة وأشركه بضمها فعلا مضارعا مجزوما على جواب الامر وعطف عليه واشركه
وقال صاحب اللوامح عن الحسن انه قرأ أشدد به مضارع شدد للتكثير والتكرير اي كلما
حزبني امر شددت به ازري **وقرأ** الجمهور اشدد واشركه على معنى الدعاء في شد
الازر وتشريك هرون في النبوة وكان الامر في قراءة ابن عامر لا يريد بها النبوة بل يريد
تدبيره ومساعدته لانه ليس لموسى ان يشرك في النبوة احدا وفي مصحف عبد الله اخي
واشدد وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء
واشدد به خبره ويوقف على هرون انتهى وهو خلاف الظاهر فلا يصار اليه
لغير حاجة وكان هرون اكبر من موسى باربعة اعوام وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه
من تعدد سببا للزيادة في العبادة والاجتهاد في امر الله والتظافر على العبادة والتعاون
فيها مثير للرغبة والتزيد من الخير كي نسبحك تنزهك عما لا يليق بك ونذكرك بالدعاء
والثناء عليك وقدم التسبيح لانه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن
النقائص ومحل ذلك القلب علما محلة اللسان وكثيرا نعت لمصدر محذوف
او منصوب على الحال اي نسبحك التسبيح في حال كثرته على ما ذهب اليه س **انك**
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا والسؤل فعل بمعنى المسؤول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والمأكول والمعنى اعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل
العقدة وجعل اخيك وزيرا وذلك من المنة عليه **ثم ذكره** تعالى بتقديم
منته عليه على سبيل التوقيف لتعظيم اجتهاده وتقوي بصيرته ومرة معناه منة
واخرى تأنيث آخر بمعنى غير اي منة غير هذه المنة وليست اخرى هنا بمعنى آخرة فتكون
مقابلة للاولى **ويتخيل** ذلك بعضهم فقال سماها اخرى وهي اولى لانها اخرى
في الذكر والاخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخر بفتح الخاء وتأنيث الآخر بمعنى آخرة
فينبغي ان يلحظ فيها معنى التأخر والمعنى اني قد حفظتك وانت طفل رضيع فكيف
لا احفظك وقد اهلتك للرسالة وفي قوله مرة اخرى اجمال يفسره قوله اذ اوحينا
الى امك قال الجمهور هي وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل **وقيل** وحي اعلام
اما بارآءة ذلك في منام واما ببعث ملك اليها لا على جهة النبوة كما بعث
الى مريم وهذا هو الظاهر لقوله يأخذه عدو لي وعدو له ولظاهر آية القصص
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ويبعد ما صدر به الزمخشري قوله من رؤيا
اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين لانه لم ينقل

انه كان

انه كان في زمن فرعون وكان في زمن الحواريين زكريا ويحيى وفي قوله ما يوحى ابهام
واجمال كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فغشيهم من اليم ما غشيهم وفيه تهويل وقد فسر
هنا بقوله ان اقذفيه في التابوت قال الزمخشري وان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول
وقال ابن عطية وان في قوله ان اقذفيه بدل من ما يعني ان ان مصدرية فلذلك كان
لها موضع من الاعراب والوجهان سائغان والظاهر ان التابوت كان من خشب **وقيل**
من بردي شجر مؤمن آل فرعون سد خروقه وفرش فيه نطعا **وقيل** قطنا
محلوجا وسد فمه وجصصه وقيره والقذف في اليم وهو اسم للبحر العذب
وقيل اسم للنيل خاصة والاول هو الصواب لقوله فاغرقناهم في اليم ولم يغرقوا
في النيل والظاهر ان الضمير في فاقذفيه في اليم عائد على موسى وكذلك الضميران
بعده اذ هو المحدث عنه لا التابوت انما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة
وقال ابن عطية والضمير الاول في اقذفيه عائد على موسى وفي الثاني عائد على التابوت
ويجوز ان يعود على موسى وقال الزمخشري والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها
اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف
في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو
اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر
انتهى ولقائل ان يقول ان الضمير اذا كان صالحا لان يعود على الاقرب وعلى الابعد
كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على التابوت في قوله
فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان احدهما هو المحدث عنه
والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه ارجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا رددنا
على ابي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم
لكونه اقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بان المحدث عنه
هو لحم خنزير لا خنزير وفليلقه امر معناه الخبر وجاء بصيغة الامر مبالغة اذ الامر
اقطع الافعال واوجبها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصلي لكم اخرج الخبر
في صيغة الامر لنفسه مبالغة ومن حيث خرج الفعل مخرج الامر حسن جوابه كذلك
وهو قوله يأخذه وقال الزمخشري لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا يخطي جريه
ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم
كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل
انتهى وقال الترمذي لما ذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع المخبر به على ما اخبر
به فكان البحر مأمورا ممتثلا للامر وقال الفراء فاقذفيه في اليم امر وفيه معنى
المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه منه
وروي ان فرعون كان يشرب في موضع من النيل اذ رأى التابوت فامر به فسيق
اليه وامرأته معه ففتح فرأوه فرحمته امرأته وطلبته لتتخذه ابنا فاباح لها
ذلك ه **وروي** ان التابوت جاء في الماء الى المشرعة التي كانت جواري امرأة
فرعون يستقين منها الماء فاخذن التابوت وجلبنه اليها فاخرجته واعلمته

يوت

ام

فرعون والعدو الذي هو لله ولموسى هو فرعون واجرت به ام موسى على طريق الالهام ولذلك
قالت لاخته قصيه وهي لا تدري اين استقر والقيت عليك محبة مني قيل محبة آسية وفرعون
وكان فرعون قد احبه حبا شديدا حتى لا يتمالك ان يصبر عنه قال ابن عباس احبه الله
وحببه الى خلقه وقال عطية جعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه
وقال قتادة كانت في عينيه ملاحة ما رآه احد الا احبه وقال ابن عطية واقوى
الاقوال انه القبول وقال الزمخشري مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى
على احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة
اي محبة خالصة او واقعة مني قد ركزتها انا فيها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك
احبك فرعون وكل من ابصرك وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر لام كي وضم التاء ونصب الفعل
اي ولتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى
به قاله قريبا منه قتادة وقال النحاس يقال صنعت الفرس اذا احسنت اليه
وهو معطوف على علة محذوف اي ليتلطف بك ولتصنع او متعلقة بفعل متأخر تقديره
فعلت ذلك وقرأ الحسن وابو نهيك بفتح التاء قال ثعلب معناه لتكون حركتك
وتصرفك على عين مني وقرأ شيبة وابو جعفر في رواية باسكان اللام والعين وضم
التاء فعل امر وعن ابي جعفر كذلك الا انه كسر اللام اذ تمشي اختك قيل اسمها مريم
سبب ذلك ان آسية عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجعلت تنادي عليه في المدينة
ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى وبقيت امه بعد قذفه في اليم مغمومة فامرت
اخته بالتفتيش في المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به في طوافها فقالت انا ادلكم
على من يكفله وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هذا الصبي فقالت
لا ولكن اعلم من هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها
فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بام موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت آسية
وقالت لها كوني معي في القصر فقالت ما كنت لادع بيتي وولدي ولكنه يكون
عندي قالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل
بهذا الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه ارسلت آسية اليها ان جيئيني
بولدي ليوم كذا وامرت خدمها ومن لها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس
فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون
ليراه وليهبه فاعجبه وقربه فاخذ موسى بلحية فرعون وتقدم ما جرى له عند
ذكر المقارع والعامل في اذ قال ابن عطية فعل مضمر تقديره ومننا اذ وقال
الزمخشري العامل في اذ تمشي لتصنع او لتصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا
فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان
اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فيقول
وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها انتهى وليس
كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الظرفين
فان كل واحد منهما ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما اضيفا اليه فلا يمكن ان يقع
الثاني في الظرف الذي وقع فيه الاول اذ الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه

ووقوع

ووقوع مشي الاخت فليس وقت وقوع الوحي مشتملا على اجزاء وقع في بعضها المشي
بخلاف السنة وقال الحوفي اذ متعلقة بتصنع وذلك ان نصب اذ بفعل مضمر
تقديره واذكر وقرأ الجمهور كي تقر بفتح التاء والقاف وقرأت فرقة بكسر القاف
وتقدم انهما لغتان في قوله وقري عينا وقرأ جناح بن حبيش بضم التاء وفتح القاف
مبنيا للمفعول وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فقتله وهو ابن اثني
عشرة سنة واغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له
باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون حين هاجر به الى مدين
والغم ما يعتري القلب بسبب خوف وفوات مقصود والغم بلغة قريش القتل
وقيل من غم التابوت وقيل من غم البحر والظاهر انه من غم القتل حين ذهبت
بك من مصر الى مدين والفتون مصدر وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز
وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وما يشق على
الانسان وعن ابن عباس خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه
الولدان والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة انتهى وهذه الفتون اختبره
بها وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم لها والسنون التي لبثها في مدين عشر سنين وقال
وهب ثمان وعشرون سنة منها مهر ابنته وبين مصر ومدين ثماني مراحل وفي الكلام
حذف والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى اهل مدين فلبثت سنين وكان عمره
حين ذهب الى مدين اثني عشر عاما واقام عشرة اعوام في رعي غنم شعيب ثم ثمانية
عشر عاما بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له فيها فكمل له اربعون سنة
وهي المدة التي عادة الله ارسال الانبياء على رأسها ثم جئت الى المكان الذي ناجيتك
فيه وكلمتك واستنبأتك على قدر اي وقت معين قدرته لم تتقدمه ولم تتأخر عنه
وقيل على مقدار من الزمان يوحى الى الانبياء فيه وهو الاربعون

قال الشاعر

نال الخلافة او كانت على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر

واصطنعتك لنفسي اي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان واختصصتك
بالالطاف واخترتك لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعه وهو افتعال
من الصنع وهو الاحسان الى الشخص حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان وقال
الزمخشري هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله
بحال من يراه الملوك بجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لان يكون اقرب منزلة اليه
والطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه انتهى ومعنى لنفسي
اي لاوامري واقامة حججي وتبليغ رسالتي فحركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا
لاحد غيرك الونى الفتور يقال ونى يني وهو فعل لازم واذا عدي فبعن وبفي وزعم
بعض البغداديين انه يأتي فعلا ناقصا من اخوات ما زال وبمعناها واختاره
ابن مالك وانشد

لا يني الحب شيمة الحب ما دام فلا تحسبنه ذا ارعواء

المفردات

وقالوا امراة اناة اي فاترة عن النهوض ابدلوا من الواو همزة على غير قياس

قال الشاعر

فما انا بالواني ولا الضرع الغمر

شتت الامر شتا وشتاتا تفرق وامر شت متفرق وشتى فعلى من الشت والفه للتانيث جمع شتيت كمريض ومرضى ومعناه متفرقة وشتان اسم فعل سحت لغة الحجاز واسحت لغة نجد وتميم واصله استقصى الحلق للشعر وقال الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف

ثم استعمل في الاهلاك والاذهاب الخيبة عدم الظفر بالمطلوب الصف موضع المجمع قاله ابو عبيدة وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحا ما استطعت ان اتي الصف اي المصلى وقد يكون مصدرا ويقال جاوا صفا اي مصطفين التخييل ابدا امر لا حقيقة له ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم قال الشاعر

الا يا لقومي للخيال المشوق • وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى • قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى • قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى • انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى • قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى • قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى لما امره الله تعالى بالذهاب الى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه اشيا كان فيها ان يشرك اخاه هرون فذكر الله انه اتاه سؤله وكان منه اشراك اخيه فامره هنا واخاه بالذهاب واخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب انت وربك في سورة المائدة وقول بعض النحاة ان وربك مرفوع على اضمار فعل اي وليذهب ربك وذلك البحث جار هنا وروي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقدمه وقيل الهم ذلك والظاهر باياتي الجمع فقيل هي العصا واليد وعقدة لسانه وقيل اليد والعصا وقد يطلق الجمع على المثنى وهما اللتان تقدم ذكرهما ولذلك لما قال فات باية القى العصا ونزع اليد وقال فذانك برهانان وقيل العصا مشتملة على ايات انقلابها حيوانا ثم في اول الامر كانت صغيرة ثم عظمت حتى صارت ثعبانا ثم ادخال موسى يده في فمها فلا تضره وقيل ما اعطي من معجزة ووحي ولا تنيا اي لا تضعفا ولا تقصرا وقيل ولا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما ويجوز ان يراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا ان يطلق عليه اسم الذكر وقرا ابن وثاب ولا تنيا بكسر التا اتباعا لحركة النون وفي مصحف عبد الله ولا تهنا اي ولا تلنا من قولهم هين لين ولما حذف من يذهب اليه في الامر قبله نص عليه في هذا الامر الثاني فقيل اذهبا الى فرعون اي بالرسالة وابعد من ذهب الى انهما امرا بالذهاب اولا الى الناس وثانيا الى فرعون فكرر الامر بالذهاب لاختلاف المتعلق وبنيه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عدم

قوله عز وجل اذهب انت واخوك

بقوله انه طغى اي تجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية والالهية من دون الله والقول اللين مثل ما في النازعات هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وهذا من لطف الكلام اذ ابرزه لك في صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى وقيل كنياه وهو ذو الكنى الاربع ابو مرة وابو مصعب وابو الوليد وابو العباس وقيل القول اللين لا اله الا الله وحده لا شريك له وليّنها خفتها على اللسان وقال الحسن هو قولهما ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا فامن بالله يدخلك الجنة ويقك عذاب النار وقيل امرهما تعالى ان يقدما المواعيد على الوعيد كما

قال الشاعر

اقدم بالوعد قبل الوعيد • لينهى القبايل جهالها

وقيل حين عرض عليه موسى وهرون ما عرضا شاور اسية فقالت ما ينبغي لاحد ان يرد هذا فشاور هامان وكان لا يبت امرا دون رايه فقال له كنت اعتقد انك ذو عقل تكون ربا لنا فتصير مملوكا وربا فتصير مربوبا فامتنع من قبول ما عرض عليه موسى والترجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وفايدة ارسالهما مع علمه تعالى انه لا يومن اقامة الحجة عليه وازالة المعذرة كما قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقيل القول اللين ما حكاه الله هنا وهو فاتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى وقرا ابو معاذ فقولا لينا وقال الفرا لعل هنا بمعنى كي اي كي يتذكر او يخشى كما تقول اعمل لعلك تاخذ اجرك اي كي تاخذ اجرك وقيل لعل هنا استفهام اي هل يتذكر او يخشى والصحيح انها على بابها من الترجي وذلك بالنسبة الى البشر وفي قوله لعله يتذكر او يخشى دلالة على انه لم يكن شاكا في الله وقيل يتذكر حاله حين احتبس النيل فسار الى شاطيه وابعد وخر لله ساجدا راغبا ان لا يخجله ثم ركب فاخذ النيل يتبع حافر فرسه فرجى ان يتذكر حلم الله وكرمه وان يجد من عذاب الله وقال الزمخشري اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما يصفان فيجره انكاره الى الهلكة • فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل انتهى وقال الشاعر

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا • كما تقدم فراط لوراد

وفي الحديث وانا فرطكم على الحوض اي متقدمكم وسابقكم والمعنى اننا نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرا يحيى وابو نوفل وابن محيصن في رواية ان يفرط مبنيا للمفعول اي يسبق في العقوبة ويسرع بها ويجوز ان يكون من الافراط ومجاوزة الحد في العقوبة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب من شيطانه او من جبروته واستكباره وادعايه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملا من قومه وقال الملا من قومه وقرات فرقة

ونع

والزعفراني عن ابيه مخبص بفرط بضم اليا وكسر الرا من الافراط في الاذية او ان يطغى
في التخطي الي ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجي به هكذا
على سبيل الاطلاق والرمز باب من حسن الادب وتجاف عن التفوه بالعظيمة والمعية هنا
بالنصرة والعون اسمع اقوالكما واري فعالكما وقال ابن عباس اسمع جوابه لكما واري
ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم فاتياه كرر الامر بالاتيان فقولا انا رسولا ربك
وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية
وامرا بدعوته ان يبعث معهما بني اسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم
بتكليف الاعمال الشاقة من الحفر والبنا ونقل الحجارة والسخرة في كل شي مع قتل الولدان
واستخدام النسا **وقد ذكر** في غير هذه الاية دعاؤه الي الايمان فجملة ما دعي اليه
فرعون الايمان وارسال بني اسرائيل **ثم ذكر** ما يدل على صدقهما في ارسالهما اليه فقالا
قد جئناك باية من ربك وتكرر ايضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بانه مربوب مقهور
والاية التي احالا عليها هي العصا واليد ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة
المجي بالاية اليهما وان كانت صادرة من احدهما وقال الزمخشري قد جئناك
باية من ربك جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير
لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجي بالاية وانما وحد باية ولم يثن
ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك
بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات
باية ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشي مبين انتهى **وقيل** الاية اليد وقيل
العصا والمعنى باية تشهد لنا بانا رسولا ربك **و**الظاهر ان قوله والسلام على من
اتبع الهدى فصل للكلام فالسلام بمعنى التحية رغبا بها عنه وجريا على العادة في التسليم
عند الفراغ من القول فسلما على متبعي الهدي وفي هذا توبيخ له وفي هذا المعنى استعمل الناس
هذه الاية في مخاطباتهم ومحاوراتهم وقيل هو مدرج متصل بقوله انا قد اوحي الينا فيكون
اذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب ٥ وقيل على معنى للامر والسلامة لمن اتبع
الهدى وقال الزمخشري وسلام الملايكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى وهو تفسير غريب **وقد** يقال السلام هنا
السلامة من العذاب بدليل قوله انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وبني
اوحي لما لم يسم فاعله ولم يذكر الموحي لان فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق
الموحي ما لا يليق به والمعنى على من كذب الانبيا وتولى عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى
اية في القران لان المومن ما كذب ولا تولى فلا يناله شي من العذاب وفي الكلام حذف
تقديره فاتيا فرعون وقالا له ما امرهما الله ان يبلغاه قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما
معا وافرد بالنداء موسى قال ابن عطية اذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الايات
وقال الزمخشري لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله
خبثه وذعارته على استدعا كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون
والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من الذي هو مهين ولا يكاد يبين
انتهى واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسوال والندا معا

ثم اعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز قال
الزمخشري ولله دره هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القي الذهن ونظر
بعين الانصاف وكان طالبا للحق انتهى والمعنى اعطى كل ما خلق خلقته وصورته
على ما يناسبه من الاتقان لم يجعل خلق الانسان في خلق البهايم ولا خلق البهايم
في خلق الانسان ولكن خلق كل شي فقدره تقديرا وقال الشاعر ٥
وله في كل شي خلقه وكذاك الله ما شا فعل ٥
وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك خلقه من المنفعة المنوطة به
المطابقة له ثم هدى اي يسر كل شي لمنافعه ومرافقه فاعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان
كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه قال القشيري والخلق
المخلوق لان البطش والمشي والروية والنطق معان مخلوقة اودعها الله للاعضا
وعلى هذا مفعول اعطى الاول كل شي والثاني خلقه وكذا في قول ابن عباس وابن جبير
والسدي وهو ان المعنى اعطى كل شي مخلوقه من جنسه اي كل حيوان ذكر نظيره انثى في الصورة
فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه الي منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس
انه هداه الى الفه والاجتماع به والمناكحة وقال الحسن وقتادة اعطى كل شي
صلاحه وهداه لما يصلحه **وقيل** كل شي هو المفعول الثاني لاعطى وخلقه المفعول
الاول اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به **وقرا** عبد الله وانا س من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو نهيك وابن ابي اسحاق والاعمش والحسن ونصير
عن الكساي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة
لكل شي او لشي ومفعول اعطى الثاني حذف اقتصارا اي كل شي خلقه الله لم يخله من
عطايه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه وقيل
حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه اي اعطى كل شي خلقه ما يحتاج اليه وقدره
ابن عطية كماله او مصلحته قال فما بال القرون الاولى ٥ لما اجابه موسى بجواب
مسكت ولم يقدر فرعون على معارضة فيه انتقل الي سوال اخر وهو ما حال من هلك
من القرون وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما اجابه به والحيدة
والمغالطة فقيل ساله عن اخبارها واحاديثها ليختبر انه نبي ان او هو من جملة
القصاص الذين دارسوا قصص الامم السالفة ولم يكن عنده عليه السلام اذ ذاك التوراة
انما انزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال علمها عند ربي **وقيل** مراده من السوال
منها لم عبدت الاصنام ولم لم تعبد الله ان كان الحق ما وصفت **وقيل** مراده
ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال علمها عند ربي فاجابه بان هذا سوال
عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وقال النقاش انما سال لما سمع وعظ
مومن ال فرعون يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الاية فرد علم ذلك الى
الله لانه لم يكن نزلت عليه التوراة **وقيل** لما قال انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ثم ما عذبوا
وقيل لما قرر امر المبدا والدلالة القاطعة على اثبات الصانع قال فرعون ان كان

ما ذكرت في غاية الظهور قال فما بال القرون الاولى نسوهم وتركوه فلو كانت الدلالة
واضحة وجب على القرون الماضية ان لا يكونوا غافلين عنها فعارض الحجة النقلية
ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت
وقال ما تقول في سوال القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف
احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده
في كتاب ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر
الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة
قاله الزمخشري والظاهر عود الضمير في علمها الى القرون الاولى اي مكتوب عند
ربي في اللوح المحفوظ لا يجوز عليه ان يخطي شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطاته
في مكانه وضللته لغتان فلم تهتد اليه كقولك ضللت الطريق والمنزل ولا يقال
اضللته الا اذا اضاع منك كالدابة انفلتت وشبهها قاله الفرا وقال الزجاج ضللته
اضله اذا جعلته في مكان ولم تدر اين هو واضللته والكتاب هنا اللوح المحفوظ وقيل
في كتاب فيما كتبته الملايكة من احوال البشر **وقيل** الضمير في علمها عايد على القيمة
لانه سال عن بعث الامم وقال السدي لا يضل لا يغفل وقال ابن عيسى لا يذهب عليه
تقول العرب ضل منزله بغير الف وفي الحيوان اضل بعيره بالالف وقيل التقدير لا يضل
ربي الكتاب ولا ينسى ما فيه قاله مقاتل وقال القفال لا يضل عن معرفة الاشيا
فيحيط بكل المعلومات ولا ينسى اشارة الى بقاء ذلك العلم ابدا الا باد على حاله لا يتغير
وقال الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وقال مجاهد معنى الجملتين واحد
وهو اشارة الى انه لا يعرض في علمه ما يغيره وقال ابن جرير لا يخطي في التدبير فيعتقد
في غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه وقال ابو عبد الله الرازي علم الله صفة
قايمة به ولا يكون حاصلة في الكتاب لان ذلك لا يعقل فالمعنى ان بقا تلك المعلومات
في علمه كبقاء المكتوبات في الكتاب فالغرض التوكيد بان اسرارها معلومة له لا يزول
شيء منها ويتوكد هذا بقوله لا يضل ربي ولا ينسى او المعنى انه اثبت تلك الاحكام
في كتاب عنده يظهر ما كتبه فيه للملايكة زيادة لحصر في الاستدلال على انه عالم
بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة انتهى وفيه بعض تلخيص **وقرأ** الحسن وقتادة
والجحدري وحماد بن سلمة وابن محيصن وعيسى الثقفي لا يضل بضم اليا اي لا يضل
الله ذلك الكتاب فيضيع ولا ينسى ما اثبته فيه **وقرأ** السلمي لا يضل ربي ولا
ينسى مبنيين للمفعول والظاهر ان الجملتين استيناف واخبار عنه تعالى بانتفاء
هاتين الصفتين عنه **وقيل** هما في موضع وصف لقوله في كتاب والضمير العايد
على الموصوف محذوف اي لا يضله ربي ولا ينساه والظاهر ان الضمير في ولا ينسى
عايد على الله وقيل يحتمل ان يعود على كتاب اي لا يدع شيئا فالنسيان استعارة
كما قال الا احصاها فاسند الاحصا اليه من حيث الحصر فيه وعن ابن عباس
لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ۝ الذي جعل لكم الارض
مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما ما فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها

قوله عز وجل الذي جعل لكم الارض

نعيدكم

نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى ۝ فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى ۝ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ۝ فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى
قالوا ان هذين لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى ۝ فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى ۝ ولما ذكر موسى دلالة
على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى ما نبه به على قدرته
تعالى ووحدانيته فاخبر عن نفسه بانه تعالى هو الذي صنع كيت وكيت والى ما ذهبنا
الى ان هذا موصول من كلام الله تعالى لقوله تعالى فاخرجنا وقوله كلوا وارعوا انعامكم
وقوله ولقد اريناه فيكون قوله فاخرجنا واريناه التفاتا من ضمير الغايب في جعل
وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قايلين وابعد من ذهب
الى ان الذي ذهب الى ان الذي نعت لقوله ربي فيكون في موضع نصب على المدح
وقالهما الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى فلا ياتي الالتفات في قوله
فاخرجنا ولقد اريناه وقال ابن عطية يحتمل ان يكون فاخرجنا من كلام موسى ثم عند
قوله وانزلنا من السما ما ثم وصل الله كلام موسى باخباره لمحمد عليه السلام والمراد
بالخطاب في لكم الخلق اجمع بنبيهم على هذه الايات **وقرأ** الاعمش وطلحة وابن ابي ليلى
وعاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم واسكان الهاء وباقي السبعة مهادا
وكذا في الزخرف فقال المفضل مصدران مهد مهدا ومهادا وقال ابو عبيد
مهادا اسم ومهدا الفعل يعني المصدر وقال اخر مهدا مفرد ومهادا جمعه ومعنى
ذلك انه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع احوالهم ومنافعهم ونهج لكم
فيها طرقا للمقاصد كي لا تتعذر عليكم مصالحكم والضمير في به عايد على الماء اي
بسببه ازواجا اي اصنافا وهذا الالتفات في اخرجنا كهو في قوله الم تر ان الله
انزل من السما ما فاخرجنا امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما
فانبتنا وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شي وفي هذا الالتفات
تخصيص ايضا بانا نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد والاجود ان يكون
شتى في موضع نصب نعتا لقوله ازواجا لانها المحدث عنها وقال الزمخشري
يجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت
فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم قالوا من نعمته عز وجل ان ارزاق
العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا
يقدرون على اكله كلوا وارعوا انعامكم امر اباحة معمول الحال المحذوفة اي فاخرجنا
قايلين اي آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها
عدي بنفسه وارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا تقول رعت الدابة رعيا ورعاها
صاحبها رعاية اذا سامها وسرحها واراحها قاله الزجاج واشار بقوله ان

نحن ح

في ذلك للآيات السابقة من جعل الارض مهدًا وسلك سبلها وانزال الماء واخراج
النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لانه ينهى عن القبائح واجاز
ابو علي ان يكون مصدرًا كالهدى والضمير في منها يعود على الارض واراد خلق اصلهم
آدم وقيل ينطلق الملك الى تربة المكان الذي يدفن فيه من يخلق فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب والنطفة معًا قاله عطاء الخراساني وقيل من الاغذية التي
تتولد من الارض فيكون ذلك تنبيهًا على ما تولدت منها الاخلاط المتولد منها الانسان
فهو من باب مجاز المجاز وفيها نعيدكم اي بالدفن فيها او بالتمزيق عليها ومنها نخرجكم
اي بالبعث تارة من تارة اخرى يؤلف اجزاءهم المتفرقة ويردهم كما كانوا احيا وقوله اخرى
اي اخراجة اخرى لان معنى قوله منها خلقناكم اخرجناكم ولقد اريناه اياتنا كلها هذا
اخبار من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله فاخرجنا انما هو خطاب
له عليه السلام واريناه اياتنا هي المنقولة من رأى البصرية ولذلك تعدت الى اثنين
بهمزة النقل واياتنا ليس عامًا اذ لم يره تعالى جميع الايات وانما المعنى اياتنا التي
راها فكانت الاضافة تفيد ما يفيده الالف واللام من العهد وانما راى العصا
واليد والطمسة وغير ذلك مما اراه فجا التوكيد بالنسبة لهذه الايات المعهودة
وقيل المعنى ايات بكمالها واضاف الايات اليه على حسب التعريف كانه قال
ايات لنا وقيل يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتي غيره من الانبياء
من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب
بها جميعًا وابى ان يقبل شيئًا منها انتهى وقاله الزمخشري وفيه بعد لان الاخبار
بالشيء لا يسمى رؤية الا بمجاز بعيد وقيل اريناه هنا من رؤية القلب لا من
رؤية العين لانه ما كان اراه في ذلك الوقت الا العصا واليد البيضا اي
ولقد اعلمناه اياتنا كلها وهي الايات التسع قيل ويجوز ان يكون اراد بالايات ايات
توحيد التي اظهرها لنا في ملكوت السموات والارض فيكون من رؤية العين وقال
ابن عطية وابى يقتضي كسب فرعون وهو الذي يتعلق به الثواب والعقاب ومتعلق
التكذيب محذوف فالظاهر انه الايات واحتمل ان يكون التقدير فكذب موسى وابى ان يقبل
ما القاه اليه من رسالة قيل ويجوز ان يكون اراد وكذب انها من ايات الله وقال
من سحر ولهذا قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى ويبعد هذا القول
قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا فيظهر انه كذب لظلمه لا انه التبس عليه انها ايات سحر وفي قوله
اجئتنا لتخرجنا وشي ظهر منه كبير واضطراب لما جاء به موسى اذ علم انه على الحق وانه غالبه
على ملكه لا محالة وذكر علة المجيء وهو اخراجهم والقاها في مسامع قومه ليصيروا
مبغضين له جدًا اذ الاخراج من الموطن مما يشق وجعله الله مساويًا للقتل في قوله
ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم وقوله بسحرك تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه ان
ساحرًا لا يقدر ان يخرج ملكًا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر واورد ذلك على
سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وان المعجز انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما
يتعذر معارضته فقال فلنأتينك بسحر مثله ويدل على ان امر موسى عليه السلام

كان قد قوي وكثر متبعه من بني اسرائيل ووقع امره في نفوس الناس اذ هي مقالة من يحتاج
الى الحجة لا من يصدع بامر نفسه واخرجهم من ارض مصر وخاطبه بقوله بسحرك لان
الكلام كان معه لا العصا واليد انما ظهرتا من قبله فلنأتينك جواب لقسم محذوف
اوهم الناس ان ما جاء به موسى انما هو من باب السحر وان عنده من يقاومه في ذلك
فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر ان موعدًا هنا هو زمان اي فعين لنا
وقت اجتماع ولذلك اجاب بقوله قال موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه اي
لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقدر بعضهم مكانًا معلومًا ويتبوء عنه
قوله موعدكم يوم الزينة وقال القشيري الاظهر انه مصدر ولذلك قال لا نخلفه
اي ذلك الموعد والاخلاف ان يعد شيئا ولا ينجز وقال الزمخشري ان جعلته زمانًا
نظرًا في قوله موعدكم يوم الزينة مطابق لقوله لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفًا
وان يعضل عليك ناصب مكانًا وان جعلته مكانًا لقوله مكانًا سوى لزمك ايضًا
ان يقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن
غير مطابقة له مكانًا وزمانًا جميعًا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل
مصدرًا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه
للموعد ومكانًا بدل من المكان المحذوف فان قلت كيف طابقه قوله موعدكم يوم
الزينة ولا بد ان تجعله زمانًا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت
هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظًا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان
بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة
الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك
وعدًا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانًا قلت بالمصدر او بفعل يدل
عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر
واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان
يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك
اليوم بعينه انتهى وقوله ان مكانًا ينتصب بالمصدر ليس بجائز لانه قد وصف قبل
العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز ان يعمل عندهم
وقوله وضحى خبر على نية التعريف لانه ضحى ذلك اليوم بعينه هو وان كان ضحى ذلك
اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا
عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جيت يوم الجمعة بكرًا
لم تدع ان بكرة معرفة وان كنا نعلم انه من يوم بعينه وقرأ ابو جعفر وشيبة لا نخلفه
بجزم الفاء على انه جواب للامر وقرأ الجمهور برفعها صفة لموعد وقال
الحوفي موعدًا مفعول اجعل مكانًا ظرف العامل فيه اجعل وقال ابو علي موعدًا مفعول
اول لاجعل ومكانًا مفعول ثان ومنع ان يكون مكانًا معمولًا لقوله موعدًا لانه
قد وصف قال ابن عطية وهذه الاسما العاملة عمل الفعل اذا نعتت او عطف
عليها او اخرت عنها او صغرت او جمعت وتوغلت في الاسماء كمثل هذا لم تعمل ولا يعلق

بما شيء موهنا وقد يتوسع في الظروف فتعلق بحدها ذكرنا لقوله عز وجل ينادون لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فقوله اذ متعلق بقوله لمقت وهو قد اخبر عنه
وانما جاز هذا في الظروف خاصة ومنع قوم ان يكون مكانا نصبا على المفعول الثاني لنخلفه
وجوزه جماعة من النحاة ووجهه ان يتسع في النخلف الموعد انتهى وقوله اذا نعت
هذا ليس مجمعا عليه في كل عامل عمل الفعل الا ترى اسم الفاعل العاري عن ال اذا وصف
قبل العمل في اعماله خلاف واما اذا جمع فلا نعلم خلافا في جواز اعماله واما المصدر
اذا جمع ففي جواز اعماله خلاف واما استثناؤه من المعمولات الظروف فغيره يذهب
الى منع ذلك مطلقا في المصدر وينصب اذ بفعل يقدر بما قبله اي مقتكم اذ تدعون
ولا انت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بقوله نحن **وقرا** ابن عامر وحمزة
وعاصم ويعقوب والحسن وقتادة وطلحة والاعمش وابن ابي ليلى وابو حاتم وابن جرير
سوى برفع السين منونا في الوصل **وقرا** باقي السبعة بكسرها منونا في الوصل **وقرا**
الحسن ايضا سوى بضم السين من غير تنوين في الحالين اجرى الوصل مجرى الوقف
لا انه منعه الصرف لان فعلا من الصفات منصرف كحطم ولبد **وقرا** عيسى سوى بكسر
السين من غير تنوين في الحالين اجرى الوصل ايضا مجرى الوقف ومعنى سوى اي عدلا
ونصفة قال ابو علي كانه قال قربه منكم قربه منا وقال غيره انما اراد ان حالنا فيه
مستوية فيعم ذلك القرآن وان يكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق لا نعترضكم فيه
الرياسة وانما يقصد الحجة وعن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط
الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها وهذا معنى ما تقدم من قول ابي علي قربه منكم
قربه منا وقال الاخفش سوى مقصور ان كسرت سينه او ضممت وممدود ان فتحتها
ثلاث لغات ويكون فيها جميعا بمعنى غير وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين ٥

وقال الشاعر ٥

وان ابانا كان حل باهله سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

قال وتقول مررت برجل سواك وسواك وسوائك اي غيرك ويكون للجميع واعلى
هذه اللغات الكسر قاله النحاس وقالت فرقة معنى مكانا سوى مستويا من الارض
اي لا وعر فيه ولا جبل ولا اكمة ولا مطمئن من الارض بحيث يستر ناظر احد فلا يرى
مكان موسى والسحرة وما يصدر عنهما قال ذلك وابن عيسى غلبة السحرة لموسى
فاذا شاهدوا غلبتهم اياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه وقالت فرقة معناه مكانا
سوى مكاننا هذا وليس بشيء لان سوى اذا كانت بمعنى غير لا تستعمل الا مضافة
لفظا ولا تقطع عن الاضافة **وقرا** الحسن والاعمش وعاصم في رواية وابو حيوة
وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري وهبيرة والزعفراني يوم الزينة بنصب
الميم وتقدم تخريج هذه القراءة في كلام الزمخشري ٥ وروي ان يوم الزينة كان
عيدا لهم ويوما مشهورا وصادف يوم عاشوراء وكان يوم سبت وقيل هو يوم
كسر الخليج الباقي الى اليوم وقيل يوم النيروز وكان راس سنتهم **وقيل** يوم
السبت فانه يوم راحة ودعة وقيل يوم سوق لهم وقيل يوم عاشوراء **وقرا**
ابن مسعود والجحدري وابو عمران الجوني وابو نهيك وعمرو بن فائد وان تحشر بتاء

الخطاب

الخطاب اي يا فرعون وروي عنهم بالياء على الغيبة والناس نصب في كلتا القراءتين
٥ قال صاحب اللوامح وان يحشر الحاشر الناس ضحى فحذف الفاعل للعلم به انتهى
وحذف الفاعل في مثل هذا لا يجوز عند البصريين وقال غيره وان يحشر القوم قال
ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها
الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ويجوز ان يكون وان يحشر
في موضع رفع عطفا على يوم الزينة وان يكون في موضع جر عطفا على الزينة وانتصب
ضحى على الظرف وهو ارتفاع النهار ويؤنث ويذكر والضحاء بفتح الضاد ممدود مذكر
وهو ارتفاع النهار الاعلى وانما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله
وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع العام ليقوى
رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر
العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر والظاهر ان قوله قال موعدكم يوم
الزينة من كلام موسى عليه السلام لانه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا
ولان تعيين اليوم انما يليق بالمحق الذي يعرف اليد له لا المبطل الذي يعرف انه ليس
معه الا التلبيس ولقوله موعدكم وهو خطاب للجميع وابعد من ذهب الى انه من كلام فرعون فتولى
فرعون اي معرضا عن قبول الحق او تولى ذلك الامر بنفسه او فرجع الى اهله لاستعداد مكايده
او ادبر على عادة المتواعدين ان يولي كل واحد منهما صاحبه ظهره اذا افترقا اقوال
فجمع كيده اي ذوي كيده وهم السحرة وكانوا عصابة لم يخلق الله اسحر منهما ثم اتى
للموعد الذي كانوا تواعدوه واتى موسى ايضا بمن معه من بني اسرائيل قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا وتقدم تفسير ويل في سورة البقرة خاطبهم خطاب محذر وندبهم
الى قول الحق اذا راوه وان لا يباهتوا بكذب وعن وهب لما قال للسحرة ويلكم قالوا
ما هذا بقول ساحر فيسحتكم يهلككم ويستاصلكم وفيه دلالة على عظم الافتراء وانه
يترتب عليه هلاك الاستئصال ثم ذكر انه لا يظفر بالبغية ولا ينجح طلبة من افترى
على الله الكذب ولما سمع السحرة منه هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم
مهابته فتنازعوا امرهم اي تجاذبوه والتنازع يقتضي الاختلاف **وقرا** حمزة والكسائي
وحفص والاعمش وطلحة وابن جرير فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء من اسحت رباعيا **وقرا**
باقي السبعة ورويس وابن عباس بفتحهما من سحت ثلاثيا وابراهيم النخعي حنيفة
من فرعون ان تبين فيهم ضعفا لانهم لم يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان ظنا من
بعضهم وعن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وقال الزمخشري والظاهر انهم تشاوروا
في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق
هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما وحكى ابن عطية
قريبا من هذا القول عن فرقة قالوا انما كان تناجيهم بالاية التي بعد هذا ان هذان
لساحران والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثم تنازع
وقرا ابو جعفر والحسن وشيبة والاعمش وطلحة وحميد وايوب وخلف في اختياره
وابو عبيد وابو حاتم وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وابن جبير الانطاكي والاخوات

والضاحيان من الشيعة ان بتشديد النون هذان بالف ونون خفيفة لساحران
واختلف في تخريج هذه القراءة فقال القدماء من النحاة انه على حذف ضمير الشان
والتقدير انه هذان لساحران وخبران الجملة من قوله هذان لساحران واللام
في لساحران داخلة على خبر المبتدا وضعف هذا القول بان حذف هذا الضمير
لا يجي الا في الشعر وبان دخول اللام في الخبر شاذ وقال الزجاج ان اللام لم تدخل
على الخبر بل التقدير لهما ساحران فدخلت على المبتدا المحذوف واستحسن هذا القول
شيخه ابو العباس المبرد والقاضي اسمعيل بن اسحق بن حماد بن زيد وقيل ها ضمير القصة
وليس محذوفا وكان يناسب على هذا ان تكون متصلة في الخط فكانت كتابتها انها
ذان لساحران وضعف ذلك من جهة مخالفته خط المصحف **وقيل** ان بمعنى نعم
وثبت ذلك في اللغة فتحمل الاية عليه وهذان لساحران مبتدا وخبر واللام في
لساحران على ذلك ذينك التقديرين في هذا التخريج والتخريج الذي قبله والى هذا
ذهب المبرد واسمعيل بن اسحاق وابو الحسن الاخفش الصغير والذي نختاره في تخريج
هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالالف دائما وهي لغة
لكنانة حكى ذلك ابو الخطاب ولبني الحرث بن كعب وخثعم وزبيد واهل تلك الناحية
حكى ذلك الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة وقال ابو زيد سمعت من
العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها الفا وقرا ابو بحرية وابو حيوة والزهري
وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير ان بتخفيف النون هذان بالالف
وشدد نون هذان ابن كثير وتخريج هذه القراءة واضح وهو على ان ان هي المخففة من
الثقيلة وهذان مبتدا ولساحران الخبر واللام للفرق بين ان النافية وان
المخففة من الثقيلة على راي البصريين والكوفيين يزعمون ان ان نافية واللام
بمعنى الا وقرات فرقة ان ذان لساحران وتخريجها كتخريج القراءة التي قبلها
وقرات عائشة والحسن والنخعي والجحدري والاعمش وابن جبير وابن عبيد وابو عمرو
ان هذين بتشديد نون ان وبالياء في هذين بدل الالف واعراب هذا واضح اذ
جاء على المهيع المعروف في التثنية لقوله فذانك برهانان احدى ابنتي هاتين
بالالف رفعا وبالياء نصبا وجرا وقال الزجاج لا اجيز قراءة ابي عمرو لانها خلاف
المصحف ۞ وقال ابو عبيد رايتها في الامام مصحف عثمان هذن ليس فيها الف
وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب
والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها وقالت جماعة منهم عائشة وابو عمرو هذا
مما لحن الكاتب فيه واقيم بالصواب وقرا عبد الله ان ذان الا ساحران
قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لابي وقال ابن مسعود ان هذان ساحران
بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى انتهى وقرات فرقة ما هذان الا ساحران وقوله
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما تبعوا فيه مقالة فرعون اجئتنا لتخرجنا من
ارضنا بسحرك ونسبوا السحر ايضا المعروف لهما ان مشتركا معه في الرسالة وسالكا
طريقته وعلقوا الحكم على الارادة ونسبوا الطلاع لهم عليها تنقيصا لهما وحطا
من قدرهما وقد كان ظهر لهم من امر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا ان ما

ليس

ليس في قدرة الساحر ان ياتي بمثل ذلك والظاهر ان الضمير في قالوا عائد على السحرة
خاطب بعضهم بعضا **وقيل** خاطبوا فرعون مخاطبة التعظيم والطريقة السيرة
والمملكة والحال التي هم عليها والمثلى تانيث الامثل اي الفضلى الحسنى **وقيل**
عبر عن السيرة بالطريقة وانه يراد بها اهل العقل والسن والحجى وحكوا ان العرب تقول
فلان طريقة قومه اي سيدهم **وعن** علي نحو ذلك قال وتصرفان وجوه الناس اليهما
وقيل هو على حذف مضاف اي ويذهبا باهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل
معنا بني اسرائيل بالغوا في التنفير عنهما بنسبتهما الى السحر وبالطبع ينفر عن السحر وعن
رؤية الساحر ثم بارادة الاخراج من ارضهم ثم تغيير حالتهم من المناصب والرتب
المرغوب فيها **وحكى** تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله فجمع كيده فقوله فاجمعوا
كيدكم وقيل هو من كلام فرعون والظاهر انه من كلام السحرة بعضهم لبعض وقرا
الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم من اجمع رباعيا اي اعزموا واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا
ولا يتخلف واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرا الزهري وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب
في رواية وابو حاتم بوصل الالف وفتح الميم موافقا لقوله فتولى فرعون فجمع كيده
وتقدر الكلام في جمع واجمع في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام وتداعوا الى
الاتيان لانه اهيب في عيون الرائين واظهر في التمويه وانتصب صفا على الحال
اي مصطفين او مفعولا به اذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم وقرا
شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وابدال الهمزة ياء
تخفيفا قال ابو علي وهذا غلط ولا وجه لكسر الميم من ثم وقال صاحب اللوامح وذلك
لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك وقد افلح اليوم اي ظفر
وفاز بغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه **واختلفوا** في عدد السحرة اختلافا
مضطربا جدا فاقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصى
وحبال واكثر ما قيل تسعمائة الف ۞ قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول
من القى ۞ قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس
في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى ۞ والق ما في يمينك تلقف ما
صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا
امنا برب هرون وموسى ۞ قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد
عذابا وابقى ۞ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ۞ ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ۞ في الكلام
حذف تقديره فجاؤا مصطفين الى مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل
وجاء موسى واخوه ومعه عصاه فوقفوا وقالوا يا موسى اما ان تلقي وذكروا الالقاء
لانهم علموا ان اية موسى في القاء العصى فبل خبروه ثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا

قوله عز وجل قالوا يا موسى

يعتقدون أن أحداً لا يقاومهم في السحر وقال الزمخشري وهذا التخيير منهم استعمال
أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله
عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولاً مع ما فيه من مقابلة
أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم
فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر
فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين انتهى وهو تكثير وخطابة وأن
مع ما بعدها بتأويل مصدر فإما أن يكون مرفوعاً وإما أن يكون منصوباً **والمعنى** إما أن تختار
أحد الأمرين وقدر الزمخشري الرفع الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا فجعله خبر المبتدأ محذوف
واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره إلقاؤك أول ويدل عليه قوله وإما أن
نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وإن كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل
المقابلة لأنا قدرنا إلقاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقي لكنه يلزم من
ذلك أن يكون إلقاؤهم أول فهي مقابلة معنوية وفي تقدير الزمخشري الأمر إلقاؤك
لا مقابلة فيه وقدر الزمخشري النصب اختر أحد الأمرين وهذا تفسير معنى لا تفسير
إعراب وتفسير الإعراب إما أن تختار أن تلقي وتقدم نحو هذا التركيب في الأعراف قال
بل ألقوا لا يكون الأمر بالإلقاء من باب تجويز السحر والأمر به لأن الغرض في ذلك الفرق
بين إلقائهم والمعجزة وتعين ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة إذ الأمر مقرون بشرط أي
ألقوا إن كنتم محقين لقوله فأتوا بسورة مثله ثم قال إن كنتم صادقين وفي الكلام
حذف تقديره فألقوا فإذا قال أبو البقاء فإذا حبالهم الفاء جواب ما حذف
وتقديره فألقوا وإذا في هذا ظرف مكان والعامل فيه ألقوا انتهى فقوله فإذا الفاء
جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه الفاء جواباً لأن فألقوا لا يجاب وإنما هي
للعطف عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله وإذا في هذا ظرف مكان
يعني أن إذا التي للمفاجأة ظرف مكان وهو مذهب المبرد وظاهر كلام س وقوله والعامل
فيه ألقوا ليس بشيء لأن الفاء تمنع من العمل ولأن إذا هذه إنما هي معمولة لخبر المبتدأ
الذي هو حبالهم وعصيهم إن لم يجعلوها هي في موضع الخبر لأنه يجوز أن يكون الخبر يخيل
ويجوز أن تكون إذا ويخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فإذا الأسد رابض ورابضاً
فإذا رفعنا رابضاً كانت إذا معمولة والتقدير فبالحضرة الأسد رابض أو في المكان
وإذا نصبنا كانت إذا خبراً ولذلك تكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاماً نحو خرجت
فإذا الأسد وقال الزمخشري يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها
أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت
في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل حبالهم
وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي
انتهى فقوله والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي
أن إذا الفجائية ظرف زمان وهو قول مرجوح وقول الكوفيين إنها حرف
قول مرجوح أيضاً وقوله الطالبة ناصباً لها صحيح وقوله وجملة تضاف إليها

هذا عند أصحابنا ليس بصحيح لأنها إما أن تكون هي خبر المبتدأ وإما معمولة لخبر المبتدأ
وإذا كان كذلك استحال أن تضاف إلى الجملة لأنها إما أن تكون بعض الجملة أو معمولة
لبعضها فلا يمكن الإضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً
وهو فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس
بصحيح بل قد نص الأخفش في الأوسط على أن الجملة المصحوبة بقد تليها وهي فعلية تقول
خرجت فإذا قد ضرب زيد عمراً وبنى على ذلك مسألة الاشتغال خرجت فإذا زيد قد ضربه عمرو
برفع زيد ونصبه وأما قوله والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي
فهذا بعكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم إياه فإذا قلت خرجت فإذا
السبع فالمعنى أنه فاجأني السبع وهجم ظهوره **وقرأ** الحسن وعيسى عصيهم بضم العين
حيث كان وهو الأصل لأن الكسر إتباع لحركة الصاد وحركة الصاد لأجل الياء وفي
كتاب اللوامح الحسن وعصيهم بضم العين وإسكان الصاد وتخفيف الياء مع الرفع
فهو أيضاً جمع كالعامة لكنه على فعل **وقرأ** الزهري والحسن وعيسى وأبو حيوة وقتادة
والجحدري وروح والوليدان وابن ذكوان تخيل بالتاء مبنياً للمفعول وفيه ضمير الحبال
والعصي وأنها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير **وقرأ** أبو السمال تخيل بفتح التاء
أي تتخيل وفيها أيضاً ضمير ما ذكر وأنها تسعى بدل اشتمال أيضاً من ذلك الضمير لكنه
فاعل من جهة المعنى وقال ابن عطية أنها مفعول من أجله وقال أبو القاسم بن جبارة
الهذلي الأندلسي في كتاب الكامل من تأليفه عن أبي السمال أنه قرأ تخيل بالتاء من
فوق المضمومة وكسر الياء والضمير فيه فاعل وأنها تسعى في موضع نصب على المفعول به
ونسب ابن عطية هذه القراءة إلى الحسن والثقفي يعني عيسى ومن بنى يخيل للمفعول
فالمخيل لهم ذلك هو الله للمحنة والابتلاء وروى الحسن بن يمن عن أبي حيوة نخيل بالنون
وكسر الياء فالمخيل لهم ذلك هو الله والضمير في إليه الظاهر أنه يعود على موسى لقوله
قبل قالوا بل ألقوا ولقوله بعد فأوجس في نفسه خيفة موسى وقيل يعود على فرعون
والظاهر من القصص أن الحبال والعصي كانت تتحرك وتنتقل الانتقال الذي يشبه
انتقال من قامت به الحياة ولذلك ذكر السعي وهو وصف من يمشي من الحيوان فروي
أنهم جعلوا في العصي والحبال زئبقاً وألقوها في الشمس فأصاب الزئبق حرارة الشمس
فتحرك فتحركت العصي والحبال معه وقيل حفروا الأرض وجعلوا تحتها ناراً وكانت
العصي والحبال مملوءة بزئبق فلما أصابتها حرارة الأرض تحركت وكان هذا من باب
الدك وقيل إنها لم تتحرك وكان ذلك من سحر العيون وقد صرح تعالى بهذا فقال
سحروا أعين الناس فكان الناظر يخيل إليه أنها تنتقل وتقدم شرح أوجس وقال
الزمخشري كان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وهو قول
الحسن وقيل كان خوفه على الناس أن يفتتنوا لهول ما رأى قبل أن يلقي عصاه وهو قول
مقاتل والإيجاس بوهم الهاجس الذي يخطر بالبال وليس يتمكن وخيفة أصله خوفة
قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقال ابن عطية يحتمل أن تكون خوفة بفتح الخاء قلبت
الواو ياء ثم كسرت الخاء للتناسب إنك أنت الأعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف
وبكلمة التوكيد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبالأعلوية الدالة على التفضيل وألق

ف

ما في يمينك لمراعاة التركيب والى عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة قال
الزمخشري وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جايز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تتلقفها على
وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام
الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي وادنى عنده
فالقه تتلقفها باذن الله وتمحقها انتهى وهو تكثير وخطابة لا طائل في ذلك وفي قوله تلقف
حمل على معنى ما لا على لفظها اذ اطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ولو حمل على اللفظ
لكان باليا **وقراه** الجمهور تلقف بفتح اللام وتشديد القاف مجزوما على جواب الامر **وقراه**
ابن عامر كذلك وبرفع الفا على الاستيناف او على الحال من الملقي **وقراه** ابو جعفر وحفص وعصمة
عن عاصم تلقف باسكان اللام والفا وتخفيف القاف ه وعن قنبل انه كان يشدد من تلقف
يريد تتلقف **وقراه** الجمهور كيد بالرفع على ان ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف ويحتمل
ان تكون ما مصدرية اي ان صنعهم كيد ومعنى صنعوا هنا زوروا وافتعلوا كقوله تلقف
ما يافكون **وقراه** مجاهد وحميد وزيد بن علي كيد سحر بالنصب مفعولا لصنعوا وما مهيئة
وقراه ابو بحرية والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وخلف في اختياره وابن عيسى الاصبهاني
وابن جبير الانطاكي وابن جرير وحمزة والكسائي سحر بكسر السين واسكان الحاء بمعنى ذي
سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه او بذاته او بين الكيد
لانه يكون سحرا وغير سحر كما بين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **وقراه** الجمهور
ساحر اسم فاعل من سحر وافرد ساحر من حيث ان فعل الجميع نوع واحد من السحر وذلك الحبال
والعصي فكانه صدر من ساحر واحد لعدم اختلاف انواعه وقال الزمخشري لان
القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود
هو العدد الا ترى ان قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس انتهى وعرف في قوله ولا
يفلح الساحر لانه عاد على ساحر النكرة قبله كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول وقال الزمخشري انما نكر يعني ولا من اجل تنكير المضاف لا من
اجل تنكيره في نفسه **كقول العجاج** في سعي دنيا طالما قد مدت ه
وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد تنكير الامر كانه قال
انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وامر دنياوي واخروي انتهى وقول
العجاج في سعي دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تانيث الادنى ولا يستعمل تانيثه الا
بالالف واللام او بالاضافة واما قول عمر فيحتمل ان يكون من تحريف الرواة ومعنى
ولا يفلح لا يظفر ببغيته حيث اتى اي حيث توجه وسلك وقالت فرقة معناه
ان الساحر يقتل حيث ثقف وهذا جزء من عدم الفلاح **وقرات فرقة** اين اتى
وبعد هذا جمل محذوفة والتقدير فزال ايجاس الخيفة والقى ما في يمينه وتلقفت
حبالهم وعصيهم التي تقلبت حيات وفقدوا الحبال والعصي وعلموا ان ذلك معجز
ليس في طوق البشر فالقي السحرة سجدا وجاء التركيب فالقي السحرة ولم يات فسجدوا
كانه جاءهم امر وازعجهم واخذهم فصنع بهم ذلك وهو عبارة عن سرعة ما تاثروا
لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين وقدم موسى في الاعراف

وأخ

واخر هرون لاجل الفواصل ولكون موسى هو المنسوب اليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر
من الاعجاز واخر موسى لاجل الفواصل ايضا كقوله لكان لزاما واجل مسمى وازواجا من
نبات شتى اذا كان شتى صفة لقوله ازواجا ولا فرق بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد
اذ الواو لا تقتضي ترتيبا على انه يحتمل ان يكون القولان من قايلين نطقت طايفة بقولهم
رب موسى وهارون وطايفة بقولهم رب هرون وموسى ولما اشتركوا في المعنى
صح نسبة كل من القولين الى الجميع وقيل قدم هرون هنا لانه كان اكبر سنا من موسى
وقيل لان فرعون كان ربى موسى فبدوا بهارون ليزول تمويه فرعون انه ربى موسى فيقول
انا ربيته وقالوا رب هرون وموسى ولم يكتفوا بقولهم رب العالمين للنص على انهم
امنوا برب هذين وكان فيما قيل يزعم انه رب العالمين وتقدم الخلاف في قراءة
امنتم وفي لاقطعن ولاصلبن في الاعراف وتفسير نظير هذه الاية فيها وجاء هناك
امنتم به وهنا له وامن يوصل بالباء اذا كان بالله وباللام لغيره في الاكثر نحو فما امن
لموسى لن نؤمن لك وما انت بمؤمن لنا فامن له لوط واحتمل في به ان يعود على موسى وان يعود
على الرب واراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقرا
للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدي الفعل بفي التي للوعاء وقيل
في بمعنى على وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفا لهم حقيقة حتى يموتوا
فيه جوعا وعطشا ومن تعديته صلب بفي **قول الشاعر** ه
ه وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان الا باجدعا ه
وفرعون اول من صلب وافتتم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وعلى فعل غيره وهو لتعلمن
اينا اي اينا واي من امنتم وقيل ايي واي موسى وقال ذلك على سبيل الاستهزاء
لان موسى لم يكن من اهل التعذيب والى هذا القول ذهب الزمخشري قال بدليل
قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
وفيه تفاخر باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب
وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف مع الهزء به وهو قول الطبري قال يريد نفسه
وموسى عليه السلام والقول الاول اذهب مع مخرقة فرعون ولتعلمن هنا معلق واينا
اشد جملة استفهامية من مبتدا وخبر في موضع نصب لقوله ولتعلمن سدت مسد
المفعولين او في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن معدى تعديته عرف ويجوز على هذا
الوجه ان يكون اينا مفعولا لتعلمن وهو مبني على راي س واشد خبر مبتدا محذوف
واينا موصولة والجملة بعدها صلة والتقدير ولتعلمن من هو اشد عذابا وابقى
قالوا لن نؤثرك اي لن نختار اتباعك وكونا من حزبك وسلامتنا من عذابك على
ما جاءنا من البينات وهي المعجزة التي اتتنا وعلمنا صحتها وفي قولهم هذا توهين
له واستصغار لما هددهم به وعدم اكتراث بقوله وفي نسبة المجي اليهم وان كانت
البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا اعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا ان ما
جاء به موسى ليس بسحر فكانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم في ذلك
وايضا فكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها فكانت بينات واضحة في حقهم والواو
في والذي فطرنا واو عطف على ما جاءنا اي وعلى الذي فطرنا لما لاحت لهم حجة الله

انتهى ح

في المعجزة بدؤا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو الله تعالى وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذي فطرنا تبيينا لعجز فرعون وتكذيبه في ادعا ربوبيته والالهية وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلا عن اختراعها وقيل الواو للقسم وجوابه محذوف ولا يكون لن نؤثرك جوابا لانه لا يجاب في النفي بلن الا في شاذ من الشعر وما موصولة بمعنى الذي وصلته انت قاض والعائد محذوف اي ما انت قاضيه قيل ولا يجوز ان تكون ما مصدرية لان المصدرية توصل بالافعال وهذه موصولة بابتدا وخبر انتهى وهذا ليس مجمعا عليه بل قد ذهب ذاهبون من النحاة الى ان ما المصدرية توصل بالجملة الاسمية وانتصب هذه الحيوة على الظرف وما مهيئة ويحتمل ان تكون مصدرية اي ان قضاءك كاين في هذه الحيوة الدنيا لا في الاخرة بل في الاخرة لنا النعيم ولك العذاب **وقرا** الجمهور تقضي مبنيا للفاعل خطابا لفرعون **وقرا** ابو حيوة وابن ابي عبلة تقضي مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اتسع في الظرف فاجري مجرى المفعول به ثم بني الفعل لذلك ورفع به كما تقول صيم يوم الجمعة وولد له ستون عاما ولم يصرح في القران بانه انفذ فيهم وعيده ولا انه قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم بل الظاهر انه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون ٥ وقيل انفذ فيهم وعيده وصلبهم على الجذوع واكراهه اياهم على السحر قبل حملهم على معارضة موسى وقيل كان ياخذ ولدان الناس ويجبرهم على ذلك فاشار السحرة الى ذلك قاله الحسن واستخبروا ابقى رد على قوله اينا اشد عذابا وابقى اي وثواب الله وما اعده لمن امن به وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويظهر من قولهم اين لنا لاجرا عدم الاكراه انه من ايات الى من تزكى فيل هو حكاية قولهم عظة لفرعون وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة موعظة وتحذيرا والمجرم هنا الكافر لذكر مقابله ومن ياته مومنا ولقوله لا يموت فيها ولا يحيى اي يعذب عذابا ينتهي به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه فهو لا يحيى حيوة طيبة بخلاف المومن الذي يدخل النار فانهم يماتون الموت ولا يجهز عليهم فهذا فرق ما بين المومن والكافر وفي الحديث انهم يماتون اماتة وهذا هو معناه لانه لا يموت في الاخرة وتزكى تطهر من دنس الكفر وقيل قال لا اله الا الله

٥ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى • فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى • يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى • واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى **ط** هذا استيناف اخبار عن شي من امر موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك ان فرعون لما انقضى امر السحرة وغلب موسى وقوي امره وعد فرعون ان يرسل معه بني اسرائيل فاقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث واعلمه انه لا يرسلهم معه

منقطع

قوله عز وجل ولقد اوحينا

فبعث الله حينئذ الايات المذكورة في غير هذه الايات الجراد والقمل الى اخرها كلما جاءت اية وعد فرعون ان يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى تاتي اخرى فلما كملت الايات اوحى الله الى موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل في الليل سارئا والسرى سير الليل ويحتمل ان تكون مفسرة وان تكون الناصبة للمضارع وبعبادي اضافة تشريف لقوله وتخت فيه من روحي والظاهر ان الاصحاب الية بذلك وبان تقريب البحر كان متقدما بمصر على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده وقيل كان الوحي بالضرب حين قارب فرعون لحاقه وقوي فزع بني اسرائيل ويروى ان موسى عليه السلام نهض ببني اسرائيل وهم ست مائة الف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر فرعون فجمع جنده وحشرهم ونهض وراه فاوحى الله الى موسى ان يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل وراوا ان العدو من وراءهم والبحر من امامهم وموسى يثق بصنع الله فلما راهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع منقطع فيه الغموض والطرق الى قبل وكان في خيل فرعون سبعون الف ادهم ونسبة ذلك من سائر الالوان وقيل اكثر من هذا فضرب موسى عليه السلام البحر فانفرق اثني عشر فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الما واقفة ويدل عليه فكان كل فرق كالطود العظيم وقيل بل هو طريق واحد لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا انتهى وقد يراد بقوله طريقا الجنس فدخل موسى عليه السلام بعد ان بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الى المدخل وبنو اسرائيل كلهم في البحر فراى الما على تلك الحال فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما انفلق من هيبتي وتقدم فغرق فرعون وقومه في سورة يونس والظاهر ان لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا البحر بقوة وتحامل على العصا ويوضحه في اية اخرى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فالمعنى ان اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كانه المضروب وقال الزمخشري فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله انتهى وفي الحديث اضربوا الي معكم بسهم ولما لم يذكر المضروب حقيقة وهو البحر قال في البحر ولو كان صرح بالمضروب حقيقة لكان التركيب طريقا فيه فكان يعود الضمير على البحر المضروب ويبسا مصدر وصف به الطريق وصفه بما ال اليه اذ كان حالة الضرب لم تتصف باليبس بل مرت عليه الصبا فجففته كما روي ويقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ومن كونه مصدرا وصف به المونث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها **وقرا** الحسن يبسا بسكون الباء قال صاحب اللوامح قد يكون مصدرا كالعامة وقد يكون بالاسكان المصدر وبالفتح الاسم كالنفض وقال الزمخشري لا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا لقوله ومعا جياعا ٥ جعله لفرط جوعه كجماعة جياع انتهى **وقرا** ابو حيوة يابسا اسم فاعل **وقرا** الجمهور لا تخاف وهي جملة في موضع الحال من ضمير فاضرب وقيل في موضع الصفة للطريق وحذف العائد اي لا تخاف فيه **وقرا** الاعمش وحمزة وابن ابي ليلى لا تخف بالجزم على جواب الامر او على نهي مستانف

سعة

قاله الزجاج وقرأ أبو حيوة وطلحة والأعمش دركا بسكون الراء والجمهور بفتحها والدرك
والدرك اسمان من الادراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى
أنت ولا قومك غرقا وعطفه على قراءة الجمهور لا تخاف ظاهر وأما على قراءة الجزم فتخرج
على أن الألف جيء بها لأجل أواخر الآي فاصلة نحو قوله فأضلونا السبيلا وعلى أنه إخبار
مستأنف أي وأنت لا تخشى وعلى أنه مجزوم بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال
ألم يأتيك وهي لغة قليلة وقال الشاعر

• إذا العجوز غضبت فطلق • ولا ترضاها ولا تملق ٥

وقرأ الجمهور فأتبعهم بسكون التاء وأتبع قد يكون بمعنى تبع فيتعدى إلى واحد
كقوله فأتبعه الشيطان وقد يتعدى إلى اثنين كقوله وأتبعناهم ذرياتهم فتكون الباء
زائدة أي جنوده أو تكون للحال والمفعول الثاني محذوف أي رؤساءه وحشمه وقرأ
أبو عمرو في رواية والحسن فاتبعهم بتشديد التاء وكذا عن الحسن في جميع ما في القرآن
إلا فأتبعه شهاب ثاقب والباء في بجنوده في موضع الحال كما تقول خرج زيد بسلاحه أو الباء
للتعدي لمفعول ثان بحرف جر إذ لا يتعدى اتبع بنفسه إلا إلى مفعول واحد وقرأ الجمهور
فغشيهم من اليم ما غشيهم على وزن فعل مجردا من الزيادة وقرأت فرقة منهم الأعمش
فغشاهم من اليم ما غشاهم بتضعيف العين فالفاعل في القراءة الأولى ما وفي الثانية
الفاعل الله أي فغشاهم الله قال الزمخشري أو فرعون لأنه الذي ورط جنوده وتسبب
لهلاكهم وقال ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني
الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله وقال ابن عطية ما غشيهم إبهام أهول من
النص على قدر ما وهو كقوله إذ يغشى السدرة ما يغشى والظاهر أن الضمير في غشيهم في
الموضعين عائد على فرعون وقومه وقيل الأول على فرعون وقومه والثاني على موسى
وقومه وفي الكلام حذف على هذا القول تقديره فنجا موسى وغرق فرعون وقومه وقال
الزجاج وقرئ وجنوده عطفا على فرعون وأضل فرعون قومه أي من أول أمره إلى
هذه النهاية ويعني بالضلال في الدين وقيل أضلهم في البحر لأنهم غرقوا فيه واحتج
به القاضي على مذهبه فقال لو كان الضلال من خلق الله لما جاز أن يقال وأضل فرعون
بل وجب أن يقال الله أضلهم لأن الله تعالى ذمه بذلك فكيف يكون خالقا للكفر لأن
من ذم غيره بفعل شيء لا بد أن يكون المذموم فاعلا لذلك الفعل وإلا استحق الذام
الذم انتهى وهو على طريق الاعتزال وما هدى أي ما هداهم إلى الدين وما نجا من الغرق
أو ما اهتدى في نفسه لأن هدى قد يأتي بمعنى اهتدى ٥ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم
من عدوكم ذكرهم تعالى بأنواع نعمه وبدأ بإزالة ما كانوا فيه من الضرر من الإذلال
والخراج والذبح وهي كذا تكون مقدمة على المنفعة الدنياوية لأن إزالة الضرر
أعظم في النعمة من إيصال تلك المنفعة ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية
وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الأيمن إذ أنزل على نبيهم موسى كتابا فيه بيان
دينهم وشرح شريعتهم ثم ذكر المنفعة الدنياوية وهو قوله ونزلنا عليكم المن
والسلوى والظاهر أن الخطاب لمن نجا مع موسى بعد إغراق فرعون وقيل لمعاصري الرسول
اعتراض في أثناء قصة موسى توبيخا لهم إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله فهو على

حذف

حذف مضاف أي أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون وخاطب الجميع بوعدناكم وإن الموعودون
هم السبعين الذين اختارهم موسى لسماع كلام الله لأن سماع أولئك السبعين يعود منفعته
على جميعهم إذ تطيب قلوبهم وتسكن وتقدم الكلام في جانب الطور الأيمن في سورة مريم
وعلى وأنزلنا عليكم المن والسلوى في سورة البقرة وقرأ حمزة والكسائي والأعمش
وطلحة قد أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بتاء الضمير وباقي السبعة بنون العظمة وحميد
نجيناكم بتشديد الجيم من غير ألف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف أبي عمرو في واعد
في البقرة والطيبات هنا الحلال اللذيذ لأنه جمع الوصفين وقرئ الأيمن قال
الزمخشري الجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى وهذا من الشذوذ والقلة بحيث
ينبغي أن لا تخرج القراءة عليه والصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن وأما لكونه على يمين
من يستقبل الجبل ونهاهم عن الطغيان فيما رزقهم وهو أن يتعدوا حدود الله فيه بأن
يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي ويمنعوا
الحقوق الواجبة عليهم فيها وقرأ زيد بن علي ولا تطغوا فيه بضم الغين وعن ابن عباس
ولا تطغوا فيه لا يظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه بغير حق وعن الضحاك
ومقاتل لا تجاوزوا حد الإباحة وعن الكلبي لا تكفروا النعمة أي لا تستعينوا بنعمتي
على مخالفتي وقرأ الجمهور فيحل بكسر الحاء ومن يحلل أي فيجب ويلحق وقرأ الكسائي
بضم الحاء ومن يحلل أي ينزل وهي قراءة قتادة وأبي حيوة والأعمش وطلحة ووافق
ابن عتيبة في يحلل فضم وفي اللوامح لابن على الأهوازي ما نصه ابن غزوان
عن أبي طلحة لا يحلن عليكم غضبي بلام ونون مشددة وفتح اللام وكسر الحاء
أي لا تتعرضوا للطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من باب لا أرينك هنا وفي كتاب
اللوامح قتادة وعبد الله بن مسلم بن يسار وابن وثاب والأعمش فيحل بضم الياء
وكسر الحاء من الإحلال فهو متعد من حل بنفسه والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته وتقد
فيحل به طغيانكم غضبي عليكم ودل على ذلك ولا تطغوا فيصير غضبي في موضع نصب
مفعول به وقد يجوز أن يسند الفعل إلى غضبي فيصير في موضع رفع بفعله وقد حذف
منه المفعول للدليل عليه وهو العذاب أو نحوه انتهى ٥ فقد هوى كني به عن الهلاك
وأصله أن يسقط من جبل فيهلك يقال هوى الرجل أي سقط ويشبه الذي يقع في
ورطة بعد أن كان بنجوة منها بالساقط أو هوى في جهنم وفي سخط الله وغضب الله
وعقوباته ولذلك وصف بالنزول ولما حذر تعالى من الطغيان فيما رزق وحذر من
حلول غضبه فتح باب الرجاء للتائبين وأتى بصفة المبالغة وهي قوله وإني
لغفار لمن تاب قال ابن عباس من الشرك وآمن أي وحد الله وعمل صالحا أدى الفرائض
ثم اهتدى لزم الهداية وأداها إلى الموافاة على الإسلام وقيل معناه لم يشك
في إيمانه وقيل ثم استقام قال ابن عطية والذي يقوى في معنى ثم اهتدى أن
يكون ثم حفظ معتقداته من أن يخالف الحق في شيء من الأشياء فإن الاهتداء على
هذا الوجه غير الإيمان وغير العمل ٥ وقال الزمخشري الاهتداء هو الاستقامة
والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ونحوه إن الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها

قوله عز وجل وما اعجلك

على ثبات الوقتين في جانبي زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منه وافضل ٥ وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى ٥ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا ٥ قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ٥ لما نهض موسى عليه السلام ببني اسرائيل الى جانب الطور الايمن حيث كان الموعد ان يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل والآجل راى على وجه الاجتهاد ان يتقدم وحده مبادرا الى امر الله وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف هارون على بني اسرائيل وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه زاده في الاجل عشرا وحينئذ وقفه على استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا وما استفهام اي شيء عجل بك عنهم قال الزمخشري وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظن ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء انتهى والظاهر ان قوله عن قومك يريد به جميع بني اسرائيل كما قد بينا قبل لا السبعين ٥ وقال الزمخشري وليس يقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري انتهى وما اعجلك سؤال عن سبب العجلة واجاب بقوله هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لان قوله وما اعجلك تضمن تاخر قومه عنه فاجاب مشيرا اليهم لقربهم منه انهم على اثره جائيين للموعد وذلك على ما كان عهد اليهم ان يجيئوا للموعد ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو ما تضمنه قوله وعجلت اليك رب لترضى من طلبه رضى الله تعالى في السبق الى ما وعد ربه ومعنى اليك الى مكان وعدك ولترضى ليدوم رضاك ويستمر لانه تعالى كان عنه راضيا وقال الزمخشري فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام

انتهى

انتهى وفيه سوء ادب على الانبياء عليهم السلام وقرأ الحسن وابن معاذ عن ابيه اولاي بياء مكسورة وابن وثاب وعيسى في رواية اولاي بالقصر وقرأت فرقة اولاي بياء مفتوحة وقرأ عيسى ويعقوب وعبد الوارث عن ابي عمرو وزيد بن علي اثري بكسر الهمزة وسكون الثاء وحكى الكسائي اثري بضم الهمزة وسكون الثاء وتروى عن عيسى وقرأ الجمهور اولاء بالمد والهمز على اثري بفتح الهمزة والثاء وعلى اثري يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر وفي موضع نصب على الحال قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اي اختبرناهم بما فعل السامري او القيناهم في فتنة اي ميل مع الشهوات ووقوع في اختلاف من بعدك اي من بعد فراقك لهم وقال الزمخشري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياتها وقالوا قد كملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم عند انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا انتهى وقرأ الجمهور واضلهم فعلا ماضيا وقرأ ابو معاذ وفرقة واضلهم برفع اللام مبتدأ والسامري خبره وكان اشدهم ضلالا لانه ضال في نفسه مضل غيره وفي القراءة المشهورة اسند الضلال الى السامري لانه كان السبب في ضلالهم واسند الفتنة اليه تعالى لانه هو الذي خلقها في قلوبهم والسامري قيل اسمه موسى بن ظفر وقيل منجا وهو ابن خالة موسى او ابن عمه او عظيم من بني اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة او علج من كرمان او من باجرما او من اليهود او من القبط امن بموسى وخرج معه وكان جاره او من عباد البقر وقع في مصر فدخل في بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه عبادة البقر اقوال ولنقدم في الاعراف كيفية اتخاذ العجل وقيل ذلك في البقرة فاغنى عن اعادته هنا فرجع موسى الى قومه وذلك بعدما استوفى الاربعين واتصب غضبان اسفا على الحال والاسف اشد الغضب وقيل الحزن وغضبه من حيث له قدرة على تغيير منكرهم واسفه وهو حزنه من حيث علم انه موضع عقوبة لا يدله بدفعها ولا بد منها قال ابن عطية والاسف في كلام العرب متى كان من ذي قدرة على من دونه فهو غضب ومتى كان من الاقل على الاقوى فهو حزن وتامل ذلك فهو مطرد ثم اخذ موسى عليه السلام يوبخهم على اضلالهم والوعد الحسن ما وعدهم من الوصول الى جانب الطور الايمن وما بعد ذلك من الفتوح في الارض والمغفرة لمن تاب وامن وغير ذلك مما وعد الله اهل طاعته وقال الزمخشري وعدهم الله بعد ما استوفى الاربعين ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل وقال الحسن الوعد الحسن الجنة وقيل ان يسمعهم كلامه والعهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدي بكذا اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل انتهى

مري
بهم

وانتصب وعدا على المصدر والمفعول الثاني ليعدكم محذوف او اطلق الوعد وأراد به الموعود فيكون هو المفعول الثاني وفي قوله افطال اليكم العهد توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى يتبين لهم خلف في الموعد وارادة حلول غضب الله وذلك كله لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتدبر وسمى العذاب غضبا من حيث هو ناشئ عن الغضب فان جعل بمعنى الارادة فصفة ذات او عن ظهور النقمة والعذاب فصفة فعل وموعدي مصدر يحتمل ان يضاف الى الفاعل اي وجدتموني اخلفت ما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعد فلان اذا وجده وقع فيه الخلف قاله المفضل وان يضاف الى المفعول وكانوا وعدوه ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام ولا يخالفوا امر الله ابدا فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل **وقرأ** الاخوان والحسن والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى وقعنب بملكنا بضم الميم **وقرأ** زيد بن علي ونافع وعاصم وابو جعفر وشيبة وابن سعدان بفتحها وباقي السبعة بكسرها **وقرأ** عمر رضي الله عنه بملكنا بفتح الميم واللام وجعلته بسلطاننا فالملك والملك بمنزلة النقض والنقض والظاهر انها لغات والمعنى واحد وفرق ابو علي وغيره بين معانيها فمعنى الضم انه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما اخلفناه بنظر ادى اليه ما فعل السامري فليس المعنى ان لهم ملكا وانما هذا

كقول ذي الرمة

لا يشتكي سقطة منها وقد رقصت • بها المفاوز حتى ظهرها حدب •

اي لا يكون منها سقطة فتشتكي وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بان ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان ومعناها هنا كمعنى التي قبلها والمصدر في هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر اي بملكنا الصواب وقال الزمخشري اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده **وقرأ** الاخوان وابو عمرو وابن محيصن بفتح الحاء والميم وابو رجاء بضم الحاء وكسر الميم **وقرأ** باقي السبعة وابو جعفر وشيبة وحميد ويعقوب غير روح كذلك الا انهم شددوا الميم والاوزار الاثقال اطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين اوزارا لثقلها او لسبب انهم اثموا في ذلك فسميت اوزارا لما حصلت الاوزار التي هي الاثام بسببها والقوم هنا القبط **وقيل** امرهم بالاستعارة موسى وقيل امر الله موسى بذلك **وقيل** هو ما القاه البحر مما كان على الذين غرقوا **وقيل** الاوزار هنا الاثام من جهة انهم لم يردوها الى اصحابها ومعنى انهم حملوا الاثام وقذفوها على ظهورهم كما جاء وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل معنى فقذفناها اي الحلي على انفسنا واولادنا وقيل فقذفناها في النار اي ذلك الحلي وكان اشار عليهم بذلك السامري فحفرت حفرة وسجرت فيها النار وقذف كل من معه شيء ما عنده من ذلك في النار وقذف السامري ما معه ومعنى فكذلك اي مثل قذفنا اياها القى السامري ما كان معه وظاهر هذه الالفاظ ان العجل لم يصنعه السامري وقال الزمخشري فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل

ما القوا

ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار تخور كالخوار العجاجيل والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى انتهى **وقيل** معنى جسدا شخصا **وقيل** لا يتغذى وتقدم الكلام على قوله له خوار في الاعراف والضمير في فقالوا لبني اسرائيل الذين ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذا اشارة الى العجل وقيل الضمير في قالوا عائد على السامري اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لجرمه وقيل عليه وعلى تابعيه **وقرأ** الاعمش فنسي بسكون الياء والظاهر ان الضمير في نسي عائد على السامري اي فنسي سلامه وايمانه قاله ابن عباس او فترك ما كان عليه من الدين قاله مكحول وهو كقول ابن عباس او فنسي ان العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا او فنسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء وعلى هذه الاقوال يكون فنسي اخبارا من الله عن السامري **وقيل** الضمير عائد على موسى عليه السلام اي فنسي موسى ان يذكر لكم ان هذا الهكم او فنسي الطريق الى ربه وكلا هذين القولين عن ابن عباس او فنسي موسى الهه عندكم وخالفه في طريق آخر قاله قتادة وعلى هذه الاقوال يكون من كلام السامري **ثم بين** تعالى فساد اعتقادهم بان الالوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول ابراهيم لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر والرؤية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها ان المخففة من الثقيلة كما جاء الم يروا انه لا يكلمهم بان الثقيلة ورفع يرجع قراءة الجمهور **وقرأ** ابو حيوة ان لا يرجع بنصب العين قاله ابن خالويه وفي الكامل ووافقه على ذلك وعلى نصب ولا يملك الزعفراني وابن صبيح وابان والشافعي محمد بن ادريس الامام المطلبي جعلوها ان الناصبة للمضارع وتكون الرؤية من الابصار

المفردات

اللحية معروفة وتجمع على لحى بكسر اللام وضمها **نسف** ينسف بكسر سين المضارع وضمها نسفا فرق وذرى وقال ابن الاعرابي قلع من الاصل **الزرقة** لون معروف يقال زرقت عينه وازرقت وازراقت **القاع** قال ابن الاعرابي الارض الملساء لا نبات فيها ولا بناء وقال الجوهري المستوي من الارض ومنه **قول ضرار بن الخطاب**

لتكونن بالبطاح قريش • فقعة القاع في اكف الاماء •

والجمع اقوع واقواع وقيعان وحكى مكي ان القاع في اللغة المكان المنكشف وقال بعض اهل اللغة القاع مستنقع الماء **الصفصف** المستوي الاملس وقيل الذي لا نبات فيه وهو مضاعف كالسبسب **الامت** التل **والعوج** التعوج في الفجاج قاله ابن الاعرابي **الهمس** الصوت الخفي قاله ابو عبيدة **وقيل** وطء الاقدام **قال الشاعر**

وهن يمشين بنا هميسا ٥

ويقال للاسد الهموس لخفاء وطئه ويقال همس الطعام مضغه **عنا** يعنو ذل وخضع واعناه غيره اذله **وقال امية بن ابي الصلت** ٥

• بمليك على عرش السماء مهيمن • لعزته تعنو الوجوه وتسجد •

الهضم النقص تقول العرب هضمت لك حقي اي حططت منه ومنه هضيم الكشحين اي ضامرهما وفي الصحاح رجل هضيم ومتهضم مظلوم وهضمته واهتضمته ظلمته •

وقال المتوكل الليثي ه

ان الاذلة واللئام لمعشر مولاهم المتهضم المظلوم

عري يعري لم يكن على جلده شيء يغطيه **قال الشاعر** ه

وان يعرين ان كسي الجواري • فتنبو العين عن كرم عجاف ه

ضحي يضحى برز للشمس **قال عمر بن ابي ربيعة** ه

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر ه

الضنك الضيق والشدة ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا وامراة ضناك كثيرة اللحم صار جلدها به زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو فهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق والانجم الزهر المضيئة وازهر الشجر بدا زهره وهو النور ه ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ه قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري قال يبنؤم لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا • انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما • ط اشفق هارون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة وبين ان ما ذهبوا اليه من امر العجل انما هو فتنة اذ كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن اخيه موسى عليه السلام اخلفني في قومي الاية ولا يمكنه ان يخالف امر الله وامر اخيه وروي ان الله اوحى الى يوشع اني مهلك من قومك اربعين الفا فقال يا رب فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي والمضاف اليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادر هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن وقال ابن عطية اخبر عز وجل ان هرون قد كان قال لهم في اول حال العجل انما هي فتنة وبلاء وتمويه من السامري وان ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق والاختراع فاتبعوني الى الطور الذي واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امري فيما ذكرته لكم • انتهى والضمير في به عائد على العجل زجرهم اولا هارون عن الباطل وازالة الشبهة بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على انهم متى تابوا قبلهم وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم امرهم باتباعه تنبيها على انه نبي يجب ان يتبع وبطاعة امره **وقرأ** الحسن وعيسى وابو عمرو في رواية وان ربكم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها والمصدر المنسبك منها في موضع خبر مبتدأ محذوف

قوله عزوجل ولقد قال لهم هرون

تقديره والامر ان ربكم الرحمن فهو من عطف جملة على جملة وقدره ابو حاتم ولان ربكم الرحمن **وقرأت فرقة** انما وان ربكم بفتح الهمزتين وتخريج هذه القراءة على لغة سليم حيث يفتحون ان بعد القول مطلقا ولما وعظهم هرون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم الى الاستدلال واخذ بتقليدهم السامري ودلالة على ان لن لا تقتضي التابيد خلافا للزمخشري اذ لو كان من موضوعها التابيد لما جازت التغيية بحتى لان التغيية لا تكون الا حيث يكون الشيء محتملا فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية **وفي الكلام** قوله قال يا هرون كلام محذوف تقديره فرجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل قال يا هرون وكان ظهور العجل في سادس وثلاثين يوما وعبدوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين فعتب موسى على عدم اتباعه لما رآهم قد ضلوا ولا زائدة كهي في قوله ما منعك ان لا تسجد وقال علي بن عيسى دخلت لا هنا لان المعنى ما دعاك الى ان لا تتبعني وما حملك على ان لا تتبعني بمن معك من المؤمنين افعصيت امري يريد قوله اخلفني الاية وقال الزمخشري ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني وفي ذلك تحميل اللفظ ما لا يحتمله وتكثير ولما كان قوله تتبعني لم يذكر متعلقة كان الظاهر ان لا تتبعني الى جبل الطور ببني اسرائيل فيجي اعتذار هارون بقوله اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اذ كان لا يتبعه الا المؤمنون ويبقى عباد العجل عاكفين عليه كما قالوا لن نبرح عليه عاكفين **ويحتمل** ان يكون المعنى تتبعني تسير بسيري في الاصلاح والتسديد فيجي اعتذاره ان الامر تفاقم فلو تقويت عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريقا بينهم وانما لاينت جهدي **وقرأ** عيسى ابن سليمان الحجازي بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه ولما رأى قومه عبدوا عجلا من دون الله بعد ما شاهدوا من الايات العظام لم يتمالك ان اقبل على اخيه قابضا على شعر رأسه وكان كثير الشعر وعلى شعر وجهه يجره اليه فابدى عذره فانه لو قاتل بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فانتظرتك لتكون المتدارك لهم وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به والعمل بموجبها وتقدم الكلام على ابن ام قراءة واعرابا وغير ذلك **وقرأ** ابو جعفر ولم ترقب بضم التاء وكسر القاف مضارع ارقب ولما اعتذر له اخوه رجع الى مخاطبة الذي اوقعهم في الضلال وهو السامري وتقدم الكلام في الخطب في سورة يوسف وقال ابن عطية ما خطبك كما تقول ما شانك وما امرك لكن لفظة الخطب تقتضي انتهارا لان الخطب مستعمل في المكاره فكانه قال ما نحسك وما شومك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك انتهى وهذا ليس كما ذكر الا ترى الى قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون وهو قول ابراهيم لملائكة الله فليس هذا يقتضي انتهارا ولا شيئا مما ذكر وقال الزمخشري خطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له انتهى ومنه خطبة النكاح وهو طلبه

لك

وقيل هو مشتق من الخطاب كانه قال له ما حملك على ان خاطبت بني اسرائيل بما خاطبت
وفعلت معهم ما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به قال ابو عبيدة علمت ما لم يعلموا
وقال الزجاج بصر بالشيء اذا علمه وابصر اذا نظر وقيل بصره وابصره بمعنى واحد
وقرأ الاعمش وابو السمال بصرت بكسر الصاد بما لم يبصروا بفتح الصاد وقرأ عمرو بن عبيد
بصرت بضم الباء وكسر الصاد بما لم تبصروا بضم التاء وفتح الصاد مبنيا للمفعول فيهما
وقرأ الجمهور بصرت بضم الصاد وحمزة والكسائي وابن جرير والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى
وابن مناذر وابن سعدان وقعنب تبصروا بتاء الخطاب لموسى وبني اسرائيل وباقي السبعة
يبصروا بياء الغيبة وقرأ الجمهور فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما اي اخذت
بكفي مع الاصابع وقرأ عبد الله وابي وابن الزبير والحسن وحميد بالصاد فيهما وهو الاخذ
باطراف الاصابع وقرأ الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بن عاصم بضم القاف والصاد
المهملة وادغم ابن محيصن الضاد المنقوطة في تاء المتكلم وابقى الاطباق مع تشديد التاء
وقال المفسرون الرسول هنا جبريل السلام والتقدير من اثر فرس الرسول وكذا قرأ عبد الله
والاثر التراب الذي تحت حافر فنبذتها اي القيتها على الحلي الذي تصور منه العجل
فكان منها ما رايت وقال الاكثرون راى السامري جبريل يوم فلق البحر وعن علي رآه
حين ذهب موسى الى الطور وجاءه جبريل فابصره دون الناس وقال الزمخشري
فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد
الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به
فابصره السامري فقال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى
عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه
جبريل انتهى وهو قول علي مع زيادة وقال ابو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح
بهذا الذي ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام
واثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقتص اثره
اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما اقبل على السامري باللوم والمسألة عن الامر
الذي دعاه الى اضلال القوم في العجل قال بصرت بما لم يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم
عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيئا من دينك
فنبذتها اي طرحتها فعند ذلك اعلم موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة وانما
اراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا
او بماذا يأمر الامير وتسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا بالانزال قيل وما ذكره ابو مسلم
اقرب الى التحقيق الا ان فيه مخالفة المفسرين قيل ويبعد ما قالوه ان جبريل ليس
معهودا باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول لسابق في الذكر
ولان ما قالوه لا بد فيه من اضمار اي من اثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل
ولان اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف
ان حافر فرسه يؤثر هذا الاثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما
وكيف عرف جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف

المطلع كان على تراب هذا شأنه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر يشبه هذا
فلاجله اتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما اتوا به من الخوارق انتهى ما رجح به هذا
القائل قول ابي مسلم الاصبهاني وكذلك سولت لي نفسي اي كما حدث ووقع قربت لي نفسي
وجعلته لي سولا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد
او وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بني اسرائيل باجتنابه
واجتناب قبيلته وان لا يواكلوا ولا يناكحوا وجعل له ان يقول مدة حيوته لا مساس
اي لا مماسة ولا اذاية وقال الزمخشري عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها
واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا
رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس ويقال
ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم انتهى وكون الحمى تأخذ الماس والممسوس قول قتادة
والامر بالذهاب حقيقة ودخلت الفاء للتعقيب اثر المحاورة وطرده بلا مهلة زمانية
وعبر بالمماسة عن المخالطة لانها ادنى اسباب المخالطة فنبه بالادنى على
الاعلى والمعنى لا مخالطة بينك وبين الناس فنفر من الناس ولزم البرية وهجر
البرية وبقي مع الوحوش الى ان استوحش وصار اذا رأى احدا يقول لا مساس
اي لا تمسني ولا امسك وقيل ابتلي بعذاب قيل له لا مساس بالوسواس وهو الذي
عناه الشاعر بقوله

• فاصبح ذلك كالسامري • اذ قال موسى له لا مساس •

ومنه قول رؤبة • حتى يقول الازد لا مساسا • وقيل
اراد موسى قتله فمنعه الله من قتله لانه كان سخيا قال بعض شيوخنا وقد وقع مثل
هذا في شرعنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا امر الرسول عليه السلام ان لا يكلموا ولا
يخالطوا وان يعتزلوا نساءهم حتى تاب الله عليهم وقرأ الجمهور لا مساس بفتح السين
والميم مكسورة ومساس مصدر ماس كقتال من قاتل وهو منفي بلا التي لنفي الجنس
وهو نفي اريد به النهي اي لا تمسني ولا امسك وقرأ الحسن وابو حيوة وابن ابي عبلة
وقعنب بفتح الميم وكسر السين فقال صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظار من اسماء
الافعال بمعنى انزل وانظر فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف ولا تدخل عليها
لا النافية التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره لا يكون
منك مساس ولا اقول مساس ومعناه النهي اي لا تمسني انتهى وظاهر هذا ان مساس
اسم فعل وقال الزمخشري لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء

• ان وردت الماء فلا عباب • وان فقدته فلا اباب •

وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب وقال ابن عطية
لا مساس هو معدول عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة وغيره بنزال ودراك
ونحوه والمشبه صحيح من حيث هي معدولات وفارقه في ان هذه عدلت عن الامر ومساس
وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا قول الشاعر

• تميم كرهط السامري وقوله • الا لا يريد السامري مساس •

س

انتهى قول الامام الزمخشري وابن عطية يدل على ان مساس مصدر وان المصدر الذي هو المسة كنجار مصدر ولا عن الحرج وان لك موعدا اي في القيامة وقرا الجمهور لن تخلفه بالتاء المضمومة وفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف بل ينجزه لك الله في الآخرة على الشرك والفساد بعد ما عاقبك في الدنيا وقال الزمخشري وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا ❊ فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وقرا ابن كثير والاعمش وابو عمرو بضم التاء وكسر اللام اي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة فتزول عن موعد العذاب وقرا ابو نهيك لن نخلفه بفتح النون وضم اللام هكذا بالنون منقوطة من فوق عن ابي نهيك في نقل ابن خالويه وفي اللوامح ابو نهيك لن يخلفه بفتح الياء وضم اللام وهو من خلفه يخلفه اذا جاء بعده اي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله فيما بعد لا مساس بالفعل فهو مسند الى الموعد او الموعد لن يخلف ما قدر لك من العذاب في الآخرة وقال سهل يعني ابا حاتم لا يعرف لقراة ابي نهيك مذهبا انتهى وقرا ابن مسعود والحسن بخلاف عنه نخلفه بالنون وكسر اللام اي لا ننقص مما وعدناك من الزمان شيا وقال ابن جني لن نصادفه مخلفا وقال الزمخشري لن يخلفه الله حكى قوله عز وجل كما مر في لا اسب لك انتهى ثم وبخ موسى عليه السلام السامري بما اراد ان يفعل بالعجل الذي اتخذه الها من اذهابه ونسفه على هيئته فواجهه بقوله وانظر الى الهك وخاطبه وحده اذ كان هو راس الضلال وهو منتظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين واقسم ليحرقنه وهو اعظم فساد الصورة ثم لننسفنه في اليم حتى تتفرق اجزاوه فلا تجتمع ويظهر انه لما كان قد اخذ السامري القبضة من اثر فرس جبريل وهو داخل البحر حالة تقدم فرعون وتبعه فرعون في الدخول ناسب ان ينسف ذلك العجل الذي صاغه السامري من الحلي الذي كان اصله للقبط والقي فيه القبضة في البحر ليكون ذلك تنبيها على ان ما كان به قيام الحيوة آل الى العدم والقي في محل ما قامت به الحيوة وان اموال القبط قذفها الله في البحر لا ينتفع بها كما قذف الله اشخاصهم الكيها في البحر وغرقهم فيه وقرا الجمهور ونصر عن عاصم لابن يعمر ظلت بظا مفتوحة ولام واحدة ساكنة وقرا ابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وابو حيوة وابن ابي عبلة وابن يعمر بخلاف عنه كذلك الا انهم كسروا الظاء وعن ابن يعمر ضمها وعن ابي والاعمش ظللت بلامين على الاصل فاما حذف اللام فقد ذكر س في الشذوذ يعني شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال مع مست واصله مسست واحست واصله احسست وذكر ابن الانباري همت واصله هممت ولا يكون ذلك الا اذا سكن آخر الفعل نحو ظلت اذ اصله ظللت وذكر بعض من عاصرناه ان ذلك منقاس في كل مضاعف العين واللام في لغة بني سليم حيث تسكن آخر الفعل وقد امعنا الكلام على هذه المسالة في شرح التسهيل من تاليفنا فاما من كسر الظاء فلانه نقل حركة اللام الى الظا بعد نزع حركتها تقديرا ثم حذف اللام واما من ضمها فيكون على انه جا في بعض اللغات على فعل بضم العين فيهما ونقلت ضمة اللام الى الظاء كما نقلت في حالة الكسر على ما تقرر وقرا الجمهور لنحرقنه مشددا

مضارع

مضارع حرق مشددا وقرا الحسن وقتادة وابو جعفر وابو رجاء والكلبي مخففا من احرق رباعيا وقرا علي وابن عباس وحميد وابو جعفر في رواية وعمرو بن فايد بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء والظاهر ان حرق واحرق هو بالنار واما القراة الثالثة فمعناها لنبردنه بالمبرد يقال حرق يحرق ويحرق بضم الراء المضارع وكسرها وذكر ابو علي ان التشديد قد يكون مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وفي مصحف ابي وعبد الله لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وتوافق هذه القراة من روى انه صار لحما ودما ذا روح ويترتب الاحراق بالنار على هذا واما اذا كان جمادا مصوغا من الحلي فيترتب برده لا احراقه الا ان يعني به اذابته وقال السدي امر موسى بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وقيل بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها وقرا الجمهور لننسفنه بكسر السين وقرات فرقة منهم عيسى بضم السين وقرا ابن مقسم لننسفنه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد السين والظاهر وقول الجمهور ان موسى تعجل وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى وصنع بالعجل ما صنع ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني اسرايل وان يطلعهم ايضا على امر المناجاة فكان لموسى عليه السلام نهضتان واستدمكي خلاف هذا ان موسى كان مع السبعين في المناجاة وحينيذ وقع امر العجل وان الله اعلم موسى بذلك فكتمه عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بني اسرايل حول العجل فحينيذ اعلمهم موسى انتهى ولما فرغ من ابطال ما عمله السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله وقرا الجمهور وسع فانتصب علما على التمييز المنقول من الفاعل وتقدم نظيره في الانعام وقرا مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشددة قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا وقال ابن عطية وسع بمعنى خلق الاشيا وكثرها بالاختراع فوسعها موجودا كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ❊ من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا ❊ خالدين فيه وسا لهم يوم القيامة حملا ❊ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يوميذ زرقا ❊ يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا ❊ نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ❊ ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ❊ فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ❊ يوميذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ❊ يوميذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ❊ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ❊ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ❊ ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما ❊ وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ❊ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ❊ ذلك اشارة الى نبا موسى وبني اسرايل وفرعون اي كقصصنا هذا

قوله عز وجل كذلك نقص عليك

الأنباء العجيب نقص عليك من أنباء الأمم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الإعلام
بأخبار الأمم السالفة ليتسلى بذلك ويعلم ما صدر من الأمم لرسلهم وما قاست الرسل
منهم والظاهر أن الذكر هنا القرآن امتن تعالى عليه بإيتائه الذكر المشتمل على القصص
والأخبار الدالة على معجزات أوتيتها وقال مقاتل ذكرا بيانا وقال أبو سهل
شرفا وذكرا في الناس من أعرض عنه أي عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع ما فيه وقرأ
الجمهور يحمل مضارع حمل مخففا مبنيا للفاعل وقرأت فرقة منهم داود بن رفيع يحمل مشددا
الميم مبنيا للمفعول لأنه يكلف ذلك لا أنه يحمله طوعا ووزرا مفعول ثان ووزرا ثقلا
باهظا يؤوده حمله وهو ثقل العذاب وقال مجاهد إثما وقال الثوري شركا والظاهر
أنه عبر عن العقوبة بالوزر لأنه سببها ولذلك قال خالدين فيه أي في العذاب والعقوبة
وجمع خالدين والضمير في لهم حملا على معنى من بعد الحمل على لفظها في أعرض وفي فإنه يحمل
والمخصوص بالذم محذوف أي وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك لا متعلقة بساء وساء
هنا هي التي جرت مجرى بئس لا التي بمعنى أحزن وأهم لفساد المعنى يوم ينفخ بدل
من يوم القيامة وقرأ الجمهور ينفخ مبنيا للمفعول ونحشر بالنون مبنيا للفاعل بنون العظمة
وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وحميد ننفخ بنون العظمة كنحشر أسند النفخ إلى الآمر به
والنافخ هو إسرافيل ولكرامته أسند ما يتولاه إلى ذاته المقدسة والصور تقدم الكلام
فيه في الأنعام وقرئ ينفخ ويحشر بالياء فيهما مبنيا للفاعل وقرأ الحسن وابن عياض
في جماعة في الصور على وزن درر وحسن يحشر بالياء مبنيا للمفعول ويحشر مبنيا للفاعل
وبالياء أي ويحشر الله والظاهر أن المراد بالزرق زرقة العيون والزرقة أبغض
ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في
صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال الشاعر

وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سبنتى أزرق العين مطرق

وقد ذكر في آية أخرى أنهم يحشرون سود الوجوه فالمعنى تشويه الصورة من سواد الوجه
وزرقة العين وأيضا فالعرب تتشاءم بالزرقة قال الشاعر

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر ... ألا كل عبسي من اللؤم أزرق

وقيل المعنى عميا لأن العين إذا ذهب نورها ازرق ناظرها وبهذا التأويل
يقع الجمع بين قوله زرقا في هذه الآية وعميا في الآية الأخرى وقيل زرق ألوان
أبدانهم وذلك غاية في التشويه إذ يجيئون كلون الرماد وفي كلام العرب يسمى هذا
اللون أزرق ولا ترزق الجلود إلا من مكابدة الشدائد وجفوف رطوباتها وقيل زرقا
عطاشا والعطش الشديد يرد سواد العين إلى البياض ومنه قولهم سنان أزرق
وقوله فلما وردن الماء زرقا جمامه أي بيضا وذكرت الآيتان لابن عباس
فقال ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقا وحالة يكونون عميا
يتخافتون يتسارون لهول المطلع وشدة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة
التي لبثوا فيها إن لبثتم أي في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين في الصور
ثلاثة أقوال ووصف ما لبثوا فيه بالقصر لأنها لما يعاينون من الشدائد كانت لهم
في الدنيا أيام سرور وأيام السرور قصار ولذهابها عنهم وتقضيها والذاهب

وإن

وإن طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستقصارهم لها في الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر
إليها عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وإذ معمولة
لأعلم وأمثلهم أعدلهم وطريقة منصوبة على التمييز إلا يوما إشارة لقصر مدة لبثهم
والأعشر يحتمل عشر ليال أو عشرة أيام لأن المذكر إذا حذف وأبقي عدده قد لا يأتي بالتاء
حكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا ومنه ما جاء في الحديث ثم أتبعه بست
من شوال يريد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية ذكرا ولا
أقل العدد وهو العشر وذكر أعدلهم طريقة أقل العدد وهو اليوم الواحد والظاهر
قوله إلا يوما على أن المراد يقول لهم عشرا عشرة أيام وضمير الغائب في ويسألونك
عائد على قريش منكري البعث أو على المؤمنين سألوا عن ذلك أو على رجل من ثقيف
وجماعة من قومه أقوال ثلاثة والكاف خطاب للرسول والظاهر وجود السؤال
ويبعد قول من قال إنه لم يكن سؤال بل المعنى إن سألوك عن الجبال فقل فضمن معنى
الشرط فلذلك أجيب بالفاء وروي أن الله يرسل على الجبال ريحا فتدكدكها حتى تكون
كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف
والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال أي بعد النسف تبقى قاعا أي مستويا من
الأرض معتدلا وقيل فيذر مقارها ومراكزها وقيل يعود على الأرض وإن لم يجر
لها ذكر لدلالة الجبال عليها وقال ابن عباس عوجا ميلا ولا أمتا أثرا مثل الشراك
وعنه أيضا عوجا واديا ولا أمتا رابية وعنه أيضا الأمت الارتفاع وقال
قتادة عوجا صدعا ولا أمتا أكمة وقيل الأمت التشقق في الأرض وقيل
غلظ مكان في الفضاء أو الجبل ويرق في مكان حكاه الصولي وقيل كان الأمت في الآية
العوج في السماء تجاه الهواء والعوج في الأرض مختص بالعرض وقال الزمخشري
فإن قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج
بالفتح في الأعيان والأرض فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا
اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها
على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية
على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم
استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي
فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس
الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس
دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الأمت النتوء اليسير يقال مد
حبله حتى ما فيه أمت انتهى يومئذ أي يوم إذ ينسف الله الجبال يتبعون أي
الخلائق الداعي داعي الله إلى المحشر نحو قوله مهطعين إلى الداع وهو إسرافيل
يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور في فيه
ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم إلى العرض
على الرحمن وقال محمد بن كعب يحشرون في ظلمة قد طويت السماء وانتثرت النجوم

فينادي مناد فيموتون موتة وقال علي بن عيسى الداعي هنا الرسول الذي كان يدعوهم
إلى الله فيعوجون على الصراط يمينا وشمالا ويميلون عنه ميلا عظيما فيومئذ لا ينفعهم
اتباعه والظاهر أن الضمير في له عائد على الداعي نفي عنه العوج أي لا عوج لدعائه بسمع
جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس ۝ **وقيل** هو على القلب أي لا عوج لهم عنه
بل يأتون مقبلين إليه متبعين لصوته من غير انحراف وقال الزمخشري أي لا يعوج له
مدعو بل يستوون إليه انتهى **وقيل** لا عوج له في موضع وصف لمنعوت محذوف
أي اتباعا لا عوج له فيكون الضمير في له عائدا على ذلك المصدر المحذوف وقال
ابن عطية يحتمل أن يريد به الإخبار أي لا شك فيه ولا يخالف وجوده خبره ويحتمل
أن يريد لا محيد لأحد عن اتباعه والمشي نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو في
الأصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار للرحمن أي لهيبة الرحمن وهو مطلع قدرته
وقيل هو على حذف مضاف أي وخشع أهل الأصوات والهمس الصوت الخفي الخافت ويحتمل
أن يريد بالهمس المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر ويحتمل أن يريد صوت الأقدام وأن أصوات
النطق ساكنة وقال الزمخشري الهمس هو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو
من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر
انتهى وعن ابن عباس وعكرمة وابن جبير الهمس وطء الأقدام واختاره الفراء والزجاج وعن
ابن عباس أيضا تحريك الشفاه بغير نطق وعن مجاهد الكلام الخفي ۝ ويؤيده قراءة أبي فلا
ينطقون إلا همسا وعن أبي عبيدة الصوت الخفي يومئذ بدل من يومئذ يتبعون أو يكون التقدير
يوم إذ يتبعون ويكون منصوبا بلا تنفع ومن مفعول بقوله لا تنفع وله معناه لأجله وكذا في
ورضي له أي لأجله ويكون من للمشفوع له أو بدل من الشفاعة على حذف مضاف أي إلا شفاعة
من أذن له أو منصوب على الاستثناء على هذا التقدير واستثناء منقطع فنصب على لغة الحجاز
ورفع على لغة تميم وتكون من في هذه الأوجه للشافع والقول المرضي عن ابن عباس لا إله إلا الله
والظاهر أن الضمير في أيديهم وما خلفهم عائد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعي وقيل
يعود على الملائكة وقيل على الناس لا بقيد الحشر والاتباع وتقدم تفسير هذه الجملة في آية
الكرسي في البقرة والضمير في به عائد على ما أي ولا يحيطون بمعلوماته علما والظاهر
عموم الوجوه أي وجوه الخلائق وخص الوجوه لأن آثار الذل إنما تظهر أولا في الوجوه وقال
طلق بن حبيب المراد سجود الناس على الوجوه والآراب السبعة فإن كان روي أن هذا يكون
يوم القيامة فتكون الآية إخبارا عنه واستقام المعنى وإن كان أراد في الدنيا فليس
ذلك بملائم للآيات التي قبلها وبعدها وقال الزمخشري المراد بالوجوه وجوه
العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت
وجوههم عانية أي ذليلة خاضعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة والقيوم تقدم الكلام عليه
في البقرة وقد خاب أي لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل
حامل بقدر ما حمل من الظلم فخيبة المشرك دائما وخيبة المؤمن العاصي مقيدة بوقت
في العقوبة إن عوقب ولما خص الزمخشري الوجوه بوجوه العصاة قال في قوله وقد
خاب من حمل ظلما إنه اعتراض كقولك خابوا وخسروا حتى تكون الجملة دخلت بين العصاة
وبين ومن يعمل من الصالحات فهذا عنده قسيم وعنت الوجوه وأما ابن عطية فجعل

قوله

قوله ومن يعمل إلى هضما معادلا لقوله وقد خاب من حمل ظلما لأنه جعل وعنت الوجوه
عامة في وجوه الخلائق ومن الصالحات بعض الصالحات بيسير في الشرع لأن من للتبعيض والظلم مجاوزة
الحد في عظم سيئاته والهضم نقص من حسناته قاله ابن عباس وقال قتادة الظلم أن
يزاد من ذنب غيره وقال ابن زيد الظلم أن لا يجزى بعمله وقيل الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق
حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين يسترجحون لأنفسهم
إذا اكتالوا ويخسرون إذا كالوا انتهى والظلم والهضم متقاربان قال الماوردي
والفرق أن الظلم منع الحق كله والهضم منع بعضه **وقرأ** الجمهور فلا يخاف على الخبر
أي فهو لا يخاف **وقرأ** ابن كثير وابن محيصن وحميد فلا يخف على النهي وكذلك عطف
على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة الوعيد
أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم
ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة والذكر ينطلق على الطاعة والعبادة وقيل
كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هؤلاء أمرها
وأنزلناه قرآنا عربيا وتوعدنا فيه بأنواع من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم
يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم
عقابه هذا تأويل فرقة في قوله أو يحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه أو يكسبهم
شرفا ويبقي عليهم إيمانهم ذكرا صالحا في الغابرين وقيل المعنى كما وعدنا أهل الإيمان
بالوعد حذرنا أهل الشرك بالوعيد وصرفنا فيه من الوعيد كالطوفان والصيحة
والرجفة والمسخ ولم يذكر الوعد لأن الآية سيقت مساق التهديد لعلهم يتقون
أي ليكونوا على رجاء من أن يوقع في قلوبهم الاتقاء أو يتقون أن ينزل بهم ما نزل
بمن تقدمهم أي يحدث لهم ذكرا أي عظة وذكرا واعتبارا وقال قتادة ورعا وقيل
أنزل القرآن ليصيروا محترزين عما لا ينبغي أو يحدث لهم ذكرا يدعوهم إلى الطاعات
وأسند ترجي التقوى إليهم وترجي إحداث الذكر للقرآن لأن التقوى عبارة عن انتفاء فعل
القبيح وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يسند للقرآن وإسناد إحداث الذكر إلى القرآن
لأنه أمر حدث بعد أن لم يكن والظاهر أن أو هنا لأحد الشيئين قيل وكهي في جالس الحسن
أو ابن سيرين أي لا تكن خاليا منهما **وقرأ** الحسن أو يحدث ساكنة الثاء **وقرأ**
عبد الله ومجاهد وأبو حيوة والحسن في رواية والجحدري وسلام أو نحدث بالنون وجزم
الثاء وذلك حمل وصل على وقف أو تسكين حرف الإعراب استثقالا لا لحركته نحو ۝
قول جرير أو نهر تيري فلا تعرفكم العرب ۝ ولما كان فيما سبق تعظيم القرآن
في قوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ذكر عظمة منزله
تعالى ثم ذكرها بين الصفتين وهي صفة الملك التي تضمنت القهر والسلطنة
والحق وهي الصفة الثابتة له إذ كل من يدعي الجفاء دونه باطل لا سيما الإله
الذي صاغوه من الحلي ومضمحل ملكه ومستعار **وتقدم** أيضا صفة سلطانه يوم
القيامة وعظم قدرته وذلته عبيده وحسن تلطفه بهم فناسب تعاليه ووصفه
بالصفتين المذكورتين **ولما ذكر** القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد
طالبا منه التأني في تحفظ القرآن ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه

اي تأنَّ حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته والقاءه كقوله
تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به **وقيل** معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى
يأتيك البيان **وقيل** سبب الآية ان امرأة شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم
ان زوجها لطمها فقال لها بينكما القصاص ثم نزلت الرجال قوامون على النساء
ونزلت هذه بمعنى الامر بالتثبت في الحكم بالقرآن **وقيل** كان اذا نزل عليه الوحي
امر بكتبه للحين فأمر ان يتأنى حتى يفسر له المعاني وتتقرر عنده وقال الماوردي
معناه ولا تسأل قبل ان يأتيك الوحي ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وقد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطأ الوحي عليه وافشت المقالة بين اليهود
قد غلب محمد فنزلت ولا تعجل بالقرآن اي بنزوله وقال ابو مسلم ولا تعجل بقراءته
في نفسك او في تأديته الى غيرك او في اعتقاد ظاهره او في تعريف غيرك ما يقتضيه
ظاهره احتمالات من قبل ان يقضى اليك وحيه اي تمامه او بيانه احتمالان فالمراد
اذن ان لا ينتخب نفسه ولا غيره عليه حتى يتبين بالوحي تمامه او بيانه او هما جميعا
لانه يجب التوقف في المعنى لما يجوز ان يحصل عقيبه من استثناء او شرط او غيرهما من
المخصصات وهذه العجلة لعله فعلها باجتهاده عليه السلام انتهى وفيه بعض تلخيص
وقرأ الجمهور يقضى اليك مبنيا للمفعول وحيه مرفوع به **وقرأ** عبد الله والجحدري
والحسن وابو حيوة ويعقوب وسلام والزعفراني وابن مقسم نقضي بنون العظمة مفتوح
الياء وحيه بالنصب **وقرأ** الاعمش كذلك الا انه سكن الياء من يقتضي قال
صاحب اللوامح وذلك على لغة من لا يرى فتح الياء بحال اذا انكسر ما قبلها وحلت
طرفا انتهى **وقل رب** زدني علما قال مقاتل اي قرآنا **وقيل** فهما وقيل علما
حفظا وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم
اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما
وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في طلب العلم ۝ ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ۝ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى ۝ فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى ۝ ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ۝ وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ۝
فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ۝
فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى
آدم ربه فغوى ۝ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ۝ قال اهبطا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
يشقى ۝ ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ۝ ونحشره يوم القيامة اعمى ۝
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ۝ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى ۝ وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب
الآخرة اشد وابقى ۝ تقدمت قصة آدم في البقرة والاعراف والحجر
والكهف ثم ذكرها هنا لما تقدم كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق
كان من هذه الانباء قصة آدم ليتحفظ بنو آدم من وسوسة الشيطان ويتنبهوا على

قوله عز وجل ولقد عهدنا

غوائله ومن اطاع الشيطان منهم ذكر بما جرى لابيهم آدم معه وانه اوضحت له
عداوته ومع ذلك نسي ما عهد اليه ربه وايضا لما امر بان يقول رب زدني علما
كان من ذلك ذكر قصة آدم وذكر شيء من احواله فيه لم يتقدم ذكرها فكان في ذلك
مزيد علم له عليه السلام والعهد عند الجمهور الوصية والظاهر ان المضاف اليه
المحذوف بعد قوله من قبل تقديره من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد في القرآن
لعلهم يتقون وهم الناقضون عهد الله والتاركون الايمان وقال الحسن من
قبل الرسول والقرآن **وقيل** من قبل ان يأكل من الشجرة وقال الطبري المعنى
وان يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل
ذلك ابوهم آدم قال ابن عطية وهذا ضعيف وذلك ان كون آدم مثالا للكفار
الجاحدين بالله ليس بشيء وآدم عليه السلام انما عصى بتأويل ففي هذا غضاضة عليه
السلام وانما الظاهر في هذه الآية اما ان يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله
واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد عليه السلام ان لا يعجل بالقرآن
مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى
محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك
الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه
ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك
من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه
مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على
ذلك وعرقهم راسخ فيه انتهى والظاهر ان النسيان هنا الترك اي ترك ما وصي
به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقال الزمخشري يجوز ان يراد النسيان
الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق
منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان انتهى ۝ وقال
ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه لا يتعلق بالناسي عقاب
انتهى **وقرأ** اليماني والاعمش فنسي بضم النون وتشديد السين اي نساه
الشيطان والعزم التصميم والمضي قال الزمخشري اي على ترك الاكل وان
يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى
العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما انتهى
وقيل ولم نجد له عزما على المعصية وهذا يتخرج على قول من قال انه فعل
نسيانا وقيل حفظا لما امر به **وقيل** صبرا عن اكل الشجرة **وقيل** عزما في الاحتياط
في كيفية الاجتهاد **وتقدم** الكلام على نظير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى وابى جملة مستأنفة مبينة ان امتناعه من السجود
انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق ابى وانه يقدر هنا ما صرح به
في الآية الاخرى اي ان يكون مع الساجدين وقال الزمخشري ابى جملة مستأنفة
كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول

عليه بقوله سجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء والتوقف والتثبط انتهى وهذا اشارة الى ابليس والعدو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع عرف تعالى ادم عداوة ابليس له ولزوجه بحذرا منه فلم يغن الحذر عن القدر وسبب العداوة فيما قيل ان ابليس كان حسودا فلما رأى اثار نعم الله على ادم حسده وعاداه **وقيل** العداوة حصلت من تنافي اصلهما اذ ابليس من النار وادم من الماء والتراب فلا يخرجنكما النهي له والمراد عنه اي لا يقع منكما طاعة له في اغوائه فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة واسند الاخراج اليه وان كان المخرج هو الله لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج فتشقى يحتمل ان يكون منصوبا باضمار ان في جواب النهي وان يكون مرفوعا على تقدير فانت تشقى واسند الشقاء اليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه في الاخراج من حيث كان هو المخاطب اولا والمقصود بالكلام ولان في ضمن شقاء الرجل شقاء اهله وفي سعادته سعادتها فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة **وقيل** اراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك راجع الى الرجل وعن ابن جبير اهبط له ثور احمر يحرث عليه فيأكل بكد يمينه وعرق جبينه **وقرأ** شيبة ونافع وحفص وابن سعدان وانك لا تظمأ بكسر همزة وانك **وقرأ** الجمهور بفتحها فالكسر عطف على ان لك والفتح عطف على المصدر المنسبك من ان لا تجوع اي ان لك انتفاء جوعك وانتفاء ظمئك وجاز عطف انك على ان لاشتراكهما في المصدر ولو باشرتها ان المكسورة لم يجز ذلك وان كان على تقديرها الا ترى انها معطوفة على اسم ان وهو ان لا تجوع لكنه يجوز في العطف ما لا يجوز في المباشرة ولما كانت الشبع والري والكسوة والكن هي الامور التي هي ضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وفي الجنة ضروب من انواع التنعم والراحة ما هذه بالنسبة اليها كالعدم فمنها الامن من الموت الذي هو مكدر لكل لذة والنظر الى وجه الله سبحانه ورضاه تعالى عن اهلها وان لا سقم ولا الم ولا كبر ولا هرم ولا غل ولا غضب ولا حدث ولا مقادير ولا تكليف ولا حزن ولا خوف ولا ملل وذكرت هذه الاربعة بلفظ النفي ونحو الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها قال ابن عطية وكان عرف الكلام ان يكون الجوع مع الظمأ والعري مع الضحى لانها تتضاد اذ العري نفسه البرد فيؤذي والحر يفعل ذلك بالضاحي وهذه الطريقة مهيع في كلام العرب ان تفرق النسب ومنه **قول امرئ القيس**

• كأني لم اركب جوادا للذة • ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ٥

• واسبأ الزق الروي ولم • اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ٥

وقد ذهب بعض الادباء الى ان بيتي امرئ القيس كما فطالق للنسب وان ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ يناسب تبطن الكاعب انتهى **وقيل** جاء هذا الجواب على قدر السؤال لما امر الله ادم بسكنى الجنة قال الهي الي فيها ما اكل الي فيها ما البس الي فيها ما اشرب الي فيها ما استظل به **وقيل** هي مقابلة معنوية فالجوع خلو الباطن والتعري خلو الظاهر والظمأ احراق الباطن والضحو

احراق

احراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق **وقيل** جمع امرؤ القيس في بيتيه بين ركوب الخيل للذة والنزهة وبين تبطن الكاعب للذة الحاصلة فيهما وجمع بين سباء الزق وبين قوله لخيله كري لما فيهما من الشجاعة ولما عيب على ابي الطيب قوله ٥

• وقفت وما في الموت شك لواقف • كانك في جفن الردى وهو نائم ٥

• تمر بك الابطال كلمى هزيمة • ووجهك وضاح وثغرك باسم ٥

فقال ان كنت اخطأت فقد اخطأ امرؤ القيس **وتقدم** الكلام في فوسوس والخلاف في كيفيتها في الاعراف وتعدي وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي بالى معناه انهى الوسوسة اليه والتعدي بلام الجر قيل معناه لاجله ولما وسوس اليه ناداه باسمه ليكون اقبل عليه وامكن للاستماع ثم عرض عليه ما يلقي بقوله هل ادلك على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى هل لك الى ان تزكى وهو عرض فيه مناصحة وكان ادم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما الاية ورغبه ابليس في دوام الراحة بقوله هل ادلك فجاءه ابليس من الجهة التي رغبه الله فيها وفي الاعراف ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية وهنا هل ادلك وجمع بينهما ان قوله هل ادلك يكون سابقا على قوله ما نهاكما لما رأى اصغاءه وميله الى ما عرض عليه انتقل الى الاخبار والحصر **ومعنى** على شجرة الخلد اي الشجرة التي من اكل منها خلد وحصل له ملك لا يخلق وهذا يدل لقراءة الحسن بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بكسر اللام فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ٥ تقدم الكلام على نحو هذه الاية في الاعراف وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال الزمخشري عن ابن عباس لا شبهة في ان ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعتت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث انتهى وقال القاضي ابو بكر بن العربي لا يجوز لاحدنا اليوم ان يخبر بذلك عليه السلام الا اذا ذكرناه في اثناء قوله تعالى او قول نبيه عليه السلام فاما ان يبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في اباءنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله وتاب عليه

وعقوبته قال القرطبي واذا كان هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتدا بشيء من ذلك الا في اثناء قراءة كتابه او سنة رسوله عليه السلام ولهذا قال الامام مالك بن انس من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله سبحانه بنفسه ثم اجتباه اي اصطفاه وقربه وتاب عليه اي قبل توبته وهدى اي هداه للتوبة او الى الكيفية التوبة او هداه رشده حتى رجع الى الندم والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو امر لادم وحواء جعل هبوطهما عقوبتهما وجميعا حال منهما وقال ابن عطية ثم اخبرها بقوله جميعا ان ابليس والحية مهبطان معهما واخبرها ان العداوة بينهم وبين انسالهم الى يوم القيمة انتهى ولا يدل قوله جميعا على ان ابليس والحية مهبطان معهما لان جميعا حال من ضمير الاثنين اي مجتمعين والضمير في بعضكم لبعض ضمير جمع قيل يريد ابليس وبنيه وادم وبنيه **وقيل** اراد ادم وذريته فالعداوة واقعة بينهم والبغضاء لاختلاف الاديان وتشتت الاراء **وقيل** ادم وابليس والحية وقال ابو مسلم الاصبهاني الخطاب لادم عليه السلام ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولاجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما يأتينكم مني هدى وقال الزمخشري لما كان ادم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب انتهى وهدى شريعة الله وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه **وعن** ابن جبير من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب وقال ابو عبد الله الرازي وهذه الآية تدل على ان المراد بالهدى الذي ذكره الله تعالى اتباع الادلة واتباعها لا يتكامل الا بان يستدل بها وبان يعمل بها ومن هذه حاله فقد ضمن تعالى ان لا يضل ولا يشقى في الاخرة لانه تعالى يهديه الى الجنة **وقيل** لا يضل ولا يشقى في الدنيا **فان قيل** المنعم بهدى الله قد يلحقه الشقاء في الدنيا **قلنا** المراد لا يضل في الدين ولا يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب آخر فلا باس انتهى **ولما ذكر** تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من اعرض عن ذكره والذكر يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الالهية وضنكا مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى النكد الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها ومنه قول عنترة

ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في الاسود بن عبد الاسد المخزومي والمراد ضغطة

القبر تختلف فيه اضلاعه وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الآخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين ولا يموتون فيها ولا يحيون وقال عطاء المعيشة الضنك معيشة الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وقال ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع وقال ابو سعيد الخدري والسدي هو عذاب القبر ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور المعيشة الضنك في الدنيا والمعنى ان الكافر وان كان متسع الحال والمال فمعه من الحرص والامل والتعذب بامور الدنيا والرغبة وامتناع صفاء العيش لذلك ما تصير معيشته ضنكا وقالت ضنكا باكل الحرام **ويستدل** على ان المعيشة الضنك قبل يوم القيمة ونحشره يوم القيمة اعمى وقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى فكانه ذكر نوعا من العذاب ثم ذكر ان عذاب الآخرة اشد وابقى وحسن قول الجمهور الزمخشري فقال ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا طيبا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة انتهى **وقرأ** الحسن ضنكى بالف التأنيث ولا تنوين وبالامالة بناه صفة على فعلى من الضنك **وقرأ** الجمهور ضنكا بالتنوين وفتحة الكاف فتحة اعراب **وقرأ** الجمهور ونحشره بالنون وفرقة منهم ابان بن تغلب بسكون الراء فيجوز ان يكون تخفيفا ويجوز ان يكون جزما بالعطف على موضع فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وكانه قيل ومن اعرض عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في قراءة من سكن راء ويذرهم **وقرأت فرقة** ويحشره بالياء **وقرئ** ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف قاله الزمخشري ونقل ابن خالويه هذه القراءة عن ابان ابن تغلب والاحسن تخريجه على لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الهاء **وقرئ** لربه لكنود والظاهر ان قوله اعمى المراد به عمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا **وقيل** اعمى البصيرة قال ابن عطية ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لانه مات اعمى البصيرة ويحشر كذلك وقال مجاهد والضحاك ومقاتل وابو صالح وروي عن ابن عباس اعمى عن حجته لا حجة له يهتدي بها وعن ابن عباس يحشر بصيرا ثم اذا استوى الى المحشر اعمى **وقيل** اعمى عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه وقيل اعمى عن كل شيء الا عن جهنم وقال الجبائي المراد من حشره اعمى لا يهتدي الى شيء وقال ابراهيم بن عرفة كلما ذكر الله عز وجل في كتابه فذمه فانما يريد عمى القلب قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال مجاهد معنى لم حشرتني اعمى اي لا حجة لي وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بها احاج عن نفسي في الدنيا انتهى سأل العبد ربه عن السبب الذي استحق به ان يحشر اعمى لانه جهله وظن انه لا ذنب له فقال له

قوله عز وجل افلم يهد لهم

جاءتك كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي مثل ذلك انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول ومعنى تنسى تتركك في العذاب وكذلك نجزي اي مثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف من جاوز الحد في المعصية ثم اخبر تعالى ان عذاب الاخرة اشد اي من عذاب الدنيا لانه اعظم منه وابقى اي منه لانه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع وقال الزمخشري وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا ۝ افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ۝ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ۝ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ۝ وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ۝ وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ۝ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ۝ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ۝ قراءة الجمهور يهد بالياء وقرا فرقة منهم ابن عباس والسلمي بالنون ونخهم تعالى وذكرهم العبر بمن تقدم من القرون ويعني بالاهلاك الاهلاك الناشي عن تكذيب الرسل وترك الايمان بالله واتباع رسله والفاعل ليهد ضميرعائد على الله تعالى ويؤيد هذا التخريج قراءة نهد بالنون ومعناه نبين وقاله الزجاج وقيل الفاعل مقدر تقديره الهدى والامر او النظر والاعتبار وقال ابن عطية وهذا احسن ما يقدر به عندي انتهى وهذا قول المبرد وليس بجيد اذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو اي الهدى وقال ابو البقاء الفاعل ما دل عليه اهلكنا والجملة مفسرة له قال الحوفي كم اهلكنا قد دل على هلاك القرون فالتقدير افلم نبين لهم هلاك من اهلكنا من القرون ومحو اثارهم فيتعظوا بذلك وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول انتهى وكون الجملة فاعل هو مذهب كوفي واما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين ۝ فان تركنا عليه معناه معنى القول فحكيت به الجملة كانه قيل وقلنا عليه واطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بلفظه واحسن التخاريج الاول وهو ان يكون الفاعل ضميرا عائدا على الله كانه قال افلم يبين الله ومفعول يبين محذوف اي العبر باهلاك القرون السابقة ثم قال كم اهلكنا اي كثيرا اهلكنا فكم مفعولة باهلكنا والجملة كانها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد وقال الحوفي

قال بعض

قال بعضهم هي في موضع رفع فاعلة ليهد وانكر هذا على قائله لان كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها انتهى وليست كم هنا استفهاما بل هي خبرية وقال ابو البقاء يهد لهم في فاعله وجهان احدهما ضمير اسم الله تعالى اي الم يبين الله لهم وعلق يهد هنا اذ كانت بمعنى يعلم كما علقت في قوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم انتهى وكم هنا خبرية والخبرية لا تعلق العامل عنها وانما تعلق عن الاستفهامية وقرا ابن السميفع يمشون بالتشديد مبنيا للمفعول لان المشي يخلق خطوة بخطوة وحركة بحركة وسكونا بسكون فناسب البناء للمفعول والضمير في يمشون عائد على ما عاد عليه لهم وهم الكفار المؤمنون يريد قريشا والعرب يتقلبون في بلاد عاد وثمود والطوائف التي كانت قريش تمر عليها الى الشام وغيره ويعاينون اثار هلاكهم ويمشون في مساكنهم جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل يهد اي الم يبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من اهلك من الكفار وقيل حال من مفعول اهلكنا اي اهلكنا غارين امنين متصرفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التنعم والتصرف ما نع من مرض ولا غيره فجاءهم الاهلاك بغتة على حين غفلة منهم به ۝ ان في ذلك اي ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لايات لاولي النهى اي العقول السليمة ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا يترك العذاب معجلا على من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة قال تعالى بل الساعة موعدهم يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة للزوم ولفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وقال ابو عبد الله الرازي لا شبهة ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوا يؤخرون ولا يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستيصال انتهى والاجل اجل حياتهم او اجل اهلاكهم في الدنيا او عذابهم يوم القيمة اقوال فعلى الاول يكون العذاب ما يلقى في قبره وما بعده وعلى الثاني قتلهم بالسيف يوم بدر وعلى الثالث هو عذاب جهنم وفي صحيح البخاري ان يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى والظاهر عطف واجل مسمى على كلمة واخر المعطوف عن المعطوف عليه وفصل بينهما بالجواب لمراعاة التواصل ورؤس الاي واجاز الزمخشري ان يكون واجل معطوفا على الضمير المستكن في كان قال اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل انتهى ثم امره تعالى بالصبر على ما يقول من تركوا قريش وهم الذين عاد الضمير عليهم في افلم يهد لهم وكانوا يقولون اشياء قبيحة بما نص الله عنهم في كتابه فامره تعالى بالصبر على اذاهم والاحتمال لما يصدر من سوء اخلاقهم وامره بالتسبيح والحمد لله وبحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك والظاهر انه امر بالتسبيح مقرونا بالحمد واما ان يراد اللفظ اي قل سبحان الله والحمد لله او يراد المعنى وهو التنزيه والتبرئة من السوء والثناء الجميل عليه وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله في هذه الاوقات قال ابو عبد الله

الرازي وهذا القول اقرب الى الظاهر والى ما تقدم ذكره لانه تعالى صبره اولا
على ما يقولون من التكذيب ومن اظهار الكفر والشرك والذي يليق بذلك ان يؤمر
بتنزيهه عن قولهم حتى يكون مظهرا لذلك وداعيا ولذلك ما جمع كل الاوقات
ويراد المجاز فيكون المراد الصلاة فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها
صلاة العصر ومن آناء الليل المغرب والعتمة واطراف النهار الظهر وحده قال
ابن عطية ويحتمل اللفظ ان يراد قول سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الصبح الى ركعتي
الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال عليه السلام من سبح عند غروب الشمس سبعين
تسبيحة غربت بذنوبه انتهى ه وقال الزمخشري وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل
واطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع
القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال تعالى ان ناشئة الليل وقال امن هو
قانت آناء الليل ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى
العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب وكانت ادخل في معنى
التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف
النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين انتهى ه وجاء هنا واطراف
النهار وفي هود اقم الصلوة طرفي النهار فقيل جاء على حد قوله

ومهمهين قذفين مرتين ● ظهراهما مثل ظهور الترسين ه

جاءت التثنية على الاصل والجمع لامن اللبس اذ النهار ليس له الا طرفان **وقيل**
هو على حقيقة الجمع الفجر الطرف الاول والظهر والعصر من الطرف الثاني والطرف
الثالث المغرب والعشاء **وقيل** النهار له اربعة اطراف عند طلوع الشمس وعند
غروبها وعند زوال الشمس وعند وقوفها للزوال **وقيل** الظهر في آخر طرف
النهار الاول واول طرف النهار الآخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب
الشمس وهو وقت المغرب **وقيل** يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر بتكرره
وقيل المراد بالاطراف الساعات لان الطرف آخر الشيء وقرأ الجمهور واطراف
بنصب الفاء وهو معطوف على ومن آناء الليل **وقيل** معطوف على قبل طلوع وقرأ
الحسن وعيسى بن عمر واطراف بخفض الفاء عطفا على آناء لعلك ترضى اي تثاب على هذه
الاعمال بالثواب الذي ترضاه وابرز ذلك في صورة الرجاء والطمع لا على القطع وقيل
لعل من الله واجبة وقرأ ابو حيوة وطلحة والكسائي وابو بكر وابان وعصمة وابو عمارة
عن حفص وابو زيد عن المفضل وابو عبيد ومحمد بن عيسى الاصبهاني ترضى بضم التاء اي
يرضيك ربك ولما امره تعالى بالصبر وبالتسبيح جاء النهي عن مد البصر الى ما متع به
الكفار ريثما امد النظر اليه نظره اليه اذا ادام النظر اليه والفكرة في جملته وتفصيله
قيل والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد من ما متعناهم به من مال وبنين ومنازل
ومراكب وملابس ومطاعم فانما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام
وانها عن قليل تفنى وتزول والخطاب وان كان في الظاهر للرسول عليه السلام

فالمراد

الله

فالمراد امته وهو كان صلى الله عليه وسلم ابعد شيء من النظر في زينة الدنيا واعلق بما عند
من كل احد وهو القائل الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما اريد به وجه الله وكان
شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر الى زخرفها ولا تمدن ابلغ من لا تنظر لان مد
البصر يقتضي الادامة والاستحسان بخلاف النظر فانه قد لا يكون ذلك معه
والعين لا تمد فهو على حذف مضاف اي لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدود مغفو عنه
وذلك مثل من فاجاه الشيء ثم غض بصره والنظر الى الزخارف مركوز في الطباع فمن رأى
منها شيئا احب ان يمد النظر اليه وقد شدد المتقون في غض البصر عن ابنية الظلمة
وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لانهم انما اتخذوها لعيون النظارة حتى
يفتخروا بها فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها وانتصب
ازواجا على انه مفعول به والمعنى اصنافا من الكفرة ومنهم في موضع الصفة لازواجا
اي اصنافا واقواما من الكفرة كما قال واخر من شكله ازواج واجاز الزمخشري
ان ينتصب ازواجا على الحال من ضمير به ومتعنا مفعوله منهم كانه قيل الى الذي
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم وزهرة منصوب على الذم او مفعول
ثان لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا او بدل من محل الجار والمجرور او بدل من ازواجا
على تقدير ذوي زهرة او جعلهم زهرة على المبالغة او منصوب بفعل محذوف يدل
عليه متعنا اي جعلنا لهم زهرة او حال من الهاء او ما على تقدير حذف التنوين من
زهرة لالتقاء الساكنين وجر الحيوة على البدل من ما وكل هذه الاعاريب منقول
والاخير اختاره مكي ورد كونه بدلا من محل ما لان فيه الفصل بالبدل بين الصلة
وهي متعنا ومعمولها وهو لنفتنهم فالبدل وهو زهرة **وقرأ** الجمهور زهرة بسكون
الهاء **وقرأ** الحسن وابو البرهسم وابو حيوة وطلحة وحميد وسلام ويعقوب
وسهل وعيسى والزهري بفتحها **وقرأ** الاصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون
من افتنه اذا جعل الفتنة واقعة فيه والزهرة والزهرة بمعنى واحد كالجهرة
والجهرة واجاز الزمخشري في زهرة المفتوح الهاء ان يكون جمع زاهر نحو كافر وكفرة
ووصفهم بانهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل
وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب
الالوان والتقشف في الثياب ومعنى لنفتنهم فيه اي لنبلوهم حتى يستوجبوا
العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك خير
وابقى اي ما ذخر لهم من الثواب في الآخرة خير مما متع به هؤلاء في الدنيا وابقى
اي وادوم **وقيل** ما رزقتهم وان كان قليلا خير مما رزقوا وان كان كثيرا
لحلية ذلك وحرمة هذا **وقيل** ما رزقت من النبوة والاسلام وقيل
ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنائم **وقيل** القناعة وقيل ثواب الله
على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا **ولما امره** تعالى بالتسبيح في تلك الاوقات
المذكورة ونهاه عن مد بصره الى ما متع به الكفار **امره تعالى** بان يامر اهله
بالصلوة التي هي بعد الشهادة آكد اركان الاسلام وامره بالاصطبار على هذا او
ومشاقها وان لا يشتغل عنها واخبره تعالى انه لا يسأله ان يرزق نفسه

منه

ولا أن يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك بل أمره يتفرغ باله لأمر الآخرة ويدخل
في خطابه عليه السلام أمته وقرأ الجمهور نرزقك بضم القاف وقرأت فرقة منهم
ابن وثاب بإدغام القاف في الكاف وجاء ذلك عن يعقوب قال صاحب اللوامح
وإنما امتنع أبو عمرو من إدغام مثله بعد إدغامه نرزقكم ونحوها لحلول الكاف منه طرف
ومتحرك وقف فلو حرك وقفنا لكان وقوفه على حركة وكان خروجا من كلامهم
ولو أشار إلى الفتح لكان أخف من أن يتبعض بالخروج بعضه كالخروج كله ولو سكن
لأجحف بحرف ولعل من أدغم ذهب مذهب من يقول جعفر وعامر ويفعل فيشدد وقفا
أو أدغم على لغات لا يقف بحال فيصير الطرف كالحشو انتهى والعاقبة أي الحميدة
أو حسن العاقبة لأهل التقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه هذا عادتهم
في اقتراح الآيات كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات فاقترحوا هم ما يختارون
على ديدنهم في التعنت فأجيبوا بقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي القرآن
الذي سبق التبشير به وبإيجاد من أرسله في الكتب الإلهية السابقة المنزلة على
الرسل وأعظم الآيات المعجزات والقرآن أعظم الآيات في الإعجاز وهي الآية
الباقية إلى يوم القيامة وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم وقرأ نافع وأبو عمرو
وحفص تأتهم بالتاء على لفظ بينة وقرأ بالياء الشيعة وأبو بحرية وابن محيصن
وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى
وابن جبير الأنطاكي يأتهم بالياء لمجاز تأنيث الآية وللفصل وقرأ الجمهور
بإضافة بينة إلى ما وفرقة منهم أبو زيد عن أبي عمرو بالتنوين وما بدل قال
صاحب اللوامح ويجوز أن تكون ما نفيا وأريد بذلك ما في القرآن من الناسخ والفصل
مما لم يكن في غيره من الكتب وقرأت فرقة بنصب بينة والتنوين وما فاعل بتأتهم
وبينة نصب على الحال فمن قرأ يأتهم بالياء فعلى لفظ ما ومن قرأ بالتاء فعلى المعنى
لأنه أشياء مختلفة وعلوم من مضى وما شاء الله وقرأ الجمهور في الصحف بضم الحاء
وفرقة منهم ابن عباس بإسكانها والضمير في من قبله يعود على البينة لأنها
في معنى البرهان والدليل قاله الزمخشري والظاهر عوده على الرسول لقوله لولا
أرسلت إلينا رسولا ولذلك قدر بعضهم قبل إرساله محمدا إليهم والذل والخزي
مقترنان بعذاب الآخرة وقيل نذل في الدنيا ونخزى في الآخرة وقيل الذل
الهوان والخزي الافتضاح وقرأ الجمهور نذل ونخزى مبنيا للفاعل وابن عباس
ومحمد بن الحنفية وزيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري وداود الفزاري
وأبو حاتم ويعقوب مبنيا للمفعول قل كل متربص فتربصوا أي منتظر منا ومنكم
عاقبة أمره وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وأفرد الخبر وهو متربص حملا
على لفظ كل كقوله قل كل يعمل على شاكلته والتربص التأني والانتظار للفرج ومن
أصحاب مبتدأ وخبر علق عنه فستعلمون وأجاز الفراء أن تكون ما موصولة بمعنى
الذي فيكون مفعولا بفستعلمون وأصحاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذين

هم أصحاب

هم أصحاب وهذا جار على مذهب الكوفيين إذ يجيزون حذف مثل هذا الضمير مطلقا
سواء كان في الصلة طول أم لم يكن وسواء كان الموصول أيا أم غيره وقرأ الجمهور
السوي على وزن فعيل أي المستوي وقرأ أبو مجلز وعمران بن حدير السواء أي
الوسط وقرأ الجحدري وابن يعمر السوأى على وزن فعلى أنث لتأنيث الصراط
وهو مما يذكر ويؤنث وتأنيث الأسوأ من السوء على ضد الحسنى قوبل به ومن اهتدى على
الضد ومعناه فستعلمون أيما الكفار من على الضلال ومن على الهدى ويؤيد ذلك
قراءة ابن عباس الصراط السوء وقد روي عنهما أنهما قرآ السوي على وزن فعلى
فاحتمل أن يكون أصله السوأى إذ روي ذلك عنهما فخففا الهمزة بأن أبدلا الهمزة
واوا وأدغم واحتمل أن يكون فعلى من السواء أبدلت ياؤه واوا وأدغمت الواو
في الواو وكان القياس أنه لما بني فعلى من السواء أن يكون السويا فيجتمع واو وياء
وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وتدغم في الياء فكان يكون التركيب
السيا وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وشد الياء تصغير السوء قاله
الزمخشري وليس بجيد إذ لو كان تصغير سوء لثبتت همزته في التصغير فكنت تقول
سويئ والأجود أن يكون تصغير سواء كما قالوا في عطاء عطي ومن قرأ السواء
أو السوأى كان في ذلك مقابلة لقوله ومن اهتدى وعلى قراءة الجمهور لم تراع المقابلة
في الاستفهام القضم كسر الشيء الصلب حتى يتبين تلاؤم أجزائه الركض ضرب الدابة
بالرجل خمدت النار طفئت دمغه أصاب دماغه نحو كبده ورأسه أصاب
كبده ورأسه رتق الشيء سده فارتتق ومنه الرتقاء المنضمة الفرج فتق فصل
ما بين المتصلين الفج الطريق المتسع السبح العوم كلأه حفظه يكلؤه كلاءة
ويقال اذهب في كلاءة الله واكتلأت منه احترست

المفردات

وقال ابن هرمة

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

النفحة الحظوة ونفح له من عطاياه أجزل نصيبا

وقال الشاعر

إذا ريدة من حيث ما نفحت له ... أتاه برياها خليل يواصله

الخردل حب معروف

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون
السحر وأنتم تبصرون قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم
بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون
ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك
إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم

ومن نشا واهلكنا المسرفين • لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون •
هذه السورة مكية بالاتفاق وعن عبد الله الكهف ومريم وطه والانبيا من العتاق
الاول وهن من تلادي اي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد ومناسبة
هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا
بالمعاد والجزاء على الاعمال وليس بصحيح وان صح ففيه بعد فانزل الله تعالى اقترب
للناس حسابهم واقترب افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب
ورقب وقيل هو ابلغ من قرب للزيادة التي في البنا والناس مشركو مكة وقيل
عام في منكري البعث واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة اخراج
الكمية من مبلغ العدد وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لان كل ما هو آت
وان طال وقت انتظاره قريب وانما البعيد هو الذي انقرض او هو مقترب عند الله
كقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او باعتبار ما بقي من الدنيا فانه اقصر
واقل مما مضى وفي الحديث بعثت انا والساعة كهاتين •

قال الشاعر •

فما زال من يهواه اقرب من غد • وما زال من يخشاه ابعد من امس •

وللناس متعلق باقترب وقال الزمخشري هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب
او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي
ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده س في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك
زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة
لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول انتهى يعني بقوله صلة انها تتعلق باقترب
واما جعله اللام تاكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها
على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما تتعلق به ولا يمكن
تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وايضا فالتوكيد يكون
متاخرا عن المؤكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيهه بما اورد س
فالفرق واضح لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متاخرة توكيدا وكذلك
فيك زيد راغب فيك تتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما عرض في ذلك
صحة تركيب حساب الناس وكذلك ازف رحيل الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر
مجرورا باللام واضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله
واما لا ابا لك فهي مسالة مشكلة وفيها خلاف ويمكن انتقال فيها ذلك لان
اللام جاورت الاضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الاقيسة
وقد امعنا الكلام عليها في شرح التسهيل • والواو في وهم واو الحال واخبر
عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لان الغفلة عن الشي والاعراض عنه متنافيان
لكن يجمع بينهما باختلاف حالين اخبر عنهم اولا انهم لا يتفكرون في عاقبة
بل هم غافلون عما يؤول اليه امرهم ثم اخبر عنهم ثانيا انهم اذا نبهوا من سنة
الغفلة وذكروا بما يؤول اليه امر المحسن والمسي اعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك
والذكر هنا ما ينزل من القرآن شيئا بعد شي وقيل المراد بالذكر اقوال النبي عليه

السلام

السلام في امر الشريعة ووعظه وتذكيره ووصفه بالحدوث اذ كان القرآن ينزل
وقتا بعد وقت • وسئل بعض الصحابة عن هذه الاية فقال محدث النزول
محدث القول وقال الحسن بن الفضل المراد بالذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم بدليل
هل هذا الا بشر مثلكم وقال قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا وقد احتجت المعتزلة
على حدوث القرآن بقوله محدث وهي مسالة يبحث فيها في علم الكلام وقرا الجمهور
محدث بالجر صفة لذكر على اللفظ وابن ابي عبلة بالرفع صفة لذكر على الموضع وزيد
بن علي بالنصب على الحال من ذكر اذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز ان يتعلق من ربهم
بياتيهم واستمعوه جملة حالية وذو الحال المفعول في ما ياتيهم وهم يلعبون جملة
حالية من ضمير استمعوه ولاهية حال من ضمير يلعبون او من ضمير استمعوه فيكون حالا
بعد حال واللاهية من قول العرب لهى عنه اذا ذهل وغفل يلهى لهيا ولهيانا اي
وان فطنوا لا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم وقرا
ابن ابي عبلة وعيسى لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر لقوله وهم والنجوى من التناجي
ولا يكون الا خفية فمعنى واسروا بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن
احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون وقال ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد
يحتمل ان يكون اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكون اظهروه ومنه قول الفرزدق

• فلما راى الحجاج جرد سيفه • اسر الحروري الذي كان اضمرا •

وقال التبريزي لا يستعمل في الغالب الا في الاخفاء وانما اسروا الحديث لانه كان
ذلك على طريق التشاور وعادة المتشاورين كتمان سرهم عن اعدائهم واسروها ليقولوا
للرسول وللمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه وجوزوا في اعراب
الذين ظلموا وجوها الرفع والنصب والجر فالرفع على البدل من ضمير واسروا اشعارا بانهم
الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به قاله المبرد وعزاه ابن عطية الى س او على
انه فاعل والواو في اسروا علامة للجمع على لغة اكلوني البراغيث قاله ابو عبيدة
والاخفش وغيرهما قيل وهي لغة شاذة قيل والصحيح انها لغة حسنة وهي من لغة
ازد شنوءة وخرج عليه قوله ثم عموا وصموا كثير منهم •

وقال شاعرهم •

• يلومونني في اشتراء النخيل اهلي وكلهم الوم •

او على ان الذين مبتدا واسروا النجوى خبره قاله الكسائي فقدم عليه والمعنى
وهولاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم انه ظلم او على انه
فاعل بفعل القول وحذف اي يقول الذين ظلموا والقول كثيرا يضمر واختاره النحاس قال
ويدل على صحة هذا ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقيل التقدير اسرها الذين
ظلموا وقيل الذين خبر مبتدا محذوف اي هم الذين والنصب على الذم قاله
الزجاج او على اضمار اعني قاله بعضهم والجر على ان يكون نعتا للناس او بدلا في قوله
اقترب للناس قاله الفراء وهو ابعد الاقوال • هل هذا الا بشر مثلكم استفهام معناه
التعجب اي كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية والكاهم وتعجبهم
من حيث كانوا يرون ان الله لا يرسل الا ملكا وافتاتون السحر استفهام معناه

بيان الذهول وعدم

التوبيخ والتعجب عنوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن والذكر المتلو
عليهم أي أفتحضرون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر وأن من أتى به هو بشر مثلكم فكيف
تقبلون ما أتى به وهو سحر وكانوا يعتقدون أن الرسول من عند الله لا يكون إلا ملكا
وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر وهاتان الجملتان
الاستفهاميتان الظاهر أنهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وأنهما محكيتان بقوله
للنجوى لأنه بمعنى القول الخفي فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى وقال
الزمخشري في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق
بقالوا مضمرا انتهى وقرأ حمزة والكسائي وحفص والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى
وأيوب وخلف وابن سعدان وابن جبير الأنطاكي وابن جرير قال ربي على معنى الخبر
عن نبيه عليه السلام وقرأ باقي السبعة قل على الأمر لنبيه عليه السلام يعلم أقوالكم هذه
وهو مجازيكم عليها والقول عام يشمل السر والجهر فكان في الإخبار بعلمه القول علم السر
وزيادة وكان آكد في الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بقوله
وهو السميع العليم السميع لأقوالكم العليم بما انطوت عليه ضمائركم ولما ذكر تعالى عنهم أنهم
قالوا إن ما أتى به سحر ذكر اضطرابهم في مقالاتهم فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه
وقالوا إنما يأتي به إنما هو أضغاث أحلام وتقدم تفسيرها في سورة يوسف ثم أضربوا عن
هذا فقالوا بل افتراه أي اختلقه وليس من عند الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر
وهذا المبطل لا يثبت على قول بل يبقى متحيرا وهذه الأقوال الظاهر أنها صدرت
من قائلين متفقين انتقلوا من قول إلى قول أو مختلفين قال كل منهم مقالة قال
الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم
الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث انتهى
وقال ابن عطية ثم حكى قول من قال إنه شاعر وهي مقالة فرقة عامية لأن نبهات
الشعر من العرب لم يخف عليهم بالبديهة أن مباني القرآن ليست مباني شعر
وقال أبو عبد الله الرازي حكى الله عنهم هذه الأقوال الخمسة وترتيب كلامهم
أن كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله سلمنا أنه غير مانع ولكن لا نسلم أن هذا القرآن
معجز ثم إما أن يساعد على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدور البشر قلنا لم لا يجوز
أن يكون ذلك سحرا وإن لم يساعد عليه فإن ادعينا كونه في نهاية الركاكة قلنا
إنه أضغاث أحلام وإن ادعينا أنه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا
إنه افتراه وإن ادعينا أنه كلام فصيح قلنا إنه من جنس فصاحة سائر الشعر
وعلى جميع هذه التقديرات لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقدير هذه الاحتمالات
قالوا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون اقترحوا من الآيات ما لا إمهال بعدها
كالآيات في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا قال الزمخشري صحة
التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات
لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول
أتى محمد بالمعجزة وأن تقول أرسل محمد بالمعجزة انتهى والكاف في كما أرسل يجوز أن
تكون في موضع النعت لآية وما أرسل في تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية

ارسال

إرسال الأولين ويجوز أن يكون في موضع النعت لمصدر محذوف أي إتيانا مثل إرسال
الأولين أي مثل إتيانهم بالآيات وهذه الآية التي طلبوها هي على سبيل اقتراحهم
ولم يأت الله بآية مقترحة إلا أتى بالعذاب بعدها وأراد تعالى تأخير هؤلاء
وفي قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم بإتيان الرسل ثم أجاب تعالى
عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون
والمراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما ومعنى أهلكناها حكمنا بإهلاكها
بما اقترحوا من الآيات أفهم يؤمنون استبعاد وإنكار أي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا
على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا فأهلكهم
الله فلو أعطينا هؤلاء ما اقترحوا لكانوا أنكث من أولئك وكان يقع استيصالهم
ولكن حكم الله تعالى بإبقائهم ليؤمن من آمن ويخرج منهم مؤمنين ولما تقدم من قولهم هل
هذا إلا بشر مثلكم وأن الرسول لا يكون من عند الله من جنس البشر قال تعالى رادا
عليهم وما أرسلنا قبلك إلا رجالا أي بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا
ثم أحالهم على أهل الذكر فإنهم وإن كانوا مشايعين للكفار ساعين في إخماد
نور الله لا يقدرون على إنكار إرسال البشر وقوله إن كنتم لا تعلمون من حيث
أن قريشا لم يكن لها كتاب سابق ولا أثارة من علم والظاهر أن أهل الذكر هم
أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في إرسال الله البشر هذا
مع موافقة قريش في ترك الإيمان بالرسول فشهادتهم لا مطعن فيها وقال
عبد الله بن سلام أنا من أهل الذكر وقيل هم أهل القرآن وقال علي أنا
من أهل الذكر وقال ابن عطية لا يصح أن يكون المسؤول أهل القرآن في ذلك
الوقت لأنهم كانوا خصومهم انتهى وقيل أهل الذكر هم أهل التوراة وقيل
أهل العلم بالسير وقصص الأمم البائدة والقرون السالفة فإنهم كانوا يفحصون
عن هذه الأشياء وإذا كان أهل الذكر يريد بهم اليهود والنصارى فإنهم لما بلغ
خبرهم حد التواتر جاز أن يسألوا ولا يقدح في ذلك كونهم كفارا وقرأ الجمهور
يوحى مبنيا للمفعول وقرأ طلحة وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء والجسد يقع
على ما لا يتغذى من الجماد وقيل يقع على المتغذي وغيره فعلى القول الأول
يكون النفي قد وقع على الجسد وعلى الثاني يكون مثبتا والنفي إنما وقع على صفته ووحد
الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم مال هذا
الرسول يأكل الطعام وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين قالوا هل
هذا إلا بشر مثلكم لأن البشرية تقتضي الجسمية الحيوانية وهذه لا بد لها من مادة
تقومها وقد صرحوا بذلك في قولهم ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون ولما أثبت أنهم كانوا أجسادا يأكلون الطعام بين
أنهم مآلهم إلى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي أو البقاء
المدة المتطاولة أي هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر
والذي صاروا به رسلا هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة
في التبليغ وغيره ثم صدقناهم الوعد ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك

تعالى

بصدق نبيه محمد عليه السلام واصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة فهذه
عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار وهو مما يتعدى
الفعل فيه الى واحد والى الآخر بحرف جر ويجوز حذف ذلك الحرف اي في الوعد
وهو باب لا ينقاس عند الجمهور وانما يحفظ من ذلك افعال قليلة ذكرت في النحو
ونظير صدقناهم الوعد قولهم صدقوهم القتال وصدقني سن بكره وصدقت
زيدا الحديث ومن نشاء هم المؤمنون والمسرفون هم الكفار المفرطون في غيهم
وكفرهم وكل من ترك الايمان فهو مفرط مسرف وانجاؤهم من شر اعدائهم ومن العذاب
الذي نزل باعدائهم ولما توعدهم في صدر الاية اعقب ذلك بوعد بنعمته عليهم
فقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم والكتاب هو القرآن وعن ابن عباس
ذكركم شرفكم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وعن الحسن ذكر دينكم
وعن مجاهد فيه حديثكم وعن سفيان مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقيل
تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب وقال صاحب التحرير الذي
يقتضيه سياق الايات ان المعنى فيه ذكر مساويكم ومثالبكم وما عاملتم به
انبياء الله من التكذيب والعناد فعلى هذا تكون الاية ذما لهم وليست من
تعداد النعم عليهم ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله هل هذا افلا
تعقلون انكارا عليهم على اهمالهم التدبر والتفكر المؤديين الى اقتضاء الغفلة
وقال ابن عطية يحتمل ان يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما تذكر عظام الامور
وفي هذا تحريض ثم اكد التحريض بقوله افلا تعقلون وحركهم بذلك الى النظر
وقال الزمخشري نحوه قال ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر
كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه
ذلك • وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين • فلما
احسوا باسنا اذا هم منها يركضون • لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم
لعلكم تسئلون • قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين • فما زالت تلك دعواهم
حتى جعلناهم حصيدا خامدين • وما خلقنا السما والارض وما بينهما
لاعبين • لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين • بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون
وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون • يسبحون الليل والنهار لا يفترون • لما رد تعالى عليهم
ما قالوه بالغ تعالى في زجرهم بذكر ما اهلك من القرى فقال وكم قصمنا والمراد
اهلها اذ لا توصف القرية بالظلم كقوله من هذه القرية الظالم اهلها قال
ابن عباس لان انشا ايجاد الشي من غير سبب انشاه فنشا وهو ناشي والجمع نشاء
كخادم وخدم والقصم اقطع الكسر عبر به عن الاهلاك الشديد وكم يقتضي التكثير فالمعنى
كثيرا من اهل القرى اهلكنا اهلاكا شديدا مبالغة فيه وما روي عن ابن عباس
انها حضور قرية باليمن وعن ابن وهب عن بعض رجاله انهما قريتان باليمن

قوله عز وجل وكم قصمنا

يطر

بطر اهلها فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية لان كم تقتضي التكثير
ومن حديث اهل حضور ان الله بعث اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت
نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس بعث اليهم جيشا فهزموه ثم بعث آخر فهزموه
فخرج اليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما اخذ القتل فيهم ركضوا هاربين
فلما احسوا باسنا اي باشروه بالاحساس والضمير في احسوا عائد على اهل المحذوف
من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود على قوله قوما آخرين لانه لم يذكر لهم ذنب
يركضون من اجله والضمير في منها عائد على القرية ويحتمل ان يعود على باسنا لانه
في معنى الشدة فانث على المعنى ومن على هذا للسبب والظاهر انهم لما ادركتهم
مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين قيل ويجوز ان شبهوا في سرعة
عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون الارض بارجلهم
كما قال اركض برجلك وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها وهذا احد الدلائل
على ان لما في هذا التركيب حرف لا ظرف وقد تقدم لنا القول في ذلك وقوله
لا تركضوا قال ابن عطية يحتمل ان يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة
فالمعنى على هذا انهم خدعوهم واستهزؤا بهم بان قالوا للهاربين منهم لا
تفروا وارجعوا الى مساكنكم لعلكم تسئلون صلحا او جزية او امرا تتفقون عليه
فلما انصرفوا امر بخت نصر ان ينادي فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا
بالسيف عن آخرهم هذا كله مروي ويحتمل ان يكون قوله لا تركضوا الى آخر
الاية من كلام ملائكة العذاب وصف قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضور
ولا غيرها فالمعنى على هذا ان اهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون انهم من الله
بمكان وانه لو جاءهم عذاب او امر لم ينزل بهم حتى يخاصموا ويسالوا عن وجه
تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم فلما نزل العذاب دون
هذا الذي املوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا
وارجعوا لعلكم تسئلون كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم وقال الزمخشري يحتمل
ان يكون يعني القائل بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلون خلقاء بان
يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم
او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه
والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسئلون غدا
عن ما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا
واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن
تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون
وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسالكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون
بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحائب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا اسخياء
ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك

تهكماً إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ انتهى ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا يا ويل
هذا زمانك **وتقدم** تفسير الويل في البقرة والظلم هنا الإشراك وتكذيب
الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم الإشارة وهو تلك
وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم قال المفسرون
فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا
بأسنا والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى ودعوة كقوله وآخر دعواهم
لأن المولول كأنه يدعو الويل وقال الحوفي وتبعه الزمخشري وأبو البقاء تلك اسم
زالت ودعواهم الخبر ويجوز أن يكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر
انتهى وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم وأما أصحابنا المتأخرون
فاسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول
إذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان فإذا
قلت كان موسى صديقي لم يجز في موسى إلا أن يكون اسم كان وصديقي الخبر كقولك
ضرب موسى عيسى فموسى الفاعل وعيسى المفعول ولم ينازع في هذا من متأخري أصحابنا
إلا أبو العباس أحمد بن … عرف بابن الحاج وهو من تلاميذ الأستاذ أبي علي
الشلوبين وبينهما ... فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل
وإن ألبس فعلى ما قرره جمهور الأصحاب يتعين أن يكون تلك اسم زالت ودعواهم
الخبر وقوله حصيداً أي بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين أي موتى دون أرواح
مشبهين بالنار إذا طفئت وحصيداً مفعول ثان قال الحوفي وخامدين نعت
لحصيد على أن يكون حصيداً بمعنى محصودين يعني وضع المفرد ويراد به الجمع قال
ويجوز أن يجعل خامدين حالاً من الهاء والميم وقال الزمخشري جعلناهم
مثل الحصيد شبههم في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رماداً
أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعد كانا
خبرين له فلما دخل عليهما جعل نصبهما جميعاً على المفعولية **فإن قلت** كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك
جعلته حلواً حامضاً جعلته جامعاً للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين
لمماثلة الحصيد والخمود عطف على المماثلة لا على الحصيد انتهى **ولما ذكر**
تعالى قصم تلك القرى الظالمة أتبع ذلك بما يدل على أنه فعل ذلك عدلاً منه
ومجازاة على ما فعلوا وأنه إنما أنشأ هذا العالم العلوي المحتوي على عجائب
من صنعه وغرائب من فعله وهذا العالم السفلي وما أودع فيه من عجائب الحيوان
والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب
بل لفوائد دينية تقتضي بسعادة الأبد أو بشقاوته ودنياوية لا تعد ولا تحصى
كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً وقوله ما خلقناهما إلا
بالحق قال الكرماني اللعب فعل يدعو إليه الجهل يروق أوله ولا ثبات له
وإنما خلقناهما لنجازي المحسن والمسيء وليستدل بهما على الوحدانية والقدرة
انتهى لو أردنا أن نتخذ لهواً أصل اللهو ما تسرع إليه الشهوة ويدعو إليه

الهوى

الهوى وقد يكنى به عن الجماع وأما هنا فعن ابن عباس والسدي هو الولد وقال
الزجاج هو الولد بلغة حضرموت وعن ابن عباس أن هذا رد على من قال اتخذ الله
ولداً وعنه أن اللهو هنا اللعب **وقيل** اللهو هنا المرأة وقاله قتادة
هذا في لغة أهل اليمن وتكون رداً على من ادعى أن له زوجة ومعنى من لدنا من
عندنا بحيث لا يطلع عليه أحد لأنه نقص فستره أولى وقال السدي من
السماء لا من الأرض **وقيل** من الحور العين **وقيل** من جهة قدرتنا **وقيل**
من الملائكة لا من الإنس رد لولادة المسيح وعزير وقال الزمخشري بين أن السبب
في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا
قادر على اتخاذه إن كنت فاعلاً لأني على كل شيء قدير انتهى ولا يجيء هذا إلا على
قول من قال اللهو هو اللعب وأما من فسره بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا
تتعلق به القدرة والظاهر أن إن هنا شرطية وجواب الشرط محذوف يدل
عليه جواب لو أي إن كنا فاعلين اتخذناه إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن
يفعله وقال الحسن وقتادة وابن جريج إن نافية أي ما كنا فاعلين
بل نقذف أي نرمي بسرعة بالحق وهو القرآن على الباطل وهو الشيطان قاله
مجاهد وقال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان **وقيل** بالحق بالحجة
على الباطل وهو شبههم ووصفهم الله بغير صفاته من الولد وغيره **وقيل**
الحق عام في القرآن والرسالة والشرع والباطل أيضاً عام كذلك وبل إضراب
عن اتخاذ اللعب واللهو والمعنى أنه يدحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف
والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً
قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه أي أصاب دماغه وذلك مهلك في البشر
فكذلك الحق يهلك الباطل **وقرأ** عيسى بن عمر فيدمغه بنصب الغين قال
الزمخشري وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم • وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه بضم الغين والميم انتهى ولكم الويل خطاب للكفار أي
الخزي والهم مما تصفون أي تصفونه مما لا يليق به تعالى من اتخاذ الصاحبة
والولد ونسبة المستحيلات إليه **وقيل** ولكم خطاب لمن تمسك بتكذيب
الرسل ونسب القرآن إلى أنه سحر وأضغاث أحلام وهو المعني بقوله مما تصفون
وأبعد من ذهب إلى أنه التفات من ضمير الغيبة في فما زالت دعواهم إلى ضمير الخطاب
ثم أخبر تعالى أن من في السموات والأرض ملك له فاندرج فيه من سموه بالصاحبة
والولد ومن عنده هم الملائكة واحتمل أن يكون معطوفاً على من فيكونون قد اندرجوا
في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في من وبطريق الخصوص بالنص على أنهم من عنده
ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم أو استئناف إخبار **واحتمل** أن يكون
ومن عنده مبتدأ وخبره لا يستكبرون وعندية هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه
تعالى منزه عن المكان بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة والظاهر أن قوله
وله من في السموات والأرض استئناف إخبار بأن جميع العالم ملكه **وقيل**

يحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون كانه نفي الامر في نفسه اي
للمتلقين هذه المقالة الويل ولله تعالى من في السموات والارض انتهى والمراد الملائكة
مكرمون منزلون لكرامتهم على الله منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان
لشرفهم وفضلهم ويقال حسر البعير واستحسر كلّ وتعب وحسرته انا فهو متعد
ولازم واحسرته ايضا وقال الشاعر

بها جيف الحسرى فاما عظامها * فبيض واما جلدها فصليب ٥

قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم
ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور
واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما
يفعلون انتهى يسبحون هم الملائكة باجماع الامة وصفهم بتسبيح دائم
وعن كعب جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم دائما دون
ان يلحقهم فيه سآمة وفي الحديث اني لاسمع اطيط السماء وحق لها ان تئط ليس
فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد او قائم ٥ ام اتخذوا الهة من الارض
هم ينشرون * لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا
برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون *
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون * وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين *
لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وان من في السموات والارض كلهم ملك له
وان الملائكة المكرمين هم في خدمته لا يفترون عن تسبيحه وعبادته عاد
الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه احلامهم وام هنا منقطعة
تتقدر ببل والهمزة ففيها اضراب وانتقال من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب
والانكار اي اتخذوا الهة من الارض يتصفون بالاحياء ويقدرون عليها وعلى الا
ماتة اي لم يتخذوا الهة بهذا الوصف بل اتخذوا الهة جمادا لا يتصف
بالقدرة على شيء فهي غير الهة لان من صفة الاله القدرة على الاحياء والاماتة
وقال الزمخشري فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة ينشر وما كانوا
يدعون ذلك لالهتهم وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى لانهم مع اقرارهم
بان الله خالق السموات والارض وبانه قادر على المقدورات كلها وعلى النشأة
الاولى منكرين للبعث وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر
فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة قلت الامر كما ذكرت ولكنهم
بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر
على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ
والتجهيل والاشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما

قوله عز وجل ام اتخذوا

صحت

صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان
من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها
الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة ارضية وسماوية ومن ذلك حديث
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء
فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي هي
الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله تعالى ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض
لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت
لا بد من نكتة في قولهم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه
قيل ام اتخذوا الهة لا تقدر على الانشار الا هم وحدهم انتهى واتخذوا هنا
يحتمل ان يكون المعنى فيها صنعوا وصوروا ومن الارض متعلق باتخذوا ويحتمل
ان يكون المعنى جعلوا الالهة اصناما من الارض كقوله اتخذوا اصناما الهة
وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفيه معنى الاصطفاء والاختيار وقرأ
الجمهور ينشرون مضارع انشر ومعناه يحيون وقال قطرب معناه يخلقون كقوله
افمن يخلق كمن لا يخلق وقرأ الحسن ومجاهد ينشرون مضارع نشر وهما لغتان
نشر وانشر متعديان ونشر يأتي لازما تقول انشر الله الموتى فنشروا اي فحيوا والضمير
في فيهما عائد على السماء والارض وهما كناية عن العالم والا بمعنى غير صفة لالهة
اي الهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما انشد
س رحمه الله ٥ وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان ٥
قال الزمخشري فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة
ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله
ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه
والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا
وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني
ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران
قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب
والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق
كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة
التمانع فللمتكلمين فيها تجادل وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات
المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر وقال ابن ابي عطية وذلك بانه
كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق واقتضاب القول في هذا ان الهين
لو فرضنا بينهما الاختلاف في تحريك جسم وتحريكه فمحال ان تتم الارادتان ومحال
ان لا يتم جميعا واذا تمت الواحدة كان صاحب الاخرى عاجزا وهذا ليس باله
وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر اخر وذلك ان كل جزء يخرج
من العدم الى الوجود فمحال ان تتعلق به قدرتان فاذا كانت قدرة احدهما توجد
في الاخر فضلا لا معنى له في ذلك الجزء ثم يتمادى النظر هكذا اجزاء جزاء وقال

ابو عبد الله الرازي لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلا بد ان يشتركا
في الوجود ولا بد ان يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه وما به المشاركة غير
ما به الممايزة فيكون كل واحد مشاركا للآخر وكل مركب فهو مفتقر
الى الآخر ممكن لذاته فاذا واجب الوجود ليس الا واحدا فكل ما عداه منه فهو
محدث ويمكن جعل هذا تفسيرا لهذه الآية لانا لما دللنا على انه يلزم من فرض
موجودين واجبين ان لا يكون شيء منهما واجبا واذا لم يوجد الواجب لم يوجد
شيء من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد في كل العالم وقال ابو البقاء لا يجوز
ان يكون بدلا لان المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما الله لفسدتا الا ترى انك
لو قلت ما جاءني قومك الا زيد على البدل لكان المعنى جاءني زيد وحده وقيل
يمتنع البدل لان ما قبلها ايجاب ولا يجوز النصب على الاستثناء لوجهين احدهما
انه فاسد في المعنى وذلك انك اذا قلت لو جاءني القوم الا زيدا لقتلتهم كان معناه
ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم فلو نصبت في الآية لكان المعنى ان فساد السموات
والارض امتنع لوجود الله مع الالهة وفي ذلك اثبات اله مع الله واذا رفعت
على الوصف لا يلزم مثل ذلك لان المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثاني
ان الالهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين لانه
لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء انتهى واجاز ابو العباس المبرد
في الا الله ان يكون بدلا لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب احسن
من الوصف **وقد اشبعنا** الكلام على هذه المسألة في شرح التسهيل وقال الاستاذ
ابو علي الشلوبين في مسألة س لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا
رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان وقال شيخنا الاستاذ ابو الحسن
ابن الضائع لا يصح المعنى عندي الا ان تكون الا في معنى غير التي يراد بها البدل
اي لو كان فيهما آلهة عوض واحد اي بدل الواحد الذي هو الله لفسدتا وهذا
المعنى اراده س في المسألة التي جاء بها توطئة انتهى **ولما اقام** البرهان
على وحدانيته وانفراده بالالوهية نزه نفسه عما وصفه به اهل الجهل بقوله
فسبحان الله ثم وصف نفسه بانه مالك هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم
هو منتظمهم ثم وصف نفسه بكمال القدرة ونهاية الحكم فقال لا يسأل عما
يفعل اذ له ان يفعل في ملكه ما يشاء وفعله على اقصى درجات الحكمة فلا اعتراض
ولا تعقب عليه ولما كانت عادة الملوك انهم لا يسألون عما يصدر من افعالهم
مع امكان الخطأ فيها كان ملك الملوك احق ان لا يسأل مع علمنا انه لا
يصدر عنه الا ما اقتضته الحكمة العارية عن الخلل والتعقب وجاء عما يفعل
اذ الفعل جامع لصفات الافعال مندرج تحته كل ما يصدر عنه من خلق ورزق
ونفع وضر وغير ذلك والظاهر في قوله لا يسأل العموم في الازمان وقال
الزجاج اي في القيامة لا يسأل عن حكمه في عباده وهم يسألون عن اعمالهم وقال
ابن بحر لا يحاسب وهم يحاسبون وقيل لا يؤاخذ وهم يؤاخذون انتهى
وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون واقع منهم الخطأ كثيرا فهم جديرون

ان يقال

ان يقال الضمير فعلتم كذا وقرأ الحسن لا يسل ويسلون بفتح السين نقل حركة الهمزة
الى السين وحذف الهمزة ثم كرر تعالى عليهم الانكار والتوبيخ فقال ام اتخذوا
من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ قوله
من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الاتيان بالحجة
على ما اتخذوا ولا حجة تقوم على ان لله تعالى شريكا لا من جهة العقل ولا من جهة
النقل بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد كما في
الوحي الذي جئتكم به هذا ذكر من معي اي عظة للذين معي وهم امته وذكر للذين
من قبلي وهم امم الانبياء فالذكر هنا يراد به الكتب الالهية ويجوز ان يكون
هذا اشارة الى القرآن والمعنى فيه ذكر الاولين والآخرين فذكر الآخرين
بالدعوة وبيان الشرع لهم وذكر الاولين بقص اخبارهم وذكر الغيوب
في امورهم والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان اي هاتوا برهانكم فهذا
برهاني في ذلك ظاهر وقرأ الجمهور باضافة ذكر الى من فيهما على اضافة المصدر
الى المفعول كقوله بسؤال نعجتك وقرئ بتنوين ذكر فيهما ومن مفعول منصوب
بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقرأ يحيى بن يعمر وطلحة بتنوين
ذكر فيهما وكسر ميم من فيهما ومعنى معي هنا عندي والمعنى هذا ذكر من عندي ومن
قبلي اي اذكركم بهذا القرآن الذي عندي كما ذكر الانبياء من قبلي اممهم ودخول
من على مع نادر ولكنه اسم يدل على الصحبة والاجتماع اجري مجرى الظرف
فدخلت عليه من كما دخلت على قبل وبعد وعند وضعف ابو حاتم هذه القراءة
لدخول من على مع ولم ير لها وجها وعن طلحة ذكر منونا من معي بكسر ميم من معي دون
من وذكر منونا قبلي دون من وقرأت فرقة وذكر من بالاضافة وذكر
منونا من قبلي بكسر ميم من وقرأ الجمهور الحق بالنصب والظاهر نصبه على المفعول
به فلا يعلمون اي اصل شرهم وفسادهم هو الجهل وعدم التمييز بين الحق
والباطل ومن ثم جاء الاعراض عنه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المنصوب
ايضا على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق لا
الباطل فاكد نسبة انتفاء العلم عنهم والظاهر ان الاعراض متسبب عن انتفاء العلم
لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل اعرضوا عن الحق وقال ابن عطية ثم حكم عليهم
تعالى بان اكثرهم لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون
لانهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق وقرأ الحسن
وحميد وابن محيصن الحق بالرفع قال صاحب اللوامح ابتدا والخبر مضمر او خبر
والمبتدا قبله مضمر وقال ابن عطية هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراءة
على لا يعلمون وقال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين
السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل
انتهى ولما ذكر انتفاء علمهم الحق واعراضهم اخبر انه ما ارسل من رسول الا جاء
مقررا لتوحيد الله وافراده بالالهية والامر بالعبادة ولما كان من رسول عاما
فكان لفظ ومعنى افرد على اللفظ في قوله الا يوحى اليه ثم جمع على المعنى في قوله

فاعبدون ولم يأت التركيب فاعبدني ويحتمل ان يكون الامر له ولامته وهذه
العقيدة من توحيد الله لم تختلف فيها النبوات وانما وقع الاختلاف في اشياء من الاحكام
وقرأ الاخوان والاعمش وطلحة وابن ابي ليلى والقطعي وابن غزوان عن ايوب
وخلف وابن سعدان وابن عيسى وابن جرير نوحي بالنون وباقي السبعة بالياء
وفتح الحاء واختلف عن عاصم ثم نزه تعالى نفسه عما نسبوه اليه من الولد
قيل ونزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى
نحو هذا في عيسى واليهود في عزير ثم اضرب تعالى عن نسبة الولد اليه فقال بل عباد
مكرمون ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيرا والمسيح ويظهر من كلام الزمخشري انه مخصوص
بالملائكة قال نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى نزه ذاته عن ذلك
ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون
عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك
هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا انتهى وقرأ
عكرمة مكرمون بالتشديد والجمهور بالتخفيف وقرأ لا يسبقونه بكسر الباء وقرئ
بضمها من سابقني فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا
حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والالف واللام في بالقول نابت مناب الضمير على مذهب الكوفيين
اي بقولهم وكذا قال الزمخشري والمراد بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة
او الضمير محذوف اي بالقول منهم وذلك على مذهب البصريين وهم بامره يعملون
فكان قولهم تابع لقوله كذلك فعلهم مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به
وهذه عبارة عن توغلهم في طاعته والامتثال لامره ثم اخبر تعالى انه يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما تقدم من افعالهم واقوالهم والحوادث التي
لها اليهم تسبب وما تاخر وعلمه بذلك يجري مجرى السبب لطاعتهم لما علموه
عالما بجميع المعلومات وظواهرهم وبواطنهم كان ذلك داعيا لهم الى نهاية
الخضوع والدؤوب على العبادة قال ابن عباس يعلم ما قدموا وما اخروا
من اعمالهم وقال نحوه عمار بن ياسر قال ما عملوا وما لم يعملوا بعد وقيل
ما بين ايديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا وقيل عكس ذلك وقيل يعلم
ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد خلقهم ولما كانوا مقهورين تحت امره
وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله
للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم ثم هم مع ذلك من خشيته مشفقون
متوقعون حذرون لا يأمنون مكر الله وقال ابن عباس لمن ارتضى هو من
قال لا اله الا الله وشفاعتهم الاستغفار وقال مجاهد لمن ارتضاه
الله ان يشفع وقيل شفاعتهم في القيامة وفي الصحيح انهم يشفعون
في الدنيا والآخرة ولما ان وصف كرامتهم عليه واثنى عليهم واضاف
اليهم تلك الافعال السنية فاجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب
جهنم من ادعى منهم انه اله وذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع علمه بانه
لا يكون كقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر

قوله عز وجل اولم ير الذين

وتعظيم شأن التوحيد وقرأ الجمهور نجزيه بفتح النون وقرأ ابو عبد الرحمن المقري
بضمها اراد نجزيه بالهمز من اجزأني كذا كفاني ثم خفف الهمزة فانقلبت ياء
كذلك اي مثل هذا الجزاء نجزي الظالمين وهم الكافرون الواضعون الشيء
في غير موضعه واداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله لئن اشركت • اولم
ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون • وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها
فجاجا سبلا لعلهم يهتدون • وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها
معرضون • وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون • كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون • هذا استفهام توبيخ لمن ادعى
مع الله آلهة ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدم من ادلة التوحيد
ورد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه المخلوقات المتصرف
فيها التصرف العجيب كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر
ولا ينفع والرؤية هنا من رؤية القلب وقيل من رؤية البصر وذلك على
الاختلاف في الرتق والفتق وقرأ ابن كثير وحميد وابن محيصن الم ير بغير واو العطف
والجمهور اولم بالواو وكانتا قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد ولهذا قال
كانتا رتقا لانه اراد السماء والارض ومنه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
جعل السموات نوعا والارضين نوعا فاخبر عن النوعين كما اخبر عن اثنين كما تقول
اصلحت بين القوم ومرت بنا غنمان اسودان لقطيعي غنم وقال الحوفي قال كانتا
رتقا والسموات جمع لانه اراد الصنفين ومنه قول الاسود بن يعفر

• ان المنية والحتوف كلاهما • يوفي المخارم يرقبان سوادي

لانه اراد النوعين وقال ابو البقاء الضمير يعود على الجنسين وقال الزمخشري
وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم
لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر ما فعل في المظهر وقال ابن عطية
وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شييم

• الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا

قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة كانتا شيئا واحدا ففصل الله
بينهما بالهواء وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق
ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا وقال
مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات والارض مؤتلفة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضون كانت مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها وجعلها سبعا وقالت فرقة السموات والارض رتق بالظلمة وفتقهما
الله بالضوء وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات
رتق ففتقهما بالمطر والنبات كما قال والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع
قال ابن عطية وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بالمحسوس

بين ويناسب قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي أي من الماء الذي وجد الفتق انتهى
وعلى هذين القولين تكون الرؤية من البصر وعلى ما قبلهما من رؤية القلب وجاء
تقريرهم بذلك لأنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي
المشاهد ولأن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين
دون التلاصق من مخصص وهو الله سبحانه وقرأ الجمهور رتقا بسكون التاء وهو مصدر
يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى وقرأ الحسن وزيد بن علي وأبو حيوة وعيسى
رتقا بفتح التاء وهو اسم المرتوق كالقبض والنقض فكان قياسه أن يثنى ليطابق
الخبر الاسم فقال الزمخشري هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا وقال
أبو الفضل الرازي الأكثر في هذا الباب أن يكون المتحرك منه اسما بمعنى المفعول
والساكن مصدرا وقد يكونان مصدرين لكن المتحرك أولى بأن يكون في معنى المفعول
لكن هنا الأولى أن يكونا مصدرين فاقتصر كل واحد منهما مقام المفعولين ألا
ترى أنه قال كانتا رتقا فلو جعلت أحدهما اسما لوجب أن تثنيه فلما قال
رتقا كان في الوجهين كرجل عدل ورجلين عدل وقوم عدل انتهى وجعلنا إن
تعدت لواحد كانت بمعنى وخلقنا من الماء كل حيوان أي مادته النطفة قاله
قطرب وجماعة ولما كان قوام الماء المشروب وكان محتاجا إليه لا يصبر
عنه جعل مخلوقا منه كقوله خلق الإنسان من عجل قاله الكلبي وغيره وتكون
الحيوة على هذا حقيقة ويكون كل شيء عاما مخصوصا إذ خرج منه الملائكة والجن
وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للماء وقال قتادة أي خلقنا كل نام
من الماء فيدخل فيه النبات والمعدن وتكون الحيوة فيهما مجازا أو عبر بالحيوة
عن القدر المشترك بينهما وبين الحيوان وهو النمو ويكون أيضا على هذا عاما
مخصوصا وإن تعدت جعلنا لاثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا
بد له منه وقرأ الجمهور حي بالخفض صفة لشيء وقرأ حميد حيا بالنصب مفعولا
ثانيا لجعلنا والجار والمجرور لغو أي ليس مفعولا ثانيا لجعلنا أفلا يؤمنون
استفهام إنكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى أفلا يتدبرون
هذه الأدلة ويعملوا بمقتضاها ويتركوا طريقة الشرك وأطلق الإيمان على
سببه وقد انتظمت هذه الآية دليلين من دلائل التوحيد وهي من الأدلة السماوية
والأرضية ثم ذكر دليلا آخر من الدلائل الأرضية فقال وجعلنا في الأرض
رواسي أن تميد بهم وتقدم شرح نظير هذه الجملة في سورة النحل وجعلنا
فيها سبلا وهذا دليل رابع من الدلائل الأرضية والظاهر أن الضمير في فيها
عائد على الأرض وقيل يعود على الرواسي وجاء هنا تقديم فجاجا على قوله سبلا
وفي سورة نوح لتسلكوا منها سبلا فجاجا فقال الزمخشري وهي تعني فجاجا
صفة ولكن جعلت حالا كقوله لمية موحشا طلل يعني أنها حال من سبل
وهو نكرة فلو تأخر فجاجا لكان صفة كما في تلك الآية ولكن تقدم فانتصب
على الحال فإن قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت وجهان
أحدهما إعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها

على

على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة انتهى يعني بالإبهام أن الوصف لا يلزم
أن يكون الموصوف متصفا به حالة الإخبار عنه وإن كان الأكثر قيامه به
حالة الإخبار عنه ألا ترى أنه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة فحالة المرور
لم يكن قائما به قتل حمزة وأما الحال فهي هيئة ما تخبر عنه حالة الإخبار لعلهم
يهتدون في مسالكهم وتصرفهم وما رفع وسمك على شيء فهو سقف قال قتادة
حفظا من البلى والتغير على طول الدهر وقيل حفظا من السقوط لإمساكه من غير
علاقة ولا عماد وقيل حفظا من الشرك والمعاصي وقال الفراء حفظا من
الشياطين بالرجوم وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى السماء
فقال إن السماء سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري السهم محفوظا من
الشياطين وإذا صح هذا الحديث كان نصا في معنى الآية وهم عن آياتها أي
عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة
البالغة والقدرة الباهرة وقرأ الجمهور عن آياتها بالجمع وقرأ مجاهد وحميد
عن آيتها بالإفراد فيجوز أنه جعل الجنس أو السقف أو الخلق أي خلق السماء آية
واحدة تحوي الآيات كلها ويجوز أنه أراد بها الجمع فجعلها اسم الجنس ودل على
ذلك كثرة ما في السماء من الآيات والمعنى وهم عن الاعتبار بآياتها معرضون
وقال الزمخشري هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنياوية
كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الأرض والحيوان بأمطارها
وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون والتنوين في كل عوض من المضاف
إليه والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة وعن ابن عباس والسدي
الفلك السماء وقال أكثر المفسرين الفلك موج مكفوف تحت السماء يجري
فيه الشمس والقمر وقال قتادة الفلك استدارة بين السماء والأرض
يدور بالنجوم مع ثبوت السماء وقيل الفلك القطب الذي يدور عليه النجوم
وهو قطب الشمال وقيل لكل واحد من السيارات فلك وفلك الأفلاك
يحركها حركة واحدة من المشرق إلى المغرب وقال الضحاك الفلك ليس بجسم
وإنما هو مدار هذه النجوم والظاهر أنه جسم وفيه الاختلاف المذكور والظاهر
أن كلا يسبح في فلك واحد فقيل ولكل واحد فلك يخصه فهو كقولهم كساهم
الأمير حلة أي كسا كل واحد وجاء يسبحون بواو الجمع العاقل فأما الجمع فقيل
ثم معطوف محذوف وهو النجوم ولذلك عاد الضمير مجموعا ولو لم يكن ثم
معطوف محذوف لكان يسبحان مثنى وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر
والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها
وهو السبب في جمعهما بالشموس والأقمار وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد انتهى
وحسن ذلك كونه جاء فاصلة رأس آية وأما كونه ضمير من يعقل ولم يكن التركيب
يسبح فقال الفراء لما كانت السباحة من فعل الآدميين جاء ما أسند إليهما
مجموعا جمع من يعقل كقوله رأيتهم لي ساجدين قال أبو عبد الله الرازي وعلى

قوله اي على زعمنا سبب ذلك انها عندهم تغفل انتهى ومثل هذه الجملة يحتمل ان تكون
استئناف اخبار فلا محل لها او محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان الليل
والنهار لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كقولك رايت زيدا وهندا متبرجة
والسباحة العوم والذي يدل عليه الظاهر ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان
في الفلك ذات الفلك لا يجري ه وما جعلنا الآية قيل ان بعض المسلمين قال
ان محمدا لن يموت وانما هو مخلد فانكر ذلك الرسول فنزلت وقيل طعن كفار مكة
عليه بانه بشر ياكل الطعام ويموت فكيف يصح ارساله وقال الزمخشري كانوا يقدرون
انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد
في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فان مت ايبقى هؤلاء وفي معناه

قال الامام الشافعي رضي الله عنه ه

تمنى رجال ان اموت وان امت • فتلك سبيل لست فيها باوحد ه
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى • تزود لاخرى مثلها فكأن قد ه

وقول الاخر ه

فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا ه

والفاء في افاين مت للعطف قدمت عليها همزة الاستفهام لان الاستفهام
له صدر الكلام دخلت على ان الشرطية والجملة بعدها جواب للشرط وليست
مصب الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف
جوابه هذا مذهب سس وزعم يونس ان تلك الجملة هي مصب الاستفهام والشرط
معترض بينهما وجوابه محذوف قال ابن عطية والف الاستفهام داخلة في المعنى
على جواب الشرط انتهى وفي مثل الآية دليل لمذهب سس اذ لو كان على ما زعم يونس
لكان التركيب افان مت هم الخالدون بغير فاء وللمذهبين تقرير في علم النحو ه
كل نفس ذائقة الموت تقدم تفسير هذه الجملة ونبلوكم نختبركم وقدم الشر لان الابتلاء
به اكثر ولان العرب تقدم الاقل والاردى ومنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وعن ابن عباس الخير والشر هنا
عام في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية والهدى والضلال
قال ابن عطية مثال الاخيرات ليسا داخلين في هذا لان من هدي فليس هداه
اختبارا ولا من اطاع بل قد تبين خيره والظاهر ان المراد من الخير والشر هنا كل ما صح
ان يكون فتنة وابتلاء انتهى وعن ابن عباس ايضا بالشدة والرخاء اتصبرون
على الشدة وتشكرون على الرخاء ام لا وقال الضحاك الفقر والمرض والغنى
والصحة وقال ابن زيد المحبوب والمكروه وانتصب فتنة على انه مفعول له
او مصدر في موضع الحال او مصدر من معنى نبلوكم والينا ترجعون فنجازيكم على
ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء وقرأ الجمهور
ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول وقرأت فرقة بالتاء مفتوحة مبنيا
للفاعل وقرأت فرقة بضم الياء للغيبة مبنيا للمفعول على سبيل الالتفات
واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم

قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا

بذكر

بذكر الرحمن هم كافرون • خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون • بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون • ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزءون • قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم
عن ذكر ربهم معرضون • ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون • قال السدي ومقاتل مر الرسول عليه السلام بابي
جهل وابي سفيان فقال ابو جهل هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما
تنكرون ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمعها الرسول فقال لابي جهل ما تنتهي
حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت
ما قلته حمية فنزلت ولما كان الكفار يغمهم ذكر آلهتهم بسوء شرعوا في الاستهزاء
وتنقيص من يذكرهم على سبيل المقابلة وان نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب
اذا هو ان يتخذونك وجواب اذا بان النافية لم يرد منه في القرآن الا هذا وقوله
في الفرقان واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ولم يحتج الى الفاء في الجواب كما لم يحتج
اليه ما اذا وقعت جوابا كقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم
بخلاف ادوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا بما النافية فلا بد من
الفاء نحو ان زرتنا فما نسيء اليك وفي الجواب لاذا بان وما النافيتين دليل
واضح على ان اذا ليست معمولة للجواب بل العامل فيها الفعل الذي يليها
وليست مضافة للجملة خلافا لاكثر النحاة وقد استدللنا على ذلك بغير هذا
من الادلة في شرح التسهيل وقيل جواب اذا محذوف وهو يقولون المحكي به
قولهم اهذا الذي يذكر آلهتكم وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض
بين اذا وجوابه ويتخذونك يتعدى الى اثنين والثاني هزوا اي مهزوا به وهذا
استفهام فيه انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير والشر فاذا لم يذكر متعلقه
فالقرينة تدل عليه فان كان من صديق فالذكر ثناء او من عدو فذم ومنه سمعنا فتى
يذكرهم اي بسوء وكذلك هنا اهذا الذي يذكر آلهتكم نعى عليهم انكارهم
عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهي وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي
ينكرون ومثل حالهم يكفرون بذكر الرحمن وهو ما انزل من القرآن فمن هذه
حالته لا ينبغي ان ينكر على من يعيب آلهتهم والظاهر ان هذه الجملة حال من الضمير
في يقولون المحذوف وقال الزمخشري والجملة في موضع الحال اي يتخذونك
هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر بالله انتهى فجعل الجملة
الحالية العامل فيها يتخذونك هزوا المحذوفة وكرر هم على سبيل التوكيد
وروي انها نزلت حين انكروا لفظة الرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا في
اليمامة والمراد بالرحمن هنا الله كانه قيل وهم بذكر الله ولما كانوا يستعجلون
عذاب الله وآياته الملجئة الى الاقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم
اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها والظاهر انه يراد بالانسان

هنا اسم الجنس وكونه خلق من عجل هو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيرا كما تقول لمكثر اللعب انت من لعب وفي الحديث لست من دد ولا دد مني ٥

وقال الشاعر ٥

• وانا لمما يضرب الكبش ضربة • على راسه تلقي اللسان من الفم ٥

لما كانوا اهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وبهذا التاويل يتم معنى الاية ويترتب عليه قوله ساريكم اياتي اي ايات الوعيد فلا تستعجلون في رويتكم العذاب الذي تستعجلون به ومن يدعي القلب فيه وهو ابو عمرو وان التقدير خلق العجل من الانسان وكذا قراه عبد الله على معنى انه جعل طبيعة من طبايعه وجزا من اخلاقه فليس قوله بجيد لان القلب الصحيح فيه انه لا يكون في كلام فصيح وان بابه الشعر فيل فمما جاء في الكلام من ذلك قول العرب اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحربا وقالوا عرضت الناقة على الحوض وفي الشعر قوله ٥

حسرت كفي عن السربال اخذه ٥ وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والضحاك ومقاتل والكلبي الانسان هنا ادم قال مجاهد لما دخل الروح راسه وعينيه راى الشمس قاربت الغروب فقال يا رب عجل تمام خلقي قبل ان تغيب الشمس وقال سعيد لما بلغت الروح ركبتيه كاد يقوم فقال الله خلق الانسان من عجل وقال ابن زيد خلقه الله يوم الجمعة على عجلة في خلقه وقال الاخفش من عجل لان الله قال له كن فكان وقال الحسن من عجل اي ضعيف يعني النطفة **وقيل** خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب الادميين من النطفة والعلقة والمضغة وهذا يرجع لقول الاخفش **وقيل** من عجل من طين والعجل بلغة حمير الطين •

وانشد ابو عبيدة لبعض الحميريين ٥

• النبع في الصخرة الصما منبته • والنخل منبته في الما والعجل ٥

وقيل الانسان هنا النضر بن الحرث والذي ينبغي ان تحمل الاية عليه هو القول الاول وهو الذي يناسب اخرها والايات هنا قيل الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الاخرة اي ياتيكم في وقته **وقيل** ادلة التوحيد وصدق الرسول **وقيل** اثار القرون الماضية بالشام واليمن والقول الاول اليق اي سياتي ما يسوءكم اذا دمتم على كفركم كانه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا وفي الاخرة وقال الزمخشري فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه من الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة انتهى وهو على طريق الاعتزال وقرا مجاهد وحميد وابن مقسم خلق مبنيا للفاعل الانسان بالنصب اي خلق الله الانسان وقوله متى هذا الوعد استفهام على جهة الهزو وكان المسلمون يتوعدونهم على لسان الشرع ومتى في موضع الخبر لهذا فموضعه رفع ونقل عن بعض الكوفيين ان موضع متى نصب على الظرف والعامل فيه فعل مقدر تقديره يكون او يجي وجواب لو محذوف لدلالة

الكلام عليه وحذفه ابلغ واهيب من النص عليه فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه وقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال **وقيل** لعلموا صحة البعث وقيل لعلموا صحة الموعود وقال الحوفي لسارعوا الى الايمان وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة وحين برادبه وقت الساعة يدل على ذلك بل تاتيهم بغتة انتهى وحين قال الزمخشري مفعول به ليعلم اي لو تعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم قال ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها انتهى والذي يظهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله اي لو يعلم الذين كفروا مجي الموعود الذي سالوا عنه واستبطوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجي ويجوز ان يكون من باب الاعمال على حذف مضاف واعمل الثاني والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجوه لانها اشرف ما في الانسان ومحل حواسه والانسان احرص على الدفاع عنه من غيره من اعضايه ثم عطف عليها الظهور والمراد عموم النار لجميع ابدانهم ولا احد يمنعهم من العذاب بل تاتيهم بغتة اي تفجاهم قال ابن عطية بل تاتيهم استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات لا تاتي بحسب اقتراحهم انتهى والظاهر ان الضمير في تاتيهم عايد على النار **وقيل** على الساعة التي تصيرهم الى العذاب **وقيل** على العقوبة وقال الزمخشري في عود الضمير الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البعثة انتهى وقرا الاعمش بل ياتيهم بالياء بغتة بفتح الغين فيبهتهم بالياء والضمير عايد الى الوعد او الحين قاله الزمخشري وقال ابو الفضل الرازي لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكر ثم ردوها الظاهر اللفظ ولا هم ينظرون اي يوخرون عن ما حل بهم ولما تقدم قوله ان يتخذونك الا هزوا سلاه تعالى بان من تقدمه من الرسل وقع من اممهم الاستهزا بهم وان ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والاخرة فكذلك حال هولاء المستهزين وتقدم تفسير مثل هذه الاية في الانعام ثم امره تعالى ان يسالهم من الذي يحفظكم في اوقاتكم من باس الله اي لا احد يحفظكم منه وهو استفهام تقريع وتوبيخ وفي اخر الكلام تقدير محذوف كانه ليس لهم مانع ولا كالي وعلى هذا النفي تركيب بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون قاله ابن عطية وقال الزمخشري بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسوال عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلوهم انتهى وقرا ابو جعفر والزهري وشيبة يكلوكم بضمة خفيفة من غير همز وحكى الكسائي والفراء يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو ام لهم الهة ام بمعنى بل والهمزة كانه قيل بل لهم الهة فاضرب ثم استفهم يمنعهم من العذاب

وقال الحوفي من دوننا متعلق بتمنعهم انتهى قيل والمعنى ام لهم آلهة تجعلهم
في منعة وعز من ان ينالهم مكروه من جهتنا وقال ابن عباس في الكلام تقديم وتاخير
تقديره ام لهم آلهة من دوننا تمنعهم تقول منعت دونه كففت اذاه فمن دوننا
هو من صلة الآلهة اي ام لهم آلهة دوننا او من صلة تمنعهم اي ام لهم مانع
من سوانا ثم استانف الاخبار عن آلهتهم وبين انها ليس يقادر على نصر نفسه ومنعها
ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره وقال ابن عباس يصحبون
يمنعون وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير

وقال الشاعر

ينادي باعلى صوته متعوذا • ليصحب منا والرماح دوان

وقال مجاهد يحفظون وقال السدي لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم
والظاهر عود الضمير في ولا هم على الاصنام وهو قول قتادة وقيل على الكفار
وهو قول ابن عباس وفي التحرير مدار هذه الكلمة يعني يصحبون على معنيين احدهما
انه من صحب يصحب والثاني من الاصحاب اصحب الرجل منعه من الافات • بل

قوله عز وجل بل متعنا هؤلاء

متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها افهم الغالبون • قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما
ينذرون • ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة
من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين • ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرى للمتقين • الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون •
وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون • هؤلاء اشارة الى المخاطبين
قيل وهم كفار قريش ومن اتخذ آلهة من دون الله اخبر تعالى انه متع هؤلاء الكفار
واباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت اعمارهم في رخاء ونعمة وتدعوا
في الضلالة بامهاله تعالى اياهم وتاخيرهم الى الوقت الذي ياخذهم فيه افلا يرون
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها تقدم تفسير هذه الجملة في اخر الرعد واختصر الزمخشري
من تلك الاقوال على معنى انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط
المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام قال **فان قلت**
اي فائدة في قوله ناتي الارض **قلت** الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه
على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزوا ارض المشركين وتاتيها
غالبة عليها ناقصة من اطرافها انتهى وفي ذلك تبشير للمومنين بما يفتح الله
عليهم واكثر المفسرين على انها نزلت في كفار مكة وفي قوله افهم الغالبون
دليل على ذلك اذ المعنى ليسوا هم الغالبون فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ
حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم ثم امره تعالى ان يقول انما انذركم بالوحي اي اعلمكم
بما تخافون منه بوحي من الله لا من تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق
الواقع لا محالة كما رايتم بالعيان من نقصان الارض من اطرافها ثم اخبر انهم مع
انذارهم معرضون عما انذروا به فلا انذار لا يجدي فيهم اذ هم صم عن سماعه

ولما

ولما كان الوحي من المتوقعات كان ذكر الصمم مناسبا والصم هم المنذرون قال
فيه للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لان فيه التصريح بتصامهم وسد اسماعهم
اذا انذروا ولم يكن الضمير ليفيد هذا المعنى ونفي التسامع هنا نفي جدواه **وقراءة**
الجمهور يسمع بفتح الياء والميم الصم رفع به والدعاء نصب **وقراءة** ابن عامر وابن جبير
عن ابي عمرو وابن الصلت عن حفص بالتاء من فوق مضمومة وكسر الميم الصم الدعاء بنصبهما
والفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول **وقراءة** كذلك الا انه بالياء من تحت اي
ولا يسمع الرسول وعنه ايضا ولا يسمع مبنيا للمفعول الصم رفع به ذكره ابن خالويه
وقراءة احمد بن جبير الانطاكي عن اليزيدي عن ابي عمرو يسمع بضم الياء وكسر الميم الصم
نصبا الدعاء رفعا بيسمع اسند الفعل الى الدعاء اتساعا والمفعول الثاني محذوف
كانه قيل ولا يسمع النداء الصم شيا ثم اخبر تعالى ان هؤلاء الذين صموا عن سماع ما
انذروا به اذا نالهم شيء مما انذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك واقروا بانهم
كانوا ظالمين نبهوا على العلة التي اوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا واذعنوا
قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذي نزل بمكة وقال ابن جريج نصيب
من قولهم نفح له من العطاء نفحة اذا اعطاه نصيبا وفي قوله ولئن مستهم نفحة ثلاث
مبالغات لفظ المس وما في مدلول النفح من القلة اذ هو الريح اليسير او ما يرضخ من
العطية وبناء المرة منه ولم يات نفح فالمعنى انه بادنى اصابة من اقل العذاب
اذعنوا وخضعوا واقروا بان سبب ذلك ظلمهم السابق ولما ذكر ما لهم في الدنيا
اذا اصيبوا بشيء استطرد لما يكون في الاخرة التي هي مقر الثواب والعقاب فاخبر
تعالى عن عدله واسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال ونضع الموازين
وتقدم الكلام في الموازين في اول الاعراف واختلاف الناس في ذلك هل ثم
ميزان حقيقة وهو قول الجمهور وذلك على سبيل التمثيل عن المبالغة في العدل
التام وهو قول الضحاك وقتادة فلا ليس ثم ميزان ولكنه العدل والقسط
مصدر وصفت به الموازين مبالغة كانها جعلت في انفسها القسط او على حذف
مضاف اي ذوات القسط ويجوز ان يكون مفعولا لاجله اي لاجل القسط **وقرئ** القسط
بالصاد واللام في ليوم القيمة قال الزمخشري مثلها في قولك جئت لخمس ليال
خلون من الشهر ومنه **بيت النابغة**

توهمت ايات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع

انتهى وذهب الكوفيون الى ان اللام تكون بمعنى في ووافقهم ابن قتيبة من
المتقدمين وابن مالك من اصحابنا المتاخرين وجعل من ذلك قوله القسط ليوم
القيمة اي في يوم وكذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي في وقتها وانشد شاهدا
على ذلك لمسكين الدارمي

اولئك قومي قد مضوا لسبيلهم • كما قد مضى من قبل عاد وتبع

وقول الاخر

وكل اب وابن وان عمرا معا • مقيمين مفقود لوقت وفاقد

وقيل اللام هنا للتعليل على حذف مضاف اي لحساب يوم القيمة وشيا مفعول

ثان او مصدر وقرأ الجمهور مثقال بالنصب خبر كان اي وان كان الشيء او وان كان العمل وكذا في لقمن وقرأ زيد بن علي وابو جعفر وشيبة ونافع مثقال بالرفع على الفاعلية وكان تامة وقرأ الجمهور اتينا من الاتيان اي جئنا بها وكذا قرأ ابي اي جئنا وكانه تفسير لاتينا وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابن ابي اسحق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد وابن شريح الاصبهاني آتينا بمد على وزن فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافاة فمعناه جازينا بها ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على افعلنا من الايتاء على ما توهمه بعضهم لتعدي مطلقا دون جار قاله ابو الفضل الرازي وقال الزمخشري مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء انتهى وقال ابن عطية على معنى واتينا من المواتاة ولو كان اتينا اعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراءة ان بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة انتهى وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وانث الضمير في بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مؤنث وكفى بنا حاسبين فيه توعد وهو اشارة الى ضبط اعمالهم من الحساب وهو العد والاحصاء والمعنى انه لا يغيب عنا شيء من اعمالهم وقيل هو كناية عن المجازاة والظاهر ان حاسبين تمييز لقبوله من ويجوز ان يكون حالا ولما ذكر ما انزل على رسوله من الذكر وحال مشركي العرب معه وقال قل انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادة الله في انبيائه فذكر ما اتى موسى وهرون اشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما اوتوا من الفرقان والضياء والذكر ثم رتبه على ما اتى رسوله من الذكر المبارك ثم استفهم على سبيل الذكر على الانكار ثم رتبه على ما اتى رسوله والفرقان التوراة وهو الضياء والذكر اي كتابا هو فرقان وضياء وذكر ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك ضياء وذكرا بغير واو في ضياء وقالت فرقة الفرقان ما رزقه الله من نصر وظهور حجته وغير ذلك مما فرق بين امره وامر فرعون والضياء التوراة والذكر التذكرة والموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف والعطف بالواو يؤذن بالتغاير وعن ابن عباس الفرقان الفتح لقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات والذين صفة تابعة او مقطوعة برفع او نصب او بدل ولما ذكر المتقين ذكر ما اتصفوا به وهو خشية الله والاشفاق من عذاب يوم القيامة والساعة القيامة وبالغيب قال الجمهور يخافونه ولم يروه وقال مقاتل يخافون عذابه ولم يروه وقال الزجاج يخافونه من حيث لا يراهم احد ورجحه ابن عطية وقال ابو سليمن الدمشقي يخافونه اذا غابوا عن اعين الناس والاشفاق شدة الخوف واحتمل ان يكون قوله وهم من الساعة مشفقون استئناف اخبار عنهم وان يكون معطوفا على صلة الذين ويكون الصلة الاولى مشعرة بالتجدد دائما كان حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدا وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت الوصف كان حالتهم فيما يتعلق بالاخرة ولما ذكر ما اتي موسى وهرون عليهما السلام اشار الى ما اتي محمدا صلى الله عليه

وسلم فقال وهذا اي القرآن ذكر مبارك اي كثير منافعه وغزير خيره وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جريا على الاشهر وتقدم الكلام على قوله في الانعام وهذا كتاب انزلناه مبارك وبينا هناك حكمة تقديم الجملة على الاسم افانتم له منكرون استفهام انكار وتوبيخ وهو خطاب للمشركين والضمير في له عائد على ذكر وهو القرآن وفيه تسلية للرسول اذ انكر ذلك المشركون كما انكر اسلاف اليهود ما انزل الله على موسى التمثال الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به قال الشاعر

ويارب يوم قد لهوت وليلة ٭ بآنسة كانها خط تمثال

الجذ القطع قال الشاعر

بنو المهلب جذ الله دابرهم ٭ امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف

التنكيس قلب الشيء بحيث يصير اعلاه اسفل ونكس راسه بالتشديد والتخفيف طاطا حتى صار اعلاه اسفل البرد مصدر برد يقال برد الماء حرارة الجوف يبردها قال الشاعر

وعطل قلوصي في الركاب فانها ٭ ستبرد اكبادا وتبكي بواكيا

النفش رعي الماشية بالليل بغير راع والهمل بالنهار بلا راع الغوص الدخول تحت الماء لاستخراج ما فيه قال الشاعر

او درة صدفية غواصها ٭ بهج متى يرها يهل ويسجد

النون الحوت ويجمع على نينان وروي النينان فيه الحمر الفرج يطلق على الحر والذكر ومقابل الحر وعلى الدبر قال الشاعر

وانت اذا استدبرته سد فرجه ٭ بضاف فويق الارض ليس باعزل

الحدب المسنم من الارض كالجبل والكدية والقبر ونحوه النسلان مقاربة الخطو مع الاسراع قال الشاعر

عسلان الذئب امسى قاربا ٭ برد الليل عليه فنسل

الحصب الحطب بلغة الحبشة اذا رمي به في النار قيل وقيل ان يرمي به لا يسمى حصبا وقيل الحصب ما توقد به النار السجل الصحيفة ٭ ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٭ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ٭ قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ٭ قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين ٭ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ٭ قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ٭ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ٭ لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اتبع ذلك بثلثة عشر نبيا عن تراعي في ذكرهم الترتيب الزماني وذكر بعض ما نال كثيرا منهم من الابتلاء وكان ذلك تسلية للرسول ليتاسي بهم فيما جرى عليه من قومه وقرأ الجمهور رشده بضم الراء وسكون الشين وقرأ عيسى الثقفي رشده بفتح الراء والشين واضاف الرشد الى ابرهيم بمعنى انه رشد مثله وهو رشد

المفردات

قوله عزوجل ولقد آتينا ابرهيم

الانبيا ولد شان اي شان والرشد الى النبوة والاهتدا الى وجوه الصلاح في الدين
والدنيا او شما داخلا تحت الرشد او الصحف والحكمة او التوفيق للخير صغيرا اقوال
خمسة والمضاف اليه من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بني قبل اي من قبل موسى
وهرون قاله الضحاك لقوله في الانعام ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم
واسحق ويعقوب **وابعد** من ذهب الى ان التقدير من قبل بلوغه او من قبل نبوته
يعني حين كان في صلب ادم واخذ ميثاق الانبيا او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانها
محذوفات لا يدل على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهرون لتقدم ذكرهما
وقربه والضمير في به الظاهر انه عايد على ابراهيم **وقيل** على الرشد وعلمه تعالى
انه علم منه احوالا عجيبة واسرارا بديعة فاهله لخلته كقوله الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وهذا من اعظم المدح وابلغه اذ اخبر تعالى انه اتاه الرشد وانه
عالم بما اتاه وبه عليه السلام **ثم استطرد** من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعا
الى توحيد الله ورفض ما عبد من دونه واذ معمولة لاتينا او رشده او عالمين
او لمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت وبدا اولا بذكر ابيه لانه
الاهم عنده في النصيحة والانقاذ من الضلال ثم عطف عليه قومه كقوله وانذر
عشيرتك الاقربين **وفي قوله** ما هذه التماثيل تحقير لها وتصغير لشانها وتجاهل
بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله انتم استهانة بهم وتوقيف
على سوء صنيعهم وعكف يتعدى بعلى كقوله يعكفون على اصنام لهم فقيل لها هنا
بمعنى عليها كما قيل في قوله وان اساتم فلها والظاهر ان اللام في لها لام التعليل
اي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة اي على عبادتها **وقيل** ضمن عاكفون معنى
عابدين فعداه باللام وقال الزمخشري لم ينو للعاكفين محذوفا واجراه مجرى
ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها انتهى ولما سالهم
اجابوه بالتقليد البحت وانه فعل ابايهم اقتدوا به من غير ذكر برهان وما اقبح هذا
التقليد الذي ادى بهم الى عبادة خشب وحجر ومعدن والحاحهم في ذلك وتصريح
تقليدهم وكان سواله اياهم عن عبادة التماثيل وغايته ان يذكروا شبهة في ذلك
فيبطلها فلما اجابوه بما لا شبهة لهم فيه وبدا ضلالهم قال لقد كنتم انتم واباوكم
في ضلال مبين اي في حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين
والمقلدين وجعل الضلال مستقرا لهم وانتم توكيد للضمير الذي هو اسم كان قال
الزمخشري وانتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على
ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحو اسكن انت وزوجك الجنة انتهى وليس
هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين يجيزون العطف
على الضمير المتصل المرفوع من غير تاكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل وتنظيره
ذلك باسكن انت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه في اسكن انت وزوجك لانه
يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل قوله وزوجك
مرتفع على اضمار وليسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا مخالف لمذهبه
ولما جرى هذا السوال وهذا الجواب تعجبوا من تضليله اياهم اذ كان قد نشا

بينهم وجوزوا ان ما قاله هو على سبيل المزاح لا الجد فاستفهموه اهذا جد منه ام لعب
والضمير في قالوا عايد على ابيه وقومه وبالحق متعلق بقوله اجيتنا ولم يريدوا حقيقة
المجي لانه لم يكن عنهم غايبا فجاهم وهو تطير قالوا ولو جيتك بشي مبين والحق هنا ضد
الباطل وهو الجد ولذلك قابلوه باللعب وجات الجملة اسمية لكونها اثبت
كانهم حكموا عليه بانه لاعب هازل في مقالته لهم ولكونها فاصلة ثم اضرب عن
قولهم واخبر بالجد وان المالك لهم والمستحق للعبادة هو ربهم ورب هذا العالم
العلوي والعالم السفلي المندرج فيه انتم ومعبودكم نبه على الموجب للعبادة
وهو منشي هذا العالم ومخترعه من العدم الصرف والظاهر ان الضمير في فطرهن عايد
على السموات والارض ولما لم تكن السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جا
الضمير ضمير القلة **وقيل** في فطرهن عايد على التماثيل قال الزمخشري وكونه
للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم انتهى وقال ابن عطية فطرهن عبارة
عنها كانها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف
به من يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التي تدل
على انها من قبيل من يعقل فان الله اخبر بقوله قالتا اتينا طايعين وقوله صلى الله عليه
وسلم اطت السما وحق لها ان تيط انتهى وكان ابن عطية وهذا القايل تخيلا ان هن
من الضماير التي تخص من يعقل من المونثات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين من يعقل
وما لا يعقل من المونث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم والضمير عايد
على الاربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الى ربوبيته تعالى ووصفه بالاختراع لهذا
العالم ومن للتبعيض اي الذين يشهدون بالربوبية كثيرون وانا بعض منهم اي
ما قلته امر مفروغ منه عليه شهود كثيرون فهو من مقابل المصحح بالشهود وعلى ذلكم متعلق
بمحذوف تقديره وانا شاهد على ذلكم من الشاهدين او على جهة البيان اي اعني
على ذلكم او باسم الفاعل وان كان في صلة ال لاتساعهم في الظرف والمجرور اقوال
تقدمت في اني لكما لمن الناصحين وبادرهم اولا بالقول المنبه على دلالة العقل فلم
ينتفعوا بالقول فانتقل الى الفعل الدال على العقل الذي ما له الى الدلالة التامة
على عدم الفايدة في عبادة ما يتسلط عليه بالكسر والتقطيع وهو لا يدفع ولا يضر ولا
ينفع ولا يشعر بما ورد عليه من فك اجزايه فقال وتالله لاكيدن اصنامكم وقرا
الجمهور وتالله بالتاء وقرا معاذ بن جبل واحمد بن حنبل بالله بالباء بواحدة من
اسفل قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين التا والبا قلت ان البا
هي الاصل والتا بدل من الواو المبدل منها وان التا فيها زيادة معنى وهو التعجب
كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته
وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه
واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شي تيسرا
انتهى اما قوله البا هي الاصل انما كانت اصلا لانها اوسع حروف القسم اذ تدخل
على الظاهر والمضمر ويصرح بفعل القسم معها ويحذف واما ان التا بدل من واو
القسم الذي ابدل من با القسم فشي قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل

وقد رد هذا القول السهيلي والذي يقتضيه النظر انه ليس شيء منها اصلا لآخر واما قوله
ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التاء يجوز ان يكون معها
تعجب ويجوز ان لا يكون واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم والكيد الاحتيال
في وصول الضرر الى المكيد **والظاهر** ان هذه الجملة خاطب بها اباه وقومه وانها
مندرجة تحت القول من قوله قال بل ربكم **وقيل** قال ذلك سرا من قومه وسمعه
رجل واحد **وقيل** سمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في اخريات الناس يوم خرجوا
الى العيد وكانت الاصنام سبعين **وقيل** اثنين وسبعين **وقرأ** الجمهور تولوا
مضارع ولي **وقرأ** عيسى بن عمر تولوا بحذف احدى التاءين وهي الثانية على مذهب
البصريين والاولى على مذهب هشام وهو مضارع تولى وهو موافق لقوله فتولوا عنه
مدبرين ومتعلق تولوا محذوف اي الى عيدكم وروي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا
ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع
بركت الالهة على طعامنا فذهبوا فلما كان في الطريق ثنى عزمه عن السير معهم فقعد
وقال اني سقيم وقال الكلبي كان ابراهيم من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا
اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به نظر قبل يوم
العيد الى السماء وقال لاصحابه اني اشتكي غدا واصبح معصوبا لراسه فخرجوا ولم
يتخلف احد غيره وقال وتالله لاكيدن الى اخره وسمعه رجل فحفظه ثم اخبر به فانتشر
انتهى **وفي الكلام** حذف تقديره فتولوا الى عيدهم فاتى ابراهيم الاصنام فجعلهم
جذاذا قال ابن عباس حطاما وقال الضحاك اخذ من كل عضوين عضوا قيل
وكانت الاصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان
مضيئتان فكسرها بفاس الا ذلك الصنم وعلق الفاس في عنقه وقيل علقه في يده
وقرأ الجمهور جذاذا بضم الجيم والكسائي وابن محيصن وابن مقسم وابو حيوة وحميد
والاعمش في رواية بكسرها وابن عباس وابو نهيك وابو السمال بفتحها وهي لغات
اجودها الضم كالحطام والرفات قاله ابو حاتم وقال اليزيدي جذاذا بالضم
جمع جذاذة كزجاج وزجاجة **وقيل** بالكسر جمع جذيذ ككريم وكرام **وقيل**
الفتح مصدر كالحصاد بمعنى المحصود فالمعنى مجذوذين وقال قطرب في لغاته
الثلاث هو مصدر لا يثنى ولا يجمع **وقرأ** يحيى بن وثاب جذذا بضمتين جمع جذيذ
كجديد وجدد **وقرئ** جذذا بضم الجيم وفتح الذال مخففا من فعل كسرر في سرر
جمع سرير وهي لغة لكلب او جمع جذة كقبة وقبب والضمير في فجعلهم
اذ كانت تعبد وقوله الا كبيرا لهم استثناء من الضمير في فجعلهم اي فلم يكسره والضمير
في لهم يحتمل ان يعود على الاصنام وان يعود على عباده والكبير هنا عظم الجثة او
كبيرا في المنزلة عندهم لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين تضيئان
بالليل والضمير في اليه عائد على ابراهيم اي فعل ذلك ترجيا منه ان يعقب
ذلك رجعة اليه والى شرعه قال الزمخشري وانما استبقى الكبير لانه غلب
في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم
فبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وقال ابن عطية يحتمل

ان يعود على الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهى وهو
قول الكلبي قال الزمخشري ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم
في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على
عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم
في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا
وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة
دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا
اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر ويظهر انهم في عبادته على امر عظيم ٥ قالوا
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ٥ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون ٥ قالوا ءانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ٥ فرجعوا
الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ٥ ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون ٥ قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ٥ في الكلام محذوف تقديره
فلما رجعوا من عيدهم الى الهتهم وراوا ما فعل بها استفهموا على سبيل البحث والانكار
فقالوا من فعل هذا اي التكسير والتحطيم انه لظالم في اجترائه على الالهة المستحقة
للتعظيم والتوقير قالوا اي قال الذين سمعوا قوله وتالله لاكيدن اصنامكم يذكرهم
اي بسوء قال الفراء يقول الرجل للرجل لئن ذكرتني لتندمن اي بسوء قال
الزمخشري فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما
قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول
سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك انتهى اما قوله
هما صفتان فلا يتعين ذلك لما ذكره اما سمع فاما ان يدخل على مسموع او غيره ان
دخلت على مسموع فلا خلاف انها تتعدى الى واحد نحو سمعت كلام زيد وحفلة خالد
وان دخلت على غير مسموع فاختلف فيها فقيل انها تتعدى الى اثنين وهو مذهب
الفارسي ويكون الثاني مما يدل على صوت فلا يقال سمعت زيدا يركب ومذهب
غيره انها تتعدى الى واحد والفعل بعده ان كان معرفة في موضع الحال منها
او نكرة في موضع الصفة وكلا المذهبين يستدل لهما في علم النحو فعلى هذا
المذهب الاخير يتمشى قول الزمخشري انه صفة لفتى **واما** على مذهب ابي علي
فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع واما يقال له ابراهيم فيحتمل ان
يكون جوابا لسؤال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم واتوا به منكرا قيل من
يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على انه مقدر بجملة تحكى بيقال
اما على النداء اي يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدأ محذوف
اي هو ابراهيم او على انه مفرد مفعول لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا المدلول
اي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الاخير هو اختيار الزمخشري وابن عطية وهو مختلف

الى

لأ

قوله عز وجل
قالوا من فعل هذا

في اجازته فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب
القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة
ولا مفردا معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له
نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين من منع ذلك وهو الصحيح
اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما
وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الاعلم الى ان ابراهيم ارتفع
بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه اذ القول لا يؤثر الا في المفرد المتضمن
لمعنى الجملة فبقي مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان
اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض اسماء العدد
على بعض والكلام على مذهب الاعلم وابطاله مذكور في النحو قالوا فأتوا اي
احضروه على اعين الناس اي معاينا بمرأى منهم فعلى اعين الناس في موضع الحال
وعلى معناها الاستعلاء المجازي كانه لتحديقهم اليه وارتفاع ابصارهم لرؤيته
مستعل على ابصارهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما صدر منه من تكسير
اصنامهم او يشهدون ما يحل به من عذابنا او علمنا المؤدي الى عذابه **وقيل**
الناس هنا خواص الملك واولياؤه وفي الكلام حذف تقديره فاتوا به على تلك
الحالة من نظر الناس اليه قالوا أأنت فعلت هذا اي الكسر والتهشيم بآلهتنا
وارتفاع أأنت المختار انه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل
الضمير ويجوز ان يكون مبتدا واذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل
كان الفعل صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل
كان الفعل مشكوكا فيه فاستفهم عنه اوقع ام لم يقع والظاهر ان بل للاضراب
عن جملة محذوفة اي فا لم افعله انما الفاعل حقيقة هو الله بل فعله كبيرهم
واسند الفعل الى كبيرهم على جهة المجاز لما كان سببا في كسر هذه الاصنام
هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الاصنام كان ذلك حاملا على تحطيمها وكسرها
فاسند الفعل الى الكبير اذ كان تعظيمهم له اكثر من تعظيم ما دونه وقال قريبا
من هذا الزمخشري **ويحتمل** ان يكون فعل الكبير متقيدا بالشرط فيكون قد علق
على ممتنع فلم يكن وقع اي ان كان هؤلاء الاصنام ينطقون ويخبرون من الذي
صنع بهم ذلك فالكبير هو الذي صنع ذلك واشار الى نحو من هذا ابن قتيبة وقال
الزمخشري هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان
الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن
الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته
لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال
لك صاحبك وقد كتبت اليه كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت
هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت
له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما

استهزاء

استهزاء واثبات للقادر ويجوز ان يكون حكاية لما يعود الى تجويز مذهبهم كانه
قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان يعبد معه هذه
الصغار وهو اكبر منها انتهى ومن جعل الفاعل بفعله ضميرا يعود على قوله فتى او على
ابراهيم او قال اخر بغير المطابق لمصلحة دينية واستدل بما روي في الحديث
او وقف على بل فعله اي فعله من فعله وجعل كبيرهم هذا مبتدا وخبرا وهو الكسائي
او اصله فعله بمعنى لعله وخفف اللام وهو الفراء مستدلا بقراءة ابن السميفع فعله
مشدد اللام فهو بعد اعن طريق الفصاحة ٥ فرجعوا الى انفسهم اي الى عقولهم
حين ظهر لهم ما قال ابراهيم من ان الاصنام التي اهلوها للعبادة ينبغي ان
يسال ويستفسر قبل ويحتمل ان يكون فرجعوا اي رجع بعضهم الى بعض فقالوا انكم انتم
الظالمون في سؤالكم ابراهيم حين سالتموه ولم تسالوها ذكره ابن جرير او حين عبدتم
ما لا ينطق قاله ابن عباس او حين لم يحفظوا الهتكم قاله وهب او في عبادة الاصاغر
مع هذا الكبير قاله وهب ايضا او حين ابهتهم ابراهيم والفاس في عنق الكبير قاله
مقاتل وابن اسحق او الظالمون حقيقة حيث نسبتم ابراهيم الى الظلم في قولكم
انه لمن الظالمين اذ هذه الاصنام مستحقة لما فعل بها ثم نكسوا على رؤوسهم اي
ارتكسوا في ضلالهم وعلموا ان الاصنام لا تنطق فساءهم ذلك حين نبهت على قيام
الحجة عليهم وهي استعارة للذي يرتطم في غيه كانه منكوس على راسه وهي
اقبح هيئة للانسان فكان عقله منكوس اي مقلوب لانقلاب شكله وجعل
اعلاه اسفله فرجوعهم الى انفسهم كناية عن استقامة فكرهم ونكسهم كناية
عن مجادلتهم ومكابرتهم **ويحتمل** ان يكون نكسوا على رؤوسهم كناية عن اطراقهم
رؤوسهم وتنكيسها الى الارض على سبيل الخجل والانكسار مما بهتهم به ابراهيم
من قول الحق وردعهم به فلم يطيقوا جوابا ولقد علمت جواب قسم محذوف معمول
لقول محذوف في موضع الحال اي قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تقول
لنا فاسألوهم انما قصدت بذلك توبيخا **ويحتمل** ان يكون النكس للفكرة
فيما يجيبون به وقال مجاهد نكسوا على رؤوسهم اي ردت السفلة على الرؤساء
وعلمت هنا معلقة والجملة المنفية في موضع معمولي علمت تعدت الى اثنين
او في موضع معمول واحد ان تعدت لواحد **وقرأ** ابو حيوة وابن ابي عبلة
وابن مقسم وابن الجارود والبكراوي كلاهما عن يزيد بتشديد كاف نكسوا
وقرأ رضوان بن المعبود نكسوا بتخفيف الكاف مبنيا للفاعل اي نكسوا انفسهم
ولما ظهرت الحجة عليهم اخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل ما لا ينفع ولا يضر
ثم ابدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم الخلاف في قراءة اف والغا
فيها واللام في لكم لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف ثم نبههم
على ما به يدرك حقائق الاشيا وهو العقل فقال افلا تعقلون اي قبح ما انتم
عليه وهو استفهام توبيخ وانكار ٥ قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم
فاعلين ٥ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا

ان ح

ت

قوله عز وجل
قالوا حرقوه

فجعلناهم الأخسرين • ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين • وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وكانوا لنا عابدين • ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين • وادخلناه في رحمتنا انه من
الصالحين • ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب
العظيم • ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين • وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين • ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين • وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من
باسكم فهل انتم شاكرون • ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض
التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين • ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين • ولما بينهم على قبيح مرتكبهم
وغلبهم باقامة الحجة عليهم لاذوا بالايذاء له والغضب لالهتهم واختاروا
اشد العذاب وهو الاحراق بالنار التي هي سبب للاعدام المحض والاتلاف
بالكلية وكذا كل من اقيمت عليه الحجة وكانت له قدرة يعدل الى المناصبة
والاذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة
وعجزوا عن معارضة ما اتاهم به عدلوا الى الانتقال والاشارة لاغتيال فعصمه الله
والظاهر ان القول قالوا حرقوه اي قال بعضهم لبعض **وقيل** اشار باحراقه
نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم قال الزمخشري يريد الاكراد وقال
ابن عطية روي انه رجل من الاكراد من اعراب فارس اي باديتها فخسف الله
به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وذكروا لهذا القائل اسما مختلفا
فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطا بالشكل والنقط وهكذا تقع اسماء
كثيرة اعجمية في التفاسير لا يمكن الوقوف منها على حقيقة لفظ لعدم الشكل
والنقط فينبغي اطراح نقلها وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا
كالحظيرة بكوثى واختلفوا في مدة حبسه وفي عرض الحظيرة وطولها ومدة جمع
الحطب ومدة الايقاد ومدة سنه اذ ذاك ومدة اقامته في النار وكيفية
ما صارت اماكن النار اختلافا متعارضا تركنا ذكره واتخذوا منجنيقا قيل
بتعليم ابليس اذ كان لم يصنع فشدوا ابراهيم رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي
به فوقع في النار وروي ان جبريل جاءه وهو في الهواء فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذكر المفسرون اشياء صدرت من الوزغ والبغل والخطاف والضفدع
والعضرفوط الله اعلم بذلك وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
قيل واطل نمرود من الصرح فاذا ابراهيم في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال
اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة وقد اكثر الناس في حكاية ما جرى لابراهيم والذي صح هو ما ذكر

تعالى من انه القي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما فكانت
اعظم اية والظاهر ان القائل قلنا يا نار هو الله تعالى **وقيل** جبريل بامر الله
تعالى وعن ابن عباس لو لم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من البرد ولو لم يقل على ابراهيم
لما احرقت نار بعدها ولا اتقدت انتهى ومعنى وسلاما سلامة **وابعد**
من ذهب الى انها هنا تحية من الله ولو كانت تحية لكان الرفع اولى به من النصب
والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كانها برد وسلام ولما كانت النار
تنفعل لما اراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والامر
قال الزمخشري **فان قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها
طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق
والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم
اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على
ابراهيم انتهى وروي انهم قالوا هي نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم
فاحترق وارادوا به كيدا اي بهم القاءه في النار فجعلناهم الاخسرين اي
المبالغين في الخسران وهو ابطال ما راموه جادلوا ابراهيم فجدلهم وبكتهم
واظهر لهم فرغ عقولهم وتعدوا عليه بالاخذ والالقاء فخلصه الله **وقيل**
سلط الله عليهم ما هو من احقر خلقه واضعفه وهو البعوض يأكل من لحومهم ويشرب
من دمائهم وسلط الله على نمرود بعوضة واختلف في كيفية اذايتها له وفي
مدة بقائها تؤذيه الى ان مات منها والضمير في ونجيناه عائد على ابراهيم وضمن
معنى اخرجناه بنجاتنا الى الارض ولذلك تعدى نجيناه بالى ويحتمل ان يكون الى
متعلقا بمحذوف اي منتهيا الى الارض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في ونجينا
على هذا والارض التي خرجا منها هي كوثى من ارض العراق والارض التي صارا اليها
هي ارض الشام وبركتها ما فيها من الخصب والاشجار والانهار وبعث اكثر
الانبياء منها **وقيل** مكة قاله ابن عباس كما قال ان اول بيت الاية **وقيل**
ارض مصر وبركتها نيلها وزكوة زروعها وعمارة مواضعها وروي ان ابراهيم
خرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط وكان ابن اخيه فآمنت به سارة وهي ابنة عمه
فاخرجها معه فارا بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام اخذها منه
فنزل حران ومكث بها زمانا **وقيل** سارة ابنة ملك حران تزوجها ابراهيم
وشرط عليه ابوها ان لا يغيرها والصحيح انها ابنة عمه هاران الاكبر ثم
قدم مصر ثم خرج منها الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة
على مسيرة يوم وليلة من السبع او اقرب فبعثه الله نبيا والنافلة العطية قاله
مجاهد وعطاء والزيادة كالمتطوع به اذ كان اسحق عن دعائه رب هب لي
من الصالحين وكان يعقوب زيادة من غير دعاء **وقيل** النافلة ولد الولد
فعلى الاول يكون مصدرا كالعافية والعاقبة وهو من غير لفظ وهبنا بل من
معناه وعلى الاخير يراد به يعقوب فينتصب على الحال وكلا يشمل من ذكر ابراهيم
ولوط واسحاق ويعقوب يهدون بامرنا يرشدون الناس الى الدين والائمة

تدوم لغيرهم واوحينا اليهم اي خصصناهم بشرف النبوة لان الايحاء هو التنبيه
قال الزمخشري فعل الخيرات اصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة انتهى كان الزمخشري لما راى ان فعل الخيرات
واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم وغيرهم
في ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير
الموحى اليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامهم الصلوة وايتاءهم
الزكاة ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز ان يكون مضافا من
حيث المعنى الى ظاهر محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم اي فعل المكلفين
الخيرات ويجوز ان يكون ذلك مضافا الى الموحى اليهم اي ان يفعلوا الخيرات
ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكاة واذا كانوا هم قد اوحي اليهم ذلك فاتباعهم
جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول
الذي لم يسم فاعله مختلف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره
الزمخشري مختارا وقال ابن عطية والاقام مصدر وفي هذا نظر انتهى واي
نظر في هذا وقد نص س على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة
بالتاء وهو المقيس في مصدر افعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا انه قابل
وايتاء وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وقال
الزجاج حذفت الهاء من اقامة لان الاضافة عوض عنها انتهى وهذا قول
الفراء زعم ان تاء التانيث قد تحذف للاضافة وهو مذهب مرجوح **ولما ذكر**
تعالى ما انعم به على ابراهيم **ذكر** ما انعم به على من هاجر معه فارا بدينه
وهو لوط بن اخيه وانتصب ولوطا على الاشتغال والحكم الذي اوتيه النبوة وقيل
حسن الفصل بين الخصوم في القضاء **وقيل** حفظ صحف ابراهيم ولما ذكر الحكم
ذكر ما يكون به وهو العلم والقرية سدوم وكانت قراهم سبعا عبر عنها بالواحدة
لاتفاق اهلها على الفاحشة وكانت من كورة فلسطين الى حد السراة الى حد
نجد بالحجاز قلب تعالى منها ستا وابقى زغر لانها كانت محل لوط واهله ومن
امن به اي ونجيناه من اهل القرية اي خلصناه منهم ومن العذاب الذي حل بهم
ونسب عمل الخبائث الى القرية مجازا وهو لاهلها وانتصب الخبائث على معنى
تعمل العملات او الفعلات الخبيثة وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السورة مضافا
الى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه وقوله انهم يدل على ان التقدير من اهل القرية
وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة سماها رحمة اذ كانت اثر الرحمة
ولما ذكر تعالى قصة ابراهيم وهو ابو العرب ونجيته من اعدائه ذكر قصة
ابي العالم الانسي كلهم وهو الاب الثاني لادم لانه ليس احد الا من نسله من سام
وحام ويافث وانتصب نوحا على اضمار اذكر اي واذكر نوحا اي قصته اذ نادى
ومعنى نادى دعا مجملا بقوله اني مغلوب فانتصر مفصلا بقوله رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا والكرب اقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق
عبر عنه باول احواله اما باخذ الغرق وغرقت في بحر النيل ووصلت الى قرار الارض

ولحقني

ولحقني من الغم والكرب ما ادركت ان نفسي صارت اصغر من البعوضة وهو اول احوال
مجي الموت ونصرناه من القوم عداه بمن لتضمنه معنى نجيناه بنصرنا من القوم او عصمنا
ومنعناه من مكروه القوم لقوله فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا وقال الزمخشري
هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي
اجعلهم منتصرين منه وهذا معنى في نصر غير المتبادر الى الذهن وقال ابو عبيدة
من بمعنى على اي ونصرناه على القوم اي فاغرقناهم اي اهلكناهم بالغرق واجمعين
توكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد باجمعين غير تابع لكلهم في القران فكان
ذلك حجة على ابن مالك في زعمه ان التاكيد باجمعين قليل وان الكثير استعماله
تابعا لكلهم وداود وسليمان عطف على ونوحا قال الزمخشري واذ بدل منهما
انتهى **والاجود** ان يكون التقدير واذكر داود وسليمان اي قصتهما وحالهما
اذ يحكمان وجعل ابن عطية وداود وسليمان معطوفين على قوله ونوحا ونوحا
معطوفا على ولوطا فيكون ذلك مشتركا في العامل الذي هو اتينا المقدرة
الناصبة للوطا المفسر باتيناه التقدير واتينا نوحا وداود وسليمان اي اتيناهم
حكما وعلما ولا يبعد ذلك وتقدير اذكر قاله جماعة وكان داود ملكا نبيا
يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان
يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب
اخر فتخاصم اليه رجل له زرع **وقيل** كرم والحرث يقال فيهما وهو في
الزرع اكثر وابعد من الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فافسدت عليه
فراى داود دفعها الى صاحب الحرث فعلى انه كرم راى ان الغنم تقاوم ما افسدت
من الغلة وعلى انه زرع راى انها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان
فشكى صاحب الغنم فجا سليمان فقال يا نبي الله اني ارى ما هو ارفق بالجميع ان
ياخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان وياخذ صاحب
الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بها فيها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد
الحرث الى حاله صرف كل ما لصاحبه اليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث
الى ربه فقال داود وفقت يا نبي الله وقضى بينهما بذلك **والظاهر**
ان كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له وهو متوجه عنده فحكمهما باجتهاد وهو
قول الجمهور واستدل بهذه الاية على جواز الاجتهاد **وقيل** حكم كل واحد
منهما بوحي من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمن وان معنى ففهمناها سليمن
اي فهمناه القضا الفاصل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازلة
وقرا عكرمة فافهمناها عدي بالهمزة كما عدي في قراة الجمهور بالتضعيف
والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى والضمير في لحكمهم عائد على الحاكمين
والمحكوم لهما وعليهما وليس المصدر هنا مضافا لا الى فاعل ولا مفعول
ولا هو عامل في التقدير فلا ينحل لحرف مصدري والفعل بل هو مثل له ذكاء
ذكاء الحكماء وذهن ذهن الاذكياء وكان المعنى وكنا للحكم الذي صدر
في هذه القضية شاهدين فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود

الحقيقة **وقرأ** لحكمهما ابن عباس فالضمير لداود وسليمان ومعنى شاهدين لا يخفى
علينا منه شيء ولا يغيب قال الزمخشري **فان قلت** ما وجه كل واحدة من
الحكومتين **قلت** اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت
بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه
المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم
كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم
بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ه **فان قلت** فلو
وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرون
فيه ضمانا بالليل والنهار الا ان يكون مع البهيمة سايق او قايد والشافعي
يوجب الضمان انتهى والظاهر ان كلا من الحكمين صواب لقوله وكلا آتينا حكما
وعلما والظاهر ان يسبحن جملة حالية من الجبال اي مسبحات **وقيل** استيناف
كان قائلا قال كيف سخرهن فقيل يسبحن فقيل كان يمر بالجبال مسبحا وهي
تجاوبه **وقيل** كانت تسير معه حيث سار والظاهر وقوع التسبيح منهما بالنطق
خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس
ذلك وكان داود وحده يسمعه قاله يحيى بن سلام **وقيل** كل احد وقال
قتادة يسبحن يصلين **وقيل** يسرن من السياحة وقال الزمخشري كما
خلقه الله يعني الكلام في الشجرة حين كلم موسى انتهى وهو قول المعتزلة يقولون
صفة الكلام حقيقة عن الله تعالى وقيل اسناد التسبيح اليهن مجاز لما كانت
تسير بتسيير الله حملت من رآها على التسبيح فاسند اليها والاكثرون على ان
تسبيحهن هو قول سبحان الله والنصب والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف
دخوله في قيد التسبيح **وقيل** هو مفعول معه اي يسبحن مع الطير **وقرئ**
والطير مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف اي مسخر له لدلالة سخرنا عليه
او على الضمير المرفوع في يسبحن على مذهب الكوفيين وهو توجيه قراءة شاذة
وقال الزمخشري **فان قلت** لم قدمت الجبال على الطير **قلت** لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير
حيوان ناطق انتهى وقوله ناطق ان عنى به انه ذو نفس ناطقة كما يقولون
في حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم ان يكون الطير انسانا وان عنى انه
متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت اي له صوت ووصف
الطير بالنطق مجاز لانها لا في الحقيقة لا نطق لها وقوله وكنا فاعلين اي
فاعلين هذه الاعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن تختصه وكرامتنا
وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى المركوب
وهو الدرع هنا واللبوس ما يلبس **قال الشاعر**

عليها اسود ضاريات لبوسهم • سوابغ بيض لا تخرقها النبل •

قال قتادة كانت صفايح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين

وقيل

وقيل اللبوس كل آلة السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجري مجرى
ذلك وداود اول من صنع الدروع التي تسمى الزرد قيل نزل ملكان من السماء فمرا بداود
فقال احدهما للآخر نعم الرجل الا انه يأكل من بيت المال فسأل الله ان يرزقه
من كسبه فالان له الحديد فصنع منه الدروع امتن تعالى عليه بايتائه حكما وعلما
وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة اللبوس **وفي ذلك** فضل هذه
الصنعة اذ اسند تعليمها اياه اليه تعالى ثم امتن علينا بها بقوله ليحصنكم
من بأسكم اي ليكون وقاية لكم في حربكم وسبب نجاة من عدوكم **وقرئ** لبوس بضم
اللام والجمهور بفتحها **وقرأ** الجمهور ليحصنكم بيا الغيبة اي الله فيكون التفاتا
اذ جا بعد ضمير متكلم في وعلمناه **ويدل عليه** قراءة ابي بكر عن عاصم بالنون وهي قراءة
ابي حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفي وهرون ويونس والمنقري كلهم
عن ابي عمرو ليحصنكم داود او اللبوس قيل او التعليم **وقرأ** ابن عامر وحفص وحسن
وسلام وابو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتاء اي لتحصنكم الصنعة او اللبوس
على معنى الدرع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراءات الثلث باسكان الحاء
والتخفيف **وقرأ** الفقيمي عن ابي عمرو وابن ابي حماد عن ابي بكر بالياء من تحت وفتح
الحاء وتشديد الصاد وابن وثاب والاعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام
في لكم يجوز ان يكون للتعليل فتتعلق بعلمناه اي لاجلكم ويكون ليحصنكم في موضع
بدل اعيد معه لام الجر اذ الفعل منصوب باضمار ان فتتقدر بمصدر اي لكم
لاحصانكم من بأسكم ويجوز ان يكون لكم صفة للبوس فتتعلق بمحذوف اي كائن لكم
واحتمل ان يكون ليحصنكم تعليلا للتعليم فيتعلق بعلمناه وان يكون تعليلا للكون
المحذوف المتعلق به لكم فهل انتم شاكرون استفهام يتضمن الامر اي اشكروا
الله على ما انعم به عليكم كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا عما حرم الله ولما
ذكر تعالى ما خص به نبيه داود ذكر ما خص به ابنه سليمان فقال ولسليمان
الريح وجا التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان باللام وحين ذكر تسخير
الجبال جاء بلفظ مع فقال وسخرنا مع داود وكذا جاء يا جبال اوبي معه وقال
فسخرنا له الريح تجري بامره وذلك انه لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر مع
الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان اضيفت اليه بلام
التمليك لانها في طاعته وتحت امره **وقرأ** الجمهور الريح مفردا بالنصب
وقرأ ابن هرمز وابو بكر في رواية بالرفع مفردا **وقرأ** الحسن وابو رجا الرياح
بالجمع والنصب **وقرأ** بالجمع والرفع ابو حيوة فالنصب على اضمار سخرنا والرفع
على الابتداء وعاصفة حال والعامل فيها سخرنا في قراءة من نصب الريح وما يتعلق
به الجار في قراءة من رفع ويقال عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ولغة
اسد اعصفت فهي معصف ومعصفة ووصفت هذه الريح بالعصف
وبالرخاء والعصف الشدة في السير والرخاء اللين فقيل كان ذلك بالنسبة
الى الوقت الذي يريده سليمان احد الوصفين فلم يتحد الزمان وقيل الجمع
بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها بتعد في مدة

يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وقيل الرخاء في البداءة والعصف بعد ذلك في العود على عادة البشر في الاسراع الى الوطن وهذا القول راجع الى اختلاف الزمان وجريها بامره طاعتها له على حسب ما يريد ويامر والارض ارض الشام وكانت مسكنه ومقر ملكه **وقيل** ارض فلسطين وقيل بيت المقدس قال الكلبي كان يركب عليها من اصطخر الى الشام قيل ويحتمل ان تكون الارض التي يسير اليها سليمان كاينة ما كانت ووصفت بالبركة لانه اذا حل ارضا اصلحها بقتل كفارها واثبات الايمان فيها وبث العدل ولا بركة اعظم من هذا والظاهر ان التي باركنا صفة للارض وقال منذر بن سعيد الكلام تم عند قوله الى الارض والتي باركنا فيها صفة للريح ففي الاية تقديم وتاخير يعني ان اصل التركيب ولسليمان الريح التي باركنا فيها عاصفة تجري بامره الى الارض وعن وهب كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان لا يقعد عن الغزو قيل امر بخشب فمد والناس عليه والدواب والة الحرب ثم يامر العاصف فيقله ثم يامر الرخاء فتمر به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه وعن مقاتل نسجت له الشياطين بساطا ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ ووضعت له في وسطه منبرا من ذهب يقعد عليه وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الانبياء وكراسي من فضة يقعد عليها العلماء وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وقد اكثر الاخباريون في ملك سليمان ولا ينبغي ان يعتمد الا على ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانت هذه الاختصاصات في غاية الغرابة من المعهود اخبر تعالى انه بعلمه محيط بالاشيا يجريها على ما سبق به علمه **ولما ذكر** تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر ذكر تسخير الشياطين له وهم اجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما ايضا سرعة الانتقال الا ترى الى قوله قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك ومن في موضع نصب اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون او في موضع رفع على الابتداء والخبر في الجار والمجرور قبله والظاهر ان من موصولة وقال ابو البقاء هي نكرة موصوفة وجمع الضمير في يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله كما قال الشاعر

وان من النسوان من هي روضة • يهيج الرياض قبلها وتصوح •

لما تقدم لفظ النسوان حمل على معنى من فانث ولم يقل من هو روضة والمعنى يغوصون له في البحار لاستخراج اللالي وذلك الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص لاستخراجه وهو الجوهر فلذلك لم يذكرا وقال له اي لسليمان لان الغايص قد يغوص لنفسه ولغيره فذكر ان الغوص ليس لانفسهم انما هو لاجل سليمان وامتثالهم امره والاشارة بذلك الى الغوص اي دون الغوص من بنا المداين والقصور كما قال تعالى يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وقيل الحمام والنورة

والطاحون

والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه **وقيل** حافظين ان يهيجوا احدا في زمان سليمان **وقيل** حافظين حتى لا يهربوا قيل سخر الكفار دون المؤمنين ويدل عليه اطلاق لفظ الشياطين وقوله حافظين والمؤمن اذا سخر في امر لا يحتاج الى الحفظ لانه لا يفسد ما عمل وتسخير اكثف الاجسام لداود وهو الحجر اذا نطقه بالتسبيح والحديد اذ جعل في اصابعه قوة النار حتى لان له الحديد وعمل منه الزرد وتسخير الطف الاجسام لسليمان وهو الريح والشياطين وهم من نار وكانوا يغوصون في الماء والماء يطفي النار فلا يضرهم دليل واضح على باهر قدرته واظهار الضد من الضد وامكان احياء العظم الرميم وجعل التراب اليابس حيوانا فاذا اخبر به الصادق وجب قبوله واعتقاد وجوده •

قوله عز وجل وايوب

وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين • واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين • وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين • وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين • وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين • فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين ••

طول الاخباريون في قصة ايوب وكان ايوب روميا من ولد اسحق بن يعقوب استنباه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم وخمسمايه فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة **وقيل** دون ذلك فقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيي ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا وذكروا كيفية في ذهاب ماله واهله وتسليط ابليس عليه في ذلك الله اعلم بصحتها وقرا الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بن عمر بكسرها اما على اضمار القول اي قائلا اني واما على اجراء نادى مجرى قال وكسر اني بعدها وهذا الثاني مذهب الكوفيين والاول مذهب البصريين والضر بالفتح الضرر في كل شي وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال ففرق بين البنائين لافتراق المعنيين وقد الطف ايوب في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ولم يعين الضر الذي مسه واختلف

المفسرون في ذلك على سبعة عشر قولاً امثلها انه نهض ليصلي فلم يقدر على النهوض
فقال مسني الضر اخباراً عن حاله لا شكوى لبلائه رواه انس مرفوعاً والالف
واللام في الضر للجنس تعم الضر في البدن والاهل والمال وآتينا اهله ظاهره
انما كان له من اهل رده عليه واحياهم له باعيانهم وآتاه مثل اهله مع اهله من
الاولاد والاتباع وذكر انه جعل له مثلهم عدة في الآخرة وانتصب رحمة على انه
مفعول من اجله اي لرحمتنا اياه وذكرى منا بالاحسان لمن عبدنا او رحمة منا
لايوب وذكرى اي موعظة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا
كما اثيب وقال ابو موسى الاشعري ومجاهد فان ذو الكفل عبداً صالحاً
ولم يكن نبياً وقال الاكثرون هو نبي فقيل هو الياس وقيل هو زكريا وقيل
يوشع والكفل النصيب والحظ اي ذو الحظ من الله المحدود على الحقيقة وقيل
كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل في تسميته ذا الكفل
اقوال مضطربة لا تصح وانتصب مغاضباً على الحال فقيل معناه غضبان وهو
من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكاً نحو عاقبت اللص وسافرت وقيل مغاضباً
لقومه اغضبهم بمفارقته ولخوفهم حلول العذاب واغضبوه حين دعاهم الى الله
مدة فلم يجيبوه فاوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الانبياء عند
نزول العذاب قبل ان ياذن الله له في الخروج وقيل مغاضباً حزقيا حين عينه
لغزو ملك كان قد غاث في بني اسرائيل فقال له يونس الله امرك باخراجي قال لا
قال فهل سماني لك قال لا قال ههنا غيري من الانبياء فالح عليه فخرج مغاضباً
للملك وقول من قال مغاضباً لربه وحكي في المغاضبة لربه كيفيات يجب اطراحها
اذ لا يناسب شيء منها منصب النبوة وينبغي ان يتاول لمن قال ذلك من العلماء
كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين وابن مسعود من الصحابة بان
يكون معنى قولهم مغاضباً لربه اي لاجل ربه ودينه واللام لام العلة لا
اللام الموصلة للمفعول به وقرأ ابو شرف مغضباً اسم مفعول فظن ان لن نقدر
عليه اي نضيق عليه من القدر لا من القدرة وقيل من القدرة بمعنى ان لن
نقدر عليه الابتلاء وقرأ الجمهور نقدر بنون العظمة مخففاً وقرأ ابن ابي ليلى
وابو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب بضم الياء وفتح الدال مخففاً وعيسى
والحسن بالياء مفتوحة وكسر الدال وعلي بن ابي طالب واليماني بضم الياء وفتح القاف
والدال مشددة والزهري بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة
فنادى في الظلمات ثم في الكلام جمل محذوفة قد اوضحت في سورة والصافات
وهناك نذكر قصته ان شاء الله وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكانها ظلمة
مع ظلمة وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت
آخر فصار في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر وروي ان يونس سجد في جوف
الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر وان في ان لا اله الا انت تفسيرية
لانه مسبوق فنادى وهو في معنى القول ويجوز ان يكون التقدير بانه فتكون مخففة
من الثقيلة حصر الالوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم اقر بما بعد

ذلك

ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
والغم ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه في بطنه وقرأ الجمهور ننجي
مضارع انجى والجحدري مشدداً مضارع نجى وقرأ ابن عامر وابو بكر نجي بنون
مضمومة وجيم مشددة وياء ساكنة وكذلك هي في المصحف الامام
ومصاحف الامصار بنون واحدة واختارها ابو عبيد لموافقة المصاحف
فقال الزجاج والفارسي هي لحن وقيل هي مضارع ادغمت النون في الجيم
ورد بانه لا يجوز ادغام النون في الجيم التي هي فاء الفعل لاجتماع النونين
المثلين كما حذفت في قراءة من قرأ ونزل الملائكة يريد وننزل الملائكة وعلى
هذا خرجها ابو الفتح وقيل هو فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله وسكنت
الياء كما سكنها من قرأ وذروا ما بقي من الربا والمقام مقام الفاعل ضميراً
المصدر اي نجي هو اي النجاء المؤمنين كقراءة ابي جعفر ليجزي قوماً اي وليجزى هو
اي الجزاء وقد اجاز اقامة غير المفعول به من مصدر او ظرف مكان او ظرف زمان
الاخفش والكوفيون وابو عبيد وذلك مع وجود المفعول به وجاء السماع في اقامة
المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله

اتيح لي من العدا نذيرا ۝ به وقيت الشر مستطيرا

وقال الاخفش في المسائل ضرب الضرب الشديد زيداً وضرب اليومان زيداً
وضرب مكانك زيداً واعطي اعطاء حسن اخاك درهماً مضروباً عبد الله زيداً وقيل
ضمير المصدر فيتم مقام الفاعل والمؤمنين منصوب باضمار فعل اي وكذلك
نجي هو اي النجاء نجي المؤمنين والمشهور عن البصريين انه متى وجد المفعول
به لم يقم غيره الا ان صاحب اللباب حكى الخلاف في ذلك عن البصريين وان
بعضهم اجاز ذلك لا تذرني فرداً اي وحيداً بلا وارث سأل ربه ان يرزقه ولداً
يرثه ثم رد امره الى الله فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني
فانت خير وارث واصلاح زوجه بحسن خلقها وكانت سيئة الخلق قاله عطاء
ومحمد بن كعب وعون بن عبد الله وقيل اصلاحها للولادة بعد ان كانت
عاقراً قاله قتادة وقيل اصلاحها رد شبابها اليها والضمير في انهم عائد
على الانبياء السابق ذكرهم اي ان استجابتنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم
الخير ولدعائهم لنا رغباً ورهباً اي وقت الرغبة ووقت الرهبة كما قال
تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقيل الضمير يعود على زكريا
وزوجه وابنهما يحيى وقرأت فرقة يدعونا حذفت نون الرفع وطلحة
بنون مشددة ادغم نون الرفع في نا ضمير النصب وقرأ ابن وثاب
والاعمش ووهب بن عمرو النحوي وهرون وابو معمر والاصمعي واللؤلؤي
ويونس وابو زيد سبعتهم عن ابي عمرو رغباً ورهباً بالفتح واسكان
الهاء والاشهر عن الاعمش بفتحتين فيهما وقرأت فرقة بضم الراءين
وسكون الغين والهاء وانتصب رغباً ورهباً على انهما مصدران في موضع
الحال او مفعول من اجله والتي احصنت فرجها هي مريم بنت عمران ام عيسى

والظاهر ان الفرج حيا المراة احصنته اي منعته من الحلال والحرام كما قالت
ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا وقيل الفرج هنا جيب قميصها منعته من جبريل
لما قرب منها لينفخ حيث لم يعرف والظاهر ان قوله فنفخنا فيها من روحنا كناية
عن ايجاد عيسى حيا في بطنها ولا نفخ هناك حقيقة واضاف الروح تعالى على
جهة التشريف ۵ وقيل هناك نفخ حقيقة ومن ان جبريل نفخ في جيب درعها
واسند النفخ اليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بامره تعالى تشريفا وقيل الروح
هنا جبريل كما قال فارسلنا اليها روحنا والمعنى فنفخنا فيها من جهة جبريل
وكان جبريل قد نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جيبها الى جوفها قال
الزمخشري فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا
فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا
الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ويجوز ذلك ان يقول الزمار نفخت
في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك لانه على
حذف مضاف اي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح
في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى
سماع وغير متعد استعمله هو في قوله اي نفخت في المزمار في بيته وافرد آية لان
حالهما لمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل وان كان في مريم آيات
وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ امر الولادة من غير ذكر وذلك بواية واحدة وقوله
للعالمين اي لمن اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم وذكر مريم مع الانبياء
في هذه السورة على انها كانت نبية اذ قرنت معهم في الذكر ومن منع تنبي النساء
قال ذكرت لاجل عيسى وناسب ذكرها هنا قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة
التي بينهم ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون • وتقطعوا امرهم
بينهم كل الينا راجعون • فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون • وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون • واقترب
الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم
لها واردون • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • لهم
فيها زفير وهم فيها لا يسمعون • والظاهر ان قوله امتكم خطاب
لمعاصري الرسول وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم
التي يجب ان تكونوا عليها لا ينحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة ويحتمل
ان تكون هذه اشارة الى الطريقة التي كان عليها الانبياء المذكورون
من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها
في اصول العقائد بل ما جاء به الانبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه

لينفخ

قرنت

قوله عز وجل ان هذه امتكم

وسلم

وسلم وقيل معنى امة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له فالمراد بالامة الناس
كلهم وقيل الكلام يحتمل ان يكون متصلا بقصة مريم وابنها اي وجعلنا
وابنها آية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه امتكم
اي دعا الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم اخبر تعالى انهم بعد ذلك
اختلفوا وتقطعوا امرهم وقرا الجمهور امتكم بالرفع خبر ان امة واحدة
بالنصب على الحال وقيل بدل من هذه وقرا الحسن امتكم بالنصب بدل
من هذه وقرا ايضا هو وابن اسحاق والاشهب العقيلي وابو حيوة وابن ابي عبلة
والجعفي وهرون عن ابي عمرو والزعفراني امتكم امة واحدة برفع الثلاثة على
ان امتكم وامة واحدة خبران او امة واحدة بدل من امتكم بدل نكرة من معرفة
او خبر مبتدا محذوف اي هي امة واحدة والضمير في وتقطعوا عائد على ضمير
الخطاب على سبيل الالتفات اي وتقطعتم ولما كان هذا الفعل من اقبح المرتكبات
عدل عن الخطاب الى لفظ الغيبة كانه بذا الفعل ما صدر من المخاطب لان في الاخبار
عنهم بذلك نعيا عليهم ما افسدوه وكانه يخبر غيرهم بما صدر من قبيح فعلهم
ويقول الا ترى الى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا امر دينهم قطعا كما يتوزع
الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم ثم توعدهم
برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه وقيل كل من الثابت على دينه الحق
والزائغ عنه الينا وقرا الاعمش زبرا بفتح الباء جمع زبرة ثم ذكر حال المحسن
وانه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه
اذا قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو ابلغ من قوله فلا يكفر سعيه والكتابة
عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الاعمال ليثاب عليه ولا يضيع والكفران
مصدر كالكفر قال الشاعر
رايت اناسا لا تنام جدودهم • وجدي ولا كفران لله نائم
وفي حرف عبد الله لا كفر ولسعيه متعلق بمحذوف اي نكفر لسعيه ولا يكون متعلقا
بكفران اذ لو كان متعلقا به لكان اسم لا مطولا فيلزم تنوينه وقرا الجمهور وحرام
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وطلحة والاعمش وابو حنيفة وابو عمرو في رواية
وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرا قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن
ابي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء وقرا عكرمة وحرم بكسر الراء والتنوين
وقرا ابن عباس وعكرمة ايضا وابن المسيب وقتادة ايضا بكسر الراء وفتح
الحاء والميم على المضي وقرا ابن عباس وعكرمة بخلاف عنهما وابو العالية
وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضي وقرا ابن عباس ايضا
بفتح الحاء والراء والميم على المضي وقرا اليماني وحرّم بضم الحاء وكسر الراء
مشددة وفتح الميم وقرا الجمهور اهلكناها بنون العظمة وقرا السلمي
وقتادة بتاء المتكلم واستعير الحرام للممتنع وجوده ومنه ان الله حرمهما
على الكافرين ومعنى اهلكناها قدرنا اهلاكها على ما هي عليه من الكفر فالاهلاك
هنا اهلاك عن كفر ولا في لا يرجعون صلة وهو قول ابي عبيد كقوله ما منعك

ها

ئه

ان لا نتجدد اي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على اهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم
لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا وغيا بما قرب من مجي الساعة وهو فتح ياجوج وماجوج
وقرئ انهم بالكسر فيكون الكلام قد تم عند قوله اهلكناها ويقدر محذوف
تصيره وحرام على قرية اهلكناها جملة اي ذاك وتكون اشارة الى العمل الصالح
المذكور في قسيم هولاء المهلكين والمعنى وحرام على اهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم
عمل صالح ينجون به من الاهلاك ثم اكد ذلك وعلله بانهم لا يرجعون عن الكفر فكيف
لا يمتنع ذلك فالمحذوف مبتدا والخبر وحرام وقدره بعضهم متقدما كانه قال والاقالة
والتوبة حرام وقراءة الجمهور بالفتح تصح على هذا المعنى وتكون لا باقية على بابها
والتقدير لانهم لا يرجعون **وقيل** اهلكناها اي وقع اهلاكنا اياهم ويكون
رجوعهم الى الدنيا فيتوبون بل هم صائرون الى العذاب **وقيل** الاهلاك
هو بالطبع على القلوب والرجوع هو الى التوبة والايمان وقال الزجاج وحرام
على قرية اهلكناها حكمنا باهلاكها ان يتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون اي
لا يتوبون ودل على هذا المعنى قوله قبل فلا كفران لسعيه اي يتقبل عمله ثم
ذكر هذا عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله وقال ابو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم
لا يرجعون انتفاء الرجوع الى الاخرة واذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع فالمعنى
انه يجب رجوعهم الى الحياة في الدار الاخرة ويكون الغرض ابطال قول من ينكر
البعث وتحقيق ما تقدم من انه لا كفران لسعي احد وانه يجزى على ذلك يوم
القيامة **وقيل** الحرام يجي بمعنى الواجب يدل عليه قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم ان لا تشركوا وترك الشرك واجب **وقالت الخنساء**

حرام علي ان لا ارى الدهر باكيا ✻ على شجوه الا بكيت على صخر

وايضا فمن الاستعمال اطلاق الضد على ضده وعلى هذا فقال مجاهد والحسن لا يرجعون
عن الشرك وقال قتادة ومقاتل الى الدنيا قال ابن عطية ويتجه في الاية معنى
ضمنه وعيد بين وذلك انه ذكر من عمل صالحا وهو مؤمن ثم عاد الى ذكر الكفرة
الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب ولا يرجعون الى معاد فهم
يظنون بذلك انهم انه لا عقاب ينالهم فجاءت الاية مكذبة لظن هولاء اي وممتنع
على الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الى عقاب الله واليم عذابه
فيكون لا على بابها والحرام على بابه وكذلك الحرم فتامله انتهى وحتى قال
ابو البقاء متعلقة في المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل
لها في اذا وقال الحوفي حتى غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى من
تاسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك وقال الزمخشري
فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي **قلت**
هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة
وهي حتى التي يحكى الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما
في حيزها انتهى وقال ابن عطية هي متعلقة بقوله فتقطعوا ويحتمل على بعض

التاويلات

التاويلات المتقدمة ان تتعلق بيرجعون **ويحتمل** ان تكون حرف ابتداء وهو
الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره انتهى وكون حتى متعلقة
فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من جهة المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين
غير مجتمعين على دين الحق الى قرب مجي الساعة فاذا جاءت الساعة انقطع ذلك
الاختلاف وعلم الجميع ان مولاهم الحق وان الدين المنجي هو كان دين التوحيد
وجواب اذا محذوف تقديره قالوا يا ويلنا قاله الزجاج وجماعة او تقديره
فحينئذ يبعثون فاذا هي شاخصة او مذكور وهو واقترب على زيادة الواو
قاله بعضهم وهو مذهب الكوفيين يجيزون زيادة الواو او الفاء في فاذا هي
قاله الحوفي وقال الزمخشري واذا هي المفاجاة وهي تقع في المفاجاة
سادة مسد الفاء لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا
على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو **قيل** اذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذي
قصد ذكره لانه رجوعهم الذي كانوا يكذبونه وحرم عليهم امتناعه **وتقدم**
الخلاف في فتحت في الانعام ووافق ابن عامر ابو جعفر وشيبة وكذا التي في
الانعام والقمر في تشديدا التاء والجمهور على التخفيف فيهن وفتحت ياجوج على
حذف مضاف اي سد ياجوج وماجوج **وتقدم** الخلاف في قراءة ياجوج وماجوج
والظاهر ان ضمير وهم عائد على ياجوج وماجوج اي يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون
الارض **وقيل** الضمير للعالم ويدل عليه قراءة عبد الله وابن عباس من كل جدث
بالثاء المثلثة وهو القبر **وقرئ** بالفاء الثاء للحجاز والفاء لتميم وهي بدل
من الثاء كما ابدلوا الثاء منها قالوا المغثور واصله مغفور **وقراءة** الجمهور ينسلون
بكسر السين وابن ابي اسحق وابو السمال بضمها واقترب الوعد الحق اي الوعد بالبعث
الحق الذي لا شك فيه واقترب قيل ابلغ في القرب من قرب وضمير هي للقصة
كانه قال فاذا القصة والحادثة ابصار الذين كفروا خاشعة ويلزم ان تكون
خاشعة الخبر وابصار مبتدا ولا يجوز ارتفاع ابصار بخاشعة لانه يلزم ان يكون
بعد ضمير الشان او القصة جملة تفسر الضمير مصرح بجزءيها ويجوز ذلك على مذهب
الكوفيين وقال الزمخشري هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا واسروا انتهى ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول للفراء قال الفراء هي ضمير
الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما يفسرها وانشد على ذلك

قول الشاعر

فلا وابيها لا تقول خليلتي ✻ الا فر عني مالك بن ابي كعب

وذكر ايضا الفراء ان هي عماد يصلح في موضعها هو **وانشد**

بثوب ودينار وشاة ودرهم ✻ فهل هو مرفوع بما ههنا راس

وهذا لا يتمشى الا على احد قولي الكسائي في اجازته تقديم الفصل مع الخبر على
المبتدا اجاز هو القائم زيد على ان زيد هو المبتدا والقائم خبره وهو عماد
واصل المسالة زيد هو القائم ويقول اصله هذه فاذا ابصار الذين كفروا هي
خاشعة فخاشعة خبر عن ابصار وتقدم مع العماد وهي على مذهب من يجيز العماد

[2] قال ابن عطية
والذي اقول ان الجواب في قوله
كان شديدا
فاذا هي شاخصة صح

قيل خبر نكرة وذكر الثعلبي وجهاً آخر وهو ان الكلام تم عند قوله فاذا هي
اي بارزة واقعة يعني الساعة ثم ابتدا فقال شاخصة ابصار الذين كفروا
وهذا وجه متكلف متنافر التركيب وروي حذيفة لو ان رجلاً اقتنى فلواً بعد
خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة يعني في مجي الساعة اثر خروجهم
يا ويلنا معمول لقول محذوف قال الزمخشري تقديره يقولون وهو في موضع الحال
من الذين كفروا وتقدم قول الزجاج ان هذا القول جواب اذا والشخوص احداد
النظر دون ان يطرف في غفلة من هذا انتهى اي مما وجدنا الان وتبينا من
الحقايق ثم اضربوا عن قولهم قد كنا في غفلة واخبروا بما قد كانوا تعمدوه من
الكفر والاعراض عن الايمان فقالوا بل كنا ظالمين والخطاب بقوله انكم وما
تعبدون من دون الله للكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما
اهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام **وقرا** الجمهور حصب بالحاء والصاد
المهملتين وهو ما يحصب به اي يرمى في نار جهنم وقيل ان يرمى به لا يطلق عليه
حصب الا مجازاً **وقرا** ابن السميفع وابن ابي عبلة ومحبوب وابو حاتم عن ابن كثير
باسكان الصاد ورويت عن ابن عباس وهو مصدر يراد به المفعول اي المحصوب
وقرا ابن عباس بالضاد المعجمة المفتوحة وعنه اسكانها وبذلك قرا كثير
عزة والحضب ما يرمى به في النار والمحضب العود او الحديدة او غيرهما مما
تحرك به النار **قال الشاعر**

فلا تك في حربنا محضباً ٭ فتجعل قومك شتى شعوبا

وقرا ابي وعلي وعايشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطاء وجمع الكفار
مع معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها اذ عذبوا
بسببهم وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولانهم صاروا
لهم اعداء ورؤية العدو مما يزيد في العذاب كما **قال الشاعر**

واحتمال الاذى ورؤية جانيه ٭ غذاً تضنى به الاجسام

انتم لها اي للنار واردون الورود هنا ورود دخول لو كان هولاء الاصنام التي
يعبدونها الهة ما وردوها اي ما دخلوها ودل على انه ورود دخول قوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **وقرا** الجمهور الهة بالنصب
على خبر كان **وقرا** طلحة بالرفع على ان في كان ضمير الشان وكل فيها اي
كل من العابدين ومعبوداتهم لهم فيها زفير وهو صوت نفس المغموم يخرج
من القلب والظاهر ان الزفير انما يكون ممن يقوم به الحياة وهم العابدون
والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وكغلاة الاسماعيلية الذين كانوا
ملوك مصر من بني عبيد الله او لملوكهم ويجوز ان يجعل الله للاصنام التي
عبدت حياة فيكون لها زفير وقال الزمخشري اذا كانوا هم واصنامهم في قرن
واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا هم وهم فيها
لا يسمعون روي عن ابن مسعود انهم يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون
وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً وفي سماع

الاشيا دوح فمنع الله الكفار ذلك في النار **وقيل** لا يسمعون ما يسرهم
من كلام الزبانية ٭ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون
لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ٭ لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم الملايكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ٭ يوم نطوي السما
كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ٭ ان في هذا
لبلاغاً لقوم عابدين ٭ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ٭ قل انما يوحى
الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون ٭ فان تولوا فقل اذنتكم على سواء
وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ٭ انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما
تكتمون ٭ وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ٭ قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ٭ سبب ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
قول ابن الزبعرى حين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة فقال صلى الله عليه وسلم هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل
لما اعترض ابن الزبعرى قيل لهم الستم قوماً عرباً او ما تعلمون ان من لمن يعقل
وما لما لا يعقل فعلى القول الاول يكون ابن الزبعرى قد فهم من قوله وما تعبدون
العموم فلذلك نزل قوله ان الذين سبقت لهم الاية تخصيصاً لذلك العموم
وعلى هذا القول الثاني يكون ابن الزبعرى رام مغالطة فاجيب بان من لمن
يعقل وما لما لا يعقل فبطل اعتراضه والحسنى الخصلة المفضلة في الحسن
تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة
والظاهر من قوله مبعدون فيما بعدها ان من سبقت له الحسنى لا يدخل النار وروي
ان علياً كرم الله وجهه قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداه
وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس من حركة الاجرام
وهذا الابعاد وانتفا سماع صوتها قيل هو قبل دخول الجنة **وقيل** بعد
دخولهم واستقرارهم فيها والشهوة طلب النفس اللذة وقال ابن عطية وهذه
صفة لهم بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضي انه في الموقف تزفر جهنم
زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر عام في كل هول
يكون في يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر وان خصص
بشي فيجب ان يقصد الاعظم هوله انتهى وقيل الفزع الاكبر وقوع طبق جهنم
عليها قاله الضحاك **وقيل** النفخة الاخيرة وقيل الامر باهل النار الى
النار روي عن ابن جبير وابن جريج والحسن وقيل ذبح الموت وقيل اذا نودي
اخسوا فيها ولا تكلمون **وقيل** يوم نطوي السماء ذكره مكي وتتلقاهم
الملايكة بالسلام عليهم وعن ابن عباس تتلقاهم الملايكة بالرحمة عند خروجهم

قوله عز وجل ان الذين سبقت

الرحمن ح

٢١

طي

اي ح

من القبور قائلين لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون بالكرامة والثواب
والنعيم وقرأ أبو جعفر لا يحزنهم مضارع أحزن وهي لغة تميم وحزن لغة
قريش والعامل في يوم لا يحزنهم أو تتلقاهم وأجاز أبو البقاء أن يكون بدلا
من العائد المحذوف في توعدون فالعامل فيه توعدون أي توعدونه أو مفعولا
بإضمار اذكر أو منصوبا بأعني وأجاز الزمخشري أن يكون العامل فيه الفزع وليس
بجائز لأن الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ما ذكر وقرأ
الجمهور نطوي بنون العظمة وقرأت فرقة منهم شيبة بن نصاح يطوي بياء أي الله
وأبو جعفر وفرقة بالتاء مضمومة وفتح الواو والسماء رفعا والجمهور السجل
على وزن الطمر وأبو هريرة وصاحبه أبو زرعة بن عمرو بن جرير بضمتين وشد
اللام والأعمش وطلحة وأبو السمال السجل بفتح السين والحسن وعيسى بكسرهما
والجيم في هاتين القراءتين ساكنة واللام مخففة وقال أبو عمرو وقراءة أهل مكة
مثل قراءة الحسن وقال مجاهد السجل الصحيفة وقيل هو مخصوص من الصحف
بصحيفة العهد والمعنى طيا مثل طي السجل وطي مصدر مضاف إلى المفعول
أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والأصل كطي الطاوي السجل
فحذف الفاعل وحذفه يجوز مع المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل وقدره
الزمخشري مبنيا للمفعول أي كما يطوى السجل وقال ابن عباس وجماعة السجل
ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقالت فرقة هو كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للفاعل وقال
أبو الفضل الرازي الأصح أنه فارسي معرب انتهى وقيل أصله من المساجلة
وهي من السجل وهو الدلو ملأى ماء وقال الزجاج هو رجل بلسان الحبش
وقرأ الجمهور للكتاب مفردا وحمزة والكسائي وحفص للكتب جمعا وسكن
التاء الأعمش وقال الزمخشري أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده
والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة
بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فإن قلت وما أول الخلق حتى
يعيده كما بدأه قلت أوله إيجاده من العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم فإن قلت ما بال الخلق منكرا قلت هو كقولك هو أول
رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا
رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه
آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد
مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال
من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى انتهى والظاهر أن الكاف
ليست مكفوفة كما ذكر بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل
مصدر هو في موضع جر بالكاف وأول خلق مفعول بدأنا والمعنى نعيد أول
خلق إعادة مثل بدأتنا له أي كما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من
العدم إلى الوجود وفي ما قدره الزمخشري تهيئة بدأنا لأن ينصب أول خلق

على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو إلى ذلك وارتكاب إضمار بعيد
مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله وأما قوله ووجه آخر وهو أن الكاف
اسم لا حرف فليس مذهب الجمهور إنما ذهب إلى ذلك الأخفش وكونها اسما عند
البصريين غير مخصوص بالشعر وقال ابن عطية يحتمل معنيين أحدهما أن يكون
خبرا عن البعث أي كما اخترعنا الخلق أولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة أخرى
فنبعثهم من القبور والثاني أن يكون خبرا عن أن كل شخص يبعث يوم القيامة على
هيئته التي خرج بها إلى الدنيا ويؤيده يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة
غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده انتهى
وانتصب وعدا على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله إنا كنا فاعلين
تأكيد لتحتم الخبر أي نحن قادرون على أن نفعل والزبور الظاهر أنه زبور داود
وقاله الشعبي ومعنى هذه الآية موجود في زبور داود وقرأناه فيه والذكر التوراة
قاله ابن عباس وقيل الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة
وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ والأرض قال
ابن عباس أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله
عليه وسلم والإشارة في قوله إن في هذا إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار
والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا لكفاية يبلغ بها إلى الخير وقيل
الإشارة إلى القرآن جملة وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم وللعالمين
قيل خاص بمن آمن به وقيل عام وكونه رحمة للكافر حيث أخر عقوبته ولم يستأصل
الكفار بالعذاب قال معناه ابن عباس قال عوفي مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ
وخسف وغرق وقذف وأخر أمره إلى الآخرة قال ابن عطية ويحتمل أن يكون
معناه وما أرسلناك للعالمين إلا رحمة هو رحمة في نفسه وهدى بين أخذ به
من أخذ وأعرض عنه من أعرض انتهى ولا يجوز على المشهور أن يتعلق الجار بعد إلا
بالفعل قبلها إلا إن كان العامل مفرغا له نحو ما مررت إلا بزيد وقال
الزمخشري إنما تقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما
يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة
إنما يقوم زيد وأنما إلهكم إله واحد بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعهما
الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله
بالوحدانية انتهى أما ما ذكر في إنما أنها لقصر ما ذكر فهو مبني على إنما للحصر
وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وإنما ما مع إن كهي مع كأن ومع لعل فكما أنها لا تفيد
الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا تفيده مع إن وأما جعله أنما
المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها يدل على القصر فلا نعلم الخلاف إلا في إنما
بالكسر وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعدها مصدر فالجملة
بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت أنما دالة على الحصر لزم أن يقال إنه
لم يوح إليه شيء إلا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه إذ قد أوحي له أشياء غير
التوحيد وفي الآية دليل على تظافر المنقول للمعقول وأن النقل أحد طريقي التو

ويجوز في ما من انما يوحى ان تكون موصولة فهل انتم مسلمون استفهام يتضمن الامر
باخلاص التوحيد والانقياد الى الله تعالى اذنتكم اعلمتكم وتتضمن معنى التحذير والنذارة
على سواء لم اخص احدا دون احد وهذا الايذان هو اعلام بما يحل بمن تولى من العقاب
وغلبة الاسلام ولكني لا ادري متى يكون ذلك وان نافية وادري معلقة والجملة
الاستفهامية في موضع نصب بادري وتاخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان
التركيب اقريب ما توعدون ام بعيد لم تكن فاصلة وكثيرا ما يرجح الحكم في الشي
لكونه فاصلة اخر آية وعن ابن عباس عن ابن عامر في رواية وان ادري بفتح اليا
في الايتين فشبهها بيا الاضافة لفظا وان كانت لام الفعل ولا تفتح الا
بعامل وانكر ابن مجاهد فتح هذه اليا والمعنى ان الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني
عليه والله هو العالم الذي لا يخفى عليه شي وان ادري لعله فتنة اي لعل تاخير
هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او يتمتع لكم الى حين ليكون ذلك حجة
وليقع الموعد في حكم وقت هو حكمه وادري هنا معلقة ايضا وجملة الترجي
هي مصب الفعل والكوفيون يجيزون لعل مجرى هل فكما يقع التعليق عن هل
وكذلك عن لعل ولا اعلم احدا ذهب الى ان لعل من ادوات التعليق وان
كان ذلك ظاهرا فيها كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب وما يدريك
لعله يزكى وقيل الى حين الى يوم القيمة وقيل الى يوم بدر وقرا
الجمهور قل رب احكم امرا وبكسر الباء وقرا حفص قال وابو جعفر رب بالضم قال
صاحب اللوامح على انه منادى مفرد وحذف حرف النداء فيما جاز ان يكون وصفا
لاي بعيد بانه انتهى وليس هذا من ندا النكرة المقبل عليها بل هذا من
اللغات الجائزة في يا غلامي ومن ان تبنيه على الضم وانت تنوي الاضافة لما قطعته
عن الاضافة وانت تريدها بنيته فمعنى رب يا ربي وقرا الجمهور احكم على الامر
من حكم وقرا ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن ربي باسكان اليا
احكم جعله افعل التفضيل فربي احكم مبتدا وخبر وقرات فرقة احكم فعلا ماضيا
وقرا الجمهور تصفون بتاء الخطاب وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
على ابي على ما يصفون بيا الغيبة ورويت عن ابن عامر وعاصم ومثل عن النبي
ذهولا اشتغل عنه قاله قطرب وقال غيره غفل لطريان شاغل من هم او وجع
او غيره وقيل مع دهشة المضغة اللحمة الصغيرة قدر ما تمضغ المخلقة
المسواة الملساء لا نقص ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقاء اي ملساء الطفل يقال من وقت انفصال الولد الى
البلوغ ويقال لولد الوحشية طفل ويوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر
والمونث بلفظ واحد ويقال ايضا طفل وطفلات واطفال واطفلت المراة
صارت ذات طفل والطفل بفتح الطا الناعم وجارية طفلة ناعمة وبنات
طفل وقد طفل الليل اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر اذ طفلت
الشمس للغروب والطفل ايضا مطر وقال المبرد وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضى

المفردات

والعدل

والعدل يقع على الواحد والجمع همدت الارض يبست ودرست والثوب بلي

وقال الاعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك بالبيات همدا

البهيج الحسن السار للناظر يقال فلان ذو بهجة اي حسن وقد بهج بالضم
بهاجة وبهجة فهو بهيج وابهجني اعجبني بحسنه العطف الجانب وعطفا الرجل
يمينه وشماله واصله من العطف وثنوا اللي ويسمى الردا العطاف المجوس قوم
يعبدون النار والشمس والقمر وقيل يعبدون النار وقيل قوم اعتزلوا
النصارى ولبسوا المسوح وقيل قوم اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين
اليهود شيئا وهم القائلون ان العالم اصلان نور وظلمة وقيل الميم في المجوس
بدل من النون لاستعمالهم النجاسات صهرت الشحم بالنار اذبته والصهارة
الالية المذابة وقيل ينضج

قال الشاعر

تصهره الشمس ولا ينصهر

المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب
اللؤلؤ الجوهر وقيل صغاره وكباره الضامر المهزول العميق البعيد واصله
البعد سفلا يقال بير عميق اي بعيدة الغور والفعل عمق وعمق

قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة يمد بها في السير اشعث شاحب

ويقال عميق بالغين وقال الليث يقال عميق ومعيق لتميم واعمقت البير واعمقتها
وقد عمقت ومعقت عماقة ومعاقة وهي بعيدة العمق والمعق والاعماق
والاعماق اطراف المفازة قال وقاتم الاعماق خاوي المخترق التفث اصله
الوسخ والقذر يقال للرجل يستقذر ما تفثك وعن قطرب تفث الرجل كثر وسخه في
سفره وقال ابو محمد البصري التفث من التف وهو وسخ الاظفار وقليت القاذاء
كالفتور السحيق البعيد وجب الشي سقط ووجبت الشمس غربت

قال اوس بن حجر

الم يكسف الشمس شمس النهار والبدر للجبل الواجب

القانع السائل قنع قنوعا سال وقنع قناعة تعفف واستغنى ببلغته

قال الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع

الوثن قال شمر كل تمثال من خشب او حجارة او ذهب او فضة او نحاس ونحوها
وكانت العرب تنصبها وتعبدها ويطلق على الصليب قال الاعشى

يطوف العفاة بابوابه كطوف النصارى بباب الوثن

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد راى في عنقه صليبا
الق الوثن عنك واشتقاقه من وثن الشي اقامه في مكانه وثبت والواثن
المقيم الراكز في مكانه وقال روبة هو اخلام الصفا الواثن
يعني الدوم على العهد البدن جمع بدنة كثمر جمع ثمرة قاله الزجاج سميت
بذلك لانها تبدن اي تسمن وقال الليث البدنة بالهاء يقع على الناقة

والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي والاضاحي ولا يقع على الشاة وسميت بدنة
لعظمها وقيل تختص بالابل وقيل ما اشعر من ناقة او بقرة قاله عطا وغيره وقيل
البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الابل والبقر ويقال للسمين من الرجال
المعتر المتعرض من غير سوال وقال ابن قتيبة عره واعتره وعراه واعتراه اتاه
طالبا لمعروفه قال الشاعر

سلي الطارق المعتر يا ام مالك ۞ اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري

وقال الآخر

لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا ۞ لنمنعه بالضايع المتهضم

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شيء عظيم ۞ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ۞ ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ۞ كتب عليه انه من تولاه فانه
يضله ويهديه الى عذاب السعير ۞ يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين
لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من
يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ۞ ذلك بان
الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير ۞ وان الساعة اتية لا ريب
فيها وان الله يبعث من في القبور ۞ هذه السورة مكية الا هذان خصمان الى
تمام ثلث ايات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع ايات الى
قوله عذاب الحريق وقال الضحاك هي مدنية وقال قتادة الا من قوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول الى عذاب عقيم وقال الجمهور منها مكي ومنها
مدني ومناسبة اول هذه السورة لما قبلها انه ذكر تعالى حال الاشقيا
والسعداء وذكر الفزع الاكبر وهو مما يكون يوم القيمة وكان مشركو مكة قد انكروا
المعاد وكذبوه بسبب تاخر العذاب عنهم نزلت هذه السورة تحذيرا لهم
وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما اعد
لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم وبهمود الارض واهتزازها
بعد بالنبات والظاهر ان قوله يا ايها الناس عام وقيل المراد اهل مكة
ونبه تعالى على سبب اتقائه وهو ما يؤول اليه من اهوال الساعة وهو على
حذف اي اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهي عند النفخة الاولى وقيل
عند الثانية وقيل عند قول الله يا ادم ابعث بعث النار وقال الجمهور
في الدنيا اخر الزمان ويتبعها طلوع الشمس من مغربها وعن الحسن يوم القيمة
وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها الى واضيفت الى الساعة
لانها من اشراطها والمصدر مضاف للمفعول والمحذوف الفاعل وهو الارض
يدل عليه اذا زلزلت الارض زلزالها او الناس ونسبة الزلزلة الى الساعة

مجاز

عذاب مح

مجاز ويجوز ان يضاف الى المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف فتكون الساعة
مفعولا بها وعلى هذا التقدير يكون ثم زلزلة حقيقة وقال الحسن اشد الزلازل
ما يكون مع قيام الساعة وقيل الزلزلة استعارة والمراد شدة الساعة
واهوال يوم القيمة وشي هنا يدل على اطلاقه على المعدوم لان الزلزلة لم تقع بعد
ومن منع ايقاعه على المعدوم قال جعل الزلزلة شيا لتيقن وقوعها وصيرورتها
الى الوجود وذكر تعالى اهوال الصفات في قوله ترونها الاية لينظروا الى تلك الصفة
ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم ليكون ذلك حاملا على تقواه تعالى اذ لا نجاة من
تلك الشدايد الا بالتقوي وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق
فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا ما
بين حزين باك ومفكر والناصب ليوم تذهل والظاهر ان الضمير المنصوب
في ترونها عايد على الزلزلة لانها المحدث عنها ويدل على ذلك وجود ذهول
المرضعة ووضع الحمل هذا اذا اريد الحقيقة وهي الاصل ويكون ذلك في الدنيا
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير
تمام وقالت فرقة الضمير يعود على الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة
عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا وضع هناك كقولهم يوم يشيب فيه
الوليد وجاء لفظ مرضعة دون مرضع لانه اريد به الفعل لا النسب بمعنى
ذات رضاع قال الشاعر

كمرضعة اولاد اخرى وضيعت ۞ بني بطنها هذا الضلال عن القصد

والظاهر ان ما في قوله عما ارضعت بمعنى الذي والعايد محذوف اي ارضعته
ويقويه تعدي وتضع الى المفعول به في قوله حملها لا الى المصدر وقيل ما مصدرية
اي عن ارضاعها وقال الزمخشري المرضعة التي هي في حال الارضاع تلقمه
ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها
به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع
ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة وخص بعض نحاة الكوفة ام الصبي
بمرضعة والمستاجرة بمرضع وهذا باطل بقول الشاعر كمرضعة اولاد اخرى
البيت فهذه مرضعة بالتاء وليست اما للذي ترضع وقول الكوفيين ان
الوصف الذي يختص بالمونث لا يحتاج فيه الى التاء لانها انما يجي بها للفرق
مردود بقول العرب مرضعة وحايضة وطالقة وقرا الجمهور تذهل بفتح
التاء والهاء ورفع كل وابن ابي عبلة واليماني بضم التاء وكسر الهاء اي تذهل
الزلزلة او الساعة كل بالنصب والحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس
شجرة وقرا الجمهور وترى بالتاء مفتوحة خطابا للمفرد وزيد بن علي بضم التاء
وكسر الراء اي وترى الزلزلة او الساعة وقرا الزعفراني وعباس في اختياره
بضم التاء وفتح الراء ورفع الناس وانث على تاويل الجماعة وقرا ابو هريرة
وابو زرعة بن عمرو بن جرير وابو نهيك كذلك الا انهم نصبوا الناس عدي ترى

الي هنا عبل ثلثة احدها الضمير المستكن في ترى وهو ضمير المخاطب مفعول لم يسم
فاعله والثاني والثالث الناس سكارى اثبت انهم سكارى على طريق التشبيه
ثم نفي عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل
وقرأ الجمهور سكارى فيهما على وزن فعالى وتقدم ذكر الخلاف في فعالى بضم
الفا اهو جمع او اسم جمع وقرأ ابو هريرة وابو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما
وهو جمع تكسير واحده سكران وقال ابو حاتم هي لغة تميم وقرأ الاخوان وابن سعدان
ومسعود بن صالح سكرى فيهما وروى عن الرسول رواها عمران بن حصين وابو سعيد
الخدري وهي قراءة عبد الله واصحابه وحذيفة وقال س وقوم يقولون سكرى
جعلوه مثل مرضى لانهما شيئان يدخلان على الانسان ثم جعلوا روبى مثل سكرى
وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب قال ابو علي الفارسي ويصح
ان يكون جمع سكر كزمنى وزمن وقد حكى س رجل سكر بمعنى سكران فيجي سكرى حينئذ
لتانيث الجمع وقرأ الحسن والاعرج وابو زرعة وابن جبير والاعمش سكرى بضم
السين فيهما قال ابو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا افتاني ابو علي انتهى
وقال الزمخشري هو غريب وقال ابو الفضل الرازي فعلى بضم الفا من صفة
الواحدة من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة اجرت الجماعة
بمنزلة المونث الموحد انتهى وعن ابي زرعة ايضا سكرى بفتح السين بسكرى
بضمها وعن ابن جبير ايضا سكرى بالفتح وقال اولا ترونها على خطاب الجمع
جعلوا جميعا رايين لها ثم قال وترى على خطاب الواحد لان الروية معلقة
بكون الناس على حال السكر فجعل كل واحد رائيا لسائرهم غشيهم من خوف عذاب الله
ما اذهب عقولهم وردهم في حال من يذهب السكر عقله وتمييزه وجا هذا
الاستدراك بالاخبار عن عذاب الله انه شديد لما تقدم ما هو بالنسبة الى
العذاب كالحالة اللينة الهينة وهو الذهول والوضع وروية الناس اشباه
السكارى وكانه قال وهذه احوال هينة ولكن عذاب الله شديد وليس
بهين ولا لين لان لكن لا بد ان تقع بين متنافيين بوجه ما وتقدم الكلام
فيها ومن الناس من يجادل في الله اي في قدرته وصفاته قيل نزلت في ابي جهل
وقيل في ابي بن خلف والنضر بن الحرث وقيل في النضر وكان جدلا
يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا يقدر الله على احيا
من بلي وصار ترابا والاية عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا
يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا برهان ولا نصفة والظاهر
ان قوله كل شيطان مريد هو من الجن كقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا
وقيل يحتمل ان يكون من الانس كقوله شياطين الانس والجن لما ذكر
تعالى اهوال يوم القيمة ذكر من غفل عن الجزاء في ذلك اليوم وكذب به وقرأ
زيد بن علي ويتبع خفيفا والظاهر ان الضمير في عليه عايد على من لانه المحدث
عنه وفي انه ومن تولاه وفي فانه عايد عليه ايضا والفاعل بتولى ضمير

من وكذلك الهاء في يضله ويجوز ان تكون الهاء في هذا الوجه انه ضمير الشان
والمعنى ان هذا المجادل لكثرة جداله بالباطل واتباعه الشيطان صار
اماما في الضلال لمن يتولاه فشانه ان يضل من يتولاه وقيل الضمير في عليه
عايد على كل شيطان مريد قاله قتادة ولم يذكر الزمخشري غيره واورد ابن عطية
القول الاول احتمالا وقال ابن عطية ويظهر ان الضمير في انه الاولى للشيطان
وفي الثانية لمن الذي هو للمتولي قال الزمخشري والكتبة عليه مثل اي كانما
كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرأ الجمهور
كتب مبنيا للمفعول وقرئ كتب مبنيا للفاعل اي كتب الله وقرأ الجمهور
انه بفتح الهمزة في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله فانه بفتحها ايضا والفا
جواب من الشرطية او الداخلة في خبر من ان كانت موصولة وفانه على تقدير
فشانه انه يضله اي اضلاله او فله ان يضله وقال الزمخشري فمن فتح فلان
الاول فاعل كتب يعني به مفعولا لم يسم فاعله قال والثاني عطف عليه انتهى
وهذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت انه بلا استيفا خبر
لان من تولاه من فيه مبتداة فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا
لانه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على انه ومثل
قول الزمخشري قال ابن عطية قال وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم
فاعله وانه الثانية عطف على الاولى موكدة مثلها وهذا خطا لما بيناه
وقرأ الاعمش والجعفي عن ابي عمرو انه فانه بكسر الهمزتين وقال ابن عطية
وقرأ ابو عمرو انه من تولاه فانه يضله بالكسر فيهما انتهى وليس مشهورا عن
ابي عمرو والظاهر ان ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا اي كتب عليه
هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله يامر بالعدل وقال الزمخشري او على تقدير
قيل او على المفعول الذي لم يسم فاعله لكتب والجملة من انه من تولاه في موضع
المفعول الذي لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل
عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله واما الثاني فلا
يجوز ايضا على مذهب البصريين لانه لا تكسر ان بعد ما هو بمعنى القول بل بعد
القول صريحه ومعنى ويهديه ويسوقه وعبر بلفظ الهداية على سبيل التهكم
ولما ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في الحشر والمعاد ذكر دليلين
واضحين على ذلك احدهما في نفس الانسان وابتدا خلقه وتطوره في مراتب
سبع وهي • التراب • والنطفة • والعلقة • والمضغة • والاخراج طفلا •
وبلوغ الاشد • والتوفي او الرد الى الهرم والثاني في الارض التي تشاهدون
تنقلها من حال الى حال فاذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلا فاذا
ورد خبر الشرع بوقوعه وجب التصديق به وانه واقع لا محالة وقرأ الحسن
من البعث بفتح العين وهي لغة فيه كالجلب والطرد في الحلب والطرد والكوفيون
اسكان العين عندهم تخفيف يقيسونه فيما وسطه حرف حلق كالنهر والشعر
والشعر والبصريون لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان

والمعنى ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم من تراب اي اصلكم
آدم وسلط الفعل عليهم من حيث هم من ذريته او باعتبار وسائط التولدات لان المني
ودم الطمث يتولدان من الاغذية والاغذية حيوان ونبات والحيوان يعود الى
النبات والنبات من الارض والماء والنطفة المني **وقيل** نطفة آدم قاله
النقاش والعلقة قطعة الدم الجامدة ومعنى وغير مخلقة اي ليست كاملة ولا
ملساء فالمضغ متفاوتة لذلك تفاوتوا طولا وقصرا وتماما ونقصانا وقال
مجاهد غير مخلقة هي التي تسقط وقال قتادة والشعبي وابو العالية
والمخلقة الانسان فيه اعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن
تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرة **وقرأ** ابن ابي عبلة مخلقة بالنصب وغير
بالنصب ايضا نصبا على الحال من النكرة المتقدمة وهو قليل وقاسه س قال
الزمخشري ولنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وانا قادر على خلق البشر من
تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل
النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما
قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة واهون في القياس وورود
الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه
ما لا يكتنهه الفكر ولا يحيط به الوصف انتهى ولنبين متعلق بخلقناكم **وقيل**
لنبين لكم امر البعث قال ابن عطية وهو اعتراض بين الكلامين وقال الكرماني
يعني رشدكم وضلالكم **وقيل** لنبين لكم ان التخليق هو اختيار من الفاعل
المختار ولولاه ما صار بعضه غير مخلق **وقرأ** ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء
وقرأ يعقوب وعاصم في رواية ونقر بالنصب عطفا على لنبين وعن عاصم
ايضا ثم نخرجكم بنصب الجيم عطفا على ونقر اذا نصب وعن يعقوب ونقر بفتح
النون وضم القاف والراء من قر الماء صبه **وقرأ** ابو زيد النحوي ويقر بفتح
الياء والراء وكسر القاف وفي الكامل لابن جبارة لنبين ونقر ونخرجكم
بالنصب فيهن المفضل وبالياء فيهما مع النصب ابو حاتم وبالياء والرفع
عمر بن شبة انتهى قال الزمخشري والقراءة بالرفع اخبار بانه تعالى يقر في الارحام
ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع وما لم يشا اقراره مجته
الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل والمعنى خلقناكم
مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر
في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد
هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم انتهى **وقرأ** يحيى بن وثاب ما نشاء بكسر
النون والاجل المسمى يختلف فيه بحسب جنين جنين فساقط وكامل امره
خارج حيا ووحد طفلا لانه مصدر في الاصل قاله المبرد والطبري او لان
الغرض الدلالة على الجنس او لان معنى نخرجكم كل واحد كقولك الرجال يشبعهم
رغيفا اي يشبع كل واحد وقال الزمخشري الاشد كمال القوة والعقل والتمييز
وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها

مسندة

مسندة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع انتهى وتقدم الكلام في الاشد
ومقداره من الزمان وان من الناس من قال انه جمع شدة كانعم جمع نعمة واما
القتود فحكى ابو عمرو الشيباني ان واحده قتد ومنكم من يتوفى **وقرئ** يتوفى بفتح اليا
اي يستوفي اجله والجمهور بالضم اي بعد الاشد **وقيل** الهرم وهو ارذل
العمر والخرف فيصير الى حالة الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل ولا زمان
لذلك محدودا بل ذلك بحسب ما يقع في الناس وقد ترى من علت سنه وقارب
المائة او بلغها في غاية جودة الذهن والادراك مع قوة ونشاط وترى من
هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته اوضح تعالى انه قادر على انهاية الى
حالة الخرف كما انه كان قادرا على تدريجه الى حالة التمام فكذلك هو قادر
على اعادة الاجساد التي درجها في هذه المنازل وانشائها النشأة الثانية
ولكيلا يتعلق بقوله يرد قال الكلبي لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا
وقيل لكيلا يستفيد علما او ينسى ما علمه وقال الزمخشري اي ليصير نساء
بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من
ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وروي
عن ابي عمرو ونافع تسكين ميم العمر وترى الارض هامدة هذا هو الدليل الثاني
الذي تضمنته والدليل الاول الاية ولما كان الدليل الاول بعض مراتب الخلقة
فيه غير مرئي قال ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم فلا يحيل في جميع رتبه
على الرؤية ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهدا للابصار احال ذلك على
الرؤية فقال وترى اي ايها السامع او المجادل الارض هامدة ولظهوره تكرر
هذا الدليل في القرآن والماء ماء المطر والانهار والعيون والسواقي واهتزازها
تخلخلها واضطراب بعض اجسامها لاجل خروج النبات وربت اي زادت وانتفخت
وقرأ ابو جعفر وعبد الله بن جعفر وخالد بن الياس وابو عمرو في رواية وربأت بالهمز
هنا وفي فصلت اي ارتفعت واشرفت يقال فلان يربأ بنفسه عن كذا اي
يرتفع بها عنه قال ابن عطية ووجهها ان تكون من ربأت القوم اذا علوت شرفا
من الارض طليعة فكأن الارض بالماء تتطاول وتعلو انتهى ويقال ربيء
وربيئة **وقال الشاعر**

بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي ۵

ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطورهم في تلك المراتب ومن احياء الارض
حاصل بهذا وهو حقيقته تعالى فهو الثابت الموجود القادر على احياء الموتى
وعلى كل مقدور وقد وعد بالبعث وهو قادر عليه فلا بد من كيانه وقوله وان
الساعة الى آخره توكيد لقوله وانه يحيي الموتى والظاهر ان قوله وان الساعة
آتية ليس داخلا في سبب ما تقدم ذكره فليس معطوفا على انه الذي يليه فيكون
على تقدير والامر ان الساعة وذلك مبتدأ او بان الخبر **وقيل** ذلك منصوب
بمضمر اي فعلنا ذلك ۵ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير ۵ ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه

قوله عز وجل ومن الناس

يوم القيمة عذاب الحريق • ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد •
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين • يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد • يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير • ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد • من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد • الظاهر ان المجادل
في هذه الاية غير المجادل في الاية قبلها فعن محمد بن كعب انها نزلت في الاخنس
ابن شريق وعن ابن عباس في ابي جهل **وقيل** الاولى في المقلدين وهذه
في المقلدين والجمهور على انها والتي قبلها في النضر كررت مبالغة في الذم ولكون
كل واحدة اشتملت على زيادة ليست في الاخرى وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة اية
وقال ابن عطية وكرر هذه على جهة التوبيخ فكانه يقول هذه الامثال في غاية
الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو الحال والاية
المتقدمة الواو فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والاية
على معنى الاخبار وهي ها هنا مكررة للتوبيخ انتهى ولا يتخيل ان الواو في ومن الناس
من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم
يتقدر باذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين اي يجادل في الله بغير
علم متبع لشيطان مريد ويجادل ايضا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى اخره
وعابد ربه على حرف والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر
لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بغير واحد من هذه الثلثة
وانتصب ثاني عطفه على الحال من الضمير المستكن في يجادل قال ابن عباس متكبرا ومجاهد
لاويا عنقه يقبح والضحاك شامخا بانفه وابن جريج معرضا عن الحق وقرأ
الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي تعطفه وترحمه وليضل متعلق بيجادل وقرأ
مجاهد واهل مكة وابو عمرو في رواية ليضل بفتح الياء اي ليضل في نفسه والجمهور
بضمها اي ليضل غيره وهو يترتب على اضلاله كثرة العذاب اذ عليه وزر من ضل به
ولما كان مآل الجدال الى الاضلال كان كانه علة له وكذلك لما كان معرضا
عن الهدى مقبلا على الجدال بالباطل كان كالخارج من الهدى الى الضلال والخزي
في الدنيا ما لحقه يوم بدر من الاسر والقتل والهزيمة وقد اسر النضر **وقتل**
يوم بدر بالصفراء والحريق قيل طبقة من طباق جهنم وقد يكون من اضافة الموصوف
الى الصفة اي العذاب الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع وقرأ زيد بن علي
فاذيقه بهمزة المتكلم ذلك اشارة الى الخزي والاذاقة وجوزوا في اعراب
ذلك بان الله هو الحق وتقدم المراد هي بما قدمت يداك اي باجترامك ويعدل
الله فيك اذ عصيته ويحتمل ان يكون وان الله منقطعا ليس داخلا في السبب
والتقدير والامر ان الله قال ابن عطية والعبيد هنا ذكروا في معنى مسكنتهم وقلة

قدرتهم

قدرتهم فلذلك جاءت بهذه الصيغة انتهى وهو يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا
عليه تفرقته في اواخر آل عمران في قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وشرحنا
هناك قوله بظلام من يعبد الله نزلت في اعراب من اسلم وغطفان تباطؤوا عن الاسلام
وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فلا يقرونا ولا
يؤوونا **وقيل** في اعراب لا يقين لهم يسلم احدهم فيتفق تثمير ماله وولادة
ذكر وغير ذلك من الخير فيقول هذا دين جيد وينعكس حاله فيتشاءم ويرتد كما جرى للعرنيين
قال معناه ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس في شيبة بن ربيعة
اسلم قبل ظهور الرسول فلما اوحي اليه ارتد **وقيل** في يهودي اسلم فاصيب
فتشاءم بالاسلام وسال الرسول الاقالة فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت
وعن الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه وقال ابن عيسى على ضعف
يقين وقال ابو عبيد على حرف على شك وقال ابن عطية حرف على انحراف
منه عن العقيدة البيضاء او على شفا منها معدا للزهوق وقال الزمخشري على حرف
على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم
لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر
واطمأن والا فر وطار على وجهه انتهى وخسرانه الدنيا اصابته فيها بما يسوءه
من ذهاب ماله وفقد احبائه فلم يسلم للقضاء وخسران الاخرة حيث حرم ثواب
من صبر فارتد عن الاسلام وقرأ مجاهد وحميد والاعرج وابن محيصن طريق الزعفراني
وقعنب والجحدري وابن مقسم خاسر الدنيا اسم فاعل نصبا على الحال وقرئ
خاسر اسم فاعل مرفوعا على تقدير هو خاسر وقال الزمخشري والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن انتهى وقرأ الجمهور خسر فعلا ماضيا
وهو استئناف اخبار ويجوز ان يكون في موضع الحال ولا يحتاج الى اضمار قد لانه
كثر وقوع الماضي حالا في لسان العرب بغير قد فساغ القياس عليه واجاز
ابو الفضل الرازي ان يكون بدلا من قوله انقلب على وجهه كما كان يضاعف
بدلا من يلق **وتقدم** تفسير الضلال البعيد في قوله ضلالا بعيدا ونفى هنا
الضر والنفع واثبتهما في قوله لمن ضره اقرب من نفعه وذلك لاختلاف المتعلق
وذلك ان قوله ما لا ينفعه هو الاصنام والاوثان ولذلك اتى التعبير عنها
بما التي لا تكون لاحاد من يعقل وقوله يدعو لمن ضره هو من عبد باقتضاء وطلب
من عابديه من المدعين الالهية كفرعون وغيره من ملوك بني عبيد الذين كانوا بالمغرب
ثم ملكوا مصر فانهم كانوا يدعون الالهية ويطاف بقصرهم في مصر وينادون
بما ينادى به رب العالمين من التسبيح والتقديس فهؤلاء وان كان منهم نفع
ما لعابديهم في دار الدنيا فضررهم اعظم واقرب من نفعهم اذ هم في الدنيا
مملوكون للكفار وعابدون لغير الله وفي الاخرة معذبون العذاب الدائم
ولهذا كان التعبير هنا بمن التي هي لمن يعقل وعلى هذا فتكون الجملتان
من اخبار الله تعالى عمن يدعو الها غير الله وقال الزمخشري فان قلت
الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت

نبين

في

إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفّه الكافر بأنه يعبد
جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه سينتفع به ثم قال
يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس
المولى انتهى فجعل الزمخشري المدعو في الآيتين الأصنام وأزال التعارض باختلاف
القائلين بالجملة الأولى من قول الله تعالى إخباراً عن حال الأصنام والجملة الثانية
من كلام عباد الأصنام يقولون ذلك في الآخرة وحكى الله عنهم ذلك وأنهم أثبتوا ضراً
بكونهم عبدوه وأثبتوا نفعاً بكونهم اعتقدوه شفيعاً فالثاني هنالك غير المثبت
هنا فزال التعارض على زعمه والذي أقول أن الصنم ليس له نفع البتة حتى يقال
ضره أقرب من نفعه وأجاب بعضهم عن زعم من زعم أن ظاهر الآيتين تقتضي التعارض
بأنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر إليها كقوله رب إنهن
أضللن كثيراً من الناس أضاف الإضلال إليهم إذ كانوا سبب الضلال فكذا
هنا نفى الضر عنهم لكونها ليست فاعلة ثم أضافه إليها لكونها سبب الضرر
وقال آخرون هي في الحقيقة لا تضر ولا تنفع بين ذلك في الآية الأولى ثم أثبت
لها الضر والنفع في الثانية على طريق التسليم أي ولو سلمنا كونها ضارة نافعة
لكان ضرها أكثر من نفعها وتكلف المعربون وجوهاً فقالوا يدعو إما أن يكون
لها تعلق بقوله لمن ضره أو لا إذ لم يكن لها تعلق فوجوه **أحدها** أن يكون توكيداً
لفظياً ليدعو الأولى فلا يكون لها معمول **الثاني** أن تكون عاملة في ذلك
من قوله ذلك هو الضلال وقدم المفعول الذي هو ذلك وجعل موصولاً بمعنى
الذي قاله أبو علي الفارسي وهذا لا يصح إلا على قول الكوفيين إذ يجيزون
في اسم الإشارة أن يكون موصولاً والبصريون لا يجيزون ذلك إلا في ذا بشرط
أن يتقدمها الاستفهام بما أو من **الثالث** أن يكون يدعو في موضع الحال
وذلك مبتدأ وهو فصل أو مبتدأ وحذف الضمير من يدعو أي يدعوه وقدروه
مدعواً وهذا ضعيف لأن يدعوه لا يقدر مدعواً إنما يقدر داعياً فلو كان
يدعى مبنياً للمفعول لكان تقديره مدعواً جارياً على القياس وقال بنحوه
الزجاج وإن كان له تعلق بقوله لمن ضره فوجوه **أحدها** ما قاله الأخفش وهو
أن يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ موصول صلته الجملة بعده وهي ضره أقرب من نفعه
وخبر المبتدأ محذوف تقديره إله وإلهي والجملة في موضع نصب محكية بيدعو
التي هي بمعنى يقول قيل وهو فاسد المعنى لأن الكافر لم يعتقد قط أن الأوثان
ضرها أقرب من نفعها **وقيل** في هذا القول يكون لبئس مستأنفاً لأنه لا يصح
دخوله في الحكاية لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى **الثاني**
أن يدعو بمعنى يسمي والمحذوف آخراً هو المفعول الثاني ليسمي تقديره إلهاً
وهذا لا يتم إلا بتقدير زيادة اللام أي يدعو من ضره **الثالث** أن يدعو شبيه

بأفعال القلوب لأن الدعاء لا يصدر إلا عن اعتقاد والأحسن أن يضمن معنى يزعم
ويقدر لمن خبره والجملة في موضع نصب ليدعو أشار إلى هذا الوجه الفارسي **الرابع**
ما قاله الفراء وهو أن اللام دخلت في غير موضعها والتقدير يدعو من لضره أقرب
من نفعه وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول **الخامس**
أن تكون اللام زائدة للتوكيد ومن مفعول بيدعو وهو ضعيف لأنه ليس من مواضع زيادة
اللام لكن يقويه قراءة عبد الله يدعو من ضره بإسقاط اللام وأقرب التوجيهات
أن يكون يدعو تقريباً توكيداً ليدعو الأول واللام في لمن لام الابتداء والخبر
الجملة القسمية قسم محذوف وجوابه لبئس المولى والظاهر أن يدعو يراد به
النداء والاستغاثة **وقيل** معناه يعبد والمولى هنا الناصر والعشير الصاحب
المخالط ولما ذكر تعالى حالة من يعبده على حرف وسفه رأيه وتوعده بخسرانه في الآخرة
عقبه بذكر حال مخالفيهم من أهل الإيمان وما وعدهم به من الوعد الحسن ثم أخذ
في توبيخ أولئك الأولين كأنه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق
وظنوا أن الله لن ينصر محمداً وأتباعه ونحن إنما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا
فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا
المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق يقال
ذلك للذي يريد من الأمر ما لا يمكنه فعلى هذا تكون الهاء في ينصره للرسول
عليه السلام وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد
والسدي واختاره الفراء والزجاج فالمعنى أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا بإعلاء
كلمته وإظهار دينه وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول وإن لم
يجر له ذكر في الآية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله إن الله يدخل
الذين آمنوا وظن ذلك قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر وأعراب استبطؤوا ظهور الرسول فتباطؤوا عن الإسلام
والظاهر أن الضمير في ينصره عائد على من لأنه المذكور وحق الضمير أن يعود
على المذكور وهو قول مجاهد وحمل بعض قائلي هذا القول النصر هنا على الرزق
كما قالوا أرض منصورة أي ممطورة **وقال الشاعر**

وإنك لا تعطي امرأً فوق حقه ... ولا تملك الشق الذي أنت مالكه

أي معطيه وقال وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله فالمعنى
من كان يظن أن لن يرزقه الله فيعدل عن دين محمد لهذا الظن كما وصف في قوله وإن
أصابته فتنة انقلب على وجهه فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك
لا يبلغه إلا ما قدر له ولا يجعله مرزوقاً أكثر مما قسم له **ويحتمل** على هذا القول
أن يكون النصر على بابه أي من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
فيغتاظ لانتفاء نصره فليمدد ويدل على قوله فيغتاظ قوله هل يذهبن كيده ما
يغيظ ويكون معنى قوله فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليتحيل بأعظم الحيل
في نصره إياه ثم ليقطع أي ليقطع الحبل فلينظر هل يذهبن كيده وتحيله في
إيصال النصر إليه الشيء الذي يغيظه من انتفاء نصره بتسليط أعدائه عليه وقال

الزمخشري هذا كلام دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه
انه لا يظفر بمطلوبه فليستفرغ وسعه واستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان
يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر
وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق
قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا
لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به
محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل
فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وهذا
قول ابن زيد **وقيل** الضمير في ينصره عائد على الدين والاسلام قال ابن عطية
وابين وجوه هذه الآية ان يكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق
والسماء الارتفاع في الهواء سقف او شجرة او نحوه فتامله وما في ما يغيظ
بمعنى الذي والعائد محذوف او مصدرية وكذلك اي ومثل ذلك الانزال
انزلنا القرآن كله آيات بينات اي لا تفاوت في انزال بعضه ولا انزال
كله والهاء في انزلناه للقرآن اضمر للدلالة عليه كقوله حتى توارت بالحجاب
والتقدير والامر ان الله يهدي من يريد اي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته
لا خالق للهداية الا هو ٥ ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء
شهيد ٥ الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه
العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ٥ هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم
الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ٥ كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ٥ ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من
اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ٥ وهدوا الى الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد ٥ ع لما ذكر قيل ان الله يهدي من يريد اعقب ببيان
من يهديه ومن لا يهديه لان ما قبله يقتضي ان من لا يريد هدايته لا يهديه
يدل اثبات الهداية لمن يريد على نفيها عمن لا يريد والذين اشركوا هم عبدة
الاوثان والاصنام ومن عبد غير الله قال الزمخشري وادخلت ان على كل
واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه **قول جرير** ٥
ع ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ٥
وظاهر هذا انه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين
ان يكون البيت كالآية لان البيت يحتمل ان يكون خبر ان الخليفة قوله به
ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله سربال ملك جملة اعتراضية بين اسم ان

قوله عز وجل ان الذين امنوا

وخبرها بخلاف الآية فانه يتعين فيها ان قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة
الواقعة خبرا طول الفصل بينهما بالمعاطيف والظاهر ان الفصل بينهم يوم
القيامة هو بتصيير فريق المؤمنين الى الجنة والكافرين الى النار وناسب
الختم بقوله شهيد الفصل بين الفرق وقال الزمخشري الفصل مطلق
يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا
بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد **وقيل** يفصل بينهم يقضي بين
المؤمنين والكافرين والظاهر ان السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر
تعالى والانقياد لما يريد تعالى وهذا معنى شمل من يعقل وما لا يعقل
ومن يسجد سجود التكليف ومن لا يسجد وعطف على من ما عبد من دون الله
ففي السموات الملائكة كانت تعبدها والشمس عبدتها حمير وعبد
القمر كنانة قاله ابن عباس والدبران تميم والشعرى لخم وقريش والثريا طي
وعطارد اسد والمرزم ربيعة وفي الارض من عبد من البشر والاصنام المنحوتة
من الجبال والشجر والبقر وما عبد من الحيوان **وقرأ** الزهري والدواب بتخفيف
الباء وقال ابو الفضل الرازي ولا وجه لذلك الا ان يكون فرارا من التضعيف
مثل ظلت وقرن ولا تعارض بين قوله ومن في الارض لعمومه وبين قوله وكثير
من الناس لخصوصه لانه لا يتعين عطف وكثير على ما قبله من المفردات المعطو
الداخلة تحت يسجد اذ يجوز اضمار يسجد له كثير من الناس سجود عبادة دل عليه
المعنى لانه يفترق بسجد الاول لاختلاف الاستعمالين ومن يرى الجمع بين
المشتركين وبين الحقيقة والمجاز يجيز عطف وكثير من الناس على المفردات
قبله وان اختلف السجود عنده بنسبته لما لا يعقل ولمن يعقل ويجوز ان يرتفع
على الابتداء والخبر محذوف يدل عليه مقابلة الذي في الجملة بعده اي وكثير من
الناس مثاب وقال الزمخشري ويجوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس
الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في
تكثير المحقوقين بالعذاب فعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب
كانه قال وكثير من الناس حق عليهم العذاب انتهى وهذان التخريجان ضعيفان
وقرأ جناح بن حبيش وكثير حق بالباء وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب
يحتمل ان يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثير منهم ... رسول الله
صلى الله عليه وسلم ... بدنا فنهاه عن ذلك فقال ...
... عليه السلام ... لابي جهل ...
وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد
ان ذلك ... التقرب بها ... المعظم حق عليه العذاب يسجد
اي كراهية وعلى رغمه اما بظله واما بخضوعه عند المكاره ويجوز ذلك قاله
مجاهد وقال سجوده بظله **وقرئ** وكثير حقا اي حق عليهم العذاب حقا
وقرئ حق بضم الحاء ومن مفعول مقدم بيهن **وقرأ** الجمهور من مكرم اسم فاعل **وقرأ**
ابن ابي عبلة بفتح الراء على المصدر اي من اكرام قاله الزمخشري ومن اهانه الله

كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد يقتضي مهانا أن يجد له مكرما
أنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين
واعتقاد المعتقدين انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ولما ذكر تعالى أهل السعادة
وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه فقال هذان قال
قيس بن عباد وهلال بن يساف نزلت في المتبارزين يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة
بن الحرث برزوا لعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن علي أنا أول
من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى وأقسم أبو ذر على هذا ووقع
في صحيح البخاري أن الآية فيهم وقال ابن عباس الإشارة إلى المؤمنين وأهل
الكتاب وقع بينهم تخاصم قالت اليهود نحن أقدم دينا منكم فنزلت وقال
مجاهد وعطاء بن أبي رباح والحسن وعاصم والكلبي الإشارة إلى المؤمنين والكفار
على العموم وخصم مصدر وأريد به هنا الفريق فلذلك جاء اختصموا مراعاة للمعنى
إذ تحت كل خصم أفراد وفي رواية عن الكسائي خصمان بكسر الخاء ومعنى في ربهم في دين
ربهم وقرأ ابن أبي عبلة اختصما راعى لفظ التثنية ثم ذكر تعالى ما أعد للكفار
وقرأ الزعفراني في اختياره قطعت بتخفيف الطاء كأنه تعالى يقدر لهم نيرانا
على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة والظاهر أن هذا المقطع
لهم يكون من النار وقال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس شيء إذا
حمي أشد حرارة منه فالتقدير من نحاس محمي بالنار وقيل الثياب من النار
استعارة عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه وقال وهب يكسى
أهل النار والعري خير لهم ويحيون والموت خير لهم ولما ذكر ما يصب على رؤوسهم
إذ يظهر في المعروف أن الثوب إنما يغطى به الجسد دون الرأس فذكر ما يصيب الرأس
من العذاب وعن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لأذابتها ولما
ذكر ما يعذب به الجسد ظاهره وما يصب على الرأس ذكر ما يصل إلى باطن المعذب
وهو الحميم الذي يذيب ما في البطن من الحشا ويصل ذلك الذوب إلى الظاهر وهو
الجلد فيؤثر في الظاهر تأثيره في الباطن كما قال تعالى فقطع أمعاءهم
وقرأ الحسن وفرقة يصهر بفتح الصاد وتشديد الهاء وفي الحديث أن الحميم
ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى
يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والظاهر عطف والجلود على ما من
قوله يصهر به ما في بطونهم وأن الجلود تذاب كما تذاب الأحشاء وقيل
التقدير وتحرق الجلود لأن الجلود لا تذاب وإنما تجتمع على النار وتنكمش وهذا
كقوله علفتها تبنا وماء باردا أي وسقيتها ماء والظاهر أن الضمير
في ولهم عائد على الكفار واللام للاستحقاق وقيل بمعنى على أي وعليهم
كقوله ولهم اللعنة أي وعليهم وقيل الضمير يعود على ما يفسره المعنى وهو
الزبانية وقال قوم منهم الضحاك المقامع المطارق وقيل سياط من نار
وفي الحديث لو وضع مقمع منها في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه
من الأرض ومن غم بدل من منها بدل اشتمال أعيد معه الجار وحذف الضمير لفهم المعنى

أي من

أي من غمها ويحتمل أن تكون من للسبب أي لأجل الغم الذي يلحقهم والظاهر تعليق
الإعادة على الإرادة للخروج فلا بد من محذوف يصح به المعنى أي من أماكنهم المعدة
لتعذيبهم أعيدوا فيها أي في تلك الأماكن وقيل أعيدوا فيها بضرب
الزبانية إياهم بالمقامع وذوقوا أي ويقال لهم ذوقوا ولما ذكر تعالى
ما أعد لأحد الخصمين من العذاب ذكر ما أعد من الثواب للخصم الآخر وقرأ الجمهور
يحلون بضم الياء وفتح الحاء وتشديد اللام وقرئ بضم الياء والتخفيف وهو
بمعنى المشدد وقرأ ابن عباس يحلون بفتح الياء واللام وسكون الحاء من قولهم
حلي الرجل وحليت المرأة إذا صارت ذات حلي والمرأة حال وقال أبو الفضل
الرازي يجوز أن يكون من حلي بعيني يحلى إذا استحسنته فالمعنى تكون من زائدة فيكون
المعنى يستحسنون فيها الأساور الملبوسة انتهى وهذا ليس بجيد لأنه جعل
حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي
على هذا التقدير أن لا يجوز لأنه لا يحفظ لازما فإن كان بهذا المعنى كانت من للسبب
أي يحلى بأساور الذهب يحلون بعين من رآهم أي يحلى بعضهم بعين بعض قال
أبو الفضل الرازي ويجوز أن يكون من حليت به إذا ظفرت به فيكون المعنى يحلون
فيها بأساور فيكون من بدلا من اللباس والحلية من ذلك فأما إذا أخذته من حليت
به فإنه من الحلية وهو من اللباس وإن أخذته من حلي بعيني فإنه من الحلاوة من الواو
انتهى ومن معنى الظفر قولهم لم تحل فلان بطائل أي لم يظفر والظاهر أن من في من
أساور للتبعيض وفي من ذهب لابتداء الغاية أي أنشئت من ذهب وقال ابن عطية
من في من أساور لبيان الجنس ويحتمل أن تكون للتبعيض وتقدم الكلام على
نظير هذه الجملة في الكهف وقرأ ابن عباس من أسور بفتح الراء من غير ألف ولا هاء
وكان قياسه أن يصرفه لأنه نقص بناؤه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا
فمنعه الصرف وقرأ عاصم ونافع والحسن والجحدري والأعرج وأبو جعفر وعيسى
بن عمر وسلام ويعقوب ولؤلؤا هنا وفي فاطر بالنصب وحمله أبو الفتح على إضمار
فعل وقدره الزمخشري ويؤتون لؤلؤا ومن جعل من في من أساور زائدة جاز أن يعطف
ولؤلؤا على موضع أساور وقيل يعطف على موضع من أساور لأنه يقدر ويحلون
حليا من أساور وقرأ باقي السبعة والحسن أيضا وطلحة وابن وثاب والأعمش
وأهل مكة ولؤلؤ بالخفض عطفا على أساور أو على ذهب لأن السوار يكون من ذهب
ولؤلؤ يجمع بعضه إلى بعض قال الجحدري الألف ثابتة بعد الواو في الإمام وقال
الأصمعي ليس فيها ألف وروى يحيى عن أبي بكر همز الآخر وإبدال الأولى وروى
المعلى بن منصور عنه ضد ذلك وقرأ الفياض ولوليا قلب الهمزتين واوا
صارت الثانية واوا قبلها ضمة عمل فيها ما عمل في أدل جمع دلو قلبها ياء
والضمة قبلها كسرة وقرأ ابن عباس وليليا أبدل الهمزتين واوين ثم
قلبهما ياءين أتبع الأولى للثانية وقرأ طلحة ولؤل مجرورا عطفا على
ما عطف عليه المهموز والطيب من القول كانت الهداية في الدنيا فهو قول
لا إله إلا الله والأقوال الطيبة من الأذكار وغيرها ويكون الصراط طريق الإسلام

قوله عز وجل ان الذين كفروا

٢٢٢

وان كان اخبارا عن ما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده وما اشبه ذلك من محاورة اهل الجنة ويكون الصراط الطريق الى الجنة وعن ابن عباس هو لا اله الا الله والحمد لله زاد ابن زيد والله اكبر وعن السدي القرآن وحكى الماوردي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن ابن عباس هو الحمد لله الذي صدقنا وعده والظاهر ان الحميد وصف لله تعالى قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته في قوله دار الآخرة •

ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم • واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود • واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير • ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق • ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق •

المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال فيدل اذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله **وقيل** هو مضارع اريد به الماضي عطفا على كفروا **وقيل** هو على اضمار مبتدا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف قدره ابن عطية بعد والباد خسروا وهلكوا وقدره الزمخشري بعد قوله والحرام نذيقهم من عذاب اليم ولا يصح تقديره بعده لان الذي صفة المسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد لكن مقدر الزمخشري احسن من مقدر ابن عطية لانه تدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من اذيق العذاب خسر وهلك **وقيل** الواو في ويصدون زائدة وهو خبر ان تقديره ان الذين كفروا يصدون قال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى ولا يجيز البصريون زيادة الواو وانما هو قول كوفي مرغوب عنه وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك بجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والظاهر انه نفس المسجد ومن صد عن الوصول اليه فقد صد عنه **وقيل** الحرم كله لانهم صدوه واصحابه عليه السلام فنزلوا خارجا عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من الحرم **وقرأ** الجمهور سواء بالرفع على ان الجملة من مبتدا وخبر في موضع المفعول الثاني والاحسن ان يكون العاكف والباد هو المبتدا وسواء الخبر وقد اجيز العكس وقال ابن عطية والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة او متعبدا انتهى ولا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان اراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان الجملة في موضع المفعول الثاني فلا يحتاج الى

هذا

هذا التقدير **وقرأ** حفص والاعمش سواء بالنصب وارتفع به العاكف لانه مصدر في معنى مستو اسم الفاعل ومن كلامهم مررت برجل سواء هو والعدم فان كان جعل تتعدى الى اثنين فسواء الثاني او الى واحد فسواء حال من الهاء **وقرأت فرقة** منهم الاعمش في رواية القطعي سواء بالنصب العاكف فيه بالجر قال ابن عطية عطفا على الناس انتهى وكأنه يريد عطف البيان والاولى ان يكون بدل تفصيل **وقرئ** والبادي وصلا ووقفا وبتركها فيهما وباثباتها وصلا وحذفها وقفا والعاكف المقيم فيه والبادي الطارئ عليه واجمعوا على الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة الى ان الامر كذلك في دور مكة وان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقاله الثوري وكذلك كان الامر في الصدر الاول قال ابن سابط وكانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله فقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وهذا الخلاف مترتب على الخلاف في فتح مكة أكان عنوة او صلحا وهي مسألة يبحث فيها في الفقه والالحاد الميل عن القصد ومفعول يرد قال ابو عبيدة هو بالحاد والباء زائدة في المفعول **قال الاعشى** ضمنت برزق عيالنا ارماحنا اي رزق وكذا قراءة الحسن منصوبا قرأ ومن يرد الحاده بظلم اي الحادا فيه فتوسع وقال ابن عطية يجوز ان يكون التقدير ومن يرد فيه الناس بالحاد وقال الزمخشري بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم **وقيل** الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله انتهى والاولى ان تضمن يرد معنى يتلبس فيتعدى بالباء وعلق الجزاء وهو نذقه على الارادة فلو نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بها الا في مكة وهذا قول ابن مسعود وجماعة وقال ابن عباس الالحاد هنا الشرك وقال ايضا هو استحلال الحرام وقال مجاهد هو العمل السيء فيه وقال ابن عمر لا والله وبلى والله من الالحاد وقال حبيب بن ابي ثابت الحكرة بمكة من الالحاد بالظلم والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر اذ الكلام يدل على العموم **وقرأت فرقة** ومن يرد بفتح الياء من الورود وحكاها الكسائي والفراء ومعناه ومن اتى فيه بالحاد ظالما ولما ذكر تعالى حال الكفار وصدهم عن المسجد الحرام وتوعد فيه من اراد فيه بالحاد ذكر حال ابيهم ابراهيم وتوبيخهم على سلوكهم غير طريقه من كفرهم بالحاد الاصنام وامتنانه عليهم بابقاء العالم ابيهم واذ بوأنا اي واذكر اذ بوأنا اي جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقيل واللام زائدة اي بوأنا ابراهيم مكان البيت اي جعلناه يبوء اليه كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا •

وقال الشاعر كم صاحب لي صالح بوأته بيدي لحدا **وقيل** مفعول بوأنا محذوف تقديره بوأنا الناس واللام في لابراهيم لام العلة اي

لاجل ابراهيم كرامة له وعلى يديه والظاهر ان قوله ان لا تشرك بي شيئا خطاب
لابراهيم وكذا ما بعده من الامر **وقيل** هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وان مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والاصل ان يليها فعل تحقيق او ترجيح كحالها
اذا كانت مشددة او حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها ان يتقدمها
جملة في معنى القول وبوانا ليس فيه معنى القول والاولى عندي ان تكون ان الناصبة
للمضارع اذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وامر والنهي كالامر قال الزمخشري
فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلت**
كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله **وقرأ** عكرمة وابو نهيك
ان لا يشرك بالياء على معنى ان يقول معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد
من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لان لا تشرك والقائمون هم المصلون ذكر من
اركانها اعظمها وهو القيام والركوع والسجود **وقرأ** الجمهور واذن بالتشديد اي
ناد روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم **وتقدم** قول
من قال انه خطاب للرسول وقال الحسن امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع
وقرأ الحسن وابن محيصن وآذن بمدة وتخفيف الذال قال ابن عطية وتصحف
هذا على ابن جني فانه حكى عنهما وأذن على فعل ماض واعرب على ذلك بان جعله
عطفا على بوانا انتهى وليس بتصحيف بل قد حكى ابو عبد الله الحسين بن خالويه في شواذ
القراآت من جمعه وصاحب اللوامح ابو الفضل الرازي ذلك عن الحسن وابن محيصن
قال صاحب اللوامح وهو عطف على واذ بوانا فيصير في الكلام تقديم وتأخير
ويصير يأتوك جزما على جواب الامر الذي هو وطهر انتهى **وقرأ** ابن ابي اسحاق بالحج
بكسر الحاء حيث وقع والجمهور بفتحها **وقرأ** الجمهور رجالا وابن ابي اسحاق
بضم الراء والتخفيف وروي كذلك عن عكرمة والحسن وابي مجلز وهو اسم جمع
كظؤار وروي عنهم وعن ابن عباس ومجاهد وجعفر بن محمد بضم الراء وتشديد الجيم
وعن عكرمة ايضا رجالى على وزن النعامى بالف التأنيث المقصورة وكذلك مع
تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابن حدير ورجال جمع راجل كتاجر وتجار **وقرأ**
الجمهور يأتين فالظاهر عود الضمير على كل ضامر لان الغالب ان البلاد الشاسعة
لا يتوصل منها الى مكة الا بالركوب وقد يجوز ان يكون الضمير يشمل رجالا وكل
ضامر على معنى الجماعات والرفاق **وقرأ** عبد الله واصحابه والضحاك وابن ابي عبلة
يأتون غلب العقلاء الذكور في البداءة برجالا تفضيل للمشاة الى الحج وعن ابن عباس
ما آسى على شيء فاتني الا ان لا اكون حججت ماشيا والاستدلال بقوله يأتوك رجالا وعلى
كل ضامر على سقوط فرض الحج على من يركب البحر ولا طريق له سواه لكونه لم يذكر في هذه الآية
ضعيف لان مكة ليست على بحر وانما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين مشي
او ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به اليها **وقرأ** ابن مسعود فج معيق قال ابن عباس
وغيره المنافع التجارة وقال الباقر الاجر وقال مجاهد وعطاء كلا منهما
واختاره ابن العربي قال الزمخشري ونكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه

العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة انه كان
يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد
من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن
ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان
يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على
ما رزقهم ولو قال لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن
والروعة انتهى واستدل من قال ان المقصود بذكر اسم الله هو على الذبح والنحر على ان
الذبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله في ايام وهو مذهب مالك واصحاب الرأي
وقيل الذكر هنا حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق ويؤيده قوله
عليه السلام انها ايام اكل وشرب وذكر الله والايام المعلومات ايام العشر قاله
ابن عباس والحسن وابراهيم وقتادة وابو حنيفة والمعدودات ايام التشريق الثلاثة
وقالت فرقة منهم مالك واصحابه المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدود
ايام التشريق الثلاثة فيوم النحر معلوم لا معدود واليومان بعده معلومات
معدودات والرابع معدود لا معلوم ويوم النحر ويومان بعده هي ايام النحر عند
علي وابن عباس وابن عمر وانس وابي هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
وابي حنيفة والثوري وعند الحسن وعطاء والشافعي ثلاثة ايام بعد يوم النحر
وعند النخعي النحر يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد وعن ابي سلمة وسليمن
ابن يسار الاضحى الى هلال المحرم وقال ابن عطية ويظهر ان تكون المعلومات والمعدو
يعني ان تلك الايام الفاضلة كلها ويبقى امر الذبح وامر الاستعجال لا يتعلق
بمعدود ولا معلوم ويكون فائدة قوله معلومات ومعدودات التحريض على هذه
الايام وعلى اغتنام فضلها اي ليست كغيرها فكانه قال هي مخصوصات فلتغتنم
انتهى والبهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي
الابل والبقر والضان والمعز **وتقدم** الخلاف في مدلول بهيمة الانعام ثم
في اول المائدة والظاهر وجوب الاكل والاطعام **وقيل** باستحبابهما وقيل
باستحباب الاكل ووجوب الاطعام والبائس الذي اصابه بؤس اي شدة والتفث
ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعثه ونحوه من اقامة خمس
من الفطرة حسب الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه اذ لا يقضي التفث الا
بعد ذلك وقال ابن عمر التفث ما عليهم من الحج وعنه المناسك كلها والنذر
هنا ما ينذرونه من اعمال البر في حجهم **وقيل** المراد الخروج عما وجب
عليهم نذروا او لم ينذروا **وقرأ** شعبة عن عاصم وليوفوا مشددا والجمهور
مخففا وليطوفوا هو طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان
الحج وبه تمام التحلل **وقيل** هو طواف الصدر وهو طواف الوداع وقال
الطبري لا خلاف بين المتأولين انه طواف الافاضة قال ابن عطية ويحتمل بحسب
الترتيب ان يكون طواف الوداع انتهى والعتيق القديم قاله الحسن وابن زيد
او المعتق من الجبابرة قاله ابن الزبير وابن ابي نجيح وقتادة لم جبار سار اليه فاهلكه

الله فصدع تبع لهدمه فاصابه الفالج فاشار الاحبار عليه ان يكف عنه وقالوا
له رب يمنعه فتركه وكساه وهو اول من كساه وقصده ابرهة فاصابه ما اصابه
واما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه
ثم بناه او المحرر لم يملك موضعه قط قاله مجاهد او المعتق من الطوفان قاله
مجاهد ايضا وابن جبير او الجيد من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير او الذي
يعتق فيه رقاب المذنبين ونسب الاعتاق اليه مجازا اذ بزيارته والطواف به
يحصل الاعتاق وينشا عن كونه معتقا ان يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين
ذلك خبر مبتدا محذوف قدره ابن عطية فرضكم ذلك او الواجب ذلك وقدره
الزمخشري الامر والشان ذلك قال كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في
بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا انتهى
وقيل مبتدا محذوف الخبر اي ذلك الامر الذي ذكرته **وقيل** في موضع
نصب تقديره امتثلوا ذلك **ونظيره** من الاشارة البليغة قول زهير وقد
تقدم له جمل في وصف هرم

هذا وليس كمن يعيا بخطبته • وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة
وكانه قال هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع
التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه والظاهر عمومه في جميع التكاليف ويحتمل
الخصوص بما يتعلق بالحج وقال الكلبي قال هما امر به من المناسك وعن ابن عباس
هي جميع المناهي في الحج فسوق وجدال وجماع وصيد وعن ابن زيد هي خمس المشعر
الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وضمير
فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم اي فالتعظيم خير له عند ربه اي
قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها والظاهر ان خيرا هنا ليس افعل تفضيل
واحلت لكم بهيمة الانعام دفعا لما كانت العرب عليه من تحريم اشياء برايها
كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله الا ما يتلى عليكم ما نص في كتابه على تحريمه والمعنى
ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر ان تعظيمها خير لمعظمها
عند الله اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء
عنه وصدق القول اعظم الحرمات وجمعها في قران واحد لان الشرك من باب
الزور لان المشرك يزعم ان الوثن يستحق العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة
الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله ومن في من الاوثان
لبيان الجنس ويقدر بالموصول عندهم اي الرجس الذي هو الاوثان ومن انكر ان
تكون من لبيان الجنس جعل من لابتداء الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم
عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس
وعلى القول الاول يكون النهي عن سائر الارجاس من موضع غير هذا قال
ابن عطية ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الآية فافسده انتهى وقد يمكن
التبعيض فيها بان يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روي ذلك عن ابن عباس

وابن جريج

وابن جريج فكانه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من
الاوثان انما هو العبادة الا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير
ذلك مما لم يحرمه الشرع فكان للوثن جهات منها عبادتها وهو المامور
باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف
على الرجس بل افرد بالتكرير للعامل اعتناء باجتنابه **وفي الحديث** عدلت
شهادة الزور بالشرك **ولما امر** باجتناب عبادة الاوثان وقول الزور
ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية قال الزمخشري يجوز في
هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه
قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله
بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت
به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه
الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من
السماء والاهواء التي تتنازع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي
يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة انتهى وقرا نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء المشددة وباقي السبعة
بسكون الخاء وتخفيف الطاء وقرا الحسن وابو رجاء والاعمش بكسر التاء والخاء
والطاء مشددة وعن الحسن كذلك الا انه فتح الطاء مشددة وقرا الاعمش
ايضا تخطفه بغير فاء واسكان الخاء وفتح الطاء مخففة وقرا ابو جعفر
والحسن وابو رجاء الرياح ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق • ولكل امة جعلنا
منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله
اسلموا وبشر المخبتين • الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما
اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • والبدن جعلناها
لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا
وجبت جنوبها فاطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ اعراب ذلك كاعراب ذلك
المتقدم **وتقدم** تفسير شعائر الله في اول المائدة واما هنا فقال
ابن عباس ومجاهد وجماعة هي البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال
بها والمغالاة فيها وقال زيد بن اسلم الشعائر ست الصفا والمروة والبدن
والجمار والمشعر الحرام وعرفة والركن وتعظيمها اتمام ما يفعل فيها وقال
ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة
والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وهذا نحو من قول زيد
ابن اسلم **وقيل** شرائع دينه وتعظيمها التزامها والمنافع الاجر ويكون
الضمير في فيها من قوله لكم فيها منافع عائدا على الشعائر التي هي الشرائع

قوله عز وجل ذلك ومن يعظم

اي لكم في التمسك بها منافع الى اجل منقطع التكليف ثم محلها مشكل على هذا
التاويل فقيل الايمان والتوجه اليه بالصلوة وكذلك القصد في الحج والعمرة
اي محل ما يختص منها بالاحرام البيت العتيق **وقيل** معنى ذلك ثم
اجرها على رب البيت العتيق قيل ولو قيل على هذا التاويل ان البيت العتيق
الجنة لم يبعد والضمير في انها عائد على الشعائر على حذف مضاف اي فان تعظيم
او على التعظمة واضاف التقوى الى القلوب كما قال عليه السلام التقوى هنا
واشار الى صدره وعن عمر انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك
وقال بل اهدها واهدى هو عليه السلام مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم
امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه وذكر القلوب لان المنافق يظهر التقوى
وقلبه خال عنها فلا يكون مجدا في اداء الطاعات والمخلص التقوى بالله في قلبه
فيبالغ في ادائها على سبيل الاخلاص وقال الزمخشري فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها
لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز
التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء انتهى وما
قدره عار من راجع الى الجزاء الى من الا ترى ان قوله فان تعظيمها من افعال القلوب
ليس في شيء منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذي اداته من
واصلاح ما قاله ان يكون التقدير فانه تعظيمها منه فيكون الضمير في منه عائدا
على من فيرتبط الجزاء بالشرط **وقرئ** القلوب بالرفع على الفاعلية بالمصدر
الذي هو تقوى والضمير في فيها عائد على البدن على قول الجمهور والمنافع درها
ونسلها وصوفها وركوب ظهرها الى اجل مسمى وهو ان يسميها ويوجبها هديا
فليس له شيء من منافعها قاله ابن عباس في رواية مقسم ومجاهد وقتادة
والضحاك وقال عطا منافع الهدايا بعد ايجابها وتسميتها هديا بان
يركب ويشرب لبنها عند الحاجة الى اجل مسمى اي الى ان تنحر **وقيل** الى
ان تشعر فلا تركب الا عند الضرورة وروى ابو رزين عن ابن عباس الاجل المسمى
الخروج من مكة وعن ابن عباس الى اجل مسمى اي الى الخروج والانتقال من هذه
الشعائر الى غيرها **وقيل** الاجل يوم القيمة وقال الزمخشري الى ان تنحر
ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في
الافعال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما
يعتد الله بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب
نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم
الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع

قولك

قولك بلغنا البلد وانما شارفناه واتصل مسيرنا بحدوده وقيل المراد بالشعائر
المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يابى ذلك انتهى وقال القفال الهدي
المتطوع به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه فاذا بلغ منى فهي محله
وكل فجاج مكة وقال ابن عطية وتكرر ثم لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل
ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين يعني من قال بقول مجاهد ومن وافقه
ومن قال بقول عطا ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لانه اشرف الحرم
وهو المقصود بالهدي وغيره والاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة وقوله
ثم محلها ماخوذ من احلال المحرم معناه ثم اخر هذا كله الى طواف الافاضة
بالبيت العتيق فالبيت على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا
انتهى والمنسك مفعل من نسك واحتمل ان يكون موضعا للنسك اي مكان نسك
واحتمل ان يكون مصدرا واحتمل ان يراد به مكان العبادة مطلقا او العبادة
واحتمل ان يراد مكان نسك خاص او نسكا خاصا وهو موضع ذبح او ذبح وحمله
الزمخشري على الذبح قال شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه
على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على
المناسك انتهى وقياس بنائه مفعل مما مضارعه يفعل بضم العين مفعل بفتحها
في المصدر والزمان والمكان وبالفتح قرا الجمهور **وقرا** بكسرها الاخوان
وابن سعدان وابو حاتم عن ابي عمرو ويونس ومحبوب وعبد الوارث الا القصبي
عنه قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس ويشبه
ان يكون الكسائي سمعه من العرب وقال الازهري ومنسك لغتان وقال
مجاهد المنسك الذبح واراقة الدماء يقال نسك اذا ذبح والذبيحة نسيكة
وجمعها نسك وقال الفرا المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير
وبر وقال ابن عرفة منسكا اي مذهبا من طاعة الله يقال نسك نسك قومه
اذا سلك مذهبهم وقال الفرا منسكا عيدا وقال قتادة حجا ليذكروا
اسم الله معناه امرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه رازق
ذلك ثم رجع الى الحاضرين فقال فالهكم اله واحد فله اسلموا اي انقادوا
وكما ان الاله واحد يجب ان يخلص له في الذبيحة ولا يشرك فيها لغيره وتقدم
شرح الاخبات وقال عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم
ينتصروا **وقرا** الجمهور والمقيمي الصلاة بالخفض على الاضافة وحذفت النون
لاجلها **وقرا** ابن ابي اسحاق والحسن وابو عمرو في رواية الصلاة بالنصب
وحذفت النون للطول **وقرا** ابن مسعود والاعمش والمقيمين بالنون
الصلاة بالنصب **وقرا** الضحاك والمقيم الصلاة وناسب تبشير من
اتصف بالاخبات مناسك الحج من نزع الثياب والتجرد من المخيط
وكشف الراس والتردد في تلك المواضع الغبرة المحرجة والتلبس بافعال
شاقة لا يعلم معناها الا الله تعالى موذن بالاستسلام المحض والتواضع
المفرط حيث يخرج الانسان عن مالوفه الى افعال غريبة ولذلك وصفهم

بالاخبات والوجل اذا ذكر الله تعالى والصبر على ما اصابهم من المشاق واقامة
الصلوات في مواضع لا يقيمها الا المؤمنون المصطفون والانفاق مما رزقهم منه
ومنها الهدايا التي يغالون فيها **وقرأ** الجمهور والبدن باسكان الدال
وقرأ الحسن وابن ابي اسحق وشيبة وعيسى بضمها وهي الاصل ورويت عن
ابي جعفر ونافع **وقرأ** ابن ابي اسحق ايضا بضم الباء والدال وتشديد النون
فاحتمل ان يكون اسما مفردا بني على فعل واحتمل ان يكون التشديد من التضعيف
الجائز في الوقف واجري الوصل مجرى الوقف والجمهور على نصب والبدن على
الاشتغال اي وجعلنا البدن **وقرئ** بالرفع على الابتداء ولكم اي لاجلكم ومن
شعائر في موضع المفعول الثاني ومعنى من شعائر الله من اعلام الشريعة التي
شرعها الله واضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها لكم فيها خير قال ابن عباس
نفع في الدنيا واجر في الآخرة وقال السدي اجر وقال النخعي من احتاج
الى ظهرها ركب والى لبنها شرب عليها صواف اي على نحرها قال مجاهد
معقولة وقال ابن عمر قائمة قد صففت ايديها بالقيود وقال ابن عيسى مصطفة
وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك **وقرأ** ابو موسى الاشعري والحسن ومجاهد وزيد بن اسلم وشقيق
وسليمان التيمي والاعرج صوافي جمع صافية ونون الياء عمرو بن عبيد قال
الزمخشري التنوين عوض من حرف عند الوقف انتهى والاولى ان يكون على لغة
من صرف ما لا ينصرف ولا سيما الجمع المتناهي ولذلك قال بعضهم والصرف
في الجمع اي كثيرا حتى ادعى قوم به التخيير اي خوالص لوجه الله لا يشرك فيها بشيء
كما كانت الجاهلية تشرك **وقرأ** الحسن ايضا صواف مثل عوار وهو على قول
من قال فكسوت عار لحمه * يريد عاريا وقولهم اعط القوس باريها **وقرأ**
عبد الله وابن عمر وابن عباس والباقر وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك
والكلبي والاعمش بخلاف عنه صوافن بالنون والصافنة من البدن ما
اعتمد على طرف رجل بعد تمكنها بثلاث قوائم واكثر ما يستعمل في الخيل
فاذا وجبت جنوبها عبارة عن سقوطها الى الارض بعد نحرها قال محمد بن كعب
ومجاهد وابراهيم والحسن والكلبي القانع السائل والمعتر المعترض من
غير سؤال وعكست فرقة هذا وحكى الطبري عن ابن عباس القانع المستغني
بما اعطيه والمعتر المعترض من غير سؤال وحكى عنه القانع المتعفف والمعتر
السائل وعن مجاهد القانع الجار وان كان غنيا وقال قتادة القانع
من القناعة والمعتر المعترض للسؤال وقيل المعتر الصديق الزائر **وقرأ**
ابو رجاء القنع بغير الف اي القانع فحذف الالف كالحذر والحاذر **وقرأ**
الحسن والمعتري اسم فاعل من اعترى **وقرأ** عمرو واسمعيل والمعتر بكسر الراء
دون ياء هذا نقل ابن خالويه وقال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح
ابو رجاء بخلاف عنه وابن عبيد والمقري على مفتعل وعن ابن عباس برواية

المعتري

المعتري والمعتر اراد المعتري لكنه حذف الياء تخفيفا واستغناء بالكسرة عنها
وجاء كذلك عن ابي رجاء قال ابن مسعود الهدي اثلاث وقال جعفر بن محمد اطعم
القانع والمعتر ثلثا والبائس الفقير ثلثا واهلي ثلثا وقال ابن المسيب ليس
لصاحب الهدي منه الا الربع وهذا كله على جهة الاستحسان لا الفرض
قال ابن عطية كذلك سخرناها لكم اي مثل ذلك التسخير سخرناها لكم تأخذونها
منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها فتطعنون في لباتها من عليهم تعالى
بذلك ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها
جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة وقال ابن عطية كما امرناكم
فيها بهذا كله سخرناها لكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قال مجاهد
اراد المسلمون ان يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول
الكعبة ونضح الكعبة حواليها بالدم تقربا الى الله فنزلت هذه الآية وعن
ابن عباس قريب منه والمعنى لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا
الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي الله
المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتياط بشروط التقوى
في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا
ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم قال الزمخشري
وهو تكثير في اللفظ **وقرأ** مالك بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهري واسحق
الكوفي عن عاصم والزعفراني ويعقوب وقال ابن خالويه تنال الله التقوى بالتاء
يحيى بن يعمر والجحدري **وقرأ** زيد بن علي لحومها ولا دماءها بالنصب
ولكن يناله بضم الياء وكرر ذكر النعمة بالتسخير قال الزمخشري لتشكروا
الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا
فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته انتهى وبشر
المحسنين ظاهره في العموم قال ابن عباس هم الموحدون وروي انها
نزلت في الخلفاء الاربعة **الهدم** معروف وهو نقض ما بني

قال الشاعر

وكل بيت وان طالت اقامته * على دعائمه لا بد مهدوم *

المفردات

الصومعة موضع العبادة وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى
والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان
النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين **البيع**
كنائس النصارى واحدها بيعة وقيل كنائس اليهود **البئر** من بأرت
اي حفرت وهي مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب
تعطيل الشيء ابطال منافعه **العقم** الامتناع من الولادة يقال امرأة عقيم
ورجل عقيم لا يولد له والجمع عقم واصله من القطع ومنه الملك عقيم اي مقطع
فيه الارحام بالقتل والعقيم التي قطعت ولادتها وقال ابو عبيد العقم
السد يقال امرأة معقومة الرحم اي مسدودة الرحم **السطو** القهر وقال

قوله عز وجل ان الله يدافع

ابن عيسى السطوة اظهارها بما يهول للاخافة **الذباب** الحيوان المعروف يجمع على ذبان
بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب وذباب السيف
طرفه والعين انسانها واسنان الابل حدها سلبت الشيء اختطفته بسرعة
استنقذ استفعل بمعنى افعل اي انقذ نحو ابل واستبل ان الله يدافع عن
الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة
الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم
فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها
وبئر معطلة وقصر مشيد روي ان المومنين لما كثروا بمكة آذاهم الكفار
وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من
الكفار ويحتال ويغدر فنزلت الى قوله كفور وعدهم فيها بالمدافعة ونهى عن
الخيانة وخص المومنين بالدفع عنهم والنصرة لهم وعلل ذلك بانه لا يحب
اعداءهم الخائنين الله ورسوله الكافرين نعمه ومناسبة هذه الاية لما
قبلها انه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واذوا من كان بمكة من المومنين انزل الله تعالى
هذه الايات مبشرة المومنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم واذنه لهم
في القتال وتمكينهم في الارض بردهم الى ديارهم وفتح مكة وان عاقبة الامور
راجعة الى الله تعالى وقال تعالى والعاقبة للمتقين **وقرأ** الحسن وابو جعفر
ونافع يدافع ولولا دفاع **وقرأ** ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع **وقرأ**
الكوفيون وابن عامر يدافع ولولا دفع وفاعل هنا بمعنى المجرد نحو جاوزت
وجزت وقال الاخفش دفع اكثر من دافع وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر
دفع كحسب حسابا وقال ابن عطية يحسن يدافع لانه قد عن للمومنين من يدفعهم ويوذيهم
فيجيء دفعه مقاومته ودفعه مدافعة عنهم انتهى يعني فيكون فاعل لاقتسام الفاعلية
والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى وقال الزمخشري ومن قرأ يدافع
فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب
يجيء اقوى وابلغ انتهى ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون افخم واعظم
واعم ولما هاجر المومنون الى المدينة اذن الله لهم في القتال **وقرأ**
نافع وعاصم وابو عمرو بضم همزة اذن وفتح باقي السبعة **وقرأ** نافع
وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء والباقون بكسرها والماذون

فيه

مطلب

فيه محذوف اي في القتال ودل عليه يقاتلون وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهى عنه
في نيف وسبعين اية **وقيل** نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم
مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وان الله على نصرهم لقدير وعد بالنصر وكذلك
الاخبار بكونه يدفع عنهم الذين اخرجوا في موضع جر نعت للذين او بدل او في موضع
نصب باعني او في موضع رفع على اضمارهم والا ان يقولوا استثناء منقطع فان يقولوا
في موضع نصب لانه منقطع لا يمكن توجه العامل عليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى
لانك لو قلت الذين اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف ما في الدار
احد الا حمار فانه استثناء منقطع ويمكن ان يتوجه عليه العامل فتقول ما في الدار الا
حمار فهذا يجوز فيه النصب والرفع النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا
فالعرب يجمعون على نصبه واجاز ابو اسحق فيه الجر على البدل واتبعه الزمخشري
فقال ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله انتهى وما اجازاه من البدل لا يجوز لان البدل لا يكون
الا اذا سبقه نفي او نهي او استفهام في معنى النفي نحو ما قام احد الا زيد ولا
يضرب احد الا زيد وهل يضرب احد الا زيد واما اذا كان الكلام موجبا
او امرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم
الا زيد على البدل لان البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت
قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن اخرج الناس من ديارهم
الا ان يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا
في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه
الزمخشري فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه ان يكون البدل يلي غيرا فيصير
التركيب بغير الا ان يقولوا وهذا لا يصح ولو قدرت الا بغير كما يقدر في النفي
في ما مررت باحد الا زيد فتجعله بدلا لم يصح لانه يصير التركيب بغير غير
قولهم ربنا الله فيكون قد اضفت غيرا الى غير وهي هي فصار بغير غير ويصح
في ما مررت باحد الا زيدا ان تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين
مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى
سوى ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل ويجوز ان
تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل ولولا دفع الله الناس
الاية فيها تحريض على القتال الماذون فيه قيل وانه تعالى اجرى العادة
بذلك في الامم الماضية بان ينتظم به الامر وتقوم الشرايع وتصان المتعبدات
من الهدم واهلها من القتل والشتات وكانه لما قال اذن للذين يقاتلون
قيل فليقاتل المومنون فلولا القتال لتغلب على الحق في كل امة وانظر الى
مجيء قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اثر قتال طالوت

لجالوت وقتل داود جالوت واخبر تعالى انه لولا ذلك الدفع لفسدت الارض
فكذلك هنا وقال علي بن ابي طالب ولولا دفع الله الناس باصحاب محمد الكفار
عن التابعين فمن بعدهم واخذ الزمخشري قول علي وحسنه وذيل عليه فقال
دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليط المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة
ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم
فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين
مساجد ولغلب المشركون في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين انتهى وقال مجاهد ولولا دفع الله
ظلم قوم بشهادات العدول ونحو هذا وقال قوم ولولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة
وقالت فرقة دفع العذاب بدعاء الاخيار وقال قطرب بالقصاص عن
النفوس وقيل بالنبيين عن المؤمنين وقال الحسن لولا اعانة الاسلام
لخربت متعبدات اهل الذمة ومعنى الدفع بالقتال اليق بالاية وامكن في دفع
الفساد وقرأ الحرميان وايوب وقتادة وطلحة وزائدة عن الاعمش
والزعفراني لهدمت مخففا وباقي السبعة وجماعة مشددة لما كانت المواضع
كثيرة ناسب مجيء التضعيف لكثرة المواضع فكثر الهدم لتكثيرها وقرأ الجمهور
وصلوات جمع صلوة وقرأ جعفر بن محمد وصلوات بضم الصاد واللام وحكى عنه
ابن خالويه صلوات بسكون اللام وكسر الصاد وحكيت عن الجحدري والجحدري
صلوات بضم الصاد وفتح اللام وحكيت عن الكلبي وابو العالية بفتح الصاد وسكون
اللام صلوات والحجاج بن يوسف والجحدري ايضا وصلوات وهي مساجد النصارى
بضمتين من غير الف ومجاهد كذلك الا انه بفتح التاء والف بعدها والضحاك
والكلبي وصلوث بضمتين من غير الف وبثاء منقوطة بثلث وجاء كذلك عن
ابي رجاء والجحدري وابي العالية ومجاهد كذلك الا انه بعد اللام الف وقرأ عكرمة
وصلويثا بكسر الصاد واسكان اللام وواو مكسورة بعدها ياء بعدها
ثاء منقوطة بثلث بعدها الف والجحدري ايضا صلوات بضم الصاد وسكون
اللام وواو مفتوحة بعدها الف بعدها ثاء مثلثة النقط وحكى ابن مجاهد انه
قرئ كذلك الا انه بكسر الصاد وحكى ابن خالويه وابن عطية عن الحجاج والجحدري
صلوب بالباء بواحدة على وزن كعوب جمع صليب كظريف وظروف واسيف واسوف
ومجمع شاذا في جمع فعيل على فعول فهذه ثلث عشرة قراءة والتي بالثاء المثلثة
النقط قيل هي مساجد اليهود وهي بالسريانية مما دخل في كلام العرب وقيل
عبرانية وينبغي ان تكون قراءة الجمهور يراد بها الصلوات المعهودة في الملل
واما غيرها مما تلاعبت به العرب بتحريف وتغيير فينظر ما
مدلوله في اللسان الذي نقل منه فيفسر به وروى هرون عن ابي عمرو وصلوات
كقراءة الجماعة الا انه لا ينون التاء كانه جعله اسم موضع كالمواضع التي قبله وكانه
علم فمنعه الصرف للعلمية والعجمة وكملت القراءات بهذه اربع عشرة قراءة والاظهر
في تعداد هذه المواضع ان ذلك بحسب متعبدات الامم فالصوامع للرهبان وقيل

للصابئين

للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين وقال خصيف
قال ابن عطية والاظهر انه قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسماء
يشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في عرف لغة
ومعاني هذه الاسماء هي في الامم التي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية
المجوس ولا اهل الاشراك لان هؤلاء ليس لهم ما يجب حمايته ولا يوجد ذكر الله
الا عند اهل الشرائع انتهى والظاهر عود الضمير في قوله يذكر فيها على المواضع
جميعها وقاله الكلبي ومقاتل فيكون فيذكر في موضع الصفة لها وقيل يعود
على قوله ومساجد فيكون يذكر صفة للمساجد واذا حملنا الصلوات على الافعال
التي يصليها اهل الشرائع كان ذلك اما على حذف مضاف اي ومواضع صلوات
واما على تضمين لهدمت معنى عطلت فصار التعطيل قدرا مشتركا بين المواضع
والافعال وتأخير المساجد اما لاجل قدم تلك وحدوث هذه واما لانتقال من
شريف الى اشرف واقسم تعالى على انه ينصر من ينصره اي ينصر دينه واولياءه ونصر
تعالى من انتصر لاوليائه باعدائهم جلادا وجدالا وفي ذلك حض على القتال
ثم اخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر انه يجوز في اعراب الذين
ان مكناهم في الارض ما جاز في اعراب الذين اخرجوا وقال الزجاج هو منصوب
بدل من من ينصره والتمكين السلطنة ونفاذ الامر على الخلق والظاهر انه من
وصف المأذون لهم في القتال وهم المهاجرون وفيه اخبار بالغيب
عما يكون عليه سيرتهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف
يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان
الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة
امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة
العادلة لغيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وفي الاية
اخذ العهد على من مكنه الله ان يفعل ما رتب على التمكين في الاية وقيل
نزلت في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن وابي العالية هم امة محمد عليه السلام
وعن عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وهو قريب مما قبله وقال ابن ابي نجيح هم
الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله على من اتاه الملك وقال ابن عباس
المهاجرون والانصار والتابعون ولله عاقبة الامور توعد للمخالف ما رتب
على التمكين وان يكذبوك الاية فيها تسلية للرسول بتكذيب من سبق من الامم
المذكورة لانبيائهم ووعيد لقريش اذ مثلهم بالامم المكذبة المعذبة واسند الفعل
بعلامة التأنيث من حيث اراد الامة والقبيلة وبني الفعل للمفعول في وكذب
موسى لان قومه لم يكذبوه انما كذبه القبط فامليت للكافرين ترتيب الامهال على
وصف الكفر فكذلك قريش املى تعالى لهم ثم اخذهم في غزوة بدر وفتح مكة
وغيرهما والاخذ كناية عن العقاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد
به المصدر والمعنى فكيف كان انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة
بالسيئة وحياتهم بالهلاك وعمورهم بالخراب وهذا استفهام يصحبه

معنى التعجب كأنه قيل ما أشد ما كان إنكاري عليهم وفي الجملة إرهاب لقريش
فكأين للتكثير واحتمل أن يكون في موضع رفع على الابتداء وفي موضع نصب على الاشتغال
وقرأ أبو عمرو وجماعة أهلكتها بتاء المتكلم والجمهور بنون العظمة وهي ظالمة
جملة حالية فهي خاوية على عروشها تقدم تفسير هذه الجملة في البقرة في قوله
أو كالذي مر على قرية وقال الزمخشري فإن قلت ما محل الجملتين من الإعراب
أعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل نصب على الحال والثانية
لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا
الذي قاله ليس بجيد لأن فكأين الأجود في إعرابها أن تكون مبتدأة والخبر الجملة
من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي
خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو إعراب
فكأين منصوبا بإضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك
الفعل وعلى هذا لا محل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لا محل لها وقرأ الجحدري
والحسن وجماعة معطلة مخففا يقال عطلت البئر وأعطلتها فعطلت هي بفتح الطاء
وعطلت المرأة من الحلي بكسر الطاء قال الزمخشري ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها
الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها
والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم من قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن
سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه انتهى
فبئر وقصر معطوفات على من قرية ومن قرية تمييز لكأين وكأين تقتضي التكثير فدل
ذلك على أنه لا يراد بقرية وبئر وقصر معين وإن كان الإهلاك إنما يقع في معين
لكن من حيث الوقوع لا من حيث دلالة اللفظ وينبغي أن يكون وبئر وقصر من حيث عطفا
على من قرية أن يكون التقدير أهلكتهما كما كان أهلكتها مخبرا به عن كأين الذي هو القرية
من حيث المعنى والمراد أهل القرية والبئر والقصر وجعل وبئر معطلة وقصر مشيد
معطوفين على عروشها جهل بالفصاحة ووصف القصر بمشيد ولم يوصف بمشيدة
كما في قوله في بروج مشيدة لأن ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد وأيضا
مشيد فاصلة آية وقد عين بعض المفسرين هذه البئر فعن ابن عباس أنها كانت
لأهل عدن من اليمن وهي الرس وعن كعب الأحبار أن القصر بناه عاد الثاني وهو منذر
بن عاد بن إرم بن عاد وعن الضحاك وغيره أن البئر بحضرموت من أرض الشحر والقصر
مشرف على قلة جبل لا يرتقى والبئر في سفحه لا تقر الريح شيئا يسقط فيه روي
أن صالحا نزل عليها مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي
بحضرموت وسميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر
اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها
زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان وقيل
اسمه شريح بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله عن آخرهم وعطل
بئرهم وخرب قصرهم وعن الإمام أبي القسم الأنصاري أنه قال رأيت قبر
صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا فكيف يكون بحضرموت • أفلم يسيروا في الأرض

قوله عز وجل أفلم يسيروا في الأرض

فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور • ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن
يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون • وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة
ثم أخذتها وإلي المصير • قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين • فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم • والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك أصحاب الجحيم • لما ذكر تعالى من كذب الرسل من الأمم الخالية وكان عند العرب
أشياء من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيرا ما يمرون على كثير منها قال
أفلم يسيروا فاحتمل أن يكون حثا على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا
أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرأ
مبشر بن عبيد فيكون بالياء والجمهور بالتاء فتكون منصوب على جواب الاستفهام
قاله ابن عطية وعلى جواب التقرير قاله الحوفي وقيل على جواب النفي ومذهب
البصريين أن النصب بإضمار أن وينسبك منها ومن الفعل مصدر يعطف على مصدر
متوهم ومذهب الكوفيين أنه منصوب على الصرف إذ معنى الكلام الخبر صرفوه عن الجزم
على العطف على يسيروا وردوه إلى أخي الجزم وهو النصب وهذا معنى الصرف عندهم
ومذهب الجرمي أن النصب بالفاء نفسها وإسناد العقل إلى القلب يدل على أنه محله
ولا ينكر أن للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ ومتعلق
يعقلون بها محذوف أي ما حل بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم ويعقلون ما
يجب من التوحيد وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون أخبار تلك الأمم أو ما يجب سماعه
من الوحي والضمير في فإنها ضمير القصة وحسن التأنيث هنا وجهه كون الضمير وليه
فعل بعلامة التأنيث وهي التاء في لا تعمى ويجوز في الكلام التذكير وقرأ به عبد الله
فإنه لا تعمى وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه
انتهى وما ذكره لا يجوز لأن الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منها وهو في باب
رب وفي باب نعم وبئس وفي باب الإعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدأ والخبر على
خلاف في هذه الأربعة على ما قرر في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد
وفي ضمير الشأن ويفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس
واحدا من هذه الستة فوجب اطراحه والمعنى أن أبصارهم سالمة لا عمى بها وإنما العمى
بقلوبهم ومعلوم أن الأبصار قد تعمى لكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وإنما هو عدم البصر
وهو التأدية إلى الفكرة فيما يشاهد بالبصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب
ووصفت القلوب بالتي في الصدور قال ابن عطية مبالغة كقوله يقولون بأفواههم
وكما تقول نظرت إليه بعيني وقال الزمخشري الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على
الحقيقة مكانه البصر وهو أن يصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب
حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف
ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك
الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل

المضاف هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاف عن السيف واثبته للسائك فلفظة ولا
سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انتهى وقوله ولكن تعمدت به اياه فصل الضمير
وليس من مواضع فصله ولكن تعدته به كما تقول السيف ضربتك به ولا تقول ضربت به اياك
وفصله في مكان اتصاله عجمة وقال ابو عبد الله الرازي وعندي فيه وجه اخر وهو ان
القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبير كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر
والضمير في ويستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم نقمات الله ويوعدهم بذلك
دنيا واخرة وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل
الاستهزاء وان ما توعدنا به لا يقع وانه لا بعث وفي قوله ولن يخلف الله وعده ان
ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه اجل لا يتعداه واضاف الوعد اليه تعالى لان رسوله
عليه السلام هو المخبر به عن الله تعالى وقال الزمخشري انكر استعجالهم بالمتوعد به
من العذاب العاجل والاجل كانه قال ولم يستعجلونك به كانهم يجوزون الفوت وانما
يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعد
ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل انتهى وفي قوله وانما يجوز ذلك
على ميعاد من يجوز عليه الخلف دسيسة الاعتزال **وقيل** ولن يخلف الله وعده
في النظرة والامهال واختلفوا في هذا التشبيه فقيل في العدد اي اليوم عند الله
الف سنة من عددكم وفي الحديث يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم
وذلك خمس مائة عام فالمعنى وان طال الامهال فانه في بعض يوم من ايام الله **وقيل**
التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة اي وان يوما من ايام عذاب الله لشدة
العذاب فيه وطوله كالف سنة من عددكم اذ ايام الترحة مستطالة وايام الفرحة
مستقصرة وكان ذلك اليوم الواحد كالف سنة من سني العذاب والمعنى انهم لو عرفوا
حال الاخرة ما استعجلوه وهذا القول قريب من قول ابي مسلم **وقيل** التشبيه
بالنسبة الى علمه تعالى وقدرته وانفاذ ما يريد كالف سنة واقتصر على الف سنة
وان كان اليوم عنده كما لا نهاية له من العدد لكون الالف منتهى العدد دون
تكرار وهذا القول لا يناسب مورد الاية الا ان اريد انه القادر الذي لا يعجزه
شيء فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا ايضا امهال الف سنة وقال
ابن عباس اراد باليوم من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض وقال ابن عيسى
يجمع لهم عذاب الف سنة في يوم واحد ولاهل الجنة سرور الف سنة في يوم
واحد وقال الفراء تضمنت الاية عذاب الدنيا والاخرة واريد العذاب في الدنيا
اي لن يخلف الله وعده في انزال العذاب بكم في الدنيا وان يوما من ايام عذابكم
في الاخرة كالف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب وقال الزجاج
تفضل عليهم بالامهال والمعنى ان اليوم عند الله والالف سواء في قدرته

بين

بين ما استعجلوه وبين تاخيره **وقرا** الاخوان وابن كثير يعدون بياء الغيبة وباقي
السبعة بتاء الخطاب وعطفت فكاين الاولى بالفاء وهذه الثانية بالواو وقال
الزمخشري الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدم
من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة وتكررا لتكثير بكاين في القرى لافادة معنى غير ما جاءت له الاولى لانه ذكر
فيها القرى التي اهلكها دون املاء وتاخير بل اعقب الاملاء الاهلاك وذكر في هذه الاية
لما كان تعالى قد امهل قريشا حتى استعجلت بالعذاب جاءت بالاهلاك بعد الاملاء تنبيها
على ان قريشا وان املى تعالى لهم وامهلهم فانه لابد من عذابهم فلا يفرحوا بتاخير العذاب
عنهم ثم امر نبيه ان يقول لاهل مكة يا ايها الناس انما انا لكم نذير من عذاب الله موضح لكم
ما تحذرون او موضح النذارة لا تلجلج فيها وذكر النذارة دون البشارة وان كانت
التقسيم بعد ذلك يقتضيهما لان الحديث مسوق للمشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم
المقول فيهم افلم يسيروا والمخبر عنهم باستعجال العذاب وانما ذكر المؤمنون هنا وما
اعد الله لهم من الثواب ليغاظ المشركون بذلك وليحرضهم على نيل هذه الرتبة الجليلة
التي فيها فوزهم وحصر النذارة لان المعنى ليس الي تعجيل عذابكم ولا تاخيره عنكم وانما
انا منذر كريه وقال الكرماني التقدير بشير ونذير فحذف والتقسيم داخل في المقول
والسعي الطلب والاجتهاد في ذلك ويقال سعى فلان في امر فلان فيكون باصلاح
وبافساد وقد يستعمل في الشر تقول فيه سعى بفلان سعاية اي تحيل وكاد في ايصال
الشر اليه وسعيهم بالفساد في ايات الله حيث طعنوا فيها فسموها سحرا وشعرا
واساطير الاولين وثبطوا الناس عن الايمان بها **وقرا** ابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو
السمال والزعفراني معجزين بالتشديد هنا وفي حرفي سبا زاد الجحدري في جميع القرآن
اي مثبطين **وقرا** باقي السبعة بالالف **وقرا** ابن الزبير معجزين بسكون العين وتخفيف
الزاي من اعجزني اذا سبقك ففاتك قال صاحب اللوامح لكنه هنا بمعنى معاجزين
معاندين اي ظانين انهم يعجزوننا وذلك لظنهم انهم لا يبعثون **وقيل** في
معاجزين معاندين واما معجزين بالتشديد فانه بمعنى مثبطين الناس عن الاسلام
ويقال مثبطين وقال الزمخشري عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز
الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه فالمعنى سابقين او مسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم انتهى وقال ابو علي الفارسي معجزين معناه
ناسبين اصحاب النبي الى العجز كما تقول فسقت فلانا اذا نسبته الى الفسق وتقدم
شرح اخري هاتين الجملتين الواردتين تقسيما ۝ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله
عليم حكيم ۝ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم ۝ ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذاب يوم عقيم ۝ الملك
يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ۝ والذين كفروا

قوله عز وجل وما ارسلنا

وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين • والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا
ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين • ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله
لعليم حليم • ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله
لعفو غفور • ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير
ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ••
لما ذكر تعالى أنه يدافع عن الذين آمنوا وأنه تعالى أذن للمؤمنين في القتال وأنهم كانوا أخرجوا
من ديارهم وذكر مسلاة رسوله بتكذيب من تقدم من الأمم لأنبيائهم وما آل إليه أمرهم
من الإهلاك إثر التكذيب وبعد الإمهال وأمره أن ينادي الناس ويخبرهم أنه نذير لهم بعد
أن استعجلوا بالعذاب فإنه ليس له تقديم العذاب ولا تأخيره ذكر له تعالى مسلاة ثانية
باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم متمنين
لذلك مثابرين عليه وإنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه
وبث ذلك إليهم وإلقائه في نفوسهم كما أنه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على
هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليهم شبها
يثبطون بها عن الإسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين
وسعيهم بإلقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك إلى الشيطان لأنه هو
المغوي والمحرك شياطين الإنس للإغواء كما قال لأغوينهم وقيل إن الشيطان
هنا هو جنس يراد به شياطين الإنس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أي
في أمنية نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر
والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لأن الشيطان ليس يلقي الخير ومعنى فينسخ الله
ما يلقي الشيطان أي يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا ويحكم الله آياته أي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل
ما يلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم
من أوتي العلم أن ما تمنى الرسول والنبي من هداية قومه وإيمانهم هو الحق وهذه الآية
ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل
والأنبياء إذا تمنوا وذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن بعدهما
ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا إلى المعصوم صلوات الله عليه وأطالوا
في ذلك وفي تقرير سؤالات وأجوبة وهي قصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحق جامع
السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك كتابا وقال الإمام
الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال
ما معناه إن رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية
شيء مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره والعجب من نقل هذا
وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال تعالى آمرا لنبيه قل ما يكون
لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي وقال تعالى ولو تقول علينا
بعض الأقاويل الآية وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم

الآية

الآية فالتثبيت واقع والمقاربة منفية وقال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك
وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وهذه نصوص تشهد بعصمته وأما من جهة المعقول
فلا يمكن ذلك لأن تجويزه يطرق إلى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة فلا يؤمن فيها
التبديل والتغيير واستحالة ذلك معلومة ولنرجع إلى تفسير بعض ألفاظ الآية إذ
قد قررنا ما لاح لنا فيها من المعنى فقوله من قبلك من فيه لابتداء الغاية ومن في
من رسول زائدة تفيد استغراق الجنس وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة
وقد تقدم لنا الكلام على مدلوليهما فأغنى عن إعادته هنا وجاء بعد إلا جملة
ظاهرها الشرط وهو إذا تمنى ألقى الشيطان وقال الحوفي ونصوا على أنه يليها
في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط فتقول ما زيد إلا يفعل كذا وما رأيت زيدا إلا
يفعل كذا وماض بشرط أن يتقدمه فعل كقوله وما يأتيهم من رسول إلا كانوا ويكون
الماضي مصحوبا بقد نحو ما زيد إلا قد قام وما جاء بعد إلا في الآية جملة شرطية
ولم يلها ماض مصحوب بقد ولا عار منها فإن صح ما نصوا عليه تؤول على أن إذا
جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين إلا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل
بظرف جائز فتكون إلا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل إلا
وهو وما أرسلنا وعاد الضمير في تمنى مفردا وذكروا أنه إذا كان العطف بالواو عاد
الضمير مطابقا للمتعاطفين وهنا عطف بالواو وما جاء غير مطابق أول على
الحذف فيكون تأويل هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فحذف من الأول لدلالة
الثاني عليه وتمنى تفعل من المنية قال أبو مسلم التمني نهاية التقدير ومنه
المنية وفاة الإنسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك أي قدر وقال
رواة اللغة الأمنية القراءة واحتجوا ببيت حسان وذلك راجع إلى الأصل
الذي ذكرناه فإن التالي مقدر للحروف فذكرها شيئا فشيئا انتهى وبيت حسان

• تمنى كتاب الله أول ليله • وآخره لاقى حمام المقادر •

وقال آخر

• تمنى كتاب الله أول ليله • تمني داود الزبور على رسل •

وحمل بعض المفسرين قوله إذا تمنى على تلا وفي أمنيته على تلاوته والجملة بعد إلا
في موضع الحال أي وما أرسلناه إلا وحاله هذه وقيل الجملة في موضع الصفة
وهو قول الزمخشري في نحو ما مررت بأحد إلا زيد خير منه والصحيح أن الجملة حالية
لا صفة لقبولها واو الحال واللام في ليجعل متعلقة بيحكم قاله الحوفي وقال
ابن عطية بينسخ وقال غيرهما بألقى والظاهر أنها للتعليل وقيل هي لام
العاقبة وما في ما يلقي الظاهر أنها بمعنى الذي وجوز أن تكون مصدرية والفتنة
الابتلاء والاختبار والذين في قلوبهم مرض عامة الكفار وقال الزمخشري المنا
فقون
والشاكون والقاسية قلوبهم خواص من الكفار عتاة كأبي جهل والنضر وعتبة
وقال الزمخشري المشركون المكذبون وإن الظالمين يريد وإن هؤلاء المنافقين
والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم

والشقاق المشاقة اي في شق غير شق الصلاح ووصفه بالبعيد مبالغة في انتهائه
وانهم غير مرجو رجعتهم منه والضمير في انه قال ابن عطية عائد على القرآن والذين اوتوا
العلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من قولنا في الآية ما يعود الضمير
اليه فتخبت اي تتواضع وتتطامن بخلاف من في قلبه مرض وقسا قلبه **وقراءة** الجمهور
لهاد الذين بالاضافة وابو حيوة وابن ابي عبلة بتنوين لهاد والمرية الشك والضمير
في منه قيل عائد على القرآن وقيل على الرسول وقيل مما القى الشيطان ولما ذكر حال
الكافرين اولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين والظاهر ان
الساعة يوم القيامة قيل واليوم العقيم يوم بدر وقيل ساعة موتهم او قتلهم
في الدنيا كيوم بدر واليوم العقيم يوم القيامة وقال الزمخشري اليوم العقيم يوم
بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن
عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب
بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا
ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه
يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم
يوم القيامة كانه قيل حتى تاتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع
الضمير انتهى وقال ابن عطية وسمي يوم القيامة او يوم الاستئصال عقيما لانه
لا ليلة بعده ولا يوم والايام كلها نتايج بمجي واحد اثر واحد وكان آخر يوم قد
عقم وهذه استعارة وجملة هذه الآية توعد انتهى وحتى غاية لاستمرار مريتهم
فالمعنى حتى تأتيهم الساعة او عذاب يوم عقيم فتزول مريتهم ويشاهدون الامر
عيانا والتنوين في يومئذ تنوين العوض والجملة المعوض منها هذا التنوين هو
الذي حذف بعد الغاية اي الملك يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري اولا يوم
يؤمنون وهو لازم لزوال المرية فانه اذا زالت المرية آمنوا وقدر ثانيا كما قدرنا
وهو الاولى والظاهر ان هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث انه لا ملك فيه لاحد من
ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم وبسائر هذا التقسيم يعلم ومن قال
انه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن
اراد تعذيبه ويكون التقسيم اخبارا منزليا على حالهم في ذلك اليوم العقيم من
الايمان والكفر والفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا تحتاج الى شرح وقابل النعيم
بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه والذين هاجروا الآية هذا ابتدا معنى
آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس
من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت مسوية بينهم في ان الله
يرزقهم رزقا حسنا وظاهر والذين هاجروا العموم وقال مجاهد نزلت في طوائف
خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون وقاتلوهم وروي ان طوائف
من الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين
الآيتين وقال الزمخشري لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد

ان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات
العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه انتهى
وفي قوله ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال والتسوية في الوعد بالرزق
لا يدل على تفضيل في قدر المعطى ولا تسوية فان يكن تفضيل فمن دليل آخر وظاهر
الشريعة ان المقتول افضل وقيل المقتول والميت في سبيل الله شهيدان والرزق
الحسن يحتمل ان يراد به رزق الشهداء في البرزخ ويحتمل انه بعد يوم القيامة في الجنة
وهو النعيم فيها وقال الكلبي هو الغنيمة وقال الاصم هو العلم والفهم كقول
شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف هذان القولان لانه تعالى جعل الرزق
الحسن جزاء على قتلهم في سبيل الله او موتهم بعد هجرتهم وبعد ذلك لا يكون
الرزق في الدنيا والظاهر ان خير الرازقين افعل تفضيل والتفاوت انه تعالى
مختص بان يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى وبانه الاصل في الرزق وغيره انما يرزق
بما له من الرزق من جهة الله ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وهو الجنة يرضونه يختارونه اذ فيه رضاهم كما قال لا يبغون عنها
حولا وتقدم الخلاف في القراءة بضم الميم او فتحها في النسا والاولى ان يكون يراد
بالمدخل مكان الدخول او مكان الادخال ويحتمل ان يكون مصدرا ذلك ومن عاقب
الآية قيل نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في اشهر الحرم فابى المؤمنون من قتالهم
وابى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله ومناسبتها
لما قبلها واضحة وهو انه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل او مات في سبيل الله
اخبر انه لا يدع نصرهم في الدنيا على من بغى عليهم وقال ابن جريج الآية في المشركين
بغوا على رسول الله واخرجوه والتقدير الامر ذلك قال الزمخشري تسمية الابتداء
بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير
على النظير والنقيض على النقيض للملابسة **فان قلت** كيف طابق ذكر العفو
الغفور هذا الموضع **قلت** المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال
بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب
عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر
وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه
عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه ممن بغى
عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي فيعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح
به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه
لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات
قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق
الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير
والشر والبغي والانتصار وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون وتقدم في
اوائل آل عمران شرح هذا الايلاج ذلك اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار

والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت
الالهية وان كل ما يدعي الهًا دونه باطل الدعوة وانه لا شي اعلى منه شانا واكبر
سلطانا **وقرا** الجمهور وان ما بفتح الهمزة **وقرا** الحسن بكسرها **وقرا** الاخوان
وابو عمرو وحفص يدعون بيا الغيبة هنا وفي لقمان **وقرا** باقي السبعة بتا الخطاب
وكلاهما الفعل فيه مبني للفاعل **وقرا** مجاهد واليماني وموسى الاسواري يدعون
باليا مبنيًا للمفعول والواو عائدة على ما على معناها وما الظاهر انها اصنامهم
وقيل الشياطين والاولى العموم في كل مدعو دون الله تعالى ٥ الم تر ان الله انزل
من السما ما فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير • له ما في السموات وما في الارض
وان الله لهو الغني الحميد • الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره
ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم • وهو الذي
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور • لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم • وان جادلوك فقل الله
اعلم بما تعملون • الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ۞ لما ذكر تعالى
ما دل على قدرته الباهرة من ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وهما امران
مشاهدان مجي الظلمة والنور ذكر ايضا ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم
السفلي وهو نزول المطر وانبات الارض وانزال المطر واخضرار الارض مرئيان
ونسبة الانزال الى الله تعالى مدرك بالعقل **وقال** ابو عبد الله الرازي
الماء وان كان مرئيًا الا ان كون الله منزله من السماء غير مرئي اذا ثبت هذا وجب
حمله على العلم لان المقصود من تلك الرؤية اذا لم يقترن به العلم كانت كانها لم
تحصل وقال الزمخشري **فان قلت** هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع
قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان
عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع
فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابًا للاستفهام **قلت** لو نصب لاعطى
ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار
مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف
لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب
ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله وقال ابن عطية وقوله فتصبح بمنزلة
قوله فتضحي او تصير عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة
ووقع قوله فتصبح من حيث الاية خبر والفا عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا
لقوله الم تر فاسد المعنى انتهى ولم يبين هو ولا الزمخشري كيف يكون النصب نافيا
للاخضرار ولا كون المعنى فاسدًا وقال **سر** وسالته يعني الخليل عن الم تر ان الله انزل
من السما ما فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كانك قلت اتسمع
انزل الله من السما ما فكان كذا وكذا قال ابن خروف وقوله فقال هذا واجب
وقوله فكان كذا وكذا يريد انهما ماضيان وفسر الكلام باتسمع ليريك انه لا يتصل
بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه ووقع في الشرقية عوض اتسمع انتبه انتهى

ومعنى في الشرقية في النسخة الشرقية من كتاب **سر** وقال بعض شراح الكتاب فتصبح
لا يمكن نصبه لان الكلام واجب الا ترى ان المعنى ان الله انزل فالارض هذه حالها وقال
الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى وبقول انما
امتنع النصب جوابًا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه الاستفهام وان
كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب الا ترى
الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكذلك في الجواب بالفا اذا اجبت النفي
كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب. فاذا قلت ما تاتينا فتحدثنا بالنصب
فالمعنى ما تاتينا محدثا انما ياتي ولا يحدث ويجوز ان يكون المعنى انك لا تاتي
فكيف يحدث فالحديث منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام
كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة وينتفي الجواب فيلزم من هذا
الذي قررناه اثبات الرؤية وانتفا الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا فان
جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزاء **فقوله**
الم تسال فتخبرك الرسوم ٥ ينعقد ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا ينعقد ان ترى
انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها ليس مترتبا على علمك او رؤيتك
انما هو مترتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصويرًا للهيئة التي
الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشي
وهذا كقول جحدر بن معوية العكلي يصف حاله مع اسد نازله في قصة جرت
له مع الحجاج بن يوسف •

۞ يسمو بناظرتين تحسب فيهما ۞ لما اجالهما شعاع سراج ۞
۞ لما نزلت بحصن ازبر مهصر ۞ للقرن ارواح العدا محاج ۞
۞ فاكر احمل وهو يقعي باسته ۞ فاذا يعود فراجع ادراجي ۞
۞ وعلمت اني ان ابيت نزاله ۞ اني من الحجاج لست بناجي ۞

فقوله فاكر تصوير للحالة التي لابسها **وقال** اخره

والظاهر تعقب اخضرار الارض انزال المطر وذلك موجود بمكة وتهامة فقط قاله
عكرمة واخذ تصبح على حقيقتها اي تصبح من ليلة المطر وذهب الى ان الاخضر في غير
مكة وتهامة يتاخر وقال ابن عطية وقد شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل
المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرملة التي تسفها الرياح قد اخضرت
بنبات ضعيف انتهى واذا جعلنا فتصبح بمعنى فتصير لا يلزم ان يكون ذلك الاخضرار
في وقت الصباح واذا كان الاخضرار متاخرا عن انزال المطر فثم جمل محذوفة التقدير
فتهتز وتربو فتصبح بين ذلك قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وانبتت **وقرئ** مخضرة على وزن مفعلة ومسبعة اي ذات خضر وخص تصبح
دون سائر اوقات النهار لان رؤية الاشيا المحبوبة اول النهار ابهج واسر
للرائي ان الله لطيف اي باستخراج النبات من الارض بالماء الذي انزله خبير

قوله عز وجل الم تر ان الله انزل

نزاله

ومعنى

بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وغيره وقيل خبير بلطيف التدبير خبير بالصنع الكبير وقيل خبير بمقادير مصالح عباده فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف بأفعاله خبير بأعمال خلقه وقال الزمخشري لطيف واصل علمه أو فضله إلى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم وقال ابن عطية اللطيف المحكم للأمور برفق ما في الأرض يشمل الحيوان والمعادن والمرافق وقرأ الجمهور والفلك بالنصب وضم اللام ابن مقسم والكسائي عن الحسن وانتصب عطفا على ما ونبه عليها وإن كانت مندرجة في عموم ما تنبيها على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها وهذا هو الظاهر وجوز أن يكون معطوفا على الجلالة بتقدير وأن الفلك وهو إعراب بعيد عن الفصاحة وتجري حال على الإعراب الظاهر وفي موضع الخبر على الإعراب الثاني وقرأ السلمي والأعرج وطلحة وأبو حيوة والزعفراني بضم الكاف مبتدأ وخبر ومن أجاز العطف على موضع اسم أن أجازه هنا فيكون تجري حالا والظاهر أن يقع في موضع نصب بدل اشتمال أي ويمنع وقوع السماء على الأرض وقيل هو مفعول من أجله بتقدير البصريون كراهة أن تقع والكوفيون لأن لا تقع وقوله إلا بإذنه أي يوم القيامة كأن طي السماء بعض هذه الهيئة لوقوعها ويجوز أن يكون ذلك وعيدا لهم في أنه إن أذن في سقوطها كسفا عليكم سقطت كما في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وإلا بإذنه متعلق بأن تقع أي إلا بإذنه تقع وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود قوله إلا بإذنه على الإمساك لأن الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكأنه أراد إلا بإذنه فيه يمسكها انتهى ولو كان على ما قال ابن عطية لكان التركيب بإذنه دون أداة الاستثناء أي يكون التقدير ويمسك السماء بإذنه وهو الذي أحياكم أي بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة وهي الموتة الأولى المذكورة في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم والإنسان قال ابن عباس هنا الكافر وقال أيضا هو الأسود بن عبد الأسد وأبو جهل وأبي بن خلف وهذا على طريق التمثيل لكفور الجحود لنعم الله لبعيد عن النعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها ولكل أمة جعلنا منسكا روي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفين الخزاعيين وغيرهما في الذبائح وقولهم للمؤمنين تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ما قتل الله فنزلت بسبب هذه المنازعة وقال ابن عطية هم ناسكوه يعطي أن المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه انتهى ولا يتعين ما قال إذ قد يتسع في معمول اسم الفاعل كما يتسع في معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع ظرف المكان قوله

ومشرب أشربه رسيل لا آجن العظم ولا وبيل

مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير وكان أصله أشرب فيه فاتسع فيه فيتعدى الفعل إلى ضميره ومن الاتساع سير بزيد فرسخان وقرئ فلا ينازعنك بالنون الخفيفة أي اثبت على دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ومثله ولا

يصدنك

يصدنك عن آيات الله وهذا النهي لهم عن المنازعة من باب لا أرينك ها هنا والمعنى فلا بد لهم مما زعنك فينازعونك وقرأ أبو مجلز فلا ينزعنك من النزع بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك إلى أديانهم من نزعته من كذا والأمر هنا الدين وما جئت به وعلى ما روي في سبب النزول يكون في الأمر بمعنى في الذبح لعلى هدى أي إرشاد وحجاء ولكلامه بالواو وهنا بلا واو لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا قاله الزمخشري وإن جادلوك آية موادعة نسختها آية السيف أي وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق والله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير لما تقدم ذكر الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة أعقب تعالى أنه عالم بجميع ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه أعمالكم وأن ذلك في كتاب قيل وهو أم الكتاب الذي كتبه الله قبل خلق السموات والأرض كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة وقيل الكتاب اللوح المحفوظ والإشارة بقوله إن ذلك على الله يسير قيل إلى الحكم السابق والظاهر أنه إشارة إلى حصر المخلوقات تحت علمه وإحاطته وقال الزمخشري ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم انتهى وفي قوله لأن العالم الذات دسيسة الاعتزال لأن من مذهبهم نفي الصفات فهو عالم لذاته لا بعلم عندهم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا أي حجة وبرهانا سماويا من جهة الوحي والسمع وما ليس لهم به علم أي دليل عقلي ضروري أو غيره وما للظالمين أي المجاوزين الحد في عبادة ما لا يمكن عبادته من نصير ينصرهم في ما ذهبوا إليه أو إذا حل بهم العذاب وإذا تتلى عليهم آياتنا أي يتلوها الرسول وغيرهم آياتنا الواضحة في رفض آلهتهم ودعائهم إلى توحيد الله وعبادته تعرف في وجوه الذين كفروا أي الذين ستروا الحق وغطوه وهو واضح بين والمنكر مصدر بمعنى الإنكار ونبه على موجب المنكر وهو الكفر وناب الظاهر مناب المضمر كأنه قيل تعرف في وجوههم لكنه نبه على العلة الموجبة لظهور المنكر في وجوههم والمنكر المساءة والتجهم والبسور والبطش الدال ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب يكادون يسطون أي يهم دهرهم بهذه الصفة فهم يقاربون ذلك طول زمانهم وإن كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة في شاذ

قوله عز وجل ألم تعلم أن الله يعلم

من الأوقات قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم وقال محمد بن كعب يقعون بهم وقال الضحاك يأخذونهم اخذا باليد والمعنى واحد **وقرأ** عيسى بن عمر يعرف مبنيا للمفعول المنكر رفع قل أفأنبئكم بشر من ذلكم وعيد وتقريع والاشارة الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم أو الى ما اصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما تلي عليهم **وقرأ** الجمهور النار رفعا على اضمار مبتدا كان قائلا يقول ما هو قال النار اي هو النار واجاز الزمخشري ان تكون النار مبتدا ووعدها الخبر وان تكون وعدها حالا على الاعراب الاول وان تكون جملة اخبار مستانفة واجيز ان تكون خبرا بعد خبر وذلك في الاعراب الاول وروي انهم قالوا لمحمد واصحابه شر خلق فقال الله قل لهم يا محمد افأنبئكم بشر من ذكرتم على زعمكم اهل النار فهم اتم شر خلق الله **وقرأ** ابن ابي عبلة وابراهيم بن يوسف عن الاعشى وزيد بن علي النار بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص ومن اجاز في الرفع ان تكون النار مبتدا فقياسه ان يجيز في النصب ان يكون من باب الاشتغال **وقرأ** ابن ابي اسحق وابراهيم بن نوح عن قتيبة النار بالجر على البدل من بشر والظاهر ان الضمير في وعدها هو المفعول الاول على ان الله تعالى وعد النار بالكفار ان يطعمها اياهم الا ترى الى قولها هل من مزيد ويجوز ان يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو الاول كما قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ه يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب • ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز • الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور • يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ه لما ذكر تعالى ان الكفار يعبدون ما لا دليل على عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركون عبادة من خلقهم ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق اقل الاشياء بل على رد ما اخذه ذلك الاقل منه وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله ان الذين تدعون بناء الخطاب وقيل خطاب للمؤمنين اراد الله ان يبين لهم خطأ الكافرين فيكون تدعون خطابا لغيرهم الكفار عابدي غير الله وقيل الخطاب عام يشمل من نظر في امر عبادة غير الله فانه يظهر له قبح ذلك وضرب مبني للمفعول والظاهر ان ضارب المثل هو الله تعالى ضرب مثلا لما يعبد من دونه اي بين شبها لكم ولمعبودكم **وقيل** ضارب المثل هم الكفار جعلوا امثالا لله تعالى اصنامهم واوثانهم اي فاستمعوا انتم ايها الناس لحال هذا المثل ونحو ما قال الزمخشري الاخفش قال ليس ههنا مثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا **وقيل** هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا وقال الزمخشري **فان قلت** الذي جاء به

قوله عز وجل يا ايها الناس

ليس بمثل فكيف سماه مثلا **قلت** قد سميت الصفة او القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى **وقرأ** الجمهور تدعون بالتاء **وقرأ** الحسن ويعقوب وهرون والخفاف ومحبوب عن ابي عمرو بالياء وكلاهما مبني للفاعل **وقرأ** اليماني وموسى الاسواري بالياء من اسفل مبنيا للمفعول وقال الزمخشري لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا انتهى وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه ان لن للنفي على التابيد الا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي الا ترى الى قوله افمن يخلق كمن لا يخلق كيف جاء النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو ونبه تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم المخلوقات من حيث ان الاختراع صفة له ثابتة مختصة به لا يشركه فيها احد ونبه بالامر الذي بلغ بهم غاية التعجيز وهو امر سلب الذباب وعدم استنقاذ شيء مما يسلبهم وكان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وموضع ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه انتهى وتقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرير ان الواو فيه للعطف على حال محذوفة كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي ان يخلقوا لاجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الصنم والذباب اي ينبغي ان يكون الصنم طالبا لما سلب من طيبهم على معهود الانفة في الحيوان **وقيل** المطلوب الالهة والطالب الذباب فضعف الالهة ان لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه ما على الالهة وقال الضحاك العابد والمعبود فضعف العابد في طلبهم الخير من غير جهته وضعف المعبود في ايصال ذلك العابد وقال الزمخشري وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب والظاهر انه اخبار بضعف الطالب والمطلوب **وقيل** معناه التعجب اي ما اضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ولم يؤهلوا خالقهم للعبادة ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات الهتهم من القوة والغلبة الله يصطفي الاية نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة ءانزل عليه الذكر من بيننا الاية وانكروا ان يكون الرسول من البشر فرد عليهم بان رسل الله ملائكة يأتي رسله ملائكته من البشريات رسله ملائكة وبشر ثم ذكر انه عالم باحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شيء والبه مرجع الامور كلها **ولما ذكر تعالى** انه اصطفى رسلا من البشر الى الخلق امرهم باقامة ما جاءت به الرسل من التكاليف وهو الصلاة قيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم

بركوع وسجود واتفقوا على مشروعية السجود في آخر آية الم تر ان الله يسجد له واما في
هذه الآية فمذهب مالك وابي حنيفة انه لا يسجد فيها ومذهب الشافعي واحمد انه
يسجد فيها وبه قال عمر وابنه عبد الله وعثمن وابو الدردا وابو موسى وابن عباس
واعبدوا ربكم اي افردوه بالعبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام
ومكارم الاخلاق ويظهر في هذا الترتيب انهم امروا اولا بالصلاة وهي نوع
من العبادة وثانيا بالعبادة وهي نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو اعم من
العبادة فبدا بخاص ثم بعام ثم باعم وجاهدوا في الله امر بالجهاد في دين الله
واعزاز كلمته يشمل جهاد الكفار والمبتدعة وجهاد النفس **وقيل** امر بجهاد
الكفار خاصة حق جهاده اي استفرغوا جهدكم وطاقتكم في ذلك واضاف الجهاد
اليه تعالى لما كان مختصا بالله من حيث هو مفعول لوجهه ومن اجله فالاضافة
تكون بادنى ملابسة قال الزمخشري ويجوز ان يتسع في الظرف وقراء كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا انتهى يعني بالظرف الجار والمجرور كانه كان الاصل
حق جهاد فيه فاتسع بان حذف حرف الجر واضيف جهاد الى الضمير وحق جهاده من باب
هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وعالم جدا وعن مجاهد والكلبي انه منسوخ بقوله فاتقوا
الله ما استطعتم هو اجتباكم اي اختاركم لتحمل تكليفاته وفي قوله هو تفخيم واختصاص
اي هو لا غيره من حرج من تضييق بل هي حنيفية سمحة ليس فيها تشديد بني اسرائيل بل
شرع فيها التوبة والكفارات والرخص وانتصب ملة ابيكم بفعل محذوف وقدره ابن عطية
جعلها ملة وقال الزمخشري نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد وقال الحوفي وابو البقا اتبعوا
ملة ابراهيم وقال الفرا هو نصب على تقدير حذف الكاف كانه قيل كملة ابيكم
بالاضافة الى ابيه الرسول وامة الرسول في حكم اولاده فصار ابا للامة لمكان
الوساطة **وقيل** لما كان اكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع العرب غلب
الاكثر فاضيف اليهم وجاء قوله ملة ابراهيم باعتبار عبادة الله وترك الاوثان
وهو المسوق له الآيات المتقدمة فلا يدل ذلك على الاتباع في تفاصيل الشرايع
والظاهر ان الضمير في هو سماكم عائد على ابراهيم وهو اقرب مذكور ولكل نبي دعوة
مستجابة ودعا ابراهيم فقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك فاستجاب الله له فجعلها امة محمد عليه الصلوة والسلام وقاله
ابن زيد والحسن **وقيل** يعود هو الى الله وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد
والضحاك وعن ابن عباس ان الله سماكم المسلمين من قبل اي في كل الكتب وفي هذا
اي القرآن ويدل على ان الضمير لله قراءة ابي الله سماكم قال ابن عطية وهذه اللفظة
يعني قوله وفي هذا تضعيف قول من قال الضمير لابراهيم ولا يتوجه الا على تقدير
محذوف من الكلام مستانف انتهى وتقدير المحذوف وسميتم في هذا القرآن المسلمين
والمعنى انه فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد
بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة

والاثرة

المفردات

زم

والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر وعن قتادة
اعطيت هذه الامة ما لم يعط الا نبي قيل للنبي انت شهيد على امتك **وقيل** له ليس
عليك حرج **وقيل** له سل تعط وقيل لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس وقيل
لهم ما جعل عليكم في الدين من حرج **وقيل** لهم ادعوني استجب لكم واعتصموا قال
ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكره وقال الحسن تمسكوا بدين الله السلالة
فعالة من سللت الشيء من الشيء اذا استخرجته منه وقال امية

خلق البرية من سلالة منتن ● والى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة ابيه كانه انسل من ظهر ابيه قال الشاعر

فجاءت به عصب الاديم غضنفرا ● سلالة فرج كان غير حصين

وهو بنا يدل على القلة كالقلامة والنحاتة سيناء وسينون اسمان لبقعة وجمهور
العرب على فتح سين سيناء فالالف فيه للتانيث كصحرا فيمتنع الصرف للتانيث اللازم
وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتانيث اللازم ايضا عند الكوفيين لانهم
يثبتون الهمزة فعلاء تكون للتانيث وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية
والعجمة او العلمية والتانيث لان الف فعلاء عندهم لا تكون للتانيث بل للالحاق
كعلباء ودرحاء قيل وهو جبل فلسطين **وقيل** بين مصر وايلة الدهن عصارة
الزيتون واللوز وما اشبههما مما فيه دسم والدهن بفتح الدال مسح الشيء بالدهن
هيهات اسم فعل يفيد الاستبعاد فمعناها بعد وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب
التكميل لشرح التسهيل ويأتي منها ما قرئ به ان شاء الله الغثاء الزبد وما ارتفع
على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله ابو عبيدة وقال الاخفش الغثاء والجفاء
واحد وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد وقال الزجاج البالي من ورق الشجر
اذا جرى السيل خالط زبده انتهى وتشدد ثاؤه وتخفف ويجمع على اغثاء شذوذا
ورووا بيت امرئ القيس من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد والجمع تترى
واحدا بعد واحد قال الاصمعي وبينهما مهلة وقال غيره المواترة التتابع بغير مهلة
وتاؤه مبدلة من واو على غير قياس اذ اصله الوتر كتاء تولج وتيقور الاصل وولج وويقور
لانه من الولوج والوقار وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتانيث اللازم
وكنانة تنونه وينبغي ان تكون الالف فيه للالحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء
يدل على ذلك ومن زعم ان التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لانه يكون وزنه فعلا
ولا يحفظ فيه الاعراب في الراء فتقول تتر في الرفع ونصبا وتتر في الجر لكن الالف
الالحاق في المصدر نادر ولا يلزم وجود النظير وقيل تترى اسم جمع كاسرى وشتى
المعين الميم فيه زائدة ووزنه مفعول كمخيط وهو المشاهد جريه بالعين تقول
عانه ادركه بعينه كقولك كبده ضربه في كبده وادخله الخليل في باب ع ي ن
وقيل الميم اصلية من باب معن الشيء معانة كثر فوزنه فعيل واجاز الفراء
الوجهين وقال جرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا ● وشلا بعينك ما يزال معينا

الغمرة الجهالة لانه رجل غمر غافل لم يجرب الامور واصله الستر ومنه الغمر للحقد

لانه يغطي القلب والغمر الماء الكثير لانه يغطي الارض والغمرة الماء الذي يغمر القامة والغمرات الشدايد ورجل غامر اذا كان يلقي نفسه في المهالك ودخل في غمار الناس اي في زحمتهم **الجؤار** مثل الخوار جار الثور يجار صاح وجار الرجل الى الله تضرع بالدعا قاله الجوهري **وقال الشاعر**

يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جؤارا

وقيل الجؤار الصراخ باستغاثة قال جار ساعات النيام لربه **الشاعر** سامر مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمر الرفيق بالليل في السهر ويقال له السامر ايضا ويقال لا افعله ما اسمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار **نكب** عن الطريق ونكب بالتشديد اذا عدل عنه **اللجاج** في الشيء التمادي عليه

بسم الله الرحمن الرحيم ● قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ● والذين هم عن اللغو معرضون ● والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون ● الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ● والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ● والذين هم على صلواتهم يحافظون ● اولئك هم الوارثون ● الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ● ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ● ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ● ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ●

هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون الى عشر آيات ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لانه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا اركعوا الآية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد افلح المؤمنون اخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح **وقرا** طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد قد افلح المؤمنون بضم الهمزة وكسر اللام مبنيا للمفعول ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل ان يكون من فلح لازما ويكون افلح ياتي متعديا ولازما **وقرا** طلحة ايضا قد افلح بفتح الهمزة واللام وضم الحاء قال عيسى بن عمر سمعت طلحة بن مصرف يقرا قد افلحوا المؤمنون فقلت له اللحن قال نعم كما لحن اصحابي انتهى يعني ان مرجوعه في القراءة الى ما روي وليس بلحن لانه على لغة اكلوني البراغيث وقال الزمخشري او على الابهام والتفسير وقال ابن عطية وهي قراءة مردودة وفي كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحاء وفي اللوامح وحذفت واو الجمع بعد الحاء لالتقائهما في الدرج وكانت الكتابة عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله الباطل وقال الزمخشري وعنه اي عن طلحة افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها **كقوله** فلو ان الاطبا كان حولي ● انتهى وليس بجيد لان الواو في افلح حذفت لالتقاء الساكنين وهنا حذفت للضرورة فليست مثلها قال الزمخشري قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما بنفيه ولا

سكك

شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه انتهى والخشوع لغة الخضوع والتذلل وللمفسرين فيه هنا اقوال قال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح وقال مسلم بن يسار وقتادة تنكيس الراس وقال الحسن الخوف وقال الضحاك وضع اليمين على الشمال وعن علي ترك الالتفات في الصلوة وعن ابي الدرداء اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى وفي التحرير اختلف في الخشوع هل هو من فرايض الصلاة او من فضايلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو اول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت وقال الزمخشري **فان قلت** لم اضيفت الصلاة اليهم **قلت** لان الصلاة دايرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة اطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعهم الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف انتهى واذا تقدم معمول اسم الفاعل جاز ان يقوى تعديته باللام كالفعل وكذلك اذا تاخر لكنه مع التقديم اكثر فلذلك جاء للزكاة باللام ولو كان منصوبا لكان عربيا والزكاة اذا اريد بها التزكية صح نسبة الفعل اليها اذ كل ما يصدر يصح ان يقال فيه فعل وان اريد بالزكوة قدر ما يخرج من المال للفقير فيكون على حذف اي لاداء الزكوة فاعلون اذ لا يصح فعل الاعيان من المزكي او يضمن فاعلون معنى مؤدون وبه شرحه التبريزي وقيل الزكاة للعمل الصالح كقوله خيرا منه زكوة اي عملا صالحا قاله ابو مسلم وقيل الزكاة هنا النماء والزيادة فاعلون الخير وقيل المصروف لا يسمى زكوة حتى يحصل بيد الفقير وقيل لا تسمى العين المخرجة زكوة فكان التعبير بالفعل عن اخراجه اولى منه بالاداء وفيه رد على بعض زنادقة الاعاجم الاجانب عن ذوق العربية في قوله الا قال مؤدون قال في التحرير والتحبير وهذا كما قيل لا عقل ولا نقل والكتاب العزيز نزل بافصح اللغات واصحها بالاختلاف وقد **وقد قال امية بن ابي الصلت**

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ●

ولم يرد عليه احد من فصحاء العرب ولا طعن فيه علماء العربية بل جميعهم يحتجون به ويستشهدون انتهى وقال الزمخشري وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة يعني ان الزكوة يراد بها العين وهو على حذف مضاف اي لاداء الزكوات وعلل ذلك بجمعها يعني انها اذا اريد بها العين صح جمعها واذا اريد بها التزكية لم تجمع لان التزكية مصدر والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جاء منها مجموعا الفاظ كالعلوم والحلوم والاشغال واما اذا اختلفت فالاكثرون على جواز جمعها وهنا

اختلفت بحسب متعلقاتها فاخراج النقد غير اخراج الحيوان وغير اخراج النبات
والزكوات في قول امية مما جاء جمعا من المصادر فلا يتعدى جملة على المخرج على الجمع
وحفظ لا يتعدى بعلى فقيل على بمعنى من اي الا من ازواجهم كما استعملت من بمعنى على في قوله
ونصرناه من القوم اي على القوم قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره والاولى ان يكون من باب
التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون او قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى لقوله امسك
عليك زوجك وتكلف الزمخشري هنا وجوها فقال على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان
ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم
سميت المراة فراشا او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا
على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او يجعله
صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك
بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك انتهى يعني ان يكون حافظون صورته
صورة المثبت وهو منفي من حيث المعنى اي والذين هم لم يحفظوا فروجهم الا على ازواجهم
فيكون استثناء مفرغا متعلقا فيه على بما قبله كما مثل بنشدتك الذي صورته صورة
مثبت ومعناه النفي اي ما طلبت منك وهذه التي ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها
العجمة وقوله او ما ملكت اريد بما النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم وقال الزمخشري
اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث انتهى وقوله وهم
الاناث ليس بجيد لان لفظ هم مختص بالذكور فكان ينبغي ان يقول وهو الاناث على
لفظ ما او وهن الاناث على معنى ما وهذا الاستثناء حد يجب الوقوف عنده
والتسري خاص بالرجال ولا يجوز للنساء باجماع فلو كانت المراة متزوجة بعبد
فملكته فاعتقته حالة الملك انفسخ النكاح عند فقهاء الامصار وقال النخعي والشعبي
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يبقيان على نكاحهما وفي قوله او ما ملكت ايمانهم
دلالة على تعميم وطي ما ملك باليمين وهو مختص بالاناث باجماع فكانه قيل او ما ملكت
ايمانهم من النساء وفي الجمع بين الاختين من ملك اليمين وبين المملوكة وعمتها او خالتها
خلاف والحصر يقضي في الاية بتحريم وطي الحائض والامة اذا زوجت والمظاهر منها
حتى يكفر ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء ومعنى
وراء ذلك وراء هذا الحد الذي حد من الازواج ومملوكات النساء وانتصابه على انه
مفعول بابتغى اي خلاف وقيل لا يكون وراء هنا الا على حذف تقديره ما وراء ذلك
والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الخضخضة وجلد عميرة يكنون عن الذكر بعميرة وكان
احمد بن حنبل يجيز ذلك لانه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد
والحجامة وسال حرملة بن عبد العزيز مالكا عن ذلك فتلا هذه الاية وكان جرى في
ذلك كلام مع قاضي القضاة ابي الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري بن دقيق العيد
فاستدل على منع ذلك بما استدل مالك من قوله فمن ابتغى وراء ذلك فقلت له ان
ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر بذلك في اشعارها
وكان ذلك كثيرا فيهم بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون

ذلك

ذلك واما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيها ولا ذكره احد منهم في شعر فيما علمناه
فليس بمندرج في قوله وراء ذلك الا ترى ان محل ما ابيح لهم هو النساء وهم بنكاح او بملك
فالذي وراء ذلك هو من جنس ما احل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شيء منهن الا بنكاح
او تسر والظاهر ان نكاح المتعة لا يندرج تحت قوله فمن ابتغى وراء ذلك لانها
ينطلق عليها اسم زوج وسال الزهري القاسم بن محمد عن المتعة فقال هي محرمة في
كتاب الله وتلا والذين هم لفروجهم حافظون الاية ولا يظهر التحريم من هذه الاية
وقرا ابن كثير وابو عمرو في رواية لاماناتهم بالافراد وباقي السبعة بالجمع والظاهر
عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد
فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والمتروك وما ائتمنه الانسان
قبل ويحتمل الخصوص في امانات الناس والامانة هي الشيء المؤتمن عليه
ومراعاتها القيام عليها لحفظها الى ان تؤدى والامانة ايضا المصدر وقال
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها والمؤدى هو العين المؤتمن
عليه او القول لان المؤتمن عليه لا المصدر وقرا الاخوان على صلاتهم بالتوحيد
وباقي السبعة بالجمع والخشوع والمحافظة متغايرات بدئ اولا بالخشوع وهو
الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالافعال البدنية وثني بالمحافظة وهي تاديتها
في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه واداء اركانها على احسن
هيئاتها ويكون ذلك دابه في كل وقت قال الزمخشري ووحدت اولا ليفاد الخشوع
في جنس الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي
الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة العيد
والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح
وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك اي الجامعون لهذه الاوصاف هم
الوارثون الاحقاء ان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين
يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث
ما مر في سورة مريم انتهى وتقدم الكلام في الفردوس في اخر الكهف ولقد
خلقنا الانسان الاية لما ذكر تعالى ان المتصفين بتلك الاوصاف الجليلة هم
يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخراوي ذكر النشاة الاولى ليستدل
بها على صحة النشاة الاخرة وقال ابن عطية هذا ابتداء كلام والواو في اوله
عاطفة جملة كلام على جملة وان تباينت في المعاني انتهى وقد بينا المناسبة
بينهما ولم يتباين في المعاني من جميع الجهات والانسان هنا قال قتادة وغيره
ورواه عن سلمان وابن عباس ابن ادم لانه انسل من الطين ثم جعلناه عائد على ابن ادم
وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان المعنى لا يصلح الا له ونظيره حتى توارت بالحجاب
او على حذف مضاف اي ثم جعلنا نسله وعن ابن عباس ايضا ان الانسان ابن ادم
وسلالة من طين صفوة الماء يعني المني وهو اسم جنس والطين يراد به ادم اذ
كانت نشاته من الطين كما سمي عرق الثرى او جعل من الطين لكونه سلالة من
ابويه وهما متغذيان بما يكون من الطين وقال الزمخشري خلق جوهر الانسان

اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى فجعل الانسان جنسا باعتبار حاليته
لا باعتبار كل فرد وهو منه ومن الاولى لابتدا الغاية ومن الثانية قال الزمخشري
للبيان كقوله من الاوثان انتهى ولا يكون للبيان الا على تقدير ان تكون السلالة
هي الطين اما اذا قلنا انه ما انسل من الطين فيكون لابتداء الغاية والقرار
مكان الاستقرار والمراد هنا الرحم والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه
بحيث لا يعرض له اختلال او لتمكن من يحل فيه فوصف بذلك على سبيل المجاز كقولهم
طريق سائر لكونه يسار فيه **ونقدم** تفسير النطفة والعلقة والمضغة **وقرا**
الجمهور عظاما والعظام بالجمع فيهما **وقرا** ابن عامر وابو بكر عن عاصم وابان والمفضل
والحسن وقتادة وهرون والجعفي ويونس عن ابي عمرو وزيد بن علي بالافراد فيهما **وقرا**
السلمي وقتادة ايضا والاعرج والاعمش ومجاهد وابن محيصن بافراد الاول وجمع
الثاني **وقرا** ابو رجاء وابراهيم بن ابي بكر ومجاهد ايضا بجمع الاول وافراد الثاني
فالافراد يراد به الجنس وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان
الانسان ذو عظام كثيرة انتهى وهذا لا يجوز عند س واصحابنا الا في الضرورة
وانشدوا كلوا في بعض بطنكم تعفوا ه ومعلوم ان هذا لا يلبس لانهم كلهم ليس لهم بطن
واحد ومع هذا خصوه بالضرورة ثم انشاناه خلقا آخر قال ابن عباس والشعبي
وابو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا خروجه
الى الدنيا وقالت فرقة نبات شعره وقال مجاهد كمال شبابه وقال ابن عباس
ايضا تصرفه في امور الدنيا قال ابن عطية وهذا التخصيص لا وجه له وانما هو عام
في هذا وغيره من وجود النطق والادراك واول رتبة من كونه آخر نفخ الروح واخره
تحصيله المعقولات الى ان يموت انتهى ملخصا وهو قريب مما رواه العوفي عن
ابن عباس ويدل عليه قوله بعد ذلك ثم انكم بعد ذلك لميتون وقال الزمخشري
ما ملخصه خلقا آخر مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا ناطقا
سميعا بصيرا واودع كل عضو وكل جزء منه عجايب وغرايب لا تدرك بوصف ولا تبلغ
بشرح وقد احتج ابو حنيفة بقوله خلقا آخر على ان غاصب بيضة او فرخت عنده يضمن
البيضة ولا يرد الفرخ وقال انشاناه جعل انشاء الروح فيه واتمام خلقه انشاء له
قيل وفي هذا رد على النظام في زعمه ان الانسان هو الروح فقط وقد بين تعالى انه
مركب من هذه الاشيا ه ورد على الفلاسفة في زعمهم ان الانسان شي لا ينقسم وتبارك
فعل ماض لا ينصرف ومعناه تعالى وتقدس واحسن الخالقين افعل التفضيل والخلاف
فيها اذا اضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة اعربه بدلا وقيل خبر مبتدا محذوف
تقديره هو احسن الخالقين ومعنى الخالقين المقدرين وهو وصف يطلق على غير الله
تعالى كما **قال زهير**

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

قال الاعلم هذا مثل ضربه يعني زهيرا والخالق الذي يقدر الاديم ويهيئه
لان يقطعه ويخرزه والفري القطع والمعنى انك اذا تهيات لامر مضيت له
وانفذته ولم تعجز عنه وقال ابن عطية معناه الصانعين يقال لمن صنع شيا خلقه

وانشد بيت زهير قال ولا تنفي هذه اللفظة عن البشر في معنى الصنع انما هي منفية
بمعنى الاختراع وقال ابن جريج قال الخالقين لانه اذن لعيسى في ان يخلق وتمييز
افعل التفضيل محذوف لدلالة الخالقين عليه اي احسن الخالقين خلقا اي المقدرين
تقديرا وروي ان عمر لما سمع ولقد خلقنا الانسان الى آخره قال فتبارك الله احسن
الخالقين فنزلت وروي ان قايل ذلك معاذ وقيل عبد الله بن ابي سرح وكانت
سبب ارتداده ثم اسلم وحسن اسلامه • **وقرا** زيد بن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن
لمايتون بالالف يريد حدوث الصفة فيقال انت مايت عن قليل وميت ولا
يقال مايت للذي قد مات قال الفرا انما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال
ابن مالك واذا قصد استقبال المصوغة من ثلاثي على فاعل ردت اليه ما لم تقدر
الوقوع يعني انه لا يقال لمن مات مايت وقال الزمخشري والفرق بين الميت
والمايت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد
مايت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضايق في قوله وضايق به
صدرك انتهى والاشارة بقوله بعد ذلك الى هذا التطوير والانشا خلقا آخر اي
وانقضا مدة حياتكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع
اولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد وذكر الموت والبعث لا يدل على انتفا الحياة
في القبر لان المقصود ذكر الاجناس الثلاثة الانشا والاماتة والاعادة والحيا
في القبر من جنس الاعادة ومعنى تبعثون للجزاء **فان قلت** الموت مقطوع به عند
كل احد والبعث قد انكرته طوايف واستبعدته وان كان مقطوعا به من جهة الدليل
لامكانه في نفسه ومجي السمع به فوجب القطع به فما بال جملة الموت جاءت موكدة
بان وباللام ولم تؤكد جملة البعث بان **فالجواب** انه بولغ في تاكيد ذلك تنبيها
للانسان ان يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان ماله اليه
فكانه اكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى لان الانسان في الحياة الدنيا
يسعى فيها غاية السعي ويكد ويجمع حتى كانه مخلد فيها فنبه بذكر الموت موكدا
مبالغا فيه ليقصر وليعلم ان آخره الى الفنا فيعمل لدار البقا ولم تؤكد جملة البعث
الا بان لانه ابرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وانه
حتم لا بد من كيانه فلم يحتج الى توكيد ثان وكنت سيلت لم دخلت اللام في قوله
لميتون ولم تدخل في تبعثون فاجبت بان اللام مخلصة المضارع للحال غالبا
فلا تجامع يوم القيامة لان اعماله تبعثون في الظرف المستقبل تخلصه للاستقبال
فتنافي الحال وانما قلت غالبا لانه قد جاءت قليلا مع الظرف المستقبل كقوله
تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة على انه يحتمل تاويل هذه الاية واقرار
اللام مخلصة المضارع للحال بان تقدر عامل في يوم القيامة ه ولقد خلقنا
فوقكم سبع طرايق وما كنا عن الخلق غافلين • وانزلنا من السما ما بقدر
فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون • فانشانا لكم به جنات
من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون • وشجرة تخرج من طور
سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين • وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما

قوله عز وجل ولقد خلقنا

ذكرج

في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ۝ وعليها وعلى الفلك تحملون ۝
لما ابتدأ خلق الانسان وانتهى امره ذكر نعمه وسبع طرائق السموات قيل لها طرائق
لتطارق بعضها فوق بعض طارق النعل جعله على نعل وطارق بين ثوبين لبس احدهما
على الآخر قاله الخليل والفراء والزجاج كقوله طباقا وقيل لانها طرائق الملائكة في
العروج وقيل لانها طرائق الكواكب في مسيرها وقيل لان لكل سماء طريقة وهيئة غير
هيئة الاخرى قال ابن عطية ويجوز ان تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء وما
كنا عن الخلق غافلين نفى تعالى عنه الغفلة عن خلقه وهو ما خلقه تعالى فهو حافظ
السموات من السقوط وحافظ عباده بما يصلحهم اي هم بمرأى منا ندبرهم كما نشاء بقدر
بتقدير منا معلوم لا يزيد ولا ينقص بحسب حاجات الخلق ومصالحهم فاسكناه في
الارض اي جعلناه مقره في الارض وعن ابن عباس انزل الله من الجنة خمسة انهار
جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فاسكناه في الارض دليل
على ان مقر ما نزل من السماء هو في الارض فمنه الانهار والعيون والابار وكما
انزله تعالى بقدرته هو قادر على اذهابه قال الزمخشري على ذهاب به من اوقع النكرات
واحرها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه انتهى وذهاب
مصدر ذهب والباء في به للتعدية مرادفة للهمزة كقوله لذهب بسمعهم اي
لاذهب سمعهم وفي ذلك وعيد وتهديد اي في قدرتنا اذهابه فتهلكون
بالعطش انتم ومواشيكم وهذا ابلغ في الايعاد في قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن يأتيكم بماء معين وقال مجاهد ليس في الارض ماء الا وهو من السماء قال
ابن عطية ويمكن ان يقيد هذا بالعذب والا فالاجاج ثابت في الارض مع القحط
والعذب يقل مع القحط وايضا فالاحاديث تقتضي الماء الذي كان قبل خلق السموات
والارض ولا محالة ان الله قد جعل في الارض ماء وانزل من السماء انتهى وقيل ما
نزل من السماء اصله من البحر دفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السماء حتى
طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم انزله الى الارض لينتفع ولو كان باقيا على حاله
ما انتفع به من ملوحته ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال فانشأنا
لكم به جنات وخص هذه الانواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لانها اكرم
الشجر واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله لكم فيها الى آخره لان ثمرهما
جامع بين امرين انها فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا
وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويحتمل ان يكون
قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها ومن
تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال
وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون قاله الزمخشري
وقال الطبري وذكر النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما
والضمير في ولكم فيها عائد على الجنات وهو عام لسائر الثمرات ويجوز ان يعود على النخيل
والاعناب وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام وقال
الجمهور سيناء اسم الجبل كما تقول جبل احد من اضافة العام الى الخاص وقال مجاهد

معنى

معنى سيناء مبارك وقال قتادة معناه الحسن والقولان عن ابن عباس وقيل الحسن
بالحبشية وقيل بالنبطية وقال معمر عن فرقة معناه ذو شجر وقيل سيناء اسم حجارة
بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده قاله مجاهد ايضا وقرأ الحرميان
وابو عمرو والحسن بكسر السين وهي لغة لبني كنانة وقرأ عمر بن الخطاب وباقي
السبعة بالفتح وهي لغة سائر العرب وقرأ سيني مقصورا وبفتح السين والاصح
ان سيناء اسم بقعة وانه ليس مشتقا من السناء لاختلاف المادتين على تقدير ان تكون
سيناء عربي الوضع لان نون السناء عين الكلمة وعين سيناء ياء وقرأ الجمهور
تنبت بفتح التاء وضم الباء والباء في بالدهن على هذا باء الحال اي تنبت مصحوبة
بالدهن اي ومعها الدهن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسلام وسهل ورويس والجحدري
بضم التاء وكسر الباء فقيل بالدهن مفعول والباء زائدة التقدير تنبت الدهن
وقيل المفعول المحذوف محذوف اي تنبت جناها وبالدهن في موضع الحال
من المفعول المحذوف اي تنبت جناها ومعه الدهن وقيل انبت لازم كنبت
فتكون الباء للحال وكان الاصمعي ينكر ذلك ويتهم من روى في بيت زهير قطينا
بها حتى اذا انبت البقل هو بلفظ انبت وقرأ الحسن والزهري وابن هرمز بضم
التاء وفتح الباء مبنيا للمفعول وبالدهن حال وقرأ زر بن حبيش بضم التاء
وكسر الباء الدهن بالنصب وقرأ سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان بالالف
وما رووا من قراءة عبد الله يخرج الدهن وقراءة ابي تثمر بالدهن محمول على التفسير لمخالفته
سواد المصحف المجمع عليه ولان الرواية الثابتة عنهما كقراءة الجمهور والصبغ الغمس
والائتدام وقال مقاتل الصبغ الزيتون والدهن الزيت جعل تعالى في هذه الشجرة
ادما ودهنا وقال الكرماني العباس ان يكون الصبغ غير الدهن لان المعطوف
غير المعطوف عليه وقرأ الاعمش وصبغا بالنصب وقرأ عامر بن عبد الله وصباغ
بالالف فالنصب عطف على موضع بالدهن كان في موضع الحال وفي موضع الحال المفعول
والصباغ كالدبغ المفعول والصباغ كالدبغ والدباغ وفي كتاب ابن عطية وقرأ عامر
ابن عبد قيس ومتاعا للآكلين كانه يريد تفسير الصبغ ذكر تعالى شرف مقر هذه الشجرة
وهو الجبل الذي كلم الله فيه نجيه موسى عليه السلام ثم ذكر ما فيها من الدهن والصبغ
ووصفها بالبركة في قوله من شجرة مباركة زيتونة قيل وهي اول شجرة نبتت بعد
الطوفان ۝ وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها تقدم تفسير نظير هذه
الجملة في النحل ولكم فيها منافع من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها
واوبارها ونبه على غزارة فوائدها والزمها وهو الشرب والاكل وادرج باقي
المنافع في قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما تكاد تختص به بعض الانعام وهو
الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر ۝
قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها ۝ يريد صيدح ناقته
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء
الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ۝ ان هو الا رجل به جنة

لغته

قوله عز وجل
ولقد ارسلنا

فتربصوا به حتى حين • قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون •
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين • وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين • ان في ذلك لايات
وان كنا لمبتلين • لما ذكر اولا ابداء الانسان وتطوره في تلك الاطوار وما امتن
به عليه مما جعله تعالى سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر امثالا لكفار
قريش من الامم السابقة المنكرة لارسال الله رسلا المكذبة بما جاءتهم به الانبيا
عن الله فابتدا قصة نوح لانه ابو البشر الثاني كما ذكر اولا آدم في قوله من سلالة
من طين ولقصته ايضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر
قصة من صنع الفلك اولا وانه كان سبب نجاة من آمن وهلك من لم يكن فيه فالفلك
من نعمة الله كل هذه القصص تحذير به قريشا نقم الله ويذكرهم نعمة ما لكم من اله غيره
جملة مستانفة مبنهة على ان يفرد بالعبادة من كان منفردا بالالهية فكانها تعليل
لقوله اعبدوا الله افلا تتقون اي فلا تخافون عقوبته اذ عبدتم غيره فقال
الملا اي كبراء الناس وعظماؤهم وهم الذين هم اعصى للناس وابعدهم لقبول
الخير ما هذا الا بشر مثلكم اي مساويكم في البشرية فاني توفكون له اختصاص
بالرسالة ثم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويراسكم لقوله وتكون لكما
الكبرياء في الارض ولو شاء الله لانزل ملائكة هذا يدل على انهم كانوا معترفين بالملائكة
وهذه شنشنة قريش وداءها في استبعاد ارسال الله البشر والاشارة في بهذا
يحتمل ان تكون لنوح وان تكون الى ما كلمهم به من الامر بعبادة الله ورفض اصنامهم
وان تكون الى ما اتى به من انه رسول الله وهو بشر واعجب بضلال هؤلاء استبعدوا
رسالة البشر واعتقدوا الالهية الحجر وقولهم ما سمعنا بهذا الظاهر انهم
كانوا مباهتين والا فنبوة ادريس وادم لم تكن المدة بينهما وبينهم متطاولة
بحيث تنسى فذا نفوا الحق بما احكمهم دافعه ولهذا قالوا ان هو الا رجل به جنة
ومعلوم عندهم انه ليس بمجنون فتربصوا به اي انتظروا حاله حتى يجلي امره وعاقبة
خبره فدعا ربه تعالى بان ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه وقال الزمخشري بدل
ما كذبون كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم
سلوة النصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين
قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انتهى وقرا ابو جعفر وابن محيصن قال
رب بضم الباء وتقدم توجيهه في قوله قل رب احكم بضم الباء وتقدم الكلام
على تفسير اكثر الفاظ هذه الاية في سورة هود ونهاه تعالى ان يخاطبه في قومه
بدعاء نجاة او غيره وبين علة النهي بانه تعالى قد حكم عليهم بالاغراق وامره
تعالى بان يحمده على نجاته وهلاكهم وكان الامر له وحده وان كان الشرط قد شمله
ومن معه لانه نبيهم وامامهم وهم متبعوه في ذلك اذ هو قدوتهم فالامر ما فيه
من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة

لا يترقى اليها الا ملك او نبي انتهى ثم امره ان يدعو بانه ينزله منزلا مباركا قيل
وقال ذلك عند الركوب في السفينة وقيل عند الخروج منها وقرا الجمهور منزلا
بضم الميم وفتح الزاي فجاز ان يكون مصدرا ومكانا اي انزالا او موضع انزال
وقرا ابو بكر والمفضل وابو حيوة وابن ابي عبلة وابان بفتح الميم وكسر الزاي
اي مكان نزول ان في ذلك خطاب للرسول عليه السلام اي ان في ما جرى على هذه
امة نوح لدلائل وعبرا وان كنا لمبتلين اي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او لمختبرين
بهذه الايات عبادنا ليعتبروا كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر • ثم
انشانا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره افلا تتقون • وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون • ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون • ايعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون • هيهات هيهات لما توعدون • ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين • ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين • قال رب انصرني بما كذبون • قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين • ذكر هذه القصة
عقيب قصة نوح يظهر ان هؤلاء هم قوم هود والرسول هو هود وهو قول الاكثرين وقال
ابو سليمان الدمشقي والطبري هم ثمود والرسول صالح هلكوا بالصيحة وفي اخر القصة
فاخذتهم الصيحة ولم يات ان قوم هود هلكوا بالصيحة وقصة قوم هود جاءت
في الاعراف وفي هود وفي الشعراء باثر قصة قوم نوح وقال تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح والاصل في ارسل ان يتعدى بالى كاخواته وجه وانفذ
وبعث وهنا عدي بفي جعلت الامة موضعا للارسال كما قال رؤبة
ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام • وجاء بعث كذلك في قوله ويوم نبعث في كل امة
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا وان في ان اعبدوا الجواز ان تكون مفسرة وان
تكون مصدرية وجاء هنا وقال الملا بالواو وفي الاعراف وسورة هود
في قصة بغير واو فقصد في الواو العطف على ما قاله اي اجتمع قوله الذي هو
حق وقولهم الذي هو باطل كانه اخبار بتباين الحالين والتي بغير واو قصد
به الاستيناف وكانه جواب لسؤال مقدر اي فما كان قولهم له قالوا كيت
وكيت بلقاء الاخرة اي بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها واترفناهم اي بسطنا
لهم الامال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة ان تكون معطوفة على صلة
الذين وكان العطف مشعرا بغلبة التكذيب والكفر اي الحامل لهم على ذلك كوننا
نعمناهم واحسنا اليهم وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك وان تقابلوا
نعمتنا بالايمان والتصديق من رسلنا اليهم وان تكون جملة حالية اي وقد اترفناهم
اي كذبوا في هذه الحال ويؤول هذا المعنى الى المعنى الاول اي كذبوا في حال الاحسان
اليهم وكان ينبغي ان لا يكفروا وان يشكروا النعمة بالايمان والتصديق لرسلي
وقوله ياكل مما تاكلون منه تحقيق للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم وان لا مزية

قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم

هم

له عليهم والظاهر ان ما موصولة في قوله مما تشربون وان العائد محذوف وتقديره مما تشربون منه لوجود شرائط الحذف وهو اتحاد المتعلق والمتعلق كقولك مررت بالذي مررت وحسن هذا الحذف ورجحه كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه في قوله مما تاكلون منه وفي التحرير وزعم الفراء ان معنى قوله ويشرب مما تشربون على حذف اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يجوز ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كانت مصدرا لم يحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من انتهى يعني انه يصير التقدير مما تشربونه فيكون المحذوف ضميرا متصلا وشروط جواز الحذف فيه موجودة وهذا تخريج على قاعدة البصريين الا انه يفوت فصاحة معادلة التركيب الا ترى انه قال مما تاكلون منه فعداه بمن التبعيضية فالمعادلة تقتضي ان يكون التقدير مما تشربون منه فلو كان التركيب مما تاكلونه لكان تقدير تشربونه هو الراجح وقال الزمخشري حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه انتهى فقوله حذف الضمير معناه مما تشربونه وفسر بقوله مشروبكم لان الذي تشربونه هو مشروبكم وقال الزمخشري اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم انتهى وليس اذن واقعا في جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل ان الموطئة ولو كانت انكم والخبر جوابا للشرط للزمت الفاء في انكم بل لو كان بالفاء في تركيب غير القران لم يكن ذلك التركيب جايزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطا واختلف المعربون في تخريج انكم الثانية والمنقول عن س ان انكم بدل من الاولى وفيها معنى التاكيد وخبر انكم الاولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون اذا متم وهذا الخبر المحذوف هو العامل في اذا وذهب الفراء والجرمي والمبرد الى ان انكم الثانية كررت للتاكيد لما طال الكلام حسن التكرار وعلى هذا يكون مخرجون خبر انكم الاولى والعامل في اذا هو هذا الخبر وكان المبرد يابى البدل لكونه من غير مستقل اذ لم يذكر خبر ان الاولى وذهب الاخفش الى ان انكم مخرجون مقدر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديره يحدث اخراجكم فعلى هذا التقدير يجوز ان تكون الجملة الشرطية خبرا لانكم ويكون جواب اذا ذلك الفعل المحذوف ويجوز ان يكون ذلك الفعل ويجوز ان يكون ذلك الفعل المحذوف هو خبر انكم ويكون عاملا في اذا وذكر الزمخشري قول المبرد باديا به فقال ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وهذا قول المبرد قال الزمخشري او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم انتهى وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه قال او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم انتهى وهذا قول الاخفش الا انه حتم ان تكون الجملة الشرطية خبرا عن انكم ونحن جوزنا في قول الاخفش هذا الوجه وان يكون خبرا انكم ذلك الفعل المحذوف وهو العامل في اذا وفي قراءة عبد الله ايعدكم اذا متم باسقاط انكم الاولى وقراءة

الجمهور هيهات هيهات بفتح التائين وهي لغة الحجاز وقراءة هرون عن ابي عمرو بفتحهما منونتين ونسبها ابن عطية لخالد بن الياس وقراءة ابو حيوة بضمهما من غير تنوين وعنه وعن الاحمر بالضم والتنوين ووافقه ابو السمال في الاول وخالفه في الثاني وقراءة ابو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين وروي هذا عن عيسى وهي في تميم واسد وعنه ايضا وعن خالد بن الياس بكسرهما والتنوين وقراءة خارجة بن مصعب عن ابي عمرو والا وعيسى ايضا باسكانهما وهذه الكلمة تلاعبت بها العرب تلاعبا كثيرا بالحذف والابدال والتنوين وغيره وقد ذكرنا في التكميل لشرح التسهيل ما ينيف على اربعين لغة فالذي اختاره انها اذا نونت وكسرت او كسرت ولم تنون لا تكون جمعا لهيهات

عرج

ومذهب س انها جمع لهيهات وكان حقها عنده ان يكون هيهات الا ان ضعفها لم يقتض اظهار الياء لما قال س هي مثل بيضات يعني في انها جمع قطن بعض النحاة انه اراد في اتفاق المفرد فقال واحد هيهات هيهة وتحرير هذا كله مذكور في علم النحو ولا تستعمل هذه الكلمة غالبا الا مكررة وجاءت غير مكررة في قول جرير

وهيهات خل بالعقيق تواصله وقول ذو الرمة

هيهات من منخرق هيهاؤه وهيهات اسم فعل لا يتعدى برفع الفاعل ظاهرا او مضمرا وهنا جاء التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب ان يعتقد اضماره تقديره هو اي اخراجكم وجاءت اللام للبيان اي اعني لما توعدون كهي بعد سقيا لك فتتعلق بمحذوف وهنت المستبعد ما هو بعد اسم الفعل الدال على البعد كما جاءت في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج البعد لما توعدون او بعد لما توعدون وينبغي ان يجعل كلامه تفسير معنى لا تفسير اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات وقول الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر ليس بواضح لانهم قد نونوا اسماء الافعال ولا تقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر وقال ابن عطية طورا تلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجي زيد اي بعد واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الاية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهى وهذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه انه مصدر حذف وابقي معموله ولا يجيز البصريون شيئا من هذا وقال ابن عطية ايضا في قراءة من ضم ونون انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك وقال صاحب اللوامح فاما من قال هيهات فرفع ونون احتمل ان يكونا اسمين متمكنين مرتفعين بالابتداء وما بعدهما خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد لما توعدون والتكرار للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبنا مثل حوب في زجر الابل لكنه نون لكونه نكرة انتهى وقراءة ابن ابي عبلة هيهات هيهات ما توعدون بغير لام وتكون ما فاعلة بهيهات وهي قراءة واضحة وقالوا ان هي هذا الضمير يفسره سياق الكلام لانهم قبل انكروا المعاد فقالوا ايعدكم انكم الاية فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف واستهزاء فتضمن ان لا حياة الا حياتهم وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها وتبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت

وفي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة الدنيا لان ان النافية
دخلت على هي التي هي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي
نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي
قرن انتهى ثم اكدوا ما حصروه من ان لا حيوة الا حياتهم وجزموا بانتفاء بعثهم
من قبورهم للجزاء وهذا هو كفر الدهرية ثم نسبوه الى افتراء الكذب على الله
في انه نبأه وارسله الينا واخبر انا نبعث وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين
ولما ايس من ايمانهم وراى اصرارهم على الكفر دعا عليهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم
قال عما قليل اي عن زمن قليل وما توكيد للقلة وقليل صفة لزمن محذوف وفي
معناه قريب قيل اي بعد الموت تصيرون نادمين وقيل عما قليل اي وقت نزول
العذاب في الدنيا وظهور علاماته وذا الندامة على ترك قبول ما جاءهم به رسولهم
حيث لا ينفع الرجوع واللام في ليصبحن لام القسم وعما قليل متعلق بما بعد اللام
اما بيصبحن واما بنادمين وجاز ذلك لانه جار ومجرور ويتسامح في المجرورات
والظروف ما لا يتسامح في غيرها الا ترى انه لو كان مفعولا به لم يجز تقديمه لو قلت
لاضربن زيدا لم يجز زيدا لاضربن وهذا الذي قررناه من ان عما قليل متعلق بما بعد
لام القسم هو قول بعض اصحابنا وجمهورهم على ان لام القسم لا يتقدم شيء من معمولات
ما بعدها عليها سواء كان ظرفا ام مجرورا ام غيرهما فعلى قولهم لا يكون عما قليل يتعلق
بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره عما قليل تنصر لان قبله قال رب انصرني
وذهب الفراء وابو عبيدة الى جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقا وفي
اللوامح عن بعضهم لتصبحن بتاء على المخاطبة فلو ذهب ذاهب الى ان يصير القول
من الرسول الى الكفار بعدما اجيب دعاؤه لكان جائزا والله اعلم انتهى فاخذتهم
الصيحة قال الزمخشري صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم
قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا
في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق
والعيدان انتهى وعن ابن عباس الصيحة الرجفة وقيل هي نفس العذاب والموت
وقيل العذاب المصطلم قال الشاعر

۞ صاح الزمان بآل زيد صيحة ۞ خروا لشدتها على الاذقان ۞

وقال المفضل بالحق بما لا مدفع له كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق وانتصب
بعدا بفعل متروك اظهاره اي بعدوا بعدا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا
نحو رشد رشدا ورشدا وقال الحوفي للقوم متعلق ببعدا وقال الزمخشري
وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون انتهى
فلا تتعلق ببعدا بل بمحذوف ۞ ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ۞ ما تسبق من امة
اجلها وما يستاخرون ۞ ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ۞ ثم ارسلنا موسى
واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا
قوما عالين ۞ فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ۞ فكذبوهما

قوله عز وجل ثم انشانا

فكانوا

فكانوا من المهلكين ۞ ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ۞ وجعلنا ابن مريم
وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ۞ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ۞ وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ۞ فذرهم في غمرتهم حتى
حين ۞ ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
۞ قرونا قال ابن عباس هم بنو اسرائيل وقيل قصة لوط وشعيب وايوب
ويونس صلوات الله عليهم ما تسبق الى آخر الاية تقدم الكلام عليها في الحجر
ثم ارسلنا رسلنا تترى اي لامم آخرين انشاناهم بعد اولئك وقرا ابن كثير
وابو عمرو وقتادة وابو جعفر وشيبة وابن محيصن والشافعي تترى منونا والباقي
التثنية بغير تنوين وانتصب على الحال اي متواترين واحدا بعد واحد واضاف
الرسل اليه تعالى واضاف رسولا الى ضمير الامة المرسل اليها لان الاضافة تكون
بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل
والثاني كانت الاضافة الى الامة حيث كذبته ولم ينجع فيهم ارساله اليهم فناسب
الاضافة اليهم ۞ فاتبعنا بعضهم اي بعض القرون او بعض الامم بعضا في الاهلاك
الناشئ عن التكذيب واحاديث جمع حديث وهو جمع شاذ وجمع احدوثة وهو جمع
قياسي والظاهر ان المراد الثاني اي صاروا يتحدث بهم وبحالهم في الاهلاك
على سبيل التعجب والاعتبار وضرب المثل بهم وقال الاخفش لا يقال هذا الا في
الشر ولا يقال في الخير وقيل ويجوز ان يكون جمع حديث والمعنى انه لم يبق منهم
عين ولا اثر الا الحديث عنهم وقال الزمخشري الاحاديث تكون اسم جمع للحديث
ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وافاعيل ليس من ابنية اسم الجمع وانما
ذكره اصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع واقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بانه
جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرنا ۞ باياتنا قال ابن عباس هي التسع وهي العصا واليد
والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنون ونقص من الثمرات وسلطان
مبين قيل هي العصا واليد وهما اللتان اقترن بهما التحدي ويدخل في عموم
اللفظ سائر اياتهما كالبحر والمرسلات الست واما غير ذلك مما جرى بعد الخروج
من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني اسرائيل وقال الحسن باياتنا
اي بديننا وسلطان مبين هو المعجز ويجوز ان يراد بالايات نفس المعجزات وسلطان
مبين كيفية دلالتها لانها وان شاركت ايات الانبياء فقد فارقتها في قوة
دلالتها على قول موسى عليه السلام قيل ويجوز ان يراد بالسلطان المبين العصا
لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها
حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بالضرب بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت
كانها ليست بعض الايات لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها
كقوله وجبريل وميكال ويجوز ان يراد بسلطان مبين الايات انفسها اي هي ايات
وحجة بينة فاستكبروا عن الايمان بموسى واخيه انفة وكانوا قوما عالين اي رفيعي

الحال في الدنيا او منحطا وليس على الناس قاهرين بالظلم او متكبرين كقوله ان
فرعون علا في الارض اي وكان من شانهم التكبر والبشر يطلق على المفرد
والجمع كقوله فاما ترين من البشر ولما اطلق على الواحد جازت تثنيته فلذلك
جاء لبشرين ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث ولا يونث
وقد يطابق تثنية وجمعا وقومهما اي بنو اسرايل لنا عابدون اي خاضعون
متذللون او لانه كان يدعي الالهية فادعي للناس العبادة وان طاعتهم له
عبادة على الحقيقة وقال ابو عبيدة العرب تسمي كل من دان للملك عابدا ولما
كان ذلك الاهلاك كالمعلول للتكذيب اعقبه بالفا اي فكانوا ممن حكم عليهم
بالغرق اذ لم يحصل الغرق عقيب التكذيب موسى الكتاب اي قوم موسى والكتاب
التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله لعلهم ولا يصح عود هذا
الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لان الكتاب لم يوته موسى الا بعد هلاك
فرعون لقوله ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
لعلهم ترج بالنسبة اليهم لعلهم يهتدون لشرايعها ومواعظها وجعلنا
ابن مريم وامه اي قصتهما وهي اية عظمى بمجموعها وهي ايات مع التفصيل ويحتمل
ان يكون حذف من الاول اية لدلالة الثاني اي وجعلنا ابن مريم اية وامه اية
والربوة هنا قال ابن عباس وابن المسيب الغوطة بدمشق وصفتها انها ذات
قرار ومعين على الكمال وقال ابو هريرة رملة فلسطين وقال قتادة وكعب
بيت المقدس وزعم ان في التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السما وانه
يزيد على اعلى الارض ثمانية عشر ميلا وقال ابن زيد ووهب الربوة بارض مصر
وسبب هذا الايوا ان ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى فغربت به امه الى
احد هذه الاماكن التي ذكرها المفسرون وقرا الجمهور ربوة بضم الرا وهي لغة
قريش والحسن وابو عبد الرحمن وعاصم وابن عامر بفتحها وابو اسحق السبيعي
بكسرها وابن ابي اسحاق رباوة بضم الرا وبالالف وزيد بن علي والاشهب العقيلي
والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالالف وقري بكسرها
وبالالف ذات قرار اي مستوية يمكن القرار فيها للحرث والغراسة والمعنى
انها من البقاع الطيبة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انها لاجل الثمار يستقر
فيها ساكنوها ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد وخطابه في زمانه
اذ لم يجتمعوا في زمان واحد فينادوا ويخاطبوا فيه وانما اتى بصورة الجمع
ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل
عليه وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بلفظ الجمع لقيامه مقام
الرسل وقيل ليفهمهم بذلك ان هذه طريقة كل رسول كما تقول تخاطب تاجرا
يا تجار اتقوا الربا وقال الطبري الخطاب لعيسى وروي انه كان ياكل من غزل
امه والمشهور من بقل البرية قال الزمخشري ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند
ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي وبانا ما قلنا لهما هذا
الذي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا

اقتدا بالرسل والطيبات الحلال لذيذا كان او غير لذيذ وقيل ما يستطاب ويستلذ
من الماكل والفواكه ويشهد له ذات قرار ومعين وقدم الاكل من الطيبات على
العمل الصالح دلالة على انه لا يكون صالحا الا مسبوقا باكل الحلال اني بما تعملون
عليم تحذير في الظاهر والمراد اتباعهم وان هذه امتكم الاية تقدم تفسير
مثلها في اواخر الانبيا وقرا الكوفيون وان بكسر الهمزة والتشديد على الاستيناف
والحرميان وابو عمرو بالفتح والتشديد اي ولان وابن عامر بالفتح والتخفيف
وهي المخففة من الثقيلة ويدل على ان النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه
قوله وان هذه امتكم وقوله فتقطعوا وجاء هنا وانا ربكم فاتقون وهو ابلغ في
التخويف والتحذير من قوله في الانبيا فاعبدون لان هذه جاءت عقيب اهلاك
طوايف كثيرين قوم نوح والامم الذين من بعدهم وفي الانبياء وان تقدمت
ايضا قصة نوح وما قبلها فانه جاء بعدها ما يدل على الاحسان واللطف التام
في قصة ايوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الامر بالعبادة لمن هذه صفته
تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء ايذانا ان التقطيع اعتقب الامر بالتقوى وذلك
مبالغة في عدم قبولهم وفي نفارهم عن توحيد الله وعبادته وجاء في الانبيا
بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل تاخر تقطعهم عن الامر بالعبادة وفرح كل حزب
بالحزب دليل على نهاية ضلاله وانه هو الذي ينبغي ان يعتقد وكانه لا ريبة
عنده في انه الحق ولما ذكر تعالى من ذكر الامم وما ال امرهم من الاهلاك حين كذبوا
الرسل كان ذلك مثالا لقريش فخاطب رسوله في شانهم بقوله فذرهم في غمرتهم
حتى حين وهذا وعيد لهم حيث تقطعوا في امر رسول الله فقايل هو شاعر وقايل
ساحر وقايل به جنة كما تقطع من قبلهم من الامم كما قال اتواصوا به بل هم قوم طاغون
قال الكلبي في غمرتهم في جهالتهم وقال ابن بحر في حيرتهم وقال ابن سلام في
غفلتهم وقيل في ضلالتهم حتى حين حتى ينزل بهم الموت وقيل حتى ياتي ما وعدوا
به من العذاب وقيل يوم بدر وقيل هي منسوخة باية السيف وقرا الجمهور
في غمرتهم وعلي بن ابي طالب وابو حيوة والسلمي في غمراتهم على الجمع لان لكل واحد
غمرة وعلى قراة الجمهور فغمرة تعم اذا اضيفت الى عام وقال الزمخشري الغمرة
الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم
او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال الشاعر

كاني ضارب في غمرة لعب

سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخره انتهى
نمدهم نعطيهم تعالى على خطا رايهم في ان نعمة الله عليهم بالمال ونحوه انما هي
لرضاه عن حالهم وبين تعالى ان ذلك انما هو املاء واستدراج الى المعاصي واستجرار
الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالاحسان
وقرا ابن وثاب انما نمدهم بكسر الهمزة وقرا ابن كثير في رواية يمدهم بالياء
وما في انما بمعنى الذي او مصدرية او كافة مهيئة ان كانت بمعنى الذي فصلتها
ما بعدها وخبران هي الجملة من قوله نسارع لهم في الخيرات والرابط لهذه

الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى تقديره نسارع لهم به في الخيرات وحسن حذفه استطالة الكلام مع أمن اللبس وتقدم نظيره في قوله إنما نمدهم به وقال هشام ابن معاوية الضرير الرابط هو الظاهر وهو في الخيرات وكان المعنى نسارع لهم فيه ثم أظهر فقال في الخيرات فلا حذف على هذا التقدير وهذا يتمشى على مذهب الأخفش في إجازته نحو زيد قام أبو عبد الله إذا كان أبو عبد الله كنية لزيد فالخيرات من حيث المعنى هي الذي هو مدد به من المال والبنين وإن كانت ما مصدرية فالمسؤول عنها وعما بعدها هو مصدر اسم أن وخبر أن هو نسارع على تقدير مسارعة فيكون الأصل أن نسارع فحذفت أن وارتفع الفعل والتقدير أيحسبون أن إمدادنا لهم بالمال والبنين مسارعة لهم في الخيرات وإن كانت ما كافة مهيئة فهو مذهب الكسائي فيها هنا فلا تحتاج إلى ضمير ولا حذف ويجوز الوقف على وبنين كما تقول حسبت إنما يقوم زيد وحسبت أنك منطلق وجاز ذلك لأن ما بعد حسبت قد انتظم مسندا ومسندا إليه من حيث المعنى وإن كان في ما يقدر مفردا لأنه ينسبك من أن وما بعدها مصدر **وقرأ** السلمي وعبد الرحمن بن أبي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء فإن كان فاعل يسارع ضميرا يعود على ما بمعنى الذي أو على المصدر المنسبك من أنما نمد فيسارع خبر لأن ولا ضمير ولا حذف أي يسارع هو أي الذي نمد ويسارع هو أي إمدادنا وعن ابن أبي بكرة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيا للمفعول **وقرأ** الحر النحوي نسرع بالنون مضارع أسرع بل لا يشعرون إضراب عن قوله أيحسبون أي بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور فيتأملوا ويتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه تهديد ووعيد ۝

إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ۝ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ۝ والذين هم بربهم لا يشركون ۝ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ۝ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ۝ ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ۝ بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ۝ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ۝ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ۝ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ۝ مستكبرين به سامرا تهجرون ۝

قوله عز وجل إن الذين هم من

لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بأبلغ صفاتهم والإشفاق أبلغ التوقع والخوف ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ۝ وهو قول الكلبي ومقاتل ومن خشية متعلق بمشفقون قاله الحوفي وقال ابن عطية ومن في من خشية هي لبيان جنس الإشفاق والإشفاق إنما هو من عذاب الله والآيات تعم القرآن والعبر والمصنوعات التي لله وغير ذلك مما فيه نظر وفي كل شيء له آية ۝ ثم ذكر نفي الإشراك وهو عبادة غير المفهم التي هي الأصنام إذ كفار قريش تقول نحن نؤمن بآيات ربنا ونصدق بأنه المخترع الخالق وقيل ليس

المراد منه

المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشرك لله لأن ذلك داخل في قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون المراد نفي الشرك الخفي وهو أن يخلصوا في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله وطلب رضوانه **وقرأ** الجمهور يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقلوبهم وجلة أي خائفة أن لا يقبل منهم لتقصيرهم أنهم أي وجلة لأجل رجوعهم إلى الله أي خائفة لأجل ما يتوقعون من لقاء الجزاء وقال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع أعمال البر كأنه قال والذين يفعلون من تقربهم في طاعة الله ما يبلغه جهدهم **وقرأت** عائشة وابن عباس وقتادة والأعمش والحسن والنخعي يأتون ما أتوا من الإتيان أي يفعلون ما فعلوا قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل قيل وجل العارف من طاعته أكثر من مخالفته لأن المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب التصحيح وقال الحسن المؤمن يجمع إحسانا وشفقة والمنافق يجمع إساءة وأمنا **وقرأ** الأعمش أنهم بالكسر وقال أبو عبد الله الرازي ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لأن الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الإيمان بالله والثالثة على ترك الرياء في الطاعة والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين انتهى أولئك يسارعون جملة في موضع خبر إن قال ابن زيد الخيرات المخافة والإيمان والكف عن الشرك قال الزمخشري يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين انتهى **وقرأ** الحر النحوي يسرعون مضارع أسرع يقال أسرعت إلى الشيء وسرعت إليه بمعنى واحد وأما المسارعة فالمسابقة أي يسارعون غيرهم قال الزجاج يسارعون أبلغ من يسرعون انتهى ووجهة المبالغة أن المفاعلة تكون من اثنين فتقتضي حث النفس على السبق لأن من عارضك في شيء تشتهي أن تغلبه فيه وهم لها سابقون الظاهر أن الضمير في لها عائد على الخيرات أي سابقون إليها تقول سبقت لكذا وسبقت إلى كذا ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس وتكون الجملة تأكيدا للتي قبلها مقيدة تجدد الفعل بقوله يسارعون وثبوته بقوله سابقون وقيل اللام للتعليل أي لأجلها أي لأجلها سابقون الناس إلى رضى الله وقال الزمخشري لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها وسابقون الناس لأجلها انتهى وهذان القولان عندي واحد قال أيضا أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم

في الدنيا انتهى ولا يدل لفظها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشيء الشيء
يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقال وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح
وقال ايضا ويجوز ان تكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله
انت لها انتهى وهذا مروي عن ابن عباس قال المعنى سبقت لهم السعادة في
الازل فهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة في المعنى انتهى والظاهر القول
الاول وباقيها متعسف وتحميل اللفظ غير ظاهره وقيل الضمير في لها عائد على
الجنة وقيل على الامم ﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها﴾ تقدم الكلام على نظير هذه
الجملة في اخر البقرة ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ اي كتاب فيه احصاء اعمال
الخلق يشير الى الصحف التي يقرؤون فيها ما ثبت لهم في اللوح المحفوظ وقيل
القران ﴿بل قلوبهم﴾ اي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء من هذا
اي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون او من الكتاب الذي لدينا او من
القران والمعنى من اطراح هذا وتركه او يشير الى الدين بجملته او الى محمد
صلى الله عليه وسلم اقوال خمسة ولهم اعمال من دون ذلك اي من دون الغمرة
والضلال المحيط بهم فالمعنى انهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك
لهم سعايات فساد فوصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وابو العالية
وعلى هذا التاويل الاخبار عن ما سلف من اعمالهم وعما هم فيه وقيل الاشارة
بذلك الى قوله من هذا وكانه قال لهم اعمال من دون الحق او القران ونحوه وقال
الحسن ومجاهد انما اخبر بقوله ولهم اعمال عما يستانف من اعمالهم اي انهم
لهم اعمال من الفساد وعن ابن عباس اعمال سيئة دون الشرك وقال الزمخشري
ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون
وبها ضارون ولا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه
هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية انتهى وقيل الضمير
في قوله بل قلوبهم يعود الى المؤمنين المشفقين في غمرة من هذا وصف لهم
بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في اعمالهم اهي
مقبولة ام مردودة ولهم اعمال من دون ذلك اي من النوافل ووجوه البر
سوى ما هم عليه ويريد بالاعمال الاول الفرائض وبالثاني النوافل ﴿حتى اذا اخذنا
مترفيهم﴾ رجوع الى وصف الكفار قاله ابو مسلم قال ابو عبد الله الرازي وهو
اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما اتصل به كان اولى من رده الى ما بعد
خصوصا وقد يرغب المرء في الخير بان يذكر ان اعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك
من الشر وقد يوصف بشدة فكره في امر اخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه قد
استولى عليه الفكر في قبوله او رده وفي انه هل اداه كما يجب او قصر فان قيل
فما المراد بقوله من هذا قلنا اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك
على قلوبهم انتهى وتقدم قول الزمخشري في حتى انها التي يبتدا بعدها الكلام
وانها غاية لما قبلها وقدر ذلك انهم معتادون لها حتى ياخذهم الله بالعذاب
وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة اذا ظرف فيضاف الى ما بعده فيه معنى

الشرط اذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والتقدير
جاروا فيكون جاروا العامل في اذا الاولى والعامل في الثانية اخذنا انتهى
وهو كلام مخبط ليس اهلا ان يرد وقال ابن عطية وحتى حرف ابتداء لا غير واذا واذا الثانية
التي هي جواب يمنعان من ان تكون حتى غاية لعاملون انتهى وقال مكي اي لكفار
قريش اعمال من الشر دون اعمال اهل البر هم لها عاملون الى ان ياخذ الله اهل
النعمة والبطر منهم بالعذاب اذا هم يضجون ويستغيثون والمترفون المنعمون
والرؤساء والعذاب القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد
وقيل العذاب قتلهم يوم بدر وقيل عذاب الاخرة والظاهر ان الضمير في اذا هم
عائد على مترفيهم اذ هم المحدث عنهم صاحوا حين نزل بهم العذاب وقيل يعود على
الباقين بعد المعذبين قال ابن جريج المعذبون قتلى بدر والذين يجارون اهل مكة
لانهم ناحوا واستغاثوا ﴿لا تجاروا اليوم﴾ اي يقال لهم اما حقيقة تقول لهم
الملائكة ذلك واما مجازا اي لسان الحال تقول ذلك هذا ان كان الذين يجارون
هم المعذبون وعلى قول ابن جريج ليس القائل الملائكة وقال قتادة يجارون
يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم وقال الربيع بن انس يجارون يجزعون عبر بالصراخ
بالجزع اذ الجزع سببه ﴿انكم منا لا تنصرون﴾ اي لا تمنعون من عذابنا او لا يكون
لكم نصر من جهتنا فالجوار غير نافع لكم ولا منجد ﴿قد كانت اياتي تتلى﴾ اي ايات القران
تنكصون ترجعون استعارة للاعراض عن الحق وقرا علي بن ابي طالب تنكصون
بضم الكاف والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه تنكصون اي بالنكوص
والتباعد عن سماع الايات او على الايات لانها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين
معنى مكذبين فعدي بالباء او يكون الباء للسببية اي يحدث لكم بسبب سماعه
استكبار وعتو والجمهور على ان الضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يجر له ذكر
وسوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم معجزة الا انهم
ولاته والقائمون به وذكر منذر بن سعيد ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحسنه ان في قوله تتلى عليكم دلالة على التالي وهو الرسول عليه السلام وهذه الاقوال
تتعلق فيها به بمستكبرين وقيل تتعلق بسامرا اي تسمرون بذكر القران والطعن
فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران
وتسميته سحرا وشعرا وسب من اتى به وقرا الجمهور سامرا وابن مسعود وابن عباس
وابو حيوة وابن محيصن وعكرمة والزعفراني ومحبوب عن ابي عمرو سمرا بضم السين
وشد الميم مفتوحة جمع سامر وابن عباس ايضا وزيد بن علي وابو رجاء وابو نهيك
كذلك وبزيادة الف بين الميم والراء جمع سامر ايضا وسمار جماعات مقيسات
في مثل سامر وقرا الجمهور تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وروي عن ابن عاصم
بالياء على سبيل الالتفات قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه
من الهجر وقال ابن زيد وابو حاتم من هجر المريض اذا هذى اي تقولون اللغو

من القول وقرأ ابن عباس وابن محيصن ونافع وحميد بضم التاء وكسر الجيم مضارع اهجر
اي يقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش قال ابن عباس اشارة الى السب للصحابة
وغيرهم وقرأ ابن مسعود وابن عباس ايضا وزيد بن علي وعكرمة وابو نهيك وابن محيصن
ايضا وابو حيوة كذلك الا انهم فتحوا الهاء وشددوا الجيم وهو تضعيف من هجر
ماضي الهجر بالفتح بمعنى مقابل الوصل او الهذيانات او ماضي الهجر وهو الفحش
وقال ابن جني لو قيل ان المعنى انكم تبالغون في المجاهرة حتى انكم ان كنتم سمرا بالليل
فكانكم تهجرون في الهاجرة على الافتضاح لكان وجها ٥ افلم يدبروا القول
ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين • ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون • ولو اتبع الحق اهواءهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون
ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون • ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ٥ ذكر تعالى
توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم
افلم يتفكروا فيما جاء به عن الله فيعلموا انه المعجز الذي لا يمكن معارضته فيصدقوا
به وبمن جاء به وبخهم ووقفهم على تدبره وانهم بمكابرتهم وتظاهرهم العناد حتى
قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وهو اعظم الدلائل الباقية على غابر الدهر
فرعهم اولا بترك الانتفاع بالقرآن ثم ثانيا بان ما جاءهم جاء اباءهم الاولين
اي ارسال الرسل ليس بدعا ولا مستغربا بل جاءت الرسل الامم قبلهم وعرفوا ذلك
بالتواتر ونجاة من امن واستئصال من كذب واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان
وقحطان وروي لا تسبوا مضر ولا ربيعة ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة
ولا تميم بن مر ولا قسا وذكر انهم كانوا مسلمين وان تبعا كان مسلما وكان على
شريعة سليمان بن داود ثم وبخهم ثالثا بانهم يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم
وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله
واتسامه بانه خير فتيان قريش وكفى بخطبة ابي طالب حين تزوج خديجة وانها
احتوت على صفات له صلى الله عليه وسلم طرقت اذان قريش فلم تنكر منها شيئا
اي قد سبقت معرفتهم له جملة وتفصيلا فلا يمكن انكار شيء من اوصافه ثم وبخهم
رابعا بانهم نسبوه الى الجن وقد علموا انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا واتى الفرق
بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي الجنة بغير خاف على من له
مسكة من عقل وهذه التوبيخات الاربع كان يقتضي ما وبخوا به منها ان يكون
سببا لانقيادهم الى الحق لان التدبر لما جاء به والنظر في سير الماضين
وارسال الرسل اليهم ومعرفة الرسول ذاتا واوصافا وبراءته من الجنون
هاد لمن وفقه الله للهداية ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم
يوافق ما نشئوا عليه من اتباع الباطل ولما لم يجدوا له مدفعا لانه الحق عاملوا

قوله عز وجل افلم يدبروا القول

بالبهت

بالبهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر بل جاءهم بالحق اي
بالقرآن المشتمل على التوحيد وما به النجاة في الاخرة والسؤدد في الدنيا واكثرهم
للحق كارهون يدل على ان فيهم من لا يكره الحق وذلك من يترك الايمان انفة واستكبارا
من توبيخ قومه ان يقولوا صبا وترك دين ابائه ولو اتبع الحق اهواءهم قرأ ابن وثاب
ولو اتبع بضم الواو والظاهر انه الحق الذي ذكر قبل في قولهم بل جاءهم بالحق اي
لو كان ما جاء به الرسول من الاسلام والتوحيد متبعا اهواءهم لانقلب شركا وجاء
الله بالقيامة واهلك العالم ولم يؤخر قال معناه الزمخشري وبعضه بلفظه
وقال ايضا دل بهذا على عظم شان الحق فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا
ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام وقيل لو كان ما جاء به
الرسول بحكم هوى هؤلاء من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك حقا لم تكن لله
الصفات العلية ولو لم يكن له لم تكن القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات
والارض وقيل كانوا يرون الحق في اتخاذ الالهة مع الله لكنه لو صح ذلك
لوقع الفساد في السموات والارض على ما قرر في دليل التمانع في قوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل كانت اراؤهم متناقضة فلو اتبع الحق
اهواءهم لوقع التناقض واختل نظام العالم وقال قتادة الحق هنا الله
تعالى فقال الزمخشري معناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولما قدر على ان يمسك السموات والارض وقال ابن عطية
ومن قال ان الحق في الاية هو الله تعالى وكان قد حكاه عن ابن جريج وابي صالح
تشعب له لفظة اتبع وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الاية لان لفظة
الاتباع انما هي استعارة بمعنى ان تكون اهواؤهم يقررها الحق فنحن نجد الله قد
قرر كفر امم واهواءهم وليس في ذلك فساد سموات واما نفسه الذي هو الصواب
فلو كان طبق اهواءهم لفسد كل شيء فتامله انتهى وقرأ الجمهور بنون العظمة وابن
ابي اسحاق وعيسى بن عمر ويونس عن ابي عمرو بتاء المتكلم وابن ابي اسحق وعيسى ايضا
وابو البرهسم وابو حيوة والجحدري وابن قطيب وابو رجاء بتاء الخطاب للرسول عليه
السلام وابو عمرو في رواية اتيناهم بالمد اي اعطيناهم والجمهور بذكرهم اي بوعظهم
والبيان لهم قاله ابن عباس وقرأ عيسى بذكراهم بالف التانيث وقتادة
نذكرهم بالنون مضارع ذكر ونسبة الاتيان الحقيقي الى الله لا يصح وانما هو
مجاز اي بل اتاهم كتابنا او رسولنا وقال الزمخشري بذكرهم اي بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ٥ ام تسالهم خرجا هذا
استفهام توبيخ ايضا المعنى بل اتسالهم مالا فغلبوا لذلك واستثقلوك
من اجله قاله ابن عطية وخطب الزمخشري باحسن كلام فقال ام تسالهم على
هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير فقد الزمتهم
الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل
معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين

ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك
سلما الى النيل من دنياهم واستعطاف اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي
هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل
واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور
الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم
عما فيه حظهم من الذكر انتهى **وتقدم** الكلام في قوله خرجا فخراج في قوله تعالى
فهل نجعل لك خرجا في الكهف قراءة ومدلولا **وقراءة** الحسن وعيسى خراجا فخرج
فحصلت للقراء اربع قراءات وفي الحرفين فخراج ربك اي ثوابه لانه الباقي
وما يؤخذ من غيره فان ه وقال الكلبي فعطاؤه لانه يعطي لا لحاجة وغيره يعطي
لحاجة **وقيل** فرزقه ويؤيده خير الرازقين قال الحبابي خير الرازقين
دل على انه لا يساويه احد في الافضال على عباده ودل على ان العباد قد يرزق
بعضهم بعضا انتهى وهذا مدلول خير الذي هو افعل التفضيل ومدلول الرازقين
الذي هو جمع اضيف اليه افعل التفضيل ولما زيف طريقة الكفار اتبع ذلك
ببيان صحة ما جاء به الرسول فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو
دين الاسلام ثم اخبر ان منكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لانه لا يسلكه الا من
كان راجيا للثواب خائفا من العقاب وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم مائلون
عنه وابعد من زعم ان الصراط الذي هم ناكبون عنه هو طريق الجنة في الاخرة
ومن زعم ان الصراط هو في الاخرة ناكبون عنه ياخذهم يمنة ويسرة الى النار
وقال ابن عباس لناكبون لعادلون وقال الحسن تاركون له وقال قتادة
جائرون وقال الكلبي معرضون وهذه اقوال متقاربة في المعنى ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر قيل هو الجوع وقيل القتل والسبي **وقيل** عذاب
الاخرة اي بلغوا من التمرد والعناد انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لشدة لجاجهم
فيما هم عليه من البعد وهذا القول بعيد بل الظاهر ان هذا التعليق كان يكون
في الدنيا ويدل على ذلك قوله ولقد اخذناهم بالعذاب الى اخر الاية استشهد
على شدة شكيمتهم في الكفر ولجاجهم على تقدير رحمته لهم بانه اخذهم بالسيوف
اولا وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك
استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل
فابلسوا وخضعت رقابهم فالظاهر من هذا ان الضر هو القحط والجوع الذي
اصابهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس وابن جريج
وسبب نزول الاية دليل على ذلك روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق
باليمامة منع الميرة من اهل مكة فاخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز فجاء
ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم
انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء
بالجوع فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط
الذي اصابهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة

رسول

رسول الله والمؤمنين ولافرطوا فيهما وقيل المعنى ولو امتحناهم بكل محنة من القتل
والجوع فما رئي فيهم استكانة ولا انقياد حتى اذا عذبوا بنار جهنم ابلسوا كقوله
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فعلى هذا القول
يكون الفتح لباب العذاب الشديد في الاخرة وعلى الاول كان في الدنيا ووزن
استكان استفعل اي انتقل من كون الى كون كما تقول استحال انتقل من حال الى حال
وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الالف اشباع ضعيف لان الاشباع
بابه الشعر كقوله

• اعوذ بالله من العقراب • الشائلات عقد الاذناب •

ولان الاشباع لا يكون في تصاريف الكلمة الا ترى من اشبع في قوله ومن ذم
الرجال بمنتزاح لا تقول انتزاح ينتزح فهو منتزح وانت تقول استكان يستكين
فهو مستكين ومستكان ويجيء مصدره استكانة يدل على ان الفعل وزنه استفعل
كاستقام استقامة وخالف استكانوا ويتضرعون في الصيغة فلم يكونا ماضيين
ولا مضارعين قال الزمخشري لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكا
وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد
والمبلس الايس من الشر الذي ناله **وقراءة** السلمي مبلسون بفتح اللام **الهمز** النخس
والدفع بيد وغيرها ومنه مهماز الرائض ومن الناس باللسان **البرزخ** الحاجز
بين المسافتين **وقيل** الحجاب بين الشيئين يمنع احدهما ان يصل الى الاخر
النسب القرابة من جهة الولادة **اللفح** اصابة النار الشيء بوهجها واحراقها
وقال الزجاج اللفح اشد من النفح تاثيرا **الكلوح** تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه
كلوح الكلب والاسد **وقيل** الكلوح بسور الوجه وهو تقطيبه وكلح الرجل كلوحا
وكلاحا ودهر كالح وبرد كالح شديد **العبث** اللعب الخالي عن فائدة ه وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض
واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون
بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون • لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون • قل
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون • قل
من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فانى تسحرون • بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون • ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما
يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون • مناسبة وهو الذي
انشأ لكم لما قبله انه لما بين اعراض الكفار عن سماع الادلة ورؤية العبر والتامل
في الحقائق خاطب قيل المؤمنين والظاهر العالم باسرهم تنبيها على ان من لم يعمل
هذه الاعضاء فيما خلقها الله تعالى وتدبر ما اودعه فيها من الدلائل على وحدانيته
وباهر قدرته فهو كعادم هذه الاعضاء وهم من قال تعالى فيهم فما اغنى عنهم سمعهم

نخ

المفردات

قوله عز وجل
وهو الذي

ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء فمن انشا هذه الجوارح وانشات هي له واحيى
واماتت وتصرف في اختلاف الليل والنهار هو قادر على البعث وخص هذه الاعضا
بالذكر لانه يتعلق بها منافع الدين والدنيا من اعمال السمع والبصر في ايات الله
والاستدلال بفكر القلب على وحدانية الله وصفاته ولما كان خلقها من اتم
النعم على العبد قال قليلا ما تشكرون اي تشكرون قليلا وما زائدة للتاكيد
ومن شكر النعمة الاقرار بالمنعم بها ونفي الند والشريك له وذراكم خلقكم وبثكم
فيها واليه اي والى حكمه وقضائه وجزائه تحشرون يريد البعث والجمع في الاخرة
بعد التفرق في الدنيا والاضمحلال وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به
ومتوليه وله القدرة التي ذلك الاختلاف عنها والاختلاف هنا التعاقب
اي يخلف هذا هذا افلا تعقلون من هذه تصرفات قدرته وانا ربكم فتوحدونه
وتنفون عنه الشركاء والانداد اذ هم ليسوا بقادرين على شيء من ذلك وقراء
ابو عمرو في رواية يعقلون بيا الغيبة على الالتفات ۝ بل قالوا بل اضراب
اي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الايات بل قالوا والضمير لاهل مكة ومن جرى
مجراهم في انكار البعث مثل ما قال اباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون اليهم
من الكفار ولما اتخذوا من دونه تعالى الهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط
جهلهم بكونهم يقرون بانه تعالى له الارض ومن فيها ملك وانه رب العالم
العلوي وانه مالك كل شيء ومع ذلك ينسبون له الولد ويتخذون له شركاء
وقراء عبد الله والحسن والجحدري ونصر بن عاصم وابن وثاب وابو الاشهب
وابو عمرو من السبعة سيقولون الله الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا
وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وقراء باقي السبعة لله
فيهما بلام الجر فالقراءة الاولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية جاءت
على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الاول
انه باللام وقراء ابن محيصن العظيم برفع الميم نعتا للرب وتقول اجرت فلانا
على فلان اذا منعته منه اي هو يمنع من يشاء ممن يشاء ولا يمتنع احد منه احدا
ولا تعارض بين قوله ان كنتم تعلمون وبين ما حكى عنهم من قولهم سيقولون الله
لان قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الاحتجاج
على وجه التاكيد لعلمهم وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الارض ومن فيها
حقيق ان لا يشرك به بعض خلقه ممن في الارض ملكا له الربوبية وختم ما بعدها
بالتقوى وهي ابلغ من التذكر وفيها وعيد شديد اي فلا تخافونه فلا تشركوا به
وختم ما بعد هذه بقوله فانى تسحرون مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم
ما يقع عليهم حجة في الاحتجاج وانى بمعنى كيف فرانهم مسحورون وشبه لهم
عن الهية التي سحروا بها اي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والتسحر هنا
مستعار وهو تشبيه من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها بما يقع
من المسحور عبر عنهم بذلك وقرئ بل اتيناهم بتا المتكلم وابن ابي اسحاق
بتا الخطاب وانهم لكاذبون فيما ينسبون الى الله تعالى من اتخاذ الولد

ومن

ومن الشركاء وغير ذلك فما هم فيه كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهي نفي استحالة
ونفي الشريك بقوله وما كان معه من اله اي وما كان معه شريك في خلق العالم
واختراعه ولا في غير ذلك مما يليق به من الصفات العلى فنفي الولد تنبيه على من
قال الملائكة بنات الله ونفي الشريك في الالوهية تنبيه على من قال الاصنام
الهة ويحتمل ان يراد به ابطال قول النصارى والثنوية ومن ولد ومن اله نفي عام
يفيد استغراق الجنس ولهذا جاء اذا لذهب كل اله ولم يات التركيب اذا لذهب
الاله ومعنى لذهب اي لا ينفرد كل اله بخلقه الذي خلق واستبد به وتميز ملك
كل واحد عن ملك الاخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا واذا لم يقع
الانفراد والتغالب فاعلموا انه اله واحد واذا لم يتقدمه في اللفظ شرط ولا
سؤال سائل ولا عدة قالوا فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما
حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهذا قول الفراء زعم انه اذا
جاءت بعدها اللام كانت لو وما دخلت عليه محذوفة وقد قررنا تخريجا لها
على غير هذا في قوله واذا لاتخذوك خليلا في سورة الاسراء والظاهر ان ما في
بما خلق بمعنى الذي وجوزوا ان تكون مصدرية سبحان الله عما يصفون تنزيه
عن الولد والشريك وقرئ عما تصفون بتا الخطاب وقراء الابنان وابو عمرو
وحفص عالم بالجر قال الزمخشري صفة لله وقال ابن عطية اتباع للمكتوبة ۝
وقراء باقي السبعة وابن ابي عبلة وابو حيوة وابو بحرية بالرفع قال الاخفش
الجر اجود ليكون الكلام من وجه واحد قال ابو علي الرفع ان الكلام قد انقطع
يعني انه خبر مبتدا محذوف اي هو عالم قال ابن عطية والابتداء عندي ابرع
والفا في قوله فتعالى عاطفة فالمعنى كانه قال عالم الغيب والشهادة فتعالى
كما تقول زيد شجاع فعظمت منزلته اي شجع فعظمت ويحتمل ان يكون المعنى فاقول
تعالى عما يشركون على اخبار مستانف والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما
شاهدوه انتهى ۝ قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظا
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم
بما يصفون ۝ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرو
حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ۝ فاذا نفخ في
الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۝ فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون ۝ ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ۝ لما ذكر ما كان عليه الكفار من ادعاء
الولد والشريك له وكان تعالى قد اعلم نبيه انه ينتقم منهم ولم يبين اذ ذاك
في حياته ام بعد موته امره بان يدعو بهذا الدعاء اي ان تريني ما تعدهم
واقعا بهم في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني معهم ومعلوم انه عليه السلام
معصوم من ما يكون سببا لجعله معهم ولكنه امره ان يدعو بذلك اظهارا للعبو
وتواضعا لله واستغفارا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة

قوله عز وجل قل رب اما تريني

لمين

ت

دية

مرتبة القتيل وقال ابو بكر وليتكم ولست بخيركم قال الحسن كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن
يهضم نفسه وجاء الدعاء بلفظ الرب قبل الشرط وقبل الجزاء مبالغة في الابتهال
الى الله والتضرع ولان الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد **وقرأ** الضحاك
وابو عمران الجوني ترئنّي بالهمز بدل الياء وهذا كما قرئ فاما ترئنّ ولترؤنّ
بالهمز وهو ابدال ضعيف ثم اخبر تعالى انه قادر على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلبون
ذلك وذلك في حياته عليه السلام ولكن تأخيره لاجل يستوفونه والجمهور على ان هذا
العذاب في الدنيا فقيل يوم بدر وقيل فتح مكة وقيل هو عذاب الآخرة ثم امره
تعالى بحسن الاخلاق والتي هي احسن شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك
وقال الحسن الصفح والاغضاء وقال عطاء والضحاك السلام اذا افحشوا وقيل
الماوردي ادفع بالموعظة المنكر والاجود العموم في الحسنى وفي ما يسوء والتي
هي ابلغ احسن ابلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها افعل التفضيل وجاء في صلة
التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي احسن قيل وهذه الآية منسوخة
باية السيف **وقيل** هي محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين
وازراء بمروءة نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها آية موادعة والمعنى بما يذكرون
ويصفونك به مما انت بخلافه ثم امره تعالى ان يستعيذ من همزات الشياطين
والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء به كما يهمز الرائض الدابة
لتسرع ثم امره ان يستعيذ بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه
وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون والظاهر انه امر بالاستعاذة من حضور
الشياطين في كل وقت وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن حتى اذا جاء احدهم
الموت قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى
هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم
مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على
قوله وانهم لكاذبون انتهى وقال ابن عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل
ان تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو المعنى
به المقصود ذكره انتهى فتوهم ابن عطية ان حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية
وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر
وقال ابو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة
تكون حتى غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين تهمزهم
الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء احدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة •
قول الشاعر فيا عجبا حتى كليب تسبني ۝ اي يسبني الناس
حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها وقال
القشيري احتج تعالى عليهم وذكرهم قدرته ثم قال هم مصرون على الانكار
حتى اذا حضر احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملائكة ندم ولا ينفعه
الندم انتهى وجمع الضمير في ارجعون اما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيما
كما اخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع **وقال الشاعر**

فان

• فان شئت حرمت النساء سواكم •
وقال آخر الا فارحموني يا اله محمد واما استغاث اولا بربه وخاطب
ملائكة العذاب وقال ابن جريج والظاهر ان الضمير في احدهم راجع الى الكفار
وسياق الآيات الى آخرها يدل على ذلك وقال ابن عباس من لم يزك ولم يحج سأل
الرجعة فقيل له ذلك للكفار فقرأ مستدلا لقوله وانفقوا مما رزقناكم آية سورة
المنافقين وقال الاوزاعي هو مانع الزكاة وجاء الموت اي حضر وعاينه الانسان
فحينئذ يسأل الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين المؤمن قالت له الملائكة
نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول
ارجعون لعلي اعمل صالحا ومعنى فيما تركت في الايمان الذي تركته والمعنى
لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس يريد
اؤسس اسا وابني عليه وقيل في ما تركت من المال لعلي ما فسره ابن عباس كلا كلمة ردع
عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد فقيل هي من قول الله لهم وقيل من قول من عاين
الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والتندم ومعنى هو قائلها لا يسكت عنها
ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه او لا يجد لها جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث
ومن ورائهم الضمير للكفار برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه
الجملة اقناط كلي ان لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة استعير البرزخ
للمدة التي بين موت الانسان وبعثه **وقرأ** ابن عباس والحسن وابن عياض
في الصور بفتح الواو جمع صورة وابو رزين بكسر الصاد وفتح الواو وكذا فاحسن
صوركم وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسر الفاء شاذ فلا انساب بينهم فقال
ابن عباس عند النفخة الاولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت
وهم اموات وهذا القول ازيل قول الحشر وقال ابن مسعود وغيره عند قيام الناس
من القبور فلهول المطلع اشتغل كل امرئ بنفسه فانقطعت الوسائل وارتفع التفاخر
والتعاون بالانساب وعرفنا ذلك ليس احد ابغض الى الانسان في ذلك اليوم
ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه وقيل فلا انساب اي لا تواصل بينهم حين افتراقهم
الى ما اعد لهم من ثواب وعقاب وانما التواصل بالاعمال **وقرأ** عبد الله ولا
يسّاءلون بتشديد السين ادغم التاء في السين اذ الجملة يتساءلون ولا تناقض
بين انتفاء التساؤل هنا وبين اثباته في قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لان يوم القيامة مواطن ومواقف ويمكن ان يكون انتفاء التساؤل عند النفخة
الاولى واثباته في الثانية فيفتح التساؤل وتقدم الكلام في الموازين وثقلها
وخفتها في اوائل الاعراف وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا
انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر
لاولئك او خبر مبتدأ محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل
غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم اي استقروا
في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر

نفسه استقر في جهنم واجاز ابو البقاء ان يكون الذي نعتا لاوليك وخبر اوليك في جهنم والظاهر ان يكون خبرا لاوليك لا نعتا وخص الوجه باللفح لانه اشرف ما في الانسان والانسان احفظ له من الافات من غيره من الاعضاء فاذا لفح الاشرف فما دونه ملفوح ولما ذكر اصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض اعضاء الوجه وفي الترمذي تتقلص شفته العليا حتى يبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح **وقرا** ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة كلحون بغير الف ٥ الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • قال اخسوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون • اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون • قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون • افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم • ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين • يقول الله لهم على لسان من يشا من ملايكته الم تكن اياتي وهي القران ولما سمعوا هذا التقرير اذعنوا واقروا على انفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة وقيل الشقوة الهوى وقضاء اللذات لان ذلك يودي الى الشقوة اطلق اسم المسبب على السبب قاله الجبائي وقيل ما كتب علينا في اللوح المحفوظ وسبق به علمك **وقرا** عبد الله والحسن وقتادة وحمزة والكسائي والمفضل عن عاصم وابان والزعفراني وابن مقسم شقاوتنا بوزن السعادة وهي لغة فاشية وقتادة ايضا والحسن في رواية خالد بن حوشب عنه كذلك الا انه بكسر الشين وباقي السبعة والجمهور بكسر الشين وسكون القاف وهي لغة كثيرة في الحجاز قال الفرا انشدني ابو ثروان وكان فصيحا

• كلف من عنايه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته •

وقرا شبل في اختياره بفتح الشين وسكون القاف وكنا قوما ضالين اي عن الهدى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك انهم اقروا والاقرار بالذنب اعتذار فقالوا ربنا اخرجنا منها اي من جهنم فان عدنا اي الى التكذيب واتخاذ الهة وعبادة غيرك فانا ظالمون اي متجاوزوا الحد والعدوان حيث ظلمنا انفسنا اولا ثم سومحنا فظلمنا ثانيا وحكى الطبري حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم جل وعز واخرها قال اخسوا فيها ولا تكلمون قال فتنطبق عليهم جهنم ويقع الياس ويبقون ينبح بعضهم في وجه بعض قال ابن عطية واختصرت

ذلك

قوله عز وجل الم تكن اياتي

ذلك الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح ومعنى اخسوا اي ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسات الكلب وخسا هو بنفسه يكون متعديا ولازما ولا تكلمون اي في رفع العذاب او تخفيفه قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعوا كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين **قرا** ابي وهرون العتكي انه بفتح الهمزة اي لانه والجمهور بكسرها والهاء ضمير الشان وهو محذوف مع ان المفتوحة الهمزة والفريق هنا هم المستضعفون من المومنين ومنه الاية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة في من جرى مجراهم قديما وبقية الدهر **وقرا** حمزة والكسائي ونافع سخريا بضم السين وباقي السبعة بالكسر قال الزمخشري مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وبمعنى الهزء في قول الخليل وابي زيد الانصاري **وسيـ**ـبويه وقال ابو عبيدة والكسائي والفرا ضم السين من التسخير والاستخدام والكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ومنه قول الاعشى •

• اني اتاني حديث لا اسر به • من علو لا كذب فيه ولا سخر •

وقال يونس اذا اريد التخديم فضم السين لا غير واذا اريد الهزء فالضم والكسر قال ابن عطية **وقرا** اصحاب عبد الله وابن ابي اسحاق والاعرج بضم السين كل ما في القران **وقرا** الحسن وابو عمرو بالكسر الا التي في الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس انتهى وكان قد قال عن ابي علي يعني الفارسي ان قراءة كسر السين اوجه لانه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه اكثر وهو اليق بالاية الا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون انتهى قول ابي علي ثم قال ابن عطية الا ترى الى اجماع القراء على ضم السين في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتخديم انتهى وليس ما ذكر من اجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحا لان ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف ذكر ذلك ابو القسم بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل فاتخذتموهم سخريا اي هزؤا تهزؤون بهم حتى انسوكم ذكري اي تشاغلكم بهم قد تركتم ذكري اي ان تذكروني فتخافوني في اوليائي واسند النسيان الى فريق المومنين من حيث كان سببه **وقرا** زيد بن علي وحمزة والكسائي وخارجة عن نافع انهم بكسر الهمزة وباقي السبعة بالفتح ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره الجنة او رضواني وقال الزمخشري في قراءة من قرا انهم بالفتح هو المفعول الثاني اي جزيتهم فوزهم انتهى والظاهر انه تعليل اي جزيتهم لانهم والكسر هو على الاستيناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل والفائزون الناجون من هلكة الى نعمة **وقرا** حمزة والكسائي وابن كثير قل كم وقل ان على الامر والمخاطب ملك يسالهم او بعض اهل النار فاذا قال عبر عن القوم **وقرا** باقي السبعة قال والقائل الله تعالى او المامور بسوالهم من الملايكة وقال الزمخشري قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في

مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام وقال ابن عطية وفي المصاحف قال فيهما
الا في مصحف الكوفة فان فيه قل بغير الف وتقدم ادغام كم لبثت في البقرة
سألهم سؤال توقيف على المدة وقرأ الجمهور عدد سنين على الاضافة وكم في
موضع نصب على ظرف الزمان وتمييزها عدد وقرأ الاعمش والمفضل عن عاصم
عددا بالتنوين فقال ابو الفضل الرازي صاحب كتاب اللوامح سنين نصب
على الظرف والعدد مصدر اقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت ويجوز
ان يكون معنى لبثتم عددتم فيكون نصب عددا على المصدر وسنين بدل منه انتهى
وكون لبثتم بمعنى عددتم بعيد ولما سئلوا عن المدة التي اقاموا فيها في الارض
وبعني في الحيوة الدنيا قاله الطبري وتبعه الزمخشري فنسوا لفرط هول العذاب
حتى قالوا يوما او بعض يوم اجابوا بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم ترددوا فيما
لبثوا قاله ابن عباس وقيل اريد بقوله في الارض في جوف التراب امواتا وهذا
قول جمهور المتأولين قال ابن عطية وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكانوا
قولهم انهم لا يقومون من التراب قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله اخيرا وانكم
الينا لا ترجعون يقتضي ما قلناه انتهى فسئل العادين خطاب للذي سألهم قال
مجاهد العادين الملائكة اي هم الذين يحفظون اعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم
وقال قتادة اهل الحساب والظاهر انهم من يتصف بهذه الصفة ملائكة
او غيرهم لان النائم والميت لا يعد فيستقدر له الزمان وقال الزمخشري والمعنى
لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلة ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه
من العذاب وما فينا ان نعدها فسئل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره
انتهى وقرأ الحسن والكسائي في رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة
فانهم يقولون كما نقول قال ابن خالويه ولغة اخرى العاديين يعني بياء مشددة
جمع عادي يعني القدماء وقال الزمخشري وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين
فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وقرأ الاخوان قال ان لبثتم على الامر
وباقي السبعة قال وان نافية اي ما لبثتم الا قليلا اي قليل العدد في جنب
ما تعذبون فيه ان كان اللبث في الدنيا وان كان في القبور فقليلا ان كل آت
قريب ولكنكم كذبتم به اذ كنتم لا تعلمون اي لم ترغبوا في العلم والهدى وانتصب
عبثا على الحال اي عابثين او على انه مفعول من اجله والمعنى في هذا ما خلقناكم
للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة وقرأ الاخوان لا ترجعون مبنيا للفاعل
وباقي السبعة مبنيا للمفعول والظاهر عطف وانكم على انما فهو داخل في الحسبان
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين انتهى
فتعالى الله اي تعاظم وتنزه عن الصاحبة والولد والشريك والعبث وجميع
النقائص بكونه الملك الحق الثابت هو وصفاته العلي والكريم صفة للعرش
لتنزل الخيرات منه او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرأ ابان بن تغلب
وابن محيصن وابو جعفر واسماعيل عن ابن كثير الكريم بالرفع صفة لرب العرش
او العرش ويكون مقطوعا على معنى المدح ومن شرطية والجواب فانما ولا برهان

له به صفة لازمة لا للاحتراز من ان يكون ثم آخر يقوم عليه برهان فهي مؤكدة
كقوله يطير بجناحيه ويجوز ان يكون جملة اعتراض اذ فيهما تشديد وتأكيد فتكون لا موضع
لها من الاعراب كقولك من اساء اليك لا احق بالاساءة منه فأسيء اليه ومن ذهب
الى ان جواب الشرط هو لا برهان له به هو وهم من قبيل الخطاب ثم ان يكون ثم داع له
برهان فلا يصح لانه يلزم منه حذف الفاء في جواب الشرط ولا يجوز الا في الشعر
وقد خرجناه على الصفة اللازمة او على الاعتراض وكلاهما تخريج صحيح وقرأ الحسن
وقتادة انه لا يفلح بفتح الهمزة اي هو موضع الكافرون موضع الضمير حملا على
معنى من وللجمهور بكسر الهمزة وخبر حسابه الظرف وانه استئناف وقرأ الحسن
نفلح بفتح الياء واللام وافتتح السورة بقوله قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها
انه لا يفلح الكافرون فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم امر رسوله
عليه السلام بان يدعو بالغفران والرحمة وقرأ ابن محيصن رب بالضم

سورة النور



بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا
فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين
والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله



انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم هذه السورة مدنية بلا خلاف ولما
ذكر تعالى مشركي قريش ولهم اعمال من دون ذلك اي اعمال سيئة هم لها عاملون
واستطرد بعد ذلك الى احوالهم واتخاذهم الولد والشريك والى مآلهم في النار
كان من اعمالهم السيئة انه كان لهم جوار بغايا يستحسنون عليهن ويأكلون
من كسبهن من الزنا فانزل الله اول هذه السورة تغليظا في امر الزنا وكان
فيما ذكر وكانه لا يصح ان ناسا من المسلمين هموا بنكاحهن وقرأ الجمهور سورة
بالرفع فجوزوا ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة او مبتدأ محذوف
الخبر اي فيما اوحينا اليك او فيما يتلى عليكم وقال ابن عطية ويجوز ان يكون
ان يكون مبتدأ والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة
والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم الا
ان كون المبتدأ ليس الا انه الخبر الا ان يعد الخبر في السورة كلها وهذا

يعني في العباس وأنزلناها في موضع الصفة انتهى **وقرأ**
عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعيسى بن عمر الهمداني
الكوفي وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو وأم الدرداء سورةً بالنصب
فخرج على إضمار فعل أي اتلوا سورة وأنزلناها صفة قال الزمخشري أو على دونك
سورة فنصب على الإغراء ولا يجوز حذف أداة الإغراء وأجازوا أن يكون من باب
الاشتغال أي أنزلنا سورة أنزلناها فأنزلناها مفسر لأنزلنا المضمرة فلا موضع
له من الإعراب إلا أنه فيه الابتداء بالنكرة من غير مسوغ إلا أن يعتقد حذف وصف
أي سورة معظمة أو موضحة أنزلناها فيجوز ذلك وقال الفراء سورة حال
من الهاء والألف والحال من المكني يجوز أن يتقدم عليه انتهى فيكون الضمير المنصوب
في أنزلناها ليس عائدا على سورة وكان المعنى أنزلنا الأحكام وفرضناها سورة
أي في حال كونها سورة من سور القرآن فليست هذه الأحكام ثابتة بالسنة فقط
بل بالقرآن والسنة **وقرأ** الجمهور وفرضناها بتخفيف الراء أي فرضنا أحكامها
وجعلناها واجبة مقطوعا بها **وقيل** وفرضنا العمل بما فيها **وقرأ** عبد الله
وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وأبو عمرو وابن كثير بتشديد الراء إما للمبالغة
في الإيجاب وإما لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم قيل وكل أمر ونهي
في هذه السورة فهو فرض وأنزلنا فيها آيات بينات أمثالا ومواعظ وأحكاما
ليس فيها مشكل يحتاج إلى تأويل **وقرأ** الجمهور الزانية والزاني بالرفع وعبد الله
والزان بغير ياء ومذهب **س** أنه مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم
الزانية والزاني وقوله فاجلدوا بيان لذلك الحكم وذهب الفراء والمبرد
والزجاج إلى أن الخبر فاجلدوا وجوزه الزمخشري وسبب الخلاف هو أنه عند
س لا بد أن يكون المبتدأ الداخل الفاء في خبره موصولا بما يقبل أداة الشرط
لفظا أو تقديرا واسم الفاعل واسم المفعول لا يجوز أن يدخل عليه أداة الشرط
وغير **س** ممن ذكرنا لم يشترط ذلك وتقرير المذهبين والترجيح مذكور في النحو **وقرأ**
عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس
الزانيةَ والزانيَ بنصبهما على الاشتغال أي واجلدوا الزانية والزاني كقولك
زيدا فاضربه ولدخول الفاء تقرير ذكر في علم النحو والنصب هنا أحسن منه
في سورة أنزلناها لأجل الأمر وتضمنت السورة أحكاما كثيرة فيما يتعلق بالزنا
ونكاح الزواني وقذف المحصنات والتلاعن والحجاب وغير ذلك فبدأ بالزنا لقبحه
وما يحدث عنه من المفاسد والعار وكان قد نشأ في العرب وصار من إمائهم
أصحاب رايات وقدمت الزانية على الزاني لأن داعيتها أقوى لقوة شهوتها
ونقصان عقلها ولكون زناها أفحش وأكثر عارا وللعلوق بولد الزنا وحال
النساء الحجبة والصيانة وقال الزمخشري **فإن قلت** قدمت الزانية على
الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا **قلت** سيقت تلك الآية لعقوبتهما على
ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية فإنها لو لم تطمع الرجل ولم
تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها

وأما

وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب
ومنه يبدأ الطلب انتهى ولا يتم هذا الجواب في الثانية إلا إذا حمل النكاح
على العقد لا على الوطء وأل في الزانية والزاني للعموم في جميع الزناة وقال
ابن سلام وغيره هو مختص بالبكرين والجلد إصابة الجلد بالضرب كما تقول
رأسه وبطنه وظهره أي ضرب رأسه وبطنه وظهره وهذا مطرد في أسماء الأعيان
الثلاثية العضوية والظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن في هذا العموم
وهو لا يندرج فيه المجنون ولا الصبي بإجماع وقال ابن سلام وغيره واتفق فقهاء الأمصار
على أن المحصن يرجم ولا يجلد وقال الحسن وإسحاق وأحمد يجلد ثم يرجم وجلد علي رضي الله
عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة
رسول الله ولا حجة في كون مرجومة أنيس والغامدية لم ينقل جلدهما لأن ذلك
معلوم من أحكام القرآن فلا ينقل إلا ما كان زائدا على القرآن وهو الرجم فلذلك
ذكر الرجم ولم يذكر الجلد ومذهب أبي حنيفة أن من شرط الإحصان الإسلام
ومذهب الشافعي أنه ليس بشرط واتفقوا على أن الأمة تجلد خمسين وكذا العبد
على مذهب الجمهور وقال أهل الظاهر يجلد العبد مائة ومنهم من قال تجلد الأمة
مائة إلا إذا تزوجت فخمسين والظاهر اندراج الذميين في الزانية والزاني
فيجلدان عند أبي حنيفة والشافعي وإذا كانا محصنين يرجمان عند الشافعي
وقال مالك لا حد عليهما والظاهر أنه ليس على الزانية والزاني حد غير الجلد
فقط وهو مذهب الخوارج وقد ثبت الرجم بالسنة المستفيضة وعمل به
بعد الرسول خلفاء الإسلام أبو بكر وعمر وعلي ومن الصحابة جابر وأبو هريرة وبريدة
الأسلمي وزيد بن خالد واختلفوا في التغريب بنفي البكر بعد الجلد وقال
الثوري والأوزاعي والحسن بن صالح والشافعي بنفي الزاني وقال الأوزاعي
ومالك ينفى الرجل ولا تنفى المرأة قال مالك ولا ينفى العبد نصف سنة والظاهر
أن الجلد إنما هو على من ثبت عليه الزنا فلو وجدا في ثوب واحد فقال إسحاق
يضرب كل واحد منهما مائة جلدة وروي ذلك عن عمر وعلي وقال عطاء والثوري
ومالك وأحمد يؤدبان على مذاهبهم في الأدب وأما الإكراه فالمكرهة لا حد
عليها وفي حد الرجل المكره خلاف وتفصيل بين أن يكرهه سلطان فلا يحد أو غيره
فيحد وهو قول أبي حنيفة وقول أبي يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعي
لا يحد في الوجهين وقول زفر يحد فيهما جميعا والظاهر أنه لا يندرج في
الزنا من أتى امرأة من دبرها ولا ذكرا ولا بهيمة وقيل يندرج والمأمور
بالجلد الأئمة ونوابهم واختلفوا في إقامة الخارجي المتغلب الحدود
فقيل له ذلك **وقيل** لا وفي إقامة السيد على رقيقه فقال ابن مسعود وابن عمر
وعائشة وفاطمة والشافعي له ذلك وقال أبو حنيفة ومحمد وزفر لا وقال
مالك والليث له ذلك إلا في القطع في السرقة فإنما يقطعه الإمام والجلد
كما قلنا ضرب الجلد ولم تتعرض الآية لهيئة الجالد ولا هيئة المجلود ولا لمحل
الجلد ولا لصفة الآلة المجلود بها وذلك مذكور في كتب الفقه وقال الزمخشري

فان قلت هذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم **قلت** بل هو حكم من ليس
بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم **فان قلت** اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة
والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن
قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة
دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك انتهى وليست دلالة اللفظ على الجنسين كما ذكر
دلالة مطلقة لان دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم البدل وهو الاطلاق
وليست كدلالة المشترك لان دلالة العموم هي كل فرد فرد على سبيل الاستغراق
ودلالة المشترك تدل على فرد فرد على الاستغراق اعني في الاستعمال وان كان
في ذلك خلاف في اصول الفقه لكن ما ذكرته هو الذي يصح في النظر واستعمال
كلام العرب **وقرأ** علي بن ابي طالب والسلمي وابن مقسم وداود بن ابي هند عن مجاهد
ولا يأخذكم بالياء لان تانيث الرأفة مجاز وحسن ذلك الفصل **وقرأ** الجمهور
بالتاء لتانيث الرأفة لفظا **وقرأ** الجمهور رأفة بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها
وابن جريج بالف بعد الهمزة وروي هذا عن عاصم وابن كثير وكلها مصادر واشهرها
الاول والرأفة المنهي ان يأخذ المتولين اقامة الحد قال ابو مجلز ومجاهد
وعكرمة وعطاء هي في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل ابن عمر
وابن جبير وغيرهما ومن مذهبهم ان الحد في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد
وقال قتادة وابن المسيب وغيرهما الرأفة المنهي عنها هي في تخفيف
الضرب على الزناة ومن رأيهم ان يخفف ضرب الفرية والخمر ويشدد ضرب الزنا
وقال الزمخشري والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله
ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده
انتهى فهذا تحسين قول ابي مجلز ومن وافقه وقال الزهري يشدد في
الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقال مجاهد والشعبي وابن زيد
في الكلام حذف تقديره ولا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها
والنهي في الظاهر للرأفة والمراد ما تدعو اليه الرأفة وهو تعطيل الحدود
او نقصها ومعنى في دين الله في الاخلال بدين الله اي بشرعه قيل ويحتمل
ان يكون الدين بمعنى الحكم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تثبيت وحض
وتهييج للغضب لله ولدينه كما تقول ان كنت رجلا فافعل وامر تعالى بحضور
جلدهما طائفة اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم بحضرة الناس وسمي الجلد عذابا
اذ فيه ايلام وافتضاح وهو عقوبة على ذلك الفعل والطائفة المامور بحضورها
ذلك تدل بالاشتقاق على ما يكون يطوف بالشيء واقل ما يتصور ذلك فيه ثلاثة وهي
صفة غالبة لانها الجماعة الحافة بالشيء وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها
اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة وعن قتادة والزهري ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة
وعطاء رجلان فصاعدا وهو مشهور قول مالك وعن مجاهد الواحد فما فوقه واستعمال
الضمير الذي للجمع عائدا على الطائفة في كلام العرب دليل على انه يراد بها الجمع وذلك

كثير

كثير في القرآن الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الظاهر انه خبر قصد به تشنيع
الزنا وامره ومعنى لا ينكح لا يطأ وزاد المشركة في التقسيم فالمعنى ان الزاني في وقت
زناه لا يجامع الا زانية من المسلمين او اخس منها وهي المشركة والنكاح بمعنى الجماع
مروي عن ابن عباس هنا وقال الزمخشري **وقيل** المراد بالنكاح الوطء وليس
بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم يرد بها الا معنى
العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية
والزانية لا تزني الا بزان انتهى وما ذكره من الامر الاول فقد تقدم من الزجاج قال
لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح
زوجا غيره وبين الرسول انه بمعنى الوطء واما الامر الثاني فالمقصود به تشنيع الزنا
وتشنيع امره وانه محرم على المؤمنين وقال الزمخشري واخذه من الضحاك وحسنه
الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء
اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة
والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين
بالزنا محرم محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء
القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والاقدام على ذلك انتهى وعن
ابن عمر وابن عباس واصحابه ان هذه في قوم مخصوصين كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا
مشهورات فلما جاء الاسلام واسلموا لم يمكنهم الزنا فارادوا لفقرهم زواج اولئك
النسوة اذ كان من عادتهن الانفاق على من ارتسم بزواجهن فنزلت الآية بسببهن
والاشارة بالزاني الى احد اولئك اطلق عليه اسم الزنا الذي كان في الجاهلية
وقوله لا ينكح اي لا يتزوج وعلى هذا التاويل فيه معنى التفجع عليهم وفيه توبيخ
كانه يقول الزاني لا يريد ان يتزوج الا زانية او مشركة اي تنزع نفوسهم الى هذه الخسائس
لقلة انضباطهم ويرد على هذا التاويل الاجماع على ان الزانية لا يجوز ان
يتزوجها مشرك ثم قوله وحرم ذلك على المؤمنين اي نكاح اولئك البغايا فيزعم
اهل هذا التاويل ان نكاحهن حرمه الله على امة محمد وقال الحسن المراد
الزاني المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان
محدود ان يتزوج الا زانية وقد روي ان محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن ابي طالب
نكاحهما وحرم ذلك على المؤمنين يريد الزنا وروى الزهراوي في هذا حديثا
من طريق ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينكح الزاني المحدود الا
مثله قال ابن عطية وهذا حديث لا يصح وقول فيه نظر وادخال المشرك في الآية
يرده والفاظ الآية تاباه وان قدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ
المشرك انتهى وقال ابن المسيب هذا حكم كان في الزناة عاما ان لا يتزوج زان
الا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم وقوله فانكحوا

ما طاب لكم من النسا وروي ترتيب هذا النسخ عن مجاهد الا انه قال حرم نكاح اوليك البغايا على اوليك النفر قال ابن عطية وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي انتهى وعن الجبائي انها منسوخة بالاجماع وضعف بانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وتلخص من هذه الاقوال ان النكاح اذا اريد به الوطء فالاية وردت مبالغة في تشنيع الزنا واذا اريد به التزويج فاما ان يراد به عموم في الزناة ثم نسخ او عموم في الفساق الخبيثين لا يرغبون الا فيمن هو شكل لهم والفواسق الخبيثات لا يرغبن الا فيمن هو شكل لهن ولا يجوز التزويج على ما قرره الزمخشري او يراد به خصوص في قوم كانوا في الجاهلية زناة ببغايا فارادوا تزويجهن لفقرهم وايسارهن مع بقائهن على البغاء فلا يتزوج عفيفة ولو زنا رجل بامراة ثم اراد تزوجها فاجاز ذلك ابو بكر الصديق وابن عمر وابن عباس وجابر وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد وعطا والحسن وعكرمة ومالك والثوري والشافعي ومنعه ابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وقالا لا يزالان زانيين ما اجتمعا ومن غريب النقل انه لو تزوج معروف بالزنا او بغيره من الفسوق ثبت الخيار في البقاء معه او فراقه وهو عيب من العيوب التي يترتب الخيار عليها وذهب قوم الى ان الاية محكمة وعندهم ان من زنا من الزوجين فسد النكاح بينهما وقال قوم منهم لا ينفسخ ويؤمر بطلاقها اذا زنت فان امسكها اثم قالوا ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني فان ظهرت التوبة جاز وقال الزمخشري **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية **قلت** معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفتها بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وعن عمرو ابن عبيد لا تنكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه معنى النهي ولكن هو ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها انتهى **وقرا** ابو البرهسم وحرم مبنيا للفاعل اي الله وزيد بن علي وحرم بضم الراء وفتح الحاء والجمهور وحرم مشددا مبنيا للمفعول والقذف الرمي بالزنا وغيره والمراد به هنا الزنا لاعقابه اياه ولاشتراط اربعة شهدا وهو مما يختص القذف بالزنا اذ في غيره يكفي شاهدان قال ابن جبير ونزلت بسبب قصة الافك وقيل بسبب القذفة عاما واستعير الرمي للشتم لانه اذاية بالقول

كما قال — وجرح اللسان كجرح اليد

وقال — رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني

والمحصنات الظاهر ان المراد النسا العفائف وخص النسا بذلك وان كان الرجال يشركونهن في الحكم لان القذف فيهن اشنع وانكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال ففيه ايذاء لهن ولازواجهن وقراباتهن وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتي احصنت فرجها وقيل الانفس المحصنات وقاله ابن حزم وحكاه الزهراوي فعلى هذين القولين يكون اللفظ شاملا للنسا والرجال ويدل

على

على الثاني قوله والمحصنات من النسا وثم محذوف اي بالزنا وخرج بالمحصنات من ثبت زناها او زناه واشترط في الوصف بالاحصان الاسلام والعقل والبلوغ والحرية قال ابو بكر الرازي ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا المعنى والمراد بالمحصنات غير مزوجات الرامين اما من زوجه حكم ياتي بعد ذلك والرمي بالزنا الموجب للحد هو التصريح بان يقول يا زانية او يا زاني او يا ابن الزاني او ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة ومما اشبه ذلك من الصرائح فلو عرض كان يقول اما انا بزان ولا امي بزانية لم يحد في مذهب ابي حنيفة وزفر وابي يوسف ومحمد وابن شبرمة والثوري والحسن بن صالح والشافعي ويحد في مذهب مالك وثبت الحد فيه عن عمر بعد مشاورة الناس وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون الرضى فلو قذف كتابيا اذا كان للمقذوف ولد مسلم وقيل اذا قذف الكتابية تحت المسلم حد واتفقوا على ان قاذف الصبي لا يحد وان كان مثله يجامع واختلفوا في قاذف الصبية فقال مالك يحد اذا كان مثلها يجامع وقال مالك والليث يحد قاذف المجنون وقال غيرهما لا يحد والذين يرمون ظاهره الذكور وحكم الراميات حكمهم ولو قذف الصبي او المجنون زوجته او اجنبية فلا حد عليه او اخرس وله كتابة معروفة او اشارة مفهومة حد عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصح قذفه ولا لعانه ولما كانت معصية الزنا كبيرة من امهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا ما يتستر بها فقلما يطلع احد عليها شدد الله تعالى على القاذف حيث شرط فيها اربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم والمعنى ثم لم ياتوا الحكام والجمهور على اضافة اربعة شهدا **وقرا** ابو زرعة وعبد الله بن مسلم باربعة بالتنوين وهي قراءة فصيحة لانه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع اجود من الاضافة ولذلك رجح ابن جني هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث اخذ مطلق الصفة وليس كذلك لان الصفة اذا جرت مجرى الاسما وباشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره مجرى الاسما ومن ذلك شهيد الا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقوله واستشهدوا شهيدين وكذلك عبد فثلاثة شهدا بالاضافة افصح من التنوين والاتباع وكذلك ثلاثة اعبد وقال ابن عطية و**س** يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر انتهى وليس كما ذكر انما يرى ذلك **س** في العدد الذي بعده اسم نحو ثلاثة رجال واما في الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذي ذكرناه واذا نونت اربعة فشهدا بدل اذ هو وصف جرى مجرى الاسما او صفة لانه صفة خفيفة ويضعف قول من قال انه حال او تمييز وهذه الشهادة تكون بالمعاينة البليغة كالمرود في المكحلة والظاهر انه لا يشترط شهادتهم ان تكون حالة اجتماعهم بل لو اتى بهم متفرقين صحت شهادتهم وقال ابو حنيفة شرط ذلك ان يشهدوا مجتمعين فلو جاوا متفرقين كانوا قذفة والظاهر انه يجوز ان يكون احد الشهود زوج المقذوفة لاندراجه في اربعة شهدا ولقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولم يفرق بين كون الزوج فيهم وبين ان يكونوا اجنبيين وبه قال ابو حنيفة واصحابه ويحد المراة وروي ذلك عن الحسن والشعبي وقال مالك والشافعي يلاعن الزوج ويحد الثلاثة وروي مثله عن ابن عباس

فاجلدوهم امر للامام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف
المقذوف وبه قال ابن ابي ليلى وقال ابو حنيفة واصحابه والاوزاعي والشافعي
لا يحد الا بمطالبته وقال مالك كذلك الا ان يكون الامام سمعه يقذفه فيحده
اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر ان العبد القاذف
حرا اذا لم يات باربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه في عموم والذين يرمون وبه
قال عبد الله بن مسعود والاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه ومالك والثوري
وعثمان البتي والشافعي يجلد اربعين وهو قول علي وفعل ابي بكر وعمر وعلي ومن بعدهم
من الخلفاء قاله عبد الله بن ربيعة ولو قذف واحد جماعة بلفظ واحد او افرد لكل واحد
حد حدا واحدا وهو قول ابي حنيفة واصحابه ومالك والثوري والليث وقال
عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد وقال الشعبي وابن ابي ليلى ان كان بلفظ
واحد نحو يا زناة فحد واحدا وقال لكل واحد يا زاني فلكل انسان حد والظاهر
من الاية انه لا يجلد الا القاذف ولم يات جلد الشاهد اذا لم يستوف عدد الشهود
وليس من جاء للشهادة بقاذف وقد اجراه عمر مجرى القاذف وجلد
ابا بكرة واخاه نافعا وشبل بن معبد البجلي لتوقف الرابع وهو زياد في الشهادة
فلم يؤدها كاملة ولو اتى باربعة شهداء فساق فقال زفر يدرا الحد عن القاذف
والشهود وعن ابي يوسف يحد القاذف ويدرا عن الشهود وقال مالك وعبيد الله
ابن الحسن يحد الشهود والقاذف ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا الظاهر انه لا تقبل
شهادتهم ابدا وان اكذب نفسه وتاب وهو نهي جاء بعد امر فكما ان حكم الجلد
كذلك حكم رد شهادته وبه قال شريح القاضي والنخعي وابن المسيب وابن جبير
والحسن والثوري وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في
القذف وان تاب وتقبل شهادته في غير القذف اذا تاب وقال مالك تقبل
في القذف بالزنا وغيره اذا تاب وبه قال عطا وطاوس ومجاهد والشعبي
والقاسم بن محمد وسالم والزهري وقال لا تقبل شهادة محدود في الاسلام
يعني مطلقا وتوبته بماذا تقبل باكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي
وكذا فعل عمر بنافع وشبل اكذبا انفسهما فقبل شهادتهما واصر ابو بكرة فلم تقبل
شهادته حتى مات واولئك هم الفاسقون الظاهر انه كلام مستانف غير
داخل في خبر الذين يرمون كانه اخبار بحال الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن
معنى الشرط وما ترتب في جزاه من الجلد وعدم قبول الشهادة ابدا الا الذين تابوا
هذا الاستثناء تعقب جملا ثلاثة جملة الامر بالجلد وهو لو تاب واكذب نفسه
لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهي عن قبول شهادتهم ابدا وقد وقع الخلاف
في قبول شهادتهم اذا تابوا بناء على ان هذا الاستثناء راجع الى جملة النهي
وجملة الحكم بالفسق وهو راجع الى الجملة الاخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم
والذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة يصلح ان يتخصص كل
واحد منها بالاستثناء ان يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسالة تكلم
عليها في اصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم ار من تكلم عليها من النحاة غير

المها

المهاباذي وابن مالك فاختار ابن مالك ان يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار
المهاباذي ان يعود الى الجملة الاخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك
في كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل وقال الزمخشري وجعل يعني الشافعي
الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم
في لهم وحقه عند ابي حنيفة النصب لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية
ونظمها ان تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط
كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي اجمعوا لهم
الحد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله غفور
رحيم فينقلبون غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين انتهى وليس يقتضي ظاهر
الاية عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب
وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والقول بانه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله
ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة ولما ذكر تعالى قذف المحصنات وكان الظاهر
انه يتناول الازواج وغيرهن ولذلك قال سعد بن عبادة يا رسول الله ان وجدت
مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة شهداء والله لاضربنه بالسيف غير مصفح
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن امية حين رمى زوجه بشريك
ابن سحما فنزلت والذين يرمون ازواجهم واتضح ان المراد بقوله والذين يرمون
المحصنات غير الزوجات والمشهور ان نازلة هلال قبل نازلة عويمر وقيل نازلة
عويمر قبل والمعنى بالزنا ولم يكن لهم شهداء ولم يقيد بعدد اكتفاء بالتقييد
في قذف غير الزوجات والمعنى شهداء على صدق قولهم **وقرى** ولم تكن بالتاء
وقرا الجمهور بالياء وهو الفصيح لانه اذا كان العامل مفرغا لما بعد الا وهو مؤنث
فالفصيح ان تقول ما قام الا هند واما ما قامت الا هند فاكثر اصحابنا يخصه
بالضرورة وبعض النحويين يجيزه في الكلام على قلة وازواجهم يعم سائر الازواج من
المحصنات المؤمنات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من الحمل
وقال ابو حنيفة واصحابه باحد معنيين احدهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب
على قاذفها الحد وان كان اجنبيا نحو ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية او قد
وطئت وطئا حراما في غير ملك والثاني ان يكون احدهما ليس من اهل الشهادة
بان يكون محدودا في قذف او كافرا او عبدا فاما اذا كان اعمى او فاسقا فله
ان يلاعن وقال الثوري والحسن بن صالح لا لعان اذا كان احد الزوجين مملوكا
او كافرا ويلاعن المحدود في القذف وقال الاوزاعي لا لعان بين اهل الكتاب
ولا بين المحدود في القذف وامراته وقال الليث يلاعن العبد امراته
الحرة والمحدود في القذف وعن مالك الامة المسلمة والحرة الكتابية يلاعن الحر
المسلم والعبد يلاعن زوجته الكتابية وعنه ليس بين المسلم والكافرة لعان
الا ان يقول رايتها تزني فيلاعن ظهر الحمل او لم يظهر ولا يلاعن المسلم الكافرة
ولا زوجته الامة الا في نفي الحمل وتتلاعن المملوكات المسلمات لا الكافرات وقال
الشافعي كل زوج جاز طلاقه ولزمه الفرض يلاعن والظاهر العموم في الرامين

وزوجاتهم المرميات بالزنا والظاهر اطلاق الرمي بالزنا سواء قال عاينتها
تزني ام قال زنيت وهو قول ابي حنيفة واصحابه وكان مالك لا يلاعن الا ان يقول
رايتك تزنين او ينفي حملا بها او ولدا منها والاعمى يلاعن وقال الليث لا يلاعن
الا ان يقول رايت عليها رجلا او يكون استبراها فيقول ليس هذا الحمل مني ولم تتعرض
الاية في اللعان الا لكيفيته من الزوجين وقد اطال المفسرون الزمخشري وابن عطية
وغيرهما في ذكر كثير من احكام اللعان مما لم تتعرض له الاية ويستطرد لذلك في كتب الفقه
وقرا الجمهور اربع شهادات بالنصب على المصدر وارتفع فشهادة خبرا على اضمار
مبتدا اي فالحكم او الواجب او مبتدا على اضمار الخبر متقدما اي فعليه ان يشهد
او مؤخرا اي كافية او واجبة وبالله من صلة شهادات ويجوز ان يكون من صلة فشهادة
قاله ابن عطية وفرع الحوفي ذلك على الاعمال فعلى راي البصريين واختيارهم تتعلق
بشهادات وعلى اختيار الكوفيين يتعلق بقوله فشهادة **وقرا** الاخوان وحفص
والحسن وقتادة والزعفراني وابن مقسم وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو بحرية وابان
وابن سعدان اربع بالرفع خبرا للمبتدا وهو فشهادة وبالله من صلة شهادات
على هذه القراءة ولا يجوز ان يتعلق بفشهادة للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر
ولا يجوز ذلك **وقرا** الجمهور والخامسة بالرفع فيهما **وقرا** طلحة والسلمي والحسن
والاعمش وخالد بن اياس ويقال ابن الياس بالنصب فيهما **وقرا** حفص والزعفراني
بنصب الثانية دون الاولى فالرفع على الابتداء وما بعده الخبر ومن نصب
الاولى فعطف على اربع في قراءة من نصب اربع وعلى اضمار فعل يدل عليه المعنى في قراءة
من رفع اربع اي وتشهد الخامسة ومن نصب الثانية فعطف على اربع من قوله ان
تشهد اربع وعلى قراءة النصب في الخامسة يكون ان بعد على اسقاط حرف الجر اي
بان ويجوز ان يكون ان وما بعده بدلا من الخامسة **وقرا** نافع ان لعنة بتخفيف
ان ورفع لعنة وان غضب بتخفيف ان وغضب فعل ماض والجلالة بعد مرفوعة
وهي ان المخففة من الثقيلة لما خففت حذف اسمها وهو ضمير الشان **وقرا** ابو رجاء
وقتادة وعيسى وسلام وعمرو بن ميمون والاعرج ويعقوب بخلاف عنهما والحسن
ان لعنة كقراءة نافع وان غضب بتخفيف ان وغضب مصدر مرفوع وخبر ما بعده
وهي ان المخففة من الثقيلة **وقرا** باقي السبعة ان لعنة وان غضب الله بتشديد
ان ونصب ما بعدهما اسما لهما وخبر ما بعد قال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة نافع
في قوله ان غضب قد وليها الفعل قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها
الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله علم ان سيكون وقوله افلا يرون
ان لا يرجع واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فذلك لعلة تمكن
ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك على معنى الدعاء
فلم يجر دخول الفواصل لئلا يفسد المعنى انتهى ولا فرق بين ان غضب الله وان
بورك في كون الفعل بعد ان دعاء ولم يبين ذلك ابن عطية ولا الفارسي ويكون
غضب دعاء مثل النحاة انه اذا كان الفعل دعاء لا يفصل بينه وبين ان بشي
واورد ابن عطية ان غضب في قراءة نافع مورد المستغرب ويدرا عنها العذاب

اي يدفع

اي يدفع والعذاب قال الجمهور الحد وقال اصحاب الراي لا حد عليها ان لم يلاعن
ولا يوجبه عليها قول الزوج وحكى الطبري عن اخرين ان العذاب هو الحبس والظاهر
الاكتفا في اللعان بهذه الكيفية المذكورة في الاية وبه قال الليث وحكاية
ضمير الغائب ضمير المتكلم في شهادتهم مطلقا وفي شهادتها في قوله عليها فتقول
علي وقال الثوري وابو حنيفة ومحمد وابو يوسف يقول بعد من الصادقين
فيما رماها به من الزنا وكذا هي بعد من الكاذبين ومن
الصادقين فان كان هناك ولد نفيه زاد بعد قوله فيما رماها به من الزنا
في نفي هذا الولد وقال مالك يقول اشهد بالله اني رايتها تزني وهي اشهد
بالله ما راني ازني والخامسة تقول ذلك اربعا والخامسة بلفظ الاية وقال
الشافعي يقول اشهد بالله اني لصادق فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان
ويشير اليها ان كانت حاضرة اربع مرات ثم يقعده الامام ويذكره الله تعالى
فان راه يريد ان يمضي امر من يضع يده على فيه ويقول ان قولك وعلي لعنة الله
ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا فان قذفها باحد يسميه بعينه
واحدا او اثنين في كل شهادة وان نفى ولدها زاد وان هذا الولد ولد زنا ما هو مني
والظاهر انه اذا طلقها باينا فقذفها وولدت قبل انقضاء العدة فنفى الولد
انه يحد ويلحقه الولد لانه لا ينطلق عليها زوجة الا مجاز وعن ابن عباس
اذا طلقها تطليقة او تطليقتين ثم قذفها حد وعن ابن عمر يلاعن وعن الليث
والشافعي اذا انكر حملها بعد البينونة لاعن وعن مالك ان انكره بعد الثلاث
لاعنها ولو قذفها ثم بانت منه بطلاق او غيره فقال الثوري وابو حنيفة
واصحابه لا حد ولا لعان وقال الاوزاعي والليث والشافعي يلاعن وهذا
هو الظاهر لانها كانت زوجته حالة القذف والظاهر من قوله فشهادة
احدهم انه يلزمه ذلك فان نكل حبس حتى يلاعن وكذلك هي وهذا مذهب ابي
حنيفة واصحابه وقال مالك والحسن بن صالح والليث والشافعي ايهما
نكل حد هو للقذف وهي للزنا وعن الحسن اذا لاعن وابت حبست وعن مكحول
والضحاك والشعبي ترجم ومشروعية اللعان دليل على ان الزنا والقذف
ليسا بكفر خلافا للخوارج في قولهم ان ذلك كفر من الكاذب منهما
لاستحقاق اللعن من الله والغضب قال الزمخشري **فان قلت** لم خصت
الملاعنة بان تخمس بغضب الله **قلت** تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور
ومنبعه باطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله
صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله
الى اخره قال السدي فضله منته ورحمته نعمته وقال ابن سلام فضله
الاسلام ورحمته الستر ولما بين تعالى حكم الرامي المحصنات والازواج
كان في فضله ورحمته ان جعل اللعان سبيلا الى الستر والى درء الحد وجواب
لولا محذوف قال التبريزي تقديره لهلكتم او لفضحكم او لعاجلكم بالعقوبة
او لتبين الكاذب وقال ابن عطية لكشف الزناة بايسر من هذا او لاخذهم بعقاب

قوله عز وجل ان الذين جاءوا

مرغمد ونحو هذا من المعاني التي يوجب تقديرها ابهام الجواب ● ان الذين جاءوا
بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ● لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ● لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا
بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم ● اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ● ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ● يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ● ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ●
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة
والله يعلم وانتم لا تعلمون ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم
● سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح والافك الكذب والافتراء وقيل
هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك والعصبة الجماعة وقد تقدم الكلام عليها
في سورة يوسف عليه السلام منكم اي من اهل ملتكم وممن ينتمي الى الاسلام ومنهم
منافق ومنهم مسلم والظاهر ان خبر ان هو عصبة منكم ومنكم في موضع الصفة وقاله
الحوفي وابو البقاء ولا تحسبوه مستانف وقال ابن عطية عصبة رفع على البدل
من الضمير في جاءوا وخبر ان في قوله لا تحسبوه التقدير ان فعل الذين وهذا انسق في المعنى
واكثر فائدة من ان يكون عصبة خبر ان انتهى والعصبة عبد الله بن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ممن لم
يرد ذكر اسمه ولا تحسبوه خطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخصوصا اصحاب القصة
والضمير في لا تحسبوه الظاهر انه عائد على الافك وعلى اعراب ابن عطية يعود على ذلك
المحذوف الذي قدره ان فعل قيل ويجوز ان يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم
من جاءوا وعلى ما نال المسلمين من الغم والمعنى لا تحسبوه ينزل بكم منه عار بل هو خير لكم
لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الاذى وانكشاف كذب القاذفين وقيل
الخطاب بلا تحسبوه للقاذفين وكينونته ذلك خيرا لهم حيث كان هذا الذكر عقوبة
معجلة كالكفارة وحيث تاب بعضهم وهذا القول ضعيف لقوله بعد لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك
وبعضهم سكت وبعضهم تكلم والاكتساب مستعمل في المآثم ونحوها لانها تدل على
اعتمال وقصد فهو ابلغ في التذنيب والكسب مستعمل في الخير لان حصوله مغن عن
الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب في الوجهين والذي تولى كبره المشهور
انه عبد الله بن ابي والعذاب العظيم عذاب يوم القيامة وقيل هو ما اصاب حسان
من ذهاب بصره وشل يده وكان ذلك من عبد الله بن ابي لامعانه في عداوة الرسول
وانتهازه الفرص وروي عنه كلام قبيح في ذلك نزهت كتابي عن ذكره فقلمي عن كتابته
قبحه الله وقيل الذي تولى كبره حسان والعذاب الاليم عماه وحده وضرب صفوان
له بالسيف على راسه وقال له توق ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت

توق

● توق ذباب السيف عني فانني ● غلام اذا هوجيت لست بشاعر ●
● ولكنني احمي حماي وانتقي من الباهت الرامي البريء الظواهر ●
وانشد حسان ابياتا يثني فيها ويظهر براءته مما نسب اليه وهي
● حصان رزان ما تزن بريبة ● وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ●
● حليلة خير الناس دينا ومنصبا ● نبي الهدى والمكرمات الفواضل ●
● عقيلة حي من لؤي بن غالب ● كرام المساعي مجدها غير زائل ●
● مهذبة قد طيب الله خيمها ● وطهرها من كل شين وباطل ●
● فان كان ما بلغت عني قلته ● فلا رفعت سوطي الي اناملي ●
● وكيف وودي ما حييت ونصرتي ● لآل رسول الله زين المحافل ●
● له رتب عال على الناس فضلها ● تقاصر عنها سورة المتطاول ●

والمشهور انه حد حسان ومسطح وحمنة قيل وعبد الله بن ابي وقد ذكر بعض شعراء ذلك
العصر في شعر وقيل لم يحد مسطح وقيل لم يحد عبد الله وقيل لم يحد احد في هذه
القصة وهذا مخالف للنص فاجلدوهم ثمانين جلدة وقائل ذلك يقول انما
يقام الحد باقرار او بينة ولم يتعبد باقامته بالاخبار كما لم يتعبد بقتل المنافقين
وقد اخبر تعالى بكفرهم وقرا الجمهور كبره بكسر الكاف وقرا الحسن وعمرة بنت
عبد الرحمن والزهري وابو رجاء ومجاهد وابو البرهسم والاعمش وحميد وابن ابي عبلة
وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب والزعفراني وابن مقسم وسورة عن
الكسائي ومحبوب عن ابي عمرو بضم الكاف والكبر والكبر مصدران لكبر الشيء عظم
لكن استعمال العرب الضم ليس في السن هذا اكبر القوم اي كبيرهم سنا او مكانة
وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر وقيل كبره بالضم معظمه
وبالكسر البداءة بالافك وقيل الاثم لولا اذ سمعتموه هذا تحريض على ظن
الخير وزجر وادب والظاهر ان الخطاب للمؤمنين حاشى من تولى كبره قيل ويحتمل
دخولهم في الخطاب وفيه عتاب اي كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد
الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر فلم يجئ التركيب ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على
ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه قول عائب ولا طاعن وفيه
تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على ظن الخير وان
يقول بناء على ظنه هذا افك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة اخيه كما يقول المستيقن
المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن ومعنى بانفسهم اي كان يقاس فضلاء
المؤمنين والمؤمنات هذا الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد عليهم قضوا بانه
في حق من هو خير منهم ابعد وقيل معنى بانفسهم بامهاتهم وقيل باخوانهم وقيل
باهل دينهم وقال ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم اي لا يلمز بعضكم بعضا
وليسلم بعضكم على بعض لولا جاءوا عليه باربعة شهداء جعل الله فصلا بين الرمي
الصادق والرمي الكاذب ثبوت شهداء اربعة وانتفاؤها فاذ لم ياتوا بهم في حكم
الله وشريعته كاذبون وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك ولم يجدوا في

في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب
القاذف بغير بينة والتنكيل ولولا فضل الله اي في الدنيا بالنعم التي منها الامهال
للتوبة ورحمته عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لمسكم العذاب فيما خضتم فيه
من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ تلقونه العامل
في اذ لمسكم وقرا الجمهور تلقونه بفتح الثلاثة وشد القاف وشد التا البزي
وادغم ذال اذ في التا ابو عمرو والكسائي وحمزة اي ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول
وتلقنه وتلقفه والاصل تتلقونه وهي قراءة ابي وقرا ابن السميقع تلقونه بضم
التا والقاف وسكون اللام مضارع القى وعنه تلقونه بفتح التا والقاف
وسكون اللام مضارع لقي وقرات عايشة وابن عباس وعيسى وابن يعمر وزيد
ابن علي بفتح التا وكسر اللام وضم القاف من قول العرب ولق الرجل كذب حكاه
اهل اللغة وقال ابن سيده جاوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه
اراد تلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير وحكى الطبري وغيره ان
هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذي هو الاسراع بالشي بعد الشي كعدد في
اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اذا اسرع قال
جات به عنس من الشام تلق ٥ وقرا زيد بن اسلم وابو جعفر تالقونه بفتح التا
وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الالق وهو الكذب وقرا يعقوب في
رواية المازني تيلقونه بتا مكسورة بعدها يا ولام مكسورة مفتوحة كانه
مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجل وقال سفين سمعت
امي تقرا اذ تثقفونه يعني مضارع ثقف قال وكان ابوها يقرا بحرف ابن مسعود
وتقولون بافواهكم وتديرونه فيما بينكم من غير علم لان الشي المعلوم يكون في القلب ثم يعبر
عنه اللسان وهذا الافك ليس محله الا الافواه كما يقولون كما قال يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا اي ذنبا صغيرا وهو عند الله من الكباير وعلق مس
العذاب بثلاثة اثام تلقي الافك والتكلم به واستصغاره ثم احد يوبخهم على التكلم
به وكان الواجب عليهم اذا سمعوه ان لا يفوهوا به وقال الزمخشري فان قلت
كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء
منزلة نفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
في غيرها انتهى وما ذكره في ادوات التحضيض يوهم ان ذلك مختص بالظرف وليس
كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت
وقال الزمخشري فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا
قلت الفايدة بيان انه كان الواجب عليهم ان ينفادوا اول ما سمعوه بالافك
عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت ما معنى يكون
والكلام بدونه متلبث لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ما ينبغي ويصح
اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق وسبحانك تعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت

الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل
متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم كما قيل فيها انتهى
يعظكم الله ان تعودوا اي في ان تعودوا تقول وعظت فلانا في كذا فتركه ان كنتم
مؤمنين حث لهم على الاتعاظ وتهييج لان من شان المومن الاحتراز مما يشينه من
القبايح وقيل ان تعودوا مفعول من اجله اي كراهة ان تعودوا ويبين الله لكم الايات
اي الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب ويعظكم من
المواعظ الشافية ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة قال مجاهد وابن زيد
الاشارة الى عبد الله بن ابي ومن اشبهه في الذين امنوا العذاب ونعتهم لهم والعذاب
الاليم في الدنيا الحد وفي الاخرة النار والظاهر في الذين يحبون ان تشيع الفا
العموم في كل قاذف منافقا كان او مومنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل
على ان ارادة الفسق فسق والله يعلم اي البري من المذنب وسراير الامور ووجه الحكمة
في ستركم والتغليظ في الوعيد وقال الحسن عنى بهذا الوعيد واللعن المنافقين
وانهم قصدوا واحبوا اذاية الرسول وذلك كفر وملعون فاعله وقال ابو مسلم
هم المنافقون اوعدهم الله بالعذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة لقوله
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال الكرماني والله يعلم كذبهم
وانتم لا تعلمون لانه غيب وجواب لولا محذوف اي لعاقبكم وان الله رؤف بالتبرية
رحيم بقبول توبة من تاب ممن قذف قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة
والظاهر العموم ٥ يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم • ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم • ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم • يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون • يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
ويعلمون ان الله هو الحق المبين • الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اوليك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
• تقدم الكلام على خطوات الشيطان تفسيرا وقراة في البقرة والضمير في فانه
عايد على من الشرطية اي فان متبع خطوات الشيطان يامر بالفحشا وهو ما افرط
قبحه والمنكر وهو ما تنكره العقول السليمة اي يصير راسا في الضلال بحيث يكون
امرا يطيعه اصحابه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة الممحصة ما طهر احد
منكم وقرا الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف واماله حمزة والكسائي وابو حيوة والحسن
والاعمش وابو جعفر في رواية وروح بتشديدها واماله الاعمش وكتب زكى المخفف
بالياء وهو من ذوات الواو على سبيل الشذوذ لانه قد يمال وعلى قراة من شدد الكاف
ولكن الله يزكي من يشا ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح امارة على سبقها
او من يشا بقبول التوبة النصوح والله سميع لاقوالهم عليم بضماريهم ٥ ولا ياتل

حسنة

قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا

هو مضارع ايتلى افتعل من الالية وهي الحلف وقيل معناه يقتصر من افتعل الوت قصرت
ومنه لا يالونكم وقال الشاعر

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه ... بمدرك اطراف الخطوب ولا آل

وهذا قول ابي عبيدة واختاره ابو مسلم وسبب نزولها المشهور انه حلف ابو بكر على
مسطح ان لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة
من المؤمنين منافعهم عن من قال في الافك وقالوا لا نصل من تكلم فيه فنزلت
في جميعهم والاية تتناول من هو بهذا الوصف وقرأ الجمهور ياتل وقرأ عبد الله
وابن عباس بن ربيعة وابو جعفر مولاه وزيد بن اسلم والحسن يتأل مضارع تالى بمعنى
حلف قال الشاعر

تالى ابن اوس حلفة ليردني ... الى نسوة كانهن مفائد

والفضل والسعة يعني المال وكان مسطح ابن خالة ابي بكر وكان من المهاجرين
وممن شهد بدرا وكان ما نسب اليه داعيا ابا بكر ان لا يحسن اليه فامر هو ومن جرى
مجراه بالعفو والصفح وحين سمع ابو بكر الا تحبون ان يغفر الله لكم قال بلى احب ان يغفر الله
لي ورد الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب وابو
البرهسم ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويناسبه الا تحبون وان يؤتوا نصب بالفعل المنهي
فان كان بمعنى الحلف فيكون التقدير كراهة ان يؤتوا او ان لا يؤتوا فحذف لا وان كان
بمعنى يقصر فيكون التقدير في ان يؤتوا او عن ان يؤتوا وقرأ عبد الله والحسن وسفين
بن الحسين واسماء بنت يزيد ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء امر خطاب للحاضرين ان
الذين يرمون عام في الرامين والراميات تغليبا للمذكر على المؤنث والمحصنات
ظاهره انه عام في النساء العفايف وقال ابو النحاس من احسن ما قيل فيه انه عام لجميع
الناس من ذكر وانثى وان التقدير يرمون الانفس المحصنات فيدخل فيه المذكر والمؤنث
وقيل هو خاص بمن تكلم فيهما في حديث الافك وقيل خاص بامهات المؤمنين وكرامتهن منزلة
وجلالة تلك فيدل انه خاص بها جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات
بتلك الصفات من الاحصان والعقل والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي
يعني عبد الله بن الزبير واشياعه والغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب
اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولا يفطن لما يفطن له المجربات
كما قال الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة ... بلهاء تطلعني على اسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله لعنوا في الدنيا والاخرة
في قذف المحصنات قيل هذا الاستثناء بالتوبة وفي هذه لم يجي استثناء وعن ابن عباس
ان من خاض في حديث الافك وتاب لم تقبل توبته والصحيح ان الوعيد في هذه الاية
مشروط بعدم التوبة ولا فرق بين الكفر والفسق وان من تاب غفر له ويناسب ان
تكون هذه الاية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت المراة اذا خرجت الى المدينة
مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قال ابو حمزة اليماني ويؤيده قوله يوم
تشهد عليهم وعن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن ابي كان يشك في الدين

فاذا كان

فاذا كان يوم القيامة علم حيث لا ينفعه والناصب ليوم تشهد ما تعلق به الجار والمجرور
وهو لهم وقال الحوفي العامل فيه عذاب ولا يجوز لانه موصوف الا على راي الكوفيين
وقرأ الاخوان والزعفراني وابن مقسم وابن سعدان يشهد بالياء من تحت لان التانيث
مجازي ووقع الفصل وباقي السبعة بالتاء ولما كانت قلوب الكافر لا يريد ما يشهد به
انطق الله الجوارح الالسنة والايدي والارجل بما عملوا في الدنيا واقدرها على ذلك
وليست الحياة شرطا في وجود الكلام وقالت المعتزلة يخلق في هذه الجوارح الكلام
وعندهم ان المتكلم فاعل الكلام فتكون تلك الشهادة من الله في الحقيقة الا انه
تعالى اضافها الى الجوارح توسعا وقالوا ايضا انه تعالى يبني هذه الجوارح
على خلاف ما هي عليه ويلجئها ان تشهد على الانسان وتخبر عنه باعماله قال
القاضي وهذا اقرب الى الظاهر لان ذلك يفيد انها تفعل الشهادة وانتصب يومئذ بيوفيهم
والتنوين في اذ عوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم اذ تشهد وقرأ زيد بن علي
يوفيهم مخففا والدين هنا الجزاء اي جزاء اعمالهم وقال ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا ومنه كما تدين تدان وقرأ الجمهور الحق بالنصب صفة لدينهم وقرأ عبد الله
ومجاهد وابو روق وابو حيوة بالرفع صفة لله ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصوف
وصفته ويعلمون الى آخره يقوي قول من قال ان الاية في عبد الله بن ابي لان كل مؤمن
يعلم ان الله هو الحق المبين قال الزمخشري ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد
به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في الافك وما انزل من الايات
القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام
ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب
مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل
القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وان
السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا به وان الله يوفيهم جزاءه
الحق الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك
واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان
الا ما هو دونه في الفظاعة انتهى وهو كلام حسن ثم قال بعد كلام فان قلت
ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين العادل الظاهر
العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط
عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه انتهى وفي
قوله لم تسقط عنده اساءة مسيء دسيسة الاعتزال والظاهر ان الخبيثات وصف
للنساء وكذلك الطيبات اي النساء الخبيثات للرجال الخبيثين ويرجحه مقابلته
بالذكور فالمعنى ان الخبيثات من النساء ينزعن للخباث من الرجال فيكون قريبا من قوله
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ويدل
على هذا التاويل قول عائشة حين ذكرت التسع التي ما اعطيهن امراة غيرها
وفي غيرها ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وهذا
التاويل نحى اليه ابن زيد فهو تفريق بين عبد الله واشباهه والرسول واصحابه

فيه

المفردات

فلم يجعل الله له الا كل طيبة واولئك خبيثون فهم اهل النساء الخبيثات وقال ابن عباس والفعلات ومجاهد وقتادة معنى لا اقوال ولا افعال ثم اختلف متولا فقال بعضهم الكلمات والفعلات الخبيثة لا يقولها ولا يرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وقال بعضهم الكلمات والفعلات لا تليق وتلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف الا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه اولئك اشارة للطيبين او اشارة لهم وللطيبات اذا عني بهن النساء مبرؤون مما يقولون اي يقول الخبيثون من خبيثات الكلام والقاذفون الرامون المحصنات ووعد الطيبين المغفرة عند الحساب والرزق الكريم في الجنة **غض البصر** اطبق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية **قال الشاعر**

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

الخمر جمع خمار وهو المقنعة التي تلقي المرأة على راسها وهو جمع كثرة مقيس فيه ويجمع في القلة على اخمرة وهو مقيس فيه ايضا **قال الشاعر**

وترى الشجراء في ريقه ... كرؤوس قطعت فيها الخمر

الجيب فتح يكون في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد **والعورة** ما احترز من الاطلاع عليه ويغلب في سوءة الرجل **والمرأة الايم** قال النضر بن شميل كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها ووزنه فيعل كليت ويقال امت تئيم **وقال الشاعر**

كل امرئ ستئيم منه العرس او منها يئيم ... اي سينفرد فيصيرا يما

وقياس جمعه ايايم كسيايد في جمع سيد وجمع على فعالى محفوظ لا مقيس **البغاء** الزنا يقال بغت المرأة تبغي بغاء فهي بغي وهو مختص بزنا النساء **المشكوة** الكوة غير النافذة قال الكلبي حبشي معرب **الزجاجة** جوهر مصنوع معروف وضم الزاي لغة الحجاز وكسرها وفتحها لغة قيس **الزيت** الدهن المعتصر من حب شجرة الزيتون قال الكرماني **السراب** بخار يرتفع من قعور القيعان فيكثف فاذا اتصل به ضوء الشمس اشبه الماء من بعيد فاذا دنا منه الانسان لم ير كما كان يراه بعيدا وقال الفراء السراب ما لصق بالارض وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند اشتداد الحر في البر يخيل للناظر انه الماء السارب اي الجاري **قال الشاعر**

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم ... كلمع سراب في الفلا متألق

وقال امرؤ القيس طول الماء السراب وقيل السراب ما يرقرق من الهواء في الهجير في فيافي الارض المنبسطة **اللجي** الكثير الماء ولجة البحر معظمه وكان لجيا منسوب الى اللجة **الودق** المطر شديده وضعيفه **وقال الشاعر**

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا ارض ابقل ابقالها

وقال ابو الاشهب العقيلي هو البرق ومنه **قول الشاعر**

اثرن عجاجة وخرجن منها ... خروج الودق من خلل السحاب

والودق مصدر ودق السحاب يدق ودقا ومنه استودقت الفرس **البرد** معروف وهو قطع متجمدة يذوب عنه ما بالحرارة **السنا** مقصور من ذوات الواو وهو الضوء **قال** يضيء سناه او مصابيح راهب يقال سنا يسنو سنا والسنا ايضا

بنت

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

الله

بنت يتداوي به والسناء بالمد الرفعة والعلو قال وسن كسنيق سنا وسنما **اذعن** للشيء انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة **الحيف** الميل في الحكم يقال حاف في قضيته اي جار **اللواذ** الروغان من شيء الى شيء في خفية ۝ يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ۝ ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ۝ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ۝ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او اباءهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ۝ جاءت امراة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني احد عليها احد فلا يزال يدخل علي رجل من اهلي فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا الاية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله ارايت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الاية ومناسبة هذه الاية لما قبلها هو ان اهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كانها طريق للتهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستيذان والسلام لان في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به والظاهر انه يجوز للانسان ان يدخل بيت نفسه من غير استيذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم ويروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل قال وعنه النهي عن الدخول بالاستيناس والسلام على مثل تلك البيوت والظاهر ان الاستيناس هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال اذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكنايات والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقد روي عن ابن عباس انه قال تستانسوا معناه تستاذنوا ومن روى عن ابن عباس ان قوله تستانسوا خطا او وهم من الكاتب وانه قرأ حتى تستاذنوا فهو طاعن في الاسلام ملحد في الدين وابن عباس بريء من هذا القول وتستانسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم وقيل هو من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا

والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه استأنس هل ترى أحدا
واستأنست فلم أر أحدا أي تعرفت واستعملت ومنه **بيت النابغة**

كأن رحلي وقد زال النهار بنا • يوم الجليل على مستأنس وحد

ويجوز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان وعن أبي أيوب قلنا يا رسول الله
ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة ويتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم
أن يقول السلام عليكم وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته
حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد
الله عن ذلك وعلم الأحسن الأجمل وذهب الطبري إلى أن تستأنسوا إلى أنه بمعنى حتى
تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا
أن قد شعر بكم قال ابن عطية وتصريف الفعل يأبى أن يكون من أنس انتهى وقال عطاء
الاستئذان واجب على كل محتلم والظاهر مطلق الاستئذان فيكفي فيه المرة الواحدة
وفي الحديث الاستئذان ثلث يعني كماله فإن أذن له وإلا فليرجع ولا يزيد على ثلث
إلا أن يحقق أن من في البيت لم يسمع والظاهر تقديم الاستئذان على التسليم وفي حديث
أبي داود قل السلام عليكم أأدخل والواو في وتسلموا لا تقتضي ترتيبا فشرع النداء
بالسلام على الإذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة ذلكم إشارة إلى المصدر
المفهوم من أن تستأنسوا وتسلموا أي ذلكم الاستئناس والتسليم خير لكم من تحية
الجاهلية لعلكم تذكرون أي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم من الستر
وعدم الاطلاع على ما تكرهون الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اعتنا بمصالحكم فإن لم
تجدوا فيها أحدا أي يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم حتى يؤذن لكم
إذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يجب أن يطلع عليه وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
وهذا عائد إلى من استأذن في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه من يأذن
أم لم يكن أي لا تلحوا في طلب الإذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين هو
أزكى أي الرجوع أطهر لكم وأنمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة
ثم أخبر تعالى أنه بما يعملون عليم أي بما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم
عليه وفي ذلك توعد لأهل التجسس على البيوت وطالب الدخول على غرة والنظر لما لا يحل
ليس عليكم جناح قال الزمخشري استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على أهلها
ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع
المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع انتهى
وما ذكره الزمخشري من أنه استثناء من البيوت كما ذكر هو مروي عن ابن عباس وعكرمة
والحسن ولا يظهر أنه استثناء لأن الآية الأولى في البيوت المسكونة والمملوكة
ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الآية الثانية هي في البيوت المباحة وقد مثل
العلماء هذه البيوت أمثلة فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق
التي في طرق المسافرين قال مجاهد لا يسكنها أحد بل هي موقوفة يأوي إليها
كل ابن سبيل وفيها متاع لهم أي استمتاع بمنفعتها ومثل عطاء بالخرب التي يدخل
للتبرز وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيسارية والسوق قال ابن الحنفية أيضا

هي دور مكة ويعني هذا لا يسوغ إلا على القول بأن دور مكة غير مملوكة وأن الناس فيها شركاء
وأن مكة فتحت عنوة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون البيوت
غير المسكونة من أهل الريب ومن في أبصارهم عند الأخفش زائدة أي يغضوا أبصارهم
عن ما يحرم وعند غيره للتبعيض وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض
فيما بعد ذلك ويؤيده قوله لعلي كرم الله وجهه لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى
لك وليست لك الثانية وقال ابن عطية يصح أن تكون من لبيان الجنس ويصح أن تكون
لابتداء الغاية انتهى ولم يتقدم مبهم فيكون من لبيان الجنس على أن الصحيح أن من
ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس ويحفظوا فروجهم أي من الزنا ومن التكشف
ودخلت من في قوله من أبصارهم دون الفروج دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى
أن الزوجة ينظر زوجها إلى محاسنها من الشعر والصدر والعضد والساق والقدم
وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الأجنبية إلى وجهها وكفيها وأما أمر الفرج
فمضيق وعن أبي العالية وابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذا
فهو من الاستتار ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين ذلك أي غض
البصر وحفظ الفرج أطهر لهم إن الله خبير بما يصنعون من إجالة النظر وانكشاف
العورات فيجازي على ذلك وقدم البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد
الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه وهو الباب الأكبر
إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته وقال بعض الأدباء

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة • يزيد نموا إن تزده لجاجا

ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الأبصار وفي الحفظ
للفروج ثم قال ولا يبدين زينتهن واستثنى ما ظهر من الزينة والزينة ما
تتزين به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل
والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلا
والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثني وذكر الزينة دون مواضعها
مبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر إليها لغيرها ولا وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر
والأذان فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر لا يحل إليها لملابستها تلك
المواقع بدليل النظر إليها غير ملابسة لها وسومح في الزينة الظاهرة لأن سترها
فيه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف
وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات
وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا
ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفية
أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم
ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة
القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك وقال
ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب ونص على ذلك أحمد قال الزينة الظاهرة

الثياب وقال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وفسرت الزينة بالثياب وقال
ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب والسوار وقال الحسن ايضا الخاتم والسوار
وقال ابن عباس الكحل والخاتم فقط وقال المسور بن مخرمة هما والسوار وقال الحسن
ايضا الخاتم والسوار وقال ابن بحر الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله
وعلى ما يتزين به من فضل لباس فنهاهن الله عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى
ما لا يمكن اخفاؤه في بعض الاوقات كالوجه والاطراف على غير التلذذ وانكر بعضهم
اطلاق الزينة على الخلقة والاقرب دخوله في الزينة واي زينة احسن من خلق
العضو في غاية الاعتدال والحسن **وفي قوله** وليضربن بخمرهن على جيوبهن دليل
على ان الزينة ما يعم الخلقة وغيرها منعهن من اظهار محاسن خلقهن فاوجب سترها
بالخمار وقد تعالت المالكات الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة في
الصلوة والحج حسن ان يكون الاستثناء راجعا اليهما **وفي** السنن لابي داود انه عليه
السلام قال يا اسماء ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار
الى وجهه وكفيه وقال ابن خويز منداد اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها
الفتنة فعليها ستر ذلك وكان النساء يغطين رؤسهن بالاخمرة ويسدلنها من
وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر عليهن وضمن وليضربن معنى
وليضعن وليلقين فلذلك عداه بعلى كما تقول ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها
اليه وقرأ عباس عن ابي عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهن بسكون الميم وابو عمرو
ونافع وعاصم وهشام جيوبهن بضم الجيم وباقي السبعة بكسر الجيم وبدأ تعالى
بالازواج لان اطلاعهم يقع على اعظم من الزينة ثم ثني بالمحارم وسوى بينهم
في ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر فلا مرية
ان الاب والاخ ليس كابن الزوج فقد يبدى للاب ما لا يبدى لابن الزوج ولم يذكر تعالى
هنا العم ولا الخال وقال الحسن هما كسائر المحارم في جواز النظر قال الا ان
الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن
في ابائهن ولم يذكر فيها البعولة وذكرهم هنا والاضافة في نسائهن الى المومنات
يقتضي تمييز ما اضيف اليهن من النساء من مسلمة وكافرة كتابية او مشركة من اللواتي
يكن في صحبة المومنات وخدمتهن واكثر السلف على ان قوله او نسائهن مخصوص
بمن كان على دينهن قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي
للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب
عمر الى ابي عبيدة ان امنع نساء اهل الذمة من دخول الحمام مع المومنات والظاهر
العموم في قوله او ما ملكت ايمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد ان ينظر
من سيدته ما ينظر اليه المستثنون وهو مذهب عائشة وام سلمة وعن مجاهد
كان امهات المومنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وروي ان عائشة
كانت تمتشط وعبدها ينظر اليها وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه وقال
ابن مسعود والحسن وابن المسيب وابن سيرين لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو
قول ابي حنيفة وفي الحديث لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق

ثلث الا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم اية النور
فان المراد بها الاماء قال الزمخشري وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الا
جنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها
ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى المثلة تحلل
ما حرم الله وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم
ولم ينقل احد من السلف امساكهم انتهى والاربة الحاجة الى الوطء لانهم بله
لا يعرفون شيئا من امر النساء ويتبعون لانهم يصيبون من فضل الطعام قال ابن عطية
ويدخل في هذه الصيغة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفاني والزمن الموقوذ
بزمانته **وقرأ** ابن عامر وابو بكر بالنصب على الحال او الاستثناء وباقي السبعة بالجر
على النعت وعطف او الطفل على من الرجال قسم التابعين غير اولي الحاجة للوطء الى قسمين
رجال واطفال والمفرد المحلى بال يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع في قوله
الذين لم يظهروا ومن ذلك قول العرب اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض
يريد الدنانير والدراهم فكأنه قال او الاطفال والطفل ما لم يراهق الحلم وفي مصحف
حفصة او الاطفال جمعا وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد
الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ثم يخرجكم طفلا انتهى ووضع المفرد موضع
الجمع لا ينقاس عند س واما قوله الطفل فمن باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم
كقوله ان الانسان لفي خسر ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لا بالواو
وقوله ونحوه ليس نحوه لان هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا
هنا على الجمع الذي لا ينقاسه س لانه يجوز ان يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل
في قوله تعالى واعتدت لهن متكأ اي لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم
رغيف اي يشبع كل واحد منهم وقوله لم يظهروا اما من قولهم ظهر على الشيء اذا اطلع
عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان
اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه ومنه فاصبحوا ظاهرين اي غالبين قادرين عليه
فالمعنى لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء **وقرأ** الجمهور عورات بسكون الواو وهي
لغة اكثر العرب لا يحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع وروي عن ابن عامر تحريك
الواو عورات بالفتح والمشهور في كتب النحو ان تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع
هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات ان ابن ابي اسحاق
والاعمش قرا عورات بالفتح قال وسمعنا ابن مجاهد يقول هو لحن وانما جعله لحنا
وخطأ من قبل الرواية والا فله مذهب في العربية بنو تميم يقولون روضات وجوزات
وعورات وسائر العرب بالاسكان وقال الفراء العرب على تخفيف ذلك الا
هذيلا فتثقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو انشدني بعضهم

ابو بيضات رائح متأوب ❊ رفيق بمسح المنكبين سبوح

ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقال ابن عباس هو قرع الخلخال
بالاخر وتحريك الخلاخل عند الرجال وزعم حضرمي ان امراة اتخذت خلخالا

من فضة واتخذت جزعاً فجعلته في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض
فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الاية وقال الزجاج وسماع صوت هذه
الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها انتهى وقال ابو محمد بن حزم ما معناه انه تعالى
نهاهن عن ذلك لان المراة اذا مرت على الرجال قد لا يلتفتون اليها ولا يشعرون بها
وهي تكره ان لا ينظروا اليها فاذا فعلت ذلك نبهت على نفسها وذلك بحبهن في تعلق
الرجال بهن وهذا من خفايا الاعلام بحالهن وقال مكي ليس في كتاب الله اية
اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع وقال
الزمخشري واذا نهي عن اظهار صوت الحلي بعدما نهي عن اظهار الحلي علم بذلك ان
النهي عن اظهار مواقع الحلي ابلغ وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لما سبقت
اوامره تعالى ونواهيه وكان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دائما وان
ضبط نفسه واجتهد فلا بد من تقصير امر بالتوبة وبترجي الفلاح اذا تابوا وعن
ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة
وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون ويا ايه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء ووجهه
انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف بالتقاء الساكنين
اتبعت حركتها حركة ما قبلها وضمها التي للتنبيه بعد اي لغة لبني مالك رهط
شقيق بن سلمة ووقف بعضهم بسكون الهاء لانها كتبت في المصحف بلا الف
بعدها ووقف بعضهم بالالف ۝ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
واما‌ئكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ۝ وليستعفف الذين
لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت
ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ۝ واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ۝ ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۝ لما تقدمت اوامر ونواه
في غض البصر وحفظ الفرج واخفاء الزينة وغير ذلك وكان الموجب للطموح من الرجال
الى النساء ومن النساء الى الرجال هو عدم التزوج غالبا لان في تكاليف النكاح
وما يجب لكل واحد من الزوجين ما يشغل امر تعالى بانكاح الايامى وهم الذين
لا ازواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت الى غيره
والظاهر ان الامر في قوله وانكحوا للوجوب وبه قال اهل الظاهر واكثر العلماء
على انه هنا للندب ولم يخل عصر من الاعصار من وجود الايامى ولم ينكر ذلك ولا
امر الاولياء بالانكاح وقال الزمخشري الايامى واليتامى اصلهما ايايم
ويتايم فقلبا انتهى وفي التحرير قال ابو عمرو ايامى مقلوب ايايم وغيره من
النحويين ذكر ان ايما ويتيما جمعا على ايامى ويتامى شذوذا يحفظ ووزنه فعالى
وهو ظاهر كلام س قال س في اواخر هذا باب تكسير ما كان من الصفات
وقالوا وجي ووجيا كما قالوا زمن وزمنى فاجروه على المعنى كما قالوا يتيم ويتامى
وايم وايامى فاجروه مجرى رجاعى انتهى وتقدم في المفردات ان الايم من لا زوج له

من ذكر

قوله عز وجل وانكحوا الايامى

من ذكر او انثى وفي شرح كتاب س لابي بكر الخفاف الايم التي لا زوج لها واصله في
التي كانت متزوجة ففقدت زوجها برزء طرا عليها فهو من البلايا ثم قيل في البكر
مجازا لانها لا زوج لها انتهى منكم خطاب للمؤمنين امر تعالى بانكاح من تايم من الاحرار
والحرائر ومن فيه صلاح من العبيد والاماء واندرج المؤنث في المذكر في قوله والصالحين
وخص الصالحين ليحصن لهم دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين
من الارقاء هم الذين يشفق مواليهم عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة
والمودة فكانوا مظنة للاهتمام بشانهم وتقبل الوصية فيهم والمفسدون
منهم حالهم عند مواليهم على عكس ذلك وقيل معنى والصالحين اي للنكاح
والقيام بحقوقه وقرأ مجاهد والحسن من عبيدكم بالياء مكان الالف وفتح
العين واكثر استعمال العبيد في المماليك ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله هذا
مشروط بالمشيئة المذكورة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شاء والله واسع اي ذو غنى وسعة يبسط الله لمن يشاء عليم بحاجات
الناس فيجري عليهم ما قدر من الرزق ۝ وليستعفف اي ليجتهد في العفة
وصون النفس وبنوا استفعل بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها وجاء
الفك على لغة الحجاز ولا نعلم احدا قرا وليستعف بالادغام الذين لا يجدون
نكاحا قيل النكاح هنا اسم ما يمهر وينفق في الزواج كاللحاف واللباس لما
يلتحف به ويلبس ويؤيده قوله حتى يغنيهم الله من فضله فالمامور بالاستعفاف
هو من عدم المال الذي يتزوج به ويقوم بمصالح الزوجية والظاهر انه امر ندب
لقوله قبل ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ومعنى لا يجدون نكاحا اي لا يتمكنون
من الوصول اليه فالمعنى انه امر بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده باي
وجه تعذر واغلب الموانع عن النكاح عدم المال وحتى يغنيهم ترجية للمستعففين
وتقدمة للوعد بالتفضل عليهم فالمعنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا في
استعفافهم وربطا على قلوبهم وما احسن ما ترتبت هذه الاوامر حيث امر
اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح
الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس
الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق
القدرة عليه انتهى وهو من كلام الزمخشري وهو حسن ولما بعث السيد على تزويج
الصالحين من العبيد والاماء رغبهم في ان يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا
احرارا فيتصرفون في انفسهم والذين يبتغون الكتاب اي المكاتبة كالعتاب
والمعاتبة مما ملكت يعم المماليك الذكور والاناث والذين يحتمل ان يكون
مبتدا وخبره الجملة والفاء دخلت في الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط
ويحتمل ان يكون منصوبا كما تقول زيدا فاضربه لانه يجوز ان تقول زيدا فاضرب
وزيدا اضرب فاذا دخلت الفاء كان التقدير تنبه فاضرب زيدا فالفاء في
جواب امر محذوف وهذا موضح في النحو باكثر من هذا قال الازهري وسمي
هذا العقد مكاتبة لما يكتب للعبد على السيد من العتق اذا ادى ما تراضيا

عليه من المال وما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها والظاهر وجوب المكاتبة
لقوله فكاتبوهم وهذا مذهب عطاء وعمرو بن دينار والضحاك وابن سيرين وداود
وظاهر قول عمر لانه قال لانس حين سأله سيرين الكتابة فتلكأ انس كاتبه
او لاضربنك بالدرة وذهب مالك وجماعة الى انه امر ندب وصيغتها كاتبتك على
كذا ويعين مال الكتابة عليه وظاهر الامر يقتضي انه لا يشترط تنجيم ولا حلول بل يكون
حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وهذا مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي لا يجوز
على اقل من ثلاثة انجم وقال اكثر العلماء يجوز على نجم واحد وقال ابن خويز منداد اذا
كاتبه على مال معجل كان عتقا على مال ولم يكن كتابة واجاز بعض المالكية الكتابة
الحالة وسماها قطاعة والخير المال قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك
او الحالة التي تقتضي الكسب قاله ابن عباس ايضا او الدين قاله الحسن او اقامة
الصلوة قاله عبيدة السلماني او الصدق والوفاء والامانة قاله الحسن وابراهيم
او ارادة الخير بالكتابة قاله سعيد بن جبير وقال الشافعي الامانة والقوة على
الكسب والذي يظهر من الاستعمال انه الدين يقول فلان فيه خير فلا يتبادر الى
الذهن الا الصلاح والامر بالكتابة مقيد بهذا الشرط فلو لم يعلم فيه خيرا لم تكن
الكتابة مطلوبة بقوله فكاتبوهم والظاهر في وآتوهم انه امر للمكاتبين وكذا
قال المفسرون وجمهور العلماء واختلفوا أهو على الوجوب او على الندب
واستحسن ابن مسعود والحسن ان يكون ثلث الكتابة وعلي ربعها وقتادة
عشرها وقال عمر من اول نجومه مبادرة الى الخير وقال مالك من آخر نجم وقال ابن زيد
والحسن والنخعي وعكرمة والكلبي والمقاتلان امر الناس جميعا على مواساة المكاتب
واعانته وقال زيد بن اسلم الخطاب لولاة الامور ان يعطوا المكاتبين من مال
الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب وقال صاحب التحرير
لو كان المراد بالايتاء الحط لوجب ان يكون بالعبارة العربية ضعوا عنهم او قاصوهم
فلما قال وآتوهم دل على انه من الزكاة اذ هي مناولة واعطاء ويؤكد انه امر باعطاء
وما اطلق عليه الاعطاء كان سبيله الصدقة وقوله من مال الله الذي آتاكم موهما
ثبت ملكه للمال الا من اخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه على عبده
والمولى لا يثبت له على عبده دين صحيح وايضا ما آتاه الله هو الذي يحصل في يده
ويملكه وما يسقطه عقيب العقد لا يحصل له عليه ملك فلا يستحق الصفة بانه
من مال الله الذي آتاه ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء في صحيح مسلم عن جابر ان
جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يكرههما
على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل كانت له ست
معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة جاءته احداهن ذات يوم
بدينار واخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل ذلك وقد
جاءنا الله بالاسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا فنزلت
والفتاة المملوكة وهذا خطاب للجميع ويؤكد ان يكون وآتوهم خطابا للجميع والنهي
عن الاكراه على الزنا مشروط بارادة التعفف منهن لانه لا يمكن الاكراه الا مع ارادة

التحصن

التحصن اما اذا كانت مريدة للزنا فانه لا يتصور الاكراه وكلمة إن وإيثارها على اذا
ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة
ومسيكة من حيز الشاذ النادر وقد ذهب هذا النظر على كثير من المفسرين فقال بعضهم
ان اردن راجع الى قوله وانكحوا الايامى منكم وهذا فيه بعد وفصل كبير وايضا فالايامى
يشمل الذكور والاناث فكان لو اريد هذا المعنى لكان التركيب ان ارادوا تحصنا
فيغلب المذكر على المؤنث وقال بعضهم هذا الشرط ملغى وقال الكرماني هذا شرط
في الظاهر وليس بشرط كقوله ان علمتم فيهم خيرا ومع انه وان كان لم يعلم خيرا صحت
الكتابة وقال ابن عيسى جاء بصيغة الشرط لتفحيش الاكراه على ذلك وقال
لانها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة انتهى وعرض الحياة الدنيا
هو ما يكسبه بالزنا وقوله فان الله جواب للشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم
لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا
بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وابو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان الله
غفور رحيم لهن اي للمكرهات فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط
وقد ضعف ما قلناه ابو عبد الله الرازي فقال فيه وجهان احدهما فان الله
غفور رحيم لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثاني
فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه على التفسير الاول لا حاجة
لهذا الاضمار وعلى الثاني يحتاج اليه انتهى وكلامهم كلام من لم يمعن في لسان
العرب **فان قلت** قوله اكراههن مصدر اضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر
محذوف والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد اكراههم اياهن والرابط يحصل
بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسألة **قلت** لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف
تقول هند عجبت من ضربها زيدا فتجوز المسألة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيدا
لم تجز ولما قدر الزمخشري في احد تقديراته لهن اورد سؤالا فقال **فان قلت**
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها
غير آثمة **قلت** لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما
يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم وربما
قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فيكون آثما انتهى وهذا السؤال والجواب
مبنيان على تقدير لهن **وقرأ** مبينات بفتح الياء الحرميان وابو عمرو وابو بكر
اي بينه الله في هذه السورة واوضح آيات تضمنت احكاما وحدودا وقرأ بعض
فتلك الآيات هي المبينة ويجوز ان يكون المراد مبينا فيها ثم اتسع فيكون المبين
في الحقيقة غيرها وهي ظرف للمبين **وقرأ** باقي السبعة والحسن وطلحة والاعمش
بكسر الياء فاما ان تكون متعدية اي مبينات غيرها من الاحكام والحدود فاسند
ذلك اليها مجازا واما ان تكون لا تتعدى اي بينات في نفسها لا تحتاج الى
موضح بل هي واضحة لقولهم في المثل قد بين الصبح لذي عينين اي قد ظهر
ووضح وقوله ومثلا معطوف على آيات فيحتمل ان يكون المعنى ومثلا من امثال
الذين من قبلكم اي قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما لبراءة

من رميت بحدث الافك ليتظروا فذكر الله في خلقه وصنعه فيه فيعتبروا وقال الضحاك والمراد بالمثل ما في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل في القرآن مثله وقال مقاتل اي شبها من حالهم في تكذيب الرسل اي بينا لكم ما احللنا بهم من العذاب لتمردهم فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وموعظة للمتقين اي ما وعظ في الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وخص المتقين لانهم المنتفعون بالموعظة ٥ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم • في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار • ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب • النور في كلام العرب الضوء المدرك بالبصر فاسناده الى الله تعالى مجاز كما تقول زيد كرم وجود واسناده على اعتبارين اما على انه بمعنى اسم الفاعل اي منور السموات والارض ويؤيد هذا التاويل قراءة علي بن ابي طالب وابي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت بن ابي حفصة والقورصي ومسلمة بن عبد الملك وابي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عياش بن ابي ربيعة نور فعلا ماضيا والارض بالنصب واما على حذف اي ذو نور ويؤيده قوله مثل نوره ويحتمل ان يجعل نورا على سبيل المدح كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبايل وقمرها وهذا مستفيض في كلام العرب واشعارها •

قال الشاعر • كانك شمس والملوك كواكب •

وقال • نمى القبايل خالدين يزيد •

وقال ٥ •

• اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار منها نورها وجمالها •

ويروي نورها واضاف النور الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضيء له السموات والارض ويراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به وقال ابن عباس نور السموات اي هادي اهل السموات وقال مجاهد مدبر امور السموات وقال الحسن منور السموات وقال ابي الله به نور السموات او منه نور السموات ايضيا وها وقال ابو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلماء وقيل المنزه من كل عيب امراة نوار بريئة من الريبة والفحشاء وقال الكرماني هو الذي يرى ويرى به مجاز وصف الله به لانه يرى ويرى بسببه مخلوقاته لانه خلقها واوجدها والظاهر ان الضمير في مثل نوره عايد على الله تعالى واختلفوا في هذا القول ما المراد بالنور المضاف اليه تعالى فقيل الايات البينات في قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات وقيل الايمان المقذوف في قلوب

قوله عز وجل
الله نور السموات

المومنين

المومنين وقيل النور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل النور هنا المومن وقال كعب وابن جبير الضمير في نوره عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد وقال ابي هو عايد على المومنين وفي قراءته مثل نور المومنين وروي في قراءته مثل نور المومن وروي ايضا فيها مثل نور من امن به وقال الحسن يعود على القرآن والايمان وهذه الاقوال الثلثة عاد فيها الضمير على غير مذكور ونقلت المعنى المقصود بالاية بخلاف عوده على الله تعالى ولذلك قال مكي يوقف على والارض في تلك الاقوال الثلثة واختلفوا في هذا التشبيه اهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها الى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شيء بشيء او مما قصد به ذلك اي مثل نور الله الذي هو هداه واتقان صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور الذي هي بين ايدي الناس اي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزء بجزء وقدروه على تلك الاقوال الثلثة اي مثل نوره في محمد او في المومن او في القرآن والايمان كمشكاة فالمشكوة هو الرسول او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحي والملايكة رسل الله اليه وسبب المتصل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي وعلى قول المومن فالمشكوة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات وعلى قول الايمان والقرآن اي مثل الايمان والقرآن في صدر المومن في قلبه كمشكاة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكوة ليست تقابل الايمان وقال الزمخشري اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة اي كصفة مشكوة انتهى ويظهر لي ان قوله كمشكوة هو على حذف مضاف اي مثل نوره مثل مشكوة وتقدم في المفردات ان المشكوة هي الكوة غير النافذة وهو قول ابن جبير وسعيد بن عياض والجمهور وقال ابو موسى المشكوة الحديدة والرصاصة التي تكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة ظرف للمصباح لقوله المصباح في زجاجة وقدره الزمخشري في زجاج شامي وكانه عنده اصفى الزجاج هو الشامي ولم يتقيد في الاية وقرا ابو رجا ونصر بن عاصم في زجاجة الزجاجة بكسر الزاي فيهما وابن ابي عبلة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد بفتحها كانها اي كان الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهو ابلغ في الانارة او لما احتوت عليه من نور المصباح كوكب دري قال الضحاك هو الزهرة شبه الزجاجة في زهرتها باحد الدراري من الكواكب المشاهير وهي المشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحو ذلك وقرا الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير دري بضم الدال وتشديد الراء والياء والظاهر نسبة الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه ويحتمل ان يكون اصله الهمز فابدل وادغم وقرا قتادة وزيد بن علي والضحاك كذلك الا انهما فتحا الدال وروي ذلك عن نصر بن عاصم وابي رجا وابن المسيب وقرا الزهري كذلك الا انه كسر الدال وقرا حمزة كذلك الا انه همز من الدرء بمعنى الدفع اي يدفع بعضه بعضا او يدفع ضوءها خفاءها ووزنه فعيل قيل ولا يوجد

فعيل الا قولهم مريق للعصفر ودري في هذه القراءة فعيل ودرية اذا قيل انها مشتقة
من الدرء وابدل من احد المضعفات الياء فادغمت فيها ياء فعيل وسمع ايضا مريخ للذي في
داخل القرن اليابس بفتح الميم وكسرها وقيل منه علية وقيل ذري ووزنه في الاصل
فعول كسبوح فاستثقل الضم فرد الى الكسر وكذا قيل في سرية وذرية وقرأ ابو عمرو
والكسائي كذلك الا انه كسر الدال وهو بناء كثير في الاسماء نحو سكين وفي الاوصاف
سكير وقرأ قتادة ايضا وابان بن عثمان وابن المسيب وابو رجاء وعمرو بن فائد
والاعمش ونصر بن عاصم كذلك الا انه بفتح الدال قال ابن جني وهذا عزيز لم يحفظ منه
الا السكينة بفتح السين وشد الكاف انتهى وفي الابنية حكى الاخفش كوكب دري
من درأته ودرية وعليك بالسكينة والوقار عن ابي زيد وحكى الفراء بكسر السين وقرأ
الاخوان وابو بكر والحسن وزيد بن علي وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى والاعمش
توقد بضم التاء اي الزجاجة مضارع اوقدت مبنيا للمفعول ونافع وابن عامر وحفص
كذلك الا انه بالياء اي المصباح وابن كثير وابو عمرو توقد بفتح الاربعة فعلا ماضيا اي
المصباح والحسن والسلمي وقتادة وابن محيصن وسلام ومجاهد وابن ابي اسحاق
والمفضل عن عاصم كذلك الا انه بضم الدال مضارع توقد واصله تتوقد اي الزجاجة
وقرأ عبد الله وقد بغير تاء وشدد القاف جعله فعلا ماضيا اي وقد المصباح وقرأ
السلمي وقتادة وسلام ايضا كذلك الا انه بالياء من تحت وجاء كذلك عن الحسن
وابن محيصن واصله يتوقد اي المصباح الا ان حذف التاء في يتوقد مقيس لدلالة ما
ابقي على ما حذف وفي يوقد شاذ جدا لان الياء الباقية لا تدل على التاء المحذوفة
وله وجيه من القياس وهو حمله على يعد اذ حمل يعد وتعد واعد في حذف الواو كذلك هذا
لما حذفوا من تتوقد بالتاءين حذفوا التاء مع الياء وان لم يكن اجتماع التاء والياء مستثقلا
من شجرة اي من زيت شجرة وهي شجرة الزيتون مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت
في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم
عليه السلام والزيتون من اعظم الشجر ثمرا ونماء واطراد افنان ونضارة افنان
وقال ابو طالب يورث الميت الغريب كما بورك نضر الرمان والزيتون
لا شرقية ولا غربية قال ابن زيد هي من شجر الشام فهي ليست من شرق الارض ولا من غربها
لان شجر الشام افضل الشجر وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم هي في منكشف
من الارض تصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية
ولا للغرب فتسمى غربية وقال الحسن هذا مثل وليست من شجر الدنيا اذ لو كانت في الدنيا
لكانت شرقية او غربية وعن ابن عباس انها في دوحة احاطت بها فليست منكشفة
لا من جهة الشرق ولا من جهة الغرب وهذا لا يصح عن ابن عباس لانها اذا كانت
بهذه الصفة فسد جناها وقال ابن عطية انها في وسط الشجر لا تصيبها الشمس
طالعة ولا غاربة بل تصيبها بالغداة والعشي وقال عكرمة هي من شجر الجنة
وقال ابن عمر الشجرة مثل اي انها ملة ابراهيم ليست بيهودية ولا نصرانية وقيل
ملة الاسلام ليست بشديدة ولا لينة وقيل لا مضحى ولا مفيأة ولكن الشمس والظل
يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها وزيتونة بدل من شجرة وجوز

بعضهم فيه ان يكون عطف بيان ولا يجوز على مذهب البصريين لان عطف البيان عندهم
لا يكون الا في المعارف واجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي انه يكون في النكرات
لا شرقية ولا غربية على قراءة الجمهور بالخفض صفة لزيتونة وقرأ الضحاك بالرفع
اي لا هي شرقية ولا غربية والجملة في موضع الصفة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار مبالغة في صفاء الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار والجملة
من قوله ولو لم تمسسه نار حالية معطوفة على حال محذوفة اي يكاد زيتها يضيء في كل
حال ولو في هذه الحال التي تقتضي انه لا يضيء لانتفاء مس النار له وتقدم لنا ان
هذا العطف انما يأتي مرتبا لما كان لا ينبغي ان يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصاء
حتى يدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو اعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل
ولو بظلف محرق وقرأ الجمهور تمسسه بالتاء وابن عباس والحسن بالياء من تحت وحسنه
الفصل وان تأنيث النار مجازي وهو مؤنث بغير علامة نور على نور اي متضاعف
تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوي النور ويزيده
اشراقا شيء لان المصباح اذا كان في مكان ضيق كان اجمع للنور بخلاف المكان
المتسع فانه ينشر النور والقنديل اعون شيء على زيادة النور وكذلك الزيت
وصفاؤه وهنا تم المثال ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء اي لهداه والايمان
من يشاء هدايته ويصطفيه لها ومن فسر النور في مثل نوره بالنبوة قدر يهدي الله الى
نبوته وقيل الى الاستدلال بالايات ثم ذكر تعالى انه يضرب الامثال للناس ليقع لهم
العبرة والنظر المؤدي الى الايمان ثم ذكر احاطة علمه بالاشياء فهو يضع هداه عند
من يشاء في متعلق بيوقد قاله الرماني او في موضع الصفة لقوله كمشكاة اي كمشكاة
في بيوت قاله الحوفي وتبعه الزمخشري قال كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
قال مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت انتهى وقوله
كانه الى آخره تفسير معنى لا تفسير اعراب او في موضع الصفة لمصباح اي مصباح في بيوت
قاله بعضهم او في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم وعلى هذه الاقوال الاربعة لا
يوقف على قوله عليم وقيل في بيوت مستأنف والعامل فيه يسبح حكاه ابو حاتم
وجوزه الزمخشري فقال وقد ذكر تعلقه بمشكاة قال او بما بعده وهو يسبح اي
يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف
كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت انتهى وعلى هذه الاقوال الثلاثة يوقف
على قوله عليم والذي اختاره ان تتعلق في بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما
قبلها هو انه تعالى لما ذكر انه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية
لذلك النور وهم المؤمنون ثم ذكر اشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم
الله عن النقائص واظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ثم ذكر سائر
اوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوفهم مما يكون
في البعث وكذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا وكانه
لما ذكرت الهداية للنور جاء في التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدئ
بالمؤمن وما تأثر به من انواع الهدى ثم ذكر الكافر والظاهر ان قوله في بيوت

اريد به ما هو له من الجمعية وقال الحسن اريد به بيت المقدس وسمي بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض ويؤثر ان عبادة بني اسرائيل وقيده في غاية التهمم والزيت مختوم على ظروفه وقد صنع صنعة وقدر حتى لا يجري الوقيد بغيره فكان اضوء بيوت الارض والظاهر ان في بيوت مطلق فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلوة والعلم وقال مجاهد بيوت الرسول عليه السلام وقال ابن عباس والحسن ايضا ومجاهد هي المساجد التي من عادتها ان تنور بذلك النوع من المصابيح وقيل الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول عليه السلام ومسجد قبا وقيل بيوت الانبيا ويقوي انها المساجد قوله يسبح له فيها بالغدو والاصال واذن تعالى امر بان ترفع اي يعظم قدرها قاله الحسن والضحاك وقال ابن عباس ومجاهد تبنى وتعلى من قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل وقيل ترفع تطهر من الانجاس والمعاصي وقيل ترفع اي ترفع فيها الحوائج الى الله وقيل ان ترفع الاصوات بذكر اسمه وتلاوة القران ويذكر فيها اسمه ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر وعن ابن عباس توحيده وهو لا اله الا الله وعنه يتلى فيها كتابه وقيل اسماؤه الحسنى وقيل يصلى فيها وقرا الجمهور يسبح بكسر الباء وبالياء من تحت وابن وثاب وابو حيوة كذلك الا انه بالتاء من فوق وابن عامر وابو بكر والبختري عن حفص ومحبوب عن ابي عمرو والمنهال عن يعقوب والمفضل وابان بفتحها وبالياء من تحت واحد المجرورات في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله والاولى الذي يلي الفعل لان طلب الفعل للمرفوع اقوى من طلبه للمنصوب الفضلة وقرا ابو جعفر تسبح بالتاء من فوق وفتح الباء قال الزمخشري ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء ويجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما انتهى ويجوز ان يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه تسبح اي تسبح له هي اي التسبيحة كما قالوا ليجزي قوما في قراءة من بناه للمفعول اي ليجزي هو اي الجزاء وقرا ابو مجلز والايصال وتقدم نظيره وارتفع رجال على هذا بين القراءتين على الفاعلية باضمار فعل اي يسبح او يسبح له رجال واختلف في اقتياس هذا فعلى اقتياسه نحو ضربت هند زيدا اي ضربها زيد ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي المسبح رجال وتقدم الكلام في تفسير الغدو والاصال والمراد بهما ثم ذكر تعالى وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم امر الله وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله واحتمل قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع وجهين احدهما انهم لا تجارة لهم ولا بيع فيلهيهم عن ذكر كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار له فيهتدى به والثاني انهم ذو تجارة وبيع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله وعن ما فرض عليهم والظاهر مغايرة التجارة والبيع ولذلك عطف فاحتمل ان يكون تجارة من اطلاق العام ويراد به الخاص فاراد بالتجارة الشراء ولذلك قابله بالبيع او يراد تجارة الجلب ويقال تجر فلان في كذا اذا جلبه وبالبيع البيع بالاسواق ويجوز ان يكون ولا بيع من ذكر خاص بعد عام لان التجارة هي البيع والشراء طلبا للربح ونبه على هذا الخاص لانه في الالهاء ا ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته

الهمة ما لا يلهيه شيء يتوقع فيه الربح لان هذا يقين وذاك مظنون ه قال الزمخشري التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ه انتهى وهذا الذي ذكر من ان التاء سقطت لاجل الاضافة هو مذهب الفراء ومذهب البصريين ان التاء من نحو هذا لا تسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام على واقام الصلاة في الانبياء وصدر البيت الذي انشد عجزه قوله ان الخليط اجدوا البين فانجردوا ه وقد تاوله الذين كلثوم قوله عد الامر على انه جمع عدوة والعدوة الناحية كان الشاعر اراد نواحي الامر وجوانبه يخافون يوما هو يوم القيمة والظاهر ان معنى تتقلب تضطرب من هول ذلك اليوم كما قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فتقلبها هو قلقها واضطرابها فتتقلب من طمع في النجاة الى طمع ومن حذر هلاك الى هلاك وهذا المعنى تستعمله العرب في الحروب كقوله ه بل كان قلبك في جناحي طاير ه ويبعد قول من قال تتقلب على جمر جهنم لان ذلك ليس في يوم القيمة بل بعده وقول من قال ان تقلبها ظهور الحق لها اي فتتقلب عن معتقدات الضلال الى اعتقاد الحق على وجهه فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا والقول الاول ابلغ في التهويل وقرا ابن محيصن تقلب بادغام التاء في التاء واللام في ليجزيهم متعلقة بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم ويجوز ان يتعلق بيسبح وهو الظاهر وقال الزمخشري والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم انتهى والظاهر ان قوله يخافون صفة لرجال كما ان لا تلهيهم كذلك احسن هو على حذف مضاف اي ثواب احسن ما عملوا او احسن جزاء ما عملوا ويزيدهم من فضله على ما تقتضيه اعمالهم فامثل الجنة ابدا في مزيد وقال الزمخشري ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطا الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حسنات لكونه على حسب الاستحقاق انتهى وفي قوله على حسب الاستحقاق دسيسة اعتزال ه

قوله عز وجل والذين كفروا

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ه لما ذكر تعالى حال الايمان والمؤمنين وتنوير قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الاعمال النافعة في الاخرة اعقب ذلك بذكر مثل اعمال الكفرة واعمالهم فمثل لهم ولاعمالهم مثلين احدهما يقتضي بطلان اعمالهم في الاخرة وانهم لا ينتفعون بها والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة شبه اولا اعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده واتعب نفسه في الوصول اليه حتى اذا جاءه اي جاء موضعه الذي تخيله فيه لم يجده شيئا اي فقده لانه معدوم لا يرى شيئا كذلك الكافر يظن ان عمله في الدنيا نافعه حتى اذا افضى الى الاخرة لم ينفعه

عملة بن صار ويا لا عليه **وقرأ** مسلمة بن محارب بقيعات بتاء ممطوطة جمع قيعة
كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وعنه ايضا بتاء شكل الهاء ويقف عليها بالهاء
فاحتمل ان يكون جمع قيعة ووقف بالهاء على لغة طي كما قالوا البناة والاخواة في الوقف
على البنات والاخوات قال صاحب اللوامح ويجوز ان يريد قيعة كالعامة اي كالقرآة
العامة لكنه اشبع الفتحة فتولدت منها الالف مثل منتزح بنياح وقال الزمخشري
وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء ممدودة كرجل عزهاة وقال صاحب اللوامح ويجوز انه
جعله مثل سعلاة وسعلاة وليلة وليلاة والقيعة مفرد مرادف للقاع او جمع قاع
كنار ونيرة فيكون على هذا قرآءة قيعات جمع صحة تناول جمع تكسير مثل رجالات
قريش وجمالات صفر **وقرأ** شيبة وابو جعفر ونافع بخلاف عنهما الظمان بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى الميم والظاهر ان قوله يحسبه الظمان من صفات السراب
ولا يعني الا مطلق الظمان لا الكافر الظمان وقال الزمخشري شبه ما يعمله من لا
يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله
وتنجيه من عذابه يوم القيمة ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب
يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما
رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه ويعتلونه ويسقونه الحميم والغساق وهم
الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد
ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام انتهى فجعل الظمان
هو الكافر حتى تطرد الضماير في جاءه ولم يجده ووجد عنده وفوفاه لشخص واحد
وهو غاير بين الضماير فالضمير في جاءه ولم يجده للظمان وفي ووجد للكافر
الذي ضرب له مثلا بالظمان اي ووجد هذا الكافر وعد الله بالجزاء على عمله بالمرصاد
فوفاه حسابه عمله الذي جازاه عليه وهذا معنى قول ابي وابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة وافرد الضمير في ووجد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار
وقال ابن عطية يحتمل ان يعود الضمير في جاءه على السراب ثم في الكلام متروك كثير يدل
عليه الظاهر تقديره وكذلك الكافر يوم القيمة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا ويحتمل الضمير ان يعود على العمل الذي يدل عليه قوله اعمالهم ويكون تمام
المثل في قوله ماء ويستغني الكلام عن متروك على هذا التاويل لكن يكون في المثل
ايجاز واقتضاب لوضوح المعنى المراد به ووجد الله عنده اي بالمجازاة والضمير
في عنده عايد على العمل انتهى والذي يظهر لي انه تعالى شبه اعمالهم في عدم
انتفاعهم بها بسراب صفته كذا وان الضماير فيما بعد الظمان له والمعنى في
ووجد الله عنده اي ووجد مقدور الله عليه من هلاك بالظما عنده اي عند موضع
السراب فوفاه ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله معجل حسابه لا يوخره عنه
فيكون الكلام متناسقا اخذا بعضه بعنق بعض وذلك باتصال الضماير لشيء واحد
ويكون هذا التشبيه مطابقا لاعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم
وحصل لهم الهلاك باثر ما حوسبوا واما في قول الزمخشري فانه وان جعل الضماير

للظمان لكنه جعل الظمان هو الكافر وهو تشبيه الشي بنفسه كما قال وشبه الماء بعد الجهد بالماء
واما في قول غيره ففيه تفكيك الكلام اذ غاير بين الضماير وانقطع ترصيف الكلام
بجعل بعضه مغفلا من بعض او كظلمات هذا التشبيه الثاني لاعمالهم فالاول فيما يؤول
اليه اعمالهم في الاخرة وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا وبدا بالتشبيه
الاول لانه اكد في الاخبار لما فيه من ذكر ما يؤول اليه امرهم من العقاب الدايم والعذاب
السرمدي ثم اتبعه بهذا التمثيل الذي نبههم على ما هي اعمالهم عليه لعلهم يرجعون
الى الايمان ويفكرون في نور الله الذي جاء به الرسول والظاهر انه تشبيه لاعمالهم
وضلالتهم بالظلمات المتكاثفة وقال ابو علي الفارسي التقدير او كذي ظلمات
قال ودل على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده فالكناية تعود الى المضاف المحذوف
فالتشبيه وقع عنده في الكافر لا للاعمال وهو خلاف الظاهر ويتخيل في تقرير
كلامه ان يكون التقدير او هم كذي ظلمات فيكون التشبيه الاول لاعمالهم والثاني
لهم في حال ضلالهم وقال ابو البقاء في التقدير وجهان احدهما او كاعمال
ذي ظلمات فيقدر ذي ليعود الضمير من قوله اذا اخرج يده اليه ويقدر اعمال ليصح
تشبيه اعمال الكفار باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمات
والثاني لا حذف فيه والمعنى انه شبه اعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين
القلب وبين ما يهتدي اليه فاما الضمير في قوله اذا اخرج يده فيعود الى مذكور
حذف اعتمادا على المعنى تقديره اذا اخرج من فيها يده وقال الجرجاني الاية
الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لان
الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى
الايمان فيكون التمثيل قد وقع لاعمالهم بكفر الكافر واعمالهم منها كفرهم فيكون
قد شبه اعمالهم بالظلمات والعطف باو هنا لانه قصد التنويع والتفصيل لان
او للشك وقال الكرماني او للتخيير على تقدير شبه اعمال الكفار بايهما شيت
وقرأ سفين بن حسين او كظلمات بفتح الواو جعلها واو عطف تقدمت عليها
الهمزة التي لتقرير التشبيه الخالي عن محض الاستفهام والظاهر ان الضمير في يغشاه
عايد على بحر لجي اي يغشى ذلك البحر اي يغطي بعضه بعضا بمعنى انه تجي موجة تتبعها
اخرى فهو متلاطم لا يسكن واخوف ما يكون اذا توالت امواجه وفوق هذا الموج سحاب
وهو اعظم للخوف لاخفائه النجوم التي يهتدى بها وللريح والمطر الناشيين مع السحاب
ومن غدر او كذي ظلمات اعاد الضمير في يغشاه على ذي المحذوف اي يغشى صاحب
الظلمات **وقرأ** الجمهور سحاب بالتنوين ظلمات بالرفع على تقدير خبر لمبتدا
محذوف اي هذه او تلك ظلمات واجاز الحوفي ان يكون مبتدا وبعضها فوق
بعض مبتدا وخبر في موضع خبر ظلمات والظاهر انه لا يجوز لعدم المسوغ فيه
للابتدا بالنكرة الا ان قدرت صفة محذوفة اي ظلمات كثيرة او عظيمة بعضها
فوق بعض **وقرأ** البزي سحاب ظلمات بالاضافة **وقرأ** قنبل سحاب
بالتنوين ظلمات بالجر بدلا من ظلمات وبعضها فوق بعض مبتدا وخبر في موضع
الصفة لظلمات قال الحوفي ويجوز على رفع ظلمات ان يكون بعضها بدلا منها

الجمد بالماء

وهو لا يجوز من جهة المعنى لان المراد والله اعلم الاخبار بانها ظلمات وان بعض
تلك الظلمات فوق بعض اي هي ظلمات متراكمة وليس المعنى على الاخبار بان بعض
ظلمات فوق بعض من غير اخبار بان تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وتقدم
الكلام في كاد اذا دخل عليها حرف نفي مشبعا في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون
فاغنى عن اعادته والمعنى هنا انتفا مقاربة الرؤية ويلزم من ذلك انتفا الرؤية
ضرورة وقول من اعتقد زيادة يكد او انه يراها بعد عسر ليس بصحيح والزيادة قول
ابن الانباري وانه لم يراها الا بعد الجهد قول المبرد والفراء وقال ابن عطية
ما معناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا
دل على نفيه كاد زيد يقوم واذا تقدم النفي على كاد احتمل ان يكون منفيا تقول
المفلوج لا يكاد يسكن فهذا تضمن نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن
فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد انتهى والظاهر ان هذا التشبيه الثاني
هو تشبيه اعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة في المعنى
باجزائه لاجزاء المشبه قال الزمخشري وشبهها يعني اعمال الكفار اعماله في
ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج
البحر والامواج والسحاب ومنهم من لاحظ التقابل فقال الظلمات الاعمال
الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه والموج الضلال
والجهالة التي قد غمرت قلبه والفكر المعوجة والسحاب شهوته في الكفر واعراضه
عن الايمان وقال الفراء هذا مثل لقلب الكافر اي انه لا يعقل ولا يبصر وقيل
الظلمات اعماله والبحر هواه القعير الغريب الغرق فيه الكبير الخطر والموج
ما يغشى قلبه من جهل وغفلة والموج الثاني ما يغشاه من شك وشبهة والسحاب
ما يغشاه من شرك وحيرة فيمنعه الاهتداء على عكس ما في مثل نور الذين انتهى
والتفسير الاجزاء شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام العرب ولما شبه
اعمال الكفار بالظلمات المتراكمة وذكر انه لا يكاد يرى يده من شدة الظلمة قال
ومن لم يجعل الله له نورا اي من لم ينور قلبه بنور الايمان ويهده اليه فهو في ظلمة
ولا نور له ولا مهتدي ابدا ومبدا النور هو في الدنيا وقيل هو في الاخرة اي من لم
ينوره الله بعفوه ويرحمه برحمته فلا رحمة له وكونه في الدنيا اليق بلفظ
الاية وايضا فذلك متلازم لان نور الاخرة هو لمن نور الله قلبه في الدنيا وقال
الزمخشري ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له
وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل
الصالح او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين انتهى وهو على طريقة الاعتزال ● الم تر ان الله
يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ● الم
تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله
وينزل من السما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه عن من يشا يكاد سنا برقه

بمقابلة

قوله عزوجل الم تر ان الله يسبح

يذهب

يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي
على اربع يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله
يهدي من يشا الى صراط مستقيم ● لما ذكر تعالى مثل المومن والكافر والايمان
والضلال امرهما راجع اليه اعقبه بذكر الدلايل على قدرته وتوحيده والظاهر
حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله تعالى من
الثقلين وقيل من عام لكل موجود غلب من يعقل على ما لا يعقل فادرج ما لا يعقل فيه
ويكون المراد بالتسبيح دلالة هذه الاشيا على كونه تعالى منزها عن النقايص
موصوفا بنعوت الكمال وقيل المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذي الذين بالنطق
والصلوة ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة فيكون ذلك قدرا مشتركا بينهما
وهو التعظيم وقال سفين تسبيح كل شي بطاعته وانقياده والطير صافات
اي صفت اجنحتها في الهوا للطيران وانما خص الطير بالذكر لانها تكون
بين السما والارض اذا طارت فهي خارجة من جملة من في السموات والارض حالة
طيرانها وقرا الجمهور والطير مرفوعا عطفا على من وصافات نصب على الحال
وقرا الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه وقرا الحسن وخارجة عن
نافع والطير صافات برفعهما مبتدا وخبر وتقديره يسبحن قيل والتسبيح الطير
حقيقي قاله الجمهور وقال الزمخشري ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه
كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلا يهتدون اليها وقال
الحسن وغيره هو مجاز انما تسبيحه ظهور الحكمة فيه فهو لذلك يدعو الى التسبيح كل اي
كل من ذكر فيشمل الطير والظاهر ان الفاعل المستكن في علم وفي صلاته وتسبيحه
عايد على كل وقاله الحسن قال فهو مثل عليهما يوديهما وقال الزجاج الضمير
في علم وفي صلاته وتسبيحه للكل وقيل الضمير في علم لكل وفي صلاته وتسبيحه
لله اي صلوة الله وتسبيحه اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق
الى خالق وقال مجاهد الصلاة للبشر والتسبيح لما عداهم وقرا الحسن وعيسى
وسلام وهرون عن ابي عمرو تفعلون بتا الخطاب وفيه وعيد وتخويف ● ولله
ملك السموات والارض اخبار بان جميع المخلوقات تحت ملكه يتصرف فيهم
بما يشاء تصرف القاهر الغالب والى المصير اي الى جزائه من ثواب وعقاب وفي ذلك
تذكير وتخويف ولما ذكر انقياد من في السموات والارض والطير اليه تعالى وذكر ملكه
لهذا العالم وصيرورتهم اليه اكد ذلك بشي عجيب من افعاله مشعرا بانتقال من حال
الى حال وكان عقيب قوله والى المصير فاعلم بانتقال الى المعاد فعطف عليه ما يدل
على تصرفه في نقل الاشيا من حال الى حال ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل
في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى
يسوق سحابة الى سحابة ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه لانه سحابة تتصل بسحابة
فيجعل ذلك ملتئما بتاليف بعضه الى بعض وقرا ورش يولف بالواو وباقي
السبعة بالهمز وهو الاصل فيجعله ركاما اي متراكما بجعل بعضه على بعض وانعصاره

يزلك من خلاله اي فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار والخلال قيل مفرد
وقيل جمع خلل كجبال وجبل **وقرأ** ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري
عن ابي عمرو والزعفراني من خلله بالافراد والظاهر ان في السماء جبالا من برد قال له
مجاهد والكلبي واكثر المفسرين خلقها الله كما خلق في الارض جبالا من حجر وقيل
جبال مجاز عن الكثرة لا ان في السماء جبالا كما تقول فلان يملك جبالا من ذهب
وعنده جبال من العلم يريد الكثرة قيلا وهو على حذف حرف التشبيه والسماء السحاب
اي من السماء التي هي جبال اي كجبال كقوله حتى اذا جعله نارا اي كنار وقال الزجاج
فجعل السماء هو السحاب المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وعلى القول الاول
المراد بالسماء الجسم الازرق المخصوص وهو المتبادر للذهن ومن استعمال الجبال
في الكلام مجازا **قول ابن مقبل**

اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى • لها شاعرا مثلي اطب واشعرا
واكثر بيتا شاعرا ضربت له • بطون جبال الشعر حتى تيسرا

واتفقوا على ان من الاولى لابتداء الغاية واما من جبال فقال الحوفي هي بدل من السماء
ثم قال وهي للتبعيض وهذا خطأ لان الاولى لابتداء الغاية في ما دخلت عليه
واذا كانت الثانية بدلا لزم ان يكون مثلها لابتداء الغاية لو قلت خرجت من
بغداد من الكرخ لزم ان يكونا معا لابتداء الغاية وقال الزمخشري وابن عطية
من للتبعيض فيكون على قولهما في موضع المفعول لينزل قال الحوفي والزمخشري
والثالثة للبيان انتهى فيكون التقدير وينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي
البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد فمفعول ينزل من جبال قال الزمخشري او
الاوليان للابتداء والاخيرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها
انتهى فيكون من جبال بدلا من السماء وقيل من الثانية والثالثة زائدتان
وقاله الاخفش وهما في موضع نصب عنده كانه قال وينزل من السماء جبالا
فيها اي في السماء بردا وبردا بدل اي برد جبال وقال الفراء هما زائدتان اي
جبالا فيها برد لا حصى فيها ولا حجر اي يجتمع البرد فيصير كالجبال على التهويل
فبرد مبتدا وفيها خبره والضمير في فيها عائد على الجبال وفاعل بالجار والمجرور
لانه قد اعتمد يكون في موضع الصفة لجبال وقيل من الاولى والثانية لابتدا
الغاية والثالثة زائدة اي وينزل من السماء من جبال السماء بردا وقال الزجاج
معناه وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم حديد
في يدي وانما جئت في هذا وفي الاية بمن لما فرقت ولانك اذا قلت هذا
خاتم من حديد كان المعنى واحدا انتهى فعلى هذا يكون من برد في موضع الصفة لجبال
كما كان من في من حديد صفة لخاتم فيكون في موضع جر ويكون مفعول ينزل من جبال
واذا كانت الجبال من برد لزم ان يكون المنزل بردا والظاهر اعادة الضمير في به
على البرد ويحتمل ان يكون اريد به الودق والبرد وجري في ذلك مجري اسم الاشارة
وكانه قال فيصيب بذلك والمطر هو اعم واغلب في الاصابة والصرف وابلغ
في المنفعة والامتنان **وقرأ** الجمهور سنا مقصورا برقه مفردا **وقرأ** طلحة

ابن مصرف

ابن مصرف سناء ممدودا برقه بضم الباء وفتح الراء جمع برقة بضم الباء وهي المقدار من
البرق كالغرفة واللقمة وعنه بضم الباء والراء اتبع حركة الراء لحركة الباء كما
اتبعت في ظلمات واصلها السكون والسناء بالمد ارتفاع الشان كانه شبه المحسوس
من البرق لارتفاعه في الهواء بغير المحسوس من الانسان فان ذلك صيت لا يحس
به يكاد **وقرأ** الجمهور يذهب بفتح الياء والهاء وابو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء
وذهب الاخفش وابو حاتم الى تخطئة ابي جعفر في هذه القراءة قالا لان الباء تعاقب
الهمزة وليس بصواب لانه لم يكن ليقرأ الا بما روي وقد اخذ القراءة عن سادات التابعين
الاخذين عن جلة الصحابة ابي وغيره ولم ينفرد بها ابو جعفر بل قرأها شيبة كذلك وخرج
ذلك على زيادة الباء اي يذهب الابصار وعلى ان الباء بمعنى من والمفعول محذوف تقديره
يذهب النور من الابصار كما قال شرب النزيف ببرد ماء الحشرج يريد من برد
وتقليب الليل والنهار اتيان احدهما بعد الاخر او زيادة هذا ونقصه او تغير النهار
بظلمة السحاب مرة وضوء الشمس اخرى وتغير الليل باشتداد ظلمته مرة وضوء القمر اخرى
او باختلاف ما يقدر فيهما من الخير والشر والنفع والضرر والنعمة والامر ومقابلاتها ونحو
ذلك اربعة اقوال ان في ذلك اشارة الى ما تقدم من الدلائل الدالة على وحدانيته
من تسبيح من ذكر وتسخير السحاب وما يحدثه تعالى فيه من افعاله حتى ينزل المطر
فيقسم رحمته بين خلقه واراءتهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف الابصار وتقليب
الليل والنهار لعبرة اي لاتعاظا ونظرا لذوي الابصار ربما لا تعاظ لات البصر
والبصيرة اذا استعملا وصلا الى ادراك الحق كقوله انما يتذكر اولوا الالباب **وقرأ**
الجمهور خلق فعلا ماضيا كل نصب **وقرأ** حمزة والكسائي وابن وثاب والاعمش
خالق اسم فاعل مضاف الى كل والدابة ما يحرك اقدامه قدما ويدخل فيه الطير •
قال الشاعر دبيب قطا البطحا في كل منهل • والحوت
وفي الحديث دابة من البحر مثل الظرب واندرج في كل دابة المميز وغيره فسهل
التفصيل بمن التي لمن يعقل وما لا يعقل اذ كان مندرجا في العام فحكم له بحكمه
كان الدواب كلهم مميزون والظاهر ان من ماء متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية
اي ابتدأ خلقها من الماء فقيل لما كان غالب الحيوان مخلوقا من الماء لتولده من
النطفة او لكونه لا يعيش الا بالماء اطلق لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة العام
ويخرج عن ما خلق من ماء ما خلق من نور وهم الملائكة ومن نار وهم الجن ومن تراب
وهو ادم وخلق عيسى من الروح وكثير من الحيوان لا يتولد الا من نطفة وقيل كل دابة
على العموم في هذه الاشيا كلها وان اصل جميع المخلوقات الماء فروي ان اول
ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء
النار والهواء والنور ولما كان المقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة
وكان الاصل الاول هو الماء قال خلق كل دابة من ماء وقال القفال
ليس من ماء صلة متعلقة بخلق وانما هو في موضع الصفة لكل دابة فالمعنى الاخبار
انه تعالى خلق كل دابة متولدة من الماء اي متولدة من الماء مخلوقة لله تعالى ونكر
الماء هنا وعرف في وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المعنى هنا خلق كل دابة من نوع

من الماء مختص بهذه الدابة او من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالفت بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ومثال ذلك فصدان اجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينها وبينه وسائط كما قيل ان اصل النور والنار والتراب الماء وسمي الزحف على البطن مشيا لمشاكلة ما بعده من ذكر الماشيين او استعارة كما قالوا قد مشى هذا الامر وما يتمشى لفلان امر كما استعاروا المشفر للشفة والشفة للجحفلة والماشي على بطنه الحيات والحوت ونحو ذلك من الدود وغيره وعلى رجلين الانسان والطير والاربع لسائر الحيوان الارض من البهائم وغيرها فان وجد من له اكثر من اربع فقيل اعتماده انما هو على اربع ولا يفتقر في مشيه الى جميعها وقدم ما هو اعرف في القدرة واعجب وهو الماشي بغير آلة مشي من رجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوانات لكنه لم يثبت قرآنا ولعله ما اورده مورد قراءة بل تنبيها على ان الله خلق من يمشي على اكثر من اربع كالعنكبوت والعقرب والرتيلا وذي اربع واربعين رجلا وتسمى الاذن وهذا النوع لندوره لم يذكر يخلق الله ما يشاء اشارة الى الله تعالى ما تعلقت به ارادته خلقه انشاه واخترعه وفي ذلك تنبيه على كثرة الحيوانات وانما اختلفت بكيفية المشي اختلفت بامور اخر • ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين • واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون • وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين • افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون • ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون • واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون • قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون • واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون • لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس المصير • نزلت الى قوله الا البلاغ المبين في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودي في خصومة بينهما الى الرسول عليه السلام ودعا هو الى كعب بن الاشرف فنزلت ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم امنوا بالسنتهم دون عقائدهم ثم يتولى فريق منهم عن الايمان بعد ذلك الى بعد قولهم امنا وما اولئك اشارة الى القائلين

قوله عز وجل ويقولون امنا

فينتفي

فينتفي عن جميعهم الايمان او الى الفريق المتولي فيكون ما سبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة بالقلب وافرد الضمير في ليحكم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لان حكم الرسول هو عن الله قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه ومنهل من الفلا في اوسطه غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا انتهى اي قبل تقدم القطا اليه وقرا ابو جعفر ليحكم في الموضعين مبنيا للمفعول واذا الثانية للمفاجاة جواب اذا الاولى الشرطية وهذا احد الدلائل على ان الجواب لا يعمل في اذا الشرطية خلافا للاكثرين من النحاة لان اذا الفجائية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد احكم ذلك في علم النحو والظاهر ان اليه متعلق بياتوا والضمير في اليه عائد على الرسول واجاز الزمخشري ان يتعلق اليه بمذعنين قال لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص انتهى وهذا على مذهبه في ان تقدم المعمول على عامله يدل على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك وفي ما رجح لقضية العامل للعمل وقطعه عن العمل وهو مما يضعف والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معه الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه منهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليك كلهم ولم يرضوا الا بحكومتك افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ام منقطعة والتقدير بل ارتابوا بل ايخافون وهو استفهام توقيف وتوبيخ ليقروا باحد هذه الوجوه التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم وهذا التوقيف يستعمل في الامور الظاهرة مما يوبخ به ويذم او مما يمدح به وهو بليغ جدا فمن المبالغة في الذم قول الشاعر

ألست من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

ومن المبالغة في المدح قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا • وأندى العالمين بطون راح

وقسم تعالى جهات صدودهم عن حكومته فقال افي قلوبهم مرض اي نفاق وعدم اخلاص ام ارتابوا اي عرضت لهم الريبة والشك في نبوته بعد ان كانوا مخلصين ام يخافون اي يعرض لهم الخوف من الحيف في الحكومة فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك بيل انهم هم الظالمون وقراه علي وابن ابي اسحق والحسن انما كان قول بالرفع والجمهور بالنصب قال الزمخشري والنصب اقوى لان الاولى بالاسمية بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا انتهى ونص س على ان اسم كان وخبرها اذا كانا معرفتين فانت بالخيار في جعل ما شئت منهما الاسم والاخر الخبر من غير اعتبار شرط في ذلك ولا اختيار وقراه ابو جعفر والجحدري وخالد بن الياس ليحكم بينهم مبنيا للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير المصدر اي ليحكم هو اي الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم ومثله قولهم جمع بينهما والف بينهما وقوله تعالى وحيل بينهم قال الزمخشري ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم انتهى ولا يتعين

ما قالوه في الآية إذ يجوز أن يكون الفاعل ضميراً يعود على شيء قبله وتقدم الكلام
في ذلك في موضعه ﴿إن يقولوا سمعنا﴾ أي قول الرسول ﴿وأطعنا﴾ أي أمره **وقرئ**
ويتقه بالإشباع والاختلاس والإسكان **وقرئ** ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء
من غير إشباع أجري خبر كان المنفصل مجرى المتصل فكما يسكن علم فيقال علْم كذلك سكن
ويتقه لأنه يتقه كعلم وكما قال السالم . قالت سليمى اشتر لنا سويقا . يريد اشتر لنا
ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما
يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه ولما بلغ المنافقين
ما أنزل تعالى فيهم أتوا إلى الرسول وأقسموا إلى آخره ليخرجن عن ديارهم وأموالهم ونسائهم
أو لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن إليه وتقدم الكلام في جهد أيمانهم في الأنعام
ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى أنه ليس حقا طاعة معروفة أي معلومة لا
شك ولا ارتياب كطاعة الخلص من المؤمنين المطابق باطنهم لظاهرهم لا أيمان
تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بالقول
دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله
الزمخشري وقال ابن عطية يحتمل معاني **أحدها** النهي عن القسم الكاذبة إذ قد عرف
أن طاعتهم دغلة رديئة وكأنه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه **والثاني**
لا تتكلفوا القسم طاعة معروفة متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم
وفي هذا الوجه إبقاء عليهم **والثالث** لا تقتنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر
عليكم هو المطلوب منكم **والرابع** لا تقتنعوا لأنفسكم بإرضائنا بالقسم طاعة الله
معروفة وجهاد عدوه مهيع لائح انتهى وطاعة مبتدأ ومعروفة صفة والخبر
محذوف أي أمثل وأولى أو خبر مبتدأ محذوف أي أمرنا والمطلوب طاعة معروفة
وقال أبو البقاء ولو قرئ بالنصب لكان جائزا في العربية وذلك على المصدر
أي أطيعوا طاعة انتهى وقرأه بالنصب زيد بن علي واليزيدي وتقدير بعضهم
الرفع على إضمار ولتكن طاعة معروفة ضعيف لأنه لا يحذف الفعل ويبقى الفاعل
إلا إذا كان ثم مشعر به نحو رجال بعد يسبح مبنيا للمفعول أي يسبحه رجال أو يجاب
به نفي نحو بلى زيد لمن قال ما جاء أحد أو استفهام نحو قوله

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل . بلى خالد إن لم تعقه العوائق .

أي أتاها خالد إن الله خبير بما تعملون أي مطلع على سرائركم ففاضحكم والتفت من الغيبة
إلى الخطاب لأنه أبلغ في تبكيتهم ولما بكتهم بأنه مطلع على سرائرهم تلطف بهم فأمرهم
بطاعة الله والرسول وسواء أمر غائبا للنا فعلين وغيرهم فإن تولوا أي فإن تتولوا
فإنما عليه أي على الرسول ما حمل وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة وإعمال
الجهد في إنذارهم وعليكم ما حملتم وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم
على طاعته فلا ينفع إلا بطاعته وما على الرسول إلا البلاغ المبين تقدم الكلام
على مثل هذه الجملة في المائدة روي أن بعض الصحابة شكا جهد مكافحة العدو
وما كانوا فيه من الخوف وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزل وعد الله الذين آمنوا
منكم وروي أنه عليه السلام لما قال بعضهم ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم لا   إلا يسيرا يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا
ليس عليه حديدة قال ابن عباس هذا الوعد وعد الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة والإنجيل والخطاب في منكم للرسول وأتباعه ومن للبيان أي الذين
هم أنتم ووعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء
وقوله في الأرض يعني البلاد التي تجاورهم وهي جزيرة العرب ثم افتتحوا بلاد الشرق
والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا وفي الصحيح
زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها
قال بعض العلماء ولذلك اتسع نطاق الإسلام في الشرق والغرب دون اتساعه
في الجنوب والشمال **قلت** ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظم العالم في المشرق
كقبائل الترك وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد الهند كما استخلف
الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة وقيل
هو ما كان في زمان داود وسليمان عليهما السلام وكان الغالب على الأرض المؤمنون **وقرئ**
كما استخلف مبنيا للمفعول واللام في ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أي
وأقسم ليستخلفنهم أو أجري وعد الله لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب
به القسم وعلى تقدير حذف القسم يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين
دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف وقال الضحاك هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي لأنهم أهل الإيمان وعمل الصالحات وقال صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون ثلاثون انتهى ويندرج من جرى مجراهم في العدل من استخلف
من قريش كعمر بن عبد العزيز من الأمويين والمهتدي بالله في العباسيين وليمكنن
لهم دينهم أي يثبته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله والذي
ارتضى لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية
القصوى مما أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم
من لدن آدم إلى زمان هذه الملة المحمدية **وقرأه** الجمهور وليبدلنهم بالتشديد
وابن كثير وأبو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف قال أبو العالية لما أظهر الله
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب وضعوا السلاح وأمنوا ثم قبض
الله نبيه عليه السلام فكانوا آمنين كذلك في أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما
وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فأدخل الله عليهم الخوف فغيروا فغير الله ما بهم .
يعبدونني الظاهر أنه مستأنف فلا موضع له من الإعراب كأنه قيل ما لهم يستخلفون
ويؤمنون فقال يعبدونني قاله الزمخشري وقال ابن عطية يعبدونني فعل
مستأنف أي هم يعبدونني ويعني بالاستئناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقاله
الحوفي قال ويجوز أن يكون مستأنفا على طريق الثناء عليهم أي هم يعبدونني قال
الزمخشري وإن جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم
وإخلاصهم فمحله النصب انتهى وقاله الحوفي قبله وقال أبو البقاء يعبدونني
حال من ليستخلفنهم أو ليبدلنهم لا يشركون بدل من يعبدونني أو حال من الفاعل
في يعبدونني أي يعبدونني موحدين انتهى والظاهر أنه يعني أطلق الكفر كان مقابل

الاسلام والايمان وهو ظاهر قول حذيفة قال كان النفاق على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم وقد ذهب ولم يبق الا كفر بعد ايمان قال ابن عطية يحتمل ان يريد كفر هذه النعم
اذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة قيل وظهر ذلك في قتلة عثمان
وقال الزمخشري ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله ، فاولئك هم
الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة والظاهر
ان قوله واقيموا التفات من الغيبة الى الخطاب وحسنه الخطاب في منكم وقال
الزمخشري واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد
ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون
غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها انتهى وقرأ الجمهور
لاتحسبن بتاء الخطاب والتقدير لاتحسبن ايها المخاطب ولا يندرج فيه الرسول
وقالوا هو خطاب للرسول وليس بجيد لان مثل هذا الحسبان لا يتصور وقوعه فيه
عليه السلام وقرأ حمزة وابن عامر لايحسبن بالياء للغيبة والتقدير لايحسبن
حاسب والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا يكون ضميرا الفاعل للرسول لتقدم ذكره
في واطيعوا الرسول قاله ابو علي والزمخشري وليس بجيد لما ذكرناه في قراءة التاء
وقال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطي قراءة
حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا
ابو حاتم انتهى وقال الفراء هو ضعيف واجازه على حذف المفعول الثاني
وهو قول البصريين تقديره انفسهم ومعجزين المفعول الثاني وقال علي بن سليمن
الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا
معجزين في الارض وقال الكوفيون معجزين المفعول الاول وفي الارض
الثاني قيل وهو خطأ وذلك لان ظاهر في الارض تعلقه بمعجزين فلا يكون
مفعولا ثانيا وخرج الزمخشري ذلك متبعا قول الكوفيين فقال معجزين في
الارض هما المفعولان والمعنى لايحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض
حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد انتهى وقال ايضا يكون
الاصل لايحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول
وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشيء الواحد اقتنع بذكر
اثنين عن ذكر الثالث انتهى ، وقد رددنا هذا التخريج في اواخر آل عمران في قوله
لايحسبن الذين يفرحون بما اتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين
يفرحون وملخصه انه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا
يحسبنهم اذ لا يجوز ظننه زيدا قائما على تقدير رفع زيد بظننه وماواهم النار
قال الزمخشري عطف على لاتحسبن كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم
النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم انتهى وقال صاحب النظم لا يحتمل
ان يكون وماواهم متصلا بقوله لايحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
بل هم مقهورون وماواهم النار انتهى واستبعد العطف من حيث ان لا
تحسبن نهي وماواهم النار جملة خبرية فلم يناسب عنده ان يعطف الجملة

الخبرية

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما احس الزمخشري بهذا قال كانه
قيل الذين كفروا لايفوتون الله فتاول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة
والصحيح ان ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضا على بعض وان لم
تتحد في النوعية وهو مذهب س ، يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من
الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم
حكيم ، واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ، والقواعد من النسا اللاتي لايرجون
نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن
خير لهن والله سميع عليم ، ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله
مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ، روي ان عمر
بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج وكان نائما
فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر وددت
ان الله نهى ابناءنا ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعات الا باذن ثم
انطلق الى الرسول فوجد هذه الاية قد نزلت فخر ساجدا وقيل نزلت في اسما
بنت ابي مرثد قيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا حالا نكرهها
ليستاذنكم امر والظاهر حمله على الوجوب والجمهور على الندب وقيل منسوخ ذلك
اذ صار للبيوت ابواب روي ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر عموم الذين
ملكت ايمانكم في العبيد والاماء وهو قول الجمهور وقال ابن عمر واخرون العبيد
دون الاماء وقال السلمي الاماء دون العبيد والذين لم يبلغوا الحلم منكم
عام في الاطفال عبيدا كانوا او احرارا وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية وطلحة
الحلم بسكون ضمة اللام وهي لغة تميم وقيل منكم اي من الاحرار ذكورا كانوا
او اناثا والظاهر من قوله ثلث مرات ثلث استيذانات لانك اذا ضربت
ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلث ضربات ويؤيده قوله عليه السلام الاستيذان
ثلث والذي عليه الجمهور ان معنى ثلاث مرات ثلثة اوقات وجعلوا ما بعده
من ذكر تلك الاوقات تفسيرا لقوله ثلث مرات ولا يتعين ذلك بل ينبغي ثلث
مرات على مدلولها من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما
ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة لانه وضع الثياب للقائلة لان النهار اذ ذاك يشتد حره

ذلك الذي يتوجه

في ذلك الوقت ومن في من الظهيرة قال ابو البقاء لبيان الجنس اي حين الظهيرة
قال او بمعنى من اجل حر الظهيرة وحين معطوف على موضع من قبل ومن بعد صلاة العشاء
لانه وقت التجرد من الثياب للنوم والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم سمى كل
واحد منها عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه
اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين **وقرا** حمزة والكسائي ثلث
بالنصب قالوا بدل من ثلث مرات وقدره الحوفي والزمخشري وابو البقاء اوقات
ثلث عورات وقال ابن عطية انما يصح البدل بتقدير اوقات عورات فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه **وقرا** باقي السبعة بالرفع اي هن ثلث عورات **وقرا**
الاعمش عورات بفتح الواو وتقدم انها لغة هذيل بن مدركة وبني تميم وعلى رفع ثلث
قال الزمخشري يكون ليس عليكم الجملة في محل رفع على الوصف والمعنى هن ثلاث
عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصب لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر
بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة بعدهن اي بعد استئذانهم فيهن حذف الفاعل
وحرف الجر فبقي بعد استئذانهن ثم حذف المصدر وقيل ليس على العبيد والاما ومن لم
يبلغ الحلم في الدخول عليكم بغير استئذان جناح بعد هذه الاوقات الثلث طوافون
عليكم يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدا محذوف تقديره هم طوافون اي المماليك والصغار
طوافون عليكم اي يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا في تلك الاوقات
وجوزوا في بعضكم على بعض ان يكون مبتدا وخبرا لكن الخبر قدروه طائف على بعض
وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه قال الزمخشري وحذف لان طوافون يدل عليه
وان يكون مرفوعا بفعل محذوف تقديره يطوف بعضكم وقال ابن عطية بعضكم بدل
من قوله طوافون ولا يصح لانه ان اراد بدلا من طوافون نفسه فلا يجوز لانه يصير
التقدير هم بعضكم على بعض وهذا معنى لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير في طوافون
فلا يصح ايضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم
يطوف بعضكم على بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير انتم يطوف عليكم بعضكم على
بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على انهم هم المطوف عليهم وانتم طوافون
يدل على انهم طائفون فتعارضا **وقرا** ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال
من ضمير عليهم وقال الحسن اذا بات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه ولا
في هذه الاوقات الثلاثة ه واذا بلغ الاطفال اي من اولادكم واقربائكم فليستاذنوا
اي في كل الاوقات فانهم قبل البلوغ كانوا يستاذنون في تلك الاوقات كما استاذن
الذين من قبلهم يعني البالغين وقيل الكبار من اولاد الرجل واقربائه ودل ذلك
على ان الابن والاخ البالغين كالاجنبي في ذلك وتكلموا هنا في ماهية البلوغ
وهي مسئلة تذكر في الفقه كذلك الاشارة الى ما تقدم ذكره من استئذان المماليك
وغير البلغ ولما امر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال ومن الاطفال غير البلغ في الاوقات
التي هي مظنة كشف عورتهن استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن وقعدن
عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال والقواعد وهو جمع قاعد من صفات
الاناث وقال ابن السكيت امراة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة سمين

بذلك

بذلك لانهن بعد الكبر يكثرن القعود وقال ربيعة لقعودهن عن الاستمتاع
فايسن ولم يبق لهن طمع في الازواج وقيل قعدن عن الحيض والحبل وثيابهن الجلباب
والرداء والقناع الذي فوق الخمار والملاءة الذي فوق الثياب او الخمار او الرداء والخمار
اقوال ه ويقال للمراة اذا كبرت امراة واضع اي وضعت خمارها غير متبرجات
بزينة اي غير متظاهرات بالزينة لينظر اليهن وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاؤه
او غير قاصدات التبرج بالوضع ورب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر بها جمال
وان يستعففن عن وضع الثياب ويتسترن كالشواب افضل لهن والله سميع لما يقول
كل قائل عليم بالمقاصد وفي ذكر هاتين الصفتين توعد وتحذير عن ابن عباس لما نزلت
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع
الطعام الطيب والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لانه لا يستطيع
استيفاء الطعام فانزل الله هذه الاية قيل وتحرجوا عن اكل طعام القرابات فنزلت مبيحة
جميع هذه المطاعم ومبينة ان تلك انما هي في التعدي والقمار وما ياكله المؤمن من مال
من يكره اهله او بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
وابن المسيب كانوا اذا نهضوا الى الغزو وخلفوا اهل العذر في منازلهم واموالهم لهم
تحرجوا من اكل مال الغائب فنزلت مبيحة ما تمس اليه حاجتهم من مال الغائب اذا كان
الغائب قد بنى على ذلك وقال مجاهد كان الرجل اذا ذهب باهل العذر الى بيته
فلم يجد فيه شيئا ذهب بهم الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت
وقيل كانت العرب ومن بالمدينة قبل البعث تجتنب الاكل مع اهل هذه الاعذار
فبعضهم تقذرا لمكان جولان يد الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج ولرائحة المريض
وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت واستبعد هذا لانه لو كان هذا السبب لكان التركيب
ليس عليكم حرج ان تاكلوا معهم ولم يكن ليس على الاعمى حرج واجاب بعضهم بان على
في معنى في اي في مواكلة الاعمى وهذا بعيد جدا وفي كتاب الزهراوي عن ابن عباس
ان اهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت وعلى هذه
الاقوال كلها تكون نفي الحرج عن اهل العذر ومن بعدهم في المطاعم وقال الحسن
وعبد الرحمن بن زيد الحرج المنفي عن اهل العذر هو في القعود عن الجهاد وغيره مما
رخص لهم فيه والحرج المنفي عمن بعدهم في الاكل مما ذكر وهو مقطوع مما قبله
اذ متعلق الحرجين مختلف وان كانا قد اجتمعا في انتفاء الحرج وهذا القول
هو الظاهر فلم يذكر بيوت الاولاد اكتفاء بذكر بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه
حكم نفسه وبيته بيته وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه
وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم والولد
اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي
هو اقرب منهم اولى **وقرا** طلحة امهاتكم بكسر الهمزة او ما ملكتم مفاتحه
قال ابن عباس هو وكيل الرجل له ان ياكل من التمر ويشرب من اللبن وقال
قتادة العبد لانه ماله لك وقال مجاهد والضحاك خزائن بيوتكم اذا ملكتم
مفاتيحها وقال ابن جرير الزمي ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت اليهم مفاتيحها

وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
ومفاتيحه بيده وقرأ الجمهور ملكتم بفتح الميم واللام خفيفة وقرأ ابن جبير بضم الميم
وكسر اللام مشددة والجمهور مفاتحه جمع مفتح وابن جبير مفاتيحه جمع مفتاح وقتادة
وهرون عن ابي عمرو مفتاحه مفردا او صديقكم قرئ بكسر الصاد اتباعا لحركة
الدال حكاه حميد الخزاز قرن الله الصديق بالقرابة المحضة قيل لبعضهم
من احب اليك اخوك ام صديقك فقال لا احب اخي الا اذا كان صديقي
وقال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الجب قال انت لي صديق فما
هذا الاستئذان وقال ابن عباس الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة
الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا بالآباء والامهات
ومعنى او صديقكم او بيوت اصدقائكم والصديق يكون للواحد والجمع كالخليط
والقطين وكذا كل جماعة من اصحاب الحسن من بيته وهو غائب فجاء فسر بذلك
وقال هكذا وجدناهم يعني كبراء الصحابة وكان الرجل يدخل بيت صديقه
فيأخذ من كيسه فيعتق جاريته التي مكنته من ذلك وعن جعفر الصادق من عظم
حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة
النفس والاب والابن والاخ وقال هشام بن عبد الملك نلت ما نلت
حتى الخلافة واعوزني صديق لا احتشم منه وقال اهل العلم اذا دل ظاهر الحال
على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وانتصب جميعا او اشتاتا
على الحال اي مجتمعين او متفرقين قال الضحاك وقتادة نزلت في حي من
كنانة تحرجوا ان يأكل الرجل وحده فربما قعد والطعام بين يديه لا يجد
من يؤاكله حتى يمسي فيضطر الى الاكل وحده **وقال بعض الشعراء**

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فاني لست آكله وحدي

وقال عكرمة في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه وقيل في قوم
تحرجوا ان يأكلوا جميعا مخافة ان يزيد احدهم على الآخر في الاكل وقيل او صديقكم
من اذا دعاك الى وليمة فحسب ه وقيل هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام
الا ان دماءكم واموالكم عليكم حرام وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر
لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا الآية ه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ابن عباس
والنخعي المساجد فسلموا على من فيها فان لم يكن فيها احد قال السلام على
رسول الله وقيل يقول السلام عليكم يعني الملائكة ثم يقول السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ه وقال جابر وابن عباس وعطاء البيوت المسكونة
وقالوا يدخل فيها غير المسكونة فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وقال ابن عمر بيوتا خالية وقال السدي على انفسكم على اهل دينكم وقال قتادة
على اهاليكم في بيوتكم وقيل بيوت الكفار فسلموا على انفسكم وقال الزمخشري

قوله عز وجل انما المؤمنون

فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤوا بالسلام على اهلها الذين هم
منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان
التسليم والتحية طلب السلامة وحياة للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب
لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق انتهى وقال
مقاتل مباركة بالاجر وقيل بورك فيها بالثواب وقال الضحاك في السلام
عشر حسنات ومع الرحمة عشرون ومع البركات ثلاثون وانتصب تحية
بقوله فسلموا لانه معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا ه انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه
ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ه لما افتتح السورة بقوله سورة انزلناها
وذكر انواعا من الاوامر والحدود مما انزله على الرسول عليه السلام اختتمها بما يجب
عليه السلام على امته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الاسلام ومن
طلب استئذانه ان عرض لاحدهم عارض ومن توقيره في دعائهم اياه وقال
الزمخشري اراد عز وجل ان يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى
يستأذنوه ثالث الايمانين بالله والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهما كالتسبيب
له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا
عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا
بحيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق
لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا
حتى يستأذنوه ويأذن لهم الا ترى كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته
واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف
بالجمع على المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو وتشاور في امر مهم او تضام لارهاب
مخالف او ما يتمح في حلف وغير ذلك والامر الذي يعم بضرره او بنفعه وفي قوله
واذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم
ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل هذه الحالة مما يشق
على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق الامر في الاستئذان
مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك
قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاحسن الافضل

اي لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان
قوم يتسللون بغير اذن لذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين
والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر
في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه
رايه انتهى وهو تفسير حسن ويجري هذا المجرى امام الامرة اذا كان الناس معه
مجتمعين لمراعاة مصلحة دينية فلا يذهب احد منهم عن المجمع الا باذن منه
اذ قد يكون له راي في حضور ذلك الذاهب ٥ وقال مكحول والزهري الجمعة
من الامر الجامع فاذا عرض للحاضر ما يمنعه الحضور من سبق رعاف فليستاذن
حتى يذهب عنه سوء الظن به وقال ابن سيرين كانوا يستاذنون الامام على المنبر
فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على انفه فليخرج دون اذن وقد كان هذا
بالمدينة حتى ان سهيل بن ابي صالح رعف يوم الجمعة فاستاذن الامام وقال
ابن سلام هو كل صلاة فيها خطبة والجمعة والعيدين والاستسقاء وقال ابن زيد
في الجهاد وقال مجاهد الاجتماع في طاعة الله قيل في قوله فاذن لمن شئت
منهم اريد بذلك عمر بن الخطاب **وقرا** اليماني على امر جميع ٥ لا تجعلوا خطاب
لمعاصري الرسول عليه السلام لما كان التداعي بالاسماء على عادة البداوة امروا
بتوقير رسول الله بان يدعوه باحسن ما يدعى به نحو يا رسول الله يا نبي الله الا ترى
الى بعض جفاة من اسلم كان يقول يا محمد وفي قوله كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى
جواز ذلك مع بعضهم لبعض اذ لم يومر بالتوقير والتعظيم في دعائه عليه السلام
الامر دعاه لامر دعاه وكانوا يقولون يا ابا القاسم يا محمد فنهوا عن ذلك
وقيل فيه نهي عن الابطاء والتاخر اذا دعاهم واختاره المبرد والقفال ويدل
عليه فليحذر الذين يخالفون عن امره وهذا القول موافق لمساق الاية ونظمها
وقال الزمخشري اذا احتاج الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه
الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير
اذن الداعي انتهى وهو قريب مما قبله وقال ايضا ويحتمل لا تجعلوا دعاء
الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما
اجابه وربما رده وان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة انتهى
وقال ابن عباس لما معناه لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض اي دعاؤه
عليكم مجاب فاحذروه قال ابن عطية ولفظ الاية يدفع هذا المعنى انتهى **وقرا**
الحسن ويعقوب في رواية نبيكم بنون مفتوحة وباء مكسورة وياء مشددة بدل
قوله بينكم ظرفا قراة الجمهور قال صاحب اللوامح وهو النبي عليه السلام على البدل
من الرسول فاما صار بدلا لاختلاف تعريفهما باللام مع الاضافة يعني
ان الرسول معرفة باللام ونبيكم معرفة بالاضافة الى الضمير فهو في رتبة العلم
فهو اكثر تعريفا من ذي اللام فلا يصح النعت به على المذهب المشهور لان النعت
يكون دون المنعوت او مساويا له في التعريف ثم قال صاحب اللوامح ويجوز ان

يكون

يكون نعتا لكونهما معرفتين انتهى وكانه مناقض لما قرر من اختياره البدل وينبغي ان
يجوز النعت لان الرسول قد صار علما بالغلبة كالبيت للكعبة اذا ما جاء في القرآن
والسنة من لفظ الرسول انما يفهم منه انه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك
فقد تساويا في التعريف ومعنى يتسللون ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة في
خفية ولواذا يلوذ بعضهم ببعض اي هذا يلوذ بهذا وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث
دار استتارا من الرسول وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد وقيل في حفر الخندق
ينصرف المنافقون بغير اذن ويستاذن المؤمنون اذا عرضت لهم حاجة وقال
مجاهد لواذا خلافا وقال ايضا يتسللون من الصف في القتال وقيل يتسللون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وعلى ذكره وانتصب لواذا على انه مصدر
في موضع الحال اي متلاوذين ولواذا مصدر لاوذ وصحت العين في الفعل
فصحت في المصدر ولو كان مصدر لاذ لكان لياذا كقام قياما **وقرا** يزيد
ابن قطيب لواذا بفتح اللام فاحتمل ان يكون مصدر لاذ ولم يعتل لانه لا كسرة
قبل الواو فهو كطاف طوافا واحتمل ان يكون مصدر لاوذ وكانت فتحة اللام
لاجل فتحة الواو وخالف يتعدى بنفسه تقول خالفت امر زيد وبالى تقول خالفت
الى كذا فقوله عن امره ضمن خالف معنى صد واعرض فعداه بعن وقال ابن عطية
معناه يقع خلافهم بعد امره كما تقول كان المطر عن ريح وعن مبنى لما عدا الشيء وقال
ابو عبيدة والاخفش عن زائدة اي امره والظاهر ان الامر بالحذر للوجوب وهو قول
الجمهور وان الضمير في امره عائد على الله وقيل على الرسول **وقرئ** يخلفون بالتشديد
اي يخلفون انفسهم بعد امره والفتنة القتل قاله ابن عباس ايضا او بلاء قاله مجاهد
او كفر قاله السدي ومقاتل او اسباغ النعم استدراجا قاله الجراح او قسوة
القلب عن معرفة المعروف والمنكر قاله الجنيد او طبع على القلوب قاله بعضهم وهذه
الاقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر وهي في الدنيا او عذاب اليم قيل عذاب الاخرة
وقيل هو القتل في الدنيا الا ان لله ما في السموات والارض هذا كالدلالة على
قدرته تعالى عليهما وعلى المكلف فيما يعامله به من المجازاة من ثواب وعقاب
قد يعلم ما انتم عليه من مخالفة امر الله وامر رسوله وفيه تهديد ووعيد والظاهر
انه خطاب للمنافقين وقال الزمخشري ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من
المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك
ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى
معنى التكثير في نحو قوله ٥

فان يمس مهجور الفناء فربما • اقام به بعد الوفود وفود

ونحو من ذلك **قول زهير**

اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله • ولكنه قد يهلك المال نائله

انتهى وكون قد اذا دخلت على المضارع افادت التكثير قول بعض النحاة وليس
بصحيح وانما التكثير مفهوم من سياق الكلام في المدح والصحيح في رب انها
لتقليل الشيء او تقليل نظيره فان فهم تكثير فليس ذلك من رب ولا قد انما هو

وابن أبي

المفردات

من سياقة الكلام وقد بين ذلك في علم النحو وقرأ الجمهور يرجعون مبنيا للمفعول وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحق وأبو عمرو مبنيا للفاعل والتفت من ضمير الخطاب في أنتم إلى ضمير الغيبة في يرجعون ويجوز أن يكون ما أنتم عليه خطابا عاما ويكون يرجعون للمنافقين والظاهر عطف ويوم على ما أنتم عليه فنصبه نصب المفعول قال ابن عطية ويجوز أن يكون التقدير والعلم الظاهر لكم أو نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف الهباء قال أبو عبيدة والزجاج هو مثل الغبار يدخل الكوة مع ضوء الشمس وقال أبو عرفة الهبوة والهباء التراب الدقيق وقال الجوهري يقال منه إذا ارتفع هبا يهبو هبوا وأهبيته أنا إهباء وقيل هو الشرر الطاير من النار إذا اضطرمت المنثور المتفرق العض وقع الأسنان على المعضوض بقوة وفعله على وزن فعل بكسر العين وحكى الكسائي عضضت بفتح عين الكلمة فلان كناية عن علم من يعقل الجملة من الكلام هو المجتمع غير المفترق الترتيل سرد اللفظ بعد اللفظ يتخلل بينهما زمن يسير من قولهم ثغر مرتل أي مفلج الأسنان السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل إذا استراح من تعب العلة مسبوت قاله أبو مسلم وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة مرج قال ابن عرفة خلط ومرج الأمر اختلط واضطرب وقيل مرج وأمرج أجرى ومرج لغة الحجاز وأمرج لغة نجد العذب الحلو والفرات البالغ في الحلاوة الملح المالح والأجاج البالغ في الملوحة وقيل المر وقيل الحار الصهر قال الخليل لا يقال لأهل بيت المرأة إلا أصهار ولأهل بيت الرجل إلا أختان ومن العرب من يجعلهم أصهارا كلهم السراج الشمس الهون الرفق واللين الغرفة العلية وكل بناء عال فهو غرفة عبأ من العبء وهو الثقل يقال عبأت الجيش بالتخفيف والتثقيل هيأته للقتال ويقال ما عبأت به أي ما اعتددت به كقولك ما اكترثت به

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم • تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا • واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا • وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السما والأرض إنه كان غفورا رحيما • وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا • انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا • تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا • بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا

رأتهم

رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا • قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا • هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله وكان الله غفورا رحيما وقال الضحاك مدنية إلا من أولها إلى ولا نشورا فهو مكي ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر جامع توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك وكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم يستعمل في غيره تعالى فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر وقال الطرماح

تباركت لا معط لشيء منعته • وليس لما أعطيت يا رب مانع

قال ابن عباس لم يزل ولا يزول وقال الخليل تمجد وقال الضحاك تعظم وحكى الأصمعي تباركت عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لأصحابه ذلك أي تعاليت وارتفعت ففي هذه الأقوال تكون صفة ذات وقال ابن عباس أيضا والحسن والنخعي هو من البركة وهو التزايد في الخير من قبله فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر وعلى هذا تكون صفة فعل وجاء الفعل مسندا إلى الذي وهم وإن كانوا لا يقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على إعجازه فصارت الصلة معلومة بحسب الدليل وإن كانوا منكرين لذلك وتقدم في آل عمران لم سمي القرآن فرقانا وقرأ الجمهور على عبده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن الزبير على عباده أي الرسول وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم وما أنزل إلينا ويبعد أن يراد بالقرآن الكتب المنزلة وبعباده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والضمير في ليكون قال ابن زيد عائد على عبده ويترجح بأنه العمدة المسند إليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله إنا كنا منذرين والظاهر أن نذيرا بمعنى منذر وجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر والعالمين عام للإنس والجن ممن عاصره أو جاء بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الآيات وقرأ ابن الزبير للعالمين للجن والإنس وهو تفسير للعالمين والمسبوق في أواخر السورة الإخبار بأن ما في السموات والأرض فكان إخبارا بأن ما فيهما ملك له أخبر هنا أنه له ملكهما أي قهرهما وقهر ما فيهما فاجتمع له الملك والملك لهما ولما فيهما والذي مقطوع للمدح رفعا أو نصبا أو نعت أو بدل من الذي نزل وما بعد نزل من تمام الصلة ومتعلق به فلا يعد فاصلا بين النعت والبدل ومتبوعه ولم يتخذ ولدا الظاهر نفي الاتخاذ أي لم ينزل أحدا منزلة الولد وقيل

المعنى لم يكن له ولد بمعنى قوله لم يلد لان التوالد مستحيل عليه وفي ذلك رد على مشركي
قريش وعلى النصارى واليهود الناسبين لله الولد ولم يكن له شريك في الملك تاكيد
لقوله له ملك السموات والارض ورد على من جعل لله شريكا وخلق كل شيء عام في خلق
الذوات وافعالها قيل وفي الكلام حذف تقديره وخلق كل شيء مما يصح خلقه لتخرج
عنه ذاته وصفاته القديمة انتهى ولا يحتاج الى هذا المحذوف لان من قال اكرمت
كل رجل لا يدخل هو في العموم فكذلك لم يدخل في عموم وخلق كل شيء ذاته تعالى ولا صفاته
القديمة فقدره تقديرا ان كان الخلق بمعنى التقدير فكيف جاء فقدره اذ يصير
المعنى وقدر كل شيء فقدره تقديرا فقال الزمخشري المعنى انه احدث كل شيء احداثا
مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له او سمي احداث الله خلقا
لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا
فهو بمنزلة احداث الله واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه
فقدره للبقاء الى امد معلوم وقال ابن عطية تقدير الاشياء هو حدها بالامكنة
والازمان والمقادير والمصلحة والاتقان انتهى واتخذوا من دونه الهة الضمير
في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لان في قوله ولم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك دلالة على ذلك لم ينف الا وقد قيل به وقال الكرماني الواو
ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله للعالمين وقيل لفظ نذيرا ينبي عنهم لانهم
المنذرون ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص ذلك بعباد
الاوثان وعباد الكواكب وقال القاضي يبعد ان يدخل فيه النصارى لانهم
لم يتخذوا من دون الله الهة على الجمع والاقرب ان المراد به عبدة الاصنام
ويجوز ان يدخل فيه من عبد الملائكة لان لعبادها كثرة انتهى ولا يلزم ما قال
لان واتخذوا جمع والهة جمع واذا قوبل الجمع بالجمع تقابل الفرد بالفرد ولا يلزم ان يقابل
الجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ الهة ثم وصف الالهة بانتفاء انشائهم
شيئا من الاشياء اشارة الى انتفاء القدرة بالكلية ثم بانهم مخلوقون لله ذاتا
ومصنوعون بالنحت والتصوير على شكل مخصوص وهذا ابلغ في الخساسة ونسبة
الخلق للبشر تجوز ومنه **قول زهير** ه

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وقال الزمخشري الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله وتخلقون افكا والمعنى انهم
اثروا على عبادته عبادة الهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال
الله ولا افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم
يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب
نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب
النفع الذي يقدر عليه العباد كان عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر
عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا قال ابن عباس هو النضر بن الحرث
واتباعه والافك اسوأ الكذب واعانه عليه قوم اخرون قال مجاهد

قوم

قوم من اليهود القوا اخبار الامم اليه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار
مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة اسلموا وكان
الرسول يتعهدهم وقال ابن عباس اشاروا الى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس ابو فكيهة
مولى الحضرميين وجبر ويسار وعداس وغيرهم وقال الضحاك عنوا ابا فكيهة الرومي
وقال المبرد عنوا بقوم اخرين المؤمنين لان اخر لا يكون الا من جنس الاول انتهى
وما قاله لا يلزم للاشتراك في جنس الانسان ولا يلزم الاشتراك في الوصف
الا ترى الى قوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فقد اشتركتا في مطلق
الفئة واختلفتا في الوصف والظاهر ان الضمير في فقد جاؤوا عائد على الذين
كفروا والمعنى ان هؤلاء الكفار وردوا ظلما كما تقول جئت المكان فيكون جاء متعديا
بنفسه قاله الكسائي ويجوز ان يحذف الجار اي بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه
وقاله الزجاج اذ جاء يستعمل بهذين الاستعمالين وظلمهم ان جعلوا العربي
يتلقن من العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور انهم بهتوه
بنسبة ما هو بريء منه اليه وقيل الضمير عائد على قوم اخرين وهو من كلام الكفار
والضمير في وقالوا للكفار وتقدم الكلام على اساطير الاولين اكتتبها اي جمعها
من قولهم كتب الشيء اي جمعه او من الكتابة اي كتبها بيده فيكون ذلك من جملة
كذبهم عليه وهم يعلمون انه لا يكتب ويكون كاستكب الماء واصطبه اي سكبه
وصبه ويكون لفظ افتعل مشعرا بالتكلف والاعتمال او بمعنى امر ان يكتب كقولهم
احتجم وافتصد اذا امر بذلك فهي تملى عليه اي تلقى عليه ليحفظها لان صورة
الالقاء على المتحفظ كصورة الاملاء على الكاتب واساطير خبر مبتدا محذوف
اي هو او هذه اساطير واكتتبها خبر ثان ويجوز ان يكون اساطير مبتدا واكتتبها
الخبر **وقرا** الجمهور اكتتبها مبنيا للفاعل **وقرا** طلحة مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها
كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام
فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني
الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا
وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى وهو من كلام الزمخشري
ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل فيه الفعل
لمفعولين احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام
ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا
الفعل للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا
المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي
قلناه جاء السماع عن العرب في هذا النوع الذي احد المفعولين فيه مسرح لفظا
وتقديرا والاخر مسرح لفظا لا تقديرا **قال الشاعر وهو الفرزدق**

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع ه

ولو جاء على ما قرره الزمخشري لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار
يتعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال والظاهر ان قوله

اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا من تمام قول الكفار وعن الحسن انه قول الله سبحانه
يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة في اكتتبها للاستفهام الذي في معنى
الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله ؂

افرح ان ارزأ الكرام وان آخذ ذودا شصائصا نبلا

وحق للحسن ان يقف على الاولين والظاهر تقييد الاملاء بوقت انتشار الناس
وحين الايواء الى مساكنهم وهما البكرة والاصيل او يكونان عبارة عن الديمومة
وقرا طلحة وعيسى فهي تتلى بالتاء بدل الميم ؂ قل انزله الذي يعلم السر اي كل سر
خفي ورد عليهم هذا وهو وصفه تعالى بالعلم لان هذا القرآن لم يكن ليصدر الا
من علام بكل المعلومات لما احتوى عليه من اعجاز التركيب الذي لا يمكن صدوره
من احد ولو استعان بالعالم كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى انواع العلوم
واكتفى بعلم السر لان ما سواه اولى ان يتعلق علمه به او يعلم ما يسرون من الكيد لرسوله
مع علمكم ببطلان ما تقولون فهو مجازيكم انه كان غفورا رحيما اطماع في انهم اذا تابوا
غفر لهم ما فرط من كفرهم ورحمهم او غفورا رحيما في كونه امهلكم ولم يعاجلكم على ما
استوجبتموه من العقاب بسبب مكابرتكم او لما تقدم ما يدل على العقاب اعقبه بما
يدل على القدرة عليه لان المتصف بالغفران والرحمة قادر على ان يعاقب وقالوا
الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن اسحاق في السير
فقال عتبة وغيره ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا او المال جمعنا لك فلما
ابى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا ما لك وانت رسول من الله تاكل الطعام وتقف
بالاسواق لالتماس الرزق سل ربك ان ينزل معك ملكا ينذر معك او يلقي اليك
كنزا تنفق منه او يرد لك جبال مكة ذهبا وتزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد
فيها المياه واشاعوا مثل هذه المحاجة فنزلت الآية وكتب في المصحف لام الجر
مفصولة من هذا وهذا استفهام فيه استهزاء اي ما لهذا الذي يزعم انه رسول
انكروا عليه ما هو عادة للرسل كما قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي حاله كحالنا اي كان يجب ان يكون
مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم قالوا وهب انه بشر فهلا ارفد بملك ينذر معه
او يلقى اليه كنز من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم اسفوا بان يكون
له بستان ياكل منه ويرتزق كالمياسير وقرئ فتكون بالرفع حكاه ابو معاذ عطف
على انزل لان انزل في موضع رفع وهو ماض وقع موقع المضارع اي هلا ينزل اليه
ملك او هو جواب التحضيض على اضمار هو اي فهو يكون وقراءة الجمهور بالنصب
على جواب التحضيض وقوله او يلقى او يكون عطف على انزل اي لولا ينزل فيكون
المطلوب احد هذه الامور او مجموعها باعتبار اختلاف القائلين ولا يجوز النصب
في او يلقى ولا في او يكون عطفا على فيكون لانهما في حكم المطلوب بالتحضيض
لا في حكم الجواب لقوله لولا انزل وقرا قتادة والاعمش ويكون بالياء
من تحت وقرئ ياكل بياء الغيبة اي الرسول وزيد بن علي وحمزة والكسائي
وابن وثاب وطلحة والاعمش بنون الجمع اي ياكلون هم من ذلك البستان

فينتفعون

فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وقال الظالمون اي للمؤمنين قال الزمخشري
واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوه انتهى وتركيبه واراد بالظالمين اياهم باعيانهم ليس تركيبا سائغا
بل التركيب العربي ان يقول واراد هم باعيانهم بالظالمين ؂ مسحورا غلب على عقله
السحر وهذا اظهر او ذا سحر وهو الرئة او يسحر بالطعام وبالشراب اي يغذى
او اصيب سحره كما تقول رأسته اصبت راسه وقيل مسحورا ساحرا عنوا به انه
بشر مثلهم لا ملك وتقدم تفسيره في الاسراء وبهذين القولين قيل والقائلون
ذلك النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم ؂ انظر
كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك
الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز
عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه اي
فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا له وقيل ضربوا لك الامثال بالمسحور
والكاهن والشاعر وغيره فضلوا خطئوا الطريق فلا يجدون سبيل هدى اية
ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال وقيل فلا يستطيعون سبيلا
الى حجة وبرهان على ما يقولون فمرة هو بليغ فصيح يتقول القرآن من نفسه
ويفتريه ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور وقال ابن عباس شبهوا لك هؤلاء
المشركون الاشباه بقولهم هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل فلا يجدون
طريقا الى الحق الذي بعثك به وقال مجاهد لا يجدون مخرجا يخرجهم عن الامثال
التي ضربوا ومعناه انهم ضربوا لك هذه ليتوصلوا بها الى تكذيبك فضلوا عن
سبيل الحق وعن بلوغ ما ارادوا وقال ابو عبد الله الرازي انظر كيف اشتغل
القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا
القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح سبيلا اذ الطعن عليه انما يكون فيما يقدح
في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول وقال الفراء لا يستطيعون
في امرك حيلة وقال السدي سبيلا الى الطعن ولما قال المشركون
ما قالوا قيل له فيما يروى ان شئت ان نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم
نعط ذلك احدا قبلك ولا نعطيه احدا بعدك وليس ذلك بناقصك في الاخرة
شيئا وان شئت جمعناه لك في الاخرة فقال يجمع لي ذلك في الاخرة فنزل
تبارك الذي وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال عرض علي جبريل بطحاء مكة
ذهبا بل شبعة وثلث جوعات وذلك اكثر لذكري ومسالتي ؂ قال الزمخشري
في تبارك اي تكاثر خيرا الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو
ان يجعل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور انتهى والاشارة
بذلك الظاهر انه الى ما ذكره الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد
ويبعده ما قيل عن ابن عباس انه اشارة الى اكله الطعام ومشيه في الاسواق
والظاهر ان هذا الجعل انما يكون في الدنيا لو شاء الله وقيل في الاخرة
ودخلت ان على المشيئة تنبيها انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على

محض مشيئة ليس لاحد من العباد على الله حق لا في الدنيا ولا في الآخرة والاول ابلغ في تبكيت الكفار والرد عليهم قال ابن عطية ويرده قوله بعد ذلك بل كذبوا بالساعة انتهى ولا يرده لان المعنى بل هو متمكن وهو عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتى باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة **وقرا** الجمهور ويجعل بالجزم قالوا عطفا على موضع جعل لان التقدير ان يشا يجعل ويجوز ان يكون مرفوعا ادغمت لامه في لام لك لكن ذلك لا يعرف الا من مذهب ابي عمرو والذي قرا بالجزم من السبعة نافع وحمزة والكسائي وابو عمرو وليس من مذهب الثلثة ادغام المثلين اذا تحرك اولهما انما هو من مذهب ابي عمرو كما ذكرنا **وقرا** مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وابو بكر ومحبوب عن ابي عمرو بالرفع قال ابن عطية والاستئناف ووجهه العطف على المعنى في قوله جعل لان جواب الشرط هو موضع استئناف الا ترى ان الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط وقال الحوفي من رفع جعله مستانفا منقطعا مما قبله انتهى وقال ابو البقاء وبالرفع على الاستئناف ٥ وقال الزمخشري **وقرئ** ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع **كقوله** ٥

٥ واذا اتاه خليل يوم مسالة ٥ يقول لا غائب مالي ولا حرم ٥

انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع ليس مذهب **س** اذ مذهب **س** ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به التقديم ولكن الجواب محذوفا لا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى انه هو الجواب وانه على حذف الفاء وذهب غير هؤلاء الى انه هو الجواب وليس على حذف الفاء ولا على التقديم ولما لم يظهر لاداة الشرط تاثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم تعمل فيه وبقي مرفوعا وذهب الجمهور الى ان هذا التركيب فصيح وانه جائز في الكلام وقال اصحابنا هو ضرورة اذ لم يجي الا في الشعر وهو على اضمار الفاء والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو **وقرا** عبيد الله بن موسى وطلحة ابن سليمان ويجعل بالنصب على اضمار ان وقال ابو الفتح هي على جواب الشرط بالواو وهي قراءة ضعيفة انتهى ونظير هذه القراآت الثلث **قول النابغة**

٥ فان يهلك ابو قابوس يهلك ٥ ربيع الناس والشهر الحرام ٥
٥ ونأخذ بعده بذناب عيش ٥ اجب الظهر ليس له سنام ٥

يروى بجزم ناخذ ورفعه ونصبه ٥ بل كذبوا بالساعة قال الكرماني المعنى ما منعهم من الايمان اكلك الطعام والمشي في السوق بل منعهم تكذيبهم بالساعة **وقيل** ليس ما تعلقوا به شبهة بل الحامل على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها **وقيل** يجوز ان يكون متصلا بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة انتهى وبل لترك اللفظ المتقدم من غير ابطال لمعناه واخذ في اللفظ لفظ آخر واعتدنا جعلناه معدا سعيرا نارا

كبيرة

كبيرة الايقاد وعن الحسن اسم من اسماء جهنم اذا رأتهم قيل هو حقيقة وان لجهنم عينين وروي في ذلك اثر فان صح كان هو القول الصحيح والا كان مجازا اي صارت منهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقوله عليه السلام وهم لا تتراءى اي تتناظر وتتقابل ومنه لا تتراءى ناراهما وقال قوم النار اسم لحيوان ناري يتكلم ويرى ويسمع ويتغيظ ويزفر حكاه الكرماني **وقيل** هو على حذف مضاف اي رأتهم خزنتها من مكان بعيد قيل مسيرة خمسمائة سنة وقيل مائة سنة وقيل سنة سمعوا لها صوت تغيظ لان التغيظ لا يسمع واذا كان على حذف المضاف كان المعنى تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وقيل سمعوا صوت لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل **قول الشاعر** فيا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا وهذا مخرج على تخريجين احدهما الحذف اي ومعتقلا رمحا والثاني تضمين متقلدا معنى متسلحا فكذلك الآية اي سمعوا لها ورأوا تغيظا وزفيرا وعاد كل واحد الى ما يناسبه او ضمن سمعوا معنى ادركوا فيشمل التغيظ والزفير وانتصب مكانا على الظرف اي في مكان ضيق وعن ابن عباس تضيق عليهم تضييق الزج في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد **وقرا** ابن كثير وعبيد عن ابي عمرو ضيقا قال ابن عطية **وقرا** ابو شيبة صاحب معاذ بن جبل مقرنون بالواو وهي قراءة شاذة والوجه قراءة الناس ونسبها ابن خالويه الى معاذ بن جبل ووجهها ان يرتفع على البدل من ضمير القوا بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال والظاهر دعاء الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه اي يقال يا ثبور فهذا اوانك **وقيل** المدعو محذوف تقديره دعوا من لا يجيبهم قائلين ثبرنا ثبورا والثبور قال ابن عباس هو الويل وقال الضحاك هو الهلاك ومنه **قول ابن الزبعرى** ٥

٥ اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور ٥

لا تدعوا اليوم يقال لهم لا تدعوا او هم احق ان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزنا كثيرا وكثرته اما لديمومة العذاب فهو متجدد دائما واما لانه انواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدته وفظاعته **وقرا** عمر بن محمد ثبورا بفتح الثاء في ثلاثتها وفعول بفتح الواو في المصادر قليل نحو القبول وحكى علي بن عيسى ما ثبرك عن هذا الامر اي ما صرفك كانهم دعوا بما فعلوا فقالوا واصرفاه عن طاعة الله كما تقول واندماه وروي ان اول من ينادي بذلك ابليس يقول واثبوراه حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على جبينه ويسحبها من خلفه ثم يتبعه في القول اتباعه فيقول لهم خزان جهنم لا تدعوا الآية وقيل نزلت في ابن خطل واصحابه والظاهر ان الاشارة بذلك الى النار واحوال اهلها **وقيل** الى الجنة والكنز في قولهم وقيل الى الجنة والقصور المجعولة في الدنيا على تقدير المشيئة وخيريتها ليست تدل على الافضلية بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون مقابله **كقوله** فشركما لخيركما الفداء ٥ وكقول العرب الشقاء احب اليك ام السعادة وكقوله

لها

التجن احب إليّ مما يدعونني اليه ومهذا الا استفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجي لفظة للتفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما شا ليرى هل يجيبه بالصواب او بالخطاء وانما منع س وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة واما اذا كان استفهاما فذلك سائغ انتهى وما ذكره يخالفه قوله فيه ما الخير كما العدا ٥ وقوله التجن احب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل احلى من الخل الا ان تعيد الخير بانه اذا كان واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد ايهما افضل فانه يجوز وضمير التي محذوف اي وعدها وضمير ما يشاؤون كذلك اي ما يشاؤونه وفي قوله ما يشاؤون دليل على ان حصول المرادات باسرها لا يكون الا في الجنة وسمي قوله جزا ومصيرا الثواب ومحله كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي ضده بيس الشراب وساءت مرتفقا لانه يطيب المكان يتضاعف النعيم كما انه برداته يتضاعف العذاب وعدا اي موعودا مسئولا سالته الملائكة في قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قاله محمد بن كعب والناس في قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الفرا وعدا مسئولا اي واجبا يقال لاعطينك الفا وعدا مسئولا اي واجبا وان لم يسأل قيل وما قاله الفرا محال انتهى وليس بمحال اذ يكون المعنى انه ينبغي ان يسال هذا الوعد الذي وعدته او يصدد ان يسال اي من حقه ان يكون مسئولا وعلى ربك اي بسبب الوعد صار لا بد منه وقال الزمخشري كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وهذا على مذهب المعتزلة ٥ ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ٥ فقد كذبوكم بما تقولون فما يستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا ٥ وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ٥ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ٥ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ٥ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقرا ابو جعفر والاعرج وابن كثير وحفص يحشرهم و فيقول بالياء فيهما وقرا الحسن وطلحة وابن عامر بالنون فيهما وقرا باقي السبعة في نحشرهم بالنون وفي فيقول بالياء وقرا الاعرج نحشرهم بكسر الشين قال صاحب اللوامح في كل القرآن وهو القياس في الافعال المتعدية الثلاثية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي وقال ابن عطية وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل

قوله عز وجل ويوم نحشرهم

بكسر العين في المتعدي اقيس من يفعل بضم العين انتهى وهذا ليس كما ذكرا بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمغالبة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل ويفعل كثيرا قال شهر احد الاستاذين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعا ٥ وما يعبدون قال الضحاك وعكرمة الاصنام التي لا تعقل يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب ٥ وقال الكلبي يحيي الله الاصنام يومئذ لتكذيب عابديها وقال الجمهور من عبد ممن يعقل ممن لم يامر بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير وهو الاظهر لقوله أأنتم اضللتم وما بعده من المحاورة التي ظاهرها انها لا تصدر الا من العقلاء وجاء ما يشبه ذلك منصوصا في قوله ويوم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وسوالهم تعالى وهو عالم بالمسئول عنه ليجيبوا بما اجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيزيد حسرتهم ويسر المومنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة اوليك ويكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وجاء الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل ولم يات التركيب أأضللتم ولا اضلوا لان كلا من الاضلال والضلال واقع والسؤال انما هو من فاعله وتقدم نظير هذا في أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم وقال الزمخشري وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتم ام ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هولاء واباهم تفضل جواد كريم فجعلوا الرحمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برات الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منهم فهم لربهم الغني العدل اشد تبرية وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشا ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم انتهى وهو على طريقة المعتزلة والمعنى أأنتم اوقعتم هولاء ونسبتم لهم في اضلالهم عن الحق ام اضلوا بانفسهم عنه وضل اصله ان يتعدى بعن كقوله من يضل عن سبيله ثم اتسع فحذف واضله عن السبيل كما ان هدى يتعدى بالى ثم يحذف ويضل مطاوع اضل كما تقول اقعدته فقعد وسبحانك تنزيه لله تعالى ان يشرك معه في العبادة احد او يفرد بعبادة فانى لهم ان يقع منهم اضلال احد وهم المؤمنون المقدسون او يكون احد منهم ندا وهو المنزه عن الند والنظير وقال الزمخشري سبحانك تعجب منهم مما قيل لانهم ملائكة وانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه انتهى وقرا علقمة ما ينبغي بسقوط كان وقراة الجمهور بثبوتها امكن في المعنى لانهم اخبروا عن حال كانت في الدنيا ووقت الاخبار لا عمل فيه وقرا ابو عيسى الاسود القارئ ينبغي لنا مبنيا للمفعول وقال ابن خالويه زعم س ان ينبغي لغة وقرا الجمهور ان نتخذ مبنيا

للفاعل ومن اولياء مفعول على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على نتخذ لانه معمول
لينبغي واذا انتفي الابتغا لزم منه انتفا متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله ونظيره
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير اي خير والمعنى
ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا
ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك وقال ابو مسلم ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال
الشياطين نريد الكفر فنتولى الكفار كما قال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
وقرا ابو الدردا وزيد بن ثابت وابو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي واخوه الباقر
ومكحول والحسن وابو جعفر وحفص بن عبيد والنخعي والسلمي وشيبة وابو بشر والزعفراني
ان نتخذ مبنيا للمفعول واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله ام اتخذوا الهة من الارض
وعليه قراءة الجمهور وتارة الى اثنين كقوله افرايت من اتخذ الهه هواه فقيل هذه القراءة
منه فالاول الضمير في نتخذ والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء
وهذا قول الزمخشري وقال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله من اولياء
اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره وقال ابو الفتح من اولياء في موضع الحال ودخلت
من زائدة لمكان النفي المتقدم كما تقول ما اتخذت زيدا من وكيل وقيل من اولياء هو الثاني
هو الثاني على زيادة من وهذا لا يجوز عند اكثر النحويين انما يجوز دخولها زائدة
على المفعول الاول بشرطه وقرا الحجاج ان نتخذ من دونك اولياء فبلغ عاصما فقال
مقت المخدج اوما علم ان فيها من ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صلح ان يستدرك
بلكن والمعنى لكن اكثرت عليهم وعلى ابائهم النعم واطلت اعمارهم وكان يجب عليهم
شكرها والايمان بما جاءت به الرسل فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله قيل
ولكن متعتهم كالرمز الى ما صرح به موسى من قوله ان هي الا فتنتك اي انت الذي
اعطيتهم مطالبهم من الدنيا حتى صاروا غرقى في بحر الشهوات فكان صارفا لهم
عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك والذكر ما ذكر به الناس على السنة الانبيا
او الكتب المنزلة او القران والبور قيل مصدر يوصف به الواحد والجمع وقيل
جمع بائر كعائذ وعوذ قيل معناه هلكى وقيل فسدى وهي لغة الازد يقولون امر
بائر اي فاسد وبارت البضاعة فسدت وقال الحسن لا خير فيهم من قولهم ارض
بور اي معطلة لا نبات فيها وقيل بورا عميا عن الحق فقد كذبوكم هذا من قول الله
بلا خلاف وهي مفاجاة فالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها
الالتفات وهو على اضمار القول كقوله يا اهل الكتاب الى قوله فقد جاءكم اي
فقلنا قد جاءكم وقول الشاعر

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ۞ ثم القفول فقد جئنا خراسانا

اي فقلنا قد جئنا وكذلك هذا اي فقلنا قد كذبوكم فان كان المجيب الاصنام
فالخطاب للكفار اي قد كذبتكم معبوداتكم من الاصنام بقولهم ما كان ينبغي لنا وان
كان الخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير وهو الظاهر لتناسق
الخطاب مع قوله اانتم اضللتم اي كذبكم المعبودون بما تقولون اي بقولهم انكم

اضللتموهم وزعمكم انكم اولياؤهم من دون الله وقرئ بما تقولون بتاء الخطاب فالمعنى
فيما تقولون اي سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء وقيل الخطاب
للكفار العابدين اي كذبكم المعبودون بما تقولون من الجواب سبحانك ما كان ينبغي لنا
او فيما تقولون انتم من الافتراء عليهم خوطبوا على جهة التوبيخ والتقريع وقيل
هو خطاب للمؤمنين في الدنيا اي قد كذبكم ايها المؤمنون الكفار في الدنيا فيما
تقولونه من التوحيد والشرع وقرا الجمهور بما تقولون بالتاء من فوق وابو حيوة
وابن الصلت عن قنبل بالياء من تحت وقرا حفص وابو حيوة والاعمش وطلحة
فما تستطيعون بتاء الخطاب ويؤيد هذه القراءة ان الخطاب في كذبوكم للكفار
العابدين وذكر عن ابن كثير وابي بكر انهما قرآ بما يقولون فما يستطيعون بالياء
فيهما اي هم صرفا اي صرفا للعذاب او توبة او حيلة من قولهم انه ليتصرف اي
يحتال هذا ان كان الخطاب في كذبوكم للكفار فالتاء جارية على ذلك والياء التفات
وان كان للمعبودين فالتاء التفات والياء جارية على ضمير كذبوكم المرفوع وان كان
الخطاب للمؤمنين امة الرسول في قوله فقد كذبوكم فالمعنى انهم شديد والشكيمة
في التكذيب فما تستطيعون انتم صرفهم عما هم عليه من ذلك وبالياء فما يستطيعون
صرفا لانفسهم عما هم عليه او ما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي انتم عليه ولا نصرا
لانفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم ومن يظلم منكم الظاهر انه عام وقيل
خطاب للمؤمنين وقيل خطاب للكافرين والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس
والحسن وابن جريج ويحتمل دخول المعاصي غير الشرك في الظلم وقال الزمخشري
العذاب الكبير لاحق لكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق
ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون انتهى وفيه دسيسة الاعتزال
وقرئ يذقه بياء الغيبة اي الله وهو الظاهر وقيل هو اي الظلم وهو المصدر المفهوم
من قوله يظلم اي تذقه الظلم ولما تقدم من الطعن على الرسول باكل الطعام والمشي في
الاسواق اخبر تعالى انها عادة مستمرة في كل رسالة ومفعول ارسلنا عند الزجاج
والزمخشري ومن تبعهما محذوف تقديره احدا وقدره ابن عطية رجالا او رسلا
وعاد الضمير في انهم على ذلك المحذوف كقوله وما منا الا له مقام اي وما
منا احد والجملة عند هؤلاء صفة اعني قوله الا انهم كانه قال الا آكلين وما
وعند الفراء المفعول محذوف وهو موصول مقدر بعد الا اي الا من انهم والضمير عائد
على من على معناها فيكون استثناء مفرغا وقيل انهم قبله قول محذوف اي الا قيل
انهم وهذان القولان مرجوحان في العربية وقال ابن الانباري التقدير الا وانهم
يعني ان الجملة حالية وهذا هو المختار وقدره على من قال انما بعد الا قد يجي
الصفة واما حذف الموصول فضعيف وقد ذهب الى حكاية الحال ايضا ابو البقاء
قال وقيل لو لم تكن اللام لكسرت لان الجملة حالية اذ المعنى الا وهم ياكلون
وقرئ انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الا انهم ياكلون
اي ما جعلناهم رسلا الى الناس الا لكونهم مثلهم وقرا الجمهور ويمشون مضارع
مشى خفيفا وقرا علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عبد الله يمشون مشددا مبنيا

للمفعول اي يبيتهم حوائجهم والناس قال الزمخشري ولو قرئ يمشون مشدداً مبنياً للمفعول
لكان اوجه لولا الرواية انتهى وقد قراه كذلك ابو عبد الرحمن السلمي مشدداً مبنياً
للفاعل وهي بمعنى يمشون قراءة الجمهور قال الشاعر

ومشي باغصان المباءة وابتغى قلائص منها صعبة وركوب

وجعلنا بعضكم قال ابن عطية هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة
للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لاشراف
الناس الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية
حين راى اشهب انتهى وروي قريب من هذا عن ابن عباس والحسن قال ابن عطية والتوقيف
باتصبرون خاص للمؤمنين المحققين فهو لامة محمد عليه السلام كانه جعل امهال الكفار
فتنة للمؤمنين اي اختبارا ثم وقفهم هل تصبرون ام لا ثم اعرب قوله وكان ربك
بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وقال الزمخشري فتنة اي محنة
وبلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من اكله الطعام
ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول جرت عادتي وموجب
حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم
ومناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع الاذى وطلب
منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا الآية وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وبغيره فلا يضيقن صدرك
ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليهم سعادة وفوزك في الدارين وقيل
هو ما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل
الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل تصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر
من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان
ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون
طاعة من يطيعك منهم خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا
عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان
بعضهم ببعض انتهى وفيه تكثير وهذا القول الاخير قول الكلبي والفراء والزجاج
والاولى ان قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يشمل معاني هذه الالفاظ كلها
لان بين الجميع قدرا مشتركا وقيل في قوله اتصبرون انه استفهام بمعنى
الامر اي اصبروا والظاهر حمل الرجاء على المشهور من استعماله والمعنى لا يأملون
لقاءنا بالخير ثوابا على الطاعة لتكذيبهم بالبعث لكفرهم بما جئت به
وقال ابو عبيدة وقوم معناه لا يخافون وقال الفراء لا يرجون نشورا لا يخافون
وهذه الكلمة تهامية وهي ايضا من لغة هذيل اذا كان مع الرجاء جحد ذهبوا
به الى معنى الخوف فيقول فلان لا يرجو ربه يريدون لا يخاف ربه ومن ذلك
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة واذا قالوا فلان يرجو ربه

فهذا على معنى الرجاء لا على الخوف وقال الشاعر

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

وقال اخر

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا اسبعة لاقت معا او واحدا

انتهى ومن لازم الرجاء للثواب الخوف من العقاب ومن كان مكذبا بالبعث لا يرجو ثوابا
ولا يخاف عقابا ومن تاول لم يرج لسعها على معنى لم يرج دفعها ولا الانفكاك
عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله فقال وتلك ممكن لكن الفراء وغيره
نقلوا ذلك لغة لهذيل في النفي والشاعر هذلي فينبغي ان لا يتكلف للتاويل
وان يحمل على لغته لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا انك رسول حقا او نرى
ربنا فيخبرنا بذلك قاله ابن جريج وغيره وهذا كما قالت اليهود لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة وكقولهم اعني المشركين او تاتي بالله والملائكة قبيلا وهذا كله
على سبيل التعنت والا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا لقد استكبروا
اي تكبروا في انفسهم اي عظموا انفسهم بسؤال رؤية الله وهم ليسوا باهل لها
والمعنى ان سؤال ذلك انما هو لما اضمروا في انفسهم من الاستكبار عن الحق وهو الكفر
والعناد الكامن في قلوبهم الظاهر عنه ما لا يقع لهم كما قال ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه واللام في لقد جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا الحد في الظلم
ووصفه بكبير مبالغة في افراطه اي لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا
غاية الاستكبار واقصى العتو وجاء هنا عتوا على الاصل في مريم عتيا على استثقال
اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل قال ابن عباس عتوا كفروا اشد
الكفر وافحشوا وقال عكرمة تجبروا وقال ابن سلام عصوا وقال ابن عيسى اسرفوا
قال الزمخشري هذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها ونحو

قول القائل

وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها

في نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة يوم منصوب
باذكر وهو اقرب او بفعل يدل عليه لا بشرى اي يمنعون البشرى ولا يعمل فيه
لا بشرى لانه مصدر ولانه منفي بلا التي لنفي الجنس لانه لا يعمل ما بعدها فيما
قبلها وكذا الداخلة على الاسماء عاملة عمل ليس وهو خبر لا على بشرى لانتفاء
انواع البشرى وهذا اليوم الظاهر انه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى
ما عملوا وعن ابن عباس عند الموت والمعنى ان هؤلاء الذين اقترحوا نزول الملائكة
لا يعرفون ما يكون لهم اذا راوهم من البشر وانتفاء البشارة وحصول الخسار
والمكروه واحتمل بشرى ان يكون مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية التنوين
منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتانيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل
ان يكون الخبر وللمجرمين خبر بعد خبر او نعت لبشرى او متعلق بما تعلق به الخبر
وان يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجي خلاف س والاخفش هل الخبر

لنفي لا او الخبر للمبتدا الذي هو مجموع لا وما بني معها وان كان في نية التنوين وهو معرب جاز ان يكون يومئذ معمولا لبشرى وان يكون صفة والخبر من الخبر واجاز ان يكون يومئذ للمجرمين خبر وجاز ان يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس لا باجماع وقال الزمخشري ويومئذ للتكرير وتبعه ابو البقا ولا يجوز ان يكون تكريرا سوا اريد به التوكيد اللفظي ام اريد به البدل لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر او من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ما قبل لا والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء القائلون فيهم قيل ويجوز ان يكون من وضع الظاهر موضع الضمير والظاهر ان الضمير في ويقولون عائد على القائلين لان المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ثم اذا راوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة وقال معناه مجاهد قال حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة وقال مجاهد وابن جريج كانت العرب اذا كرهت شيئا قالوا حجرا وقال ابو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم او في شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة انتهى ومنه **قول المتلمس** ٥

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها ٭ حجر حرام الا تلك الدهاليس ٥

اي هذا الذي حننت اليه ممنوع وذكر **س** حجرا في المصادر المنصوبة غير المتصرفة وانه واجب اضمار ناصبها قال **س** ويقول الرجل للرجل انفعل كذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه لا يلحقه **وقرأ** ابو رجا والحسن والضحاك حجرا بضم الحاء وقيل الضمير في ويقولون عائد على الملائكة اي تقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى ومحجورا صفة تؤكد معنى حجرا كما قالوا موت مائت وذيل ذائل والقدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وانفاذه قيل او على حذف مضاف اي قدمت ملائكتنا واسند ذلك اليه لانه عن امره وحسنت لفظة قدمنا لان القادم على شيء مكروه لم يقرره ولا امر به مغير له ومذهب فمثلت حالهم حال من خالف سلطانهم فقصد الى ما تحت ايديهم فمزقها عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقري ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى ما تحت ايديهم فمزقها بحيث لم يترك لها اثرا وفي امثالهم اقل من الهبا ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وانه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لان الهباء تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب وقال الزمخشري او جعله يعني منثورا مفعولا ثالثا لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء انتهى وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه ان يكون لكان خبران وازيد وقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون لها خبر ثالث وقال ابن عباس الهباء المنثور ما تسفي به الرياح وتبثه وعنه ايضا الهباء الماء المهراق والمستقر مكان الاستقرار في اكثر الاوقات والمقيل

المكان

المكان الذي يأوون اليه في الاسترواح الى الازواج والتمتع في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه اذ المكان المتخير للقيلولة يكون اطيب المواضع وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين وخير قيل ليست على بابها من استعمالها دلالة على الافضلية فيلزم من ذلك خيرية في مستقر اهل النار ويمكن ابقاؤها على بابها ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه فالمعنى خير مستقرا في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا واحسن مقيلا في الآخرة من اولئك في الدنيا **وقيل** خير مستقرا منهم لو كان لهم مستقر فيكون التقدير وجود مستقر لهم فيه خير وعن ابن مسعود وابن عباس والنخعي وابن جبير وابن جريج ومقاتل ان الحساب يكمل في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا ويقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ٥ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ٭ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ٭ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ٭ يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ٭ لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا ٭ وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ٭ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ٭ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ٭ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ٭ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا ٥ **قرأ** الحرميان وابن عامر تشقق بادغام التاء من تتشقق في الشين هنا وفي ق ٥ وباقي السبعة بحذف تلك التاء ويعني يوم القيامة كقوله السماء منفطر به **وقرأ** الجمهور ونزل ماضيا مشددا مبنيا للمفعول وابن مسعود وابو رجاء ونزل ماضيا مبنيا للفاعل وعنه ايضا وانزل مبنيا للفاعل وجاء مصدره تنزيلا وقياسه انزالا الا انه لما كان معنى انزل ونزل واحدا جاز مجيء مصدر احدهما للآخر كما قال **الشاعر** حتى تطويت انطواء الخضب ٥ كانه قال حتى انطويت **وقرأ** الاعمش وعبد الله في نقل ابن عطية وانزل ماضيا رباعيا مبنيا للمفعول مضارعه ينزل **وقرأ** جناح بن حبيش والخفاف عن ابي عمرو ونزل ثلاثيا مخففا مبنيا للفاعل وهارون عن ابي عمرو وتنزل بالتاء من فوق مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل وابو معاذ وخارجة عن ابي عمرو ونزل الملائكة بضم النون وشد الزاي اسقط النون من وننزل وفي بعض المصاحف وننزل بالنون مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده قال وهي قراءة اهل مكة ورويت عن ابي عمرو وعن ابي ايضا وتنزلت **وقرأ** ابي ونزلت ماضيا مشددا مبنيا للمفعول بتاء التانيث ٥ وقال صاحب اللوامح عن الخفاف عن ابي عمرو ونزل مخففا مبنيا للمفعول الملائكة رفعا فان صحت القراءة فانه حذف منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتقديره ونزل نزول الملائكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى نزل نازل الملائكة لان المصدر يكون بمعنى الاسم وهذا مما يجيء على مذهب **س**

قوله عز وجل ويوم تشقق السماء بالغمام

في ترتيب اللازم للمفعول به لأن الفعل يدل على مصدره انتهى وقال أبو الفتح
وهذا غير معروف لأن نزل لا يتعدى إلى مفعول فبني هنا للملائكة ووجهه أن يكون مثل
زكم الرجل وجن فإنه لا يقال إلا أزكمه الله وأجنه وهذا باب سماع لا قياس
انتهى فهذه إحدى عشرة قراءة والظاهر أن الغمام هو السحاب المعهود وقيل
هو الذي في قوله في ظلل من الغمام وقال ابن جريج الغمام الذي يأتي الله فيه
في الجنة زعموا وقال الحسن سترة بين السماء والأرض تعرج الملائكة فيه
بنسخ أعمال بني آدم ليحاسبوا وقيل غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن
لبني إسرائيل في تيههم والظاهر أن السماء هي المظلة لنا وقيل تشقق سماء سماء
قاله مقاتل والباء باء الحال أي متغيمة أو باء السبب أي بسبب طلوع الغمام
منها كأنه الذي تتشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها
ونظيره قوله السماء منفطر به أو بمعنى عن أقوال ثلاثة والفرق بين الباء والسببية
وعن أن انشق عن كذا تفتح عنه وانشق بكذا أنه هو الشاق له ونزل الملائكة
أي إلى الأرض لوقوع الجزاء والحساب والحق صفة للملك أي الثابت لأن كل
ملك يومئذ يبطل ولا يبقى إلا ملكه تعالى وخبر الملك يومئذ والرحمن متعلق
بالحق أو للبيان أعني للرحمن وقيل الخبر للرحمن ويومئذ معمول للملك وقيل
الخبر الحق وللرحمن متعلق به أو للبيان وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم
النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمن
ففي الحديث أنه يهون حتى يكون على المؤمن أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا والظاهر عموم الظالم إذ اللام فيه للجنس قاله مجاهد وأبو رجاء وقال
قتادة هو كناية عن الشيطان وقال ابن عباس وجماعة الظالم هنا عقبة
ابن أبي معيط إذ كان جنح إلى الإسلام وأبي بن خلف هو المكني عنه بفلان وكانت
بينهما مخالة فنهاه عن الإسلام فقبل منه وعن ابن عباس أيضا عكس هذا القول
قيل وسبب نزولها هو عقبة وأبي وقيل كان عقبة خليلا لأمية
فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن بايعت محمدا فكفر وارتد
لرضى أمية فنزلت قاله الشعبي وذكر من إساءة عقبة على الرسول ما كان
سبب أن قال له الرسول عليه السلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت
رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا فضرب عنقه وقتل
أبي بن خلف يوم أحد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم
وتمنيه أنه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ظالم إلا وله
في الغالب خليل خاص به يعبر عنه بفلان والظاهر أن الظالم يعض على يديه
فعل النادم المتفجع وقال الضحاك يأكل يديه إلى المرفق ثم تنبت ولا
يزال كذلك كلما أكلها تنبت وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم
والتفجع ونقل أئمة اللغة أن المتأسف المتحزن المتندم يعض على إبهامه
ندما وقال الشاعر

لطمت خدها بحمر لطاف ... نلن منها عذاب بيض عذاب

فتشكى العناب نور أقاح ... واشتكى الورد ناضر العناب

وفي المثل يأكل يديه ندما ويسيل دمعه دما وقال الزمخشري عض الأنامل
واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنايات
عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع
الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان
ما لا يجد عند لفظ المكني عنه انتهى

وقال الشاعر في حرق الناب

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه ... عليه فأفضى والسيوف معاقله

يقول في موضع الحال أي قائلا يا ليتني فإن كانت اللام للعهد فالمعنى أنه تمنى عقبة
أن لو صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الحق وإن كانت اللام للجنس فالمعنى
أنه تمنى سلوك طريق الرسول وهو الإيمان ويكون الرسول للجنس لأن كل ظالم قد كلف اتباع
ما جاء به رسول من الله إلى أن جاءت الملة المحمدية فنسخت جميع الملل فلا يقبل
بعد مجيئه دين غير الذي جاء به ثم ينادي بالويل والحسرة يقول يا ويلتي أي يا هلكاه
كقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وقرأ الحسن وابن قطيب يا ويلتي بكسر التاء
والياء ياء الإضافة وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي
فهذا أوانك وقرأت فرقة يا ويلتى بالإمالة قال أبو علي وترك الإمالة
أحسن لأن هذه اللفظة الياء فيها بدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من الياء فمن
أمال رجع إلى الذي عنه فر أولا وفلان كناية عن العلم وهو منصرف وفل كناية
عن نكرة الإنسان نحو يا رجل وهو مختص بالنداء وفلة بمعنى يا امرأة كذلك ولام فل ياء أو واو
وليس مرخما من فلان خلافا للفراء ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم
فل كناية عن العلم كفلان وفي كتاب س ما قلناه بالنقل عن العرب والذكر ذكر الله
أو القرآن أو الموعظة والظاهر حمل الشيطان على ظاهره لأنه الذي وسوس إليه في
مخالة من أضله سماه شيطانا لأنه يضل كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في
العاقبة وتحتمل هذه الجملة أن تكون من تمام كلام الظالم وتحتمل أن تكون إخبارا من كلام
الله على جهة الدلالة على وجه ضلالهم والتحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك
المبلغ وفي الحديث الصحيح تمثيل الجليس الصالح بالمسك والجليس السوء بنافخ الكير
والظاهر أن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وإخباره بهجر قومه قريش للقرآن
هو مما جرى له في الدنيا بدليل إقباله عليه مسليا مؤانسا بقوله وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين وإشعارا له في هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر
ومعنى القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه وقالت فرقة منهم أبو مسلم إنه
قوله عليه السلام في الآخرة كقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا والظاهر أن مهجورا بمعنى متروكا من الإيمان به مبعدا مقصيا
من الهجر بفتح الهاء وقاله مجاهد والنخعي وأتباعه وقيل من الهجر والتقدير
مهجورا فيه يعني أنه باطل وأساطير الأولين أو أنهم إذا سمعوا هجروا فيه كقوله
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قاله الزمخشري ويجوز

ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا اذا العدو يجوز ان
يكون واحدا وجمعا انتهى وانتصب هاديا ونصيرا على الحال او على التمييز وقالوا اي
الكفار على سبيل الاقتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق قال الزمخشري نزل
هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر وان لا كان متدافعا انتهى وانما قال
انزل بمعنى انزل لان نزل عنده اصلها ان تكون للتفريق فلو قرئ على اصله عنده
من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لا تقتضي
التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك في اول آل عمران
وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة كما نزلت التوراة
والانجيل **وقيل** قائلوا ذلك اليهود وهذا قول لا طائل تحته لان امر
الاحتجاج به والاعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفترقا بل الاعجاز في نزوله
مفرقا اظهر اذ يطالبون بمعارضة سورة منه فلو نزل جملة واحدة وطولبوا بمعارضته
مثل ما نزل لكانوا اعجز منهم حين طولبوا بمعارضة سورة منه فعجزوا والمشار
اليه غير مذكور فقيل هو من كلام الكفار واشاروا الى التوراة والانجيل اي تنزيلا
مثل تنزيل تلك الكتب الالهية جملة واحدة ويبقى لنثبت فوادك تعليلا لمحذوف
اي فرقناه في اوقات لنثبت به فوادك وقيل هو مستانف من كلام الله تعالى
لا من كلامهم ولما تضمن كلامهم معنى لم انزل مفرقا اشير بقوله كذلك الى
التفريق اي كذلك انزل متفرقا قال الزمخشري والحكمة فيه ان يقوى بتفريقه
فوادك حتى نعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد
شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لكان يعيا في حفظه والرسول
عليه السلام فارقت حاله حال داود وموسى وعيسى حيث كان اميا لا يكتب
وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين
سنة **وقيل** في ثلاث وعشرين سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجواب السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما
انزل مفرقا انتهى واللام في لنثبت به لام العلة وقال ابو حاتم هي لام القسم
والتقدير والله ليثبتن فحذفت النون وكسرت اللام انتهى وهذا قول في غاية
الضعف وكانه ينحو الى مذهب الاخفش ان جواب القسم يتلقى بلام كي وجعل منه ولتصغى
اليه افئدة وهو مذهب مرجوح وقرا عبد الله ليثبت بالياء اي ليثبت الله
ورتلناه اي فصلناه وقيل بيناه وقيل فسرناه ولا ياتونك بمثل يضربونه على جهة
المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل الا جاء القرآن بالحق في ذلك
ثم هو اوضح بيانا وتفصيلا وقال الزمخشري ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من
سوالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي
لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومودى من سوالهم ولما كان التفسير هو الكشف
عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت
كما قيل معناه كذا او ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت

هذه

هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون
لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا
ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعث عليه ودلالة على صحته انتهى وقيل ولا ياتونك
بشبهة في ابطال امرك الا جيناك بالحق الذي يدحض شبهة اهل الجهل ويبطل كلام
اهل الزيغ والمفضل عليه محذوف اي واحسن تفسيرا من مثلهم ومثلهم قولهم لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة ۞ الذين يحشرون قال الكرماني متصل بقوله اصحاب الجنة
يومئذ الآية قيل ويجوز ان يكون متصلا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين انتهى والذي يظهر انهم لما اعترضوا في حديث القرآن وانزاله مفرقا كان
في ضمن كلامهم انهم ذوو رشد وخير وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فاخبر
تعالى بحالهم وما يؤولون اليه امرهم في الآخرة بكونهم شر مكانا واضل سبيلا والظاهر
انه يحشر الكافر على وجهه بان يسحب على وجهه وفي الحديث ان الذي امشاهم على ارجلهم
قادر ان يمشيهم على وجوههم وهذا قول الجمهور وقيل هو مجاز للذلة المفرطة
والهوان والخزي وقيل هو من قول العرب مر فلان على وجهه اذا لم يدر اين ذهب
ويقال مضى على وجهه اذا اسرع متوجها الى القصد وشر واضل ليسا على بابهما من
الدلالة على التفضيل وقوله شر مكانا اي منزلا وهو مقابل لقوله خير مستقرا ويحتمل ان
يراد بالمكان المكانة والشرف لا المستقر واعربوا الذين مبتدا والجملة من اولئك
في موضع الخبر ويجوز عندي ان يكون الذين خبر مبتدا محذوف لما تقدم ذكر المكافرين
وما قالوا قال اي هم الذين يحشرون ثم استانف اخبارا اخبرعنهم فقال اولئك شر مكانا ۞ ولقد آتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ۞ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فدمرناهم تدميرا ۞ وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية
واعتدنا للظالمين عذابا اليما ۞ وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين
ذلك كثيرا ۞ وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ۞ ولقد اتوا على القرية
التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ۞ واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ۞ ان كاد ليضلنا عن آلهتنا
لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ۞ ارايت
من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ۞ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ۞ لما تقدم تكذيب قريش
والكفار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر تعالى ما فيه تسلية للرسول
وارهاب للمكذبين وتذكر لهم ان يصيبهم ما اصاب الامم السابقة من هلاك
الاستيصال لما كذبوا رسلهم فناسب اذ ذكروا ولا من نزل عليه كتابه جملة واحدة
ومع ذلك كفروا وكذبوا به فكذلك هؤلاء لو نزل عليه القرآن دفعة لكذبوا
وكفروا كما كذب قوم موسى والكتاب هنا التوراة وهرون بدل او عطف بيان
واحتمل ان يكون معه المفعول الثاني لجعلنا وان يكون وزيرا والوزارة لا تنافي
النبوة فقد كان في الزمان الواحد انبيا يوازر بعضهم بعضا والمذهوب اليهم

قوله عز وجل
ولقد آتينا موسى

القبط وفرعون وفي الكلام حذف اي فذهبا واديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم
والتدمير اشد الاهلاك واصله كسر الشيء على وجه لا يمكن اصلاحه وقصة موسى
ومن ارسل اليه ذكرت مبينة في غير ما موضع وهنا اختصرت فاوجز بذكرا وّلها وآخرها
لانه بذلك يلزم الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقرا علي والحسن
ومسلمة بن محارب فدمراهم على الامر لموسى وهارون وعن علي ايضا كذلك الا انه
مؤكدا بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا امرا لهما بهم بباء الجر ومعنى الامر كونا
سبب تدميرهم وانتصب وقوم نوح على الاشتغال وكان النصب ارجح لتقدم الجملة
الفعلية قبل ذلك ويكون لما في هذا الاعراب ظرفا على مذهب الفارسي واما ان
كانت حرف وجوب لوجوب فالظاهر ان اغرقناهم جواب لما فلا يفسر ناصبا لقوم
فيكون معطوفا على المفعول في فدمرناهم او منصوبا على مضمر تقديره اذكر وقد جوز
الوجوه الثلاثة الحوفي لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او جعل تكذيبهم لنوح تكذيبا
للجميع اولم يروا بعثة الرسل كالبراهمة والظاهر عطف وعادا على وقوم وقال
ابو اسحق يكون معطوفا على الهاء والميم في وجعلناهم للناس آية قال ويجوز ان يكون
معطوفا على الظالمين لان التاويل وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وثمودا
وقرا عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى وثمود غير مصروف واصحاب الرس قال
ابن عباس هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لان العطف يقتضي التغاير وقال
قتادة اهل قرية من اليمامة يقال لها الرس والفلج قيل قتلوا نبيهم فهلكوا
وهم بقية ثمود وقوم صالح وقال كعب ومقاتل والسدي بئر بانطاكية الشام قتل
فيها صاحب يس وهو حبيب النجار وقيل قتلوا نبيهم ورسوه في بئر اي
دسوه فيه وقال وهب والكلبي اصحاب الرس واصحاب الايكة قومان ارسل اليهما
شعيب ارسل الى اصحاب الرس وكانوا قوما من عبدة الاصنام واصحاب آبار ومواشٍ
فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينما هم حول الرس
وهي البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقال علي
فيما نقله الثعلبي قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت رسوا نبيهم
في بئر حفروه له في حديث طويل وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا
مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتح وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها
حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب
الاخدود والرس هو الاخدود وقال ابن عباس الرس بئر باذربيجان وقيل الرس
ما بين نجران الى اليمن الى حضرموت وقيل قوم بعث الله اليهم انبياء فقتلوهم
ورسوا عظامهم في بئر وقيل قوم ارسل اليهم نبي فاكلوه وقيل قوم نساؤهم
سواحق وقيل الرس ماء ونخل لبني اسد وقيل الرس نهر من بلاد المشرق بعث
الله اليهم نبيا من اولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكا الى الله
منهم فحفروا له بئرا وارسلوه فيها وقالوا نرجو ان يرضى عنا الهنا فكانوا عامة
يومهم يسمعون انين نبيهم فدعا بتعجيل قبض روحه فمات واظلتهم سحابة سوداء

اعظمهم

اذابتهم كما يذوب الرصاص وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي عليه السلام
ان اهل الرس اخذوا نبيهم فرسوه في بئر واطبقوا عليه صخرة فكان عبد اسود قد آمن
به يجيء بطعام الى تلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها فيعطيه ما يغذيه
به ثم يرد الصخرة الى ان ضرب الله يوما على اذن ذلك الاسود بالنوم اربع عشرة سنة
واخرج اهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل قال الطبري فيمكن انهم كفروا
بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية وكثر الاختلاف في اصحاب الرس فلو صح ما
نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه وملخص هذه الاقوال
انهم قوم اهلكهم الله بتكذيب من ارسل اليهم وقرونا بين ذلك هذا ابهام
لا يعلم حقيقة ذلك الا الله وذلك اشارة الى اولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن
دخول بين عليه من غير ان يعطف عليه شيء كانه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر
اشياء مختلفة ثم يشير اليها وانتصب كلا الاول على الاشتغال اي وانذرنا كلا او حذرنا
كلا والثاني على انه مفعول بتبرنا لانه لم ياخذ مفعولا وهذا من واضح الاعراب
ومعنى ضرب الامثال اي بين لهم القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما ادى
اليه تكذيبهم بانبيائهم من عذاب الله وتدميرهم اياهم ليهتدوا بضرب الامثال فلم يهتدوا
وابعد من جعل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمعنى وكلا الامثال ضربنا
للرسول وعلى هذا وكلا منصوب بضربنا والامثال بدل من كلا والضمير في ولقد اتوا لقريش
كانوا يمرون على سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم الى الشام وكانت قرى خمسا اهلك
الله منها اربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن اهلها يعملون ذلك العمل قال
ابن عباس ومطر السوء الحجارة التي امطرت عليهم من السماء فهلكوا وكان ابراهيم عليه
السلام ينادي نصيحة لكم يا سدوم يوم لكم من الله عز وجل انهاكم ان تتعرضوا للعقوبة
من الله ومعنى اتوا مروا فلذلك عداه بعلى وافرد لفظ القرية وان كانت قرى لان
سدوم هي ام تلك القرى واعظمها وقال مكي الضمير في اتوا عائد على الذين
اتخذوا القرآن مهجورا انتهى وهم قريش وانتصب مطر على انه مفعول ثان لامطرت
على معنى اوليت او على انه مصدر محذوف الزوائد اي امطار السوء افلم يكونوا يرونها
اي ينظرون الى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقال وانهما لبامام مبين وهو استفهام
معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها اذ حل بهم في الدنيا ما حل بالوليد
بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذابا لاخرة وضع الرجا موضع التوقع
التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت
ركابهم او لا يؤملون نشورا كما يؤمله المؤمنون لطمعهم في الثواب على اعمالهم او لا
يخافون على اللغة التهامية وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول
ومطر منقعد قال الشاعر
كمن بواديه بعد المحل ممطور وقرا ابو السمال مطر السوء بضم السين واذا
راوك ان يتخذونك الا هزوا لم يقتصر المشركون على انكار نبوة الرسول وترك الايمان
به بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار حتى يقول بعضهم لبعض اهذا الذي

بعث الله رسولا وان نافية جواب اذا وانفردت اذا بانه اذا كان جوابها منفيا بما او بلا لا يدخله الفاء بخلاف ادوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء كما النافية ومعنى هزوا موضع هزؤ او مهزوا به اهذا قبله قول محذوف اي يقولون وقال جواب اذا اما اضمر من القول اي واذا راوك قالوا اهذا الذي بعث الله رسولا وان يتخذونك جملة اعتراضية بين اذا وجوابها قيل ونزلت في ابي جهل كان اذا راى الرسول عليه السلام قال اهذا الذي بعث الله رسولا واخرج بلفظ الجمع تعظيما لقبيح صنعه او لكون جماعة معه قالوا ذلك والظاهر ان قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار منهم اخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق قاله الزمخشري وقال ابو عبد الله الرازي الاستهزاء اما بالصورة فكان احسن منهم خلقة او بالصفة فلا يمكن لان الصفة التي تميز بها عنهم ظهور المعجز عليه دونهم وما قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة انهم هم الذين يستحقون ان يهزا بهم ثم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول الذي قيل وتدل الآية على انهم صاروا في ظهور حجته عليه السلام عليهم كالمجانين استهزؤا به اولا ثم انهم وصفوه بانه كاد يضلنا عن مذهبنا لولا انا قابلناه بالجمود والاصرار فهذا يدل على انهم سلموا له قوة الحجة وكمال العقل فكونهم جمعوا بين الاستهزاء وبين هذه الكيدودة دل على انهم كانوا كالمتحيرين في امره تارة يستهزؤن منه وتارة يصفونه بما لا يليق الا بالعالم الكامل وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال فلا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير ولما قالوا ان كاد ليضلنا جاء قوله من اضل سبيلا اي سيظهر لهم من المضل ومن الضال بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه والظاهر ان من استفهامية واضل خبرها والجملة في موضع مفعول يعلمون ان كانت متعدية الى واحد او في موضع مفعولين ان كانت تعدت الى اثنين ويجوز ان تكون من موصولة مفعولة بيعلمون واضل خبر مبتدا محذوف اي هو اضل وصار بحذف هذا المضمر للاستطالة التي حصلت في قول العرب ما انا بالذي قائل لك سوءا ه ارايت من اتخذ الهه هواه هذا ايئاس عن ايمانهم واشارة اليه عليه السلام ان لا يتأسف عليهم واعلام انهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم ثم ذكر انهم اضل سبيلا من الانعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والانعام لا سبيل لهم الى فهم المصالح وارايت استفهام تعجيب من جهل من هذه حاله والهه المفعول الاول لاتخذ وهواه الثاني اي اقام مقام الاله الذي

يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى انه لم يتخذ الها الا هواه وادعاء القلب ليس بجيد اذ يقدره من اتخذ الهه والبيت من ضرائر الشعر ونادر الكلام فينزه كلام الله عنه كان الرجل يعبد الصنم فاذا راى احسن منه رماه واخذ الاحسن قيل نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان اذا هوي شيئا عبده والهوى ميل القلب الى الشيء افانت تجبره على ترك هواه او افانت تحفظه من عظيم جهله وقرا بعض المدنيين من اتخذ الهة منونة على الجمع وفيه تقديم جعل هواه انواعا اسماء لاجناس مختلفة فجعل كل جنس من هواه الها آخر وقرا ابن هرمز الهة على وزن فعالة وفيه ايضا تقديم اي هواه الهة بمعنى معبودة لانها بمعنى المألوهة فالهاء فيها للمبالغة فلذلك صرفت وقيل بل الالاهة الشمس ويقال لها الالهة الالاهة بضم الهمزة وهي غير مصروفة للعلمية والتانيث لكنها لما كانت مما يدخلها الالف واللام في بعض اللغات صارت بمنزلة ما كانت فيه اللام ثم نزعت فلذلك صرفت وصارت بمنزلة النعوت فتنكرت قاله صاحب اللوامح ومفعول ارايت الاول من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم الكلام في ارايت في اوائل الانعام ومعنى وكيلا اي هل تستطيع ان تدعوه الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وام منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المذهب الصحيح كانه قال بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفي ذلك عن اكثرهم لان فيهم من سبقت له السعادة فاسلم وجعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب منفعتها وتجتنب مضرتها وتهتدي الى مراعيها ومشاربها وهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم ولا يرغبون في الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق ه الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا • وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا • وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا • ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا • وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا • وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا • ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا • قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا • وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا • الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا • واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا

هواه ح

مية

قوله عز وجل الم تر الى ربك

وزادهم نفورا ﴿ لما بين تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم
ذكر أنواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها
ويؤمنون بمن هذه قدرته وتصرفه في عالمه فبدأ بحال الظل في زيادته ونقصانه
وتغيره من حال إلى حال وأن ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على ألم تر في البقرة
في قصة الذي حاج إبراهيم والمعنى ألم تر إلى صنع ربك وقدرته وكيف سؤال عن
حال في موضع نصب بمد والجملة في موضع متعلق ألم تر لأن تر معلقة والجملة الاستفهامية
التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى ألم تر إلى مد
ربك الظل وقال الجمهور الظل هنا من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مثل ظل الجنة ظل
ممدود لا شمس فيه ولا ظلمة واعترض بأنه في غير النهار بل في بقايا الليل ولا يسمى ظلا
وقيل الظل الليل لأنه ظل الأرض وهو يعم الدنيا كلها وقيل من غيبوبة الشمس إلى طلوعها
وهذا هو القول الذي قبله ولكن أوردوه كذا وقيل ظلال الأشياء كلها كقوله
أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء تتفيؤ ظلاله وقال أبو عبيدة الظل بالغداة
والفيء بالعشي وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وقيل
ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه فزالت فيء ولو شاء لجعله ساكنا قال
ابن عباس وقتادة وابن زيد يعني كظل الجنة الذي لا شمس تذهبه وقال مجاهد لا تصيبه
الشمس ولا يزول وقال الحسن لو شاء لتركه ظلا كما هو وقيل لأدامه أبدا بمنع طلوع
الشمس بعد غيبوبتها فلما طلعت الشمس دلت على زوال الظل وبدا فيه النقصان
فبطلوع الشمس بدو النقصان في الظل وبغروبها تبدو الزيادة في الظل فبالشمس
استدل أهل الأرض على الظل وزيادته ونقصه وكلما علت الشمس نقص الظل
وكلما دنت للغروب زاد وهو قوله ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا يعني في وقت
علو الشمس بالنهار ينقص الظل نقصانا يسيرا بعد يسير وكذلك زيادته بعد
نصف النهار يزيد يسيرا بعد يسير حتى يعم الأرض كلها فأما زوال الظل كله فإنما
يكون في البلدان المتوسطة في وقت وقال الزمخشري ومعنى مد الظل أن جعله
يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل مظل من
جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا
منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس
وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا
ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه
إليه أنه ينسخه بظل الشمس يسيرا أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد
شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة لتعطلت أكثر مرافق الناس
بالظل والشمس جميعا فإن قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها
لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من
الثاني تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
ووجه آخر وهو أنه بنى الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض
تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير ولو شاء لجعله

ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه وجعلها
دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه
بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض
أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر
إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال
ذلك حشر علينا يسير انتهى وقوله انبساط الظل وامتداده تحركا منه لم يسم الله
ذلك إنما قال كيف مد الظل وقوله ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة
فهذا يبعد احتماله لأنه إنما ذكر آثار صنعته وقدرته لتشاهد ثم قال مد الظل
وعطف عليه ماضيا مثله فيبعد أن يكون التقدير ثم قبضه عند قيام الساعة
مع ظهور كونه ماضيا مستداما أمثاله وقال ابن عطية ولو شاء لجعله ساكنا أي
ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها إياه بطردها له من موضع إلى
موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري أنه لولا الشمس
لم يعلم أن الظل شيء إذ الأشياء إنما تعرف بأضدادها وقال ابن عباس يسيرا معجلا
وقال مجاهد لطيفا أي شيئا بعد شيء ويحتمل أن يريد سهلا قريب التناول وقال
أبو عبد الله الرازي أكثر الناس في تأويل هذه الآية ويرجع الكلام فيها إلى وجهين
الأول أن الظل لا ضوء خالص ولا ظلمة خالصة وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
وكذلك الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدرات وهي أطيب الأحوال
لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الخالص يحير الحس البصري
ويحدث السخونة القوية وهي مؤذية ولهذا قيل في الجنة وظل ممدود والناظر
إلى الجسم الملون كأنه يشاهد بالظل شيئا سوى الجسم وسوى اللون والظل ليس أمرا
ثابتا ولا معرفة به إلا أنه إذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم ثم زال عرف
للظل وجود وماهية ولولاها ما عرف لأن الأشياء تدرك بأضدادها فظهر
للعقل أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون ولذلك قال ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا أي خلقنا الظل أولا بما فيه من المنافع واللذات ثم هدينا العقول
إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجود الظل ثم قبضناه
أي أزلناه لا دفعة بل يسيرا يسيرا كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان
الظل من جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا
كان زوال الأظلال كذلك والثاني أنه لما خلق السماء والأرض وقع ظل السماء
على الأرض فجعل الشمس دليلا لأنه بحسب حركات الأضواء تتحرك الأظلال فإنهما
متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص
الآخر فكما أن المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الأظلال
ملازمة للأضواء ولذلك جعل الشمس دليلا عليه انتهى ملخصا وهو مأخوذ من
كلام الزمخشري ومحسن بعض تحسين والآية في غاية الظهور ولا يحتاج إلى هذا
التكثير وقال أيضا الظل ليس عدما محضا بل هو أضواء مخلوطة بظلام فهو أمر
وجودي وفي تحقيقه دقيق يرجع فيه إلى الكتب العقلية انتهى والآية في غاية

الوضوح ولا يحتاج الى هذا التكثير وقد تركت اشياء من كلام المفسرين مما لا تمس اليه
الحاجة ◦ جعل الليل لباسا تشبيها بالثوب الذي يغطي البدن ويستره من حيث
الليل يستر الاشياء والسبات ضرب من الاغماء يعتري اليقظان مرضا فشبه النوم
به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكونا ما والنشور هنا الاحياء
اشبه اليقظة به ليتطابق الاحياء مع الاماتة اللذين يتضمنهما النوم والسبات
انتهى من كلام ابن عطية وقال غيره السبات الراحة جعل النوم سباتا اي سبب
راحة وقال الزمخشري السبات الموت وهو كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يا باه انتهى ولا
يا باه الا لو تعين تفسير النشور بالحيوة وقال ابو مسلم نشورا هو بمعنى الانتشار
والحركة وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب
المعاش وابتغاء فضل الله والنهار نشورا وما قبله من باب ليل نائم ونهار صائم
وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان
الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس فوائد دينية ودنيوية •

وقال الشاعر ◦

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب ◦

والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمن
انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ فكذلك تموت فتنشر وتقدم الخلاف
في قراءة الريح بالافراد والجمع في البقرة قال ابن عطية وقراءة الجمع اوجه لان عرف
الريح متى وردت في القرآن مفردة فانما هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة
فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب وتتذاءب وتتفرق وتاتي لينة من هاهنا
وهاهنا وشيئا اثر شيء وريح العذاب حرجف لا تتذاءب وانما تاتي جسدا واحدا
الا ترى انها تحطم ما تجد وتهدمه قال الرماني جمعت رياح الرحمة لانها
ثلثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وافردت ريح العذاب لانها واحدة لا
تلقح وهي الدبور قال ابو حيان ابن عطية يرد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت
الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا انتهى ولا يسوغ ان يقال هذه
القراءة اوجه لان كلا من القرائتين متواتر والالف واللام في الريح للجنس فتعم
وما ذكر من ان قول الرماني يرده الحديث فلا يظهر لانه يجوز ان يريد بقوله
عليه السلام رياحا الثلاثة اللواقح وبقوله ولا تجعلها ريحا الدبور فيكون
ما قاله الرماني مطابقا للحديث على هذا المفهوم وتقدم الخلاف في قراءة نشرا وفي
مدلوله في الاعراف ◦ بين يدي رحمته استعارة حسنة اي قدام المطر لانه يجيء معلما
به والطهور فعول اما للمبالغة كنؤوم فهو معدول عن طاهر واما ان يكون اسما لما
يتطهر به كالسحور والفطور واما مصدر التطهر جاء على غير الصدر حكاه س والظاهر
في قوله ماء طهورا ان يكون للمبالغة في طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه
شيء بخلاف ما ينبع من الارض ونحوه فانه تشوبه اجزاء ارضية من مقره او ممره
او مما يطرح فيه ويجوز ان يوصف بالاسم وبالمصدر وقال ثعلب هو ما كان طاهرا

في نفـ

في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لمبالغته في الطهارة كان سديدا
ويعضده ويُنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فعول لا يكون بمعنى مفعل
ومن استعمال الطهور للمبالغة قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا •

وقال الشاعر ◦

الى رجح الاكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور

وقرأ عيسى وابو جعفر ميتا بالتشديد ووصف بلدة بصفة المذكر لان البلدة في
معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت ورجح الجمهور التخفيف لانه يماثل فعالا من
المصادر فكما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر فكذلك بما اشبهه بخلاف المشدد
فانه يماثل فاعلا من حيث قبوله للتاء الا فيما خص المؤنث نحو طامث وقرأ
عبد الله وابو حيوة وابن ابي عبلة والاعمش وعاصم وابو عمرو في رواية عنهما
ونسقيه بفتح النون وروي عن عمر بن الخطاب وقرأ يحيى بن الحرث الذماري
واناسي بتخفيف الياء وروي عن الكسائي واناسي جمع انسان في مذهب س
وجمع انسي في مذهب الفراء والمبرد والزجاج والقياس اناسية كما قالوا في
مهلبي مهالبة وحكي اناسين في جمع انسان كسرحان وسراحين ووصف
الماء بالطهارة وعلل انزاله بالاحياء والسقي لانه لما كان الاناسي من جملة
ما انزل له الماء وصف بالطهور اكراما له وتتميما للنعمة عليه والتعليل
يقتضي ان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد
عليه الوحش وقدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياتهم
بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو السبب في ذلك ولانهم اذا وجدوا
ما يسقي ارضهم ومواشيهم وجدوا سقياهم ونكر الانعام والاناسي ووصفا
بالكثرة لان كثيرا منهم لا يعيشهم الا ماء ما انزل الله من المطر وكذلك لنحيي به بلدة
ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتباعدين عن مظان الماء بخلاف سكان المدن
فانهم قريبون من الاودية والانهار والعيون فهم غنيون غالبا عن سقي
ماء المطر وخص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب لان الطيور والوحش
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي
ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم
والضمير في صرفناه عائد على الماء المنزل من السماء اي جعلنا انزال الماء تذكرة
بان يصرفه عن بعض المواضع الى بعض وهو في كل عام بمقدار واحد قاله الجمهور
منهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد فعلى هذا التاويل الا كفورا هو قولهم بالانواء
والكواكب قاله عكرمة وقيل كفورا على الاطلاق لما تركوا التذكر وقال ابن عباس
ايضا عائد على القرآن وان لم يتقدم له ذكر لوضوح الامر ويعضده وجاهدهم به
لتوافق الضماير وعلى انه للمطر يكون فيه للقرآن وقال ابو مسلم راجع الى المطر والرياح
والسحاب وسائر ما ذكر فيه من الادلة وقال الزمخشري صرفنا هذا القول
بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر
انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا

ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث بها **وقيل** صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا رحمته وصنعته وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية ويروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف في البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير انتهى **وقرأ** عكرمة صرفناه بتخفيف الراء ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا لما علم تعالى ما كابده الرسول من أذى قومه أعلمه أنه تعالى لو أراد لبعث في كل قرية نذيرا فيخف عنك الأمر ولكنه أعظم أجرك وأجلك إذ جعل إنذارك عاما للناس كلهم وخصك بذلك ليكثر ثوابك لأنه على كثرة المجاهدة يكون الثواب وليجمع لك حسنات من آمن بك إذ أنت مؤسسها فلا تطع الكافرين يعني كفار قريش فإنهم كانوا استدعوا إليه ورغبوا أن يرجع إلى دين آبائهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيما فنهاه تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم أنه لا رغبة له في شيء من ذلك لكن رغبته في الدعاء إلى الله والإيمان به وجاهدهم به أي بالقرآن أو بالإسلام أو بالسيف أو بترك طاعتهم جهادا ذا مصدر وصف بكبير لأنه يلزمه عليه السلام مجاهدة جميع العالم فهو جهاد كبير ومرج خلط بينهما أو أفاض أحدهما في الآخر أو أجراهما أقوال والظاهر أنه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح **وقيل** بحران معينان فقيل بحر فارس وبحر الروم **وقيل** بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان في كل عام قاله ابن عباس وقال مجاهد مياه الأنهار الواقعة في البحر الأجاج وهذا قريب من القول الأول قال ابن عطية والمقصد بالآية التنبيه على قدرة الله وإتقان خلقه للأشياء في أن بث في الأرض مياها عذبة كثيرة من الأنهار والعيون والآبار وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج خلالها فترى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه وتلقى الماء البحر في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الأجاج والبرزخ والحجر ما حجز بينهما من الأرض واليبس قاله الحسن ويمشي هذا على قول من قال أن مرج بمعنى أجرى **وقيل** البرزخ البلاد والقفار فلا يختلطان إلا يوم القيامة وقال الأكثرون الحاجز ما تعمر من قدرة الله قال الزجاج فهما مختلطان في مرأى العين منفصلان بقدرة الله وسواد البصرة يتحدر الماء العذب منه في دجلة نحو البحر ويأتي البحر المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر إلى الخضرة الشديدة وماء دجلة إلى الحمرة فالمستقي يغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء ونيل مصر في فيضه يشق البحر الملح شقا بحيث يبقى نهرا جاريا أحمر في وسط الملح ليستقي الناس منه وترى المياه قطعا في وسط البحر الملح فيقولون هذا ماء نيل فيستقون منه من وسط البحر **وقرأ** طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح الميم وكسر اللام وكذا

في فاطر قال أبو حاتم وهذا منكر في القراءة وقال أبو الفتح أراد مالحا وحذف من مالحا الألف كما حذفت من بردا أي باردا وقال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح هي لغة شاذة قليلة **وقيل** أراد مالح فقصر بحذف الألف فالمالح جائز في صفة الماء لأن الماء يوجد في الصيفان بأن يكون مملوحا من جهة غيره وهو مالح لغيره وأن كان من صفته أنه فعال لما ملح موصوف بالمصدر أي ماء ذو ملح فالوصف بذلك مثل حلف ونضو من الصفات قال الزمخشري **فإن قلت** حجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة انتهى والظاهر أن وحجرا محجورا معطوف على برزخا عطف المفعول على المفعول وكذا أعربه الحوفي وعلى ما ذكره الزمخشري يكون ذلك على إضمار القول المجازي أي ويقولان كل واحد منهما لصاحبه حجرا محجورا والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر يطلق على الواحد والجمع **وقيل** المراد بالنسب آدم وبالصهر حواء **وقيل** النسب البنون والصهر البنات ومن الماء إما النطفة وإما أنه أصل خلقة كل حي والنسب والصهر يعمان كل قربى بين آدميين فالنسب أن يجتمع مع آخر في أب وأم قرب ذلك أو بعد والصهر هو تواشج المناكحة وقال علي بن أبي طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر قرابة الرضاع وعن طاوس الرضاعة من الصهر وعن علي الصهر ما يحل نكاحه والنسب ما لا يحل نكاحه وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع وقال ابن سيرين نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي لأنه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة إلى يوم القيامة وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى **ولما ذكر** دلائل قدرته وما امتن به على عباده من غرائب مصنوعاته ثبت بذلك أنه المستحق للعبادة لنفعه وضره بين فساد عقول المشركين حيث يعبدون الأصنام والظاهر أن الكافر اسم جنس فيعم **وقيل** هو أبو جهل والآية نزلت فيه وقال عكرمة الكافر هنا إبليس والظهير والمظاهر كالمعين والمعاون قاله مجاهد والحسن وابن زيد وفعيل بمعنى مفاعل كثير **والمعنى** أن الكافر يعاون الشيطان على ربه بالعداوة والشرك **وقيل** معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته ظهرك لا يلتفت إليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم الآية قاله الطبري **وقيل** على ربه أي معينا على أولياء الله **وقيل** معينا للمشركين على أن لا يوحدوا الله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا تسلية بذلك أي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وإنما أنت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار ولست بمطلوب بإيمانهم أجمعين ثم أمره تعالى أن يحتج عليهم مزيلا

لوجوه الهم بقوله قل ما اسألكم عليه من اجر اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص بي والضمير في عليه عائد على التبشير والانذار او على القرآن او على ابلاغ الرسالة
اقوال **والظاهر** في الا من شاء انه استثناء منقطع وقاله الجمهور **فعلى هذا** قيل بعباده لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل **وقيل** لكن من انفق في سبيل الله ومجاهدة اعدائه فهو مسئولي **وقيل** متصل على حذف مضاف تقديره الا اجر من اتخذ الى ربه سبيلا اي الا اجر من آمن اي الا الاجر الحاصل لي على دعائه الى الايمان وقبوله لانه تعالى يأجرني على ذلك **وقيل** الا اجر من آمن يعني بالاجر الانفاق في سبيل الله اي لا اسألكم اجرا الا الانفاق في سبيل الله فجعل الانفاق اجرا **ولما** اخبر انه قطع نفسه عن سؤال المؤمنين شيئا امره تعالى بتفويض امره اليه وثقته به واعتماده عليه فهو المتكفل بنصره واظهار دينه ووصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل في قوله الحي الذي لا يموت لان هذا المعنى يختص به تعالى دون كل حي كما قال كل شيء هالك الا وجهه **وقرأ بعض** السلف هذه الآية فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق **ثم امره** بتنزيهه وتحميده مقرونا بالثناء عليه لان التنزيه محله اعتقاد القلب والمدح محله اللسان الموافق للاعتقاد **وفي** الحديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين في الميزان وكفى به بذنوب عباده خبيرا اراد انه ليس اليه من امور عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم **وفي هذه** الجملة تسلية للرسول ووعيد للكافر **وفي بعض** الاخبار كفى بك ظفرا ان يكون عدوك عاصيا وهي كلمة يراد بها المبالغة تقول كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا اي حسبك لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم **ولما امره** بالتوكل والتسبيح وذكر صفة الحيوة الدائمة ذكر ما دل على القدرة التامة وهو ايجاد هذا العالم وتقدم الكلام في نظير هذا الكلام واحتمل الذي ان يكون صفة للحي الذي لا يموت ويتعين على قراءة زيد بن علي الرحمن بالجر واما على قراءة الجمهور الرحمن بالرفع فانه يحتمل ان يكون الذي صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف والرحمن صفة له او يكون الذي منصوبا على اضمار اعني ويجوز على مذهب الاخفش ان يكون الرحمن مبتدأ وفاسأل خبره على حد تخريجه **قول الشاعر** ٥
وقائلة خولان فانكح فتاتهم
وجوزوا ايضا في الرحمن ان يكون بدلا من الضمير المستكن في استوى والظاهر تعلق به بقوله فاسأل وتقدم الباء من تضمنه معنى عن وخبيرا من صفات الله لقيت بزيد اسدا ولقيت بزيد البحر يريد انه مولانا سيد شجاعة والبحر كرما والمعنى له تعالى اللطيف العلم الخبيرة والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء العالم بحقائقها وقال ابن عطية وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا وليست هذه الحال مستقلة اذ الصفة العلية لا تتغير انتهى وبنى هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت فلانا للقيت به البحر كرما اي لقيت والمعنى فاسأل الله عن كل امر وكرمه

منصوبا على الحال المؤكدة على هذا التقدير لا يصح انما يصح ان يكون مفعولا به ويجوز ان تكون الباء بمعنى عن اي فسل عنه خبيرا كما **قال الشاعر** ٥
فان تسألوني بالنساء فانني ٭ بصير بادواء النساء طبيب ٭
وهو قول الاخفش والزجاج ويكون خبيرا ليس من صفات الله تعالى كانه قيل اسأل عن الرحمن الخبراء جبريل والعلماء واهل الكتب المنزلة وان جعلت به متعلقا بخبيرا كان المعنى فاسأل عن الله الخبراء به وقال الكلبي معناه فاسأل خبيرا به وبه يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وذلك الخبير هو الله لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق ذلك فلا يعلمها الا الله **وعن ابن عباس** الخبير جبريل وقدم لرؤوس الآي وقال الزمخشري الباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب كما يكون عن صلته في نحو ثم لتسألن يومئذ عن النعيم او صلة خبيرا فيجعل خبيرا مفعولا اي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء **وقيل** الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي في اليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة انتهى ٥ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن لما ذكر الرحمن وكانت قريش لا تعرف هذا الاسم من اسماء الله غالطت قريش بذلك فقالت ان محمدا يأمرنا بعبادة رحمن اليمامة نزلت واذا قيل لهم وما سؤال عن المجهول فيجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما يستعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله قاله الزمخشري والذي يظهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها اظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم ووقاحة فقالوا وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون وما رب العالمين حين قال له موسى اني رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فكذلك كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به فعلى قول من قال لم يكونوا يعرفون الرحمن الا مسيلمة وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن الا مسيلمة فالمعنى انسجد لمسيلمة وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن بالكلية فالمعنى انسجد لما تأمرنا من غير علم بمعناه والقائل اسجدوا الرسول او الله على لسان رسوله **وقرأ** ابن مسعود والاسود بن يزيد وحمزة والكسائي يأمر بالياء من تحت اي يأمرنا محمد والكناية عنه او المسمى الرحمن ولا نعرفه **وقرأ** باقي السبعة بالتاء خطابا للرسول ومفعول يأمرنا الثاني محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره يأمرنا سجوده نحو

قولهم امرتك الخير وزادهم اي هذا القول وهو الامر بالسجود للرحمن زادهم ضلالا لا يختص به مع ضلالهم السابق وكان حقه ان يكون باعثا على فعل السجود والقبول وقال الضحاك سجد ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبسة فراهم المشركون فاخذوا في ناحية المسجد يستهزؤن فهذا المراد بقوله وزادهم نفورا ومعنى نفورا فرارا ۝ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما • اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما • قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ۝ لما جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالا عن مجهول نزلت هذه الاية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بالوهيته ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر انه خلق السموات والارض وما بينهما ووصف نفسه بالرحمن وسالوا عنه من هو وضع في السماء من النيرات وما صرف من حال الليل والنهار ليبادروا بالسجود والعبادة للرحمن توبيخهم على ما لهم به اعتناء تام من رصد الكواكب واحوالها ووضع اسمائها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وهي منازل الكواكب السيارة وهي الحمل • والثور • والجوزاء • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي • والدلو • والحوت • وسميت بذلك لشبهها بما شبهت به وسميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره **وقيل** البروج هنا القصور في الجنة قال الاعمش وكان اصحاب عبد الله يقرؤنها في السماء قصورا وقال ابو صالح البروج هنا الكواكب العظام قال ابن عطية والقول بانها قصور في الجنة يحط من غرض الاية في التنبيه على اشياء مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله او جاهل والضمير في فيها الظاهر انه عائد على السماء **وقيل** على البروج فالمعنى وجعل في جملتها سراجا وقرأ الجمهور سراجا على الافراد وهو الشمس وقرأ عبد الله وعلقمة والاعمش والاخوان

قوله عز وجل تبارك الذي

سرجا

سرجا بالجمع مضموم الراء وهو جمع الانوار فيكون حصر القمر بالذكر تشريفا وقرأ الاعمش ايضا والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء وقرأ الحسن والاعمش والنخعي وعصمة عن عاصم وقمرا بضم القاف وسكون الميم فالظاهر انه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب **وقيل** جمع قمراء اي ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليلة تكون قمراء بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان ۝

بردى يصفق بالرحيق السلسل ۝

يريد ماء بردى فمنيرا وصف لذلك المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ولو لم يراع المضاف لقال تصفق بالتاء وقال منيرا اي مضيئا ولم يجعله سراجا كالشمس لانه لا توقد له وانتصب خلفة على الحال فقيل هو مصدر خلف خلفة **وقيل** هو اسم هيئة كالركبة ووقع حالا لانه اسم الهيئة في قولهم مررت بماء قعدة رجل وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ومن هذا المعنى قول زهير ۝

بها العين والآرام يمشين خلفة ۝

وقول الآخر يصف امراة تنتقل من منزلها في الشتاء الى منزلها في الصيف دأبا

ولها بالماطرون اذا ۝ اكل النمل الذي جمعا ۝
خلفة حتى اذا ارتبعت ۝ سكنت من جلق بيعا ۝
في بيوت وسط دسكرة ۝ حولها الزيتون قد ينعا ۝

وقيل خلفة في الزيادة والنقصان وقال مجاهد وقتادة والكسائي هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا قصير لمن اراد ان يذكر قال عمر وابن عباس والحسن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في احدهما فيستدركه في الذي يليه وقال مجاهد وغيره اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على النعمة عليه في العقل والفكر والفهم وقال الزمخشري وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكر والشاكر من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وقرأ النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة تذكر مضارع ذكر خفيفا **ولما تقدم** ذكر الكفار وذمهم وجاء لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ذكر احوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال وعباد الرحمن وهذه اضافة تشريف وتفضيل وهو جمع عبد وقال ابن بحر جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال اي الذين يعبدونه حق عبادته والظاهر ان وعباد مبتدأ والذين يمشون الخبر **وقيل** اولئك الخبر والذين صفة وقوم عبد القيس

يسمون العباد لانّ كسرى ملكهم دون العرب **وقيل** لانهم تألهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عباداً لله **وقرا** اليماني وعُبّاد جمع عابد كضارب وضُرّاب **وقرا** الحسن وعُبُد بضم العين والباء **وقرا** السلمي واليماني يُمَشّون مبنيا للمفعول مشدداً والهون الرفق واللين وانتصب هوناً على انه نعت لمصدر محذوف اي مشياً هوناً او على الحال اي يمشون هينين في تؤدة وسكينة وحسن سمت لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشراً وبطراً ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق وقال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن حلماً ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال ابن عطية هوناً عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك العظم لاسيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال هوناً بمعنى امرهم كله هون اي لين حسن وذهبت فرقة الى ان هوناً مرتبط بقوله يمشون على الارض اي ان المشي هو الهون ويشبه ان يتأول هذا على ان يكون اخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لان رب ماشٍ هوناً رويداً وهو ذئب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الآية وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويداً اراد في عمر نفسه ولم يرد المشي وحده الا ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيد ٥ وقال الزهري سرعة المشي تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع الخفيف لانه يخل بالوقار والخير في التوسط وقال زيد بن اسلم انه رأى في النوم من فسر له يمشون على الارض هوناً بانهم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض ٥ وقال عياض بن موسى كان عليه السلام يرفع في مشيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وكان عمر يسرع جبلة لا تكلفا واذا خاطبهم الجاهلون اي بما لا يسوغ الخطاب به قالوا سلاماً اي سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك قاله الاصم وقال مجاهد قولا سديداً فهو منصوب بقالوا **وقيل** هو على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاماً فهو جزء من متعلق الجملة المحكية قال ابن عطية والذي اقوله ان قالوا هو العامل في سلاماً لان المعنى قالوا هذا اللفظ وقال الزمخشري تسلماً منكم فاقيم السلام مقام التسليم **وقيل** قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الاذى والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرغبة من قوله

الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

انتهى وقال الكلبي وابو العالية نسخها آية القتال وقال ابن عطية وهذه الآية كانت قبل آية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي حكمها في المسلمين الى يوم القيمة وذكر سيبويه في هذه الآية في كتابه وما تكلم

على نسخ سواه ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم لان المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والآية مكية فنسختها آية السيف وفي التاريخ ما معناه ان ابراهيم بن المهدي كان منحرفا عن علي بن ابي طالب فرأه في النوم قد تقدمه الى عبور قنطرة فقال له انما تدعي هذا الامر بامرأة ونحن احق به منك وكان يحكي ذلك للمأمون قال فما رأيت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المأمون فما اجابك به قال كان يقول لي سلاماً سلاماً فنبهه المأمون على هذه الآية وقال يا عم قد اجابك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيى وكان ابراهيم لم يحفظ الآية او ذهب عنه حالة الحكاية والبيتوتة هو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وهو خلاف الظلول وبجيلة وازد السراة يقولون بيات وسائر العرب يقولون بيتوتة **ولما ذكر** حالهم بالنهار بانهم يتصرفون احسن تصرف **ذكر حالهم** بالليل والظاهر انه يعني احيا الليل بالصلاة او اكثره **وقيل** من قرأ شيئا من القرآن بالليل في صلاة فقد بات ساجداً وقائماً **وقيل** هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء **وقيل** من شفع واوتر بعد ان صلى العشاء فقد دخل في هذه الآية **وفي الآية** حض على قيام الليل في الصلوة وقدم السجود وان كان متأخرا في الفعل لاجل الفواصل ولفضل السجود فانها حالة اقرب ما يكون العبد فيها من الله **وقرا** ابو البرهسم سجوداً على وزن قعود ومدحهم تعالى بدعائه ان يصرف عنهم عذاب جهنم وفيه تحقيق ايمانهم بالبعث والجزاء قال ابن عباس غراماً قطعاً ووجيعاً وقال الخدري لازماً ملحاً دائماً قال الحسن كل غريم مفارق غريمه الا غريم جهنم وقال السدي شديداً او اشتدوا على ان غراما لازما ٭

قول الشاعر وهو بشر بن ابي خازم

ويوم النسار ويوم الجفار ٭ كانا عذاباً وكانا غراما ٭

وقال الاعشى ٭

ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ٥

وصفهم باحيا الليل ساجدين ثم عقبه بذكر دعائهم هذا ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم وساءت احتمل ان يكون بمعنى بئست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم ويتعين ان يكون مستقرا ومقاما تمييز والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة الواقعة خبرا لان ويجوز ان يكون ساءت بمعنى اي احزنت فيكون المفعول محذوفا اي ساءتهم والفاعل ضمير جهنم وجاز في مستقرا ومقاما ان يكونا تمييزين وان يكونا حالين قد عطف احدهما على الآخر والظاهر ان التعليلين غير مترادفين ذكرا ولا لزوم عذابها وثانيا مساءة مكانها وهما متغايران وان كان يلزم من لزوم العذاب في مكان ذم ذلك المكان وقيل هما مترادفان والظاهر انه من كلام الداعين وحكاية لقولهم وقيل هو من كلام الله ويظهر ان قوله ومقاما معطوف على سبيل التوكيد لان الاستقرار والاقامة كانهما مترادفا وقيل المستقر للعصاة من اهل الايمان فانهم يستقرون فيها ولا يقيمون والاقامة

للكفار وقرأت فرقة ومقاما بفتح الميم اي مكان قيام والجمهور بالضم اي مكان اقامة لم يسرفوا ولم يقتروا قال ابو عبد الرحمن الحبلي الانفاق في غير طاعة اسراف والامساك عن طاعة اقتار وقال معناه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عون ابن عبد الله بن عتبة الاسراف ان تنفق مال غيرك وقال النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن ابي حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا ياكلون طعاما للذة وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك قال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الاية والاسراف مجاوزة الحد في النفقة والقتر التضييق الذي هو نقيض الاسراف ٥ وعن انس في سنن ابن ماجة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل ما اشتهيته ٥

وقال الشاعر ٥

ولا تغل في شيء من الامر واقتصد ... كلا طرفي قصد الامور ذميم

وقال اخر ٥

اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت ... ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذي ... دعته اليه من حلاوة عاجل

وقال حاتم ٥

اذا انت قد اعطيت بطنك سوله ... وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقرا الحسن وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وعاصم يقتروا بفتح الياء وضم التاء ومجاهد وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وقرا العلاء بن سيابة واليزيدي بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة وكلها لغات في التضييق وانكر ابو حاتم لغة اقتر رباعيا هنا وقال اقتر اذا افتقر ومنه وعلى المقتر قدره وغاب عنه ما حكاه الاصمعي وغيره من اقتر بمعنى ضيق والقوام الاعتدال بين الحالتين وقرا حسان ابن عبد الرحمن قواما بالكسر فقيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل بالكسر ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وقيل قواما بالكسر اي مبلغا وسدادا وملاك حال وبين ذلك وقواما يصح ان يكونا خبرين عند من يجيز تعداد خبر كان وان يكون بين هو الخبر وقواما حال مؤكدة وان يكون قواما خبرا وبين ذلك اما معمول لكان على مذهب من يرى ان كان الناقصة تعمل في الظرف وان يكون حالا من قواما لانه لو تاخر لكان صفة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان وبني لاضافته الى مبني كقوله ومن خزي يومئذ في قراءة من فتح الميم وقواما الخبر قال الزمخشري وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة انتهى ووصفهم تعالى بالقصد الذي هو

بين الغلو والتقصير وبمثله خوطب الرسول عليه السلام بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الاية والذين لا يدعون الاية سال ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون الاية ٥ وقيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركون قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن او يخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت الى غفورا رحيما وقيل سبب نزولها قصة وحشي في اسلامه في حديث طويل قال الزمخشري ونفي هذه التقبيحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه وقال ابن عطية اخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بواد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيالات والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا انتهى وتقدم تفسير نظير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في سورة الانعام وقرئ يلق بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة وابن مسعود وابو رجاء يلقى بالالف كانه نوى حذف الضمة المقدرة على الالف فاقر الالف والاثام في اللغة العقاب وهو جزاء الاثم قال الشاعر ٥

جزى الله ابن عروة حيث امسى ... عقوقا والعقوق له اثام

اي حد وعقوبة وبه فسر قتادة وابن زيد وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة وابن جبير اثام واد في جهنم هذا اسمه جعله الله عقابا للكفرة وقال ابو مسلم الاثام الاثم ومعناه يلق جزاء اثام فاطلق اسم الشيء على جزائه وقال الحسن الاثام اسم من اسماء جهنم وقيل بئر فيها وقيل جبل وقرا ابن مسعود يلق اياما جمع يوم يعني شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب وذلك في قوله ومن يفعل ذلك يظهر انه اشارة الى المجموع من دعاء اله اخر وقتل النفس بغير حق والزنا فيكون التضعيف مرتبا على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها ولا شك ان عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرائمهم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف له العذاب مبنيا للمفعول وبالف ويخلد مبنيا للفاعل والحسن وابو جعفر وابن كثير كذلك الا انهم شددوا العين وطرحوا الالف وقرا ابو جعفر ايضا وشيبة وطلحة بن سليمان نضعف بالنون مضمومة وكسر العين مشددة العذاب نصب وطلحة بن مصرف يضاعف بالياء مبنيا للفاعل العذاب نصبا وقرا طلحة بن سليمان وتخلد بتاء الخطاب على الالتفات مرفوعا اي وتخلد ايها الكافر وقرا ابو حيوة ويخلد مبنيا للمفعول مشددا اللام مجزوما وروي عن ابي عمرو وعنه كذلك مخففا وقرا ابو بكر عن عاصم يضاعف ويخلد بالرفع فيهما وكذا ابن عامر والمفضل عن عاصم يضاعف ويخلد مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مشددا مرفوعا فالرفع على الاستئناف

او لعادة الجزم على البدل من يلق كما قال الشاعر
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

والضمير في فيه عائد على العذاب والظاهر ان توبة المسلم القاتل النفس بغير
حق مقبولة خلافا لابن عباس وتقدم ذلك في النساء وتبديل سيئاتهم حسنات هو جعل
اعمالهم بدل معاصيهم الاول طاعة ويكون ذلك سبب رحمة الله اياهم قاله
ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد ورد على من قال
هو في يوم القيمة وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة
تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط عمله وتثبت عليه السيئات
وتأول ابن المسيب ومكحول ان ذلك يوم القيمة وهو معنى كرم العفو وفي كتاب مسلم
ان الله يبدل يوم القيمة لمن يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات
وقال لا تمحى السيئة ويثبت بدلها حسنة وقال القفال والقاضي يبدل العقاب
بالثواب فذكرهما واراد ما يستحق بهما وقالوا الا من تاب استثناء متصل من الجنس
ولا يظهر لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء
التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فالاولى عندي ان يكون استثناء منقطعا
اي لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة وسيئاتهم هو المفعول الثاني وهو اصله
ان يكون مقيدا بحرف الجر اي فسيئاتهم وحسنات هو المفعول الاول وهو المسرح
كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقال الشاعر
تضحك مني اخت ذات النحيين ابدلك الله بلون لونين
سواد وجه وبياض عينين

الظاهر ان ومن تاب اي من انشأ التوبة فانه يتوب
الى الله اي يرجع الى ثوابه واحسانه قال ابن عطية ومن تاب فانه قد تمسك بامر
وثيق كما تقول لمن يستحسن قوله في امر لقد قلت يا فلان قولا فكذلك الآية
معناها مدح المتاب كانه قال فانه يجد الفرج والمغفرة عظيما وقال الزمخشري
ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله
الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والله يحب التوابين ويحب
المتطهرين وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها
ويتوجه بها الى الله وقيل من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات وقيل ومن تاب استقام على التوبة فانه يتوب
الى الله اي فهو التائب حقا عند الله والذين لا يشهدون الزور عاد الى ذكر اوصاف
عباد الرحمن والظاهر ان المعنى لا يشهدون بالزور او شهادة الزور قاله
علي والباقر فهو من الشهادة وقيل المعنى لا يحضرون من المشاهدة والزور
الشرك والصنم او الكذب او آلة الغنا او اعياد النصارى او لعبة كانت في
الجاهلية او النوح او مجالس يعاب فيها الصالحون اقوال الشرك قاله الضحاك
وابن زيد والغنا قاله مجاهد والكذب قاله ابن جريج وفي الكشاف عن قتادة

مجالس

مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغنا وعن مجاهد اعياد المشركين واللغو كل ما
ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين
انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم لقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه انتهى
بآيات ربهم هي القرآن لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متوجه الى القيد الذي هو صما وعميانا
لا للخرور الداخل عليه وهذا الاكثر في لسان العرب ان النفي يتسلط على القيد والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها باذان
واعية واعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين واشباههم فانهم اذا ذكروا بها
كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الامر وكانوا صما وعميانا حيث
لا يعونه ولا يتبصرون ما فيه قال ابن عطية بل يكون خرورهم سجدا وبكيا كما تقول لم يخرج
زيد الى الحرب جزعا اي انما خرج جريا مقدما وكان المستمع للذكر قائم القناة قويم الامر
فاذا اعرض كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد شبه الذي
يخر ساجدا لكن اصله انه على غير ترتيب انتهى وقال السدي لم يخروا صما وعميانا
هي صفة للكفار وهي عبارة عن اعراضهم وجهدهم في ذلك وقرن ذلك بقولك قعد
فلان يتمنى وقام فلان يبكي وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطئات
في الكلام والعبارة قرة اعين كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ من القر وهو البرد يقال
دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو
وقال ابو تمام
فاما عيون العاشقين فاسخنت ・ واما عيون الشامتين فقرت

وقيل هو مأخوذ من القرار اي يقر النظر به ولا ينظر الى غيره وقال ابو عمرو وقرة العين
النوم اي امنا لان الآمن لا يأتي مع الخوف حكاه القفال وقرة العين فيمن ذكروا انهم
مطيعين لله قاله ابن عباس والحسن وحضرمي كانوا في اول الاسلام يهتدي الاب
والابن كافر والزوج والزوجة كافرة وكانت قرة عيونهم في ايمان احبابهم وقال
ابن عباس قرة عين الولد اذا رآه يكتب الفقه والظاهر انهم دعوا بذلك ليجابوا
في الدنيا فيسروا بهم وقيل سالوا ان يلحق الله بهم اولياءهم في الجنة ليتم لهم
سرورهم انتهى ويتضمن هذا القول الاول الذي هو في الدنيا لان ذلك نتيجة
ايمانهم في الدنيا ومن الظاهر انها لابتداء الغاية اي هب لنا من جهتهم ما تقر
به عيوننا من طاعة وصلاح وجوز ان تكون للبيان قاله الزمخشري قال كانه
قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه
ان يجعلهم الله لهم قرة اعين من قولك رأيت منك اسدا اي انت اسد انتهى
وتقدم لنا ان من التي لبيان الجنس لا بد ان يتقدم المبين ثم ياتي من البيانية
وهذا على مذهب من اثبت انها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت
لمن وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا على الجمع وباقي السبعة وطلحة
على الافراد وقرأ عبد الله وابو الدردا وابو هريرة قرات على الجمع والجمهور على الافراد
ونكر القرة لتنكير الاعين كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وجا اعين بصيغة
جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لانه اريد اعين المتقين وهي

قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قاله الزمخشري وليس بجيد لان اعين يطلق
على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون ليست اعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة
جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث
تفوت العد وافرد اماما اما اكتفاء بالواحد عن الجمع وحسنه كونه فاصلة وهي
تدل على الجنس ولا لبس واما لان المعنى واجعل كل واحد اماما واما ان يكون
جمع ام كحال وحلال واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا واجعلنا اماما واحدا
دعوا الله ان يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرياسة قاله النخعي **وقيل**
في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ونزلت في العشرة المبشرة
بالجنة اولئك اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة والغرفة اسم
معرف بال فيعم اي الغرف كما جاء وهم في الغرفات آمنون وهي العلالي
قال ابن عباس وهي بيوت من زبرجد ودر وياقوت **وقيل** الغرفة من اسما
الجنة **وقيل** انها السابعة غرفة **وقيل** هي اعلى منازل الجنة **وقيل**
المراد العلو في الدرجات والباء في بما صبروا للسبب وقيل للبدل اي بدل صبرهم
كما قال ٥ فليت لي بهم قوما اذا ركبوا ٥ اي فليت لي بدلهم قوما ولم يذكر متعلق
الصبر مخصصا ليعم جميع متعلقاته **وقرا** الحسن وشيبة وابو جعفر والحرميان
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة **وقرا** طلحة
ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف والتحية
دعاء بالتعمير والسلم دعاء بالسلامة اي تحييهم الملائكة او يحيي بعضهم بعضا
وقيل يجيبون بالتحف جمع تحفة بين المنافع والتعظيم حسنت مستقرا ومقاما
معادل لقوله في جهنم ساءت مستقرا ومقاما **ولما** وصف عباده العباد
وعدد ما لهم من صالح الاعمال امر رسوله عليه السلام ان يصرح للناس بان
الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة والدعاء في قوله لولا دعاؤكم هو العبادة
والظاهر ان ما نفي اي ليس يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم ويجوز ان تكون استفهامية
فيها معنى النفي اي اي عبء يعبا بكم ودعاؤكم مصدر اضيف الى الفاعل اي
لولا عبادتكم اياه اي لولا دعاؤكم وتضرعكم اليه او ما يعبا بتعذيبكم لولا
دعاؤكم الاصنام الهة **وقيل** اضيف الى المفعول اي لولا دعاؤه اياكم
الى طاعته والذي يظهر ان قوله قل ما يعبا بكم خطاب لكفار قريش القائلين
انسجد لما تامرنا اي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم اليه واستغاثتكم اياه في
الشدائد فقد كذبتم بما جاء الرسول فتستحقون العقاب فسوف يكون العقاب
وسوما انتجه تكذيبكم ويفتر لهم في حلوله بلفظة فسوف يكون لزاما اي لازما
لهم لا ينفكون عنه **وقرا** عبد الله وابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون
وهو محمول على انه تفسير لا قراءة والاكثرون على ان اللزام هنا يوم بدر وهو
قول ابن مسعود وابي **وقيل** عذاب الاخرة **وقيل** الموت ولا يحمل على الموت
المعتاد بل القتل ببدر وقيل التقدير فسوف يكون هو اي العذاب وقد صرح به
من قرا فسوف يكون العذاب لزاما والوجه ان يترك اسم كان غير منطوق به

يعد

يعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناوله ما لا يمكنه الوصف وعن ابن عباس
فسوف يكون سواي التكذيب لزاما اي لازما لكم لا تعطون توبة ذكره الزهراوي
قال الزمخشري والخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون
ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فقد كذبتم
يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي
فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار **ونظيره** في الكلام ان يقول الملك
لمن عصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف
ترى ما احل بك بسبب عصيانك **وقرا** ابن جريج فسوف تكون بتاء التانيث
اي فسوف تكون العاقبة **وقرا** الجمهور لزاما بكسر اللام **وقرا** المنهال
وابان بن تغلب وابو السمال لزاما بفتحها مصدرا يقول لزم لزوما ولزاما مثل ثبت
ثبوتا وثباتا وانشد ابو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي ٥
٥ فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما ٥
ونقل ابن خالويه عن ابي السمال انه قرا لزام على وزن حذام جعله مصدرا
معدولا عن اللزمة كفجار معدولا عن الفجرة ٥

المفردات

الشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة وانشد ابو عبيدة
في شراذم النعال **وقال آخر**
٥ جاء الشتاء وقميصي اخلاق ٥ شراذم يضحك منه ٥
وقال الجوهري الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من الشي وثوب
شراذم اي قطع انتهى **وقيل** السفلة من الناس كبكبوا قلب بعضه
على بعض وحروفه كلها اصول عند جمهور البصريين وقال الزمخشري الكبكبة تكرير
الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وقال ابن عطية كبكب مضاعف
من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لان معناهما واحد والتضعيف في الفعل بين نحو
صر وصرصر انتهى وقول الزمخشري وابن عطية هو قول الزجاج وهو انه يزعم ان نحو كبكب
مما يفهم المعنى بسقوط ثالثه هو مما ضوعف فيه الفا وذهب الكوفيون الى ان
الثالث بدل من مثل الثاني فكان اصله كبب فابدل من الباء الثانية كاف
الحميم الولي القريب وحامة الرجل خاصته وقال الزمخشري الحميم من الاحتمام
وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما اهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق
الخالص ٥

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ طسم تلك آيات الكتاب
المبين ٥ لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ٥ ان نشا ننزل عليهم من السماء آية
فظلت اعناقهم لها خاضعين ٥ وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين ٥ فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون ٥ اولم يروا
الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ٥ ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين ٥ وان ربك لهو العزيز الرحيم ٥ واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم
الظالمين ٥ قوم فرعون الا يتقون ٥ قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق

صدري ولا ينطلق لساني فارسل الي هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون
قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
ان ارسل معنا بني اسرائيل ٥ هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور الا اربع ايات
من والشعراء الي اخر السورة وقاله ابن عباس وعطاء وقتادة وقال مقاتل اولم يكن
لهم اية الاية مدنية ومناسبة اولها لاخر ما قبلها انه لما قال تعالي فقد كذبتم
فسوف يكون لزاما ذكر تلهف رسول الله صلي الله عليه وسلم علي كونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا
بالحق لما جاءهم ولما اوعدهم في اخر السورة بقوله فسوف يكون لزاما اوعدهم في اول
هذه فقال في اثر اخباره بتكذيبهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وتلك
اشارة الي ايات السورة او ايات القران واما لفتحة الطاء حمزة والكسائي
وابو بكر وباقي السبعة بالفتح وحمزة باظهار نون سين وباقي السبعة بادغامها
وعيسي بكسر الميم من طسم هنا وفي القصص وجاء كذلك عن نافع وفي مصحف عبد الله ط
س م مقطوع وهي قراءة ابي جعفر وتكلموا علي هذه الحروف بما يشبه اللغز والاحاجي
فتركت نقله اذ لا دليل علي شيء مما قالوه والكتاب المبين هو القران وهو بين في نفسه
ومبين غيره من الاحكام والشرائع وسائر ما اشتمل عليه او مبين اعجازه وصحة
انه من عند الله وتقدم تفسير باخع نفسك في اول الكهف ان لا يكونوا اي لئلا
يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا وقرا قتادة وزيد بن علي باخع نفسك علي الاضافة
ان نشا ننزل دخلت ان علي نشا وان للممكن او المحقق المبهم زمانه قال
ابن عطية ما في الشرط من الابهام هو في هذه الاية في حيزنا واما الله تعالي فقد علم
انه لا ينزل عليهم اية اضطرار وانما جعل الله ايات الانبياء والايات الدالة
عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه هداه ويضل من سبق ضلاله
وليكون للنظرة كسب به يتعلق الثواب والعقاب واية الاضطرار تدفع جميع
هذا ان لو كانت انتهي ومعني اية اي ملجئة الي الايمان يقهر عليه وقرا ابو عمرو
في رواية هرون عنه ان يشا ينزل علي الغيبة اي ان يشا الله ينزل وفي بعض
المصاحف لو شينا لانزلنا وقرا الجمهور فظلت ماضيا بمعني المستقبل لانه
معطوف علي ينزل وقرا طلحة فتظلل اعناقهم قال الزمخشري فان قلت
كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام علي اصله كقوله ذهبت
اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور انتهي وقال مجاهد وابن زيد والاخفش
جماعاتهم يقال جاءني عنق من الناس اي جماعة ومنه قول الشاعر
٥ ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا ٥
وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم
الرؤس والنواصي والصدور قال الشاعر
في محفل من نواصي الخيل مشهود ٥ وقيل الجارحة فقال ابن عيسي هو علي حذف
مضاف اي اصحاب الاعناق وروعي هذا المحذوف في قوله خاضعين حيث جاء
جمعا للمذكر العاقل او للاحذف ولكنه اكتفي من اضافته للمذكر العاقل وصفه فاخبر

عنه

عنه اخباره كما يكتفي المذكر التانيث من اضافته الي المونث في نحو ٥
كما شرقت صدر القناة من الدم ٥ او لا حذف ولكنه لما وصفت بفعل لا يكون الا
مقصودا للعاقل وهو الخضوع جمعت جمعه كما جاء اتينا طائعين وقرا عيسي
وابن ابي عبلة خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية ستكون
لنا عليهم الدولة فتذل اعناقهم بعد معاوية ويلحقهم هوان بعد عزه وما ياتيهم
من ذكر من الرحمن محدث تقدم تفسيره في الانبياء الا كانوا جملة حالية اي الا كانوا
عنه معرضين اي لا يكون عنهما وكان يدل علي ان ذلك ديدنهم وعادتهم الاعراض عن
ذكر الله قال الزمخشري فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد
وهو الاعراض قلت كانوا قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به
فقد خف عليهم قدره وصار عرضة الاستهزاء بالسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا
عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له انتهي
فسياتيهم وعيد بعذاب الدنيا كيوم بدر وعذاب الاخرة ولما كان اعراضهم عن النظر
في صانع الوجود وتكذيب ما جاءتهم به رسله من اعظم الكفر وكانوا يجعلون
الاصنام الهة نبه تعالي علي قدرته وانه الخالق المنشئ الذي يستحق العبادة
بقوله اولم يروا الي الارض والزوج النوع وقيل الشيء وشكله وقيل ابيض
واسود واحمر واصفر وحلو وحامض وقال الفراء الزوج اللون والكريم الحسن
قاله مجاهد وقتادة وقيل ما ياكله الناس والبهائم وقيل الكثير
المنفعة وقيل الكريم صفة لكل ما يرضي ويحمد ووجه كريم مرضي في حسنه وجماله
وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتي يشق الصفوف من كرمه اي
من كونه مرضيا في شجاعته وباسه ويراد الاشياء التي بها قوام الامور والاغذية
والنباتات ويدخل في ذلك الحيوان لانه عن النبات قال تعالي والله انبتكم من الارض
نباتا قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن صار الي الجنة فهو كريم ومن صار
الي النار فهو ضد ذلك قال الزمخشري فان قلت ما معني الجمع بين كم وكل
ولو قيل انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل علي الاحاطة بازواج
النبات علي سبيل التفصيل وكم علي ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معني
الجمع وبه نبه علي كمال قدرته انتهي وافرد الاية وان كان قد سبق ما دل علي
الكثرة في الازواج وهو كم وعلي الاحاطة بالعموم في الازواج لان المشار اليه
واحد وهو الانبات وان اختلفت متعلقاته او اريد ان في كل واحد من تلك
الازواج لاية ٥ وما كان اكثرهم مؤمنين تسجيل علي اكثرهم بالكفر وان ربك
لهو العزيز الرحيم اي الغالب القاهر ولما كان الموضع موضع بيان القدرة قدم
صفة العزة علي صفة الرحمة فالرحمة اذا كانت عن قدرة كانت اعظم وقعا
والمعني انه عز في نقمته من الكفار ورحم مؤمني كل امة ولما ذكر تكذيب قريش
بما جاءهم من الحق واعراضهم عنه ذكر قصة موسي عليه السلام وما قاسي مع
فرعون وقومه ليكون ذلك مسلاة لما كان يلقاه عليه السلام من كفار
قريش واذ كانت قريش قد اتخذت الهة من دون الله وكان قوم فرعون

قد اتخذوا الها وكان اتباع ملة موسى عليه السلام هم المجاورون من آمن بالرسول
عليه السلام بدأ بقصة موسى ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي ذكره من القصص والعامل
في اذ قال الزجاج اتل مضمرة اي اتل هذه القصة فيما يتلو اذ نادى ودل على ذلك
واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ **وقيل** العامل اذكر وهو مثل واتل ومعنى نادى
دعى **وقيل** امر وان يجوز ان تكون مصدرية وان تكون تفسيرية وسجل عليهم بالظلم
لظلم انفسهم بالكفر وظلم بني اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد وقوم فرعون قيل بدل
من القوم الظالمين والاجود ان يكون عطف بيان لانهما عبارتان يعتقبان على
مدلول واحد اذ كل واحد عطف البيان وسوغه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين
يوهم الاشتراك اتى عطف البيان بازالته اذ هو اشهر **وقرأ** الجمهور الا يتقون
بالياء على الغيبة **وقرأ** عبد الله بن مسلم بن يسار وشقيق بن سلمة وحماد بن سلمة
وابو قلابة بتاء الخطاب على طريقة الالتفات اليهم انكارا وغضبا عليهم وان لم
يكونوا حاضرين لانه مبلغهم ذلك ومكافحهم قال ابن عطية معناه قل لهم فجمع في
هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم وامرهم بالتقوى وقال الزمخشري
فان قلت بم يتعلق قوله الا يتقون **قلت** هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل
ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله
ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله
وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال انتهى وهذا الاحتمال الذي اورده خطأ
فاحش لانه جعله حالا من الضمير في الظالمين وقد اعرب هو قوم فرعون
عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي بينهما لان قوم فرعون
معمول لقوله ائت والذي زعم انه حال معمول لقوله الظالمين وذلك لا يجوز ايضا
لو لم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون لم يجز ان تكون الجملة حالا لان ما بعد الهمزة
يمتنع ان يكون معمولا لما قبلها وقولك جئت امسرعا على ان يكون امسرعا حالا من
الضمير في جئت لا يجوز فلو اضمرت عاملا بعد الهمزة جاز **وقرئ** بفتح النون
وكسرها التقدير افلا تتقونني فحذفت نون الرفع لالتقاء الساكنين ويا المتكلم
اكتفاء بالكسرة وقال الزمخشري في الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو
ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا انتهى يعني وحذف الف يا
خطا ونطقا لالتقاء الساكنين وهذا تخريج بعيد والظاهر ان الا للعرض المضمن
الحض على التقوى وقول من قال انها للتنبيه لا يصح وكذلك قول الزمخشري انها
للنفي دخل عليها همزة الانكار ولما كان فرعون عظيم التجبر حتى ادعى الالهية كثير
المهابة قد اشربت القلوب الخوف منه خصوصا من كان من بني اسرائيل قال موسى
عليه السلام اني اخاف ان يكذبون **وقرأ** الجمهور ويضيق ولا ينطلق بالرفع فيهما
عطفا على اخاف فالمعنى انه يفيد ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع
انطلاق اللسان **وقرأ** الاعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وابو حيوة وزائدة
عن الاعمش ويعقوب بالنصب فيهما عطفا على يكذبون فيكون التكذيب وما بعده

يتعلق

يتعلق بالخوف وحكى ابو عمرو الداني عن الاعرج انه قرأ بنصب ويضيق ورفع ولا
ينطلق وعدم انطلاق اللسان هو بما يحصل من الخوف وضيق الصدر لان اللسان
اذ ذاك يتلجلج ولا يكاد يبين عن مقصود الانسان وقال ابن عطية وقد يكون عدم
انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها الفاظ محررة فاذا كان
هذا في وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان فارسل الى هرون معناه يعينني
ويؤازرني وكان هرون عليه السلام فصيحا واسع الصدر فحذف بعض المراد من
القول اذ باقيه دال عليه انتهى وقال الزمخشري ومعنى فارسل الى هرون
ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر
وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء
وقوله اني اخاف الى آخره بعد ان امره الله بان يأتي القوم الظالمين ليس توقفا
فيما امره تعالى به ولكنه طلب من الله ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على انفاذ امره
تعالى وتبليغ رسالته فمهد قبل طلبه ذلك عذره ثم طلب وطلب العون دليل
على القبول لا على التوقف والتعلل ومفعول ارسل محذوف فقيل جبريل كما تقدم ذكره
وفي الخبر ان الله ارسل موسى الى هرون وكان هرون بمصر حين بعث الله موسى نبيا
بالشام قال السدي سار باهله الى مصر فالتقى بهرون وهو لا يعرفه فقال انا موسى
فتعارفا وامرهما ان ينطلقا الى فرعون لاداء الرسالة فصاحت امهما لخوفها
عليهما فذهبا اليه ولهم علي ذنب اي قبلي قود ذنب او عقوبة وهو قتله القبطي
الكافر خباز فرعون بالوكزة التي وكزها او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء
السيئة سيئة وليس قول موسى ذلك تلكؤا في اداء الرسالة بل قال ذلك استدفاعا
لما يتوقعه منهم من القتل وخاف ان يقتل قبل اداء الرسالة ويدل على ذلك قوله
كلا وهي كلمة الردع ثم وعده تعالى بالكلاءة والدفع وكلا رد لقوله اني اخاف
اي لا تخف ذلك فاني قضيت بنصرك وظهورك وقوله فاذهبا امر لهما بخطاب
لموسى فقط لان هرون ليس بمكلم باجماع ولكنه قال لموسى اذهب انت واخوك
قال الزمخشري جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه
استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس الموازرة باخيه
فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته هرون **فان قلت**
علام عطف قوله فاذهبا **قلت** على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون بآياتنا يعم جميع ما بعثهما
الله به وعظم ذلك العصا وبها اوقع العجز قال ابن عطية ولا خلاف ان موسى
هو الذي حمله الله امر النبوة وكلفها وان هرون كان نبيا رسولا معينا له
ووزيرا انتهى ومعكم قيل من وضع الجمع موضع المثنى اي معكما وقيل هو على ظاهره
من الجمع والمراد موسى وهرون ومن ارسلا اليه وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر
ابن الزبير يرجح ان يكون اريد بصورة الجمع والخطاب موسى وهرون فقط قال
لان لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه لا يقال الله معه وعلى انه اريد بالجمع
التثنية حمله س رحمه الله وكانهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب

معاملة الجمع اذ كان ذلك جايزا ان يعامل به الواحد لشرفه وعظمته قال ابن عطية مستمعون
ايضا لا ليس في صيغة سامعون والا فليس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع وانما
القصد اظهارا لتهمم ليعظم انس موسى او تكون الملايكة بامر الله اياها تستمع وقال
الزمخشري معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير
لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما واكسر شوكته
عنكما وانكسه انتهى ۝ ويجوز ان يكون معكم متعلقا بمستمعون وان يكون خبرا ومستمعون
خبر ثان والمعية هنا مجاز وكذلك الاستماع لانه بمعنى الاصغا ولا يلزم منه الاستماع
السماع تقول استمع اليه فما سمع واستمع اليه فسمع كما قال استمع نفر من الجن فقالوا
انا سمعنا وافرد رسول هنا ولم يثن كما في قوله انا رسولا ربك اما لانه مصدر بمعنى
الرسالة فجاز ان يقع مفردا خبر المفرد فما فوقه واما لكونهما ذوي شريعة واحدة
فكانهما رسول واحد او اريد بقوله انا او كل واحد منا رسول ورسول رب العالمين
فيه رد عليه وانه مربوب لله تعالى بادآه ينقض ما كان ابرمه من ادعا الالوهية
وكذلك انكر فقال وما رب العالمين والمعنى اليك وان ارسل يجوز ان تكون تفسيرية
لما في رسول من معنى القول وان تكون مصدرية وارسل بمعنى اطلق وسرح كما تقول
ارسلت الحجر من يدي وارسلت الصقر وكان موسى مبعوثا الى فرعون في امرين ارسال
بني اسرايل لتزول عنهم العبودية والايمان بالله وبعث بالعبادات والشرع الى
بني اسرايل وارسالهم معهما كان الى فلسطين وكانت مسكن موسى وهرون ۝ قال
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت
من الكافرين • قال فعلتها اذا وانا من الضالين • ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين • وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل
قال فرعون وما رب العالمين • قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابايكم الاولين • قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون • قال
لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين • قال او لو جيتك بشي مبين
قال فات به ان كنت من الصادقين • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • ونزع
يده فاذا هي بيضا للناظرين ۝ ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون ولم يوذن لهما
سنة حتى قال البواب ان هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال
ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك
فينا وليدا وفي الكلام حذف يدل عليه المعنى تقديره فاتيا فرعون فقالا له ذلك
ولما نادهه موسى بانه رسول رب العالمين وامره بارسال بني اسرايل معه اخذ
يستحقره ويضرب عن المرسل وعن ما جاء به من عنده ويذكره بحالة الصغر والمن عليه
بالتربية والوليد الصبي وهو فعيل بمعنى مفعول اطلق ذلك عليه لقربه من الولادة
وقرا ابو عمرو في رواية من عمرك باسكان الميم وتقدم ذكر الخلاف في كمية
هذه السنين في طه وقرا الجمهور فعلتك بفتح الفا اذ كانت وكزة واحدة
والشعبي بكسر الفا يريد الهيئة لان الوكزة نوع من القتل عدد عليه نعمة التربية

قوله عز وجل
قال الم نربك

ومبلغه

ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث يقتل نظراه من بني اسرايل وذكره ما جرى على يده من
قتل القبطي وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت لان هذا الابهام
بكونه لم يصرح انها القتل تهويل للواقعة وتعظيم شان وانت من الكافرين يجوز ان
يكون حالا اي قتلته اذ ذاك وانت من الكافرين فافترى فرعون بنسبة هذه الحال
اليه اذ ذاك والانبيا عليهم السلام معصومون ويجوز ان يكون اخبارا مستانفا
من فرعون حكم عليه بانه من الكافرين بالنعمة التي لي عليك من التربية والاحسان قاله
ابن زيد او من الكافرين في انني الملك قاله الحسن او من الكافرين بالله لانك كنت
معنا على ديننا هذا الذي تعيبه الان قاله السدي قال فعلتها اذا اجابه موسى
عن كلامه الاخير المتضمن للقتل اذ كان الاعتذار فيه اهم من الجواب في ذكر النعمة
بالتربية لانه فيه ازهاق النفس قال ابن عطية اذا صلة في الكلام وكانها بمعنى
حينيذ انتهى وليس بصلة بل هي حرف معنى وقوله وكانها بمعنى حينيذ ينبغي ان يجعل
قوله تفسير معنى اذ لا يذهب احد الى ان اذا ترادف من حيث الاعراب حينيذ وقال
الزمخشري فان قلت اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف
وقع جزا قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت
فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده جديرة
بان تجازى بنحو ذلك الجزا انتهى وهذا الذي ذكره من ان اذا جواب وجزاء معا
هو قول سيبويه لكن الشراح فهموا انها قد تكون جوابا وجزاء معا وقد تكون جوابا فقط دون
جزاء فالمعنى اللازم لها هو الجواب وقد يكون مع ذلك جزاء وحملوا قوله فعلتها
اذا من المواضع التي جاءت فيه جوابا لا جزاء على ان بعض ايمتنا تكلف هنا كونها
جزاء وجوابا وهذا كله محرر في كتبنا في اذا في شرح التسهيل وانما اردنا ان نذكر
ان ما قاله الزمخشري ليس هو الصحيح ولا قول الاكثرين ۝ وانا من الضالين قال ابن زيد
معناه من الجاهلين بان وكزتي اياه تاتي على نفسه وقال ابو عبيدة من الناسين ونزع
بقوله ان تضل احداهما وفي قراءة عبد الله وابن عباس وانا من الجاهلين ويظهر انه
تفسير للضالين لا قراءة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري من الفاعلين
فعل اولي الجهل كما قال يوسف لاخوته اذ انتم جاهلون او المخطيين او المخطيين كمن
يقتل خطا من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن تلك الصفة انتهى وقيل من الضالين
يعني عن النبوة ولم يات عن الله فيه شي فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ
ومن غريب ما شرح به ان معنى وانا من الضالين اي من المحبين لله وما قتلت القبطي
الا غيرة لله قيل والضلال يطلق ويراد به المحبة كما في قوله انك لفي ضلالك القديم
اي في محبتك القديمة وجمع ضمير الخطاب في منكم وخفتكم بان كان تفرد في تمنها وعبدت
لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده وانما منه ومن ملايه المذكورين قبل ان ان
القوم الظالمين قوم فرعون وهم كانوا يا تمرون بقتله الا ترى الى قوله ان الملا
يا تمرون بك ليقتلوك فاخرج وقرا الجمهور لما حرف وجوب لوجوب على قول سس
وظرفا بمعنى حين على مذهب الفارسي وقرا حمزة في رواية لما بكسر اللام وتخفيف
الميم اي لخوفكم وقرا عيسى حكما بضم الكاف والجمهور باسكانها والحكم النبوة

وانت م

وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول وقيل الحكم العلم والفهم
وتلك نعمة تمنها علي وتلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله الم نربك فينا وليدا
وذكر هذا اخرا على ما بدا به فرعون في قوله الم نربك والظاهر ان هذا الكلام اقرار
من موسى عليه السلام بالنعمة كانه يقول وتربيتك لي نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني
واتخذتني ولدا ولكن لا يدفع ذلك رسالتي والى هذا التاويل ذهب السدي والطبري
وقال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه ان يكون نعمة كانه يقول ويصح لك
ان تعتد علي نعمة تربية فتى من اجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست بنعمة
لان الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك
وقرا الضحاك وتلك نعمة ما لك ان تمنها وهذه قراءة تويد هذا التاويل وهذا
التاويل فيه مخالفة لفرعون ونقض لكلامه كله والقول الاول فيه انصاف واعتراف
وقال الاخفش والفراء قبل الواو همزة استفهام مراد به الانكار وحذفت لدلالة
المعنى عليها ورده النحاس بانها لا تحذف لانها حرف يحدث معها معنى الا ان كان في
الكلام ام لا خلاف في ذلك الا شيئا قاله الفراء انه يجوز حذفها مع افعال الشك
وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى اترى وكان الاخفش الاصغر يقول اخذه من الفاظ العامة
وقال الضحاك الكلام اذا خرج مخرج التبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام والمعنى
لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي بما لا يجب ان تمن به
وقيل اتخاذك بني عبيدا احبط نعمتك التي تمن بها وقال الزمخشري وابى يعني
موسى عليه السلام ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن
عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل
واعبدته اذا اتخذته عبدا **قال الشاعر**

علام يعبدني قومي وقد كثرت ... فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان

فان قلت وتلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب **قلت**
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت
الرفع عطف بيان الملك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج يجوز
ان يكون في موضع نصب المعنى انها صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم
تفعل لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم انتهى وقال الحوفي ان عبدت في موضع رفع نصب
مفعول من اجله وقال ابو البقاء بدل ولما اخبر موسى فرعون بانه رسول رب العالمين
لم يبال الى ذلك فيغتر وما رب العالمين بل اخذ في المداهاة والتذكار التربية والتقبيح
لما فعله من قتل القبطي فلما اجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية والقتل
وكان في قوله رسول رب العالمين دعا الى الاقرار بربوبية الله والطاعة رب
العالم فاخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى انه رسول من عنده والظاهر ان سؤاله
انما كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمراداة وكان عالما بالله ويدل عليه
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ولكنه تعامى عن ذلك

طلبا للرياسة ودعوى الالهية واستفهم بما استفهاما عن مجهول من الاشياء قال مكي
كما يستفهم من الاجناس وقد ورد له الاستفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن
انتهى والموضع الاخر قوله فمن ربكما يا موسى ولما سال له فرعون وكان السؤال بما التي
هي سؤال عن الماهية ولم يمكن الجواب بالماهية اجاب بالصفات التي تبين للسامع
انه لا مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض وما بينهما وقال الزمخشري
وهذا السؤال لا يخلو ان يريد به اي شيء من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها
فاجاب بما يستدل عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس مما شوهد وعرف من الاجرام
والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد انه شيء على
الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي سالت عنه ليس اليه
سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة
على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش
عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال
فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه
الالهية انتهى ولا يظهر ان فرعون كان سؤاله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه
الا ترى انه يعلم حدوثه بعد القدم وانه محل الحوادث ويعلم انه لم يدع الالهية
الا في محل ملكه مصر وانه لم يكن ملك الارض بل كان فيها ملوك غيره والانبياء في ذلك
الزمان يدعون الى الله كشعيب عليه السلام وانه كان مقرا بالله تعالى في باطن
امره وجاء قوله وما بينهما على التثنية والعائد عليه الضمير مجموع اعتبارا للجنسين
جنس السماء وجنس الارض كما ثنى المظهر في قوله بين رماحي مالك ونهشل اعتبارا
للجنسين وقال ابو عبد الله الرازي يحتمل ان يقال كان عالما بالله ولكنه قال
ما قال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر تعالى في كتابه ما يدل على انه كان عارفا
بالله وهو قوله لقد علمت الاية ويحتمل انه كان على مذهب الدهرية من ان الافلاك
واجبة الوجود لذواتها وان حركاتها اسباب لحصول الحوادث لا بالفاعل المختار
ثم اعتقد انه بمنزلة الاله لاهل اقليمه من حيث استعبدهم وملك زمام امرهم
ويحتمل ان يقال كان على مذهب الحلولية القائلين بان ذات الاله تتقرر
بجسد انسان معين حتى يكون الاله سبحانه بمنزلة روح كل انسان بالنسبة الى
جسده وبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الها انتهى ومعنى ان كنتم موقنين
ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي الى النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
وان لا لم ينفعكم او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره
وانارة دليله وهذه المحاورة من فرعون تدل على ان موسى عليه السلام دعاه
الى التوحيد قال للملا حوله هم اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون اي الا تصغون الى هذه
المقالة اغراء به وتعجبا اذ كانت عقيدتهم ان فرعون ربهم ومعبودهم قال
ابن عطية والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها في مصر وديارها الى
اليوم بقية انتهى يشير الى ما ادركه في عصره من ملوك العبيديين الذين كانوا اتباعهم

تدعي فيهم الالهية واقاموا ملوكا بمصر من زمان المعتز الى زمان العاضد الى ان محا الله دولتهم بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي رضي الله عنه فلقد كانت له مآثر في الاسلام منها فتح بيت المقدس وبلاد كثيرة من سواحل الشام كان النصارى مستولين عليها فاستنقذها منهم قال ربكم ورب ابائكم الاولين نبههم على منشئهم ومنشئ ابائهم وجاء في قوله الاولين ذلالة على انما تنبههم بعد ايجادهم وانتقل من الاستدلال بالعام الى ما يخصهم ليكون اوضح لهم في بيان بطل دعوى فرعون الالهية اذ كان اباؤهم الاولون تقدموا فرعون في الوجود فمحال ان يكون وهو في العدم الها لهم قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال ابو عبد الله الرازي التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول اليه اذ كان لا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه وفي ابائه كونهم واجبي الوجود لذواتهم لان المشاهدة دلت على وجودهم بعد عدمهم وعدمهم بعد وجودهم فعند ذلك قال فرعون ما قال ان المقصود من سؤال ما طلبت الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا تفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وهذا التقدير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فاجابه نمرود بقوله انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب عن السؤال الا ما ذكرت انتهى وفيه بعض تلخيص وقال ابن عطية زاده موسى عليه السلام في بيان الصفات التي تظهر نقص فرعون وتبين انه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولا يكن لفرعون الا ملك مصر من البحر الى اسوان وارض الاسكندرية **وقرا** مجاهد وحميد والاعرج ارسل اليكم على بناء الفاعل اي ارسله ربه اليكم **وقرا** عبد الله واصحابه والاعمش رب المشارق والمغارب على الجمع فيهما ولما انقطع فرعون في باب الاحتجاج رجع الى الاستعلاء والغلب وهذا ابين علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين اعياه خطابه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وقال الزمخشري لما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري **فان قلت** كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون **قلت** لاين اولا فلما راى شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون

بقوله ان كنتم تعقلون **فان قلت** الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه **قلت** اما اخصر فنعم واما مؤديا مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل انتهى ولما كان عند موسى عليه السلام من امر فرعون ما لا يروعه معه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشيء مبين اي يوضح لك صدقي افكنت تسجنني قال الزمخشري اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين انتهى وتقدم لنا الكلام على هذه الواو الداخلة على لو في مثل هذا السياق في قوله اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فاغنى عن اعادته وقال الحوفي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير والمعنى اتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسب ان اسجن وانا ملتبس بها ولما سمع فرعون هذا من موسى طمع ان يجد موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين ان لك ربا بعثك رسولا الينا قال الزمخشري وفي قوله ان كنت من الصادقين دليل على انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه مثل هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى وتقديره ان كنت من الصادقين فات به حذف الجزاء لان الامر به اتيان يدل عليه وقدره الزمخشري ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به جعل الجواب المحذوف فعلا ماضيا ولا يقدر الا من جنس الدليل يقول اصحابنا انت ظالم ان فعلت تقديره انت ظالم ان فعلت فانت ظالم وقال الحوفي ان حرف شرط يجوز ان يكون ما تقدم جوابه وجاز تقدمه الجواب لان حرف الشرط لم يعمل في اللفظ شيئا ويجوز ان يكون الجواب محذوفا تقديره فات به وقول الزمخشري حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات اشارة الى انكار الكرامات التي ذهب اهل السنة الى اثباتها والمعجز عندهم هو ما كان خارقا للعادة ولا يكون الا لنبي او في زمان نبي ان جرى على يد غيره فتكون معجزة لذلك النبي او على سبيل الارهاص لنبي فالقى عصاه اي رماها من يده وتقدم الكلام على عصا موسى عليه السلام والثعبان اعظم ما يكون من الحيات ومعنى مبين ظاهر الثعبانية ليست من الاشياء التي تزور بالشعبذة والسحر ونزع يده من جيبه فاذا هي تتلالا كانها قطعة من الشمس ومعنى للناظرين اي بياضها يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي انه لما ابصر امر العصا قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال يدك فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق • قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم • يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون • قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين • ياتوك بكل سحار عليم • فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • وقيل للناس هل انتم مجتمعون • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين •

قوله عز وجل قال للملا حوله

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أين لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين • قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين • قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون • فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون • فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين • قالوا آمنا برب العالمين • رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون • لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين • قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون • إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين هـ قال ابن عطية وانتصب حوله على الظرف وهو في موضع الحال أي كائنين حوله فالعامل فيه محذوف والعامل فيه هو الحال حقيقة والناصب له قال لأنه هو العامل في ذي الحال بوساطة لام الجر نحو مررت بهند ضاحكة والكوفيون يجعلون الملإ موصولا فكأنه قيل قال للذي حوله فلا موضع للعامل في الظرف لأنه وقع صلة وقال الزمخشري **فإن قلت** ما العامل في حوله **قلت** هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وذلك استقروا حوله وهذا يقدر في جميع الظروف والعامل في المحل هو النصب على الحال انتهى وهو تكثير وتشقيق كلام في أمر واضح من أوائل علم العربية ولما رأى فرعون أمر العصا واليد وما ظهر فيهما من الآيات هاله ذلك ولم يكن له فيه مدفع فرجع إلى رميه بالسحر وطمع لغلبة علم السحر في ذلك الزمان أن يكون سحرا متقنا وهمه أو كان علم بحجة المعجزة ودعى تلك الحجة على قومه برميه بالسحر ويا ندير يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره لينفروا لتنفيرهم عنه وانتحاؤهم العوائل له وأن لا يقبلوا قوله إذ من أصعب الأشياء على النفوس مفارقة الوطن الذي نشأوا فيه ثم استأمرهم فيما يفعل معه وذلك لما حل به من التحير والدهش والخطاطه عن رتبة الوهيته إلى أن صار يستشيرهم في أمره فيأمرونه بما يظهر لهم فيه فصار رهما موسى بعد أن كان آمرا وتقدم الكلام في ماذا تأمرون وفي الألفاظ التي وافقت ما في سورة الأعراف فأغنى عن إعادته ولما قال إن هذا لساحر عليم عارضوا بقوله بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاستغراق والبناء الذي للمبالغة ليطمئنوا لينفسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب **وقرأ** الأعمش وعاصم في رواية بكل ساحر واليوم المعلوم يوم الزينة وتقدم الكلام عليه في سورة طه وقوله هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم وحثهم على الانطلاق كما يقال لينادي الناس قد انطلقوا وهو فلان ومنه هـ

قول تأبط شرا

هـ هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق هـ

يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به وترجوا أتباع السحرة إلى دينهم إن غلبوا موسى ولا يتبعون موسى في دينه وساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه السلام ودخلت إذن هنا بين اسم إن وخبرها وهي جواب وجزاء وبعزة فرعون الظاهر أن الباء للقسم وفعل القسم الذي تتعلق به الباء محذوف وعدلوا عن الخطاب إلى الاسم الغيبة تعظيما كما يقال للملوك أمروا رضي الله عنهم

بكذا فيخبر عنه أخبار الغائب وهذا من نوع أيمان الجاهلية وقد سلك كثير من المسلمين في الأيمان ما هو أشنع من أيمان الجاهلية لا يرضون بالقسم بالله ولا يعتدون به حتى يحلف أحدهم بنعمة السلطان وبرأس الحلف فحينئذ يستوثقون منه وقال ابن عطية بعد أن ذكر أنه قسم قال والأجرأن يكون على جهة التعظيم والتبرك باسمه إذ كانوا يعبدونه كما نقول إذا ابتدأنا بعمل شيء بسم الله وعلى بركة الله ونحو هذا وبين قوله قال لهم موسى وقوله لمن المقربين كلام محذوف وهو ما ثبت في الأعراف من تخييرهم إياه في البداءة من يلقي قال الزمخشري **فإن قلت** فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به **قلت** هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو بما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا انتهى وهذا القول الآخر ليس بشيء لا يمكن أن يبنى الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله إلا وقد حذف الفاعل فناب ذلك عنه أما أنه لا يقدر فاعل فقول ذاهب عن الصواب وقال ابن عطية **قرأ** البزي وابن فليح عن ابن كثير بشد التاء وفتح اللام وشد القاف ويلزم على هذه القراءة إذا ابتدأ أن يجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الأفعال المضارعة كما لا تدخل على أسماء الفاعلين انتهى كأنه يخيل أنه لا يمكن الابتداء بالكلمة إلا باجتلاب همزة الوصل وليس كذلك بلا ذكر كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن في القراءات عرف ذلك قالوا لا ضير أي لا ضرر علينا في وقوع ما وعدتنا به من قطع الأيدي والأرجل والتصليب بل لنا فيه المنفعة التامة بالصبر عليه لله واحتسابه يضير صبرا وضاره يضوره ضورا إنا إلى ربنا أي إلى عظيم ثوابه أو لا ضير علينا إذ انقلابنا إلى الله بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وقال أبو عبد الله الرازي لما آمنوا بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه لم يؤمن السحرة على كثرتهم إلا عن معرفة بصحة أمر موسى فيؤمنوا فبالغ في التنفير من جهة قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم موهما أن مسارعتهم للإيمان دليل على ميلهم إليه فبلوا بقوله إنه لكبيركم صرح بما رمز أولا من مواطأتهم وتقصيرهم ليظهر أمر كبيرهم وبقوله فلسوف تعلمون حيث أوعدهم وعيدا مطلقا وبتصريحه بما هددهم به من العذاب فأجابوا بأن ذلك لا يضير وفي قولهم إنا إلى ربنا منقلبون نكتة شريفة وهو أنهم آمنوا لا رغبة ولا رهبة إنما قصدوا محض الوصول إلى مرضات الله والاستغراق في أنوار معرفته انتهى ملخصا ويدفع هذا الحصر قولهم إنا نطمع إلى آخره ولا يكون ذلك إلا من خوف تبعات الخطايا والظاهر بقاء الطمع على بابه كقوله ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وقيل يحتمل اليقين فيكون كقول إبراهيم عليه السلام والذي أطمع **وقرأ** الجمهور أن كنا بفتح الهمزة وفيه الجزم بإيمانهم **وقرأ** أبان بن تغلب وأبو معاذ إن كنا بكسر الهمزة قال صاحب اللوامح على الشرط وجاز حذف الفاء من الجواب لأنه متقدم وتقديره إن كنا أول المؤمنين فإنا نطمع وحسن الشرط لأنهم لم يتحققوا ما لهم عند الله من قبول الإيمان انتهى وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وأبي زيد والمبرد حيث يجيزون تقديم جواب الشرط عليه ومذهب جمهور البصريين أن ذلك

لا يجوز وجواب مثل هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وقال الزمخشري هو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك وقال ابن عطية بمعنى ان طمعهم انما هو بهذا الشرط انتهى ويحتمل ان تكون ان هي المخففة من الثقيلة وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على انهم مومنون فلا يحتمل النفي والتقدير ان كنا لاول المومنين وجاء في الحديث ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل اي ليحب **وقال الشاعر**

ونحن اباة الضيم من آل مالك ... وان مالك كانت كرام المعادن

اي وان مالك لكانت كرام المعادن واول يعني اول المومنين من القبط او اول المومنين من حاضري ذلك المجمع وقال الزمخشري وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم ومنه الاول لان بني اسرائيل كانوا مومنين قبل ايمان السحرة ۝ واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هولاء لشرذمة قليلون • وانهم لنا لغائظون • وانا لجميع حاذرون • فاخرجناهم من جنات وعيون • وكنوز ومقام كريم • كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين • فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون • قال كلا ان معي ربي سيهدين • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم • وازلفنا ثم الآخرين • وانجينا موسى ومن معه اجمعين • ثم اغرقنا الآخرين • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • تقدم الخلاف في أسر وانه قرئ بوصل الهمزة وبقطعها في سورة هود **وقرا** اليماني ان سر امر من سار يسير امر الله موسى عليه السلام ان يخرج ببني اسرائيل ليلا من مصر الى تجاه البحر واخبره انهم سيتبعون فخرج سحرا جاعلا طريق الشام على يساره وتوجه نحو البحر فيقال له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح علم فرعون بسرى موسى ببني اسرائيل فخرج في اثرهم وبعث الى مدائن مصر ليلحقه العساكر وذكروا اعدادا في اتباع فرعون وفي بني اسرائيل الله اعلم بصحة ذلك ۝ ان هولاء لشرذمة قليلون اي قال ان هولاء ووصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب قليلا جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل والظاهر تقليل العدد قال الزمخشري ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه انتهى قال ابو حاتم **وقرا** من لا يوخذ عنه لشرذمة قليلون وليست هذه موقوفة انتهى يعني ان هذه القراءة ليست موقوفة على احد رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لغائظون اي بخلافهم

قوله عز وجل واوحينا الى موسى

واخذهم

واخذهم الاموال حين استعاروها منهم ولم يردوها وخرجوا هاربين **وقرا** الكوفيون وابن ذكوان وزيد بن علي حاذرون بالالف وهو الذي قد اخذ يحذر ويجدد حذره وحذر متعد قال تعالى يحذر الآخرة •

وقال العباس بن مرداس

واني حاذر انمي سلاحي ... الى اوصال ذيال صنيع

وقرا باقي السبعة بغير الف وهو المتيقظ وقال الزجاج مودون اي ذوو اداة وسلاح اي متسلحين **وقيل** حذرون في الحال وحاذرون في المآل وقال الفراء الحاذر الخائف مما يرى والحذر المخلوق حذرا وقال ابو عبيدة رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى واحد وذهب سيبويه الى ان حذرا يكون للمبالغة وانه يعمل كما يعمل حاذر فينصب المفعول به **وانشد**

حذر امورا لا تضير وآمن ... ما ليس منجيه من الاقدار

وقد نوزع في ذلك بما هو مذكور في كتب النحو وعن الفراء ايضا والكسائي رجل حذر اذا كان الحذر في خلقته فهو متيقظ منتبه **وقرا** سميط بن عجلان وابن ابي عمار وابن السميفع حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة والحادر المتورم قال ابن عطية فالمعنى ممتلئون غيظا وانفة وقال ابن خالويه الحادر السمين القوي الشديد يقال غلام حدر بدر وقال صاحب اللوامح الحادر الرجل القوي باسه يقال منه رجل حدر بدر اذا كان شديد الباس في الحرب ويقال رجل حدر يضم الدال للمبالغة مثل يقظ **وقال الشاعر**

احب الصبي السوء من اجل امه ... وابغضه من بغضها وهو حادر

اي سمين قوي **وقيل** مدججون في السلاح فاخرجناهم الضمير عائد على القبط من جنات وعيون بحافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والجمهور على انها عيون الماء وقال ابن جبير المراد عيون الذهب وكنوز هي الاموال التي خزنوها قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم ينفق في طاعة الله قط وقال الضحاك الكنوز الانهار وقال صاحب التحبير وهذا فيه نظر لان العيون تشملها **وقيل** هي كنوز المقطم ومطالبه قال ابن عطية هي باقية الى اليوم انتهى واهل مصر في زماننا في غاية الطلب لهذه الكنوز التي زعموا انها مدفونة في المقطم فينفقون على حفر هذه المواضع في المقطم الاموال الجزيلة ويبلغون في العمق الى اقصى غاية ولا يظهر لهم الا التراب او حجر الكذان الذي المقطم مخلوق منه واي مغربي يرد عليهم سالوه عن علم المطالب فكثير منهم يضع في ذلك اوراقا ليأكلوا اموال المصريين بالباطل ولا يزال الرجل منهم يذهب ماله في ذلك حتى يفتقر وهو لا يزداد الا طلبا لذلك حتى يموت وقد اقمت بين ظهرانيهم الى حين كتابة هذه الاسطر نحوا من خمسة واربعين عاما فلم اعلم ان احدا منهم حصل على شيء غير الفقر وكذلك رايهم في تغوير الماء يزعمون ان ثم ابارا وانه يكتب اسماء في شقفة فتلقى في البير فيغور الماء وينزل الى باب في البير يدخل منه الى قاعة مملوءة ذهبا وفضة وجوهرا وياقوتا فهم دائما يسالون من يرد من المغاربة عن من يحفظ تلك الاسماء التي تكتب في الشقفة فياخذ شياطين

المغاربة منهم ما لا جزلا ويستأكلونهم ولا يحصلون على شيء غير ذهاب أموالهم ولهم أشياء من نحو هذه الخرافات يركنون إليها ويقولون بها وإنما أطلت في هذا على سبيل التحذير لمن يعقل ۝ وقوله تعالى ومقام كريم قال ابن لهيعة هو الفيوم وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو المنابر للخطباء وقيل الأسرة في الكلل وقيل مجالس الأمراء والأشراف والحكام وقال النقاش المساكن الحسان وقيل مرابط الخيل حكاه الماوردي **وقرأ** قتادة والأعرج ومُقام بضم الميم من أقام كذلك قال الزمخشري يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا والجر على أنه وصف لمقام أي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرابع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك انتهى فالوجه الأول لا يسوغ لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه وكذلك الوجه الثاني لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم ولا يشبه الشيء بنفسه والظاهر أن قوله وأورثناها بني إسرائيل أنهم ملكوا ديار مصر بعد غرق فرعون وقومه لأنه أعقب قوله وأورثناها قوله فأخرجناهم وقال الحسن قال كما عبروا النهر رجعوا وورثوا ديارهم وأموالهم **وقيل** ذهبوا إلى الشام وملكوا مصر زمن سليمان **وقرأ** الجمهور فأتبعوهم أي فلحقوهم **وقرأ** الحسن والذماري فاتّبعوهم بوصل الألف وشد التاء مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت كأصبح دخل في وقت الصباح وأمسى دخل في وقت المساء وقال أبو عبيدة فاتبعوهم نحو الشرق كأنجد إذا قصد نحو نجد والظاهر أن مشرقين حال من الفاعل وقيل مشرقين أي في ضياء وكان فرعون وقومه في ضباب وظلمة تحيروا فيها حتى جاوز بنو إسرائيل البحر فعلى هذا يكون مشرقين حالاً من المفعول فلما تراءى الجمعان أي رأى أحدهما الآخر قال أصحاب موسى إنا لمدركون أي لملحقون قالوا ذلك حين رأوا العدو القوي وراءهم والبحر أمامهم وساءت ظنونهم **وقرأ** الأعمش وابن وثاب تراءى الجمعان بغير همز على مذهب التخفيف بين بين ولا يصح القلب لوقوع الهمزة بين ألفين أحدهما ألف تفاعل الزائدة بعد الفاء والثانية اللام المعتلة من الفعل فلو خففت بالقلب لاجتمع ثلاث ألفات متسقة وذلك مما لا يكون أبداً قاله أبو الفضل الرازي وقال ابن عطية **وقرأ** حمزة تراءى بكسر الهمزة الراء ويمد ثم يهمز وروي مثله عن عاصم وروي عنه أيضاً مفتوحاً ممدوداً والجمهور يقرؤونه مثل تراعى وهذا هو الصواب لأنه تفاعل وقال أبو حاتم وقراءة حمزة هذا الحرف محال وحمل عليه قال وما روي عن ابن وثاب والأعمش خطأ انتهى وقال الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري هو ابن الباذش في كتاب الإقناع من تأليفه تراءى الجمعان في الشعراء إذا وقف عليها حمزة والكسائي أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل وحمزة يميل ألف تفاعل وصلاً ووقفاً لإمالة الألف المنقلبة ففي قراءته إمالة لإمالة وفي هذا الفعل وفي رأى إذا استقبله ألف وصل لمن أمال للإمالة لما حذف السبب وأبقى المسبب كما قالوا صعقي في النسب إلى الصعق **وقرأ** الجمهور لمدرَكون بإسكان الدال والأعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر الراء على وزن مفتعلون وهو لازم بمعنى الفناء والاضمحلال يقال منه

ادّركه الشيء بنفسه إذا فني تتابعاً ولذلك كسرت الراء على هذه القراءة نص على كسرها أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح والزمخشري في كشافه وغيرهما وقال أبو الفضل الرازي وقد تكون ادّرك على افتعل بمعنى أفعل متعدياً فلو كانت القراءة من ذلك لوجب فتح الراء ولم يبلغني ذلك عنهما يعني عن الأعرج وعبيد بن عمير قال الزمخشري المعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد ومنه بيت الحماسة ۝

۝ أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجي الحياة أم من الموت أجزع ۝

قال كلا إن معي ربي سيهدين زجرهم وردعهم بحرف الردع وهو كلا والمعنى لن يدرككم لأن الله وعدكم بالنصر والخلاص منهم إن معي ربي سيهدين عن قريب إلى طريق النجاة ويعرفنيه **وقيل** سيكفيني أمرهم ولما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت وهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع ورويت هذه المقالة عن يوشع قالها لموسى عليه السلام فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وأراد تعالى أن يجعل هذه الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل فعله ولكنه بقدرة الله إذ ضرب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته ولو شاء تعالى لفلقه دون ضربه بالعصا **وتقدم** الخلاف في مكان هذا البحر فانفلق ثم محذوف تقديره فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور في مثل هذا التركيب أن المحذوف هو ضرب وفاء انفلق والتقدير فانفلق في فاء ضرب فأبقى من كل ما يدل على المحذوف أبقيت الفاء من فضرب وانفصلت فانفلق ليدل على ضرب المحذوفة وأبقي انفلق ليدل على الفاء المحذوفة منه وهذا قول شبيه بقول صاحب البرسام ويحتاج إلى وحي يسفر عن هذا القول وإذا نظرت القرآن وجدت جملاً كثيرة محذوفة وفيها الفاء نحو قوله فأرسلون يوسف أيها الصديق أي فأرسلوه فقال يوسف أيها الصديق والفرق الجزء المنفصل والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وحكى يعقوب عن بعض القراء أنه قرأ كل فلق باللام عوض الراء وأزلفنا أي قربنا ثم أي هناك وثم ظرف مكان للبعد الآخرين أي قوم فرعون أي قربناهم ولم يذكر من قربوا منه فاحتمل أن يكون المعنى قربناهم حيث انفلق البحر من بني إسرائيل أو قربنا بعضهم من بعض حتى لا ينجو أحد أو قربناهم من البحر **وقرأ** الحسن وأبو حيوة وزلفنا بغير ألف **وقرأ** أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث وأزلقنا بالقاف عوض الفاء أي أزللنا قال صاحب اللوامح قيل من قرأ بالقاف صار الآخرين فرعون وقومه ومن قرأ بالفاء يعني بالقراءة العامة فالآخرون هم موسى وأصحابه أي جمعنا شملهم وقربناهم بالنجاة انتهى وفي الكلام حذف تقديره ودخل موسى وبنو إسرائيل البحر وأنجينا قيل دخلوا البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا منها بعد مسافة وكان بين موضع الدخول وموضع الخروج أوعار وجبال لا تسلك إن في ذلك لآية أي لعلامة واضحة عاينها الناس وشاع أمرها قال الزمخشري وما كان أكثرهم مؤمنين أي ما تنبه أكثرهم عليها ولا آمنوا وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة انتهى والذي يظهر أن قوله وما كان أكثرهم مؤمنين أي أكثر قوم

قوله عز وجل واتل عليهم

فرعون وبنوا القبط اذ قد آمن السحرة وآمنت آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون
وعجوز اسمها مريم دلت موسى على قبر يوسف واستخرجوه وحملوه معهم حين خرجوا من مصر ﴿
واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون • قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين • قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون • قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون • قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم
الاقدمون • فانهم عدو لي الا رب العالمين • الذي خلقني فهو يهدين • والذي
هو يطعمني ويسقين • واذا مرضت فهو يشفين • والذي يميتني ثم يحيين • والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين • رب هب لي حكما والحقني بالصالحين • واجعل لي
لسان صدق في الآخرين • واجعلني من ورثة جنة النعيم • واغفر لابي انه كان
من الضالين • ولا تخزني يوم يبعثون • يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم • وازلفت الجنة للمتقين • وبرزت الجحيم للغاوين • وقيل لهم اين ما
كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون • فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود ابليس اجمعون • قالوا وهم فيها يختصمون • تالله ان كنا لفي ضلال مبين •
اذ نسويكم برب العالمين • وما اضلنا الا المجرمون • فما لنا من شافعين • ولا
صديق حميم • فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين • ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ لما كانت العرب لها خصوصية
بابراهيم عليه السلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتلو عليهم قصصه وما جرى
له مع قومه ولم يأت في قصة من قصص هذه السورة امره عليه السلام بتلاوة قصة
الا في هذه واذ العامل فيه قال الحوفي اتل ولا يتصور ما قال الا باخراجه
عن الظرفية وجعله بدلا من نبأ واعتقاد ان العامل في البدل والمبدل منه واحد
وقال ابو البقاء العامل في اذ نبأ والظاهر ان الضمير في وقومه عائد على
ابراهيم ﴿وقيل﴾ على ابيه اي وقوم ابيه كما قال اني اراك وقومك في ضلال
مبين وما استفهام بمعنى التحقير والتقرير وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم
انهم عبدة اصنام ولكن سألهم ليريهم ان ما كانوا يعبدونه ليس مستحقا للعبادة
لما ترتب على جوابهم من اوصاف معبوداتهم التي هي منافية للعبادة ولما سألهم عن
الذي يعبدونه ولم يقتصروا على ذكره فقط بل اجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطفت
عليه من تمام صفتهم مع معبودهم فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين على سبيل
الابتهاج والافتخار فاتوا بقصتهم معهم كاملة ولم يقتصروا على ان يجيبوا بقولهم
اصناما كما جاء ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو
ولذلك عطفوا على ذلك الفعل قولهم فنظل قال كما تقول لرجل ما تلبس فقال
البس مطرف الخز فاجر في ذيوله يريد الجواب وحاله مع ملبوسه وقالوا فنظل لانهم
كانوا بالنهار دون الليل ولما اجابوا ابراهيم اخذ يوقفهم على قلة عقولهم باستفهامه
عن اوصاف مسلوبة عنهم لا يكون شيء منها الا لله تعالى ﴿وقرأ﴾ الجمهور يسمعونكم
من سمع وسمع ان دخلت على مسموع تعدت الى واحد نحو سمعت كلام زيد وان دخلت
على غير مسموع فمذهب الفارسي انها تتعدى الى اثنين وشرط الثاني منهما ان يكون

مما

مما يسمع نحو سمعت زيدا يقرأ والصحيح انها تتعدى الى واحد وذلك الفعل في موضع الحال
والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو وهنا لم تدخل الا على واحد ولكنه ليس
بمسموع فتأولوه على حذف مضاف تقديره هل يسمعون دعاءكم اذ تدعون ﴿وقيل﴾ هل يسمعونكم
بمعنى يجيبونكم ﴿وقرأ﴾ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم من اسمع والمفعول
الثاني محذوف تقديره الجواب او الكلام واذ ظرف لما مضى فاما ان يتجوز فيه
فيكون بمعنى اذا واما ان يتجوز في المضارع فيكون قد وقع موقع الماضي فيكون
التقدير هل سمعوكم اذ دعوتم وقد ذكر اصحابنا ان من قرائن صرف المضارع الى
الماضي اضافة اذ الى جملة مصدرة بالمضارع ومثلوا بقوله واذ تقول للذي انعم الله
اي واذ قلت وقال الزمخشري وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على الحكاية الحال
الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت
انتهى ﴿وقرئ﴾ باظهار ذال اذ وبادغامها في تاء تدعون قال ابن عطية ويجوز
فيه قياس مذكر ولم يقرأ به احد والقياس ان يكون اللفظ به اذ دعون والذي منع
من هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل فكثرت المتماثلات انتهى وهذا الذي
ذكروا انه يجوز فيه قياس مذكر لا يجوز لان ذلك الابدال وهو ابدال التاء دالا لا يكون
الا في افتعل مما فاؤه ذال او زاي او دال نحو اذكر وازدجر وادهن اصله اذتكر
وازتجر وادتهن او جيم شذوذا قالوا اجدمع في اجتمع ومن تاء الضمير بعد الزاي والدال
ومثلوا بتاء الضمير للمتكلم فقالوا في فزت فزد وفي جلدت جلد ومن تاء تولج شذوذا قالوا
دولج وتاء المضارعة ليس شيئا مما ذكرنا فلا تبدل تاءه دالا وقول ابن عطية والذي منع من هذا
اللفظ الى آخره يدل على انه لولا ذلك لجاز ابدال تاء المضارعة دالا وادغام الذال
فيها فكنت تقول اذ دخرج اذ تخرج وذلك لا يقوله احد بل اذا ادغم مثل هذا ابدل من الذال
تاء وادغم في التاء فتقول اتخرج او ينفعونكم بتقربكم اليهم ودعائكم اياهم او يضرون
بترك عبادتكم اياهم فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها قالوا بل وجدنا
هذه حيدة عن جواب الاستفهام لانهم لو قالوا يسمعوننا وينفعوننا ويضروننا فضحوا
انفسهم بالكذب الذي لا يمترى فيه ولو قالوا لا يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضروننا اسجلوا على انفسهم
بالخطأ المحض فعدلوا الى التقليد البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهان ولا حجة
والكاف في موضع نصب بيفعلون اي يفعلون في عبادتهم تلك الاصنام مثل ذلك الفعل
الذي يفعله وهو عبادتهم والحيدة عن الجواب من علامات انقطاع الحجة وبل هنا اضراب
عن جوابه لما سأل واخذ في شيء آخر لم يسأله عنه انقطاعا واقرارا بالعجز وآباؤكم
الاقدمون وصفهم بالاقدمين دلالة على تقادم عبادة الاصنام فيهم واذ كانوا قد
عبدوها في زمان نوح عليه السلام فمن زمان من تقدم فهم عدو ويكون للمفرد والجمع كما قال
هم العدو فاحذرهم قيل شبه بالمصدر كالقبول والولوع قال الزمخشري وانما
قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اي فكرت في امري فرأيت عبادتي لها
عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها
نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم
الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول

هيم

وا يبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل
في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغ التصريح لانه يتأمل فيه فربما
قاده التأمل الى التقبل ومنه ما حكي عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء
فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال
ما هو بيتي ولا بيتكم انتهى وهو كلام فيه تكثير على عادته وذهب ابن قتيبة الى ان قوله
فانهم عدو لي من المقلوب والاصل فاني عدو لهم لان الاصنام لا تعادي لكونها جمادا
وانما هو عاداها ليس بشيء ولا ضرورة تدعو الى ذلك الا ترى الى قوله كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فهذا محقق العداوة ولان المغري على عداوتها عدو
الانسان وهو الشيطان **وقيل** لانه تعالى يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى تبرأوا
من من عبدهم ويوبخهم وقيل هو من حذف اي فان عبادتهم عدو لي والظاهر ان الاستثنا
في موضعه من غير تقديم ولا تاخير وقال الجرجاني تقديره افرأيتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى
انتهى فجعله مستثنى مما بعد كنتم تعبدون ولا حاجة الى هذا التقدير لصحة ان يكون
مستثنى من قوله فانهم عدو لي وجعله جماعة منهم الفراء وتبعه الزمخشري استثناء
منقطعا اي لكن رب العالمين لانهم فهموا من قوله ما كنتم تعبدون انهم الاصنام
واجاز الزجاج ان يكون استثناء متصلا على انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه
الاصنام فاعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا الله واجازوا في الذي خلقني النصب
على الصفة لرب العالمين او باضمار اعني والرفع خبر مبتدا محذوف اي هو الذي
وقال الحوفي ويجوز ان يكون الذي خلقني رفعا بالابتداء فهو يهدين ابتداء
وخبر في موضع الخبر عن الذي ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط انتهى وليس
الذي هنا فيه معنى اسم الشرط لانه خاص ولا يحتمل فيه العموم فليس نظير الذي ياتيني
فله درهم وايضا ليس الفعل الذي هو خلق لا يمكن فيه تجدد بالنسبة الى ابراهيم وتابع
ابو البقاء الحوفي في اعرابه هذا لكنه لم يقل ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط
فان كان اراد ذلك فليس بجيد لما ذكرناه وان لم يرده فلا يجوز ذلك الا على زيادة
الفاء على مذهب الاخفش في نحو زيد فاضربه الذي خلقني بقدرته فهو يهدين الى
طاعته **وقيل** الى الجنة وقال الزمخشري فهو يهدين يريد انه حين اتم
خلقه ونفخ فيه الروح عقب هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى ما لا يصلحه
ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه
الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع
الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد انتهى والظاهر ان قوله يطعمني ويسقين
الطعام المعروف المعهود والسقي المعهود وفيه تعديد نعمة الرزق وقال
ابو بكر الوراق يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب كما جاء اني ابيت يطعمني ربي
ويسقين ولما كان الخلق لا يمكن ان يدعيه احد لم يؤكد فيه بهو فلم يكن التركيب
الذي هو خلقني ولما كانت الهداية قد يمكن ادعاؤها والاطعام والسقي كذلك
اكد بهو في قوله فهو يهدين والذي هو يطعمني وذكر بعض نعمة الخلق والهداية

ما ندوم

ما ندوم به الحيوة ويستمر به نظام الخلق وهو الغذاء والشراب ولما كان ذلك سببا
لغلبة احدى الكيفيات على الاخرى بزيادة الغذاء او نقصانه فيحدث بذلك مرض
ذكر نعمته بازالة ما حدث من السقم واضاف المرض الى نفسه ولم يات التركيب واذا
امرضني وان كان تعالى هو الفاعل لذلك وابراهيم عليه السلام عدد نعم الله تعالى
عليه والشفا محبوب والمرض مكروه ولما لم يكن المرض منها لم يضفه الى الله وعن
الصادق جعفر ولعله لا يصح واذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة وقال
الزمخشري وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل
لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم ولما كان الشفا قد يعزى الى الطبيب والى الدوا
على سبيل المجاز كما قال فيه شفاء للناس اكد بقوله فهو يشفين اي الذي هو يهدين
ويطعمني ويسقين هو الله لا غيره ولما كانت الاماتة بعدها البعث لا يمكن اسنادهما
الا الى الله لم يحتج الى توكيد ودعوى نمرود الاماتة والاحياء هي منه على سبيل المخرقة
والقحة وكذلك لم يحتج الى تاكيد في والذي اطمع واثبت ابن ابي اسحاق ياء المتكلم
في يهديني وما بعده وهي رواية عن نافع والطمع عبارة عن الرجاء وابراهيم عليه السلام
كان جازما بالمغفرة فقال الزمخشري لم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون
لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم انتهى ورده
الرازي قال لانه حاصله يرجع الى انه نطق بكلمة لا اذكرها وبعده على نفسها لاجل
تعليم الامة وهو باطل قطعا وقال الجبائي اراد به سائر المومنين لانهم الذي
يطمعون ولا يقطعون ورده الرازي بان جعل كلام الواحد كلام غيره مما يبطل
نظم الكلام وقال الحسن المراد بالطمع اليقين وقال الرازي لا يستقيم هذا
الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب على الله شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض
لاحد عليه في فعله وقال ابن عطية اوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة
وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته **وقرا** الجمهور خطيئتي على الافراد
والحسن خطاياي على الجمع وذهب الاكثرون الى انها قوله اني سقيم وبل فعله
كبيرهم وهي اختي في سارة وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا
في كل امره من غير تعيين قال ابن عطية وهذا اظهر عندي لان تلك الثلاث قد
خرجها كثير من العلماء على المعاريض وقال الزمخشري المراد ما يندر منه
من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وهي قوله
وذكر الثلاث ثم قال وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست
بخطايا يطلب لها الاستغفار **فان قلت** اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي
تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له **قلت**
الجواب ما سبق ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم
ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول انتهى ويوم الدين ظرف والعامل فيه
يغفر والغفران وان كان في الدنيا فانه لا يتبين الا يوم الجزاء وهو في الدنيا
لا يعلم الا باعلام الله تعالى وضعف ابو عبد الله الرازي حمل الخطيئة على تلك

الدلالات لان نسبة ما لا يطابق الى ابراهيم غير جائز وحمله على سبيل التواضع قال
لانه ان طابق في هذا الموضع زال الاشكال وان لم يطابق رجع حاصل الجواب الى
الحاق المعصية به لاجل تنزيهه عن المعصية قال والجواب الصحيح ان يحمل
ذلك على ترك الاولى وقد يسمى خطأ فان من باع جوهرة تساوي الفا بدينار
قيل اخطأ وترك الاولى على الانبياء جائز انتهى وفيه بعض تلخيص وتبديل الفاظ
للادب بما يناسب مقام النبوة وقدم ابراهيم عليه السلام الثناء على الله تعالى
وذكره بالاوصاف الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله تعالى فقال رب
هب لي حكما فدل على ان تقديم الثناء على المسألة من المهمات والظاهر ان الحكم
هو الفصل بين الناس بالحق **وقيل** الحكم الحكمة والنبوة لان النبي ذو حكمة وذو
حكم بين الناس وقال ابو عبد الله الرازي لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لانها حاصلة
فلو طلب النبوة لكانت مطلوبة اما عين الحاصلة او غيرها والاول محال لان
تحصيل الحاصل محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون الشخص الواحد نبيا مرتين
بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة العملية وذلك بان يكون عالما بالخير لاجل العمل
به انتهى ٥ وقال ابن عطية وقد فسر الحكم بالحكمة والنبوة قال ودعاؤه عليه
السلام في مثل هذا هو في التثبت والدوام والحاقه بالصالحين توفيقه لعمل
ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة وقد اجابه تعالى حيث قال
وانه في الاخرة لمن الصالحين قال ابو عبد الله الرازي وانما قدم قوله هب لي
حكما على قوله والحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية
العملية لانه يمكنه ان يعلم الحق وان لم يعمل به وعكسه غير ممكن لان العلم صفة
الروح والعمل صفة البدن وكما ان الروح اشرف من البدن كذلك العلم افضل من
الصلاح انتهى ٥ ولسان صدق قال ابن عطية هو الثناء وتخليد المكانة باجماع
من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته فكل ملة تتمسك به وتعظمه وهو على
الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي **وقيل** معنى سؤاله ان
يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد عليه السلام
وهذا معنى حسن الا ان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ انتهى ولما
طلب سعادة الدنيا طلب سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث
لانه الذي يغتنم في الدنيا شبه غنيمة الدنيا بغنيمة الاخرة وقال تعالى
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا **ولما فرغ** من مطالب الدنيا والاخرة
لنفسه طلب لاشد الناس التصاقا به وهو اصله الذي كان ناشئا عنهم
عمه وهو ابوه فقال واغفر لابي وطلب المغفرة مشروط بالاسلام وطلب
المشروط يتضمن طلب الشرط فتحاصله انه دعا بالاسلام وكان وعده ذلك
يوضحه قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
فلما تبين له انه عدو لله اي بموافاته على الكفر تبرأ منه **وقيل** كان
قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له
لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال

في دعائه واغفر لابي انه كان من الضالين فلولا اعتقاده انه في الحال ليس بضال
ما قال ذلك ولا تخزني اما من الخزي وهو الهوان واما من الخزاية وهي الحياء
والضمير في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين ويكون من جملة الاستغفار
لانه يكون المعنى يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون
مال ولا بنون اي كما ينفع في الدنيا يفديه ماله ويذب عنه بنوه **وقيل** المراد
بالبنين جميع الاعوان **وقيل** المعنى يوم لا ينفع اعلاق بالدنيا ومحاسنها
فقصد من ذلك لذكر الاعظم والاكثر لان المال والبنين هي زينة الحيوة الدنيا والظاهر
ان الاستثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه قال
الزمخشري ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف
وهو الحال المراد بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى
الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف
لم يحصل للاستثناء معنى انتهى ولا ضرورة تدعو الى حذف مضاف كما ذكر اذ قدرناه
لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك وقد جعله الزمخشري في اول توجيهه
متصلا بتاويل قال الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قوله ٥
تحية بينهم ضرب وجيع ٥ وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال لك هل لزيد مال
وبنون فيقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات
سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله
بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه
انتهى وجعله بعضهم استثناء مفرغا من مفعول والتقدير لا ينفع مال ولا بنون
احدا الا من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبنوه
الصلحاء اذ كان انفقه في طاعة الله وارشد بنيه الى الدين وعلمهم الشرائع
وسلامة القلب خلوصه من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت
مباحة كالمال والبنين قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره
وهذا يقتضي عموم اللفظ ولكن السليم من الشرك هو الاعم وقال الجنيد بقلب
لديغ من خشية الله والسليم اللديغ وقال الزمخشري هو من بدع التفاسير وصدق
وازلفت الجنة قربت لينظروا اليها ويغتبطوا بحشرهم اليها وبرزت الجحيم اظهرت
وكشفت بحيث كانت بمرأى منهم كقوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل
لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله وذلك على سبيل التوبيخ هل ينفعونكم بنصرهم اياكم
او ينتصرون هم فيدفعون عن انفسهم بحالتهما اذ هم وانتم وقود النار وقرأ الاعمش
فبرزت بالفاء جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنة لعقبه وذلك لان الواو للجمع
فيمكن ان يكون كل واحد منهما ظهر قبل الاخر وهو من تقديم الرحمة على العذاب وهو
الحسن لولا ان رسم المصحف بالواو وقرأ مالك بن دينار وبرزت بالفتح والتخفيف
الجحيم بالرفع باسناد الفعل اليها اتساعا ولما وبخهم وقرعهم اخبر عن حال يوم القيمة
وجيء في ذلك كله بلفظ الماضي في أتى وازلفت وبرزت وقيل وكبكبوا لتحقق وقوع

ذلك وان كان لم يقع والضمير في فكبكبوا عائد على الاصنام اجرت مجرى من يعقل قال الكرماني فكبكبوا اقذفوا فيها وقيل جمعوا وقيل وهدروا وقيل نكسوا على رؤسهم يموج بعضهم في بعض وقيل القوا في جهنم ينكبون مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها والغاوون هم الكفرة الذين شملتهم الغواية وقيل الضمير يعود على الكفار والغاوون الشياطين وجنود ابليس قبيله وكل من تبعه فهو جند له وعون وقال السدي هم مشركوا العرب والغاوون سائر المشركين وقيل هم القادة والسفلة قالوا اي عباد الاصنام والجملة بعده حال والمعمول جملة القسم ومتعلقه والخطاب في نسويكم للاصنام على جهة الاقرار والاعتراف بالحق قال ابن عطية اقسموا بالله اذ كنا الا ضالين في ان نعيدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم انتهى وقوله ان كنا الا ضالين ان اراد تفسير المعنى فهو صحيح وان اراد ان ان هنا نافية واللام في لفي بمعنى الا فليس مذهبا للبصريين وانما هو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في مثل هذا ان ان هي المخففة من الثقيلة وان اللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان التي هي للتأكيد مضمون الجملة وما اضلنا الا المجرمون اي اصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجراءة وهم ساداتهم ذووا المكانة في الدنيا والاستيلاء كقولهم اطعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقال السدي هم الاولون الذين اقتدوا بهم **وقيل** المجرمون الشياطين **وقيل** من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقال ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي وحين راوا شفاعة الملائكة والانبيا والعلما نافعة في اهل الايمان وشفاعة الصديق في صديقه خاصة قالوا على جهة التلهف والتاسف فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال ابن جريج شافعين من الملائكة وصديق من الناس ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانه عند المشفوع عنده ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الود من ابنية المبالغة ونفي الشفعا والصديق يحتمل ان يكون نفيا لوجودهم اذ ذاك وهم موجودون للمؤمنين اذ تشفع الملائكة وتتصادق المؤمنون كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم انهم شفعا وهم عند الله وان لهم اصدقا من الانس والشياطين فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم فصار المعنى فما لنا من ينفع ممن كنا نعتقد انهم شفعا واصدقاء وجمع الشفعا لكثرتهم في العادة الا ترى انه يشفع فيمن وقع في ورطة من لا يعرفه وافرد الصديق لقلته او اريد به الجمع اذ يقال هم صديق اي اصدقاء كما يقال هم عدو اي اعداء والظاهر ان لو هنا اشربت معنى التمني فيكون الجواب كانه قيل يا ليت لنا كرة فنكون **وقيل** هي الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره فيكون قوله فنكون معطوفا على كرة اي فكوننا من المؤمنين وجواب لو محذوف اي لكان لنا شفعا واصدقاء او لخلصنا من

العذاب والظاهر ان هذه الجمل كلها متعلقة بقول ابراهيم اخبر بما اعلمه الله تعالى من احوال يوم القيامة وما يكون فيها من حال قومه وقال ابن عطية وهذه الايات من قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي منقطعة من كلام ابراهيم عليه السلام وهي اخبار من الله عز وجل تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف ابراهيم عليه السلام عنده في دعائه ان لا يخزى فيه انتهى وكان ابن عطية قد اعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى هذا الاتيان في هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام ابراهيم وبعضه من كلام الله لان العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل اخر من لفظ الاول او الاول وعلى كلا التقديرين لا يصح ان يكون بين كلام الله اذ يصير التقدير ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون والاشارة بقوله ان في ذلك الى قصة ابراهيم ومحاورته لقومه وما كان اكثرهم اي اكثر قوم ابراهيم بين تعالى ان اكثر قومه لم يكونوا يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدل بها ابراهيم عليه السلام وفي ذلك مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه اياه عليه السلام **المشحون** المملوء بما ينبغي له من قدر ما يحمل يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا • الريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع •

قال ذو الرمة

• طراق الخوافي مشرف فوق ريعه • بذي ليلة في ريشه يترقرق •

وقال ابو عبيدة الريع الطريق قال المسيب بن علس يصف ظعنا •

• في الآل يخفضها ويرفعها • ريع يلوح كانه سحل •

الطلع الكفرى وهو عنقود التمر قبل ان يخرج من الكم في اول نباته وقال الزمخشري الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه **الفراهة** جودة منظر الشي وقوته وكماله في نوعه وقيل الكيس والنشاط **القالي** المبغض قلى يقلي ويقلا ومجيئه على يفعل بفتح العين شاذ **الجبلة** الخلق المتجسد الغليظ ماخوذ من الجبل •

قال الشاعر

• والموت اعظم حادث • مما يمر على الجبلة •

ويقال بسكون الباء مثلث الجيم وقال الهروي الجبل والجبل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس انتهى هام ذهب على وجهه قاله الكسائي وقال ابو عبيدة حاد عن القصد كذبت قوم نوح المرسلين • اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • فاتقوا الله واطيعون • قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون • قال وما علمي بما كانوا يعملون • ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون • وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين • قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين • قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين • فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

المفردات

قوله عز وجل كذبت قوم نوح

القوم مؤنث مجازي التأنيث ويصغر قويمة فلذلك جاء كذبت قوم نوح ولما كان مدلوله
افرادا ذكورا عقلاء عاد الضمير عليه كما يعود على جمع المذكر العاقل **وقيل** قوم مذكر
وانث لانه في معنى الامة والجماعة وتقدم معنى تكذيب قوم نوح المرسلين واذ كان
المرسل اليهم واحدا في الفرقان في قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم واخوة
نوح قيل في النسب **وقيل** في المجانسة كقولك يا اخا تميم تريد يا واحدا منهم

وقال الشاعر

لا يسألون اخاهم حين يندبهم • في النائبات على ما قال برهانا

ومتعلق التقوى محذوف فقيل الا تتقون عذاب الله وعقابه على شرككم **وقيل**
الا تتقون مخالفة امر الله فتتركوا عبادتكم للاصنام وامانته كونه مشهورا في قومه
بذلك او مؤتمنا على اداء رسالة الله ولما عرض عليهم رفق تقوى الله فقال الا تتقون
انتقل من العرض الى الامر فقال فاتقوا الله واطيعون في نصحي لكم وفيما دعوتكم اليه
من توحيد الله وافراده بالعبادة وما اسألكم عليه اي على دعائي الى الله والامر بتقواه
وقيل الضمير في عليه يعود على النصح او على التبليغ والمعنى لا اسألكم عليه شيئا
من اموالكم وقدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله سبب لطاعة نوح
عليه السلام ثم كرر الامر بالتقوى والطاعة ليؤكد عليهم ويقرر ذلك في نفوسهم وان
اختلف التعليل جعل الاول معلولا لامانته والثاني لانتفاء اخذ الاجر ثم ليتطرقوا
في امر رسالته ولا تفكروا فيما امرهم به لما جبلوا عليه ونشؤوا من حب الرياسة الرياسة
وهي التي تطبع على قلوبهم فرعوا الى قولهم في تنقيص متبعيه وان الحامل على انتفاء ايمانهم
له كونهم اتبعه الارذلون وقوله واتبعك الارذلون جملة حالية اي كيف
نؤمن وقد اتبعك الارذلون فنتساوى معهم في اتباعك وكذا فعلت قريش في شان
عمار وصهيب والضعفاء اكثر استجابة من الرؤساء لان اذهانهم ليست مملوءة بزخارف
الدنيا فهم ادرك للحق واقبل له من الرؤساء **وقرأ** الجمهور واتبعك فعلا ماضيا
وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش وابو حيوة والضحاك وابن السميفع وسعيد
ابن ابي سعد الانصاري وطلحة ويعقوب واتباعك جمع تابع وصاحب واصحاب
وقيل جمع تبيع كشريف واشراف **وقيل** جمع تبع كبرم وابرام والواو في هذه
القراءة للحال وقيل للعطف على الضمير الذي في قوله انؤمن لك وحسن ذلك للفصل
بلك قاله ابو الفضل الرازي وابن عطية وابو البقاء وعن اليماني واتباعك بالجر
عطفا على الضمير في لك وهو قليل وقاسه الكوفيون والارذلون رفع باضمار
هم قيل والذين امنوا به بنوه ونساؤه وكناته وبنو بنيه فعلى هذا لا تكون الرذالة
دناءة المكاسب وتقدم الكلام في الرذالة في هود في قوله الا الذين هم اراذلنا
وارادوا بذلك تنقيص نوح عليه السلام اذ لم يعلموا ان ضعفاء الناس هم اتباع الرسل
كما ورد في حديث هرقل وهذا الذي اجابوا به في غاية السخافة اذ نوح مبعوث
الى الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى ولا شرف المكاسب
ودناءتها وقال ابن عطية ويظهر من الاية ان مراد قوم نوح نسبة الرذيلة الى
المؤمنين بتهجين افعالهم لا النظر الى صنايعهم يدل على ذلك قول نوح وما علمي

الاية

الاية لان معنى كلامه ليس في نظري وعلمي باعمالهم ومعتقداتهم فائدة فانما اقنع
بظاهرهم واجري به ثم حسابهم على الله تعالى وهذا نحو ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث بجملته انتهى
وقال الكرماني لا اطلب العلم بما عملوه انما علي ان ادعوهم وقال الزمخشري وما علمي
واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم واطلاع سرائرهم واطلاعه على سرائرهم
وانما قال هذا لانهم قد طعنوا في استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن
نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا
بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلون بما هو
الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم
ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم
والشق عن قلوبهم وان كان لهم ثم سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم وما انا الا منذر لا
محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم
وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمي المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم
نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى انتهى وهو تكثير وقال الحوفي وما
علمي ما نافية والباء متعلقة بعلمي انتهى وهذا التخريج يحتاج فيه الى اضمار خبر حتى
تصير جملة ولما كانوا لا يصدقون بالحساب ولا بالبعث اردفه بقوله لو تشعرون
اي بان المعاد حق والحساب حق **وقرأ** الجمهور تشعرون بتاء الخطاب **وقرأ** الاعرج
وابو زرعة وعيسى بن عمر الهمداني بياء الغيبة وما انا بطارد المؤمنين هذا مشعر
بانهم طلبوا منه ذلك فاجابهم بذلك كما طلب رؤساء قريش من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يطرد من امن من الضعفاء فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية اي
لا اطردهم عني لاتباع شهواتكم والطمع في ايمانكم ان انا الا نذير مبين مما جئت
به بالبرهان الصحيح الذي يميز به الحق من الباطل ولما اعتلوا في ترك ايمانهم باتباعه
من يعدونهم اراذل دونهم ودل ذلك على انهم لم تنشرح صدورهم للايمان اذ اتباع الحق لا يأنف منه
احد لوجود الشركة فيه اخذوا في التهديد والوعيد قالوا لئن لم تنته عن تقبيح ما
نحن عليه وادعائك الرسالة من الله لتكونن من المرجومين اي بالحجارة **وقيل**
بالشتم وايس اذ ذاك من فلاحهم فنادى ربه وهو اعلم بحاله ان قومي كذبون فدعائي
ليس لاجل انهم اذوني ولكن لاجل دينك فافتح اي فاحكم ودعا لنفسه ولمن امن
به بالنجاة وفي ذلك اشعار بحلول العذاب بقومه اي ونجني مما يحل بهم **وقيل**
ونجني من عملهم لانه سبب العقوبة والفلك واحد وجمع وغالب استعماله
جمعا لقوله وترى الفلك مواخر فيه والفلك التي تجري في البحر فحيث التي في غير
فاصلة استعمل جمعا وحيث كان فاصلة استعمل مفردا لمراعاة الفواصل كهذا الموضع
والذي في سورة يس وتقدم الخلاف اذا كان مدلوله جمعا اهو جمع تكسير ام اسم
جمع والمشحون قال ابن عباس الموقر وقال عطاء المثقل ثم اغرقنا بعد اي بعد
نجاة نوح والمؤمنين ۞ كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم
رسول امين • فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب

قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين

العالمين • اتبنون بكل ريع اية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون • واذا
بطشتم بطشتم جبارين • فاتقوا الله واطيعون • واتقوا الذي امدكم بما تعلمون • امدكم
بانعام وبنين • وجنات وعيون • اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين • ان هذا الا خلق الاولين • وما نحن بمعذبين •
فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز
الرحيم • هـ كان اخاهم من النسب وكان تاجرا جميلا اشبه الخلق بآدم عليه السلام
عاش اربع مائة سنة واربعا وستين سنة وبينه وبين هود مائة سنة وكانت
منازل عاد ما بين عمان الى حضرموت امرع البلاد فجعلها الله مفاوز ورمالا ،
امرهم اولا بما امر به نوح قومه ثم نعى عليهم من سوء اعمالهم مع كفرهم فقال اتبنون
بكل ريع قال ابن عباس هو راس الزقاق وقال مجاهد فج بين جبلين وقال عطا
عيون فيها الماء وقال ابن بحر جبل **وقيل** الثنية الصغيرة **وقرأ** الجمهور
ريع بكسر الراء وابن ابي عبلة بفتحها قال ابن عباس اية علما وقال مجاهد ابراج
ابراج الحمام وقال النقاش وغيره القصور الطوال **وقيل** بيت عشار وقيل
ناديا للتصلف وقيل اعلاما طوالا ليهتدوا بها في اسفارهم عبثوا بها لانهم كانوا يهتدون
بالنجوم وقيل علامة يجتمع اليها من يعبث بالمارة في الطريق وفي قوله انكار للبناء
على صورة العبث كما يفعل المترفون في الدنيا والمصانع جمع مصنعة قيل وهي البناء
على الماء **وقيل** القصور المشيدة المحكمة وقيل الحصون وقال قتادة برك الماء
وقيل بروج الحمام وقيل المنازل واتخذ هنا بمعنى عمل اي وتعملون مصانع اي
تبنون **وقال لبيد** ٥ وتبقى جبال بعدنا ومصانع ٥ لعلكم تخلدون
الظاهر ان لعل على بابها من الرجاء وكانه تعليل للبناء والاتخاذ اي الحامل لكم على
ذلك هو الرجاء للخلود ولا خلود وفي قراءة عبد الله كي تخلدون او يكون المعنى يشبه
حالكم حال من يخلد فلذلك بنيتم واتخذتم وقال ابن زيد معناه الاستفهام على سبيل
التوبيخ والهزء بهم اي هل انتم تخلدون وكون لعل للاستفهام مذهب كوفي وقال
ابن عباس المعنى كانكم خالدون وفي حرف ابي كانكم تخلدون **وقرئ** كانكم خالدون
وقرأ الجمهور تخلدون مبنيا للفاعل وقتادة مبنيا للمفعول يقال خلد الشيء
واخلده غيره **وقرأ** ابي وعلقمة وابو العالية مبنيا للمفعول مشددا كما **قال
الشاعر** ٥ وهل ينعمن الا سعيد مخلد ٥ قليل الهموم ما يبيت باوجال هـ
واذا بطشتم اي اردتم البطش وحمل على الارادة لئلا يتحد الشرط وجوابه **كقوله**
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ٥ اي متى اردتم بعثها قال الحسن يبادرون
تعذيب الناس من غير تثبت ولا فكر في العواقب **والمعنى** انكم كفار الغضب لكم السطوات
المفرطة والبوادر فبنيان الابنية العالية يدل على حب العلو واتخاذ المصانع رجاء
الخلود يدل على البقاء والجبارية تدل على التفرد بالعلو وهذه صفات الالهية
وهي ممتنعة الحصول للعبد ودل ذلك على استيلاء حب الدنيا عليهم بحيث خرجوا
عن حد العبودية وحب الدنيا راس كل خطيئة ولما نبههم ووبخهم على افعالهم
القبيحة امرهم ثانيا بتقوى الله وطاعة نبيه ثم امرهم ثالثا بالتقوى

تنبيها

تنبيها لهم على احسانه تعالى اليهم وشيوع نعمه عليهم وابرز صلة الذي متعلقة
بعلمهم تنبيها لهم وتحريضا لهم على الطاعة والتقوى اذ شكر المحسن واجب
وطاعته متعينة وتحذيرا اليهم بان من امدهم بالاحسان هو قادر على سلبه وعلى
تعذيب من لم يتقه اذ هذا الامداد ليس من جهتكم وانما هو من تفضله تعالى عليكم
بحيث اتبعكم احسانه شيئا بعد شيء ولما اتى بذكر ما امدهم به مجملا محالا على علمهم
اتى به مفصلا فبدا بالانعام وهي التي تحصل بها الرياسة في الدنيا والقوة على
من عاداهم والغنى وهو السبب في حصول الذرية غالبا لوجوده وبحصول القوة ايضا
بالبنين فلذلك قرنهم بالانعام ولانهم يستعينون بهم في حفظها والقيام عليها
واتبع ذلك بالبساتين والمياه المطردة اذ الامداد بذلك من تمام النعمة وبانعام
ذهب بعض النحويين الى انه بدل من قوله بما تعلمون واعيد العامل كقوله اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسالكم والاكثرون لا يجعلون مثل هذا بدلا وانما هو
عندهم من تكرار الجمل وان كان المعنى واحدا ويسمى التتبيع وانما يجوز ان يعاد
عندهم العامل اذا كان حرف جر دون ما يتعلق به نحو مررت بزيد باخيك ثم حذرهم
عذاب الله وابرز ذلك في صورة الخوف لا على سبيل الجزم اذ كان راجيا لايمانهم
فكان من جوابهم ان قالوا سواء علينا اوعظت وعدمه وجعلوا قوله وعظا اذ لم
يعتقدوا صحة ما جاء به وانه كاذب فيما ادعاه وقولهم ذلك على سبيل
الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به **وقرأ** الجمهور اوعظت باظهار
الظاء وروي عن ابي عمرو والكسائي وعاصم ادغام الظاء في التاء وبالادغام
قرا ابن محيصن والاعمش الا ان الاعمش زاد ضمير المفعول فقرا اوعظتنا وينبغي
ان يكون اخفاء لان الظاء مجهورة مطبقة والتاء مهموسة منفتحة فالظاء اقوى
من التاء والادغام انما يحسن في المتماثلين او في المتقاربين اذا كان الاول
انقص من الثاني واما ادغام الاقوى في الاضعف فلا يحسن على انه قد جاء
من ذلك اشياء في القرآن بنقل الثقات فوجب قبولها وان كان غيرها هو افصح
واقيس وعادل اوعظت بقوله ام لم تكن من الواعظين وان كان قد يعادله
ام لم تعظ كما قال سواء علينا اجزعنا ام صبرنا لاجل الفاصلة كما عادلت في
قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ولم يات التركيب ام صمتم وكثيرا
ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه وقال الزمخشري بينهما فرق يعني
بين ما جاء في الاية وبين ام لم تعظ قال لان المراد سواء علينا افعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ولما لم يبالوا بما امرهم به وبما ذكرهم
من نعم الله وتخويفه الانتقام منهم اجابوا بان قالوا ان هذا الا خلق الاولين
وقرأ عبد الله وعلقمة والحسن وابو جعفر وابو عمرو وابن كثير والكسائي خلق
بفتح الخاء وسكون اللام فهو يحتمل ان يكون المعنى ان هذا الذي تقوله وتدعيه
الا اختلاق الاولين من الكذبة قبلك فانت على منهاجهم وروى علقمة عن
عبد الله ان هذا الا اختلاق الاولين ويحتمل ان يكون المعنى ما هذه البنية

قوله عز وجل كذبت ثمود

التي تجري عليها الا الابنية التي عليها الاولون حيوة وموت ولا بعث ولا تعذيب
وقراء باقي السبعة خلق بضمتين وابو قلابة والاصمعي عن نافع بضم الخاء وسكون
اللام ويحتمل هذه القراءة ذلك الاحتمالين الذين في خلق ۝ كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتتركون فيما هاهنا آمنين
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ۝ وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين ۝ الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا انما انت من المسحرين ۝ ما انت الا بشر مثلنا فأت باية ان كنت من الصادقين
قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ۝ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب يوم عظيم ۝ فعقروها فاصبحوا نادمين ۝ فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ اتتركون تجوز ان يكون
انكارا لان تتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في
تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة قاله
الزمخشري وقال ابن عطية تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تتركوا في النعم على معاصيكم
وقيل اتتركون استفهام في معنى التوبيخ اي ايترككم ربكم فيما هاهنا اي فيما
انتم عليه في الدنيا آمنين لا تخافون بطشته انتهى وما موصولة وهاهنا اشارة
الى المكان الحاضر القريب اي في الذي استقر في مكانكم هذا من النعيم وفي جنات
بدل من ما هاهنا اجمل ثم فصل كما اجمل هود عليه السلام في قوله امدكم بما تعلمون
ثم فصل في قوله امدكم بانعام وبنين وكانت ارض ثمود كثيرة البساتين والماء
والنخل والهضيم قال ابن عباس اذا اينع وبلغ وقال الزهري الرخص اللطيف
اول ما يخرج وقال الزجاج الذي رطبه بغير نوى وقال الضحاك المنضد بعضه
على بعض وقيل الرطب المذنب وقيل النضيج من الرطب وقيل الرطب المتفتت
وقيل الحامض الطلع وتتقارب قربه من الجانبين من قولهم خصر هضيم وقيل العذق
المتدلي وقيل الجمار الرخو وجاء قوله ونخل بعد قوله في جنات وان كانت الجنة
تتناول النخل اول شيء ويطلقون الجنة ولا يريدون بها الا النخل كما ۝

قال الشاعر

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا ۝

اراد هنا النخل والسحق جمع سحوق وهي التي ذهبت بجردتها صعدا فطالت فافرد ونخل
بالذكر بعد اندراجه في لفظ جنات تنبيها على انفراده عن شجر الجنة بفضله او اراد بجنات
غير النخل من الشجر لان اللفظ صالح لهذه الارادة ثم عطف عليه ونخل ذكرهم الله
تعالى بنعمه في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر وطلعها
فيه لطف والهضيم اللطيف الضامر والبرني الطف من طلع اللون ويحتمل اللطف
في الطلع ان يكون بسبب كثرة الحمل فانه متى كثر لطف فكان هضيما واذا قل الحمل
جاء التمر فاخرا ولما كانت جنات النخل جيدة وكان السقي لها كثيرا وسلمت من
العاهة كثر الحمل فلطف الحب وقراء الجمهور وتنحتون بالتاء للخطاب وكسر الحاء

وابوحيوة

وابوحيوة وعيسى والحسن بفتحها وتقدم ذكره وعنه بالالف بعد الحاء اشباعا وعن عبد الرحمن
ابن محمد عن ابيه بالياء من اسفل وكسر الحاء وعن ابي حيوة والحسن ايضا بالياء من اسفل
وفتح الحاء وقراء عبد الله وابن عباس وزيد بن علي والكوفيون وابن عامر فارهين
بالالف وباقي السبعة بغير الف ومجاهد متفرهين اسم فاعل من تفره والمعنى نشيطين مهتمين
قاله ابن عباس وقال مجاهد شرهين وقال ابن زيد اقوياء وقال ابن عباس ايضا وابو عمرو
ابن العلاء اشرين بطرين وقال ابن شداد يعني متفرهين اي متبالغين في استجادة
المغارات ليحفظوا اموالهم بتها وقال قتادة امنين وقال الكلبي متجبرين وقال
خصيف معجبين وقال عكرمة ناعمين وقال الضحاك كيسين وقال ابو صالح حاذقين
وقال ابن بحر قادرين وقال ابو عبيدة مرحين وظاهر هذه الايات ان الغالب
على قوم هود اللذات الخالية من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر وعلى قوم صالح اللذا
الخسيسة من الماكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة ولا تطيعون خطاب لجمهور
قومه والمسرفون هم كبراؤهم واعلامهم في الكفر والاضلال وكانوا تسعة رهط
يفسدون في الارض اي ارض ثمود وقيل في الارض كلها لان بمعاصيهم امتناع
الغيث ولما كان يفسدون دلالته دلالة المطلق اتي بقوله ولا يصلحون فنفى
عنهم الصلاح وهو نفي لمطلق الصلاح فيلزم منه نفي الصلاح كائنا ما كان فلا
يحصل منهم صلاح البتة والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل
من السحر وهو الرية اي انت بشر لا تصلح للرسالة ويضعف هذا القول قولهم
بعد ما انت الا بشر مثلنا اذ تكون هذه الجملة توكيدا لما قبلها والاصل التاسيس
ومثلنا اي في الاكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر فلا اختصاص لك بالرسالة
فأت باية اي بعلامة على صحة دعواك وفي الكلام حذف تقديره قال اني
قالوا ما هي قال هذه ناقة روي انهم اقترحوا عليه ناقة عشراء تخرج من
هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل
ربك الناقة ففعل وخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها
في العظم وتقدم في الاعراف طرف من قصة ثمود والناقة والشرب النصيب
المشروب من الماء نحو السقي وقراء ابن ابي عبلة شرب بضم الشين فيهما
وظاهر هذا العذاب انه في الدنيا وكذا وقع ووصف بالعظم لحلول العذاب
فيه ووصفه به ابلغ من وصف العذاب به لان الوقت اذا عظم بسببه العذاب
كان موقع العذاب من العظم اشد ونسب العقر الى جميعهم لكونهم راضين بذلك
حتى روي انهم استقرضوا المراة في خدرها والصبيان فرضوا جميعا فاصبحوا
نادمين لا ندم توبة بل ندم خوف ان يحل بهم العذاب عاجلا وذلك عند معاينة
العذاب وذلك في غير وقت التوبة اصبحوا وقد تغيرت الوانهم حسبما كان
اخبرهم به صالح عليه السلام وكان العذاب صيحة خمدت لها ابدانهم وانشقت قلوبهم
وماتوا عن آخرهم وصب عليهم حجارة خلال ذلك وقيل كانت ندامتهم
على ترك عقر الولد وهو قول بعيد وال في فاخذهم العذاب للعهد في العذاب السا
عذاب ذلك اليوم العظيم ۝ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط

قوله عز وجل كذبت قوم لوط

الا تتقون اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين • اتأتون الذكران من العالمين • وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم بل انتم قوم عادون • قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين •
قال اني لعملكم من القالين • رب نجني واهلي مما يعملون • فنجيناه واهله اجمعين •
الا عجوزا في الغابرين • ثم دمرنا الآخرين • وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ۞ اتأتون
استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والذكران جمع ذكر مقابل الانثى والاتيان كناية
عن وطء الرجال وقد سماه تعالى بالفاحشة فقال اتأتون الفاحشة ومن العالمين
هو مخصوص بذكران بني آدم **وقيل** مخصوص بالغرباء وتذرون ما خلق ظاهر في كونهم
لا يأتون النساء اما البتة واما غالبا ما خلق لكم ربكم يدل على الاباحة بشرط من
ازواجكم اي من الاناث ومن اما للتبيين من قوله ما خلق واما للتبعيض اي العضو المخلوق
للوطء وهو الفرج وهو على حذف مضاف اي وتذرون اتيان فان كان ما خلق لا يراد به
العضو فلا بد من تقدير مضاف آخر اي وتذرون اتيان فروج ما خلق بل انتم قوم عادون
اي متجاوزون الحد في الظلم وهو اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء لا ابطال
لما سبق من الانكار عليهم وتقبيح افعالهم واعتدائهم اما في المعاصي التي هذه
المعصية من جملتها او من حيث ارتكاب مثل الفعلة الشنيعة وجاء تصدير
الجملة بضمير الخطاب تعظيما لقبح فعلهم وتنبيها على انهم هم مختصون بذلك
كما تقول انت فعلت كذا اي لا غيرك ولما نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعدوه
بالاخراج وهو النفي من بلده الذي نشأ فيه اي لئن لم تنته عن دعواك النبوة وعن
الانكار علينا فيما نأتيه من الذكران لننفينك كما نفينا من نهانا قبلك وذلك
قوله من المخرجين على انه سبق من نهاهم عن ذلك فنفوه بسبب نهيه ومن المخرجين
بسبب عن هذا السبب كان لعلمهم في نفيه سواء كان الخلاف في هذا
الفعل الخاص ام في غيره قال اني لعملكم اي للفاحشة التي انتم تعملونها
ولعملكم متعلق اما بالقالين وان كان فيه ال لانه يسوغ في المجرورات
والظروف ما لا يسوغ في غيرها لاتساع العرب في تقديمها حيث لا يتقدم غيرها
واما بمحذوف دل عليه القالين تقديره اني قال لعملكم واما ان يكون
للتبيين اي لعملكم اعني من القالين وكونه بعض القالين يدل على انه يبغض
هذا الفعل ناس غيره من بعضهم وفيه ذلك على ان هذا الفعل موجب للبغض
حتى يبغضه الناس ومن القالين ابلغ من قال لما ذكرناه من ان الناس يبغضونه
ولتضمنه انه معدود ممن يبغضه الا ترى ان قولك زيد من العلماء ابلغ من زيد عالم
لان في ذلك شهادة بانه معدود في زمرتهم وقال ابو عبد الله الرازي القلى البغض
الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد انتهى ولا يكون قلى بمعنى بغض وقلا من الطبخ والشي
من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلا التي من ذوات الواو وتقول قلوت
اللحم فهو مقلو ومادة قلى من البغض من ذوات الياء قليت الرجل فهو
مقلي قال الشاعر ۞ ولست بمقلي الخلال ولا قالي ۞ ولما توعدوه

بالاخراج

بالاخراج اخبرهم ببعض عمله ثم دعا ربه فقال رب نجني واهلي مما يعملون
اي من عقوبة ما يعملون من المعاصي ويحتمل ان يكون دعاء لاهله بالعصمة من ان
يقع احد منهم في مثل فعل قومه وذلك دعاؤه بالنجاة لاهله على انهم كانوا مؤمنين
ولما كانت زوجته مندرجة في الاهل وكان ظاهر دعائه دخولها في النجاة
وكانت كافرة استثنيت في قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين وذكر
قوله عجوزا على انها قد عسيت في الكفر ودامت فيه الى ان صارت عجوزا ومن الغابرين
صفة اي من الباقين من لداتها واهل بيتها قاله ابو عبيدة وقال قتادة من
الباقين في العذاب النازل بهم وتقدم الغابر في غير ذا انه يستعمل بمعنى بقي وهو
المشهور وبمعنى مضى ونجاته عليه السلام ان امره تعالى بالرحلة ليلا وكانت امرأته
كافرة تعين عليه قومه فاصابها حجر فهلكت فيمن هلك قال قتادة امطر الله على
شذاذ القوم الحجارة من السماء فاهلكهم وقال قتادة اتبع الائتفاك مطرا من
الحجارة وساء بمعنى بئس والمخصوص بالذم محذوف اي مطرهم وقال مقاتل خسف الله
بقوم لوط وارسل الحجارة الى من كان خارجا من القرية ولم يكن فيها مؤمن الا بيت
لوط ۞ كذب اصحاب الايكة المرسلين • اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم
رسول امين • فاتقوا الله واطيعون • وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين • اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين • وزنوا بالقسطاس
المستقيم • ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين • قالوا انما انت من المسحرين • وما انت الا
بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين • فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت
من الصادقين • قال ربي اعلم بما تعملون • فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
انه كان عذاب يوم عظيم • ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان
ربك لهو العزيز الرحيم • ثم قوله الحرميان وابن عامر ليكة هنا وفي ص بغير لام ممنوع
الصرف وقرأ باقي السبعة الايكة بلام التعريف فاما قراءة الفتح فقال ابو عبيد وجدنا
في بعض التفسير ان ليكة اسم للقرية والايكة البلاد كلها كمكة وبكة ورأيتها في الامام
مصحف عثمان في الحجر وق الايكة وفي الشعراء وص ليكة واجتمعت مصاحف
الامصار كلها بعد على ذلك ولم تختلف انتهى وقد طعن في هذه القراءة المبرد وابن
قتيبة والزجاج وابو علي الفارسي والنحاس وتبعهم الزمخشري ووهموا القراء وقالوا
حملهم على ذلك كون الذي كتب في هذين الموضعين على اللفظ في من نقل حركة الهمزة
الى اللام واسقط الهمزة فتوهموا ان اللام من بنية الكلمة ففتح الياء وكان الصواب
ان يجر ثم مادة ل ي ك لم يوجد منها تركيب فهي مادة مهملة كما اهملوا مادة خ ذ ج
منقوطات وهذه نزعة اعتزالية يعتقدون ان بعض القراءة بالرأي لا بالرواية
وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله
اما نافع فقرأ على سبعين من التابعين وهم عرب فصحاء ثم هي قراءة اهل المدينة
قاطبة واما ابن كثير فقرأ على سادة التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره وقد
قرأ عليه امام البصرة ابو عمرو بن العلاء وسأله بعض العلماء اقرأت على ابن كثير

قوله عز وجل كذب اصحاب

قال نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد وكان ابن كثير اعلم من مجاهد
باللغة قال ابو عمرو ولم يكن بين القراءتين كبير يعني خلافا واما ابن عامر فهو
امام اهل الشام وهو عربي قح قد سبق اللحن اخذ عن عثمان وعن ابي الدرداء وغيرهما
فهذه امصار ثلاثة اجتمعت على هذه القراءة الحرمان مكة والمدينة والشام واما كون
هذه المادة مفقودة في كلام العرب فان صح ذلك كانت الكلمة عجمية ومواد كلام
العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية
والعجمة والتانيث وتقدم مدلول لايكة في الحجر وكان شعيب عليه السلام من
اهل مدين فلذلك جاء والى مدين اخاهم شعيبا ولم يكن من اهل الايكة فلذلك قال
هنا اذ قال لهم شعيب ومن غريب النقل ما روي عن ابن عباس ان اصحاب الايكة
هم اصحاب مدين وعن غيره ان اصحاب الايكة هم اهل البادية واصحاب مدين هم
الحاضرة وروي في الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة امرهم
بايفاء الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف ولم يذكر الزيادة على الواجب
لان النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد احسن ومن تركه فلا حرج وتقدم تفسير القسطاس
في سورة الاسراء وقال الزمخشري ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة
فوزنه فعلاس والا فهو رباعي انتهى ولو تكرر ما يماثل العين في النطق لم يكن عند
البصريين الا رباعيا وقال ابن عطية هو مبالغة من القسط انتهى والظاهر ان قوله
وزنوا هو امر بالوزن اذ عادل قوله اوفوا الكيل فشمل ما يكال وما يوزن
مما هو معتاد فيه ذلك وقال ابن عباس ومجاهد معناه عدلوا اموركم كلها بميزان
العدل الذي جعله الله لعباده ولا تبخسوا الناس اشياءهم الجملة والتي
تليها تقدم الكلام عليهما ولما تقدم امره عليه السلام اياهم بتقوى الله امرهم
ثانيا بتقوى من اوجدهم واوجد من قبلهم تنبيها على ان من اوجدهم قادر على ان يعذبهم
ويهلكهم وعطف عليهم والجبلة ايذانا بذلك فكانه قيل يصيركم الى ما صار اليه
اولئكم فاتقوا الله الذي تصيرون اليه وقرا الجمهور والجبلة بكسر الجيم والباء
وشد اللام وقرا ابو حصين والاعمش والحسن بخلاف عنهما بضمهما
والشد للام وقرا السلمي والجبلة بكسر الجيم وسكون اللام وفي نسخة عنه فتح الجيم
وسكون الباء وهي من جبلوا على كذا اي خلقوا قيل وتشديد اللام في القراءتين في بناء
للمبالغة وعن ابن عباس الجبلة عشرة آلاف ۝ وما انت جاء هنا بالواو وفي قصة
ثمود ما انت بغير واو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما
مخالف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز
ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم تقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه
بشرا انتهى وان نظنك لمن الكاذبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام في لمن هي
الفارقة خلافا للكوفيين فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وتقدم الخلاف
في نحو ذلك في قوله وان كانت لكبيرة في البقرة ثم طلبوا منه اسقاط كسف من
السماء عليهم ولم يرد ذلك فالمعنى ان كنت صادقا فادع الذي ارسلك ان

تسقط

تسقط علينا كسفا اي قطعة او قطعا على حسب التسكين والتحريك وقال الزمخشري
وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة
وهي القطعة وكسفة قطعة والسماء السحاب او المظلة وكل طلبهم ذلك على
التصميم على الجحود والتكذيب ولما طلبوا منه ما طلبوا احاله علم ذلك الى الله
تعالى وانه هو العالم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فهو يعاقبكم
بما شاء فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو نحو مما اقترحوا ولم يذكر الله كيفية
عذاب يوم الظلة حتى ان ابن عباس قال من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد
كذب وذكر في حديثها تطويلات فروي انه حبس عنهم الريح سبعا فابتلوا بحر
عظيم ياخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية
فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاحرقتهم وكرر ما كرر في اوائل هذه القصص تنبيها على ان طريقة الانبياء
واحدة لا اختلاف فيها وهي الدعاء الى توحيد الله وعبادته ورفض ما سواه وانهم ورسول
صلى الله عليه وسلم مشتركون في ذلك وان ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت
به الرسل قبله وتلك عبادة الانبياء قال ابن عطية وجاءت الالفاظ في دعاء
كل واحد من هؤلاء الانبياء واحدة بعينها اذ كان الايمان المدعو اليه معنى واحدا
بعينه وقال الزمخشري فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول
كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من
الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق الى ان تفتتح بمثل
ما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بمثل ما اختتمت به ولان التكرير
تقرير للمعاني في النفوس وتثبيت لها في الصدور ولان هذه القصص طرقت بها
آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فاوثرت بالوعظ
والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير ۝ وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربي مبين • اولم يكن
لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين • فقراه عليهم ما
كانوا به مؤمنين • كذلك سلكناه في قلوب المجرمين • لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم • فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون • فيقولوا هل نحن
منظرون • افبعذابنا يستعجلون • افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون • ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون • وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون • ذكرى وما كنا ظالمين • الضمير في وانه عائد على
القرآن اي انه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من عند الله وكانه عاد ايضا
الى ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما ياتيهم من الذكر ليتناسب
المفتتح والمختتم وقرا الحرميان وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين
مرفوعان وباقي السبعة بالتشديد ونصبهما والروح هنا جبريل وتقدم في
سورة مريم لم اطلق عليه الروح وبه قال ابن عطية في موضع الحال كقوله وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به انتهى والظاهر تعلق على قلبك ولتكون

قوله عز وجل وانه لتنزيل

نزل وخص القلب والمعنى عليك لانه محل الوعي والتثبيت وليعلم ان المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير وليكون علة في التنزيل او لتنزل اقتصر عليه لان ذلك ازجر للسامع وان كان القرآن نزل للانذار والتبشير والظاهر تعلق بلسان بنزل فكان يسمع من جبريل حروفا عربية قال ابن عطية وهو القول الصحيح وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده واغلاظه ويمكن ان يتعلق بقوله ليكون وتمسك بهذا من راى ان النبي عليه السلام كان يسمع احيانا مثل صلصلة الجرس يتفهم له منه القرآن وهذا مردود انتهى وقال الزمخشري بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى ليكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي المبين لينذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا وقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغتها التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني تلك الكلم يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين انتهى وفيه تطويل وانه اي القرآن لفي زبر الاولين اي مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبه عليه مشار اليه وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها **وقيل** الضمير عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ان ذكره ورسالته في الكتب الالهية المتقدمة ويكون التفاتا اذ خرج من ضمير الخطاب في قوله على قلبك لتكون الى ضمير الغيبة وكذلك قيل في ان يعلمه اي ان يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم وتناسق الضمائر لشيء واحد اوضح **وقرا** الاعمش لفي زبر بسكون الباء والاصل الضم ثم احتج عليهم بانهم كانت ينبغي ان يصح عندهم امره كون علماء بني اسرائيل يعلمونه اي ولم يكن لهم علامة على صحته علم بني اسرائيل به اذ كانت قريش ترجع في كثير من الامور النقلية الى بني اسرائيل ويسالونهم عنها ويقولون هم اصحاب الكتب الالهية وقد تهود كثير من العرب وتنصر كثير لاعتقادهم في صحة دينهم وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان اهل مكة بعثوا الى احبار يثرب يسالونهم عن النبي فقالوا هذا زمانه ووصفوا نعته وخلطوا في امر محمد عليه السلام فنزلت الاية في ذلك ويؤيد هذا كون الاية مكية وقال مقاتل هي مدنية وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد وذلك ان جماعة منهم اسلموا ونصوا على مواضع من التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول عليه السلام قال تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا

الاية

الاية **وقيل** علماء وهم من اسلم منهم ومن لم يسلم وقيل انبياء وهم حيث بنهوا عليه واخبروا بصفته وزمانه ومكانه **وقرا** الجمهور اولم يكن بالياء من تحت اية بالنصب وهي قراءة واضحة الاعراب توسط خبر يكن وان يعلمه هو الاسم **وقرا** ابن عامر والجحدري تكن بالتاء من فوق اية بالرفع قال الزمخشري جعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان تكون لهم اية جملة الشان وان يعلمه بدلا من اية انتهى **وقرا** ابن عباس تكن بالتاء من فوق اية بالنصب كقراءة من قرا ثم لم تكن فتنتهم بالنصب الا ان قالوا **وكقول لبيد**

مضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها

وذلك اما على تانيث الاسم لتانيث الخبر واما التاويل ان يعلمه بالمعرفة وتاويل الا ان قالوا بالمقالة وتاويل الاقدام بالاقدامة **وقرا** الجحدري ان تعلمه بتاء التانيث كما **قال الشاعر**

قالت بنو عامر خالوا بني اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام

وكتب في المصحف علموا بواو بين الميم والالف قيل على لغة من يميل الف علموا الى الواو كما كتبوا الصلوة والزكاة والربوا على تلك اللغة قال الزمخشري الاعجمي الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة توكيد وقال ابن عطية الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله بن مطيع انه قال حين قرا هذه الاية وهو واقف بعرفة جملي هذا اعجم فلو انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس انتهى وفي التحرير الاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع سلامة قيل والمعنى ولو نزلناه بلغة العجم على رجل اعجمي فقراه على العرب لم يؤمنوا به حيث لم يفهموه واستنكفوا من اتباعه **وقيل** ولو نزلنا القرآن على بعض البهائم من الدواب فقراه عليهم لم يؤمنوا لعنادهم لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وجمع جمع السلامة لانه وصف بالانزال عليه والقراءة وهو فعل العقلاء **وقيل** ولو نزل على بعض الاعاجم فقراه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم تؤمن به لانهم كذلك هؤلاء لانهم كالانعام بل هم اضل سبيلا انتهى ولما بين بما تقدم من ان هذا القرآن في كتب الاولين وان علماء بني اسرائيل يعلمون ذلك وكان ذلك دليلين على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان هؤلاء الكفار لا تجدي فيهم الدلائل الا ترى نزوله على رجل عربي بلسان عربي وسمعوه وفهموه وادركوا اعجازه وتصديق كتب الله القديمة له ومع ذلك جحدوا وسموه تارة شعرا وتارة سحرا ولو نزل على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية لكفروا به وتمحلوا لجحوده وقال الفراء الاعجمين جمع اعجم او اعجمي على حذف ياء النسب كما قالوا الاشعرين واحدهم اشعري

فلان بن الجهم قال الكميت ٥
ولو جرت قافية شرودا • لقد دخلت بيوت الاشعرينا ٥
انتهى وقرأ الحسن وابن مقسم الاعجميين بيا النسب جمع اعجمي والضمير في سلكناه الظاهر
انه عائد على ما عادت عليه الضمائر قبل وهو القرآن وقاله الرماني والمعنى مثل
ذلك السلك وهو الادخال والتمكين والتفهيم لمعانيه سلكناه ادخلناه ومكناه
في قلوب المجرمين والمعنى ما ترتب على ذلك السلك من كونهم فهموه وادركوه ولم يزدهم
ذلك الا عنادا وجحودا وكفرا به اي على مثل هذه الحالة وهذه الصفة من الكفر به
والتكذيب له كما وضعناه فيها فكيف ما يرام ايمانهم به لم يتغيروا عما هم عليه من
الانكار والجحود كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية وقال الكرماني
ادخلناه فيها فعرفوا معانيه وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يؤمنوا به وقال
يحيى بن سلام الضمير في سلكناه يعود على التكذيب فذلك الذي منعهم من الايمان
انتهى ويقويه قوله فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال الحسن الضمير
يعود على الكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين وقال الحسن الضمير
يعود على الكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين انتهى وهو قريب من القول
الذي قبله وقال عكرمة سلكناه اي القسوة واسند السلك تعالى اليه
لانه هو موجد الاشيا حقيقة وهو الهادي وخالق الضلال وقال الزمخشري
فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به
الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكين واثبته فجعله بمنزلة امر قد
جبلوا عليه الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان
الامور الخلقية ابنت من العارضية والدليل عليه انه اسند ترك الايمان
به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به انتهى وهو على طريقة الاعتزال والتشبيه بين
السلكين يقتضي تغايرهما فحل به فالمعنى مثل ذلك السلك في قلوب قريش سلكناه
في قلوب من اجرم لاشتراكهما في علة السلك وهو الاجرام قال ابن عطية اراد بهم
مجرمي كل امة ان هذه عادة الله فيهم انهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب
فلا ينفعهم الايمان بعد تلبس العذاب بهم وهذا على جهة المثال لقريش اي هولاء
كذلك وكشف الغيب بما تضمنته الاية يوم بدر قال الزمخشري فان قلت
ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه
موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع بما يقرر
هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز
ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به انتهى ورويتهم العذاب قيل في الدنيا
وقيل يوم القيمة وقراه الجمهور فياتيهم بيا اي العذاب وقراه الحسن وعيسى
بتا التانيث انث على معنى العذاب لان العقوبة اي فتاتيهم العقوبة
كما قال اتته كتابي فلما سئل قال اوليس بصحيفة وقال الزمخشري فتاتيهم
بالتا يعني الساعة وقال ابو الفضل الرازي انث العذاب لاشتماله
على الساعة فاكتسى منها التانيث وذلك لانهم كانوا يسالون عذاب القيمة

تكذيبا بها فلذلك انث انتهى ولا يكتسي المذكر من المونث تانيثا الا ان كان مضافا اليه
نحو اجتمعت اهل اليمامة وقطعت بعض اصابعه وشرقت صدر القناة وليس كذلك
وقرا الحسن بغتة بفتح الغين فتاتيهم بالتا مرفوق يعني الساعة وقال
الزمخشري فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فتاتيهم بغتة قلت ليس
المعنى يراد برويتهم العذاب ومفاجاته وسوالهم النظرة فيه الوجود وانما المعنى
ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقرآن حتى تكون رويتهم العذاب
فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة
ومثل ذلك ان تقول ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد
بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى
ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما
هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع هذا في هذا الاسلوب فيحل موقعه
انتهى فيقولوا اي كل امة معذبة هل نحن منظرون اي مؤخرون وهذا على جهة
التمني منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة ثم رجع لفظ الاية الى توبيخ قريش على
استعجالهم عذاب الله في طلبهم سقوط السما كسفا وغير ذلك وقولهم للرسول
ايتنا بما تعدنا به وقال الزمخشري افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار
وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو
فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا
حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه
حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب
انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة
وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل
الطويل ثم قال وهب ان الامر كما تعتقدون من تمتعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد
بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم انتهى وقيل
اتبع قوله فتاتيهم بغتة بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فيقولوا هل
نحن منظرون كما يستغيث المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا
ملجا لكنهم يقولون ذلك استرواحا وقيل يطلبون الرجعة حين يغشاهم
عذاب الساعة فلا يجابون اليها ٥ افرايت ان متعناهم سنين خطاب
للرسول باقامة الحجة عليهم في ان مدة الارجا والامهال والاملا لا تغني
اذا نزل العذاب بعدها وقال عكرمة سنين عمر الدنيا انتهى وتقرر
في علم العربية ان ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني تعدت الى مفعولين احدهما
منصوب والاخر جملة استفهامية في الغالب تقول العرب ارايت زيدا
ما صنع وما جاء هنا ظاهره خلاف ذلك اول وتقدير الكلام على ذلك حسبما
في اوايل سورة الانعام وتقول هنا مفعول ارايت محذوف لانه تنازع
عليه ما يوعدون ارايت وجاهم فاعمل الثاني فهو مرفوع بجاهم ويجوز
ان يكون منصوبا بارايت على اعمال الاول واضمر الفاعل في جاهم والمفعول

الثاني متوقوله ما اغنى عنهم وما استفهامية اي اي شيء اغنى عنهم تمتعهم في تلك
السنين التي متعوها وفي الكلام محذوف يتضمن الضمير العائد على المفعول الاول
اي اي شيء اغنى عنهم تمتعهم حين حل اي الموعود به وهو العذاب وظاهرها فتريه
المفترون ما اغنى ان تكون ما نافية والاستفهام قد ياتي متضمنا معنى النفي
كقوله هل يهلك الا القوم الظالمون بعد قوله ارايتكم في سورة الانعام
اي ما يهلك الا القوم الظالمون وجوز ابو البقا فيهما ان تكون استفهاما
ونافية **وقرئ** يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء ثم اخبر تعالى انه
لم يهلك قرية من القرى الا وقد ارسل اليها من ينذرها عذاب الله اذ هي عصت
ولم تومن كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجمع منذرون لان
من قرية عام في القرى الظالمة كانه قيل وما اهلكنا القرى الظالمة والجملة
من قوله لها منذرون في موضع الحال من قرية والاعرب ان تكون لها في موضع
الحال وارتفع منذرون بالمجرور اي الا كاينا لها منذرون فيكون من مجي الحال
مفردا لا جملة ومجي الحال من المنفي كقولك ما مررت باحد لا قائما فصيح وقال
الزمخشري **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في
قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم **قلت** الاصل عزل الواو
لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في
قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهى ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز ان تجي
صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجي الصفة بعد الا معتمدة على اداة
الاستثنا نحو ما جاني احد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل اي
الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد
الا قائما ولا يحفظ من كلامها ما مررت باحد الا قائم فلو كانت الجملة في موضع
الصفة للنكرة لورد المعرفة بعد الا نحو ما جاني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير
ما جاني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة
بالموصوف فغير معهود في كلام النحويين لو قلت جاني رجل وعاقل على ان يكون
وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها
على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر واما وثامنهم
كلبهم فتقدم الكلام عليه في موضعه وذكرى منصوب على الحال عند الكسائي
وعلى المصدر عند الزجاج فعلى الحال اما ان يقدر ذوي ذكرى او مذكرين
وعلى المصدر فالعامل منذرون لانه في معنى مذكرون ذكرى اي تذكرة واجاز
الزمخشري في ذكرى ان تكون مفعولا له قال على معنى انهم ينذرون لاجل
الموعظة والتذكرة وان تكون مرفوعة صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا
ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها واجاز هو وابن عطية ان تكون
مرفوعة على خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية قال
الزمخشري ووجه اخر وهو ان تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى

لقاء

وما

وما اهلكنا من قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون
تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما
غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول انتهى وهذا لا معول عليه لان مذهب الجمهور
ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له
غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيدا خير من عمرو والمفعول له ليس
واحدا من هذه الثلاثة فلا يجوز ان يتعلق باهلكنا ويتخرج جواز ذلك على مذهب
الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته ۝ وما تنزلت الشياطين

قوله عز وجل وما تنزلت

به وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون ۝ فلا تدع مع الله الها
اخر فتكون من المعذبين ۝ وانذر عشيرتك الاقربين ۝ واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين ۝ فان عصوك فقل اني بري مما تعملون ۝ وتوكل على
العزيز الرحيم ۝ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع
العليم ۝ هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ۝ يلقون
السمع واكثرهم كاذبون ۝ والشعرا يتبعهم الغاوون ۝ الم تر انهم في كل واد
يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ۝ الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
۝ كان مشركو قريش يقولون ان لمحمد تابعا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة فنزلت
والضمير في به يعود على القران بل نزل به الروح الامين **وقرا** الحسن الشياطون
وتقدمت في البقرة وقد ردها ابو حاتم والفرا قال ابو حاتم هي غلط منه
او عليه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي هو غير
جائز في العربية وقال الفرا غلط الشيخ ظن انها النون التي على هجائين
فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول
الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقراها الا وقد سمعا
فيه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورا
ورايها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن انتهى ووجهت هذه
القراءة بانه لما كان اخره كاخر يبرين وفلسطين فكما اجري اعراب هذا على النون
تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون اجري
ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا الشياطين والشياطون وقال
ابو فيد مورج السدوسي ان كان اشتقاقه من شاط اي احترق يشيط شوطة كانت
لقراءتهما وجه قيل ووجهها ان بنا المبالغة منه شياط وجمعه الشياطون
فخففا الياء وقد روي عنهما التشديد **وقرا** به غيرهما انتهى **وقرا** الاعمش
الشياطون كما قراه الحسن وابن السميفع فهولاء الثلاثة من نقلة القران قراوا
ذلك ولا يمكن ان يقال غلطوا لانهم من العلم ونقل القران بمكان ۝ وما احسن
ما ترتب نفي هذه الجمل نفي اولا تنزيل الشياطين به والنفي في الغالب يكون
في الممكن وان كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقران ثم نفى ابتغا ذلك
والصلاحية اي ولو فرض الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفى قدرتهم على ذلك

وانه مستحيل في حقهم التنزل به فانتفى من نفي الامكان الذي نفي الصلاحية الذي نفي القدرة
والاستطاعة وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به ثم علل انتفاء ذلك عن
استماع كلام اهل السماء مرجومون بالشهب ثم قال فلا تدع مع الله الها آخر
والخطاب في الحقيقة للسامع لانه تعالى قد علم ان ذلك لا يمكن ان يكون من الرسول
عليه السلام ولذلك قال المفسرون المعنى قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله الها
آخر ثم امره تعالى بانذار عشيرته والعشيرة تحت الفخذ فوق الفصيلة ونبه
على العشيرة وان كان مأمورا بانذار الناس كافة كما قال انما انذر الناس
لان في انذارهم وهم عشيرته محاباة ولطف بهم وانهم والناس في ذلك شرع
واحد في التخويف والانذار فاذا كانت القرابة قد خوفوا وانذروا مع ما يلحق
الانسان في حقهم من الرأفة كان غيرهم في ذلك اوكد وادخل ولان البداءة
تكون بمن يليه ثم من بعده كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وكما قال عليه
السلام حين دخل مكة كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين فاول
ما اضعه ربا العباس اذ العشيرة مظنة الطواعية ويمكنه من الغلظة عليهم
ما لا يمكنه مع غيرهم وهو له اشد احتمالا وامتثل صلى الله عليه وسلم ما امره به
ربه من انذار عشيرته فنادى الاقرب فالاقرب فخذا وروي عنه في ذلك
احاديث واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين تقدم الكلام على هذه الجملة
في آخر الحجر وهو كناية عن التواضع و**قال بعض الشعراء** ۵

وانت الشهير بخفض الجناح * فلا تك في رفعه اجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع والاجدل الصقر ومن المؤمنين عام في عشيرته وغيرهم
ولما كان الانذار يترتب عليه اما الطاعة واما العصيان جاء التقسيم عليهما
فكان المعنى ان من اتبعك مؤمنا فتواضع له فلذلك جاء قسيمه فان عصوك فتبرأ
منهم ومن اعمالهم وفي هذا موادعة نسختها آية السيف ۵ والظاهر عود
الضمير المرفوع في عصوك على من امر بانذارهم وهم العشيرة والذي برئ منه
هو عبادتهم الاصنام واتخاذهم الها آخر **وقيل** الضمير يعود على من اتبعه
من المؤمنين اي فان عصوك يا محمد في الاحكام وفروع الاسلام بعد تصديقك
والايمان بك فقل اني بريء مما تعملون لا منكم اي اظهر عدم رضاك بعملهم وانكارك
عليهم ولو امره بالبراءة منهم ما بقي بعد هذا شفيعا للعصاة ثم امره تعالى
بالتوكل **وقرأ** نافع وابن عامر وابو جعفر وشيبة فتوكل بالفاء وباقي السبعة
بالواو وناسب الوصف بالعزيز وهو الذي لا يغالب وبالرحيم وهو الذي
يرحمك وهاتان الصفتان هما اللتان جاءتا في اواخر قصص هذه السورة
فالتوكل على من هو بهذين الوصفين كافيه شر من يعصيه من هؤلاء وغيرهم فهو
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته والتوكل هو تفويض الامر الى من
يملك الامر ويقدر عليه ثم وصف بانه الذي انت منه بمرأى وذلك من رحمته
بك ان اهلك لعبادته وما تفعله من تهجدك واكثر المفسرين منهم ابن عباس
على ان المعنى حين تقوم الى الصلاة **وقرأ** الجمهور وتقلبك مصدر تقلب

وعطف

وعطف على الكاف في يراك **وقرأ** جناح بن حبيش وتقلبك مضارع قلب مشددا
عطفا على يراك وقال مجاهد وقتادة في الساجدين في المصلين وقال ابن عباس
في اصلاب آدم ونوح وابراهيم حتى خرجت وقال عكرمة يراك قائما وساجدا
وقيل معنى تقوم تخلو بنفسك وعن مجاهد ايضا المراد تقلب بصرك فيمن يصلي
خلفه كما قال اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلفي وفي الوجيز لابن عطية
ظاهر الآية انه يريد قيام الصلاة **ويحتمل** ان يريد سائر التصرفات وهو تأويل
مجاهد وقتادة وفي الساجدين اي صلاتك مع الساجدين قاله ابن عباس
وعكرمة وغيرهما وقال ابن عباس ايضا وقتادة اراد وتقلبك في المؤمنين فعبر
عنهم بالساجدين ۵ وقال ابن جبير اراد الانبياء اي تقلبك كما تقلب غيرك
من الانبياء وقال الزمخشري ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن
سر امرهم وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل
الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله
والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون **وقيل** معناه يراك حين تقوم
للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم لقيامه
وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة هل
تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فتلا هذه الآية **ويحتمل** انه لا يخفى على
حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انتهى انه هو
السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وذهبت الرافضة الى ان آباء
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين واستدلوا بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قالوا فاحتمل الوجوه التي ذكرت واحتمل ان يكون المراد انه تعالى نقل روحه
من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن فاذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية
على الكل ضرورة لانه لا منافاة ولا رجحان وبقوله عليه السلام لم ازل انقل
من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله
تعالى انما المشركون نجس فاما قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فلفظ
الاب قد يطلق على العم كما قالوا ابناء يعقوب له نعبد الهك واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق سموا اسمعيل ابا مع انه كان عما له ۵ قل هل انبئكم
اي قل يا محمد هل اخبركم وهذا الاستفهام توقيف وتقرير وعلى من متعلق بتنزل
والجملة المتضمنة معنى الاستفهام في موضع نصب لانبئكم لانه معلق لانه بمعنى
اعلمكم فان قدرتها متعدية لاثنين كانت سدت مسد المفعول الثاني وان
قدرتها متعدية لثلاثة كانت سدت مسد الاثنين والاستفهام اذا علق عنه
العامل لا يبقى على حقيقة الاستفهام وهو الاستعلام بل يؤول معناه الى الخبر الا
ترى انك اذا قلت علمت ازيد في الدار ام عمرو كان المعنى علمت احدهما في الدار
فليس المعنى انه صدر منه علم ثم استعلم المخاطب عن تعيين من في الدار من زيد

وعرفوا المعنى هل انبئكم على من تنزل الشياطين عليه لا انه اشتغل المخاطبين عن التمحض
الذي تنزل الشياطين عليه ولما كان المعنى هذا جاء الاخبار بقوله تنزل على كل
افاك اثيم كانه لما قال هل اخبركم بكذا قيل له اخبرنا فقال تنزل على كل افاك
وهو الكثير الافك وهو الكذب كثير الاثم فافاك اثيم صفتا مبالغة والمراد الكهنة
والضمير في يلقون يحتمل ان يعود الى الشياطين اي ينصتون ويصغون باسماعهم
ليسترقوا شيئا مما يتكلم به الملائكة حتى ينزلوا بها الى الكهنة او يلقون السمع
اي المسموع الى من يتنزلون عليه واكثرهم اي واكثر الشياطين الملقين كاذبون
فعلى معنى الانصات يكون استيناف اخبار وعلى القاء المسموع الى الكهنة احتمل
الاستيناف واحتمل ان يكون حالا من الشياطين اي تنزل على كل افاك اثيم ملقين
ما سمعوا ويحتمل ان يعود الضمير في يلقون على كل افاك اثيم وجمع الضمير لان كل افاك
فيه عموم وتحته افراد واحتمل ان يكون المعنى يلقون سمعهم الى الشياطين ليتلقوا
منهم ما يقرونه في اسماعهم وان يكون يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس
واكثرهم اي اكثر الكهنة كاذبون كما جاء انهم يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة
التي سمعت من السماء فيخلطون معها مائة كذبة فاذا صدقت تلك الكلمة كانت
سبب ضلالة لمن سمعها وعلى كون الضمير عائدا على كل افاك احتمل ان يكون
يلقون استيناف اخبار عن الافاكين واحتمل ان يكون صفة لكل افاك ولا
تعارض بين قوله كل افاك وبين قوله واكثرهم كاذبون لان الافاك هو الذي
يكثر الكذب ولا يدل ذلك على انه لا ينطق الا بالافك فالمعنى ان الافاكين
من صدق منهم فيما يحكي عن الجني فاكثرهم مفتر قال الزمخشري **فان قلت** وانه
لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين
لم فرق بينهن وهن اخوات **قلت** اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن
ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى
الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث
وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه
انتهى ولما ذكر الكهنة بافكهم الكثير وحالهم المقتضية نفي كلامهم القرآن اذ قال
بعض الكفار في القرآن انه شعر كما قالوا في الرسول انه كاهن وان ما اتى
به من باب الكهانة كما قال تعالى وما هو بقول كاهن وقال وما هو بقول
شاعر فقال والشعراء يتبعهم الغاوون قيل هي في امية بن ابي الصلت
وابي عزة ومسافع الجمحي وهبيرة بن ابي وهب وابي سفيان بن الحرث وابن الزبعرى
وقد اسلم ابن الزبعرى وابو سفيان والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر والمذموم من
يهجو ويمدح شهوة محرمة ويقذف المحصنات ويقول الزور وما لا يسوغ
شرعا وقرأ عيسى والشعراء نصبا على الاشتغال والجمهور رفعا على الابتداء
والخبر وقرأ السلمي والحسن بخلاف عنه ونافع يتبعهم مخففا وباقي السبعة
مشددا وسكن العين الحسن وعبد الوارث عن ابي عمرو وروى هرون نصبها
عن بعضهم وهو شاذ والغاوون قال ابن عباس الرواة وقال ايضا

المستحسنون

المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال عكرمة الرعاع الذين يتبعون
الشاعر وقال مجاهد وقتادة الشياطين وقال عطية السفهاء المشركون
يتبعون شعراءهم ألم تر انهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب
من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد
فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا
التقي وقال ابن عباس هو تفننهم الحسن وتحسينهم القبيح وانهم يقولون ما لا
يفعلون وذلك لغلوهم في افانين الكلام ولهجهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة
قد ينسبون لانفسهم ما لا يقع منهم وقد درأ الحد في الخمر عمر بن الخطاب عن النعمان
ابن عدي في شعر قاله لزوجته حين احتج عليه بهذه الآية وكان قد ولاه بيسان
فعزله واراد ان يحده والفرزدق بن عبد الملك ۝

فبتن كأنهن مصرعات ۝ وبت أفض اغلاق الختام ۝

فقال له سليمان لقد وجب عليك الحد فقال لقد درأ الله عني الحد بقوله
وانهم يقولون ما لا يفعلون اخبر تعالى عن الشعراء بالاحوال التي تخالف حال
النبوة اذ امرهم كما ذكر من اتباع الغواة لهم وسلوكهم افانين الكلام من مدح الشيء
وذمه ونسبة ما لا يقع منهم اليهم وذلك بخلاف حال النبوة فانها طريقة واحدة
لا يتبعها الا الراشدون ودعوة الانبياء واحدة وهي الدعاء الى توحيد الله وعبادته
والترغيب في الآخرة والصدق هذا مع ان ما جاؤا به لا يمكن ان يجيء به غيرهم
من ظهور المعجز ولما كان ما سبق ذما للشعراء واستثنى منهم من اتصف بالايمان
والعمل الصالح والاكثار من ذكر الله وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا نظموا
شعرا كان في توحيد الله والثناء عليه وعلى رسوله وصحبه والموعظة والزهد
والآداب الحسنة وتسهيل علم وكل ما يسوغ القول فيه شرعا فلا يتلطخون في قوله
بذنب ولا منقصة والشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقال رجل
علوي لعمرو بن عبيد ان صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا بأس به
وقيل المراد بالمستثنين حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب
ابن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام لكعب
ابن مالك اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وقال لحسان قل
وروح القدس معك ومن هذا معنى قوله وانتصروا اي بالقول فيمن ظلمهم وقال
عطاء بن يسار وغيره لما نزلت الشعراء بقوله والشعراء الاية شق ذلك على حسان
وابن رواحة وكعب بن مالك وذكروا ذلك للرسول فنزلت آية الاستثناء
بالمدينة وخص ابن زيد قوله وذكروا الله كثيرا فقال اي في شعرهم وقال ابن عباس
صار خلقا لهم وعادة كما قال لبيد حين طلب منه شعر ان الله ابدلني
بالشعر القرآن خيرا منه ولما ذكروا انتصروا من بعد ما ظلموا توعد الظالمين
هذا التوعد العظيم الهائل الصادع للاكباد وابهم في قوله اي منقلب ينقلبون
ولما عهد ابو بكر لعمر رضي الله عنهما تلا عليه وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
وكان السلف الصالح يتواعظون بها والمفهوم من الشريعة ان الذين ظلموا هم الكفار

وقال الزمخشري وتفسير الظلم بالكفر تعليل وكان ذكر قبل ان الذين ظلموا مطلق ومذا منه على طريق الاعتزال **وقرأ** ابن عباس وابن ارقم عن الحسن اي منفلت ينفلتون بفاء وتاء من ومعناه ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة وسيعلم هنا معلقة واي منقلب استفهام والناصب له ينقلبون وهو مصدر والجملة في موضع المفعول لسيعلم وقال ابو البقاء اي منقلب مصدر نعت لمصدر محذوف والعامل ينقلبون انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه يعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله انتهى ومذا تخليط لان ايا اذا وصف بها لم يكن استفهاما بل اي الموصوف بها قسيم لاي المستفهم بها لا قسم فاي تكون شرطية واستفهامية وموصولة ووصفا وعلى مذهب الاخفش موصوفة بنكرة نحو مررت باي معجب لك وتكون مناداة وصلة لنداء ما فيه الالف واللام نحو يا ايها الرجل والاخفش يزعم ان التي في النداء موصولة ومذهب الجمهور انها قسم برأسه والصفة تقع حالا من المعرفة فهذه اقسام اي فاذا قلت قد علمت اي ضرب يضرب فهي استفهامية لا صفة لمصدر محذوف

المفردات

الوزع اصله الكف والمنع يقال وزعه يزعه وحنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن وقول الحسن لا بد للقاضي من وزعة

وقول الشاعر

ومن لم يزعه لبه وحياؤه فليس له من شيب فوديه وازع

النمل جنس واحده نملة ويقال بضم الميم فيهما وبضم النون مع ضم الميم وسمي بذلك لكثرة تمله وهو حركته **الحطم** الكسر قاله النحاس **التبسم** ابتداء الضحك وتفعل فيه بمعنى المجرد وهو بسم **قال الشاعر**

وتبسم عن المي كان منورا تخلل حر الرمل دعص له ند

وقال آخر ابدي نواجذه لغير تبسم **التفقد** طلب ما فقدته وغاب عنك **الهدهد** طائر معروف وتصغيره على القياس هديهد وزعم بعضهم ان الياء ابدلت الثانية في التصغير فقيل هداهد **قال الشاعر**

كهداهد كسر الرماة جناحه كما قالوا دوابة وشوابة يريدون دويبة وشويبة

سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو يصرف ولا يصرف اذا صار اسما للحي والقبيلة او البقعة التي تسمى مارب سميت باسم الرجل **الخبء** الشيء المخبوء من خبأت الشيء خبأ سترته وسمي المفعول بالمصدر **الهدية** ما سيق الى الانسان مما يتحف به على سبيل التكرمة **العفريت** والعفر والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد **قال الشاعر**

كأنه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب

الصرح القصر او صحن الدار او ساحتها او البركة او البلاط المتخذ من القوارير اقوال تأتي في التفسير **الساق** معروف يجمع على اسوق في القلة وعلى سووق وسوق في الكثرة وهمزة لغة **الممرد** المملس ومنه الامرد وشجرة مرداء لا ورق عليها **القوارير** جمع قارورة وهي

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم • طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون • ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون • وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم • اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون • فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين • يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم • والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون • الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم • وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين • فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين • وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين • هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبة اول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لانه قال وما تنزلت به الشياطين وقبله وانه لتنزيل رب العالمين وقال هنا طس تلك ايات القرآن اي الذي هو تنزيل رب العالمين واضاف الايات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم عظيم والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو تبينه للناظرين واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف ونكر وكتاب مبين ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله في مقعد صدق واذا اريد به القرآن فعطفه من عطف احدى الصفتين على الاخرى لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث ان مدلول القرآن الاجتماع ومدلول كتاب الكتابة وقيل القرآن والكتاب اسمان علمان على المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بوصف النكرة فهو الوصف **وقيل** هما يجريان مجرى العباس وعباس فهو في الحالين اسم العلم انتهى ومذا خطأ اذ لو كان حالة تنكيره علما ما جاز ان يوصف بالنكرة الا ترى الى قوله وكتاب مبين وقرآن مبين وانت لا تقول مررت بعباس قائم تريد به الوصف **وقرأ** ابن ابي عبلة وكتاب مبين برفعهما التقدير وايات كتاب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فاعرب باعرابه وحسنا تقدم القرآن على الكتاب وفي الحجر عكسه ولا يظهر فرق وهذا كالمتعاطفين في نحو ما جاء زيد وعمرو فتارة يظهر ترجيح كقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وتارة لا يظهر كقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا قال يحيى بن سلام هدى الى الجنة وبشرى بالثواب وقال الشعبي هدى من الضلال وبشرى بالجنة وهدى وبشرى مقصوران فاحتمل ان يكونا منصوبين على الحال اي هادية ومبشرة قيل والعامل في الحال ما في تلك من معنى الاشارة واحتمل ان يكونا مصدرين واحتمل الرفع على اضمار مبتداء اي هي هدى وبشرى او على البدل من ايات او على خبر بعد خبر اي جمعت بين كونها ايات وهدى وبشرى ومعنى كونها هدى للمؤمنين زيادة هداهم

قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقيل هدى لجميع الخلق
ويكون الهدى بمعنى الدلالة والارشاد والتبيين لا بمعنى تحصيل الهدى الذي هو مقابل
الضلال وبشرى للمؤمنين خاصة وقيل هدى للمؤمنين وبشرى للمؤمنين وخصهم
بالذكر لانتفاعهم به وهم بالآخرة هم يوقنون تحتمل هذه الجملة ان تكون معطوفة
على صلة الذين ولما كان يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة مما يتجدد ولا يستغرق
الازمان جاءت الصلة فعلا ولما كان الايمان بالاخرة بما هو ثابت عندهم مستقر
الديمومة جاءت الجملة اسمية واكدت المسند اليه فيها بتكرار فقيل هم يوقنون
وجاء خبر المبتدا فعلا ليدل على الديمومة واحتمل ان تكون الجملة استينافا
اخبار قال الزمخشري ويحتمل ان تتم الصلة عنده اي عند قوله وهم قال
وتكون الجملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
من اقام الصلاة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد
جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة
حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق انتهى وقوله وتكون الجملة اعتراضية هو على غير اصطلاح
النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع الا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض
كوقوعها بين صلة وموصول وبين جزئي اسناد وبين شرط وجزائه وبين نعت
ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر حتى صار
معناها الى آخره فيه دسيسة الاعتزال وقال ابن عطية والزكوة هنا تحتمل
ان تكون غير المفروضة لان السورة مكية قديمة ويحتمل ان تكون المفروضة من غير
تفسير وقيل الزكوة هنا بمعنى الطهارة من النقايص وملازمة مكارم الاخلاق
انتهى ولما ذكر تعالى المؤمنين الموقنين بالبعث ذكر المنكرين للبعث والاشارة
ومن جرى مجراهم في انكار البعث والاعمال اما ان تكون اعمال الخير والتوحيد التي كان
الواجب عليهم ان تكون اعمالهم فعموا عنها وترددوا وتحيروا وينسب هذا القول
الى الحسن البصري او اعمال الكفر والضلال فيكون تعالى قد حبب ذلك اليهم
وزينه بان خلقه في نفوسهم فراوا تلك الاعمال القبيحة حسنة وقال الزمخشري
فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته واسنده الى الشيطان في قوله
زين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده
الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان
احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي
فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله عليهم
بذلك واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الترفه ونفارهم
عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم
واليه اشارة الملائكة في قولهم بل متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق
الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للمزين
للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات انتهى وهو تاويل على

طريق

طريق الاعتزال اولئك اشارة الى منكري البعث وسوء العذاب الظاهر انه ليس
مقيدا بالدنيا بل لهم ذلك في الدنيا والآخرة وقيل المعنى في الدنيا وفسر بما
نالهم يوم بدر من القتل والاسر والنهب وقيل ما ينالونه عند الموت وما بعده
من عذاب القبر وسوء العذاب شدته وعظمه والظاهر ان الاخسرون افعل
التفضيل وذلك انه لما كان خسر الدنيا والآخرة كما اخبر عنه تعالى وهو في الآخرة
اكثر خسرانا اذ ماله الى عقاب دائم واما في الدنيا فاذا اصابه بلاء فقد يزول
عنه وينكشف فكثرة الخسران وزيادته انما ذلك له في الآخرة وقد تترتب
الاكثرية وان كان المسند اليه واحدا بالنسبة الى الزمان والمكان او الهيئة او غير
ذلك مما يقبل الزيادة وقال الكرماني افعل هنا للمبالغة لا للشركة كانه
يقول ليس للمؤمن خسران البتة حتى يشركه فيه الكافر ويزيد عليه وقد بينا كيفية
الاشتراك بالنسبة الى الدنيا والاخرة وقال ابن عطية والاخسرون جمع اخسر لانه
افعل صفة لا يجمع الا ان يضاف فيقوى رتبته في الاسماء وفي هذا نظر انتهى ولا نظر
في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك اذا كان
قبله ما يطابقه في الجمعية فتقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات
هن الفضليات والفضل واما قوله لا يجمع الا ان يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه
بل اذا اضيف الى نكرة فلا يجوز جمعه وان اضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد
على ما قرر ذلك في كتب النحو ولما تقدم تلك آيات القرآن خاطب نبيه بقوله
وانك اي وهذا القرآن الذي تلقيته هو من عند الله تعالى وهو الحكيم العليم لا كما
ادعاه المشركون من انه افك واساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقولاتهم
وبني الفعل للمفعول وحذف الفاعل وهو جبريل للدلالة عليه في قوله نزل به الروح الامين
وتلقى يتعدى الى واحد والتضعيف فيه للتعدية فيعدى به الى اثنين وكانه كان
غائبا عنه فلقيه فتلقاه قال ابن عطية ومعناه يعطى كما قال وما يلقاها الا ذو
حظ عظيم وقال الحسن المعنى وانك لتعلم القرآن وقيل تلقن والحكمة العلم
بالامور العملية والعلم اعم منه لانه يكون عمليا ونظريا وكمال العلم تعلقه بكل المعلوم
وبقاؤه مصونا عن كل التغيرات ولا يكون ذلك الا لله تعالى وهذه الآية تمهيد لما
يخبر به من المغيبات وبيان قصص الامم الخالية مما يدل على تلقيه ذلك من جهة
الله واعلامه بلطيف حكمته ودقيق علمه تعالى قيل وانتصب اذ باذكر مضمرة او
بعليم وليس انتصابه بعليم واضحا اذ يصير الوصف مقيدا بالمعمول وقد تقدم طرف
من قصة موسى عليه السلام في رحيله باهله من مدين في سورة طه وظاهر اهله انه
جمع لقوله ساتيكم وتصطلون وروي انه لم يكن معه غير امراته وقيل
كانت ولدت له وهو عند شعيب ولدا فكان مع امه فان صح هذا النقل كان
من باب خطاب ما ليس بجمع خطاب الجمع على سبيل الاكرام والتعظيم وكان الطريق
قد اشتبه عليه والوقت بارد والسير في ليل فتشوفت نفسه اذ راى النار
الى ان يزول ما لحقه من اضلال الطريق وشدة البرد فقال ساتيكم منها بخبر اي من
موقدها بخبر يدل على الطريق او اتيكم بشهاب قبس اي ان لم يكن هناك من يخبر فاني

استصحب ما تدفؤون به منها وهذا الترديد باو ظاهر لانه كان مطلوبه اولا ان يلتقي على النار من يخبره بالطريق فانه مسافر ليس بمقيم فان لم يكن احدا فهو مقيم فيحتاج لدفع ضرر البرد وهو ان يأتيهم بما يصطلون فليس محتاجا للشيئين معا بل لاحدهما الخبر ان وجد من يخبره فيرحل او الاصطلاء ان لم يجد واقام فمقصوده اما هداية الطريق واما اقتباس النار وهو معنى قوله لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى وجاء هنا سآتيكم منها بخبر وهو خبر وفي طه لعلي آتيكم منها بقبس وفي القصص لعلي آتيكم منها بخبر وهو ترج ومعنى الترجي مخالف لمعنى الخبر ولكن الرجا اذا قوي جاز للراجي ان يخبر بذلك وان كانت الخيبة يجوز ان تقع واتى بسين الاستقبال اما لان المسافة كانت بعيدة واما لانه قد يمكن ان يبطئ لما قدر انه قد يعرض ما يبطئه والشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة فعل بمعنى مفعول وهو القطعة من النار في عود او غيره وتقدم ذلك في طه **وقرأ** الكوفيون بشهاب منونا فقبس بدل او صفة لانه بمعنى المقبوس **وقرأ** باقي السبعة بالاضافة وهي قراءة الحسن قال الزمخشري اضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس واتبع في ذلك ابا الحسن قال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ۝ والظاهر ان الضمير في جاءها عائد على النار **وقيل** على الشجرة وكان نداها في شجرة سمرة خضراء **وقيل** عليق وهي لا تحرقها كلما قرب منها بعدت ۝ ونودي المفعول الذي لم يسم فاعله الظاهر انه ضمير عائد على موسى عليه السلام وان على هذا يجوز ان تكون مفسرة لوجود شرط المفسرة فيها ويجوز ان تكون مصدرية اما الثنائية التي تنصب المضارع وبورك صلة لها والاصل حرف الجر اي بان بورك وبورك خبر واما المخففة من الثقيلة واصلها الحرف الجر وقال الزمخشري **فان قلت** هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة **قلت** لا لانه لا بد من قد **فان قلت** فعلى اضمارها **قلت** لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وبورك فعل دعاء كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى والخامسة ان غضب الله عليها في قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب اما ان جزاك الله خيرا واني واما ان يغفر الله لك وكان الزمخشري بنى ذلك على ان بورك خبر لا دعاء فلذلك لم يجز ان تكون مخففة من الثقيلة واجاز الزجاج ان تكون ان بورك في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو على اسقاط الخافض اي نودي بان بورك كما تقول نودي بالرخص ويجوز ان تكون ان الثنائية او المخففة من الثقيلة فيكون بورك دعاء **وقيل** المفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير النداء اي نودي هو اي النداء ثم فسر بما بعده وبورك معناه قدس وطهر وزيد خيره ويقال باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك **وقال الشاعر** ۝

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا ... وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب ۝

وقال آخر ۝

بورك

بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون ۝

وقال عبد الله بن الزبير

فبورك في بنيك وفي بنيهم ... اذا ذكروا ونحن لك الفداء ۝

ومن الظاهر انها لمن يعلم فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم اراد تعالى بمن في النار ذاته وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة الى الله تعالى واذا ثبت ذلك عن ابن عباس فمن ذكر اول على حذف اي بورك من قدرته وسلطانه في النار **وقيل** لموسى عليه السلام اي بورك من في المكان او الجهة التي لاح له فيها النار وقال السدي من الملائكة الموكلين بها **وقيل** من تقع منها على ما لا يعقل فقال ابن عباس اراد النور **وقيل** الشجرة التي تتقد فيها النار **وقيل** والظاهر في ومن حولها انه لمن يعلم تفسير موسى وفسر بالملائكة ويدل عليه قراءة ابي فيما نقل ابو عمرو الداني وابن عباس ومجاهد وعكرمة ومن حولها من الملائكة وحمل هذه القراءة على التفسير لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه وفسر ايضا بموسى عليه السلام والملائكة معا وقيل يكون لما لا يعقل وفسر بالامكنة التي حول النار وجدير ان يبارك من فيها ومن حولها اذ حدث امر عظيم وهو تكليم الله لموسى وتنبيئه وبداءته بالنداء بالبركة تبشير لموسى وتانيس له ومقدمة لمناجاته والظاهر ان قوله وسبحان الله رب العالمين داخل تحت قوله نودي لما نودي ببركة من ذكر نودي ايضا بما يدل على التنزيه والبراءة من صفات المحدثين مما عسى ان يخطر بالبال ولا سيما ان حمل من في النار على تفسير ابن عباس من انه اريد به الله تعالى فان ذلك دال على التحيز فاتى بما يقتضي التنزيه وقال السدي هو من كلام موسى لما سمع النداء قال وسبحان الله رب العالمين تنزيها لله تعالى عن سمات المحدثين وقال ابن شجرة هو من كلام الله ومعناه وبورك من سبح الله وهذا بعيد من دلالة اللفظ **وقيل** وسبحان الله رب العالمين خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام وهو اعتراض بين الكلامين والمقصود به التنزيه ولما آنسه تعالى ناداه واقبل عليه فقال يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والظاهر ان الضمير في انه ضمير الشان وانا الله جملة في موضع الخبر والعزيز الحكيم صفتان واجاز الزمخشري ان يكون الضمير في انه راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للبيان انتهى واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم على ان لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير مقصودا معتنى به وهذا النداء والاقبال والمخاطبة تمهيد لما اراد الله تعالى ان يظهره على يديه من المعجز اي انا القوي القادر على ما يبعد في الاوهام الفاعل ما افعله بالحكمة وقال الزمخشري **فان قلت** علام عطف قوله والق عصاك **قلت** على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج وان اعتمر انتهى ۝ وقوله انه معطوف على بورك مناف لتقديره وقيل له والق عصاك لان هذه جملة معطوفة على بورك وليس جزؤها الذي هو معمول وقيل

موسى

معطوفا على بورك وانما احتاج الى تقدير وقيل له الق عصاك لتكون الجملة خبرية مناسبة
للجملة الخبرية التي عطفت عليها كأنه يرى في العطف تناسب المتعاطفين والصحيح
انه لا يشترط ذلك بل قوله والق عصاك معطوف على قوله انه انا الله العزيز الحكيم
عطف جملة الامر على جملة الخبر وقد اجاز سر جاء زيد ومن عمرو فلما رآها تهتز ثم
محذوف تقديره فالقاها من يده وقرأ الحسن والزهري وعمرو بن عبيد جأن بهمزة
مكان الالف كأنه فر من التقاء الساكنين وقد تقدم الكلام في نحو ذلك في قوله
ولا الضألين بالهمز في قراءة عمرو بن عبيد وجاء فاذا هي حية فاذا هي ثعبان مبين
وهذا اخبار من الله بانقلابها وتغييرا وصافها واعراضها وليس اعداما لذاتها
وخلقها حية وثعبان بل ذلك من تغيير الصفات لا تغيير الذات وهنا شبهها
حالة اهتزازها بالجان فقيل هو صغار الحيات شبهها بها في سرعة اضطرابها
وحركتها مع عظم جثتها ولما رأى موسى هذا الامر الهائل ولى مدبرا ولم يعقب
قال مجاهد ولم يرجع وقال السدي لم يمكث وقال قتادة ولم يلتفت يقال
عقب الرجل توجه الى شيء كان ولى عنه كأنه انصرف على عقبيه ومنه عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار قال الشاعر

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

ولحقه ما لحق طبع البشرية اذا رأى الانسان امرا هائلا جدا وسورة انقلاب
العصا حية تسعى ولم يتقدم في ذلك تطمين اليه عند رؤيتها قال الزمخشري
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون
انتهى وقال ابن عطية وناداه الله تعالى مؤنسا ومقويا على الامر يا موسى لا تخف
فان رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري فاخذ موسى الحية فرجعت عصا
ثم صارت له عادة انتهى وقيل المعنى لا يخاف المرسلون في الموضع الذي يوحى
اليهم فيه وهم اخوف الناس من الله وقيل اذا امرتهم باظهار معجز فينبغي
ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك فالمرسل يخاف الله لا محالة انتهى والاظهر
ان قوله الا من ظلم استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم من غيرهم قال الفراء
وجماعة اذ الانبياء معصومون من وقوع الظلم الواقع من غيرهم وعن الفراء انه استثناء
متصل من جملة محذوفة والتقدير وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس وقال
الاستثناء من محذوف محال لو جاز هذا لجاز ان لا يضرب القوم الا زيدا بمعنى
وانما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجيء بما لا يعرف معناه انتهى
وقالت فرقة الا بمعنى الواو والتقدير ولا من ظلم وهذا ليس بشيء لان معنى
الا مباين لمعنى الواو مباينة كثيرة اذ الواو للادخال والا للاخراج فلا يمكن
وقوع احدهما موقع الآخر وروي عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك وما
يقتضي انه استثناء متصل قال ابن عطية واجمع العلماء على ان الانبياء عليهم السلام
معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل واختلف فيما عداها فعسى ان
يشير الحسن وابن جريج الى ما عدا ذلك انتهى وقال الزمخشري والا بمعنى
لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك

ذلك

ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منهم صغيرة مما لا يجوز على الانبياء كالذي
فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزه القبطي ويوشك
ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انتهى وقرأ ابو جعفر وزيد
ابن اسلم الا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومن شرطية وحسن
حسن التوبة والسوء الظلم الذي ارتكبه وقرأ الجمهور حسنا بضم الحاء واسكان
السين منونا وقرأ محمد بن عيسى الاصبهاني كذلك الا انه لم ينون جعله فعلى فامتنع
الصرف وابن مقسم بضم الحاء والسين منونا ومجاهد وابو حيوة وابن ابي ليلى والاعمش
وابو عمرو في رواية الجعفي وابي زيد وعصمة وعبد الوارث وهارون وعياش بفتحهما
منونا وادخل امر بما يترتب عليه من ظهور المعجز العظيم لما اظهر له معجزا في غيره وهو
العصا اظهر له معجزا في نفسه وهو تلألؤ يده كانها قطعة نور اذا فعل ما امر به
وجواب الامر الظاهر انه تخرج لان خروجها مترتب على ادخالها وقيل في
الكلام حذف تقديره وادخل يدك في جيبك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الاول ما اثبت
مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مقابله في الاول قال قتادة في جيبك
قميصك كانت له مدرعة من صوف لا كمين لها وقال ابن عباس ومجاهد كان كمها
الى بعض يده وقال السدي في جيبك اي تحت ابطك والظاهر ان قوله في تسع
آيات الى فرعون متعلق بمحذوف تقديره اذهب بهاتين الآيتين في تسع آيات
الى فرعون ويدل عليه قوله بعد فلما جاءتهم آياتنا مبصرة وهذا الحذف مثل قوله

اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
وقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما

التقدير هلموا الى الطعام وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل
يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة
ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى فعلى الاول تكون
العصا واليد داخلتين في التسع وعلى الثاني تكون في بمعنى مع اي مع تسع آيات وقال
ابن عطية في تسع آيات متصل بقوله الق وادخل وفيه اقتضاب وحذف تقديره نمهد
ذلك ونيسر لك في جملة تسع آيات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمس والحجر وفي هذين الاخيرين اختلاف والمعنى يجيء بهن
الى فرعون وقومه وقال الزجاج في تسع آيات اي من تسع آيات كما تقول خذ لي
عشرا من الابل فيها فحلان اي منها الى فرعون اي مرسلا الى فرعون انتهى وانتصب
مبصرة على الحال اي بينة واضحة ونسب الابصار اليها على سبيل المجاز لما كانت
يبصر بها جعلت مبصرة ولما كان معها الابصار والوضوح وقيل لجعلهم بصراء من قولك
ابصرته المتعدية بهمزة النقل من بصر وقيل فاعل بمعنى مفعول كماء دافق وقرأ
قتادة وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر كما تقول الولد مجبنة
واقيم مقام الاسم وانتصب ايضا على الحال وكثر هذا الوزن في صفات الاماكن

بجوادٍ مسبعة ومكان مضبة قال الزمخشري أي مكانا يكثر فيه التبصر انتهى والابلغ
في واستيقنتها أن تكون الواو واو الحال أي كفروا بها وأنكروها في الظاهر وقد استيقنت
أنفسهم في الباطن أنها آيات من عند الله فكابروا وسموها سحرا وقال تعالى حكاية
عن موسى في محاورته لفرعون قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض
بصائر ظلما مجاوزة الحد وعلوا ارتفاعا وتكبرا عن الإيمان وانتصبا على أنهما مصدران
في موضع الحال أي ظالمين عالين أو مفعولات من أجلهما أي لظلمهم وعلوهم أي الحامل لهم
على الإنكار والجحود مع استيقانها أنها آيات من عند الله هو الظلم والعلو واستفعل هنا
بمعنى تفعل نحو استكبر في معنى تكبر **وقرأ** عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة وأبان
ابن تغلب وعليا بقلب الواو ياء وكسر العين واللام وأصله فعول لكنهم كسروا ا
لعين اتباعا وروي ضمها عن ابن وثاب والأعمش وطلحة وتقدم الخلاف في كفر
العناد هل يجوز أن يقع أم لا والعاقبة ما آل إليه قوم فرعون من سوء المنقلب
وما أعد لهم في الآخرة أشد وفي هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعلين
وتحذير لهم أن يحل بهم مثل ما حل بمن كان قبلهم ۝ ولقد آتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ۝ وورث سليمان
داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل
المبين ۝ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ۝ حتى
إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون ۝ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين ۝ هذا ابتداء قصص أخبار بمغيبات وعبر ونكر علما لأنه
طائفة من العلم وقال قتادة علما فهما وقال جعفر علما بالقضاء وقال ابن عطاء
علما بالله تعالى ۝ وقال الزمخشري أو علما سنيا عزيزا وقالا قال **فإن قلت**
أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر **قلت**
بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأنهما قالاه ببعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء
من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا
به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله والكثير المفضل عليه
من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفي الآية دليل على شرف العلم انتهى والموروث
الملك والنبوة بمعنى صار ذلك إليه بعد موت أبيه فسمي ميراثا تجوزا كما قيل
العلماء ورثة الأنبياء وحقيقة الميراث في المال والأنبياء لا تورث كما لا وكان لداود
تسعة عشر ولدا ذكرا فنبي سليمان من بينهم وملك وقيل ولاه على بني إسرائيل
في حياته من بين سائر ولده فكانت الولاية في معنى الوراثة وقال الحسن ورث
المال لأن النبوة عطية مبتدأة لا تورث وقيل الملك والسياسة وقيل النبوة
فقط والأظهر القول الأول ويؤيده قوله علمنا منطق الطير فهذا يدل على النبوة
وأوتينا من كل شيء يدل على الملك وكان هذا شرح للميراث وقوله إن هذا لهو
الفضل المبين يقوي ذلك وأما نسب شيء من هذا وراثة المال وقوله يا أيها

الناس

قوله عز وجل ولقد آتينا

الناس تشهير لنعمة الله وتنويه بها واعتراف بمكانها ودعا الناس إلى التصديق
بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور ومنطق الطير
استعارة لما يسمع منها من الأصوات وهو حقيقة في بني آدم لما كان سليمان يفهم
منه ما يفهم من كلام بني آدم كما يفهم بعض الطير من بعض أطلق عليه منطق **وقيل**
كانت الطير تكلمه معجزة له كقصة الهدهد والظاهر أنه علم منطق الطير وعموم الطير
وقيل علم منطق الحيوان قيل والنبات حتى كان يمر على الشجرة فتذكر له منافعها
ومضارها وإنما نص على الطير لأنه كان جندا من جنوده يحتاج إليه في التظليل
من الشمس وفي البعث في الأمور وقال قتادة والشعبي وكذلك كانت هذه النملة
القائلة ذات جناحين وأورد المفسرون مما ذكروا أن سليمان عليه السلام أخبر
عن كثير من الطير بأنواع من الكلام تقديس لله تعالى وعظات وغير ما الله أعلم بصحته
وأوتينا من كل شيء ظاهره العموم والمراد الخصوص أي من كل شيء يصلح لنا ونتمناه وأريد
به كثرة ما أوتي فكأنه مستغرق لجميع الأشياء كما تقول فلان يقصده كل أحد يريد
كثرة قصاده وهذا كقوله تعالى في قصة بلقيس وأوتيت من كل شيء وفي علمنا وأوتينا
للمفعول وحذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى وكانا مسندين لنون العظمة لا [illegible]
المتكلم لأنه إما أن أراد نفسه وأباه أو لما كان ملكا مطاعا خاطب أهل طاعته
ومملكته بحاله التي هو عليها لا على سبيل التعاظم والتكبر إن هذا لهو الفضل المبين
إقرارا بالنعمة وشكرا لها ومجيء روايات معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة
وعشرون للجن ومثلها للإنس ومثلها للطير ومثلها للوحش وألف بيت من
قوارير على الخشب فيها ثلاث مائة منكوحة وسبع مائة سرية وقد نسجت له
الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ ومنبره في وسطه من ذهب فيقعد
عليه وحوله ست مائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الأنبياء على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا
تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وتفصيل هذه
الأشياء يحتاج إلى صحة نقل وكان ملكه عظيما ملأ الأرض وانقادت له أهل المعمور
منها وتقدم لنا أنه ملك الأرض وتقدم لنا أنه ملك الأرض بأسرها أربعة مؤمنان
سليمان وذو القرنين وكافران بخت نصر ونمرود وحشر الجنود يقتضي سفرا وقتر
الجنود إنهم الجن والإنس والطير وذكر المفسرون الوحش رابعا فهم يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف متقدموا العسكر حتى يأتي آخرهم فيجتمعون لا يتخلف
منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة أو يكفون عن المسير حتى يجتمعوا **وقيل** يجتمعون
من كل جهة **وقيل** يساقون **وقيل** يدفعون وقيل يحبسون وكانت الجيوش
تسير معه إذا سار وينزل إذا نزل ۝ حتى إذا أتوا هذه غاية لشيء مقدر أي وساروا
حتى إذا أتوا وتضمن يوزعون معنى فعل يقتضي أن تكون حتى غاية له أي فهم يسيرون
مكفوفا بعضهم من مفارقة بعض وعدي أتوا بعلى إما لأن إتيانهم كان من فوق وإما
أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أتى على آخره وأنفذه
كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف

حطمهم قاله الزمخشري وقال ابن عطية والظاهر ان سليمان وجنوده كانوا مشاة في الارض
ولذلك يتهيأ حطم النمل بتروا لهمزة في وادي النمل ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح
فاحست النمل بتروا لهمزة في وادي النمل ووادي النمل قيل بالشام وقيل باقصى
اليمن وهو معروف عند العرب مذكور في اشعارها وقال كعب وادي السدير من
الطائف والظاهر صدور القول من النملة وفهم سليمان كلامها كما فهم منطق الطير
قال مقاتل من ثلاثة اميال وقال الضحاك بلغته الريح كلامها وقال ابن بحر نطقت
بالصوت معجزة لسليمان ككلام الضب والذراع للرسول وقيل فهمه الهاما
من الله كما فهمه جنس النمل لا انه سمع قولا وقال الكلبي اخبره ملك بذلك ٥

وقال جرير

لو كنت اوتيت كلام الحكل علم سليمان كلام النمل ٥

والحكل ما لا يسمع صوته وذكروا اختلافا في صغر النملة وكبرها وفي اسمها العلم
ما لفظه وليت شعري من الذي وضع لها لفظا يخصها ابنوا ذكر النمل وقالوا كانت نملة عرجا
ولحوق التاء في قالت لا يدل على ان النملة مؤنث بل يصح ان يقال في المذكر قالت
نملة لان نملة وان كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك
كالنملة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التانيث فانه يخبر
عنه اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على انه ذكر او انثى لان
التاء دخلت فيه للفرق لا دلالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس
وقال الزمخشري وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا
عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة اكانت ذكرا
ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال
من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشري
وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما
بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي انتهى ٥ وكان قتادة
ابن دعامة السدوسي بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته هو باللسان اذ علم
ان النملة يخبر عنها اخبار المؤنث وان كانت تنطلق على الانثى والذكر اذ هو مما لا
يتميز فيه احد هذين بتذكيره وتانيثه لا يعلم ذلك من لحاق العلامة للفعل فتوقف
اذ لا يعلم ذلك الا بوحي من الله واما استنباط تانيثه من كتاب الله من قوله قالت نملة
ولو كان ذكرا لقال قال نملة فكلام النحاة على خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار
المؤنث سواء كان ذكرا ام انثى واما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة
فبينهما قدر مشترك وهو اطلاقهما على المذكر والمؤنث وبينهما فرق وهو ان الحمامة
والشاة يتميز فيهما المذكر من المؤنث فيمكن ان تقول حمامة ذكر وحمامة انثى فتميز
بالصفة واما تعيينه بهو وهي فانه لا يجوز لا تقول هو الحمامة ولا هو الشاة واما النملة
والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المؤنث فلا يجوز فيه في الاخبار الا التانيث وحكمه
حكم المؤنث بالتاء من الحيوان العاقل نحو المرأة او غير العاقل كالدابة الا ان وقع
فصل بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان يلحق العلامة الفعل

ويجوز

ويجوز ان لا يلحق على ما قرر ذلك في باب الاخبار عن المؤنث في علم العربية وقرأ
الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان وابو سليمان التيمي نملة بضم الميم كسمرة وكذلك
النمل كالرجل والرجل لغتان وعن سليمان التيمي نمل ونمل بضم النون والميم وجاء الخطاب
بالامر كخطاب من يعقل في قوله ادخلوا وما بعده لانها امرت النمل كامر من يعقل وصدر
من النمل الامتثال لامرها وقرأ شهر بن حوشب مسكنكم على الافراد وعن ابي ادخلن
مساكنكن لا يحطمنكن مخففة النون التي قبل الكاف وقرأ الحسن وابو رجاء وقتادة
وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي ونوح القاضي بضم الياء وفتح الحاء وشد الطاء والنون
مضارع حطم مشددا وعن الحسن بفتح الياء واسكان الحاء وشد الطاء وعنه
كذلك مع كسر الحاء واصله لا يحتطمنكم من الاحتطام وقرأ ابن ابي اسحاق وطلحة
ويعقوب وابو عمرو في رواية عبيد كقراءة الجمهور الا انهم سكنوا نون التوكيد وقرأ
الاعمش بحذف النون وجزم الميم والظاهر ان قوله لا يحطمنكم بالنون خفيفة
او شديدة نهي مستانف وهو من باب لا أرينك ههنا نهت غير النمل والمراد
النمل اي لا تظهروا بارض الوادي فيحطمكم ولا تكن ههنا فاراك وقال الزمخشري
فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا
من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على
طريقة لا أرينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ
ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها انتهى اما تخريجه على انه امر فلا يكون
ذلك الا على قراءة الاعمش اذ هو مجزوم مع انه يحتمل ان يكون استئناف نهي واما مع
وجود نون التوكيد فانه لا يجوز ذلك الا ان كان في الشعر واذا لم يجز ذلك في جواب
الشرط الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب
الامر متنازع فيه على ما قرر في النحو ومثال مجيء نون التوكيد في جواب الشرط ٥

قول الشاعر

نبتم نبات الخيزراني في الثرى ... حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا ٥

وقول الاخر

فمهما تشأ منه فزارة تعطه ... ومهما تشأ منه فزارة تمنعا ٥ قال س

وذلك قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب انتهى وقد تنبه
ابو البقاء لشيء من هذا قال وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف لان جواب الشرط
لا يؤكد بالنون في الاختيار واما تخريجه على البدل فلا يجوز لان مدلول لا يحطمنكم
مخالف لمدلول ادخلوا واما قوله لانه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم فهذا
تفسير معنى لا تفسير اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان اللفظ القرآني
لا تكونوا حيث انتم لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن نهي
عن كونهم في ظاهر الارض واما قوله انه اراد لا يحطمنكم جنود سليمان الى اخره
فيسوغ زيادة الاسماء وهو لا يجوز بل الظاهر اسناد الحطم اليه والى جنوده وهو على
حذف مضاف اي خيل سليمان وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره وهم لا يشعرون
جملة حالية اي ان وقع حطم فليس ذلك بتعمد منهم انما يقع وهم لا يعلمون

بحطنا كقوله فنصيبكم منهم معرة بغير علم وهذا التفات حسن أي من عدل سليمان
وأتباعه ورحمته ورفقه أنه لا يحطم نملة فما فوقها إلا بأن لا يكون لهم شعور بذلك
وما أحسن ما أتت به هذه النملة في قولها وأغربه وأفصحه وأجمعه للمعاني أدركت
فخامة ملك سليمان فنادت وأمرت وأنذرت وذكروا أنه جرى بينها وبين سليمان
محاورات وأنها أهدت له نبقة وأنشدوا أبياتاً في ذلك وهي مما يهدي إلى العظيم والاستعذار
من ذلك ودعا سليمان للنمل بالبركة والله أعلم بصحة ذلك أو قتعا له والنمل حيوان
قوي الحس شمام جداً يدخر القوت ويشق الحبة بقطعتين لئلا تنبت والكزبرة بأربع
لأنها إذا قطعت قطعتين أنبتت وتأكل في عامها بعض ما تجمع وتدخر الباقي في عدة
وفي الحديث النهي عن قتل أربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه
أبو داود عن ابن عباس وروي من حديث أبي هريرة وتبسم سليمان عليه السلام إما
للعجب بما دل عليه قولها ولا وهم لا يشعرون وهو إدراكها رحمته وشفقته
ورحمة عسكره وأما للسرور بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً ومن إدراكه قولها همس
به الذي هو مثل في الصغر ولذلك دعا أن يوزعه الله شكر ما أنعم به عليه وانتصب
ضاحكاً على الحال أي شارعاً في الضحك ومتجاوزاً حد التبسم إلى الضحك ولما كان
التبسم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم
المستهزئ وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح أتى بقوله ضاحكاً وقرأ ابن السميفع
ضحكاً جعله مصدراً لأن تبسم في معنى ضحك فانتصابه به على المصدرية أو على
أنه مصدر في موضع الحال فيكون كقراءة ضاحكا وقال رب أوزعني أي اجعلني
أزع شكر نعمتك وألفه وارتبطه حتى لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك
وقال ابن عباس أوزعني اجعلني أشكر وقال ابن زيد حرضني وقال أبو عبيدة
أولعني وقال الزجاج امنعني عن الكفران وقيل ألهمني الشكر وأدرج ذكر
نعمة الله على والديه في أن يشكرها كما يشكر نعمة الله على نفسه لما يجب
للوالدين على الولد من الدعاء لهما والبر بهما ولا سيما إذا كان الولد تقياً لله صالحاً
فإن الوالدين ينتفعان بدعائه وبدعاء المؤمنين لهما بسببه كقولهم رحم الله
من خلفك رضي الله عنك وعن والديك ولما سأل ربه شيئاً خاصاً وهو شكر النعمة
سأل شيئاً عاماً وهو أن يعمل عملاً يرضاه الله تعالى فاندرج فيه شكر النعمة
فكأنه سأل إيزاع الشكر مرتين ثم دعا أن يلحق بالصالحين قال ابن زيد هم
الأنبياء والمؤمنون وكذا عادة الأنبياء أن يطلبوا جعلهم من الصالحين كما
قال يوسف عليه السلام توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقال تعالى
عن إبراهيم عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين قيل لأن كمال الصلاح
أن لا يعصي الله تعالى ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية ۵ وتفقد الطير
فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين • لأعذبنه عذاباً شديداً
أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقال أحطت
بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين أي وجدت امرأة تملكهم وأوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله

قوله عز وجل وتفقد الطير

وزين

وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون • ألا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون • الله
لا إله إلا هو رب العرش العظيم • قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين •
اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ۶ الظاهر
أنه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والاهتمام
بالرعايا قيل وكان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد وقيل كانت الطير
تظله من الشمس وكان الهدهد يستر مكانه الأيمن فمسته الشمس فنظر إلى مكان
الهدهد فلم يره وعن عبد الله بن سلام أن سليمان نزل بمفازة لا ماء فيها وكان
الهدهد يرى ظاهر الأرض وباطنها وكان يخبر سليمان بذلك فكانت الجن تخرجه
في ساعة تسلخ الأرض كما تسلخ الشاة فسأل عنه حين حلوا تلك المفازة لاحتياجهم
إلى الماء وفي قوله وتفقد الطير دلالة على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة
عليهم وقال عمر رضي الله عنه لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب
ليسأل عنها عمر وفي الكلام محذوف أي تفقد الهدهد حين تفقد الطير قال ابن عطية
وقوله ما لي لا أرى الهدهد مقصد الكلام الهدهد غائب ولكنه أخذ اللازم عن
مغيبه وهو أن لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم وهذا ضرب من الإيجاز
والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الألف التي تحتاجها أم انتهى فظاهر
هذا الكلام أن أم متصلة وأن الاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب ألف الاستفهام
فمعناه أغاب عني الآن فلم أره حالة التفقد أم كان ممن غاب قبل ولم أشعر
بغيبته وقال الزمخشري أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال
ما لي لا أرى الهدهد على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له
أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه
قولهم إنها لإبل أم شاء انتهى والصحيح أن أم في هذا هي المنقطعة لأن شرط
المتصلة تقدم همزة الاستفهام فلو تقدمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم
منقطعة وهنا تقدم ما ففات شرط المتصلة وقيل يحتمل أن يكون من المقلوب
وتقديره ما للهدهد لا أراه ولا ضرورة إلى ادعاء القلب وفي الكشاف أن سليمان
لما تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء ثم عزم على المسير
إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك
مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء
وكان الهدهد دليله وكان يرى الماء من تحت الأرض وذكر أنه كان للجن يسلخون
الأرض حتى يظهر الماء لأعذبنه عذاباً شديداً أبهم العذاب الشديد وفي تعيينه
أقوال متعارضة والأجود أن يجعل أمثلة فعن ابن عباس ومجاهد وابن جريج
نتف ريشه فقال ابن جريج ريشه كله وقال يزيد بن رومان جناحيه
وقال ابن وهب نصفه ويبقى نصفه وقيل مع نتفه تركه للنمل وقيل
يحبس في القفص وقيل يطلى بالقطران ويشمس وقيل ينتف ويلقى للنمل وقيل
يجمع مع غير جنسه وقيل يبعد من خدمة سليمان وقيل يفرق بينه وبين إلفه

وقيل يلزم خدمة امرأته وكان هذا القول من سليمان غضبا لله حيث حضرت
الصلاة وطلب الماء للوضوء فلم يجده واباح الله له ذلك للمصلحة كما اباح ذبح
البهائم والطيور للاكل وكما سخر له الطير فله ان يؤديه اذا لم يأت بما سخر له وقرأ
الجمهور ليأتيني بنون مشددة بعدها يا المتكلم وابن كثير بنون مشددة بعدها نون
الوقاية بعدها الياء وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة بغير ياء والسلطان
المبين الحجة والعذر وفيه دليل على الاغلاظ على العاصين وعقابهم وبداءة اولا
باخف العقابين وهو التعذيب ثم اتبعه بالاشد وهو اذهاب المهجة بالذبح واقسم
على هذين لانهما من فعله واقسم على الاتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة
في الحكم باو كأنه قال ليكونن احد الثلاثة والمعنى ان اتى بالسلطان لم يكن تعذيب
ولا ذبح وان لا كان احدهما ولا بد له قسمه على الاتيان على ادعاء دراية على انه يجوز
ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه يأتيه بسلطان فيكون قوله اوليأتيني
بسلطان مبين عن دراية وايقان وقرأ الجمهور فمكث بضم الكاف وعاصم وابو عمرو
في رواية الجعفي وسهل وروح بفتحها وفي قراءة ابي فتمكث ثم قال وفي قراءة عبد الله
فتمكث فقال وكلاهما في الحقيقة تفسير لا قراءة لمخالفة ذلك سواد المصحف وما
روي عنهما بالنقل الثابت والظاهر ان الضمير في فمكث عائد على الهدهد
اي غير زمن بعيد اي عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا
من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجز الدالة
على نبوته وعلى قدرة الله وقيل وقف مكانا غير بعيد من سليمان وكان فيما روي
حين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا فانحط عليه ووصف له ملك سليمان
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وعظم ملكه وذهب معه لينظر
فما رجع الا بعد العصر وقيل الضمير في فمكث لسليمان وقيل يحتمل ان يكون
لسليمان وللهدهد وفي الكلام حذف فان كان غير بعيد زمانا فالتقدير فجاء سليمان
فسأله ما غيبك فقال احطت وان كان مكانا فالتقدير فجاء فوقف مكانا
قريبا من سليمان فسأله ما غيبك وكان فيما روي قد اعلم بما اقسم عليه سليمان
فبادر الى جوابه بما يسكن غيظه عليه وهو ان غيبته كانت لامر عظيم عرض له
فقال احطت بما لم تحط به وفي هذا جسارة من لديه علم لم يكن عند غيره وتبجحه
بذلك وابهام حتى تتشوف النفس الى معرفة ذلك المبهم ما هو ومعنى الاحاطة
هنا انه علم علما ليس عند نبي الله سليمان قال الزمخشري الهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه
واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا
له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما
ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه اعلم منه انتهى ولما ابهم في قوله بما لم
تحط اشتغل الى ما هو اقل منه ابهاما وهو قوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين اذ فيه

اخبار بالمكان الذي جاء منه وانه له علم بخبر مستفز له وقرأ الجمهور من سبأ مصروفا
هنا وفي لقد كان لسبأ وابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة غير مصروف فيهما وقيل من طريق
القواس باسكانها فيهما فمن صرفه جعله اسما للحي او الموضع او للاب كما في حديث فروة
ابن مسيك وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسم رجل ولد عشرة من الولد تيامن
منهم ستة وتشاءم اربعة والستة حمير وكندة والازد والاشعريون وخثعم وبجيلة
والاربعة لخم وجذام وعاملة وغسان وكان سبأ رجلا من قحطان اسمه عبد شمس
وقيل عامر وسمي سبأ لانه اول من سبى ومن منعه الصرف جعله اسما للقبيلة
او البقعة وانشدوا على الصرف

۞ الواردون وتيم في ذرى سبأ ۞ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ۞

ومن سكن الهمزة فلتوالي الحركات فيمن منع الصرف واجراء للوصل مجرى الوقف
وقال مكي الاسكان في الوصل بعيد غير مختار ولا قوي انتهى وقرأ الاعمش من سبإ
بكسر الهمزة من غير تنوين حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية وبعد توجيهها وقرأ
ابن كثير في رواية من سبا بتنوين الباء على وزن رحى جعله مقصورا مصروفا
وذكر ابو معاذ انه قرأ من سبأ بسكون الباء وهمزة مفتوحة غير منونة بناه
على فعلى فامتنع الصرف للتأنيث اللازم وروى ابن حبيب عن اليزيدي من سبا
بالف ساكنة كقولهم تفرقوا ايدي سبا وقرأت فرقة بنبا بالالف عوض الهمزة
وكأنها قراءة من قرأ لسبا بالالف لتتوازن الكلمتان كما توازنت في قراءة من قرأهما
بالهمز المكسور والتنوين وقال في التحرير هذا النوع في علم البديع يسمى بالترديد
وفي كتاب التفريع بفنون البديع ان الترديد رد اعجاز البيوت على صدورها او رد
كلمة من النصف الاول في النصف الثاني ويسمى ايضا التصدير فمثال الاول قوله

۞ سريع الى ابن العم يجبر كسره ۞ وليس الى داعي الخنا بسريع ۞

ومثال الثاني قوله

۞ والليالي اذا نأيتم طوال ۞ والليالي اذا دنوتم قصار ۞

وذكر ان مثل من سبأ بنبأ يسمى تجنيس التصريف قال وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين
عن الاخرى بحرف ومنه قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تمرحون وما ورد في الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير وقال الشاعر

۞ لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر ۞

وقال الزمخشري وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع
وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر
الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا زائدا على الصحة فحسن
وبدع لفظا ومعنى الا ترى لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح
لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال انتهى والزيادة التي اشار
اليها هي ان النبأ لا يكون الا الخبر الذي له شأن ولفظ الخبر مطلق ينطلق على
ما له شأن وما ليس له شأن ولما ابهم الهدهد اولا ثم ابهم ثانيا دون
ذلك الابهام صرح بما كان ابهمه فقال اني وجدت امرأة تملكهم ولا بد لقوله

تملكهم على جواز ان تكون المراة ملكة لان ذلك كان من فعل قوم بلقيس وهم كفار فلا حجة في
ذلك وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان اهل
فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ونقل عن محمد بن جرير انه
يجوز ان تكون المراة قاضية ولم يصح عنه ونقل عن ابي حنيفة انها تقضي فيما تشهد فيه
لا على الاطلاق ولا ان يكتب لها منشور بان فلانة مقدمة على الحكم وانما ذلك على سبيل
التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة ومعنى وجدت منتها اصبت والضمير في تملكهم
عائد على سبأ ان كان اريد القبيلة وان اريد الموضع فهو على حذف اي وجدت من اهل
سبا والمراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك اليمن كلها وقد ولده اربعون
ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس
واختلف في اسم امها اختلافا كثيرا قيل وكانت امها جنية تسمى ريحانة بنت
السكن تزوجها ابوها اذ كان من عظمته لم ير ان يتزوج احدا من ملوك زمانه فولدت له
بلقيس وقد طولوا في قصصها بما لم يثبت في القرآن ولا الحديث الصحيح وبدا الهدهد
بالاخبار عن ملكها وانها اوتيت من كل شيء وهذا على سبيل المبالغة والمعنى من كل شيء
احتاجت اليه او من كل شيء في ارضها وبين قول الهدهد ذلك وبين قول سليمان
واوتينا من كل شيء فرق وذلك ان سليمان عطف على قوله علمنا منطق الطير وهو معجز فيرجع
اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا
وعطف الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها
ولها عرش عظيم قال ابن زيد هو مجلسها وقال سفيان هو كرسيها وكان مرصعا
بالجواهر وعليه سبعة ابواب وذكروا من وصف عرشها اشياء الله اعلم بحقيقة ذلك
واستعظام الهدهد عرشها اما لاستصغار حالها ان يكون لها مثل هذا العرش واما
لان سليمان لم يكن له مثله وان كان عظيم المملكة في كل شيء لانه قد يوجد لبعض امراء
الاطراف شيء لا يكون للملك الذي هم تحت طاعته ولما كان سليمان قد آتاه الله من كل
شيء وكان له عرش عظيم اخبره بهذا النبأ العظيم حيث كان في الدنيا من يشاركه
فيما يقرب من ذلك ولم يلتفت سليمان لذلك اذ كان معرضا عن امور الدنيا فانتقل الهدهد
الى الاخبار الى ما يتعلق بامور الدين وما احسن انتقالات هذه الاخبار بعد تهدد
الهدهد وعلمه بذلك اخبر اولا باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمان تحصنا من العقوبة
بزينة العلم الذي حصل له فتشوق السامع الى علم ذلك ثم اخبر ثانيا بما يتعلق ذلك
العلم وهو انه من سبأ وانه امر متيقن لا شك فيه فزاد تشوق السامع الى سماع ذلك
النبأ ثم اخبر ثالثا عن الملك الذي اوتيته امراة وكان سليمان قد سأل الله ان
يؤتيه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ثم اخبر رابعا بما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه
المراة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء ان تملك فحول الرجال وهو قوله واوتيت
من كل شيء وقوله ولها عرش عظيم وكان سليمان له بساط قد صنع له وكان عظيما ولما
لم يتأثر سليمان للاخبار بهذا كله اذ هو امر دنيوي اخبره خامسا بما هجم لطلب
هذه المملكة ودعائها الى الايمان بالله وافراده بالعبادة فقال وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وقد تقدم القول انهم كانوا مجوسا يعبدون الانوار

وهو قول الحسن **وقيل** كانوا زنادقة ومن الاخبارات من الهدهد كانت على سبيل
الاعتذار عن غيبته عن سليمان وعرف ان مقصد سليمان الدعاء الى توحيد الله والايمان به
فكان ذلك عذرا واضحا ازال عنه العقوبة التي كان سليمان قد توعده بها وقام
ذلك الاخبار مقام الاتيان بالسلطان المبين اذ كان في غيبته مصلحة لاعلام
سليمان بما كان خافيا عنه ومآله الى ايمان الملكة وقومها وخفي ملك هذه المراة
ومكانها على سليمان وان كانت المسافة بينهما قريبة كما خفي مكان يوسف على
يعقوب وذلك لامر اراده الله تعالى قال الزمخشري ومن نوكى القصاص من يقف
على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها فر من
استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي نسخ كتاب الله انتهى وقال ايضا
فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار
السجود للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه **قلت** لا يبعد ان يلهمه الله
ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء
يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمان نبي
سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له انتهى واسند التزيين
الى الشيطان اذ كان هو المتسبب في ذلك باقدار الله تعالى فصدهم عن السبيل
اي الشيطان او تزيينه عن السبيل وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة فهم
لا يهتدون اي الى الحق **وقرأ** ابن عباس وابو جعفر والزهري والسلمي والحسن وحميد
والكسائي الا بتخفيف لام الا فعلى هذا له ان يقف على فهم لا يهتدون ويبتدي
على الا يسجدوا قال الزمخشري وان شئت وقفت على الا يا ثم ابتدأت اسجدوا وفي
السبعة بتشديدها وعلى هذا يصل قوله فهم لا يهتدون بقوله الا يسجدوا وقال
الزمخشري وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن
عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله
الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون انتهى وقال
ابن عطية **وقرأ** الاعمش هلا يسجدون وفي حرف عبد الله الا هل تسجدون
بالتاء وفي قراءة ابي الا تسجدون بالتاء ايضا فاما قراءة من اثبت النون في يسجدون
وقرأ بالتاء او الياء فتخريجها واضح واما قراءة باقي السبعة فخرجت على ان قوله
الا يسجدوا في موضع نصب على ان يكون بدلا من قوله اعمالهم اي فزين لهم الشيطان
ان لا يسجدوا وما بين المبدل منه والبدل معترض او في موضع جر على ان يكون بدلا
من السبيل اي فصدهم عن ان لا يسجدوا وعلى هذا التخريج تكون لا زائدة اي
فصدهم عن ان يسجدوا لله ويكون فهم لا يهتدون معترضا بين المبدل منه
والبدل ويكون التقدير لان لا يسجدوا وتتعلق اللام اما بزين واما بفصدهم
واللام الداخلة على ان داخلة على مفعول له اي علة تزيين الشيطان لهم
او صدهم عن السبيل هي انتفاء سجودهم لله او لخوفه ان يسجدوا لله وقال
الزمخشري ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا
انتهى واما قراءة ابن عباس ومن وافقه فخرجت على ان تكون الا حرف استفتاح

ويا حرف نداء والمنادى محذوف واسجدوا فعل أمر وسقطت ألف يا التي للنداء وألف الوصل في اسجدوا إذ رسم المصحف يسجدوا بغير ألفين لما سقطا لفظا سقطا خطا ومجيء مثل هذا التركيب موجود في كلام العرب قال الشاعر

ألا يا اسلمي ذات الدمالج والعقد ۞ وقال ألا يا اسقياني قبل غارة سنجال

وقال ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ۞ وقال

۞ ألا يا اسقياني قبل خيل أبي بكر ۞

وقال فقالت ألا يا اسمع أعظك بخطبة ۞ فقلت سمعنا فانطقي وأصيبي

وقال ألا يا اسلمي هند هند بني بدر ۞ وإن كان حيانا عدى آخر الدهر

وسمع بعض العرب يقول ألا يا ارحمونا ألا تصدقوا علينا ووقف الكسائي في هذه القراءة على يا ثم يبتدي اسجدوا وهو وقف اختبار لا اختيار والذي ذهب إليه أن مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست يا فيه للنداء وحذف المنادى لأن المنادى عندي لا يجوز حذفه لأنه قد حذف الفعل العامل في النداء وانحذف فاعله لحذفه ولو حذفنا المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء وحذف متعلقه وهو المنادى فكان ذلك إخلالا كبيرا وإذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلا على العامل فيه وهو جملة النداء وليس حرف النداء حرف جواب كنعم ولا وبلى وأجل فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة ما سبق من السؤال على الجمل المحذوفة فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكد به ألا التي للتنبيه وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد وإذا كان قد وجد التأكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ العاملين في قوله فأصبحن لا يسألنني عن بما به والمتفقي اللفظ العاملين في قوله ولا للما بهم أبدا دواء وجاز ذلك وإن عدوه ضرورة أو قليلا فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزا وليس يا في قوله يا لعنة الله والأقوام كلهم ۞ حرف نداء عندي بل حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ وليس مما حذف منه المنادى لما ذكرناه وقال الزمخشري **فإن قلت** أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أو في واحدة منهما **قلت** هي واجبة فيهما وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه انتهى والخبء مصدر أطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالى من غيوبه **وقرأ** الجمهور الخبء بسكون الباء والهمزة **وقرأ** أبي وعيسى بنقل حركة الهمزة إلى الباء وحذف الهمزة **وقرأ** عكرمة بألف بدل الهمزة فلزم فتح ما قبلها وهي قراءة عبد الله ومالك بن دينار وتخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ومررت بالخبي ورأيت الخبا وأجرى الوصل مجرى الوقف وأجاز الكوفيون أن تقول في المرأة والكمأة المراة والكماة فيبدل من الهمزة ألفا فيفتح ما قبلها فعلى قولهم هذا يجوز أن يكون الخبا منه فيكون هي لغة ضعيفة وإجراء الوصل مجرى الوقف أيضا نادر قليل فيعادل التخريجات ونقل الحركة إلى الباء وحذف الهمزة حكاه س عن قوم من بني تميم وبني أسد وقراءة الخبا بالألف طعن فيها أبو حاتم وقال لا يجوز في العربية قال لأنه إن حذف الهمزة ألقى حركتها على

الباء فقال الخبء وإن حولها قال الخبي بسكون الباء وياء بعدها قال المبرد كان أبو حاتم دون أصحابه في النحو ولم يلحق بهم إلا أنه إذا خرج من بلدهم لم يلق أعلم منه والظاهر أن في السموات متعلق بالخبء أي المخبوء في السموات وقال الفراء في ومن بمعنى فإن تقول العرب لأستخرجن العلم فيكم يريد منكم انتهى فعلى هذا يتعلق بيخرج أي من السموات ولما كان الهدهد قد أوتي من معرفة الماء تحت الأرض ما لم يؤت غيره وألهمه الله تعالى ذلك كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف الذي هو قوله الذي يخرج الخبء إذ كل مختص بوصف من علم أو صناعة يظهر عليه مخايل ذلك الوصف في روائه ومنطقه وشمائله ولذلك ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله **وقرأ** الجمهور ما يخفون وما يعلنون بياء الغيبة والضمير عائد على المرأة وقومها **وقرأ** الكسائي وحفص بتاء الخطاب فاحتمل أن يكون خطابا لسليمان عليه السلام والحاضر معه إذ يبعد أن يكون محاورة الهدهد لسليمان وهما ليس معهما أحد وكما جاز له أن يخاطبه بقوله أحطت بما لم تحط به جاز أن يخاطبه والحاضر معه بقوله ما تخفون وما تعلنون بل خاطبه بهذا ليس فيه ظهور تشوف بخلاف ذلك الخطاب والظاهر أن قوله ألا يسجدوا إلى العظيم من كلام الهدهد **وقيل** من كلام الله تعالى خطابا لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية القراءة بياء الغيبة تعطي أن الآية من كلام الهدهد وبتاء الخطاب تعطي أنها من خطاب الله عز وجل لأمة محمد عليه السلام وقال صاحب الغنيان لما ذكر الهدهد عرش بلقيس ووصفه بالعظم رد الله عز وجل عليه وبين أن عرشه تعالى هو الموصوف بحقائق الصفة على الحقيقة إذ لا يستحق عرش دونه أن يوصف بالعظمة **وقيل** إنه من تمام كلام الهدهد كأنه استدراك ورد العظمة من عرش بلقيس إلى عرش الله وقال الزمخشري **فإن قلت** كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم **قلت** بين الوصفين فرق لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض انتهى **وقرأ** ابن محيصن وجماعة العظيم بالرفع فاحتمل أن يكون صفة للعرش وقطع على إضمار هو على سبيل المدح فتستوي قراءته وقراءة الجمهور في المعنى واحتمل أن يكون صفة للرب وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه **ولما** فرغ الهدهد من كلامه وأبدى عذره في غيبته أخر سليمان أمره إلى أن يتبين له صدقه من كذبه فقال سننظر أصدقت في إخبارك أم كنت والنظر هنا التأمل والتصفح وأصدقت جملة معلق عنها سننظر وهي في موضع نصب على إسقاط حرف الجر لأن نظر بمعنى التأمل والتفكر إنما يتعدى بحرف الجر الذي هو في وعادل بين الجملتين بأم ولم يكن التركيب أم كذبت لأن قوله أم كنت من الكاذبين أبلغ في نسبة الكذب لأن كونه من الكاذبين يدل على أنه معروف بالكذب سابق له هذا الوصف قبل الإخبار بما أخبر به وإذا كان قد سبق له الوصف بالكذب كان متهما فيما أخبر به بخلاف من يظن ابتداء كذبه في ما أخبر به

وفي الكلام حذف تقديره فامض بكتابي كتاب إليهم وبذهاب الهدهد رسولا
إليهم بالكتاب فقال له اذهب بكتابي هذا أي الحاضر المكتوب الآن فألقه
إليهم ثم تول عنهم أي تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تسمع ما يصدر منهم وما يرجع
به بعضهم إلى بعض من القول ۞ وفي قوله اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم دليل
على إرسال الكتب إلى المشركين من الإمام تبلغهم الدعوة ويدعوهم إلى الإسلام
وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وغيرهما ملوك العرب وقال
وهب أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى وكن
قريبا بحيث تسمع مراجعاتهم وقال ابن زيد أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه أي ألقه
وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على قوله ثم تول عنهم انتهى
وقال أبو علي ولا ضرورة تدعو إلى التقديم والتأخير بل الظاهر أن النظر معتقب
التولي عنهم وقرئ في السبعة فألقه بكسر الهاء وبياء بعدها وباختلاس الكسرة
وبسكون الهاء وقرأ مسلم بن جندب بضم الهاء وواو بعدها وجمع في قوله إليهم
الهدهد قال وجدتها وقومها فنحو الكتاب أيضا ضمير الجمع في قوله أن لا تعلوا
علي والكتاب كان فيه الدعاء إلى الإسلام لبلقيس وقومها ومعنى فانظر ماذا
يرجعون أي تأمل واستحضر في ذهنك وقيل معناه فانتظر وماذا إن كان معنى
فانظر معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقا وماذا إما كلمة استفهام في موضع نصب
وإما أن يكون ما استفهاما وذا موصول بمعنى الذي فعلى الأول يكون يرجعون خبرا
عن ماذا وعلى الثاني يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة ذا وإن كان معنى فانظر فانتظر
فليس فعل قلب فيعلق بل يكون ماذا كله موصولا بمعنى الذي أي فانتظر الذي يرجعون
والمعنى فانظر ماذا يرجعون حتى ترد إلي ما يرجعون من القول ۞ قالت يا أيها
الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين ● قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت
قاطعة أمرا حتى تشهدون ● قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر
إليك فانظري ماذا تأمرين ● قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ● وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون ● فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير
مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ● ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم
بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ● في الكلام حذف تقديره
فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس وقومها وألقاه إليهم كما أمره
سليمان فقيل أخذه بمنقاره وقيل علقه في عنقه فجاءها حتى وقف على رأسها
وحولها جنودها فرفرف بجناحه والناس ينظرون إليه حتى رفعت رأسها فألقى
الكتاب في حجرها وقيل كانت في قصرها قد غلقت الأبواب واستلقت على
فراشها نائمة فألقى الكتاب على نحرها وقيل كانت في البيت كوة تقع الشمس فيها
كل يوم فإذا نظرت إليها سجدت فجاء الهدهد فسدها بجناحه فرأت ذلك
وقامت إليه فألقى الكتاب إليها وكانت قارئة عربية من قوم تبع وقيل

القاه

فانتظر

قوله عز وجل قالت يا أيها الملأ

ألقاه من كوة وتوارى فيها فأخذت الكتاب ونادت أشراف قومها قالت يا أيها
الملأ ووصفت الكتاب بالكريم لطبعه بالخاتم وفي الحديث كرم الكتاب ختمه أو لكونه من
سليمان وكانت عالمة بملكه أو لكون الرسول به الطير فظنته كتابا سماويا أو لكونه
تضمن لطفا ولينا لا سبا ولا ما يغير النفس أو لبداءته باسم الله أقوال اختيرت ثم
فقالت إنه من سليمن كأنها قيل لها ممن الكتاب وما هو فقالت إنه من سليمان
وإنه كيت وكيت أبهمت أولا ثم فسرت وفي بيانها التي للمعقول لا له على جهله
بالملقي حيث حذفته أو تحقيرا له حيث كان طائرا إن كانت شاهدته والظاهر
أن بداءة الكتاب من سليمان بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخر ما قص الله منه خاصة
فاحتمل أن يكون من سليمان متقدما على بسم الله وهو الظاهر وقدمه لاحتمال أن يبدر منها
ما لا يليق إذا كانت كافرة فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى أو كان عنوانا في
ظاهر الكتاب وباطنه فيه بسم الله إلى آخره واحتمل أن يكون مؤخرا في الكتابة
عن بسم الله وأن ابتداء الكتاب بسم الله وحين قراءته عليهم بعد قراءتها له في نفسها
قدمته في الحكاية وإن لم يكن متقدما في الكتابة وقال أبو بكر بن العربي كانت رسل
المتقدمين إذا كتبوا كتابا بدؤوا بأنفسهم من فلان إلى فلان وكذلك جاءت الإشارة
وعن أنس ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه إذا كتبوا
إليه كتابا بدؤوا بأنفسهم وقال أبو الليث في كتاب البستان له ولو بدأ بالمكتوب
إليه جاز لأن الأمة قد اجتمعت عليه وفعلوه وقرأ الجمهور إنه من سليمن وإنه
بكسر الهمزة فيهما وقرأ عبد الله وإنه من سليمان بزيادة واو عطفا على إني ألقي
وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتحهما وخرج على البدل من كتاب أي ألقي إلي أنه
أو على أن يكون التقدير لأنه كأنها عللت كرم الكتاب لكونه من سليمن وتصديره
ببسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله بفتح الهمزة ونون ساكنة فخرج
على أن هي المفسرة لأنه قد تقدمت جملة فيها معنى القول وعلى أنها أن المخففة
من الثقيلة وحذفت الهاء وبسم الله الرحمن الرحيم استفتاح شريف بارع المعنى
عمدة في الكتب في كل لغة وكل شرع وأن في قوله أن لا تعلوا قيل في موضع رفع على
البدل من كتاب وقيل في موضع نصب على معنى بأن لا تعلوا وعلى هذين التقديرين
تكون أن ناصبة للفعل وقال الزمخشري وأن في أن لا تعلوا علي مفسرة فعلى هذا
تكون لا في تعلوا للنهي وهو حسن لمشاكلة عطف الأمر عليه وجوز أبو البقاء أن تكون
التقدير هو أن لا تعلوا فيكون خبر مبتدأ محذوف ۞ ومعنى لا تعلوا لا تتكبروا كما
تفعل الملوك وقرأ ابن عباس في رواية وهب بن منبه والأشهب العقيلي أن لا تغلوا
بالغين المعجمة أي لا تتجاوزوا الحد وهو من الغلو والظاهر أنه طلب منهم إتيانه
وقد أسلموا وتركوا الكفر وعبادة الشمس وقيل معناه مذعنين مستسلمين
من الانقياد والدخول في الطاعة وما كتبه سليمان في غاية الإيجاز والبلاغة
وكذلك كتب الأنبياء والظاهر أن الكتاب هو ما نص الله عليه فقط واحتمل أن يكون
مكتوبا بالعربي إذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة ألسن فكتب بالخط العربي
واللفظ العربي لأنها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري واحتمل أن يكون

نه

باللسان الذي كان سليمان يتكلم به وكان عندها من يترجم لها اذ كانت هي عارفة بذلك
اللسان وروي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبيا جملا لا
يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه وروي انه لم يكتب احد
بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمن ولما قرات على الملاء الكتاب ورات ما فيه من الانتقال
الى سليمن استشارتهم في امرها قال قتادة وكان اولوا مشورتها ثلثمائة واثني عشر
وعنه ثلاثة عشر كل رجل منهم على عشرة الاف وكانت بارض مارب من صنعا على ثلاثة
ايام وذكر عن عسكرها ما هو اعظم واكثر من هذا والله اعلم بذلك وتقدم الكلام في
الفتوى في سورة يوسف والمراد منها اشيروا علي بما عندكم في ما حدث لها من الراي
السديد والتدبير وقصدت باشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب انفسهم
ليمالئوها ويقوموا معها كنت قاطعة امرا اي مبرمة وفاصلة امرا حتى تشهدون اي
تحضروا عندي فلا استبد بامر بل تكونون حاضرين معي وفي قراءة عبد الله ما كنت قاضية
امرا اي لا ابت الا وانتم حاضرون معي وما كنت قاطعة امرا ما في كل امر اي ما دا[م]
كانت عادتي هذه معكم فكيف لا استشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج
من الملك والانسلاك في طاعة غيري والصيرورة تبعا فراجعها الملؤ بما اقر عينها
من قولهم نحن اولوا قوة اي قوة بالعدد والعدد واولوا باس شديد اي اصحاب
شجاعة ونجدة اظهروا القوة العرضية ثم القوة الذاتية اي نحن متهيؤن للحرب
ودفع هذا الحادث ثم قالوا والامر اليك فانظري ماذا تامرين وذلك من حسن
محاورتهم اذ وكلوا الامر اليها وهو دليل على الطاعة المفرطة اي نحن ذكرنا ما نحن
عليه ومع ذلك فالامر موكول اليك كانهم اشاروا اولا عليها بالحرب او ارادوا
نحن ابناء الحرب لا ابناء الاستشارة وانت ذات الراي والتدبير الحسن فانظري
ماذا تامريننا به نرجع اليك ونتبع رايك وفانظري من التامل والتفكر وماذا مفعو
المفعول الثاني لتامرين والمفعول الاول محذوف لفهم المعنى اي تامريننا والجملة
معلق عنها انظري فهي في موضع مفعول لانظري بعد اسقاط الحرف من اسم الاستفهام
ولما وصل اليها كتاب سليمان لا على يد رجل بل على طائر استعظمت ملك سليمان
وعلمت ان من سخر له الطير حتى يرسله بامر خاص الى شخص خاص مغلق عليه الابواب
عيش ممتنع عليه تدويخ الارض وملوكها فاخبرت بحال الملوك ومالت الى المهاداة
والصلح فقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية اي تغلبوا عليها افسدوها اي خربوها
بالهدم والحرق والقطع واذلوا اعزة اهلها بالقتل والنهب والاسر وقولها
فيه تزييف لارائهم في الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك
سليمن والظاهر ان وكذلك يفعلون من قولها اي عادة الملوك المستمرة تلك
من الافساد والتذليل وكانت ناشئة في بيت الملك فرات ذلك وسمعت ذكرت
ذلك تاكيدا لما ذكرت من حال الملوك **وقيل** هو من كلام الله اعلاما لرسوله
وامته وتصديقا لاخبارها عن الملوك اذا تغلبوا ولما كانت عادة الملوك
قبول الهدايا وان قبولها يدل على الرضى والالفة قالت واني مرسلة اليهم

اي الى سليمن ومن معه رسلا بهدية وجاء لفظ الهدية مبهما وقد ذكروا في تعيينها
اقوالا مضطربة متعارضة وذكروا من حيلها ومن حال سليمان حين وصلت اليه
الهدية وكلامه مع رسلها ما الله اعلم به وفناظرة معطوف على مرسلة وبم
متعلق بيرجع ووقع الجزء ان لبا متعلقة بناظرة وهو وبم فاحص والنظر هنا معلق
ايضا والجملة في موضع مفعول به وفيه دلالة على انها لم تثق بقبول الهدية بل جوزت
الرد واردت بذلك ان ينكشف لها غرض سليمن والهدية اسم لما يهدى كالعطية
هي اسم لما يعطى وروي انها قالت لقومها ان كان ملكا دنيويا ارضاه المال
وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال وينبغي ان نتبعه على دينه
وفي الكلام حذف تقديره فارسلت الهدية فلما جاء اي الرسول سليمان والمراد
بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد وكذلك الضمير في ارجع والرسول يقع على الجمع والمفرد
والمذكر والمؤنث **وقرا** عبد الله فلما جاءوا وقرا ارجعوا جعله عائدا على قوله المرسلين
سلوت
اتمدونني بمال الاستفهام انكار واستقلال وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا
وعدم تعلق قلبه عليه السلام بها ثم ذكر نعمة الله عليه وان ما اتاه الله من النبوة
وسعة الملك خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون بحبكم الدنيا والهدية
يصح اضافتها الى المهدي والى المهدى اليه وهي هنا مضافة للمهدى اليه وهذا
هو الظاهر ويجوز ان تكون مضافة الى المهدي اي بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها
تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويجوز ان تكون عبارة
عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها **وقرا** جمهور السبعة
اتمدونني بنونين واثبت بعض اليا **وقرا** حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية
واثبات يا المتكلم **وقرا** المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة وقال الزمخشري
فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله
بالفاء **قلت** اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى
وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي
وانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت
فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله **فان قلت** فما وجه الاضراب
قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم
حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها انتهى ه ارجع اليهم هو خطاب للرسول
الذي جاء بالهدية وهو المنذر بن عمرو امير الوفد والمعنى ارجع اليهم بهديتهم
وتقدمت قراءة عبد الله ارجعوا اليهم وارجعوا هنا لا تتعدى اي انقلبوا وانصر
فوا
اليهم **وقيل** الخطاب بقوله ارجع للهدهد محملا كتابا اخر ثم اقسم سليمان
فقال فلناتينهم بجنود متوعدا لهم وفيه حذف اي ان لم ياتوني مسلمين
ودل هذا التوعد على انهم كانوا كفارا باقين على الكفر اذ ذاك والضمير في بها
عائد على الجنود وهو جمع تكسير فيجوز ان يعود الضمير عليه كما يعود على الواحدة كما قالت
العرب الرجال واعضادها **وقرا** عبد الله بهم ومعنى لا قبل لا طاقة وحقيقة

قوله عز وجل قال يا ايها الملأ

وحقيقة المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون ان يقابلوهم والضمير في منها عائد
على سبأ وهي ارض بلقيس وقومها وانتصب اذلة على الحال وهم صاغرون حال اخرى
والذل ذهاب ما كانوا فيه من العز والصغار وقوعهم في اسر واستعباد ولا يقتصرهم
على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا وفي مجيء هاتين الحالتين دليل على جواز ان يقضي
العامل حالين لذي حال واحد وهي مسئلة خلاف ويمكن ان يقال ان الثانية جاءت
توكيدا لقوله اذلة فكانهما حال واحدة ۞ قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها
قبل ان يأتوني مسلمين ۞ قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
واني عليه لقوي امين ۞ قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر
ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم ۞ قال نكروا لها عرشها
ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون ۞ فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
قالت كأنه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ۞ وصدها ما كانت تعبد
من دون الله انها كانت من قوم كافرين ۞ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ۞ في الكلام حذف تقديره فرجع المرسل
اليها بالهدية واخبرها بما اقسم عليه سليمان فتجهزت للمسير اليه اذ علمت انه نبي
ولا طاقة لها بقتال نبي فروي انها امرت عند خروجها الى سليمان فجعل عرشها
في آخر سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من قصورها وغلقت الابواب
ووكلت به حراسا يحفظونه وتوجهت الى سليمان في اقيالها واتباعهم قال
عبد الله بن شداد فلما كانت على فرسخ من سليمان قال ايكم يأتيني بعرشها وقال
ابن عباس كان سليمان مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر
ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس فقال ذلك واختلفوا
في قصد سليمان استدعاء عرشها فقال قتادة وابن جريج لما وصف له عظم عرشها
وجودته اراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويمنع اخذ اموالهم والاسلام
على هذا الدين وهذا فيه بعد ان يبتغي ذلك من نبي اوتي ملكا لم يؤته غيره وقال
ابن عباس وابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله وليغرب عليها
سليمان والاسلام على هذا الاستسلام واشار الزمخشري الى القول فقال ولعله
اوحي اليه عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك
بعض ما خصه به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى
وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها النبي وقال الطبري اراد ان يختبر
صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم وهذا فيه بعد لانه قد ظهر صدقه في حمل
الكتاب وما ترتب على حمله من مشورة بلقيس قومها وبعثها بالهدية وقيل
اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها والظاهر
ترتيب هذه الاخبار على حسب ما وقعت في الوجود وهو قول الجمهور وعن ابن عباس
انه قال ايكم يأتيني بعرشها حين ابتدأ النظر في صدق الهدهد من كذبه لما قال ولها

عرش عظيم ففي ترتيب القصص تقديم وتأخير وفي قوله ايكم يأتيني بعرشها دليل
على جواز الاستعانة ببعض الاتباع في مقاصد الملوك ودليل على انه قد يخص بعض
اتباع الانبياء بشيء لا يكون لغيرهم ودليل على مبادرة من طلبه من الملوك
قضاء حاجته وبداءة الشياطين في التسخير على الانس وقدرتهم باقدار الله على ما
يبعد فعله من الانس وقرأ الجمهور عفريت وابو حيوة بفتح العين وقرأ ابو رجاء
وابو السمال وعيسى ورويت عن ابي بكر الصديق عفرية بكسر العين وسكون الفاء
وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التأنيث ۞
وقال ذو الرمة كأنه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب
وقرأت فرقة عفر بلا ياء ولا تاء ويقال في لغة طي وتميم عفراة بالالف
وتاء التأنيث وفيه لغة سادسة عفارية ويوصف بها الرجل ولما كان
قد يوصف به الانس خص بقوله من الجن وعن ابن عباس اسمه صخر وقيل كوزي
وقيل ذكوان وآتيك يحتمل ان يكون مضارعا واسم فاعل وقال قتادة ومجاهد
من مقامك اي من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى الظهر في كل يوم وقيل
قبل ان تستوي من جلوسك قائما واني عليه اي على الاتيان به لقوي على حمله امين
لا اختلس منه شيئا قال الحسن كان كافرا لكنه كان مسخرا والعفريت لا يكون الا كافرا
قال الذي عنده علم من الكتاب قيل هو من الملائكة وهو جبريل قاله النخعي
والكتاب اللوح المحفوظ او كتاب سليمان الى بلقيس وقيل ملك ايد
الله به سليمان وقيل هو رجل من الانس واسمه آصف بن برخيا كاتب
سليمان وكان صديقا عالما قاله الجمهور او اسطوم او هود او مليخا قاله قتادة
او اسطورس او الخضر عليه السلام قاله ابن لهيعة وقالت جماعة هو ضبة بن اد
بني ضبة من العرب وكان فاضلا يخدم سليمان كان على قطعة من خيله وهذه
اقوال مضطربة وقد ابهم الله اسمه فكان ينبغي ان لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي
ومن اغرب الاقوال انه سليمان عليه السلام كأنه يقول لنفسه انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك او يكون خاطب بذلك العفريت وحكى هذا القول
الزمخشري وغيره كأنه استبطأ ما قال العفريت فقال له سليمان ذلك
على تحقير العفريت والكتاب هو المنزل من عند الله او اللوح المحفوظ فقولان
والعلم الذي اوتيه قيل اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا ذا
الجلال والاكرام وقيل بالعبرانية اهيا شراهيا وقال الحسن الله
والرحمن ۞ والظاهر ان ارتداد الطرف حقيقة وانه اقصر في المدة من مدة
العفريت ولذلك روي ان سليمان قال اريد اسرع من ذلك حين اجابه
العفريت ولما كان الناظر موصوفا بارسال البصر كما قال الشاعر
۞ وكنت متى ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر ۞
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد فالمعنى انك ترسل طرفك فقبل
ان ترده انا آتيك به وما بين يديك فروي ان آصف قال لسليمان
عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد طرفه فنظر نحو اليمن فدعا آصف

تعالى العزيز في حكايته بمارب يرتفع عند مجلس سليمان عليه السلام بقدرة الله قبل ان
يرتد طرفه وقال ابن جبير وقتادة قبل ان يصل اليك من يقع طرفك عليه
في ابعد ما ترى وقال مجاهد قبل ان تحتاج الى التغميض اي مدة ما
يمكنك ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال ابن عطية وهذان
القولان يقابلان قول من قال ان القيام هو من مجلس الحكم ومن قال
ان القيام هو من الجلوس فيقول في ارتداد الطرف هو ان يطرف اي قبل ان
تغمض عينيك وتفتحهما وذلك ان الثاني يعطي الاقصر في المدة ولا بد انتهى وقيل
طرفك مطروفك اي قبل ان يرجع اليك من تنظر اليه من منتهى بصرك وهذا هو
قول ابن جبير وقتادة المتقدم لان من يقع طرفك عليه هو مطروفك وقال
الماوردي قبل ان ينقبض اليك طرفك بالموت مخبره انه سيأتيه قبل موته
وهذا تأويل بعيد بل المعنى يأتيك به سريعا **وقيل** ارتداد الطرف هنا مجاز
وهو من باب مجاز التمثيل والمراد استقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك
افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف وفي طرفة عين تريد به السرعة اي
آتيك به في مدة اسرع من مدة العفريت فلما رآه مستقرا عنده في الكلام
حذف تقديره فدعا الله فاتاه به فلما رآه اي عرش بلقيس قيل نزل على سليمان
من الهواء **وقيل** نبع من الارض وقيل من تحت عرش سليمان وانتصب
مستقرا على الحال وعنده معمول له والظرف اذا وقع في موضع الحال
كان العامل فيه واجب الحذف فقال ابن عطية وظهر العامل في الظرف
من قوله مستقرا وهذا هو المقدر ابدا في كل ظرف وقع في موضع الحال وقال ابو البقاء
ومستقرا اي ثابتا غير متقلقل وليس بمعنى الحضور المطلق اذ لو كان كذلك لم يذكر
انتهى فاخذ في مستقرا امرا زائدا على الاستقرار المطلق وهو كونه غير متقلقل
حتى يكون مدلوله غير مدلول العندية وهو توجيه حسن لذكر العامل في الظرف
الواقع حالا وقد قدر ذكر العامل في ما وقع خبرا من الجار والمجرور التام في
اي

قول الشاعر

لك العز ان مولاك عز وان يهن ... فانت لدى بحبوحة الهون كائن

قال هذا من فضل ربي اي هذا الاتيان بعرشها وتحصيل ما اردت من ذلك وهو
فضل ربي علي واحسانه ثم علل ذلك بقوله ليبلوني ااشكر ام اكفر قال
ابن عباس المعنى ااشكر على السرير وسوقه ام اكفر اذا رأيت من هو دوني
في الدنيا اعلم مني انتهى وتلقى سليمان النعمة وفضل الله بالشكر اذ ذاك نعمة
متجددة والشكر قيد للنعم واشكر ام اكفر في موضع نصب ليبلوني وهو معلق
لانه في معنى التمييز والتمييز في معنى العلم وكثيرا التعليق في هذا الفعل اجراء
له مجرى العلم وان لم يكن مرادفا له لان مدلوله الحقيقي هو الاختبار ومن شكر
فانما يشكر لنفسه اي ذلك الشكر عائد ثوابه اليه اذ كان قد صان نفسه عن
كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه ومن كفر اي
فضل الله ونعمته عليه فان ربي غني عن شكره لا تعود منفعتها الى الله لانه

هو

هو الغني المطلق الكريم بالانعام على من كفر نعمته والظاهر ان قوله فان ربي غني كريم
هو جواب الشرط ولذلك اضمر فا في قوله غني اي عن شكره ويجوز ان يكون الجواب
محذوفا دل عليه ما قبله من قسيمه اي ومن كفر فلنفسه اي ذلك الكفر عائد عقابه
اليه ويجوز ان تكون من موصولة ودخلت الفاء في الخبر لتضمنها معنى الشرط
قال نكروا لها عرشها روي ان الجن احست من سليمان او ظنت به انه ربما
تزوج بلقيس فكرهوا ذلك ورموها عنده بانها غير عاقلة ولا مميزة وان رجلها
كحافر دابة فجرب عقلها وتمييزها بتنكير العرش وامر رجلها بالصرح لتكشف
عن ساقيها عنده وتنكير عرشها قال ابن عباس ومجاهد والضحاك بان زيد فيه
ونقص منه **وقيل** بنزع ما عليه من الفصوص والجواهر **وقيل** بجعل اسفله
اعلاه ومقدمه مؤخره والتنكير جعله متنكرا متغيرا عن شكله وهيئته كما يتنكر
الرجل للناس حتى لا يعرفوه **وقراءة** الجمهور ننظر بالجزم على جواب الامر **وقرأه**
ابو حيوة بالرفع على الاستئناف امر بالتنكير ثم استأنف الاخبار عن نفسه بانه
ينظر ومتعلق اتهتدي محذوف والظاهر انه اتهتدي لمعرفة عرشها
ولا يجعل التنكير قادحا في معرفتها له فيظهر بذلك فرط عقلها وانها لم تخف
عليه حال عرشها وان كانوا قد رأموا الاخفاء او اتهتدي للجواب المصيب اذا سئلت
عنه او اتهتدي للايمان بنبوة سليمان اذا رأت هذا المعجز من نقل عرشها من
المكان الذي تركته فيه وغلقت الابواب عليه وجعلت له حراسا فلما جاءت
في الكلام حذف اي فنكروا عرشها ونظروا ما جاؤا بها اذا سئلت عنه
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك اي مثل هذا العرش الذي ترينه عرشك الذي
تركتيه ببلادك ولم يأت التركيب اهذا عرشك جاء باداة التشبيه لئلا يكون
ذلك تلقينا لها ولما رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميزت فيه اشياء من عرشها
لم تجزم بانه هو ولا نفته النفي البالغ بل ابرزت ذلك في صورة تشبيهية
فقالت كانه هو وذلك من جودة ذهنها حيث لم تجزم في الصورة المحتملة
باحد الجائزين من كونه اياه او من كونه ليس اياه وقابلت تشبيههم بتشبيهها
والظاهر ان قوله واوتينا العلم الى قوله من قوم كافرين ليس من كلام بلقيس
وان كان متصلا بكلامها فقيل من كلام سليمان **وقيل** من كلام قوم سليمان
واتباعه فان كان من قول سليمان فقيل العلم هنا مخصوص اي واوتينا العلم
باسلامها ومجيئها طائعة من قبلها اي من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين
خاضعين وقال ابن عطية وفي الكلام حذف تقديره كانه هو وقال
سليمان عند ذلك واوتينا العلم من قبلها الاية قال ذلك على جهة تعديد
نعم الله تعالى وانما قال ذلك لما علمت هي وفهمت ذكر هو نعمة الله
عليه وعلى آبائه انتهى ملخصا وقال الزمخشري واوتينا العلم من كلام
سليمان وملائه **فان قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت**
لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى
فيه سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عندنا

قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها فطبّقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد
رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت
عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم
وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وصحة نبوة سليمان ما جاء من عنده
قبل علمها ولم نزل نحن على دين الإسلام شكروا الله على فضلهم عليها وسبقهم
إلى العلم بالله والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة
الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا
بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان
قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر
ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه
ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت
تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل انتهى أما قوله ويجوز أن يكون
من كلام بلقيس فهو قول قد تقدم إليه على سبيل التعيين لا الجواز قيل
والمعنى وأوتينا العلم بصحة نبوته بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد
والرسل من قبل هذه المعجزة يعني إحضار العرش وكنا مسلمين مطيعين
لأمرك منقادين لك والظاهر أن الفاعل بصدها هو قوله ما كانت تعبد
وكونه الله أو سليمان وما مفعول صدها على إسقاط حرف الجر قاله الطبري
وهو ضعيف لا يجوز إلا في ضرورة الشعر نحو قوله ٥
تمرون الديار ولم تعوجوا ٥ أي عن الديار وليس من مواضع حذف حرف الجر
وإذا كان الفاعل هو ما كانت فالمصدود عنه الظاهر أنه الإسلام وقال
الرماني التقدير التفطن للعرش لأن المؤمن يقظ والكافر خبيث والظاهر أن قوله
وصدها معطوف على قوله وأوتينا إذا كان من كلام سليمان وإن كان يحتمل
ابتداء إخبار من الله تعالى لمحمد نبيه ولأمته وإن كان وأوتينا من كلام بلقيس
فالظاهر أنه يتعين كونه من قول الله تعالى وقول من قال إنه متصل بقوله
أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون والواو في وصدها للحال وقد
مضمرة مرغوب عنه لطول الفصل بينهما ولأن التقديم والتأخير لا
يذهب إليه إلا عند الضرورة وقرأ الجمهور إنها بكسر الهمزة وسعيد بن جبير
وابن أبي عبلة بفتحها فأما على تقدير حرف الجر أي لأنها وأما على أن يكون
بدلا من الفاعل الذي هو ما كانت تعبد قال محمد بن كعب القرظي وغيره
لما وصلت بلقيس أمر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن
من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئ ماء وبث فيه السمك والضفادع
وجعل لسليمان في وسطه كرسي فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي إلى النبي
عليه السلام فرأت اللجة وفزعت ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فكشفت
عن ساقيها فرأى سليمان ساقيها سليمتين مما قالت الجن فلما بلغت هذا
الحد قال لها سليمان إنه صرح ممرد من قوارير وعند ذلك استسلمت بلقيس

وأذعنت

وأذعنت وأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم وفي هذه الحكاية زيادة وهو أنه
وضع سريره في صدره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس قاله
الزمخشري وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا
على الدين انتهى ٥ والصرح كل بناء عال ومنه ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب
وهو من التصريح وهو الإعلان البالغ وقال مجاهد الصرح هنا البركة
وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار ساحتها وقيل الصرح هنا القصر
من الزجاج وفي الكلام حذف أي فدخلته امتثالا للأمر واللجة الماء الكثير
وكشف ساقيها عادة من كان لابسا وأراد أن يخوض الماء إلى مقصد له ولم يكن
المقصود من الصرح إلا تهويل الأمر وحصل كشف الساق على سبيل التبع إلا أن يصح
ما روي عن الجن أن ساقها ساق دابة بحافر فيمكن أن يكون استعلام ذلك
مقصودا وقرأ ابن كثير قيل في رواية الإخريط وهب بن واضح عن سأقيها
بالهمز قال أبو علي وهي ضعيفة وكذلك في قراءة قنبل يكشف عن سأق وأما
همز السؤق وعلى سؤقه فلغة مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة حكى أبو علي
النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة وأنشد أحب المؤقدين إلي موسى ٥
والظاهر أن الفاعل بقال هو سليمان ويحتمل أن يكون الفاعل هو الذي أمرها
بدخول الصرح وظلمها نفسها قيل بالكفر وقيل بحسبانها أن سليمان أراد أن يغرقها
وقال ابن عطية ومع ظرف بني على الفتح وأما إذا أسكنت العين فلا خلاف أنه
حرف جاء لمعنى انتهى ٥ والصحيح أنها ظرف فتحت العين أو سكنت وليس التسكين
مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية فيها مجاز
وإنما هو اسم يدل على معنى الصحبة **الحديقة** البستان كان عليه جدار أو لم يكن **الحاجز**
الفاصل بين الشيئين **الفوج** الجماعة **الجمود** سكون الشيء وعدم حركته **الإتقان**
الإتيان بالشيء على أحسن حالاته من الكمال والإحكام في الخلق وهو مشتق من قول
العرب تفتقوا أرضهم إذا أرسلوا فيها الماء الخاثر بالتراب فتجود والنقن ما رمي
به الماء في الغدير وهو الذي يجيء به الماء من الخثورة **كبكبت** الرجل ألقيته لوجهه ت
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون
قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون • وكان
في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون • قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون • فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
أنا دمرناهم وقومهم أجمعين • فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك
لآية لقوم يعلمون • وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون • ثمود هي عاد الأولى
وصالح أخوهم في النسب لما ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بني إسرائيل
ذكر قصة من هو من العرب يذكر بها قريشا والعرب وتنبيها أن من تقدم من الأنبياء
من العرب كان يدعو إلى إفراد الله بالعبادة ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على

المقدار

قوله عز وجل
ولقد أرسلنا

ضلالة وان شان الانبيا عزيهم وعجههم سوا الدعا الى عبادة الله وان في ان اعبدوا
يجوزان تكون مفسرة لان ارسلنا تتضمن معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية اي
بان اعبدوا فحذف حرف الجر فعلى الاول لا موضع لها من الاعراب وعلى الثاني
ففي موضعها خلاف اهو في موضع نصب ام في موضع جر والظاهر ان الضمير في فاذا هم
عائد على ثمود وان قومه انقسموا فريقين مؤمنا وكافرا وقد جاء ذلك مفسرا
في سورة الاعراف في قوله الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم ٥ وقال
الزمخشري اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يومن منهم احد انتهى فجعل الفريق
الواحد هو صالح والفريق الآخر قومه واذا هنا هي الفجائية وعطف بالفاء
التي تقتضي التعقيب لا المهلة فكان المعنى انهم بادروا بالاختصام متعقبا
دعاء صالح اياهم الى عبادة الله وجا يختصمون على المعنى لان الفريقين جمع فان
كان الفريقان من آمن ومن كفر فالجمعية حاصلة في كل فريق ويدل على ان فريق
المؤمن جمع قوله انا بالذي آمنتم به كافرون فقال آمنتم وهو ضمير الجمع وان كان
الفريق المؤمن هو صالح وحده فانه قد انضم الى قومه والمجموع جمع واوثر يختصمون
على يختصمان وان كان من حيث لفظ التثنية جائزا فصيحا لانه مقطع فصل
واختصامهم دعوى كل فريق ان الحق معه وقد ذكر الله تخاصمهم في سورة الاعراف
ثم تلطف صالح بقومه ورفق بهم في الخطاب فقال مناديا لهم على جهة
التحنن عليهم لم تستعجلون بالسيئة اي بوقوع ما يسوءكم قبل الحالة الحسنة
وهي رحمة الله وكان قد قال لهم في حديث الناقة ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب اليم فقالوا له ائتنا بعذاب الله **وقيل** لم تستعجلون بوقوع المعاصي
منكم قبل الطاعة قال الزمخشري **فان قلت** ما معنى استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى **قلت**
كانوا يقولون بجهلهم ان العقوبة التي يعدنا صالح ان وقعت على زعمه تبنا
حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن
على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم انتهى ثم حضهم
على ما فيه درء السيئة عنهم وهو الايمان واستغفار الله مما سبق من الكفر وناط
ذلك بترجي الرحمة ولم يجزم بانه يترتب على استغفارهم وكان في التحضيض
تنبيه على الخطاء منهم في استعجال العقوبة وتجهيل لهم في اعتقادهم ولما
لاطفهم في الخطاب اغلظوا له وقالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا
بك وبالذين آمنوا معك ودل هذا العطف على ان الفريقين كانوا مؤمنين
وكافرين لقوله وبمن معك وكانوا قد قحطوا وتقدم الكلام في معنى التطير
في سورة الاعراف جعلوا سبب قحطهم هو ذات صالح ومن آمن معه فرد عليهم
بقوله طائركم عند الله اي حظكم في الحقيقة من خير وشر هو عند الله وبقضائه
ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم وقال الزمخشري ويجوز ان يريد عملكم مكتوب
عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه طائركم معكم وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه **وقرئ** تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطيرنا به تشاءم

به ونظيره عنه نزعته انتهى ثم انتقل الى الاخبار عنهم بالحصر فقال بل انتم
قوم تفتنون اي تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم هو
او تفتنون بشهواتكم اي تشغفون بها كما يقال فتن فلان بفلانة ٥
وقال الشاعر داء قديم في بني آدم فتنة انسان بانسان ٥ فهذه
اقوال يحتملها لفظ تفتنون وجا تفتنون بتاء الخطاب على مراعاة انتم وهو الكثير
في لسان العرب ويجوز يفتنون بياء الغيبة على مراعاة لفظ قوم وهو قليل تقول
العرب انت رجل تأمر بالمعروف بتاء الخطاب وبياء الغيبة والمدينة مجتمع ثمود
وفريتهم وهي الحجر وذكر المفسرون اسماء التسعة وفي بعضها اختلاف وراسهم قدار
ابن سالف واسماؤهم لا تنضبط بشكل ولا تتعين فلذلك ضربنا صفحا عن ذكرها
وكانوا عظماء القرية واغنياءها وفساقها والرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر
من الثلاثة الى التسعة واتفق المفسرون على ان المعنى تسعة رجال ٥ وقال
الزمخشري وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل
تسعة انفس انتهى ٥ وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيث اضاف
الى انفس كان ينبغي ان يقول تسع انفس على تانيث النفس اذ الفصيح فيها التانيث
الا تراهم عدوا من الشذوذ **قول الشاعر**
ثلاثة انفس وثلاث ذود ٥ فادخل التاء في ثلاثة وكان الفصيح ان يكون ثلاث انفس
وقال ابو عبد الله الرازي الاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر
من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبائل ويحتمل انهم دخلوا تحت
العدد لاختلاف صفاتهم واحوالهم لا لاختلاف انتهى قيل والرهط
الجماعة وكانهم كانوا رؤساء مع كل واحد منهم رهط وقال الكرماني واصله
من الترهيط وهو تعظيم اللقم وشدة الاكل انتهى ٥ ورهط اسم جمع واتفقوا على
ان فصله بمن هو الفصيح كقوله تعالى فخذ اربعة من الطير **واختلفوا** في جواز
اضافة العدد اليه فذهب الاخفش الى انه لا ينقاس وما ورد من الاضافة
اليه فهو على سبيل الندور وقد صرح س انه لا يقال ثلاث غنم وذهب قوم
الى انه يجوز ذلك وينقاس وهو مع ذلك قليل وفصل قوم بين ان يكون اسم
الجمع للقليل كرهط ونفر وذود فيجوز ان يضاف اليه او للكثير او يستعمل لهما فلا
يجوز اضافته اليه وهو قول المازني وقد اطلنا الكلام في هذه
المسألة في شرح التسهيل ويفسدون صفة لتسعة رهط والمعنى انهم يفسدون
الفساد العظيم الذي لا يخالطه شيء من الاصلاح فلذلك قال ولا يصلحون لان
بعض من يقع منه افساد قد يقع منه اصلاح في بعض الاحيان **وقرأ** الجمهور تقاسموا
وابن ابي ليلى تقسموا بغير الف وتشديد السين وكلاهما من القسم والتقاسم والتقسم
كالتظاهر والتظهر والظاهر ان قوله تقاسموا فعل امر محكي بالقول وهو قول الجمهور
اشار بعضهم على بعض بالحلف على تبييت صالح واجاز الزمخشري وابن عطية
ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا في موضع الحال اي قالوا متقاسمين قال الزمخشري
تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا على محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين

٠٠ اسم جمع

سموا

انتهى اما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر هو احد قسمي الكلام اذ هو منقسم الى الخبر
والانشاء وجميع معانيه اذا رجعت حققت راجعة الى هذين القسمين وقال
بعد ذلك **وقرئ** لنبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء
يصح فيه الوجهان يعني فيه اي في تقاسموا بالله الوجهان مما الامر والخبر عنه
قال ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا انتهى والتقييد بالحال ليس الا من باب
نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التي هي الاسناد فاذا اطلق عليه الخبر كان
ذلك على تقدير انه لو لم يكن حالا لجاز ان يستعمل خبرا وكذلك قولهم في الجملة
الواقعة قبله صلة انها خبرية هو مجاز والمعنى انه لو لم تكن صلة لجاز
ان يستعمل خبرا وهذا شيء فيه غموض ولا يحتاج الى الاضمار فقد كثر وقوع الماضي
حالا لا يحتاج فذكره يبتغي القياس عليه وعلى هذا الاعراب احتمل ان يكون
بالله متعلقا بتقاسموا الذي هو حال فهو من صلته ليس داخلا تحت القول
والمقول لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فيهما والحسن وحمزة والكسائي
بتاء خطاب الجمع ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش بيا الغيبة والعلاف
مسندان للجمع وحميد بن قيس بيا الغيبة في الاول مسندا للجمع اي ليبيتنه اي
قوم منا وبالنون في الثاني اي جميعنا نقول لوليه والبيات مباغتة العدو
وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من الملوك استراق
الظفر ووليه طالب ثاره اذا قتل **وقرأ** الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام
من اهلك **وقرأ** حفص مهلك بفتح الميم وكسر اللام وابو بكر بفتحهما **فاما**
القراءة الاولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان اي ما شهدنا اهلاك
اهله او زمان اهلاكهم او مكان اهلاكهم ويلزم من هذين انهم اذا لم
يشهدوا الزمان ولا المكان ان لا يشهدوا الاهلاك **واما** القراءة
الثانية فالقياس يقتضي ان يكون للزمان والمكان اي ما شهدنا زمان
هلاكهم ولا مكانه **والثالثة** يقتضي القياس ان يكون مصدرا اي
ما شهدنا هلاكه وقال الزمخشري وقد ذكر القراآت الثلاث قال ويحتمل
المصدر والزمان والمكان انتهى والظاهر في الكلام حذف معطوف يدل عليه
ما قبله والتقدير ما شهدنا مهلك اهله ومهلكه ودل عليه قولهم لنبيتنه
واهله وما روي انهم كانوا عزموا على قتله وقتل اهله وحذف مثل هذا
المعطوف جائز في الفصيح كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد ٥

وقال الشاعر

فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل ٥

اي بين الخير وبيني ويكون قولهم وانا لصادقون كذبا في الاخبار واوهموا قومهم
انهم اذا قتلوه واهله سرا ولم يشعر بهم احد وقالوا تلك المقالة انهم
صادقون وهم كاذبون وقال الزمخشري **فان قلت** كيف يكونون صادقين
وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه **قلت** كانهم اعتقدوا
اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك

اهله

أهله فذكروا احدهما كانوا صادقين فانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما
وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه
ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا كا
ذبين حتى سووا للصدق في انفسهم حيلة يتفصون بها عن الكذب انتهى والعجب من هذا
الرجل كيف يتخيل هذه الحيل في اخبارهم وانا لصادقون اخبارا بالصدق وهو
يعلم انهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من اعظم الايات واقدموا
على قتل نبي واهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم
على انبيائهم ونص الله ذلك وكذبهم لمن لا يخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه في قوله ان الكذب قبيح
عند الكفرة ويتخيل لهم هذا التخيل حتى يجعلهم صادقين في اخبارهم وهذا
الرجل وان كان اوتي من علم القرآن اوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة
اللفظ ففي كتابه في التفسير اشياء منتقدة وكنت قريبا من تسطير هذه الاحرف
قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب
الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ورأيت
اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من
القبائح **فقلت** بعد ذكر ما مدحته به ٥

ولكنه فيه مجال لناقد • وزلات سوء قد اخذن المخانقا •
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا • ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا •
ويشتم اعلام الائمة ضلة • ولا سيما ان اولجوه المضايقا •
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة • بتكثير الفاظ تسمى الشقاشقا •
يقول فيها الله ما ليس قائلا • وكان محبا في الخطابة وامقا •
ويخطئ في تركيبه لكلامه • فليس لما قد ركبوه موافقا •
وينسب ابدا للمعاني لنفسه • ليوهم اغمارا وان كان سارقا •
ويخطئ في فهم القرآن لانه • يجوز اعرابا ابى ان يطابقا •
وكم بين من يؤتى البيان سليقة • وآخر عاناه فما هو لاحقا •
ويحتال للالفاظ حتى يديرها • لمذهب سوء فيه اصبح مارقا •
فيا خسره شيخا تخرق صيته • مغارب تخريق الصبا ومشارقا •
لئن لم تداركه من الله رحمة • لسوف يرى للكافرين مرافقا •

ومكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث
لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ومكرهم انما هم انهم
مسافرون واختفاؤهم في غار قبلا او شعب وعزمهم على قتله وقتل اهله وحلفهم
انهم ما حضروا ذلك ومكر الله بهم اطباق صخرة على فم الغار او الشعب
واهلاكهم فيه او رمي الملائكة اياهم بالحجارة يرونها ولا يرون الرامي
حين شهروا اسيافهم بالليل ليقتلوه فولات **وقيل** ان الله اخبر صالحا

قوله عز وجل ولوطا إذ قال

بكرهم فخرج عنه فذلك مكر الله في حقهم وروي أن صالحا بعد عقر الناقة أخبرهم
بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام فاتفق هؤلاء التسعة على قتل صالح وأهله ليلا
وقالوا إن كان كاذبا في وعيده كنا قد أوقعنا به ما يستحق وإن كان صادقا
كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا واختفوا في غار فأهلكهم الله كما تقدم
ذكره وأهلك قومهم ولم يشعر كل فريق بهلاك الآخر والظاهر أن كيف خبر كان
وعاقبة الاسم والجملة في موضع نصب بانظر وهي معلقة **وقرأ** الجمهور إنا بكسر
الهمزة على الاستئناف **وقرأ** الحسن وابن أبي إسحاق والكوفيون بفتحها
فأنا بدل من عاقبة أو خبر لكان وكيف في موضع الحال أو خبر مبتدأ محذوف
أي هي أي العاقبة تدميرهم أو يكون التقدير لأنا وحذف حرف الجر وعلى
كلتا القراءتين يجوز أن تكون كان تامة وعاقبة فاعل بها وأن تكون زائدة وعاقبة
مبتدأ خبره كيف **وقرأ** أبي أن دمرناهم وهي التي من شأنها أن تنصب المضارع
ويجوز فيها الأوجه الجائزة في أنا بفتح الهمزة وحكى أبو البقاء أن بعضهم أجاز
في أنا دمرناهم في قراءة من فتح الهمزة أن تكون بدلا من كيف قال وقال آخرون
لا يجوز لأن البدل من الاستفهام يلزم فيه إعادة حرفه كقولك كيف زيدا أصحيح
أم مريض **ولما أمر** تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم بين
ذلك بالإشارة إلى منازلهم وكيف خلت منهم وخراب البيوت وخلوها من أهلها
حتى لا يبقى منهم أحد مما يعاقب به الظلمة إذ يدل ذلك على استئصالهم وفي
التوراة ابن آدم لا تظلم يخرب بيتك وهو إشارة إلى هلاك الظالم إذ خراب
بيته متعقب هلاكه وهذه البيوت هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه عام تبوك لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين الحديث
وقرأ الجمهور خاويةً بالنصب على الحال قال الزمخشري عمل فيها ما دل
عليه تلك **وقرأ** عيسى بن عمر خاويةٌ بالرفع قال الزمخشري على خبر المبتدأ
المحذوف وقال ابن عطية أي هي خاوية قال أو على الخبر عن تلك وبيوتهم بدل
أو على خبر ثان وخاوية خربة بسبب ظلمهم وهو الكفر وهو من خلو البطن
وقال ابن عباس خاوية أي ساقط أعلاها على أسفلها إن في ذلك أي في
فعلنا بثمود وهو استئصالنا لهم بالتدمير وخلاء مساكنهم منهم وبيوتهم هي
بوادي القرى بين المدينة والشام وأنجينا الذين آمنوا أي بصالح من العذاب
الذي حل بالكفار وكان الذين آمنوا به أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضر
موت وسميت حضرموت لأن صالحا عليه السلام لما دخلها مات بها وبنى
المؤمنون بها مدينة يقال لها حاضورا وأما الهلاك فكانوا يخرج بأبدانهم
خراج مثل الحمص أحمر في اليوم الأول ثم اصفر في الثاني ثم اسود في الثالث
وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلكوا يوم الأحد فيها تفقأت
تلك الخراجات وصاح جبريل بهم صيحة فخمدوا ۞ ولوطا إذ قال لقومه
أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون • أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء بل أنتم قوم تجهلون • فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا

آل

قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام

آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون • فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها
من الغابرين • وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ۞ ولوطا عطف على
صالحا أي وأرسلنا لوطا أو على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطا أو باذكر مضمرة
وإذ بدل منه أي اذكر وقت قال وأتأتون استفهام إنكار وتوبيخ وأبهم أولا في قوله
الفاحشة ثم عينها في قوله أئنكم لتأتون الرجال وقوله وأنتم تبصرون أي
تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي أحدثتموه وأنه من أعظم الخطايا والعلم
بقبح الشيء مع إتيانه أعظم في الذنب أو آثار العصاة قبلكم أو ينظر بعضكم
إلى بعض لا يستتر ولا يتحاشى من إظهار ذلك مجانة وعدم اكتراث بالمعصية
الشنعاء أقوال ثلاثة وانتصب شهوة على أنه مفعول من أجله وتجهلون غلب
فيه الخطاب كما غلب في بل أنتم قوم تفتنون ومعنى تجهلون أي
عاقبة ما أنتم عليه أو تفعلون فعل السفهاء المجان أو فعل من جهل أنها
معصية عظيمة مع العلم أقوال ولما أنكر عليهم ونسبهم إلى الجهل ولم تكن
لهم حجة فيما يأتونه من ذلك عدلوا إلى المغالبة والإيذاء وتقدم معنى
يتطهرون في الأعراف **وقرأ** الجمهور جواب بالنصب والحسن وابن أبي إسحاق
بالرفع والجمهور قدرناها بتشديد الدال وأبو بكر بتخفيفها وباقي الآية تقدم
تفسير نظيره في الأعراف وساء بمعنى بئس والمخصوص بالذم محذوف أي
مطرهم ۞ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون
أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق
ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون
أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين
البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون • أمن يجيب المضطر إذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون • أمن
يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته أإله
مع الله تعالى الله عما يشركون • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم
من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين • قل لا
يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون • أيان يبعثون
بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ۞ لما
فرغ من قصص هذه السورة أمر رسوله عليه السلام بحمده تعالى والسلام على
المصطفين وأخذ في مباينة واجب الوجود الله تعالى ومباينة الأصنام
والأديان التي أشركوها مع الله وعبدوها وابتدأ في هذا التقرير
لقريش وغيرهم بالحمدلة وكأنها صدر خطبة لما يلقي من البراهين الدالة
على الوحدانية والعلم والقدرة وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيفهم
كتبهم وخطبهم ووعظهم فافتتحوا بتحميد الله والصلاة على محمد رسوله
وتبعهم المترسلون في أوائل كتب الفتوح والتهاني والحوادث التي لها شأن
وقيل هو متصل بما قبله وأمر الرسول عليه السلام بتحميد الله على هلاك

المهالكين من كفار الامم والسلام على الانبيا واتباعهم الناجين وقيل
الخطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على
عباده الذين اصطفى وعزا هذا القول ابن عطية للفراء وقال هذه عجمة من الفراء
وقرا ابو السمال قل الحمد لله وكذا قل الحمد لله سيريكم بفتح اللام وعباده
المصطفون يعم الانبيا واتباعهم وقال ابن عباس العباد المسلم عليهم هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاهم لنبيه وفي اختصاصهم بذلك توبيخ للمعاصرين
من الكفار وقال ابو عبد الله الرازي لما ذكر تعالى احوال الانبيا وان من كذبهم
استوصل بالعذاب وان ذلك مرتفع عن امة الرسول امره تعالى بحمده على ما خصه
من هذه النعمة وتسليمه على الانبيا الذين صبروا على مشاق الرسالة انتهى
وفيه تلخيص وقوله آلله خير اما يشركون استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم
بحالهم وتنبيه على موضع التباين بين الله تعالى وبين الاوثان اذ معلوم عند من له
عقل انه لا شركة في الخيرية بين الله تعالى وبينهم وكثيرا ما يجي هذا النوع من افعل
التفضيل حيث يعلم ويتحقق انه لا شركة فيه وانما يذكر على سبيل الزام الخصم وتنبيهه
على خطا مرتكبه والظاهر ان هذا الاستفهام هو عن خيرية الذوات فقيل جا على
اعتقاد المشركين حيث اعتقدوا في الهتهم خيرا بوجه ما وقيل في الكلام
حذف في موضعين والتقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما يشركون فما في ام ما
بمعنى الذي وقيل خير ليست للتفضيل فهي كما تقول الصلاة خير يعني خير من
الخيور وقيل التقدير ذو خير والظاهر ان خيرا افعل التفضيل وان الاستفهام
في نحو هذا يجي لبيان فساد ما عليه الخصم وتنبيههم على خطائه والزامه الاقرار
بحصر التفضيل في جانب واحد وانتفائه عن الاخر وقرا الجمهور تشركون بتاء الخطاب
والحسن وقتادة وعاصم وابو عمرو بيا الغيبة وام في اما متصلة لان المعنى
ايهما خير وفي ام من خلق وما بعدها منفصلة ولما ذكر الله خير عدد سبحانه الخيرات
والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في غير موضع من كتابه توقيفا
لهم على ما ابدع من المخلوقات وانهم لا يجدون بدا من الاقرار بذلك لله تعالى
وقرا الجمهور امن خلق وفي الاربعة بعدها بشد الميم وهي ميم ام ادغمت
في ميم من وقرا الاعمش بتخفيفها جعلها همزة الاستفهام ادخلت على من ومن
في القراءتين مبتدا وخبره قال ابن عطية تقديره يكفر بنعمته ويشرك به ونحو
هذا من المعنى وقدره الزمخشري خير اما يشركون فقدر ما اثبت في الاستفهام
الاول بدا اولا في الاستفهام باسم الذات ثم انتقل فيه الى الصفات
وقال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له ولا بد من اضمار جملة معادلة
وصار ذلك المضمر كالمنطوق به لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة امن
خلق السموات كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذا الموضع ما اضمر
فيها لقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق انتهى وتسمية هذا المقدر جملة
ان اراد بها جملة من الالفاظ فهو صحيح وان اراد الجملة المصطلح عليها
في النحو فليس كذلك بل هو مضمر من قبيل المفرد وبدا تعالى بذكر انشاء معظم العالم

ما مصدرية وحذف من الاول اي توحيد الله خير ام شرككم وقيل الخ

العلوي

العلوي والسفلي وانزل الماء به قوام العالم السفلي وقال لكم اي لاجلكم على سبيل
الامتنان وان ذلك من اجلكم ثم قال فانبتنا وهذا التفات من الغيبة الى التكلم بنون
العظمة والاعلام اختصاصه بذلك وانه لم ينبت تلك الحدائق المختلفة الاصناف
والالوان والطعوم والروائح بماء واحد الا هو تعالى وقد رشح هذا الاختصاص
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ولما كان خلق السموات والارض وانزال
الماء من السماء لا شبهة للعاقل في ان ذلك لا يكون الا لله وكان الانبات
مما قد يتسبب فيه الانسان بالبذر والسقي والتهيئة ويسوغ لفاعل السبب نسبة
فعل المسبب اليه بين تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتاكيد ذلك
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الا ترى ان المتسبب لذلك قد لا ياتي
على وفق مراده ولو اتى فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا
لها والبهجة الجمال والنضارة والحسن لان الناظر فيها يبتهج اي يسر ويفرح
وقرا الجمهور ذات بالافراد بهجة بسكون الهاء وجمع التكسير يجري في الوصف
مجرى الواحدة كقوله ازواج مطهرة وهو على معنى جماعة وقرا ابن ابي عبلة ذوات
بالجمع بهجة بتحريك الهاء بالفتح ما كان لكم ان تنبتوا شجرها قد تقدم ان
نفي مثل هذه الكينونة قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه كهذا او لامتناع وقوعه
شرعا او لنفي الاولوية والمعنى هنا ان اثبات ذلك منكم محال لانه ابراز شي
من العدم الى الوجود وهذا ليس بمقدور الا لله تعالى ولما ذكر منته عليهم خاطبهم
بذلك ثم لما ذكر ذمهم عدل من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم قوم يعدلون
اما التفاتا واما اخبارا للرسول بحالهم اي يعدلون عن الحق ويعدلون به غيره اي
يجعلون له عديلا ومثيلا وقرئ االها بالنصب بمعنى اتدعون او اتشركون
وقرئ االه بتحقيق الهمزتين وتليين الثانية والفصل بينهما بالف ولما
ذكر تعالى انه منشي السموات والارض ذكر شيئا مشتركا بين السماء والارض وهو
انزال الماء من السماء وانبات الحدائق بالارض ذكر شيئا مختصا بالارض وهو
جعلها قرارا اي مستقرا للكون بحيث يمكنكم الاقامة بها والاستقرار عليها ولا
يديرها الفلك قيل لانها منفصلة في جنب الفلك كالنقطة في الرحى وجعل
خلالها اي بين اماكنها في شعابها واوديتها انهارا وجعل لها رواسي
اي جبالا ثوابت حتى لا تتكفا بكم وتميد والبحران العذب والملح والحاجز
الفاصل من قدرته تعالى قاله الضحاك وقال مجاهد بحر السما والارض
والحاجز ذلك من الاصل من الهواء وقال الحسن بحر فارس والروم وقال
السدي بحر العراق والشام والحاجز من الارض قال ابن عطية مختارا لهذا
القول في الحاجز هو ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها
في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرته لبلع الملح العذب وكان ابن عطية
قد قدر ان البحرين العذب بجملته والماء الاجاج بجملته ولما كانت كل واحدة
منه عظيمة مستقلة تكرر فيها العامل في قوله وجعل وجعل وكانت من عطف
الجمل المستقل كل واحد منها بالامتنان ولم يشرك في عامل واحد فيكون

من عطف المفردات ولابي عبد الله الرازي في ذكر هذه الامتنانات الاربع كلام من علم
الطبيعة والحكماء على زعمه خارج عن مذاهب العرب يوقف عليه في كتابه والمضطر
اسم مفعول وهو الذي احوجه مرض او فقر او حادث من حوادث الدهر الى الالتجاء
الى الله والتضرع اليه فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وازالته عنه وقال
ابن عباس هو المجهود وقال السدي هو الذي لا حول له ولا قوة له **وقيل** هو المذنب
اذا استغفر واجابته اياه مقرونة بمشيئته تعالى فليس كل مضطر دعا يجيبه الله
في كشف ما به وقال الزمخشري الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة
ولهذا لا يحسن الدعاء الا شارطا فيه المصلحة انتهى وهو على طريق الاعتزال
في مراعاة المصلحة من الله تعالى ويكشف السوء هو كل ما يسوء وهو عام في كل ضر اشتمل
من حالة المضطر وهو خاص الى اعم وهو ما يسوء سواء كان المكشوف عنه في حالة الاضطرار
وفيما دونها وخلفاء اي لامم السالفة او في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر او خلفاء النبي
عليه السلام من بعده او خلفاء الكفار في ارضهم او الملك والتسلط اقوال **وقرأ** الحسن
في رواية ويجعلكم بنون المتكلم كانه استئناف اخبار ووعد كما قال تعالى ليستخلفنهم
في الارض وقوله ويجعلكم خلفاء الارض انتقال من حالة المضطر الى رتبة مغايرة
لحالة الاضطرار وهي حالة الخلافة فهما طرفان وكم رأينا في الدنيا ممن بلغ حالة الاضطرار
ثم صار ملكا متسلطا **وقرأ** الجمهور تذكرون بتاء الخطاب والحسن والاعمش وابو عمرو
بياء الغيبة والذال في القراءتين مشددة لادغام التاء فيها **وقرأ** ابو حيوة
تتذكرون بتاءين وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقة وتنطلق مجازا على
الجهل وعلى ابهام الامر فيقال اظلم على الامر **وقال الشاعر**
تجلت عمايات الرجال عن الصبا ۞ اي جهالات الصبا وهدايته البر تكون بالعلامات
وهداية البحر بالنجوم ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تقدم تفسير نظير هذه
الجملة **وقرئ** عما تشركون بتاء الخطاب ۞ امن يبدو الخلق الظاهر ان الخلق
هو المخلوق وبدؤه اختراعه وانشاؤه ويظهر ان المقصود هو من يعيده الله
في الاخرة من الانس والجن والملك لا عموم المخلوق وقال ابن عطية والمقصود
بنو آدم من حيث ذكر الاعادة والاعادة البعث من القبور ويحتمل ان يريد بالخلق
مصدر خلق ويكون يبدا ويعيد استعارة للاتقان والاحسان كما تقول
فلان يبدي ويعيد في امر كذا اذا كان يتقنه وقال الزمخشري **فان قلت**
كيف قال لهم امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم منكرون الاعادة **قلت**
قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار
انتهى ولما كان ايجاد بني آدم انعاما اليهم واحسانا ولا تتم النعمة الا
بالرزق قال ومن يرزقكم من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات قل هاتوا برهانكم
اي احضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون من انكار شيء مما تقدم تقريره ان كنتم
صادقين في ان مع الله الها آخر فاين دليلكم عليه وهذا راجع الى ما تقدم
من جميع الاستفهام الذي جيء به على سبيل التقرير وناسب ختم كل استفهام
بما تقدمه لما ذكر ايجاد العالم العلوي والسفلي وما امتن به من انزال المطر

والنبات

والنبات الحدائق اقتضى ذلك ان لا يعبد الا موجد العالم والممتن بما به قوام
الحيوان فختم بقوله بل هم قوم يعدلون اي عن عبادته او يعدلون به غيره مما هو مخلوق
مخترع **ولما** ذكر جعل الارض مستقرا وتفجير الانهار وارساء الجبال وكان ذلك
تنبيها على تعقل ذلك والفكر فيه ختم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون اذ كان فيهم
من يعلم ويفكر في ذلك ولما ذكر اجابة دعاء المضطر وكشف السوء واستخلافهم
في الارض ناسب ان يستحضر الانسان دائما هذه المنة فختم بقوله قليلا ما
تذكرون اشارة الى توالي النسيان اذا صار في خير وزال اضطراره وكشف
السوء عنه كما قال نسي ما كان يدعو اليه من قبل **ولما ذكر** الهداية في
الظلمات وارسال الرياح نشرا ومعبوداتهم لا تهتدي ولا ترسل وهم يشركون
بها الله قال تعالى الله عما يشركون واعقب كل واحدة من هذه الجمل قوله أإله
مع الله على سبيل التوكيد والتقرير انه لا اله الا هو تعالى قيل سأل الكفار عن
وقت القيامة التي وعدهم الرسول والحوا عليه فنزل قل لا يعلم من في السموات
والارض الآية والمتبادر الى الذهن ان من فاعل يعلم والغيب مفعول والا الله استثناء
منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ من وجاء مرفوعا على لغة تميم ودلت هذه
الآية على انه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب **وعن** عائشة رضي الله عنها من زعم
ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم الفرية على الله تعالى يقول قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله ولا يقال انه مندرج في مدلول من فيكون
في السموات والارض ظرفا حقيقيا للمخلوقين فيهما ومجازيا بالنسبة اليه تعالى
اي هو فيهما بعلمه لان في ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز واكثر العلماء ينكر
ذلك وانكاره هو الصحيح ومن اجاز ذلك فيصح عنده ان يكون استثناء متصلا
وارتفع على البدل او الصفة والرفع افصح من النصب على الاستثناء لانه
استثناء من نفي متقدم والظاهر عموم الغيب **وقيل** المراد غيب الساعة
وقال الزمخشري **فان قلت** ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي
يعني في كونه استثناء منقطعا اذ ليس مندرجا تحت من ولم اختار الرفع على لغة تميم
ولم يختر النصب على لغة الحجاز قال **قلت** دعت الى ذلك نكتة سرية حيث
اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك
ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب
في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس انتهى وكان الزمخشري
تقدم قوله **فان قلت** لم رفع اسم الله والله سبحانه ان يكون ممن في السموات
والارض **قلت** جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا
حمار كان احدا لم يذكر ومنه **قوله** ۞
۞ عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم ۞
وقوله ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه انتهى وملخصه انه
يقول لو نصب لكان مندرجا تحت المستثنى منه واذا رفع كان بدلا والمبدل منه

في نية الطرح فصار العامل كأنه مفرغ له لا لا لبدل على نية تكرار العامل كأنه
قيل قل لا يعلم الغيب الا الله ولو اعرب من مفعولا والغيب بدلا منه والا الله
هو الفاعل اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشياء الغائبة
التي تحدث في العالم وهم لا يعلمون بحدوثها اي لا يسبق علمهم بذلك لكان
وجها حسنا وكان الله تعالى هو المخصوص بسابق علمه فيما يحدث في العالم لم
وايان تقدم الكلام فيها في اواخر الاعراف وهي هنا اسم استفهام بمعنى
متى وهي معمولة ليبعثون ويشعرون معلق والجملة التي فيها استفهام في موضع
نصب به **وقرأ** السلمي إيان بكسر الهمزة وهي لغة قبيلته بني سليم ولما نفى علم
الغيب عنهم على العموم نفى عنهم هذا الغيب المخصوص هو وقت الساعة والبعث
فصار منتفيا مرتين اذ هو مندرج في عموم الغيب ومنصوص عليه بخصوصه **وقرأ**
الجمهور بل ادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال فسكنت فاجتلبت
همزة الوصل **وقرأ** أبيّ ام تدارك على الاصل وجعل ام بدل بل **وقرأ** سليمان
ابن يسار وعطاء بن يسار اخوه بل ادّرك بنقل حركة الهمزة الى اللام وشد الدال
بناء على ان وزنه افتعل فادغم الدال وهي فاء الكلمة في التاء بعد قلبها دالا فصار
فيه قلب الثاني للاول كقولهم اثّرد واصله اثترد من الثرد والهمزة المحذوفة
المنقول حركتها الى اللام هي همزة الاستفهام دخلت على الف الوصل فانحذفت
الف الوصل ثم انحذفت هي والقيت حركتها على لام بل **وقرأ** ابو رجاء والاعرج
وشيبة وطلحة وتوبة العنبري كذلك الا انهم كسروا لام بل وروي ذلك
عن ابن عباس وعاصم والاعمش **وقرأ** ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر واهل مكة
بل ادرك على وزن افعل بمعنى تفاعل وروي عن ابي بكر عن عاصم **وقرأ** عبد الله
في رواية وابن عباس في رواية ابي حيوة وعمر بن عتبة والحسن وقتادة وابن محيصن
بل آدرك بمد بعد همزة الاستفهام واصله أأدرك فقلبت الثانية الفا
تخفيفا لكراهة الجمع بين همزتين وانكر ابو عمرو بن العلاء هذه الرواية ووجهها
وقال ابو حاتم لا يجوز الاستفهام بعد بل لان بل ايجاب والاستفهام في هذا
الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم اي لم يشهدوا فلا يصح
وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار انتهى وقد اجاز بعض
المتأخرين الاستفهام بعد بل وشبهه بقول القائل اخبزا اكلت ام بل اماء شربت
على ترك الكلام الاول والاخذ في الثاني **وقرأ** مجاهد ام ادرك
جعل ام بدل بل وادرك على وزن افعل **وقرأ** ابن عباس ايضا بل آدّارك
بهمزة داخلة على ادّارك فتسقط همزة الوصل المجتلبة لاجل الادغام
والنطق بالساكن **وقرأ** ابن مسعود ايضا بل أأدرك بهمزتين همزة
الاستفهام وهمزة افعل **وقرأ** الحسن ايضا والاعرج بل ادّرك بهمزة وادغام
فاء الكلمة وهي الدال في تاء افتعل بعد صيرورة التاء دالا **وقرأ** ورش في
رواية بل ادرك بحذف همزة الف ادرك ونقل حركتها الى اللام **وقرأ**
ابن عباس ايضا بلى ادرك بحرف الايجاب الذي يوجب به المستفهم المنفي

وقرئ بل أاادرك بالف بين الهمزتين فاما قراءة من قرأ بالاستفهام فقال
ابن عباس هو للتقريع بمعنى لم يدرك علمهم على الانكار عليهم وقال الزمخشري هو استفهام
على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك قراءة من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها
ام التي بمعنى بل والهمزة انتهى وقال ابن عطية هو على معنى الهزء بالكفرة والتقرير
لهم على ما هو في غاية البعد عنهم اي علموا امر الآخرة وادركها علمهم واما
قراءة من قرأ على الخبر فقال ابن عباس المعنى بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا
اي علموه في الآخرة بمعنى تكامل علمهم في الآخرة بكل ما وعدوا به حق وهذا
حقيقة اثبات العلم لهم لمشاهدتهم عيانا في الآخرة ما وعدوا به غيبا في الدنيا
وكونه بمعنى المضي ومعناه الاستقبال لان الاخبار به صدق وكأنه قد وقع وقال
ابن عطية يحتمل معنيين احدهما انه تناهى علمهم كما تقول ادرك النبات وغيره
اي تناهى وتتابع علمهم بالآخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيؤمنوا وانما لهم ظنون
كاذبة او الى ان لا يعرفوا لها وقتا وتكون في بمعنى الباء متعلقة بعلمهم وقد تعدى
العلم بالباء كما تقول علمي بزيد كذا ويسوغ حمل هذه القراءة على معنى التوقيف والاستفهام
وجاء انكارا لانهم لم يدركوا شيئا نافعا والثاني ان ادرك بمعنى يدرك اي علمهم
في الآخرة يدرك وقت القيامة ويرون العذاب والحقائق التي كذبوا بها واما
في الدنيا فلا وهذا تأويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج وفي على بابها من الظرفية
متعلقة بتدارك انتهى وفيه بعض تلخيص وزيادة وقال الزمخشري هو على وجهين
احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها
قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم
في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم
لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما
فعله ناس منهم والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم
كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا
عن اثباته الذي هو طريق الى علمه مشكوك فضلا عن ان يعرفوا وقت كونه الذي
لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادّارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى
انتهى وفني من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره
الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك انتهى
وقال الكرماني العلم هنا بمعنى الحكم والقول اي تتابع منهم القول والحكم في
الآخرة وكثر منهم الخوض فيه فنفاها بعضهم وشك فيها بعضهم واستبعدها
بعضهم وقال الفراء بل ادرك فيصير بمعنى الجحد ولذلك نظائر اي لم يعلموا
حدوثها وكونها ودل على ذلك بل هم في شك منها فصارت في في الكلام بمعنى
الباء اي لم يدرك علمهم بالآخرة قال الفراء ويقوي هذا الوجه قراءة من قرأ أادرك
بالاستفهام انتهى واما قراءة من قرأ بلى بحرف الجواب بدل بل فقال ابو حاتم
ان كان بلى جوابا لكلام تقدم جاز ان يستفهم به كأن قوما انكروا ما تقدم من
القدرة فقيل لهم بلى ايجابا لما نفوا ثم استؤنف بعده الاستفهام وعودل

بقوله تعالى بل هم في شك منها بمعنى ام هم في شك منها لان حروف العطف قد تتناوب وكذا عن الجلدين بقوله تعالى بل هم منها عمون انتهى يعني ان المعنى ادرك علمهم بالآخرة ام شكوا قيل بمعنى ام عودك بها الهمزة وهذا ضعيف جدا ومنها ان تكون بل بمعنى ام وتعادل بهمزة الاستفهام وقال الزمخشري **فان قلت** فمن قرأ بلى ادرك **قلت** لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون ۞ واما من قرأ بلى ادرك على الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن **فان قلت** هذه الاضرابات الثلاث ما معناها **قلت** ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون انتهى ۞ وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ۞ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ۞ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۞ قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ۞ وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ۞ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ۞ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ۞ فتوكل على الله انك على الحق المبين ۞ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ۞ لما تقدم تعالى انه منفرد بعلم الغيب ومن جملته وقت الساعة وانهم لا شعور لهم بوقتها وان الكفار في شك منها عمون ناسب ذكر مقالاتهم في استبعادها وانها وعدوا به من قبل ليس بصحيح انما ذلك ما سطره الاولون من غير اخبار بذلك عن حقيقة **وقرأ** ابن كثير وابو عمرو ائذا ائنا بالجمع بين الاستفهامين وقلب الثانية ياء وفصل بينهما بالف ابو عمرو وقرأهما عاصم وحمزة بهمزتين ونافع اذا بهمزة مكسورة آئنا بهمزة الاستفهام وقلب الثانية ياء وبينهما مدة وابن عامر آئذا باستفهام ممدود اننا بنونين من غير استفهام والعامل في اذا محذوف دل مضمون الجملة

قوله عز وجل وقال الذين كفروا

انتهى

استفهام

الثانية تقديره نخرج ويمتنع ان يعمل المخرجون فيه لان كلا من ان ولام الابتداء والاستفهام يمنع ان يعمل ما بعده فيما قبله الا اللام الواقعة في خبر ان فانه يتقدم معمول الخبر عليها وعلى الخبر فيما تقرر في علم النحو وآباؤنا معطوف على اسم كان وحسن ذلك الفصل بخبر كان والاخراج هنا من القبور احياء مردودا ارواحهم الى الاجساد والجمع بين الاستفهام في اذا وفي اننا انكار على انكار ومبالغة في كون ذلك لا يكون والضمير في اننا لهم ولآبائهم لان صيرورتهم ترابا شامل للجميع ثم ذكروا انهم وعدوا ذلك هم وآباؤهم فلم يقع شيء من هذا الموعود ثم جزموا وحصروا ان ذلك من اكاذيب من تقدم وجاء هنا تقديم الموعود به وهو هذا وتأخر في آية اخرى على حسب ما سيق الكلام لاجله فحيث تأكد الاخبار عنهم بانكار البعث والآخرة عمدوا اليها بالتقديم على سبيل الاعتناء وحيث لم يكن ذلك عمدوا الى انكار ايجاد المبعوث فقدموه واخروا الموعود به ثم امر نبيه ان يأمرهم بالسير في الارض وتقدم الكلام في نظير هذه الآية في اوائل الانعام واراد بالمجرمين الكافرين ثم سلى نبيه فقال ولا تحزن عليهم اي في كونهم لم يسلموا ولم يذعنوا الى ما جئت به ولا تكن في ضيق اي في حرج وامر شاق عليك مما يمكرون فان مكرهم لاحق بهم لا انت والله يعصمك منهم وتقدمت قراءة ضيق بكسر الضاد وفتحها وهما مصدران وكره ابو علي ان يكون المفتوح الضاد اصله ضيق بتشديد الياء فخفف كليت في لين لان ذلك يقتضي حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وليست من الصفات التي تقوم مقام الموصوف باطراد واجاز ذلك الزمخشري قال ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ولما استعجلت قريش بامر الساعة او بالعذاب الموعود به بهم وسألوا عن وقت الموعود به على سبيل الاستهزاء قيل قل عسى ان يكون ردف لكم بعضه اي تبعكم عن قرب وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به وهو كان عذاب يوم بدر **وقيل** عذاب القبر **وقرأ** الجمهور ردف بكسر الدال **وقرأ** ابن هرمز بفتحها وهما لغتان واصله التعدي بمعنى تبع ولحق فاحتمل ان يكون مضمنا معنى اللازم ولذلك فسره ابن عباس وغيره بازف وقرب لما كان يجيء بعد الشيء قريبا منه ضمن معناه او مزيدا اللام في مفعوله لتأكيد وصول الفعل اليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا بايديكم قاله الزمخشري وقد عدي بمن على سبيل التضمين لما يتعدى بها **قال الشاعر**

فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞ تولوا سراعا والمنية تعنق ۞

اي دنوا من عمير **وقيل** ردفه وردف له لغتان الفعل محمول على المصدر اي الرادفة لكم وبعض على تقدير ردافه بعض ما تستعجلون ۞ وهذا فيه تكلف ينزه القرآن عنه **وقيل** اللام في لكم داخلة على المفعول من اجله والمفعول به محذوف تقديره ردف الخلق لاجلكم وهذا ضعيف ۞ **وقيل** الفاعل بردف ضمير يعود على الوعد ثم قال لكم بعض ما تستعجلون على المبتدأ والخبر وهذا فيه تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو الى ذلك لذو فضل اي افضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة على معاصيهم وكفرهم ومتعلق يشكرون محذوف اي لا يشكرون نعمه عندهم او لا يشكرون بمعنى لا يعرفون

حق النعمة عبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة بانتفاء ما يترتب على معرفتها وهو الشكر
ثم اخبر تعالى بسعة علمه فبدأ بما يختص بالانسان ثم عمم كل غائبة وعبر بالصدور وهي
محل القلوب التي لها الفكر والعقل كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
عن الحال فيها وهي القلوب واسند الاعلان الى ذواتهم لان الاعلان من افعال
الجوارح ولما كان المضمر في الصدر هو الداعي لما يظهر على الجوارح والسبب في اظهاره
قدم الاكنان على الاعلان **وقرأ** الجمهور ما تكن من اكن الشيء اخفاه **وقرأ**
ابن محيصن وحميد وابن السميفع بفتح التاء وضم الكاف من كن الشيء ستره والمعنى
ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم والظاهر عموم قوله من
غائبة اي ما من شيء في غاية الغيبوبة والخفاء الا في كتاب عند الله ومكنون
علمه **وقيل** ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض **وقيل** هو يوم القيامة
واهوالها قاله الحسن والكتاب اللوح المحفوظ **وقيل** اعمال العباد اثبتت
ليجازي عليها وقال صاحب الغنيان اي حادثة غائبة او نازلة واقعة وقال
ابن عباس اي ما من شيء سر في السموات والارض وعلانية فاكتفى بذكر السر عن علانيته
وقال الزمخشري سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء
فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والذبيحة والرمية
في انهما اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة
والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر لمن ينظر
فيه من الملائكة انتهى ه **ولما ذكر** تعالى المبدا والمعاد ذكر ما يتعلق بالنبوة
وكان المعتمد الكبير في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن ومن جملة اعجازه
اخباره بما تضمن من القصص الموافق لما في التوراة والانجيل مع العلم بانه امي
لم يخالط العلماء ولا اشتغل بالتعلم وبنو اسرائيل هم اليهود والنصارى قص
فيه اكثر ما اختلفوا فيه على وجهه وبينه لهم ولو انصفوا سلموا ومما اختلفوا
فيه امر المسيح تحزبوا فيه فمن قائل هو الله ومن قائل ابن الله ومن قائل ثالث ثلثة
ومن قائل هو نبي كغيره من الانبياء وقد عقدوا لهم اجتماعات وتباينوا في العقائد
وتناكروا في اشياء حتى لعن بعضهم بعضا والظاهر عموم المؤمنين **وقيل**
لمن آمن من بني اسرائيل والقضاء والحكم وان ظهر انهما مترادفان فقيل المراد به
هنا العدل اي بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل **وقيل** المراد بحكمته والحكم
قيل ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة وهو جناح
ابن حبيش ولما كان القضاء يقتضي تنفيذ ما يقضي به والعلم بما يحكم به جاءت
هاتان الصفتان عقبه وهو العزة اي الغلبة والقدرة والعلم ثم امر
تعالى بالتوكل عليه واخبر انه على الحق الواضح الذي لا شك فيه وهو كالتعليل
للتوكل وفيه دليل على ان من كان على الحق يحق له ان يثق بالله فانه ينصره ولا يخذله
ولما كان القرآن وما قص الله فيه لا يكاد يجدي عند من اخبر تعالى عنهم انهم
موتى القلوب او شبهوا بالموتى وان كانوا احياء صحاح الابصار لانهم اذا تلي

عليهم

عليهم لا يعونه اذانهم فكانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى **وقرأ**
الجمهور ولا تسمع الصم هنا وفي الروم بضم التاء وكسر الميم الصم بالرفع ولما كان
الميت لا يمكن ان يسمع لم يذكر له متعلق بل نفي الاسماع اي لا يقع منك اسماع لهم البتة
لعدم القابلية واما الاصم فقد يكون في وقت يمكن اسماعه وسماعه فاتى بمتعلق
الفعل وهو الدعاء واذا معمولة لتسمع وقيد نفي الاسماع او السماع بهذا الظرف
وما بعده على سبيل التاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي مدبرا
كان ابعد عن ادراك صوته شبههم اولا بالموتى ثم بالصم في حالة ثم بالعمي فقال
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث يضلون الطريق فلا يقدر احد ان ينزع
ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى **وقرأ** الجمهور بهادي العمي اسم
فاعل مضاف ويحيى بن الحرث وابو حيوة بهاد منونا العمي والاعمش وطلحة وابن
وثاب وحمزة تهدي مضارع هدى العمي بالنصب وابن مسعود وما انت ان تهدي
بزيادة ان بعد ما ويهتدي مضارع اهتدى والعمي بالرفع والمعنى ليس في وسعك
ادخال الهدى في قلب من عمي عن الحق ولم ينظر اليه بعين قلبه ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا وهم الذين علم الله انهم يصدقون باياته فهم مسلمون منقادون للحق
وقال الزمخشري مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله
سالما لله خالصا له انتهى ه واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد
عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله كقوله حقت كلمة العذاب فالمعنى
اذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب اخرج لهم دابة
من الارض ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم والقول اما على حذف مضاف
اي مضمون القول واما انه اطلق القول على المقول لما كان المقول مؤديا بالقول
وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب وقال ابن مسعود وقع القول عليهم
يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن انتهى وروي ان خروجها حين ينقطع
الخير ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب ه وفي الحديث
ان الدابة وطلوع الشمس من المغرب من اول الاشراط ولم يعين الاول وكذلك
الدجال وظاهر الاحاديث ان طلوع الشمس اخرها والظاهر ان الدابة التي تخرج
هي واحدة وروي انه يخرج في كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الارض
وليست واحدة فيكون قوله دابة اسم جنس واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل
خروجها وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منها وما تفعل بالناس وما الذي
تخرج به اختلافا مضطربا معارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا فاطرحنا
ذكره لان نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله والظاهر ان قوله
تكلمهم بالتشديد وهي قراءة الجمهور من الكلام ويؤيده قراءة ابي تنبئهم وفي بعض القراءات
تحدثهم وهي قراءة يحيى بن سلام وقراءة عبد الله بان الناس قال السدي تكلمهم
ببطلان سائر الاديان سوى الاسلام **وقيل** تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا
مؤمن وللكافر هذا كافر **وقيل** معنى تكلمهم تجرحهم من الكلم والتشديد
للتكثير ويؤيده قراءة ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابي زرعة والجحدري

وابي حيوة وابن ابي عبلة تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف مخففا للام وقراءة
من قرا تجرحهم مكان تكلمهم وسال ابو الحوراء ابن عباس تكلم او تكلم فقال كل ذلك
تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر انتهى وروي انها تسم الكافر في جبهته وتربده وتمسح
على وجه المومن فتبيضه **وقرا** الكوفيون ويعقوب على ان الناس بفتح الهمزة
وابن مسعود بان وتقدير الباقي السبعة انكسر الهمزة فاحتمل الكسر ان يكون من
كلام الله وهو الظاهر لقوله باياتنا واحتمل ان يكون من كلام الدابة وروي هذا
عن ابن عباس وكسرت ان على هذا القول اما على اضمار القول وعلى اجراء تكلمهم
اجراء تقول لهم ويكون قوله باياتنا على حذف مضاف او لاختصاصها بالله كما يقول
بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وعلى قراءة الفتح فالتقدير بان كقراءة عبد الله
والظاهر انه متعلق بتكلمهم اي تخاطبهم بهذا الكلام ويجوز ان تكون الباء المنطوق
بها او المقدرة سببية اي تخاطبهم او تجرحهم بسبب انتفاء ايمانهم باياتنا ٥ ويوم
نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون • حتى اذا جاءوا قال
اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون • ووقع القول عليهم
بما ظلموا فهم لا ينطقون • الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يومنون • ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين • وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما يفعلون
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون • ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون • انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو
القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين
وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون • لما ذكر
يوم نحشر والحشر الجمع على عنف من كل امة اي من الامم ومن هي للتبعيض فوجا اي
جماعة كثيرة ممن يكذب باياتنا من للبيان اي الذين يكذبون والايات الانبياء
او القران او الدلايل فهم يوزعون تقدم تفسيره في اول قصة سليمان
من هذه السورة وعن ابن مسعود ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاءوا
اي الى الموقف قال اكذبتم باياتي استفهام توبيخ وتقريع واهانة ولم تحيطوا
بها علما الظاهر ان الواو للحال اي وقع تكذيبهم بها غير متدبرين لها ولا
محيطين علما بكنهها ويجوز ان تكون الواو للعطف اي اجحدتموها ومع جحودها
لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكذوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب
من عنده من كتبه اليه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويحيط بمعانيه علما **وقيل**
ولم تحيطوا بها علما اي بطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير
مستدلين وام هنا منقطعة وينبغي ان تقدر ببل وحدها انتقل من الاستفهام
الذي يقتضي التوبيخ الى الاستفهام عن عملهم ايضا على جهة التوبيخ اي اي شيء

قوله عز وجل ويوم نحشر من كل امة

كتتم

كنتم تعملون والمعنى ان كان لكم عمل او حجة فهاتوا وليس لهم عمل ولا حجة فيما عملوه
الا الكفر والتكذيب وماذا بجملته يحتمل ان يكون استفهاما منصوبا بخبر كان وهو
تعملون وان يكون ما هو الاستفهام وذا موصول بمعنى الذي فيكونان مبتدا وخبرا
وكان صلة لذا والعايد محذوف اي تعملونه وقرا ابو حيوة اما ذا بتخفيف الميم
ادخل اداة الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد ٥ ووقع القول اي
العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون اي بحجة
ولا عذر لما شغلهم من عذاب الله **وقيل** يختم على افواههم فلا ينطقون وانتفا
نطقهم يكون في موطن من مواطن القيامة او من فريق من الناس لان القران
يقتضي انهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن ولما ذكر اشيا من احوال يوم القيمة
ليرتدع بسماعها من اراد الله تعالى ارتداعه نبههم على ما هو دليل على
التوحيد والحشر والنبوة بما هم يشاهدونه في حالة حياتهم وهو تقليب الليل
والنهار من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى نور وفاعل ذلك واحد وهو الله تعالى
فيجب ان يفرد بالعبادة والالوهية وفي هذا التقليب دليل على التقلب
من حيوة الى موت ومن موت الى حيوة اخرى وفيه دليل ايضا على النبوة لان هذا
التقليب هو لمنافع المكلفين ولهذا علل ذلك الجعل بقوله لتسكنوا فيه وبعثة
الانبيا لتحصيل منافع الخلق واضاف الابصار الى النهار على سبيل المجاز لما كان
يقع فيه اضافة اليه كما تقول ليلك نايم وعلل جعل الليل بقوله لتسكنوا فيه
اي لان يقع سكونهم فيه مما يلحقهم من التعب في النهار واستراحة نفوسهم
وقال بعض الرجال ٥
٥ النوم راحة القوى الحسية من حركات والقوى النفسية ٥
ولم يعلل التقابل في جعل النهار بالنص على علته فيكون التركيب والنهار لتبصروا
فيه بل اتى بقوله مبصرا قيدا في جعل النهار علة للجعل فقال الزمخشري هو من
حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا لتبصروا فيه
طرق التقلب في المكاسب انتهى والذي يظهر ان هذا من باب ما حذف من اوله
ما اثبت في مقابله وحذف من اخره ما اثبت في اوله فالتقدير جعلنا الليل
مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فالاظلام ينشا عنه السكون
والابصار ينشا عنه التصرف في المصالح ويدل عليه قوله تعالى وجعلنا اية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف
علة لجعل النهار مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذا الحذف مشبعا في البقرة
في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ٥ ان في ذلك اي في هذا الجعل لايات
لقوم يومنون لما كان لا ينتفع بالفكر في هذه الايات الا المومنون خصوا بالذكر
وان كانت ايات لهم ولغيرهم ٥ ويوم ينفخ في الصور تقدم القول في الصور
في سورة الانعام وهذه النفخة هي نفخة الفزع وروى ابو هريرة ان الملك له
في الصور ثلث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حيوة الدنيا وليس بالفزع الاكبر
ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور **وقيل** نفختان جعلوا الفزع والصعق

نفخة واحدة واستدلوا بقوله ثم نفخ فيه أخرى ويأتي الكلام في ذلك إن شاء الله
وقال صاحب الكشاف ويوم ينفخ في الصور للبعث من القبور والحشر وعبر هنا
بالماضي في قوله ففزع وإن كان لم يقع إشعارا بصحة وقوعه وأنه كائن لا محالة
وهذه فائدة وضع الماضي موضع المستقبل كقوله تعالى فأوردهم النار بعد قوله يقدم
قومه يوم القيامة إلا من شاء الله أي فلا يناله هذا الفزع لتثبيت الله قلبه
فقال جماعة هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإذا كان الفزع الأكبر لا
يناله فهم حريون ألا يناله هذا وقال الضحاك الحور العين وخزنة النار
وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لأنه صعق مرة وقال أبو هريرة هم الشهداء ورواه
أبو هريرة حديثا وهو أنهم الشهداء عند ربهم يرزقون وهو قول ابن جبير قال هم الشهداء
متقلدو السيوف حول العرش **وقيل** هم المؤمنون لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون
قال بعض العلماء ولم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال القرطبي خفي عليه
حديث أبي هريرة وقد صححه القاضي أبو بكر بن العربي فيعول عليه في التعيين وغيره
اجتهاد وهذا النفخ حقيقة إما في القرن وإما في الصور وهو قول الأكثرين
وقيل يجوز أن يكون تمثيلا لدعاء الموتى فإن خروجهم من قبورهم كخروج الجيش
عند سماع الصوت فيكون ذلك مجازا والأول قول الأكثرين وهو الصواب
لكثرة ورود النفخ في الصور في القرآن وفي الحديث الصحيح **وقيل** ففزع ليس
من الفزع بمعنى الخوف وإنما معناه أجاب وأسرع إلى النداء وكل أتوه المضاف
إليه كل محذوف تقديره وكلهم **وقرأ** الجمهور آتوه اسم فاعل وعبد الله وحمزة
وحفص أتوه فعلا ماضيا وفي القراءتين روعي معنى كل من الجمع وقتادة أتاه
فعلا ماضيا مسندا لضمير كل على لفظها وجمع داخرين على معناها **وقرأ** الحسن
والأعمش دخرين بغير ألف قيل ومعنى آتوه حاضرون الموقف بعد النفخة
الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له وترى الجبال [illegible]
رؤية العين تحسبها حال من فاعل ترى ومن الجبال وجامدة من جمد مكانه إذا لم
يبرح منه وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور وهي أول أحوال الجبال
تموج وتسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ثم تكون هباء منبثا في آخر الأمر
وهي تمر مر السحاب جملة حالية أي تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها
وهي سائرة وتشبيه مرورها بمر السحاب في كونها تمر مرا حثيثا كما مر
السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد
تبين حركتها كما **قال النابغة الجعدي في صفة جيش**

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم   وقوف لحاج والركاب تهملج

وقيل شبه مرورها بمر السحاب في كونها تسير سيرا وسطا كما **قال الأعشى**

كأن مشيتها من بيت جارتها   مر السحابة لا ريث ولا عجل

وحسبان الرائي الجبال جامدة مع مرورها قيل لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت
ذهن في الفكر في ذلك حتى يتحقق كونها ليست بجامدة وقال أبو عبد الله
الرازي الوجه في حسبانها أنها جامدة أن الأجسام الكبار إذا تحركت

حركة

حركة سريعة على نهج واحد في السمت ظن الناظر إليها أنها واقفة وهي تمر مرا
حثيثا انتهى **وقيل** وصف تعالى الجبال بصفات مختلفة ترجع إلى تفريغ الأرض
منها وإبراز ما كانت تواريه فأول الصفات الاندكاك ثم صيرورتها كالعهن
المنفوش ثم كالهباء بأن تتقطع بعد أن كانت كالعهن ثم نسفها وهي مع الأحوال
المتقدمة قارة في مواضعها والأرض غير بارزة وبالنسف برزت ونسفها بإرسال
الرياح عليها ثم تطييرها بالريح في الهواء كأنها غبار ثم كونها سرابا فإذا نظرت
إلى مواضعها لم تجد فيها منها شيئا كالسراب وقال مقاتل بل تقع على الأرض فتستوي بها
وانتصب صنع الله على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تليه فالعامل فيه مضمر
من لفظه وقال الزمخشري صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله
إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان
كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به
الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على
الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة
بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها
على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة فله إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام
وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما
أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر
إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد لصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي
أن يكون إلا كما كان ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة
الله بعدما رسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي
أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة إن الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله
انتهى وهذا الذي ذكره من شقاشقه وتكثيره في الكلام فاحتيا له في إدارة الفا
القرآن لما عليه من مذاهب المعتزلة والذي يظهر أن صنع الله مصدر مؤكد لمضمون
الجملة السابقة وهي جملة الحال أي صنع الله بها ذلك وهو قلعها من الأرض
ومرها مرا مثل مر السحاب وأما قوله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب
ليوم ينفخ إلى قوله صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة فذلك لا يصح لأن
المصدر المؤكد لمضمون الجملة لا يجوز حذف جملته لأنه منصوب بفعل من لفظه
فيجتمع حذف الفعل الناصب وحذف الجملة التي أكد مضمونها بالمصدر وذلك
حذف كثير مخل ومن يتتبع مساق هذه المصادر التي تؤكد مضمون الجملة وجد
الجمل مصرحا بها لم يرد الحذف في شيء منها إذ الأصل أن لا يحذف المؤكد إذ الحذف
ينافي التوكيد لأنه من حيث أكد معتنى به ومن حيث حذف غير معتنى به **وقيل** انتصب
صنع الله على الإغراء يعني انظروا صنع الله **وقرأ** العربيان وابن كثير يفعلون
بالياء والباقون بتاء الخطاب ولما ذكر علامات القيامة ذكر أحوال
المكلفين بعد قيام الساعة والحسنة الإيمان وقال ابن عباس والنخعي

وقتادة هي لا اله الا الله ورتب على مجيء المكلف بالحسنة شيئين احدهما انه له خير منها
والظاهر ان خيرا ليس افعل تفضيل ومن لابتداء الغاية اي له خير من الخيور مبدؤه وناشئ
منها اي من جهة هذه الحسنة والخير هنا هو الثواب وهذا قول الحسن وابن جريج وعكرمة
قال عكرمة ليس شيء خيرا من لا اله الا الله الا انه يريد انها ليست افعل التفضيل وقيل
افعل التفضيل فقال الزمخشري فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل يتقضى
والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد انتهى وقوله وشتان
ما بين فعل العبد وفعل السيد تركيب مختلف فيه فبعض العلماء منعه والصحيح جوازه
وقال ابن عطية يحتمل ان يكون للتفضيل ويكون في قوله منها حذف مضاف تقديره خير
من قدرها واستحقاقها بمعنى ان الله تعالى تفضل عليه فوق ما تستحق حسنته قال
ابن زيد يعطي بالواحدة عشرا والداعية الى هذا التقدير ان الحسنة لا يتصور بينها
وبين الثواب تفضيل انتهى وقيل ثواب المعرفة الحاصلة في الدنيا هي المعرفة
الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم وقد دلت الدلائل
على ان اشرف السعادات هي هذه اللذة ولو لم تحمل الآية على ذلك لزم ان تكون
الاكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى وذلك لا يكون وقرأ الكوفيون من
فزع بالتنوين ويومئذ منصوب على الظرف معمول لقوله آمنون ولفزع ويدل
على انه معمول له قراءة من اضافه اليه او في موضع الصفة لفزع اي كائن في ذلك
الوقت وقرأ باقي السبعة باضافة فزع الى يومئذ فكسر الميم العربيان
وابن كثير واسمعيل بن جعفر عن نافع وفتحها بناء لاضافته الى غير متمكن نافع في غير
رواية اسمعيل والتنوين في يومئذ تنوين العوض حذفت الجملة وعوض منها
والاولى ان تكون الجملة المحذوفة ما قرب من الظرف اي يوم اذ جاء بالحسنة ويجوز
ان يكون التقدير يوم اذ ترى الجبال ويجوز ان يكون التقدير يوم اذ ينفخ في الصور ولا
سيما اذا فسرنا به نفخة القيام من القبور للحساب ويكون الفزع اذ ذاك واحدا
وقال ابو علي ما معناه من فزع بالتنوين او بالاضافة يجوز ان يراد به فزع
واحد وان يراد به الكثرة لانه مصدر فان اريد الكثرة شمل كل فزع يكون في
القيامة وان اريد به الواحد فهو الذي اشير اليه بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول
ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان
المحسن يأمن لحاق الضرر به والثاني الخوف من العذاب انتهى والسيئة الكفر
والمعاصي فمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار وخصت الوجوه اذ كانت
اشرف الاعضاء ويلزم من كبها في النار كبت الجميع او عبر بالوجه عن جملة الانسان
كما يعبر عنه بالرأس والرقبة كما قال فكبكبوا فيها فكانه قيل فكبوا في النار
والظاهر من كبت انهم يلقون في النار منكوسين قال ابو العالية اعلاهم
قبل اسفلهم ويجوز ان يكون ذلك كناية عن طرحهم في النار قال الضحاك
هل تجزون خطاب لهم على اضمار القول اي يقال لهم وقت الكب هل تجزون
ثم امر تعالى نبيه ان يقول انما امرت والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل

او

او دليل العقل على وحدانية الله تعالى اي انا اعبد اي اوحده بالعبادة ولا اتخذ معه
شريكا كما فعلت قريش وهذه اشارة تعظيم كقوله وهذا كتاب انزلناه هذا ذكر
من حيث هي موطن نبيه ومهبط وحيه والبلدة مكة واسند التحريم اليه
تشريفا لها واختصاصا ولا تعارض بين قوله الذي حرمها وقوله عليه السلام
ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة لان اسناد ذلك الى الله من حيث قضاؤه
وسابق علمه واسناده الى ابراهيم من حيث كان ظهور ذلك بدعائه ورغبته وتبليغه
لامته وفي قوله حرمها تنبيه بنعمته على قريش اذ جعل بلدهم آمنة من الغارات
والفتن التي تكون في بلاد العرب واهلك من رامها بسوء وقرأ الجمهور
الذي صفة للرب وقرأ ابن مسعود وابن عباس التي حرمها صفة للبلدة ولما
اخبر انه مالك هذه البلدة اخبر انه يملك كل شيء فقال وله كل شيء اي جميع
الاشياء داخلة في ربوبيته فترقت البلدة بذكر اندراجها تحت ربوبيته على
جهة الخصوص وعلى جهة العموم وامرت ان اكون من المسلمين اي المستسلمين
المنقادين لامر الله قانتين كما امرني او من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام
المشار اليهم في قوله هو سماكم المسلمين وان اتلو القرآن الظاهر انه من التلاوة اي
وان اتلو القرآن وهذا الظاهر اذ يجيء التقسيم المناسب للتلاوة واما من
المتلو اي وان اتبع القرآن كقوله واتبع ما يوحى اليك وقرأ الجمهور وان اتلو
وقرأ عبد الله وان اتل بغير واو امرا من تلا فجاز ان تكون ان مصدرية وصلت
بالامر وجاز ان تكون مفسرة على اضمار وامرت ان اتل اي اتل وقرأ ابي واتل هذا
القرآن جعله امرا دون ان فمن اهتدى به ووحد الله ونفيه وآمن بما جاء به
فثمرة هدايته مختصة به ومن ضل فوبال اضلاله مختص به وحذف جواب من ضل
لدلالة جواب مقابله عليه او تقديره قوله فقل انما انا من المنذرين ضمير حتى يربط
الجزاء بالشرط اذ اداة الشرط اسم وليس ظرفا فلا بد في جملة الجواب من ذكر يعود
عليه ملفوظ به او مقدر فتكون هذه الجملة هي جواب الشرط وتقدير الضمير من المنذرين
له ليس علي الا انذاره واما هدايته فالى الله وقل الحمد لله امره ان يقول ذلك فيحمد
ربه على ما خصه به من شرف النبوة والرسالة واختصه من رفع المنزلة سيريكم
آياته تهديد لاعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطر الى معرفتها والاقرار انها
آيات الله قال الحسن وذلك في الآخرة حتى لا تنفعهم المعرفة وقال الكلبي
في الدنيا وهي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله وقيل
يوم بدر وقيل خروج الدابة ولو بعد حين وقيل آياته في انفسكم وفي
سائر ما خلق مثل قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وقيل معجزات الرسول
واضافها اليه لانه هو مجريها على يدي رسوله ومظهرها من جهته فتعرفونها
اي حقيقتها ولا يسعكم جحودها وقرأ الجمهور عما يعملون بياء الغيبة التفاتا
من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ونافع وابن عامر بتاء الخطاب لقوله سيريكم
ولما قسمهم الى مهتد وضال اخبر تعالى انه محيط باعمالهم غير غافل عنها
٢٠ الوكز الضرب باليد مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين وقيل بجمع كفه وقيل

الوكز والنكز واللهز واللكز الدفع باطراف الاصابع وقيل الوكز على القلب واللكز على اللحي وقيل الوكز باطراف الاصابع ذاد طرد ودفع وقال الفراء حبس جذوة التي جذوا قطعة والجذوة عود فيه نار بلا لهب ٥

قال ابن مقبل ٥

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذاء غير خوار ولا دعر ٥

الخوار الذي يتقصف والدعر الذي فيه نقب وقال آخر

والقى على قيس من النار جذوة شديدا عليها حميها والتهابها ٥

وقيل الجذوة مثلث الجيم العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن

وقال السلمي يصف الصلي ٥

حمي حب هذي النار حب خليلتي وحب الغواني فهو دون الحبائب ٥

وبدلت بعد المسك والبان شقوة دخان الجذا في راس اشمط شاحب ٥

الشاطي والشاطية الوادي الفصاحة بسط اللسان في ايضاح المعنى المقصود ومقابله اللكن الردء المعين الذي يسند به في الامر فعيل بمعنى مفعول فهو اسم لما يعان به كما ان الدفء اسم لما يدفا به قال سلامة بن جندل

وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول ٥

ويقال ردات الحائط اردؤه اذا دعمته بخشبة لئلا يسقط وقال ابو عبيدة العون ويقال ردأته على عدوه اعنته المقبوح المطرود ٥

وقال الشاعر ٥

الا قبح الله البراجم كلها وجدع يربوعا وعفر دارما ٥

ثوى يثوي ثواء اقام قال الشاعر

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضي لبانات ويسأم سائم ٥

وقال العجاج ٥

فبات حيث يدخل الثوي ٥ اي الضيف المقيم ٥ البطر الطغيان السرمد الدائم الذي لا ينقطع ٥

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ طسم تلك ايات الكتاب المبين تتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون هذه السورة مكية كلها قاله الحسن وعطاء وعكرمة وقال مقاتل فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب من قبله الى قوله لا نبتغي الجاهلين وقيل نزلت بين مكة والجحفة وقال ابن عباس بالجحفة في خروجه عليه السلام للهجرة وقال ابن سلام ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد بالجحفة وقت الهجرة الى المدينة ومناسبة اول هذه السورة لاخر السورة قبلها

انه

انه امره تعالى بحمده ثم قال سيريكم اياته وكان مما فسر به اياته تعالى معجزات الرسول وانه اضافها تعالى اليه اذ كان هو المخبر بها على قدرته فقال تلك ايات الكتاب اذ كان الكتاب هو اعظم المعجزات واكبر الايات البينات والظاهر ان الكتاب هو القران وقيل اللوح المحفوظ نتلو اي نقرا عليك بقراءة جبريل ونقص ومفعول نتلو من نبا اي بعض نباء وبالحق متعلق بنتلو اي محقين او في موضع الحال من نبا اي متلبسا بالحق وخص المؤمنين لانهم هم المنتفعون بالتلاوة علا في الارض اي تجبر واستكبر حتى ادعى الربوبية والالهية والارض ارض مصر والشيع الفرق ملك القبط واستعبد بني اسرائيل ان يستعبده على ما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او ان شاء في بناء وان شاء في حفر وغير ذلك من الحرف الممتهنة ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية او اغرى بعضهم ببعض ليكون له اطوع والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل والظاهر ان يستضعف استئناف يبين حال بعض الشيع ويجوز ان يكون حالا من ضمير وجعل وان يكون صفة لشيعا ويذبح تبيين للاستضعاف وتفسير او في موضع الحال من ضمير يستضعف او في موضع الصفة لطائفة وقرا الجمهور يذبح مضعفا وابو حيوة وابن محيصن بفتح الياء وسكون الذال انه كان من المفسدين علة لتجبره ولتذبيح الابناء اذ ليس في ذلك الا مجرد الفساد ٥ ونريد حكاية حال ماضية والجملة معطوفة على قوله ان فرعون لان كليهما تفسير للنبا ويضعف ان يكون حالا من الضمير في يستضعف لاحتياجه الى اضمار مبتدا اي ونحن نريد وهو ضعيف ٥ واذا كانت حالا فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله ولا يمكن الاقتران فقيل لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم وان نمن اي بخلاصهم من فرعون واغراقه ونجعلهم ائمة اي مقتدى بهم في الدين والدنيا وقال مجاهد دعاة الى الخير وقال قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا وقال الضحاك انبياء ونجعلهم الوارثين اي يرثون فرعون وقومه ملكهم وما كان لهم وعن علي الوارثون هم يوسف عليه السلام وولده وعن قتادة ايضا ورثوا ارض مصر والشام وقرا الجمهور ونمكن عطفا على نمن وقرا الاعمش ولنمكن بلام كي اي واردنا ذلك لنمكن او ولنمكن فعلنا ذلك والتمكين التوطئة في الارض هي ارض مصر والشام بحيث ينفذ امرهم ويتسلطون على من سواهم وقرا الجمهور ونري مضارع اريناه ونصب ما بعده وعبد الله وحمزة والكسائي ويرى مضارع راى ورفع ما بعده وهامان وزير فرعون واحد رجاله وذكر لنباهته في قومه ومحله من الكفر الا ترى الى قوله له يا هامان ابن لي صرحا ومحذورهم زوال ملكهم واهلاكهم على يدي مولود من بني اسرائيل وقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امراة فرعون قرة عين

عتو

ما

قوله عز وجل واوحينا الى ام موسى

لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ۝ الهاما الله
الى ام موسى الهام وقذف في القلب قاله ابن عباس وقتادة او مناما قاله
قوم او ارسال ملك قاله قطرب وقوم وهذا هو الظاهر لقوله انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين واجمعوا على انها لم تكن نبية فان كان الوحي
بارسال ملك كما هو الظاهر فهو كارساله للاقرع والابرص والاعمى وكما روي
من تكليم الملائكة للناس **والظاهر** ان هذا الايحاء هو بعد الولادة فيكون
ثم جملة محذوفة اي ووضعت موسى امه في زمن الذبح وخافت عليه واوحينا
وان تفسيرية او مصدرية **وقيل** كان الوحي قبل الولادة **وقرا** عمر
ابن عبد الواحد وعمر بن عبد العزيز ان ارضعيه بكسر النون بعد حذف الهمزة
على غير قياس لان القياس فيه نقل حركة الهمزة وهي الفتحة الى النون كقراءة ورش
فاذا خفت عليه من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الاولاد فالقيه في اليم
قال الجنيد اذا خفت حفظه بواسطة فسلميه الينا بالقائه في البحر واقطعي
عنك شفقتك وتدبيرك وزمان ارضاعه ثلثة اشهر او اربعة او ثمانية اقوال
واليم هنا نيل مصر ولا تخافي من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني
لمفارقتك اياه انا رادوه اليك وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته
وجعله رسولا وقد تقدم في سورة طه طرف من حديث التابوت ورميه في اليم
وكيفية التقاطه فاغنى عن اعادته واستفصح الاصمعي امراة من العرب انشدت
شعرا فقالت ابعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الاية فصاحة وقد جمع بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالتقطه آل فرعون في الكلام حذف
تقديره ففعلت ما امرت به من ارضاعه ومن القائه في اليم واللام في ليكون
للتعليل المجازي لما كان مآل التقاطه وتربيته الى كونه عدوا لهم وحزنا وان
كانوا لم يلتقطوه الا للتبني وكونه يكون حبيبا لهم ويعبر عن هذه اللام بلام
العاقبة وبلام الصيرورة **وقرا** الجمهور وحزنا بفتح الحاء والزاي وهي لغة
قريش **وقرا** ابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن سعدان
بضم الحاء واسكان الزاي والخاطئ المتعمد الخطاء والمخطئ الذي لا يتعمده واحتمل
ان يكون في الكلام حذف وهو الظاهر اي فكان لهم عدوا وحزنا اي لانهم
كانوا خاطئين لم يرجعوا الى دينه وتعمدوا الجرائم والكفر بالله وقال المبرد
خاطئين على انفسهم بالتقاطه **وقيل** بقتل اولاد بني اسرائيل **وقيل** في تربية
عدوهم واضيف الجند هنا وفيما قبل الى فرعون وهامان وان كان هامان
لا جنود له لان امر الجنود لا يستقيم الا بالملك والوزير اذ بالوزير تحصل الاموال
وبالملك وقهره يتوصل الى تحصيلها ولا يكون قوام الجند الا بالاموال **وقرئ**
خاطين بغير همز فاحتمل ان يكون اصله الهمز وحذفت وهو الظاهر **وقيل**
من خطا يخطو اي خاطين الصواب ولما التقطوه هموا بقتله وخافوا ان يكون
المولود الذي يحذرون زوال ملكهم على يديه فالقى الله محبته في قلب آسية امراة
فرعون ونقلوا انها رات نورا في التابوت وتسهل عليها فتحه بعد التعسر فتحه

عن يدي

يدي عنها وان بنت فرعون احبته ايضا لبرئها من داء البرص الذي كان بها ومنوا البرص
باخبار من اخبر انه لا يبرئها الا ريق انسان يوجد في تابوت في البحر وقرة خبر مبتدا
محذوف اي هو قرة ويبعد ان يكون مبتدا والخبر لا تقتلوه وتقدم شرح قرة في احر
الفرقان وذكر انها لما قالت لفرعون قرة عين لي ولك قال لك لا لي ۝ وروي
انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل وان يبعث النبي عن قتله برجاء
ان ينفعهم لظهور مخايل الخير فيه من النور الذي رايته ومن برء البرص او نتخذه ولدا
فانه اهل لذلك وهم لا يشعرون جملة حالية اي لا يشعرون انه الذي يفسد
ملكهم على يديه قاله قتادة او انه عدو لهم قاله مجاهد او اني افعل ما اريد
لا ما يريدون قاله محمد بن اسحاق والظاهر انه من كلام الله تعالى **وقيل**
هو من كلام امراة فرعون اي قالت ذلك لفرعون والذين اشاروا بقتله لا يشعرون
بمقالتها له واستعطاف قلبه عليه لئلا يغروه بقتله وقال الزمخشري
تقديرا لكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون
كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه
وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه
موكدة لمعنى خطئهم انتهى ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن
واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها ۝
لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون
وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون ۝ ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
۝ واصبح اي صار فارغا من العقل وذلك حين بلغها انه وقع في يد فرعون فذ
امر مثله لا يبقى معه عقل لا سيما عقل امراة خافت على ولدها حتى طرحته في اليم
رجاء نجاته من الذبح هذا مع الوحي اليها ان الله يرده اليها ويجعله رسولا ومع
ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجاة الخطب العظيم
ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله **وقرا** احمد بن موسى عن ابي عمرو فؤادا بالواو
وقال ابن عباس فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى وقال مالك هو ذهاب
العقل وقالت فرقة فارغا من الصبر وقال ابن زيد فارغا من وعد الله ووحيه
اليها تناسته من الهم وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن اذ لم يغرق وهذا فيه
بعد وتبعده القراءات الشواذ التي في اللفظة **وقرا** فضالة بن عبيد والحسن
ويزيد بن قطيب وابو زرعة بن عمرو بن جرير فزعا بالزاي والعين المهملة من
الفزع وهو الخوف والقلق وابن عباس قرعا بالقاف وكسر الراء واسكانها
من غير فزع راسه اذا انحسر شعره كانه خلا من كل شيء الا من ذكر موسى **وقيل**
قرعا بالسكون مصدر اي يقرع قرعا من القارعة وهي الهم العظيم **وقرا** بعض
الصحابة فزعا بالفاء مكسورة وسكون الزاي والغين المنقوطة ومعناه ذاهبا
هدرا تالفا من الهم والحزن ومنه ۝

قوله عز وجل
واصبح فؤاد ام موسى

همها

اي صح

قوله طليعة الاسدي في اخيه جبال

فان يك قتلى قد اصيبت نفوسهم فلن تذهبوا فرغًا بقتل حبال

اي بقتل حبال فرغًا اي هدرًا لا يطلب له بثار ولا يوخذ **وقرا** الخليل بن احمد فرغًا بضم الفا والرا ان كادت لتبدي به هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة **وقيل** ان نافية واللام بمعنى الا وهذا قول كوفي والابدا اظهار الشي والظاهر ان الضمير في به عايد على موسى فقيل البا زايدة اي لتظهره وقيل مفعول تبدي محذوف اي لتبدي القول اي بسببه وانه ولدها **وقيل** الضمير في به للوحي اي لتبدي بالوحي وقال ابن عباس كادت تصيح عند القايه في البحر وا ابناه **وقيل** عند رويتها تلاطم الامواج به لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان وقال السدي بالعصمة وقال الصادق باليقين وقال ابن عطا بالوحي ولتكون من المومنين فعلنا ذلك اي المصدقين بوعد الله وانه كاين لا محالة والربط على القلب كناية عن قراره واطمينانه شبه بما يربط مخافة الانفلات وقال الزمخشري ويجوز واصبح فوادها فارغًا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحًا وسرورًا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والا بتهاج لتكون من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من تجويز كونه فارغًا من الهم الى اخره خلاف ما فهمه المفسرون من الاية وجواب لولا محذوف تقديره لكادت تبدي به ودل عليه قوله ان كادت لتبدي به وهذا شبيه بقوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقالت لاخته طمعًا منها في التعرف بحاله قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فروي انها خرجت في سكك المدينة مختفية فراته عند قوم من حاشية امراة فرعون يتطلبون له امراة ترضعه حين لم تقبل المراضع واسم اخته مريم وقيل كلثمة **وقيل** كلثوم وفي الكلام حذف اي فقصت اثره فبصرت به اي ابصرته عن جنب اي عن بعد وهم لا يشعرون بتطلبها له ولا بابصارها **وقيل** معنى عن جنب عن شوق اليه حكاه ابو عمرو بن العلا وقال هي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقال الرماني جنب صفة لموصوف محذوف اي عن مكان جنب يريد بعيد **وقيل** عن جانب لانها كانت تمشي على الشط وهم لا يشعرون انها تقص **وقيل** لا يشعرون انها اخته **وقيل** لا يشعرون انه عدو لهم قاله مجاهد **وقرا** الجمهور عن جنب بضمتين **وقرا** قتادة فبصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها **وقرا** قتادة والحسن والاعرج وزيد بن علي عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وعن قتادة بفتحهما ايضا وعن الحسن بضم الجيم واسكان النون **وقرا** النعمان بن سالم عن جانب والجنب والجانب والجنابة والجناب بمعنى واحد وقال قتادة معنى عن جنب انها تنظر اليه كانها لا تريده والتحريم هنا بمعنى المنع اي منعناه ان يرضع ثدي امراة والمراضع

جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي او الارضاع من قبل اي من اول امره وقيل من قبل قصها اثره واتيانه على من هو عنده فقالت هل ادلكم اي ارشدكم الى اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية ودل قوله وحرمنا عليه المراضع انه عرض عليه جملة من المرضعات والظاهر ان الضمير في له عايد على موسى وقيل يحتمل على الملك الذي كان الطفل في ظاهر امره من جملته وقال ابن جريج نا ولت القوم ان الضمير للطفل فقالوا لها انك قد عرفتيه فاخبرينا من هو فقالت ما اردت الا انهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التاويل وفي الكلام حذف تقديره فمرت بهم الى امه فكلموها في ارضاعه او فجات بامه اليهم فكلموها في شانه فارضعته فالتقم ثديها ويروى ان فرعون قال لها ما سبب قبول هذا الطفل ثديك وقد ابى كل ثدي فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وذهبت به الى بيتها واجرى لها كل يوم دينارًا وجاز لها اخذه لانه مال حربي فهو مباح وليس ذلك اجرة رضاع فرددناه الى امه كما قال تعالى انا رادوه اليك وذمع الفرح يا رد دعين المهموم حري سخنه

وقال ابو تمام

فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون الشامتين فقرت

ولما اخبر تعالى وعده في الرد ثبت عندها انه سيكون نبيًا رسولا ولتعلم ان وعد الله حق فعلنا ذلك ولا يعلمون اي ان وعد الله حق فهم مرتابون فيه او لا يعلمون ان الرد انما كان لعلمها بصدق وعد الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون بان الرد كان لذلك وفي قوله ولتعلم ان وعد الله حق دلالة على ضعف من ذهب الى ان الايحا اليها كان الهامًا ومنامًا لان ذلك يبعد ان يقال فيه وعد وقوله ولتعلم وقوع ذلك فهو علم مشاهدة اذ كانت عالمة ان ذلك سيكون واكثرهم القبط ولا يعلمون سر القضا وقال القفال لا يعلمون مصالحهم وصلاح عواقبهم وقال الضحاك ايضًا ومقاتل لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها وتقدم تفسير ولما بلغ اشده الى المحسنين في سورة يوسف عليه السلام ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرًا للمجرمين فاصبح في المدينة خايفًا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسًا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارًا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين

ان يعود ح

قوله هذا من عدوه
ودخل المدينة

المدينة قال ابن عباس هي منف ركب فرعون يوما وسار اليها فعلم موسى بركوبه
فلحق بتلك المدينة في وقت القائلة وعنه بين العشاء والعتمة وقال ابن اسحق
المدينة مصر بنفسها وكان موسى قد بدت منه مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون
فاختفى وخاف فدخلها متنكرا حذرا متغفلا للناس وقال ابن زيد كان فرعون قد
اخرجه من المدينة فغاب عنها سنين فنسي فجاء والناس في غفلة بنسيانهم له وبعد
عهدهم به وقيل كان يوم عيد وهم مشغولون بلهوهم وقيل خرج من قصر فرعون
ودخل مصر وقيل المدينة عين شمس وقيل قرية على فرسخين من مصر يقال لها حابين
وقيل الاسكندرية وقرأ ابو طالب القارئ على حين بنصب نون حين ووجهه انه
اجرى المصدر مجرى الفعل كانه قال على حين غفل اهلها فبناه كما بناه حين اضيف
الى الجملة المصدرة بفعل ماض كقوله ۞
على حين عاتبت المشيب على الصبى ۞ وهذا توجيه شذوذ وقرأ نعيم بن ميسرة
يقتتلان بادغام التاء في التاء ونقل فتحتها الى القاف قيل كانا يقتتلان في
الدين اذ احدهما اسرائيلي مؤمن والاخر قبطي وقيل يقتتلان في ان كلف القبطي حمل
الحطب الى مطبخ فرعون على ظهر الاسرائيلي ويقتتلان صفة لرجلين وقال ابن عطية
يقتتلان في موضع الحال انتهى والحال من النكرة اجازه س من غير شرط هذا من شيعته
اي ممن شايعه على دينه وهو الاسرائيلي قيل وهو السامري وهذا من عدوه اي
من القبط وقيل اسمه فاتون وهذا حكاية حال وقد كانا حاضرين حالة وجدان
موسى لهما والحكاية لحال الحضرة عن غائب ماض باسم الاشارة الذي هو موضوع للحاضر
وقال المبرد العرب تشير بهذا الى الغائب قال جرير
۞ هذا ابن عمي في دمشق خليفة ۞ لو شئت ساقكم الي قطينا ۞
وقرأ الجمهور فاستغاثه اي طلب غوثه ونصره على القبطي وقرأ سيبويه وابن مقسم
والزعفراني بالعين المهملة والنون بدل الثاء اي طلب منه الاعانة على القبطي
قال ابو القسم يوسف بن علي بن جبارة والاختيار قراءة ابن مقسم لان الاعانة
اولى في هذا الباب وقال ابن عطية ذكرها الاخفش وهي تصحيف لا قراءة ۞
انتهى وليست تصحيفا فقد نقلها ابن خالويه عن سيبويه وابن جبارة عن ابن مقسم
والزعفراني وروي انه لما اشتد التناكر بينهما قال القبطي لموسى لقد هممت ان احمله
عليك يعني الحطب فاشتد غضب موسى وكان قد اوتي قوة فوكزه فمات وقرأ عبد الله
فلكزه باللام وعنه فنكزه بالنون قال قتادة وكزه بعصاه ومجاهد قال بجمع كفه ۞
والظاهر ان فاعل فقضى ضمير عائد على موسى وقيل يعود على الله اي فقضى الله عليه
بالموت ويحتمل ان يعود على المصدر المفهوم من وكزه اي فقضى الوكز عليه وكان موسى
لم يتعمد قتله ولكن وافقت وكزته الاجل فندم موسى ۞ وروي انه دفنه في الرمل
وقال هذا من عمل الشيطان وسوما لحقه من الغضب حتى ادى الى الوكزة التي قضت
على القبطي وجعله من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه ادى
الى قتل من لم يؤذن له في قتله وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر وقال
كعب كان موسى اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة وكان قتله خطا فان الوكزة

في

في الغالب لا تقتل وقال النقاش كان هذا قبل النبوة وقد احتج موسى عليه السلام
بحج آدم عليه السلام اذ قال ظلمنا انفسنا والباء في بما انعمت للقسم والتقدير اقسم
بما انعمت به علي من المغفرة والجواب محذوف اي لاتوبن فلن اكون او متعلقة بمحذوف
تقديره اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين
وقيل فلن اكون دعاء لا خبر ولن بمعنى لا في الدعاء والصحيح ان لن لا تكون في الدعاء
وقد استدل على ان تكون في الدعاء بهذه الاية وبقول الشاعر
۞ لن تزالوا كذالكم ثم لا زلت لكم خالدا خلود الجبال ۞
والمظاهرة اما بصحبته لفرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان
يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما انه ادت المظاهرة
الى القتل الذي جرى على يده وقيل بما انعمت علي من النبوة فلن استعملها الا في مظاهرة
اوليائك ولا ادع قبطيا يغلب اسرائيليا واحتج اهل العلم بهذه الاية على منع معونة
اهل الظلم وخدمتهم نص على ذلك عطا بن ابي رباح وغيره وقال رجل لعطاء ان اخي
يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله
القسري قال فاين قول موسى وتلا الاية فاصبح في المدينة خائفا من قبل القبطي
ان يؤخذ به يترقب وقوع المكروه به والاخبار رهط وفقوا على ما كان منه وقيل
خائفا من الله يترقب المغفرة وقيل خائفا يترقب نصرة ربه او يترقب هداية
قومه او ينتظر ان يسلمه قومه فاذا الذي استنصره بالامس اي الاسرائيلي الذي
كان قتل القبطي بسببه واذا هنا للمفاجاة وبالامس يعني اليوم الذي قبل يوم ۞
الاستصراخ وهو معرب بحركة سينه حركة اعراب لانه دخلته ال بخلاف حاله
اذا عري منها فالحجاز تبنيه اذا كان معرفة وتميم تمنعه الصرف حالة الرفع
فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا وقد يبنى مع ال على سبيل الندور قال
الشاعر واني حبست اليوم والامس قبله الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب
يستصرخه يصيح به مستغيثا من قبطي اخر ومنه قول الشاعر ۞
۞ كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ۞ كان الصراخ له قرع الظنابيب ۞
قال له موسى الظاهر ان الضمير في له عائد على الذي انك لغوي لكونك كنت
سببا في قتل القبطي بالامس قال له ذلك على سبيل العتاب والتانيب وقيل
الضمير في له والخطاب للقبطي ودل عليه قوله يستصرخه ولم يفهم الاسرائيلي ان
الخطاب للقبطي فلما ان اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير في اراد وفي يبطش هو لموسى
بالذي هو عدو لهما اي للمستصرخ ولموسى وهو القبطي توهم الاسرائيلي ان قوله
انك لغوي مبين هو على ارادة السطوة به وظن انه يسطو عليه قال اي الاسرائيلي
يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس دفعا لما ظنه من سطو موسى عليه
وكان تعيين القاتل للقبطي قد خفي على الناس فانتشر في المدينة ان قاتل القبطي
هو موسى ونمي ذلك الى فرعون فامر بقتل موسى وقيل الضمير في اراد وفي يبطش
للاسرائيلي عند ذلك من موسى وخاطبه بما يقبح وان بعد لما يطرد زيادتها وقيل لو اذا
سبق قسم كقوله فاقسم ان لو التقينا وانتم ۞ لكان لنا يوم من الشر مظلم ۞

وقرأ الجمهور يبطش بكسر الطاء والحسن وأبو جعفر بضمها ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وشأن الجبار ان يقتل بغير حق وقال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار
يعني بغير حق ولما اثبت له الجبروتية نفى عنه الصلاح وجاء رجل من اقصى المدينة قيل
هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون قال الكلبي واسمه جبريل بن شمعون وقال
الضحاك شمعون بن اسحق وقيل هو مؤمن آل فرعون يسعى يسرع في مشيه
لما امر فرعون بقتله خرج الجلاوزة من الشارع الاعظم لطلبه فسلك هذا الرجل
طريقا اقرب الى موسى ومن اقصى المدينة ويسعى صفتان ويجوز ان يكون يسعى حالا
ويجوز ان يتعلق من اقصى بجاء قال الزمخشري واذا جعل يعني من اقصى حالا لا لجاء
لم يجز في يسعى الا الوصف انتهى يعني ان رجلا نكرة لم يوصف فلا يجوز منها
الحال وقد اجاز ذلك في كتابه من غير وصف قال ان الملأ وهم وجوه اهل
دولة فرعون يأتمرون بك يتشاورون

قال الشاعر وهو النمر بن تولب

أرى الناس قد احدثوا شيمة * وفي كل حادثة يؤتمر

وقال ابن قتيبة يأمر بعضهم بعضا بقوله من قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف
فاخرج اني لك من الناصحين ولك متعلق اما بمحذوف اي ناصح لك من الناصحين
او بمحذوف على جهة البيان اي لك اعني او بالناصحين وان كان في صلة ال
لانه يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما وهي ثلاثة اقوال للنحويين
فيما اشبه هذا فاحتمل موسى ما امره به ذلك الرجل وعلم صدقه ونصحه وخرج
وقد اقلت طالبيه فلم يجدوه وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق ولم يصحب احدا
فسلك مجهلا واثقا بالله تعالى راغبا اليه في تنجيته من الظالمين ولما
توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما
ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما
تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما
يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن
عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين
قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على
ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور
نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة
من النار لعلكم تصطلون توجه رد وجهه وتلقاء تقدم الكلام عليه
في يونس اي ناحية وجهه واستعمل المصدر استعمال الظرف وكان هنالك

غير حق

قوله عز وجل ولما توجه

ثلث

ثلاث طرق فاخذ موسى اوسطها واخذ طالبوه في الآخرين وقالوا المريب لا يأخذ
في اعظم الطرق ولا يسلك الا بنياتها فبقي في الطريق ثماني ليال وهو حاف
لا يطعم الا ورق الشجر والظاهر من قوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل انه كان
لا يعرف الطريق فسأل ربه ان يهديه اقصد الطرق بحيث انه لا يضل اذ لو سلك
ما لا يوصله الى المقصود لتاه وعن ابن عباس قصد مدين واخذ يمشي من غير معرفة
فاوصله الله الى مدين وقيل هداه جبريل الى مدين وقيل ملك غيره وقيل اخذ طريقا
يأمن فيه فاتفق ذهابه الى مدين والظاهر ان سواء السبيل وسط الطريق الذي
يسلكه الى مكان مأمنه وقال مجاهد سواء السبيل طريق مدين وقال الحسن
هو سبيل الهدى فمشى عليه السلام الى ان وصل الى مدين ولم يكن في طاعة فرعون
ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه والورود يكون بمعنى الوصول الى الشيء وبمعنى
الدخول فيه قيل وكان هذا الماء بئرا والامة الجمع الكثير ومعنى عليه اي على
شفيره وحاشيته يسقون يعني مواشيهم ووجد من دونهم اي من الجهة التي
وصل اليها قبل ان يصل الى الامة فهما من دونهم بالاضافة اليه قاله
ابن عطية وقال الزمخشري في مكان اسفل من مكانهم تذودان قال ابن عباس
وغيره تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وقال قتادة
تذودان الناس عن غنمهما قال الزجاج وكانهما تكرهان المزاحمة على الماء
وقيل لئلا تختلط غنمهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر
لتسترهما وقال الفراء تحبسانها عن ان تتفرق واسم الصغرى عبرا واسم الكبرى صبورا
ولما رآهما موسى واقفتين لا يتقدمان للسقي سألهما فقال ما خطبكما قال ابن عطية والسؤال
بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او يأتي بمنكر من الامر قال
الزمخشري وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد سمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون
شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده انتهى وفي سؤاله
عليه السلام دليل على جواز مكالمة الاجنبية فيما يعن ولم يكن لابيهما اجير فكانتا
تسوقان الغنم الى الماء ولم يكن لهما قوة الاستقاء وكان الرعاة يسقون من البئر
فيسقون مواشيهم فاذا اصدروا فان بقي في الحوض شيء سقتا فوافى موسى عليه السلام
ذلك اليوم وهما يمنعان غنمهما عن الماء فرق عليهما وقال ما خطبكما وقرأ
شمر بكسر الخاء اي من زوجكما ولم لا تسقي هو وهي قراءة شاذة نادرة قالتا
لا نسقي وقرأ ابن مصرف لا نسقي بضم النون وقرأ ابو جعفر وشيبة
والحسن وقتادة والعربيان يصدر بفتح الياء وضم الدال اي يصدرون باغنامهم
وباقي السبعة والاعرج وطلحة والاعمش وابن ابي اسحاق وعيسى بضم الياء
وكسر الدال اي يصدرون اغنامهم وقرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء جمع تكسير قال
الزمخشري واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام انتهى وليس بقياس لانه جمع راع
وقياس فاعل الصفة التي للعاقل ان تكسر على فعلة كقاض وقضاة وما سوى جمعه
هذا فليس بقياس وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال والتناء
قال ابو الفضل الرازي وقرأ عياش عن ابي عمرو الرعاء بفتح الراء وهو مصدر

مهم

افتخر مقام الصفة فاستوى لفظ الواحد والجماعة فيه وقد يجوز انه حذف منه المضاف
وابونا شيخ كبير اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بانفسهما وتنبيه على ان اباهما لا يقدر
على السقي لشيخوخته وكبره واستعطاف لموسى في اعانتهما فسقى لهما اي سقى غنمهما لاجلهما
وروي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا العدد من الرجال وقد اضطرب
النقل في العدد فاقلها قالوا سبعة واكثرها مائة فاقله وحده **وقيل** كانت لهم دلو
لا ينزع بها الا الاربعون فنزع بها وحده وروي انه زاحمهم على الماء حتى سقى لهما
كل ذلك رغبة في الثواب على ما كان به من نصب السفر وكثرة الجوع حتى كانت تظهر الخضرة
في بطنه من البقل **وقيل** انه مشى حتى سقط ظلفه وهو باطن القدم ومع ذلك
اغاثهما وكفاهما امر السقي وقد طابق جوابهما السؤال لانه سألهما عن سبب الذود
فاجاباه بانا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال فنؤخر
السقي الى فراغهم ومباشرتهما ذلك ليس بمحظور وعادة العرب واهل البدو في ذلك
غير عادة اهل الحضر والاعاجم لا سيما اذا دعت الى ذلك ضرورة ثم تولى الى الظل قال
ابن مسعود ظل شجرة قيل كانت سمرة وقيل الى ظل جدار لا سقف له **وقيل**
جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
قال المفسرون تعرض لما يطعمه لما ناله من الجوع ولم يصرح بالسؤال وانزلت هنا
بمعنى تنزل وقال الزمخشري وعدي باللام فقير لانه ضمن معنى سائل وطالب
ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من
الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني
وفرحا به وشكرا له وقال الحسن سأل الزيادة في العلم والحكمة ه فجاءته احداهما
تمشي على استحياء في الكلام حذف والتقدير فذهبتا الى ابيهما من غير ابطاء في السقي
وقصتا عليه امر الذي سقى لهما فامر احداهما ان تدعوه له فجاءته احداهما **قرأ**
ابن محيصن فجاءته حداهما بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس مثل ويلمه في ويل
امه ويا با فلان والقياس ان يجعل بين بين واحداهما مبهم فقيل الكبرى وقيل
كانتا توأمتين وولدت الاولى قبل الاخرى بنصف نهار وعلى استحياء في موضع الحال
اي مستحيية متخفرة قال عمر بن الخطاب قد سترت وجهها بكم درعها والجمهور على ان
الداعي اباهما هو شعيب عليه السلام وهما ابنتاه وقال الحسن هو ابن اخي شعيب
واسمه مروان وقال ابو عبيدة هو هرون وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب
وقيل كان عمهما صاحب الغنم وهو المزوج عبرت عنه بالاب اذ كان بمثابته ليجزيك
اجر ما سقيت لنا في ذلك ما كان عليه شعيب من الاحسان والمكافاة لمن عمل له عملا
وان لم يقصد العامل المكافاة فلما جاءه اي فذهب معهما الى ابيهما وفي هذا دليل
على اعتماد اخبار المرأة اذ ذهب معها موسى كما يعتمد على اخبارها في باب الرواية
وقص عليه اي ما جرى له من خروجه من مصر وسبب ذلك قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين اي قبل الله دعاءك في قولك رب نجني من القوم الظالمين
واخبره بنجاته منهم فآنسه بقوله لا تخف وقرب اليه طعاما فقال له موسى
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال له شعيب ليس هذا عوض

السقي

السقي ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ اكل
موسى عليه السلام قالت احداهما ابهم القائلة وهي الذاهبة والقائلة والمتز
يا ابت استأجره اي للرعي للغنم وسقيها ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن
البئر وحده وانتزع بتلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء وبالامانة لانها
حين قام يتبعها هبت الريح فلفتت ثيابها فوصفتها فقال لها ارجعي خلفي ودليني على
الطريق وقولها كلام حكيم جامع لانه اذا اجتمعت الكفاية والامانة في القائم
بامر فقد تم المقصود وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقا للناس وكان
ذلك تعليلا للاستئجار وكانها قالت استأجره لامانته وقوته وصار
الوصفان منبهين عليه ونظير هذا التركيب **قول الشاعر**
• الا ان خير الناس حيا وهالكا • اسير ثقيف عندهم في السلاسل ه
جعل خير من استأجرت الاسم اعتناء به وحكمت عليه بالقوة والامانة ولما وصفته
بهذين الوصفين قال لها ابوها ومن اين عرفت هذا فذكرت اقلاله الحجر وحده
وتحرجه من النظر اليها حين وصفتها الريح وقاله ابن عباس وقتادة وابن زيد
وغيرهم **وقيل** قال لها موسى ابتداء كوني وراءي فاني رجل لا انظر الى ادبار
النساء ودليني على الطريق يمينا او يسارا وقال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة
بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر وفي قوله
استأجره دليل على مشروعية الاجارة عندهم وكذا كانت في كل ملة وهي من ضرورة
الناس ومصلحة الخلطة خلافا لابن علية والاصم حيث كانا لا يجيزانها وهذا
مما انعقد عليه الاجماع وخلافهما خرق قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
رغب شعيب في مصاهرته لما وصفته به ولما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلقه
بالله وفراره من الكفرة **وقرأ** ورش واحمد بن موسى عن ابي عمرو انكحك حدى بحذف
الهمزة وظاهر قوله ان انكحك ان لا نكاح الى الولي لا حق للمرأة فيه خلافا لابي حنيفة
في بعض صوره بان تكون بالغة عاقلة بمصالح نفسها فانها تعقد على نفسها بمحضر من
الشهود وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزوج وقد فعل ذلك عمر وفيه دليل
على تزويج ابنته البكر من غير استئمار وبه قال مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
اذا بلغت البكر فلا تزوج الا برضاها قيل وفيه دليل على قول من قال لا ينعقد
الا بلفظ التزويج او الانكاح وبه قال ربيعة والشافعي وابو ثور وابو عبيد وداود
واحدى ابنتي مبهم وهذا عرض لا عقد الا ترى الى قوله اني اريد وحين العقد
يعين من شاء منهما وكذلك لم يحد اول امد الاجارة والظاهر من الاية جواز النكاح
بالاجارة وبه قال الشافعي واصحابه وابن حبيب وقال الزمخشري هاتين فيه
دليل على انه كانت له غيرهما انتهى ولا دليل في ذلك لانهما كانتا هما اللتين
رآهما تذودان وجاءته احداهما فاشار اليهما والاشارة اليهما لا تدل
على ان له غيرهما على ان تأجرني في موضع الحال من ضمير انكحك اما الفاعل
واما المفعول وتأجرني من اجرته كنت له اجيرا كقولك ابوته كنت له ابا ومفعول
تأجرني الثاني محذوف تقديره نفسك وثماني حجج ظرف وقال ابو البقاء وقال

وجة
تين
يعين

الزمخشري وثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك اي فهو
يترع وتفضل لا اشتراط وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين ولا في المعاسرة
والمناقشة في مراعاة الاوقات وتكليف الرعاة اشيا من الخدمة خارجة عن الشرط
ستجدني ان شاء الله من الصالحين وعد صادق مقرون بالمشيئة من الصالحين
في حسن المعاملة ووطاءة الخلق او من الصالحين على العموم فيدخل تحته حسن
المعاملة ولما فرغ شعيب مما حاور به موسى قال موسى ذلك بيني وبينك
على جهة التقرير والتوثق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وذلك مبتدا خبره
بيني وبينك اشارة الى ما عاهده عليه اي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني
قائم بيننا جميعا لا نخرج عنه ثم قال ايما الاجلين اي الثماني او العشر فلا عدوان
علي اي لا تعتدي علي في طلب الزيادة وايما شرط وما زائدة **وقرا** الحسن والعباس
عن ابي عمرو ايما بحذف الياء الثانية كما **قال الشاعر** ۝

تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره ۝

وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت بزيادة ما بين الاجلين وقضيت قال
الزمخشري **فان قلت** ما الفرق ما بين موقعي ما المزيدة في القراءتين **قلت**
وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا
للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له **وقرا** ابو حيوة
وابن قطيب فلا عدوان بكسر العين قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في اتمهما
ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفاء وقال الزمخشري تصور العدوان
انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق
العدوان بهما جميعا **قلت** معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا
لا شك فيه وكذلك ان طولبت في الزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير الخيار
وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما
في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها
وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم
علي ولا تبعة اتنني وجوابه الاول فيه تكثيره والله على ما نقول اي على ما تعا
هدنا عليه وتواثقنا وكيل اي شاهد وقال قتادة حفيظ وقال ابن شجرة
رقيب والوكيل الذي وكل اليه الامر فلما ضمن معنى شاهد ونحوه عدي بعلى ۝
فلما قضى موسى الاجل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وفى اطول الاجلين وهو
العشر وعن مجاهد وفى عشرا وعشرا بعدها وهذا ضعيف وسار باهله اي نحو
مصر بلده وبلد قومه والخلاف في من تزوج الكبرى ام الصغرى وكذلك في
اسمهما وتقدم كيفية مسيره وايناسه النار في سورة طه وغيرها **وقرا**
الجمهور جذوة بكسر الجيم والاعمش وطلحة وابو حيوة وحمزة بضمها وعاصم غير
الجعفي بفتحها لعلكم تصطلون اي تسخنون بها اذ كانت ليلة باردة وقد
اضلوا الطريق ۝ فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين ۝ وان الق عصاك فلما راها

قوله عز وجل فلما اتاها نودي

تهتز

تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين اسلك
يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا
فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني
اخاف ان يكذبون ۝ قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ۝ من في من شاطئ لابتداء الغاية
ومن الشجرة كذلك اذ هي بدل من الاولى اي من قبل الشجرة والايمن يحتمل ان يكون
صفة للشاطئ وللوادي على معنى اليمن والبركة او الايمن يريد المعادل للعضو الايسر
فيكون ذلك بالنسبة الى موسى لا للشاطئ ولا للوادي اي يمين موسى في استقباله
حتى يهبط الوادي او بعكس ذلك وكل هذه الاقوال في الايمن منقول **وقرا** الاشهب
العقيلي ومسلمة في البقعة بفتح الباء قال ابو زيد سمعت من العرب هذه بقعة
طيبة بفتح الباء ووصفت البقعة بالبركة لما خصت به من ايات الله وانواره وتكليمه
لموسى عليه السلام او لما حوت من الارزاق والثمار الطيبة ويتعلق في البقعة بنودي
او بكون في موضع الحال من شاطئ والشجرة عناب او عليق او سمرة او عوسج اقوال
وان يحتمل ان يكون حرف تفسير وان تكون مخففة من الثقيلة **وقرات فرقة**
اني انا بفتح الهمزة وفي اعرابه اشكال لانه ان كانت تفسيرية فينبغي كسر اني
وان كانت مصدرية فتتقدر بالمفرد والمفرد لا يكون خبرا لضمير الشان فتخرج هذه
القراءة على ان تكون ان تفسيرية واني معمول لمضمر تقديره اي يا موسى اعلم اني انا الله
وجاء في طه نودي يا موسى اني انا ربك وفي النمل نودي ان بورك من في النار
وهنا نودي من شاطئ ولا منافاة اذ حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك
النداء والجمهور على انه تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة وقال الحسن
ناداه نداء الوحي لا نداء الكلام وتقدم الكلام على نظير قوله وان الق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ثم امره فقال اسلك يدك
في جيبك وهو فتح الجبة من حيث يخرج الراس وكان كم الجبة في غاية الضيق
وتقدم الكلام على تخرج بيضاء من غير سوء وفسر الجناح هنا باليد وبالعضد وبالعطا
وبما اسفل العضد الى الرسغ وبجيب مدرعته والرهب الخوف وثلاث القراءات
فيه **وقيل** بفتح الراء والهاء الكم بلغة بني حنيفة وحمير وسمع الاصمعي
قائلا يقول اعطني ما في رهبك اي في كمك والظاهر حمل واضمم اليك جناحك
من الرهب على الحقيقة قال الثوري خاف موسى ان يكون حدث به سوء فامره
تعالى ان يعيد يده الى جيبه لتعود على حالتها الاولى فيعلم موسى انه لم يكن سوءا
بل اية من الله وقال مجاهد وابن زيد امره يضم عضده وذراعه وهو
الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك في وقت
فزعه ان يقوى قلبه **وقيل** لما انقلبت العصا حية فزع موسى واضطرب
فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ادخل يدك تحت عضدك مكان
اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء لتظهر معجزة اخرى وهذا القول بسطه الزمخشري

لانه كالتكرار لقوله اسلك يدك في جيبك وقد قال هو الجناح هنا اليد قال لان
يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه انتهى **وقيل** المعنى اذا هالك امر لما يغلب من شعاعها
فاضممها اليك تسكن وقالت فرقة هو مجاز امره بالعزم على ما امره به كما تقول
العرب اشدد حيازيمك واربط جاشك اي شمر في امرك ودع الرهب وذلك
لما كثر تخوفه وفزعه في غير موطن قاله ابو علي وكانه طلب الفزع واله الطيران
الجناح فقيل له اسكن ولا تخف وضم منشور جناحك من الخوف اليك وذكر هذا
القول الزمخشري فقال والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه
نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة
من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه
مشمران ومعنى من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم
جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على
احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف
الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب
فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما
اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك واضمم يدك الى جناحك فما
التوفيق بينهما **قلت** المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه
اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير
ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري
كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات التي ترتضى عربيتهم ثم
ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف يطبقه الفصل كسائر كلمات
التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
من صوف لا كمي لها انتهى اما قوله وهل سمع من الاثبات وهذا مروي عن الاصمعي
وهو ثقة ثبت واما قوله كيف موقعه من الاية فقالوا معناه اخرج يدك
من كمك وكان قد اخذ العصا بالكم **وقرا** الحرميان وابو عمرو من الرهب بفتح
الراء والهاء وحفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقي السبعة بضم الراء
واسكان الهاء **وقرا** قتادة والحسن وعيسى والجحدري بضمهما فذانك اشارة
الى العصا واليد وهما مؤنثتان ولكن ذكر لتذكير الخبر كما انه قد يؤنث المذكر
لتانيث الخبر كقراءة من قرا ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا بالياء في تكن برهانان
حجتان نيرتان **وقرا** ابن كثير وابو عمرو فذانك بتشديد النون وباقي السبعة
بتخفيفها **وقرا** ابن مسعود وعيسى وابو نوفل وابن هرمز وشبل فذانيك بياء
بعد النون المكسورة وهي لغة هذيل **وقيل** بل لغة تميم ورواها شبل
عن ابن كثير وعنه ايضا فذانيك بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون
التثنية نحو **قوله** على احوذيين استقلت عليهما **وقرا** ابن مسعود بتشديد

النون مكسورة بعدها ياء قيل وهي لغة هذيل وقال المهدوي بل لغة تميم
تخفيفها والى فرعون يتعلق بمحذوف دل عليه المعنى تقديره اذهب الى فرعون
قال رب اني قتلت منهم نفسا هو القبطي الذي وكزه فمات فطلب من ربه ما يزداد
به قوة وذكر اخاه والعلة التي تكون له زيادة التبليغ وافصح يدل على ان فيه
فصاحة ولكن اخوه افصح فارسله معي ردا اي معينا يصدقني ليس المعنى انه يقول
له صدقت اذ يستوي في قول هذا اللفظ العيي والفصيح وانما المعنى انه لزيادة فصاحته
يبالغ في التبيان وفي الاجابة عن الشبهات وفي جدال الكفار **وقرا** الجمهور
ردا بالهمز وابو جعفر بالنقل ولا همز ولا تنوين ووجهه انه اجرى الوصل مجرى
الوقف **وقرا** عاصم وحمزة يصدقني بضم القاف فاحتمل الصفة لردءا والحال
واحتمل الاستئناف **وقرا** باقي السبعة بالاسكان **وقرا** ابي وزيد بن علي
يصدقوني والضمير لفرعون وقومه قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لانه
لو كان رفعا لقال يصدقونني انتهى والجزم على جواب الامر والمعنى في يصدقوني
ارجو تصديقهم اياي فاجابه تعالى الى طلبته وقال سنشد عضدك باخيك
وقرا زيد بن علي والحسن عضدك بضمتين وعن الحسن بضم العين واسكان
الضاد وعن بعضهم بفتح العين وكسر الضاد وفتحهما قراءة عيسى ويقال
فيه عضد بفتح العين وسكون الضاد ولا اعلم احدا قرا به والعضد العضو المعروف
وهي قوام اليد وشدتها تشتد **قال الشاعر**

ابني لبينى لستما بيد ... الا يدا ليست لها عضد

والمعنى فيه سنقويك باخيك ويقال في الخير شد الله عضدك وفي الشر فت الله
في عضدك والسلطان الحجة والغلبة والتسليط فلا يصلون اليكما اي بسوء او الى
اذاتكما ويحتمل باياتنا ان يتعلق بقوله ونجعل او بيصلون او بالغالبون وان كان
موصولا على مذهب من يجوز ان يتقدم من الظرف والجار والمجرور على صلة ال
وان كان عنده موصولا على سبيل الاتساع او بفعل محذوف اي اذهبا باياتنا كما
علق عليه في تسع ايات يا ذئب او على البيان فالعامل محذوف وهذه اعاريب
منقولة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون قسما جوابه فلا يصلون مقدما عليه
او من لغو القسم انتهى اما انه قسم جوابه فلا يصلون فانه لا يستقيم على قول
الجمهور لان جواب القسم لا تدخله الفاء واما قوله بل من لغو القسم فكانه يريد والله
اعلم انه لم يذكر له جواب بل حذف للدلالة عليه اي باياتنا لتغلبن ۝ فلما جاءهم
موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح
الظالمون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا

[هامش: قوله عز وجل فلما جاءهم موسى]

لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون   بآياتنا
هي العصا واليد بينات أي واضحات الدلالة على صدقه وأنه أمر خارق معجز
كعوا عن مقاومته ومعارضته فرجعوا إلى البهت والكذب ونسبوه إلى أنه
سحر لأنهم يرون الشيء على حالة ثم يرونه على حالة أخرى ثم يعود إلى الحالة
الأولى فزعموا أنه سحر يفتعله موسى ويفتريه على الله فليس بمعجز ثم مع دعواهم
أنه سحر مفترى وكذبهم في ذلك زادوا في الكذب أنهم ما سمعوا بهذا في آبائهم أي في زمان
آبائهم وأيامهم وفي آبائنا حال أي بهذا أي بمثل هذا كائنا في أيام آبائنا وإذا نفوا
السماع لمثل هذا في الزمان السابق ثبت أن ما ادعاه موسى مبتدع لم يسبق إلى
مثله فدل على أنه مفترى على الله وقد كذبوا في ذلك وطرق سمعهم أخبار الرسل
السابقين موسى في الزمان ألا ترى إلى قول مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات ولما رأى موسى ما قابلوه به من كون ما أتى به سحرا وانتفاء
سماع مثله في الزمان السابق قال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده
حيث أهله للرسالة وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى ويعني بذلك نفسه
ولو كان كما يزعمون لم يرسله ثم نبه على العلة الموجبة لعدم الفلاح وهي الظلم وضع الشيء
في غير موضعه حيث دعوا إلى الإيمان بالله وأتوا بالمعجزات فادعوا الألوهية ونسبوا
ذلك المعجز إلى السحر وعاقبة الدار وإن كانت تصلح للمحمودة والمذمومة فقد كثر
استعمالها في المحمودة فإذا لم تقيد حملت عليها ألا ترى إلى قوله أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن وقال وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو
وباقي السبعة بالواو ومناسبة قراءة الجمهور أنه لما جاءهم بالبينات قالوا كيت
وكيت وقال موسى كيت وكيت فيتميز الناظر فصل ما بين القولين وفساد أحدهما
إذ قد تقابلا فيعلم يقينا أن قول موسى هو الحق والهدى ومناسبة قراءة ابن كثير أنه
موضع جواب لما قالوا كيت وكيت قال موسى كيت وكيت ونفى فرعون علمه بإله
غيره للملأ ويريد بذلك نفي وجوده أي ما لكم من إله غيري ويجوز أن يكون غير معلوم عنده
إله لهم ولكنه مظنون فيكون النفي على ظاهره ويدل على ذلك قوله وإني لأظنه
من الكاذبين وهو الكاذب في انتفاء علمه بإله غيره ألا ترى إلى قوله حالة غرقه
آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل واستمر فرعون في مخرقته ونادى
وزيره هامان وأمره أن يوقد النار على الطين قيل وهو أول من عمل الآجر ولم
يقل اطبخ الآجر لأنه لم يتقدم لهامان علم بذلك ففرعون هو الذي يعلمه ما يصنع
فاجعل لي صرحا أي بناء عاليا لعلي أطلع إلى إله موسى أوهم قومه أن إله موسى يمكن
الوصول إليه والقدرة عليه وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له وقومه لغباوتهم
وجهلهم وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم ونفس مقاله يعرض بقضي لأهله
تصديقهم بالمستحيلات وتأثرهم للموهمات والخيالات ولا يبعد أنه كان
في قوم فرعون من يعتقد أنه مبطل في دعواه ولكن يوافقه مخافة سطوته
واعتدائه كما رأيناه يعرض لكثير من العقلاء إذا حدث رئيس بحضرته بحديث

مستحيل

مستحيل يوافقه على ذلك الحديث ولا يدل الأمر بيناء الصرح على أنه بني وقد اختلف
في ذلك فقيل بناه وذكر من وصفه بما الله أعلم به وقيل لم يبن والصواب اطلع
في معنى اطلع يقال طلع إلى الجبل واطلع بمعنى واحد أي صعد فافتعل فيه بمعنى
الفعل المجرد وبغير الحق إذ ليس لهم ذلك فهم مبطلون في استكبارهم حيث
ادعى الإلهية ووافقوه على ذلك والكبرياء في الحقيقة إنما هي لله وقرأ حمزة
والكسائي ونافع لا يرجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول والأرض هنا أرض
مصر فنبذناهم في اليم كناية عن إدخالهم في البحر حتى غرقوا شبهوا بحصيات
قذفها الرامي من يده ومنه نبذ النواة وقول الشاعر
نظرت إلى عنوانه فنبذته ۞ كنبذك نعلا من نعالك باليا
وقوم فرعون وفرعون وإن ساروا إلى البحر باختيارهم في طلب بني إسرائيل
فإن ما ضمهم من القدر السابق وإغراقهم في البحر هو نبذ الله إياهم وجعل
هنا بمعنى صير أي صيرناهم أئمة قدوة للكفار يقتدون بهم في ضلالتهم كما أن
للخير أئمة يقتدى بهم اشتهروا بذلك وبقي حديثهم وقال الزمخشري وجعلناهم
دعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار وهو من قولك
جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير
فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها
من الكفر انتهى وإنما فسر جعلناهم بمعنى دعوناهم لا بمعنى صيرناهم جريا على
مذهبه من الاعتزال لأن في تصييرهم أئمة خلق ذلك لهم وعلى مذهب المعتزلة
لا يجوزون ذلك من الله ولا ينسبونه إليه قال ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة
الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنه لا ينفع فيه وهو المصمم
على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر انتهى وهو على طريقة الاعتزال أيضا
لعنة أي طردا وإبعادا وعطف ويوم القيامة على في هذه الدنيا من المقبوحين
قال أبو عبيدة من المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين الخلقة بسواد
الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين ولما ذكر تعالى ما آل إليه فرعون
وقومه من غضب الله عليهم وإغراقه ذكر ما امتن به على رسوله موسى عليه
السلام فقال ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة وهو أول كتاب أنزلت
فيه الفرائض والأحكام من بعد ما أهلكنا القرون الأولى قوم نوح وهود
وصالح ولوط ويقال لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مسخ أهلها
قردة وانتصب بصائر على الحال أي طرائق هدى يستبصر بها ۞ وما كنت بجانب الغربي
إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول
عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين
وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من
نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

قوله عز وجل
وما كنت بجانب

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۞ لما قص الله تعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له من الحمل به في وقت ذبح الأبناء ورميه في البحر في تابوت ورده إلى أمه وتبني فرعون له وإيتائه الحكم والعلم وقتله القبطي وخروجه من مصر خائفا من تتبعه فارا وتصاهره مع شعيب ورعيه لغنمه السنين الطويلة وعوده إلى مصر وإضلاله الطريق ومناجاة الله له وإظهار تلك المعجزتين العظيمتين على يديه وهي العصا واليد وأمره بالذهاب إلى فرعون ومحاورته معه وتكذيب فرعون وإهلاكه وإهلاك قومه والامتنان على موسى بإيتائه التوراة وأوحى تعالى بجميع ذلك إلى محمد رسوله صلى الله عليه وسلم ذكره بإنعامه عليه بذلك وبما خصه من الغيوب التي كان لا يعلمها لا هو ولا قومه فقال وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر والأمر قيل النبوة والحكم الذي آتاه الله موسى وقيل الأمر أمر محمد عليه السلام أن يكون من أمته وهذا التأويل يلتئم معه ما بعده من قوله ولكنا أنشأنا قرونا وقيل الأمر إهلاك فرعون بالماء وبجانب الغربي على البحر وبدأ أولا بنفي شيء خاص وهو أنه لم يحضر وقت قضاء الله لموسى الأمر ثم ترقى إلى كونه لم يكن من الشاهدين والمعنى والله أعلم من الشاهدين بجميع ما أعلمناك به فهو نفي للشهادة بجميع ما جرى لموسى فكان عموما بعد خصوص وبجانب الغربي من إضافة الموصوف إلى صفته عند قوم ومن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه عند قوم فعلى القول الأول أصله بالجانب الغربي وعلى الثاني أصله بجانب المكان الغربي والترجيح بين القولين مذكور في النحو والغربي قال قتادة غربي الجبل وقال الحسن بعث الله موسى بالغرب وقال أبو عبيدة حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم وقيل هناك جبل غربي وقيل الغربي من الوادي وقيل من البحر قال ابن عطية المعنى لم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي تخبر بها ولكنها صارت إليك بوحينا أي فكان الواجب أن يسارعوا إلى الإيمان بك ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها زمنا زمنا فعزبت حلومهم واستحكمت جهالتهم وضلالتهم وقال الزمخشري الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع موسى من الطور وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي جهة يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا من حيث إن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست

ميقات

العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه للاستدراكين بعده وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين هم شعيب والمؤمنون تتلو عليهم آياتنا تقرأ عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها إذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة انتهى وقيل فتطاول عليهم العمر وفترت النبوة ودرست الشرائع وحرف كثير منها وتمام الكلام مضمر تقديره وأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مميزا للحق مما اختلف فيه منها رحمة منا وقيل يحتمل أن يكون المعنى وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان وكانت بينك وبين موسى قرون تطاولت أعمارهم وأنت تخبر الآن عن تلك الأحوال إخبار مشاهدة وعيان بإيحائنا معجزة لك وقيل تتلو حال وقيل مستأنف أي ها أنت الآن تتلو قصة شعيب ولكنا أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الأخبار المنسية تتلوها عليهم ولولا ذلك ما أخبرتهم بما لم يشاهدوه وقال الفراء وما كنت ثاويا في أهل مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه وها أنت تتلو عليهم آياتنا أي على أمتك فهو منقطع انتهى قيل وإذا لم يكن حاضرا في ذلك المكان فما معنى وما كنت من الشاهدين فقال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فإنه يجوز أن تكون هناك ولا تشهد ولا ترى وقال مقاتل لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا إليك هذه الأخبار ولولا ذلك ما علمت وقال الضحاك تقول أنت يا محمد لم تكن الرسول إلى أهل مدين تتلو عليهم آيات الكتاب وإنما كان غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فأرسلنا إلى مدين رسولا شعيبا وأرسلناك إلى العرب لتكون خاتم الأنبياء انتهى وقال الطبري إذ نادينا بأن سأكتبها للذين يتقون الآية وعن أبي هريرة أنه نودي من السماء حينئذ يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني وغفرت لكم قبل أن تسألوني فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلني من أمة محمد فالمعنى إذ نادينا بأمرك وأخبرنا بنبوتك وقرأ الجمهور رحمة بالنصب فقدر ولكن جعلناك رحمة وقدر أعلمناك ونبأناك رحمة وقرأ عيسى وأبو حيوة بالرفع وقدر ولكن هو رحمة أو هو رحمة أو أنت رحمة لتنذر قوما ما أتاهم من نذير أي في زمن الفترة بينك وبين عيسى وهو خمس مائة وخمسون عاما ونحوه وجواب لولا محذوف والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك علينا ما أرسلنا إليهم أي إنما أرسلنا الرسل إزالة لهذا العذر كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وتقدير الجواب ما أرسلنا إليهم الرسل هو قول الزجاج وقال ابن عطية تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه والمصيبة العذاب ولما كان أكثر الأعمال تزاول بالأيدي

عبر عن كل عمل باجتراح الايدي حتى عن اعمال القلوب اتساعا في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل والفاء في فيقولوا للعطف على تصيبهم ولولا الثانية للتحضيض وفنتبع الفاء فيه جواب التحضيض وقال الزمخشري **فان قلت** كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه **قلت** القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناها الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلت ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهو انهم لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انتهى ه والحق هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالكتاب المعجز الذي قطع معاذيرهم **وقيل** القرآن مثل ما اوتي موسى من قبل اي من قبل الكتاب المنزل جملة واحدة وانقلاب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الايات اقترحوا ذلك على سبيل التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز وما اشبه ذلك من المقترحات لهم وهذه المقالة التي قالوها هي من تعليم اليهود لقريش قالوا لهم الا ياتي باية باهرة كايات موسى فرد الله عليهم بانهم كفروا بايات موسى وقد وقع منهم في ايات موسى ما وقع من هؤلاء في ايات الرسول فالضمير في اولم يكفروا لليهود قاله ابن عطية **وقيل** قائل ذلك العرب بالتعليم كما قلنا **وقيل** قائل ذلك اليهود ويظهر عندي انه عائد على قريش الذين قالوا لولا اوتي اي محمد ما اوتي موسى وذلك ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيب لموسى عليهما السلام ونسبتهم السحر للرسول نسبة السحر لموسى اذ الانبياء هم من واد واحد فمن نسب الى احد من الانبياء ما لا يليق كان ناسبا ذلك الى جميع الانبياء وتتناسق الضمائر كلها في هذا وفي قوله قل فاتوا بكتاب من عند الله وان كان الظاهر من القول انه النطق اللساني فقد ينطلق على الاعتقاد وهم من حيث انكار النبوات معتقدون ان ما ظهر على ايدي الانبياء من الايات انما هو من باب السحر وقال الزمخشري اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا اي تعاونا انتهى ومن قبل يحتمل ان يتعلق بيكفروا وباوتي **وقرا** الجمهور ساحران قال مجاهد موسى وهارون وقال الحسن موسى وعيسى وقال ابن عباس موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقال الحسن ايضا عيسى ومحمد عليهما السلام **وقرا** عبد الله وزيد بن علي والكوفيون سحران قال ابن عباس التوراة والقرآن وقيل التوراة والانجيل او موسى وهارون

جعلا

جعلا سحرين على سبيل المبالغة تظاهرا تعاونا وقرا الجمهور تظاهرا فعلا ماضيا على وزن تفاعل **وقرا** طلحة والاعمش اظاهرا بهمزة الوصل وشد الظاء وكذا هي في حرف عبد الله واصله تظاهرا فادغم التاء في الظاء فاجتلبت همزة الوصل لاجل سكون التاء المدغمة **وقرا** محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث الذماري وابو حيوة وابو خلاد عن اليزيدي تظاهرا بالتاء وتشديد الظاء قال ابن خالويه وتشديده لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع وقال صاحب اللوامح ولا اعرف وجهه وقال صاحب الكامل في القراءات ولا معنى له انتهى وله تخريج في اللسان وذلك انه مضارع حذفت منه النون وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر وساحران خبر مبتدا محذوف تقديره انتما ساحران تتظاهران ثم ادغمت التاء في الظاء وحذفت النون وروعي ضمير الخطاب ولو قرا يظاهرا بالياء حملا على مراعاة ساحران لكان له وجه او على تقدير هما ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون اي بكل من الساحرين او السحرين ثم امر تعالى ان يصدع بهذه الآية وهي قوله قل فاتوا اي انتم ايها المكذبون بهذه الكتب التي تضمنت الامر بالعبادات ومكارم الاخلاق ونهت عن الكفر والنقائص ووعد الله عليها الثواب الجزيل ان كان تكذيبكم لمعنى فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى من هذين اتبعه معكم والضمير في منهما عائد على ما انزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليه وسلم عليهما وتعليق اتيانهم بشرط الصدق امر متحقق متيقن انه لا يكون ولا يمكن صدقهم كما انه لا يمكن ان ياتوا بكتاب من عند الله يكون اهدى من الكتابين ويجوز ان يراد بالشرط التهكم بهم **وقرا** زيد بن علي اتبعه برفع العين على الاستئناف اي انا اتبعه فان لم يستجيبوا لك قال ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ولم يمكنهم ان ياتوا بكتاب هو افضل والاستجابة تقتضي دعاء وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دائما الى الايمان اي فان لم يستجيبوا لك بعدما وضح لهم من المعجزات التي تضمنها كتابك الذي انزل اليك او يكون قوله فاتوا بكتاب هو الدعاء اذ هو طلب منهم ودعا لهم بان ياتوا به ومعلوم انهم لا يستجيبون لان ياتوا بكتاب من عند الله فاعلم انه ليس لهم الا اتباع هوى مجرد لا اتباع دليل واستجاب بمعنى اجاب ويعدى للداعي باللام ودون كما قال فاستجاب له ربه فاستجبنا له ووهبنا له يحيى فان لم يستجيبوا لكم **وقال الشاعر** فلم يستجبه عند ذاك مجيب ه فعداه بغير لام وقال الزمخشري هذا الفعل يتعدى الى الدعاء والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له فلا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعا على حذف المضاف انتهى ومن اضل اي لا احد اضل وبغير هدى في موضع الحال وهذا الحال قيد في اتباع الهوى لانه قد يتبع الانسان ما يهواه ويكون ذلك الذي يهواه فيه هدى من الله لان الاهوا كلها تنقسم الى ما يكون فيه هدى وما لا يكون فيه هدى فلذلك قيد بهذه الحال وقال الزمخشري يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه انتهى وهو على طريق الاعتزال ه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم

ساحرات

ع

ع

ع

قوله عز وجل ولقد وصلنا

الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله
مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما
رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا
يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون **وقرأ** الجمهور وصلنا
مشددا لصاد والحسن بتخفيفها والضمير في لهم لقريش وقال رفاعة القرظي نزلت
في عشرة من اليهود انا احدهم قال الجمهور وصلنا تابعنا القرآن موصولا بعضه
ببعض في المواعظ والزجر والدعاء الى الاسلام وقال الحسن وفي ذكر الامم المهلكة
وقال مجاهد جعلناه اوصالا من حيث كان انواعا من القول في معان مختلفة وقال
ابن زيد وصلنا لهم خبر الاخرة بخبر الدنيا حتى كانهم عاينوا الاخرة وقال الاخفش
اتممنا كوصلك الشيء بالشيء واصله التوصل في الحبل يوصل بعضه ببعض

وقال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمتي ۞ بحبل ضعيف لا يزال يوصل

وهذه الاقوال معناها توصيل المعاني فيه بها اليهم وقالت فرقة التوصيل
بالنسبة الى الالفاظ اي وصلنا لهم قولا معجزا دالا على نبوتك والذين اهل الكتاب
هنا جماعة من اليهود اسلمت وكان الكفار يؤذونهم او بحيرا الراهب او النجاشي
او سلمان الفارسي وابن سلام وابو رفاعة وابنه في عشرة من اليهود اسلموا او اربعون
من اهل الانجيل كانوا مؤمنين بالرسول قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة
اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب وثمانية قدموا من الشام بحيرا وابرهة واشرف واربد
وتمام وادريس ونافع ورادا او ابن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان
سبعة اقوال اخرها لقتادة والظاهر انها امثلة لمن امن منهم والضمير في به
عائد على القول وهو القرآن ۞ وقال الفراء عائد على الرسول وقال ايضا
ان عاد على القرآن كان صوابا لانهم قد قالوا انه الحق من ربنا انتهى انه الحق
من ربنا تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله يستحق بان نؤمن به انا كنا من قبله
مسلمين بيان لقوله امنا به اي ايماننا به متقادم اذ كان الاباء الاقدمون
الى ابائنا قرؤا ما في الكتب الاول واعلموا بذلك الابناء فنحن مسلمون من قبل
نزوله وتلاوته علينا والاسلام صفة كل موحد مصدق بالوحي وايتاء الاجر
مرتين لكونه امن بكتابه وبالقرآن وعلل ذلك بصبرهم اي على تكاليف الشريعة
السابقة لهم وهذه الشريعة وما يلقون من الاذى وفي الحديث ثلاثة يؤتيهم
الله اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي الحديث ويدرؤن
يدفعون بالحسنة بالطاعة السيئة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى وذلك
من مكارم الاخلاق وقال ابن مسعود يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله
الشرك وقال ابن جبير بالمعروف المنكر وقال ابن زيد بالخير الشر وقال ابن سلام
بالعلم الجهل وبالكظم الغيظ وفي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتبع السيئة

الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن واللغو سقط القول وقال مجاهد الاذى
والسب وقال الضحاك الشرك وقال ابن زيد ما غيرته اليهود من وصف الرسول
سمعه قوم منهم فكرهوا ذلك واعرضوا ولكم اعمالكم خطاب لقائل اللغو المفهوم
ذلك من قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه سلام عليكم قال الزجاج سلام متاركة
لا سلام تحية لا نبتغي الجاهلين اي لا نطلب مخالطتهم انك لا تهدي من احببت
اي لا تقدر على خلق الهداية فيه ولا تنافي بين هذا وبين قوله وانك لتهدي الى
صراط مستقيم لان معنى هذا وانك لترشد وقد اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب
وحديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة ان مات مشهور وقال الزمخشري
لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت لانك لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره
ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف
تنفع فيه فيقرب به الطافه حتى يدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من
الذين لا يقبلون انتهى وهو على طريقة الاعتزال في امر الالطاف وقالوا الضمير
في وقالوا لقريش **وقيل** القائل الحرث بن عثمن بن نوفل بن عبد مناف انك على الحق
ولكنا ان اتبعناك وخالفنا العرب فذلك وانما نحن اكلة راس اي قليلون
ان يتخطفونا من ارضنا وقولهم الهدى معك اي على زعمك فقطع الله حجتهم
اذ كانوا وهم كفار بالله عباد اصنام قد امنوا في حرمهم والناس في غيره يتقاتلون
وهم مقيمون في بلد غير ذي زرع يجبى اليهم ما يحتاجون من الاقوات فكيف اذا
امنوا واهتدوا فهو تعالى يمهد لهم الارض ويملكهم الارض كما وعدهم تعالى
ووقع ما وعد به ووصف الحرم بالامن مجازا اذ الامنون فيه هم ساكنوه وثمرات
كل شيء عام مخصوص يراد به الكثرة **وقرأ** المنقري تتخطف برفع الفاء مثل قوله تعالى
اينما تكونوا يدرككم برفع الكاف اي فيدرككم اي فهو يدرككم وقوله ۞
من يفعل الحسنات الله يشكرها ۞ اي فنتخطف والله يشكرها وهو تخريج شذوذ
وقرأ نافع وجماعة عن يعقوب وابو حاتم عن عاصم تجبى بتاء التانيث والباقون
بالياء **وقرأ** الجمهور ثمرات بفتحتين وابان بن تغلب بضمتين وبعضهم بفتح الثاء
واسكان الميم وانتصب رزقا على انه مصدر من المعنى لان قوله يجبى اليه ثمرات
اي يرزق ثمرات او على انه مفعول له وفاعل الفعل المعلل محذوف اي نسوق اليه
ثمرات كل شيء وان كان الرزق ليس مصدرا بل بمعنى المرزوق جاز انتصابه على الحال
من ثمرات ويحسن ذلك تخصيصها بالاضافة واكثرهم لا يعلمون اي جهلة بان
ذلك الرزق هو من عندنا ۞ وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى
حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم
القيمة من المحضرين ۞ هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل
حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة

لب

تحاف حم

قوله عز وجل وكم اهلكنا من قرية

ن

وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم ومعيشتها منصوب على التمييز على
مذهب الكوفيين او مشبهة بالمفعول على مذهب بعضهم او مفعول به على تضمين بطرت
معنى فعل متعد اي خسرت معيشتها على مذهب اكثر البصريين او على اسقاط في اي في
معيشتها على مذهب الاخفش او على الظرف على تقدير ايام معيشتها كقولك جئتك
خفوق النجم على قول الزجاج فتلك مساكنهم اشارة اليها اي ترونها خرابا تمرون
عليها كحجر ثمود هلكوا وفنوا وتقدم ذكر المساكن وتسكن فاحتمل ان يكون الاستثنا
في قوله الا قليلا من المساكن اي الا قليلا منها سكن واحتمل ان يكون من المصدر
المفهوم من قوله لم تسكن اي لا سكنى قليلا اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق
وكنا نحن الوارثين اي لتلك المساكن وغيرها كقوله انا نحن نرث الارض خلت
من ساكنيها فخربت ٥ تخلف الاثار عن اصحابنا حينا ويدركها الفنا فنسخ ٥
والظاهر ان القرى عامة في القرى التي هلكت فالمعنى انه تعالى لا يهلكها
في كل وقت حتى يبعث في ام تلك القرى اي كبيرتها التي ترجع تلك القرى اليها
ومنها يمتارون وفيها عظيمهم الحاكم على تلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
لالزام الحجة وقطع المعذرة **ويحتمل** ان يراد بالقرى القرى التي في عصر الرسول
فتكون ام القرى مكة ويكون الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وظلم
اهلها بالكفر والمعاصي وما اوتيتم من شي اي من سيركم وتفخرون به فمتاع
الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون بها ايام قلائل وما عند الله من النعيم الدائم
الباقي المعد للمؤمنين خير من متاعكم افلا تعقلون توبيخ لهم وقراه ابو عمرو
يعقلون بالياء اعراض عن خطابهم وخطاب لغيرهم كانه قال انظروا الى هؤلاء
وسخافة عقولهم وقراه الجمهور بالتاء من غوف على خطابهم وتوبيخهم في كونهم
اهملوا العقل في العاقبة ونسب هذه القراة ابو علي في الحجة الى ابي عمرو وحده
وفي التحرير والتحبير بين اليا والتاء عن ابي عمرو وقري متاعا الحيوة الدنيا
اي يتمتعون متاعا في الحيوة الدنيا فانتصب الحيوة الدنيا على الظرف افمن
وعدناه يذكر تفاوت ما بين الرجلين من وعد وعدا حسنا وهو الثواب فلاقاه
ومن متع في الحيوة الدنيا ثم احضر الى النار وظاهر الاية العموم في المؤمن
والكافر قيل ونزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم والي جهل **وقيل** في حمزة
وابي جهل **وقيل** في علي وابي جهل **وقيل** في عمار والوليد بن المغيرة
وقيل نزلت في المؤمن والكافر وغلب لفظ المحضر في المحضر الى النار كقوله
لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون والفا في افمن للعطف لما ذكر تفاوت
ما بين ما اوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال افبعد هذا
التفاوت الظاهر يسوي بين ابنا الاخرة وابنا الدنيا والفا في فهو لاقيه
للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وثم للتراخي
حال الاحضار عن حال التمتع بتراخي وقته عن وقته وقراه طلحة امن وعدناه
بغير فاء ٥ ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون ٥ قال الذين حق
عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا

قوله عز وجل ويوم يناديهم

ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون ٥ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم
الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون
من المفلحين وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى
عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه
افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون ٥ لما ذكر ان المتمتعين في الدنيا يحضر الى النار ذكر شيئا من احوال
يوم القيمة اي واذكر لهم يوم يناديهم الله ونداوه اياهم يحتمل ان يكون
بواسطة وبغير واسطة فيقول اين شركاي اي على زعمكم وهذا الاستفهام على جهة
التوبيخ والتقريع والشركاء هم من عبدوه من دون الله من ملك او جن او انس او كوكب
او صنم او غير ذلك ومفعول تزعمون محذوف فان احدهما العايد على الموصول
تزعمونهم شركاء ولما كان هذا السؤال مسكتا لهم اذ تلك الشركاء التي عبدوها مفقودون
هما وجدوا هم في الاخرة حادوا عن الجواب الى الكلام لا يجدي قال الذين حق عليهم القول
اي الشياطين وائمة الكفر ورؤسه وحق اي وجب عليهم القول اي مقتضاه وهو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ٥ وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا هم
صفة واغويناهم كما غوينا الخبر وكما غوينا صفة لمطاوع اغويناهم اي فغووا كما غوينا هم
اي تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا وهذا الاعراب قاله الزمخشري وقال ابو علي لا يجوز
هذا الوجه لانه ليس في الخبر زيادة على ما في صفة المبتدا **فان قلت** قال
قد وصلت بقوله كما غوينا وفيه زيادة **قيل** الزيادة بالظرف لا تصير اصلا
في الجملة لان الظروف صلات وقال هؤلاء الذين اغوينا هو الخبر واغويناهم مستانف
وقال غير ابي علي لا يمتنع الوجه الاول لان الفضلات في بعض المواضع يلزم كقولك
زيد عمرو قائم في داره انتهى والمعنى هؤلاء اتباعنا اثروا الكفر على الايمان كما اثرنا
نحن ونحن كنا السبب في كفرهم فقبلوا منا وقراه ابان عن عاصم وبعض الشاميين
كما غوينا بكسر الواو وقال ابن خالويه وليس ذلك مختارا لان كلام العرب غويت من
الضلالة وغويت من البشم ثم قالوا تبرانا اليك منهم ما كانوا يعبدوننا انما
عبدوا غيرنا واياناً مفعول يعبدون لما تقدم انفصل واتصل لكون فاصلة
يعبدون فاصلة ولو اتصل لم تكن فاصلة وقال الزمخشري انما كانوا
يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلا الجملتين من العاطف لكونهما
مقررتين لمعنى الجملة الاولى انتهى **وقيل** ادعوا شركاءكم لما سئلوا اين
شركاؤكم واجابوا بغير جواب سئلوا ثانيا فقيل ادعوا شركاءكم واضيف الشركاء
اليهم اي الذين جعلتموهم شركاء لله وقوله ادعوا شركاءكم على سبيل التهكم
بهم لانه يعلم انه لا فايدة في دعايهم فدعوهم هذا السخافة عقولهم في ذلك

ن

٥

الموطن ايضا اذ لم يعلموا ان من كان موجودا منهم في ذلك الموطن لا يجيبهم والضمير
في وراوا قال الضحاك ومقاتل هو للتابع والمتبوع وجواب لو محذوف والظاهر ان
يقدر مما يدل عليه مما يليه اي لو كانوا مومنين في الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة
وقيل التقدير لو انهم كانوا مهتدين بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب
وقيل لعلموا ان العذاب حق وقيل لتحيروا عند رويته من فظاعته وان لم
يعذبوا به وقيل لما كانوا في الدنيا عابدين الاصنام وقال ابو عبد الله
الرازي وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه احدها ان الله
اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم ثم اشتد خوفهم ولحقهم شيء بحيث لا يبصرون
شيئا لا جرم ما راوا العذاب وثانيها لما ذكر الشركاء وهي الاصنام وانهم لا يجيبون
الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو كانوا من الاحياء المهتدين ولكنها
ليست كذلك فلا جرم ما رات العذاب والضمير في راوا وان كان للعقلاء فقد قال ودعوهم
وهم للعقلاء انتهى وفيه بعض تلخيص وقد اثنى على هذا الذي اختاره وليس بشيء لانه بناه
على ان الضمير في راوا عائد على المدعوين قال وهم الاصنام والظاهر انه عائد على
الداعين كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب ولان حمل مهتدين
على الاحياء في غاية البعد لان ما قدره هو جواب ولا يشعر به انه جواب اذ صار
التقدير عنده لو كانوا من الاحياء راوا العذاب لكنها ليست من الاحياء فلا ترى
العذاب الا ترى الى قوله فلا جرم ما رات العذاب ه ويوم يناديهم هذا النداء
ايضا قد يكون بواسطة من الملائكة او بغير واسطة حالا اولا ما يوبخهم به من
اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله دعوهم الكفر عند توبيخهم ثم استغاثتهم بشركائهم
وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال
الرسل وازالة العلل وقرا الجمهور فعميت بفتح العين وتخفيف الميم وقرا
الاعمش وجناح بن حبيش وابو زرعة بن عمرو بن جرير بضم العين وتشديد الميم
والمعنى اظلمت عليهم الامور فلم يستطيعوا ان يخبروا بما فيه نجاة لهم واتى بلفظ
الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتساءلون وقرا طلحة يسالون بادغام التاء
في السين اي لا يسال بعضهم بعضا فيما يحتاجون به اذ ايقنوا انه لا حجة لهم
فهم في عمى وعجز عن الجواب والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه
رسوله ولما ذكر تعالى احوال الكفار يوم القيامة وما يكون منهم فيه اخبر
بان من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا فانه مرجو له الفلاح والفوز في الاخرة
وهذا ترغيب للكافر في الاسلام وضمان له بالفلاح وعسى من الله
واجبة وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت بسبب ما تكلمت به قريش من
استغراب امر النبي صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وقائل ذلك الوليد بن المغيرة قال القرطبي هذا متصل بذكر الشركاء
الذين دعوهم واختاروهم للشفاعة اي الاختيار الى الله تعالى في الشفعاء لا الى
المشركين وقيل هو جواب لليهود اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل لامنا

بو

به ونص الزجاج وعلي بن سليمان والنحاس على ان الوقف على قوله ويختار تام
والظاهر ان ما نافية اي ليس لهم الخيرة انما هي لله تعالى كقوله ما كان لهم الخيرة
من امرهم وذهب الطبري الى ان ما موصولة منصوبة بيختار اي ويختار من الرسل
والشرايع ما كان خيرة للناس كما لا يختارون هم ما ليس اليهم ويفعلون ما لم يومروا
به وانكر ان تكون ما نافية لئلا يكون المعنى انه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي
لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفي وروي عن ابن عباس معنى ما ذهب
اليه الطبري وقد رد هذا القول بتقدم العائد على الموصول واجيب بان التقدير
ما كان لهم فيه الخيرة وحذف لدلالة المعنى قال الزمخشري كما حذف من قوله
ان ذلك لمن عزم الامور يعني ان التقدير ان ذلك فيه لمن عزم الامور وانشد القسم
ابن معن ببيت عنترة ه

امن سمية دمع العين تذريف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف ه

وقرن الاية بهذا البيت والرواية في البيت لو ان ذا ولكن على ما رواه القسم
يتجه في بيت عنترة ان يكون في كان ضمير الشان فاما في الاية فقال ابن عطية
تعبير الامر والشان لا يكون بحمله فيها محذوف قال ابن عطية ويتجه عندي ان تكون
ما مفعولة اذا قدرنا كان تامة اي ان الله تعالى يختار كل كائن ولا يكون شي
الا باذنه وقوله لهم الخيرة جملة مستانفة معناها تعديد النعمة عليهم في
اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا انتهى يعني والله اعلم خيرة الله لهم اي لمصلحتهم
والخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعملان بمعنى المصدر والجمل التي بعد هذا
تقدم الكلام عليها وله الحمد في الاولى والاخرة قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله رب العالمين والتحميد هنالك على سبيل اللذة
لا التكليف وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وقرا ابن محيصن ما تكن بفتح
التاء وضم الكاف وله الحكم اي القضاء بين عباده والفصل وارايتم بمعنى اخبروني
وقد تسلط على الليل ارايتم وجعل اذ كل منهما يقتضيه فاعمل الثاني وجملة ارايتم
الثانية هي جملة الاستفهام والعائد على الليل محذوف تقديره من اله غير الله ياتيكم
بضياء بعده ولا يلزم في باب التنازع ان يتوخى المتنازعان في جهة التعدي
مطلقا بل قد يختلف الطلب فيطلبه هذا على جهة الفاعلية وهذا على جهة المفعولية
وهذا على جهة المفعول وهذا على جهة الظرف وكذلك ارايتم ثاني مفعوليه جملة
استفهامية غالبا وثاني جعل اذ كانت بمعنى صير لا يكون استفهاما وان كانت بمعنى
خلق واوجد انتصب ما بعد مفعولها كان ذلك المنتصب حالا وسرمدا قيل من
السرد فميمه زائدة ووزنه فعمل ولا يزاد وسطا ولا آخرا بقياس وانما هي الفاظ
تحفظ مذكورة في علم التصريف واتى بضياء وهو نور الشمس ولم يجي التركيب بنهار
يتصرفون فيه كما جاء بليل تسكنون فيه لان منافع الضياء متكاثرة ليس التصرف
في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل
افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه

قاله الزمخشري ومن رحمته زينا للسبب اي وبسبب رحمته اياكم جعل لكم الليل والنهار ثم علل جعل كل واحد منهما فبدأ بعلة الاول وهو لتسكنوا فيه ثم بعلة الثاني وهو ولتبتغوا من فضله ثم بما يشبه العلة بجعل مذين الشيين وهو لعلكم تشكرون اي هذه الرحمة والنعمة وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير وهو ان تذكر اشيا ثم تفسرها بما يناسبها ومنه قول ابن حيوس

• ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كاسه الملاي وعن ابريقه •

• فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه •

والضمير في فيه عائد على الليل وفي فضله يجوز ان يكون عائدا على الله والتقدير من فضله اي من فضل الله فيه اي في النهار وحذف لدلالة المعنى ولدلالة لفظ فيه السابق عليه ويحتمل ان يعود على النهار اي من فضل النهار ويكون اضافة الضمير للنهار على سبيل المجاز لما كان الفضل حاصلا فيه اضيف اليه كقوله بل مكر الليل والنهار ۝ ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ● ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون ۝ تقدم الكلام على قوله ويوم يناديهم وكرر هنا على جهة الابلاغ والتاكيد ونزعنا اي ميزنا واخرجنا بسرعة من كل امة من الامم شهيدا وهو نبي تلك الامة لانه هو الشهيد عليها كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا وقيل عدولا وخيارا والشهيد على هذا اسم الجنس والشهيد يشهد على تلك الامة بما صدر منها وما اجابت به لما دعيت الى التوحيد وانه قد بلغهم رسالة ربهم فقلنا اي للامم هاتوا برهانكم اي حجتكم فيما كنتم عليه في الدنيا من الكفر ومخالفة هذا الشهيد فعلموا ان الحق لله لا لاصنامهم وما عبدوا من دون الله وضل عنهم اي وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من الكذب والباطل وقارون اعجمي منع الصرف للعجمة والعلمية قيل ومعنى كان من قومه اي ممن امن به قال ابن عطية وهو اسرايلي باجماع انتهى واختلف في قرابته من موسى اختلافا مضطربا

متكاذبا

قوله عز وجل ويوم يناديهم

متكاذبا واولاها ما قاله ابن عباس انه ابن عمه وهو قارون بن يصهر بن قاهث جد موسى لان النسابين ذكروا نسبه كذلك وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان احفظ بني اسرايل للتوراة واقراهم فنافق كما نافق السامري فبغى عليهم ذكروا انواعا بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى على النبوة ولهرون على الذبح والقربان وظلمه لبني اسرايل حين ملكه فرعون عليهم ودسه بغيا يكذب على موسى انه تعرض لها او يفضحه بذلك في ملا من بني اسرايل ومن تكبره ان زاد في ثيابه شبرا واتيناه من الكنوز قيل اظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام وقيل سميت امواله كنوزا اذ كان ممتنعا من اداء الزكوة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام اول عداوته وما موصولة صلتها ان ومعمولاها وقال النحاس سمعت علي بن سليمان يعني الاخفش الصغير يقول ما اقبح ما يقوله الكوفيون في الصلات انه لا يجوز ان تكون صلة الذي ان وما عملت فيه وفي القرآن ما ان مفاتحه انتهى وتقدم الكلام في مفاتح في سورة الانعام وقالوا هنا مقاليد خزاينه وقال السدي هي الخزاين نفسها وقال الضحاك ظروفه واوعيته وقرا الاعمش مفاتيحه بيا جمع مفتاح وذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب او يقارب الكذب فلم اكتبه قال ابو زيد نؤت بالحمل اذا نهضت به قال الشاعر

• اذا وجدنا خلفا بيس الخلف عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف ۝

وتقال ناء ينوء اذا نهض بثقل ۝

قال الشاعر ۝

• تنوء باخراها فلايا قيامها وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر ۝

وقال ابو عبيدة هو مقلوب واصله لتنوء بها العصبة اي تنهض والقلب عند اصحابنا بابه الشعر والفصيح ان الباء للتعدية اي لتنيء العصبة كما تقول ذهبت به واذهبته وجيت به واجاته ونقل هذا عن الخليل وس والفرا واختاره النحاس وروى معناه عن ابن عباس وابي صالح والسدي وتقول العرب ناء الحمل بالبعير اذا اثقله قال ابن عطية ويمكن ان يسند تنوء الى المفاتح لانها تنهض بتحاملها اذا فعل ذلك الذي ينهض بها وذا مطرد في ناء الحمل بالبعير ونحوه فتامله وقرا بديل ابن ميسرة لينوء بالياء وتذكيره راعى المضاف المحذوف التقدير ما ان حمل مفاتحه او مقدارها او نحو ذلك وقال الزمخشري ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والايصال كقوله ذهبت اهل اليمامة انتهى يعني انه اكتسب المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون كما اكتسب اهل التانيث من اضافته الى اليمامة فقيل فيه ذهبت وذكر ابو عمرو الداني ان بديل بن ميسرة قرا ما ان مفتاحه على الافراد فلا تحتاج قراته لينوء بالياء الى تاويل وتقدم تفسير العصبة في سورة يوسف عليه السلام وتقدم قبل تفسير المفاتح اهي المقاليد او الخزاين نفسها او الظروف والاوعية وعن ابي عياش ومحمد ان المفاتح هي الاموال قال ابن عباس كانت خزاينه تحملها اربعون اقويا وكانت اربع ماية الف يحمل كل رجل عشرة الاف ۝ وقال ابو مسلم المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله

تعالى وعنده مفاتح الغيب والمراد وآتيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها ليثقل
على العصبة اي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف اصنافها يتعب حفظها القائمين على حفظها
اذ قال له قومه لا تفرح نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس واشر واعجاب
وانما يفرح باقبال الدنيا عليه من اطمان اليها وغفل عن امر الآخرة ومن جعل من باله انه
مفارق زهرة الدنيا عن قريب فلا يفرح بها **وقال ابو الطيب**

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

قال الزمخشري ومحل اذ منصوب بتنوء انتهى وهذا ضعيف جدا لان اثقال المفاتح
العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له لا تفرح وقال ابن عطية متعلق بقوله
فبغى عليهم وهو ضعيف ايضا لان بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت وقال الحوفي
الناصب له محذوف تقديره اذكر وقال ابو البقاء اذ قال له ظرف لآتيناه وهذا
ضعيف ايضا لان الايتاء لم يكن وقت ذلك القول وقال ايضا ويجوز ان يكون ظرفا
لفعل محذوف دل عليه الكلام اي بغى عليهم اذ قال له قومه انتهى ويظهر ان يكون تقديره
فاظهر التفاخر والفرح بما اوتي من الكنوز اذ قال له قومه لا تفرح وقال تعالى ولا
تفرحوا بما آتاكم والعرب تمدح بترك الفرح عند اقبال الخير **وقال الشاعر**

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتحول

وقال آخر

ان يلاق منفسا لا يلفنا فرح الخير ولا نكبو الضر

وقرئ الفارحين حكاه عيسى بن سليمان الحجازي ولا يحب صفة فعل لا صفة
ذات بمعنى الارادة لان الفرح امر قد وقع فالمعنى لا يظهر عليهم بركته ولا يعمهم
رحمته ولما نهوه عن الفرح المطغي امروه بان يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة
الرزق ثواب الدار الآخرة بان يفعل فيه افعال البر وتجعله زادك الى
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس والجمهور معناه ولا تضيع عمرك
في ان لا تعمل صالحا في دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان
عمره وعمله الصالح فيها وهذا التأويل فيه عظة وقال الحسن وقتادة معناه
لا تضيع حظك من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبة دنياك
وفي هذا التأويل بعض رفق وقال الحسن معناه قدم الفضل وامسك ما يبلغ
به وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف **وقيل** ارادوا بنصيبه
الكفن فهذا وعظ متصل كانهم قالوا لا تترك جميع مالك لا يكون نصيبك منه
الا الكفن كما **قال الشاعر**

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال الزمخشري ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك وهذا قريب من قول الحسن
واحسن الى عباد الله او بشكرك وطاعتك لله كما احسن الله اليك بتلك النعم
التي خولكها والكاف للتشبيه وهو يكون في بعض الاوصاف لان مماثلة احسان
العبد لاحسان الله من جميع الصفات ممتنع ان تكون فالتشبيه وقع في مطلق
الاحسان او تكون الكاف للتعليل اي احسن لاجل احسان الله اليك ولا تبغ

الفساد اي ما انت عليه من البغي والظلم على علم مصدر يحتمل ان يكون مضافا اليه
ومضافا الى الله فقال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب تلك
الكنوز فقيل علم التوراة وحفظها وكان احد السبعين الذين اختارهم موسى للميقات
وكانت هذه مغالطة وقال ابو سليمان الداراني اي علم التجارة ووجوه المكاسب
اي اوتيته بادراكي وسعيي وقال ابن المسيب علم الكيميا قال ابن المسيب وكان موسى
عليه السلام يعلم الكيميا وهي جعل الرصاص والنحاس ذهبا وعن ابن عباس علم صنعة
الذهب ولعل ذلك لا يصح عنه ولا عن ابن المسيب وانكر الزجاج علم الكيميا وقال
باطل لا حقيقة له انتهى وكثيرا ما تولع اهل مصر بطلب اشياء من المتخيلات والخرافات
من ذلك تغوير الماء وخدمة الصور الممثلة في الجدر خطوطا وادعاؤهم ان تلك
الخطوط تتحرك اذا خدمت بانواع من البخور والكيميا حتى ان مشايخ العلم عندهم
الذين هم عندهم بصورة الولاية تتطلب ذلك من اجهل وارد من المغاربة وقال ابن زيد
وغيره اراد اوتيته على علم من الله وتخصيص من لدنه قصدني به اي فلا يلزمني فيه شيء
مما قلتم ثم جعل قوله عندي كما تقول في معتقدي وعلى ما اراه وقال مقاتل على علم
اي على خير علمه الله عندي والظاهر ان قوله اولم يعلم تقرير لعلمه ذلك وتنبيه على خطئه في
اغتراره اي قد علم ان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد
قرأه في التوراة واخبره به موسى وسمعه في التواريخ كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته قال الزمخشري ويجوز ان يكون نفيا لعلمه
بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك
العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي
نفسه مصارع الهالكين انتهى واكثر جمعا اما للمال وجماعة يحوطونه ويخدمونه
قال ابن عطية اولم يعلم يحتمل ان قارون تبجح بعلم نفسه على زعمه **وقرأ** الجمهور ولا
يسأل مبنيا للمفعول والمجرمون رفع به وهو متصل بما قبله قال محمد بن كعب والضمير
في ذنوبهم عائد على من اهلك من القرون اي لا يسأل غيرهم ممن اجرم ولا ممن لم يجرم
عمن اهلكه الله بل كل نفس بما كسبت رهينة **وقيل** لا يسأل من اهلك من القرون
عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسألتهم عنها وقيل هو مستأنف عن حال يوم القيمة
قال قتادة لا يسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها لانهم يدخلون النار بغير حساب
وقال قتادة ايضا ومجاهد لا تسألهم الملائكة عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم
من السواد والتشويه كقوله يعرف المجرمون بسيماهم وقيل لا يسألون سؤال توبيخ
وتقريع **وقرأ** ابو جعفر في رواية ولا تسأل بالتاء والجزم المجرمين نصب **وقرأ**
ابن سيرين وابو العالية كذلك في ولا تسأل على النهي للمخاطب وكان ابن ابي اسحاق
لا يجوز ذلك الا ان يكون المجرمين بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه قال
صاحب اللوامح فالظاهر ما قاله ولم يبلغني في نصب المجرمين شيء فان تركاه على
رفعه فله وجهان احدهما ان يكون الهاء والميم في عن ذنوبهم راجعة الى ما
تقدم من القرون وارتفاع المجرمين باضمار المبتدا وتقديره هم المجرمون اولئك
المجرمون ومثله التائبون العابدون في التوبة والثاني ان يكون بدلا من اصل الهاء

والميم في ذنوبهم لانها وان كانت في محل الجر بالاضافة اليها فان اصلها الرفع لان
الاضافة اليها بمنزلة اضافة المصدر الى اسم الفاعل فعلى ذلك المجرمون محمول
على الاصل على ما تقدم لنا من ان بعضهم قرأ ان يضرب مثلا ما بعوضة بالجر على انها
بدل من اصل المثل وما زائدة فيه وتقديره لا يستحيي ان يضرب مثل بعوضة اي يضرب
بعوضة نفي ذلك قرأت مع الفصل بالمصدر ناصب الى المفعول به ثم ابدل منه البعوضة
من غير ان اعرف فيها اثر الحال فاما قوله في ذنوبهم فذنوب جمع فان كان جمع مصدر
ففي اعماله خلاف واما قوله على ما تقدم لنا من ان بعضهم قرأ فقد ذكر في البقرة
انه سمع ذلك ولا يعرف فيها اثرا فينبغي ان لا يجعلها قراءة ولما ذكر تعالى
قارون ونعمته وما اتاه من الكنوز وفرحه بذلك فرح البطرين وادعاؤه ان ما
اوتي من ذلك انما اوتيه على علم ذكر ما صونا شيء عن التكبر والسرور بما اوتي
فقال فخرج على قومه في زينته وكان يوم السبت اي اظهر ما يقدر عليه من الملابس
والمراكب وزينة الدنيا قال جابر ومجاهد في ثياب حمر وقال ابن زيد مع وحشمه
في ثياب معصفرة **وقيل** في ثياب الارجوان وقيل على بغلة شهباء عليها الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج
الاحمر وعلى يمينه ثلث مائة غلام وعلى يساره ثلثمائة جارية بيض عليهم
الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي
فيه المعصفر قيل وغير ذلك من الكيفيات قال الذين يريدون الحيوة الدنيا قيل
كانوا مؤمنين قال قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله **وقيل** رغبة في اليسار والثروة
وقيل كانوا كفارا وتمنوا مثل ما اوتي قارون ولم يذكروا زوال نعمته وهذا
من الغبطة انه لذو حظ عظيم اي درجة عظيمة قاله الضحاك **وقيل** نصيب
كثير من الدنيا والحظ البخت والسعد يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ
وقال الذين اوتوا العلم منهم يوشع والعلم معرفة الثواب والعقاب
او التوكل او الاخبار اقوال ويلكم دعاء بالشر ثواب الله وهو ما اعد في الاخرة
للمؤمن خير مما اوتي قارون ولا يلقاها اي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله
وقيل الجنة ونعيمها وقيل هذه المقالة وهي قولهم ثواب الله خير لمن امن
وعمل صالحا وعنهم تصدر الا الصابرون على الطاعات وعلى قمع انفسهم عن
الشهوات تقدم طرف من خبر قارون وحسده لموسى ومن حسده انه جعل لبغي
جعلا على ان ترمي موسى بطلبها ومرادتها وانها تابت الى الله واقرت ان قارون
هو الذي جعل لها جعلا على رمي موسى بذلك فامر الله الارض ان تطيعه فقال
يا ارض خذيه واتباعه فخسف بهم في حكاية طويلة الله اعلم بها ولما خسف
بقارون ومن معه فقال بنو اسرائيل انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره
وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ومن زائدة اي من جماعة تفيد
استغراق الفئات واذا انتفت الجملة ولم يقدر على نصره فانتفاء الواحد عن
نصرته ابلغ وما كان من المنتصرين اي لم يكن في نفسه ممن يمتنع من عذاب الله واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس يدل واصبح اذا حمل على ظاهره ان الخسف به

وبداره كان ليلا وتمنوا قطع العذاب اذا الليل مقترا للراحة والسكون والامس
يحتمل ان يراد به الزمان الماضي ويحتمل ان يراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني
ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله فخسفنا فيكون فيه اعتقاب
العذاب من خروجه في زينته وفي ذلك تعجيل العذاب ومكانه منزلته في الدنيا من
الثروة والحشم والاتباع ووي هي عند الخليل وسيبويه اسم فعل مثل صه ومه ومعناها
اعجب قال الخليل وذلك ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم
وي وكل من ندم فاظهر ندامته قال وي وكان هي كاف التشبيه الداخلة على ان
وكتبت متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال وانشد سيبويه ۵

• وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ۵

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل وحكى الفراء ان امرأة قالت لزوجها اين ابنك فقال
ويكانه وراء البيت وعلى هذا المذهب يكون الوقف على وي وقال الاخفش
هي ويك وينبغي ان تكون الكاف حرف خطاب ولا موضع له من الاعراب والوقف
عليه ويك ومنه قول عنترة

• ولقد شفا نفسي وابرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم ۵

قال الاخفش وان عنده مفتوح بتقدير العلم اي اعلم ان الله وقال الشاعر

• الا ويك المضرة لا تدوم ولا يبقى على البؤس النعيم

وذهب الكسائي ويونس وابو حاتم وغيرهم الى ان اصله ويلك فحذفت اللام
والكاف في موضع جر بالاضافة فعلى المذهب الاول قيل تكون الكاف حالية من
معنى التشبيه كما قيل ليس كمثله شيء وعلى المذهب الثاني فالمعنى اعجب لان الله
وعلى المذهب الثالث تكون ويلك كلمة تحزن والمعنى ايضا لان الله وقال
ابو زيد وفرقة معه ويكان حرف واحد بجملته وهو بمعنى الم تر وعن قال
ابن عباس والكسائي وابو عبيدة وقال الفراء ويك في كلام العرب كقول الرجل
اما ترى الى صنع الله وقال ابن قتيبة عن بعض اهل العلم انه قال معنى ويك رحمة
لك بلغة حمير ولما صدر منهم تمني حال قارون وشاهدوا الخسف كان ذلك
زاجرا لهم عن حب الدنيا وداعيا الى الرضى بقدر الله فتنبهوا لخطيهم فقالوا وي
ثم قالوا كان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته
عليه ويضيق على من يشاء لا لهوانه بل لحكمته وقضائه ابتلاء وقرأ الاعمش لولا
من الله بحذف ان وهي مرادة وروي عنه من الله برفع النون والاضافة وقرا
الجمهور لخسف مبنيا للمفعول وحفص وعصمة وابان عن عاصم وابن ابي حماد عن
ابي بكر مبنيا للفاعل وابن مسعود وطلحة والاعمش لانخسف بنا كقولك انقطع بنا
كانه فعل مطاوع والمقام مقام الفاعل بموتنا ويجوز ان يكون المصدر اي لانخسف
الانخساف ومطاوع فعل لا يتعدى الى مفعوله فلذلك بني اما لبنا واما للمصدر
وعن ابن مسعود ايضا لتخسف بنا وشد السين مبنيا للمفعول ۵ تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء
بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون

قوله عز وجل تلك الدار الاخرة

ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في
ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم
واليه ترجعون ﴿ع﴾ لما كان من قول اهل العلم والايمان ثواب الله خير ذكر محل الثواب
وهو الدار الآخرة وهي الجنة والبقاء فيها سرمدا وعلق حصولها على مجرد الارادة
فكيف بمن باشر العلو والفساد ثم رجحا التركيب بلا في قوله ولا فسادا فدل على ان
كل واحد من العلو والفساد مقصود لا مجموعهما قال الحسن العلو العز والشرف
ان جرا لبغي الضحاك الظلم والفساد يعم انواع الشر وعن علي كرم الله وجهه ان
الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن
الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني وعن عمر بن عبيد العزيز انه كان يرددها
حتى قبض فله خير منها يحتمل ان يكون خير افعل للتفضيل وان يكون واحد الخيور
اي فله خير بسبب فعلها ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله فلا يجزى الذين
عملوا السيئات تهجينا لحالهم وتبغيضا للسيئة الى قلوب السامعين ففيه تكرار
ما يسوءهم لو كان فلا يجزون بالضمير وما كانوا على حذف مثل اي الا مثل ما كانوا
يعملون لان جزاء السيئة سيئة مثلها وحكمته يعمل منا لها ان الذي فرض
عليك القرآن قال عطاء العمل به ومجاهد اعطاكه وقتادة انزله عليك
وكذا قال الفراء وابو عبيدة وقال الزمخشري اوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا
لا يحيط به الوصف والمعاد قال الجمهور في الآخرة اي باعثك بعد الموت
ففيه اثبات الجزاء والاعلام بوقوعه وعن ابن عباس وابي سعيد الخدري
المعاد الموت وقيل بيت المقدس وقيل الجنة وكان دخلها ليلة المعراج
وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة اراد رده اليها يوم الفتح وتنكيره
والمقصود للتعظيم اي معاد اي له شان لغلبة الرسول عليها وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله فكان الله وعده وهو بمكة انه يهاجر
منها ويعود اليها ظافرا ظاهرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في
مهاجره وقد اشتاق اليها فقال له جبريل اتشتاق اليها قال نعم فاوحاها
اليه ومن منصوب باضمار فعل اي يعلم من جاء بالهدى ومن جاز ان ياتي افعل
بمعنى فاعل واجاز مع ذلك ان ينصب به جاز ان يتنصب به اذ يؤوله بمعنى
عالم ويعطيه حكمه من العمل ولما وعده تعالى ان يرده الى معاد وانه تعالى فرض
عليه القرآن امره ان يقول للمشركين ذلك اي هو تعالى عالم بمن جاء بالهدى
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وبما يستحقه من الثواب في معاده وهذا اذا عنى
بالمعاد ما بعد الموت ويعني بقوله ومن هو في ضلال مبين المشركين الذين
امرهم الله بان يبلغهم ذلك هو عالم بهم وبما يستحقونه من العقاب في معادهم
وفي ذلك متاركة للكفار وتوبيخ وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب هذا

تذكير لنعمه تعالى على رسوله وانه تعالى رحمه رحمة لم يتعلق بها رجاؤه وقيل الا هو
معلق بقوله ان الذي فرض عليك القرآن وانت بحال من لا يرجو ذلك وانتصب رحمة
على الاستثناء المنقطع اي لكن رحمة من ربك سبقت فالقي اليك الكتاب وقال
الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من
ربك انتهى فيكون استثناء متصلا اما من الاحوال واما من المفعول له وقرأ
الجمهور يصدنك مضارع صد وشددوا النون ويعقوب كذلك الا انه خففها وقرئ
يصدنك مضارع اصد بمعنى صد حكاه ابو زيد عن رجل من كلب قال وهي لغة قومه

وقال الشاعر

اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم

بعد اذ انزلت اليك اي بعد وقت انزالها واذ تضاف اليها اسماء الزمان كقوله
بعد اذ هديتنا ويومئذ وحينئذ وقال الضحاك وذلك حين دعوهم الى دين آبائه
اي لا يلتفت الى قولهم ولا تركن الى قولهم فيصدونك عن اتباع آيات الله وادع الى
ربك اي دين ربك ومثله المناهي كلها ظاهرها انها للرسول وهي في الحقيقة لاتباعه
والهلاك يطلق بازاء العدم المحض فالمعنى ان الله يعدم كل شيء سواه وبازاء نفي
الانتفاع به اما للاماتة او بتفريق الاجزاء وان كانت باقية يقال هلك الثوب
لا يريدون فناء اجزائه ولكن خروجه عن الانتفاع به ومعنى وجهه الا اياه
قاله الزجاج وقال مجاهد والسدي ما اريد به وجهه الا العلماء فان علمهم باق
انتهى ويريدون الا ما قصد به وجهه من العلم فانه باق وقال الضحاك الا الله
عز وجل والعرش والجنة والنار وقيل ملكه ومنه لمن الملك اليوم وقال ابو عبيدة
المراد بالوجه جاهه الذي جعله في الناس وقال سفيان الثوري الا وجهه
ما عمل لذاته ومن طاعته وتوجه به نحو وجهه

قول الشاعر

رب العباد اليه الوجه والعمل وقوله يريدون وجهه او الحكم اي فصل القضاء
اليه ترجعون اي الى جزائه وقرأ عيسى ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء
ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ومن
جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا

للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيمة
عما كانوا يفترون ﴿ هذه السورة مكية قال جابر وعكرمة والحسن وقال ابن عباس
وقتادة مدنية وقال يحيى بن سلام مكية الا من اولها الى وليعلمن المنافقين
ونزل اولها في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة قاله السدي
او في عمار ونظرائه ممن كان يعذب في الله قاله ابن عمر او في مسلمين كان كفار قريش
يؤذونهم قاله مجاهد وهو قريب مما قبله او في مهجع مولى عمر قتل ببدر فجزع
ابواه وامراته عليه وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع
وهو اول من يدعى الى باب الجنة او في عياش اخي ابي جهل عذبوا فارتدوا الناس فنزعم
نزلت فيه الاية وقال الحسن الناس هنا المنافقون ان يتركوا بمجرد قولهم
آمنا وحسب تطلب مفعولين فقال الحوفي وابن عطية وابو البقاء سدت ان وما
بعدها من معمولها مسد المفعولين ه واجاز الحوفي وابو البقاء ان يكون ان يقولوا
بدلا من ان يتركوا وان يكون في موضع نصب بعد اسقاط الخافض وقدروه بان يقولوا
ولان يقولوا وقال ابن عطية وابو البقاء واذا قدرت الباء كان حالا قال ابن عطية
والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت زيدا بحاله وهي
في اللام بمعنى من اجل اي حسبوا ان ايمانهم علة للترك تفسير معنى اذ تفسير الاعراب حسبانهم
ان الترك لاجل تلفظهم بالايمان ه وقال الزمخشري **فان قلت** فاين الكلام الدال
على المضمون الذي يقتضيه الحسبان **قلت** هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون ه وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا بالترك
اول حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي
هو بمعنى التصيير كقوله ه فتركته جزر السباع ينشنه ه الا ترى انك قبل المجي بالحسبان
تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل
اللام **فان قلت** ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر
مبتدا **قلت** كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب
والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا
حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما
مبتدا وخبرا وهو كلام فيه اضطراب ذكرا ولا ان تقدير غير مفتونين تتمة يعني انه
حال لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا
هنا من الترك الذي هو من التصيير وهذا لا يصح لان مفعول صير الثاني لا يستقيم
ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام
لا يصح واما ما مثل به من البيت فانه يصح ان يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك
بمعنى صير بخلاف ما قدر في الاية واما تقديره حاصل ومستقر قبل اللام حاصل فلا
يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى
تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم الى مفعول ثان
لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان واما قوله فان قلت ان يقولوا الى اخر

فيحتاج

فيحتاج الى فضلة فهم وذلك ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه
لو كان علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو
مستقر او كاين والخبر غير المبتدا ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان
يحتاج الى خبر واما قوله كما تقول خروجه لمخافة الشر فلمخافة ليس علة للخروج
بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كاين وهم لا يفتنون قال الشعبي الفتنة هنا ما
كلفه المؤمنون من الهجرة التي لم يتركوا دونها وقال الكلبي هو مثل او نبلوكم شيئا وقال
مجاهد يبتلون في انفسهم واموالهم والذين من قبلهم المؤمنون اتباع الانبياء اصابهم
من المحن ما فرق به المؤمن بالمنشار فرقتين وتمشط بامشاط الحديد ولا يرجع عن دينه
فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه من علم المتعدية
الى واحد فيهما ويستحيل حدوث العلم لله تعالى فالمعنى وليتعلقن علمه به موجودا كما
كان متعلقا به حين كان معدوما والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب
او عبر بالعلم عن الجزاء اي وليثيبن الصادق وليعذبن الكاذب ه ومعنى صدقوا في
ايمانهم تطابق قولهم واعتقادهم افعالهم والكاذبين ضد ذلك **وقرا** علي
وجعفر بن محمد فليعلمن مضارع المنقولة بهمزة التعدي من علم المتعدية الى واحد والثاني
محذوف اي منازلهم في الاخرة من ثواب وعقاب او الاول محذوف اي فليعلمن الناس
الذين صدقوا اي يشهرهم هولاء في الخير وهولاء في الشر وذلك في الدنيا
والاخرة او من العلامة فيتعدى الى واحد اي يسمهم بعلامة يصلح لهم كقوله
من اسر سريرة البسه الله رداها **وقرا** الزهري الاولى كقراءة الجماعة والثانية
كقراءة علي ام حسب قال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكانه عز وجل
قرر الفريقين قرر المؤمنين على ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون
السيات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه
انتهى وليست ام هنا معادلة للالف في احسب كما ذكر لانها اذ ذاك تكون متصلة
ولها شرطان احدهما ان يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا الشرط هنا موجود
والثاني ان يكون بعدها مفردا او ما هو في تقدير المفرد مثال المفرد ازيد قائم ام عمرو
ومثال ما هو في تقدير المفرد اقام زيد ام قعد وجوابها تعيين احد الشيئين ان كان
التعادل بين شيئين او الاشيا ان كان بين اكثر من شيئين وهنا بعدها جملة ولا يمكن
الجواب هنا باحد الشيئين بل ام هنا منقطعة بمعنى بل التي للاضراب بمعنى الانتقال
من قصة الى قصة لا بمعنى الابطال وبهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقرير
والتوبيخ والانكار فلا يقتضي جوابا لانه في معنى كيف وقع حسبان ذلك والذين يعملون
السيات قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هشام
وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة بن ابي سفيان
والعاصي بن وايل وانظارهم من صناديد قريش انتهى والاية وان نزلت على سبب
فهي تعم جميع من يعمل السيات من كافر ومسلم وقال مجاهد ان يسبقونا اي يعجزونا
فلا نقدر على الانتقام وقيل ان يعجلونا بحتوم القضاء وقيل ان يهربوا منا ويفوتونا
بانفسهم وقال الزمخشري ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة

وهم لم يطمعوا في الثواب ولم يجدوا له انفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرتهم في العاقبة
واصرارهم على المعاصي في صورة من تقدم ذلك ويطمع فيه ويظن وما هم بمعجزين في الارض
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون **فان قلت** اين مفعولا حسب
قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يتضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب
فيها ان هذا الحسبان اول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن
انه لا يجازي بمساويه انتهى اما قوله وهم لم يطمعوا في الثواب الى اخر قوله
ويطمع فيه فليس ذكر بل هم معتقدون ان لا بعث ولا جزاء ولا سيما السورة التي
نص عليها ابن عباس وما ذكره الزمخشري هو على اعتقاد من يعلم ان الله مجازيه ولكن
طمع في عفو الله واما قوله اشتمال صلة ان الى اخره فقد كان ينبغي ان يقدر
ذلك في قوله ان يتركوا فيجعل ذلك سد مسد المفعولين ولم يتعرض لا يصح تقريره
واما قوله ويجوز ان يتضمن حسب معنى قدر فيعني ان ان وما بعدها في موضع مفعول
واحد والتضمين ليس بقياس ولا يصار اليه الا عند الحاجة اليه وهذا لا حاجة اليه
ساء ما يحكمون قال الزمخشري وابن عطية ما معناه ان ما موصولة ويحكمون صلة
او تمييز بمعنى شيء ويحكمون صفة والمخصوص بالذم محذوف وفي التقدير اي حكمهم انتهى
وفي كون ما موصولة مرفوعة بساء او منصوبة على التمييز خلاف مذكور في النحو
وقال ابن كيسان ما مصدرية فالتقدير بئس حكمهم وعلى هذا القول يكون التمييز
محذوفا اي ساء حكما حكمهم وساء هنا بمعنى بئس وتقدم حكم بئس اذا اتصل بها
ما والفعل في قوله بئسما اشتروا به انفسهم مشبعا في البقرة وجاء بالمضارع
وهو يحكمون قيل اشعارا بان حكمهم مذموم حالا واستقبالا وقيل لاجل
الفاصلة ووقع المضارع موقع الماضي اتساعا والظاهر ان يرجو على بابها ومعنى
لقاء الله الوصول الى عاقبة الامر من الموت والبعث والجزاء مثلت حالة
بحالة عبد قدم على مولاه من سفر بعيد وقد اطلع مولاه على ما عمل في غيبته عنه
فان كان عمل خيرا تلقاه باحسان او شرا فبضد الاحسان فان اجل الله
لآت وهو ما اجله وجعله اجلا لآتيه لا محالة فليبادر لما يصدق رجاءه
وقال ابو عبيدة يرجو يخاف والظاهر ان جواب الشرط محذوف اي من كان يرجو لقاء
الله فليبادر بالعمل الصالح الذي يحقق رجاءه فان ما اجله الله تعالى
من لقاء جزائه لآت والظاهر ان قوله ومن جاهد معناه ومن جاهد نفسه
بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعد له انما هي له لا لله
والله تعالى غني عنه وعن العالمين وانما كلفهم ما كلفهم احسانا اليهم
لنكفرن عنهم سيئاتهم يشمل من كان كافرا فآمن وعمل صالحا فاسقط عنه
عقاب ما كان قبل الايمان من كفر ومعصية ومن هو مؤمنا عاملا للصالحات
اساء في بعض اعماله فكفر عنه ذلك وكانت سيئاته مغمورة بحسناته ولنجزينهم
احسن الذي اي احسن جزاء اعمالهم وقال ابن عطية حذف مضاف تقديره ثواب
احسن الذي كانوا يعملون انتهى وهذا التقدير لا يسوغ لانه يقتضي ان اولئك

يجزون ثواب اعمالهم واما ثواب حسن فمسكوت عنه وهم يجزون ثواب الاحسن
والحسن الا ان اخرجت احسن عن بابها من التفضيل فيكون بمعنى حسن فانه يسوغ ذلك
واما التقدير الذي قبله فمعناه انه يجزي احسن جزاء العمل فعمله يقتضي ان تكون الحسنة
بمثلها فجوزي احسن جزائها وسيئات جعلت بعشر امثالها وفي هذه الآيات تحريك
وهز لمن تخلف عن الهجرة ان يبادر الى استدراك ما فرط فيه منهم وثناء على المؤمنين الذين
بادروا الى الهجرة وتنويه بقدرهم ووصينا الانسان في جامع الترمذي انها نزلت
في سعد بن ابي وقاص آلت امه ان لا يطعم ولا يشرب حتى يموت او يكفر وقيل في
عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر مع عمر وكانت امه شديدة الحب له وحلفت
على مثل ذلك فتحيل عليه ابو جهل واخوه الحارث فشداه وثاقا حين خرج معهما
من المدينة الى امه قصدا ليراها وجلده كل منهما مائة جلدة وردّاه الى امه
فقالت لا يزال في عذاب حتى يكفر بمحمد في حديث طويل ذكر في السير ووصينا
الانسان بوالديه اي امرناه بتعهدهما ومراعاتهما وانتصب حسنا على انه مصدر
وصف به مصدر وصينا اي ايصاء حسنا اي ذا حسن او على سبيل المبالغة اي
هو في ذاته حسن قال ابن عطية يحتمل ان ينتصب على المفعول وفي ذلك تجوز
كونه عاما لمعان كما تقول وصيتك خيرا واوصيتك شرا وعبر بذلك عن جملة
ما قلت له ويحسن ذلك دون حرف الجر كون حرف الجر في قوله بوالديه
لان المعنى ووصينا الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا •

قول الشاعر

عجبت من دهماء اذ تشكونا • ومن ابي دهماء اذ يوصينا

انتهى ومثله **قول الحطيئة يوصي ابنته برة**

وصيت من برة قلبا حرا • بالكلب خيرا والحماة شرا

وعلى هذا التقدير يكون الاصل بخير وهو المفعول الثاني والباء في بوالديه وفي
بالحماة وبالكلب ظرفية بمعنى في اي وصينا الانسان في امر والديه بخير
قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المفعول الثاني في قوله بوالديه وينتصب حسنا بفعل
مضمر تقديره يحسن حسنا وينتصب انتصاب المصدر وفي التحرير حسنا نصب عند
البصريين على التكرير اي وصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصيناه بالحسن
كما تقول وصيته خيرا اي بالخير ويعني بالقطع عن حرف الجر فانتصب وقال اهل الكوفة
ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فقدر له فعل انتهى وفي هذا القول حذف ان وصلتها
وابقاء المعمول وهو لا يجوز عند البصريين وقال الزمخشري وصيناه بايتاء والديه حسنا
او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا
للناس حسنا انتهى وهذا التقدير فيه اعمال المصدر محذوفا وابقاء معموله وهو لا يجوز عند
البصريين قال الزمخشري ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته
متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان الوصية بهما دالة عليه وما بعده
مطابق له فكأنه قال قلنا اولهما معروفا **وقرأ** عيسى والجحدري حسنا بفتحتين والجمهور
بضم الحاء واسكان السين وهما كالبخل والبخل قال ابو الفضل الرازي وانتصابه بفعل

دون الوصية المتقدمة لانها قد اخذت مفعولها معا مطلقا ومجرورا فالحسن هنا صفة
اقيم مقام الموصوف بمعنى امرا حسنا انتهى اي امرا ذا حسن فاقيم حسن مقامه وقوله
مطلقا يعني به الانسان وفيه تسامح بل هو مفعول به والمطلق انما هو المصدر لانه مفعول
لم يقيد من حيث التفسير باداة جر بخلاف سائر المفاعيل فانك تقول مفعول به ومفعول
فيه ومفعول معه ومفعول له وفي مصحف ابي حسانا وان جاهداك اي وقلنا ان
جاهداك ما ليس لك به علم اي بالاهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي لتشرك به شيئا لا يصح
ان يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما فيما جاهداك عليه من الاشراك الي مرجعكم شامل
للموصي والموصى والمجاهد والمجاهد فانبئكم فاجازيكم بما كنتم تعملون من بر او عقوق
وطاعة او عصيان وكرر تعالى ما رتب للمؤمنين من دخولهم في الصالحين ليحرك
النفوس الى نيل مراتبهم ومعنى في الصالحين في جملتهم ومرتبة الصلاح شريفة
اخبر الله بها عن ابراهيم وسالها سليمان عليهما السلام واخبر تعالى انه يجعل من اطاع
الله ورسوله معهم ويجوز ان يكون التقدير في ثواب الصالحين وهي الجنة ولما ذكر تعالى
ما اعد للمؤمنين الخلص ذكر حال المنافقين ناسا امنوا بالسنتهم فاذا اذاهم الكفار جعلوا
ذلك الاذى وهو فتنة الناس صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين
عن الكفر وكونها نزلت في منافقين قول ابن زيد وقال الزجاج جزع كما يجزع من عذاب
الله وهذا معنى قول مجاهد والضحاك وقال قتادة فيمن هاجر فردهم المشركون
الى مكة **وقيل** في مؤمنين اخرجهم الى بدر المشركون فارتدوا وهم الذين قال
فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم ولئن جاء نصر من ربك اي للمؤمنين
ليقولن اي القايلون اوذينا في الله انا معكم اي تابعون لكم في دينكم او مقاتلون
معكم ناصرون لكم قاسمونا فيما حصل لكم من الغنايم وهذه الجملة المقسم عليها مظهرة
حال طهرهم اذ لو كان ايمانهم صحيحا لصبروا على اذى الكفار وان كانت فيمن هاجر
وكانوا يحتالون في امرهم وركبوا كل هول في هجرتهم **وقرئ** ليقولن بفتح اللام ذكره
ابو معاذ النحوي والزمخشري واعلم افعل تفضيل اي من انفسهم وبما في صدور
اي بما تكن صدورهم من ايمان ونفاق وهذا استفهام معناه التقرير اي قد علم
ما انطوت عليه الضماير من خير وشر وليعلمن المنافقين ظاهر في ان ما قبل هذه
الجملة في المنافقين كما قال ابن زيد وعلمه بالمؤمن وعد له بالثواب وبالمنافق
وعيد له بالعقاب ولما ذكر حال المؤمنين والمنافقين ذكر مقالة الكافرين
قولا واعتقادا وهم رؤسا قريش قال مجاهد كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث
نحن ولا انتم فان كان عليكم شيء فهو علينا **وقيل** قايل ذلك ابو سفيان
ابن حرب وامية بن خلف قالا لعمر ان كان في الاقامة على دين الاباء اثم فنحن نحمله
عنك **وقيل** قايل ذلك الوليد بن المغيرة قاله ابن عطية وقوله ولنحمل اخبار انهم
يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثقل لكنهم اخرجوه في صيغة الامر لانها اوجب
واشد تاكيدا في نفس السامع من المجازاة وهذا نحو **قول الشاعر**

• فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان ينادي داعيان •

ولكونه خبرا حسن تكذيبهم فيه وقال الزمخشري امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي

كانوا

كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع
هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع
وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى
كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم انتهى وقوله فان عسى كان تركيب اعجمي لا عربي لان
ان الشرطية لا تدخل على عسى لانه فعل جامد ولا تدخل ادوات الشرط على الفعل الجامد
وايضا فان عسى لا يليها كان واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر ولم تستعملها تامة **وقرا**
الحسن وعيسى ونوح القاري ولنحمل بكسر لام الامر ورويت عن علي وهي لغة الحسن في
لام الامر والحمل هنا مجاز شبه القيام بما يتحصل من عواقب الاثم بالحمل على الظهر والخطا
بالمحمول وقال مجاهد الحمل هنا من الحمالة لا من الحمل **وقرا** الجمهور من خطاياهم **وقرا**
داود بن ابي هند فيما ذكر ابو الفضل الرازي من خطيئتهم على التوحيد فالمعناه
الجنس ودل على ذلك اضافته بضمير الجماعة وذكر ابن خالويه وابو عمرو الداني ان
داود هذا **قرا** من خطيئاتهم بجمع خطيئة جمع السلامة بالالف والتاء وذكر
ابن عطية عنه انه قرا من خطيهم بفتح الطاء وكسر الياء وينبغي ان يحمل كسر الياء
على انها همزة سهلت بين بين فاشبهت الياء لان قياس تسهيلها هو ذلك قال
الزمخشري **فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون
على الوفاء به ومن ضمن شيئا لا يقدر على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز
لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذبين وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه **قلت**
شبه الله حالهم حيث علم انهم ضمنوا ما لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم
عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه
ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين
الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم فيه الخلف انتهى ٥ وتقدم من قول ابن عطية
ان قوله ولنحمل خبر يعني امر معناه الخبر وهذان الامران تنزلا منزلة الشرط والجزا
اذ المعنى ان تتبعوا سبيلنا والحكم في ذلك الاخر على ما تزعمون فنحن نحمل خطاياكم
واذا كان المعنى على هذا كان اخبارا في الجزاء بما لا يطابق فكان كذبا وليحملن اثقالهم
اثقال انفسهم من كفرهم ومعاصيهم واثقالا اي اخرى هي اثقال الذين اغووهم فكانوا
سببا في كفرهم ولم يبين من الذين تحملوا اثقاله فامكن اندراج اثقال المظلوم يحملها
للظالم كما جاء في الحديث انه يقتص من الظالم للمظلوم بان يعطى من حسنات ظالمه فان لم
يبق للظالم حسنة اخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه وفي صحيح مسلم ما معناه ايما
داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعدها فعليه اوزار من عمل بها من اتبعه
لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا وليسالن يوم القيمة اي سؤال توبيخ وتقريع ٥ ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان
وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين وابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من
دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الاخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله
ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ۞ فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ۞ ذكر هذه
القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من اذى الكفار فذكر ما لقي
اول الرسل وهو نوح من اذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه
والواو في ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة قال ابن عطية والقسم فيها بعيد يعني
ان يكون المقسم به قد حذف وبقي حرفه وجوابه وفيه حذف المجرور وابقاء الحرف الجار
وحرف الجر لا يعلق عن عمله بل لا بد له من ذكر والظاهر انه اقام في قومه هذه المدة
المذكورة يدعوهم الى الله وقال ابن عطية وقد يحتمل ان تكون المدة المذكورة مدة
اقامته في قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى وليس عندي محتمل لان اللبث
متعقب بالفاء الدالة على التعقيب واختلف في مقدار عمره حين كان بعث وحين
مات اختلافا مضطربا متكاذبا تركنا حكايته في كتابنا وهو في كتب التفسير والاستثناء
من الالف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف
مذكور في النحو وقد عمل الفقهاء المسائل على جواز ذلك وغاير بين تمييز المستثنى منه
وتمييز المستثنى لان التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة الا اذا كان لغرض
من تفخيم او تهويل او تنويه وكان التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به لان ذكر راس
العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة
صبره ولازالة التوهم الذي يجيء مع قوله تسع مائة وخمسين عاما بان ذلك على
سبيل المبالغة لا التمام والاستثناء يرفع ذلك التوهم المجازي وتقدمت قصة
نوح باكمل مما هنا والخلاف في عدد من امن ودخل السفينة والضمير في وجعلناها
يحتمل ان يعود على السفينة وان يعود على الحادثة والقصة وافراد الاية وجاء بالفاء
صلة للعالمين لان انجاء السفن امر معهود فالاية انجاؤه تعالى اصحاب السفينة
وقت الحاجة ولانها بقيت اعواما حتى مر عليها الناس وراوها فحصل العلم
بها لهم فناسب ذلك قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا قال ابن عطية
او على الضمير في فانجيناه وقال هو والزمخشري بتقدير اذكر وابدل منه اذ بدل
اشتمال لان الاحيان يشتمل على ما فيها وقد تقدم لنا ان اذ ظرف لا تتصرف فلا يكون
مفعولا به وقد كثر تمثيل المعربين اذ في القران بان العامل فيها اذكر واذا كانت ظرفا
لما مضى فهو لو كان متصرفا لم يجز ان يكون معمولا لاذكر لان المستقبل لا يقع في الماضي
لا يجوز قم امس فان كانت خلعت من الظرفية الماضية وتصرف فيه جاز ان يكون مفعولا
به ومعمولا لاذكر وقرا النخعي وابو جعفر وابو حنيفة وابراهيم بالرفع اي ومن المرسلين

ابراهيم وهذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لحال ابيهم ابراهيم من رفض الاصنام والدعوى
الى عبادة الله وكان نمرود واهل مدينته عباد اصنام وقرا الجمهور وتخلقون مضارع خلق
افكا بكسر الهمزة وسكون الفاء وقرا علي والسلمي وعون العقيلي وعبادة وابن ابي ليلى
وزيد بن علي بفتح التاء والخاء واللام مشددة قال ابن مجاهد ورويت عن ابن الزبير
اصله تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما على الخلاف الذي في المحذوفة وقرا زيد
ابن علي ايضا فيما ذكر الاهوازي تخلقون من خلق المشدد وقرا ابن الزبير وفضيل
ابن زرقان أفِكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر مثل الكذب قال ابن عباس
وتخلقون افكا هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا من حيث يفترون بها
الافك في انها الهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر الاوثان وغير ذلك
وقال الزمخشري افكا فيه وجهان احدهما ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك
مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك
وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركا لله او شفعاء اليه او سمى
الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك انتهى وهذا الترديد منه في
وتخلقون افكا قولان لابن عباس ومجاهد وقد تقدم لنا نقلهما عنهما وقفهم بقوله
لا يملكون لكم رزقا على جهة الاحتجاج بامر يفهمه عامتهم وخاصتهم فقرر ان الاصنام
لا ترزق والرزق يحتمل ان يريد به المصدر اي لا يملكون ان يرزقوكم شيئا من الرزق
واحتمل ان يكون اسم المرزوق اي لا يملكون لكم ايتاء رزق ولا تحصيله وخص الرزق
لمكانته من الخلق ثم امرهم بابتغاء الرزق ممن هو يملكه ويؤتيه ونكر الرزق لان المقصود
انهم لا يقدرون على شيء منه وعرفه بعد لانه على العموم لانه تعالى عنده الارزاق
كلها واشكروا له على نعمه السابغة من الرزق وغيره واليه ترجعون اي الى جزائه
اخبر بالمعاد والحشر ثم قال وان تكذبوا اي ليس هذا منكرا منكم وقد سبق ذلك من
امم الرسل قبل قوم شيث وادريس وغيرهم وروي ان ادريس عاش في قومه الف
سنة فامن به الف انسان على عدد سنيه وباقيهم على التكذيب وما على الرسول الا
البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بخلاف
عنه تروا بتاء الخطاب وباقي السبعة بالياء والجمهور يبدي مضارع ابدا والزبيري
وعيسى وابو عمرو بخلاف عنه يبدا مضارع بدا وقرا الزهري كيف بدا الخلق
بتخفيف الهمزة بابدالها الفا فذهبت في الوصل وهو تخفيف غير قياسي كما قال
فارعي فزارة لا هناك المرتع ه وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين وتقريرهم
على رؤية بدء الخلق في قوله اولم يروا وفي فانظروا كيف بدا الخلق انما هو لما مثلهم
احياء الارض بالنبات واخراج اشياء من العدم الى الوجود وقوله ثم يعيده وقوله ثم
الله ينشئ ليس داخلا تحت الرؤية ولا تحت النظر فليس ثم يعيده معطوفا على يبدي
ولا ثم ينشئ داخلا تحت كيفية النظر في البدء بل هما جملتان مستانفتان اخبارا
من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وقدم ما قبلها من الجملتين على سبيل الدلالة
على امكان ذلك فاذا امكن ذلك واخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا
بعلمه لا شك فيه وقال قتادة اولم يروا بالدلائل والنظر كيف يجوز ان يعيد الله

الاصنام بعد الموت وقال الربيع بن انس المعنى كيف يبدا خلق الانسان ثم يعيده الى
احوال اخر حتى الى التراب وقال مقاتل الخلق هنا الليل والنهار وقرا ابن كثير
وابو عمرو النشاءة هنا وفي النجم والواقعة على وزن فعالة وباقي السبعة النشأة
على وزن فعلة وهما كالرافة والرأفة وهما لغتان والقصر اشهر وانتصابه على
المصدر اما على غير الصدر بل قام مقام الانشاء واما على اضمار فعله اي فتنشئون
النشاءة وفي الاية الاولى صرح باسمه تعالى في قوله كيف يبدئ الله الخلق ثم اضمره
في قوله ثم يعيده وهنا عكس اضمر في بداء ثم ابرزه في قوله ثم الله ينشئ حتى لا
تخلو الجملتان من صريح اسمه وذلك ابرازه هنا على تفخيم النشاءة الاخرة وتعظيم
امرها وتقرير وجودها اذ كان ثم الكفار فيها فكانه قيل ثم ذلك الذي بدا الخلق
هو الذي ينشئ النشاة الاخرة فكان التصريح باسمه المحمد في اسناد النشاءة اليه
والاخرة صفة للنشاءة فهما نشأتان نشاة اختراع من العدم ونشأة اعادة ثم ذكر
الصفة التي النشاءة هي بعض منه وانها ثم اخبر بانه يعذب من يشاء اي تعذيبه ويرحم
من يشاء رحمته وبدا بالعذاب لان الكلام مع الكفار مكذبي الرسل واليه تقلبون
اي تردون وقال الزمخشري ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن
وهو يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب انتهى وهو
على طريقة الاعتزال وما انتم بمعجزين اي فائتين ما اراد الله بكم في الارض ولا في
السماء اذ جعل السماء على العلو مجازا اي في البروج والقلاع الذاهبة في العلو ويكون
تخصيصا بعد تعميم او على المظلة فيحتاج الى التقدير اي لو صرتم فيه وتطيرتم •

قول الشاعر • وهو الاعشى •

ولو كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت اسباب السماء بسلم •
ليعتورنك القول حتى تهره • وتعلم اني لست فيك بمجرم •

وقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات على تقدير لو كنتم فيها والارض
فانفذوا وقال ابن زيد والفرا التقدير ولا من في السماء اي يعجزان عصى وقال الفراء وهذا
من غوامض العربية وانشد قول حسان •

فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء

اي ومن ينصره وهذا عند البصريين لا يكون الا في الشعر لان فيه حذف الموصول وابقاء
صلته وابعد من هذا القول قول من زعم ان التقدير وما انتم بمعجزين من في الارض
من الانس والجن ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون الله وقراه الجمهور يئسوا
بالهمز والبزي وابو جعفر بغير همز بل بياء بدل الهمزة وهو وعيد اي سأسوئ يوم
القيمة وقيل من جنتي وقيل من رحمتي فلا اهديهم وقيل هو وصفهم بالمصدر لان
المؤمن يكون دائما راجيا خائفا والكافر لا يخطر بباله ذلك شبه حالهم في انتفاء
رحمته عنهم بحال من يئس من الرحمة والظاهر ان قوله وان تكذبوا من كلام الله
حكاية عن ابراهيم الى قوله عذاب اليم وقيل هذه الايات اعتراض من كلام الله بين
كلام ابراهيم والاخبار عن جواب قومه اي وان تكذبوا محمدا وتقدير هذه الجمل اعتراضا
يرد على ابي علي الفارسي حيث زعم ان الاعتراض لا يكون جملتين فاكثر وفائدة هذا

الاعتراض

قوله عز وجل فما كان جواب

الاعتراض انه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان قد ابتلي بمثل ما كان ابوه ابراهيم قد
ابتلي من شرك قومه وعبادتهم الاوثان وتكذيبهم اياه ومحاولتهم قتله وجاءت الايات
بعد الجملة الشرطية معترضة لما جاء به الرسول من توحيد الله ودلائله وذكر اثار قدرته
والمعاد • فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن
الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا
ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من
الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن
انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون • لما امرهم
بعبادة الله وبين سفههم في عبادة الاوثان وظهرت حجته عليهم رجعوا الى الغلبة
فجعلوا القائم مقام جوابه فيما امرهم به قولهم اقتلوه او حرقوه والامرون بذلك
اما بعضهم لبعض او كبراؤهم قالوا لاتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلا او حرقوه
بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا امضته النار واما ان يموت بها ان اصر على قوله
ودينه وفي الكلام حذف اي حرقوه في النار فانجاه الله من النار وتقدمت قصته
في تحريقه في سورة اقترب للناس حسابهم وجمع هنا فقال لايات لان الانجاء من النار وجعلها
بردا وسلاما وانها في الحبل الذي كانوا وثقوه به دون الجسم وان صح ما نقل ان مكانها
من النار صار حالة الري صار بستانا يانعا هو مجموع ايات فناسب الجمع بخلاف الانجاء
من السفينة فانه اية واحدة وتقدم الكلام على ذلك وفي ذلك اشارة الى خلوصه من النار
بعد القائه فيها قال كعب لم يحترق بالنار الا الحبل الذي وثقوه به وجاء هنا الترديد
بين قتله واحراقه فقد يكون ذلك من قائلين ناس اشاروا بالقتل وناس بالاحراق وفي
اقترب قالوا احرقوه اقتصروا على احد الشيئين وهو الذي فعلوه رموه في النار ولم يقتلوه
وقراه الجمهور جواب بالنصب والحسن وسالم الافطس بالرفع اسما لكان وقراه الحسن وابو حيوة
وابن ابي عبلة وابو عمرو في رواية الاصمعي والاعشى عن ابي بكر مودة بالرفع بينكم بالنصب
فالرفع على خبر ان وما موصولة بمعنى الذي اي ان الاوثان الذي اتخذتموها مودة
وسبب مودة او مصدرية اي ان اتخاذكم اوثانا مودة خبر ان وذلك على حذف مضاف
اي ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة او على خبر مبتدا اي هي مودة بينكم وما اذ ذاك
مهيئة وروي عن عاصم مودة بالرفع من غير تنوين وبينكم بفتح النون جعله مبنيا لاضافته
الى مبني وهو موضع خفض بالاضافة ولذلك سقط التنوين من مودة وقراه ابو عمرو

والكسائي وابن كثير كذلك الا انه خفض نون بينكم **وقرأ** ابن عامر وعاصم بنصب مودة منونا
ونصب بينكم وحمزة كذلك الا انه اضاف مودة الى بينكم وخفض كما في قراءة من نصب مودة
مضافة واتخذ يحتمل ان يكون مما تعدت الى اثنين والثاني هو مودة اي اتخذتم الاوثان
سبب المودة بينكم على حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم كقوله ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله او مما تعدت الى واحد وانتصب مودة على
انه مفعول له اي ليتوادوا ويتواصلوا ويجتمعوا على عبادتها كما يجتمع ناس على مذهب
فيقع التحاب بينهم وذكروا ان في مصحف ابن مسعود قراءة شاذة تخالف سواد المصحف مع انه قد
روي عنه ما في سواد المصحف بالنقل الصحيح المستفيض فلذلك لم اذكر تلك القراءة
ثم يوم القيامة يقع بينكم التلاعن اي يتلاعن العبدة او يتلاعن العبدة والمعبودون
الاصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا وبينكم وفي الحيوة يجوز تعليقهما بلفظ مودة وعمل
في ظرفين لاختلافهما اذ هما ظرفا مكان وزمان ويجوز ان يتعلقا بمحذوفين فيكونا
في موضع الصفة اي كائنة بينكم كائنة في الحيوة ويجوز ان يكون بينكم في موضع الصفة
وفي الحيوة في موضع الحال من الضمير المستكن في بينكم المنتقل اليه من العامل في بينكم
واجاز ابو البقاء ان تتعلق في الحيوة باتخذتم على جعل ما كافة ونصب مودة لا على
جعل ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية ورفع مودة لئلا يؤدي الى الفصل بين الموصول
وما في الصلة بالخبر واجاز قوم منهم ابن عطية ان تتعلق في الحيوة بمودة وان يكون
بينكم صفة لمودة وهو لا يجوز لان المصدر اذا قبل اخذ متعلقاته لا يعمل وشبهتهم
في هذا انه يتسع في الظرف بخلاف المفعول به واجاز ابو البقاء ان تتعلق بنفس بينكم
قال لان معناه اجتماعكم او وصلكم واجاز ايضا ان تجعله حالا من بينكم قال لتعرفه
بالاضافة انتهى وهما اعرابان لا يتعقلان ۞ فامن له لوط لم يؤمن بابراهيم احد من
قومه الا لوط عليه السلام حين راى النار لم تحرقه وكان ابن اخيه وسارة وكانت
بنت عمه والضمير في وقال عائد على ابراهيم وهو الظاهر ليتناسق مع قوله ووهبنا
له اسحق وهو قول قتادة والنخعي وقالت فرقة يعود على لوط وهاجر ابراهيم
ولوط عليهما السلام من قرية كوثى وهي في سواد العراق من ارض بابل الى فلسطين
من ارض الشام وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة وهو اول من هاجر في الله وقال
ابن جريج هاجر الى حران ثم الى الشام وفي هجرته هذه كانت معه سارة والمهاجر
التارك عن الشي وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضى الله وعرف
بهذا الاسم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون قبل فتح مكة الى ربي
اي الى الجهة التي امرني ربي بالهجرة اليها وقيل الى حيث لا امنع عبادة ربي
وقيل مهاجر من خالفني من قومي متقربا الى ربي ونزل ابراهيم قرية من ارض فلسطين ونزل
لوط سدوم وهي المؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من قرية ابراهيم عليهما السلام انه
هو العزيز الذي لا يذل من عبده الحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها والضمير في ذريته
عائد على ابراهيم النبوة اسحاق ويعقوب وانبيا بني اسرائيل واسمعيل ومحمدا خاتمهم
صلى الله عليهم اجمعين والكتاب اسم جنس يدخل فيه التوراة والزبور والانجيل
والقرآن وآتيناه اجره في الدنيا اي في حياته قال مجاهد نجاته من النار ومن الملك

الجبار والعمل الصالح والثنا الحسن بحيث يتولاه كل امة وقال ابن جريج والولد الذي
قرت به عينه قاله الحسن وقال السدي انه اري مكانه من الجنة وقال ابن زيد بردة
ما وقوله من عمل الاخرة وقال الماوردي بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لنبي غيره
وقيل النبوة والحكمة **وقيل** الصلوة عليه الى اخر الدهر وانتصب لوطا باضمار
اذكر او بالعطف على ابراهيم او بالعطف على ما عطف عليه ابراهيم والجمهور على الاستفهام
في ائنكم معا **وقرئ** انكم على الخبر والثاني على الاستفهام قال ابو عبيدة وجدته
في الامام بحرف واحد بغير يا ورايت الثاني بحرفين اليا والنون ولم يات
في قصة لوط انه دعا قومه الى عبادة الله كما جا في قصة ابراهيم وقصة شعيب
لان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وسبقه ابراهيم الى الدعا لعبادة الله وتوحيده
واشتهر امره بذلك عند الخلق فذكر لوط ما اختص به من المنع من الفحشا وغيرها واما
ابراهيم وشعيب فجا بعد انقراض من كان يعبد الله فلذلك دعوا الى عبادة الله قال
الزمخشري ما سبقكم بها جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا
قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم
لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم قالوا لم يتزوج ذكر قبل قوم
لوط انتهى ويظهر ان ما سبقكم بها جملة حالية كانه قال اتاتون الفاحشة مبتدعين
لها غير مسبوقين بها واستفهم اولا وثانيا استفهام انكار وتوبيخ وتقريع وبين ما
تلك الفاحشة المبهمة في قوله ائنكم لتاتون الفاحشة وان كانت معينة انها
اتيان الذكور في الادبار بقوله ما سبقكم بها فقال ائنكم لتاتون الرجال يعني في الادبار
وتقطعون السبيل اي سبيل الولد بتعطيل الفروج ووطي ادبار الرجال او باحسانات
الغربا لذلك الفعل حتى انقطعت الطرق او بالقتل واخذ المال ويفعلهم لا حدوثه حتى
تنقطع سبل الناس في التجارات وتاتون في ناديكم اي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه وهو
اسم جنس اذ انديتهم في مدائنهم كثيرة ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا
عنه لم يطلق عليه نادي والمجاز والمنكر ما تنكره العقول والشرايع والمروات حذف الناس
بالحصبا والاستخفاف بالغريب الخاطر وروته ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم او اتيان
الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا قاله منصور ومجاهد والقاسم بن محمد وقتادة وابن زيد
او تضارطهم وتصافعهم فيه قاله ابن عباس او لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا
والصفير والحذف ونبذ الحيا في جميع امورهم قاله مجاهد ايضا والحذف بالحصبا
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب
والفحش في المزاح قاله ابن عباس ايضا مع شركهم بالله كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة
نظالم فيما بينهم وشناعة وتضارط في مجالسهم وحذف ولعب بالنرد والشطرنج
ولبس المصبغات ولباس النسا للرجال ولباس الرجال للنسا والمكوس على كل عابر
وهم اول من لاط ومن سحق ولما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبايح اصروا على
اللجاج في التكذيب فكان جوابهم له ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
فيما تعدنا به من نزول العذاب قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم
به وفي اية اخرى الا ان قالوا اخرجوا آل لوط والجمع بينهما انهم اولا قالوا ائتنا

يعذاب الله من انه كرر منه الانكار وتكرر ذلك منه نهيا ووعظا ووعيدا قالوا اخرجوا آل
لوط والملائكة انما يأمرهم بترك الفواحش وما كانوا يصنعونه من قبيح المعاصي ويعد على ذلك
بالعذاب وكانوا يقولون ان الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه وهو يقول ان الله حرمه ويعذب
عليه قالوا ائتنا بعذاب الله فكانوا الطف في الجواب من قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه لانه
كان يذم من آلهتهم وعمد الى اصنامهم فكسرها فكان فعله هذا معهم اعظم من قول لوط
لقومه فكان جوابهم له ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم استنصر لوط عليه السلام به فبعث
ملائكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب وافسادهم محل الناس على ما كانوا عليه من المعاصي
طوعا وكرها وخصوصا تلك المعصية المبتدعة بالبشرى هي بشارته بولده اسحاق
وبنافلته يعقوب وبنصر لوط على قومه واهلاكهم والقرية سدوم وفيها قيل
اجور من قاضي سدوم وكانوا ظالمين اي قد سبق منهم الظلم واستمر في الايام السالفة
وهم مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم **ولما ذكروا** لابراهيم انا مهلكوا اهل
هذه القرية اشفق على لوط فقال ان فيها لوطا ولما علقوا الاهلاك بالظلم قال
لهم فيها من هو بري من الظلم قالوا نحن اعلم بمن فيها اي حيث واخبر بحاله ثم اخبروه
بانجائهم اياه واهله الا امرأته **وقرأ** حمزة والكسائي لننجينه مضارع انجي
وباقي السبعة مضارع نجي والجمهور بشد النون وفرقة بتخفيفها ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة الا ان
هنا زيدت ان بعد لما وهو قياس مطرد وقال الزمخشري ان صلة اكدت وجود
الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما
وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل لما احس بمجيئهم فاجاءته المساءة من غير
وقت خيفة عليهم من قومه انتهى وهذا الذي ذكره في الترتيب هو مذهب **س**
اذ مذهبه ان لما حرف لا ظرف خلافا للفارسي وهذا مذكور في علم النحو **وقرأ** العربيان
ونافع وحفص منجوك مشددا وباقي السبعة مخففا والكاف في مذهب **س** في موضع
جر واهلك منصوب على اضمار فعل اي وننجي اهلك ومن راعى هذا الموضع عطفه
على موضع الكاف والكاف على مذهب الاخفش وهشام في موضع نصب واهلك
معطوف عليه لان هذه النون كالتنوين وهما على مذهبهما يحذفان للطافة الضمير
وشدة طلبه الاتصال بما قبله **وقرأ** الجمهور سيء بكسر السين واشمها الضم نافع
وابن عامر والكسائي **وقرأ** عيسى وطلحة سوء بضمها وهي لغة بني هذيل وبني وبير
يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع **وقرئ** منزلون مخففا ومشددا وابن محيصن
رجزا بضم الراء وابو حيوة والاعمش بكسر السين يفسقون والظاهر ان الضمير
في منها عائد على القرية فقال ابن عباس منها الحجر الحزنية وحكى ابو سليمان الدمشقي
ان الاية في قريتهم الى الان ان اساسها اعلاها وسقوفها اسفلها الى الان ه
وقال الفرا المعنى تركناها اية يقول ان في السماء لاية يريد انها اية انتهى
وهذا لا يتجه الا على زيادة من في الواجب نحو قوله امهرت منها جبة وتيسا ه
يريد امهرتها وكذلك ولقد تركنا ها اية **وقيل** الهاء في منها عائدة على
الفعلة التي فعلت بهم فقيل الاية الحجارة التي ادركتها اوائل هذه الامة

قوله عز وجل والى مدين

قاله قتادة **وقيل** الماء الاسود على وجه الارض قاله مجاهد وقيل الحرماء صنع بهم
ولقوم منغلق بتركنا او ببينة ٥ والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون
وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض
بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون ✿ والى مدين
اي والى مدين ارسلنا او بعثنا مما يتعدى بالى امرهم بعبادة الله والايمان بالبعث
واليوم الآخر والامر بالرجاء امر بفعل ما يترتب الرجاء عليه اقام المسبب مقام السبب
والمعنى وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله او يكون امرا بالرجاء على تقدير تحصيل شرطه
وهو الايمان بالله وقال ابو عبيدة وارجوا وخافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله
منكم ان لم تعبدوه وتضمن الامر بالعبادة والرجاء انه ان لم يفعلوا ذلك وقع بهم
العذاب كذلك جاء فكذبوه وجاءت ثمرة التكذيب وهي فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين وتقدم تفسير مثل هذه الجمل وانتصب وعادا وثمودا باضمار
اهلكنا لدلالة فاخذتهم الرجفة عليه **وقيل** بالعطف على الضمير في فاخذتهم
وابعد الكسائي في عطفه على الذين من قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم **وقرأ** وثمود
بغير تنوين حمزة وشيبة والحسن وحفص وباقي السبعة بالتنوين **وقرأ** ابن وثاب
وعاد وثمود بالخفض فيهما والتنوين عطفا على مدين اي وارسلنا الى عاد وثمود وقد تبين لكم
اي ذلك اي ما وصف لكم من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها
وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم **وقرأ** الاعمش مساكنهم بالرفع من غير من فيكون
فاعلا بتبين وزين لهم الشيطان اي بوسوسته واغوائه اعمالهم القبيحة فصدهم
عن السبيل وهي طريق الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين اي في كفرهم لهم بصيرة او عجاب
قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك **وقيل** عقلاء يعلمون ان الرسالة والايات حق
ولكنهم كفروا عنادا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقارون معطوف على ما قبله او منصوب
باضمار اذكر فاستكبروا اي عن الاقرار بالصانع وعبادته في الارض اشارة الى قلة عقولهم
لان من في الارض يشعر بالضعف ومن في السماء يشعر بالقوة ومن في السماء لا يستكبرون
عن عبادة الله فكيف من في الارض وما كانوا سابقين الامم الى الكفر اي تلك عادة الامم
مع رسلهم والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء **وقيل** ملك كان يرميهم
والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وقومه وقال

ابن عطية ويشبه ان يدخل قوم عاد في الحاصب لان تلك الريح لابد كانت تحصبهم بامور مؤذية والحاصب هو العارض من ريح او سحاب اذا رمى بشيء ومنه **قول الفرزدق**

مستقبلين شمال الشام تضربهم ۞ بحاصب كنديف القطن منثور

ومنه **قول الاخطل**

ترمي العضاة بحاصب من ثلجها ۞ حتى تبيت على العضاة جفالا

العنكبوت حيوان معروف ووزنه فعللوت ويؤنث ويذكر فمن تذكيره **قول الشاعر**

على هطالهم منهم بيوت ۞ كان العنكبوت هو ابتناها ۞ ويجمع عناكب ويصغر عنيكب شبه تعالى الكفار في عبادتهم الاصنام وبنائهم امورهم عليها بالعنكبوت التي تبني وتجتهد وامرها كلها ضعيف متى مسته ادنى هامة او هاية اذهبته فكذلك امر اولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد وقال الزمخشري الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى يعني بقوله الا ترى الى مقطع التشبيه بما ذكر انه لا من الغرض تشبيه المتخذ بالبيت لا تشبيه المتخذ بالعنكبوت والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون الله وليا بالعنكبوت المتخذة بيتا اي فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله كما ان العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى بل لو دخلت فيه حرقته ثم بين حال بيتها وانه في غاية الوهن بحيث لا ينتفع به كما ان تلك الاصنام لا تنفع ولا تجدي شيئا البتة وقوله لو كانوا يعلمون ليس مرتبطا بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل احد يعلم ذلك فلا يقال فيه لو كانوا يعلمون وانما المعنى لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لاقلعوا عنه وما اتخذوا الاصنام الهة وقال الزمخشري اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز وكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون انتهى وما ذكره من قوله ولقائل ان يقول الى اخره لا يدل عليه لفظ الاية وانما هو تحميل اللفظ ما لا يحتمله كعادته في كثير من تفسيره **وقرا** ابو عمرو وسلام يعلم ما بالادغام والجمهور بالفك والجمهور تدعون بتاء الخطاب وابو عمرو وعاصم بخلاف بياء الغيبة وجوزوا في ما ان تكون مفعولا بيدعون اي يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الاشياء اي يعلم حالهم وانهم لا قدر لهم وان تكون نافية اي لستم تدعون من دونه شيئا له بال ولا قدر فيصلح ان يسمى شيئا وان تكون استفهاما كانه قرر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الاشياء وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم واعتراض بين يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم وجوز ابو علي ان تكون ما استفهاما منصوبا بيدعون ويعلم معلقة فالجملة في موضع نصب بها والمعنى ان الله يعلم اوثانا تدعون من دونه ام غيرها لا يخفى عليه ذلك والجملة

تاكيد للمثل واذا كانت ما نافية كانت في الجملة زيادة على المثل حيث لم يجعل تعالى ما تدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها وكان جهلة قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا ان الامثال والتشبيهات طرق الى المعاني المحتجبة فتبرزها وتصورها للفهم كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد والاشارة بقوله وتلك الامثال الى هذا المثل وما تقدم من الامثال في السور وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق السموات والارض فيه تنبيه على صغر قدر الاوثان التي تجدونها ومعنى بالحق بالواجب الثابت لا بالعبث واللعب اذ جعلها مساكن عباده وعبرة ودلائل على عظيم قدرته وباهر حكمته والظاهر ان الصلاة هي المعهودة والمعنى من شانها انها اذا اديت على ما يجب من فروضها وسننها والخشوع فيها والتدبر لما يتلى فيها وتقدير المثول بين يدي الله تعالى ان تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال ابن عباس والكلبي وابن جريج وحماد بن ابي سليمان تنهى ما دام المصلي فيها وقال ابن عمر الصلوة هنا القران وقال ابن بحر الصلوة الدعاء اي اقم الدعاء الى امر الله واما من تراه من المصلين يتعاطى المعاصي فان صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم وفي الحديث ان فتى من الانصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ولا يدل اللفظ على ان كل صلاة تنهى بل المعنى انه يوجد ذلك فيها ولا يكون على العموم كما تقول فلان يامر بالمعروف اي من شانه ذلك ولا يلزم منه ان كل معروف يامر به والظاهر ان اكبر افعل تفضيل فقال عبد الله وسلمان وابو الدرداء وابن عباس وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقال قتادة وابن زيد اكبر من كل شيء **وقيل** ولذكر الله في الصلاة اكبر منه خارج الصلاة اي اكبر ثوابا **وقيل** اكبر من سائر اركان الصلاة وقيل ولذكر الله نهيه اكبر من نهي الصلاة وقيل اكبر من كل العبادات وقال ابن عطية وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر والجزء الذي منه في الصلاة ينهى كما ينهى في غير الصلوة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله مراقبه وثواب ذلك الذاكر ان يذكره الله في ملا خير من ملائه والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في النهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وقال الزمخشري يريد والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال والصلاة اكبر لانها ذكر الله بما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم وفيه وعيد وحث على المراقبة ۞ ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به

ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات
عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا
ما كنتم تعملون ❊ واهل الكتاب اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن من الملاطفة
في الدعاء الى الله والتنبيه على آياته الا الذين ظلموا منهم بان لم يؤدوا جزية ونصبوا الحرب وصرحوا
بان لله ولدا او شريكا او يده مغلولة فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب قاله مجاهد
او مؤمنوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار اوائلهم
الا الذين ظلموا من بقي منهم على كفره وعدا لقريظة والنضير قاله ابن زيد والآية على هذا محكمة
وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الآية منسوخة بقوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية **وقرأ** الجمهور الا حرف استثناء وابن عباس الا حرف تنبيه
واستفتاح وتقديره الا جادلوهم بالتي هي احسن وقولوا آمنا هذا من المجادلة بالاحسن
بالذي انزل الينا وهو القرآن وانزل اليكم وهو التوراة والزبور والانجيل **وفي صحيح**
البخاري عن ابي هريرة كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية
لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم وكذلك اي مثل ذلك الانزال
الذي للكتب السابقة انزلنا اليك الكتاب اي القرآن فالذين آتيناهم الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء اي من اهل مكة **وقيل** فالذين آتيناهم
الكتاب اي الذين تقدموا عهد الرسول يؤمنون به اي بالقرآن اذ هو مذكور في كتبهم
انه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء اي ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا
مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون ه اي من بني اسرائيل وغيرهم قال
مجاهد كان اهل الكتاب يقرؤون في كتبهم ان محمدا عليه السلام لا يخط ولا يقرأ كتابا
فنزلت وما كنت تتلوا من قبله اي من قبل نزوله عليك من كتاب اي كتابا ومن زائدة
لانها في متعلق النفي ولا تخطه اي لا تقرأ ولا تكتب بيمينك وهي الجارحة التي
تكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة لما ذكر انزال الكتاب عليه
متضمنا من البلاغة والفصاحة والاخبار عن الامم السابقة والامور المغيبة ما اعجز
البشر ان يأتوا بسورة مثله اخذ يحقق كونه نازلا من عند الله بانه ظهر عن رجل امي
لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط اهل العلم وظهور هذا القرآن المنزل عليه اعظم دليل
على صدقه واكثر المسلمين على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب قط ولم يقرأ بالنظر
في كتاب وروي عن الشعبي انه قال ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب
واسند النقاش حديثا الى ابي كبشة السلولي انه صلى الله عليه وسلم قرأ صحيفة لعيينة بن حصن

واخبر

واخبر بمعناها وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه كتب مباشرة وقد ذهب الى ذلك جماعة منهم
ابو ذر عبد بن احمد الهروي والقاضي ابو الوليد الباجي حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على
المنبر وتأول اكثر العلماء ما ورد انه كتب على ان معناه امر بالكتابة كما تقول كتب السلطان
لفلان بكذا اي امر بالكتب ه اذا لارتاب المبطلون اي لو كان يقرأ كتابا قبل نزول القرآن
عليه او يكتب لحصلت الريبة للمبطلين اذ كانوا يقولون حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه
قبل وخطه واستحفظه فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة واما ارتيابهم
مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده والمبطلون اهل الكتاب قاله قتادة او كفار قريش
قاله مجاهد وسموا مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فلما لم يكن قارئا ولا كاتبا
كان ارتيابهم لا وجه له بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات الاعجاز في صدور الذين
اوتوا العلم اي مستقرة مؤمن بها محفوظة في صدورهم يتلوها اكثر الامة ظاهرا بخلاف
غيره من الكتب فليس بمعجز ولا يقرأ الا من الصحف وجاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم
وكونه للقرآن يؤيده قراءة عبد الله بل هي آيات **وقيل** بل هو اي النبي واموره آيات بينات
قاله قتادة **وقرأ** بل هو آية بينة على التوحيد وقيل بل هو اي كونه لا يقرأ ولا يكتب ويقال
جحدته وجحدت به وكفرته وكفرت به قيل والجحود الاول متعلق بالوحدانية والثاني متعلق
بالنبوة ختمت تلك بالكافر ولانه قسيم المؤمنين في قوله يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن وهذه
بالظالمين لانه جحد بعد اقامة الدليل على كون الرسول صدر منه القرآن منزلا عليه
وهو امي لا يقرأ ولا يكتب فهم الظالمون بعد ظهور المعجز وقالوا لولا انزل عليه آية من
ربه اي قريش وبعض اليهود كانوا يعلمون قريشا مثل هذا الاقتراح يقولون له الا يأتيكم بآية
مثل آية موسى من العصا وغيرها **وقرأ** العربيان ونافع وحفص آيات على الجمع وباقي
السبعة على التوحيد قل انما الآيات عند الله ينزل ايها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه
لفعل وانما انا نذير بما اعطيت من الآيات وذكر يحيى بن جعدة ان ناسا من المسلمين اتوا رسول
صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال
كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت اولم يكفهم والذي يظهر انه رد على الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه اي
اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن
الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل كما تزول كل آية بعد وجودها ويكون في مكان دون مكان ان في هذه الآية الموجودة
في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تنكر وتذكرة **وقيل** اولم يكفهم يعني اليهود
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وروي
ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد بانك رسول الله فنزلت قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغت وانذرت وانكم جحدتم وكذبتم وهو العالم بما في السموات
والارض فيعلم امري وامركم والذين آمنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقال
مقاتل بعبادة الشيطان وقيل بالصنم ويستعجلونك اي كفار قريش في قولهم ائتنا بما
تعدنا وقول النضر فامطر علينا حجارة وهو استعجال على جهة التعجيز والتكذيب والاستهزاء
بالعذاب الذي كان يتوعدهم به الرسول والاجل المسمى ما سماه الله واثبته في اللوح

قوله عزوجل يا عبادي

لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره وقال ابن جبير يوم القيامة وقال ابن سلام اجل ما بين النفختين
وقيل يوم بدر وليأتينهم بغتة اي فجاءة وهو ما ظهر يوم بدر وفي السنين السبع ثم كرر
فعلهم وقبحه واخبر ان وراءهم جهنم تحيط بهم وانتصب يوم يغشاهم بمحيطة **وقرا** الكوفيون
ونافع ويقول اي الله وباقي السبعة بالنون نون العظمة او نون جماعة الملائكة وابو البرهسم
بالتاء اي جهنم كما نسب القول اليها في وتقول هل من مزيد **وقراه** ابن مسعود وابن ابي عبلة
ويقال مبنيا للمفعول ٥ يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة
غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء
فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه
الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما
اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين ٥ اكثر المفسرين ذهبوا الى ان قوله يا عبادي الاية نزلت
فيمن كان مقيما بمكة امروا بالهجرة عنها الى المدينة اي جانبوا اهل الشرك واطلبوا
اهل الايمان وقال ابو العالية سافروا لطلب اوليائه وقال ابن جبير وعطا
ومجاهد ومالك بن انس الارض التي فيها الظلم والمنكر بترتب فيها هذه الاية ويلزم
الهجرة عنها الى بلد حق وقال مطرف بن الشخير ان ارضي واسعة عدة بسعة
الرزق في جميع الارض **وقيل** ارض الجنة واسعة اعطيكم وقال مجاهد
سافروا لجهاد اعدائه فاياي فاعبدون من باب الاشتغال اي فاياي اعبدوا
فاعبدون ٥ وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى الفاء في فاعبدون وتقدم
المفعول **قلت** الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة
فان لم تخلصوا العبادة في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
انتهى ويحتاج هذا الجواب الى تامل ولما امر تعالى بسعة ارضه وكان ذلك
اشارة الى الهجرة وامر بعبادته فكان قد يتوهم متوهم انه اذا خرج من ارضه
التي نشا فيها لاجل من خلها من اهل الكفر الى دار الاسلام لا يستقيم له فيها
ما كان يستقيم له في ارضه فربما ادى ذلك الى هلاكه اخبر ان كل نفس
لها اجل تبلغه وتموت في اي مكان حل وان مرجوع الجميع الى جزائه يوم القيامة
وقراه علي ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول بتاء الخطاب وروي
عن عاصم بيا الغيبة **وقراه** ابو حيوة ذائقة بالتنوين الموت بالنصب

وقرا لنبوئنهم من المباءة **وقراه** علي وعبد الله والربيع بن خثيم وابن وثاب وطلحة
وزيد بن علي وحمزة والكسائي من الثواء وبوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوء المؤمنين
مقاعد للقتال وقد جاء متعديا باللام قال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
والمعنى لنجعلن لهم مكان مباءة اي مرجعا ياوون اليه غرفا اي علالي واما لنثوين فمعناه
اقام وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية فصار يتعدى الى واحد وقد **قرئ**
مشددا عدي بالتضعيف فانتصب غرفا اما على اسقاط حرف الجر اي في غرف
ثم اتسع فحذف واما على تضمين الفعل معنى التبوئة فتعدى الى اثنين او شبه
الظرف المكاني المختص بالمبهم فوصل اليه الفعل وروي عن ابن عامر غرفا بضم الرا
وقراه ابن وثاب فنعم بالفاء والجمهور بغير فاء الذين صبروا اي على مفارقة الاوطان
والهجرة وجميع المشاق من امتثال الاوامر واجتناب المناهي وعلى ربهم يتوكلون
هذان جماع الخير كله الصبر وتفويض الامور الى الله تعالى ولما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اسلم بمكة خافوا الفقر فقالوا غربة في بلاد لا دار لنا فيه ولا
عقار ولا من يطعم فمثل لهم باكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروي في رزقها
ولا تحمل رزقها من الحمل اي لا تنقل ولا تنظر في ادخار قاله مجاهد وابو مجلز وعلي
ابن الاقمر والادخار جاء في حديث كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس
يخبؤن رزق سنة لضعف اليقين قيل ويجوز ان يكون من الحمالة اي لا تتكفل لنفسها
ولا تروي وقال الحسن لا تحمل رزقها لا تدخر انما تصبح فيرزقها الله وقال
ابن عباس لا يدخر الا الادمي والنمل والفارة والعقعق **وقيل** البلبل يحتكر
في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وانتفاء حملها لرزقها
اما لضعفها وعجزها عن ذلك واما لكونها خلقت لا عقل لها فتتفكر فيما تخبؤه
للمستقبل الله يرزقها اي على ضعفها واياكم اي على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيل
في تحصيل المعيشة ومع ذلك فرازقكم هو الله وهو السميع لقولكم نخشى الفقر العليم
بما انطوت عليه ضمائركم ثم اعقب تعالى ذلك باقرارهم بان مبدع العالم ومسخر
النيرين هو الله وانتج ذلك بسط الرزق وضيقه فقال الله يبسط الرزق
لمن يشاء اي يبسطه ويقدر لمن يشاء ان يقدره والضمير في له ظاهره العود على
من يشاء فيكون ذلك لواحد يبسط له في وقت ويقدر في وقت ويجوز ان يكون الضمير
عائدا عليه في اللفظ والمراد لمن يشاء اخر فصار نظير وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره اي من عمر معمر اخر وقولهم عندي درهم ونصفه اي ونصف درهم اخر
فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق **وقراه** علقمة الحمصي ويقدر
بضم الياء وفتح القاف وشد الدال عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
ولما اخبر انهم مقرون بان موجد العالم ومسخر النيرين ومحيي الارض بعد موتها
هو الله كان ذلك اقرارا ملزما لهم ان رزق العباد هو المتكفل به وامر رسوله
بالحمد له تعالى لان في اقرارهم توحيد الله بالابداء ونفي الشركاء عنه في ذلك
وكان ذلك حجة عليهم حيث استندوا ذلك الى الله وعبدوا الاصنام بل اكثرهم
لا يعقلون حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي ويعبدون غيره وما هذه

الحيوة الدنيا الاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا وهي لا تزن
عند الله جناح بعوضة اي ما هي في سرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما
يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون والحيوان والحيوة بمعنى واحد وهو عند
الخليل وسيبويه مصدر حيي والمعنى لهي دار الحيوة اي المستمرة التي لا تنقطع قال
مجاهد لا موت فيها وقيل الحيوان الحي وكانه اطلق على الحي اسم المصدر
وجعلت الدار الاخرة حيا على المبالغة بالوصف بالحيوة وظهور الواو في الحيوان
وفي حيوة علم لرجل استدل به من ذهب الى ان لام الكلمة واو ومذهب سيبويه ان لام
الكلمة ياء والحجة في حيي لان الواو في مثل هذا التركيب تبدل ياء لكسرة ما
قبلها نحو شقي من الشقوة ومن ذهب الى ان لام الكلمة لامها ياء زعم ان ظهور
الواو في حيوان وحيوة بدل من ياء شذوذا وجواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون
لم يؤثروا دار الفناء عليها وجاء بناء مصدر حيي على فعلان لانه يدل على الحركة
والاضطراب كالغليان والنزوان واللهبان والجولان والطوفان والحي
كثير الاضطراب والحركة فهذا البناء فيه لكثرة الحركة ولما ذكر تعالى انهم مقرون
بالله اذا سئلوا من خلق العالم ومن نزل من السماء ماء ذكر ايضا حالة اخرى يرجعون
فيها الى الله ويقرون بانه هو الفاعل لما يريد وذلك حين ركوب البحر واضطراب
امواجه واختلاف رياحه وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا
في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه
هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا
يدعون مع الله اخر وفي مخلصين ضرب من التهكم انتهى واذا هم يشركون جواب لما
اي فاجاء النجية اشراكهم بالله اي لم يتاخروا عنها ولا وقتا والظاهر ان في ليكفروا
انها لام كي وعطف عليه وليتمتعوا في قراءة من كسر اللام وهم العربيان ونافع وعاصم
والمعنى عادوا الى شركهم ليكفروا اي الحامل لهم على الشرك هو كفرهم بما اعطاهم
الله تعالى وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا بخلاف المؤمنين فانهم اذا نجوا
من مثل تلك الشدة كان ذلك نجاتهم شكرا لله تعالى وطاعة له مزدادة وقيل
اللام في ليكفروا وليتمتعوا لام الامر ويؤيده قراءة من سكن لام وليتمتعوا وهم
ابن كثير والاعمش وحمزة والكسائي وهذا الامر على سبيل التهديد كقوله اعملوا
ما شئتم وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر
وبان تعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز
عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية انتهى والتخلية والخذلان
من الفاظ المعتزلة وقرا ابن مسعود فتمتعوا فسوف تعلمون بالتاء فيهما اي
قيل لهم تمتعوا فسوف تعلمون وكذا في مصحف ابي وقرا ابو العالية فيتمتعوا
بالياء مبنيا للمفعول ومن قرا وليتمتعوا بسكون اللام وكان عنده اللام في ليكفروا
لام كي فالواو عاطفة كلاما على كلام لا عاطفة فعل على فعل وحكى ابن عطية
عن ابن مسعود لسوف تعلمون باللام ثم ذكرهم تعالى نعمه حيث اسكنهم بلدة

امنوا فيها لا يغزوهم احد ولا يستلب منهم مع كونهم قليلي العدد قارين في مكان
لا زرع فيه وهذه من اعظم النعمة التي كفروها وهي نعمة لا يقدر عليها الا الله تعالى
وقرا يؤمنون ويكفرون بالياء فيهما وقرا السلمي والحسن بتاء الخطاب
فيهما وافترى هو الكذب زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بالحق كفرهم بالرسول
والقرآن وفي قوله لما جاءه استعارة بانهم لم يتوقفوا في تكذيبه وقت مجيء الحق
لهم بخلاف العاقل فانه اذا بلغه خبر نظر فيه وفكر حتى يتبين له اصدق هو
ام كذب واليس تقرير لمقامهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا
وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر اي مثواهم والذين جاهدوا فينا اطلق
المجاهدة ولم يقيدها بمتعلق لتتناول كل ما يجاهد في النفس الامارة بالسوء
والشيطان واعداء الدين وما ورد من اقوال العلماء فالمقصود بها المثال
قال ابن عباس جاهدوا اهواءهم في طاعة الله وشكر الائه والصبر على بلائه
لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى واتاهم تقواهم وقال السدي جاهدوا فينا بالثبات على الايمان
لنهدينهم سبلنا الى الجنة وقال ابو سليمان الداراني جاهدوا فيما علموا
لنهدينهم الى ما لم يعلموا وقيل جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبل الشهادة
والمغفرة وقال ابن عباس المحسنين الموحدين وقال غيره المجاهدون
وقال عبد الله بن المبارك من اعتاصت عليه مسالة فليسال اهل الثغور
عنها لقوله تعالى لنهدينهم سبلنا والذين مبتدا خبره القسم المحذوف وجوابه
وهو لنهدينهم وبهذا ونظيره رد على ابي العباس ثعلب في منعه ان تقع جملة
القسم والمقسم عليه خبرا للمبتدا ونظيره والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون
الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون

بين السورتين مكية قال ابن عطية وغيره بلا خلاف وقال الزمخشري إلا قوله فسبحان الله
وسبب نزولها أن كسرى بعث جيشاً إلى الروم وأمّر عليهم رجلاً واختلف النقلة
في اسمه فسار إليهم بأهل فارس وظفر وقتل وخرّب وقطع زيتونهم وكان التقاؤهم
بأذرعات وبصرى وكان قد بعث قيصر رجلاً أميراً على الروم وقال مجاهد التقت
بالجزيرة وقال السدي بأرض الأردن وفلسطين فشق ذلك على المسلمين لكونهم مع
الروم أهل كتاب وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا بأهل كتاب وأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم سيغلبون في بضع سنين ونزلت أوائل الروم
فصاح أبو بكر بها في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين فقال ناس من مشركي قريش زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس
في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك فقال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فاتفقوا أن جعلوا
بضع سنين ثلاث سنين وثلاث قلائص وأخبر أبو بكر رسول الله بذلك فقال هلا احتطت فارجع
فزدهم في الأجل والرهان فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام فظهرت الروم
على فارس في السنة السابعة وكان ممن راهن أبي بن خلف فلما أراد أبو بكر الهجرة طلب
منه أبي كفيلاً بالخطار إن غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما أراد أبي الخروج إلى أحد
طلبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلاً ومات أبي من جرح جرحه النبي صلى الله
عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية **وقيل** كان النصر يوم بدر للفريقين
فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به
وسبب ظهور الروم أن كسرى بعث إلى شهربزان وهو الذي ولاه على محاربة الروم
أن اقتل أخاك فرخان لمقالة قالها وهي قوله لقد رأيتني جالساً على سرير كسرى
فلم يقتله فبعث إلى فارس إني عزلت شهربزان ووليت أخاه فرخان وكتب إلى
فرخان إذا ولي أن يقتل أخاه شهربزان فأراد قتله فأخرج له شهربزان ثلاث صحائف
من كسرى يأمره بقتل فرخان قال وراجعته في أمرك مراراً ثم تقتلني بكتاب واحد
فرد الملك إلى أخيه وكتب شهربزان إلى قيصر ملك الروم فتعاونا على كسرى
فغلبت الروم فارس وجاء الخبر ففرح المسلمون وكان ذلك من الآيات البينات
الشاهدة بصحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها أنباء عن علم الغيب الذي
لا يعلمه إلا الله **وقرأ** علي وأبو سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر ومعاوية بن قرة
والحسن غلبت الروم مبنياً للفاعل سيغلبون مبنياً للمفعول والجمهور مبنياً للمفعول
سيغلبون مبنياً للفاعل وتأويل ذلك على ما فسره ابن عمر أن الروم غلبت على أدنى ريف
الشام يعني بالريف السواد وجاء كذلك عن عثمان وتأوله أبو حاتم على أن
الروم غلبت يوم بدر فعز ذلك على كفار قريش وسر المسلمون وبشر الله عباده بأنهم
سيغلبون في بضع سنين انتهى فيكون قد أخبر عن الروم بأنهم قد غلبوا وبأنهم
سيغلبون فيكون غلبهم مرتين قال ابن عطية والقراءة بضم الغين أصح وأجمع
الناس على سيغلبون بضم الياء وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظافرت به
الروايات انتهى وقوله وأجمعوا ليس كذلك ألا ترى أن الذين قرؤا غلبت بفتح
الغين هم الذين قرؤا سيغلبون بضم الياء وفتح اللام وليست هذه مخصوصة

بابن عمر **وقرأ** الجمهور غلبهم بفتح الغين واللام وعلي وابن عمر ومعاوية بن قرة بإسكانها
والعباس عن أبي عمرو غلابهم على وزن كتاب والروم طائفة من النصارى والأدنى
الأرض أقربها فإن كانت الوقعة في أذرعات فهي أدنى الأرض بالنظر إلى
مكة وهي التي ذكرها امرؤ القيس في **قوله**

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالي

وإن كانت بالجزيرة فهي أدنى بالنظر إلى أرض كسرى وإن كانت بالأردن فهي أدنى
إلى أرض الروم **وقرأ** الكلبي في أداني الأرض وتقدم الكلام في مدلول البضع في
سورة يوسف عليه السلام والغلب والغلب والغلاب مصادر ومختلف ما أضيف
إليه المصدر باعتبار القراءتين ففي غلبت بضم الغين يكون مضافاً للمفعول وبالفتح
يكون مضافاً للفاعل ويكون المعنى سيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء
هذه المدة التي هي أقصى مدلول البضع أخذ المسلمون في جهاد الروم وكان شيخنا
الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يحكي عن أبي الحكم بن برجان أنه استخرج من قوله تعالى
الم غلبت الروم إلى قوله في بضع سنين افتتاح المسلمين بيت المقدس معيناً زمانه
ويومه وكان إذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وأن ابن برجان مات
قبل الوقت الذي كان عينه للفتح وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في
الوقت الذي عينه أبو الحكم وكان أبو جعفر يعتقد في أبي الحكم هذا أنه كان يطلع على
أشياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله ه لله الأمر أي إنفاذ الأحكام وتصريفها
على ما يريد **وقرأ** الجمهور من قبل ومن بعد بضمهما أي من قبل غلبة الروم ومن بعدها
ولما كانا مضافين إلى معرفة وحذفت بنيا على الضم والكلام على ذلك مذكور في
علم النحو **وقرأ** أبو السمال والجحدري وعون عن العقيلي من قبل ومن بعد بالكسر والتنوين
فيهما قال الزمخشري على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل
قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخراً انتهى وقال ابن عطية ومن العرب من يقول من قبل
ومن بعد بالخفض والتنوين قال الفراء ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة
وإن حذف المضاف انتهى وأنكر النحاس ما قاله الفراء ورده وقال للفراء في
كتابه في القرآن أشياء كثيرة الغلط منها أنه زعم أنه يجوز من قبل ومن بعد
وإنما يجوز من قبل ومن بعد على أنهما نكرتان والمعنى من متقدم ومن متأخر وحكى الكسائي
عن بني أسد لله الأمر من قبل ومن بعد الأول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين والظاهر
أن يومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة أي ويوم إذ يغلب
الروم فارس يفرح المؤمنون وعلى هذا المعنى فسره المفسرون **وقيل** ويومئذ
عطف على من قبل ومن بعد كأنه حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحال
ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر وبنصر الله أي الروم على فارس وبنصر الله
أي الروم على فارس أي المسلمين على عدوهم أو في أن صدق ما قاله الرسول من أن الروم
ستغلب فارس أو في أن سلط بعض الظالمين على بعض حتى تفانوا وتناكصوا احتمالات
وفي الحديث فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبداً والروم ذات القرون
كلما ذهب قرن خلف قرن إلى آخر الأبد وقال ابن عباس يوم بدر كانت هزيمة عبدة

الاوثان وعبدة النيران وقال معناه ابو سعيد الخدري وقيل ورد الخبر يوم
الحديبية بوفاة كسرى فسر المسلمون بحرب المشركين ولموت عدو لهم في الارض متمكن
وهو العزيز بانتقامه من اعدائه الرحيم لاوليائه وانتصب وعد الله على انه مصدر
موكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهو قوله سيغلبون وقوله يفرح المومنون ولكن
اكثر الناس الكفار من قريش وغيرهم لا يعلمون نفي عنهم العلم النافع للاخرة وقد اثبت
لهم العلم باحوال الدنيا قيل والمعنى لا يعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لا يخلفه
وان ما يورده نبيه صلى الله عليه وسلم حق يعلمون ظاهرا اي بقيا اي ما ادته اليهم حواسهم
فكان حواسهم علومهم انما هي علوم البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه
ما فيه الظهور والعلو في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال
والفلاحات ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زايلا اي يعلمون امور الدنيا
التي لا بقاء لها ولا عاقبة **وقال الهذلي**

وعيرها الواشون اني احبها ۞ وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ۞

اي زائل وقال ابن جبير ظاهرا اي ما يعلمون من قبل الكهنة مما تسترقه الشياطين
وقال الرماني كل ما يعلم باوائل الروية فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن
وقال الزمخشري يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه
ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم
الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة
الدنيا يفيدان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع
بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود
منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وهم الثانية لتوكيد الهم الاولى
او مبتدا وفي اظهارهم على الوجهين كانت تنبيه على غفلتهم التي صاروا ملتبسين
بها لا ينفكون عنها وفي انفسهم معمول ليتفكروا اما على تقدير مضاف اي في خلق
انفسهم ليخرجوا من الغفلة فيعلموا انهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فقط
وليستدلوا بذلك على الخالق المخترع ثم اخبر عقب هذا بانه الحق سبحانه في خلق
السموات والارض واما على ان يكون في انفسهم ظرفا للفكرة في خلق السموات والارض
فيكون في انفسهم توكيدا لقوله يتفكروا كما تقول ابصر بعينك واسمع باذنيك وقال
الزمخشري في هذا الوجه كانه قال اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة
من الفكر والفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك
اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وقال ايضا يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في
الامر واجال الفكر وما خلق الله متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا
هذا القول **وقيل** معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه انتهى والدليل
هو قوله اولم يتفكروا وقيل اولم يتفكروا متصل بما بعده ومثله ثم تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة ومثله وظنوا ما لهم من محيص فيكون في بمعنى الباء كانه قال اولم يتفكروا
بقلوبهم فيعلموا انتهى ويجوز ان يكون تتفكروا هنا معلقة ومتعلقها الجملة من قوله
ما خلق الى اخرها وفي انفسهم ظرف على سبيل التاكيد لان الفكر لا يكون الا في النفس

كما ان

كما ان الكتابة لا تكون الا باليد وبالحق في موضع الحال اي ومن ملتبسة بالحق مقترنة
به وبتقدير اجل مسمى لا بد لها ان تنتهي اليه وهذا قيام الساعة ووقت الحساب
والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا
ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى
وقال ابن عطية الا بالحق اي بسبب المنافع التي هي حق واجب يريد من الدلالة
عليه والعبادة له دون فتور والانتصاب للعبرة ومنافع الارزاق وغير ذلك
واجل عطف على الحق اي وباجل مسمى وهو يوم القيمة ففي الاية اشارة الى
البعث والنشور وفساد بنية هذا العالم ثم اخبر عن كثير من الناس انهم كفرة
بذلك المعنى فعبر عنها بلقاء الله لان لقاء الله هو عظم الامر وفيه النجاة
والهلكة انتهى وقال ابو عبد الله الرازي قدم هنا دلايل الانفس على دلايل
الافاق وفي سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم دلايل الافاق على
دلايل الانفس وحكمة ذلك ان المفيد يذكر الفايدة على وجه يختارها فان فهمت
والا انتقلت الى الابين والمستفيد يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى الاخفى ففي اولم
يتفكروا الفعل مسند الى السامع فبدا بما يفهم اولا ثم بما يرتقي اليه ثانيا وفي
سنريهم اسند الى المفيد فذكر اولا الافاق فان لم يفهموا فالانفس لا ذهول
للانسان عنه لا يليها بخلاف دلايل الافاق لانه قد يذهل عنها وهذا المعنى
في الذين يذكرون الله قياما الاية بدا باحوال الانفس ثم بدلايل الافاق
وقال ايضا هنا وان كثيرا **وقيل** ولكن اكثر الناس وذلك انه هنا
ذكر كثيرا بعد ذكر الدلايل الواضحة وبما اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
والايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبله فبعد ذكر الدليل لا بد ان يومن
ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الا كثير انتهى وفيه تلخيص ولا يتم كلامه الاول
الا اذا جعل في انفسهم محلا للتفكر وجعل ما خلق ايضا محلا ثانيا اولم يسيروا
في الارض هذا تقرير توبيخ اي قد ساروا ونظروا الى ما حل بمن كان قبلهم
من مكذبي الرسل ووصف حالهم من الشدة واثارة الارض وعمارتها وانهم
اقوى منهم في ذلك قال مجاهد واثاروا الارض حرثوها وقال الفراء
قلبوها للزراعة وقال غيرهما قلبوا وجه الارض لاستنباط المياه واستخراج
المعادن والقاء البذر فيها للزراعة والاثارة تحريك الشي حتى يرتفع ترابه **وقرا**
ابو جعفر واثاروا الارض بمدة بعد الهمزة وقال ابن مجاهد ليس بشي وخرجه
ابو الفتح على الاشباع كقوله ومن ذم الزمان بمنتزاح ۞ وقال
من ضرورة الشعر ولا يجي في القران **وقرا** ابو حيوة واثروا من الاثرة وهو
الاستبداد بالشي **وقرئ** واثروا الارض اي ابقوا فيها اثارا وعمروها من
العمارة اي بقوا وهم فيها اكثر من بقاء هولاء او من العمرات اي سكنوا فيها
او من العمارة قال الزمخشري اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة
اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما
هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا

ويتهاونون به امر الداهنة وهم ايضا ضعاف القوى فما كان الله ليظلمهم فيه محذوف
اي فكذبوهم فاهلكوا وقرا الحرميان وابو عمرو ثم كان عاقبة بالرفع اسما لكان وخبرها
السوآي وهو تانيث الاسوا افعل من السوء وان كذبوا مفعول من اجله متعلق بالخبر
لا باساوا لان فيه الفصل بين الصلة ومتعلقها بالخبر وهو لا يجوز والمعنى ثم كان
عاقبتهم موضع المظهر موضع الضمير السوآي اي العقوبة التي هي اسوا العقوبات
في الاخرة وهي جهنم ويجوز ان تكون السوآي مصدرا على وزن فعلى كالرجعى ويكون
خبرا ايضا ويجوز ان يكون مفعولا باساوا بمعنى اقترفوا او صفة مصدر محذوف اي
الاساءة السوآي ويكون خبر كان ان كذبوا وقرا الاعمش والحسن السوي بابدال
الهمزة واوا وادغام الواو فيها كقراءة من قرا بالسو بالادغام في يوسف وقرا
ابن مسعود السوء بالتذكير وقرا الكوفيون وابن عامر عاقبة بالنصب خبر كان
والاسم السوآي او السوآي مفعول وان كذبوا الاسم وقال الزمخشري ويجوز ان يكون
ان بمعنى اي لتفسير الاساءة للتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب
ووجه اخر وهو ان يكون اساوا السوآي بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوا الخطايات
وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام
انتهى وكون ان هنا حرف تفسير متكلف جدا واما قوله الخطايات فهكذا هو في النسخة
التي طالعناها جمع جمع التكسير بالالف والتاء وذلك لا ينقاس انما يقتصر فيه على
مورد السماع ولا يبعد ان يكون زيادة التاء في الخطايات من الناسخ واما قوله
وان كذبوا عطف بيان لها اي للسوآي وخبر كان محذوف الى اخره فهذا فهم اعجمي
لان الكلام مستقل في غاية الحسن بلا حذف فيتكلف له محذوف لا يدل دليل
عليه واصحابنا لا يجيزون حذف خبر كان واخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا الا
ان ورد منه شيء فلا يقاس عليه وقرا عبد الله وطلحة يبدي بضم الياء وكسر
الدال والجمهور بفتحهما والابوان يرجعون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب
اي الى ثوابه وعقابه والجمهور يبلس بكسر اللام وعلي والسلمي بفتحها من ابلسه اذا اسكته
والجمهور ولم يكن بالياء وخارجة والاديبي كلاهما عن نافع وابن سنان عن ابي جعفر
والانطاكي عن شيبة بتاء التانيث من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وهي
الاوثان واضيفوا اليهم لانهم اشركوهم في اموالهم وقيل لانهم اتخذوها
بزعمهم شركاء لله وقال مقاتل المراد بهم الملائكة شفعاء لله كما زعموا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا معناه ويكونون اي عند معاينتهم امر الله وفساد
حال الاصنام عبر بالماضي لتيقن الامر وصحته ووقوعه وكتب السوآي بالف
قبل الياء كما كتبوا علموا بني اسرائيل بواو وقبل الالف والتنوين في يومئذ تنوين
عوض من الجملة المحذوفة اي ويوم تقوم الساعة يوم اذ يبلس المجرمون والضمير
في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه قاله الزمخشري ويظهر
انه عائد على ما قبله اذ قبله الله يبدؤ الخلق ثم يعيده قال قتادة وهي فرقة
لا اجتماع بعدها في روضة الروضة الارض ذات النبات والماء وفي المثل
احسن من بيضة في روضة يريدون بيض النعامة والروضة مما تحبه العرب

وقد

وقد اكثروا من مدحها في اشعارهم يحبرون يسرون حبرة سرة سرورا تهلل له وجهه
وظهر له اثره يحبر بالضم حبرا وحبرة وحبورا وفي المثل امتلات بيوتهم حبرة فهم ينتظر
العبرة وحكى الكسائي حبرته اكرمته ونعمته وقال علي بن سليمان هو من قولهم على
اسنانه حبرة اي اثر اي يبين عليهم اثر النعمة وقيل من التحبير وهو التحسين اي
يحسنون ويقال فلان حسن الحبر والسبر بالفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وما
تريد الجمهور هو على سبيل التمثيل قال قتادة ينعمون وقال ابن عباس والضحاك
ومجاهد يكرمون ه وقال يحيى بن ابي كثير والاوزاعي ووكيع يسمعون الاغاني
وقال ابو بكر بن عياش يتوجون على رؤوسهم وقال ابن كيسان يحلون ومعنى محضرون
مجموعون له لا يغيب احد منهم عنه لقوله وما هم منها بمخرجين وجاء في روضة منكرا
وفي العذاب معرفا قال الزمخشري والتنكير لابهام امرها وتفخيمه وجاء يحبرون
بالفعل المضارع لاستماله للتجدد لانهم كل ساعة ياتيهم ما يسرون به من متجددات
الملاذ وانواعها المختلفة وجاء محضرون باسم الفاعل لاستماله للثبوت فهم اذا
دخلوا العذاب يبقون فيه محضرين فهو وصف لازم لهم ۞ فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ه ومن
اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات
للعالمين ه ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون ه ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء
ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ه ومن اياته
ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
لما بين تعالى عظيم قدرته في خلق السموات والارض بالحق وهو حاله ابتداء العالم
وفي مصيرهم الى الجنة والنار وهي حالة الانتهاء امر تعالى بتنزيهه من كل سوء والظا(هر)
انه امر عباده بتنزيهه في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من النعم ويحتمل ان يكون
كناية عن استغراق زمان العبد وهو ان يكون ذاكرا ربه واصفه بما يجب له على
كل حال ه وقال الزمخشري لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد
وينجي من الوعيد وقيل المراد منها بالتسبيح الصلوات فعن ابن عباس وقتادة المغرب
والصبح والعصر والظهر واما العشاء ففي قوله وزلفا من الليل وعن ابن عباس الخمس
وجعل حين تمسون شاملا للمغرب والعشاء وله الحمد في السموات والارض اعتراض
بين الوقتين ومعناه ان الحمد واجب على اهل السموات واهل الارض وكان الحسن
يذهب الى ان هذه الاية مدنية لانه كان يقول فرضت الخمس بالمدينة وقال الاكثرون
بل فرضت بمكة وفي التحرير اتفق المفسرون على ان الخمس داخلة في هذه الاية وعن
ابن عباس ما ذكرت الخمس الا فيها وقدم الامساء على الاصباح كما قدم في قوله يولج الليل
في النهار والظلمات على النور وقابل بالعشي الامساء وبالاظهار الاصباح لان كلا

منهما يعقب بما قابله فالعشي يعقبه الامساء والاصباح يعقبه الاظهار ولما لم يصرف
من العشي فعل لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر جاء التركيب وعشيا **وقرأ**
عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون بتنوين حين فالجملة حذف منها العائد تقديره
تمسون فيه وتصبحون فيه **ولما ذكر** الابداء والاعادة ناسب ذكر يخرج الحي من
الميت **وتقدم** الكلام على مثل الاية في آل عمران وكذلك اي مثل ذلك الاخراج
والمعنى تساوي الابداء والاعادة في حقه تعالى **وقرأ** الجمهور يخرجون بالياء
المضمومة مبنيا للمفعول وفرقة بالياء مبنيا للمفعول وابن وثاب وطلحة والاعمش
بفتح تاء الخطاب وضم الراء **ثم** ذكر تعالى اياته من ابداء خلق الانسان اية اية
الى حين بعثه من القبر فقال ومن اياته ان خلقكم من تراب جعل خلقهم من تراب حيث
كان خلق ابيهم ادم من تراب وتنتشرون تتصرفون في اغراضكم واسفاركم واذا للمفاجأة
ولما كان بين الخلق وبين الانتشار رتبت الحركات العطف بثم المقتضية المهلة
والتراخي ونبه تعالى على عظيم قدرته بخلق الانسان من تراب وهو ابعد الاشياء عن
درجة الاحياء لانه بارد يابس والحيوة بالحرارة والرطوبة وكدر والروح نير وثقيل
والروح خفيف وساكن والحيوان متحرك الى الجهات الست فالتراب ابعد من
قبول الحيوة من سائر الاجسام من انفسكم فيه قولا وخلق منها زوجها اما كون حوا
خلقت من ضلع ادم واما من جنسكم ونوعكم وعلل خلق الازواج بالسكون اليها والمؤالفة
فمتى كان من الجنس كان بينهما تالف بخلاف الجنسين فانه يكون بينهما التنافر وهذه
الحكمة في بعث الرسل من جنس بني ادم وتيقنا ليسكن اليها لا ومنه السكن فعل بمعنى
مفعول مودة ورحمة اي بالازدواج بعد ان لم يكن سابقة تعارف توجب التواد
وقال مجاهد والحسن وعكرمة المودة النكاح والرحمة الولد كنى بذلك عنهما
وقيل مودة للشابة ورحمة للعجوز **وقيل** مودة للكبير ورحمة للصغير
وقيل هما اشتباك الرحم **وقيل** المودة من الله والبغض من الشيطان واختلاف
السنتكم اي لغاتكم فمن اطلع على لغات ورأى من اختلاف تراكيبها وقوانينها مع اتحاد
المدلول عجائب وغرائب في المفردات والمركبات وعن وهب ان الالسنة اثنان
وسبعون لسانا في ولد حام سبعة عشر وفي ولد سام تسعة عشر وفي ولد يافث
ستة وثلاثون **وقيل** المراد باللغات الاصوات والنغم وقال الزمخشري
الالسنة اللغات واجناس النطق واشكاله خالف عز وجل بين هذه الاشياء حتى
لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا
فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله انتهى
والوانكم السواد والبياض وغيرهما والانواع والضروب بتخطيط الصور ولولا
ذلك الاختلاف لوقع الالتباس وتعطلت مصالح كثيرة من المعاملات وغيرها
وفيه اية بينة حيث فرعوا من اصل واحد وتباينوا في الاشكال على كثرتهم **وقرأ**
الجمهور للعالمين بفتح اللام لانها في نفسها اية منصوبة للعالم **وقرأ** حفص
وحماد بن شعيب عن ابي بكر وعصمة عن عاصم ويونس عن ابي عمرو بكسر اللام لان
المنتفع بها انما هم اهل العلم كقوله وما يعقلها الا العالمون والظاهر ان

بالليل والنهار منقلبون منامكم فامتن تعالى بذلك لان النهار قد ينام فيه وخصوصا
من كان مشتغلا في حوائجه بالليل وابتغاؤكم من فضله اي فيهما اي في الليل والنهار
معا لان بعض الناس قد يبتغي الفضل بالليل كالمسافرين والحراس بالليل وغيرهم
وقال الزمخشري هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل
والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالاخرين لانهما زمانان والزمان
والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على ذلك ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم من فضله فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني
ما دل عليه القرآن وقال ابن عطية وقال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتأخير
وهذا ضعيف وانما اراد ان ترتيب النوم لليل والابتغاء للنهار ولفظ الاية
لا يعطي ذلك ٥ ومن اياته يريكم البرق خوفا اما ان يتعلق من اياته بيريكم فيكون
في موضع نصب ومن لابتداء الغاية او يكون يريكم على اضمار ان كما **قال**
الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى ٥ برفع احضر والتقدير ان احضر فلما حذف
ان ارتفع الفعل وليس هذا من المواضع التي يحذف منها ان قياسا او على تنزل
الفعل منزلة المصدر من غير ما يسبكه له كما قال الخليل في **قوله**
اريد لانسى حبها ٥ اي ارادتي لانسى حبها فيكون التقدير في هذين الوجهين
ومن اياته اراءته اياكم البرق فمن اياته في موضع رفع على انه خبر المبتدا وقال الرماني
يحتمل ان يكون التقدير ومن اياته اية يريكم البرق بها وحذف لدلالة من عليها
كما **قال الشاعر**

وما الدهر الا تارتان فمنهما ... اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ٥

اي فمنهما تارة اموت ومن على هذه الاوجه الثلاثة للتبعيض وانتصب خوفا وطمعا
على انهما مصدران في موضع الحال اي خائفين وطامعين **وقيل** مفعول
من اجله وقاله الزجاج واجازه الزمخشري على تقدير ارادة خوف وطمع فيتحد
الفاعل في العامل والمصدر وتحامل الزمخشري والمحذوف ولا يصح ان يكون العامل
يريكم لاختلاف الفاعل في العامل والمصدر وقال الزمخشري المفعولون فاعلون
في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا انتهى
وكونه فاعلا قبل بهمزة التعدية لا يثبت له حكمه بعدها على ان المسألة فيها
خلاف مذهب الجمهور اشتراط اتحاد الفاعل ومن النحويين من لا يشترطه ولو
قيل على مذهب من يشترطه ان التقدير يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا فحذف
العامل للدلالة لكان اعرابا سائغا واتحد فيهما الفاعل وقال الضحاك خوفا من
صواعقه وطمعا في مطره وقال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم **وقيل** خوفا
ان يكون خلبا وطمعا ان يكون ماطرا **وقال الشاعر**

لا يكن برقك برقا خلبا ... ان خير البرق ما الغيث معه ٥

وقال ابن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحييه ومن اياته
ان تقوم اي تثبت وتتمسك مثل واذا اظلم عليهم قاموا اي ثبتوا بامره اي بارادته
واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة جواب الشرط والمعنى انه لا يتاخر طرفة

عن خروجكم من دعائه كما يجيب الداعي المطيع مدعوه كما قال الشاعر

دعوت كليبًا دعوة فكأنما دعوت قرين الطود او هو اسرع

قرين الطود الصدا او الحجر اذا تدهدا والطود الجبل والدعوة البعث من القبور ومن الارض متعلق بدعاكم ودعوة اي مرة فلا يحتاج الى تكرير دعائه لسرعة الاجابة وقيل من الارض صفة لدعوة وقال ابن عطية ومن عندي هنا لانتهاء الغاية كما تقول دعوتك من الجبل اذا كان المدعو في الجبل انتهى وكون من لانتهاء الغاية قول مردود وعند اصحابنا وعن نافع ويعقوب انهما وقفا على دعوة وابتدا من الارض اذا انتم تخرجون علقا من الارض بتخرجون وهذا لا يجوز لان فيه الفصل بين الشرط وجوابه بالوقف على دعوة وفيه اعمال ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها وهو لا يجوز وقال الزمخشري وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا وانما عطفت هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر انتهى وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وباقي السبعة بضمها وفتح الراء وبدا اولا من الايات بالنشاة الاولى وهي خلق الانسان من التراب ثم كونه بشرا منتشرا وهو خلق حي من جماد ثم اتبعه بان خلق له من نفسه زوجا وجعل بينهما توادا وذلك خلق حي من عضو حي وقال لقوم يتفكرون لان ذلك لا يدرك الا بالفكر في تاليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف ثم اتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خلق السموات والارض واختلاف اللغات والالوان والاختلاف دائم قدرا من الانسان لا يفارق وقال للعالمين لانها اية مكشوفة للعالم ثم اتبعه بالمنام والابتغا وهما من الامور المفارقة في بعض الاوقات بخلاف اختلاف الالسنة والالوان وقال لقوم يسمعون لانه لما كانت من افعال العباد قد يتوهم انه لا يحتاج الى مرشد فنبه على السماع وجعل الدليل كلام المرشد ولما ذكر عرضيات الانفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الافاق المفارقة من اراءة البرق وانزال المطر وقدمهما على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء كما قدم السموات على الارض وقدم البرق على الانزال لانه كالمبشر يجيء بين يدي القادم والاعراب لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد راوا البروق اللائحة من جانب الى جانب وقال لقوم يعقلون لان البرق والانزال ليس امرا عاديا فيتوهم انه طبيعة اذ يقع ذلك ببلدة دون اخرى ووقتا دون وقت وقويا وضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ختم هذه الايات بقيام السموات والارض وذلك من العوارض اللازمة فان كلا من السما والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الارض وعدم نزولها ومن علو السما وثباتها من غير عمد ثم اتبع ذلك بالنشاة الاخرة وهي الخروج من الارض وذكر تعالى من كل باب امرين من الانفس خلقكم وخلق لكم ومن الافاق السماء والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الالسنة واختلاف الالوان ومن عوارضه المنام والابتغا ومن عوارض الافاق

البرق

قوله عز وجل وله من في السموات

البرق والمطر ومن لوازمها قيام السما وقيام الارض ﴿وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم فانتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ من في السموات والارض عام في كونهم تحت ملكه وقهره وقال الحسن قانتون قائمون بالشهادة على وحدانيته كما قال الشاعر

وفي كل شي له اية تدل على انه واحد

وقال ابن عباس مطيعون له اي في تصريفه لا يمتنع عليه شي يريد فعله بهم من حيوة وموت وصحة ومرض فهي طاعة الارادة لا طاعة العبادة وقيل قائمون يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين واذا حمل القنوت على الاخلاص كما قال ابن جبير او على الاقرار بالعبودية او قانتون من ملك ومومن كان كل عاما مخصوصا وهو اهون عليه اي والعود اهون عليه وليست اهون افعل تفضيل لانه لا تفاوت عند الله في النشاتين الابدا والاعادة فلذلك تاوله ابن عباس والربيع بن خثيم على انه بمعنى هين وكذا هو في مصحف عبد الله والضمير في عليه عائد على الله وقيل اهون للتفضيل وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من ان الاعادة في كثير من الاشياء اهون من البداءة للاستغناء عن الروية التي كانت في البداءة هذا وان كانت الاثنان عنده تعالى من التيسير في حيز واحد وقيل الضمير في عليه عائد على الخلق اي والعود اهون على الخلق بمعنى اسرع لان البداءة فيها تدريج من طور الى طور الى ان يصير انسانا والاعادة لا يحتاج الى هذه التدريجات في الاطوار انما يدعوه الله فيخرج فكانه قال وهو ايسر عليه اي اقصر مدة واقل انتقالا وقيل المعنى وهو اهون على المخلوق اي ان يعيد شيئا بعد انشائه فهذا عرف المخلوقين فكيف تنكرون انتم الاعادة في جانب الخالق قال ابن عطية والاظهر عندي عود الضمير على الله تعالى ويؤيده قوله تعالى وله المثل الاعلى لما جاء بلفظ فيه استعارة واستشهاد بالمخلوق على الخالق وتشبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة بان جعل له المثل الاعلى الذي لا يتصل به تكييف ولا تمثال مع شي انتهى وقال الزمخشري فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل وهو علي هين وان كان مستصعبا عندك وان تولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى انتهى ومبنى كلامه على ان تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص وقد تكلمنا معه في ذلك ولم يسلمه في قوله اياك نعبد

ولله المثل الاعلى فيل هو متعلق بما قبله قاله الزجاج وهو قوله وهو اهون قد ضرب لكم مثلا فيما يسهل او يصعب **وقيل** بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم **وقيل** المثل الوصف الارفع الاعلى الذي ليس لغيره مثله وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما وهو العزيز اي القاهر لكل شيء الحكيم الذي افعاله على مقتضى حكمته وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله والمعنى وله الوصف بالوحدانية ويؤيده قوله ضرب لكم وقال ابن عباس وغيره بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم في اموالكم ومهم اموركم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شانكم ان تخافوهم في ان يرثوا اموالكم ويقاسمونكم اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء في سلطانه والوهيته وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم وجاء هذا المعنى في معرض السؤال والتقرير وقال السدي كانوا يورثون الهتهم فنزلت **وقيل** لما نزلت قال اهل مكة لا يكون ذلك ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجوزونه لربكم ومن في انفسكم لابتداء الغاية كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهو انفسكم ولا يبعد ومن في من ما ملكت للتبعيض ومن في من شركاء زائدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تقول ليس يرضى احد منكم ان يشركه عبده في ماله وزوجته وما يختص به حتى يكون مثله فكيف ترضون بشريك لله وهو رب الارباب ومالك الاحرار والعبيد وقال ابو عبد الله الرازي بين المثل والممثل به مشابهة ومخالفة فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه قوله من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة الانفس ونقصها وعجزها وقاس نفسه عليكم مع عظمتها وجلالتها وقدرتها وقوله ما ملكت ايمانكم اي عبيدكم والملك طار قابل للنقل بالبيع وللزوال بالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فاذا لم يجز ان يشرككم مملوككم وهو مثلكم اذا حر من جميع الوجوه ومثلكم في الادمية حالة الرق فكيف يشرك الله مملوكه من جميع الوجوه المباين له بالكلية وقوله فيما رزقناكم يعني انه ليس لكم في الحقيقة انما هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يشرككم فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يكون له تعالى شريك فيما له من جهة الحقيقة انتهى وفيه بعض تلخيص وشركاء في موضع رفع بالابتداء وفيما رزقناكم متعلق به ولكم الخبر ومما ملكت في موضع الحال لانه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب على الحال والعامل فيه العامل في الجار والمجرور الواقع خبرا وهو مقدر بعد المبتدا وما في مما واقعة على النوع والتقدير هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكته ايمانكم كائنون لكم ويجوز ان يتعلق لكم بشركاء ويكون مما رزقناكم في موضع الخبر كما تقول لزيد مبغض فلزيد متعلق بمبغض الذي هو مبتدا وفي المدينة الخبر وفانتم فيه سواء جملة في موضع الجواب للاستفهام المضمن معنى النفي وفيه متعلق بسواء وتخافونهم خبر ثان لانتم والتقدير فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفوهم كما يخاف بعضكم بعضا ايها السادة والمقصود نفي

الشركة

الشركة والاستواء والخوف وليس النفي منسحبا على الجواب وما بعده فقط كاحد وجهي ما تاتينا فتحدثنا اي ما تاتينا محدثا انما تاتي ولا تحدث بل هو على الوجه الاخر اي ما تاتينا فكيف تحدثنا اي ليس منك اتيان فلا يكون حديث وكذلك هذا ليس لهم شريك فلا استواء ولا خوف **وقرا** الجمهور انفسكم بالنصب اضيف المصدر الى الفاعل وابن ابي عبلة بالرفع اضيف المصدر للمفعول وهما وجهان حسنان ولا قبح في اضافة المصدر الى المفعول مع وجود الفاعل كذلك اي مثل ذلك التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة **وقرا** الجمهور نفصل بالنون حملا على رزقناكم وعباس عن ابي عمرو بياء الغيبة رعيا لضرب اذ هو مسند للغائب وذكر بعض العلماء ان في هذه الاية دليلا على صحة اصل الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض كانه يقول الممتنع والمستقبح شركة العبيد لسادتهم اما شركة السادات بعضهم لبعض فلا يمتنع ولا يستقبح والاضراب ببل في قوله بل اتبع جاء على ما تضمنته الاية اذ المعنى ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من اشراكهم بالله بل ذلك لمجرد هوى بغير علم لانه قد يكون هوى للانسان وهو بعلم والذين ظلموا هم المشركون اتبعوا اهواءهم جاهلين هائمين على وجوههم لا يزعهم عن هواهم علم اذ هم خالون من العلم الذي قد يردع متبع الهوى فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يهدي من اضله الله اي هو لا هدى لمن اضله الله فلا هادي لهم وقال الزمخشري من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له ممن يقدر على هداية مثله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان انتهى وهو على طريقة الاعتزال فاقم وجهك للدين تقوم وجهك له وعدله غير ملتفت وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وقوم له وجهه مقبلا به عليه والدين دين الاسلام وذكر الوجه لانه جامع حواس الانسان واشرفه وحنيفا حال من الضمير في اقم او من الوجه او من الدين ومعناه مائلا عن الاديان المحرفة المنسوخة فطرة الله منصوب على المصدر كقوله صبغة الله **وقيل** منصوب باضمار فعل تقديره التزم فطرة الله وقال الزمخشري الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر انتهى **وقيل** فاقم وجهك المراد به فاقيموا وجوهكم وليس مخصوصا بالرسول وحده وكانه خطاب لمفرد اريد به الجمع اي فاقم ايها المخاطب فترجع على المعنى لانه لا يراد به مخاطب واحد فاذا كان هذا فقوله منيبين واقيموا ولا تكونوا ملحوظ فيه معنى الجمع وقول الزمخشري او عليكم فطرة الله لا يجوز لان فيه حذف كلمة الاغراء ولا يجوز حذفها لانه قد حذف الفعل وعوض عليك منه فلو جاز حذفه لكان اجحافا اذ فيه حذف العوض والمعوض منه والفطرة قيل دين الاسلام والناس مخصوصون بالمؤمنين **وقيل** العهد الذي اخذه الله على ذرية ادم حين اخرجهم نسما من ظهره ورجح الحذاق انها القا

بلية

التي في الطفل للنظر في مصنوعات الله والاستدلال بها على موجده فيوحده ويتبع
شرايعه لكن قد يعرض له عوارض تصرفه عن ذلك كتهويد ابويه له وتنصيرهما واغواء
شياطين الانس والجن لا تبديل لخلق الله اي لا تبديل لهذه القابلية من جهة الخالق
وقال مجاهد وابن جبير والضحاك والنخعي وابن زيد لا تبديل لدين الله والمعنى
لمعتقدات الاديان اذ هي متفقة في ذلك وقال الزمخشري اي ما ينبغي ان تبدل
تلك الفطرة او تغير وقال ابن عباس لا تبديل لقضاء الله بسعادتهم وشقاوتهم وقيل
هو نفي معناه النهي اي لا تبدلوا ذلك الدين وقيل لا تبديل لخلق الله بمعنى الوحدانية
مترشحة فيه لا تغير لها حتى لو سالته من خلق السموات والارض ليقولن الله ويستغرب
ما روي عن ابن عباس ان معنى لا تبديل لخلق الله النهي عن خصاء الفحول من الحيوان وقول
من ذهب الى ان المعنى في هذه الجملة الحال على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول
اقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة ممن خلق الله لهم الكفر
ولا تبديل لخلق الله اي انهم لا يفلحون ذلك الذي امرت باقامة وجهك له هو الدين
البالغ في الاستقامة والقيم بناء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة ووزنه فيعل
اصله قيوم كسيد اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو
ياء وادغمت الياء فيها وهو بناء مختص بالمعتل العين لم يجي منه في الصحيح الا بيئس
وصيقل علم لامراة منيبين حال من الناس ولا سيما اذا اريد بالناس المؤمنون او من الضمير
في الزموا فطرة الله وهو تقدير الزمخشري او من الضمير في فاقم اذ المقصود الرسول
وامته وكانه حذف معطوف اي فاقم وجهك وامتك وكذا زعم الزجاج في يا ايها
النبي اذا طلقتم اي يا ايها النبي والناس ودل على ذلك مجي الحال في منيبين جمعا
وفي اذا طلقتم حال الخطاب فيه وفي ما بعده جمعا او على خبر كان مضمرة اي كونوا
منيبين ويدل عليه قوله بعد ولا تكونوا وهذه احتمالات منقولة كلها من المشركين
من اليهود والنصارى قاله قتادة وقال ابن زيد هم اليهود وعن ابي هريرة وعايشة
انهم اهل القبلة ولفظة الاشراك على هذا تجوز بانهم صاروا في دينهم فرقا والظاهر
ان المشركين كل من اشرك فيدخل فيهم اهل الكتاب وغيرهم ومن الذين بدل من
المشركين فارقوا دينهم اي دين الاسلام وجعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوايهم
وكانوا شيعا كل فرقة تشايع امامها الذي كان سبب ضلالها كل حزب اي منهم
فرح بمذهبه مفتون به والظاهر ان كل حزب مبتدا وفرحون الخبر وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين
دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله ٥
وكل خليل غيرها ضم نفسه ٥ انتهى قدرا ولا فرحين مجرورا صفة لحزب ثم قال
ولكنه رفع على الوصف لكل لانك اذا قلت من قومك كل رجل صالح جاز في صالح
الخفض نعتا للرجل وهو الاكثر كقوله ٥

٥ جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم ٥

وجاز الرفع نعتا لكل كقوله ولهت عليه كل معصفة هوجاء ليس للبها زبر ٥
برفع هوجاء صفة لكل ٥ واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم

قوله عز وجل واذا مس الناس

منه

منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف
تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فات ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون
وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون
وجه الله فاولئك هم المضعفون الضر الشدة من فقر او مرض او قحط او غير
ذلك والرحمة الخلاص من ذلك الضر دعوا ربهم افردوه بالتضرع والدعا لينجوا
من ذلك الضر وتركوا اصنامهم لعلمهم انه لا يكشف الضر الا هو تعالى فلهم في ذلك
الوقت انابة وخضوع واذا خلصهم من ذلك الضر اشرك فريق ممن خلص وهذا
الفريق هم عبدة الاصنام قال ابن عطية ويلحق من هذه الالفاظ شي للمؤمنين
ان جاءهم فرج بعد شدة علقوا ذلك بمخلوقين او بحذق اراءهم او بغير ذلك
ففيه قلة شكر لله ويسمى مجازا وقال ابو عبد الله الرازي تقول تخلصت بسبب
اتصال الكوكب الفلاني وبسبب الصنم الفلاني بل ينبغي ان لا يعتقد انه تخلص
بسبب فلان اذا كان ظاهرا فانه شرك خفي انتهى واذا فريق جواب اذا اذاقهم
الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وتقدم نظيره وجاء هنا فريق لان قوله
واذا مس الناس عام للمؤمن والكافر فلا يشرك الا الكافر وجاء هنا مطلق وفي
اخر العنكبوت اذا هم يشركون لانه في مخصوصين من المشركين عباد الاصنام
والضر هناك معين وهو ما يتخوف من ركوب البحر فجاء اذا هم اي ركاب البحر
عباد الاصنام ويدل على ذلك ما قبله وما بعده واللام في ليكفروا لام كي
او لام الامر للتهديد وتقدم نظيره في اخر العنكبوت وقرا الجمهور فتمتعوا
فسوف تعلمون بالتاء فيهما وقرا ابو العالية فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول
وهو معطوف على ليكفروا فسوف يعلمون بالياء على التهدد لهم وعن ابي العالية
فيتمتعوا بياء قبل التاء عطفا ايضا على ليكفروا اي لتطول اعمارهم على الكفر وعنه
وعن عبد الله فليتمتعوا وقال هرون في مصحف عبد الله يمتعوا ام انزلنا ام بمعنى
بل والهمزة بل للاضراب عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة الاستفهام
استفهام انكار وتوبيخ والسلطان البرهان من كتاب او نحوه فهو يتكلم اي يظهر
مذهبهم وينطق بشركهم والتكلم مجاز لقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
وفهو يتكلم جواب للاستفهام الذي تضمنته ام كانه قال بل انزلنا عليهم
سلطانا اي برهانا شاهدا لكم بالشرك فهو يشهد بصحة ذلك وان قدر
ذا سلطان اي ملكا ذا برهان كان التكلم حقيقة واذا اذقنا الناس رحمة
اي نعمة من مطر وسعة او صحة وان تصبهم سيئة اي بلا من جدب او ضيق
او مرض بما قدمت ايديهم من المعاصي ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
ففي اصابة الرحمة فرحوا وذهلوا عن شكر من اسداها اليهم وفي اصابة البلا
قنطوا ويئسوا وذهلوا عن الصبر ونسوا ما انعم به عليهم قبل اصابة البلاء

وإذا هم جواب وإن تصبهم سيئة يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جوابا
للشرط وحين ذكر إذاقة الرحمة لم يذكر سببها وهو زيادة الإحسان والتفضل وحين
ذكر إصابة السيئة ذكر سببها وهو العصيان ليتحقق عدله ثم ذكر تعالى الأمر الذي
من عاينه لم ييأس من روح الله وهو أنه تعالى هو الباسط والقابض فينبغي أن لا يقنط
وأن يتلقى ما يرد من قبل الله بالصبر في البلاء والشكر في النعماء وأن يقلع عن المعصية
التي أصابته السيئة بسببها حتى تعود إليه رحمة ربه ومناسبة فآت ذا القربى
لما قبله أنه لما ذكر أنه تعالى هو الباسط القابض وجعل في ذلك آية للمؤمن أمر نبيه
بالإحسان لمن به فاقة واحتياج لأن من الإيمان الشفقة على خلق الله فخاطب
من بسط له الرزق بأداء حق الله من المال وصرفه إلى من يقرب منه في رحم وإلى غيره من مسكين
وابن سبيل قال الحسن هذا خطاب لكل سامع بصلة الرحم والمسكين وابن السبيل
وقيل للرسول عليه السلام وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقوقهم
من الغنيمة والفيء وقال الحسن حق المسكين وابن السبيل من الصدقة المسماة لهما
واحتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين
عن الكسب أثبت تعالى لذي القربى حقا وللمسكين وابن السبيل حقهما والسورة مكية
فالظاهر أن الحق ليس الزكوة وإنما يصير حقا بجهة الإحسان والمواساة والاهتمام
بذي القربى قدم على المسكين وابن السبيل لأنه بر صدقة وصلة ذلك أي الإيتاء
خير أي مضاعف لهم الأجر في الآخرة وينمو لهم في الدنيا وجه الله أي التقرب
إلى رضى الله لا لغيره ثم ذكر تعالى من تصرف في المال على غير الجهة المرضية
فقال وما آتيتم أكلة الربوا ليزيد ويزكو في المال فلا يزكو عند الله ولا يبارك
فيه كقوله يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قال السدي نزلت في ربوا ثقيف
كانوا يعملون بالربا ويعمله فيهم قريش ه وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير
وطاوس هذه الآية نزلت في هبات الثواب وقال ابن عطية وما جرى
مجراها مما يصنع للمجازاة كالسلم وغيره فهو وإن كان لا إثم فيه فلا أجر فيه ولا
زيادة عند الله وقال ابن عباس أيضا والنخعي نزلت في قوم يعطون قراباتهم
وإخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في أموالهم على
جهة النفع لهم وقال الشعبي قريبا من هذا وهو أن ما خدم به الإنسان
غيره انتفع به فذلك النفع لا يربو عند الله والظاهر القول الأول وهو النهي
عن الربوا وقرأ الجمهور وما آتيتم الأول بمد الهمزة أي وما أعطيتم وابن
كثير بقصرها أي وما جئتم وقرأ الجمهور ليربوا بالياء وإسناد الفعل إلى الربا
وابن عباس والحسن وقتادة وأبو رجاء والشعبي ونافع وأبو حيوة بالتاء
مضمومة وإسناد الفعل إليهم وقرأ أبو مالك ليربوها بضمير المؤنث والمضعف
ذو أضعاف في الأجر قال الفراء هم أصحاب المضاعفة كما تقول موسر أي
صاحب اليسار ومعطش أي صاحب الإبل العطشى وقرأ أبي المضعفون بفتح العين
اسم مفعول وقال الزمخشري فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه
قال للملائكة وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم

هم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ووجه آخر وهو
أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا أسهل مأخذا والأول أملأ بالفائدة انتهى وإنما احتاج إلى تقدير ما قدره
لأن اسم الشرط الذي ليس بظرف لا بد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه يتم به الربط

قوله عز وجل الله الذي خلقكم

﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل
أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا
فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب
الكافرين﴾ كرر تعالى خطاب الكفار في أمر أوثانهم فذكر أفعاله التي لا يمكن
أن يدعى له فيها شريك وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء ثم استفهم على جهة
التقرير لهم والتوبيخ ثم نزه نفسه عن مقالتهم والله الذي مبتدأ وخبر وقال
الزمخشري ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من
ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه من أفعاله انتهى والذي ذكره النحويون
أن اسم الإشارة يكون رابطا إذا كان أشير به إلى المبتداء وأما ذلكم هنا فليس
إشارة إلى المبتدأ لكنه شبيه بما أجازه الفراء من الربط بالمعنى وخالفه الناس
وذلك في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن قال التقدير
يتربصن أزواجهم فقدر الضمير مضافا إلى ضمير الذين فحصل به الربط كذلك
قدر الزمخشري من ذلكم من أفعاله المضاف إلى الضمير العائد على المبتدأ وقال
الزمخشري أيضا هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها
من يفعل شيئا قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه فاستعمل قط في غير موضعها
لأنها ظرف للماضي وهنا جعلها معمولة ليفعل وقال الزمخشري أيضا ومن الأولى
والثانية كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم انتهى ولا
أدري ما أراد بهذا الكلام ومن في من شركائكم للتبعيض والجار والمجرور خبر للمبتدأ
ومن يفعل هو المبتدأ ومن الثانية في موضع الحال من شيء لأنه نعت نكرة تقدم
عليها فانتصب على الحال ومن الثالثة زائدة لانسحاب الاستفهام الذي معناه
النفي على الكلام التقدير من يفعل شيئا من ذلكم أي من تلك الأفعال وقرأ الجمهور
يشركون بياء الغيبة والأعمش وابن وثاب بتاء الخطاب والظاهر من مراد
ظاهر البر والبحر وقال الحسن وظهور الفساد فيهما بانقطاع البركات ونزول
رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر
وقال ابن عباس الفساد في البحر انقطاع صيده وقال مجاهد في البر قتل أحد
ابني آدم لأخيه وفي البحر بأخذ السفن غصبا وعنه أيضا البر البلاد البعيدة
من البحر والبحر السواحل والمدن التي على ضفة البحر والأنهار وقال قتادة
البر الفيافي ومواضع القبائل وأهل الصحاري والعمود والبحر المدن جمع بحرة

خلقكم

وعنه ولقد اجمع اهل هذه البحيرة ليتوجوه يعني قول سعد بن عبادة في عبد الله
ابن ابي بن سلول ويؤيد هذا قراءة عكرمة والبحور بالجمع ورويت عن ابن عباس
وكان قد ظهر الفساد برا وبحرا وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الظلم
عم الارض فاظهر الله به الدين وازال الفساد واخمده صلى الله عليه وسلم وقال
النحاس فيه قولان احدهما ظهر الجدب في البر اي البوادي وقراها والبحر اي في
مدن البحر مثل واسال القرية اي ظهر قلة العشب وغلا السعر والثاني ظهرت
المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد على الحقيقة والاول مجاز **وقيل**
اذا قل المطر قل الغوص واخفق الصياد وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا
مطرت تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ بما كسبت
ايدي الناس اي بسبب معاصيهم وذنوبهم لنذيقهم اي انه تعالى افسد اسباب
دنياهم ومحقها لنذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها
جميعا في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم فيه وقال ابن عطية بما كسبت جزاء ما كسبت
ويجوز ان تتعلق الباء بظهر اي بكسبهم المعاصي في البر والبحر وهو نفس الفساد
الظاهر وقرا السلمي والاعرج وابو حيوة وسلام وسهل وروح وابن حسان
وقنبل من طريق ابن مجاهد وابن الصباح وابو الفضل الواسطي عنه ومحبوب عن
ابي عمرو لنذيقهم بالنون والجمهور بالياء ثم امرهم بالمسير في الارض فينظروا
كيف اهلك الامم بسبب معاصيهم واشراكهم وذلك تنبيه لقريش وامثالهم
بالاعتبار بمن سلف من الامم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كان اكثرهم مشركين
اهلكهم كلهم قوم بسبب الشرك وقوم بسبب المعاصي لانه تعالى يهلك
بالمعاصي كما يهلك بالشرك كاصحاب السبت او اهلكهم كلهم المشرك والمؤمن
كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة او اهلكهم كلهم
وهم كفار فاكثرهم مشركون وبعضهم معطل وحين ذكر امتنانه قال الله الذي
خلقكم ثم رزقكم فذكر الوجود ثم البقاء بسبب الرزق وحين ذكر حالهم بالطغيان
سبب البقاء باظهار الفساد ثم سبب الوجود بالاهلاك من قبل ان ياتي يوم
القيامة وفيه تحذير لعصر الناس لا مرد له من الله المرد مصدر رد ومن الله يحتمل
ان يتعلق بياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا
يستطيعون ردها **ويحتمل** ان يتعلق بمحذوف يدل عليه مرد اي لا يرده من بعد
ان يجيء به ولا رد له من جهته يومئذ اي يوم اذ ياتي ذلك اليوم يصدعون يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه الصداع
لانه يفرق شعب الراس وقال الشاعر

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ثم ذكر حالتي المتفرقين من كفر فعليه كفره اي جزاء كفره وعبر عن حالة الكافر
بعليه وهي تدل على الثقل والمشقة وعن حالة المؤمن بقوله فلانفسهم باللام التي
هي لام الملك ويمهدون يوطئون وهي استعارة من الفرش وعبارة عن كونهم
يفعلون في الدنيا ما يلقون به ما تقر به اعينهم وتسر به انفسهم في الجنة

وقال

وقال مجاهد هو التمهيد للقبر وقال الزمخشري وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان
والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه انتهى وهو على طريقته في دعواه ان تقديم
المفعول وما جرى مجراه يدل على الاختصاص واما على مذهبنا فيدل على الاهتمام
واما ما ادعاه من الاختصاص فمفهوم من آي كثيرة في القرآن منها ولا تكسب كل
نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى واللام في ليجزي قال الزمخشري متعلق
بيمهدون تعليل له وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح
لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد
تقرير على الطرد والعكس وقال ابن عطية ليجزي متعلق بيصدعون ويجوز ان تكون
متعلقة بمحذوف تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقرر من قوله تعالى
من كفر ومن عمل صالحا انتهى ويكون تقسيم الذين امنوا وعملوا الصالحات على هذين
التقديرين اللذين ذكرهما ابن عطية محذوفا تقديره كانه قال والكافرين بعدله
ودل على حذف هذا القسيم قوله انه لا يحب الكافرين ومعنى نفي الحب هنا انه
لا تظهر عليهم امارات رحمته ولا يرضى الكفر لهم دينا وقال الزمخشري
من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية
لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه
وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب ۝ ومن اياته ان
يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج
من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل
ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد
موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
فهم مسلمون ۝ لما ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور
الصلاح والكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لعقابه سببا لئلا يتوهم به الظلم
فذكر من اعلام قدرته ارسال الرياح مبشرات بالمطر لانها متقدمة والمبشرات
رياح الرحمة الجنوب والشمال والصبا واما الدبور فريح العذاب وليس تبشيرها
مقتصرا به على المطر بل لها تبشيرات بسبب السفن والسير بها الى مقاصد اهلها
او كانه بدا اولا بشيء عام وهو التبشير وقرا الاعمش الريح مفردا واراد معنى الجمع
ولذلك قرا مبشرات ثم ذكر من اعظم تباشيرها اذاقة الرحمة وهي نزول المطر
ويتبعه حصول الخصب والروح الذي مع الهبوب وازالة العفونة من الهواء
وتذرية الحبوب وغير ذلك وليذيقكم عطف على معنى مبشرات فالعامل ارسل

قوله عز وجل
ومن اياته ان يرسل

ويكون عطفا على التوهم كانه قيل ليبشركم والحال والصفة قد يجيئان وفيهما معنى
التعليل تقول اسرّ زيدا محسنا واكرم زيدا العالم تريد لاسائته ولعلمه وقيل ما
يتعلق به اللام محذوف اي ولكذا ارسلناها **وقيل** الواو في ولتذيقكم زائدة
وبامره اي بامر الله يعني ان جريانها لما كان مسندا اليها اخبر انه بامره تعالى من فضله
مما يسنى لكم من الربح في التجارات في البحر ومن غنائم اهل الشرك ثم انس رسوله بان
ضرب له مثل من ارسل من الانبياء وتوعد قريشا بان ضرب لهم مثل من اهلك من الامم
الذين اجرموا وكذبوا الانبياء ولما كان تعالى بين الاصلين المبدأ والمعاد بين براهين
ذكر الاصل الثالث وهو النبوة وفي الكلام حذف تقديره فآمن به بعض وكذب بعض
فانتقمنا من الذين اجرموا وفي قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تبشير للرسول
وامته بالنصر والظفر اذ اخبر ان المؤمنين كاولئك المؤمنين نصروا وفي لفظ حقا
مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين واظهار لفضيلة سابقة الايمان حيث جعلهم
مستحقين النصر والظفر والظاهر ان حقا خبر كان ونصر المؤمنين الاسم واخر لكون
ما تعلق به فاصلة وللاهتمام بالخبر اذ هو محط الفائدة وقال ابن عطية ووقف
بعض القراء على حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استانف جملة من قوله علينا نصر
المؤمنين وهذا قول ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم الآية وقال الزمخشري
وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين
انتهى وفي الوقف على وكان حقا بيان انه لم يكن الانتقام ظلما بل عدلا لانه لم يكن
الا بعد كون بقائهم غير مفيد الا زيادة الاثم وولادة الفاجر الكافر فكان عدمهم
خيرا من وجودهم الخبيث ٥ الله الذي يرسل الرياح هذا متعلق بقوله ومن اياته
ان يرسل الرياح مبشرات والجملة التي بينهما اعتراض جاءت تانيسا للرسول
وتسلية ووعدا بالنصر ووعيدا لاهل الكفر وفي ارسالها قدرة وحكمة اما القدرة
فان الهواء اللطيف الذي يشقه البرق بحيث يقلع الشجر ويهدم البنا وهو ليس بذاته
يفعل ذلك بل بفاعل مختار واما الحكمة ففيما يفضي اليه نفس الهبوب من اثارة السحب
واخراج الماء منه وانبات الزرع ودر الضرع واختصاصه بناس دون ناس
وهذه حكمة بالغة معذوقة بالمشيئة والاثارة تحريكها وتسييرها والبسط نشرها
في الافاق والكسف القطع وتقدم الكلام على قوله فترى الودق يخرج من خلاله
وذكر الخلاف في كسفا وحلاله من جهة القراءة والضمير في من خلاله الظاهر انه عائد
على السحاب اذ هو المحدث عنه وذكر الضمير لان السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه
قيل ويحتمل ان يعود على كسفا في قراءة من سكن السين والمراد بالسما سمت السماء
كقوله وفرعها في السما فاذا اصاب به من يشا اي ارض من يشا اصابتها فاجاتهم
الاستبشار ولم يتاخر سرورهم وقال الاخفش من قبله تاكيد لقوله من قبل ان ينزل
عليهم قال ابن عطية افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى
الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي
اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام ونحوه فجاء قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل
بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال الزمخشري ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم

بالمطر

بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على
قدر اغتمامهم بذلك انتهى وما ذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التاكيد في قوله
من قبله غير ظاهر وانما هو عندي لمجرد التوكيد ويفيد رفع المجاز فقط وقال
قطرب التقدير وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر انتهى وصار من قبل انزال المطر
من قبل المطر وهذا تركيب لا يسوغ في كلام فصيح فضلا عن القرآن ٥ **وقيل** التقدير
من قبل تنزيل الغيث من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر
ودل على ذلك قوله فراوه مصفرا يعني الزرع انتهى وهذا لا يستقيم لان من قبل ان ينزل
عليهم متعلق بقوله لمبلسين ولا يمكن من قبل الزرع ان يتعلق بمبلسين لان حرفي
جر لا يتعلقان بعامل واحد الا ان كان بوساطة حرف العطف او على جهة البدل
وليس التركيب هنا من قبله بحرف العطف ولا يصح فيه البدل اذ انزال الغيث ليس
هو الزرع ولا الزرع بعضه وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال
الانزال على الزرع بمعنى ان الزرع يكون ناشيا عن الانزال فكان الانزال مشتمل
عليه وهذا على مذهب من يقول الاول يشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني السحاب
لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين المطر ويريد من قبل روية السحاب ويحتاج
ايضا الى حرف عطف حتى يمكن تعلق الحرفين بمبلسين وقال علي بن عيسى من قبل الارسال
وقال الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم بالاستبشار
انتهى ويحتاج قوله وقول ابن عيسى الى حرف العطف فان ادعى في قول من جعل الضمير
في من قبله عائدا الى غير انزال الغيث ان حرف العطف محذوف امكن لكن في حذف
حرف العطف خلاف اينقاس ام لا ينقاس اما حذفه مع الجمل فجائز واما وحده فهو
الذي فيه الخلاف **وقرأ** الحرميان وابو عمرو وابو بكر الى اثر بالافراد وباقي السبعة
بالجمع وسلام بكسر الهمزة واسكان الثاء **وقرأ** الجحدري وابن السميفع وابو حيوة
تحيي بتاء التانيث والضمير عائد على الرحمة وقال صاحب اللوامح وانما انث
الاثر لاتصاله بالرحمة اضافته اليها فاكتسى التانيث منها ومثل ذلك لا يجوز
الا اذا كان المضاف بمعنى المضاف اليه او من سببه واما اذا كان اجنبيا
فلا يجوز بحال انتهى **وقرأ** زيد بن علي نحيي بنون العظمة والجمهور يحيي بياء الغيبة
والضمير لله ويدل عليه قراءة اثار بالجمع **وقيل** يعود على اثر في قراءة من افرد
وقال ابن جني كيف يحيي جملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى كانه محييا وهذا كله
فيه نظر ان ذلك اي القادر على احياء الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
وهذا الاخبار على جهة القياس في البعث والبعث من الاشياء التي هو قادر عليها
تعالى ولئن ارسلنا ريحا اخبر تعالى عن حال تقلب ابن ادم في انه بعد الاستبشار بالمطر
يبعث الله ريحا فاصفر بها النبات فظلوا يكفرون قلقا منهم والريح التي تصفر
النبات حرور وحرجف وهو مما يصبح به النبات هشيما والحرجف الشمال اذا
عصفت والضمير في فراوه عائد على ما يفهم من سياق الكلام وهو النبات وقيل
الى الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات ومن قرأ اثار بالجمع رجع الضمير
الى اثار الرحمة وهو النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به

ما ينبت وقال ابن عيسى الضمير في فراوه عائد على السحاب لان السحاب اذا اصفر لم يمطر
وقيل على الريح وهذان قولان ضعيفان وقرا جناح بن حبيش مصفارا بالف
بعد الفاء واللام في ولئن موذنة بقسم محذوف وجوابه لظلوا وهو مما وضع فيه
الماضي موضع المستقبل اتساعا تقديره ليظلن ونظيره قوله تعالى ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون ذمهم تعالى في جميع احوالهم
كان عليهم ان يتوكلوا على فضل الله فقنطوا وان يشكروا نعمته فلم يزيدوا على الفرح
والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والضمير في من بعده عائد على الاصفرار
اي من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمته وتقدم الكلام على قوله فانك لا تسمع
الموتى الى قوله فهم مسلمون في اواخر النمل الا ان هنا الربط بالفاء في قوله
فانك ۝ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس
في هذا القران من كل مثل ولئن جيتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون ۝ لما ذكر تعالى دلايل الافاق ذكر شيا من دلايل الانفس وجعل الخلق
من ضعف لكثرة ضعف الانسان اول نشاته وطفولته كقوله خلق الانسان من عجل والقوة
التي تلت الضعف هي عنى شبيبته ونماؤه وقوته الى فصل الاكتهال والضعف الذي
بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم **وقيل** من ضعف من النطف كقوله من ما مهين
والترداد في هذه الهيآت شاهد بقدرة الصانع وعلمه وقرا الجمهور بضم الضاد
في ضعف معا وعاصم وحمزة بفتحها فيهما وهي قراءة عبد الله وابي رجاء وروى
عن ابي عبد الرحمن والجحدري والضحاك الضم في الاول والفتح في الثاني وقرا
عيسى بضمتين فيهما والظاهر ان الضعف والقوة هما بالنسبة الى ما عرى الابدان
من ذلك وان الضم والفتح بمعنى واحد في ضعف وقال كثير من اللغويين الضم في البدن
والفتح في العقل ما لبثوا جواب وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب
ما لبثنا غير ساعة اي ما اقاموا تحت التراب غير ساعة او ما لبثوا في الدنيا
استقلوها لما عاينوا من امر الاخرة او فيما بين فنا الدنيا الى البعث واخبارهم بذلك
هو على جهة التسور والتقول بغير علم او على جهة النسيان او الكذب يوفكون اي يصرفون
عن قول الحق والنطق بالصدق والذين اوتوا العلم هم الملايكة والانبيا والمومنون
في كتاب الله فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الايمان وغيره ولكن
نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم **وقيل** في كتاب الله اللوح
المحفوظ وقيل في علمه وقيل في حكمه وقرا الحسن البعث بفتح العين فيهما وقرئ
بكسرها وهو اسم والمفتوح مصدر وقال قتادة هو على التقديم والتاخير تقديره اوتوا
العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم قيل وعلى هذا يكون في بمعنى البا اي العلم

بكتاب الله

قوله عز وجل الله الذي خلقكم

بكتاب الله وهذا القول لا يصح عن قتادة فان فيه تفكيكا للنظم لا يسوغ في كلام غير فصيح فكيف
يسوغ في كتاب الله وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصدر عنه مثل هذا القول
والفاء في فهذا يوم البعث عاطفة لهذه الجملة المقولة على الجملة قبلها وهي لقد لبثتم
اعقبتها في الذكر وقال الزمخشري **فان قلت** ما هذه الفاء وما حقيقتها **قلت**
هي التي في قوله فقد جينا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه
قال ان صح ما قلتم من ان اقصى ما يراد بنا فقد جينا خراسان وان لنا ان نخلص
وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان قولكم انتهى والبيت
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا ۝ واذا امكن جعل
الفاء عاطفة لم يتكلف اضمار شرط وجعل الفاء جوابا لذلك الشرط المحذوف ۝ لا تعلمون
لتفريطكم في طلب الحق واتباعه وقيل لا تعلمون البعث ولا تعترفون به فصار مصيركم
الى النار فتطلبون التاخير فيومئذ اي يوم اذ يقع ذلك من اقسام الكفار وقول اولي العلم لهم
وقرا الكوفيون لا ينفع بالياء هنا وفي الطول وافقهم نافع في الطول وباقي السبعة بالتا
التانيث ولا هم يستعتبون قال الزمخشري استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته وذلك اذا كان جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله
۝ غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ۝
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى
لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها
ولا هم يستعتبون **فان قلت** كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير
معتبين في بعضها وقوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين **قلت** اما كونهم
غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم
فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه
فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته
وقال ابن عطية هذا اخبار عن هول القيامة وشدة احوالها على الكفرة في انهم
لا ينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبى وهي الرضى ويستعتبون بمعنى يعتبون كما
تقول يملك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشي وليس هذا منه لان
المعنى كان يفسد اذ كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى انتهى فيكون
استفعل في هذا بمعنى الفعل المجرد وهو عتب اي هم من الاهمال وعدم الالتفات
اليهم بمنزلة من لا يوهل للعتب وقد **قيل** لا يعاتبون على سياتهم بل يعاقبون
وقيل لا يطلب لهم العتبى وقيل لا يلتمس منهم عمل ولا طاعة ولقد ضربنا
اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وقال
الزمخشري وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل
قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وما يقال لهم وما لا
ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم
حديث الاخرة اذا جيتهم باية من ايات القران قالوا جيتنا بزور وباطل انتهى وان انتم
خطاب للرسول والمومنين اي تبطلون في دعواكم الحشر والجزاء وقال ابو عبد الله

الرازي وفي توحيد الخطاب بقوله ولئن جئتهم والجمع في قوله إن أنتم لطيفة وهي أن الله عز وجل قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل فيمكن أن يجاوبوا بقولهم إن أنتم كلكم أيها المدعون الرسالة مبطلون كذلك يطبع الله أي مثل هذا الطبع يطبع أي يختم على قلوب الجهلة الذين قد ختم الله عليهم بالكفر في الأزل وأسند الطبع إلى ذاته تعالى إذ هو فاعل ذلك ومقدره وقال الزمخشري ومعنى طبع الله منع الألطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق بعد ذلك فلانه قال كذلك تصدأ وتقسو قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة انتهى وهو على طريقة الاعتزال ثم أمره تعالى بالصبر على عداوتهم وقوله بتحقيق الوعد أنه لا بد من إنجازه والوفاء به ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم والتحرك فإنهم لا يقين لهم ولا بصيرة وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب ولا يستحقنك بحاء مهملة وقاف من الاستحقاق والجمهور بخاء معجمة وفاء من الاستخفاف وسكن النون ابن أبي عبلة ويعقوب والمعنى لا يفتننك ويكونوا أحق بك من المؤمنين **لقمان** اسم علم فإن كان أعجميا فمنعه الصرف للعجمة والعلمية فإن كان عربيا فمنعه للعلمية وزيادة الألف والنون ويكون مشتقا من اللقم مرتجلا إذ لا يعلم له وضع في النكرات **صعّر** مشدد العين لغة تميم **قال شاعرهم**

وكنا إذا الجبار صعّر خده * أقمنا له من ميله فتقوّم

فتقوّم أمر بالاستقامة والقوافي مخفوضة أي فتقوّمن قاله أبو عبيدة وأنشده الطبري فتقوما فعلا ماضيا خطأ وتصاعر لغة الحجاز ويقال يصعر **قال الشاعر** أقمنا له من خده المتصعر * ويقال أصعر خده قال المفضل هو الميل وقال اليزيدي هو التشدق في الكلام وقال أبو عبيدة أصل هذا من الصعر داء يأخذ الإبل في رؤوسها وأعناقها فتلتوي منه أعناقها **القلم** معروف **الختر** أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر **وقال** عمرو بن معدي كرب

وإنك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

وقال الأعشى

بالأبلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير ختار

سورة لقمان عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم * الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين

المفردات

تلتوي

هدى

هذه السورة مكية قال ابن عباس إلا ثلاث آيات أولهن ولو أن ما في الأرض وقال قتادة إلا آيتين أولهما ولو أن إلى آخر الآيتين وسبب نزولها أن قريشا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بره والديه فنزلت **وقيل** نزلت بالمدينة الآيات الثلاث ولو أن ما في الأرض إلى آخرهن لما نزل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقول اليهود إن الله أنزل التوراة على موسى وخلفها فينا ومعنا فقال الرسول التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله فنزل ولو أن ما في الأرض من شجرة وهي مناسبة لما قبلها أنه قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأشار إلى ذلك بقوله الم تلك آيات الكتاب الحكيم وكان في آخر تلك ولئن جئتهم بآية وهنا وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا وتلك إشارة إلى البعيد فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه وآيات الكتاب القرآن أو اللوح المحفوظ ووصف الكتاب بالحكيم إما لتضمنه للحكمة قيل أو فعيل فيه بمعنى المحكم وهذا يقل أن يكون فعيل بمعنى مفعل ومنه عقدت العسل فهو عقيد أي معقد ويجوز أن يكون حكيم بمعنى حاكم وقال الزمخشري الحكيم ذو الحكمة أو وصف لصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة **وقرأ** الجمهور هدى ورحمة بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة قاله الزمخشري وغيره ويحتاج إلى نظر **وقرأ** حمزة والأعمش والزعفراني وطلحة وقنبل طريق أبي الفضل الواسطي وتطيف بالرفع خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر على مذهب من يجيز ذلك للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة والإيقان بالآخرة ونظيره **قول أوس**

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد وخص المحسنون لأنهم هم الذين انتفعوا به ونظروا بعين الحقيقة **وقيل** الذين يعملون بالحسن من الأعمال وخص منهم القائمون بهذه الثلاث لفضل الاعتداد بها ومن صفة الإحسان ما جاء في الحديث من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه **وقيل** المحسنون المؤمنون وقال ابن سلام هم السعداء وقال ابن شجرة هم المنجحون **وقيل** الناجون وكرر الإشارة إليهم تنبيها على عظم قدرهم ولما ذكر من صفات القرآن الحكمة وأنه هدى ورحمة وأن متبعه فائز ذكر حال من يبدل بطلب الحكمة اللهو وذكر ما بلغ في ارتكابه حتى جعله مشتريا له وباذلا فيه رأس عقله وذكر علته وأنها الإضلال عن طريق الله ونزلت هذه الآية في النضر بن الحارث كان يتجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار ويقول أنا أحسن حديثا **وقيل** في ابن خطل اشترى جارية تغني بالسب وبهذا فسر لهو الحديث ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال الحسن لهو الحديث المعازف والغناء وفي الحديث من رواية أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شراء المغنيات وبيعهن حرام وقرأ هذه الآية وقال الضحاك لهو الحديث الشرك

وقال مجاهد وابن جريج الطبل ومنه اضرب من آلة الغناء وقال عطا الترهات
وقيل السحر وقيل ما كان يشتغل به اهل الجاهلية من السامر وقال الحسن
ايضا كل ما شغلك عن عبادة الله وذكره من السمر والاضاحيك والخرافات والغناء
وقال سهل بن عبد الله الجدال في الدين والخوض في الباطل والظاهر ان الشرا هنا مجاز عن اختيار
الشيء وصرف عقله بكليته اليه فان اريد بها ما يقع عليه الشرا كالجواري المغنيات
عند من لا يرى ذلك وكلتب الاعاجم التي اشتراها النضر فالشرا حقيقة وتكون على حذف
اي من يشتري ذات لهو الحديث واضافة لهو الى الحديث بمعنى من لان اللهو قد يكون
من حديث ومن غير حديث فهو كباب ساج والمراد بالحديث الحديث المنكر وقال الزمخشري
ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى التبعيضية كانه قال ومن الناس من يشتري بعض الحديث
الذي هو اللهو منه انتهى **وقرا** ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء وباقي السبعة بضمها
قال الزمخشري **فان قلت** القراة بالرفع بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو
ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراة
بالفتح **قلت** معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه
ويزيد فيه ويمد بان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه
والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف
على المردوف **فان قلت** قوله بغير علم ما معناه **قلت** لما جعله مشتريا لهو الحديث
بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا
مهتدين للتجارة وبصراء بها انتهى وسبيل الله الاسلام او القرآن قولان قال
ابن عطية والذي يترجح ان الاية نزلت في لهو الحديث مضافا الى الكفر فلذلك
اشتدت الفاظ الاية بقوله ليضل الى آخره **وقرا** حمزة والكسائي وحفص ويتخذها
بالنصب عطفا على ليضل تشريكا في الصلة وباقي السبعة بالرفع عطفا على يشتري
تشريكا في الصلة والظاهر عود الضمير في ويتخذها على السبيل كقوله ويبغونها
عوجا قيل ويحتمل ان يعود على آيات الكتاب وقال تعالى ولا تتخذوا آيات الله
هزوا قيل ويحتمل ان يعود على الاحاديث لان الحديث اسم جنس بمعنى الاحاديث
وقال صاحب التحرير يظهر لي انه اراد بلهو الحديث ما كانوا يظهرونه من الاحاديث
في تقوية دينهم والامر بالدوام عليه وتغيير صفة الرسول وان التوراة تدل
على انه من ولد اسحاق يقصدون صد اتباعهم عن الايمان واطلق اسم الشرا
لكونهم يأخذون على ذلك الرشا والجعايل من ملوكهم ويؤيده ليضل عن سبيل الله
اي دينه انتهى وفيه بعض حذف وتلخيص ه واذا اتصل عليه بدلا اولا بالحمل
على اللفظ فافرد في قوله من يشتري وليضل ويتخذها ثم جمع على المعنى في قوله اولئك
لهم ثم حمل على اللفظ فافرد في قوله واذا تتلى الى آخر الضماير ومن في من يشتري
موصولة ونظيرها في من الشرطية قوله ومن يؤمن بالله فما بعده افرد ثم قال
خالدين فجمع ثم قال قد احسن الله له رزقا فافرد ولا نعلم جاء في القرآن
ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غيرها تين الآيتين والنحويون يذكرون

ومن يؤمن بالله الاية فقط ويستدلون بها على ان هذا الحكم جار في من الموصولة
ونظيرها فما لعربيين ولم يجئ من الموصولات وتضمن هذه الآية ذم المشتري من وجوه
التولية عن الحكمة ثم الاستكبار ثم عدم الالتفات الى سماعها كانه غافل عنها
ثم الايغال في الاعراض بكون اذنيه كان فيهما صمما يصده عن السماع وكان لم يسمعها
حال من الضمير في مستكبرا اي مشبها حال من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالا ولا
يلتفت اليها وكان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان واجب الحذف
وكان في اذنيه وقرا حال من لم يسمعها وقال الزمخشري ويجوز ان تكونا استينا
انتهى يعني الجملتين التشبيهيتين **ولما ذكر** ما وعد به الكفار من العذاب الاليم
ذكر ما وعد به المومنين **وقرا** زيد بن علي خالدون بالواو والجمهور بالياء وانتصب
وعد الله على انه مصدر موكد لنفسه وحقا على المصدر الموكد لغيره لان قوله لهم
جنات النعيم والعامل فيهما مختلف فوعد الله منصوب بوعد الله وعدا وحقا منصوب
باحق ذلك حقا خلق السموات الى وانبتنا فيها تقدم الكلام على ذلك ومعنى كريم
من حسنة بكرم جوهره ونفاسته وحسن منظره وما تقتضيه النفوس بانه افضل
من غيره حتى يستحق الكرم فيخص لفظ الازواج ما كان نقيسا مستحسنا او مدحته
من جهة اتقان صنعته وظهور حسن الرتبة والتحكم للصنع فيه فيعم جميع الازواج
وهي الانواع هذا خلق الله اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته ونبه بذلك الكفار
واظهر حجته والخلق بمعنى المخلوق كقولهم درهم ضرب الامير مضروبه
ثم سالهم على جهة التهكم بهم ان يروه ما خلقته الهتهم لما ذكر مخلوقاته
فكيف عبدوها من دونه ويجوز في ماذا ان تكون كلها موصولة بمعنى الذي ويكون
مفعولا ثانيا لاروني واستعمال ماذا كلها موصولا قليل وقد ذكر **س** ويجوز ان
تكون ما استفهاما في موضع رفع على الابتداء وذا موصولة بمعنى الذي وهو خبر
عنها والجملة في موضع نصب باروني واروني معلقة عن العمل لفظا لاجل الاستفهام
ثم اضرب عن توبيخهم وتبكيتهم الى التسجيل عليهم بانهم في حيرة واضحة لمن
يتدبر لان من عبد صنما وترك خالقه جدير بان يكون في حيرة وتيه لا يقلع عنه
ه ولقد آتينا لقمن الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان
الله غني حميد واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله
في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي
ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب
الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله
لطيف خبير يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش
في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير **ه** اختلف في لقمن اكان حرا

قوله عز وجل ولقد آتينا لقمن

او عبدا فاذا قلنا كان حرا فقيل هو ابن باعوراء قاله وهب ابن اخت ايوب عليه السلام
وقال مقاتل ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود
عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى
فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وكان قاضيا في بني اسرائيل وقال الواقدي
كان قاضيا في بني اسرائيل وزمانه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والاكثرون
على انه لم يكن نبيا وقال عكرمة والشعبي كان نبيا واذا قلنا كان عبدا اختلف
في جنسه فقال ابن عباس وابن المسيب ومجاهد كان نوبيا مشقق الرجلين
ذا مشافر وقال الفراء وغيره كان حبشيا مجدوع الانف ذا مشفر واختلف
فيما كان يعانيه من الاشغال فقال خالد بن الربيع كان نجارا وفي معاني الزجاج
كان نجادا بالدال وقال ابن المسيب كان خياطا وقال ابن عباس كان راعيا
وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وهذا الاضطراب في كونه حرا او عبدا
وفي جنسه وفي ما كان يعانيه يوجب ان لا يكتب شيء من ذلك ولا ينقل لكن
المفسرين مولعون بنقل المضطربات حشدا وتكثيرا والصواب تركه وحكم لقمان
مأثورة كثيرة منها قيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان رآه الناس
مسيئا وقال له داود عليه السلام يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي
غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وقال وهب بن منبه قرأت من حكم
لقمان اكثر من عشرة آلاف والحكمة المنطق الذي يتعظ به ويتنبه به ويتناقله
الناس لذلك ان اشكر قال الزمخشري ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى
القول وقد نبه شيخنا على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما او عبادة
الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر وقال الزجاج المعنى
ولقد آتينا لقمان الحكمة لان يشكر الله فجعلها مصدرية لا تفسيرية وحكى س
كتبت اليه بان قم فانما يشكر لنفسه اي ثواب الشكر لا يحصل الا للشاكر اذ هو
تعالى غني عن الشكر فشكر الشاكر لا ينفعه وكفر من كفر لا يضره وحميد مستحق الحمد
لذاته وصفاته واذ قال واذكر اذ وقيل يحتمل ان يكون التقدير وآتيناه
الحكمة اذ قال واختصر لدلالة المتقدم عليه وابنه تاران او انعم او اشكم
او مشكم او ماتان اقوال وهو يعظه جملة حالية قيل كان ابنه وامرأته
كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما والظاهر ان قوله ان الشرك لظلم عظيم
من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متصل به في تأكيد
المعنى وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه من كلام لقمان وقرأ البزي يا بني بالسكون
ويا بني انها بكسر الياء ويا بني اقم بفتحها وقنبل بالسكون في الاولى والثالثة
والكسر في الوسطى وحفص والمفضل عن عاصم بالفتح في الثلاثة على تقدير يا بنيا
والاجتزاء بالفتحة عن الالف وقرأ باقي السبعة بالكسر في الثلاثة ووصينا
الانسان بوالديه لما بين لقمان لابنه ان الشرك ظلم ونهاه عنه كان ذلك
حثا على طاعة الله تعالى ثم بين ان الطاعة ايضا تكون للابوين وبين
السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه اخبر الله عنه بذلك

وقيل

وقيل هو من كلام الله قاله للقمان اي قلنا له اشكر وقلنا له ووصينا وقيل هذه
الآية اعتراض بين اثناء وصية لقمان وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد والده
وامتثال امره في طاعة الله تعالى وقال القرطبي والصحيح ان هذه الآية وآية العنكبوت
نزلتا في سعد بن ابي وقاص وعليه جماعة من المفسرين ولما خص الام بالمشقات
من الحمل والنفاس والرضاع والتربية نبه على السبب الموجب للايصاء بها ولذلك
جاء في الحديث الام بالبر ثلاث مرات ثم ذكر الاب فجعل له مرة الربع من المبرة وهنا
على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقال الضحاك ضعفا
بعد ضعف وقال قتادة جهدا على جهد يعني ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف
النفاس وانتصب على هذه الاقوال على الحال من امه وقيل وهنا على وهن نطفة
ثم علقة الى آخر النشأة فعلى هذا يكون حالا من الضمير المنصوب في حملته وهو
الولد وقرأ عيسى الثقفي وابو عمرو في رواية وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما
فاحتمل ان يكون كالشعر والشعر واحتمل ان يكون مصدر وهن بكسر الهاء يوهن
وهنا بفتحها في المصدر قياسا وقراءة الجمهور بسكون الهاء فيهما وقرأوا وفصاله
وقرأ الحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري ويعقوب وفصله ومعناه الفطام
اي في تمام عامين عبر عنه بنهايته واجمعوا على اعتبار العامين في مدة الرضاع
في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن في الرضاع فخلاف
مذكور في الفقه وان اشكر في موضع نصب على قول الزجاج وقال النحاس
الاجود ان تكون مفسرة لي على نعمة الايمان ولوالديك على نعمة التربية الي
المصير توعد اثناء الوصية وان جاهداك الى فلا تطعهما تقدم الكلام عليه
في العنكبوت الا ان هنا على وهناك لتشرك بلام العلة وانتصب معروفا
على انه صفة لمصدر محذوف اي صحابا او مصاحبا معروفا وعشرة جميلة
وهو اطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضا
ومواراتهما اذا ماتا واتبع سبيل من اناب الي اي رجع الى الله وهو سبيل
الرسول لا سبيلهما ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فاجازي كلا منكم بعمله
ولما نهى لقمان ابنه عن الشرك نبهه على قدرة الله وانه لا يمكن ان يتاخر
عن مقدوره شيء فقال يا بني انها ان تك والظاهر ان الضمير في انها ضمير
القصة وقرأ نافع مثقال بالرفع على ان تك تامة وهي قراءة الاعرج وابي جعفر
وانث مثقال وهو مذكر اخبارا لمؤنث لاضافته الى مؤنث وكانه قال ان تك
زنة حبة وباقي السبعة بالنصب على ان تك ناقصة واسمها ضمير يفهم من
سياق الكلام تقديره هي اي التي سالت عنها وكان فيما روي قد سال لقمان ابنه
ارأيت الحبة تقع في مغاص البحر ايعلمها الله فيكون الضمير ضمير جوهر لا ضمير عرض
ويؤيده قوله ان تك مثقال حبة وقرأ عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف
وشد النون وفتحها وقرأ محمد بن ابي فجة البعلبكي فتكن بضم التاء وفتح
الكاف والنون مشددة وقرأ قتادة فتكن بفتح التاء وكسر الكاف وسكون
النون من وكن يكن ورويت هذه القراءة عن عبد الكريم الجزري ايضا اي تستقر

ويجوز أن يكون الضمير ضمير عرض أي تلك الفعلة من الطاعة أو المعصية وعلى
من قرأ بنصب مثقال يجوز أن يكون الضمير في إنها ضميرا للفعلة لا ضمير القصة
قال الزمخشري فمن نصب يعني مثقال كان الضمير للهنة من الإساءة والإحسان
أي كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع
وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كان من العالم العلوي أو السفلي يأت بها الله يوم
القيامة فيحاسب عليها إن الله لطيف يتوصل علمه إلى كل خفي خبير عالم بكنهه
وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها وبدأ له بما يتعقله أولا وهو
كينونة الشيء في صخرة وهو ما صلب من الحجر وعسر إخراجه منها ثم أتبعه بالعالم
العلوي وهو أغرب للسامع ثم أتبعه بما يكون مقرا للأشياء للشاهد وهو الأرض
وعن ابن عباس والسدي أن هذه الصخرة التي عليها الأرض قال ابن عباس هي
تحت الأرضين السبع يكتب أعمال الفجار قال ابن عطية قيل أراد الصخرة التي
عليها الأرض والحوت والماء وهي على ظهر ملك وقيل هي صخرة في الريح وهذا
كله ضعيف لا يثبت سنده وإنما معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم
أي أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء والأرض انتهى
وقيل وخفاء الشيء يكون بصغره غاية وبعده عن الرائي وبكونه في ظلمة وباحتجابه
ففي صخرة إشارة إلى الحجاب وفي السموات إشارة إلى البعد وفي الأرض
إشارة إلى الظلمة فإن جوف الأرض أظلم الأماكن وفي قوله يأت بها الله
دلالة على العلم والقدرة كأنه قال يحيط بها علمه وقدرته ولما نهاه أولا
عن الشرك وأخبره ثانيا بعلمه تعالى وباهر قدرته أمره بما يتوسل به إلى الله
من الطاعات فبدأ بأشرفها وهو الصلاة حيث يتوجه إليه بها ثم بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن جميعها أو على ما يصيبه
بسبب الأمر بالمعروف ممن يبعثه عليه والنهي عن المنكر ممن ينكره عليه فكثيرا ما
يؤذي فاعل ذلك وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل هو في نفسه فيأتي المعروف
ويزدجر عن المنكر إن ذلك إشارة إلى ما تقدم مما نهاه عنه وأمره به والعزم
مصدر فاحتمل أن يراد به المفعول أي من معزوم الأمور واحتمل أن يراد به الفاعل
أي عازم الأمور كقوله فإذا عزم الأمر وقال ابن جريج مما عزمه الله وأمر به وقيل
من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة والظاهر أنه
يريد من لازمات الأمور الواجبة لأن الإشارة بذلك إلى جميع ما أمر به ونهى
عنه وهذه الطاعات يدل إيصاء لقمان على أنها كانت مأمورا بها في سائر
الملل والعزم ضبط الأمر ومراعاة إصلاحه وقال مؤرج العزم الحزم
بلغة هذيل والحزم والعزم أصلان وما قاله المبرد من أن العين قلبت
حاء ليس بشيء لاطراد تصاريف كل واحد من اللفظين فليس أحدهما أصلا للآخر
ولا تصعر خدك للناس أي لا تولهم شق وجهك كفعل المتكبر وأقبل على الناس
بوجهك من غير كبر ولا إعجاب قاله ابن عباس والجماعة وقال ابن خويز
منداد نهى أن يذل نفسه من غير حاجة ورد قريبا من هذا ابن عطية احتمالا

فقال

فقال ويحتمل أن يريد ولا سؤالا ولا ضراعة بالفقر قال والأول
يعني تأويل ابن عباس والجماعة أظهر لدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده وقال
مجاهد ولا تصعر أراد به الإعراض هجرا بسبب إحنة **وقرأ** ابن كثير وابن عامر
وعاصم وزيد بن علي تصعر بفتح الصاد وشد العين وباقي السبعة بألف والجحدري
تصعر مضارع أصعر ولا تمش في الأرض مرحا تقدم الكلام على هذه الجملة في
سبحان إن الله لا يحب كل مختال فخور تقدم الكلام في النساء على نظير هذه
الجملة في قوله إن الله لا يحب كل مختال فخور ولما وصى ابنه بالأمر بالمعروف
والنهي إذ صار هو في نفسه ممتثلا للمعروف مزدجرا عن المنكر آمرا به غيره وناهيا
عنه غيره نهاه عن التكبر على الناس والإعجاب والمشي مرحا وأخبره أنه تعالى
لا يحب المختال وهو المتكبر ولا الفخور قال مجاهد وهو الذي يعدد ما أعطي
ولا يشكر الله ويدخل في الفخور الفخر بالأنساب واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ولما نهاه عن الخلق الذميم أمره بالخلق الكريم وهو القصد في المشي
بحيث لا يبطئ كما يفعل المتنامسون والمتعاجبون يتباطؤون في نقل خطواتهم
المتنامسين للرياء والمتعاجبين للترافع ولا يسرع كما يفعل الخرق المتهورون
وقد نظر أبو جعفر المنصور إلى أبي عمرو بن عبيد فقال كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد وقال ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى
ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه اجعل بصرك موضع قدمك **وقرئ** وأقصد
بهمزة القطع أي سدد في مشيك من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية ونسبها
ابن خالويه للحجازي واغضض من صوتك انتقص من رفعه وجهارته والغض
رد طموح الشيء كالصوت والنظر والزمام وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت
وتمدح به في الجاهلية ومنه **قول الشاعر**

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم
ويخطو على الأين خطو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم

وغض الصوت أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه وأنكر بناء أفعل من
فعل المفعول كقولهم أشغل من ذات النحيين وبناؤه من ذلك شاذ والأصوات
أصوات الحيوانات كلها وأنكر جامعة للمذام اللاحقة للأصوات والحمار مثل في
الذم البليغ والشتيمة شبه الرافعين أصواتهم بالحمير وأصواتهم بالنهاق
ولم يؤت بأداة التشبيه بل أخرج مخرج الاستعارة وهذا أقضى مبالغة في الذم
والتنفير عن رفع الصوت ولما كان صوت الحمير مماثلا في نفسه لا يكاد يختلف
في الفظاعة أفرد ولأنه في الأصل مصدر ولما أصوات الحيوانات غيره مختلفة جدا
جمعت في قوله إن أنكر الأصوات فالمعنى أنكر أصوات الحيوان المختلفة الجنس
صوت هذا الجنس **وقرأ** ابن أبي عبلة أصوات الحمير بالجمع بغير لام وقال
الحسن كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات فرد عليهم بأنه لو كان خيرا
فضل به الحمير والظاهر أن قوله إن أنكر الأصوات لصوت الحمير من كلام لقمان
لابنه تنفيرا له عن رفع الصوت ومماثلة الحمير في ذلك وقيل هو من كلام الله تعالى

وفرغت وصية لقمان في قوله واغضض من صوتك ردا لله به على المشركين الذين كانوا
يتفاخرون بجهارة الصوت ورفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة
وربما يخرق الغشاء الذي هو داخل الأذن وفي وأقصد في مشيك إشارة إلى
الأفعال واغضض من صوتك إشارة إلى الأقوال فنبه على التوسط في الأفعال
وعلى الإقلال من فضول الكلام ٥ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في
الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ومن يسلم
وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور
ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات
الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات
والأرض إن الله هو الغني الحميد ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده
من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا
بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ٥ سخر لكم تنبيه على الصنعة الدالة
على الصانع من تسخير ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب وما في
الأرض من الحيوان والنبات والمعادن والبحار وغير ذلك وذلك لا يكون
إلا بتسخير مالك متصرف كما يشاء وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة وأصبغ بالصاد
وهي لغة لبني كلب يبدلون من السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف
صادا وباقي القراء بالسين على الأصل وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة
ونافع وأبو عمرو وحفص نعمه جمعا مضافا للضمير وباقي السبعة وزيد بن علي نعمة على
الإفراد والظاهر أنه يراد بالنعمة في من قرأه بالإفراد الجنس كقوله وإن تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وقال ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام وقال مجاهد
لا إله إلا الله والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الإسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة
وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان
وسائر الجوارح والباطنة القلب والعقل والفهم والذي ينبغي أن يقال
إن الظاهرة هي ما يدرك بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم
أصلا فكم من نعمة في بدن الإنسان لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وانتصب
ظاهرة على الحال من نعمه على الجمع وعلى الصفة من نعمة على الإفراد وتقدم الكلام
على ومن الناس من يجادل في الحج وعلى ما بعده إلى آباءنا في نظيره في البقرة أولو كان
تقديره أيتبعونهم في أحوالهم وفي هذه الحال التي لا ينبغي أن يتبع فيها الآباء لأنها
حالة تلف وعذاب وقد تقدم لنا أن مثل هذا التركيب الذي فيه ولو إنما يكون
في الشيء الذي كان ينبغي أن لا يكون نحو أعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا
السائل ولو بظلف محرق وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكذلك هذا كان

قوله عز وجل ألم تروا أن الله

ينبغي

ينبغي من دعا إلى عذاب السعير أن لا يتبع وقرأ الجمهور ومن يسلم مضارع أسلم
وعلي والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار يسلّم مشددا للام مضارع سلّم وتقدم الكلام
على نظير هذه الجملة في البقرة وقال الزمخشري والمراد التفويض إلى الله
فقد استمسك بالعروة الوثقى تقدم الكلام عليه في البقرة وقال الزمخشري
من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من تدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن
استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه انتهى ولما ذكر حال الكافر
المجادل ذكر حال المسلم وأخبر بأن منتهى الأمور صائر إليه وقال ابن عطية والعروة
الوثقى الأمر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا إخلال والعروة موضع التعليق
فكان المؤمن متعلق بأمر الله فشبه ذلك بالعروة وسلى رسوله بقوله ومن كفر إلى آخره
وشبه إلزامهم العذاب وإرهاقهم إليه باضطرار من يضطر إلى الشيء الذي لا يمكنه دفعه
ولا الانفكاك عنه والغلظ يكون في الأجرام فاستعير للمعنى والمراد شدته ليقولن
الله أقام الحجة عليهم بأنهم يقرون بأن الله هو خالق العالم بأسره ويدعون مع ذلك
آلهة غيره قل الحمد لله على ظهور الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعلمون إضراب عن مقدر
تقديره ليس دعواهم بحق بل لا يعلمون أن ما ارتكبوه من ادعاء إله غير الله لا يصح ولا يذهب
إليه ذو علم ثم أخبر أنه مالك للعالم كله وأنه هو الغني فلا افتقار له لشيء
من الموجودات الحميد المستحق الحمد على ما أنشأ وأنعم ولو أن ما في الأرض من شجرة
أقلام تقدم في أول السورة سبب نزول هذه الآية ولما ذكر تعالى أن ما في السموات
والأرض ملك له وكان ذلك متناهيا بين أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية
لها فقال ولو أن ما في الأرض وأن بعد لو في موضع رفع على الفاعلية أي لو وقع
أو ثبت على رأي المبرد وفي موضع مبتدأ محذوف الخبر على رأي غيره وتقرر ذلك
في علم النحو ومن شجرة تبيين لما وهو في التقدير في موضع الحال من الضمير الذي في
الجار والمجرور المستقر من العامل فيه وتقديره ولو أن الذي استقر في الأرض
كائنا من شجرة وأقلام خبر لأن وفيه دليل على بطلان دعوى الزمخشري وبعض
العجم ممن ينصر قوله أن خبر أن الجائية بعد لو لا يكون اسما جامدا ولا اسما
مشتقا بل يجب أن يكون فعلا وهو قول باطل ولسان العرب طافح بالرد
عليه قال الشاعر

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وأزنما ٥

وقال آخر ٥

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

وقال آخر

ولو أن حيا فائت الموت فاته أخو الحرب فوق القارح العدوان ٥

وهو كثير في لسانهم والظاهر أن الواو في قوله والبحر في قراءة من رفع وهم الجمهور
واو الحال والبحر مبتدأ ويمده الخبر أي في حال كون البحر ممدودا وقال الزمخشري
عطفا على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر
ممدودا بسبعة أبحر انتهى وهذا لا يتمشى إلا على رأي المبرد حيث زعم أن أن

في موضع رفع على الفاعلية وقال بعض النحويين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتداء وهو لا يتمشى الا على رأي من يقول ان أنّ بعد لو في موضع رفع على الابتداء ولو لا يليها المبتدأ اسما صريحا الا في ضرورة شعر نحو **قوله**

• لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري ٥

فاذا عطفت والبحر على ان وهو معمولها وهما رفع بالابتداء لزم من ذلك ان لو يليها الاسم مبتدأ اذ يصير التقدير ولو البحر وذلك لا يجوز الا في الضرورة الا انه قد يقال انه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه نحو رب رجل واخيه يقولان ذلك **وقرأ** عبد الله وبحر يمده بالتنكير والرفع والواو للحال او للعطف على ما تقدم واذا كانت الواو واو الحال كان بحر وهو نكرة مبتدأ وذكروا في مسوغات الابتداء بالنكرة ان تكون واو الحال تقدمته نحو **قوله** ٥

• سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق ٥

وقرأ الجمهور يمده بالياء من مده وابن مسعود وابي بتاء التانيث من مده ايضا وعبد الله ايضا والحسن وابن مصرف وابن هرمز بالياء من امده وجعفر ابن محمد والبحر مداده اي ما يكتب به من السواد وقال ابن عطية هو مصدر انتهى من بعده اي من بعد نفاذه فيه سبعة ابحر لا يراد به الاقتصار على هذا العدد بل جيء به للكثرة كقوله المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء لا يراد به العدد بل ذلك اشارة الى القلة والكثرة ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعا في الاصل للتكثير وان كان مرادا به هنا التكثير جاء مميزه بلفظ القلة وهو ابحر ولم يقل بحور وان كان لا يراد به ايضا الا التكثير ليناسب بين اللفظين فكما تجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك تجوز في ابحر واستعمل للتكثير وفي الكلام جملة محذوفة يدل عليها المعنى وكتب بها الكتاب كلمات الله ما نفدت والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت ونفدت الاقلام والمداد الذي في البحر وفيما يمده كما قال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية وقال الزمخشري **فان قلت** زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال **قلت** هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها ٥ وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض انتهى وهذا الذي جعله سؤالا وجوابا من واضح النحو الذي لا يجهله المبتدئون فيه وهو ان الجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو لا تحتاج الى ضمير يربط والمعنى بالواو وفيها واما قوله وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف فليس بجيد لان الظرف اذا وقع حالا ففيه ضمير ينتقل من العامل فيه الى الظرف والجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو فليس فيها ضمير منتقل واما قوله ويجوز فلا يجوز الا على رأي الكوفيين حيث يجعلون ال عوضا من الضمير وقال الزمخشري **فان قلت** لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو

شجر **قلت** اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت اقلاما انتهى وهذا النوع مما وقع فيه المفرد موضع الجمع والنكرة موقع المعرفة ونظيره ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة وكقول العرب هذا اول فارس في هذا افضلها لمن يريد من الايات ومن الرحمات ومن الدواب واول الفرسان اجتزؤا بالمفرد النكرة وارادوا به معنى الجمع المعرف بال وهو مهيع في كلام العرب معروف وكذلك يتقدر هذا من الشجرات او من الاشجار وفي هذا الكلام من المبالغة في تكثير الاقلام والمداد ما ينبغي ان يتأمل وذلك ان الاشجار مشتمل كل واحدة منها على الاغصان الكثيرة وتلك الاغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ عدد الاقلام في التناهي الى ما لا يعلم به ولا يحيط الا الله تعالى **وقرأ** الجمهور ما نفدت كلمات الله بتاء التانيث في نفدت وجمع كلمة بالالف والتاء **وقرأ** زيد بن علي كلمة الله على التوحيد والمراد الجنس **وقرأ** الحسن ما نفد بغير تاء كلام الله قال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المعدود دون ما خرج منه الى الوجود وقالت فرقة المراد بكلمات الله معلوماته وقال الزمخشري **فان قلت** الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله **قلت** معناه ان كلماته لا يفي بكتبها البحار فكيف بكلمة انتهى وعلى تسليم ان كلمات جمع قلة فجموع القلة اذا تعرفت بالالف واللام غير العهدية او اضيفت عمت وصارت لا تخص القليل والعالم مستغرق لجميع الافراد ان الله عزيز كامل القدرة لمقدوراته لا نهاية لها حكيم كامل العلم فمعلوماته لا نهاية لها ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر الا كنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعثها ومن لا ينفد كلماته يقول للموتى كونوا فيكونون فالقليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت في قدرته وقال النقاش هذه الاية في ابي بن خلف وابي الاسد وبنيه ومنبه ابني الحجاج قالوا يا محمد انا نرى الطفل يخلق بتدريج وانت تقول ان الله يعيدنا دفعة واحدة فنزلت ان الله سميع يسمع كل صوت بصير يبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث ٥

الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ٥ يولج الليل

قوله عز وجل الم تر ان الله يولج

الجملتين شرحت في آل عمران وهنا الى اجل ويدل على الانتهاء اي يبلغه وينتهي اليه
وفي الزمر لاجل ويدل على الاختصاص بجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى وجري
الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين مناسب لجريهما
فلذلك عدي بهما وقرأ عياش عن ابي عمرو بما يعملون بيا الغيبة ذلك بان الله الاية
تقدم شرحها في الحج وهنا وان ما تدعون من دونه الباطل وفي الحج من دونه
هو الباطل بزيادة هو ولما ذكر تعالى تسخير النيرين واحسانه بذلك علينا
ذكر ايضا من تسخير الفلك من العالم الارضي بجامع ما اشتركا فيه من الجريان وقرأ
الجمهور بنعمة الله على الافراد للفلك وقرأ الاعرج والاعمش وابن يعمر بنعمات الله
بكسر النون وسكون العين جمعا بالالف والتاء وقرأ ابن ابي عبلة بفتح النون
وكسر العين وبالالف والتاء والباء تحتمل السببية اي تجري بسبب الريح وتسخير
الله وتحتمل الحالية اي مصحوبة بنعمة الله وهي ما تحمله السفن من الطعام والارزاق
والتجارات وقال ابن عطية فالباء للالصاق انتهى وقرأ موسى بن الزبير الفلك
بضم اللام وصبار شكور بنيتا مبالغة وفعال ابلغ لزيادة حروفه ولما تقدم
ذكر جري الفلك في البحر وكان في ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف وتقدم ذكر النعمة
ناسب الختم بالصبر على ما يحذر وبالشكر على ما انعم به تعالى وشبه الموج في ارتفاعه
واسوداده واضطرابه بالظلل وهو السحاب وقيل كالظلل كالجبال اطلق على
الجبل ظلة وقرأ محمد بن الحنفية كالظلال وهو جمع ظلة نحو قلة وقلل وقلال
وقوله واذا غشيهم فيه التفات خرج من ضمير الخطاب في ليريكم الى ضمير الغيبة في غشيهم
وموج اسم جنس بينه وبين مفرده تاء التانيث فهو يدل على الجمع ولذلك شبهه بالجمع
فمنهم مقتصد اي مؤمن يعرف حق الله في هذه النعم وقال مجاهد مقتصد على كفره اي يسلم
لله ويفهم نحو هذا من القدرة وان ضل في الاصنام من جهة انه يعظمها قيل او مقتصد
في الاخلاص الذي كان عليه في البحر قال الزمخشري يعني ان ذلك الاخلاص
الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط انتهى وكثر استعمال الزمخشري قط ظرفا والعامل
فيه غير ماض وهو مخالف لكلام العرب في ذلك وقيل حذف مقابل فمنهم مقتصد
تقديره ومنهم جاحد ودل عليه قوله وما يجحد باياتنا وعلى هذا القول يكون
مقتصد معناه مؤمن مقتصد في اقواله وافعاله بين الخوف والرجاء موف بما عاهد
عليه الله في البحر وختم هنا بكلمتي مبالغة وهما ختار وكفور والصبار الشكور
معترف بايات الله والختار الكفور يجحدها ولو وازنت هذه الكلمات لفظا ومعنى
اما لفظا فظاهر واما معنى فالختار هو الشديد الغدر والغدر لا يكون الا من
قلة الصبر لان الصابر يفوض امره الى الله واما الغدار فيعهد ويغدر فلا
يصبر على العهد واما الكفور فمقابلته معنى الشكور واضحة ولما ذكر تعالى
الدلائل على الوحدانية والحشر من اول السورة امر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير
بهذا اليوم العظيم لا يجزي لا يقضي ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وتقدم
الكلام في ذلك في اوائل البقرة ولما كان الوالد اكثر شفقة على الولد من الولد
على ابيه بدا به واتى في الاسناد الى الوالد بالفعل المقتضي للتجدد لان شفقته

متجددة على الولد في كل حال واتى في الاسناد الى الولد باسم الفاعل لانه يدل
على الثبوت والثبوت تصدق بالمرة الواحدة والجملة من لا يجزي صفة ليوم
والضمير محذوف اي فيه فاما ان يحذف برمته واما على التدريج حذف الخبر
فتعدى الفعل الى الضمير وهو منصوب فحذف وقرأ الجمهور لا يجزي مضارع
جزى وعكرمة بضم الياء وفتح الزاي مبنيا للمفعول وابو السمال وعامر بن عبد
وابو السوار لا يجزي بضم الياء وكسر الزاي مهموزا ومعناه لا يغني يقال اجزات
عنك مجزأ فلان اي اغنيت ويجوز في ولا مولود وجهان احدهما ان يكون معطوفا
على والد والجملة من قوله هو جاز صفة لمولود والثاني ان يكون مبتدأ وهو مبتدأ
ثان وجاز خبره والجملة خبر للاول وجاز الابتداء به وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك
وهو النفي وذهل المهدوي فقال لا يكون مولود مبتدأ لانه نكرة وما بعده
صفة له فيبقى بلا خبر وشيئا منصوب بجاز وهو من باب الاعمال لانه يطلبه لا يجزي
ويطلبه جاز فجعلناه من اعمال الثاني لانه المختار وقرأ ابن ابي اسحاق وابن ابي عبلة
ويعقوب تغرنكم بالنون الخفيفة وقرأ سماك بن حرب وابو حيوة الغرور بالضم وهو
مصدر والجمهور بالفتح وفسره مجاهد والضحاك بالشيطان ويمكن حمل قراءة الضم
عليه جعل الشيطان نفس الغرور مبالغة وقال الزمخشري فان قلت قوله
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف
عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم
الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب
للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم
واطماع الناس ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم
من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاوكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان
الواحد منهم لو شفع للوالد الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان
يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه
لمن ولد منك انتهى ان الله عنده علم الساعة يروى ان الحرث بن عمارة المحاربي قال
يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض
وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد اشتملت على ما في بطنها
اذكر ام انثى وعلمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين
اموت فنزلت وفي الحديث في خمس لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الاية وعلم
مصدر اضيف الى الساعة والمعنى علم تعيين وقتها وينزل الغيث في ابانه
من غير تقديم ولا تاخير ما في الارحام من ذكر ام انثى تام او ناقص وما تدري
نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما عزمت على احدهما
فعملت ضده باي ارض تموت وربما اقامت بمكان ناوية ان لا تفارقه الى
ان تدفن به ثم تدفن في مكان لم يخطر لها ببال قط واسند العلم الى الله والدراية
للنفس لما في الدراية من معنى الختل والحيلة ولذا وصف الله بالعالم ولا يوصف
بالداري فاما قوله لا هم لا ادري وانت الداري ٥ فقول عربي جلف جاهل

بما يطلعون على الله من الصفات مما يجوز منها وما يمتنع وقرأ الجمهور بأي ارض تموت وقرأ
موسى الاسواري وابن ابي عبلة بأية ارض بتاء التأنيث لاضافتها الى المؤنث
وهي لغة قليلة فيها كما ان كلا اذا اضيف الى مؤنث قد تؤنث تقول كلتهن فعلن
ذلك وتدري معلقة في الموضعين فالجملة من قوله ماذا تكسب في موضع مفعول
تدري ويجوز ان يكون ماذا كلها موصولا منصوبا بتدري كأنه قال لا تدري
نفس الشيء الذي تكسب غدا وبأي متعلق بتموت والباء ظرفية اي في اي ارض
فالجملة في موضع نصب بتدري ووقع الاخبار بان الله استأثر بعلم هذه الخمس
لانها جواب لسائل سأل وهو مستأثر بعلم اشياء لا يحصيها الا هو وهذه الخمس

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون وقالوا أإذا ضللنا في الارض أإنا لفي خلق جديد بل هم
بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون هذه السورة مكية قيل الا خمس ايات تتجافى
الى تكذبون وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي الا ثلاث ايات نزلت بالمدينة
افمن كان مؤمنا وقالوا لم يبعث الله محمدا الينا وانما الذي جاءنا به
اختلاق منه فنزلت ولما ذكر تعالى في ما قبلها دلائل التوحيد من بدء
الخلق وهو الاصل الاول ثم ذكر المعاد والحشر وهو الاصل الثاني وختم به
السورة ذكر في بدء هذه السورة الاصل الثالث وهو تبيين الرسالة والكتاب
هو القرآن قال الحوفي تنزيل مبتدأ ولا ريب خبره ويجوز ان يكون تنزيل
خبر مبتدأ اي هو المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل ودل الم على الحروف وقال
ابو البقاء الم مبتدأ وتنزيل خبره بمعنى المنزل ولا ريب فيه حال من الكتاب
والعامل فيه تنزيل ومن رب العالمين متعلق بتنزيل ايضا ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في فيه والعامل فيه الظرف ويجوز ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه
الخبر ومن رب العالمين حال كما تقدم ولا يجوز على هذا ان تتعلق بتنزيل لان
المصدر قد اخبر عنه ويجوز ان يكون الخبر من رب ولا ريب حال من الكتاب وان
يكون خبرا بعد خبر انتهى والذي اختاره ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب اعتراض
ومن رب العالمين الخبر وقال ابن عطية من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي

الكلام

الكلام تقديم وتأخير ويجوز ان يتعلق بقوله لا ريب اي لا شك فيه من جهة
الله تعالى وان وقع شك الكفرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو في كل
القرآن الا قوله ريب المنون انتهى واذا كان تنزيل خبر مبتدأ وكانت الجملة
اعتراضية بين ما افتقر الى غيره وبينه لم تقل فيه انه تقديم وتأخير بل
لو تأخر لم يكن اعتراضا واما كونه متعلقا بلا ريب فليس بالجيد لان نفي الريب عنه
مطلقا هو المقصود لان المعنى لا مدخل للريب انه تنزيل الله لان موجب نفي الريب عنه
موجود فيه وهو الاعجاز فهو ابعد شيء من الريب وقولهم افتراه كلام جاهل
لم يمعن النظر او جاحد مستيقن انه من عند الله فقال ذلك حسدا وحكم الله
عليه بالضلال وقال الزمخشري والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه
قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله
ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك
قوله بل هو الحق من ربك وما فيه انه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم
اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب
عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل
والهمزة انكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث
ايات ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك انتهى وهو كلام فيه
تكثير وقال ابو عبيدة ام يكون معناه بل يقولون فهو خروج من حديث الى حديث
ومن ربك في موضع الحال اي كائنا من عند ربك وبه تتعلق لتنذر او بمحذوف
تقديره انزله لتنذر والقوم هنا قريش والعرب وما نافية ومن نذير من زائدة
ونذير فاعل اتاهم اخبر تعالى انه لم يبعث اليهم رسولا بخصوصيتهم قبل محمد
صلى الله عليه وسلم لا لهم ولا لآبائهم لكونهم كانوا متعبدين بملة ابراهيم واسمعيل
وما زالوا على ذلك الى ان غير ذلك بعض رؤسائهم وعبدوا الاصنام وعم ذلك
فهم مندرجون تحت قوله وان من امة الا خلا فيها نذير اي بشريعته ودينه
والنذير ليس مخصوصا بمن يباشر بل يكون نذيرا لمن باشره ولغير من باشر فالعرب
ممن سبق لها نذير ولم يباشرهم نذير غير محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
ومقاتل المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال
الزمخشري ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا
لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم
يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك
علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم
لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان انتهى والذي اذهب
اليه غير ما ذهب اليه المفسرون وذلك انهم فهموا من قوله ما اتاهم وما
انذر اباؤهم ان ما نافية وعندي ان ما موصولة والمعنى لتنذر قوما ما
العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك ومن نذير متعلق باتاهم اي اتاهم
على لسان نذير من قبلك وكذلك لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي العقاب

الذي اتاهم من نذير من قبلك ومن نذير متعلق باتاهم اي اتاهم على لسان نذير من قبلك
الذي انذره اياهم فما مفعولة في الموضعين وانذر يتعدى الى اثنين قال تعالى
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القرآن
قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم
بشير ونذير وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا ولما حكى تعالى عنهم انهم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه
ورد عليهم اقتصر في ذكر ما جاء به القرآن على الانذار وان كان قد جاء له وللتبشير
ليكون ذلك ردعا لهم ولانه اذا ذكر الانذار صار عند العاقل فكر فيما انذر به فلعل
ذلك الفكر يكون سببا لهدايته ولعلهم يهتدون ترجية من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما كان في قوله لعله يتذكر او يخشى من موسى وهارون قال الزمخشري ان كان
يستعار لفظ الترجي للارادة انتهى يعني انه عبر عن الارادة بلفظ الترجي ومعناه
ارادة اهتدائهم وهذه نزعة اعتزالية لانه عندهم انه يريد هداية العبد فلا يقع
ما يريد ويقع ما يريد العبد تعالى الله عن ذلك ولما بين تعالى امر الرسالة ذكر ما
على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة الدليل بذكر مبدا العالم وتقدم الكلام
على في ستة ايام في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي اذا جاوزتموه
الى سواه فاتخذتموه ناصرا او شفيعا لم تجدوه لا ناصرا ولا شفيعا افلا تتذكرون
موجد هذا العالم فتعبدونه وترفضوا ما سواه يدبر الامر الامر واحد الامور قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ينفذ الله قضاءه بجميع ما يشاؤه
ثم يعرج اليه اي يصعد خبر ذلك في يوم من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه السير
المعروف من البشر الف سنة لان ما بين السماء والارض خمسمائة وقال مجاهد
ايضا الضمير في مقداره عائد على التدبير اي كان مقدار التدبير المنقضي في يوم الف
سنة لو دبره البشر وقال مجاهد ايضا يدبر ويلقي الى الملائكة امور الف سنة من عندنا
وهو اليوم عنده فاذا فرغت القى اليهم مثلها فالمعنى ان الامور تنفذ عنده لهذه المدة
وتصير اليه اخرا لان عاقبة الامور اليه وقيل المعنى يدبره في الدنيا الى ان تقوم
الساعة فينزل القضاء والقدر ثم تعرج اليه يوم القيامة ومقداره ما ذكر ليحكم فيه
في ذلك اليوم حيث ينقطع امر الامراء واحكام الحكام وينفرد بالامر كل يوم من ايام
الاخرة بالف سنة وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة حسبما في سورة سأل سائل
وتاتي الاقوال فيه ان شاء الله وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع
الى ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة
لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة
خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد
قال الزمخشري وبداية الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله
مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا
كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة
الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره

عبر عن

قليلا

قليلا ما تشكرون انتهى وقيل يدبر امر الشمس في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب
ومدارها في العالم من السماء الى الارض لانها على اهل الارض تطلع الى ان تغرب
وترجع الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة الف سنة والضمير في اليه
قيل عائد الى السماء لانها تذكر وقيل الى الله وقال عبد الله بن سابط يدبر امر
الدنيا اربعة جبريل للرياح والجنود وميكائيل للقطر والماء وملك الموت لقبض
الارواح واسرافيل لنزول الامر عليهم وقيل العرش موضع التدبير وما دونه
موضع التفصيل وما دون السموات موضع التصريف وقال السدي الامر الوحي
وقال مقاتل القضاء وقال غيرهما امر الدنيا قال الزجاج تقول عرجت في
السلم اعرج وعرج الرجل يعرج اذا صار اعرج وقرأ ابن ابي عبلة يعرج مبنيا
للمفعول والجمهور مبنيا للفاعل وقال ابو عبد الله الرازي وفي هذا لطيفة
وهو ان الله ذكر في الاية المتقدمة عالم الاجسام والخلق واشار الى عظمة
الملك وذكر هنا عالم الارواح والامر بقوله يدبر الامر والروح من عالم الامر
كما قال قل الروح من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ يوهم الزمان والمراد
دوام البقاء كما يقال في العرف طال الزمان فلان والزمان يمتد فيوجد
في ازمنة كثيرة فاشار الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه هنا
بالزمان والمكان من خلقه وملكه والزمان بحكمه وامره انتهى وهو كلام ليس
جاريا على فهم العرب وقرأ الجمهور مما تعدون بتاء الخطاب وقرأ السلمي
وابن وثاب والاعمش والحسن بياء الغيبة بخلاف عن الحسن وقرأ جناح بن حبيش
ثم تعرج الملائكة بزيادة الملائكة ولعله تفسير منه لسقوطه في سواد المصحف
ذلك اي ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم الغيب والغيب
الاخرة والشهادة الدنيا والغيب ما غاب عن المخلوقين والشهادة
ما شوهد من الاشياء قولان وقرأ زيد بن علي عالم الغيب والشهادة
العزيز الرحيم بخفض الاوصاف الثلاثة وابو زيد النحوي بخفض العزيز الرحيم
وقرأ الجمهور برفع الثلاثة على انها اخبار لذلك او الاول خبر والاثنان
وصفان ووجه الخفض ان يكون ذلك اشارة الى الامر وهو فاعل بيعرج
اي ثم يعرج اليه ذلك اي الامر المدبر ويكون عالم وما بعده بدلا من الضمير
في اليه وفي قراءة ابي زيد يكون ذلك عالم مبتدا وخبرا والعزيز الرحيم بالخفض
بدلا من الضمير في اليه وقرأ الجمهور خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا صفة
لكل او لشيء وقرأ العربيان وابن كثير بسكون اللام والظاهر انه بدل
اشتمال والمبدل منه كل اي احسن خلق كل شيء فالضمير في خلقه عائد
على كل وقيل الضمير في خلقه عائد على الله فيكون انتصابه نصب المصدر
المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وهو قول س اي خلقه خلقا
ورجح على بدل الاشتمال بانه فيه اضافة المصدر الى الفاعل وهو اكثر من
اضافته الى المفعول وبانه ابلغ في الامتنان لانه اذا قال احسن كل شيء
كان ابلغ من احسن خلق كل شيء لانه قد يحسن الخلق وهو المحاذاة ولا يكون

ت

الشيء في نفسه حسنًا فاذا قال احسن كل شيء اقتضي ان كل شيء خلقه حسن بمعني
انه وضع كل شيء في موضعه اللائق وقيل في هذا الوجه ومعود الضمير في خلقه
على الله يكون بدلا من كل شيء بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة ومعني احسن حسّن
لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها
حسنة وان تفاوتت في الحسن وحسنها من جهة المقصد الذي اريد به ولهذا
قال ابن عباس ليست القردة بحسنة ولكنها متقنة محكمة وعلى قراءة من سكن
لام خلقه قال مجاهد اعطي كل جنس شكله والمعني خلق كل شيء على شكله الذي خصه
به وقال الفراء الهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون اليه كانه اعلمهم ذلك فيكون
كقوله اعطي كل شيء خلقه **وقرا** الجمهور وبدا بالهمز والزهري بالالف بدلا من
الهمزة وليس بقياس ان يقول في هدأ هدا بابدال الهمزة الفا بل قياس هذه
الهمزة التسهيل بين بين على ان الاخفش حكي في قرات قريت ونظائره قيل
وهي لغة والانصار تقول في بدا بدي بكسر عين الكلمة وياء بعدها ولغة لطي يقولون
في فعل هذا بحو بقي بقا فاحتمل ان تكون قراءة الزهري على هذه اللغة اصله بدي
ثم صار بدا وعلى لغة الانصار **قال ابن رواحة**

• باسم الاله وبه بدينا • ولو عبدنا غيره شقينا •

وبدا خلق الانسان هو آدم عليه السلام ثم جعل نسله اي ذريته نسل من الشي
انفصل منه ثم سواه قومه واضاف الروح الي ذاته دلالة على انه خلق
عجيب لا يعلم حقيقته الا هو وهي اضافة ملك الي مالك وخلق الي خالق تعالى
وجعل لكم التفات اذ هو خروج من مفرد غايب الي جمع مخاطب وتعديد للنعم
وهي شاملة لآدم كمالات التسوية ونفخ الروح شامل له ولذريته والظاهر
ان وقالوا الضمير لجمع وقيل القائل ابي بن خلف واسند الي الجمع لرضاهم
به والناصب للظرف محذوف يدل عليه اينا وما بعده تقديره انبعث اذا ضللنا
ومن قرا اذا بغير استفهام فجواب اذا محذوف اي اذا ضللنا في الارض
نبعث ويكون ذلك اخبارا منهم على طريق الاستهزاء وكذلك من قرا انا على
الخبر اكدوا ذلك الاستهزاء باستهزاء آخر **وقرا** الجمهور بفتح اللام والمضارع
يضل بكسر عين الكلمة وهي اللغة الشهيرة الفصيحة وهي لغة نجد قال مجاهد
هلكنا وكل شيء غلب عليه غيره حتى يلف وخفي فقد هلك واصله من ضل الماء
في اللبن اذا ذهب وقال قطرب ضللنا غبنا في الارض وانشد •

قول النابغة الذبياني

• فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونايل •

وقرا يحيي بن يعمر وابن محيصن وابو رجاء وطلحة وابن وثاب بكسر اللام والمضارع
يفتحها وهي لغة اهل العالية **وقرا** ابو حيوة ضللنا بالضاد المنقوطة وضمها
وكسر اللام مشددة ورويت عن علي **وقرا** علي وابن عباس والحسن والاعمش
وابان بن سعيد بن العاصي صللنا بالصاد المهملة وفتح اللام ومعناه انتنا
وعن الحسن صللنا بكسر اللام يقال صل يصل بفتح العين في الماضي وكسرها

في المضارع وصل يصل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع واصل يصل بالهمزة على
وزن افعل **قال الشاعر**

• تلجلج مضغة فيها انيض اصلت فهي تحت الكشح داء •

وقال الفرا معناه صرنا بين الصلة وهي الارض اليابسة الصلبة وقال النحاس
لا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال اصل اللحم وصل واخم وخم اذا انتن وحكاه غيره
بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب عن معني استفهامهم كانه قال ليسوا مستفهمين
بل هم كافرون جاحدون بلقاء الله والصير ورة الي جزائه ثم امره تعالى ان يخبرهم بجملة
الحال من مفصلة من قبض ارواحهم ثم عودهم الي جزاء ربهم بالبعث وملك الموت
اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله **وقرا** الجمهور ترجعون مبنيًا للمفعول وزيد بن علي
مبنيًا للفاعل ولو تري الظاهر انه خطاب للرسول وفيه له ولاحترازي ولو تري يا محمد
منكري البعث يوم القيمة لرايت العجب وقال ابو العباس المعني يا محمد قل للمجرم ولو تري
دالان الجملة معطوفة على يتوفاكم داخلة تحت قل فلذلك لم يجعله خطابا للرسول والظا
ان لو هنا لم تشرب معني التمني بل هي التي لما كان سيقع لوقوع غيره والجواب محذوف
اي لرايت اسوا حال يري ولو تعليق في الماضي واذ ظرف للماضي فللتحقق الاخبار ووقوع
قطعا الي بهما تنزيلا منزلة الماضي وقال الزمخشري يجوز ان يكون خطابا لرسول الله
وفيه وجهان احدهما ان يراد به التمني كانه قيل وليتك تري والتمني له كما كان الترجي
له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له
تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون
لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يخاطب به كل احد
كما تقول فلان ليئم اذا كرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا يريد به مخاطبا
بعينه وكانك قلت اذا اكرم وان احسن اليه انتهي والتمني بلو في هذا الموضع بعيد وتسميته
لو الامتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة لو لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة س
وقوله فحذف جوابها وتقديره وليتك تري مما يدل على انها اذا كانت للتمني لاجواب
لها والصحيح انها اذا اشربت معني التمني يكون لها جواب كحالها اذا لم تشرب به

وقال الشاعر

• فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب اي زير •
• بيوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور •

وقال الزمخشري وقد يجي لو في معني التمني كقولك لو تاتيني فتحدثني كما تقول ليتك
تاتيني فتحدثني فقال ابن مالك ان اراد به الحذف اي وددت لو تاتيني فصحيح
وان اراد بها موضوعة للتمني فغير صحيح لانه لو كانت موضوعة له ما جاز ان يجمع
بينها وبين فعل التمني لا يقال تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم ولذلك
امتنع الجمع بين لعل والترجي وبين لا والاستثني انتهي ناكسوا روسهم مطرقوها من
الذل والحزن والهم والغم والندم **وقرا** زيد بن علي نكسوا روسهم فعلا ماضيا
ومفعولا والجمهور اسم فاعل مضاف عند ربهم اي عند مجازاته وهو مكان شدة الخجل
لان المربوب اذا اساء ووقف بين يدي ربه كان في غاية الخجل ربنا على اضمار يقولون

وقدره الزمخشري مستغيثون يقولون ربنا أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر
أو أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فأبصرنا
وسمعنا فارجعنا إلى الدنيا إنا موقنون أي بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون
بالذي قال الرسول قاله يحيى بن سلام وموقنون مشعر بالتلبس في الحال
أي حين أبصروا وسمعوا وقيل موقنون زالت الآن عنا الشكوك ولم تكن في الدنيا
تتدبر فكان كمن لا يبصر ولا يسمع وقيل لك الحجة ربنا فقد أبصرنا رسلك وعجائبك
في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا وهذا اعتراف منهم ۞ ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ومن
أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ۞ لآتينا
كل نفس هداها أي اخترعنا الإيمان فيها كقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ولجمعهم على الهدى ولجعل الناس أمة واحدة وقال الزمخشري
على طريق الإلجاء والقسر ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا
العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصر ألا ترى إلى ما
عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان
العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف
التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط
عليكم نسيانها ثم قال إنا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل
هو بمعنى الترك قاله ابن عباس وغيره أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من
الرحمة انتهى وقوله على طريق الإلجاء والقسر هو قول المعتزلة وقالت
الإمامية يجوز أن يريد هداها إلى طريق الجنة في الآخرة ولم يعاقب أحدا لكن
حق القول منه أنه يملأ جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل إليها قالوا
بلى بل الواجب هداية المعصومين فأما من له ذنب فجائز هدايته إلى النار
جزاء على أفعاله وفي جواز ذلك منع لقطعهم على أن المراد هداها إلى الإيمان
انتهى وهذا صفة ليومكم ومفعول فذوقوا محذوف أو مفعول فذوقوا أي
فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهو ما أنتم فيه من نكس
الرؤوس والخزي والغم وذوقوا العذاب المخلد في جهنم وفي استئناف
قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم إنما يؤمن

بآياتنا

قوله عز وجل ولو شئنا

بآياتنا أثنى تعالى على المؤمنين ووصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير
وتسبيحهم وعدم استكبارهم بخلاف ما يصنع الكفرة من الإعراض عن التذكير وقول
الهجر وإظهار التكبر وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن وقال ابن عباس السجود
هنا بمعنى الركوع وروي عن ابن جريج ومجاهد أنها نزلت بسبب قوم من المنافقين
كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من المسجد فكان الركوع يقصد من هذا ويلزم على
هذا أن تكون الآية مدنية ومن مذهب ابن عباس أن القارئ للسجدة يركع واستدل
بقوله فخر راكعا وأناب تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى يقال جفا الرجل الموضع
تركه وتجافى الجنب عن الموضع تركه وقال عبد الله بن رواحة ۞
نبي تجافى جنبه عن فراشه ۞ إذا استثقلت بالمشركين المضاجع ۞
وقال الزجاج والرماني التجافي التنحي إلى جهة فوق والمضاجع أماكن الاتكاء
للنوم الواحد مضجع أي هم منتبهون لا يعرفون نوما وقال الجمهور المراد بهذا
التجافي صلاة النوافل بالليل وهو قول الأوزاعي ومالك والحسن البصري
وأبي العالية وغيرهم وفي الحديث ذكر قيام الليل ثم استشهد بالآية يعني
الرسول وقال أبو الدرداء وقتادة والضحاك تجافي الجنب هو أن يصلي
الرجل العشاء والصبح في جماعة وقال الحسن هو التهجد وقال أيضا هو وعطاء
هو العتمة وفي الترمذي عن أنس نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة وقال
قتادة وعكرمة التنفل ما بين المغرب والعشاء يدعون حال أو مستأنف خوفا
وطمعا مفعول من أجله أو مصدران في موضع الحال والظاهر الدعاء هو الابتهال
إلى الله وقيل الصلاة وقرأ الجمهور ما أخفي لهم فعلا ماضيا مبنيا للمفعول
وحمزة والأعمش ويعقوب بسكون الياء فعلا مضارعا للمتكلم وابن مسعود
ما نخفي بنون العظمة والأعمش أيضا أخفيت وقرأ محمد بن كعب ما أخفى فعلا
مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور من قرة على الإفراد وقرأ عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة
وعون العقيلي من قرات على الجمع بالألف والتاء وهي رواية عن أبي عمرو وأبي جعفر
والأعمش وما أخفي يحتمل أن تكون موصولة وأن تكون استفهامية فتكون تعلم
معلقة والجملة في موضع المفعول إن كانت تعلم مما عدي لواحد وفي موضع المفعو
لين إن كانت تتعدى لاثنين وتقدم تفسير قرة عين في طه وفي الحديث قال النبي صلى الله
عليه وسلم أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن مسعود
في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت إلى آخره ولا تعلم نفس نكرة في سياق النفي فيعم جميع الأنفس فما ادخر
الله تعالى لأولئك وأخفاه عن جميع خلائقه مما تقر به أعينهم لا يعلمه إلا هو وهذه
عدة عظيمة لا تبلغ الأفهام كنهها بل ولا تفاصيلها وقال الحسن أخفى القوم
أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت جزاء بما كانوا
يعملون وهو تعالى الموفق للعمل الصالح وقال الزمخشري حسم أطماع المتمنين
انتهى وهي نزعة اعتزالية ۞ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال ابن عباس

العتمة

لي

وعظا نزلت في علي والوليد بن عقبة تلاحيا فقال له الوليد انا اذلق منك لسانا واحد سنانا واورد للكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وقال الزجاج والنحاس نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط فعلى هذا تكون الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل بطريق مكة منصرف بدر والجمع في لا يستوون والتقسيم بعده حملا على معنى من وقيل لا يستوون لاثنين لاثنين وهو المؤمن والفاسق والتثنية جمع وقاله الزجاج ونزول الاية في علي والوليد ضربين انتفا الاستوا بحصر كل واحد منهما وهو ان المؤمن له الجنة والفاسق له النار **وقرا** طلحة جنة الماوي بالافراد والجمهور جنات بالجمع وقيل سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش **وقرا** الجمهور نزلا بضم الزاي وابو حيوة باسكانها والنزل عطا النازل ثم صار عاما فيما يعد للضيف ٥ واما الذين فسقوا اي بالكفر فماواهم اي المكان الذي ياوون اليه وقال الزمخشري ويجوز ان يراد فجنة ماواهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوي للمومنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم انتهى وهذا فيه بعد وانما يذهب الى مثل هذا اذا كان مصرحا به فيقول قام مقام البشارة العذاب وكذلك قام مقام التحية ضرب وجيع اما ان تضمر شيئا الكلام مستغن عنه جار على احسن وجوه الفصاحة حتى يحمل الكلام على اضمار فليس بجيد والعذاب الادنى قال ابي وابن عباس والضحاك وابن زيد مصائب الدنيا في الانفس والاموال وقال ابن مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف نحو يوم بدر وقال مجاهد القتل والجوع لقريش وعنه انه عذاب القبر وقال النخعي ومقاتل هو السنون التي اجاعهم الله فيها وقال ابن عباس ايضا هو الحدود وقال ابي ايضا هو البطشة واللزام والدخان والعذاب الاكبر قال ابن عطية لا خلاف انه عذاب الاخرة وفي التحرير واكثرهم على ان العذاب الاكبر عذاب يوم القيمة في النار وقيل هو القتل والسبي والاسر وعن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف لعلهم يرجعون قال ابن مسعود لعل من بقي منهم يتوب ٥ وقال ابو العالية لعلهم يتوبون وقال مقاتل يرجعون عن الكفر الى الايمان وقيل لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا انتهى ويقابل الادنى الابعد والاكبر الاصغر لكن الادنى يتضمن الاصغر لانه منقض بموت المعذب والتخويف بالبعيد انما يصلح بذكر عظمه وشدته فحصلت المقابلة من حيث التضمن بما هو قريب وهو العذاب العاجل والاكبر يتضمن الابعد لانه واقع في الاخرة والتخويف بالبعيد انما يصلح بذكر عظمه وشدته فحصلت المقابلة من حيث التضمن وخرج في كل منهما بما هو اكد في التخويف وقال الزمخشري **فان قلت** من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة

واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر **قلت** ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فاذا ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبيدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلم تكن بعدم ذاله على عجزك انتهى وهو على مذهب المعتزلة وقد رد عليهم اهل السنة وذلك مقرر في علم اصول الكلام ٥ ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بخلاف المؤمنين اذا ذكروا بها خروا سجدا ثم اعرض عنها قال الزمخشري ثم للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ٥

لا يكشف الغما الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها ٥

استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها انتهى من المجرمين عام في كل من اجرم فيندرج فيه بجهة الاولوية من كان اظلم ظالم والاجرام هنا هو الكفر قال يزيد بن رفيع هي في اهل القدر وقرا ان المجرمين الى قوله بقدر وفي الحديث ثلث من كن فيه فقد اجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما ٥ ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة وبدء الخلق والمعاد عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة اي لست بدعا في الرسالة اذ قد سبق قبلك رسل وذكر موسى عليه السلام لقرب زمانه والزام المشركات على دينه ولم يذكر عيسى لان معظم شريعته مستفاد من التوراة وان اتباع موسى لا يوافقون على نبوته واتباع عيسى متفقون على نبوة موسى والكتاب التوراة **وقرا** الحسن في مرية بضم الميم والظاهر ان الضمير في لقائه عائد على موسى مضافا اليه على طريق المفعول والفاعل محذوف ضمير الرسول اي من لقائك موسى اي في ليلة الاسرا اي شاهدته حقيقة وهو النبي الذي اوتي التوراة وقد وصفه الرسول فقال ادم طوال جعد كانه من رجال شنوءة حين راه ليلة

قوله عز وجل ولقد اتينا

قوله عز وجل ولنذيقنهم

الإسراء قاله أبو العالية وقتادة وجماعة من السلف وقاله المبرد حين امتحن الزجاج بهذه المسألة وقيل عائد على الكتاب فإما مضاف إليه على طريق الفاعل والمفعول محذوف أي من لقاء الكتاب موسى ووصوله إليه وإما بالعكس أي من لقاء موسى الكتاب وتلقيه وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمر أي من لقاء مثله أي إنا آتيناك مثل ما آتينا موسى ولقناك مثل ما لقنه من الوحي فلا تك في شك من أنك لقيته مثله ولقيت نظيره ونحو من لقائه قوله وإنك لتلقى القرآن وقال الحسن يعود على ما تضمنه القول من الشدة والمحنة التي لقي موسى وذلك أن إخباره بأنه آتى موسى الكتاب كأنه قال ولقد آتينا موسى هذا العبء الذي أنت بسبيله فلا تمتر أنك تلقى ما لقي موسى من المحنة بالناس انتهى وهذا قول بعيد وأبعد منه من جعل الضمير عائدا على موسى وذلك يوم القيامة أي من لقائه في الآخرة وأبعد من هذا من جعله عائدا على ملك الموت الذي تقدم ذكره والجملة اعتراضية وقيل عائد على الرجوع إلى الآخرة وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير ثم إلى ربكم ترجعون فلا تكن في مرية من لقائه أي من لقاء البعث ومنه قول الكافر بنبي إن ينزع كتابنا عن نقلها ولكن تقلها المقترون فاتسعنا بهم والضمير في وجعلناه لموسى وهو قول قتادة وقيل للكتاب جعلناه هاديا من الضلالة وخص بني إسرائيل بالذكر لأنه لم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل وجعلنا منهم أي من بني إسرائيل أئمة قادة يقتدى بهم **وقرأ** الجمهور لما صبروا بفتح اللام وشد الميم وعبد الله وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي ورويس بكسر اللام وتخفيف الميم وكانوا يحتمل أن يكون معطوفا على صبروا فيكون داخلا في التعليق ويحتمل أن يكون عطفا على وجعلنا منهم **وقرأ** عبد الله أيضا بما صبروا بباء الجر والضمير في بينهم الظاهر أنه يعود على بني إسرائيل والفصل يوم القيامة بين الخلق كلهم أولم يهد لهم تقدم الكلام على نحو هذه الآية إعرابا وقراءة والتفسير في طه إلا أن هنا من قبلهم ولقوم يسمعون وهناك قبلهم ولأولي النهى ويسمعون والنهى من الفواصل أولم يروا أنا نسوق الماء أقام تعالى الحجة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا فأهلكوا ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته وتنبيههم على البعث وتقدم تفسير الجرز في الكهف وكل أرض جرز داخلة في هذا فلا تخصيص لها بمكان معين وقال ابن عباس هي أرض باليمن وهي أرض تشرب بسيول المطر **وقرئ** الجرز بسكون الراء فنخرج به أي بالماء وخص الزرع بالذكر وإن كان يخرج الله به أنواعا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به في الطب وغيره تشريفا للزرع ولأنه أعظم ما يقصد من النبات أو أوقع الزرع موقع النبات وقدمت الأنعام لأن مما ينبت يأكله الأنعام أولا فأول من قبل أن يأكل بنو آدم الحب ألا ترى أن القصيل وهو شعير يزرع تأكله الأنعام قبل أن يسنبل كالبرسيم والعصفصة وأمثال ذلك تبادره الأنعام بالأكل قبل أن يأكل بنو آدم حب الزرع أو لأنه غذاء الدواب والإنسان قد يتغذى بغيره من حيوانات وغيره أو بدأ بالأدنى ثم ترقى إلى الأشرف وهم بنو آدم **وقرأ** أبو حيوة وأبو بكر في رواية يأكل بالياء من أسفل **وقرأ** الجمهور يبصرون بياء الغيبة وابن مسعود بتاء الخطاب وجاءت الفاصلة أفلا يبصرون

لأنه لما سبق مرئي وفي الآية قبله مسموع فناسب أفلا يسمعون ثم أخبر تعالى عن الكفرة باستعجال فصل القضاء بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم قاله الجمهور وهو الذي يترتب عليه قوله قل يوم الفتح إلى آخره ويضعف قول الحسن ومجاهد فتح مكة لعدم مطابقته لما بعده لأنه قد آمن يوم فتح مكة فنفعه إيمانه وكذا قول من قال يوم بدر ولا هم ينظرون أي لا يؤخرون عن العذاب ولما عرف غرضهم في سؤالهم على سبيل الهزء وقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأن قد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في حلول العذاب فلم تنظروا فيوم منصوب بلا ينفع ثم أمره بالإعراض عنهم وانتظار النصر عليهم والظفر بهم إنهم منتظرون للغلبة عليكم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون وقيل إنهم منتظرون العذاب أي هذا حكمهم وإن كانوا لا يشعرون **وقرأ** اليماني منتظَرون بفتح الظاء اسم مفعول والجمهور بكسرها اسم فاعل أي منتظر هلاكهم فإنهم أحقاء أن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه **الجوف** معروف وجمعه أجواف **يثرب** مدينة الرسول عليه السلام وقيل أرض المدينة في ناحية منها **الحنجرة** رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب **الأقطار** النواحي واحدها قطر ويقال قتر بالتاء لغة فيه **عوّق** عن كذا ثبطه عنه **سلقه** اجترأ عليه وضربه ويقال صلقه بالصاد **قال الشاعر**

فصلقنا في مراد صلقة ... وصداء ألحقتهم بالثلل

وقيل سلقه خاطبه مخاطبة بليغة ومنه خطيب سلاق ومسلاق ولسان سلاق ومسلاق **النحب** النذر والشيء الذي يلتزمه الإنسان ويعتقد الوفاء به

قال الشاعر

عشية فر الحارثيون بعدما ... قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر

وقال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا ... عشية بسطام جرين على نحب

أي على أمر عظيم التزم القيام به وقد يسمى الموت نحبا **الصياصي** الحصون واحدها صيصة وهي كل ما يمتنع به ويقال لقرن الثور والظبي ولشوكة الديك وهي مخلبه الذي في ساقه لأنه يتحصن به والصياصي أيضا شوك الحاكة ويتخذ من حديد ومنه **قول دريد بن الصمة**

كوقع الصياصي في النسيج الممدد

الأسوة القدوة وتضم همزته وتكسر وتأتي بمعنى أن تقتدي به والأسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر **التبرج** قال الليث تبرجت أبدت محاسنها من وجهها وجسدها ويرى مع ذلك من عينيها حسن نظر وقال أبو عبيدة تخرج محاسنها مما يستدعي به شهوة الرجال وأصله من البرج في عينيه وفي أسنانه برج أي سعة **الوطر** قال أبو عبيدة كالأرب وأنشد للربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه ... لما قضى من شبابنا وطرا

مفردات سورة الأحزاب

وقال المبرد الوطر الشهوة والمحبة يقال ما قضيت من لقائك وطرا أي ما استمتعت
بك حتى تنتهي نفسي وأنشد
وكيف ثواي بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر
الجلباب ثوب أكبر من الخمار

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك إن الله كان بما تعملون
خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
أزواجكم اللاي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا
آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا وإذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم
ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما
هذه السورة مدنية وتقدم أن نداءه صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبي يا أيها
الرسول هو على سبيل التشريف والتكرمة والتنويه بمحله وفضيلته وجاء نداء غيره
باسمه كقوله يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا داود يا عيسى وحيث ذكره على سبيل
الإخبار عنه بأنه رسوله صرح باسمه فقال محمد رسول الله وما محمد إلا رسول
أعلم أنه رسوله ولقنهم أن يسموه بذلك وحيث لم يقصد الإعلام بذلك جاء اسمه
كما جاء في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب النبي أولى بالمؤمنين
وغير ذلك من الآي وأمره بالتقوى للمتلبس بها أمر بالديمومة عليها والازدياد منها
والظاهر أنه أمر للنبي وإذا كان هو مأمورا بذلك فغيره أولى بالأمر وقيل هو
خطاب له لفظا وهو لأمته وروي أنه لما قدم المدينة وكان يحب إسلام اليهود
فبايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح
في طرق المخادعة وتخلقه وحرصه على إسلامهم ربما كان يسمع منهم فنزلت تحذيرا
له منهم وتنبيها على عداوتهم وروي أيضا أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل
وأبا الأعور السلمي قدموا في الموادعة التي كانت بينهم وبينه وقام عبد الله
ابن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها
تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك عليه وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت
ومناسب أن نهاه عن طاعة الكفار وهم المتظاهرون به وعن طاعة المنافقين
وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر فالسببات حاويات الطائفتين
أي ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك
وروي أن أهل مكة دعوه إلى أن يرجع إلى دينهم ويعطوه شطر أموالهم
ويزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم

يرجع فنزلت ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو أنه حكى
أنهم يستعجلون الفتح وهو الفصل بينهم وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم
إيمانهم فأمر في أول هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين
فيما أرادوا به إن الله كان عليما أي عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة
حكيما لا يضع الأشياء إلا مواضعها منوطة بالحكمة أو عليما حيث أمر بتقواه وأنها
تكون عن صميم القلب حكيما حيث نهى عن طاعة الكفار والمنافقين وقيل هي
تسلية للرسول أي عليما بمن يتقي حكيما في هدي من شاء وإضلال من شاء ثم أمره باتباع
ما أوحي إليه وهو القرآن والاقتصار عليه وترك مراسيم الجاهلية وقرأ أبو عمرو بما
يعملون الأولى والثانية بيا الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب فجاز في الأولى
أن يكون من باب الالتفات وجاز أن يكون مناسبا لقوله واتبع ثم أمره بتفويض
أمره إلى الله وتقدم الكلام في كفى بالله في أول ما وقع في القرآن روي أنه كان في
بني فهر رجل فيهم يقال له أبو معمر جميل بن أسد وقيل حميد بن معمر بن حبيب بن وهب
ابن حارثة بن جمح وفيه يقول الشاعر
وكيف ثواي بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر
يدعي أن له قلبين ويقال له ذو القلبين وكان يقول أنا أذكى من محمد وأفهم فلما بلغته
هزيمة بدر طاش لبه وحدث أبا سفيان بن حرب بحديث كالمختل فنزلت وقال الحسن
هم جماعة يقول الواحد منهم نفس تأمرني ونفس تنهاني وقيل إن بعض
المنافقين قال إن محمدا له قلبان لأنه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد
إلى شأنه فنفى الله ذلك عنه وعن كل واحد وقيل وجه نظم هذه الآية بما قبلها
أنه تعالى لما أمر بالتقوى كان من حقها أن لا يكون في القلب تقوى غير الله فإن المرء
ليس له قلبان يتقي بأحدهما الله وبالآخر غيره وهو لا يتقي غيره إلا بصرف القلب
من جهة الله إلى غيره ولا يليق ذلك بمن يتقي الله حق تقاته انتهى ملخصا ولم يجعل الله
للإنسان قلبين لأنه إما أن يفعل أحدهما مثل ما يفعل الآخر من أفعال القلوب
فلا حاجة إلى أحدهما أو غيره فيؤدي إلى اتصاف الإنسان بكونه مريدا كارها عالما
ظانا شاكا موقنا في حال واحدة وذكر الجوف وإن كان من المعلوم أن القلب لا يكون
إلا في الجوف زيادة للتصوير والتجلي للمدلول عليه كما قال ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور فإذا سمع بذلك صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فيسرع إلى
إنكار ذلك وما جعل أزواجكم لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها أما لأن الأم
مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش
وغيره كالمملوك وهما حالتان متنافيتان وقرأ قالون وقنبل اللاي هنا وفي
المجادلة والطلاق بالهمز من غير ياء وورش بياء مختلسة الكسرة والبزي وأبو عمرو
بياء ساكنة بدلا من الهمزة وهو بدل مسموع لا مقيس وهي لغة قريش وباقي السبعة
بالهمز وياء بعدها وقرأ عاصم تظاهرون بالتاء للخطاب وفي المجادلة بالياء
للغيبة مضارع ظاهر وبشد الظاء والهاء الحرميان وأبو عمرو وبشد الظاء
وألف بعدها ابن عامر وبتخفيفها والألف حمزة والكسائي ووافق ابن عامر الإخوان

في المجادلة وباقي السبعة فيهما بشد تميما وقرأ ابن وثاب فيما نقل ابن عطية بضم
التاء وسكون الظاء وكسر الهاء مضارع اظهر وفيما حكى ابو الفضل الرازي عنه
بتخفيف الظاء لحذفهم تاء المطاوعة وشد الهاء وقرأ الحسن تظهرون بضم
التاء وتخفيف الظاء وشد الهاء مضارع ظهر مشدد الهاء وقرأ هرون
عن ابي عمرو تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخفف
الهاء وفي مصحف ابي تتظهرون بتاءين فتلك تسع قراآت والمعنى قال لها
انت علي كظهر امي فتلك الافعال ماخوذة من هذا اللفظ كقولك لبى اذا
قال لبيك وافف اذا قال اف وعدي الفعل بمن لان الظهار كان طلاقا في
الجاهلية فيتجنبون المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فالمعنى انه يتباعد
منها بجهة الظهار ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن وكنوا
عن البطن بالظهر لئلا يذكروا ما يقارب الفرج ولكونهم كانوا يقولون يحرم اتيان
المراة وظهرها للسماء واهل المدينة يقولون يجيء الولد اذ ذاك احول فبالغوا
في التغليظ في تحريم الزوجة فشبهها بالظهر محرما لم فجعلها كظهر امه ه وروي
ان زيد بن حارثة من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فوهبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابوه وعمه بفدائه وذلك قبل بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فنزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم الاية وكانوا في الجاهلية وصدرا
من الاسلام اذا تبنى الرجل ولد غيره صار يرثه والادعياء جمع دعي فعيل بمعنى مفعول
جاء شاذا وقياسه فعلى كجريح وجرحى وانما هذا الجمع قياس فعيل المعتل اللام
بمعنى فاعل نحو تقي واتقياء شبهوا دعيا بتقي فجمعوه جمعه شذوذا كما شذوا في جمع
اسير وقتيل فقالوا اسراء وقتلاء وقد سمع المقيس فيهما فقالوا اسرى وقتلى
والبنوة تقتضي التاصل في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية فلا يجتمع
في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل ذلكم اي دعاؤكم ابناء مجرد قول لا حقيقة
لمدلوله اذ لا يواطئ اللفظ الاعتقاد اذ يعلم حقيقة انه ليس ابنه والله يقول الحق
اي ما يوافق ظاهرا وباطنا وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق وهو قوله ادعوهم
لابائهم او سبيل الشرع والايمان وقرأ الجمهور يهدي مضارع هدى وقتادة
بضم الياء وفتح الهاء وشد الدال واقسط افعل للتفضيل وتقدم الكلام
فيه في اواخر البقرة ومعناه اعدل ولما امر بان يدعى المتبنى لابيه ان علم قالوا
زيد بن حارثة ومواليكم ولذلك قالوا سالم مولى ابي حذيفة وذكر الطبري ان
ابا بكرة قرأ هذه الاية ثم قال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين
ومولاكم قال الرازي ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث
يقولون فيه نفيع بن الحرث ه وفي الحديث من ادعى الى غير ابيه متعمدا حرم الله عليه
الجنة فيما اخطاتم به قيل رفع الحرج عنهم فيما كان قبل النهي وهذا ضعيف
لا يوصف بالخطا ما كان قبل النهي وقيل فيما سبق اليه اللسان اما على
سبيل الغلط اذ كان سبق ذلك اليهم قبل النهي فجرى ذلك على السنتهم غلطا

او على سبيل التحنن والشفقة اذ كثيرا ما يقول الانسان للصغير يا بني كما يقول
للكبير يا ابي ه على سبيل التوقير والتعظيم وما عطف على ما اخطاتم به اي ولكن الجناح
فيما تعمدت قلوبكم واجيز ان تكون ما في موضع رفع بالابتداء اي ولكن ما تعمدت قلوبكم
فيه الجناح وكان الله غفورا للعامد اذا تاب رحيما حيث رفع الجناح عن المخطي وكونه
عليه السلام اولى بالمومنين من انفسهم اي اراف بهم واعطف عليهم اذ هو يدعوهم الى
النجاة وانفسهم تدعوهم الى الهلاك ومنه قوله عليه السلام انا اخذ بحجزكم عن
النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش ومن حيث ينزل لهم منزلة الاب وكذلك
في مصحف ابي وقراءة عبد الله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم يعني في الدين
وقال مجاهد كل نبي ابو امته وقد قيل في قول لوط عليه السلام هؤلاء بناتي انه
اراد المومنات اي بناته في الدين ولذلك جاء انما المومنون اخوة اي في الدين
وعنه عليه السلام ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة واقرؤا ان شئتم
النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا
وان ترك دينا او ضياعا فالي قيل واطلق في قوله اولى بالمومنين اي في كل شيء ولم يقيد
فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقوقه
وحقوقه آثر الى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه انتهى ولو اريد هذا المعنى لكان
التركيب المومنون اولى بالنبي منهم بانفسهم وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم
في التوقير والاحترام وفي بعض الاحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك مما جرين فيه
مجرى الاجانب وظاهر قوله وازواجه كل من اطلق عليها انها زوجة له عليه السلام
من طلقها ومن لم يطلقها وقيل لا يثبت هذا الحكم لمطلقته وقيل من دخل
بها ثبتت حرمتها قطعا وهم عمر برجم امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونكحت بعده فقالت له ولم هذا وما ضرب علي حجابا ولا سميت للمسلمين اما
فكف عنها كان اولا بالمدينة توارث باخوة الاسلام وبالهجرة ثم حكم تعالى
بان اولي الارحام احق في التوارث من الاخ في الاسلام او بالهجرة في كتاب الله
اي في اللوح المحفوظ او في القرآن من المومنين والمهاجرين اي اولى من المومنين
الذين كانوا يتوارثون بمجرد الايمان ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون
بالهجرة وهذا هو الظاهر فيكون من هنا كهي في زيد افضل من عمرو وقال الزمخشري
يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا
من الاجانب انتهى والظاهر عموم قوله الى اوليائكم فيشمل جميع اقسامه من قريب
واجنبي مومن وكافر يحسن اليه ويصله في حياته ويوصي له عند الموت قاله
قتادة والحسن وعطا وابن الحنفية وقال مجاهد وابن زيد والرماني وغيرهم
الى اوليائكم مخصوص بالمومنين وسياق ما تقدم من ذكر المومنين يعضد هذا لكن
ولاية النسب لا تدفع في الكافر انما تدفع ان يلقي اليه بالمودة كولي الاسلام وهذا
الاستثناء في قوله الا ان تفعلوا هو مما يفهم من الكلام اي واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في النفع بميراث وغيره وعدي بالى لان المعنى الا ان توصلوا الى
اوليائكم كان ذلك اشارة الى ما في الايتين في الكتاب اما اللوح واما القرآن

على ما تقدم مسطورا اي مثبتا بالاسطار وهذه الجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر
من الاحكام ولما كان ما سبق احكاما عن الله تعالى وكان فيها اشيا مما كانت
في الجاهلية واشيا في الاسلام نسخت اتبعه بقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
اي في تبليغ الشرايع والدعاء الى الله فلست بدعا في تبليغك عن الله والعامل في اذ
قال الحوفي وابن عطية يجوز ان يكون مسطورا اي مسطورا في الكتاب وحين اخذنا
وقيل العامل واذكر حين اخذنا وهذا الميثاق هو في تبليغ رسالات الله والدعا
الى الايمان ولا يمنعهم من ذلك مانع لا من خوف ولا طمع قال الكلبي اخذ ميثاقهم
بالتبليغ وقال قتادة بتصديق بعضهم بعضا والاعلان بان محمدا رسول الله
واعلان رسول الله انه لا نبي بعده وقال الزجاج وغيره الذي اخذ عليهم وقت
استخراج البشر من صلب ادم كالذر قالوا فاخذ الله حينئذ ميثاق النبيين بالتبليغ
وتصديق بعضهم بعضا وبجميع ما تضمنته النبوة وروي نحوه عن ابي بن كعب وخص هولاء
الخمسة بالذكر بعد دخولهم في جملة النبيين قيل وهم اولوا العزم لشرفهم وفضلهم
على غيرهم وقدم محمد صلى الله عليه وسلم فيهم لكونه افضلهم واكثرهم تابعا وقدم نوح
في اية الشورى في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لان ايراده
على خلاف الايراد هنا اورده على طريق وصف دين الاسلام بالاصالة فكانه قال
شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم
الانبيا في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبيا المشاهير والميثاق
الثاني هو الاول وكرر لاجل صفته والفاظ من صفة الاجسام واستعير للمعنى
مبالغة في حرمته وعظمته وثقل فرط تحمله **وقيل** الميثاق الغليظ اليمين
بالله على الوفاء بما حملوا واللام في ليسال قيل يحتمل ان تكون لام الصيرورة
اي اخذ الميثاق على الانبيا ليصير الامر الى كذا والظاهر انها لام كي اي بعثنا
الرسل واخذنا عليهم المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين فرقة ثم
يسالها عن صدقها على معنى اقامة الحجة فتجيب بانها قد صدقت الله في
ايمانها وجميع افعالها فيثيبها على ذلك وفرقة كفرت فينالها ما اعد لها
من العذاب فالصادقون على هذا المسؤولون هم المومنون والسوال في صدقهم
عما يترتب عليهم ومفعول صدقهم محذوف تقديره عن صدقهم عهدهم او يكون صدقهم
في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف اي عن تصديقهم الانبيا لان من قال للصادق
صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبيا الذي اجابتهم به اممهم حكاه علي
ابن عيسى او ليسال الانبيا عن الوفاء بالميثاق الذي اخذ عليهم حكاه ابن شجرة
او ليسال الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم قاله مجاهد وفي هذا تنبيه
اي اذا كان الانبيا يسالون فكيف بمن سواهم وقال مجاهد ايضا ليسال الصادقين
اراد المودين عن الرسل انتهى وسوال الرسل تبكيت للكافرين بهم كما قال تعالى
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقال تعالى فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين واعد معطوف على اخذنا لان المعنى ان الله
اكد على الانبيا الدعا الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما

اوعلى

او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين قاله
الزمخشري ويجوز ان يكون حذف من الاول ما اثيب به الصادقون وهم المومنون وذكرت
العلة وحذف من الثاني العلة وذكر ما عوقبوا به وكان التقدير ليسال الصادقين
عن صدقهم فاثابهم وليسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا واعد لهم عذابا اليما فحذف
من الاول ما اثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مقابله في الاول
وهذه طريقة بليغة وقد تقدم لنا ذكر ذلك في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق وامعنا الكلام هنالك ۞ يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم
جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاوكم من
فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طايفة منهم
يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا
الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار وكان عهد الله مسيولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد
بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين
منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم
فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط
الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات
الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبايكم ولو كانوا فيكم
ما قاتلوا الا قليلا ۞ ذكرهم الله تعالى نعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتصل
بها من امر بني قريظة وقد استوفى ذلك اهل السير ونذكر من ذلك ما له تعلق
بالايات التي نفسرها واذ معمولة لنعمة اي انعامه عليكم وقت مجي الجنود والجنود
كانوا عشرة الاف قريش ومن تابعهم من الاحابيش في اربعة الاف يقودهم ابو سفيان
وبنو اسد يقودهم طليحة وغطفان يقودهم عيينة وبنو عامر يقودهم عامر
ابن الطفيل وسليم يقودهم ابو الاعور واليهود النضير روساوهم حيي بن اخطب
وابنا ابي الحقيق وبنو قريظة سيدهم كعب بن اسد وكان بينه وبين الرسول عهد
فنبذه بسعي حيي بن اخطب قيل فاجتمعوا خمسة عشر الفا وهم الاحزاب ونزلوا المدينة
فحفر الخندق باشارة سلمان وسوم عمل الفرس وظهرت للرسول فيه تلك المعجزة
العظيمة من كسر الصخرة التي اعوزت الصحابة ثلث فرق ظهرت مع كل فرقة برقة
اراه الله منها مداين كسرى وما حولها ومداين قيصر وما حولها ومداين الحبشة
وما حولها وبشر بفتح ذلك واقام الذراري والنساء بالاطام وخرج رسول الله صلى الله

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

عليه وسلم

والمسلمون في ثلثة الاف فنزلوا بظهر سلع والخندق بينهم وبين المشركين وكان ذلك
في شوال سنة خمس قاله ابن اسحق وقال مالك سنة اربع وقرا الحسن وجنودا بفتح
الجيم والجمهور بالضم بعث الله الصبا لنصرة نبيه فاضرت بهم هدمت بيوتهم
واطفات نيرانهم وقطعت حبال خيمهم واكفات قدورهم ولم يمكنهم معها قرار وبعث
الله مع الصبا ملائكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها **وقرا** ابو عمرو في رواية
وابو بكر في رواية لم يروها بياء الغيبة وباقي السبعة والجمهور بتاء الخطاب من
فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي
من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا نكون جملة حتى نستاصل محمدا وقال
مجاهد من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد مكة وسائر
تهامة وهو قول قريب من الاول **وقيل** انما يراد ما يختص ببقعة المدينة
اي نزلت طائفة في اعلى المدينة وطائفة من اسفلها وهذا قريب من القول الاول
وقد يكون ذلك على معنى المبالغة اي جاؤكم من جميع الجهات كانه قيل اذ جاؤكم
محيطين بكم كقوله يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم المعنى يغشاهم
محيطا بجميع ابدانهم وزاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع
وقال الفراء زاغت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر
مبالغة في اضطرابها ووجيبها دون ان تنتقل من مقرها الى الحنجرة **وقيل** تجب
القلوب من شدة الفزع فيتصل وجيبها بالحنجرة فكانها بلغتها **وقيل** يجد
خشونة وقلبه يصعد علوا لينفصل فليس بلوغها حقيقة **وقيل** القلب عند الغضب
يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة **وقيل** يفضي الى ان يسد مخرج
النفس فلا يقدر المرء ان يتنفس ويموت خوفا ومثله اذ القلوب لدى الحناجر
وقيل اذا انتفخت الرية من شدة الفزع والغضب او الغم الشديد ربت وارتفع
القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره والظنون جمع لما
اختلفت متعلقاته جمع وان كان لا ينقاس عند **سيبويه** جمع المصدر اذا اختلفت متعلقاته
وينقاس عند غيره وقد جاء الظنون جمعا في اشعارهم انشد ابو عمرو في كتاب
الالحان ○ اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا ○
فظن المؤمنون الخلص ان ما وعدهم الله من النصر حق وانهم سيظهرون
وظن الضعيف الايمان مضطرب وظن المنافقون ان الرسول والمؤمنين سيغلبون
وكل منهم لا يشملهم الضمير في وتظنون وقال الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون
ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقال ابن عطية اي
يكادون يضطربون ويقولون ما هذا الخلف للوعد وهذه عبارة عن خواطر
خطرت للمؤمنين لا يمكن البشر دفعها واما المنافقون فجلحوا ونطقوا وقال
الزمخشري ظن المؤمنون الثبت القلوب بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا
وضعف الاحتمال والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ظنوا
بالله ما حكي عنهم وكتب الظنونا والرسولا والسبيلا في المصحف بالالف فحذفها
حمزة وابو عمرو وقفا ووصلا وابن كثير والكسائي وحفص يحذفها وصلا خاصة

وباقي السبعة باثباتها في الحالين واختار ابو عبيد والحذاق ان يوقف على هذه
الكلمة بالالف ولا يوصل فيحذف او يثبت لان حذفها مخالف لما اجتمعت عليه
مصاحف الامصار ولان اثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب نظمهم ونثرهم
لا في اضطرار ولا غيره اما اثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقة لبعض
مذاهب العرب لانهم يثبتون هذه الالف في قوافي اشعارهم وفي مصاريعها والفواصل
والفواصل في الكلام كالمصاريع وقال ابو علي يعني رؤوس الآي تشبه بالقوافي من
حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع وهنالك ظرف مكان للبعيد هذا اصله
فيحمل عليه اي في ذلك المكان الذي وقع فيه الحصار والقتال ابتلي المؤمنون
والعامل فيه ابتلي وقال ابن عطية هنالك ظرف زمان قال ومن قال ان العامل
فيه وتظنون فليس قوله بالقوي لان البداة ليست متمكنة وابتلاؤهم قال
الضحاك بالجوع وقال مجاهد بالحصار **وقيل** بالصبر على الايمان وزلزلوا
قال ابن سلام حركوا بالخوف **وقيل** اضطربوا في اليقين وقال الضحاك عن اماكنهم
حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق **وقيل** زلزلوا فثبتوا وصبروا حتى نصروا
وقيل حركوا الى الفتنة فعصموا **وقرا** الجمهور زلزلوا بضم الزاي **وقرا** احمد بن موسى اللؤلؤي
عن ابي عمرو بكسر الزاي قاله ابن خالويه وقال الزمخشري وعن ابي عمرو اشمام
زاي زلزلوا انتهى كانه يعني اشمامها الكسر ووجه الكسر في هذه القراءة
الشاذة انه اتبع حركة الزاي الاولى لحركة الثانية ولم يعتد بالساكن كما
يعتد به من قال منتن بكسر الميم اتباعا لحركة التاء وهو اسم فاعل من انتن **وقرا** الجمهور
زلزالا بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها وكذا اذا زلزلت الارض زلزالها
وهو مصدر فعلل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقل قلقالا وقد يراد
بالمفتوح معنى اسم الفاعل فصلصالا بمعنى مصلصل فان كان غير مضاعف فما
سمع منه على فعلال بكسر الفاء نحو سرهفه سرهافا واذ يقول المنافقون وهم
المظهرون الايمان المبطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض هم الذين هم ضعفا
الايمان الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم فهم على حرف والعطف دال على التغاير
روي انه لما ضرب رسول الله الصخرة برقت تلك البرقة
... بنية عليهم على جهة الذم لما ضرب رسول الله الصخرة وبرقت تلك البرقات
وبشر بفتح فارس والروم واليمن والحبشة قال معتب بن قشير بعد يا محمد ان نفتح
كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الان لا يقدر احدنا ان يذهب الى الغائط ما يعدنا
الا غرورا اي امرا يغرنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به وقال غيره من المنافقين
نحوا من ذلك وقولهم ما وعدنا الله ورسوله هو على سبيل الهزء اذ لو اعتقدوا
انه رسوله حقيقة ما قالوا هذه المقالة فالمعنى ورسوله على زعمكم وزعمه وفي معتب
ونظرائه نزلت هذه الاية واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين لاهل المدينة
لكم في حومة القتال والممانعة فارجعوا الى بيوتكم ومنازلكم امروهم بالهرب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقيل** فارجعوا كفارا الى دينكم الاول واسلموه الى
اعدائكم اعدائه قال السدي والقائل لذلك عبد الله بن ابي بن سلول
واصحابه وقال مقاتل بنو سلمة وقال اوس بن رومان اوس بن قيظي واصحابه

وقال الكلبي بنو حارثة ويمكن صحة هذه الاقوال فان فيهم من كان منافقا
لا مقام قرأ السلمي والاعرج واليماني وحفص بضم الميم فاحتمل ان يكون مكانا
اي لا مكان اقامة واحتمل ان يكون مصدرا اي لا اقامة وقرأ ابو جعفر
وشيبة وابو رجاء والحسن وقتادة والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقي
السبعة بفتحها واحتمل ايضا المكان اي لا مكان قيام واحتمل المصدر اي لا
قيام لكم ويستأذن فريق منهم النبي هو اوس بن قيظي استأذن في الدخول
الى المدينة من النفاق من عشيرته يقولون حالا اي قائلين ان بيوتنا عورة اي
منكشفة للعدو وقيل خالية اعور المنزل انكشف وقال
الشاعر له الشد الاولى اذا القرن اعورا وقال ابن عباس الفريق
بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله لا يولون الادبار اعتذروا بان بيوتهم معرضة
للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم
يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار
وقرأ ابن عباس وابن يعمر وقتادة وابو رجاء وابو حيوة وابن ابي عبلة
وابو طالوت وابن مقسم واسمعيل بن سليمان عن ابن كثير عورة بكسر الواو
فيهما والجمهور باسكانها قال الزمخشري ويجوز ان يكون تخفيف عورة وبالكسر
سوا اسم فاعل وقال ابن جني صحة الواو في هذا شاذة لانها محركة قبلها
فتحة انتهى فيعني انها تنقلب الفا فيقال عارة كما تقول رجل مال اي مول
واذا كان عورة اسم فاعل فهو من عور الذي صحت عينه فاسم الفاعل كذلك
تصح عينه فلا يكون صحة العين على هذا شذوذا وقيل السكون الظاهر
على انه مصدر وصف به والبيت المعور سوا المنفرد لمراد بسوء وقال الزجاج
عور المكان يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة وقال الفراء اعور
المنزل بدا منه عورة واعور الفارس كان فيه موضع الخلل خلل للضرب والطعن
قال الشاعر
متى تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا الضيف مسحورا ولا الجار مرسلا
وقال الكلبي عورة خالية من الرجال ضايعة وقال قتادة قاصية يخشى
عليها العدو وقال السدي قصيرة الحيطان يخاف عليها السراق
وقال الليث العورة سوءة الانسان وكل امر يستحيي منه فهو عورة
ويقال عورة في التذكير والتانيث والجمع كالمصدر وقال ابن عباس قالت
اليهود لعبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل
انفسكم بيد ابي سفين واصحابه فارجعوا الى المدينة فانتم آمنون ان يريدون
الا فرارا اي من الدين وقيل من القتل قال الضحاك ورجع ثمانون
رجلا من غير اذن النبي صلى الله عليه وسلم والضمير في دخلت الظاهر عوده على
البيوت اذ هو اقرب مذكور وقيل على المدينة اي ولو دخلها الاحزاب
التي يفرون خوفا والثالث على اهاليهم واولادهم ثم سئلوا الفتنة اي الردة
والرجوع الى اظهار الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها اي لجاؤا اليها وفعلوا

على

على قراءة القصر وهي قراءة نافع وابن كثير وقرأ باقي السبعة لآتوها بالمد اي
لاعطوها وما تلبثوا بها وما لبثوا اعطاها الا يسيرا قدر ما يكون السؤال والجواب من
غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم او يخرجهم
بالمؤمنين قال ابن عطية ولو دخلت المدينة من اقطارها واشتد الحرب الحقيقي ثم سئلوا
الفتنة والحرب لمحمد صلى الله عليه وسلم لطاروا اليها واتوها محبين فيها ولم يتلبثوا
في بيوتهم لحفظها الا يسيرا قيل قدر ما ياخذون سلاحهم انتهى وقرأ الجمهور
سئلوا وقرأ الحسن سولوا بواو ساكنة بعد السين المضمومة قالوا وهي من سال
يسال كخاف يخاف لغة في سأل المهموز العين وحكى ابو زيد هما يتساولان انتهى
ويجوز ان يكون اصلها الهمز لانه يجوز ان يكون سولوا على قول من يقول في ضرب
ضرب ثم سهل الهمزة بابدالها واوا على قول من قال في بوس بوس بابدال الهمزة
واوا لضمة ما قبلها وقرأ عبد الوارث عن ابي عمرو والاعمش سيلوا بكسر السين
من غير همز نحو قيل وقرأ مجاهد سويلوا بواو بعد السين المضمومة وياء مكسورة بدلا
من الهمزة وقال الضحاك ثم سئلوا الفتنة اي القتال في العصبية لاسرعوا اليه وقال
الحسن الفتنة الشرك والظاهر عود الضمير بها على الفتنة وقيل يعود على المدينة
وعاهدوا اجري مجرى اليمين ولذلك يتلقى بقوله لا يولون الادبار وجواب هذا
القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى ولو جاء كما لفظوا به لكان التركيب لا نولي الادبار
والذين عاهدوا بنو حارثة وبنو سلمة وهما الطايفتان اللتان همتا بالفشل
في يوم احد ثم تابوا وعاهدوا ان لا يفروا فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك
الاستيذان قال ابن عباس عاهدوا بمكة ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون
منه انفسهم وقيل ناس غابوا عن وقعة بدر قالوا لئن اشهدنا الله قتالا
لنقاتلن من قبل اي من قبل هذه الغزوة غزوة الخندق لا يولون الادبار كناية
عن الفرار والانهزام مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وفي ذلك تهديد ووعيد
قل لن ينفعكم الفرار خطاب توبيخ واعلام ان الفرار لا ينجي من القدر وانه تنقطع اعمارهم
في يسير من المدة واليسير مدة الاجال قاله الربيع بن خثيم وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان فررتم من الموت او القتل لا ينفعكم الفرار لان مجيء
الاجل لا بد منه واذا هنا تقدمها حرف عطف فلا يتحتم اعمالها بل يجوز
ولذلك قرأ بعضهم واذا لا يلبثون خلفك في سورة الاسراء بحذف النون ومعنى
خلفك اي بعد فرارهم اياك وقليلا نعت لمصدر محذوف اي تمتيعا قليلا
او لزمان محذوف او زمانا قليلا ومر بعض المروانية على حايط مائل فاسرع
فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب وقرأ الجمهور لا تمتعون بتاء
الخطاب وقرئ بيا الغيبة ومن ذا استفهام ركبت ذا مع من وفيه معنى
النفي اي لا احد يعصمكم من الله قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت الرحمة
قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا
او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع انتهى اما الوجه الاول

فقيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لا سيما اذا قدر
مضاف محذوف اي عنعكم من مراد الله ه والقائلين لاخوانهم كانوا اي المنافقون
يثبطون اخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه
فخلوهم وقيل هم اليهود كانوا يقولون لاهل المدينة تعالوا الينا وكونوا
معنا وقال ابن زيد انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
فوجد شقيقه عنده شواء ونبيذ فقال له انت ههنا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين الرماح والصفوف فقال هلم الي فقد احيط بك وصاحبك والذي
يحلف به لا يستقبلها محمد ابدا فقال كذبت والذي تحلف به لاخبرنه بامرك
فذهب ليخبره فوجد جبريل قد نزل بهذه الاية وقال ابن السائب هي في عبد الله
ابن ابي ومعتب بن قشير ومن رجع من المنافقين من الخندق الى المدينة فاذا جاءهم
المنافق قالوا له ويحك اجلس ولا تخرج ويكتبون الى اخوانهم في العسكر ان ائتونا
فانا ننتظركم وكانوا لا يأتون العسكر الا ان لا يجدوا بدا من اتيانه فيأتون ليرى
الناس وجوههم فاذا غفل عنهم عادوا الى المدينة فنزلت وتقدم الكلام في هلم
في اواخر الانعام وقال الزمخشري وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا قال
وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب انتهى والذي عليه النحويون ان هلم
ليس صوتا وانما هو مركب مختلف في اصل تركيبه فقيل هو مركب من ها التي للتنبيه
والميم وهو مذهب البصريين وقيل من هل وام والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور
في النحو واما قوله سمي به فعل متعد ولذلك قدر هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا فالنحويون
يقولون انه متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداءكم اي احضروا شهداءكم واللازم
كقوله هلم الينا اي اقبلوا الينا ولا يأتون البأس اي القتال الا قليلا اي اتيانا
قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يقاتلون الا شيئا قليلا
اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقلته اما لقصر زمانه واما لقلة
غنائه وانه رياء وتلميع لا تحقيق اشحة جمع شحيح وهو البخيل وهو جمع لا ينقاس
وقياسه في الصفة المضعفة العين واللام افعلاء نحو خليل واخلاء فالقياس
اشحاء وهو مسموع ايضا ويتعلق الشح بالقهم او باحوالهم او باموالهم في النفقات
في سبيل الله او بالغنيمة عند القسم اقوال والصواب انه يعم شحهم بكل ما فيه منفعة
للمؤمنين وقال الزمخشري اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم
كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك
الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك
فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك
الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى
واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم
وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم انتهى وهو تكثير وتحميل
للفظ ما لا يحتمله كعادته وقرأ الجمهور اشحة بالنصب قال الفراء على الذم واجاز

نصبه على الحال والعامل يعوقون اشحة وقال الطبري حال من هلم الينا وقال الزجاج حال
من ولا يأتون وقيل حال من المعوقين وقيل من القائلين ورد القولان بان فيهما تفريقا
بين الموصول وما هو من تمام صلته وقرأ ابن ابي عبلة اشحة بالرفع على اضمار مبتدأ
اي هم اشحة فاذا جاء الخوف من العدو وتوقع ان يستأصل اهل المدينة لاذ
هؤلاء المنافقون بك ينظرون نظر الهلوع المختلط النظر الذي يغشى عليه من الموت
وتدور في موضع الحال اي دائرة اعينهم كالذي في موضع الصفة لمصدر محذوف
وهو مصدر يغشيه اي دورانا كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوفان
وهما دوران وعين ويجوز ان يكون في موضع الصفة لمصدر من ينظرون اليك
نظرا كنظر الذي يغشى عليه وقيل اذا جاء الخوف من القتال وظهر المسلمون على
اعدائهم رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في رؤسهم وتجول وتضطرب رجاء
ان يلوح لهم مضرب لانهم يحضرون على نية شر لا على نية خير والقول الاول هو الظاهر
سلقوكم قال قتادة بسطوا السنتهم فيكم قال يزيد بن رومان في اذى المؤمنين
وسبهم وتنقص الشرع وقال قتادة في طلب العطاء من الغنيمة والالحاف في المسألة
وقيل السلق في مخادعة المؤمنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة
والمخاتلة وقرأ الجمهور سلقوكم بالسين وابن ابي عبلة بالصاد وقرأ ابن ابي عبلة
اشحة بالرفع اي هم اشحة والجمهور بالنصب على الحال من سلقوكم وعلى الخير يدل
على عموم الشح في قوله اولا اشحة عليكم وقيل في هذا اشحة على مال
الغنائم وقيل على ما لهم الذي ينفقونه وقيل على الرسول بظفره اولئك
لم يؤمنوا اشارة الى المنافقين اي لم يكن لهم قط ايمان والاحباط عدم قبول
اعمالهم فكانت كالمحبطة وقال الزمخشري فان قلت هل يثبت للمنافق
عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان
باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمله المنافق من الاعمال يجدي عليه
فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل انتهى وفي كلامه استعمال
عسى صلة لمن وهو لا يجوز وقال ابن زيد عن ابيه نزلت في رجل بدري منافق
بعد ذلك وقع في هذه المعاني فاحبط الله عمله في بدر وغيرها وكان ذلك اي
الاحباط او حالهم من شحهم ونظرهم يسيرا لا يبالي به ولا له اثر في دفع خير ولا جلب
شر وقال الزمخشري كل شيء عليه يسير معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط
تدعو اليه الدواعي ولا تصرف عنه صارف انتهى وهي الفاظ المعتزلة يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اي هم من الجزع بحيث هزم الله الاحزاب فرحلوا وهم يحسبون
انهم لم يرحلوا وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم
مقيمون في البدو مع الاعراب وهم اهل العمود يرحلون من قطر الى قطر يسألون من قدم
المدينة عما جرى عليكم من قتال الاحزاب يتعرفون احوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة
فرقا وجبنا وغرضهم من البداوة ان يكونوا سالمين من القتال ولو كانوا فيكم ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا لعلة ورياء وسمعة قال
ابن السائب رميا بالحجارة خاصة دون سائر انواع القتال وقرأ الجمهور

بادون جمع سلامة لباد وقرأ عبد الله وابن عباس وابن يعمر وطلحة بُدّى على وزن فعل كغاز وغزى وليس بقياس في معتل اللام بل شبه بضارب وقياسه فعلة كقاض وقضاة وعن ابن عباس بدوا فعلا ماضيا وفي رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدى وقرأ الجمهور يسألون مضارع سأل وحكى ابن عطية ان ابا عمرو وعاصما والاعمش قرءوا يسلون بغير همز نحو قوله سل بني اسرائيل ولا يعرف ذلك عن ابي عمرو وعاصم ولعل ذلك في شاذهما ونقلها صاحب اللوامح عن الحسن والاعمش وقرأ زيد بن علي وقتادة والجحدري والحسن ويعقوب بخلاف عنهما يساءلون بتشديد السين والمد واصله يتساءلون فادغمت التاء في السين اي يسأل بعضهم بعضا اي يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت وماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول تراءينا الهلال ثم سلى الله نبيه عنهم وحقرشأنهم بان اخبر انهم لو حضروا ما اغنوا وما قاتلوا الا قتالا قليلا قال الثعلبي هو قليل من حيث هو رياء ولو كان لله لكان كثيرا ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ الظاهر ان الخطاب في قوله لقد كان لكم للمؤمنين لقوله قبل ولو كانوا فيكم وقوله بعد لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لكم فيه الاقتداء فكما نصركم وازركم حتى قاتل بنفسه عدوكم فكسرت رباعيته الكريمة وشج وجهه الكريم **وقيل** جهد واوذي ضروبا من الايذاء يجب عليكم ان تنصروه وتوازروه ولا ترغبوا بانفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه وتبذلوا انفسكم دونه فما حصل لكم من الهداية للاسلام اعظم من كل ما تفعلونه معه صلى الله عليه وسلم من النصرة والجهاد في سبيل الله ويبعد قول من قال انه خطاب للمنافقين واليوم الآخر يوم القيامة وقيل يوم السياق واسوة اسم كان ولكم الخبر ويتعلق في رسول الله بما يتعلق به لكم او يكون في موضع الحال لانه لو تأخر جاز ان يكون نعتا لاسوة او يتعلق بكان على مذهب من اجاز في كان واخواتها الناقصة ان تعمل في الظرف والمجرور ويجوز ان يكون في رسول الله الخبر ولكم تبيين اي لكم اعني لمن كان يرجوا الله قال الزمخشري بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم انتهى ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين ان يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر في بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة واجاز ذلك الكوفيون والاخفش ويدل عليه قول الشاعر

يكم

قوله عز وجل لقد كان لكم

بكم قريش كفينا كل معضلة وام نهج الهدى من كان ضليلا

وقرأ الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها والرجاء بمعنى الامل والخوف وقرن الرجاء بذكر الله والمؤتسي برسول الله هو الذي يكون راجيا ذاكرا ولما بين تعالى حال المنافقين وقولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا بين حال المؤمنين وقولهم ضد ما قال المنافقون وكان الله قد وعدهم ان يزلزلهم حتى يستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآية فلما جاء الاحزاب ونهض بهم للقتال واضطربوا قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك **وقيل** الوعد هو ما جاء في الآية وما وعد عليه السلام حين امر بحفر الخندق فانه اعلمهم بانهم يحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم انهم سينصرون بعد ذلك فلما رأوا الاحزاب قالوا ذلك فسلموا لاول الامر وانتظروا آخره وهذا اشارة الى الخطب او البلاء اي هذا ما وعدنا الله ورسوله ومواعيده وتسليما لاقداره وما زادهم اي شهود ذلك الموعود الا ايمانا اي بما وقع وبما اخبر به الرسول مما لم يقع كفتح مكة وفارس والروم فالزيادة في ما يؤمن به لا في نفس الايمان وقرأ ابن ابي عبلة وما زادوهم بالواو وضمير الجمع يعود على الاحزاب وتقول صدقت زيدا الحديث وصدقت زيدا في الحديث وقد عدت صدق هذه فيما يتعدى بحرف الجر واصله ذلك ثم يتسع فيه فيحذف الحرف ويصل الفعل اليه بنفسه ومنه قولهم في المثل صدقني سن بكره اي في سن بكره فما عاهدوا اما ان يكون على اسقاط الحرف اي فيما عاهدوا والمفعول الاول محذوف والتقدير صدقوا الله وان يكون صدق يتعدى الى واحد كما تقول صدقني اخوك اذا قال لك الصدق وكذلك كذبني اخوك اذا قال لك الكذب فكان المعاهد عليه مصدوقا مجازا كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي لك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا وهؤلاء الرجال قال مقاتل والكلبي هم اهل العقبة السبعون اهل البيعة وقال انس نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا ان لا يتأخروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفوا وقال يزيد بن رومان بنو حارثة فمنهم من قضى نحبه قال ابن عباس نحبه موته وقال الحسن مات على ما عهد **وقيل** منهم انس ابن النضر ومن استشهد في ذات الله تعالى ويقال لمن مات قضى نحبه وهذا تجوز كان الموت امر لا بد ان يقع بالانسان فسمي نحبا لذلك وقال مجاهد فقضى نحبه اي عهده وقال ابو عبيدة نذره وقال الزمخشري فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب جماعة من الصحابة وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنة منهم الى من حصل في هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصح هذا القول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل من الذي قضى نحبه وهو على المنبر

فدخل طلحة بن عبيد الله فقال هذا ممن قضى نحبه ومنهم من ينتظر اذا فسر قضاء النحب بالشهادة كان التقدير ومنهم من ينتظر الشهادة واذا فسر بالوفاء بالعهود الاسلام كان التقدير ومنهم من ينتظر الحصول في اعلى مراتب الايمان والصلاح وقال مجاهد ينتظر يوما فيه جهاد فيقضي نحبه وما بدلوا لا المستشهدون ولا من ينتظر وقد ثبت طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض لمن بدل من المنافقين حيث ولوا الادبار وكانوا عاهدوا لا يولون الادبار ليجزي الله الصادقين اي الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه بصدقهم اي بسبب صدقهم ويعذب المنافقين ان شاء وعذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشية وهو قد شاء تعذيبهم اذا وافوا على النفاق فقال ابن عطية تعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازنة لتلك الاقامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتا تعذيب او رحمة فذكر تعالى على جهة الايجاز واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على ان معنى قوله ليعذب ليديم على النفاق قوله ان شاء ومعادلته بالتوبة وحرف او انتهى وكان ما ذكر يؤول الى التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شاء فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب واثبت المسبب وهو التعذيب واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وهذا من الايجاز الحسن ه وقال الزمخشري ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم اذا تابوا انتهى ولا يجوز تعليق عذابهم اذا لم يتوبوا بمشيته تعالى لانه تعالى قد شاء ذلك واخبر به انه يعذب المنافقين حتما لا محالة واللام في ليجزي قيل لام الصيرورة وقيل لام التعليل ويتعلق بقوله وما بدلوا قال الزمخشري جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما وقال السدي المعنى ان شاء ان يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم ينقلهم من النفاق الى الايمان وقيل يعذبهم في الدنيا ان شاء ويتوب عليهم ان شاء ان الله كان غفورا للحوبة رحيما لقبول التوبة ورد الله الذين كفروا الاحزاب عن المدينة والمؤمنين الى بلادهم بغيظهم اي مغيظين فهو حال والباء للمصاحبة ولم ينالوا خيرا حال ثانية او من الضمير في بغيظهم فيكون حالا متداخلة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استينافا انتهى ولا يظهر كونها بيانا للاولى ولا الاستيناف لانها تبقى كالمفلتة مما قبلها وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح والجنود وهم الملائكة فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار وقيل المراد علي بن ابي طالب وقوم معه برزوا للقتال ودعوا اليه وقتل علي من الكفار عمرو بن عبدود مبارزة حين طلب عمرو المبارزة فخرج اليه علي فقال له اني لا اوثر قتلك

لصحبتي لابيك فقال له علي فانا اوثر قتلك فقتله علي مبارزة واقتحم نوفل ابن الحرث من قريش الخندق بفرسه فتقحم فيه وقتل من الكفار ايضا منبه بن عثمان وعبيد بن السباق واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق سعد بن معاذ وانس ابن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهل وابو عمرو وهم من بني عبد الاشهل والطفيل ابن النعمان وثعلبة بن غنمة وهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار ابن النجار اصابه سهم غرب فقتله ولم تغز قريش المسلمين بعد الخندق وكفى الله مداومة القتال وعودته بان هزمهم وذلك بقوته وعزته وعن ابي سعيد الخدري حبسنا يوم الخندق فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد هوي من الليل كفينا وانزل الله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام وصلى الظهر فاحسنها ثم كذلك كل صلوة باقامة وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا قريشا ومن معهم من الاحزاب من اهل الكتاب هم يهود بني قريظة قول الجمهور وعن الحسن بنو النضير وقذف الرعب سبب لانزالهم ولكنه قدم المسبب لما كان السرور بانزالهم اكثر والاخبار به اهم قدم وقال رجل يا رسول الله من رأينا دحية الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة ليزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم ولما رجعت الاحزاب جاء جبريل وقت الظهر فقال ان الله يامرك بالخروج الى بني قريظة فنادى في الناس لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فخرجوا اليها فمصل في الطريق ورآى ان ذلك خرج مخرج التاكيد والاستعجال ومصل بعد العشاء وكل مصيب فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقيل احدى وعشرين وقيل خمس عشرة فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الاوسي لحلف كان بينهم رجوا حنوه عليهم فحكم ان يقتل المقاتلة وتسبى الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار للمهاجرين دون الانصار فقالت له الانصار في ذلك فقال اردت ان تكون لهم اموال كما لكم اموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق لهم في سوق المدينة وقدمهم فضرب اعناقهم وهم بين ثمانماية الى تسعماية وقيل كانوا ستماية مقاتل وسبع ماية اسير وجيء بحيي بن اخطب النضيري وهو الذي كان ادخلهم في الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عندهم وفاء لهم فنزل فيمن نزل على حكم سعد فلما قرب وعليه حلتان تفاحيتان مجموعة يداه الى عنقه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا باس امر الله وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم تقدم فضربت عنقه

وقال فيه بعض بني ثعلبة

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وقتل من نسائهم امراة وهي لبابة امراة الحكم القرظي كانت قد طرحت الرحى على
خلاد بن سويد فقتلته ولم يستشهد في حصار بني قريظة غيره ومات في الحصار
ابو سنان بن محصن اخو عكاشة بن محصن وكان فتح قريظة في اخر ذي القعدة سنة
خمس من الهجرة **وقرا** الجمهور وتاسرون بتاء الخطاب وكسر السين وابو حيوة
بضمها واليماني بيا الغيبة وابن انس عن ابن ذكوان بيا الغيبة في تقتلون وتاسرون
واورثكم فيه اشعار انه انتقل اليهم ذلك بعد موت اولئك المقتولين
ومن نقلهم ارضهم وقدمت لكثرة المنفعة بها من النخل والزرع ولانهم
باستيلائهم عليهما ثانيا واموالهم لينتفعان بها في قوة المسلمين للجهاد ولانها
كانت في بيوتهم فوقع الاستيلا عليها ثالثا وارضا لم تطوها وعد صادق في
فتح البلاد كالعراق والشام واليمن ومكة وسائر فتوح المسلمين وقال عكرمة
اخبر تعالى انه قد قضى بذلك وقال الحسن اراد الروم وفارس وقال
قتادة كنا نتحدث انها مكة وقال مقاتل ويزيد بن رومان وابن زيد
هي خيبر وقيل اليمن ولا وجه لهذه التخصيصات ومن بدع التفاسير
انه اراد نساءهم **وقرا** الجمهور تطوؤها بهمزة مضمومة بعدها واو **وقرا**
زيد بن علي لم تطوها بحذف الهمزة ابدل همزة بطا الفا كما حكى **قوله**
● ان السباع لتهدى في مرابضها والناس لا يهتدي من شرهم ابدا ه
فالتقت ساكنة مع الواو فحذفت كقولك لم ترو ها وختم تعالى هذه الاية
بقدرته على كل شي فلا يعجزه شي وكان في ذلك اشارة الى فتحه على المسلمين
الفتوح الكثيرة وانه لا يستبعد ذلك فكما ملكهم هذه فكذلك هو قادر على ان يملكهم
غيرها من البلاد ه يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله
والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا
ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا
لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ه سبب نزولها ان
ازواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن واردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت ولما
نصر الله نبيه ورد عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه

قوله عزوجل يا ايها
النبي قل لازواجك

ان

ففعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى
انه اختص بنفايس اليهود وذخايرهم
وقيصر في الحلي والحلل والاماء والخول ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والمن
قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكا
ازواجهم فامره الله بان يتلو عليهن ما نزل في امرهن وازواجه اذ ذاك تسع
عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفين وسودة بنت
زمعة وام سلمة بنت ابي امية وهولاء من قريش ومن غير قريش ميمونة بنت الحرث
الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وصفية
بنت حيي بن اخطب الخيبرية ه وقال ابو القاسم الصيرفي لما خير صلى الله عليه وسلم
بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة فاختار الاخرة وامر بتخيير نسائه ليظهر صدق موافقتهن
وكان تحته عشر نساء زاد الحميرية فاخترن الله ورسوله الا الحميرية وروي انه
قال لعايشة وبدا بها وكانت احبهن اليه اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا
تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران فقالت افي هذا استامر
ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال
انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا والظاهر انهن اذا اخترن الحيوة الدنيا
وزينتها متعهن رسول الله وطلقهن وانه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق
دون ان يوقعه هو وقال الاكثرون هي اية تخيير فاذا قال لها اختاري
فاختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا وعن علي تكون واحدة رجعية وان اختارت
نفسها وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه وهو قول علي وواحدة
رجعية عند الشافعي وهو قول عمر وابن مسعود وثلث عند مالك واكثر الناس ذهبوا
الى ان الاية في التخيير والطلاق وقال بعضهم في الاية تخيير بين الدنيا
والاخرة لا تخيير في الطلاق وهو قول علي والحسن وقتادة قال ومبدا القايل وانما
امر الطلاق مرجى فان اخترن انفسهن نظر هو كيف يسرحهن وليس فيها تخيير في
الطلاق لان التخيير يتضمن ثلث تطليقات وهو قد قال واسرحكن سراحا
جميلا وليس مع بت الطلاق سراح جميل انتهى والذي يدل عليه ظاهر الاية هو
ما ذكرناه اولا انه علق على ارادتهن زينة الحيوة الدنيا وقوع التمتيع والتسر
منه والمعنى في الاية ان كان عظيم همكن ومطلبكن التعمق في الدنيا ونيل نعيمها
وزينتها وتقدم الكلام في فتعالين في قوله تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم في ال
عمران امتعكن قيل المتعة واجبة في الطلاق وقيل مندوب اليها والامر
في قوله ومتعوهن يقتضي الوجوب في مذهب الفقهاء وتقدم الكلام في ذلك
وفي تفصيل المذاهب في البقرة والتسريح الجميل اما في دون البت او جميل
الثناء والمعتقد وحسن العشرة ان كان تاما **وقرا** الجمهور امتعكن بالتشديد
من متع وزيد بن علي بالتخفيف من امتع ومعنى اعد هيا ويسر واوقع الظاهر
موقع المضمر تنبيها على الوصف الذي ترتب له به الاجر العظيم وهو الاحسان
كانه قال اعد لكن لان من اراد الله ورسوله والدار الاخرة كان محسنا **وقرا**
حميد الخراز امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف والجمهور بالجزم على جواب

الامر او على جواب الشرط ويكون فتعالين جملة اعتراض بين الشرط وجزائه ولا يضر
دخول الفاء على جملة الاعتراض ومثل ذلك **قول الشاعر**

• واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كل ما قدرا ٥

ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهن مما يخاطبن به اذ كان امرا يجعل له البال
وقرأ زيد بن علي والجحدري وعمرو بن فائد الاسواري ويعقوب من يات بتاء التانيث
حملا على معنى من والجمهور بالياء حملا على لفظ من بفاحشة مبينة كبيرة من المعاصي
ولا يتوهم انها الزنا لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ولانه وصفه
بالتبيين والزنا مما يتستر به وينبغي ان تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد
عشرته ولما كان مكانهن مهبط الوحي من الاوامر والنواهي لزمهن بسبب ذلك
وكونهن تحت الرسول اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب **وقرأ**
نافع وحمزة وعاصم والكسائي يضاعف بالف وفتح العين والحسن وعيسى
وابو عمرو بالشد وفتح العين والجحدري وابن كثير وابن عامر بالنون وشد العين
مكسورة وزيد بن علي وابن محيصن وخارجة عن ابي عمرو بالالف والنون والكسر
وفرقة بياء الغيبة والالف والكسر ومن فتح العين رفع العذاب ومن كسرها
نصبه ضعفين اي عذابين فيضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر وقال
ابو عبيدة وابو عمرو فيما حكى الطبري عنهما انه يضاف الى العذاب عذابان
فيكون ثلثة وكون الاجر مرتين يبعد هذا القول لان العذاب في الفاحشة بازاء
الاجر في الطاعة وكان ذلك اي تضعيف العذاب عليهن على الله يسيرا اي سهلا
وفيه اعلام بان كونهن نساءه مع مقارفة الذنب لا يغني عنهن شيئا وهو يغني
عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب ومن يقنت اي يطع ويخضع بالعبودية لله
وبالموافقة لرسوله **وقرأ** الجمهور ومن يقنت بياء المذكر حملا على لفظ من وتعمل
بالتاء حملا على المعنى نؤتها بنون العظمة **وقرأ** الجحدري والاسواري
ويعقوب في رواية ومن تقنت بتاء التانيث حملا على المعنى وبها قرأ ابن عامر
في رواية ورواها ابو حاتم عن ابي جعفر وشيبة ونافع وقال ابن خالويه
ما سمعت ان احدا قرأ ومن تقنت الا بالتاء **وقرأ** السلمي وابن وثاب
وحمزة والكسائي بياء من تحت في ثلاثتها وذكر ابو البقاء ان بعضهم قرأ ومن
يقنت بالياء حملا على المعنى وتعمل بالتاء حملا على لفظ من فقال
بعض النحويين هذا ضعيف لان التذكير اصل لا يجعل تبعا للتانيث
وما عللوا به قد جاء مثله في القرآن وهو قوله تعالى خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا انتهى وتقدم الكلام على خالصة في الانعام والرزق
الكريم الجنة قال ابن عطية ويجوز ان يكون في ذلك وعد دنياوي اي
ان رزقها في الدنيا على الله وهو كريم من حيث هو حلال وقصد وبرضى من الله
في نيله وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعد به ضعفين هو عذاب
الدنيا ثم عذاب الآخرة وكذلك الاجر وهو ضعيف انتهى وانما ضوعف
اجرهن لطلبهن رضى رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة

والتوقر على عبادة الله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اي ليس كل واحدة منكن
كشخص واحد من النساء اي من نساء غيركن وليس النفي منصبا على التشبيه في كونهن
نسوة تقول ليس زيد كاحد من الناس لا تريد نفي التشبيه عن كونه انسانا بل في وصف
اخص موجود فيه وهو كونه عالما او عاملا او نسيبا فالمعنى انه يوجد فيكن
من التميز ما لا يوجد في غيركن وهو كونكن امهات المؤمنين وزوجات خير المرسلين
ونزل القرآن فيكن فكما انه عليه السلام ليس كاحد من الرجال كما قال عليه
السلام لست كاحدكم كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به وقال الزمخشري
احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة
واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحد منهم تسوية بين
جميعهم في انهم على الحق المبين انتهى اما قوله احد في الاصل بمعنى وحد وهو
الواحد فصحيح واما قوله ثم وضع الى قوله وما وراءه فليس بصحيح لان الذي
يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لان واحدا ينطلق على كل شيء اتصف
بالوحدة واحد المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته
همزة وحاء ودال ومادة احد بمعنى واحد اصله واو وحاء ودال فقد
اختلفا مادة ومدلولا واما قوله لستن كجماعة واحدة فقد قلنا ان قوله
لستن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة واحدة ليس حكما
على المجموع من حيث هو مجموع وقلنا ان معنى كاحد كشخص واحد فابقينا احدا
على موضوعه من التذكير ولم نتاوله بجماعة واحدة واما ولم يفرقوا بين احد
منهم فاحتمل ان يكون الذي للنفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم
وصلحت التثنية للعموم واحتمل ان يكون احد بمعنى واحد ويكون قد عطف
محذوف حذف معطوف اي بين واحد وواحد من رسله كما **قال الشاعر**

• فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل ٥

اي لستن مثلهن ان اتقيتن الله وذلك لما انضاف مع تقوى الله من صحبة الرسول
وعظيم المحل منه ونزول القرآن في بيوتهن وفي حقهن وقال الزمخشري ان
اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا
تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي
في قلبه مرض اي ريبة وفجور انتهى فعلى القول الاول يكون ان اتقيتن قيدا
في كونهن لسن كاحد من النساء ويكون جواب الشرط محذوفا وعلى ما قاله الزمخشري
يكون ان اتقيتن ابتداء شرط وجوابه فلا تخضعن وكلا القولين فيهما حمل
على ان اتقيتن على تقوى الله تعالى وهو ظاهر الاستعمال وعندي انه محمول
على ان معناه ان استقبلتن احدا فلا تخضعن واتقى بمعنى استقبل معروف
في اللغة **وقال النابغة** ٥

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد ه
اي استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى يلغ في مدحهن اذ لم يعلق قضيا نهن على
التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات لله في انفسهن
والتعليق يقتضي ظاهره انهن ليس متحليات بالتقوى قال ابن عباس لا ترخصن
بالقول وقال الحسن لا تكلمن بالرفث وقال الكلبي لا تكلمن بما يهوى
المريب وقال ابن زيد الخضوع بالقول ما يدخل في القلوب الغزل وقيل
لا يلن للرجال القول امر تعالى ان يكون الكلام جزلا على وجه يظهر في القلب
علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة
الرجال برخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات فنهاهن عن ذلك ه

وقال الشاعر

يتكلم لو تستطيع كلامه لدنت له اروى الهضاب الصخد ه
لو انها عرضت لاشمط راهب عبد الا له صرورة متعبد ه
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالها رشدا وان لم يرشد ه

وقرأ الجمهور فيطمع بفتح الميم ونصب العين جوابا للنهي وابان بن عثمان وابن هرمز
بالجزم فكسرت العين لالتقاء الساكنين نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض
القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا تطمع وقراءة النصب ابلغ لانها تقتضي
الخضوع سبب الطمع وقال ابو عمرو الداني قرأ الاعرج وعيسى فيطمع بفتح
الياء وكسر الميم ونقلها ابن خالويه عن ابي السمال قال وقد روي ذلك عن
ابن محيصن وذكر ان الاعرج وهو ابن هرمز قرأ فيطمع بضم الياء وفتح العين
وكسر الميم اي فيطمع هو اي الخضوع بالقول والذي مفعول او الذي فاعل
والمفعول محذوف اي فيطمع نفسه والمرض قال قتادة النفاق وقال
عكرمة الفسق والغزل وقلن قولا معروفا وهو الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس
قال ابن عباس المرأة تندب اذا خاطبت الاجانب والمحرم عليها بالمصاهرة
الى الغلظة في القول من غير رفع الصوت فانها مأمورة بخفض الكلام وقال الكلبي
معروفا صحيحا بلا هجر ولا تمريض وقال الضحاك عنيفا وقيل خشنا [illegible] ثلث
وقيل معروفا اي قولا اذن لكم فيه وقيل ذكر الله وما يحتاج اليه من الكلام
وقرأ الجمهور وقرن بكسر القاف من وقر يقر اذا سكن واصله اوقرن مثل عدن
من وعد وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا
اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والقرة اجتمعوا فكونوا قارة
فالمعنى اجمعن انفسكن في بيوتكن وقرن امرين قال كما تقول خفن من خاف
او من القرار فتقول قررت بالمكان واصله واقررن حذفت الراء الثانية
تخفيفا كما حذفوا لام ظللت ثم نقلت حركتها الى القاف فذهبت الف الوصل
وقال ابو علي ابدلت الراء ونقلت حركتها الى القاف ثم حذفت الياء لسكونها
وسكون الراء بعدها انتهى وهذا غاية في التمحل كعادته وقرأ عاصم ونافع
بفتح القاف وهي لغة للعرب يقولون قررت بالمكان بكسر الراء اقر بفتح القاف

حكاه

العين

٢

حكاه ابو عبيد والزجاج وغيرهما وانكرها قوم منهم المازني وقالوا بكسر الراء من قرر
العين ويفتحها من القرار وقرأ ابن ابي عبلة واقررن بالف الوصل وكسر الراء
الاولى وتقدم لنا الكلام على قرن واثبته بالفتح والكسر من القرار ومن القرة
امرهن تعالى بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج واعلم تعالى انه فعل
الجاهلية الاولى وكانت عائشة اذا قرأت هذه الآية بكت حتى تبل خمارها
تتذكر خروجها ايام الجمل تطلب بدم عثمان وقيل لسودة لم لا تحجين وتعتمرين
كما يفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي
فما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها ه ولا تبرجن قال مجاهد
وقتادة التبرج التبختر والتغنج والتكسر وقال مقاتل تلقي الخمار على وجهها
ولا تشده وقال المبرد تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره والجاهلية الاولى
تدل على ان ثم جاهلية متقدمة واخرى متأخرة فقيل هما ابنان لادم سكن
احدهما الجبل فذكورا ولاده صباح واناثهم قباح والآخر السهل واولاده على
عكس ذلك فسوى لهم ابليس عيدا يجتمع جميعهم فيه فمال ذكور الجبل الى اناث
السهل وبالعكس فكثرت الفاحشة فهو تبرج الجاهلية الاولى وقال عكرمة
والحكم بن عيينة ما بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة كان الرجال صباحا والنساء
قباحا فكانت المرأة تدعو الرجل الى نفسها وقال ابن عباس وقال ايضا الجاهلية
الاولى ما بين ادريس ونوح كانت الف سنة تجمع المرأة بين زوج وعشيق وقال
الكلبي وغيره ما بين نوح وابراهيم قال مقاتل زمن نمرود بغايا يلبسن ارق
الدروع ويمشين في الطرق وقال الزمخشري والجاهلية الاولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت
المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقال ابو العالية زمن داود وسليمان كان للمرأة قميص من الدر غير مخيط الجانبين
يظهر منه الاعكان والسرتان وقال المبرد كانت المرأة تجمع بين زوجها وخلمها
للزوج نصفها الاسفل وللخلم نصفها يتمتع به في التقبيل والترشف وقيل ما بين
موسى وعيسى ومحمد عليهما السلام وقال مقاتل الاولى زمن ابراهيم والثانية
زمن محمد عليه السلام قبل ان يبعث وقال الزجاج الاشبه قول الشعبي لانهم
هم الجاهلية المعروفون كانوا يتخذون البغايا وانما قيل الاولى لانه يقال
لكل متقدم ومتقدمة اول واولى وتاويله انهم تقدموا على امة محمد صلى الله
عليه وسلم فهم اولى وهم اول من امة محمد عليه السلام وقال عمر لابن عباس وهل
كانت الجاهلية الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت الاولى الا ولها آخرة
فقال عمر لله درك يا ابن عباس وقال الزمخشري والجاهلية الاخرى ما بين
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية
في الاسلام يتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال
بل جاهلية كفر انتهى والمعروف في الحديث انه عليه السلام انما قال انك امرؤ

عيسى ومحمد عليهما السلام ... علي تكون الجاهلية الاولى قبل الاسلام
ويجوز ان الكفر جاهلية والجاهلية الاخرى صح

قبل جاهلية لا في الدرداء رضي الله عنه وقال ابن عطية والذي يظهر عندي أنه أشار
إلى الجاهلية التي لحقنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع
من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجبة وجعلها
أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى وقد مر اسم
الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام فقالوا جاهلي في الشعراء وقال
ابن عباس في البخاري سمعت أبي في الجاهلية إلى غير هذا انتهى وأقمن الصلوة
أمرهن أمرًا خاصًا بالصلاة والزكوة إذ هما عمودا الطاعة البدنية والمالية
ثم جاء بهما في عموم الأمر بالطاعة ثم بين أن نهيهن وأمرهن ووعظهن إنما
هو لإذهاب المآثم عنهن وتصونهن بالتقوى واستعار الرجس للذنوب
والطهر للتقوى لأن عرض المقترف للمعاصي يتدنس بها ويتلوث كما يتلوث
بدنه بالأرجاس وأما الطاعات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر
وفي هذه الاستعارة تنفير عما نهى الله عنه وترغيب فيما أمر به والرجس يقع على
الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص فأذهب الله جميع ذلك
عن أهل البيت وقال الحسن الرجس هنا الشرك وقال السدي الإثم وقال
ابن زيد الشيطان وقال الزجاج الفسق وقيل المعاصي كلها ذكره الماوردي
وقيل الشك وقيل البخل والطمع وقيل الأهواء والبدع وانتصب أهل على النداء
أو على المدح أو على الاختصاص وهو قليل في المخاطب ومنه بك الله نرجو الفضل
وأكثر ما يكون في المتكلم وقوله نحن بنات طارق نمشي على النمارق ولما كان
أهل البيت يشملهن وآباءهن غلب المذكر على المؤنث فجاء الخطاب عنكم ويطهركم
وقول عكرمة ومقاتل وابن السائب إن أهل البيت في هذه الآية مختص بزوجاته
عليه السلام ليس بجيد إذ لو كان كما قالوا لكان التركيب عنكن ويطهركن وإن كان
هذا القول مرويًا عن ابن عباس فلعله لا يصح عنه وقال أبو سعيد الخدري
هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وروي نحوه عن أنس وعائشة
وأم سلمة وقال الضحاك هم أهله وأزواجه وقال زيد بن أرقم والثعلبي
بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة آل العباس وآل علي وآل عقيل وآل جعفر ويظهر
أنهم زوجاته وأهله فلا تخرج الزوجات عن أهل البيت بل يظهر أنهن أحق
بهذا الاسم لملازمتهن بيته عليه السلام وقال ابن عطية والذي يظهر أن زوجاته
لا يخرجن عن ذلك البتة فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها وقال
الزمخشري وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي من أهل بيته ثم ذكر لهن أن بيوتهن
مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين
هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع
إن الله كان لطيفًا خبيرًا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم
من يصلح لنبوته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام جامعًا بين
الغرضين انتهى واذكرن بما قبله يدل على أنهن من أهل البيت ومن لم يدخلهن
قال هي ابتداء مخاطبة واذكرن إما بمعنى احفظن وتذكرنه وإما اذكرنه لغيركن

وادرسه

وادرسنه حتى يصل من آيات الله هو القرآن والحكمة هي ما كان من حديثه وسنته
عليه السلام غير القرآن ويحتمل أن يكون وصفًا للآيات وفي قوله لطيفًا تليين وفي
خبيرًا تحذير ما وقرأ زيد بن علي ما يتلى بتاء التأنيث والجمهور بالياء وروي
أن نساءه عليه السلام قلن لرسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا وقيل
السائلة أم سلمة وقيل لما نزل في نسائه ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت إن المسلمين الآية وهذه الأوصاف العشرة تقدم شرحها فبدأ
أولًا بالانقياد الظاهر ثم بالتصديق ثم بالأوصاف التي بعدهما لتندرج في الإسلام
وهو الانقياد وفي الإيمان وهو التصديق ثم ختمها بخلة المراقبة وهي ذكر الله كثيرًا
ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقًا إلا في قوله والحافظين فروجهم والذاكرين الله
نص على متعلق الحفظ لكونه مزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة وعلى متعلق الذكر
بالاسم الأعظم وهو لفظ الله إذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه ليتذكر المسلم من
يذكره وهو الله تعالى وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم
والتقدير والحافظاتها والذاكراته أعد الله لهم غلب الذكور فجمع الإناث معهم
وأدرجهم في الضمير ولم يأت التركيب لهم ولهن

قوله عز وجل وما كان لمؤمن

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمرًا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا
وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرًا
زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن
وطرًا وكان أمر الله مفعولًا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله
في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرًا مقدورًا الذين يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبًا ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا هو الذي يصلي عليكم
وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا تحيتهم يوم يلقونه
سلام وأعد لهم أجرًا كريمًا يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا
وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا
قال الجمهور ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم خطب الرسول لزيد زينب
بنت جحش فأبت وقالت لست بناكحته فقال بل فانكحيه فقد رضيته لك
فأبت ونزلت وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك فلما نزلت الآية رضيا
وقال ابن زيد وهبت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول امرأة هاجرت
للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها فقال قد قبلتك وزوجها زيد بن حارثة فسخطت
هي وأخوها وقالا إنما أردناه فزوجنا عبده فنزلت والسبب الأول أصح ومناسبة
هذه الآية أنه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من الإسلام فما بعده عقب ذلك
بما صدر من بعض المسلمين إذ أشار الرسول بأمر ووقع منهم الإباء له فأنكر عليهم

اذ طاعته عليه السلام من طاعة الله وامره من امره والخيرة مصدر من تخير
على غير قياس كالطيرة من تطير وقرئ بسكون اليا ذكره عيسى بن سليمان وقرا الحرميان
والعربيان وابو جعفر وشيبة والاعرج وعيسى ان تكون بتاء التانيث والكوفيون
والحسن والاعمش والسلمي بالياء ولما كان قوله لمؤمن ولا مؤمنة يعم في سياق
النفي جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله لهم مغلبا فيه المذكر على المؤنث وقال
الزمخشري كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان
من شانه كذا انتهى وليس كما ذكر لان هذا عطف بالواو فلا يجوز افراد الضمير الا على
تاويل الحذف اي ما جاءني من رجل الا كان من شانه كذا وتقول ما جاء زيد ولا عمرو
الا ضربا خالدا ولا يجوز الا ضرب الا على الحذف كما قلنا ٥ واذ تقول الخطاب للرسول
عليه السلام للذي انعم الله عليه بالاسلام وهو اجل النعم وهو زيد بن حارثة الذي
كان الرسول تبناه وانعمت عليه وهو عتقه وتقدم طرف من قصته في اوائل السورة
امسك عليك زوجك وهي زينب بنت جحش وتقدم ان الرسول كان خطبها له
وقيل انعم الله بصحبتك ومودتك وانعمت عليه بتبنيه فجاء زيد فقال
يا رسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي اارابك منها شيء قال لا والله ولكنها
تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال امسك عليك زوجك لا تطلقها
وهو امر ندب واتق الله اي في معاشرتها فطلقها وتزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد انقضاء عدتها وعلل تزويجه اياها بقوله لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ان يتزوجوا زوجات من كانوا تبنوهم اذا فارقوهن وان هولاء الزوجات
ليست داخلات فيما حرم في قوله وحلائل ابنائكم وقال علي بن الحسين قد
اوحى الله اليه ان زيدا سيطلقها وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكا
زيد خلقها وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له امسك عليك
زوجك واتق الله على طريق الادب والوصية وهو يعلم انه سيطلقها وهذا
الذي اخفى في نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيطلقها وخشي رسول الله
ان يلحقه قول من الناس في ان تزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها
فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد اباحه الله بان قال امسك مع علمه انه
يطلق واعلمه ان الله احق بالخشية اي في كل حال انتهى وهذا المروي عن علي
ابن الحسين هو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء
والقشيري والقاضي ابو بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما
هو ارجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم
في حركاته وسكناته ولبعض المفسرين كلام في الاية يقتضي النقص من منصب
النبوة ضربنا عنه صفحا وقيل قوله واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
خطاب من الله عز وجل او من النبي صلى الله عليه وسلم لزيد فانه اخفى الميل اليها
واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون من نسائه انتهى
وللزمخشري في هذه الاية كلام طويل وبعضه لا يليق ذكره بما فيه غير صواب
مما جرى فيه على مذهب الاعتزال وغيره واخترت منه ما انصه قال كم من

شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع
وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى
حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من
الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الاشياء ولبابها
دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوا
مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحيا يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت
ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض لقالة فهذا من ذلك
القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة وغيرها غير موصوف بالقبح في
العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب
ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل
منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين
حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان
نزل عن احداهما وانكحها المهاجر فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه
وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك
بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت
الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة
في قوله لكي لا يكون الاية انتهى ما اخترناه من كلام الزمخشري وقوله امسك عليك
فيه وصول الفعل الرافع الضمير المتصل الى الضمير المجرور وهما لشخص واحد فهو كقوله
هون عليك ودع عنك نهبا صيح في حجراته ٥ وذكروا في مثل هذا التركيب ان
على وعن اسمان ولا يجوز ان يكونا حرفين لامتناع فكر فيك واعني بك هذا مما
يكون فيه الفعل اي فكر في نفسك واعني بنفسك وقد تكلمنا على هذا في قوله
وهزي اليك واضمم اليك جناحك وقال الحوفي وتخفي في نفسك مستانف
وتخفي معطوف على وتخشى وقال الزمخشري واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك
زوجك مخفيا في نفسك اراده ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس او واو العطف
كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا فلانه وخشية الناس انتهى ولا يكون
وتخفي حالا الا على اضمار مبتدا اي وانت تخفي لانه مضارع مثبت فلا يدخل عليه الواو
الا على ذلك الاضمار وهو مع ذلك قليل نادر لا يبنى على مثله القواعد ومنه قولهم
قمت واصك عينه اي واصك عينه والله احق ان تخشاه تقدم اعراب نظيره في التوبة فلما
قضى زيد منها وطرا اي حاجة قيل وهو الجماع قاله ابن عباس وروى ابو عصمة
نوح بن ابي مريم باسناد رفعه الى زينب انها قالت ما كنت امتنع منه غير ان الله
منعني منه وقيل انه منذ تزوجها لم يتمكن من الاستمتاع بها وروي انه كان يتورم ذلك
منه حين يريد ان يقربها وقال قتادة الوطر هنا الطلاق وقرا الجمهور زوجنا
بنون العظمة وجعفر بن محمد وابن الحنفية واخواه الحسن والحسين وابوهم علي

زوجناكها بنا الضمير للمتكلم ونفي تعالى الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين
مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن
وكان امر الله اي مقتضي امر الله او مضمن امره قال ابن عطية والا فالامر قديم لا
يوصف بانه مفعول ويحتمل على بعد ان يكون الامر واحد الامور التي شانها ان
تفعل وقال الزمخشري وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة
وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ويجوز ان يراد بامر الله المكون
لانه مفعول بكن ولما نفي الحرج عن المؤمنين فيما ذكروا اندرج الرسول فيهم اذ هو
سيد المؤمنين نفي عنه الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف
ونفي الحرج عنه مرتين احداهما بالاندراج في العموم والاخرى بالخصوص
فيما فرض الله له قال الحسن فيما خصه به من جهة النكاح بلا صداق
وقال قتادة فيما احل له وقال الضحاك في الزيادة على الاربع وكانت
اليهود عابوه بكثرة النكاح وكثرة الازواج فرد الله عليهم بقوله سنة الله اي
في الانبيا بكثرة النسا حتى كان لسليمان عليه السلام ثلثماية حرة وسبعمائة
سرية وكان لداود مائة امراة وثلثماية سرية **وقيل** الاشارة الى ان
الرسول جمع بينه وبين زينب كما جمع بين داود وبين التي تزوجها بعد قتل
زوجها وانتصب سنة الله على انه اسم موضوع موضع المصدر قاله الزمخشري
او على المصدر او على اضمار فعل تقديره الزم او نحوه او على الاغراء كانه قال
فعليه سنة الله قاله ابن عطية وقوله او على الاغراء ليس بجيد لان عامل الاسم
في الاغراء لا يجوز حذفه وايضا فتقديره فعليه سنة الله بضمير الغائب
لا يجوز ذلك في الاغراء لا تغري غائب وما جاء من قولهم عليه رجلا ليسني له
تاويل وهو مع ذلك نادر والذين خلوا الانبيا بدليل وصفهم بعد بقوله الذين
يبلغون رسالات الله وكان امر الله اي ماموراته والكائنات عن امره فهي
مقدرة وقوله قدرا اي ذا قدر او عن قدر او قضا مقضيا وحكما مبتوتا
والذين صفة للذين خلوا او مرفوع او منصوب على اضمار هم او على المدح **وقرا**
عبد الله الذين بلغوا جعله فعلا ماضيا **وقرا** ابي رسالة الله على التوحيد والجمهور
يبلغون ورسالات جمعا وكفى بالله حسيبا اي محاسبا على جميع الاعمال والعقائد
او محسبا اي كافيا ثم نفي تعالى كون رسوله ابا احد من رجالهم بينه
وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ما يثبت بين الاب وولده هذا
مقصود هذه الجملة وليس المقصود انه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في
امر بنيه بانهم كانوا ماتوا ولا في امر الحسن والحسين بانهما كانا طفلين
واضافة رجال لكم الى ضمير المخاطبين يخرج من كان من بنيه لانهم رجاله لا رجال
المخاطبين **وقرا** الجمهور ولكن رسول بتخفيف لكن ونصب رسول على اضمار
كان لدلالة كان المتقدمة عليه قيل او على العطف على ابا احد **وقرا** عبد
الوارث عن ابي عمرو بالتشديد والنصب على انه خبر لكن والخبر محذوف تقديره
ولكن رسول الله وخاتم النبيين هو اي محمد صلى الله عليه وسلم وحذف خبر لكن

واخواتها

واخواتها جايزا اذا دل عليه الدليل ومما جاء في لكن **قول الشاعر**

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجيا عظيم المشافر

اي انت لا تعرف قرابتي **وقرا** زيد بن علي وابن ابي عبلة بالتخفيف ورفع رسول
وخاتم اي ولكن هو رسول الله كما **قال الشاعر**

ولست الشاعر السفساف فيهم ... ولكن مدره الحرب العوان

اي ولكن انا مدره **وقرا** الجمهور وخاتم بكسر التاء بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم
وروي عنه انه قال انا خاتم الف نبي وعنه انا خاتم النبيين في حديث واللبنة
وروي عنه عليه السلام الفاظ تقتضي نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم والمعنى
انه لا يتنبى احد بعده ولا يرد نزول عيسى اخر الزمان لانه ممن نبي قبله وينزل عاملا
على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته قال ابن عطية
وهذا ذكره القاضي ابو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في الفاظ
هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا المعنى في كتابه الذي
سماه بالاقتصاد الحاد عندي وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختم
محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته **وقرا** الحسن
والشعبي وزيد بن علي والاعرج بخلاف وعاصم بفتح التاء بمعنى انهم به ختموا فهو
كالخاتم والطابع لهم ومن ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي
افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله وقد ادعى النبوة ناس فقتلهم المسلمون
على ذلك وكان في عصرنا شخص من الفقرا ادعى النبوة بمدينة مالقة فقتله السلطان
ابن الاحمر ملك الاندلس بغرناطة وصلب الى ان تناثر لحمه ٥ وكان الله بكل شي
عليما مذا عاما والقصد هنا علمه تعالى بما راه الاصلح لرسوله وبما قدره في الامر
كله ثم امر المؤمنين بذكره بالثنا عليه وتحميده وتقديسه وتنزيهه عما لا
يليق به والذكر الكثير قال ابن عباس ان لا ينساه ابدا والتسبيح مندرج في الذكر لكنه
خص لانه تنزيهه تعالى عما لا يليق به فهو افضل ومن افضل الاذكار وعن
قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب بكرة واصيلا تقتضيهما
اذكروا وسبحوا والنصب بالثاني على طريق الاعمال والوقتان كناية عن جميع
الزمان ذكر الطرفان اشعارا بالاستغراق وقال ابن عباس اي صلوا صلاة
الفجر والعشا وقال الاخفش ما بين العصر الى العشا وقال قتادة الاشارة
بهذين الوقتين الى صلاة الغداة وصلاة العصر ويجوز ان يكون الامر بالذكر واكثاره
تكثير الطاعات والاقبال على الطاعات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر
ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة
على غيرها او صلوة الفجر والعشا لان اداهما اشق ولما امرهم بالذكر والتسبيح
ذكر احسانه تعالى بصلاته عليهم هو وملائكته قال الحسن يصلي عليكم يرحمكم
وقال ابن جبير يغفر لكم وقال ابو العالية يثني عليكم وقيل يترأف بكم وصلاة
الملايكة الاستغفار كقوله ويستغفرون للذين امنوا وقال مقاتل الدعاء

والمعني هو الذي يترحم عليكم حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقال ابن زيد من الضلالة الى الهدى
وقال مقاتل من الكفر الى الايمان وقيل من النار الى الجنة حكاه الماوردي وقيل
من القبور الى البعث وملائكته معطوف على الضمير المرفوع المستكن في يصلي واغنى
الفصل بالجار والمجرور عن التاكيد وصلوة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا
في قدر مشترك وهو ارادة وصول الخير اليهم فالله تعالى يريد برحمته اياهم ايصال
الخير اليهم وملائكته يريدون بالاستغفار ذلك وقال الزمخشري جعلوا لكونهم
مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قولهم حياك الله اي
احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك
على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة كقولك عمرك الله وعمرتك وسقاك
الله وسقيتك وعليه قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه اي ادعوا له بان يصلي عليه وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد
بالصلاة الرحمة انتهى وما ذكره من قوله كانهم فاعلون فيه الجمع بين الحقيقة
والمجاز وما ذكرناه من ان الصلاتين اشتركا في قدر مشترك اولى تحيتهم يوم يلقونه
اي يوم القيمة سلام اي تحية الله يقول للمومنين السلام عليكم مرحبا بعبادي
الذين ارضوني باتباع امري قاله الرقاشي وقيل تحييهم الملائكة بالسلامة
من كل مكروه وقال البراء بن عازب معناه ان ملك الموت لا يقبض روح المومن
حتى يسلم عليه وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض روح المومن قال
ربك يقريك السلام قيل فعلى هذا المعنى في قوله يلقونه كناية عن غير مذكور وقيل
سلام الملائكة عند خروجهم من القبور وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي
بعضهم بعضا بالسلام اي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملائكة
يومئذ وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة
والتحية مصدر في هذه الاقوال اضيف الى المفعول الا في قول من قال بعضهم
فانه مصدر مضاف للمحيي والمحيا لا على جهة العمل لان الضمير الواحد لا يكون
فاعلا مفعولا ولكنه كقوله وكنا لحكمهم شاهدين اي للحكم الذي جرى بينهم
وانبعث اليهم فكذلك هذه التحية الجارية بينهم هي سلام وفرق المبرد بين
التحية والسلام فقال التحية تكون لك دعا والسلام مخصوص ومنه ويلقون
فيها تحية وسلاما والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم
وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله وشاهدا بالتبليغ اليهم وبتبليغ الانبيا
قبلك وانتصب شاهدا على انه حال مقدرة اذ كان وقت الارسال لم يكن شاهدا
عليهم وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة وعند ادائها او لانه اقرب
زمان البعثة والايمان من امن وتكذيب من كذب كان ذلك وقع في زمان واحد
وداعيا الى الله قال ابن عباس الى شهادة ان لا اله الا الله وقال ابن عيسى
الى الطاعة باذنه اي بتسهيله وتيسيره ولا يراد به حقيقة الاذن لانه قد
فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعا وما كان دعا المرسل

الي

الى التوحيد صعبا جدا قيل باذنه اي بتسهيله تعالى وسراجا منيرا اجلى به ظلمات
الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدي به
اذا امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه
بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وقال الزجاج
هو معطوف على شاهدا اي وذا سراج منيرا اي كتاب نير وقال الفراء ان شئت كان
نصبا على معنى وتاليا سراجا منيرا وقال الزمخشري ويجوز على التقدير ان يعطف
على كاف ارسلناك انتهى ولا يتضح هذا الذي قاله اذ يصير المعنى ارسلناك
ذا سراج منير وهو القرآن ولا يوصف بالارسال القرآن انما يوصف بالانزال
وكذلك ايضا اذا كان التقدير وتاليا يصير المعنى ارسلنا تاليا سراجا منيرا ففيه
عطف الصفة التي للذات على الذات كقولك رايت زيدا والعالم اذا كان العالم
صفة لزيد والعطف مشعر بالتغاير ولا يحسن مثل هذا التخريج في كلام الله ويتعين
حمل على ما تقتضيه الفصاحة والبلاغة ولما ذكر تعالى انه ارسل نبيه شاهدا الى
اخر تضمن ذلك الامر بتلك الاحوال فكانه قال فاشهد وبشر فانذر وادع وانر ثم
قال وبشر المومنين فهذا متصل بما قبله من جهة المعنى وان كان يظهر انه منقطع
من الذي قبله والفضل الكبير الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل او المزيد
على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكثره فما ظنك بالثواب او ما فضلوا به على سائر
الامم وذلك من جهته تعالى او الجنة وما اوتوا فيها ويفسره والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي له عليه السلام عن السماع منهم
في اشياء كانوا يطلبونها مما لا يجب وفي اشياء يتنصحون بها وهي غش ودع اذاهم
الظاهر اضافته الى المفعول لما نهي عن طاعتهم امر بتركه اذايتهم وعقوبتهم ونسخ
منه ما يخص الكافرين باية السيف وتوكل على الله فانه ينصرك ويخذلهم ويجوز
ان يكون مضافا للفاعل اي ودع اذايتهم اياك اي مجازاة الاذاية من عقاب وغيره
حتى يؤمر وهذا تاويل مجاهد ٥ يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى
ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ۞ لما
ذكر تعالى قصة زيد وزينب وتطليقه اياها وكانت مدخولا بها واعتدت

هذا ج

قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا

وخطبها الرسول عليه السلام بعد انقضاء عدتها بنت خالد من طلقت قبل
المسيس وانها لا عدة عليها ومعنى نكحتم عقدتم عليهن وسمي العقد نكاحا
لانه سبب اليه كما سميت الخمر اثما لانها سبب له قالوا ولفظ النكاح في كتاب الله
لم يرد الا في العقد وهو من اداب القرآن كما كنى عن الوطء بالمماسة والملامسة
والقربان والتغشي والاتيان قيل الا في قوله حتى تنكح زوجا غيره فانه بمعنى
الوطء وقد تقدم الكلام عليه في البقرة والكنايات وان شاركت المؤمنات
في هذا الحكم فتخصيص المؤمنات بالذكر تنبيه على ان المؤمن لا ينبغي ان يتخير
لنطفته الا المؤمنة وفائدة المجيء بثم وان كان الحكم ثابتا لمن تزوجت وطلقت
على الفور ولمن تاخر طلاقها قال الزمخشري نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها
بالنكاح وتتراخى بها المدة في حالة الزوج ثم يطلقها انتهى واستعمل صلة
لمن عسى وهو لا يجوز ولوحظ في ذلك الغالب فان من قدر على العقد على امرأة
انما يكون ذلك لرغبة فيبعد ان يطلقها على الفور لان الطلاق مشعر بعدم
الرغبة فلا بد ان يتخلل من العقد والطلاق مهلة يظهر فيها للزوج ما يدعو
المرأة وان المصلحة في ذلك له والظاهر ان الطلاق لا يكون الا بعد العقد
ولا يصح طلاق من لم يعقد عليها عينها او قبيلتها او البلد وهو قول الجمهور من
الصحابة والتابعين وقالت طائفة كثيرة منهم مالك يصح ذلك والظاهر
ان المسيس هنا كناية عن الجماع وانه اذا خلا بها ثم طلقها لا تعتد وعند
ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المسيس والظاهر ان المطلقة
رجعية اذا راجعها زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها لا تتم
عدتها من الطلقة الاولى ولا تستقبل عدة لانها مطلقة قبل الدخول بها
وبه قال داود وعطاء وجماعة تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد
قولي الشافعي وقال مالك لا تبني على العدة من الطلاق الاول وتستانف
العدة من يوم طلقها الطلاق الثاني وهو قول جمهور فقهاء الامصار
والظاهر ايضا انها لو كانت بائنا غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها
قبل الدخول كالرجعية في قول داود ليس عليها عدة لا بقية عدة الطلاق الاول
ولا استيناف عدة للثاني ولها نصف المهر وقال الحسن وعطاء وعكرمة
وابن شهاب ومالك والشافعي وعثمان البتي وزفر لها نصف الصداق
وتتم بقية العدة الاولى وقال الثوري والاوزاعي وابو حنيفة
وابو يوسف لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم
المدخول بها لاعتدادها من مائه **وقرا** الجمهور تعتدونها بتشديد الدال
افتعل من العد اي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها
اي استوفى عددها نحو قولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وعن ابن كثير
وغيره من اهل مكة بتخفيف الدال ونقلها عن ابن كثير ابن خالويه وابو الفضل
الرازي وقال ابن عطية وروي عن ابي برزة عن ابن كثير بتخفيف الدال من العدوان

كانه

كانه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما لهن والقراءة الاولى اشهر
عن ابن كثير وتخفيف الدال وهم من ابن ابي برزة انتهى وليس بوهم اذ قد نقلها عن
ابن كثير ابن خالويه وابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراآت ونقلها
الرازي المذكور عن اهل مكة وقال هو من الاعتداد لا محالة لكنهم كرهوا التضعيف
فخففوه قال فان جعلت من الاعتداء الذي هو الظلم ضعف لان الاعتداء يتعدى
بعلى انتهى واذا كان يتعدى بعلى فيجوز ان يحذف على ويصل الفعل الى الضمير نحو قوله
تحن فتبدي ما بها من صبابة ۞ واخفي الذي لولا الاسى لقضاني ۞
اي لقضى علي وقال الزمخشري **وقرئ** تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله
ويوما شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انتهى
ويعني انه اتصل بالفعل لما حذف حرف الجر وصل الفعل الى ضمير العدة كقوله
ويوما شهدناه سليما وعامرا ۞ اي شهدنا فيه واما على تقدير على فالمعنى
تعتدون عليهن فيها **وقرا** الحسن باسكان العين كغيره وتشديد الدال
جمعا بين الساكنين وقوله فما لكم يدل على ان العدة حق للزوج فيها غالب
وان كانت لا تسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى والظاهر ان من طلقت
قبل المسيس لها المتعة مطلقا سواء كانت ممهورة ام مفروضا لها **وقيل**
يختص هذا الحكم بمن لا مسمى لها والظاهر ان الامر فيها للوجوب وقيل
للندب ۞ وتقدم الكلام مشبعا في المتعة في البقرة والسراح الجميل هو كلمة طيبة
دون اذى ولا منع واجب **وقيل** ان لا يطالبها بما اتاها ولما بين تعالى
بعض احكام انكحة المؤمنين اتبعه بذكر طرف من نساء النبي صلى الله عليه وسلم والاجور
المهور لانه اجر على الاستمتاع بالبضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع وفي وصفهن
باللاتي اتيت اجورهن تنبيه على ان الله اختار لنبيه الافضل والاولى
لان ايتاء المهر اولى وافضل من تاخيره ليقضي الزوج عن عهدة الدين وتشغل ذمته
به ولان تاخيره يقتضي انه يتمتع بها مجانا دون عوض تسلمته والتعجيل كان
سنة السلف لا يعرف منهم غيره الا ترى الى قوله عليه السلام لبعض الصحابة
حين شكا حالة التزوج فاين درعك الحطمية وكذلك تخصيص ما ملكت
يمينه بقوله مما افاء الله عليك لانها اذا كانت سبية مالكها مما غنمه
الله من اهل دار الحرب كانت احل واطيب مما يشترى من الجلب فما سبي من دار الحرب
قيل فيه سبي طيبة ومن له عهد قيل فيه سبي خبثة وفي الله لا يطلق الا على الطيب
دون الخبيث والظاهر ان قوله انا احللنا لك ازواجك مخصوص لفظة ازواج
بمن كانت في عصمته كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر وقال ابن زيد اي
من يتزوج بمهر ومن تزوجتها وجميع النساء حتى ذوات المحارم من ممهورة ورقيق
وواهبة مخصوصة به ثم قال بعد ترجي من تشاء منهن اي من هذه الاصناف
كلها ثم الضمير بعد ذلك يعم الى قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فينقطع من
الاول ويعود على ازواجه التسع فقط وفي التاويل الاول تضييق وعن ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج اي الناس شاء وكان ذلك يشق على نسائه

فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الا من سمى سُرّ نساؤه بذلك وملك
اليمين انما يعلقه في النادر وبنات العم ومن ذكر معهن يسير ومن يمكن ان يتزوج
منهن محصور عند نسائه ولا سيما وقد قرن بشرط الهجرة والواهبة ايضا من
النساء قليل فلذلك سروا باختصار الامر بحرمة ترجي من تشاء منهن اشارة الى
ما تقدم من قوله ترجي ولا ان تبدل بهن من ازواج اشارة الى ازواجه اللواتي
التي تقدم النص عليهن بالتحليل فيأتي الكلام متسقا مطردا اكثر من اطراده على
التأويل الآخر وبنات عماتك قالت ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم نزلت هذه الآية فحرمني عليه
لاني لم اهاجر معه وانما كنت من الطلقاء والتخصيص باللاتي هاجرن معك لان
من هاجر معه من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات وقيل شرط الهجرة في
التحليل منسوخ ٥ وحكى الماوردي في ذلك قولين احدهما ان الهجرة شرط في
احلال الازواج على الاطلاق والثاني انه شرط في احلال قراباته المذكورات في
الآية دون الاجنبيات والمعية هنا الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة فيها
يقال دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم يقترنا في الزمان ولو
قلت خرجنا معا اقتضى المعنيين الاشتراك في الفعل والاقتران في الزمان وافرد
العم والخال لانه اسم جنس والعمة والخالة ليست كذلك وهذا عرف لغوي قاله
ابو بكر بن العربي القاضي وامرأة مؤمنة قال ابن عباس وقتادة هي ميمونة
بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك وقال
عروة والشعبي هي زينب بنت خزيمة ام المساكين امرأة من الانصار وقال عروة ايضا
هي خولة بنت حكيم بن الاوقص السلمية واختلف في ذلك فعن ابن عباس لم
يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع
ميمونة بنت الحرث ومن ذكر معها قبل وقرأ الجمهور وامرأة بالنصب ان وهبت
بكسر الهمزة اي احللناها لك ان وهبت اذا اراد فهما شرطان والثاني في معنى
الحال شرط في معنى الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح النبي كانه
قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته
هي قبول الهبة وما به تتم وهذان الشرطان نظير الشرطين في قوله ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم واذا اجتمع شرطان فالثاني
شرط في الاول متأخر في اللفظ متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب
نحو ان تزوجتك او طلقتك فعبدي حر واجتماع الشرطين مسألة فيها خلاف
وتفصيل وقد استوفينا ذلك في شرح التسهيل في باب الجوازم وقرأ ابو حيوة
وامرأة مؤمنة بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي احللناها لك وقرأ أُبي
والحسن والشعبي وعيسى وسلام أن بفتح الهمزة وتقديره لأن وهبت وذلك
حكم في امرأة بعينها فهو فعل ماض وقراءة الكسر استقبال في كل امرأة كانت تهب
نفسها دون واحدة بعينها وقرأ زيد بن علي اذ وهبت اذ ظرف لما مضى فهو
في امرأة بعينها وعدل عن الخطاب الى الغيبة في للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى

الخطاب

الخطاب في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي
للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه
الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه والجمهور على ان التزويج لا
يجوز بلفظ الاجارة ولا بلفظ الهبة وقال ابو الحسن الكرخي يجوز بلفظ الاجارة
لقوله اللاتي آتيت اجورهن وحجة من منع ان عقد الاجارة موقت وعقد النكاح
مؤبد فتنافيا وذهب ابو حنيفة وصاحباه الى جواز عقد النكاح بلفظ الهبة
اذا وهبت فاشهد على نفسه بمهر لان رسول الله وامته سواء في الاحكام الا فيما
خصه الدليل وحجة الجمهور انه عليه السلام خص بمعنى الهبة ولفظها جميعا
لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقرأ الجمهور
خالصة بالنصب وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلالها
احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا ويجيء المصدر على فاعل وعلى فاعلة وقال
الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية
والكاذبة انتهى وليس كما ذكر بل هما عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى
قول الفرزدق ٥ ولا خارجا من فيّ زور كلام ٥ والقاعد الى
احد التأويلين في قوله اقاعدا وقد سار الركب والكاذبة الى قوله تعالى ليس لوقعتها
كاذبة وقد تتأول هذه الالفاظ على انها ليست مصادر وقرئ خالصة بالرفع فمن جعله
مصدرا قدره ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين والظاهر ان قوله خالصة لك
من صفة الواهبة نفسها لك فقراءة النصب على الحال قاله الزجاج اي احللناها
خالصة لك والرفع خبر مبتدأ اي هي خالصة لك اي هبة النساء انفسهن مختص بك
لا يجوز ان تهب المرأة نفسها لغيرك واجمعوا على ان ذلك غير جائز لغيره عليه
السلام ويظهر من كلام ابي بن كعب ان معنى قوله خالصة لك يريد به جميع هذه الاباحة
لان المؤمنين قصروا على مثنى وثلاث ورباع وقال الزمخشري والدليل على انها
وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل
التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد
قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل
بخالصة لك من دون المؤمنين في الازواج الاماء وعلى اي حد وصفة يجب
ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك
حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث
احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها ومن جعل خالصة نعتا
للمرأة فعلى هذه المرأة خالصة لك من دونهم انتهى والظاهر ان لكيلا متعلق بقوله
احللنا لك ازواجك وقال ابن عطية لكيلا يكون اي بينا هذا البيان وشرحنا
هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج وتظن بك انك قد اثمت عند ربك ثم
آنس جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته وقال الزمخشري غفورا للواقع في الحرج
اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقيل قد علمنا

ما فرضنا عليهم الآية معناه ان ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك واما حكم امتك
فعندنا علمه وتبيينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على
ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان له في النكاح والتسري خصائص ليست لغيره
وقال مجاهد ما فرضنا عليهم من ان لا يجاوزوا اربعا وقال قتادة من الولي
والشهود والمهر وقيل ما فرضنا من المهر والنفقة والكسوة وما ملكت ايمانهم
قيل لا يثبت الملك الا اذا كانت ممن يجوز سبيها وقيل ما ابحنا لهم من ملك
اليمين مع الاربع الحرائر من غير عدد محصور والمعنى قد علمنا صلاح كل منك ومن
امتك وما هو الاصلح لك ولهم فشرعنا في حقك وحقهم على وفق ما علمنا روي
ان ازواجه عليه السلام لما تغايرن وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهرا
ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك
ما شئت وتقدم الكلام في معنى ترجي في قوله واخرون مرجون لامر الله في سورة
براءة والظاهر ان الضمير في منهن عايد على ازواجه عليه السلام والارجاء والايواء
قال ابن عباس والحسن في طلاق من تشاء ممن حصل في عصمتك وامساك من تشاء
وقالت فرقة في تزوج من تشاء من الواهبات وتأخير من تشاء وقال مجاهد وقتادة
والضحاك وتقرر من شئت في القسمة لها وتؤخر عنك من شئت وتقلل لمن شئت
وتكثر لمن شئت لا حرج عليك في ذلك فاذا علمن ان هذا حكم الله وقضاؤه زالت
الانفة والغيرة عنهن ورضين وقرت اعينهن وهذا مناسب لما روي في
سبب هذه الآية المتقدم ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت اي ومن طلبته من المعزولات
وهن المفردات فلا جناح عليك في ردها وايوائها اليك ويجوز ان يكون ذلك
توكيدا لما قبله اي ومن ابتغيت ممن عزلت ومن عزلت سواء لا جناح عليك كما تقول
من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر تريد من لقيك ومن لم يلقك وفي هذا الوجه
حذف المعطوف وغرابة في الدلائل على هذا المعنى بهذا التركيب والراجح القول
الاول وقال الحسن المعنى من مات من نسائك اللواتي عندك او خليت سبيله
فلا جناح عليك في ان تستبدل عوضها من اللاتي احللت لك فلا تزداد على عدة نسائك
اللاتي عندك وقال الزمخشري بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من
تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك
تزوج من تشاء من امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها ومثله قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما
ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق
وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة
وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن
اوى اليه عايشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي
انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة
وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك انتهى ذلك التفويض الى مشيئتك
ادنى الى قرة عيونهن وانتفاء حزنهن ووجود رضاهن اذا علمن ان ذلك التفويض

من عند الله فجاءته كل منهن كما لو الاخرى في ذلك وقرأ الجمهور ان تقر اعينهن مبنيا
للفاعل من قرت العين وابن محيصن تقر من اقر اعينهن نصبا وفاعل تقر ضمير الخطاب
اي انت وقرئ تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع وقرأ الجمهور كلهن بالرفع تاكيدا لنون
يرضين وابو اناس جوية بن عايذ بالنصب تاكيدا لضمير النصب في اتيتهن والله
يعلم ما في قلوبكم عام قال ابن عطية والاشارة بها هنا الى ما في قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من محبة شخص دون شخص ويدخل في المعنى المؤمنون وقال الزمخشري
وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على
تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضى رسول الله وما فيه
طيب نفسه انتهى وكان الله عليما بما انطوت عليه القلوب حليما يصفح عما يغلب
على القلب من الميول الدنيوية مما لا يملك غالبا واتفقت الروايات على انه عليه
السلام كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئا مما ابيح له ضبطا لنفسه
واخذا بالفضل غير ما جرى لسودة مما ذكرناه ه لا تحل لك النساء من بعد الظاهر
انها محكمة وهو قول ابي بن كعب وجماعة منهم الحسن وابن سيرين واختاره
الطبري ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه فقال ابي وعكرمة والضحاك من
بعد اللواتي احللنا لك في قوله انا احللنا لك ازواجك فعلى هذا المعنى لا
تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص عليهن انهن يحللن لك من الاصناف الاربعة
لا اعرابية ولا عربية ولا كتابية ولا امة بنكاح وقال ابن عباس وقتادة من
بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع
نصاب امته منهن قالا لما خيرن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله ان حظر
عليه النساء غيرهن وتبديلهن ونسخ بذلك ما اباحه له قبل من التوسعة في
جميع النساء وقال مجاهد وابن جبير وروي عن عكرمة من بعد اي من بعد اباحة
النساء على العموم ولا تحل لك النساء اي غير المسلمات من يهودية ولا نصرانية
وكذلك ولا ان تبدل بهن من ازواج اي بالمسلمات من ازواج يهوديات ونصرانيات
نيات
وقيل في قوله ولا ان تبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول
الرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته للاخر
قال معناه ابن زيد وانه كان في الجاهلية وانكر هذا القول الطبري وغيره
في معنى الآية وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن
انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل عليه بغير استئذان وعنده
عايشة من هذه الحميراء فقال عايشة فقال عيينة يا رسول الله ان شئت
نزلت لك عن سيدة نساء العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا اراد ذلك
وانما احتقر عايشة لانها كانت صبية ومن في من ازواج زائدة لتاكيد
النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل الآية منسوخة
فقيل بالسنة قالت عايشة ما مات حتى احل له النساء وروي ذلك عن ام
سلمة وهو قول علي وابن عباس والضحاك وقيل بالقرآن وهو قوله ترجي من
تشاء منهن الآية قاله هبة الله الضرير في الناسخ والمنسوخ وقال

ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا قال ابن عطية وكلامه يضعف
من جهات انتهى **وقيل** قوله انا احللنا لك ازواجك الاية فترتيب
النزول ليس على ترتيب كتابة المصحف وقد روي عن ابن عباس القولان انها
محكمة وانها منسوخة ولو اعجبك حسنهن قيل منهن اسما بنت عميس الخثعمية
امراة جعفر بن ابي طالب والجملة قال الزمخشري في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير
في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك
بهن وتقدم لنا في مثل هذا التركيب انه معطوف على حال محذوفة اي ولا ان
تبدل بهن من ازواج على كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي التبدل وهي حالة
الاعجاب بالحسن قال ابن عطية وفي هذا اللفظ اعجبك حسنهن دليل
على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها انتهى وقد جاء ذلك في السنة
من حديث المغيرة بن شعبة وحديث محمد بن مسلمة الا ما ملكت يمينك اي فانه
يحل لك وما ان كانت موصولة واقعة على الجنس فهو استثنا من الجنس يختار
فيه الرفع على البدل من النسا ويجوز النصب على الاستثنا وان كانت مصدرية
ففي موضع نصب لانه استثنا من غير جنس الاول قال ابن عطية وليس بجيد
لانه قال والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك فاذا كان بمعنى
مملوك صار من جملة النسا لانه لم يرد حقيقة المصدر فيكون الرفع هو الراجح
ولانه قال وهو في موضع نصب ولا يتحتم ان يكون في موضع نصب ولو فرضنا
انه من غير الجنس حقيقة بل الحجاز تنصب وتميم تبدل لانه مستثنى يمكن توجه
العامل عليه نحو ما زاد المال الا النقص فلا يمكن توجه الزيادة على النقص
ولانه قال استثنا من غير الجنس وقال ملك بمعنى مملوك فتناقض وكان الله
على كل شي رقيبا اي راقبا او مراقبا ومعناه حافظ وشاهد ومطلع وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ۝ ۝

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

بسم الله الرحمن الرحيم ● حسبي الله ونعم الوكيل

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ● في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاخذ كانه يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة فجاء فدخل فاذا القوم جلوس فرجع وانهم قاموا فانطلقوا وجئت فاخبرته انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل وذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه وانزل الله عليه هذه الاية وقال ابن عباس كان ناس يتحينون طعامه عليه السلام فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان يتاذى بهم فنزلت ○ واما سبب الحجاب فعمر قال يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت وقال مجاهد طعم معه بعض اصحابه ومعهم عائشة فمست يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك عليه السلام فنزلت اية الحجاب ولما كان نزول الاية في شيء خاص وقع للصحابة لم يدل ذلك على انه لا يجوز دخول بيوت النبي الا ان كان عن اذن الى طعام غير ناظرين اناه بل يجوز دخول بيوته عليه السلام الا باذن سواء كان لطعام ام غيره وايضا فاذا كان النهي الا باذن الى طعام وما عن الحاجة اليه بجهة الاولى وبيوت جمع وان كانت الواقعة في بيت واحد خاص يعم جميع بيوته والا ان يؤذن قال الزمخشري الا ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين اناه انتهى اما ان يؤذن في معنى الظرف وتقديره وقت ان يؤذن لكم وانه اوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح وقد نصوا على ان ان المصدرية لا تكون في معنى الظرف تقول اجيئك صياح الديك وخفوق النجم وقدوم الحاج ولا يجوز اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج واما ان الاستثناء وقع على الوقت والحال معا فلا يجوز على مذهب الجمهور لا يقع بعد الا في الاستثناء الا المستثنى او المستثنى منه او صفة المستثنى منه واجاز الاخفش والكسائي ذلك في الحال اجاز ما ذهب القوم الا يوم الجمعة راحلين عنا فيجوز ما قاله

الزمخشري

الزمخشري في الحال واما قوله الا ان يؤذن لكم فلا يتعين ان يكون ظرفا لانه يكون التقدير الا بان يؤذن لكم فتكون الباء للسببية كقوله فاخرجنا به من كل الثمرات او للحال اي مصحوبين بالاذن واما غير ناظرين فحال والعامل فيه محذوف تقديره ادخلوا بالاذن غير ناظرين كما قدر في قوله بالبينات والزبر ارسلناهم بالبينات والزبر دل عليه لا تدخلوا كما دل على ارسلناهم قوله وما ارسلنا ومعنى غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته اي وقت استوائه وتهيئته ● وقرا الجمهور غير بالنصب على الحال وابن ابي عبلة بالكسر صفة لطعام قال الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى على غير من هو له فمن حق ضمير من هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقوله هند زيد ضاربته هي انتهى وحذف هذا الضمير جائز عند الكوفيين اذا لم يلبس واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل وقته اي غير ناظرين ساعة اكله ● وقرا الجمهور اناه مفردا والاعمش اناءه بمدة بعد النون ورتب تعالى الدخول على ان يدعو فلا يقدمون على الدخول حتى يدعوا ثم امر بالانتشار اذا طعموا ولا مستانسين لحديث معطوف على ناظرين اناه فهو مجرور او معطوف على غير فهو منصوب اي لا تدخلوها لا ناظرين ولا مستانسين وقيل ثم حال محذوفة اي لا تدخلوا هاجمين ولا مستانسين فيعطف عليه واللام في لحديث اما لام العلة نهوا ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او اللام المقوية لطلب اسم الفاعل للمفعول فنهوا ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه ان ذلكم اي انتظاركم واستيناسكم يؤذي النبي فيستحيي منكم اي من انهاضكم من البيوت او من اخراجكم منها بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع وجاء ذلك على سبيل المقابلة لقوله فيستحيي منكم وعن عائشة وابن عباس حسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقريت هذه الاية بين يدي اسمعيل بن ابي حكيم فقال هذا ادب ادب الله به الثقلاء ● وقرات فرقة فيستحي بكسر الحاء مضارع استحا وهي لغة بني تميم واختلفوا ما المحذوفة اعين الكلمة ام لامها فان كانت العين فوزنه يستفل وان كانت اللام فوزنه يستفع والترجيح مذكور في النحو ● وقرا الجمهور بياءين وسكون الحاء والمتاع عام في ما يمكن ان يطلب على عرف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا ذلكم اي السؤال من وراء الحجاب اطهر يريد من الخواطر التي تخطر للرجال في امر النساء والنساء في امر الرجال اذ الرؤية سبب التعلق والفتنة الا ترى الى قول الشاعر

● والمرء ذا عين يقلبها ... في اعين العين موقوف على الخطر

● يسر مقلته ما ساء مهجته ... لا مرحبا بانتفاع جاء بالضرر

وذكر ان بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة وقال ابن عباس بعض الصحابة وفلانة عائشة وحكى مكي عن معمر ان الله قال هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عطية وهذا عندي

ما دام حي

لا يصح على طلحة الله عصمه منه وفي التحرير انه طلحة فنزل ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا فتاب واعتق رقبة وحمل على عشرة ابعرة في سبيل الله وحج ماشيا
وروي ان بعض المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد
ابي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات
لاجلنا السهام على نسائه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب
ثم رجعت تزوج عكرمة بن ابي جهل قتيلة بنت الاشعث بن قيس وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد تزوجها ولم يبن بها فصعب ذلك على ابي بكر وقلق فقال له عمر
مهلا يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انه لم يخيرها ولا ارخى عليها
حجابا وقد ابانتها منه ردتها مع قومها فسكن ابو بكر وسبب عمر الى ان لا يشهد
جنازة زينب الا ذو محرم عنها مراعاة للحجاب فدلته اسماء بنت عميس على سترها
في النعش في القبة واعلمته انها رات ذلك في بلاد الحبشة وصنعه عمر وروي
انه صنع ذلك في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله عام في كل ما يتاذى به ولا ان تنكحوا اخاص بعد عام لان
ذلك كان يكون اعظم الاذى فحرم الله نكاح ازواجه بعد وفاته اذ لكم
اي اذايته ونكاح ازواجه كان عند الله عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله
وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه فان نحو هذا
مما يحدث به المرء نفسه ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها
الموت لئلا تنكح من بعده وخصوصا العرب فانهم اشد غيرة وحكى الزمخشري ان بعض
الفتيان قتل جارية له كان يحبها في حكاية قال تصورا لما عني يتفق من بقائها
بعده وحصولها تحت يد غيره انتهى فقال لما عني فجعل عني صلة للموصول وقد
كرر منه هذا وهو لا يجوز وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يلاحظ ذلك ۝
ان تبدوا شيئا او تخفوه وعيد لمن تقدم التعرض به في الاية ممن اشير اليه بقوله ذلكم
اطهر ومن اشير اليه وما كان لكم ان تؤذوا فقيل ان تبدوا شيئا على السنتكم او تخفوه
في صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه فيجازي عليه وقال شيئا ليدخل
فيه ما يؤذيه عليه السلام من نكاحهن وغيره ومواضع الكلام وخاف ۝ وروي
انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب او نحن يا رسول الله
ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن قال
قتادة في ترك الحجاب وقال مجاهد في وضع الجلباب وابداء الزينة
وقال الشعبي لم يذكر العم والخال وان كانا من المحارم لئلا يصفاهما
للابناء وليسوا من المحارم وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع المراة خمارها عند
عمها او خالها وقيل لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم
ابا وذكر هنا بعض المحارم والجميع في سورة النور وداخل في ولا نسائهن الامهات
والاخوات وساير القرابات ومن يتصل بهن من المتصرفات لهن وقال

ابن زيد

ابن زيد وغيره اراد جميع النساء المؤمنات وتخصيص الاضافة انما هي في الايمان
وقال مجاهد من اهل دينهن وهو قول ابن زيد والظاهر من قوله او ما ملكت
ايمانهن دخول العبيد والاماء دون ما ملك غيرهن وقيل مخصوص بالاماء وقيل
جميع العبيد ممن في ملكهن او ملك غيرهن وقال النخعي يباح لعبيدها النظر اليها
لا يواريه الدرع من ظاهر بدنها واذا كان عبدا لمكاتب ما يؤدي فقد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضرب الحجاب دونه وفعلته ام سلمة مع مكاتبها نبهان واتقين
الله امر بالتقوى وخروج من الغيبة الى الخطاب اي واتقين الله فيما امرتن به
من الاحتجاب وانزل الله فيه الوحي من الاستتار وكان في الكلام جملة حذفت
تقديرها اقتصرن على هذا واتقين الله فيه ان تتعديه الى غيره ثم توعد بقوله ان الله
كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه وغير ذلك شهيدا لا تتفاوت
الاحوال في علمه وقرأ الجمهور وملائكته نصبا وابن عباس وعبد الوارث عن ابي عمرو
رفعا فعند الكوفيين غير الفراء هو عطف على موضع اسم ان والفراء يشترط خفاء
اعراب اسم ان وعند البصريين هو على حذف الخبر اي يصلي على النبي وملائكته
يصلون وتقدم الكلام على كيفية اجتماع الصلاتين في قوله هو الذي يصلي
عليكم وملائكته فالضمير في يصلون عائد على الله وملائكته وقيل في الكلام
حذف اي يصلي وملائكته يصلون فرارا من اشتراك الضمير والظاهر وجوب
الصلوة والسلام عليه وقيل سنة واذا كانت الصلاة واجبة فقيل
كلما جرى ذكره وقيل في كل مجلس مرة وقد ورد الحديث في الصلوة عليه فضائل
كثيرة وروي انه لما نزلت هذه الاية قال قوم من الصحابة هذا السلام
عليك يا رسول الله عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وارحم محمدا وال محمد كما رحمت وباركت
على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وفي بعض الروايات زيادة ونقص ۝
ان الذين يؤذون الله ورسوله قال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين
اتخذ صفية بنت حيي زوجا انتهى والطعن في تامير اسامة بن زيد اذاية له
عليه السلام وايذاء الله والرسول فعل ما نهى الله ورسوله عنه من الكفر والمعاصي
وانكار النبوة ومخالفة الشرع وما يصيبون به الرسول من انواع الاذى ولا يتصور
الاذى حقيقة في حق الله فقيل هو على حذف مضاف اي يؤذون اولياء الله وقيل
المراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه
وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق الله مثل خلق الله
وقيل في اذى رسول الله في قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته
وشج وجهه يوم احد واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين بقوله بغير
ما اكتسبوا لان ايذاءهما لا يكون الا بغير حق بخلاف ايذاء المؤمن فقد يكون بحق
ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق اذى وقال مقاتل نزلت في ناس
من المنافقين يؤذون عليا كرم الله وجهه ويسمعونه وقيل الذين افكوا على عائشة

وقال الضحاك والسدي والكلبي في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وقيل
في عمر رأى من الريبة على جارية من جواري الانصار ما كره فضربها فاذى اهلها
عمر باللسان فنزلت قاله ابن عباس وروي ان عمر قال يوما لابي قرأت البارحة
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ففزعت منها واني لاضربهم وانهرهم فقال له
لست منهم انما انت معلم ومقوم ۝ يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله
غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس
عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله
لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ۝ كان دأب الجاهلية ان تخرج الحرة والامة
مكشوفتي الوجه في درع وخمار وكان الزناة يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء
حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون
حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف
وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن وروي انه كان في المدينة
قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن فنزلت
قيل والجلابيب الاردية التي تستر من فوق الى اسفل وقال ابن جبير المقانع وقيل
الملاحف وقيل الجلباب كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها وقيل كل ما تستتر
به من كساء او غيره قال ابو زيد تجلببت من سواد الليل جلبابا ۝ وقيل الجلباب
اكبر من الخمار وقال عكرمة تلقي جانب الجلباب على نحرها ولا يرى وقال ابو عبيدة
السلماني تغطي وجهها الا بقدر ما تبصر وقال ابن سيرين سألت ابا عبيدة السلماني
عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها
وقال السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين انتهى وكذا
عادة بلادنا الاندلس لا يظهر من المرأة الا عينها الواحدة وقال الكسائي يتقنعن
بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وقال ابن عباس وقتادة
وذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها

قوله عز وجل يا ايها النبي

لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه والظاهر ان قوله ونساء المؤمنين يشمل الحرائر
والاماء والفتنة بالاماء اكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر فيحتاج اخراجهن من عموم
النساء الى دليل واضح ومن في من جلابيبهن للتبعيض وعليهن شامل لجميع اجسادهن
او عليهن على وجوههن لان الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه ذلك ادنى
ان يعرفن اي اولى ان يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن
لان المرأة اذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فانها
مطموع فيها ۝ وكان الله غفورا رحيما تأنيس للنساء في ترك الاستتار قبل ان تؤمر
بذلك ولما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين
ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المؤذون
ثلاثة باعتبار اذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين كان المسرون ثلاثة منافق ومن
في قلبه مرض ومرجف فالمنافق يؤذي سرا والثاني يؤذي المؤمن باتباع نسائه
والثالث يرجف بالرسول يقول غلب سيخرج من المدينة سيؤخذ هزمت سراياه
وظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم
وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء ويشيعونه
ويجوز ان يكون التغاير بالوصف فيكون واحدا بالشخص ثلاثة بالوصف كما جاء ان
المسلمين والمسلمات فذكر اوصافا عشرة والموصوف بها واحد ونص على هذين الوصفين
من المنافقين لشدة ضررهما على المؤمنين قال عكرمة الذين في قلوبهم مرض
هو الغزل وحب الزنا ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض وقال السدي المرض
النفاق ومنه في قلوبهم مرض وقال ابن عباس هم الذين آذوا عمر وقال
الكلبي من اذى المسلمين وقال ابن عباس المرجفون ملتمسوا الفتن وقال قتادة
الذين يؤذون قلوب المؤمنين بايهام القتل والهزيمة لنغرينك بهم اي لنسلطنك
عليهم قاله ابن عباس وقال قتادة لنحرشنك بهم ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة
وثم لا يجاورونك معطوف على لنغرينك ولم يكن العطف بالفاء لانه لم يقصد انه متسبب
عن الاغراء بل كونه جوابا للقسم ابلغ وكان العطف بثم لان الجلاء عن الوطن كان
اعظم عليهم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالة الجلاء عن حالة الاغراء الا قليلا
اي جوارا قليلا او زمانا قليلا او عددا قليلا وهذا الاخير استثناء من المنطوق
وهو ضمير الرفع في يجاورونك او ينتصب قليلا على الحال اي الا اذلاء قليلين
والاول استثناء من المصدر الدال عليه يجاورونك والثاني من الزمان الدال
عليه يجاورونك والمعنى انهم يضطرون الى طلب الجلاء عن المدينة خوف
القتل وانتصب ملعونين على الذم قاله الطبري واجاز ابن عطية ان يكون بدلا
من قليلا حالا من الذي قدرناه واجاز هو ايضا ان يكون حالا من الضمير
في يجاورونك قال كانه قال ينتفون ملعونين فلما تقدر لا يجاورونك فتقدر
ينتفون حسن هذا انتهى وقال الزمخشري والحوفي وتبعهما ابو البقاء يجوز ان
يكون حالا من الضمير في لا يجاورونك كما قال ابن عطية قال الزمخشري وهذا
نصبه ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف

الاستثناء على الظرف والحال معاً كما اجاز في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح
ان ينتصب بأخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها انتهى وتقدم الكلام معه
في مجيء الحال مما قبل الا مذكورة بعد ما استثني بالا فيكون الاستثناء منصباً عليهما
وان جمهور البصريين منعوا من ذلك واما تجويز ابن عطية ان يكون بدلا فالبدل بالمشتق
قليل واما قول الزمخشري لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها فليس هذا مجمعاً
عليه لان ما بعد كلمة الشرط شيئان فعل الشرط والجواب فاما فعل الشرط فاجاز
الكسائي تقديم معموله عليه نحو ان يغفر زيد عمرا يضرب
وقد حكي عن بعض النحويين انه قال المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين والصحيح
ان ملعونين صفة لقليلا اي الا قليلين ملعونين ويكون قليلا مستثنى من الواو
في لا يجاورونك والجملة الشرطية صفة ايضا اي مقهورين مغلوبين عليهم ومعنى
ثقفوا حصروا وظفر بهم اخذوا اسروا والاخيذ الاسير **وقرأ** الجمهور وقتلوا بتشديد
التاء وفرقة بتخفيفها فيكون تقتيلا مصدرا على غير الصدر والظاهر ان المنافقين
انتهوا عما كانوا يؤذون به الرسول والمؤمنين وتستروا جميعهم وكفوا خوفا من ان يقع بهم
ما وقع القسم عليه وهو الاغراء والجلاء والاخذ والقتل وقيل لم يمتثلوا الانتهاء
جملة ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا الا ترى الى اخراجهم من المسجد ونهيه عن
الصلاة عليهم وما نزل فيهم في سورة براءة والبعد من ذنب الى انه لم ينته هؤلاء
الاصناف ولم ينفذ الله الوعيد عليهم ففيه دليل على بطلان القول بانفاذ
الوعيد في الآخرة ويكون هذا الوعيد معذوقا ومشروطا بالمشيئة سنة الله
مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ظفر بهم
وعن مقاتل كما قتل اهل بدر واسروا فالذين خلوا يشمل اتباع الانبياء الذين
نافقوا ومن قتل يوم بدر ه يسألك الناس اي المشركون عن وقت قيام الساعة
استعجالا على سبيل الهزء واليهود على سبيل الامتحان اذ كانت معمى وقتها
في التوراة فنزلت الآية بان يرد العلم فيها الى الله اذ لم يطلع عليها ملكا ولا
نبيا ولما ذكر حالهم في الدنيا انهم ملعونون مهانون مقتولون بين حالهم
في الآخرة وما يدريك ما استفهام في موضع رفع بالابتداء اي واي شيء يدريك
بها ومعناه النفي اي ما يدريك بها احد لعل الساعة تكون قريبا بين قرب
الساعة وفي ذلك تبكيت للمتمني وتهديد للمستعجل وانتصب قريبا على الظرف
اي في زمان قريب اذ استعمل ظرفا كثيرا ويستعمل ايضا غير ظرف تقول ان
قريبا منك زيد فجاز ان يكون التقدير شيئا قريبا او تكون الساعة بمعنى الوقت
فذكر قريبا على المعنى او على ان يكون التقدير لعل قيام الساعة فلوحظ الساعة
في تكون فانث ولوحظ المضاف المحذوف في قريبا فذكره يوم تقلب
وجوههم في النار يجوز ان ينتصب يوم بقوله لا يجدون ويكون يقولون
استئنافا اخبارا عنهم او تم الكلام عند قوله ولا نصيرا وينتصب يوم بقوله
يقولون او بمحذوف اي اذكر ويقولون حال **وقرأ** الجمهور تقلب مبنيا للمفعول
والحسن وعيسى وابو جعفر الرواسي بفتح التاء اي تتقلب وحكاها ابن عطية عن

ابي حيوة وقال ابن خالويه عن ابي حيوة نقلب بالنون وجوههم بالنصب وحكاها ابن عطية
عن ابي حيوة ايضا وخارجة زاد صاحب اللوامح انها قراءة عيسى البصرة **وقرأ** عيسى
الكوفة كذلك الا انه بدل النون تاء وفاعل تقلب ضمير يعود على سعيرا او على جهنم
اسند اليها اتساعا **وقرأ** ابن ابي عبلة تتقلب بتاءين وتقليب الوجوه في النار تحركها
في الجهات او تغييرها عن هيئاتها او القاؤها في النار منكوسين والظاهر هو الاول
والوجه اشرف ما في الانسان فاذا قلب في النار كان تقليب ما سواه اولى
وعبر بالوجه عن الجملة وتمنيهم حيث لا ينفع وتشكيهم من كبرائهم لا يجدي **وقرأ**
الجمهور سادتنا جمعا على وزن فعلة اذ اصله سودة وهو شاذ في جمع فيعل
فان جعلت جمع سائد قرب من القياس **وقرأ** الحسن وابو رجاء وقتادة والسلمي
وابن عامر والعامة في الجامع بالبصرة ساداتنا على جمع الجمع بالالف والتاء وهو
لا ينقاس كسوتات وموالتات بيجهانهم وساداتهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم
الكفر وزينوه لهم قال قتادة ساداتنا رؤساؤنا وقال طاوس اشرافنا
وقال ابو اسامة امراؤنا **قال الشاعر**

سيل قروم سادة ثم ذادة يذودون اهل الجمع يوم المحصب

ويقال ضل السبيل وضل عن السبيل فاذا دخلت همزة النقل تعدى لاثنين
وتقدم الكلام على اثبات الالف في الرسولا والسبيلا في قوله وتظنون بالله الظنونا
ولم يجد تمنيهم الايمان وطاعة الله ورسوله ولا قام لهم عذر في تشكيهم
ممن اضلهم دعوا على سادتهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب ضعفا على
ضلالهم في انفسهم وضعفا على اضلال من اضلوا **وقرأ** الجمهور كثيرا بالثاء
المثلثة **وقرأ** حذيفة بن اليمان وابن عامر وعاصم والاعرج بخلاف عنه
بالباء كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من
قالة بعض الناس وقيل المراد حديث الافك قيل ما اوذي نبي مثل
ما اوذيت ه وفي حديث الرجل الذي قال لقسم قسمه رسول الله ان هذه
لقسمة ما اريد بها وجه الله فغضب وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي
باكثر من هذا فصبر واذاية موسى قولهم انه ابرص وآدر وانه حسد اخاه
هارون وقتله او حديث المومسة المستأجرة لان تقول لموسى زنا بي او ما
نسبوه اليه من السحر والجنون اقوال مما قالوا اي من وصم ما قالوا وما موصولة
او مصدرية **وقرأ** الجمهور وكان عند الله الظرف معمول لوجيها اي ذا وجه
ومنزلة عند الله تعالى تميط عنه الاذى وتدفع التهم **وقرأ** عبد الله والاعمش
وابو حيوة عبدا من العبودية لله جر بلام الجر وعبدا خبر كان ووجيها صفة له
قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته وكان عبدا
يقرأ وكان عبدا لله على قراءة ابن مسعود قال ابن زيد وجيها مقبولا وقال
الحسن مستجاب الدعوة ما سأل شيئا الا اعطي الا الرؤية في الدنيا وقال
قطرب رفيع القدر وقيل وجاهته انه كلمه ولقب كليم الله والسديد تقدم
شرحه في اوائل النساء وقال ابن عباس هنا صوابا وقال مقاتل وقتادة

سديداً في شأن زيد وزينب والرسول وقال ابن عباس وعكرمة أيضاً لا إله إلا
الله وقيل ما يوافق ظاهره باطنه وقيل ما هو إصلاح من تسديد السهم ليصيب
الغرض وقيل السديد يعم الخيرات ورتب على القول السديد صلاح الأعمال
وغفران الذنوب قال الزمخشري وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك
على النهي عما يؤذي به رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان
ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى
واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه انتهى
وسوق الكلام حسن ٥ إنا عرضنا الأمانة لما أرشد المؤمنين إلى ما أرشد من ترك الأذى
واتقاء الله وسداد القول ورتب على الطاعة ما رتب أتبع أن ما كلفه الإنسان أمر
عظيم فقال إنا عرضنا الأمانة تعظيماً لأمر التكليف والأمانة الظاهر أنها كل ما
يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا فالشرع كله أمانة وهذا
قول الجمهور ولذلك قال أبي بن كعب من الأمانة أن اؤتمنت المرأة على فرجها وقال
أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات
العظام وهي الأوامر والنواهي فتثاب إن أحسنت وتعاقب إن أساءت فأبت
وأشفقت ويكون ذلك بإدراك خلقه الله فيها وهذا غير مستحيل إذ قد سبح الحصى
في كفه عليه السلام وحن الجذع إليه وكلمته الذراع فيكون هذا العرض والإباء
حقيقة قال ابن عباس أعطيت الجمادات فهماً وتمييزاً فخيرت في الحمل وذكر
الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيماً للأمر وقال
ابن الأنباري عرضت بمسمع من آدم عليه السلام وأسمع من الجمادات الإباء ليتحقق
العرض عليه فيتجاسر على الحمل غيره ويظهر فضله على الخلائق حرصاً على العبودية
وتشريفاً على البرية بعلو الهمة وقيل هو مجاز فقيل من مجاز الحذف أي على
من فيها من الملائكة وقيل من باب التمثيل قال الزمخشري إن ما كلفه الإنسان
بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده
أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وحمله الإنسان على ضعفه
ورخاوة قوته إنه كان ظلوماً جهولاً حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها ونحو هذا
من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء به القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم
من ذلك قول العرب لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم وكم لهم
من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن
الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور
أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى
حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها
والوفاء بها **فإن قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت
على رأي واحد أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه
بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة

وليس

وليس كذلك ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال
في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئاً
والمشبه به غير معقول **قلت** الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب
وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كالمحققات مثلت حال التكليف
في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها انتهى وقال أيضاً إن هذه الأجرام العظام
قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات حيث لم يمتنع على
مشيئته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال
قالتا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الانقياد
لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات
فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة
الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها
مجاز وحمل الأمانة من قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها يريد أنه لا يؤديها
إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة
للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فأبين أن لا يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها ثم وصفه
بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه
وهو أداؤها انتهى وفيه بعض حذف ٥ وقال قوم الآية من المجاز أي
إنا إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال رأيناها
أنها لا تطيقها وأنها لو تكلمت لأبتها وأشفقت منها فعبر عن هذا المعنى
بقوله إنا عرضنا الآية وهذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فأباه وأنت
تريد بذلك قايست قوته بثقل الحمل فرأيتها تقصر عنه ونحوه قول ابن بحر معنى
عرضنا عارضناها وقابلناها بها فأبين أن يحملنها أي قصرن ونقصن عنها
كما تقول إن الصحة أن تحمل ما قابلها وحملها الإنسان قال ابن عباس
وابن جبير التزم القيام بحقها الإنسان آدم وهو في ذلك ظلوم لنفسه جهول
بقدر ما دخل فيه قال ابن عباس ما تم له يوم حتى أخرج من الجنة وقاله
الضحاك وقال الحسن وحملها معناه خان فيها والإنسان الكافر
والمنافق والعاصي على قدره وقال ابن مسعود وابن عباس أيضاً ابن آدم
قابيل الذي قتل أخاه هابيل وكان قد تحمل لأبيه أمانة أن يحفظ الأهل
بعده وكان آدم سافر عنهم إلى مكة في حديث طويل ذكره الطبري وقال
أبو إسحاق عرض الأمانة وضع شواهد الوحدانية في المصنوعات والحمل
الخيانة كما تقول حمل حقي واحتمله أي ذهب به ٥

قال الشاعر ٥

٥ إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع ٥

انتهى وليس وتحمل أخرى نصاً في الذهاب بها بل يحتمل أنك تتحمل أخرى فتؤدي

واحدة وتحمل اخرى فلا تزال دايمًا ذا امانات فتخرج اذ ذاك واللام في ليعذب لام الصيرورة لانه لم يحملها لان يعذب لكنه حملها فآل الامر الى ان تعذب من نافق واشرك ويتوب على من آمن وقال الزمخشري لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب **وقرأ** الاعمش ويتوب يعني بالرفع بجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعًا من عذاب الغادر انتهى وذكر صاحب اللوامح ان الحسن قرا ويتوب بالرفع **الممزق** خرق الشي يقال منه ثوب ممزوق ومزيق ومتمزق وممزق اذا صار قطعًا باليًا ومنه

قول الممزق العبدي ٥

فان كنت ماكولا فكن خير آكل ٭ والا فادركني ولما امزق ٥

السابغات الدروع واصله الوصف بالسبوغ وهو التمام كما لو غلب على الدرع فصار كالابطح **وقال الشاعر ٥**

عليها اسود ضاريات لبوسهم ٭ سوابغ بيض لا يخرقها النبل

السرد اتباع الشي بالشي من جنسه **قال الشماخ**

فظلت تباعًا خيلنا في بيوتكم ٭ كما تابعت سرد العنان الخوارز

ويقال للدرع مسرودة لانه توبع فيها الحلق بالحلق **قال الشاعر**

وعليهما مسرودتان قضاهما ٭ داود او صنع السوابغ تبع

ويقال لصانع ذلك سراد وزراد تبدل من السين الزاي كما قالوا سراط وزراط ويقال للاشفى مسرد ومسراد وسرد القرآن اذا جد فيه والكلام اذا تابعه مستعجلا فيه **اسال** من سال الوادي والدمع جرى بسرعة ماعيه من الما والدمع **القطر** النحاس وقيل الغلز النحاس والحديد وما جرى مجراه **الجفان** جمع جفنة وهي معروفة **الجوابي** الحياض العظام واحدها جابية لانه يجبى فيه الما اي يجمع **قال الشاعر ٥**

بجفان تعتري نادينا ٭ من سديف حين هاج الصنبر

كالجوابي لا تني مترعة ٭ لقرى الاضياف او للمحتضر

وقال الاعشى ٥

نفى الذم عن آل المحلق جفنة ٭ كجابية الشيخ العراقي يفهق

وقال الافوه الاودي ٥

وقدور كالربا راسية ٭ وجفون كالجوابي مترعة

القدور ما يطبخ فيه من فخار او غيره وهو على شكل مخصوص **المنساة** العصا تهمز ولا تهمز ووزنها مفعلة من نسات اي اخرت وطردت ويقال منساءة بالمد والهمز على وزن مفعالة كما قالوا ميضاة وميضاءة ٥

وقال الشاعر ٥

ضربنا بمنساة وجهه ٭ فصار بذاك مهينا ذليلا

وقال

وقال الشاعر آخر ٥

اذا دببت على المنساة من هرم ٭ فقد تباعد عنك اللهو والغزل ٥

وقياس تخفيف همزتها ان تكون بين بين واما ابدالها الفا او حذفها فغير قياس **العرم** اما صفة للسيل اضيف فيه الموصوف الى صفته كقولهم مسجد الجامع واما اسم لشي ويأتي القول فيه في تفسير المركبات **الخمط** قال ابو عبيدة كل شجرة مرة ذات شوك وقال ابن الاعرابي الخمط ثمر شجرة على صورة الخشخاش لا ينتفع به وقال القتبي يقال للحامضة خمطة اللبن اذا اخذ شيئا من الريح فهو خامض وخميط وتخمط الفحل هدر والرجل تغضب وتكبر والخمر اخذت ريح الادراك كرايحة التفاح ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة قاله الجوهري **الاثل** شجر وهو ضرب من الطرفا قاله ابو حنيفة اللغوي في كتاب النبات له ويأتي ما قال فيه المفسرون **السدر** قال الفراء هو السمر وقال الازهري السدر سدران سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمرة عفصة لا يوكل وهو الذي يسمى الضال وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه ورق شجر العناب **التناوش** تناول سهل لشي قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم وتناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا بالسلاح

وقال الراجز ٥

فهي تنوش الحوض نوشا من علا ٭ نوشا به تقطع اجواز الفلا

واما بالهمز فقال الفرا من ناشت اي تاخرت **قال الشاعر**

تمنى نيشا ان يكون اطاعني ٭ وقد حدثت بعد الامور امور

وقال الاخر وجيت نيشا بعدما فاتك الخير ٥ نيشا احيرًا ٥ **سورة**

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معجزين اوليك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب

هذه السورة قال في التحرير مكية باجماعهم وقال ابن عطية مكية الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم فقالت فرقة مدنية في من اسلم من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واشباهه انتهى وسبب نزولها ان ابا سفيان

المفردات من سورة سبا

سبا

قال الكفار مكة لما سمعوا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات كان محمد يتوعدنا بالعذاب بعد ان نموت ويخوفنا بالبعث واللات
والعزى لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله قل يا محمد بلى وربي
لتبعثن قاله مقاتل وباقي السورة تهديد لهم وتخويف ومن ذكر هذا السبب
ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها الحمد لله مستغرق لجميع المحامد
وله الحمد في الاخرة ظاهره الاستغراق ولما كانت نعمة الاخرة مخبرا بها غير
مرئية لنا في الدنيا ذكرها النقاش نعمها بنعم الدنيا قياس الغائب على الشاهد
وان اختلفا في الفضيلة والديمومة وقيل الالف واللام فيه للعهد والاشارة الى
قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله او الى قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقال الزمخشري الفرق بين الحمدين وجوب الحمد في الدنيا لانه
على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب وحمد الاخرة
ليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور
المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به انتهى وفيه بعض تلخيص يعلم ما يلج في
الارض من المياه وقال الكلبي من الاموات والدفائن وما يخرج منها من النبات
وقال الكلبي من جواهر المعادن وما ينزل من السماء من المطر والثلج والبرد
والصاعقة والرزق والملك وما يعرج فيها من اعمال الخلق ٥ وقال
الكلبي وما ينزل وما يعرج من الملائكة وقيل من الاقضية والاحوال
والادعية والاعمال وقيل من الانعام والعطا وقرا علي والسلمي
وما ننزل بضم اليا وفتح النون وشد الزاي اي الله تعالى وبلى جواب
للنفي السابق من قولهم لا تاتينا الساعة اي بلى لتاتينكم وقرا الجمهور
لتاتينكم بتاء التانيث اي الساعة التي انكرتم مجيئها وقرا طلق عن اشياخه
لياتينكم بيا الغيبة اي لياتينكم البعث لانه مقصودهم من نفي الساعة انهم لا يبعثون وقال
الزمخشري او على معنى الساعة اي اليوم او على اسناده الى الله على معنى لتاتينكم
امره كقوله او ياتي ربك اي امره ويبعد ان يكون ضمير الساعة لانه مذهوب
به مذهب التذكر لا يكون الا في الشعر نحو قوله ولا ارض ابقل ابقالها ٥ ثم اكد
الجواب بالقسم على البعث واتبع القسم بقوله عالم الغيب وبما بعده ليعلم ان
اتيانها من الغيب الذي تفرد به تعالى وجاء القسم بقوله وربي مضافا الى
الرسول ليدل على شدة القسم اذ لم يات به في الاسم المشترك بينه وبين من انكر
الساعة وهو لفظ الله وقرا نافع وابن عامر ورويس وسلام والجحدري وقعنب
عالم بالرفع على اضمار هو وجوز الحوفي وابو البقا ان يكون مبتدا والخبر لا يعزب
وقال الحوفي او خبره محذوف اي عالم الغيب هو وباقي السبعة عالم بالجر قال
ابن عطية وابو البقا وذلك على البدل واجاز ابو البقا ان يكون صفة ويعني
ان عالم الغيب يجوز ان يتعرف وكذا كل ما اضيف الى معرفة مما كان لا يتعرف
بذلك يجوز ان يتعرف الا اضافة الصفة المشبهة فلا تتعرف باضافة ذكر
ذلك س في كتابه وقل من يعرفه وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي

علام

علام على المبالغة والخفض وتقدمت قراة يعزب في سورة يونس وقرا الجمهور
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر برفع الرائين واحتمل ان يكون معطوفا على مثقال
وان يكون مبتدا والخبر في قوله الا في كتاب وعلى الاحتمال الاول يكون الا
في كتاب مبين تاكيدا لما تضمنه النفي في قوله لا يعزب وتقديره لكنه في كتاب
مبين وهو كناية عن ضبط الشي والتحفظ به فكانه في كتاب وليس ثم كتاب
حقيقة وعلى التخريج الاول يكون الكتاب هو اللوح المحفوظ وقرا الاعمش
وقتادة بفتح الرائين قال ابن عطية عطفا على ذرة وروبت عن نافع وعزاها
ايضا الى نافع ولا ينبغي ما قال بل يكون لا لنفي الجنس وهو مبتدا اعني مجموع
لا وما بني معها على مذهب س والخبر الا في كتاب مبين وهو من عطف الجمل لا من
عطف المفردات كما قال ابن عطية وقال الزمخشري جوابا لسوال من قال هلا
جاز عطف ولا اصغر على مثقال وعطف ولا اصغر على ذرة قلت يابى ذلك
حرف الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات
قبل ان يكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى
انه لا ينفصل عن الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح انتهى ولا يحتاج الى
هذا التاويل اذا جعلنا الكتاب المبين ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بخفض الرائين بالكسرة كانه نوى مضافا اليه
محذوفا التقدير ولا اصغره ولا اكبره ومن ذلك ليس متعلقا بافعل بل هو تبيين
لانه لما حذف المضاف اليه ابهم لفظا فبينه بقوله من ذلك اي اعني من ذلك
وقد جاء من مع كون افعل التفضيل مضافا في قول الشاعر ٥

• نحن بغرس الودي اعلمنا منا بركض الجياد في السدف ٥

وخرج على انه اراد اعلم منا فاضاف ناويا اطراح المضاف اليه فاحتملت قراة زيد
هذا التوجيه الاخر انه لما اضاف اصغر واكبر على اجرائهما حالة الاضافة
وهذا كله توجيه شذوذه ٥ وناسب وصفه تعالى بعالم الغيب وانه لا يفوت
علمه شي من الخفيات فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة وصار ذلك دليلا على
صحة ما اقسم عليه لان من كان عالما بجميع الاشيا كليها وجزئيها وكانت
قدرته تامة كان قادرا على اعادة ما فني وجمع الارواح والاشباح فقيل وقوله
مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح ولا في الارض اشارة
الى علمه بالاشباح وكما ابرزهما من العدم الى الوجود اولا فكذلك يعيدهما ثانيا
وقال الزمخشري فان قلت كيف يكون يعني اليمين مصححة لما انكروه
قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة وهو قوله ليجزي
فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد
له من ثواب والمسي لا بد له من عقاب انتهى ٥ وفي السوال بعض اختصار
وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر ان قوله ليجزي متعلق بقوله لا يعزب
وقيل بقوله لتاتينكم وقيل بالعامل في كتاب مبين اي الا مستقر في كتاب
مبين ليجزي وقرا الجمهور معجزين مخففا وابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو السمال

مثقلا وتقدم في الحج اي معجزين قدرة الله في زعمهم وقال ابن الزبير معناه مثبطين
عن الايمان من اراده مدخلين عليه العجز في نشاطه وهذا هو سعيهم في الايات
اي في شأن الايات وقال قتادة مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا وقال
عكرمة مراغمين وقال ابن زيد مجاهدين في ابطالها وقرأ ابن كثير وحفص
وابن ابي عبلة اليم هنا وفي الجاثية بالرفع صفة للعذاب وباقي السبعة
بالجر صفة للرجز والرجز العذاب السيء ٥ والظاهر ان قوله والذين سعوا
مبتدأ والخبر في الجملة الثانية وهي اولئك وقيل هو منصوب عطفا
على الذين امنوا اي وليجزي الذين سعوا واحتمل ان تكون الجملتان المصدرتان
باولئك مما تضمن الثواب والعقاب واحتمل ان تكونا خبرا تضمنتا الثواب
والعقاب غير ما تضمنتا ما هو اعظم كرضى الله عن المؤمن دائما وسخطه على الكافر
دائما والظاهر ان قوله ويرى استئناف اخبار عمن اوتي العلم يعلمون القرآن
المنزل عليك هو الحق وقيل ويرى منصوب عطفا على ليجزي وقاله الطبري
والثعلبي وتقدم الخلاف في الذين اوتوا العلم في ذكر المكان الذي نزلت
فيه هذه السورة وقال الزمخشري اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة
انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كفروا وتولوا ويجوز
ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما انتهى
وانما قال عند مجيء الساعة لانه علق ليجزي بقوله لتاتينكم فبنى التخريج
على ذلك وقرأ الجمهور الحق بالنصب مفعولا ثانيا ليرى وهو فصل وابن ابي عبلة
بالرفع جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى وهي
لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ قاله ابو عمر الجرمي والظاهر
ان الفاعل بيهدي هو ضمير الذي انزل وهو القرآن وهو استئناف اخبار وقيل
هو في موضع الحال على اضمار وهو يهدي ويجوز ان يكون معطوفا على الحق عطف
الفعل على الاسم كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات كما عطف الاسم على
الفعل في قوله ٥

فالفيته يوما يبير عدوه ... ومجر عطاء يستحق المعابرا ٥

عطف ومجر على يبير وقيل الفاعل بيهدي ضمير عائد على الله وفيه بعد وقال
الذين كفروا هم قريش قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزاء كما تقول
الرجل لمن يريد ان يعجبه هل ادلك على قصة غريبة نادرة لما كان البعث عندهم
من المحال جعلوا من يخبر عن وقوعه في حيز من يتعجب منه واتوا باسمه عليه السلام
نكرة في قولهم هل ندلكم على رجل وكان اسمه اشهر علم في قريش بل في الدنيا واخباره
بالبعث اشهر خبر لانهم اخرجوا ذلك مخرج الاستهزاء والتحلي ببعض الاحاجي
المعمولة للتلهي والتعمية فلذلك نكروا اسمه وقرأ الجمهور ينبئكم بالهمز وزيد
ابن علي بابدال الهمزة ياء محضة وحكى عنه الزمخشري ينبيكم بالهمز من انبا واذا
جوابها محذوف تقديره تبعثون وحذف لدلالة ما بعده عليه وهو العامل في اذا
على قول الجمهور وقال الزجاج ذلك وقال ايضا هو والنحاس العامل مزقتم

قال

قال ابن عطية وهو خطأ وافساد للمعنى انتهى وليس بخطأ ولا افساد للمعنى واذا
الشرطية مختلف في العامل فيها وقد بينا ما كتبناه في شرح التسهيل ان الصحيح
ان يعمل فيها فعل الشرط كسائر ادوات الشرط والجملة الشرطية يحتمل ان تكون معمولة
لينبئكم لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق تبعثون ثم اكد ذلك بقوله انكم
لفي خلق جديد ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق جديد معمولا لينبئكم وينبئكم معلق ولولا
اللام في خبر ان لكانت مفتوحة فالجملة سدت مسد المفعولين والجملة الشرطية
على هذا التقدير اعتراض وقد منع قوم التعليق في باب اعلم والصحيح جوازه ٥

قال الشاعر

حذار فقد نبئت انك للذي ... ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى

وممزق مصدر جاء على زنة اسم المفعول على القياس في اسم المصدر من كل فعل زائد
على الثلاثة كقوله ٥

الم تعلم مسرحي القوافي ... فلا عيا بهن ولا اجتلابا ٥

اي تسريحي القوافي واجاز الزمخشري ان يكون ظرف مكان اي اذا مزقتم في كل مكان
من القبور وبطون الطير والسباع وما ذهبت به السيول كل مذهب وما نسفته الرياح
فطرحته كل مطرح انتهى وجديد عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جاد وجديد
وبمعنى مفعول عند الكوفيين من جده اذا قطعه والظاهر ان قوله افترى من قول
بعضهم لبعض اي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من امر البعث ام به جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه عادلوا بين الافتراء والجنون لان هذا القول عندهم انما
يصدر عن احد هذين لانه ان كان يعتقد خلاف ما اتى به فهو مفتر وان كان
لا يعتقده فهو مجنون ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم ردد
بين الشيئين ولم يجزم باحدهما حيث جوز هذا وجوز هذا ولم يجزم بانه افترى محض
احترازا من ان ينسب الكذب لعاقل نسبة قطعية اذ العاقل حتى الكافر لا يرضى
بالكذب لا من نفسه ولا من غيره واضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى ليس للرسول
كما نسبتم اليه بل انتم في عذاب النار وفي عذاب الدنيا بما تكابدونه من
ابطال الشرع وهو حق واطفاء نور الله وهو متم ولما كان الكلام في البعث
قال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فرتب العذاب على انكار البعث وتقدم الكلام
في وصف الضلال بالبعد وهو من اوصاف المحال استعير للمعنى ومعنى بعده
انه لا تنقضي حيرة الملتبس به ٥ افلم يروا اي هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالاخرة
الى ما بين ايديهم اي حيث ما تصرفوا فالسماء والارض قد احاطتا بهم لا يقدرون
ان ينفذوا من اقطارهما ولا يخرجوا عن ملكوت الله فيهما وقال الزمخشري
اعموا فلم ينظروا جعل بين الفاء والهمزة فعلا يصح العطف عليه وهو خلاف
ما ذهب اليه النحويون من انه لا محذوف بينهما وان الفاء للعطف على ما قبل
همزة الاستفهام وان التقدير فالم لكن همزة الاستفهام لما كان لها الصدر
قدمت وقد رجع الزمخشري الى مذهب النحويين في ذلك وقد رددنا عليه هذا
المذهب فيما كتبناه في شرح التسهيل ونبههم تعالى على قدرته الباهرة وحذرهم

احاطتهما بهم على سبيل الاستدلال لهم وكان ثم حالا محذوفة اي افلا يرون الى ما يحيط
بهم من سماء وارض مقهورا تحت قدرتنا نتصرف فيه كما نريد ان نشا نخسف بهم الارض
كما فعلنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السما كما فعلنا باصحاب الظلة او افلم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم محيطا بهم وهم مقهورون تحته ان نشا ان في
ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لاية
لعلامة ودلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له قال مجاهد مخبت وقال
الضحاك مستقيم وقال ابو روق مخلص في التوحيد وقال قتادة مقبل الى ربه
بقلبه لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شي من البعث
ومن عقاب من يكفر به وقرا الجمهور ان نشا نخسف نسقط بالنون في الثلاثة وحمزة
والكسائي وابن وثاب وعيسى والاعمش وابن مصرف بالياء فيهن وادغم الكسائي
الفاء في الباء في نخسف بهم قال ابو علي وذلك لا يجوز لان الباء اضعف في الصوت
من الفاء فلا تدغم فيها وان كانت الباء تدغم في الفاء نحو اضرب فلانا وهذا كما
تدغم الباء في الميم كقولك اضرب مالكا ولا تدغم الميم في الباء كقولك اضمم بكرا
لان الباء انحطت عن الميم بفقد الغنة التي في الميم وقال الزمخشري وقرا الكسائي
نخسف بهم بالادغام وليست بقوية انتهى والقراءة سنة متبعة ويوجد في كلام
الفصيح والافصح وكل ذلك من تيسيره تعالى القران للذكر فلا التفات لقول
ابي علي ولا الزمخشري ۞ ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون
بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم
على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ۞ ومناسبة قصة داود وسليمان عليهما
السلام لما قبلها ان اولئك الكفار انكروا البعث لاستحالته عندهم فاخبروا
بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا يمكنهم انكاره اذ طفحت ببعضه اخبارهم
وشعرهم على ما ياتي ذكره ان شا الله من تاويب الجبال والطير مع داود والانة
الحديد وهو الجرم المستعصي وتسخير الريح لسليمان واسالة النحاس له كما الانت
الحديد لابيه وتسخير الجن فيما شا من الاعمال الشاقة وقيل لما ذكر من ينيب
من عباده ذكر من جملتهم داود كما قال فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وبين
ما اتاه الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا وقيل ذكر نعمته
على داود وسليمان عليهما السلام احتجاجا على منكري محمدا صلى الله عليه وسلم اي
لا تستبعدوا هذا فقد تفضلنا على عبيدنا قديما بكذا وكذا فلما فرغ التمثيل
لمحمد عليه السلام رجع التمثيل لهم بسبا وما كان من هلاكهم بالكفر والعتو
انتهى والفضل الذي اوتي داود الزبور والعدل في القضا والنبوة والثقة بالله او

قوله عز وجل ولقد اتينا

تسخير

او تسخير الجبال والطير وتليين الحديد اقوال يا جبال اوبي اضمار القول اما مصدرا اي
قولنا يا جبال فيكون بدلا من فضلا واما فعلا اي قلنا فيكون بدلا من اتينا واما
على الاستيناف اي قلنا يا جبال وجعل الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا امرهم
اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد
وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته ودلالة على عزة الربوبية
وكبرياء الالهية حيث نادى الجبال وامرها وقرا الجمهور اوبي مضاعف اب
يؤوب ومعناه سبحي معه قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وقال مؤرج
وابو ميسرة اوبي سبحي بلغة الحبشة اي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح اي تردده
بالذكر وضعف الفعل للمبالغة قاله ابن عطية ويظهر ان التضعيف للتعدية فليس
للمبالغة اذ اصله اب وهو لازم بمعنى رجع اللازم فعدي بالتضعيف اذ شرحوه
بقولهم رجعي معه التسبيح قال الزمخشري ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق
فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها انتهى وقوله كما خلق الكلام في الشجرة يعني ان الذي سمع موسى
هو من ما خلقه الله في الشجرة من الكلام لا انه كلام الله حقيقة وهو مذهب المعتزلة
واما قوله تسعده اي الجبال على نوحه باصدائها فليس بشي لان الصدى ليس بصوت
الجبال حقيقة والله تعالى نادى الجبال وامرها بان تاوب معه والصدى لا يؤمر
الجبال بان تفعله اذ ليس فعلا لها وانما هو من اثار صوت المتكلم على ما يقوم عليه
البرهان وقال الحسن معنى اوبي معه سيري معه اين سار والتاويب
سير النهار كان الانسان يسير الليل ثم يرجع للسير بالنهار اي يردده وقال
تميم بن مقبل ۞

شعر لحقنا بحي اوبوا السير بعدما ... دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح ۞

وقال اخر ۞

شعر يومان يوم مقامات واندية ... ويوم سير الى الاعدا تاويب ۞

وقيل اوبي تصرفي معه على ما يتصرف فيه فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال
معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت ما فعل وقرا ابن عباس والحسن
وقتادة وابن ابي اسحاق اوبي امر من اوب اي رجعي معه في التسبيح او في السير
على القولين وامر الجبال كامر الواحدة المؤنثة لان جمع ما لا يعقل يجوز فيه ذلك
ومنه يا خيل الله اركبي ومنه مارب اخرى وقد جا ذلك في جمع ما يعقل من
المؤنث قال الشاعر ۞

شعر تركنا الخيل والنعم المفدى ... وقلنا للنسا بها اقيمي ۞ لكن هذا قليل

وقرا الجمهور والطير بالنصب عطفا على موضع يا جبال قاله سيبويه وقال ابو عمرو
باضمار فعل تقديره وسخرنا له الطير وقال الكسائي عطفا على فضلا اي وتسبيح
الطير وقال الزجاج نصبه على انه مفعول معه انتهى وهذا لا يجوز لان قبله
معه ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه الا على البدل او العطف فكما لا يجوز

جاء زيد مع عمرو ومع زينب إلا بالعطف كذلك هذا وقرأ السلمي وابن هرمز وأبو يحيى
وأبو نوفل ويعقوب وابن أبي عبلة وجماعة من أهل المدينة وعاصم في رواية
والطير بالرفع عطفاً على لفظ يا جبال وقيل عطفاً على الضمير في أوّبي وسوّغ
ذلك الفصل بالظرف وقيل رفعاً بالابتداء والخبر محذوف أي والطير تؤوّب
وألنّا له الحديد قال ابن عباس وقتادة صار كالشمع وقال الحسن كالعجين
وكان يعمله من غير نار وقال السدي كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه
كيف يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل أعطي قوة يلين بها الحديد وقال
مقاتل كان يفرغ من الدرع في بعض يوم أو في بعض ليل ثمنها ألف درهم وكان
داود يتنكر فيسأل الناس عن حاله فعرض له ملك في صورة إنسان فسأله فقال
نعم العبد لولا خلة فيه فقال وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل
يده تمت فضائله فدعا الله أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة الدروع
وألان له الحديد فأثرى وكان ينفق ذلك المال في مصالح المسلمين وأن في أن اعمل
مصدرية وهي على إسقاط حرف الجر أي ألنّاه لعمل سابغات وأجاز الحوفي وغيره
أن تكون مفسرة ولا يصح لأن من شرطها أن يتقدمها معنى القول وألنّا ليس فيه معنى
القول وقدر بعضهم قبلها فعلاً محذوفاً حتى يصح أن تكون مفسرة وتقديره وأمرناه
أن اعمل أي اعمل ولا ضرورة تدعو إلى هذا المحذوف وقرئ صابغات بالصاد بدلاً
من السين وتقدم أنها لغة في قوله وأسبغ عليكم نعمه وقدر في السرد قال
ابن زيد في قدر الحلقة أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على
الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها وقال ابن عباس في المسمار لا يرق
فيتلسل ولا يغلظ فيقصم بالقاف وبالفاء وروي قتادة أن الدروع كانت
قبل صفائح كانت ثقالاً وهو أول من صنع الدرع حلقاً والظاهر أن الأمر في قوله
اعملوا لداود ولآل داود وإن لم يجر لهم ذكر ويجوز أن يكون أمراً لداود شرفه الله
بأن خاطبه خطاب الجمع ولسليمان الريح قال الحسن عقر سليمان الخيل أسفاً
عليها فوتته من صلاة العصر فأبدله الله خيراً منها وأسرع الريح تجري بأمره وقرأ
الجمهور الريح بالنصب أي ولسليمان سخرنا الريح وأبو بكر بالرفع على الابتداء
والخبر في المجرور ويكون الريح على حذف مضاف أي تسخير الريح أو على إضمار الخبر
أي الريح مسخرة وقرأ الحسن وأبو حيوة وخالد بن إلياس الرياح بالرفع جمعاً
قال قتادة كانت تقطع به في الغدو إلى قرب الزوال مسيرة شهر وفي الرواح
من بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر وقال الحسن كان يخرج من مستقره بالشام
يريد تدمر التي بنتها الجن بالصفاح والعمد فيقيل في اصطخر ويروح منها منتهياً
فيبيت في كابل من أرض خراسان والغدو ليس الشهر فهو على حذف مضاف
أي جري غدوها أي جريها في الغدو مسيرة شهر وجري رواحها أي جريها في
الرواح مسيرة شهر وأخبر هنا عن الغدو وعن الرواح بالزمان وهو شهر ويعني
شهراً واحداً كاملاً ونصب شهر جائز ولكنه لم يقرأ به فيما أعلم وقرأ ابن أبي عبلة
غدوتها وروحتها على وزن فعلة وهي المرة الواحدة من غدا وراح وقال

وهب

وهب كان مستقر سليمان عليه السلام بتدمر وكانت الجن قد بنتها له بالصفاح والعمد
والرخام الأبيض والأصفر وفيه يقول النابغة

إلا سليمان إذ قال الإله له • قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ووجدت أبيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان
عليه السلام وهي

ونحن ولا حول سوى حول ربنا • نروح من الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان ريث رواحنا • مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس أعز الله طوعاً نفوسهم • بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورفعة • وإن نسبوا يوماً فمن خير معشر
متى يركب الريح المطيعة أسرعت • مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم • متى رفرفت من فوقهم لم تنفر

انتهى ما حكاه وهب ٥ وأسلنا له عين القطر الظاهر أنه جعله في معدنه عيناً تسيل
كعيون الماء دلالة على نبوته قال قتادة يستعملها فيما يريد وعن ابن عباس
ومجاهد والسدي أجريت له ثلاثة أيام بلياليهن وكانت بأرض اليمن قال مجاهد
سالت من صنعاء ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله وكان لا يذوب وقالت
فرقة المعنى أذبنا له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام
قالوا وكانت الأعمال تتأتى منه وهو بارد دون نار وعين بمعنى الذات وقالوا
لم يلن ولا ذاب لأحد قبله وقال الزمخشري أراد بها معدن النحاس
أساله له كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين
القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمراً انتهى ويحتمل من يعمل أن يكون في موضع
نصب أي وسخرنا من الجن من يعمل وأن يكون في موضع رفع على الابتداء وخبره في الجار والمجرور
قبله بإذن ربه أي بأمر ربه لقوله ومن يزغ منهم عن أمرنا وقرأ الجمهور يزغ
مضارع زاغ أي ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ
بضم الياء من أزاغ أي ومن يمل ويصرف نفسه عن أمرنا وعذاب السعير عذاب
الآخرة قاله ابن عباس وقال السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما
استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني وللبعض الباطنية أو من يشبههم تحريف
في هذه الجمل إذ تسبيح الجبال هو مثل قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وأن تسخير
الريح هو أنه راض الخيل وهي كالريح وإن غدوها شهر يكون فرسخاً لأن من يخرج
للتفرج لا يسير في غالب الأمر أكثر من فرسخ وإلانة الحديد وإسالة القطر هو
استخراج ذوبهما بالنار واستعمال الآلات منهما ومن الجن هم ناس من بني آدم
أقوياء شبهوا بهم في قواهم وهذا تأويل فاسد وخروج بالجملة عما يقوله
أهل التفسير في الآية وتعجيز للقدرة الإلهية نعوذ بالله من ذلك والمحاريب
قال مجاهد المساجد سميت باسم بعضها تجوزاً وقال عطية القصور وقال قتادة
كلها وقال ابن زيد مساكن وقيل ما يصعد إليه بالدرج كالغرف والتماثيل

الصور وكانت كغير الحيوان وقال الضحاك كانت تماثيل حيوان وكان عملها
جائزا في ذلك الشرع وقال الزمخشري هي صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم وهذا مما لا يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب ه وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما او تصور
محذوفة الرؤوس انتهى وفيه بعض حذف وقيل التماثيل طلسمات فيعمل
تمثالا للتمساح او للذباب او للبعوض ويامر ان لا يتجاوز ذلك الممثل به ما دام ذلك
التمثال والتصوير حرام في شريعتنا وقد ورد تشديد الوعيد على المصورين ولبعض
العلماء استثناء في شيء منها وفي حديث سهل بن حنيف لعن المصورين ولم يستثن
عليه السلام وحكى مكي في الهداية ان قوما اجازوا التصوير وحكاه النحاس عن قوم وانهم
واحتجوا بقوله وتماثيل قال ابن عطية وما احفظ من ائمة العلم من يجوزه وجفان
كالجوابي بيا وهو الاصل وحذفها اجتزاء بالكسرة واجراء للالف واللام مجرى
ما عاقبها وهو التنوين وكما يحذف مع التنوين يحذف ما عاقبه وهو ال وراسيات
الثابتات على الاثافي فلا تنقل ولا تحمل لعظمها وقدمت المحاريب على التماثيل
لان النقوش تكون في الابنية وقدم الجفان على القدور مع ان القدور آلة
الطبخ والجفان آلة الاكل والطبخ قبل الاكل لما بين الابنية الملكية
واراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور واشار الى الجفان
لانها تكون فيها والقدور لا تكون فيها ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات
ولما بين حال الجفان سرى الذهن الى عظمة ما يطبخ فيه فذكر القدور المناسبة
وذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب لاحتياجه الى قتال الاعداء وفي
حق سليمان المحاريب والتماثيل لانه كان ملكا ابن ملك قد اطد له ابوه
الملك فكانت حالة حالة سلم اذ لم يكن احد يقدر على محاربته وقال
عقيب ان اعمل سابغات واعملوا صالحا وعقيب ما يعمله الجن اعملوا آل
داود شكرا اشارة الى ان الانسان لا يستغرق في الدنيا ولا يلتفت الى
زخارفها وانه يجب ان يعمل صالحا واعملوا آل داود اي وقيل لهم اعملوا
ومفعول اعملوا محذوف اي اعملوا الطاعات وواظبوا عليها شكرا لربكم على
ما انعم به عليكم فقيل انتصب شكرا على الحال وقيل مفعول من اجله وقيل
مفعول به باعملوا اي اعملوا عملا هو الشكر كان الصلاة والصيام والعبادات
كلها في انفسها هي الشكر اذا سدت مسده وقيل على المصدر لتضمين اعملوا
اشكروا بالعمل لله شكرا روي ان مصلى آل داود لم يخل قط من قائم يصلي ليلا
ونهارا وكانوا يتناوبونه وكان سليمان عليه السلام ياكل الشعير ويطعم اهله
الخشكنان والمساكين الدرمك وما شبع قط فقيل له في ذلك فقال اخاف
ان شبعت ان انسى الجياع والشكور صيغة مبالغة واريد به الجنس قال
ابن عباس الشكور من يشكر على احواله كلها وقال السدي من يشكر على الشكر
وقيل من يرى عجزه عن الشكر وهذه الجملة تحتمل ان تكون خطابا لآل داود

وهو الظاهر وان تكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيها تنبيه وتحريض على الشكر
فلما قضينا عليه الموت اي انفذنا عليه ما قضينا عليه في الازل من الموت واخرجنا
الى حيز الوجود وجواب لما النفي الموجب وهذا يدل على ان لما حرف لا ظرف خلافا
لمن زعم ذلك لانه لو كان ظرفا لكان الجواب هو العامل وما دخلت عليه وهي
نافية ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد مضى لنا نظير هذا في يوسف في قوله
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء والضمير في دلهم
عائد على الجن الذين كانوا يعملون له وكان سليمان قد امر الجن ببناء صرح له
فبنوه له ودخله مختليا ليصفوا له يوما من الدهر من الكدر فدخل عليه شاب فقال
له كيف دخلت علي فقال انما دخلت باذن قال ومن اذن لك قال رب هذا
الصرح فعلم انه ملك الموت اتى يقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم
الذي طلبت فيه الصفا فقال له طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكاء على عصاه
فقبض روحه وبقيت الجن تعمل على عادتها وكان سليمان قصد تعمية موته
لانه كان بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة فسال الله تمامها على يد الانس والجن
وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون انه يتحنث وقيل ان
ملك الموت اعلمه انه بقي من حياته ساعة فدعا الشياطين فبنوا له الصرح
وقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه فلا ينظر احد منهم اليه في صلاته الا احترق فمر واحد منهم
فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا هو قد خر ميتا وكان عمره ثلاثا
وخمسين سنة ملك بعد موت ابيه وهو ابن ثلث عشرة سنة وكان ابوه قد
اسس بنيان المسجد موضع بساط موسى فمات قبل ان يتمه ووصى به الى ابنه فامر
الشياطين باتمامه ومات قبل تمامه ودابة الارض هي سوسة الخشب وهي
الارضة وقيل ليست سوسة الخشب لان السوسة ليست من دواب الارض
بل هذه حيوان من الارض شانه ان ياكل الخشب وذلك موجود وقالت فرقة
منهم ابو حاتم الارض هنا مصدر ارضت الابواب والخشب اكلتها الارضة
فكانه قال دابة الاكل الذي هو بتلك الصورة فاذا كان الارض مصدرا كانت
فعله ارضت الدابة الخشب تارضه ارضا فالارض بكسر الراء نحو جدعت انفه
فجدع ويقول انه مصدر لفعل المفتوح العين قراءة ابن عباس والعباس بن الفضل
الارض بفتح الراء لان مصدر فعل المطاوع لفعل يكون على فعل نحو جدع انفه
جدعا جدعا واكلت الاسنان اكلا مطاوع اكلت العوارض الاسنان اكلا وقيل
الارض بفتح الراء جمع ارضة وهو من اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم
من الارض وقراءة الجمهور بسكون الراء فالمتبادر انها الارض المعروفة وتقدم
انه مصدر لارضت الدابة الخشب وتاكل حال اي آكلة منساته وهي حال
مصاحبة وتقدم ان المنساة هي العصا وكانت فيما رووا من خروب وذلك
انه كان يتعبد في بيت المقدس فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بمنافعها
فيامر فتقلع وتزرع في مكانها وتغرس لينبت بها سل فلما قرب موته نبتت شجرة

وسألها فقالت أنا الخروب خرجت لخراب ملكك فعرف أنه حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستعد بزاد سنة والجن تتوهم أنه يتغدى بالليل وروي أن سليمان كان تبنى فيه وأوصى بعض أهله بكتمان موته عن الجن والإنس سنة ليتم البناء الذي بدئ به في زمن داود فلما مضى لموته سنة خر عن العصا ونظر إلى مقدار ما تأكله الأرضة يوما وقيس عليه فعلم أنها أكلت العصا منذ سنة **وقرأ** نافع وأبو عمرو وجماعة منساته بألف وأصله منسأته أبدلت الهمزة ألفا بدلا غير قياسي وقال أبو عمرو أنا لا أهمزها لأني لا أعرف لها اشتقاقا فإن كانت مما لا تهمز فقد احتطت وإن كانت تهمز فقد يجوز في ترك الهمز فيما يهمز **وقرأ** ابن ذكوان وجماعة منهم بكار والوليد بن عتبة وابن مسلم منسأته بهمزة ساكنة وهو من تسكين المتحرك تخفيفا وليس بقياس وضعف النحاة هذه القراءة لأنه يلزم فيها أن يكون ما قبل تاء التأنيث ساكنا غير ألف وقيل قياسها التخفيف بين بين والراوي لم يضبط وأنشد هرون ابن موسى الأخفش الدمشقي شاهدا على سكون هذه القراءة **قال الراجز**

• صريع خمر قام من وكأته كقومة الشيخ إلى منسأته •

وقرأ باقي السبعة بالهمزة مفتوحة **وقرئ** بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وعلى وزن مفعالة منسآءة **وقرأت فرقة** منهم عمرو بن ثابت عن ابن جبير من مفعوله حرف جر سأته بجر التاء قيل ومعناه من عصاه يقال لها ساة القوس وسيتها معا وهي يدها العليا والسفلى سميت العصا ساة القوس على الاستعارة ولا سيما إن صح النقل أنه اتخذها من شجر الخروب قبيل موته فيكون حين اتكأ عليه وهي كما قطعت من شجرة خضراء قد اعوجت حتى صارت كالقوس ألا ترى أنك إذا اتكأت على غصن أخضر كيف يعوج حتى تكاد تلتقي طرفاه وفيها لغتان ساة وسية كما يقال قحة وقحة والمحذوف من ساة وسية • فلما خر أي سقط عن العصا ميتا والظاهر أن الضمير في خر عائد على سليمان وقيل إنه لم يمت إلا في سفر مضطجعا ولكنه كان في بيت مبني عليه وأكلت الأرضة عتبة الباب حتى خر الباب فعلم موته وقال ابن عباس مات في متعبده على فراشه وقد أغلق الباب على نفسه فأكلت الأرضة المنساة أي عتبة الباب فلما خر أي الباب انتهى وهذا فيه ضعف لأنه لو كانت المنساة هي العتبة وعاد الضمير عليها لكان التركيب فلما خرت بتاء التأنيث ولا يجيء مثل حذف هذه التاء إلا في ضرورة الشعر ولا يكون من تذكير المعنى على معنى العود لأنه قليل **وقرأ** الجمهور تبينت مبنيا للفاعل فاحتمل أن يكون من تبين بمعنى بان أي ظهر فالجن فاعل وأن وما بعدها بدل من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي ظهر جهل زيد فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب وأن ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح واحتمل أن يكون من تبين بمعنى علم وأدرك والجن هنا خدم الجن وضعفتهم أن لو كانوا أي لو كان رؤساؤهم وكبارهم يعلمون قاله قتادة وقال الزمخشري أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب

وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله كقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل لذلك متبينا انتهى ويجيء تبين بمعنى بان وظهر لازما وبمعنى علم متعديا موجود في كلام العرب **قال الشاعر**

• تبين لي أن القماءة ذلة • وأن أعزاء الرجال طيالها •

وقال آخر

• أفاطم إني ميت فتبيني • ولا تجزعي كل النساء يموت •

أي فتبيني ذلك أي اعلميه وقال ابن عطية ذهب سيبويه إلى أن أن لا موضع لها من الإعراب إنما هي مؤذنة تجوز أنها منزلة منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقق واليقين لأن هذه الأفعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فما لبثوا جواب القسم لا جواب لو وعلى الأقوال الأول جواب لو وفيه كذاب النحاس أشار إلى أنه يقرأ تبينت الجن بنصب الجن أي تبينت الإنس الجن والمعنى أن الجن لو كانت تعلم الغيب ما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر أنه خفي عليها بدوامها في الخدمة والصنعة وهو ميت **وقرأ** ابن عباس فيما ذكر ابن خالويه ويعقوب بخلاف عنه تبينت مبنيا للمفعول وعن ابن عباس وأبي وابن مسعود وعلي بن الحسين والضحاك قراءات في هذا الموضع مخالفة لسواد المصحف ولما روي عنهم ذكرها المفسرون أضربت عن ذكرها صفحا على عادتنا في ترك نقل الشاذ الذي يخالف للسواد مخالفة كثيرة • لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ • لما ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها على من جرى لمن كفر أنعم الله وتقدير الكلام في سبأ في النمل ولما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على أن ترجع فأبت فقالوا لترجعن أو لنقتلنك فقالت لهم لا عقول لكم ولا تطيعوني فقالوا نطيعك فرجعت إلى واديهم وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام فأمرت فسد ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدة أنهارهم وكان الماء يخرج لهم بالسوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان

قوله عز وجل لقد كان لسبأ

عليه السلام ما سبق ذكره في سورة النمل وقيل الذي بنى لهم السد هو حمير ابو القبائل
اليمنية وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قيل وكان
لهم رئيس يلقب بالحمار وكان في الفترة فمات ولده فرفع راسه الى السماء
فبزق وكفر فلذا يقال في المثل اكفر من حمار ويقال ترك جوف حمار اي كوادي
حمار لما سال بهم السيل **وقرأ** الجمهور في مساكنهم جمعا والنخعي وحمزة وحفص
مفردا بفتح الكاف والكسائي مفردا بكسرها وهي قراءة الاعمش وعلقمة قال ابو الحسن
كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة الحجاز وهي اليوم قليلة
وقال الفراء هي لغة يمانية فصيحة فمن قرا بالجمع فظاهر لان كل احد له مسكن ومن
افرد فينبغي ان يحمل على المصدر اي في سكناهم حتى لا يكون مفردا يراد به الجمع لان **سق**
يرى ذلك ضرورة نحو كلوا في بعض بطنكم تعفوا ه يريد بطونكم وقوله قد عض اعناقهم
جلد الجواميس ه اي جلود آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه
ووجوب شكره او جعل قصتهما لا انفسهما آية اذ اعرض اهلها عن شكر الله عليهما
فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل عبرة لهم وجنتان خبر مبتدا محذوف
اي هي جنتان قاله الزجاج او بدل قال معناه الفراء قال رفع لانه تفسير
لآية وقاله مكي وغيره وضعفه ابن عطية ولم يذكر جهة تضعيفه وقال
جنتان ابتدا وخبره في قوله عن يمين وشمال انتهى ولا يظهر لانه نكرة لا مسوغ
للابتدا بها الا ان اعتقد ان ثم صفة محذوفة اي جنتان لهم او عظيمتان
لهم عن يمين وشمال وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام متفلتا مما قبله **وقرأ** ابن ابي عبلة
جنتين بالنصب على ان آية اسم كان وجنتين الخبر قيل ووجه كون الجنتين
آية نبات الخمط والاثل والسدر مكان الاشجار المثمرة قال قتادة كانت بساتينهم
ذات اشجار وثمار تستر الناس بظلالها ولم يرد جنتين ثنتين بل اراد من الجهتين
يمنة ويسرة انتهى وقال الزمخشري واراد جماعة من البساتين عن يمين
بلدتهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب انتهى
قال ابن زيد لا يوجد فيهما برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا
تعيا دوابهم وكانت المراة تمشي تحت الاشجار وعلى راسها المكتل فيمتلي ثمارا
من غير ان تتناول بيدها شيئا وروي نحو هذا عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس
كلوا من رزق ربكم قول الله لهم على السنة الانبيا المبعوثين اليهم وروي
ذلك مع الايمان بالله وقول لسان الحال لهم لما راوا نعما كثيرة وارزاقا مبسوطة
وفيه اشارة الى التكميل للنعمة عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض
واشكروا له على ما انعم به عليكم بلدة طيبة اي كريمة التربة حسنة الهواء
رغدة النعم سليمة من الهوام والمضار ورب غفور لا عقاب على التمتع بنعمه
في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهذه لذة كاملة خالية عن المفاسد العاجلة
والمآلية **وقرأ** رويس بنصب الاربعة على المدح يعني اسكنوا بلدة طيبة

واعبدوا

واعبدوا ربا غفورا وقال الزمخشري منصوب على المدح ولما ذكر تعالى ما كان من جانبه
من الاحسان اليهم ذكر ما كان من جانبهم في مقابلته فقال فاعرضوا اي عن
ما جاء به اليهم انبياؤهم وكانوا ثلاثة عشر نبيا دعوهم الى الله تعالى وذكروهم
نعمه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فبين كيفية الانتقام منهم كما قال
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون فسلط الله
عليه الجرذ فارا اعمى توالدويه ويسمى الخلد وخرقه شيئا بعد شيء وارسل سيلا
في ذلك الوادي فحمل ذلك السد فروي انه كان من العظم وكثرة الماء بحيث ملأ
ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار وروي انه لما خرق
السد كان ذلك سبب يبس الجنات فهلكت بهذا الوجه وقال المغيرة بن حكيم
وابو ميسرة العرم في لغة اليمن جمع عرمة وهي كل ما بني او سنم ليمسك الماء
ويقال لذلك البنا بلغة الحجاز المسناة كانها الجسور والسداد ومن هذا المعنى

قول الاعشى ه

وفي ذلك للموتسي اسوة •	مآرب عفى عليه العرم
رخام بنته لهم حمير •	اذا جاش دفاعه لم يرم
فاروى الزروع واشجارها •	على سعة ماؤه اذ قسم
فصاروا ايادي لا يقدرون •	منه على شرب طفل فطم

وقال الاخر ه

من سبأ الحاضرين مأرب اذ •	يبنون من دون سيله العرما

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك العرم اسم وادي ذلك الماء بعينه الذي كان
السد بني له انتهى ويمكن ان سمي الوادي بذلك البنا لمجاورته له فصار علما عليه
وقال ابن عباس ايضا العرم الشديد فاحتمل ان يكون صفة للسيل اضيف فيه
الموصوف الى صفته والتقدير السيل العرم او صفة لموصوف محذوف اي سيل المطر
الشديد الذي كان عليه السيل او سيل الجرذ العرم فالعرم صفة للجرذ وقيل
العرم اسم الجرذ واضيف السيل اليه لكونه كان السبب في خراب السد الذي
حمله السيل والاضافة تكون بادنى ملابسة **وقرأ** عروة بن الورد فيما حكى ابن خالويه
العرم باسكان الراء تخفيف العرم كتولهم في الكبد الكبد ولما غرق من غرق منهم
ونجا من نجا تفرقوا وتمزقوا حتى ضربت العرب بهم المثل فقالوا تفرقوا ايدي
سبا وايادي سبا قيل الاوس والخزرج منهم وعن ابن عباس كان سيل ذلك
الوادي يصل الى مكة وينتفع به وكان سيل العرم في ملك ذي الاذعار بن حسان
في الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ودخلت الباء في بجنتيهم على
الزايل والمنتصب ما كان بدلا ومن قوله جنتين على المعهود في لسان العرب وان
كان كثير ممن ينتمي للعلم يفهم العكس حتى قال بعضهم ولو ابدل ضادا بظاء
لم تصح صلاته ومن خطا ولسان العرب ولو ابدل ظاء بضاد وقد تكلمنا على
ذلك في البقرة في قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وسمى هذا المعوض جنتين
على سبيل المقابلة لان ما كان فيه خمط واثل وسدر لا يسمى جنة لانها اشجار

وقال ابن جني العرم المسناة
[illegible]

لا يكاد ينتفع بها وجاءت تثنيته ذات على الأصل في ردّ عينها في التثنية فقال
ذواتي كما جاء ذواتا أفنان ويجوز أن لا ترد فتقول ذاتا كذا على لفظ ذات وتقدم
ذكر الخلاف في ضم كاف أكل وسكونها وقرأ الجمهور أكلٍ منونا والأكل الثمر المأكول
فخرجه الزمخشري على أنه حذف مضاف أي أكل خمط قال أو وصف الأكل بالخمط كأنه
قيل ذواتي أكل بشع انتهى والوصف بالأسماء لا يطرد وإن كان قد جاء منه شيء
نحو قولهم مررت بقاع عرفج كله وقال أبو علي البدل في هذا لا يحسن لأن الخمط
ليس بالأكل نفسه انتهى وهو جائز على ما قاله الزمخشري لأن البدل حقيقة
هو ذلك المحذوف فلما حذف أعرب ما قام مقامه بإعرابه قال أبو علي
والصفة أيضا كذلك يريد لا يحسن لأن الخمط اسم لا صفة وأحسن ما فيه عطف
البيان كأنه بيّن أن الأكل هذه الشجرة ومنها انتهى وهذا لا يجوز على مذهب
البصريين إذ شرط عطف البيان أن يكون معرفة وما قبله معرفة ولا يجيز
ذلك في النكرة من النكرة إلا الكوفيون فأبو علي أخذ بقولهم في هذه المسألة
وقرأ أبو عمرو أكلِ خمط بالإضافة أي ثمر خمط وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب حكاه
الفضل بن إبراهيم عطفا على جنتين وقليل صفة لسدر وقلله لأنه كان أحسن
أشجاره وأكرم ما بدلوا قاله الحسن وذلك إشارة إلى ما أجراه عليهم من تخريب
بلادهم وإغراق أكثرهم وتمزيقهم في البلاد وإبدالهم بالأشجار الكثيرة
الفواكه الطيبة المستلذة الخمط والأثل والسدر ثم ذكر سبب ذلك وهو كفرهم
بالله وإنكار نعمه وهل يجازى أي بذلك العقاب إلا الكفور أي المبالغ في الكفر
يجازى بمثل فعله قدرا بقدر وأما المؤمن فجزاؤه بتفضل وتضعيف وقرأ
الجمهور بضم الياء وفتح الزاي الكفور رفعا وحمزة والكسائي بالنون وكسر الزاي
الكفور نصبا وقرأ مسلم بن جندب يجزى مبنيا للمفعول الكفور رفعا والأكثر أن
يستعمل الجزاء في الخير والمجازاة في الشر لكن في تقييدهما قد يقع كل واحد منهما
موقع الآخر ۝ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة جاءت
هذه الجملة بعد قوله وبدلناهم وذلك أنه لما ذكر ما أنعم به عليهم من جنتيهم
وذكر تبديلهما بالخمط والأثل والسدر ذكر ما كان أنعم به عليهم من اتصال قراهم
وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري وقوله وجعلنا وصف تعالى حالهم قبل
مجيء السيل وهي أنه مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كانت
قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم أربابها وقدر السير بأن قرب
القرى بعضها من بعض قال ابن عطية حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام يبيت
في قرية ويقيل في أخرى ولا يحتاج إلى حمل زاد والقرى المدن ويقال للجمع
الصغير أيضا قرية والقرى التي بورك فيها هي بلاد الشام بإجماع من المفسرين
والقرى الظاهرة هي التي بين الشام ومأرب وهي الصغار التي هي البوادي انتهى
وما ذكر من أن القرى التي بورك فيها هي قرى الشام بإجماع ليس كما ذكر قال
مجاهد هي السراوة وقال وهب قرى صنعاء وقال ابن جبير قرى مأرب وقال
ابن عباس قرى بيت المقدس وبركتها كثرة أشجارها وثمارها ووصف قرى

بظاهرة قال قتادة متصلة على الطريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون
في قرية فكان على كل ميل قرية بسوق وهو سبب أمن الطريق وقال المبرد
ظاهرة مرتفعة أي في الآكام والظراب وهي أشرف القرى وقيل ظاهرة إذا خرجت
من هذه ظهرت لك الأخرى ۝ وقيل ظاهرة معروفة يقال هذا أمر ظاهر أي
معروف ۝ وقيل ظاهرة عامرة وقال ابن عطية والذي يظهر لي أن معنى ظاهرة
خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر المدن كأنه فصل
بهذه الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المدن وظواهر
المدن ما خرج عنها في الفيافي والفحوص ومنه قولهم نزلنا بظاهر فلانة أي خارجا
عنها وقوله ظاهرة قطع تسمية الناس إياها بالبادية والضاحية ومن هذا

قول الشاعر

فلو شهدتني من قريش عصابة ۝ قريش البطاح لا قريش الظواهر

يعني الخارجين من بطحاء مكة وفي الحديث وجاء أهل الضواحي يشكون الغرق ۝ وقدرنا
فيها السير قد ذكرنا أن الغادي يقيل في قرية والرائح في أخرى إلى أن يصل إلى
مقصوده آمنا من عدو وجوع وعطش وآفات المسافر قال الضحاك مقادير المراحل
كانت القرى على مقاديرها وقال الكلبي مقادير المقيل والمبيت وقال القتبي
بين كل قرية وقرية مقدار واحد معلوم وقيل بين كل قريتين نصف يوم وهذه أقوال
متقاربة والظاهر أن قوله سيروا أمر حقيقة على لسان أنبيائهم وقال الزمخشري
ولا أمر ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك
وأذن لهم فيه انتهى ودخول الفاء في قوله فكأنهم لا يجوز والصواب كأنهم لأنه
خبر لكنهم وقال قتادة كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان ولو وجد الرجل
قاتل أبيه لم يهجه وكان المسافر لا يأخذ زادا ولا سقاء مما بسط الله لهم من النعم
وقال الزمخشري سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن
فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت
مدة أسفاركم فيها وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة
أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن انتهى وقدم الليالي
لأنها مظنة الخوف من مغتال ومنّ عليهم بالأمن حتى ساوى الليل النهار في ذلك
ولما طالت بهم مدة النعمة بطروا وملوا العافية وطلبوا استبدال الذي هو
أدنى بالذي هو خير كما فعلت بنو إسرائيل وقالوا لو كان جنى ثمارنا أبعد كان أشهى
وأعلى قيمة فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها
ويتزودوا الأزواد فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وقرأ جمهور السبعة ربنا بالنصب
على النداء باعد طلب وابن كثير وأبو عمرو وهشام كذلك إلا أنهم شددوا العين
وابن عباس وابن الحنفية وعمرو بن فائد ربنا رفعا بعّد فعلا ماضيا مشدد
العين وابن عباس أيضا وابن الحنفية أيضا وأبو رجاء والحسن ويعقوب وأبو حاتم
وزيد بن علي وابن يعمر أيضا وأبو صالح وابن أبي ليلى والكلبي ومحمد بن علي وسلام
وأبو حيوة كذلك إلا أنه بالألف بين الباء والعين وسعيد بن أبي الحسن أخو الحسن

وابن الحنفية ايضا وسفين بن حسين وابن السميفع ربنا بالنصب بعد بضم العين فعلا ماضيا بين بالنصب الا سعيدا منهم فضم نون بين جعله فاعلا ومن نصب فالفاعل ضمير يعود على السير اي بعد السير بين اسفارنا فمن نصب ربنا جعله نداء فان جاء بعده طلب كان ذلك اشرا منهم وبطرا وان جاء بعد فعل ماض كان ذلك شكوى مما حل بهم من بعد الاسفار التي طلبوها اولا ومن رفع ربنا فلا يكون الفعل الا ماضيا وهي جملة خبرية فيها شكوى بعضهم الى بعض مما حل بهم من بعد الاسفار ومن قرا باعد او بعد بالالف او التشديد فبين مفعول به لانهما فعلان متعديان وليس بين ظرفا الا ترى الى قراءة من رفعه كيف جعله اسما فكذا اذا نصب **وقرئ** بوعد مبنيا للمفعول **وقراءة** ابن يعمر بين سفرنا مفردا والجمهور بالجمع وظلموا انفسهم عطف على فقالوا وقال الكلبي موحا لاي وقد ظلموا انفسهم بتكذيب الرسل فجعلناهم احاديث اي عظات وعبرا يتحدث بهم ويتمثل وقيل لم يبق منهم الا الحديث ولو بقي منهم طايفة لم يكونوا احاديث ومزقناهم كل ممزق اي تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر وقال قتادة فرقناهم بالتباعد وقال ابن سلام جعلناهم ترابا تذروه الرياح وقال الزمخشري لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وفي التحرير وقع منهم قضاعة بمكة واسد بالبحرين وخزاعة بتهامة وفي الحديث ان سبا ابو عشرة قبايل فلما جاء السيل على مارب وهو اسم بلدهم تيامن منها ستة قبايل اي تبددت في بلاد اليمن كندة والازد والاشعر ومذحج وانمار التي منها بجيلة وخثعم وطايفة قيل لها حمير بقي عليها اسم الاب الاول وتشاءمت اربعة لخم وجذام وغسان وخزاعة نزلت تهامة ومن هذه المتشايمة اولاد قيلة وهما الاوس والخزرج ومنها عاملة وغير ذلك ان في ذلك لايات اي في قصص هولاء لاية اي علامة لكل صبار عن المعاصي وعلى الطاعات شكور للنعم والظاهر ان الضمير في عليهم عايد على من قبله من اهل سبا وقيل هو لبني ادم **وقراءة** ابن عباس وقتادة وطلحة والاعمش وزيد بن علي والكوفيون صدق بتشديد الدال وانتصب ظنه على انه مفعول به بصدق والمعنى وجد ظنه صادقا اي ظن شيئا فوقع ما ظن **وقراءة** باقي السبعة بالتخفيف فانتصب ظنه على المصدر اي يظن ظنا او على اسقاط الحرف اي في ظنه او على المفعول به نحو قولهم اخطات ظني واصبت ظني وظنه هذا كان حين قال لاضلنهم ولاغوينهم وهذا انما قاله ظنا منه فصدق هذا الظن **وقراءة** زيد بن علي والزهري وجعفر بن محمد وابو الجهجاه الاعرابي من فصحاء العرب وبلال بن ابي بردة بنصب ابليس ورفع ظنه اسند الفعل الى ظنه لانه ظن ظنا فصار ظنه في الناس صادقا كانه صدقه ظنه ولم يكذبه **وقرا** عبد الوارث عن ابي عمرو ابليس ظنه برفعهما فظنه بدل من ابليس بدل اشتمال فاتبعوه اي في الكفر الا فريقا هم المومنون ومن لبيان الجنس ولا يمكن ان تكون للتبعيض لاقتضاء ذلك ان فريقا من المومنين اتبعوا ابليس وفي قوله الا فريقا تقليل لان المومنين بالاضافة الى الكفار قليل كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وما كان له اي لابليس عليهم

من سلطان اي من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ولا حجة الا لنعلم بينه وهي تمييز المومن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم قاله الزمخشري وقال ابن عطية الا لنعلم موجودا لان العلم متقدم اولا انتهى وقال معناه ابن قتيبة قال لنعلم حادثا كما علمناه قبل حدوثه وقال قتادة ليعلم الله به المومن من الكافر علما ظاهرا يستحق به العقاب والثواب وقيل لنعلم اولياؤنا وجربنا وقال الحسن والله ما كان له سوط ولا سيف ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه انتهى كما قال تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **وقراءة** الزهري الا ليعلم بضم الياء وفتح اللام مبنيا للمفعول وقال ابن خالويه الا ليعلم من يومن بالياء الزهري وربك على كل شي حفيظ اما للمبالغة عدل اليها عن حافظ واما بمعنى محافظ كجليس وخليط والحفظ يتضمن العلم والقدرة لان من جهل الشي وعجز لا يمكنه حفظه **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون** مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ۝ قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون ۝ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۝ قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ۝ وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ۝ لما بين حال الشاكرين وحال الكافرين وذكر قريشا ومن لم يومن بمن مضى عاد الى خطابهم فقال قل يا محمد للمشركين الذين ضرب لهم المثل بقصة سبا المعروفة عندهم بالنقل في اخبارهم واشعارهم ادعوا الذين زعمتم وهم معبوداتهم من الملايكة والاصنام وسواهم بدعا تمو لتجية وا قامة الحجة وروي ان ذلك نزل عند الجوع الذي اصاب قريشا اي ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حل بكم والجيوا اليهم فيما يعن لكم وزعم من الافعال التي تتعدى الى اثنين اذا كانت اعتقادية والمفعول الاول هو الضمير المحذوف العايد على الذين والثاني محذوف ايضا لدلالة المعنى وتلا بت صفته منابه التقدير الذين زعمتموهم الهة من دونه وحسن حذف الثاني قيام صفته مقامه ولولا ذلك ما حسن اذ في حذف احد مفعولي ظن واخواتها اختصارا خلاف

منع ذلك بن ملكون واجازه الجمهور وهو مع ذلك قليل ولا يجوز ان يكون الثاني من دونه
لانه لا يستقل كلاما لو قلت هم من دونه لم يصح ولا الجملة من قوله لا يملكون مثقال
ذرة لانه لو كانت هذه النسبة مزعومة لهم لكانوا معترفين بالخلق قايلين له
وكان ذلك توحيدا منهم وان الهتهم ومعبوداتهم لا يملكون شيا باعترافهم ثم اخبر
عن الهتهم انهم لا يملكون مثقال ذرة وهو احقر الاشياء واذا انتفى ملك الاحقر
عنهم فملك الاعظم اولى ثم ذكر مقر ذلك المثقال وهو السموات والارض ثم
اخبر انهم ما لهم في السموات ولا في الارض من شرك فنفى نوعي الملك الاستبداد
والشركة ثم نفى الاعانة منهم له تعالى في شي مما انشا بقوله وما له منهم من ظهير
فبين عجز معبوداتهم من جميع الجهات ولما كان من العرب من يعبد الملائكة لتشفع لهم
نفى ان شفاعتهم تنفع والنفي منسحب على الشفاعة اي لا شفاعة لهم فتنفع وليس
المعنى انهم يشفعون ولا تنفع شفاعتهم اذ لا يقع من معبوداتهم شفاعة اصلا
لان عابديهم كفار فان كان المعبودون اصناما او كفارا كفرعون فسلب
الشفاعة عنهم ظاهر وان كانوا ملائكة او غيرهم ممن عبد كعيسى عليه السلام
فشفاعتهم اذا وجدت تكون لمومن والا لمن اذن له استثناء مفرغ فالمستثنى
منه محذوف تقديره ولا تنفع الشفاعة لاحد الا لمن اذن له واحتمل قوله لاحد
ان يكون مشفوعا له وهو الظاهر فيكون قوله الا لمن اذن له اي المشفوع اذن
لاجله ان يشفع فيه والشافع ليس بمذكور وانما دل عليه المعنى واحتمل ان
يكون شافعا فيكون قوله الا لمن اذن له بمعنى الا لشافع اذن له ان يشفع
والمشفوع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى وعلى هذا الاحتمال تكون اللام في اذن له
لام التبليغ لا لام العلة وقال الزمخشري تقول الشفاعة لزيد على معنى انه
الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل
قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين
اي لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا
تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك
اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه
لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله انتهى فجعل
الا لمن اذن له استثناء مفرغا من الاحوال ولذلك قدره الا كاينة وعلى ما قررناه
استثناء من الذوات وقال ابو عبد الله الرازي المذاهب المفضية الى
الشرك اربعة قايل ان الله خلق السموات وجعل الارض والارضيات في حكمها
وتحت من جملة الارضيات فيعبد الكواكب والملائكة السماوية وهم الالهة
والله الههم فابطل بقوله لا يملكون في السموات كما اعترفتم ولا في الارض
خلاف ما زعمتم وقايل السموات من الله استبدادا والارضيات منه بواسطة
الكواكب فانه تعالى خلق العناصر والتركيبات التي فيهما باتصالات
وحركات وطوالع فجعلوا مع الله شركا في الارض والاولون جعلوا الارض
لغيرهم فابطل بقوله وما لهم فيهما من شرك اي الارض كالسما لله لا لغيره

ولا لغيره

ولا لغيره فيهما نصيب وقايل التركيبات والحوادث من الله لكن فوض الى الكواكب
وفعل الماذون ينسب الى الاذن ويسلب عن الماذون له فيه جعلوا السموات معينة
لله فابطل بقوله وما له منهم من ظهير وقايل نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة
ليشفعوا لنا فابطل بقوله ولا تنفع الشفاعة الجملة وال في الشفاعة الظاهر
انها للعموم اي شفاعة جميع الخلق وقيل للعهد اي شفاعة الملائكة التي زعموها
شركا وشفعا انتهى وفيه بعض تلخيص وقال ابو البقا اللام في لمن اذن يجوز ان
تتعلق بالشفاعة لانك تقول شفعت له وان تتعلق بتنفع انتهى وهذا فيه قلة
لان المعمول متاخر فدخول اللام عليه قليل وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم
الهمزة وباقي السبعة بفتحها اي اذن الله له والظاهر ان الضمير في قوله قلوبهم عايد
على ما عادت عليه الضماير التي للغيبة في قوله لا يملكون وفي ما لهم وما له منهم
وهم الملائكة الذين دعوهم الهة وشفعا ويكون التقدير الا لمن اذن له منهم
وحتى تدل على الغاية وليس في الكلام ما يدل على ان حتى غاية له فقال ابن عطية
في الكلام حذف يدل عليه الظاهر كانه قال ولا هم شفعا كما تحبون انتم بل هم
عبدة مسلمون ابدا يعني منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم قال وتظاهرت
الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملا
اذا سمعت الوحي الى جبريل وبالامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد
على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة وقيل خوف ان تقوم الساعة
فاذا فزع ذلك عن قلوبهم اي اطير الفزع عنها وكشف يقول بعضهم لبعض
ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسؤلون قال الحق وهو العلي الكبير وبهذا
المعنى من ذكر الملائكة في صدر الايات تتسق هذه الاية على الاولى ومن لم
يشعر ان الملائكة مشار اليهم من اول قوله الذين زعمتم لم تتصل له هذه الاية
بما قبلها فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها حتى قال بعضهم في الكفار
بعد حلول الموت فتفزع عن قلوبهم بفقد الحيوة فراوا الحقيقة وزال فزعهم
من ما يقال لهم في حياتهم فيقال لهم حينئذ ماذا قال ربكم فيقولون
قال الحق يقرون حين لا ينفعهم الاقرار وقالت فرقة الاية في جميع العالم
وقوله حتى يريد في الاخرة والتاويل الاول في الملائكة هو الصحيح وهو الذي
تظاهرت به الاحاديث وهذان بعيدان انتهى واذا كان الضمير في عن قلوبهم
لا يعود على الذين زعمتم كان عايدا على من عاد عليه الضمير في قوله ولقد صدق
عليهم ابليس ويكون الضمير في عليهم عايدا على جميع الكفار ويكون حتى غاية
لقوله فاتبعوه ويكون التفزيع حالة مفارقة الحياة او يجعل اتباعهم اياه
مستصحبا لهم الى يوم القيمة مجازا والجملة بعد من قوله قل ادعوا اعتراضية
بين المغيا والغاية قال ابن زيد اقروا بالله حين لم ينفعهم الاقرار والمعنى
فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم ما كان يضلهم به قالوا ماذا قال
ربكم وقال الحسن وانما يقال للمشركين ماذا قال ربكم اي على لسان
الانبيا فاقروا حتى لا ينفع وقيل حتى غاية متعلقة بقوله زعمتم اي زعمتم

يكة

الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق انتهى فيكون
في الكلام التفات من خطاب في زعمتم الى غيبة في فزع عن قلوبهم وعن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته
الشفاعة فعلى هذا يكون التقدير الا لمن اذن له فاذا اذن فزع وقال من فزعه حتى
اذا ازيل التفزيع عن قلوبهم قال بعض الشافعين من الملائكة لبعض الملائكة
ماذا قال ربكم في قبول شفاعتنا فيجيب بعضهم لبعض قال اي الله الحق
اي القول الحق وهو قبول شفاعتهم اذ كان تعالى اذن لهم في ذلك ولا
يأذن الا وهو مريد لقبول الشفاعة وقال الزمخشري **فان قلت**
بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية **قلت**
بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من
الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن
الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قال
يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف
الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة
في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا
قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى انتهى وتلخص من
هذا ان حتى غاية اما للمنطوق وهو زعمتم ويكون الضمير في عن قلوبهم التفاتا
وهو للكفار او هو قالوا تبعوه وفيه تناسق الضمائر للغائب والفصل بالاعتراض
والضمير ايضا للكفار والضمير في قالوا للملائكة وضمير الخطاب في ربكم
والغائب في قالوا الثانية للكفار واما المحذوف فما قدر ابن عطية لا يصح ان
يكون غاية لانها بعد الغاية مخالفة لما قبلها وهم عبدة الاصنام دائما
لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع وحمل ذلك على
الملائكة حال الوحي لا يناسب الآية وكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة
الوحي قال فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم لا يدل على ان هذه الآية في
الملائكة حالة تكلم الله بالوحي والحديث رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة
على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام
فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال
فيقول الحق فينادون الحق وما قدر الزمخشري يحتمل لان فيه تخصيص
الذين زعمتم من دونه بالملائكة والذين عبدوهم ملائكة وغيرهم وتخصيص
من اذن له بالملائكة ايضا والمأذون لهم في الشفاعة الملائكة وغيرهم
الا ترى الى ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفاعة في قوله عز وجل
وقرأ الجمهور فزع مشددا من الفزع مبنيا للمفعول

اي ازيل الفزع عن قلوبهم وفعّل يأتي لمعان منها الازالة وهذا منه نحو قردت
البعير ازلت القراد عنه **وقرأ** ابن مسعود وابن عباس وطلحة وابو المتوكل الناجي
وابن السميفع وابن عامر فزع مبنيا للفاعل من الفزع ايضا والضمير الفاعل في
فزع ان كان الضمير في عن قلوبهم للملائكة فهو الله وان كان للكفار فالضمير
لمغويهم **وقرأ** الحسن فرغ من الفراغ بتخفيف الراء مبنيا للمفعول وعن قلوبهم
في موضع رفع به كقولك انطلق بزيد **وقرأ** الحسن ايضا وابو المتوكل ايضا وقتادة
ومجاهد فرّغ مشددا مبنيا للفاعل من الفراغ **وقرأ** الحسن ايضا كذلك الا
انه خفف الراء **وقرأ** عبد الله بن عمر والحسن ايضا وايوب السختياني وقتادة
ايضا وابو مجلز فرّغ من الفراغ مشدد الراء مبنيا للمفعول **وقرأ** ابن مسعود
وعيسى افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وقيل تفرق وقال الزمخشري والكلمة
مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين من حروف الزيادة وكذلك الراء
وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والراء ليستا من حروف الزيادة وان
عنى ان الكلمة فيها حروف ما ذكر وزائدا الى ذلك العين والراء والمادة
مرتقع وقمطر فهو صحيح ولولا ابهام ما قاله الزمخشري في هذه الكلمة لم اذكر هذه
القراءة لمخالفتها سواد المصحف ٥ وقالوا ايضا في قوله تعالى حتى اذا فزع
اقوال غير ما سبق قال كعب اذا تكلم الله عز وجل بلا كيف ضربت الملائكة باجنحتها
وخرت فزعا قالوا فيما بينهم ماذا قال ربكم قالوا الحق اي مقولة الحق
وقيل اذا دعا ثم اسرافيل من قبورهم قالوا مجيبين ماذا ومن الفزع الذي
هو الدعاء والاستصراخ كما **قال زهير** ٥

٥ اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل ٥

وقيل هو فزع ملائكة ادنى السموات عند نزول المدبرات الى الارض وقيل
لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وبعث الله محمدا انزل الله
جبريل بالوحي فظنت الملائكة انه قد نزل بشيء من امر الساعة فصعقوا لذلك
فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع ويخبرهم انه الوحي قاله قتادة
ومقاتل وابن السائب وقيل الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى اهل
الارض ويكتبون اعمالهم اذا ارسلهم الله فانحدروا سمع لهم صوت شديد
فيحسب الذين هم اسفل منهم من الملائكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا
يصعقون رواه الضحاك عن ابن مسعود وهذه الاقوال التي قبلها لا تكاد
تلائم الفاظ القرآن فالله اسأل ان يرزقنا فهم كتابه واقربها عندي
ان يكون الضمير في قلوبهم عائدا على من عاد عليه اتبعوه وعليهم ومن هو
منها في شك وتكون الجملة بعد ذلك اعتراضا وقوله قالوا اي الملائكة
لاولئك المتبعين الشاكين تبكيتا لهم سؤال توبيخ ماذا قال ربكم على
لسان من بعث اليكم بعد ان كشف الغطاء عن قلوبهم فيقرون اذ ذاك
ان الذي قاله وجاءت به انبياؤه هو الحق لا الباطل الذي كنا فيه من
اتباع ابليس وشكنا في البعث وماذا يحتمل ان تكون منصوبة بقال اي

اي شيء قال ربكم وان يكون في موضع رفع على ان ذا موصولة اي ما الذي قال ربكم
وذا خبره ومعمول قال ضمير محذوف عائد على الموصول وقرأ ابن ابي عبلة قالوا
الحق برفع الحق خبر مبتدا اي مقوله الحق وهو العلي الكبير تنزيه منهم له تعالى
وتمجيد ثم رجع الى خطاب الكفار قيل لهم عن من يرزقهم محتجا عليهم بان رازقهم
هو الله اذ لا يمكن ان يقولوا ان الهتهم ترزقهم وتسبا لهم انهم لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وامر بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله
قل الله لانهم قد لا يجيبون حياء في العناد وايثارا للشرك ومعلوم انه لا جواب
لهم ولا لاحد الا بان يقول هو الله وانا اي الموحدين الرازق لعابديه واياكم
المشركين العابدين الاصنام والجمادات لعلى هدى اي طريقة مستقيمة او في
حيرة واضحة بينة والمعنى ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال اخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال ومعلوم ان من عبد الله
ووحده هو على الهدى وان من عبد غيره من جماد وغيره في ضلال وهذه الجملة
تضمنت الانصاف واللطف في الدعوة الى الله وقد علم من سمعها انها جملة انصاف
والرد بالتورية والتعريض ابلغ من الرد بالتصريح ونحوه قول العرب اخزى الله
الكاذب مني ومنك يقول ذلك من تيقن ان صاحبه هو الكاذب ونظيره

قول الشاعر

فأيي ما وأيك كان شرا ٭ فسيق الى المقادة في هوان

وقول حسان

اتهجوه ولست له بكفو ٭ فشركما لخيركما الفداء

وهذا النوع يسمى في علم البيان استدراج المخاطب بذكر له امرا يسلمه وان كان
بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ولا يزال
ينقله من حال الى حال حتى يتبين له الحق ويقبله ومنها لما سمعوا التردد بينه
وبينهم ظهر لهم انه غير جازم ان الحق معه فقال لهم بطريق الاستدلال ان
الهتكم لا تملك مثقال ذرة ولا تنفع ولا تضر لانها جماد وهم يعلمون ذلك
فتحققوا ان الرازق لهم والنافع والضار هو الله تعالى وقيل معنى الجملة
استنقاص المشركين والاستهزاء بهم وقد تبينوا ان الهتهم لا ترزقهم شيئا ولا تنفع
ولا تضر فاراد الله من نبيه وامره ان يوبخهم ويستنقصهم ويكذبهم بقول
غير مكشوف اذ كان ذلك ابلغ في استنقاصهم كقولك ان احدنا لكاذب وقد علمت
ان من خاطبت هو الكاذب ولكنك تخبته بلفظ غير مكشوف واو هنا على موضوعها
لكونها لاحد الشيئين او الاشياء وخبر انا واياكم هو لعلى هدى او في ضلال مبين
ولا يحتاج الى تقدير حذف اذ المعنى ان احدنا لفي احد هذين كقولك زيد او عمرو في
القصر او في المسجد لا يحتاج هذا الى تقدير حذف اذ معناه احد هذين في احد
هاذين وقيل الخبر محذوف فقيل خبر الاول والتقدير وانا لعلى هدى او في
ضلال مبين فحذف لدلالة خبر ما بعده عليه فلعلى هدى او في ضلال
مبين المثبت خبر عن واياكم اذ هو على تقدير ان ولكنها لما حذفت انفصل

الضمير

الضمير وقيل خبر الثاني والتقدير واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وحذف
لدلالة خبر الاول عليه وهو هذا المثبت لعلى هدى او في ضلال مبين ولا حاجة
لهذا التقدير من الحذف لو كان ما بعدها وغير معطوف بها نحو زيد او عمرو قائم كان
يحتاج الى هذا التقدير واما مع ما يصلح ان يكون خبرا لان لان اسمها عطف عليه
باو والخبر معطوف باو فلا يحتاج اليه وذهب ابو عبيدة الى ان او بمعنى الواو فيكون
من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلى هدى واياكم في ضلال مبين فاخبر عن كل
بما ناسبه ولا حاجة الى اخراج او عن موضوعها وجاء في الهدى بعلى لان صاحبه
ذو استعلاء وتمكن مما هو عليه يتصرف حيث شاء وجاء في الضلال بفي لانه منغمس
في حيرة مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه ٭ قل لا تسألون عما اجرمنا هذا ادخل في
الانصاف وابلغ من الاول واكثر تلطفا واستدراجا حيث سمى فعله جرما كما يزعمون
مع انه مثاب مشكور وسمى فعلهم عملا مع انه مزجور عنه محظور وقد يراد بالجرم هنا
نسبة ذلك الى المؤمنين دون الرسول وذلك مما لا يكاد يخلو المؤمن منه من الصغائر
والذي تعملون هو الكفر وما دون من المعاصي الكبائر قيل وهذه الاية منسوخة
باية السيف ٭ قل يجمع بيننا ربنا اي يوم القيامة ثم يفتح اي يحكم بالحق بالعدل
فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل العليم باعمال
العباد والفتاح والعليم صفتا مبالغة وهذا فيه تهديد وتوبيخ تقول
لمن نصحته وخوفته فلم يقبل ستري عاقبة الامر وقرأ عيسى الفاتح اسم فاعل
والجمهور الفتاح ٭ قل اروني الذين الحقتم به شركاء الظاهر ان اري هنا بمعنى اعلم
فيتعدى الى ثلاثة الضمير للمتكلم هو الاول والذين الثاني وشركاء الثالث اي
اروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة وهل يملكون مثقال ذرة او يرزقونكم
وقيل هي رؤية بصر وشركاء نصب على الحال الضمير المحذوف في الحقتم والتقدير
الحقتموهم به في حال توهم شركاء له قاله ابن عطية وهذا ضعيف لان استدعاء
رؤية العين في هذا لا اعتناء له انتهى وقال الزمخشري فان قلت ما معنى
قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ
العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم
على حالة القياس اليه والاشراك وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال
المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم
وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز
الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركا من هذه الصفات وهو راجع الى الله
وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد انتهى وقول ابن عطية لان
استدعاء رؤية العين في هذا لا اعتناء له اي لا يقع له ليس بجيد بل في ذلك
تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الامر بل المعنى ان الذين هم شركا لله على زعمكم
هم ممن ان رايتموهم افتضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك من الجماد كما تقول
للرجل الخسيس الاصل اذكر لي اباك الذي قايست به فلانا الشريف ولا تريد حقيقة
الذكر انما اردت تبكيته وانه ان ذكر اباه افتضح وكلا اسم فاعل مركب وقيل

مصدر كالعاقبة والعافية فيكون على حذف مضاف اي الا ذا كافة اي ذا كف
للناس اي منع لهم من الكفر او ذا منع من ان يشذوا عن تبليغك واذا كان اسم فاعل
فقال الزجاج وغيره هو حال من الكاف في ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس
في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية
وقال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد
كفتهم ان يخرج منها احد منهم ثم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه
فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على
الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى
الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب
الخطأين انتهى اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا
حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا
ولا يحفظ ايضا استعمالها صفة لموصوف محذوف ۝ واما قول الزجاج ان كافة
بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة فان اللغة لا تساعد على ذلك لان كف ليس
محفوظا ان معناه جمع واما قول الزمخشري ومن جعله حالا الى اخره فذلك مختلف
فيه ذهب الاكثرون الى ان ذلك لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان
ومن معاصرينا ابن مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ومن امثلة ابي علي زيد خير ما يكون
خير منك التقدير زيد خير منك خير ما يكون فجعل خير ما يكون حالا من الكاف في منك
وقدمها عليه وقال الشاعر ۝

۝ اذا المرء اعيته المروءة ناشئا ۝ فمطلبها كهلا عليه شديد ۝

اي فمطلبها عليه كهلا شديد وقال اخر ۝

۝ تسليت طرا عنكم بعد بينكم ۝ بذكراكم حتى كانكم عندي ۝

اي تسليت عنكم طرا اي جميعا وقدحا تقدير الحال على صاحبها المجرور وعلى ما
يتعلق به ومن ذلك قول الشاعر ۝

۝ مشغوفة بك قد شغفت وانما حتم الفراق فما اليك سبيل ۝

وقال اخر ۝

۝ غافلا تعرض المنية للمرء ۝ فيدعى ولات حين اباء ۝

اي شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا واذا جاز تقديمها على المجرور
والعامل فتقديمها عليه دون العامل اجوز وعلى ان كافة حال من الناس حمله
ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله اي الى العرب
والعجم وسائر الامم وتقديره الى الناس كافة انتهى وقول الزمخشري وكم ترى
ممن يرتكب هذا الخطأ الى اخر كلامه تشنيع لان قائل ذلك لا يحتاج الى ان
يتأول اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى بالى ويتعدى باللام كقوله وارسلناك
للناس رسولا ولو تأول اللام بمعنى الى لم يكن ذلك خطأ لان اللام قد جاءت
بمعنى الى والى قد جاءت بمعنى اللام وارسل مما جاء متعديا بهما الى المجرور ثم حكى
تعالى مقالتهم في الاستهزاء بالبعث واستعجالهم على سبيل التكذيب ولم يجابوا بتعيين

الزمان

الزمان اذ ذاك مما انفرد تعالى بعلمه بل اجيبوا بان ما وعدوا به لا بد من وقوعه ومتى
ميعاد يوم القيامة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ويجوز ان يكون سؤالهم عن
ما وعدوا به من العذاب في الدنيا واستعجلوا به استهزاء منهم وقال ابو عبيدة
الوعد والوعيد والميعاد بمعنى وقال الجمهور الوعد في الخير والوعيد في الشر
والميعاد يقع لهذا ويقع لهذا والظاهر ان الميعاد اسم على وزن مفعال
استعمل بمعنى المصدر اي قل لكم وقوع وعد يوم ونجز وقال الزمخشري الميعاد
ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ها هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ
ميعاد يوم فابدل منه اليوم انتهى ولا يتعين ما قال اذ يكون بدلا على تقدير
محذوف اي قل لكم ميعاد ميعاد يوم فلما حذف اعرب ما قام مقامه باعرابه
وقرأ الجمهور ميعاد يوم بالاضافة ولما جعل الزمخشري الميعاد ظرف زمان
قال اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وقرأ
ابن ابي عبلة واليزيدي ميعاد يوما بتنوينهما قال الزمخشري واما نصب
اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته
كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم انتهى لما جعل الميعاد ظرف
زمان خرج النصب والرفع على ذلك ويجوز ان يكون انتصابه على الظرف على حذف
مضاف اي انجاز وعد يوما من صفته كيت وكيت وقرأ عيسى ميعاد منونا يوم
بالنصب من غير تنوين مضافا الى الجملة فاحتمل تخريج الزمخشري على التعظيم واحتمل
تخريجا على الظرف على حذف مضاف اي انجاز وعد يوم كذا وجاء هذا الجواب
على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون
بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه واليوم يوم القيامة
وهو السابق الى الذهن او يوم مجيء اجلهم عند حضور منيتهم او يوم بدر اقوال
ولن نؤمن بهذا القرآن يعني الذي تضمن التوحيد والرسالة والبعث المتقدم
ذكرها فيه ولا بالذي بين يديه هو ما نزل من كتب الله المبشرة برسول الله روي ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم لا يجدون صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن ما تقدمه من كتب الله في الكفر
ويكون الذين كفروا مشركي قريش ومن جرى مجراهم والمشهور ان الذي بين يديه
التوراة والانجيل وما تقدم من الكتب وهو مروي عن ابن جريج وقالت فرقة
الذي بين يديه هي القيامة قال ابن عطية وهذا خطأ قائله لم يفهم امر بين اليد
في اللغة وانه المتقدم في الزمان وقد بيناه فيما تقدم انتهى ولو ترى اذ
الظالمون اخبر عن حالهم في صيغة التعجب منها وترى في معنى رأيت لاعمال اذ
في الظرف الماضي ومفعول ترى محذوف اي حال الظالمين اذ هم موقوفون
وجواب لو محذوف اي لرأيت لهم حالا منكرة من ذلهم وتخاذلهم وتحاورهم
حيث لا ينفعهم شيء من ذلك ثم فسر ذلك الرجع والمحاورات الاتباع وهم الذين
استضعفوا قالوا لرؤسائهم على جهة التذنيب والتوبيخ ورد اللائمة عليهم
لولا انتم لكنا مؤمنين اي انتم اغويتمونا وامرتمونا بالكفر واتى الضمير بعد

ولا ضمير رفع على الافصح وحكى الائمة سيبويه والخليل وغيرهما مجيئه بضمير الجر
نحو لولاكم وانكار المبرد ذلك لا يلتفت اليه ولما كان مقامًا استوى فيه المرؤوس
والرئيس بداء الاتباع بتوبيخ مضليهم اذ زالت عنهم رياستهم ولم يمكنهم ان ينكروا
انهم ما جاءهم رسول بل هم مقرون الا ترى الى قول المتبوعين بعد اذ جاءكم فللجمع مقرون
باذا لذكر قد جاءهم فقال لهم رؤساؤهم انحن صددناكم فاتوا بالاسم بعد اداة
الاستفهام انكارًا لان يكونوا هم الذين صدوهم بل صددتم من قبل انفسكم وباختياركم
كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين الذكر بعد ان صممتم على الدخول في الايمان
بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى فكنتم مجرمين كافرين
باختياركم لا لقولنا وتسويلنا ولما انكر رؤساؤهم انهم السبب في كفرهم واثبتوا
بقولهم بل كنتم مجرمين ان كفرهم من قبل انفسهم قابلوا اضرابًا باضراب فقال
الاتباع بل مكر الليل والنهار اي ما كان اجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دائمًا ومخادعتكم
لنا ليلًا ونهارًا اذ تامروننا ونحن اتباع لا نقدر على مخالفتكم مطيعون لكم لاستيلائكم
علينا بالكفر بالله واتخاذ الانداد واضيف المكر الى الليل والنهار اتساعًا في الظرفين
فهما في موضع نصب على المفعول به على السعة او في موضع رفع على الاسناد المجازي
كما قالوا ليل نائم والاولى عندي ان يرتفع مكر على الفاعلية اي بل صدنا مكركم بالليل
والنهار وتطرع قول القائل انا ضربت زيدا بل ضربه عمرو فيقول عمرو بل ضربه غلامك
والاحسن في التقدير ان يكون المعنى ضربه غلامك وقيل يجوز ان يكون مبتدا وخبرا
اي سبب كفرنا مكركم او مكركم سبب كفرنا وقراء قتادة ويحيى بن يعمر بل مكر بالتنوين
الليل والنهار نصب على الظرف وقراء سعيد بن جبير وجعفر بن محمد وابو رزين
وابن يعمر ايضا بفتح الكاف وشد الراء مرفوعة مضافة ومعناه كرور الليل والنهار
واختلافهما ومعناها الاحالة على طول الامل والاغترار بالايام مع امر هؤلاء الرؤساء
بالكفر بالله وقراء بن جبير ايضا وطلحة وراشد القارى وراشد هذا من التابعين
ممن صحح المصاحف بامر الحجاج كذلك الا انهم نصبوا الراء على الظرف وناصبه
فعل مضمر اي صددتمونا مكر الليل والنهار اي في مكرهما ومعناه دائما وقال
صاحب اللوامح يجوز ان ينتصب باذ تامروننا اي اذ تامروننا مكر الليل والنهار
انتهى وهذا وهم لان ما بعد اذ لا يعمل فيما قبلها وقال الزمخشري بل يكون الاغواء
دائبا لا يفترون عنه انتهى وجاء قال الذين استكبروا بغير واو لانه جواب لكلام
المستضعفين فاستونف وعطف وقال الذين استضعفوا على ما سبق من كلامهم
والضمير في واسروا للجميع المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون الموقوفون
وتقدم الكلام في واسروا الندامة لما راوا العذاب في سورة يونس والندامة
من المعاني القلبية فلا تظهر انما يظهر ما يدل عليها وما يدل عليها غيرها وقيل
هو من الاضداد وقال ابن عطية ما ثبتت قط في لغة ان اسر من الاضداد وندامة
الذين استكبروا على ضلالهم في انفسهم واضلالهم غيرهم وندامة الذين استضعفوا
على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا والظاهر
عموم الذين كفروا فيدخل فيه المستكبرون والمستضعفون لان من الكفار من لا يكون

قوله عز وجل وما ارسلنا

له اتباع تراجعه القول في الآخرة ولا يكون ايضا تابعا لرئيس له كافر كالغلام الذي
قتله الخضر وقيل الذين كفروا هم الذين سبقت منهم المحاورة وجعل الاغلال
اشارة الى كيفية العذاب قطعوا بانهم وقعوا فيه فتركوا الندم هل يجزون
معناه النفي ولذلك دخلت الا بعده للتقي ۝ وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون ۝ وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين ۝ قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ۝ والذين يسعون في
آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون ۝ قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ۝ ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ۝ قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ۝ فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون ۝ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا
افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين
وما ارسلنا الآية هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه قريش
من الكفر والافتخار بالاموال والاولاد وان ما ذكروا من ذلك هو عادة المترفين
مع انبيائهم فلا يهمنك امرهم ومن نذير عام اي ينذرهم بعذاب الله ان لم
يوحدوه وقال مترفوها جملة حالية ونص على المترفين لانهم اول
المكذبين للرسل لما اشتغلوا به من زخرفة الدنيا وما غلب على عقولهم منها
فقلوبهم ابدا مشغولة منهمكة بخلاف الفقراء فانهم خالون من مستلذات الدنيا
فقلوبهم اقبل للخير ولذلك هم اتباع الانبياء كما جاء في حديث هرقل وبما متعلق
بكافرون وبه متعلق بارسلتم وما عامة في ما جاءت به النذر من طلب الايمان بالله
وافراده بالعبادة والاخبار بانهم رسل اليهم والبعث والجزاء على الاعمال
والظاهر ان الضمير في وقالوا عائد على المترفين وقيل عائد على قريش ويدل عليه ما
بعده من الخطاب في قوله قل لان من تقدم من المترفين الهلاك لا يخاطبون فلا
يقول الا الموجودون وقوله وما اموالكم ولا اولادكم واحتجوا على رضى الله عنهم
باحسانه تعالى اليهم فلو لم يكرمنا عليه ما وسع علينا واما انتم فلهوانكم عليه حرمكم
ايها التابعون للرسل ثم نفوا ان يعذبوا نفيا عاما لان الانبياء قد ينذرون
بعذاب عاجل في الدنيا وآجل في الآخرة فنفوا هم جميع ذلك فاما ان يكونوا منكرين
للآخرة فقد نفوا تعذيبهم فيها لانها اذا لم تكن فلا يكون فيها عذاب واما ان
يكونوا مقرين بها حقيقة وعلى سبيل العرض فيقولون كما انعم علينا في الدنيا
ينعم علينا في الآخرة على حالة الدنيا قياسا فاسدا فابطل الله ذلك بان
الرزق فضل منه يقسمه كما يشاء لمن يشاء فقد يوسع على العاصي ويضيق على
الطايع وقد يوسع على الطايع ويضيق على العاصي وقد يوسع عليهما وقد يضيق عليهما

والوجود شاهد بذلك فلا تناسب للتوسعة في الآخرة على التوسعة في الدنيا لان ذلك
في الآخرة انما هو على الاعمال الصالحة **وقرأ** الاعمش ويقدر في الموضعين مشددا
والجمهور مخففا ومعناه ويضيق مقابل يبسط ه ولكن اكثر الناس منهم هو لا الكفرة
لا يعلمون ان الرزق معذوق بالمشيئة وليس دليلا على الرضى ثم اخبر تعالى
ان اموالهم واولادهم التي افتخروا بها ليست بمقربة من الله وانما يقرب
الايمان والعمل الصالح **وقرأ** الجمهور بالتي وجمع التكسير من العقلاء وغيرهم
يجوز ان يعامل معاملة الواحدة المؤنثة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون
هي التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم
بتلك الموضوعة للتقريب انتهى فجعل التي نعتا لموصوف محذوف وهي التقوى
انتهى ولا حاجة الى تقدير هذا الموصوف والظاهر ان التي راجع الى الاموال
والاولاد وقاله الفرا وقال ايضا هو والزجاج حذف من الاول لدلالة
الثاني عليه والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم التي
تقربكم عندنا زلفى انتهى ولا حاجة لتقدير هذا المحذوف اذ يصح ان تكون التي
لمجموع الاموال والاولاد **وقرأ** بالذي اي بالمعنى الحسن باللاتي جمعا وهو
ايضا راجع للاموال والاولاد **وقرئ** بالذي اي بالشيء الذي وزلفى مصدر
كالقربى وانتصابه على المصدرية من المعنى اي تقربكم قربى **وقرأ** الضحاك
زلفا بفتح اللام وتنوين الفا جمع زلفة وهي القربة ه الا من آمن الظاهر
انه استثناء منقطع وهو منصوب على الاستثناء اي لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه
وعمله يقربانه وقال الزجاج هو بدل من الكاف والميم في تقربكم وقال
النحاس وهذا غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا
لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحاق هذا هو قول الفراء انتهى ومذهب الاخفش
والكوفيين انه يجوز ان يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم لكن البدل في الآية لا يصح
الا ترى انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي
يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية
انه يجوز البدل وليس بجائز الا فيما يصح التفريغ له وقد اتبعه الزمخشري فقال
الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن
الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم
الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة انتهى وهو لا يجوز كما ذكرنا
لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا ولا ما
زيد بالذي يمر الا ببكر والتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله لا يقرب احدا
الا المؤمن غير موافق للقرآن فهي الذي ركبه يجوز ما قال وفي لفظ القرآن
لا يجوز واجاز الفراء ان تكون من في موضع رفع وتقديره الكلام عنده ما هو المقرب
الا من آمن انتهى وقوله كلام لا يتحصل منه معنى كانه كان نائما حين قال
ذلك **وقرأ** الجمهور جزاء الضعف على الاضافة اضيف فيه المصدر الى
المفعول وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله فقال ان يجازوا

الضعف والمصدر في كونه مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله فيه خلاف والصحيح المنع
ويقدر هنا ان يجازيهم الله الضعف اي يضاعف لهم حسناتهم الحسنة
بعشر امثالها وباكثر الى سبعمائة لمن يشاء **وقرأ** قتادة جزاء الضعف برفعهما
فالضعف بدل ويعقوب في رواية بنصب جزاء ورفع الضعف وحكى هذه القراءة
الداني عن قتادة وانتصب جزاء على الحال كقولك في الدار قائما زيد **وقرأ**
الجمهور في الغرفات جمعا مضموم الراء والحسن وعاصم بخلاف عنه والاعمش
ومحمد بن كعب باسكانها وبعض القراء بفتحها وابن وثاب والاعمش وطلحة
وحمزة وخلف في اختياره في الغرفة على التوحيد ساكنة الراء وابن وثاب
ايضا بضمها على التوحيد ولما ذكر جزاء من آمن ذكر عقاب من كفر ليظهر تباين
الجزائين وتقدم تفسير نظير هذه الكلمة ولما كان افتخارهم بكثرة الاموال
والاولاد اخبروا ان ذلك على ما شاء الله كرر ذلك المعنى تاكيدا ان ذلك
جار على ما شاء الله لا ان ذلك على حسب الاستحقاق ولا التكرمة انتهى والمعنى
ومعنى فهو يخلفه اي ياتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ من عباده مشعرا
بالمؤمنين وكذلك الخطاب في وما انفقتم فقصد هنا رزق المؤمنين فليس
مساق فلان في بسط مساق ما قيل للكفار بل مساق الوعظ والتزهيد
في الدنيا والحض على النفقة في طاعة الله واخلاف ما انفق اما منجزا
في الدنيا واما مؤجلا في الآخرة وهو مشروط بقصد وجه الله وقال مجاهد
من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما
قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول
عمره في فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه هذا في الآخرة ومعنى
الآية ما كان من خلف فهو منه وجاء الرازقين جمعا وان كان الرازق حقيقة
هو الله وحده لانه يقال الرجل يرزق عياله والامير جنده والسيد عبده فالرازقون
جمع بهذا الاعتبار لكن اولئك يرزقون مما رزقهم الله وملكهم فيه
التصرف والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ومن اخراج من عدم الى الوجود **وقرأ** الجمهور
ويوم نحشرهم جميعا اي المكذبين من تقدم ومن تاخر **وقرأ** الجمهور غيرهم ثم نقول
بالنون فيهما وحفص بالياء وتقدمت في الانعام وخطاب الملائكة تقريع
للكفار وقد علم تعالى ان الملائكة منزهون براء مما وجه عليهم من السؤال
وانما ذلك على طريق توقيف الكفار على سوء ما ارتكبوه من عبادة غير الله
وان من عبدوه متبرئ منهم وهؤلاء مبتدا وخبره كانوا يعبدون واياكم
مفعول يعبدون لما تقدم انفصل وانما قدم لانه ابلغ في الخطاب
ولكون يعبدون فاصلة فلو اتى بالضمير منفصلا كان التركيب يعبدونكم
ولم تكن فاصلة واستدل بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها
اذا كان جملة وهي مسالة خلاف اجاز ذلك ابن السراج ومنع ذلك قوم
من النحويين وكذلك منعوا توسطه اذا كان جملة وقال ابن السراج
القياس جواز ذلك ولم يسمع ووجه الدلالة من الآية ان تقديم المعمول

مودن بتقدير العامل فلما جاز تقديره اياكم جاز تقديره يعبدون وهذه
القاعدة ليست مطردة والاولى منع ذلك الا ان يدل على جوازه سماع من العرب
ولما اجابوا الله بدؤا بتنزيهه وبراءته من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام
سبحانك ثم انتسبوا الى موالاته لانه قال انت ولينا من دونهم اذ لا موالاة
بيننا وبينهم وفي قولهم بل كانوا يعبدون الجن اشعار بانهم ما عبدوهم وان لم
يصرح به لكن الاضراب ببل يدل عليه وذلك لان المعبود اذا لم يكن راضيا بعبادة
عابده مريدا لها لم يكن ذلك العابد عابدا له حقيقة فلذلك قالوا بل كانوا
يعبدون الجن لان افعالهم القبيحة من وسوسة الشياطين واغوائهم
ومراداتهم لهم فهم عابدون لهم حقيقة اذ الشياطين راضون تلك الافعال
وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة
فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون
بعبادتها وقال ابن عطية لم تنف الملائكة عبادة البشر اياها وانما اقرت
انها لم يكن لها في ذلك مشاركة وعبادة البشر الجن هي فيما نعرفه بطاعتهم
اياهم وسماعهم من وسوستهم واغوائهم فهذا نوع من العبادة وقد يجوز ان
يكون في الامم الكافرة من عبد الجن وفي القرآن آيات يظهر منها ان الجن
عبدت في سورة الانعام وغيرها انتهى واذا كانوا قد عبدوا الجن فما وجه
قولهم اكثرهم بهم مؤمنون ولم يقولوا جميعهم وقد اخبروا انهم كانوا يعبدون
الجن والجواب انهم لم يدعوا الاحاطة اذ قد يكون في الكفار من لم يطلع الله
الملائكة عليهم او انهم حكموا على الاكثر بايمانهم بالجن لان الايمان
من عمل القلب فلم يذكروا الاطلاع على جميع اعمال قلوبهم لان ذلك لله تعالى
ومعنى مؤمنون مصدقون انهم معبودوهم وقيل مصدقون انهم بنات
الله وانهم ملائكة وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واما من قال بان الاكثر
بمعنى الجميع فلا يرد عليه شيء لكنه ليس موضوع اللغة فاليوم هو يوم القيامة
والخطاب في بعضكم قيل للملائكة لانهم المخاطبون في قوله اهؤلاء اياكم
ويكون ذلك تبكيتا للكفار حيث بين لهم ان من عبدوه لا ينفع ولا يضر ويؤيده
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان بعده ونقول للذين ظلموا ولو كان الخطاب
للكفار لكان التركيب فذوقوا وقيل الخطاب للكفار لان ذكر اليوم يدل
على حضورهم ويكون قوله ونقول تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وقيل هو
خطاب من الله لمن عبد ومن عبد وقوله نفعا قيل بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب
وقيل هنا التي كنتم بها تكذبون وفي السجدة الذي كنتم به تكذبون مع انهم
تكذبون بكل منهما اي من العذاب ومن النار لانهم هنا لم يكونوا ملتبسين
بالعذاب بل في ذلك اول ما راوا النار اذ جاء عقيب الحشر فوصفت لهم النار
بانها هي التي كنتم تكذبون بها واما الذي في السجدة فهم ملابسوا العذاب
مترددون فيه لقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فوصف
لهم العذاب الذي هم مباشروه وهو العذاب المؤبد الذي انكروه والاشارة

ما هذا الا رجل

ل

قوله عز وجل وما اتيناهم

بقوله الى تالي الايات المفهوم من قوله واذا تتلى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكى تعالى مطاعنهم عند تلاوة القرآن عليهم فبدؤا اولا بالطعن في التالي
فانه يقدح في معبودات الهتكم ثم ثانيا فيما جاء به الرسول من القرآن
بانه كذب مختلق من عنده وليس من عند الله وثالثا بان ما جاء به سحر واضح
لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتاثر النفوس له واجابته وطعنوا في الرسول
وفي ما جاء به وفي وصفه واحتمل ان يكون ذلك صدر من مجموعهم واحتمل
ان تكون كل جملة منها قالها قوم غير من قال الجملة الاخرى وفي قوله
لما جاءهم دليل على انه حين جاءهم دليل على انه حين لم يفكروا فيه بل
بادهوه بالانكار ونسبته الى السحر ولم يكتفوا بقولهم انه سحر حتى وصفوه
بانه واضح لمن تامله وقيل انكار القرآن والمعجز كان متفقا عليه من المشركين
واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم ٥
وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين
من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما
اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ٥ قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان
اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد ٥ قل ان ربي يقذف بالحق علام
الغيوب ٥ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي وان اهتديت فيما يوحي الي ربي انه سميع قريب ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا امنا به وانى لهم التناوش
من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل
بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب
٤٥ وما اتيناهم اهل مكة من كتب قال السدي من عندنا فيعلموا بدراستها بطلان
ما جئت به وقال ابن زيد فيتفقهوا ان الشرك جائز وهو كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقال قتادة ما انزل الله على العرب
كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى من اين
كذبوا ولم يأتهم كتاب ولا نذير بذلك وقيل وصفهم بانهم قوم اميون
اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال
ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متثبت
ولا شبهة متعلق كما تقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرايع
ومستندون الى رسل من رسل الله وقيل المعنى انهم يقولون بارائهم في كتاب
الله يقول بعضهم سحر وبعضهم افترا ولا يستندون فيه الى اثارة من علم ولا الى خبر من
يقبل خبره فانا ما اتيناهم كتبا يدرسونها ولا ارسلنا اليهم نذيرا فيمكنهم
ان يدعوا ان اقوالهم مستندة الى امر وقرا الجمهور يدرسونها مضارع درس
مخففا وابو حيوة بفتح الدال وشدها وكسر الراء مضارع ادرس افتعل من الدرس
ومعناه تتدارسونها وعن ابي حيوة ايضا يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس

او من درس الكتاب مخففا ودرس الكتب مشددا التضعيف باعتبار الجمع ومعنى قبلك
قال ابن عطية اي ما ارسلنا من نذير يشافههم بشيء ولا باشر اهل عصرهم ولا من قرب
من آبائهم وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود ودعوة
الله وتوحيده قائم لم تخل الارض من داع اليه وانما المعنى من نذير يختص بهؤلاء
الذين ... اليهم وقد كان عند العرب كثير من نذارة اسمعيل والله تعالى
يقول انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ولكن لم يتجرد للنذارة وقاتل
عليها الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وكذب الذين من قبلهم توعد لهم ممن
تقدمهم من الامم وما آل اليه امرهم وتسلية لرسوله بان عادتهم في التكذيب عادة
الامم السابقة وسيحل بهم ما حل باولئك والظاهر ان الضمير في بلغوا وفي
ما آتيناهم عائدان على الذين من قبلهم ليتناسق مع قوله فكذبوا اي ما بلغوا
في شكر النعمة وجزاء المنة معشار ما آتيناهم من النعم والاحسان اليهم وقال
ابن عباس وقتادة وابن زيد الضمير في بلغوا لقريش وفي آتيناهم للامم الذين
من قبلهم والمعنى وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار
وقوة الاجسام وكثرة الاموال وحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير
والاستئصال ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من القوة فكيف يكون حال هؤلاء
اذا جاءهم العذاب والهلاك وقيل الضمير في بلغوا عائد على الذين من قبلهم
وفي آتيناهم على قريش وما بلغ الامم المتقدمة معشار ما آتينا قريشا
من الآيات والبينات والنور الذي جئتهم به واورد ابن عطية هذه الاقوال
احتمالات والزمخشري ذكر الثاني وابو عبد الله الرازي اختار الثالث
قال اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البرهان وذلك
لان كتاب محمد عليه السلام اكمل من سائر الكتب واوضح ومحمد عليه السلام افضل
من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى ويؤيد ما ذكرنا وما آتيناهم
من كتب يدرسونها يعني القرآن فلما كان المؤتى في الآية الاولى هو الكتاب حمل
الايتاء في الآية الثانية على ايتاء الكتاب وكان اولى انتهى وعن ابن عباس
فليس امة اعلم من امته ولا كتاب ابين من كتابه والمعشار مفعال من العشر ولم
يبن على هذا الوزن من الفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما العشر والربع
وقال قوم المعشار عشر العشر قال ابن عطية وهذا ليس بشيء انتهى وقيل العشر
في هذا القول عشر العشرات فيكون جزءا من الف جزء قال الماوردي وهو الاظهر
لان المراد به المبالغة في التقليل وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى
فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان
معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا
عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر
فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فتفضل عليه ﴿فكيف كان نكير﴾ للمكذبين الاولين فليحذروا
من مثله انتهى وفكيف للتعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفيه تهديد لقريش

اي انهم

اي انهم معرضون لنكير مثله والنكير مصدر كالانكار وهو من المصادر التي جاءت
على وزن فعيل والفعل على وزن افعل كالنذير والعذير من انذر واعذر وحذفت
الياء من نكيري تخفيفا لانها آخر آية ﴿قل انما اعظكم بواحدة﴾ قال مجاهد هي
طاعة الله وتوحيده وقال السدي هي لا اله الا الله وقال قتادة هي ان
تقوموا قال ابو علي ان تقوموا في موضع خفض على البدل من واحدة وقال الزمخشري
بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها
انتهى وهذا لا يجوز لان بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة لتقديره قيامكم
لله وعطف البيان فيه مذهبان احدهما انه يشترط فيه ان يكون معرفة
من معرفة وهو مذهب البصريين والثاني انه يتبع ما قبله في التعريف والتنكير
وهو مذهب الكوفيين واما التخالف فلم يذهب اليه ذاهب انما هو وهم من
قائله وقد رد النحويون على الزمخشري في قوله ان مقام ابراهيم عطف بيان من قوله
آيات بينات وذلك لاجل التخالف فكذلك هذا والظاهر ان القيام هنا هو
الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة لا القيام الذي يراد به المثول على القدمين
ويبعد ان يراد به ما جوزه الزمخشري من القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده والمعنى انما اعظكم بواحدة فيها اصابتكم الحق وخلاصكم
وهي ان تقوموا لوجه الله متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في
امر محمد وما جاء به وانما قال مثنى وفرادى لان الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش
الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذاهب وقلة الانصاف كما هو مشاهد
في الدروس التي يجتمع فيها الجماعة فلا يوقف فيها على تحقيق واما الاثنان اذا
نظرا نظر انصاف وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له فلا يكاد الحق ان يعدوهما
واما الواحد اذا كان جيد الفكر صحيح النظر عاريا عن التعصب طالبا للحق فبعيد
ان يعدوه وانتصب مثنى وفرادى على الحال وقدم مثنى لان طلب الحقائق من
متعاضدين في النظر اجدى من فكرة واحد فاذا انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد
منهما بعد ذلك فيزيد بصيرة **وقال الشاعر**

اذا اجتمعوا جاؤوا بكل غريبة ... فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

ثم تتفكروا عطف على ان تقوموا والفكرة هنا في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيما نسبوه اليه فان الفكرة تهدي غالبا الى الصواب اذا عري صاحبها عن
ما يشوش النظر والوقف عند ابي حاتم عند قوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من
جنة نفي مستأنف قاله ابن عطية وهو عند س جواب ما ينزل منزلة القسم لان
تفكر من الافعال التي تعطي التمييز كتبين وتكون الفكرة على هذا في آيات الله
والايمان به انتهى واحتمل ان يكون تتفكروا معلقا والجملة المنفية في موضع
نصب وهو محط التفكر اي ثم تتفكروا في انتفاء الجنة عن محمد صلى الله عليه وسلم
فان اثبات ذلك لا يتصف به من كان ارجح قريش عقلا وانبلهم ذهنا
واصدقهم قولا وانزههم نفسا ومن ظهر على يديه هذا القرآن المعجز فيعلمون
بالفكرة ان نسبته للجنون لا يمكن ولا يذهب الى ذلك عاقل وان من نسبه الى

ذلك فهو مفتر كاذب والظاهر أن ما للنفي كما شرحنا وقيل ما استفهامية وهو استفهام
لا يراد به حقيقته بل يؤول معناه إلى النفي والتقدير أي شيء بصاحبكم من الجنون أي ليس
به شيء من ذلك ولما نفى تعالى عنه الجنة أثبت أنه نذير بين يدي عذاب شديد
أي هو متقدم في الزمان على العذاب الذي توعدوا به وبين يدي يشعر بقرب
العذاب ۝ قل ما سألتكم من أجر الآية فيه التبرؤ من طلب الدنيا وطلب الأجر على
النور الذي أتى به والتوكل على الله في الأجر واحتملت ما أن تكون موصولة مبتدأ والعائد
من الصلة محذوف تقديره سألتكموه وفهو لكم الخبر ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى
الشرط واحتملت أن تكون شرطية مفعولة بسألتكم وفهو لكم جملة هي جواب الشرط وقوله
ما سألتكم من أجر فهو لكم على معنيين أحدهما نفي مسألة الأجر كما يقول الرجل لصاحبه
إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه أراد البت لتعليقه الأخذ
بما لم يكن ويؤيده إن أجري إلا على الله والثاني أن يريد بالأجر ما في قوله قل ما أسألكم
عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا
المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم قاله الزمخشري وفيه بعض
زيادة وقال ابن عباس الأجر المودة في القربى وقال قتادة فهو لكم أي ثمرته
وثوابه لأني سألتكم صلة الرحم وقال مقاتل تركته لكم وهو على كل شيء شهيد
مطلع حافظ يعلم أني لا أطلب أجرا على نصحكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع
منكم في شيء والقذف الرمي بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الإلقاء كقوله أن اقذفيه
في التابوت وقذف في قلوبهم الرعب قال قتادة يقذف بالوحي وعنه أيضا
بالحق القرآن وقيل يلقي الحق إلى أنبيائه وقيل يقذف بالحق يبين الحجة
ويظهرها وقال ابن القشيري يبين الحجة بحيث لا اعتراض عليه لأنه علام الغيوب
فأنا مستمسك بما يقذف إلي من الحق وأصل القذف الرمي بالسهم والحصى
والكلام وقال ابن عباس يقذف الباطل بالحق والظاهر أن بالحق هو المفعول
فالحق هو المقذوف به ويحتمل أن يكون المقذوف محذوفا أي يقذف أي يلقي
ما يلقي إلى أنبيائه من الوحي والشرع بالحق لا بالباطل فتكون الباء إما للمصاحبة
وإما للسبب ويؤيد هذا الاحتمال كون قذف متعديا بنفسه فإذا جعلت
بالحق هو المفعول كانت الباء زائدة في موضع لا تطرد زيادتها وقرأ الجمهور علام
بالرفع فالظاهر أنه خبر ثان وهو الظاهر قول الزجاج قال هو رفع لأن تأويله
قل ربي علام الغيوب وقال الزمخشري رفع محمول على محل إن واسمها أو على
المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى أما الحمل على محل إن واسمها
فهو غير مذهب س وليس بصحيح عند أصحابنا على ما قررناه في كتب النحو وأما
قوله على المستكن في يقذف فلم يبين وجه حمله كأنه يريد أنه بدل من ضمير
يقذف وقال الكسائي هو نعت لذلك الضمير لأن من مذهبه جواز نعت
المضمر الغائب وقرأ عيسى وابن أبي إسحق وزيد بن علي وابن أبي عبلة
وأبو حيوة وحرب عن طلحة علام بالنصب فقال الزمخشري صفة لربي

وقال أبو الفضل الرازي وابن عطية بدل وقال الحوفي بدل أو صفة وقيل
نصب على المدح وقرئ الغيوب بالجر كالظاهر لتلك أما الضم فجمع غيب وأما الكسر
فكذلك استثقلوا ضمتين والواو فكسروا ليتناسب الكسر مع الياء والضمة التي
على الياء مع الواو وأما الفتح ففعول للمبالغة كالصبور وهو الشيء الذي غاب
وخفي جدا ولما ذكر أنه تعالى أنه يقذف بالحق بصيغة المضارع أخبر أن الحق
قد جاء وهو القرآن والوحي وبطل ما سواه من الأديان فلم يبق لغير الإسلام ثبات
لا في بدء ولا في عاقبة فلا يخاف على الإسلام ما يبطله كما قال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال قتادة الباطل الشيطان لا يخلق
شيئا ولا يبعثه وقال الضحاك الأصنام لا تفعل ذلك وقال أبو سليمان
لا يبدئ الصنم من عبده كلاما فيجاب ولا يرد ما جاء من الحق بحجة وقيل
الباطل الذي يضاد الحق فالمعنى ذهب الباطل بمجيء الحق فلم يبق منه بقية
وذلك أن الحي إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فصار قولهم لا يبدي ولا
يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول الشاعر

أقفر من أهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والظاهر أن ما نفي وقيل استفهام ومآله إلى النفي كأنه قيل أي شيء يبدي
الباطل أي إبليس ويعيده قاله الزجاج وفرقة معه وعن الحسن لا يبدي أي
إبليس لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقيل للشيطان الباطل
لأنه صاحب الباطل ولأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك وقيل الحق
السيف عن ابن مسعود دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقرأ الجمهور قل إن ضللت بفتح اللام فإنما
أضل بكسر الضاد وقرأ الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقرئ بكسر اللام وفتح
الضاد وهي لغة تميم وكسر عبد الرحمن همزة إضل وقال الزمخشري لغتان نحو
ظللت أظل وظللت أظل وإن اهتديت فبما يوحي أي فاهتدائي بالوحي وما يحتمل
أن تكون بمعنى الذي أي فبالذي يوحيه إلي ربي وأن تكون مصدرية أي فبوحي ربي
والتقابل اللفظي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كما قال ومن أساء
فعليها مقابل من عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها مقابل فمن اهتدى
فلنفسه أو يقال فإنما أضل بنفسي وأما في الآية فالتقابل معنوي لأن
النفس كل ما عليها فهو بها أي كل وبال عليها فهو بسببها إذ النفس أمارة بالسوء
وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وأمر رسوله
أن يسنده إلى نفسه لأنه إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته
كان غيره أولى به انتهى وهو من كلام الزمخشري إنه سميع قريب يدرك قول
كل ضال ومهتد وفعله والظاهر أن قوله ولو ترى إذ فزعوا أنه وقت
البعث وقيام الساعة وكثيرا جاء ولو ترى إذ وقفوا على النار ولو ترى إذ
المجرمون ناكسوا رؤوسهم وكل ذلك في يوم القيامة وعن ابن عباس فزعوا وأخذوا وقالوا

وجيء بلفظ الماضي لتحقق وقوعه بالخبر الصادق وقال ابن عباس والضحاك هذا
في عذاب الدنيا وقال الحسن في الكفار عند خروجهم من القبور وقال مجاهد
يوم القيامة وقال ابن زيد والسدي في أهل بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا
فرارا من العذاب ولا رجوعا الى التوبة وقال ابن جبير وابن ابزى في جيش
يغزو الكعبة فيخسف بهم في بيداء من الارض ولا ينجو الا رجل من جهينة
فيخبر الناس بما نال الجيش قالوا وله قيل وعند جهينة الخبر اليقين ۵
وروي في هذا المعنى حديث مطول عن حذيفة وذكر الطبري انه ضعيف السند
مكذوب فيه على رواد بن الجراح وقال الزمخشري وعن ابن عباس نزلت في
خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا
البيداء خسف بهم وذكر في حديث حذيفة انه تكون فتنة بين اهل المشرق
والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور
ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشا الى المدينة فينتهبونها ثلاثة ايام ثم
يخرجون الى مكة فيأتيهم جبريل عليه السلام فيضرب الى الارض رجله ضربة
فيخسف الله بهم الارض فذلك قوله فلا فوت ولا ينفلت منهم الا رجلان
من جهينة ولذلك جرى المثل وعند جهينة الخبر اليقين ۵ ثم احدهما بشير
يبشر اهل مكة والآخر نذير ينقلب بخبر السفياني وقيل لا ينقلب الا رجل واحد
يسمى ناجية من جهينة ينقلب وجهه الى قفاه ومفعول ترى محذوف اي ولو ترى
الكفار اذ فزعوا فلا فوت اي لا يفوتون الله ولا مهرب لهم عما يريد
بهم وقال الحسن فلا فوت من صيحة النشور واخذوا من بطن الارض
الى ظهرها انتهى او من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى
بطنها اذا ماتوا او من صحرا بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف
بهم وهذه اقوال مبنية على تلك الاقوال السابقة في عود الضمير في فزعوا
ووصف المكان بالقرب من حيث قدرة الله عليهم فحيث ما كانوا هو قريب
وقرأ الجمهور فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا والظاهر
عطفه على فزعوا وقيل على فلا فوت لان معناه فلم يفوتوا واخذوا
وقرأ عبد الرحمن مولى بني هاشم عن ابيه فلا فوت واخذ مصدرين منونين
وقرأ ابي فلا فوت مبنيا واخذ مصدرا منونا ومن رفع واخذ فخبر مبتدا
اي وحالهم اخذ او مبتدا اي وهناك اخذ وقال الزمخشري وقرئ
واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك
اخذ انتهى كانه يقول لا فوت مجموع لا والمبني معها في موضع مبتدا وخبره
هناك فكذلك واخذ مبتدا وخبره هناك فهو من عطف الجمل وان كانت
احداهما تضمنت النفي والاخرى تضمنت الايجاب والضمير في به عائد على الله
قاله مجاهد يقولون ذلك عندما يرون العذاب وقال الحسن على البعث
وقال مقاتل على القرآن وقيل على العذاب وقال الزمخشري وعن على
الرسول لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة ۵ وانى لهم التناوش

وطلحة ۶

قال

قال ابن عباس التناوش الرجوع الى الدنيا وانشد ابن الانباري ۵
تمنى ان تؤوب الى مي ۵ وليس الى تناوشها سبيل ۵
اي تتمنى وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من بعد كما يتناوله الآخر من قرب وقرأ الجمهور التناوش بالواو وقرأ حمزة
والكسائي وابو عمرو وابو بكر بالهمز ويجوز ان يكونا مادتين احداهما النون والواو
والشين والاخرى النون والهمزة والشين وتقدم شرحهما في المفردات
ويجوز ان يكون اصل الهمزة الواو وعليها قاله الزجاج وتبعه الزمخشري
وابن عطية والحوفي وابو البقاء قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة
فانت فيها بالخيار ان شئت همزتها وان شئت تركت همزتها تقول ثلاث
ادور بلا همز وادؤر بالهمز قال والمعنى من اين لهم تناول ما طلبوا من التوبة
بعد فوات وقتها لانها انما تقبل في الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت على
بعد من الآخرة وذلك قوله تعالى من مكان بعيد وقال الزمخشري همزت الواو
المضمومة كما همزت في اجوه وادور وقال ابن عطية واما التناوش بالهمز فيحتمل
ان يكون من التناوش وهمزت الواو لما كانت مضمومة ضمة لازمة كما قالوا
اقتت وقال الحوفي ومن همز احتمل وجهان احدهما ان يكون من النأش وهو
الحركة في ابطاء ويجوز ان يكون من النوش همزت الواو لانضمامها كما همزت
اقتت وادؤر وقال ابو البقاء ويقرا بالهمز من اجل ضمة الواو وقيل هي
اصل من نأشه انتهى وما ذكروه من ان الواو اذا كانت مضمومة ضمة لازمة
يجوز ان تبدل بهمزة ليس على اطلاقه بل لا يجوز ذلك في المتوسطة اذا كانت مدغما
فيها نحو تعود وتعوذ مصدرين ولا اذا صحت في الفعل نحو ترهوك ترهوكا وتعاون
تعاونا ولم يسمع همز شيء من ذلك فلا يجوز في التناوش مثل التعاون فلا يجوز همزه
لان واوه قد صحت في الفعل اذ تقول تناوش ۵ وقد كفروا به الضمير في به عائد
على ما عاد عليه آمنا به على الاقوال والجملة حالية ومن قبل اي من قبل نزول
العذاب وقرأ الجمهور ويقذفون مبنيا للفاعل حكاية حال متقدمة قال
الحسن قولهم لا جنة ولا نار ولا بعث وقال ابن زيد طاعنين
في القرآن بقولهم اساطير الاولين ۵ وقال مجاهد في الرسول صلى الله
عليه وسلم بقولهم شاعر وساحر وكاهن من مكان بعيد اي في جهة بعيدة لان
نسبته الى شيء من ذلك من ابعد الاشياء قال الزمخشري وهذا تكلم بالغيب
والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا
الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد
شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور انتهى وقيل هو
مستانف اي يتلفظون بكلمة الايمان حين لا ينفع نفسا ايمانها فمثلت حالهم
في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك
مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للنظر في لحوقه حيث

ول

يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا والغيب الشيء الغائب مجاهد وابو حيوة ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول قال مجاهد ويرجمهم الوحي بما يكرهون من السماء وقال ابو الفضل الرازي يرمون بالغيب من حيث لا يعلمون ومعناه يجازون بسوء اعمالهم ولا علم لهم بما اتاهم اما في حال تعذر التوبة عند معاينة الموت واما في الاخرة وقال الزمخشري اي ما يأتيهم به يعني بالغيب شياطينهم ويلقنونهم اياه وقيل يرجمون في النار وقيل هو مثل لان من ينادي من مكان بعيد لا يسمع اي هم لا يعقلون ولا يسمعون وحيل بينهم قال الحوفي قام الظرف مقام اسم ما لم يسم فاعله انتهى ولو كان على ما ذكر لكان مرفوعا بينهم كقراءة من قرأ لقد تقطع بينكم في احد المعنيين لا يقال لما اضيف الى مبني وهو الضمير بني فهو في موضع رفع وان كان مبنيا كما قال بعضهم في قوله واذ ما مثلهم بشر انه في موضع رفع لاضافته الى الضمير وان كان مفتوحا لانه قول فاسد يجوز ان تقول مررت بغلامك وقام غلامك بالفتح وهذا لا يقوله احد والبناء لاجل الاضافة الى المبني ليس مطلقا بل له مواضع احكمت في النحو وما يقول قائل ذلك في قول الشاعر

وقد حيل بين العير والنزوان ۝ فانه نصب بين وهي مضافة الى معرب وانما يخرج ما ورد من نحو هذا على ان القائم مقام الفاعل هو ضمير المصدر الدال عليه وحيل سواي الحول ولكونه اضمر لم يكن مصدرا موكدا فجاز ان يقام مقام الفاعل وعلى ذلك يخرج قول الشاعر

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل يسؤك وان يكشف غرامك تدرب ۝

اي ويعتلل هو اي الاعتلال والذي يشتهون الرجوع الى الدنيا قاله ابن عباس او الاهل والمال والولد قاله مجاهد او الايمان قاله الحسن او طاعة الله قاله قتادة او التوبة قاله السدي او بيت الجيش وتخريب الكعبة او بيت المؤمنين او بين النجاة من العذاب او بين نعيم الدنيا ولذتها قاله مجاهد ايضا كما فعل باشياعهم اي باشياههم من كفرة الامم الحيل بينهم وبين مشتهاهم ومن قبل يصح ان يكون متعلقا باشياعهم اي من اتصف بصفتهم من قبل اي في الزمان الاول ويترجح بان ما يفعل بجميعهم انما هو في وقت واحد ويصح ان يكون متعلقا بفعل اذا كانت الحيلولة في الدنيا وقال الضحاك اشياعهم اصحاب الفيل يعني اشياع قريش وكانه اخرجه مخرج التمثيل واما التخصيص فلا دليل عليه انهم كانوا في شك مريب يعني في الدنيا ومريب اسم فاعل من اراب الرجل اي اتى بريبة ودخل فيها وارابت الرجل اوقعته في ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال الزمخشري الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى وفيه بعض تلخيص قيل ويجوز ان يكون اردفه على الشك وهما بمعنى لتناسق آخر الآية بالتي قبلها مع مكان قريب كما تقول عجيب عجيب عجيب وشئنا شئت وليلة ليلاء وقال

ابن عطية الشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما **الفطر** المشهور انه الشق الرقيقة التي على نوى التمرة ويأتي ما قاله المفسرون فيه **الجدد** جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا وقال الزمخشري والجدد الخطط والطرائق **قال لبيد**

او مذهب جدد على الواحه ۝ ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه انتهى ۝

وقال الشاعر

كأن سراته وجدة ظهره كنائن يجري بينهن دليص ۝

الجدة الخط الذي في وسط ظهره يصف حمار وحش **الغربيب** الشديد السواد **لغب** يلغب لغوبا اعيا ۝

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ۝ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ۝ يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ۝ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ۝ هذه السورة مكية ولما ذكر تعالى في اخر السورة التي قبلها هلاك المشركين اعداء المؤمنين وانزالهم منازل العذاب تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم الآية كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **وقرأ** الضحاك والزهري فطر جعله فعلا ماضيا ونصب ما بعده قال ابو الفضل الرازي فاما على اضمار الذي فيكون نعتا لله عز وجل واما بتقدير قد فيما قبله فيكون بمعنى الحال انتهى وحذف الموصول الاسمي لا يجوز عند البصريين واما الحال فيكون حالا محكية والاحسن عندي ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو فطر وتقدم شرح فاطر السموات والارض وان المعنى خالقهما بعد ان لم تكن والسموات والارض عبارة عن العالم وقال ابو عبد الله الرازي الحمد يكون في غالب الامر على النعمة ونعم الله عاجلة فالحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى النعمة العاجلة ودليله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة اليها ايضا وهي الاتقاء والصلاح بالشرع والكتاب والحمد في سورة سبا اشارة الى نعمة الايجاد والحشر ودليله يعلم

من الارواح

ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها منها وقوله
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة وهنا اشارة الى نعمة البقا في الاخرة
دليله وتتلقاهم الملايكة ففاطر السموات والارض شاقهما لنزول الارواح
من السماء وخروج الاجساد من الارض دليله جاعل الملايكة رسلا اي في ذلك
اليوم فاول هذه السورة متصل باخر ما مضى لان كما فعل باشياعهم من قبل
بيان لانقطاع رجاء من كان في شك مريب ٥ ولما ذكرها لهم ذكر حال
الموت ويشرع بارسال الملايكة اليهم مبشرين وانه يفتح لهم ابواب الرحمة
وقرا الحسن جاعل بالرفع اي هو جاعل وعبد الوارث عن ابي عمرو جاعل رفعا
بغير تنوين الملايكة نصبا حذف التنوين لالتقا الساكنين وقرا ابن يعمر
وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا الملايكة نصبا وذلك بعد قراته فاطر
بالالف والجر كقراة من قرا فالق الاصباح وجعل الليل سكنا وقرا الحسن
وحميد بن قيس رسلا باسكان السين وهي لغة تميم وقال الزمخشري وقري
الذي فطر السموات والارض وجعل الملايكة فمن قرا فطر وجعل فينبغي ان تكون
هذه الجمل اخبارا من العبد عما اسداه الينا من النعم كما تقول افضل زيد احسن
الينا بكذا خولنا في كذا تكون تلك جهة بيانات لفعله الجميل كذلك يكون في
قوله فطر جعل لان في ذلك نعما لا تخفى ومن قرا فاطر وجاعل واضاف جاعل
فالاظهر انهما اسما فاعل بمعنى المضي فيكونان صفة لله ويجي الخلاف في نصب
رسلا فمذهب السيرافي انه منصوب باسم الفاعل وان كان ماضيا لما لم يمكن
اضافته الى اسمين نصب الثاني ومذهب ابي علي انه منصوب باضمار فعل
والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو واما من نصب الملايكة فيتخرج على
مذهب الكسائي وهشام في جواز اعمال الماضي النصب ويكون اذ ذاك اعرابه
بدلا وقيل هو مستقبل تقديره يجعل الملايكة رسلا ويكون ايضا اعرابه بدلا
ومعنى رسلا بالوحي وغير من اوامر ولا يريد جميع الملايكة لانهم ليسوا كلهم
رسلا فمن الرسل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والملايكة المتعاقبون
والملايكة المسددون حكام العدل وغيرهم كالملك الذي ارسله الله الى
الاعمى والابرص والاقرع واجنحة جمع جناح صيغة جمع القلة وقياس جمع
الكثرة فيه جنح على وزن فعل فان كان لم يسمع كان اجنحة مستعملا في القليل
والكثير وتقدم الكلام على مثنى وثلث ورباع في اول النسا مشبعا ولكن
المفسرين تعرضوا للكلام فيه هنا فقال الزمخشري مثنى وثلاث ورباع
صفات الاجنحة وانما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت
عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة
وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة
والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا
يعرج عليها انتهى فجعل المانع للصرف هو تكرار العدل فيها والمشهور انه
امتنعت الصرف للصفة والعدل واما قوله الا تراك فانه قاس الصفة

قوله

في هذا المعدول على الصفة في افعل وفي ثلثة وليس بصحيح لان مطلق الصفة لم
يعدوه علة بل اشترطوا فيه فليس الشرط موجودا اي في اربع لان شرطه ان لا يقبل
تاء التانيث وليس شرطه في ثلثة موجودا لانه لم يجعل علة مع التانيث
فقياس الزمخشري قياس فاسد اذ اغفل عن شرط كون الصفة علة وقال ابن عطية
عدلت في حال التنكير فتعرفت بالعدل فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل
للعدل والصفة انتهى وهذا الثاني هو المشهور والاول قول لبعض الكوفيين
والظاهر ان الملك الواحد من صنف له جناحان واخر ثلثة واخر اربعة واخر اكثر
من ذلك لما روي ان لجبريل ستماية جناح منها اثنان يبلغ بهما من المشرق الى
المغرب قاله قتادة واخذ الزمخشري يتكلم على كيفية هذه الاجنحة وعلى
صورة الثلثة بما لا يجدي قايلا طالع ذلك في كتابه وقالت فرقة المعنى
ان في كل جانب من الملك جناحان ولبعضهم ثلثة ولبعضهم اربعة والا فلو كانت
ثلثة لواحد لما اعتدلت في معتاد ما رايناه من الاجنحة وقيل بل هي ثلثة
لواحد كما يوجد لبعض الحوت ٥ والظاهر ان المراد من الاجنحة ما وضعت له
في اللغة وقال ابو عبد الله الرازي يذيل بحثه في قوله الحمد لله فاطر
السموات والارض وهو الذي حكيناه عنه ان قوله جاعل الملايكة رسلا
اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اقل ما يكون لذي الجناح اشارة الى
الجهة وبيانه ان الله ليس فوقه شي وكل شي تحت قدرته ونعمته والملايكة
لهم وجه الى الله ياخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله
كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى
وقال تعالى في حقهم فالمدبرات امرا فهما جناحان وفيهما من يفعل ما يفعل
من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيهم
من له ثلث جهات ومنهم من له اربع جهات واكثر انتهى وبحثه في هذا
وفي فاطر السموات والارض بحث عجيب وليس على طريقة فهم العرب من
مدلولات الالفاظ التي حملها ما حمل والظاهر ان مثنى وما بعده من صفات
الاجنحة وقيل اولي اجنحة معترض ومثنى حال والعامل فعل محذوف يدل
عليه رسلا اي يرسلون مثنى وثلث ورباع قيل وانما جعلهم اولي اجنحة لانه
لما جعلهم رسلا جعل لهم اجنحة ليكون اسرع لنفاذ الامر وسرعة النفاذ
القضا فان المسافة التي بين السماء والارض لا تقطع بالاقدام الا في سنين
فجعلت لهم الاجنحة حتى ينالوا المكان البعيد في الوقت القريب كالطير
يزيد في الخلق ما يشا تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب حين
خبر الملايكة اولي الاجنحة اي ليس هذا ببدع في قدرة الله فانه يزيد في
خلقه ما يشا والظاهر عموم الخلق وقال الفرا هذا في الاجنحة التي
للملايكة اي يزيد في خلق الملايكة في الاجنحة واليه ذهب الحسن وعن
ابن عباس يزيد في خلق الملايكة الاجنحة وقالوا في هذه الزيادة الخلق الحسن
او حسن الصوت او حسن الخط او الملاحة في العينين او الانف وخفة الروح

والحسن أو جودة الشعر أو العقل أو العلم أو الصنعة أو العفة في الفقر أو الحلاوة
في الفم وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر والآية مطلقة تتناول كل زيادة
في الخلق وقد رجحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة وما يشاء عام لا يخص شخصا
دون غيره وختم الآية بالقدرة على كل شيء يدل على ذلك والفتح والإرسال
استعارة للإطلاق فلا مرسل له مكان لا فاتح له والمعنى أي شيء يطلق الله
من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي
لا يحاط بعددها وما روي عن المفسرين المتقدمين من تفسير رحمة بشيء معين
فليس على الحصر منه إنما هو مثال قال الزمخشري وتنكير الرحمة للإشاعة
والإبهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر
على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه انتهى
والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة لبيان ذلك العام من أي صنف هو وهو مما
اجتزي فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره
من الرحمات ومن في موضع الحال أي كائنا من الرحمات ولا يكون في موضع الصفة
لأن اسم الشرط لا يوصف والظاهر أن قوله وما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها
لأنه لم يذكر له تبيين فهو باق على العموم في كل ما يمسك فإن كان تفسيره من رحمة
وحذفت لدلالة الأول عليه فيكون تذكير الضمير في فلا مرسل له من بعده حملا
على لفظ ما وأنث في فلا ممسك لها على معنى ما لأن معناها الرحمة **وقرئ**
فلا مرسل لها بتأنيث الضمير وهو دليل على أن التفسير هو من رحمة وحذف
لدلالة ما قبله عليه وعن ابن عباس من رحمة من باب توبة فلا ممسك لها
أي يتوبون إن شاؤوا وإن أبوا وما يمسك من باب توبة فلا مرسل له من بعده فهم
لا يتوبون وعنه أيضا من رحمة من هداية قال الزمخشري **فإن قلت** فما تقول
فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس **قلت** أراد بالتوبة الهداية
لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء
أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة
أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها انتهى وهو على طريقة الاعتزال من بعده هو على
حذف مضاف أي من بعد إمساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله أي من بعد
إضلال الله إياه لأن قبله وأضله الله على علم كقوله من يضلل الله فلا هادي له
وقدره الزمخشري من بعد هدايته وهو تقدير فاسد لا يناسب الآية جرى
فيه على طريقة الاعتزال وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك
الحكيم الذي يرسل ويمسك ما اقتضته حكمته ٥ يا أيها الناس خطاب لقريش
وهو متجه لكل مؤمن وكافر ولا سيما من عبد غير الله وذكرهم بنعمه في إيجادهم
واذكروا ليس المراد منه ذكر اللسان ولكن به وبالقلب وحفظ النعمة من كفرانها
وشكرها كقولك لمن أنعمت عليه اذكر أيادي عندك تريد حفظها وشكرها والجميع
مغمورون في نعمة الله فالخطاب عام اللفظ وإن كان نزل لسبب قريش
ثم استفهم على جهة التقرير هل من خالق غير الله أي فلا إله إلا الخالق لا ما تعبدون

أنتم

أنتم من الأصنام **وقرأ** ابن وثاب وشقيق وأبو جعفر وزيد بن علي وحمزة والكسائي
غير بالخفض نعتا على اللفظ ومن خالق مبتدأ ويرزقكم جوزوا أن يكون خبرا للمبتدأ
وأن يكون صفة وأن يكون مستأنفا والخبر على هذين الوجهين محذوف تقديره
لكم **وقرأ** شيبة وعيسى والحسن وباقي السبعة غير بالرفع وجوزوا أن يكون
نعتا على الموضع كما كان الجر نعتا على اللفظ وهذا أظهر لتوافق القراءتين وأن
يكون خبرا للمبتدأ وأن يكون فاعلا باسم الفاعل الذي هو خالق لأنه قد اعتمد
على أداة الاستفهام فحسن إعماله كقولك أقائم زيد في أحد وجهيه وفي
هذا نظر وهو أن اسم الفاعل وما جرى مجراه إذا اعتمد على أداة الاستفهام
وأجري مجرى الفعل فرفع ما بعده هل يجوز أن يدخل عليه من التي للاستغراق
فتقول هل من قائم الزيدون كما تقول هل قائم الزيدون والظاهر أنه لا
يجوز ألا ترى أنه إذا أجري مجرى الفعل لا يكون فيه عموم خلافه إذا دخلت
عليه من ولا أحفظ مثله في لسان العرب وينبغي أن لا يقدم على إجازة مثل
هذا إلا بسماع من كلام العرب **وقرأ** الفضل بن إبراهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء
والخبر إما يرزقكم وإما محذوف ويرزقكم مستأنف وإذا كان يرزقكم مستأنفا كان
أولى لانتفاء صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة فإن الصفة تقييد فيكون
ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق ومعنى من السماء بالمطر والأرض بالنبات
لا إله إلا هو جملة مستقلة لا موضع لها من الإعراب فأنى تؤفكون أي كيف تصرفون
من التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك إلى الأمور تقدم الكلام على ذلك إن وعد الله
حق شامل لجميع ما عمل مما وعد من ثواب وعقاب وغير ذلك **وقرأ** الجمهور
الغرور بفتح الغين وفسر ابن عباس بالشيطان **وقرأ** أبو حيوة وأبو السمال
بضمها جمع غار أو مصدرا كقوله فدلاهما بغرور وتقدم الكلام على ذلك
في آخر لقمان إن الشيطان لكم عدو عداوته سبقت لأبينا آدم وأي عداوة
أعظم من أن يتوالى في بنيه لأغوينهم أجمعين ولأضلنهم فاتخذوه عدوا
أي بالمقاطعة والمخالفة باتباع الشرع ثم بين أن مقصوده في دعاء حزبه
إنما هو تعذيبهم في النار ليشتركوا هو وهم في العذاب فهو حريص على ذلك
أشد الحرص حتى يبين صدق قوله في فلأغوينهم ولأضلنهم لأن الاشتراك
فيما يسوء مما قد يتسلى به بخلاف المنفرد بالعذاب ثم ذكر الفريقين وما
أعد لهما من العقاب والثواب وبدأ بالكفار لمجاورته قوله إنما يدعو حزبه
فاتبع حزب الكافر بما له في الآخرة قال ابن عطية واللام في ليكونوا لام الصيرورة
لأنه لم يدعهم إلى السعير إنما اتفق أن صار أمرهم عن دعائه إلى ذلك انتهى
ونقول هو مما عبر فيه عن السبب بما تسبب عنه دعاهم إلى الكفر وتسبب
عنه العذاب والذين كفروا والذين آمنوا مبتدآت وجوز بعضهم في الذين كفروا
أن يكون في موضع خفض بدلا من أصحاب السعير أو صفة وفي موضع نصب بدلا
من حزبه وفي موضع رفع بدلا من ضمير ليكونوا وهذا كله بمعزل عن فصاحة
التقسيم وجزالة التركيب ٥ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أي فرأى سوء عمله

حسنا ومن مبتدأ موصول وخبره محذوف والذي يقتضيه النظم ان يكون التقدير كمن لم
يزين له كقوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله أفمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى أفمن كان ميتا فأحييناه ثم قال كمن مثله في الظلمات
وقال الكسائي تقديره تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب نفسك
وقيل التقدير فرآه حسنا فاضله الله كمن هداه الله فحذف ذلك لدلالة فان الله
يضل من يشاء وذكر هذين الوجهين الزجاج وشرح الزمخشري هنا يضل من يشاء
على طريقته في غير موضع من كتابه من ان الاضلال هو خذلانه وتخليته وشأنه
وأتى بألفاظ كثيرة في هذا المعنى وقرأ الجمهور أفمن زين مبنيا للمفعول
سوء رفع وقرأ عبيد بن عمير زين له سوء مبنيا للفاعل ونصب سوء وعنه
أيضا أسوأ على وزن أفعل منصوبا وأسوأ عمله هو الشرك وقرأ طلحة أمن
بغير فاء قال صاحب اللوامح فالهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز
ان يكون بمعنى حرف النداء فحذف التمام كما حذف من المشهور الجواب انتهى ٥
ويعني بالجواب خبر المبتدأ وبالتمام ما نودي لاجله اي تفكروا وارجعوا الى الله
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء تسلية للرسول عن كفر قومه ووجوب
التسليم لله في اضلال من يشاء وهداية من يشاء وقرأ الجمهور فلا تذهب نفسك
مبنيا للفاعل من ذهب ونفسك فاعل وقرأ ابو جعفر وقتادة وعيسى
والاشهب وشيبة وابو حيوة وحميد والاعمش وابن محيصن تذهب من اذهب
مسندا لضمير المخاطب نفسك نصب وروي عن نافع والحسرة هم النفس على
فوات امر وانتصب حسرات على انه مفعول من اجله اي فلا تهلك نفسك للحسرات
وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو
بيان للمتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر
كما قال جرير ٥

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ۞ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسي ۞ حسرات وذكرهم لي سقام

انتهى وما ذكر من ان كلاكلا وصدورا حال هو مذهب س وقال المبرد هو تمييز
منقول من الفاعل اي حتى ذهبت كلاكلها وصدورها ثم توعدهم بالعقاب
على سوء صنيعهم فقال ان الله عليم بما يصنعون اي فيجازيهم عليه ٥ والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها
كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك
هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك
على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج ومن

قوله عز وجل والله الذي

كل

كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه
مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير
ح لما ذكر اشياء من الامور السماوية وارسال الملائكة ذكر اشياء من الامور الار
الرياح وارسالها وفي هذا احتجاج على منكري البعث دلهم على المثال الذي
يعاينونه وهو واحياء الموتى سيان وفي الحديث انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي
اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله
الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل ارسل في معنى يرسل ولذلك عطف عليه فتثير
وقيل جيء بالمضارع حكاية حال يقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر
تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية ومنه فتصبح الارض
مخضرة قال الزمخشري وكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا ٥

بأني قد لقيت الغول تهوي ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان

فاضربها بلا دهش فخرت ۞ صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه
يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جراءته على كل هول وثباته
عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد
موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا
بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه انتهى وقال
ابو عبد الله الرازي ما ملخصه اسند ارسل بلفظ الماضي لما اسند الى
الله وما يفعله تعالى بقوله كن لا يبقى زمانا ولا جزء زمان فلم يأت بلفظ
المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه ولانه فرغ من كل شيء فهو قدر الارسال
في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة ولما اسند الاثارة الى الريح وهي
تؤلف في زمان قال فتثير واسند ارسل الى الغائب وفي فسقناه فأحيينا
الى المتكلم لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال
ثم لما عرف قال انا الذي عرفتني سقت السحاب فأحييت الارض
ففي الاول تعريف بالفعل العجيب وفي الثاني تذكير بالبعث وفسقناه فأحيينا
بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرنا من الفرق بين فتثير وارسل انتهى وهذا الذي
ذكر من الفرق بين ارسل فتثير لا يظهر الا ترى الى قوله تعالى في سورة الروم
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا وفي الاعراف وهو الذي يرسل الرياح
نشرا بين يدي رحمته كيف جاء في الارسال بالمضارع وانما هذا من
التفنن في الكلام والتصرف في البلاغة واما الخروج من ضمير الغائب

ضية

الى ضمير المتكلم المعظم نفسه فهو من باب الالتفات وكذلك ما في الاعراف فسقناه الى بلد ميت فانزلنا به الما فاخرجنا به من كل الثمرات واما قوله وما يفعله تعالى الى اخره وكل فعل وان كان اسند الى غيره مجازا فهو فعله حقيقة فلا فرق بين ما يسند الى ذاته وبين ما يسند الى غيره لان جميع ذلك هو ايجاده وخلقه والنشور مصدر نشر الميت اذا حيي قال الاعشى

• حتى يقول الناس مما راوا • يا عجبا للميت الناشر •

والنشور مبتدا والجار والمجرور قبله في موضع الخبر والتشبيه وقع بجهات لما قبلت الارض الميتة الحيوة اللايقة بها كذلك الاعضا تقبل الحيوة او كما ان الريح يجمع قطع السحاب كذلك يجمع قطع اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء او كما يسوق الرياح والسحاب الى البلد الميت يسوق الروح والحيوة الى البدن من كان يريد العزة اي يحبها لينه فلله العزة اي ليست لغيره ولا تتم الا به والمغالب مغلوب ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان وهذا تمثيل لقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها على وجهها فلله العزة اي به وعن امره لانها لا تنال عزته الا بطاعته وقال الفرا من كان يريد علم العزة فلله العزة اي هو المتصف بها وقيل من كان يريد العزة اي لا يعقبها ذلة فهي لله لا عزة يعقبها ذلة ولة ويصار بها للذلة وقال الزمخشري كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين انتهى ولا تنافي بين قوله فان العزة لله جميعا وان كان الظاهر انها له لا لغيره وبين قوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين وان كان يقتضي الاشتراك لان العزة في الحقيقة لله بالذات وللرسول بواسطة قربه من الله وللمومنين بواسطة الرسول فالمحكوم عليه اولا غير المحكوم عليه ثانيا ومن اسم شرط ومن جملة الجواب لابد ان يكون فيه ضمير يعود على اسم الشرط اذا لم يكن ظرفا والجواب محذوف تقديره على حسب تلك الاقوال السابقة فعلى قول مجاهد فهو مغلوب وعلى قول قتادة فليطلبها من الله وعلى قول الفرا فلينسب ذلك الى الله وعلى القول الرابع فهو لا ينالها وحذف الجواب استغنا عنه بقوله فلله العزة جميعا لدلالته عليه والظاهر من هذه الاقوال قول قتادة اي فليطلبها ممن العزة له يتصرف فيها كما يريد كما قال تعالى ولله العزة تنال من تشا وتذل من تشا وانتصب جميعا على الحال والمراد عزة الدنيا وعزة الاخرة والكلم الطيب التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك وقال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله وقيل ثنا بالخير على صالحي المومنين وقال كعب ان لسبحان الله

والحمد لله

والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لدويا حول العرش كدوي النحل تذكر صاحبها وقرا الجمهور يصعد مبنيا للفاعل من صعد الكلم الطيب مرفوعان فالكلم جمع كلمة وقرا علي وابن مسعود والسلمي وابراهيم يصعد من اصعد الكلام الطيب منصوبان وقال ابن عطية وقرا الضحاك يصعد بضم اليا ولم يذكر مبنيا للفاعل ولا مبنيا للمفعول ولا اعراب ما بعده وقال الزمخشري وقرى اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول انتهى وقرا زيد بن علي يصعد من صعد الكلام رفعا وصعود الكلام اليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المنتهي اليه لانه تعالى ليس في جهة ولان الكلم الفاظ لا توصف بالصعود لان الصعود من الاجرام يكون وانما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شانه ومنه ترافعوا الى الحاكم ورفع الامر اليه وليس هناك علو في الجهة وقرا الجمهور والعمل الصالح برفعهما فالعمل مبتدا ويرفعه الخبر وفاعل يرفعه ضمير يعود على العمل الصالح وضمير النصب يعود على الكلم اي يرفع الكلم الطيب قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك وقال الحسن يعرض القول على الفعل فان وافق القول الفعل قبل وان خالف رد وعن ابن عباس نحوه قال اذا ذكر الله العبد وقال كلاما طيبا وادى فرايضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يود فرايضه رد قوله على عمله وقيل عمله اولى به قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد اهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان العاصي لفرايضه اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل وله حسناته وعليه سياته والله يتقبل من كل من اتقى الشرك وقال ابو صالح وشهر بن حوشب عكس هذا القول ضمير الفاعل يعود على الكلم وضمير النصب للعمل الصالح اي يرفعه الكلم الطيب وقال قتادة ان الفاعل هو ضمير يعود على الله والها للعمل الصالح اي يرفعه الله اليه اي يقبله وقال ابن عطية هذا ارجح ارجح الاقوال وعن ابن عباس والعمل الصالح يرفع عامله ويشرفه فجعله على حذف مضاف ويجوز عندي ان يكون والعمل معطوفا على الكلم الطيب اي يصعدان الى الله ويرفعه استيناف اخبار اي يرفعهما الله ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود والضمير قد يجري مجرى اسم الاشارة فيكون لفظه مفردا والمراد به التثنية فكانه قيل ليس صعودهما من ذاتهما بل ذلك يرفع الله اياهما وقرا عيسى وابن ابي عبلة والعمل بنصبهما على الاشتغال فالفاعل ضمير الكلم او ضمير الله ومكر لازم والسيات نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيات او المضاف الى المصدر اي اصناف المكر السيات او ضمن يمكرون معنى يكتسبون فتنصب السيات مفعولا به واذا كانت السيات نعتا لمصدر او المضاف المصدر فالظاهر انه عني به مكرات قريش في دار الندوة اذ تذاكروا احدى ثلاث مكرات وهي المذكورة في الانفال اثباته او قتله او اخراجه واولئك اشارة الى الذين مكروا تلك المكرات يبور اي يفسد ويكسد ويهلك دون مكر الله بهم اذ اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم

جميعاً وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيء إلا بأهله وهو مبتدأ ويبور خبره والجملة خبر عن قوله ومكر أولئك
وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يكون هو فاصلة ويبور خبر ومكر أولئك والفاصلة
لا يكون ما بعدها فعلاً ولم يذهب إلى ذلك أحد فيما علمناه إلا عبد القاهر
الجرجاني في شرح الإيضاح له فإنه أجاز في كان زيد هو يقوم أن يكون هو فصلاً ورد
ذلك عليه والله خلقكم من تراب من حيث خلق أبينا آدم ثم من نطفة أي بالتناسل
ثم جعلكم أزواجاً أي أصنافاً ذكراناً وإناثاً كما قال أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً
وقال قتادة قدر بينكم الزوجية وزوج بعضكم بعضاً وما يعمر من معمر أي ما يزاد
وسماه بما يؤول إليه وهو الطويل العمر والظاهر أن الضمير في من عمره عائد على
معمر لفظاً ومعنى وقال ابن عباس وغيره يعود على معمر الذي هو اسم جنس
والمراد غير الذي يعمر فالقول تضمن شخصين يعمر أحدهما مائة سنة
وينقص من الآخر وقال ابن عباس أيضاً وابن جبير وأبو مالك المراد شخص
واحد أي يحصى ما مضى منه إذا مر حول كتب ذلك ثم حول فهذا هو النقص

وقال الشاعر

حياتك أنفاس تعد وكلما ... مضى نفس منك انتقصت به جزءا

وقال كعب الأحبار معنى ولا ينقص من عمره لا يخترم بسبب قدره الله ولو شاء
لأخر ذلك السبب وروي عنه أنه قال لما طعن عمر رضي الله عنه لو دعا الله
لزاد في أجله فأنكر عليه المسلمون ذلك وقالوا إن الله تعالى يقول فإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فاحتج بهذه الآية قال ابن عطية
وهو قول ضعيف مردود يقتضي القول بالأجلين وبنحوه تمسك المعتزلة وقرأ
الجمهور ولا ينقص مبنياً للمفعول وقرأ يعقوب وسلام وعبد الوارث وهارون
كلاهما عن أبي عمرو ولا ينقص مبنياً للفاعل وقرأ الحسن من عمْره إلا في كتاب
قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقال الزمخشري يجوز أن يراد بكتاب الله علم الله
أو صحيفة الإنسان انتهى وما يستوي البحران هذه آية أخرى يستدل
بها على كل عاقل أنه مما لا مدخل لصنم فيه وتقدم شرح هذا عذب فرات
وشرح وهذا ملح أجاج في سورة الفرقان ومثانيت العتمين صفة للعذب
وبين قوله سائغ شرابه وقرأ الجمهور سائغ اسم فاعل من ساغ وقرأ عيسى سيّغ
على وزن فيعل كميت وجاء كذلك عن أبي عمرو وعاصم وقرأ عيسى أيضاً سيْغ
مخففاً من المشدد كميت مخفف ميت وقرأ الجمهور ملح وأبو نهيك وطلحة
بفتح الميم وكسر اللام قال أبو الفضل الرازي وهي لغة شاذة ويجوز أن
يكون مقصوراً من مالح فحذف الألف تخفيفاً وقد يقال ماء ملح في الشذوذ
وفي المستعمل مملوح وقال الزمخشري ضرب البحرين العذب والملح مثلين
للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما
من نعمته وعطائه ومن كل ثم شرح الزمخشري ألفاظاً من الآية تكررت في
سورة النحل ثم قال ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين

بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك
واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية انتهى لتبتغوا من فضله يريد التجارات والحج
والغزو وكل سفر له وجه شرعي يولج الليل تقدم شرح هذه الجمل ولما ذكر أشياء
كثيرة تدل على قدرته الباهرة من إرسال الرياح والإيجاد من تراب وما عطف
عليه وإيلاج الليل في النهار وتسخير الشمس والقمر أشار إلى أن المتصف بهذه
الأفعال الغريبة هو الله فقال ذلكم الله ربكم له الملك وهي أخبار مترادفة
والمبتدأ ذلكم والله ربكم خبر إلى وله الملك جملة مبتدأة في قرآن قوله والذين
تدعون من دونه ما يملكون من قطمير قال الزمخشري ويجوز في حكم الإعراب
إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبراً لولا أن
المعنى يأباه انتهى أما كونه صفة فلا يجوز لأن الله علم والعلم لا يوصف به
وليس اسم جنس كالرجل فيتخيل فيه الصفة وأما قوله لولا أن المعنى يأباه
فلا يظهر أن المعنى يأباه لأنه يكون قد أخبر بأن المشار إليه بتلك الصفات
والأفعال المذكورة ربكم أي مالككم أو مصلحكم وهذا معنى لائق سائغ والذين
تدعون من دونه هي الأوثان وقرأ الجمهور تدعون بتاء الخطاب وعيسى وسلام
ويعقوب بياء الغيبة وقال صاحب الكامل أبو القاسم بن جبارة يدعون
بالياء اللؤلؤي عن أبي عمرو وسلام والنهاوندي عن قتيبة وابن الحلاء عن نصير
وابن حبيب وابن يونس عن الكسائي وأبو عمارة عن حفص والقطمير تقدم شرحه
وقال جويبر عن رجاله والضحاك هو القمع الذي في رأس التمرة وقال مجاهد
لفافة النواة وقيل الذي بين قمع التمرة والنواة وقيل هو قشر الثوم وأيا ما
كان فهو تمثيل للقليل وقال الشاعر

وأبوك يخصف نعله متوركاً ... ما يملك المسكين من قطمير

لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا مجازاً على سبيل الفرض ما استجابوا لكم
لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم
وأضاف المصدر في بشرككم أي بإشراككم لهم مع الله في عبادتكم إياهم
كقوله ما كنتم إيانا تعبدون فهي إضافة إلى الفاعل وقوله يكفرون يحتمل
أن يكون بكلام يقدر الله الأصنام عليه ويخلق لها إدراكاً يقتضي ذلك ويحتمل
أن يكون بما يظهر هنالك من جمودها وبطولها عند حركة كل ناطق ومدافعة
كل محتج فيجيء هذا على طريق التجوز كقول ذي الرمة

وقفت على ربع لمية ناطق ... تخاطبني آثاره وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

ولا ينبئك مثل خبير قال قتادة وغيره من المفسرين الخبير هنا أراد به تعالى
نفسه فهو الخبير الصادق الخبر نبأ بهذا فلا شك في وقوعه قال ابن عطية
ويحتمل أن يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير من تمام ذكر الأصنام كأنه قال فلا
يخبرك مثل من يخبرك عن نفسه أي لا أصدق منها في تبريها من شرككم منها فيريد بالخبير

قوله عز وجل يا ايها الناس

علي هذا المثل لما كانه قال ولا ينبيك مثل خبير عن نفسه وهي قد اخبرت عن انفسها
بالكفر بهولاء وقال الزمخشري ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان
الخبير بالامر هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا
الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقال
في التحرير يحتمل وجهين ان يكون ذلك خطابا للرسول لما اخبر بان الخشب والحجر
يوم القيمة ينطق ويكذب عابده وهو امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله عنه
قال تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيمة وهذا القول مع كون المخبر عنه
امرا عجيبا هو كما قال لان المخبر عنه خبير والثاني ان يكون خطابا لبشر مختصا
باحد اي هذا الذي ذكر هو كما ذكر لا ينبيك ايها السامع كائنا من كنت مثل خبير
ه يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء
ولا الاموات ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير **كم** هذه اية موعظة وتذكير وان جميع الناس محتاجون
الى احسان الله تعالى وانعامه في جميع احوالهم لا يستغني احد عنه طرفة عين
وهو الغني عن العالم على الاطلاق وعرف الفقرا ليريهم شدة افتقارهم اليه
اذ هم جنس الفقرا وان كان العالم باسره مفتقرا اليه فلضعفهم جعلوا كانهم
جميع هذا الجنس ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقرا وقوبل الفقرا بالغني ووصف
بالحميد دلالة على انه جواد منعم فهو محمود على ما يسديه من النعم مستحق للحمد
ولما ذكر انه الغني على الاطلاق ذكر ما يدل على الاستغنا به عن العالم وانه
ليس محتاجا اليهم فقال ان يشا يذهبكم اي ان يشا اذهابكم يذهبكم وفي
هذا وعيد باهلاكهم وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد بعزيز
اي بممتنع عليه اذ هو المتصف بالقدرة التامة فلا يمتنع عليه شيء مما يريده
ومعنى بخلق جديد بدلكم لقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس
بخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا وتقدم هذا المعنى من ذكر الاذهاب
بعد وصفه تعالى بالغني في قوله وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم
ويستخلف من بعدكم ما يشا وجاء ايضا تعليق الاذهاب مختوما اخر الاية
بذكر القدرة الدالة على ذلك في قوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات
باخرين وكان الله على ذلك قديرا روي ان الوليد بن المغيرة قال للقوم من
المومنين اكفروا بمحمد وعلي وزركم فنزلت واخبر تعالى لا يحمل احد عن احد
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذه الاية في الذنوب والجرايم ويقال

وزر التي حملته وهو وازرة صفة لمحذوف اي نفس وازرة اي حاملة وذكر الصفة
ولم يذكر الموصوف مقتصرا عليها لان المعنى ان كل نفس لا ترى الا حاملة وزرها
لا وزر غيرها فلا يوخذ نفس بذنب نفس كما ياخذ جبابرة الدنيا الجار بالجار
والصديق بالصديق والقريب بالقريب وقال ابن عطية ومن تطرق من الحكام
الى اخذ قريب بقريبه في جريمة كفعل زياد ونحوه فانما ذلك لان الماخوذ
ربما اعان المجرم بمؤازرة وهو مواصلة او اطلاع على حاله وتقرير لها فهو قد
اخذ من الجرم بنصيب انتهى وكان ابن عطية تاول فعال زياد على ما ذكر
وكانه ما اطلع على سيرة زياد وما فعل في الاسلام وكانت سيرته قريبة
من سيرة الحجاج ولا منافاة بين هذه الاية والتي في العنكبوت لان تلك
في الضالين المضلين يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم
فكل ذلك اثقالهم ما فيها من ثقل غيرهم شيء الا ترى وما هم بحاملين من
خطاياهم من شيء ه وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بحملها الى حملها اي
الى حمل حملها لا يحمل منه شيء اي لا غياث يومئذ لمن استغاث ولا اعانة حتى ان
نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وزرها لم تجب وان كان
المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فالاية قبلها في الدلالة على عدل الله
في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها وهذه في نفي الاعانة والحمل ما كان
على الظهر في الاجرام فاستعير للمعاني كالذنوب ونحوها فيجعل كل محمول متصلا
بالظهر لقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم كما جعل كل اكتساب منسوبا
الى السيد **وقرا** الجمهور لا يحمل بالياء مبنيا للمفعول وابو السمال عن طلحة و
ابراهيم بن زاذان عن الكسائي بفتح التاء من فوق وكسر الميم وتقتضي هذه
القراة نصب شيء كما اقتضت قراة الجمهور رفعه والفاعل بيحمل ضمير عائد
على مفعول تدع المحذوف اي وان تدع مثقلة نفسا اخرى الى حملها لم
تحمل منه شيئا واسم كان ضمير يعود على المدعو المفهوم من قوله وان تدع هذا معنى قول
الزمخشري قال وترك ذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو قال **فان قلت** فكيف
استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة **قلت** هو من
العموم الكاين على طريق البدل انتهى وقال ابن عطية واسم كان مضمر تقديره ولو كان
الداعي انتهى اي ولو كان الداعي ذا قربى من المدعو فان المدعو لا يحمل منه شيئا وذكر
الضمير حملا على المعنى لان قوله مثقلة لا يريد به مونث المعنى فقط بل كل شخص
فكانه قيل وان تدع شخص مثقل **وقري** ولو كان ذو قربى على ان كان تامة
اي ولو حضر اذ ذاك ذو قربى ودعته لم يحمل منه شيئا وقالت العرب قد كان
لبن اي حضر وحدث وقال الزمخشري نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة
لان المعنى على ان المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا يحمل منه وان كان
مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك
وخرج من اتساقه والتئامه انتهى وهو متسق ملتئم على التقدير الذي ذكرناه
وتفسير كان وهو مبني للفاعل بوجد المبني للمفعول تفسير معنى وليس مرادفا

اليد ح

ومراده حدث او حضر او وقع هكذا فسره النحاة فلما سبق ما تضمن الوعيد
وبعض احوال القيمة كان ذلك انذارا فذكر ان الانذار انما يجدي وينفع من
يخشى الله بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غافلين عن
عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وقيل بالغيب
اي وهو بحال غيبة عنهم انما هي رسالة وقراءة الجمهور ومن تزكى فعلا ماضيا
فانما يتزكى فعلا مضارعا تزكى اي ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي
فانما ثمرة ذلك عائدة عليه وهو انما زكوته لنفسه لا لغيره والتزكي شامل
للخشية واقامة الصلاة وقرا العباس عن ابي عمرو ومن يزكي فانما يزكي
بالياء من تحت وشد الزاي فيهما وهما مضارعان اصلهما ومن يتزكى فانما
يتزكى ادغمت التاء في الزاي كما ادغمت في الذال في قوله يذكرون وقرا
ابن مسعود وطلحة ومن ازكى بادغام التاء في الزاي واجتلاب همزة الوصل
في الابتداء وطلحة ايضا فانما يزكي بادغام التاء في الزاي والى الله المصير
وعد لمن تزكى بالثواب ٥ وما يستوي الاعمى والبصير الاية تحط على الكفرة
وتمثيل فالاعمى الكافر والبصير المؤمن والاعمى الصنم والبصير الله عز وعلا اي
لا يستوي معبودهم ومعبود المؤمنين والظلمات والنور والظل والحرور
تمثيل للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات
تمثيل لمن دخل في الاسلام ومن لم يدخل فيه والحرور شدة حر الشمس وقال
الزمخشري والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل
والنهار وقيل بالليل انتهى وقال ابن عطية قال رؤبة الحرور بالليل
والسموم بالنهار وليس كما قال وانما الامر كما حكى الفراء وغيره ان السموم
تختص بالنهار ويقال للحرور في حر الليل وفي حر النهار انتهى ولا يرد على
رؤبة لانه ممن توخذ اللغة فاخبر عن لغة قومه وقال قوم الظل هنا
الجنة والحرور جهنم ويستوي من الافعال التي لا يكتفي بفاعل واحد فدخول
لا في النفي لتاكيد معناه كقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقال ابن عطية
دخول لا انما هو على نية التكرار كانه قال ولا الظلمات والنور ولا النور
والظلمات فاستغنى بذكر الاوائل عن الثواني ودل مذكور الكلام على متروكه
انتهى وما ذكر غير محتاج الى تقدير لانه اذا نفي استوا الظلمات والنور فاي
فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانيا وادعا محذوف فان وانت تقول ما قام
زيد ولا عمرو فتوكد بلا معنى النفي فكذلك هذا وقرا زاذان عن الكسائي
وما تستوي الاحياء بتاء التانيث والجمهور بالياء وترتيب هذه المنفي عنه
الاستوا في غاية الفصاحة ذكر الاعمى والبصير مثلا للمؤمن والكافر ثم
البصير ولو كان حديد النظر لا يبصر الا في ضوء فذكر ما هو فيه الكافر من ظلمة
الكفر وما هو فيه المؤمن من نور الايمان ثم ذكر مالهما وهو الظل وهو
ان المؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم ذكر مثلا
اخر في حق المؤمن والكافر فوق حال الاعمى والبصير اذ الاعمى قد يشارك

البصير في ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت ولذلك
اعاد الفعل فقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات كانه جعله مقام سؤال
وكرر لا فيما كرر لتاكيد المنافاة فالظلمات تنافي النور وتضاده والظل والحرور
كذلك والاعمى والبصير ليس كذلك لان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يعرض له
العمى فلا منافاة الا من حيث الوصف والمنافاة بين الظل والحرور دائمة لان
المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة اتم اكد بالتكرار واما الاحياء
والاموات من حيث ان الجسم الواحد يكون محلا للحيوة فيصير محلا للموت فالمنافاة
بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان هذين قد يشتركان في ادراك
ما ولا كذلك الحي والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين
في الحكمة الالهية وقدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخر في مثلين
وهما البصير والنور ولا يقال لاجل السجع لان معجزة القران ليست في مجرد
اللفظ بل فيه وفي المعنى والشاعر قد يقدم ويوخر لاجل السجع والقران المعنى
صحيح واللفظ فصيح وكانوا قبل المبعث في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم الظلمة
فلما جاء الرسول واهتدى به قوم صاروا بصيرين وطريقتهم النور وقدم ما
كان متقدما من المتصف بالكفر وطريقته على ما كان متاخرا من المتصف بالايمان
وطريقته ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب
كما جاء سبقت رحمتي غضبي فقدم الظل على الحرور ثم ان الكافر المصر بعد
البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق فقال
وما يستوي الاحياء ٥ الذين امنوا بما انزل الله ولا الاموات الذين تليت عليهم
الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهولاء كانوا بعد ايات من امن فاخرهم لوجود
حياة المؤمنين قبل ممات الكافر وافرد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس
بالجنس اذ قد يوجد في افراد العميان ما يساوي به بعض افراد البصراء كاعمى
عنده من الذكاء ما يساوي به البصير البليد فالتفاوت بين الجنسين مقطوع
به لا بين الافراد وجمعت الظلمات لان طرق الكفر متعددة وافرد النور لان
التوحيد والحق واحد والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد
فقال الظلمات لا تجد فيها ما يساوي هذا النور واما الاحياء والاموات
فالتفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيا فذكر ان
الاحياء لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس ام قابلت الفرد
بالفرد انتهى من كلام ابي عبد الله الرازي وفيه بعض تلخيص ثم سلى رسوله
بقوله ان الله يسمع من يشاء اي اسماعه هولاء منوط بمشيتنا وكنى بالاسماع عن
الذي تكون عنه الاجابة للايات ولما ذكر انه ما يستوي الاحياء ولا الاموات
قال وما انت بمسمع من في القبور اي هولاء من عدم اصغائهم الى سماع الحق
بمنزلة من هم قد ماتوا واقاموا في قبورهم فكما ان من مات لا يمكن ان
يقبل منك قول الحق فكذلك هولاء لانهم اموات القلوب وقرا الاشهب
والحسن بمسمع من على الاضافة والجمهور بالتنوين ان انت الا نذير اي ما عليك

الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن اراد الله هدايته سمع واهتدى وان كان ممن
اراد الله ضلاله فما عليك لانه تعالى هو الذي يهدي ويضل وبالحق حال من
الفاعل اي محقين او من المفعول اي محقا او صفة لمصدر محذوف اي ارسالا بالحق
اي مصحوبا به قال الزمخشري او صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا
بالوعيد الحق انتهى ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشير ونذير معا بل ينبغي
ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا والتقدير بالوعد الحق بشيرا وبالوعيد
الحق نذيرا فحذف المقابل لدلالة مقابله عليه ۝ وان من امة الا خلا فيها
نذير الامة الجماعة الكثيرة والمعنى ان الدعاء الى الله لم ينقطع عن كل امة اما
بما شرع من انبيائهم واما بنقل الى وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والايات
التي تدل على ان قريشا ما جاءهم نذير معناه لم يباشرهم ولا اباءهم القريبين
واما ان النذارة انقطعت فلا ولما شرعت اثار النذارة تندرس بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم وما ذكره اهل علم الكلام من حال اهل الفترات فان ذلك على
حسب الفرض لا انه واقع وانه توجد امة على وجه الارض الا وقد علمت الدعوة
الى الله وعبادته واكتفى بذكر نذير عن بشير لانها مشفوعة بها في قوله بشيرا
ونذيرا فدل ذلك على انه مراد وحذف للدلالة عليه وان يكذبوك مسلاة
للرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على نظير هذه الجمل في اواخر ال عمران
وقوله فكيف كان نكير توعد لقريش بما جرى لمكذبي رسلهم ۝ الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذي اوحينا اليك
من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ۝ لما قرر تعالى وحدانيته
بادلة قررها وامثلة ضربها اتبعها بادلة سماوية وارضية فقال الم تر
وهذا الاستفهام تقرير ولا يكون الا في الشيء الظاهر جدا والخطاب
للسامع والرؤية رؤية القلب لان اسناد انزال الماء الى الله تعالى لا يستدل عليه الا
بالعقل الموافق للنقل وان كان انزال المطر مشاهدا بالعين لكن رؤية القلب
قد تكون مستندة لرؤية البصر ولغيرها وخرج من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم
في قوله فاخرجنا لما في ذلك من الفخامة اذ هو مسند للمعظم المتكلم ولان
نعمة الاخراج اتم من نعمة الانزال لفائدة الاخراج فاسند الاتم الى

ذاته بضمير المتكلم وما دونه بضمير الغائب والظاهر ان الالوان اريد
بها ما يتبادر اليه الذهن من الحمرة والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك
كما نشاهد في الثمرات وقيل الالوان الانواع كالتين والعنب والرمان
والتفاح وغير ذلك والالوان بهذا المعنى اوسع واكثر من الالوان بمعنى الاصباغ
وقرا الجمهور مختلفا الوانها على حد اختلف الوانها وقرا زيد بن علي
مختلفة الوانها على حد اختلفت الوانها وجمع التكسير يجوز فيه ان تلحق التاء
وان لا تلحق وقرا الجمهور جدد بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة قال ابن بحر قطع
من قولك جددت الشيء قطعته وقرا الزهري كقراءة الجمهور قال صاحب
اللوامح جمع جدة وهي ما يخالف من الطرائق في الجبال لون ما يليها وعنه ايضا
بضم الجيم والدال جمع جديدة يقال جديد وجدد وجدائد كما يقال في الاسم
سفينة وسفن وسفائن قال ابو ذويب جون السراة له جدائد اربع ۝
وعنه ايضا جدد بفتح الجيم والدال ولم يجزه ابو حاتم في المعنى ولا صححه اثرا
وقال غيره هو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواو
المنفصل بعضها من بعض وقال ابو عبيدة يقال جدد في جمع جديد ولا مدخل
لمعنى الجديد في هذه الاية وقال صاحب اللوامح جدد جمع جديد بمعنى اثار
جديدة واضحة الالوان انتهى وقال مختلف الوانها لان البياض والحمرة
تتفاوت بالشدة والضعف فابيض لا يشبه ابيض واحمر لا يشبه احمر
وان اشتركا في القدر المشترك لكنه حسن ذلك والظاهر عطف وغرابيب على
حمر عطف ذي لون على ذي لون وقال الزمخشري معطوف على بيض وعلى
جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد وقال
بعد ذلك ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى
ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف
الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرا ابن السميفع
مختلفة الوانها انتهى والظاهر انه لما ذكر الغرابيب وهو الشديد السواد لم يذكر
فيه مختلف الوانه لانه من حيث جعله شديد السواد وهو المبالغ في غاية
السواد لم يكن له الوان بل هذا لون واحد بخلاف البيض والحمر فانهما
مختلف ۝ والظاهر ان قوله بيض وحمر ليسا مجموعين بحق واحدة بل المعنى
جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب ويقال اسود حلكوك واسود غربيب ومن
حق التابع المواضح الغاية في ذلك اللون ان يكون تابعا فقال ابن عطية
قدم الوصف الابلغ وكان حقه ان يتاخر وكذلك هو في المعنى لكن كلام
العرب الفصيح ياتي كثيرا على هذا النحو وقال الزمخشري الغربيب
تاكيد للاسود ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض
يقق وما اشبه ذلك ووجهه ان يضمر المؤكد قبله فيكون الذي بعده
تفسيرا لما اضمر كقول النابغة ۝

والموس الحايذات الطير وانما يفعل لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريق الاظهار والاضمار جميعا انتهى وهذا لا يصح الا على مذهب من يجيز حذف
المؤكد ومن النحاة من منع ذلك وهو اختيار ابن مالك وقيل هو على التقديم والتاخير
اي سود غرابيب وقيل سود بدل غرابيب وهذا احسن ويحسنه كون غرابيب
لم يلتزم فيه ان يستعمل تاكيدا ومنه ما جاء في الحديث ان الله يبغض الشيخ
الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد **وقال الشاعر**

العين طامحة واليد سابحة والرجل لائحة والوجه غربيب

وقال اخر

ومن تعاجيب خلق الله غاليه البعض منها ملاحي وغربيب

وقرا الجمهور والدواب مشددا الباء والزهري بتخفيفها كراهية التضعيف
اذ فيه التقاء الساكنين كما همز بعضهم ولا الضالين فرارا من التقاء الساكنين
فحذف هنا اخر المضعفين وحرك هناك اول الساكنين ومختلف صفة لمحذوف
اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من
تمام الكلام قبله والوقف عليه حسن قال ابن عطية ويحتمل ان يكون من الكلام
الثاني يخرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة في هذا كله انما يخشى الله
من عباده العلماء اي المحصلون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى وهذا الاحتمال
لا يصح لان ما بعد انما لا يمكن ان يتعلق بهذا المجرور قبلها ولو خرج مخرج
السبب لكان التركيب كذلك يخشى الله من عباده اي كذلك الاعتبار والنظر
في مخلوقات الله واختلاف الوانها يخشى الله ولكن التركيب جاء بانما
وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها والعلماء هم الذين علموه بصفاته وتوحيده
وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه فعظموه وقدروه حق قدره
وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به
اقل كان امن وقد وردت احاديث واثار في الخشية وقد نزلت في ابي بكر
الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه ومن ادعى ان انما للحصر
قال المعنى ما يخشى الله الا العلماء فغيرهم لا يخشاه وهو قول الزمخشري
وقال ابن عطية وانما في هذه الاية تخصيص العلماء لا للحصر وهي لفظة تصلح
للحصر وتاتي ايضا دونه وانما يعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه
انتهى وجاءت هذه الجملة بعد قوله الم تر اذ هو خطاب للرسول حيث
عدد اياته واعلام قدرته واثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة
الاجناس وما يستدل به عليه وهو على صفاته فكانه قال انما يخشاه
مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته **وقرا** الجمهور بنصب الجلالة
ورفع العلماء وروي عن عمر بن عبد العزيز وابي حنيفة عكس ذلك وتاولت
هذه القراءة على ان الخشية استعارة للتعظيم لان من خشي وهاب اجل
وعظم من خشيه وهابه ولعل ذلك لا يصح عنهما وقد راينا كتبنا في
الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة وانما ذكرها الزمخشري وذكرها عن ابي حيوة

ابو القسم

ابو القسم يوسف بن جبارة في كتابه الكامل ان الله عزيز غفور تعليل للخشية
اذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم والمغفرة على اثابة الطائعين
والعفو عنهم ان الذين يتلون ظاهره يقرؤون كتاب الله اي يداومون
تلاوته وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه اية القراء ويتبعون
كتاب الله فيعملون بما فيه وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقال السدي
هم اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقال عطا هم المومنون
ولما ذكر تعالى وصفهم بالخشية وهي عمل القلب ذكر انهم يتلون كتاب الله
وهو عمل اللسان ويقيمون الصلوة وهو عمل الجوارح وينفقون وهو العمل
المالي يرجون تجارة وهذا اشارة الى الاخلاص اي يفعلون تلك الافعال
من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق يقصدون بذلك وجه الله لا للرياء
والسمعة تجارة لن تبور لن تكسد ولا يتعذر الربح فيها بل تنفق عند الله
ليوفيهم متعلق بيرجون او بلن تبور او بمضمر تقديره فعلوا ذلك اقوال
وقال الزمخشري وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا
راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور
شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة انتهى
واجورهم هي التي رتب تعالى على اعمالهم وزيادته من فضله قال
ابو وايل بتشفيعهم فيمن احسن اليهم وقال الضحاك بتفسيح القلوب
وفي الحديث بتضعيف حسناتهم وقيل بالنظر الى وجهه والكتاب هو القران
ومن للتبيين او الجنس او التبعيض تخريجات للزمخشري ومصدقا حال موكدة
لما بين يديه من الكتب الالهية التوراة والانجيل والزبور وغيرها وفيه اشارة
الى كونه وحيا لانه عليه السلام لم يكن قارئا كاتبا واتى ببيان ما في كتب الله
ولا يكون ذلك الا من الله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير خبير عالم بدقائق
الاشياء وبواطنها بصير بما ظهر منها وحيث اهلك لوحيه واختصك برسالته
وكتابه والله اعلم حيث يجعل رسالاته ثم اورثنا الكتاب وثم قيل بمعنى
الواو وقيل للمهلة اما في الزمان واما في الاخبار على ما ياتي بيانه
والكتاب فيه قولان احدهما ان المعنى انزلنا الكتاب الكتب الالهية فالكتاب
على هذا اسم جنس والمصطفون الانبياء واتباعهم قاله الحسن وقال ابن عباس
هم هذه الامة اورثت امة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله الله وقال
ابن جرير اورثهم الايمان بالكتب فامر باتباع القران فهم مومنون بها
عاملون بمقتضاها يدل عليه والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم
اتبعه بقوله ثم اورثنا الكتاب فعلمنا انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم
اذ كان معنى الميراث انتقال شي من قوم الى قوم ولم تكن امة انتقل
اليها كتاب من قوم كانوا قبلهم غير امته فاذا قلنا هم الانبياء واتباعهم
كان المعنى اورثنا كل كتاب انزل على نبي ذلك النبي واتباعه والقول
الثاني ان الكتاب هو القران والمصطفون امة الرسول ومعنى اورثنا

قال مجاهد اعطيناه لان الميراث عطاء ثم قسم الوارثين الى هذه الاقسام الثلثة
قال مكي فقيل هم المذكورون في الواقعة فالسابق بالخيرات هو المقرب
والمقتصد اصحاب الميمنة والظالم لنفسه اصحاب المشئمة وهو قول يروى
معناه عن عكرمة والحسن وقتادة قالوا الضمير في منهم عائد على العباد
فالظالم لنفسه الكافر والمنافق والمقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي على
الاطلاق وقالوا هو نظير ما في الواقعة والاكثرون على ان هؤلاء الثلثة
هم في امة الرسول ومن كان من اصحاب المشأمة مكذبا ضالا لم يورث الكتاب
ولا اصطفاه الله وانما الذي في الواقعة اصناف الخلق من الاولين والاخرين
قال عثمان بن عفان سابقنا اهل جهاد ومقتصدنا اهل حضرنا وظالمنا اهل
بدونا لا يشهدون جماعة ولا جمعة وقال معاذ الظالم لنفسه الذي مات
على كبيرة لم يتب منها والمقتصد من مات على صغيرة ولم يصب كبيرة لم يتب منها
والسابق من مات تائبا من كبيرة او صغيرة او لم يصب ذلك ٥ وقيل الظالم
لنفسه العاصي المسرف والمقتصد متقي الكبائر والسابق المتقي على الاطلاق
وقال الحسن الظالم من خفت حسناته والمقتصد من استوت والسابق من رجحت
وقال الزمخشري قسمهم الى ظالم مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو
الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق من السابقين انتهى وذكر في التحرير
ثلاثة واربعين قولا في هؤلاء الاصناف الثلثة وقرأ ابو عمران الجوني وعمر
بن ابي شجاع ويعقوب في رواية والقزاز عن ابي عمرو سباق والجمهور سابق
قيل وقدم الظالم لانه لا يتكل الا على رحمة الله وقال الزمخشري للايذان
بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصد قليل بالاضافة اليهم والسابقون
اقل من القليل انتهى باذن الله بتيسيره وتمكينه اي ان سبقه ليس من جهة
ذاته بل ذلك منه تعالى والظاهر ان الاشارة بذلك الى ايراث الكتاب واصطفا
هذه الامة وجنات على هذا مبتدا ويدخلونها الخبر وجنات قراءة الجمهور
جمعا بالرفع ويكون ذلك اخبارا بعقبى اولئك المحبورين المصطفين وقال
الزمخشري وابن عطية جنات بدل من الفضل قال الزمخشري **فان قلت** فكيف
جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار
اليه بذلك **قلت** لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو
الثواب فابدلت عنه جنات عدن انتهى ويدل على انه مبتدا قراءة الجحدري
وهرون عن عاصم جنات منصوبا على الاشتغال اي يدخلون جنات عدن
يدخلونها وقرأ زر بن حبيش والزهري جنة على الافراد بالرفع وقرأ ابو عمرو
يدخلونها مبنيا للمفعول وروي عن ابن كثير والجمهور مبنيا للفاعل والظاهر ان
الضمير المرفوع في يدخلونها عائد على الاصناف الثلثة وهو قول عبد الله بن مسعود
وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وابي الدرداء وعقبة بن عامر وابي سعيد وعائشة
ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق وابي اسحاق السبيعي وكعب الاحبار وقرأ

عمر

عمر هذه الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له ومن جعل الثلثة الاصناف هي التي في الواقعة كان الضمير في
يدخلونها عائدا عنده على المقتصد والسابق وقال الزمخشري هو عائد على
السابق فقط ولذلك جعل ذلك اشارة الى السبق المفهوم من قوله سابق
قال الزمخشري وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم فذكر ثوابهم والسكوت
عن الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه
حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه
عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها
اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع انتهى وهو على طريقة المعتزلة
وقرأ الجمهور يحلون بضم الياء وفتح الحاء وشد اللام مبنيا للمفعول **وقرئ**
بفتح الياء وسكون الحاء وخف اللام من حليت المرأة فهي حال اذا لبست الحلي
ويقال جيد حال اذا كان فيه الحلي وتقدم في سورة الحج الكلام على يحلون
فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير **وقرأ** الجمهور الحزن
بفتحتين **وقرئ** بضم الحاء وسكون الزاي ذكره جناح بن حبيش والحزن
يعم جميع الاحزان وقد خص المفسرون هنا واكثروا وينبغي ان يحمل ذلك على التمثيل
لا على التعيين فقال ابو الدرداء حزن اهوال يوم القيمة وما يصيب هنالك
من ظلم نفسه من الغم والحزن وقال ابن عباس حزن جهنم وقال عطية والضحا
حزن الموت يقولونها اذا ذبح الموت وقال سمرة بن جندب معيشة الدنيا
الخبز ونحوه وقال قتادة حزن الدنيا في الخوف ان لا تتقبل اعمالهم وقال
مقاتل حزن الانتقال يقولونها اذا استقروا فيها وقال الكلبي خوف الشيطان
وقال ابن زيد حزن نظار الاخرة والوقوف عن قبول الطاعات وردها وطول
المكث على الصراط وقال القسم بن محمد حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف
العاقبة وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من
احزان الدين والدنيا حتى هذا ان ربنا لغفور شكور لغفور فيه اشارة الى
دخول الظالم لنفسه الجنة وشكور فيه اشارة الى السابق وانه كثير الحسنات
والمقامة هي الاقامة اي الجنة لانها دار اقامة دائما لا يرحل عنها من فضله
من عطائه لا يمسنا فيها نصب اي تعب بدن ولا يمسنا فيها لغوب اي تعب
نفس وهو لازم عن تعب البدن ٥ وقال قتادة اللغوب الوضع وقال الزمخشري
النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب
فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب
نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة انتهى **فان قلت** اذا انتفى
السبب انتفى مسببه فما حكمة نفي السبب ثم انتفاء مسببه وانت تقول
ما شبعت ولا اكلت ولا يحسن ما اكلت ولا شبعت لانه يلزم من انتفاء الاكل

انتفا السبب ولا ينعكس فلو جاء على هذا الاسلوب لكان التركيب لا يمسنا فيها عيا
ولا مشقة **قلت** انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها
على قسمين موضع تمس فيه المشاق والمتاعب كالبراري والصحاري وموضع
يستريح فيه الاعيا كالبيوت والمنازل التي فيها الاسفار فقال لا يمسنا فيها نصب
لانها ليست مظان المتاعب كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا نخرج
منها الى مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا **وقرأ** الجمهور لغوب
بضم اللام وعلي بن ابي طالب والسلمي بفتحها قال الفرا هو ما يلغب به كالفطور
والسحور وجاز ان يكون صفة للمصدر المحذوف كانه لغوب لغوب كقولهم موت
مائت ٥ وقال صاحب اللوامح يجوز ان يكون مصدرا كالقبول وان شئت
جعلته صفة لمصدر اي امر لغوب واللغوب ايضا في غير هذا الاحمق قال
اعرابي ان فلانا لغوب جاءته كتابي فاحتقرها اي احمق فقيل له لم انثت
فقال اليس صحيفة ٥ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ٥ لما
ذكر حال المومنين ونعيمهم ذكر حال الكافرين وهذا يدل على ان اوليك الثلاثة
هم في الجنة اذ الذين كفروا هم مقابلوهم لا يقضى عليهم اي لا يجهز عليهم
فيموتوا لانهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا **وقرأ** الجمهور فيموتوا
بحذف النون منصوبا في جواب النفي وهو على احد معنيي النصب فالمعنى
انتفا القضا عليهم فانتفى مسببه اي لا يقضى عليهم ولا يموتون كقولك
ما تاتينا فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان فكيف يكون حديث انتفى الاتيان
فانتفى الحديث ولا يصح ان يكون على المعنى الثاني من معنيي النصب لان المعنى
ما تاتينا محدثا انما تاتي ولا تحدث وليس المعنى هنا لا يقضى عليهم ميتين
انما يقضى عليهم ولا يموتون **وقرأ** عيسى والحسن فيموتون بالنون ووجهها
ان تكون معطوفة على لا يقضى قال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة انتهى وقال
ابو عثمان المازني هو عطف اي فلا يموتون كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون
اي فلا يعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يعارض هذا قوله كلما
خبت زدناهم سعيرا لان المعنى لا يخفف عنهم نوع عذابهم والنوع في
نفسه يدخله التخبو والتسعر قال ابن عطية **وقرأ** عبد الوارث عن ابي عمرو

ولا

قوله عز وجل والذين كفروا

ولا يخفف باشكال الفاء شبه المنفصل بالمتصل **كقوله** ٥
فاليوم اشرب غير مستحقب **وقرأ** الجمهور نجزي كل مبنيا للفاعل ونصب كل
وابو عمرو وابو حاتم عن نافع بالياء مبنيا للمفعول كل بالرفع ٥ وهم يصطرخون
يفتعلون من الصراخ يفتعل وابدلت من التاء طاء واصله يصترخون والصراخ شدة
الصياح **قال الشاعر** ٥

كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها ٥ واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته

وقال الشاعر ٥

وطول اصطراخ المرء في بعد قعرها وجهد شقي طال في النار ما عوى ٥

ربنا اخرجنا اي قائلين ربنا اخرجنا منها اي من النار وردنا الى الدنيا
نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا اله الا الله غير الذي كنا نعمل اي من الشرك
ونمتثل امر الرسل فنومن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية وقال الزمخشري
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة
غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي
عملوه **قلت** فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف
به واما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا
يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله انتهى
ويدل انهم يجابون بعد مقدار الدنيا اولم نعمركم وهو استفهام توبيخ وتوقيف
وتقرير وما مصدرية ظرفية اي مدة يذكر **وقرأ** الجمهور ما يتذكر فيه
من تذكر **وقرأ** الاعمش ما يذكر فيه من اذكر بالادغام واجتلاب همزة الوصل
ملفوظا بها في الدرج وهذه المدة قال الحسن البلوغ يريد انه اول
حال التذكر وقيل سبع عشرة سنة وقال قتادة ثمان عشرة سنة
وقال عمر بن عبد العزيز عشرون وقال ابن عباس اربعون وقيل
خمسون وقال علي ستون وروي ذلك عن ابن عباس وجاءكم معطوف
على اولم نعمركم لان معناه قد عمرناكم كقوله اولم نربك فينا وليدا وقوله
الم نشرح لك صدرك ثم قال ولبثت وقال ووضعنا لان المعنى قد ربيناك
وشرحنا والنذير جنس وهم الانبيا كل نبي نذير امته **وقري** النذر جمعا
وقيل النذير الشيب قاله ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين
ابن الفضل والفرا والطبري وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال
العقل فذوقوا اي عذاب جهنم **وقرأ** جناح بن حبيش عالم منونا غيب
نصبا والجمهور على الاضافة ومجي هذه الجملة عقيب ما قبلها انه تعالى
ذكر ان الكافر يعذب دايما ومدة كفره كانت مدة يسيرة منقطعة فاخبر
تعالى انه عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه الصدور
من المضمرات وكان يعلم من الكافر انه تمكن الكفر في قلبه بحيث لو دام الى
الابد ما امن بالله ولا عبده وخلائف جمع خليفة وخلفا جمع خليف ويقال

المستخلف خليفة وخليف وفي هذا تنبيه على انه تعالى استخلفهم بدلا من كان
قبلهم فلم يتعظوا بحال من تقدمهم من تكذيب الرسل وما حل بهم من الهلاك ولا
اعتبروا بمن كفر ولم يتعظ بمن تقدم فعليه كفره اي عقاب كفره والظاهر انه خطاب
عام وقيل لاهل مكة والمقت اشد الاحتقار والبغض والغضب والخسار خسار
العمر كان العمر راس مال فاذا انقضى في غير طاعة الله فقد خسره واستعاض به
بدل الربح بما يفعل من الطاعات سخط الله وغضبه بحيث صاروا الى النار ﴿
قل ارايتم شركاءكم﴾ قال الحوفي الف الاستفهام في ذلك للتقرير وفي التحرير ارايتم
المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعي ذلك يقول القائل ارايت ماذا
فعل زيد فيقول السامع باع او اشترى ولولا تضمنه معنى اخبروني لكان
الجواب نعم او لا وقال ابن عطية ارايتم ينزل عند سيبويه منزلة اخبروني
ولذلك لا يحتاج الى مفعولين وقال الزمخشري اروني بدل من ارايتم لان
معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما
استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا
بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب
من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب
او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا
وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى
اما قوله اروني بدل من ارايتم فلا يصح لانه اذا ابدل مما دخل عليه
الاستفهام فلا بد من دخول الاداة على البدل وايضا فابدال الجملة من
الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتاتى ذلك
هنا لانه لا عامل في ارايتم فيتخيل دخوله على اروني وقد تكلمنا في الانعام
على ارايتم كلاما شافيا والذي اذهب اليه هنا ان ارايتم بمعنى اخبروني
وهي تطلب مفعولين احدهما منصوب والآخر مشتمل على استفهام تقول
العرب ارايت زيدا ما صنع فالاول هنا شركاءكم والثاني ماذا خلقوا
واروني جملة اعتراضية فيها تاكيد للكلام وتشديد ويحتمل ان يكون
ذلك ايضا من باب الاعمال لانه توارد على ماذا خلقوا ارايتم واروني
لان اروني قد تعلق عن مفعولها الثاني كما علقت راى التي لم تدخل عليها
همزة النقل عن مفعولها في قولهم اما ترى اي برق هاهنا ويكون قد اعمل
الثاني على المختار عند البصريين وقيل يحتمل ان يكون ارايتم استفهاما حقيقيا
واروني امر تعجيز للتبيين اي اعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي
عليه من العجز او تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف
تعبدونها او توهمتم لها قدرة فاروني قدرتها في اي شيء هي اهي في الارض
كما قال بعضهم ان الله اله في السماء وهؤلاء الهة في الارض قالوا ومنها
من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان السماء

خلقت

خلقت باستعانة الملائكة فالملائكة شركاء في خلقها وهذه الاصنام صورها
ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا
ولكنهم مقربون عند الله فنعبدهم لتشفع لنا فهل معهم من الله كتاب
فيه اذن لهم بالشفاعة انتهى واضاف الشركاء اليهم من حيث هم جعلوهم
شركاء لله اي ليس للاصنام شركة بوجه الا بقولهم وجعلهم وقيل ويحتمل
شركاءكم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والظاهر
ان الضمير في اتيناهم عائد على الشركاء لتناسب الضمائر اي هل مع جعل شريكا
لله كتاب من الله فيه ان له شفاعة عنده فانه لا يشفع عنده الا باذنه
وقيل عائد على المشركين ويكون التفاتا خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة
اعراضا عنهم وتنزيلا لهم منزلة الغائب الذي لا يحصل له الخطاب ومعناه
ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد ما لا يخلق من الارض جزءا
من الاجزاء ولا له شرك في السماء واما بالنقل ولم نؤت المشركين كتابا فيه
امر بعبادة هؤلاء فهذه عبادة لا عقلية ولا نقلية انتهى وقرا ابن وثاب
والاعمش وحمزة وابو عمرو وابن كثير وحفص وابان عن عاصم على بينة بالافراد
وباقي السبعة بالجمع ولما بين تعالى فساد امر الاصنام ووقف على الحجة على
بطلانها عقب بذكر عظمته وقدرته ليتبين الشيء بضده وتتاكد حقارة
الاصنام بذكر عظمة الله فقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
والظاهر ان معناه ان تنتقلا عن اماكنهما وتسقط السموات عن علوها وقيل
معناه ان تزولا عن الدوران انتهى ولا يصح لان الارض لا تدور ويظهر من قول
ابن مسعود ان السماء لا تدور وانما تجري فيها الكواكب وقال كعب في زوال
ان تدورا ولو دارت لكانت قد زالت وان تزولا في موضع المفعول له وقدر
لئلا تزولا وكراهة ان تزولا وقال الزجاج يمسك يمنع من ان تزولا فيكون
مفعولا ثانيا على اسقاط حرف الجر ويجوز ان يكون بدلا اي يمنع زوال السموات
والارض بدل اشتمال ولئن زالتا ان يدخل غالبا على الممكن فان قدرنا
دخولها هنا على الممكن فيكون ذلك باعتبار يوم القيامة عند طي السماء ونسف
الجبال فان ذلك ممكن بل واقع بالخبر الصادق اي ولئن جاء وقت زوالهما
ويجوز ان يكون ذلك على سبيل الفرض اي ولئن فرضنا زوالهما فيكون مثل لو في
المعنى وقد قرا ابن ابي عبلة ولو زالتا وان نافية وامسكهما في معنى المضارع
جواب للقسم المقدر قبل اللام الموطئة في لئن وانما هو في معنى المضارع
لدخول ان الشرطية كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك اي ما يتبعون وكقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي
ليظلن يقدر هذا كله مضارعا لاجل ان الشرطية وجواب ان في هذه المواضع
وما اشبهها محذوف لدلالة جواب القسم عليه وليس ان انا شد مسد
الجوابين انتهى يعني انه دل على الجواب المحذوف وان اخذ كلامه على ظاهره
لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط

قوله عز وجل واقسموا بالله

ولا موضع له من الاعراب باغنيا رجواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا لغير
معمول ومن في من احد لتاكيد الاستغراق وفي من بعده لابتداء الغاية اي من بعد
ترك امساكه وسال ابن عباس رجلا اقبل من الشام من لقيت قال كعبا قال
وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب
كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية وقال ابن مسعود لجندب البجلي
وكان رحل الى كعب الاحبار في كلام آخر ما تمكنت اليهودية في قلب فكادت
ان تفارقه وقالت طائفة اتصافه بالحلم والغفران في هذه الاية انما هو اشارة
الى ان السما كادت تزول والارض كذلك لاشراك الكفرة فيمسكهما حلما منه عن
المشركين وتربصا ليغفر لمن آمن منهم كما قال في آخر آية اخرى تكاد السموات
يتفطرن منه الاية وقال الزمخشري حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث
يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه الاية ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض
ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ۝ الضمير في واقسموا لقريش
ولما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل قيل وكانوا يلعنون اليهود
والنصارى حيث كذبوا رسلهم وقالوا لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من
احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه لئن جاءهم حكاية
لمعنى كلامهم لا للفظهم اذ لو كان اللفظ لكان التركيب لئن جانا نذير من
احدى الامم اي من واحدة مهتدية من الامم او من الامة التي يقال فيها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها كما قالوا هو واحد الاحدين وهي احدى الاحد
يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له ۝

وقال الشاعر

حتى استثاروا بي احدى الاحد ۝ ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي ۝

فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وهو الظاهر وقال
مقاتل هو انشقاق القمر ما زادهم اي ما زادهم هو او مجيئه الا نفورا بعدا
من الحق وهربا منه واسناد الزيادة اليه مجاز لانه هو السبب في ان زادوا
انفسهم نفورا كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وصاروا اضل مما كانوا
وجواب لما ما زادهم وفيه دليل واضح على حرفية لما لا ظرفيتها اذ لو كانت
ظرفا لم يجز ان يتقدم على عاملها المنفي بما وقد ذكرنا ذلك في قوله
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم وفي قوله ولما دخلوا من حيث امرهم

ابوهم ما كان يغني عنهم والظاهر ان استكبارا مفعول من اجله اي سبب
النفور وهو الاستكبار ومكر السيء معطوف على استكبارا فهو مفعول من اجله
ايضا اي الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار والمكر السيء وهو
الخداع الذي ترومونه برسول الله والكيد له وقال قتادة المكر السيء
هو الشرك وقيل استكبارا بدل من نفورا وقاله الاخفش وقيل حال يعني
مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومكر السيء من
اضافة الموصوف الى صفته ولذلك جاء على الاصل ولا يحيق المكر السيء
وقيل يجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا وقرأ الجمهور ومكر السيء
بكسر الهمزة والاعمش وحمزة باسكانها فاما اجراء للوصل مجرى الوقف
واما اسكانا لتوالي الحركات واجراء للمنفصل مجرى المتصل كقوله لنا ابلان
وزعم الزجاج ان هذه القراءة لحن قال ابو جعفر وانما صار لحنا لانه حذف
الاعراب منه وزعم محمد بن يزيد ان هذا لا يجوز في كلام ولا شعر لان حركات
الاعراب دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين ان يكون
الاعمش يقرا بهذا وقال انما كان يقف عليه فغلط من ادى عنه والدليل
على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن تمام الكلام اعربه والحركة
في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقال الزجاج
ايضا قراءة حمزة ومكر السيء موقوفا عند الحذاق بالنحو لحن لا يجوز وانما
يجوز في الشعر للاضطرار وانكر ابو علي في الحجة من الانشاد والاحتجاج
للاسكان من اجل توالي الحركات والاضطرار والوصل بنية الوقف قال
فاذا ساغ ما ذكرناه في هذه القراءة من التاويل لم يسغ ان يقال لحن وقال
ابن القشيري ما ثبت بالاستفاضة او التواتر انه قرئ به فلا بد من جوازه
ولا يجوز ان يقال لحن ۝ وقال الزمخشري لعله اختلس فظن سكونا
او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وروى عن ابن كثير ومكر السأي
بهمزة ساكنة بعد السين وياء بعدها مكسورة وهو مقلوب السيء المخفف
من السيء كما قال الشاعر

ولا يجزون من حسن بسيء ۝ ولا يجزون من غلظ بلين ۝

وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا عطف نكرة على نكرة ولا يحيق اي يحيط ويحل
ولا يستعمل الا في المكروه وقرئ يحيق بضم الياء المكر السيء بالنصب اي
ولا يحيق الله الا باهله اما في الدنيا فعاقبة ذلك على اهله وقال
ابو عبد الله الرازي فان قلت كثيرا نرى الماكرين يفيده مكره ويغلب خصمه
بالمكر والاية تدل على عدم ذلك فالجواب من وجوه احدها ان المكر
في الاية هو المكر بالرسول من العزم على القتل والاخراج فلم يحق الا بهم
حيث قتلوا ببدر وثانيها انه عام وهو الاصح فانه عليه السلام نهى
عن المكر وقال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فانه تعالى ولا يحيق المكر
السيء الا باهله فعلى هذا يكون ذلك الممكور به اهلا فلا يرد نقضا

وثالثها ان الامور بعواقبها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك انتهى وقال كعب لابن عباس في التوراة من حفر حفرة لاخيه وقع فيها فقال له ابن عباس انا اوجدك هذا في كتاب الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله انتهى وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وسنة الاولين انزال العذاب على الذين كفروا برسلهم من الامم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وسنة الاولين اضاف فيه المصدر الى المفعول وفي لسنة الله اضافة الى الفاعل فاضيفت اولا اليهم لانها سنت بهم وثانيا اليه لانه هو الذي سنها وبين تعالى ان الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها بغيرها ولا يحولها الى غير اهلها وان ذلك كاين لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودیارهم كديار ثمود ونحوها وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في سورة الروم وهناك كانوا اشد منهم قوة استيناف اخبار عما كانوا عليه ومنا وكانوا اي وقد كانوا فالجملة حال فهما مقصدان وما كان الله ليعجزه اي ليفوته ويسبقه من شيء اي شيء ومن لاستغراق الاشياء انه كان عليما قديرا فبعلمه يعلم جميع الاشياء فلا يغيب عن علمه شيء وبقدرته لا يتعذر عليه شيء ثم ذكر تعالى حلمه تعالى عن عباده في تعجيل العقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اي من الشرك وتكذيب الرسل وهو المعني في الاية التي في النحل وهو قوله بظلمهم وتقدم الكلام على نظير هذه الاية في النحل وهناك عليها وهنا على ظهرها والضمير عائد على الارض الا ان هناك يدل عليه سياق الكلام وهنا يمكن ان يعود على ملفوظ به وهو قوله في السموات ولا في الارض ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظهر كالدابة الحاملة للاثقال ولانه ايضا هو الظاهر بخلاف باطنها فان الله كان بعباده بصيرا توعد للمكذبين اي فيجازيهم باعمالهم ه **قمح** البعير راسه رفعه اثر شرب الماء ويأتي الكلام فيه مستوفي **العرجون** عود العذق من بين الشماريخ الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف **الجدث** القبر وسمع فيه جدف بابدال الثاء فاء كما قالوا فم في ثم كما ابدلوا من الفاء ثاء قالوا في مغفور مغثور وهو ضرب من الكماة **المسخ** تحويل من صورة الى صورة منكرة **الرميم** البالي المتفتت ه

ه سورة يس ه

بسم الله الرحمن الرحيم ه يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ه وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ه انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره

مفردات سورة يس

بمغفرة

بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين هذه السورة مكية الا ان فرقة زعمت ان قوله ونكتب ما قدموا واثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول وليس زعما صحيحا وقيل الا قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الاية وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في اول البقرة قال ابن جبير هنا انه اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين وقال السيد الحميري ه

ه يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة على المودة الا آل ياسينا ه

وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية وعنه هو في لغة طي وذلك انهم يقولون ايسان بمعنى انسان ويجمعونه على اياسين فهذا منه وقالت فرقة يا حرف نداء والسين مقامة مقام انسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه وقال الزمخشري ان صح ان معناه يا انسان في لغة طي فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله انتهى والذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولا نعلم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه بقية انيسين فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم ولا يبقى موقوفا لانه منادى مقبل عليه مع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة وقوله كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله هذا قول ومن النحو من يقول انه حرف قسم وليس مبقى من ايمن **وقرئ** بفتح الياء وامالتها محضا وبين اللفظين **وقرا** الجمهور بسكون النون مدغمة في الواو ومن السبعة الكسائي وابو بكر وورش وابن عامر مظهرة عند باقي السبعة **وقرا** ابن ابي اسحاق وعيسى بفتح النون وقال قتادة يس قسم قال ابو حاتم فقياس هذا القول فتح النون كما تقول الله لافعلن وقال الزجاج النصب كانه قال اتل يس وهذا على مذهب سيبويه انه اسم للسورة **وقرا** الكلبي بضم النون وقال هي بلغة طي يا انسان **وقرا** ابو السمال وابن ابي اسحاق ايضا بكسرها قيل والحركة لالتقاء الساكنين فالفتح كاين طلبا للتخفيف والضم كحيث والكسر على اصل التقائهما واذا قيل انه قسم فيجوز ان يكون معربا بالنصب على ما قال ابو حاتم والرفع على الابتداء نحو امانة الله لاقومن والجر على اضمار حرف الجر وهو جائز عند الكوفيين والحكيم اما فعيل بمعنى مفعل كاعقدت العسل فهو عقيد اي معقد واما للمبالغة من حاكم واما على معنى النسب اي ذي حكمة على صراط خبر ثان او في موضع الحال منه عليه السلام او من المرسلين او متعلق بالمرسلين والصراط المستقيم شريعة الاسلام **وقرا** طلحة والاشهب وعيسى بخلاف عنهما وابن عامر وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب على المصدر وباقي السبعة وابو بكر وابو جعفر وشيبة والحسن والاعرج والاعمش بالرفع خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل وابو حيوة واليزيدي والقورصي عن ابي جعفر وشيبة بالجر بدلا من القرآن

بين

وأما على الوصف بالمصدر لتنذر متعلق بتنزيل أو بأرسلناك مضمرة ما أنذر قال عكرمة
بمعنى الذي أي الشيء الذي أنذره آباؤهم من العذاب فما مفعول ثان كقوله إنا أنذرناكم
عذابا قريبا قال ابن عطية ويحتمل أن تكون ما مصدرية أي إنذار آبائهم والآباء
على هذا هم الأقدمون من ولد إسماعيل وكانت النذارة فيهم فهم على هذا التأويل
بمعنى فإنهم دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة الواقعة صلة فتتعلق بقوله
إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل
وقال قتادة ما نافية أي إن آباءهم لم ينذروا فآباؤهم على هذا هم القريبون منهم
وما أنذر في موضع الصفة أي غير منذر آباؤهم وفهم غافلون متعلق بالنفي أي لم ينذروا
فهم غافلون على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم وباعتبار الآباء في القدم
والقرب يزول التعارض بين الإنذار ونفيه لقد حق القول على أكثرهم المشهور
أن القول لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل لقد سبق في علمه
وجوب العذاب وقيل حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من التوحيد
وغيره وبان برهانه فأكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك والظاهر أن قوله إنا جعلنا
في أعناقهم أغلالا الآية حقيقة لا استعارة لما أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون
أخبر عن شيء من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار قال ابن عطية وقوله فأغشيناهم
فهم لا يبصرون يضعف هذا لأن بصر الكافر يومئذ إنما هو حديد يرى قبح حاله انتهى
ولا يضعف هذا ألا ترى إلى قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله
قال رب لم حشرتني أعمى فإما أن يكون ذلك حالين وإما أن يكون قوله فبصرك
اليوم حديد كناية عن إدراكه ما يؤول إليه حتى كأنه يبصره وقال الجمهور ذلك
استعارة قال ابن عباس وابن إسحاق استعارة لحالة الكفرة الذين
أرادوا الرسول بسوء فجعل الله هذا مثلا في كفه إياهم عنه ومنعهم
من أذاه حين بيتوه وقال الضحاك والفراء استعارة لمنعهم من النفقة في
سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وقال عكرمة نزلت
حين أراد أبو جهل ضربه بالحجر العظيم وفي غير ذلك من المواطن فمنعه الله
وهذا قريب من قول ابن عباس فروي أن أبا جهل حمل حجرا ليدمغ به النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فالتصقت يده إلى عنقه حتى عاد إلى أصحابه والحجر في يده
قد لزق فما فكوه إلا بجهد فأخذه آخر فلما دنا من الرسول طمس الله بصره فلم ير فعاد
إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فجعل الغل يكون استعارة عن منع أبي جهل وغيره
في هذه القصة ولما كان أصحاب أبي جهل راضين بما أراد أن يفعل نسب
ذلك إلى الجمع وقالت فرقة استعارة لمنع الله إياهم من الإيمان وحوله بينهم
وبينه قال ابن عطية وهذا أرجح الأقوال لأنه تعالى لما ذكر أنهم لا يؤمنون لما
سبق لهم في الأزل عقب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة
ما حالهم معه حال المغلولين انتهى وقال الزمخشري مثل تصميمهم على الكفر
وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون
إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين

سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم
متعامون عن النظر في آيات الله انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ألا ترى
إلى قول أهل السنة استعارة لمنع الله إياهم من الإيمان وقول الزمخشري مثل
تصميمهم ونسبة الأفعال التي بعدها إليهم لا إلى الله والغل ما أحاط بالعنق
على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب والأسر ومع العنق اليدان واليد
الواحدة على معنى التغليل والظاهر عود الضمير في فهي إلى الأغلال لأنها هي المذكورة
والمحدث عنها قال ابن عطية هي عريضة تبلغ بحرفها الأذقان والذقن
مجتمع اللحيين فيضطر المغلول إلى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو الإقماح وهو
نحو الإقناع في الهيئة وقال الزمخشري الأغلال واصلة إلى الأذقان
ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى
طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن فلا
تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا انتهى وقال الفراء
المقمح الذي يغض بصره بعد رفع رأسه وقال الزجاج نحوه قال يقال
قمح البعير رأسه عن ري وقمح هو وقال أبو عبيد قمح قموحا رفع رأسه عن
الحوض ولم يشرب والجمع قماح ومنه قول بشر يصف سفينة أخذتهم الميد فيها

ونحن على جوانبها قعود ... نغض الطرف كالإبل القماح

وقال الليث هو رفع البعير رأسه إذا شرب الماء الكريه ثم يعود وقال
الزجاج قيل للكانونين شهرا قماح لأن الإبل إذا وردت الماء ترفع رؤوسها
لشدة برده وأنشد أبو زيد بيت الهذلي

فتى ما ابن الأغر إذا شتونا ... وحب الزاد في شهري قماح

رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وسميا شهري قماح
لكراهة كل ذي كبد شرب الماء فيه وقال الحسن القامح الطامح ببصره إلى
موضع قدمه وقال مجاهد الرافع الرأس الواضع يده على فيه وقال الطبري
الضمير في فهي عائد على الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكر لوضوح مكانها من المعنى وذلك
أن الغل إنما يكون في العنق مع اليدين ولذلك سمي الغل جامعة لجمعه اليد
والعنق وأرى علي كرم الله وجهه الناس الإقماح فجعل يديه تحت لحييه وألصقهما
ورفع رأسه وقال الزمخشري جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان
الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار
فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن
الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج انتهى وقرأ عبد الله وعكرمة
والنخعي وابن وثاب وطلحة وحمزة والكسائي وابن كثير وحفص سدا بفتح
السين فيهما والجمهور بالضم وتقدم شرح السد في الكهف وقرأ الجمهور
فأغشيناهم بالغين منقوطة وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن يعمر
وعكرمة والنخعي وابن سيرين والحسن وأبو رجاء وزيد بن علي ويزيد
البربري ويزيد بن المهلب وأبو حنيفة وابن مقسم بالعين من العشاء وهو

ضعف البصر عن بصره وأغشيناه أنا والقراءة المشهورة أغشيناهم أي أغشينا أبصارهم
جعلنا عليها غشاوة وسواء عليهم الآية تقدم الكلام على نظيرها تفسيرًا وإعرابًا
في أول البقرة إنما تنذر تقدم لتنذر قومًا لكنه لما كان محتومًا عليهم أن لا يؤمنوا
حتى قال وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لم يجد الإنذار لا نفعًا منفعته فقال
إنما تنذر أي إنذارًا ينفع من اتبع الذكر وهو القرآن قاله قتادة أو الوعظ وخشي الرحمن
أي المتصف بالرحمة مع أن الرحمة قد تعود إلى الرجاء لكنه مع علمه برحمته يخشاه
خوفًا من أن يسلبه ما أنعم به عليه بالغيب أي بالخلوة عند مغيب الإنسان عن عيون
البشر ولما أحدث فيه النذارة بشره بمغفرة لما سلف وأجر كريم على ما أسلف
من العمل الصالح وهو الجنة ولما ذكر تعالى أمر الرسالة وهي أحد الأصول الثلاثة
التي بها يصير المكلف مؤمنًا ذكر الحشر وهو أحد الأصول الثلاثة والثالث
هو التوحيد فقال إنا نحن نحيي الموتى أي بعد مماتهم وأبعد الحسن والضحاك في قوله
أحياء وهو إخراجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب ما قدموا كناية عن المجازاة
أي وتخص فعبر عن إحاطة علمه بأعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الأشياء **وقرأ**
زر ومسروق ويكتب ما قدموا وآثارهم بالياء مبنيًا للمفعول وما قدموا من
الأعمال وآثارهم خطاهم إلى المساجد وقيل السير الحسنة والسيئة وقيل
ما قدموا من النيات وآثارهم من الأعمال وقال الزمخشري ونكتب ما أسلفوا
من الأعمال الصالحات غيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب
صنفوه أو حبيس احتبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيء
كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث
فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها
ونحوه قوله عز وجل ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر
من آثاره انتهى **وقرأ** الجمهور وكل شيء بالنصب على الاشتغال **وقرأ** أبو السمال
بالرفع على الابتداء والإمام المبين اللوح المحفوظ قاله مجاهد وقتادة وابن زيد
وقالت فرقة أراد صحف الأعمال ٥ واضرب لهم مثلًا أصحاب القرية إذ جاءها
المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا
إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم
إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين
قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم
معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال
يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون وما لي لا أعبد
الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا
تغن عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون إني إذًا لفي ضلال مبين إني آمنت
بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين ٥ تقدم الكلام على اضرب مع المثل في قوله أن يضرب
مثلًا ما بعوضة والقرية انطاكية فلا خلاف أي قصة أصحاب القرية إذ

قوله عز وجل واضرب لهم

جاءها

جاءها المرسلون هم ثلاثة جمعهم في المجيء وإن اختلفوا في زمان المجيء إذ أرسلنا
إليهم اثنين الظاهر من أرسلنا أنهم أنبياء أرسلهم الله ويدل عليه قول
المرسل إليهم ما أنتم إلا بشر مثلنا وهذه المحاورة لا تكون إلا مع من أرسله
الله وهذا قول ابن عباس وكعب وقال قتادة وغيره هم من الحواريين
بعثهم عيسى عليه السلام حين رفع وصلب الذي ألقي عليه الشبه فافترق
الحواريون في الآفاق فقص الله قصة الذين ذهبوا إلى انطاكية وكان أهلها
عباد أصنام والاثنان صادق وصدوق قاله وهب وكعب وحكى النقاش
سمعان ويحيى وقال مقاتل تومان وبولس فكذبوهما أي دعواهم إلى الله وأخبرا
بأنهما رسولا الله فكذبوهما فعززنا بثالث أي قوينا وشددنا قاله مجاهد
وابن قتيبة وقال يقال تعزز لحم الناقة إذا صلب وقال غيره يقال
المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها ويقال للأرض الصلبة العزاز وهذا
على قراءة تشديد الزاي وهي قراءة الجمهور **وقرأ** الحسن وأبو حيوة وأبو بكر والمفضل
وأبان بالتخفيف قال أبو علي فغلبنا انتهى وذلك من قولهم من عز بز وقوله تعالى
وعزني في الخطاب **وقرأ** عبد الله بالثالث بألف ولام والثالث شمعون
الصفا قاله ابن عباس وقال كعب ووهب شلوم وقيل بولس وحذف مفعول
فعززنا مشددًا أي قويناهما بثالث مخففًا فغلبناهم أي بحجة ثالث وما تلطف
به من التوصل إلى الدعاء إلى الله حتى آمن الملك على ما ذكر في قصتهم وستأتي بها
سيء أو ينبذ منها إن شاء الله وجاء أولًا مرسلون بغير لام لأنه ابتداء أخبار فلا يحتاج
إلى توكيد وبعد المحاورة لمرسلون بلام التأكيد لأنه جواب عن إنكار وهو لأمة
أنكرت النبوات بقولها وما أنزل الرحمن من شيء وراجعتهم الرسل بأن رده وا
العلم إلى الله وقنعوا بعلمه وأعلموهم أنهم إنما عليهم البلاغ فقط وما عليهم
من هدايتهم وضلالهم وفي هذا وعيد لهم ووصف البلاغ بالمبين وهو الواضح
بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال كما روي في هذه القصة من المعجزات الدالة
على صدق الرسل من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت قالوا إنا تطيرنا بكم أي
تشاءمنا قال مقاتل احتبس عليهم المطر وقال آخر أسرع فيهم الجذام
عند تكذيبهم الرسل قال ابن عطية والظاهر أن تطير هؤلاء كان بسبب ما
دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس وهذا على نحو تطير قريش بمحمد
صلى الله عليه وسلم وعلى نحو ما خوطب به موسى عليه السلام وقال الزمخشري
وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا
بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه
وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكي عن
القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك انتهى وعن قتادة إن أصابنا شيء كان
من أجلكم لنرجمنكم بالحجارة قاله قتادة عذاب أليم هو الحريق قالوا طائركم
معكم أي حظكم وما صار لكم من خير وشر معكم أي من أفعالكم ليس هو من أجلنا

بل يكفركم وقرأ الحسن وابن هرمز وعمرو بن عبيد وزر بن حبيش طيركم بياء ساكنة
بعد الطاء وقرأ الحسن فيما نقل اطيركم مصدر اطيرا الذي اصله تطير فادغمت
التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل في الماضي والمصدر وقرأ الجمهور طائركم
على وزن فاعل وقرأ الجمهور ائن ذكرتم بهمزتين الاولى همزة الاستفهام
والثانية همزة ان الشرطية فخففهما الكوفيون وابن عامر وسهلها باقي
السبعة وقرأ زر بهمزتين مفتوحتين وهي قراءة ابي جعفر وطلحة الا انهما لينا
الثانية بين بين وقال الشاعر في تحقيقهما

أأن كنت داود بن احوى مرجلا ۞ فلست براع لابن عمك محرما

والماجشون وهو ابو سلمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن ابي سلمة المدني بهمزة
واحدة مفتوحة والحسن بها مكسورة وابو عمرو في رواية وزر ايضا بمدة قبل
الهمزة المفتوحة استثقل اجتماعهما ففصل بينهما بالف وقرأ ابو جعفر ايضا
والحسن ايضا وقتادة وعيسى الهمداني والاعمش أين بهمزة مفتوحة وياء ساكنة
وفتح النون ظرف مكان وروي هذا عن عيسى الثقفي ايضا فالقراءة الاولى
على معنى ائن ذكرتم تتطيرون فجعل المحذوف مصب الاستفهام على مذهب س
وتجعله للشرط على مذهب يونس فان قدرته مضارعا كان مجزوما والقراءة
الثانية على معنى ألأن ذكرتم تطيرتم فان مفعول من اجله وكذلك الهمزة
الواحدة المفتوحة والتي بمدة قبل الهمزة المفتوحة وقراءة الهمزة المكسورة
وحدها فحرف شرط بمعنى الاخبار اي ان ذكرتم تطيرتم والقراءة الاخيرة اين فيها
ظرف اداة شرط حذف جزاؤه للدلالة عليه وتقديره اين ذكرتم صحبكم طائركم
ويدل عليه قوله طائركم معكم ومن جوز تقديم الجزاء على الشرط وهم الكوفيون وابو زيد
والمبرد يجوز ان يكون الجواب طائركم معكم وكان اصله اين ذكرتم فطائركم معكم
فلما قدم حذفت الفاء وقرأ الجمهور ذكرتم بتشديد الكاف وابو جعفر وخالد
ابن الياس وطلحة والحسن وقتادة وابو حيوة والاعمش من طريق زائدة والاصمعي
عن نافع بتخفيفها بل انتم قوم مسرفون مجاوزون الحد في ضلالكم فمن ثم اتاكم
الشوم وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى اسمه حبيب قاله ابن عباس وابو مجلز
وكعب الاحبار ومجاهد ومقاتل قيل وهو ابن اسرائيل وكان قصارا وقيل اسكافا
وقيل كان ينحت الاصنام ويمكن ان يكون جامعا لهذه الصنائع ومن اقصى المدينة اي من
ابعد مواضعها فقيل كان في خارج المدينة يعاني زرعا له وقيل كان في غار يعبد
ربه وقيل كان مجذوما فمنزله اقصى باب من ابوابها عبد الاصنام سبعين سنة يدعوهم
لكشف ضره فلما دعاه الرسل الى عبادة الله قال هل من آية قالوا نعم ندعو ربنا
القادر يفرج عنك ما بك فقال ان هذا لعجيب لي سبعون سنة ادعو هذه الالهة
فلم تستطع يفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع
شيئا ولا تضر فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كان لم يكن به بأس فاقبل على
التكسب فاذا امسى تصدق بكسبه نصف لعياله ونصف يطعمه فلما هم قومه
بقتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين وحبيب هذا ممن آمن برسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي غيره احد الا بعد ظهوره وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا
قط طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون واورد الزمخشري
قول ابن ابي ليلى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم قبل من حاله انه كان
مجذوما عبد الاصنام سبعين سنة فالله اعلم وهنا تقدم من اقصى المدينة وفي
القصص تأخر وهو من التفنن في البلاغة رجل يسعى يمشي على قدميه قال يا قوم
اتبعوا المرسلين الظاهر انه لا يقول ذلك الا بعد تقدم ايمانه كما سبق في قصته
وقيل جاء يسعى وسمع قولهم وفهمه فلما فهمه روي انه تعقب امرهم وسبره
بان قال لهم اتطلبون اجرا على دعوتكم هذه قالوا لا فدعا عند ذلك قومه
الى اتباعهم والايمان بهم واحتج عليهم بقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم
مهتدون اي وهم على هدى من الله امرهم اولا باتباع المرسلين اي هم رسل الله
اليكم فاتبعوهم ثم امرهم ثانيا بجملة جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقص
منكم من حطام دنياكم شيء وفي كونهم مهتدين بهداهم فيشتملون على خير الدنيا
وخير الآخرة وقد اجاز بعض النحويين في من ان تكون بدلا من المرسلين ظهر فيه
العامل كما ظهر اذا كان حرف جر كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والجمهور
لا يعربون ما صرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلا بل يجعلون ذلك مخصوصا
بحرف الجر واذا كان الرافع والناصب سموا ذلك بالتتبيع لا بالبدل وفي قوله
اتبعوا من لا يسألكم اجرا دليل على نقص من يأخذ اجرا على شيء من افعال الشرع التي
هي لازمة له كالصلاة ولما امرهم باتباع المرسلين اخذ يبدي الدليل في اتباعهم
وعبادة الله فابرزه في صورة نصحه لنفسه وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ويداريهم
ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه فوضع قوله
وما لي لا اعبد الذي فطرني موضع وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ولذلك
قال واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال واليه ارجع ثم اتبع الكلام
كذلك مخاطبا لنفسه فقال أأتخذ من دونه آلهة قاصرة عن كل شيء لا تنفع
ولا تضر ولا تنفع فان ارادكم الله بضر وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم
يقدروا على انقاذكم فبدأ اولا بانتفاء الجاه عن كون شفاعتهم لا تنفع
ثم ثانيا بانتفاء القدرة فعبر بانتفاء الانقاذ عنه اذ هو نتيجته وفتح ياء
المتكلم في يردني طلحة السمان كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب ابن خالويه
طلحة بن مصرف وعيسى الهمداني وابو جعفر ورويت عن نافع وعاصم وابي عمرو
وقال الزمخشري وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني
ضرا اي يجعلني موردا للضر انتهى وهذا والله اعلم رآه في كتب القراءات
يردني بفتح الياء فتوهم انها ياء المضارعة فجعل الفعل متعديا بالياء المعدية
كالهمزة فلذلك ادخل عليه همزة التعدية ونصب به اثنين والذي في كتب
القراءات الشواذ انها ياء الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقاء الساكنين
قال في كتاب ابن خالويه بفتح الياء ياء الاضافة وقال في اللوامح ان يردني

الرحمن بالفتح وسوا اصل الياء عند البصرية لكن هذه محذوفة يعني البصرية اي
المثبتة بالخط التحريري بالبصر لكونها مكتوبة بخلاف المحذوفة خطا ولفظا فلا
ترى بالبصر الى اذا ان لم اعبد الذي فطرني واتخذت الهة مردود ونه في حيرة
واضحة لكل ذي عقل صحيح ثم صرح بايمانه وصدع بالحق فقال مخاطبا لقومه
اني آمنت بربكم اي الذي كفرتم به فاسمعون اي اسمعوا قولي واطيعون فقد نبهتكم
على الحق وان العبادة لا تكون الا لمن منه نشاتكم واليه مرجعكم والظاهر ان
الخطاب بالكاف والميم وبالواو هو لقومه والامر على جهة المبالغة والتنبيه
قاله ابن عباس وكعب ووهب وقيل خاطب بقوله فاسمعون الرسل على جهة
الاستشهاد بهم والاستحفاظ للامر عندهم وقيل الخطاب في بربكم وفي فاسمعون
للرسل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل فاسرع قبل ان تقتل فقال
ذلك اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به قيل ادخل الجنة ظاهره انه امر حقيقي وقيل
معناه وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخولها ولا يكون الا بعد البعث ولم
يات في القرآن انه قتل فقال الحسن لما اراد قومه قتله رفعه الله الى السما
فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة دخلها
وقيل لما قال ذلك رفعوه الى الملك فطول معهم الكلام ليشغلهم عن قتل الرسل
الى ان صرح لهم بايمانه فوثبوا عليه فقتلوه قيل وقتلوا الرسل فقال ابن مسعود
قتلوه بوطي الارجل حتى خرج قصبه من دبره والقي في بير وهي الرس وقال السدي
رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى مات وقال الكلبي رموه في حفرة
وردموا التراب عليه فمات وعن الحسن حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة وقبره
في سور انطاكية وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه وعن قتادة ادخله
الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
وفي النسخة التي طالعنا من تفسير ابن عطية ما نصه وقراءة الجمهور فاسمعون بفتح
النون قال ابو حاتم هذا خطأ لا يجوز لانه امر فاما حذف النون واما كسرها
على جهة الياء انتهى يعني ياء المتكلم والنون للوقاية وقوله وقراءة الجمهور وهم
فاحش ولا يكون والله اعلم الا من الناسخ بل القراء مجمعون فيما اعلم على كسر النون
سبعتهم وشواذهم الا ما روي عصمة عن عاصم من فتح النون ذكره في الكامل مؤلفه
ابو القسم الهذلي ولعل ذلك وهم من عصمة وقال ابن عطية هنا محذوف تواترت
به الاحاديث والروايات وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة وذلك
والله اعلم بان عرض عليه مقعده منها وتحقق انه من ساكنيها برؤيته ما اقر عينه
فلما حصل ذلك تمنى ان يعلم قومه بذلك انتهى وقوله قيل ادخل الجنة كانه
جواب لسائل عن حاله عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه فقيل قيل له
ادخل الجنة ولم يات التركيب قيل له لانه معلوم ان المخاطب وتمنيه علم قومه
بذلك هو مرتب على تقدير سؤال عن ما وجد من قوله عند ذلك القول قيل واراد
بتمنيه ذلك اشفاقا ونصحا لهم اي لو علموا ذلك لآمنوا بالله وفي الحديث
نصح قومه حيا وميتا وقيل تمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا في امره وهو

على

على صواب فيندموا ويحزنهم ذلك ويبر بذلك وموجود في طباع البشر ان من اصاب
خيرا في غير موطنه ود ان يعلم بذلك جيرانه واترابه الذين نشا فيهم وبلغنا ان
الوزير فلك الدين المسيري وكان وزيرا لملك مصر راح الى قريته التي كان منها وهي
مسير وهي من اصغر قرى مصر فقيل له في ذلك فقال اردت ان يراني عجايز مسير
في هذه الحالة التي انا فيها وقال الشاعر

• والعز مطلوب وملتمس • واحبه ما نيل في الوطن •

والظاهر ان ما في قوله بما غفر لي مصدرية جوزوا ان تكون بمعنى الذي والعايد
محذوف تقديره بالذي غفره لي ربي من الذنوب وليس هذا بجيد اذ يؤول الى تمني
علمهم بالذنوب المغفورة والذي يحسن تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من
المكرمين واجاز الفراء ان تكون ما استفهاما وقال الكسائي لو صح هذا يعني لا
لقال بم من غير الف وقال الفراء يجوز ان يقال بما بالالف وانشد فيه ابياتا
وقال الزمخشري ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد ما كان
منه معهم من المصابرة لاعزاز دين الله حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي ربي بطرح الالف
اجود وان كان اثباتها جايزا فقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت انتهى
والمشهور ان اثبات الالف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر مختص
بالضرورة نحو قوله

• على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد •

وحذفها هو المعروف في الكلام نحو قوله

• على م تقول الرمح يثقل كاهلي • اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت •

من المكرمين مشددا الراء مفتوحها مفتوح الكاف والجمهور باسكان الكاف
وتخفيف الراء ق وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها
حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون
لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج
كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا
صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين ح اخبر تعالى
باهلاك قوم حبيب بصيحة واحدة صاح بهم جبريل وفي ذلك توعد لقريش
ان يصيبهم ما اصابهم اذ هم المضروب لهم المثل واخبر تعالى انه لم ينزل
عليهم لاهلاكهم جندا من السما كالحجارة والريح وغير ذلك وكانوا اهون عليه

قوله عز وجل وما انزلنا

وقوله من بعده يدل على ابتداء الغاية اي لم يرسل اليهم رسولا ولا عاتبهم بعد
قتله بل عاجلهم بالهلاك والظاهر ان ما في قوله وما كنا منزلين نافية
فالمعنى قريب من معنى الجملة قبلها اي وما كان يصح في حكمنا ان ننزل في اهلاكهم
جندا من السماء لانه تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض
كما قال فكلا اخذنا بذنبه الاية وقالت فرقة ما اسم معطوف على جند
جند قال ابن عطية اي من جند ومن الذي كنا منزلين على الامم مثلهم انتهى وهو
تقدير لا يصح لان من في من جند زائدة ومذهب البصريين غير الاخفش ان لزيادتها
شرطين احدهما ان يكون قبلها نفي او نهي او استفهام والثاني ان يكون بعدها نكرة
واذا كان كذلك فلا يجوز ان يكون المعطوف على النكرة معرفة لا يجوز ما ضربت
من رجل ولا زيد وانه لا يجوز ولا من زيد وهو قدر المعطوف بالذي وهو معرفة فلا
يعطف على النكرة المجرورة بمن الزائدة وقال ابو البقا ويجوز ان يكون ما زائدة
اي وقد كنا منزلين وقوله ليس بشيء وقرا ان كانت الا صيحة بنصب الصيحة
وكان ناقصة واسمها مضمر اي ان كانت الاخذة او العقوبة وقرا ابو جعفر وشيبة
ومعاذ بن الحرث القاري صيحة بالرفع في الموضعين على ان كانت تامة اي ما حدثت
او وقعت الا صيحة وكان الاصل ان لا يلحق التاء لانه اذا كان الفعل مسندا
الى ما بعد الا من المونث لم يلحق العلامة للتانيث فيقول ما قام الا هند ولا
يجوز ما قامت الا هند عند اصحابنا الا في الشعر وجوزه بعضهم في الكلام
على قلة ومثله قراءة الحسن ومالك بن دينار وابي رجاء والجحدري وقتادة
وابي حيوة وابن ابي عبلة وابي بحرية لا ترى الا مساكنهم بالتاء والقراءة
المشهورة بالياء **وقول ذي الرمة**

وما بقيت الا الضلوع الجراشع ۞ **وقول الاخر**

۞ ما برئت من ريبة وذم ۞ في حربنا الا بنات العم ۞

وانكر ابو حاتم وكثير من النحويين هذه القراءة بسبب لحوق تاء التانيث
فاذا هم خامدون اي فاجاهم الخمود اثر الصيحة لم يتاخر وكنى بالخمود عن
سكونهم بعد حياتهم كنار خمدت بعد توقدها ونداء الحسرة على معنى هذا
وقت حضورك وظهورك هذا تقدير نداء مثل هذا عند س وهو منادى منكور
على قراءة الجمهور وقرا ابي وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك ومجاهد
والحسن يا حسرة العباد على الاضافة فيجوز ان تكون الحسرة منهم على ما فاتهم
ويجوز ان تكون الحسرة من غيرهم عليهم لما فاتهم من اتباع الرسل حين احضروا
للعذاب وطباع البشر تتاثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر عليهم وقرا
ابو الزناد عبد الله بن ذكوان المدني وابن هرمز وابن جندب يا حسره على العباد
بسكون الهاء في الحالين حمل فيه الوصل على الوقف ووقفوا على الهاء مبالغة
في التحسر لما في الهاء من التاهه كالتاوه ثم وصلوا على تلك الحال قاله صاحب
اللوامح وقال ابن خالويه يا حسرة على العباد بغير تنوين ابن عباس انتهى ووجهه
انه اجتزا بالفتحة عن الالف التي هي بدل من ياء المتكلم في النداء كما اجتزا بالكسرة

عن

عن الياء فيه وقد قرئ يا حسرتا بالالف اي يا حسرتي وتكون من الله على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم وفرط انكاره وتعجيبه منه والظاهر
ان العباد هم مكذبوا الرسل تحسرت عليهم الملايكة قاله الضحاك وقال
الضحاك ايضا المعنى يا حسرة الملايكة على عباد الله الرسل حين لم يتبعهم الايمان
بهم وقال ابو العالية المراد بالعباد الرسل الثلاثة وكان هذا التحسر
هو من الكفار حين راوا عذاب الله تلهفوا على ما فاتهم قال ابن عطية وقوله
ما ياتيهم الاية تدفع هذا التاويل انتهى قال الزجاج الحسرة امر يركب الانسان
من كثرة الندم على ما لا نهاية له حتى يبقى حسيرا وقيل المنادى محذوف
وانتصب حسرة على المصدر اي يا هولاء تحسروا حسرة وقيل يا حسرة على العباد
من قول الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب القوم لقتله وقيل
هو من قول الرسل الثلاثة قالوا ذلك حين قتلوا ذلك الرجل وحل بهم العذاب
قالوا يا حسرة على هولاء كانهم تمنوا ان يكونوا قد امنوا انتهى فالالف واللام للعهد
اذا قلنا ان العباد المراد بهم الرسل الثلاثة او من ارسلوا اليه وهم الهالكون
بسبب كفرهم وتكذيبهم اياهم والظاهر انها لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين
والمتحسر ان الملايكة او الله تعالى او المومنون او الرسل الثلاثة او ذلك
الرجل اقوال ما ياتيهم الى اخر الاية تمثيل لقريش وهم الذين عاد عليهم الضمير
في قوله الم يروا كم اهلكنا قال ابن عطية وكم هنا خبرية وانهم بدل منها والروية
روية البصر انتهى وهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية فهي في موضع نصب باهلكنا
ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع ان يكون انهم بدلا منها لان البدل
على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لم يصح الا ترى انك لو قلت
اهلكنا انتفاء رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم ان
يروا مفعوله كم فتوهم ان قولهم انهم لا يرجعون بدل لانه يسوغ ان يتسلط عليه
فتقول الم يروا انهم لا يرجعون وهذا وامثاله دليل على ضعفه في علم العربية
وقال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا ان القرون التي اهلكنا
اليهم لا يرجعون لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى انتهى وهذا الذي قاله الزجاج
ليس بشيء لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ صنعة النحو وقال ابو البقا
انهم اليهم لا يرجعون بدل من موضع كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم
انتهى وليس بشيء لان كم ليس معمولا ليروا ونقل عن الفراء انه يعمل يروا في الجملتين
من غير ابدال وقولهم في الجملتين يجوز لان انهم وما بعده ليس بجملة ولم
يبين كيفية هذا العمل وقال الزمخشري الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن
العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها
الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا
لمنطلق وان لم تعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من اهلكنا على
المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير
راجعين اليهم انتهى فجعل يروا بمعنى يعلموا وعلقها عن العمل في كم وقوله

لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر وهذا ليس على اطلاقه لان
العامل اذا كان حرف جر او اسما مضافا جاز ان يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم
رئيس صحبت وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله
احسنت اليه وقوله او للخبر الخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها
عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون في ملكت
كم غلاما اي ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز ان يتقدم العامل على كثير كذلك
يجوز ان يتقدم على كم لانها بمعناها وقوله لان اصلها الاستفهام ليس اصلها
الاستفهام بل كل واحدة اصل في بابها لكنها لفظ مشترك بين الاستفهام والخبر
وقوله الا ان معناها نافذ في الجملة يعني معنى يروا نافذ في الجملة لانه جعلها
معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا المنطلق فان
زيدا المنطلق معمول من حيث المعنى ليروا ولو كان عاملا من حيث اللفظ لم تدخل اللام
وكانت ان مفتوحة فان وفي خبرها اللام من الادوات التي تعلق افعال
القلوب وقوله وانهم اليهم لا يرجعون الى آخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا
لا على اللفظ ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم ان يروا معلقة فيكون
كم استفهاما وهو معمول لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون
وتقدم لنا ذلك واما على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اي على المعنى
الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير
كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل ولا بعضا من الاهلاك ولا يكون
بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال يصح ان يضاف الى ما
ابدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم يروا انتفاء رجوع
كثرة اهلاكنا القرون اليهم وفي بدل الاشتمال نحو اعجبتني الجارية ملاحتها
وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد وتقدم لنا
الكلام على اعراب مثل هذه الجملة في قوله اولم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن في سورة الانعام والذي تقتضيه صناعة العربية ان انهم معمول
لمحذوف ودل عليه المعنى وتقديره قضينا او حكمنا انهم اليهم لا يرجعون
وقرأ ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستئناف وقطع الجملة عن ما قبلها
من جهة الاعراب ودل ذلك على ان قراءة الفتح مقطوعة عما قبلها من جهة
الاعراب لتتفق القراءتان ولا تختلفا والضمير في انهم عائد على معنى كم وهي
القرون واليهم عائد على من اسند اليه يروا وهم قريش فالمعنى انهم لا يرجعون
الى من في الدنيا وقيل الضمير في انهم عائد على من اسند اليه يروا وفي اليهم
عائد على المهلكين والمعنى ان الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة
اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم والاهلاك مع قطع النسل اتم واعم وقرأ
عبد الله الم يروا من اهلكنا وانهم على هذا بدل اشتمال وفي قوله انهم اليهم
لا يرجعون رد على القائلين بالرجعة وقيل لابن عباس ان قوما يزعمون
ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه

وقسمنا ميراثه وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر بتشديد لما وباقي السبعة
بتخفيفها فمن ثقلها كانت عنده بمعنى الا وان نافية اي ما كل اي كلهم الا جميع
لدينا محضرون اي محشورون قاله قتادة وقال ابن سلام معذبون وقيل
التقدير لمن ما وليس بشيء ومن خفف لما جعل ان المخففة من الثقيلة وما زائدة
اي ان كل لجميع وهذا على مذهب البصريين واما الكوفيون فان عندهم نافية واللام
بمعنى الا وما زائدة ولما المشددة بمعنى الا ثابت في لسان العرب بنقل الثقات فلا
يلتفت الى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك وقال ابو عبد الله الرازي في كون
لما بمعنى الا معنى مناسب وهو ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتأكد النفي
والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما مكان الآخر انتهى وهذا اخذه من قول
الفراء في الا في الاستثناء انها مركبة من ان ولا الا ان الفراء جعل ان المخففة
من الثقيلة حرف نفي وهو قول مرذول عند النحاة وكيف وما تركب منه وزاد
تحريفا ان ان منه وكل بمعنى الاحاطة وجميع فعيل بمعنى مفعول ويدل على الاجتماع
وجمع محضرون هنا على المعنى كما افرد منتصر على اللفظ وكلاهما بعد جميع مراعى فيه
الفواصل وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الاهلاك تبيينا انه تعالى ليس من
اهلكه يترك بل بعد اهلاكهم جمع وحساب وثواب وعقاب ولذلك اعقب
هذا بما يدل على الحشر من قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها وما بعده من
الآيات وبدأ بالارض لانها مستقرهم حركة وسكونا حياة وموتا وموت الارض
جدبها واحياؤها بالغيث والضمير في لهم عائد على كفار قريش ومن يجري
مجراهم في انكار الحشر واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية
وكذلك نسلخ وقيل احييناها في موضع الحال والعامل فيها آية بما فيها
من معنى الاعلام ويكون آية خبرا مقدما والارض الميتة مبتدأ فالنية
بآية التأخير والتقدير والارض الميتة آية لهم محياة كقولك قائم زيد
مسرعا اي زيد قائم مسرعا ولهم متعلق بآية لا صفة وقال الزمخشري ويجوز
ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقا لا ارض
وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ۵
ولقد امر على اللئيم يسبني ۵ وهذا هدم لما استقر عند ائمة النحو من ان النكرة
لا تنعت الا بالنكرة والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة ولا دليل لمن ذهب
الى ذلك واما يسبني فحال اي سابا لي وقد تبع الزمخشري ابن مالك على
ذلك في التسهيل من تاليفه وفي هذه الجمل تعداد نعم احياؤها بحيث تصير
مخضرة تبهج النفس والعين واخراج الحب منها حيث صار ما يعيشون به
في المكان الذي هم فيه مستقرون لا في السماء ولا في الهواء وجعل الجنات
لانه اذا اكلوا من الحب ربما تاقت النفس الى النقلة فالارض يوجد منها الحب
والشجر يوجد منه الثمر وتفجير العيون يحصل به الاعتماد على تحصيل الزرع
والثمر ولو كان من السماء لم يدر اين يغرس ولا اين يقع المطر وقرأ جناح
ابن حبيش وفجرنا بالتخفيف والجمهور بالتشديد ومن ثمره بفتحتين وطلحة

وابن وثاب وحمزة والكسائي بضمتين والأعمش بضم الثاء وسكون الميم والضمير
في ثمره عائد على الماء لدلالة العيون عليه أو لكونه على حذف مضاف أي من ماء العيون
وقيل على النخيل واكتفى به للعلم في اشتراك الأعناب فيما علق به النخيل من أكل ثمره
أو يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال الشاعر

فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له كيف قلت كأنه والذي تقدم خطوط فقال أردت كأن ذلك
وقيل عائدا إلى التفجير الدال عليه وفجرنا لأنه أقرب مذكور وعنى بثمره فوائده
كما تقول ثمرة التجارة الربح وقال الزمخشري وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا
وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات والمعنى ليأكلوا
مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك
من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله
وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم ويجوز أن تكون ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم
تعمله أيدي الناس فلا يقدرون على خلقه وقرأ الجمهور وما عملته بالضمير
فإن كانت ما موصولة فالضمير عائد عليها وإن كانت نافية فالضمير عائد
على الثمر وقرأ طلحة وعيسى وحمزة والكسائي وأبو بكر بغير ضمير مفعول عملت
على التقديرين محذوف وجوز في هذه القراءة أن تكون ما مصدرية أي وعمل أيديهم
وهو مصدر أريد به المعمول فيعود إلى معنى الموصولة ولما عدد تعالى هذه النعم
حض على الشكر فقال أفلا يشكرون ثم نزه تعالى نفسه عن كل ما يلحد به
ملحد أو يشرك به مشرك فذكر إنشاء الأزواج وهي الأنواع من جميع الأشياء
مما تنبت الأرض من النخل والشجر والزرع والثمر وغير ذلك وكل صنف زوج
مختلف لونا وطعما وشكلا وصغرا وكبرا ومن أنفسهم ذكورا وإناثا ومما لا يعلمون
أي وأنواعا مما لا يعلمون أعلموا بوجوده ولم يعلموا ما هو إذ لا تتعلق بعلمهم بماهيته
أمر محتاج إليه في دين ولا دنيا وفي إعلامه بكثرة مخلوقاته دليل على اتساع
ملكه وعظيم قدرته ولما ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الأرض وهي المكان الكلي
ذكر الاستدلال بالليل والنهار وهو الزمان الكلي وبينهما مناسبة لأن المكان
لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الأعراض لأن كل عرض فهو في زمان
ومثله مذكور في قوله ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال
تعالى ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة الآية وبدأ هناك بالزمان لأن
المقصود إثبات الوحدانية بدليل قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية
ثم الحشر بقوله إن الذي أحياها لمحيي الموتى وهنا المقصود الحشر والآيات
ذكر فيها أكثر وذكر التوحيد في فصلت أكثر بدليل قل أئنكم لتكفرون بالذي
خلق الأرض انتهى وهو من كلام أبي عبد الله الرازي وفيه بعض تلخيص ونسلخ
معناه نكشط وننزع وهو استعارة لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل
ومظلمون داخلون في الظلام كما تقول أعتمنا وأسحرنا دخلنا في العتمة
وفي السحر واستدل قوم بهذا على أن الليل أصل والنهار فرع طارئ عليه

ومستقر

ومستقر الشمس بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء في حديث
أبي ذر ويقال لها اطلعي من حيث طلعت فإذا كان طلوعها من مغربها يقال لها
اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيرا وقال ابن عباس إذا غربت وانتهت إلى الموضع الذي لا تتجاوزه
استوت تحت العرش إلى أن تطلع وقال الحسن للشمس في السنة ثلاثمائة وستون
مطلعا تنزل في كل يوم مطلعا ثم لا تنزل إلى الحول وهي تجري في تلك المنازل
أو يوم القيامة أو غيبوبتها لأنها تجري كل وقت إلى حد محدود تغرب فيه أو آخر
مطالعها في المنقلبين لأنهما نهايتا مطالعها فإذا استقر وصولها كرت
راجعة وإلا فهي لا تستقر عن حركتها طرفة عين ونحا إلى هذا ابن قتيبة أو وقوفها
عند الزوال كل يوم ودليل استقرارها وقوف الظلال حينئذ وقال الزمخشري
لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر
المسافر إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها
مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها
لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل
مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر
السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقال
أبو عبد الله الرازي ما ملخصه في المستقر وجوه في الزمان وفي المكان ففي الزمان
الليل أو السنة أو يوم القيامة وفي المكان غاية ارتفاعها في الصيف وانخفاضها
في الشتاء تجري إلى ذلك الموضع فترجع أو غاية مشارقها فلها في كل يوم مشرق إلى
ستة أشهر ثم تعود على تلك المقنطرات وهذا هو ما تقدم في الارتفاع فإن اختلاف
المشارق بسبب اختلاف الارتفاع أو وصولها إلى بيتها في الأسد أو الدائرة
التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس ويحتمل أن يقال
تجري مجرى مستقرها فإن أصحاب الهيئة قالوا إن الشمس في فلك والفلك يدير
فيدير الشمس فالشمس تجري مجرى مستقرها وقرئ إلى مستقر لها وقرأ عبد الله
وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وزين العابدين والباقر وابنه
الصادق وابن أبي عبلة لا مستقر لها نفيا مبنيا على الفتح فيقتضي انتفاء
كل مستقر وذلك في الدنيا أي هي تجري دائما لا تستقر إلا أن ابن أبي عبلة فإنه
قرأ برفع مستقر وتنوينه على إعمالها إعمال ليس نحو قول الشاعر

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ۞ ولا وزر مما قضى الله واقيا

لإشارة بذلك إلى جري الشمس أي ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب
الدقيق تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم
وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه والقمر
بالرفع على الابتداء وباقي السبعة بالنصب على الاشتغال وقدرناه على حذف
مضاف أي قدرنا سيره ومنازل ظرف أي في منازل وقيل قدرنا نوره
في منازل فيزيد مقدار النور كل يوم في المنازل الاجتماعية وينقص في

المنازل لاستقبالية وقيل قدرناه جعلنا اقدار اجراء به منازل لعكس انوار الشمس ولا يحتاج الى حذف حرف الصفة فان جرم القمر مظلم يقبل فيه النور لقبوله عكس ضياء الشمس مثل المرآة المجلوة اذا قوبل بها الشعاع وهذه المنازل معروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا تفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان ه البطين ه الثريا ه الدبران ه الهقعة الهنعة الذراع ه النثرة ه الطرف ه الجبهة ه الزبرة ه الصرفة ه العواء ه السماك ه الغفر ه الزباني ه الاكليل ه القلب ه الشولة ه النعايم ه البلدة ه سعد الذابح سعد بلع ه سعد السعود ه سعد الاخبية ه فرغ الدلو المقدم ه فرغ الدلو المؤخر بطن الحوت ه ويقال له الرشاء فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس واصفر فشبه بالعرجون القديم من ثلاثة الاوجه وقرا سليمان التيمي كالعرجون بكسر العين وفتح الجيم وللجمهور بضمهما وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم ما مر عليه زمان طويل وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم حول فلو قال الرجل كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول او اكثر انتهى والقدم امر نسبي فقد يطلق على ما دونه سنة وقد يطلق على ما ليس له سنة ولا سنتان فلا يقال لمدينة بنيت من مدة سنة او سنتين قديمة وقد لا يطلق على ما مرت له دهور فلا يقال العالم قديم والا تغير العادة في ذلك لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ينبغي هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه اي لم يجعل لها قدرة على ذلك وهذا الادراك المنفي هو قال الزمخشري ان الله تعالى جعل لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان يدرك القمر فيجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر فتطلع الشمس من مغربها انتهى ه وقال ابن عباس والضحاك اذا طلعت لم يكن للقمر ضوء واذا طلع لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة لكل حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وقال ابن عباس ايضا اذا اجتمعا في السماء كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان فيها وقال الحسن لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت طلع وقال يحيى بن سلام لا يدركه ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل لا يمكنها ان تدركه في سرعته لان دائرة فلك

القمر

القمر داخلة في فلك عطارد وفلك عطارد داخل في فلك الزهرة وفلك الزهرة داخل في فلك الشمس فاذا كان طريق الشمس ابعد قطع القمر جميع اجزاء فلكه اعني البروج الاثني عشر في زمان تقطع الشمس فيه برجا واحدا من فلكه وقال النحاس ما قيل فيه وابينه ان سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير انتهى وهو مختصر القول الذي قبله ولا الليل سابق النهار لا يعارض قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا لان ظاهر قوله يطلبه حثيثا ان النهار سابق فالليل يطلبه وظاهر قوله ولا الليل سابق النهار ان النهار سابق ايضا فيتوافق الظاهران وفهم ابو عبد الله الرازي من قوله يطلبه حثيثا ان النهار يطلب الليل فالليل سابقه وفهم من قوله ولا الليل سابق النهار ان الليل مسبوق لا سابق فاورده سؤالا وقال كيف يكون الليل سابقا مسبوقا واجاب بان المراد من الليل هنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الاخر كانه طالبه انتهى وعرض له هذا السؤال لكونه جعل الضمير الفاعل في يطلبه عائدا على النهار وضمير المفعول عائدا على الليل والظاهر ان ضمير الفاعل عائد على ما هو الفاعل في المعنى وهو الليل لانه كان قبل دخول همزة النقل يغشى الليل النهار وضمير المفعول عائد على النهار لانه المفعول قبل النقل وبعده وقرا عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير بن الخطفي سابق بغير تنوين النهار بالنصب قال المبرد سمعته يقرا فقلت ما هذا قال اردت سابق النهار فحذفت لانه اخف انتهى وحذف التنوين فيه لالتقاء الساكنين وتقدم شرح وكل في فلك يسبحون في سورة الانبياء والظاهر من الذرية انه يراد به الابناء ومن نشا منهم وقيل يطلق على الاباء وعلى الابناء قاله ابو عثمان وقال ابن عطية هذا تخليط ولا يعرف هذا في اللغة انتهى وتقدم الكلام في الذرية في آل عمران والظاهر ان الضمير في لهم وفي ذريتهم عائد على شيء واحد فالمعنى ان الله تعالى حمل ذريات هؤلاء وهم ابناؤهم الاقدمون في سفينة نوح عليه السلام قاله ابن عباس وجماعة ومن مثله للسفن الموجودة في جنس بني آدم الى يوم القيامة او اريد بقوله ذريتهم ثم حذف مضاف اي ذريات جنسهم او اريد بالذرية من لا يطيق المشي والركوب من الذرية والضعفاء فالفلك اسم جنس من عليهم بذلك وكون الفلك مرادا به الجنس قاله ابن عباس ايضا ومجاهد والسدي ومن مثله الابل وسائر ما يركب وقيل الضميران مختلفان اي ذرية القرون الماضية قاله علي بن سليمان وكان آية لهؤلاء اذ هم نسل تلك الذرية وقيل الذرية النطف والفلك المشحون بطون النساء ذكره الماوردي ونسب الى علي بن ابي طالب وهذا لا يصح لانه من نوع تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة الذين يفسرون كتاب الله على شيء لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة يحرفون الكلم عن مواضعه ويدل على انه اريد ظاهر الفلك قوله

وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعني الابل والخيل والبغال والحمير والمماثلة
في انه مركوب مبلغ للأوطان فقط هذا اذا كان الفلك جنسا واما ان اريد به
سفينة نوح فالمماثلة تكون في كونها سفنا مثلها وهي الموجودة في بني
ادم وبعد قول من قال الذرية في الفلك قوم نوح في سفينته والمثل
الابل وما يركب لانه يدفعه قوله وان نشأ نغرقهم وقرأ نافع وابن عامر
والاعمش وزيد بن علي وابان بن عثمان ذرياتهم بالجمع وكسر زيد وابان
الذال وباقي السبعة وطلحة وعيسى بالافراد وقال الزمخشري
ذرياتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن
مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء ومن مثله من مثل
الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة
نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم
هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم
وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح
ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن انتهى وقال ابو عبد الله
الرازي انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة في
وجودهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين
وقال ايضا الضمير في واية لهم عائد على العباد في قوله يا حسرة
على العباد ثم قال بعد واية لهم الارض الميتة احييناها واية لهم الليل
واية لهم انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون الضمير في الموضعين
لمعنيين فهو كقوله لا تقتلوا انفسكم انما يريد لا يقتل بعضكم بعضا فكذلك هذا
واية لهم اي اية كل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض
منهم انتهى والظاهر في قوله وخلقنا انه يريد الانشاء والاختراع فالمراد
الابل وما يركب وتكون من للبيان وان كان ما يصنعه الانسان قد ينسب
الى الله خلقا لكن الاكثر ما ذكرنا واذا اريد به السفن تكون من للتبعيض
ولهم الظاهر عوده على ما عاد عليه واية لهم لانهم المحدث عنهم وجوز
ان يعود على الذرية والظاهر ان الضمير في مثله عائد على الفلك وقيل يعود
على معلوم غير مذكور وتقديره من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض كما قالوا في قوله من ثمره اي من
ثمر ما ذكرنا وقرأ الحسن نغرقهم مشددا والجمهور مخففا والصريخ فعيل
بمعنى صارخ اي مستغيث وبمعنى مصرخ اي مغيث وهذا معناه هنا اي
فلا مغيث لهم ولا معين وقال الزمخشري او فلا اغاثة كانه جعله
مصدرا من فعل ويحتاج الى نقل ان صريخا يكون مصدرا بمعنى اصراخ
والظاهر انه قوله فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهؤلاء الذين شاء الله
اغراقهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الموت بالغرق نفى اولا الصريخ
وهو خاص ثم نفى ثانيا انقاذهم بصريخ او غيره وقال ابن عطية

وقوله

وقوله فلا صريخ لهم استيناف اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا
او مغرقين هم بهذه الحال لا نجاة لهم الا برحمة الله وليس قوله فلا صريخ
لهم مربوطا بالمغرقين وقد يصح ربطه به والاول احسن فتأمله انتهى
وليس بحسن ولا احسن والفاء في فلا صريخ لهم تعلق الجملة بما قبلها تعليقا
واضحا وترتيبه ربطا لا يحتاج والخلاص من العذاب بما يدفعه من اصله فنفي
بقوله فلا صريخ لهم واما بدفعه بعد وقوعه فنفي بقوله ولا هم ينقذون
وانتصب رحمة على الاستثناء المفرغ للمفعول من اجله اي لرحمة منا وقاله
الكسائي والزجاج الى حين اي الى حين الموت قاله قتادة وقال الزمخشري
الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد
النجاة من موت الغرق انتهى وانما قال لا بد لهم من موت الغرق لانه تعالى
قال وان نشأ اي اغراقهم نغرقهم فمن شاء اغراقه لا بد ان يموت بالغرق
والظاهر ان رحمة ومتاعا الى حين يكون للذين ينقذون فلا يفيد الدوام بل
ينقذه الله رحمة له ويمتعه الى حين ثم يميته وقيل فيه تقسيم الا رحمة لمن علم
انه مؤمن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يؤمن يمتعه زمانا او يزداد اثما

قوله عز وجل
واذا قيل لهم

٥ واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم
من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم
الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون
الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون ٥ الضمير في لهم لقريش وما بين ايديكم قال قتادة ومقاتل
عذاب الامم قبلكم وما خلفكم عذاب الاخرة وقال مجاهد عكسه وقال
الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وما يأتي منها وقال مجاهد ايضا كقول
الحسن ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر لعلكم ترحمون وجواب اذا محذوف
يدل عليه ما بعده اي اعرضوا وما تأتيهم من اية اي دأبهم الاعراض عند كل
اية تأتيهم واذا قيل لهم انفقوا لما اسلم حواشي الكفار من اقربائهم ومواليهم
من المستضعفين قطعوا عنهم ما كانوا يواسونهم به وكان ذلك بمكة اولا
قبل نزول ايات القتال فندبهم المؤمنون الى صلة قراباتهم فقالوا
انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقيل شحت قريش بسبب ازمة على المساكين
من مؤمن وغيره فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم الى النفقة عليهم فقالوا هذا
القول وقيل قال فقراء المؤمنين اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله

نحرموهم وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء وقال ابن عباس كان بمكة زنادقة
اذا امروا بالصدقة قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون
المومنين يعلقون الافعال بمشيئة الله لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء
لاعز ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين
وبما كانوا يقولون وقال القشيري نزلت في قوم من الزنادقة لا يومنون
بالصانع استهزاء بالمسلمين بهذا القول وقال الحسن واذا قيل لهم اي اليهود
امروا باطعام الفقراء وجواب لو يشاء قوله اطعمه وورود الموجب بغير لام فصيح
ومنه ان لو نشاء اصبناهم لو نشاء جعلناه اجاجا والاكثر مجيئه باللام والتصريح
بالوصفين من الكفر والايمان دليل على ان القول لهم من الكافرين والقائل لهم
من المومنين وان كل وصف حامل صاحبه على ما صدر منه اذ كل اتاه بما فيه بالذي فيه
برشح ٥ وامروا بالانفاق مما رزقكم الله وهو عام في الاطعام وغيره فاجابوا بغاية
المخالفة لان نفي اطعامهم يقتضي نفي الانفاق العام فكانهم قالوا لا ننفق ولا اقل
الاشياء التي كانوا يسمحون بها ويوثرون بها على انفسهم وهو الاطعام الذي به يفتخرون
وهذا على سبيل المبالغة كمن يقول لشخص اعط لزيد دينارا فيقول لا اعطيه
درهما فهذا ابلغ من لا اعطيه دينارا والظاهر ان قوله ان انتم الا في ضلال
مبين من تمام كلام الكفار يخاطبون المومنين اي حيث طلبتم ان نطعم من لا
يريد الله اطعامه اذ لو اراد اطعامه لاطعمه هو ويجوز ان يكون من قول الله
لهم استئناف زجر لهم به او من قول المومنين لهم ثم حكى تعالى عنهم
ما يقولون على سبيل الاستهزاء والتعجيل لما توعدون به اي متى يوم القيمة
الذي انتم توعدوننا به او متى هذا العذاب الذي تهددوننا به وهو سوال
على سبيل الاستهزاء منهم لما امروا بالتقوى ولا تتقى الا بما يخاف وهم غير
مومنين سالوا متى يقع هذا الذي تخوفنا به استهزاء منهم ٥ ما ينظرون
اي ما ينتظرون ولما كانت هذه الصيحة لا بد من وقوعها جعلوا كانهم منتظروها
وهذه هي النفخة الاولى تاخذهم فيهلكون وهم يتخاصمون اي في معاملاتهم
واسواقهم في اماكنهم من غير امهال لتوصية ولا رجوع الى اهل وفي الحديث
تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يرفع اكلته الى فيه فما تصل الى فيه
حتى تقوم وقيل لا يرجعون الى اهليهم قولا وقيل ولا الى اهلهم يرجعون
ابدا وقرا ابي يختصمون على الاصل والحرميان وابو عمرو والاعرج وشبل
وابن قسطنطين بادغام التاء في الصاد ونقل حركتها الى الخاء وابو عمرو ايضا
وقالون يخلف بالاختلاس وتشديد الصاد وعنهما اسكان الخاء وتخفيف
الصاد من حمزة وباقي السبعة بكسر الخاء وشد الصاد وفرقة بكسر الياء اتباعا
لكسرة الخاء وشد الصاد وقرا ابن محيصن يرجعون بضم الياء وفتح الجيم
وقرا الاعرج في الصور بفتح الواو والجمهور باسكانها وقرى من الاجداف بالفاء
بدل الثاء وقرا الجمهور بالثاء وينسلون بكسر السين وابن ابي اسحق وابو عمرو

بخلاف عنه بضمها وهذه النفخة هي الثانية التي يقوم الناس احياء عنها ولا تنافي
بين ينسلون وبين فاذا هم قيام ينظرون لانه لا ينسل الا قائما او لان تفاوت
الزمانين يجعله كانه زمان واحد وقرا ابن ابي ليلى يا ويلتنا بتاء التانيث
وعنه ايضا يا ويلتي بالتاء بعدها الف بدل من ياء الاضافة ومعنى هذه القراءة
ان كل واحد منهم يقول يا ويلتي والجمهور ومن بعثنا من استفهاما وبعث فعلا ماضيا
وعلي وابن عباس والضحاك وابو نهيك من حرف جر بعثنا مجرور به والمرقد استعار
من مضجع الميت واحتمل ان يكون مصدرا اي من رقادنا وهو اجود او يكون مكانا
فيكون المفرد فيه يراد به الجمع اي من مراقدنا وما روى عن ابي بن كعب ومجاهد
وقتادة من ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر فقالوا هو غير صحيح
الاسناد وقيل قالوا من مرقدنا لان عذاب القبر كالرقاد في جنب ما صاروا
اليه من عذاب جهنم والظاهر ان هذا ابتداء كلام فقيل من الله على سبيل التوبيخ
والتوقيف على انكارهم وقال الفراء من قول الملائكة وقال قتادة ومجاهد
من قول المومنين للكفار على سبيل التقريع وقال ابن زيد من قول الكفرة لما راوا
البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك ولا استفهام عن سوال
عن الذي بعثهم وتضمن قوله هذا ما وعد الرحمن ذكر الباعث اي الرحمن الذي
وعدكم وما يجوز ان تكون مصدرية على تسمية الموعود بالمصدر وفيه بالوعد
والصدق ويعني الذي اي هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون
اي صدق فيه من قولهم صدقت زيدا الحديث اي صدقته فيه ومنه قولهم
صدقني سن بكره اي في سن بكره وقال الزجاج ويجوز ان يكون هذا اشارة
الى المرقد ثم استانف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر حق او نحوه وتبعه الزمخشري
فقال ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا
وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق
عليكم انتهى وتقدمت قراءة الاصيحة بالرفع وتوجيهها فاليوم هو يوم القيمة
وانتصب على الظرف والعامل فيه لا يظلم والظاهر ان الخطاب لجميع العالم
ويندرج فيه من تقدم ذكره وقيل والصيحة قول اسرافيل عليه السلام ايتها العظام
النخرة والاوصال المتقطعة والشعور المتمزقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وهذا معنى قوله تعالى يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم
الخروج ٥ ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال

قوله عز وجل ان اصحاب الجنة

على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب
رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى
يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون

ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو
الا ذكر وقران مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين لما ذكر تعالى
احوال يوم القيامة اعقب ذلك بحال السعداء والاشقياء والظاهر انه اخبار
لنا بما يكونون فيه اذا صاروا الى ما اعد لهم من الثواب والعقاب وقيل هو حكاية
ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين
له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وفيما يثمره والظاهر ان الشغل هو النعيم
الذي قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال وقال قريبا منه مجاهد وبعضهم خصص
هذا الشغل بافتضاض الابكار قاله ابن عباس وعنه ايضا سماع الاوتار وعن
الحسن شغلوا عما فيه اهل النار وعن الكلبي عن اهاليهم من اهل النار لا يذكرونهم
لئلا يتنغصوا وعن ابن كيسان الشغل التزاور وقيل ضيافة الله وارد الشغل
محوطا فيه النعيم وهو واحد من حيث هو نعيم وقرأ الحرميان وابو عمرو بضم
الشين وسكون الغين وباقي السبعة بضمهما ومجاهد وابو السمال وابن هبيرة
فيما نقل ابن خالويه عنه بفتحتين ويزيد النحوي وابن هبيرة فيما نقل ابو الفضل
الرازي بفتح الشين واسكان العين وقرأ الجمهور فاكهون بالالف والحسن
وابو جعفر وقتادة وابو حيوة ومجاهد وشيبة وابو رجاء ويحيى بن صبيح
ونافع في رواية بغير الف وطلحة والاعمش فاكهين بالالف وبالياء
نصبا على الحال وفي شغل هو الخبر فبالالف اصحاب فاكهة كما يقال لابن
وتامر وشاحم ولاحم وبغير الف معناه فرحون طربون ماخوذ من الفكاهة
قيل والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به
وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فكهين بغير الف وبالياء وقرئ
فكهون بضم الكاف يقال رجل فكه وفكه نحو ندس وندس ويجوز في هم
ان يكون مبتدا وخبره في ظلال ومتكئون خبر ثان او خبره متكئون وفي ظلال
متعلق به او يكون تاكيدا للضمير المستكن في فاكهون وفي ظلال حال
ومتكئون خبر ثان لان او يكون تاكيدا للضمير المستكن في شغل المنتقل اليه
من العامل فيه وعلى هذا الوجه والذي قبله يكون الازواج قد شاركوهم
في التفكه والشغل والاتكاء على الارائك وذلك من جهة المنطوق وعلى الاول
شاركوهم في الظلال والاتكاء على الارائك من حيث المنطوق وهن قد شاركنهم
في التفكه والشغل من حيث المعنى وقرأ الجمهور في ظلال قال ابن عطية وهو
جمع ظل اذ الجنة لا شمس فيها وانما هواؤها سجسج كوقت الاسفار قبل
طلوع الشمس انتهى وجمع فعل على فعال في الكثرة نحو ذئب وذئاب واما ان
وقت الجنة كوقت الاسفار قبل طلوع الشمس فيحتاج هذا الى نقل صحيح
وكيف يكون ذلك وفي الحديث ما يدل على ان حوراء من حور الجنة لو ظهرت
لاضاءت منها الدنيا او نحو من هذا قال ويحتمل ان يكون جمع ظلة قاله
ابو علي كبرمة وبرام وقال منذر بن سعيد جمع ظلة بكسر الظاء قال ابن عطية
وهي لغة في ظلة انتهى فيكون مثل لقحة ولقاح وفعال لا ينقاس في فعلة

بل

بل يحفظ وقرأ عبد الله والسلمي وطلحة وحمزة والكسائي في ظلل جمع ظلة وجمع
فعلة على فعل مقيس وهي عبارة عن الملابس والمراتب من الحجال والستور
ونحوها من الاشياء التي تظل وقرأ عبد الله متكين تسهيل على الحال ويدعون
مضارع ادعى وهو افتعل من دعا ومعناه ولهم ما يتمنون قال ابو عبيدة العرب
تقول ادع علي ما شئت بمعنى تمن علي وتقول فلان في خير ما تمنى قال
الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم وقيل يدعون فيه
لانفسهم وقيل يتداعونه لقوله ارتموه وتراموه وقرأ الجمهور سلام بالرفع
قيل وهو صفة لما اي مسلم لهم وخالص انتهى ولا يصح ان كانت ما بمعنى الذي
لانها تكون اذ ذاك معرفة وسلام نكرة ولا تنعت المعرفة بالنكرة فان
كانت ما نكرة موصوفة جاز الا انه لا يكون فيه عموم لكما لها بمعنى الذي
وقيل سلام مبتدا ويكون خبره ذلك الفعل الناصب لقوله قولا اي سلام
يقال قولا من رب رحيم او يكون عليكم محذوفا اي سلام عليكم قولا من رب
رحيم وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو سلام وقال الزمخشري سلام بدل
مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم
والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في
تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين انتهى واذا كان سلام بدلا مما
يدعون كان ما يدعون خصوصا والظاهر انه عموم في كل ما يدعون واذا
كان عموما لم يكن سلام بدلا منه وقيل سلام خبر لما يدعون وما يدعون
مبتدا اي ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد
لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم قال الزمخشري والاوجه ان
ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه انتهى ويكون لهم متعلقا على هذا الاعراب
بسلام وقرأ محمد بن كعب القرظي سلم بكسر السين وسكون اللام ومعناه سلام
وقال ابو الفضل الرازي مسالم لهم اي ذلك مسالم وقرأ ابي وعبد الله وعيسى
والغنوي سلاما بالنصب على المصدر وقال الزمخشري نصب على الحال
اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم اي انفردوا عن المؤمنين لان المحشر
جمع البر والفاجر فامر المجرمون بان يكونوا على حدة من المؤمنين والظاهر ان
ثم قولا محذوفا لما ذكر تعالى ما يقال للمؤمنين في قوله سلام قولا من رب
رحيم قيل ويقال للمجرمين امتازوا ولما امتثلوا ما امروا به قال لهم على
جهة التوبيخ والتقريع الم اعهد اليكم ووقفهم على عهده اليهم ومخالفتهم
اياه وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى فعلى
هذا معناه ان بعضهم يمتاز من بعض وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير والعهد
الوصية عهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل
وانزل اليهم من ادلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يغويه ويزينه
وقرأ الجمهور اعهد بفتح الهمزة والهاء وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل

الكوفيون بكسر الهمزة قال صاحب اللوامح وقال لغة تميم وهذا الكسر في النون
والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعني نعهد وتعهد وقال ابن خالويه
ألم إعهد بيحيى بن وثاب ألم احد لغة تميم وقال ابن عطية وقرأ الهذيل وابن وثاب
ألم اعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر أول المضارع سوى
الياء وروي عن ابن وثاب ألم أعهد بكسر الهاء يقال عهد وعهد انتهى وقوله
بكسر الميم والهمزة يعني أن كسر الميم يدل على كسر الهمزة لأن الحركة التي في الميم إنما هي
حركة نقل الهمزة المكسورة وحذفت الهمزة حين نقلت حركتها إلى الساكن
قبلها وهو الميم إعهد بالهمزة المقطوعة المكسورة لفظا لأن هذا لا يجوز وقال
الزمخشري وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته
الكسر إلا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم
وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا انتهى
وقوله إلا في الياء لغة لبعض كلب أنهم يكسرون أيضا في الياء يقولون
هل يعلم وقوله دحا محا يريدون دعها معها ادغموا العين في الحاء والإشارة
بهذا إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقرأ نافع
وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وهي قراءة أبي حيوة وسهل وأبي جعفر
وشيبة وأبي رجاء والحسن بخلاف عنه وقرأ العربيان والهذيل بن شرحبيل
بضم الجيم وإسكان الباء وباقي السبعة بضمهما وتخفيف اللام والحسن
وابن أبي إسحاق والزهري وابن هرمز وعبد الله بن عبيد بن عمير وحفص بن حميد
بضمتين وتشديد اللام والأشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة عن عاصم
بكسر الجيم وسكون الباء والأعمش جبلا بكسرتين وتخفيف اللام وقرئ
جبلا بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام جمع جبلة نحو فطرة وفطر فهذه سبع
لغات قرئ بها وقرأ علي بن أبي طالب وبعض الخراسانيين جيلا بكسر الجيم
بعدها ياء آخر الحروف واحد الأجيال والجيل بالياء الواحد من [illegible] الأمة
العظيمة وقال الضحاك أقله عشرة آلاف خاطب تعالى الكفار بما فعل
معهم الشيطان تقريعا لهم وقرأ الجمهور أفلم تكونوا بتاء الخطاب وطلحة
وعيسى بياء الغيبة عائدا على جبل ويروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد
عليهم جيرانهم وعشائرهم وأهاليهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ
يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم
القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه
انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت أناضل وقرئ تختم مبنيا للمفعول وتكلم أيديهم بتاءين وقرئ
ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام
والشهادة وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن أبيه عن جده طلحة أنه قرأ
ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على
أفواههم والظاهر أن الأعين هي الأعضاء المبصرة والمعنى لأعميناهم فلا

يرون

يرون كيف يمشون قاله الحسن وقتادة ويؤيده مناسبة المسخ فهم في قبضة
القدرة وممدوح العذاب إن شاء الله لهم وقال ابن عباس أراد عين البصائر
والمعنى ولو نشاء لختمت عليهم بالكفر فلا يهتدي منهم أحد أبدا والطمس إذهاب
الشيء وأثره جملة حتى كأنه لم يوجد فإن أريد بالأعين الحقيقة فالظاهر أنه يطمس
يعني بمسخ حقيقة ويجوز أن يكون الطمس يراد به العمى من غير إذهاب العضو وأثره
وقرأ الجمهور فاستبقوا فعلا ماضيا معطوفا على لطمسنا وهو على الفرض والتقدير والصراط
منصوب على تقدير إلى حذفت ووصل الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو مفعولا
به على تضمين استبقوا معنى تبادروا أو جعله مسبوقا لا مسبوقا إليه قاله
الزمخشري أو ينتصب على الظرف انتهى وهذا لا يجوز لأن الصراط هو الطريق
وهو ظرف مكان مختص لا يصل إليه الفعل إلا بوساطة إلا في شذوذ كما أنشد
سيبويه: لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب
ومذهب ابن الطراوة أن الصراط والطريق والمخرم وما أشبهها من الظروف المكانية
ليست مختصة فعلى مذهبه يسوغ ما قاله الزمخشري وقرأ عيسى فاستبقوا
على الأمر وهو على إضمار القول أي فيقال لهم استبقوا الصراط وهو أمر على سبيل
التعجيز إذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الأعين فأنى يبصرون أي كيف يبصر
من طمس على عينه والظاهر أن المسخ حقيقة وهو تبديل صورهم بصور شنيعة
قال ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير كما تقدم في بني إسرائيل وقيل حجارة
وقال الحسن وقتادة وجماعة لأقعدناهم وأزمناهم فلا يستطيعون
تصرفا والظاهر أن هذا لو كان كان يكون في الدنيا وقال ابن سلام هذا التوعد
كله يوم القيامة وقرأ الجمهور على مكانتهم بالإفراد وهي المكان كالمقامة
والمقام وقرأ الحسن وأبو بكر بالجمع والجمهور مضيا بضم الميم وأبو حيوة وأحمد
ابن جبير الأنطاكي عن الكسائي بكسرها اتباعا لحركة الضاد كالعتي والعتي
ووزنه فعول التقت واو ساكنة وياء فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء
وكسر ما قبلها لتصح الياء وقرئ مضيا بفتح الميم فيكون من المصادر التي جاءت
على فعيل كالرسيم والوجيف ولما ذكر تعالى الطمس والمسخ على تقدير المشيئة ذكر تعالى
دليلا على باهر قدرته في تنكيس المعمرين وأن ذلك لا يفعله إلا هو تعالى وتنكيسه
قلبه وجعله على عكس ما خلقه أولا وهو أنه خلقه على ضعف في جسده وخلو من عقل
وعلم ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن يبلغ أشده وتستكمل قوته ويعقل
ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسه في الخلق فيتناقص حتى يرجع في حال شبيهة
بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من الفهم كما ينكس السهم فيجعل
أعلاه أسفله وفي هذا كله دليل على أن من فعل هذه الأفاعيل قادر على أن يطمس
وأن يمسخ وأن يفعل بهم ما أراد وقرأ الجمهور ننكسه مشددا وعاصم وحمزة
مخففا وقرأ نافع وابن ذكوان وأبو عمرو في رواية عباس تعقلون بتاء
الخطاب وباقي السبعة بياء الغيبة وما علمناه الشعر الضمير في علمناه
للرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون فيه شاعر وروي أن القائل عقبة

ابن ابي معيط فنفى الله ذلك عنه وقولهم فيه شاعر اما من كان في طبعه الشعر فقوله مكابرة وايهام للجاهل بالشعر واما من ليس في طبعه فقوله جهل محض وابن هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى تنتحيه الشعراء من كثرة التخييل وتزويق الكلام وغير ذلك مما يتورع المتدين عن انشاده فضلا عن انشائه وكان عليه السلام لا يقول الشعر واذا انشد بيتا احرز المعنى دون وزنه كما انشد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويأتيك من لم تزود بالاخبار

وقيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول

الم ترياني كلما جئت طارقا • وجدت بها وان لم تطيب طيبا

وانشد يوما

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة • وانشد يوما

كفى بالاسلام والشيب ناهيا • فقال ابو بكر وعمر نشهد انك لرسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام وربما انشد البيت متزنا في النادر روي عنه انشد بيت ابن رواحة

يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ولا يدل اجراء البيت على لسانه متزنا انه يعلم الشعر وقد وقع في كلامه عليه السلام ما يدخل في الوزن كقوله يوم حنين

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

وكذلك قوله

هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهو كلام من جنس كلامه الذي كان يتكلم به على طبيعته من غير صنعة فيه ولا قصد لوزن ولا تكلف كما يوجد في القرآن شيء موزون ولا يعد شعرا كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وفي كثير من النثر الذي تنشئه الفصحاء ولا يسمى ذلك شعرا ولا يخطر ببال المنشئ ولا السامع انه شعر وما ينبغي له اي ولا يمكن له ولا يصح ولا يناسب لانه عليه السلام في طريق جد محض والشعر اكثره في طريق هزل وتحسين لما ليس حسنا وتقبيح لما ليس قبيحا ومغالاة مفرطة جعله تعالى لا يقرض الشعر كما جعله اميا لا يخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وقيل في هذه الاية دلالة على غضاضة الشعر وقد قال عليه السلام ما انا بشاعر ولا ينبغي لي وذهب قوم الى انه لا غضاضة فيه وانما منعه الله نبيه عليه السلام وان كان حلية جليلة ليجيء القرآن من قبله اغرب فانه لو كان له ادراك الشعر لقيل في القرآن هذا من تلك القوة قال ابن عطية وليس الامر عندي كذلك وقد كان عليه السلام من الفصاحة والبيان في النثر في الرتبة العليا ولكن كلام الله يبين باعجازه ويند بوصفه ويخرجه احاطة علم الله عن كل كلام وانما منع الله نبيه من الشعر ترفيعا له عن ما في قول الشعر من التخييل والتزويق للقول واما القرآن فهو ذكر بحقائق وبراهين فما هو بقول شاعر وهكذا كان اسلوب كلامه عليه السلام قولا واحدا انتهى والضمير في له للرسول اي وما ينبغي الشعر

لرسول الله وابعد من ذهب الى انه عائد على القرآن اي وما ينبغي الشعر للقرآن ولم يجر له ذكر لكن له ان يقول يدل الكلام عليه ويبينه عود الضمير عليه في قوله ان هو الا ذكر وقرآن مبين اي كتاب سماوي يقرأ في المحاريب وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي اكثره من همزات الشياطين وقرأ نافع وابن عامر لتنذر بتاء الخطاب للرسول وباقي السبعة بالياء للغيبة فاحتمل ان يعود على الرسول واحتمل ان يعود على القرآن وقرأ اليماني لينذر بالياء مبنيا للمفعول ونقلها ابن خالويه عن الجحدري وقال عن ابي السمال واليماني انهما قرآ لينذر بفتح الياء والذال مضارع نذر بكسر الذال اذا علم بالشيء فاستعد له من كان حيا اي عاقلا قاله الضحاك لان الغافل كالميت ويريد به من حتم عليه بالايمان ولذلك قابله بقوله ويحق القول اي كلمة العذاب على الكافرين المحتوم لهم بالموافاة على الكفر • اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون • الاخبار وتنبيه الاستفهام لقريش واعراضهم عن عبادة الله وعكوفهم على عبادة الاصنام ولما كانت الاشياء المصنوعة لا يباشرها البشر الا باليد عبر لهم بما يقرب من افهامهم بقوله مما عملت ايدينا اي مما تولينا عمله ولا يمكن لغيرنا العمل فبقدرتنا وارادتنا برزت هذه الاشياء لم يشركنا فيها احد والباري تعالى منزه عن اليد التي هي الجارحة وعن كل ما اقتضى التشبيه بالمحدثات وذكر الانعام لانها كانت جل اموالهم ونبه على ما يجعل لهم من منافعها فهم لها مالكون اي ملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها او فهم لها ضابطون قاهرون لها من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة فلولا تذليله تعالى اياها وتسخيره لم يقدر عليها الا ترى الى ما ند منها لا يكاد يقدر على رده ولذلك امر بتسبيح الله راكبها وشكره على هذه النعمة بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرأ الجمهور ركوبهم وهو فعول بمعنى مفعول كالحصور والحلوب والقدوع وهو مما لا ينقاس وقرأ ابي وعائشة ركوبتهم بالتاء وهي فعولة بمعنى مفعولة وقال الزمخشري وقيل الركوبة جمع انتهى

قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم

ويعني اسم جمع لأن فعولة بفتح الفاء ليس بجمع تكسير وقد عد أصحابنا أبنية
أسماء الجموع فلم يذكروا فيها فعولة فينبغي أن يعتقد فيها أنها اسم مفرد لا جمع تكسير
ولا اسم جمع أي مركوبهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة وقرأ الحسن وأبو البرهسم والأعمش
ركوبهم بضم الراء وبغير تاء وهو مصدر على حذف أي ذو ركوبهم أو فمن
منافعها ركوبهم فيحذف ذو أو يحذف منافع قال ابن خالويه العرب تقول
ناقة ركوب حلوب وركوبة حلوبة وركباة حلباة وركبوت حلبوت وركبى
حلبى وركبوتا حلبوتا كل ذلك محكي وأنشد

ركبانة حلبانة زفوف • تخلط بين وبر وصوف

وأجمل المنافع هنا وفصلها في قوله وجعل لكم من جلود الأنعام الآية والمشارب
جمع مشرب وهو إما مصدر أي شرب أو موضع الشرب ثم عنفهم واستجهلهم
في اتخاذهم آلهة لطلب الاستنصار لا يستطيعون أي الآلهة نصر متخذيهم
وهذا هو الظاهر لما اتخذوهم آلهة للاستنصار بهم رد تعالى عليهم بأنهم
ليست لهم قدرة على نصرهم وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون الضمير في
يستطيعون للكفار وفي نصرهم للأصنام انتهى والظاهر أن الضمير في وهم
عائد على ما هو الظاهر في لا يستطيعون أي والآلهة للكفار جند محضرون
في الآخرة عند الحساب على جهة التوبيخ والنقمة وسماهم جندا إذ هم
معدون للنقمة من عابديهم وللتوبيخ أو محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون
وقودا للنار وقيل ويجوز أن يكون الضمير في وهم عائدا على الكفار وفي لهم
عائدا على الأصنام أي وهم للأصنام جند محضرون متعصبون لهم متحزبون
يذبون عنهم يعني في الدنيا ومع ذلك لا يستطيعون أي الكفار التناصر وهذا
القول مركب على أن الضمير في لا يستطيعون للكفار ثم أنس تعالى نبيه بقوله فلا
يحزنك قولهم أي لا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم وتوعد الكفار بقوله
إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك أولم ير الإنسان قبح تعالى
إنكار الكفرة البعث حيث قرر أن عنصره الذي خلقه منه هو نطفة ماء مهين
خارج من مخرج النجاسة أفضى به على مهانة أصله إلى أن يخاصم الباري تعالى ويقول
من يحيي الميت بعد ما رم مع علمه أنه منشأ من موات وقائل ذلك العاصي
ابن وائل أو أمية بن خلف أو أبي بن خلف أقوال أصحها أنه أبي بن خلف رواه
ابن وهب عن مالك وقاله ابن إسحق وغيره والقول إنه أمية قاله مجاهد
وقتادة ويحتمل أن كلا منهم وقع ذلك منه وقد كان لأبي مع الرسول
مراجعات ومقامات جاء بالعظم الرميم بمكة ففتته في وجهه الكريم وقال
من يحيي هذا يا محمد فقال الله يحييه ويميتك ويحييك ويدخلك جهنم ثم نزلت
الآية وأبي هذا قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد بالحربة تخرج
من عنقه ووهم من نسب إلى ابن عباس أن الجائي بالعظم هو عبد الله بن أبي سلول
لأن السورة والآية مكية بإجماع ولأن عبد الله بن أبي لم يجاهر قط هذه المجاهرة
وبين قوله فإذا هو خصيم مبين وبين خلقناه من نطفة جمل محذوفة تبين أكثرها

في قوله في سورة المؤمنين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وإنما اعتقب قوله
فإذا هو خصيم مبين الوصف الذي آل إليه من التمييز والإدراك الذي يتأتى
معه الخصام أي فإذا هو بعد ما كان نطفة رجل مميز منطيق قادر على الخصام
مبين معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أي نشأته من
النطفة فذهل عنها أو ترك ذكرها على طريق اللدد والمكابرة والاستبعاد لما لا
يستبعد وقرأ زيد بن علي ونسي خالقه اسم فاعل والجمهور خلقه أي نشأته وسمى
قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي
إنكار قدرة الله على إحياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لخلقه في تعجيزه تعالى
عن إحياء الموتى كما هم عاجزون عن ذلك وقال الزمخشري والرميم اسم
لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع
خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول انتهى واستدل بقوله قل يحييها
على أن الحياة تحلها وهو استدلال ظاهر ومن قال إن الحياة لا تحلها قال
المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي
حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيفيات ما يخلق لا يتعاظمه شيء من المنشآت
والمعادات جنسا ونوعا دقة وجلالة الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا
ذكر ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة وهو إبراز الشيء من ضده وذلك
أبدع شيء وهو اقتداح النار من الشجر الأخضر ألا ترى أن الماء يطفئ النار
ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء والأعراب توري النار من الشجر الأخضر
وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فينقدح النار بإذن الله تعالى عز وجل وعن
ابن عباس ليس شجر إلا وفيه نار إلا العناب وقرأ الجمهور الأخضر وقرئ
الخضراء وأهل الحجاز يؤنثون الجنس المميز واحده بالتاء وأهل نجد يذكرونه
إلا ألفاظا استثنيت في كتب النحو ثم ذكر ما هو أبدع وأغرب من خلق الإنسان
من نطفة ومن إعادة الموتى وهو إنشاء هذه المخلوقات العظيمة الغريبة
من صرف العدم إلى الوجود فقال أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر
على أن يخلق مثلهم وقرأ الجمهور بقادر بباء الجر داخلة على اسم الفاعل
وقرأ الجحدري وابن أبي إسحق والأعرج وسلام ويعقوب يقدر فعلا مضارعا
أي من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما كان على خلق الأناسي
قادرا والضمير في مثلهم عائد على الناس قاله الرماني وقال جماعة
من المفسرين عائد على السموات والأرض وعاد الضمير عليهما كضمير من يعقل
من حيث كانت متضمنة من يعقل من الملائكة والثقلين وقال الزمخشري
مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالإضافة إلى
السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به انتهى
ويقول إن المعاد هو عين المبتدأ ولو كان مثله لم يسم ذلك إعادة بل يكون إنشاء

مستأنفا وقرأ الجمهور الخلاق بصيغة المبالغة لكثرة مخلوقاته وقرأ الحسن والجحدري ومالك بن دينار وزيد بن علي الخالق اسم فاعل إنما أمره إذا أراد شيئا أن يكون أن يقول له كن فيكون تقدم شرح مثل هذه الجملة والخلاف في فيكون من حيث القراءة نصبا ورفعا فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه عام له تعالى من جميع النقائص وقرأ الجمهور ملكوت وطلحة والأعمش ملكة على وزن شجرة ومعناه ضبط كل شيء والقدرة عليه وقرئ مملكة على وزن مفعلة وقرئ ملك والمعنى أنه متصرف فيه على ما أراد وقضى والجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل

المفردات من سورة الصافات

الزجر الدفع عن الشيء بتسليط وصياح والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الإبل والغنم إذا صاح عليها فرعت لصوته

قال الشاعر

زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها الثاقب الشديد النفاذ اللازب اللازم ما جاوره واللاصق به اللذيذ المستطاب يقال لذ الشيء يلذ فهو لذيذ ولذ على وزن فعل كطب قال الشاعر

تلذ لطعمه وتخال فيه • إذا نبهتها بعد المنام

وقال

ولذ كطعم الصرخدي تركته • بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم وقال

حديثك اللذ الذي لو كلمت • أسد الفلاة به أتين سراعا

الغول اسم عام في الأذى تقول غاله كذا وكذا إذا ضره في خفاء ومنه الغيلة في القتل والغيلة في الرضاع وغالته الشيء أهلكه وأفسده ومنه الغول التي في أكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم

وقال الشاعر

مضى أولونا ناعمين بعيشهم جميعا وغالتني بمكة غول

أي غالتني غوائل وقال

وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأول الأول

نزفت الشارب الخمر وأنزف هو ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف الثلاثي متعد والرباعي لازم نحو كببت الرجل وأكب هو وقشعت الريح السحاب وأقشع هو أي دخلا في الكب والقشع

وقال الشاعر وهو الأسود

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

ونزف الشارب بضم الزاي ويقال نزف المطعون ذهب دمه كله مبنيا للمفعول ونزحت الركية حتى نزفتها لم يبق فيها ماء ويقال أنزف الرجل نفد شرابه فأنزف مشترك بين سكر ونفد البيض معروف وهو اسم جنس الواحد بيضة وسمي بذلك لبياضه ويجمع على بيوض قال الشاعر

بتيهاء قفر والمطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

الزقوم شجرة مسمومة لها لبن إن مس جسم إنسان تورم ومات منه في أغلب الأمر تنبت في البلاد المجدبة المجاورة للصحراء والتزقم البلع على شدة وجهد شاب الشيء بالشيء يشوبه شوبا خلطه به ومزجه راغ يروغ مال في خفية من روغة الثعلب زف أسرع وأزف دخل في الزفيف فهمزته ليست للتعدية وأزفه حمله على الزفيف قاله الأصمعي فالهمزة فيه للتعدية وقال الشاعر وهو الفرزدق

وجاء قريع الشول قبل إفالها يزف وجاءت خلفه وهي زفف

وقال الهذلي

وزفت الشول من برد العشي • كما زف النعام إلى حفانه الروح

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب هذه السورة مكية ومناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى وأنه منشئهم وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان ذكر تعالى هنا وحدانيته إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجودا وعدما إلا بكون المريد واحدا وتقدم الكلام على ذلك في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأقسم تعالى بأشياء من مخلوقاته والصافات قال ابن مسعود وقتادة ومسروق هم الملائكة تصف في السماء في العبادة والذكر صفوفا وقيل تصف أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله وقيل من يصف من بني آدم في قتال في سبيل الله أو في صلاة وطاعة وقيل الطير من قوله والطير صافات والزاجرات قال مجاهد والسدي الملائكة تزجر السحاب وغيرها من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة آيات القرآن لتضمنه النواهي الشرعية وقيل كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات القاريات قال مجاهد الملائكة تتلو ذكره وقال قتادة بنو آدم يتلون كلامه المنزل وتسبيحه وتكبيره قال الزمخشري ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل انتهى وقال ما معناه إن الفاء العاطفة في الصافات إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب أي الذي صبح فغنم فآب وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأفضل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتيب موصوفاتها

في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فاما مثنا فان وحدت الموصوف
كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملائكة فيكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وان ثلثت الموصوف
فترتب في الفضل فتكون الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا او على العكس انتهى ومعنى العكس في المكانين انك ترتقي من افضل الى
فاضل الى مفضول وتبدأ بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل وادغم ابن مسعود و
مسروق والاعمش وابو عمرو وحمزة التاآت الثلاث والجملة المقسم عليها تضمنت
وحدانيته تعالى اي هو واحد من جميع الجهات التي ينظر فيها المتفكر ورب
خبر بعد خبر على مذهب من يجيز تعدد الاخبار او خبر مبتدا محذوف وهو امدح
اي هو رب وذكر المشارق لانها مطالع الانوار والابصار بها اكلف وذكرها
يغني عن ذكر المغارب اذ ذاك مفهوم من المشارق والمشارق ثلثماية وستون
مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب
ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وثني في رب المشرقين ورب المغربين
باعتبار مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وقال ابن عطية اراد تعالى
مشارق الشمس ومغاربها وهي ماية وثمانون في السنة فيما يزعمون من اطول
ايام السنة الى اقصرها ثم اخبر تعالى عن قدرته بتزيين السماء الكواكب وانتظم
التزيين ان جعلها حفظا وحرزا من الشيطان انتهى والزينة مصدر كالنسبة
واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة وقراء الجمهور بزينة
الكواكب بالاضافة فاحتمل المصدر مضافا للفاعل اي بان زانت السماء
الكواكب او مضافا للمفعول اي بان زان الله الكواكب واحتمل ان يكون ما يزان
به فالكواكب بيانات للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به
او مما زينت الكواكب من اضاآتها وثبوتها وقراء ابن مسعود ومسروق بخلاف
عنه وابو زرعة وابن وثاب وطلحة بزينة منونا الكواكب بالخفض بدلا
من زينة وقراء ابن وثاب ومسروق بخلاف عنهما والاعمش وطلحة وابو بكر بزينة
منونا الكواكب نصبا فاحتمل ان يكون بزينة مصدرا والكواكب مفعول به كقوله
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما واحتمل ان تكون الكواكب بدلا من السماء
اي زينا كواكب السماء وقراء زيد بن علي بتنوين زينة ورفع الكواكب على خبر
مبتدا اي هي الكواكب او على الفاعلية بالمصدر اي بان زينت الكواكب
ورفع الفاعل بالمصدر المنون زعم الفراء انه ليس بمسموع واجاز البصريون
ذلك على قلة وقال ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب قيل ويجوز
ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك
ومطالعها ومسايرها وخص السماء الدنيا بالذكر لانها التي تشاهد بالابصار
والحفظ من الشياطين انما هو فيها وحدها وانتصب وحفظا على المصدر
اي وحفظناها حفظا او على المفعول من اجله على زيادة الواو او على تاخير
العامل اي ولحفظها زيناها بالكواكب او حملا على معنى ما تقدم لان المعنى

انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا وكل هذه الاقوال منقولة والمارد
تقدم شرحه في قوله شيطانا مريدا في النساء وهنالك جاء مريدا وهنا مارد
مراعاة للفواصل لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام منقطع مبتدا اقتصاصا لما
عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يتسمعوا او يسمعوا وهم مقذوفون
بالشهب مبعدون عن ذلك الا من امهل حتى خطف الخطفة واسترق استراقة
فعندها تعاجله الملائكة باتباع الشهاب الثاقب ولا يجوز ان يكون لا
يسمعون صفة ولا استينافا جوابا لسائل سال لم يحفظ من الشياطين لان الوصف
بكونهم لا يسمعون او الجواب لا معنى للحفظ من الشياطين على تقديرهما اذ يصير
المعنى مع الوصف وحفظا من كل شيطان مارد غير سامع او مستمع وكذلك لا يستقيم
مع كونه جوابا وقول من قال ان الاصل لان لا يسمعوا فحذفت اللام وان فارتفع
الفعل قول متعسف يصان كلام الله عنه وقراء الجمهور لا يسمعون نفي سماعهم
وان كانوا يتسمعون لقوله انهم عن السمع لمعزولون وعداه بالى لتضمنه معنى
الاصغاء وقراء ابن عباس بخلاف عنه وابن وثاب وعبد الله بن مسلم وطلحة والا
وحمزة والكسائي وحفص بشد السين والميم يعني لا يتسمعون ادغمت التاء
في السين وتقتضي نفي التسمع وظاهر الاحاديث انهم يتسمعون حتى الان لكنهم
لا يسمعون وان سمع احد منهم شيئا لم يفلت الشهاب قبل ان يلقي ذلك السمع
الى الذي تحته لان السماء ملئت حرسا وشهبا من وقت بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان الرجم في الجاهلية اخف فلما كانت ثمرة التسمع هو
السمع وقد انتفى التسمع نفي التسمع في هذه القراءة لانتفاء ثمرته وهو التسمع والملا
الاعلى هم الملائكة والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض
وقال ابن عباس هم اشراف الملائكة وعنه كتابهم ويقذفون يرمون
ويرجمون من كل جانب اي من كل جهة يصعدون الى السماء منها والمرجوم بها هي التي
يراها الناس تنقض وليست بالكواكب الجارية في السماء لان تلك لا ترى
حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قاله مكي والنقاش وقراء
محبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للفاعل فدحورا مصدر في موضع الحال
قال مجاهد مطرودين او مفعول من اجله اي ويقذفون للطرد او مصدر
ليقذفون لانه متضمن معنى الطرد اي ويدحرون من كل جانب دحورا ويقذفون
من كل جانب قذفا فاما ان يكون التجوز في ويقذفون واما في دحورا وقراء
علي والسلمي وابن ابي عبلة والطبراني عن رجاله عن ابي جعفر دحورا بنصب
الدال اي قذفا دحورا ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع الا ان هذه
الفاظ ذكر انها محصورة والواصب الدائم قاله السدي وابو صالح وتقدم
في سورة النحل ويقال وصب الشيء وصوبا دام وقال مجاهد الموجع
ومنه الوصب كان المعنى انهم في الدنيا مرجومون وفي الاخرة معذبون
ويجوز ان يكون هذا العذاب الدائم لهم في الدنيا وهو رجمهم دائما
وعدم بلوغهم ما يقصدون من استراق السمع الا من خطف الخطفة من بدل

من الضمير في لا يسمعون ويجوز ان يكون منصوبا على الاستثناء اي لا يسمع الشياطين
الا الشيطان الذي خطف وقراءة الجمهور خطف ثلاثيا بكسر الطاء وقراءة الحسن
وقتادة بكسر الخاء والطاء مشددة قال ابو حاتم ويقال هي لغة بكر بن وائل
وتميم بن مر وقرئ خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة ونسبها ابن خالويه الى
الحسن وقتادة وعيسى وعن الحسن ايضا التخفيف واصله في هاتين القراءتين
اختطف فلما اسكنت التاء للادغام والخاء ساكنة كسرت لالتقاء
الساكنين فذهبت الف الوصل وكسرت الطاء اتباعا لحركة الخاء وعن
ابن عباس خطف بكسر الخاء والطاء مخففة اتبع حركة الخاء لحركة الطاء كما قالوا
نعم وقرئ فاتبعه مخففا ومشددا والثاقب قال السدي وقتادة هو
النافذ بضوئه وشعاعه المنير ۞ فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا
آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين وقالوا أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي
زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ۞ الاستفتاء نوع من السؤال والهمزة وان
خرجت الى معنى التقرير فهي في الاصل لمعنى الاستفهام اي فاستخبرهم والضمير
لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته
وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الاشدية بينهم وبين من خلق من غيرهم
من الامم والجن والملائكة والافلاك والارضين وفي مصحف عبد الله
ام من عددنا وهو تفسير لمن خلقنا اي ام من عددنا من الصافات وما بعدها
من المخلوقين وغلب العاقل على غيره في قوله من خلقنا واقتصر على الفاعل في
خلقنا ولم يذكر متعلق الخلق اكتفاء ببيان ما تقدمه وكانه قال ام من خلقنا
من غرائب المصنوعات وعجائبها وقرأ الاعمش امن بتخفيف الميم دون ام جعله
استفهاما ثانيا تقريرا ايضا فهما جملتان مستقلتان في التقرير ومن مبتدأ
والخبر محذوف تقديره اشد فعلى ام من هو تقرير واحد ونظيره أأنتم اشد خلقا
ام السماء وقال الزمخشري واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد
الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث
والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب
عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شاهدة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة
والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن
اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا
المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث انتهى والذي يظهر الاحتمال
الاول وقيل ام من خلقنا من الامم الماضية كقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم اشد منهم بطشا وقوله وكانوا اشد منكم قوة واضاف الخلق من الطين

قوله عز وجل فاستفتهم

اليهم والمخلوق منه هو ابوهم آدم اذ كانوا نسله وقال الطبري خلق ابن آدم
من تراب وماء ونار وهواء وهذا كله اذا خلط صار طينا لازبا يلزم ما جاوره
وعن ابن عباس عن اللازب بالحر اي الكريم الجيد وقرئ الجمهور بل عجبت
بتاء الخطاب اي من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك
ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او عجبت من انكارهم البعث وهم
يسخرون من امر البعث او عجبت من اعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدى وان
يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من عند الله وقرأ حمزة والكسائي وابن سعدان
وابن مقسم بتاء المتكلم ورويت عن علي وعبد الله وابن عباس والنخعي وابن وثاب
وطلحة وشقيق والاعمش وانكر شريح القاضي هذه القراءة وقال الله لا يعجب
فقال ابراهيم كان شريح معجبا بعلمه وعبد الله اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود
والظاهر ان ضمير المتكلم هو الله تعالى والعجب لا يجوز على الله تعالى لانه روعة تعتري
المتعجب من الشيء وقد جاء في الحديث اسناد العجب الى الله تعالى وتؤول على انه صفة
فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه من تعظيم او تحقير حتى يصير الناس
متعجبين منه فالمعنى بل عجبت من ضلالتهم وسوء نحلتهم وجعلتها للناظرين
فيها وفيما اقترن بها من شرعي وهداي متعجبا وقال الزمخشري اي بلغ من عظيم
آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء لجهلهم وعنادهم
يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون
ممن يصف الله بالقدرة عليه قال وتجرد العجب لمعنى الاستعظام او يخيل
العجب ويفرض وقيل هو ضمير الرسول اي قل بل عجبت قاله مكي وعلي بن سليمان
وهم يسخرون من نبوتك والحق الذي عندك واذا ذكروا وعظوا لا يذكرون
اي لا يتعظون وذكر جناح بن حبيش ذكروا بتخفيف الكاف روي ان ركانة رجلا
من المشركين من اهل مكة لقيه الرسول في جبل خال يرعى غنما له وكان من اقوى
الناس فقال له يا ركانة ارايت ان صرعتك اتؤمن بي قال نعم فصرعه ثلاثا
ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة واقبالها فلم يؤمن وجاء الى مكة فقال
يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم اهل الارض فنزلت فيه وفي نظرائه واذا رأوا
آية يستسخرون قال مجاهد وقتادة يسخرون يكون استفعل بمعنى المجرد
وقيل فيه معنى الطلب اي يطلبون ان يكونوا ممن يسخر وقال الزمخشري
يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقرئ يستسحرون
بالحاء المهملة وهي عبارة عن ما قال ركانة لا استسحر الرسول والاشارة
بهذا الى ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز وتقدم الخلاف في كسر
ميم متنا وضمها ومن قرأ أاذا بالاستفهام من جواب اذا محذوف اي انبعث
ويدل عليه انا لمبعوثون او يعري عن الشرط ويكون ظرفا محضا ويقدر العامل
انبعث اذا متنا وقرأ الجمهور او آباؤنا بفتح الواو وفي او وقرأ ابو جعفر
وشيبة وابن عامر ونافع في رواية قالون بالسكون فهي حرف عطف
ومن فتح فالواو حرف عطف دخلت عليه همزة الاستفهام قال الزمخشري

او اباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف
عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد
الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل انتهى اما قوله معطوف
على محل ان واسمها فمذهب س خلافه لان قولك ان زيدا قائم وعمرو وعمرو
فيه مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما قوله او على الضمير في مبعوثون
الى اخره فلا يجوز عطفه على الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا
على المفرد لانه اذا عطف على المفرد كان الفعل عاملا في المفرد بوساطة حرف
العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل فيها ما بعدها ما قبلها فقوله او اباؤنا
مبتدا خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد
او عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكرنا واستفهامهم تضمن انكارا واستبعادا
فامر الله نبيه ان بحثهم ينعم وانتم داخرون اي صاغرون وهي جملة حالية
العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون وزادهم في الجواب ان يبعثوا وهم
ملتبسون بالصغار والذل وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم الخلاف
فيها في سورة الاعراف وهي كناية عن البعثة اي فانما بعثتهم زجرة اي صيحة
وهي النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت اياها مجازا
وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها انتهى وكثيرا ما يقول هو وابن مالك
ان الضمير يفسره الخبر وجعل من ذلك ابن مالك ان هي الا حياتنا الدنيا وتكلمنا معه
في ذلك في شرح التسهيل وقال الزمخشري فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا
كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة انتهى وكثيرا ما يضمر جملة الشرط قبل فا اذا
ساغ تقديره ولا ضرورة تدعو الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم
الفعل في الذي يطلق عليه انه جواب الامر والنهي وما ذكر معهما على قول
بعضهم اما ابتداء فلا يجوز حذفه وينظرون من النظر اي فاذا هم بصرا ينظرون
او من الانتظار اي فاذا هم ينتظرون ما يفعل بهم وما يومرون به والظاهر
ان قوله وقالوا يا ويلنا من كلام بعض الكفار لبعض الى اخر الجملتين اقروا
بانه يوم الجزاء وانه يوم الفصل وخاطب به بعضهم بعضا ووقف ابو حاتم
على قوله يا ويلنا وجعل هذا يوم الدين الى اخره من قول الله لهم او الملائكة
وقيل هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل ليس من كلامهم وانما
المعنى يقال لهم هذا يوم الفصل ويوم الدين يوم الجزاء والمعاوضة
ويوم الفصل يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضلال وفي الذي كنتم به
تكذبون توبيخ لهم وتقريع ٥ احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون

قوله عز وجل احشروا

من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان
بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين
فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا

قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما
كنتم تعملون ٥ احشروا خطاب من الله للملائكة او خطاب الملائكة بعضهم
لبعض اي اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات قاله ابن عباس ورجحه الرماني
او وانواعهم وضرباءهم قاله عمر وابن عباس ايضا وقتادة او واشباههم
من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة او وقرناءهم
من الشياطين وقرا عيسى بن سليمان الحجازي وازواجهم مرفوعا عطفا
على ضمير ظلموا اي وظلم ازواجهم فاهدوهم اي عرفوهم وقودوهم الى طريق
النار حتى تسلكوها والجحيم طبقة من طباق جهنم وقفوهم كما قال ولو ترى
اذ وقفوا على النار وقوف توبيخ لهم انهم مسئولون قرا عيسى انهم بفتح
الهمزة قال عبد الله يسالون عن شرب الماء البارد على طريق الهزء بهم وعنه
ايضا يسالون عن لا اله الا الله وقال الجمهور عن اعمالهم ويوقفون على
قبحها وفي الحديث لا تزول قدما عبد حتى يسال عن خمس شبابه فيما ابلاه
وعن عمره فيما افناه وعن ماله فيما كسبه كيف كسبه وفيما انفقه وعن
ما عمل فيما علم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى على نحو ما فسره بقوله
ما لكم لا تناصرون اي انهم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر وهذا على سبيل
التوبيخ في الامتناع وقال الزمخشري هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن
التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
وقال الثعلبي ما لكم لا تناصرون جواب ابي جهل حين قال في بدر نحن جميع منتصر
وقرئ لا تتناصرون بتاءين واحدة وبتاء وبادغام احدهما في الاخرى
بل هم اليوم مستسلمون اي قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكل واحد
منهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قتادة هم
جن وانس وتساؤلهم على معنى التقريع والندم والتسخط قالوا اي قالت
الانس للجن قاله مجاهد وابن زيد او ضعفة الانس لكبرائهم وقا
واليمين الجارحة وليست مرادة هنا فقيل استعيرت لجهة الخير والقوة
والشرع او لجهة الشهوات او لجهة التمويه والاغواء واظهارها انها رشد
والحلف ولكل من هذه الاستعارات وجه فاما استعارتها لجهة الخير
فلان الجارحة اشرف العضوين وايمنهما وكانوا يتيمنون بها حتى في السانح
ويصافحون ويمسحون ويتناولون ويزاولون بها اكثر الامور ويباشرون
بها افاضل الاشياء وجعلت لكاتب الحسنات ولاخذ المؤمن كتابه بها
والشمال بخلاف ذلك واما استعارتها للقوة والشرع فانها يقع بها
البطش فالمعنى انكم تغروننا بقوتكم وتحملوننا على طريق الضلال واما
استعارتها لجهة الشهوات فلان جهة اليمين هي الجهة الثقيلة من
الانسان وفيها كبده وجهة شماله فيها قلبه ومكره وهي اخف والمنهزم
يرجع على شقه الايسر اذ هو اخف شقيه واما استعارتها لجهة التمويه

والاغوا فكانهم شبهوا اقوال المغوين المغوين بالسوابح التي هي عندهم محمودة كانت للتمويه في غوايتهم اظهر مما يجدونه واما الخلف فانهم يحلفون لهم ويانونهم ايمان المقسمين على حسن ما يتبعونهم فيه قالوا اي المخاطبون اما الجن واما قادة الكفرة بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تقسركم على الكفر بل انتم مردة واتيتم الايمان وقال الزمخشري واعرضتم مع تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما عليه الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان انتهى ولفظة التمكن والاختيار الفاظ المعتزلة جريا على مذهبهم فحق علينا قول ربنا اي لزمنا قول ربنا اي وعيده لنا بالعذاب والظاهر ان قوله انا لذايقون اخبار منهم انهم ذايقون العذاب جميعهم الرؤسا والاتباع وقال الزمخشري فلزمنا قول ربنا انا لذايقون يعني وعيد الله باننا ذايقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا وانا استحققنا فيها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذايقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحو قول القايل

لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف انتهى فاغويناكم دعوناكم الى الغي فكانت فيكم قابلية له فغويتم انا كنا غاوين فاردنا ان تشاركونا في الغي فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اي يوم اذ تساءلوا وتراجعوا في القول وهذا اخبار منه تعالى كما اشتركوا في الغي اشتركوا فيما ترتب عليه من العذاب انا كذلك اي مثل هذا الفعل بهؤلا نفعل بكل مجرم فيترتب على اجرامه عذابه ثم اخبر عنهم باكبر اجرامهم وهو الشرك بالله واستكبارهم عن توحيده وافراده بالالهية ثم ذكر عنهم ما قدحوا به في الرسول ونسبته الى الشعر والجنون وانهم ليسوا بتاركي الهتهم له ولما جاءهم به جمعوا بين انكار الوحدانية وانكار الرسالة وقولهم لشاعر مجنون تخليط في كلامهم وارتباك في غيهم فان الشاعر هو عنده من الفهم والحذق وجودة الادراك ما ينظم به المعاني الغريبة ويصوغها في قالب الالفاظ البديعة ومن كان مجنونا لا يصل الى شي من ذلك ثم اضرب تعالى عن كلامهم واخبر بانه جا بالحق وهو اثبات الذي لا يلحقه اضمحلال فليس ما جاء به شعرا بل هو الحق الذي لا شك فيه ثم اخبر انه صدق من تقدمه من المرسلين اذ هو وهم على طريقة واحدة في دعوى الامم الى التوحيد وترك عبادة غيره وقرا عبد الله وصدق بتخفيف الدال المرسلون بالواو رفعا اي وصدق المرسلون في التبشير به وفي انه ياتي اخرهم وقرا الجمهور لذايقوا العذاب بحذف النون للاضافة وابو السمال وابان عن ثعلب عن عاصم بحذفها لالتقاء الساكنين ونصب العذاب كما حذف بعضهم التنوين لذلك في قراءة من قرا احد الله

وقول الشاعر

فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

وقرى

ونقل ابن عطية عن ابي السمال انه قرا لذايقة مشونا العذاب بالنصب ويخرج على ان التقدير جمع ذايق والامن يطابق المفرد وضمير الجمع في انكم

قوله عز وجل الا عباد الله المخلصين

وقرى لذايقون بالنون العذاب بالنصب وما دون الا جزاء مثل عملكم ادنى عمرة عملكم الا عباد الله المخلصين اوليك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون الا عباد الله استثنا منقطع لما ذكر شيا من احوال الكفار وعذابهم ذكر شيا من احوال المؤمنين ونعيمهم والمخلصين صفة مدح لان كونهم عباد الله يلزم منه ان يكونوا مخلصين ووصف رزق بمعلوم اي عندهم فقد قرت عيونهم بما يستدر عليهم من الرزق وبان شهوا تهم تاتيهم بحسبها وقال الزمخشري معلوم بخصايص خلق عليها من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يابأه انتهى فواكه بدل من رزق وهي ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لاستغنايهم عن حفظ الصحة بالاقوات لانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ وقرا ابن مقسم مكرمون بفتح الكاف مشددا الراء ذكر اولا الرزق وهو ما يتلذذ به الاجسام وثانيا الاكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ورزق باهانة تنكيد ثم ذكر المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم ثم اشرف المحل وهو السرور ثم لذة التانس بان بعضهم يقابل بعضا وهو اتم السرور وانسه ثم المشروب وانهم لا يتناولون ذلك بانفسهم بل يطاف عليهم بالكؤوس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفا المفاسد ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية وختم بها كما بدا باللذة الجسمانية من الرزق وهي ابلغ الملاذ وهي التانس بالنساء وقرا الجمهور على سرر بضم الراء وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض تميم وكلب يفتحون ما كان جمعا على فعل من المضعف اذا كان اسما واختلف النحويون في الصفة فمنهم من قاسها على الاسم ففتح فيقول ذلل بفتح اللام على تلك اللغة الثانية في الاسم ومنهم من خص ذلك بالاسم وهو مورد السماع في تلك اللغة وقيل التقابل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وفي الحديث انه في احيان ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم الى بعض ولا محالة انه اكثر احيانهم هم فيها في قصورهم ويطاف مبني للمفعول وحذف الفاعل وهو المثبت في اية اخرى في قوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ويطوف عليهم غلمان لهم ولعلهم من مات من اولاد المشركين قبل التكليف ففي صحيح البخاري انهم خدم اهل الجنة والكاس ما كان من الزجاج فيه خمرا ونحوه من الانبذة ولا يسمى كاسا الا وفيه ذلك وقد يسمى

الخمر نفسها كاسًا تسمية للشيء بمحله قال ٥

• وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها ٥

وقال ابن عباس والضحاك والاخفش كل كاس في القرآن فهو خمر وقيل الكاس
هيئة مخصوصة في الاواني وهو كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض ولا يراعى كونه
خمرًا ولا من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض
كما يجري الماء وبيضاء صفة للكاس او للخمر وقال الحسن خمر الجنة اشد بياضًا
من اللبن وفي قراءة عبد الله صفراء كما قال بعض المولدين ٥

• صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها • لو مسها حجر مسته سراء •

ولذة صفة بالمصدر على سبيل المبالغة او على حذف اي ذات لذة او على تانيث
لذ بمعنى لذيذ لا فيها غول قال ابن عباس وقتادة هو صداع في الراس وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد وابن زيد وجع في البطن انتهى والاسم يشمل انواع الفساد
الناشئة عن شرب الخمر فتنتفي جميعها من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتاثيم
ونحو ذلك ولما كان السكر اعظم مفاسدها افرده بالذكر فقال ولا هم عنها
ينزفون وقرا الحرميان والعربيان بضم الياء وفتح الزاي هنا وفي الواقعة
وبذهاب العقل فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وحمزة والكسائي بكسرها
فيهما وعاصم بفتحها هنا وكسرها في الواقعة وابن ابي اسحاق بفتح الياء
وكسر الزاي وطلحة بفتح الياء وضم الزاي قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد
قاصرات الطرف قصرن الطرف على ازواجهن لا يمتد طرفهن الى اجنبي كقوله
تعالى عربا وقال الشاعر ٥

• من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا ٥

والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين في جمال كانهن بيض مكنون شبههن
قال الجمهور ببيض النعام المكنون في عشه وهو الادحية ولونها
بياض به صفرة حسنة وبها تشبه النساء فيقال بيضات الخدور ومنه
قول امرئ القيس ٥

• وبيضة خدر لا يرام خباؤها • تمتعت من لهو بها غير معجل ٥

• كبكر مقاناة البياض بصفرة • غذاها نمير الماء غير المحلل ٥

وقال السدي وابن جبير شبه الوانهن بلون قشر البيضة الداخل
وهو غرقئ البيضة وهو المكنون في كن ورجحه الطبري وقال واما خارج
قشر البيضة فليس بمكنون وعن ابن عباس البيض المكنون الجوهر المصون
واللفظ ينبو عن هذا القول وقالت فرقة هو تشبيه عام بجملة المراة
بجملة البيضة اراد بذلك تناسب اجزاء المراة وان كل جزء منها نسبته
في الجودة الى نوعه نسبة الاخر من اجزائها الى نوعه فنسبة شعرها الى
عينها مستوية اذ هما غاية في نوعهما والبيضة اشد الاشياء تناسب
اجزاء لانك من حيث جئتها فالنظر واحد كما قال بعض الادباء يتغزل ٥

• تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى • بهن اختلافا بل اتين على قدر ٥

وتسالهم

وتسالهم في الجنة تسال راحة وتنعم يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا والايمان
وثمرته وفاقبل معطوف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب
كعادة الشرب في الدنيا قال الشاعر ٥

• وما بقيت من اللذات الا احاديث • الكرام على المدام ٥

وجيء به ماضيًا لصدق الاخبار به فكانه قد وقع ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى
يتذكر بذلك نعمة الله تعالى عليه حيث هداه الى الايمان واعتقاد وقوع البعث
والثواب والعقاب وهو مثال للتحفظ من قرناء السوء والبعد منهم قال
ابن عباس وغيره كان هذا القائل وقرينه من البشر وقالت فرقة هم اللذان
في قوله يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال مجاهد كان انسيا وجنيا من
الشياطين الكفرة وقرا الجمهور من المصدقين بتخفيف الصاد من التصديق
وفرقة بشدها من التصدق قال فرات بن ثعلبة البهراني كانا شريكين
بثمانية الاف درهم فعبد الله احدهما وتقصر من التجارة والنظر والاخر
كافر مقبل على ماله فانفصل من شريكه لتقصيره فكلما اشترى دارا او جارية
او بستانا ونحوه عرضه على المؤمن وفخر عليه فيتصدق المؤمن بنحو من ذلك
ليشتري به في الجنة فكان من امرهما في الاخرة ما قصه الله وقال الزمخشري
نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه
فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه
فقال اينك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب
والله لا اعطيك شيئا ائنا لمدينون • وقال ابن عباس وقتادة والسدي
مجازون محاسبون وقيل لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه
الحديث العاقل من دان نفسه والظاهر ان الضمير في قال هل انتم
عائد على قائل في قوله قال قائل قيل وفي الكلام حذف تقديره فقال
لهذا القائل حاضرون من الملائكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال
عند ذلك هل انتم مطلعون والخطاب في هل انتم يجوز ان يكون للملائكة
وان يكون لرفقائه في الجنة الذين كان هو واياهم يتساءلون او لخدمته
وهذا هو الظاهر لما كان قرينه ينكر البعث علم انه في النار فقال هل
انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وعلى هذا القول لا يحتاج
الكلام الى حذف ولا القول للملائكة ان قرينك في جهنم يعذب قيل ان
في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هل انتم
مطلعون الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون
ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرا الجمهور مطلعون
بتشديد الطاء المفتوحة وفتح النون فاطلع بشد الطاء فعلا ماضيا
وقرا ابو عمرو في رواية حسين الجعفي مطلعون باسكان الطاء وفتح النون
فاطلع بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر اللام فعلا ماضيا مبنيا
للمفعول وهي قراءة ابن عباس وابن محيصن وعمار بن ابي عمار وابي سراج

وقرئ مطلعون مشددا فاطلع مشددا مضارعا منصوبا على جواب الاستفهام وقرئ مطلعون بالتخفيف فاطلع مخففا فعلا ماضيا وفاطلع مخففا مضارعا منصوبا وقرأ ابو البرهسم وعمار بن ابي عمار فيما ذكره خلف عن عمار مطلعون بخفة الطاء وكسر النون فاطلع ماضيا مبنيا للمفعول ورد هذه القراءة ابو حاتم وغيره لجمعه بين نون الجمع ويا المتكلم والوجه مطلعي كما قال او مخرجي هم ووجهها ابو الفتح على تنزيل اسم الفاعل منزلة المضارع وانشد الطبري على هذا قول الشاعر وما ادري وظني كل ظن اسلمني الى قومي شراح ٥ قال الفراء يريد شراحيل وقال الزمخشري اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه ٥ او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر انتهى فالتخريج الثاني تخريج ابي الفتح وتخريجه الاول لا يجوز لانه ليس من مواضع الضمير المنفصل فيكون المتصل وضع موضعه لا يجوز هند زيد ضاربت اياها ولا زيد ضاربت اياي وكلام الزمخشري يدل على اجازته فالاولى تخريج ابي الفتح وقد جاء منه امسلمني الى قومي شراح وقال الاخر ٥

• فهل فتى من سراة القوم يحملني وليس حاملني الا ابن حمال ٥

وقال الاخر وليس معييني

فهذه ابيات ثبتت النون فيهما مع يا المتكلم فكذلك ثبتت نون الجمع معها اجراء للنون مجرى التنوين لاجتماعهما في السقوط للاضافة ويقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد ومن قرأ فاطلع مبنيا للمفعول فضميره القائل الراي هو المفعول الذي لم يسم فاعله وهو متعد بالهمزة اذ يقول طلع زيد واطلعه غيره وقال صاحب اللوامح طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا اقبل وجاء ومعنى ذلك هل انتم مقبلون فاقبل وانما اقيم المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او حرف الجر المحذوف اي فاطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك انتهى وقد ذكرنا ان اطلع عدي بالهمزة من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف اي فاطلع به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نايب عن الفاعل فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك هذا لو قلت زيد ممرورا ومغضوب تريد به او عليه لم يجز وسوا الجحيم وسطه تقول تعبت حتى انقطع سواي وقال عيسى بن عمر لابي عبيدة كنت اكتب حتى ينقطع سواي قال ابن عباس سمي سوا لاستواء المسافة منه الى الجوانب يعني سوا الجحيم وقال خليل العصري راه قد تبدلت حاله فلولا ما عرفه الله به لم يعرفه قال له عند ذلك تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني باغوايك وان مخففة من الثقيلة يليها الفعل وتالله قسم فيه التعجب من سلامته منه اذ كان قرينه قارب ان يرديه ولولا نعمة ربي وهي توفيقه للايمان والبعد من قرين السوء لكنت من

المحضرين

المحضرين للعذاب كما احضرته انت افما نحن بميتين قرأ زيد بن علي بمايتين والظاهر انه من كلام القايل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له اي لسنا اهل الجنة بميتين لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا بخلاف اهل النار فانهم في كل ساعة يتمنون فيها الموت وما نحن بمعذبين كحال اهل النار بل نحن منعمون دايما ويكون في خطابه ذلك متكلا له مقرعا محزنا له بما انعم الله به عليه من دخوله الجنة معلما له بتباين حاله في الاخرة لحاله كما كانا تباينا في الدنيا وان ما كان يقول فيها في الدنيا من انه ليس بعد الموت جزا ظهر له خلافه يعذب بكفره بالله وانكار البعث ويجوز ان يكون خطابا من القايل لرفقايه لما راى ما نزل بقرينه ونظر الى حاله في الجنة وقفهم على نعمة الله تعالى عليهم في ديمومة خلودهم في الجنة ونعيمهم فيها ويتصل قوله ان هذا الى قوله العاملون بهذا الثنا وبل ايضا لاواضحا خطابا لرفقايه ويجوز ان يكون من كلامه عند قوله لتردين ويكون افما نحن الى بمعذبين من كلامه وكلام رفقايه وكذلك ان هذا الى العاملون اي ان هذا الامر الذي نحن فيه من النعيم والنجاة من النار وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقولهم وتصديقا له وخطابا لرسول الله وامته ويقوي هذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون والاخرة ليست بدار عمل ولا ينا سب ذلك قول المومن في الاخرة الا على تجوز كانه يقول لمثل هذا ينبغي ان يعمل العاملون وقال الزمخشري الذي عطفت عليه الفا محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا بمعذبين انتهى وتقدم من مذهبه انه اذا تقدمت همزة الاستفهام وجا بعدها حرف العطف بضمير ما يصح به اقرار الهمزة والحرف في محليهما اللذين وقعا فيهما ومذهب الجماعة ان حرف العطف هو المنقدم في التوحيد التقدير والهمزة بعدها ولكنه لما كانت الهمزة لها صدر الكلام قدمت فالتقدير عند الجماعة فانما وقد رجع الزمخشري الى مذهب الجماعة وتقدم الكلام معه في ذلك ٥ اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رءوس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين ٥ لما انقضت قصة المومن وقرينه وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شي الى شي عاد الى ذكر الجنة والرزق الذي اعده الله فيها لاهلها فقال اذلك الرزق خير نزلا والنزل ما يعد للاضياف

قوله عز وجل اذلك خير نزلا

وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم فلا سواء الرزق المعلوم يحصل
به اللذة والسرور وشجرة الزقوم يحصل بها الالم والغم فلا اشتراك بينهما
في الخيرية والمراد تقرير قريش والكفار وتوقيفهم على شيئين احدهما فاسد
ولو كان الكلام استفهاما حقيقة لم يحسن اذ لا يتوهم احد ان في شجرة الزقوم
خيرا حتى يعادل بينها وبين رزق الجنة ولكن المؤمن لما اختار ما ادى الى
رزق الجنة والكافر اختار ما ادى الى شجرة الزقوم قيل ذلك توبيخا
للكافرين وتوقيفا على سوء اختيارهم انا جعلناها فتنة للظالمين قال
قتادة ومجاهد والسدي ابو جهل ونظراؤه لما نزلت قال الكفار يخبر
محمد عن النار انها تنبت الاشجار وهي تاكلها وتذهبها ففتنوا بذلك انفسهم
وجهلة اتباعهم وقال ابو جهل انما الزقوم التمر بالزبد ونحن نتزقمه
وقيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها واستعير الطلع
وهو للنخلة لما تحمل هذه الشجرة وشبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال
لثمرها رؤوس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الاستن وذكرها
النابغة في قوله ٥

تحيد من استن سود اسافله مشي الاماء الغوادي تحمل الحزما

وهو شجر خشن منتن مر منكر الصورة سمت ثمره العرب بذلك تشبيها برؤوس
الشياطين ثم صار اصلا يشبه به وقيل هو شجر يقال له الصوم ذكره ساعدة
ابن جؤية الهذلي في قوله من كل ... الصوم مرقبها من المخارف محظوق
الحشا رزم وقيل الشياطين صنف من الحيات ذوات اعراف ومنه

عجيز تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف ٥

وقيل شبه بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها وان
كانت غير مرئية ولذلك يصورون الشيطان في اقبح الصور واذا راوا اشعث
متنفش الشعر قالوا كانه وجه شيطان وكان راسه راس شيطان وهذا
بخلاف الملك يشبهون به الصورة الحسنة وكما شبه امرؤ القيس المسنونة
الزرق بانياب الغول في قوله ومسنونة زرق كانياب اغوال وان كان
لم يشاهد تلك الانياب وهذا كله تشبيه تخييلي والضمير في منها يعود
على الشجرة التي من طلعها وقرأ الجمهور لشوبا بفتح الشين وشيبان
النحوي بضمها قال الزجاج الفتح للمصدر والضم للاسم يعني انه فعل بمعنى
مفعول اي مشوب كالنقض بمعنى المنقوض وفسر بالخلط والحميم الماء السخن
جدا قيل ويراد به هنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم وما ينماع
منهم ولما ذكر انهم يملؤون بطونهم من شجرة الزقوم للجوع الذي يلحقهم
او لاكراههم على الاكل وملء البطون زيادة في عذابهم ذكر ما يسقون
لغلبة العطش وهو ما يمزج لهم من الحميم ولما كان الاكل يعقبه ملء البطن
كان العطف بالفاء في قوله فمالئون ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الاكل
اتى بلفظ ثم المقتضية المهلة او لما امتلأت بطونهم من ثمر الشجرة وهو حار

أحرق

احرق بطونهم وعطشهم فاخر سقيهم زمانا ليزدادوا بالعطش عذابا الى
عذابهم ثم سقوا ما هو احر واكره ثم ان مرجعهم لالى الجحيم لما ذهب
بهم من منازلهم التي اسكنوها في النار الى شجرة الزقوم للاكل والتملؤ منها
والسقي من الحميم وتراخي رجوعهم الى منازلهم دخلت ثم للدلالة على ذلك
والرجوع دليل على الانتقال في وقت الاكل والشرب الى مكان غير مكانهم
ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد ابائهم والضمير لقريش وان ذلك التقليد
كان سببا لاستحقاقهم تلك الشدائد اي وجدوا اباءهم ضالين فاتبعوهم
على ضلالتهم مسرعين في ذلك لا يثبطهم شيء ثم اخبر بضلال اكثر من تقدم
من الامم هذا وما خلت ازمانهم من ارسال الرسل وانذارهم عواقب التكذيب
وفي قوله فانظر ما يقتضي هلاكهم وسوء عاقبتهم واستثنى المخلصين من عباده
وهم الاقل المقابل لقوله اكثر الاولين والمعنى الا عباد الله فانهم نجوا
ولما ذكر ضلال الاولين ذكرا ولهم شهرة وهم قوم نوح ونداؤه عليه السلام
تضمن اشياء منها الدعاء على قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة واجابته تعالى
في كل ذلك اجابة بلغ بها مراده واللام في فلنعم جواب قسم كقوله ٥
يمينا لنعم السيدان وجدتما ٥ والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فلنعم المجيبون
نحن وجاء بصيغة الجمع للعظمة والكبرياء كقوله فقدرنا فنعم القادرون
والكرب العظيم قال السدي الغرق وقيل تكذيب الكفرة وركوب الماء
وهوله وهم فصل متعين للفصلية لا يحتمل غيره قال ابن عباس وقتادة
اهل الارض كلهم من ذرية نوح وفي الحديث انه عليه السلام قرأ وجعلنا
ذريته هم الباقين فقال سام وحام ويافث وقال الطبري العرب
من اولاد سام والسودان من اولاد حام والترك والصقالبة وغيرهم من اولاد
يافث وقالت فرقة ابقى الله ذرية نوح ومد في نسله وليس الناس منحصرين
في نسله بل في الامم من لا يرجع اليه وتركنا عليه في الاخرين اي في الباقين
غابر الدهر ومفعول تركنا محذوف تقديره ثناء حسنا جميلا الى اخر الدهر قاله
ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وسلام رفع بالابتداء مستانف سلم الله
عليه ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره احد من العالمين بسوء سلم تعالى
عليه جزاء على ما صبر طويلا من اقوال الكفرة واذايتهم له وقال الزمخشري
وتركنا عليه في الاخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني
يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت
سورة انزلناها انتهى وهذا قول الفراء وغيره من الكوفيين جعلوا سلام
على نوح في العالمين جملة في موضع نصب بتركنا وهذا هو المتروك
عليه وكانه قال وتركنا على نوح تسليما يسلم به عليه الى يوم القيمة
انتهى وفي قراءة عبد الله سلاما بالنصب ومعنى في العالمين ثبوت هذه
التحية مثبوتة فيهم جميعا مدامة عليه في الملائكة والثقلين يسلمون
عليه عن اخرهم ثم علل هذه التحية عليه في العالمين بانه كان محسنا ثم علل

حسبانه بكونه مؤمنا فدل على جلالة الإيمان ومحله عند الله ثم أغرقنا الآخرين
أنه من كان مكذبا له من قومه لما ذكر نجاته ونجاة أهله إذ كانوا مؤمنين
ذكر هلاك غيرهم بالغرق ۞ وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم
إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أإفكا آلهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه
مدبرين فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم
ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به
كيدا فجعلناهم الأسفلين ۞ والظاهر عود الضمير في من شيعته على نوح
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي أي ممن شايعه في أصول
الدين والتوحيد وإن اختلفت شرائعهما أو اتفق أكثرها أو ممن شايعه
في التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفا سنة
وستمائة وأربعون سنة وبينهما من الأنبياء هود وصالح عليهما السلام
وقال الفراء الضمير في من شيعته يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والأعرف
أن المتأخر في الزمان هو شيعة للمتقدم وجاء عكس ذلك في قول الكميت

● وما لي إلا آل أحمد شيعة ● وما لي إلا مشعب الحق مشعب ●

جعلهم شيعة لنفسه وقال الزمخشري فإن قلت بم تعلق الظرف قلت
بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه
بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر انتهى أما التخريج الأول فلا يجوز لأنه
فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو قوله لإبراهيم لأنه أجنبي من شيعته
ومن إذ وزاد المنع إذ قدره ممن شايعه حين جاء لإبراهيم لأنه قدر ممن شايعه
فجعل العامل صلة لموصول وفصل بينه وبين إذ بأجنبي وهو قوله لإبراهيم وأيضا
فلام التوكيد يمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت إن ضاربا لقادم علينا زيدا
وتقديره إن ضاربا زيدا لقادم علينا لم يجز وأما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين
ومجيئه ربه بقلب سليم إخلاصه الدين لله وسلامة قلبه براءته من الشرك والشك
والنقائص التي تعتري القلوب من الغل والحسد والخبث والمكر والكبر ونحوها قال
عروة بن الزبير لم يلعن شيئا قط وقيل سليم من الشرك ولا معنى للتخصيص وأجازوا
في نصب أإفكا وجوها أحدها أن يكون مفعولا بتريدون وآلهة بدل منه وقوله
استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكره الزمخشري قال فسر الإفك
بقوله آلهة من دون الله أإفكا وآلهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم
المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك
وباطل في شركهم وبدأ بهذا الوجه الزمخشري والثالث أن يكون حالا أي
أتريدون آلهة من دون الله آفكين قاله الزمخشري وجعل المصدر حالا لا
لا يطرد إلا مع أما في نحو أما علما فعالم فما ظنكم برب العالمين استفهام
توبيخ وتحذير وتوعد أي أي شيء ظنكم بمن هو يستحق لأن تعبدوه إذ هو رب

العالمين

قوله عز وجل وإن من شيعته لإبراهيم

على أنها إفك في القسم والثاني أن يكون مفعولا من أجله أي أتريدون آلهة من دون الله

العالمين حتى تركتم عبادته وعدلتم به الأصنام أو أي شيء ظنكم بفعله معكم
من عقابكم إذ قد عبدتم غيره كما تقول أسأت إلى فلان فما ظننت به أن يوقع بك
جزاء ما أسأت إليه ولما وبخهم على عبادة غير الله أراد أن يريهم أن أصنامهم
لا تنفع ولا تضر فعمد إلى ما يجعله منفردا بها حتى يكسرها ويبين لهم حالها وعجزها
فنظر نظرة في النجوم والظاهر أنه أراد علم الكواكب وما يجري لها من التأثيرات
التي جعلها الله لها والظاهر أن نظرة كانت فيها أي في علمها أو في كتابها
التي اشتمل على أحوالها وأحكامها قيل وكانوا يعانون ذلك فأتاهم من
الجهة التي يعانونها وأوهمهم بأنه استدل بأمارة في علم النجوم أنه يسقم
أي يشارف السقم قيل وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم إذ ذاك
وخافوا العدوى وهربوا منه إلى عيدهم ولذلك قال فتولوا عنه مدبرين
قال معناه ابن عباس وتركوه في بيت الأصنام ففعل ما فعل وقيل كانوا
أهل رعاية وفلاحة فكانوا يحتاجون إلى علم النجوم وقيل أرسل إليه ملكهم
أن غدا عيدنا فاحضر معنا فنظر إلى نجم طالع فقال إن هذا يطلع مع سقمي
وقيل معنى فنظر نظرة في النجوم أي فيما نجم إليه من أمور قومه وحاله معهم
ومعنى فتولوا عنه مدبرين أي لكفرهم به واحتقارهم له وقوله إني سقيم من
المعاريض عرض أنه يسقم في المآل وفهموا عنه أنه متلبس بالسقم وابن آدم
لا بد أن يسقم والمثل كفى بالسلامة داء وقال لبيد

۞ فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء ●

ومات رجل فجأة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي
أصحيح من الموت في عنقه فراغ إلى آلهتهم أي أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة
لقوله أين شركائي وعرض الأكل عليها واستفهامها عن النطق هو على سبيل الهزء
لكونها منحطة عن رتبة عابديها إذ هم يأكلون وينطقون وروي أنهم كانوا
يضعون عندها طعاما ويعتقدون أنها تصيب منه شيئا ويأكله
خدمتها فراغ عليهم ضربا باليمين أي أقبل عليهم مستخفيا ضاربا فهو
مصدر في موضع الحال أو يضربهم ضربا فهو مصدر لفعل محذوف أو ضمن فراغ
عليهم معنى ضربهم وباليمين أي بيمين يديه قاله ابن عباس لأنها أقوى
يديه أو بقوته لأنه قيل كان يجمع يديه في الآلة التي يضربها بها وهي الفأس
وقيل بسبب الحلف الذي هو وتالله لأكيدن أصنامكم وقرأ الجمهور
يزفون بفتح الياء من زف أي أسرع أو من زفاف العروس وهو التمهل في المشية
إذ كانوا في طمأنينة أن ينال أصنامهم شيء لعزتهم وقرأ حمزة ومجاهد
وابن وثاب والأعمش بضم الياء من أزف دخل في الزفيف فالهمزة ليست
للتعدي أو حمل غيره على الزفيف فهي للتعدي قاله الأصمعي وقرأ مجاهد
أيضا وعبد الله بن يزيد والضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وابن أبي عبلة
يزفون مضارع وزف بمعنى أسرع وقال الكسائي والفراء لا نعرفها بمعنى
زف وقال مجاهد الوزيف النسلان وقرئ يزفون مبنيا للمفعول

وقرئ يزفون بسكون الزاي من زفاه اذا حداه وكان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فراغ عليهم ضربا باليمين وبين قوله فاقبلوا اليه يزفون جمل محذوفة هي مذكورة في سورة اقترب ولا تعارض بين قوله فاقبلوا اليه يزفون وبين سؤالهم من فعل هذا بالهتنا واخبار من عرض بان ابراهيم كان يذكر اصنامهم لان هذا الاقبال كان قد تقتضي تلك الجمل المحذوفة اي فاقبلوا اليه اي الى الانكار عليه في كسر اصنامهم وما يبنيه على ذلك وليس هذا الاقبال الاقبال الاول من عندهم بل بعد مجيئهم من عندهم جرت تلك المقاولات المذكورة في سورة اقترب واستشكل الزمخشري في كلامه اشياء لم تتضمنها الايات صارت الايات عنده بها كالمتناقض قال حيث ذكر هنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثمة انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخرى انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر انتهى ما ابداه من التناقض وليس في الايات ما يدل على انهم ابصروه يكسرهم فيكون فيه كالتناقض ولما قرر انه كالتناقض قال قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوا عندها لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسالوا من فعل هذا لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقوله سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان كسرها وذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فاتوا به على اعين الناس انتهى وهذا الوجه الثاني الذي ذكره هو الصحيح قال اتعبدون ما تنحتون استفهام توبيخ وانكار عليهم كيف هم يعبدون صورة صوروها بايديهم وشكلوها على ما يريدون من الاشكال والله خلقكم وما تعملون الظاهر ان ما موصولة بمعنى الذي معطوفة على الضمير في خلقكم اي انشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الاصنام والعمل هنا هو التصوير والتشكيل كما تقول عمل الصائغ الخلخال وعمل الحداد القفل والنجار الخزانة ويحمل ذلك على ان ما بمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم بان كلا من الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالى والعابد هو المصور ذلك المعبود فكيف يعبد مخلوق مخلوقا وكلاهما خلق الله وهو المنفرد بانشاء ذواتهما والعابد مصور الصنم معبوده وما في وما تنحتون بمعنى الذي فكذلك في وما تعملون لان نحتهم هو عملهم وقيل ما مصدرية اي خلقكم وعملكم وجعلوا ذلك قاعدة على خلق الله افعال العباد وقد تدد الزمخشري بغايل هذه المقالة بما يوقف عليه في كتابه وقيل ما استفهام انكار اي واي شيء تعملون في عبادتكم اصناما تنحتونها اي لا عمل لكم يعتبر وقيل ما نافية اي وما انتم تعملون شيئا في وقت خلقكم ولا تقدرون على شيء

وكون

وكون ما مصدرية واستفهامية ونافية اقوال متكلفة خارجة عن طريق البلاغة ولما غلبهم ابراهيم عليه السلام بالحجة مالوا الى الغلبة بقوة الشوكة والجمع فقالوا ابنوا له بنيانا اي في موضع ايقاد النار وقيل هو المنجنيق الذي رمي عنه وارادوا به كيدا فابطل الله تعالى مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وكذا عادة من غلب بالحجة رجع الى الكيد تل الرجل الرجل صرعه على شقه وقيل وضعه بقوة وقال ساعدة بن جؤية

المفردات

وظل تليلا للجبين وللفم ٥ والجبينان ما اكتنف الجبهة من هنا ومن هنا وشذ جمع الجبين على اجبن وقياسه في القلة اجبنة ككثيب واكثبة وفي الكثرة جبنان وجبن ككثبان وكثب الذبح اسم ما يذبح كالرعي اسم ما يرعى ابق هرب سام قارع المدحض المغلوب الحوت معروف الام اتى بما يلام عليه ٥ قال الشاعر ٥

• وكم من مليم لم يصب بملامة ومتبع بالذنب ليس له ذنب ٥

العراء الارض الفيحاء لا شجر فيها ولا يعلم قال الشاعر

• رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبيت العرا ثيابي ٥

اليقطين يفعيل كالتعصيد من قطن اقام بالمكان وهو ما كان من الشجر لا يقوم على ساق من عود كشجر البطيخ والقرع والحنظل والخطل والقثاء الساحة الفناء وجمعها سوح قال الشاعر

• فكان سيان ان لا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح ٥

قوله عز وجل وقال اني ذاهب الى ربي

وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ٥٥ لما سلمه الله تعالى منهم ومن النار التي القوه فيها عزم على مفارقتهم وعزبا الذهاب الى ربه عن مجرته الى ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي ليتمكن من عبادة ربه ويتفرغ له من غير ان يلقي من يشوش عليه فهاجر من ارض بابل من مملكة نمرود الى الشام وقيل الى ارض مصر ويبعد قول من قال ليس المراد بذهابه الهجرة وانما مراده لقاء الله بعد الاحراق ظانا منه انه سيموت في النار فقالها قبل ان يطرح في النار وسيهدين اي الى الجنة نحا الى هذا قتادة لان قوله رب هب لي من الصالحين يدفع هذا القول والمعتقد انه يموت في النار لا يدعو بان يهب الله له ولدا صالحا سيهدين يوفقني الى ما فيه صلاحي من الصالحين اي ولدا يكون في عداد الصالحين ولفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد

جاء في الاخ كقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا واستدل
البشارة على ذكورية المولود وبلوغه سن الحلم ووصفه بالحلم واي حلم اعظم
من قوله وقد عرض عليه ابوه الذبح ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما
بلغ معه السعي بين هذه الجملة والتي قبلها محذوف تقديره فولد له ونشأ
فلما بلغ اي بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه وقال ابن عباس ومجاهد
وابن زيد والسعي هنا العمل والعبادة والمعونة وقال قتادة السعي على
القدم يريد سعيا متمكنا ومعه قال الزمخشري لا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه
بلوغهما معا حد السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال
مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره
ربما عنف عليه في الاستسعا فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب
عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة انتهى قال يا بني نداء شفقة
وترحم اني ارى في المنام اني اذبحك اي بامر من الله ويدل عليه افعل ما تؤمر
ورؤيا الانبياء وحي كاليقظة وذكر له الرؤيا تجسيرا على احتمال تلك
البلية العظيمة وشاوره بقوله فانظر ماذا ترى وان كان حتما من الله
ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم ويصبره ان جزع ويوطن نفسه
على ملاقاة هذا البلاء وتسكن نفسه لما لا بد منه اذ مفاجاة
البلاء قبل الشعور به اصعب على النفس وكان ما راه في المنام ولم يكن في
اليقظة كرؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول
المسجد الحرام ليدل على ان حالتي الانبياء يقظة ومناما سواء في الصدق
منتظما فرات عليه فيما انه حين بشرته الملائكة بغلام حليم قال هو اذن
ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك وقيل راى ليلة
التروية قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في
ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى
راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في
الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقرا الجمهور ترى بفتح التاء
والراء وعبد الله والاسود بن يزيد وابن وثاب وطلحة والاعمش ومجاهد
وحمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء والضحاك والاعمش ايضا بضم
التاء وفتح الراء فالاول من الراي والثاني ماذا تريني وما تبديه
لانظر فيه والثالث ما الذي يخيل اليك ويوقع في قلبك وانظر معلقة
وماذا استفهام فان كانت ذا موصولة بمعنى الذي فما مبتدا والفعل بعد
ذا صلة وان كانت ماذا مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها والجملة
واسم الاستفهام الذي هو معمول للفعل بعده في موضع نصب لانظر ولما كان
خطاب الاب يا بني على سبيل الترحم قال هو يا ابت على سبيل التعظيم
والتوقير افعل ما تؤمر اي ما تؤمر حذفه وهو منصوب واصله ما تؤمر به
فحذف الحرف واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه لوجود شرائط الحذف فيه

وقال الزمخشري او امرت على اضافة المصدر الى المفعول الذي لم يسم
فاعله وفي ذلك خلاف هل يعتقد في المصدر العامل انه يجوز ان يبنى
للمفعول فيكون ما بعده مفعولا لم يسم فاعله ام لا يكون ذلك ستجدني ان
شاء الله من الصابرين كلام من اوتي الحلم والصبر والامتثال لامر الله
والرضا بما امر فلما اسلما اي لامر الله ويقال استسلم وسلم بمعناها وقرا
الجمهور اسلما وقرا عبد الله وعلي وابن عباس ومجاهد والضحاك وجعفر بن محمد
والاعمش والثوري سلما اي فوضا اليه في قضائه وقدره وقرئ استسلما
ثلث قراءات وقال قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه واسلم هذا نفسه فجعل
اسلما متعديا وغيره جعله لازما بمعنى انقاد لامر الله وخضع له وتله للجبين
اوقعه على احد جبينيه في الارض مباشرا الامر بصبر وجلد وذلك عند الصخرة
التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر
الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف مقدر بعد وتله للجبين اي اجزلنا
اجرهما قاله بعض البصريين او بعد الرؤيا اي كان ما كان مما تنطق به الحال
ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله على ما انعم به الى الفاظ كثيرة
ذكرها الزمخشري على عادته في خطابته او قبل وتله تقديره فلما اسلما اسلما
وتله قال ابن عطية وهو قول الخليل وسيبويه وهو عندهم كقول امرئ القيس
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ... اي اجزنا وانتحى وقال الكوفيون الجواب
مثبت وهو وناديناه على زيادة الواو وقالت فرقة هو وتله على زيادة
الواو وذكر الزمخشري في قصة ابراهيم وابنه وما جرى بينهما من الاقوال
والافعال فصولا الله اعلم بصحتها يوقف عليها في كتابه وان مفسرة اي قد
صدقت وقرا زيد بن علي وناديناه قد صدقت بحذف ان وقرئ صدقت
بالتخفيف وقرا فياض الرئيا بكسر الراء والادغام وتصديق الرؤيا قال
الزمخشري بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه لكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في
فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا
كما لو مضت الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود
النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق
الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه وقال ابن عطية قد صدقت
يحتمل ان يريد بقلبك على معنى كانت عندك رؤياك صادقة حقا
من الله فعملت بحسبها حين امنت بها واعتقدت صدقها ويحتمل ان يريد
صدقت بعملك ما حصل عن الرؤيا في نفسك كانه قال قد وفيتها
حقها من العمل انتهى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتحويل ما حولهما
الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا اي ما امر به
ابراهيم من ذبح ابنه لهو البلاء المبين اي الاختبار البين الذي يتميز
فيه المخلصون وغيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب

منا وفديناه بذبح قال ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وقال ايضا هو وحش فدي به وعل اهبط عليه من ثبير وقال الجمهور كبش ابيض اقرن اعين ووصف بالعظم قال مجاهد لانه متقبل يقينا وقال عمرو بن عبيد لانه جرت السنة به وصار دينا باقيا آخر الدهر وقال الحسن بن الفضل لانه كان من عند الله وقال ابو بكر الوراق لانه لم يكن عن نسل بل عن التكوين وقال ابن عباس وابن جبير عظمه كونه من كباش الجنة رعى فيها اربعين خريفا وفي قوله وفديناه بذبح عظيم دليل على ان ابراهيم لم يذبح ابنه وقد فدي وقالت فرقة وقع الذبح وقام بعد ذلك قال ابن عطية وهذا كذب صراح وقالت فرقة لم ير ابراهيم في منامه الا امرار الشفرة فقط فظن انه ذبح مجهز فنفذ لذلك فلما وقع الذي رآه وقع النسخ قال ولا اختلاف ان ابراهيم عليه السلام امر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع انتهى والذي دل عليه القرآن انه تله للجبين فقط ولم يأت في حديث صحيح انه امر الشفرة على حلق ابنه وتركنا عليه الى المحسنين تقدم تفسير نظيره في آخر قصة نوح قبل قصة ابراهيم هنا وقال هنا كذلك دون انا اكتفاء بذكره قبل وبعد وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين الظاهر ان هذه بشارة غير تلك البشارة وان الغلام الحليم المبشر به ابراهيم هو اسمعيل وانه هو الذبيح لا اسحق وهو قول ابن عباس وابن عمر ومعاوية بن ابي سفيان ومحمد بن كعب القرظي والشعبي والحسن ومجاهد وجماعة من التابعين واستدلوا بظاهر هذه الآيات وبقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقول الاعرابي له يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام يعني اسمعيل واباه عبد الله وكان عبد المطلب نذر ذبح احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بها وفيما اوحى الله لموسى في حديث طويل واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه وسأل عمر بن عبد العزيز يهوديا اسلم عن ذلك فقال ان يهود ليعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب وكان قرنا الكبش منوطين في الكعبة وسأل الاصمعي ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة انتهى ووصفه تعالى بالصبر في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح وبصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح اسمعيل ويزعم اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود ومن اقوى ما يستدل به ان الله تعالى بشر ابراهيم باسحاق وولد لاسحاق يعقوب فلو كان الذبيح اسحاق لكان ذلك الاخبار غير مطابق للواقع وهو محال في اخبار الله تعالى وذهبت جماعة

الى ان الذبيح هو اسحاق منهم العباس بن عبد المطلب وابن مسعود وعلي وعطاء وعكرمة وكعب وعبيد بن عمير وابن عباس في رواية وكان امر ذبحه بالشام وقال عطاء ومقاتل ببيت المقدس وقيل بالحجاز جاء مع ابيه على البراق وقال عبيد بن عمير كان بالمقام وقال ابن عباس والبشارة في قوله وبشرناه باسحق هي بشارة بنبوته وقالوا اخبر تعالى عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع تلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله ومن جعل الذبيح اسحق جعل هذه البشارة بشارة بنبوته كما ذكرنا عن ابن عباس وقالوا لا يجوز ان يبشره الله بولادته ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا ومن جعله اسمعيل جعلها بشارة بولادة اسحق وانتصب نبيا على الحال وهي حال مقدرة فان كان اسحاق هو الذبيح وكانت هذه البشارة بولادة اسحاق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سؤال قال فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين انتهى وباركنا عليه وعلى اسحاق افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وبان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه ومن ذريتهما محسن وظالم فيه وعيد لليهود ومن كان من ذريتهما لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان البر قد يلد الفاجر ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة

قوله عز وجل ولقد مننا

۝ ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين

الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين
وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
افلا تعقلون ٥ الكرب العظيم تعبيد القبط لهم ثم خوفهم من جيش فرعون
ثم البحر بعد ذلك والضمير في ونصرناهم عائد على موسى وهرون وقومهما
وقيل عائد على موسى وهرون فقط تعظيما لهما بكناية الجماعة وهم يجوز
ان يكون فصلا وتوكيدا او بدلا والكتاب المستبين التوراة كما قال تعالى
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور والصراط المستقيم هو الاسلام وشرع الله
والياس قال ابن مسعود وقتادة هو ادريس عليه السلام ونقلوا عن ابن مسعود
وابن وثاب والاعمش والمنهال بن عمرو والحكم بن عتيبة الكوفي انهم قرؤا وان
ادريس لمن المرسلين وهي محمولة عندي على تفسير لان المستفيض عن ابن مسعود
انه قرأ وان الياس وايضا تفسير الياس بانه ادريس لعله لا يصح عنه لان
ادريس في التاريخ المنقول كان قبل نوح وفي سورة الانعام ذكر الياس
وانه من ذرية ابراهيم او من ذرية نوح على ما يحتمله قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا ومن ذريته داود وذكر في جملة هذه الذرية الياس
وقيل الياس من اولاد هرون قال الطبري هو الياس بن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون وقرأ الجمهور وان الياس بهمزة قطع مكسورة وقرأ
عكرمة والحسن بخلاف عنهما والاعرج وابو رجاء وابن عامر وابن محيصن
بوصل الالف فاحتمل ان يكون وصل همزة القطع واحتمل ان يكون اسمه ياسا
ودخلت عليه ال كما دخلت على اليسع وفي حرف ابي ومصحفه وان ايليس
بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة بعدها لام مكسورة بعدها ياء ساكنة وسين
مفتوحة وقرئ وان ادراس وادراس لغة في ادريس كابراهام في ابراهيم
اتدعون بعلا اي تعبدون بعلا وهو علم لصنم لهم قاله الضحاك والحسن
وابن زيد قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا
به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان
يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقال
عكرمة وقتادة البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا ينشد ضالة
فقال له رجل انا بعلها فقال ابن عباس الله اكبر اتدعون بعلا ويقال
من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى على هذا تعبدون بعض البعول وتتركون
عبادة الله وقالت فرقة ان بعلا اسم امرأة اتتهم بضلالة فاتبعوها
وقرئ اتدعون بعلا بالمد على وزن حمراء وتونس هذه القراءة قول من قال
انه اسم امرأة وقرأ الكوفيون وزيد بن علي الله ربكم ورب آبائكم بالنصب
في الثلاثة بدلا من احسن او عطف بيان ان قلنا ان اضافة التفضيل

محضة وباقي السبعة بالرفع اي هو الله او يكون استئنافا مبتدأ وربكم خبره
وروي عن حمزة انه اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه اي كذبه قومه
اما في قوله الله ربكم هذه النسب او فكذبوه فيما جاء به من عند الله من الامر بالتوحيد
وترك الصنم والايمان بما جاءت به الرسل فمحضرون مجموعون للعذاب الا
عباد الله المخلصين استثناء يدل على ان من قومه مخلصين لم يكذبوه فهو استثناء
متصل من ضمير فكذبوه ولا يجوز ان يكون استثناء من فانهم لمحضرون لانهم كانوا يكونون
مندرجين فيمن كذب ويكونون عباد الله المخلصين وذلك لا يمكن ولا يناسب
ان يكون استثناء منقطعا اذ يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير قومه
لا يحضرون العذاب ولا مسيس لهؤلاء المستثنين بالآية التي فيها قصة الياس
هذه وقرأ زيد بن علي ونافع وابن عامر على ال ياسين وزعموا ان ال منفصلة
في المصحف وياسين اسم لالياس وقيل اسم لابي الياس لانه الياس بن ياسين
وال ياسين هو ابنه الياس وقيل ياسين هو اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ
باقي السبعة على الياسين بهمزة مكسورة اي الياسين جمع المنسوبين الى
الياس ومعه فسلم عليهم وهذا يدل على ان من قومه من كان اتبعه على الدين فكل
واحد منهم نسب اليه كانه الياسي فلما جمعت خففت ياء النسب بحذف احداهما
كراهة التضعيف فالتقى ساكنان الياء وحرف العلة الذي للجمع فحذفت
لالتقائهما كما قالوا الاشعرون والاعجمون والخبيبون والمهلبون وحكى
ابو عمرو ان مناديا نادى يوم الكلاب هلك اليزيدون ٥ وقال الزمخشري
لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وقرأ ابو رجاء والحسن على الياسين بوصل
الالف على انه جمع يراد به الياس وقومه المؤمنون وحذفت ياء النسب
كما قالوا الاشعرون والالف واللام دخلت على الجمع واحده على هذا ياس
وقرأ ابن مسعود ومن ذكر معه انه قرأ ادريس سلام على ادراسين وعن
قتادة وان ادريس وقرأ على ادريسين وقرأ ابي على ايليسين كقراءته وان
ايليس لمن المرسلين الا عجوزا هي امرأة لوط وكانت كافرة اما مستترة بكفرها
واما معلنة وكان نكاح الوثنيات جائزا عندهم مصبحين حال اي داخلين في
الصباح والخطاب في وانكم لقريش وكانت متاجرهم الى الشام على مداين قوم لوط
افلا تعقلون فيعتبرون عاقبة ما جرى على من كذب الرسل ٥ وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه
الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا
انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين ٥٥ يونس بن متى من بني اسرائيل وروي انه نبي وهو ابن ثمان

قوله عز وجل وان يونس

بكم

وعشرين سنة بعثه الله الى قومه فدعاهم مرة فخالفوه فوعدهم بالعذاب فاعلمهم
الله بيومه فحذرهم يونس لهم ثم ان قومه لما راوا مخايل العذاب قبل ان يباشرهم
تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم وتقدم شرح قصته واعدنا
طرفا منها لبعد ما بين الذكرين قيل ولحقت يونس غضبة فابق الى ركوب السفينة
فرارا من قومه وعبر عن الهرب بالاباق اذ هو عبد الله خرج فارا من غير اذن من الله
وروي عن ابن مسعود انه لما ابعدت السفينة في البحر ويونس فيها ركدت فقال
اهلها ان فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع فاخذوا لكل سهما على ان
من طفا سهمه فهو ومن غرق سهمه فهو فليس اياه فطفا سهم يونس فعلوا ذلك ثلاثا
تقع القرعة فيها عليه فازمعوا على ان يطرحوه فجاء الى ركن منها ليقع منه
فاذا بدابة من دواب البحر ترقبه وترصد له فانتقل الى الركن الآخر فوجدها
حتى استدار بالمركب وهي لا تفارقه فعلم ان ذلك من عند الله فترامى اليها
فالتقمته ففي قصة يونس عليه السلام هنا جمل محذوفة متقدمة قبل ذكر فراره
الى الفلك كما في قصته في سورة الانبياء في قوله اذ ذهب مغاضبا هو ما بعد
بعدا وقوله فنادى في الظلمات جمل محذوفة ايضا فبمجموع القصص يتبين ما
حذف في كل قصة منها فساهم فكان من المدحضين من المغلوبين وحقيقته من
المزلقين عن مقام الظفر في الاستهام وقرئ وهو مليم بفتح الميم وقياسه ملوم
ملوم لانه من لمته الوصمة لوما فهو من ذوات الواو ولكنه جيء به على ليم كما قالوا
مشيب ومدعي في مشوب ومدعو بناء على شيب ودعي من المسبحين من الذاكرين
الله تعالى بالتسبيح والتقديس والظاهر انه يريد ما ذكر في قوله في سورة الانبياء
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال
ابن جبير هو قوله سبحان الله وقالت فرقة تسبيحه صلوة التطوع فقال
ابن عباس وقتادة وابو العالية صلوته في وقت الرخاء نفعته في وقت
الشدة وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله في الرخاء يذكركم
في وقت الشدة ان يونس كان عبدا ذاكرا فلما اصابته الشدة نفعه ذلك
قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وقال الحسن تسبيحه صلوته في بطن الحوت وروي انه كان يرفع لحم الحوت
بيديه يقول لابنين لك مسجدا حيث لم يبنه احد قبلي وروي ان الحوت مشى به
البحار كلها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل ۵ وروي ان الحوت سافر
مع السفينة رافعا راسه يتنفس ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى
البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا والظاهر ان قوله للبث في بطنه
يريد حيا الى يوم البعث ۵ وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم
القيمة وذكروا في مدة لبثه في بطن الحوت اقوالا متكاذبة ضربنا عن
ذكرها صفحا وهو سقيم وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد قاله
ابن عباس والسدي وقال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين
القرع خاصة قيل وهي كانت التي انبتها الله عليه وتجمع خصالا برد الظل

والملس

والملس وعظم الورق وان الذباب لا يقربها قيل وماء ورقه اذا رش به مكان
لم يقربه ذباب وقال امية بن ابي الصلت ۵

فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله القي ضاحيا ۵

وفيما روي انه قال انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي شجرة الموز
تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها ومعنى انبتنا عليه شجرة اي
انبتناها مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وقوله شجرة والشجرة في كلام
العرب ما كان على ساق من عود فيحتمل ان يكون الله انبتها ذات ساق يستظل
بورقها خرقا للعادة فنبت وصح وحسن وجهه لان ورق القرع انفع شيء
لمن ينسلخ جلده وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور رسالته هذه
هي الاولى التي ابق بعدها ذكرها آخر القصص تنبيها على رسالته وبدل عليه فآمنوا
فمتعناهم وتتبيع تلك الامة هو الذي اغضب يونس عليه السلام حتى ابق وقال
ابن عباس وقتادة على رسالة اخرى بعد ان نبذ بالعراء وهي الى اهل نينوى وقيل
هو ارسال ثان بعدما جرى له الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع
اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم
ان الله باعث اليكم نبيا وقراءة الجمهور وقال ابن عباس بمعنى بل وقيل بمعنى الواو
وبالواو قرأ جعفر بن محمد وقيل للابهام على المخاطب وقال المبرد وكثير من
البصريين المعنى على نظر البشر وحزرهم ان من رآهم قال هم مائة الف
او يزيدون وهذا القول لم يذكر الزمخشري غيره قال او يزيدون في
مرأى الناظر اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف
بالكثرة والزيادة ثلثون الفا قاله ابن عباس او سبعون الفا قاله
ابن جبير او عشرون الفا رواه ابي عن النبي عليه السلام واذا صح بطل ما
سواه فآمنوا روي انهم خرجوا بالاطفال واولاد الحيوان وفرقوا بينها
وبين الامهات وناحوا وضجوا واخلصوا فرفع الله عنهم والتمتيع هنا هو
بالحيوة والحين آجالهم السابقة في الازل قاله قتادة والسدي والضمير
فاستفتهم وقال الزمخشري فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان
تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن انكار البعث اولا
ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة
الضيزى انتهى ويبعد ما قاله من العطف واذا كانوا قد عدوا الفصل
بجملة مثل قولك كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة
وقصص متباينة فالقول بالعطف لا يجوز والاستفتاء هنا سؤال على جهة
التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله حيث جعلوا لله الاناث
في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووأدهم اياهن واستنكافهم
من ذكرهن وارتكبوا ثلاثة انواع من الكفر التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام
وتفضيل انفسهم حيث ارفع الجنسين لهم وغيرهم لله تعالى واستهانتهم
ممن هو مكرم عند الله حيث انثوهم وهم الملائكة بذاته اولا بتوبيخهم على

تفضيل أنفسهم بقولهم الربك البنات وعدل عن قوله الربكم لما في ترك الاضافة
اليهم من تخسيسهم وتشريف نبيه بالاضافة اليه ونبي بان نسبة الانوثة الى
الملائكة تقتضي المشاهدة فانكر عليهم بقوله أم خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون اي خلقناهم وهم لا يشهدون شيئا من حالهم كما قال في الاخرى
اشهدوا خلقهم وكما قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم ثم اخبر عنهم بما لنا باعظم الكفر وهو ادعاؤهم ان الله تعالى قد ولد
فبلغ افكهم الى نسبة الولد ولما كان هذا فحش قال وانهم لكاذبون واحتمل
ان يخص هذه الجملة بقولهم ولد الله ويكون تاكيدا لقوله من افكهم واحتمل
ان يعم هذا القول ونسبة الانوثة للملائكة وكونهم بنات الله اي وانهم
لكاذبون وقال الزمخشري **فان قلت** لم قال وهم شاهدون
فخص علم المشاهدة **قلت** ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل كقوله أشهدوا
خلقهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يخلق الله علمه
في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ولا نظر ويجوز ان يكون
المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس
لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقه **وقرئ** ولد الله اي الملائكة
ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث
يقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي انتهى **وقراء** الجمهور اصطفى بهمزة الاستفهام
على طريقة الانكار والاستبعاد **وقرا** نافع في رواية اسمعيل وابن جماز
وجماعة واسمعيل عن ابي جعفر وشيبة بوصل الالف وهو من كلام الكفار
حكى تعالى شنيع قولهم وهو انهم ما كفاهم ان قالوا ولد الله حتى جعلوا
ذلك الولد بنات وانه تعالى اختارهم على البنين وقال الزمخشري بدلا
عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراة وان كان هذا
محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة
من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها
للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين انتهى وليست دخيلة بين نسيبة
بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله وانهم لكاذبون
فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتاكيد في كون
مقالتهم تلك هي من افكهم ما لكم كيف تحكمون تقرير وتوبيخ واستفهام
عن البرهان والحجة **وقرا** طلحة بن مصرف تذكرون بسكون الذال وضم الكاف
ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله
فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم بذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون ٥ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم
وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا
له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون

قوله عز وجل وجعلوا بينه

لوأن

لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين ٥ الظاهر ان الجنة هم الشياطين وعن الكفار في ذلك مقالة
شنيعة منها انه تعالى صاهر سروات الجن فولد فيهم الملائكة وهم فرقة من بني
مدلج وشافه بذلك بعض الكفار ابا بكر الصديق ولقد علمت الجنة اي الشياطين
انها محضرة امر الله من ثواب وعقاب قاله ابن عطية وقال الزمخشري اذا فسرت
الجنة بالشياطين فيجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان
الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له
او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم وقيل الضمير في وجعلوا لفرقة من
الكفار كفار قريش والعرب والجنة الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم وخفائهم
وقال الزمخشري وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان
كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم
وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات
الاجرام لا يصح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك انتهى ولقد علمت الجنة اي
الملائكة انهم اي الكفرة المدعين نسبة بين الملائكة وبين الله تعالى لمحضرون
النار معذبون بما يقولون واضيف ذلك الى علم من نسبوا لذلك حتى يا لغة
في تكذيب الناسبين ثم نزه تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به الا
عباد الله فانهم يصفونه بصفاته العلى والاحسن المحضرون اي الا عباد الله
فانهم ناجون من العذاب وتكون جملة التنزيه اعتراضا وعلى كلا القولين
فالاستثناء منقطع والظاهر ان الواو في وما تعبدون للعطف عطفت ما تعبدون
على الضمير في انكم وان الضمير في عليه عائد على ما والمعنى قل لهم يا محمد انكم
وما تعبدون من الاصنام ما انتم وهم وغلب الخطاب كما تقول انت وزيد
تخرجان عليه اي على عبادة معبودكم بفاتنين اي بحاملين بالفتنة على عبادته
الا من قدر الله في سابق علمه انه من اهل النار فالضمير في عليه عائد على ما على
حذف مضاف كما قلنا اي على عبادته وضمن فاتنين على معنى حاملين بالفتنة
ومن مفعول بفاتنين فرغ له العامل اذ لم ياخذ بفاتنين مفعولا وقيل عليه
بمعنى به اي ما انتم بالذي تعبدون بفاتنين وبه متعلق بفاتنين المعنى
ما انتم فاتنين بذلك الذي عبدتموه الا من سبق عليه القدر انه يصلى النار
وجعل الزمخشري الضمير في عليه عائدا على الله قال **فان قلت** كيف يفتنونهم
على الله **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان
على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان تكون الواو في
وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت

أكل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله
وما تعبدون سادًّا مسدّ الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم
مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال
ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق
الفتنة والإضلال إلا من هو صال الجحيم مثلكم انتهى وكون الواو في وما تعبدون
واو مع غير متبادر إلى الذهن وقطع ما أنتم عليه بفاتنين عن فإنكم وما
تعبدون ليس بجيد لأن اتصاله به هو السابق إلى الفهم مع صحة المعنى
فلا ينبغي العدول عنه **وقرأ** الحسن وابن أبي عبلة صالو الجحيم بالواو وهكذا
في كتاب الكامل للهذلي وفي كتاب ابن خالويه عنهما صال مكتوبًا بغير واو
وفي كتاب ابن عطية **وقرأ** الحسن صالو مكتوبًا بواو وفي كتاب اللوامح وكتاب
الزمخشري عن الحسن صال مكتوبًا بغير واو فمن أثبت الواو فهو جمع سلامة
سقطت النون للإضافة حملا على لفظ من فأفرد ثم ثنّى على معناه فـ
جمع كقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين حمل في
يقول على لفظ من وفي وما هم على المعنى واجتمع الحمل على اللفظ والمعنى في جملة
واحدة وهي صلة للموصول كقوله إلا من كان هودًا أو نصارى **وقول الشاعر**
وأيقظ من كان منكم نيامًا ه ومن لم يثبت الواو احتمل أن يكون جمعًا وحذفت الواو
خطًّا كما حذفت في حالة الوصل لفظًا لأجل التقاء الساكنين واحتمل أن يكون صال
مفردًا حذفت لامه تخفيفًا وجرى الإعراب في عينه كما حذف من قوله وجنى الجنتين
دان وله الجوار المنشآت برفع النون والجوار وقالوا ما باليت به بالة
أي بالية كعافية من عافى فحذفت لام بالية وقالوا باله وبال كما بحذف
اللام فيهما وقال الزمخشري وقد وجه نحو أمرين الوجهين السابقين وجعلهما
أولا وثانيًا فقال والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال
في صائل كقولهم شاك في شائك انتهى وما منا أي أحد إلا له مقام معلوم
أي مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي
فمنهم راكع لا يقيم ظهره وراكع لا يرفع رأسه وهذا قول الملائكة ويقوي
قول من جعل الجنة هم الملائكة تبرؤوا عمّا نسب إليهم الكفرة من كونهم
بنات الله وأخبروا عن حال عبوديتهم وعلى أي حالة هم فيها وفي الحديث
أن السماء ما فيها موضع إلا وفيه ملك ساجد أو واقف يصلي وعن ابن مسعود
موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح
كما مرّ في قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن أي وإن من أهل الكتاب
أحد وقالت العرب منا ظعن ومنا أقام يريد منا فريق ظعن ومنا فريق أقام
وقال الزمخشري وما منا أحد إلا له مقام معلوم حذف الموصوف وأقام
الصفة مقامه كقوله ه

ه أنا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من أرمى البشر ه

انتهى وليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لأن أحدًا المحذوف

مبتدأ

مبتدأ وإلا له مقام معلوم خبره ولأنه لا ينعقد كلام من قوله وما منا أحد فقوله
إلا له مقام معلوم هو محط الفائدة وإن تخيل أن إلا له مقام معلوم في موضع
الصفة فقد نصّوا على أن إلا لا تكون صفة إذا حذف موصوفها وأنها فارقت
غير إذا كانت صفة في ذلك لتمكن غير في الوصف وقلة تمكن إلا فيه وجعل
ذلك كقوله أنا ابن جلا أي ابن رجل جلا وبكفي كان أي بكفي رجل كان وهذا
عند النحويين من أقبح الضرائر حيث حذف الموصوف وأقام الجملة مقامه ولم
يتقدمه من وإنا لنحن الصافون قيل أي أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء
أو حول العرش داعين للمؤمنين وقال الزهراوي قيل إن المسلمين إنما اصطفوا
في الصلوة منذ نزلت هذه الآية ولا يصطف أحد من الملل غير المسلمين
وإنا لنحن المسبحون أي المنزهون الله عما نسب إليه الكفرة أو المنزهون بلفظ
التسبيح أو المصلون وينبغي أن يجعل قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة
فتطرد الجمل وتتناسق لقائل واحد فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين
محضرون للعذاب وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا من أخلص من
عباد الله وقالوا للكفرة فإنكم وآلهتكم إلى آخره وكيف يكون مناسبة
ونحن عبيد بين يديه لكل منا مقام من الطاعة إلى ما وصفوا به أنفسهم من رتبة
العبودية وقيل وما منا إلا له مقام معلوم هو من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي وما من المرسلين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله
من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ثم ذكر أعمالهم وأنهم
المصطفون في الصلوة المنزهون الله عما يقول أهل الضلال والضمير
في ليقولون لكفار قريش لو أن عندنا ذكرًا أي كتابًا من كتب الأولين الذين
نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولم نكذب كما كذبوا فكفروا
به أي فجاءهم الذكر الذي كانوا يتمنونه وهو أشرف الأذكار لإعجازه من بين
الكتب فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وما يحل بهم من الانتقام وأكدوا قولهم
بإن المخففة وباللام لكونهم كانوا جادّين في ذلك ثم ظهر منهم التكذيب
والنفور البليغ كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولقد سبقت كلمتنا **قرأ**
الجمهور بالإفراد لما انتظمت في معنى واحد عبر عنها بالإفراد **وقرأ** الضحاك بالجمع
والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقامات الحجاج وملاحم القتال في الدنيا
وعلوهم عليهم في الآخرة وقال الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها
فتول عنهم أي أعرض عنهم حتى حين أي إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال
وعن السدي إلى يوم بدر ورجحه الطبري وقال قتادة إلى موتهم وقال
ابن زيد إلى يوم القيمة وأبصرهم أي انظر إلى عاقبة أمرهم فسوف يبصرونك
وما يحل بهم من العذاب والأسر والقتل وسوف يبصرونك وما يتم لك
من الظفر بهم والنصر عليهم وأمره بإبصارهم إشارة إلى الحالة المنتظرة الكائنة
لا محالة وأنها قريبة كأنها بين ناظريه بحيث هو يبصرها وفي ذلك تسلية
وتنفيس عنه عليه السلام أفبعذابنا يستعجلون استفهام توبيخ فإذا نزل

سواي العذاب مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش
انزل بجوهم قومه وبعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبته
ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم وكانت عادة مغازيهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا
وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة
التي يحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل
قاله الزمخشري وقرأ الجمهور نزل مبنيا للفاعل وابن مسعود مبنيا للمفعول
وبساحتهم هو القائم مقام الفاعل ونزل بساحتهم فلان يستعمل فيما ورد على
الانسان من خير او شر وسوء الصباح يستعمل في حلول الغارات والرزايا ومثل
قول الصارخ يا صباحاه وحكم ساء هنا حكم بئس وقرأ عبد الله فبئس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فساء صباح المنذرين صباحهم وتول عنهم حتى حين
كرر الامر بالتولي تأنيسا له عليه السلام وتسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد
ولم يقيد امره بالابصار كما قيده في الاول اما لاكتفائه به في الاول فحذفه
اختصارا واما لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما تتعلق به الابصار
منه من صنوف المسرات والابصار منهم من صنوف المساآت وقيل اريد
بالاول عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة وختم تعالى هذه السورة بتنزيهه
عما يصفه به المشركون واضاف الرب الى نبيه تشريفا له باضافته واخطابه
وخطابه ثم الى العزة وهي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء والمؤمنين وكذلك
قال الفقهاء من جهة انها مربوبة وقال محمد بن سحنون وغيره من حلف
بعزة الله تعالى يريد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة
فليست بيمين وقال الزمخشري اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه
قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق انتهى فعلى هذا
تنعقد اليمين بعزة الله لانها صفة من صفاته قيل ويجوز ان يراد انه ما من
عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله وتعز من تشاء وعن علي
كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر
كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة • لات

مفردات سورة ص

هي لا الحقت التاء كما الحقت في ثم ورب فقالوا ثمت وربت وهي تعمل عمل ليس
في مذهب س وعملان في مذهب الاخفش فان ارتفع ما بعدها فعلى الابتداء
عنده ولها احكام ذكرت في علم النحو ويأتي منها هنا عند ذكر القراآت التي
فيها والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته وقال الفراء
النوص التأخر يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وراغ وانشد
لامرئ القيس • امن ذكر سلمى ان نأتك تنوص • واستناص طلب المناص •
قال حارثة بن بدر •
• غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل •
وقال الجوهري استناص تأخر وقال النحاس ناص ينوص تقدم الوند

معروف وكسر التاء اشهر من فتحها ويقال وتد وأتد كما يقال شغل شاغل قاله
الاصمعي وانشد
• لاقت على الماء جذيلا واتدا • ولم يكن يخلفها المواعدا •
وقالوا ود فادغموا قال الشاعر
• تخرج الود اذا ما اشجذت • وتواريه اذا ما تشتكر •
وقالوا فيه وت فادغموا بابدال الدال تاء وفيه قلب الثاني للاول
وهو قليل •

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم • ص والقرآن ذي الذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا
على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق
أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام
عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب • هذه السورة
مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها انه لما ذكر عن الكفار انهم كانوا يقولون لو ان
عندنا ذكرا من الاولين لاخلصوا العبادة لله واخبر انهم اتاهم الذكر فكفروا
به بدأ في هذه السورة بالقسم بالقرآن ذي الذكر الذي جاءهم واخبر عنهم
انهم كافرون به وانهم في تعزز ومشاقة للرسول الذي جاء به ثم ذكر من
اهلك من القرون التي شاقت الرسل ليتعظوا وروي انه لما مرض ابو طالب
جاءت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند رأس ابي طالب مجلس رجل فقام
ابو جهل كي يمنعه وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك
فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم
الجزية بها العجم قال وما الكلمة قال كلمة واحدة قال وما هي قال لا اله
الا الله قال فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا قال فنزل فيهم
القرآن ص والقرآن ذي الذكر حتى بلغ ان هذا الا اختلاق قرأ الجمهور
صاد بسكون الدال وقرأ ابي والحسن وابن ابي اسحاق وابو السمال وابن ابي
عبلة ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال والظاهر انه كسر لالتقاء الساكنين
وهو حرف من حروف المعجم نحو ق ون وقال الحسن هو امر من صادى
اي عارض ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الصلبة
الخالية من الاجسام اي عارض بعملك القرآن وعنه ايضا صاديت حادثت
اي حادث وهو قريب من القول الاول وقرأ عيسى ومحبوب عن ابي عمرو وفرقة
صاد بفتح الدال وكذا قرأ قاف ونون بفتح الفاء والنون فقيل الفتح

لالتقاء الساكنين طلبًا للتخفيف وقيل انتصب على انه مقسم به حذف منه حرف
القسم نحو قوله الله لافعلن وهو اسم للسورة وامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث
وقد صرفها من قرأ صادٍ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وهو عن ابي
اسحق في رواية وقرأ الحسن ايضا صادُ بضم الدال فان كان اسما للسورة
فخبر مبتدأ محذوف اي هذه صاد وهي قراءة ابن السميقع وهارون الاعور وقرأ
قاف ونون بضم الفاء والنون وقيل هو حرف دال على معنى من فعل او من اسم
فقال الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب مفتاح اسماء الله محمد
صادق الوعد صانع المصنوعات وقيل معناه صدق محمد قال ابن عباس
وابن جبير والسدي ذي الذكر ذي الشرف الباقي المخلد وقال قتادة
والضحاك ذي التذكرة للناس والهداية لهم وقيل ذي الذكر للامم
والقصص والغيوب والشرائع وجواب القسم قيل مذكور فقال الكوفيون
والزجاج هو قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال الفراء لا نجده مستقيما
في العربية لتأخره جدا عن قوله والقرآن وقال الاخفش هو ان كل الا كذب
الرسل وقال قوم كم اهلكنا وحذف اللام اي لكم لما طال الكلام كما حذفت
في والشمس ثم قال قد افلح حكاه الفراء وثعلب وهذه الاقوال يجب
اطراحها وقيل هو صاد اذ معناه صدق محمد وصدق الله وكون صاد جواب
القسم قاله الفراء وثعلب وهذا مبني على تقدم جواب القسم واعتقاد
ان الصاد تدل على ما ذكروه وقيل الجواب محذوف فقدره الحوفي لقد جاءكم
الحق ونحوه والزمخشري انه لمعجز وابن عطية ما الامر كما تزعمون ونحو هذا
من التقدير ونقل ان قتادة والطبري قالا هو محذوف قبل بل قال وهو الصحيح
وقدره ما ذكرنا عنه وينبغي ان يقدر هنا ما اثبت جوابا للقرآن حين اقسم
به وذلك في قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فيكون
التقدير هنا ص والقرآن ذي الذكر انك لمن المرسلين ويقوي هذا التقدير
ذكر النذارة هنا في قوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال لتنذر قوما
فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة وبل للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه
الى حالة تعزز الكفار ومشاقتهم في قبول رسالتك وامتثال ما جئت به واعتراف
بالحق وقرأ حماد بن الزبرقان وسورة عن الكسائي وميمونة عن ابي جعفر والجحدري
طريق العقيلي في غرة بالغين المعجمة والراء اي في غفلة ومشاقة قبلهم اي قبل
هؤلاء ذوي المنعة الشديدة والشقاق وهذا وعيد لهم فنادوا اي
استغاثوا ونادوا بالتوبة قاله الحسن ورفعوا اصواتهم يقال فلان اندى
اندى صوتا اي ارفع وذلك بعد معاينة العذاب فلم يك ذلك نفع وقرأ
الجمهور ولات حين بفتح التاء ونصب النون فعلى قول س عملت عمل ليس
واسمها محذوف تقديره ولات الحين حين فوت ولا فرار وعلى قول الاخفش يكون حين
اسم لات عملت عمل ان نصبت الاسم ورفعت الخبر والخبر محذوف تقديره
ولات ارى حين مناص وقرأ ابو السمال ولات حين بضم التاء ورفع النون

فعلى

فعلى قول س حين مناص اسم لات والخبر محذوف وعلى قول الاخفش مبتدأ والخبر
محذوف وقرأ عيسى بن عمر ولات حين بكسر التاء وجر النون جر بعد لات وتخريجه
مشكل وقد تمحل الزمخشري في تخريج الجر في قوله

طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء

قال شبه اوان باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف
اليه وعوض لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص
والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين
مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا
من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى هذا التمحل والذي ي
ظهر لي في تخريج هذه القراءة الشاذة والبيت النادر في جر ما بعد لات ان الجر
هو على اضمار من كانه قال لات من حين مناص ولات من اوان صلح كما جروا في قولهم
على كم جذع بيتك اي من جذع في اصح القولين وكما قالوا الا رجلٍ جزاه الله خيرا
يريدون الا من رجل ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس
كما تقول ليس من رجل قائما والخبر محذوف وهذا على قول س او على انه مبتدأ والخبر
محذوف على قول الاخفش وقال بعضهم ومن العرب من يخفض بلات وانشد
الفراء ولتندمن ولات ساعة مندم وخرج الاخفش ولات اوان على
اضمار حين اي ولات حين اوان حذف حين وابقي اوان على جره وقال
ابو اسحق ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقاء
الساكنين وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحاق الزجاج
وانشد المبرد ولات اوان بالرفع وروي عن عيسى ولات حين بالرفع مناص
بالفتح قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فلعله بجعل حين على الضم فيكون
في الكلام تقديم وتاخير واجراه مجرى قبل وبعد في الغاية وبني مناص على الفتح
مع لات على تقدير لا مناص حين لكن لا انما تعمل في النكرات في اتصالها بهن
دون ان يفصل بينهما ظرف او غيره وقد يجوز ان يكون لذلك معنى لا اعرفه انتهى
وقرأ عيسى ايضا ولات بكسر التاء وحين بنصب النون وتقدم تخريج نصب
حين ولات روي فيها فتح التاء وضمها وكسرها والوقف عليها بالتاء قول س
والفراء وابن كيسان والزجاج ووقف الكسائي والمبرد بالهاء وقوم على لا وزعموا
ان التاء زيدت في حين واختاره ابو عبيد وذكر انه رآه في الامام مخلوطا تاؤه
بحين وكيف يصنع بقوله ولات ساعة مندم ولات اوان وقال الكلبي كانوا
اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم العذاب
قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون
التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه اي ليس الوقت وقت
ندائكم به وفيه نوع تحكم اذ كل من هلك من القرون يقول مناص عند الاضطرار انتهى
وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجى ولا فوت فلما
قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما تقتضي الحال اذا جعل ابتداء وخبرا مثل جاء

زيدًا راكبًا ثم تقول جاء زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا انتهى وكون أصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وأن حين ظرف لقوله فنادوا دعوى أعجمية مخالفة لنظم القرآن والمعنى على نظمه في غاية الوضوح والجملة في موضع الحال أي فنادوا وهم لات حين مناص أي لهم ولما أخبر تعالى عن الكفار أنهم في عزة وشقاق أردفه بما صدر عنهم من كلماتهم الفاسدة من نسبتهم إليه السحر والكذب ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله وقال الكافرون أي وقالوا تنبيهًا على الصفة التي أوجبت لهم التعجب حتى نسبوا من جاء بالهدى والتوحيد إلى السحر والكذب أجعل الآلهة إلهًا واحدًا قالوا كيف يكون إله واحد يرزق الجميع وينظر في كل أمورهم وجعل بمعنى صير في القول والدعوى والزعم وذكر عجبهم مما لا يعجب منه والضمير في وعجبوا لهم أي استغربوا مجيء رسول من أنفسهم وقرأ الجمهور عجاب وهو بناء مبالغة كرجل طوال وسراع في طويل وسريع وقرأ علي والسلمي وعيسى وابن مقسم بشد الجيم وقالوا رجل كرام وطعام طياب وهو أبلغ من فعال المخفف وقال مقاتل عجاب لغة أزد شنوءة والذين قالوا أجعل الآلهة إلهًا واحدًا قال ابن عباس صناديد قريش وهم ستة وعشرون والانطلاق الملأ منهم انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا هم والرسول عنده وشكوه على ما تقدم في سبب النزول ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون أن امشوا وتكون أن مفسرة لذلك المحذوف وامشوا أمر بالمشي وهو نقل الأقدام عن ذلك المجلس وقال الزمخشري وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنًا معنى القول والأمر بالمشي أي بعضهم أمر بعضًا وقيل أمر الأشراف أتباعهم وعوامهم ويجوز أن تكون أن مصدرية أي وانطلقوا بقولهم امشوا وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام وأن مفسرة على هذا والأمر بالمشي لا يراد به نقل الخطا إنما معناه سيروا على طريقتكم ودوموا على سيرتكم وقيل امشوا دعاء بكسب الماشية قيل وهو ضعيف لأنه كان يلزم أن تكون الألف مقطوعة لأنه إنما يقال أمشى الرجل إذا صار صاحب ماشية وأيضًا فهذا المعنى غير متمكن في الآية وقال الزمخشري ويجوز أنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل انتهى وأمروا بالصبر على الآلهة أي على عبادتها والتمسك بها والإشارة بقوله إن هذا أي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة لشيء يراد أي يراد منا الانقياد إليه أو يريد الله ويحكم بإمضائه فليس فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد منا فلا انفكاك عنه أو أن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه احتمالات أربعة وقال القفال هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف المعنى أنه ليس غرضه من هذا القول تقرير الدين وإنما غرضه أن يستولي علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب ومقاتل ملة النصارى لأن فيها التثليث ولا توحيد وقال مجاهد وقتادة ملة العرب قريش ونحلتها وقال الفراء والزجاج ملة

اليهودية

اليهودية والنصرانية أشركت اليهود بعزير وثلثت النصارى وقيل في الملة الآخرة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان وذلك أنه قبل المبعث كان الناس يستشعرون خروج نبي وحدوث ملة ودين ويدل على صحة هذا ما روي من أقوال الأحبار أولي الصوامع وما روي عن الكهان شق وسطيح وغيرهما وما كانت بنو إسرائيل تعتقد من أنه يكون منهم وقيل في الملة في موضع الحال من هذا أي ما سمعنا بهذا كائنًا في الملة الآخرة أي لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا إلا اختلاق أي افتعال وكذب أونزل عليه الذكر من بيننا أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم وهذا الإنكار ترجمة عما في أنفسهم من حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت به ألسنتهم بل هم في شك من ذكري أي من القرآن الذي أنزلته على رسولي مرتابون فيه والإضراب بأنهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم إن هذا إلا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب أي بعد فإذا ذاقوه عرفوا أن ما جاء به حق وزال عنهم الشك أم عندهم خزائن رحمة ربك أي ليسوا متصرفين في خزائن الرحمة فيعطون ما شاؤوا لمن شاؤوا ويمنعون من شاؤوا ما شاؤوا ويصطفون للرسالة من أرادوا وإنما يملكها ويتصرف فيها العزيز الذي لا يغالب الوهاب ما شاء لمن شاء لما استفهم استفهام إنكار في قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك وكان ذلك دليلًا على انتفاء تصرفهم في خزائن رحمة الله تعالى أتى بالإنكار والتوبيخ بانتفاء ما هو أعم فقال أم لهم ملك السموات والأرض أي ليس لهم شيء من ذلك فليرتقوا أي إن كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في الأسباب الموصلة إلى السماء والمعارج التي يتوصل بها إلى تدبير العالم فيضعون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم وحقرهم فأخبر بما يؤول إليه أمرهم من الهزيمة والخيبة فقال وما زائدة ويجوز أن تكون صفة أريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم أو التحقير لأن ما الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر أنه يشار به للمكان الذي تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو مكة فيكون ذلك إخبارًا بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح وقيل هنالك إشارة إلى الارتقاء في الأسباب أي هؤلاء القوم إن راموا ذلك جند ما مهزوم وقيل يشير بهنالك إلى حملة الأصنام وعضدها أي هم جند ما مهزوم في هذه السبيل وقال مجاهد وقتادة الإشارة إلى يوم بدر وكان غيبًا أعلم الله به على لسان رسوله وقيل الإشارة إلى حصر عام الخندق بالمدينة وقال الزمخشري وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك انتهى وهنالك يحتمل أن يكون في موضع الصفة لجند أي كائن هنالك ويحتمل أن يكون متعلقًا بمهزوم وجند خبر مبتدأ محذوف أي هم جند ومهزوم خبره وقال أبو البقاء جند مبتدأ وما زائدة وهنالك

نعت ومرفوع من الخبر انتهى وفيه بعد لبعد الفصل عن الكلام الذي قبله ومعنى
من الاحزاب من جملة الاحزاب الذين تعصبوا في الباطل وكذبوا الرسل ولما
ذكر تعالى انه اهلك قبل قريش قرونا كثيرة لما كذبوا رسلهم شرع منهم هنا
من لهم تعلق بعرفانه وذو الاوتاد اي صاحب الاوتاد واصله من ثبات
البيت المطنب باوتاده قال الافوه الاودي

والبيت لا يبتني الا له عمد • ولا عماد اذا لم ترس اوتاده

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود

في ظل ملك ثابت الاوتاد قاله الزمخشري واخذه من كلام غيره وقال
ابن عباس وقتادة وعطا كانت له اوتاد وخشب يلعب له عليها وقال
السدي كان يقتل الناس بالاوتاد ويسمرهم في الارض وقال الضحاك
اراد المباني العظيمة الثابتة وقيل عبارة عن كثرة اجنبته وعظم عساكره
وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروبة
فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وروى معناه عن الحسن ومجاهد وقيل
كان يمد بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل
يشدهم باربعة اوتاد ثم يرفع صخرة فتلقى عليه فتشدخه وقال ابن مسعود
وابن عباس في رواية عطية الاوتاد الجنود يشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي
وقيل بنى منارا تذبح عليه الناس قاله ابن جبير اولئك الاحزاب اي الذين
تحزبوا على انبيائهم كما تحزبت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان
الاشارة باولئك الى اقرب مذكور وهم قوم نوح ومن عطف عليهم وفيه تفخيم
لشانهم واعلا لهم على من تحزب على رسول الله اي هولاء العظماء لما كذبوا
عوقبوا وكذلك انتم ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب فوجب عقابهم كذبت
قوم نوح نوحا فاغرقوا وقوم هود فاهلكوا بالريح وفرعون فاغرق وثمود
بالصيحة وقوم لوط بالخسف والايكة بعذاب الظلة ومعنى ان كل منا كل
من قوم نوح فمن بعده فحق عقاب اي وجب عقابهم فكذلك يحق عليكم ايها
المكذبون بالرسول وقال الزمخشري اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة
الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم وانهم الذين وجد
منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام
ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب
كذب الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير
التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا
وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص
انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم
قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم انتهى

المفردات

الفواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي

الراضع وفي الحديث العيادة قدر فواق الناقة وافاقت الناقة افاقة
اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والفيقة اللبن الذي
يجتمع بين الحلبتين ويجمع على افواق وافاويق جمع الجمع وقال ابو عبيدة والفرا
ومورج الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة القط قال الفرا الحظ والنصيب
ومنه قيل للصك القط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوايز

ارض ج

قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطي القطوط ويافق

ويروى بامته اي بنعمته ويافق يصلح ويوفي الكتاب اكثر استعمالا

قال امية بن ابي الصلت

قوم لهم ساحة العراق وما يجبى اليهم بها والقط والقلم

ويجمع ايضا على قططة وفي القليل قط واقطاط تسور الحائط والسور وتسنمه
والبعير علا اعلاه والسور حائط المدينة وهو غير مهموز الشطط مجاوزة
الحد وتخطي الحق وقال ابو عبيدة شططت على فلان واشططت جرت
في الحكم التسع رتبة من العدد معروفة وكنى الناس بها عن المراة النعجة الانثى
من بقر الوحش ومن الضان ويكنى بها عن المراة قال الشاعر

هما نعجتان من نعاج تبالة لدي جوذرين او كبعض دمى هكر

وقال ابن عون

انا ابوهن ثلاث هنه • رابعة في البيت صغراهنه
ونعجتي خمسا توفيهنه • الا فتى سمح يغذي بهنه

عزه غلبه يعزه عزا وفي المثل من عزيز اي من غلب سلب وقال الشاعر

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

الصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك
برجله وهي علامة الفراهة وانشد الزجاج

الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف
على طرف السنبك فهو المتخيم وقال القتبي الصافن الواقف في الخيل
وغيرها وفي الحديث من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار
اي يديمون له القيام حكاه قطرب وانشد النابغة

لنا قبة مضروبة بفنائها عتاق المهاري والجياد الصوافن

وقال الفرا على هذا رايت العرب واشعارهم يدل على انه القيام خاصة
جاد الفرس صار رايضا يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد
واجياد واجاويد وقيل الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق اذ هي من صفات
فراهتها وقيل الجياد جمع جود كثوب وثياب الرخاء اللينة مشتقة من
الرخاوة وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود

قوله عز وجل وما ينظر هولاء

ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير
محشورة كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل
اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف
خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني
في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي
بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب ﴿ وما ينظر اي ينتظر وهؤلاء اشارة الى الكفار قريش
والاشارة بهؤلاء مقوية ان الاشارة باولئك هي للذين يلونها من قوم نوح وما
عطف عليه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم
بالذكر او لانهم كالحضور عند الله انتهى وفيه بعد وهذا اخبار منه تعالى
صدقه الوجود والصيحة ما نالهم من قتل واسر وغلبة كما تقول صاح فيهم
الدهر وقال قتادة توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور وقيل
بصيحة يهلكون بها في الدنيا فالقول الاول فيه الانتظار من الرسول للنبي
معين فيهم وعلى الذين للمتولين هم بمدرج عقوبة وتحت امر خطر ما ينتظرون
فيه الا الهلكة وقرا الجمهور من فواق بفتح الفاء والسلمي وابن وثاب والاعمش
وحمزة والكسائي وطلحة بضمها فقيل هما بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه
وقال ابن زيد والسدي بالفتح افاقة من افاق واستراح كجواب من اجاب قال
ابن عباس من فواق من ترداد وقال مجاهد من رجوع عجل لنا قطنا نصيب من
الجنة لنتنعم به في الدنيا قاله الحسن وقتادة وابن جبير وقال
قتادة ايضا ومجاهد نصيبنا من العذاب وقال ابو العالية والكلبي صحفنا
باعمالنا وقال السدي المعنى ارنا منازلنا من الجنة حتى نتابعك وعلى
كل قول فانما قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف والاستهزاء ومعنى قبل
يوم الحساب اي الذي تزعمون انه واقع في العالم اذ هم كفرة لا يؤمنون
بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف امر تعالى نبيه بالصبر
على اذاهم وذكر قصصا للانبيا داود وسليمان وايوب وغيرهم وما عرض
لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم احسن عاقبة فكذلك
انت تصبر ويؤول امرك الى احسن مآل وتبلغ ما تريد من اقامة دينك واماتة
واماتة الضلال وقيل اصبر على ما يقولون وعظم امر مخالفتهم لله في اعينهم
وذكرهم بقصة داود وما عرض له وقد اوتي النبوة والملك فما الظن بكم
مع كفركم وعصيانكم انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشري مع تغيير بعض الفاظ
لا تناسب منصب النبوة وقيل امر بالصبر وذكر قصص الانبيا ليكون برهانا
على صحة نبوته وقيل اصبر على ما يقولون وحافظ على ما كلفت به من
مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر داود وكرامته على الله وما عرض له وما

لقي

لقي من عتب الله ذا الايد اي ذا القوة في الدين والشرع والصدع بامر الله
والطاعة لله وكان مع ذلك قويا في بدنه والاواب الرجاع الى طاعة الله
قاله مجاهد وابن زيد وقال السدي المسبح ووصفه بانه اواب يدل على ان
ذا الايد معناه القوة في الدين ويقال رجل ايد وايد وذو ايد وآد وآياد كل شيء
ما يتقوى به والاشراق وقت الاشراق قال ثعلب شرقت الشمس اذا طلعت
واشرقت اذا اضاءت وصفت وفي الحديث انه عليه السلام صلى صلاة
الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وفي هذين الوقتين كانت
صلاة بني اسرائيل وتقدم الكلام في تسبيح الجبال في قصة داود في سورة الانبيا
واتى بالمضارع لا باسم الفاعل دلالة على حدوث التسبيح شيئا بعد شيء وحالا
بعد حال فكان السامع محاضر تلك الجبال يسمعها تسبح ومثله قول
الاعشى لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق ٥
اي تحرق شيئا فشيئا ولو قال محرقة لم يدل على هذا المعنى وقرا الجمهور والطير
محشورة بنصبهما عطفا على الجبال يسبحن عطف مفعول على مفعول وحال على حال
كقولك ضربت هندا مجردة ودعدا لابسة وقرا ابن ابي عبلة والجحدري
والطير محشورة برفعهما مبتدا وخبرا وجا محشورة باسم المفعول لانه لم يرد
انها تحشر شيئا فشيئا اذ حاشرها هو الله تعالى فحشرها جملة واحدة ادل على القدرة
والظاهر عود الضمير في له على داود اي كل واحد من الجبل والطير لاجل داود اي لاجل
تسبيحه مسبح لانها كانت ترجع بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح وقيل
الضمير عائد على الله اي كل من داود والجبال والطير اواب اي مسبح مرجع للتسبيح
وقرا الجمهور وشددنا مخففا اي قوينا كقوله سنشد عضدك باخيك والحسن
وابن ابي عبلة بشد الدال وهي عبارة شاملة لما وهب الله تعالى من قوة وجند
ونعمة فالتخصيص ببعض الاشيا لا يظهر وقال السدي بالجنود قيل كان يبيت
حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وهذا يبعد في العادة وقيل بالهيبة
قذفها الله له في قلوب قومه والحكمة هنا النبوة والزبور والفهم في الدين
او كل كلام وافق الحق اقوال وفصل الخطاب قال علي والشعبي ايجاب اليمين على
المدعى عليه والبينة على المدعي وقال ابن عباس ومجاهد والسدي القضا بين
الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي كلمة اما بعد لانه اول من تكلم بها
وفصل بين كلامين قال الزمخشري لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان
بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين
ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار
مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل
لا نزر ولا هذر انتهى ولما كان تعالى قد كمل لنبيه داود بالحكمة اردفه ببيان
كمال الخلقة في النطق والعبادة فقال وفصل الخطاب وهل اتاك نبؤ الخصم
لما اثنى تعالى على داود عليه السلام بما اثنى ذكر قصته هذه ليعلم ان مثل قصته
لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره وان تضمنت استغفاره ربه وليس

في الاستغفار مما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار الأنبياء
المشهود لهم بالعصمة ومجيء مثل هذا الاستفهام إنما يكون لغرابة ما يجيء معه من القصص
كقوله وهل أتاك حديث موسى فيتهيأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتي بعده ويصغي
لذلك وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن
ذكرها صفحا وتكلمنا على ألفاظ الآية والنبأ الخبر والخصم أصله مصدر فلذلك
تصلح للمفرد والمذكر وفروعهما ومثناه للجمع ولذلك قال إذ تسوروا إذ دخلوا كما
قال الشاعر

• وخصم يعدون الدخول كأنهم قروم غيارى كل أزهر مصعب

والظاهر أنهم كانوا جماعة فلذلك أتى بضمير الجمع فإن كانت المتحاكمات اثنين
فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاضدة أو المؤانسة ولا خلاف أنهم
كانوا ملائكة كذا قال بعضهم وقيل كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم والأول
أشهر وقيل الخصم هنا اثنان ويجوز في العبادة فأخبر عنهما إخبار ما زاد على
اثنين لأن معنى الجمع في التثنية وقيل معنى خصمان فريقان فيكون تسوروا
ودخلوا عائدا على الخصم الذي هو جميع الفريقين ويدل على أن خصمان بمعنى فريقان
قراءة من قرأ بغى بعضهم على بعض وقال تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم
أي فريقان فأما أن هذا أخي وما روي أنه بعث إليه ملكان فالمعنى أن التحاكم
كان بين اثنين ولا يمتنع أن يصحبهما غيرهما وأطلق على الجميع خصم وعلى الفريقين
خصمان لأن من جاء مع متخاصم لمعاضدة فهو في صورة خصم ولا يبعد أن يطلق
عليه التسمية والعامل في الظرف وهو إذ أتاك قاله الحوفي ورد بأن إتيان
النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود وقال
ابن عطية وأبو البقاء العامل فيه نبأ ورد بما رد به ما قبله إذ النبأ الواقع في عهد
داود عليه السلام لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أردت بالنبأ
القصة في نفسها لم يكن ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره وهل أتاك تحاكم
الخصم قاله الزمخشري ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وإذ دخلوا
بدل من إذ الأولى وقيل ينتصب بتسوروا وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكين
في صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما فتسورا
عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان قال ابن عباس جزأ زمانه
أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما
لجميع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤوه في غير يوم القضاء ففزع منهم لأنهم نزلوا
عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه فخاف
أن يؤذوه وقيل كان ذلك ليلا ويحتمل أن يكون فزعه من أجل أن أهل مملكته قد
استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان فيكون فزعه على فساد السيرة لا من
الداخلين وقال أبو الأحوص فزع منهم لأنهما دخلا عليه وكل منهما آخذ برأس
صاحبه وقيل فزع منهم لما رأى من تسورهم على موضع مرتفع جدا لا يمكن أن
يرتقى إليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد وقيل إنهما قالا لم نتوصل إليك إلا

بالتسور

بالتسور لمنع الحجاب وخفنا أن يتفاقم الأمر بيننا فقبل داود عذرهم ولما أدركوا منه الفزع
قالوا لا تخف أي نحن ممن جاء لأجل التحاكم خصمان يحتمل أن يكون هذا موصولا
بقولهما لا تخف بادرا بإخبارهما بما جاءا إليه ويحتمل أن يكون سألهم ما أمركم فقالوا
خصمان أي نحن خصمان بغى أي جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر

• ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

وقرأ أبو يزيد الجراز عن الكسائي خصمان بكسر الخاء وفي أمرهم له ونهيهم
بعض فظاظة على الحكام حملهم على ذلك ما هم فيه من التخاصم والتشاجر فاستدعوا
عدله من غير ارتياب بأنه يحكم بالحق وقرأ الجمهور ولا تشطط مفكوكا من أشط
رباعيا وأبو رجاء وابن أبي عبلة وقتادة والحسن وأبو حيوة تشطط من شط
ثلاثيا وقرأ قتادة أيضا تشط مدغما من أشط وقرأ زر تشاطط بضم التاء
وبالألف على وزن تفاعل مفكوكا وعن قتادة أيضا تشطط من شطط وسواء
الصراط وسطه طريق الحق لا ميل فيه من هنا ولا من هنا إن هذا أخي هو قول المدعي
منهما وأخي عطف بيان عند ابن عطية وبدل أو خبر لأن عند الزمخشري والأخوة هنا
مستعارة إذ هما ملكان لكنهما لما ظهرا في صورة إنسانين تكلما بالأخوة
ومجازها أنها أخوة في الدين والإيمان أو على معنى الصحبة والمرافقة أو على
معنى الشركة والخلطة لقوله وإن كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الأخوات
تقتضي منع الاعتداء ويندب إلى العدل وقرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء
فيهما وقرأ الحسن وزيد بن علي بفتحها وقرأ الجمهور نعجة بفتح النون
والحسن وابن هرمز بكسر النون وهي لغة لبعض بني تميم قيل وكنى بالنعجة
عن الزوجة فقال أكفلنيها أي ردها في كفالتي وقال ابن كيسان اجعلها
كفلي أي نصيبي وقال ابن عباس أعطنيها وعنه وعن ابن مسعود تحول لي عنها
وعن أبي العالية ضمها إلي حتى أكفلها وعزني في الخطاب قال الضحاك
إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني قال ابن عطية كان أوجه مني
وأقوى فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي وقوته أعظم من قوتي
وقال الزمخشري جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد
بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطب المرأة وخطبها هو فخاطبني
خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقيل غلبني بسلطانه
لأنه لما سألني لم أستطع خلافه قال الحافظ أبو بكر بن العربي كان ببلادنا
أمير يقال له سير بن أبي بكر فكلمته في أن يسأل لي رجلا حاجة فقال
لي أما علمت أن طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت أما إذا كان
عدلا فلا وقرأ أبو حيوة وطلحة وعزني بتخفيف الزاي قال أبو الفتح
حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال أبو زبيد

أحسن به فهن إليه شوس

وروي كذلك عن عاصم وقرأ عبد الله وأبو وائل
ومسروق والضحاك والحسن وعبيد بن عمير وعازني بألف وتشديد
الزاي أي وغالبني والظاهر إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى

الضان ولا يكني بها عن المراة ولا ضرورة تدعو الى ذلك لان ذلك الاخبار كان
صادرا من الملائكة على سبيل التصوير للمسألة والغرض لها من غير تلبس بشيء منهما
فمثلوا بقصة رجل له نعجة وخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة
فطمع في نعجة خليطه واراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة حريص
على بلوغ مراده ويدل على ذلك قوله وان كثيرا من الخلطاء وهذا التصوير والتمثيل
ابلغ في المقصود وادل على المراد قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ليس
هذا ابتداء من داود عليه السلام اثر فراغ لفظ المدعي ولا فتيا بظاهر كلامه
قبل ظهور ما يجب فقيل ذلك على تقدير اي لئن كان ما تقول لقد ظلمك وقيل
ثم محذوف اي فاقر المدعى عليه فقال لقد ظلمك ولكنه لم يحك في القرآن
اعتراف المدعى عليه لانه معلوم من الشرائع كلها انه لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة
المدعى عليه فاما ما قاله الحليمي من انه راى في المدعي مخايل الضعف والهضيمة
فحمل امره على انه مظلوم كما تقول فدعاه ذلك الى ان لا يسال المدعى عليه فاستعجل
بقوله لقد ظلمك فقول ضعيف لا يعول عليه وروي ان داود عليه السلام
لما سمع كلام الشاكي قال للآخر ما تقول فاقر فقال له لئن لم ترجع الى الحق
لاكسرن الذي فيه عيناك وقال للثاني لقد ظلمك فتبسما عند ذلك وذهبا
ولم يرهما لحينه وروي انهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه واضاف المصدر
الى المفعول وضمن السؤال معنى الاضافة اي باضافة نعجتك على سبيل السؤال والطلب
ولذلك عداه بالى وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض هذا من كلام داود
ويدل على ان ما تقدم كان فيه الظلم والاعتداء كثيرا والخلطاء الشركاء الذين خلطوا
اموالهم الواحد خليط فقصد داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة والترغيب
في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم
وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ
ليبغي بفتح الياء على تقدير حذف النون الخفيفة واصله ليبغين كما قال
اضرب عنك الهموم طارقها ۝ يريد اضربن ويكون على تقدير قسم محذوف ذلك
القسم وجوابه خبر لان وعلى قراءة الجمهور يكون ليبغي خبر لان وقرئ ليبغ
بحذف الياء كقوله محمد تفد نفسك كل نفس ۝ اي لتفد على احد القولين وقليل
خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم والتعجيب وهم مبتدا وظن داود
لما كان الظن الغالب يقارب العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما
ابتليناه بمحاكمة الخصمين وانكر ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين وقال لسنا نجده
في كلام العرب وانما هو توقيف بين معتقدين غلب احدهما على الآخر وتوقعه
العرب على العلم الذي ليس على الحواس ولا له اليقين التام ولكن يخلط الناس في
هذا ويقولون ظن بمعنى ايقن وطول ابن عطية في ذلك بما يوقف عليه في كتابه
وقرأ الجمهور فتناه وعمر بن الخطاب وابو رجاء والحسن بخلاف عنه بشد التاء
والنون مبالغة والضحاك افتناه كقوله ۝

لين

لئن فتنتني لهي بالامس افتنت ۝ وقتادة وابو عمرو في رواية بخف التاء
والنون والالف ضمير الخصمين فاستغفر ربه وخر راكعا حال والخرور
الهوي الى الارض فاما انه عبر بالركوع عن السجود واما انه ذكر اول احوال الخرور
اي راكعا ليسجد وقال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع وقال الحسين
ابن الفضل خر من ركوعه اي سجد بعد ان كان راكعا وقال قوم يقال خر
لمن ركع وان لم ينته الى الارض والذي نذهب اليه ما دل عليه ظاهر الاية
من ان المتسورين المحراب كانوا من الانس دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت
جلوسه للحكم وانه فزع منهم ظانا انهم يغتالونه اذ كان منفردا في محرابه
لعبادة ربه فلما اتضح له انهم جاؤا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم
كما قص الله تعالى وان داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت
ومن تلك الجهة ابتلاء من الله له ان يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من
ذلك الظن حيث اخلف ولم يكن ليقع مظنونه وخر ساجدا ورجع الى الله وانه
تعالى غفر له ذلك الظن ولذلك اشار بقوله فغفرنا له ذلك ولم يتقدم سوى
قوله وظن داود انما فتناه ويعلم قطعا ان الانبياء عليهم السلام معصومون
من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة انا لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك
بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون انه اوحى الله به اليهم فما حكى الله تعالى
في كتابه يمر على ما اراده تعالى وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة
طرحناه ونحن كما قال الشاعر ونؤثر حكم العقل في كل شبهة اذا اثر الاخبار جلاس
قوله عز وجل يا داود انا جعلناك
قصاص ۝ يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق
والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا
له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين
مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب ۝ جعله تعالى داود خليفة في الارض يدل على مكانته عليه
السلام عنده واصطفائه ويدفع في صدر من نسب اليه شيئا مما لا يليق بمنصب
النبوة واحتمل لفظ خليفة ان يكون معناه تخلف من تقدمك من الانبياء ان يعلي
قدرك بجعلك ملكا نافذ الحكم ومنه قيل خلفاء الله في ارضه واستدل من
هذه الاية على احتياج الارض الى خليفة من الله ولا يلزم ذلك من الاية بل لزومه

من جهة الشرع والاجماع قال ابن عطية ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله وما يجيء في الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك تجوز كما قال قيس الرقيات ٥

خليفة الله في برّيته جفت بذاك الاقلام والكتب ٥

وقالت الصحابة لابي بكر خليفة رسول الله وبذلك كان يدعى مدته فلما ولي عمر قالوا خليفة خليفة رسول الله صلى الله وطال الامر وراوا انه في المستقبل فدعوه امير المومنين وقصر هذا الاسم على الخلفاء انتهى فاحكم بين الناس بالحق امر بالديمومة وتنبيه لغيره ممن ولي امور الناس والا فهو من حيث هو معصوم لا يحكم الا بالحق امرا ولا بالحكم بالحق ولما كان الهوى قد يعرض لغير المعصوم امر باجتنابه وذكر نتيجة اتباعه وهو اضلاله عن سبيل الله وفيضلك جواب للنهي والفاعل في فيضلك ضمير الهوى او ضمير المصدر المفهوم من ولا تتبع اي فيضلك اتباع الهوى ولما ذكر ما ترتب على اتباع الهوى وهو الاضلال عن سبيل الله ذكر عقاب الضال **وقرأ** الجمهور يضلون بفتح الياء لانهم لما اضلهم اتباع الهوى صاروا ضالين **وقرأ** ابن عباس والحسن بخلاف عنهما وابو حيوة بضم الياء وهذه القراءة اعم لانه لا يضل الا ضال في نفسه وقراءة الجمهور اوضح وبما نسوا متعلق بما تعلق به لهم ونسوا تركوا ويوم يجوز ان يكون منصوبا بنسوا او بما تعلق به لهم ويكون النسيان عبارة عن ضلالهم عن سبيل الله وانتصب باطلا على انه نعت لمصدر محذوف اي خلقا باطلا او على الحال اي مبطلين او ذوي باطل او على انه مفعول من اجله ومعنى باطلا عبثا ذلك اي كون خلقها باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم وهولاء وان كانوا مقرين بان خالق السموات والارض هو الله تعالى فهم من حيث انكروا المعاد والثواب والعقاب ظانون ان خلق ذلك ليس لحكمة وان خلق ذلك انما هو عبث ولذلك قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فنبه على المعاد والرجوع الى الجزاء ثم ذكر ما بين المومن عامل الصالحات والمفسد من التباين وانهما ليسا سيين وقابل الصلاح بالفساد والتقوى بالفجور قال ابن عباس هي عامة في جميع المسلمين والكافرين وقيل في قوم من مشركي قريش قالوا نحن لنا في الاخرة اعظم مما لنا في الدنيا فانزل الله هذه الاية وقيل في جماعة من المومنين والكافرين معينين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وصف كلا بما ناسبه والاستفهام بام في الموضعين استفهام انكار والمعنى انهم لا يستوي عند الله من اصلح ومن افسد ولا من اتقى ومن فجر وكيف تكون التسوية بين من اطاع ومن عصى اذ كان يبطل الجزاء والجزاء لا محالة واقع فالتسوية منتفية ولما انتفت التسوية بين ما يصلح به لمبتغي السعادة الابدية وهو كتاب الله فقال كتاب انزلناه مبارك وارتفاعه على اضمار مبتدا اي

هذا

هذا كتاب **وقرأ** الجمهور مبارك على الصفة **وقرئ** مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه **وقرأ** الجمهور ليدبروا بالياء الجيبية وشد الدال واصله ليتدبروا **وقرأ** علي لهذا الاصل **وقرأ** ابو جعفر بتا الخطاب وتخفيف الدال وجاء كذلك عن عاصم والكسائي بخلاف عنهما والاصل لتتدبروا بتاءين فحذفت احدا على الخلاف الذي فيها اهي تا المضارعة ام التا التي تليها واللام في ليدبروا لام كي واسند التدبير في الجميع وهو التذكر في الايات والتامل الذي يفضي بصاحبه الى النظر في عواقب الاشيا واسند التذكر الى اولي العقول لان ذا العقل فيه ما يهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى ما يذكره فيتذكر والمخصوص بالمدح محذوف التقدير نعم العبد هو اي سليمان **وقرئ** نعم على الاصل كما **قال** ٥

نعم الساعون في الامر المستطر ٥ والنبي تعالى عليه لكثرة رجوعه اليه او لكثرة تسبيحه اذ عرض الناصب لاذ قيل اواب وقيل اذكر على الاختلاف في تاويل هذه الاية قال الجمهور عرضت عليه الاف من الخيل تركها ابوه له وقيل الف واحد فاجريت بين يديه عشيا فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له فقال ردوها فطفق يضرب اعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر فابدله الله اسرع منها الريح وقال قوم منهم الثعلبي كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال فعقرها لتوكل على سبيل القربة ونحر الهدي عندنا انتهى وفي هذه القصة الفاظ فيها غض من منصب النبوة كنينا عنه والخير في قوله حب الخير في هذا القول يراد به الخيل والعرب تسمي الخيل الخير قاله قتادة والسدي وقال الضحاك وابن جبير الخير هنا المال وانتصب حب الخير قيل على المفعول به لتضمن احببت معنى آثرت قاله الفراء وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي احببت الخيل حب الخير اي حبا مثل حب الخير وقيل عدي بعن مضمنا معنى فعل يتعدى بها اي انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من **قوله**

مثل بعير السوء اذ احبا ٥ وقالت فرقة احببت سقطت الى الارض ماخوذ من احب البعير اذا اعيى وسقط قال بعضهم احب البعير برك وفلان طاطا راسه وقال ابو زيد بعير محب وقد احب احبابا اذا اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت قال ثعلب يقال للبعير الحسير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربي وحب الخير على هذا مفعول من اجله والظاهر ان الضمير في توارت عائد على الصافنات اي دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب وقيل حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر وقيل الضمير للشمس وان لم يجر لها ذكر لدلالة المعنى عليها وقالت طائفة عرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة فاشار اليهم اني في صلوة فازالوها عنه حتى دخلت في الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب الخير اي الذي عند الله في الاخرة بسبب ذكر ربي كانه يقول فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى ادخلت اصطبلاتها ردوها على

مما

فطفق يمسح اعرافها وسوقها محبة لها وقال ابن عباس والزهري مسحه بالسوق
والاعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ومحبة ورجحه الطبري وقيل بل
غسلا بالماء وقال الثعلبي ان هذا المسح كان وسما في السوق والاعناق
بوسم حبس في سبيل الله انتهى وهذا القول هو الذي يناسب مناصب الانبيا لا
القول المنسوب للجمهور فان في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للانبيا وحتى توارت
غاية فالفعل يكون قبلها متسلطا ولا حتى تصح الغاية فاحببت معناه داومت
المحبة وقال الزمخشري **فان قلت** بم اتصل قوله ردوها علي **قلت**
بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كانه قايل
قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسوال اقتضاء ظاهرا ثم ذكر الزمخشري
لفظا فيه غض من النبوة فتركته وما ذهب اليه من هذا الاضمار لا يحتاج اليه
اذ الجملة مندرجة تحت حكاية القول وهو قوله اني احببت فهذه الجملة
وجملة ردوها علي محكيتان بقال وطفق من افعال المقاربة للشروع في الفعل
وحذف خبرها لدلالة المصدر عليه اي فطفق يمسح مسحا **وقرا** الجمهور مسحا
وزيد بن علي مساحا على وزن قتال والبا في بالسوق زايدة كهي في قوله
فامسحوا بوجوهكم وايديكم وحكى **س** مسحت براسه وراسه بمعنى واحد وتقدم
الكلام على ذلك في المايدة **وقرا** الجمهور بالسوق بغير همز على وزن فعل وهو
جمع ساق على وزن فعل بفتح العين كاسد واسد وابن كثير بالهمز قال
ابو علي وهي ضعيفة لكن وجهها في القياس ان الضمة لما كانت تلي الواو قدر انها
عليها فهمزت كما يفعلون بالواو المضمومة ووجه همز السوق من السماع ان ابا
حية النميري كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وكان ينشد احب المؤقدين
الي موسى انتهى وليست ضعيفة لان الساق فيه الهمز ووزنه فعل بسكون
العين فجاءت هذه القراة على هذه اللغة **وقرا** ابن محيصن بهمزة بعدها
الواو ورواها بكار عن قنبل **وقرا** زيد بن علي الساق مفردا اكتفى به عن
الجمع لامن اللبس ومن غريب القول ان الضمير في ردوها عايد على الشمس وقد
اختلفوا في عدد هذه الخيل على اقوال متكاذبة سودوا الورق بذكرها ه ولقد
فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا نقل المفسرون في هذه الفتنة والقا
الجسد اقوالا يجب براة الانبيا منها يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها
واما هي من اوضاع اليهود والزنادقة ولم يبين الله الفتنة ما هي ولا الجسد
الذي القاه على كرسي سليمان واقرب ما قيل فيه ان الفتنة كونه لم يستثن
في الحديث الذي قال فيه لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي
بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة وجات بشق رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فالمراد بقوله
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا هو هذا والجسد الملقى هو المولود
شق رجل وقال قوم مرض سليمان مرضا كالاغما حتى صار على كرسيه جسدا

كانه

كانه بلا روح ولما امر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم
امره بان يذكر من ابتلي فصبر فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة ايوب
ليتاسى بهم وذكر ما لهم عنده من الزلفى والمكانة فلم يكن ليذكر من يتاسى به ممن
نسب المفسرون اليه ما يعظم ان يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما
ذكروه كتمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس امره عند الناس ويعتقدون
ان ذلك المتصور هو النبي ولو امكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبي وانما هذه مقالة
مسترقة من زنادقة السوفسطائية نسال الله سلامة اذهاننا وعقولنا
ثم اناب اي بعد امتحاننا اياه ودوام الانابة والرجوع قال رب اغفر لي
هذا ادب الانبيا والصالحين من طلب المغفرة من الله هضما للنفس واظهارا
للذلة والخشوع وطلبا للترقي في المقامات وفي الحديث اني لاستغفر الله في
اليوم والليلة سبعين مرة والاستغفار مقدمة بين يدي ما يطلب المستغفر
بطلب الاثم في دينه فيترتب عليه امر دنياه كقول نوح في ما حكى الله عنه
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الاية والظاهر
ان طلبه الملك كان بعد هذه المحنة وذكر المفسرون انه اقام في ملكه عشرين
سنة قبل هذا الابتلا واقام بعدها عشرين سنة فيمكن انه كان في حالة
قبل المحنة ثم سال بعدها ملكا مقيدا بالوصف الذي بعده وهو كونه لا ينبغي
لاحد من بعده واختلفوا في هذا القيد فقال عطا بن ابي رباح وقتادة اي
مدة حياتي لا اسلبه ويصير الى غيري وقال ابن عطية انما قصد بذلك
قصدا جايزا لان للانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما
بحسب المكانة والنبوة وانظر الى قوله لا ينبغي انما هي لفظة محتملة ليست
تقطع في انه لا يعطي الله نحو ذلك الملك لاحد انتهى وقال الزمخشري
كان سليمان عليه السلام ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد
ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة
خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث
اليهم ولن تكون معجزة حتى تخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد
من بعدي ه وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطي مثله احد فلا يحافظ على
حدود الله فيه كما قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما
ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي ويجوز ان
يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه
لا يضطلع باعبايه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه
فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو
وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من
بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد
من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده
انتهى ولما بالغ في صفة هذا الملك الذي طلبه اتى في صفته تعالى

باللفظ الدال على المبالغة فقال انك انت الوهاب اي الكثير الهبات لا تتعاظم عندك هبة ولما طلب الهبة التي اختص بطلبها وهبه واعطاه ما ذكر تعالى من قوله فسخرنا له الريح وقرأ الجمهور بالافراد والحسن وابو رجاء وقتادة وابو جعفر الرياح بالجمع وهو اعم لعظم ملك سليمان وان كان المفرد بمعنى الجمع لكونه اسم جنس تجري يحتمل ان تكون جملة حالية اي جارية وان تكون تفسيرية لقوله فسخرنا له الريح بامره اي لا يمتنع عليه اذا اراد جريها رخاء قال ابن عباس والحسن والضحاك مطيعة وقال مجاهد طيبة حيث اصاب اي حيث قصد واراد حكى الزجاج عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب اي قصد وعن رؤبة ان رجلين من ائمة اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ويقال اصاب الله بك خيرا وانشد الثعلبي

اصاب الكلام فلم يستطع فاخطا الجواب لدى المفصل

وقال وهب حيث اصاب اي اراد قيل ويجوز ان يكون اصاب دخلت فيه همزة التعدية من صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وجعلهم يصوبون صوب السحاب والمطر وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة بلغة هجر والشياطين معطوف على الريح وكل بناء وغواص بدل واتى ببنية المبالغة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وقال النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له • قم في البرية واحددها عن الفند

وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والمعطوف على العام عام فالتقدير وكل غواص اي في البحر يستخرجون له الحلية وسواء قلنا من استخرج الدر وآخرين عطف على كل فهو داخل في البدل اذ هو بدل كل من كل بدل التفصيل اي من الجن وهم المردة سخرهم له حتى قرنهم في الاصفاد لكفرهم وقال النابغة في ذلك

فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وتقدم تفسير مقرنين في الاصفاد في اواخر سورة ابراهيم عليه السلام وما وقع من ملك سليمان في سورة النمل هذا عطاؤنا اشارة لما اعطاه الله تعالى من الملك العظيم وتسخير الريح والانس والجن والطير وامره بان يمن على من يشاء ويمسك عمن يشاء وفعه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيه بمشيئته وهو تعالى قد علم انه لا يتصرف الا بطاعة الله قال الحسن وغيره وقال قتادة اشارة الى ما فعله الجن اي فامنن على من شئت منهم واطلقه من وثاقه وسرحه من خدمته او امسك امره كما تريد وقال ابن عباس اشارة الى ما وهبه من النساء واقدره عليهن من جماعهن ولعله لا يصح عن ابن عباس لانه لم يجر هنا ذكر للنساء ولا لما اوتي من القدرة على ذلك وبغير حساب في موضع الحال من عطاؤنا اي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا تكاد تقدر على حصره ويجوز ان يكون بغير حساب من تمام فامنن او امسك اي لا حساب عليك

في اعطا

في اعطاء من شئت او حرمانه وفي اطلاق من شئت من الشياطين او ايثاقه وختم تعالى قصته بما ذكر في قصة والده وهو قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقرأ الجمهور وحسن مآب بالنصب عطفا على لزلفى وقرأ الحسن وابن ابي عبلة بالرفع ويقفان على لزلفى ويبتديان وحسن مآب وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره وحسن مآب له الضغث حزمة صغيرة من حشيش او ريحان او قضبان وقيل القبضة الكبيرة من القضبان ومنه قولهم ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب والضغث القبضة عليها من الحطب ايضا ومنه قول الشاعر

• واسفل مني نهدة قد ربطتها والقيت ضغثا من خلى متطيب

الحنث فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله الغساق ما سال يقال غسقت العين والجرح وعن ابي عبيدة ايضا انه البارد المنتن بلغة الترك وقال الازهري الغاسق البارد ولهذا قيل ليل غاسق لانه ابرد من النهار الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة

المفردات

قوله عز وجل واذكر عبدنا

واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار لما امر نبيه بالصبر وذكر ابتلاء داود وسليمان واثنى عليهما ذكر من كان اشد ابتلاء منهما واثنه كان في غاية الصبر بحيث اثنى الله عليه بذلك وايوب عطف بيان او بدل قال الزمخشري واذ بدل اشتمال منه وقرأ الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بكسرها وجاء بضمير المتكلم حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال انه مسه لانه غائب واسند المس الى الشيطان قال الزمخشري لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء فالتجا الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله انتهى ولا يناسب مناصب الانبياء ما ذكر الزمخشري من ان ايوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وان ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب ولا ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه ولا انه داهن كافرا ولا انه اعجب بكثرة ماله وكذلك ما رووا من ان الشيطان سلطه الله عليه حتى اذهب اهله وماله لا يمكن

شته

ان يصح ولا قدرة له على البشر الا بالقاء الوسواس الفاسد لغير المعصوم والذي
نقول ان الله تعالى ابتلى ايوب عليه السلام في جسده واهله وماله على ما روي
في الاخبار وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب بقي في محنته ثماني
عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ولم يصبر عليه الا امراته ولم يبين لنا
تعالى السبب المقتضي لعلته واما اسناده المس الى الشيطان فسبب ذلك
انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان
ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين فحينئذ قال مسني الشيطان من شفقته على
المؤمنين مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد مسا لنفسه لان الخير ما لم يرجع الخير
المؤمن الى الكفر ولذلك جاء بعده اركض برجلك حتى تغتسل ويذهب عنه البلاء
فلا يرتد احد من المؤمنين بسبب طول بلائه وتسويل الشيطان انه تعالى لا يبتلي
الانبياء وقيل اشار بقوله مسني الشيطان الى تعرضه لامراته وطلبه ان تشرك
بالله وكانه تشكى هذا الامر وكان عليه اشد من مرضه وقرا الجمهور بنصب بضم
النون وسكون الصاد قيل جمع نصب كوثن ووثن وابو جعفر وشيبة وابو عمارة
عن حفص والجعفي عن ابي بكر وابو معاذ عن نافع بضمتين وزيد بن علي والحسن والسدي
وابن ابي عبلة ويعقوب والجحدري بفتحتين وابو حيوة ويعقوب في رواية
وهبيرة عن حفص بفتح النون وسكون الصاد وقال الزمخشري النصب
والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب
والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي
فيه من انواع الوصب انتهى وقال ابن عطية وقد ذكر هذه القراآت وذلك
كله بمعنى واحد معناه المشقة وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الاعياء وفرق
بعض الناس بين هذه الالفاظ والصواب انها لغات بمعنى من قولهم انصبني
الامر اذا شق علي انتهى وقال السدي بنصب في الجسد وعذاب في المال
وفي الكلام حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا اركض برجلك فركض فنبعت عين
فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك فاغتسل فبرأ ووهبنا له
ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه وتقدم الكلام في الركض في
سورة الانبياء وعن قتادة والحسن ومقاتل كان ذلك بارض الجابية من الشام
ومعنى هذا مغتسل اي ما يغتسل به وشراب اي ما تشربه فباغتسالك تبرا ظاهرك
وبشربك تبرا باطنك والظاهر ان المشار اليه كان واحدا وهو العين التي
نبعت بضربه اغتسل منها وشرب وقيل نبعت له عينان شرب من احداهما
واغتسل في الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل
وباليسرى فنبعت باردة فشرب منها وهذا مخالف لظاهر قوله مغتسل
بارد فانه يدل على انه ماء واحد وقيل امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء
بجسده وقال القتبي المغتسل الماء الذي يغتسل به وقال مقاتل هو الموضع
الذي يغتسل فيه وقال الحسن ركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها
ثم مشى نحوا من اربعين ذراعا ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها قيل

والجمهور

والجمهور على انه ركض ركضتين فنبعت له عينان اغتسل من واحدة وشرب من
اخرى والجمهور على انه تعالى احيى له من مات من اهله وعافى المرضى وجمع عليه
من شتت منهم وقيل رزقه اولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ولم يرد اهله
الذين هلكوا باعيانهم وظاهر هذه الهبة انها في الدنيا وقيل ذلك وعد وتكون
تلك الهبة في الاخرة وقيل وهبه من كان حيا منهم وعافاه من الاسقام وارغد
لهم العيش فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم ورحمة وذكرى مفعولان
لهما اي الهبة كانت لرحمتنا اياه وليتذكر ارباب العقول ما يحصل للصابر
من الخير وما يؤول اليه من الاجر وفي الكلام حذف تقديره وكان حلف ليضربن
امراته مائة ضربة لسبب جرى منها وكانت محسنة له فجعلنا له خلاصا
من يمينه بقولنا وخذ بيدك ضغثا قال ابن عباس الضغث عثكال النخل وقال
مجاهد الاثل وهو نبت له شوك وقال الضحاك حزمة من الحشيش مختلفة وقال
الاخفش الشجر الرطب واختلفوا في السبب الذي اوجب حلفه ومحصول اقوالهم
تمثيل الشيطان لها في صورة ناصح او مداو وعرض لها بشفاء ايوب على يديه
على شرط لا يمكن وقوعه من مؤمن فذكرت ذلك له فعلم ان الذي عرض لها هو الشيطان
وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف وقيل غير ذلك من الاسباب وهي متعارضة
فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها
ووقع مثل هذه الرخصة في الاسلام اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخدج قد
خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة وقال بذلك
بعض اهل العلم في الايمان قال ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة
اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب والجمهور
على ترك القول به في الحدود وان البر في الايمان لا يقع الا باتمام عدد الضربات
ووصف الله تعالى نبيه بالصبر وقد قال مسني الضر فدل على ان الشكوى
الى الله تعالى لا تنافي الوصف بالصبر وقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني
الى الله على ان ايوب عليه السلام طلب الشفاء خيفة على قومه ان يوسوس اليهم
الشيطان انه لو كان نبيا لم يبتل وتالفا لقومه على الطاعة وبلغ امره في البلاء
الى انه لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد
علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم
اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله
عنه وقرا ابن عباس وابن كثير واهل مكة عبدنا على الافراد وابراهيم بدل منه
او عطف بيان والجمهور على الجمع وما بعده من الثلاثة بدلا او عطف بيان
وقرا الجمهور اولي الايدي بالياء قال ابن عباس ومجاهد اي القوة في طاعة
الله وقيل احسانهم في الدين وتقدمهم عند الله على عمل صدق فهي كالايدي
وهو قريب مما قبله وقيل النعم التي اسداها الله اليهم من النبوة والمكانة
وقيل الايدي الجوارح المتصرفة في الخير والابصار الثاقبة فيه وقال
الزمخشري لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما

عملت أيديهم وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جذماء لا
أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا أولي الأيدي والأبصار يريد أولي
الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا
يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون
على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل
من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع كونهم متمكنين منهما انتهى وهو تكثير وقال أبو عبد الله الرازي
اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الإدراكات فحسن التعبير عن
العمل باليد وعن الإدراك بالبصر والنفس الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة
فأولي الأيدي والأبصار إشارة إلى هاتين الحالتين وقرأ عبد الله والحسن
وعيسى والأعمش الأيد بغير ياء فقيل يراد الأيدي حذف الياء واجتزأ بالكسرة
عنها ولما كانت أل تعاقب التنوين حذفت الياء معها كما حذفت مع التنوين
وهذا تخريج لا يسوغ لأن حذف هذه الياء مع وجود أل ذكره سيبويه في الضرائر
وقيل الأيد القوة في طاعة الله والأبصار عبارة عن البصائر التي يبصرون
بها الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقال الزمخشري وتفسيره بالأيد
من التأييد قلق غير متمكن انتهى وإنما كان قلقا عنده لعطف الأبصار
عليه ولا ينبغي أن يقلق لأنه فسر أولي الأيدي والأبصار بقوله يريد أولي
الأعمال والفكر وقرئ الأيادي جمع الجمع كأوطف وأواطف وقرأ أبو جعفر
وشيبة والأعرج ونافع وهشام بخالصة بغير تنوين أضيفت إلى ذكرى وقرأ
باقي السبعة بالتنوين وذكرى بدل من بخالصة وقرأ الأعمش وطلحة بخالصتهم
وأخلصناهم جعلناهم لنا خالصين وخالصة يحتمل وهو الأظهر أن تكون
اسم فاعل عبر به عن مزية أو رتبة أو خصلة خالصة لا شوب فيها ويحتمل
أن يكون مصدرا كالعاقبة فيكون قد حذف منه الفاعل أي أخلصناهم بأن
أخلصوا ذكرى الدار فيكون ذكرى مفعولا أو بأن أخلصنا لهم ذكرى الدار
أو يكون الفاعل ذكرى أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار في كل وجه
في موضع نصب بذكرى وذكرى مصدر والدار دار الآخرة قال قتادة المعنى
بأن خلص لهم التذكير بالدار الآخرة ودعاء الناس إليها وحضهم عليها وقال
مجاهد خلص لهم ذكرهم الدار الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك
وقال ابن زيد وهبنا لهم أفضل ما في الدار الآخرة وأخلصناهم به وأعطيناهم
إياه وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكر الثناء
والتعظيم من الناس والحمد الباقي الذي هو الخلد المجازي فتجيء الآية في معنى
قوله لسان صدق وقوله وتركنا عليه في الآخرين انتهى وحكى الزمخشري
هذا الاحتمال قولا فقال وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق انتهى والباء في بخالصة باء السبب أي بسبب هذه الخصلة
وبأنهم من أهلها ويعضده قراءة بخالصتهم وإنهم عندنا لمن المصطفين أي

المختارين

المختارين من بين أبناء جنسهم الأخيار جمع خير وخير كميت وميت وأموات وتقدم
الكلام في اليسع في سورة الأنعام وذا الكفل في سورة الأنبياء وعندنا ظرف
معمول لمحذوف دل عليه المصطفين أي وإنهم مصطفون عندنا أو معمول للمصطفين
وإن كان بأل لأنهم يتسمحون في الظرف والمجرور ما لا يتسمحون في غيرهما أو على
التبيين أي أعني عندنا ولا يجوز أن يكون عندنا في موضع الخبر ويعني بالعندية المكانة
ولمن المصطفين في موضع خبر ثان لوجود اللام لا يجوز أن زيدا قائم لمنطلق وكل
أي وكلهم من الأخيار هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة
لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات
الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من
نفاد هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه
حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم
صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك
لحق تخاصم أهل النار قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار
رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار لما أمر تعالى نبيه بالصبر
على سفاهة قومه وذكر جملة من الأنبياء وأحوالهم ذكر ما يؤول إليه حال
المؤمنين والكافرين من الجزاء ومقر كل واحد من الفريقين ولما كان ما يذكر
نوعا من أنواع التنزيل قال هذا ذكر كأنه فصل بين ما قبله وما بعده ألا
ترى أنه لما ذكر أهل الجنة وأعقبه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين
وقال ابن عباس هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقيل هذا ذكرى شرف تذكرون
به أبدا وقرأ الجمهور جنات بالنصب وهو بدل فإن كانت عدن علما فبدل
معرفة من نكرة وإن كان نكرة فبدل نكرة من نكرة وقال الزمخشري جنات
عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها
عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من
معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره
مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال
انتهى ولا يتعين أن تكون جنات عدن معرفة بالدليل الذي استدل به
وهو قوله جنات عدن التي لأنه اعتقد أن التي صفة لجنات عدن ولا
يتعين ما ذكر إذ يجوز أن تكون التي بدلا من جنات عدن ألا ترى أن الذي
والتي وجموعهما تستعمل استعمال الأسماء فتلي العوامل فلا يلزم أن تكون صفة
وأما انتصابها على أنها عطف بيان فلا يجوز لأن النحويين في ذلك على مذهبين
أحدهما أن ذلك لا يكون إلا في المعارف فلا يكون عطف البيان إلا تابعا
لمعرفة وهو مذهب البصريين والثاني أنه يجوز أن يكون في النكرات
فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما تكون المعرفة فيه تابعا لمعرفة

قوله عز وجل هذا ذكر

قوم

وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي وأما تخالفهما في التنكير والتعريف
فلم يذهب إليه أحد سوى هذا المصنف وقد أجاز ذلك في قوله مقام إبراهيم
فأعربه عطف بيان تابعًا للنكرة وهو آيات بينات ومقام إبراهيم معرفة
وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران وأما قوله وفي مفتحة ضمير
الجنات فجمهور النحويين أعربوا الأبواب مفعولا لم يسم فاعله مرفوعًا بمفتحة
وجاء أبو علي فقال إذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضمير يعود على جنات عدن
من الحال إن أعربت مفتحة حالا أو من النعت إن أعربت نعتًا لجنات عدن
فقال في مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط الحال بصاحبها أو النعت
بمنعوته والأبواب بدل وقال من أعرب الأبواب مفعولا لم يسم فاعله
العائد على الجنات محذوف تقديره الأبواب منها وألزم أبو علي أن البدل
في مثل هذا أيضًا لا بد فيه من الضمير إما ملفوظا به أو مقدرا وإذا كان
الكلام محتاجا إلى تقدير واحد كان أولى مما يحتاج إلى تقديرين وأما الكوفيون
فالرابط عندهم هو الألف واللام لقيامها مقام الضمير فكأنه قال مفتحة لهم أبوابها
وأما قوله وهو بدل الاشتمال فإن عنى بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم
وإنما هو من بدل البعض من كل وإن عنى الأبواب فقد يصح لأن أبواب الجنات
ليست بعضًا من الجنات وأما تشبيهه ما قدره من قوله مفتحة هي الأبواب
بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه أن الأبواب بدل من ذلك الضمير
المستكن كما أن اليد والرجل بدل من الظاهر الذي هو زيد وقال أبو إسحق
وتبعه ابن عطية مفتحة نعت لجنات عدن وقال الحوفي مفتحة حال
والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره يدخلونها وقرأ زيد بن علي
وعبد الله بن رفيع وأبو حيوة جنات عدن مفتحة برفع التاءين مبتدأ
وخبرا أو كل منهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة والاتكاء
من هيئات أهل السعادة يدعون فيها يدل على أن عندهم من يستخدمونه
فيما يستدعون كقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ولما كانت الفاكهة
تتنوع وصفها بالكثرة وكثرتها باختلاف أنواعها وكثرة كل نوع منه ولما
كان الشراب نوعا واحدا وهو الخمر أفرد وعندهم قاصرات الطرف
قال قتادة معناه على أزواجهن أتراب أي أمثال على سن واحدة
وأصله في بني آدم لكونهم مستوين جميعا مس التراب في وقت واحد والأقران
أثبت في التحاب والظاهر أن هذا الوصف هو بينهن وقيل بين الأزواج أسنانهن
كأسنانهم وقال ابن عباس يريد الآدميات وقال صاحب الغنيان حور وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو هذا ما يوعدون بياء الغيبة إذ قبله وعندهم وباقي
السبعة بتاء الخطاب على الالتفات والمعنى هذا ما وقع به الوعد ليوم
الجزاء إن هذا أي ما ذكر للمتقين مما تقدم لرزقنا دائما لا نفاد له هذا وإن
للطاغين لشر مآب قال الزجاج أي الأمر هذا وقال أبو علي هذا للمؤمنين

وقال

وقال أبو البقاء مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ والطاغون هنا
الكفار وقال الجبائي أصحاب الكبائر كفارا كانوا أو لم يكونوا وقال ابن عباس
المعنى الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مآب أي مرجع ومصير فبئس المهاد
أي هذا في موضع رفع مبتدأ خبره جهنم وغساق وخبر مبتدأ أي العذاب
هذا وحميم خبر مبتدأ أو في موضع نصب على الاشتغال أي ليذوقوا هذا فليذوقوه
وحميم خبر مبتدأ أي هو حميم أو مبتدأ محذوف الخبر أي منه حميم ومنه غساق
كما قال الشاعر

● حتى إذا ما أضاء الصبح في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود ●

أي منه ملوي ومنه محصود ومثله الأعاريب مقولة منقولة وقيل هذا
مبتدأ وفليذوقوه الخبر وهذا على مذهب الأخفش في إجازته زيد فاضربه
مستندا لا يقول الشاعر

وقائلة خولان فانكح فتاتهم ● والغساق عن ابن عباس الزمهرير وعنه أيضا
وعن عطاء وقتادة وابن زيد ما يجري من صديد أهل النار وعن كعب عين في
جهنم تسيل إليها حمة كل ذي حمة من حية أو عقرب أو غيرهما ينغمس فيها
فتتساقط الجلد واللحم عن العظم وعن السدي ما يسيل من دموعهم وعن ابن عمر
القيح يسيل منهم فيسقونه وقرأ ابن أبي إسحق وقتادة وابن وثاب وطلحة
وحمزة والكسائي وحفص والمفضل وابن سعدان وهرون عن أبي عمرو بتشديد
السين فإن كان صفة فيكون مما حذف موصوفها وإن كان اسما ففعال
قليل في الأسماء جاء منه الكلاء والجبان والفياد ذكر البوم والعقار والخطار
وقرأ باقي السبعة بتخفيف السين وقرأ الجمهور وآخر على الإفراد فقيل مبتدأ
خبره محذوف تقديره ولهم عذاب آخر وقيل خبره في الجملة لأن قوله أزواج
مبتدأ ومن شكله خبره والجملة خبر وآخر وقيل خبره أزواج ومن شكله في موضع
الصفة وجاز أن يخبر بالجمع عن الواحد من حيث هو درجات ورتب من العذاب
أو سمي كل جزء من ذلك الآخر باسم الكل وقال الزمخشري وآخر أي وعذاب
آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة
للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله انتهى وهو إعراب أخذ من القراءة وقرأ
الحسن ومجاهد والجحدري وابن جبير وعيسى وأبو عمرو وأخر على الجمع وهو مبتداء
ومن شكله في موضع الصفة وأزواج خبره أي ومذوقات أخر من شكل هذا
المذوق من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أجناس وقرأ مجاهد من شكله
بكسر الشين والجمهور بفتحها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب وأما إذا كان
بمعنى الغنج فبكسر الشين لا غير وعن ابن مسعود وآخر من شكله هو الزمهرير والظاهر
أن قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسائهم بعضهم لبعض والفوج الجمع
الكثير مقتحم معكم أي النار وهم الأتباع تدعوا عليهم بقولهم لا مرحبا
بهم لأن الرئيس إذا رأى الخسيس قد قرن معه في العذاب ساءه ذلك
حيث وقع التساوي في العذاب ولم يكن هو السالم من العذاب وأتباعه في

العذاب ومرحبا معناه اتيت رحبا وسعة لا ضيقا وهو منصوب بفعل يجب
اضماره ولا دعاء وبهم بيان للمدعو عليهم وقيل هذا فوج من كلام الملائكة خزنة
النار وان الدعاء على الفوج والتعليل بقوله انهم صالوا النار من كلامهم وقيل
هذا فوج مقتحم معكم من كلام الملائكة والدعاء على الفوج من الاتباع انهم صالوا
النار من كلام الرؤساء المتبوعين قالوا اي الفوج لا مرحبا بكم رد على الرؤساء
ما دعوا به عليهم ثم ذكروا انما وقعوا فيه من العذاب وصلي النار انما هو بما
القيتم الينا وزينتموه من الكفر فكانكم قدمتم لنا العذاب او الصلي واذا كان
لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فلم يجيء التركيب قالوا بل انتم لا مرحبا بكم بل جاء
بخطاب الاتباع للرؤساء لتكون المواجهة لمن كانوا لا يقدرون على مواجهتهم
في الدنيا بقبيح اشفى لصدورهم حيث تسببوا في كفرهم والكل للرؤساء فبئس
القرار اي النار وهذه المرادة والدعاء كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها
ولم يكف الاتباع برد الدعاء على رؤسائهم ولا بمواجهتهم بقوله انتم قدمتموه لنا
حتى سألوا من الله ان يزيد رؤساءهم ضعفا من النار والمعنى من حملنا على عمل السوء
حتى صار جزاؤنا النار فزده عذابا ضعفا كما جاء في قول الاتباع ربنا آتهم
اي سادتنا ضعفين من العذاب ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار ولما كان الرؤساء ضلالا في انفسهم واضلوا اتباعهم ناسب
ان يدعو عليهم بان يزيدهم ضعفا كما جاء فعليه وزره ووزر من عمل بها
الى يوم القيامة فعلى هذا الضمير في قالوا للاتباع ومن قدم هم الرؤساء
وقال ابن السائب قالوا ربنا الى اخره قول جميع اهل النار وقال
الضحاك من قدم هو ابليس وقابيل وقال ابن مسعود الضعف حيات
وعقارب وقالوا اي الرؤساء الكفار ما لنا لا نرى رجالا وهم مستضعفو
المؤمنين الذين لا يؤبه بهم كنا نعدهم من الاشرار اي الاراذل الذين لا خير
فيهم وليسوا على ديننا كما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
وروي ان القائلين من كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم هم ابو جهل
وامية بن خلف واصحاب القليب والذين لم يروهم عمار وصهيب وسلمان
ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره قيل يسألون اين عمار اين صهيب
اين فلان يعدون ضعفاء المسلمين فيقال لهم اولئك في الفردوس
وقرأ النحويان وحمزة اتخذناهم وصلا فقال ابو حيان تبعا للزمخشري
وابن عطية صفة لرجال قال الزمخشري مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار
وقال ابن الانباري حال اي وقد اتخذناهم **وقرأ** ابو جعفر والاعرج
والحسن وقتادة وباقي السبعة بهمزة الاستفهام لتقرير انفسهم على هذا
على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك
وقرأ عبد الله واصحابه ومجاهد والضحاك وابو جعفر وشيبة والاعرج
ونافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين ومعناها من السخرة والاستخدام
وقرأ الحسن وابو رجاء وعيسى وابن محيصن وباقي السبعة بكسر السين

ومعناها المشهور من السخر وهو الهزء **قال الشاعر**
اني اتاني لسان لا اسر بها من علو لا كذب فيها ولا سخر
وقيل بكسر السين من التسخير وام ان كان اتخذناهم استفهاما اما مصرحا بهمزة
كقراءة من قرأ كذلك او مؤولا بالاستفهام وحذفت الهمزة للدلالة فالظاهر
انها متصلة لتقدم الهمزة والمعنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم
ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم ويكون استفهاما
على معنى الانكار على انفسهم للاستسخار والزيغ جميعا وقال الحسن كل ذلك
قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم وان اتخذناهم
ليس استفهاما فام منقطعة ويجوز ان تكون منقطعة ايضا مع تقدم الاستفهام
فمع عدم الاستفهام يكون كقولك انها لابل ام شاء اي بل اهي شاء وعلى الاستفهام
يكون كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو استفهمت عن زيد ثم اضربت عن ذلك
واستفهمت عن عمرو فالتقدير بل ازاغت عنهم الابصار ويجوز ان يكون قولهم ام زاغت
عنهم الابصار له تعلق بقوله ما لنا لا نرى رجالا لانه لا استفهام اولا ذلك
على انتفاء رؤيتهم اياهم وذلك دليل على انهم ليسوا معهم ثم جوزوا ان يكونوا
معهم ولكن ابصارهم لم ترهم ان ذلك اي التفاوض الذي حكيناه عنهم
لحق اي لثابت واقع لا بد ان يجري بينهم **وقرأ** الجمهور تخاصم بالرفع مضافا الى
اهل فقال ابن عطية بدل من لحق وقال الزمخشري بين ما هو فقال تخاصم منونا
اهل رفعا بالمصدر المنون ولا يجيز ذلك الفراء ويجيزه **س** والبصريون **وقرأ**
ابن ابي عبلة تخاصم اهل بنصب الميم وجر اهل قال الزمخشري على انه صفة لذلك
لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس وفي كتاب اللوامح ولو نصب
تخاصم اهل النار لجاز على البدل من ذلك **وقرأ** ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا
اهل فاعلا وسمى تعالى تلك المفاوضة التي جرت بين رؤساء الكفار واتباعهم
تخاصما لان قولهم لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب
الخصومة فسمى التفاوض كله تخاصما لاشتماله عليه قل يا محمد انما انا منذر
اي منذر المشركين عذاب الله وانه لا اله الا الله لا ند له ولا شريك وهو الواحد
القهار لكل شيء وانه مالك العالم علوه وسفله العزيز الذي لا يغالب الغفار
للذنوب من آمن به واتبع دينه **قل هو نبأ عظيم** انتم عنه معرضون ما كان
لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان
من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال
فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال

قوله عز وجل
قل هو نبأ عظيم

فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد
حين الضمير في قوله قل هو نبأ عظيم يعود الى ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من كونه رسولا منذرا داعيا الى الله وانه تعالى هو المنفرد بالالوهية
المتصف بتلك الاوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم وعزته وغفرانه
وهو خبر عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة وقال ابن عباس النبأ
العظيم القرآن وقال الحسن يوم القيامة وقيل قصص آدم والانباء به من
غير سماع من احد وقال صاحب التحرير سياق الآية وظاهرها انه يريد
بقوله قل هو نبأ عظيم ما قصه الله تعالى من تناظر اهل النار ومقاولة
الاتباع مع السادات لانه من احوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب
والعقاب وهم عن ذلك معرضون ٥ وقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون احتجاج على قريش بان ما جاء به من عند الله من قبل نفسه فان من
في الارض ما له علم بمن في السماء الا باعلام الله تعالى وعلم المغيبات
لا يوصل اليه الا باعلام الله تعالى وعلمه باحوال اهل النار وابتداء خلق
آدم لم يكن عنده علم بذلك فاخباره بذلك هو باعلام الله ولا سيما انه لا
بقصة آدم لانه اول البشر خلق وبينه وبين الرسول عليه السلام ازمان
متقادمة وقرون سالفة انتهى وفي آخر لبعض اختصاصهم احتج بصحة
نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم امر لم يكن لديه من علم قط
ثم علمه من غير الطريق الذي يسلكه المتعلمون بل ذلك مستفاد من الوحي وبالملأ
متعلق بعلم واذ منصوب به وقال الزمخشري بمحذوف لان المعنى
ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل
من اذ يختصمون انتهى والظاهر عود الضمير في يختصمون على الملأ الاعلى
وهم الملائكة وابعد من قال انهم قريش واختصام الملائكة في امر
آدم وذريته في جعلهم في الارض وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
قاله ابن عباس وقال الحسن قالوا ان يخلق الله خلقا كنا اكرم منه
واعلم وقيل في الكفارات وغفر الذنوب فان العبد اذا عمل حسنة
اختلفت الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما يشاء وفي الحديث
قال له ربه في نومه عليه السلام فيم يختصمون فقلت لا ادري فقال
في الكفارات وفي اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الخطا الى الجماعات
وقال الزمخشري كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان
المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة
وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول وقيل الملأ
الاعلى الملائكة واذ يختصمون الضمير فيه للعرب الكافرين فبعضهم
يقول هي بنات الله وبعضهم آلهة تعبد وغير ذلك من اقوالهم ان يوحى الي
اي ما يوحى الي الا انما انا نذير اي للانذار وحذف اللام

ووصل

ووصل الفعل الى المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز ان يكون ضميرا يدل عليه المعنى
اي ان يوحى الي هو اي ما يوحى الي الا الانذار واقيم الى مقامه ويجوز ان يكون انما
هو المفعول الذي لم يسم فاعله اي ما يوحى الي الا الانذار وقرأ ابو جعفر الا انما بكسر
همزة انما على الحكاية اي ما يوحى الي الا هذه الجملة كانه قيل له انت نذير مبين
فحكى هو المعنى وهذا كما يقول الانسان انا عالم فيقال له قلت انك عالم فيحكى
المعنى ٥ وقال الزمخشري وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول
وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين فلا ادعي شيئا آخر انتهى وفي تخريجه تعارض
لانه قال اي الا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما انا نذير مبين ثم قال
وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل هو ان اقول لكم واي وما بعده
في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في موضع رفع فتعارضا وتقدم
ان اذ قال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت الخصومة في شان من يستخلف
في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون منصوبا باذكر ولما كانت قريش خالفوا الرسول
عليه السلام بسبب الحسد والكبر ذكر حال ابليس حيث خالف امر الله بسبب
الحسد والكبر وما آل اليه من اللعنة والطرد من رحمة الله ليزدجر عن ذلك
من فيه شيء منهما وقال الزمخشري فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني
خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون
قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حكاه اقتصر على
الاسم انتهى والبشر هو آدم عليه السلام وذكر هنا انه خلقه من طين وفي آل
عمران خلقه من تراب وفي الحجر من صلصال من حما مسنون وفي الانبياء من عجل
ولا منافاة ذكر المادة البعيدة وهو التراب ثم ما يليه وهو الطين ثم ما يليه
وهو الحما المسنون ثم المادة الاخيرة بل الحما وهو الصلصال واما من عجل
فمضى تفسيره فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس تقدم الكلام على هذا في الحجر وهنا استكبر
وكان من الكافرين وفي البقرة ابى واستكبر وكان من الكافرين وفي الاعراف
لم يكن من الساجدين وفي الحجر ابى ان يكون مع الساجدين وفي الاسراء قال
أأسجد لمن خلقت طينا وفي الكهف كان من الجن ففسق عن امر ربه والاستثناء
في جميع هذه الآيات يدل على انه لم يسجد فتارة اكد بالنفي المحض وتارة ذكر
اباءته عن السجود وهو الانفة من ذلك وتارة نص على ان ذلك الامتناع كان
سببه الاستكبار والظاهر ان قوله وكان من الكافرين اريد به كفر في ذلك
الوقت وان لم يكن قبله كافرا وعطف على استكبر فقوي ذلك لان الاستكبار
عن السجود انما حصل له وقت الامر ويحتمل ان يكون اخبارا عنه انه سبق كفره
في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد وفي
الاعراف ما منعك ان لا تسجد فدل ان تسجد هنا على ان لا في ان لا تسجد
زائدة والمعنى ايضا يدل على ذلك لانه لا يستفهم الا عن المانع من السجود وهو
استفهام تقرير وتوبيخ ولما خلقت استدل بها من يجيز اطلاق ما على

احد من يعقل وان لي باء مامصدرية والمراد والمصدر يراد به المخلوق لاحقيقة المصدر **وقرا** الجحدري لما بفتح اللام وتشديد الميم خلقت بيدي على الافراد والجمهور على التثنية **وقري** بيدي بكسر الباء كقراءة مصرخي وقال تعالى مما عملت ايدينا بالجمع وكلها عبارة عن القدرة والقوة وعبر باليد اذ كان عند البشر معنا ذا البطش والقوة باليد وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان اليد صفة ذات قال ابن عطية وهو قول مرغوب عنه **وقرا** الجمهور استكبرت بهمزة الاستفهام فام متصلة عادلت الهمزة قال ابن عطية وذهب كثير من النحويين الى ان ام لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك ازيد قام ام عمرو وقولك اقام زيد ام عمرو فاذا اختلف الفعلان فهذه الاية فليست معادلة ومعنى الاية احدث لك الاستكبار الان ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى وهذا الذي ذكر عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح قال س وتقول اضربت زيدا ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسأل عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسأل عن موضع احدهما كانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل بام الالف مع اختلاف الفعلين وقال الزمخشري من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير انتهى وقرات فرقة منهم ابن كثير وغيره استكبرت بصلة الالف وهي قراءة اهل مكة وليست في مشهور ابن كثير فاحتمل ان تكون همزة الاستفهام محذوفة لدلالة ام عليها كقوله بسبع رمين الجمر ام بثمان واحتمل ان يكون اخبارا خاطبه بذلك على سبيل التقريع وام تكون منقطعة والمعنى بل انت من العالين عند نفسك استخفافا به قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تقدم الكلام على ذلك في الاعراف قال فاخرج منها الى قوله الى يوم الوقت المعلوم تقدم الكلام على مثل ذلك في الحجر الا ان هنا لعنتي وهناك اللعنة واللعنة اعم الا ترى الى قوله اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون واما بالاضافة فالعموم في اللعنات انما حصل من جهة ان من عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل لاعن هذا من جهة المعنى واما اللفظ فيقتضي التخصيص قال فبعزتك لاغوينهم اقسم ابليس هنا بعزة الله وقال في الاعراف فبما اغويتني لاقعدن وفي الحجر رب بما اغويتني لازينن وتقدم الكلام عليها في موضعها وان من المفسرين من قال ان الباء في بما اغويتني وفي فبما اغويتني ليست باء القسم فان كانت باء القسم فيكون ذلك في موطنين فهنا لاغوينهم وفي الاعراف لاقعدن وفي الحجر لازينن **وقرا** الجمهور قال فالحق والحق برفعهما اما الاول فمقسم به حذف منه الحرف كقوله امانة الله لاقومن والمقسم عليه لاملان والحق اقول اعتراض بين القسم وجوابه قال الزمخشري

ومعناه

ومعناه ولا اقول الا الحق انتهى لان عنده تقدم المفعول يفيد الحصر والحق مقسم به اما اسمه تعالى الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الذي هو نقيض الباطل وقيل فالحق منصوب على الاغراء اي فالزموا الحق ولاملان جواب قسم محذوف وقال الفرا على معنى قولك حقا لاشك ووجود الالف واللام وطرحهما سواء اي لاملان جهنم حقا انتهى وهذا المصدر الجائي توكيدا لمضمون الجملة ويجوز تقديمه عند جمهور النحاة وذلك مخصوص بالجملة التي جزاها معرفتان جامدتان جمودا محضا وقال صاحب البسيط وقد يجوز ان يكون الخبر نكرة قال والمبتدا يكون ضميرا نحو هو زيد معروفا وهو الحق بينا وانا الامير مفتخرا ويكون ظاهرا كقولك زيد ابوك عطوفا واخوك زيد معروفا انتهى وقالت العرب زيد قائما غير ذي شك فجاءت الحال بعد الجملة والخبر نكرة وهي حال مؤكدة لمضمون الجملة وكان الفراء لم يشترط هذا الذي ذكره اصحابنا من كون المبتدا والخبر معرفتين جامدتين لانه لا فرق بين تاكيد مضمون الجملة الابتدائية وبين تاكيد الجملة الفعلية وقيل التقدير فالحق الحق اي افعله **وقرا** ابن عباس ومجاهد والاعمش بالرفع فيهما فالاول مبتدا خبره محذوف قيل تقديره فالحق انا وقيل فالحق مني وقيل تقديره فالحق قسمي وحذف كما حذف في لعمرك لاقومن وفي يمين الله ابرح قاعدا اي لعمرك قسمي ويمين الله قسمي وهذه الجملة هي جملة القسم وجوابه لاملان والحق اقول فمبتدا ايضا خبره الجملة وحذف العائد كقراءة ابن عامر وكل وعد الله الحسنى وقال ابن عطية اما الاول فرفع على الابتداء وخبره في قوله لاملان لان المعنى ان املاء انتهى وهذا ليس بشيء لان لاملان جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وايضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما لاح له اسناد ما قدر الى المبتدا حكم انه خبر عنه **وقرا** الحسن وعيسى وعبد الرحمن بن ابي حماد عن ابي بكر بجرهما ويخرج على ان الاول مجرور بواو القسم محذوفة تقديره فوالحق والحق معطوف عليه كما تقول والله والله لاقومن واقول اعتراض بين القسم وجوابه وقال الزمخشري والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع وهو وجه دقيق حسن انتهى وملخصه انه اعمل القول في لفظ المقسم به على سبيل الحكاية ان نصبا او رفعا او جرا **وقرا** مجاهد والاعمش بخلاف عنهما وابان بن تغلب وطلحة في رواية وحمزة وعاصم عن المفضل وخلف والعبسي برفع فالحق ونصب والحق وتقدم اعرابهما والظاهر ان قوله اجمعين تاكيد للمحدث عنه والمعطوف عليه وهو ضمير ابليس ومن عطف عليه اي منك وممن تابعك اجمعين واجاز الزمخشري ان يكون اجمعين تاكيدا للضمير الذي في منهم فقدر لاملان جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم

من اولادنا لانبيائنا وغيرهم انتهى والضمير في عليه عائدا على القرآن قاله ابن عباس
وقيل على الوحي وقيل على الدعاء الى الله وما انا من المتكلفين اي المتصنعين
المتحلين بما ليسوا من اهله فانتحل النبوة والتقول على الله ان هو اي القرآن الا
ذكر اي من الله للعالمين الثقلين الانس والجن ولتعلمن نبأه اي عاقبة
خبره وما ترتب عليه لمن آمن به ومن اعرض عنه بعد حين قال ابن عباس وعكرمة
وابن زيد يعني يوم القيمة وقال قتادة والفراء والزجاج بعد الموت وكان
الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقيل المعنى ليظهرن
لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين وذلك
يوم بدر واشار الى ذلك السدي **التكوير** اللف والليّ يقال كار العمامة على
راسه وكورها **خوله** النعمة اعطاه ابتداء من غير مجازاة ولا يقال في الجزاء خول

قال زهير هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ٥

ويروى يستخبلوا المال يخبلوا **وقال ابو النجم**

٥ اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخوّل ٥

هاج الزرع ثار من نباته وقيل يبس **الحطام** الفتات بعد يبسه **اقشعر**
تقبض الجلد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف
الشاكسة سوء الخلق وعسره ٥

سورة تنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم • تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم
فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ
ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله
ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى
لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور •• هذه السورة مكية وعن ابن عباس
الا الله نزل احسن الحديث وقل يا عبادي الذين اسرفوا وعن مقاتل الا يا عبادي
الذين اسرفوا وقوله يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة وعن بعض السلف الا يا عبادي الذين اسرفوا الى قوله يشعرون ثلاث
آيات وعن بعضهم الا سبع آيات من قوله يا عبادي الذين اسرفوا الى آخر السبع نزلت
في وحشي واصحابه ومناسبتها لآخر السورة قبلها واضحة وهو ان هو الا ذكر للعالمين
وبداءة هنا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال الفراء والزجاج تنزيل مبتدأ
ومن الله الخبر او خبر مبتدأ محذوف اي هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل واقول
انه خبر والمبتدأ هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر

المفردات من تنزيل

لك

ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب وقال الزمخشري او غير صلة يعني من الله كقولك
هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة
انتهى ولا يجوز ان يكون حالا عمل فيها معنى الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل اذا كان
ما هي فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابي العباس قوله في بيت الفرزدق واذ ما
مثلهم بشر ٥ ان مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر واذ ما في الوجود
في حال مماثلتهم بشر والكتاب هنا يظهر انه القرآن وكرر في قوله انا انزلنا
اليك الكتاب على جهة التفخيم والتعظيم وكونه في جملة غير السابقة ملحوظا
فيه اسناده الى ضمير العظمة وتشريف من انزل اليه بالخطاب وتخصيصه بالحق
وقرأ ابن ابي عبلة وزيد بن علي وعيسى تنزيل بالنصب اي اقرأ والزم وقال ابن عطية
قال المفسرون في تنزيل الكتاب هو القرآن ويظهر لي انه اسم عام لجميع ما تنزل من
عند الله من الكتب هذا الاخبار تقدمة وتوطئة لقوله انا انزلنا اليك الكتاب
والعزيز في قدرته الحكيم في ابتداعه والكتاب الثاني هو القرآن لا يحتمل غير
ذلك وقال الزمخشري **فان قلت** ما المراد بالكتاب **قلت** الظاهر
على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة انتهى والحق في موضع الحال
اي ملتبسا بالحق وهو الصدق الثابت فيما اودعناه من اثبات التوحيد والنبوة
والمعاد والتكاليف فهذا كله حق وصدق يجب اعتقاده والعمل به او يكون
الحق بالدليل على انه من عند الله وهو عجز الفصحاء عن معارضته وقال ابن عطية
اي متضمنا الحق فيه وفي احكامه وفي اخباره او بمعنى الاستحقاق وشمول
المنفعة للعالم في هدايتهم ودعوتهم الى الله انتهى ملخصا فلما امتن تعالى
على رسوله بانزال الكتاب عليه بالحق وكان الحق اخلاص العبادة لله امره
تعالى بعبادته فقال فاعبد الله وكان هذا الامر ناشئا عن انزال الكتاب فالفاء
فيه للربط كما تقول احسن اليك زيد فاشكره مخلصا اي ممحضا له الدين من
الشرك والرياء وسائر ما يفسده **وقرأ** الجمهور الدين بالنصب **وقرأ** ابن ابي عبلة
بالرفع فاعلا بمخلصا والراجع لذي الحال محذوف على رأي البصريين اي الدين
منك ويكون العوض من الضمير اي دينك وقال الزمخشري وحق من رفعه
ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله
الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه
على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العائد
وله الدين مبتدأ وخبر فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين
الا لله الدين الخالص انتهى وقد قدمنا تخريجه على انه فاعل بمخلصا وقدرنا ما
يربط الحال بصاحبها ومن ذهب الى ان له الدين مستانف مبتدأ وخبر فالفراء
الا لله الدين الخالص اي من كل شائبة وكدر فهو الذي يجب ان يخلص له الطاعة
لاطلاعه على الغيوب والاسرار وخلوص نعمته على عباده من غير استجرار منفعة
منهم قال الحسن الدين الخالص الاسلام وقال قتادة شهادة ان لا اله الا الله

والذين اتخذوا مبتدأ والظاهر انهم المشركون واحتمل ان يكون الخبر قالوا المحذوف المحكي به قوله ما نعبدهم اي والمشركون المتخذون من دون الله اولياء قالوا ما نعبد تلك الاولياء الا ليقربونا الى الله زلفى واحتمل ان يكون الخبر ان الله يحكم بينهم وذلك ان القول المحذوف في موضع الحال اي اتخذوهم قائلين ما نعبدهم واجاز الزمخشري ان يكون الخبر ان الله يحكم وقالوا المحذوفة بدل من اتخذوا صلة الذين فلا يكون له موضع من الاعراب وكانه من بدل الاشتمال وفي مصحف عبد الله قالوا ما نعبدهم وبه قرا هو وابن عباس ومجاهد وابن جبير واجاز الزمخشري ان يكون والذين اتخذوا بمعنى المتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى ونحوهم والضمير في اتخذوا عائد على المشركين وان لم يتقدم لهم ذكر لدلالة سياق الكلام عليهم والعائد على الموصول محذوف تقديره والذين اتخذهم المشركون اولياء واولياء مفعول ثان وهذا الذي اجازه خلاف الظاهر وهذه المقالة شايعة في العرب فقال ذلك ناس منهم في الملائكة وناس في الاصنام والاوثان قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود في عزير وقوم من النصارى في المسيح وقري ما نعبدهم بضم النون اتباعا لحركة الباء ان الله يحكم بينهم اقتصر في الرد على مجرد التهديد والظاهر ان الضمير في بينهم عائد على المتخذين والحكم بينهم هو بادخال الملائكة وعيسى عليه السلام الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة والخشب التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان من عبدوه كالملائكة وعيسى كانوا متبرين منهم لاعنين لهم موحدين لله وقيل الضمير في بينهم عائد على المشركين والمومنين اذ كانوا يلومونهم على عبادة الاصنام فيقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والحكم اذ ذاك هو في يوم القيمة بين الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب في دعواه ان لله شريكا كفار لانعم الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لا يهدي من ختم عليه بالموافاة على الكفر فهو عام والمعنى على الخصوص فكم قد هدى من سبق منه الكذب والكفر وقال ابن عطية لا يهدي الكاذب الكفار في حال كذبه وكفره وقال الزمخشري المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا انس ابن مالك والجحدري والحسن والاعرج وابن يعمر كذاب كفار وقرا زيد ابن علي كذوب كفور ولما كان من كذبهم دعوى بعضهم ان الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا تشريفا له وتبنيا اذ يستحيل ان يكون ذلك في حقه تعالى بالتوالد المعروف لاصطفى اي اختار من مخلوقاته ما يشاء ولدا على سبيل التبني ولكنه تعالى لم يشا ذلك لقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وهو عام في اتخاذ النسل واتخاذ الاصطفاء ويدل على ان الاتخاذ هو التبني والاصطفا قوله مما يخلق اي من الذي انشاها واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا فقال سبحانه ثم وصف نفسه بالوحدانية وبالقهر وهما الصفتان اللتان تدلان على انفراده بالالوهية

والقهر لجميع العالم وقال الزمخشري يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافترا على الله وملايكته انتهى والذي يدل عليه تركيب لو وجوابها انه كان يترتب اصطفا الولد مما يخلق على تقدير اتخاذه لكنه لم يتخذه فلا يصطفيه واما ما ذكره الزمخشري من قوله يعني لو اراد الى اخره وقوله بعد كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفا ما يشا من خلقه وهم الملائكة فليس مفهوما من قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا ولما نزه تعالى نفسه ووصف ذاته بالوحدة والقهر ذكر ما دل على ذلك من اختراع العالم العلوي والسفلي بالحق وتكوير الليل والنهار وتسخير النيرين وجريهما على نظام واحد واتساق امرهما على ما اراد الى اجل مسمى وهو يوم القيمة حيث تخرب بنية هذا العالم فيزول جريهما او الى وقت مغيبهما كل يوم وليلة او وقت قواسهما كل شهر والتكوير تطويل كل منهما على الاخر فكان الاخر صار عليه جزء منه قال ابن عباس يحمل الليل على النهار وقال الضحاك يدخل الزيادة في احدهما بالنقصان من الاخر وقال ابو عبيدة يدخل هذا على هذا وقال الزمخشري وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض انتهى الا هو العزيز الذي لا يغالب الغفار لمن تاب او الحليم الذي لا يعجل سمي الحلم غفرانا مجازا ولما ذكر ما دل على وحدانيته وقهره ذكر الانسان وهو الذي كلف باعباء الرب التكاليف فذكر انه اوجدنا من نفس واحدة وهي ادم عليه السلام وذلك ان حوا على ما روي خلقت من ادم فقد صار خلقنا من نفس واحدة بوساطة حوا وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا فعلى هذا كان خلقنا من ادم بغير واسطة وجاءت ثم على هذا القول على وضعها من المهلة في الزمان وعلى القول الاول يظهر ان حوا كان بعد خلقنا وليس كذلك فثم جاءت لترتيب الاخبار كانه قيل ثم كان من امره قبل ذلك ان جعل منها زوجها فليس الترتيب في زمان الجعل وقيل ثم معطوف على الصفة التي هي واحدة اي من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل قال الزمخشري فان قلت ما وجه قوله تعالى ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي

قلت مما اتيان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته
تشعيب هذا العالم المحصور من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احداهما
جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم يجربها العادة ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى
رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى
للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها
آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود انتهى وانما ثم
جعل منها زوجها فقد تقدم الكلام على هذا الجعل في اول سورة النساء . ووصف
الانعام بالانزال مجازا اما لان قضاياه توصف بالنزول من السماء حيث كتب
في اللوح كل كائن يكون واما لان عيشها بالنبات والنبات ناشئ عن المطر والمطر نازل
من السماء فكانه تعالى انزلها فيكون مثل قول الشاعر

اسنمة الآبال في ربابه ... اي في سحابه وقال

صار الثريد في رؤوس العيدان ... وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها فعلى هذا
يكون انزال اصولها حقيقة والانعام الابل والبقر والضان والمعز ثمانية
ازواج لان كل منها ذكر او انثى والزوج ما كان معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو
فرد ووتر قال تعالى خلق منه الزوجين الذكر والانثى قال ابن زيد خلقا من بعد خلق
آخر من ظهر آدم وظهور الآباء وقال عكرمة ومجاهد والسدي رتبا خلقا من
بعد خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك واختار الزمخشري فقال حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق
من بعد نطف انتهى وقرأ عيسى وطلحة يخلقكم بادغام القاف في الكاف
والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن
ذلكم اشارة الى المتصف بتلك الاوصاف السابقة من خلق السموات وما
بعد ذلك من الافعال فانى تصرفون اي كيف تعدلون عن عبادته الى عبادة غيره
ان تكفروا قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
وعباده هم المؤمنون ويؤيده قوله قبله فانى تصرفون وهذا للكفار فجاء
ان تكفروا خطابا لهم فان الله غني عنكم وعن عبادتكم اذ لا يرجع اليه تعالى منفعة
بكم ولا بعبادتكم اذ هو الغني المطلق قال ابن عطية ويحتمل ان يكون مخاطبة لجميع
الناس لانه تعالى غني عن جميعهم وهم فقراء اليه انتهى ولفظ عباده عام
فقيل المراد الخصوص وهم الملائكة ومؤمنوا الانس والجن والرضى بمعنى الارادة
فعلى هذا هي صفة ذات وقيل المراد العموم كما دل عليه اللفظ والرضى مغاير
للارادة فيعبر به عن الشكر والاثابة اي لا يشكره لهم دينا ولا يثيبهم به خيرا
فالرضى على هذا صفة فعل بمعنى القبول والاثابة قال ابن عطية وتامل الارادة
فان حقيقتها انما هي فيما لم يقع بعد والرضى حقيقته انما هي فيما قد وقع واعتبر
هذا في آيات القرآن تجده وان كانت العرب قد تستعمل في اشعارها على جهة
التجوز هذا بدل هذا وقال الزمخشري ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما

نفاه

نفاه عز وعلا من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص
وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
يريد المعصومين لقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون
انتهى فسمى عبد الله ابن عباس ترجمان القرآن واعلام اهل السنة بعض
الغواة واطلق عليهم اسم الظالمين وذلك من سفهه وجراءته كما قلت في قصيدتي
التي ذكرت فيها ما ينتقد عليه ... ويشتم اعلام الائمة ضلة ولا سيما ان اولجوه
المضايقا ... وان تشكروا يرضه لكم قال ابن عباس يضاعف لكم وكانه يريد ثواب
الشكر وقيل يقبله منكم قال صاحب التحرير قوة الكلام تدل على ان معنى
تشكروا تؤمنوا حتى يصير بازاء الكفر والله تعالى قد سمى الاعمال الصالحة والطاعات
شكرا في قوله اعملوا آل داود شكرا انتهى وتقدم الكلام على هذه الآية في سبا .
وقرأ النحويان وابن كثير يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص بضمه
فقط وابو بكر بسكون الهاء قال ابو حاتم وهو غلط لا يجوز انتهى وليس بغلط
بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل ولا تزر الى بذات الصدور تقدم الكلام عليه

قوله عز وجل واذا مس الانسان

واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان
يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك
من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب
قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض
الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه
قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران
المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون ... الظاهر ان الانسان هنا جنس الكافر وقيل معين
كعتبة بن ربيعة ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم او اهل او مال دعا ربه استجار
به وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواه منيبا اليه اي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك
ثم اذا خوله اناله واعطاه بعد كشف ذلك الضر نعمة وحقيقة خوله ان يكون من
قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه او من خال يخول اذا
اختال وافتخر وتقول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ... نسي ما كان
يدعوا اي ترك والظاهر ان ما بمعنى الذي اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى
كشفه وقيل ما بمعنى من اي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل في كشف
ضره وقيل ما مصدرية اي نسي كونه يدعو وقيل تم الكلام عند قوله نسي اي نسي ما
كان فيه من الضر وما نافية نفي ان يكون دعاء هذا الكافر خالصا لله مقصودا من
قبل اي من قبل الضر وعلى الاقوال السابقة من قبل اي من قبل تخويل النعمة
وبنوع من الضر وجعل لله اندادا اي امثالا واضدادا بعضها بعضا ويعارض قال

نسي ح

قتادة أي من الرجال يطيعونهم في المعصية وقال غيره أوثانا وندا من سخف عقولهم حين مس الضر دعوا الله ولم يلتجئوا في كشفه إلا إليه وحين كشف ذلك وحول النعمة أشركوا به واللام لام العلة وقيل لام العاقبة **وقرأ** الجمهور ليضل بضم الياء أي ما اكتفى بضلاله في نفسه حتى جعل غيره يضل **وقرأ** ابن كثير وأبو عمرو وعيسى بفتحها ثم أتى بصيغة الأمر فقال تمتع بكفرك أي تلذذ واصنع ما شئت قليلا أي عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله إنك من أصحاب النار أي من سكانها المخلدين فيها وقال الزمخشري وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى متاع قليل ثم مأواهم جهنم انتهى ولما شرح تعالى شيئا من أحوال الضالين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحدين فقال أمن هو قانت **وقرأ** ابن كثير ونافع وحمزة والأعمش وعيسى وشيبة والحسن في رواية أمن بتخفيف الميم والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله قل تمتع بكفرك ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومن حذف المقابل **قول الشاعر**

دعاني إليها القلب إني لأمرها ... سميع فما أدري أرشد طلابها

تقديره أم غي وقال الفراء الهمزة للنداء كأنه قيل يا من هو قانت ويكون قوله قل خطابا له وهذا القول أجنبي مما قبله ومما بعده وضعف هذا القول أبو علي الفارسي ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم هذه القراءة **وقرأ** باقي السبعة والحسن وقتادة والأعرج وأبو جعفر أمن بتشديد الميم وهي أم أدغمت ميمها في ميم من فاحتملت أم أن تكون متصلة ومعادلها محذوف قبلها تقديره أهذا الكافر خير أم من هو قانت قال معناه الأخفش ويحتاج مثل هذا التقدير إلى سماع من العرب وسوان يحذف المعادل الأول واحتملت أم أن تكون منقطعة فتقدر ببل والهمزة والتقدير بل أمن هو قانت صفته كذا كمن ليس كذلك وقال النحاس أم بمعنى بل ومن بمعنى الذي والتقدير بل الذي هو قانت أفضل ممن ذكر قبله انتهى ولا أفضل لمن قبله حتى يجعل هذا أفضل بل التقدير الخير من أصحاب الجنة يدل عليه مقابلة إنك من أصحاب النار والقانت المطيع قاله ابن عباس وتقدم الكلام في القنوت في البقرة **وقرأ** الجمهور ساجدا وقائما بالنصب على الحال والضحاك برفعهما إما على النعت لقانت وإما على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة أي عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه أي حصولها وقيل نعيم الجنة ومبدا المتصف بالقنوت إلى سائر الأوصاف قال مقاتل عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر وقال ابن عمر عثمان وقال ابن عباس في رواية الضحاك أبو بكر وعمر وقال

يحيى

يحيى بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه من اتصف بهذه الأوصاف من غير تعيين وفي الآية دليل على فضل قيام الليل وأنه أرجح من قيام النهار ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين فكما لا يستوي هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي والمراد بالعلم هنا ما أدى إلى معرفة الله ونجاة العبد من سخطه **وقرئ** تذكر بإدغام التاء يتذكر في الذال قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم روي أنها نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة وعدهم تعالى فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة والظاهر تعلق في هذه بأحسنوا وأن المحسنين في الدنيا لهم في الآخرة حسنة أي حسنة عظيمة وهي الجنة قاله مقاتل والصفة محذوفة يدل عليها المعنى لأن من أحسن في الدنيا لا يوعد أن يكون له في الآخرة مطلق حسنة وقال السدي في هذه من تمام حسنة أي ولو تأخر لكان صفة أي الذين يحسنون لهم حسنة كائنة في الدنيا فلما تقدم انتصب على الحال والحسنة التي لهم في الدنيا هي العافية والظهور وولاية الله تعالى ثم حض على الهجرة فقال وأرض الله واسعة كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أي لا عذر للمفرطين البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وأنهم لا يتمكنون فيها من أعمال الطاعات قيل لهم إن بلاد الله كثيرة واسعة فتحولوا إلى الأماكن التي يمكنكم فيها الطاعات وقال عطاء وأرض الله المدينة للهجرة قيل فعلى هذا يكون أحسنوا هاجروا وحسنة راحة من الأعداء وقال قوم أرض الله هنا الجنة قال ابن عطية وهذا القول تحكم لا دليل عليه انتهى وقال أبو مسلم لا يمتنع ذلك لأنه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى ثم بين أن من اتقى له في الآخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين أن أرض الله واسعة كقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ولما كانت رتبة الإحسان منتهى الرتب كما جاء ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه وكان الصبر على ذلك من أشق الأشياء وخصوصا من فارق وطنه وعشيرته وصبر على بلاد الغربة وذكر أن الصابرين يوفون أجرهم بغير حساب أي لا يحاسبون في الآخرة كما يحاسب غيرهم أو يوفون ما لا يحصره حساب من الكثرة قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أمره تعالى أن يصدع للكفار بما أمر به من عبادة الله مخلصها من الشوائب وأمرت أي وأمرت بما أمرت لأن أكون أول من أسلم أي انقاد لله تعالى ويعني من أهل عصره أو من قومه لأنه أول من دعاهم إلى الإسلام إسلاما أو أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي قولا وفعلا لا كالملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون أو أن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب وقال الزمخشري **فإن قلت** كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص

وتكليفه شيء والامر به لتحرزيه فصيب لسبق في الدين شيء واذا اختلف وجها
الشيء وصفتاه نزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة
مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها
زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع
عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله
وامرت ان اكون من المؤمنين امرت ان اكون اول من اسلم انتهى ويحتمل في ان اكون
في ثلاثة المواضع اصله لان اكون فيكون قد حذفت اللام والمأمور به محذوف
وهو المصرح به هنا اي امرت ان اعبد الله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم تقدم الكلام على هذه الجملة معمولا للقول في سورة يونس ولما امره اولا
ان يخبر بانه امر بعبادة الله امر ثانيا ان يخبر بانه يعبد الله وحده وتقديم
الجلالة دال على الاهتمام ممن يعبد وعند الزمخشري يدل على الاختصاص قال
ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا
واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير
المبالغة في الخذلان والتخلية انتهى وقال غيره فاعبدوا ما شئتم صيغة
امر على جهة التهديد لقوله قل تمتع بكفرك ٥ قل ان الخاسرين اي حقيقة
الخسران الذين خسروا اي هم الذين خسروا انفسهم حيث صاروا من اهل النار
واهليهم الذين كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا معهم في النار فلم ينتفعوا منهم
بشيء وان كان اهلوهم قد آمنوا فخسرانهم اياهم كونهم لا يجتمعون بهم ولا يرجعون
اليهم ابدا وقال قتادة كان الله قد اعد لهم اهلا في الجنة فخسروهم وقال
معناه ميمون بن مهران وقال الحسن هن الحور العين ثم ذكر ذلك الخسران وبالغ
فيه بالتنبيه عليه اولا والاشارة اليه وتاكيده بالفصل وتعريفه بال ووصفه
بانه المبين اي الواضح لمن تامله ادنى تامل فلما ذكر خسرانهم انفسهم واهليهم ذكر حالهم
في جهنم وان لهم من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل فظهر ان النار تغشاهم من فوقهم ومن
تحتهم وسمي ما تحتهم ظللا لمقابلة ما فوقهم كما قال يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل
هي ظلل للذين هم تحتهم اذ النار طباق وقيل ان ما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه
شيء حتى يكون ظلة فسمي ظلة باعتبار ما آل اليه اخيرا ذلك اي ذلك العذاب
يخوف الله به عباده ليحذروا ما يخلصهم منه ثم ناداهم وامرهم فقال يا عباد
فاتقون ٥ والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم
البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هداهم الله واولئك هم اولو الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها
الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا

قوله عز وجل
والذين اجتنبوا

ثم

ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في
ضلال مبين ٥ قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت في زيد بن عمرو
ابن نفيل وسلمان وابي ذر وقال ابن اسحاق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف
وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر سمعوا
ذلك فجاؤه وقالوا اسلمت قال نعم وذكرهم بالله فآمنوا باجمعهم فنزلت
فيهم وهي محكمة في الناس الى يوم القيامة والطاغوت تقدم الكلام عليها
في البقرة وقرأ الحسن الطواغيت جمعا ان يعبدوها اي عبادتها وهو بدل
اشتمال لهم البشرى اي من الله تعالى بالثواب فبشر عبادي هم المجتنبون
الطاغوت الى الله وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على نعتهم وليترتب على
الظاهر الوصف وهو الذين يستمعون القول وهو عام في جميع الاقوال فيتبعون
احسنه ثنا عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الاحسن فاذا سمعوا قولا تبصروه
قيل واحسن القول القرآن وما يرجع اليه وقيل القول القرآن واحسنه ما فيه
من صفح وعفو واحتمال ونحو ذلك وقال قتادة احسن القول طاعة الله وعن
ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث
باحسن ما سمع ويكف عما سواه والذين وصف لعباد وقيل الوقف على عباد
والذين مبتدأ خبره اولئك وما بعده افمن حق عليه كلمة العذاب قيل نزلت في
ابي جهل اي نفذ عليه الوعيد بالعذاب والظاهر انها جملة مستقلة ومن موصولة
مبتدأ والخبر محذوف فقيل تقديره تتاسف عليه وقيل يتخلص منه وقدره
الزمخشري فانت تخلصه قال حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدر
الزمخشري بين الهمزة والفاء جملة حتى تقع الهمزة في مكانها والفاء في مكانها
فقال التقدير اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب وهو قول انفرد به
فيما علمناه والذي تقوله النحاة ان الفاء للعطف وموضع التقدير على
الهمزة لكن الهمزة لما كان لها صدر الكلام قدمت فالاصل عندهم فامن حق
عليه وعلى القول انها جملة مستقلة يكون قوله افانت تنقذ من في النار
استفهام توقيف وقدم فيه الضمير اشعارا بانك لست تقدر ان تنقذه
من النار بل لا يقدر على ذلك احد الا الله وذهبت فرقة منهم الحوفي والزمخشري
الى ان من شرطية وجواب الشرط افانت فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء
واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار وهو ظاهر موضع
المضمر اذ كان الاصل تنقذه وانما اظهر تشهيرا لحالهم واظهارا لخسة منازلهم
قال الحوفي وجيء بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز
الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان ياتي بالف الاستفهام في الاسم والف
اخرى في الجزاء ومعنى الكلام افانت تنقذه انتهى وعلى هذا القول يكون
قد اجتمع استفهام وشرط على قول الجماعة ان الهمزة قدمت من تاخير فيجيء الخلاف
الذي بين س ويونس هل الجملة الاخيرة هي للمستفهم عنه او هي جواب الشرط

وعلى تقدير الزمخشري لم تدخل الهمزة على اسم الشرط فلم يجتمع استفهام وشرط لان الاستفهام
عنده دخل على الجملة المحذوفة عنده وهو اانت مالك امرهم ومن معطوف على تلك
الجملة المحذوفة عطفت جملة الشرط على جملة الاستفهام ونزل استحقاقهم
العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار ونزل اجتهاد الرسول عليه السلام
في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار ولما ذكر حال الكفار في الانذار
وان الخاسرين لهم ظلل ذكر حال المؤمنين وتناسب الاستدراك هنا اذ هو
واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال لكن الذين اتقوا ففي ذلك حض على
التقوى لهم علالي مرتفعة فوقها علالي مبنية اي بنيت المنازل التي سويت
على الارض والضمير في من تحتها عائد على الجميع اي من تحت الغرف السفلى والغرف
العليا لا تفاوت بين اعلاها واسفلها وانتصب وعد الله على المصدر المؤكد
لمضمون الجملة قبله اذ تضمنت معنى الوعد الم تر خطاب وتوقيف للسامع
على ما يعتبر به من افعال الله الدالة على فناء الدنيا واضمحلالها فسلكه ينابيع
اي ادخله مسالك وعيونا ومطابير من ماء العيون ومن ماء المطر تحبسه الارض
وتخرج شيئا فشيئا ثم يخرج به زرعا ذكر منته تعالى علينا بما نقوم به معيشتنا
مختلفا الوانه من احمر واصفر وابيض وشمل لفظ الزرع جميع ما يزرع من مقتات
وغيره او مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يقارب اليبس فتراه
مصفرا اي زالت خضرته ونضارته **وقرأ** ابو بشر ثم يجعله بالنصب في اللام
قال صاحب الكامل وهو ضعيف انتهى ان في ذلك اي فيما ذكر من انزال المطر
واخراج الزرع به وتنقلاته الى حالة الحطامية لذكرى اي لتذكيرا وتنبيها
على حكمة فاعل ذلك وقدرته افمن شرح الله صدره للاسلام نزلت في حمزة
وعلي ومن مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه فويل للقاسية تقديره كالقاسي المعرض
عن الاسلام وابو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة
عن قبوله للايمان والخير والنور والهداية وفي الحديث كيف انشراح الصدور
قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا وما علامة ذلك قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل الموت
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره اذا ذكر الله عندهم قست
قلوبهم وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب
اولئك اي القاسية قلوبهم في ضلال مبين اي في حيرة والمحجة لا تخفى على
من تاملها ه الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم
القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا

قوله عز وجل الله نزل احسن

فيه

فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
ه عن ابن عباس ان قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا باحاديث حسان
وباخبار الدهر فنزل الله نزل احسن الحديث وعن ابن مسعود ان الصحابة ملوا
ملة فقالوا له حدثنا فنزلت والابتداء باسم الله واسناد نزل للضمير مبنيا
عليه فيه تفخيم للمنزل ورفع منه كما تقول الملك اكرم فلانا هو افخم من اكرم الملك
فلانا وحكمة ذلك البداءة بالاشرف ثم تذكر ما تسند اليه وهو كثير في القرآن
كقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا وكتابا بدل من احسن الحديث وقال الزمخشري
ويحتمل ان يكون حالا منه انتهى وكانه بنا على ان احسن الحديث معرفة لاضافته
الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته
محضة وقيل غير محضة ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فمعانيه
متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض والفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة
والتناسب بحيث اعجزت الفصحاء والبلغاء **وقرأ** الجمهور مثاني بفتح الياء
وهشام لابن عامر وابو بشر بسكون الياء فاحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف
واحتمل ان يكون منصوبا وسكن الياء على لغة من يسكن الياء في كل الاحوال
لانكسار ما قبلها استثقالا للحركة عليها ومثاني مظهر انه جمع مثنى ومعناه موضع
تثنية القصص والاحكام والعقايد والوعد والوعيد وقيل يثنى في الصلوة
بمعنى التكرير والاعادة انتهى ووصف المفرد بالجمع لان فيه تفاصيل وتفاصيل
الشيء جملته الا ترى انك تقول القران سور وايات فكذلك تقول احكام
ومواعظ مكررات واصله كتابا متشابها فصولا مثاني فحذف الموصوف
واقيمت صفته مقامه واجاز الزمخشري ان يكون من باب برمة اعشار
وثوب اخلاق وان يكون تمييزا عن متشابها فيكون منقولا من الفاعل اي متشابها
مثانيه كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل وفائدة تثنيته وتكريره رسوخه
في النفوس اذ هي انفر شيء عن سماع الوعظ والنصيحة والظاهر حمل القشعريرة
على الحقيقة اذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الانسان من نفسه وهو
حاصل من التاثر القلبي وقيل هو تمثيل تصويرا لافراط خشيتهم والمعنى انهم حين
يسمعونه يتلو ما فيه من آيات الوعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم ثم اذا
ذكروا الله ورحمته لانت جلودهم اي زال عنها ذلك التقبض الناشي عن خشية
القلوب بزوال الخشية عنها وضمن تلين معنى تطمين جلودهم لينة غير منقبضة
وقلوبهم راجية غير خاشية ولذلك عداه بالى وكان في ذكر القلوب في هذه
الجملة دليل على تاثرها عند السماع فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية
القلوب لقيام المسبب مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما وفي ذكر الكل
اللين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله كما كان في قوله اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم دليل لقوله وجلت عن ذكر المحذوف اي اذا ذكر وعيد الله وبطشه
وقال العباس بن عبد المطلب قال النبي عليه السلام من اقشعر جلده من

خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن اليابسة ورقها وقال ابن عمر وقد
رأى ساقطا من سماع القرآن فقال انا لنخشى الله وما نسقط هؤلاء يدخل
الشيطان في جوف احدهم وقالت اسماء بنت ابي بكر كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن قيل لها ان قوما
اذا سمعوا القرآن خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان وقال
ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرآن ان يجعل احدهم
على حائط باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق
والاشارة بذلك الى الكتاب او الى ذينك الوصفين من الاقشعرار واللين اي
اثر هدى الله افمن يتقي ان يستقبل كما

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد ه

اي يستقبلنا بيدها وجهها ان نرى والظالم يرحل بوجهه على حقيقته لمكان يلقى
في النار مغلولة يداه الى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتقي به النار الا وجهه قال
مجاهد يجر على وجهه في النار ويجوز ان يعتبر بالوجه عن الجملة وقيل المعنى وصف
كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه او لا يجد ما يحاربه فيتزيد حتى يتقيه بوجهه الذي هو
اشرف جوارحه وفيه حواسه وهو غاية العذاب قال ابن عطية وهذا المعنى
عندي ابين بلاغة وفي هذا المضمار يجري

يلقى السيوف بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر ه

لانه انما اراد عظم جرأته عليها فهو يلقاها بكل مجن وبكل شيء منه حتى بوجهه وبنحره
انتهى وسوء العذاب اشده وخبر من محذوف قدره الزمخشري كمن امن العذاب
وابن عطية كالمتنعمين في الجنة وقيل للظالمين اي قال ذلك خزنة النار
ذوقوا ما كنتم اي وبال ما كنتم تكسبون من الاعمال السيئة كذب الذين من قبلهم
تمثيل لقريش بالامم الماضية وما آل اليه امرهم من الهلاك فاتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يشعرون ان العذاب يأتيهم من قبلها ولا يخطر
ببالهم ان الشر يأتيهم منها كانوا في امن وغبطة وسرور فاذا هم معذبون مخزيون
ذليلون في الدنيا من ممسوخ ومقتول ومأسور ومنفي مخرج وانما اعد لهم في
الاخرة اعظم وانتصب قرآنا عربيا على الحال وهي حال مؤكدة والحال في الحقيقة
هو عربيا وقرآنا توطئة له وقيل انتصب على المدح ونفى عنه العوج لانه مستقيم
بري من الاختلاف والتناقض وقال عثمان بن عفان غير مضطرب وقال
ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير ذي لبس وقال السدي غير مخلوق
وقيل غير ذي لحن قال الزمخشري **فان قلت** فهلا قيل مستقيما او غير
معوج **قلت** فيه فائدتان احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال
ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل
المراد بالعوج الشك واللبس

وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب ه

انتهى ولما ذكر تعالى انه ضرب في القرآن من كل مثل اي محتاج اليه ضرب هنا

مثلا

مثلا لعابد الهة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملاك
سيئوا الاخلاق فهو لا يقدر ان يوفي كل واحد منهم مقصوده اذ لا يتغاضى بعضهم
لبعض لمشاحتهم وطلب كل منهم ان يقضي حاجته على التمام فلا يزال في عناء وتعب
ولوم من كل منهم ورجل اخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معنى بشغله لا يشغله
عنه شيء ومالكه راض عنه اذ قد خلص لخدمته وبذل جهده في قضاء حوائجه
فلا يلقى من سيده الا احسانا وتقدم الكلام في نصب المثل وما بعده وقال
الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الخافض اي مثلا لرجل او في رجل فيه اي في
رقه شركاء وفيه صلة لشركاء **وقرأ** عبد الله وابن عباس وعكرمة ومجاهد
وقتادة والزهري والحسن بخلاف عنه والجحدري وابن كثير وابو عمرو سالما اسم
فاعل من سلم اي خالصا له من الشركة **وقرأ** الاعرج وابو جعفر وشيبة وابو رجا
وطلحة والحسن بخلاف عنه وباقي السبعة سلما بفتح السين واللام **وقرأ**
ابن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام وهما مصدران وصف بهما مبالغة
في الخلوص من الشركة **وقرئ** ورجل سالم برفعهما وقال الزمخشري اي
وهناك رجل سالم لرجل انتهى فجعل الخبر هناك ويجوز ان يكون ورجل مبتدا لانه
موضع تفصيل اذ قد تقدم ما يدل عليه فيكون **كقول امرئ القيس** ه

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول ه

وقال الزمخشري وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان
المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك وانتصب مثلا على التمييز المنقول من الفاعل
اذ التقدير هل يستوي مثلهما واقتصر في التمييز على الواحد لانه المقتصر عليه اولا
في قوله ضرب الله مثلا ولبيان الجنس **وقرئ** مثلين فطابق حالي الرجلين
وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين
لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية
كما تقول كفى بهما رجلين انتهى والظاهر انه يعود الضمير في يستويان الى الرجلين
واما اذا جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ورجل فان
التمييز اذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير هل يستوي
المثلان مثلين قل الحمد لله اي الثناء والمدح لله لا لغيره وهو الذي تثبت وحدانيته
فهو الذي يجب ان يحمد بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره ولفظة الحمد لله تشعر
بوقوع الهلاك بهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
ولما لم يلتفتوا الى هذه الدلائل الباهرة اخبر الجميع بانهم ميتون وصائرون اليه
وان اختصامكم يكون بين يديه يوم القيامة وهو الحكم العدل فيتميز المحق من
المبطل وهو عليه السلام واتباعه المحقون الفائزون بالظفر والغلبة
والكافرون هم المبطلون فالضمير وانك خطاب للرسول وتدخل معه امته
في ذلك والظاهر عود الضمير في وانهم على الكفار وغلب ضمير الخطاب في انك
على ضمير الغيبة في انهم ولذلك جاء يختصمون بالخطاب فتحتج انت عليهم
بانك قد بلغت وكذبوا واجتهدت في الدعوة ولجوا في العناد وقال

ابو العالية هم اهل القبلة يختصمون بينهم يوم القيامة في مظالمهم وابعد من ذهب الى ان هذا الخصام سببه ما كان في قتل عثمان وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك رضي الله عنهم وقيل يختصم الجميع فالكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون يبكتون الكافر بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام **وقرا** ابن الزبير وابن ابي اسحاق وابن محيصن وعيسى واليماني وابن ابي عوف وابن ابي عبلة انك مايت وانهم مايتون وهي تشعر بحدوث الصفة والجمهور ميت وميتون وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي **اشمازت** قال ابو زيد ذعرت وقال غيره تقبض كراهة ونفورا

قال الشاعر

اذا عض الثقاف بها اشمازت وولته عشوزنة زبونا

المقاليد المفاتيح قيل لا واحد لها من لفظها قاله التبريزي وقيل واحدها مقليد وقيل مقلاد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية **الزمر** جمع زمرة قال ابو عبيدة والاخفش جماعات متفرقة بعضها اثر بعض **قال** حتى احزالت زمر بعد زمر ويقال تزمروا **الحفوف** الاحداق بالشيء

قال الشاعر

تحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد

وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف وهو الجانب ومنه **قول الشاعر**

له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونايل

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم

فمن اظلم ممن كذب على الله هذا تفسير وبيان للذين يكون بينهم الخصومة وهذا يدل على ان الاختصام السابق يكون بين المؤمنين والكافرين والمعنى لا احد في المكذبين اظلم ممن افترى على الله فنسب اليه الولد والصاحبة والشريك وحرم وحلل من غير امر الله وكذب بالصدق وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي وقت مجيئه فاجاءه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا نظر بل وقت مجيئه كذب به وهو توعد لهم توعدا فيه اختصار وهم على جهة التوقيف وللكافرين لما قام فيه الظاهر مقام المضمر اي مثوى لهم وفيه تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر والذي جاء بالصدق

معادل

معادل لقوله فمن اظلم وصدق به مقابل لقوله وكذب بالصدق والذي جنس كانه قال والفريق الذي جاء بالصدق ويدل عليه اولئك هم المتقون فجمع كما ان المراد بقوله فمن اظلم يراد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين وفي قراءة عبد الله والذي جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل اراد والذين فحذفت النون وهذا ليس بصحيح اذ لو اريد الذين بلفظ الذي وحذفت منه النون لكان الضمير مجموعا كقوله ٥ وان الذي حانت بفلج دماؤهم ٥ الا ترى انه اذا حذفت النون في المثنى كان الضمير مثنى كقوله ٥

ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا ٥

وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال علي وابو العالية والكلبي وجماعة الذي جاء بالصدق هو الرسول والذي صدق به هو ابو بكر وقال ابو الاسود ومجاهد وجماعة الذي صدق به هو علي بن ابي طالب وقال الزمخشري والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ولذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى وقوله واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه استعمل الضمير المنفصل في غير موضعه وانما هو متصل فاصلاحه واراده به ومن تبعه كما اراده بموسى وقومه وقوله لعلهم يهتدون الضمير في لعلهم لقوم موسى لا لموسى وقومه اي لعل قومه يهتدون اذ موسى عليه السلام مهتد فالمترجى هداية قومه لا هدايته اذ لا يترجى الا ما كان مفقودا لا موجودا وقوله ويجوز الى آخره فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى **وقرا** الجمهور وصدق مشددا وابو صالح وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحادة مخففا قال ابو صالح وعمل به وقيل استحق به اسم الصدق قال ابن عطية فعلى هذا اسناد الافعال كلها الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان امته في ضمن القول وهو الذي يحسن اولئك هم المتقون انتهى وقال الزمخشري اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل معناه وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة **وقري** وصدق به انتهى يعني مبنيا للمفعول مشددا وقال صاحب اللوامح جاء بالصدق من عند الله وصدق بقوله اي في قوله او في مجيئه فاجتمع له الصفتان من الصدق من صدقه

من عند الله وصدق بنفسه وذلك مبالغة في المدح أي لهم ما يشاؤن وزعاتم
في كل ما تشتهيه أنفسهم وتتعلق به إراداتهم وليكفر متعلق بالمحسنين أي
الذين أحسنوا ليكفر والمحذوف أي يسر ذلك لهم ليكفر لأن التكفير لا يكون
إلا بعد التيسير للخير وأسوأ الذي عملوا هو كفر أهل الجاهلية ومعاصي أهل
الإسلام والتكفير يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه والجزاء بالأحسن
يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه فحينئذ يكون إذا صدقوا الأنبياء
فيما أتوا به وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي
وهذا قول المرجئة يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الإيمان واحتجوا بهذه
الآية ووضع الظاهر مقام المضمر في المحسنين أي ذلك جزاؤهم تنبيها بالظاهر
على العلة المقتضية لحصول الثواب والظاهر أن أسوأ أفعل التفضيل وبه
قرأ الجمهور وإذا كفروا أسوأ أعمالهم فتكفير ما هو دونه أحرى وقيل أفعل
ليس للتفضيل وهو كقولك الأشج أعدل بني مروان أي عادل فكذلك هذا أي
سيئ الذي عملوا ويدل على هذا التأويل قراءة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن
ابن كثير ورواية عن البزي عن ابن كثير أسواء هنا وفي حم السجدة بألف
بين الواو والهمزة جمع سوء ولا تفضيل فيه والظاهر أن بأحسن أفعل
تفضيل فقيل ينظر إلى أحسن طاعاته فيجري الباقي في الجزاء على قياسه وإن تخلف
عنه بالتقصير وقيل بأحسن ثواب أعمالهم وقيل بأحسن من عملهم وهو الجنة
وهذا ينبو عنه بأحسن الذي وقال الزمخشري أما التفضيل فإيذان بأن
السيئ الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ
لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم
فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن انتهى وهو على رأي المعتزلة
ويكون قد استعمل أسوأ في التفضيل على معتقدهم وأحسن في التفضيل على ما هو
عند الله وذلك توزيع في أفعل التفضيل وهو خلاف الظاهر قالت قريش
لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا وتعييبنا لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه
بسوء فأنزل الله أليس الله بكاف عبده أي شر من يريده بشر والهمزة الداخلة
على النفي للتقرير أي هو كاف عبده وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيه وقرأ
الجمهور عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو جعفر ومجاهد وابن وثاب
وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي عباده بالجمع أي الأنبياء والمطيعين من المؤمنين
ويخوفونك بالذين من دونه وهي الأصنام ولما بعث خالدا إلى كسر العزى قال له
سادنها إني أخاف عليك منها فلها قوة لا يقوم لها شيء فأخذ خالد الفأس
فهشم به وجهها ثم انصرف وفي قوله ويخوفونك تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر
على نفع ولا ضر ونظير هذا التخويف قول قوم هود له إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء وقرئ بكافي عباده على الإضافة وبكاف عباده مضارع
كافى ونصب عباده فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي
في يجزي وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى

في القرآن

في القرآن كقوله فسيكفيكهم الله ويحتمل أن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة
أي يجزيهم أجرهم ولما كان تعالى كافي عبده كان التخويف بغيره عبثا باطلا
ولما اشتملت الآية على مهتدين وضالين أخبر أن ذلك كله هو فاعله ثم قال
أليس الله بعزيز أي غالب منيع ذي انتقام وفيه وعيد للمشركين ووعد للمؤمنين
ولما أقروا بالصانع وهو الله أخبرهم أنه تعالى هو المتصرف في نبيه بما أراد وأن
تلك الأصنام التي يدعونها آلهة من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة أي صحة
وسعة في الرزق ونحو ذلك وأرأيتم هنا جارية على وضعها تعدت إلى مفعولها
الأول وهو ما يدعون وجاء المفعول الثاني جملة استفهامية وفيها العائد على
ما وهو لفظ هن وأنث تحقيرا لها وتعجيزا وتضعيفا وكان فيهم من يسمي بتسمية
الإناث كالعزى ومناة واللات وأراد إضافة الله الضر إلى نفسه والرحمة
إليه لأنهم خوفوه معرتها فاستسلفت منهم الإقرار بأن الله خالق العالم هو
الله ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرا أو تجلب خيرا وقرأ الجمهور كاشفات
وممسكات على الإضافة وشيبة والأعرج وعمرو بن عبيد وعيسى بخلاف عنه
وأبو عمرو وأبو بكر بتنوينهما ونصب ما بعدهما ولما تقرر أنه تعالى كافيه
وأن أصنامهم لا تضر ولا تنفع أمره تعالى أن يعلم أنه تعالى هو حسبه أي كافيه
والجواب في هذا الاستخبار محذوف والتقدير فإنهم سيقولون لا تقدر على
شيء من ذلك وقال مقاتل استخبرهم فسكتوا قل يا قوم اعملوا الآية تقدم
الكلام على نظيرها ٥ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى

قوله عز وجل إنا أنزلنا

فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الأنفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى
إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء
قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك
السموات والأرض ثم إليه ترجعون وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون قل اللهم
فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ٥ لما كان
عليه السلام يعظم عليه عدم إيمانهم ورجوعهم إلى ما أنزل الله تعالى عليه سلاه
تعالى عن ذلك وأخبره أنه أنزل عليه الكتاب وهو القرآن مصحوبا بالحق
وهو دين الإسلام للناس أي لأجلهم إذ فيه تكاليفهم فمن اهتدى فثواب
هدايته إنما هو له ومن ضل فعقاب ضلالته إنما هو عليه وما أنت عليهم
بوكيل أي فتجبرهم على الإيمان قال قتادة بوكيل بحفيظ وقال
الزمخشري للناس لأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم
إلى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني فمن اختار

الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم
لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار انتهى وهو
على مذهب المعتزلة ولما ذكر تعالى انه انزل الكتاب على رسوله بالحق للناس
نبه على انه من آياته الكبر يدل على الوحدانية لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره
فقال الله يتوفى الانفس حين موتها والانفس هي الارواح وقيل النفس
غير الروح قاله ابن عباس فالروح لها التدبير على الحياة والنفس لها تدبير
عالم الاحساس وفرقت فرقة بين نفس التمييز ونفس التخييل والذي يدل
عليه الحديث واللغة ان النفس والروح مترادفان وان فراق ذلك من الجسد
هو الموت ومعنى يتوفى الانفس يميتها والتي اي والانفس التي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنوام بالاموات ومنه وهو الذي يتوفاكم بالليل فبين
النائم والميت قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان فيمسك التي قضى
عليها الموت الحقيقي ولا يردها في وقتها حية ويرسل النائمة بجسدها الى اجل
ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة
ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي
نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس
وكون النفس تقبض والروح في الجسد حالة النوم بدليل انه يتقلب ويتنفس هو قول
الاكثرين ودال على التغاير وكونهما شيئا واحدا هو قول ابن جبير واحد قولي ابن عباس
والخوض في هذا وطلب ادراك ذلك على جليته عناء ولا يوصل الى ذلك ان في ذلك
اي في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات لعلامات
دالة على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرأ الجمهور
قضى مبنيا للفاعل الموت نصبا وابن وثاب والاعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائي
مبنيا للمفعول الموت رفعا وام منقطعة تتقدر ببل والهمزة وهو تقرير وتوبيخ وكانوا
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عندنا والشفاعة انما هي لمن ارتضاه الله وباذنه
تعالى وهذا مفقود في الهتهم او لو معناه ايتخذونهم شفعاء وهم بهذه المثابة
من كونهم لا يعقلون ولا يملكون شيئا وذلك عام اي التنقص فكيف يشفع هؤلاء
وتقدم لنا الكلام في اولو في سورة البقرة وقال ابن عطية متى دخلت الف
الاستفهام على واو العطف او فائه احدثت معنى التقرير انتهى واذا كانوا لا يملكون
شيئا فكيف يملكون الشفاعة وقال الزمخشري اي ولو كانوا على هذه الصفة
لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم انتهى فاتى بقوله قط بعد
قوله لا يملكون وليس بفعل ماض وقط ظرف يستعمل مع الماضي لا مع غيره وقد
تكرر للزمخشري هذا الاستعمال وليس باستعمال عربي قل لله الشفاعة جميعا فهو
مالكها ياذن فيها لمن يشاء ثم اتى بعام وهو له ملك السموات والارض فاندرج
فيه ملك الشفاعة ولما كانت الشفاعة من غيره موقوفة على اذنه كانت
الشفاعات كلها له ولما اخبر انه له ملك السموات والارض هدد بقوله
ثم اليه ترجعون فيعلمون انهم لا يشفعون ويخيب سعيكم في عبادتهم وقال

الزمخشري

الزمخشري معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة
فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة ٥ واذا ذكر
الله وحده اي مفردا بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم وقيل اذا قيل لا اله الا الله
واذا ذكر الذين من دونه وهي الاصنام والاشمئزاز والاستبشار متقابلات
غاية لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر اثره وهو الانقباض
في الوجه والاستبشار امتلاؤه سرورا فيظهر اثره وهو الانبساط والتهلل في الوجه
وقال الزمخشري فان قلت ما العامل في واذا ذكر قلت العامل في اذا
الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا الاستبشار وقال الحوفي
اذا هم يستبشرون اذا مضافة الى الابتداء والخبر واذا مكررة للتوكيد
وحذف ما تضاف اليه والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم
يستبشرون العامل في اذا المعنى اذا كان ذلك استبشروا انتهى اما قول الزمخشري
فلا اعلمه من قول من ينتمي للنحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجؤوا ثم اذا الاولى
تنتصب على الظرف والثانية على المفعول به واما قول الحوفي فبعيد جدا عن الصواب
اذ جعل اذا مضافة الى الابتداء والخبر ثم قال واذا مكررة للتوكيد وحذف
ما تضاف اليه الى آخر كلامه واذا كانت اذا حذف ما تضاف اليه فكيف تكون
مضافة الى الابتداء والخبر الذي هو يستبشرون وهذا كله يوجبه عدم
الاتقان لعلم النحو والتحذق فيه وقد تقدم لنا في مواضع اذا التي للمفاجاة جوابا
لاذا الشرطية وقد تقرر في علم النحو الذي كتبناه ان اذا الشرطية ليست مضافة
الى الجملة التي تليها وان كان مذهب الاكثرين وانها ليست معمولة للجواب واقمنا
الدليل على ذلك بل هي معمولة للفعل الذي يليها كسائر اسماء الشرط الظرفية واذا
الفجائية رابطة لجملة الجزاء بجملة الشرط كالفاء وهي معمولة لما بعدها ان قلنا
انها ظرف سواء كان زمانا ام مكانا ومن قال انها حرف فلا يعمل فيها شيء فاذا الاولى
معمولة لذكر والثانية معمولة ليستبشرون ولما اخبر عن سخافة عقولهم باشمئزاز[هم]
من ذكر الله واستبشارهم بذكر الاصنام امره ان يدعو باسماء الله العظمى من القدرة والعلم
ونسبة الحكم اليه اذ غيره لا قدرة له ولا علم تامة ولا حكم وفي ذلك وصف لحالهم
السيئ ووعيد لهم وتسلية للرسول عليه السلام وتقدم الكلام في اللهم في
سورة آل عمران ولو ان للذين ظلموا تقدم الكلام على شبهه في العقود وبدا لهم
من الله اي كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة حسب ضلالاتهم وتخيلاتهم فيما يعتقد[ونه]
فاذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون وما كان في
حسابهم وقال سفيان الثوري ويل لاهل الريا من هذه الآية وحاق بهم ما كانوا
اي جزاء ما كانوا وما في كسبوا يحتمل ان تكون بمعنى الذي اي سيئات اعمالهم وجزاء
سيئة سيئة مثلها ٥ واذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة
منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها
الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين
ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله

قوله عز وجل واذا مس

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
ه تقدم في غرابة كون الانسان اذا مسه الضر التجأ الى الله مع اعتقادهم
الاوثان وعبادتها فاذا اصابتهم شدة نبذوها ودعوا رب السموات والارض
ومما يدل على تناقض ارائهم وشدة اضطرابهم والانسان جنس والضر مطلق والنعمة
عامة في جميع ما يسر ومن ذلك ازالة الضر وقيل الانسان معين وهو حذيفة
ابن المغيرة والظاهر ان ما في انما كافة مهيئة لدخول ان على الجملة الفعلية وذكر
الضمير في اوتيته وان كان عائدا على النعمة لان معناها مذكر وهو الانعام او المال
على قول من شرح النعمة بالمال او المعنى شيئا من النعمة او لانها تشتمل على مذكر ومؤنث
فغلب المذكر وقيل ما موصولة والضمير عائد عليها اي ان الذي اوتيته على علم
مني اي بوجوه المكاسب والمتاجر قاله قتادة وفيه اعجاب بالنفس وتعاط مفرط او على
علم من الله في واستحقاق جزيته عند الله وفي هذا اغترار بالله وعجز وتمن على الله
او على علم مني باني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق بل هي فتنة اضراب عن دعواه
انه انما اوتي على علم بل تلك النعمة فتنة وابتلاء ذكر اولا في اوتيته على المعنى
اذا كانت ما مهيئة ثم عاد الى اللفظ فانث في قوله بل هي او تكون هي عادت على
الايتاءة اي بل ايتاؤنا النعمة فتنة وكان العطف هنا بالفاء في فاذا وبالواو
في اول السورة لانها وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله اي يشمئزون عن ذكر الله
ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر
بذكره ومناسبة السببية انك تقول زيد مؤمن فاذا مسه الضر التجأ الى الله
فالتسبب هنا ظاهر وزيد كافر فاذا مسه الضر التجأ اليه يقيم كفره مقام الايمان
في جعله سببا للالتجاء يحكي عكس ما فيه الكافر يقصد بذلك الانكار والتعجيب من
فعله المتناقض حيث كفر بالله ثم التجأ اليه في الشدائد واما الاية الاولى
فلم تقع مسببة بل ناسبت ما قبلها فعطفت عليه بالواو واذا كانت فاذا متصلة
بقوله واذا ذكر الله وحده كما قلنا فما بينهما من الاي اعتراض يؤكد به ما بين
المتصلين فدعاء الرسول ربه بامر منه وقوله انت تحكم وتعقيبه الوعيد توكيد
لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم وقوله
ولو ان للذين ظلموا يتناولهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة
ان عنوا به انتهى وهو ملتقط اكثره من كلام الزمخشري وهو متكلف في ربط هذه الاية
بقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت مع ما بعد ما بينهما من الفواصل واذا كان ابو علي
الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة والذي يظهر
في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال
الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم
اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه لم ينسب

ذلك اليه ثم انه يبدو له من تلك النعمة انها ابتلاء وفتنة كما بدا له في الاخرة
من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك
العمل ترتب الفتنة على تلك النعمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ذلك استدراج
وامتحان قد قالها الذين من قبلهم اي قال مثل مقالتهم انما اوتيته على علم والظاهر
ان قائل ذلك جماعة من الامم الكافرة الماضية كقارون في قوله قال انما اوتيته
على علم عندي وقيل الذين من قبلهم هم قارون وقومه اذ رضوا بمقالته فنسب
القول اليهم جميعا وقرئ قد قاله اي قال القول او الكلام فما اغنى عنهم يجوز
ان يكون ما نافية وهو الظاهر وان تكون استفهامية فيها معنى النفي ما كانوا يكسبون
اي من الاموال والذين ظلموا من هؤلاء اشارة الى مشركي قريش سيصيبهم سيئات ما
كسبوا جاءت بسين الاستقبال التي هي اقل تنفيسا في الزمان من سوف وهو خبر غيب
ابرزه الوجود في يوم بدر وغيره فقتل رؤساؤهم وحبس عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين
ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم الم تعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله عطاء وفي قوم امنوا عياش
ابن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ففتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا ان لا توبة
لهم فكتب لهم عمر بهذه الاية قاله عمر والسدي وقتادة وابن اسحاق وقيل
في قوم كفار من اهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الاسلام وقد زنينا وقتلنا النفس
واتينا كل كبيرة ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما اعد لهم
من العذاب وانهم لو كان لاحدهم ما في الارض ومثله معه لافتدى به من عذاب
الله ذكر ما في احسانه من غفران الذنوب اذا امن العبد ورجع الى الله وكثيرا ما تأتي
ايات الرحمة مع ايات النقمة ليرجو العبد ويخاف وهذه الاية عامة في كل كافر
يتوب ومؤمن عاص يتوب تمحو الذنوب توبته وقال عبد الله وعلي وابن عمر هذه
ارجى اية في كتاب الله وتقدم الخلاف في قراءة لا تقنطوا في الحجر ان الله يغفر الذنوب
جميعا عام يراد به ما سوى الشرك وهو مقيد ايضا في المؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة
وفي قوله يا عبادي باضافتهم اليه ونداهم اقبال وتشريف واسرفوا على انفسهم
اي بالمعاصي والمعنى ان ضرر تلك الذنوب انما هو عائد عليهم والنهي عن القنوط
يقتضي الامر بالرجاء واضافة الرحمة الى الله التفات من ضمير المتكلم الى
الاسم الغائب لان في اضافتها اليه سعة للرحمة اذا اضيفت الى الله الذي
هو اعظم الاسماء لانه العلم المحتوي على معاني جميع الاسماء ثم اعاد الاسم الاعظم
واكد الجملة بان مبالغة في الوعد بالغفران ثم وصف نفسه بما سبق في
الجملتين من الرحمة والغفران بصفتي المبالغة واكد بلفظ هو المقتضي عند بعضهم
الحصر وقال الزمخشري ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر
ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان
القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض انتهى وهو على طريقة المعتزلة
في ان المؤمن العاصي لا يغفر له الا بشرط التوبة ولما كانت هذه الاية فيها
فسحة عظيمة للمسرف اتبعها بان الانابة وهي الرجوع مطلوبة مأمور بها

ثم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة والمتكل على الغفران دون انابة وقال الزمخشري وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه انتهى وهو على طريقة الاعتزال واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وهو القرآن وليس المعنى ان بعضه احسن من بعض بل كله حسن من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة اي فجاءة وانتم لا تشعرون اي وانتم غافلون عن حلوله بكم فيكون اشد في عذابكم ش ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون ش روي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره ان تقول مفعول من اجله فقدره ابن عطية اي انيبوا من اجل ان تقول وقال الزمخشري كراهة ان تقول والحوفي انذرناكم مخافة ان تقول ونكر نفس لانه اريد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر او اريد به التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ⁂ اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا او اريد نفس متميزة من الانفس باللجاج الشديد في الكفر او بعذاب عظيم قال هذه المحتملات الزمخشري والظاهر الاول وقرأ الجمهور يا حسرتا بابدال ياء المتكلم الفا وابو جعفر يا حسرتي بياء الاضافة وعنه يا حسرتاي بالالف والياء جمعا بين العوض والمعوض والياء مفتوحة او ساكنة وقال ابو الفضل الرازي في تصنيفه كتاب اللوامح ولو ذهب ذاهب الى انه اراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك لان معناهما لب بعد لب وسعد بعد سعد فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة لكثرة حسراتهم يومئذ او اراد حسرتين فقط من فوت الجنة ومن دخول النار لكان مذهبا ولكان الف التثنية في تقدير الياء على لغة بلحارث بن كعب انتهى وقرأ ابن كثير في الوقف يا حسرتاه بهاء السكت قال سيبويه ومعنى نداء الحسرة والويل هذا وقتك فاحضري والجنب الجانب ومستحيل على الله الجارحة فاضافة الجنب اليه مجاز قال مجاهد والسدي في امر الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به وقيل في جهة طاعته والجنب والجانب الجهة وقال الشاعر

افي جنب تكني قطعتني ملامة ⁂ سليمى لقد كانت ملامتها ثنا

وقال الراجز الناس جنب والامير جنب ويقال انا في جنب فلان

قوله عز وجل ان تقول

وجانبه

وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه يريدون حقه قال سابق البربري

اما تتقين الله في جنب عاشق ⁂ له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله

ان السماحة والمروءة والندى ⁂ في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وكذلك فعلت هذا من جهتك وما في ما فرطت مصدرية اي على تفريطي في طاعة الله وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها وقال الزمخشري الهداية بالالجاء وهو خارج عن الحكمة او بالالطاف ولم يكن من اهلها فيلطف به او بالوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحوه لو هدانا الله لهديناكم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وانتصب فاكون على جواب التمني الدال عليه لو او على كرة اذ هو مصدر فيكون مثل قوله

فما لك منها غير ذكرى وحسرة ⁂ وتسأل عن ركبانها اين يمموا

وقول الآخر

للبس عباءة وتقر عيني ⁂ احب الي من لبس الشفوف

والفرق بينهما ان الفاء اذا كانت في جواب التمني كانت ان واجبة الاضمار وكان الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى واذا كانت للعطف على كرة جاز اظهار ان واضمارها وكان الكون متمنى بلى هو حرف جواب لمنفي ولذا دخل عليه همزة التقرير ولما كان قوله لو ان الله هداني وجوابه متضمنا نفي الهداية كانه قال ما هداني الله فقيل له بلى قد جاءتك آياتي مرشدة لك فكذبت وقال الزمخشري رد من الله عليه ومعناه بلى قد هديت بالوحي انتهى جريا على قواعد المعتزلة وقال ابن عطية وحق بلى ان تجيء بعد نفي عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفي مقدر كان النفس قالت فعمري في الدنيا لم يتسع للنظر او قالت فاني لم يبين لي الامر في الدنيا ونحو هذا انتهى وليس حق بلى ما ذكر بل حقها ان تكون جواب نفي ثم حمل التقرير على النفي ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب واجابه بنعم ووقع ذلك ايضا في كلام س نفسه اذ اجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض العرب وقال الزمخشري فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان تقدم على احدى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب انتهى وهو كلام حسن وقرأ الجمهور قد جاءتك بفتح الكاف

وفتح التاء ما بعدها خطابا للكافر ذي النفس وقرأ ابن يعمر والجحدري وأبو حيوة والزعفراني
وابن مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسى في اختياره وعن نصير
والعبسي بكسر الكاف والتاء خطابا للنفس وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة
رضي الله عنهما وروتها أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن والأعرج والأعمش
جائتك بالهمز من غير مد بوزن جعتك وهي مقلوبة من جاءتك قدمت لام الكلمة وأخرت
العين فسقطت الألف كما سقطت في رمت وغزت ولما ذكر مقالة الكافر ذكر ما
يعرض له يوم القيامة من الاكتئاب بسواد منقلبه وفي ضمنه وعيد لمعاصريه عليه السلام من
والرؤية هنا من رؤية البصر وكذبهم نسبتهم إليه تعالى البنات والصاحبة والولد
وشرعهم ما لم يأذن به الله والظاهر أنه عام في الكاذبين على الله وخصه بعضهم
بمشركي العرب وبعضهم بأهل الكتابين وقال الحسن هم القدرية يقولون
إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل وقال القاضي يجب حمل الآية على الكل من
المجبرة والمشبهة وكل من وصف الله بما لا يليق به نفيا وإثباتا فأضاف إليه ما يجب
تنزيهه عنه أو نزهه عما يجب أن يضاف إليه فالكل كذبوا على الله فتخصيص
الآية بالمجبرة والمشبهة أو اليهود والنصارى لا يجوز وقال الزمخشري كذبوا على
الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها
ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض ويقولون
لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة
ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم
معه قدماء انتهى وكلامه من قبله على طريقة المعتزلة والظاهر أن الرؤية
من رؤية البصر وأن وجوههم مسودة جملة في موضع الحال وفيها رد على الزمخشري
إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال شاذ وتبع في
ذلك الفراء وقد أعرب هو هذه الجملة حالا فكأنه رجع عن مذهبه ذلك وأجاز
أيضا أن يكون من رؤية القلب ووجوههم مسودة في موضع المفعول الثاني وهو
بعيد لأن تعلق البصر برؤية الأجسام وألوانها أظهر من تعلق القلب وقرئ
وجوههم مسودة بنصبهما فوجوههم بدل بعض من كل وقرأ أبي أجوههم بإبدال الواو
همزة والظاهر أن الاسوداد حقيقة كما مر في قوله فأما الذين اسودت وجوههم
وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم
وغالب همهم وظاهر كآبتهم ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ذكر حال المتقين
في الكذب على الله وغيره مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجوههم سوء عاقبتهم هم
وجهه وفي ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى قال
السدي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده وتفسير
المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل
لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله
تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح

وسبب

وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالأعمال
الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز
أن يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة لأنه سببها فإن قلت لا يمسهم ما محله من
الإعراب على التفسيرين قلت أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف
وأما على الثاني فمحله النصب على الحال انتهى وقرأ الجمهور بمفازتهم على الإفراد
والسلمي والحسن والأعرج والأعمش وحمزة والكسائي وأبو بكر على الجمع من حيث النجاة
أنواع والأسباب مختلفة قال أبو علي المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها كقوله
وتظنون بالله الظنونا وقال الفراء كلا القراءتين صواب تقول قد تبين أمر
الناس وأمور الناس ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد عاد إلى دلائل الإلهية والتوحيد
فذكر أنه خالق كل شيء فدل على أعمال العباد لاندراجها في عموم كل شيء وأنه على كل
الأشياء قائم بحفظها وتدبيرها له مقاليد السموات والأرض قال ابن عباس مفاتيح
وهذه استعارة كما تقول بيد فلان مفتاح هذا الأمر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن المقاليد لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات
والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه ه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده
وتمجيده أولئك هم الخاسرون وقال الزمخشري فإن قلت بم اتصل قوله
والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم
الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها لا يخفى عليه شيء
من أعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وأن له مقاليد السموات
والأرض وقال أبو عبد الله الرازي وهذا عندي ضعيف من وجهين الأول
أن وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد والثاني أن قوله
تعالى وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا جملة اسمية وعطف
الجملة الاسمية على الجملة الفعلية والأقرب عندي أنه تعالى لما وصف بصفات الإلهية
والجلالة وهو كونه خالقا للأشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض قال
والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون انتهى وليس بفاصل
كثير وقوله وعطفت الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز كلام من لم يتأمل
لسان العرب ولا نظر في أبواب الاشتغال وأما قوله والأقرب عندي فهو مأخوذ
من قول الزمخشري وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فالله
خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون
ه قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من
قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون

قوله عز وجل
قل أفغير الله

وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ٥٠ روي أنه قال للرسول عليه السلام
المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك وغير منصوب بأعبد قال الأخفش تأمروني
ملغاة وعنه أيضا أفغير نصب بتأمروني لا بأعبد لأن الصلة لا تعمل فيما قبلها إذ
الموصول منه حذف فرفع كما في قوله ألا أيهاذا الزاجري أحضر الوغى و والصلة
مع الموصول في موضع النصب بدلا منه أي أفغير الله تأمرونني عبادته والمعنى أتأمرونني
بعبادة غير الله وقال الزمخشري أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد
لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله
تقولون لي أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة
من قرأ أعبد بالنصب يعني بنصب الدال بإضمار أن **وقرأ** الجمهور تأمروني بإدغام
نون الرفع في نون الوقاية وسكون الياء وفتحها ابن كثير **وقرأ** ابن عامر تأمرونني
بنونين على الأصل ونافع تأمروني بنون واحدة مكسورة وفتح الياء قال ابن عطية وهذا
على حذف النون الواحدة وهي الموطئة لياء المتكلم ولا يجوز حذف النون الأولى وهو
لحن لأنها علامة رفع الفعل انتهى وفي المسألة خلاف منهم من يقول المحذوفة
نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لأن التركيب متفق عليه
والخلاف جرى في أيهما حذف ونختار أنها نون الرفع ولما كان الأمر بعبادة غير الله
لا يصدر إلا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال أيها الجاهلون ولما
كان الإشراك مستحيلا على من عصمه الله وجب تأويل قوله لئن أشركت على
حمله على ضمير السامع دون الموحى إليه أي وحي إلى الرسول لئن أشركت أيها السامع
ومضى الخطاب على هذا التأويل ويدل على هذا التأويل وأنه ليس براجع الخطاب
إلى الرسول إفراد الخطاب في لئن أشركت إذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لئن
أشركتم فيشمل ضميره وضمير الذين من قبله ويغلب الخطاب وقال الزمخشري
فإن قلت الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد **قلت**
معناه لقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي
إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت**
كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم
قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها ثم ذكر كلاما يوقف عليه
من كلامه ويستدل بهذه الآية على حبوط عمل المرتد من صلاة وغيرها وأوحي مبني
للمفعول فيظهر أن الموحى هو هذه الجمل من قوله لئن أشركت إلى من الخاسرين وهذا
لا يجوز على مذهب البصريين لأن الجمل لا تكون فاعلة فلا تقوم مقام الفاعل وقال
مقاتل أوحي إليك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن أشركت ليحبطن عملك
والخطاب للنبي عليه السلام خاصة انتهى فيكون الذي قام مقام الفاعل هو
الجار والمجرور وهو إليك وبالتوحيد فضلة يجوز حذفها لدلالة ما قبلها عليها
وقرأ الجمهور ليحبطن مبنيا للفاعل عملك رفع به **وقرئ** ليحبطن بالنون
من أحبط عمله بالنصب أي ليحبطن الله عملك أو الإشراك عملك **وقرئ** بالنون

أي ليحبطن عملك بالنصب والجلالة منصوبة بقوله فاعبد على حد قولهم زيدا فاضرب
وله تقرير في النحو وكيف دخلت هذه الفاء وقال الفراء أن تثبت نصبته بفعل
مضمر قبله كأنه يقدر وكأنه اعبد الله فاعبد وقال الزمخشري بل الله فاعبد رد
لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل
إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه انتهى ولا يكون
تقديم المفعول عوضا من الشرط لجواز أن يجيء زيد فعمرا اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع
بينهما وكن من الشاكرين لأنعمه التي أعظمها الهداية لدين الله **وقرأ** عيسى
بل الله بالرفع والجمهور بالنصب ٥ وما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق
معرفته وما قدروه في أنفسهم حق تقديره إذ أشركوا معه غيره وساووا بينه
وبين الخشب والحجر في العبادة **وقرأ** الأعمش حق قدره بفتح الدال **وقرأ**
الحسن وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة وما قدروا بتشديد الدال حق قدره بفتح الدال
أي ما عظموه حقيقة تعظيمه والضمير في قدروا قال ابن عباس في كفار قريش
كانت هذه الآية كلها محاورة لهم ورد عليهم وقيل نزلت في قوم من اليهود
تكلموا في صفات الله وجلاله فألحدوا وجسموا وجاؤوا بكل تخليط وهذه الجملة
مذكورة في الأنعام وفي الحج وهنا ولما أخبر أنهم ما عرفوه حق معرفته نبههم على
عظمته وجلالة شأنه على طريق التصوير والتخييل فقال والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال الزمخشري والغرض من هذا الكلام
إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير
من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز انتهى ولو
وبقي أو جهة مجاز معين والالتفات للتصوير والتخييل هو من المجاز وقال غيره الأصل
في الكلام حمله على حقيقته فإن قام دليل منفصل على تعذر حمله عليها تعين صرفه إلى
المجاز فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة والدليل العقلي قام على
امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز وذلك أنه
يقال فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره وهو مما ملكت أيمانهم
فالمراد كونه مملوكا لهم وهذه الدار في يد فلان وقبض فلان كذا وصار في قبضته
يريدون **خلوص ملكه** وهذا كله مجاز مستفيض مستعمل وقال ابن عطية اليمين هنا والقبضة
عبارة عن القدرة وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل وما ذهب إليه القاضي
يعني ابن الطيب من أنها صفات زائدة على صفات الذات قول ضعيف وبحسب ما يختلج
في النفوس التي لم يحصل لها العلم قال عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون أي هو منزه عن جميع
الشبه التي لا تليق به انتهى وقال القفال هذا كقول القائل وما قدرني حق قدري
وأنا الذي فعلت كذا وكذا أي لما عرفت أن حالي وصفتي هذا الذي ذكرت وجب
أن لا تحطني عن قدري ومنزلتي ونظيره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
أي كيف تكفرون بمن هذه صفته وحال ملكه فكذا هنا وما قدروا الله حق قدره إذ
زعموا أن له شركاء وأنه لا يقدر على إحياء الموتى مع أن الأرض والسموات في قبضته
قدرته انتهى والأرض أي والأرضون السبع ولذلك أكد بقوله جميعا وعطف

عليه والسموات ومن جمع والموضع موضع تفخيم فهو مقتضى المبالغة والقبضة المرة الواحدة
من القبض وبالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال في المقدار قبضة بالفتح تسمية له
بالمصدر فاحتمل هنا هذا المعنى واحتمل ان يراد المصدر على حذف مضاف اي ذوات
قبضة اي يقبضهن قبضة واحدة فالارضون مع سعتها وبسطتها لا يبلغن الا قبضة
كف وانتصب جميعا على الحال قال الحوفي والعامل في الحال ما دل عليه قبضته انتهى
ولا يجوز ان يعمل فيه قبضته سواء كان مصدرا او اريد به المقدار وقال الزمخشري
ومع القصد الى الجمع يعني في الارض وانه اريد بها الجمع قال وتاكيده بالجميع اتبع
الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض
واحدة ولكن عن الاراضي كلهن انتهى ولم يذكر العامل في الحال ويوم القيمة معمول
لقبضته وقرا الحسن قبضته بالنصب قال ابن خالويه بتقدير في قبضته هذا
قول الكوفيين واما اهل البصرة فلا يجيزون ذلك كما لا يقال زيد دارا انتهى
وقال الزمخشري جعلها ظرفا مشبها للوقت بالمبهم وقرا عيسى والجحدري
مطويات بالنصب على الحال وعطف والسموات على والارض فهي داخلة في حيز
والارض فالجميع قبضته وقد استدل بهذه القراءة الاخفش على جواز زيد قائما في الدار
اذا اعرب والسموات مبتدا وبيمينه الخبر وتقدمت الحال على الجار والمجرور ولا حجة فيه
اذ يكون والسموات معطوفا على والارض كما قلنا وبيمينه متعلق بمطويات ومطويات
من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة
طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
قال الزمخشري وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ثم اخذ
ينحي على من تاول بهذا التاويل بما يوقف عليه في كتابه ولما ذكر كمال عظمته بما سبق
اردفه ايضا بما يناسب من ذلك اذ كان فيما تقدم ذكر حال الارض والسموات
يوم القيمة فقال ونفخ في الصور وتقدم الكلام في النفخ في الصور وهل النفخ في
الصور ثلاث مرات او نفختان قول الجمهور فنفخة الفزع هي نفخة الصعق والصعق
هنا الموت اي فمات من في السموات ومن في الارض قال ابن عطية والصور هنا القرن
ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله في نفخة البعث
وورد ان بين النفختين اربعين انتهى ولم يعين وقراة قتادة وزيد بن علي هنا في
الصور بفتح الواو جمع صورة يعكر على قول ابن عطية انه لا يتصور هنا الا ان يكون القرن
بل يكون هذا النفخ في الصور مجازا عن مشارفة الموت وخروج الروح وقرئ فصعق
بضم الصاد والظاهر ان الاستثناء معناه الا من شاء الله فلم يصعق اي لم يمت والمستثنون
جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت او رضوان الجنة والحور ومالك والزبانية
او المستثنى الله اقوال اخرها للحسن وما قبله للضحاك وقيل الاستثناء يرجع الى من مات
قبل الصعقة الاولى اي يموت من في السموات والارض الا من سبق موته لانهم كانوا
قد ماتوا وهذا نظير لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ثم نفخ فيه اخرى
واحتمل اخرى ان تكون في موضع نصب والمقام مقام الفاعل الجار والمجرور كما اقيم
في الاول وان تكون في موضع رفع مقاما مقام الفاعل كما صرح به في قوله فاذا نفخ

في الصور نفخة واحدة فاذا هم قيام ينظرون اي احياء قد اعيدت لهم الابدان
والارواح فاذا نفخ في الصور ينظرون اي ينتظرون ما يؤمرون او ينتظرون ماذا يفعل
بهم او يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب عظيم والظاهر
قيامهم الذي هو ضد القعود لاجل استيلاء الدهش عليهم وقرا زيد بن علي قياما
بالنصب على الحال وخبر المبتدا الظرف الذي هو اذا الفجائية وهي حال لا بد منها اذ هي
محط الفائدة الا ان يقدر الخبر محذوفا اي فاذا هم مبعوثون او موجودون قياما واذا
نصبت قياما على الحال فالعامل فيها ذلك الخبر المحذوف ان قلنا الخبر المحذوف
محذوف والا فالعامل هو العامل في الظرف فان كان اذا ظرف مكان على ما يقتضيه
ظاهر كلام س فتقديره فبالحضرة هم قياما وان كان ظرف زمان كما ذهب اليه
الرياشي فتقديره ففي ذلك الزمان الذي نفخ فيه هم اي وجودهم واحتيج الى تقدير
هذا المضاف لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وان كانت اذا حرفا كما زعم الكوفيون
فلا بد من تقدير الخبر الا ان اعتقد ان ينظرون هو الخبر ويكون ينظرون عاملا في الحال
وقرا الجمهور واشرقت مبنيا للفاعل اي اضاءت وابن عباس وعبيد بن عمير وابو الجوزاء
مبنيا للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلات به واغتصت واشرقها الله كما
تقول ملا الارض عدلا وطبقها عدلا قاله الزمخشري وقال ابن عطية وهذا انما يترتب
من فعل يتعدى فهذا على ان يقال اشرق البيت واشرقه السراج فيكون الفعل مجاوزا
وغير مجاوز كرجع ورجعته ووقف ووقفته والارض في هذه الاية الارض المبدلة
من الارض المعروفة ومعنى اشرقت اضاءت وعظم نورها انتهى وقال صاحب
اللوامح وجب ان يكون الاشراق على هذه القراءة منقولا من شرقت الشمس اذا طلعت
فيصير متعديا بالفعل بمعنى اذهبت ظلمة الارض ولا يجوز ان يكون من شرقت اذا
اضاءت فان ذلك لازم وهذا قد تعدى الى الارض لما لم يذكر الفاعل واقيمت
الارض مقامه وهذا احق ما ذهب اليه بعض المتاخرين من ان سعد في ذلك
لان من الافعال ما يكون متعديا ولازما معا على مثال واحد انتهى وفي الحديث الصحيح يحشر
الناس على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد بنور ربها قيل ان يخلق الله
نورا يوم القيمة فيلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس
النور هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه فيضيء الارض وروي ان
الارض يومئذ من فضة والمعنى اشرقت بنور خلقه الله تعالى اضافه اليه اضافة
الملك الى المالك وقال الزمخشري استعار الله النور للحق والقران والبرهان
في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق
والعدل ويبسطه من القسط في الحسنات ووزن الحسنات والسيئات وينادي
عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى
الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم
بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه ويقولون للملك
العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت
البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة

وكما فتح الاية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب اي صحايف الاعمال
ووحد لانه اسم جنس ولكل احد له كتاب على حدة او بعدم فقال الكتاب هنا اللوح
المحفوظ وروي ذلك عن ابن عباس ولعله لا يصح وقد ضعف بان الاية سيقت مقام
التهديد في سياق الجزاء وجيء بالنبيين ليشهدوا على اممهم والشهدا قيل جمع شاهد
وهم الذين يشهدون على الناس باعمالهم وقيل هم الرسل من الانبياء وقيل امة محمد
صلى الله عليه وسلم يشهدون للرسل وقال عطا ومقاتل وابن زيد الحفظة وقال ابن زيد
ايضا النبيون والملايكة وامة محمد عليه السلام والجوارح وقال قتادة الشهدا
جمع شهيد وليس فيه نوع عد وهو مقصود الاية وقضي بينهم اي بين العالم ولذلك قسموا
بعد الى قسمين اهل النار واهل الجنة بالحق اي بالعدل ووفيت كل نفس اي جوزيت
مكملا وهو اعلم بما يفعلون فلا يحتاج الى كاتب ولا شاهد وفي ذلك وعيد وزيادة
تهديد ٥ وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم
خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى
المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين ٥
وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين ٥ ولما ذكر شيا من احوال يوم القيمة على سبيل الاجمال
بين بعد كيفية احوال الفريقين وما افضى اليه كل واحد منهما فقال وسيق
والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف وهو الغالب فيه وجواب اذا فتحت ابوابها
ودل ذلك على انه لا يفتح الا اذا جات كسابر ابواب السجون فانها لا تزال مغلقة
حتى ياتي اصحاب الجرايم الذين يسجنون فيها فتفتح ثم تغلق عليهم وتقدم ذكر قراة
التخفيف والتشديد في فتحت وابوابها سبعة كما ذكر في سورة الحجر وقال لهم
خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم تفهمون ما ينبونكم
به ويسهل عليكم مراجعتهم **وقرا** ابن هرمز ياتكم بتا التانيث والجمهور بالياء يتلون
عليكم ايات ربكم اي الكتب المنزلة للتبشير والنذارة وينذرونكم لقاء يومكم
هذا وهو يوم القيمة وما يلقى فيه المسي من العذاب قالوا بلى اي قد جاتنا
وتلوا وانذروا وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب
اي قوله تعالى لاملان جهنم على الكافرين وضع الظاهر موضع المضمر اي علينا
صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب ولما فرغت محاورتهم مع الملايكة امروا
بدخول النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا عبر عن الاسراع بهم الى الجنة
مكرمين بالسوق والمسوق دوابهم لانهم لا يذهبون اليها الا راكبين وللمقابلة قسيمهم
ساغ لفظ السوق اذ لو لم يتقدم لفظ وسيق لعبر بغيره واذا شرطية وجوابها قال
الكوفيون وفتحت والواو زايدة وقال غيرهم محذوف قال الزمخشري وانما حذف

قوله عز وجل
وسيق الذين كفروا

لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل حذفه على انه شي لا يحيط به الوصف وحق موقعه
ما بعد خالدين انتهى وقدره المبرد بعد خالدين سعدوا وقيل الجواب وقال لهم خزنتها
على زيادة الواو وقيل حتى اذا جاوها جاوها وفتحت ابوابها ومن جعل الجواب محذوفا
او جعله وقال لهم على زيادة الواو وجعل قوله وفتحت جملة حالية اي فتحت
وقد فتحت ابوابها كقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وتناسب كونها حالا لان
ابواب الافراح تكون مفتحة لانتظار من يجي اليها بخلاف ابواب السجون وقال
لهم خزنتها سلام عليكم يحتمل ان تكون تحية منهم عند ملاقاتهم وان تكون خبرا بمعنى
السلامة والامن طبتم اي اعمالا ومعتقدا ومستقرا وجزاء فادخلوها خالدين اي
مقدرين الخلود وقالوا اي الداخلون الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض اي ملكناها نتصرف فيها كما نشا تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه
وقيل ورثوها من اهل النار وهي ارض الجنة وهي ابعد قول من قال هي ارض الدنيا قاله
قتادة وابن زيد والسدي نتبوا منها حيث نشا اي نتخذ امكنة ومساكن والظاهر
ان قوله فنعم اجر العاملين اي بطاعة الله هذا الاجر من كلام الداخلين وقال
مقاتل هو من كلام الله تعالى وترى الملايكة الخطاب للرسول حافين قال الاخفش واحدهم
حاف وقال الفرا لا يفرد قيل لان الواحد لا يكون حافا اذ الحفوف الاحداق بالشي
من حول العرش قال الاخفش من زايدة اي حافين حول العرش وقيل هي لابتدا الغاية
والظاهر عود الضمير من بينهم على الملايكة اذ ثوابهم وان كانوا معصومين يكون على
حسب تفاضل اعمالهم فتختلف تفاضل مراتبهم فذلك هو القضا بينهم بالحق
وقيل الضمير يعود على العباد كلهم وان مصير كل الى ما قدر له هو قضاء بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين الظاهر ان قايل ذلك هم من دارت بينهم المخاطبة
من الداخلين الجنة ومن خزنتها ومن الملايكة الحافين حول العرش اذ هم في نعيم
سرمد منجاة من عذاب الله وقال الزمخشري المقضي بينهم اما جميع العباد
واما الملايكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضايه بيننا
بالحق وانزل كل منا منزلته التي هي حقه وقال ابن عطية وقيل الحمد لله رب
العالمين حتم للامر وقول جزم عند فصل القضاء اي ان هذا الحاكم العدل ينبغي
ان يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضايه ومن هذه الاية جعلت الحمد لله رب العالمين
خاتمة المجالس المجتمعات في العلم **ازف** الشي قرب **قال الشاعر**
٥ ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد ٥
الثياب الخزان **السلسلة** معروفة **السحب** الجر **سجرت** التنور ملاته نارا
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم
اصحاب النار **حم** سبع الحواميم مكيات قالوا باجماع وقيل في بعض ايات هذه

المفردات

دل

السورة مكية قال ابن عطية وهو ضعيف وفي الحديث ان الحواميم ديباج القرآن وفيه
من اراد ان يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم وفيه مثل الحواميم
في القرآن مثل الحبرات في الثياب وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر وطرق
الآخرة وهي قصار لا يلحق فيها سآمة ومناسبة اول هذه السورة لآخر الزمر انه
تعالى لما ذكر ما يؤول اليه حال الكافر وحال المؤمن ذكرهنا انه تعالى غافر الذنب
وقابل التوب ليكون ذلك استدعاء للكافر الى الايمان والى الاقلاع عما هو فيه
وان باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم اليه ليرتدع عما
هو فيه وان رجوعه الى ربه فيجازيه بما يعمله من خير او شر **وقرئ** بفتح الحاء
وبالامالة محضة وبين اللفظين والجمهور باسكان الميم والزهري برفعها وهو اختيار
ابي القاسم بن جبارة الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراءات وابو السمال بكسرها على
اصل التقاء الساكنين وابن ابي اسحق وعيسى بفتحها وخرج على انها حركة التقاء
الساكنين كانت فتحة طلبا للخفة كاين وحركة اعراب على انتصابها بفعل مقدر
تقديره اقرأ حاميم وفي الحديث ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو
فقال اسما وفواتح سور وقال شريح بن ابي اوفى العبسي ٥

• يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم •

وقال الكميت ٥

• وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب ٥

اعربا حاميم ومنعت الصرف للعلمية والتانيث او للعلمية وشبه العجمة لان فاعيل
ليس من اوزان ابنية العرب وانما وجد ذلك في العجم نحو قابيل وهابيل وتقدم
فيما روي في الحديث جمع حاميم على الحواميم كما جمع طس على الطواسين وحكى صاحب
زاد المسير عن شيخه ابي منصور اللغوي انه قال من الخطاء ان تقول قرأت الحواميم
وليس من كلام العرب والصواب ان تقول قرأت آل حاميم وفي حديث ابن مسعود اذا
وقعت في آل حاميم وقعت في روضات دمثات انتهى فان صح من لفظ الرسول
انه قال الحواميم كان حجة على من منع ذلك وان كان نقل بالمعنى امكن ان يكون
من تحريف الاعاجم الاترى لفظ ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم وقول الكميت
وجدنا لكم في آل حاميم وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في اول البقرة
وقد زادوا في حاميم اقوالا لا هنا وهي مروية عن السلف غنينا عن ذكرها لاضطرابها
وعدم الدليل على صحة شيء منها فان كانت حاميم اسما للسورة كانت في موضع رفع على
الابتداء والا فتنزيل مبتداء ومن الله الخبر او خبر ابتداء اي هذا تنزيل ومن الله
متعلق بتنزيل والعزيز العليم صفتان دالتان على المبالغة في القدرة والغلبة
والعلم وهما من صفات الذات وقال الزجاج قابل وغافر وقابل صفتان وشديد
بدل انتهى وانما جعل غافر وقابل صفتين وان كانا اسمي فاعل لانه فهم من ذلك
انه لا يراد بهما التجدد ولا التقييد بزمان بل اريد بهما الاستمرار والثبوت
فاضافتهما محضة فيتعرف وصح ان يوصف بهما المعرفة وانما اعرب شديد
العقاب بدلا لانه من باب الصفة المشبهة ولا يتعرف بالاضافة الى المعرفة

وقد نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة اذا اضيف الى معرفة جاز
ان ينوي باضافته التمحض فيتعرف وينعت به المعرفة الا ما كان من باب الصفة
المشبهة فانه لا يتعرف ابدا وقد نظافرت النصوص على ان اضافة الصفة
المشبهة لا تعرف وحكى صاحب المقنع عن الكوفيين انهم اجازوا في حسن الوجه وما
اشبهه ان يكون صفة للمعرفة قال وذلك خطاء عند البصريين لان حسن الوجه
نكرة واذا اردت تعريفه ادخلت فيه ال وقال ابو الحجاج الاعلم لا يبعد ان
يقصد بحسن الوجه التعريف لان الاضافة لا تمنع منه انتهى وهذا جنوح الى
مذهب الكوفيين وقد جعل بعضهم غافر الذنب وما بعده ابدالا اعتبارا بانها
لا تتعرف بالاضافة كانه لاحظ في غافر وقابل زمان الاستقبال وقيل غافر
وقابل يراد بهما المضي فهما يتعرفان بالاضافة ويكونان صفتين اي ان قضاءه
بالغفران وقبول التوب هو في الدنيا وقال الزمخشري جعل الزجاج شديد
العقاب وحده بدلا بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف
بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف
ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها
من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولا نبو في ذلك
لان الجري على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد آذنت
بان كلها ابدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد آذنت جواب لما وليس من كلامهم
لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرار للابدال اما بدل
البداء عند من اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض
من كل وبدل اشتمال فلا نص عن احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها
او منعه الا ان في كلام بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك
في **قول الشاعره**

• فالى ابن ام اناس ارحل ناقتي عمرو فتبلغ حاجتي او تزحف •
• ملك اذا نزل الوفود ببابه عرفوا موارد مزبد لا ينزف •

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال **فان قلت** لم لا يكون
بدلا من ابن ام اناس **قلت** لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه
اخرى لانه قد طرح انتهى فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه
ودل على ان البدل من البدل جائز وقوله جاءت تفاعيلها هو جمع تفعال
او تفعول او يفعول او تفعيل وليس شيء من هذه الاوزان يكون معدودا في اجزاء العروض
بل اجزاؤها منحصرة ليس منها شيء من هذه الاوزان فصوابه ان يقول جاءت
اجزاؤها كلها على مستفعلن وقال الزمخشري ايضا ولقائل ان يقول هي صفات
وانما حذفت الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه
من عناديه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن
بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف

واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن
اللبس وجهالة الموصوف انتهى ولا ضرورة الى اعتقاد حذف الالف واللام
من شديد العقاب وترك ما هو اصل في النحو وتشبيه بنادر مغير عن القوانين
من تثنية الوتر للشفع وينزه كتاب الله عن ذلك كله وقال الزمخشري ويجوز ان
يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه
وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل
على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال انتهى واجاز مكي في غافر وقابل البدل
حملا على انهما نكرتان لاستقبالهما والوصف حملا على انهما معرفتان لمضيهما
وقال ابو عبد الله الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كانا كذلك
لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب يفيد ذلك
لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه
وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن انتهى وهذا كلام من لم
يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون حكيم عليم من قوله من لدن حكيم عليم
ومليك مقتدر من قوله عند مليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث
والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم يكن ويكون تعريف صفاته بال
وتنكيرها سواء وهذا لا يذهب اليه مبتدي في علم النحو بل من صنف فيه واقدم على
تفسير كتاب الله وتلخص من هذا الكلام المطول ان غافر الذنب وما عطف عليه
وشديد العقاب اوصاف لان المعطوف على الوصف وصف والجميع معارف
على ما تقرر او ابدال لان المعطوف على البدل بدل لتنكير الجميع او غافر وقابل
وصفان وشديد بدل المعرفة ذينك وتنكير شديد وقال الزمخشري
فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة
وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له
طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كانه لم يذنب كانه قال جامع
المغفرة والقبول انتهى وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افاد ان
الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو وقال صاحب الغنيان وانما عطف
لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وقطع شديد العقاب
عنهما فلم يعطف لانفراده انتهى وهي نزعة اعتزالية ومذهب اهل السنة جواز
غفران الله للعاصي وان لم يتب الا الشرك والتوب يحتمل ان يكون كالذنب اسم
جنس واحتمل ان يكون جمع توبة كبسر وبسرة وساع وساعة والظاهر من قوله
وقابل التوب ان توبة العاصي بغير الكفر كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقبولها
وذكروا في القطع بقبول توبة العاصي قولين لاهل السنة ولما ذكر تعالى شدة
عقابه اردفه بما يطمع في رحمته وهو قوله ذي الطول فجاء ذلك وعيدا اكتنفه
وعدان قال ابن عباس الطول السعة والغنى وقال قتادة النعم وقال
ابن زيد القدرة وقيل طوله تضعيف حسنات اوليائه وعفوه عن سيئاتهم
ولما ذكر جملة من صفاته العلى الذاتية والفعلية ذكر انه المنفرد بالالوهية المرجع

اليه

اليه في الحشر ثم ذكر حال من جادل في الكتاب واتبع ذلك بذكر الطائعين من
ملائكته وصالحي عباده فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وجدالهم
فيها قولهم مرة سحر ومرة شعر ومرة كهانة ومرة اساطير الاولين ومرة انما
يعلمه بشر فهو جدال بالباطل وقد دل على ذلك بقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق وقال السدي ما يجادل اي ما يماري وقال ابن سلام ما يجحد وقال
ابو العالية نزلت في الحارث بن قيس احد المستهزئين واما ما يقع بين اهل العلم
من النظر فيها واستيضاح معانيها واستنباط الاحكام والعقائد منها ومقارعة
اهل البدع بها فذلك فيه الثواب الجزيل ثم نهى السامع ان يغتر بتقلب هؤلاء
الكفار في البلاد وتصرفاتهم فيها بما امليت لهم من المساكن والمزارع والممالك
والتجارات والمكاسب وكانت قريش تتجر في الشام واليمن فان ذلك وبال عليهم
وسببه في اهلاكهم كما هلك من كان قبلهم من مكذبي الرسل **وقرأ** الجمهور فلا يغررك
بالفك وهي لغة الحجاز **وقرأ** زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام مفتوح
الراء وهي لغة تميم ولما كان جدال الكفار ناشئا عن تكذيب ما جاء به الرسول
عليه السلام من آيات الله ذكر من كذب قبلهم من الامم السالفة وما صار اليه حالهم
من حلول نقمات الله بهم ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول عليه السلام اليهم فبدأ
بقوم نوح اذ كان عليه السلام اول رسول في الارض وعطف على قومه الاحزاب
وهم الذين تحزبوا على الرسل ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله ومنهم عاد وثمود
وفرعون واتباعه وقدم الهمهم بالاخذ على الجدال بالباطل لان الرسل لما عصمهم
الله منهم ان يقتلوهم رجعوا الى الجدال بالباطل **وقرأ** الجمهور برسولهم
وقرأ عبد الله برسولها اعاد الضمير على لفظ امة ليأخذوه ليتمكنوا منه بحبس
او تعذيب او قتل وقال ابن عباس ليأخذوه ليملكوه **وانشد قطرب**

فاما تأخذوني تقتلوني فكم من آخذ يهوى خلودي ٥

ويقال للقتيل والاسير اخيذ وقال قتادة ليأخذوه ليقتلوه عبر عن المسبب
بالسبب وجادلوا بالباطل اي بما هو مضمحل ذاهب لا ثبات له وقيل الباطل
الكفر وقيل الشيطان وقيل بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا ليدحضوا ليزلقوا به
الحق اي آيات الصدق فاخذتهم فاهلكتهم فكيف كان عقاب اياهم استفهام
تعجيب من استئصالهم واستعظام لما حل بهم وليس استفهاما عن كيفية عقابهم
وكانوا يمرون على مساكنهم ويرون آثار نقمات الله فيهم واجتزأ بالكسرة عن ياء الاضافة
لانها فاصلة والاصل عقابي ٥ وكذلك حقت اي مثل ذلك الوجوب من عقابهم
وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار من تقدم منهم ومن تأخر وانهم بدل من كلمة
ربك فهي في موضع رفع ويجوز ان يكون التقدير لانهم وحذف لام العلة والمعنى
كما وجب اهلاك اولئك الامم وجب اهلاك هؤلاء لان الموجب لاهلاكهم
وصف جامع لهم وهو كونهم من اصحاب النار وفي مصحف عبد الله وكذلك سبقت
وهو تفسير معنى لا قراءة **وقرأ** ابن هرمز وشيبة وابن القعقاع ونافع وابن عامر
كلمات على الجمع وابو رجاء وقتادة وباقي السبعة على الافراد ٥ الذين يحملون

قوله عز وجل الذين يحملون

العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز
الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم
ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل
الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله
العلي الكبير هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
لما ذكر جدال الكفار في ايات الله وعصيانهم ذكر طاعة هؤلاء المصطفين
من خلقه وهم حملة العرش ومن حوله وهم الحافون به من الملائكة وذكروا من وصف
تلك الحملة وعظم خلقهم ووصف العرش ومن اي شيء خلق والحجب السبعين اشياء
التي اختلفت اجناسها قالوا احتجب الله بين العرش وبين حامليه ما الله اعلم به
على ان قدرته تعالى محتملة لكل ما ذكروه مما لا يقتضي تجسيما لكنه يحتاج الى نقل صحيح
وقرأ الجمهور العرش بفتح العين وابن عباس وفرقة بضمها كانه جمع عرش كسقف
وسقف او يكون لغتين في العرش يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عن جميع النقائص
بحمد ربهم بالثناء عليه بانه المنعم على الاطلاق والتسبيح اشارة الى الاجلال والتحميد
اشارة الى الاكرام فهو قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ونظيره
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقولهم ونحن نسبح بحمدك
ويؤمنون به اي ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف به نفسه من صفاته العلى
وتسبيحهم اياه تعالى يتضمن الايمان قال الزمخشري فان قلت ما فائدة قوله
ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون
بحمده مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه
كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله
ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على
ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين
ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل
الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام
سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته
الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم
وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة
وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه
لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان
جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض
قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض انتهى وهو كلام حسن الا ان قوله ان ايمان

الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير فيه تطرق وقوله ويستغفرون للذين آمنوا
تخصيص لعموم قوله ويستغفرون لمن في الارض وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح العباد
للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الاية انتهى وينبغي ان يقال
انصح العباد للعباد الانبياء والملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي يقولون ربنا
واحتمل هذا المحذوف بيانا ليستغفرون فيكون في محل رفع وان يكون حالا فيكون في
موضع نصب وكثيرا ما جاء النداء بلفظ ربنا رب وفيه استعطاف العبد مولاه الذي
رباه وقام بمصالحه من لدن نشأته الى وقت ندائه فهو جدير بان لا يناديه الا بلفظ
الرب وانتصب رحمة وعلما على التمييز والاصل وسعت رحمتك وعلمك كل شيء
واسند الوسع الى صاحبهما مبالغة كان ذاته ملئت الرحمة والعلم وقد وسعا كل شيء
وقدم الرحمة لانهم بها يستمطرون احسانه ويتوصلون بها الى حصول مطلوبهم
من سؤال المغفرة ولما حكى تعالى عنهم كيفية ثنائهم عليه واخبر باستغفارهم
للمؤمنين حكى كيفية استغفارهم وهو قولهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
فطلب المغفرة نتيجة الرحمة وللذين تابوا يتضمن انك علمت توبتهم فهما راجعان
الى قوله رحمة وعلما واتبعوا سبيلك وهي سبيل الحق التي نهجتها لعبادك انك
انت العزيز اي الذي لا يغالب الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها التي تليق بها
ولما كان طلب الغفران يتضمن اسقاط العذاب اردفوه بالتنصيص بوقايتهم
العذاب على سبيل المبالغة والتاكيد فقالوا وقهم عذاب الجحيم وطلب المغفرة
ووقاية العذاب للتائب الصالح وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة
الشفاعة في زيادة الثواب والكرامة ولما سألوا ازالة العقاب سألوا
ايصال الثواب وكرروا الدعاء بربنا فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقرأ
الجمهور جنات جمعا وزيد بن علي والاعمش جنة عدن بالافراد وكذا في مصحف
عبد الله وتقدم الكلام في اعراب التي في قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب في سورة مريم وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام يقال صلح فهو
صليح وصلح فهو صالح وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد والجمهور بالجمع وعن ابن جبير
في تفسير ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابي اين امي اين ابني
اين زوجي فيلحقون به لصلاحه ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة
انتهى واذا كان الانسان في خير ومعه عشيرته واهله كان ابهج عنده واسر لقلبه
والظاهر عطف ومن على الضمير في وادخلهم اذ هم المحدث عنهم والمسؤول لهم وقال
الفراء والزجاج نصبه من مكانين ان شئت على الضمير في وادخلهم وان شئت على
الضمير في وعدتهم وقهم السيئات اي امنعهم من الوقوع فيها حتى لا يترتب عليها
جزاؤها او وقهم جزاء السيئات التي اجترحوها فحذف المضاف ولا تكرار في هذا
ولقولهم وقوله وقهم عذاب الجحيم لعدم توافق المدعو لهم اذ الدعاء الاول للذين
تابوا والثاني ظاهره انه لهم ولمن صلح من المذكورين او لاختلاف الدعائين اذا اريد
بالسيئات القبائح فذلك وقاية عذاب الجحيم وهذا وقاية الوقوع في السيئات
والتنوين في يومئذ تنوين العوض والمحذوف جملة عوض منها التنوين ولم يتقدم

جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ اي حين
اذ بلغت الحلقوم فلا بد من تقدير جملة يدل عليها معنى الكلام وسياقه ومن تق السيئات
اي جزاءها يومئذ اي يوم اذ يؤاخذ بها فقد رحمته ولم يتعرض احد من المفسرين الذين وقفنا
على كلامهم في الاية للجملة التي عوض منها التنوين في يومئذ وذلك اشارة الى
الغفران ودخول الجنة ووقاية العذاب هو الفوز العظيم الذي عظم خطره
وجل صنعه ولما ذكر شيئا من احوال المؤمنين ذكر شيئا من احوال الكافرين وما يجري لهم
في الاخرة من اعترافهم بذنوبهم واستحقاقهم العذاب وسؤالهم الرجوع الى الدنيا
وندائهم قال السدي في النار وقال قتادة يوم القيمة والمنادون لهم
الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع واللام في لمقت لام الابتداء او لام القسم
ومقت مصدر مضاف الى الفاعل التقدير لمقت الله اياكم او لمقت الله انفسكم
وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه في قوله اكبر من مقتكم انفسكم والظاهر ان
مقت الله اياهم هو في الدنيا ويضعف ان يكون في الاخرة كما قال بعضهم لبقاء
اذ تدعون تعلقا من الكلام لكونه ليس له عامل تقدم ولا مفسر لعامل فاذا كان المقت
السابق في الدنيا امكن ان يضمر له عامل تقديره مقتكم اذ تدعون وقال الزمخشري
واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة ان الله مقت
انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله
وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها
باتباعكم هواهن انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والخطاء في قوله واذ تدعون
منصوب بالمقت الاول لان المقت مصدر ومعموله من صلته ولا يجوز ان يخبر عنه الا بعد
استيفائه صلته وقد اخبر عنه بقوله اكبر من مقتكم انفسكم وهذا من ظواهر علم النحو
التي لا تكاد تخفى على المبتدئين فضلا عمن يدعي العجم انه في العربية شيخ العرب
والعجم ولما كان الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر لا يجوز قدرنا العامل فيه مضمرا
اي مقتكم اذ تدعون ويشبهه قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر
قدروا العامل رجعه يوم تبلى السرائر للفصل بلقادر بين المصدر ويوم واختلاف
زماني المقتين الاول في الدنيا والاخر في الاخرة هو قول مجاهد وقتادة وابن زيد
والاكثرين وتقدم لنا ان منهم من قال هو في الاخرة وهو قول الحسن قال الزمخشري
وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا المقت الله اياكم الان
اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تعليل
انتهى وكان قوله واذ تعليل من كلام الزمخشري وقال قوم اذ تدعون معمول لا
ذكروا محذوفة وتيجه ذلك على ان يكون مقت الله اياهم في الاخرة على قول الحسن
فيقال لهم ذلك توبيخا وتقريعا وتنبيها على ما فاتهم من الايمان وثوابه ويحتمل ان
يكون قوله من مقتكم انفسكم ان كل واحد يمقت نفسه او ان بعضكم يمقت بعضا
كما قيل ان الاتباع يمقتون الرؤساء لما ورطوهم فيه من الكفر والرؤساء يمقتون
الاتباع وقيل يمقتون انفسهم حين قال لهم الشيطان فلا تلوموني ولوموا انفسكم
والمقت اشد البغض وهو مستحيل في حق الله تعالى فمعناه الانكار والزجر قالوا ربنا

امتنا

امتنا اثنتين وجه اتصال هذه بما قبلها انهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم انفسهم
هذا الانكار فلما مقتوا انفسهم وراوا حزنا طويلا رجعوا الى الاقرار بالبعث فاقروا ان الله تعالى
اماتهم اثنتين واحياهم اثنتين تعظيما لقدرته وتوسلا الى رضاه ثم اطمعوا انفسهم
بالاعتراف بالذنوب ان يردوا الى الدنيا اي ان رجعنا الى الدنيا ودعينا الى الايمان
بادرنا اليه وقال ابن عباس وقتادة والضحاك وابو مالك هي موتهم كونهم ما في الا
ثم احياهم وهم في الدنيا ثم موتهم فيها ثم احياهم يوم القيمة وقال السدي
احياهم في الدنيا ثم اماتهم فيها ثم احياهم في القبر لسؤال الملكين ثم اماتهم
فيه ثم احياهم في الحشر وقال ابن زيد احياهم نسما عند اخذ العهد عليهم من
صلب ادم ثم اماتهم بعد ثم احياهم وهم في الدنيا ثم اماتهم ثم احياهم فعلى
هذا والذي قبله تكون ثلث احياءات وهو خلاف القران وقال محمد بن كعب
الكافر في الدنيا حي الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان ثم اماتهم حقيقة
ثم احياهم في البعث وتقدم الكلام في اوائل البقرة على الاماتتين والاحياءين
في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية وكررنا ذلك هنا لبعد ما بين
الموضعين قال الزمخشري **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة
قلت كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر
ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان
الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق
والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف
المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه انتهى يعني ان خلقهم امواتا
كانه نقل من الحيوة وهو الجائز الاخر وظاهر فاعترفنا بذنوبنا انه متسبب عن قوله
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وثم محذوف اي فعرفنا قدرتك على الاماتة
والاحياء وزال انكارنا للبعث فاعترفنا بذنوبنا السابقة من انكار البعث وغيره
فهل الى خروج اي سريع او بطيء من النار من سبيل وهذا سؤال من يئس من الخروج ولكنه
تعلل وتحير ذلكم الظاهر ان الخطاب للكفار في الاخرة والاشارة الى العذاب
الذي هم فيه او الى مقتهم انفسهم او الى المنع من الخروج والزجر والاهانة احتمالات
مقولة وقيل الخطاب لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في فانه ضمير
الشان اذا دعي الله وحده اي اذا افرد بالالهية ونفيت عن سواه كفرتم وان يشرك
به اي ذكرت اللات والعزى وامثالهما من الاصنام صدقتم بالوهيتها وسكنت
نفوسكم اليها فالحكم بعذابكم اليوم لله لا لتلك الاصنام التي اشركتموها مع الله
العلي عن الشرك الكبير العظيم الكبرياء وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات
يكلمهم الله في الاربعة فاذا كانت الخامسة سكتوا قالوا ربنا امتنا اثنتين
هنا الاية وفي ابراهيم ربنا اخرنا الاية وفي السجدة ربنا ابصرنا الاية وفي فاطر
ربنا اخرجنا الاية وفي المؤمنين ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية فراجعهم اخسؤا
فيها ولا تكلمون فكان اخر كلامهم ذلك ولما ذكر تعالى ما يوجب التهديد الشديد

صلاب

تتهم

في حق المشركين اردفه سبحانه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا على انه لا يجوز جعل الاحجار المنحوتة والخشب المعبودة شركاء لله فقال هو الذي يريكم اياته ايها الناس ويشمل الايات قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها من الاثار العلوية وايات كتابه المشتمل على علم الاولين والآخرين وايات الاعجاز على ايدي رسله وهذه الايات راجعة الى نور العقل الداعي الى توحيده تعالى ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذي هو سبب الرزق مربية للبدن فتلك الايات للاديان كهذا الرزق للابدان وما يتذكر اي يتعظ ويعتبر وجعله تذكرا لانه مركوز في العقول دلائل التوحيد ثم قد يعرض الاشتغال بعبادة غير الله فيمنع من تجلي نور العقل فاذا اناب الى الله تعالى تذكر ٥ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ٥ الامر بقوله فادعوا الله للمنيبين المؤمنين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك على كل حال حتى في حال غيظ اعدائكم المتمالئين عليكم وعلى استئصالكم ورفيع خبر مبتدا محذوف وقال الزمخشري ثلاثة اخبار مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهى اما ترتيبها على قوله هو الذي يريكم فبعيد لطول الفصل واما كونها اخبارا لمبتدا محذوف فمبني على جواز تعدد الاخبار اذا لم يكن في معنى خبر واحد والمنع اختيار اصحابنا وقرئ رفيع بالنصب على المدح واحتمال ان يكون رفيع للمبالغة على فعيل من رافع فتكون الدرجات مفعولة اي رافع درجات المؤمنين ومنازلهم في الجنة وبه فسر ابن سلام او عبر بالدرجات عن السموات اورفعها سماء فوق سماء والعرش فوقهن وبه فسر ابن جبير واحتمال ان يكون رفيع فعيلا من رفع الشيء علا فهو رفيع فيكون من باب الصفة المشبهة والدرجات المصاعد للملائكة الى ان تبلغ العرش اضيفت اليه دلالة على عزه وسلطانه اي درجات ملائكته كما وصفه بقوله ذي المعارج او يكون ذلك عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان قوله ذو العرش عبارة عن ملكه وبنحو فسر ابن زيد فقال عظيم الصفات والروح النبوة قاله قتادة والسدي كما قال روحا من امرنا وعن قتادة ايضا الوحي وقال ابن عباس القرآن وقال الضحاك جبريل يرسله لمن يشاء وقيل الرحمة وقيل ارواح العباد وهذان القولان ضعيفان والاولى الوحي استعاره له الروح لحيوة الاديان المرضية به كما قال

قوله عز وجل فادعوا الله

أومن كان ميتا فاحييناه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في تفهيمهم الايمان والمعقولات الشريفة انتهى وقال الزجاج الروح كل ما به حيوة الناس وكل مهتد حي وكل ضال ميت انتهى وقال ابن عباس من امره من قضائه وقال مقاتل بامره وحكى الثعلبي من قوله ويظهر ان من لابتداء الغاية وقرا الجمهور لينذر مبنيا للفاعل يوم بالنصب والظاهر ان الفاعل يعود على الله لانه هو المحدث عنه واحتمل يوم ان يكون مفعولا على السعة وان يكون ظرفا والمنذر به محذوف وقرا ابي وجماعة كذلك الا انهم رفعوا يوم على الفاعلية مجازا وقيل الفاعل في القراءة الاولى ضمير الروح وقيل ضمير من وقرا اليماني فيما ذكر صاحب اللوامح لينذر مبنيا للمفعول يوم التلاق برفع الميم وقرا الحسن واليماني فيما ذكر ابن خالويه لتنذر بالتاء فقالوا الفاعل ضمير الروح لانها تؤنث او فيه ضمير الخطاب للرسول وقرئ التلاق والتناد بياء وبغير ياء وسمي يوم التلاق لالتقاء الخلائق فيه قاله ابن عباس وقال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخالق والمخلوق وقال ميمون بن مهران يلتقي فيه الظالم والمظلوم وحكى الثعلبي يلتقي المرء بعمله وقال السدي يلتقي اهل السماء اهل الارض وقيل يلتقي العابدون ومعبودهم يوم هم بارزون اي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض اذ ذاك قاع صفصف ولا من ثياب لانهم يحشرون حفاة عراة كما جاء عراة حفاة غرلا ويوم بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل والظرف المستقبل عند س لا يجوز اضافته الى الجملة الاسمية لا يجوز اجيئك يوم زيد ذاهب اجراء له مجرى اذا فكما لا يجوز ان تقول اجيئك اذا زيد ذاهب فكذلك لا يجوز هذا وذهب ابو الحسن الى جواز ذلك فيتخرج قوله يوم هم بارزون على هذا المذهب وقد اجاز ذلك بعض اصحابنا على قلة والدلائل مذكورة في علم النحو وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون انتصابه على الظرف والعامل فيه قوله لا يخفى وهي حركة اعراب لا حركة بناء لان الظرف لا يبنى الا اذا اضيف الى غير متمكن كيومئذ وقال الشاعر على حين عاتبت المشيب على الصبا ٥ وكقوله تعالى هذا يوم ينفع واما في هذه الاية فالجملة اسم متمكن كما تقول جئت يوم زيد امير فلا يجوز البناء انتهى يعني ان ينتصب على الظرف قوله يوم هم بارزون واما قوله لا يبنى الا اذا اضيف الى غير متمكن فالبناء ليس متحتما بل يجوز فيه البناء والاعراب واما تمثيله بيوم ينفع فمذهب البصريين انه لا يجوز فيه الا الاعراب ومذهب الكوفيين جواز البناء والاعراب فيه واما اذا اضيف الى جملة اسمية كما مثل من قوله جئت يوم زيد امير فالنقل عن البصريين تحتم الاعراب كما ذكر والنقل عن الكوفيين جواز الاعراب والبناء وذهب اليه بعض اصحابنا وهو الصحيح لكثرة شواهد البناء على ذلك ووقع في بعض تصانيف اصحابنا انه يتحتم فيه البناء وهذا قول لم يذهب اليه احد فهو وهم لا يخفى على الله منهم شيء اي من سرائرهم وبواطنهم قال ابن عباس اذا اهلك من في السموات ومن في الارض فلم يبق الا الله قال لمن الملك اليوم

فلا يجيبه احد فيرد على نفسه لله الواحد القهار وقال ابن مسعود يجمع الله الخلائق
يوم القيمة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به
ان ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبوا كلهم لله الواحد القهار وروي انه تعالى يقرر
هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار
وقال الحسن هو السائل وهو المجيب وقيل ينادي بالتقرير ملك فتجيب الناس
وانما خص التقرير باليوم وان كان الملك له تعالى في ذلك اليوم وفي غيره لظهور
ذلك للكفرة والجهلة ووضوحه يوم القيمة واذا تأمل من له مسكة عقل تسخير
اهل السموات والارض ونفوذ القضاء فيهم تيقن ان لا ملك الا لله ومن نتائج
ملكه في ذلك اليوم جزاء كل نفس بما كسبت وانتفاء الظلم وسرعة الحساب اذ حسابهم
في وقت واحد لا يشغله حساب عن حساب قال ابن عطية وهذه الاية نص في ان الثواب
والعقاب معلق باكتساب العبد انتهى وهو على طريقة الاشعرية وروي ان يوم القيمة
لا ينتصف حتى يقيل المؤمنون في الجنة والكافرون في النار ويوم الازفة هو يوم القيمة
امر تعالى نبيه ان ينذر العالم ويحذرهم منه ومن اسمائه قاله مجاهد وابن زيد والازفة
صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الازفة او الطامة الازفة ونحو هذا فلما اعقب
كل انذار نوعا من الشدة والخوف وغيرهما حسن التكرار والازفة القريبة كما تقدم ومن
مشارفتهم دخول النار فانه اذ ذاك ترتفع القلوب عن مقارها من شدة الخوف ٥
وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل يدل عليه انه تعالى وصف
يوم القيمة بانه يوم التلاق ويوم بروز فوجب ان يكون هذا اليوم غيره وهذه
الصفة مخصوصة في سائر الايات بيوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيمة
بالقرب وايضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الازفة لائقة بيوم حضور
المنية لان الرجل عند معاينة ملائكة العذاب لعظم خوفه يكاد قلبه يبلغ حنجرته
من شدة الخوف ولا يكون له حميم ولا شفيع يرفع عنه ما به من انواع الخوف اذ القلوب
لدى الحناجر قيل يجوز ان يكون ذلك يوم القيمة حقيقة ويبقون احياء مع ذلك
بخلاف حالة الدنيا فان من انتقل قلبه الى حنجرته مات ويجوز ان يكون ذلك كناية عن
ما يبلغون اليه من شدة الجزع كما تقول كادت نفسي ان تخرج وانتصب كاظمين على
الحال قال الزمخشري هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم
كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب
فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو
من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين
ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله اي وانذرهم مقدرين
وقال ابن عطية كاظمين حال مما ابدل منه قوله اذ القلوب او مما تضاف اليه
القلوب لان المراد اذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تعالى تشخص
فيه الابصار مهطعين اراد تشخص فيه ابصارهم وقال الحوفي القلوب
رفع بالابتداء ولدى الحناجر الخبر متعلق بمعنى الاستقرار وقال ابو البقا كاظمين
حال من القلوب لان المراد اصحابها انتهى ما للظالمين من حميم اي محب مشفق ولا

شفيع

شفيع فيطاع وهذا هو المقصود في الاية لان الشفيع عند الله انما يكون من اوليائه
تعالى ولا تكون الشفاعة الا لمن ارتضاه الله وايضا فيكون في زيادة التفضل
والثواب ولا يمكن شيء من هذا في حق الكافر وعن الحسن والله لا يكون لهم شفيع
البتة يعلم خائنة الاعين كقوله وان سقيت كرام الناس فاسقينا اي الناس الكرام ويجوز
ان تكون خائنة مصدرا كالعافية والعاقبة اي يعلم خيانة الاعين ولما كانت الافعال
التي يقصد بها التكتم بدنية فاخفاها خائنة الاعين من كسر جفن وغمز ونظر يفهم
معنى ويريد صاحبه معنى آخر وقلبية وهو ما تحتوي عليه الضمائر فهو ما يتكتم به الى
هذين القسمين وذكر ان علمه متعلق بهما التعلق التام وقال الزمخشري ولا
يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه انتهى
يعني انه لا يناسب ان يكون مقابل المعنى الا المعنى وتقدم ان الظاهر ان يكون
التقدير الاعين الخائنة والظاهر ان قوله يعلم خائنة الاعين الاية متصل
بما قبله لما امر بانذاره يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم وان
الظالم لا يجد من يحميه من ذلك ولا من يشفع له ذكر اطلاعه تعالى على جميع ما يصدر
من العبد وانه مجازي بما عمل ليكون على حذر من ذلك اليوم اذا علم ان الله مطلع
على اعماله وقال ابن عطية يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب
لان سرعة حسابه للخلق انما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه الى روية وفكرة
ولا لشيء مما يحتاجه المحاسبون وقالت فرقة يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله
منهم شيء وهذا قول حسن يقويه تناسب المعنيين ويضعفه بعد الاية من
الاية وكثرة الحائل انتهى وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة
الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن
يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد لذكر احوال يوم التلاق
الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته انتهى وفي بعض الكتب المنزلة
انا مرصاد الهمم انا العالم بمجال الفكر وكسر العيون وقال مجاهد خائنة الاعين
مسارقة النظر الى ما لا يجوز ومثل المفسرون خائنة الاعين بالنظر الثاني
الى حرمة غير الناظر وما تخفي الصدور بالنظر الاول الذي لا يمكن دفعه والله
يقضي بالحق هذا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال
ولا يقضي الا بالحق في ما دق وجل غاية والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء
هذا قدح في اصنامهم وتهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي
ولا يقضي وقرا الجمهور يدعون بيا الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل
وقراه ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنه وهشام تدعون بتاء الخطاب
اي قل لهم يا محمد ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما
تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وتعريض باصنامهم
انها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
احال قريشا على الاعتبار بالسير وجاز ان يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا
وان يكون منصوبا على جواب النفي كما قال الم تسأل فتخبرك الرسوم ٥

لعله خائن الخلق

ونقدم الكلام على مثل هذه الجملة وجعل الزمخشري هم على ان تكون فصلا ولا يتعين
اذ يجوز ان يكون هم توكيدا للضمير كانوا وقرأ الجمهور منهم بضمير الغيبة وابن عامر منكم
بضمير الخطاب على سبيل الالتفات واثارا في الارض معطوف على قوة اي مبانيهم وحصونهم
وعددهم كانت في غاية الشدة كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا وقال الزمخشري
او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا انتهى اي ومعتقلا
رمحا ولا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة المعنى بدونه من واق اي وما كان لهم من
عذاب الله من ساتر يمنعهم منه ذلك اي الاخذ وتقدم تفسير نظيره ذلك ۞ ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه
واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل
موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقال
موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن
من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا
سبيل الرشاد ۞ ابتداء تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول عليه
السلام ووعيدا لقريش ان يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله ووعدا
للمؤمنين بالظفر والنصر وحسن العاقبة وايات موسى عليه السلام كثيرة والذي
تحدى به من المعجزة العصا واليد وقرأ عيسى وسلطان بضم اللام والسلطان
المبين الحجة والبرهان الواضح والظاهر ان قارون هو الذي ذكره تعالى في قوله
ان قارون كان من قوم موسى وهو من بني اسرائيل وقيل هو غيره ونص على هامان وقارون
لمكانتهما في الكفر ولانهما اشهر اتباع فرعون فقالوا ساحر كذاب اي هذا ساحر لما
ظهر على يديه من قلب العصا حية وظهور النور الساطع على يده كذاب لكونه ادعى انه
رسول من رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بالمعجزات والنبوة والدعاء
الى الايمان بالله قالوا اي اولئك الثلاثة اقتلوا قال ابن عباس اي اعيدوا عليهم
القتل كالذي كان ولا انتهى يريد ان هذا غير القتل الاول وانما امروا بقتل ابناء
المؤمنين لئلا يتقوى بهم موسى عليه السلام وباستحياء النساء للاستخدام والاسترقاق
ولم يقع ما امروا به ولا تم لهم ولا اعانهم الله عليه وما كيد الكافرين الا في ضلال
اي في حيرة وتخبط لم يقع منه شيء ولا انجح سعيهم وكانوا باشروا القتل اولا فنفذ
قضاء الله في اظهار من خافوه هلاكهم على يديه وقيل كان فرعون قد كف عن قتل الابناء
فلما بعث موسى واحس انه قد وقع ما كان يحذره اعاد القتل عليهم غيظا وحنقا وظنا
منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين معا
وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه قال الزمخشري وبعضه من كلام
الحسن كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف

قوله عز وجل ولقد ارسلنا

وما هو

وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاومه الا ساحر مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة
على الناس واعتقدوا انك عجزت عن مظاهرته بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان
قد استيقن انه نبي وان ما جاء به ايات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجبروت
وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل
عرشه ويهدم ملكه ولكنه يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه
شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه كان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على
قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع
وقال ابن عطية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرت ايات موسى انهد ركنه واضطربت
معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في امره وذلك بين من غير ما موضع
من قصتهما وفي ذلك على هذا دليلان احدهما قوله ذروني فليست هذه من الفاظ
الجبابرة المتمكنين من انفاذ اوامرهم والدليل الثاني مقالة المؤمن وما صدع به وان
مكاشفته لفرعون اكثر من مسايرته وحكمه بنبوة موسى اظهر من توريته في امره واما فرعون
فانه نحا الى المخرقة والاضطراب والتعاطي ومن ذلك قوله ذروني اقتل موسى وليدع
ربه اي اني لا ابالي من رب موسى ثم رجع الى قومه يريهم النصيحة والحياطة لهم فقال
اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

۞ لئن حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك ۞

انتهى وتبديل دينهم هو تغييره وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام كما قال ويذرك والهتك
وان يظهر في الارض الفساد وذلك بالتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل
المزارع والمكاسب ويهلك الناس قتلا وضياعا فاخاف فساد دينكم ودنياكم معا وبدأ
فرعون بخوفه تغيير دينهم على تغيير دنياهم لان حبهم لاديانهم فوق حبهم لاموالهم
وقوله ذروني يدل على انهم كانوا يمنعونه من قتله اما لكون بعضهم كان مصدقا
له فيتحيل في منع قتله واما لما روي عن الحسن مما ذكره الزمخشري واما لشغل قلب
فرعون بموسى حتى لا يتفرغ لهم ويامنوا من شره كما يفعلون مع الملك اذ اخرج
عليه خارجي يشغلونه به حتى يامنوا من شره وقرأ الكوفيون او ان بترديد الخوف
بين تبديل الدين او ظهور الفساد وقرأ باقي السبعة وان بانصباب الخوف عليهما
معا وقرأ انس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وابو رجاء والحسن
والجحدري ونافع وابو عمرو وحفص يظهر من اظهر مبنيا للفاعل الفساد نصبا ۞
وقرأ باقي السبعة والاعرج والاعمش وابن وثاب وعيسى يظهر من ظهر مبنيا
للفاعل الفساد رفعا وقرأ مجاهد يظهر بتشديد الظاء والهاء الفساد رفعا
وقرأ زيد بن علي يظهر بضم الياء وفتح الهاء مبنيا للمفعول الفساد رفعا ولما
سمع موسى مقالة فرعون استعاذ بالله من شر كل متكبر منكر للمعاد وقال وربكم
بعثا على الاقتداء به فيعوذوا بالله ويعتصموا به ومن كل متكبر يشمل فرعون وغيره
من الجبابرة وكان ذلك على طريق التعريض فكان ابلغ والتكبر تعاظم الانسان في
نفسه مع حقارته لانه يفعل ولا يؤمن بيوم الحساب اي بالجزاء فكان ذلك اكد
في جراءته اذ حصل له التعاظم في نفسه وعدم المبالاة بما ارتكب وقرأ ابو عمرو

وحمزة والكسائي عذت بالادغام وباقي السبعة بالاظهار وقال رجل مؤمن من آل
فرعون يكتم ايمانه قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وكان يجري مجرى ولي العهد
ومجرى صاحب الشرطة وقيل كان قبطيا ليس من قرابته وقيل قيل فيه من آل فرعون
لانه كان في الظاهر على دينه ودين اتباعه وقيل كان اسرائيليا وليس من آل فرعون وجعل
من آل فرعون متعلقا بقوله يكتم ايمانه لا في موضع الصفة لرجل كما يدل عليه الظاهر
وهذا فيه بعد اذ لم يكن لاحد من بني اسرائيل ان يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل
وقد رد قول من علق من آل فرعون بيكتم فانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت
فلانا كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا ... وهمين همّا مستكنا وظاهرا
احاديث نفس تشتكي ما يريبها ... وورد هموم لن يجدن مصادرا

اي كتمتك احاديث نفس وهمين قيل واسمه سمعان وقيل حبيب وقيل حزبيل وقراءة
الجمهور رجل بضم الجيم وقرأ عيسى وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم عن ابي عمرو
بسكونها وهي لغة تميم ونجد تقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا انكار
منه عظيم وتبكيت لهم كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة
وما لكم عليه في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه قد جاءكم
بالبينات من ربكم اي من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهذا استدراج
الى الاعتراف وقال الزمخشري ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول
والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره انتهى
وهذا الذي اجازه من تقدير المضاف المحذوف الذي هو وقت لا يجوز تقول جئت
صياح الديك اي وقت صياح الديك ولا يجوز جئت ان صاح الديك ولا
اجيء ان يصيح الديك نص على ذلك النحاة فشرط ذلك ان
يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا وان يقول ليس مصدرا مصرحا به بالبينات بالدلائل
على التوحيد وهي التي ذكرها في طه والشعراء حالة محاورته لهم في سؤاله عن ربه تعالى
ولما صرح بالانكار عليهم غالطهم بعد في ان قسم امره الى كذب وصدق وابدى ذلك في صورة
احتمال ونصيحة وبدأ في التقسيم بقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه مداراة منه
وسلوكا طريق الانصاف في القول وخوفا اذا انكر عليهم قتله انه ممن يعاضده ويناصره
فاوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يسلم من شرهم ويكون ذلك ادنى تسليمهم
ومعنى فعليه كذبه اي لا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
وهو يعتقد انه نبي صادق قطعا لكنه اتى بلفظ بعض لالزام الحجة بايسر ما في
الامر وليس فيه نفي ان يصيبهم كل ما يعدهم وقالت فرقة يصبكم بعض العذاب
الذي يذكر وذلك كاف في هلاككم ويكون المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعد به
وذلك هو بعض مما يعد لانه عليه السلام وعدهم ان آمنوا بالنعمة وان كفروا بالنقمة
وقالت فرقة بعض الذي يعدكم عذاب الدنيا لانه بعض عذاب الآخرة ويصيرون
بعد ذلك الى النار وقال ابو عبيدة وغيره بعض بمعنى كل وانشدوا قول عمرو بن شييم
القطامي ٥ قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل ٥

وقال

وقال الزمخشري وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد
ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه
ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له فان قلت وعن ابي عبيدة انه فسر
البعض بالكل وانشد بيت لبيد وهو

تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى
من ان يفقه ما اقول له انتهى ويعني ان ابا عبيدة خطأه الناس في اعتقاده ان
بعضا يكون بمعنى كل وانشدوا ايضا في كون بعض بمعنى كل قول الشاعر

ان الامور اذا الاحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

اي في كلها اي الاحداث ولذلك قال دبرها ولم يقل دبروها راعى المضاف المحذوف
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اشارة الى علو شان موسى عليه السلام وان
من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن ان يقع منه اسراف ولا كذب وفيه تعريض بفرعون
اذ هو في غاية الاسراف على نفسه بقتل ابناء المؤمنين وفي غاية الكذب اذ ادعى الالهية
والربوبية ومن هذا شانه لا يهديه الله وفي الحديث الصديقون ثلاثة حبيب النجار
مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون وعلي بن ابي طالب وفي الحديث انه عليه السلام طاف
بالبيت فحين فرغ اخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا
فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى
ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا وقال
السدي مسرف بالقتل وقال قتادة مسرف بالكفر وقال صاحب التحرير والتحبير
هذا نوع من انواع علم البيان تسميه علماؤنا استدراج المخاطب وذلك انه لما
رأى فرعون قد عزم على قتل موسى والقوم على تكذيبه اراد الانتصار له بطريق يخفي
عليهم انه متعصب له وانه من اتباعه فجاءهم من طريق النصح والملاطفة فقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ولم يذكر اسمه بل قال رجلا يوهم انه لا يعرفه
ولا يتعصب له ان يقول ربي الله ولم يقل رجلا مؤمنا بالله او هو نبي الله اذ لو قال
شيئا من ذلك لعلموا انه متعصب ولم يقبلوا قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله
وان يك كاذبا موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله وان يك صادقا ولم يقل هو صادق
وقال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم اذ لو قال هو صادق وكل
ما يعدكم علموا انه متعصب وانه يزعم انه نبي وانه يصدقه فان الانبياء لا تخل
بشيء مما يقولونه ثم اتبعه بكلام يفهم منه انه ليس بمصدق له وهو قوله ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انتهى ثم قال يا قوم ندا استلطف في موعظتهم
لكم الملك اليوم ظاهرين اي غالبين عالين في الارض في ارض مصر قد غلبتم بني
اسرائيل فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم ونداهم بالملك الذي هو اعظم مراتب الدنيا
واجلها وهو من جهة شهواتهم وانتصب ظاهرين على الحال والعامل فيها هو
العامل في الجار والمجرور وذو الحال هو ضمير لكم ثم حذرهم ان يفسدوا على انفسهم

بأنهم إن جاءهم بأس الله لم يجدوا ناصراً لهم ولا دافعاً وأدرج نفسه في قوله ينصرنا
وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه
وأقوال هذا المؤمن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ولذلك استكان فرعون
وقال ما أريكم إلا ما أرى أي ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا ذلك
وهذا قول من لا يحكم له وإني بما ولا الحصر والتأكيد وما أهديكم إلا سبيل الصواب
لا بما تقولونه من ترك قتله وقد كذب بل كان خائفاً وجلاً وقد علم أن ما جاء به موسى عليه السلام
حق ولكنه كان يتجلد ويري ظاهره خلاف ما أبطن وأورد الزمخشري وابن عطية وأبو القاسم
الهذلي شيئاً أن معاذ بن جبل قرأ الرشاد بشد الشين قال أبو الفتح وهو اسم فاعل في المعنى
بنية مبالغة من الفعل الثلاثي رشد فهو كعباد من عبد وقال الزمخشري أو من رشد
كعلام من علم وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الفعل الرباعي ورد عليه بأنه لا يتعين
أن يكون من الرباعي بل يصح من الثلاثي على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه من الرباعي وبني فعال
من أفعل كدراك من أدرك وسآر من أسأر وجبار من أجبر وقصار من أقصر ولكنه ليس بقياس
فلا يحمل عليه ما وجد عنه مندوحة وفعال من الثلاثي مقيس فحمل عليه وقال
أبو حاتم كان معاذ بن جبل يفسرها بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ
رضي الله عنه وهل كان فرعون إلا يدعي أنه إله ويتعلق بناء اللفظ على هذا التأويل
انتهى وإيراد الخلاف في هذا الحرف الذي هو من قول فرعون خطأ وتركيب قول معاذ
عليه خطأ والصواب أن الخلاف فيه هو في قول المؤمن اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
قال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له في شواذ القراءات ما نصه معاذ بن جبل
سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي أوضح
الشرائع كذلك فسره معاذ بن جبل وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر
وقصار من مقصر عن الأمر ولها نظائر معدودة فأما قصار الثوب فهو من قصر الثوب
قصارة وقال ابن خالويه بعد أن ذكر الخلاف في الرشاد وفي صد عن السبيل
ما نصه سبيل الرشاد بتشديد الشين معاذ بن جبل قال ابن خالويه يعني بالرشاد
الله تعالى انتهى فهذان لم يذكرا الخلاف إلا في قول المؤمن أهدكم سبيل الرشاد فذكر
الخلاف فيه في قول فرعون خطأ ولم يفسر معاذ بن جبل الرشاد أنه الله تعالى إلا في
قول المؤمن لا في قول فرعون قال ابن عطية ذلك التأويل في قول فرعون وهم ۵ وقال
الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون
مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً
كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم
كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال
فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله
موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما

قوله عز وجل
وقال الذي آمن

هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن
عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
۵ الجمهور على أن هذا المؤمن هو الرجل القائل أتقتلون رجلاً قص الله أقاويله إلى آخر
الآيات لما رأى ما لحق فرعون من الخور والخوف أتى بنوع آخر من التهديد وخوفهم أن يصيبهم
ما أصاب الأمم السالفة من استيصال الهلاك حين كذبوا رسلهم وقويت نفسه حتى سرد
عليهم ما سرد ولم يهب فرعون وقالت فرقة بل كلام ذلك المؤمن قد تم وإنما أراد تعالى
بالذي آمن موسى عليه السلام واحتجوا بقوة كلامه وأنه جلح معهم بالإيمان وذكر عذاب
الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الأول إلا ملاينة لهم وأفرد اليوم إما لأن المعنى مثل يوم
من أيام الأحزاب أو أراد به الجمع أي مثل أيام الأحزاب لأنه معلوم أن كل حزب كان له يوم
والأحزاب الذين تحزبوا على أنبياء الله ومثل دأب قال ابن عطية بدل وقال الزمخشري
عطف بيان وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب عادتهم ودينهم في الكفر
والمعاصي وما الله يريد ظلماً للعباد أي إن إهلاكه إياهم كان عدلاً منه وفيه مبالغة
في نفي الظلم حيث علقه بالإرادة فإذا نفاه عن الإرادة كان نفيه عن الوقوع أولى
وأحرى ولما خوفهم أن يحل بهم في الدنيا ما حل بالأحزاب خوفهم أمر الآخرة فقال
مستعطفاً لهم بندائهم يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد وهو يوم الحشر والتنادي
مصدر تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضاً قال الشاعر

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكم الردي ۵

وسمي يوم التنادي إما لنداء بعضهم لبعض بالويل والثبور وإما لتنادي أهل الجنة
وأهل النار على ما ذكر في سورة الأعراف وإما لأن الخلق ينادون إلى المحشر وإما لنداء
المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه والكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقرأت فرقة التناد بسكون الدال
في الوصل إجراء مجرى الوقف وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح والكلبي والزعفراني
وابن مقسم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا هرب كما قال يوم يفر المرء من أخيه الآية
وقال ابن عباس وغيره في التنادي خفيفة الدال هو التنادي الذي يكون بين الناس
عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا وأنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي
نالهم وينادي بعضهم بعضاً وروى هذا التأويل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة
على الكفار والعصاة انتهى وقال أمية بن أبي الصلت ۵

۵ وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي ۵

وفي الحديث أن للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون أنهم يجدون مهرباً ثم تلا
يوم تولون مدبرين قال مجاهد معناه فارين وقال السدي ما لكم من الله من
عاصم في فراركم حتى تعذبوا في النار وقال قتادة ما لكم في الانطلاق إليها
من عاصم أي مانع يمنعكم منها أو ناصر ولما يئس المؤمن من قبولهم قال ومن يضلل الله
فما له من هاد ثم أخذ يوبخهم على تكذيب الرسل بأن يوسف قد جاءهم بالبينات والظاهر
أنه يوسف بن يعقوب وفرعونه هو فرعون موسى وروى أشهب عن مالك أنه بلغه
أن فرعون عمر أربعمائة سنة وأربعين سنة وقيل بل الجائي إليهم هو يوسف

ابراهيم بن يوسف بن يعقوب وان فرعون هو فرعون عمر فرعون موسى وبالبينات بالمعجزات
فلم يزالوا شاكين في رسالته كافرين حتى اذا توفي قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا وليس
هذا تصديقا لرسالته وكيف وما زالوا في شك منه وانما المعنى لا رسول من عند الله فيبعثه
الى الخلق ففيه نفي الرسول ونفي بعثته **وقرئ** الن يبعث بادخال همزة الاستفهام على حرف
النفي كان بعضهم يقرر بعضا على نفي البعثة كذلك اي مثل اضلال الله اياكم حين لم يقبلوا
من يوسف يضل الله من هو مسرف مرتاب يعني هم المسرفون المرتابون في رسالات الانبيا
وجوزوا في الذين يجادلون ان تكون صفة لمن وبدلا منه اذ معناه جمع ومبتدا على حذف
مضاف اي جدال الذين يجادلون حتى يكون الضمير في كبر عائدا على ذلك او لا على حذف مضاف
والفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من قوله يجادلون او ضمير يعود على من على لفظها
على ان تكون الذين صفة او بدلا اعادا اولا على لفظ من في قوله هو مسرف كذاب ثم جمع الذين
على معنى من ثم افرد في قوله كبر على اللفظ وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون الذين يجادلون
مبتدا وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال
ويطبع الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل
والفاعل لا يصح حذفه انتهى وهذا الذي اجازه لا يجوز ان يكون مثله في كلام فصيح فكيف
في كلام الله لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب مذهب الصحيح خلافه
اما تفكيك الكلام فالظاهر ان بغير سلطان متعلق بيجادلون ولا يتعقل جعله خبرا
للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون في ايات الله كاينون او مستقرون
بغير سلطان اي في غير سلطان لان الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث وكذلك في قوله
يطبع انه مستانف فيه تفكيك الكلام لان ما جاء في القرآن من كذلك يطبع او نطبع انما
جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك هذا واما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه
فجعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش
ولم يثبت في كلام العرب نثرها جاءني كزيد تريد مثل زيد فلم تثبت اسميتها فتكون
فاعلة واما قوله ومن قال الى آخره فان قايل ذلك وهو الحوفي والظن به انه
فسر المعنى ولم يرد الاعراب واما تفسير الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال
المفهوم من يجادلون كما قالوا من كذب كان شرا له اي كان هو اي الكذب المفهوم من
كذب والاولى في اعراب هذا الكلام ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر والفاعل ضمير
المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه ويكون الواعظ
لهم قد عدل عن مخاطبتهم الى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم
وابراز ذلك في صورة تذكيرهم ولا يفجاهم بالخطاب وفي قوله كبر مقتا ضرب من
التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكباير
كذلك اي مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين يطبع الله اي يختم بالضلال
ويحجب عن الهدى **وقراء** ابو عمرو وابن ذكوان والاعرج بخلاف عنه قلب
بالتنوين وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه مركزهما ومنبعهما كما يقولون
راءت العين وكما قال فانه آثم قلبه والاثم الجملة واجاز الزمخشري ان يكون
على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب

انتهى ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف **وقراء** باقي السبعة قلب متكبر بالاضافة
والمضاف فيه العام عام فلزم عموم متكبر جبار وقال مقاتل المتكبر المعاند في تعظيم
امر الله والجبار المسلط على خلق الله وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اقوال
فرعون ذروني اقتل موسى ما اريكم الا ما ارى يا هامان ابن لي صرحا حيدة عن محاجة
موسى ورجوع الى اشيا لا تصح وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة
والتعرف انه هالك وهلاك قومه على يدي موسى وان قدرته عجزت عن التاثير في
موسى هذا على كثرة سفكه الدماء وتقدم الكلام في الصرح في سورة القصص
فاغنى عن اعادته قال السدي الاسباب الطرق وقال قتادة الابواب وقيل
عنى لعله يجد مع قربه من السما شيا يتعلق به وما اداك الى شي فهو سبب
وابهم اولا الاسباب ثم ابدل منها ما اوضحها والايضاح بعد الابهام يفيد
تفخيم الشي اذ في الابهام تشوف للمراد وتعجب من المقصود به ثم بالتوضيح يحصل
المقصود ويتعين **وقرا** الجمهور فاطلع رفعا عطفا على ابلغ فكلاهما مترجى **وقرا**
الاعرج وابو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم وحفص فاطلع بنصب العين قال
ابو القاسم بن جبارة وابن عطية على جواب التمني وقال الزمخشري على جواب الترجي
تشبيها للترجي بالتمني انتهى وقد فرق النحاة بين التمني والترجي فذكروا ان التمني يكون
في الممكن والممتنع والترجي يكون في الممكن وبلوغ اسباب السموات غير ممكن لكن فرعون
ابرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويها على سامعيه واما النصب بعد الفاء في جواب
الترجي فشي اجازه الكوفيون ومنعه البصريون واحتج الكوفيون بهذه القراءة
وبقراءة عاصم فتنفعه الذكرى في سورة عبس اذ هو جواب الترجي في قوله لعله يزكى
او يذكر فتنفعه الذكرى وقد تاولنا ولنا ذلك على ان يكون عطفا على التوهم لان خبر لعل
كثيرا جاء مقرونا بان في النظم كثيرا وفي النثر قليلا فمن نصب توهم ان الفعل
المرفوع الواقع خبرا كان منصوبا بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس لكن ان
وقع شي وامكن تخريجه عليه خرج واما هنا فاطلع فقد جعله بعضهم جوابا للامر
وهو قوله ابن لي صرحا كما **قال الشاعر**

يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

ولما قال فاطلع الى اله موسى كان ذلك اقرارا باله موسى فاستدرك هذا الاقرار
بقوله واني لاظنه كاذبا اي في ادعاء الهه كما قال في القصص لعلي اطلع الى اله
موسى واني لاظنه من الكاذبين وكذلك اي مثل ذلك التزيين في ابهام فرعون
انه يطلع الى اله موسى زين لفرعون سوء عمله **وقرا** الجمهور زين لفرعون مبنيا للمفعول
وقرئ زين مبنيا للفاعل وقرا الجمهور وصد مبنيا للفاعل اي وصد فرعون والكوفيون
بضم الصاد مناسبا لزين مبنيا للمفعول وابن وثاب بكسر الصاد اصله صدد نقلت
الحركة الى الصاد بعد توهم حذفها وابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة بفتح
الصاد وضم الدال منونة عطفا على سوء عمله والتباب الخسران خسر ملكه في
الدنيا فيها بالغرق وفي الآخرة بخلوده في النار وتكرر وعظ المومن اثر كلام فرعون
بندائه قومه مرتين مرتين متبعا كل نداء بما فيه زجر واتعاظ لو وجد من يقبل

وامرهنا باتباعه لانه يهديهم سبيل الرشاد وقرا معاذ بن جبل بشدّ الشين وتقدم الكلام على ذلك والرد على من جعل هذه القراءة في كلام فرعون واجمل اولاً في قوله سبيل الرشاد وهو سبيل الايمان بالله واتباع شرعه ثم فسّر فافتتح بذم الدنيا وبصغر شانها وانها متاع زائل وهو من تمتّع بها وان الاخرة هي دار الاستقرار التي لا انفكاك منها اما الى الجنة واما الى النار ولذلك قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقرا ابو رجاء وشيبة والاعمش والاخوان والصاحبان وحفص يدخلون مبنيًا للفاعل وباقي السبعة والاعرج والحسن وابو جعفر وعيسى مبنيًا للمفعول ﴿ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعًا فهل انتم مغنون عنا نصيبًا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ بدا المؤمن بذكر المتسبب عن دعوتهم وابدى التفاضل بينهما فلما ذكر المتسببين ذكر سببهما ودعوتهم الى الكفر والشرك ودعاءه اياهم الى الايمان والتوحيد واتى بصفة العزيز وهو الذي لا نظير له او الغالب الذي العالم كلهم في قبضته يتصرف فيهم كيف يشاء الغفار لذنوب من رجع اليه وآمن به واوصل سبب دعائهم بمسببه وهو الكفر والنار واخر سبب مسببه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو الى الخير وبدا اولاً بجملة اسمية وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم وختم ايضًا بجملة اسمية ليكون ابلغ ايضًا في توكيد الاخبار وجاء في حقهم وتدعونني بالجملة الفعلية التي لا تقتضي توكيدًا اذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتؤكد وما ليس لي به علم هي الاوثان اي لم يتعلق بها علمي اذ ليس لها مدخل في الالوهية ولا لفرعون قال الزمخشري فان قلت لم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل في كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة انتهى وتقدم الكلام على لا جرم وقال الزمخشري هنا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة لا بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم انما اي ان الذي تدعونني اليه اي الى عبادته ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعى اليه او ليس له دعوة الى نفسه لان الجماد لا يدعو والمعبود بالحق يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارًا لدعوة ربهم وقال الزجاج المعنى ليس له استجابة دعوة

قوله عز وجل ويا قوم ما لي ادعوكم

توجب الالوهية في الدنيا ولا في الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قوله كما تدين تدان وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون يدعو الناس اولاً الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر وكانت تعبد ما دامت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ودعا باخرى لتعبد فلما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى ولما ذكر انتفاء دعوة ما عبد من دون الله ذكر ان مرد الجميع الى الله اي الى جزائه وان المسرفين وهم المشركون في قول قتادة والسفاكون للدماء بغير حلها في قول ابن مسعود وقيل من غلب شره خيره هو المسرف وقال عكرمة هم الجبارون المتكبرون وختم المؤمن كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتهديد وهي قوله فستذكرون ما اقول لكم اي اذا حل بكم عقاب الله وافوض امري الى قضاء الله وقدره لا اليكم ولا الى اصنامكم وكانوا قد توعدوه ثم ذكر ما يوجب التفويض وهو كونه تعالى بصيرًا باحوال العباد وبمقادير حاجاتهم قال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقيل لما اظهر ايمانه بعث فرعون في طلبه الف رجل فمنهم من ادركه فذب السباع عنه واكلتهم ومنهم من مات في الجبال عطشًا ومنهم من رجع الى فرعون خائبًا فاتهمه وقتله وصلبه وقيل نجا مع موسى في البحر وفر في جملة من فر معه فوقاه الله سيئات ما مكروا اي شدائد مكرهم التي تسوءه وما هموا به من انواع العذاب لمن خالفهم وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال ابن عباس هو ما حاق بالالف الذين بعثهم فرعون في طلب المؤمن من اكل السباع والموت بالعطش والقتل والصلب كما تقدم وقيل سوء العذاب هو الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل النار او مبتدا خبره يعرضون ويقوي هذا الوجه قراءة من نصب اي يدخلون النار يعرضون عليها وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب على الاختصاص والظاهر ان عرضهم على النار مخصوص بهذين الوقتين ويجوز ان يراد بذكر الطرفين الدوام في الدنيا والظاهر ان العرض خلاف الاحراق وقال الزمخشري عرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به انتهى والظاهر ان العرض هو في الدنيا وروي ذلك عن الهذيل بن شرحبيل وعن ابن مسعود والسدي ان ارواحهم في اجواف طير سود تروح بهم وتغدو الى النار وقال رجل للاوزاعي رايت طيورًا بيضًا تغدو من البحر ثم تروح بالعشي سودًا مثلها فقال الاوزاعي تلك التي في حواصلها ارواح آل فرعون يحرق رياشها ويسود بالعرض على النار وقال محمد بن كعب وغيره اراد انهم يعرضون في الاخرة على تقدير ما بين الغدو والعشي اذ لا غدو ولا عشي في الاخرة وانما ذلك على التقدير بايام الدنيا وعن ابن مسعود يعرض ارواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار على النار بالغداة والعشي يقال هذه داركم وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة

والمعنى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له
هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة واستدل مجاهد ومحمد بن كعب وعكرمة
ومقاتل بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي عند موتهم على عذاب القبر في الدنيا
والظاهر تمام الجملة عند قوله وعشيا وان يوم القيامة معمول لمحذوف على اضمار القول
اي ويوم القيامة يقال لهم ادخلوا وقيل ويوم معطوف على وعشيا فالعامل فيه يعرضون
وادخلوا على اضمار القول وقيل العامل في يوم ادخلوا **وقرا** الاعرج وابو جعفر
وشيبة والاعمش وابن وثاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا امرا
للخزنة من ادخل وعلي والحسن وقتادة وابن كثير والعربيات وابو بكر امرا لآل فرعون
من دخل اشد العذاب قيل وهو الهاوية قال الاوزاعي بلغنا انهم الفا الف وستمائة
الف ۝ واذ يتحاجون في النار الظاهر ان الضمير عائد على فرعون وقال ابن عطية
والضمير في قوله يتحاجون لجميع كفار الامم وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون والعامل
في اذ فعل مضمر تقديره واذكر قال الطبري واذ هذه عطف على قوله اذ القلوب
لدى الحناجر وهذا بعيد انتهى والمحاجة التحاور بالحجة والخصومة والضعفاء
اي في القدر والمنزلة في الدنيا والذين استكبروا اي عن الايمان واتباع الرسل انا كنا
لكم تبعا اي ذوي تبع فتبع مصدر او اسم جامع لتابع كخادم وخدم وغايب
وغيب فهل انتم مغنون عنا اي حاملون عنا فاجابوهم انا كل فيها وان حكم الله قد
نفذ فينا وفيكم انا مستقرون في النار **وقرا** ابن السميفع وعيسى بن عمر انا كلا بنصب
كل فقال الزمخشري وابن عطية على التوكيد قال الزمخشري لاسم ان وهو معرفة
والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى وخبر ان هو فيها ومن رفع كلا
فعلى الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان وقال ابن مالك في تصنيفه تسهيل الفوائد
وقد تكلم على كل ولا يستغنى بنية اضافته خلافا للفراء والزمخشري انتهى وهذا المذهب
منقول عن الكوفيين وقد رد ابن مالك على هذا المذهب بما قرر في شرحه للتسهيل وقال
الزمخشري **فان قلت** هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها **قلت** لا لان
الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب
ولا تقول قائما في الدار انتهى وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت الحال
نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا لما في
الاية لان الاية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا
قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد
تاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع في ذلك اجماع من النحاة وقال
ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوب على الحال من الضمير المرفوع
المنوي في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت الحال عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في
قراءة من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي **قول النابغة الذبياني**

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم ... فيهم ورهط ربيعة بن حذار ۝

وقال بعض الطائيين ۝

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة ... لديكم فكان النصر غير قريب ۝

انتهى

انتهى وهذا التخريج هو على مذهب الاخفش كما ذكرناه والذي اختاره في تخريج هذه
القراءة ان كلا بدل من اسم ان لان كلا يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك
فكانه قال ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا حولا اكتعا ويوما اجمعا على البدل
مع انهما لا يليان العوامل فان يدعى في كلا البدل اولى وايضا فتنكير كل ونصبه حالا
في غاية الشذوذ والمشهور ان كلا معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكى مررت بكل قائما
وببعض جالسا في الفصيح الكثير في كلامهم وقد شذ نصب كل على الحال في قولهم مررت
بهم كلا اي جميعا **فان قلت** كيف يجعله بدلا وهو بدل الكل من ضمير المتكلم وهو
لا يجوز على مذهب جمهور البصريين **قلت** مذهب الاخفش والكوفيين جوازه وهو
الصحيح على ان هذا ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز
ان يبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا نعلم خلافا في ذلك كقوله تعالى تكون لنا
عيدا لاولنا وآخرنا وكقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون
لنا عيدا كلنا فاذا جاز ذلك في معنى الاحاطة فجوازه فيما دل على الاحاطة وهو كل اولى
ولا التفات لمنع المبرد البدل فيه لانه بدل من ضمير المتكلم لانه لم يحقق مناط الخلاف
ولما اجاب الضعفاء المستكبرون قالوا جميعا لخزنة جهنم وابرز ما اضيف اليه الخزنة
ولم يات ضميرا فكان يكون التركيب لخزنتها لما في ذكر جهنم من التهويل وفيها اطغى الكفار
واعتاهم ولعل الكفار توهموا ان ملائكة جهنم الموكلين بعذاب تلك الطغاة هم اقرب
منزلة عند الله من غيرهم من الملائكة الموكلين بسائر دركات النار فرجوا ان يجيبوهم ويدعوا لهم
بالتخفيف فراجعتهم الخزنة على سبيل التوبيخ لهم والتقرير او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
فاجابوا بانهم اتتهم قالوا اي الخزنة فادعوا انتم على معنى الهزؤ بهم او فادعوا انتم
فانا لا نجترئ على ذلك والظاهر ان قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال من كلام
الخزنة اي دعاؤكم لا ينفع ولا يجدي وقيل هو من كلام الله تعالى اخبارا منه لمحمد صلى الله
عليه وسلم وجاءت هذه الاخبار معبرا عنها بلفظ الماضي الواقع لتيقن وقوعها ثم ذكر تعالى
انه ينصر رسله ويظفرهم باعدائهم كما فعل بموسى عليه السلام حيث اهلك عدوه فرعون
وقومه وفيه تبشير للرسول عليه السلام بنصره على قومه في الحياة الدنيا اذ العاقبة
الحسنة لهم ويوم يقوم الاشهاد وهو يوم القيامة قال ابن عباس بنصرهم بالغلبة
وفي الاخرة بالعذاب وقال السدي بالانتقام من اعدائهم وقال ابو العالية بافلاج
حجتهم وقال السدي ايضا ما قتل قوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق الا بعث الله
من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا انتهى الا ترى الى قتلة الحسين رضي الله
عنه كيف سلط الله عليهم المختار بن ابي عبيد يتتبعهم واحدا واحدا حتى قتلهم وبخت
نصر تتبع اليهود حين قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام وقيل والنصر خاص بمن اظهره
الله تعالى على امته كنوح وموسى ومحمد عليهم السلام لانا نجد من الانبياء من قتله قومه
كيحيى ومن لم ينصر عليهم وقال السدي الخبر عام وذلك ان نصر الرسل والانبياء
واقع ولا بد اما في حياة الرسول المنصور كنوح وموسى عليهما السلام واما بعد موته
الا ترى الى ما صنع الله تعالى ببني اسرائيل بعد قتلهم يحيى عليه السلام من تسليط بخت
نصر عليهم حتى انتصر ليحيى عليه السلام **وقرا** الجمهور يقوم بالياء وابن هرمز

قوله عز وجل ولقد آتينا

واسمعيل والمنقري عن ابي عمرو بالتاء لتانيث الجماعة والاشهاد جمع شهيد
كشريف واشراف او جمع شاهد كصاحب واصحاب كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد وقال لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والظاهر
انه من الشهادة وقيل من المشاهدة بمعنى الحضور يوم لا ينفع بدل من يوم يقوم وقرئ
تنفع بالتاء وبالياء وتقدم ذكر الخلاف في ذلك في اخر الروم ويحتمل انهم يعتذرون
ولا تقبل معذرتهم او انهم لا معذرة لهم فتقبل ولهم اللعنة الابعاد من الله ولهم
سوء الدار سوء عاقبة الدار ۝ ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل
الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى
والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون ان
الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا
والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ۝
ولما ذكر ما حل بآل فرعون واستطرد من ذلك الى ذكر شيء من احوال الكفار
في الآخرة عاد الى ذكر ما منح رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد آتينا موسى الهدى
تانيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم وتذكيرا لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى عليه السلام
والهدى يجوز ان تكون الدلائل التي اوردها على فرعون وقومه وان تكون النبوة
وان تكون التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب الظاهر انه التوراة توارثوها خلفا
عن سلف ويجوز ان يكون الكتاب اريد به ما انزل على بني اسرائيل من كتب انبيائهم
كالتوراة والزبور والانجيل هدى دلالة على الشيء المطلوب وذكرى لما كان منسيا
منسيا فذكر به تعالى في كتبه وانتصب هدى وذكرى على انهما مفعول له او على انهما
مصدران في موضع الحال ثم امر تعالى نبيه بالصبر فقال فاصبر ان وعد الله حق
من قوله انا لننصر رسلنا فلا بد من نصرك على اعدائك وقال الكلبي نسخ هذا باية
السيف واستغفر لذنبك قال ابن عطية يحتمل ان يكون قبل اعلام الله تعالى
اياه انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لان اية هذه السورة مكية واية سورة
الفتح مدنية متاخرة ويحتمل ان يكون الخطاب في هذه الاية له والمراد امته اذا
امر سبحانه بهذا فغيره احرى بامتثاله وقال ابو عبد الله الرازي محمول على التوبة
من ترك الافضل والاولى وقيل المقصود منه محض التعبد كما في قوله تعالى ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك فان ايتاء ذلك الشيء واجب ثم انه امرنا بطلبه

وقيل

وقيل لذنبك لذنب امتك في حقك قيل فاضاف المصدر للمفعول ثم امره بتنزيهه
تعالى في هذين الوقتين اللذين الناس مشتغلون فيهما بمصالحهم المهمة ويجوز
ان يكون المراد سائر الاوقات وعبر بالطرفين عن ذلك وقال ابن عباس يراد بذلك
الصلوات الخمس وقال قتادة صلوة الغداة وصلوة العصر وقال الحسن ركعتان
قبل ان تفرض الصلوة وعنه ايضا صلوة العصر وصلوة الصبح والظاهر ان المجادلة
في ايات الله وهي دلائله التي نصبها على توحيده وكتبه المنزلة وما اظهر على ايدي
انبيائه من الخوارق هم كفار قريش والعرب بغير سلطان اي حجة وبرهان ان في
صدورهم الا كبر اي تكبر وتعاظم وهو ارادة التقدم والرياسة وذلك هو الحامل
على جدالهم بالباطل ودفعهم ما يجب لك من تقدمك عليهم لما منحك من النبوة وكلفك
من اعباء الرسالة ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه من رياستهم وتقدمهم
وفي ذلك اشارة الى انهم لا يرأسون ولا يحصل لهم ما يؤملون وقال الزجاج
المعنى ما يحملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر عليك وما هم ببالغي مقتضى
ذلك الكبر لان الله اذلهم وقال ابن عطية تقديره ببالغي ارادتهم فيه وقال
مقاتل هي في اليهود قال مقاتل عظمت اليهود الدجال وقالوا ان صاحبنا يبعث
في اخر الزمان وله سلطان فقال تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله لان
الجدال لاجل الدجال من اياته بغير سلطان اي حجة فاستعذ بالله من فتنة
الدجال والمراد لخلق الناس الدجال والى هذا ذهب ابو العالية والقول الاصح
وقال الزمخشري وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا
المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
وهو اية من ايات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا
متمناهم انتهى وكان رئيس اليهود في زمانه في مصر موسى بن ميمون الاندلسي القرطبي
قد كتب رسالة الى يهود اليمن ان صاحبهم يظهر في سنة كذا في خمسمائة وكذب
عدو الله جاءت تلك السنة وسنون بعدها كثيرة ولم يظهر شيء حماقا له لعنه الله
وكان هذا اليهودي قد اظهر الاسلام حتى استسلم اليهود لبعض ملوك المغرب ورحل
من الاندلس فيذكر انه صلى بالناس التراويح وهم على ظهر السفينة في رمضان اذ كان
يحفظ القرآن فلما قدم مصر وكان ذلك في دولة العبيديين وهم لا يتقيدون
بشريعة رجع الى اليهودية واخبر انه كان مكرها على الاسلام فقبل منه ذلك وصنف
لهم تصانيف ومنها كتاب دلالة الحائرين وانما استفاد ما استفاد من
مخالطة علماء الاندلس وتلمذ لهم والرياسة الى الآن بمصر لليهودي من كان
من ذريته فاستعذ بالله اي التجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع لما تقول
ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم ثم نبه تعالى
على انه لا ينبغي ان يجادل في ايات الله ولا يتكبر الانسان بقوله لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس اي ان مخلوقاته اكبر واجل من خلق البشر فما لاحدهم
يجادل ويتكبر على خالقه وقال الزمخشري مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة
على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض

لانهم كانوا مقرين بان الله خالقهما وبانهما خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الكلام في معنى البعث والاعادة فاعلم تعالى ان الذي خلق السموات والارض قوي قادر على خلق الناس تارة اخرى فالخلق مصدر اضيف الى المفعول وقال النقاش المعنى مما يخلق الناس اذ هم في الحقيقة لا يملكون شيئا فالخلق مضاف للفاعل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم ونفي العلم عن الاكثر وتخصيصه يدل على ان القليل يعلم ولذلك ضرب مثلا للجاهل بالاعمى وللعالم بالبصير وانتفاء الاستواء بينهما من الجهة التي دل عليها العمى وعلى البصير والا فهما مستويان في غير ما شيء ولما بعد قسيم الذين امنوا بطول صلة الموصول كرر لا توكيدا وقدم والذين امنوا لمجاورته قوله والبصير ومما طرفا الحديثين ان يجاور المناسب المناسب كهذا والاخر ان يتقدم ما يقابل الاول ويؤخر ما يقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقد يتاخر المتماثلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع وكذلك تفنن في البلاغة واساليب الكلام ولما كان قد تقدم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فكان ذلك صفة ذم ناسب ان يبدا في ذكر التساوي بصفة الذم فبدا بالاعمى وقرأ قتادة وطلحة وابو عبد الرحمن وعيسى والكوفيون تتذكرون بتاء الخطاب والجمهور والاعرج والحسن وابو جعفر وشيبة بالياء على الغيبة ثم اخبر بما يدل على البعث من اتيان الساعة وانه لا ريب في وقوعها وهو يوم القيمة حيث الحساب وافتراق الجمع الى الجنة طائعهم والى النار كافرهم ومن اراد الله تعذيبه من العصاة بغير الكفر والظاهر حمل الدعاء والاستجابة على ظاهرهما الا ان الاستجابة مقيدة بمشية الله قال السدي اسألوني اعطكم وقال الضحاك اطيعوني اثبكم وقالت فرقة منهم مجاهد ادعوني اعبدوني واستجب لكم اثبكم على العبادة وكثيرا جاء الدعاء في القرآن بمعنى العبادة ويقوي هذا التأويل ان الذين يستكبرون عن عبادتي ومما روى النعمن بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الاية وقال ابن عباس وحدوني اغفر لكم وقيل للثوري ادع الله تعالى فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وقال الحسن وقد سئل عن هذه الاية اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن دعائي وقرأ جمهور السبعة والحسن وشيبة سيدخلون مبنيا للفاعل وزيد بن علي وابن كثير وابو جعفر مبنيا للمفعول واختلف عن عاصم وابي عمرو داخرين ذليلين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في سورة يونس ولذو فضل ابلغ من لمفضل او لمتفضل كما قال لذو علم لما علمناه لينفق ذو سعة من سعته والله ذو الفضل العظيم لما يؤدي اليه من كونه صاحبه ومتمكنا منه بخلاف ان يؤتى بالصفة فانه

قد يدل في غير الله بالانصاف به في وقت ما لا دائما وذكر عموم فضله وسبوغه على الناس ثم قال ولكن اكثر الناس فاتى به ظاهرا ولم يأت التركيب ولكن اكثرهم قال الزمخشري في مبدا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار انتهى ذلكم اي المخصوص بتلك الصفات التي تميز بها من استجابته لدعائكم ومن جعل الليل والنهار كما ذكر ومن تفضله عليكم الله ربكم الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وانشاء الاشياء والوحدانية فكيف يصرفون عن عبادة من هذه اوصافه الى عبادة الاوثان وقرأ زيد بن علي خالق بنصب القاف وطلحة في رواية يؤفكون بياء الغيبة والجمهور بضم القاف وتاء الخطاب قال الزمخشري خالق نصبا على الاختصاص كذلك اي مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب الجاحدين بايات الله من الامم عن طريق الهدى ولما ذكر تعالى ما امتن به من الليل والنهار ذكر ايضا ما امتن به من جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد والاعمش وابو رزين بكسرها فرارا من الضمة قبل الواو واستثقالا وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسرها شاذ وقالوا قوة وقوى بكسر القاف على الشذوذ ايضا قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في احسن تقويم وقرأت فرقة صوركم بضم الصاد واسكان الواو على نحو بسرة وبسر ورزقكم من الطيبات امتن عليهم بما يقوم باود صورهم والطيبات المستلذات طعما ولباسا ومكاسب وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وقال نحوه سعيد بن جبير ثم قرأ الاية ٥

قوله عز وجل قل اني نهيت

قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ط امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يخبرهم بانه نهي ان يعبد اصنامهم لما جاءته البينات من ربه فهذا نهي بالسمع وان كان منهيا بدلائل العقل فتظافرت ادلة السمع وادلة العقل على النهي عن عبادة الاوثان فمن ادلة السمع قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك وذكر انه نهي بالسمع لا يدل على انه كان منهيا بادلة العقل ولما نهي عن عبادة الاوثان اخبر انه امر بالاستسلام لله تعالى ثم بين امر الوحدانية والالوهية التي اصنامهم عارية عن شيء منهما بالاعتبار في تدريج ابن ادم بان ذكر مبداه الاول

وسوى من تراب ثم اشار الى التناسل بخلقه من نطفة والطفل اسم جنس او يكون المعنى
ثم يخرج كل واحد منكم طفلا وتقدم الكلام في بلوغ الاشد ومن قبل قال مجاهد
من قبل ان يكون شيخا قيل ويجوز ان يكون من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا وقيل
عبارة تتردد في التدريج المذكور ولا يختص بما قبل الشيخ بل منهم من يموت قبل ان يخرج
طفلا واخر قبل الاشد واخر قبل الشيخ ولتبلغوا متعلق بمحذوف اي يبقيكم لتبلغوا
اشدكم وكذا ثم لتكونوا شيوخا ولتبلغوا اي ويفعل ذلك لتبلغوا اي ليبلغ كل واحد
اجلا مسمى لا يتعداه قال مجاهد يعني موت الجميع وقيل يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من العبر والحجج اذا نظرتم في ذلك وتدبرتم ولما ذكر رتب الايجاد ذكر انه المتصف
بالاحياء والاماتة وانه متى تعلقت ارادته بايجاد شيء اوجده من غير تاخر وتقدم
الكلام على مثل هذه الجمل ثم قال بعد ظهور هذه الايات الا تعجب الى المجادلين في ايات الله
كيف يصرف عن الحق الى دفعها وبصيرا الى الايمان بها والظاهر انها في الكفار المجادلين
في رسالة الرسول عليه السلام والكتاب الذي جاء به بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا ثم هددهم بقوله فسوف يعلمون وهذا قول الجمهور وقال محمد
ابن سيرين وغيره هي اشارة الى اهل الاهواء من الامة وروا ان هذه احديثا وقالوا
هي في اهل القدر ومن جرى مجراهم ويلزم قائل هذه المقالة ان يجعل قوله الذين كذبوا
كلاما مستانفا في الكفار ويكون الذين كذبوا مبتدأ وخبره فسوف يعلمون واما على
الظاهر فالذين بدل من الذين او خبر مبتدأ محذوف او منصوبا على الذم واذ ظرف لما
مضى فلا يعمل فيه المستقبل كما لا تقول سأقوم امس فقيل اذا بمعنى موقع اذ واذ موقع
على سبيل المجاز فيكون اذ هنا بمعنى اذا وحسن ذلك تيقن وقوع الامر فاخرج في
صيغة الماضي وان كان المعنى على الاستقبال قال الحوفي لو ان غلاما من اغلال جهنم
وضع على جبل لادحضه حتى يبلغ الى الماء الاسود **وقرأ** والسلاسل عطفا على الاغلال
يسحبون مبنيا للمفعول **وقرأ** ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب
والمستيعي في اختياره والسلاسل بالنصب على المفعول يسحبون مبنيا للفاعل
وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية وقرأت فرقة منهم ابن عباس والسلاسل
بجر اللام قال ابن عطية على تقدير اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فعطف على
المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد قول العرب
ادخلت القلنسوة في راسي وفي مصحف ابي وفي السلاسل يسحبون وقال
الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذا اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال
في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله والسلاسل
على العبارة الاخرى ونظيره **قول الشاعر**

• مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها •

كانه قيل بمصلحين **وقرئ** وبالسلاسل انتهى وهذا يسمى العطف على التوهم
ولكن توهم ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير تركيب الجملة باسرها والقراءة
من تغيير تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك **قول الشاعر**

• احدك لن ترى بثعيلبات ولا بيداء ناجية ذمولا •

ولا

• ولا متدارك والليل طفل ببعض نواشغ الوادي حمولا •

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قاله ابن عطية والزمخشري سبقهما
اليه الفراء قال الفراء من جر السلاسل حمله على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال
والسلاسل وقال الزجاج ومن قرأ بخفض والسلاسل فالمعنى عنده وفي السلاسل
يسحبون وقال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جائز لو قلت زيد في الدار
لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفراء وخرج القراءة عليه ثم قال
كما تقول خاصم عبد الله زيدا العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان احدهما
اذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الاخر انتهى وهذه المسئلة لا تجوز عند البصريين
وهي منقول جوازها عن محمد بن سعدان الكوفي قال لان كل واحد منهما فاعل مفعول
وقرئ وبالسلاسل يسحبون ولعل هذه القراءة حملت الزجاج على ان تاول
الخفض على اضمار حرف الجر وهو تاويل شذوذ وقال ابن عباس في قراءة من نصب
والسلاسل وفتح ما يسحبون اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم يكلفون ذلك
وهم لا يطيقون وقال مجاهد يسجرون يطرحون فيها فيكونون وقودا لها وقال
السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يوقفون يوم القيمة على جهة التوبيخ
والتقريع فيقال لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا فيقولون ضلوا عنا
اي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ثم تضطرب اقوالهم وتفزعون الى الكذب فيقولون
بل لم نكن نعبد شيئا وهذا من اشد الاختلاط في الذهن والنظر والمتبين لهم انهم لم
يكونوا شيئا وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو
ليس بشيء اذا اختبرته فلم تر عنده خيرا وقولهم ضلوا عنا مع قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم يحتمل ان يكون ذلك عند تقريعهم فلم يكونوا معهم اذ ذاك
او لما لم ينفعوهم قالوا ضلوا عنا وان كانوا معهم كذلك اي مثل هذه الصفة وبهذا
الترتيب يضل الله الكافرين وقال الزمخشري اي مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم
عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان وقال ابن عطية
ذلكم العذاب الذي انتم فيه بما كنتم تفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر انتهى وتفرحون
قال ابن عباس الفخر والخيلاء وقال مجاهد الاشر والبطر انتهى فقال لهم
ذلك توبيخا اي انما لكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي
وكثرة المال والاتباع والصحة وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان
وفي الحديث ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون
وتمرحون من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع وهو ان يكون الحرف
فرقا بين الكلمتين ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها الظاهر انه قيل لهم ادخلوا
بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا في النار ولكن هذا امر تقييد بالخلود وهو
الثواء الذي لا ينقطع فليس امرا بمطلق الدخول او بعد الدخول فيها امروا ان
يدخلوا سبعة الابواب التي لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك
امرا بالدخول بعد التجزئة لكل باب وقال ابن عطية وقوله تعالى ادخلوا معناه

بما لهم قبل هذه المحاورة في اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هي بعد
دخولهم وفي الوقت الذي فيه الاغلال في اعناقهم وابواب جهنم هي السبعة
المؤدية الى طبقاتها وادراكها السبعة انتهى وخالدين حال مقدرة ودلت
على الثوآء الدآئم فجآء التركيب فبئس مثوى المتكبرين ولم يجئ التركيب فبئس
مدخل المتكبرين لان نفس الدخول لا يدوم فلم يبالغ في ذمه بخلاف الثوآء الدآئم
الذي لا ينقطع فانه بولغ في ذمه ۝ فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا
باذن الله فاذا جآء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله
تنكرون افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جآءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ۝ امر
تعالى نبيه بالصبر تانيسا له وان كان هو عليه السلام في غاية الصبر واخبر بان ما
وعده من النصر والظفر واعلاء كلمته واظهار دينه حق قيل وجواب فاما نرينك
محذوف لدلالة المعنى عليه اي فتقر عينك ولا يصح ان يكون فالينا يرجعون جوابا
للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الموعود في حياتك فالينا
يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله فاما نذهبن
بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه
هنا صرح بجواب الشرطين وقال الزمخشري فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك
وجزآء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل
يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم
اشد الانتقام وقد تقدم للزمخشري نحو هذا البحث في سورة يونس في قوله واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ورددنا عليه فيطالع هنالك وقال
الزمخشري ايضا فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك انتهى وما ذهب
اليه من تلازم ما الزايدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية هو مذهب المبرد والزجاج
وذهب س الى انك ان شئت اتيت بما دون النون وان شئت اتيت بالنون
دونها قال س في هذه المسالة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان جئت
لم تجئ بما يعني لم تقحم النون مع مجيئك بما ولم تجئ بما مع مجيئك بالنون وقرا الجمهور
يرجعون بياء الغيبة مبنيا للمفعول وابو عبد الرحمن ويعقوب بفتح اليا وطلحة
ابن مصرف ويعقوب في رواية الوليد بن حسان بفتح تاء الخطاب ثم رد تعالى على العرب

في انكارهم

في انكارهم بعثة الرسل وفي عدد الرسل اختلاف روي ثمانية الاف من بني اسرايل واربعة
الاف من غيرهم وروي بعث الله اربعة الاف نبي منهم من قصصنا عليك اي من اخبرناك
به اما في القران فثمانية عشر ومنهم من لم نقصص عليك وعن علي وابن عباس ان الله
بعث نبيا اسود في الحبش فهو ممن لم يقصص عليه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن
اي ليس ذلك راجعا اليهم لما اقترحوا على الرسل قال ليس ذلك الي لا اتي باية الا
ان شاء الله فاذا جآء امر الله رد ووعيد باثر اقتراحهم الايات وامر الله القيامة
والمبطلون المعاندون مقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها
سحرا او فاذا جآء امر الله اي اراد ارسال رسول وبعثة نبي قضي ذلك وانفذه
بالحق وخسر كل مبطل وحصل على فساد اخرته او فاذا جآء امر الله وهو القتل ببدر
ثم ذكر تعالى ايات اعتبار وتعداد نعم فقال الله الذي جعل لكم الانعام وهي
ثمانية الازواج ويضعف قول من ادرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك
مما ينتفع به من البهايم وقول من خصها بالابل وهو الزجاج لتركبوا منها وهي الابل
اذ لم يعهد ركوب غيرها ومنها تاكلون عام في ثمانية الازواج ومن الاولى
للتبعيض وقال ابن عطية ومن الثانية لبيان الجنس لان الجمل منها يوكل انتهى
ولا يظهر كونها لبيان الجنس ويجوز ان تكون فيه للتبعيض ولابتداء الغاية ولما
كان المركوب منها هو اعظم منفعة اذ فيه منفعة الاكل والركوب وذكر ايضا ان في
الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك اكد منفعة الركوب بقوله ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم من بلوغ الاسفار الطويلة وحمل الاثقال الى البلاد الشاسعة
وقضاء فريضة الحج والغزو وما اشبه ذلك من المنافع الدينية والدنياوية
ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتب عليه قد يتوصل به الى الانتقال
لامر واجب او مندوب كالحج وطلب العلم دخل حرف التعليل على الركوب وعلى
المترتب عليه من بلوغ الحاجات فجعل ذلك علة لجعل الانعام لنا ولما كان الاكل
واصابة المنافع من جنس المباحات لم يجعل ذلك علة في الجعل بل ذكر ان منها ناكل
ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك كما ادخل لام التعليل في
لتركبوها ولم يدخلها على الزينة في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ولما ذكر ما امتن به من منة الركوب للابل في البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب
في البحر فقال وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كان الفلك يصح ان يقال فيه
حمل في الفلك كقوله فاحمل فيها ويصح ان يقال فيه حمل على الفلك اختير لفظ
على لمناسبة قوله وعليها وان كان معنى في صحيحا ويريكم اياته اي حججه وادلته
على وحدانيته فاي ايات الله تنكرون اي انها كثيرة فايها ينكر اي لا يمكن
انكار شئ منها في العقول واي ايات الله منصوب بتنكرون قال الزمخشري
فاي ايات جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان
التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب
وهي في اي اغرب لابهامه انتهى ومن قلة تانيث اي قوله ۝
۞ باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب ۝

قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله

ليس بظاهر ويصح ان يكون جواب او نتوفينك فالينا يرجعون صح صح

الله

وقوله وهي في اي اعرب ان عني ابا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في النداء ان
يونث نداء المونث لقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ولا نعلم ذكر يذكرها فيه فيقول
يا ايها المراة الا صاحب كتاب البديع في النحو واعني غير المناداة فكلامه صحيح فقل
تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية وما في قوله فما اغنى نافية او استفهامية
في معنى النفي وما فيما كانوا مصدرية او بمعنى الذي وهي في موضع رفع والضمير في جاءتهم
عايد على الذين من قبلهم وجاء قوله من العلم على جهة التهكم بهم اي في الحقيقة لا علم
لهم وانما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به الرسل وكانوا يدفعون ما جاءت
به الرسل بنحو قولهم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا او اعتقدوا
ان عندهم علما يستغنون به عن علم الانبياء كما تزعم الفلاسفة والدهريون كانوا اذا
سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم ولما سمع سقراط لعنه الله بموسى
صلوات الله على نبينا وعليه قيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون
فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وعلى هذين القولين تكون الضماير متناسبة عايدة على
مدلول واحد وقيل الضمير في فرحوا وفي بما عندهم عايد على الرسل اي فرحت الرسل بما اوتوا
من العلم وشكروا الله عليه لما راوا اجهل من ارسلوا اليهم واستهزائهم بالحق وعلموا سوء
عاقبتهم وقيل الضمير في فرحوا عايد على الامم وفي بما عندهم عايد على الرسل اي فرح
الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء وقال الزمخشري ومنها اي من الوجوه
التي في الاية في قوله فرحوا بما عندهم من العلم ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم
مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم
من العلم انتهى ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مبنية عن الجملة المبنية الا في قليل
من الكلام نحو قولهم شر اهر ذا ناب على خلاف فيه ولما آل الامر الى الاثبات المحصور جاز
واما في الاية فينبغي ان لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة
فلا يوثق بشي منها وقال الزمخشري ويجوز ان يريد فرحوا بما عندهم من العلم علمهم
بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات
وهي ابعد شي من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا
اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا
به انتهى وهو توجيه حسن لكن فيه اكثار وشقشقة باسنا اي عذابنا الشديد حكى
حال من آمن بعد تلبس العذاب به وان ذلك لم يك نافعا وفي ذلك حض على المبادرة
الى الايمان وتخويف من التاني فاما قوم يونس فانهم راوا العذاب لم يلتبس بهم وتقدمت
قصتهم وايمانهم مرفوع بيك اسما لها او فاعلا بينفعهم وفي يك ضمير الشان على
الخلاف الذي في كان يقوم زيد ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع لانه يودي
الى نفي الصحة اي لم يصح ولم يستقم لقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد وترادف هذه الفاآت
اما في فما اغنى فلانه كان نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم جار مجرى
البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم وفلما راوا باسنا امنوا وفلم يك ينفعهم ايمانهم
تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا به فلما راوا باسنا امنوا وفلم يك ينفعهم ايمانهم

نافع لايمانهم لما راوا باس الله وانتصب سنة على انه مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة
اي ان ما فعل بهم هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده من ارسال الرسل والاعذار
بهم وتعذيب من كذبهم واستيصالهم بالهلاك وعدم الانتفاع بالايمان حالة تلبس العذاب
بهم وهنالك ظرف مكان استعير للزمان اي وخسر في ذلك الوقت الكافرون وقيل
سنة منصوب على التحذير اي احذروا سنة الله يا اهل مكة في اعداء الرسل **الصرصر**
الريح الباردة المحرقة كما تحرق النار قاله الفراء والزجاج وباقي اقوال المفسرين فيه

المفردات

النحس المشوم نقيض السعد **قال الشاعر**

سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقي ام باسعد

وانشد الفراء ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

التقييض تهيئة الشي وتيسيره وهذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافيين في الثمن
وقايضني بهذا الثوب اي خذه واعطني به بدله والمقايضة المعارضة **الاكمام** واحدها
كم قاله الزمخشري بكسر الكاف وقال المبرد موضعا يغطي الثمرة كجف الطلعة ومن
من قال في الجمع اكمة فالواحد كمام **الافاق** النواحي واحدها افق

قال الشاعر

لو نال حي من الدنيا بمنزلة افق السماء لنالت كفه الافقا

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم ● حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل اينكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ✿ هذه السورة مكية بلا
خلاف ومناسبتها لما قبلها انه قال في اخر ما قبلها افلم يسيروا في الارض الى
اخرها فتضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش فاتبع ذلك التقريع والتوبيخ
والتهديد بتوبيخ اخر فذكر انه نزل كتابا مفصلا اياته بشيرا لمن اتبعه ونذيرا
لمن اعرض عنه وان اكثر قريش اعرضوا عنه ثم ذكر قدرة الاله على ايجاد العالم
العلوي والسفلي ثم قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة [illegible]
فكان هذا كله مناسبا لاخر سورة المومن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس
بهم العذاب وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والاسر والنهب والسبي
واستيصال اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استيصالهم

روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم عليه امر مخالفته لقومه وليقبح عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جاء به فلما تكلم عتبة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم حم ومر في صدرها حتى انتهى الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ ووقف شعره وامسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وناشده بالرحم ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيئا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت ان صاعقة العذاب على راسي تنزيل رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل عند الفراء ومبتدا خبره كتاب فصلت عند الزجاج والحوفي وخرجه اذا كانت اسما للسورة وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل قيل او خبر بعد خبر فصلت اياته قال السدي بينت اياته اي فرقت معانيه ففصل بين حلامه وحلاله وزجره وامره ووعده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل اي لم ينزل جملة واحدة وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب وقال ابن زيد بين محمد صلى الله عليه وسلم ومن خالفه وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الاي ولم يكن يرجع الى قافية ولا نحوها كالشعر والسجع وقال ابو عبد الله الرازي ميزت اياته وجعل تفاصيل معان مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب احوال خلقه السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في احوال التكاليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات اهل الجنة ودركات اهل النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القران انتهى **وقري** فصلت بفتح الفاء والصاد مخففة اي فرقت بين الحق والباطل وفصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قوله فصلت العير اي انفصلت وفصل من البلد اي انفصل منه وانتصب قرانا على انه حال بنفسه وهي مؤكدة لانها تنتقل وتوطئة للحال بعده وهي عربيا او على المصدر اي نقروه قرانا او على الاختصاص والمدح ومن جعله حالا فقيل ذو الحال اياته وقيل كتاب لانه وصف بقوله فصلت اياته او على اضمار فعل تقديره فصلناه قرانا او مفعول ثان لفصلت اقوال ستة اخرها للاخفش ولقوم متعلق بفصلت اي يعلمون الاشياء ويعقلون الدلايل فكانه فصل لهؤلاء اذ هم ينتفعون به فخصوا بالذكر تشريفا ومن لم ينتفع بالتفصيل فكانه لم يفصل له ويبعد ان يتعلق بتنزيل لكونه وصف في احد متعلقه ان كان من الرحمن في موضع الصفة او ابدل منه كتاب او كان خبرا لتنزيل فيكون في ذلك البدل من الموصول والاخبار عنه قبل اخذ متعلقه وهو لا يجوز وقيل لقوم في موضع الصفة لقوله عربيا اي كاينا لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون انه لم يخرج عن نمط كلامهم وكانه رد على من زعم ان في القران ما ليس من كلام العرب وانتصب بشيرا ونذيرا على النعت لقرانا عربيا وقيل حال من اياته **وقرا** زيد بن علي بشير ونذير رفعهما على الصفة لكتاب

او على

او على خبر مبتدا محذوف وبشارته بالجنة لمن امن ونذارته بالنار لمن كفر فاعرض اكثرهم اي اكثر اوليك القوم اي كانوا من اهل العلم ولكن لم ينظروا النظر التام بل اعرضوا فهم لا يسمعون لاعراضهم عما احتوى عليه من الحجج والبراهين او لما لم ينتفع به ولم يقبله جعل كانه لم يسمعه ثم اخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على امتناع فهمهم وانتفاء رجوعهم اليه ومن سماعهم لما يلوح وهو قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وتقدم الكلام على شبه ذلك في الانعام **وقرا** طلحة وقر بكسر الواو وهذه تمثيلات لامتناع قبول الحق كان قلوبهم في غلف كما قالوا وقالوا قلوبنا غلف وكان في اسماعهم كلام الله به صمم والحجاب الستر المانع من الاجابة وهو خلاف في الدين لانه يعبد الله وهم يعبدون الاصنام قال معناه الفراء وغيره ويروى ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه وقيل تمثيل لعدم الاجابة وقيل عبارة عن العداوة ومن في مما تدعونا اليه لابتداء الغاية وكذا في ومن بيننا فالمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو لم يات بمن لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جي بمن وقال الزمخشري **فان قلت** هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني انتهى ونقول ان في ابلغ في هذا الموضع من على لانهم قصدوا افراط عدم القبول لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف فلا يمكن ان يصل اليها شي كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعاء واما في قوله انا جعلنا فهو من اخبار الله تعالى لا يحتاج الى المبالغة بخلاف قولهم وقول الزمخشري وترى المطابيع منهم يعني من العرب وشعرايهم ولذلك تحامل الناس في شعر حبيب ولم ينقص بعضهم كثرة صيغة البديع فيه فالوا واحسنه ما جاء من غير تكلف فاعمل اننا عاملون قال الكلبي في هلاك كتا انا فاعلون في هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا عاملون لالهتنا التي نعبدها وقال الفرا اعمل على مقتضى دينك ونحن نعمل على مقتضى ديننا وذكر الماوردي اعمل لاخرتك فانا نعمل لدنيانا ولما كان القلب محل المعرفة والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا ان هذه الثلاثة محجوبة عن ان يصل اليها ما يلقيه الرسول شي واحتمل قولهم فاعمل اننا عاملون اي تكون متاركة محضة وان يكون استخفافا قل انما يوحى الى قرا الجمهور قل على الامر وابن وثاب والاعمش قال فعلا ماضيا وهذا صدع بالتوحيد والرسالة **وقرا** النخعي والاعمش يوحى بكسر الحاء والجمهور بفتحها

خ
الذي

واخبر انه بشر مثلكم لا ملك لكنه اوحي اليه دونهم وقال الحسن علمه تعالى
التواضع وان في ما اوحي اليه توحيد الله ورفض الهتكم فاستقيموا اليه اي له بالتوحيد
الذي هو راس الدين والعمل واستغفروه واسألوه المغفرة اذ هي راس العمل الذي
بحصوله تزول التبعات وضمن استقيموا معنى التوجه فلذلك تعدى بالى اي وجهوا
استقامتكم اليه ولما كان العقل ناطقا بان السعادة مربوطة بامرين التعظيم لله
والشفقة على خلقه ذكر الويل والثبور والحزن للمشركين الذين لم يعظموا الله بتوحيده
ونفي الشريك عنه ولم يشفقوا على خلقه بايصال الخير اليهم واضافوا الى ذلك انكار
البعث والظاهر ان الزكوة على ظاهرها من زكوة الاموال قاله ابن السائب قال
كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون وقاله الحسن وقتادة وقيل كانت قريش تطعم
الحاج وتحرم من آمن منهم وقال الحسن وقتادة ايضا المعنى لا يؤمنون بالزكوة
ولا يقرون بها وقال مجاهد والربيع لا يزكون اعمالهم وقال ابن عباس والجمهور
الزكوة هنا لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى عليه السلام لفرعون هل لك
الى ان تزكى ويرجح هذا التاويل ان الاية من اول المكي وزكاة المال انما نزلت بالمدينة
قاله ابن عطية وقال وانما هذه زكوة القلب والبدن اي تطهيره من الشرك والمعاصي
وقاله مجاهد والربيع وقال الضحاك ومقاتل الزكوة هنا النفقة في الطاعة
انتهى واذا كانت الزكوة المراد بها اخراج المال فانما قرن بالكفر لكونه شاقة
باخراج المال الذي هو محبوب الطباع وشقيق الارواح حثا عليها ٥

وقال بعض الادباء ٥

وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ به ... فاجبت المال خير من الروح
اري حفظه يقضي بتحسين حالتي ... وتضييعه يفضي لتسآل المقبوح

ان الذين آمنوا قال السدي نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن اكمال الطاعات
كتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون والممنون المنقوص قاله ابن عباس رضي الله عنه

وقال ذو الاصبع العدواني ٥

اني لعمرك ما بابي بذي غلق ... على الصديق ولا خيري بممنون ٥

وقال مجاهد غير محسوب وقيل غير مقطوع **قال الشاعر ٥**

فضل الجواد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

وقيل لا يمن به لان اعطيات الله تشريف والمن انما يدخل اعطيات البشر وقيل لا يمن
به لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه نقله الزمخشري وفيه دسيسة الاعتزال
قل اينكم لتكفرون استفهام توبيخ وتشنيع عليهم بكفر من اوجد العالم سفليه وعلويه
ووصف صورة خلق ذلك ومدته والحكمة في الخلق في مدة وهو قادر على ان يوجد ذلك
دفعة واحدة فذكر تعالى ايجاد ذلك مرتبا وتقدم الكلام في اول ما ابتدي فيه
الخلق وما خلق مرتبا ومعنى في يومين في مقدار يومين وتجعلون له اندادا
اي اشباها وامثالا من الملائكة والجن والاصنام تعبدونهم دونه وقال السدي
اكفاء من الرجال تطيعونهم وتجعلون معطوف على لتكفرون فهو داخل في حيز الاستفهام
المقتضي للانكار والتوبيخ ذلك اي موجد الارض ومخترعها رب العالمين من الانداد التي

جعلتم له وعبدتموهم وجعل فيها رواسي اخبار مستانف وليس من الصلة في شيء بل هو معطوف
على قوله لتكفرون وبارك فيها اكثر فيها خيرها وقدر فيها اقواتها اي ارزاق
ساكنيها ومعايشهم واضافها الى الارض من حيث هي فيها وعنها برزت قاله السدي
وقال قتادة اقواتها من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن
والاشياء التي بها قوام الارض ومصالحها وقال مجاهد اقواتها من المطر والمياه
وقال عكرمة والضحاك ومجاهد ايضا خصائصها التي قسمها في البلاد مما خص به
كل اقليم فيحتاج بعضها الى بعض في التقوت من الملابس والمطاعم والنبات في اربعة
ايام اي في تمام اربعة ايام باليومين المتقدمين قاله الزمخشري في اربعة ايام
فذلكة لمدة خلق الله وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة
ولا نقصان وقال الزجاج في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين انتهى
وهذا كما تقول بنيت جدار بيتي في يوم واكملت جميعه في يومين اي بالاول وقال
ابو عبد الله الرازي ويقضه من كلام الزمخشري في اربعة ايام فائدة زائدة على قوله
في يومين لان في قوله في يومين لا يقتضي الاستغراق لذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض
وخلق هذه الاشياء ثم قال في اربعة ايام سواء دل على ان هذه الايام مستغرقة في تلك
الاعمال من غير زيادة ونقصان انتهى ولا فرق بين يومين واربعة ايام بالنسبة
الى الاستغراق فان كانت اربعة تقتضي الاستغراق وكذلك اليومان تقتضيانه
ومتى كان الظرف معدودا كان العمل في جميعه اما على سبيل التعميم نحو سرت يومين
او التقسيط نحو اذنت يومين وقد يكون بينهما في بعض كل يوم من يومين في بعض كل يوم منهما
نحو تهجدت ليلتين فاحتمل الاستغراق واحتمل الساعة في بعض كل واحدة من الليلتين
واذا كان كذلك احتمل ان يكون وقع الخلق للارض في بعض كل واحد من اليومين
واحتمل ان يكون اليومان مستغرقين لخلقها وكذلك في اربعة ايام يحتمل الاستغراق
وان يكون خلق الارض والجبال والبركة وتقدير الاقوات وقع في بعض كل يوم من الاربعة
فما قاله ابو عبد الله الرازي لم تظهر به فائدة زائدة **وقرأ** الجمهور سواء بالنصب
على الحال وابو جعفر بالرفع اي هي سواء وزيد بن علي والحسن وابن ابي اسحق وعمرو بن عبيد
وعيسى ويعقوب بالخفض نعتا لاربعة ايام قال قتادة والسدي معناه سواء
لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته ووقوعه واراد العبرة منه فانه يجده كما قال
تعالى وقال ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيأ امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين
اليها من البشر فعبر بالسائلين عن الطالبين لانهم من شانهم ولا بد طلب ما ينتفعون
به اذ هم بحال الحاجة اليها وقال الزمخشري **فان قلت** بم تعلق قوله للسائلين
قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها
او بقدر اي وقدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين انتهى
وهو راجع لقول المفسرين المتقدمين ولما شرح تخليق الارض وما فيها اتبعه بتخليق
السماء فقال ثم استوى الى السماء اي قصد اليها وتوجه دون ارادة تاثير في غيرها
والمعنى الى خلق السماء والظاهر ان المادة التي خلقت منها السماء كانت دخانا وفي
اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة ان عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق

السموات والارض فاحدث الله في ذلك سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقي
على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا
فخلق الله منه السموات وفيه ايضا انه خلق السماء من اجزاء مظلمة انتهى وروي انها
كانت جسما رخوا كالدخان او البخار قال ابن عطية هنا لفظ متروك يدل عليه الظاهر
وتقديره فاوجدهما واتقنهما واكمل امورهما وحينئذ قال لها وللارض ايتيا انتهى
فجعل ابن عطية هذه المحاورة بين الباري تعالى والارض والسماء فقد خلق الارض
والسماء ودرج قول من ذهب الى انهما نطقتا نطقا حقيقيا وجعل الله لهما حيوة وادراكا
يقتضي نطقهما بعد ان ذكر ان من المفسرين من ذهب الى ان ذلك مجاز وانه ظهر منهما من اختيار
الطاعة والتذلل والخضوع ما هو بمنزلة القول قال والقول الاول احسن لانه
لا شيء يدفعه وان العبرة فيه اتم والقدرة فيه اظهر انتهى وقال الزمخشري ومعنى
امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما
ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز
الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء
والارض وقال لهما ايتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع
لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من
الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل
من يدقني فلم يتركني وراءي الحجر الذي وراءي **فان قلت** لم ذكر السماء مع الارض
وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت** قد
خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض
بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي
يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان
الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات
كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون
الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وينصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا
من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا
وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا **فان قلت** ما معنى طوعا او كرها
قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال
كما تقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين **فان قلت** هلا قيل طائعتين
على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون **قلت** لما جعلن
مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات
نحو قوله ساجدين انتهى **وقراءة** الجمهور ائتيا واتينا من الاتيان اي ائتيا امري
وارادتي **وقرأ** ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا على وزن افعلا قالتا آتينا
على وزن افعلنا من آتى يؤتي كذا قال ابن عطية قال وذلك بمعنى اعطتنا من
انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرها وما قدره الله

من اعمالها انتهى وتقدم في كلام الزمخشري انه جعل هذه القراءة من المواتاة وهي
الموافقة فيكون وزن آتيا فاعلا وآتينا فاعلنا وتقدمه الى ذلك ابو الفضل
الرازي قال آتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة ومعناه سارعنا على حذف المفعول
منه ولا يجوز ان يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوله انتهى **وقراءة**
الاعمش او كرها بضم الكاف والاصح انه لغة في الاكراه على الشيء الموقع التخيير بينه
وبين الطوعية والاكثر ان الكره بالضم معناه المشقة قال ابن عطية وقوله قالتا
اراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين ارضا وهذا نحو **قول
الشاعر** الم يحزنك ان حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا ٥
وعبر عنهما بتباينتا انتهى وهذا ليس كما ذكر لانه لما تقدم ذكر الارض مفردة
والسماء مفردة حسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت موهم وضع الجمع موضع
التثنية كانه قال الم يحزنك ان حبلي قومي وقومك ولذلك ثنى في قوله تباينتا
وانث على معنى الحبل لانه لا يريد به الحبل حقيقة انما عنى به الذمة والمودة
التي كانت بين قومه وقومها والظاهر من هذه الآية انه خلق الارض وجعل فيها الرواسي
وبارك فيها ثم اوجد السماء من الدخان فسواها سبع سموات فيكون خلق الارض متقدما
على خلق السماء ودحو الارض عن خلقها وقد تاخر عن خلق السماء وقد اورد على هذا
ان جعل الرواسي فيها والبركة وتقدير الاقوات لا يمكن ادخالها في الوجود الا
بعد ان صارت الارض موجودة وقوله وبارك فيها وقدر فيها اقواتها مفسر بخلق
الاشجار والنبات والحيوان فيها ولا يمكن ذلك الا بعد صيرورتها منبسطة ثم
قال بعده ثم استوى الى السماء فاقتضى خلق السماء بعد خلق الارض ودحوها
واورد ايضا ان قوله تعالى للسماء والارض ايتيا طوعا او كرها كناية عن ايجادهما
فلو سبق ايجاد الارض على ايجاد السماء لاقتضى ايجاد الموجود بامره للارض
بالايجاد وهو محال وقد انتهى هذا الايراد ونقل الواحدي في البسيط عن
مقاتل انه قال خلق الله السماء قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الى السماء
ثم كان قد استوى الى السماء وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان
كما قال تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق انتهى وقال
ابو عبد الله الرازي تقدير ثم كان قد استوى جمع بين ضدين لان ثم تقتضي التاخر
وكان يقتضي التقدم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ضربت زيدا اليوم
ثم ضربت عمرا امس فكما ان هذا باطل فكذلك ما ذكره من تاويل ثم كان قد
استوى قال والمختار عندي ان يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض
وتاويل الآية ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد يدل عليه قوله ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال
لا يقال للشيء الذي وجد كن بل الخلق عبارة عن التقدير وهو في حقه تعالى
حكمه ان سيوجد وقضاؤه بذلك فمعنى خلق الارض في يومين وقضاؤه بانه
سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك في الحال فلا يلزم تقدير
احداث الارض على احداث السماء انتهى والذي نقوله ان الكفار وبخوا وقرعوا

بكفرهم بمن صدرت عنه هذه الاشيا جميعها من غير ترتيب زماني وان ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الزمان والمهلة كانه قال فالذي اخبركم انه خلق الارض وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم اخبركم انه استوى الى السما فلا تعرض في الاية لترتيب اي ذلك وقع الترتيب الزماني له ولما كان خلق السماء ابدع في القدرة من خلق الارض استوقف الاخبار فيه بثم فصار كقوله ثم كان من الذين امنوا بعد قوله فلا اقتحم العقبة ومن ترتيب الاخبار ثم اتينا موسى الكتاب بعد قوله قل تعالوا اتل ويكون قوله تعالى فقال لها وللارض بعد اخباره بما اخبر به تصويرا لخلقه لهما على وفق ارادته تعالى لقولك رايت الذي اثنيت عليه فقلت له انك عالم صالح فهذا تصوير لما اثنيت به وتفسير له فكذلك اخبر بانه خلق كيت وكيت فاوجد ذلك ايجادا لم يتخلف عن ارادته ويدل على ان المقصود الاخبار بوقوع هذه الاشيا من غير ترتيب زماني قوله في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية ثم قال بعد وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا الاية فظاهر هذا رفع السموات ثم مد الارض وجعل الرواسي وظاهر الاية التي نحن فيها جعل الرواسي وتقدير الاقوات قبل الاستواء الى السماء وخلقها ولكن المقصود في الايتين الاخبار بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زماني وما جاء من ذلك مقصورا على يومين او اربعة او ستة انما المعنى في مقدار ذلك عندكم لانه كان وقت ايجاد ذلك زمان فقضاهن سبع سموات اي صنعهن واوجدهن كقول ابي ذويب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع

وعلى هذا انتصب سبع على الحال وقال الحوفي مفعول ثان كانه ضمن قضاهن معنى صيرهن فعداه الى مفعولين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز ويعني بقوله مبهما ليس عايدا على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف الحال والمفعول الثاني فانه عايد على السماء على المعنى واوحى في كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة واوحى الى سكانها وعمرتها من الملايكة واليها هي في نفسها ما شا تعالى من الامور التي بها قوامها وصلاحها وقال السدي وقتادة ومن الامور التي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها واضاف الامر اليها من حيث هو فيها وقال الزمخشري امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملايكة والنيرات وغير ذلك وحفظا اي وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا انتهى ولا حاجة الى هذا التقدير الثاني وتكلفه مع ظهور الاول وسهولته ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجده بقدرته وعزه وعلمه ٥ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى

نفـ

قوله عز وجل فان اعرضوا

وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون ٥ فان اعرضوا التفات خرج من ضمير الخطاب في قوله قل اينكم لتكفرون الى ضمير الغيبة اعراضا عن خطابهم اذ كانوا قد ذكروا بما يقتضي اقبالهم وايمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة فقل انذرتكم اي اعلمتكم صاعقة اي حلول صاعقة قال قتادة عذابا مثل عذاب عاد وثمود وقال الزمخشري عذابا شديدا لوقع كانه صاعقة وقرا الجمهور صاعقة مثل صاعقة وابن الزبير والسلمي والنخعي وابن محيصن بغير الف فيهما وسكون العين وتقدم تفسيرها في اوايل البقرة والصعقة المرة يقال صعقته الصاعقة فصعق وهو من باب فعلته ففعل يفتح العين فيفعل بكسرها نحو جذعته فجذع واذ معمول لصاعقة لان معناها العذاب من بين ايديهم ومن خلفهم قال ابن عباس اي قبلهم وبعدهم اي قبل هود وصالح وبعدهما وقيل من رسل الى ابايهم ومن رسل اليهم فيكون من بين ايديهم معناه من قبلهم ومن خلفهم معناه الرسل الذين بحضرتهم فالضمير في من خلفهم عايد على الرسل قاله الضحاك وتبعه الفرا وسياتي عن الطبري نحو من هذا القول وقال ابن عطية من بين ايديهم اي تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم الى اعمار عاد وثمود وبهذا الاتصال قامت الحجة ومن خلفهم اي جاهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجا من مجموع العبارة اقامت الحجة عليهم في ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة انتهى وهو شرح كلام ابن عباس وقال الزمخشري من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم اي لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وعن الحسن انذروهم من وقايع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم انتهى وقال الطبري الضمير في قوله ومن خلفهم عايد على الرسل وفي من بين ايديهم عايد على الامم وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضماير وتعمية المعنى اذ يصير التقدير جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلف رسل اخرين فيكون كقولهم عندي درهم ونصفه وجاتهم من خلف الرسل اي من خلف انفسهم وهذا معنى لا يتعقل الا ان كان الضمير يعود في خلفهم على الرسل لفظا وهو يعود على رسل اخرين معنى فكانه قال جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلف رسل اخرين فيكون كقولهم عندي درهم ونصفه اي ونصف درهم اخر وهذا فيه بعد وخص بالذكر من الامم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش بحالهما ولوقوفهم على بلادهم في اليمن وفي الحجر وقال الافوه الاودي ٥

٥ اوبعد كعاد رجين تابعه على الغواية اقوام فقد بادوا ٥

ان لا تعبدوا يصح ان تكون ان تفسيرية لان مجي الرسل اليهم يتضمن معنى القول اي جاتهم مخاطبة وان تكون مخففة من الثقيلة اي بانه لا تعبدوا او الناصبة

عقة

للمضارع ووصلت بالنهي كما توصل بالأمر في نحو قوله أن طهرا وكتبت إليه بأن قم ولا في هذه الأوجه للنهي ويجوز على بعد أن تكون لا نافية وأن ناصبة للفعل وقاله الحوفي ولم يذكر غيره ومفعول شاء محذوف وقدره الزمخشري لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل الملائكة انتهى وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه وكذلك لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعلناه أجاجا ولو شاء ربك لآمن ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقال الشاعر

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

وقال الراجز

والله لو شئت لكنت صخرا ... أو جبلا أشم مشمخرا

فعلى هذا الذي تقرر لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري وإنما التقدير لو شاء ربنا إنزال الملائكة بالرسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم وهذا أبلغ في الامتناع من إرسال البشر إذ علقوا ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر فإنا بما أرسلتم به كافرون خطاب لهود وصالح ومن دعا من الأنبياء إلى الإيمان وغلب الخطاب على الغيبة نحو قولك أنت وزيد تقومان وما مصدرية أي بإرسالكم وبه توكيد لذلك المصدر ويجوز أن تكون ما بمعنى الذي والضمير في به عائد عليه وإذا كفروا بما تضمنه الإرسال كان كفرا بالإرسال وليس قولهم بما أرسلتم إقرارا بالإرسال بل هو على سبيل التهكم أي بما أرسلتم على زعمكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ولما بين تعالى كفر عاد وثمود على الإجمال فصل بعد ذلك فذكر خاصية كل واحدة من الطائفتين فقال فأما عاد فاستكبروا أي تعاظموا عن امتثال أمر الله وعن ما جاءتهم به الرسل بغير الحق أي بغير ما يستحقون ولما ذكر لهم هذا الذنب العظيم وهو الاستكبار وكان فعلا قلبيا ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللساني المعبر عما في القلب وقالوا من أشد منا قوة أي لا أحد أشد منا وذلك لما أعطاهم الله من عظم الخلق وشدة البطش فرد الله تعالى عليهم بأن الذي أعطاهم ذلك هو أشد منهم قوة ومع علمهم بآيات الله كانوا يجحدونها ولا يعترفون بها كما يجحد المودع الوديعة من طالبها مع معرفته بها ولفظة كان في كثير من الاستعمال تشعر بالمداومة وعبر بالقوة عن القدرة فكما يقال الله أقدر منهم يقال الله أقوى منهم فالقدرتان بينهما قدر مشترك وإن تباينت القدرتان بما لكل منهما من الخاصية كما يوصف الله تعالى بالعلم ويوصف الإنسان بالعلم ثم ذكر تعالى ما أصاب به عادا فقال فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في الحديث أنه تعالى أمر خزنة الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت الدنيا وروي أنها كانت تحمل العير بأوقارها فترميهم في البحر والصرصر قال مجاهد شديدة السموم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي من الصر أي باردة وقال السدي أيضا وأبو عبيدة وابن قتيبة والطبري وجماعة مصوتة من صرصر إذا صوت

ما نزل م

وقال ابن السكيت صرصر يجوز أن يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه فأقبلت امرأته في صرة وصرصر نهر بالعراق وقرأ الحرميان وأبو عمرو والنخعي وعيسى والأعرج نحسات بسكون الحاء فاحتمل أن يكون مصدرا وصف به وتارة يضاف إليه واحتمل أن يكون مخففا من فعل وقال الطبري نحس ونحس نعت وقال الزمخشري مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر انتهى وتتبعت ما ذكر التصريفيون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين قالوا يأتي على فعل كفرح فهو فرح وعلى أفعل حور فهو أحور وعلى فعلان شبع فهو شبعان وقد يجيء على فاعل سلم فهو سالم وبلي فهو بال وقرأ قتادة وأبو رجاء والجحدري وشيبة وأبو جعفر والأعمش وباقي السبعة بكسر الحاء وهو القياس وفعله نحس على فعل بكسر العين ونحسات صفة للأيام جمع بالألف والتاء لأنه جمع صفة لما لا يعقل قال مجاهد وقتادة والسدي مشائيم من النحس المعروف وقال الضحاك شديدة البرد حتى كان البرد عذابا لهم وأنشد الأصمعي في النحس بمعنى البرد

كأن سلافة عرضت بنحس ... يحيل شفيفها الماء الزلالا

وقيل سميت بذلك لأنها ذات غبار ومنه قول الراجز

قد اغتدي قبل طلوع الشمس ... للصيد في يوم قليل النحس

يريد قليل الغبار وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعات كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقال السدي أولها غداة يوم الأحد وقال الربيع بن أنس يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام يوم الأحد لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وهو الهلاك وقرئ لتذيقهم بالتاء وقال الزمخشري على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي إضافة الموصوف إلى صفته كأنه قال العذاب الخزي ولذلك جاء ولعذاب الآخرة أخزى فلو لم يكن من إضافة الموصوف إلى صفته لم يأت بلفظة أخزى التي تقتضي المشاركة والتفضيل خبرا عن قوله ولعذاب الآخرة وهو إسناد مجازي أو وصفا للعذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى تفاوت ما بين قولك هو شاعر وقولك له شعر شاعر وقابل استكبارهم بعذاب الخزي وهو الذل والهوان وبدأ بقصة عاد لأنها أقدم زمانا ثم ذكر ثمود فقال وأما ثمود وقرأ الجمهور بالرفع ممنوع الصرف وابن وثاب والأعمش وبكر بن حبيب مصروفا وهي قراءة ابن وثاب والأعمش في ثمود بالتنوين في جميع القرآن إلا قوله وآتينا ثمود الناقة لأنه في المصحف بغير ألف وقرأ ثمود بالنصب ممنوع الصرف الحسن وابن أبي إسحاق وابن هرمز بخلاف عنه والمفضل قاله ابن عطية والأعمش وعاصم قال وروي عن ابن عباس وابن أبي إسحاق والأعمش ثمودا منونة منصوبة وروى المفضل عن عاصم الوجهين انتهى فهديناهم قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم قال ابن عطية وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقال الفراء وتبعه الزمخشري فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فإن قلت أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله

فه

قوله عز وجل ويوم يحشر اعداء الله

في الدلالة المجردة قلت الدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا
ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وهو على طريقة
الاعتزال وقال سفيان دعوناهم وقال ابن زيد اعلمناهم الهدى من الضلال
وقال ابن عطية فاستحبوا عبارة عن تكسبهم في العمى والا فهو بالاختراع لله وبذلك
على انها اشارة الى تكسبهم قوله بما كانوا يكسبون انتهى والهون الهوان وصف للعذاب
بالمصدر او ابدل منه وقرأ ابن مقسم عذاب الهوان بفتح الهاء والف بعد الواو وقال
الزمخشري ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة
بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة انتهى على
عادته في سب اهل السنة ثم ذكر تعالى بنجاة من آمن واتقى قيل وكان مع صالح من
المؤمنين ممن استجاب هود وصلح مائة وعشرة انفس ﴿ويوم يحشر اعداء الله الى النار
فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله
النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين﴾
لما بين تعالى كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبة
الكفار اولئك وغيرهم وانتصب يوم باذكر وقرأ الجمهور يحشر مبنيا للمفعول
واعداء رفعا وزيد بن علي ونافع والاعرج واهل المدينة بالنون اعداء نصبا
وكسر الشين الاعرج وتقدم معنى يوزعون في النمل وحتى غاية ليحشر واعداء الله
هم الكفار من الاولين والآخرين وما بعد اذا زائدة للتاكيد وقال الزمخشري ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه
لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لابد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به انتهى ولا ادري من معنى زيادة ما بعد اذا للتوكيد ما ذكر ولا ان
نحو باذكر هذا الذي ذكر من معنى التوكيد فيها ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شك
حصول الجواب عند حصول الشرط من غير تاخر لان اداة الشرط ظرف فالشهادة واقعة
فيه لا محالة وفي الكلام حذف تقديره حتى اذا ما جاؤوها اي النار وسئلوا عما
اجرموا فانكروا شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما اكتسبوا من الجرائم
وكانوا حسبوا انه لا شاهد عليهم وفي الحديث ان اول ما ينطق من الانسان فخذه
اليسرى ثم تنطق الجوارح فيقول تبا لك وعنك كنت اناضل ولما كانت الحواس

خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس وكان الذوق مندرجا في اللمس
اذ بمماسة جلدة اللسان والحنك للمذوق يحصل ادراك المذوق وكان حس
الشم ليس فيه تكليف ولا امر ولا نهي وهو ضعيف اقتصر من الحواس على السمع والبصر
واللمس اذ هذه هي التي جاء فيها التكليف ولم يذكر حاسة الشم لانه لا تكليف فيه
نهي والله اعلم حكمة الاقتصار على هذه الثلاثة والظاهر ان الجلود هي المعروفة
وقيل هي الجوارح كني بها عنها وقيل كني بها عن الفروج قيل وعليه اكثر المفسرين
منهم ابن عباس كما كني عن النكاح بالسر بما كانوا يعملون من الجرائم وسؤالهم لجلودهم
عن سبب شهادتها عليهم فلم تذكر شيئا غير ان الله تعالى انطقها ولما صدر
منها ما صدر من العقلاء وهي الشهادة خاطبوها بقولهم لم شهدتم مخاطبة
العقلاء وقرأ زيد بن علي لم شهدتن بضمير المؤنثات وكل شيء لا يراد به العموم بل
المعنى كل ناطق مما ذلك له عادة وكان ذلك فيه خرق عادة وقال الزمخشري
اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير من المقدورات
والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم
وانشائكم وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم
من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وقال الزمخشري
ايضا فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل
ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما انتهى وهذا الرجل مولع بمذهبه الاعتزالي
يدخله في كل ما يقدر انه يدخل وانما اشار بقوله كما انطق الشجرة بان يخلق فيها
كلاما الى ان الله تعالى لم يكلم موسى حقيقة وانما الشجرة هي التي سمع منها الكلام
بان خلق الله فيها كلاما خاطبه به عن الله تعالى والظاهر ان قوله وما كنتم
تستترون من كلام الجوارح قيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى توبيخا لهم
او من كلام ملك بامره تعالى وان يشهد يحتمل ان يكون معناه خيفة ان يشهد
او لاجل ان يشهد اذ كنتم غير عالمين بانها تشهد ولكن ظننتم ان الله لا يعلم فانهمكتم
وجاهرتم والى هذا نحا مجاهد والسترا في هذا المعنى كما قال الشاعر

والستر دون الفاحشات وما ... يلقاك دون الخير من ستر

ويحتمل ان يكون معناه عن ان يشهد اي وما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفاء عن
اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم ولا تظنون انها تصل بكم الى هذا الحد
من الشهادة عليكم والى هذا نحا السدي او ما كنتم تتوقعون بالاختفاء والستر
ان يشهد عليكم لان الجوارح لازمة لكم وعبر قتادة عن تستترون بتظنون
اي وما كنتم تظنون ان يشهد وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة
اللفظ للفظ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا وهو الخفيات من اعمالكم وهذا الظن
كفر وجهل بالله وسوء معتقد يؤدي الى تكذيب الرسل والشك في علم الاله وذلكم اشارة
الى ظنهم ان الله لا يعلم كثيرا من اعمالهم وهو مبتدا خبره ارداكم وظنكم بدل من ذلكم اي وظنكم
بربكم ذلكم اهلككم وقال الزمخشري وظنكم وارداكم خبران وقال ابن عطية ارداكم
يصلح ان يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح ان يكون ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم

إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من
الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد
الجارية مالكها وقال ابن عطية وجوز الكوفيون أن يكون أرداكم في موضع الحال
والبصريون لا يجيزون وقوع الماضي حالا إلا إذا اقترن بقد وقد يجوز تقديرها
عندهم إن لم يظهر انتهى وقد أجاز الأخفش من البصريين وقوع الماضي حالا بغير
تقدير قد وهو الصحيح إذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس ويبعد فيها
التأويل وقد ذكرنا كثرة الشواهد على ذلك في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في
شرح التسهيل فإن يصبروا خطاب للنبي عليه السلام قيل وفي الكلام حذف تقديره
أو لا تصبروا كقوله اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وذلك في يوم القيامة وقيل التقدير
فإن يصبروا على ترك دينك واتباع أهوائهم فالنار مثوى لهم أي مكان إقامة وقرأ
الجمهور وإن يستعتبوا مبنيا للفاعل فما هم من المعتبين اسم مفعول قال الضحاك
إن يعتذروا فما هم من المعذورين وقيل وإن طلبوا العتبى وهي الرضى فما هم ممن يعطاها
ويستوجبها وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وموسى الأسواري وإن يستعتبوا مبنيا للمفعول
فما هم من المعتبين اسم فاعل أي إن طلب منهم أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون ولا يكون ذلك
لأنهم قد فارقوا الدنيا دار الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد الموت مستعتب

وقال أبو ذؤيب

أمن المنون وريبه تتوجع ۝ والدهر ليس بمعتب من يجزع

ويحتمل أن تكون هذه القراءة بمعنى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما ذكر تعالى
الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفرة أردفه بذكر السبب الذي
أوقعهم في الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء أي سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقيل
سلطنا ووكلنا عليهم وقيل قدرنا لهم وقرناء جمع قرين أي قرناء سوء من غواة
الجن والإنس فزينوا لهم أي حسنوا وقرروا في أنفسهم ما بين أيديهم وما خلفهم قال
ابن عباس من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث وما خلفهم قال من أمر الدنيا
من الضلالة والكفر ولذات الدنيا وقال الكلبي ما بين أيديهم أعمالهم التي
يشاهدونها وما خلفهم ما هم عاملوه في المستقبل وقال ابن عطية ما بين أيديهم
من معتقدات السوء في الرسل والنبوات ومدح عبادة الأصنام واتباع فعل
الآباء وما خلفهم ما يأتي بعدهم من أمر القيامة والمعاد انتهى ملخصا وهو شرح
قول الحسن قال ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقال
الزمخشري فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم
عن اتباع خطواتهم قلت معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر
فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
انتهى وهو على طريقة الاعتزال وحق عليهم القول أي كلمة العذاب وهو القضاء
الحتم أنهم معذبون في أمم أي في جملة أمم وهذا كقول الشاعر

إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

أي فأنت في جملة آخرين أو فأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد

٤

وقيل

وقيل في بمعنى مع ولا حاجة للتضمين مع صحة معنى في وموضع في أمم نصب على
الحال أي كائنين في جملة أمم وذو الحال الضمير في عليهم إنهم كانوا خاسرين الضمير
لهم وللأمم وهذا تعليل لاستحقاقهم العذاب وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا أي لا تصغوا لهذا القرآن والغوا فيه إذا تلاه محمد صلى الله عليه وسلم قال
أبو العالية قعوا فيه وعيبوه وقال غيره كان الرسول عليه السلام إذا قرأ في
المسجد أصغى إليه الناس من مؤمن وكافر فخشي الكفار استمالته القلوب بذلك
فقالوا متى قرأ محمد صلى الله عليه وسلم فلنتغالط نحن بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد
الشعر والأرجاز حتى يخفى صوته وهذا الفعل هو اللغو وقرأ الجمهور والغوا بفتح
الغين مضارع لغي بكسرها وبكر بن حبيب السهمي كذا في كتاب ابن عطية وفي
كتاب اللوامح وأما في كتاب ابن خالويه فعبد الله بن بكر السهمي وقتادة
وأبو حيوة وأبو السمال والزعفراني وابن أبي إسحاق وعيسى بخلاف عنهما بضم الغين
مضارع لغا بفتحها وهما لغتان أي ادخلوا فيه اللغو وهو اختلاط القول بما لا
فائدة فيه وقال الأخفش يقال لغا يلغى بفتح الغين وقياسه الضم لكنه
فتح لأجل حرف الحلق فالقراءة الأولى من لغي والثانية من لغا وقال صاحب
اللوامح ويجوز أن يكون الفتح من لغي بالشيء يلغى به إذا رمى به فيكون فيه بمعنى به
أي ارموا به وانبذوه لعلكم تغلبون أي تطمسون أمره وتميتون ذكره فلنذيقن الذين
كفروا وعيد شديد لقريش والعذاب الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها ولأسوأ يوم
القيامة أقسم تعالى على الجملتين وشمل الذين كفروا القائلين والمخاطبين في قوله وقال
الذين كفروا لا تسمعوا ذلك أي جزاؤهم في الآخرة والنار بدل وخبر مبتدأ أي هو محذوف
وجوزوا أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاء مبتدأ والنار خبره لهم فيها
دار الخلد أي موضع البقاء الدائم الذي لا ينقطع والنار هي دار الخلد فكيف قيل فيها
والمعنى أنها دار الخلد كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي
والرسول نفسه هو الأسوة وقال الشاعر

وفي الله إن لم ينصفوا حكم عدل ۝

والمعنى أن الله هو الحكم العدل ومجاز ذلك
أنه قد يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل المبالغة كأن ذلك
المتعلق صار الشيء مستقرا له وهو أبلغ من نسبة ذلك المتعلق إليه على سبيل
الإخبار به عنه جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون قال الزمخشري أي جزاء بما كانوا
يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو ولما ذكر ما يحل بهم من
عذاب النار سألوا من الله تعالى أن يريهم من كان سبب إغوائهم وإضلالهم
والظاهر أن اللذين يراد بهما الجنس أي كل مغو من هذين النوعين وعن علي وقتادة
أنهما إبليس وقابيل إبليس سن الكفر وقابيل سن القتل بغير حق قيل ولا يصح
هذا القول عن علي وقابيل مؤمن عاص وإنما طلبوا المضلين بالكفر المؤدي
إلى الخلود وقد أصلح هذا القول بأن قال طلب قابيل كل عاص من أهل الكبائر
وطلب إبليس كل كافر ولفظ الآية ينبو عن هذا القول وعن إصلاحه وتقدم الخلاف
في قراءة أرنا في قوله وأرنا مناسكنا وقال الزمخشري حكوا عن الخليل أنك إذا قلت

أدري ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا أقلته بالسكون فهو استعطا معناه أعطني ثوبك
ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار انتهى نجعلهما تحت
أقدامنا يريدون في أسفل طبقة من النار وهي أشد عذابا وقرأ ابن ذكوان المنافقين
وتشديد النون في اللذين واللتين وهاذين وهاتين حالة كونهما بالياء لا يجيزه
البصريون والقراءة بذلك في السبعة حجة عليهم ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن
أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ولا
تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون
فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته
أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي
الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ قال ابن عباس نزلت في الصديق قال المشركون ربنا الله
والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عنده واليهود ربنا الله وعزير ابنه ومحمد ليس
بنبي فلم يستقيموا والصديق قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام
ولما أطنب تعالى في وعيد الكفار أردفه بوعد المؤمنين وليس المراد التلفظ بالقول فقط
بل لا بد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني وبدأ أولا بالذي هو أمكن في الإسلام وهو
العلم بربوبية الله ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت
ما أخوف ما تخاف فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا وعن الصديق
ثم استقاموا على التوحيد لم يضطرب إيمانهم وعن عمر استقاموا لله بطاعته لم يروغوا روغان
الثعالب وعن عثمان أخلصوا العمل وعن علي أدوا الفرائض وقال أبو العالية والسدي
استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا
وقال الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقال الربيع أعرضوا عما سوى
الله تعالى وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعن الحسن وقتادة وجماعة
استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصي قال الزمخشري وثم لتراخي الاستقامة
عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار
ومقتضياته وعن الصديق رضي الله عنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا
لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان
انتهى تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي عند الموت وقال مقاتل عند
البعث وقيل عند الموت وفي القبر وعند البعث وأن ناصبة للمضارع أي بانتفاء
خوفكم وحزنكم قال معناه الحوفي وأبو البقاء وقال الزمخشري بمعنى أي أو المخففة

قوله عز وجل إن الذين قالوا

من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن انتهى وعلى هذين التقديرين
يكون الفعل مجزوما بلا الناهية وهذه الآية عامة في كل هم مستأنف وتسلية تامة
عن كل فائت ماض ولذلك قال مجاهد لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على
ما خلفتم من دنياكم وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول ولا تحزنوا
على ذنوبكم فإني أغفرها لكم وفي قراءة عبد الله لا تخافوا بإسقاط أن أي تتنزل عليهم
الملائكة قائلين لا تخافوا ولا تحزنوا ولما كان الخوف مما يتوقع من المكروه أعظم
من الحزن على الفائت قدمه ثم لما نفى الأمرين لهم بشروا بما يؤولون إليه من دخول
الجنة فحصل لهم الأمن التام والسرور العظيم بما يستقبلونه من الخير نحن أولياؤكم
الظاهر أنه من كلام الملائكة أي يقولون لهم وفي قراءة عبد الله يكون من جملة
المقول قيل أي نحن كنا أولياءكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة لما كان أولياء
الكفار قرناؤهم من الشياطين كان أولياء المؤمنين الملائكة وقال السدي
نحن حفظتكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة وقيل نحن أولياؤكم من كلام الله
تعالى أولياؤكم بالكفاية والهداية ولكم فيها الضمير عائد على الآخرة قاله ابن عطية
وقال الحوفي على الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون قال
مقاتل ما تتمنون وقيل ما تريدون وقال ابن عيسى ما تدعي أنه لك فهو لك بحكم
ربك وقال ابن عطية ما تطلبون نزلا من غفور رحيم النزل الرزق المعد للنزيل
وهو الضيف قال معناه ابن عطاء فيكون نزلا حالا أي تعطون ذلك في حال
كونه نزلا من الله وقال ابن عطية نزلا نصب على المصدر والمحفوظ أن مصدر نزل
نزول لا نزل وجعله بعضهم مصدرا لأنزل وقيل نزل جمع نازل كشارف وشرف
فينتصب على الحال أي نازلين وذو الحال الضمير المرفوع في تدعون وقال
الحسن معنى نزلا منا وقيل ثوابا وقرأ أبو حيوة نزلا بإسكان الزاي ولما تقدم
قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ذكر من دعا إلى ذلك فقال
ومن أحسن قولا أي لا أحد أحسن قولا ممن يدعو إلى توحيد الله ويعمل العمل الصالح
ويصرح أنه من المسلمين لأمر الله المنقادين له والظاهر العموم في كل داع إلى الله
وإلى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وقيل بالخصوص فقال ابن عباس هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل
الإسلام نحلة وعنه أيضا هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة
وقيس بن أبي حازم وعكرمة ومجاهد نزلت في المؤذنين وينبغي أن يتأول
قولهم على أنهم داخلون في الآية وإلا فالسورة بكمالها مكية بلا خلاف ولم يكن
الأذان بمكة إنما شرع بالمدينة والدعاء إلى الله يكون بالدعاء إلى الإسلام وبجهاد
الكفار وكف الظلمة وقال زيد بن علي دعا إلى الله بالسيف وهذا والله أعلم
هو الذي حمله على الخروج بالسيف على بعض الظلمة من ملوك بني أمية وكان
زيد هذا عالما بكتاب الله وقد وقفت على جملة من تفسيره كتاب الله
وإلقائه إياه على بعض النقلة عنه وهو في حبس هشام بن عبد الملك وفيه من
العلم والاستشهاد بكلام العرب حظ وافر وبلغنا أنه كان إذا ناظر هو وأخوه محمد

الباقر اجمع الناس بالمحابر يكتبون ما يصدر عنهما من العلم رحمهما الله ورضي عنهما
وقال ابو امامة وعمل صالحا صلى بين الاذان والاقامة وقال عكرمة صلى وصام
وقال الكلبي ادى الفرائض وقال مجاهد هي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون
موحدا معتقدا الدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين
العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله انتهى ويعني بذلك المعتزلة
يسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد ويوجد ذلك في اشعارهم كما قال ابن ابي الحديد
المعتزلي صاحب كتاب الفلك الدائر في الرد على كتاب المثل السائر قال من كلمة
انشدناها عنه الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله

لولا ثلاث لم اخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد
ان انصر التوحيد والعدل في كل مقام باذلا جهدي
وان اناجي الله مستمتعا بخلوة احلى من الشهد
وان اصول الدهر كبرا على كل لئيم اصعر الخد
لذاك اهوى لا فتاة ولا خمر ولا ذي ميعة نهد

وقال انني من المسلمين ليس المعنى انه تكلم بهذا بل جعل الاسلام معتقده كما تقول
هذا قول الشافعي اي مذهبه وقرأ ابن ابي عبلة وابراهيم بن نوح عن قتيبة الميال
وقال انّي بنون مشددة واحدة والجمهور انني بها وبنون الوقاية وقال ابو بكر
ابن العربي لم يشترط الا ان شاء الله ففيه رد على من يقول انا مسلم ان شاء الله ولما ذكر
تعالى انه لا احد احسن ممن دعا الى الله ذكر ما يترتب على ذلك من حسن الاخلاق وان
الداعي الى الله قد يجافيه المدعو فينبغي ان يرفق به ويتلطف في ايصال الخير اليه
قيل ونزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا
مصافيا وقال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقال الكلبي
الدعوتان انهما وقال الضحاك الحلم والفحش وعن علي حب الرسول وآله وبغضهم
وقيل الصبر والنفور وقيل المداراة والغلظة وقيل العفو والانتصار وهذه امثلة
للحسنة والسيئة لا على طريق الحصر ولما تفاوتت الحسنة والسيئة امر ان يدفع السيئة
بالاحسن وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيئة لانه يلزم من ان عليه الدفع بالاحسن
هان عليه الدفع بالحسن اي فاذا فعلت ذلك اذا الذي بينك وبينه عداوة صار
لك كالولي الصديق لخالص الصداقة ولا في قوله ولا السيئة زائدة للتوكيد كهي في قوله
ولا الظل ولا الحرور لان استوى لا يكتفي بمفرد فان احدى الحسنة والسيئة جنسا لم تكن
زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا اذ يصير المعنى ولا تستوي الحسنات اي
هي متفاوتة في انفسها ولا السيئات لتفاوتها ايضا قال ابن عطية ودخلت كان للتشبيه
لان الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما وانما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي
الحميم وعن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند
الاساءة وقال مجاهد وعطاء السلام عند اللقاء انتهى يعني ابو حيان الدفع بالاحسن
لا انه محصور فيه وعن مجاهد ايضا اعرض عن اذاهم وقال ابو فراس الحمداني
يجني علي واحنو صافحا ابدا لا شيء احسن من حان على جاني

وما

وما يلقاها الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هي الدفع بالاحسن وقرأ طلحة
بن مصرف وابن كثير في رواية وما يلاقاها من الملاقاة وقرأ الجمهور من التلقي
وكان هذه الخصلة الشريفة غالبية فما يصادفها ويلقاها الا من كان صابرا
على الطاعات عازفا عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير قاله ابن عباس
فيكون مدحا او ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة فيكون وعدا وقيل
الا ذو عقل وفضل وذو خلق حسن وكرر وما يلقاها تاكيدا لهذه الفعلة الجميلة
الجليلة وقيل الضمير في يلقاها عائد على الجنة وحكى مكي وما يلقاها الا شهادة
ان لا اله الا الله وفيه بعد ولما امر تعالى بدفع السيئة بالاحسن كان قد يعرض للمسلم
في بعض الاوقات مقابلة من اساء بالسيئة فامر ان عرض له ذلك ان يستعيذ بالله
من ذلك من نزغ الشيطان وتقدم تفسير نظير هذه الاية في اواخر الاعراف ولما بين
تعالى ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل العلوية
والسفلية وعلى قدرته الباهرة وحكمته البالغة وحجته القاطعة فبدا بذكر الفلكيات
بالليل والنهار وقدم ذكر الليل قيل تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود
وناسب ذكر الشمس بعد النهار لانها سبب تنويره وظهور العالم فيه ولانها ابلغ
في التنوير من القمر ولان القمر فيما يقولون مستفاد نوره من نور الشمس ثم نهى تعالى
عن السجود لهما وامر بالسجود للخالق تعالى وكان ناس يعبدون الشمس كما جاء في قصة
بلقيس وقومها والضمير في خلقهن عائد على الليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري
لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن انتهى
يريد ما لا يعقل من المذكر وكان ينبغي ان يفرق بين جمع القلة من ذلك فان الافصح
ان يكون كضمير الواحدة تقول الاجذاع انكسرت على الافصح والجذوع انكسرت على الافصح
والذي تقدم في الاية ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد وقال الزمخشري ولكنه ذكر
اربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر عنه بلفظ واحد وقال الزمخشري
او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن انتهى يعني ان التقدير والليل
والنهار والشمس والقمر ايات من اياته فعاد الضمير على ايات الجمع المقدر في المجرور
وقيل يعود على الايات المتقدم ذكرها وقيل على الشمس والقمر والاثنان جمع وجمع ما لا
يعقل يؤنث ومن حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام والليالي ساغ ان
يعود الضمير مجموعا ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم موحدين غير مشركين والسجدة
عند الشافعي عند قوله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها
وعند ابي حنيفة عند قوله لا يسامون لانها تمام المعنى وفي التحرير كان علي وابن مسعود
يسجدان عند تعبدون وقال ابن وهب والشافعي عند يسامون وبه قال ابو حنيفة
وسجد عندها ابن عباس وابن عمر وابو وائل وبكر بن عبد الله وكذلك روي عن مسروق
والسلمي والنخعي وابي صالح وابن وثاب والحسن وابن سيرين انتهى ملخصا فان
استكبروا اي تعاظموا عن اجتناب ما نهيت من السجود لغير الله المحدثين المربوبين
والامتثال لما امرت به من السجود للخالق لهن فان الملائكة الذين هم عند الله
بالمكانة والرتبة الشريفة ينزهونه عما لا يليق بكبريائه وهم لا يسامون

أي لا يملون ذلك وفيه حض منكم مع الله تعالى غني عن عبادتكم وعبادتهم ولما ذكر شيئا من
الدلائل العلوية ذكر شيئا من الدلائل السفلية فقال ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة أي غبراء دارسة كما قال ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع ٥ استعير الخشوع
لها وهو التذلل لما ظهر بها من القحط وعدم النبات وبنو العين عنها بخلاف أن تكون
معشبة وأشجارها مثمرة ومزهرة ومثمرة فذلك منوهة بها وقال السدي
خاشعة ميتة يابسة وتقدم الكلام على قوله فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
تفسيرا وقراءة في أوائل سورة الحج إن الذي أحياها بالنبات لمحيي الموتى برد الأرواح
إلى الأجساد إنه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء تعلقت به إرادته ٥ إن الذين يلحدون في
آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم
إنه بما تعملون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك
إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو
عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ٥ لما بين تعالى أن الدعاء إلى دين الله
أعظم القربات وأنه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد والعدل والبعث عاد إلى تهديد من ينازع
في تلك الآيات ويجادل فقال إن الذين يلحدون في آياتنا وتقدم الكلام على الإلحاد
في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه وذكر تعالى أنهم لا يخفون عليه وفي ذلك
تهديد لهم وقال قتادة هنا الإلحاد التكذيب ومجاهد المكاء والتصفير واللغو
وقال ابن عباس وضع الكلام غير موضعه وقال أبو مالك يميلون عن آياتنا
وقال السدي يعاندون رسلنا فيما جاؤوا به من البينات والآيات ثم استفهم
تقريرا أفمن يلقى في النار بالإلحاد في آياتنا خير أم من يأتي آمنا ولا اشتراك بين الإلقاء
في النار والإتيان آمنا لكنه كما قلنا استفهام تقرير كما يقرر المناظر خصمه على وجهين
أحدهما فاسد يرجو أن يقع في الفاسد فيتضح جهله ونبه بقوله يلقى في النار على
مستقر الأمر ومنه الجنة وبقوله آمنا على خوف الكافر وطول وجله وهذه الآية قال ابن بحر
عامة في كل كافر ومؤمن وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وعثمان بن عفان وقيل
فيه وفي عمار بن ياسر وقيل فيه وفي عمر وقيل أبو جهل وحمزة بن عبد المطلب
وقال الكلبي أبو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم ولما تقدم ذكر الإلحاد ناسب
أن يتصل به من اتصف به ولم يكن التركيب أفمن يأتي آمنا يوم القيامة
كمن يلقى في النار كما قدم ما يشبهه في قوله أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق
كمن هو أعمى وكما جاء في سورة القتال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
اعملوا ما شئتم وعيد وتهديد بصيغة الأمر ولذا جاء إنه بما تعملون بصير
فيجازيكم بأعمالكم إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هم قريش ومن تابعهم من الكفار
غيرهم والذكر القرآن هنا بإجماع وخبر إن اختلفوا فيه أمذكور هو أو محذوف

قوله عز وجل إن الذين

فقيل

فقيل مذكور وهو قوله أولئك ينادون من مكان بعيد وهو قول أبي عمرو بن العلاء
في حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبي بردة سئل بلال في مجلسه عن هذا فقال
لم أجد لها نفاذا فقال له أبو عمرو إنه منك لقريب أولئك ينادون وقال
الحوفي ويرد على هذا القول كثرة الفصل وأنه ذكر هناك من تكون الإشارة
إليهم وهو قوله والذين في قلوبهم عمى أولئك ينادون وقيل محذوف وخبر
أن يحذف لفهم المعنى وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو معناه في
التفسير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وإنه لكتاب فقال عيسى أجدت
يا أبا عثمان وقال قوم تقديره معاندون أو هالكون وقال الكسائي قد سد
مسده ما تقدم من الكلام قبل إن وهو قوله أفمن يلقى في النار انتهى كأنه يريد
دل عليه ما قبله فيمكن أن يقدر يخلدون في النار وقال الزمخشري فإن قلت
بم اتصل قوله إن الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في
آياتنا انتهى ولم يتعرض لتصريح الكلام في خبر إن أمذكور هو أو محذوف لكن قد يستنتج
من كلامه هذا أنه تكلم فيه بطريق الإشارة إليه لأنه ادعى أن قوله إن الذين كفروا
بالذكر بدل من قوله إن الذين يلحدون فالمحكوم به على المبدل منه هو المحكوم به على البدل
فيكون التقدير إن الذين يلحدون في آياتنا إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لا يخفون
علينا وقال ابن عطية والذي يحسن في هذا هو إضمار الخبر بعد حكيم حميد وهو أشد
إظهارا نا الكفار فيه وذلك لأن قوله وإنه لكتاب عزيز داخل في صفة الذكر
المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه إلا بعد استيفائه وصفه انتهى وهو كلام حسن
والذي أذهب إليه أن الخبر مذكور لكنه حذف منه عائد يعود على اسم إن وذلك في قوله
لا يأتيه الباطل أي الباطل منهم أي الكافرين به وجاء له هذا لا يأتيه باطلهم أي متى
رام موافقته أن يكون ليس حقا ثابتا من عند الله وأبطلوا له لم يصلوا إليه أو تكون أل
عوضا من الضمير على قول الكوفيين أي لا يأتيه باطلهم أو يكون الخبر قوله ما يقال
لك أي في شأنهم وفيهم إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي أوحي إليك في شأن هؤلاء
المكذبين لك ولما جئت به مثل ما أوحي إلى من قبلك من الرسل وهو أنهم عاقبتهم سيئة
في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بالعذاب الدائم وغاية ما في هذين التوجيهين
حذف الضمير العائد على اسم إن وهو موجود نحو قوله السمن منوان بدرهم أي منوان
منه والبر الكر بدرهم أي الكر منه وعن بعض نحاة الكوفة الخبر في قوله وإنه لكتاب
عزيز وهذا لا يتعقل وإنه لكتاب عزيز جملة حالية كما تقول جاء زيد وإن يده
على رأسه أي كفروا به وهذه حاله وعزته كونه عديم النظير لما احتوى عليه من الإعجاز
الذي لا يوجد في غيره من الكتب أو غالب ناسخ لسائر الكتب والشرائع وقال ابن عباس
عزيز كريم على الله تعالى وقال مقاتل ممتنع من الشيطان وقال السدي غير
مخلوق وقيل وصف بالعزة لأنه لصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والإزراء عليه
وهو محفوظ من الله لا يأتيه الباطل من جعل خبر إن محذوفا أو قوله أولئك ينادون
كانت هذه الجملة في موضع الصفة وعلى ما اخترناه من أحد الوجهين تكون الجملة
في موضع خبر إن والمعنى أن الباطل لا يتطرق إليه من بين يديه ولا من خلفه تمثيل

أي لا يجد الطعن إليه من جهة من الجهات فيتعلق به وأما ما ظهر من بعض الجهمية من الطعن
فيه على زعمهم ومن تأويل بعضهم له كالباطنية فقد رد عليهم ذلك علماء الإسلام وأظهروا
حماقاتهم وقال قتادة الباطل الشيطان واللفظ لا يخص الشيطان وقال
ابن جبير والضحاك من بين يديه أي كتاب من قبله فيبطله ولا من خلفه فيكون على
هذا الباطل في معنى المبطل نحو ورس النبات فهو وارس أي مورس أو فيكون الباطل
يجيء المبطل في معنى المبطل مصدرا فيكون كالعافية وقيل من بين يديه أي
قبل أن يتم نزوله ولا من خلفه من بعد نزوله وقيل عكس هذا وقيل من بين يديه قبل
أن ينزل لأن الأنبياء بشرت به فلم يقدر الشيطان أن يدحض ذلك ولا من خلفه بعد
أن أنزل وقال الطبري من بين يديه لا يقدر ذو باطل أن يكيده بتغيير ولا تبديل
ولا من خلفه لا يستطيع ذو باطل أن يلحق فيه تنزيل أي هذا تنزيل من حكيم أي حاكم أو محكم
لمعانيه حميد محمود على ما أسدى لعباده من تنزيل هذا الكتاب وغيره من النعم ما يقال لك
يقال مبني للمفعول فاحتمل أن يكون القائل الله تعالى كما تقدم تأويلها فيه أو ما يوحي
إليك الله إلا مثل ما أوحي إلى الرسل أي في شأن الكفار كما تأولناه على أحد الوجهين
أو في الشرايع وجوزوا على أن القائل هو الله أن يكون إن ربك تفسيرا لقوله ما قد قيل
فالمقول إن ربك لذو مغفرة للطائعين وذو عقاب أليم للعاصين وهذا التأويل فيه
بعد لأنه حصر ما أوحى الله إليه وإلى الرسل في قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب
أليم وهو تعالى قد أوحى إليه وإليهم أشياء كثيرة فإذا أخذناه على الشرايع أو على
عاقبة المكذبين كان الحصر صحيحا وكان قوله تعالى إن ربك استئناف إخبار
عنه تعالى لا تفسيرا لما قد قيل واحتمل أن يكون القائل الكفار أي ما يقول لك
كفار قومك إلا ما قد قال كفار الرسل لهم من الكلام المؤذي والطعن فيما
أنزل الله عليهم من الكتب ثم أخبر تعالى أنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم وفيه الترجية
بالغفران والزجر بالعقاب وهو وعظ وتهديد وقال قتادة عزى الله نبيه
وسلاه بقوله ما يقال لك الآية ومثله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول
إلا قالوا ساحر أو مجنون ولما ذكر تعالى الملحدين في آياته وأنهم لا يخفون عليه
والكافرين بالقرآن ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم وقولهم هلا نزل
بلغة العجم فقال ولو جعلناه قرآنا أعجميا أي لا يفصح ولا تبين معانيه لهم
لكونه بلغة العجم أو بلغة غير العرب لم يتركوا الاعتراض والتعنت ولقالوا لولا
فصلت آياته أي بينت لنا وأوضحت حتى نفهمها وقرأ الجمهور أأعجمي بهمزة
الاستفهام بعدها مدة هي همزة أعجمي وقياسها في التخفيف التسهيل بين بين
وقرأ الأخوان والأعمش وحفص بهمزتين أي وقالوا أمنكرين أقرآن أعجمي ورسول
عربي أو ومرسل إليه عربي وتأول ابن جبير أن معنى قوله أعجمي ونحن عرب ما لنا
وللعجمة وقال ابن عطية كأنهم ينكرون ذلك فيقولون لولا بين أعجمي وعربي مختلط
هذا لا يحسن انتهى ولا يصح هذا التقسيم لأنه بالنسبة للقرآن وهم إنما قالوا أما
دل عليه قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا من اقتراحهم أن يكون أعجميا ولم يقترحوا
أن يكون القرآن أعجميا وعربيا وقرأ الحسن وأبو الأسود والجحدري وسلام هو

والضحاك

والضحاك وابن عباس وابن عامر بخلاف عنهما أعجمي وعربي دون استفهام وبسكون
العين فقيل معناه أنهم قالوا أعجمية وأعراب أي هذا الشاذ وقال ابن جبير
معناه لولا فصل فصلين فكان بعضه أعجميا يفهمه العجم وبعضه عربيا يفهمه
العرب وقال صاحب اللوامح كأنهم لما قالوا لولا فصلت آياته أعادوا
القول ثانيا فقالوا أعجمي وأضمروا المبتدأ أي هو أعجمي أو القرآن أو الكلام
أو نحوها والذي أتى به أو الرسول عربي كأنهم كانوا ينكرون ذلك وقرأ عمرو بن ميمون
أعجمي بهمزة استفهام وفتح العين والمعنى أن القرآن لو جاء على طريقة كائنة ما كانت
تعنتوا لأنهم لا يطلبون الحق وقال صاحب اللوامح والعجمي المنسوب إلى العجم
والياء للنسب على الحقيقة وأما إذا سكنت العين فهو الذي لا يفصح والياء
فيه بلفظ النسب دون معناه فهو بمنزلة ياء كرسي وبختي والله أعلم انتهى وليست
كياء كرسي بنيت الكلمة عليها وياء أعجمي لم تبن الكلمة عليها تقول العرب رجل أعجم ورجل
أعجمي فالياء للنسبة الدالة على المبالغة في الصفة نحو أحمري ودواري مبالغة
في أحمر ودوار وقال الزمخشري فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل
إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا
عجميا كتب إلى قوم من العرب يقال أكتاب عجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن
مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد
أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك
تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت
واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس
وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما انتهى وهو حسن إلا أن فيه تكثيرا على عادته في حب
الشقشقة والتفيهق قل هو أي القرآن للذين آمنوا هدى أي إرشاد إلى الحق وشفاء أي
لما في الصدور من الظن والشك والظاهر أن والذين لا يؤمنون مبتدأ وفي آذانهم
وقر في موضع الخبر وقال الزمخشري هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ لما أخبر أنه
هدى وشفاء للمؤمنين أخبر أنه وقر وصمم في آذان الكافرين ولا يضطر إلى إضمار هو
فالكلام تام دونه أخبر أن في آذانهم صمما عن سماعهم ثم أخبر أنه عليهم عمى يمنعهم من
إبصار حكمته والنظر في معانيه والتفكر لآياته وجاء بلفظ عليهم الدالة على استيلاء
العمى عليهم وجاء في حق المؤمنين باللام الدالة على الاختصاص وكون والذين
في موضع جر عطفا على قوله للذين آمنوا أو التقدير وللذين لا يؤمنون وقر في آذانهم
إعراب متكلف وهو من العطف على عاملين وفيه مذاهب كثيرة في النحو والمشهور
منع ذلك وقرأ الجمهور عمى بفتح الميم منونا مصدر عمي وقرأ ابن عمر وابن عباس
وابن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي وابن هرمز عم بكسر الميم وتنوينه
وقال يعقوب القارئ وأبو حاتم لا ندري نونوا أم فتحوا الياء على أنه فعل ماض
وبغير تنوين رواها عمرو بن دينار وسليمان بن قتة عن ابن عباس والظاهر
أن الضمير في وهو عليهم عائد على القرآن وقيل يعود على الوقر أولئك إشارة
إلى الذين لا يؤمنون ومن جعله خبرا لأن الذين كفروا كانت الإشارة إليهم ثنيا دون

من مكان بعيد قيل هو حقيقة قال الضحاك ينادون بكفرهم وقبح أعمالهم بأقبح أسمائهم
من بعد حتى يسمع ذلك أهل الموقف فتعظم السمعة عليهم وتحل المصائب وقال علي
ومجاهد استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادي من بعد فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله
ولا معانيه وحكى أهل اللغة أنه يقال للذي لا يفهم أنت تنادي من بعيد أي كأنه
ينادي من موضع بعيد فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وحكى النقاش كأنما ينادون من
السماء ولقد آتينا موسى الكتاب تسلية للرسول في كون قومه اضطربوا فيما جاء به
من الذكر فذكر أن موسى عليه السلام أوتي الكتاب وهو التوراة فاختلف فيه وتقدم
شرح هذه الآية في أواخر سورة هود عليه السلام والكلام على نظير وما ربك بظلام
للعبيد في قوله في سورة الحج وأن الله ليس بظلام للعبيد ۝ إليه يرد علم الساعة
وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي
قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من
محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط ولئن أذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى
ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا
أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم
إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية
من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط ۝ لما ذكر تعالى من عمل صالحا الآية كان في ذلك دلالة
على الجزاء يوم القيامة وكان سائلا قال ومتى ذلك فقيل لا يعلمها إلا الله ومن سئل
عنها فليس عنده علم بتعيين وقتها وإنما يرد ذلك إلى الله ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا
يعلمه إلا هو تعالى وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحسن بخلاف عنه وابن عامر
ونافع في غير رواية أي جليد والمفضل وحفص وابن مقسم من ثمرات على الجمع وقرأ باقي
السبعة والحسن في رواية وطلحة والأعمش بالإفراد ولما كان ما يخرج من أكمام الشجرة
وما تحمل الإناث وتضعه سوا إيجادا أشياء بعد العدم ناسب أن يذكر مع علم الساعة
إذ في ذلك دليل على البعث إذ هو إعادة بعد إعدام وناسب ذكر أحوال المشركين
في ذلك اليوم وسؤالهم سؤال التوبيخ فقال ويوم يناديهم أين شركائي أي الذين
نسبتموهم إلي وزعمتم أنهم شركاء لي وفي ذلك تهكم بهم وتقريع والضمير في يناديهم
عام في كل من عبد غير الله فيندرج فيه عباد الأوثان قالوا آذناك أي أعلمناك ۝

قال الشاعر

آذنتنا ببينها أسماء ۝ رب ثاو يمل منه الثواء ۝

وقال ابن عباس أسمعناك كأنه استبعد الإعلام لله لأن أهل القيامة يعلمون
أن الله يعلم الأشياء علما واجبا فالإعلام في حقه محال والظاهر أن الضمير في قالوا
عائد على المنادين لأنهم المحدث معهم ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد أن
لك شريكا بل نحن موحدون لك أو ما منا أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت
عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل الضمير في قالوا عائد على الشركاء

قوله عز وجل إليه يرد علم الساعة

أي فقال الشركاء ما منا من يشهد بما أضافوا إلينا من الشرك وآذناك معلق لأنه
بمعنى الإعلام والجملة من قوله ما منا من شهيد في موضع المفعول وفي تعليق باب
أعلم رأيا خلاف والصحيح أنه مسموع من كلام العرب والظاهر أن قولهم آذناك
إنشاء كقولك أقسمت لأضربن زيدا وإن كان إخبارا سابقا فتكون إعادة السؤال
توبيخا لهم وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل أي نسوا ما كانوا يقولون في الدنيا
ويدعون من الآلهة أو وضل عنهم أي تلفت أصنامهم وتلاشت فلم يجدوا منها نصرا
ولا شفاعة وظنوا أي أيقنوا قال السدي ما لهم من محيص أي من حيدة وروغان
عن العذاب والظاهر أن ظنوا معلقة والجملة المنفية في موضع مفعولي ظنوا وقيل
تم الكلام عند قوله وظنوا أي وترجح عندهم أن قولهم ما منا من شهيد منجاة لهم
أو أمر يموهون به والجملة بعد ذلك مستأنفة أي يكون لهم منجى أو موضع روغان
لا يسأم الإنسان من دعاء الخير هذه الآيات نزلت في كفار قيل في الوليد بن المغيرة
وقيل في عتبة بن ربيعة وكثير من المسلمين يتصفون بوصف أولها من دعاء الخير أي
من طلب السعة والنعمة ودعاء مصدر مضاف للمفعول وقرأ عبد الله من دعاء بالخير
بباء داخلة على الخير وفاعل المصدر محذوف تقديره من دعاء الخير هو وإن مسه الشر
الفقر والضيقة فيئوس أي فهو يئوس قنوط وأتى بهما صفتي مبالغة واليأس
من صفة القلب وهو أن ينقطع رجاؤه من الخير والقنوط أن يظهر عليه آثار اليأس
فيتضاءل وينكسر وبدأ بصفة القلب لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار
ولئن أذقناه رحمة منا سمى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله من بعد ضراء مسته
أي ضر نفسه ليقولن هذا لي أي بسعيي واجتهادي ولا يراها أنها من الله أو هذا
لي لا يزول عني وما أظن الساعة قائمة أي ظننا أننا لا نبعث وأن ما جاءت به
الرسل من ذلك ليس بواقع كما قال تعالى حكاية عنهم إن نظن إلا ظنا وما نحن
بمستيقنين ولئن رددت إلى ربي ولئن كان كما أخبرت الرسل إن لي عنده أي عند الله
للحسنى أي الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة كما أنعم علي في الدنيا وأكدوا ذلك
باليمين وبتقديم لي وعنده على اسم إن وبدخول اللام للتأكيد عليه أيضا وبصيغة
الحسنى مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل ولم يقولوا الحسنة أي الحالة الحسنة
وقال الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للكافر أمنيتان أما في الدنيا
فهذه إن لي عنده للحسنى وأما في الآخرة فيا ليتني كنت ترابا فلننبئن الذين كفروا بما
عملوا من الأعمال السيئة وذلك كناية عن جزائهم بأعمالهم السيئة ولنذيقنهم من عذاب
غليظ في مقابلة إن لي عنده للحسنى وكنى بغلظ العذاب عن شدته وإذا أنعمنا تقدم
الكلام على نظير هذه الجملة في أواخر تلك كان يؤوسا وآخر هذه فذو دعاء عريض
أي فهو ذو دعاء بإزالة الشدة وكشف ضره والعرب تستعمل الطول والعرض
في الكثرة يقال أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء إذا أكثر أي فذو تضرع
واستغاثة وذكر تعالى في هذه الآية نوعا من طغيان الإنسان إذا أصابه
الله بنعمة أبطرته النعمة وإذا مسه الشر ابتهل إلى الله وتضرع قل أرأيتم
إن كان أي القرآن من عند الله أبرز في صورة الاحتمال وهو من عند الله بلا شك

ولكنه تنزل معهم في الخطاب والضمير في أرأيتم لكفار قريش وتقدم أن معنى أرأيتم أخبروني
عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وشاققتم في اتباعه من أضل
منكم إذا أنتم المشاقون فيه والمعرضون عنه والمستهزئون بآيات الله وتقدم أن
أرأيتم هذه تتعدى إلى مفعول مذكور أو محذوف وإلى ثان الغالب فيه أن تكون جملة
استفهامية فالمفعول الأول محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم والثاني هو جملة الاستفهام
إذ معناه من أضل منكم أيها الكفار إذ مآلكم إلى الهلاك في الدنيا والآخرة ثم توعدهم
بما هو كائن لا محالة فقال سنريهم آياتنا في الآفاق قال أبو المنهال والسدي
وجماعة هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الأقطار حول مكة وفي غير ذلك
من الأرض كخيبر وفي أنفسهم أراد به فتح مكة وتضمن ذلك الإخبار بالغيب ووقع
كما أخبر وقال الضحاك وقتادة في الآفاق ما أصاب الأمم المكذبة في أقطار
الأرض قديما وفي أنفسهم يوم بدر وقال عطاء وابن زيد في آفاق السماء وأراد
الآيات في الشمس والقمر والرياح وغير ذلك وفي أنفسهم عبر الإنسان بجسمه وحواسه
وغريب خلقته وتدرجه في البطن ونحو ذلك وينبو هذان القولان عن لفظ سنريهم
لأن هلاك الأمم المكذبة قديما وآيات الشمس والقمر وغير ذلك قد كان ذلك كله
مرئيا معروفا فالقول الأول أرجح وأخذ الزمخشري هذا القول وذيله فقال يعني
ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق
الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي
لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة
وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا
خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط
دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد
أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية
من آياته تقوى معها النفس ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين
الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه انتهى ما كتبناه منتقصا عليه
حتى يتبين لهم أنه أي القرآن وما تضمنه من الشرع هو الحق إذ وقع وفق
ما أخبر به من الغيب وبربك الباء زائدة التقدير أولم يكفك أو يكفهم ربك وأنه
على كل شيء شهيد بدل من ربك إما على لفظه كونه مجرورا بالباء فيكون بدلا على اللفظ
وإما على مراعاة الموضع فيكون بدلا على الموضع وقيل إنه على إضمار الحرف أي
أولم يكف ربك بشهادته فحذف الحرف وموضع أن على الخلاف أهو في موضع نصب
أو في موضع جر ويبعد قول من جعل بربك في موضع نصب وفاعل يكفي أن وما بعدها
والتقدير عنده أولم يكف ربك شهادته وقرئ إنه بكسر الهمزة على إضمار القول
والاستفتاح تنبيه السامع على ما يقال وقرأ السلمي والحسن في مرية بضم الميم
وإحاطته تعالى بالأشياء علمه بها جملة وتفصيلا فهو يجازيهم على كفرهم ومريتهم
في لقاء ربهم ٥ وركد الشيء ثبت مكانه وقد قال الشاعر
وقد ركدت وسط السماء نجومها ركود نوادي الربرب المتفرق ٥

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات والأرض وهو العلي العظيم
تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن
في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ
عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى
ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله
لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي
ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب
فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم
فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ٥ هذه السورة مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة
وجابر وقال ابن عباس مكية إلا أربع آيات من قوله قل لا أسألكم عليه أجرا
إلا المودة في القربى إلى آخر أربع الآيات فإنها نزلت بالمدينة وقال مقاتل فيها
مدني قوله ذلك الذي يبشر الله عباده إلى الصدور ومناسبة أول السورة لآخر
ما قبلها أنه قال قل أرأيتم إن كان من عند الله الآية وكان في ذلك الحكم عليهم
بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي
كفر به هؤلاء يوحي إليك أي إن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع يتعهدك به
وقتا بعد وقت وذكر المفسرون في حم عسق أقوالا مضطربة لا يصح منها شيء
كعادتهم في هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا وقرأ الجمهور يوحي مبنيا للفاعل
وأبو حيوة والأعشى عن أبي بكر وأبان نوحي بنون العظمة ومجاهد وابن كثير وعباس
ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو يوحى مبنيا للمفعول والله مرفوع بمضمر تقديره أوحى
أو بالابتداء التقدير الله العزيز الحكيم الموحي وعلى قراءة نوحي بالنون يكون الله
العزيز الحكيم مبتدأ وخبرا ويوحي إما في معنى أوحى حتى ينتظم قوله وإلى الذين
من قبلك أو يقر على موضوعه ويضمر عامل يتعلق به إلى الذين تقديره وأوحى إلى
الذين من قبلك وتقدم الكلام على تكاد السموات يتفطرن في سورة مريم قراءة
وتفسيرا وقال الزمخشري وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن
بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن
والظاهر أن هذا وهم من الزمخشري في النقل لأن ابن خالويه ذكر في كتاب شواذ
القراءات له ما نصه تنفطرن بالتاء والنون يونس عن أبي عمرو قال ابن خالويه
هذا حرف نادر لأن العرب لا تجمع بين علامتي التأنيث لا يقال النساء تقمن ولكن
يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وقد كان أبو عمر الزاهد روى في
نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن فأنكرناه فقد قواه الآن هذا انتهى كلام
ابن خالويه فإن كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم

وان كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ
وكذلك كتبهم تتفطرت وتتشمس بتاءين والظاهر عود الضمير في فوقهن على السموات
قال ابن عطية من اعلاهن وقال الزمخشري يتفطرن من علو شأن الله تعالى وعظمته
ويدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها على
الجلال والعظمة فوق السموات وذلك العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة
بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمى
فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وقال
جماعة منهم الحوفي قال من فوقهن والهاء والنون كناية عن الارضين انتهى
ومن فوقهن متعلق بيتفطرن ويدل على هذا القول ذكر الارض قبل وقال علي بن سليمان
الاخفش الضمير للكفار والمعنى من فوق الفرق والجماعات الملحدة اي من اجل اقوالها
انتهى فهذه الاية كالتي في سورة مريم واستبعد مكي هذا القول قال لا يجوز في الذكور
من بني ادم ضمير المونثات ولا استبعاد فيما ذكر مكي قال علي بن سليمان من فوق
الفرق والجماعات وظاهر الملايكة العموم وقال مقاتل حملة العرش والتسبيح
قيل قولهم سبحان الله وقيل يصلون والظاهر في يستغفرون طلب الغفران
ولاهل الارض عام مخصوص بقوله ويستغفرون لمن في الارض للذين امنوا قاله السدي
وقيل عام ومعنى الاستغفار طلب الهداية المؤدية الى المغفرة كانهم يقولون
اللهم اهد اهل الارض واغفر لهم ويدل عليه وصفه بالغفران والرحمة
والاستفتاح وقال الزمخشري ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار لهم طلب الحلم
والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه
كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم
وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما انتهى وتكلم ابو عبد الله الرازي في قوله
تكاد السموات كلاما خارجا عن مناحي مفهومات العرب منتزعا من كلام الفلاسفة
ومن جرى مجراهم يوقف على ذلك في كتابه والذين اتخذوا من دونه اولياء اي
اصناما واوثانا الله حفيظ عليهم اعمالهم ومجازيهم عليها وما انت عليهم بوكيل
اي بمفوض اليك امرهم ولا قائم وما في هذا من الموادعة منسوخ باية السيف وكذلك
اي ومثل هذا الايحاء والقضاء انك لست بوكيل عليهم اوحينا اليك قرانا عربيا
والظاهر ان قرانا مفعول اوحينا وقال الزمخشري الكاف مفعول به لاوحينا
وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي لا لبس فيه عليك
اذ نزل بلسانك انتهى فاستعمل الكاف اسما في الكلام وهو مذهب الاخفش لتنذر ام القرى
اي سبب ايحائنا اليك هو الانذار ولا تكلف غيره وام القرى مكة اي اهل ام القرى
ولذلك عطف ومن حولها والمفعول الثاني محذوف ومن حولها هم العرب وتنذر
يوم الجمع والمفعول الاول محذوف والثاني هو يوم الجمع اي اجتماع الخلائق والمنذر
به هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء وانقسام الجمع الى الفريقين او اجتماع الارواح
بالاجساد او اهل السما باهل الارض او الناس باعمالهم اقوال اربعة **وفريق**

لينذر بها الغيبة اي لينذر القران لا ريب فيه اي لا شك في وقوعه وقال
الزمخشري لا ريب فيه اعتراض لا محل له انتهى ولا يظهر انه اعتراض اعني صناعيا
لانه لم يقع بين طالب ومطلوب **وقرا** الجمهور فريق بالرفع فيهما اي هم فريق او منهم
فريق **وقرا** زيد بن علي بنصبهما اي افترقوا فريقا في كذا وفريقا في كذا ويدل على الا
الاجتماع المفهوم من يوم الجمع ولو شا الله لجعلهم امة واحدة يعني من ايمان او كفر
قاله معناه الضحاك وهو قول اهل السنة وذلك تسلية للرسول عما كان
يقاسيه من كفر قومه وتوقيف على ان ذلك راجع الى مشيئته ولكن من سبقت له
السعادة ادخله في رحمته وقال الزمخشري لجعلهم امة واحدة اي مومنين كلهم
على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقوله ولو شا ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت
تكره الناس حتى يكونوا مومنين وذكر ما ظنه استدلالا على ذلك وهو على طريق المعتزلة
وقال انس بن مالك في رحمته في دين الاسلام ام اتخذوا من دونه اولياء
ام منقطعة بل للانتقال من كلام الى كلام والهمزة للانكار عليهم اتخاذ اولياء من
دون الله وقيل ام بمعنى الهمزة فقط وتقدم الكلام على مثل هذا حيث جاءت
ام المنقطعة والمعنى اتخذوا اولياء من دون الله وليسوا باولياء حقيقة فالله
هو الولي والذي يجب ان يتولى وحده لا ما لا يضر ولا ينفع من اوليائهم ولما اخبر انه
الولي عطف عليه هذا الفعل الغريب الذي لا يقدر عليه غيره وهو احيا الموتى
ولما ذكر هذا الوصف ذكر قدرته على كل شي تتعلق ارادته به وقال الزمخشري في
قوله فالله هو الولي والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد
انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه انتهى ولا
حاجة الى اعتقاد شرط محذوف والكلام يتم بدونه وما اختلفتم فيه من شي هذا
حكاية لقول الرسول اي ما اختلفتم فيه ايها الناس من تكذيب او تصديق وايمان وكفر
وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عليه ليس ذلك الا الى الله لا الي ولفظة من شي
تدل على العموم وقيل من شي من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على
حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول وقيل من شي
من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر
من سنة رسول الله وقيل مما وقع منكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم
ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح وقال الزمخشري اي ما خالفكم
فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امور الدين فحكم
ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المومنين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع
في كفاية شرهم انتهى **وقرا** الجمهور فاطر بالرفع اي هو فاطر او خبر بعد خبر لقوله ذلكم
وقرا زيد بن علي فاطر بالجر صفة لقوله الى الله والجملة بعدها اعتراض بين الصفة
والموصوف خلق لكم من انفسكم اي من جنس انفسكم اي ادميات ازواجا اناثا او جعل الخلق
لابينا ادم من ضلعه حوا زوجا له خلقا لنا ومن الانعام ازواجا اي انواعا كثيرة

قرا

٤

ذكورا وإناثا أو أزواجا إناثا يذرؤكم فيه قال ابن عباس أي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون
بها وقال ابن زيد يرزقكم فيه وهو قريب من القول قبله وقال مجاهد يخلقكم نسلا بعد نسل
وقرنا بعد قرن وقال القتبي يخلقكم في بطون الإناث وقال ابن زيد أيضا يذرؤكم فيما
خلق من السموات والأرض وقال الزجاج يكثركم به أي فيه أي يكثركم في خلقكم أزواجا وقال
علي بن سليمان ينقلكم من حال إلى حال وقال ابن عطية الضمير في فيه للجعل أي يخلقكم
ويكثركم في الجعل كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه قال ولفظة ذرأ تزيد
على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان وقال
الزمخشري يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو
والذرء أخوات في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان
بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام
مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين
اصطلاح غريب وهي أن الخطاب يغلب على الغيبة إذا اجتمعا فتقول أنت وزيد تقومان
والعاقل يغلب على غير العاقل إذا اجتمعا فتقول الناس والحيوان هم يسبحون خالقهم
قال الزمخشري **فإن قلت** ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به
قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج
تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة انتهى ليس كمثله شيء تقول العرب مثلك لا يفعل
كذا يريدون به المخاطب كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نافيا عن الشخص وهو من
باب المبالغة ومثل الآية **قول أوس بن حجر**

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل ۵

وقول الآخر وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر ۵

وقول الآخر سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد ۵

فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من إطلاق المثل على نفس الشيء وما ذهب
إليه الطبري وغيره من أن مثلا زائدة للتوكيد كالكاف في قوله فصيروا مثل كعصف
مأكول وقوله وصاليات ككما يؤثفين ۵ ليس بجيد لأن مثلا اسم والأسماء لا تزاد بخلاف
الكاف فإنها حرف فتصلح للزيادة ونظير نسبة المثل إلى من لا مثل له قولك فلان
يده مبسوطة تريد أنه جواد ولا نظر له في الحقيقة إلى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له
كقوله بل يداه مبسوطتان فكما جعلت ذلك كناية عن الجود في من لا يد له فكذلك جعلت
المثل كناية عن الذات في من لا مثل له ويحتمل أيضا أن يراد بالمثل الصفة وذلك
سائغ يطلق المثل بمعنى المثل وهو الصفة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء
من الصفات التي لغيره وهذا محمل سهل والوجه الأول أغوص قال ابن قتيبة العرب
تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي هذا انتهى فقد
صار ذلك كناية عن الذات فلا فرق بين قولك ليس كالله شيء أو ليس كمثل الله
شيء وقد جمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من أن كلا
منهما يراد به التشبيه وذلك محال لأن فيه إثبات مثل لله تعالى وهو محال وهو
السميع لأقوال الخلق البصير لأعمالهم وتقدم تفسير له مقاليد السموات والأرض

ع قوله عز وجل شرع لكم من الدين

في سورة مريم **وقرئ** ويقدر أي ويضيق إنه بكل شيء عليم لمن يشاء ويضيق على من يشاء وقال
الزمخشري فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره انتهى وفيه دسيسة الاعتزال
۵ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة
سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي
شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل
الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة
بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما
استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله
الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين
يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي
العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب ~~ لما عدد تعالى نعمه عليهم الخاصة أتبعه بذكر نعمه
العامة وهو ما شرع لهم من العقائد المتفق عليها من توحيد الله وطاعته والإيمان
برسله وكتبه وباليوم الآخر والجزاء فيه ولما كان أول الرسل نوحا عليه السلام وآخرهم
محمدا صلى الله عليه وسلم قال ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم أتبع ذلك ما وصى
به إبراهيم إذ كان أبا العرب ففي ذلك هز لهم وبعث على اتباع طريقته موسى وعيسى
صلوات الله عليهم لأنهما اللذان كان أتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والشرائع متفقة فيما ذكرنا من العقائد وفي كثير من الأحكام كتحريم
الزنا والقتل بغير حق والشرائع مشتملة على عقائد وأحكام وينقل أن نوحا أول من أتى
بتحريم البنات والأمهات وذوات المحارم وقال ابن عباس شرع اختار ويحتمل
أن تكون مفسرة لأن قبلها ما هو بمعنى القول فلا موضع لها من الإعراب وأن تكون أن
المصدرية فتكون في موضع نصب على البدل من ما والمعطوف عليها أو في موضع رفع أي ذلك
أو هو إقامة الدين وهو توحيد الله وما يتبعه مما لا بد من اعتقاده ثم نهى عن التفرقة
فيه لأن التفرق سبب للهلاك والاجتماع والألفة سبب للنجاة كبر على المشركين
أي عظم وشق ما يدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأصنام وإقامة الدين الله يجتبي
أي يجتلب ويجمع إليه من يشاء هدايته وهذا تسلية للرسول وقيل يجتبي فيجعله رسولا
إلى عباده ويهدي إليه من ينيب يرجع إلى طاعته عن كفره وقال الزمخشري من يشاء
من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقال
الحافظ أبو بكر بن العربي لم يكن مع آدم عليه السلام إلا بنوه ولم يفرض له الفرائض
ولا شرعت له المحارم وإنما كان منبها على بعض الأمور مقتصرا على ضرورات المعاش
واستمر المهدي إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات ووظف عليه الواجبات
وأوضح له الآداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء واحدا بعد

واحد وشريعة الرشريعة حتى ختمه الله بخير الملل على لسان اكرم الرسل فكان المعنى
اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا في الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع وهي التوحيد
والصلاة والزكوة والصيام والحج والتقرب بصالح الاعمال والصدق والوفا بالعهد
واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والزنا والاذاية للخلق كيف ما تصرفت
والاعتدا على الحيوان واقتحام الدناآت وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروعا
دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان اختلفت اعدادهم
وذلك قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه قايما يريد دايما مستمرا
محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب انتهى وقال مجاهد لم يبعث نبي الا
امر باقامة الصلاة وايتاء الزكوة والاقرار بالله وطاعته فهو اقامة الدين وقال
ابو العالية اقامة الدين الاخلاص لله وعبادته ولا تتفرقوا فيه قال ابو العالية
لا تتعادوا فيه وقال مقاتل معناه لا تختلفوا فان كل نبي مصدق وقيل لا تتفرقوا
فيه فتؤمنوا ببعض الرسل وتكفروا ببعض وما تفرقوا قال ابن عباس يعني قريشا والعلم
محمد عليه السلام وكانوا يتمنون ان يبعث لهم نبي كما قال واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير يريد نبيا وقيل الضمير يعود على امم الانبيا جاءهم العلم
فطال عليهم الامد فآمن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا عايد على اهل الكتاب
والمشركين دليله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة قال
المشركون لم خص بالنبوة واليهود والنصارى حسدوه ولولا كلمة اي عدة التاخير الى
يوم القيمة فحينئذ يقع الجزاء لقضي بينهم لجوزوا باعمالهم في الدنيا لكنه قضي ان ذلك
لا يكون الا في الاخرة وقال الزجاج الكلمة قوله بل الساعة موعدهم وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم يعني بقية اهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بعدهم اي من بعد اسلافهم او هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث
اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرأ زيد بن علي ورثوا مبنيا للمفعول مشدد الراء ولفي شك
منه اي من كتابهم او من القرآن او ممن جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او من الدين الذي وصى
نوحا ولما تقدم من شان الامر باقامة الدين وتفرق الذين جاءهم العلم واختلافهم وكونهم
في شك احتمل قوله فلذلك ان يكون اشارة الى اقامة الدين اي فادع لدين الله واقامته
لا يحتاج الى تقدير اللام بمعنى لان دعا يتعدى باللام قال الشاعر

دعوت لما نابني مسورا فلبي فلبي يدي مسور

واحتمل ان تكون اللام للعلة اي فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية واستقم اي دم على الاستقامة
وتقدم الكلام على فاستقم كما امرت وكيفية هذا التشبيه في اواخر هود ولا تتبع اهواءهم
المختلفة الباطلة وامر بان يصرح انه امن بكل كتاب انزله الله لان الذين تفرقوا
امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قيل ان المعنى وامرت ان اعدل بينكم
وقيل المعنى وامرت بما امرت به لاعدل بينكم في ايصال ما امرت به اليكم لا اخص
شخصا بشيء دون شخص الشريعة واحدة والاحكام مشتركة فيها وقيل لاعدل
بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي قد وضحت الحجج وانا

البراهين

البراهين وانتم محجوجون فلا حاجة الى اظهار حجة بعد ذلك الله يجمع بيننا وبينكم اي
يوم القيمة فيفصل بيننا وما يظهر في هذه الاية من الموادعة منسوخ باية السيف
والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دينه قال ابن عباس ومجاهد نزلت في طا
من بني اسرايل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم ومحاجتهم بان قالوا كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فديننا افضل فنزلت الاية في ذلك وقيل نزلت
في قريش كانوا يجادلون في هذا المعنى ويطمعون في رد المؤمنين الى الجاهلية
واستجيب مبني للمفعول فقيل المعنى من بعد ما استجاب الناس لله اي لدينه ودخلوا
فيه وقيل من بعد ما استجاب الله لدعاء رسوله ودينه بان نصره يوم بدر واظهر
دينه حجتهم داحضة اي باطلة لا ثبوت لها ولما ذكر من يحاج في دين الاسلام
صرح بانه تعالى هو الذي انزل الكتاب والكتاب جنس يراد به الكتب الالهية
والميزان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم هو العدل وعن ابن مجاهد هو هنا
الميزان الذي بايدي الناس وهذا مندرج في العدل وما يدريك ايها المخاطب
لعل الساعة قريب ذكر على معنى البعث او على حذف مضاف اي لعل مجيء الساعة ولعل
الساعة في موضع معمول وما يدريك وتقدم الكلام على مثل هذا في قوله في اخر
الانبيا وان ادري لعله فتنة لكم وتوافق هذه الجملة مع قوله الله الذي انزل
الكتاب بالحق والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه
قيل امركم الله بالعدل والتسوية قبل ان يفاجيكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن
اعمالكم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يطلب وقوعها عاجلة لانهم ليسوا موقنين
بوقوعها فيبين عجز من يؤمن بها عندهم اي هي مما لا يقع عندهم الا ان الذين يمارون
ويلجون في امر الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق لان البعث غير مستبعد من قدره وذلك
عليه الكتاب المعجز فوجب الايمان به الله لطيف بعباده اي بر بعباده المؤمنين
ومن سبق له الخلود في الدنيا وما يرى من النعم على الكافر فليس بلطف انما هو املاء ولا
لطف الا ما آل الى الرحمة والوفاة على الاسلام وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر
حيث لم يقتلهم جوعا وقال الزمخشري يوصل بره الى جميعهم يرزق من يشاء اي
من يشاء اي يرزقه شيئا خاصا ويحرم من يشاء من ذلك الشيء الخاص وكل منهم مرزوق
وان اختلف الرزق وهو القوي اي البالغ القوة وهي القدرة العزيز الغالب
الذي لا يغلب ولما ذكر تعالى الرزق ذكر حديث الكسب ولما كان الحرث في الارض
اصلا من اصول المكاسب استعير لكل مكسب اريد به النما والفايدة اي من كان
يريد عمل الاخرة ويسعى لها سعيها نزد له في حرثه اي في جزاء حرثه من تضعيف
الحسنات ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها اي العمل لها لا للاخرة نؤته منها
اي نعطه شيئا منها وما له في الاخرة من نصيب لانه لم يعمل شيئا للاخرة والجملة الاولى
وعد محض والثانية مقيدة بمشيته تعالى فلا ينال له الا رزقه الذي فرغ منه
لا كل ما يريد هو واقتصر في عامل الاخرة على ذكر حظه فيها مع انه في الدنيا لا بد له
من رزقه الذي قدر له لان ماله في الدنيا بالنسبة الى حظه في الاخرة كانه
غير معتبر فلا يناسب ذكره مع ما اعد الله له في الاخرة لمن يشاء ما يشاء وجاء فعل

الشرط ماضياً والجواب مجزوم لقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها ولا نعلم خلافاً في جواز الجزم وأنه فصيح مختار إلا ما ذكره صاحب كتاب الإعراب وهو أبو الحكم بن عذرة عن بعض النحويين أنه لا يجيء في الكلام الفصيح وإنما يجيء مع كان لأنها أصل الأفعال ولا يجيء مع غيرها من الأفعال ونص كلام س والجماعة أنه لا يختص ذلك بكان بل سائر الأفعال في ذلك مثلها وأنشد سيبويه للفرزدق

دست رسولاً بأن القوم إن قدروا عليك يشفوا صدوراً ذات توغير

وقال أيضاً

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وقرأ الجمهور نزد ونؤته بالنون فيهما وابن مقسم والزعفراني ومحبوب والمنقري كلاهما عن أبي عمرو بالياء فيهما وقرأ سلام نؤته منها برفع الهاء وهي لغة الحجاز أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١ه أم لهم شركاء استفهام تقرير وتوبيخ لما ذكر تعالى أنه شرع للناس ما وصى به نوحاً الآية أخذ ينكر ما شرع غيره تعالى والشركاء هنا يحتمل أن يراد به شركاؤهم في الكفر كالشياطين والمغوين من الناس والضمير في شرعوا عائد على الشركاء والضمير في لهم عائد على الكفار المعاصرين للرسول ويحتمل أن يراد به الأصنام والأوثان وكل من جعلوه شريكاً لله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله والضمير في شرعوا يحتمل أن يعود على الشركاء ولهم عائد على الكفار ولما كانت سبباً لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم عليه السلام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس واحتمل أن يعود على الكفار ولهم عائد على الشركاء أي شرع الكفار لأصنامهم ومعبوداتهم أي رسموا لهم غوايته وأحكاماً في المعتقدات كقولهم إنهم آلهة وأن عبادتهم تقربهم إلى الله ومن الأحكام البحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك ولولا كلمة الفصل أي العدة بأن الفصل يكون في الآخرة أو لولا القضاء بذلك لقضي بين المؤمن والكافر أو بين المشركين وشركائهم وقرأ الجمهور

قوله عز وجل أم لهم شركاء

وأن الظالمين بكسر الهمزة على الاستئناف والإخبار بما ينالهم في الدنيا من القتل والأسر والنهب وفي الآخرة النار وقرأ الأعرج ومسلم بن جندب وأن بفتح الهمزة عطفاً على كلمة الفصل فهو في موضع رفع أي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا كما فصل في قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ترى الظالمين أي تبصر الكافرين لمقابلته بالمؤمنين مشفقين خائفين الخوف الشديد مما كسبوا من السيئات وهو أي العذاب أو يعود على ما كسبوا على حذف أي ووبال ما كسبوا وجزاؤه حال بهم وهو واقع بهم فإشفاقهم هو في هذه الحال فليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة ولما كانت الروضات أحسن ما في الجنات وأنزهها وفي أعلاها ذكر أن المؤمنين فيها واللغة الكثيرة تسكين الواو في روضات ولغة هذيل ابن مدركة فتح الواو إجراء للمعتل مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرأ أحد مما علمناه بلغتهم وعند ظرف قال الحوفي معمول ليشاؤون وقال الزمخشري منصوب بالظرف لا بيشاؤون انتهى وهو الصواب ويعني بالظرف الجار والمجرور وهو لهم وفي الحقيقة هو معمول للعامل في لهم والمعنى ما يشاؤون من النعيم والثواب مستقر لهم عند ربهم والعندية عندية المكانة والتشريف لا عندية المكان وقرأ الجمهور يبشر بتشديد الشين من بشر وعبد الله بن يعمر وابن أبي إسحاق والجحدري والأعمش وطلحة في رواية والكسائي وحمزة يبشر ثلاثياً ومجاهد وحميد بن قيس بضم الياء وتخفيف الشين من أبشر وهو معدى بالهمزة من بشر اللازم المكسور الشين وأما بشر بفتحها فمتعد وبشر بالتشديد للتكثير لا للتعدية لأن المتعدي إلى واحد وهو مخفف لا يعدى بالتضعيف إليه فالتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية ذلك إشارة إلى ما أعد لهم من الكرامة وهو مبتدأ خبره الموصول والعائد عليه محذوف أي يبشر الله به عباده انتهى ولا يظهر هذا الوجه إذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليه من بشر وشبهه ومن النحويين من جعل الذي مصدرية حكاه ابن مالك عن يونس وتأول عليه هذه الآية أي ذلك تبشير الله عباده وليس بشيء لأنه إثبات للاشتراك بين مختلفي الحد بغير دليل وقد ثبتت اسمية الذي فلا يعدل عن ذلك بشيء لا يقوم به دليل بل ولا شبهة قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمداً يسأل أجراً على ما يتعاطاه فنزلت وروي أن الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك حقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت الآية فرده وقيل الخطاب متوجه إلى قريش حين جمعوا له مالاً وأرادوا أن يرشوه على أن يمسك عن سب آلهتهم فلم يفعل ونزلت والمعنى لا أسألكم مالاً ولا رياسة ولكن أسألكم أن ترعوا حق قرابتي وتصدقوني فيما جئتكم به وتمسكوا عن أذيتي وأذية من تبعني قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها فكتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط الناس

في قريش لبس بطن من بطونهم الا قد ولدهم فقال الله تعالى له قل لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي منكم فادعوا ما بيني وبينكم فصدقوني وقال عكرمة وكانت قريش تصل ارحامها وقال الحسن المعنى الا ان تتوددوا الى الله بالتقرب اليه وقال عبد الله بن القسم الا ان تتوددوا بعضكم الى بعض وتصلوا قراباتكم روي ان شبانا من الانصار فاخروا المهاجرين وصالوا بالقول فنزلت على معنى ان لا تؤذوني في قرابتي وتحفظوني فيهم وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب واستشهد بالاية حين سيق الى الشام اسيرا وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب وعلى هذا التأويل قال ابن عباس قيل يا رسول الله من قرابتك الذين امرنا بمودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما وقيل هم ولد عبد المطلب والظاهر ان قوله الا المودة استثناء منقطع لان المودة ليست اجرا وقال الزمخشري يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة وقال **فان قلت** هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها انتهى وهو حسن وفيه تكثير **وقرأ** زيد بن علي الا مودة والجمهور الا المودة ومن يقترف حسنة اي يكتسب والظاهر عموم الحسنة عموما لبدل فتندرج فيها المودة في القربى وغيرها وعن ابن عباس والسدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقرأ** الجمهور نزد بالنون وزيد بن علي وعبد الوارث عن ابي عمرو واحمد بن جبير عن الكسائي يزد بالياء اي يزد الله والجمهور حسنا بالتنوين وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بغير تنوين على وزن رجعى وزيادة حسنها مضاعفة اجرها ان الله غفور ستار عيوب عباده شكور مجاز على الدقيقة لا يضيع عنده عمل العامل وقال السدي غفور لذنوب آل محمد عليه السلام شكور لحسناتهم ام يقولون افترى على الله كذبا اضرب عن الكلام المتقدم من غير ابطال واستفهم استفهام انكار وتوبيخ على هذه المقالة اي مثله لا ينسب اليه الكذب على الله مع اعترافكم له قبل بالصدق والامانة فان يشأ الله يختم على قلبك قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انك مفتر وقال قتادة وجماعة يختم على قلبك ينسيك القرآن والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان ابطالها وذلك كانه يقول وكيف يصح ان يكون مفتريا وانت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر لو شاء ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصد اللفظ هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا انتهى هكذا اورد هذا التأويل عن قتادة ابن عطية وفي الفاظه فظاظة لا يليق ان ينسب للانبياء وقال الزمخشري عن قتادة ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك انتهى وقال الزمخشري ايضا فان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب

على الله

على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه انتهى وقيل المعنى لو افتريت على الله لطبع على قلبك حتى لا تقدر على حفظ القرآن وقيل الختم على قلبك بالصدق واليقين وقد فعل ذلك وذكر القشيري ان المعنى يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم ويعاجلهم بالعذاب انتهى فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ومن الجمع الى الافراد اي يختم على قلبك ايها القائل انه افترى على الله كذبا ويمح الله الباطل استئناف اخبار اي يمحوه اما في الدنيا واما في الآخرة بحسب نازلة نازلة وكتب ويمح بغير واو لما كتبوا سندع بغير واو اعتبارا بعدم ظهورها لانه لا يوقف عليها وفقا اختيارا فلما سقطت من اللفظ سقطت من الخط وقال الزمخشري ويجوز ان تكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك انتهى وقيل ويحق الاسلام بكلماته اي بما انزل من القرآن وتقدم الكلام في شرائط التوبة يقال قبلت منه الشيء بمعنى اخذته منه لقوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم اي يؤخذ اي جعلته مبدأ قبولي ومنشأه وقبلته عنه عزلته عنه وابنته فمعنى عن عباده اي يزيل الرجوع عن المعاصي ويعفو عن السيئات قال الزمخشري عن السيئات اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر انتهى وهو على طريقة الاعتزال ان الكبائر لا يعفى عنها الا بالتوبة ويعلم ما يفعلون فيثيب ويعاقب **وقرأ** الجمهور ما يفعلون بياء الغيبة وعبد الله وعلقمة والاخوان وحفص بتاء الخطاب والظاهر ان الذين فاعل ويستجيب اي ويجيب الذين آمنوا ربهم كما قال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيكون يستجيب بمعنى يجيب او يبقى على بابه من الطلب اي يستدعي الذين آمنوا الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة وقال سعيد بن جبير هذا امر يفعلهم اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا قال الزجاج الذين مفعول واجاب واستجاب بمعنى واحد فالمعنى ويجيب الله الذين آمنوا اي للذين كما قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه وروي هذا المعنى عن معاذ بن جبل وابن عباس ويزيدهم من فضله اي على الثواب تفضلا وفي الحديث قبول الشفاعات في المؤمنين والرضوان وقال خباب ابن الارت نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال عمرو بن حريث طلب قوم من اهل

الصفة من الرسول عليه السلام ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق فنزلت
اعلم ان الرزق لو جاء على اقتراح البشر لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه تعالى اعلم
بالمصلحة فرب انسان لا يصلحه ويكفيه شره الا بالفقر وآخر بالغنى وفي هذا المعنى التقسيم
حديث رواه انس وقال الهشامي من عبادك الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني
ولبغوا اما من البذخ والكبرياء لتكبروا في الارض ففعلوا ما يتبع الكبر من العلو والفساد
واما من الظلم اي لظلم هذا ذاك وذاك هذا لان الاشر والبطر مع الغنى الا ترى الى
حال قارون وفي الحديث اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا ۵ ۵

وقال الشاعر ۵

۵ وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا ۵

يعني انهم احيوا فاخذوا انفسهم بالبغي والفتن ولكن ينزل بقدر ما يشاء يقال قدر بالسكون
وبالفتح اي بقدر لهم ما هو اصلح لهم وقرأ الجمهور قنطوا بفتح النون والاعمش وابن وثاب
بكسرها وينشر رحمته ما يظهر من آثار الغيث من المنافع والخصب والظاهر ان رحمته نشرها
اعم من الغيث وقال السدي رحمته الغيث وعدد النعمة بعينها بلفظين وقيل
الرحمة هنا ظهور الشمس لانه اذا دام المطر سئم فتجيء الشمس بعد عظيمة الموقع ذكره
المهدوي وهو الولي الذي يتولى عباده الحميد المحمود على ما اسدى من نعمائه وما بث
الظاهر انه مجرور عطفا على السموات والارض ويجوز ان يكون مرفوعا عطفا على خلق
على حذف مضاف اي وخلق ما بث وفيهما يجوز ان يكون مما نسب فيه ما لواحد الى المجموع
المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو فلان صنعوا كذا وانما صنعه واحد منهم
ومنه يخرج منهما وانما يخرج من الملح او يكون من الملائكة بعض مشي مع الطيران فيوصف
بالدبيب كما يوصف به الاناسي ويكون قد خلق في السموات حيوانا يمشي مع مشي الاناسي
على الارض او يريد الحيوان الذي يكون في السحاب وقد يقع احيانا كالضفادع والسحاب
داخل في اسم السماء وقال مجاهد وما بث فيهما من دابة هم الناس والملائكة وقال
ابو علي هو على حذف مضاف اي وما بث في احدهما وقرأ الجمهور فبما بالفاء وكذا
هي في معظم المصاحف واحتمل ما ان تكون شرطية وهو الاظهر وان تكون موصولة والفا
تدخل في خبر الموصول اذا اجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو وهي هنا موجودة
وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر في رواية وشيبة بما بغير فاء فما موصولة ولا يجوز
ان تكون شرطية وحذفت الفا لان ذلك مما يخصه س بالشعر واجاز ذلك الاخفش
وبعض نحاة بغداد وذلك على ارادة الفاء وترتب ما اصاب من المصائب على
كسب الايدي موجود مع الفاء ودونها هنا والمصيبة الرزايا والمصائب
في الدنيا وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه وانه تعالى يعفو عن كثير
فلا يجازي عليه بمصيبة وفي الحديث لا يصيب ابن آدم خدش عود او عثرة قدم ولا
اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال
ان احبه الي احبه الى الله وهذا بما كسبت يداي وترى على كف شريح قرحة فقيل
بما هذا فقال بما كسبت يدي وقال الزمخشري الاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع
ان يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال

والمجانين

والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي هذه
ارجى آية للمؤمنين وقال الحسن من مصيبة اي حد من حدود الله وتلك مصائب
تنزل بشخص الانسان ونفسه فانما هي بكسب ايديكم ويعفو الله عن كثير فيستره على العباد
حتى لا يحد عليه وما انتم بمعجزين اي فائتين اي انتم في قبضة القدرة وقيل ليست
المصائب من الاسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله تعالى
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولاشتراك الصالح ~~والصالح~~ والطالح فيها بل اكثر
ما يبتلى به الصالحون المتقون وفي الحديث خص البلاء بالانبياء ثم الامثل
فالامثل ولان الدنيا دار التكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء وليس
الامر كذلك وهذا القول يرده نصوص القرآن كقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية ۵ ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن
بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من
شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب
الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون
الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف
خفي ۵ لما ذكر تعالى من دلائل وحدانيته انواعا ذكر بعدها العالم الاكبر وهو السموات
والارض ثم العالم الاصغر وهو الحيوان ثم اتبعه بذكر المعاد اتبعه بذكر السفن
الجارية في البحر لما فيها من عظيم دلائل القدرة من جهة ان الماء جسم لطيف شفاف
يغوص فيه الثقيل والسفن تشحن بالاجرام الكثيفة الثقيلة ومع ذلك جعل تعالى
للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص ثم جعل الرياح سببا لسيرها فاذا اراد ان ترسو
اسكن الريح فلا تبرح عن مكانها والجواري جمع جارية واصله السفن الجواري حذف
الموصوف واقامت صفته مقامه وحسن ذلك قوله في البحر فدل ذلك على انها صفة
للسفن والا فهي صفة غير مختصة فكان القياس ان لا يحذف الموصوف ويقوم مقامه
ويمكن ان يقال انها صفة غالبة كالابطح فجاز ان تلي العوامل بغير ذكر الموصوف
وقرئ الجواري بالياء ودونها وسمع من العرب الاعراب في الراء وفي البحر متعلق بالجواري
كالاعلام في موضع الحال والاعلام الجبال ومنه قول الخنساء اخت صخر
ومعاوية ۵ وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار ۵
ومنه اذا قطعن علما بدا علم ۵ وقرأ جمهور السبعة الريح افرادا ونافع جمعا وقرأ
الجمهور فيظللن بفتح اللام وقرأ قتادة بكسرها والقياس الفتح لان الماضي بكسر العين
فالكسر في المضارع شاذ وقال الزمخشري من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل انتهى

قوله عز وجل ومن آياته الجوار

تنتخص

وليس كما ذكر لأن يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بكسرها من ضللت بفتحها في الماضي وكلاهما مقيس لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه أو يوبقهن يهلكهن أي الجواري وهو عطف على يسكن والضمير في كسبوا عائد على ركاب السفن أي بذنوبهم وقرأ الأعمش ويعفو بالواو وعن أهل المدينة بنصب الواو والجمهور ويعف مجزوما عطفا على يوبقهن فأما قراءة الأعمش فإنه أخبر تعالى أنه يعفو عن كثير أي لا يؤاخذ بجميع ما اكتسب الإنسان وأما النصب فبإضمار أن بعد الواو كالنصب بعد الفاء في قراءة من قرأ يحاسبكم به الله فيغفر وبعد الواو في قول الشاعر

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

روي بنصب ونأخذ ورفعه وجزمه وفي هذه القراءة يكون العطف على مصدر متوهم أي يقع إيباق وعفو عن كثير وأما الجزم فإنه داخل في حكم جواب الشرط إذ هو معطوف عليه وهو راجع في المعنى إلى قراءة النصب لكن هذا عطف فعل على فعل وفي النصب عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم وقال القشيري وقرئ ويعف بالجزم وفيها إشكال لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لأن المعنى يصير إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ويعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى انتهى وما قاله ليس بجيد إذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى أنه تعالى إن يشأ أهلك ناسا وأنجى ناسا على طريق العفو عنهم وقال الزمخشري فإن قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها انتهى ولا يتعين أن يكون التقدير أو يعصفها فيغرقن لأن إهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل أو انكسار اللوح يكون سببا لإهلاكها أو يعرض عدو يهلك أهلها وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وزيد بن علي ويعلم بالرفع على القطع وقرأ الجمهور ويعلم بالنصب قال أبو علي حسن النصب إذا كان قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب وقال الزجاج على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما قال الزمخشري فيه نظر لما أورده س في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى س منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة انتهى وخرج الزمخشري النصب على أنه

معطوف

معطوف على تعليل محذوف قال تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت انتهى ويبعد تقديره لينتقم منهم لأنه ترتب على الشرط إهلاك قوم فلا يحسن لينتقم منهم وأما الآيتان فيمكن أن تكون اللام متعلقة بفعل محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك ولتجزى كل نفس بما كسبت فعلنا ذلك وهو كثيرا يقدر هذا الفعل محذوفا قبل لام العلة إذا لم يكن فعل ظاهر يتعلق به وذكر الزمخشري أن قوله تعالى ويعلم قرئ بالجزم فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كأنه قال أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين انتهى لأن قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يتضمن تحذيرهم من عقاب الله وما لهم من محيص في موضع نصب لأن ويعلم معلقة كقولك علمت ما زيد قائم وقال ابن عطية في قراءة النصب وهذه الواو ونحوها التي يسميها الكوفيون واو الصرف لأن حقيقة واو الصرف التي يريدون عطف فعل على اسم مقدر فيقدر أن ليكون مع الفعل بتأويل المصدر فيحسن عطفه على الاسم انتهى وليس قوله لأن تعليلا لقولهم واو الصرف إنما هو تقرير لمذهب البصريين وأما الكوفيون فواو الصرف ناصبة بنفسها لا بإضمار أن بعدها وقال أبو عبيد على الصرف كالذي في آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومعنى الصرف أنه كان على جهة فصرف إلى غيرها فتغير الإعراب لأجل الصرف والعطف لا يبين الاقتران في الوجود كالعطف في الاسم نحو جاء زيد وعمرو ولو نصبت وعمرا اقتضى الاقتران وكذلك واو الصرف تفيد معنى الاقتران وتبين معنى الاجتماع ولذلك أجمع على النصب في قوله ويعلم الصابرين أي ويعلم المجاهدين والصابرين معا وعن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت فما أوتيتم من شيء والظاهر أنه خطاب للناس وقيل للمشركين وما شرطية مفعول ثان لأوتيتم ومن شيء تبيين لما والمعنى من شيء من رياش الدنيا ومالها والسعة فيها والفاء جواب الشرط أي فهو متاع أي يستمتع به في الحياة وما عند الله أي من ثوابه وما أعد لأوليائه خير وأبقى مما أوتيتم لأنه لا انقطاع له وتقدم الكلام في الكبائر في قوله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه في النساء وقرأ الجمهور كبائر جمعا هنا وفي النجم وحمزة والكسائي بالإفراد والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ووقع لأبي البقاء وهم في التلاوة اعتقد أنها الذين يجتنبون بغير واو فبنى عليه الإعراب فقال الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من الذين آمنوا ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار أعني وفي موضع رفع على تقديرهم انتهى والعامل في إذا يغفرون وهي جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على يجتنبون ويجوز أن يكون هم توكيدا للفاعل في غضبوا وقال أبو البقاء هم مبتدأ ويغفرون الخبر والجملة جواب إذا انتهى وهذا لا يجوز

لان الجملة لو كانت جواب اذا لكانت بالفاء تقول اذا جاء زيد فعمرو منطلق ولا يجوز
حذف الفاء الا ان ورد في شعر وقيل هم مرفوع بفعل محذوف يفسره يغفرون
ولما حذف انفصل الضمير وهذا القول فيه تطرو سوان جواب اذا يفسر كما يفسر فعل
الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت ولا يبعد جواز ذلك على مذهب س اذا جاز
ذلك في اداة الشرط الجازمة نحو ان ينطلق زيد ينطلق فزيد عنده فاعل بفعل
محذوف يفسره الجواب اي ينطلق زيد ينطلق ومنع ذلك الكسائي والفراء قال الزمخشري
هم يغفرون اي هم الاخصا بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم
كما يغول حلوم الناس والمجي بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة
انتهى وفيه حض على كسر الغضب وفي الحديث اوصني قال لا تغضب قال
زدني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب والذين استجابوا لربهم
قيل نزلت في الانصار دعاهم الله للايمان به وطاعته فاستجابوا له وكانوا
قبل الاسلام وقبل تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا نابهم امر
تشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون بامر حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن
ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم انتهى وفي الشورى اجتماع الكلمة والتحاب
والتعاضد على الخير وقد شاورهم الرسول عليه السلام فيما يتعلق بمصالح الحروب
والصحابة بعده في ذلك كتشاور عمر للهرمزان وفي الاحكام كقتال اهل الردة و
ميراث الجد وعدد حد الخمر وغير ذلك والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
على حذف مضاف اي وامرهم ذو شورى بينهم وهم ينتصرون صلة للذين
واذا معمولة لينتصرون ولا يجوز ان يكون هم ينتصرون جوابا لاذا والجملة
الشرطية وجوابها صلة لما ذكرناه من لزوم الفا ويجوز هنا ان يكون هم فاعلا
بفعل محذوف على ذلك القول الذي قيل في هم يغفرون وقال الحوفي
وان شئت جعلت هم توكيدا للهاء والميم يعني في اصابهم وهو ضمير رفع وفي
هذا نظر اذ فيه الفصل بين المؤكد والتوكيد بالفاعل وهو فصل الظاهر انه
لا يمتنع والانتصار ان يقتصر على ما جعله الله له ولا يعتدي وقال النخعي كانوا
يكرهون ان يذلوا انفسهم فتجترئ عليهم الفساق ومن انتصر غير متعد فهو
مطيع محمود وقال مقاتل وهشام بن عروة الآية في المجروح ينتصف من الجارح
بالقصاص وقال ابن عباس بغى المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اصحابه واخرجوهم من مكة فاذن الله لهم بالخروج فمكن لهم في الارض ونصرهم
على من بغى عليهم وقال الكيا الطبري ظاهره ان الانتصار في هذا الموضع
افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله ولرسوله واقامة الصلاة
فهذا على ما ذكر النخعي وهذا فيمن تعدى واصر والمأمور فيه بالعفو اذا
كان الجاني نادما مقلعا وقد قال عقيب هذه الآية ولمن انتصر بعد ظلمه
الآية فيقتضي اباحة الانتصار وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر وهذا
محمول على الغفران عن غير المصر فاما المصر على البغي فالافضل الانتصار منه
بدليل الآية قبلها وقال ابن بحر المعنى تناصروا عليه فازالوه عنهم وقال

ابو بكر

ابو بكر بن العربي نحوا من قول الكيا وقال الجمهور اذا بغى مؤمن على مؤمن فلا يجوز له
ان ينتصر منه بنفسه بل يرفع ذلك الى الامام او نائبه وقالت فرقة له ذلك
وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا بيان للانتصار اي لا يتعدى فيما يجازى به
من بغى عليه قال ابن ابي نجيح والسدي اذا شتم فله ان يرد مثل ما شتم به دون
ان يتعدى وسمى القصاص سيئة على سبيل المقابلة او لانها تسوء من اقتص منه
كما ساءت المقتص وظاهر قوله مثلها المماثلة مطلقا في كل الاحوال الا فيما
خصه الدليل والفقهاء ادخلوا التخصيص في صور كثيرة بناء على القياس
قال مجاهد والسدي اذا قال له اخزاك الله فليقل له اخزاك الله
واذا قذفه قذفا يوجب الحد فليس ذلك بل الحد الذي امر الله فمن عفا واصلح اي بينه
وبين خصمه بالعفو فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس عظمها ادمي على الله انه
لا يحب الظالمين اي الخائنين واذا كان لا يحبه وقد ندب الى العفو عنه
فالعفو الذي يحبه الله اولى ان يعفى عنه او لا يحب الظالمين من تجاوز
واعتدى من المجني عليهم اذا انتصروا وخصوصا في حالة الحرد والتهاب الحمية
فربما يظلم وهو لا يشعر وفي الحديث اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له
اجر على الله فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون
نحن عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله واللام في ولمن
انتصر لام توكيد قال الحوفي وفيها معنى القسم وقال ابن عطية لام التقاء
القسم يعني ان انها اللام التي يتلقى بها القسم فالقسم قبلها محذوف ومن شرطية
وجملة انتصر بعد ظلمه على الفاء من وفاوليك على معنى من والفاء جواب الشرط وظلمه
مصدر مضاف الى المفعول قال الزمخشري ويفسره قراءة من قرأ بعدما ظلم ما عليهم
من سبيل قيل اي من طريق الى الحرج وقيل من سبيل للمعاقب ولا المعاتب والعائب
وهذه مبالغة في اباحة الانتصار انما السبيل اي سبيل الاثم والحرج على
الذين يظلمون اي يبتدئون بالظلم ويبغون في الارض اي يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون وقيل يظلمون الناس اي يضعونهم لاشياء غير مواضعها من القتل واخذ
المال والاذى باليد واللسان والبغي بغير الحق هو نوع من انواع الظلم خصه
بالذكر تنبيها على شدته وسوء حال صاحبه انتهى ولمن صبر اي على الظلم والاذى
وغفر ولم ينتصر واللام في ولمن يجوز ان تكون اللام الموطئة للقسم المحذوف
ومن شرطية وجواب القسم قوله ان ذلك وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب
القسم عليه ويجوز ان تكون اللام لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ والجملة
المؤكدة بان في موضع الخبر وقال الحوفي من رفع بالابتدا وضمن الخبر وجواب
الشرط ان وما تعلقت به على حذف الفاء كما قال الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها اي فالله يشكرها انتهى وهذا ليس بجيد
لان حذف الفاء مخصوص بالشعر عند س والاشارة بذلك الى ما يفهم من مصدر
صبر وغفر والعائد على الموصول المبتدا من الخبر محذوف اي ان ذلك منه لدلالة
المعنى عليه لمن عزم الامور وان كان ذلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله

ولمن صبر وغفر لم يكن في عزم الامور ان كان ذلك اشارة الى المصدر المفهوم حذف
وان كان ذلك اشارة الى المبتدا كان هو الرابط ولا يحتاج الى تقدير منه وكان
في عزم الامور حذف اي انه لمن ذوي عزم الامور وسب رجل آخر في مجلس
الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال
الحسن عقلها والله وفهمها لما ضيعها الجاهلون والجملة من قوله انما السبيل اعتراض
بين قوله ولمن انتصر وقوله ولمن صبر ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اي
من ناصر يتولاه من بعده اي من بعد اضلاله وهذا تحقير لامر الكفرة ۝ وترى الظالمين
الخطاب للرسول والمعنى وترى حالهم وما هم فيه من الحيرة لما راوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل اي هل سبيل الى الرد للدنيا وذلك من تفظيع ما اطلعوا
عليه وسوء ما يحل بهم وتراهم يعرضون عليها اي على النار ودل عليها ذكر العذاب خاشعين
متضائلين صاغرين مما يلحقهم من الذل وقرأ طلحة من الذِل بكسر الذال والجمهور بالضم
والخشوع الاستكانة وهو محمود وانما اخرجه الى الذم اقترانه بالذل وقيل من الذل متعلق
بينظرون من طرف خفي قال ابن عباس ذليل انتهى قيل ووصف بالخفاء لان نظرهم
ضعيف ولحظهم لمهابة قال الشاعر ۝
فغض الطرف انك من نمير ۝ وقيل يحشرون عميا فلما كان نظرهم بعيون قلوبهم
جعله طرفا خفيا اي لا يبدو نظرهم وهذا التاويل فيه تكلف وقال السدي
وقتادة المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال
لا يستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون من بعضها فيجوز على هذا
التاويل ان يكون الطرف مصدرا اي من نظر خفي وقال الزمخشري من طرف
خفي اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور
ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره ولا يقدر ان يفتح اجفانه
عليها ويملا عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب ۝ وقال الذين امنوا

قوله عز وجل وقال الذين امنوا

ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين
في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله
فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من
ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك
الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا
واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه
علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي
الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله تصير الامور ۝ الظاهر ان وقال ماض لفظا ومعنى اي وقال

الذين

الذين امنوا في الحيوة الدنيا ويكون يوم القيمة معمولا لخسروا ويحتمل ان يكون
معنى وقال ويقول ويوم القيامة معمول لويقول اي ويقول في ذلك اليوم
لما عاينوا ما حل بالكفار واهليهم الظاهر انهم الذين كانوا اهليهم في الدنيا
فان كانوا معهم في النار فقد خسروهم اذ لا ينتفعون بهم وان كانوا في الجنة
لكونهم كانوا مؤمنين كآسية امراة فرعون فهم لا ينتفعون بهم ايضا وقيل
اهلوهم ما كان اعد لهم من الحور لو كانوا امنوا والظاهر ان قوله الا ان
الظالمين في عذاب مقيم من كلام المؤمنين وقيل استيناف اخبار من الله
تعالى من قبل ان ياتي يوم قيل هو يوم ورود الموت والظاهر انه يوم القيمة
ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد اي لا يرد ذلك اليوم ما حكم الله
به فيه وقال الزمخشري من الله من صلة لا مرد انتهى وليس بجيد اذ لو كان
من صلته لكان معمولا له فكان يكون اسم لا من قبيل المطول فكان يكون
معربا منونا وقيل من الله يتعلق بقوله ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم
لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجا تلجؤن اليه فتتخلصون من العذاب وما لكم من انكار شيء
من اعمالكم التي توردكم النار والنكير مصدر انكر على غير قياس قيل ويحتمل ان يكون
اسم فاعل للمبالغة وفيه بعد لان نكيرا معناه لم يميز فان اعرضوا الاية تسلية
للرسول وتانيس له وازالة لهمه بهم والانسان يراد به الجنس ولذلك جاء وان
تصبهم سيئة وجاء جواب الشرط فان الانسان ولم يات فانه ولا فانهم ليدل
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان
لربه لكنود ولما ذكر انه يكفر النعم اتبع ذلك بانه له ملك العالم العلوي والسفلي
وانه يفعل ما يريد ونبه على عظيم قدرته وان الكائنات ناشئة عن ارادته
فذكر انه يهب لبعض اناثا ولبعض ذكورا ولبعض الصنفين ويعقم بعضا
فلا يولد له وقال اسحق بن بشر نزلت هذه الاية في الانبياء عمت فلوط
ابو بنات لم يولد له ذكر وابراهيم ضده ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهما ولد له
الصنفان ويحيى عقيم انتهى وذكر ايضا مع لوط شعيب ومع يحيى عيسى وقدم
تعالى هبة البنات تانيسا بهن وتشريفا لهن ليتهمم بصونهن والاحسان اليهن
وفي الحديث من ابتلي بشيء من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار
وقال واثلة بن الاسقع من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله
تعالى بدا بالاناث وقال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكور
مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت
لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة
عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان
سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث
اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم
وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم
لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه

وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم
ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتاخير وعرفنا ان تقديمهن لم يكن
لتقدمهن ولكن لمقتضي آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى انتهى وقيل بدا بالانثى ثم ثنى بالذكر
لينتقل من الغم الى الفرج وقيل ليعلم انه لا اعتراض على الله فيرضى فاذا وهب
له الذكر علم انه زيادة فضل من الله واحسان اليه وقيل قدمها تنبيها على انه
اذا كان العجز والحاجة لهم كانت عنايته اتم اكثر وقال مجاهد والضحاك
والحسن وابو مالك وابو عبيدة اناثا لا ذكور معهن وذكورا لا اناث معهم
وقال القتبي التزويج الجمع بين البنين والبنات وقال مجاهد هو ان
تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية ان تلد توأما غلاما
وجارية وقال ابو بكر بن العربي او يزوجهم ذكرانا واناثا قال علماؤنا
يعني آدم كانت حوا تلد له في كل بطن توأمين ذكرا وانثى تزوج ذكر هذا البطن
انثى البطن الآخر انتهى ولما ذكر الهبة في الاناث والهبة في الذكور اكتفى
عن ذكرها في قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولما كان العقم ليس بمحمود قال
ويجعل من يشاء عقيما وهو قسيم لمن يولد له ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده
لم يذكره تعالى قالوا وكانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى الى ان وقع في الجاهلية
الاولى الخنثى فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه فلم
يدر ما يقول وارجاهم فلما جن عليه الليل جعل يتقلب ويذهب به الافكار
وانكرت خادمه حاله فسألته فقال بهرت لامر لا ادري ما اقول فيه
فقالت له ما هو فقال شخص له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث
قالت له الامة ورثه من حيث يبول فعقلها واصبح فعرضها عليهم فرضوا بها وجاء
الاسلام على ذلك وقضى بذلك علي كرم الله وجهه انه عليم بمصالح العباد
قدير على تكوين ما يشاء كان من الكفار خوض في معنى تكليم الله موسى فذهبت
قريش واليهود في ذلك الى التجسيم فنزلت وقيل قالت قريش الا تكلم الله
وتنظر اليه ان كنت نبيا صادقا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال الرسول
عليه السلام لم ينظر موسى الى الله فنزلت وما كان لبشر ان يكلمه الله بيانا
لصورة تكليم الله عباده اي ما ينبغي ولا يمكن الا يوحي اليه احد وجوه الوحي
من الالهام قال مجاهدا والنفث في القلب قال النقاش او وحي
في المنام وقال النخعي كان في الانبياء من يخط له في الارض او بان يسمعه
كلامه دون ان يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا
معنى من وراء حجاب اي من خفاء عن المتكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه
وليس كالحجاب في الشاهد او بان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحي الله تعالى
قاله ابن عطية وقال الزمخشري وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على
ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب والمنام
كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وعن مجاهد

اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص
واوحى الى الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجل
اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض
الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله
مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا
من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى انتهى وهو على طريق المعتزلة
في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله وكل هذه الاقسام الثلاثة
يصدق عليها انها وحي وخص الاول باسم الوحي هنا لان ما يقع في القلب على سبيل
الالهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى وقيل وحيا
كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء
على السنتهم حكاه الزمخشري ونزلت تفسيرا ومن وراء حجاب ومعناه في هذا القول
كما كلم محمدا وموسى صلى الله عليهما **وقرا** الجمهور حجاب مفردا وابن ابي عبلة حجب
جمعا والجمهور او يرسل رسولا فيوحي بنصب الفعلين عطفا او يرسل على المضمر الذي
يتعلق به من وراء حجاب تقديره او يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف
على وحيا والمعنى الا بوحي واسماع من وراء حجاب او ارسال رسول فيوحي ذلك الرسول
الى النبي الذي ارسل عنه باذن الله ما يشاء ولا يجوز ان يعطف او يرسل على ان يكلمه
الله لفساد المعنى وقال الزمخشري ووحيا وان يرسل مصدران واقعان
موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال
ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء
حجاب او مرسلا انتهى اما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وانما قالته العرب
وكذلك لا يجوز جاء زيد بكاء تريد باكيا وقاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل
نحو جاء زيد مشيا او سرعة ومنع **سى** ان يقع ان والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال
فلا يجوز نحو جاء زيد ان يضحك في معنى ضحكا الواقع موقع ضاحكا فجعله وحيا مصدرا
في موضع الحال مما لا ينقاس وان يرسل في معنى ارسالا الواقع موقع مرسلا ممنوع
بنص **سى** **وقرا** نافع واهل المدينة او يرسل رسولا فيوحي بالرفع فيهما فخرج
على اضمار هو يرسل او على ما يتعلق به من وراء اذ تقديره او يسمع من وراء حجاب
ووحيا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير
الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واسنادا التكلم الى الله بكونه ارسل
رسولا مجاز كما تقول نادى الملك في الناس بكذا وانما نادى البرح الدائر في
الاسواق تنزل ما كان بواسطة منزلة ما كان بغير واسطة قال ابن عطية وفي هذه
الاية دليل على ان الرسالة من انواع التكليم وان الحالف المرسل حانث اذا حلف
ان لا يكلم انسانا فارسل اليه وهو لم ينو المشافهة وقت يمينه انتهى انه علي
عن صفات المخلوقين حكيم تجري افعاله على ما تقتضيه الحكمة يكلم بواسطة وبغير
واسطة وكذلك اوحينا اي مثل ذلك الايحاء الفصل اوحينا اليك اذ كان

عليه السلام اجتمعت له الطرق الثلاث النفث في الروع والمنام وتكليم الله
له حقيقة ليلة الاسراء وارسال رسول اليه وهو جبريل وقيل كما اوحينا الى الانبيا
فكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس النبوة وقال السدي
الوحي وقال قتادة رحمة وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقيل
القرآن وسمي ما اوحي اليه روحا لان به الحيوة من الجهل وقال مالك
ابن دينار يا اهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع القلوب
كما ان الغيث ربيع الارض ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان توقيف
على عظم المنة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بالله وعطف على ما الكتاب وانما
معناه الايمان الذي يدركه السمع لان فيه اشياء من الايمان لا تعلم الا بالوحي اما
توحيد الله وبراءته من النقائص ومعرفة صفاته العلى فجميع الانبياء عليهم السلام
عالمون بذلك معصومون ان يقع منهم زلل في شيء من ذلك بما يوقفهم على ذلك
قبل ان يوحى اليهم وقد اطلق الايمان على الصلاة في قوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم اذ هي بعض ما يتناوله الايمان ومن طالع سير الانبياء من نشاتهم
الى مبعثهم تحقق عنده انهم معصومون من كل نقيصة موحدون لله منذ نشوا قال الله
تعالى في حق يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا قال معمر كان ابن سنتين
او ثلث وعن ابي العالية ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف
تدعو الخلق الى الايمان وقال القاضي ولا الايمان الفرائض والاحكام قال
وكان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف
ايمانا وقال القشيري يجوز اطلاق الايمان على تفاصيل الشرع وقال الحسين
ابن الفضل هو على حذف مضاف اي ولا اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب
او العباس وغيرهما وقال علي بن عيسى اذ كنت في المهد وقيل ما الكتاب لولا
انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك وقيل كنت من قوم اميين لا يعرفون
الكتاب ولا الايمان فتكون اخذت ما جئتهم به عن من كان يعلم ذلك منهم ما الكتاب
جملة استفهامية مبتدا وخبر وهي في موضع نصب بتدري وهي معلقة ولكن جعلناه
نورا يحتمل ان يعود الى قوله روحا والى الكتاب والى الايمان وهو اقرب
مذكور وقال ابن عطية عائد على الكتاب انتهى وقيل يعود الى الكتاب والايمان
معا لان مقصدهما واحد فهو نظير والله ورسوله احق ان يرضوه **وقرا** الجمهور
لتهدي مضارع هدى مبنيا للفاعل وحوشب مبنيا للمفعول فهو اجابة سؤاله
عليه السلام اهدنا الصراط المستقيم **وقرا** ابن السميفع لتهدي بضم التاء
وكسر الدال وعن الجحدري مثله ومثل قراءة حوشب صراط مستقيم قال علي
هو القرآن وقيل الاسلام الا الى الله تصير الامور اخبر بالمضارع والمراد به
الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع اي من شانه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل
اذ جميع الامور صائرة على الدوام اليه وقيل المراد به المستقبل اي ترد جميع امور
الخلق اليه تعالى يوم القيمة فيقضي بينهم بالعدل وخص ذلك بيوم القيمة
لانه لا يمكن لاحد ان يدعي فيه لنفسه شيا ۝ قال الفرا يعشو يعرض ويعشي

وبالايمان صح

ن موهنا

اي صح

يعني

يعمى وقال ابن قتيبة لم نر احدا حكى عشوت عن الشيء اعرضت عنه وانما يقال تعاشيت
عن كذا وتعاميت اذا تغافلت عنه وتقول عشوت الى النار اذا استدللت عليها
ببصر ضعيف ۝ وقيل عشي يعشى اذا حصلت الآفة في بصره وعشا يعشو نظر نظر
العشي ولا آفة به كما قالوا اعرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير
عرج **قال الحطيئة** ۝
متى تاته تعشو الى ضوء ناره ۝ تجد خير نار عندها خير موقد ۝
اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصره من عظيم الوقود ومنه **قول حاتم**
اعشو اذا ما جارتي برزت ۝ حتى توارى جارتي الخدر ۝
الصحفة قال الجوهري هي القصعة وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة
ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين
والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف **الكوب** قال قطرب
الابريق لا عروة له وقال الاخفش الابريق لا خرطوم له وقيل كالابريق الا انه
لا اذن له ولا مقبض قال ابو منصور الجواليقي انما كان بغير عروة ليشرب الشارب
من اين شاء لان العروة ترد الشارب من بعض الجهات انتهى **وقال عدي**
متكئا تصفق ابوابه ۝ يسعى عليه العبد بالكوب ۝
ابرم قال الفرا ابرم الامر بالغ في احكامه وابرم الفاتل اذا اغار ومنه الفتل
الثاني والاول يقال له سحيل كما **زهير**
من سحيل ومبرم ۝ انتهى والابرام ان يجمع خيطين ثم يفتلهما فتلا متقنا والبريم
خيط فيه لونان ۝
سورة الزخرف ۝
بسم الله الرحمن الرحيم ۝ حم والكتاب المبين انا جعلناه
قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم
من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السما
ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
۝ هذه السورة مكية وقال مقاتل الا قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
وقال ابن عطية مكية باجماع من اهل العلم انا جعلناه اي صيرناه او سميناه
وهو جواب القسم وهو من الاقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما
من واد واحد ونظيره **قول ابي تمام** ۝ وثناياك انها اغريض ۝

شيت

المفردات

وقيل والكتاب اريد به الكتب المنزلة والضمير في جعلناه يعود على القرآن وان لم يتقدم
له صريح الذكر لدلالة المعنى عليه وقال الزمخشري جعلناه بمعنى صيرناه معدى
الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور ولعل
مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي
ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته انتهى وهو على طريقة
الاعتزال في كون القرآن مخلوقا واما الكتاب فاللوح المحفوظ لانه الاصل الذي
اثبتت فيه الكتب وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه لديه عليا على
جميع الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما اي حاكما على سائر الكتب او محكما بكونه
في غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعاني قال قتادة وعكرمة والسدي
اللوح المحفوظ القرآن فيه باجمعه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وقيل ام الكتاب
الآيات المحكمات لقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب
ومعناه ان سورة حم واقعة في الآيات المحكمات التي هي الام وقرأ الجمهور في ام
بضم الهمزة والاخوان بكسرها وعزاها ابن عطية ليوسف بن عمر والى العراق ولم يعزها
للاخوان غفلة منه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه اذا اعرض عنه والذكر
قال الضحاك وابو صالح القرآن اي افنترك عنكم القرآن وقولهم ضرب
الغرائب عن الحوض اذا ذادها ونحاها وقال الشاعر
اضرب عنك الهموم طارقها ٥ وقيل الذكر الدعاء الى الله والتخويف من عقابه
قال الزمخشري والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر
انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا
لتعقلوه وتعملوا بموجبه انتهى وتقدم الكلام معه في تقدير فعل بين الهمزة
والفاء في نحو افلم يسيروا افلا تعقلون وبينها وبين الواو في نحو اولم يسيروا
اوكلما وان المذهب الصحيح قول س والنحويين ان الفاء والواو منوي بهما التقديم
لعطف ما بعدهما على ما قبلهما وان الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام
ولا خلاف بين الهمزة والحرف وقد رددنا عليه قوله وقال ابن عباس ومجاهد
المعنى افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وعفوا عن اجرامكم اذ كنتم او من اجل
ان كنتم قوما مسرفين اي هذا لا يصلح ونحا قتادة الى ان المعنى صفحا اي
معفوا عنه اي نتركه ثم لا تؤاخذون بقوله ولا بتدبره ولا تنبهون عليه وهذا
المعنى نظير قول الشاعر
تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ٥ ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
وقول كثير
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة ٥ فمن مل منها ذلك الوصل ملت
وقال ابن عباس المعنى افحسبتم ان نصفح عنكم ولما تفعلوا ما امرتم به وقال
الكلبي اي نترككم هملا بلا امر ولا نهي وقال مجاهد ايضا ان لا نعاقبكم
بالتكذيب وقيل ان نترك الانزال للقرآن من اجل تكذيبكم وقرأ حسان بن عبد الرحمن
الضبعي والسميط بن عمير وشبيل بن عزرة بضم الصاد والجمهور بفتحها ويحتمل ان

كالسد

كالسد والسد وانتصاب صفحا على انه مصدر من معنى افنضرب لان معناه افنصفح
او مصدر في موضع الحال اي صافحين قاله الحوفي وتبعه ابو البقاء وقال
الزمخشري وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول
له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب
من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب
على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا ويعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم
وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على
الحال اي صافحين معرضين وقال ابن عطية صفحا انتصابه كانتصاب
صنع الله انتهى يعني انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل
فيه محذوفا ولا يظهر هذا الذي قاله فليس انتصابه انتصاب صنع الله
وقرأ نافع والاخوان ان بكسر الهمزة واسرافهم كان متحققا فكيف دخلت عليه
ان الشرطية التي لا تدخل الا على غير المتحقق او على المتحقق الذي ابهم زمانه
قال الزمخشري هو من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما
يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك لكنه يخيل في كلامه ان تفريطك
في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له
وقرأ الجمهور ان بفتح الهمزة اي من اجل ان كنتم قال الشاعر
اتجزع ان بان الخليط المودع ٥ وقرأ زيد بن علي اذ كنتم بذال مكان النون
لما ذكر خطابا لقريش فنضرب عنكم الذكر وكان هذا الانكار دليلا على تكذيبهم للرسول
والانكار لما جاء به آنسه تعالى بان عادة الامم السابقة من استهزائهم
بالرسل وانه تعالى اهلك من كان اشد بطشا من قريش اي اكثر عددا وعددا
وجلدا ومضى مثل الاولين اي فليحذر قريش ان يحل بهم مثل ما حل بالاولين مكذبي
الرسل من العقوبة قال معناه قتادة وهي العقوبة التي سارت سير المثل
وقيل مثل الاولين في الكفر والتكذيب وقريش سلكت مسلكهم وكان مقبلا
عليهم بالخطاب في قوله افنضرب عنكم فاعرض عنهم الى اخبار الغائب في قوله
فاهلكنا اشد منهم بطشا ولئن سألتهم احتجاج على قريش بما يوجب التناقض
وهو اقرارهم بان موجد العالم العلوي والسفلي هو الله ثم هم يتخذون اصناما
آلهة من دون الله يعبدونهم ويعظمونهم قال ابن عطية ومقتضى الجواب
ان يقولوا خلقهن الله فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله تعالى
بالعزيز العليم ليكون ذلك توطئة لما عدد بعد من اوصافه التي ابتداء
الاخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش انتهى وقال الزمخشري
لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه انتهى والظاهر ان
خلقهن العزيز العليم نفس المحكي من كلامهم ولا يدل كونهم ذكروا في مكان خلقهن
الله ان لا يقولوا في سؤال آخر خلقهن العزيز العليم والذي جعل لكم من كلام الله
خطابا لهم بتذكير نعمه السابقة وكرر الفعل في الجواب في قولهم خلقهن
العزيز العليم مبالغة في التوكيد وفي غيرها سؤال اقتصروا على ذكر اسم الله اذ هو

العلم الجامع للصفات العلى وجاء الجواب مطابقاً للسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لأن من مبتدأ فلو طابق في اللفظ كان بالاسم مبتدأ ولم يكن بالفعل لعلكم تهتدون أي إلى مقاصدكم في السفر أو تهتدون بالنظر والاعتبار بقدر أي بنقص وحتم في الأزل وبكفاية لا كثيراً فيفسد ولا قليلاً فلا يجدي فأنشرنا أحيينا به بلدة ميتاً ذكر على معنى البلد والبلدة اسم جنس **وقرأ** أبو جعفر وعيسى ميّتاً بالتشديد **وقرأ** الجمهور تخرجون مبنياً للمفعول وابن وثاب وعبد الله بن جبير المصبح وعيسى وابن عامر والأخوان مبنياً للفاعل والأزواج الأنواع من كل شيء قيل وكل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف وماض ومستقبل وذوات وصفات وصيف وشتاء وربيع وخريف وكونها أزواجاً تدل على أنها ممكنة الوجود ويدل على أن محدثها فرد وهو الله المنزه عن الضد والمقابل والمعارض انتهى والأنعام المعهود أنه يركب من الأنعام الإبل وما موصولة والعائد محذوف أي ما تركبونه وركب بالنسبة للفلك يتعدى بفي كقوله فإذا ركبوا في الفلك ويتعدى للإبل بنفسه فغلبت المتعدي بنفسه على المتعدي بوساطة في إذ التقدير ما تركبونه واللام في لتستووا الظاهر أنها لام كي وقال الحوفي ومن أثبت لام الصيرورة جاز له أن يقول به هنا وقال ابن عطية لام الأمر وفيه بعد من حيث استعمال أمر المخاطب بتاء الخطاب وهو من القلة بحيث ينبغي أن لا يقاس عليه فالفصيح المستعمل اضرب وقيل لتضرب بل نص النحويون على أنها لغة رديئة قليلة إذ لا تكاد تحفظ إلا قراءة شاذة فبذلك فلتفرحوا بالتاء للخطاب وما آثر المحدثون من قوله عليه السلام لتأخذوا مصافكم مع احتمال أن الراوي روى بالمعنى **وقول الشاعر**

لتقم أنت يا ابن خير قريش فتقضي حوائج المسلمينا

وزعم الزجاجي أنها لغة جيدة وذلك خلاف ما زعم النحويون والضمير في ظهوره عائد على ما كأنه قال على ظهور ما تركبون قاله أبو عبيدة فلذلك حسن الجمع لأن ما لها لفظ ومعنى فمن جمع فباعتبار المعنى ومن أفرد فباعتبار اللفظ ويعني من الفلك والأنعام وقال الفراء نحواً منه قال أضاف الظهور إلى واحد فيه معنى الجمع بمعنى الجنس فلذلك جمع الظهور ثم تذكروا أي في قلوبكم نعمة ربكم معترفين بها مستعظمين لها لا يريد الذكر باللسان بل بالقلب ولذلك قابله بقوله وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا أي تنزهوا الله بصريح القول وجاء في الحديث أنه عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إلى رحيم ويقال عند النزول منها اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين والمقرن الغالب الضابط المطيق للشيء يقال أقرن الشيء إذا أطاقه **وقال ابن هرمة**

وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة الضعيف **قال الشاعر**

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

والقرن الحبل الذي يقرن به وقال أبو عبيدة فلان مقرن لفلان أي ضابط له والمعنى أنه ليس لنا من القوة ما يضبط به الدابة والفلك وإنما الله هو الذي سخرها **وأنشد قطرب لعمرو بن معدي كرب**

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا

وقرئ لمقترنين اسم فاعل من اقترن وإنا إلى ربنا لمنقلبون أي راجعون وهو إقرار بالرجوع إلى الله وبالبعث لأن الراكب في مظنة الهلاك بالغرق إذا ركب الفلك وبعثور الدابة إذ ركوبهما أمر فيه خطر ولا يؤمن السلامة فيه فقوله هذا تذكر بأنه مستشعر للصيرورة إلى الله ومستعد للقائه فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه وجعلوا له أي وجعل كفار قريش والعرب له أي لله من عباده أي ممن هم عبيد لله جزءاً قال مجاهد نصيباً وحظاً وهو قول العرب الملائكة بنات الله وقال قتادة جزءاً أي نداً وذلك الأصنام وفرعون ومن عبد من دون الله وقيل الجزء الإناث قال بعض اللغويين يقال أجزأت المرأة إذا ولدت أنثى **قال الشاعر**

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

قيل هذا البيت مصنوع وكذا قوله زوجتها من بنات الأوس مجزئة ولما تقدم أنهم معترفون بأنه تعالى هو خالق العالم أنكر عليهم جعلهم لله جزءاً وقد اعترفوا بأنه هو الخالق فكيف وصفوه بصفة المخلوق إن الإنسان لكفور لنعمة خالقه مبين مظهر لجحوده والمراد بالإنسان من جعل لله جزءاً ذكرهم من الكفرة قال ابن عطية ومبين في هذا الموضع متعد أي ناشئ وليس بتعيين ما ذكر بل يجوز أن يكون معناه ظاهر الكفران ومظهر لجحوده كما قلنا أم اتخذ مما يخلق بنات استفهام إنكار وتوبيخ لقلة عقولهم كيف زعموا أنه تعالى اتخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه حتى أنتم تسود وجوهكم عند التبشير بهن وتئدونهن وأصفاكم جعل لكم صفوة ما هو محبوب وذلك البنون وقوله مما يخلق تنبيه على استحالة الولد ذكراً كان أو أنثى ولو فرض اتخاذ الولد فكيف يختار له الأدنى ويخصكم بالأعلى وقدم البنات لأنه المنكر عليهم نسبتهن إلى الله وعرف البنين دون البنات تشريفاً لهم على البنات وإذا بشر أحدهم تقدم تفسير نظيرها في سورة النحل أومن ينشأ في الحلية أي ينشأ في عمر حالاً لا في الحلية وهو الحلي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الفحول لتزينهن بذلك لأزواجهن وهو أن خاصم لا يبين لضعف العقل ونقص التدبر والتأمل إذا ظهر بهذا الحقوقهن وسعوف البنين عليهن وكان في ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التزين كالمرأة وأن يكون مخشوشناً والنحل من الرجال يأبى أن يكون متصفاً بصفات النساء والظاهر أنه أراد بمن ينشأ في الحلية النساء وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة

غيره

والسدي ويدل عليه قوله وهو في الخصام غير مبين اي لا يظهر حجة ولا يقيم دليلا
ولا يكشف عما في نفسه كشفا واضحا ويقال قلما تجد امراة الا تفسد الكلام
وتخلط المعاني حتى ذكر عن بعض الناس انه قال اذا دخلنا على فلانة لا نخرج حتى
نعلم ان عقلها عقل امراة وقال ابن زيد المراد من ينشوا في الحلية الاصنام وكانوا
يتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة ويجعلون الحلي على كثير منها ويبعد هذا
القول قوله وهو في الخصام غير مبين الا ان اريد بنفي الابانة نفي الخصام اي
لا يكون منها خصام فابانة كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار له
فيهتدى به ومن في موضع نصب اي وجعلوا من ينشا ويجوز ان يكون في موضع رفع
على الابتداء اي او من ينشا جعلوه لله وقرا الجمهور ينشو مبنيا للفاعل والجحدري
في قول مبنيا للمفعول مخففا وابن عباس وزيد بن علي والحسن ومجاهد والجحدري
في رواية والاخوان وحفص والمفضل وابان وابن مقسم وهرون عن ابي عمرو مبنيا
للمفعول مشددا والحسن في رواية يناشو على وزن يفاعل مبنيا للمفعول
والمناشاة بمعنى الانشاء كالمغالاة بمعنى الاغلاء وفي الخصام متعلق بمحذوف
تفسيره غير مبين اي وهو لا يبين في الخصام ومن اجاز ان زيدا غير ضارب باعمال
المضاف اليه غير اجاز ان يتعلق بمبين اجرى غير مجرى لا وتقدم معمول ما بعد
لا مختلف فيه وقد ذكر ذلك في النحو ﴿ وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون قل اولو جيتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم
لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هولاء واباءهم حتى جاءهم الحق
ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ لم يكفهم ان جعلوا
لله ولدا وجعلوه اناثا وجعلوهم من الملايكة وهذا من جهلهم بالله وصفاته
واستخفافهم بالملايكة حيث نسبوا اليهم الانوثة وقرا عمر بن الخطاب
والحسن وابو رجا وقتادة وابو جعفر وشيبة والاعرج والابنان عند الرحمن
ظرفا وهو ادل على رفع المنزلة وقرب المكانة لقوله ان الذين عند ربك وقرا
عبد الله وابن عباس وابن جبير وعلقمة وباقي السبعة عباد الرحمن جمع عبد
كقوله بل عباد مكرمون وقرا الاعمش عباد الرحمن جمعا وبالنصب حكاها
ابن خالويه قال وهي في مصحف ابن مسعود كذلك والنصب على اضمار فعل

قوله عز وجل وجعلوا الملايكة

اي الذين هم

اي الذين هم خلقوا عباد الرحمن او انشئوا عباد الرحمن وقال ابن عطية وفي مصحف
ابن مسعود وجعلوا الملايكة عباد الرحمن اناثا وقرا ابي عبد الرحمن مفردا
ومعناه الجمع لانه اسم جنس وقرا الجمهور اشهدوا بهمزة الاستفهام داخلة على شهدوا
ماضيا مبنيا للفاعل اي احضروا خلقهم وليس ذلك من شهادة تحمل المعاني التي
تطلب ان تودى وقيل سالهم الرسول عليه السلام ما يدريكم انهم اناث فقالوا
سمعنا ذلك من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم
ويسالون عنها اي في الاخرة وقرا نافع بهمزة داخلة على اشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول
بلا مد بين الهمزتين والمسيبي عنه بمد بينهما وعلي بن ابي طالب وابن عباس ومجاهد
وفي رواية ابو عمرو ونافع بتسهيل الثانية بلا مد وجماعة كذلك بمد بينهما وعن علي
والمفضل عن عاصم تحقيقهما بلا مد والزهري وناس اشهدوا بغير استفهام مبنيا للمفعول
رباعيا فقيل المعنى على الاستفهام حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه وقيل الجملة صفة
للاناث اي اناثا مشهدا منهم خلقهم وهم لم يدعوا انهم شهدوا خلقهم لكن لما ادعوا
لجراتهم انهم اناث صاروا كانهم ادعوا ذلك واشهادهم خلقهم وقرا الجمهور اناثا
وزيد بن علي انثا جمع جمع الجمع قيل ومعنى وجعلوا سموا وقالوا والاحسن ان يكون المعنى
وصيروا في اعتقادهم الملايكة اناثا وهذا الاستفهام فيه تهكم بهم والمعنى اظهار
فساد عقولهم وان دعاويهم مجردة من الحجة وهذا نظير الاية الطاعنة على
اهل التنجيم والطبايع ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وقرا الجمهور ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع مفردا والزهري
كذلك الا انه بالياء والحسن كذلك الا انه بالتاء وجمع شهاداتهم وابن عباس
وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة وابن ابي عبلة والجحدري والاعرج بالنون مبنيا
للفاعل شهادتهم على الافراد وقرات فرقة سيكتب بالياء مبنيا للفاعل اي
الله شهادتهم بنصب التاء والمعنى انه سيكتب شهادتهم على الملايكة بانوثتهم ويسالون
وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الضمير للملايكة قاله قتادة ومقاتل
في اخرين وقال مجاهد الاوثان علقوا انتفاء العبادة على المشية لكن العبادة
وجدت لما انتفت المشية فالمعنى انه شاء العبادة ووقع ما شاء وقد جعلوا امهال
الله لهم واحسانه اليهم وهم يعبدون غيره دليلا على انه يرضى ذلك دينا
وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في اواخر الانعام وفي الكلام حذف اي
فنحن لا نواخذ بذلك اذ هو وفق مشية الله ولهذا قال ما لهم بذلك
من علم اي بما ترتب على عبادتهم من العقاب ان هم الا يخرصون اي يكذبون
وقيل الاشارة بذلك الى دعواهم ان الملايكة اناث ﻫ وقال الزمخشري
هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملايكة من
دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيته كما يقول اخوانهم المجبرة انتهى جعل
اهل السنة اخوان الكفرة عباد الملايكة تجرا وردسوا لا وجوابا جاريا
عليهما اختاره من مذهبه الاعتزالي وتوقف على ذلك في كتابه فلما نفى عنهم
علم ترك عقابهم على عبادة غير الله اي ليس يدل على ذلك عقل نفى ايضا ان يدل

على ذلك سمع فقال أم آتيناهم كتابا من قبل نزول القرآن أو من قبل إنذار الرسول
يدل على تجويز عبادتهم غير الله وأنه لا يترتب على ذلك عقاب إذ هو وفق المشيئة فهم
به أي بذلك الكتاب مستمسكون في عبادة غير الله وانتقاء الإثم على ذلك ثم أخبر
تعالى أنهم في ذلك مقلدون لآبائهم ولا دليل لهم من عقل ولا نقل ومعنى
على أمة أي طريقة ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون في اتباع
آثارهم ومنه قول قيس بن الخطيم

كنا على أمة آبائنا ٭ ويقتدي بالأول الآخر

وقرأ الجمهور أمة بضم الهمزة قال مجاهد وقطرب على ملة وقال الجوهري
والأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أي لا دين ولا نحلة

قال الشاعر

وهل يستوي ذو أمة وكفور ٭ وتقدم الكلام في أمة في قوله وادكر بعد أمة
وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والجحدري بكسر الهمزة وهي الطريقة
الحسنة لغة في الأمة بالضم قاله الجوهري وقرأ ابن عباس أمة بفتح الهمزة
أي على قصد وحال والخلاف في الحرف الثاني كهو في الأول وحكى مقاتل أن
الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة
ابني ربيعة من قريش أي وكما قال هؤلاء قال من قبلهم أيضا يسلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك والمترف المتنعم أبطرتهم النعمة فآثروا الشهوات
وكرهوا مشاق التكاليف وقرأ الجمهور قل على الأمر وابن عامر وحفص قال على الخبر
وقرأ الجمهور جئتكم بتاء المتكلم وأبي وأبو جعفر وشيبة وابن مقسم والزعفراني
وأبو شيخ الهنائي وخالد جئناكم بنون المتكلمين والظاهر أن الضمير في قال
أو في قل للرسول أي قل يا محمد لقومك أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من
الدين الذي وجدتم عليه آباءكم وهذا تجهيل لهم حيث يقلدون ولا ينظرون
في الدلائل قالوا إنا بما أرسلتم أي أنت والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة
فانتقمنا منهم بالقحط والقتل والسبي والجلاء فانظر كيف كان عاقبة من كذبك
وقال ابن عطية في قال ضمير يعود على النذير وباقي الآية يدل على أن قل
في قراءة من قرأها ليست بأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما هي حكاية لما أمر به
النذير ولو في هذا الموضع كأنها شرطية بمعنى كان معنى الآية أوان جئتكم
بأبين وأوضح مما كان عليه آباؤكم يصحكم لجاجكم وتقليدكم فأجاب الكفار
حينئذ من الأمم المكذبة بأنبيائها كما كذبت بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يتعين ما
قاله بل الظاهر هو ما قدمناه وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه وذكر العرب
بحال جدهم الأعلى ونهيه عن عبادة غير الله وإفراده بالتوحيد وإفراد العبادة هنا لله
لهم ليكون لهم رجوع إلى دين جدهم إذ كان أشرف آبائهم والمجمع على محبته وأنه
صلى الله عليه وسلم لم يقلد آباءه في عبادة الأصنام فينبغي أن تقتدوا به في ترك
تقليد آبائكم الأقربين وترجعوا إلى النظر واتباع الحق وقرأ الجمهور براء وهو مصدر
يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما يقال نحن البراء منك وهي لغة العالية

وقرأ

وقرأ الزعفراني والقورصي عن أبي جعفر وابن المناذري عن نافع بضم الباء والأعمش
بري وهي لغة نجد ويثنى ويجمع ويؤنث وهذا نحو طويل وطوال وكريم وكرام وقرأ
الأعمش إني بنون مشددة دون نون الوقاية والجمهور إنني بنونين الأولى مشددة
والظاهر أن قوله إلا الذي فطرني استثناء منقطع إذ كانوا لا يعبدون الله مع
أصنامهم وقيل كانوا يشركون أصنامهم معه تعالى في العبادة فيكون استثناء متصلا
وعلى الوجهين فالذي في موضع نصب وإذا كان استثناء متصلا كانت ما شاملة
من يعلم ومن لا يعلم وأجاز الزمخشري أن يكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه
قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما
في ما تعبدون نكرة موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا انتهى ووجه البدل لا يجوز لأنه
إنما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ألا ترى أنه يصلح ما بعد
إلا لتفريغ العامل له وإنني بريء جملة موجبة فلا يصلح أن يفرغ العامل فيها للذي
هو بري لما بعد إلا وعلل الزمخشري كون بري فيه معنى الانتفاء ومع ذلك فهو موجب
لا يجوز أن يفرغ لما بعد إلا وأما تقديره ما نكرة موصوفة فلم يبقها موصولة لاعتقاده
أن إلا لا تكون صفة إلا لنكرة وهذه المسألة فيها خلاف من النحويين من قال
يوصف بها النكرة والمعرفة فعلى هذا تبقى ما موصولة وتكون إلا في موضع الصفة
للمعرفة وجعله فطرني في صلة الذي تنبيه على أنه لا يعبد ولا يستحق العبادة إلا
الخالق للعابد فإنه سيهدين أي فديم هدايتي وفي مكان آخر الذي خلقني فهو
يهدين فهو هاديه في المستقبل والحال والضمير في جعلها المرفوع عائد على إبراهيم
وقيل على الله والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله
إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقال قتادة ومجاهد والسدي
هي لا إله إلا الله وإن لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها وقال ابن زيد كلمة الإسلام
لقوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت هو سماكم
المسلمين وقرأ حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه
بسكون القاف أي في ذريته وقرئ في عاقبه أي من عقبه أي خلفه فلا يزال فيهم
من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعلهم أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم
وقرأ الجمهور بل متعت بتاء المتكلم والإشارة بهؤلاء لقريش ومن كان من
عقب إبراهيم عليه السلام من العرب لما قال في عقبه قال تعالى لكن
متعت هؤلاء وأنعمت عليهم على كفرهم فليسوا ممن بقيت كلمة التوحيد فيهم
وقرأ قتادة والأعمش بل متعت بتاء الخطاب ورواها يعقوب عن نافع قال
صاحب اللوامح وهي من مناجاة إبراهيم عليه السلام ربه تعالى والظاهر
أنه من مناجاة محمد صلى الله عليه وسلم أي قل يا رب بل متعت وقرأ الأعمش
متعنا بنون العظمة وهي تعضد قراءة الجمهور حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول
مبين هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري فإن قلت فما وجه من قرأ بل
متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها

بديم خ

كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم
لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر
والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو
الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك
وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله **فإن قلت** فقد جعل مجيء
الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة
هذا النظم ومؤداه **قلت** المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع
عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق
ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم
التي كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة للرسول ومعاداته والاستخفاف
بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد
صلى الله عليه وسلم من أهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم انتهى وهو حسن لكن فيه إسهاب والضمير
في وقالوا لقريش كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله من البشر رسولا فلما استفاض عندهم
أمر إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم فلم يكن لهم في ذلك مدفع
نافضوا فيما يخص محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لو كان محمدا ولم يكن القرآن ينزل
على رجل من القريتين عظيم أشاروا إلى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة المال
وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين أي من إحدى القريتين وقيل من رجلي القريتين
وهما مكة والطائف قال ابن عباس والذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي
ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وقال مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة
ابن عبد يا ليل وقال قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
قال قتادة بلغنا أنه لم يبق فخذ من قريش إلا ادعاه وكان الوليد بن المغيرة
يسمى ريحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي أو على أبي مسعود
يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بأبي مسعود أهم يقسمون رحمة ربك فيه توبيخ وتعجيب
من جهلهم كأنه قيل أعلى اختيارهم وإرادتهم تقسم الفضائل من النبوة وغيرها ثم في
إضافته في قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم وأن هذه الرحمة التي
حصلت لك ليست إلا من ربك المصلح لحالك والمربي لك ثم أخبر تعالى أنه هو الذي
قسم المعيشة بينهم فلم يحصل لأحد إلا ما قسمه تعالى وإذا كان تعالى هو الذي
تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك في الأمر الفاني فكيف لا يتولى ذلك الأمر
الخطير وهو إرسال من يشاء ونبي من يشاء فليس لكم أن تتخيروا من يصلح لذلك بل أنتم
عاجزون عن تدبير أموركم **وقرأ** الجمهور معيشتهم على الإفراد وعبد الله والأعمش
وابن عباس وسفيان معايشهم على الجمع والجمهور سخريا بضم السين وعمرو بن ميمون
وابن محيصن وابن أبي ليلى وأبو رجاء والوليد بن مسلم وابن عامر بكسرها وهو من

التسخير

التسخير بمعنى الاستعباد والاستخدام ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا إلى منافعهم ولو تولى
كل واحد جميع أشغاله بنفسه ما أطاق ذلك وضاع وهلك ويبعد أن يكون سخريا
هنا من الهزء وقد قال به بعضهم أي يهزأ الغني بالفقير وفي قوله نحن قسمنا تزهيد
في الإكباب على طلب الدنيا وعون على التوكل على الله وقال مقاتل فاضلنا
بينهم فمن رئيس ومرؤوس قال قتادة تلقى ضعيف القوة قليل الحيلة عيي
اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه وقال
الشافعي رحمه الله ه

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق ه

ورحمت ربك قيل النبوة وقيل الهداية والإيمان وقال قتادة والسدي
الجنة خير مما يجمعون أي من حطام الدنيا وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا ولما جمع فيها
من متاعها ه ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم
أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون
أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي إليك
إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون واسأل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ه بين تعالى أن منافع
الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله أي ولولا أن يرغب الناس في الكفر إذا
رأوا الكافر في سعة ويصيروا أمة واحدة في الكفر قاله ابن عباس والحسن
وقتادة والسدي لأعطيناهم من زينة الدنيا كذا وكذا ولكنه تعالى اقتضت
حكمته أن يغني ويفقر الكافر والمؤمن قال ابن عطية واللام في لمن يكفر لام الملك
وفي لبيوتهم لام تخصيص كما تقول هذا الكساء لزيد لدابته أي هو لدابته حلس
ولزيد ملك انتهى ولا يصح ما قاله لأن لبيوتهم بدل اشتمال أعيد معه العامل فلا يمكن
من حيث هو بدل أن تكون اللام الثانية إلا بمعنى اللام الأولى أما أن يختلف
المدلول فلا واللام في كلاهما للتخصيص وقال الزمخشري لبيوتهم بدل اشتمال
من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه
انتهى ولا أدري ما أراد بقوله ويجوز إلى آخره **وقرأ** الجمهور سقفا بضمتين وأبو رجاء
بضم وسكون لغة تميم وهما جمع سقف كرهن ورهن وابن كثير وأبو عمرو
بفتح السين والسكون على الإفراد وقال الفراء جمع سقيفة **وقرئ** بفتحتين كأنه
لغة في سقف **وقرئ** وسقوفا جمعا على فعول نحو كعب وكعوب **وقرأ** الجمهور ومعارج
جمع معرج وطلحة ومعاريج جمع معراج وهي المصاعد إلى العلالي عليها أي يعلون
السطوح كما قال فما اسطاعوا أن يظهروه **وقرأ** الجمهور وسررا بضم الراء **وقرئ**

قوله عز وجل ولولا أن يكون

يفتحها وهي لغة لبعض تميم وبعض كلب وذلك في جمع فعيل المضعف اذا كان اسما باتفاق وصفة نحو ثوب جديد وثياب جدد باختلاف بين النحاة وهذه الاسما معاطيف على قوله سقفا من فضة فلا يتعين ان يوصف المعاطيف بكونها من فضة وقال الزمخشري سقوفا ومصاعدا وابوابا وسررا كلها من فضة انتهى كانه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه وزخرفا قال الزمخشري وجعلنا لهم زخرفا ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة انتهى والزخرف الذهب هنا قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وفي الحديث اياكم والحمرة فانها من احب الزينة الى الشيطان قال ابن عطية الحسن احمر والشهوات تتبعه انتهى وقال بعض شعرائنا

وصبغت درعك من دما كماتهم ۞ لما رايت الحسن يلبس احمره

وقال ابن زيد الزخرف اثاث البيت وما يتخذ له من السرر والنمارق وقال الحسن النقوش وقيل التزاويق والنقش وقرا الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف الميم هي مخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين الايجاب والنفي وما زايدة ومتاع خبر كل وقرا الحسن وطلحة والاعمش وعيسى وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم فان نافية ولما بمعنى الا وقرا ابو رجاء وفي التحرير ابو حيوة لما بكسر اللام وخرجوه على ان ما موصولة والعايد محذوف تقديره للذي هو متاع كقوله تماما على الذي احسن في قراة من رفع النون اي على الذي هو احسن وان في هذا التخريج هي المخففة من الثقيلة وكل مبتدا وخبره في المجرور اي وان كل ذلك لكاين او لمستقر للذي هو متاع ومن حيث هي المخففة من الثقيلة كان الاتيان باللام هو الوجه فكان يكون التركيب لما لما متاع لكنه قد تحذف هذه اللام اذا دل المعنى على ان ان هي المخففة من الثقيلة فلا يضطر الى ذكر اللام الفارقة ومن ذلك قول الشاعر

ونحن اباة الضيم من آل مالك ۞ وان مالك كانت كرام المعادن

يريد لكانت ولكنه حذف لانه لا يتوهم في ان ان تكون نافية لان صدر البيت يدل على المدح وتعين ان تكون المخففة من الثقيلة والاخرة عند ربك للمتقين اي ونعيم الاخرة وفيه تحريض على التقوى وقرا الجمهور ومن يعش بضم الشين اي يتعامى ويتجاهل عن ذكره وهو يعرف الحق وقيل يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن والذكر هنا يجوز ان يراد به القران واحتمل ان يكون مصدرا اضيف الى المفعول اي يعش عن ان يذكر الرحمن وقال ابن عطية اي فيما ذكر عباده فالمصدر مضاف الى الفاعل انتهى كانه يريد بالذكر التذكير وقرا يحيى بن سلام البصري ومن يعش بفتح الشين اي يعم عن ذكر الرحمن وهو القران كقوله صم بكم عمي وقرا زيد بن علي يعشو بالواو قال الزمخشري على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القاري ان يرفع نقيض انتهى ولا يتعين ما قاله اذ تتخرج هذه القراة على وجهين احدهما ان تكون من شرطية ويعشو مجزوم بحذف

الحركة تقديرا وقد ذكر الاخفش ان ذلك لغة لبعض العرب لا يحذفون حروف العلة للجازم والمشهور عند النحاة ان ذلك يكون في الشعر لا في الكلام والوجه الثاني ان تكون من موصولة والجزم بسببه للموصول باسم الشرط واذا كان ذلك مسموعا في الذي وهو لم يكن اسم شرط قط فالاولى ان تكون فيما استعمل موصولا وشرطا قال الشاعر

لا تحفرن بيرا تريد اخا بها ۞ فانك فيها انت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما ۞ يصبه على رغم عواقب ما صنع

انشدهما ابن الاعرابي وهو مذهب للكوفيين وله وجه من القياس وهو انه كما شبه الموصول باسم الشرط فدخلت الفاء في خبره فكذلك تشبه به فينجزم الخبر الا ان دخول الفاء منقاس اذا كان الخبر مسببا عن الصلة بشروطه المذكورة في علم النحو وهذا لا يقيسه البصريون وقرا الجمهور نقيض بالنون وعلي والسلمي والاعمش ويعقوب وابو عمرو بخلاف عنه وحماد عن عاصم وعصمة عن الاعمش وعن عاصم والعليمي عن ابي بكر بالياء اي يقيض الرحمن وابن عباس يقيض مبنيا للمفعول له شيطان بالرفع اي ييسر وليعدله وهذا عقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح كما يقال ان الله يعاقب على المعصية بالتزيد من السيات وقال الزمخشري نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين انتهى وهو على طريقة الاعتزال والظاهر ان ضمير النصب في وانهم ليصدونهم عايد على من على المعنى اعاد اولا على اللفظ في افراد الضمير ثم اعاد على المعنى والضمير في يصدونهم عايد على شيطان وان كان مفردا لانه مبهم في جنسه ولكل عاش شيطان قرين فجاز ان يعود الضمير مجموعا وقال ابن عطية والضمير في قوله وانهم عايد على الشيطان وفي ليصدونهم عايد على الكفار انتهى والاولى ما ذكرناه لتناسق الضماير في وانهم وفي ليصدونهم وفي ويحسبون لمدلول واحد كان الكلام وان العتاة ليصدونهم الشياطين عن السبيل اي سبيل الهدى والفوز ويحسبون اي الكفار وقرا ابو جعفر وشيبة وقتادة والزهري والجحدري وابو بكر والحرميان حتى اذا جانا على التثنية اي العاشي والقرين اعاد على لفظ من ولفظ الشيطان القرين وان كان من حيث المعنى صالحا للجمع وقرا الاعمش والاعرج وعيسى وابن محيصن والاخوان وحفص جانا على الافراد والضمير عايد على لفظ من اعاد اولا على اللفظ ثم رجع على المعنى ثم افرد على اللفظ ونظير ذلك ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا افرد اولا ثم جمع في قوله خالدين ثم افرد في قوله له رزقا وروي انهما يجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان حتى يصيرهما الله الى النار قال اي الكافر للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله او تمنى ذلك في الاخرة وهو الظاهر لانه جواب اذا التي للاستقبال اي مشرق الشمس مشرقها في اقصر يوم من السنة ومشرقها في اطول يوم قاله ابن السايب او بعد المشرق والمغرب غلب المشرق فثناهما كما قالوا العمران في ابي بكر وعمر والقمران في الشمس والقمر

والموصلان في الجزيرة والموصل والزهدمان في زهدم وكردم والعجاجان في رؤبة
والعجاج والابوان في الاب والام وهذا اختيار الفراء والزجاج ولم يذكر الزمخشري
قال فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق
من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد
اليهما انتهى وقيل بعد المشرقين من المغربين فاكتفي بذكر المشرقين وكان تمني هذا
القرين بمرئي الشمس والقمر ومغربيهما فبئس القرين مبالغة منه في ذم قرينه اذ كان
سبب ايراده النار والمخصوص بالذم محذوف اي فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم
حكاية حال يقال لهم يوم القيمة وهي مقالة موحشة حرمتهم روح التاسي
لانه وقفهم بذلك على انه لا ينفعهم التاسي لعظم المصيبة وطول العذاب واستمرار
مدته اذ التاسي راحة كل مصاب في الدنيا في الاغلب الا ترى الي

قول الخنساء ه

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ه

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي ه

فهذا التاسي قد كفاها مؤونة قتل النفس فنفي الله عنهم الانتفاع بالتاسي
في ذلك تعذيب لهم وياس من كل خير وهذا لا يكون الا على تقدير ان يكون الفاعل
ينفعكم انكم ومعمولاها اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب اي لن يخفف عنكم اشتراككم
في العذاب ه واذا كان الفاعل غير ان وهو ضمير يعود على ما يفهم من الكلام قبله
اي تمني مباعدة القرين والتبرؤ منه ويكون انكم تعليلا اي لاشتراككم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وقال مقاتل المعنى ولن ينفعكم اليوم
الاعتذار والندم لانكم وقرناؤكم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفر في الدنيا
وعلى كون الفاعل غير ان وهي قراءة الجمهور لا يتضمن الكلام نفي التاسي وقرئ انكم
بالكسر فدل على اضمار الفاعل ويقويه حمل انكم بالفتح على التعليل واليوم واذ ظرفان
فاليوم ظرف حال واذ ظرف ماض اما ظرف الحال فقد يعمل فيه المستقبل لقربه
منه او للتجوز في المستقبل كقوله فمن يستمع الآن وقول الشاعر
سأسعى الآن اذ بلغت اناها ه واما اذ فماض لا يعمل فيه المستقبل فقال الزمخشري
واذ بدل من اليوم انتهى وحمل اذ ظلمتم على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد
ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ه اي
تبين اني ولد كريمة انتهى ولا يجوز فيه البدل على بقاء اذ على موضوعها من كونها ظرفا
لما مضى من الزمان فان جعلت لمطلق الوقت جاز وتخريجه على البدل اخذه الزمخشري
من ابن جني قال في مسئلته ابا علي راجعته فيها مرارا واخر ما حصل منه ان
الدنيا والاخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله وعلمه فتكون اذ بدلا من اليوم
حتى كانها مستقبلة او كان اليوم ماض وقيل التقدير بعد اذ ظلمتم فحذف المضاف
للعلم به وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان وقال الحوفي اليوم ظرف متعلق بينفعكم
ولا يجوز تعلق اذ به لانهما ظرفا زمان يعني متغايرين في المعنى تغايرا لا يمكن ان
يجتمعا قال فلا يصح ان تكون بدلا من الآخر يعني لذلك التغاير من كون هذا ظرف

حال

حال وهذا ظرف مضي قال ولكن تكون اذ متعلقة بما دل عليه المعنى كانه قال
ولن ينفعكم اجتماعكم اذ ظلمتم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى فما قدر اذ جعل
اولا فاعل ينفعكم اجتماعكم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك وقيل الفاعل محذوف
تقديره ظلمكم او جحدكم وهو العامل في اذ لا ضمير الفاعل لما ذكر تعالى حال الكفار ردهما
في العمه وكانت قريش تسمع ذلك فلا تزداد الا عتوا واعراضا وكان صلى الله عليه
وسلم يجتهد في تحصيل الايمان لهم خاطبه تعالى تسلية له باستفهام تعجيب اي ان
هولاء صم فلا يمكنك اسماعهم عمي حيارى فلا يمكن ان تهديهم وانما ذلك راجع
اليه تعالى ولما كانت حواسهم لم ينتفعوا بها الانتفاع الذي يجدي خلاصهم من عذاب
الله جعلوا صما عميا حيارى ويريد بهم قريشا فهم جامعوا الاوصاف الثلاثة
ولذلك عاد الضمير عليهم في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ولم يجر لهم
ذكر الا في قوله افانت تسمع الصم الاية والمعنى ان قبضناك قبل نصرك عليهم
فانا منهم منتقمون في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون او نرينك الذي
وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم بدر فانا عليهم مقتدرون اي هم في قبضتنا
لا يفوتوننا وهذا قول الجمهور وقال الحسن وقتادة الموعود بهم الامة اكرم الله
تعالى نبيه عن ان ينتقم منهم في حياته كما انتقم من امم الانبياء في حياتهم فوقعت
النقمة منهم بعد موته عليه السلام في الفتن الحادثة في صدر الاسلام مع الخوارج
وغيرهم وقرئ نرينك بالنون الخفيفة ولما ردد تعالى بين حياته وموته صلى الله
عليه وسلم امره بان يستمسك بما اوحاه اليه وقراءة الجمهور اوحي مبنيا للمفعول
وبعض قراء الشام باسكان الياء والضحاك مبنيا للفاعل والنداء اي وانه هما
اوحينا اليك لذكر لك ولقومك اي شرف حيث نزل عليهم وبلسانهم وجعل سائر
الناس تبعا لهم والقوم على هذا قريش ثم العرب قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي وابن زيد كان عليه السلام يعرض نفسه على القبائل فاذا قالوا له
لمن يكون الامر بعدك سكت حتى نزلت هذه الاية فكان اذا سئل عن ذلك قال لقريش
فكانت العرب لا تقبل حتى قبلته الانصار وقال الحسن القوم هنا امته والمعنى
وانه لتذكرة وموعظة وقيل هذه الاية تدل على ان الانسان يرغب في الثناء الحسن
والذكر الجميل ولو لم يكن ذلك مرغوبا فيه ما امتن به تعالى على رسوله فقال
وانه لذكر لك ولقومك وقال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان
صدق في الاخرين والذكر الجميل قائم مقام الحيوة بل هو افضل من الحيوة لان
اثر الحيوة لا يحصل الا في الحي واثر الذكر الجميل يحصل في كل مكان وفي كل
زمان انتهى وقال ابن دريد ه

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى ه

وقال آخر ه ~~طيب ما يبقى من الخبر ه~~

يبقى

انما الدنيا محاسنها طيب ما يبقى من الخبر ه

وذكر ان هلاون ملك التتار سال اصحابه من الملك فقالوا له انت الذي
دوخت البلاد وملكت الارض وطاعت لك الملوك فقال لا الملك

هذا وكان المؤذن إذا لم يؤذن هذا الذي له زيد من ستمائة سنة فقد مات وهو يذكر على المأذن في كل يوم خمس مرات يريد محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف تسألون قال الحسن عن شكر هذه النعمة وقال مقاتل المراد من كذب به يسأل سؤال توبيخ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا قيل هو على ظاهره وأن جبريل عليه السلام قال له ليلة الإسراء حين أم بالأنبياء واسأل من أرسلنا فلم يسألهم إذ كان أثبت يقينا ولم يكن في شك وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير والزهري وابن زيد وفي الآثار أن ميكائيل قال لجبريل هل سأل محمد عن ذلك فقال هو أعظم يقينا وأوثق إيمانا من أن يسأل ذلك وقال ابن عباس أيضا والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وعطاء أرادوا سؤال أمم الأنبياء المرسلين سأل الأتباع من أهل الكتاب وحملة شرائعهم إذ يستحيل سؤال الرسل أنفسهم وليسوا مجتمعين في الدنيا قال الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الرسل والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح الحقيقة كثير منه مسائلة الشعراء الديار والأطلال وقيل سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا فالسؤال هنا مجاز عن النظر في أديانهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء والذي يظهر أنه خطاب للسامع الذي يريد أن يفحص عن الديانات فقيل له اسأل أيها الناظر أتباع الرسل أجاءت رسلهم بعبادة غير الله فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع ولا يمكن أن يأتوا به وأبعد الحكم من ذهب إلى أن المعنى واسألنا واسأل عن من أرسلنا وعلق واسأل فارتفع من وهو اسم استفهام على الابتداء وأرسلنا خبره والجملة في موضع نصب باسأل بعد إسقاط الخافض كان سؤاله من أرسلت يا رب قبلي من رسلك أجعلت في رسالته آلهة تعبد ثم ساق السؤال فحكى الخطاب إلى محمد في قوله من قبلك ۝ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ۝ مناسبة هذه الآيات لما قبلها من وجهين أحدهما أنه لما تقدم طعن قريش على الرسول واختيارهم أن ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم أي في الجاه والمال ذكر أن مثل ذلك سبقهم إليه فرعون في قوله أليس لي ملك مصر إلى آخر الآية أتبعه بالملك والمال ففرعون قدوتهم في ذلك ومع ذلك فصار فرعون مقهورا مع موسى منتقما منه فكذلك قريش والوجه الثاني أنه لما قال واسأل من أرسلنا الآية ذكر قصة

المعنى فرددهم

قوله عز وجل ولقد أرسلنا

موسى

موسى وعيسى ومما أكثر أتباعا ممن سبقهم من الأنبياء وكل جاء بالدعاء إلى الله وإفراده بالعبادة فلم يكن فيما جاء به إباحة اتخاذ آلهة من دون الله كما اتخذت قريش فناسب ذكر قصتهما الآية التي قبلها وآيات موسى هي المعجزات التي أظهرها وخص الملأ بالذكر وهم الأشراف لأن غيرهم من الناس تبع لهم فلما جاءهم بآياتنا قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه أنه رسول من الله فلما جاءهم بآياتنا وهي انقلاب العصا ثعبانا وعودها عصا وإخراج اليد بيضاء نيرة وعودها إلى لونها الأول إذا هم منها يضحكون أي فاجأهم الضحك بحيث لم يفكروا ولم يتأملوا بل بنفس ما رأوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء كما كانت قريش تضحك قال الزمخشري فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم فاجؤا وقت ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل من أن إذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ بل المذاهب فيها ثلاثة مذهب أنها حرف فلا تحتاج إلى عامل ومذهب أنها ظرف مكان فإن صرح بعدها الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فإذا زيد قائم فقائم ناصب لإذا كأن التقدير خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم ومذهب أنها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضا كأنه قال ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم وإن لم يذكر بعد الاسم خبر وذكر اسم منصوب على الحال كانت إذا خبرا للمبتدأ بأن كان المبتدأ جثة وقلنا إذا ظرف مكان كان الأمر واضحا وإن قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي ففي الزمان حضور زيد وما ادعاه الزمخشري من إضمار فعل المفاجأة لم ينطق به ولا في موضع واحد ثم المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه إذا تقول خرجت فإذا الأسد فالمعنى ففاجأني الأسد وليس المعنى ففاجأت الأسد ۝ وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها قال الزمخشري فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منهما فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قررتهم رجلا رجلا فإن قلت فهو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى هذا بني الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل

هذا ونادرة بفضل ذلك ومنه بيت الحماسة ۝
٭ من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري ۝
ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم
متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة
لا تدري اين طرفاها انتهى وهو كلام طويل ملخصه ان الوصف بالاكبرية مجاز
وان ذلك بالنسبة الى الناظرين فيها وقال ابن عطية عبارة عن شدة موقعها في نفوسهم
بحدة امرها وحدوثه وذلك ان اول اية عرضها موسى هي العصا واليد وكانت اكبر آيات
ثم كل اية بعد ذلك كانت تقع فيعظم عندهم مجيئها وتكبر لانهم كانوا انسوا التي قبلها
فهذا كالذي كما قال الشاعر ۝
٭ على انها تعفو الكلوم وانما يوكل بالادنى وان جل ما يمضي ۝
وذهب الطبري الى ان الايات هي الحجج والبينات انتهى وقيل كانت آياته من
كبار الايات وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها فعلى هذا يكون ثم صفة
محذوفة اي من اختها السابقة عليها ولا يبقى في الكلام تعارض ولا يكون ذلك
الحكم في الاية الاولى لانه لم يسبقها شيء فتكون اكبر منه وقيل الاولى تقتضي
علما والثانية تقتضي علما منضما الى علم الاولى فيزداد الرجوع ومعنى اختها
مناسبتها تقول هذه الدرة اخت هذه اي مناسبتها واخذناهم بالعذاب بالسنين
ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وذلك عقاب
لهم وايات لموسى لعلهم يرجعون عن كفرهم قال الزمخشري لعلهم يرجعون ارادة
ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته
فعل غيره ليس الا ان يامر به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد
ولا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان
الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه انتهى وهو على طريقة الاعتزال ه وقال ابن عطية لعلهم
ترجي بحسب معتقد البشر وظنهم وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك اي في كشف
العذاب قال الجمهور هو خطاب تعظيم لان السحر كان علم زمانهم او لانهم استصحبوا
له ما كانوا يدعونه به او لا ويكون قولهم بما عهد عندك اننا لمهتدون اخبار
مطابق مقصود وقيل بل خطاب استهزاء وانتقاص ويكون قولهم بما عهد عندك
اي على زعمك وقولك واننا لمهتدون اخبار غير مطابق معلق على شرط دعائه
وكشف العذاب وعهد معزوم على نكثه الا ترى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون وعلى القول الاول يكون قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
جاريا على عادة اكثر الناس اذا مسه الضر تضرع ودعا واذا كشف عنه رجع
الى عادته الاولى كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ثم اذا كشفنا
عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله بما عهد عندك محتمل ان يكون
من ان دعوتك مستجابة وفي الكلام حذف اي فدعا موسى فكشف فلما كشفنا
وقرا ابو حيوة ينكثون بكسر الكاف ونادى فرعون في قومه جعل القوم محلا
للنداء والظاهر انه نادى عظماء القبط في محله الذي هو وهم يجتمعون فيه

ورفع صوته فيما بينهم لتنتشر مقالته في جميع القبط ويجوز ان يكون امر بالنداء
فاسند اليه وسبب ندائه ذلك انه لما راى اجابة الله دعوة موسى ورفع العذاب
خاف ميل القوم اليه فنادى قال يا قوم اليس لي ملك مصر اراد ان يبين فضله
على موسى بملك مصر وهي من اسكندرية الى اسوان وهذه الانهار اي الخلجان التي
تخرج من النيل واعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس والواو
في وهذه الانهار واو الحال وتجري خبر وهذه والانهار صفة او عطف بيان
ويجوز ان تكون الواو عاطفة على ملك مصر وتجري حال من تحتي اي من تحت
قهري وملكي وقال قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصره وقيل
كان له سرير عظيم وقطع من نيل مصر قطعة قسمها انهارا تجري من تحت ذلك السرير
وابعد الضحاك في تفسيره الانهار بالقواد والرؤساء الجبابرة يسيرون تحت
لوائه ومن فسرها بالاموال يعرفها من تحت يده ومن فسرها بالخيل وقال كما يسمى
الفرس بحرا يسمى نهرا وهذه الاقوال الثلاثة يقرب من تفاسير الباطنية افلا
تبصرون عظمتي وقدرتي وعجز موسى وقرا فهد بن الصقر يبصرون بيا الغيبة ذكره
في الكامل للهذلي والتاجي عن يعقوب ذكره ابن خالويه قال الزمخشري وليت
شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس
من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة
والجلالة على صغير ولا كبير حتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته
وكثرانون تبصرون عيني وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي
فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها
ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر
والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ۝ ام انا خير من هذا الذي هو مهين
الظاهر انها ام المنقطعة المقدرة ببل والهمزة اي بل انا خير وهو اذا استفهم هو خير
ممن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك المتحكم فيهم قالوا
له بلا شك انت خير وقال السدي وابو عبيدة ام بمعنى بل فيكون انتقل من
ذلك الكلام الى اخباره بانه خير ممن ذكر كقول الشاعر ۝
٭ بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها ام انت في العين املح ۝
وقال سيبويه ام هذه المعادلة اي ام تبصرون الامر الذي هو حقيق ان يبصر عنده
وهو انه خير من موسى وهذا القول بدا به الزمخشري فقال ام هذه متصلة
لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب
انتهى وهذا القول متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان
السابق جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها
فعلية كقوله ادعوتموهم ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر
منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله افلا تبصرون وان كان
السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله ۝

المخرج اليدين أم أغنت ۞ فأم هنا معادل للألف فالتقدير أم متمنيا وقيل حذف المعادل
بعد أم لدلالة المعنى عليه إذ التقدير أم تبصرون فحذف تبصرون وهذا لا يجوز إلا
إذا كان بعد أم لا نحو أتقوم زيد أم لا تقديره أم لا يقوم وأزيد عندك أم لا أي أم لا هو
عندك فأما حذفه دون لا فليس من كلامهم وقد جاء حذف أم والمعادل وهو قليل

قال الشاعر ۞

۞ دعاني إليها القلب إني لأمرها سميع فما أدري أرشد طلابها ۞

يريد أم غي وحكى الفراء أنه قرأ أما أنا خير دخلت الهمزة على ما النافية فأفادت
التقرير ولا يكاد يبين الجمهور أنه كان بلسانه بعض شيء من أثر الجمرة ومن ذهب إلى
أن الله كان أجاب بدعوته سؤله واحلل عقدة من لساني فلم يبق لها أثر جعل انتفاء الإبانة
بأنه لا يبين حجته الدالة على صدقه فيما يدعي لا أنه لا قدرة له على إيضاح المعنى
لأجل كلامه وقيل عابه بما كان عليه موسى من الحبسة أيام كان عند فرعون فنسب
إليه ما عهده مبالغة في التعيير وقول فرعون ولا يكاد يبين كذب بحت ألا ترى إلى
مناظرته له ورده عليه وإفحامه بالحجة والأنبياء عليهم السلام كلهم بلغاء **وقرأ**
الباقر يبين بفتح الياء من بان إذا ظهر ۞ فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب قال
مجاهد كانوا إذا سوروا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة
لسؤدده فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان
صادقا فكان ذلك دليلا على إلقاء مقاليد الملك إليه لما وصف نفسه بالعزة
والملك وازنه بما بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد
فاعترض فقال إن كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أنصاره
وقرأ الضحاك فلولا ألقى مبنيا للفاعل أي الله أساورة نصبا والجمهور أساورة
وأبي وعبد الله أساور والمفرد أسوار بمعنى سوار والهاء عوض من الياء كهي في زنادقة
هي عوض من ياء زناديق المقابلة لياء زنديق وهذه مقابلة لألف أسوار **وقرأ**
الحسن وقتادة وأبو رجاء والأعرج ومجاهد وأبو حيوة وحفص أسورة جمع سوار
نحو خمار وأخمرة **وقرأ** الأعمش أساور وروي عن أبي وعن أبي عمرو أو جاء معه
الملائكة مقترنين أي يحمونه ويقيمون حجته قال ابن عباس يعينونه على من
خالفه وقال السدي يتقارنون بعضهم بعضا وقال مجاهد يمشون معه
وقال قتادة متتابعين فاستخف قومه أي استجهلهم لخفة أحلامهم قاله
ابن الأعرابي وقال غيره حملهم على أن يخفوا لما يريد منهم فأجابوه لفسقهم فلما آسفونا
منقول بالهمزة من أسف إذا غضب والمعنى فلما عملوا الأعمال الخبيثة الموجبة لأن لا
يحلم عنهم وعن ابن عباس أحزنوا أولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبني إسرائيل وعنه
أيضا أغضبونا وعن علي أسخطونا وقيل خالفونا وقال القشيري وغيره الغضب
من الله إما إرادة العقوبة فهو من صفات الذات أو العقوبة فتكون من صفات
الفعل **وقرأ** الجمهور سلفا قال ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة أي متقدمين
إلى النار وهو مصدر سلف يسلف سلفا وسلف الرجل آباؤه المتقدمون
والجمع أسلاف وسلاف وقيل هو جمع سالف كحارس وحرس وحقيقته أنه اسم جمع

لأن

الغنوي

قوله عز وجل ولما ضرب ابن مريم

لأن فعلا ليس من أبنية الجموع المكسرة **وقال طفيل يرثي قومه** ۞

۞ مضوا سلفا قصد السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال تقلب ۞

قال الفراء والزجاج سلفا ليتعظ بهم الكفار المعاصرون للرسول **وقرأ** أبو عبد الله
وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش وطلحة والأعرج وحمزة والكسائي وسلفا
بضم السين واللام جمع سليف وهو الفريق سمع القاسم بن معن العرب تقول
مضى سليف من الناس **وقرأ** علي ومجاهد والأعرج أيضا وسلفا بضم السين
وفتح اللام جمع سلفة وهي الأمة والقطعة والسلف في غير هذا ولد الفتح والجمع
سلفان ومثلا للآخرين أي حديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدث به الآخرون
من الكفار ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ۞ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه
يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو
إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض
يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان إنه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين
لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم
هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون
الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين
وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون ۞ لما ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام ذكر طرفا
من قصة عيسى عليه السلام وعن ابن عباس وغيره لما نزل إن مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب ونزل كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما أراد محمد من ذكر
عيسى إلا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا
وقيل ضرب المثل بعيسى هو ما جرى بين ابن الزبعرى وبين الرسول عليه السلام في
القصة المحكية في قوله إنكم وما تعبدون وقد ذكرت في سورة الأنبياء في آخرها
أن ابن الزبعرى قال فإذا كان هؤلاء أي عيسى وأمه وعزير في النار فقد
رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم وقيل المثل هو أن الكفار لما سمعوا أن النصارى
تعبد عيسى قالوا آلهتنا خير من عيسى قال ذلك منهم من كان يعبد الملائكة وضرب
مبني للمفعول فاحتمل أن يكون الفاعل ابن الزبعرى إن صحت قصته وأن يكون
الكفار **وقرأ** أبو جعفر والأعرج والنخعي وأبو رجاء وابن وثاب وابن عامر ونافع
والكسائي يصدون بضم الصاد أي يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل **وقرأ** ابن عباس
وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها أي يضجون ويرتفع لهم جلبة
فرحا بضرب المثل وروي ضم الصاد عن علي وأنكرها ابن عباس ولا يكون إنكاره إلا
قبل بلوغه تواترها وقال الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى واحد مثل يعرشون

في رضينا

ويعرشون وقالوا آلهتنا خير ام هو حقق الكوفيون الهمزتين وسهل باقي السبعة
الثانية بين بين وقرأ ورش في رواية ابي الازهر بهمزة واحدة على مثال
الخبر فاحتمل ان تكون همزة الاستفهام محذوفة لدلالة ام عليها واحتمل ان يكون خبرا
محضا حكوا ان آلهتهم خير ثم عن لهم ان يستفهموا على سبيل التنزل من الخبر الى
الاستفهام المقصود به الافحام وهذا الاستفهام يتضمن ان آلهتهم خير من عيسى ما ضربوه
لك الا جدلا اي ما مثلوا هذا التمثيل الا لاجل الجدل والغلبة والمغالطة
لا لتمييز الحق واتباعه وانتصب جدلا على انه مفعول من اجله وقيل مصدر في موضع
الحال وقرأ ابن مقسم الا جدالا بكسر الجيم والف خصمون شديد الخصومة واللجاج
وفعل من ابنية المبالغة نحو حذر والظاهر ان الضمير في ان هو لعيسى لتتناسق الضماير
في قوله ان هو الا عبد وقال قتادة يعود على النبي صلى الله عليه وسلم انعمنا عليه
بالنبوة وشرفناه بالرسالة وجعلناه مثلا اي عبرة عجيبة كالمثل لبني اسرائيل
اذ خلق من غير اب وجعل له من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاسقام كلها
ما لم يجعل لغيره في زمانه وقيل المنعم عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم ولو نشاء لجعلنا
منكم ملائكة في الارض قال بعض النحويين من تكون للبدل اي لجعلنا بدلكم
ملائكة وجعل منه لكم قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي بدل الاخرة
وقول الشاعر

اخذوا المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير افالا

اي بدل الفصيل واصحابنا لا يثبتون لمن معنى البدلية ويتاولون ما ورد مما
يوهم ذلك قال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم وقال الزمخشري ولو نشاء
لقدرتنا على عجايب الامور وبدايع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا
تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام
وذات القديم متعالية عن ذلك انتهى وهو تخريج حسن وخرجوا هذا
التخريج قول من قال لجعلنا من الانس ملئكة وان لم تجر العادة بذلك
والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف يخلفون قال السدي
يكونون خلفاءكم وقال قتادة يخلف بعضهم بعضا وقال مجاهد في عمارة
الارض وقيل في الرسالة بدلا من رسلكم والظاهر ان الضمير في وانه
لعلم للساعة يعود على عيسى اذ الظاهر في الضماير السابقة انها عائدة عليه
وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك وابن زيد
اي وان خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها اذ خروجه شرط من اشراطها
وهو نزوله من السما في اخر الزمان وقال الحسن ايضا وقتادة
ايضا وابن جبير يعود على القران على معنى انه يدل انزاله على قرب الساعة
او انه به يعلم الساعة واهوالها وقالت فرقة يعود على النبي صلى الله
عليه وسلم اذ هو اخر الانبيا تميزت الساعة به نوعا وقدرا من التمييز ونفى
التحديد التام الذي انفرد الله تعالى بعلمه وقرأ الجمهور لعلم مصدر علم قال

الزمخشري

الزمخشري اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي العلم شرطا لحصول العلم به وقرأ ابن عباس
وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة ومجاهد والضحاك ومالك
ابن دينار والاعمش والكلبي قال ابن عطية وابو نضرة لعلم بفتح العين واللام اي لعلامة
وقرأ عكرمة قال ابن خالويه وابو نضرة للعلم معرفا بفتحتين فلا تمترن بها اي لا
تشكون فيها واتبعون اي هداي او شرعي وقيل اي قل لهم يا محمد واتبعون هذا اي
الذي ادعوكم له او هذا القران ان كان الضمير في وانه للقران ثم حذرهم من اغواء
الشيطان ونبه على عداوته بالبينات اي المعجزات او بايات الانجيل الواضحات
بالحكمة اي بما تقتضيه الحكمة الالهية من الشرايع قال السدي بالحكمة النبوة
وقال ايضا قضايا يحكم بها العقل وذكر القشيري والماوردي الانجيل وقال
الضحاك الموعظة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو امور الديانات
لان اختلافهم يكون فيها وفي غيرها من الامور التي لا تتعلق بالديانات فامور
الديانات بعض ما يختلفون فيه وقيل ولابين لكم في الانجيل بعض الذي
تختلفون فيه وبين لهم في غيره ما احتاجوا اليه وقيل بعض ما يختلفون فيه
من احكام التورية وقال ابو عبيدة بعض بمعنى كل ورده الناس عليه وقال
مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم احل في الانجيل لحم الابل والشحم
من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت وقال مجاهد بعض الذي تختلفون فيه
من تبديل التورية وقيل مما سالتم من احكام التورية وقال قتادة ولابين لكم
اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى والضمير في من بينهم عائد على من خاطبهم
عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم اي من تلقائهم ومن
انفسهم بان شرهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم وتقدم الخلاف في اختلافهم
في سورة مريم في قوله فاختلف الاحزاب من بينهم هل ينظرون الضمير لقريش
وان تاتيهم بدل من الساعة اي اتيانها اياهم الاخلاء يومئذ قيل نزلت
في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط والتنوين في يومئذ عوض من الجملة المحذوفة
اي يوم اذ تاتيهم الساعة ويومئذ منصوب بعدو والمعنى انه تنقطع كل خلة
وتنقلب الا خلة المتقين فانها لا تزداد الا قوة وقيل الا المتقين الا المجتنبين
اخلاء السوء وذلك ان اخلاء السوء كل منهم يرى ان الضرر دخل عليه من خليله
كما ان المتقين يرى كل منهم النفع دخل عليه من خليله وقرئ يا عبادي بالياء
وهو الاصل ويا عباد بحذفها وهو الاكثر وكلاهما في السبعة وعن المعتمر بن سليمان
سمعت ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا يفزع فينادي مناد يا عبادي
لا خوف عليكم الاية فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا الاية قال
فييأس منها الكفار وقرأ الجمهور لا خوف مرفوع منون وابن محيصن بالرفع من
غير تنوين والحسن والزهري وابن ابي اسحاق وعيسى وابن يعمر ويعقوب بفتحها
من غير تنوين والذين امنوا صفة ليا عبادي تحبرون تسرون سرورا يظهر
حباره اي اثره على وجوههم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج
يكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل واما ابو الحرث

عن الكسائي بعكاف ذكره ابن خالويه والضمير في فيها عائد على الجنة ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين هذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب
واما مستلذة في العيون وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه
بالضمير العائد على ما والجمهور وباقي السبعة بحذفها وفي مصحف عبد الله ما تشتهيه
الانفس وتلذه الاعين بالهاء فيهما وتلك الجنة مبتدا وخبره التي اورثتموها صفة
او الجنة صفة والتي اورثتموها او بما كنتم تعملون الخبر وما قبله صفتان فاذا
كان بما الخبر تعلق بمحذوف وعلى القولين الاولين تتعلق باورثتموها وشبهت
في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة ولما ذكر ما يتضمن الاكل والشرب
ذكر الفاكهة منها تاكلون من للتبعيض اذ لا ياكلون الا بعضها وما يخلف الماكول
باق في شجره كما جاء في الحديث ٥ ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم
فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا
فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل
ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ٥ لما ذكر تعالى حال اهل الجنة وما
يقال لهم من لذيذ البشارة اعقب ذلك بذكر حال الكفرة وما يجاوبون به
عند سؤالهم وقرا عبد الله وهم فيها اي في جهنم والجمهور وهم فيه اي في
العذاب وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى
فيه خالدا لا يرى ولا يرى لا يفتر عنهم اي لا يخفف ولا ينقص من قولهم
فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا ونقص حرها والمبلس الساكت اليائس
من الخير وما ظلمناهم اي ما وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه ولكن كانوا هم
الظالمين اي لمواضعهم الكفر مكان الايمان فظلموا بذلك انفسهم وقرا
الجمهور الظالمين على انهم فصل وقرا عبد الله وابو زيد النحويان الظالمون
بالرفع على انه خبرهم وهم مبتدا وذكر ابو عمرو الجرمي ان لغة تميم جعل ما هو
فصل عند غيرهم مبتدا ويرفعون ما بعده على الخبر وقال ابو زيد سمعتهم يقرؤن
تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا يعني برفع خير واعظم ٥

وقال قيس بن ذريح

٥ تحن الى ليلى وانت تركتها وكنت عليها بالملا انت اقدر ٥

وقال س بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع
ونادوا يا مالك تقدم انهم مبلسون اي ساكتون وهذه احوال لهم

قوله عز وجل ان المجرمين

في ازمان متطاولة فلا تعارض بين سكوتهم وندائهم وقرا الجمهور يا مالك وقرا
عبد الله وعلي وابن وثاب والاعمش يا مال بالترخيم على لغة من ينتظر الحرف
وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالبناء على الضم جعله اسما على حياله واللام في
ليقض لام الطلب والرغبة والمعنى ليمتنا مرة حتى لا يتكرر عذابنا كقوله فوكزه موسى
فقضى عليه اي اماته قال اي مالك انكم ماكثون اي مقيمون في النار لا تبرحون
وقال ابن عباس يجيبهم بعد مضي الف سنة وقال نوف بعد مائة وقيل ثمانين
وقال عبد الله بن عمرو اربعين لقد جئناكم بالحق يظهر انه من كلام الله تعالى
وقيل من كلام بعض الملائكة كما تقول احد خدم الرئيس اعلمناكم وفعلنا بكم وقيل
ويحتمل ان يكون لقد جئناكم من قول الله لقريش يعقب حكاية امر الكفار مع مالك
وفي هذا توعد وتخويف بمعنى انظروا كيف يكون حالكم ام ابرموا الضمير لقريش
اي بل احكموا امرا من كيدهم للرسول ومكرهم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم
كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون ويتسارون
في امر الرسول فقال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما يحدث به الرجل
نفسه او غيره في مكان خال ونجواهم وهو ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها
ورسلنا وهم الحفظة ٥ قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قال
قتادة والسدي والطبري المعنى قل لهم ان كان للرحمن ولد كما تقولون
فانا اول من يعبده على ذلك ولكن ليس له شيء من ذلك واختار الزمخشري هذا
القول وحسنه بفصاحته فقال ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت
ببرهان صحيح يوردونه وحجة واضحة يدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد
واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم ابيه وهذا كلام
وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب
فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات
القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال
في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال الزمخشري ونظيره ان يقول
العدلي للمجبر ثم ذكر كلاما يستحق عليه التاديب بل السيف نزهت كتابي عن
ذكره ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف
الملي بالنكت والفوائد المستقلة باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان
للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة
الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول الانفين من ان يكون له ولد
من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم عبدين وقيل هي
ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد
وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت
فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك
ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له

ترون

المستقلة

قل

انتهى اما القول ان كان لله ولد في زعمكم فهو قول مجاهد واما القول فانا اول الآنفين فهو قول جماعة حكاه عنهم ابو حاتم ولم يسم احدا منهم ويدل عليه قراءة السلمي واليماني العبدين وقراءة ذكرها الخليل بن احمد في كتاب العين العبدين بسكون الباء تخفيف العبدين بكسرها وذكر صاحب اللوامح انه جاء عن ابن عباس في معنى العابدين انه الآنفين انتهى وقال ابن عرفة يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقرآن لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ ثم قال كقول مجاهد ٥

وقال الفرزدق ٥

اولئك آبائي فجئني بمثلهم واعبد ان اهجو كليبا بدارم ٥

اي آنف واستنكف وقال آخر ٥

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما ٥

واما القول بان ان نافية فروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن زيد وزهير بن محمد وقال مكي لا يجوز ان تكون ان بمعنى ما النافية لانه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو آت وهذا محال النفي ولا يلزم منه محال لان قد تستعمل فيما يدوم ولا يزول كقولك وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل فالمعنى ما كان وما يكون وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدني حقي اي جحدني وقرأ ولد بفتحتين وعبد الله وابن وثاب وطلحة والاعمش بضم الواو وسكون اللام ثم قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي من نسبة الولد اليه والمعنى ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود وما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشيء جزء من اجزائه فيتولد منه شخص مثله ولا يكون الا فيما هو قابل لذاته للتجزي وهذا محال في حقه تعالى فامتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم وظاهر هذين الامرين مهادنة وترك وذلك مما نسخ باية السيف وقرأ الجمهور حتى يلاقوا وابو جعفر وابن محيصن وعبيد بن عقيل عن ابي عمرو يلقوا مضارع لقي يومهم الذي يوعدون يوم القيمة وقال عكرمة وغيره يوم بدر واضاف اليوم اليهم لانه الذي فيه هلاكهم وعذابهم وقرأ الجمهور اله فيهما وقرأ عمر وعبد الله وابي وعلي والحكم بن ابي العالي وبلال بن ابي بردة وابن يعمر وجابر وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وابو شيخ الهنائي وحميد وابن مقسم وابن السميفع الله فيهما ومعنى اله معبود وبه يتعلق الجار والمجرور والمعنى انه هو معبود في السما ومعبود في الارض والعائد على الموصول محذوف تقديره هو اله كما حذف في قولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن في قولك قائل لك شيئا طوله بالمعمول ومن قرأ الله ضمنه ايضا معنى المعبود كما ضمن العلم في نحو قولهم هو حاتم في طي اي جواد في طي ويجوز ان تكون الصلة الجار والمجرور والمعنى انه فيهما بالالهية والربوبية اذ يستحيل حمله على الاستقرار وفي قوله وفي الارض نفي لالهتهم التي كانت تعبد في الارض وعنده علم الساعة اي علم تعيين وقت قيامها

وهو الذي استأثر به تعالى وقرأ الجمهور يرجعون بياء الغيبة ونافع وعاصم والعربيات بتاء الخطاب وهو في كلتا القراءتين مبني للمفعول وقرئ بفتح تاء الخطاب مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور يدعون بياء الغيبة والسلمي وابن وثاب بتاء الخطاب والاسود ابن يزيد بياء الغيبة وشدد الدال وعنه بتاء الخطاب وشدد الدال والمعنى ولا يملك آلهتهم الذين يدعون الشفاعة عند الله قال قتادة استثنى ممن عبد من دونه عيسى وعزيرا والملائكة فانهم يملكون شفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه في كل احوالهم فالاستثناء على هذا متصل وقال مجاهد وغيره من المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هؤلاء الملائكة وعزير وعيسى الا فيمن شهد بالحق وهو يعلمه اي بالتوحيد قالوا فالاستثناء على منفصل كانه قال لكن من شهد بالحق يشفع فيهم هؤلاء وهذا التقدير الذي قدروه يجوز ان يكون فيه الاستثناء متصلا لانه يكون الاستثناء المستثنى منه محذوفا كانه قال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة في احد الا فيمن شهد بالحق فهو استثناء من المفعول المحذوف كما قال الشاعر ٥

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا ٥

اي ولم ينج شيء الا جفن سيف فهو استثناء من المشفوع فيهم لجائز فيه الحذف وهو متصل فان جعلته مستثنى من الذين يدعون فيكون منفصلا والمعنى ولا تملك آلهتهم ويعني بهم الاصنام والاوثان الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به هو الذي يملك الشفاعة وان ادرجت الملائكة في الذين يدعون كان استثناء متصلا وقرأ الجمهور فاني يؤفكون بياء الغيبة مناسبا لقوله ولئن سالتهم اي كيف يصرفون عن عبادة من اقروا انه موجد العالم وعن ابي عمرو بتاء الخطاب وقرأ الجمهور وقيله بالنصب فعن الاخفش انه معطوف على سرهم ونجواهم وعنه ايضا على وقال قيله وعن الزجاج على محل الساعة في قوله وعنده علم الساعة وقيل معطوف على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون اقوالهم وافعالهم وقيله وقيل معطوف على مفعول يعلمون اي يعلمون الحق وقيله يا رب وهو قول لا يكاد يعقل وقيل منصوب على اضمار فعل اي ويعلم قيله وقرأ السلمي وابن وثاب وعاصم والاعمش وحمزة وقيله بالخفض وخرج اسمه على انه عطف على الساعة او على انها واو القسم والجواب محذوف اي لينصرن او لافعلن بهم ما اشاء وقرأ الاعرج وابو قلابة ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بن جندب وقيله بالرفع وخرج على انه معطوف على علم الساعة على حذف مضاف اي وعلم قيله حذف واقيم المضاف اليه مقامه وروي هذا عن الكسائي وعلى الابتداء وخبره يا رب الى لا يؤمنون او على ان الخبر محذوف تقديره مسموع او متقبل فجملة النداء وما بعدها في موضع نصب بوقيله وقرأ ابو قلابة يا رب بفتح الباء اراد يا ربا كما تقول يا غلاما ويتخرج على جواز الاخفش يا قوم بالفتحة وحذف الالف والاجتزاء بالفتحة عنها وقال الزمخشري والذي قالوه يعني من العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم

واقوى من ذلك والوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على
قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه انتهى وهو مخالف
لظاهر الكلام اذ يظهر ان قوله يا رب الى لا يؤمنون متعلق بقيله ومن كلامه
عليه السلام واذا كان ان هؤلاء جواب القسم كان من اخبار الله عنهم وكلامه والضمير
في وقيله للرسول وهو المخاطب بقوله فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وتاركهم وقل سلام
اي امري سلام فسوف يعلمون وعيد لهم وتهديد وموادعة وهي منسوخة بآية السيف
وقرأ الجمهور يعلمون بياء الغيبة كما في فاصفح عنهم وقرأ ابو جعفر والحسن والاعرج
ونافع وهشام بتاء الخطاب وقال السدي وقل سلاما اي خيرا بدلا من شرهم وقال
المفردات
مقاتل اردد عليهم معروفا وحكى الماوردي قل ما تسلم به من شرهم ۝ الدخان معروف
وقال ابو عبيدة والدخان الجدب قال القتبي يسمى دخانا ليبس الارض منه
حتى يرتفع منها كالدخان وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخنان
نحو غراب واغربة وغربان وشذوا في جمعه على فواعل فقالوا دواخن كأنه جمع داخنة
تقديرا كما شذوا في عثان فقالوا عواثن رهوا البحر يرهو رهوا سكن يقال جاءت
الخيل رهوا اي ساكنة قال الشاعر

والخيل تمزع رهوا في اعنتها ۝ كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد ۝

ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وقال ابن الاعرابي رها في السير
قال القطامي في نعت الركاب ۝

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ۝ ولا الصدور على الاعجاز تتكل ۝

وقال الليث عيش راه وادع خافض وقال غيره الرهو والرهوة المكان
المرتفع والمنخفض يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد والجمع رهاء والرهو المرأة الواسعة
الهن حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب من الطير ويقال هو الكركي وقال ابو عبيدة
رها الرجل يرهو رهوا فتح بين رجليه المهل دردي الزيت وعكره عتله ساقه
بعنف ودفع واهانة والعتل الجافي الغليظ ۝

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ حم والكتاب المبين انا انزلناه
في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين
رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب
يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا
منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله
اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت
بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون

فاسر

فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما
آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ۝ هذه السورة مكية قيل
الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون ومناسبة هذه السورة انه ذكر في
اواخر ما قبلها فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذكر يوما
غير معين ولا موصوف فبين في اوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصف وصفه فقال
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين وان العذاب يأتيهم من قبلك ويحل بهم من الجدب
والقحط ويكون العذاب في الدنيا وان كان العذاب في الآخرة فيكون يومهم الذي
يوعدون يوم القيامة والظاهر ان الكتاب المبين هو القرآن اقسم به تعالى ويكون
الضمير في انزلناه عائدا عليه قيل ويجوز ان يراد به الكتب الالهية المنزلة وان يراد به
اللوح المحفوظ وجواب القسم قال الزمخشري وغيره قوله انا انزلناه على ان الكتاب
هو القرآن ويكون قد عظمه تعالى بالاقسام به وقال ابن عطية لا يحسن وقوع القسم
عليه اي على انا انزلناه وهو اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ويكون الذي وقع عليه
القسم انا كنا منذرين انتهى قال قتادة وابن زيد والحسن الليلة المباركة
ليلة القدر وقالوا كتب الله كلها انما نزلت في رمضان التوراة في اوله
والانجيل في وسطه والزبور في نحو ذلك والقرآن في آخره في ليلة القدر ويعني
ابتداء نزوله كان في ليلة القدر وقيل نزل جملة ليلة القدر الى البيت المعمور
ومن هنالك كان جبريل يتلقاه وقال عكرمة وغيره هي ليلة النصف من شعبان
وقد اوردوا فيها احاديث وقال الحافظ ابو بكر بن العربي لا يصح فيها شيء ولا في
نسخ الآجال فيها ۝ انا كنا منذرين اي مخوفين قال الزمخشري فان قلت انا كنا
منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان
مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة
مباركة كأنه قيل انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا
اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة
يفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الامور التي تتعلق
منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة
انتهى وقرأ الحسن والاعرج والاعمش يفرق بفتح الياء وضم الراء كل بالنصب
اي يفرق الله وقرأ زيد بن علي فيما ذكر الزمخشري عنه نفرق بالنون كل بالنصب
وفيما ذكر ابو علي الاهوازي عنه بفتح الياء وكسر الراء ونصب كل ورفع حكيم على انه
الفاعل بيفرق وقرأ الحسن وزائدة عن الاعمش بالتشديد مبنيا للمفعول ومعنى
يفرق يفصل من غيره ويلخص ووصف امر بحكيم اي امر ذي حكمة وقد ابهم تعالى هذا
الامر وقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد في ليلة القدر يفصل كل
ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق والآجال وغير ذلك ويكتب ذلك الى مثلها
من العام المقبل وقال هلال بن يساف كان يقال انتظروا القضاء في رمضان
وقال عكرمة يفصل الملائكة في ليلة النصف من شعبان وجوزوا في امرا

أن يكون مفعولاً له بمنذرين لقوله لينذر بأساً شديداً أو على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا كائناً من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا كذا قال الزمخشري وقال وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص ومفعولاً له والعامل أنزلناه أو منذرين أو يفرق ومصدراً من معنى يفرق أي فرقاً من عندنا أو من أمرنا محذوفاً وحالاً قيل من كل والذي تلقفناه من أشياخنا أنه حال من أمر لأنه وصف بحكيم فحسنت الحال منه إلا أن فيه الحال من المضاف إليه وهو ليس في موضع رفع ولا نصب فلا يجوز وقيل من ضمير الفاعل في أنزلناه أي آمرين وقيل من ضمير المفعول في أنزلناه أي في حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل والظاهر أن من عندنا صفة لأمراً وقيل يتعلق بيفرق إنا كنا مرسلين لما ذكر إنزال القرآن ذكر المرسل أي مرسلين الأنبياء بالكتب للعباد فالجملة المؤكدة مستأنفة وقيل يجوز أن يكون بدلاً من إنا كنا منذرين وجوزوا في رحمة أن يكون مصدراً أي رحمنا رحمة وأن يكون مفعولاً له لأنزلناه أو ليفرق أو لأمراً من عندنا وأن يكون مفعولاً بمرسلين والرحمة توصف بالإرسال كما وصفت به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والمعنى على هذا إنا نفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وقرأ زيد بن علي والحسن رحمة بالرفع أي تلك رحمة من ربك التفاتاً من مضمر إلى ظاهر إذ لو روعي ما قبله لكان رحمة منا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وقرأ ابن محيصن والأعمش وأبو حيوة والكوفيون رب السموات والأرض بالخفض بدلاً من ربك وباقي السبعة والأعرج وابن أبي إسحاق وأبو جعفر وشيبة بالرفع على القطع أي هو رب وقرأ الجمهور ربكم ورب برفعهما وابن أبي إسحاق وابن محيصن وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم والحسن وأبو موسى عيسى بن سليمان وصالح الناقط كلاهما عن الكسائي بالجر وأحمد بن جبير الأنطاكي ربكم ورب بالنصب على المدح وهم يخالفون بين الإعراب الرفع والنصب إذا طالت النعوت وقوله إن كنتم موقنين تحريك لهم بأنكم تقرون بأن الله تعالى خالق العالم وأنه أنزل الكتب وأرسل الرسل رحمة منه وأن ذلك منكم عن غير علم وإيقان ولذلك جاء بل هم في شك يلعبون أي في شك لا يزالون فيه يلعبون فإقرارهم ليس عن جد ولا تيقن فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين قال علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وزيد بن علي والحسن هو دخان يجيء يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين حتى تكون كأنها مصلية حنيذة وقال ابن مسعود وأبو العالية والنخعي هو الدخان الذي رأته قريش قيل لعبد الله إن قاصاً عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ أنفاس الناس فقال من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم ألا وسأحدثكم أن قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز والعلهز الصوف يقع فيه القراد فيشوى الصوف بدم القراد

ويوكل

ويؤكل وفيه أيضاً حتى أكلوا العظام وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المحدث من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم وفيه فرحمهم النبي صلى الله عليه وسلم وبعث إليهم بصدقة ومال وفيه فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون قال يعني يوم بدر وقال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم وقال عبد الرحمن الأعرج يوم تأتي السماء هو يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة وفي حديث حذيفة أول الآيات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن وفيه قلت يا نبي الله وما الدخان قلت هذه الآية فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين وذكر بقية الحديث ۵ واختصرناه بدخان مبين أي ظاهر لا شك أنه دخان يغشى الناس يشملهم فإن كان هو الذي رأته قريش فالناس خاص بالكفار من أهل مكة وقد مضى كما قال ابن مسعود وإن كان من أشراط الساعة أو يوم القيامة فالناس عام فيمن أدركه وقت الأشراط وعام بالناس يوم القيامة هذا عذاب إلى مؤمنون في موضع نصب بفعل القول محذوفاً وهو في موضع الحال أي يقولون ويجوز أن يكون إخباراً من الله كأنه تعجب منه كما قال في قصة الذبيح إن هذا لهو البلاء المبين إنا مؤمنون وعد بالإيمان إن كشف عنهم العذاب والإيمان واجب كشف العذاب أو لم يكشف أنى لهم الذكرى أي كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في باب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداساً غلاماً أعجمياً لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون وقرأ زر بن حبيش معلم بكسر اللام إنا كاشفوا العذاب قليلاً إخبار عن إقامة الحجة عليهم ومبالغة في الإملاء لهم ثم أخبر أنهم عائدون إلى الكفر وقال قتادة هو توعد بمعاد الآخرة وإذا كان الخطاب لقريش حين حل بهم الجدب كان ظاهراً وإن كان الدخان قبل يوم القيامة فإذا أتت السماء بالعذاب تضرع منافقوهم وكافرهم وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه عنهم قيل بعد أربعين يوماً فحين يكشفه عنهم يرتدون ويوم البطشة الكبرى على هذا هو يوم القيامة كقوله فإذا جاءت الطامة الكبرى وكونه يوم القيامة هو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة وكونه يوم بدر هو قول عبد الله وأبي وابن عباس ومجاهد وانتصب يوم نبطش قيل باذكر وقيل بينتقم الدال عليه منتقمون وضعف بأنه لا ينتصب إلا بالعامل وقيل بمنتقمون ورد بأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وقرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء والحسن وأبو جعفر بضمها والحسن أيضاً وأبو رجاء وطلحة بضم النون وكسر الطاء بمعنى نسلط عليهم من يبطش بهم والبطشة على هذه القراءة ليس منصوباً بنبطش بل بمقدر أي فيبطش ذلك المسلط البطشة

او تكون البطشة في معنى الابطاشة فينتصب بنبطش ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
هذا كالمثال لقريش ذكرت قصة من ارسل اليهم موسى عليه السلام فكذبوه فاهلكهم الله
وقرئ فتنا بتشديد التاء للمبالغة في الفعل او لتكثير متعلقه وجاءهم رسول كريم اي
كريم عند الله وعند المؤمنين قاله الفراء او كريم في نفسه لان الانبيا انما يبعثون
من سروات الناس قاله ابو سليمان او كريم حسن الخلق قاله مقاتل ۞ ان ادوا الي
عباد الله يحتمل ان تكون ان تفسيرية لانه تقدم ما يدل على معنى القول وهو رسول كريم
وان تكون ان مخففة من الثقيلة وان الناصبة للمضارع فانها توصل بالامر قال
ابن عباس ادوا الي الطاعة يا عباد الله اي اتبعوني على ما ادعوكم اليه من
الايمان وقال مجاهد وقتادة وابن زيد طلب منهم ان يؤدوا اليه بني اسرائيل
كما قال فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم فعلى قول ابن عباس عباد الله منادى
ومفعول ادوا محذوف ۞ وعلى قول مجاهد ومن ذكر معه عباد الله مفعول ادوا اني لكم
رسول امين اي غير متهم قد ائتمنني الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله
اي لا تستكبروا على عبادة الله قاله يحيى بن سلام وقال ابن جريج لا تعظموا على الله
قيل والفرق بينهما ان التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره
الماوردي وان هنا كان السابقة في اوجهها الثلاثة اني اتيكم بسلطان مبين
اي بحجة واضحة في نفسها او موضحة صدق دعواي وقرا الجمهور اني بكسر الهمزة
على سبيل الاخبار وقرات فرقة بفتح الهمزة والمعنى لا تعلوا على الله من
اجل اني اتيكم فهذا توبيخ لهم كما تقول اتغضب ان قيل لك الحق واني عذت
اي استجرت بربي وربكم ان ترجمون كانوا قد توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك
وقرئ عدت بالادغام قال قتادة وغيره الرجم هنا بالحجارة وقال ابن عباس
وابو صالح بالشتم وقول قتادة اظهر لانه قد وقع منهم في حقه الفاظ لا تناسب
وهذه المعاذة كانت قبل ان يخبره تعالى بقوله فلا يصلون اليكما وان لم
تؤمنوا لي اي تصدقوا فاعتزلون اي كونوا بمعزل وهذه متاركة حسنة فدعا
ربه اي فاصروا على الكفر ورأى انهم لا يرعوون فالتجا الى الله بالدعا وهي
طريقة الانبيا كما قال تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ان هؤلاء لفظ تحقير
لهم وقرا الجمهور ان هؤلاء بفتح الهمزة اي بان هؤلاء وقرا ابن ابي اسحاق وعيسى
والحسن في رواية وزيد بن علي بكسرها فاسر بعبادي في الكلام حذف اي
فانتقم منهم فقال له الله اسر بعبادي وهم بنو اسرائيل ومن امن به من القبط
وقال الزمخشري فيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي
وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول
فاسر بعبادي انتهى وكثيرا ما يجيز هذا الرجل حذف الشرط وابقا جوابه
وهو لا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه مما ذكر في النحو
على خلاف في ذلك انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده فتنجون ويغرق
المتبعون واترك البحر رهوا قال ابن عباس ساكنا كما جزته وقال
مجاهد وعكرمة يبسا من قوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقال

الضحاك دمثا لينا وقال عكرمة جردا وقال ابن زيد سهلا وقال مجاهد ايضا
منفرجا قال قتادة اراد موسى ان يضرب البحر بعصاه لما قطعه حتى يلتئم
وخاف ان يتبعه فرعون فقيل له هذا انهم جند مغرقون اي غرقه لانهم اذا راوه
ساكنا على حاله حين دخل فيه موسى وبنو اسرائيل او مفتوحا طريقا يبسا دخلوا
فيه فيطبقه الله عليهم ۞ كم تركوا اي كثيرا تركوا من جنات وعيون تقدم تفسيرها
في الشعراء وقرا الجمهور ومقام بفتح الميم قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير
اراد المنابر وقرا ابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة بضم
قال قتادة اراد المواضع الحسان من المجالس والمساكن وغيرها ونعمة بفتح
النون غضارة العيش ولذاذة الحيوة وقرا ابو رجاء ونعمة بالنصب عطفا
على كم كانوا فيها فاكهين وقرا الجمهور بالف اي طيبي الانفس واصحاب فاكهة
كلابن وتامر وابو رجاء والحسن بغير الف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف
المستهزي فكانهم كانوا مستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها وقال الجوهري
فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر وقال القشيري
فاكهين لاهين كذلك قال الزجاج المعنى الامر كذلك فيوقف على كذلك
فالكاف في موضع رفع خبر مبتدا محذوف ۞ وقيل الكاف في موضع نصب اي
يفعل فعلا كذلك لمن نريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني
وقال الحوفي اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الزمخشري
الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما
اخرين ليسوا منهم وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في يد القبط فاهلك الله
القبط على يديهم واورثهم ملكهم وقاله قتادة وقال الحسن ان بني اسرائيل
رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وضعف قول قتادة بانه لم يرو في مشهور
التواريخ ان بني اسرائيل رجعوا الى مصر في شي من ذلك الزمان ولا ملكوها قط الا
ان يريد قتادة انهم ورثوا نوعها في بلاد الشام انتهى ولا اعتبار بالتواريخ
فالكذب فيها كثير وكلام الله صدق قال تعالى في سورة الشعراء كذلك واورثناها
بني اسرائيل وقيل قوما اخرين ممن ملك مصر بعد القبط من غير بني اسرائيل فما بكت
عليهم السماء والارض استعارة لتحقير امرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم شي ويقال
في التعظيم بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس ۞

وقال يزيد بن مفرغ ۞

۞ الريح تبكي شجوه ۞ والبرق يلمع في غمامه ۞

وقال الفرزدق ۞

۞ فالشمس طالعة ليست بكاسفة ۞ تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ۞

وقال النابغة ۞

۞ بكى حارث الجولان من فقد ربه ۞ وحوران منه خاشع متضائل ۞

حارث الجولان وحوران بلدان وقال جرير ۞

۞ لما اتى خبر الزبير تواضعت ۞ سور المدينة والجبال الخشع ۞

ويقول في التحقير مات فلان فما خشعت الجبال ونسبته هذا الى الاشيا مما لا يعقل
ولا يتصور ذلك منه حقيقة عبارة عن تأثر الناس له او عن عدمه وقيل هو على
حذف مضاف اي فما عليهم اهل السماء وهم الملائكة واهل الارض وهم المؤمنون
بل كانوا بهلاكهم مسرورين روي ذلك عن الحسن وعما روي عن علي وابن عباس ومجاهد
وابن جبير ان المؤمن اذا مات بكى عليه من الارض موضع عبادته اربعين صباحا
وبكى عليه وبكى عليه في السماء موضع صعود عمله قالوا فلم يكن في قوم فرعون من هذه
حالة تمثيل وما كانوا منظرين اي مؤخرين عن العذاب لما حان وقت هلاكهم
بل عجل الله لهم ذلك في الدنيا ۵ ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين
من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم
من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما
نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى
عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم
صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به
تمترون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق
متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو
الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون

قوله عز وجل ولقد نجينا

۵ لما ذكر تعالى اهلاك فرعون وقومه ذكر احسانه لبني اسرائيل فبدأ بدفع الضرر
عنهم وهو نجاتهم مما كانوا فيه من العذاب ثم ذكر ايصال النفع لهم من اختيارهم
على العالمين وايتائهم الآيات والعذاب المهين قتل ابنائهم واستخدامهم
في الاعمال الشاقة وقرأ عبد الله من العذاب المهين وهو من اضافة
الموصوف الى صفته كبقلة الحمقاء ومن فرعون بدل من العذاب على حذف
مضاف اي من عذاب فرعون او لا حذف جعل فرعون نفسه هو العذاب
مبالغة وقيل يتعلق بمحذوف اي كائنا وصادرا من فرعون وقرأ ابن عباس
من فرعون من استفهام مبتدأ وفرعون خبره لما وصف فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك
بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي مرتفعا على العالم او متكبرا مسرفا من المسرفين
ولقد اخترناهم اي اصطفيناهم وشرفناهم على علم على علم مصدر لم يذكر فاعله
فقيل على علم منهم وفضل فيهم فاخترناهم للنبوات والرسالات وقيل على
علم منا اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا وقيل على علم منا
بانهم يزيغون ويفرط منهم الفلتات في بعض الاحوال وقيل اخترناهم بهذا الانجاء
ومنه النعم على سابق علم لنا فيهم وخصصناهم بذلك دون العالم على العالمين

اي عالمي زمانهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم مفضلة عليهم وقيل على العالمين
عام لكثرة الانبياء فيهم وهذا خاص بهم ليس لغيرهم فكان الاختيار من هذه الجهة
مع ان محمدا افضل وعلى في قوله على علم ليس معناها معنى على في قوله على العالمين
ولذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول كقوله

۵ ويوما على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل ۵

فعلى علم حال اما من الفاعل او من المفعول وعلى ظاهرها من الفاعل في تعذرت
والعامل في ذي الحال وآتيناهم من الآيات اي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون
وما ابتلوا به وفي بني اسرائيل مما انعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوى
وغير ذلك مما لم يظهرها لغيرهم ما فيه بلاء اي اختبار بالنعم ظاهر او لابتلاء
بالنعم والابتلاء بالنقم كقوله ونبلوكم بالشر والخير ان هؤلاء يعني قريشا وفي اسم
الاشارة تحقير لهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة الا المحصورة
في موتتنا الاولى وكان قد قال تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فذكر موتتين اولى وثانية فانكروا هم ان يكون لهم موتة ثانية والمعنى ما آخر
امرنا ومنتهى وجودنا الا عند موتتنا فيتضمن قولهم هذا انكار البعث ثم صرحوا
بما تضمنه قولهم فقالوا وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بحياة ثانية يقع فيها
حساب وثواب وعقاب وكان قولهم ذلك في معنى قولهم ان هي الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين الذين كانوا يعدونهم بالبعث اي ان صدقتم فيما تقولون
فاحيوا لنا من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم حتى يكون ذلك دليلا على البعث
في الآخرة قيل طلبوا من الرسول ان يدعو الله فيحيي لهم قصي بن كلاب ليشاوروه
في صحة النبوة والبعث اذ كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل اهم اي قريش
خير ام قوم تبع الظاهر ان تبعا هو شخص معروف وقع التفاضل بين قومه وقوم
الرسول عليه السلام وان كان لفظ تبع يطلق على كل من ملك العرب كما يطلق
كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم قيل واسمه اسعد الحميري
وكني ابا كرب وذكر ابو حاتم الرياشي انه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
يبعث بسبع مائة سنة وروي انه لما آمن بالمدينة كتب كتابا ونظم شعرا
اما الشعر فهو ۵

۵ شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم ۵

۵ فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم ۵

واما الكتاب فروى ابن اسحق وغيره انه كان فيه اما بعد فاني آمنت بك وبكتابك
الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت
بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك
فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة فاني من امتك الاولين وتابعتك قبل مجيئك
وانا على ملتك وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه
لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله

خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول ويقال كان
الكتاب والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد فلم يزل عنده حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر حتى اذوه للنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كان تبع
نبيا وعنه لما اقبل تبع من المشرق بعد ان حير الحيرة وبنى سمرقند قصد المدينة وقد كان
خلف بها حين سافر ابنا فقتل غيلة فاجمع على خرابها واستيصال اهلها فجمع له الانصار
وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء
لكرام اذ جاءه كعب واسد ابنا عم من قريظة حبران واخبراه انه يحال بينك وبين ما تريد فانها
مهاجر نبي من قريش اسمه محمد ومولده بمكة فثناه قولهما عما كان يريد ثم دعواه الى دينهما
فاتبعهما واكرمهما فانصرفوا عن المدينة ومعهم نفر من اليهود فقال له في الطريق
نفر من هذيل ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة بمكة واراد هذيل
هلاكه لانهم عرفوا انه ما اراده احد بسوء الا هلك فذكر ذلك للحبرين فقالوا
ما نعلم لله بيتا في الارض فاتخذه مسجدا وانسك عنده واحلق راسك وما اراد
القوم الا هلاكك فاكرمه وكساه وهو اول من كسى البيت وقطع ايدي اولئك
النفر من هذيل وارجلهم وسمل اعينهم وصلبهم وقال قوم ليس المراد بتبع رجلا واحدا
انما المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون التبابعة والذي يظهر انه اراد واحدا
من تبع لان معرفة العرب بهذا الاسم اكثر من معرفة غيره به وفي الحديث لا تسبوا
تبعا فانه كان مؤمنا فهذا يدل على انه واحد بعينه قال الجوهري التبابعة
ملوك اليمن والتبع الظل والتبع ضرب من الطير وقال ابو القاسم السهيلي
تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والشحر وحضرموت وملك اليمن وحده لا يسمى تبعا
قاله المسعودي والخيرية الواقعة فيها التفاضل وكلا الصنفين لا خير فيهم هي
بالنسبة للقوة والمنعة كما قال اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون
وفي تفسير ابن عباس انهم اشداء قوم تبع واضافة قوم الى تبع دليل على انه لم يكن
على مذهبهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين اخبار بما فعل تعالى بهم وتنبيه على ان
علة الاهلاك هي الاجرام وفي ذلك وعيد لقريش وتهديد ان يفعل بهم ما فعل
بقوم تبع ومن قبلهم من مكذبي الرسل لاجرامهم ثم ذكر الدليل القاطع على صحة القول
بالبعث وهو خلق العالم بالحق **وقرأ** الجمهور وما بينهما اي من الجنسين وعبيد
ابن عمير وما بينهن لاعبين قال مقاتل عابثين ما خلقناهما الا بالحق اي
بالعدل يجازي المحسن والمسيء بما اراد تعالى من ثواب وعقاب ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه تعالى خلق ذلك فهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا **وقرئ**
ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان والخبر يوم الفصل اي ان في يوم الفصل ميقاتهم
وجزاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يعم جميع الموالي من القرابة والعتاقة
والصلة شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون جمع لان عن مولى في سياق
النفي فيعم فعاد على المعنى لا على اللفظ الا من رحم الله قال الكسائي من رحم
منصوب على الاستثناء المنقطع اي لكن من رحمه الله لا ينالهم ما يحتاجون
فيه الى من ينفعهم من المخلوقين قيل ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا اي

لا يغني

لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض
وقال الحوفي ويجوز ان يكون بدلا من مولى المرفوع ويكون يغني بمعنى ينفع
وقال الزمخشري من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون
اي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله وقاله الحوفي قبله انه هو العزيز الرحيم
لا ينصر من عصاه الرحيم لمن اطاعه ومن شفاعته ان شجرة الزقوم **وقرئ** بكسر
الشين وتقدم الكلام فيها في سورة الصافات طعام الاثيم الاثيم صفة
مبالغة وهو الكثير الآثام ويقال الاثوم صفة مبالغة ايضا وفسر بالمشرك
وقال يحيى بن سلام المكتسب للاثم وعن ابي زيد ان الاثيم هنا هو ابو جهل
وقيل الوليد كالمهل هو دردي الزيت او مذاب الفضة او مذاب النحاس
او عكر القطران او الصديد اقوال اولها لابن عمر وابن عباس واخرها لابن عباس
وقرأ الحسن كالمهل بفتح الميم لغة فيه وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا
المهل ما اذيب من ذهب او فضة او حديد او رصاص **وقرأ** مجاهد وقتادة
والحسن والابنان وحفص يغلي بالياء اي الطعام وعمرو بن ميمون وابو رزين
والاعرج وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وطلحة والحسن في رواية وباقي
السبعة تغلي بالتاء اي الشجرة كغلي الحميم وهو الماء المتناهي الذي يتطاير من
غليانه خذوه فاعتلوه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه اي سوقوه بعنف
وجذب وقال الاعمش معنى اعتلوه اقصفوه كما يقصف الحطب الى سواء
الجحيم قال ابن عباس وسطه وقال الحسن معظمه **وقرأ** الجمهور فاعتلوه بكسر
التاء وزيد بن علي والابنان ونافع بضمها والخلاف عن الحسن وقتادة والاعرج
وابي عمرو ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وفي الحج يصب من فوق رؤوسهم الحميم
والمصبوب في الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة وتارة اعتبرت الاستعا
لانه اذا صب الحميم فقد صب ما تولد عنه من الالام والعذاب فعبر بالمسبب
عن السبب لان العذاب هو المسبب عن الحميم ولفظة العذاب اهول واهيب
ذق انك انت العزيز الكريم وهذا على سبيل التهكم والهزء بمن كان
يتعزز ويتكرم على قومه وعن قتادة انه لما نزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
قال ابو جهل اتهددني محمد وان ما بين لابتيها اعز مني ولا اكرم فنزلت
هذه الاية وفي اخرها ذق انك انت العزيز الكريم اي على قولك وهذا
كما **قال جرير**

الم يكن في رسوم قد رسمت بها من كان موعظة يا زهرة اليمن

يقولها لشاعر سمى نفسه به في **قوله**

ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها اني الاعز واني زهرة اليمن

فجاء به جرير على جهة الهزء **وقرأ** انك بكسر الهمزة **وقرأ** الحسن بن علي بن ابي طالب
على المنبر والكسائي بفتحها ان هذا اي الامر والعذاب ما كنتم به تمترون اي
تشكون ولما ذكر حال الكفار اعقب بحال المؤمنين فقال ان المتقين في مقام
امين **وقرأ** عبد الله بن عمر وزيد بن علي وابو جعفر وشيبة والاعرج والحسن

وقتادة ونافع وابن عامر في مقام بضم الميم وابو رجاء وعيسى ويحيى والاعمش وباقي
السبعة بفتحها ووصف المقام بالامين اي يومن فيه من الغير فكانه فعيل بمعنى
مفعول اي يامنون فيه قاله ابن عطية وقال الزمخشري الامين من قولك امن
الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان
المكان المخيف كان يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وتقدم شرح
السندس والاستبرق **وقرا** ابن محيصن واستبرق جعله فعلا ماضيا متقابلين
وصف لمجالس اهل الجنة لا يستدبر بعضهم بعضا في المجالس كذلك اي الامر كذلك
وقرا الجمهور بحور زوجناهم وعكرمة بغير تنوين لان العين ينقسم الى حور وغير حور
فهولاء من حور العين لا من شهلهن مثلا يدعون فيها اي الخدم والمتصرفين عليهم
بكل فاكهة ارادوا احضارها لديهم آمنين من الامراض والتخم لا يذوقون فيها
الموت **وقرا** عبيد بن عمير لا يذاقون مبنيا للمفعول الا الموتة الاولى هذا استثنا
منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها في الدنيا وفي ذلك تنبيه على ما انعم به
عليهم من الخلود السرمدي وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية الى هذه الدار
الباقية وقال الزمخشري كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل
دخول الجنة من الموت المنفي **قلت** اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت
البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الاولى محال
ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة
الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقال ابن عطية قدر
قوم الا بسوى وضعف ذلك الطبري وقدرها ببعد وليس تضعيفه بصحيح
بل يصح المعنى بسوى ويتسق واما معنى الاية فبين انه نفى عنهم ذوق الموت
وانه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا **وقرا** ابو حيوة ووقاهم مشدد
القاف والضمير في يسرناه عائد على القرآن وبلسانك بلغتك وهي لغة العرب
فارتقب النصر الذي وعدناك انهم مرتقبون فيما يظنون الدوائر عليك وفيه
وعد له عليه السلام ووعيد لهم ومتاركة منسوخة باية السيف

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات
لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك
ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون
ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها
فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب
مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم
عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره

ولتبتغوا

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
ثم الى ربكم ترجعون ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون هذه السورة مكية قال ابن عطية بلا خلاف وذكر الماوردي
الا قل للذين امنوا يغفروا الاية فمدنية نزلت في عمر بن الخطاب قاله
ابن عباس وقتادة وقال النحاس والمهدوي عن ابن عباس نزلت في عمر
شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فنزلت ومناسبة
اولها لاخر ما قبلها في غاية الوضوح قال فانما يسرناه بلسانك وقال
حم تنزيل الكتاب وتقدم الكلام على تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
اول الزمر وقال ابو عبد الله الرازي وقوله العزيز الحكيم يجوز جعله صفة
لله فيكون ذلك حقيقة وان جعلناه صفة للكتاب كان ذلك مجازا
والحقيقة اولى من المجاز مع ان زيادة القرب توجب الرجحان انتهى وهذا
الذي ردد في قوله وان جعلناه صفة للكتاب لا يجوز لو كان صفة للكتاب
لوليه فكان يكون التركيب تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله لان من الله
اما ان يكون متعلقا بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدا محذوف فلا يجوز الفصل
به بين الصفة والموصوف لا يجوز اعجبني ضرب زيد بسوط الفاضل وفي موضع
الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف ايضا لا يجوز ضرب
زيد شديد الفاضل والتركيب الصحيح في نحو هذا ان تلي الصفة موصوفها ان في
السموات والارض احتمل ان يريد في خلق السموات كقوله وفي خلقكم والظاهر انه
لا يراد التخصيص بالخلق بل في السموات والارض على الاطلاق والعموم اي في
اي شي نظرت منهما من خلق وغيره من تسخير وتنويع وغيرهما لايات لم يات
بالايات مفصلة بل اتى بها مجملة احالة على عوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير
منها الشرع وجعلها للمومنين اذ في ضمن الايمان العقل والتصديق وما يبث
من دابة اي في غير جنسكم وهو معطوف على وفي خلقكم ومن اجاز العطف على
الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض اجاز في وما يبث ان يكون معطوفا على
الضمير في خلقكم وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش وهو الصحيح واختاره
الاستاذ ابو علي الشلوبين وقال الزمخشري يقبح العطف عليه وهذا تفريع
على مذهب سيبويه وجمهور البصريين قال وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا
مررت بك انت وزيد انتهى وهذا يجيزه الجرمي والزيادي في الكلام وقال لقوم يوقنون
وهم الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين واختلاف الليل والنهار تقدم الكلام
على نظيره في سورة البقرة **وقرا** الجمهور ايات جمعا بالرفع فيهما والاعمش
والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما وزيد بن علي برفعهما

على التوحيد **وقرأ** أبي وعبد الله لآيات فيهما كالأولى فأما آيات لقوم يعقلون
رفعًا ونصبًا فاستدل به وبشبهه مما جاء في كلام العرب الأخفش ومن أخذ بمذهبه
على عطف معمولين على معمولي عاملين بالواو وهي مسألة فيها أربعة مذاهب
ذكرناها في كتاب التذييل والتكميل لشرح التسهيل فأما ما يخص هذه الآية
فمن نصب آيات بالواو عطفت واختلاف على المجرور قبله وهو وفي خلقكم وما
يبث وعطفت آيات على آيات ومن رفع فكذلك والعاملات أولاهما إن وفي
وثانيهما الابتداء وفي وقال الزمخشري أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر
في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملات
الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف انتهى ونسبة عمل الجر
والنصب والجر والرفع للواو ليس بصحيح لأن الصحيح من المذاهب أن حرف
العطف لا يعمل ومن منع العطف على مذهب الأخفش أضمر حرف الجر فقدر وفي اختلاف
فالعمل للحرف مضمرًا ونابت الواو مناب عامل واحد ويدل على أن في مقدرة قراءة
عبد الله وفي اختلاف مصرحًا بفي وحسن حذف في تقدمها في قوله وفي خلقكم وخرج
أيضًا النصب في آيات على التوكيد لآيات المتقدمة ولا إضمار حرف في واختلاف
والرفع على خبر مبتدأ محذوف أي هي آيات ولا إضمار حرف أيضًا **وقرئ** واختلاف
الليل والنهار آية بالرفع في اختلاف وفي آية موحدة وكذلك وما يبث من دابة
آية **وقرأ** زيد بن علي وطلحة وعيسى وتصريف الريح وقال الزمخشري والمعنى
أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها
مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم
وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف
الحيوان ازدادوا إيمانًا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث
التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض
بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا عقلوا واستحكم علمهم
وخلص يقينهم وقال أبو عبد الله الرازي ذكر في البقرة ثمانية دلائل وهنا
ستة لم يذكر الفلك والسحاب والسبب في ذلك أن مدار الحركة للفلك والسحاب
على الرياح المختلفة فذكر الرياح وجعل هناك جعل مقطع الثمانية واحدًا وهنا رتبها
على مقاطع ثلاثة يؤمنون يوقنون يعقلون قال والأظهر سبب هذا الترتيب إن
كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل وإن لم تكونوا مؤمنين وأنتم من طلاب الجزم واليقين
فافهموا هذه الدلائل وإن لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين فلا أقل أن تكونوا من العاقلين
فاجتهدوا وقال هنا إن في خلق السموات وهنا في السموات فدل على أن
الخلق غير المخلوق وهو الصحيح عند أصحابنا ولا تفاوت بين أن يقال في السموات
وفي خلق السموات انتهى وفيه تلخيص وتقديم وتأخير تلك آيات الله أي
تلك الآيات وهي الدلائل المذكورة نتلوها أي نسردها عليك ملتبسة بالحق
ونتلوها في موضع الحال أي متلوة قال الزمخشري والعامل ما دل عليه تلك
من معنى الإشارة ونحوه وهذا بعلي شيخًا وليس نحوه لأن في وهذا حرف تنبيه وقيل

العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه أي تنبه وأما تلك فليس فيها حرف تنبيه
فإذا كان حرف التنبيه عاملًا بما فيه من معنى التنبيه لأن الحرف قد يعمل في الحال
فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه أو في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب
فعل محذوف يدل عليه المعنى أي انظر إليه في حال شيخه فلا يكون اسم الإشارة
عاملًا ولا حرف التنبيه إن كان هناك وقال ابن عطية نتلوها فيه حذف مضاف
أي نتلو شأنها وشرح العبرة بها ويحتمل أن يريد بآيات الله القرآن المنزل في هذه
المعاني فلا يكون في نتلوها حذف مضاف انتهى ونتلوها معناه نأمر الملك أن
يتلوها **وقرئ** يتلوها بياء الغيبة عائدًا على الله وبالحق بالصدق إذ صحتها معلومة
بالدلائل العقلية فبأي حديث الآية فيه تقريع وتوبيخ وتهديد بعد الله أي بعد
حديث الله وهو كتابه وكلامه كقوله الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا
وقال فبأي حديث بعده يؤمنون أي بعد حديث الله وكلامه وقال
الضحاك بعد توحيد الله وقال الزمخشري بعد الله وآياته أي بعد آيات الله
كقولك أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد انتهى وهذا ليس بشيء لأن
فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورة والعطف والمراد غير العطف
من إخراجه إلى باب البدل لأن تقدير كرم زيد إنما يكون في أعجبني زيد كرمه
بغير واو على البدل وهذا قلب لحقائق النحو وإنما المعنى في أعجبني زيد وكرمه
أن ذات زيد أعجبته وأعجبه كرمه فهما إعجابان لا إعجاب واحد وقد رددنا
عليه مثل قوله هذا فيما تقدم **وقرأ** أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحرميان
وأبو عمرو وعاصم في رواية يؤمنون بالياء من تحت والأعمش وباقي السبعة بتاء
الخطاب وطلحة توقنون بالتاء من فوق والقاف من الإيقان ويل لكل أفاك
أثيم قيل نزلت في أبي جهل وقيل في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث
الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فيمن كان مضارًا
لدين الله وأفاك أثيم صفتا مبالغة والألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها
وقرأ الجمهور علم وقتادة ومطر الوراق بضم العين وشد اللام مبنيًا للمفعول
أي عُرِّف وقال الزمخشري **فإن قلت** ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرًا
قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك
أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما
زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم
عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله
الواضحة القاطعة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدًا في العقول
إصراره على الضلال عندها واستكباره عن الإيمان بها اتخذها هزوًا ولم يقل اتخذه
إشعارًا بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله
خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه وقال
الزمخشري ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئًا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملًا
يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوًا نحو اعتراض

ابن الزبعري قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومعالطته
وقوله خصمنات ويجوز ان يرفع الضمير الي شي لانه في معني الاية ٥

كقول ابي العتاهية ٥

٥ تعني بشي من الدنيا معلقة الله والقايم المهدي يكفيها ٥

حيث اراد عتبة انتهى وعتبة جارية كان ابو العتاهية يهواها ويشبب بها
والاشارة باوليك الي كلا فاك لشموله الافاكين حملا على لفظ كل فافرد ثم على
المعني فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون من ورايهم جهنم اي من قدامهم والوراء ما
يواري من خلف وامام ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في متاجرهم ولا ما اتخذوا
من دون الله من الاوثان هذا اي القران هدي اي بالغ في الهداية كقولك الحي
هذا رجل اي كامل في الرجولية وقرا طلحة وابن محيصن واهل مكة وابن كثير وحفص
اليم بالرفع نعتا لعذاب والحسن وابو جعفر وشيبة وعيسي والاعمش وباقي السبعة بالجر
نعتا لرجز ٥ الله الذي سخر الاية اية اعتبار في تسخير هذا المخلوق العظيم والسفن
الجارية فيه لهذا المخلوق الحقير وهو الانسان بامره اي بقدرته اناب الامر مناب
القدرة كانه يامر السفن ان تجري من فضله بالتجارة وبالغوص على اللولو والمرجان
واستخراج اللحم الطري ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح
والهوا والاملاك الموكلة بهذا كله وما في الارض من البهايم والمياه والجبال
والنبات وقرا الجمهور منه وابن عباس منة بكسر الميم وشد النون ونصب التاء
على المصدر قال ابو حاتم سند هذه القراة الي ابن عباس مظلم وحكاها ابو الفتح
عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وحكاها ايضا
عن هولاء الاربعة صاحب اللوامح وحكاها ابن خالويه عن ابن عباس وعبيد بن عمير
وقرا مسلمة بن محارب كذلك الا انه ضم التاء اي هو منة وعنه ايضا فتح
الميم وشد النون وهاء الكناية عايدة على الله وهو فاعل بسخر على الاسناد
المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منة والمعني على قراءة
الجمهور انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده اذ هو موجدها بقدرته
وحكمته ثم مسخرها لخلقه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعني منه خبر مبتدا
محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره انتهي ولا
يجوز هذان الوجهان الا على قول الاخفش لان جميعا اذ ذاك حال والعامل
فيها معنوي وهو الجار والمجرور فهو نظير زيد قايما في الدار ولا يجوز على مذهب الجمهور
قل للذين امنوا يغفروا نزلت في صدر الاسلام امر المومنين ان يتجاوزوا عن الكفار
وان لا يعاقبوهم بذنب بل يصبرون لهم قاله السدي ومحمد بن كعب قيل وهي محكمة
والاكثر على انها منسوخة باية السيف يغفروا في جزمه اوجه للنحاة تقدمت في قل
لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة في سورة ابراهيم لا يرجون ايام الله اي وقايعه
باعدايه ونقمته منهم قاله مجاهد وقيل ايام انعامه ونصره وتنعيمه في الجنة
وغير ذلك وقيل لا يامنون الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم
الفوز قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وتقدم قول ابن عباس انها نزلت

في عمر بن الخطاب قيل سبه رجل من غفار فهم ان يبطش به وقرا الجمهور ليجزي مبنيا
للفاعل اي ليجزي الله وزيد بن علي وابو عبد الرحمن والاعمش وابو خليد وابن عامر
وحمزة والكساي بالنون وشيبة وابو جعفر بخلاف عنه بالياء مبنيا للمفعول
وقد روي ذلك عن عاصم وفيه حجة لمن اجاز بناء الفعل للمفعول على ان يقام المجرور
وهو بما وينصب المفعول به الصريح وهو قوما ونظيره ضرب بسوط زيدا ولا يجيز ذلك
الجمهور وخرجت هذه القراة على ان يكون بني الفعل للمصدر اي وليجزي الجزاء قوما
وهذا ايضا لا يجوز عند الجمهور لكن يتاول على ان ينصب قوما بفعل محذوف تقديره
يجزي قوما فيكون جملتان احديهما ليجزي الجزاء والاخري يجزيه قوما وقوما
هنا يعني به الغافرون ونكره على معني التعظيم لشانهم كانه قيل قوما اي قوم
من شانهم الصفح والتجاوز عن السيات والصفح عن المؤذيات وتحمل الوحشة وقيل ثم
الذين لا يرجون ايام الله اي بما كانوا يكسبون من الاثم كانه قيل لم تكافيهم
انتم حتي نكافيهم نحن من عمل صالحا كهولاء الغافرين ومن اسا كهولاء الكافرين الكفا
واتي باللام في لنفسه لان المحاب والحظوظ تستعمل فيها اللام التي تستعمل للملك
وبعلي في فعليها لان الامور الشاقة تستعمل فيها علي الدالة على العلو والقهر
كما تقول الامور لزيد متاتية وعلي عمرو مستصعبة والكتاب التوراة والحكم
القضا وفصل الامور لان الملك كان فيهم وقيل والحكم الفقه ويقال لم يتسع
فقه فقه الاحكام علي نبي ما اتسع علي لسان موسي من الطيبات المستلذات
الحلال وبذلك تتم النعمة وذلك المن والسلوي وطيبات الشام اذ هي الارض
المباركة بينات اي دلايل واضحة من الامر اي من الوحي الذي فصلت به الامور
وعن ابن عباس من الامر اي من امر النبي صلي الله عليه وسلم وانه يهاجر من تهامة الي
يثرب ٥ وقيل معجزات موسي فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
تقدم تفسيره في الشوري ٥ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهوا
الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم اوليا بعض
والله ولي المتقين هذا بصاير للناس وهدي ورحمة لقوم يوقنون ام حسب
الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم
سا ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
واذا تتلي عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابايتا
ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الي يوم القيمة لا ريب فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ٥ لما ذكر تعالي انعامه علي بني اسرايل واختلافهم
بعد ذلك ذكر حال نبيه عليه السلام وما من به عليه من اصطفايه فقال
ثم جعلناك على شريعة من الامر قال قتادة الشريعة الامر والنهي والحدود
والفرايض وقال مقاتل البينة لانها طريق الي الحق وقال الكلبي السنة

ر

قوله عز وجل ثم جعلناك

ثم

لانه كان يشتق بطريقته من قبله من الانبيا وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة
والشريعة في كلام العرب الموضع الذي يرد فيه الناس في الانهار والمياه ومنه قول
الشاعر وفي الشرايع من جيلان مقتنص . رث الثياب خفي الشخص منسرب
فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس امر الله ورحمته والقرب منه من الامر اي من
الامور التي من دين الله الذي بعثه في عباده في الزمان السالف او يكون مصدر
امر اي من الامر والنهي وسمي النهي امرا اهوا الذين لا يعلمون قيل هم قريظة
والنضير وقيل روسا قريش حين قالوا ارجع الى دين اباك هذا بصاير اي هذا
القرآن جعل ما فيه من معالم الدين بصاير للقلوب كما جعل روحا وحيوة وقرى
هذه اي هذه الايات ام حسب ام منقطعة تتقدر ببل والهمزة ومعنا الاستفهام
الانكار قال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وفي عتبة وشيبة والوليد
بن عتبة قالوا للمومنين والله ما انتم على شي ولين كان ما تقولون حقا لحالنا
افضل من حالكم في الاخرة كما نحن افضل في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيات هنا
سيات الكفر ونجعلهم نصيرهم والمفعول الثاني هو كالذين وبه تمام المعنى وقرا الجمهور
سوا بالرفع ومماتهم بالرفع ايضا واعربوا سوا مبتدا وخبره ما بعده ولا مسوغ لجواز
الابتدا به بل هو خبر مقدم وما بعده المبتدا والجملة خبر مستانف واحتمل الضمير
في محياهم ومماتهم ان يعود على الذين اجترحوا اخبر ان حالهم في الزمانين سوا وان
يعود على المجترحين والصالحين بمعنى ان محيا المومنين ومماتهم سوا في الكرامة
عند الله ومحيا المجترحين ومماتهم سوا في اهانتهم عند الله وعدم كرامتهم عليه
ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى وذهن السامع يفرقه اذ قد تقدم ابعاد الله
ان يجعل هولا كهولا قال ابو الدردا يبعث الناس على ما ماتوا عليه وقال
مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا والكافر يموت كافرا وقال ابن عطية
مقتضى هذا الكلام ان لفظ الاية ويظهر لي ان قوله سوا محياهم ومماتهم داخل
في المحسبة المنكرة السيئة وهذا احتمال حسن والاول ايضا جيد انتهى ولم
يبين كيفية تشبيه الجملة بما قبلها حتى يدخل في المحسبة وقال الزمخشري
والجملة التي هي سوا محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا
فكانت في حكم المفرد الا ترى انك لو قلت ان نجعلهم سوا محياهم ومماتهم كان سديدا
كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري
من ابدال الجملة من المفرد قد اجازه ابو الفتح واختاره ابن مالك واورد على
ذلك شواهد على زعمه ولا يتعين فيها البدل وقال بعض اصحابنا وهو
الامام العالم ضيا الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاشبيلي ويعرف
بابن العلج وكان ممن اقام باليمن وصنف بها قال في كتابه البسيط في النحو
ولا يصح ان تكون جملة معمولة للاول في موضع البدل كما كان في النعت
لانها تقدر تقدير المشتق تقدير الجامد فيكون بدلا فيجتمع فيه تجوزان
ولان البدل يعمل فيه العامل الاول فيصح ان يكون فاعلا والجملة لا تكون
في موضع الفاعل بغير سابك لانها لا تضمر فان كانت غير معمولة فهل تكون

جملة بدلا من جملة لا يبعد عندي جوازها كما يتبع في العطف الجملة للجملة وكتاكيد
الجملة للتاكيد اللفظي انتهى وتبين من كلام هذا الامام انه لا يجوز ان تكون الجملة
بدلا من المفرد واما تجويز الزمخشري ان نجعلهم سوا محياهم ومماتهم فيظهر لي انه لا يجوز
لانها بمعنى التصيير لا يجوز صيرت زيدا ابوه قايم ولا صيرت زيدا غلامه منطلق
لان التصيير انتقال من ذات الى ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها
وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال
مما ذكرنا فلا يجوز والذي يظهر لي انه اذا قلنا بتشبيه الجملة بما قبلها ان تكون الجملة
في موضع الحال والتقدير ام حسب الكفار ان نصيرهم مثل المومنين في حال استوا
محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون اي افتراق في الحالتين وتكون
هذه الحال مبينة ما ابهم في المثلية الدال عليها الكاف التي هي في موضع المفعول
الثاني وقرا زيد بن علي وحمزة والكسائي وحفص سواءً بالنصب وما بعده مرفوع
على الفاعلية اجري سواءً مجرى مستويا كما قالوا مررت برجل سواءٍ هو والعدم وجوز
في انتصاب سواءً وجهين احدهما ان يكون منصوبا على الحال وكالذين المفعول
الثاني والعكس وقرا الاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ايضا
وخرج على ان يكون محياهم ومماتهم ظرفي زمان والعامل اما ان نجعلهم واما سواءً
وانتصبا على البدل من مفعول نجعلهم والمفعول الثاني سوا اي ان نجعل محياهم ومماتهم
سواءً وقال الزمخشري ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين
كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سوا في محياهم ومماتهم انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون
محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احيا انتهى وتمثيله بقوله وخفوق النجم ليس
بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل فهو في الحقيقة على حذف مضاف اي وقت خفوق
النجم بخلاف محيا وممات ومقدم فانها تستعمل بالوضع مصدرا واسم زمان واسم مكان
فاذا استعملت اسم مكان او اسم زمان لم يكن ذلك على حذف مضاف قامت هذه مقامه
لانها موضوعة للزمان والمكان كما وضعت للمصدر فهي مشتركة بين هذه المدلو
الثلاثة بخلاف خفوق النجم فانه موضع للمصدر فقط وقد خلط ابن عطية في نقل القرآت
وله بعض عذر فانه لم يكن مقريا فقال وقرا طلحة بن مصرف وعيسى بخلاف عنه
سواءً بالنصب محياهم ومماتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي وحفص والاعمش سواءً
بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ووجه كلا من القرآتين على ما تقتضيه صنعة
الاعراب وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير وهو معذور لانه ناسخ من كتاب
الكتاب والصواب هو ما تبيناه من القرات لمن ذكرنا ويستنبط من هذه الاية
تباين حال المومن العاصي من حال الطايع وان كانت في الكفار وتسمى مبكاة
العابدين وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام
فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح سا ما يحكمون وعن الربيع بن خثيم
انه كان يرددها ليلة اجمع وكذلك الفضيل ابن عياض كان يقول لنفسه ليت
شعري من اي الفريقين انت وقال ابن عطية واما لفظها فيعطي انه اجتراح
الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة هي بالاجتراح وعمل

الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا ابكى الخائفون ٥ ساء ما يحكمون
هو كقوله بئسما اشتروا وتقدم اعرابه في البقرة وقال ابن عطية هنا ما مصدرية
والتقدير ساء الحكم حكمهم بان خلقها حق واجب لما فيه من فيض الخيرات وليدل عليه
دلالة الصنعة على الصانع ولتجزى هي لام كي معطوفة على بالحق لان كلا من الباء
واللام يكونان للتعليل فكان الخلق معللا بالجزاء وقال الزمخشري او على معلل محذوف
تقديره ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون لام
الصيرورة اي فصار الامر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها اخرون
لان يجازي كل واحد بعمله وبما اكتسب من خير وشر انتهى افرايت الاية قال
مقاتل نزلت في الحرث بن قيس السهمي وافرايت هي بمعنى اخبرني والمفعول الاول
هو من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد الصلات التي لمن اي ايهتدي يدل
عليه قوله بعد فمن يهديه من بعد الله اي لا احد يهديه من بعد اضلال الله اياه من
اتخذ الهه هواه اي مطاوع لهوى نفسه يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد
الرجل الهه قال ابن جبير اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة
وقال قتادة لا يهوى شيئا الا ركبه لا يخاف الله فلهذا يقال الهوى اله معبود
وقرا الاعرج وابو جعفر الاهة بتاء التانيث بدل هاء الضمير وعن الاعرج انه
قرا الهة على الجمع قال ابن خالويه ومعناه ان احدهم كان يهوى الحجر فيعبده
ثم يرى غيره فيهواه فيلقي الاول فكذلك قوله الهة هواه وهذه الاية وان نزلت
في هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال ابن عباس ما ذكر الله
هوى الا ذمه وقال وهب اذا شككت في خير امرين فانظر ابعدهما من هواك
فاته وقال سهل التستري هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وفي
الحديث العاجز من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله ومن حكمة الشعر قول
عنترة وهو جاهلي ٥

اني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا اتبع النفس اللجوج هواها ٥

وقال ابو عمران موسى بن عمران الاشبيلي الزاهد رحمة الله عليه

فخالف هواها واعصها ان من يطع ... هوى نفسه ينزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع اي مصرع

واضله الله على علم اي من الله تعالى سابق او على علم من هذا الضال بان الحق
هو الدين ويعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال
الزمخشري صرفه عن الهداية واللطف وخذله عن علم عالما بان ذلك لا يجدي
عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف
المحصلة والمقربة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور غشاوة بكسر الغين
وعبد الله والاعمش بفتحها وهي لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله ايضا بضمها
وهي لغة عكلية والاعمش وطلحة وابو حنيفة ومسعود بن صالح وحمزة والكسائي
غشوة بفتح الغين وسكون الشين وابن مصرف والاعمش ايضا كذلك الا انهما
كسرا الغين وتقدم تفسير الجملتين في اول البقرة وقرا الجمهور تذكرون بشد

الذال والجحدري بخفها والاعمش بتاءين وقالوا ما هي اي ما الحياة الا
حياتنا الدنيا هي مقالة بعض قريش انكارا للبعث والظاهر ان قولهم نموت ونحيى
حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتاخير اي تموت طائفة وتحيا طائفة
وان المراد بالموت مفارقة الروح للجسد وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي
نحيى ونموت وقيل نموت عبارة عن كونهم نطفا ثم يحيون بالارواح وقيل نموت
عبارة عن كونهم لم يوجدوا ونحيى اي في وقت وجودنا وهذا قريب من الاول قبله
ولا ذكر للموت الذي هو مفارقة الروح في هذين القولين وقيل نموت الاباء
وتحيا الابناء وقرا زيد بن علي ونحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر اي طول
الزمان لان الافات تستوي فيه كملا بها هذا ان كان قائلو هذا معترفين
بالله فنسبوا الافات الى الدهر بجهلهم انها مقدرة من عند الله وان كانوا لا يعرفون الله
ولا يقرون به وهم الدهرية فنسبوا ذلك الى الدهر وقرا عبد الله الا دهر وتايله
الا دهر يمر كانوا يضيفون كل حادثة الى الدهر واشعارهم ناطقة بشكوى الدهر حتى
يوجد ذلك في اشعار المسلمين قال ابن دريد ٥

يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد ... فان اروادك والعتبى سوا ٥

وما كان حجتهم ليست حجة حقيقية اي حجتهم عندهم او لانهم ادلوا بها كما يدلي المحتج
بحجته وساقوها مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في نحو قولهم ٥
تحية بينهم ضرب وجيع ٥ اي ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون
لهم حجة البتة وقرا الجمهور حجتهم بالنصب والحسن وعمرو بن عبيد وزيد بن علي
وعبيد بن عمير وابن عامر فيما روى عنه عبد الحميد وعاصم فيما روى هرون وحسين
عن ابي بكر عنه حجتهم بالرفع وجواب اذا ما كان حجتهم اي ما يكون حجتهم لان اذا
للاستقبال وخالفت ادوات الشرط فلم يدخل الفاء في الجواب ان تقول اذا تزورنا فما جفوتنا
اي فما تجفونا وفي كون الجواب منفيا بما دليل على ما اخترناه من ان جواب اذا لا يعمل
فيها لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها ايتوا بابائنا الظاهر انه خطاب للرسول والمؤمنين
اذ هم قائلون بمقالته او هو خطاب له وللرجال بالبعث وهم الانبياء وغلب
الخطاب على الغيبة وقال ابن عطية ايتوا من حيث المخاطبة له والمراد هو والالهة
والملك الوسيط الذي ذكره هو لهم محتجا من ذلك جملة قيل لهم ايتوا وان كنتم
انتهى ولما اعترفوا بانه ما يهلكهم الا الدهر فانهم استدلوا على انكار البعث بما لا
دليل لهم فيه من سؤال احياء ابائهم رد الله تعالى عليهم بانه تعالى هو المحيي وهو
المميت لا الدهر وضم الى ذلك انه جامعهم للحساب يوم البعث وهذا واجب الاعتراف
به ان انصفوا ومن قدر على هذا اقدر على الاتيان بابائهم ٥ ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة
تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم
فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها

قوله عز وجل
ولله ملك السموات
والارض

وبين الكافر بانه يوبخ ويقال له افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن اتباعها والايمان
بها وكنتم اصحاب جرائم والفاء في افلم ينوى بها التقديم وانما قدمت الهمزة
لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير فيقال لهم الم وقال الزمخشري
والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه انتهى وقد تقدم الكلام
معه في زعمه ان بين الفاء والواو واذا تقدمتهما همزة الاستفهام معطوفا عليه محذوفا ورددنا عليه
ذلك **وقرأ** الاعرج وعمرو بن فايد واذا قيل ان وعد الله بفتح الهمزة وذلك على لغة سليم والجمهور ان
بكسرها **وقرأ** الجمهور والساعة بالرفع على الابتداء ومن زعم ان لان واسم ان موضعا جوز العطف عليه
هنا او زعم ان لان واسمها موضعا جوز العطف عليه وبالعطف على الموضع لان واسمها هنا قال ابو علي
ذكر في الحجة وتبعه الزمخشري فقال وبالرفع عطفا على محل ان واسمها والصحيح المنع وحمزة
بالنصب عطفا على وعد الله وهي مروية عن الاعمش وابي عمرو وعيسى وابي حيوة والعبسي
والمفضل ان نظن الا ظنا تقول ضربت ضربا فان نفيت لم يدخل الا اذ لم تفرغ العامل
للمصدر المؤكد فلا تقول ما ضربت الا ضربا ولا ما قمت الا قياما فاما الاية فتاول
على حذف وصف للمصدر حتى يصير مختصا لا مؤكدا وتقديره الا ظنا ضعيفا او على
تضمين نظن معنى نعتقد ويكون ظنا مفعولا به وقد تاول ذلك بعضهم على وضع الا غير
موضعها وقال التقدير ان نحن الا نظن ظنا وحكي ذلك هذا عن المبرد ونظيره ما حكاه
ابو عمرو بن العلاء وسيبويه من قول العرب ليس الطيب الا المسك قال المبرد تقديره
ليس الا الطيب المسك انتهى واحتاج الى هذا التقدير كون المسك مرفوعا بعد الا
وانت اذا قلت ما كان زيد الا فاضلا نصبت فلما وقع بعد الا ما يظهر انه خبر ليس
احتاج ان يزحزح الا عن موضعها ويجعل في ليس ضمير الشان ويرفع الا الطيب المسك
على الابتداء والخبر فيصير كالملفوظ به في نحو ما كان الا زيد قائم ولم يعرف المبرد
ان ليس في مثل هذا التركيب عاملة بنو تميم معاملة ما فلم يعملوها الا باقية
مكانها وليس غير عاملة وليس في الارض حجازي الا وهو ينصب في نحو ليس الطيب
الا المسك ولا تميمي الا وهو يرفع وفي ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وابي عمرو
بن العلاء ذكرناها فيما كتبناه من علم النحو ونظير ان نظن الا ظنا **قول
الاعشى** ۝ وحل به الشيب اثقاله وما اغتره الشيب الا اغترارا ۝
اي اغترارا بينا وقال الزمخشري **فان قلت** ما معنى ان نظن الا ظنا
قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب وادخل حرفا النفي والاستثناء
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن
بمستيقنين انتهى وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون
في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقدره بعضهم
ان نظن الا انكم تظنون ظنا قال وانما احتيج الى هذا التقدير لانه لا يجوز في الكلام
ما ضربت الا ضربا فاهتدى الى القاعدة النحوية واخطأ في التخريج لانه حذف
ان واسمها وخبرها وابقى المصدر وذلك لا يجوز وهذا التخريج محكي عن المبرد ولعله
لا يصح وقولهم ان نظن دليل على ان الكفار قد اخبروا بانهم ظنوا البعث واقعا وقد
قولهم قيل ان هي الا حياتنا الدنيا على انهم منكرون البعث فهم والله اعلم فرقتان

قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم
النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم
لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ العامل في ويوم تقوم يخسر
ويومئذ بدل من يوم تقوم قاله الزمخشري وحكاه ابن عطية عن فرقة والتنوين في يومئذ
تنوين العوض من جملة ولم تتقدم جملة الا قوله ويوم تقوم الساعة فيصير التقدير ويوم
تقوم يوم اذ تقوم الساعة يخسر ولا مزيد فائدة في قوله يوم اذ تقوم الساعة لان ذلك
مستفاد من ويوم تقوم الساعة فان كان بدلا توكيديا وهو قليل جاز ذلك والا فلا
يجوز ان يكون بدلا وقالت فرقة العامل في ويوم تقوم ما يدل عليه الملك قالوا وذلك
ان يوم القيمة حالة ثالثة ليست بالسماء ولا بالارض لان ذلك يتبدل فكانه قال
ولله ملك السموات والارض والملك يوم القيمة فحذفه لدلالة ما قبله عليه
ويومئذ منصوب بيخسر وهي جملة فيها استيناف وان كان لها تعلق بما قبلها من
جهة تنوين العوض والمبطلون الداخلون في الباطل جاثية باركة على الركب
مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف **وقرئ** جاذية بالذال والجذو اشد استيفازا
من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة
وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة تجمع على جثى ۝

قال الشاعر

۝ ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد ۝

وعن مؤرخ السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش وعن عكرمة جاثية متميزة **وقرأ** يعقوب
كل امة تدعى بنصب كل على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة والظاهر عموم كل امة
من مؤمن وكافر قال الضحاك وذلك عند الحساب ۝ وقال يحيى بن سلام
ذلك خاص بالكفار تدعى الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته
او الذي كتبته الحفظة وهو صحايف اعمالها او اللوح المحفوظ والمعنى الى ما سبق
لها فيه او الى حسابها اقوال وافرد كتابها اكتفاء باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب
اليوم تجزون اي يقال لهم اليوم تجزون هذا كتابنا هو الذي دعيت اليه
كل امة وصحت اضافته اليه تعالى لانه مالكه والآمر بكتبه واليهم لان اعمالهم
مثبتة فيه والاضافة تكون بادنى ملابسة فلذلك صحت اضافته اليهم واليه
تعالى ينطق عليكم يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ اي
الملائكة اي نجعلها تنسخ وحقيقة النسخ نقل خط من اصل ينظر فيه فاعمال
العباد كانها الاصل وقال الحسن هو كتب الحفظة على بني آدم وعن ابن عباس
يجعل الله الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يفعل العباد ثم يمسكونه عندهم
فتاتي افعال العباد على نحو ذلك فتعد ايضا فذلك هو الاستنساخ وكان يقول
ابن عباس الستم عربا وهل يكون الاستنساخ الا من اصل ثم بين حال المؤمن
بانه يدخله في رحمته وهو الثواب الذي اعده له وان ذلك هو الظفر بالبغية

او اضطربوا فتارة انكروا وتارة ظنوا وقالوا ان نظن الا ظنا على سبيل الهزء وبدا لهم سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات واطلق على العقوبة سيئة كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي احاط ولا يستعمل حاق الا في المكروه نسكم نترككم في العذاب او نجعلكم كالشيء المنسي الذي غير المبالي به كما نسيتم لقاء يومكم اي لقاء جزاء الله على اعمالكم ولم تخطروا على بال بعدما ذكرتم به وتقدم الكلام في ذلك واضاف اللقاء لليوم توسعا كقوله بل مكر الليل والنهار **وقرأ** الجمهور لا يخرجون مبنيا للمفعول والحسن وابن وثاب وحمزة والكسائي مبنيا للفاعل منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح وتقدم الكلام في الاستعتاب **وقرأ** الجمهور رب بالجر في الثلاثة على الصفة وابن محيصن بالرفع فيهما على اضمار هو **الحقف** رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج وانحناء ومنه احقوقف الشيء اعوج ٥

قال امرؤ القيس ٥

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل

عيي بالامر اذا لم يعرف جهته ويجوز فيه الادغام فتقول عي كما قلت في حيي حي ٥

قال الشاعر عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة ٥

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ٥ هذه السورة مكية وعن ابن عباس وقتادة ان قل ارايتم ان كان من عند الله وفاصبر كما صبر الايتين مدنيتان ومناسبة اولها لما قبلها ان في اخر ما قبلها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وقلتم انه عليه السلام اختلقها فقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وهاتان الصفتان هما اخر تلك وهما اول هذه واجل مسمى اي موعد لفساد هذه البنية قال ابن عباس هو القيامة وقال غيره اي اجل كل مخلوق عما انذروا يحتمل ان تكون ما مصدرية وان تكون بمعنى الذي قل ارايتم ما تدعون معناه اخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض استفهام توبيخ ومفعول ارايتم الاول هو ما تدعون وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها ارايتم لان مفعولها الثاني يكون استفهاما ويطلبها اروني على سبيل التعليق

فهذا من باب الاعمال اعمل الثاني وحذف مفعول ارايتم الثاني ويمكن ان يكون اروني توكيدا لارايتم لان ارايتم بمعنى اخبروني فاروني اخبروني كانهما بمعنى واحد وقال ابن عطية يحتمل ارايتم وجهين احدهما ان تكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل ان تكون ارايتم منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهاما على معنى التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى وكون ارايتم لا تتعدى وانها منبهة شيء قاله الاخفش في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة والذي يظهر ان ما تدعون مفعول ارايتم كما هو في قوله ارايتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة فيها وقد اشبعنا الكلام في ارايتم في سورة الانعام فيطالع هناك ومن الارض تفسير للمبهم في ماذا خلقوا والظاهر انه يريد من اجزاء الارض اي خلق ذلك انما هو لله او يكون على حذف مضاف اي من العالم على الارض اي على وجهها من حيوان او غيره ثم وقفهم على اغيا وهم فقال ام لهم اي بل الهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا القرآن ناطق بالتوحيد وبابطال الشرك وكل كتب الله المنزلة ناطقة بذلك فطلب منهم ان ياتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم اي بقية من علم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والاثارة تستعمل في بقية الشرف يقال لبني فلان اثارة من شرف اذا كانت عندهم شواهد قديمة وفي غير ذلك **قال الراعي** ٥

وذات اثارة اكلت علينا ... نباتا في اكمته فقارا ٥

اي بقية من شحم **وقرأ** الجمهور او اثارة وهو مصدر كالشجاعة والسماحة وهي البقية من الشيء كانها اثر وقال الحسن المعنى من علم تستخرجونه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى هل من احد ياثر علما في ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه **قول الاعشى** ٥ ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر ٥

اي وللمستدعين غيره ومنه قول عمر رضي الله عنه فما حلفت به ذاكرا ولا اثرا وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة المعنى او خاصة من علم فاشتقاقها من الاثرة فكانها قد اثر الله بها من هي عنده وقال ابن عباس المراد بالاثارة الخط في التراب وذلك شيء كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر من تفسير الاثارة بالخط يقتضي تقوية امر الخط في التراب وانه شيء له وجه اذا وفق احد اليه وقيل ان صح تفسير ابن عباس الاثارة بالخط في التراب كان ذلك من باب التهكم بهم وباقوالهم ودلائلهم **وقرأ** علي وابن عباس بخلاف عنهما وزيد بن علي وعكرمة وقتادة والحسن والسلمي والاعمش وعمرو بن ميمون او اثرة بغير الف وهي واحدة جمعها اثر كقترة وقتر وعلي والسلمي وقتادة ايضا باسكان الثاء وهي الفعلة الواحدة مما يؤثر اي قد قنعت لكم بخبر واحد او اثر واحد يشهد بصحة قولكم وعن الكسائي ضم الهمزة واسكان الثاء وقال ابن خالويه وقال الكسائي لغة اخرى اثرة واثرة يعني بكسر الهمزة وضمها ومن اضل ممن يعبد الاصنام وهي جماد لا قدرة لها على استجابة دعائهم مادامت الدنيا اي لا يستجيبون لهم ابدا وكذلك غيا انتفاء استجابتهم بقوله الى يوم القيمة

اكم

ومع ذلك لا شعور لهم بعبادتهم اياهم وفي الاخرة اعداء لهم فليس لهم في الدنيا بهم
نفع وهم عليهم في الاخرة ضرر كما قال سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
وجاء من لا يستجيب لانهم يسندون اليهم ما يسند لاولي العلم من الاستجابة
والغفلة او كان من لا يستجيب يراد به من عبد من دون الله من انس وجن وغيرهم
وغلب من يعقل وحملا اولا على لفظ من لا يستجيب ثم على المعنى في وهم من ما بعده والظاهر
عود الضمير في وهم على معنى من في من لا يستجيب كما قررناه وقيل يعود على معنى من في
ومن اضل اي والكفار عن ضلالهم بانهم يدعون من لا يستجيب غافلون لا يتأملون
ما عليهم في دعائهم من هذه صفته واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي
الحجة الواضحة واللام في للحق لام العلة اي لاجل الحق واتى بالظاهرين بدل
المضمرين في قال الذين كفروا للحق ولم يأت التركيب قالوا لها تنبيها على الوصفين
وصف المتلو عليهم بالكفر ووصف المتلو عليهم بالحق ولو جاء بهما مضمرين لم يكن في ذلك
دليل على الوصفين من حيث اللفظ وان كان من سمى الايات سحرا هو كافر والايات في نفسها
حق ففي ذكرهما ظاهرين يستجيل على المتلين بالكفر وعلى المتلو بالحق وفي قوله لما
جاءهم تنبيه على انهم لم يتأملوا ما يتلى عليهم بل بادروا اول سماعه الى نسبته الى السحر
عنادا وظلما ووصفوه بمبين اي ظاهر انه سحر لا شبهة فيه ام يقولون افتراه
اي بل ايقولون اختلقه انتقلوا من قولهم هذا سحر الى هذه المقالة الاخرى والضمير
في افتراه عائد الى الحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض
فالله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه ولا يمهلني فلا تملكون لي
من رد عقوبة الله لي شيئا فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك
اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك
لكم من الله شيئا ثم استسلم الى الله واستنصر به فقال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون
فيه من الباطل ومرادة الحق وتسميته تارة سحرا وتارة فرية والضمير في فيه يحتمل
ان يعود على ما وعلى القرآن وبه في موضع الفاعل بكفى على اصح الاقوال شهيدا بيني
وبينكم شهيدا لي بالتبليغ والدعاء اليه وشهيدا عليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم
عدة لهم بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر واشعار بحلمه تعالى عنهم اذ لم يعاجلهم
بالعقوبة بالعقاب اذ كان ما تقدم تهديدا المضمن ان يعاجلهم على كفرهم قل ما كنت
بدعا من الرسل اي جاء قبلي غيري قاله ابن عباس والحسن وقتادة والبدع والبديع
من الاشياء ما لم ير مثله ومنه قول عدي بن زيد انشده قطرب

فما انا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بؤسي واسعد

والبدع والبديع كالخف والخفيف والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا وابدع
الشاعر جاء بالبديع وسمي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع
وقوم ابداع عن الاخفش وقرأ عكرمة وابو حيوة وابن ابي عبلة بفتح الدال جمع بدعة
وهو على حذف مضاف اي ذا بدع وقال الزمخشري ويجوز ان يكون صفة على فعل
كقولهم دين قيم ولحم زيم انتهى وهذا الذي اجازه ان لم ينقل استعماله عن العرب

لم يجزه لان فعلا في الصفات لم يحفظ منه س الا عدى قال س ولا نعلمه جاء صفة
الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى وقد استدرك على س فزيم بمعنى متفرق
وهو استدراك صحيح واما قيم فاصله قيام وقيم مقصور منه ولذلك اعتلت الواو
فيه اذ لو لم يكن مقصورا لصحت كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوى
وماء روى ورجل رضى وماء صرى وسبي طيبة فمتأول عند البصريين لا يثبتون به
فعلا في الصفات وعن مجاهد وابي حيوة بدعا بفتح الباء وكسر الدال كحذر
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي فيما يستقبل من الزمان اي لا اعلم بالغيب فافعاله
تعالى وما يقدره لي ولكم من قضاياه لا اعلمها وعن الحسن وجماعة وما ادري ما
يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له
اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل
بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات
نخل وشجر وقال ابن عباس وانس بن مالك وقتادة والحسن وعكرمة معناه في الاخرة
وكان هذا في صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى انه قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وان المؤمنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنة وبان الكافرين
في نار جهنم وهذا القول ليس بظاهر بل قد اعلم سبحانه من اول الرسالة حال الكافر
وحال المؤمن وقيل ما يفعل بي ولا بكم من الاوامر والنواهي وما يلزم الشريعة
وقيل نزلت في امر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظره من الله في غير الثواب
والعقاب ان اتبع الا ما يوحى الي استسلام وتبرؤ من علم المغيبات ووقوف
مع النذارة من عذاب الله وقرأ الجمهور ما يفعل بضم الياء مبنيا للمفعول وزيد
ابن علي وابن ابي عبلة بفتحها والظاهر ان ما استفهامية وادري معلقة فجملة
الاستفهام في موضع المفعول وما مبتدأ ويفعل الخبر وقال الزمخشري يجوز ان تكون
موصولة منصوبة انتهى والفصيح المشهور ان دري يتعدى بالباء ولذلك حين
عدي بهمزة النقل تعدى بالباء نحو قوله ولا ادراكم به فجعل ما استفهامية
هو الاولى والاجود وكثيرا ما علقت في القرآن نحو وان ادري اقريب ويفعل مثبت
غير منفي لكنه قد انسحب عليه النفي لاشتماله على ما ويفعل فلذلك قال ولا بكم
ولولا اعتبار النفي لكان التركيب ما يفعل بي وبكم الا ترى زيادة من في قوله ان
ينزل عليكم من خير لانسحاب قوله ما يود الذين كفروا على يود وعلى متعلق يود وهو ان
ينزل فاذا انتفت الودادة انتفى التنزيل وقرأ ابن عمير ما يوحي بكسر الحاء
اي الله عز وجل قل ارايتم مفعولا ارايتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما والتقدير
ارايتم حالكم ان كان كذا الستم ظالمين فالاول حالكم والثاني الستم ظالمين وجواب
الشرط محذوف اي فقد ظلمتم ولذلك جاء فعل الشرط ماضيا وقال الزمخشري
جواب الشرط محذوف تقديره ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به الستم
ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين انتهى
وجملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط الا بالفاء فان كانت الاداة الهمزة تقدمت
الفاء نحو ان تزرنا افما نحسن اليك وغيرها تقدمت الفاء نحو ان تزرنا فهل ترى

الاجر فنقول الزمخشري السنة ظالمين بغير فاء لا يجوز ان يكون جواب الشرط وقال ابن عطية
وارأيتم يحتمل ان تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسؤال لا يقتضي مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة
كان وما عملت فيه تسد مسد مفعوليها انتهى وهذا خلاف ما قرره محققو النحاة
في ارأيتم وقيل جواب الشرط فامن واستكبرتم اي فقد امن محمد به او الشاهد واستكبرتم
انتم عن الايمان وقال الحسن تقديره فمن اضل منكم وقيل فمن المحق منا ومنكم ومن المبطل
وقيل اتهلكون والضمير في به عائد على ما عاد عليه اسم كان وهو القرآن وقال
الشعبي يعود على الرسول والشاهد عبد الله بن سلام قاله الجمهور ابن عباس والحسن
وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن سيرين والآية مدنية وعن عبد الله بن سلام نزلت
في آيات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم وقال
مسروق الشاهد موسى عليه السلام لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية
والخطاب في وكفرتم به لقريش وقال الشعبي الشاهد من امن من بني اسرائيل بموسى
والتوراة لان ابن سلام اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة
مكية وقال سعد بن ابي وقاص ومجاهد وفرقة الآية مكية والشاهد عبد الله
ابن سلام وهي من الآيات التي تضمنت غيبا ابرزه الوجود وقصة عبد الله بن سلام
مذكورة في الصحيح وفيه بهت اليهود لعنهم الله ومن كذب اليهود وتجملهم بالتناديح
ما يعتقدونه في عبد الله بن سلام انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى الشام في تجارة
لخديجة رضي الله عنها اجتمع باحبار اليهود وقص عليهم احلامه فعلموا انه صاحب
دولة فزعموا فاصحبوه عبد الله بن سلام فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة زعموا
وافرطوا في كذبهم الى ان نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن الى تلقيه عبد الله
ابن سلام وعبد الله هذا لم يعلم له اقامة بمكة ولا تردد اليها فما اكذب اليهود
وابهتهم لعنهم الله وناهيك من طائفة ما ذمت في القرآن طائفة مثلها ۝ وقال
الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا
عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني
تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز
عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال
لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان
الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ۝ قال قتادة هي مقالة
كفار قريش للذين امنوا اي لاجل الذين امنوا واللام للتبليغ ثم انتقلوا الى الغيبة

اسلام ح

قوله عز وجل وقال الذين كفروا

وقال

في قولهم ما سبقونا ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ما سبقتمونا اليه ولما سمعوا ان جماعة امنوا
خالطوا جماعة من المؤمنين اي قالوا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اولئك
الذين يلعبنا اياهم يريدون عمارا وصهيبا وبلالا ونحوهم ممن اسلم وامن بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقال الكلبي والزجاج هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة
قالت ذلك حين اسلمت غفار واسلم ومزينة وجهينة اي لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه
الرعاء وقال الثعلبي هي مقالة اليهود حين اسلم ابن سلام وغيره منهم وقال ابو المتوكل
اسلم ابو ذر ثم اسلمت غفار فقالت قريش ذلك وقيل اسلمت امة لعمر فكان يضربها
حتى يفتر ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فقال كفار قريش لو كان ما يدعوا اليه
محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة والظاهر ان اسم كان هو القرآن وعليه يعود به ويؤيده
ومن قبله كتاب موسى وقيل يعود على الرسول والعامل في اذ محذوف اي واذ لم يهتدوا
به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عن ذلك الجواب المحذوف لان هذا القول
هو ناشئ عن العناد ويمتنع ان يعمل في اذ فسيقولون لحيلولة الفاء ولتعاند زماني
اذ وزمان سيقولون افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقد عبروا الاعصار
عليه ولما طعنوا في صحة القرآن قيل لهم انه انزل الله من قبله التوراة على موسى
وانتم لا تنازعون في ذلك فلا تنازعوا في انزال القرآن اماما اي يقتدى به اذ فيه
البشارة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وارساله فيلزم اتباعه والايمان به
وانتصب اماما على الحال والعامل فيه العامل في ومن قبله اي وكتاب موسى
كائن من قبل القرآن في حال كونه اماما وقرأ الكلبي كتاب موسى نصب كتاب
وفتح ميم من على انها موصولة تقديره وآتينا الذي قبله كتاب موسى وقيل انتصب
اماما بمحذوف اي انزلناه اماما اي قدوة يؤتم به ورحمة لمن عمل به وهذا اشارة
الى القرآن كتاب مصدق له اي لكتاب موسى وهي التوراة التي تضمنت خبره
وخبر من جاء به وهو الرسول فجاء هو مصدقا لتلك الاخبار او مصدق للكتب
الالهية ولسانا حال من الضمير في مصدق والعامل فيه مصدق او من كتاب
اذ قد وصف والعامل فيه اسم الاشارة او لسانا موطئة والحال في الحقيقة هو عربيا
او على حذف اي ذا لسان عربي فيكون مفعولا بمصدق اي هذا القرآن مصدق
من جاء به وهو الرسول في ذلك بالاعجاز واحوال البلاغة وقيل انتصب على اسقاط
الخافض اي بلسان عربي وقرأ ابو رجاء وشيبة والاعرج وابو جعفر وابن عامر
ونافع وابن كثير في رواية لتنذر بتاء الخطاب للرسول والاعمش وابن كثير ايضا وباقي
السبعة بياء الغيبة اي لينذر القرآن والذين ظلموا الكفار عبدة الاصنام حيث
وضعوا العبادة في غير من يستحقها وبشرى قيل معطوف على مصدق فهو في موضع
رفع او على اضمار هو وقيل منصوب بفعل محذوف معطوف على لينذر اي ويبشر بشرى
وقيل منصوب على اسقاط الخافض اي وللبشرى وقال الزمخشري وتبعه ابو البقاء
وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له انتهى وهذا لا يجوز
على الصحيح من مذهب النحويين لانهم يشترطون في الحمل على المحل ان يكون المحل
بحق الاصالة وان يكون الموضع محرزا والمحل هنا ليس بحق الاصالة لان الاصل هو

الجر في المفعول له وأما النصب فأتى عن اسقاط الخافض لكنه لما كان بالشروط المذكورة
في النحو وصل اليه الفعل فنصبه ولما عبر عن الكفار بالذين ظلموا عبر عن المؤمنين بالمحسنين
ليقابل بلفظ الاحسان لفظ الظلم ٥ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم
الكلام على نظير هذه الاية في سورة فصلت ولما ذكر جزاء بما كانوا يعملون قال
ووصينا اذ كان بر الوالدين ثانيا افضل الاعمال اذ في الصحيح اي الاعمال افضل
فقال الصلوة على ميقاتها قال ثم اي قال ثم بر الوالدين واذ كان
عقوقهما ثاني اكبر الكبائر اذ قال عليه السلام الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك
بالله وعقوق الوالدين والوارد في برهما كثير وقرأ الجمهور حسنا بضم الحاء
واسكان السين وعلي والسلمي وعيسى بفتحهما وعن عيسى ضمهما والكوفيون احسانا
فقيل ضمن ووصينا معنى الزمنا فيتعدى لاثنين فانتصب حسنا واحسانا على
المفعول الثاني لوصينا وقيل التقدير ايصاء ذا حسن او ذا احسان ويجوز ان يكون
حسنا بمعنى احسان فيكون مفعولا له اي ووصيناه بهما لاحساننا اليهما فيكون
الاحسان من الله تعالى وقيل النصب على المصدر على تضمين ووصينا معنى احسنا
بالوصية للانسان بوالديه احسانا وقال ابن عطية ونصب هذا يعني احسانا
على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والباء متعلقة بوصينا او بقوله
احسانا انتهى ولا يصح ان يتعلق باحسانا لانه مصدر مقدر بحرف مصدري
والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالباء انما يتعدى باللام
تقول احسنت لزيد ولا تقول احسنت بزيد على معنى ان الاحسان يصل اليه وتقدم
الكلام على ووصينا الانسان بوالديه حسنا في سورة العنكبوت وآخرها بالكلام
على ذلك مزيد فائدة ٥ حملته امه كرها ليس الكره في اول علوقها بل في ثاني استمرار
الحمل حتى تتوقع حوادثه قال ابن عطية ويحتمل ان يريد في وقت الحمل اذ لا تدبير لها
في حمله ولا تكره انتهى ولا يلحقها كره اذ ذاك فهذا احتمال بعيد وقال مجاهد
والحسن وقتادة المعنى حملته مشقة ووضعته مشقة وقرأ الجمهور بضم الكاف
وشيبة وابو جعفر والاعرج والحرميان وابو عمرو بالفتح وبهما معا ابو رجاء ومجاهد
وعيسى والضم والفتح لغتان بمعنى واحد كالفقر والفقر وقالت فرقة بالضم
المشقة وبالفتح الغلبة والقهر وضعفوا قراءة الفتح وقال بعضهم لو كان بالفتح
لرمت به عن نفسها اذ معناه القهر والغلبة انتهى وهذا ليس بشيء اذ قراءة الفتح
في السبعة المتواترة وقال ابو حاتم القراءة بفتح الكاف لا تحسن لان الكره بالفتح
الغضب والغلبة انتهى وكان ابو حاتم يطعن في بعض القراآت بما لا علم له به
جسارة منه عفا الله عنه وانتصابهما على الحال من ضمير الفاعل اي حملته ذات
كره او على انه نعت لمصدر محذوف اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
اي ومدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان يكون احد الطرفين ناقصا اما
بان تلد المرأة لستة اشهر وترضع عامين واما ان تلد لتسعة على العرف وترضع
عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت مدة الرضاع وبالعكس فيترتب
من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل مدة الرضاع عام وتسعة اشهر واكمال

العامين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقد كشفت التجربة ان اقل مدة الحمل ستة اشهر
كنص القرآن وقال جالينوس كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرأيت امرأة ولدت
لمائة واربع وثمانين ليلة وزعم ابن سينا انه شاهد ذلك واما اكثر الحمل فليس في القرآن
ما يدل عليه قال ابن سينا في الشفا بلغني من جهة من اثق به كل الثقة ان امرأة وضعت
بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت اسنانه وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة
الحمل لكل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت لسبعة اشهر وللثمانية
وقلما يعيش الولد في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر انتهى وعبر عن مدة الرضاع
بالفصال لما كان الرضاع يلي الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي به وقرأ
الجمهور وفصاله وهو مصدر فاصل كانه من اثنين فاصل امه وفاصلته وقرأ
ابو رجاء والحسن وقتادة والجحدري وفصله قيل والفصل والفصال مصدران
كالفطم والفطام وهنا لطيفة ذكر تعالى الام في اربعة مراتب في قوله بوالديه وحمله .. ووضعه
وارضاعه المعبر عنه بالفصال وذكر الوالد في واحد في قوله بوالديه
لعله بالام
فناسب ما قال الرسول من جعل ثلاثة ارباع البر للام والربع للاب في قول
الرجل يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال اباك ٥ حتى اذا بلغ اشده في الكلام حذف تكون حتى غاية
له تقديره فعاش بعد ذلك او استمرت حياته وتقدم الكلام في بلغ اشده في سورة
يوسف والظاهر ضعف قول من قال بلوغ الاشد اربعون لعطف وبلغ اربعين
اربعين
سنة والعطف يقتضي التغاير الا ان ادعى ان ذلك توكيد لبلوغ الاشد
فيمكن والتاسيس اولى من التاكيد وبلوغ الاربعين اكتمال العقل وظهور
الفلاح قيل ولم يبعث نبي الا بعد الاربعين وفي الحديث ان الشيطان يجر يده
على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب ويقول بابي وجه لا يفلح قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه تقدم
الكلام على هذا في سورة النمل واصلح لي في ذريتي سأل ان يجعل ذريته موقعا
للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم او ضمن
واصلح لي معنى والطف بي في ذريتي لان اصلح يتعدى بنفسه كقوله واصلحنا
له زوجه فلذلك احتيج قوله في ذريتي الى التأويل وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله
عنه وتينا ولا يصح وهو مشكل لانها نزلت بمكة وابوه اسلم عام الفتح ولقوله
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا فلم يقصد بذلك ابو بكر ولا غيره والمراد
بالانسان الجنس ولذلك اشار بقوله اولئك جمعا وقرأ الجمهور يتقبل مبنيا
للمفعول احسن رفعا وكذا ويتجاوز وزيد بن علي وابن وثاب وطلحة وابو جعفر
والاعمش بخلاف عنه وحمزة والكسائي وحفص نتقبل احسن نصبا ونتجاوز
بالنون فيهما والحسن والاعمش وعيسى بالياء فيهما مفتوحة ونصب احسن
في اصحاب الجنة قيل في بمعنى مع وقيل هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من
اصحابه يريد في جملة من اكرم منهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين
في اصحاب الجنة وانتصب وعد الصدق على انه مصدر مؤكد لمضمون

الجملة السابقة لان قوله اوليك الذين نتقبل وعد منه تعالى بالتقبل والتجاوز
لما ذكر الانسان البار بوالديه وما آل اليه من الخير ذكر العاق لوالديه وما آل
اليه من الشر والمراد بالذي الجنس ولذلك جاء الخبر مجموعا في قوله اوليك الذين
حق عليهم القول وقال الحسن هو الكافر العاق لوالديه المنكر البعث وقول
مروان بن الحكم واتبعه قتادة انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
قول خطا ثانيه عن جوريه دعا مروان وهو امير المدينة الى بيعة يزيد فقال
عبد الرحمن جعلتموها هرقلية كلما مات هرقل ولي ابنه وكلما مات قيصر ولي ابنه
فقال مروان خذوه فدخل بيت اخته عايشة رضي الله عنهما وقد انكرت ذلك
عايشة وقالت وهي المصدوقة لم ينزل في آل ابي بكر من القرآن غير براتي وقالت
والله ما هو به ولو شيت ان اسميه لسميته وسبت مروان وقالت ولكن الله
لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنه الله ويدل على فساد هذا القول
انه قال تعالى اوليك الذين حق عليهم القول وهذه صفات الكفار اهل النار
وكان عبد الرحمن من افاضل الصحابة وسرواتهم وابطالهم ومن له في الاسلام
غنا يوم اليمامة وغيره اف لكما تقدم الكلام على اف مدلولا ولغات وقرآة في
سورة الاسرا واللام في لكما للبيان اي لكما اعني التافيف وقرا الجمهور اتعدانني
بنونين الاولى مكسورة والحسن وعاصم وابو عمرو في رواية وهشام بادغام نون
الرفع في نون الوقاية وقرا نافع في رواية وجماعة بنون واحدة وقرا الحسن
وشيبة وابو جعفر بخلاف عنه وعبد الوارث عن ابي عمرو وهرون بن موسى
عن الجحدري وسام عن هشام بفتح النون الاولى كانهم فروا من الكسرتين والياء الى
الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا كما فر من ادغم ومن حذف وقال ابو حاتم فتح النون
باطل غلط ان اخرج اي اخرج من قبري للبعث والحساب وقرا الجمهور ان اخرج مبنيا
للمفعول والحسن وابن يعمر والاعمش وابن مصرف والضحاك مبنيا للفاعل وقد خلت
القرون من قبلي اي مضت ولم يخرج منهم احد ولا بعث ٥ وقال ابو سليمان
الدمشقي وقد خلت القرون من قبلي مكذبة بالبعث وهما يستغيثان الله يقال
استغثت الله واستغثت بالله والاستعمالان في لسان العرب ٥ وقد
رددنا على ابن مالك انكاره تعديته بالبا وذكرنا شواهد على ذلك في الاتقال
اي يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعا
عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك وقيل
ويلك دعا لمن يحقر ويحرك لامر يستعجل اليه وقرا الاعرج وعمرو بن فايد ان
وعد الله بفتح الهمزة اي آمن بان وعد الله حق والجمهور بكسرها فيقول ما هذا
اي ما هذا الذي يقولان من الوعد بالبعث من القبور الا شي سطره الاولون
في كتبهم ولا حقيقة له قال ابن عطية وظاهر الفاظ هذه الاية انها نزلت
في مشار اليه ويكون قوله اوليك بمعنى صنف هذا المذكور وجنسه هم الذين
حق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم في امم اي في جملة امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس تقتضي ان الجن يموتون قرنا بعد قرن كالانس وقال الحسن

في بعض مجالسه الجن لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الاية فسكت وقرا العباس
عن ابي عمرو انهم كانوا بفتح الهمزة والجمهور بالكسر ولكل اي من المحسن والمسي درجات
غلب درجات اذ الجنة درجات والنار دركات والمعنى منازل ومراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر ومن اجل ما عملوا منهما قال ابن زيد درجات المحسنين تذهب
علوا ودرجات المسيين تذهب سفلا انتهى والمعلل محذوف تقديره وليوفيهم اعما
قدر جزاهم جعل الثواب درجات والعقاب دركات وقرا الجمهور وليوفيهم
بالياء اي الله تعالى والاعمش والاعرج وشيبة وابو جعفر والاخوان وابن ذكوان
ونافع بخلاف عنه بالنون والسلمي بالتاء من فوق اي ولتوفيهم الاعمال الذي جاءت اسند
التوفية اليها مجازا ٥ ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من
بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا
اجيتنا لتافكنا عن آلهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم
عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر
كل شي بامر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصا
ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ٥
ويوم يعرض اي يعذب بالنار كما يقال عرض على السيف اذا قتل به والعرض
المباشرة كما تقول عرضت العود على النار اي باشرت به النار وقال الزمخشري
ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض
الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها
انتهى ولا ينبغي حمل القرآن على القلب اذ الصحيح في القلب انه مما يضطر اليه في الشعر
واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب فاي ضرورة تدعو اليه وليس في قولهم
عرضت الناقة على الحوض ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب لان عرض
الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح اذ العرض امر نسبي
يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض وقرا الجمهور اذهبتم على الخبر اي
فيقال لهم اذهبتم ولذلك حسنت الفا في قوله فاليوم تجزون وقرا قتادة
ومجاهد وابن وثاب وابو جعفر والحسن والاعرج وابن كثير بهمزة بعدها مدة
مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير
في رواية وعن هشام الفصل بين المحققة والملينة بالف وهذا الاستفهام
هو على معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر في المعنى فلذلك حسنت الفا ولو كان
استفهاما محضا لم تدخل الفا والطيبات هنا المستلذات من الماكل والمشارب
والملابس والمفارش والمراكب والمواطي وغير ذلك مما يتنعم به اهل الرفاهية
وهذه الاية محرضة على التقلل من الدنيا وترك التنعم فيها والاخذ بالتقشف وما

لهم

الدرجات و
قوله عز وجل
ويوم يعرض

ربهم

يجتزي به رمق الحيوة وعن رسول الله في ذلك ما يقتضي التاسي به وعن عمر في ذلك اخبار
يدل على معرفته بانواع الملاذ وعزوف نفسه الفاضلة عنها منها اتظنون انا لا نعرف
خفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصنابا وصلايق ولكني استبقي حسناتي
فان الله عز وجل وصف قوما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
والصلاء الشواء والصناب المتخذ من الخردل والزبيب والصلايق الخبز الرقاق
العريض قال ابن عباس وهذا من باب الزهد والا فالاية نزلت في كفار قريش والمعنى
انه كانت تكون لكم طيبات الاخرة لو امنتم لكنكم لم تؤمنوا فاستعجلتم طيباتكم في الحيوة
الدنيا فهذه كناية عن عدم الايمان ولذلك ترتب عليه فاليوم تجزون عذاب الهون
ولو اريد الظاهر ولم يكن كناية عما ذكرنا لم يترتب عليه الجزاء بالعذاب **وقرئ** الهوان
وهو والهوان بمعنى واحد ثم رتب تلك الكناية بقوله بما كنتم تستكبرون اي تترفعون
عن الايمان وبما كنتم تفسقون اي بمعاصي الجوارح وقدم ذنب القلب وهو الاستكبار
على ذنب الجوارح اذ اعمال الجوارح ناشئة عن اعمال القلب ولما كان اهل مكة
مستغرقين في لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء به الرسول ذكرهم بما جرى
للعرب الاولى وهم قوم عاد وكانوا اكثر اموالا واشد قوة واعظم جاها منهم فسلط
عليهم العذاب بسبب كفرهم ويضرب الامثال وقصص من تقدم تعرف قبح الشي
وتحسينه فقال لرسوله واذكر لقومك اهل مكة هودا عليه السلام اذ انذر قومه
عادا عذاب الله بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال ابن اسحق
من عمان الى حضرموت وقال ابن زيد رمال مشرفة بالشحر من اليمن وقيل بين مهرة
وعدن وقال قتادة هي بلاد الشحر المواصلة للبحر اليماني وقال ابن عباس
هي جبل بالشام قال ابن عطية والصحيح ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات
العماد وفي ذكر هذه القصة اعتبار لقريش وتسلية للرسول اذ كذبه قومه كما كذبت عاد
هودا عليه السلام والجملة من قوله وقد خلت النذر وهو جمع نذير من بين يديه ومن
خلفه يحتمل ان تكون حالا من الفاعل في انذر من بين يديه وهم الرسل الذين تقدموا
زمانه ومن خلفه الرسل الذين كانوا في زمانه ويكون على هذا معنى ومن خلفه
اي من بعد انذاره ويحتمل ان يكون اعتراضا بين انذر قومه وان لا تعبدوا والمعنى
وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا استفهام
تقرير وتوبيخ وتعجيز له فيما انذرهم اياه من العذاب العظيم على ترك افراد الله بالعبادة
لتافكنا لتصرفنا قاله الضحاك او لتزيلنا عن الهتنا بالافك وهو الكذب اي
عن عبادة الهتنا فاتنا بما تعدنا استعجال منهم لحلوله وعدم يقينهم به من العذاب
الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به قال انما العلم عند الله اي علم وقت
حلوله وليس تعيين وقته الي وانما انا مبلغ ما ارسلني به الله اليكم ولما تحقق عنده
وعد الله وانه حال بهم وهم في غفلة من ذلك وتكذيب قال ولكني اراكم
قوما تجهلون اي عاقبة امركم لا شعور لكم بذلك واقع لا محالة وكانت
عاد قد حبس الله عنها المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم
من واد يقال له المغيث فاستبشروا والضمير في راوه الظاهر انه عائد

على ما

على ما في قوله بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال من المفعول وقال
ابن عطية ويحتمل ان يعود على الشي المرئي الطالع عليهم الذي فسره قوله عارضا
وقال الزمخشري فلما راوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما
قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب
وافصح انتهى وهذا الذي ذكر انه اعرب وافصح ليس جاريا على ما ذكره النحاة
لان المبهم الذي يفسره ويوضحه التمييز لا يكون الا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته
وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو واما ان
الحال يوضح المبهم ويفسره فلا نعلم احدا ذهب اليه وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره
ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول راى اذا كان ضميرا ولا ان الحال يفسر الضمير ويوضحه
والعارض المعترض في الجو من السحاب الممطر ومنه **قول الشاعر**

يا من راى عارضا ارقت له بين ذراعي وجبهة الاسد

وقال الاعشى

يا من راى عارضا قد بت ارمقه كانما البرق في حافاته الشعل

مستقبل اوديتهم هو جمع واد وافعلة في جمع فاعل الاسم شاذ نحو ناد واندية وجائز واجوزة
والجائز الخشبة الممتدة في اعلى السقف واضافة مستقبل وممطر اضافة لا تعرف
فلذلك نعت بهما النكرة بل هو ما استعجلتم اي قال لهم هود ذلك اي بل هو العذاب
الذي استعجلتم به اضرب عن قولهم ممطرنا واخبر بانه العذاب ثم قال ريح
اي هي ريح وقيل ريح بدل من هو **وقرا** قوم ما استعجلتم بضم التاء وكسر الجيم وتقدمت
قصص في الريح فاغنى ذكرها هنا تدمر اي تهلك والدمار الهلاك وتقدم ذكره **وقرا**
زيد بن علي تدمر بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم وقرئ كذلك الا انه بالياء
ورفع كل اي يهلك كل شي وكل شي عام مخصوص اي من نفوسهم واموالهم او مما امرت
بتدميره واضافة الرب الى الريح دلالة على انها وتصريفها مما يشهد بباهر قدرته
تعالى لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر لكونها مامورة من جهته تعالى
وقرا الجمهور لا ترى بتاء الخطاب الا مساكنهم بالنصب وعبد الله ومجاهد
وزيد بن علي وقتادة وابو حيوة وطلحة وعيسى والحسن وعمرو بن ميمون بخلاف
عنهما وعاصم وحمزة لا يرى بالياء من تحت مضمومة الا مساكنهم بالرفع وابو رجا
ومالك بن دينار بخلاف عنهما والجحدري والاعمش وابن ابي اسحق والسلمي
بالتاء من فوق مضمومة مساكنهم بالرفع وهذا لا يجيزه اصحابنا الا في الشعر
وبعضهم يجيزه في الكلام **وقال ذو الرمة**

كانه ترجل هكر وما بقيت الا الخبيرة والالواح والعصب

وقال اخر فما بقيت الا الضلوع الجراشع

وقرا عيسى الهمداني لا يرى بضم الياء الا مسكنهم بالتوحيد وروي هذا عن الاعمش
ونصر بن عاصم **وقرئ** لا ترى بتاء مفتوحة للخطاب الا مسكنهم مفردا منصوبا واجتزي
بالمفرد عن الجمع تصغيرا لشانهم وانهم لما هلكوا في وقت واحد فكانهم كانوا في مسكن
واحد ولما اخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد

مكناهم وان نافية اي في الذي ما مكناهم فيه من القوة والغنى والبسطة في الاجسام والاموال ولم يكن النفي بلفظ ما كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى وقيل ان شرطية محذوفة الجواب والتقدير ان مكناكم فيه طغيتم وقيل ان زائدة بعد ما الموصولة تشبيها بما النافية وما التوقيتية فهي في الاية كهي في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه

يرجي المرء ما ان لا يراه ۞ وتعرض دون ادناه الخطوب ۞

اي مكناهم في مثل الذي مكناكم فيه وكونها نافية هو الوجه لان القران يدل عليه في مواضع كقوله كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وقوله هم احسن اثاثا ورئيا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار ثم عدد نعمه عليهم وانها لم تغن عنهم شيئا حيث لم يستعملوا السمع والابصار والافئدة فيما يجب ان يستعملوها وقيل ما استفهام بمعنى التقرير وهو بعيد لقوله من شيء اذ يصير التقدير اي شيء مما ذكر اغنى عنهم من شيء فتكون من زيدت في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح والعامل في اذ اغنى ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت اكرمت زيدا لاحسانه الي واذا احسن الي استويا في الوقت وفهم من اذ ما فهم من لام التعليل وان اكرامك اياه في وقت احسانه اليك انما كان لوجود احسانه لك فيه ۞ ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلكم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ۞ ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم والذي حولهم من القرى مارب وحجر ثمود وسدوم ويريد من اهل القرى وصرفنا الايات اي الحجج والدلائل والعظات لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر الى الايمان فلم يرجعوا فلولا نصرهم اي فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك الذين اتخذوا اي اتخذوهم من دون الله قربانا اي في حال التقرب وجعلهم شفعاء الهة وهو المفعول الثاني لاتخذوا والاول الضمير المحذوف العائد على الموصول واجاز الحوفي وابن عطية وابو البقاء ان يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا والهة بدل منه لفساد المعنى انتهى ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب واجاز الحوفي ايضا ان يكون قربانا مفعولا من اجله بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرتهم وقرا الجمهور افكهم بكسر الهمزة واسكان الفاء وضم الكاف وابن عباس في رواية بفتح الهمزة والافك والافك مصدران

قوله عز وجل ولقد اهلكنا

وقراه ابن عباس ايضا وابن الزبير والصباح بن العلاء الانصاري وابو عياض وعكرمة وحنظلة بن النعمان بن مرة ومجاهد افكهم بثلاث فتحات اي صرفهم وابو عياض وعكرمة ايضا كذلك الا انهما شددا الفاء للتكثير وابن الزبير ايضا وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه آفكهم بالمد فاحتمل ان يكون فاعل فالهمزة اصلية وان يكون افعل والهمزة للتعدية اي جعلهم يافكون ويكون افعل بمعنى المجرد وعن الفراء انه قرئ أفكهم بفتح الهمزة والفاء وضم الكاف وهي لغة في الافك وابن عباس فيما روى قطرب وابو الفضل الرازي آفكهم اسم فاعل من افك اي صارفهم والاشارة بذلك على من قرا افكهم مصدرا الى اتخاذ الاصنام الهة اي ذلك كذبهم وافتراؤهم وقال الزمخشري وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء انتهى وعلى قراءة من جعله فعلا معناه وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وكذلك قراءة اسم الفاعل اي صارفهم عن الحق ويحتمل ان تكون ما مصدرية اي وافتراؤهم وان تكون بمعنى الذي والعائد محذوف اي يفترونه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما بين ان الانس مؤمن وكافر ذكر ان الجن فيهم مؤمن وكافر وكان ذلك بأثر قصة هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة والجن توصف ايضا بذلك كما قال تعالى قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين وان ما اهلك به قوم هود هو الريح وهو من العالم الذي لا يشاهد وانما يحس بهبوبه والجن ايضا من العالم الذي لا يشاهد وان هودا عليه السلام كان من العرب ورسول الله صلى الله عليه من العرب فهذه تجوز ان تكون مناسبة لهذه الاية بما قبلها وفيها ايضا توبيخ لقريش وكفار العرب حيث انزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به وهم من اهل اللسان الذي نزل به القران ومن جنس الرسول الذي ارسل اليهم وهؤلاء جن فليسوا من جنسه وقد اثر فيهم سماع القران فامنوا به وبمن انزل عليه وعلموا انه من عند الله بخلاف قريش وامثالها فهم مصرون على الكفر به واذ صرفنا وجهنا اليك وقرئ صرفنا بتشديد الراء لانهم كانوا جماعة فالتكثير بحسب الحال والنفر من الجن والنفر دون العشرة ويجمع انفارا قال ابن عباس كانوا سبعة من اهل نصيبين وقال زر كانوا سبعة منهم زوبعة والذي يجمع اختلاف الروايات ان قصة الجن كانت مرتين احداهما حين انصرف من الطائف وكان خرج اليهم يستنصرهم في قصة ذكرها اصحاب السير وروي ان الجن كانت تسترق السمع فلما بعث الرسول حرست السماء ورمي الجن بالشهب قالوا ما هذا الا امر حدث فطافوا الارض فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة وهو قائم يصلي فاستمعوا لقراءته وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم والمرة الاخرى ان الله امره ان ينذر الجن ويقرا عليهم فقال اني امرت ان اقرا على الجن فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضر احد ليلة الجن غيري فانطلقنا حتى اذا كنا في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران

لوية

وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم تقطعوا تقطع السحاب فقال لي هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفاً والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك وفي آخر هذا الحديث قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطاً فقال انهم تدارؤا في قتيل لهم فحكمت بالحق وقد روي عن ابن مسعود انه لم يحضر احد ليلة الجن والله اعلم بصحة ذلك فلما حضروه اي القرآن اي كانوا بمسمع منه وقيل حضروا الرسول وهو التفات من ابيك الى ضمير الغائب قالوا انصتوا اي اسكتوا للاستماع وفيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم وقرأ الجمهور فلما قضي مبنياً للمفعول وابو مجلز وحبيب بن عبد الله ابن الزبير فقضى مبنياً للفاعل اي فقضى محمد ما قرأ اي اتمه وفرغ منه وقال ابن عمر وجابر ابن عبد الله قرأ عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من آياتك ربنا نكذب ربنا لك الحمد ولوا الى قومهم منذرين تفرقوا على البلاد ينذرون الجن قال قتادة ما اسرع ما عقل القوم انتهى وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب وخنافر وامثالهما لما جاءهما رئياهما من الجن فكان سبب اسلامهما من بعد موسى اي من بعد كتاب موسى قال عطاء كانوا على ملة اليهود وعن ابن عباس لم تسمع الجن بامر عيسى وهذا لا يصح عن ابن عباس كيف لا تسمع بامر عيسى وله امة عظيمة لا ينحصر على ملته فيبعد عن الجن كونهم لم يسمعوا به ويجوز ان يكونوا قالوا من بعد موسى تنبيهاً لقومهم على اتباع الرسول اذ كان عليه السلام قد بشر به موسى فقالوا ذلك من حيث ان هذا الامر مذكور في التوراة مصدقاً لما بين يديه من التوراة والانجيل والكتب الالهية اذ كانت كلها مشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير الاخلاق يهدي الى الحق اي الى ما هو حق في نفسه صدق يعلم ذلك بصريح العقل والى صراط مستقيم غاير بين اللفظين والمعنى متقارب وربما استعمل احدهما في موضع لا يستعمل الآخر فيه فجمع هنا بينهما وحسن التكرار اجيبوا داعي الله هو الرسول او الواسطة المبلغة عنه وآمنوا به يعود على الله يغفر لكم من ذنوبكم من للتبعيض لانه لا يغفر بالايمان ذنوب المظالم قال معناه الزمخشري وقيل من زائدة لان الاسلام يجب ما قبله فلا يبقى معه تبعة ويجركم من عذاب اليم وهذا كله وظواهر القرآن تدل على ان الجن معطوف ولم ينص هنا على ثوابهم اذا اطاعوا وعمومات القرآن تدل على الثواب وكذا قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على ابوابها وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار واليه كان يذهب ابو حنيفة فليس بمعجز في الارض اي فائت من عقابه اذ لا منجى منه ولا مهرب كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هرباً وروي عن ابن عامر وليس لهم بزيادة ميم وقرأ الجمهور ولم يعي مضارع عيي على وزن فعل بكسر العين في الماضي وقرأ الحسن ولم يعي بكسر العين وسكون الياء ووجهه انه في الماضي فتح عين الكلمة كما قالوا في بقي بقا وهي لغة لطي ولما بني الماضي على فعل بفتح العين بني مضارعه على يفعل بكسر العين فجاء يعيي فلما دخل الجازم حذف الياء فبقي يعي بنقل حركة الياء الى العين فسكنت الياء وبقي يعي وقرأ

الجمهور بقادر اسم فاعل والباء زائدة في خبر ان وحسن زيادتها كون ما قبلها في حيز النفي وقد اجاز الزجاج ما ظننت ان احداً بقائم قياساً على هذا والصحيح قصر ذلك على السماع فكأنه في الآية اليس الله بقادر الا ترى كيف جاء ببلى مقرراً لاحياء الموتى لا لرؤيتهم وقرأ الجحدري وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعيسى والاعرج بخلاف عنه ويعقوب يقدر مضارعاً اليس هذا بالحق اي يقال لهم والاشارة بهذا الى العذاب اي كنتم تكذبون بانكم تعذبون والمعنى توبيخهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا تصديق حيث لا ينفع وقال الحسن انهم ليعذبون في النار وهم راضون بذلك لانهم يعترفون انه العدل فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الفاء عاطفة هذه الجملة على الجملة من اخبار الكفار في الآخرة والمعنى بينهما مرتبط اي هذه حالهم مع الله فلا تستعجل انت واصبر ولا تخف الا الله واولوا العزم اي اولوا الجد من الرسل وهم من حفظ له شدة مع قومه ومجاهدة فتكون من للتبعيض وقيل يجوز ان تكون للبيان اي الذين هم الرسل ويكون الرسل كلهم اولي العزم واولوا العزم على التبعيض تقتضي انهم رسل وعلى البيان تقتضي انهم الرسل وكونها للتبعيض قول عطاء الخراساني والكلبي والبيان قول ابن زيد وقال الحسين بن الفضل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الانعام لانه قال بعقب ذكرهم فبهداهم اقتده وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه طويلاً وابراهيم صبر على النار واسحق صبر نفسه على الذبح ويعقوب صبر على الفقد لولده وعمي بصره وقال فصبر جميل ويوسف صبر على السجن والبئر وايوب على البلاء وزاد غيره وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها ولا تستعجل لهم اي للكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا كانهم لم يلبثوا فيها الا ساعة وقرأ ابي من النهار وقرأ الجمهور من نهار وقرأ الجمهور بلاغ بالرفع والظاهر رجوعه الى المدة التي لبثوا فيها كانه قيل تلك الساعة بلاغهم كما قال متاع قليل فبلاغ خبر مبتدأ محذوف وقيل ويحتمل ان يكون بلاغ يعني به القرآن والشرع اي هذا بلاغ اي تبليغ وانذار وقال ابو مجلز بلاغ مبتدأ وخبره لهم ويقف على فلا تستعجل وهذا ليس بجيد لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض اذ ظاهر قوله لهم انه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم والحيلولة بالجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدأ وقرأ الحسن وزيد ابن علي وعيسى بلاغاً بالنصب فاحتمل ان يراد بلاغاً في القرآن اي بلغوا بلاغاً وبلغنا بلاغاً وقرأ الحسن ايضاً بلاغ بالجر نعتاً لنهار وقرأ ابو مجلز وابو سراج الهذلي بلغ على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي مجلز ايضاً بلغ فعلاً ماضياً وقرأ الجمهور يهلك بضم الياء وفتح اللام وابن محيصن فيما حكى عنه ابن خالويه بفتح

المفردات

الياء وكسر اللام وعنه أيضا بفتح الياء واللام وماضيه هلك بكسر اللام وهي لغة وقال أبو الفتح هي مرغوب عنها وقرأ زيد بن ثابت يهلك بضم الياء وكسر اللام إلا القوم الفاسقين بالنصب وفي هذه الآية وعيد وإنذار . البال الفكر تقول خطر في بالي كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ قولهم بالات في جمعه تعس الرجل بفتح العين تعسا ضد انتعش وأتعسه الله قال مجمع بن هلال

تقول وقد أفردتها من خليلها تعست كما أتعستني يا مجمع

وقال قوم منهم شمر وابن شميل وأبو الهيثم تعس بكسر العين وعن أبي عبيدة تعسه الله وأتعسه في باب فعلت وأفعلت وقال ابن السكيت التعس أن يخر على الوجه والنكس أن يخر على الرأس وقال هو أيضا والتعس الهلاك

وقال الأعشى

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

أسن الماء تغير ريحه يأسن ويأسن ذكره ثعلب في الفصيح والمصدر أسون وأسن بكسر السين يأسن بفتحها لغة أسنا قاله اليزيدي وأسن الرجل بالكسر لا غير إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر فغشي عليه أو دار رأسه

قال الشاعر

قد أترك القرن مصفرا أنامله يميد في الرمح ميد المائح الأسن

الأشراط العلامات واحدها شرط بسكون الراء وبفتحها قال أبو الأسود

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وأشرط الرجل نفسه ألزمها أمورا وقال أوس بن حجر

فأشرط فيها نفسه وهو معصم فألقى بأسباب له وتوكلا

العسل معروف وعسل بن ذكوان رجل نحوي قديم المعى مقصور وألفه منقلبة عن ياء يدل عليه تثنيته معيان بقلب الألف ياء والمعا ما في البطن من الحوايا القفل معروف وأصله اليبس والصلابة والقفل والقفيل ما يبس من الشجر والقفيل أيضا نبت والقفيل السوط وأقفله الصوم أيبسه قاله الجوهري آنفا وأنفا أنهما اسما فاعل ولم يستعمل فعلهما والذي استعمل ائتنف وهما بمعنى مبتدئا وتفسيرهما بالساعة تفسير معنى وقال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته فأولى لهم قال صاحب الصحاح قول العرب أولى لك تهديد وتوعيد ومنه قول الشاعر

فأولى ثم أولى ثم أولى وهل للدر يحلب من مرد

انتهى

واختلفوا أهو اسم أو فعل فذهب الأصمعي إلى أنه بمعنى قاربه ما يهلكه أي نزل به وأنشد

فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على الثلاث

أي قارب أن يزيد قال ثعلب لم يقل أحد في أولى أحسن مما قال الأصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب كما روي أن أعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول أولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم أفلت منه وقال

فلو كان أولى يطعم القوم صيدهم ولكن أولى يترك القوم جوعا

والأكثرون على أنه اسم فقيل هو مشتق من الولي وهو القرب كما قال الشاعر

تكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

وقال الجرجاني هو مأخوذ من الويل فهو أفعل منه لكن فيه قلب . الضغن والضغينة الحقد قال عمرو بن كلثوم

فإن الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا

وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا أبطنوا الأحقاد وقد ضغن عليه واضطغنت الصبي أخذته تحت حضنك وأنشد الأحمر كأنه مضطغن صبيا

وقال ابن مقبل وما اضطغنت سلاحي عند معركها . وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري إلا بالضرب وأصل الكلمة من الضغن وهو الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابة والقناة وكل شيء وقال بشر كذات الضغن تمشي في الرفاق . وأنشد الليث

إن قناتي من صليبات القنا ما زادها التثقيف إلا ضغنا

والحقد في القلب يشبه به وقال قطرب والليث الضغن العداوة

قال الشاعر

فلا ابن هند ما أردت بمنطق ساء الصديق وشيد الأضغانا

له بفتح الحاء ألحن لحنا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى عن غيره ولحنه هو بالكسر فهمه وألحنته أنا إياه ولاحنت الناس فاطنتهم وقال الشاعر

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال القتال الكلابي

ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقيل اللحن العدول بالكلام عن الصواب مأخوذ من اللحن في الإعراب وتره نقصه مأخوذ من الذحل وقيل من الوتر وهو الفرد

سورة القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم . هذه السورة مدنية عند الأكثرين وقال الضحاك وابن جبير والسدي مكية وقال ابن عطية مدنية بإجماع

وليس كما قال وعن ابن عباس وقتادة انها مدنية الا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت ويبكي وكاين من قرية الآية ومناسبة اولها لآخر ما قبلها واضحة جدا الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه وهم اهل مكة الذين اخرجوا رسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وهم المطعمون يوم بدر وقال مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب صدوا من اراد منهم او من غيرهم ان يدخل في الاسلام وقال الضحاك عن سبيل الله بيت الله يمنع قاصديه وهو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي اتلفها حيث لم ينتفعوا بها عنها خيرا ولا نفع بل ضر محض وقيل نزلت هذه الآية ببدر وان الاشارة بقوله اضل اعمالهم الى الانفاق الذي انفقوه في سفرهم الى بدر وقيل المراد بالاعمال اعمالهم البرة في الجاهلية من صلة رحم وفك عان ونحو ذلك واللفظ يعم جميع ذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الانصار وقال مقاتل ناس من قريش وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام من وعلى تقدير خصوص السبب في القبيلتين فاللفظ عام يتناول كل كافر وكل مؤمن وآمنوا بما نزل على محمد تخصيصه من بين ما يجب الايمان به تعظيم لشان الرسول واعلام انه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي وهو الحق من ربهم وقيل وهو الحق اي هو ناسخ لغيره ولا يرد عليه النسخ وقرا الجمهور نزل مبنيا للمفعول وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل والاعمش انزل معدي بالهمزة مبنيا للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم اي حالهم قاله قتادة وشانهم قاله مجاهد وامرهم قاله ابن عباس وحقيقة لفظ البال انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا اصلح ذلك فقد صلحت حاله فكان اللفظ مشيرا الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع فذلك اشارة الى ما فعل بالكفار من اضلال اعمالهم وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم واصلاح حالهم وذلك مبتدا وما بعده الخبر اي كاين بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ذلك اي كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا انتهى ولا حاجة الى الاضمار مع صحة الوجه الاول وعدم الاضمار والباطل ما لا ينتفع به وقال مجاهد الشيطان وكل ما يامر به والحق هو الرسول والشرع وهذا الكلام تسميه علماء البيان التفسير كذلك يضرب قال ابن عطية الاشارة الى اتباع المذكورين من الفريقين اي كما اتبعوا هذين السبيلين كذلك يبين امر كل فرقة ويجعل لها ضربها من القول وصفتها وضرب المثل من الضرب الذي هو بمعنى النوع وقال الزمخشري كذلك اي مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وفي ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين

فاذا لقيتم الذين كفروا اي في اي زمان لقيتموهم فاقتلوهم وفي قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اي في اي مكان فعم في الزمان وفي المكان وقال الزمخشري لقيتم من اللقاء وهو الحرب انتهى فضرب الرقاب هذا من المصدر النائب مناب فعل الامر وهو مطرد فيه وهو منصوب بفعل محذوف واختلف فيه اذا انتصب ما بعده فقيل هو منصوب بالفعل الناصب للمصدر وقيل هو منصوب بنفس المصدر لنيابته عن العامل فيه ومثاله ضربا زيدا كما قال الشاعر

على حين الهى الناس جل امورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

وهذا هو الصحيح ويدل على ذلك قوله فضرب الرقاب وهو اضافة المصدر للمفعول ولو لم يكن معمولا له ما جازت اضافته اليه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولما كان القتل للانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته عبر بذلك عن القتل ولا يراد خصوصية الرقاب فانه لا يكاد يتاتى في حالة الحرب ان تضرب الرقاب وانما يتاتى القتل في اي موضع كان من الاعضاء ويقال ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وما فيه عيناه اذا قتله كما عبر بقوله بما كسبت ايديكم عن سائر الافعال لما كان اكثر الكسب منسوبا الى الايدي قال الزمخشري وفي هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه وقد زاد في هذه في قوله فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انتهى ولما في ذلك من تشجيع المؤمنين وانهم من الكفار بحيث هم متمكنون منهم اذا امروا بضرب رقابهم حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان وتمكنوا من اخذ من لم يقتل شدوا وثاق الاسرى فاما منا بالاطلاق واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها والاتها ومنه قول عمرو بن معدي كرب

واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

انشده ابن عطية لعمرو وهذا وانشده الزمخشري للاعشى وقيل الاوزار هنا الآثام لان الحرب لا يكون فيها اثام في احد الجانبين وهذه الغاية قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم وقال قتادة حتى يسلم الجميع وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقال ابن عطية وظاهر اللفظ انها استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان الحرب بين المومنين والكافرين لا تضع اوزارها فجاء هذا كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيامة فانما تريد انك تفعله دائما وقال الزمخشري وسميت يعني الات الحرب من السلاح والكراع اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل وزار اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا والظاهر ان ضرب الرقاب وهو القتل محتما يستمر الى وقت حصول الاثخان وان قوله فاما منا بعد اي بعد الشد واما فداء الخيار للامام او غيره في المسور اما ان يمن عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاطلاق على ثمامة بن اثال الحنفي واما ان يفدى كما روي عنه عليه السلام انه فودي منه رجلان من

لايدمج

هذا

الكفار برجل مسلم وهذه الآية معارض ظاهرها لقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فذهب ابن عباس وقتادة وابن جريج والسدي والضحاك ومجاهد
إلى أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الآية وأن الأسر والمن والفداء مرتفع
فإن وقع أسير قتل ولا يجوز إلا أن يسلم وروي نحوه عن أبي بكر الصديق وذهب ابن عمر
وعمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن إلى أن هذه مخصصة لعموم تلك والمن والفداء
ثابت وقال الحسن لا يقتل الأسير إلا في الحرب يهيب بذلك على العدو وذهب
أكثر العلماء إلى أن أهل الكتاب فيهم المن والفداء وعباد الأوثان ليس فيهم إلا القتل
فخصصوا من المشركين أهل الكتاب وخصصوا من الكفار عبدة الأوثان وأما مذهب
الأئمة اليوم فمذهب أبي حنيفة أن الإمام مخير في القتل والاسترقاق ومذهب الشافعي
أنه مخير في القتل والاسترقاق والفداء والمن ومذهب مالك أنه مخير في واحد من هذه
الأربعة وفي ضرب الجزية والظاهر أن قوله وإما فداء أجاز فداءه بالمال وبمن أسر
من المسلمين وقال الحسن لا يفدى بالمال **وقرأ** السلمي فشدوا بكسر الشين والجمهور
بالضم والوثاق بفتح الواو وفيه لغة الوثاق وهو اسم لما يوثق به وانتصب منا وفداء
بإضمار فعل يقدر من لفظهما أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء وهو فعل يجب
إضماره لأن المصدر جاء تفصيلا لعاقبة فعامله مما يجب إضماره ونحوه

قول الشاعر

لأجهدن فإما درء واقعة تخشى وإما بلوغ السؤل والأمل

أي فإما أدرأ درء واقعة وإما أبلغ بلوغ السؤل وقال أبو البقاء ويجوز أن يكونا مفعولين
أي أولوهم منا واقبلوا فداء وليس بإعراب نحوي **وقرأ** ابن كثير في رواية شبل وإما فدى
بالقصر قال أبو حاتم لا يجوز قصره لأنه مصدر فاديته وهذا ليس بشيء فقد حكى
الفراء فيه أربع لغات فداء لك بالمد والإعراب وفداء لك بالكسر والبناء والتنوين
وفدى لك بالقصر وفدى لك والظاهر من قوله فإما منا المن بالإطلاق كما من
الرسول عليه السلام على ثمامة وعلى أبي عزة الجمحي وفي كتاب الزمخشري كما من على
أبي عروة الجمحي وتابعه الحنفي فغير الكنية والاسم ولعل ذلك من الناسخ لا في أصل
التصنيف وقيل يجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن
عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة والظاهر أن قوله حتى تضع الحرب
أوزارها غاية لقوله فشدوا الوثاق لأنه قد غيا فضرب الرقاب بشد الوثاق
وقت الإثخان فلا يمكن أن يغيا بغاية أخرى لتدافع الغايتين إلا أن كانت
الثانية مبينة للأولى ومؤكدة فيجوز لأن شد الوثاق للأسرى لا يكون إلا حتى
تضع الحرب أوزارها إذا فسرنا ذلك بانتفاء شوكة الكفار المقاتلين إذ ذاك
ويكون الحرب المراد بها التي تكون في وقت لقاء المؤمنين للكفار ويجوز أن يكون
المغيا محذوفا يدل عليه المعنى التقدير الحكم ذلك حتى تضع الحرب أوزارها أي لا يبقى
شوكة لهم وكما قال ابن عطية إنه استعارة يعني إلى يوم القيامة أي اصنعوا ذلك
دائما وقال الزمخشري **فإن قلت** حتى بم تعلقت **قلت** لا تخلو من أن تتعلق
بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله

أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة
وقيل إذا نزل عيسى ابن مريم وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد
فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا يبقى شوكة
للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر
أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء يعني يتأول المن بأن يتركوا من القتل ويسترقوا
أو بالتخلية بضرب الجزية بكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادي بأسارى
المشركين أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا لأبي حنيفة والمشهور أنه
لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين ذلك أي الأمر
ذلك إذا فعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم أي لانتقم منهم ببعض أسباب
الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف ولكن ليبلو
أي ولكن أمركم بالقتال ليبلو بعضكم وهم المؤمنون أي يختبرهم ببعض وهم الكافرون
بأن يجاهدوا ويصبروا والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض
ما وجب لهم من العذاب **وقرأ** الجمهور قاتلوا والجحدري بخلاف عنه قتلوا بفتح
القاف والتاء بغير ألف وقتادة والأعرج والأعمش وأبو عمرو وحفص قتلوا مبنيا
للمفعول والتاء خفيفة وزيد بن ثابت والحسن وأبو رجاء وعيسى والجحدري أيضا
كذلك وشددوا التاء **وقرأ** علي فلن يضل مبنيا للمفعول أعمالهم رفع **وقرئ** يضل
بفتح الياء من ضل أعمالهم رفع سيهديهم أي إلى طريق الجنة وقال مجاهد يهتدي
أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون
عليها وروي عياض عن أبي عمرو ويدخلهم ويوم يجمعكم ليوم الجمع وأما نطعمكم بسكون
لام الكلمة عرفها لهم عن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي
بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله وقال أبو سعيد الخدري ومجاهد
وقتادة معناه بينها لهم أي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفي الحديث لأحدكم
بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا وقيل سماها لهم ورسمها كل منزل
بصاحبه وهذا نحو من التعريف يقال عرف الدار وأرفها أي حددها فجنة كل
أحد مفرزة عن غيرها والعرف والأرف الحدود وقيل شرفها لهم ورفعها وعلاها
وهذا من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها وقال مؤرج وغيره طيبها
مأخوذ من العرف ومنه طعام معرف أي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح
والتابل إن تنصروا الله أي دينه ينصركم أي على أعدائكم بخلق القوة فيكم والجرأة
وغير ذلك من المعارف ويثبت أقدامكم أي في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام
وقرأ الجمهور ويثبت مشددا والمفضل عن عاصم مخففا فتعسا لهم قال
ابن عباس بعدا لهم وابن جريج والسدي حزنا لهم والحسن شتما وابن زيد شقاء
والضحاك رغما وحكى النقاش قبحا والذين كفروا مبتدأ والفاء داخلة في خبر المبتدأ
وتقديره فتعسهم الله تعسا فتعسا منصوب بفعل مضمر ولذلك عطف عليه الفعل
في قوله وأضل أعمالهم ويجوز أن يكون الذين منصوبا على إضمار فعل يفسره قوله
فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له وقال الزمخشري **فإن قلت** علام عطف

قوله وَاَضَلَّ اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم
او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له انتهى واضمار ما هو من لفظ المصدر اولى لان فيه
دلالة على ما حذف وقال ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي
في النار انتهى وفي قوله فتعسا لهم اي هلاكا زيادة تقوية لقلوب المؤمنين
اذ جعل لهم التثبيت وللكفار الهلاك والعثرة ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
يشمل ما انزل من القرآن في بيان التوحيد وذكر البعث والفرائض والحدود وغير ذلك مما
تضمنه القرآن فاحبط اعمالهم اي جعلها من الاعمال التي لا تزكو ولا يعتد بها دمر الله
عليهم اي افسد عليهم ما اختصر به من نفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين
امثالها اي امثال تلك العاقبة او التدميرة التي يدل عليها دمر او الهلكة لان
التدمير يدل عليها او السنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا والوجه الاول
هو الراجح لكون العاقبة منطوقا بها فعاد الضمير على الملفوظ به وما يعلم مفهوما
منفهوم ذلك بان ابتداء وخبر والاشارة بذلك الى النصر في احينا رجاعة والى
الهلاك لما قال وللكافرين امثالها قال ذلك الهلاك الذي حصل للكفار
بايدي المؤمنين بسبب ان الله مولاهم اي ناصرهم ومؤيدهم وان الكافرين لا ناصر لهم
اذ اتخذوا الهة لا تنفع ولا تضر وتركوا عبادة من ينفع ويضر وهو الله تعالى قال
قتادة نزلت هذه الآية يوم احد ومنها انتزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رده
على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم حين قال المشركون ان لنا
عزى ولا عزى لكم ٥ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين
من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة
من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم
والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ٥ يتمتعون
اي ينتفعون بمتاع الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين عن معقبتهم في العاقبة
كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والكاف
في موضع نصب اما على الحال من ضمير المصدر كما تقول س اي يأكلونه اي الاكل مشبها اكل
الانعام واما على انه نعت لمصدر محذوف كما تقول اكثر المعربين اي اكلا مثل اكل
الانعام والمعنى ان اكلهم مجرد من الفكر والنظر كما يقول الجاهل تعيش كما تعيش البهيمة
لا تريد التشبيه في مطلق العيش ولكن في لازمه والنار مثوى لهم اي موضع اقامة
ثم ضرب تعالى مثلا لمكة بالقرى المهلكة على عظمها كقرية عاد وغيرهم والمراد اهلها

قوله عز وجل ان الله يدخل

وكذلك

وكذلك عاد الضمير على ذلك المراد في قوله اهلكناهم ومعنى اخرجتك اي اهلها واسند
الاخراج اليها مجازا والمعنى كانوا سبب خروجك وذلك وقت هجرته عليه السلام الى
المدينة وكما جاء في حديث ورقة بن نوفل يا ليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال
او مخرجي هم وقال ابن عطية ونسب الاخراج الى القرية حملا على اللفظ وقال
اهلكناهم حملا على المعنى انتهى وظاهر هذا الكلام لا يصح لان الضمير في اهلكناهم
ليس عائدا على المضاف الى القرية التي اسند اليها الاخراج بل الى اهل القرية في قوله
وكأين من قرية وهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى ان يكون
في مدلول واحد وكان سيتي كأين معلما عن محدث عنه بشيء الا ان يجاز اسند خبر عن
كأين والظاهر انه في موضع الصفة وفلا ناصر لهم يعني وقت اهلاكهم كأنه قال
فهم لا ينصرون اذ ذاك وقال ابن عباس لما اخرج من مكة الى الغار التفت الى
مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله وانت احب بلاد الله الي فلولا ان
المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فاعدى الاعداء من عدا على الله في حرمه او قتل
غير قاتله وقتل بذحول الجاهلية قال فانزل الله تعالى وكأين من قرية الآية
وتقدم اول السورة عن ابن عباس خلاف هذا القول افمن كان على بينة من ربه استفهام
توقيف وتقرير على كل شيء متفق عليه وهي معادلة بين هذين الفريقين قال
قتادة والاشارة الى الرسول والى كفار قريش انتهى واللفظ عام لاهل الصفتين
ومعنى على بينة على حجة واضحة وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات كمن زين له
سوء عمله وهو الشرك والكفر بالله وعبادة غيره واتبعوا اهواءهم اي شهوات انفسهم
ممن لا يكون له بينة فعبدوا غير الله وهم والضمير في واتبعوا عائد على معنى من وقرئ
امن كان بغير فاء مثل الجنة اي صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء قال النضر بن شميل
كأنه قال صفة الجنة وهو ما تشتهون انتهى فما تشتهون الخبر وفيها انهار تفسير
لتلك الصفة فهو استيناف اخبار عن تلك الصفة وقال س فيما يتلى عليكم مثل
الجنة وقدر الخبر المحذوف متقدما فهو فسر ذلك الذي يتلى وقال ابن عطية
في الكلام حذف يقتضيه الظاهر كأنه قال مثل الجنة في نفس من وعى هذه
الاوصاف وكان ابن عطية قد قال قبل هذا ويظهر ان القصد بالتمثيل هو الى
الشيء الذي يتخيله المرء عند سماعه فهمها كذا فانه يتصور عند ذلك بقاعا
على هذه الصورة وذلك هو مثل الجنة قال وهذه التاويلات يعني قول النضر وقول سيبويه
وما قاله هو يكون قبل قوله كمن هو خالد في النار حذف تقديره اساكن او اهؤلاء اشارة
الى المتقين قيل ويحتمل عندي ان يكون الحذف في صدر هذه الآية كأنه قال امثل اهل
الجنة وهي بهذه الاوصاف كمن هو خالد ويكون مثل مستفهما عنه بغير الف الاستفهام
فالمعنى امثل الجنة وهي بهذه الاوصاف كمن هو خالد في النار ويجيء قوله فيها
انهار في موضع الحال على هذا التاويل انتهى ولم يذكر الزمخشري غير هذا الوجه قال
ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد في النار وقوله
فيها انهار في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز
ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار كأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار

ظاهره

وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار قاله الزمخشري ايضا فان قلت
ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت
هو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي والانكار لانطوائه تحت كلام مصدر بحرف
الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار
فان قلت لم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار
فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة
من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها
الحميم ونظيره قول القائل

افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه
تحت حكم من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار
ارادة ان يصور قبح ما اذن به فكانه قال نعم مثلي يفرح برزية الكرام وبان يستبدل منهم
ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحت كل انكار انتهى وتلخص من هذا الاتفاق على
اعراب مثل الجنة مبتدا واختلفوا في الخبر فقيل هو مذكور وهو كمن هو خالد في النار
وقيل محذوف فقيل مقدر قبله وهو قول س وقيل بعده وكيف بقدره النضر وهو قول
النضر وابن عطية على اختلاف التقدير ولما ثبت الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال
بين الفرق بينهما فيما يؤولان اليه وكما قدم من هو على بينة على من اتبع هواه قدم حاله
على حاله وقرا ابن كثير واهل مكة اسن على وزن فاعل من اسن بفتح السين وقريء
غير يسن بالياء قال ابو علي وذلك على تخفيف الهمز لم يتغير طعمه ولذة تانيث
لذ وهو اللذيذ او مصدر نعت به فالجمهور بالجر على انه صفة لخمر وقريء بالرفع
صفة لانهار وبالنصب اي لاجل لذة فهو مفعول له من عسل مصفى قال ابن عباس ولم
يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ووصفه بمصفى لان الغالب على
العسل التذكير وهو مما يذكر ويؤنث وعن كعب ان النيل ودجلة والفرات وجيحان
تكون هذه الانهار في الجنة واختلف في تعيين كل نهر منها لماذا يكون وبدي
من هذه الانهار بالماء وهو الذي لا يستغني عنه في المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري
مجرى المطعوم في كثير من اوقات العرب وغيرهم ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعوم
تشوقت النفس الى ما تلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من
المشروب والمطعوم فهو متاخر في الحقيقة ولهم فيها من كل الثمرات وقيل المبتدا محذوف
اي لهم فيها زوجان من كل الثمرات وقدره بعضهم بقوله زوجات ومغفرة من ربهم لان المغفرة
قبل دخول الجنة او على حذف اي ونعيم مغفرة اذ المغفرة سبب التنعيم وسقوا عائد
على معنى من وهو خالد على اللفظ وكذا خرجوا عاد على معنى من ومنهم من يستمع كان المنافقون
يحضرون عند الرسول ويسمعون كلامه وتلاوته فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم
وهم السامعون كلام الرسول حقيقة الواعون له ماذا قال آنفا اي الساعة
وذلك على سبيل الهزء والاستخفاف اي لم نفهم ما يقول ولم ندري ما نفع ذلك ومنهم

تلاه

تلاه ابن مسعود وآنفا حال اي مبتدئا اي ما القول الذي ائتنفه قبل انفصالنا عنه
وقرا الجمهور آنفا على وزن فاعل وابن كثير على وزن فعل وقال الزمخشري نصب
على الظرف انتهى وقال ذلك لانه فسره بالساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون
آنفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى والصحيح انه ليس
بظرف ولا نعلم احدا من النحاة عده في الظروف والضمير في زادهم عائد على الله كما اظهر
في قوله طبع الله اذ هو مقابله وكما هو في واتاهم والزيادة في هذا المعنى تكون بزيادة
التفهيم والادلة او بورود الشرع بالامر والنهي والاخبار فيزيد المهتدي لزيادة علم
ذلك كله والايمان به قيل ويحتمل ان يعود على قول المنافقين واضطرابهم لان ذلك
مما يعجب به المؤمن ويحمد الله على ايمانه ويزيد نصرة في دينه وقيل يعود على قول الرسول
واتاهم تقواهم اي اعطاهم اي جعلهم متقين له فتقواهم مصدر مضاف للفاعل
ان ياتيهم بدل اشتمال من الساعة والضمير للمنافقين اي الامر لو وقع في نفسه انتظار
الساعة وان كانوا هم في انفسهم ينتظرون غير ذلك لما في انفسهم غير واع لانه باطل
وقرا ابو جعفر الرواسي عن اهل مكة ان ياتهم على الشرط وجوابه فقد جاء اشراطها وهذا
غير مشكوك فيه لانها آتية لا محالة لكن خوطبوا بما كانوا عليه من الشك ومعناه ان شككتم في اتيانها
فقد جاء اعلامها فالشك راجع الى المخاطبين الشاكين وقال الزمخشري فان قلت
فما جزاء الشرط قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تاتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم
اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ لقوله يومئذ يتذكر الانسان
وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان
الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك اذا اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه وقرا الجعفي
وهارون عن ابي عمرو بغتة بفتح الغين وشد التاء قال صاحب اللوامح وهي صفة
وانتصابها على الحال لا نظير لها في المصادر ولا في الصفات بل في الاسماء نحو الجربة وهو
اسم جماعة والشربة مكان انتهى وكذا قال ابو العباس بن الحاج من اصحاب
الاستاذ ابي علي الشلوبين في كتاب المصادر عن ابي عمرو ان يكون الصواب بغتة بفتح الغين
من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم انتهى وهذا على عادته في تغليط الرواة اشراطها
اي علاماتها فينبغي الاستعداد لها ومن اشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ هو خاتم الانبياء وروي عنه انه قال انا من اشراط الساعة وقال بعثت انا
والساعة كهاتين وكفرسي رهان وقيل منها الدخان وانشقاق القمر وعن الكلبي
كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فانى لهم
اذا جاءتهم ذكراهم الظاهر ان المعنى فكيف لهم الذكرى والعمل بها اذا جاءتهم الساعة
اي قد فاتهم ذلك قيل ويحتمل ان يكون المبتدا محذوف اي فانى لهم الخلاص اذا جاءتهم
الذكرى بما كانوا يخبرون به فيكذبون به متواصلة بالعذاب ثم اضرب عن ذلك المنافقين
وقال فاعلم انه لا اله الا الله والمعنى دم على علمك بتوحيد واحتج بهذا على قول
من قال اول الواجبات العلم والنظر قبل القول والاقرار وفي الآية ما يدل على التواضع
وهضم النفس اذ امره بالاستغفار ومع غيره بالاستغفار متقلبكم تصرفكم في حياتكم الدنيا
ومثواكم اقامتكم في قبوركم وفي آخرتكم وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الآباء الى ارحام الام

فقد جاء ح

قوله عز وجل ويقول الذين آمنوا

ومثواكم اقامتكم في الارض وقال الطبري وغيره متقلبكم تصرفكم في يقظتكم ومثواكم منامكم
وقيل متقلبكم في معايشكم ومتاجركم ومثواكم حيث تستقرون من منازلكم وقيل متقلبكم بالنهار
وابن عباس بالنون ۞ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا
على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم
۞ كان المؤمنون حريصين على ظهور الاسلام وعلو كلمته وتمني قتال العدو وكانوا يستانسون
بالوحي ويستوحشون اذا ابطا والله قد جعل ذلك ميقاتا مضروبة لا تتعدى فمدح تعالى
المؤمنين بطلبهم انزال سورة والمعنى تتضمن امرنا بمجاهدة العدو وفضح امر المنافقين
والظاهر ان طالبي ذلك هم خلص في ايمانهم ولذلك قال بعد رايت الذين في قلوبهم
مرض وقال الزمخشري كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون
لولا نزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرضوا عليه كاعوا وشق
عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
انتهى وفيه تحويف لما يدل عليه لفظ القرآن ولولا بمعنى هلا وعن ابي مالك لا زائدة
والتقدير لو نزلت وهذا ليس بشيء وقرئ فاذا نزلت وقرا زيد بن علي سورة محكمة
بنصبهما ومرفوع نزلت بضم وسورة نصب على الحال وقرا هو وابن عمير وذكر مبنيا
للفاعل اي الله فيها القتال نصب والجمهور برفع سورة محكمة على انه مفعول لم يسم
فاعله وبنا وذكر للمفعول والقتال رفع به واحكامها كونها لا تنسخ قال قتادة كل
سورة فيها القتال فهي محكمة من القرآن لا بخصوصية هذه الآية وذلك ان القتال
نسخ ما كان من المهادنة والصلح وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل محكمة بالحلال
والحرام وقيل محكمة اريدت مدلولات الفاظها على الحقيقة دون المتشابه الذي
به المجاز نحو قوله على العرش استوى في جنب الله فضرب الرقاب رايت الذين في قلوبهم
مرض هو استعارة لفساد المعتقد من مرض الاجسام ينظرون اليك اي تشخص ابصارهم
جبنا وهلعا نظر المغشي عليه من الموت اي نظرا كما ينظر من اصابته الغشية من اجل
حلول الموت وقيل يفعلون ذلك وهو شخوص البصر الى الرسول من شدة العداوة
وقيل من خشية الفضيحة فانهم ان تخلفوا عن القتال افتضحوا وبان نفاقهم واولى
لهم تقدم شرحه في المفردات وقال قتادة كانه قال العقاب اولى لهم
وقيل وليهم المكروه واولى وزنه افعل واقلع على الاختلاف الاشتقاق الذي
ذكرناه في المفردات فعلى قول الجمهور انه اسم يكون مبتدا والخبر لهم وقيل اولى مبتدا
ولهم من صلته وطاعة خبر وكان اللام بمعنى الباء كانه قيل فاولى لهم طاعة
ولم يتعرض الزمخشري لاعرابه وانما قال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه

والموعظة

وعلى قول الاصمعي انه فعل يكون فاعله مضمرا يدل عليه المعنى واضمر لكثرة الاستعمال
كانه قال قارب لهم ما يهلكهم قال ابن عطية والمشهور من استعمال
العرب انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك
فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القوة فتقول على جهة الزجر اولى لك
يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله اولى لك فاولى وقول الصديق
للحسن رضي الله عنهما اولى لك انتهى والاكثرون على ان طاعة وقول معروف
كلام مستقل محذوف منه احد الجزئين اما الخبر وتقديره امثل وهو قول مجاهد ومذهب
س والخليل واما المبتدا وتقديره الامر او امرنا طاعة اي الامر المرضي لله طاعة
وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة
وقول معروف وقولهم هذا على سبيل الهزء والخديعة وقال قتادة الوقف
على فاولى ولهم طاعة ابتدا وخبر والمعنى ان ذلك منهم على جهة الخديعة وقيل
طاعة صفة لسورة اي فاذا انزلت سورة ذات طاعة او مطاعة وهذا القول ليس بشيء للحيلولة
الفصل الكثير بين الصفة والموصوف فاذا عزم الامر اي جد والعزم الجد
وهو لاصحاب الامر واستعير للامر كما قال تعالى لمن عزم الامور ۞

وقال الشاعر

۞ قد جدت بهم الحرب فجدوا ۞ والظاهر ان جواب اذا قوله فلو صدقوا
الله كما تقول اذا كان الشتاء فلو جئتني لكسوتك وقيل الجواب محذوف تقديره
فاذا عزم الامر هو او نحوه قاله قتادة ومن حمل طاعة وقول معروف على انهم
يقولون ذلك خديعة قدره فاذا عزم الامر فاقوا وتقاعسوا وقدره ابو البقاء
ناقضوا فلو صدقوا الله فيما زعموا من حرصهم على الجهاد او في ايمانهم وواطات
قلوبهم فيه السنتهم او في قولهم طاعة وقول معروف فهل عسيتم التفات
للذين في قلوبهم مرض اقبل بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ وتوقيفهم
على سوء مرتكبهم وعسى تقدم ذلك الخلاف في لغتها وفي القراءة فيها اذا اتصل
بها ضمير الخطاب في سورة البقرة واتصال الضمير بها لغة الحجاز وبنو تميم
لا يلحقون بها الضمير وقال ابو عبد الله الرازي وقد ذكروا ان عسى يتصل بها
ضمير الرفع وضمير النصب وانها لا يتصل بها ضمير ثم قال واما قول من قال
عساك تفوز وعساني انا اقوم فدون ما ذكرنا لك تطويل الذي فيه انتهى ولا
اعلم احدا من نحاة العرب ذكر ان اتصال الضمير بعسى وفصل بين عسى وخبرها بالشرط
وهو ان توليتم وقرا الجمهور ان توليتم ومعناه ان اعرضتم عن القتال فتعودوا الى
جاهليتكم او اعرضتم عن الاسلام قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن
كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن يشير الى ما جرى
من الفتنة بعد زمان الرسول وقال كعب ومحمد بن كعب وابو العالية والكلبي
ان توليتم اي امور الناس من الولاية ويشهد لها قراءة وليتم مبنيا للمفعول وعلى
هذه قيل نزلت في بني هاشم وبني امية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان توليتم بضم
التاء والواو وكسر اللام وبها قرا علي واويس اي ان وليكم ولاة جورة خرجتم الى

دنياهم دون امام العدل وعلى معنى ان توليتم بالتعذيب والتنكيل وافعال العرب
في جاهليتها وسيرتها من الغارات والنهابات فان كانت تمرح الى الفساد في الارض
وقطيعة الرحم وقيل معناه ان توليتم امر الناس وكلكم الله اليهم والاظهر ان ذلك
خطاب للمنافقين في امر القتال وهو الذي سبقت الايات فيه اي ان اعرضتم
عن امتثال امر الله في القتال ان تفسدوا في الارض بعدم معونة اهل الاسلام
فاذا لم تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ويدل على ذلك اولئك الذين
لعنهم الله فالايات كلها في المنافقين وهذا التوقع الذي في عسى ليس منسوبا اليه
تعالى لانه عالم بما كان وبما يكون وانما هو بالنسبة لمن عرف المنافقين كانه يقول
لهم لنا علم من حيث ضعفكم هل يتوقع منكم اذا اعرضتم عن القتال ان يكون كذا وكذا
وقرأ الجمهور تقطعوا بالتشديد على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام ويعقوب وابان
وعصمة بالتخفيف مضارع قطع والحسن وتقطعوا بفتح التاء والقاف على اسقاط
حرف الجر اي في ارحامكم لان تقطع لازم اولئك اشارة الى المرضى القلوب فاصمهم
عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم عن طريق الهدى وقال الزمخشري لعنهم الله
لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا انتهى وهو على طريق الاعتزال
وجاء التركيب فاصمهم ولم يات فاصم اذانهم وجاء واعمى ابصارهم ولم يات واعماهم
قيل لان الاذن لو اصيبت بقطع او قلع لسمع الكلام فلم يحتج الى ذكر الاذن والبصر
وهو العين لو اصيبت لانتفى الابصار فالعين لها مدخل في الرؤية والاذن لا مدخل
لها في السمع انتهى ولهذا جاء وعلى سمعهم وجعل لكم السمع ولم يات وعلى اذانهم ولا يات
وجعل لكم الاذان وحيث ذكر الاذن نسبت اليه الوقر وهو دون الصمم كما قال
وفي اذاننا وقر افلا يتدبرون اي يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد
العصاة وهو استفهام توبيخ وتوقيف على مخازيهم ام على قلوب اقفالها قاسية
واصاف الاقفال اليها استعارة للذين منهم الايمان وام منقطعة بمعنى بل والهمزة
للتقرير ولا يستحيل عليهم ان قلوبهم مقفلة لا يصل اليها ذكر ولم يحتج الى تعريف القلوب
لانه معلوم انها قلوب من ذكر ولا حاجة الى تقدير صفة محذوفة اي ام على قلوب
اقفالها قاسية واصاف الاقفال اليها اي الاقفال المختصة وهي اقفال
الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها بكسر الهمزة وهو مصدر واقفالها
بالجمع على افعال ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى قال
قتادة نزلت في قوم من اليهود وكانوا عرفوا امر الرسول من التوراة وتبين لهم
بهذا الوجه فلما باشروا امره حسدوه فارتدوا عن ذلك القدر من الهدى
وقال ابن عباس وغيره نزلت في منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم
والاية تعم كل من دخل في ضمن لفظها وتقدم الكلام على سول في سورة
يوسف وقال الزمخشري هنا سول لهم ركوب العظائم من السول وهو
الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى
وقال ابو علي الفارسي بعيني وكلهم من السول وهو الاسترخاء والدلي وقال
غيره دلاهم سول لهم وقال ابن بحر اعطاهم سؤلهم وقال الزمخشري وقد

اسيفه الى اخرا ابليس بجيد لانه توهم ان السول الاصل الهمزة واختلفت المادتان
اوعين سول واو وعين السول همزة والسول مهموز والسول مادتان احديهما
الهمز من سال السبيل والثانية الواو من سال يسيل فاذا كان هكذا فسول يجوز ان يكون
من ذوات الواو ولا من ذوات الهمز وقال صاحب اللوامح والتسويل اصله من الارخاء
ومنه قد لا يمتنعا يغرورا السول استرخاء البطن وقرأ زيد بن علي سول اي كيده سول
لهم على تقدير حذف مضاف وقرأ الجمهور واملى لهم مبنيا للفاعل والظاهر انه يعود
على الشيطان وقاله الحسن وجعل وعده الكاذب بالبقاء كالابقاء والابقاء هو البقاء
ملاوة من الدهر يمد لهم في الامال والاماني قيل ويحتمل ان يكون فاعل املى ضمير
يعود على الله قيل وهو الارجح لان حقيقة الاملاء انما هو من الله تعالى وقرأ ابن سيرين
والجحدري وشيبة وابو عمرو وعيسى واملي مبنيا للمفعول اي امهلوا ومدوا في عمرهم
وقرأ مجاهد وابن هرمز والاعمش وسلام ويعقوب واملي بهمزة المتكلم مضارع
املى اي وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم ويجوز ان يكون ماضيا سكنت منه الياء كما
تسكن في بقي بسكون الياء ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وروي ان
قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في امر الرسول والخلاف عليه
بنصر ومؤازرة وذلك قوله سنطيعكم في بعض الامر وقيل الضمير في قالوا للمنافقين
والذين كرهوا ما نزل الله هم قريظة والنضير وبعض الامر قول المنافقين لهم
لئن اخرجتم لنخرجن معكم قاله ابن عباس وقيل بعض الامر التكذيب بالرسول وبلا
اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول الفريقين اليهود والمنافقين
للمشركين سنطيعكم في التظاهر على عداوة الرسول والقعود عن الجهاد معه ولعيب
في بعض الامر في بعض ما يامرون به او في بعض الامر الذي يهمكم وقرأ الجمهور اسرارهم
بفتح الهمزة وكانت اسرارهم كثيرة وابن وثاب وطلحة والاعمش وعيسى وحمزة
والكسائي وحفص بكسرها وهو مصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم وافشاه الله عليهم
وقال ابو عبد الله الرازي الاظهر ان يقال والله يعلم اسرارهم ما في قلوبهم من العلم
بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا معاندين مكابرين وكانوا يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم انتهى فكيف اذا توفتهم الملائكة تقدم شرح
الذين في قلوبهم مرض وهلعهم لاجل القتال وتقدم قول المرتدين وما يلحقهم في ذلك
من خزايم على طواعية الكاذبين مما انزل الله وتقدم والله يعلم اسرارهم فجاء هذا
الاستفهام الذي معناه التوقيف عقيب هذه الاشياء فقال الطبري فكيف علمه
بها اي باسرارهم اذا توفتهم الملائكة وقيل فكيف يكون حالهم مع الله فيما
ارتكبوه من ذلك القول وقيل كيف حالهم اذا توفتهم الملائكة وقرأ الاعمش توفاهم
بالف بدل التاء فاحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا حذفت منه التاء والظاهر ان
وقت التوفي هو عند الموت وقال ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة
في وجهه وفي دبره والملائكة ملك الموت والمصرفون معه وقيل هو وقت القتال
نصرة للرسول بضرب وجوههم ان يثبتوا وادبارهم ان هربوا والملائكة ملائكة النصر
والظاهر ان يضربون حال من الملائكة وقيل حال من الضمير في توفاهم وهو ضعيف

قوله عز وجل ام حسب الذين

ذلك أي ذلك الضرب للوجوه والأدبار بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وهو الكفر وكتمان
نعت الرسول وتسويل الشيطان أقول إذ المتبع للشيء هو مقبل بوجهه عليه فناسب ضرب
الملائكة وجوههم وكرهوا رضوانه وهو الإيمان بالله واتباع دينه والكاره للشيء مول عنه
فناسب ضرب الملائكة دبرهم ففي ذلك مقابلة أمرين بأمرين ٥ أم حسب الذين في قلوبهم
مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول
والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم إن الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله
شيئا وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا
وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم إنما الحياة الدنيا لعب
ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا
ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل
فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم
إخراج أضغانهم وهو حقودها إبرازها للرسول والمؤمنين والظاهر أنها من رؤية البصر
لعطف العرفان عليه وهو معرفة القلب واتصال الضمير في أريناكهم وهو الأفصح وإن كان
يجوز الانفصال وفي هاتين الجملتين تعريض لشهرتهم لكنه لم يعينهم بأسمائهم إبقاء عليهم
وعلى قراباتهم واكتفاء منهم بما يتظاهرون به من اتباع الشرع وإن أبطنوا خلافه ولتعرفنهم
في لحن القول كانوا يصطلحون فيما بينهم من ألفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره
حسن ويعنون به القبيح وكانوا أيضا يصدر منهم الكلام يشعر بالاتباع وهم بخلاف
ذلك كقولهم عند النصر إنا كنا معكم وغير ذلك كقولهم لئن رجعنا إلى المدينة وقولهم
إن بيوتنا عورة والظاهر أن الإراءة والمعرفة بالسيما وجود المعرفة في المستقبل بلحن
القول واللام في فلعرفتهم هي الداخلة على جواب لو لأن المعطوف على الجواب جواب
وفي ولتعرفنهم لام جواب القسم المحذوف والله يعلم أعمالكم خطاب عام يشمل المؤمن
والكافر وقيل خطاب للمؤمنين فقط وقرأ الجمهور ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
ونبلو بالنون فيها لنا وأبو بكر بالياء فيهن والأولى ونبلو بإسكان الواو وبالنون والأعمش
بإسكانها وبالياء وذلك على القطع أعلمنا بأن ابتلاءه دائم ومعنى حتى نعلم المجاهدين
أي نعلمهم المجاهدين مجاهدين قد خرج جهادهم إلى الوجود وبان هنالكم الذي يتعلق
به ثوابهم إن الذين كفروا ناس من بني إسرائيل وتبين هداهم معرفتهم بالرسول من التوراة
أو هم قوم كان الإيمان قد داخل قلوبهم ثم نكروا فقتوا والمطعمون سفرة بدر وتبين
الهدى وجوده عند الداعي إليه أو سماعه في كل كافر وتبين الهدى من حيث كان
في نفسه أقوال وسيحبط أعمالهم التي كانوا يرجون بها انتفاعا وأعمالهم التي
كانوا يكيدون بها الرسول ودين الإسلام يا أيها الذين آمنوا قيل نزلت في بني اسرايل
أسلموا وقالوا للرسول الله قد آثرناك وجئناك بنفوسنا وأهلنا كأنهم منوا بذلك
فنزلت فيهم هذه وقوله تعالى يمنون عليك أن أسلموا فعلى هذا يكون ولا تبطلوا
أعمالكم بالمن وبالإسلام وعن ابن عباس بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق

وعن

وعن حذيفة بالكبائر وقيل بالعجب فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وعن مقاتل
بعصيانكم للرسول وقيل أعمالكم صدقاتكم بالمن والأذى ثم ماتوا وهم كفار عام في الموجب
لانتفاء الغفران ووفاتهم على الكفر وقيل هم أهل القليب وقيل نزلت بسبب عدي
ابن حاتم رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال كانت له أفعال
بر فما حاله قال هو في النار فبكى عدي وولى فدعاه فقال له أبي وأبوك وأبو إبراهيم
خليل الرحمن في النار ونزلت فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وهو الصلح وقرأ الجمهور
وتدعوا مضارع دعا والسلمي بتشديد الدال أي تفتروا والجمهور إلى السلم بفتح السين
والحسن وأبو رجاء والأعمش وعيسى وطلحة وحمزة وأبو بكر بكسرها وتقدم الكلام على
السلم في البقرة في قوله ادخلوا في السلم كافة وقال الزمخشري وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا إذا ادعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا انتهى والتلاوة بغير
لا وكان يجب أن يأتي بلفظ التلاوة فيقول وقرئ وتدعوا وتدعوا معطوف على تهنوا
فهو مجزوم ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن وأنتم الأعلون أي الغالبون وهذه
الجملة حالية وكذا والله معكم ويجوز أن تكون الجملتان استئناف إخبار وأنتم الأعلون
فهو إخبار بمغيب الوجود ثم ارتقى إلى رتبة أعلى من التي قبلها وهي كون الله تعالى
معهم ولن يتركم قال ابن عباس ولن يبطلكم وقيل لن يفردكم من ثواب أعمالكم وقيل
ولن ينقصكم وقال الزمخشري وقاله قبله أبو عبيدة والمبرد ولن يتركم من وترت
الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو قريبة قالا أو ذهبت بماله فأنك
وهو حقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل
وتعطيل ثوابه بوتر الوار وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهما قتلا ونهبا إنما الحياة
الدنيا لعب ولهو تحقير لأمر الدنيا أي فلا تهنوا في الجهاد والأجر عنه بذلك باعتبار
ما يختص بها من ذلك وأما ما فيها من الطاعة وأمر الآخرة فليس بذلك يؤتكم أجوركم
أي ثواب أعمالكم من الإيمان والتقوى ولا يسألكم أموالكم قال سفيان بن عيينة
أي كثيرا من أموالكم إنما يسألكم ربع العشر فطيبوا أنفسكم وقيل الحاجة إليها بل يرجع ثواب
إنفاقكم إليكم وقيل إنما يسألكم أموالكم لأنه هو المالك لها حقيقة وهو المنعم بإعطائها
وقيل الضمير في يسألكم للرسول أي لا يسألكم أجرا على تبليغ الرسالة كما قال تعالى
قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن يسألكموها جميعها فيحفكم أي يبالغ
في الإلحاح تبخلوا ويخرج أضغانكم أي تطعنون على الرسول وتضيق صدوركم لذلك
وتحقدون دينا يذهب بأموالكم وقرأ الجمهور ويخرج أضغانكم جزما على جواب
الشرط والفعل مسندا إلى الله أو إلى الرسول أو إلى البخل وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو
ويخرج بالرفع على الاستئناف بمعنى وهو يخرج وحكاها أبو حاتم عن عيسى وفي اللوامح
عن عبد الوارث عن أبي عمرو ونخرج بالنون وفتحها وضم الراء والجيم أضغانكم بالرفع بمعنى
وهو يخرج أو سيخرج أضغانكم رفع بفعله وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن سيرين
وابن محيصن وأيوب بن المتوكل واليماني وتخرج بتاء التأنيث مفتوحة أضغانكم
رفع به ويعقوب ونخرج بالنون أضغانكم رفعا وهي مروية عن عيسى إلا أنه فتح الجيم

باضمار ان فالواو عاطفة على مصدر متوهم اي بكف بخلكم واخراج اضغانكم وهذا الذي
خيف ان يعتري المؤمنين هو الذي تقرب به محمد بن مسلمة الى كعب بن الاشرف وتوصل
به الى قتله حين قال له ان هذا الرجل قد اكثر علينا وطلب منا الاموال ها انتم هؤلاء
كررها التنبيهية توكيدا وتقدم الكلام على هذا التركيب في سورة آل عمران
وقال الزمخشري هؤلاء موصولا بمعنى الذي صلته تدعون اي انتم الذين تدعون
او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا
فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله انتهى وكون هؤلاء موصولا لا اذا تقدمها ما
الاستفهامية باتفاق او من الاستفهامية باختلاف في سبيل الله قيل الغزو وقيل
الزكاة واللفظ اعم ومن يبخل اي بالصدقة وما اوجب الله عليه فانما يبخل عن
نفسه اي لا يتعدى ضرره لغيره وبخل يتعدى بعلى وبعن يقال بخلت عليه وعنه
وضننت عليه وعنه وكانهما اذا عديا بعن ضمنا معنى الامساك كانه قيل امسكت
عنه بالبخل والله الغني وانتم الفقراء اي الغني مطلقا اذ يستحيل عليه الحاجات
وانتم الفقراء مطلقا لافتقاركم الى ما تحتاجون اليه في الدنيا والى الثواب في الآخرة
وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا اي وان تتولوا اي عن الايمان والتقوى يستبدل
قوما غيركم اي يخلق قوما غيركم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما
كما قال ويأت بخلق جديد وتعيين اولئك القوم وانهم الانصار او التابعون
او اهل اليمن او كندة والنخع او العجم او فارس والروم او الملائكة اقوال
والخطاب لقريش او لاهل المدينة قولان وروى ابو هريرة انه عليه السلام
سئل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وان صح هذا الحديث
وجب المصير في تعيين ما ابهم من قوله قوما غيركم الى تعيين الرسول ثم لا يكونوا
امثالكم اي في الخلاف والتولي والبخل والله تعالى اعلم ظفر بالشيء غلب
عليه واظفره غلبه المعرة المكروه والمشقة الملاصقة ماخوذ من العر والعرة
وهو الجرب الصعب اللازم الشطء الفراخ اشطأ الزرع افرخ والشجرة اخرجت
غصونها آزر ساوى طولا قال الشاعر

بمحنية قد آزر الضال نبتها ... بجر جيوش غانمين وخيب

اي ساوى نبتها الضال طولا وهو شجر ووزنه افعل لقولهم في المضارع يؤزر

المفردات

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن

السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على
نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هذه السورة مدنية
وعن ابن عباس انها نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل والصحيح انها نزلت
بالطريق منصرفه صلى الله عليه وسلم من الحديبية سنة ست من الهجرة فهي تعد في المدني
ومناسبتها لما قبلها انه تقدم وان تتولوا الآية وهي خطاب لكفار قريش اخبر رسوله
بالفتح العظيم وانه عنده لفتح حصل الاستبدال وامن كل من كان بها وصارت مكة
دار ايمان ولما قفل صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية تكلم المنافقون وقالوا لو كان
محمد نبيا ودينه حقا ما صد عن البيت ولكان فتح مكة فاكذبهم الله تعالى واضاف
عز وجل الفتح الى نفسه اشعارا بانه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد واكده بالمصدر
ووصفه بانه مبين مظهر لما تضمنه من النصر والتأييد والظاهر ان هذا الفتح هو فتح
مكة وقاله الكلبي وجماعة وهو المناسب لآخر السورة التي قبل هذه لما قال
ها انتم هؤلاء تدعون الآية بين انه فتح لهم مكة وغنموا وحصل لهم اضعاف
ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم وايضا لما قال
وانتم الاعلون والله معكم بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلين ولما قال
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم كان فتح مكة حيث لم يلحقهم وهن ولا دعوا الى الصلح بل اتى
صناديد قريش مستأمنين مستسلمين وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي وان
كان لم يقع لان اخباره تعالى بذلك لا بد من وقوعه وكون هذا الفتح هو فتح مكة بدأ
به الزمخشري وقال الجمهور هو فتح الحديبية وقاله الشعبي والزهري قال
ابن عطية وهو الصحيح انتهى ولم يكن فيه قتال شديد ومن ترام من القوم بحجارة
وسهام وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حتى سألوا الصلح قال الشعبي بلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس
ففرح المسلمون بظهور اهل الكتاب على المجوس واطعموا نخل خيبر وقال الزهري
لم يكن فتح اعظم من فتح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكن
الاسلام من قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال
القرطبي فما مضت تلك السنون الا والمسلمون قد جاؤوا الى مكة في عشرة آلاف
وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم من الحديبية ما هذا الفتح لقد صدونا
عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون
ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان
وراوا منكم ما كرهوا وكان في فتحها آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق
فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى
شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد
وقال الزمخشري فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا

بالحديبية **قلت** كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا انتهى
وفي هذا الوقت اتفقت بيعة الرضوان وهو الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله
والبراء بن عازب وفيه استقبل فتح خيبر وامتلأت ايدي المؤمنين خيرا ولم يفتحها
الا اهل الحديبية ولم يشركهم احد من المتخلفين عن الحديبية وقال مجاهد هو فتح خيبر
وفي حديث مجمع بن جارية شهدنا الحديبية فلما انصرفنا اذا الناس يهزون الاباعر
فقيل ما بال الناس قالوا اوحي الله للنبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف
فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ النبي صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اوفتح هو
يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية
ولم يدخل فيها احدا الا من شهد الحديبية وقال الضحاك الفتح حصول المقصود
بغير قتال وكان الصلح من الفتح وفتح مكة بغير قتال والفتحين الحديبية
ومكة وقيل فتح الله تعالى له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا
فتح ابين منه وهو اعظم الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب
منه وقيل قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل
ليطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة قال الزمخشري
فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة **قلت** لم يجعل علة للمغفرة ولكن
لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك
ليجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة
من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد
عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر فاذا ظفر به وحصل
في اليد فقد فتح انتهى وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك لكي يجعل
ذلك علامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة ولهذا قال عليه السلام
لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا انتهى وقال صاحب
الغنيان هي لام القسم وكسرت وحذف النون من الفعل تشبيها بلام كي انتهى
ورد بان لام القسم لا تكسر ولا تنصب ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد في معنى
ليقومن زيد انتهى اما الكسر فقد علل بانه شبهت تشبيها بلام كي واما النصب
فله ان يقول ليس هذا نصبا لكنها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت
بعد حذفها دلالة على الحذف وبعد هذا فهذا القول ليس بشيء اذ لا يحفظ من
لسانهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل
مفتوحا ويتم نعمته عليك باظهارك على عدوك ورضاه عنك وبفتح مكة و
الطائف وحنين نصرا عزيزا اي بالظفر والتمكن من الاعداء بالغنيمة والاسر
والقتل نصرا فيه عز ومنعة واسندت العزة اليه مجازا والعزيز حقيقة
هو المنصور صلى الله عليه وسلم واعيد لفظ الله في وينصرك الله لما بعد
عن ما عطف عليه اذ في الجملتين قبله ضمير يعود على الله وليكون المبدأ مسندا

الى الاسم

الى الاسم والمنتهي كذلك ولما كان الغفران واتمام النعمة والهداية والنصر
يشترك في اطلاقها الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره بقوله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقوله
يهدي من يشاء وقوله وانهم لهم المنصورون وكان الفتح لم يتفق لاحد الا للرسول
صلى الله عليه وسلم اسنده تعالى الى نون العظمة تفخيما لشانه واسند تلك الاشياء
الاربعة الى الاسم الظاهر واشركت الخمسة في الخطاب له عليه الصلاة والسلام
تانيسا له وتعظيما لشانه ولم يات بالاسم الظاهر لان في الاقبال على المخاطب
ما لا يكون في الاسم الظاهر هو الذي انزل السكينة وهي الطمأنينة والسكون
قيل بسبب الصلح والامن فيعرفون فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف
والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكينة اشارة الى
ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا الى ايمانهم وهو
التوحيد روي معناه عن ابن عباس وقيل الوقار والعظمة به ولرسوله وقيل الرحمة
ليتراحموا وقال ابن عباس ولله جنود السموات والارض اشارة الى تسليم الاشياء اليه
تعالى ينصر من يشاء وعلى اي وجه شاء ومن جنده السكينة ثبتت قلوب المؤمنين
ليدخل هذه اللام تتعلق قيل بانا فتحنا لك وقيل بقوله ليزدادوا **فان قيل**
ويعذب عطف عليه والازدياد لا يكون سببا لتعذيب الكفار **اجيب** عن هذا
بانه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة
ويعذب الكفار بايديكم في الدنيا وقيل بقوله وينصرك الله اي بالمؤمنين
وهذه الاقوال وفيها بعد وقال الزمخشري ولله جنود السموات والارض
يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان صلح قلوب المؤمنين
بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة
الله ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك وكرهوا انتهى ولا يظهر من كلامه هذا ما تتعلق به اللام والذي يظهر انها
تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام وذلك انه قال ولله جنود السموات والارض
كان في ذلك دليل على انه تعالى يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من قضى له
بالخير والشر من قضى له بالشر ليدخل المؤمنين جنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق
بيبتلي هذه وما تعلق بالابتلاء من قبول الايمان والكفر ويكفر معطوف على ليدخل
وثم ترتيب في الذكر لا ترتيب في الوقوع وكان التبشير بدخول الجنة اهم فبدئ به
ولما كان المنافقون اكثر ضررا على المسلمين من المشركين بدئ بذكرهم في التعذيب
الظانين بالله ظن السوء الظاهر انه مصدر اضيف الى ما يسوء المسلمين المؤمنين
وموات المشركين يستاصلونهم ولا ينصرون ويدل عليه عليهم دائرة السوء وبل
ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وقيل ظن السوء ما يسوء
المشركين من ايصال الهموم اليهم بسبب علو كلمته وتسليط رسوله قتلا واسرا ونهبا
ثم اخبر انهم يستعلي عليهم السوء ويحيط بهم فاحتمل ان يكون خبرا حقيقة واحتمل
ان يكون هو وما بعده دعاء عليهم وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في سورة براءة

وقيل ظن السوء يشمل ظنونهم الفاسدة من الشرك كما قال تعالى إن يتبعون إلا الظن
ومن انتفاء رؤية الله تعالى الأشياء وعلمه بها كما قال ولكن ظننتم أن الله لا يعلم
كثيرا وبطلان خلق العالم كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء هنا كناية
عن الفاسد كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء هنا كما تقول هذا فعل
سوء قرأ الحسن السوء فيهما بضم السين وكان الله عزيزا حكيما لما تقدم تعذيب
الكفار والانتقام منهم ناسب ذكر العزة ولما وعد تعالى بمغيبات ناسب ذكر
العلم وقرن بالعظمتين ذكر جنود السموات والأرض فمنها السكينة التي للمؤمنين
والنقمة للمنافقين والمشركين ومن جنود الله الملائكة في السماء والغزاة في سبيل الله
في الأرض وقرأ الجمهور لتؤمنوا وما عطف عليه بتاء الخطاب وأبو جعفر وأبو حيوة
وابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة والجحدري بفتح التاء وضم الزاي خفيف وهو أيضا
وجعفر بن محمد كذلك إلا أنهم كسروا الزاي وابن عباس واليماني بزايين من العزة
وتقدم الكلام في وعزروه في الأعراف والظاهر أن الضمائر عائدة على الله تعالى
والتفريق الضمائر بجعلها للرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها لله تعالى حيث يليق قول
الضحاك بكرة وأصيلا قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر إن الذين
يبايعونك هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم
الأهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان فقد بعثه إلى قريش
يعلمهم أنه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية بايعهم على الصبر
المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد ولذلك قال سلمة بن الأكوع وغيره
بايعنا على الموت وقال ابن عمر وجابر على أن لا نفر والمبايعة مفاعلة من البيع
لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وبقي اسم البيعة
بعد على معاهدة الخلفاء والملوك إنما يبايعون الله أي صفقتهم إنما يمضيها
ويمنح الثمن الله عز وجل وقرأ تمام بن العباس بن عبد المطلب إنما يبايعون لله
أي لأجل الله ولوجهه والمفعول محذوف أي إنما يبايعونك لله يد الله فوق
أيديهم قال الجمهور اليد هنا النعمة أي نعمة الله في هذه المبايعة لما يستقبل
من محاسنها فوق أيديهم التي مدوها لبيعتك وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك
ونصرهم وقال الزمخشري لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل
فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يدي
المبايعين يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى
تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله
تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر
نكثه إلا على نفسه انتهى وقرأ زيد بن علي ينكث بكسر الكاف وقال جابر بن عبد الله
ما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره ولم
يسر مع القوم فحرم وقرأ الجمهور عليه الله بنصب الهاء وقرئ بما عهد بلا ألف
وقرأ الحميدي فسيؤتيه بالياء والحرميان وابن عامر وزيد بن علي بالنون
أجرا عظيما هي الجنة والوفي لغة تهامية ٥ سيقول لك المخلفون من الأعراب

المبايعة

قوله عز وجل سيقول لك

شغلتنا

شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم
قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون
خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم
وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين
سعيرا ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما
سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون
أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا
بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد
تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل
يعذبكم عذابا أليما ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه
عذابا أليما ٥ قال مجاهد وغيره ودخل كلام بعضهم في بعض المخلفون من الأعراب
هم جهينة ومزينة وغفار وأشجع والديل وأسلم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا
له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم
أنه لا يريد حربا ورأى أولئك الأعراب أنه يستقبل عدوا عظيما من قريش وثقيف
وكنانة والقبائل والمجاورين بمكة وهم الأحابيش ولم يكن الإيمان تمكن من قلوبهم
فقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه
السفرة ففضحهم الله عز وجل في هذه الآية وأعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم
قبل أن يصل إليهم فكان كذلك شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا وهذا اعتذار
منهم عن تخلفهم أي لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم وبدؤوا بذكر الأموال
لأن بها قوام العيش وعطفوا الأهل لأنهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من
حفظ المال وقرئ شغلتنا بتشديد الغين حكاه الكسائي وهي قراءة إبراهيم بن نوح
بن باذان عن قتيبة ولما علموا أن ذلك التخلف عن الرسول كان معصية سألوا أن
يستغفر لهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم الظاهر أنه راجع إلى الجملتين
المعمولتين للقول من الطلب وطلب الاستغفار رحبت منهم وإظهارا أنهم مؤمنون
عاصون وقال الطبري هو راجع إلى قولهم فاستغفر لنا يريد أنهم قالوا ذلك
مصانعة من غير توبة ولا ندم قل فمن يملك أي من يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم
ضرا من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة أي هو تعالى المتصرف فيكم
وليس حفظكم أموالكم وأهليكم بمانع من ضياعها إذا أراد الله تعالى وقرأ الجمهور
ضرا بفتح الضاد والأخوان بضمها وهما لغتان ثم أضرب تعالى إلى العلة في تخلفهم
وهي ظنهم أن الرسول عليه السلام وأصحابه لا يرجعون إلى أهليهم وتقدم الكلام
على الأهل وكيف جمع بالواو والنون في قوله ما تطعمون أهليكم وقرأ عبد الله
إلى أهلهم بغير ياء وزين قراءة الجمهور مبنيا للمفعول والفاعل هو الله تعالى وقيل
غيره مما نسب إليه التزيين مجازا وقرئ وزين مبنيا للفاعل وظننتم ظن السوء

احتمل ان يكون من الظن السابق وسوء ظنهم ان لا ينقلبوا ويكون قد ساءهم ذلك
الظن واحزنهم حيث اخفق ظنهم واحتمل ان يكون غيره لاجل العطف اي ظننتم ان الله
تعالى يخلف وعده في نصر دينه واعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم بورا هلكى والظاهر انه
مصدر كالهلك ولذلك وصف به المفرد المذكر كقول ابن الزبعرى ٥

❁ يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور ٥

والمؤنث حكى ابو عبيدة امرأة بور والمثنى والمجموع وقيل يجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول
هذا في المعتل وبازل وبزل في الصحيح ومعنى بورا فاسدين هلكى وقال ابن بحر اشرارا واحتمل
ان يكون المعنى وصرتم بذلك الظن وان يكون وكنتم على بابها اي وكنتم في الاصل
قوما فاسدين اي هلاكا لكم على ذلك الظن ولما اخبر تعالى انهم قوم بور ذكر ما يدل
على انهم ليسوا بمؤمنين فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر جزاؤه السعير ولما كانوا
ليسوا مجاهدين بالكفر ولذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار مزج وعيدهم وتوبيخهم
ببعض الامهال والترجية وقال الزمخشري ولله ملك السموات والارض
يدبره تدبير قادر حكيم بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب
المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لرحمته حيث يكفر السيئات باجتناب
الكبائر بالتوبة انتهى وهو على مذهبه الاعتزالي سيقول المخلفون روي ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم بغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه ان المخلفين اذا راوا
مسيره الى خيبر وهو عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة في عرض الدنيا من الغنيمة
وكان كذلك يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية
بغنيمة خيبر وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة خيبر اذا قفلوا موادعين
لا يصيبون منها شيئا قاله مجاهد وقتادة وعليه عامة اهل التاويل وقال
ابن زيد كلام الله قوله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا
لا يصح لان هذه الاية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك في اخر عمره
وهذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت مزينة وجهينة بعد هذه
المدة معه عليه الصلاة والسلام وفضلهم بعد على تميم وغطفان وغيرهم من العرب
وقرأ الجمهور كلام الله بالف والاخوان كلم الله جمع كلمة وامره تعالى ان يقول
لهم لن تتبعونا واتى بصيغة لن وهي للمبالغة في النفي اي لا يتم لكم اذ قد وعد
تعالى ان ذلك لا يحضرها الا اهل الحديبية فقط كذلكم قال الله من قبل يريد
وعده قبل اختصاصهم بها بل تحسدوننا اي يعز عليكم ان نصيب مغنما
معكم وذلك على سبيل الحسد اي تنافسكم فيما تغنمون وقرأ ابو حيوة بكسر السين
ثم رد عليهم تعالى كلامهم هذا فقال بل كانوا لا يفقهون الا قليلا من امور
الدنيا وظاهرها ليس لهم فكر الا فيها كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
والاضراب الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني
اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اعظم منه وهو الجهل
وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب امر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول
لهم ذلك ودل على انهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكن الامر كذلك لم يكونوا

اهلا

اهلا لذلك الامر وابهم تعالى في قوله اولي باس شديد فقال عكرمة وابن جبير
وقتادة هم هوازن ومن حارب الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين وقال
كعب الروم الذين خرج اليهم عام تبوك والذين بعث اليهم في غزوة موته
وقال الزهري والكلبي اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وعن رافع بن خديج
انا كنا نقرأ هذه الاية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر رضي الله تعالى عنه
الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم اريدوا بها وقال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح
ومجاهد وعطاء الخراساني وابن ابي ليلى هم الفرس وقال الحسن فارس والروم
وقال ابو هريرة قوم لم ياتوا بعد وظاهر الاية يرد هذا القول والذي اقوله
ان هذه الاقوال تمثيلات من قائليها لا ان المعنى بذلك هم ما ذكروا بل اخبر
بذلك مبهما ودلالة على قوة الاسلام وانتشار دعوته ولذا وقع حسن اسلام
تلك الطوائف وقاتلوا اهل الردة زمان ابي بكر وكانوا في فتوح البلاد ايام
عمر وايام غيره من الخلفاء والظاهر ان هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تؤخذ منهم
الجزية اذ لم يذكر هنا الا القتال او الاسلام ومذهب ابي حنيفة رحمه الله
تعالى ورضي عنه ان الجزية لا تقبل من مشركي العرب ولا من المرتدين وليس
الا الاسلام او القتل وتقبل ممن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب
والمجوس ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى لا تقبل الا من اهل الكتاب والمجوس
دون مشركي العجم والعرب وقال الزمخشري وهذا دليل على امامة ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم
ولكن بعد وفاته انتهى وهذا ليس بصحيح فقد حضر كثير منهم مع جعفر في موته
وحضروا حرب هوازن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضروا معه في سفرة
تبوك ولا يتم قول الزمخشري الا على قول من عين انهم اهل الردة وقرأ الجمهور
او يسلمون مرفوعا وابي وزيد بن علي بحذف النون منصوبا باضمار ان في قول
الجمهور من البصريين عند الجرمي فعلى قول النصب باضمار ان هو عطف مصدر
مقدر على مصدر متوهم اي يكون قتال او اسلام اي احد هذين ومثله في النصب
قول امرؤ القيس ٥

❁ فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا ٥

والرفع على العطف على تقاتلونهم او على القطع اي او هم يسلمون دون قتال ان
تطيعوا اي فيما تدعون اليه كما توليتم من قبل اي في زمان الخروج مع الرسول
صلى الله عليه وسلم في زمان الحديبية يعذبكم يحتمل ان يكون في الدنيا وان يكون
في الاخرة ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف
عن الغزو ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف والاعرج
احرى بالصبر ان لا يفر وقد غزا ابن ام مكتوم وكان اعمى في بعض حروب القادسية
وكان رضي الله تعالى عنه يمسك الراية فلو حضر المسلمون فالغرض متوجه بحسب
الوسع في الغزو وقرأ الجمهور يدخله ويعذبه بالياء والحسن وقتادة وابو جعفر
والاعرج وشيبة وابن عامر ونافع بالنون ٥

قوله عز وجل لقد رضي الله

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا ● ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزًا حكيمًا ● وعدكم
الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين
ويهديكم صراطًا مستقيمًا ● وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء
قديرًا ● ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ● سنة الله
التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلًا ● وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم
ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما يعملون بصيرًا ● هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء
لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا ● إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا
أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليمًا ● لما ذكر حال من تخلف عن السفر مع
رسول الله ذكر حال المؤمنين المخلصين الذين سافروا معه والآية دالة على رضي الله عنهم
ولذا سميت بيعة الرضوان وكانوا فيما روي ألفًا وخمسمائة وعشرين وقال
ابن أبي أوفى وثلاثمائة وأصل هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولًا إلى أهل مكة وحمله على جمل له
يقال له الثعلب يعلمهم أنه جاء معتمرًا لا يريد قتالًا فلما أتاهم وكلمهم عقروا جمله
وأرادوا قتله فمنعتهم الأحابيش وبلغ ذلك الرسول فأراد أن يبعث عمر فقال
قد علمت فظاظتي وهم يبغضونني وليس هناك من بني عدي من يحميني ولكن أدلك
على رجل هو أعز مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب
وإنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحرمته وكان أبان بن سعيد بن العاصي
حين لقيه نزل عن دابته وحمله عليها وأجاره فقالت له قريش إن شئت فطف
بالبيت وأما دخولكم علينا فلا سبيل إليه فقال ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على عشرة أميال فصرخ صارخ من العسكر
قتل عثمان فحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لا نبرح إن كان هذا
حتى نلقى القوم فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة
البيعة فنزل روح القدس فبايعوا كلهم إلا الجد بن قيس المنافق وقال الشعبي
أول من بايع أبو سنان بن وهب الأسدي والعامل في إذ رضي والرضى على هذا بمعنى
إظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان وتحت يحتمل
أن يكون معمولًا ليبايعونك أو حالًا من المفعول لأنه عليه السلام كان تحتها جالسًا
في أصلها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائمًا على رأسه وبيدي غصن من الشجرة
أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا
فقال لهم أنتم اليوم خيار أهل الأرض وكانت الشجرة سمرة قال بكير
ابن الأشج فتح مكة وقال نافع كان الناس يأتون تلك الشجرة يصلون
عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها وكانت هذه البيعة سنة ست من الهجرة وفي الحديث

عنه

عنه عليه السلام لا يدخل النار من شهد بيعة الرضوان فعلم ما في قلوبهم قال قتادة
وابن جريج من الرضى بالبيعة أن لا يفروا وقال الفراء من الصدق والوفاء وقال
الطبري ومنذر بن سعيد من الإيمان وصحته والحب في الدين والحرص عليه وقيل
من الهم والانصراف عن المشركين والأسف في ذلك على نحو ما خاطب به عمر وغيره
وهذا قول حسن يترتب معه نزول السكينة والتعريض بالفتح القريب والسكينة
هنا تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمر الله وعلى الأقوال السابقة قبل هذا القول
لا يظهر احتياج إلى إنزال السكينة إلا أن يجازي بالسكينة والفتح القريب والمغانم
وقال مقاتل فعلم ما في قلوبهم من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت
فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا قال ابن عطية وهذا فيه مذمة للصحابة
انتهى وأثابهم فتحًا قريبًا ● قال قتادة وابن أبي ليلى فتح خيبر وكان عقيب
انصرافهم من مكة وقال الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانًا وقيل فتح
مكة والقرب أمر نسبي لكن فتح خيبر كان أقرب وقرأ الحسن ونوح القاري وآتاهم أي
أعطاهم والجمهور وأثابهم من الثواب ● ومغانم كثيرة أي مغانم خيبر وكانت أرضًا ذات
عقار وأموال فقسمها عليهم وقيل مغانم هجر وقيل مغانم فارس والروم وقرأ الجمهور
يأخذونها بالياء على الغيبة في وأثابهم وما قبله من ضمير الغيبة وقرأ الأعمش
وطلحة ورويس عن يعقوب ودلبة عن يونس عن ورش وأبو دحية وسقلاب
عن نافع والأنطاكي عن أبي جعفر بالتاء على الخطاب كما جاء بعد وعدكم الله مغانم كثيرة
بالخطاب وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون إلى يوم
القيامة قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين ولقد اتسع نطاق الإسلام
وفتح المسلمون فتوحًا لا تحصى وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها
حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان في عصرنا هذا وقدم علينا حاجًا أحد ملوك
غانة من بلاد التكرور فذكر عنه أنه استفتح أزيد من خمسة وعشرين مملكة
من بلاد السودان وأسلموا وقدم علينا ببعض ملوكهم يحج معه وقيل الخطاب
لأهل البيعة وأنهم سيغنمون مغانم كثيرة وقال زيد بن أسلم وابنه المغانم
الكثيرة مغانم خيبر فعجل لكم هذه الإشارة بهذه إلى البيعة والتخلص من أمر قريش
بالصلح قاله ابن عباس وزيد بن أسلم وابنه وقال مجاهد مغانم خيبر وكف
أيدي الناس عنكم أي أهل مكة بالصلح وقال ابن عباس عيينة بن حصن
الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهم إذ جاؤوا لينصروا أهل خيبر
والرسول محاصر لهم فجعل الله في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين وقال
ابن عباس أيضًا أسد وغطفان حلفاء خيبر وقال الطبري كف اليهود عن
المدينة بعد خروج الرسول إلى الحديبية وإلى خيبر ولتكون أي هذه الكفة آية
للمؤمنين وعلامة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح
عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء
حق فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانًا لفتح مكة فيكون
الضمير في ولتكون عائدًا على هذه وهي مغانم خيبر والواو في ولتكون زائدة عند

الكوفيين وعاطفة على محذوف عند غيرهم اي ليشكروه وليكون او وعد فعجل وكف
ليتفعكم بها وليكون او يغدر ما تنعمون به متاخرا اي فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
اي طريق التوكل وتفويض الامور اليه وقيل بصيرة وايقانا واخرى لم تقدروا عليها
قال ابن عباس والحسن ومقاتل بلاد فارس والروم وما فتحه المسلمون ٥ وقال
الضحاك وابن زيد وابن اسحق خيبر وقال قتادة والحسن مكة وهذا القول
متسوغة المعنى وتابعه وفي قوله لم تقدروا عليها دلالة على تقدم محاولة لها
وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة وقال الزمخشري هي مغانم
هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة وجوز الزمخشري
في واخرى ان تكون مجرورة باضمار رب وهذا فيه غرابة لان رب لم تات في القرآن
جارة مع كثرة ورود ذلك في كلام العرب فكيف يؤتى بها مضمرة وانما يظهر ان
واخرى مرفوعة بالابتداء وقد وصفت بالجملة بعدها وقد احاط الله هو الخبر ويجوز
ان تكون في موضع نصب بمضمر يفسره معنى قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى وقد ذكر
الزمخشري هذين الوجهين ومعنى قد احاط الله بها بالقدرة والقهر لاهلها اي
قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها ولو قاتلكم الذين كفروا هذا يقتضي
على الخلاف في قوله وكف ايدي الناس عنكم انهم مشركو مكة او ناصروا اهل خيبر او اليهود
لولوا الادبار اي لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد لمضمون
الجملة قبله اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي وهو
الذي كف ايديهم اي قضى بينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة
وروي في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل
وخرجوا يطلبون غرة في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما احس بهم المسلمون
بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وسماه حينئذ سيف الله في جملة من الناس
ففروا امامهم حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة وسيقوا الى الرسول فمن عليهم
واطلقهم وقال قتادة كان ذلك بالحديبية عند عسكره وهو ببطن مكة وعن انس
هبط ثمانون رجلا من اهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين
يريدون غرته فاخذناهم فاستحييناهم وفي حديث عبد الله بن مغفل ان الرسول دعا
عليهم فاخذ الله ابصارهم فقال لهم هل جئتم في عهد وهل جعل لكم احد امانا
قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم وقال الزمخشري كان يعني هذا الكف يوم الفتح وبه
استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك
في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله
من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة
حتى ادخلوهم البيوت انتهى **وقرأ** الجمهور بما تعملون على الخطاب وابو عمرو بالياء
وهو تهديد للكفار هم الذين كفروا يعني اهل مكة قال ابن خالويه يقال الهدي
والهدي والهداء ثلاث لغات انتهى **وقرأ** الجمهور الهدي بسكون الدال وهي
لغة قريش وابن هرمز والحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤي وخارجة عن ابي عمرو
والهدي بكسر الدال وتشديد الياء وهما لغتان وهو معطوف على الضمير في صدوكم

ومعكوفا

ومعكوفا حال اي محبوسا عكفت الرجل عن حاجته حبسته عنها وانكر ابو علي تعدية عكف
وحكاه ابن سيدة والازهري وغيرهما وهذا الحبس يجوز ان يكون من جهة المشركين بصدهم
او من جهة المسلمين لترددهم ونظرهم في امرهم **وقرأ** الجعفي عن ابي عمرو والهدي بالجر
عطفا على المسجد الحرام اي وعن نحر الهدي **وقرئ** بالرفع على اضمار وصد الهدي
وكان خرج عليه السلام معه بمائة بدنة قاله مقاتل وقيل بسبعين وكان
الناس سبعمائة رجل فكانت البدنة عن عشرة قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم
ان يبلغ محله قال الشافعي الحرم وبه استدل ابو حنيفة ان محل هدي المحصر الحرم
لا حيث احصر وقال الفراء حيث يحل نحره وان يبلغ يحتمل ان يتعلق بالصد اي
وصدوا الهدي وذلك على ان يكون بدل اشتمال اي وصدوا بلوغ الهدي محله
او على انه مفعول من اجله اي كراهة ان يبلغ محله ويحتمل ان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا
لاجل ان يبلغ محله فيكون مفعولا من اجله ويكون الحبس من المسلمين او محبوسا
عن ان يبلغ محله فيكون الحبس من المشركين وكان بمكة قوم من المسلمين مختلطون
بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقال تعالى ولولا كراهة
ان يهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه ومشقة ما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام
عليه قال الزمخشري ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما
الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى وقوله لمرجعهما الى معنى واحد ليس
بصحيح لان ما يتعلق به لولا الاولى غير ما يتعلق به الثانية فالمعنى في الاولى ولولا
وطء قوم مؤمنين والمعنى في الثانية لو تميزوا من الكفار وهذا معنى مغاير
للاول مغايرة ظاهرة وان تطؤهم بدل اشتمال من رجال وما بعده وقيل
بدل من الضمير في تعلموهم اي لم تعلموا وطأهم اي انه وطء مؤمنين وهذا فيه بعد
والوطء الدوس وعبر به عن الاهلاك بالسيف وغيره ٥

قال الشاعر

ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم ٥

وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر ولم تعلموهم صفة لرجال ونساء وغلب
فيهما المذكر والمعنى لم تعرفوا اعيانهم انهم مؤمنون وقال ابن زيد المعرة المأثم
وقال ابن اسحق الدية وقال ابن عطية وهذا ضعيف لانه لا اثم ولا دية
في قتل مؤمن مستور الايمان بين اهل الحرب وقال الطبري هي الكفارة وقال
منذر بن سعيد المعرة ان يعنفهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقيل الملامة
وتألم النفس منه في باقي الزمن ولفق الزمخشري من هذه الاقوال جوابا وسؤالا على
عادته في تلفيق كلامه من اقوال الحصر وايهام انه سؤال اتى له فقال **فان قلت**
اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت** يصيبهم وجوب الدية
والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم ما فعلوا باعدائهم من غير تمييز
والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير انتهى بغير علم اخبار عن الصحابة وعن صفتهم
الكريمة من العفة عن المعصية والامتناع من التعدي حتى انهم لو اصابوا من ذلك

احدًا لكان من غير قصد كقول النملة عن جنود سليمان وهم لا يشعرون ولبغير علم
متعلق بان تطؤوهم وقيل يتعلق بقوله فتصيبكم منهم معرة من الذين يجدكم ممن
يعتب عليكم وقرأ الجمهور لو تزيلوا وابن ابي عبلة وابن مقسم وابو حيوة وابن عون
لو تزايلوا على وزن تفاعلوا وليدخل متعلق بمحذوف دل عليه المعنى اي كان انتفاء
التسليط على اهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله في رحمته من يشاء وهذا المحذوف
هو مفهوم من جواب لو ومعنى تزيلوا لو ذهبوا عن مكة اي لو تزيل المؤمنون من الكفار
وتفرقوا منهم ويجوز ان يكون الضمير للمؤمنين والكفار اي لو افترق بعضهم من بعض
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية اذ معمول لعذبنا او لصدوكم
او لو تطؤوكم او لاذكر مضمرة والحمية الانفة يقال حميت عن كذا حمية اذا انفت
منه وداخلك عار وانفة ان تفعله وقال المتلمس

الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الرأس يحمي انفه ان يهشما

وقال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة
والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو
وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لآلهتهم والانفة ان يعبدوا غيرها وقيل قتلوا
اباءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى لا يدخلها ابدًا
وكانت حمية جاهلية لانها بغير حجة وفي غير موضعها وانما ذلك محض تعصب
لانه عليه السلام انما جاء معظمًا للبيت لا يريد حربًا فهم في ذلك كما
قال الشاعر في حمية الجاهلية

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وحمية بدل من الحمية والسكينة الوقار والاطمئنان فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى
لا اله الا الله وروي ذلك عن النبي عليه السلام وبه قال علي وابن عباس
وابن عمر وعمرو بن ميمون وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل
وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد وقال عطاء
ابن ابي رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال علي بن ابي طالب وابن عمر ايضا لا اله
الا الله والله اكبر وقال ابو هريرة وعطاء الخراساني لا اله الا الله
محمد رسول الله واضيفت الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها
وقيل هو على حذف مضاف اي كلمة اهل التقوى وقال المسور بن مخرمة
ومروان بن الحكم كلمة التقوى هنا هي بسم الله الرحمن الرحيم وهي التي اباها
كفار قريش فالزمها الله المؤمنين وجعلهم احق بها وقيل قولهم
سمعًا وطاعة والظاهر ان الضمير في وكانوا عائد على المؤمنين والمفضل عليهم
محذوف اي احق بها من كفار مكة لان الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه
وقيل من اليهود والنصارى وهذه الاحقية هي في الدنيا وقيل احق بها
في علم الله وقيل واهلها في الاخرة بالثواب وقيل الضمير في وكانوا
عائد على كفار مكة لانهم اهل حرم الله ومنهم رسوله لولا ما سلبوا من التوفيق

وكان الله

وكان الله بكل شيء عليمًا اشارة الى علمه بالمؤمنين وبدفع الكفار عنهم والى
علمه بالمصلحة في صلح الحديبية اذ كان سببًا لامتزاج العرب والاسلام
كثير منهم وعلو كلمة الاسلام وكانوا عام الحديبية الفًا واربعمائة وبعده
بعامين ساروا الى مكة في عشرة آلاف وقال ابو عبد الله الرازي في هذه الاية
لطائف معنوية وهو ان الله تعالى ابان غاية البون بين الكافر والمؤمن باين بين
الفاعلين اذ فاعل جعل هو الكفار وفاعل انزل هو الله وبين المفعولين اذ تلك حمية
وهي سكينة وهذه سكينة وبين الاضافتين اضاف الحمية الى الجاهلية واضاف
السكينة اليه تعالى وبين الفعل جعل وانزل فالحمية مجعولة في الحال في العرض
الذي لا يبقى والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فانزلها والحمية قبيحة
مذمومة في نفسها وازدادت قبحًا بالاضافة الى الجاهلية والسكينة حسنة
في نفسها وازدادت حسنًا باضافتها الى الله تعالى والعطف في فانزل بالفاء
لا بالواو يدل على المقابلة تقول اكرمني زيد فاكرمته فدلت على المجازاة للمقابلة
ولذلك جعل فانزل ولما كان الرسول هو الذي اجاب اولا الى الصلح وكان
المؤمنون عازمين على القتال وان لا يرجعوا الى اهليهم الا بعد فتح مكة او النحر
في المنحر وابوا الا ان يكتبوا محمد رسول الله وباسم الله قال تعالى على رسوله
ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون فقال وعلى المؤمنين
ولما كان المؤمنون عند الله الزموا تلك الكلمة قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وفيه تلخيص وهو كلام حسن ۝ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون
فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرًا عظيمًا
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية وقال مجاهد كانت
الرؤيا بالحديبية انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم
وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله
ابن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا راينا المسجد الحرام فنزلت وروي ان رؤياه كانت ان ملكا جاءه فقال
له لتدخلن الاية ومعنى صدق الله لم يكذبه والله تعالى منزه عن الكذب وعن
كل قبيح وصدق يتعدى الى اثنين الثاني بنفسه وبحرف الجر تقول صدقت
زيدًا الحديث وصدقته في الحديث وقد عدها بعضهم في اخوات استغفر وامر
وقال الزمخشري فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله

قوله عز وجل لقد صدق الله

صدق من باب استغفر

عليه انتهى ، فدل كلامه على ان اصله حرف الجر وبالحق متعلق بمحذوف اي صدقا
ملتبسا بالحق لتدخلن اللام جواب قسم محذوف ويبعد قول من جعله جواب بالحق
وبالحق قسم لا تعلق له بصدق وتعليقه على المشيئة قيل لانه حكاية قول الملك
للرسول قاله ابن كيسان وقيل هذا التعليق تأدب باداب الله وان كان الموعود
به متحقق الوقوع حيث قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله وقال ثعلب استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون ، وقال
الحسين بن الفضل كان الله علم ان بعض الذين كانوا بالحديبية يموت فوقع الاستثناء
لهذا المعنى وقال ابو عبيدة وقوم ان بمعنى اذ كما قيل في قوله وانا ان شاء الله بكم
لاحقون ، وقيل هو تعليق في قوله امنين لا لاجل اعلامه بالدخول فالتعليق
مقدم على موضعه وهذا القول لا يخرج التعليق عن كونه معلقا على واجب لان
الدخول والامن اخبر بهما تعالى ووقعت الثقة بالامرين وهما الدخول والامن
الذي هو قيد في الدخول وامنين حال مقارنة للدخول ومحلقين ومقصرين
حال مقدرة ولا تخافون بيان لكمال الامن بعد تمام الحج ولما نزلت هذه الاية
علم المسلمون انهم يدخلونها فيما يستانف واطمانت قلوبهم ودخلها معه
عليه السلام في ذي القعدة سنة سبع وذلك ثلثة ايام هو واصحابه وصدقت
رؤياه عليه السلام فعلم ما لم تعلموا اي ما قدره من ظهور الاسلام في تلك
المدة ودخول الناس فيه وما كان ايضا بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم
قاله ابن عطية وقال الزمخشري من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام
القابل انتهى ولم يكن فتح مكة في العام القابل انما كان بعد ذلك باكثر من عام
لان الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية
في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فجعل من دون ذلك اي من قبل ذلك
اي من زمان دون ذلك الزمان الذي وعدوا فيه بالدخول فتحا قريبا قال
كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو بيعة الرضوان ، وقال مجاهد وابن اسحق
هو فتح الحديبية وقال ابن زيد خيبر وضعف قول من قال انه فتح مكة لان
فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول عليه السلام واصحابه مكة بل كان بعد ذلك
هو الذي ارسل رسوله فيه تاكيد لصدق رؤياه عليه السلام وتبشير بفتح مكة
لقوله ليظهره على الدين كله وتقدم الكلام على معظم هذه الاية وكفى بالله شهيدا
على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينك والظاهر
ان محمد رسول الله مبتداء وخبر وقيل رسول الله صفة وقال الزمخشري
عطف بيان والذين معطوف والخبر عنه وعنهم اشداء واجاز الزمخشري ان
يكون محمد خبر مبتدا محذوف اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله
وقرأ ابن عامر في رواية رسول الله بالنصب على المدح والذين معه هم من شهد
الحديبية قاله ابن عباس وقال الجمهور جميع اصحابه اشداء جمع شديد كقوله
اعزة على الكافرين رحماء بينهم كقوله اذلة على المؤمنين وكقوله واغلظ عليهم
وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم **وقرأ** الحسن اشداء رحماء بنصبهما قيل على المدح

وقيل

وقيل على الحال والعامل فيهما العامل في معه ويكون الخبر عن المبتداء المتقدم
تراهم **وقرأ** يحيى بن يعمر اشداء بالقصر وهي شاذة لان قصر الممدود انما يكون
في الشعر نحو قوله ، لا بد من صنعا وان طال السفر ، وفي قوله تراهم ركعا سجدا
دليل على كثرة ذلك منهم **وقرأ** عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراء **وقرئ** سيمياؤهم
بزيادة ياء والمد وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر ،

قال الشاعر ،

غلام رماه الله بالحسن يافعا ، له سيمياء لا تشق على البصر ،

وهذه السيما قال مالك بن انس كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب
وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية وعد لهم بان يجعل لهم نورا يوم القيمة
من اثر السجود وقال ابن عباس ايضا السمت الحسن وخشوع يبدو على الوجه وقال
الحسن وشمر بن عطية بياض وصفرة وتهبيج يعتري الوجه من السهر وقال عطاء
والربيع بن انس حسن يعتري وجوه المصلين وقال منصور سالت مجاهدا هذه
السيما هي الاثر يكون بين عيني الرجل قال لا وقد تكون مثل ركبة البعير وهو اقسى
قلبا من الحجارة وقال ابن جبير ذلك مما يتعلق بجباههم من الارض عند السجود وقال
الزمخشري المراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله
من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين
علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له
ذو الثفنات لان كثرة سجوده احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات
البعير انتهى **وقرأ** ابن هرمز اثر بكسر الهمزة وسكون الثاء والجمهور بفتحهما
وقرأ قتادة من اثار السجود بالجمع ذلك اي ذلك الوصف من كونهم اشداء
رحماء مبتغين سيماهم في وجوههم صفتهم في التوراة قال مجاهد والفراء
هو مثل واحد اي ذلك صفتهم في التوراة والانجيل فيوقف على الانجيل وقال
ابن عباس هما مثلان فيوقف على في التوراة وكزرع خبر مبتدا محذوف
اي مثلهم كزرع او هم كزرع وقال الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم
في التوراة وتم الكلام ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع فعلى هذا يكون
كزرع خبر ومثلهم وقال قتادة مثل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في الانجيل مكتوب انه سيخرج من قوم محمد ينبتون نباتا كالزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة
مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هولاء وقال ابن عطية وقوله كزرع هو على كل الاقوال
وفي اي كتاب انزل فرض مثل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في ان النبي
عليه السلام بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء
وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الاصل انتهى ، وقال ابن زيد شطاه فراخه
واولاده وقال الزجاج نباته وقال قطرب شوك السنبل يخرج من الحبة عشر
سنبلات وتسع وثمان قاله الفراء وقال الكسائي والاخفش طرفه ،

قال الشاعر

اخرج الشطء على وجه الثرى ... ومن الاشجار افنان الثمر

وقرأ الجمهور شطأه باسكان الطاء والهمزة وابن كثير وابن ذكوان بفتحهما وكذلك
وبالمد ابو حيوة وابن ابي عبلة وعيسى الكوفي وبالف بدل الهمزة زيد بن علي فاحتمل
ان يكون مقصورا وان يكون اصله الهمز فنقل الحركة وابدل الهمزة الفا كما قالوا
في المرأة والكمأة المراة والكماة وهو تخفيف مقيس عند الكوفيين وهو عند
البصريين شاذ لا ينقاس عليه وقرأ ابو جعفر شطه بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الطاء ورويت عن شيبة ونافع والجحدري وعن الجحدري ايضا شطوه باسكان
الطاء وواو بعدها وقال ابو الفتح هي لغة او بدل من الهمزة ولا يكون الشط
الا في البر والشعير وهذه كلها لغات وقال صاحب اللوامح شطأ الزرع
واشطأ اذا اخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير وغيرهما وقرأ ابن ذكوان
فأزره ثلاثيا وباقي السبعة فآزره على وزن افعله وقرئ فأزّره بشد الزاي
وقول مجاهد وغيره آزره فاعله خطأ لانه لم يسمع في مضارعه الا يؤزر على وزن
يكرم والضمير المنصوب في آزره عائد على الزرع لان الزرع اول ما يطلع رقيق
الاصل فاذا خرجت فراخه غلظ اصله وتقوى وكذلك اصحاب الرسول كانوا
اقلة ضعفا فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين وقال الحسن آزره قواه
وشد ازره وقال السدي صار مثل الاصل في الطول فاستغلظ صار من الرقة
الى الغلظ فاستوى اي تم نباته على سوقه جمع ساق كناية عن اصوله وقرأ ابن كثير
على سؤقه بالهمز قيل وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه
قول الشاعر احب المؤقدين الي مؤسى ه يعجب الزراع جملة
في موضع الحال واذا اعجب الزراع فهو احرى ان يعجب غيرهم لانه لا عيب فيه
اذ قد اعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم وهنا تم المثل وليغيظ
متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ
بهم الكفار وقال الزمخشري فان قلت ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت
لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به
وعد الله الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به
في الدنيا غاظهم ذلك ومنهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وقال ابن عطية وقوله تعالى منهم لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد
مدح الجميع وقال ابن جرير منهم يعني من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون
في الاسلام بعد الزرع الى يوم القيامة فاعاد الضمير على معنى الشطء لا على لفظه
والاجر العظيم الجنة وذكر عند مالك بن انس رجل ينتقص الصحابة فقرأ مالك
هذه الآية فقال من اصبح من الناس في قلبه غيظ من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية ه

المفردات

التنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل
من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون وبينهم نبز والنبز والنبز اللقب السوء
اللقب هو ما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته وهو قسمان قبيح وهو

ما يكره الشخص لكونه تقصيرا به وذما وحسن وهو بخلاف ذلك كالصديق لابي بكر
والفاروق لعمر واسد الله لحمزة تجسس الامر تطلبه وبحث عن خفيه بتفعل من
الجس ومنه الجاسوس وهو الباحث عن العورات ليعلم بها ويقال لمشاعر
الانسان الحواس بالجيم وبالحاء الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست
التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن
تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل
تشعبت منها وروي عن ابن عباس الشعوب البطون وهذا غير ما تمالا عليه
اهل اللغة ويأتي خلاف في ذلك عند قوله وجعلناكم شعوبا القبيلة دون
الشعب شبهت بقبائل الرأس لانها قطع تقابلت ألت يألت بضم اللام وكسرها
التا ولات يليت والات يليت رباعيا ثلاث لغات حكاها ابو عبيدة والمعنى نقص

وقال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتني عن سراها ليت

اي لم يمنعني ولم يحبسني وقال الحطيئة

ابلغ سراة بني سعد مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

هذه السورة مدنية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه ثم قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي ان ينهى عنه فقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وكانت عادة العرب
وهي الى الان الاشتراك في الاراء وان يتكلم كل بما شاء ويفعل ما احب فجرى
من بعض من لم يتمرن على اداب الشريعة بعض ذلك قال قتادة فربما قال
قوم ينبغي ان يكون كذا لو نزل في كذا وقال الحسن ذبح قوم ضحايا
قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل قوم في بعض غزواته شيئا بارائهم فنزلت هذه

الآية ناهية عن جميع ذلك وقال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وتقول العرب تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه اذا قلت فيه **وقرأ** الجمهور لا تقدموا فاحتمل ان يكون متعديا وحذف مفعوله ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم فلم يقصد لشيء معين بل النهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين كقولهم فلان يعطي ويمنع واحتمل ان يكون لازما بمعنى تقدم كما تقول وجه بمعنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل اليه بحرف الجر اي لا تتقدموا في شيء ما من الاشياء او بما يحبون ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وابي حيوة والضحاك ويعقوب وابن مقسم لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال على اللزوم وحذفت التاء تخفيفا اذ اصله لا تتقدموا **وقرأ** بعض المكيين تقدموا بتشديد التاء ادغم تاء المضارعة في التاء بعدها كقراءة البزي **وقرئ** لا تقدموا مضارع قدم بكسر الدال من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما والمكان المسامت وجه الرجل قريبا منه قيل فيه بين يدي الجلوس اليه توسعا لما جاور الجهتين من اليمين واليسار وهي في قوله بين يدي الله مجاز من مجاز التمثيل وفائدة تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا عاملين بالوحي المنزل ومقتدين برسول الله وعلى هذا مدار تفسير ابن عباس وقال مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله وفي هذا النهي توطئة لما يأتي بعد من نهيهم عن رفع اصواتهم ولما نهى امر بالتقوى لان من التقوى اجتناب المنهي عنه ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وافعالكم ثم نادى ثانيا تحريكا لما يلقيه اليهم واستنعاء لما يتجدد من الاحكام وتطرية للانصات ونزلت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت لا ترفعوا اصواتكم اي اذا نطق ونطقتم ولا تجهروا له بالقول اي اذا كلمتموه لان رتبة النبوة والرسالة يجب ان توقر وتجل ولا يكون الكلام مع الرسول كالكلام مع غيره ولما نزلت قال ابو بكر لا اكلمك يا رسول الله الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه من خفاء الصوت اذا كلم الرسول لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن الرفع والجهر الا ما كان في طباعهم لا انه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلاء لانه كان يكون فعلهم ذلك كفرا والمخاطبون مؤمنون كجهر بعضكم لبعض اي في عدم المبالاة وقلة الاحترام فلم ينهوا الا عن جهر مخصوص ه وكره العلماء رفع الصوت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهير الصوت وحديثه في انقطاعه في بيته اياما بسبب ذلك مشهور وانه قال يا رسول الله لما انزلت خفت ان يحبط عملي فقال له رسول الله انت من اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل باليمامة يوم مسيلمة ان تحبط اعمالكم ان كانت الآية معرضة بمن يجهر استخفافا فان ذلك كفر يحبط معه

العمل

العمل حقيقة وان كانت للمؤمن الذي يفعل ذلك غفلة وجريا على عادته فانما يحبط عمله البر في توقير النبي عليه السلام وغض الصوت عنده ان لو فعل ذلك كأنه قال مخافة ان يحبط الاعمال التي هي معدة ان تعملوها فتؤجروا عليها وان تحبط مفعول له والعامل فيه ولا تجهروا على مذهب البصريين في الاختيار ولا ترفعوا على مذهب الكوفيين في الاختيار ومع ذلك فمن حيث المعنى حبوط العمل علة في كل من الرفع والجهر **وقرأ** عبد الله وزيد بن علي فتحبط بالفاء وهو مسبب عن ما قبله ان الذين يغضون اصواتهم قيل نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربت ودربت للتقوى فهي مضطلعة بها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره اي عرف قلوبهم كائنة للتقوى فاللتقوى في موضع الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن لاجل التقوى اي ليثبت فيظهر تقواها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحنت الذهب وفتنته اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه وجاءت في هذه الآية ان مؤكدة لمضمون الجملة وجعل خبرها جملة من اسم الاشارة الدال على التفخيم والمعرفة بعده جاء بعدها ذكر جزائهم على غض اصواتهم وكل هذا دليل على الارتضاء بما فعلوا من توقير رسول الله بغض اصواتهم وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب رافعوا اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد بني تميم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وغيرهم وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظهيرة والرسول راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج فقال له الاقرع بن حابس يا محمد ان مدحي زين وذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ذلك الله تعالى فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نحن بنو تميم بخطيبنا وشاعرنا نشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقال الزبرقان لشاب منهم قم واذكر فضل قومك فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واتانا اموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن من خير اهل الارض من اكثرهم عددا ومالا وسلاحا فمن انكر علينا قولنا فليأت بقول هو احسن من قولنا وفعل هو احسن من فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيبه قم فاجبه فقال الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم احلاما فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصار دينه ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع نفسه وماله ومن اباها قتلناه وكان رغمه علينا هينا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فقال الزبرقان لشاب قم فقل ابياتا تذكر فيها فضل قومك فقام **وقال** ه

نحن الكرام فلا حي يعادلنا • فينا الرؤوس وفينا يقسم الربع ه

ونطعم النفس عند الغيظ كلهم * من السديف اذا لم يونس القزع
اذا ابينا فلا ياتي لنا احد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فامر النبي صلى الله عليه وسلم فدعا حسان فقال اعد لي قولك فاسمعه فاجابه

فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد شرعوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله فكل الخير يصطنع

ثم قال حسان

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم غاب من معد وحاضر
بضرب كايزاع المخاض مشاشه * وطعن كافواه اللقاح المصادر
وسل احدا يوم استقلت جموعهم * بضرب لنا مثل الليوث الخوادر
السنا نخوض الموت في حومة الوغا * اذا طاب ورد الموت بين العساكر
فنضرب هام الدارعين وننتمي * الى حسب من جذع غسان زاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرما * على الناس بالحقين هل من منافر
فاحياؤنا من خير من وطي الثرى * واموتنا من خير اهل المقابر

قال فقام الاقرع بن حابس فقال اني والله لقد جئت لامر وقد قلت شعرا فاسمعه

فقال

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس من كل معشر * وان ليس في ارض الحجاز كدارم
وان لنا المرباع في كل غارة * تكون بنجد او بارض التهائم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قم فاجبه **فقال**

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يصير وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا اخا دارم ان يذكر منك ما ظننت ان الناس قد نسوه فكان قوله عليه السلام اشد عليهم من جميع ما قال حسان ثم رجع حسان الى شعره **فقال**

فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * واموالكم ان تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا واسلموا * ولا تفخروا عند النبي بدارم
والا ورب البيت قد مالت القنا * على هامكم بالمرهفات الصوارم

فقال الاقرع بن حابس والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم وكساهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهرة وذلك ان المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت واساءة الادب والله قد امرك بتوقير رسوله وتعظيمه والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشات من ذلك

المكان وقال الزمخشري **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما ثبت فيه وما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما ان المنادي والمنادي في كل احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي تقول نادانى فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين ولا اختصاص انتهى وقد ثبت اصحابنا في معاني من انها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وان الشيء الواحد يكون محلا لهما وتاولوا ذلك على **س** وقالوا من ذلك قولهم اخذت الدرهم من زيد فزيد محل لابتداء الاخذ منه وانتهائها معا قالوا فمن تكون في اكثر المواضع لابتداء الغاية فقط وفي اكثر المواضع لابتداء الغاية وانتهائها معا وهذه المناداة التي انكرت ليس انكارها لكونها وقعت في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر ذلك لانهم نادوه من خارج مناداة الاجلاف التي ليس فيها توقير كما ينادي بعضهم بعضا والحجرات منازل الرسول عليه السلام وكانت تسعة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى حجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة **وقرا** الجمهور الحجرات بضم الجيم اتباعا للضمة قبلها وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها وهي لغي ثلاث في كل فعلة بشرطها المذكور في علم النحو والظاهر ان من صدر منه النداء كانوا جماعة وذكر الاصم ان من ناداه كان الاقرع بن حابس وعيينة ابن حصن فان صح ذلك كان الاسناد الى الجماعة لانهم راضون بذلك واذا كانوا جماعة احتمل ان يكونوا تفرقوا فنادى بعض من وراء هذه الحجرة وبعض من وراء هذه او نادوه مجتمعين من وراء حجرة حجرة او كانت الحجرة واحدة وهي التي كان فيها الرسول وجمعت اجلالا له عليه السلام وانتفاء العقل عن اكثرهم دليل على ان فيهم عقلا وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم انتهى وليس في الاية الحكم بقلة العقلاء منطوقا به فتحمل النفي وانما هو مفهوم من قوله اكثرهم لا يعقلون والنفي المحض المستفاد انما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم فلا يحمل قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون النفي المحض للشكر لان النفي لم يستفد من صريح التقليل وهذه الاية سجلت على الذين نادوه بالسفه والجهل وابتدى اول السورة بتقديم الامور التي تنتمي الى الله تعالى ورسوله على الامور كلها ثم تلى ما نهى عنه من التقديم بالنهي عن رفع الصوت والجهر فكان الاول بساطا للثاني ثم تلى بما هو ثناء على الذين امتنعوا من ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اقطع وهو الصياح بالرسول في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء معه من المنكر المتفاحش

ومن هذا وامثاله يقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومحله من العلم والزهد
وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت
خروجه ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم قال الزمخشري انهم صبروا في موضع
الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم انتهى وهذا ليس مذهب س
بل مذهب س ان ان وما بعدها بعد لو في موضع مبتدا لا في موضع فاعل ومذهب
المبرد انها في موضع فاعل بفعل محذوف كما زعم الزمخشري واسم كان ضمير يعود على
المصدر المفهوم من صبروا اي لكان هو اي صبرهم خيرا لهم وقال الزمخشري في كان
اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو انتهى لانه قدر ان وما بعدها فاعل بفعل
مضمر فاعاد الضمير على ذلك الفاعل وهو الصبر المنسبك من ان ومعمولها خيرا
لهم في الثواب عند الله وفي انبساط نفس الرسول وقضائه لحوائجهم فقد قيل
انهم جاؤوا في اسارى فلان فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف وفادى
على النصف ولو صبروا لاعتق الجميع بغير فداء وقيل لكان صبرهم احسن لادبهم
والله غفور رحيم لن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الاية حدث الحرث بن ضرار قال قدمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام فاسلمت والى الزكوة فاقررت
بها فقلت ارجع الى قومي فادعوهم الى الاسلام واداء الزكوة فمن اجابني
جمعت زكاته فترسل من ياتيك بما جمعت فلما جمع ممن استجاب له وبلغ الوقت
الذي اراد الرسول ان يبعث اليه واحتبس عليه رسول الله قال لسروات قومه
كان الرسول وقت لي وقتا الي من يقبض الزكوة وليس من رسول الله الخلف
ولا ارى حبس الرسول الا من سخطه فانطلقوا بنا اليه وبعث الوليد الى الحرث
يغرف فرجع فقال منعني الحرث الزكوة واراد قتلي فضرب الرسول البعث الى
الحرث فاستقبل ~~الرسول له~~ الحرث البعث وقد فصل من المدينة فقالوا هذا
الحرث فقال الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا بعث اليك الوليد
فرجع وزعم انك منعته الزكوة واردت قتله قال لا والذي بعث محمدا بالحق
ما رايته ولا اتاني فدخل على الرسول فقال منعت الزكوة واردت قتل رسولي
قال لا والذي بعثك بالحق ما رايت رسولك ولا اتاني وما اقبلت الا حين
احتبس علي رسولك خشية ان يكون سخطة من الله ورسوله قال فنزلت هذه
الاية وفاسق وبنبأ مطلقات فيعمان وان اللفظ كل واحد على جهة البدل وتقدم
قراءة فتبينوا وفتثبتوا في سورة النساء وهو امر يقتضي ان لا يعتمد على كلام الفاسق
ولا يبنى عليه حكم وجاء الشرط بحرف ان المقتضي للتعليق في الممكن لا بالحرف
المقتضي للتحقيق وهو اذا لان مجي الرجل الفاسق للرسول واصحابه بالكذب انما كان
على سبيل الندرة وامروا بالتثبت عند مجيئه لئلا يطمع في قبول ما يلقيه اليهم وبنا ما
يترتب على كلامه فاذا كانوا بمثابة التبين والتثبت كف عن مجيئهم بما يريد ان تصيبوا
مفعول له اي كراهة ان تصيبوا او لئلا تصيبوا بجهالة حال اي جاهلين بحقيقة
الامر معتمدين على خبر الفاسق فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم من اصابة القوم

بعقوبة بناء على خبر الفاسق نادمين مغتمين على ما فرط منكم متمنين انه لم يقع ومفهوم
ان جاءكم فاسق قبول كلام غير الفاسق وانه لا يتثبت عنده وقد يستدل به على قبول
خبر الواحد العدل وقال قتادة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم التثبت من الله والعجلة من الشيطان وقال مقاتل بن سعيد هذه الاية
ترد على من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى يثبت الجرح لان الله تعالى
امر بالتبين قبل القبول انتهى وليس كما ذكر لانه ما امر بالتبين الا عند مجي الفاسق
لا مجي المسلم بل بشرط الفسق والمجهول الحال يحتمل ان يكون فاسقا فالاحتياط لازم
واعلموا ان فيكم رسول الله هذا توبيخ لمن يكذب للرسول ووعيد بالفضيحة
ولا يصدر ذلك الا ممن هو شاك في الرسالة لان الله تعالى لا يترك نبيه
يعتمد على خبر الفاسق بل يبين له ذلك والظاهر ان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله
كلام تام امرهم بان يعلموا ان الذي هو بين ظهرانيكم هو رسول الله فلا تخبروه بما لا
يصح فانه رسول الله يطلعه على ذلك ثم اخبر تعالى ان رسوله لو اطاعهم في كثير
من الامر لعنتم الذي يؤدي اليه اجتهادكم وتقدمكم بين يديه لعنتم اي لشق
عليكم وقال مقاتل لاثمتم وقال الزمخشري الجملة المصدرة بلو لا يكون
كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين
في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم
رسول الله وانتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهو انكم تحاولون منه ان يعمل
في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطاوع لغيره والتابع
له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك
وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق
قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون
ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله
ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض
صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة
التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى انتهى وفيه تكثير ولا يبعد ان تكون الجملة المصدرة بلو مستانفة
لا حالا فلا تعلق لها بما قبلها من جهة الاعراب وتقديم خبر ان على اسمها قصد
الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن من استتباعهم راي الرسول لارائهم
فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه وقيل يطيعكم دون اطاعكم للدلالة
على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم
راي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر وشريطة لكن مفقوده
من مخالفة ما بعدها لما قبلها من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين
حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن
في حاق موقعها من الاستدراك انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشري وقال
الزمخشري ايضا ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق

وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن
الرجل لا يمدح بفعل غيره وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثني عليهم
بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا
انتهى وهو على طريق الاعتزال وعن الحسن حبب الإيمان بما وصف من الثناء
عليه وكره الثلاثة بما وصف من العقاب عليها انتهى أولئك هم الراشدون
الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فضلا من الله ونعمة قال ابن عطية مصدر مؤكد لنفسه
لأن ما قبله هو بمعناه إذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل وقال الحوفي فضلا
نصب على الحال انتهى ولا يظهر هذا الذي قاله وقال أبو البقاء مفعول له
أو مصدر في معنى ما تقدم وقال الزمخشري وفضلا مفعول له أو مصدر من غير
فعله **فإن قلت** من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله
والشرط أن يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه
مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه
أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله والجملة
التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك
أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا
لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الإفضال
والإنعام والله عليم بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم
حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم انتهى أما توجيهه كون فضلا مفعولا من أجله
فهو على طريق الاعتزال وأما تقديره أو كان ذلك فضلا فليس من مواضع إضمار كان
ولذلك شرط مذكور في النحو ٥ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما
فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت
فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة
فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن
ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم
أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ٥
وإن طائفتان الآية سبب نزولها ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء
الأدب عبد الله بن أبي ابن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة
سعد بن عبادة في مرضه وتعصب بعضهم لعبد الله ورد عبد الله بن رواحة على
ابن أبي فتجالد الحيان قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال والأيدي فنزلت
فقرأها عليهم فاصطلحوا وقال السدي كانت بالمدينة امرأة من الأنصار
يقال لها أم بدر وكان لها زوج من غيرهم فوقع بينهما شيء أوجب أن يأنف
لها قومها وله قومه فوقع قتال فنزلت الآية بسببه **وقرأ** الجمهور اقتتلوا

قوله عز وجل وإن طائفتان

جمعا حملا على المعنى لأن الطائفتين في معنى القوم والناس **وقرأ** ابن أبي عبلة
اقتتلتا على لفظ التثنية وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا على التثنية مراعى
بالطائفتين الفريقان اقتتلوا وكل واحد من الطائفتين باغ فالواجب
السعي بينهما بالصلح فإن لم تصطلحا وأقامتا على البغي قوتلتا أو لشبهة
دخلت عليهما وكل منهما تعتقد أنه الحق فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة
والبراهين القاطعة فإن لجا فكالباغيتين فإن بغت إحداهما فالواجب
أن تقاتل حتى تكف عن البغي ولم تتعرض الآية من أحكام التي تبغي إلا لقتالها
وإلى الإصلاح إن فاءت والبغي هنا طلب العلو بغير الحق والأمر في فأصلحوا
وقاتلوا هو لمن له الأمر من الملوك وولاتهم **وقرأ** الجمهور حتى تفيء مضارع فاء
بفتح الهمزة والزهري حتى تفي بغير همز وفتح الياء وهذا شاذ كما قالوا في مضارع
جاء يجي بغير همز فإذا أدخلوا الناصب فتحوا الياء أجروه مجرى يفي مضارع
وفى شذوذا إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم أي إخوة في الدين وفي
الحديث المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله **وقرأ** الجمهور بين أخويكم مثنى لأن
أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا كان الإصلاح لازما بين اثنين فهو
ألزم بين أكثر من اثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج **وقرأ** زيد
ابن ثابت وابن مسعود والحسن بخلاف عنه والجحدري وثابت البناني وحماد
ابن سلمة وابن سيرين بين إخوانكم جمعا بالألف والنون والحسن أيضا وابن عامر
في رواية وزيد بن علي ويعقوب بين إخوتكم جمعا على وزن غلمة وروى عبد الوارث
عن أبي عمرو القراءات الثلاث وغلب الإخوان في الصداقة والإخوة في النسب
وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر ومنه إنما المؤمنون إخوة وقوله أو بيوت
إخوانكم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم هذه الآية والتي بعدها تأديب
للأمة لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي
عنها وقيل نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل كان يمشي بالمدينة وقد أسلم
فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الأمة فعز ذلك عليه وشكاهم فنزلت
والقوم مرادف الرجال كما قال الرجال قوامون على النساء ولذلك قابله
هنا بقوله ولا نساء من نساء وفي **قول زهير** ٥

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء ٥

وقال الزمخشري وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر
انتهى وليس فعل من أبنية الجموع إلا على مذهب أبي الحسن في قوله إن ركبا جمع
راكب وقال أيضا الزمخشري وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم
الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور
وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن انتهى وغيره يجعله من باب التغليب
والنهي ليس مختصا بانصبابه على قوم ونساء بقيد الجمعية من حيث المعنى وإن
كان ظاهر اللفظ ذلك بل المعنى لا يسخر أحد من أحد وإنما ذكر الجمع والمراد به
كل فرد فرد من متناوله لعموم البدل وكأنه إذا سخر الواحد كان بمجلسه ناس

يضحكون على قوله او بلغت سخريته ناسًا فضحكوا فينقلب الحال الى جماعة
عسى ان يكونوا اي المسخور منهم خيرًا منهم اي من الساخرين بهم وهذه الجملة مستانفة
وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه اي ربما يكون
المسخور منه عند الله خيرًا من الساخر لان العلم بخفيات الامور انما هو لله وعن
ابن مسعود لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبًا ولا نساء من نساء روي ان عائشة
وحفصة رضي الله عنهما رأتا ام سلمة ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفه
خلفها فقالت عائشة لحفصة انظري الى ما يجر خلفها كانه لسان كلب ۝
وعن عائشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة
وعن انس كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم يعيرن ام سلمة بالقصر فقالت صفية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها
هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وقرأ عبد الله وابي عسوا ان
يكونوا وعسين ان يكن فعسى ناقصة والجمهور عسى فيهما فهي تامة وهما لغتان
الاضمار لغة تميم وتركه لغة الحجاز ولا تلمزوا انفسكم ضم الميم في تلمزوا الحسن والاعرج
وعبيد عن ابي عمرو وقال ابو عمرو وهي عربية والجمهور بالكسر واللمز بالقول والاشارة
ونحوه مما يفهمه آخر والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى لا يعب بعضكم بعضًا
كما قال فاقتلوا انفسكم لان المومنين كنفس واحدة اذ هم اخوة كالبنيان يشد
بعضه بعضًا وكالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى ومفهوم
انفسكم ان له ان يعيب غيره ممن لا يدين بدينه ففي الحديث اذكروا الفاجر بما فيه
كي يحذره الناس وقيل المعنى لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق اللمز به
فقد لمز نفسه ولا تنابزوا بالالقاب اللقب ان دل على ما يكرهه المدعو به كان
منهيًا واما اذا كان حسنًا فلا ينهى عنه وما زالت الالقاب الحسنة في الامم
كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي ان بني سلمة
كانوا قد كثرت فيهم الالقاب فنزلت الاية بسبب ذلك وفي الحديث كنوا
اولادكم قال عطا مخافة الالقاب وعن عمر اشيعوا الكنى فانها سنة انتهى
ولا سيما اذا كانت الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها احد مع من تكنى بها في عصره
فانها يطير بها ذكره في الآفاق وتتهادى اخباره الرفاق كما جرى في كنيتي
بابي حيان واسمي محمد فلو كانت كنيتي ابا عبد الله او ابا بكر مما يقع فيه الاشتراك
لم اشتهر تلك الشهرة واهل بلادنا جزيرة الاندلس كثيرًا ما كانوا يلقبون
الالقاب القبيحة حتى قال فيهم ابو مروان الطبني ۝

• يا اهل اندلس ما عندكم ادب • بالمشرق الادب النفاح بالطيب •
• يدعى الشباب شيوخًا في مجالسهم • والشيخ عندكم يدعى بتلقيب •

فمن علماء بلادنا وصالحيهم من يدعى بالوزغي وباللص وبوجه نافخ وكل هذا يحرم
تعاطيه قيل وليس هذا قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه
مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف ولا اذى قالوا وقد قال
ابن مسعود لعلقمة وتقول انت ذلك يا اعور وقال ابن زيد اي لا يقول احد لاحد

يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو ذلك وتلاحى ابن ابي حدرد
وكعب بن مالك فقال له كعب يا اعرابي يريد ان يبعده من الهجرة فقال
له الآخر يا يهودي يريد المخالطة لليهود في يثرب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اي بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالالقاب فتكونون فساقًا بالمعصية
بعد ايمانكم او بئس ما يقوله الرجل لاخيه يا فاسق بعد ايمانه وقال الرماني
هذه الاية تدل على انه لا يجتمع الفسوق والايمان انتهى وقال الزمخشري نحو قول
الرماني قال استقباح الجمع بين الايمان والفسق الذي يأباه الايمان وهذه نزعة
اعتزالية وقال الزمخشري الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس
بالكرم وباللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين
الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمومنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا
بالفسق ومن لم يتب اي عن هذه الاشياء فاولئك هم الظالمون تشديد وحكم بظلم من لم
يتب ۝ اجتنبوا كثيرًا من الظن اي لا تعملوا على حسبه وامر تعالى باجتناب الكثير ليفحص المومن عن كل ظن يظنه حتى يعلم
عن ظن الابعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله والمامور باجتنابه هو بعض الظن
المحكوم عليه بانه اثم وتمييز المجتنب من غيره انه لا تعرف له امارة صحيحة وسبب
ظاهر كمن يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج الى حانات الخمر وصحبة
نساء المغاني وادمان النظر الى المرد فمثل هذا يقوي الظن فيه انه ليس من اهل
الصلاح ولا اثم فيه وان كنا لا نراه يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبث بالشباب
بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء فهذا هو المنهي عنه ويجب ان يزيله
وحكمه وتناول الخبر ان الاثم هو الذي يستحق صاحبه العقاب ۝ وقال الزمخشري
والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه انتهى وهذا ليس
بشيء لان تصريف هذه الكلمة مستعمل فيها الهمزة تقول اثم يأثم فهو آثم والاثم
والاثام فالهمزة اصل وليست بدلًا من واو وما يثم فاصله يؤثم وموم من مادة
اخرى ۝ وقيل الاثم متعلق بتكلم الظان اما اذا لم يتكلم فهو في فسحة لانه
لا يقدر على دفع الخواطر التي يبيحها قول النبي عليه السلام الحزم سوء الظن
وقرأ الجمهور ولا تجسسوا بالجيم وقرأ الحسن وابو رجاء وابن سيرين بالحاء
وهما متقاربان نهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما
ستروه وقيل لابن مسعود هل لك في فلان تقطر لحيته خمرًا فقال انا قد
نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به وفي الحديث ان الامير اذا ابتغى الريبة
في الناس افسدهم وقد وقع عمر في حراسته على من كان في ظاهره ريبة وكان
دخل عليه هجمًا فلما ذكر له نهي الله عن التجسس انصرف عمر ولا يغتب بعضكم
بعضًا يقال غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب
كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر الرجل بما يكره مما هو فيه وفي الحديث سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة فقال ان تذكر من المرء ما يكره ان يسمع
فقال يا رسول الله وان كان حقًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قلت باطلًا فذلك البهتان ۝ وفي الصحيح فقد بهته وقال ابن عباس

الغيبة إدام كلاب الناس. وقالت عائشة عن امرأة ما رأيت أجمل منها إلا
أنها قصيرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها نظرت إلى أسوأ ما فيها
فذكرته. وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الغيبة
أشد من الزنا لأن الزاني يتوب الله عليه والذي يغتاب فلا يتاب
حتى يستحل. وعرض المسلم مثل دمه في التحريم وفي الحديث المستفيض فإن الله
حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ولا يباح من هذا المعنى إلا ما تدعو الضرورة
إليه من تجريح الشهود والرواة والخطاب إذا استنصح من يخطب إليه من يعرفهم
والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ومنه: وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم. أيحب
أحدكم قال الزمخشري تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع
وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى **منها** الاستفهام الذي معناه التقرير **ومنها**
جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة **ومنها** إسناد الفعل إلى أحدكم
والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك **ومنها** أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب
بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا **ومنها** أنه لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل
ميتا انتهى. وقال الرماني كراهية هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهية
الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم والطبع أعمى
جاهل انتهى. وقال أبو زيد السهيلي ضرب المثل لأخذ العرض بأكل
اللحم لأن اللحم ستر على العظم والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من
ستر وقال تعالى ميتا لأن الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول
فيه المغتاب ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت انتهى. وفي الحديث ما صام
من ظل يأكل لحوم الناس. وقال أبو قلابة الرقاشي سمعت أبا عاصم يقول
ما اغتبت أحدا مذ عرفت ما في الغيبة. وقيل لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك
فلان حتى رحمناك قال إياه فارحموا. وقال رجل للحسن بلغني أنك
تغتابني قال لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي. وانتصب ميتا
على الحال من لحم وأجاز الزمخشري أن ينتصب عن الأخ وهو ضعيف لأن المجرور
بالإضافة لا يجيء الحال منه إلا إذا كان له موضع من الإعراب نحو أعجبني ركوب
الفرس مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس في موضع نصب وزيد في موضع رفع
وقد أجاز بعض أصحابنا أنه إذا كان الأول جزءا أو كالجزء انتصاب الحال
من الثاني وقد رددنا عليه ذلك في ما كتبناه في علم النحو. فكرهتموه قال
الفراء أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه وقيل لما وقفهم على التوبيخ بقوله أيحب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا **فالجواب** عن هذا لأنهم في حكم من يقولها فخوطبوا
على أنهم قالوا لا فقيل لهم فكرهتموه وبعد هذا يقدر فلذلك فاكرهوا الغيبة
التي هي نظير ذلك وعلى هذا المقدر يعطف قوله واتقوا الله قاله أبو علي
الفارسي وفيه عجرفة العجم. وقال الزمخشري ولما قررهم عز وجل بأن
أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه أي فتحققت
بوجوب الإقرار عليكم بأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم

أن تجحدوه

أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة و
الطعن في أعراض المسلمين انتهى. وفيه أيضا عجرفة العجم والذي قدره الفراء
أسهل وأقل تكلفا وأجرى على قواعد العربية. وقيل لفظه خبر ومعناه الأمر تقديره
فاكرهوه ولذلك عطف عليه واتقوا الله ووضع الماضي موضع الأمر في لسان العرب
ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه أي ليتق الله ولذلك انجزم يثب على جواب
الأمر. وما أحسن ما جاء الترتيب في هذه الآية جاء الأمر أولا باجتناب الطريق
التي لا تؤدي إلى العلم وهو الظن ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير
علما بقوله ولا تجسسوا ثم نهى ثالثا عن ذكر ذلك إذا علم فهذه أمور ثلاثة مترتبة
ظن فعلم بالتجسس فاغتياب. والضمير المنصوب في فكرهتموه الظاهر أنه عائد على الأكل
وقيل على اللحم وقيل على الميت. **وقرأ** أبو سعيد الخدري والجحدري وأبو حيوة
فكرهتموه بضم الكاف وشد الراء ورواها الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم والجمهور
بفتح الكاف وخف الراء وكره يتعدى إلى واحد فقياسه إذا ضعف أن يتعدى
إلى اثنين كقراءة الخدري ومن معه أي جعلتم فكرهتموه فأما قوله وكره إليكم الكفر
فعلى التضمين لمعنى بغض وهو يتعدى لواحد وبإلى إلى آخر وبغض منقول بالتضعيف
من بغض الشيء إلى زيد. والظاهر عطف واتقوا الله على ما قبله من الأمر والنهي

قوله عز وجل يا أيها الناس

۝ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون
قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء
عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم
للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير
بما تعملون ۝ قيل غضب الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد حين أذن بلال يوم
فتح مكة على الكعبة فنزلت يا أيها الناس. وعن ابن عباس سببها قول ثابت بن قيس
لرجل لم يفسح له عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن فلانة فوبخه النبي عليه السلام
وقال له إنك لا تفضل أحدا إلا في الدين والتقوى فنزلت. ونزل الأمر بالنهي عن
التفاخر في ذلك أيضا من ذكر وأنثى أي من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم
فكل واحد منكم مساو للآخر في ذلك فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبا وقبائل
وتقدم الكلام على شيء من ذلك في المفردات. وقيل الشعوب في العجم والقبائل
في العرب والأسباط في بني إسرائيل وقيل الشعوب عرب اليمن من قحطان
والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان وقال قتادة ومجاهد والضحاك
الشعب النسب الأبعد والقبيلة الأقرب **قال الشاعر**

۝ قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

وقيل الشعوب الموالي والقبائل العرب وقال أبو روق الشعوب الذين

ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم انتهى
وواحد الشعوب شعب بفتح الشين وشعب بطن من همدان ينسب إليه عامر
الشعبي من سادات التابعين والنسب إلى الشعوب شعوبية بفتح الشين قيل
وهم الأمم التي ليست بعرب وقيل هم الذين يفضلون العجم على العرب وكان أبو عبيدة
خارجيا شعوبيا وله كتاب في مثالب العرب ولابن غرسية رسالة فصيحة
في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه ذلك علماء الأندلس برسائل عديدة **وقرأ** الجمهور
لتعارفوا مضارع تعارف محذوف التاء والأعمش بتاءين ومجاهد وابن كثير في رواية
وابن محيصن بإدغام التاء في التاء وابن عباس وأبان عن عاصم لتعرفوا مضارع
عرف والمعنى أنه جعلكم ما ذكر كي يعرف بعضكم بعضا في النسب فلا ينتمي إلى غير آبائه
لا التفاخر بالآباء والأجداد ودعوى التفاضل وهي التقوى وفي خطبته عليه السلام
يوم فتح مكة إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ
الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وما أكثر التفاخر
بالأنساب في الجاهلية والإسلام وبالبلاد وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنائع
وأكثرها بالأنساب ه

واعجب شيء إلى عاقل * فروع عن المجد مستأخره
إذا سئلوا ما لهم من علا * أشاروا إلى أعظم ناخره

ومن ذلك افتخار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم واحترام الناس لهم
بذلك وتعظيمهم لهم وإن كان الأولاد بخلاف الآباء في الدين والصلاح
الجمهور إن بكسر الهمزة وابن عباس بفتحها وكأنه قرأ لتعرفوا مضارع عرف فاحتمل
أن تكون أن معمولة لتعرفوا وتكون اللام في لتعرفوا لام الأمر وهو أجود من حيث
المعنى وأما إن كانت لام كي فلا يظهر المعنى إذ جعلهم شعوبا وقبائل لأن تعرفوا
أن الأكرم هو الأتقى فإن جعلت مفعول لتعرفوا محذوفا أي لتعرفوا الحق لأن أكرمكم
عند الله أتقاكم ساغ في لام لتعارفوا أن تكون لام كي ه قالت الأعراب آمنا قال
مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة أظهروا الإسلام وقلوبهم
دغلة إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا وقيل مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار
قالوا آمنا فاستحققنا الكرامة فرد الله عليهم بقوله قل لم تؤمنوا أكذبهم الله
في دعوى الإيمان ولم يصرح بإكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء إيمانهم وهذا
في أعراب مخصوصين وقد قال تعالى ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر
الآية ولكن قولوا أسلمنا فهو اللفظ الصادق من أقوالكم وهو الاستسلام والانقياد
ظاهرا ولم يواطئ أقوالكم ما في قلوبكم فلذلك قال ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وجاء
النفي بلما الدالة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار وتبين أن قوله لم تؤمنوا لا يراد
به انتفاء الإيمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمان الإخبار أيضا لأنك إذا
نفيت بلم جاز أن يكون النفي قد انقطع ولذلك يجوز أن تقول لم يقم زيد وقد قام وجاز
أن يكون النفي متصلا بزمن الإخبار فإذا كان متصلا بزمن الإخبار لم يجز أن تقول
وقد قام للتكاذب الخبرين وأما لما فإنها تدل على نفي الشيء متصلا بزمان الإخبار

وكذلك

وكذلك امتنع لما يقم زيد وقد قام للتكاذب والظاهر أن قوله ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم ليس له تعلق بما قبله من جهة الإعراب وقال الزمخشري **فإن قلت**
هو بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة **قلت**
ليس كذلك فإن فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين
لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله قولوا
انتهى والذي يظهر أنهم أمروا أن يقولوا أسلمنا غير مقيد بحال وأن ولما
يدخل الإيمان إخبار غير مقيد قيد في قولهم وقال الزمخشري وما في لما من معنى
التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد انتهى ولا أدري من أي وجه يكون ما نفي
بلما يقع بعد ولما إنما ينفي ما كان متصلا بزمان الإخبار ولا يدل على ما ذكر وهي جواب
لقد فعل وحسب أن قد تدل على توقع الفعل فإذا نفي ما دل على التوقع فكيف يتوهم أنه
يقع بعد وإن تطيعوا الله ورسوله بالإيمان والأعمال وهذا فتح لباب التوبة
وقرأ الجمهور لا يلتكم من لات يليت وهي لغة الحجاز والحسن والأعرج وأبو عمرو لا يألتكم
من ألت وهي لغة غطفان وأسد ثم لم يرتابوا ثم تقتضي التراخي وانتفاء الريبة
يجب أن يقارن الإيمان فقيل من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان أي ثم أقول
لم يرتابوا وقيل قد يخلص الإيمان ثم يعترضه ما يثلم الإخلاص فنفى ذلك فحصل التراخي
أو أريد انتفاء الريبة في الأزمان المتراخية المتطاولة فحاله في ذلك كحاله في
الزمان الأول الذي آمنوا فيه أولئك هم الصادقون أي في قولهم آمنا حيث
طابقت ألسنتهم عقائدهم وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال
وفي سبيل الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية وليسوا كأعراب بني أسد
في قولهم آمنا وهم كاذبون في ذلك قل أتعلمون الله بدينكم هي منقولة من علمت به أي
شعرت به ولذلك تعدت إلى واحد بنفسها وإلى الآخر بحرف الجر لما نقلت بالتضعيف
وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا أن ذلك يخفى على الله تعالى ثم ذكر إحاطة علمه
بما في السموات والأرض ويقال من عليه بيد أسداها إليه أي أنعم عليه والمنة
النعمة لا تطلب لها ثواب ثم يقال من عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما
أي يعتدون عليك أن أسلموا فإن أسلموا في موضع المفعول ولذلك تعدى إليه
في قوله قل لا تمنوا علي إسلامكم ويجوز أن يكون أن أسلموا مفعولا من أجله أي
يتفضلون عليك بإسلامهم أن هداكم للإيمان بزعمكم وتعليق المن بهدايتهم
بشرط الصدق يدل على أنهم ليسوا مؤمنين إذ قد بين تعالى كذبهم في قولهم آمنا
بقوله قل لم تؤمنوا **وقرأ** عبد الله وزيد بن علي إذ هداكم جعلا إذ مكان أن
وكلاهما تعليل وجواب الشرط محذوف أي كنتم صادقين فهو المنة عليكم **وقرأ**
ابن كثير وأبان عن عاصم يعملون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب **بسقت** النخلة
بسوقا طالت **قال الشاعر**

لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها أيدي الجناة

المفردات

وبسق فلان على أصحابه أي علاهم ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم • بسقت على قيس فزاره

ويقال بسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع في ضرعها اللبأ قبل النتاج فهي مبسق ونوق مباسيق. حاد عن الشيء مال عنه حيودا وحيدة وحيدودة. الوريد عرق كبير في العنق يقال إنهما وريدان عن يمين وشمال وقال الفراء هو ما بين الحلقوم والعلباوين وقال الأثرم هو نهر الجسد هو في القلب الوتين وفي الظهر الأبهر وفي الذراع والفخذ الأكحل والنسا وفي الخنصر الأسلم وقال الزمخشري والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه سمي وريدا لأن الروح ترده قال كأن وريديه رشا صلب

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد • بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب • أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد • قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ • بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج • أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج • والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد • والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج • كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود • وعاد وفرعون وإخوان لوط • وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد •

هذه السورة مكية قال ابن عطية بإجماع من المتأولين وفي التحرير قال ابن عباس وقتادة مكية إلا آية وهي قوله ولقد خلقنا السموات والأرض الآية ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا آمنا لم يكن إيمانهم حقا وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول فقال بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وعدم الإيمان أيضا يدل على إنكار البعث فلذلك أعقبه به ق حرف هجاء وقد اختلف المفسرون في مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة لا دليل على صحة شيء منها فاطرحت نقلها في كتابي والقرآن مقسم به والمجيد صفته وهو الشريف على غيره من الكتب والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره أنك جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا وقيل ما ردوا أمرك بحجة وقال الأخفش والمبرد والزجاج تقديره لتبعثن وقيل الجواب مذكور فعن الأخفش قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعن ابن كيسان والأخفش ما يلفظ من قول وعن نحاة الكوفة والمعنى لقد عجبوا وقيل إن في ذلك لذكرى وهو اختيار محمد بن علي الترمذي وقيل ما يبدل القول لدي وهذه كلها أقوال ضعيفة وقرأ الجمهور قاف بسكون الفاء وبفتحها عيسى وبكسرها الحسن وابن أبي إسحق وأبو السمال وبالضم هرون وابن السميفع وبالضم الحسن أيضا فيما نقل ابن خالويه والأصل في حروف المعجم إذا لم تركب مع عامل أن تكون موقوفة فمن

فتح

فتح قاف عدل إلى أخف الحركات ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين ومن ضم فكما ضم قط ومنذ وحيث بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا صدقه وأمانته ونصحه فكان المناسب منهم أن لا يعجبوا وهذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى فأي بعد في أن يبعث من يخوف وينذر عما يكون في المآل من البعث والجزاء والضمير في بل عجبوا عائد على الكفار ويكون قوله فقال الكافرون تنبيها على العلة الموجبة للعجب وهو أنهم قد جبلوا على الكفر فلذلك عجبوا وقيل الضمير عائد على الناس قيل لأن كل مفطور يعجب من بعثة بشر رسولا من الله لكن من وفق نظر فاهتدى وآمن ومن خذل ضل وكفر وحاج بذلك العجب والإشارة بقولهم هذا شيء عجيب الظاهر أنها إلى مجيء منذر من البشر وقيل إلى ما تضمنه الإنذار وهو الإخبار بالبعث وقال الزمخشري وهذا إشارة إلى المرجع انتهى وفيه بعد وقرأ الجمهور أئذا بالاستفهام وهم على أصولهم في تحقيق الثانية وتسهيلها والفصل بينهما وقرأ الأعرج وشيبة وأبو جعفر وابن وثاب والأعمش وابن عتبة عن ابن عامر إذا بهمزة واحدة على صورة الخبر فجاز أن يكون استفهاما حذفت منه الهمزة وجاز أن يكونوا عدلوا إلى الخبر وأضمر جواب إذا أي إذا متنا وكنا ترابا رجعنا وأجاز صاحب اللوامح أن يكون الجواب ذلك رجع بعيد على تقدير حذف الفاء وقد أجاز بعضهم ذلك في جواب الشرط إذا كان جملة اسمية وقصره أصحابنا على الشعر في الضرورة وأما في قراءة الاستفهام فالظرف منصوب بمضمر أي أنبعث إذا متنا والإشارة بقوله ذلك إلى البعث رجع بعيد أي مستبعد في الأوهام والفكر وقال الزمخشري وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع انتهى وأخذه من قول ابن جني قال ابن جني ويحتمل أن يكون المعنى أئذا متنا بعد رجعنا فدل رجع بعيد على هذا الفعل ويحل محل الجواب لقولهم أئذا وقال الزمخشري ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى وكون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع وأنه من كلام الله لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن إدراكه فهم العرب قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي من لحومهم وعظامهم وأبشارهم قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور وهذا فيه رد لاستبعادهم الرجع لأن من كان عالما بذلك كان قادرا على رجعهم وقال السدي أي ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم وهذا يتضمن الوعيد وعندنا كتاب حفيظ أي حافظ لما فيه جامع لا يفوت منه شيء أو محفوظ من البلى والتغير وقيل هو عبارة عن العلم والإحصاء وفي الخبر الثابت أن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة فيه يركب ابن آدم بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقدروا قبل هذا الإضراب جملة يكون مضروبا عنها أي ما أجادوا النظر بل كذبوا وقيل لم يكذب المنذر بل كذبوا والغالب أن الإضراب تكون بعد جملة منفية وقال

الزمخشري بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو
اقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات انتهى
وكان هذا الاضراب الثاني بدل بدا من الاول وكلاهما بعد ذلك الجواب
الذي قدرناه جوابا للقسم فلا يكون قبل بل الثانية ما قدروه من قولهم ما اجادوا
النظر بل كذبوا بالحق والحق القرآن او البعث او الرسول او الاسلام اقوال وقرأ
الجمهور لما جاءهم اي لم يفكروا بل بادروا فيه بل باول ما جاءهم كذبوا والجحدري لما بكسر اللام
وتخفيف الميم وما مصدرية واللام لام الجر كهي في قولهم كتبته لخمس خلون
اي عند مجيئهم اياه فهم في امر مريج قال الضحاك وابن زيد مختلط مرة ساحر
ومرة كاهن وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقال ابو هريرة
فاسد ومرجت امانات الناس فسدت ومرج الدين اختلط •

قال ابو واقد

• ومرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبول الكتد ۞
وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وعنه ايضا مختلط ۞

وقال الشاعر

• فجالت والتمست له حشاها فخر كانه خوط مريج ۞ واصل المرج
الاضطراب والقلق مرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال ويجوز ان يكون الامر
المريج باعتبار انتقال افكارهم فيما جاء به المنذر وان اعدم قبولهم او لانذاره
اياهم ثم التعجب منهم ثم استبعاد البعث الذي انذرهم به ثم التكذيب لما جاء به
اولم ينظروا حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول الى اثار قدرة الله في العالم
العلوي والسفلي كيف بنيناها مرتفعة من غير عمد وزيناها بالنيرات وبالنجوم
وما لها من فروج اي من فتوق وشقوق بل هي سليمة من كل خلل والارض مددناها
بسطناها رواسي اي جبالا ثوابت تمنعها من التكفؤ من كل زوج اي نوع بهيج
اي حسن المنظر يبهج اي يسر من نظر اليه وقرأ الجمهور تبصرة وذكرى بالنصب
وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما اي بصر وذكر وقيل مفعول من اجله وقرأ
زيد بن علي تبصرة بالرفع وذكرى معطوف عليه اي ذلك الخلق على ذلك الوصف
تبصرة والمعنى يتبصر بذلك ويتذكر كل عبد منيب اي راجع الى ربه مفكر في بدائع
صنعه ماء مباركا اي كثير المنفعة وحب الحصيد اي الحب الحصيد فهو من اضافة
الموصوف الى صفته كما يقوله الكوفيون او حب الزرع الحصيد فهو من حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه كما يقوله البصريون والحصيد كل ما يحصد
مما له حب كالبر والشعير باسقات اي طوالا في العلو وهو منصوب على الحال
وهي حال مقدرة لانها حالة الانبات لم تكن طوالا وباسقات جمع والنخل اسم
جنس فيجوز ان يذكر نحو قوله منقعر وان يؤنث نحو قوله نخل خاوية وان يجمع
باعتبار افراده ومنه باسقات وقوله وينشئ السحاب الثقال والجمهور باسقات
بالسين وروى قطبة بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ باصقات
بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون من السين صادا اذا وليتها او فصل

او حرفين خاء او عين او قاف او طاء لها طلع نضيد من نعت لنخل وهو طلعها
اول ما يظهر قبل ان ينشق نضيد اي منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع وتراكمه
او كثرة ما فيه من الثمر واول ظهور الثمر في الكفرى هو ابيض منضد كحب الرمان
فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فاذا خرج من الكفرى تفرق فليس
بنضيد ورزقا نصب على المصدر لان معنى وانبتنا رزقنا او على انه مفعول له
وقرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل والاشارة في كذلك
الى الاحياء اي الخروج من الارض احياء بعد موتكم مثل ذلك الحيوة للبلدة الميت
وهذه كلها امثلة وادلة على البعث وذكر تعالى في السماء ثلاثة البناء والتزيين
ونفي الفروج وفي الارض ثلاثة المد والرواسي والانبات قابل المد بالبناء لان
المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما
والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به
الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة او سنتين ويقطف
كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع
قوت والثمر فاكهة وقوت ۞ ولما ذكر قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم ذكر من
كذب الانبياء تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على مفردات
هذه الاية وقصص من ذكر فيها وقرأ ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام
التعريف والجمهور ليكة ۞ كل كذب الرسل اي كلهم اي جميعهم كذب وحمل على لفظ كل
فافرد الضمير في كذب وقال الزمخشري يجوز ان يراد به كل واحد منهم انتهى
والتنوين في كل تنوين عوض من المضاف اليه المحذوف واجاز محمد بن الوليد وهو
من قدماء نحاة مصر ان يحذف التنوين من كل جعله غاية ويبنى على الضم كما يبنى قبل
وبعد فاجاز كل منطلق بضم اللام دون تنوين ورد ذلك عليه الاخفش الصغير
وهو علي بن سليمان فحق وعيد اي وجب تعذيب الامم المكذبة واهلاكهم وفي ذلك
تسلية للرسول وتهديد لقريش ومن كذب الرسول ۞ افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس
من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور
ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ۞ افعيينا بالخلق الاول
وهو انشاء الانسان من نطفة على التدريج وتقدم تفسير عيي في قوله ولم يعي بخلقهن
وقرأ الجمهور افعيينا بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ماضي كرضي وقرأ ابن ابي عبلة
والوليد بن مسلم والقورصي عن ابي جعفر والسمسار عن شيبة وابو بحر عن نافع بتشديد
الياء من غير اشباع في الثانية هكذا قال ابو القاسم الهذلي في كتاب
الكامل وقال ابن خالويه في كتاب شواذ القراآت له افعينا بتشديد
الياء ابن ابي عبلة وفكرت في توجيه هذه القراءة اذ لم يذكر احد توجيهها فخرجتها
على لغة من ادغم الياء في الياء في الماضي فقال عي في عيي وحي في حيي
فلما ادغم الحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام فقال عينا وهي

م

القاء حم

قوله عز وجل افعيينا بالخلق

لغة لبعض بكر بن وائل يقولون في رددت وردّدنا رددت وردنا فلا يفكون
وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة فلو كان نا ضمير نصب فاجمعت
العرب على الادغام محوردنا زيدا وقال الحسن الخلق الاول آدم والمعنى
اعجزنا عن الخلق الاول فنعجز عن الخلق الثاني وهذا توقيف للكفار
وتوبيخ واقامة الحجة الواضحة عليهم بل هم في لبس اي خلط وشبهة وحيرة
ومنه قول علي يا جابر انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله من خلق جديد
اي من البعث من القبور ولقد خلقنا الانسان هذه الآيات فيها اقامة حجج على
الكفار في انكارهم البعث والانسان اسم جنس وقيل آدم ونحن اقرب قرب
علم به وباحواله لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال
الله في كل مكان اي بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب
كقول العرب هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار

قال ذو الرمة ٥ والموت ادنى لي من الوريد ٥ والحبل العرق
شبه بواحد الحبال واضافته الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية او يراد
حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد
والعامل في اذ اقرب وقيل اذكر فقيل ويحسن تقدير اذكر لانه اخبر خبرا مجردا
بالخلق والعلم بخطرات الانفس والقرب بالقدرة والملك فلما تم الاخبار
اخبر بذكر الاحوال التي تصدق هذا الخبر وتعين وروده عند السامع فمنها
اذ يتلقى المتلقيان ومنها مجيء سكرة الموت ومنها النفخ في الصور ومنها
مجيء كل نفس معها سائق وشهيد والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان
ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات ٥ وقال
الحسن الحفظة اربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقعيد مفرد فاحتمل
ان يكون معناه مقاعد كما تقول جليس وخليط اي مجالس ومخالط وان يكون عدل
من فاعل الى فعيل للمبالغة كعليم قال الكوفيون مفرد اقيم مقام اثنين
والاجود ان يكون حذف من الاول لدلالة الثاني عليه اي عن اليمين قعيد
كما قال الشاعر

رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني ٥

على احسن الوجهين فيه اي كنت منه بريا ووالدي بريا ومذهب المبرد ان
التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاخر قعيد عن موضعه ومذهب الفراء
ان لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع فلا يحتاج الى تقدير وقرأ الجمهور
ما يلفظ بكسر الفاء ومحمد بن ابي معدان بفتحها والظاهر ما يلفظ من قول العموم
قال مجاهد وابو الجوزاء يكتب عليه كل شيء حتى انينه في مرضه وقال
الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات
ويمحو غير ذلك وقيل هو مخصوص اي من قول خير او شر وقال معناه عكرمة
وما خرج عن هذا لا يكتب واختلفوا في تعيين محل قعود الملكين ولا يصح فيه
شيء رقيب ملك يرقب عتيد حاضر واذا كان على اللفظ رقيب عتيدا

فاجري على العمل وقال الحسن فاذا مات طويت صحيفته وقيل له يوم القيمة
اقرأ كتابك وجاءت سكرة الموت هو معطوف على اذ يتلقى وسكرة الموت ما يعتري
الانسان عند نزاعه والباء في بالحق للتعدية اي جاءت سكرة الموت الحق وهو
الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث الله به رسله من سعادة الميت او شقاوته
او للحال اي ملتبسة بالحق وقرأ ابن مسعود سكرات جمعا ذلك ما كنت منه تحيد
اي تميل تقول اعيش كذا واعيش كذا فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه عنه وامله
الى مسافة بعيدة من الزمن ومن الحيد الحذر من الموت وظاهر تحيد انه خطاب
للانسان الذي جاءته سكرة الموت وقال الزمخشري الخطاب للفاجر تحيد تنفر
وتهرب ذلك يوم الوعيد هو على حذف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة
الى المصدر ونفخ واضاف اليوم الى الوعيد وان كان يوم الوعد والوعيد معا على سبيل
التخويف وقرأ الجمهور معها وطلحة بالحاء مثقلة ادغم العين في الهاء فانقلبتا
حاء كما قالوا ذهب محم يريد معهم سائق وجاءت على السير وشهيد يشهد عليه قال
عثمان بن عفان ومجاهد وغيرهما ملكان هو كلان بكل انسان يسوقه والاخر
من حفظه يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك والشهيد النبي وقيل
الشهيد الكتاب الذي يلقاه منشورا والظاهر ان قوله سائق وشهيد اسما
جنس فالسائق ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من يشهد
وقال ابن عباس والضحاك السائق ملك والشهيد جوارح الانسان قال
ابن عطية وهذا يبعد على ابن عباس لان الجوارح انما تشهد بالمعاصي وقوله
كل نفس يعم الصالحين فانما معناه وشهيد بخير وشر ويقوى في شهيد اسم الجنس
فتشهد بالخير الملائكة والبقاع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت
المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيمة وقال ابو هريرة السائق
ملك والشهيد العمل وقال ابن مسلم السائق شيطان وهو قول ضعيف وقال
الزمخشري ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك
واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل
معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة
انتهى ولا ضرورة تدعو الى الحال بل الجملة في موضع الصفة اذا عربت معها سائق
وشهيد مبتدا وخبرا او لا فسائق فاعل بالظرف قبله لانه قد اعتمد فالظرف
في موضع الصفة واما قوله لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة فكلام
ساقط لا يصدر عن مبتدي في النحو لانه لو نعت كل نفس لما نعت الا بالنكرة فهو
نكرة على كل حال فلا يمكن ان يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة ٥ لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه
هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي
جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول

قوله عز وجل لقد كنت في غفلة

كل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ
من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود
لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد قرأ الجمهور لقد كنت في غفلة بفتح التاء والجحدري
بكسرها على مخاطبة النفس وقرأ الجمهور عنك غطاءك فبصرك بفتح الكاف
والكاف حملا على لفظ كل من التذكير والجحدري وطلحة بن مصرف بكسر الكاف في الثلاثة
على مخاطبة النفس وثانيثها لتقدم ذكرها والعائد عليها في قوله معها وقرأ
الجحدري وطلحة بكسرها ولم ينقل الكسر في الكاف صاحب اللوامح إلا عن طلحة وحده
قال صاحب اللوامح ولم أجد عنه في لقد كنت الكسر فإن كسر فالجميع شرع واحد
وإن فتح لقد كنت فحمل على كل أنه مذكر ويجوز تأنيث كل في هذا الباب لإضافته
إلى النفس وهي مؤنث وإن كان كذلك فإنه حمل بعضه على اللفظ وبعضه على المعنى
مثل قوله فله أجره ثم قال ولا خوف عليهم انتهى قال ابن عباس وصالح
ابن كيسان والضحاك يقال للكافر الغافل من ذوي النفس التي معها السائق
والشهيد إذا حصل بين يدي الرحمن وعاين الحقائق التي لا يصدق بها في الدنيا
ويتغافل عن النظر فيها لقد كنت في غفلة من هذا اليوم عاقبة الكفر فلما كشف
الغطاء عنك احتد بصرك أي بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن
وقال مجاهد هو بصر العين أي احتد التفاته إلى ميزانه وغير ذلك من أهوال
القيامة وعن زيد بن أسلم قول في هذه الآية يحرم نقله وهو في كتاب ابن عطية
وكنى بالغطاء عن الغفلة كأنها غطت جميعه أو عينيه فهو لا يبصر فإذا كان
في القيامة زالت عنه الغفلة فأبصر ما كان لم يبصره من الحق وقال قرينه
أي من زبانية جهنم هذا العذاب الذي لدي لهذا الإنسان الكافر عتيد
حاضر ويحسن هذا القول إطلاق ما على ما لا يعقل وقال قتادة وابن زيد
قرينه الملك الموكل بسوقه أي هذا الكافر الذي أسوقه لدي حاضر وقال
الزهراوي وقيل قرينه شيطانه وهذا ضعيف وإنما وقع فيه أن القرين في
قوله ربنا ما أطغيته هو شيطانه في الدنيا ومغويه بلا خلاف ولفظ القرين
اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين ومماشي الإنسان في طريقه
قرين وقيل قرينه هنا عمله قلبا وجوارح وقال الزمخشري وقال قرينه
هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له
قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي
عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول
قد أعتدته لجهنم وهيأته لها بإغوائي وإضلالي انتهى وهذا قول مجاهد والحسن
وقال الحسن وقتادة أيضا الملك الشهيد عليه وقال الحسن أيضا هو
كاتب سيئاته وما نكرة موصوفة بالظرف وبعتيد أو موصولة والظرف صلتها
وعتيد قال الزمخشري بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف انتهى وقرأ
الجمهور عتيد بالرفع وعبد الله بالنصب على الحال والأولى إذ ذاك أن تكون
ما موصولة ٥ ألقيا في جهنم الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد وقيل

للملكين

للملكين من ملائكة العذاب فعلى هذا الألف ضمير الاثنين وقال مجاهد وجماعة
هو قول إما للسائق وإما للذي هو من الزبانية وعلى أنه خطاب للواحد وقال
المبرد معناه ألق ألق فثني وقال الفراء هو من خطاب الواحد بخطاب الاثنين
وقيل الألف بدل من النون الخفيفة أجري الوصل مجرى الوقف وهذه أقوال
مرغوب عنها ولا ضرورة تدعو إلى الخروج عن ظاهر اللفظ كقول مجاهد وقرأ الحسن
ألقين بنون التوكيد الخفيفة وهي شاذة مخالفة لنقل التواتر بالألف كل كفار
مبالغة أي يكفر النعمة والمنعم عنيد قال قتادة منحرف عن الطاعة وقال
الحسن جاحد متمرد وقال السدي المشاق من العند وهو عظم يعرض في الحلق
وقال ابن بحر المعجب بما فيه مناع للخير قال قتادة ومجاهد وعكرمة يعني
الزكاة وقيل بخيل وقيل مانع بني أخيه من الإيمان كالوليد بن المغيرة كان يقول
لهم من دخل منكم فيه لم أنفعه بشيء ما عشت والأحسن عموم الخير في المال
وغيره مريب قال الحسن شاك في الله أو في البعث وقيل متهم الذي جوزوا
فيه أن يكون منصوبا بدلا من كل كفار وأن يكون مجرورا بدلا من كفار وأن يكون مرفوعا
بالابتداء مضمنا معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره وهو فألقياه والظاهر
تعلقه بما قبله على جهة البدل ويكون فألقياه توكيدا وقال ابن عطية
ويحتمل أن يكون صفة من حيث يختص كفار بالأوصاف المذكورة فجاز وصفه
بهذه المعرفة انتهى وهذا ليس بشيء لو وصفت النكرة بأوصاف كثيرة لم يجز
أن توصف بالمعرفة قال قرينه لم تأت هذه الجملة بالواو بخلاف وقال
قرينه قبله لأن هذه استؤنفت كما تستأنف الجمل في حكاية التقاول كما في مقاولة
موسى وفرعون فجرت مقاولة بين الكافر وقرينه ربنا ما أطغيته وأما وقال
قرينه فعطف للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء
كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ومعنى ما أطغيته تنزيه لنفسه من أنه
أثر فيه ولكن كان في ضلال بعيد أي من نفسه لا مني فهو الذي استحب العمى على
الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وكذب
القرين قد أطغاه بوسوسته وتزيينه قال لا تختصموا لدي استئناف أيضا
مثل قال قرينه كأن قائلا قال ما قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي
أي في دار الجزاء وموقف الحساب وقد قدمت إليكم بالوعيد لمن عصاني فلم أترك
لكم حجة ما يبدل القول لدي أي عندي فما أمضيته لا يمكن تبديله وقال الفراء
ما يكذب لدي لعلمي بجميع الأمور وقد قدمت يجوز أن يكون بمعنى تقدمت أي وقد تقدم
قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويكون قدم المتعدية وبالوعيد هو المفعول والباء زائدة
والتقدير كان في الدنيا ونهيهم عن الاختصام في الآخرة فاختلف الزمانان
فلا تكون الجملة من قوله وقد قدمت حالا إلا على تأويل وقد صح عندكم أني قدمت
وصحة ذلك في الآخرة فاتفق زمانا النهي عن الاختصام وصحة التقدم بالحال
على هذا التأويل مقارنة وما أنا بظلام للعبيد تقدم شرح مثله في أواخر آل
عمران والمعنى لا أعذب من لا يستحق العذاب وقرأ يوم يقول بياء الغيبة

الاعرج وشيبة ونافع وابو بكر والحسن وابو رجاء وابو جعفر والاعمش وباقي السبعة
بالنون وعبد الله والحسن والاعمش ايضا يقال مبنيا للمفعول وانتصاب
يوم بظلام او باذكر مضمرة او بانذر كذلك قاله الزمخشري ويجوز ان ينتصب
بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم يقول وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول انتهى
وهذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة فلا يناسب
هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته وهل امتلأت تقرير وتوقيف لا سؤال
استفهام حقيقة لانه تعالى عالم باحوال جهنم قيل وهذا السؤال والجواب من حقيقة
وقيل هو على حذف مضاف اي نقول لخزنة جهنم قاله الرماني وقيل السؤال والجواب
من باب التصوير الذي يثبت المعنى اي حالها حال من لو نطق بالجواب لسائله لقال
كذا وهذا القول يظهر انها اذ ذاك لم تكن ملأى فقولها من مزيد سؤال ورغبة في
الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها وقال الحسن وعمرو وواصل كانت
ملأى وقت السؤال فالمراد على امتلائها كما جاء في الحديث وهل ترك لنا عقيل
من دار اي ما ترك ومزيد يحتمل ان يكون مصدرا واسم مفعول غير بعيد مكانا غير بعيد
وهو تأكيد لازلفت رفع مجاز القرب بالوعد والاخبار فانتصاب غير على الظرف
صفة قامت مقام المكان فاعربت باعرابه واجاز الزمخشري ان ينتصب غير
بعيد على الحال من الجنة قال تذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير
والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث انتهى وكونه على وزن
المصدر لا يسوغ ان يكون المذكر صفة للمؤنث وقال الزمخشري ايضا او على حذف
الموصوف اي شيئا غير بعيد انتهى وكانه يعني ازلافا غير بعيد هذا اشارة للثواب
وقرأ الجمهور ما توعدون خطابا للمؤمنين وابن كثير وابو عمرو بالغيبة اي
هذا القول هو الذي وقع الوعد به وهي جملة اعتراضية بين المبدل منه والبدل
ولكل اواب هو البدل من للمتقين من خشي بدل بعد بدل تابع لكل قاله الزمخشري
وانما جعله تابعا لكل لا بدلا من للمتقين لانه لا يتكرر الابدال من مبدل منه واحد
قال ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ انتهى فهذا يكون التقدير
لكل شخص اواب حفيظ قال ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا
يوصف به ولا يوصف من بين سائر الموصولات الا بالذي انتهى يعني بقوله
في حكم اواب ان يجعل من صفته وهذا حكم صحيح واما قوله ولا يوصف من بين
الموصولات الا بالذي فالحصر فيه ليس بصحيح قد وصفت العرب بما فيه ال
وهو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات في المؤنث
ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به يريد
بالفضل الذي فضلكم والكرامة التي اكرمكم ولا يريد الزمخشري خصوصية
الذي بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك وجوز
ان تكون من موصولة مبتدأ خبره القول المحذوف تقديره يقال لهم ادخلوها
لان معناه الجمع وان تكون شرطية والجواب الفعل المحذوف اي فيقال
وان يكون منادى من لا يرى المحتاج احسن الى وحذف حرف النداء وقال

ابن عطية

ابن عطية يحتمل ان يكون من نعتا انتهى وهذا لا يجوز لان من لا ينعت بها وبالغيب
حال من المفعول اي وهو غائب عنه وانما ادركه بالعلم الضروري اذ كل مصنوع
لا بد له من صانع واجيز ان يكون صفة لمصدر خشي اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب او خشية بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه
وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فيكون حالا من الفاعل وقرن بالخشية الرحمن
ثناء على الخاشي حيث علم انه واسع الرحمة وهو مع ذلك يخشاه ادخلوها بسلام
اي سالمين من العذاب او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم
تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود وهو معادل لقوله
في امر الكفار ذلك يوم الوعيد لهم ما يشاؤون فيها اي ما تعلقت به مشيئاتهم
من انواع الملاذ والكرامات كقوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولدينا مزيد زيادة
او هي مزيد على ما يشاؤون ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ٥ وكما جاء
في الحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ما اطلعتهم عليه ومزيد مبهم فقيل مضاعفة الحسنة بعشر امثالها
وقيل ازواج من حور الجنة وقيل تجلى الله تعالى لهم حتى يرونه ٥ وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم
ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج
انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر
علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد ٥ اي كثيرا اهلكنا قبلهم اي قبل قريش هم اشد منهم بطشا لكثرة قوتهم
واموالهم وقرأ الجمهور فنقبوا بفتح القاف مشددة والظاهر ان الضمير
في فنقبوا عائد على كم اي دخلوا البلاد من انقابها والمعنى طوفوا في البلاد
وقيل نقروا وبحثوا والتنقيب التنقير والبحث ٥

قال امرؤ القيس في معنى التطواف ٥

٥ وقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب ٥

وروي وقد طوفت وقال الحرث بن حلزة ٥

٥ نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ٥

ونقبوا متسبب عن شدة بطشهم فهي التي اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه
ويجوز ان يعود الضمير في فنقبوا على قريش اي فنقبوا في اسفارهم في بلاد القرون
فهل رأوا محيصا حتى يؤملوه لانفسهم ويدل على عود الضمير على اهل مكة قراءة
ابن عباس وابن يعمر وابي العالية ونصر بن سيار وابي حيوة والاصمعي عن
ابي عمرو بكسر القاف مشددة على الامر لاهل مكة اي فسيحوا في البلاد وابحثوا وقرأ
ابن عباس ايضا وعبيد عن ابي عمرو بفتح القاف مخففة وهي كالمشددة وقرئ

قوله عز وجل وكم اهلكنا

بكسر القاف خفيفة أي نقبت أقدامهم وأخفافهم أو حفيت لكثرة تطوافهم في البلاد
من نقب خف البعير إذا انتقب ودمي ويحتمل أن يكون هل من محيص على إضمار القول
أي يقولون هل من محيص من الهلاك واحتمل أن لا يكون ثم قول أي لا محيص من
الموت فيكون توقيفا وتقريرا إن في ذلك أي في إهلاك تلك القرون لذكرى
لتذكرة واتعاظا لمن كان له قلب أي واع والمعنى لمن كان له عقل وعبر عنه بمحله
ومن له قلب لا يعي كمن لا قلب له وقرأ الجمهور أو ألقى السمع مبنيا للفاعل وألقى السمع
نصب به أي وأصغى سمعه لمعرفة الأنباء الواعظة وهو شهيد أي حاضر الذهن
متفطن لما أصغى إليه سمعه مفكر فيه فشهيد من المشاهدة وهو الحضور وقال
قتادة لمن كان له قلب من أهل الكتاب فيعتبر ويشهد بصحتها لعلمه بذلك من التوراة
فشهيد من الشهادة وقرأ السلمي وطلحة والسدي وأبو البرهسم أو ألقي مبنيا
للمفعول السمع رفع به أي السمع منه أي من الذي له قلب وقيل المعنى أو لمن ألقي
غيره السمع وفتح له أذنه ولم يحضر ذهنه أي الملقي والفاتح والملقى له والمفتوح
أذنه حاضر الذهن متفطن وذكر لعاصم أنها قراءة السدي فمقته وقال أليس
يقول يلقون السمع ولقد خلقنا السموات والأرض نزلت في اليهود تكذيبا لهم
في قولهم إن الله تعالى استراح من خلق السموات والأرض في ستة أيام يوم السبت
واستلقى على العرش ه وقيل التشبيه الذي وقع في هذه الأمة إنما أخذ من
اليهود وما مسنا من لغوب احتمل أن تكون جملة حالية واحتمل أن تكون استئنافا
واللغوب الإعياء وقرأ الجمهور بضم اللام وعلي والسلمي وطلحة ويعقوب بفتحها
وهما مصدران الأول مقيس وهو الضم وأما الفتح فغير مقيس كالقبول والولوع
وينبغي أن يضاف إلى تلك الخمسة التي ذكرها س وزاد الكسائي الوزوع فتصير
سبعة فاصبر قيل منسوخ بآية السيف على ما يقولون أي اليهود وغيرهم من
الكفار قريش وغيرهم وسبح بحمد ربك أي فصل قبل طلوع الشمس هي صلاة الصبح
وقبل الغروب هي صلاة العصر قاله قتادة وابن زيد والجمهور وقال
ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل صلاة العشاءين وقيل الر
كعتان قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن أنس ما معناه أن الصحابة كانوا يصلونها
قبل الغروب ه وقال قتادة ما أدركت أحدا يصليهما إلا أنسا
وأبا برزة الأسلمي وقال بعض التابعين كان أصحابه يهبون إليهما كما
يهبون إلى المكتوبة وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة
الليل وأدبار السجود قال ابن الأحوص هو التسبيح في أدبار الصلوات
وقال عمر وعلي وأبو هريرة والحسن والشعبي وإبراهيم ومجاهد والأوزاعي
هما ركعتان بعد المغرب وقال ابن عباس هو الوتر بعد العشاء وقال
ابن عباس ومجاهد أيضا وابن زيد النوافل بعد الفرائض وقال مقاتل
ركعتان بعد العشاء يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو
الله أحد وقرأ ابن عباس وأبو جعفر وشيبة وعيسى والأعمش وطلحة وشبل
وحمزة والحرميان وإدبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول أدبرت الصلاة انقضت

وتمت وقال الزمخشري وغيره ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك
خفوق النجم وقرأ الحسن والأعرج وباقي السبعة بفتحها جمع دبر كطنب
وأطناب أي وفي أدبار السجود أي أعقابه و قال أوس بن حجر
على دبر الشهر الحرام فأرضنا وما حولها جدب سنون تلمع ه
واستمع أمر بالاستماع والظاهر أنه أريد به حقيقة الاستماع والمستمع له محذوف
تقديره واستمع لما أخبر به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه
بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي
يخرجون من القبور وقيل مفعول استمع محذوف تقديره نداء المنادي وقيل
تقديره نداء الكافر بالويل والثبور وقيل لا يحتاج إلى مفعول إذ حذف اقتصارا
والمعنى كن مستمعا ولا تكن غافلا معرضا وقيل معنى واستمع وانتظر والخطاب
لكل سامع وقيل للرسول أي ارتقبه فإن فيه تبيين صحة ما قلته كما تقول لمن
تعده بورود فتح استمع كذا وكذا أي كن منتظرا له مستمعا فيوم منتصب على أنه
مفعول به وقرأ ابن كثير المنادي بالياء وصلا ووقفا ونافع وأبو عمرو بحذف
الياء وقفا وعيسى وطلحة والأعمش وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا اتباعا
لخط المصحف ومن أثبتها فعلى الأصل ومن حذفها وقفا فلأن الوقف محل
تغيير يبدل فيه التنوين ألفا نصبا والتاء هاء ويشدد المخفف ويحذف
الحرف في القوافي والمنادي في الحديث أن ملكا ينادي من السماء أيتها الأجسام
الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلم إلى الحشر والوقوف بين يدي
الله من مكان قريب وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق قيل والمنادي
إسرافيل ينفخ في الصور وينادي وقيل المنادي جبريل وقال كعب وقتادة
وغيرهما المكان صخرة بيت المقدس قال كعب قربها من السماء بثمانية عشر
ميلا كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب الزمخشري باثني عشر ميلا وهي وسط
الأرض انتهى ولا يصح ذلك إلا بوحي يوم يسمعون بدل من يوم ينادي والصيحة
صيحة المنادي قيل يسمعون من تحت أقدامهم وقيل من تحت شعورهم وهي
النفخة الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر ذلك
أي يوم النداء والسماع يوم الخروج من القبور وقيل الإشارة بذلك إلى
النداء أي ذلك النداء واتسع في الظرف فجعل خبرا عن المصدر أو يكون
على حذف أي ذلك النداء نداء يوم الخروج أو وقت النداء يوم الخروج
وقرأ نافع وابن عامر تشقق بشد الشين وباقي السبعة بخفها وقرئ
تشقق بضم التاء مضارع شققت على البناء للمفعول وتنشق مضارع انشقت
وقرأ زيد بن علي تتشقق بفك الإدغام ذكره أبو علي الأهوازي في قراءة زيد
ابن علي من تأليفه ويوم بدل من يوم الثاني وقيل منصوب بالمصدر وهو
الخروج وقيل بالمصير وانتصب سراعا على الحال من الضمير في عنهم والعامل
تشقق وقيل محذوف تقديره يخرجون فهو حال من الواو في يخرجون قاله الحوفي

ويجوز ان يكون هذا المقدر عاملا في يوم تشقق ذلك حشر علينا يسير وحذف ذلك لاجل كون الصفة فاصلة وقال الزمخشري علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة انتهى وهو على طريقته في تقديم المفعول وما اشبهه من ان ذلك على الاختصاص وقد بحثنا معه في ذلك في سورة الفاتحة في اياك نعبد نحن اعلم بما يقولون هذا وعيد محض للكفار وتهديد لهم وتسلية للرسول وما انت عليهم بجبار بمتسلط حتى تجبرهم على الايمان قاله الطبري وقيل التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد لان من لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يذكر اذ لا تنفع فيه الذكرى كما قال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وختمت بقوله فذكر بالقرآن كما افتتحت بق والقرآن ٥ **الحبك** الطرائق مثل حبك الرمل والماء القائم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره **قال الشاعر**

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك ٥

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق وواحدها حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل **قال الراجز** ٥

كانما جللها الحوّاك طنفسة في وشيها حباك ٥

ويقال حباك للظفيرة التي يشد بها خظار القصب بكرة وهي مستطيلة تصنع في ترحيب الغراسات المصطفة وقال ابن الاعرابي حبكت الشيء احكمته واحسنت عمله قال الفراء الحبك تكسر كل شيء وقال غيره المحبوك الشديد الخلق من فرس وغيره **قال امرؤ القيس** ٥

قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر ٥

الهجوع النوم **السمن** معروف وهو امتلاء الجسد بالشحم واللحم يقال سمن سمنا فهو سمين شذوذا في المصدر واسم الفاعل والقياس سمن وسمن وقالوا سامن اذا حدث له السمن **الذنوب** الدلو العظيمة ٥ **قال الراجز** ٥

انا اذا نازلنا غريب له ذنوب ولنا ذنوب ٥ وان ابيتم فلنا القليب

وانشد الزمخشري لنا ذنوب ولكم ذنوب ويطلق ويراد به الحظ والنصيب **قال علقمة بن عبدة** ٥

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب ٥

ونسبه الزمخشري لعمرو بن شاس وهو وهم في ديوان علقمة وكان الحرث ابن ابي شمر الغساني اسر شاسا اخا علقمة ومدحه بالقصيدة التي فيها هذا البيت فلما وصل الى هذا البيت في الانشاد قال الحرث نعم واذنبه **وقال حسان** ٥

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب ٥

وقال

المفردات

وقال آخر ٥

لعمرك والمنايا طارقات لكل بني اب منها ذنوب ٥

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ٥ هذه السورة مكية ومناسبة اولها لآخر ما قبلها انه قال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقال اول هذه بعد القسم انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والذاريات الرياح فالحاملات السحاب فالجاريات الفلك فالمقسمات الملائكة هذا تفسير علي على المنبر وقد سأله ابن الكواء قاله ابن عباس وقال ابن عباس ايضا فالحاملات هي السفن الموقرة بالناس وامتاعهم وقيل الحوامل من جميع الحيوان وقيل الجاريات السحاب بالرياح وقيل الجواري من الكواكب وادغم ابو عمرو وحمزة والذاريات في ذال ذروا وذروها تفريقها المطر او التراب **وقرئ** وقرا بفتح الواو وتسمية للمحمول بالمصدر ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي سهولة فيسرا مصدر وصف به على تقدير محذوف فهو على راي **س** في موضع الحال امرا تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها فامرا مفعول به وقيل مصدر منصوب على الحال اي مأمورة ومفعول المقسمات محذوف وقال مجاهد يتولى امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وجاء في الملائكة فالمقسمات على معنى الجماعات وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب انتهى فاذا كان المدلول متغايرا فتكون اقساما متعاقبة واذا كان غير متغاير فهو قسم واحد وهو من عطف الصفات اي ذرت اول هبوبها التراب والحصباء فاقلت السحاب فجرت في الجو باسطة للسحاب فقسمت المطر فهذا **كقوله**

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ٥

اي الذي صبح العدو فغنم منهم فآب الى قومه سالما غانما والجملة المقسم عليها وهي جواب القسم هي انما توعدون وما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف اي توعدونه ويحتمل ان تكون مصدرية اي ان وعدكم او وعيدكم اذ يحتمل توعدون لامرين ان تكون مضارع وعد ومضارع اوعد ويناسب ان تكون مضارع اوعد لقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ولان المقصود التخويف والتهويل ومعنى صدقه

تحقق وقوعه والمنصف بالصدق حقيقة هو المخبر وقال تعالى ذلك وعد
غير مكذوب اي مصدوق فيه وقيل لصادق وضع اسم الفاعل موضع المصدر
ولا حاجة الى هذا التقدير وقال مجاهد الاظهر ان الآية في الكفار وانه وعيد
محض وان الدين اي الجزاء لواقع اي صادر حقيقة على المكلفين من الانس والجن
والظاهر في والسماء انه جنس اريد به جميع السموات وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاصي هي السماء السابعة وقيل السحاب الذي يظل الارض ذات الحبك
اي ذات الخلق المستوي الجيد قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والربيع
وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الحبك اي الزينة بالنجوم وقال الضحاك
ذات الطرائق يعني من المجرة التي في السماء وقال ابن زيد ذات الشدة لقوله
سبعا شدادا وقيل ذات الصفاقة وقرأ الجمهور الحبك بضمتين وابن عباس
والحسن بخلاف عنه وابو مالك الغفاري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو السمال
ونعيم عن ابي عمرو باسكان الباء وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف
وابو مالك الغفاري والحسن بخلاف عنه بكسر الحاء والباء وابو مالك الغفاري
والحسن ايضا وابو حيوة بكسر الحاء واسكان الباء وهو تخفيف فعل المكسورهما وهو
اسم مفرد لا جمع لان فعلا ليس من ابنية الجموع فينبغي ان يعد مع ابل فيما جاء من الاسماء
على فعل بكسر الفاء والعين وابن عباس ايضا وابو مالك بفتحهما قال ابو الفضل
الرازي فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب انتهى والحسن ايضا الحبك بكسر الحاء
وفتح الباء وقرأ ايضا كالجمهور فصارت قراءته خمسا الحبك الحبك الحبك الحبك
الحبك وقرأ ابو مالك ايضا الحبك بكسر الحاء وضم الباء وذكرها ابن عطية
عن الحسن فتصير له ست قراءات وقال صاحب اللوامح وهو عديم النظير
في العربية في ابنيتها واوزانها ولا ادري ما رواه انتهى وقال ابن عطية
هي قراءة شاذة غير متوجهة وكأنه اراد كسرها ثم توهم الحبك قراءة الضم بعد
ان كسر الحاء وضم الباء وهذا على تداخل اللغات وليس في كلام العرب
هذا البناء انتهى وعلى هذا تأول النحاة هذه القراءة والاحسن عندي ان
يكون مما اتبع فيه حركة الحاء لحركة تاء ذات في الكسر ولم يعتد باللام الساكنة
لان الساكن حاجز غير حصين وجواب القسم انكم لفي قول مختلف والظاهر انه
خطاب عام للمسلم والكافر كما ان جواب القسم السابق يشملهما واختلافهم كونهم
مؤمنا بالرسول وكافرا به وقال ابن زيد خطاب للكفرة فيقولون ساحر
شاعر كاهن مجنون وقال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما يكون
متناقضا مختلفا وقيل اختلافهم في الحشر منهم من ينفيه ومنهم من يشك فيه
وقيل اختلافهم اقرارهم بان الله خالقهم وعبادة غيرهم والاقوال التي يقولونها
في الهتهم يؤفك عنه اي يصرف عنه عن القرآن او الرسول قاله الحسن وقتادة من
افك اي من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم لقوله لا يهلك على الله
الا هالك وقيل من صرف في سابق علم الله انه مأفوك عن الحق لا يرعوي وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالسماء على انهم في قول

وعبادتهم غيره

مختلف

مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار
بامر القيامة من هو المأفوك وقيل المأفوك عنه محذوف وعن هنا للسبب
والضمير عائد على قول مختلف اي يصرف بسببه من اراد الاسلام بان يقول
هو سحر هو كهانة حكاه الزهراوي والزمخشري واورده على عادته في ايداع
ما هو محكي عن غيره انه مخترعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يعود على قول مختلف
والمعنى يصرف عنه بتوفيق الله الى الاسلام من غلبت سعادته وهذا على ان
يكون في قول مختلف للكفار الا ان عرف الاستعمال في افك الصرف
من خير الى شر فلذلك لا تجده الا في المذمومين انتهى وفيه بعض تلخيص وقرأ
ابن جبير وقتادة من افك مبنيا للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وقرأ
زيد بن علي يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه
وعنه ايضا يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ
يؤفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل
الخراصون دعاء عليهم وهم اصحاب القول المختلف مكذبوا الرسول عليه السلام
وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الخراصين وهم المقدرون ما لا يصح في غمرة
في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به ايان يوم الدين اي متى وقت
الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء وتقدمت قراءة من كسر الهمزة في قوله ايان مرساها
وايان يوم الدين فيكون الظرف محلا للمصدر وانتصب يوم هم بمضمر تقديره هو
كائن اي الجزاء قاله الزجاج وجوزوا ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم هم
والفتحة فتحة بناء لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة الاسمية ويؤيده
قراءة ابن ابي عبلة والزعفراني يوم هم بالرفع واذا كان ظرفا جاز ان تكون
الفتحة فيه حركة اعراب وحركة بناء وتقدم الكلام على اضافة الظرف
المستقبل الى الجملة الاسمية في غافر في قوله يوم هم بارزون وقال بعض
النحاة يوم هم بدل من يوم الدين فيكون هنا حكاية من كلامهم على المعنى ويقولون
ذلك على سبيل الاستهزاء ولو حكى لفظ قولهم لكان التركيب يوم نحن على النار
يفتنون ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا هذا الذي مبتدأ وخبر وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب انتهى
وفيه بعد والاستقلال خير من البدل ومعنى تفتنون تعذبون في النار قاله
ابن عباس ومجاهد وعكرمة والناس واستعجالهم قولهم ايان يوم الدين
ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين وانتصب آخذين على الحال اي قابليه
راضين به وذلك في الجنة وقال ابن عباس آخذين اي في دنياهم ما آتاهم
ربهم من اوامره ونواهيه وشرعه فالحال المحكية لتقدمها في الزمان على كونهم
في الجنة والظاهر ان قليلا ظرف وهو في الاصل صفة اي كانوا في قليل
من الليل ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا
وما زائدة في كلا الاعرابين وفسر انس بن مالك ذلك فقال كانوا
يتنفلون بين المغرب والعشاء ولا يدل لفظ الآية على الاقتصار على هذا

التفسير وقال الربيع بن خثيم كانوا يصيبون من الليل حظا وقال مطرف بن عبد الله
ومجاهد وابن أبي نجيح قل ليلة أتت عليهم هجوعا كلها وقال الحسن كابدوا قيام
الليل لا ينامون منه إلا قليلا وقال الضحاك كانوا قليلا أي في عددهم
وتم خبر كان ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن
وهذا القول فيه تفكيك للكلام وتقدم معمول العامل المنفي بما على عامله وذلك
لا يجوز عند البصريين ولو كان ظرفا أو مجرورا أو قد أجاز ذلك بعضهم وجاء
في الشعر قوله ٥

إذا هي قامت حاسرا مشمعلة نخيب الفؤاد رأسها ما تقنع ٥

فقدم رأسها على ما تقنع وهو منفي بما وجوزوا أن تكون ما مصدرية في موضع رفع
بقليلا أي كانوا قليلا هجوعهم وهو إعراب سهل حسن وأن تكون ما موصولة بمعنى
الذي والعائد محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعون
فيه وفيه تكلف ومن الليل يدل على أنهم مشتغلون بالعبادة في أوقات الراحات
وسكون الأنفس من مشاق النهار وبالأسحار هم يستغفرون فيه ظهور على أن تهجدهم
يتصل بالأسحار فيأخذون في الاستغفار مما يمكن أن يقع فيه تقصير وكأنهم أحرموا
في تلك الليالي والأسحار مظنة الاستغفار وقال ابن عمر والضحاك يستغفرون
يصلون وقال الحسن يدعون في طلب المغفرة والظاهر أن قيام الليل وهذا
الحق في المال هو من المندوبات وأكثر ما يقع زيادة الثواب بفعل المندوب
وقال منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكوة المفروضة وضعف بأن السورة
مكية وفرض الزكوة بالمدينة وقيل كان فرضا ثم نسخ وضعف بأنه تعالى
لم يشرع بمكة قبل الهجرة شيئا من أخذ الأموال والسائل الذي يستعطي والمحروم
لغة الممنوع من الشيء قال علقمة ٥

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجه والمحروم محروم ٥

وأما في الآية فالذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وقيل الذي تبعد
منه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله الحرمان وقال ابن عباس المحارف
الذي ليس له في الإسلام سهم مال وقال زيد بن أسلم هو الذي أجيحت ثمرته
وقيل الذي ماتت ماشيته وقال عمر بن عبد العزيز هو الكلب وقيل الذي
لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وقيل غير ذلك وكل هذه الأقوال
على سبيل التمثيل لا التعيين ويجمعها أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه وفي
الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما فوقها
وفيها الفجاج للسالك وهي متجزئة من سهل ووعر وبحر وقطع متجاورات من صلبة
ورخوة ومنبتة وسبخة وتلقح بأنواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب
المنبثة في بحرها وبرها المختلفة الأشكال وقرأ قتادة آية على الإفراد للموقنين
وهم الذين نظروا النظر الصحيح وأداهم ذلك إلى إتقان ما جاءت به الرسل
فأيقنوا لم يدخلهم ريب وفي أنفسكم في حال ابتدائها وانتقالها من حال إلى حال
وما أودع في شكل الإنسان من لطائف الحواس وما ترتب على العقل الذي أوتيه

من بدايع العلوم وغرائب الصنائع وغير ذلك مما لا ينحصر وفي السماء رزقكم قال
الضحاك ومجاهد وابن جبير المطر والثلج لأنه سبب الأقوات وكل عين دائمة
من الثلج وقال مجاهد أيضا وواصل الأحدب أراد القضاء والقدر أي الرزق عند الله
يأتي به كيف شاء وما توعدون الجنة أو هي والنار أو أمر الساعة أو من خير وشر
أو من ثواب وعقاب أقوال المراد بها التمثيل لا التعيين وقرأ ابن محيصن
أرزاقكم على الجمع والضمير في أنه عائد على القرآن أو إلى الدين الذي في قوله
وإن الدين لواقع أو إلى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين أو إلى الرزق
أو إلى الله أو إلى النبي عليه السلام أقوال منقولة والذي يظهر أنه عائد على الإخبار
السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء
وكونهم في قول مختلف وقتل الخراصين وكينونة المتقين في الجنة على ما
وصف وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك ولذلك شبهه في الحقيقة بما يصدر
من نطق الإنسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر
والحسن وابن أبي إسحق والأعمش بخلاف عن ثلاثتهم مثل بالرفع صفة لقوله لحق
وباقي السبعة والجمهور بالنصب فقيل هي فتحة بناء وهو نعت كحاله في
قراءة من رفع ولما أضيف إلى غير متمكن بني وما على هذا الإعراب زائدة للتوكيد
والإضافة هي إلى أنكم تنطقون وقال المازني بني مثل لأنه ركب مع ما فصار
شيئا واحدا ومثله ويحما وهيما وأينما قال حميد بن ثور ٥

ألا هيما مما لقيت وهيما وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما ٥

قال فلولا البناء لكان منونا وقال الشاعر ٥

فأكرم بنا أما وأكرم بنا ابنما ٥ هذا التخريج وابنما ليس ابنا بني مع ما بل هذا
من باب زيادة الميم فيه واتباع ما قبل الآخر للآخر إذ جعل في الميم الإعراب
تقول هذا ابنم ورأيت ابنما ومررت بابنم وليست ما في الثلثة في ابنما مركبة
مع ما كما قال بل الفتحة في ابنما حركة إعراب وهو منصوب على التمييز وأنشد
الكوفيون في بناء الاسم مع الحرف قول الشاعر ٥

أثور ما أصيدكم أم ثورين أم هذه الجماء ذات القرنين ٥

وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره إنه لحق حقا مثل ما أنكم فحركته حركة
إعراب وقيل انتصب على أنه حال من الضمير المستكن في لحق وقيل حال
من لحق وإن كان نكرة فقد أجاز ذلك الجرمي وس في مواضع من كتابه والنطق
هنا عبارة عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني وتقول الناس
الناس هذا حق كما أنك ههنا وهذا حق كما أنك ترى وتسمع وهذا كما في الآية
وما زائدة بنص الخليل ولا يحفظ حذفها فتقول هذا حق كأنك ههنا والكوفيون
يجعلون مثلا محلا فينصبونه على الظرف ويجيزون زيد مثلك بالنصب فعلى
مذهبهم يجوز أن تكون مثل فيهما منصوبا على الظرف واستدلالهم والرد عليهم
مذكور في النحو ومن كلام بعض الأعراب من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف
لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين ٥ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

قوله عز وجل هل أتاك حديث

المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم
قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك
للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه
الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح
من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ⁂ هل اتاك تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ
المرء اذا اردت ان تحدثه بعجيب فتقرره هل سمع ذلك ام لا فكانك تقتضي ان تقول
لا وتستطعمه الحديث وفيه تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي وضيف الواحد والجماعة فيه سواء وبدأ بقصة
ابراهيم وان كانت متاخرة عن قصة عاد هزا للعرب اذ كان اباهم الاعلى ولكن
الرسل الذين وفدوا عليه جاءوا باهلاك قوم لوط اذ كذبوه ففيه وعيد للعرب
وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول عما يجري عليه من قومه ووصفهم بالمكرمين
لكرامتهم عند الله كقوله في الملائكة بل عباد مكرمون قاله الحسن فهي صفة
سابقة فيهم او لاكرام ابراهيم اياهم اذ خدمهم بنفسه وزوجته سارة وعجل
لهم القرى وقيل لكونه رفع مجالسهم فهي صفة حادثة وقرأ عكرمة المكرمين
بالتشديد واطلق عليهم ضيف لكونهم في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم
او لحسبانه كذلك وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمولة للمكرمين اذا كانت
صفة حادثة بفعل ابراهيم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر وهذه
اقوال منقولة وقرأ الجمهور قالوا سلاما بالنصب على المصدر الساد مسد فعله
المستغنى عنه قال سلام بالرفع وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره عليكم سلام
قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه اخذا بادب الله اذ سلاما دعاء وجوز ان يكون
خبر مبتدأ محذوف اي امري سلام وسلام جملة خبرية قد تحصل مضمونها
ووقع وقال ابن عطية ويتجه ان يعمل في سلاما قالوا على ان يجعل سلاما
في معنى قولا ويكون المعنى حينئذ انهم قالوا تحية وقولا معناه سلاما وهذا
قول مجاهد وقرأ ابن وثاب والنخعي وابن جبير وطلحة قال سلم بكسر السين
واسكان اللام والمعنى نحن سلم او انتم سلم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قالوا
سلما بنصبهما وكسر سين الثاني وسكون لامه قوم منكرون قال ابو العالية
انكر سلامهم في تلك الارض وذلك الزمان وقيل لانه لم يعرفهم ولا عهد له بهم
وقيل كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون لتعرفوني من انتم وقوم

خبر

خبر مبتدأ محذوف تقديره انتم والذي يناسب حال ابراهيم عليه السلام انه لا
يخاطبهم بذلك اذ فيه من عدم الانس ما لا يخفى بل يظهر انه يكون التقدير هؤلاء
قوم منكرون وقال ذلك مع نفسه او لمن كان معه من اتباعه وغلمانه بحيث
لا يسمع ذلك الاضياف فراغ الى اهله اي مضى اثناء حديثه مخفيا مضيه مستعجلا
فجاء بعجل سمين ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر
به الضيف حذرا من ان يمنعه الضيف من المجيء بالضيافة وكونه عطف فجاء على فراغ يدل
على سرعة مجيئه بالقرى وانه كان معدا عتيدا لمن يرد عليه وقال في سورة هود
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وهذا يدل ايضا على انه كان العجل سابقا شيه قبل
مجيئهم وقال قتادة كان غالب مال ابراهيم البقر وفيه دليل على انه يحضر للضيف
اكثر مما ياكل وكانت عادتهم السلام مضيا فاوجس انه وقف للضيافة او وقفا
يضع الامر على اختلاف ادياتها واجناسها فقربه اليهم فيه ادب المضيف
من تقريب القرى لمن ياكل وفيه العرض على الاكل فان في ذلك تانيسا للاكل بخلاف
من قدم طعاما ولم يحث على اكله فان الحاضر قد يتوهم انه قدمه على سبيل التجمل
عسى ان يمتنع الحاضر من الاكل وهذا موجود في طباع بعض الناس حتى ان بعضهم
اذا الح الحاضر وتمادى في الاكل اخذ من احسن ما احضر واحسنه فيعطيه لغلامه
برسم رفعه لوقت اخر يختص هو باكله وقيل الهمزة في الا للانكار وكانه ثم محذوف
تقديره فامتنعوا من الاكل فانكر عليهم ترك الاكل فقال الا تاكلون وفي الحديث
انهم قالوا انا لا ناكل الا ما ادينا ثمنه فقال لهم اني لا ابيحه لكم الا بثمن
قالوا وما هو قال ان تحمدوا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ
من الاكل فقال بعضهم لبعض بحق اتخذه الله خليلا فاوجس منهم خيفة اي
فلما استمروا على الامتناع من الاكل اوجس منهم خيفة وذلك ان اكل الضيف امنة
ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة فخشي
ابراهيم ان امتناعهم من اكل طعامه انما هو لشر يريدونه فقالوا لا تخف وعرفوه
انهم ملائكة وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
وعلمهم بما اضمر في نفسه من الخوف انما يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه
او بظهور اماراته في الوجه فاستدلوا بذلك على الباطن وعن يحيى بن شداد
مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وبشروه بغلام عليم اي سيكون عليما
وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء وعن الحسن عليم نبي والجمهور على ان المبشر به
هو اسحاق ابن سارة وقال مجاهد هو اسماعيل وقيل علم انهم ملائكة من حيث
بشروه بغيب ووقعت البشارة بعد التانيس والجلوس وكانت البشارة بذكر لانه
اسر للنفس وابهج ووصفه بعليم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل
لا بالصورة الجميلة والقوة فاقبلت امراته في صرة اي الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم وتسمع كلامهم وقيل فاقبلت اي شرعت في الصياح قيل وجدت حرارة
الدم فلطمت وجهها من الحياء والصرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
وسفيان الصيحة قال الشاعر

فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل

وقال قتادة وعكرمة الرنة قيل قالت اوه بصياح وتعجب وقال ابن بحر الجماعة اي من نسوة تبادروا نظرا الى الملائكة وقال الجوهري الصرة الصيحة والجماعة والشدة فصكت وجهها اي لطمته قاله ابن عباس وذلك كما يفعله من يرد عليه امر يستهوله ويتعجب منه وهو فعل النساء اذا تعجبن من شيء وقال السدي وسفيان ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الان وقالت عجوز عقيم اي انا قد اجتمع فيّ انها عجوز وذلك مانع من الولادة وانها عقيم وهي التي لم تلد قط فكيف الد تعجبت من ذلك قالوا كذلك اي مثل القول الذي اخبرناك به قال ربك وهو القادر على ايجاد ما يستبعد وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة انه هو الحكيم اي ذو الحكمة العليم بالمصالح فلما علم ابراهيم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا قال فما خطبكم الى قوم مجرمين اي ذوي جرائم وهي كبائر المعاصي من كفر وغيره لنرسل عليهم اي لنهلكهم بها حجارة من طين وهو السجيل طين يطبخ كما يطبخ الاجر حتى يصير في صلابة الحجارة مسومة معلمة انها ليست من حجارة الدنيا للمسرفين وهم المجاوزون الحد في الكفر فاخرجنا من كان فيها في القرية التي حل العذاب باهلها غير بيت من بيت لوط عليه السلام وهو لوط وابنتاه فقط وقيل ثلاثة عشر نفسا وقال الرماني الاية تدل على ان الايمان هو الاسلام وكذا قال الزمخشري وهما معتزليان وتركنا فيها اي في القرية اية علامة قال ابن جريج حجرا كبيرا جدا منضودا وقيل ماء اسود منتن ويجوز ان يكون فيها عائدا على الاهلاكة التي اهلكوها فانها من اعجب الاعاجيب الاهلاك بجعل اعالي القرية اسافل وامطار الحجارة والظاهر ان قوله وفي موسى معطوف على وتركنا فيها اي في قصة موسى وقال الزمخشري وابن عطية يكون عطفا على وفي الارض ايات للموقنين وفي موسى وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله وقال الزمخشري ايضا او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا انتهى ولا حاجة الى اضمار وتركنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا فتولى بركنه اي ازور واعرض كما قال ونأى بجانبه وقيل بقوته وسلطانه وقال ابن زيد بركنه بجموعه وقال قتادة بقومه وقال ساحر او مجنون ظن احدهما او تعمد الكذب وقد علم انه رسول الله حقا وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو ويدل على ذلك انه قد قالهما قال ان هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون واستشهد ابو عبيدة بقول جرير

أثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

ولا ضرورة تدعو الى جعل او بمعنى الواو اذ يكون قالهما وابهم على السامع فاو للابهام وهو مليم اي اتى من المعاصي ما يلام عليه العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وفي الصحيح نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور

فقول

فقول من ذهب الى انها الصبا او الجنوب او النكباء وهو ريح بين ريحين نكبت عن سمت القبلة فسميت نكباء ليس بصحيح لمعارضته للنص الثابت عن الرسول انها الدبور ما تذر من شيء اتت عليه هو عام مخصوص كقوله تدمر كل شيء مما اراد الله تدميره واهلاكه من ناس او ديار او شجر او نبات لانها لم يرد الله بها اهلاك الجبال والاكام والصخور ولا العالم الذي لم يكن من قوم عاد الا جعلته كالرميم جملة حالية والرميم تقدم تفسيره في يس وهنا قال السدي التراب وقتادة الهشيم ومجاهد البالي وقطرب الرماد وابن عيسى المنسحق الذي لا يرم جعل الهمزة في ارم للسلب وروي ان الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من قوم عاد فتنتزعه من بينهم وتهلكه تمتعوا حتى حين قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم صالح امروا بالايمان بما جاء به والتمتع الى ان تاتي اجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تاخر العتو عن ما امروا به فهو مطابق لفظا ووجودا وقال الفراء هذا الامر بالتمتع كان بعد عقر الناقة فالحين ثلاثة الايام التي اوعدوا في تمام العذاب فالعتو كان قد تقدم قبل ان يقال لهم تمتعوا اي كان من امرهم ان عتوا قبل ان قيل لهم تمتعوا ولا ضرورة تدعو الى قول الفراء اذ هو غير مرتب في الوجود وقرا الجمهور الصاعقة وعمر وعثمان رضي الله عنهما والكسائي الصعقة وهي الصيحة هنا وقرا الحسن الصاقعة وزيد بن علي كقراءة الكسائي وهم ينظرون اي فجاة وهم ينظرون بعيونهم قاله الطبري وكانت نهارا وقال مجاهد وهم ينظرون ينتظرون ذلك في تلك الايام الثلاثة التي اعلموه فيها وراوا علاماته في قلوبهم وانتظار العذاب اشد من العذاب فما استطاعوا من قيام لقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين ونفي الاستطاعة ابلغ من نفي القدرة وما كانوا منتصرين ابلغ من نفي الانتصار اي فما قدروا على الهرب ولا كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به وقيل من قيام هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه فليس المعنى انتصاب القامة قاله قتادة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وقوم بالجر عطفا على ما تقدم اي وفي قوم نوح وهي قراءة عبد الله وقرا باقي السبعة وابو عمرو في رواية بالنصب فقيل عطفا على الضمير في فاخذتهم وقيل عطفا على فنبذناهم لان معنى كل منهما فاهلكناهم وقيل منصوب باضمار فعل تقديره واهلكنا قوم نوح لدلالة معنى الكلام عليه وقيل باذكر مضمرة وروى عبد الوارث ومحبوب والاصمعي عن ابي عمرو وابو السمال وابن مقسم وقوم نوح بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي اهلكناهم

قوله عز وجل والسما بنيناها

والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق

ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل
للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴿٠﴾ اي وبنينا السما فهو من باب الاشتغال
وكذا وفرشنا الارض وقرا ابو السمال ومجاهد وابن مقسم برفع السما ورفع الارض
على الابتداء بايد اي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو كقوله داود ذا
الايد وانا لموسعون اي بناءها فالجملة حالية اي بنيناها موسعيها كقوله جاء زيد
وانه لمسرع اي مسرعا فهي بحيث ان الارض وما يحيط بها من الماء والهوا كالنقطة
وسط الدائرة وقال ابن زيد قريبا من هذا وهو ان الوسع راجع الى السما وقيل لموسعون
قوة وقدرة اي لقادرون من الوسع وهو الطاقة وقال الحسن اوسعنا الرزق
بالمطر والماء فنعم الماهدون اي نحن خلقنا زوجين قال مجاهد هذا اشارة
الى المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والشقوة والسعادة والهدى
والضلال والسما والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر
والايمان ونحو ذلك ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التي توجد الضدين
بخلاف ما يفعل بطبعه فعلا واحدا كالتسخين والتبريد ومثل الحسن باشيا
مما تقدم وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له وقال
ابن زيد وغيره من كل شي اي من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وقيل المراد
بالشي الجنس وما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر
مثل النامي والجامد ومن النامي المدرك والنبات ومن المدرك
الناطق والصامت وكل ذلك يدل على انه فرد لا كثرة فيه لعلكم تذكرون
اي بانى السما وفارش الارض وخالق الزوجين تعالى ان يكون له زوج او تذكرون
انه لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح وقرا ابي تتذكرون بتائين وتخفيف
الذال وقيل ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله امر
بالدخول في الايمان وطاعة الله وجعل الامر بذلك بلفظ الفرار لينبه
على ان ورا الناس عقاب وعذاب وامر حقه ان يفر منه فجمعت لفظة
ففروا بين التحذير والاستدعا وينظر الى هذا المعنى قول النبي عليه السلام
لا ملجا ولا منجا منك الا اليك قاله ابن عطية وهو تفسير حسن وقال
الزمخشري الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به
شيا وكرر اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان
الايمان لا ينفع الا مع العمل وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى
قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى
قل يا محمد ففروا الى الله انتهى وهو على طريق الاعتزال وقد رددنا عليه في تفسير
لا ينفع نفسا ايمانها في موضع هذه الاية كذلك اي من الامم السابقة عند مجي
الرسل اليهم مثل الامر من الكفار الذين بعثت اليهم وهو التكذيب ساحر او مجنون
او للتفصيل اي قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض كلاهما
الا ترى ان قوم نوح لم يقولوا عنه انه ساحر بل قالوا به جنة فجمعوا في الضمير
وذلك او على التفصيل اتواصوا به اي كلهم كذلك اي بذلك القول وهو توقيف

٤

وتعجيب من توارد نفس الكفرة على تكذيب الانبيا مع افتراق ازمانهم بل هم قوم طاغون
اي لم يتواصوا به لانهم لم يكونوا في زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة وهي كونهم طغاة
فهم مشتغلون في الارض يفسدون فيها عاثون فتول عنهم اي اعرض عن الذين كررت
عليهم الدعوة فلم يجيبوا فما انت بملوم اذ قد بلغت ونصحت وذكر فقط تنفع المومنين
تؤثر فيهم وفيمن قدر الله ان يومن وما دل عليه الظاهر من الموادعة منسوخ باية
السيف وعن علي لما نزلت فتول عنهم حزن المسلمون وظنوا انه امر بالتولي عن الجميع
وان الوحي قد انقطع حتى نزلت وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فسروا بذلك
الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الطائعين قاله زيد بن اسلم وسفيان
ويؤيده رواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلقت الجن والانس
من المومنين وقال علي وابن عباس الا ليعبدون الا لامرهم بعبادتي
وليقروا لي بالعبادة فعبر بقوله ليعبدون اذ العبادة هي مضمن الامر فعلى
هذا الجن والانس عام وقيل يحتمل ان يكون المعنى الا معدين ليعبدون وكان
الاية تعديد نعمة اي خلقت لهم حواس وعقولا واجساما منقادة نحو العبادة
كما تقول هذا مخلوق لكذا وان لم يصدر منه الذي خلق له كما تقول القلم بري لان
يكتب به وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به وقال الزمخشري الا لاجل العبادة
ولم ارد من جميعهم الا اياها **فان قلت** لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم
عبادا **قلت** انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها
لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها
على القسر والالجاء لوجدت في جميعهم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال
مجاهد الا ليعبدون ليعرفون وقال ابن زيد لاحملهم في العبادة على
الشقاوة والسعادة وقال الربيع بن انس الا للعبادة قال وهو ظاهر اللفظ
والا ليذلوا لقضاي وقال الضحاك الكلبي الا ليوحدون فالمومن يوحده في الشدة
والرخاء والكافر في الشدة وقال عكرمة ليطيعون فاثيب العابد واعاقب
الجاحد وقال مجاهد ايضا الا للامر والنهي ما اريد منهم من رزق اي ان
يرزقوا انفسهم ولا غيرهم وما اريد ان يطعمون اي ان يطعموا خلقي فهو على حذف
مضاف فالاضافة الى الضمير تجوز قاله ابن عباس وقيل ان يطعمون ان ينفعون
فذكر جزاء من المنافع وجعله دالا على الجميع وقال الزمخشري يريد ان شاني مع
عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم لان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا
بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا او مرتب في
فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق
او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي تصرف في اسباب
المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا
بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني
عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو
الا انا وحدي انتهى وفيه تكثير وخطابه وقرا ابن محيصن الرازق كما قرأ الحكم

وفي السماء أرزاقكم اسم فاعل وهي قراءة حميد وقرأ الأعمش وابن وثاب المتين
بالجر صفة للقوة على معنى الاقتدار قاله الزمخشري او كانه قال ذو الأيد
وأجاز أبو الفتح ان يكون صفة لذو وخفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب
فإن للذين ظلموا أي من أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول ذنوبا أي حظا
ونصيبا مثل ذنوب أصحابهم من الأمم السابقة التي كذبت الرسل في الإهلاك
والعذاب وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم وقال
الجوهري الذنوب الدلو الملأى ماء ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة
وجمع في أدنى العدد أذنبة وفي الكثير ذنائب والذنوب الفرس الطويل
الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم أسفل المتن وقال
ابن الأعرابي يقال يوم ذنوب أي طويل الشر لا ينقضي فويل للذين كفروا من يومهم

المفردات

قيل يوم بدر وقيل يوم القيامة الذي يوعدون أي به أي يوعدونه **الرق**
بالفتح والكسر جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق والرق بالكسر المملوك **مار**
الشيء ذهب وجاء وقال الأخفش وأبو عبيدة تكفأ **وأنشد للأعشى**

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

ويروى مر السحابة **الدع** الدفع في الضيق بشدة وإهانة **السموم** الريح الحارة
التي تدخل المسام ويقال سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم وقال ثعلب السموم
شدة الحر أو شدة البرد في النهار وقال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون
بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد
وهو في لفح الحر والشمس أكثر المنون الدهر وريبه حوادثه وقيل اسم للموت
المسيطر المتسلط وحكى أبو عبيدة سطرت علي إذا اتخذتني خولا ولم يأت
في كلام العرب اسم على مفيعل إلا خمسة مهيمن ومجيمر ومبيطر ومسيطر ومبيقر
فالمجيمر جبل والبواقي أسماء فاعلين

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق
منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع
ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين
الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم
بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا
سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين
بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم
ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما
كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا
لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا

ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم هذه السورة
مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة إذ في آخرها فإن للذين ظلموا ذنوبا
مثل ذنوب أصحابهم وقال هنا إن عذاب ربك لواقع الطور الجبل والظاهر
أنه اسم جنس لا جبل معين وفي الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال
نوف البكالي إنه الذي أقسم الله به لتفضله على الجبال قيل وهو الذي كلم الله
عليه موسى عليه السلام والكتاب المسطور القرآن أو المنتسخ من اللوح المحفوظ
أو التوراة أو هي والإنجيل والزبور أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق والصحف
التي تعطى يوم القيامة بالأيمان والشمائل أقوال آخرها للفراء ولا ينبغي أن يحمل
شيء منها على التعيين إنما تورد على الاحتمال **وقرأ** أبو السمال في رق بكسر الراء
منشور أي مبسوط وقيل مفتوح لا ختم عليه وقيل منشور لائح وعن ابن عباس
منشور مفتوح ما بين المشرق والمغرب والبيت المعمور قال علي وابن عباس
وعكرمة هو بيت في السماء مسامتة الكعبة يقال له الضراح والضريح أيضا
وهو الذي ذكر في حديث الإسراء قال جبريل هذا البيت المعمور يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم وقال مجاهد
وقتادة وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل أرض كذلك وسأل ابن الكواء
عليا عنه فقال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وقال
الحسن البيت المعمور الكعبة يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فإن عجز عن
الناس تممه الله بالملائكة والسقف المرفوع السماء وقال ابن عباس هو
العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور قال مجاهد وشمر بن عطية والضحاك
ومحمد بن كعب والأخفش هو البحر الموقد نارا وروي أن البحر هو جهنم وقال
قتادة البحر المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري بوجود ماء
البحر كذلك ولا ينافي ما قاله مجاهد لأن سجرت التنور معناه ملأته بما يحترق
وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه وروى ذو الرمة الشاعر عن
ابن عباس قال خرجت أمة لتستقي فقالت إن الحوض مسجور
أي فارغ قيل وليس لذي الرمة حديث إلا هذا فيكون من الأضداد وروي أن
البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وقال ابن عباس أيضا المسجور المحبوس ومنه
ساجور الكلب وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه ولولا أن البحر يمسك لفاض على
الأرض وقال الربيع المسجور المختلط العذب بالمالح وقيل المفجور ويدل عليه وإذا
البحار فجرت والجمهور على أن البحر المقسم به هو بحر الدنيا ويؤيده وإذا البحار
سجرت وعن علي وابن عمر أنه في السماء تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له
بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في
قبورهم وقال منبه بن سعيد هو جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما جاء في
الفرس وإن وجدناه لبحرا قيل ويحتمل أن تكون الحكمة في القسم بالطور والبيت
والبحر لكونها أماكن خلوة مع الله تعالى خاطب منها ربهم رسله فالطور قال
فيه موسى أرني أنظر إليك والبيت المعمور لمحمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور

ليونس قال لا اله الا انت سبحانك فشرفت هذه الاماكن بتلك الاسباب
والقسم بكتاب مسطور لان الانبياء كان لهم مع الله في هذه الاماكن كلام واقترانه
بالطور يدل على ذلك والقسم بالسقف المرفوع لبيان رفعة البيت المعمور انتهى ونكر
وكتاب لانه شامل لكل كتاب انزله الله شمول البدل ويحتمل ان يكون شمول العموم
كقوله علمت نفس ما احضرت اي كل نفس وكونه في رق يدل على ثبوته وانه لا يتخطى الزور
ووصفه بمنشور يدل على وضوحه فليس كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه
والمنشور يعلم ما فيه ولا يمنع من مطالعة ما تضمنه والواو الاولى واو القسم وما
بعدها للعطف والجملة المقسم عليها هي قوله ان عذاب ربك لواقع وفي اضافة العذاب
لقوله ربك لطيفة اذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد فبالاضافة الى الرب
واضافته لكاف الخطاب امان له صلى الله عليه وسلم وان العذاب الواقع هو
بمن كذبه ولواقع على الشدة وهو دال عليها من الكائن الا ترى الى قوله اذا وقعت
الواقعة وقوله وهو واقع بهم كانه مهيأ في مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن
جبير بن مطعم قدمت المدينة لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر
فوافيته يقرا في صلاة المغرب والطور الى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم من
مقامي حتى يقع في العذاب وقرا زيد بن علي واقع بغير لام قال قتادة وهو يريد
عذاب الاخرة للكفار اي لواقع بالكفار ومن غريب ما يحكى ان شخصا راى في النوم
مكتوبا في كفه خمس واوات فعبر له بخير فسال ابن سيرين فقال تهيا لما لا يسر
فقال له من اين اخذت هذا فقال من قوله تعالى والطور الى ان عذاب
ربك لواقع فما مضى يومان او ثلاثة حتى احيط بذلك الشخص وانتصب يوم بدافع
قاله الحوفي وقال مكي لا يعمل فيه واقع ولم يذكر دليل المنع وقيل هو منصوب
بقوله لواقع وينبغي ان يكون قوله ما له من دافع على هذا جملة اعتراض بين العامل
والمعمول قال ابن عباس تمور تضطرب وقال ايضا تشقق وقال الضحاك يموج
بعضها في بعض وقال مجاهد تدور وتسير الجبال سيرا هذا في اول الامر ثم تنسف
حتى تصير اخرا كالعهن المنفوش فويل عطف جملة على جملة تتضمن ربط المعنى وتاكيده
والخوض التخبط في الباطل وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل يوم يدعون
وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم
ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم وقرا علي والسلمي وابو رجاء
وزيد بن علي يدعون بسكون الدال وفتح العين من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى
النار وادخلوها دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار لما قيل لهم ذلك وقفوا
بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن منهما دخول الشك في انها النار وهي اما ان يكون
ثم سحر يلبس ذات المرئي واما ان يكون في نظر الناظر اختلال فامرهم بصليها على جهة
التقريع ثم قيل لهم على قطع رجائهم فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم عذابكم حتم
فسواء صبركم وجزعكم لا بد من جزاء اعمالكم قاله ابن عطية وقال الزمخشري افسحر هذا
كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت

الفاء

الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي
عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم فان قلت لم علل استواء الصبر
وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية
على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر
على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع
انتهى وسحر مقدم وهذا مبتدا وسواء مبتدا والخبر محذوف اي الصبر والجزع
وقال ابو البقاء خبر مبتدا محذوف اي صبركم وتركه سواء ولما ذكر حال الكفار
ذكر حال المومنين ليقع الترهيب والترغيب وهو اخبار عن ما يؤول اليه حال
المومن اخبروا بذلك ويجوز ان يكون من جملة المقول للكفار اذ ذاك زيادة في غمهم
وتنكيدا لهم والاول اظهر وقرا الجمهور فكهين نصبا على الحال والخبر في جنات ونعيم
وقرا خالد بالرفع على انه خبر ان وفي جنات متعلق به ومن اجاز تعداد الخبر
اجاز ان يكونا خبرين ووقاهم معطوف على في جنات اذ المعنى استقروا في جنات
او على اتاهم وما مصدرية اي فكهين باتيانهم ربهم النعيم ووقايتهم عذاب الجحيم
وجوز ان يكون الواو في ووقاهم واو الحال ومن شرط قد في الماضي فقال هي هنا
مضمرة اي وقد وقاهم وقرا ابو حيوة ووقاهم بتشديد القاف كلوا واشربوا على
اضمار القول اي يقال لهم هنيئا قال الزمخشري اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا
هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلت ه اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم
مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من
اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ها هنا هناكم الاكل والشرب او هناكم بما كنتم تعملون
اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب انتهى وتقدم لنا الكلام على هنيئا مشبعا في سورة
النساء واما تجويزه زيادة الباء فليست زيادتها مقيسة في الفاعل الا في فاعل
كفى على خلاف فيه فتجويز زيادتها في الفاعل هنا لا يسوغ واما قوله ان الباء
تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق باحدهما وانتصب متكئين
على الحال قال ابو البقاء من الضمير في كلوا او من الضمير في وقاهم او من الضمير
في اتاهم او من الضمير في فكهين او من الضمير في الظرف انتهى والظاهر انه حال
من الظرف وهو قوله في جنات وقرا ابو السمال على سرر بفتح الراء وهي لغة
لكلب في المضعف فرارا من توالي ضمتين مع التضعيف وقرا عكرمة بحور عين
على الاضافة والظاهر ان قوله والذين امنوا مبتدا وخبره الحقنا واجاز ابو البقاء
ان يكون والذين في موضع نصب على تقدير واكرمنا الذين امنوا ومعنى الاية قال
الجمهور ابن عباس وابن جبير وغيرهما المعنى ان المومنين الذين تتبعهم ذريتهم في الايمان
يكونون في مراتب ابائهم وان لم يكونوا في التقوى والاعمال مثلهم كرامة لابائهم
فبايمان متعلق بقوله واتبعتهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المومن معه في درجته وان كان لم يبلغها

بعمله ليقر بها عينه ثم قرا الاية وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار وان لم يبلغوا الايمان باحكام الاباء المومنين انتهى فيكون بايمان متعلقا بالحقنا اي الحقنا بسبب ايمان الاباء بهم ذرياتهم وهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع ابائهم واذا كان ابناء الكفار الذين لم يبلغوا حد التكليف في الجنة كما ثبت في صحيح البخاري فاحرى اولاد المومنين وقال الحسن الاية في الكبار من الذرية لا في الصغار وقال منذر بن سعيد هي في الصغار لا في الكبار وعن ابن عباس ايضا الذين امنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون وعنه ايضا ان كان الاباء ارفع درجة رفع الله الابناء اليهم فالاباء داخلون في اسم الذرية وقال النخعي المعنى اعطيناهم اجورهم من غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك وقال الزمخشري والذين امنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المومنين واتبعناهم ذرياتهم ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بهم درجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم **فان قلت** ما معنى تنكير الايمان **قلت** معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يوهلهم لدرجة الاباء الحقنا بهم انتهى ولا تخيل احدا ان والذين امنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره والاحسن من هذه الاقوال قول ابن عباس ويعضده الحديث الذي رواه لان الايات كلها في صفة احسان الله تعالى الى اهل الجنة وذكر من جملة احسانه انه يرعي المحسن في المسيء ولفظة الحقنا تقتضي ان للملحق بعض التقصير في الاعمال **وقرا** ابو عمرو واتبعناهم وباقي السبعة مفردا رفعا بهم ذرياتهم جمعا ابو عمرو ونافع وابن عامر وباقي السبعة مفردا وابن جبير واتبعتهم ذريتهم بالمد والهمز **وقرا** الجمهور التناهم بفتح اللام من الات يليت ه ومن الت والحسن وابن كثير بكسرها وابن هرمز الناهم بالمد من الت على وزن افعل وابن مسعود وابي لتناهم من لات وهي قراءة طلحة والاعمش ورويت عن شبل وابن كثير وعن طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز بفتح اللام من غير لفظ بها وانكر ايضا التناهم بالمد وقال لا يروى عن احد ولا يدل عليها تفسير ولا عربية وليس كما ذكر بل قد نقل اهل اللغة الت بالمد كما قرا ابن هرمز **وقرئ** وما ولتناهم ذكره هرون قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت والت يالت والت والات يليت وبالت وكلها بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلظ وقام رجل الى عمر رضي الله عنه موعظة فقال له رجل لا تالت امير

المؤمنين

المؤمنين اي تغلظ عليه والظاهر ان الضمير في التناهم عائد على المومنين والمعنى انه تعالى يلحق المقصر بالمومن المحسن ولا ينقص المحسن من اجره شيئا وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير والجمهور وقال ابن زيد الضمير عائد على الابناء من عملهم اي الحسن والقبيح ويحسن هذا الاحتمال قوله كل امرئ بما كسب رهين اي مرتهن وفيه وامددناهم اي يسرنا لهم شيئا فشيئا حتى يكثر ولا ينقطع يتنازعون فيها اي يتعاطون **وقال الاخطل** ٥

٥ نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

او بيننا تنازعون يتجاذبون تجاذب ملاعبة اذ اشتلا الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة **وقرا** الجمهور لا لغو فيها ولا تاثيم برفعهما وابن كثير وابو عمرو بفتحهما واللغو السقط من الكلام كما يجري بين شراب الخمر في الدنيا والتاثيم الاثم الذي يلحق شارب الخمر في الدنيا غلمان لهم اي مماليك مكنون اي في الصدف لم تنله الايدي قاله ابن جبير وهو اذا كان رطبا فهو احسن واصفى ويجوز ان يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن الا الغالي الثمن والظاهر ان التساؤل هو في الجنة اذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض اي يتساءلون عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وبدل عليه فمن الله علينا اي بهذا النعيم الذي نحن فيه وعن ابن عباس تساؤلهم اذا بعثوا في النفخة الثانية حكاه الطبري عنه مشفقين رقيقي القلوب خاشعين لله **وقرا** ابو حيوة ووقانا بتشديد القاف والسموم هنا النار وقال الحسن اسم من اسماء جهنم من قبل اي من قبل لقاء الله والمصير اليه ندعوه نعبده ونسال له الوقاية من عذابه انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب او ندعوه من الدعاء **وقرا** الحسن وابو جعفر ونافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه وباقي السبعة انه بكسر الهمزة وهي قراءة الاعرج وجماعة وفيها معنى التعليل ٥ **فذكر فما انت** بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ٥ لما تقدم اقسام الله تعالى على وقوع العذاب وذكر اشياء من احوال المعذبين والناجين امره بالتذكير

قوله عز وجل فذكر فما انت بنعمة ربك

انذارًا للكافر وتبشيرًا للمؤمن ودعاءً الى الله عز وجل ثم نفي عنه ما كان الكفار ينسبونه اليه من الكهانة والجنون اذ كانا طريقين الى الاخبار ببعض المغيبات وكان للجن بهما ملابسة للانس وممن كان ينسبه الى الكهانة شيبة بن ربيعة وممن كان ينسبه الى الجنون عقبة بن ابي معيط وقال الزمخشري فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض فان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورصافة العقل احدهما انتهى ٥ وقال الحوفي بنعمة ربك متعلق بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن وقال ابو البقاء الباء في موضع الحال والعامل فيه بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنًا ولا مجنونًا ملتبسًا بنعمة ربك انتهى وتكون حالًا لازمة لا منتقلة لانه عليه السلام ما زال ملتبسًا بنعمة ربه وقيل بنعمة ربك مقسم به كانه قيل ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر كما تقول ما زيد والله بقائم ولما نفي عنه الكهانة والجنون اللذين كان بعض الكفار ينسبونهما اليه ذكر نوعًا اخر مما كانوا يقولونه روي ان قريشًا اجتمعت في دار الندوة وكثرت اراؤهم فيه عليه السلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك تربصوا به ريب المنون فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والاعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الاية في ذلك وقول من قال ذلك هو من نقص الفطرة بحيث لا يدرك الشعر وهو الكلام الموزون على طريقة معروفة من النثر الذي ليس هو على ذلك المنهاج ولا شك ان بعضهم كان يدرك ذلك اذ كان فيهم شعراء ولكنهم تمالؤا مع اولئك الناقصي الفطرة على قولهم هو شاعر جحدًا لايات الله بعد استيقانها وقرأ زيد بن علي يتربص بالياء مبنيًا للمفعول به ريب مرفوع وريب المنون حوادث الدهر فانه لا تدوم على حال ٥

قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها نطلق يومًا او يموت حليلها ٥

وقال الاخر ٥

امن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع ٥

قل تربصوا هو امر تهديد من المتربصين هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا اي تقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش تدعي انها اهل الاحلام والنهى وقيل لعمرو بن العاصي رحمه الله ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها التوفيق تامرهم فيلام بمعنى الهمزة اي اتامرهم وقدرها مجاهد ببل والصحيح انها تتقدر ببل والهمزة ام هم قوم طاغون اي مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم وقرأ مجاهد بل هم مكان ام هم وكون الاحلام امرة

مجاز لما دلت الى ذلك جعلت امرة كقوله اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وحكى الثعلبي عن الخليل انه قال كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف تقوله اختلقه من قبل نفسه كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال ابن عطية تقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص انتهى بل لا يؤمنون اي لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله فلياتوا بحديث مثله اي مماثل للقران في نظمه ورصفه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني والاخبار بقصص الامم السالفة والمغيبات والحكم ان كانوا صادقين في انه تقوله فليتقولوا هم مثله اذ هو واحد منهم فان كانوا صادقين فليكونوا امثاله في التقول وقرأ الجحدري وابو السمال بحديث مثله على الاضافة اي بحديث رجل مثل الرسول في كونه اميًا لم يصحب اهل العلم ولا رحل عن بلده او مثله في كونه واحدًا منهم فلا يجوز ان يكون في العرب مثله في الفصاحة فلياتوا بمثل ما اتى به ولن يقدر على ذلك ابدًا ام خلقوا من غير شيء اي من غير شيء حي كالجماد فهم لا يؤمرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه قاله الطبري وقيل من غير شيء اي من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون وهذا كما تقول فعلت كذا وكذا من غير علة اي لغير علة فمن للسبب وفي القول الاول لابتداء الغاية وقال الزمخشري ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون ام خلقوا من غير رب ولا خالق اي ام حدثوا وبرزوا للوجود من غير اله يبرزهم ويبثهم ام هم الخالقون لانفسهم فلا يعبدون الله ولا ياتمرون باوامره ولا ينتهون عن مناهيه والقسمان باطلان وهم يعترفون بذلك فدل على بطلانهم وقال ابن عطية ثم وقفهم على جهة التوبيخ على انفسهم ام هم الذين خلقوا الاشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خصص من تلك الاشياء السموات والارض لعظمها وشرفها في المخلوقات ثم حكم عليهم بانهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرًا يؤديهم الى اليقين ام عندهم خزائن ربك قال الزمخشري خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم وقال ابن عطية ام عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع الامور لان المال والصحة والقوة وغير ذلك من الاشياء كلها من خزائن الله تعالى وقال الزهراوي وقيل يريد بالخزائن العلم وهذا قول حسن اذا تؤمل وبسط وقال الرماني خزائنه تعالى مقدوراته انتهى والمسيطر قال ابن عباس المسلط القاهر وقرأ الجمهور المصيطرون بالصاد وهشام وقنبل وحفص بخلاف عنه بالسين وهو الاصل ومن ابدلها صادًا فلاجل حرف الاستعلاء وهو الطاء واشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف عنه الزاي ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه اي عليه او منه اذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض وقدره الزمخشري

صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف تقديره الخبر بصحة ما يدعونه وقدره الزمخشري ما يوحي الى الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدمه هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين اي بحجة واضحة يصدقها سماع مستمعهم أم تسألهم اجرا على الايمان بالله وتوحيده واتباع شرعه فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا انا لا نبعث وان بعثنا لا نعذب قاله الزمخشري وقال ابن عطية ام عندهم علم الغيب فهم يكتبون اي يثبتون ذلك للناس شرعا وذلك عبادة الاوثان وتسييب السوائب وغير ذلك من سيرهم وقيل المعنى فهم يعلمون متى يموت محمد الذي يتربصون به ويكتبون بمعنى يحكمون وقال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون ام يريدون كيدا اي بك وبشرعك وهو كيدهم به في دار الندوة فالذين كفروا اي فهم وابرز الظاهر تنبيها على العلة او الذين كفروا عام فيندرج فيه هم المكيدون اي الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر وسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ام لهم اله غير الله يعصمهم ويدفع في صدر اهلاكهم ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به من الاصنام والاوثان وان يروا كسفا كانت قريش قد اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اقترحت قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فاخبر تعالى انهم لو راوا ذلك عيانا حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم ان يغالطوا انفسهم فيما عاينوه وقالوا هو سحاب تراكم بعضه على بعض ممطرنا وليس بكسف ساقط للعذاب فذرهم امر موادعة منسوخ باية السيف وقرأ الجمهور حتى يلاقوا وابو حيوة حتى يلقوا مضارع لقي يومهم يوم موتهم واحدا واحدا والصعق العذاب او يوم بدر لانهم عذبوا فيه او يوم القيامة اقوال ثالثها قول الجمهور لان صعقته تعم جميع الخلائق وقرأ الجمهور يصعقون بفتح الياء وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي واهل مكة في قول شبل بن عباد بضمها وقرأ السلمي بضم الياء وكسر العين من اصعق رباعيا وان للذين ظلموا اي لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك اي دون يوم القيامة وقبله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن عباس وغيره وقال البراء بن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال الحسن وابن زيد مصائبهم في الدنيا وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين فانك باعيننا عبارة عن الحفظ والكلاءة وجمع لانه اضيف الى ضمير الجماعة وحين كان الضمير مفردا افرد العين قال تعالى ولتصنع على عيني وقرأ ابو السمال باعينا بنون واحدة مشددة وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص عوف بن مالك هو التسبيح المعروف وهو قول سبحان الله عند كل قيام وقال عطاء حين تقوم من كل مجلس وهو قول ابن جبير ومجاهد وقال ابن عباس حين تقوم من منامك فقيل هو صلاة التطوع وقيل الفريضة وقال الضحاك حين تقوم الى الصلوة تقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك

ولا اله غيرك وقال زيد بن اسلم حين تقوم من القائلة والتسبيح اذ ذاك هو صلاة الظهر وقال ابن السائب اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك الى ان تدخل في الصلاة ومن الليل فسبحه قيل صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم صلاة الصبح وعن عمر وعلي وابي هريرة والحسن انها النوافل وادبار النجوم ركعتا الفجر وقرأ سالم ابن ابي الجعد والمنهال بن عمرو ويعقوب وادبار بفتح الهمزة بمعنى واعقاب النجوم المرة القوة من امررت الحبل اذا احكمت فتله وقال قطرب تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل انه لذو مرة

قال الشاعر

وانى لذو مرة مرة ... اذا ركبت حالة حالها

تدلى العذق تدليا امتد من علو الى جهة السفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفراء وابن الاعرابي

وقال اسامة الهذلي

تدلى علينا وهو زرق حمامة ... اذا طحلب في منتهى الغيظ هامد

القاب والقيب القاد والقيد المقدار القوس معروف وهو آلة لرمي السهام وتختلف اشكالها السدرة شجرة النبق الضيزي الجائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه

قال الشاعر

ضازت بنو اسد بحكمهم ... اذ يجعلون الراس كالذنب

واصلها ضوزى على وزن فعلى نحو حبلى وانثى وربى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء ولا توجد فعلى بكسر الفاء في الصفات كذا قال وحكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى وحكى غيره امراة عزهى وامراة سعلى والمعروف عزهاة وسعلاة وقال الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزى وضاز يضاز ضازا اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام قل اكله منه وقال المبرد اصل اللمم ان يلم بالشيء من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري العرب تستعمل الالمام في المقاربة والدنو يقال الم يفعل كذا بمعنى كاد يفعل

وقال جرير

بنفسي من تجنبه عزيز علي ... ومن زيارته لمام

وقال آخر

لقاء اخلاء الصفاء لمام

الاجنة جمع جنين وهو الولد في البطن سمي بذلك لاستتاره والاجتنان الاستتار اكدى اصله من الكدية يقال لمن حفر بيرا ثم وصل الى حجر لا يتهيا له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره

وقال الحطيئة

فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه ... ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

وقال الكسائي وغيره اكدى الحافر واجبل اذا بلغ كدية او جبلا ولا يمكنه ان يحفر وحفر فاكدى بلغ الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدى النبت قل ريعه وقال ابو زيد اكدى الرجل قل خيره اقنى قال الجوهري قني يقنى قنى كغني يغنى غنى ويعدى بتغيير الحركة فيقول قنيت المال

المفردات

اي كسبت نحو شترت عين الرجل وشترها الله ثم تعدى بعد ذلك بالهمزة او التضعيف
فتقول اقناه الله مالا وقناه الله مالا وقال الشاعر

كم من غني اصاب الدهر ثروته ومن فقير تقنى بعد اقلال

اي يقتني المال ويقال اقناه الله ارضاه من القنية قال ابو زيد تقول
العرب لمن اعطي مائة من المعز اعطي القنا ومن اعطي مائة من الضان اعطي الغنى
ومن اعطي مائة من الابل اعطي المنى الشعرى الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزا
وطلوعه في شدة الحر ويقال له مرزم الجوزاء وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء
والشعرى الغميصا التي في الذراع وتزعم العرب انهما اختا سهيل قال
الزمخشري وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصا والعبور ومن كذب العرب ان
سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فاتبعته الشعرى
العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا لانها اخفى من الاخرى
ازف قرب قال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا ولا ارى لشباب بائن خلفا

وقال النابغة الذبياني

ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

ويروى افد الترحل سمد لهو ولعب قال الشاعر

الا ايها الانسان انك سامد كانك لا تفنى ولا انت هالك

وقال آخر

قيل قم فانظر اليهم ثم دع عنك السمودا

وقال ابو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني لنا

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى
ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي
الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة
والاولى هذه السورة مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة لانه قال
ام يقولون تقوله اي اختلق القرآن ونسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن وهو مجنون
فاقسم تعالى انه عليه السلام ما ضل وان ما ياتيهم به هو وحي من الله وهي اول سورة
اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد
وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من

تراب

تراب الى جبهته وقال يكفي هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق
القرآن واقسم تعالى بالنجم فقال ابن عباس ومجاهد والفراء ومنذر بن سعيد
هو الجملة من القرآن اذا انزلت وقد نزل منجما في عشرين سنة وقال الحسن ومعمر
ابن المثنى هو هنا اسم جنس والمراد النجوم اذا هوت اي غربت

قال الشاعر

فباتت تعد النجم في مستحيره سريع بايدي الآكلين جمودها

اي تعد النجوم وقال الحسن وابو حمزة الثمالي النجوم اذا انتثرت في القيامة وقال
ابن عباس ايضا هوى انقض في اثر الشياطين وهذا تساعده اللغة وقال الاخفش
والنجم النبت اذا طلع وهويه نزوله ليلة المعراج وقيل النجم معين فقال
مجاهد وسفيان هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها بالغلبة ولا تقول
العرب النجم مطلقا الا للثريا ومنه قول العرب

طلع النجم عشا فابتغى الراعي كساء
طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسية

وقيل الشعرى واليها الاشارة بقوله وانه هو رب الشعرى والكهان والمنجمون
يتكلمون على المغيبات عند طلوعها وقيل الزهرة وكانت تعبد وقيل والنجم
هم الصحابة وقيل العلماء مفردا اريد به الجمع وهوى في اللغة خرق الهواء ومقصده
السفل اذ مصيره اليه وان لم يقصد اليه وقال الشاعر

هوى الدلو اسلمها الرشاء

ومنه هوى العقاب صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخطاب لقريش اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي
وما ينطق اي الرسول عن الهوى اي عن هوى نفسه ورايه ان هو الا وحي من عند الله
يوحى اليه وقيل وما ينطق اي القرآن عن هوى وشهوة كقوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق ان هو اي الذي ينطق به او ان هو اي القرآن علمه الضمير عائد على
الرسول فالمفعول الثاني محذوف اي علمه الوحي او على القرآن فالمفعول الاول
محذوف اي علمه الرسول شديد القوى هو جبريل وهو مناسب للاوصاف
التي بعده وقاله ابن عباس وقتادة والربيع وقال الحسن شديد القوى
هو الله تعالى وهو بعيد ذو مرة ذو قوة ومنه لا تحل الصدقة لغني ولا لذي
مرة سوي وقيل ذو هيئة حسنة وقيل هو جسم طويل حسن ولا يناسب هذان
القولان الا اذا كان شديد القوى هو جبريل فاستوى الضمير لله في قول الحسن
وكذا وهو بالافق الاعلى لله تعالى على معنى العظمة والقدرة والسلطان
وعلى قول الجمهور فاستوى اي جبريل في الجو وهو بالافق الاعلى اذ راه الرسول
بحراء قد سد الافق له ست مائة جناح وحينئذ دنا من محمد حتى كان
قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة الاخرى ست مائة جناح عند
السدرة قاله الربيع والزجاج وقال الطبري والفراء المعنى فاستوى
جبريل وقوله وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفي هذا التاويل العطف
على الضمير المرفوع من غير فصل وهو مذهب الكوفيين وقد يقال الضمير

وقال
سقوطه على الارض
ابن جبير الصادق هو النبي
صلى الله عليه وسلم وهويته

في استوى للرسول وهو لجبريل والافق الاعلى لعله الراس وما جرى معه وقال الحسن
وقتادة هو افق مشرق الشمس وقال الزمخشري فاستوى فاستقام على صورة
نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل
في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته
التي جبل عليها فاستوى له بالافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل
ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرة في الارض
ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهوا
وكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال
ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او دنى
على تقديركم كقوله او يزيدون الى عبده اي الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل
ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه قيل
انتهى وقال ابن عطية ثم دنا قال الجمهور اي جبريل الى محمد عليه السلام
عند حراء وقال ابن عباس وانس في حديث الاسراء ما يقتضي ان الدنو يستند
الى الله تعالى فقيل كان الدنو الى جبريل وقيل الى الرسول اي دنا وحيه وسلطانه
وقدرته والصحيح ان جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد
رآه نزلة اخرى فانه يقتضي نزلة متقدمة وما روي ان الرسول رأى ربه قبل
ليلة الاسراء ودنا اعم من تدلى فبين هيئة الدنو كيف كانت قاب قدر
قاله قتادة وغيره معناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقال الحسن ومجاهد
من الوتر الى العود في وسط القوس عند المقبض وقال ابو رزين ليست بهذه
القوس ولكن قدر الذراعين وعن ابن عباس ان القوس هنا ذراع يقاس به
الاطوال وذكر الثعلبي انه من لغة الحجاز فاوحى اي الله الى عبده اي الرسول
قاله ابن عباس وقيل الى عبده جبريل ما اوحى ابهام على جهة التعظيم والتفخيم
والذي عرف من ذلك فرض الصلوة وقال الحسن فاوحى جبريل الى عبد الله
محمد ما اوحى كالاول في الابهام وقال ابن زيد فاوحى جبريل الى عبد الله محمد
ما اوحى كالاول ما اوحاه الله الى جبريل وقال الزمخشري ما اوحي اوحي اليه
ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب
فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك
يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق انتهى وقرأ
الجمهور ما كذب مخففا على معنى لم يكذب قلب محمد النبي الذي رأى بل صدقه
وتحققه نظرا وكذب يتعدى وقال ابن عباس وابو صالح رأى محمد الله
تعالى بفؤاده وقيل ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه
ويحتمل ان يكون التقدير فيما رأى وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الاحبار
ان محمدا رأى ربه بعيني رأسه وابت ذلك عائشة وقالت انا سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لي هو جبريل فيها كلها
وقال الحسن المعنى ما رأى من مقدورات الله وملكوته وسأل ابو ذر

رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور اني اراه وحديث عائشة
قاطع بكل تأويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرآن
وليست نصا في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره وقرأ ابو رجاء وابو جعفر وقتادة
والجحدري وخالد بن الياس وهشام عن ابن عامر ما كذب مشددا وقال كعب
الاحبار ان الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى
مرتين ورآه محمد مرتين وقالت عائشة لقد قف شعري من سماع هذا
وقرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وذهبت هي وابن مسعود
وقتادة والجمهور الى ان المرئي مرتين هو جبريل مرة في الارض ومرة عند
سدرة المنتهى وقرأ الجمهور افتمارونه اي اتجادلونه على شيء رآه وابصره
وعدي بعلى لما في الجدال من المغالبة وجاء يرى بصيغة المضارع وان كانت
الرؤية قد مضت اشارة الى ما يمكن حدوثه بعد وقرأ علي وعبد الله وابن عباس
والجحدري ويعقوب وابن ~~مسعود~~ سعدان وحمزة والكسائي بفتح التاء
وسكون الميم مضارع مريت اي جحدت يقال مريته حقه اذا جحدته ٥

قال الشاعر

لئن سخرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا ٥

وعدي بعلى على معنى التضمين وكانت قريش حين اخبرهم عليه السلام بامره
في الاسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم بيت المقدس وامر عيرهم وغير ذلك
مما هو مستقصى في حديث الاسراء وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه والشعبي فيما
ذكر شعبة بضم التاء وسكون الميم مضارع امريت قال ابو حاتم وهو غلط
ولقد رآه الضمير المنصوب عائد على جبريل قاله ابن مسعود وعائشة ومجاهد
والربيع نزلة اخرى اي مرة اخرى اي نزل عليه جبريل مرة اخرى في صورة نفسه
فرآه عليها وذلك ليلة المعراج واخرى تقتضي نزلة سابقة وهي المفهومة
من قوله ثم دنا فتدلى هو دنا جبريل فتدلى وهو الهبوط والنزول من علو وقال
ابن عباس وكعب الاحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين وانتصب نزلة قال
الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
وقال الحوفي وابن عطية مصدر في موضع الحال وقال ابو البقاء
مصدر اي مرة اخرى او رؤية اخرى عند سدرة المنتهى قيل هي شجرة نبق
في السماء السابعة وقيل في السادسة ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان
الفيلة ينبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء كانه ينتهي اليها علم كل عالم
ولا يعلم ما وراءها صعدا الا الله او ينتهي اليها كل من مات على الايمان من
كل جيل او ينتهي اليها ما نزل من امر الله ولا يتجاوزها ملائكة العلو وما صعد
من الارض ولا يتجاوزها ملائكة السفل او ينتهي اليها ارواح الشهداء او كانت
في منتهى الجنة وآخرها او ينتهي اليها الانبياء والملائكة ويقفون عندها

او ينتهي اليها علم الانبياء ويعزب علمهم عما وراءها او ينتهي اليها الاعمال ولانها
من رفع اليها في الكرامة اقوال تسعة عندها جنة المأوى اي عند السدرة
قيل ويحتمل عند النزلة قال الحسن هي الجنة التي وعدها الله المؤمنين ٥
وقال ابن عباس بخلاف عنه وقتادة هي جنة تأوي اليها ارواح الشهداء
وليست بالتي وعد المتقون جنة النعيم وقيل جنة مأوى الملائكة وقرأ علي
وابو الدرداء وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر ومحمد بن كعب وقتادة جنه
بهاء الضمير وجن فعل ماض والهاء ضمير النبي اي عندها ستره ايواء الله تعالى
وجميل صنعه به وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل جنه بظلاله ودخل
وردت عائشة وصحابة معها هذه القراءة وقالوا اجن الله من قرأها واذا كانت
قراءة قرأها اكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لاحد ردها وقيل ان
عائشة اجازتها وقراءة الجمهور جنة المأوى لقوله في اية اخرى اولئك لهم
جنات المأوى نزلا اذ يغشى السدرة ما يغشى فيه ابهام الموصول وصلته لتعظيم
وتكثير الغاشي الذي يغشاها اذ ذاك اشياء لا يعلم وصفها الا الله وقيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وقيل ما يغشى من قدرة الله وانواع
الصفات التي يخترعها لها وقال ابن مسعود وانس ومسروق ومجاهد وابراهيم ذلك
جراد من ذهب كان يغشاها وقال مجاهد ذلك تبدل اغصانها درا وياقوتا وروي
في الحديث رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وايضا يغشاها رفرف
من طير اخضر وايضا يغشاها الوان لا ادري ما هي ٥ وعن ابي هريرة يغشاها نور
الخلاق وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت ٥ وعن ابن عباس غشيها رب
العزة اي امره كما في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي ونظير هذا الابهام
للتعظيم فاوحى الى عبده ما اوحى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى ما زاغ البصر
قال ابن عباس ما جال هكذا ولا هكذا ولا هكذا وقال الزمخشري اي اثبت
ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه اذ ما عدل
عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته
انتهى وقال غيره وما طغى ولا تجاوز المرئي الى غيره بل وقع عليه وقوعا صحيحا
وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه لقد رأى من ايات ربه الكبرى قيل الكبرى
مفعول رأى اي رأى الايات الكبرى والعظمى التي هي بعض ايات ربه اي حين
رقي الى السماء رأى عجائب الملكوت وتلك بعض ايات الله وقيل من ايات هي في موضع
المفعول والكبرى صفة لايات ربه ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن
ذلك هنا كونها فاصلة كما في قوله لنريك من اياتنا الكبرى عند من جعلها صفة لاياتنا
وقال ابن عباس وابن مسعود رأى رفرفا اخضر من الجنة قد سد الافق وقال
ابن زيد رأى جبريل في الصورة التي هو بها في السماء افرأيتم اللات والعزى لما
قرر الرسالة اولا واتبعه من ذكر عظمة الله وقدرته الباهرة بما يذكر التوحيد
والمنع عن الاشراك بالله وقفهم على حقارة معبوداتهم وانها اوثان وانها ليست
لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه قال قتادة كان بالطائف

وقال

وقال ابو عبيدة وغيره كان في الكعبة وقال ابن زيد كان بنخلة عند سوق عكاظ
قال ابن عطية وقول قتادة ارجح ويؤيده قول الشاعر ٥

٥ وفرت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر ٥

انتهى ويمكن الجمع بان تكون اصناما سميت باسم اللات فاخبر كل عن صنمه بمكانه والتاء
في اللات قيل هي اصلية لام الكلمة كالباء من باب والالف منقلبة فيما يظهر من ياء
لان مادة ل ي ت موجودة فان وجدت مادة من ل و ت جاز ان تكون منقلبة
من واو وقيل التاء للتأنيث ووزنها فعلة من لوي قيل لانهم كانوا يلوون عليها
ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون حذفت لامها وقرأ الجمهور
اللات خفيفة التاء وابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو صالح وطلحة
وابو الجوزاء ويعقوب وابن كثير في رواية بشدها قال ابن عباس كان هذا
رجلا بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة وقيل كان هذا الرجل من بهز
يلت السويق للحاج وقيل سمي رجل على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده
اجلالا لذلك الرجل وسموه باسمه وقيل سمي رجل كان يلت عنده السمن بالزيت
ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون
على قبره فجعلوه وثنا وفي البحر انه كان صنما تعظمه العرب وقيل حجر ذلك
اللات وسموه باسمه وعن ابن جبير صخرة بيضاء كانت العرب تعبدها وتعظمها
وعن مجاهد شجيرات تعبد بيلادها انتقل امرها الى الصخرة انتهى ملخصا وتلخص
في اللات او هو صنم او حجر يلت عليه او صخرة يلت عندها او قبر للات او شجيرات
ثم صخرة او اللات نفسه اقوال والعزى صنم وقيل سمرة كانت لغطفان
واصلها تأنيث الاعز بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة
يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عزى كفرانك
لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال ابو عبيدة كانت
العزى ومناة بالكعبة انتهى ويدل على هذا قول ابي سفيان في بعض الحروب
للمسلمين لنا العزى ولا عزى لكم وقال ابن زيد كانت العزى بالطائف
وقال قتادة كانت بنخلة ويمكن الجمع بين هذه الاماكن بانه كان في كل مكان
منها صنم يسمى بالعزى كما قلنا في اللات فاخبر كل واحد عن ذلك الصنم المسمى
بمكانه ومناة قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف
وقيل بالمشلل من قديد بين مكة والمدينة وكانت اعظم هذه الاوثان قدرا
واكثرها عابدا وكانت الاوس والخزرج تهل لها وهذا اضطراب كثير في هذه
الاوثان ومواضعها والذي يظهر انها كانت ثلاثتها في الكعبة لان المخاطب
بذلك في قوله افرأيتم هم قريش وقرأ الجمهور ومناة مقصورا فقيل وزنها
فعلة سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ٥
وقرأ ابن كثير ومناءة بالمد والهمز فقيل ووزنها مفعلة فالالف منقلبة

عزى وهو مقالة والهمزة أصل مشتقة من النوء كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والقصر أشهر **قال جرير**

⁂ أزيد مناة توعد يا ابن تيم تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال آخر في المد والهمز

⁂ ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة على الشنء فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله أفرأيتم وهي بمعنى أخبرني والمفعول الثاني الذي لها هو قوله ألكم الذكر وله الأنثى على حد ما تقرر في متعلق أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لأن قوله وله الأنثى هو في معنى وله هذه الإناث فأغنى عن الضمير وكانوا يقولون في هذه الأصنام هي بنات الله فالمعنى ألكم النوع المستحسن المحبوب الموجود فيكم وله النوع المذموم بزعمكم وهو المستثقل وحسن إبراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم أنهن إناث وأنهن بنات الله وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة والقصر للتأنيث في العزى ما يشعر بالتأنيث لكنه قد سمي المذكر بالمؤنث فكان في قوله الأنثى نص على اعتقاد التأنيث فيها وحسن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة إذ لو أتى ضميرا فكان التركيب ألكم الذكر وله هن لم يقع فاصلة وقال الزجاج وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها فيقول أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة انتهى فجعل المفعول الثاني لأرأيتم جملة الاستفهام التي قدرها وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها وعلى تقديره يبقى قوله ألكم الذكر وله الأنثى متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الإعراب كما قلناه نحن ولا يعجبني قول الزجاج وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها ولو قال وجه اتصالها أو وجه انتظام هذه مع ما قبلها لكان الجيد في الأدب وإن كان يعني هذا المعنى وقال ابن عطية أفرأيتم خطاب لقريش وهي من رؤية العين لأنه أحال على أجرام مرئية ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء لم تتعد انتهى ويعني بالأجرام اللات والعزى ومناة وأرأيت التي هي استفتاء يقع على الأجرام نحو أرأيت زيدا ما صنع وقوله ولو كانت أرأيت استفتاء يعني الذي يقول النحاة فيه إنها بمعنى أخبرني لم تتعد وأرأيت التي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى إلى اثنين أحدهما منصوب والآخر في الغالب جملة استفهامية وقد قررنا الكلام في ذلك أول ذلك في سورة الأنعام وذلك كلام ابن عطية على أنه لم يطالع ما قاله الناس في أرأيت إذا كانت استفتاء على اصطلاحه وهي التي بمعنى أخبرني والظاهر أن الثالثة الأخرى صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد قيل ولما كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان أكدت بهذين الوصفين كما تقول رأيت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا أجل منهما فتقول وفلانا الآخر الذي من أمره وشأنه ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الآية ومنه **قول ربيعة بن مكدم**

ولقد شفعتهما بآخر ثالث انتهى وقول ربيعة مخالف للآية لأن الثالث

جاء

جاء بعد آخر وعلى قول هذا القائل إن مناة هي أعظم هذه الأوثان تكون الثالثة التأكيد لأجل عظمها الأخرى في قوله ثم تذكر أجل منهما وقال الزمخشري والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن يكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى انتهى ولفظ آخر ومؤنثه أخرى لم يوضعا للذم ولا للمدح إنما يدلان على معنى غير إلا أن من شرطهما أن يكونا من جنس ما قبلهما لو قلت مررت برجل وآخر لم يدل إلا على معنى غير لا على ذم ولا مدح وقال أبو البقاء والأخرى توكيد لأن الثالثة لا تكون إلا أخرى انتهى وقيل الأخرى صفة للعزى لأنها ثانية اللات والثانية يقال لها الأخرى وأخرت لموافقة رؤوس الآي وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير تقديره والعزى الأخرى ومناة الثالثة وقال أبو عبد الله الرازي الأخرى صفة ذم كأنه يقول ومناة الثالثة الذليلة وذلك لأن الأولى كان وثنا على صورة آدمي والعزى صورة نبات ومناة صورة صخرة فالآدمي أشرف من النبات والنبات أشرف من الجماد فالجماد متأخر ومناة جماد فهي في أخريات المراتب والإشارة بتلك إلى قسمتهم وتقريرهم أن لهم الذكران ولله البنات وكانوا يقولون إن هذه الأصنام والملائكة بنات الله قال ابن عباس وقتادة ضيزى جائرة وسفيان منقوصة وابن زيد مخالفة ومجاهد ومقاتل عوجاء والحسن غير معتدلة وابن سيرين غير مستوية وكلها أقوال متقاربة في المعنى **وقرأ** الجمهور ضيزى من غير همز والظاهر أنه صفة على وزن فعلى بضم الفاء كسرت لتصح الياء ويجوز أن يكون مصدرا على وزن فعلى كذكرى ووصف به **وقرأ** ابن كثير ضئزى بالهمز فوجه على أنه مصدر كذكرى وصف به **وقرأ** زيد بن علي ضيزى بفتح الضاد وبالياء ووجه على أنه مصدر كدعوى وصف به أو وصف كسكرى وناقة حرمى ويقال ضوزى بالواو وبالهمز وتقدم في المفردات حكاية لغة الهمز عن الكسائي

وأنشد الأخفش

⁂ فإن تنأ عنها تنتقصك وإن تغب فسهمك مضؤوز وأنفك راغم

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها في قصة هود في سورة الأعراف **وقرأ** الجمهور إن يتبعون بياء الغيبة وعبد الله وابن عباس وابن وثاب وطلحة والأعمش وعيسى بن عمر بتاء الخطاب إلا الظن ميل النفس إلى أحد معتقدين من غير حجة وما تهوى الأنفس أي تميل إليه بلذة وإنما تهوى أبدا ما هو غير الأفضل لأنها مجبولة على حب الملاذ وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل ولقد جاءهم من ربهم الهدى توبيخ لهم والذي هم عليه باطل واعتراض بين الجملتين أي يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم فكانوا أولى من تقبله وترك عبادة من لا يجدي عبادته أم للإنسان ما تمنى هو متصل بقوله وما تهوى الأنفس أي ليس للإنسان والمراد به الجنس ما تمنى أي ما تعلقت به أمانيه أي ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني بل الأمر لله وقولكم إن آلهتكم تشفع وتقرب زلفى ليس لكم ذلك وقيل أمنيتهم قولهم ولئن رجعت إلى ربي

اذ لي عنده للحسني وقيل قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل تمني بعضهم ان يكون النبي فلله الاخرة والاولي اي هو مالكهما فيعطي منهما من يشا ويمنع من يشا وليس لاحد ان يبلغ منهما الا ما شا الله وقدم الاخرة علي الاولي لتاخرها في ذلك ولكونها فاصلة فلم يراع الترتيب لوجود كقوله وان لنا للاخرة والاولي ۞ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضي ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثي وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عمن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدي ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسني الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقي ۞ وكم هي خبرية ومعناها هنا التكثير وهي في موضع رفع بالابتدا والخبر لا تغني والغنا جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذي يكون فيه الغنا وكم لفظها مفرد ومعناها جمع وقرا الجمهور شفاعتهم بافراد الجماعة الشفاعة وجمع الضمير وزيد بن علي شفاعته بافراد الشفاعة والضمير وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل اي القسم الهذلي وافردت الشفاعة في قراة الجمهور لانها مصدر ولانهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا فاذا كانت الملايكة المقربون لا تغني شفاعتهم الا بعد اذن الله ورضاه اي يرضاه اهلا للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لمن يعبدها ومعني تسمية الانثي كونهم يقولون انهم بنات الله والذين لا يومنون بالاخرة العرب منكرو البعث وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي ما يدرك بالعلم لا ينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم والتيقن قيل ويحتمل ان يكون المراد بالحق هنا هو الله تعالي اي الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون ويدل عليه ذلك بان الله هو الحق فاعرض عمن تولي عن ذكرنا موادعة منسوخة باية السيف ولم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم تتعلق ارادته بغيرها فليس له فكر في سواها كالنضر بن الحارث ابن الحارث والوليد بن المغيرة والذكر هنا القران او الايمان او الرسول او قوال عمن تولي عن ذكرنا هو سبب الاعراض لان من لا يصغي الي قول كيف يفهم معناه فامر عليه السلام بالاعراض عمن هذه حالة بذكر سببا لتولي عن الذكر وهو حصر اراداتهم في الحيوة الدنيا فالتولي عن الذكر سبب للاعراض عنهم وايثار الدنيا سبب التولي عن الذكر ذلك اشارة الي تعلقهم بالدنيا وتحصيلها مبلغهم غايتهم ومنتهاهم من العلم وهو ما تعلقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنايع كقوله تعالي يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ولما ذكر ما هم عليه اخبر تعالي انه عالم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما وقال الزمخشري وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهي وكانه يقول هو اعتراض بين فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقول من الاعتراض وقيل ذلك اشارة الي جعلهم الملايكة بنات الله وقال

الفرا

لقد اصغر رايهم وسفه احلامهم اي غاية عقولهم ونهاية علومهم ان اثروا الدنيا علي الاخرة وقيل ذلك اشارة الي الظن اي غاية ما يفعلون ان ياخذوا بالظن وقوله ان ربك هو اعلم في معرض التسلية اذ كان من خلقه عليه السلام الحرص علي ايمانهم وفي ذلك وعيد للكفار ووعد للمومنين ولله ما في السموات وما في الارض اخبار من في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه له تعالي يتصرف فيهما بما يشا واللام في ليجزي متعلقة بما دل عليه معني الملك اي يضل ويهدي ليجزي وقيل بقوله بمن ضل وبمن اهتدي واللام للصيرورة والمعني ان عاقبة امرهم جميعا للجزا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا والحسني الجنة وقيل التقدير بالاعمال الحسني وحين ذكر جزا المسي قال بما عملوا وحين ذكر جزا المحسن اتي بالصفة التي تقتضي التفضيل ويدل علي الكرم والزيادة للمحسن كقوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون والاحسن تانيثه الحسني وقرا زيد بن علي لنجزي ونجزي بالنون فيهما وتقدم الكلام في الكباير في قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه في سورة النسا والذنوب تنقسم الي كباير وصغاير والفواحش معطوف علي كباير وهي ما فحش من الكباير افردها بالذكر ليدل علي عظم مرتكبها وقال الزمخشري والكباير الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة انتهي وهو علي طريقة الاعتزال الا اللمم استثنا منقطع لانه لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب او صفة اي كباير الاثم غير اللمم كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وقيل يصح ان يكون استثنا متصلا وهذا يظهر عند تفسير اللمم ما هو وقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا فقال الخدري هو النظرة والغمزة والقبلة وقال السدي الخطرة من الذنب وقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي والكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال ابن عباس ايضا وابن زيد ما الموا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الاسلام وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابنه ان سبب الاية قول الكفار للمسلمين قد كنتم بالامس تعملون اعمالنا فنزلت وهي مثل قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل نزلت في نبهان التمار وحديثه مشهور وقال ابن عباس وغيره العلقة والسقطة دون دوام ثم يتوب منه وقال الحسن الزنا والسرقة والخمر ثم لا يعود وقال ابن المسيب ما خطر علي القلب وقال نفطويه ما ليس بمعتاد وقال الرماني الهم بالذنب وحديث النفس دون ان يواقع وقيل نظير النجاة ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغاير باجتناب الكباير وقال الزمخشري والكباير بالتوبة انتهي وفيه نزعة الاعتزال هو اعلم بكم فقيل نزلت في قوم من اليهود عظموا انفسهم واذا مات طفل لهم قالوا هذا صديق عند الله وقيل في قوم من المومنين فخروا باعمالهم والظاهر انه خطاب عام واعلم علي بابها من التفضيل وقال مكي بمعني عالم بكم ولا ضرورة الي اخراجها عن اصل موضوعها وكان مكيا راعي عمل اعلم في الظرف الذي هو اذ انشا وتعلق علمه به في ذلك الوقت لا مشاركة لاحد معه فيه علي انه قد يتعلق علم من اطلعه الله من الملايكة عليه وقيل الناصب لاذ محذوف تقديره اذكروا

قوله عزوجل وكم من ملك

٤

٤

كم

اذ انشأكم من الارض والظاهر ان المراد بانشأكم انشأ اصلكم وهو آدم ويجوز ان يراد من
فضلة الاغذية التي منشؤها من الارض فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاء
العمل والطهارة عن المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم الزكي والتقي
قبل اخراجكم من صلب آدم وقيل اخراجكم من بطون امهاتكم وكثيرا ما نرى من المتصلحين
اذا حدثوا يقولون كان وردنا البارحة كذا او فاتنا من وردنا البارحة او فاتنا
وردنا يوهمون الناس انهم يقومون بالليل وترى لبعضهم في جبينه سوادا يوهم
انه من كثرة السجود ولبعضهم احضارا للنية حالة الاحرام فيحرك يديه مرارا
ويصعق حتى ينزعج من بجانبه وكانه يخطف شيئا بيده وقت التحريكة الاخيرة
يوهم انه محافظ على تحقيق النية وبعضهم يقول في حلفه وحق البيت الذي زرت
يعلم انه حاج واذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الاسد على الفريسة ولا يلحقه شيء
من الوسواس ولا من احضار النية في اخذه وتراه يحب الثناء عليه بالاوصاف
الجميلة التي هو عار منها وقيل المعنى لا يزكي بعضكم بعضا تزكية السمعة او المدح
للدنيا او تزكية بالقطع واما التزكية لاثبات الحقوق فهي جائزة للضرورة
والجنين ما كان في البطن فاذا خرج سمي ولدا او سقطا وقوله في بطون امهاتكم
تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم حاله وهو
مجتن لا يخفى عليه حاله هو اعلم بمن اتقى فيثيب الزكي ويعاقب على عمل حسنة
وادعوي عن معصية ٥ افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب
فهو يرى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر
اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء
الاوفى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى وانه
خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه
هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابقى
وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى
فباي آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله
كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا
لله واعبدوا ٥ افرأيت الآية قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد
ابن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس اليه ووعظه
فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه عاتبه رجل من
المشركين وقال له اتترك ملة آبائك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا
اتحمل لك بكل شيء تخافه في الآخرة لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه
الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وضل ضلالا بعيدا واعطى بعض
ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح وقال الضحاك هو النضر
ابن الحارث اعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له ان
يحمل عنه مأثم رجوعه وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي كان
ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب في ابي جهل

قوله عز وجل افرأيت الذي

ابن هشام

ابن هشام قال والله ما يأمر محمد الا بمكارم الاخلاق وروي عن ابن عباس والسدي
انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق فقال له اخوه من الرضاعة
عبد الله بن سعد بن ابي سرح نحوا من كلام القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به وذكر
القصة بتمامها الزمخشري ولم يذكر في سبب النزول غيرها قال ابن عطية وذلك كله
عندي باطل وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله انتهى وافرأيت بمعنى اخبرني
ومفعولها الاول الموصول والثاني الجملة الاستفهامية وهي اعنده علم الغيب
وتولى اي اعرض عن الاسلام وقال الزمخشري تولى ترك المركز يوم احد انتهى لما
جعل الآية نزلت في عثمان فسر التولي بهذا واذا ذكر التولي غير مقيد في القرآن
فاكثر استعماله انه استعارة عن عدم الدخول في الايمان واعطى قليلا واكدى
قال ابن عباس اطاع قليلا ثم عصى وقال مجاهد اعطى قليلا من نفسه بالاستماع
ثم اكدى بالانقطاع وقال الضحاك اعطى قليلا من ماله ثم منع وقال مقاتل
اعطى قليلا من الخير بلسانه ثم قطع اعنده علم الغيب اي علم من الغيب ان من تحمل ذنوب
آخر فان المتحمل عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة
ام هو جاهل وقال الزمخشري فهو يرى فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره
حق وقيل يعلم حاله في الآخرة وقال الزجاج يرى رفع ما ثمه في الآخرة وقيل
فهو يرى ان ما سمعه من القرآن باطل وقال الكلبي انزل عليه قرآن فرأى ما
صنعه حقا وقيل فهو يرى ان الاجزاء واحتمل يرى ان تكون بصرية اي فهو يبصر
ما خفي عن غيره مما هو غيب واحتمل ان تكون بمعنى يعلم اي فهو يعلم الغيب مثل الشهادة
ام لم ينبأ اي بل لم يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم اي وفي صحف ابراهيم
التي نزلت عليه وخص هذين النبيين صلى الله عليهما قيل لانه ما بين نوح وابراهيم
كانوا يأخذون الرجل بابنه وابيه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده
فاول من خالفهم ابراهيم ومن شريعة ابراهيم الى شريعة موسى كانوا لا يأخذون
الرجل بجرم غيره الذي وفى قرأ الجمهور وفى بتشديد الفاء وقرأ ابو امامة الباهلي
وسعيد بن جبير وابو مالك الغفاري وابن السميفع وزيد بن علي بتخفيفها ولم يذكر
متعلق وفى ليتناول كل ما يصلح ان يكون متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال
باعباء الرسالة والصبر على ذبح ولده وعلى فراق اسمعيل وامه وعلى نار نمرود وقيامه
باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وكان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء بن السائب
عهد ان لا يسأل مخلوقا وقال ابن عباس والربيع وفى طاعة الله في امر ذبح ابنه
وقال الحسن وقتادة وفى بتبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله وقال
عكرمة وفى هذه العشر الآيات ان لا تزر فما بعدها وقال ابن عباس ايضا وقتادة
وفى ما افترض عليه من الطاعة على وجهها وكملت له شعب الايمان والاسلام
فاعطاه الله براءته من النار وقال ابن عباس ايضا وفى شرائع الاسلام ثلاثين
سهما يعني عشرة في براءة التائبون وعشرة في قد افلح وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين وقال ابو امامة ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفى اربع صلوات في كل

يوم وقال أبو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك أن الله تعالى قال له أسلم
قال أسلمت لرب العالمين فطالبه بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده
ونفسه فوجده وافيا انتهى وللمفسرين أقوال غير هذه وينبغي أن تكون هذه
الأقوال أمثلة لما وفى لا على سبيل التعيين وأن هي المخففة من الثقيلة وهي
بدل مما في قوله بما في صحف أو في موضع رفع كأن قائلا قال ما في صحفهما فقيل
أن لا تزر أي أنه لا تزر وتقدم شرح لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان
إلا ما سعى الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر وأن الحصر في السعي
فليس له سعي غيره وقال عكرمة كان هذا الحكم في قوم إبراهيم وموسى وأما
هذه الأمة فلها سعي غيرها يدل عليه سعد بن عبادة هل لأمي إن تطوعت عنها
قال نعم وقال الربيع الإنسان هنا الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما
سعي له غيره وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية
مع قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل
ما شاء الله فقبل عبد الله رأس الحسين وما روي عن ابن عباس أنها منسوخة
لا يصح لأنه خبر لم يتضمن تكليفا وعند الجمهور أنها محكمة قال ابن عطية والتحرير
عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو اللام من قوله للإنسان فإذا حققت
الشيء الذي حق للإنسان أن يقول فيه لي كذا لم تجده إلا سعيه وما تم بعد من رحمة
بشفاعة أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو تغمد بفضل
ورحمة دون هذا كله فليس هو للإنسان ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا
على تجوز وإلحاق بما هو حقيقة واحتج بهذه الآية من يرى أنه لا يعمل أحد عن
أحد بعد موته ببدن أو مال ه وفرق بعض العلماء بين البدن والمال
انتهى والسعي التكسب ويرى مبني للمفعول أي سوف يراه حاضرا والغمة وفي عرض
الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء والضمير المرفوع في يجزاه عائد على الإنسان
والمنصوب عائد على السعي والجزاء مصدر قال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير
للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى أو أبدله عنه لقوله وأسروا النجوى الذين
ظلموا انتهى وقوله ثم فسره بقوله الجزاء وإن كان تفسيرا للمصدر المنصوب في يجزاه
فعلى ماذا انتصابه وأما إذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي
يفسره الظاهر وهي مسألة خلاف والصحيح المنع وقرأ الجمهور وأن إلى ربك وما
بعدها بفتح الهمزة عطفا على ما قبلها وقرأ أبو السمال بالكسر فيهن
وفي قوله الأوفى وعد للمؤمن ووعيد للكافر ومنتهى الشيء غايته وما يصل إليه
أي إلى حساب ربك والحشر لأجله كما قال وإلى الله المصير أي إلى جزائه وحسابه
أو إلى ثوابه من الجنة وعقابه من النار ونحو ذا التفسير المناسب لما قبله في الآية
وعن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن إلى ربك المنتهى لا فكرة في الرب
وروي أنس رفعه عليه السلام إذا ذكر الرب فانتهوا وأنه هو أضحك وأبكى
والظاهر حقيقة الضحك والبكا قال مجاهد أضحك أهل الجنة وأبكى أهل
النار وقيل كني بالضحك عن السرور وبالبكا عن الحزن وقيل أضحك الأرض

بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أحيا بالإيمان وأبكى بالكفر وقال الزمخشري
أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء انتهى وفيه دسيسة الاعتزال إذ أفعال
العبد من الضحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد عندهم لا لله تعالى فلذلك
قال خلق قوتي الضحك والبكاء وأنه خلق الزوجين المصطحبين من رجل وامرأة
وغيرهما من الحيوان من نطفة إذا تمنى أي إذا تدفق وهو المني يقال أمنى الرجل
ومنى وقال الأخفش إذا تمنى أي يخلق ويقدر من منى الماني أي قدر المقدر وأن عليه
النشأة الأخرى أي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البلى وجاء بلفظ عليه المشعرة
بالتحتم لوجود الشيء لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ بقوله عليه بوجودها
لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه وتقدم الخلاف في قراءة النشاءة
في سورة العنكبوت وقال الزمخشري وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة
ليجازي على الإحسان والإساءة انتهى وهو على طريق الاعتزال وأنه هو أغنى
وأقنى أي أكسب القنية يقال قنيت المال أي كسبته وأقنيته إياه أي أكسبته
إياه ولم يذكر متعلق أغنى وأقنى لأن المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى وقد
تكلم المفسرون على ذلك وقالوا اثني عشر قولا كقولهم أغنى نفسه وأفقر خلقه
إليه وكل قول منها لا دليل على تعيينه فينبغي أن تجعل أمثلة والشعرى التي عبدت
هي العبور قال السدي كانت تعبدها حمير وخزاعة وقال غيره أول من عبدها
أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته وكان اسمه عبد الشعرى
ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام ابن أبي كبشة ومن ذلك كلام أبي سفيان
لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها ويعتقد تأثيرها في العالم
وأنها من الكواكب الناطقة يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون على المغيبات عند
طلوعها وهي تقطع السماء طولا والنجوم كلها تقطعها عرضا وقال مجاهد
وابن زيد هو مرزم الجوزاء وأنه أهلك عادا الأولى جاء بين أن وخبرها بلفظ
هو وذلك في قوله وأنه هو أضحك وأنه هو أمات وأنه هو أغنى وأنه هو رب
الشعرى ففي الثلاثة الأول لما كان قد يدعي ذلك بعض الناس كقول نمروذ
أنا أحيي وأميت احتيج إلى التأكيد في أن ذلك إنما هو لله لا لغيره فهو الذي يضحك
ويبكي وهو المميت المحيي والمغني والمقني حقيقة وإن ادعى ذلك أحد فلا حقيقة
له وأما وأنه هو رب الشعرى فإنها لما عبدت من دون الله نص على أنه تعالى
هو ربها وموجدها ولما كان خلق الزوجين والإنشاء الآخر وإهلاك عاد ومن ذكر
لا يمكن أن يدعي ذلك أحد لم يحتج إلى توكيد تأكيد ولا تنصيص أنه تعالى هو فاعل
ذلك وعاد الأولى هم قوم هود وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى لتقدمها لأنهم أول
الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقيل الأولى المتقدمون في الدنيا الأشراف قاله الزمخشري
وقال ابن زيد والجمهور لأنه في وجه الدهر وقديمه فهي أولى بالإضافة إلى
الأمم المتأخرة وقال الطبري وصفت بالأولى لأن عادا الأخرى قبيلة كانت
بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال وقال المبرد عاد الأخرى هي ثمود والدليل
عليه قول زهير كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم ذكره الزهراوي

وقيل عاد الاخيرة الجبارون وقيل قبل الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل ثمود
من قبل عاد وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية
من ولد عاد الاولى وقرأ الجمهور عادا الاولى بتنوين عاد وكسره لالتقائه ساكنا
مع سكون لام الاولى وتحقيق الهمزة بعد اللام وقرأ قوم كذلك غير انهم نقلوا
حركة الهمزة الى اللام وحذفوا الهمزة وقرأ نافع وابو عمرو بادغام التنوين
في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة وعاب هذه القراءة المازني والمبرد
وقالت العرب في الابتداء بعد النقل الحمر ولحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر
فلا عيب فيها وهمز قالون عين الاولى بدل الواو الساكنة ولما لم يكن بين الضمة
والواو حائل تخيل ان الضمة على الواو فهمزها كما قال الشاعر
احب المؤقدين الى مؤسى ○ وكما قرأ بعضهم على سؤقه وهو توجيه شذوذ وفي
حرف ابي عاد غير مصروف جعله اسم قبيلة فمنعه الصرف للتانيث والعلمية والدليل
على التانيث وصفه بالاولى وقرأ الجمهور وثمودا مصروفا وقرأه غير مصروف الحسن
وعاصم وعصمة فما ابقى الظاهر ان متعلق ابقى يرجع الى عاد وثمود معا اي فما ابقى
عليهم اي اخذهم بذنوبهم وقيل فما ابقى اي فما ابقى منهم عينا تطرف ○ وقال
ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل ان ثقيفا من نسل ثمود فقال قال الله
وثمودا فما ابقى وهو لا يقولون بقيت منهم بقية والظاهر القول الاول لان ثمود
كان قد آمن منهم جماعة بصالح عليه السلام فما اهلكهم الله مع الذين كفروا
به وقوم نوح من قبل اي من قبل عاد وثمود وكانوا اول امة كذبت من اهل الارض
ونوح اول الرسل والظاهر ان الضمير في انهم عائد على قوم نوح وجعلهم اظلم
واطغى لانهم كانوا في غاية العتو والايذاء لنوح يضربونه حتى لا يكاد يتحرك
ويبقونه ولا يتأثرون لشيء مما يدعوهم اليه قال قتادة دعاهم الف سنة
الا خمسين عاما كلما هلك قرن نشأ قرن حتى كان الرجل يأخذ بيد ابنه يمشي
به اليه يحذره منه ويقول يا بني ان ابي مشى بي الى هذا وانا مثلك يومئذ فاياك
ان تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية ابيه وقيل الضمير
في انهم عائد على من تقدم عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من قريش واطغى
ففي ذلك تسلية للرسول عليه السلام وهم يجوز ان يكون تاكيدا للضمير المنصوب
ويجوز ان يكون فصلا لانه واقع بين معرفة وافعل التفضيل وحذف المفضول بين
الواقع خبرا لكان لانه جار مجرى خبر المبتدا وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان
والمؤتفكة اهوى هي مدائن قوم لوط باجماع من المفسرين وسميت بذلك لانها انقلبت
ومنه الافك لانه قلب الحق كذبا افكت فائتفكت قيل ويحتمل ان يراد بالمؤتفكة
كل ما انقلبت مساكنه ودثرت اماكنه اهوى اي خسف بهم بعد رفعهم الى السماء
رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها تهوي وقرأ الحسن
والمؤتفكات جمعا والظاهر ان اهوى ناصب للمؤتفكة واخر العامل لكونه فاصلة
ويجوز ان يكون والمؤتفكة معطوفا على ما قبله واهوى جملة في موضع الحال
توضح كيفية اهلاكهم اي واهلك المؤتفكة مهويا لها فغشاها ما غشى فيه

تهويل للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل اتبعت حجارة غشيتهم واحتمل ان يكون
التضعيف في غشاها للتعدية فيكون ما مفعوله والفاعل ضمير يعود على الله تعالى
واحتمل ان يكون فعل المشدد بمعنى المجرد فيتعدى الى واحد فيكون الفاعل ما كقوله
فغشيهم من اليم ما غشيهم فبأي آلاء ربك تتمارى الفاء ظرفية والخطاب للسامع
وتتمارى تتشكك وهو استفهام في معنى الانكار اي الآؤه وهي النعم لا يتشكك فيها
سامع وقد سبق ذكر نعم ونقم واطلق عليها كلها الآء لما في النقم من الزجر والوعظ
لمن اعتبر وقرأ يعقوب وابن محيصن ربك تمارى بتاء واحدة مشددة وقال
ابو مالك الغفاري ان قوله ان لا تزر الى قوله تتمارى هو في صحف ابراهيم وموسى
هذا نذير قال قتادة ومحمد بن كعب وابو جعفر الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
افتتح اول السورة به واختتم آخرها به وقيل الاشارة الى القرآن ○ وقال ابو مالك
الى ما سلف من الاخبار عن الامم اي هذا انذار من الانذارات السابقة والنذير يكون
مصدرا او اسم فاعل وكلاهما من نذر ولا ينقاسان بل القياس في المصدر انذار
وفي اسم الفاعل منذر والنذر اما جمع للمصدر او جمع لاسم الفاعل فان كان اسم فاعل
فوصف النذر بالاولى على معنى الجماعة ولما ذكر اهلاك من تقدم ذكره وذكر قوله
هذا نذير ذكر الذي انذر به قرب الوقوع فقال ازفت الآزفة اي قربت الموصو
بالقرب في قوله اقتربت الساعة وهي القيامة ليس لها من دون الله كاشفة
اي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج وقال منذر
ابن سعيد هو من كشف الضر ودفعه اي ليس لها من يكشف خطبها وهولها انتهى
ويجوز ان تكون الهاء في كاشفة للمبالغة وقال الرماني وجماعة ويحتمل
ان يكون مصدرا كالعاقبة وخائنة الاعين اي ليس لها كشف من دون الله وقيل
يحتمل ان يكون التقدير حال كاشفة افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون فتنكرون
وتضحكون مستهزئين ولا تبكون جزعا من وعيده وانتم سامدون قال مجاهد
معرضون وقال عكرمة لاهون وقال قتادة غافلون وقال
السدي مستكبرون وقال ابن عباس ساهون وقال المبرد جامدون
وكانوا اذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلا عنه وروي انه عليه السلام لم ير ضاحكا
بعد نزولها فاسجدوا لله اي صلوا له واعبدوا وافردوه بالعبادة ولا تعبدون
اللات والعزى ومناة والشعرى وغيرها من الاصنام وخرج البغوي باسناد
متصل الى عبد الله قال اول سورة نزل فيها السجدة النجم فسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته
بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف وروي ان المشركين سجدوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ وفي حرف ابي وعبد الله يضحكون بغير واو وقرأ
الحسن تعجبون تضحكون بغير واو وبضم التاء وكسر الحاء في قوله ولا
تبكون حض على البكاء عند سماع القرآن والسجود هنا عند كثير من اهل العلم
منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووردت به احاديث صحاح وليس يراها
مالك هنا وعن زيد بن ثابت انه قرأها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسجد

المفردات

الجدث القبر وتبدل الثاء فاء فيقال جدف كما أبدلوا في ثم فقالوا فم. انهمر انصب بقوة غزيرا قال الشاعر

راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

الدسر المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار نحو كتاب وكتب ويقال دسرت السفينة اذا شددتها بالمسامير وقال الليث وصاحب الصحاح الدسر خيوط تشد بها الواح السفينة. الصرصر الشديدة الصوت او البرد اما من صرير الباب ونحوه تصويته او من الصر الذي هو البرد وسوينا منا صل على وزن فعلل عند الجمهور والبحر موخرا للبني. المنقعر المنقلع من اصله تقعرت الشجرة تقعرا قلعتها من اصلها فانقعرت والبير نزلت حتى تنتهت الى قعرها والاناء شربت ما فيه حتى انتهى الى قعره واقعرت البير جعلت لها قعرا. الاشر البطر وقد اشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشر واشران وقوم اشارى مثل سكران وسكارى. سقر علم لجهنم مشتق من سقرته النار بالسين وصقرته بالصاد اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل

وامتنعت سقر من الصرف للعلمية والتانيث وتوسطه حركته وسطه تنزل الحرف الرابع في رسب

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ۝ هذه السورة مكية في قول الجمهور وقيل هي مما نزل يوم بدر وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات اولها ام يقولون نحن وآخرها ادهى وامر وسبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للرسول ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل وكانت ليلة بدر فسال ربه فانشق القمر نصف على الصفا ونصف على قيقعان فقال اهل مكة اية سماوية لا يعمل فيها السحر فقال ابو جهل اصبروا حتى يأتينا اهل البوادي فان اخبروا بانشقاقه فهو صحيح والا فقد سحر محمد اعيننا فجاؤا فاخبروا بانشقاق القمر فاعرض ابو جهل وقال سحر مستمر وعن ابن عباس انشق القمر بمكة شطره على السويداء وشطره على الحديبية وعنه انشق القمر بمكة مرتين وعنه انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت ۝ ومناسبة السورة لاخر ما قبلها ظاهرة ازفت الازفة وقال اقتربت الساعة وممن

عاين انشقاق القمر ابن مسعود وجبير بن مطعم واحد بن عمر وانس وحذيفة وابن عباس وحين ارى الله الناس انشقاق القمر قال الرسول اشهدوا وقال المشركون اذا لك سحرنا محمد وقال بعضهم سحر القمر والامة مجمعة على خلاف من زعم ان قوله وانشق القمر معناه انه ينشق يوم القيمة ويرده من الاية قوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فلا يناسب هذا الكلام ان ياتي الا بعد ظهور ما سالوه معينا من انشقاق القمر وقيل سالوا اية في الجملة فاراهم الله هذه الاية السماوية وهي من اعظم الايات وذلك التاثير في العالم العلوي وقرأ حذيفة وقد انشق القمر اي قربت وتقدم من ايات اقترابها انشقاق القمر كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وخطب حذيفة بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر على عهد نبيكم ولا التفات الى قول الحسن ان المعنى اذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية ولا الى قول من قال ان المعنى ظهر الامر وان العرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح ولا الى قول من قال ان انشقاقه عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه في اثنائها كما يسمي الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

وهذه اقوال فاسدة ولولا ان المفسرين ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا وان يروا اية يعرضوا وقرئ وان يروا مبنيا للمفعول اي من شانهم وحالتهم انهم متى راوا ما يدل على صدق الرسول من الايات الباهرة اعرضوا عن الايمان به وبتلك الاية وجاءت الجملة شرطية ليدل على انهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي ويقولوا سحر مستمر اي دائم ومنه قول الشاعر

الا انما الدنيا ليال واعصر وليس على شيء قويم بمستمر

اي بدائم لما راوا الايات متوالية لا تنقطع قالوا ذلك ۝ وقال ابو العالية والضحاك واحتمل مستمر مشدود موثق من مرائر الحبل اي سحر قد احكم ومنه قول الشاعر

حتى استمرت على شزر مريرته صدق العزيمة لا رثا ولا ضرعا

وقال انس وبمان ومجاهد والكسائي والفراء واختاره النحاس مستمر مار ذاهب زائل عن قريب عللوا بذلك انفسهم وقيل مستمر مشتد المرارة اي مستبشع عندنا مر يقال مر الشيء وأمر اذا صار مرا وامر غيره ومر يكون لازما ومتعديا وقيل مستمر يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله على هذا الوجه من التخييلات وقيل مستمر يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله على هذا الوجه من التخييلات وقيل مستمر مار من الارض الى السماء اي يبلغ من سحره انه سحر القمر وكذبوا اي بالايات وبمن جاء بها فقالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد واتبعوا اهواءهم اي شهوات انفسهم وما يهوون وكل امر مستقر وقرأ الجمهور مستقر بالكسر بكسر القاف وضم الراء مبتدأ وخبر قال مقاتل اي له غاية ينتهي اليها وقال الكلبي مستقر له حقيقة فما كان في الدنيا فسيظهر وما كان في الآخرة فسيعرف وقال قتادة معناه ان الخير يستقر باهل الخير والشر

بالملا الشر وقيل يستقر الحق ظاهراً ثابتاً والباطل زاهقاً ذاهباً وقيل وكل امر من امرهم وامره يستقر على خذلان او نصرة في الدنيا وسعادة او شقاوة في الاخرة **وقرأ** شيبة
مستقر بفتح القاف ورويت عن نافع قال ابو حاتم لا وجه لفتح القاف انتهى وخرجت
على حذف مضاف اي ذو استقرار وزمان استقرار **وقرأ** ابو جعفر وزيد بن علي مستقر بكسر القاف
والراء معاً صفة لامر وخرجه الزمخشري على ان يكون وكل عطفاً على الساعة اي اقتربت
الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلث
وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجي زيد
اكرمه ورحلت الى بني فلان ولحما فيكون ولحما عطفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب
وخرجه صاحب اللوامح على انه خبر لكل فهو مرفوع في الاصل لكنه جر للمجاورة وهذا
ليس بجيد لان الخفض على الجوار في غاية الشذوذ لانه لم يعهد في خبر المبتدا انما عهد
في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده والاسهل ان يكون الخبر مضمراً لدلالة المعنى
عليه والتقدير وكل امر مستقر بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي وكل امر
مستقر لهم في القدر من خير او شر بالغوه ثم وقيل الخبر حكمة بالغة اي وكل امر مستقر
حكمة بالغة ويكون ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر اعتراض بين المبتدا وخبره
كما **قال الشاعر** ولقد جاءهم
من الانباء اي من الاخبار الواردة في القران في اهلاك من كذب الانبيا وما يؤولون
اليه في الاخرة ما فيه مزدجر اي ازدجار رادع لهم عما هم فيه او موضع ازدجار
وارتداع اي ذلك موضع ازدجار او مظنة له **وقري** مزجر بابدال تا الافتعال
زايا وادغام الزاي فيها **وقرا** زيد بن علي مزجر اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر
كاعشب اي صار ذا عشب **وقراء** الجمهور حكمة بالغة برفعهما وجوزوا ان يكون حكمة
بدلا من مزدجرا ومن ما او خبر مبتدا محذوف ❊ وتقدم قول من جعله خبرا عن كل في قراة
من قرا مستقر بالجر **وقرا** اليماني حكمة بالغة بالنصب فيهما حالا من ما سوا كانت ما
موصولة ام موصوفة تخصصت بالصفة ووصفت الحكمة ببالغة لانها تبلغ غرضها
فما تغني النذر مع هولاء الكفرة ثم سلى رسوله فقال فتول عنهم اي اعرض عنهم فان الانذار
لا يجدي فيهم ثم ذكر شيئا من احوال الاخرة وما يؤولون اليه اذ ذاك متعلق باقتراب
الساعة فقال يوم يدع الداع والناصب ليوم اذكر مضمرة قاله الرماني او يخرجون
وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وهذا ضعيف من جهة اللفظ ومن جهة
المعنى اما من جهة اللفظ فحذف الى واما من جهة المعنى فان توليه عنهم ليس
مغيا بيوم يدع الداع وجوزوا ان يكون منصوبا بقوله فما تغن النذر ويكون فتول
عنهم اعتراضا وان يكون منصوبا بقوله يقول الكافرون ومنصوبا على اضمار انتظر
ومنصوبا بقوله فتول وهذا ضعيف جدا ومنصوبا بمستقر وهو بعيد ايضا وحذفت
الواو من يدع في الرسم اتباعا للنطق والياء من الداع تخفيفا اجريت ال مجرى
ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف معه حذفت معها والداع هو اسرافيل
او جبريل او ملك غيرهما او كل بذلك اقوال **وقراء** الجمهور نكر بضم الكاف
وهو صفة على فعل وهو قليل في الصفات ومنه رجل شلل اي خفيف في الحاجة

وناقة اجد ومشية سجح وروضة انف **وقرأ** الحسن وابن كثير وشبل باسكان الكاف
كما قالوا شغل وشغل وعسر وعسر **وقرا** مجاهد وابو قلابة والجحدري وزيد بن علي
نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول اي جهل فنكر قال الخليل النكر نعت للامر الشديد
والرجل الداهية اي تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو يوم القيمة ❊

وقال مالك بن عوف النصري ❊

❊ اقدم محاج انه يوم نكر ❊ مثل على مثلك يحمي ويكر ❊

وقرا قتادة وابو جعفر والحسن وشيبة والاعرج والجمهور خشعا جمع تكسير وابن عباس
وابن جبير ومجاهد والجحدري وابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا بالافراد **وقرا** ابي وابن مسعود
خاشعة وجمع التكسير اكثر في كلام العرب وقال الفراء وابو عبيدة كله جائز انتهى
ومثال جمع التكسير **قوله** ❊

❊ بمطرد لدن صحاح كعوبه وذي رونق عضب يقد القوانسا ❊

ومثال الافراد قوله ❊

❊ ورجال حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد ❊

وقال آخر ❊

ترمي الفجاج به الركبان معترضا اعناق بزلها مرخي لها الجدل ❊

وانتصب خشعا وخاشعا وخاشعة على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون
لانه فعل متصرف وفي هذا دليل على بطلان مذهب الجرمي انه لا يجوز تقدم الحال على الفعل
وان كان متصرفا وقد قالت العرب شتى توؤب الحلبة فشتى حال وقد تقدمت على
عاملها وهو توؤب لانه فعل متصرف **وقال الشاعر** ❊

❊ سريعا يهون الصعب عند اولي النهى اذا برجاء صادق قابلوا الباسا ❊

فسريعا حال وقد تقدمت على عاملها وهو يهون وقيل حال من الضمير المجرور في عنهم
من قوله فتول عنهم وقيل هو مفعول بيدع اي قوما خشعا او فريقا خشعا وفيه بعد
ومن افرد خاشعا وذكر فعلى تقدير يخشع ابصارهم ومن قرا خاشعة وانث فعلى تقدير
تخشع ومن قرا خشعا جمع تكسير فلان الجمع موافق لما بعده وهو ابصارهم وهو فوق للضمير
الذي هو صاحب الحال في يخرجون وهو نظير قولهم مررت برجال كرام اباؤهم وقال
الزمخشري وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي
انتهى ولا يجري جمع التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة
القليلة وقد نص **س** على ان جمع التكسير اكثر في كلام العرب فكيف يكون اكثر
ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد
مذكرا ومؤنثا وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة
جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان اشبه انتهى وانما يخرج على تلك
اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون نحو مررت بقوم كريمين اباؤهم
والزمخشري قاس جمع التكسير على هذا الجمع المسلم وهو قياس فاسد ويرده
النقل عن العرب ان جمع التكسير اجود من الافراد كما ذكرناه عن **س** وكما دل عليه
كلام الفراء وجوزوا ان يكون في خشعا ضمير وابصارهم بدل منه **وقري** خشع ابصا

وهي جملة في موضع الحال وخشعا خبر مقدم وخشوع الابصار كناية عن الذلة وهي في العيون اظهر منها في سائر الجوارح وكذلك افعال النفس من ذلة وعزة وحياء وصلف وخوف وغير ذلك كأنهم جراد منتشر جملة حالية ايضا شبههم بالجراد في الكثرة والتموج ويقال جاؤوا كالجراد في الجيش الكثير المتموج ويقال كالدبا وجاء تشبيههم ايضا بالفراش المبثوث وكل من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شبه منهما وقيل يكونون اولا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون لان الفراش لا جهة له يقصدها ثم كالجراد المنتشر اذا توجهوا الى المحشر والداعي فهما تشبيهان باعتبار وقتين قال معناه مكي بن ابي طالب مهطعين قال ابو عبيدة مسرعين ومنه

بدجلة دارهم ولقد اراهم ۞ بدجلة مهطعين الى السماع

زاد غيره ماذي اعناقهم وزاد غيره مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع ونحوه وقال قتادة عامدين وقال الضحاك مقبلين وقال عكرمة فاتحين آذانهم الى الصوت وقال ابن عباس ناظرين ومنه **قوله**

تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ۞ ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

وقيل خافضين ما بين اعينهم وقال سفيان خاشعة ابصارهم الى السماء يوم عسر لما يشاهدون من مخايل هوله وما يتيقنون من سوء منقلبهم فيه كذبت قبلهم اي قبل قريش قوم نوح وفيه وعيد لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف اي كذبت الرسل فكذبوا نوحا لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل ويجوز ان يكون المحذوف نوحا اول المجيء اليهم فكذبوه تكذيبا يعقبه تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وفي لفظ عبدنا تشريف وخصوصية بالعبودية لقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان سبحان الذي اسرى بعبده وقالوا مجنون اي هو مجنون لما رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا هو مصاب الجن لم يقتنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون اي يقول ما لا يقبله عاقل وذلك مبالغة في تكذيبهم وازدجر فدعا ربه اني مغلوب الظاهر انه من قوله وازدجر من اخبار الله تعالى اي انتهر وزجر بالسب والتخويف قاله ابن زيد وقرأ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قيل والمعنى انهم فعلوا به ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم الى الايمان وعدل الى الدعاء عليهم وقال مجاهد وازدجر من تمام قولهم اي قالوا وازدجر اي استطير جنونا اي ازدجرته الجن وذهبت بلبه وتخبطته **وقرأ** ابن ابي اسحاق وعيسى والاعمش وزيد بن علي ورويت عن عاصم ابي بكر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين وعلى اجراء الدعاء مجرى القول على مذهب الكوفيين **وقرأ** الجمهور بفتحها اي باني مغلوب اي غلبني قومي فلم يسمعوا مني ويئست من اجابتهم لي فانتصر اي فانتقم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بعد ما يئس منهم وتفاقم امرهم وكان الواحد من قومه يخنقه الى ان يخر مغشيا عليه وقد كان يقول اللهم اغفر

لقومي

لقومي فانهم لا يعلمون ومتعلق فانتصر محذوف فقيل التقدير فانتصر لي منهم بان تهلكهم وقيل فانتصر لنفسك اذ كذبوا رسولك فوقعت الاجابة والمنصوبة قوله في مغلوب فانتصر حكاه ابن عطية يوقف عليه في كتابه ففتحنا بيان ان الله انتصر منهم وانتقم قيل ومن العجيب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم ابواب السماء بماء جعل الماء كانه آلة يفتح بها كما تقول فتحت الباب بالمفتاح وكان الماء جاء وفتح الابواب فجعل المقصود وهو الماء بعد ما نيل الوجود على فتح الباب المغلق ويجوز ان تكون الباء للحال اي ملتبسة بماء منهمر **وقرأ** ابن عامر وابو جعفر والاعرج ويعقوب ففتحنا مشددا والجمهور مخففا ابواب السماء هذا عند الجمهور مجاز وتشبيه لان المطر كثر كانه نازل من ابواب كما تقول فتحت افواه القرب وجرت مزاريب السماء وقال علي وتبعه النقاش يعني بالابواب المجرة وهي شرج السماء كشرج العيبة وذهب قوم الى انه حقيقة فتحت في السماء ابواب جرى منها الماء ومثله مروي عن ابن عباس قال ابواب السماء من غير سحاب لم تقلع اربعين يوما قال السدي منهمر اي كثير

قال الشاعر

اعيني جودا بالدموع الهوامر ۞ على خير باد من معد وحاضر

وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم وعبد الله واصحابه وابو حيوة والمفضل عن عاصم بالتخفيف والمشهور ان العين لفظ مشترك فقيل والظاهر انه حقيقة في العين الباصرة مجاز في غيرها وهو في عين الماء مجاز مشهور غالب وانتصب عيونا على التمييز جعلت الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من وفجرنا عيون الارض ومن منع مجيء التمييز من المفعول اعربه حالا ويكون حالا مقدرة واعربه بعضهم مفعولا ثانيا كانه ضمن وفجرنا صيرنا بالتفجر الارض عيونا قيل وفجرت الارض اربعين يوما **وقرأ** الجمهور فالتقى الماء وهو اسم جنس والمعنى ماء السماء وماء الارض **وقرأ** علي والحسن ومحمد بن كعب والجحدري الماءان **وقرأ** الحسن ايضا الماوان وقال الزمخشري **وقرأ** الحسن ماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان انتهى شبه الهمزة التي هي بدل من هاء في الماء بهمزة الالحاق في علباء وعن الحسن ايضا المايان بقلب الهمزة ياء وفي كلتا القراءتين شذوذ على امر قد قدر اي على حالة ورتبة قد فصلت في الازل وقيل على مقدار قد رتب وقت التقائه فروي ان ماء الارض كان على سبعة عشر ذراعا ونزل ماء السماء على تكملة اربعين ذراعا وقيل كان ماء الارض اكثر وقيل كانا متساويين نزل من السماء قدر ما خرج من الارض وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وهذا هو الراجح لان كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر الله هلاك مكذبي الرسل فيها فيكون هذا كناية عن هلاك قوم نوح ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله وحملناه على ذات الواح ودسر **وقرأ** ابو حيوة وابن مقسم قدر بشد الدال والجمهور بتخفيفها وذات الالواح والدسر هي السفينة التي انشأها نوح ويفهم من هذين الوصفين انها السفينة

مقدمًا

فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه ونحوه قميصي مسرودة من حديد
أي درع وهذا من فصيح الكلام وبديعه ولو جمعت بين الصفة والموصوف
فيه لم يكن بالفصيح والدسر المسامير قاله الجمهور وقال ابن عباس والحسن
مقاديم السفينة لأنها تدسر الماء أي تدفعه والدسر الدفع وقال مجاهد
وغيره نطق السفينة وعنه أيضا عوارض السفينة وعنه أيضا أضلاع السفينة
تجري في ذلك الماء الملتقي بحفظ منا وكلاءة بحيث نجا من كان فيها وغرق غيرهم
وقال مقاتل بن سليمان بأعيننا بوحينا وقيل بأمرنا وقيل بأوليائنا يقال
مات عين من عيون الله أي ولي من أوليائه وقيل بأعين الماء التي أنبعناها وقيل
من حفظها من الملائكة سماهم أعينا **وقرأ** زيد بن علي وأبو السمال بأعينّا بالإدغام
والجمهور بالفك جزاءً أي مجازاة لمن كان كفر أي لنوح عليه السلام إذ كان نعمة أهداها
الله إلى قومه لأن يؤمنوا فكفروها المعنى إن حمله في السفينة ومن آمن معه كان
جزاء له على صبره على قومه المئين من السنين ومن كناية عن نوح قال يعني لمن كفر
لمن جحدت نبوته وقال ابن عباس ومجاهد من يراد به الله تعالى كأنه قال غضبا
وانتصارا لله تعالى أي انتصر لنفسه فأغرق الكافرين وأنجى المؤمنين وهذان
التأويلان تجيء على قراءة الجماعة كفر مبنيا للمفعول **وقرأ** مسلمة بن محارب
بإسكان الفاء خفف فعل كما **قال الشاعر**

لو عصر منه البان والمسك انعصر

يريد عصر **وقرأ** يزيد بن رومان وقتادة
وعيسى كفر مبنيا للفاعل فمن يراد به قوم نوح آيات من نشأ عن تفتيح أبواب السماء
بالماء وتفجير عيون الأرض والتقاء الماءين من غرق قوم نوح كان جزاء لهم على
كفرهم وكفر خبر لكان ففي ذلك دليل على وقوع الماضي بغير قد خبرا لكان وهو مذهب
البصريين وغيرهم يقول لا بد من قد ظاهرة أو مقدرة ولعله يجوز أن كان هنا زائدة
أي لمن كفر والضمير في تركناها عائد على الفعلة والقصة وقال قتادة والنقاش
وغيرهما عائد على السفينة وأنه تعالى أبقى خشبها حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة قال
قتادة وكم من سفينة كانت بعدها صارت رمادا **وقرأ** الجمهور مدكر بإدغام الدال
في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل ابن عطية بالذال أدغم
بعد قلب الثاني إلى الأول وقال صاحب كتاب اللوامح قتادة فهل من مذكر
فاعل من التذكير أي من يذكر نفسه أو غيره بما مضى من القصص انتهى **وقرئ** مذتكر
على الأصل فكيف كان عذابي ونذر تهويل لما حل بقوم نوح من العذاب وإعظام
له إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسل منهم أحد أي وكيف كان عاقبة
إنذاري والنذر جمع نذير وهو الإنذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين
أمثالهم وكان إن كانت ناقصة كانت كيف في موضع خبر كان وإن كانت تامة
كانت في موضع نصب على الحال والاستفهام هنا لا يراد به حقيقته بل المعنى على
التذكير بما حل بهم ۝ ولقد يسرنا أي سهلنا القرآن للذكر أي للإذكار والاتعاظ
لما تضمنه من المواعظ والوعد والوعيد فهل من متذكر قاله ابن زيد أي من متعظ
وقال قتادة فهل من طالب خير وقال محمد بن كعب فهل من مزدجر

عن

عن المعاصي وقيل للذكر للحفظ أي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم
وسلاسة اللفظ وعروه عن الحوشي وشرف المعاني وصحتها فله تعلق بالقلوب
فهل من مدكر أي من طالب لحفظه ليعان عليه ويكون زواجره وعلومه حاضرة
في النفس وقال ابن جبير لم يستظهر شيء من الكتب الإلهية غير القرآن وقيل يسرنا
هيأنا القرآن للذكر كقولهم يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا
أسرجه وألجمه **قال الشاعر**

وقمت إليه باللجام ميسرا ۝ هنالك يجزيني الذي كنت أصنع ۝

قوله عز وجل كذبت عاد

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال
وسعر أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر
إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب
محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ۝ تقدمت
قصة عاد مطولة ومتوسطة وهنا ذكرها تعالى موجزة كما ذكر قصة نوح موجزة
ولما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكر قوم نوح ولما كانت عاد علما لقوم هود ذكر العلم لأنه أبلغ
في الذكر من التعريف بالإضافة وتكرر التهويل بالاستفهام قبل ذكر ما حل بهم وبعد ذكره
لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفرادهم بهذا النوع من العذاب ولأن الاختصار
داعية الاعتبار والتدبر والصرصر الباردة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة
وقيل المصوتة والجمهور على إضافة يوم إلى نحس وسكون الحاء **وقرأ** الحسن بتنوين
يوم وكسر الحاء جعله صفة لليوم كقوله في أيام نحسات مستمر قال قتادة استمر بهم
حتى بلغهم جهنم وعن الحسن والضحاك كان مرا عليهم وروي أنه كان يوم الأربعاء
والذي يظهر أنه ليس يوما معينا بل أريد به الزمان والوقت كأنه قيل في وقت
نحس ويدل على ذلك أنه قال في سورة فصلت فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا
في أيام نحسات وقال في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما
إلا أن يكون ابتداء الريح في يوم الأربعاء فعبر بوقت الابتداء وهو يوم الأربعاء
فيمكن ۝ تنزع الناس يجوز أن تكون صفة للريح وأن تكون حالا منها لأنها
وصفت فقربت من المعرفة ويحتمل أن تكون تنزع مستأنفا وجاء الظاهر مكان
المضمر ليشمل ذكورهم وإناثهم إذ لو عاد بضمير المذكورين لتوهم أنه خاص بهم
أي تقلعهم من أماكنهم قال مجاهد تلقي الرجل على رأسه فتفتت رأسه وعنقه
وما يلي ذلك من بدنه وقيل كانوا يصطفون آخذي بعضهم بأيدي بعض ويدخلون
في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم والجملة
التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة وقال الطبري في الكلام حذف
تقديره فتتركهم كأنهم أعجاز فالكاف في موضع نصب بالمحذوف شبههم بأعجاز
النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتا وهم جثث عظام طوال والأعجاز

الاصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها وقيل كانت الريح تقطع رؤوسهم
فتبقى اجسادا بلا رؤوس فاشبهت اعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها وقرأ
ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث وانما
ذكر هنا لمناسبة الفواصل وانث في قوله اعجاز نخل خاوية في الحاقة لمناسبة
الفواصل ايضا وقرأ الجمهور ابشرا منا واحدا بنصب بشر على الاشتغال ونصب
واحد صفة له وقرأ ابو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه الكامل وابو عمرو
الداني برفعهما فابشر مبتدا وواحد صفته والخبر نتبعه ونقل ابن خالويه وصاحب
اللوامح وابن عطية رفع ابشر ونصب واحدا عن ابي السمال قال صاحب اللوامح
فاما رفع ابشر فباضمار الخبر بتقدير ابشر منا يبعث الينا او يرسل او نحوهما واما
انتصاب واحدا فعلى الحال اما مما قبله بتقدير ابشر كائن منا في الحال توحده
واما مما بعده بمعنى نتبعه في توحده او في حال انفراده وقال ابن عطية ورفعه اما
على اضمار فعل مبني للمفعول التقدير اينبأ بشر واما على الابتداء والخبر في قوله
نتبعه وواحدا على هذه القراءة حال اما من الضمير في نتبعه واما من المقدر مع منا
كانه يقول ابشر كائن منا واحدا وفي هذا نظر وقولهم ذلك حسد منهم واستبعاد
ان يكون نوع البشر يفضل بعضه بعضا هذا الفضل فقالوا انكون جمعا ونتبع واحدا
ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه انتهى
وقال الزمخشري فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت
قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى
من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى
وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم
ليس باشرفهم ولا افضلهم ويدل عليه قولهم أالقي الذكر عليه من بيننا اي
أانزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة انتهى وهو
خرج على ان فيه تحميل اللفظ ما لا يحتمله انا اذا اي ان اتبعناه فنحن في
ضلال اي بعد عن الصواب وحيرة وقال الضحاك في تيه وقال وهب
بعد عن الحق وسعر اي عذاب قاله ابن عباس وعنه وجنون يقال ناقة
مسعورة اذا كانت تفرط في سيرها كأنها مجنونة ه

وقال الشاعر

ه كأن بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب ه

وقال قتادة وسعر عناء وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار اي
في خطر كمن هو في النار انتهى وروي انه كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وسعر اي نيران فعكسوا عليه فقالوا لو ان اتبعناك كنا اذا كما تقول
ثم زادوا في الانكار والاستبعاد فقالوا أالقي اي انزل قيل وكانه يتضمن
العجلة في الفعل والعرب تستعمل هذا الفعل ومنه والقيت عليك محبة مني
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا والذكر هنا الوحي والرسالة وما جاءهم من الحكمة
والموعظة ثم قالوا ليس الامر كما يزعم بل هو الكذاب الاشر اي بطر يريد العلو علينا

وان يقتادنا ويتملك طاعتنا وقرأ قتادة وابو قلابة بل هو الكذاب الاشر
بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشد الراء وكذا الاشر الحرف الثاني
وقرأ الحرف الثاني مجاهد فيما ذكر صاحب اللوامح وابو قيس الاودي الاشر
بثلاث ضمات وتخفيف الراء ويقال اشر واشر كحذر وحذر فضمة الشين
لغة وضم الهمزة تبع لضمة الشين وحكى الكسائي عن مجاهد ضم الشين
ابو حيوة هذا الحرف الاخير الاشر افعل تفضيل واتمام خير وشر في افعل التفضيل
قليل وحكى ابن الانباري ان العرب تقول هو اخير واشر ه

وقال الراجز بلال خير الناس وابن الاخير ه وقال ابو حاتم لا تكاد
العرب تتكلم بالاخير والاشر الا في ضرورة الشعر وانشد قول رؤبة بلال
البيت وقرأ علي والجمهور سيعلمون بياء الغيبة وهو من اعلام الله لصالح عليه السلام
وابن عامر وحمزة وطلحة وابن وثاب والاعمش بتاء الخطاب اي قل لهم يا صالح
وغدا يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم فاحتمل ان يكون
يوم العذاب الحال بهم في الدنيا وان يكون يوم القيامة وقال

الطرماح ه الا عللاني قبل نوح النوائح وقبل اضطراب النفس بين الجوانح ه
ه وقبل غد يا لهف نفسي على غد اذا راح اصحابي ولست براح ه

اراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه وفي قوله سيعلمون غدا تهديد ووعيد ببيان
انكشاف الامر والمعني بهم هم الكذابون الاشرون واورد ذلك مورد الابهام وان
كانوا المعنيون بقوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه السلام فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه والمعني به قومه وكذا قول شعيب عليه السلام سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وقول الشاعر

ه فلئن لقيتك خاليين لتعلمن ايي وايك فارس الاحزاب ه

وانما عنى انه فارس الاحزاب لا الذي خاطبه انا مرسلو الناقة فتنة لهم اي
ابتلاء واختبارا واتى بذلك صالحا ولما هددهم بقوله سيعلمون غدا وكانوا قد ادعوا
انه كاذب قالوا ما الدليل على صدقك قال الله تعالى انا مرسلو الناقة اي
مخرجوها من الهضبة التي سألوها فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون
واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتي امر الله ونبئهم ان الماء اي ماء البئر التي
لهم قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة غلب ثمود فالضمير في بينهم لهم
وللناقة اي لهم شرب يوم وللناقة شرب يوم وقرأ الجمهور قسمة بكسر القاف
ومعاذ عن ابي عمرو بفتحها كل شرب محتضر اي محضور لهم وللناقة وتقدمت قصة
الناقة مستوفاة فاغنى عن اعادته وهنا محذوف اي فكانوا على هذه الوتيرة
من قسمة الماء فملوا ذلك وعزموا على عقر الناقة فنادوا صاحبهم وهو قدار
ابن سالف فتعاطى هو مطاوع عاطى وكانت هذه الفعلة تتدافعها الناس وعاطاها
بعضهم بعضا فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده ولما كانوا راضين نسب اليهم
ذلك في قوله فعقروا الناقة وفي قوله فكذبوه فعقروها والصيحة التي ارسلت
عليهم يروى ان جبريل صاح في طرف منازلهم فتفتتوا وهمدوا وصاروا كهشيم

حمال

ها

المحتظر وهو ما تفتت وتهشم من الشجر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة فانه يتفتت منه
حالة العمل ويتساقط اجزاء مما يعمل به او يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول الزمان
بطؤه البهائم فيتهشم وقرأ الجمهور بكسر الظاء والحسن وابو حيوة وابو السمال وابو رجاء
وعمرو بن عبيد بفتحها وهو موضع الاحتظار وقيل هو مصدر اي كهشيم الاحتظار وهو ما
يفتت حالة الاحتظار والحظيرة تصنعها العرب واهل البوادي للمواشي والسكنى
من الاغصان والشجر المورق والقصب والحظر المنع وعن ابن عباس وقتادة ان المحتظر
هو المحترق قال قتادة كهشيم محترق وعن ابن جبير هو التراب الذي يسقط من الحائط
البالي وقيل المحتظر بفتح الظاء هو الهشيم نفسه فيكون من اضافة الموصوف الى
صفته كمسجد الجامع على من تأوله كذلك وكان هنا قيل بمعنى صار ٥ كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك
نجزي من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا
اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا
كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام
يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد
اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥ تقدمت
قصة لوط عليه السلام وقومه والحاصب من الحصباء وهو المعنى بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل الا آل لوط قيل الا ابنتاه وبسحر هو بكرة فلذلك
صرف وانتصب نعمة على انه مفعول من اجله اي نجيناهم لانعامنا عليهم او على
المصدر لان المعنى نعمنا بالنجية انعاما كذلك نجزي اي مثل ذلك الانعام
والنجية نجزي من شكر انعامنا وآمن واطاع ولقد انذرهم بطشتنا اي اخذتنا
لهم بالعذاب فتماروا اي تشككوا وتعاطوا ذلك بالنذر اي بالانذار او يكون
جمع نذير فطمسنا قال قتادة الطمس حقيقة جر جبريل جناحه على اعينهم
فاستوت مع وجوههم وقال ابو عبيدة مطموسة بجلد كالوجه قيل لما صفقهم
جبريل بجناحه تركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه
السلام وقال ابن عباس والضحاك هذه استعارة وانما حجب ادراكهم
فدخلوا المنزل ولم يروا شيئا فجعل ذلك كالطمس وقرأ الجمهور فطمسنا بتخفيف
الميم وابن مقسم بتشديدها فذوقوا اي فقلت لهم على السنة الملائكة
ذوقوا ولقد صبحهم بكرة اي اول النهار وباكره لقوله مشرقين ومصبحين
وقرأ الجمهور بكرة بالتنوين اراد بكرة من البكر فصرف وقرأ زيد بن علي بغير
تنوين غير مصروفة قصد بها بكرة يوم معين عذاب مستقر اي لم يكشفه
عنهم كاشف بل اتصل بموتهم ثم بما بعد ذلك من عذاب القبر ثم عذاب جهنم

قوله عز وجل كذبت قوم لوط

فذوقوا

فذوقوا عذابي ونذر توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس وهذا عند تصبيح العذاب
قيل وفائدة تكرار هذا وتكرار ولقد يسرنا التجدد عند استماع كل نبأ
من انباء الاولين للاتعاظ واستينافا للتيقظ اذا سمعوا الحث على ذلك
لئلا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فباي آلاء ربكما
تكذبان عند كل نعمة عددها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين
عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات ٥ وكذلك تكرير القصص
في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مذكورة في كل اوان
ولقد جاء آل فرعون النذر هم موسى وهارون وغيرهما من الانبياء لانهما
عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او يكون جمع نذير المصدر بمعنى الانذار
كذبوا باياتنا هي التسع والتوكيد هنا كهو في قوله ولقد اريناه آياتنا كلها
والظاهر ان الضمير في كذبوا وفي فاخذناهم عائد على آل فرعون وقيل هو عائد
على جميع من تقدم من الامم ذكره وتم الكلام عند قوله النذر فاخذناهم
اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم خطاب لاهل مكة خير من
اولئكم الاشارة الى قوم نوح وهود وصالح ولوط والى فرعون والمعنى اهم
خير في القوة وآلات الحروب والمكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا فلاجل
كونهم خيرا لا يعاقبون على الكفر بالله وتكذيب الرسول وقفهم على توبيخهم
اي ليس كفاركم خيرا من اولئك بل هم مثلهم او شر منهم وقد علمتم ما لحق
اولئكم من الهلاك المستاصل لما كذبوا الرسل ام لكم براءة في الزبر اي لكم
في الكتب الالهية براءة من عذاب الله قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد
يقولون نحن جميع اي واثقون بجماعتنا منتصر بقوتنا يقولون ذلك على
سبيل الاعجاب بانفسكم وقرأ الجمهور ام يقولون بياء الغيبة التفاتا وكذا
ما بعده للغائب وقرأ ابو حيوة وموسى الاسواري وابو البرهسم بتاء الخطاب
للكفار اتباعا لما تقدم من خطابهم وقرأ سيهزم الجمع بفتح التاء وكسر الزاي
وفتح العين خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وابو حيوة ايضا ويعقوب
بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين والجمهور بالياء مبنيا للمفعول
وضم العين وعن ابي حيوة وابن ابي عبلة ايضا بفتح الياء مبنيا للفاعل ونصب
العين اي سيهزم الله الجمع والجمهور ويولون بياء الغيبة وابو حيوة وداود
ابن ابي سالم عن ابي عمرو بتاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس وجاء في موضع آخر
ليولن الادبار وهو الاصل وحسن اسم الجنس هنا كونه فاصلة وقال الزمخشري
اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار انتهى وليس
مثل بطنكم لان مجيء الدبر مفردا له محسن ولا محسن لافراد بطنكم وفي قوله
سيهزم الجمع عدة من الله تعالى لرسوله بهزيمة جمع قريش والجمهور على انها مكية
وتلاها رسول الله مستشهدا بها وقيل نزلت يوم بدر بل الساعة موعدهم
انتقل من تلك الاقوال الى امر الساعة التي عذابها اشد عليهم من كل
هزيمة وقتال والساعة ادهى اي افظع والداهية الامر المنكر

العبرة

الذي لا يهتدي لدفعه وهي الرتبة العظمى تحل بالشخص وأمر من المرارة استعارة
لصعوبة الشيء على النفس إن المجرمين في ضلال أي في حيرة وتخبط في الدنيا
وسعر أي احتراق في الآخرة جعلوا فيه من حيث مصيرهم إليه وقال ابن عباس
في خسران وجنون والسعر الجنون وتقدم مثله في قصة صالح عليه السلام
يوم يسحبون يجرون في النار وفي قراءة عبد الله إلى النار على وجوههم ذوقوا
أي يقولون لهم ذوقوا مس سقر وقرأ محبوب عن أبي عمرو مسقر بادغام السين
في السين قال ابن مجاهد ادغامه خطأ لأنه مشدد انتهى والظن بأبي عمرو
أنه لم يدغم حتى حذف إحدى السينين لاجتماع الأمثال ثم ادغم ن إنا كل شيء خلقناه
بقدر وقرأ الجمهور كل شيء بالنصب وقرأ أبو السمال قال ابن عطية وقوم من أهل
السنة بالرفع قال أبو الفتح هو الوجه في العربية وقراءتنا بالنصب مع الجماعة
وقال قوم إذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وأن ما بعده يصلح للخبر وكان
المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الأول حتى يتضح أن
الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لأن في قراءة الرفع تتخيل أن الفعل
وصف وأن الخبر بقدر وقد تنازع أهل السنة والقدرية الاستدلال
بهذه الآية فأهل السنة يقولون كل شيء فهو مخلوق لله بقدر ودليله قراءة
النصب لأنه لا يفسر في مثل هذا التركيب إلا ما يصح أن يكون خبرا لو وقع الأول
على الابتداء وقالت القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة
لكل أي إن أمرنا وشأننا كل شيء خلقناه فهو بقدر أو بمقدار وعلى حد ما في هيئته
وزمنه وغير ذلك وقال الزمخشري كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ
كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما
مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد
علمنا حاله وزمانه انتهى وقيل والقدر فيه وجوه أحدها أن يكون بمعنى المقدار
في ذاته وفي صفاته والثاني التقدير قال فقدرنا فنعم القادرون

وقال الشاعر

وقد قدر الرحمن ما هو قادر

أي ما هو مقدور
والثالث القدر الذي يقال مع القضاء يقال كان ذلك بقضاء الله وقدره
والمعنى أن القضاء ما في العلم والقدر ما في الإرادة فالمعنى في الآية خلقناه
بقدر أي بقدرة مع إرادة انتهى وما أمرنا إلا واحدة أي إلا كلمة واحدة وهي
كن كلمح بالبصر تشبيه بأعجل ما يحس وفي الأشياء أمر الله تعالى أوحى من ذلك
والمعنى أنه إذا أراد تكوين شيء لم يتأخر عن إرادته ولقد أهلكنا أشياعكم أي
الفرق المتشابهة في مذهب ودين وكل شيء فعلوه أي فعلته الأمم المكذبة
محفوظ عليهم إلى يوم القيامة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد
ومعنى في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ما هو
كائن مستطر أي مسطور في اللوح يقال سطرت واستطرت بمعنى وقرأ الأعمش
وعمران بن حدير وعصمة عن أبي بكر عن عاصم بشد راء مستطر قال صاحب اللوامح
يجوز أن يكون من طر النبات والشارب إذا ظهر ونبت بمعنى كل شيء ظاهر في اللوح

حيث

مثبت فيه ويجوز أن يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول
جعفر ويفعل بالتشديد وقفا انتهى ووزنه على التوجيه الأول استفعل وعلى
الثاني افتعل وقرأ الجمهور ونهر على الإفراد والهاء مفتوحة والأعرج ومجاهد
وحميد وأبو السمال والفياض بن غزوان بسكونها والمراد به الجنس إن أريد به
الأنهار أو يكون معنى ونهر وسعة في الأرزاق والمنازل ومنه قول
قيس بن الخطيم

ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

أي أوسعت فتقها وقرأ زهير الفرقبي والأعمش وأبو نهيك وأبو مجلز واليماني
بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن أو نهر كأسد وأسد وهو مناسب لجمع جنات
وقيل نهر جمع نهار ولا ليل في الجنة وهو بعيد في مقعد صدق يجوز أن يكون
صدق الكذب أي في المقعد الذي صدقوا في الخبر به وأن يكون من قولك رجل
صدق أي خير وجوده وصلاح وقرأ الجمهور في مقعد على الإفراد يراد به اسم الجنس
وعثمان البتي في مقاعد على الجمع وعند تدل على قرب المكانة من الله تعالى

المفردات

النجم النبات الذي لا ساق له من نجم أي ظهر وطلع الأنام الحيوان العصف
ورق الزرع الريحان كل مشموم طيب الريح من النبات المرجان الخرز الأحمر
وقيل صغار الدر واللؤلؤ كباره واللؤلؤ بناء غريب قيل لا يحفظ منه في كلام
العرب أكثر من خمسة اللؤلؤ والجؤجؤ والدؤدؤ واليؤيؤ طائر والبؤبؤ
النفوذ الخروج من الشيء بسرعة الشواظ اللهب الخالص بغير دخان

وقال حسان

هجوتك فاخضعت لها بذل بقافية تأجج كالشواظ

وقال رؤبة

ونار حرب تسعر الشواظا

وتضم شينه وتكسر
النحاس قال الخليل والنحاس هو الدخان الذي لا لهب له وهو معروف
في كلام العرب قال نابغة بني جعدة

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال الكسائي النحاس هو النار التي لها ريح شديد وقيل الصفر المذاب
وتضم نونه وتكسر الوردة الشديدة الحمرة يقال فرس ورد وحجرة وردة
الدهان الجلد الأحمر أنشد منذر بن سعيد

يبعن الدهان الحمر كل عشية بموسم بدر أو بسوق عكاظ

الناصية مقدم الرأس آن تناهى في الحر الأفنان جمع فنن وهو الغصن أو
جمع فن وهو النوع وقال الشاعر

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

وقال نابغة بني ذبيان

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

الجنى ما يقطف من الثمرة وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض قاصرات
الطرف قصرت ألحاظهن على أزواجهن قال الشاعر

مِنَ القاصرات الطرف لو دبّ محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا ٥

الطمث دم الحيض وذكرا لافتضاض **الياقوت** حجر معروف قيل لا تؤثر فيه النار **وقال الشاعر**

وطالما أصلي الياقوت جمر غضى ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت ٥

الادهيمام السواد **النضخ** فوران الماء **المقصورة** المحبوسة ويقال قصيرة وقصورة أي مخدرة **وقال كثير**

وانت التي حببت كل قصيرة الي ولم تشعر بذاك القصائر ٥

عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النساء البحاتر ٥

الخيمة معروفة وهي بيت المرتحل من خشب وثمام وسائر الحشيش فاذا كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة ويجمع على خيام وخيم ٥

وقال جرير

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام ٥

الرفرف ما يدلى من الاسرة من غالي الثياب وقال الجوهري ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لتحريك جناحيه وارتفاعه في الهواء وسمي الطائر رفرافا ورفرف جناحيه حركهما ليقع على الشيء ورفرف السحاب هيدبه **العبقري** منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب ٥

قال زهير ٥

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا ٥

وقال امرؤ القيس ٥

كأن صليل المرو حين يشذه صليل زيوف ينتقدن بعبقرا ٥

وقال ذو الرمة ٥

حتى كأن رياض القف البسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد ٥

وقال الخليل العبقري كل جليل نفيس من الرجال والنساء وغيرهم **الجلال** العظمة **قال الشاعر** ٥

حين ما جاءنا مشتعل جل حتى دق فيه الاجل

سورة الرحمن عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء

ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فبأي آلاء ربكما تكذبان

هذه السورة مكية في قول الجمهور ومدنية في قول ابن مسعود وعن ابن عباس القولان وعنه سوى آية هي مدنية وهي يسأله من في السموات والارض الآية وسبب نزولها فيما قال مقاتل انه لما نزل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الآية فقالوا ما نعرف الرحمن فنزلت الرحمن علم القرآن وقيل لما قالوا انما يعلمه بشر اكذبهم الله وقال الرحمن علم القرآن مدنية نزلت في امانة سهيل بن عمرو وعزم ان يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر مقر المتقين في جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر شيئا من آيات الملك وآثار القدرة ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الاسهاب اذ كان في آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والايجاز ولما ذكر قوله عند مليك مقتدر فابرز هاتين الصفتين بصورة التنكير فكأنه قيل من المتصف بذلك فقال الرحمن علم القرآن فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذي هو شفاء للقلوب والظاهر ان الرحمن مرفوع على الابتداء وعلم القرآن خبره وقيل الرحمن آية بمضمر اي الله الرحمن او الرحمن ربنا وذلك آية وعلم القرآن استيناف اخبار ولما عدد نعمه تعالى بدأ من نعمه بما هو اعلى رتبها وهو تعليم القرآن اذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره بعد في قوله خلق الانسان ليعلم انه هو المقصود بالتعليم ولما كان خلقه من اجل الدين وتعليمه القرآن كان كالسبب في خلقه تقدم على خلقه ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الانسان من المنطق المفصح عن الضمير والذي به يمكن قبول التعليم وهو البيان الا ترى ان الاخرس لا يمكن ان يتعلم شيئا مما يدرك بالنطق وعلم متعدية الى اثنين حذف اولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل او محمد صلى الله عليه وسلم او الانسان اقوال وتوهم ابو عبد الله الرازي ان المحذوف هو المفعول الثاني قال **فان قيل** لم ترك المفعول الثاني **واجاب** بان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص كما يقال فلان يطعم الطعام اشارة الى كرمه ولا يبين من يطعمه انتهى والمفعول الاول هو الذي كان فاعلا قبل النقل بالتضعيف او الهمزة في علم واطعم وابعد من ذهب الى ان معنى علم القرآن جعله علامة وآية يعتبر بها وهذه جمل مترادفة اخبار كلها عن الرحمن جعلت مستقلة لم تعطف اذ هي تعداد لنعمه تعالى كما تقول زيد احسن اليك خولك اشار بذكرك والانسان اسم الجنس وقال قتادة الانسان آدم عليه السلام وقال ابن كيسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد والجمهور البيان المنطق والفهم والابانة وهو الذي فضل الانسان من سائر الحيوان وقال قتادة هو بيان الحلال والشرائع وهذا جزء من البيان العام وقال محمد بن كعب ما يقول وما يقال له وقال الضحاك

الخير والشر وقال ابن جريج الهدى وقال يمان الكتابة ومن قال الانسان
آدم قال البيان اسماء كل شيء او التكلم بلغات كثيرة افضلها العربية او الكلام
بعد ان خلقه او علم الدنيا والآخرة او الاسم الاعظم الذي علم به كل شيء اقوال
آخرها لجعفر الصادق ٥ ولما ذكر تعالى ما انعم به على الانسان من تعليمه البيان
ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للانسان
اذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما ومنازلهما والحسبان
مصدر كالغفران وهو بمعنى الحساب قاله قتادة وقال الضحاك
وابو عبيدة جمع حساب كشهاب وشهبان قال ابن عباس وابو مالك وقتادة
لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسبانات شتى وقال
ابن زيد لولا الليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيئا يريد من مقادير الزمان
وقال مجاهد الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود
المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة وارتفع الشمس على الابتداء وخبره
بحسبان فاما على حذف اي يجري الشمس والقمر كائن بحسبان وقيل الخبر محذوف
اي يجريان بحسبان وبحسبان متعلق بيجريان وعلى قول مجاهد تكون الباء
في بحسبان ظرفية لان الحسبان عنده الفلك ولما ذكر تعالى ما انعم به من منفعة
الشمس والقمر وكان ذلك من الآثار العلوية ذكر في مقابلتهما من الآثار
السفلية النجم والشجر اذ كانا رزقا للانسان واخبر انهما جاريان على
ما اراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتهما على ما اقتضته حكمته تعالى ولما
ذكر ما به حيوة الارواح من تعليم القرآن ذكر ما به حيوة الاشباح من النبات
الذي له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له لانه اصل القوت
والذي له ساق ثمرة يتفكه به غالبا والظاهر ان النجم هو الذي شرحناه
ويدل عليه اقترانه بالشجر وقال مجاهد وقتادة والحسن النجم اسم الجنس
من نجوم السماء وسجودهما قال مجاهد والحسن ذلك في النجم بالغروب ونحوه وفي
الشجر بالظل واستدارته وقال مجاهد ايضا والسجود تجوز وهو عبارة عن
الخضوع والتذلل والجملة الاولى فيها ضمير يربطها بالمبتدا واما في هاتين
الجملتين فاكتفي بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي اذ معلوم ان الحسبان هو
حسبانه وان السجود له لا لغيره فكانه قيل بحسبانه ويسجدان له ولما اوردت
هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام الى العطف في وصل ما يناسب وصله
والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر لان الشمس والقمر علويان والنجم
والشجر سفليان ٥ والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر
قضاياه ومسكن ملائكته الذين ينزلون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك
على عظم شانه وملكه وقرأ الجمهور والسماء بالنصب على الاشتغال روعي مشاكلة
الجملة التي تليه وهي يسجدان وقرأ ابو السمال والسماء بالرفع راعي مشاكلة
الجملة الابتدائية وقرأ الجمهور ووضع الميزان فعلا ماضيا ناصبا الميزان اي
اقره واثبته وقرأ ابرهيم ووضع باسكان الضاد والميزان بالخفض والظاهر

انه كل ما توزن به الاشيا وتعرف مقاديرها وان اختلفت الآلات قال معناه
ابن عباس والحسن وقتادة جعله تعالى حاكما بالتسوية في الاخذ والاعطاء
وقال مجاهد والطبري والاكثرون الميزان العدل وتكون الآلات من بعض
ما يندرج في العدل بدا اولا بالعلم فذكر ما فيه اشرف انواع العلوم وهو القرآن
ثم ذكر ما به التعديل في الامور وهو الميزان كقوله وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليعلموا الكتاب ويفعلوا ما يأمرهم به الكتاب ان لا تطغوا في الميزان
اي لان لا تطغوا فتطغوا منصوب بان وقال الزمخشري او هي ان المفسرة وقال
ابن عطية ويحتمل ان تكون ان مفسرة فتكون تطغوا جزما بالنهي انتهى ولا يجوز ما
قالاه من ان ان مفسرة لانه فات احد شرطيها وهو ان يكون ما قبلها جملة فيها
معنى القول ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول والطغيان في الميزان
هو ان يكون بالتعمد واما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه ولما كانت
التسوية مطلوبة جدا امر تعالى فقال واقيموا الوزن وقرأ الجمهور ولا تخسروا
من اخسر اي افسد ونقص كقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي ينقصون وبلال
ابن ابي بردة وزيد بن علي تخسروا بفتح التاء يقال خسر يخسر واخسر يخسر بمعنى
واحد كجبر واجبر وحكى ابن جني وصاحب اللوامح عن بلال فتح التاء والسين
مضارع خسر بكسر السين وخرجها الزمخشري على ان يكون التقدير في الميزان فحذف
الجار ونصب ولا يحتاج الى هذا التخريج الا ترى ان خسر جاء متعديا كقوله تعالى
خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة وقرئ ايضا تخسروا بفتح التاء وضم السين
لما منع من الزيادة وهي الطغيان نهى عن الخسران الذي هو نقصان وكرر لفظ
الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ولما ذكر
السماء ذكر مقابلتها فقال والارض وضعها للانام اي خفضها مدحوة على الماء
لينتفع بها وقرأ الجمهور والارض بالنصب وابو السمال بالرفع والانام قال
ابن عباس بنو آدم فقط وقال ايضا هو وقتادة وابن زيد والشعبي الحيوان
كله وقال الحسن الثقلان الجن والانس فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به وبدا
بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتداء بالادنى والترقي الى الاعلى ونكر لفظها لان
الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ثم ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر
ثمرها وهو التمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار
وثمر ثم اتى ثالثا بالحب الذي هو قوام عيش الانسان في اكثر الاقاليم وهو
البر والشعير وكل ما له سنبل واوراق متشعبة على ساقه ووصفه بقوله
ذو العصف تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب ويقوت بهائمهم
من ورقه الذي هو التبن وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب
ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة
وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات
متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة فنص على ما يعظم به الانتفاع
من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرتها وقرأ الجمهور والحب ذو العصف

والريحان برفع الثلاثة عطفا على المرفوع قبله وابن عامر وابو حيوة وابن ابي عبلة بنصب الثلاثة اي وخلق الحب وجوزوا ان يكون والريحان حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف اي وذو الريحان او وذا الريحان حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحمزة والكسائي والاصمعي عن ابي عمرو والريحان بالجر والمعنى والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم والريحان الذي هو مطعم الناس ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر وريحان من ذوات الواو واجاز ابو علي ان يكون اسما وضع موضع المصدر وان يكون مصدرا على وزن فعلان كالليان وابدلت الواو ياء كما ابدلوا الياء واوا في اشاوي او مصدرا شاذا في المعتل كما شذ كينونة وبينونة فاصله روحان قلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار ريحان ثم حذفت عين الكلمة كما قالوا ميت وهين ولما عدد تعالى نعمه خاطب الثقلين بقوله فباي آلاء ربكما تكذبان اي ان نعمه كثيرة لا تحصى فبايها تكذبان اي من هذه نعمه لا يمكن ان يكذب بشيء منها وكان هذا الخطاب للثقلين لانهما داخلان في الانام على اصح الاقوال ولقوله خلق الانسان وخلق الجان ولقوله سنفرغ لكم ايه الثقلان وقد ابعد من ذهب الى انه خطاب للذكر والانثى من بني آدم وابعد من هذا قول من قال انه خطاب على حد القيا في جهنم ويا حرسي اضربا عنقه يعني انه خطاب للواحد بصورة الاثنين **وقرئ** فباي منونا في جميع السورة كانه حذف منه المضاف اليه وابدل منه آلاء ربكما بدل معرفة من نكرة والآلاء تقدم في الاعراف انها النعم واحدها الى والا والي والي خلق الانسان لما ذكر العالم الاكبر من السماء والارض وما اوجد فيهما من النعم ذكر مبدا من خلقت له هذه النعم والانسان هو آدم وهو قول الجمهور وقيل الجنس وساغ ذلك لانه ايانهم مخلوق من الصلصال واذا اريد بالانسان آدم فقد جاءت غايات له مختلفة وذلك بتنقل اصله فكان اولا ترابا ثم طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فناسب ان ينسب خلقه لكل واحد منها والجان هو ابو الجن وهو ابليس قاله الحسن وقال مجاهد هو ابو الجن وليس بابليس وقيل الجان اسم جنس والمارج ما اختلط من احمر واصفر واخضر او اللهب او الخالص او الحمرة في طرف النار او المختلط بسواد او المضطرب بلا دخان اقوال ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية في من نار للتبعيض وقيل للبيان والتكرار في هذه الفواصل للتاكيد والتنبيه والتحريك وهي موجودة في مواضع من القرآن وذهب قوم منهم ابن قتيبة الى ان هذا التكرار انما هو لاختلاف النعم فكرر التوقيف مع كل واحدة منها **وقراءة** الجمهور رب ورب بالرفع اي هو رب وابو حيوة وابن ابي عبلة بالخفض بدلا من ربكما وثني المضاف اليه لانهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما قاله مجاهد وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وعن ابن عباس للشمس مشرق في الصيف مصعد ومشرق في الشتاء منحدر تتنقل فيهما مصعدة ومنحدرة انتهى فالمشرقان والمغربان للشمس وقيل المشرقان مطلع الفجر ومطلع الشمس والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ولسهل التستري كلام في المشرقين والمغربين شبيه

بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله ضربنا عن ذكره صفحا وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينتسبون للصوفية لانا لا نستحل نقل شيء منه وقد اولع صاحب كتاب التحرير والتحبير بحشد ما قاله هؤلاء الغلاة في كل آية آية وسمى ذلك الحقائق وارباب القلوب وما ادعوا فهمه في القرآن فاغلوا فيه لم يفهمه عربي قط ولا اراده الله تعالى بتلك الالفاظ نعوذ بالله من ذلك ۝ مرج البحرين تقدم الكلام على ذلك في الفرقان قال ابن عطية وذكر الثعلبي في مرج البحرين الغازا واقوالا باطنية لا يلتفت الى شيء منها انتهى والظاهر التقاؤهما اي يتجاوران فلا فصل بين الماءين في رؤية العين وقيل يلتقيان في كل سنة مرة وقيل معدان للالتقاء فحقهما ان يلتقيا لولا البرزخ بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وقيل البرزخ اجرام الارض قاله قتادة وقيل لا يبغيان اي على الناس والعمران وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي وقيل هو من بغى اي طلب فالمعنى لا يبغيان حالا غير الحال التي خلقا عليها وسخرا لها وقيل الانهار لا تختلط بالماء الملح بل هو بذاته باق فيه قال ابن عطية والعيان لا يقتضيه انتهى يعني انه يشاهد الماء العذب يختلط بالملح فيبقى كله ملحا وقد يقال انه بالاختلاط تغيب اجرام العذب حتى لا يظهر فاذا ذاق الانسان من الملح المنبث فيه تلك الاجزاء الدقيقة لم يحس الا الملوحة والمعقول يشهد بذلك لان تداخل الاجسام غير ممكن لكن التفرق والالتقاء ممكن وانشد منذر بن سعيد البلوطي

۝ وممزوجة الامواه لا العذب غالب على الملح طبعا لا ولا الملح يعذب ۝

وقراءة الجمهور يخرج مبنيا للفاعل ونافع وابو عمرو واهل المدينة مبنيا للمفعول والجعفي عن ابي عمرو بالياء مضمومة وكسر الراء اي الله وعنه وعن ابي عمرو وعن ابن مقسم بالنون واللؤلؤ والمرجان نصب في هاتين القراءتين والظاهر في منهما ان ذلك يخرج من الملح والعذب وقال بذلك قوم حكاه الاخفش ورد الناس هذا القول قالوا والحس يكذبه اذ لا يخرج الا من الملح وعابوا **قول الشاعر**

۝ فجاء بها ما شئت من لطمية على وجهها ماء الفرات يموج ۝

وقال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه الاشياء في البحر بنزول المطر لان الصدف وغيرها تفتح افواهها للمطر فلذلك قال منهما وقال ابو عبيدة انما يخرج من الملح لكنه قال منهما تجوزا وقال الرماني العذب فيها كاللقاح للملح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى وقال ابن عطية وتبع الزجاج من حيث هما نوع واحد فخروج هذه الاشياء انما هي منهما وان كانت تختص عند التفصيل المبالغ باحدهما كما قال تعالى سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في احداهن وهي الدنيا الى الارض وقال الزمخشري نحوا من قول ابن عطية

قوله عز وجل سنفرغ لكم

قال فإن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال أبو علي الفارسي هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من أحدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم أي من إحدى القريتين وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقال أبو عبد الله الرازي كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح ولكن لم قلتم إن الصدف لا يخرج بأمر الله من الماء العذب إلى الماء المالح وكيف يمكن الجزم به والأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم واللؤلؤ قال ابن عباس والضحاك وقتادة كبار الجوهر والمرجان صغاره وعن ابن عباس أيضا وعلي ومرة الهمداني عكس هذا وقال أبو عبد الله وأبو مالك المرجان الحجر الأحمر وقال الزجاج حجر شديد البياض وحكى القاضي أبو يعلى أنه ضرب من اللؤلؤ كالقضبان والمرجان اسم أعجمي معرب قال ابن دريد لم أسمع فيه بفعل متصرف

وقال الأعشى

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف

قيل أراد اللؤلؤة الكبيرة وقرأ طلحة اللؤلي بكسر اللام الثانية وهي لغة وعبد الله اللولي تنقلب الهمزة المتطرفة ياء ساكنة بعد كسرة ما قبلها وهي لغة قاله أبو الفضل الرازي وله الجواري خص تعالى الجواري بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن لأنهم لما كانوا هم منشئيها أسندها تعالى إليه إذ كان تمام منفعتها إنما هو منه تعالى فهو في الحقيقة مالكها والجواري السفن وقرأ عبد الله والحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو بضم الراء كما قالوا في شاني شان وقرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين اسم مفعول أي أنشأها الله أو الناس أو المرفوعات الشرع وقال مجاهد ما له شراع فهو من المنشآت وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت والشراع القلع والأعمش وحمزة وزيد ابن علي وطلحة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن أو التي تنشئ السفر إقبالا وإدبارا وشدد الشين ابن أبي عبلة والحسن المنشّآت وحّد الصفة ودل على الجمع الموصوف كقوله أزواج مطهرة وقلب الهمزة ألفا على حد قوله

إن السباع لتهدا في مرابضها يريد لتهدأ وأن التأنيث الصفة كتبت تاء على لفظها في الوصل كالأعلام أي كالجبال والآكام وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها بالجبال وإن كانت المنشآت تنطلق على السفينة الكبيرة والصغيرة وعبر عن في قوله كل من عليها تغليبا لمن يعقل والضمير عليها قيل عائد

على الأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب انتهى وقد تقدم ذكر الأرض في قوله والأرض وضعها للأنام فعاد الضمير عليها وإن كان بعد لفظها والفناء عبارة عن إعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره والوجه يعبر به عن حقيقة الشيء والجارحة منفية عن الله تعالى ونحو كل شيء هالك إلا وجهه ويقول صعاليك مكة ابن وجه عربي كريم يجود علي وقرأ الجمهور ذو بالواو صفة للوجه وأبي وعبد الله ذي بالياء صفة للرب والظاهر أن الخطاب في قوله وجه ربك للرسول وفيه تشريف عظيم له عليه السلام وقيل الخطاب لكل سامع ومعنى ذو الجلال الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذي يتعجب من جلاله أو الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده يسأله من في السموات والأرض أي حوائجهم وهو ما يتعلق بمن في السموات من أمر الدين وما استعبدوا به ومن في الأرض من أمر دينهم ودنياهم وقال أبو صالح من في السموات الرحمة ومن في الأرض المغفرة والرزق وقال ابن جريج الملائكة الرزق لأهل الأرض والمغفرة وأهل الأرض يسألونهما جميعا والظاهر أن قوله يسأله استئناف إخبار وقيل حال من الوجه والعامل فيه يبقى أي هو دائم في هذه الحال انتهى وفيه بعد ومن لا يسأله فحاله تقتضي السؤال فيصح إسناد السؤال إلى الجميع باعتبار القدر المشترك وهو الافتقار إليه تعالى كل يوم أي كل ساعة ولحظة وذكر اليوم لأن الساعات واللحظات في ضمنه هو في شأن قال ابن عباس في شأن يمضيه من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وقال عبيد بن عمير يجيب داعيا ويفك عانيا ويتوب على قوم ويغفر لقوم وقال سويد بن غفلة يعتق رقابا ويعطي رغابا ويقحم عقابا وقال ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والثاني الذي هو يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وعن مقاتل نزلت في اليهود قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقال الحسين ابن الفضل وقد سأله عبد الله بن طاهر عن قوله كل يوم هو في شأن وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة فقال شؤون يبديها لا شؤون يبتديها وقال ابن بحر هو في يوم الدنيا في الابتلاء وفي يوم القيامة في الجزاء وانتصب كل يوم على الظرف والعامل فيه العامل في قوله في شأن وهو مستقر المحذوف نحو يوم الجمعة زيد قائم سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام

قوله عز وجل سنفرغ لكم

فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ٭ لما ذكر تعالى ما انعم به من تعليم العلم وخلق الانسان والسماء والارض وما اودع فيهما وفناء ما على الارض ذكر ما يتعلق باحوال الآخرة والجزاء فقال سنفرغ لكم اي ننظر في اموركم يوم القيامة لا انه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه وجرى هذا على كلام العرب في ان المعنى سيقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما شغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على الانتقام منه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون التوعد بعذاب في الدنيا والاول ابين انتهى يعني ان يكون ذلك يوم القيامة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون منتهى الدنيا ويبلغ آخرها وينتهي اذ ذاك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل انتهى والذي عليه ائمة اللغة ان فرغ تستعمل عند انقضاء الشغل الذي كان الانسان مشتغلا به فلذلك احتاج قوله سنفرغ الى التاويل على انه قد قيل ان فرغ يكون بمعنى قصد واهتم واستدل على ذلك بما انشده ابن الانباري لجرير ٭

٭ الآن وقد فرغت الى نمير فهذا حين كنت لهم عذابا ٭

اي قصدت وانشد النحاس ٭ فرغت الى العبد المقيد في الحجل ٭ وفي الحديث فرغ ربك من اربع وفيه لا تفرغن الى باجيبت يخاطب به صلى الله عليه وسلم ازب العقبة يوم بيعتها اي لا قصدن الى ابطال امرك نقل هذا عن الخليل والكسائي والفراء وقرأ الجمهور سنفرغ بنون العظمة وضم الراء من فرغ بفتح الراء وهي لغة الحجاز وحمزة والكسائي وابو حيوة وزيد بن علي بياء الغيبة وقتادة والاعرج بالنون وفتح الراء مضارع فرغ بكسرها وهي تميمية وابو السمال وعيسى بكسر النون وفتح الراء قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة بخلاف عنهما وابن ابي عبلة والزعفراني بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول ٭ وعيسى ايضا بفتح النون وكسر الراء والاعرج ايضا بفتح الياء والراء وهي رواية يونس والجعفي وعبد الوارث عن ابي عمرو والثقلان الانس والجن سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الارض او لكونهما مثقلين بالذنوب او الثقل الانس وسمي الجن ثقلا للمجاورة والثقل الامر العظيم وفي الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سميا بذلك لعظمهما وشرفهما والظاهر ان قوله يا معشر الآية من خطاب الله اياهم يوم القيمة يوم التناد وقيل يقال لهم ذلك قال الضحاك يفرون في اقطار الارض لما يرون من الهول فيجدون الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤا فحينئذ يقال لهم ذلك وقيل هو خطاب في الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت وقال ابن عباس ان استطعتم باذهانكم وفكركم ان تنفذوا فتعلموا علم اقطار اي جهات السموات والارض وقال الزمخشري يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون

من النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء انتهى وفانفذوا امر تعجيز وقال قتادة السلطان هنا الملك وليس لهم ملك وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فيهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة وقرأ الجمهور ان استطعتما على خطاب تثنية الثقلين ومراعاة الجن والانس والجمهور على خطاب الجماعة ان استطعتم لان كلا منهما تحته افراد كثيرة كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يرسل عليكما شواظ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر والشواظ لهب النار وقال مجاهد اللهب الاحمر المنقطع وقال الضحاك الدخان الذي يخرج من اللهب وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وعيسى وابن كثير وشبل بكسرها والجمهور ونحاس بالرفع وابن ابي اسحق والنخعي وابن كثير وابو عمرو بالجر والكلبي وطلحة ومجاهد بكسر نون نحاس والسين وقرأ ابن جبير ونحس كما تقول يوم نحس وقرأ عبد الرحمن بن ابي بكرة وابن ابي اسحق ايضا ونحس مضارعا وماضيه حسه اي قتله اي ونحس بالعذاب وعن ابن ابي اسحق ايضا ونحس بالحركات الثلاث في الحاء على التخيير وحنظلة بن مرة ونحس بفتح النون وكسر السين وحسن واسمعيل ونحس بضمتين والكسر وقرأ زيد بن علي نرسل بالنون عليكما شواظا بالنصب من نار ونحاسا بالنصب عطفا على شواظا قال ابن عباس وابن جبير النحاس الدخان وعن ابن عباس ايضا ومجاهد هو الصفر المعروف ٭ والمعنى يعجز الجن والانس اي انتما بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف اي فما اعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيمة فكانت وردة اي محمرة كالوردة قال ابن عباس وابو صالح هي من لون الفرس الورد فانث لكون السماء مؤنثة وقال قتادة هي اليوم زرقاء ويومئذ تغلب عليها الحمرة كلون الوردة وهي النوار المعروف قاله الزجاج ويريد كلون الورد وقال الشاعر ٭

٭ فلو كنت وردا لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا ٭

وقال ابو الجوزاء وردة صفراء وقال اما سمعت العرب تسمي الخيل الورد قال الفراء اراد لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وهذا قول الكلبي كالدهان قال ابن عباس الاديم الاحمر ومنه قول الاعشى ٭

٭ واجرد من كرام الخيل طرف كان على شواكله دهانا ٭

وقال الحسن كالدهان المختلفة لانها تتلون الوانا وقال الضحاك كالدهان خالصة جمع دهن كقرط وقراط وقيل تصير حمراء من حرارة جهنم ومثل الدهن لذوبها ودورانها وقيل شبهت بالدهان في لمعانها وقال الزمخشري كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر ٭

٭ كانهما مزادتا متعجل فريان لما تسلقا بدهان ٭

وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي

يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو المغانم او يموت كريم

انتهى فيومئذ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذا انشقت السماء والناصب ليومئذ لا يسأل وذلك هذا على انتفاء السؤال وقفوهم انهم مسؤولون وغيره من الآيات على وقوع السؤال فقال عكرمة وقتادة هي مواطن يسأل في بعضها وقال ابن عباس حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب والله تعالى عليم بكل شيء وقال قتادة ايضا قد كانت مسألة ثم ختم على الافواه وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يعملون وقال ابو العالية وقتادة ايضا لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن بالهمز فرارا من التقاء الساكنين وان كان التقاؤهما على حده وقرأ حماد بن ابي سليمان بسيمائهم والجمهور بسيماهم وسيما المجرمين سواد الوجوه وزرقة العيون قاله الحسن ويجوز ان يكون غير هذا من التشويهات كالعمى والبكم والصمم فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار وقال الضحاك يجمع بينهما في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام وقيل بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم ويؤخذ متعد الى مفعول بنفسه وحذف هذا الفاعل والمفعول واقيم الجار والمجرور مقام الفاعل مضمنا على ما يعدى بالباء اي فيسحب بالنواصي والاقدام وال فيهما على مذهب الكوفيين عوض من الضمير اي بنواصيهم واقدامهم وعلى مذهب البصريين الضمير محذوف اي بالنواصي والاقدام منهم هذه جهنم اي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع يطوفون بينها اي يترددون بين نارها وبين ما غلي فيها من مائع عذابها وقال قتادة الحميم يغلي منذ خلق الله جهنم وآن اي منتهى الحر والنضج فيعاقب بينهم بين تصلية النار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فتنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرأ علي والسلمي يطافون والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوّفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة وقرئ يطوفون اي يتطوفون والجمهور يطوفون مضارع طاف ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس

قوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان

قبلهم

قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ولمن خاف مقام ربه قال ابن الزبير نزلت في ابي بكر مقام ربه مقام مصدر فاحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اي قيامه عليه وهو مروي عن مجاهد قال من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظ مهيمن فالعبد يراقب ذلك فلا يجسر على المعصية وقيل الاضافة تكون بادنى ملابسة فالمعنى انه يخاف مقامه الذي يقف فيه العباد للحساب من قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي هذه الاضافة تنبيه على صعوبة الموقف وقيل مقام مقحم والمعنى ولمن خاف ربه كما تقول اخاف جانب فلان يعني فلانا والظاهر ان لكل فرد فرد من الخائفين جنتان قيل احداهما منزله والاخرى لازواجه وخدمه وقال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم وقيل منزلان ينتقل من احدهما الى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته وقيل هما للخائفين والخطاب للثقلين فجنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني وقال ابو موسى الاشعري جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين وقال الزمخشري ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة وخص الافنان بالذكر جمع فنن وهي الغصون التي تتشعب عن فروع الشجر لانها التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها يجنى الثمار وقيل الافنان جمع فن وهي الوان النعم وانواعها وهو قول ابن عباس والاول قاله قريبا منه مجاهد وعكرمة وهو اولى لان افعالا في فعل اكثر منه في فعل بسكون العين وفن يجمع على فنون فيهما عينان تجريان قال ابن عباس هما عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة وقال تجريان بالزيادة والكرامة على اهل الجنة وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء والاخرى من خمر وقيل تجريان في الاعالي والاسافل من جبل من مسك زوجان قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل الا انه حلو انتهى ومعنى زوجان قيل رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذلك في الطيب واللذة وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب وجاء الفصل بين قوله ذواتا افنان وبين قوله فيهما من كل فاكهة زوجان بقوله فيهما عينان تجريان والافنان عليها الفواكه لان الداخل الى البستان لا يقدم الا التفرج بلذة ما فيه بالنظر الى خضرة الشجر وجري الانهار ثم بعد ياخذ في اجتناء الثمار للاكل وانتصب متكئين على الحال من قوله ولمن خاف وحمل جمعا على معنى من وقيل العامل محذوف اي يتنعمون متكئين وقال الزمخشري اي نصب على المدح والاتكاء من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى متكئين في منازلهم على فرش وقرأ الجمهور فرش بضمتين وابو حيوة بسكون الراء وفي الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق كيف الظهائر قال هي من نور يتلألأ ولو صح هذا لم يجز ان يفسر بغيره وقيل من سندس قاله الحسن والفراء البطائن هي الظهائر وروي عن قتادة وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة

البطانة لان كلا منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن
السماء. وجنى الجنتين دان قال ابن عباس يجتنيه قايما وقاعدا ومضطجعا
لا يرد يده بعد ولا شوك وقرأ عيسى بفتح الجيم وكسر النون كانه امال النون
وان كانت الالف قد حذفت في اللفظ كما امال ابو عمرو حتى نرى الله وقرئ
وجنى بكسر الجيم والضمير في فيهن عايد على الجنات الدال عليهن جنتان
اذ كل فرد له جنتان فصح انها جنان كثيرة وان كانت الجنتان اريد بهما حقيقة
التثنية وان لكل جنس من الاشجار جنة واحدة فالضمير يعود على ما اشتملت
عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل وقيل يعود على الفرش اي فيهن معدات
للاستمتاع وهذا قول حسن قريب المأخذ وقال الزمخشري فيهن في هذه
الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى انتهى وفيه
بعد وقال الفراء كل موضع من الجنة جنة فلذلك قال فيهن والطرف
اصله مصدر فلذلك وحد والظاهر انهن اللواتي يقصرن اعينهن على ازواجهن
فلا ينظرن الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة احسن
منك وقيل الطرف طرف غيرهن اي قصرت عين من ينظر اليهن عن النظر الى غيرهن
لم يطمثهن قال ابن عباس اي لم يفتضهن قبل ازواجهن وقيل لم يطأهن على اي
وجه كان الوطء من افتضاض او غيره وهو قول عكرمة والضمير في قبلهم عايد على
من عاد عليه الضمير في متكئين وقرأ الجمهور بكسر ميم يطمثهن في الموضعين
وطلحة وعيسى واصحاب عبد الله وعلي بالضم وقرأ اناس بضم الاول
وكسر الثاني واناس بالعكس واناس بالتخيير والجحدري بفتح الميم فيهما ونفي وطئهن
عن الانس ظاهر واما عن الجن فقال مجاهد والحسن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن
اذا لم يذكر الزوج الله تعالى فنفى هنا جميع المجامعين وقال ضمرة بن حبيب
الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم فنفى الافتضاض عن البشريات
والجنيات قال قتادة كانهن على صفاء الياقوت وبياض المرجان لو ادخلت
في الياقوت سلكا ثم نظرت اليه لرأيته من ورائه انتهى وفي الترمذي ان
المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وقال
ابن عطية الياقوت والمرجان من الاشياء التي برع حسنها فشبه بهما فيما يحسن
التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال
منظره وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بذلك كدرة بنت ابي لهب
ومرجانة ام سعيد انتهى هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب
وقيل هل جزاء التوحيد الا الجنة وقرأ ابن ابي اسحق الا الحسان يعني بالحسان
الحور العين ومن دونهما اي من دون تلك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان
لاصحاب اليمين والاوليان للسابقين قاله ابن زيد والاكثرون وقال
الحسن الاوليان للسابقين والاخريان للتابعين وقال ابن عباس ومن دونهما
في القرب للمنعمين والمؤخرتا الذكر افضل من الاوليين يدل على ذلك انه وصف
عيني هاتين بالنضخ وتينك بالجري فقط وهاتين بالدهمة من شدة النعمة

وحمرة ٢

وتينك

وتينك بالافنان وكل جنة ذات افنان ورجح الزمخشري هذا القول فقال
للمقربين جنتان من دونهم من اصحاب اليمين ادهامتان من شدة الخضرة
ورجح غيره القول الاول بذكر جري العينين والنضخ دون الجري وبقوله فيهما
من كل فاكهة وفي المتأخرتين فيهما فاكهة وبالاتكاء على ما بطائنه من ديباج
وهو الفرش وفي المتأخرتين الاتكاء على الرفرف وهو كسر الخباء والفرش المعدة
للاتكاء افضل والعبقري الوشي والديباج اعلى منه والمشبه بالياقوت والمرجان
افضل في الوصف من خيرات حسان والظاهر النضخ بالماء وقال ابن جبير بالمسك
والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضخ رش المطر وعنه ايضا بانواع
الفواكه والماء ونخل ورمان عطف على فاكهة فاقتضى العطف ان لا يندرجا
في الفاكهة قاله بعضهم وقال يونس بن حبيب وغيرهما كررهما وهما من
افضل الفاكهة تشريفا لهما واشادة بهما كما قال تعالى وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وقيل لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودواء فلم يخلصا للتفكه فيهن خيرات جمع خيرة وصف بني على فعلة من الخير كما بنوا
من الشر فقالوا شرة وقيل مخفف من خيرة وبه قرأ بكر بن حبيب وابو عثمان
النهدي وابن مقسم اي بشد الياء وروي عن ابي عمرو بفتح الياء كانه جمع خايرة
جمع على فعلة وفسر الرسول لام سلمة ذلك فقال خيرات الاخلاق حسان
الوجوه حور مقصورات ○ اي قصرن في اماكنهن والنساء تمدح بذلك اذ ملازمتهن
البيوت يدل على صيانتهن كما قال قيس بن الاسلت ○

○ وتكسل عن جاراتها فيزرنها وتغفل عن ابياتهن فتعذر ○

قال الحسن لسن بطوافات في الطرق وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ وقال
عمر بن الخطاب هي در مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان اي قبل اصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين متكئين
قال الزمخشري نصب على الاختصاص على رفرف قال ابن عباس وغيره فضول
المجالس والبسط وقال ابن جبير رياض الجنة من رف النبت نعم وحسن وقال
ابن عيينة الزرابي وقال الحسن وابن كيسان المرافق وقال الفراء
وابن قتيبة المجالس وعبقري قال الحسن بسط حسان فيها صور وغير ذلك
يصنع بعبقر وقال ابن عباس الزرابي وقال مجاهد الديباج الغليظ
وقال ابن زيد الطنافس وقال الفراء المخاد منه وقرأ الجمهور على رفرف
ووصف بالجمع لانه اسم جنس الواحد منه رفرفة واسم الجنس يجوز فيه ان
يفرد نعته وان يجمع لقوله والنخل باسقات وحسن جمعه هنا مقابلته بحسان
الذي هو فاصلة وقال صاحب اللوامح وقرأ عثمان بن عفان
ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير
الفرقبي وغيرهم رفارف جمع لا ينصرف خضر بسكون الضاد وعباقري
بكسر القاف وفتح الياء مشددة وعنهم ايضا ضم الضاد وعنهم
ايضا فتح القاف قال فاما منع الصرف من عباقري فشاذ ومثل الباب

المنسوبة الى عبقر وهو موضع تجلب منه الثياب على قديما الازمان فان لم يكن بمجاورتها والا فلا يكون يمنع الصرف من ياى النسب وجه الا في ضرورة الشعر انتهى وقال ابن خالويه على رفارف خضر وعباقري النبي صلى الله عليه وسلم والجحدري وابن محيصن وقد روى عن من ذكرنا على رفارف خضر وعباقري بالصرف وكذلك روى عن مالك بن دينار وقرأ ابو محمد المروزي وكان نحويا على رفارف خضار يعني على وزن فعال ٥ وقال صاحب الكامل ورفارف جمع عن ابن مصرف وابن مقسم وابن محيصن واختاره شبل وابو حيوة والجحدري والزعفراني وهو الاختيار لقوله خضر وعباقري بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم وابن محيصن وروى عنهما التنوين وقال ابن عطية وقرأ زهير القرقبي رفارف بالجمع وترك الصرف وابو طعمة المدني وعاصم فيما روى عنه رفارف بالصرف وعثمان كذلك وعباقري بالجمع والصرف وعنه وعباقري بفتح القاف والياء على ان اسم الموضع عباقر بفتح القاف والصحيح في اسم الموضع عبقر انتهى وقال الزمخشري وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته انتهى وقد يقال لما منع صرف رفارف شاكله في عباقري كما قد ينون ما لا ينصرف للمشاكلة يمنع الصرف للمشاكلة وقرأ زهير من خضر بضم الضاد قال صاحب اللوامح وهي لغة قليلة انتهى ومنه قول طرفة ٥

ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر ٥

وقال الاخر ٥

ومما انتميت الى خور ولا كشف ولا لئام غداة الروع اوزاع ٥

فشقر جمع اشقر وكشف جمع اكشف وقرأ الجمهور ذي الجلال صفة لربك وابن عامر واهل الشام ذو صفة للاسم وفي حرف عبد الله وابي ذي الجلال كقراءتهما في الموضع الاول والمراد هنا بالاسم المسمى وقيل اسم مقحم كالوجه في ويبقى وجه ربك ويدل عليه اسناد تبارك لغير الاسم في مواضع كقوله فتبارك الله احسن الخالقين تبارك الذي انشأ تبارك الذي بيده الملك وقد يصح الاسناد الى الاسم لانه بمعنى العلو فاذا علا الاسم فما ظنك بالمسمى ولما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الاخرة بقوله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام وناسب هنالك ذكر البقاء والديمومة له تعالى اذ ذكر فناء العالم وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة اذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المومنين وما اتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته ويا ذا الجلال والاكرام من الصفات التي جاء في الحديث ان يدعى الله بها قال عليه السلام الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ٥ رجت الارض زلزلت وحركت تحريكا شديدا بحيث تنهدم الابنية وتخر الجبال بست بست الجبال فتتت وقيل سيرت من قولهم بس الغنم ساقها ويقال رجت الارض وبست الجبال لان من المشامة من الشوم او من اليد الشومى وهي الشمال الثلة الجماعة كثرت او قلت وقال الزمخشري ٥ الامة من الناس الكثير

والجحدري و

المفردات من الواقعة

وقال الشاعر ٥

٥ وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من الارض مزبد ٥

الموضونة المنسوجة بتركيب بعض اجزائها على بعض كحلق الدرع ٥

قال الاعشى ٥

٥ ومن نسج داود موضونة تسير مع الحي عيرا فعيرا ٥ ومنه وضين الناقة وهو حزامها لانه موضون اي مفتول وقال الراجز ٥

اليك تعدو قلقا وضينها ٥ معترضا في بطنها جنينها ٥ مخالفا دين النصارى دينها ٥

الابريق افعيل من البريق وهو اناء للشرب له خرطوم قيل واذن وهو من اواني الخمر عند العرب قال الشاعر ٥

٥ كان ابريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم ٥

وقال عدي بن زيد ٥

٥ وتداعوا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها ابريق ٥

صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع في رؤسهم منها وقيل صدعوا فرقوا السدر تقدم شرحه في سورة سبا المخضود المقطوع شوكه ٥

قال امية بن ابي الصلت ٥ ٥

٥ ان الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود ٥

الطلح شجر الموز وقيل شجر من العضاه كثير الشوك المسكوب المصبوب العروب المتحببة الى زوجها الترب اللدة وهو من يولد هو وآخر في وقت واحد سميا بذلك لمسهما التراب في وقت واحد ٥

٥ سورة الواقعة ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ٥ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمومنين وفاضل بين جنتي بعض المومنين وجنتي بعض بقوله ومن دونهما جنتان

التسيل

تنة

فانقسم العالم بذلك الى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتدا
هذه السورة من كونهم اصحاب ميمنة واصحاب مشامة وسباق وهم المقربون
واصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم اخر هذه السورة وقال ابن عباس
الواقعة من اسما القيامة كالصاخة والطامة والازفة وهذه الاسما
تقتضي عظم شانها ومعنى وقعت الواقعة اي وقعت التي لا بد من وقوعها كما تقول
حدثت الحادثة وكانت الكائنة ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت
اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل
ما كنت اترقب نزوله وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور
وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة والعامل في اذا الفعل
بعدها ما قررناه في كتب النحو فهي في موضع نصب بوقعت كسائر اسما الشرط
ومن ذهب الى الجملة بعدها في موضع خفض باضافة اذا اليها احتاج الى
تقدير عامل اذ الظاهر انه ليس ثم جواب ملفوظ به يعمل فيها قال الزمخشري
فان قلت بم انتصب اذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل
او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر انتهى اما نصبها
بليس فلا يذهب نحوي او من شدا شيئا من صناعة الاعراب الى مثل هذا لان
ليس في النفي كما وما لا تعمل فكذلك ليس وذلك ان ليس مسلوبة الدلالة
على الحدث والزمن والقول بانها فعل هو على سبيل المجاز لان حد الفعل لا ينطبق
عليها والعامل في الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة
اقوم فالقيام واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عمل
في الظرف والمثال الذي شبه به وهو يوم الجمعة ليس لي شغل لا يدل على
ان يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار
والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم
الخبر الذي لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من لسان العرب قائما ليس زيد
وليس انما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كما لكنه لما اتصلت
بها ضمائر الرفع جعلها ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية ويظهر
من تمثيل الزمخشري اذا بقوله يوم الجمعة انه سلبها الدلالة على الشرط الذي
هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفا
الا ان حذفت في شعر ان ورد ذلك فنقول اذا احسن اليك زيد فلست
تترك مكافاته ولا يجوز لست بغير فا الا ان اضطر الى ذلك واما تقدير
اذا وقعت كان كيت وكيت فيدل على ان اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها
جوابا عاملا فيها واما قوله او باضمار اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا
بها منصوبة باذكر وكاذبة ظاهره انه اسم فاعل من كذب وهو صفة لمحذوف
فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله
وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة واكثر النفوس
اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لا يؤمنون

حتى

حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم
الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس
تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة تكذبها يقلن لها لم تكوني
او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت
له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال على معنى انها وقعة لا تطاق
بشدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم
الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى
الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف انتهى وهو تكثير واسهاب
وقدره ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل الكلام على هذا معنيين احدهما
كاذبة اي مكذوب فيما اخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه
قصة كاذبة اي مكذوب فيها والثاني حال كاذبة اي لا يمضي وقوعها
كما تقول فلان اذا حمل لم يكذب وقال قتادة والحسن المعنى ليس لها
تكذيب ولا رد ولا مثنوية فكاذبة على هذا مصدر كالعافية والعاقبة
وخائنة الاعين والجملة من قوله ليس لوقعتها كاذبة على ما قدره الزمخشري
من ان اذا معمولة لليس يكون ابتدا السورة الا ان اعتقد انها جواب لاذا
او منصوبة باذكر فلا يكون ابتداء كلام وقال ابن عطية في موضع الحال
والذي يظهر لي انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه **وقرا** الجمهور خافضة
رافعة برفعهما على تقدير هي وزيد بن علي والحسن وعيسى وابو حيوة وابن ابي
وابن مقسم والزعفراني واليزيدي في اختياره بنصبهما قال ابن خالويه
قال الكسائي لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات به ونصبهما على
الحال قال ابن عطية بعد الحال التي هي ليس لوقعتها كاذبة ولك
ان تتابع الاحوال كما لك ان تتابع اخبار المبتدا والقراءة الاولى
اشهر وابرع معنى وذلك ان موقع الحال من الكلام موقع ما لو لم يذكر لاستغني
عنه وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يتهمم به انتهى وهذا الذي
قاله سبقه اليه ابو الفضل الرازي قال في كتاب اللوامح وذو الحال
الواقعة والعامل وقعت ويجوز ان يكون ليس لوقعتها كاذبة حالا اخرى
من الواقعة بتقدير اذا وقعت صادقة الواقعة فهذه ثلاث احوال
من ذي حال وجازت احوال مختلفة عن واحد كما جازت عنه نعوت
متضادة واخبار كثيرة عن مبتدا واحد واذا جعلت هذه كلها احوالا كان
العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى بتقدير يحاسبون ونحوه
انتهى وتعداد الاحوال والاخبار فيه خلاف ذكر في النحو فليس ذلك مما اجمع
عليه النحاة قال الجمهور القيامة تتفطر السماء والارض والجبال
وانهدام هذه البنية برفع طائفة من الاجرام ويخفض اخرى فكانها
عبارة عن شدة الهول والاضطراب وقال ابن عباس وعكرمة
والضحاك الصيحة يخفض قوتها لتسمع الادنى وترفعها لتسمع الاقصى

لم تكذبي

عبلة

وقال قتادة وعثمان بن عبد الله بن سراقة القيمة تخفض اقواما الى
النار وترفع اقواما الى الجنة واخذ الزمخشري هذه الاقوال على عادته
وكساها بعض الفاظ رائعة فقال ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها
بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع
ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات
واما انها تزلزل الاشياء عن مقارها لتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السما
كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب انتهى
اذا رجت قال ابن عباس زلزلت وحركت بعنف وقال ايضا هو وعكرمة
ومجاهد بست فتتت وقيل سيرت وقرأ زيد بن علي رجت وبست مبنيا للفاعل
واذا رجت بدل من اذا وقعت وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله فاصحاب
الميمنة والمعنى اذا كان كذا وكذا فاصحاب الميمنة ما اسعدهم وما اعظم
ما يجازون به اي ان سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تظهر في ذلك الوقت
الشديد الصعب على العالم وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة
رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك
ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى ولا يجوز ان ينتصب بهما معا
بل باحدهما لانه لا يجتمع مؤثرات على اثر واحد وقال ابن جني وابو الفضل
الرازي اذا رجت في موضع رفع على انه خبر للمبتدا الذي هو اذا وقعت
وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت وما بعد اذا احوال ثلثة
والمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة قوم رافعة آخرين
وقت رج الارض وهكذا ادعى ابن مالك ان اذا تكون مبتدا واستدل بهذا
وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما ينبغي به اذا على مدلولها من الشرط وتقدم شرح الهبا
في سورة الفرقان منبثا منتشرا وقرأ النخعي منبتا بتاء منقوطة باثنتين بدل
الثاء المثلثة قراءة الجمهور اي منقطعا وكنتم خطاب للعالم ازواجا ثلثة
اصنافا ثلثة وهذه رتب للناس يوم القيمة فاصحاب الميمنة قال الحسن
والربيع هم المتيامنون على انفسهم وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم وقيل
اصحاب المنزلة السنية كما تقول هو مني باليمين وقيل الماخوذ بهم ذات اليمين
او ميمنة آدم المذكورة في حديث الاسراء في الاسودة واصحاب المشأمة هم من
قابل اصحاب الميمنة في هذه الاقوال فاصحاب مبتدا وما مبتدا ثان استفهام
في معنى التعظيم واصحاب الميمنة خبر عن ما وما وما بعدها خبر عن اصحاب
وربط الجملة هنا بالمبتدا تكرار المبتدا بلفظه واكثر ما يكون ذلك في موضع
التهويل والتعظيم وما تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى
اي شيء هم والسابقون السابقون جوزوا ان يكون مبتدا وخبرا نحو قولهم
انت انت وقوله انا ابو النجم وشعري شعري اي الذين انتهوا في السبق
الى الطاعات وبرعوا فيها وعرفت حالهم وان يكون السابقون تاكيدا لفظيا
والخبر فيما بعد ذلك وان يكون السابقون مبتدا والخبر فيما بعده وتقف

على قوله

على قوله والسابقون وان يكون متعلق السبق الاول مخالفا للسبق الثاني
والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة فعلى هذا جوزوا ان يكون السابقون
خبرا لقوله والسابقون وان يكون صفة والخبر فيما بعد والوجه القول الاول
قال ابن عطية ومذهب سيبويه انه يعني السابقون خبر الابتداء يعني خبر والسابقون
وهذا كما تقول الناس الناس وانت انت وهذا على تفخيم الامر وتعظيمه انتهى ويرجح هذا
القول انه ذكر اصحاب الميمنة متعجبا منهم في سعادتهم واصحاب المشأمة متعجبا
منهم في شقاوتهم فناسب ان يذكر السابقون مثبتا حالهم معظما وذلك
بالاخبار انهم نهاية في العظمة والسعادة والسابقون عموم في السبق
الى اعمال الطاعات والى ترك المعاصي وقال عثمان بن ابي سودة هم
السابقون الى المساجد وقال ابن سيرين هم الذين صلوا القبلتين
وقال كعب هم اهل القرآن وفي الحديث سئل عن السابقين فقال
هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم
لانفسهم اولئك اشارة الى السابقين المقربون الذين علت منازلهم
وقربت درجاتهم في الجنة من العرش وقرأ الجمهور في جنات جمعا وطلحة
في جنة مفردا وقسم السابقين المقربين الى ثلة من الاولين وقليل من
الاخرين فقال الحسن السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة
وقالت عائشة الفرقتان في امة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل
وقيل هما الانبياء كانوا في صدر الدنيا اكثر وفي آخرها اقل وفي الحديث
الفرقتان في امتي فسابق في اول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيمة
قليل وارتفع ثلة على اضمار هم وقرأ الجمهور على سرر بضم الراء وزيد بن علي
وابو السمال بفتحها وهي لغة لبعض تميم وكلب يفتحون عين فعل جمع فعيل
المضعف نحو سرير وتقدم ذلك في والصافات موضونة قال ابن عباس
مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت متكئين عليها
اي على السرر ومتكئين حال من الضمير المستكن في على سرر متقابلين ينظر
بعضهم الى بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء بواطنهم
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا يطوف عليهم ولدان صغار الخدم
مخلدون وصفوا بالخلد وان كان من في الجنة مخلدا ليدل على انهم يبقون
دائما في سن الولدان لا يكبرون ولا يتحولون عن شكل الوصافة وقال
مجاهد لا يموتون وقال الفراء مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الاقراط
وكاس من معين قال ابن عباس من خمر سائلة جارية معينة لا يصدعون
عنها قال الاكثرون لا يلحق رؤسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا
وقرأت على استاذنا العلامة ابي جعفر بن الزبير رحمه الله ٥
قول علقمة في صفة الخمر ٥
تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها ولا يخالطها في الراس تدويم ٥
فقال هذه صفة خمر الجنة وقيل لا يفرقون عنها بمعنى لا يقطع عنهم لذتهم

بسبب من الاسباب كما تعرف اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق كما جاء فتصدع
السحاب عن المدينة اي فتفرق وقرأ مجاهد لا يصدعون بفتح الياء وتشديد
الصاد اصله يتصدعون ادغم التاء في الصاد اي لا يتفرقون كقوله يومئذ
يصدعون والجمهور بضم الياء وخفة الصاد والجمهور ينزفون وفاكهة ولحم وزيد
ابن علي برفعهما اي ولهم والجمهور ولا ينزفون مبنيا للمفعول قال مجاهد
وقتادة وجبير والضحاك لا تذهب عقولهم سكرا وابن ابي اسحاق بفتح اليا
وكسر الزاي نزف البير استقي ماءها فالمعني لا ينفد خمرهم وابن ابي اسحق ايضا
وعبد الله والسلمي والجحدري والاعمش وطلحة وعيسي بضم الياء وكسر الزاي
اي لا يفني لهم شراب مما يتخيرون يأخذون خيره وافضله مما يشتهون اي
يتمنون وقرأ الجمهور وحور عين برفعهما وخرج علي ان يكون معطوفا علي ولدان
او علي الضمير المستكن في متكئين او علي مبتدا محذوف هو وخبره تقديره لهم هذا
كله وحور عين او علي حذف خبر فقط اي ولهم حور او فيهما حور وقرأ السلمي
والحسن وعمرو بن عبيد وابو جعفر وشيبة والاعمش وطلحة والمفضل وابان
وعصمة عن عاصم وحمزة والكسائي بجرهما والنخعي وحير عين بقلب الواو ياء
وجرهما والجر عطف علي المجرور اي يطوف عليهم ولدان بكذا وكذا وحور عين
وقيل هو علي معني وينعمون بهذا كله وبحور عين وقال الزمخشري عطفا
علي جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور انتهي وهذا
فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي وقرأ ابي وعبد الله
وحورا عينا بنصبهما قالوا علي معني ويعطون هذا كله وحورا عينا وقرأ قتادة
وحور بالرفع مضافا الي عين وابن مقسم بالنصب مضافا الي عين وعكرمة
وحوراء عيناء علي التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما واحتمل ان يكون مجرورا
عطفا علي المجرور السابق واحتمل ان يكون منصوبا كقراءة ابي وعبد الله وحورا
عينا ووصف اللؤلؤ بالمكنون لانه اصفي وابعد من التغير وفي الحديث صفاؤهن
كصفاء الدر الذي لا تمسه الايدي ٥ وقال تعالي كانهن بيض مكنون
وقال الشاعر يصف امرأة بالصون وعدم الابتذال فشبهها
بالدرة المكنونة في صدفتها فقال ٥

• او درة صدفية غواصها • بهج متي يرها يهل ويسجد ٥

وقبل هذا البيت

• قامت تراأي بين سجفي كلة • كالشمس يوم طلوعها بالاسعد ٥

جزاء بما كانوا يعملون روي ان المنازل والقسم في الجنة علي قدر الاعمال
ونفس دخول الجنة هو برحمة الله تعالي وفضله لا بعمل عامل وفيه النص الصحيح
الصريح لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني بفضل منه ورحمة لغوا سقط القول وفحشه ولا تأثيما ما يؤثم احدا
والظاهر ان الا قيلا سلاما سلاما استثناء منقطع لانه لم يندرج في اللغو
ولا التأثيم ويبعد قول من قال استثناء متصل وسلاما قال الزجاج هو

مصدر

مصدر نصبه قيلا اي يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما وقيل نصب بفعل محذوف وهو
معمول قيلا اي قيلا اسلموا سلاما وقيل سلاما بدل من قيلا وقيل نعت لقيلا بالمصدر
كانه قيل لا قيلا سالما من هذه العيوب في سدر في الجنة شجر علي خلقه له ثمر
كقلال هجر طيب الطعم والريح مخضود عار من الشوك وقال مجاهد المخضود الموقر
الذي تنثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وقرأ الجمهور وطلح بالحاء
وعلي وجعفر بن محمد وعبد الله بالعين قرأها علي المنبر وقال علي وابن عباس
وعطاء ومجاهد الطلح الموز وقال الحسن ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد
رطب وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وقال السدي شجر
يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلي من العسل والمنضود الذي نضد من اسفله الي اعلاه
فليست له ساق يظهر وظل ممدود اي منبسط لا يتقلص ولا ينسخه شيء قال
مجاهد هذا الظل من سدرها وطلحها وماء مسكوب وقال سفيان وغيره جار
في غير اخاديد وقيل منساب لا يتعب فيه بسانية ولا رشاء ولا مقطوعة اي هي
دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة اي لا يمنع من تناولها
بوجه ولا يحظر عليها كالتي في الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة برفعهما اي وهناك فاكهة
وفرش جمع فراش وقرأ الجمهور بضم الراء وابو حيوة بسكونها مرفوعة نضدت حتي
ارتفعت او رفعت علي الاسرة والظاهر ان الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم
وقال ابو عبيدة وغيره المراد بالفرش النساء لان المرأة يكني عنها بالفراش
ورفعهن في الاقدار والمنازل والضمير في انشأناهن عائد علي الفرش في قول
ابي عبيدة اذ هن النساء عنده وعلي ما دل عليه الفرش اذ الان المراد بالفرش ظاهر
ما يدل عليه من الملابس التي يفترش ويضطجع عليها اي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا
من غير ولادة والظاهر ان الانشاء هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك
مخصوصا بالحور اللاتي لسن من نسل آدم ويحتمل ان يريد انشاء الاعادة فيكون
ذلك لبنات آدم فجعلناهن ابكارا والعرب قال ابن عباس المتحببة الي
زوجها وقاله الحسن وعبر ابن عباس ايضا عنهن بالعواشق ومنه ٥

قول لبيد ٥

• وفي الحدوج عروب غير فاحشة • ريا الروادف يعشي دونها البصر ٥

وقال ابن زيد العروب الحسنة الكلام وقرأ حمزة وناس منهم شجاع وعباس
والاصمعي عن ابي عمرو وناس منهم خارجة وكردم وابو خليد عن نافع وناس منهم
ابو بكر وحماد وابان عن عاصم بسكون الراء وهي لغة تميم وباقي السبعة بضمها
اترابا في الشكل والقد وابعد من ذهب الي ان الضمير في انشأناهن عائد علي الحور
العين المذكورة قيل لان تلك قصة قد انقضت وهي قصة السابقين
وهذه قصة اصحاب اليمين واللام في لاصحاب اليمين متعلقة بانشأناهن
ثلة من الاولين اي من الامم الماضية وثلة من الآخرين اي من امة محمد
صلي الله عليه وسلم ولا تنافي بين قوله وثلة من الآخرين وقوله قبل قليل من الآخرين
لان قوله من الآخرين هو في السابقين وقوله وثلة من الآخرين هو في اصحاب

المفردات

ليبين اليحموم الاسود البهيم الحنث قال الخطابي هو في كلام العرب العدل الثقيل
سببه الاثم به الهيم جمع اهيم وهيماء والهيام داء معطش يصيب الابل فتشرب
حتى تموت او تسقم سقما شديدا قال الشاعر

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

والهيم جمع هيام وهو الرمل بفتح الهاء وهو المشهور وقال ثعلب بضمها قال
وهو الرمل الذي لا يتماسك فبالفتح كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل
بجمع اهيم من قلب ضمته كسرة لتصح الياء وبالضم يكون قد جمع على فعل كقراد وقرد ثم سكنت
ضمة الراء فصار فعلا ثم فعل به ما فعل ببيض امنى الرجل النطفة ومناها
قذفها من احليله المزن السحاب قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها

اوريت النار من الزناد قدحتها وورى الزند نفسه والزناد من حجرين او من
حجر وحديد ومن شجر لا سيما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ والعرب
تقدح بعودين تحك احدهما بالاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة
شبهوهما بالفحل والطروقة اقوى الرجل دخل في الارض القواء وهي القفر
كاصحر دخل في الصحراء واقوى من ايام لم ياكل شيئا واقوت الدار صارت
قفرا قال الشاعر

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد

ادهن لاين وهاود فيما لا يجمل عند المدهن

وقال الشاعر

الحزم والقوة خير من الادهان والفكة والهاع

الحلقوم مجرى الطعام الروح الاستراحة والريحان تقدم ذكره في سورة الرحمن

قوله عز وجل واصحاب الشمال

وأصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم
انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون
لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون
شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان
نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرايتم
ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون
انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن
المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون ءانتم انشأتم
شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم
لما ذكر حال السابقين واتبعهم باصحاب الميمنة ذكر حال اصحاب المشأمة فقال
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وتقدم اعراب نظير هذه الجملة وفي هذا الاستفهام

لتعظيم

تعظيم مصابهم في سموم في اشد حر وحميم ماء شديد السخونة وظل من يحموم قال ابن عباس
ومجاهد وابو مالك وابن زيد والجمهور دخان وقال ابن عباس ايضا هو
سرادق النار المحيط باهلها يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقال ابن كيسان اليحموم
من اسماء جهنم وقال ابن زيد ايضا وابن بريدة هو جبل في النار اسود يفزع اهل
النار الى ذراه فيجدونه اشد شيء وامر لا بارد ولا كريم صفتان للظل نفتا
سمي ظلا وان كان ليس كالظلال ونفي عنه برد الظل ونفعه لمن ياوي اليه ولا
كريم تتميم لنفي صفة المدح فيه وتحقيق لما يتوهم في الظل من الاسترواح اليه
عند شدة الحر او نفي لكرامة من يستروح اليه ونسب اليه مجازا
والمراد هم اي يستظلون اليه وهم مهانون وقد يحتمل المجلس الردي لنيل الكرامة
وبدئ اولا بالوصف الاصلي الذي هو الظل وهو كونه من يحموم فهو بعض اليحموم
ثم نفي عنه الوصف الذي يبتغى له الظل وهو كونه لا باردا ولا كريما وقد يجوز
ان يكون لا بارد ولا كريم صفة ليحموم ويلزم منه ان يكون الظل موصوفا بذلك
وقرا الجمهور لا بارد ولا كريم بجرهما وابن ابي عبلة برفعهما اي لا هو بارد ولا
كريم على حد قوله فابيت لا حرج ولا محروم اي لا انا حرج انهم كانوا
قبل ذلك اي في الدنيا مترفين فيه ذم الترف والتنعم في الدنيا والترف
طريق الى البطالة وترك التفكر في العواقب وكانوا يصرون اي يداومون
ويواظبون على الحنث العظيم قال قتادة والضحاك وابن زيد الشرك
وهو الظاهر وقيل ما تضمنه قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية من التكذيب
بالبعث وبعده وكانوا يقولون فانه معطوف على ما قبله ويقتضي التغاير فالحنث
العظيم الشرك وقولهم ائذا متنا انكار البعث واستبعاد الشعبي في الحنث
هو اليمين الغموس ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون
تقدم الكلام عليه في والصافات وكرر الزمخشري هنا وهمه فقال فان قلت
كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن
للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة
للنفي انتهى ورددنا عليه هناك وقد رجع هنا وهناك الى مذهب الجماعة في انهم
لا يقدرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فعلا في نحو اولم يسيروا ولا اسما
في نحو اباؤنا بل الواو والفاء لعطف ما بعدهما على ما قبلهما والهمزة في التقدير
متاخرة عن حرف العطف لكنه لما كان الاستفهام له صدر الكلام قدمت ولما ذكر
تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والانكار امر نبيه عليه السلام ان
يخبرهم ببعث العالم اولهم واخرهم للحساب وبما يصل اليه المكذبون للبعث
من العذاب والميقات ما وقت به الشيء اي حد اي الى ما وقتت به الدنيا
من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم حديد ثم انكم خطاب لكفار قريش
ايها الضالون عن الهدى المكذبون للبعث وخطاب ايضا لمن جرى مجراهم
في ذلك لاكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية او للتبعيض
والثانية ان كان من زقوم بدلا فمن تحتمل الوجهين وان لم يكن بدلا فهي

لبيان الجنس اي من شجر الذي هو زقوم وقراء الجمهور من شجر وعبد الله من شجرة فمالئون منها الضمير في منها عايد على شجر اذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر وعلى قراءة عبد الله فهو واضح فشاربون عليه قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما انث على المعنى في منها قال ومن قراء من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه يفسرها وهي في معناه وقال ابن عطية والضمير في عليه عايد على الماكول او على الاكل انتهى فلم يجعله عايدا على شجر وقراء نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وهو مصدر وقيل اسم لما يشرب ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها وهو بمعنى المشروب اسم لا مصدر كالطحن والرعي والاعرج وابن المسيب وشعيب بن الحبحاب ومالك بن دينار وابن جريج وباقي السبعة بفتحها وهو مصدره المقيس والهيم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة جمع اهيم وهو الجمل الذي اصابه الهيام وقد فسرناه في المفردات وقيل جمع هيماء وقيل جمع هايم وهايمة وجمع فاعل على فعل شاذ كبازل وبزل وعايذ وعوذ والهايم ايضا من الهيام الا ترى ان الجمل اذا اصابه ذلك هام على وجهه وذهب وقال ابن عباس وسفين الهيم الرمال التي لا تروى من الماء وتقدم الخلاف في مفرده اهو الهيا بفتح الهاء ام بالضم والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم قاله الزمخشري وقال ايضا **فان قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليسا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى والفاء تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا انه يسكن عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع به ري ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطفت والمقصود الصفة والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه شرب الهيم **وقراء** الجمهور نزلهم بضم الزاي **وقراء** ابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وابو زيد وهرون وعصمة وعباس كلهم عن ابي عمرو بالسكون وهو اول ما ياكله الضيف وفيه تهكم بالكفار

وقال الشاعر

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

يوم الدين اي يوم الجزاء نحن خلقناكم فلولا تصدقون حض على التصديق اشارة الى النشاة الاولى وهي خلقهم ثم قال فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما اقررتم بالنشاة الاولى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله او فلولا تصدقون بالخلق وذلك انهم لما اتخذوا من دون الله الهة جعلوا كانهم غير مقرين بالخالق فحضوا على التصديق به ثم حض على التصديق على وجه

تقريعهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق وكان كافرا قال ولم اصدق فقيل له افرايت كذا افرايت كذا اما الانسان مفطور على الاقرار به فقال افرايتم ما تمنون وهو المني الذي يخرج من الانسان اذ ليس للمني في خلقه عمل ولا ارادة ولا قدرة وقال الزمخشري تخلقونه تقدرونه وتصورونه انتهى فحمل الخلق على التقدير والتصوير لا على الانشاء ويجوز في انتم ان يكون مبتدا وخبره تخلقونه والاولى ان يكون فاعلا بفعل محذوف كانه قال اتخلقون فلما حذف الفعل انفصل الضمير وجاء افرايتم هنا مصرحا بمفعولها الاول ومجي جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها اذا كانت بمعنى اخبرني وجاء بعد ام جملة فقيل ام منقطعة وليست المعادلة للهمزة وذلك في اربعة المواضع هنا فيكون ذلك على استفهامين فجواب الاول لا وجواب الثاني نعم فيقدرا م على هذا بل انحن الخالقون فجوابه نعم وقال قوم من النحاة ام هنا معادلة للهمزة وكان ما جاء من الخبر بعد نحن جي به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لوقع الاكتفا به دون ذكر الخبر ونظير ذلك جواب من قال من في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر في الجواب على زيد لاكتفي به **وقراء** الجمهور ما تمنون بضم التاء وابن عباس وابو السمال بفتحها والجمهور قدرنا بشد الدال وابن كثير بخفها اي قضينا واثبتنا او رتبنا في التقدم والتاخر فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب لا يتعدى وتقال سبقته على الشي اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه والمعنى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي نحن قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه ان اردنا ذلك وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم اي نموت طايفة ونبدلها بطايفة هكذا قرنا بعد قرن انتهى فعلى ان نبدل متعلق بقوله نحن قدرنا وعلى القول الاول متعلق بمسبوقين اي لا نسبق على ان نبدل امثالكم وامثالكم جمع مثل وننشيكم فيما لا تعلمون من الصفات اي نحن قادرون على ان نعدمكم وننشي امثالكم وعلى تغييركم اوصافكم مما لا يحيط به فكركم وقال الحسن من كونكم قردة وخنازير قال ذلك لان الاية تنحوا الى الوعيد ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل بمعنى الصفة اي نحن نقدر على ان نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشيكم في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى اي علمتم انه هو الذي انشاكم اولا انشاء انسانا وقيل نشاة ادم وانه خلق من طين ولا ينكرها احد من ولده فلولا تذكرون حض على التذكر المودي الى الايمان والاقرار بالنشاة الاخرة **وقراء** الجمهور تذكرون بشد الذال وطلحة بخفها وضم الكاف قالوا وهذه الاية دالة على استعمال القياس والحض عليه انتهى ولا يدل الا على قياس الاولى لا على جميع انواع القياس افرايتم ما تحرثون ما تثيرونه في الارض وتبذرونه فيه انتم تزرعونه اي تجعلونه زرعا نابتا وينبت حتى ينتفع به والحطام اليابس المفتت الذي لم يكن له حب ينتفع به فظلتم تفكهون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تعجبون وقال عكرمة تلاومون وقال الحسن تندمون وقال ابن زيد تتفجعون وهذا كله تفسير باللازم ومعنى تفكهون تطرحون

الفكاهة عن انفسكم وهي المسرة ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء
وتفكه من اخوات تحرج وتحوب وقرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء واللام فيها محذوفة
وابو حيوة وابو بكر في رواية العتكي عنه بكسرها كما قالوا مست بفتح الميم
وكسرها وحكاها الثوري عن ابن مسعود وجاءت عن الاعمش وقرأ عبد الله
والجحدري فظللتم على الاصل بكسر اللام وقرأ الجحدري ايضا بفتحها والمشهور
ظللت بالكسر وقرأ الجمهور تفكهون بالهاء وابو حزام بالنون بدل الهاء قال
ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم انا لمغرمون قبله محذوف اي يقولون
وقرأ الجمهور انا والاعمش والجحدري وابو بكر أإنا بهمزتين لمغرمون اي لمعذبون
من الغرام وهو اشد العذاب قال الشاعر

ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ٭

او لمحملون الغرم في النفقة اذ ذهب زرعنا غرما لرجل اذا غرمته بل نحن محرومون
مجدودون لا حظ لنا في الخير افرأيتم الماء الذي تشربون هذا الوصف يغني عن
وصفه بالعذب الآتي مقابله وهو الاجاج ودخلت اللام في لجعلناه حطاما
وسقطت في قوله جعلناه اجاجا وكلاهما فصيح وطول الزمخشري في مسوغ ذلك
وملخصه ان الحرف اذا كان في مكان وعرف واشتهر في ذلك المكان جاز
حذفه لشهرة امره فان علم لارتباط الجملة الثانية بالاولى فجاز حذفه
استغناء بمعرفة السامع وذكر في كلامه ان الثاني امتنع لامتناع الاول
وليس كما ذكر انما هذا قول ضعفه بعض المعربين والذي ذكره س انها حرف لما كان
سيقع لوقوع الاول ويفسد قول اولئك الضعفاء قولهم لو كان انسانا لكان
حيوانا فالحيوانية لا تمتنع لامتناع الانسانية ثم قال ويجوز ان يقال ان هذه
اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة وادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب
للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد
واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت اية
المطعوم على اية المشروب والظاهر ان قوله شجرتها المراد منه الشجر الذي
يقدح منه النار وقيل المراد بالشجرة نفس النار كانه يقول نوعها او جنسها فاستعار
الشجرة لذلك وهذا قول متكلف نحن جعلناها تذكرة اي لنار جهنم ومتاعا
للمقوين اي للنازلين الارض القواء وهو القفر وقيل للمسافرين وهو قريب مما قبله
وقول ابن زيد الجائعين ضعيف جدا وقد ذكر من فوائد النار ما هو اهم واكبر
من تذكيرها بنار جهنم نظرا لتبعة بفائدتها في الدنيا ومنه الاربعة التي
ذكرها تعالى ووقفهم عليها من امر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب
والنار من اعظم الدلائل على البعث وفيها انتقال من شيء الى شيء واحداث
شيء من شيء ولذلك امر في اخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون ووصف
تعالى نفسه بالعظيم اذ من هذه افعاله يدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق
والانشاء فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب
مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون

وتجعلون

قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم

وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم
وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ٭ قرأ الجمهور
فلا اقسم فقيل لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فاقسم
وقيل المنفي محذوف اي فلا صحة لما يقول الكفار ثم ابتدأ اقسم قاله سعيد بن جبير
وبعض النحاة ولا يجوز لان في ذلك حذف اسم لا وخبرها وليس جوابا لسائل سأل
فيحتمل ذلك نحو قوله لا لمن قال هل من رجل في الدار وقيل توكيد مبالغة تما وهي
كاستفتاح كلام مشبهه في القسم الا في شائع الكلام القسم وغيره ومنه فلا وابي اعدائها
لا اخونها والاولى عندي انها لام اشبعت فتحتها فتولدت منها الف ٭
كقوله

اعوذ بالله من العقراب ٭

وهذا وان كان قليلا فقد جاء نظيره
في قوله فاجعل افئدة من الناس بياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام فالمعنى
فلأقسم كقراءة الحسن وعيسى وخرج قراءة الحسن ابو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف
اي فلأنا اقسم وتبعه على ذلك الزمخشري وانما ذهبا الى ذلك لانه فعل حال
وفي القسم عليه خلاف فالذي اختاره ابن عصفور وغيره ان فعل الحال لا يجوز
ان يقسم عليه فاحتاجوا الى ان يصوروا المضارع خبرا لمبتدأ محذوف فتصير
الجملة اسمية فيقسم عليها وذهب بعض النحويين الى جواز القسم على فعل الحال
وهذا الذي اخترناه فنقول والله ليخرج زيد وعليه قول الشاعر

ليعلم ربي ان بيتي واسع ٭

وقال الزمخشري في قراءة الحسن ولا يصح ان تكون اللام
لام قسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال
بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم
يجب ان يكون للحال انتهى اما الامر الاول ففيه خلاف فالذي قاله قول البصريين
واما الكوفيون فيختارون ذلك ولكن يجيزون تعاقبهما الا فيجيزون لاضربن
زيدا واضربن عمرا واما الثاني فصحيح لكنه هو الذي رجح عندنا ان تكون
اللام في لاقسم لام القسم واقسم فعل حال والقسم قد يكون جوابا للقسم كما قال
تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فاللام في وليحلفن جواب قسم وهو قسم لكنه
لما لم يكن حلفهم حالا بل مستقبلا لزمت النون وهي مخلصة المضارع للاستقبال
وقرأ الجمهور بمواقع جمعا وعمر وعبد الله وابن عباس واهل المدينة وحمزة
والكسائي بموقع مفردا مرادا به الجمع قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم
هي نجوم القرآن التي انزلت على الرسول ويؤيد هذا القول قوله انه لقرآن فعاد
الضمير على ما يفهم من قوله بمواقع النجوم اي نجوم القرآن وقيل النجوم الكواكب
ومواقعها قال مجاهد وابو عبيدة عند طلوعها وغروبها وقال قتادة مواقعها
مواضعها من السماء وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة وقيل عند
الانقضاض اثر العفاريت ومن تأول النجوم على انها الكواكب جعل الضمير في انه

يعترض سياق الكلام لقوله حتى توارت بالحجاب وفي اقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم
ذلك لا نعلمه نحن وقد اعظم ذلك تعالى فقال وانه لقسم لو تعلمون عظيم والجملة المقسم
عليها قوله انه لقرآن كريم وفصل بين القسم وجوابه فالظاهر انه اعتراض بينهما وفيه
اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله لو تعلمون وقال ابن عطية وانه لقسم تاكيد
للامر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد
التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون انتهى وكريم وصف مدح ينفي عنه
ما لا يليق به وقال الزمخشري كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع
او كريم على الله في كتاب مكنون اي مصون قال ابن عباس ومجاهد الكتاب الذي
في السماء وقال عكرمة التوراة والانجيل كانه قال ذكر في كتاب مكنون
كرمه وشرفه فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة وقيل في كتاب مكنون
اي في مصاحف للمسلمين مصونة من التبديل والتغيير ولم تكن اذ ذاك مصاحف
فهو اخبار بغيب والظاهر ان قوله لا يمسه الا المطهرون وصف للقرآن كريم
فالمطهرون هم الملائكة وقيل لا يمسه صفة لكتاب مكنون فان كان الكتاب
هو الذي في السماء فالمطهرون هم الملائكة ايضا اي لا يطلع عليه من سواهم
وكذا على قول عكرمة ثم الملائكة وان اريد بكتاب مكنون المصحف فالمعنى انه
لا ينبغي ان يمسه الا من هو على طهارة من الناس واذا كان المطهرون هم الملائكة
فلا يمسه نفي ويؤيد النفي قراءة عبد الله ما يمسه واذا عني بهم المطهرون من الكفر
والجنابة فاحتمل ان يكون نفيا محضا ويكون حكمه انه لا يمسه الا المطهرون
وان كان يمسه غير المطهر كما جاء لا يعضد شجرها اي الحكم هذا وان كان قد يقع
العضد واحتمل ان يكون نفيا اريد به النهي فالضمة في السين اعراب ٥ واحتمل
ان يكون نهيا فلو فك ظهر الجزم ولكنه لما ادغم كان مجزوما وما في التقدير والضمة
فيه لاجل ضمة الهاء كما جاء في الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وهو مجزوم
ولم يحفظ س في نحو هذا من المجزوم المدغم المتصل بالهاء ضمير المذكر الا الضم قال
ابن عطية والقول بان لا يمسه نهي قول فيه ضعف وذلك انه اذا كان خبرا
فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا جاء معناه
اجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف
ابن مسعود ما يمسه وهذا يقوي ما رجحته من الخبر الذي معناه حقه وقدره
ان لا يمسه الا طاهر انتهى ولا يتعين ان يكون تنزيل صفة بل يجوز ان يكون خبر
مبتدا محذوف فيصح اذ ذاك ان يكون لا يمسه نهيا وذكروا هنا حكم مس
المصحف وذلك مذكور في الفقه وليس في الآية دليل على منع ذلك وقرأ الجمهور
المطهرون اسم مفعول من طهر مشددا وعيسى كذلك مخففا من اطهر وروي عن
نافع وابي عمرو وقرأ سلمان الفارسي المطهرون بخف الطاء وشد الهاء وكسرها
اسم فاعل من طهر اي المطهرين انفسهم وعنه ايضا المطهرون بشدهما اصله المتطهرون
فادغم التاء في الطاء وروي عن الحسن وعبد الله بن عون وقرئ المتطهرون
وقرئ تنزيلا بالنصب اي نزل تنزيلا والاشارة في افبهذا للقرآن وانتم خطاب

للكفار

للكفار مدهنون قال ابن عباس مهاودون فيما لا يحل وقال ايضا مكذبون
وتجعلون رزقكم اي شكر ما رزقكم الله من انزال القرآن عليكم تكذيبكم به اي
تضعون مكان الشكر التكذيب ومن هذا المعنى قول الراجز

٥ وكان شكر القوم عند المنن كي الصحيحات وفقأ الاعين ٥

وقرأ علي وابن عباس وتجعلون شكركم وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد
وحكى الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان فلانا بمعنى ما شكره قيل
نزلت في الانواء ونسبة السقيا اليها والرزق المطر فالمعنى ما يرزقكم الله من
الغيث وقال ابن عطية اجمع المفسرون على ان الآية توبيخ للقائلين في المطر
هذا بنوء كذا وكذا وهذا بعثانين الاسد وهذا بنوء الجوزاء وغير ذلك وقرأ
الجمهور تكذبون من التكذيب وعلي والمفضل عن عاصم من الكذب فالمعنى من التكذيب انه
ليس من عند الله اي القرآن او المطر حيث ينسبون ذلك الى النجوم ومن الكذب قولهم
في القرآن سحر وافتراء وفي المطر من الانواء ٥ فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ
تنظرون قال الزمخشري ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم
غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وقال
ابن عطية توقيف على موضع عجز يقتضي النظر فيه ان الله مالك كل شيء وانتم
اشارة الى جميع البشر حينئذ حتى اذا بلغت الحلقوم تنظرون اي الى المنازع في الموت
وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون اتباعا لحركة الهمزة في اذ ونحن اقرب اليه
منكم بالعلم والقدرة ولكن لا تبصرون من البصيرة بالقلب او اقرب اي ملائكتنا
ورسلنا ولكن لا تبصرون من البصر بالعين ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية
بلفظ التحضيض والمدين المملوك وقال الاخطل ه

ربت وربا في حجرها ابن مدينة ٥ فقيل ابن مملوكة يصف عبد امراة واخر البيت
تراه على مسحاته يتوكل والمعنى فلولا ترجعون النفس البالغة الى الحلقوم ان كنتم
غير مملوكين غير مقهورين ان كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت
المبدي المعيد اذ كانوا فيما ذهبوا اليه من ان القرآن سحر وافتراء وان ما نزل
من المطر بنوء كذا تعطيل للصانع وتعجيز له وقال ابن عطية وقوله ترجعونها
سد مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات واذا من قوله فلولا
اذا وان المتكررة وحمل بعض القول بعضا ايجازا واقتصارا انتهى وتقول
اذا ليست شرطية فتسد ترجعونها مسد جوابها بل هي ظرف غير شرط معمول
لترجعونها المحذوف بعد فلولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه
فجاء التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجاء التحضيض الثاني
معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجوعها اذ مربوبيتهم موجودة
فهم مقهورون لا قدرة لهم فاما ان كان اي المتوفى من المقربين وهم السابقون
وقرأ الجمهور فروح بفتح الراء وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس
والحسن وقتادة ونوح القاري والضحاك والاشهب وشعيب بن الحارث
وسليمان التيمي والربيع بن خثيم ومحمد بن علي وابو عمران الجوني والكلبي وفياض

حين اذ

وعيسى وعبد الوارث عن ابي عمرو ويعقوب بن حسان وزيد ورويس عنه بضمها
قال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقال ايضا روحه تخرج
في ريحان وقيل الروح البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق
وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الاستراحة وقال
ابو العالية وقتادة والحسن ايضا الريحان هذا الشجر المعروف في الدنيا
يلقى المقرب ريحانا من الجنة وقال الخليل هو طرف كل بقلة طيبة فيها
اوائل النور وقال عليه السلام في الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا
وقال ابن عطية الريحان مما تنبسط اليه النفوس فروح فسلام فنزل الفاء جواب
اما تقدم اما وهي في تقدير الشرط وان كان من المقربين وان كان من اصحاب اليمين
وان كان من المكذبين الضالين شرط واذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق
منهما وجواب الثاني محذوف ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ او مضمنا
بلم واغنى عنه جواب اما هذا مذهب س وذهب ابو علي الفارسي الى ان الفاء
جواب ان وجواب اما محذوف وله قول موافق لمذهب س وذهب الاخفش الى ان
الفاء جواب لاما وان الشرط معا وقد ابطلنا هذين المذهبين في كتابنا المسمى
بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل والخطاب في لك للرسول عليه السلام اي لا
ترى فيهم يا محمد الا السلامة من العذاب ثم لكل معتبر من امته عليه السلام
وقيل لمن يخاطبه من اصحاب اليمين فقال الطبري المعنى فسلام لك انت
من اصحاب اليمين وقال قوم المعنى فيقال لهم مسلم لك انك من اصحاب
اليمين وقيل فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون
عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما والمكذبون الضالون هم اصحاب
المشامة اصحاب الشمال وقرا الجمهور وتصلية رفعا عطفا على فنزل واحمد
ابن موسى والمنقري واللؤلؤي عن ابي عمرو بجر التاء عطفا على من حميم ولما انقضى
الاخبار بتقسيم احوال المحشر وما آل اليه كل قسم كل منهم اكد ذلك بقوله ان هذا
اي ان هذا الخبر المذكور في هذه السورة هو حق اليقين فقيل هو من اضافة
المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب
الصواب بمعنى انه نهاية في ذلك فهما بمعنى واحد اضيف على سبيل المبالغة
وقيل هو من اضافة الموصوف الى صفته جعل الحق مباينا لليقين فكانه قال
لهو الحق اليقين اي الثابت المتيقن ولما تقدم ذكر الاقسام الثلاثة مسهبا
الكلام فيهم امر تعالى بتنزيهه عما لا يليق به من الصفات ولما اعاد التقسيم موجزا
الكلام فيه امر ايضا بتنزيهه وتسبيحه والاقبال على عبادة ربه والاعراض عن
اقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء ويظهر ان سبح يتعدى بنفسه
تارة لقوله سبح اسم ربك الاعلى ويسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسبح باسم
ربك العظيم يجوز ان تكون صفة لاسم ويجوز ان تكون صفة لربك ٥

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز

الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور ٥ قال النقاش وغيره هذه السورة مدنية باجماع من المفسرين وقال
غيره كالزمخشري مكية وقال ابن عطية لا خلاف ان فيها قرانا مدنيا لكن يشبه صدرها
ان يكون مكيا ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة لانه تعالى امر
بالتسبيح ثم اخبر ان التسبيح المامور به قد فعله والتزمه كل من في السموات
والارض واتى سبح بلفظ الماضي ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة
والاستمرار وان ذلك ديدن من في السموات والارض والتسبيح هنا عند الاكثرين
بمعنى التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله فقيل هو حقيقة في الجميع وقيل
فيمن يمكن التسبيح منهم وقيل مجاز بمعنى ان اثر الصنعة فيها تنبيه الرائي
على التسبيح وقيل التسبيح هنا الصلاة فمن الجماد بعيد وفي الكافر سجود ظله
صلاته وفي المومن ذلك سائغ واللام في لله اما ان تكون بمنزلة اللام في
نصحت لزيد يقال سبح الله كما يقال نصحت زيدا فجيء باللام لتقويه
وصول الفعل الى المفعول واما ان تكون لام التعليل اي احدث التسبيح لاجل الله
اي لوجهه خالصا يحيي ويميت جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب لقوله له ملك
السموات والارض لما اخبر انه له الملك اخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين
اللذين بهما تمام التصرف في الملك وهو ايجاد ما شاء واعدام ما شاء ولذلك
اعقب بالقدرة التي بها الاحياء والاماتة وجوزوا ان يكون خبر مبتدا اي هو يحيي
ويميت وان يكون حالا وذو الحال الضمير في له والعامل فيها العامل في الجار والمجرور
هو الاول اي الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة والاخر اي الدائم الذي ليس له
نهاية منقضية وقيل الاول الذي كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد هلاك
كل شيء والظاهر بالادلة ونظر العقول في صفته والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
وقال ابو بكر الوراق الاول بالازلية والاخر بالابدية وقيل الظاهر العالي
على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء
اي علم باطنه وقال الزمخشري فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى
معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة
على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين
الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية
والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك
بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال ٥ يعلم ما يلج في الارض من المطر والاموات وغير ذلك وما يخرج منها من النبات
والمعادن وغيرها وما ينزل من السماء من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره وما يعرج

فيهم من الملائكة وصالح الاعمال وتثيبهم وهو معكم اينما كنتم اي بالقدرة والعلم قال الثوري المعنى علمه معكم وهذه آية جمعت الامة على هذا التاويل فيها وانها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهي حجة على من منع التاويل في غيرها مما يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهره وقال بعض العلماء فيمن يمتنع من تاويل ما لا يمكن حمله على ظاهره وقد تاول هذه الآية وتاول الحجر الاسود يمين الله في الارض لو اتسع عقله لتاول غير هذا مما هو في معناه وقرأ الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحق والاعرج مبنيا للفاعل والامور عام في جميع الموجودات اعراضها وجواهرها وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده فاغنى عن اعادته ﴿آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم﴾ لما ذكر تعالى تسبيح العالم له وما احتوى عليه من الملك والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات العلى وختمها بالعلم بخفيات الصدور امر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الايمان وادامته والنفقة في سبيل الله قال الضحاك نزلت في غزوة تبوك مستخلفين فيه اي ليست لكم بالحقيقة وانما انتقلت اليكم من غيركم وهي واصلة اليكم تتركونها لغيركم وفيه تزهيد فيما بيد الانسان اذ مصيره الى غيره وليس له منه الا ما جاء في الحديث يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقيل لاعرابي لمن هذه الابل فقال هي لله عندي او يكون المعنى انه تعالى انشا هذه الاموال فمتعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فانتم فيها بمنزلة الوكلاء فانفقوا منها في حقوق الله ثم ذكر تعالى ما للمؤمن المنفق من الاجر ووصفه بالكرم ليصوغه في انواع الثواب قيل وفيه اشارة الى عثمان بن عفان حيث بذل تلك النفقة العظيمة في جيش العسرة ثم قال وما لكم لا تؤمنون بالله وهو استفهام على سبيل التانيب والانكار اي كيف لا تثبتون على الايمان ودواعي ذلك موجودة وذلك دكره فيكم من دلائل العقل وموجب ذلك من السمع في قوله والرسول يدعوكم لهذا الوصف الجليل وقد تقدم اخذ الميثاق عليكم بالايمان فدواعي الايمان موجودة واسبابه حاصلة فلا مانع منه ولا عذر في تركه ولا تؤمنون حال كما تقول ما لك لا تقوم منكر عليه انتفاء قيامه والرسول الواو واو الحال فالجملة بعد حال وقد اخذ حال ثالثة وهذا الميثاق قيل هو الذي اخذ عليهم حين الاخراج من ظهر آدم عليه السلام وقيل ما نصب من الادلة وركز في العقول من النظر فيها ان كنتم مؤمنين شرط وجوابه محذوف اي ان كنتم مؤمنين لموجب ما

قوله عز وجل آمنوا بالله

فهذا

فهذا هو الموجب لايمانكم او ان كنتم ممن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالة هذه وهي دعاء الرسول واخذ الميثاق وقال الطبري ان كنتم مؤمنين في حال من الاحوال فالان وقرأ الجمهور وقد اخذ مبنيا للفاعل ميثاقكم نصبا وابو عمرو مبنيا للمفعول ميثاقكم رفعا وقال ابن عطية في قوله ان كنتم مؤمنين وان المعنى ان قوله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين تقتضي ان يقدر باثرها فانتم في رتبة شريفة واقدار رفيعة ان كنتم مؤمنين اي ان دمتم على ما بدأتم به ولما ذكر توطئة ما يوجب الايمان وذكر دعاء الرسول اياهم الى الايمان ذكر تعالى هو المنزل على رسوله ما دعاهم الى الايمان وذلك الآيات البينات المعجزات ليخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اي الله تعالى اذ هو المحدث عنه او الرسول لانه اقرب وقرئ في السبعة ينزل مضارعا فبعض ثقل وبعض خفف وقرأ الحسن بالوجهين وزيد بن علي والاعمش انزل ماضيا ووصف تعالى نفسه بالرافة والرحمة تانيسا لهم ولما كان قد امرهم بالايمان والانفاق ثم ذكر تانيبهم على ترك الايمان مع حصول موجبه انبهم على ترك الانفاق في سبيل الله مع قيام الداعي لذلك وهو انهم يموتون فيخلفونه ونبه على هذا الموجب بقوله ولله ميراث السموات والارض وهذا من ابلغ البعث على الانفاق وان لا تنفقوا تقديره في ان لا تنفقوا فموضعه جر او نصب على الخلاف وان ليست زائدة بل مصدرية وقال الاخفش في قوله وما لنا ان لا نقاتل انها زائدة عاملة تقديره عنده وما لنا لا نقاتل فلذلك على مذهبه في تلك هنا تكون ان زائدة وتقديره وما لكم لا تنفقون وقد رد مذهبه في كتب النحو لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك نزلت قيل نزلت في ابي بكر اذ كان اول من اسلم وهاجر وانفق وكذا من تابعه في السبق في ذلك ولذلك قال اولئك اعظم درجة وقيل نزلت بسبب ان ناسا من الصحابة انفقوا نفقات جليلة حتى قيل ان هؤلاء اعظم اجرا من كل من انفق وهذه الجملة تضمنت تباين ما بين المنفقين وقرأ الجمهور من قبل الفتح وزيد بن علي قبل بغير من والفتح فتح مكة وهو المشهور وقول قتادة وزيد بن اسلم ومجاهد وقال ابو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقد تقدم في سورة الفتح كونه فتحا ورفعه ابو سعيد الى النبي صلى الله عليه وسلم انه افضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية والظاهر ان من فاعل لا يستوي وحذف مقابله وهو ومن انفق من بعد الفتح وقاتل لوضوح المعنى واولئك اي الذين انفقوا قبل الفتح وقبل انتشار الاسلام وفشوه واستيلاء المسلمين على ام القرى وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين جاء في حقهم قوله عليه السلام لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وابعد من ذهب الى ان الفاعل بلا يستوي ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي هو اي الانفاق اي جنسه اذ منه ما هو قبل الفتح وبعده ومن انفق مبتدا واولئك مبتدا خبره ما بعده والجملة في موضع خبر من وهذا فيه تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر لغير موجب وحذف المعطوف لدلالة المقابل كثير فاش لا سيما المعطوف الذي يقتضيه

وضع الفعل وهو يستوي وقرأ الجمهور وكلًّا بالنصب وهو المفعول الأول لوعد وقرأ ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادرائي وكلٌّ بالرفع والظاهر أنه مبتدأ والجملة بعده في موضع الخبر وقد أجاز ذلك الفراء وهشام وورد في السبعة فوجب قبوله وإن كان غيرهما من النحاة قد خص حذف الضمير الذي حذف من مثل وعد بالضرورة وقال الشاعر

وخالد يحمد ساداتنا بالحق لا يحمد بالباطل

يريد يحمده ساداتنا وفي بعضهم من جعل وعد خبرًا فقال كلٌّ خبر مبتدأ تقديره وأولئك كلٌّ وعد صفة وحذف الضمير المنصوب من الجملة الواقعة صفة أكثر من حذفه منها إذا كانت خبرًا نحو قوله

وما أدري أغيّرهم تناءٍ وطول العهد أم مالٌ أصابوا

يريد أصابوه فأصابوه صفة لمال وقد حذف الضمير العائد على الموصوف والحسنى تأنيث الأحسن وفسر مجاهد وقتادة بالجنة والوعد يتضمن ذلك في الآخرة والنصر والغنيمة في الدنيا والله بما تعملون خبير فيه وعد ووعيد وتقدم الكلام على مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له إعرابًا وقراءة وتفسيرًا في سورة البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع يعني في يضاعفه على العطف أو على القطع والاستئناف وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال أبو علي يعني الفارسي لأن السؤال لم يقع على القرض وإنما وقع السؤال عن فاعل القرض وإنما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة يعني من القراء حملت ذلك على المعنى كأن قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة أن لو قال أيقرض الله أحد فيضاعفه انتهى وهذا الذي ذهب إليه أبو علي من أنه إنما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه ليس بصحيح بل يجوز إذا كان الاستفهام بأدواته الاسمية نحو من يدعوني فأستجيب له وأين بيتك فأزورك ومتى تسير فأرافقك وكيف تكون فأصحبك فالاستفهام هنا واقع عن ذات الداعي وعن ظرف المكان وظرف الزمان والحال لا عن الفعل وحكى ابن كيسان عن العرب أين ذهب زيد فنتبعه وكذلك كم مالك فنعرفه ومن أبوك فنكرمه بالنصب بعد الفاء وقراءة فيضاعفه بالنصب قراءة متواترة والفعل وقع صلة للذي والذي صفة لذا وذا خبر لمن وإذا أجاز النصب في نحو هذا فجوازه في المثل السابقة أحرى مع أن سماع ابن كيسان ذلك محكيا عن العرب يؤيد ذلك والظاهر أن قوله وله أجر كريم هو زيادة على التضعيف المترتب على القرض أي وله مع التضعيف أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم

قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين

فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير العامل في يوم ما تعلق به لهم التقدير ويستقر لهم أجر كريم يوم ترى أو اذكر يوم ترى إعظاما لذلك اليوم والرؤية هنا رؤية عين والنور حقيقة وهو قول الجمهور وروي في ذلك عن ابن عباس وغيره آثار وأن كل مظهر للإيمان له نور فيطفأ نور المنافق ويبقى نور المؤمن وهم متفاوتون في النور منهم من يضيء كما بين مكة وصنعاء ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم من يضيء له ما قرب من قدميه ومنهم من يهم بالانطفاء مرة ويبين مرة وذلك على قدر الأعمال وقال الضحاك النور استعارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه والظاهر أن النور يتقدم لهم بين أيديهم ويكون أيضا بأيمانهم فيظهر أنهما نوران نور ساعٍ بين أيديهم ونور بأيمانهم فذلك يضيء الجهة التي يؤمونها وهذا يضيء ما حواليهم من الجهات وقال الجمهور النور أصله بأيمانهم والذي بين أيديهم هو الضوء المنبسط من ذلك النور وقيل الباء بمعنى عن أي عن أيمانهم والمعنى في جميع جهاتهم وعبر عن ذلك بالأيمان تشريفا لها وقال الزمخشري وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم وقرأ الجمهور وبأيمانهم جمع يمين وسهل ابن شعيب السهمي وأبو حيوة بكسر الهمزة وعطف هذا المصدر على الظرف لأن الظرف متعلق بمحذوف أي كائنا بين أيديهم وكائنا بسبب إيمانهم بشراكم اليوم جنات جملة معمولة لقول محذوف أي تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم جنات أي دخول جنات قال ابن عطية خالدين فيها إلى آخر الآية مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولا مخاطبة هنا بل هذا من باب الالتفات من ضمير الخطاب في بشراكم إلى ضمير الغيبة في خالدين ولو جرى على الخطاب لكان التركيب خالدًا أنتم فيها والالتفات من فنون البيان يوم يقول بدل من يوم ترى وقيل معمول لاذكر قال ابن عطية ويظهر لي أن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ويجيء معنى الفوز أفخم كأنه يقول إن المؤمنين يفوزون يوم يعتري المنافقين كذا وكذا لأن ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده أبدع وأفخم انتهى فظاهر كلامه وتقديره أن يوم منصوب بالفوز وهو لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ متعلقاته فلا يجوز إعماله فلو أعمل وصفه وهو العظيم لجاز أي الفوز الذي عظم أي قدره يوم يقول انظرونا أي انتظرونا لأنهم لما سبقوكم إلى المرور على الصراط وقد طفئت أنوارهم قالوا ذلك وقال الزمخشري انظرونا انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به انتهى فجعل انظرونا بمعنى انظروا إلينا وإنما يتعدى النظر هذا في لسان العرب بإلى لا بنفسه وإنما وجد متعديا بنفسه في الشعر وقرأ زيد بن علي وابن وثاب والأعمش وطلحة وحمزة أنظرونا من أنظر رباعيا أي أخرونا أي اجعلونا في آخركم ولا تسبقونا بحيث

ثم

التهجي

تفوتونا ولا تلحقونا بكم نقتبس من نوركم اي نصب منه حتى نستضيء به يقال اقتبس
الرجل واستقبس اخذ من نار غيره قبسا قيل ارجعوا وراءكم القائل المؤمنون او الملائكة
والظاهر ان وراءكم معمول لارجعوا وقيل لا محل له من الاعراب لانه بمعنى ارجعوا
فكانه قيل ارجعوا ارجعوا كقولهم وراءك اوسع لك اي ارجع تجد مكانا اوسع لك
وارجعوا امر توبيخ وطرد اي ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوه هنالك
او ارجعوا الى الدنيا والتمسوا نورا اي بتحصيل سببه وهو الايمان او تنحوا عنا فالتمسوا
نورا غير هذا فلا سبيل لكم الى الاقتباس منه وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو اقناط
لهم فضرب بينهم اي بين المؤمنين والمنافقين بسور بحاجز قال ابن زيد هو الاعراف
وقيل حاجز غيره وقرأ الجمهور فضرب مبنيا للمفعول وزيد بن علي وعبيد بن عمير مبنيا
للفاعل اي الله ويبعد قول من قال ان هذا السور هو الجدار الشرقي من بيت المقدس
وهو مروي عن عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار
ولعله لا يصح عنهم والسور هو الحاجز الدائر على المدينة للحفظ من عدو والظاهر
في باطنه ان يعود الضمير منه على الباب لقربه وقيل على السور وباطنه الشق
الذي لاهل الجنة وظاهره يدانيه من قبله من جهة العذاب ينادونهم استيناف
اخبار اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم اي في الظاهر قالوا بلى
اي كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم اي عرضتم انفسكم للفتنة بنفاقكم وتربصتم
اي بايمانكم حتى وافيتم على الكفر او تربصتم بالمؤمنين الدوائر قاله قتادة
وارتبتم شككتم في امر الدين وغرتكم الاماني وهو الاطماع مثل قولهم سيهلك
محمد هذا العام سيهزمه قبيلة قريش ستأخذه الاحزاب الى غير ذلك
او طول الآمال في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت على النفاق والغرور
الشيطان باجماع وقرأ سماك بن حرب الغرور وتقدم ذلك فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية ايها المنافقون والناصب لليوم الفعل المنفي بلا وفيه حجة على
من منع ذلك ولا من الذين كفروا في الحديث ان الله تعالى يقرر الكافر فيقول له
ارايتك لو كان لك اضعاف الدنيا اكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار
فيقول نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى قد سألتك ما هو ايسر من ذلك
وانت في ظهر ابيك آدم ان لا تشرك بي فابيت الا الاشراك وقرأ الجمهور لا يؤخذ
بالياء وابو جعفر والحسن وابن ابي اسحق والاعرج وابن عامر وهارون عن
ابي عمرو بالتاء لتانيث الفدية هي مولاكم قيل اولى بكم وهذا تفسير معنى وكانت
مولاكم من حيث انها تضمكم وتباشركم وهي تكون لكم مكان المولى ونحوه ٥
قول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع ٥ وقال الزمخشري
ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات
ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا
بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار ٥ الم يان
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم

قوله عز وجل الم يان للذين آمنوا

فاسقون

فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر
كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ٥ عن عبد الله ملت الصحابة ملة فنزلت
الم يان ٥ وعن ابن عباس عوتبوا بعد ثلث عشرة سنة وقيل كثر المزاح في بعض
شباب الصحابة فنزلت وقرأ الجمهور الم والحسن وابو السمال الما وللجمهور يان
مضارع اني حان والحسن يئن مضارع آن حان ايضا والمعنى قرب وقت الشيء
ان تخشع تطمئن وتخبت وهو من عمل القلب ويظهر في الجوارح وفي الحديث اول
ما يرفع من الناس الخشوع لذكر الله اي لاجل ذكر الله كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
قيل ولتذكير الله اياهم وقرأ الجمهور وما نزل مشددا ونافع وحفص مخففا والجحدري
وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية يونس وعباس عنه مبنيا للمفعول مشددا
وعبد الله انزل بهمزة النقل مبنيا للفاعل والجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة عطفا
على ان تخشع وابو حيوة وابن ابي عبلة واسمعيل عن ابي جعفر وعن شيبة
ويعقوب وحمزة في رواية عن سليم عنه ولا تكونوا على سبيل الالتفات اما نهيا
واما عطفا على ان تخشع كالذين اوتوا الكتاب من قبل وهم معاصرو موسى عليه السلام
من بني اسرائيل حذر المؤمنون ان يكونوا مثلهم في قساوة القلوب اذ كانوا اذا سمعوا
التوراة رقوا وخشعوا فطال عليهم الامد اي انتظار الفتح او انتظار القيمة
وقيل امد الحيوة وقرأ الجمهور الامد مخفف الدال وهي الغاية من الزمان وابن كثير
بشدها وهو الزمان بعينه الاطول فقست قلوبهم صلبت بحيث لا تنفعل للخير
والطاعة يحيي الارض بعد موتها يظهر انه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتأثير
ذكر الله فيها كما يؤثر الغيث في الارض فتعود بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود
القلوب النافرة مقبلة يظهر فيها اثر الطاعات والخشوع وقرأ الجمهور
المصدقين والمصدقات بشد صاديهما وابن كثير وابو بكر والمفضل وابان
وابو عمرو في رواية هرون بخفهما وابي بتاء قبل الصاد فيهما وقراءة
الجمهور من الصدقة والخف من التصديق صدقوا رسول الله فيما بلغ عن الله
قال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى
الفعل من المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه
قال ان الذين اصدقوا واقرضوا انتهى واتبع في ذلك ابا علي الفارسي ولا يصح
ان يكون معطوفا على المصدقين لان المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما
بمعطوف وهو قوله والمصدقات ولا يصح ايضا ان يكون معطوفا على صلة ال
في المصدقات لاختلاف الضمائر اذ ضمير المصدقات مؤنث وضمير واقرضوا مذكر

فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه كأنه قيل والذين أقرضوا فيكون
مثل **قال الشاعر**

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

يريد ومن يمدحه وصديق من أبنية المبالغة قال الزجاج ولا يكون فيما أحفظ
إلا من ثلاثي وقيل يجيء من غير الثلاثي كمسيك وليس بشيء لأنه يقال مسك وأمسك
فمسيك من مسك والشهداء الظاهر أنه مبتدأ خبره ما بعده فيقف على الصديقون
وإن شئت وهو من عطف الجمل وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحاك إن الكلام
تام في قوله الصديقون واختلف هؤلاء فبعض قال الشهداء هم الأنبياء يشهدون
للمؤمنين بالصديقية كقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية وبعض قال
هم الشهداء في سبيل الله استأنف الخبر عنهم فكأنه جعلهم صنفا مذكورا وحده
لعظم أجرهم وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة والشهداء معطوف على الصديقون
والكلام متصل يعنون من عطف المفردات فبعض قال جعل الله كل مؤمن صديقا
وشهيدا قاله مجاهد وفي الحديث من رواية البراء مؤمنوا أمتي شهداء وإنما ذكر
الشهداء السبعة تشريفا لهم لأنهم في أعلى رتب الشهادة كما خص المقتول
في سبيل الله من السبعة بتشريف ينفرد به وبعض قال وصفهم بالصديقية
والشهادة من قوله لتكونوا شهداء على الناس لهم أجرهم خبر عن الشهداء فقط
أو عن من جمع بين الوصفين على اختلاف القولين والظاهر في نورهم أنه
حقيقة وقال مجاهد وغيره عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى اعلموا أنما
الحيوة الدنيا لعب أخبر بغالب أمرها من اشتمالها على أشياء لا تدوم ولا تجدي
وأما ما كان من الطاعات وضروري ما يقوم به الأود فليس مندرجا في هذه
الآية لعب ولهو كحالة المترفين من الملوك وزينة تحسين لما هو خارج عن ذات
الشيء وتفاخر بينكم **قراءة** الجمهور بالتنوين والنصب ونصب بينكم والسلمي
بالإضافة وتكاثر بالعدد والعدد على عادة الجاهلية وهذه كلها محقرة
بخلاف أمر الآخرة فإنها مشتملة على أمور حقيقية عظام قال الزمخشري وشبه
تعالى حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث
فاستوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم فبعث عليه
العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب
الجنة وصاحب الجنتين انتهى وقال ابن عطية كمثل في موضع رفع صفة
لما تقدم وصورة هذا المثال أن الإنسان ينشأ في حجر مملكته فما دون
ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم يأخذ بعد ذلك
في انحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت
ويضمحل أمره وتصير أمواله لغيره وتتغير رسومه فأمره مثل مطر أصاب أرضا
فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق ثم هاج أي يبس واصفر ثم تحطم
ثم تفرق بالرياح واضمحل انتهى وقيل الكفار الزراع من كفر الحب أي ستره في
الأرض وخصوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب

قوله عز وجل سابقوا إلى مغفرة

حقيقة وقيل من الكفر بالله لأنهم أشد تعظيما للدنيا وإعجابا بمحاسنها وحطاما بناء
مبالغة كعجاب **وقرئ** مصفارا ولما ذكر ما يؤول إليه أمر الدنيا من الفناء ذكر
ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من العذاب الشديد ومن رضاه الذي هو سبب النعيم
سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا
بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من
مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله
يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز لما ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة أمر بالمسا
إليها والمعنى سابقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان وعمل الطاعات وقد مثل
بعضهم المسابقة في أنواع فقال عبد الله كونوا في أول صف في القتال وقال
أنس اشهدوا تكبيرة الإحرام مع الإمام وقال علي كن أول داخل المسجد وآخر
خارج واستدل بهذا السبق على أن أول الأوقات في الصلوات أفضل وجاء لفظ
سابقوا كأنهم في مضمار يجرون إلى غاية مسابقين إليها عرضها أي مساحتها
في السعة كما قال فذو دعاء عريض أو العرض خلاف الطول فإذا وصف
العرض بالبسطة عرف أن الطول أبسط وأمد أعدت يدل على أنها مخلوقة
وتكرر ذلك في القرآن ويقوي ذلك والسنة ناصة على ذلك وذلك يرد على المعتزلة
في قولهم إنها الآن غير مخلوقة وستخلق ذلك أي الموعود من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون ما أصاب من مصيبة أي
مصيبة وذكر فعلها وهو جائز التذكير والتأنيث ومن التأنيث ما تسبق من
أمة أجلها ولفظ مصيبة يدل على الشر لأن عرفها ذلك قال ابن عباس ما
معناه أنه أراد عرف المصيبة وهو استعمالها في الشر وخصصها بالذكر لأنها
أهم على البشر والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع
وفي الأنفس الأسقام والموت وقيل المراد بالمصيبة الحوادث كلها من خير
وشر إلا في كتاب هو اللوح المحفوظ أي مكتوبة فيه من قبل أن نبرأها أي
نخلقها وبرأ خلق والضمير في نبرأها الظاهر أنه يعود على المصيبة لأنها هي
المحدث عنها وذكر الأرض والأنفس هو على سبيل ذكر محل المصيبة وقيل يعود
على الأرض وقيل على الأنفس قاله ابن عباس وقتادة وجماعة وذكر المهدوي
جواز عود الضمير على جميع ما ذكر قال ابن عطية وهي كلها معان صحاح لأن
الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها انتهى إن ذلك أي تحصيل كل ما ذكر في
كتاب وتقديره على الله يسير أي سهل وإن كان عسيرا على العباد ثم بين تعالى
الحكمة في إعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك وسبق قضائه به
فقال لكيلا تأسوا أي تحزنوا على ما فاتكم لأن العبد إذا علم ذلك سلم

يفة

وعلم ان ما فاته لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطئه فلذلك لا يحزن على
فائت لانه ليس بصدد ان ينال له ولا يفرح بآت لانه ليس بصدد ان يفوته
فهون عليه امر حوادث الدنيا بذلك اذ قد وطن نفسه على هذه العقيدة ويظهر
ان المراد بقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ان يلحق الحزن الشديد على ما فات
من الخير فيحدث عنه التسخط وعدم الرضى بالمقدور ولا تفرحوا بما آتاكم ان يفرح
الفرح المؤدي الى البطر المنهي عنه في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
فان الحزن قد نهينا عنه والبطر ولذلك ختم بقوله ان الله لا يحب كل مختال
فخور فالفرح بما نال له من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر
على الناس فمثل هذا هو المنهي عنه واما الحزن على ما فات من طاعة الله
والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع فهو مندوب اليه وقال ابن عباس
ليس احد الا يفرح ويحزن ولكن من اصابته مصيبة فجعلها صبرا ومن اصاب خيرا
فجعله شكرا انتهى يعني هو المحمود وقال الزمخشري **فان قلت** فلا احد يملك
نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح **قلت**
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء
ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد
الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر
فلا بأس به انتهى **وقرأ** الجمهور بما آتاكم اي اعطاكم وعبد الله اوتيتم مبنيا
للمفعول اي اعطيتم وابو عمرو اتاكم اي جاءكم الذين يبخلون اي هم الذين يبخلون
او يكون الذين مبتدأ محذوف الخبر على جهة الابهام تقديره مذمومون او موعدون
بالعذاب او مستغنى عنهم او على اضمار يعني اعني فهو في موضع نصب او في موضع
نصب صفة لكل مختال وان كان نكرة فهو مخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه
بالمعرفة قال ابن عطية هذا مذهب الاخفش انتهى عظمت الدنيا في اعينهم
فبخلوا ان يؤدوا منها حقوق الله وما كفاهم ذلك حتى امروا الناس بالبخل
ورغبوهم في الامساك والظاهر انهم امروا الناس حقيقة وقيل كانوا قدوة
فيهم فكانهم يامرونهم به ومن يتول عما امر الله به **وقرأ** الجمهور فان الله هو
وقرأ نافع وابن عامر باسقاط هو وكذا في مصاحف المدينة والشام
وكلتا القراءتين متواترة فمن اثبت هو فقال ابو علي الفارسي يحسن ان يكون
فصلا قال ولا يحسن ان يكون ابتداء لان حذف الابتداء غير سائغ يعني انه
في القراءة الاخرى حذف ولو كان مبتدأ لم يجز حذفه لانك اذا قلت ان
زيدا هو الفاضل فاعربت هو مبتدأ لم يجز حذفه لان ما بعده من قولك الفاضل
صالح ان يكون خبرا لان فلا يبقى دليل على حذفه هو الرابط ونظيره الذين هم
يراؤون لا يجوز حذف هم لان ما بعده يصلح ان يكون صلة فلا يبقى دليل
على المحذوف وما ذهب اليه ابو علي ليس بشيء لانه بنى ذلك على توافق
القراءتين وتركيب احداهما على الاخرى وليس كذلك الا ترى انه يكون قرآنان
في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الآخر كقراءة من قرأ والله اعلم بما وضعت

بضم

بضم التاء والقراءة الاخرى بما وضعت بتاء التأنيث فضم التاء يقتضي ان الجملة
من كلام ام مريم وتاء التأنيث يقتضي انها من كلام الله تعالى وهذا كثير في
القراءات المتواترة فكذلك هذا يجوز ان يكون هو مبتدأ في قراءة من اثبته وان كان
لم يرد في القراءة الاخرى ولكل من التركيبين في الاعراب حكم يخصه لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات الظاهر ان الرسل هنا هم من بني آدم وان البينات الحجج والمعجزات وانزلنا
معهم الكتاب الكتاب اسم جنس ومعهم حال مقدرة اي وانزلنا الكتاب صائرا معهم
اي مقدرا صحبته لهم لان الرسل منزل بهم والكتاب ولما اشكل لفظ معهم على
الزمخشري فسر الرسل بغير ما فسرناه فقال لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى
الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي
ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد
قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء
والملح انتهى واكثر المتاولين على ان المراد بالميزان العدل فقال ابن زيد وغيره اراد
الموازين المصرفة بين الناس وهذا جزء من العدل ليقوم الناس بالقسط الظاهر
انه علة لانزال الميزان فقط ويجوز ان يكون علة لانزال الكتاب والميزان معا
لان القسط هو العدل في جميع الاشيا من سائر التكاليف فانه لا جور في شيء منها
ولذلك جاء شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
وانزلنا الحديد عبر عن ايجاده بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام وايضا
فان الامر يكون الاشيا لما تلقى من السماء جعل الكل نزولا منها قال ابن عطية وقال
الجمهور اراد بالحديد جنسه من المعادن وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة
ونزل معه السندان والكلبتان والميقعة فيه بأس شديد اي السلاح الذي
يباس به القتال ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة
الا والحديد آلة فيها وليعلم الله علة لانزال الكتاب والميزان والحديد من ينصره ورسله
بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتب المنزلة وباقامة العدل وبما يعمل من آلة
الحرب للجهاد في سبيل الله قال ابن عطية اي ليعلمه موجودا فالتغير ليس في
علم الله بل في هذا الحدث الذي خرج من العدم الى الوجود وقوله بالغيب
معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام الادلة عليها ولما
قال تعالى من ينصره ورسله ذكر تعالى انه غني عن نصرته بقدرته وعزته وانه
انما كلفهم الجهاد لمنفعة انفسهم وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب وقال
ابن عطية ويترتب معنى الآية بان الله تعالى اخبر بانه ارسل رسله وانزل
كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عاند ولم يهتد بهدي الله فلم يبق عذر
وفي الآية على هذا التاويل حض على القتال ٥ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه

تعالى ح

قوله عزوجل ولقد ارسلنا

رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما
رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم
نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
لما ذكر تعالى ارسال الرسل جملة افرد منهم في الاية نوحا وابراهيم تشريفا لهما بالذكر
بالذكر اما نوح فلانه اول الرسل الى من في الارض واما ابراهيم فلانه انتسب اليه
اكثر الانبياء وهو معظم في كل الشرائع ثم ذكر شرف ما حصل لذريتهما وذلك
النبوة وهي التي بها هدى الناس من الضلال والكتاب وهي الكتب الالهية
الاربعة التوراة والزبور والانجيل والقرآن وهي جميعها في ذرية ابراهيم
عليه السلام وابراهيم من ذرية نوح فصدق انها في ذريتهما وفي مصحف
عبد الله والنبية مكتوبة بالياء عوض الواو وقال ابن عباس والكتاب
الخط بالقلم والظاهر ان الضمير في منهم عائد على الذرية وقيل يعود الى
المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال والمرسلين عليهم ومع ارسال الرسل
وانزال الكتب وازاحة العلل بذلك انقسموا الى مهتد وفاسق واخبر بالفسق
عن الكثير منهم ثم قفينا اي اتبعنا وجعلناهم يقفون من تقدم على آثارهم اي آثار
الذرية برسلنا وهم الرسل الذين جاؤوا بعد الذرية وقفينا بعيسى ذكر تشريفا
له ولانتشار امته ونسبه لامه على العادة في الاخبار عنه وتقدم قراءة
الحسن الانجيل بفتح الهمزة في اول سورة آل عمران قال ابو الفتح وهو مثال
لا نظير له انتهى وهي لفظة اعجمية فلا يلزم فيها ان تكون على ابنية كلام العرب
وقال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل يعني انه بفتح الباء وكانه عربي
واما الانجيل فاعجمي وقرئ رآفة على وزن فعالة وجعلنا يحتمل ان يكون
المعنى وخلقنا كقوله وجعل الظلمات والنور ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا
فيكون في قلوب في موضع المفعول الثاني لجعلنا ورهبانية معطوف على ما
قبله فهي داخلة في الجعل ابتدعوها جملة في موضع الصفة لرهبانية وخصت
الرهبانية بالابتداع لان الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان
فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع
للتكسب قال قتادة الرأفة والرحمة من الله والرهبانية هم ابتدعوها
والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن واتخاذ الصوامع
وجعل ابو علي الفارسي ورهبانية منقطعة من العطف على ما قبلها من رأفة
ورحمة فانتصب عنده ورهبانية على اضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب
الاشتغال اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه الزمخشري فقال
وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها انتهى وهذا اعراب المعتزلة
وكان ابو علي معتزليا وهم يقولون ما كان مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد

فالرأفة

فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداع الانسان فهي مخلوقة
له وهذا الاعراب الذي لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية لان مثل
هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ورهبانية
لانها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة وروي في ابتداعهم
الرهبانية انهم افترقوا ثلاث فرق ففرقة قاتلت الملوك على الدين فغلبت
وقتلت وفرقة قعدت في المدن يدعون الى الدين ويبينونه ولم تقاتل فاخذها
الملوك ينشرونهم بالمناشير وقتلوا وفرقة خرجت الى الفيافي وبنت الصوامع
والديارات وطلبت ان تسلم على ان تعتزل فتركت والرهبانية معناها
الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف بني فعلان من رهب كالخشيان من خشي
وقرئ ورهبانية بالضم قال الزمخشري كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع
راهب كراكب وركبان انتهى والاولى ان يكون منسوبا الى رهبان وغير
بضم الراء لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الى رهبان الجمع لرد الى
مفرده فكان يقال راهبية الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه على لفظه
كالانصار والظاهر ان الا ابتغاء رضوان الله استثناء متصل مما هو مفعول
من اجله وصار المعنى انه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته وهذا قول مجاهد
ويكون كتب بمعنى قضى وقال قتادة وجماعة المعنى لم يفرضها عليهم
ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله فالاستثناء على هذا منقطع اي
لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان الله والظاهر ان الضمير في رعوها عائد
على ما عاد عليه في ابتدعوها وهو ضمير الذين ابتدعوه اي لم يرعوها كما يجب
على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه وقال نحوه
ابن زيد قال لم يدوموا على ذلك ولا وفوه حقه بل غيروا وبدلوا وعلى تقديرات
فيهم من رعى يكون المعنى كما رعوها باجمعهم وقال ابن عباس وغيره الضمير
للملوك الذين حاربوهم واجلوهم وقال الضحاك وغيره الضمير للاخلاف
الذين جاؤوا بعد المبتدعين لها فآتينا الذين آمنوا وهم اهل الرأفة والرحمة
الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يحافظوا على
نذورهم او فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم
فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا الظاهر انه نداء لمن آمن
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمعنى دوموا واثبتوا وهكذا المعنى في كل امر
يكون المأمور ملتبسا بما امر به يؤتكم كفلين قال ابو موسى الاشعري كفلين
ضعفين بلسان الحبشة انتهى والمعنى انه يؤتكم مثل ما وعد من آمن من اهل
الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين اذ انتم مثلهم
في الايمانين لا يفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا
على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت
وقيل النداء متوجه لمن آمن من اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى
وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته وذلك لايمانكم بمحمد

ايمانكم بمن قبله من الرسل ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي ويؤيد هذا المعنى ما ثبت في الصحيح ثلاثة يؤتيهم الله اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي الحديث ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضل من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان الندا للمومنين من هذه الامة وان الامر لهم فروي انه لما نزل هذا الوعد لهم حسدهم اهل الكتاب وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وتزعم انهم احبا الله واهل رضوانه فنزلت هذه الآية معلمة ان الله فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون وقرا الجمهور لئلا يعلم ولا زائدة كهي في قوله ما منعك ان لا تسجد وفي قوله انهم لا يرجعون في بعض التاويلات وقرا خطاب بن عبد الله لان يعلم وعبد الله وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة على اختلاف ليعلم والجحدري ليتعلم اصله لين يعلم قلب الهمزة يا لكسرة ما قبلها وادغم النون في اليا بغير غنة كقراة خلف ان يضرب بغير غنة وروي ابن مجاهد عن الحسن ليلا مثل ليلى اسم المراة يعلم برفع الميم اصله لان لا بفتح لام الجر وهي لغة فحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمعت الامثال وثقل النطق بها فابدلوا من الساكنة يا فصار ليلا ورفع الميم لان ان هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع اذ الاصل لانه لا يعلم وقطرب عن الحسن ايضا ليلا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله الا انه كسر اللام على اللغة الشهيرة في لام الجر وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله وابن جبير وعكرمة لكي يعلم وقرا الجمهور ان لا يقدرون بالنون فان هي المخففة من الثقيلة وعبد الله بحذفها فان الناصبة للمضارع ۵ فسح في المجلس وتسع لغير ۵

۵ سورة المجادلة ۵

بسم الله الرحمن الرحيم ۵ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتومنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شي عليم ۵ هذه السورة

مدنية

مدنية قال الكلبي الا قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وعن عطا العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقرا الجمهور قد سمع بالبيان وابو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن بالادغام قال خلف بن هشام البزار سمعت الكسائي يقول من قرا قد سمع فبين الدال عند السين فلسانه اعجمي ليس بعربي ولا يلتفت الى هذا القول فالجمهور على البيان والتي تجادل خولة بنت ثعلبة ويقال بالتصغير او خولة بنت خويلد او خولة بنت حكيم او خولة بنت دليج او جميلة او خولة بنت الصامت اقوال للسلف واكثر الرواة على ان الزوج في هذه النازلة اوس ابن الصامت اخو عبادة وقيل سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته اوس قالت تزوجني رسول الله اكل اوس شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال لها ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزل الوحي عند جدالها قالت عايشة سبحان من وسع سمعه الاصوات كان بعض كلام خولة يخفى علي وسمع الله جدالها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوس وعرض عليه كفارة الظهار العتق فقال ما املك والصوم فقال ما اقدر والاطعام فقال لا اجد الا ان تعينني فاعانه عليه السلام بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام وامسك اهله وكان عمر يكرم خولة اذا دخلت عليه ويقول قد سمع الله لها قال الزمخشري معنى قد التوقع لانه عليه السلام والمجادلة كانا متوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها انتهى وقرا الحرميان وابو عمرو يظهرون بشدهما والاخوان وابن عامر يظاهرون مضارع اظاهر والحسن وابو جعفر وقتادة وعاصم وزيد بن علي يظاهرون مضارع ظاهر وابي يتظاهرون مضارع تظاهر وعنه يتظهرون مضارع تظهر والمراد به كله الظهار وهو قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يريد في التحريم كانه اشارة الى الركوب اذ عرفه في ظهور الحيوان والمعنى انه لا يعلوها كما لا يعلوا امه ولذلك تقول العرب في مقابلة ذلك نزلت عن امراتي اي طلقتها وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرا الجمهور امهاتهم بالنصب على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود بامهاتهم بزيادة الباء قال الزمخشري في لغة من ينصب انتهى يعني انه لا تزاد الباء في لغة تميم وهذا ليس بشي وقد رد ذلك على الزمخشري وزيادة الباء في مثل ما زيد بقائم كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك ابا علي الفارسي ولما كان معنى كظهر امي كامي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر الذي هو من الجسد جاء النفي بقوله ما هن امهاتهم ثم اكد ذلك بقوله ان امهاتهم حقيقة الا اللائي ولدنهم والحق بهن في التحريم امهات الرضاع وامهات المومنين ازواج الرسول

عليه السلام والزوجات ليس بأمهات حقيقة ولا ملحقات بهن فقول المظاهر
منكر من القول ينكره الحقيقة وينكره الشرع وزور كذب باطل منحرف عن الحق
وهو محرم تحريم المكروهات جدا وإذا وقع لزم وقد رجى تعالى بعده بقوله
بأنه عفو غفور مع الكفارة وقال الزمخشري وإن الله لعفو غفور لما سلف
منه إذا تاب عنه ولم يعد إليه انتهى وهي نزعة اعتزالية والظاهر أن الظهار
لا يكون إلا بالأم وحدها فلو قال أنت علي كظهر أختي أو ابنتي لم يكن ظهارا وهو
قول قتادة والشعبي وداود ورواية أبي ثور عن الشافعي وقال الجمهور الحسن
والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك والشافعي في قول
هو ظهار والظاهر أن الذمي لا يلزمه ظهاره لقوله منكم أي من المؤمنين وبه
قال أبو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهاره والظاهر أن قوله من نسائهم
يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات لا من ظاهر منها قبل عقد نكاحها
وبه قال أبو حنيفة والشافعي لكونها ليست من نسائه وقال مالك يلزم
ظهاره إذا نكحها ويصح من المطلقة الرجعية وقال المزني لا يصح وقال
بعض العلماء لا يصح ظهار غير المدخول بها ولو ظاهر من أمته التي يجوز له وطيها
لزمه عند مالك وقال أبو حنيفة والشافعي لا يلزم وسبب الخلاف هو هل
تندرج في نسائهم أم لا والظاهر صحة ظهار العبد لدخوله في يظاهرون منكم
لأنه من جملة المسلمين وإن تعذر منه العتق والإطعام فهو قادر على الصوم
وحكى الثعلبي عن مالك أنه لا يصح ظهاره وليست المرأة مندرجة في الذين
يظاهرون فلو ظاهرت من زوجها لم يكن شيئا وقال الحسن بن زياد تكون مظاهرة
وقال الأوزاعي وعطاء وإسحاق وأبو يوسف إذا قالت لزوجها أنت علي كظهر
فلانة فهي يمين تكفرها وقال الزهري أرى أن تكفر كفارة الظهار ولا
يحول قولها هذا بينها وبين زوجها أن يصيبها والظاهر أن قوله ثم يعودون
لما قالوا أن يعودوا اللفظ الذي سبق منهم وهو قول الرجل ثانيا أنت مني
كظهر أمي فلا تلزم الكفارة بالقول الأول وإنما تلزم بالثاني وهذا مذهب
أهل الظاهر وروي أيضا عن بكير بن عبد الله بن الأشج وأبي العالية وأبي حنيفة
وهو قول الفراء وقال طاووس وقتادة والزهري والحسن ومالك وجماعة
لما قالوا أي للوطء والمعنى لما قالوا إنهم لا يعودون إليه فإذا ظاهر ثم وطئ
فحينئذ تلزمه الكفارة وإن طلق أو مات وقال أبو حنيفة ومالك
أيضا والشافعي وجماعة معناه يعودون لما قالوا بالعزم على الإمساك
والوطء فمتى عزم على ذلك لزمته الكفارة طلق أو مات قال
الشافعي العود الموجب للكفارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي
بعده زمان يمكن أن يطلقها فيه فلا يطلق وقال قوم المعنى والذين
يظاهرون من نسائهم في الجاهلية أي كان الظهار عادتهم ثم يعودون إلى
ذلك في الإسلام وقال القتبي وقال الأخفش فيه تقديم وتأخير
والتقدير فتحرير رقبة لما قالوا وهذا قول ليس بشيء لأنه يفسد نظم الآية

فتحرير رقبة أي فعليهم تحرير رقبة والظاهر أنه يجزي مطلق رقبة فيجزي
الكافرة وقال مالك والشافعي شرطها الإسلام كالرقبة في كفارة القتل
والظاهر إجزاء المكاتب لأنه عبد ما بقي عليه درهم وبه قال أبو حنيفة
وأصحابه وإن عتق نصفي عبدين لا يجزي وقال الشافعي يجزي من قبل أن
يتماسا لا يجوز للمظاهر أن يطأ حتى يكفر فإن فعل عصى ولا يسقط عنه التكفير
وقال مجاهد تلزمه كفارة أخرى وقيل تسقط الكفارة الواجبة عليه
ولا يلزمه شيء وحديث أوس بن الصامت يرد على هذا القول وسواء كانت
الكفارة بالعتق أم الصوم أم الإطعام وقال أبو حنيفة إذا كانت بالإطعام
جاز له أن يطأ ثم يطعم وهو ظاهر قوله فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا
إذ لم يقل فيه من قبل أن يتماسا وقيد ذلك في العتق والصوم والظاهر
في التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما قبلة أو مضاجعة أو غير ذلك من وجوه
الاستمتاع وهو قول مالك وأحد قولي الشافعي وقال الأكثرون هو الوطء
فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير وقاله الحسن والثوري وهو الصحيح
من مذهب الشافعي والضمير في يتماسا عائد على ما دل عليه الكلام من
المظاهر والمظاهر منها ذلكم توعظون به إشارة إلى التحرير أي فعل عظة لكم
لتنتهوا عن الظهار فمن لم يجد أي الرقبة ولا ثمنها أو وجدها أو ثمنها
وكان محتاجا إلى ذلك فقال أبو حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا
إلى ذلك ولا ينتقل إلى الصوم وهو الظاهر وقال الشافعي ينتقل إلى
الصوم والشهران بالأهلة وإن جاء أحدهما ناقصا أو بالعدد لا بالأهلة
فيصوم إلى الهلال ثم شهرا بالهلال ثم يتم الأول بالعدد والظاهر وجوب
التتابع فإن أفطر بغير عذر استأنف أو لعذر من سفر ونحوه فقال ابن المسيب
والحسن وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار والشعبي ومالك والشافعي
في أحد قوليه يبني وقال النخعي وابن جبير والحكم بن عتيبة والثوري
وأصحاب الرأي والشافعي في أحد قوليه والظاهر أن وجد الرقبة
بعد أن شرع في الصوم أنه يصوم ويجزيه وهو مذهب مالك والشافعي
وقال أبو حنيفة وأصحابه يلزمه العتق ولو وطئ في خلال الصوم بطل
التتابع ويستأنف وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي يبطل
إن جامع نهارا لا ليلا فمن لم يستطع أي الصوم لزمانة به أو كونه يضعف
به ضعفا شديدا كما في حديث أوس لما قال له فهل تستطيع أن تصوم
شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله إني إذا لم آكل في اليوم والليلة
ثلاث مرات كل بصري وخشيت أن تعشو عيني والظاهر مطلق الإطعام
وتخصيصه بما كانت العادة في الإطعام وقت النزول وهو ما يشبع
من غير تحديد بمد ومذهب مالك أنه مد وثلث بالمد النبوي وروي
عنه [illegible] مدين بالمد النبوي وقيل مد وثلثا مد وقيل مد بالمد
النبوي ويجب استيعاب العدد ستين عند مالك والشافعي وهو الظاهر

وقال أبو حنيفة وأصحابه لو أطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل
العدد أجزأه ذلك لتؤمنوا قال ابن عطية إشارة إلى الرخصة والتسهيل في
النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام ثم شدد تعالى بقوله وتلك حدود الله
أي فالزموها وقفوا عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي وقال
الزمخشري ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله
ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها
ولا يعملون عليها عذاب أليم انتهى إن الذين يحادون الله ورسوله نزلت
في مشركي قريش أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي من قاتل الرسل من قبلهم
ولما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة
المعادلة والمخالفة في الحدود كبتوا قال قتادة أخزوا وقال
السدي لعنوا قيل وهي لغة مذحج وقال ابن زيد وأبو روق ردوا مخذولين
وقال الفراء غيظوا يوم الخندق كما كبت الذين من قبلهم أي من قاتل الأنبياء
وقيل يوم بدر وقال أبو عبيدة والأخفش أهلكوا وعن أبي عبيدة التاء بدل من
الدال أي كبدوا أصابهم داء في أكبادهم وقيل الذين من قبلهم منافقو الأمم
قيل وكبتوا بمعنى سيكبتون وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبر بالماضي لتحقق
وقوعه وتقدم الكلام في مادة كبت في آل عمران وقد أنزلنا آيات بينات
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين الذين يحادونه
عذاب مهين أي يهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين
أو مهين أو اذكر أو يكون على أنه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء فقيل
له يوم يبعثهم أي يكون يوم يبعثهم الله وانتصب جميعا على الحال أي مجتمعين في صعيد
واحد أو معناه كلهم إذ جميع يحتمل ذينك المعنيين فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا
أحصاه بجميع تفاصيله من كميته وكيفيته وزمانه ومكانه ونسوه لاستحقارهم
إياه واعتقادهم أنه لا يقع عليه حساب شهيد لا يخفى عليه شيء وقرأ الجمهور
ما يكون بالياء وأبو جعفر وأبو حيوة وشيبة بالتاء لتأنيث النجوى قال صاحب
اللوامح وإن شغلت بالجار فهي بمنزلة ما جاءتني من امرأة إلا أن الأكثر في هذا
الباب التذكير على ما في العامة يعني القراءة العامة قال لأنه مسند إلى
من نجوى وهو يقتضي الجنس وذلك مذكر انتهى وليس الأكثر في هذا الباب
التذكير لأن من زائدة فالفعل مسند إلى مؤنث فالأكثر التأنيث وهو القياس قال
تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ما تسبق من أمة أجلها وتكون هنا تامة
ونجوى احتمل أن يكون مصدرا مضافا إلى ثلاثة أي من تناجي ثلاثة أو مصدرا
على حذف مضاف أي من ذوي نجوى أو مصدرا أطلق على الجماعة المتناجين
فثلاثة على هذين التقديرين قال ابن عطية بدل أو صفة وقال
الزمخشري صفة وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال
والعامل يتناجون مضمرة يدل عليه نجوى وقال الزمخشري أو على تأويل

ن
الدال
٢

نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن وقال ابن عيسى كل سرار نجوى وقال ابن سراقة السرار ما كان
بين اثنين والنجوى ما كان بين أكثر قيل نزلت في المنافقين واختص الثلاثة والخمسة
لأن المنافقين كانوا يتناجون على هذين العددين مغايظة لأهل الإيمان والجملة
بعد إلا في المواضع الثلاثة في موضع الحال وكونه تعالى رابعهم وسادسهم ومعهم هو
بالعلم وإدراك ما يتناجون فيه وقال ابن عباس نزلت في ربيعة وحبيب
ابني عمرو وصفوان بن أمية تحدثوا فقال أحدهم أترى الله يعلم ما نقول فقال
الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا فقال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله
ولا أدنى من ذلك إشارة إلى الثلاثة والخمسة والأدنى من الثلاثة الاثنين
ومن الخمسة الأربعة ولا أكثر يدل على ما يلي الستة فصاعدا وقرأ الجمهور ولا أكثر
عطفا على لفظ المخفوض والحسن وابن أبي إسحاق والأعمش وأبو حيوة وسلام ويعقوب
بالرفع عطفا على موضع نجوى إذا أريد به المتناجون ومن جعله مصدرا محضا كان على
حذف مضاف أي ولا نجوى أدنى ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب بإعرابه
ويجوز أن يكون ولا أدنى مبتدأ والخبر إلا هو معهم فهو من عطف الجمل وقرأ الحسن
أيضا ومجاهد والخليل بن أحمد ويعقوب أيضا ولا أكبر بالباء بواحدة والرفع
واحتمل الإعرابين العطف على الموضع والرفع بالابتداء وقرئ ينبئهم بالتخفيف
والهمز وزيد بن علي بالتخفيف وترك الهمز وكسر الهاء والجمهور بالتشديد والهمز وضم
الهاء ۝ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم
والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون
في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا
إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس
بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا إذا قيل
لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين
آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم
تجدوا فإن الله غفور رحيم أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم
تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله
خبير بما تعملون ۝ نزلت ألم تر في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون
المؤمنين وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم موهمين المؤمنين عن
أقربائهم أنهم أصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى يقدم أقرباؤهم فلما كثر ذلك منهم
شكا المؤمنون إلى الرسول فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فنزلت
قاله ابن عباس وقال مجاهد نزلت في اليهود وقال ابن السائب في المنا
وقرأ الجمهور ويتناجون وحمزة وطلحة والأعمش ويحيى بن وثاب ورويس
وينتجون مضارع انتجى بما لم يحيك به الله كانوا يقولون السام عليك وهو الموت
فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لأنبيائه وسلام على عباده الذين اصطفى لولا يعذبنا الله

قوله عز وجل ألم تر إلى الذين

فقين

بما نقول اي ان كان نبيا فما له لا يدعو علينا حتى نعذب بما نقول فقال حسبهم جهنم ثم نهى
المؤمنين ان يكون تناجيهم مثل تناجي الكفار وبدأ بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في
النفوس اذ هي ظلامات العباد ثم ترقى الى ما هو اعظم وهو معصية الرسول وفي هذا
طعن على المنافقين اذ كان تناجيهم في ذلك **وقرأ** الجمهور فلا تتناجوا وادغم ابن محيصن
التاء في التاء **وقرأ** الكوفيون والاعمش وابو حيوة ورويس فلا تنتجوا مضارع انتجى
والجمهور بضم عين العدوان وابو حيوة بكسرها حيث وقع والضحاك ومعصيات الرسول
على الجمع والجمهور على الافراد **وقرأ** عبد الله اذا انتجيتم فلا تنتجوا والنجوى انما النجوى
للعهد في نجوى الكفار بالاثم والعدوان وكونها من الشيطان لانه هو الذي يزينها لهم
فكانها منه ليحزن الذين آمنوا كانوا يوهمون المؤمنين ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم
قتلوا وليس اي التناجي او الشيطان او الحزن بضارهم اي المؤمنين الا باذن الله
اي بمشيئته فيقضي بالقتل او الغلبة وقال ابن زيد هي نجوى قوم من المسلمين يقصدون
مناجاة الرسول وليس لهم حاجة ولا ضرورة يريدون التبجح بذلك فيظن المسلمون
ان ذلك في اخبار بعدو وقاصد نحوهم وقال عطية العوفي نزلت في المناجاة التي
يراها المؤمن في النوم تسوؤه فكانه نجوى يناجي بها انتهى ولا يناسب هذا القول
ما قبل الآية ولا ما بعدها وتقدمت القراءتان في نحو ليحزن **وقرئ** بفتح الياء
والزاي فيكون الذين فاعلا وفي القراءتين مفعولا ولما نهى تعالى المؤمنين عن
ما هو سبب للتباغض والتنافر امرهم بما هو سبب للتواد والتقارب فقال
يا ايها الذين آمنوا الآية قال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون
في مجلس الرسول فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد مجالس
القتال اذا اصطفوا للحرب وقال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان الصحابة يتشاحون
على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة فنزلت **وقرأ** الجمهور
تفسحوا والحسن وداود بن ابي هند وقتادة وعيسى تفاسحوا والجمهور في المجلس
وعاصم وقتادة وعيسى في المجالس وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه والظاهر ان الحكم مطرد في المجالس التي للطاعات وان كان
السبب مجلس الرسول وكذا مجالس العلم ويؤيده قراءة من قرأ في المجالس وقيل الآية مخصوصة
بمجلس الرسول دينا وال الجمع على ان لكل احد مجلسا في بيت الرسول وانجزم يفسح الله على
جواب الامر اي في رحمته او في منازلكم في الجنة او في قبوركم او في قلوبكم او في الدنيا
والآخرة اقوال واذا قيل انشزوا اي انهضوا في المجلس للتفسح لان مريد التوسعة
على الوارد يرتفع الى فوق فيتسع الموضع امروا اولا بالتفسح ثم ثانيا بامتثال الامر فيه
اذا امروا وقال الحسن وقتادة والضحاك معناه اذا دعوا الى قتال او صلاة او طاعة
انهضوا وقيل اذا دعوا الى القيام عن مجلس الرسول انهضوا اذ كان عليه السلام احيانا
يؤثر الانفراد في امر الاسلام **وقرأ** ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن عامر ونافع وحفص
بضم الشين في اللفظين والحسن والاعمش وطلحة وباقي السبعة بكسرها والظاهر
ان قوله والذين اوتوا العلم معطوف على الذين آمنوا والعطف مشعر بالتغاير وهو
من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فالوصفان لذات

واحدة وقال ابن مسعود وغيره تم الكلام عند قوله منكم وانتصب والذين اوتوا العلم
بفعل مضمر تقديره ويخص الذين اوتوا العلم درجات فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات
بين يدي نجواكم استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن عباس وقتادة ان قوما من
المؤمنين واغنياء كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام في غير حاجة الا لتظهر
منزلتهم وكان عليه السلام سمحا لا يرد احدا فنزلت مشددة عليهم امر المناجاة وهذا
الحكم قيل نسخ قبل العمل به وقال قتادة عمل به ساعة من نهار وقال مقاتل
عشرة ايام وقال علي ما عمل به احد غيري اردت المناجاة ولي دينار فصرفته
بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار تصدق في كل مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس
فنزلت الرخصة في ترك الصدقة **وقرئ** صدقات بالجمع وقال ابن عباس
هي منسوخة بالآية بعدها وقيل باية الزكاة أأشفقتم اخفتم من ذهاب المال
في الصدقة او من العجز عن وجود ما تتصدقون به فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم
ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم عذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه
فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وافعال الطاعات **وقرأ** عياش عن ابي عمرو خبير بما يعملون
بالياء من تحت والجمهور بالتاء **ن** الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم
منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء
ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم
هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله
هم المفلحون **ح** الذين تولوا هم المنافقون والمغضوب عليهم هم اليهود عن السدي
ومقاتل انه عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن سلول وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية
فقال له عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له
فعلت فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت والضمير في ما هم عائد على الذين
تولوا وهم المنافقون اي ليسوا منكم ايها المؤمنون ولا منهم اي ليسوا من الذين
تولوهم وهم اليهود وما هم استئناف اخبار بانهم مذبذبون لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء كما قال عليه السلام مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين
لانه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه وقال ابن عطية يحتمل تاويلا آخر
وهو ان يكون قوله ما هم يريد به اليهود وقوله ولا منهم يريد به المنافقين فيجي
فعل المنافقين على هذا التاويل احسن لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من انفسهم

قوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا

فيلزم ذمامهم ولامر لقوم المحنين فتكون الموالاة صوابا انتهى والظاهر الاول لتاويل
الاول لان الذين تولوا هو المحدث عنهم والضمير في ويحلفون عائد عليهم
فتتناسق الضمائر المضمر ولا تختلف وعلى هذا التاويل يكون ما هم استينافا وجاز
ان يكون حالا من ضمير تولوا وعلى احتمال ابن عطية يكون ما هم صفة لقوم ويحلفون على
الكذب اما انهم كما سبوا كما روي في سبب النزول وعلى انهم يسلمون والكذب هو ما
ادعوه من الاسلام وهم يعلمون جملة حالية بقبح فعلهم اذ حلفوا على خلاف ما ابطنوا
فالمعنى وهم عالمون متعمدون له والعذاب الشديد المعد لهم هو في الاخرة
وقرا الجمهور ايمانهم جمع يمين والحسن ايمانهم بكسر الهمزة اي ما يظهرون من الايمان
جنة اي ما يستترون به ويتقون المحذور وهو القتل فصدوا اي اعرضوا وصدوا
الناس عن الاسلام اذ كانوا يثبطون من لقوا عن الاسلام ويضعفون امر الايمان واهله
وصدوا المسلمين عن قتلهم باظهارهم الايمان وقتلهم هو سبيل الله فيهم لكن ما اظهروه
من الاسلام صدوا به المسلمين عن ذلك لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
تقدم الكلام على هذه الجملة في اوائل آل عمران فيحلفون له اي لله تعالى الا ترى
الى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كما يحلفون لكم انهم مؤمنون وليسوا
بمؤمنين والعجب منهم كيف يعتقدون ان كفرهم يخفى على عالم الغيب والشهادة
ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم والمقصود انهم مقيمون
على الكذب قد تعودوه حتى كان على السنتهم في الاخرة كما كان في الاخرة ويحسبون
انهم على شيء اي شيء نافع لهم استحوذ عليهم الشيطان اي احاط بهم من كل جهة وغلب
على نفوسهم واستولى عليها وتقدمت هذه المادة في قوله الم نستحوذ عليكم في سورة النسا
وانها من حاذ الحمار العانة اذا ساقها وجمعها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج
وحده **وقرا** عمر استحاذ اخرجه على الاصل والقياس واستحوذ شاذ في القياس
فصيح في الاستعمال فانساهم ذكر الله فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بالسنتهم وحزب
الشيطان جنده قاله ابو عبيدة اوليك في الاذلين هو افعل التفضيل اي في جملة
من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم وعن مقاتل لما فتح الله مكة للمؤمنين والطايف
وخيبر وما حولها قالوا نرجو ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي
اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد
بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب اي في
اللوح المحفوظ او قضى وقال قتادة بمعنى قال ورسلي اي من بعث منهم بالحرب
ومن بعث منهم بالحجة ان الله قوي ينصر حزبه عزيز يمنعه من ان يذل لا تجد قوما
قال الزمخشري من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين
يوادون المشركين والغرض منه انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع
ولا توجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتصلب في مجانبة
اعداء الله وزاد ذلك تاكيدا بقوله ولو كانوا اباءهم انتهى وبدا بالاباء لانهم
الواجب على الاولاد طاعتهم فنهاهم عن موادتهم وقال تعالى وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء

لانهم اعلق بالقلوب ثم اتى ثالثا بالاخوان لانهم بهم التعاضد كما **قال**
الشاعر اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
ثم رابعا بالعشيرة لان بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع الى
ما دعوا اليه كما **قال الشاعر**

لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا

وقرا الجمهور كتب مبنيا للفاعل في قلوبهم الايمان نصبا اي كتب الله وابو حيوة
والمفضل عن عاصم كتب مبنيا للمفعول والايمان رفع والجمهور وعشيرتهم على الافراد
وابو رجاء على الجمع والمعنى اثبت الايمان في قلوبهم وايدهم بروح منه اي من الله تعالى
وهو الهدى والنور واللطف وقيل الروح القرآن وقيل جبريل يوم بدر وقيل الضمير
في منه عائد على الايمان والايمان في نفسه روح يحيي به المؤمن والاشارة باوليك
كتب الى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله قيل والاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
وقيل الظاهر انها متصلة بالاي التي في المنافقين الموالين لليهود وقيل نزلت
في ابي وابي بكر الصديق كان منه سب للرسول فصكه ابو بكر صكة سقط منها فقال
له الرسول او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني
لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي
ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد
وقال ابن شوذب يوم بدر وفي عمر قتل خاله العاصي بن هشام يوم بدر وفي علي
وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر
وقال الواقدي في قصة ابي عبيدة انه قتل اباه قال كذلك يقول اهل الشام وقد
سالت رجالا من بني فهر فقالوا توفي ابوه قبل الاسلام انتهى يعنون في الجاهلية
قبل ظهور الاسلام وقد رتب المفسرون ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
على قصة ابي عبيدة وابي بكر ومصعب وعمر وعلي وحمزة وعبيدة مع اقربائهم **اللينة**
قال الاخفش كانه لون من النخل اي ضرب منه واصلها لونة قلبوا الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها **وانشد**

قد شجاني الاصحاب حين تغنوا بفراق الاحباب من فوق لينه

انتهى وجمع لين كتمرة وتمر وقد كسروه على ليان وتكسيره ما بينه وبين واحده هاء
التانيث فشاذ كرطبة ورطب شذوا فيه فقالوا ارطاب

وقال الشاعر

وسالفة كسحوق الليان اضرم فيها الغوي السعر

وقال ابو الحجاج الاعلم الليان جمع لينة وهي النخلة انتهى وتاتي اقوال
المفسرين في اللينة **اوجف** البعير حمله على الوجيف وهو السير السريع تقول
وجف البعير يجف وجفا ووجيفا ووجفانا **قال العجاج**

ناج طواه الاين مما وجفا

وقال نصيب

الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم يوجف الركب

وسومنك الايضاح ودون التقريب

بسم الله الرحمن الرحيم • سبح لله ما في السموات وما في
الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول
الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا
يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وما افاء الله
على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشا
والله على كل شي قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنيا منكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب • هذه
السورة مدنية وقيل نزلت في بني النضير وبنو النضير بعد من المدينة لتدانيها
منها ونزلت في بني النضير وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا
عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية
فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا
الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فاخبر جبريل الرسول بذلك فامر بقتل كعب
فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان اخاه من الرضاعة وكان عليه السلام قد اطلع
منهم على خيانة حين اتاهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري
منصرفه من بير معونة فهموا بطرح الحجر على الرسول فعصمه الله فلما قتل كعب
امر الرسول بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها الزهرة فسار وهو
عليه السلام على حمار مخطوم بليف فوجدهم ينوحون على كعب وقالوا ذرنا نبكي
شجونا ثم ايتمر امرك فقال اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب لنا
من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا عشرة ايام ليتجهزوا للخروج ودس
المنافقون عبد الله بن ابي ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم
وان اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم اجمعوا على الغدر
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخرج في ثلاثين من اصحابك ونخرج منا ثلاثون
ليسمعوا منك فان صدقوك امنا كلنا ففعل فقالوا كيف نفهم ونحن ستون
اخرج في ثلثة ونخرج اليك ثلثة من علمائنا ففعل فاشتملوا على الخناجر واردوا
الفتك فارسلت امراة منهم ناصحة الى اخيها وكان مسلما فاخبرته بما ارادوا
فاسرع الى الرسول فساره بخبرهم قبل ان يصل الرسول اليهم فلما كان من الغد
غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب
وايسوا من نصر المنافقين فطلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل
ثلثة ابيات على بعير ما شاوا من المتاع فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فلحقوا بخيبر ولحقت طايفة

بالحيرة وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثماية
واربعين سيفا وكان ابن ابي قد قال لهم معي الفان من قومي وغيرهم وتمدكم قريظة وحلفاوكم
من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن ابي
وحلفاوهم من غطفان ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولي
بعضهم بعضا ذكر ايضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلايهم وامكان الله ورسوله
ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول واظهر العداوة بحلفهم مع قريش
تقدم الكلام في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه بما من اهل الكتاب
هم قريظة وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة بني قريظة ويقال
لهما الكاهنان لانهما من ولد الكاهن بن هرون نزلوا قريبا من المدينة في فتن
بني اسرايل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما قصه الله في كتابه من
ديارهم يتعلق باخرج ومن اهل الكتاب يتعلق بمحذوف اي كاينين من اهل الكتاب
وصحت الاضافة اليهم لانهم كانوا نزلوا برية لا عمران فيها فبنوا فيها وانشووا واللام
في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس والمعنى عند اول
الحشر والحشر الجمع للتوجيه الى ناحية ما والجمهور على ان هولاء الذين اخرجوا هم بنو النضير
وقال الحسن هم بنو قريظة ورد عليه بان بني قريظة ما حشروا ولا اجلوا وانما
قتلوا وهذا الحشر هو بالنسبة لاخراج بني النضير وقيل الحشر هو حشر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتائب لقتالهم وهو اول حشر منه لهم واول قتال قاتلهم واول
يقتضي ثانيا فقيل الاول حشرهم للجلاء والثاني حشر عمر لاهل خيبر وجلاوهم
وقد اخبر عليه السلام بجلاء اهل خيبر بقوله عليه السلام لا يبقين دينان
في جزيرة العرب وقال الحسن اراد حشر القيامة اي هذا اوله والقيام من القبور
اخره وقال عكرمة والزهري المعنى لاول موضع الحشر وهو الشام وفي الحديث
انه عليه السلام قال لبني النضير اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
وقيل الثاني نار تخرج تحشر الناس من المشرق الى المغرب وهذا الجلاء كان
في ابتداء الاسلام واما الان فقد نسخ فلا بد من القتل او السبي او ضرب الجزية
ما ظننتم ان يخرجوا لعظم امرهم ومنعتهم وقوتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم
وعددهم وظنوا انهم تمنعهم حصونهم من حرب الله وباسه ولما كان ظن المومنين
منفيا هنا اجري مجرى الرجاء والطمع فتسلط على ان الناصبة للفعل كما تتسلط الرجاء
والطمع ولما كان ظن اليهود قويا جدا يكاد ان يلحق بالعلم تسلط على ان المشددة
وهي التي يصحبها غالبا فعل التحقيق كعلمت وتحققت وايقنت وحصونهم الوطيح
والنطاة والسلالم والكتيبة وقال الزمخشري فان قلت اي فرق
بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه
قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم
وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم
في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في
قولك وظنوا ان حصونهم تمنع انتهى يعني ان حصونهم هو المبتدا ومانعتهم الخبر ولا

يتعين هذا بل الراجح ان تكون حصونهم مرتفعة فاعلة بما نعتهم لان في توجيهه تقديما
وتاخيرا وفي اجازة مثله من نحو قائم زيد على الابتداء والخبر خلاف ومذهب اهل
الكوفة منعه فاتاهم الله اي بأسه من حيث لم يحتسبوا اي لم يكن في حسابهم
وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف قاله السدي وابو صالح وابن جريج وذلك مما اضعف
قوتهم وقذف في قلوبهم الرعب فسلب قلوبهم الامن والطمانينة حتى نزلوا على حكم
الرسول يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين قال قتادة خرب المومنون من خارج
ليدخلوا وخربوا هم من داخل ونحوه قال الضحاك والزجاج وغيرهما كانوا كلما خرب
المسلمون من حصونهم هدموا هم من البيوت وجبروا الحصن وقال
الزهري وغيره كانوا لما ابيح لهم ما تستقل به الابل لا يدعون خشبة حسنة
ولا سارية الا قلعوها وخربوا البيوت عنها فيكون قوله وايدي المومنين اسناد
التخريب لهم من حيث كان المومنون محاصرتهم اياهم داعية الى ذلك وقيل
شحوا على بقائها سليمة فخربوها افسادا وقرا قتادة والجحدري ومجاهد وابو حيوة
وعيسى وابو عمرو يخربون مشددا وباقي السبعة مخففا والقراءتان بمعنى واحد
عدي خرب اللازم بالتضعيف وبالهمزة وقال صاحب الكامل في القراآت
التشديد الاختيار على التكثير وقال ابو عمرو بن العلاء خرب بمعنى هدم
وافسد واخرب ترك الموضع خرابا وذهب عنه فاعتبروا تفطنوا لما دبر الله
من اخراجهم بتسليط المومنين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله
المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال ٥ ولولا
ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا اي لولا انه تعالى قضى انه سيجليهم
عن ديارهم ويبقون مدة يومن بعضهم ويولد لبعضهم من يومن لعذبهم في الدنيا
بالسبي والقتل بالقتل والسبي كما فعل باخوانهم بني قريظة وكان بنو النضير
من الجيش الذي عصى موسى في كونهم لم يقتلوا الغلام بن ملك العماليق تركوه لجماله
وعقله وكان موسى عليه السلام لا يستحيوا احدا فلما رجعوا الى بني اسرائيل بالشام وجدوا
موسى قد مات فقال لهم بنو اسرائيل انتم عصاة والله لا دخلتم علينا بلادنا
فانصرفوا الى الحجاز فكانوا فيه فلم يجر عليهم الجلاء الذي اجلاه بخت نصر على
اهل الشام وكان الله قد كتب على بني اسرائيل جلاء فنالهم هذا الجلاء على يد محمد
صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالسيف والقتل كاهل بدر وغيرهم
ويقال جلا القوم عن منازلهم واجلاهم غيرهم قيل والفرق بين الجلاء والاخراج
ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد وقال
الماوردي الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج قد يكون لواحد ولجماعة وقرا الجمهور
الجلاء ممدودا والحسن بن صالح واخوه علي بن صالح مقصورا وطلحة مهموزا من غير
الف كالنبا ولهم في الاخرة عذاب النار اي ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا في
الاخرة وقرا طلحة ومن يشاقق بالاظهار كالمتفق عليه في الانفال والجمهور بالادغام
كان بعض الصحابة قد شرع في بعض نخل بني النضير يقطع ويحرق وذلك في صدر
الحرب فقالوا اما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى عن الافساد فكفوا عن التس

ونزل

ونزل ما قطعتم من لينة الاية ردا على بني النضير واخبارا ان ذلك بتسويغ الله
وتمكينه ليخزيكم به وبذلكم واللينة والنخلة اسمان بمعنى واحد قاله الحسن ومجاهد
وابن زيد وعمرو بن ميمون وقال الشاعر

∴ كان قتودي فوقها عش طاير على لينة سوقاء تهفو جنوبها ٥

وقال الاخر ٥

∴ طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشه يترقرق ٥

وقال ابن عباس وجماعة من اهل اللغة هي النخلة ما لم تكن عجوة وقال الثوري
الكريمة من النخل وقال ابو عبيدة وسفيان ما تمرها لون وهو نوع من التمر يقال
له اللون قال سفيان هو شديد الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج وقال
ايضا ابو عبيدة اللين الوان النخل المختلطة التي ليس فيها عجوة ولا برني وقال
جعفر بن محمد هي العجوة وقيل هي السيلات وانشد فيه ٥

∴ غرسوا لينة بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالاجام ٥

وقيل هي اغصان الاشجار لليونتها فعلى هذا لا يكون اصل الياء الواو وقيل هي
النخلة القصيرة وقال الاصمعي هي الدقل وما شرطية منصوبة بقطعتم
ومن لينة تبيين لابهام ما وجواب الشرط فباذن الله اي فقطعها او تركها
باذن الله وقرا الجمهور قايمة انث قائمة والضمير في تركتموها على معنى ما وقرا
عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن فعل كضرب جمع قائم وقرى قائما
اسم فاعل مذكر على لفظ ما وانث في على اصولها وقرى اصلها بغير واو ولما جلا
بنو النضير عن اوطانهم وتركوا رباعهم واموالهم طلب المسلمون تخميسها كغنائم
بدر فنزل ما افاء الله على رسوله بين ان اموالهم لم يوجف عليها خيل ولا ركاب
ولا قطعت مسافة انما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمر بن الخطاب كانت اموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ينفق منها على اهله نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في
سبيل الله وقال الضحاك كانت له عليه السلام خاصة فاثر بها المهاجرين
وقسمها عليهم ولم يعط الانصار منها شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحرث
ابن الصمة اعطاهم لفقرهم وما في قوله وما افاء الله شرطية او موصولة وافاء بمعنى
يفيء ولا يكون ماضيا في اللفظ والمعنى لان فعل وكذلك صلة ما الموصولة اذا
كانت الفاء في خبرها لانها اذ ذاك شبهت باسم الشرط فان كانت الاية نزلت
قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب فوقع كما اخبرت وان كانت نزلت بعد حصول اموالهم
للرسول كان ذلك بيانا لما يستقبل وحكم الماضي المتقدم حكمه ومن في من خيل زائدة
في المفعول يدل على الاستغراق والركاب الابل سلط الله رسوله عليهم وعلى ما في
ايديهم كما كان يسلط رسله على من يشاء من اعدائهم وقال بعض العلماء كل ما فتح
على الايمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة ما افاء الله على رسوله من اهل القرى قال
الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس

من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة انتهى وقال ابن عطية اهل القرى المذكورون
في هذه الآية هم اهل الصفراء وينبع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي
تسمى قرى عرينة وحكمها مخالف لبني النضير ولم يحبس من هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه شيئا بل امضاها لغيره وذلك انها في ذلك الوقت فتحت انتهى وقيل ان الآية
الاولى خاصة في بني النضير وهذه الآية عامة وقرأ الجمهور كيلا تكون بالتاء
وعبد الله وابو جعفر وهشام بالياء والجمهور دولة بضم الدال ونصب التاء
وابو جعفر وابو حيوة وهشام بضمها وعلي والسلمي بفتحهما قال عيسى بن عمر هما بمعنى
واحد وقال الكسائي وحذاق البصرة الفتح في الملك وضم الميم لانها الفعلة
في الدهر والضم في الملك بكسر الميم والضمير في تكون بالتانيث عائد على معنى ما اذ
المراد به الاموال والمغانم وذلك الضمير هو اسم يكون وكذلك من قرأ بالياء اعاد
الضمير على لفظ ما اي يكون الفيء وانتصب دولة على الخبر ومن رفع دولة فتكون
تامة ودولة فاعل وكيلا تكون تعليل لقوله فلله وللرسول اي فالفيء وحكمه لله
وللرسول يقسمه على ما امره الله كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى للفقراء بلغة
يعيشون بها متداولا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم
كما كانت رؤساؤهم يستاثرون بالغنائم ويقولون من عزبز والمعنى كي لا يكون اخذه
غلبة واثرة جاهلية وروي ان قوما من الانصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة
وقالوا لنا منها سهمنا فنزل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وعن الكلبي ان رؤساء من المسلمين قالوا يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا
والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية فنزل وما اتاكم الرسول فخذوه الآية
وهذا عام يدخل فيه قسمة ما افاء الله والغنائم وغيرها حتى انه قد استدل بهذا
العموم على تحريم الخمر وحكم الواشمة والمستوشمة وتحريم المخيط للمحرم ومن غريب
الحكايات في الاستنباط ان الشافعي قال سلوني عما شئتم اخبركم به من كتاب الله
وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن محمد بن هرون ما تقول في المحرم
يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا ٥ وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش
عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق
ابن شهاب عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور انتهى يعني في الاحرام بين انه يقتدى
بعمر وان الرسول امر بالاقتداء به وان الله امر بقبول ما يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٥ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما
اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم الم تر الى الذين

قوله عز وجل للفقراء المهاجرين

نافقوا

نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا
الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ٥ للفقراء قال الزمخشري بدل من قوله ولذي
القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما
وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون
الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وان الابدال
على ظاهره من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا انتهى وانما جعله الزمخشري
بدلا من قوله ولذي القربى لانه مذهب ابي حنيفة لا يستحق ذوو القربى المعنى انما
يستحق ذوو القربى الفقير فالفقر شرط فيه على مذهب ابي حنيفة ففرع الزمخشري
على مذهبه واما الشافعي فيرى ان سبب الاستحقاق هو القرابة فيأخذ ذو القربى
الغني لقرابته وقال ابن عطية للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل
وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام لتبين ان البدل انما هو منها انتهى
وقيل تتعلق للامر بما دل عليه قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم اي ولكن
يكون للفقراء انتهى ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الاشفاق
عليهم اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم وجهادهم قولا وفعلا والظاهر ان قوله
والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فيكون قد وقع بينهما الاشتراك
فيما يقسم من الاموال وقيل هو مستانف مرفوع بالابتداء والخبر يحبون اثنى تعالى
بهذه الخصال الجليلة كما اثنى على المهاجرين بقوله يبتغون فضلا الى آخره
والايمان معطوف على الدار وهي المدينة والايمان ليس مكانا فيتبوأ فقيل هو من
عطف الجمل اي واعتقدوا الايمان واخلصوا فيه قاله ابو علي فيكون كقوله ٥
علفتها تبنا وماء باردا ٥ او يكون ضمن تبوءوا معنى لزموا واللزوم قدر مشترك
في الدار والايمان فيصح العطف او لما كان الايمان قد شملهم صار كالمكان الذي
يقيمون فيه لكن يكون ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز قال الزمخشري او اراد دار
الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف
المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمي المدينة لانها دار
الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان وقال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار
مع الايمان معا وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتامله انتهى ومعنى
من قبلهم من قبل هجرتهم حاجة هنا اي حسدا مما اوتوا اي مما اعطي المهاجرون
وتم الحاجة جميع ما تعلله الرسول في اعطاء المهاجرين من اموال بني النضير
والقرى ويؤثرون على انفسهم من ذلك قصة الانصاري مع ضيف الرسول حيث
لم يكن لهم الا ما ياكله الصبية فاوهمه انه ياكل حتى اكل الضيف فقال له الرسول
عجب الله من فعلكما البارحة فالآية مشيرة الى ذلك وروي غير ذلك في ايثارهم

والخصاصة الفاقة مأخوذ من خصاص البيت وهو ما يبقى من عيدانه من الفرج والفتوح فكان حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج **وقرأ** ابو حيوة وابن ابي عبلة شح بكسر الشين والجمهور باسكان الواو وتخفيف القاف وضم الشين والشح اللوم وهو كزازة النفس على ما عندها والحرص على المنع **قال الشاعر**

يمارس نفسا بين جنبيه كزة ۞ اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

واضيف الشح الى النفس لانه غريزة فيها وقال تعالى واحضرت الانفس الشح وفي الحديث من ادى الزكوة المفروضة وقرى الضيف واعطى في النائبة فقد برئ من الشح والذين جاؤا من بعدهم الظاهر انه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين فقال الفراء هم الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من آمن او كثر في آخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور اراد من يجيء من التابعين فعلى القول الاول يكون معنى من بعدهم اي من بعد المهاجرين والانصار السابقين بالايمان وهؤلاء تأخر ايمانهم او سبق ايمانه وتأخرت وفاته حتى انقرض معظم المهاجرين والانصار وعلى القول الثاني يكون معنى من بعدهم اي من بعد ممات الصحابة مهاجريهم وانصارهم واذا كان والذين معطوفا على المجرور قبله فالظاهر انهم مشاركون من تقدم في حكم الفيء وقال مالك بن اوس قرأ عمر انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم الاية فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء والمهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليؤتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها وعنه ايضا انه استشار المهاجرين والانصار فيما فتح الله عليه من ذلك في كلام كثير آخره انه تلا ما افاء الله على رسوله الاية فلما بلغ اولئك هم الصادقون قال هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاؤا من بعدهم الاية الى قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك وقال عمر لولا من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقيل والذين جاؤا من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات فاعرابه والذين مبتدأ ندبوا بالدعاء للاولين والثناء عليهم وهم من يجيء بعد الصحابة الى يوم القيمة والخبر يقولون اخبر تعالى عنهم بانهم لايمانهم ومحبة اسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا وعلى القول الاول يكون يقولون استئناف اخبار قيل او حال الم تر الى الذين نافقوا الاية نزلت في عبد الله بن ابي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الانصار كانوا بعثوا الى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله يقولون واللام في لاخوانهم للتبليغ والاخوة بينهم اخوة الكفر وموالاتهم ولا نطيع فيكم احدا اي في قتالكم احدا من الرسول والمؤمنين او لا نطيع فيكم اي في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة ولننصرنكم جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية وجواب ان محذوف والكثير في لسان كلام العرب اثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل اداة الشرط ومن حذفها قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا والتقدير ولئن لم ينتهوا الكاذبون اي في مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب ولذلك لم يخرجوا حين اخرج بنو النضير بل اقاموا في ديارهم وهذا اذا كان قوله لاخوانهم انهم بنو النضير

بيت ع — انقرض معظم

وقيل هم يهود المدينة والضمائر على هذين القولين وقيل فيه اختلاف اي لئن اخرج اليهود المنافقين ليولن اليهود الادبار وكان صاحب هذا القول نظر الى قوله ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فقد اخبر انهم لا ينصرونهم فكيف يأتي ولئن نصروهم فاخرجه في حيز الامكان وقد اخبر انهم لا ينصرونهم فلا يمكن نصرهم اياهم بعد اخباره تعالى انه لا يقع واذا كانت الضمائر متفقة فقال الزمخشري معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون لو كان كيف يكون قال ابن عطية معناه ولئن خالفوا ذلك فانهم ينهزمون انتهى والظاهر ان الضمير في ليولن الادبار وفي ثم لا ينصرون عائد على المفروض انهم ينصرونهم اي ولئن المنافقون ليولن المنافقون الادبار ثم لا ينصر المنافقون وقيل الضمير في المتولي عائد على اليهود وكذا في لا ينصرون قال ابن عطية وجاءت الافعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر انتهى واي نظر في هذا وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها من انه اذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان فعله بصيغة المضي او مجزوما بلم وله شرط وهو انه لا يتقدمه طالب خبر واللام في لئن مؤذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له وقد اجاز الفراء ان يجاب الشرط وان تقدم القسم ورده عليه البصريون ثم خاطب المؤمنين بان هؤلاء يخافونكم اشد من خيفة الله لانهم يتوقعون عاجل شركم لعدم ايمانهم لا يتوقعون آجل عذاب الله وذلك لقلة فهمهم ورهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين والمخاطبون مرهوبون وهذا كما **قال الشاعر**

فلهو اخوف عندي اذ اكلمه ۞ وقيل انك مأسور ومقتول

من ضيغم بثراء الارض مخدره ۞ ببطن عثر غيل دونه غيل

فالمخبر عنه اخوف لا خائف والضمير في صدورهم قيل لليهود وقيل للمنافقين وقيل للفريقين وجعل الصدور مقرا للرهبة دليل على تمكنها منهم بحيث صارت الصدور مقرا لها والمعنى رهبتهم منكم اشد من رهبتهم من الله لا يقاتلونكم اي بنو النضير وجميع اليهود وقيل اليهود والمنافقون جميعا اي مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضا الا في قرى محصنة لا في الصحراء لخوفهم منكم وتحصينها بالدروب والخنادق او من وراء جدر ليستتروا بها من ان تصيبوهم **وقرأ** الجمهور جدر بضمتين جمع جدار وابو رجاء والحسن وابن وثاب باسكان الدال تخفيفا ورويت عن ابن كثير وعاصم والاعمش **وقرأ** ابو عمرو وابن كثير وكثير من المكيين جدار بالالف وكسر الجيم **وقرأ** كثير من المكيين وهرون عن ابن كثير جدر بفتح الجيم وسكون الدال قال صاحب اللوامح وهو واحد بلغة اليمن وقال ابن عطية ومعناه اصل بنيان كالسور ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخل اي من وراء نخلهم ادنى مما يتقى به عند المصافة بأسهم بينهم شديد اي اذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديدا اما اذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس لان من حارب اولياء الله خذل تحسبهم جميعا اي مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى اي واهواؤهم متفرقة وكذا

نصرهم ح — أخوف ح

قوله عز وجل كمثل الذين من قبلهم

حال المخذولين لا تستقر أهواؤهم على شيء واحد وموجب ذلك الشتات هو انتفاء عقولهم
فهم كالبهائم لا تتفق على حالة وقرأ الجمهور شتى بألف التأنيث ومبشر بن عبيد منونا
جعلها ألف الإلحاق وعبد الله وقلوبهم أشت أي أشد تفرقا ومن كلام العرب شتى
تؤوب الحلبة قال الشاعر

إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمس جميع

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان إذ قال
للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما
أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة
أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا إله
إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق
البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم

كمثل خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم أي بني النضير كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو قينقاع
أجلاهم الرسول من المدينة قبل بني النضير فكانوا مثلا لهم قاله ابن عباس وأهل بدر
الكفار فإنه عليه السلام قتلهم وهذا مثلهم في أن غلبوا وقهروا وقيل الضمير في من قبلهم
للمنافقين والذين من قبلهم منافقو الأمم الماضية غلبوا وذلوا على وجه الدهر فهؤلاء
مثلهم ويبعد هذا التأويل لفظة قريبا إن جعلته متعلقا بما قبله وقريبا ظرف زمان
وإن جعلته معمولا لذاقوا أي ذاقوا وبال أمرهم قريبا من عصيانهم أي لم تتأخر عقوبتهم
في الدنيا كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء ولهم عذاب أليم في الآخرة كمثل الشيطان لما مثلهم
بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالإنسان
والجمهور على أن الشيطان والإنسان اسما جنس يورطه في المعصية ثم يفر منه كذلك
أغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير
خذلهم المنافقون وتركوهم في أسوأ حال وقيل المراد استغواء الشيطان قريشا يوم بدر
وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم إلى قوله إني بريء منكم وقيل التمثيل
بشيطان مخصوص مع عابد مخصوص استودع امرأة فوقع عليها فحملت فخشي الفضيحة فقتلها
ودفنها سول له الشيطان ذلك ثم شهره فاستخرجت فوجدت مقتولة وكان قال إنها
ماتت ودفنتها فعلموا لذلك فتعرض له وقال اكفر واسجد لي وأنجيك ففعل وتركه
عند ذلك وقال إني بريء منك وقول الشيطان إني أخاف الله رياء ولا يمنعه الخوف
عن سوء يوقع فيه ابن آدم وقرأ الجمهور عاقبتهما بنصب التاء والحسن وعمرو بن عبيد
وسليم بن أرقم برفعها والجمهور خالدين بالياء حالا وفي النار خبر أن وعبد الله وزيد
بن علي والأعمش وابن أبي عبلة بالألف فجاز أن يكون خبر أن والظرف ملغى وإن كان
قد أكد بقوله فيها وذلك جائز على مذهب س ومنع ذلك أهل الكوفة لأنه إذا أكد عندهم

لا يلغى

لا يلغى ويجوز أن يكون في النار خبرا لأن وخالدان خبر ثان فلا يكون فيه حجة على مذهب
س ولما انقضى في هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين لأن الموعظة
بعد ذكر المصيبة لها موقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب وكرر الأمر
بالتقوى على سبيل التوكيد أو لاختلاف متعلق التقوى فالأولى في أداء الفرائض لأنه
مقترن بالعمل والثانية في ترك المعاصي لأنه مقترن بالتهديد والوعيد وقرأ الجمهور
ولتنظر أمرا واللام ساكنة وأبو حيوة ويحيى بن الحارث بكسرها وروي ذلك عن حفص عن عاصم
والحسن بكسرها وفتح الراء جعلها لام كي ولما كان أمر القيامة كائنا لا محالة عبر عنه
بالغد وهو اليوم الذي يلي يومك على سبيل التقريب وقال الحسن وقتادة لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد ونحوه كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن
الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد قال ابن عطية ويحتمل أن يريد
بقوله لغد ليوم الموت لأنه لكل إنسان كغده وقال مجاهد وابن زيد الأمس الدنيا
وغد الآخرة وقال الزمخشري أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن
للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره
كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه انتهى وقرأ الجمهور ولا تكونوا بتاء الخطاب وأبو حيوة
بياء الغيبة على سبيل الالتفات وقال ابن عطية كناية عن نفس التي هي اسم الجنس
كالذين نسوا هم الكفار وتركوا عبادة الله وامتثال ما أمر واجتناب ما نهى وهذا
تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم فأنساهم أنفسهم حيث لم يسعوا في
الخلاص من العذاب وهذا من المجازاة على الذنب بالذنب عوقبوا على نسيان جهة الله
بأن أنساهم أنفسهم قال سفيان المعنى حظ أنفسهم ثم ذكر مباينة الفريقين
أصحاب النار في الجحيم وأصحاب الجنة في النعيم كما قال أفمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون وقال أم نجعل المتقين كالفجار لو أنزلنا هذا
القرآن هذا من باب التخييل والتمثيل كما مر في قوله إنا عرضنا الأمانة ودل على ذلك
وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تأثره
لهذا الذي لو أنزل على الجبل لتخشع وتصدع وإذا كان الجبل على عظمه وتصلبه يعرض
له الخشوع والتصدع فابن آدم كان أولى بذلك لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر
وقرأ طلحة مصدعا بإدغام التاء في الصاد وأبو السمال وأبو دينار الأعرابي
القدوس بفتح القاف والجمهور على الضم وقرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم
فاعل من آمن بمعنى أمن وقال ثعلب المصدق المؤمنين في أنهم آمنوا وقال
النحاس وفي شهادتهم على الناس يوم القيامة وقيل المصدق نفسه في أقواله
الأزلية وقرأ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل أبو جعفر المدني المؤمن بفتح الميم
قال أبو حاتم لا يجوز ذلك لأنه لو كان كذلك لكان المؤمن به وكان جائزا لكن
المؤمن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خائفا فأومن وقال الزمخشري يعني
المؤمن به على حذف حرف الجر كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه
المختارون المهيمن تقدم شرحه الجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد وقيل
الجبار الذي لا يدانيه شيء ولا يلحق ومنه نخلة جبارة إذا لم تلحق

وقال الشاعر

سوابق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا

وقال ابن عباس هو العظيم وجبروته عظمته وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح جبرت العظم اصلحته بعد الكسر وقال الفراء من اجبره على الامر قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك انتهى وسمع اسار فهو سار المتكبر المبالغ في الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده الخالق المقدر لما يوجد البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل وقرأ علي وحاطب بن ابي بلتعة والحسن وابن السميفع المصور بفتح الواو والراء وانتصب مفعولا بالبارئ واراد به جنس المصور وعن علي فتح الواو وكسر الراء على اضافة اسم الفاعل الى المفعول نحو الضارب الغلام

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون هذه السورة مدنية ونزلت بسبب حاطب بن ابي بلتعة كان قد وجه كتابا مع امراة الى اهل مكة يخبرهم بان رسول الله متوجها اليهم لغزوهم فاطلع الله رسوله على ذلك فوجه الى المراة من اخذ الكتاب منها والقصة مشهورة في كتب الحديث والتفسير ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد اليهم واضاف في قوله عدوي تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقاب الله بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع واولياء مفعول ثان لتتخذوا وتلقون بيان لموالاتهم فلا موضع له من الاعراب او استئناف اخبار وقال الحوفي والزمخشري حال من الضمير في لا تتخذوا او صفة لاولياء وهذا تقدمه اليه الفراء

قال تلقون اليهم بالمودة من صلة اولياء انتهى وعندهم ان النكرة توصل وعند البصريين لا توصل بل توصف والحال والصفة قيد وهم قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا والتقييد يدل على انه يجوز ان يتخذوا اولياء اذا لم يكونوا في حال القاء المودة واذا لم يكن الاولياء متصفين بهذا الوصف وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فدل على انه لا تتقيد تلك الحال ولا ذلك الوصف والاولياء عبارة عن الافضاء بالمودة ومفعول تلقون محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره والباء في بالمودة للسبب اي بسبب المودة التي بينهم وقال الكوفيون الباء زائدة كما قيل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ايديكم قال الحوفي وقال البصريون هي متعلقة بالمصدر الذي دل عليه الفعل وكذلك قوله بالحاد بظلم اي ارادته بالحاد انتهى فعلى هذا تكون بالمودة متعلقا بالمصدر اي القاؤهم بالمودة وهذا ليس بجيد لان فيه حذف المصدر وهو موصول وحذف الخبر اذ القاؤهم مبتدأ وبما يتعلق به وقد كفروا جملة حالية وذو الحال الضمير في يلقون اي توادونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله ولا يناسب الكافر بالله ان يود واجاز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل لا تتخذوا وقرأ الجمهور بما جاءكم والجحدري والمعلى عن عاصم لما باللام مكان الباء اي لاجل ما جاءكم يخرجون الرسول استئناف كالتفسير لكفرهم او حال من ضمير كفروا واياكم معطوف على الرسول وقدم على اياكم الرسول لشرفه ولانه الاصل للمؤمنين به ولو تقدم الضمير لكان جائزا في العربية خلافا لمن خص ذلك بالضرورة قال لانك قادر على ان تاتي به متصلا فلا يفصل الا في الضرورة وهو محجوج بهذه الآية وبقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقدم الموصول هنا على المخاطبين للسبق في الزمان وبغير ذلك من كلام العرب ان تؤمنوا مفعول من اجله اي يخرجون لايمانكم او كراهة ايمانكم ان كنتم خرجتم شرط جوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله لا تتخذوا عدوي ونصب جهادا وابتغاء على المصدر في موضع الحال اي مجاهدين ومبتغين او على انه مفعول من اجله تسرون استئناف اي تسرون وقد علمتم اني اعلم الاخفاء والاعلان واطلع الرسول على ذلك فلا طائل في فعلكم هذا وقال ابن عطية تسرون بدل من تلقون انتهى وهو شبيه ببدل الاشتمال لان الالقاء يكون سرا وجهرا فهو ينقسم الى هذين النوعين واجاز ايضا ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره انتم تسرون والظاهر ان اعلم افعل تفضيل ولذلك عداه بالباء واجاز ابن عطية ان يكون مضارعا عدي بالباء قال لانك تقول علمت بكذا وانا اعلم جملة حالية والضمير في ومن يفعله الظاهر انه الى اقرب مذكور وهو الاسرار وقال ابن عطية يعود على الاتخاذ وانتصب سواء على المفعول به على تقدير تعدي ضل او على الظرف او على تقدير اللزوم والسواء الوسط ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء وشرح ما يوجب النهي من القاء بالمودة بينهم وذكر ما صنع الكفار بهم اولا من اخراج الرسول والمؤمنين ذكر صنيعهم اخرا لو قدروا عليهم وانه ان يتمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم ويبسطوا ايديهم بالقتل والتعذيب والسنتهم بالسب وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو احب الاشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم قال الزمخشري فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم

يحبانهم يريدون ان يلحقوا بكم مضادة الدنيا والآخرة جميعاً انتهى وكان الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط فجعل ذلك سؤالاً وجواباً والذي يظهر ان قوله وودوا ليس معطوفاً على جواب الشرط لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء اخبر تعالى بخبرين احدهما اتضاح عداوتهم والبسط اليهم بما ذكر على تقدير الظفر بهم والآخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم ولما كان حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب الى اهلها بالكتاب ليرعوه في قرابته قال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ويوم معمول لتنفعكم او ليفصل **وقرأ** الجمهور يفصل بالياء مخففاً مبنياً للمفعول **وقرأ** الاعرج وعيسى وابن عامر كذلك الا انه مشدد والمرفوع اما بينكم وهو مبني على الفتح لاضافته الى مبني واما ضمير المصدر المفهوم من يفصل اي يفصل هو اي الفصل **وقرأ** عاصم والحسن والاعمش يفصل بالياء مخففاً مبنياً للفاعل وحمزة والكسائي وابن وثاب مبنياً للفاعل وبالياء مضمومة مشدداً وابو حيوة وابن ابي عبلة كذلك الا انه بالنون مشدداً وهما ايضاً وزيد بن علي بالنون مفتوحة مخففاً مبنياً للفاعل وابو حيوة ايضاً بالنون مضمومة فهذه ثماني قراءات ولما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وان من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتأسوا **وقرأ** الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها وهما لغتان والذين معه قيل من آمن به وقال الطبري وغيره الانبياء معاصروه او كانوا قريباً من عصره لانه لم يرو انه كان له اتباع مؤمنون في مكافحته لنمروذ الا تراه قال لسارة حين رحل الى الشام مهاجراً من بلد نمروذ ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك والتأسي بابراهيم عليه السلام هو في التبرؤ من الشرك وهو في كل ملة وبرسولنا عليه السلام على الاطلاق في العقائد وفي احكام الشرع **وقرأ** الجمهور برآء جمع بريء كظريف وظرفاء وعيسى براء جمع بريء ايضاً كظريف وظراف وابو جعفر بضم الباء كتؤام وظؤار وهو اسم جمع الواحد بريء وتوام وظئر وروي عن عيسى قال ابو حاتم زعموا ان عيسى الهمداني وعنه براء على فعال كالذي في قوله انني براء مما تعبدون في الزخرف وهو مصدر على فعال يوصف به المذكر والمؤنث المفرد والجمع وقال الزمخشري وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب انتهى فالضمة في ذلك ليست بدلاً من كسرة بل هي ضمة اصلية وهو وزن من اوزان اسماء الجموع وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلاً من الكسرة الا قول ابراهيم استثناء من قوله اسوة حسنة قاله قتادة والزمخشري قال مجاهد وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم المعنى ان الاسوة لكم في هذا الوجه لا في الوجه الآخر لانه كان لعلة ليست في نازلتكم وقال الزمخشري **فان قلت** فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله فمن يملك لكم من الله شيئاً **قلت** اراد استثناء قوله جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار انتهى وقال الزمخشري ايضاً بعد ان ذكر ان الاستثناء هو من قوله اسوة حسنة قال لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها انتهى والذي يظهر انه مستثنى من مضاف لابراهيم تقديره اسوة

حسنة في مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فليس فيه اسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلاً واما ان يكون قول ابراهيم مندرجاً في اسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتداء والتأسي فالقول ليس مندرجاً تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت لم تبق جملة الا كذا انتهى وقيل هو استثناء منقطع المعنى لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تأتسوا به فيه فتستغفروا او تعدوا آباءكم الكفار بالاستغفار ربنا عليك توكلنا وما بعده الظاهر انه من تمام قول ابراهيم متصلاً بما قبل الاستثناء وهو من جملة ما يتأسى به فيه وفصل بينهما بالاستثناء اعتناء بالاستثناء ولقربه من المستثنى منه ويجوز ان يكون امراً من الله للمؤمنين اي قولوا ربنا عليك توكلنا علمهم بذلك قطع العلائق التي بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة قال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيسبوننا ويعذبوننا وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم او بعذاب من عندك فيظنوا انهم محقون وانا مبطلون فيفتتنوا لذلك وقال قريباً منه قتادة وابو مجلز وقول ابن عباس ارجح لانه دعا لانفسهم وعلى قول غيره دعا للكفار والضمير في فيهم عائد على ابراهيم والذين معه وكررت الاسوة توكيداً او اكد ذلك بالقسم ايضاً ولمن يرجو بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل وروي انه لما نزلت هذه الآيات عزم المسلمون على اظهار عداوات اقربائهم الكفرة ولحقهم هم لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادوا فنزل عسى الله الآية موبسة وموجبة فاسلم الجميع عام الفتح وصاروا اخواناً ومن ذكر ان هذه المودة هي تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وانها كانت بعد الفتح فقد اخطأ لان تزويجها كان وقت هجرة الحبشة وهذه الآيات سنة ست من الهجرة ولا يصح ذلك عن ابن عباس الا ان يسوقه مثالاً وان كان متقدماً لهذه الآية لانه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأ من المودات قاله ابن عطية وعسى من الله واجبة الوقوع والله قدير على تقليب القلوب وتيسير العسير والله غفور لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله الآية قال مجاهد قوم نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا فكانوا في رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة وقيل في مؤمنين من اهل مكة وغيرها تركوا الهجرة وقال الحسن وابو صالح في خزاعة وبني الحرث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل من العرب كانوا مظاهرين للرسول محبين فيه وفي ظهوره وقيل في من لم يقاتل ولا اخرج ولا اظهر سوءاً من كفار قريش وقال مرة الهمداني وعطية العوفي في قوم من بني هاشم منهم العباس وقال عبد الله بن الزبير في النساء والصبيان من الكفرة وقال النحاس والثعلبي اراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها قال ابن عطية وكانت المرأة خالتها فيما روي فسمتها اماً وفي التحرير ان ابا بكر الصديق طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت ابي بكر فقدمت في المدة التي فيها المهادنة واهدت الى اسماء قرطاً واشياء فكرهت ان تقبل منها فنزلت الآية وان تبروهم وان تولوهم بدلان مما قبلهما بدل اشتمال

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا

يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم
وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله
شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين
ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من
اصحاب القبور ۞ يا ايها الذين آمنوا كان صلح الحديبية قد تضمن ان من اتى اهل مكة من المسلمين
لم يرد اليهم ومن اتى المسلمين من اهل مكة رد اليهم فجاءت ام كلثوم وهي بنت عقبة بن ابي معيط
وهي اول امرأة هاجرت بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة الحديبية فخرج في اثرها
اخواها عمارة والوليد فقالا يا محمد اوف لنا بشرطنا فقالت يا رسول الله حال النساء
الى الضعف كما قد علمت فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنقض الله العهد في
النساء وانزل فيهن الآية وحكم بحكم رضوه كلهم ۞ وقيل نزلت بسبب سبيعة بنت الحرث
الاسلمية جاءت الحديبية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب
فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة
الكتاب لم تجف فنزلت بيانا ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وذكر ابو نعيم
الاصبهاني ان سبب نزولها اميمة بنت بشر بن عمرو بن عوف امرأة حسان بن الدحداحة
وسماهن تعالى مؤمنات قبل ان يمتحن وذلك لنطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن
ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان وقرئ مهاجرات بالرفع
على البدل من المؤمنات فامتحنوهن قالت عائشة بآية المبايعة وقيل بان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ابن عباس يحلف انها ما خرجت الا
حبا لله ورسوله ورغبة في دين الاسلام وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة
وعكرمة كانت تستحلف انها ما هاجرت لبغض في زوجها ولا لجريرة جرتها ولا لسبب
من اغراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة الله اعلم بايمانهن لانه تعالى
هو المطلع على اسرار القلوب ومخبآت العقائد فان علمتموهن مؤمنات اطلق العلم
على الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات بالخروج من الوطن والحلول في قوم ليسوا من
قومها وبين علة انتفاء رجعهن الى الكفار ازواجهن وذلك هو التحريم بين المسلمة
والكافر وقرأ طلحة لا هن يحللن لهن والعقد التحريم لهن تم الجملة وجاء قوله
ولا هم يحلون لهن على سبيل التاكيد وتشديد الحرمة لانه اذا لم تحل المؤمنة
للكافر علم انه لا حل بينهما البتة وقيل افاد قوله ولا هم يحلون لهن استمرار الحكم
بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا على الاشراك وهن على الايمان ۞ وآتوهم
ما انفقوا امر ان يعطى الزوج الكافر ما انفق على زوجته اذا اسلمت فلا يجمع عليه
خسران الزوجية والمالية قال ابن عباس اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد امتحانها

زوجها الكافر ما انفق عليها فتزوجها عمر وكان اذا امتحنهن اعطى ازواجهن مهورهن
قال قتادة الحكم في رد الصداق انما كان في نساء اهل العهد فاما من لا عهد بينه
وبين المسلمين فلا يرد عليه الصداق والامر كما قال قتادة ثم نفى الحرج في نكاح
المؤمنين اياهن اذا اوتين مهورهن ثم امر تعالى المؤمنين بفراق نسائهم الكوافر
عوابد الاوثان وقرأ الجمهور تمسكوا مضارع امسك كالكرمي وابو عمرو ومجاهد بخلاف عنه
وابن جبير والحسن والاعرج مضارع مسك مشددا والحسن ايضا وابن ابي ليلى وابن عامر
في رواية عبد الحميد وابو عمرو في رواية معاذ تمسكوا بفتح المثلثة مضارع تمسك
محذوف التاء اي تتمسكوا والحسن ايضا تمسكوا بكسر السين مضارع مسك ثلاثيا
وقال الكرخي الكوافر يشمل الرجال والنساء فقال له ابو علي الفارسي النحويون لا يرون هذا
الا في النساء جمع كافرة فقال اليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي
فبهت وقلت هذا تاييد اشبهي والكرخي هذا معتزلي فقيه وابو علي معتزلي فاعجبه
هذا التخريج وليس بشيء لانه لا يقال كافرة في وصف الرجال الا تابعا لموصوفها او يكون
محذوفا مرادا اما بغير ذلك فلا يجمع فاعلة على فواعل الا ويكون للمؤنث ۞ والعصم
جمع عصمة وهي سبب البقاء في الزوجية واسألوا ما انفقتم اي واسألوا الكافرين
ما انفقتم على ازواجكم اذا فروا اليهم وليسألوا اي الكفار ما انفقوا على ازواجهم اذا
فروا الى المؤمنين ۞ ولما تقرر هذا الحكم قالت قريش فيما روي لا نرضى هذا الحكم ولا
نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الاخرى وان فاتكم فامر
تعالى المؤمنين ان يدفعوا الى من فرت زوجته من المسلمين ففاتت بنفسها الى الكفار
وانقلبت من الاسلام ما كان انفق مهرها قال الحسن فان قلت هل لايقاع شيء في هذا
الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر
غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه انتهى واللاتي ارتددن من نساء
المهاجرين ولحقن بالكفار ام الحكم بنت ابي سفيان زوج عياض بن شداد الفهري
واخت ام سلمة فاطمة بنت ابي امية زوج عمر بن الخطاب وعبدة بنت عبد العزى
زوج هشام بن العاصي وام كلثوم بنت جرول زوج عمر ايضا وذكر الزمخشري انهن
ست فذكر ام الحكم وفاطمة وعبدة وذكر ان زوجها عمرو بن عبدود وكلثوم وبروع
بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام
ابن العاصي اعطى ازواجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهورهن من الغنيمة وقرأ
الجمهور فعاقبتم بالف ومجاهد والزهري والاعرج وعكرمة وحميد وابو حيوة
والزعفراني بشد القاف والنخعي والاعرج ايضا وابو حيوة ايضا والزهري ايضا
وابن وثاب بخلاف عنه بخف القاف مفتوحة ومسروق والنخعي ايضا والزهري
ايضا بكسرها ومجاهد ايضا فاعقبتم على وزن افعل ويقال عاقب الرجل صاحبه
في كذا اي جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الآخر ويقال اعقب ۞

قال الشاعر ۞

۞ وحاردت النكد الجلاد ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين معقب ۞

وعقب اصاب عقبى والتعقيب غزو اثر غزو وعقب بفتح القاف وكسرها

الزمخشري

فعقبتم وقال الزمخشري فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين
والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى
بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر
فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها
الكافر وهكذا عن الزهري يعطي من صداق من لحق بهم ومعنى اعقبتم دخلتم في العقبة
وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم
بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال
بعقوبة حتى غنمتم وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى
غنمتم والكفار من قوله الى الكفار ظاهره العموم في جميع الكفار قاله قتادة
ومجاهد قال قتادة ثم نسخ هذا الحكم وقال ابن عباس يعطي من الغنيمة
قبل ان تخمس وقال الزهري من مال الفيء وعنه من صداق من لحق بنا وقيل الكفار
مخصوص باهل العهد وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال الثوري
لا يعمل به اليوم وقال مقاتل كان في عهد الرسول فنسخ وقال ابن عطية
هذه الآية كلها قد ارتفع حكمها وقال الحافظ ابو بكر بن العربي كان هذا حكم الله
مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع الامة وقال القشيري
قال قوم هو ثابت الحكم الى الآن ه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال
وهو على الصفا وعمر اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وما مست يده عليه السلام
يد امرأة قط وقالت اسماء بنت يزيد بن السكن كنت في النسوة المبايعات فقلت
يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال لي عليه السلام اني لا اصافح النساء لكن
آخذ عليهن ما اخذ الله عليهن وكانت هند بنت عتبة في النساء فقرأ عليهن الآية
فلما قررهن على ان لا يشركن بالله شيئا قالت هند وكيف نطمع ان يقبل منا
ما لم يقبله من الرجال تعني ان هذا بين لزومه فلما وقف على السرقة قالت
والله اني لاصيب الهنة من مال ابي سفيان لا ادري ايحل لي ذلك فقال
ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف
عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة
فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وكانت
ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين فقالت والله ان البهتان لامر قبيح ولا يامر الله
الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله
ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء ومعنى قول هند وترى الحرة
انه كان في قريش في الاماء غالبا والا فالبغايا ذوات الرايات قد كن حرائر
وقرأ علي والحسن والسلمي ولا يقتّلن مشددا وقتلهن من اجل الفقر والفاقة
وكانت العرب تفعل ذلك والبهتان قال الاكثرون ان تنسب الى زوجها ولدا

ليس منه

ليس منه وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك ه بين ايديهن
لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين وروي
الضحاك البهتان العضيهة لانها اذا قذفت المرأة غيرها فقد بهتت ما بين يدي
المقذوفة ورجليها اذ نفت عنها ولدا فدولدته او الحقت بها ولدا لم تلده وقيل
البهتان السحر وقيل بين ايديهن السنتهن بالنميمة وارجلهن فروجهن وقيل
بين ايديهن قبلة او جسة وارجلهن الجماع ومن البهتان الفرية بالقول على احد
من الناس والكذب فيما اوتمن عليه من حمل وحيض والمعروف الذي نهي عن العصيان
فيه قال ابن عباس وانس وزيد بن اسلم هو النوح وشق الجيوب ووشم الوجوه
ووصل الشعر وغير ذلك من اوامر الشريعة فرضها وندبها وروي ان قوما من فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم وعلى
انهم اليهود فسرهم الحسن وابن زيد ومنذر بن سعيد لان غضب الله قد صار عرفا
لهم وقال ابن عباس كفار قريش لان كل كافر عليه غضب من الله وقيل اليهود
والنصارى قد يئسوا من الآخرة قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر ان من
من اصحاب القبور لابتداء الغاية اي من لقاء اصحاب القبور فمن الثانية كالاولى
في من الآخرة فالمعنى انهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم وقال ابن عرفة هم
الذين قالوا ما يهلكنا الا الدهر انتهى والكفار على هذا كفار مكة لانهم اذا مات
لهم حميم قالوا هذا آخر العهد به لن يبعث ابدا وهذا تاويل ابن عباس وقتادة
والحسن وقيل من لبيان الجنس اي الكفار الذين هم اصحاب القبور والمايوس منه
محذوف اي كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله لانه اذا كان حيا لم يقبر كان
يرجى له ان لا ييأس من رحمة الله اذ هو متوقع ايمانه وهذا تاويل مجاهد وابن جبير
وابن زيد وقال ابن عطية وبيان الجنس اظهر انتهى وقد ذكرنا ان الظاهر كون
من لابتداء الغاية اذ لا يحتاج الكلام الى تقدير محذوف وقرأ ابن ابي الزناد كما يئس
الكافر على الافراد والجمهور على الجمع ولما افتتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار
اولياء ختمها بمثل ذلك تاكيدا لترك موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عن توليهم والقاء
المودة اليهم ه المرصوص قال الفراء ومنذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص وقال
المبرد رصصت البناء لاءمت بين اجزائه وقاربته حتى يصير كقطعة واحدة

المفردات من سورة الصف م

قال الراعي ه

ه ما لقي البيض من الحرقوص ه يفتح باب المغلق المرصوص ه

الحرقوص دويبة تولع بالنساء الابكار وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في
الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان
مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى

ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۝
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ۝
هذه السورة مدنية في قول الجمهور ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال
ابن يسار مكية وروي ذلك ايضا عن ابن عباس ومجاهد وسبب نزولها قول المنافقين
للمؤمنين نحن منكم ومعكم ثم يظهر من افعالهم خلاف ذلك او قول شبان من المسلمين
فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا او قول ناس وددنا ان نعرف احب الاعمال الى ربنا
حتى نعمل فيه ففرض الجهاد واعلم الله بحب المجاهدين فتكره ذلك قوم وفر بعضهم يوم
احد فنزلت اقوال الاول لابن زيد والثاني لقتادة والضحاك والثالث
لابن عباس وابي صالح ومناسبتها لآخر السورة قبلها ان في الآخر يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فاقتضى ذلك اثبات العداوة بينهم فحض
تعالى على الثبات اذا لقي المؤمنون في الحرب اعداءهم والنداء بيا ايها الذين امنوا ان
كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطف في العتب وان كان للمنافقين
فالمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم والاستفهام يراد به الانكار والتوبيخ وتهكم بهم
في اسناد الايمان اليهم لم تتعلق بالفعل بعدها واذا وقف عليها فبالهاء او باسكان
الميم ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف والظاهر انتصاب مقتا على
التمييز وفاعل كبر ان تقولوا وهو من التمييز المنقول من الفاعل والتقدير كبر مقت
قولكم ما لا تفعلون ويجوز ان يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز
وان تقولوا هو المخصوص بالذم اي بئس مقتا قولكم كذا والخلاف الجاري في المرفوع
في بئس رجلا زيد جار هنا في ان تقولوا هنا ويجوز ان يكون في كبر ضمير يعود على المصدر
المفهوم من قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا بدل من المضمر او خبر
ابتداء مضمر وقيل هو من ابنية التعجب اي ما اكبره مقتا ومثله كبرت كلمة اي
ما اكبرها كلمة وقال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت
ناب كليب بواؤها ۝ ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب
لا يكون الا من امر خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على
تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن
المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض ولم يقتصر على ان جعل البغض

كبيرا

كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله
فقد تم كبره وشدته انتهى وقال ابن عطية والمقت البغض من اجل ذنب او ريبة او دناءة
يصنعها الممقوت انتهى وقال المبرد رجل ممقوت ومقيت اذا كان يبغضه كل احد
انتهى وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون وانتصب صفا على الحال
اي صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه
الى بعض والظاهر تشبيه الذوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص وقيل
المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص قيل وفيه
دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وصفا وكانهم
قال الزمخشري حالان متداخلتان وقال الحوفي كانهم في موضع النعت لصفا
انتهى ويجوز ان يكونا حالين من ضمير يقاتلون ولما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل
وهو راجع الى الكذب وذلك من معنى الاذاية للرسول اذ كان في اتباعه من يعاني الكذب
ناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه لم تؤذونني واذاهم له كان بانتقاصه في نفسه
وجحود لآيات الله واقتراحاتهم عليه ما ليس لهم اقتراحه وقد تعلمون جملة حالية
تقتضي تعظيمه وتكريمه فرتبوا على علمهم انه رسول الله ما لا يناسب العلم وهو الاذاية وقد
تدل على التحقيق في الماضي والتوقع في المضارع والمضارع هنا معناه المضي اي وقد علمتم
كقوله قد يعلم ما انتم عليه اي قد علم قد نرى تقلب وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب
الفعل فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم قال الزمخشري بان منع الطافه والله
لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف وقال غيره اسند
الزيغ اليهم ثم قال ازاغ الله كقوله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم وهو من العقوبة
على الذنب بالذنب بخلاف قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ولما ذكر شيئا من قصة موسى مع بني
اسرائيل ذكر ايضا شيئا من قصة عيسى عليهما السلام وهنا قال يا قوم لانه من بني اسرائيل
وهنا قال عيسى يا بني اسرائيل من حيث لم يكن له فيهم اب وان كانت امه منهم ومصدقا
ومبشرا حالان والعامل رسول اي مرسل واسمه جملة في موضع الصفة لرسول
اخبر انه مصدق لما تقدم من كتب الله الالهية ولمن تاخر من النبي المذكور لان التبشير
بانه رسول تصديق رسالته وروي ان الحواريين قالوا يا روح الله هل بعدنا من احد
قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من
الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل واحمد علم منقول من المضارع للمتكلم او من احمد
افعل التفضيل وقال حسان ۝

۝ صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد ۝

وقال القشيري بشر كل نبي قومه بنبينا صلى الله عليه وسلم والله افرد عيسى بالذكر في هذا
الموضع لانه اخر نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء
واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام والظاهر ان الضمير المرفوع في جاءهم يعود
على عيسى لانه المحدث عنه وقيل يعود على احمد لما فرغ من كلام عيسى تطرق الى الاخبار
عن احمد عليه السلام وذلك على سبيل الاخبار للمؤمنين اي فلما جاء هؤلاء الكفار بالمعجزات
الواضحة قالوا هذا سحر مبين وقرأ الجمهور سحر اي ما جاء به من البينات وقرأ عبد الله

وطلحة والاعمش وابن وثاب ساحر اي هذا الجائي ساحر وقرأ الجمهور يدعى مبنيا للمفعول
وطلحة يدّعي مضارع ادّعى مبنيا للفاعل وادّعى يتعدى بنفسه الى المفعول به لكنه لما ضمن
معنى الانتماء والانتساب عدي بالى وقال الزمخشري يدعي بمعنى يدعو نحو لمسه والتمسه
والضمير عائد على الله اي وهو يدعو الى الاسلام وقال الزمخشري ايضا وقرأ طلحة
ابن مصرف وهو يدّعي يعني يشد الدال بمعنى يدعو دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه يريدون
الآية تقدم تفسير نظيرها في سورة التوبة وقال الزمخشري اصله يريدون ان يطفئوا
كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى
الارادة في قولك جئتك لاكرمك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة
في لا اباك انتهى وقال نحو من ابن عطية قال واللام في قوله ليطفئوا لام مؤكدة دخلت
على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم
تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى وما ذكره ابن عطية من ان هذه اللام اكثر ما
يلزم المفعول اذا تقدم ليس باكثر بل الاكثر زيدا ضربت من لزيد ضربت واما قولهما ان اللام
للتاكيد وان التقدير ان يطفئوا فالاطفاء مفعول يريدون فليس مذهب

وقال ابن عباس وابن زيد هنا يريدون ابطال القرآن وتكذيبه بالقول وقال السدي
يريدون دفع الاسلام بالكلام وقال الضحاك هلاك الرسول صلى الله عليه وسلم بالاراجيف
وقال ابن بحر ابطال حجج الله بتكذيبهم وعن ابن عباس سبب نزولها ان الوحي ابطأ اربعين
يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود ابشروا اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل
عليه وما كان ليتم نوره فحزن الرسول فنزلت ٥ واتصل الوحي وقرأ العربيان ونافع
وابو بكر والحسن وطلحة والاعرج وابن محيصن متمّ بالتنوين نوره بالنصب وباقي السبعة
والاعمش بالاضافة وقرأ الجمهور تنجيكم مخففا والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج
وابن عامر مشددا والجمهور تؤمنون وتجاهدون وعبد الله آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا
امرين وزيد بن علي بالتاء فيهما محذوف النون فاما توجيه قراءة الجمهور فقال
المبرد هو بمعنى آمنوا على الامر ولذلك جاء يغفر مجزوما انتهى فصورته صورة الخبر
ومعناه الامر ويدل عليه قراءة عبد الله ونظيره قولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه
اي ليتق الله وجيء به على صورة الخبر قال الزمخشري للايذان بوجوب الامتثال
وكانه امتثل فهو مخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر
الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت انتهى وقال الاخفش هو
عطف بيان على تجارة وهذا لا يتخيل الا على تقدير ان يكون الاصل ان تؤمنوا حتى يتقدر
بمصدر ثم حذفت ان فارتفع الفعل كقوله ٥
الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى ٥ يريد ان احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل فكان التقدير
الآية هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ايمان بالله ورسوله وجهاد وقال
ابن عطية تؤمنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تؤمنون انتهى وهذا ليس بشيء لان
فيه حذف المبتدأ وحذف انه وابقاء الخبر وذلك لا يجوز وقال الزمخشري وتؤمنون

استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون ثم قال تبع المبرد فقال هو خبر في معنى
الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم انتهى واما قراءة عبد الله فظاهر المعنى وجواب الامر
يغفر واما قراءة زيد فيتوجه على حذف لام الامر اي لتؤمنوا التقدير لتؤمنوا كقوله

٥ قلت لبواب على بابها ٥ تيذن لنا اني من احمائها ٥

يريد لتيذن ويغفر مجزوم على جواب الامر في قراءة عبد الله وقراءة زيد وعلى تقدير المبرد وقال
الفراء هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم واستبعد هذا التخريج قال
الزجاج ليس اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا آمنوا وجاهدوا وقال
المهدوي انما يصح حملا على المعنى وهو ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله
هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قال
هل تؤمنون وتجاهدون قال فان لم تقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم
والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة وقال الزمخشري نحوه قال
وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل
تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم انتهى وتقدم شرح بقية الآية ولما ذكر تعالى ما يمنحهم
من الثواب في الآخرة ذكر ما يسرهم في العاجلة وهو ما يفتح عليهم من البلاد واخرى صفة
لمحذوف اي ولكم مثوبة اخرى او نعمة اخرى عاجلة الى هذه النعمة الآجلة واخرى مبتدا
وخبره المقدر لكم وهو قول الفراء ورجحه ابن عطية بقوله نصر من الله وتحبونها صفة
اي محبوبة اليكم وقال قوم واخرى في موضع نصب باضمار فعل اي ويمنحكم اخرى
ونصر خبر مبتدا اي ذلك او هو نصر وقال الاخفش واخرى في موضع جر عطفا على
تجارة وضعف هذا القول لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه انما هي من الثواب
الذي يعطيهم الله على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقرأ الجمهور نصر بالرفع وكذا
وفتح قريب وابن ابي عبلة بالنصب فيها ثلاثتها ووصف اخرى بتحبونها لان النفوس
قد وكلت بحب العاجل وفي ذلك تحريض على ما يحصل ذلك وهو الايمان والجهاد
وقال الزمخشري وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل قال فان قلت
لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص
او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا
وفتحا فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في معنى
الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك
انتهى كونوا انصار الله ندب المؤمنين الى النصرة ووضع لهم هذا الاسم وان كان
قد صار عرفا للاوس والخزرج وسماهم الله به وقرأ الاعرج وعيسى وابو عمرو والحرميان
انصارا لله بالتنوين والحسن والجحدري وباقي السبعة بالاضافة الى الله والظاهر
ان الكاف في موضع نصب على اضمار اي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى وقال مكي نعت لمصدر
محذوف والتقدير كونوا كونا وقيل نعت لانصارا اي كونوا انصارا مثل انصار عيسى
وقال الزمخشري التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان
الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله انتهى والحواريون اثنا عشر
رجلا وهم اول من آمن بعيسى بثهم عيسى في الآفاق بعث بطرس وبولس الى رومية واندلس

المفردات

وبنى إلى الأرض التي بها كان أهلها الناس وتوقاس إلى أرض بابل وفيلبس إلى قرطاجنة وهي أفريقية ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف ويعقوب إلى بيت المقدس وابن تلمين إلى أرض الحجاز وشمعان إلى أرض البربر وما حولها وفي بعض نسخها أشكال من جهة الضبط فليلتمس ذلك من مظانه ه فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم وهم الذين كفروا بعيسى فأصبحوا ظاهرين أي فاهرين لهم مستولين عليهم وقال زيد بن علي وقتادة ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان وقيل أيدنا المسلمين على الفرقتين الضالتين التفسير الكتاب الجميع الأوراق متضمنة ه

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم • يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين • قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين • قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون • يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون • فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين • هذه السورة مدنية وقيل مكية وهو خطأ لأن أمر اليهود وانفضاض الناس في الجمعة لم يكن إلا بالمدينة ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم أتبعه بذكر التنزيه لله وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته عليه السلام إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت أمته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم وقرأ الجمهور الملك بجر وجر ما بعده وأبو وائل ومسلمة بن محارب ورؤبة وأبو الدينار الأعرابي بالرفع على إضمار هو وحسنه الفصل الذي فيه طول بين الموصوف والصفة وجاء كذلك عن يعقوب وقرأ أبو الدينار وزيد بن علي القدوس بفتح القاف والجمهور بالضم هو الذي بعث الآية تقدم الكلام في نظيرها في آل عمران وفي نسبة الأمي وآخرين الظاهر أنه معطوف على في الأميين أي وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وقيل وآخرين منصوب عطفا على الضمير في ويعلمهم أسند تعليم الآخرين إليه عليه السلام مجازا لما تناسق التعليم إلى آخر الزمان وتلا بعضه بعضا فكأنه عليه السلام وجده وقال أبو هريرة وغيره وآخرين هم فارس وجاء نصا عنه عليه السلام

في صحيح البخاري ومسلم ولو فهموا منه الحصر في فارس لم يجز أن يفسر الآية ولكن فهم المفسرون منه أنه تمثيل فقال مجاهد وابن جبير الروم والعجم وقال مجاهد أيضا وعكرمة ومقاتل التابعين من أبناء العرب لقوله منهم أي في النسب ه وقال مجاهد أيضا والضحاك وابن حيان طوائف الناس وقال ابن عمر أهل اليمن وعن مجاهد أيضا أبناء الأعاجم وعن ابن زيد أيضا هم التابعون وعن الضحاك أيضا العجم وعن أبي روق الصغار بعد الكبار وينبغي أن يحمل هذه الأقوال على التمثيل كما حملوا قول الرسول في فارس وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده واختياره من سائر البشر ذلك فضل الله أي إيتاء النبوة وجعله خير خلقه واسطة بينه وبين خلقه مثل الذين حملوا التوراة هم اليهود المعاصرون للرسول كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول وهي ناطقة بنبوته الجمهور حملوا مشددا مبنيا للمفعول ويحيى بن يعمر وزيد بن علي مخففا مبنيا للفاعل شبه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتبا فهو لا يدري ما عليه أكتب هي أم صخر وغير ذلك وإنما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب لحملها ه

وقال الشاعر في نحو ذلك •

• زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر •
• لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر •

وقرأ عبد الله حمار منكرا والمأمون بن هرون يحمل بتشديد الميم مبنيا للمفعول والجمهور الحمار معرفا ويحمل مخففا مبنيا للفاعل ويحمل في موضع نصب على الحال قال الزمخشري أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبني ه انتهى وهذا الذي قاله قد ذهب إليه بعض النحويين وهو أن مثل يحمل من المعارف يوصف بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا وأمثاله عند المحققين في موضع الحال لا في موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذي اللام دليل على التعريف فمع ما في ذلك المذهب من هدم ما ذكره المتقدمون من أن المعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة والجمل نكرات بئس مثل القوم قال الزمخشري بئس مثلا مثل القوم انتهى فخرجه على أن يكون التمييز محذوفا وفي بئس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه وقد نص سيبويه على أن التمييز الذي يفسر الضمير المستكن في نعم وبئس وما أجري مجراهما لا يجوز حذفه وقال ابن عطية والتقدير بئس المثل مثل القوم انتهى وهذا ليس بشيء لأن فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز والظاهر أن مثل القوم فاعل بئس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف أي مثل الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود ويكون الذين كذبوا صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثلهم أي مثل هؤلاء الذين حملوا التوراة روي أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر إن اتبعتموه أطعناكم وإن خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير ابن الله والأنبياء ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل إلى اتباعه فنزلت قل يا أيها الذين هادوا وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا فتمنوا أن تنتقلوا سريعا

الى دار كرامته المعدة لاوليائه وتقدم تفسير نظير بقية الآية في سورة البقرة
الجمهور فتمنوا الموت بضم الواو وابن يعمر وابن ابي اسحاق وابن السميفع بكسرها
وعن ابن السميفع ايضا فتحها وحكى الكسائي عن بعض الاعراب انه قرأ بالهمز مضمومة بدل
الواو وهذا كقراءة من قرأ يلؤون بالهمز بدل الواو وقال الزمخشري ولا فرق بين
لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى
مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه وهذا منه رجوع عن مذهبه
في ان لن تقتضي النفي على التأبيد الى مذهب الجماعة في انها لا تقتضيه واما قوله الا
ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فيحتاج ذلك الى نقل عن مستقري اللسان
وقرأ الجمهور فانه والفاء دخلت في خبر ان اذ اجرى الموصوف مجرى صفته فكان
ان باشرت الذي وفي الذي معنى الشرط فدخلت الفاء في الخبر وقد منع هذا قوم منهم
الفراء وجعلوا الفاء زائدة **وقرأ** زيد بن علي انه بغير فاء وخرجه الزمخشري على الاستئناف
وخبر ان هو الذي كانه قال قل ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه انتهى
ويحتمل ان يكون خبر ان هو قوله انه ملاقيكم فالجملة خبر ان ويحتمل ان يكون انه
توكيدا لان الموت وملاقيكم خبر ان لما طال الكلام اكد الحرف مصحوبا بضمير الاسم
الذي لان اذا نودي اي اذن وكان الاذان عند قعود الامام على المنبر وكذا كان
في زمن الرسول كان اذا صعد على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل بعد الخطبة
اقيمت الصلاة وكذا كان في عهد ابي بكر وعمر الى زمان عثمان كثر الناس
وتباعدت المنازل فزاد مؤذنا آخر على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن
الثاني فاذا نزل من المنبر اقيمت الصلاة ولم يعب احد ذلك على عثمان رضي الله عنه
وقال الزمخشري **فان قلت** من في قوله من يوم الجمعة ما هي **قلت** هي بيان
لاذا وتفسير له انتهى **وقرأ** الجمهور الجمعة بضم الميم وابن الزبير وابو حيوة وابن ابي عبلة
ورواية عن ابي عمرو وزيد بن علي والاعمش بسكونها وهي لغة تميم ولغة بفتحها لم يقرأ بها
وكان هذا اليوم يسمى عروبة ويقال العروبة قيل واول من سماه الجمعة كعب
ابن لؤي واول جمعة صليت جمعة سعد بن زرارة صلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم
الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة جمعت في الاسلام واما
اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة نزل بقباء على بني عمرو
ابن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم
خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادرك صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن
واد لهم فخطب وصلى الجمعة والظاهر وجوب السعي لقوله فاسعوا الى ذكر الله وانه
يكون في المشي خفة وبدارا وقال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم انما يؤتى الصلاة
بالسكينة والسعي هو بالنية والارادة والعمل وقيل وليس الاسراع في المشي كالسعي
بين الصفا والمروة وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فالقيام والوضوء
ولبس الثوب والمشي كله سعي والظاهر ان الخطاب بالامر بالسعي للمؤمنين عموما وانها
فرض على الاعيان وعن بعض الشافعية انها فرض كفاية وعن مالك رواية شاذة انها
سنة وقال الحافظ ابو بكر بن العربي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم وقال لو ان المأمور بالسعي المؤمن الصحيح الحر الذكر المقيم
فلو حضروا اجزأتهم انتهى والمسافة التي يسعى منها الى الصلاة الجمعة لم تتعرض الآية لها
واختلف الفقهاء في ذلك فقال ابن عمر وابو هريرة وانس والزهري ستة اميال وقيل
خمسة وقال ربيعة اربعة وروي ذلك عن الزهري وابن المنكدر وقال مالك والليث
ثلاثة وقال ابو حنيفة واصحابه على من في المصر سمع النداء او لم يسمع لا على من هو خارج
المصر وان سمع النداء وعن ابن عمر وابن المسيب والزهري واحمد واسحق على من سمع النداء
وعن ربيعة على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة **وقرأ** كبراء
من الصحابة والتابعين فامضوا بدل فاسعوا وينبغي ان يحمل على التفسير من حيث انه لا يراد
بالسعي هنا الاسراع في المشي ففسروه بالمضي ولا يكون قرآنا لمخالفته سواد ما اجمع المسلمون
عليه وذكر الله هنا هو الخطبة قاله ابن المسيب وهي شرط في انعقاد الجمعة عند الجمهور
وقال الحسن هي مستحبة والظاهر انه يجزي من ذكر الله ما يسمى ذكرا قال ابو حنيفة
لو قال الحمد لله او سبحان الله واقتصر عليه جاز وقال عنه لا بد من كلام يسمى خطبة
وهو قول الشافعي ولابي يوسف ومحمد بن الحسن والظاهر تحريم البيع وانه لا يصح
وقال ابن العربي يفسخ وهو الصحيح وقال الشافعي ينعقد ولا يفسخ وكل ما
يشغل من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ ردعا انتهى وانما ذكر البيع من بين سائر المحرمات
لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق اذ يكثر الوافدون الامصار من القرى
ويجتمعون للتجارة اذا تعالى النهار فامروا بالبدار الى تجارة الآخرة ونهوا عن
تجارة الدنيا ووقت التحريم من الزوال الى الفراغ من الصلوة قاله الضحاك
والحسن وعطاء وقال ناس غيرهم من وقت اذان الخطبة الى الفراغ والاشارة
بذلكم الى السعي وترك البيع والامر بالانتشار والابتغاء امر اباحة وفضل الله هو ما
يبتغيه من حالة حسنة كعيادة المريض وصلة صديق واتباع جنازة واخذ في بيع
وشراء وتصرفات دينية ودنيوية وامر مع ذلك باكثار ذكر الله وقال مكحول
والحسن وابن المسيب الفضل المأمور بابتغائه هو العلم وقال جعفر الصادق
ينبغي ان يكون بخصوص يوم السبت ويعني ان يكون بقية يوم الجمعة في عبادة وروي
انه كان اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بعير تحمل ميرة قال
مجاهد وكان من عرفهم ان يدخل بالطبل والمعازف والصياح من دراه فدخلت
بذلك فانفضوا الى رؤية ذلك وسماعه وتركوه عليه السلام قائما على المنبر في اثني
عشر رجلا قال جابر انا احدهم قال ابو بكر غالب بن عطية هم العشرة المشهود
لهم بالجنة والحادي عشر قيل عمار وقيل ابن مسعود وقيل ثمانية قالوا فنزلت
واذا راوا **وقرأ** الجمهور اليها بضمير التجارة وابن ابي عبلة اليه بضمير اللهو
وكلاهما جائز نص عليه الاخفش عن العرب وقال ابن عطية وقال اليها ولم يقل
اليهما تهمما بالاهم اذ كانت سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت
التجارة على اللهو في الرؤية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا على
الابين انتهى وفي قوله قائما دلالة على مشروعية القيام في الخطبة واول من استراح
في الخطبة عثمان واول من خطب جالسا معاوية **وقرئ** اليهما بالتثنية للضمير

كقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وتخريجه على ان تكون او بمعنى الواو
وقد تقدم عن هذا التخريج في قوله فالله اولى بهما في موضعه من سورة النساء
وناسب ختمها بقوله خير الرازقين لانهم كانوا قد مسهم شيء من غلاء الاسعار كما تقدم
في سبب النزول وقد ملأ المفسرون كثيرا من اوراقهم باحكام وخلافات في مسائل
الجمعة مما لا تعلق لها بلفظ القرآن ۞ الجسم والخشب معروفان اسندت
ظهري الى الحائط املته واضفته اليه ونسا نداء القوم اصطفوا وتقابلوا للقتال

المفردات

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون • اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون
ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون • واذا رأيتهم تعجبك
اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون • واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون • سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين • هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون • يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون • يا ايها
الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم
الخاسرون • وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين • ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله
خبير بما تعملون ۞ هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق كانت من عبد الله
ابن ابي بن سلول واتباعه فيه اقوال فنزلت وسبب نزولها مذكور في قصة طويلة
من مضمونها ان اثنين من الصحابة ازدحما على ماء وذلك في غزوة بني المصطلق فشج احدهما
الآخر فدعا المشجوج يا للانصار ودعا الشاج يا للمهاجرين فقال عبد الله بن ابي بن سلول
ما حكى الله عنه من قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن
الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وكلاما قبيحا فسمعه زيد بن ارقم ونقل
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلام رسول الله عبد الله فحلف ما قال شيئا
من ذلك فاتهم زيد فانزل الله اذا جاءك المنافقون الى قوله لا يعلمون تصديقا
لزيد وتكذيبا لعبد الله بن ابي بن سلول ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما كان
سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس
كثير من المؤمنين في ذلك وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة اذ كان وقت
مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة اهل الايمان واتبعه بقبائح
افعالهم وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اذ كانوا هم اصحاب اموال
والمهاجرون فقراء قد تركوا اموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله قالوا نشهد يجري مجرى اليمين

ولذلك

ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله انك لرسول الله
واصل الشهادة ان يواطئ اللسان القلب هذا بالنطق وذلك بالاعتقاد فاكذبهم الله
وفضحهم بقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لم يواطئ قلوبهم السنتهم
على تصديقك واعتقادهم انك غير رسول فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم او كاذبون
عند انفسهم اذ كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وجاء بين شهادتهم
وتكذيبهم قوله والله يعلم انك لرسوله ايذانا ان الامر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقا
ولولا هذه الجملة لتوهم ان قولهم هذا كذب فوسطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم
اتخذوا ايمانهم سمي بهذه انهم تلك ايمانا وقرأ الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن
بكسرها مصدر آمن ولما ذكر انهم كاذبون اتبعه بموجب كفرهم وهو اتخاذ ايمانهم جنة يستترون
بها ويذبون بها عن انفسهم واموالهم كما قال بعض الشعراء ۞

۞ وما انتسبوا الى الاسلام الا لصون دمائهم ان لا تسالا ۞

ومن ايمانهم ايمان عبد الله ومن حلف معه من قومه انه قال ما نقله زيد بن ارقم الى
الرسول جعلوا تلك الايمان جنة تقيهم القتل وقال اعشى همدان ۞

۞ اذا انت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار الذم كل مسير ۞

وقال الضحاك اتخذوا حلفهم بالله انهم لمنكم وقال قتادة كلما ظهر على شيء منهم يوجب
مؤاخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لاموالهم ودمائهم وقال السدي جنة من نزول الصلاة
عليهم اذا ماتوا فصدوا اي اعرضوا وصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام ذلك
اي ذلك الحلف الكاذب والصد المفضيان لهم سوء العمل بسبب انهم ثم كفرهم وقال
ابن عطية ذلك اشارة الى فعل الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة
الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم بان كفروا وقال الزمخشري ذلك القول الشاهد عليهم
بانهم اسوأ الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق
والكذب والاستخفاف بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا وقرأ الجمهور
فطبع مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل اي فطبع الله وكذا قرأ الاعمش وزيد
في رواية مصرحا بالله ويحتمل على قراءة زيد الاولى ان يكون الفاعل ضميرا يعود على المصدر
المفهوم مما قبله اي فطبع هو اي بلعبهم بالدين ومعنى آمنوا نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل المسلمون ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما نطقوا به من الجحد بعد من قولهم لئن كان
ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير وقولهم ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى
وقيصر هيهات او نطقوا بالايمان عند المؤمنين وبالكفر عند شياطينهم او ذلك فيمن آمن
ثم ارتد واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم الخطاب للرسول او للسامع اي لحسنها ونضارتها
وجهارة اصواتهم فكان منظرهم يروق ومنطقهم يحلب وقرأ الجمهور تسمع مبنيا للخطاب
وعكرمة وعطية العوفي بالياء مبنيا للمفعول ولقولهم الجار والمجرور هو المفعول الذي
لم يسم فاعله وليست اللام زائدة بل ضمن تسمع معنى يصغي ويميل فعدي باللام وليست
زائدة فيكون قولهم هو المسموع وشبهوا بالخشب لعزوب افهامهم وفراغ قلوبهم من الايمان
ولم يكف حتى جعلها مسندة الى الحائط لا انتفاع بها لانها اذا كانت في سقف او مكان
ينتفع بها واما اذا كانت غير منتفع بها فانها تكون مهملة مسندة الى الحيطان او ملقاة

على الارض قد ضعفت او شبهوا بالخشب التي هي الاصنام وقد اسندت الى الحيطان او شبهوا
في اصطفافهم في الاندية بالخشب المصطفة الى الحيطان والجملة التشبيهية مستانفة
او على اضمار هم **وقرأ** الجمهور خشب بضم الخاء والشين والبراء بن عازب والنحويان وابن كثير
باسكان الشين تخفيف خشب المضموم وقيل جمع خشباء كحمر جمع حمراء وهي الخشبة التي
نخر جوفها شبهوا بها في فساد بواطنهم **وقرأ** ابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين اسم جنس
الواحد خشبة وانث وصفه كقوله اعجاز نخل خاوية اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام
وذكر ممن كان ذا بهاء وفصاحة عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب بن قشير

وقال الشاعر في مثلهم

لا يخدعنك اللحى ولا الصور ۝ تسعة اعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشرا ۝ وليس فيها لطالب مطر
في شجر السرو منهم شبه ۝ له رواء وما له ثمر

وقيل الجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور ويدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم
في المفعول الثاني ليحسبون اي واقعة عليهم وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب قال مقاتل
كانوا اذا سمعوا متى سمعوا انشاد ضالة او صياحا باي وجه كان او اخبروا بنزول وحي طارت
عقولهم حتى يسكن ذلك ويكونوا في غير شانهم وكانوا يخافون ان ينزل الله فيهم ما يبيح به
دماءهم واموالهم ونحوه **قول الشاعر**

يروعه السرار بكل ارض ۝ مخافة ان يكون به السرار

وقال جرير

ما زلت تحسب كل شي بعدهم ۝ خيلا تكر عليهم ورجالا

انشد ابن عطية لجرير ونسب هذا البيت الزمخشري للاخطل وقال ويجوز ان يكون هم
العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير **فان قلت** فحقه ان يقول هي العدو **قلت** منظور
فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون اهل كل صيحة
انتهى وتخريج هم العدو على انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة
بل المتبادر الى الذهن السليم ان يكون هم العدو اخبارا منه تعالى بانهم وان اظهروا الاسلام
واتباعهم هم المبالغون في عداوتك ولذلك جاء بعده امره تعالى اياه بحذرهم فقال
فاحذرهم فالامر بالحذر متسبب عن اخباره بانهم هم العدو وقاتلهم الله دعاء يتضمن
ابعادهم وهي انتزاحه وان يدعو عليهم المؤمنون بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق وفيه تعجب من ضلالهم وجهلهم ولما اخبر تعالى بعداوتهم امره بحذرهم فلا يثق
بظاهر مودتهم ولا بلين كلامهم وقاتلهم الله كلمة ذم وتوبيخ وقالت العرب قاتله الله
ما اشعره يضعونه موضع التعجب ومن قاتله الله فهو مغلوب لانه تعالى هو القاهر
لكل معاند وكيف استفهام اي كيف يصرفون عن الحق ولا يرون رشد انفسهم قال ابن عطية
ويحتمل ان يكون انى ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا او صرفوا
فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى ولا يصح ان يكون انى لمجرد الظرف بل لابد ان
يكون ظرفا استفهاما اما بمعنى اين او بمعنى متى او بمعنى كيف او شرطا بمعنى اين وعلى هذه
التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا تتجرد لمطلق الظرفية بحال من غير اعتبار ما ذكرناه فالقول

بذلك

موضع

بذلك باطل ولما صدق الله زيد بن ارقم في ما اخبر به عن ابن سلول مقت الناس ابن سلول
ولامه المؤمنون من قومه وقال له بعضهم امض الى رسول الله واعترف بذنبك
يستغفر لك فلوى راسه انكارا لهذا الراي وقال لهم لقد اشرتم علي بالايمان فامنت
واشرتم علي بان اعطي زكوة مالي ففعلت ولم يبق لكم الا ان تامروني بالسجود لمحمد ويستغفر
مجزوم على جواب الامر ورسول الله يطلب عاملان احدهما يستغفر والاخر تعالوا
فاعمل الثاني على المختار عند اهل البصرة ولو اعمل الاول لكان التركيب تعالوا يستغفر لكم الى
رسول الله **وقرأ** مجاهد ونافع واهل المدينة وابو حيوة وابن ابي عبلة والمفضل وابان
عن عاصم والحسن ويعقوب بخلاف عنهما لووا بتخفيف الواو وابو جعفر والاعمش وطلحة
وعيسى وابو رجاء والاعرج وباقي السبعة بشدها للتكثير ولي رؤوسهم هو على سبيل الاستهزاء
واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق فيستغفر لهم اذ كان استغفاره متسببا
عن استتابتهم فيتوبون وهم يصدون عن المجي واستغفار الرسول **وقرئ** يصدون ويصدون
جملة حالية واتت بالمضارع ليدل على استمرارهم وهم مستكبرون جملة حالية ايضا ولما
سبق في علمه تعالى انهم لا يؤمنون البتة سوى بين استغفاره لهم وعدمه وحكى مكي
انه عليه السلام كان استغفر لهم لانهم اظهروا له الاسلام وقال ابن عباس نزلت هذه بعد
قوله في براءة ان تستغفر لهم سبعين مرة وقوله عليه السلام سوف استغفر لهم
زيادة على السبعين فنزلت هذه الاية فلم يبق للاستغفار لهم وجه **وقرأ** الجمهور
استغفرت بهمزة التسوية التي اصلها همزة الاستفهام وطرح الف الوصل وابو جعفر
بمد على الهمزة قيل هي عوض من همزة الوصل وهي مثل المدة في قوله تعالى قل آلذكرين
حرم لكن هذه المدة في الاسم لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولا يحتاج ذلك في الفعل
لان همزة الوصل فيه مكسورة وعن ابي جعفر ايضا ضم ميم عليهم اذ اصلها الضم ووصل الهمزة
وروى معاذ بن معاذ العنبري عن ابي عمرو كسر الميم على اصل التقاء الساكنين ووصل
الهمزة فيسقط في القراءتين واللفظ خبر والمعنى على الاستفهام والمراد التسوية وجاز حذف
الهمزة لدلالة ام عليها كما دلت على حذفها في قوله

بسبع رمين الجمر ام بثمان

يريد ابسبع وقال الزمخشري **وقرأ** ابو جعفر آستغفرت
اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر وآلله
وقال ابن عطية **وقرأ** ابو جعفر بن القعقاع آستغفرت بمدة على الهمزة وهي الف التسوية
وقرأ ايضا بوصل الالف دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف لانه في الاولى اثبت
همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو
يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر هم الذين يقولون اشارة الى ابن سلول
ومن وافقه من قومه سفه احلامهم في انهم ظنوا ان رزق المهاجرين بايديهم وما علموا
ان ذلك بيد الله لا تنفقوا على من عند رسول الله الا ان تعالى حكى نص كلامهم فقولهم
على من عند رسول الله هو على سبيل الهزء لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
او لكونه جرى عندهم مجرى اللقب او هو معروف باطلاق هذا اللفظ عليه اذ لو كانوا
مقرين برسالته ما صدر منهم ما صدر فالظاهر انهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ
ولكنه عبر تعالى بذلك عن رسوله اكراما له واجلالا **وقرأ** الجمهور ينفضوا اي يتفرقوا

الاولى

لوا

عن الرسول وقال الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من نفض القوم فني طعامهم فنفض الرجل وعاءه
والفعل من باب ما تعدى بغير الهمزة وبالهمزة لا تتعدى قال الزمخشري وحقيقته حان لهم
أن ينفضوا مزاودهم وقرأ الجمهور ليخرجن الأعز منها الأذل فالأعز فاعل والأذل
مفعول وهو من كلام ابن سلول كما تقدم ويعني بالأعز نفسه وأصحابه وبالأذل المؤمنين
والحسن وابن أبي عبلة والمسيبي في اختياره لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل
فالأعز مفعول والأذل حال وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني لنخرجن بنون الجماعة
مفتوحة وضم الراء ونصب الأعز على الاختصاص كما قال نحن العرب أقرى الناس
للضيف ونصب الأذل على الحال وحكى هذه القراءة أبو حاتم وحكى الكسائي والفراء أن قوما
قرؤوا ليخرجن بالياء مفتوحة وضم الراء فالفاعل الأعز ونصب الأذل على الحال وقرئ
ليخرجن مبنيا للمفعول وبالياء الأعز مرفوع به الأذل نصبا على الحال ومجيء الحال
بصورة المعرفة متأول عند البصريين لما كان منه بالفعل زيادة ألف لا أنها معرفة ولما
سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبي من هذه الآية جاء إلى أبيه فقال أنت والله يا أبت
الذليل ورسول الله العزيز فلما دنا إلى المدينة جرد السيف عليه ومنعه الدخول
حتى يأذن له رسول الله وكان فيما قال له وراءك لا تدخلها حتى يقول رسول الله الأعز
وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أذن له الرسول بتخليته وفي هذا الحديث أنه قال
لئن لم تقر لله ورسوله بالعزة لأضربن عنقك قال أفاعل أنت قال نعم فقال
أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وقيل للحسن بن علي إن عمرا لناس أن فيك
تيها فقال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية لا تلهكم لا تشغلكم أموالكم
بالسعي في نمائها والتلذذ بجمعها ولا أولادكم بسروركم بهم وبالنظر في مصالحهم في حياتكم
وبعد مماتكم عن ذكر الله هو عام في الصلوة والثناء على الله بالتسبيح والتحميد وغير ذلك
والدعاء قاله نحوا منه الحسن وجماعة وقال الضحاك وعطاء أكد هنا الصلاة
المكتوبة وقال الحسن أيضا جميع الفرائض وقال الكلبي الجهاد مع الرسول
وقيل القرآن ومن يفعل ذلك أي التشاغل عن ذكر الله بالمال والولد فأولئك هم الخاسرون
حيث آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي وأنفقوا مما رزقناكم قال الجمهور
المراد الزكوة وقيل عام في مفروض ومندوب وعن ابن عباس نزلت في مانعي الزكوة
والله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال
نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها لولا أخرتني
أي هلا أخرت موتي إلى زمان قليل وقرأ الجمهور فأصدق وهو منصوب على جواب
الرغبة وأبي وعبد الله وابن جبير فأتصدق على الأصل وقرأ جمهور السبعة وأكن
مجزوما قال الزمخشري عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن
وقال ابن عطية عطفا على الموضع لأن التقدير إن تؤخرني أصدق وأكن هذا مذهب
أبي علي الفارسي فأما ما حكاه س عن الخليل فهو غير هذا وهو أنه جزم وأكن على
توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لأن الشرط ليس بظاهر وإنما يعطف
على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن قرأ
بالجزم عطف على موضع فلا هادي له لأنه لو وقع هناك فعل كان مجزوما انتهى

والفرق

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود
دون مؤثره والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود وقرأ الحسن وابن جبير
وأبو رجاء وابن أبي إسحق ومالك بن دينار والأعمش وابن محيصن وعبد الله بن الحسن
العنبري وأبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على فأصدق وكذا في مصحف عبد الله
وأبي وقرأ عبيد بن عمير وأكون بضم النون على الاستئناف أي وأنا أكون
وهو وعد بالصلاح ولن يؤخر الله فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذارا
أن يجيء الأجل وقد فرط ولم يستعد للقاء الله وقرأ الجمهور تعملون بتاء الخطاب
للناس كلهم وأبو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم ٥ التغابن تفاعل
من الغبن وليس من اثنين بل هو من واحد كتواضع وتحامل والغبن أخذ الشيء بدون
قيمته أو بيعه كذلك وقيل الغبن الإخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه ويقال
غبنت الثوب وخبنته إذا أخذت ما طال منه عن مقدارك فمعناه النقص ٥

المفردات

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير • هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله
بما تعملون بصير • خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير
يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم • ذلك
بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى
الله والله غني حميد • زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم وذلك على الله يسير • فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله
بما تعملون خبير • يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
ذلك الفوز العظيم • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير • هذه السورة مدنية في قول الأكثرين وقال ابن عباس وغيره
مكية إلا آيات من آخرها يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم إلى آخرها نزلت بالمدينة
وقال الكلبي مكية ومدنية ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن ما قبلها مشتمل
على حال المنافقين وفي آخرها خطاب المؤمنين فأتبعه بما يناسبه من قوله هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهذا تقسيم في الإيمان والكفر بالنظر إلى الاكتساب
عند جماعة من المتأولين لقوله كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله
التي فطر الناس عليها وقيل ذلك في أصل الخلقة بدليل ما في حديث النطفة
من قول الملك أشقي أم سعيد والغلام الذي قتله الخضر أنه طبع يوم طبع كافرا وما
روي عن ابن مسعود أنه عليه السلام قال خلق الله فرعون في البطن كافرا وخلق
يحيى بن زكريا مؤمنا وعن عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومؤمن بالله
كافر بالكوكب وقدم الكافر لكثرته ألا ترى إلى قوله وقليل من عبادي الشكور وحين
ذكر الصالحين قال وقليل ما هم وقال الزمخشري فمنكم آت بالكفر وفاعل له

ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد
وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم
وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو
الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا
شاكرين انتهى وهو على طريق الاعتزال وقال أيضا وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر
بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به وعن الحسن في الكلام حذف دل عليه تقديره ومنكم
فاسق وكأنه من كذب المعتزلة على الحسن وتقدم الجار والمجرور في قوله له الملك وله الحمد
قال الزمخشري ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك
لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه
وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه وحمده اعتداد
بأن نعمة الله جرت على يده **وقرأ** الجمهور صوركم بضم الصاد وزيد بن علي وأبو رزين
بكسرها والقياس الضم وهذا تعديد للنعمة في حسن الخلقة لأن أعضاء بني آدم متصرفة
بجميع ما تتصرف به أعضاء الحيوان وبزيادات كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه
وجمال الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل النعمة
هنا إنما هي صورة الإنسان من حيث هو إنسان مدرك عاقل فهذا هو الذي حسن له
حتى لحقته كمالات كثيرة ونكاد ذا العرب لا تعرف الصورة إلا الشكل لا المعنى القائم
بالصورة ونبه تعالى بعلمه بما في السموات والأرض ثم بعلمه بما يسر العباد وما يعلنونه
ثم بعلمه بما أكنته الصدور على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء لا من الكليات ولا من
الجزئيات فابتدأ بالعلم الشامل للعالم كله ثم بخاص العباد من سرهم وإعلانهم ثم بما
خص منه وهو ما تنطوي عليه صدورهم من خفي الأشياء وكامنها وهذا كله في معنى
الوعيد إذ هو تعالى المجازي على جميع ذلك بالثواب والعقاب **وقرأ** الجمهور ما تسرون
وما تعلنون بتاء الخطاب وعبيد عن أبي عمرو وأبان عن عاصم بالياء ألم يأتكم الخطاب
لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وغيرهم ممن صرح بذكرهم في سورة
براءة وغيرها وقد سمعت قريش أخبارهم فذاقوا وبال أمرهم أي مكروهه وما يسوؤهم
منه ذلك أي الوبال بأنه أي بأن الشأن والحديث استبعدوا أن يبعث الله من البشر
رسولا كما استبعدت قريش فقالوا على سبيل الاستغراب أبشر يهدوننا وذلك أنهم
يقولون نحن متساوون في البشرية فأنى يكون لهؤلاء تميز علينا بحيث يصيرون هداة
لنا وارتفع أبشر عند الحوفي وابن عطية على الابتداء والخبر يهدوننا والأحسن أن يكون
مرفوعا على الفاعلية لأن همزة الاستفهام تطلب الفعل فالمسألة من باب الاشتغال فكفروا
العطف بالفاء يدل على تعقيب كفرهم مجيء الرسل بالبينات أي لم ينظروا في تلك البينات
ولا تأملوها بل عقبوا مجيئها بالكفر واستغنى الله استفعل بمعنى الفعل المجرد وغناه تعالى
أزلي فالمعنى أنه ظهر تعالى غناه عنهم إذ أهلكهم وليست استفعل هنا للطلب وقال
الزمخشري معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته
على ذلك انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والزعم تقدم تفسيره والذين كفروا أهل مكة
وبلى إثبات لما بعد حرف النفي وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله

ورسوله

ورسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي أنزلنا وهو القرآن وانتصب يوم يجمعكم
بقوله لتنبؤن أو بخبير بما فيه من معنى الوعيد والجزاء أو باذكر مضمرة قاله الزمخشري
والأول عن النحاس والثاني عن الحوفي **وقرأ** الجمهور يجمعكم بالياء وضم العين وروي عنه
سكونها وإشمامها الضم وسلام ويعقوب وزيد بن علي والشعبي بالنون ليوم الجمع الجمع فيه
الأولون والآخرون وذلك أن كل واحد يبعث طامعا في الخلاص ورفع المنزلة ذلك
يوم التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء
لو كانوا أشقياء وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة
وذلك معنى يوم التغابن وعن مجاهد وغيره إذا وقع الجزاء غبن المؤمنون الكافرين
لأنهم يحوزون الجنة ويحصل الكفار في النار **وقرأ** الأعرج وشيبة وأبو جعفر وطلحة
ونافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وزيد بن علي والحسن بخلاف عنه نكفر وندخله بالنون
فيهما والأعمش وعيسى والحسن وباقي السبعة بالياء فيهما ۞ ما أصاب من مصيبة
إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ۞ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ۞ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فإن الله غفور رحيم ۞ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ۞ فاتقوا الله
ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون ۞ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ۞
عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۞ الظاهر إطلاق المصيبة على الرزية وهي ما
يسوء العبد في نفس أو مال أو ولد أو قول أو فعل وخصصت بالذكر وإن كان جميع الحوادث
لا تصيب إلا بإذن الله قيل ويحتمل أن يريد بالمصيبة الحادثة من خير وشر إذ الحكم في كونهما
بإذن الله وما نافية ومفعول أصاب محذوف أي ما أصاب أحدا والفاعل من مصيبة
ومن زائدة ولم يلحق التاء أصاب وإن كان الفاعل مؤنثا وهو فصيح والتأنيث أكثر لقوله
ما تسبق من أمة أجلها وقوله وما تأتيهم من آية إلا بإذن الله أي بإرادته وعلمه
وتمكينه ومن يؤمن بالله أي يصدق بوجوده ويعلم أن كل حادثة بقضائه وقدره يهد
قلبه يدله على طريق الخير والهداية **وقرأ** الجمهور يهد بالياء مضارعا لهدى
مجزوما على جواب الشرط **وقرأ** ابن جبير وطلحة وابن هرمز والأزرق عن حمزة
بالنون والسلمي والضحاك وأبو جعفر يهد مبنيا للمفعول قلبه رفع وعكرمة وعمرو
ابن دينار ومالك بن دينار يهدأ بهمزة ساكنة قلبه بالرفع والمعنى يطمئن قلبه
ويسكن بإيمانه ولا يكون فيه اضطراب وعمرو بن فايد يهدا بألف بدلا من الهمزة الساكنة
وعكرمة ومالك بن دينار أيضا يهد بحذف الألف بعد إبدالها من الهمزة الساكنة
وإبدال الهمزة في مثل يهدأ ويقرأ ليس بقياس خلافا لمن أجاز ذلك قياسا
وبنى عليه جواز حذف تلك الألف للجازم وخرج عليه **قول زهير بن أبي سلمى**

جريء متى يظلم يعاقب بظلمه ۞ سريعا وإن لا يبد بالظلم يظلم ۞

قوله عز وجل ما أصاب من مصيبة

صلة بعد أن ثم أبدل من الهمزة الفاء ثم حذفها للجازم تشبيهًا بالعلة يعني إذا دخل الجازم
ولما قال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ثم أمر بطاعة الله وطاعة رسوله
حذر بما يلحق الرجل من امرأته وولده بسبب ما يصدر من بعضهم من العداوة ولا أعدى
على الرجل من زوجته وولده إذ كانا عدوين وذلك في الدنيا والآخرة أما في الدنيا
فبإذهاب ماله وعرضه وأما في الآخرة فيما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما وبما
يكسبانه منه بسبب جاهه وكم من امرأة قتلت زوجها وجذمته وأفسدت عقله
وكم من ولد قتل أباه وفي التواريخ وفيما شاهدناه من ذلك كثير وعن عطاء بن أبي رباح
أن عوف بن مالك الأشجعي أراد الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع أهله وأولاده فثبطوه
وتشكوا إليه فراقه فرق ولم يغز ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية
وقيل آمن قوم بالله وثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة ولم يهاجروا إلا بعد مدة فوجدوا
غيرهم قد تفقه في الدين فندموا وأسفوا وهموا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم فنزلت
وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم
ويردوا إليهم البر والصلة ومن في من أزواجكم وأولادكم للتبعيض فقد توجد زوجة
تسر زوجها وتعينه على مقاصده في دنياه ودينه وكذلك الولد ٥

وقال الشغب العبسي يمدح ولده رباطا ٥

إذا كان أولاد الرجال حزازة • فأنت الحلال الحلو والبارد العذب •
لنا جانب منه دميث وجانب • إذا رامه الأعداء مركبه صعب •
وتأخذه عند المكارم هزة • كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب •

وقال فرعان بن الأعرف في ابنه منازل وكان عاقًا له ٥
قصيدة فيها بعض طول منها

وربيته حتى إذا ما تركته • أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه •
فلما رآني أحسب الشخص أشخصًا • بعيدًا وذا الشخص البعيد أقاربه •
تعمد حقي ظالمًا ولوى يدي • لوى يده الله الذي هو غالبه •

إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا
بلاء أعظم منهما وفي باب العداوة جاء بمن التي تقتضي التبعيض وفي الفتنة حكم
بها على الأموال والأولاد لا على بعضهما وذلك لغلبة الفتنة بهما وكفى بالمال
فتنة قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله الآيات وقد شاهدنا من ذكر أنه يشغله الكسب والتجارة في أمواله
حتى يصلي كثيرًا من الصلوات الخمس فائتة وقد شاهدنا من كان موصوفًا عند
الناس بالديانة والورع فحين لاح له منصب وتولاه استناب من يلوذ به من
أولاده وأقاربه وإن كان بعض من استنابه صغيرًا للسن قليل العلم سيئ الطريقة
ونعوذ بالله من الفتن وقدمت الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة كلا إن
الإنسان ليطغى أن رآه استغنى شغلتنا أموالنا وأهلونا والله عنده أجر عظيم
تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة والأجر العظيم الجنة فاتقوا الله ما استطعتم

قال أبو العالية جهدكم وقال مجاهد هو أن يطاع فلا يعصى واسمعوا ما توعظون
به وأطيعوا فيما أمرتم به ونهيتم عنه وأنفقوا فيما وجب عليكم وخيرًا منصوب بفعل
محذوف تقديره وأتوا خيرًا أو على إضمار يكن فيكون خبرًا أو على أنه نعت لمصدر محذوف
أي إنفاقًا خيرًا أو على أنه حال أو على أنه مفعول بأنفقوا خيرًا أي مالًا أقوال الأول
عن س ولما أمر بالإنفاق أكده بقوله إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا ورتب عليه تضعيف
القرض وغفران الذنب وفي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء وفي لفظ المضاعفة
تأكيد للبذل لوجه الله ثم أتبع جواب الشرط بوصفين أحدهما عائد إلى المضاعفة إذ شكره
تعالى مقابل للمضاعفة وحلمه مقابل للغفران قيل وهذا الحض هو في الزكاة المفروضة
وقيل في المندوب إليه وتقدم الخلاف في القراءة في يوق وفي شح وفي يضاعفه

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ف
طلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فار
بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا • هذه
السورة مدنية قيل وسبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفصة قاله قتادة عن أنس وقال السدي طلاق عبد الله بن عمر وقيل
فعل ناس مثل فعله منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص
وعتبة بن غزوان فنزلت وقال الحافظ أبو بكر بن العربي وهذا وإن لم يصح فالقول
الأول أمثل والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر
الفتنة بالمال والولد أشار إلى الفتنة بالنساء وأنهن قد يعرضن الرجال
للفتنة حتى لا يجد مخلصًا منها إلا بالطلاق فذكر أنه ينفصل منهن بالوجه الجميل
بأن لا يكون بينهن انفصال لا بطلاق ولد ولا حمل يا أيها النبي نداء للنبي وخطاب
على سبيل التكريم والتنبيه إذا طلقتم خطاب له عليه السلام مخاطبة الجمع
على سبيل التعظيم أو لأمته على سبيل تلوين الخطاب أقبل عليه السلام أولًا
ثم رجع إليهم بالخطاب أو على إضمار القول أي قل لأمتك إذا طلقتم أو له
ولأمته وكأنه ثم محذوف تقديره يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم فالخطاب
له ولهم أي أنت وأمتك أقوال وقال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم
وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم
يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارًا لتقدمه واعتبارًا لترؤسه وأنه مدره قومه
ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده
في حكم كلهم وساد مسد جميعهم انتهى وهو كلام حسن ومعنى إذا طلقتم إذا أردتم
تطليقهن والنساء يعني المدخول بهن فطلقوهن أي أوقعوا الطلاق لعدتهن

قوهن

وعلى حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو كتبته لليلة
بقيت من شهر كذا وتقدير الزمخشري هنا حالا لا محذوفة يدل عليه المعنى يتعلق بها
المجرور اي مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لانه قدر عاملا خاصا ولا يحذف
العامل في الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت
زيد عندك في الدار تريد ضاحكا عندك او ضاحكا في الدار لم يجز فتعليق اللام
بقوله فطلقوهن ويجعل على حذف مضاف هو الصحيح وما روي عن جماعة من
الصحابة والتابعين من انهم قرؤا فطلقوهن في قبل عدتهن وعن بعضهم في قبل
عدتهن وعن عبد الله لقبل طهرهن هو على سبيل التفسير لا على انه قرآن لخلافه
سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون شرقا وغربا وهل تعتبر العدة بالنسبة
الى الاطهار او الحيض تقدم ذلك في البقرة في قوله ثلثة قروء والمراد ان يطلقهن
في طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن فان شاء ردها وان شاء اعرض
عنها لتكون مهياة للزوج وهذا الطلاق ادخل في السنة وقال مالك لا اعرف
طلاق السنة الا واحدة وكره الثلث مجموعة او مفرقة وابو حنيفة كره ما زاد
على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا وقال الشافعي لا باس
بارسال الثلث ولا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فراعى
في السنة الوقت فقط وابو حنيفة التفريق والوقت ومالك الواحدة والوقت
وقوله فطلقوهن مطلق لا تعرض فيه لعدد ولا لوصف من تفريق او جمع والجمهور
على انه لو طلق لغير السنة وقع وعن ابن المسيب وجماعة من التابعين انه
لو طلق في حيض او ثلث لم يقع والظاهر ان الخطاب في واحصوا العدة للازواج
اي اضبطوا بالحفظ وفي الاحصاء فوائد مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى
وتوزيع الطلاق على الاقراء واذا اراد ان يطلق ثلاثا والعلم بانها قد بانت فيتزوج
باختها وباربع سواها ونهى تعالى عن اخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدة ونهاهن
ونهاهن ايضا عن خروجهن واضاف البيوت اليهن لما كان سكناهن فيها
ونهيهن عن الخروج لا يبيحه اذن الازواج اذ لا اثر لاذنهم والاسكان على الزوج
فان كان ملكه او بكراء فذاك او ملكها فعليه اجرته وسواء في ذلك الرجعية
والمبتوتة وسنة ذلك ان لا تبيت عن بيتها ولا تخرج عنه نهارا الا لضرورة
وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي الزنا
عند قتادة ومجاهد والحسن والشعبي وزيد بن اسلم والضحاك وعكرمة وحماد
والليث ورواه مجاهد عن ابن عباس فيخرجن للحد وعند ابن عباس البذاء على الاحماء
فتخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزمها الاقامة في مسكن يتخذه حفظا للنسب
وعنه ايضا جميع المعاصي من سرقة او قذف او زنا او غير ذلك واختاره الطبري
فيسقط حقها في السكنى وعند ابن عمر والسدي وابن السايب هي خروجها من بيتها
خروج انتقال فيسقط حقها في السكنى وعند قتادة ايضا نشوزها عن الزوج
فتطلق بسبب ذلك فلا يكون عليه سكنى واذا سقط حقها من السكنى اتمت
العدة ۞ لا تدري ايها السامع لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال المفسرون

الامرهنا

الامر هنا الرغبة في ارتجاعها والميل اليها بعد انحرافه عنها او ظهور حمل فيراجعها
من اجله ونصب لا تدري على جملة الترجي فلا تدري معلقة عن العمل وقد تقدم لنا
الكلام على قوله وان ادري لعله فتنة لكم وذكرنا انه ينبغي ان يزاد في المعلقات
لعل فالجملة المترجاة في موضع نصب بلا تدري ۞ فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن
على انقضاء العدة فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف اي لغير ضرار او فارقوهن
بمعروف اي سرحوهن باحسان والمعنى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن
وقرا الجمهور اجلهن على الافراد والضحاك وابن سيرين اجالهن على الجمع والامساك
بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج والمفارقة بمعروف هو اداء المهر
والتمتيع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط واشهدوا الظاهر وجوب الاشهاد
على ما يقع من الامساك وهو الرجعة او المفارقة وهي الطلاق وهذا الاشهاد مندوب
اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعية واجب في الرجعة
مندوب اليه في الفرقة وقيل واشهدوا يريد على الرجعة فقط والاشهاد شرط
في صحتها فلها منعه من نفسها حتى يشهد وقال ابن عباس الاشهاد على الرجعة
وعلى الطلاق يرفع عن النوازل اشكالا كثيرة ويفسد تاريخ الاشهاد من الاشهاد
قيل وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا
يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث انتهى ومعنى منكم قال الحسن
من المسلمين وقال قتادة من الاحرار واقيموا الشهادة لله ۞ هذا امر للشهود اي
لوجه الله خالصا لا لمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة الحق
ذلكم اشارة الى اقامة الشهادة اذ نوازل الاشيا تدور عليه وبها يتميز المبطل
من المحق ۞ ومن يتق الله قال علي بن ابي طالب وجماعة هي في معنى الطلاق اي
ومن لا يتعدى طلاق السنة الى طلاق الثلث وغير ذلك يجعل الله له مخرجا ان
ندم بالرجعة ويرزقه ما يطعم اهله انتهى ومفهوم الشرط انه اذا لم يتق الله فبت
الطلاق وندم لم يكن له مخرجا وزال عنه رزق زوجته وقال ابن عباس
للمطلق ثلثا انك لم تتق الله بانت منك امراتك ولا ارى لك مخرجا وقال
يجعل له مخرجا يخلصه من كرب الدنيا والاخرة والظاهر ان قوله ومن يتق الله متعلق
بامر ما سبق من احكام الطلاق وروي انها في غير هذا المعنى كان اسر ابن يسمى
سالما لعوف بن مالك الاشجعي فشكا ذلك للرسول فامره بالتقوى فقبل ثم لم يلبث
ان تغلب ولده واستاق مائة من الابل كذا في الكشاف وقطيعا من الغنم في الوجيز
كانت للذين اسروه وجاء ابوه اباه فسال الرسول صلى الله عليه وسلم ايطيب له فقال
نعم ونزلت الاية وقال الضحاك ويرزقه من حيث لا يحتسب امراة اخرى
وقيل ومن يتق الحرام يجعل له مخرجا الى الحلال وقيل مخرجا من الشدة الى الرخاء
وقيل من النار الى الجنة وقيل من العقوبة ويرزقه من حيث لا يحتسب من الثواب
وقال الكلبي ومن يتق الله عند المصيبة يجعل له مخرجا الى الجنة ومن يتوكل على الله
اي يفوض امره اليه فهو حسبه اي كافيه ان الله بالغ امره قال مسروق اي لا بد من
نفوذ امر الله توكلت او لم تتوكل وقرا الجمهور بالغ بالتنوين امره بالنصب وحفص

والمفضل وأبان وجبلة وابن أبي عبلة وجماعة عن أبي عمرو ويعقوب وابن مصرف
وزيد بن علي بالإضافة وابن أبي عبلة أيضاً وداود بن أبي هند وعصمة عن أبي عمرو
وبالغٌ منوناً أمرُه رفع أي نافذ أمره والمفضل أيضاً بالغاً بالنصب أمرُه بالرفع فخرّجه
الزمخشري على أن بالغاً حال وخبر إنّ هو قوله قد جعل الله ويجوز أن تخرج هذه القراءة
على قول من ينصب بإنّ الجزأين كقوله

إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن ... خطاك خفافاً إن حراسنا أُسدا

ومن رفع أمرُه فمفعول بالغ محذوف تقديره بالغ أمره ما شاء قد جعل الله لكل شيء قدراً
أي تقديراً وميقاتاً لا يتعداه وهذه الجمل تحض على التوكل وقرأ جناح بن حبيش
قدَراً بفتح الدال والجمهور بإسكانها ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم
فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له أجراً أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم
فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف
الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ روي أن قوماً منهم أبي بن كعب
وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء
قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية فقال
قائل فما عدة الحامل فنزلت وأولات الأحمال وقرأ الجمهور يئسن فعلاً ماضياً وقرئ
ييأسن مضارعاً ومعنى إن ارتبتم في أنها يئست أم لا لأجل مكان ظهور الحمل وإن كان
انقطع دمها وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس أهو دم حيض أو استحاضة
وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك وقدر بعضهم مبلغ اليأس
بستين سنة وبعضهم بخمس وخمسين وقيل غالب سن يأس عشيرة المرأة وقيل أقصى
عادة امرأة في العالم وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة أطبق بها الدم
لا تدري أهو دم حيض أو دم علة وقيل إن ارتبتم شككتم في حالهن وحكمهن فلم
تدروا ما حكمهن فالحكم أن عدتهن ثلاثة أشهر واختار الطبري أن معنى إن ارتبتم
شككتم فلم تدروا ما الحكم وقيل إن ارتبتم أي إن تيقنتم إياسهن وهو من
الأضداد وقال الزجاج المعنى إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الدم وكانت
ممن يحيض مثلها وقال مجاهد أيضاً إن ارتبتم هو للمخاطبين أي إن لم تعلموا عدة
الآيسة واللائي لم يحضن فالعدة هذه فتلخص في قوله إن ارتبتم قولان أحدهما
أنه على ظاهر مفهوم اللغة فيه وهو حصول الشك والآخر أن معناه التيقن للإياس
والقول الأول معناه إن ارتبتم في حكمها دمها أهو دم حيض أو دم علة أو إن
ارتبتم في علوق بحمل أم لا أو إن ارتبتم أي جهلتم عدتهن أقوال أولاها الظاهر
أن قوله واللائي لم يحضن يشمل من لم يحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة
وهو موجود في النساء وهو أنها تعيش إلى أن تموت ولا تحيض ومن أتى عليها زمان

الحيض

الحيض وما بلغت به ولم تحض وقيل هذه تعتد سنة واللائي لم يحضن معطوف
على واللائي يئسن فإعرابه مبتدأ كإعراب واللائي يئسن وقدّروا خبره جملة من جنس
خبر الأول أي فعدتهن ثلاثة أشهر والأولى أن يقدّر مثل أولئك أو كذلك فيكون
المقدّر مفرداً لا جملة وأولات الأحمال عام في المطلقة والمتوفى عنها زوجها وهو قول
عمر وابن مسعود وأبي مسعود البدري وأبي هريرة وفقهاء الأمصار وقال علي
وابن عباس وأولات الأحمال في المطلقات وأما المتوفى عنها فعدتها أقصى الأجلين
فلو وضعت قبل أربعة أشهر وعشر صبرت إلى آخرها والحجة عليهما حديث سبيعة
وقال ابن مسعود من شاء لاعنته ما نزلت وأولات الأحمال إلا بعد آية المتوفى
عنها زوجها وقرأ الجمهور حملهن مفرداً والضحاك أحمالهن جمعاً ذلك أمر الله
يريد ما علم من حكم المعتدات وقرأ الجمهور ويعظم بالياء مضارع أعظم والأعمش
بالنون من الغيبة إلى التكلم وابن مقسم بالياء والتشديد مضارع عظّم مشدداً ولما
كان الكلام في أمر المطلقات وأحكامهن وأحكامهن من العدد وغيرها وكن لا يطلقن
أزواجاً إلا عن بغض لهن وكراهة جاء عقيب بعض الجمل الأمر بالتقوى من حيث المعنى
مبرزاً في صورة شرط وجزاء في قوله ومن يتق الله في العمل بما أنزله من هذه الأحكام
وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات وغير ذلك
مما يلزمه يترتب له تكفير السيئات والإعظام للأجر ومن في من حيث سكنتم للتبعيض
أي بعض مكان سكناكم وقال قتادة إن لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض
جوانبه قاله الزمخشري وقال الحوفي من لابتداء الغاية وكذا قال أبو البقا
ومن وجدكم قال الزمخشري فإن قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة انتهى ولا نعرف عطف بيان يعاد فيه العامل إنما هذا
طريقة البدل مع حرف الجر ولذلك أعربه أبو البقاء بدلاً من قوله من حيث سكنتم
وقرأ الجمهور من وجدكم بضم الواو والحسن والأعرج وابن أبي عبلة وأبو حيوة
بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وذكرها المهدوي
عن الأعرج وهي لغات ثلاث بمعنى الوسع والوجد بالفتح يستعمل في الحزن والغضب
والحب ويقال وجدت في المال ووجدت على الرجل وجداً وموجدة ووجدت الضالة
وجداناً والوجد بالضم الغنى والقدرة يقال افتقر الرجل بعد وجد وأمر تعالى بإسكان
المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت والمبتوتة فقال ابن المسيب وسليمان
ابن يسار وعطاء والشعبي والحسن ومالك والأوزاعي وابن أبي ليلى والشافعي
وأبو عبيد لها السكنى ولا نفقة لها وقال الثوري وأبو حنيفة لها السكنى
والنفقة وقال الحسن وحماد وأحمد وإسحق وأبو ثور لا سكنى لها ولا نفقة
ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض
الأشياء من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن
إلى الخروج وقيل هذه المضارة مراجعتها إذا بقي من عدتها قليل ثم يطلقها فيطول
حبسها في عدتها الثانية وقيل إلجاؤها إلى أن تفتدي منه وإن كن أولات حمل

قوله عز وجل واللائي يئسن

لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت او لم تبت فان كانت متوفى عنها فاكثر العلماء
على انه لا نفقة لها وعن علي وابن مسعود تجب نفقتها في التركة فان ارضعن لكم
اي ان ولدت وارضعن المولود وجب لهن النفقة وهي الاجرة الكسوة وسائر المؤن
على ما قرر في كتب الفقه ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستئجار اذا كان الولد
منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وفي تعميم المطلقات بالسكنى وتخصيص
اولات الاحمال بالنفقة دليل على ان غيرهن من المطلقات لا يشاركها في النفقة
ويشاركهن في السكنى ۞ وائتمروا افتعلوا من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا
امر بعضهم بعضا والخطاب للآباء والامهات اي وليأمر بعضكم بعضا بمعروف
اي في الاجرة والارضاع والمعروف الجميل بان تسامح الام ولا يماكس الاب
لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وقال
الكسائي وائتمروا تشاوروا ومنه قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
وقول امرئ القيس ۞ ويعدو على المرء ما يأتمر ۞ وقيل المعروف
الكسوة والدثار ۞ وان تعاسرتم تضايقتم وتشاكستم فلم ترض الام بما ترضى به الاجنبية
وابى الزوج الزيادة او ان ابى الزوج الارضاع الا مجانا وابت هي الا بعوض فسترضع
له اخرى اي يستأجر غيرها وليس له اكراهها فان لم يقبل الا ثدي امه اجبرت على
الارضاع باجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب اجرة الرضاع بالمطلقة بل
المنكوحة في معناها وقيل فسترضع خبر في معنى الامر اي فلترضع له اخرى
وفي قوله فسترضع له اخرى يسير معاتبة للام اذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضيه
حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لم تبق غير مقضية وانت ملوم والضمير في له
عائد على الاب كما تقدم في قوله فان ارضعن لكم اي للازواج لينفق الموسر والمقدور
عليه ما بلغه وسعه اي على المطلقات والمرضعات ولا يكلف ما لا يطيقه والظاهر
ان المأمور بالانفاق الازواج وهذا اصل في وجوب نفقة الولد على الوالد دون
الام وقال محمد بن المواز انها على الابوين على قدر الميراث ۞ وفي الحديث
يقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني ذكره في صحيح البخاري **وقرأ** الجمهور
لينفق بلام الامر وحكى ابو معاذ لينفق بلام كي ونصب القاف وتعلق بمحذوف
تقديره شرعنا ذلك لينفق **وقرأ** الجمهور قدر مخففا وابن ابي عبلة مشددا الدال
سيجعل الله وعد لمن قدر عليه رزقه بفتح لهم ابواب الرزق ولا يختص هذا
الوعد بفقراء ذلك الوقت ولا بفقراء الازواج مطلقا بل من انفق ما قدر عليه
ولم يقصر ولو عجز عن نفقة امرأته فقال ابو هريرة والحسن وابن المسيب ومالك
والشافعي واحمد واسحاق يفرق بينهما وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة لا يفرق
بينهما ۞ وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها
عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا
شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات
الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

قوله عز وجل
وكأين من قرية

فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ۞ تقدم
الكلام على كأين في آل عمران وعلى نكرا في الكهف عتت اعرضت عن امر ربها على سبيل العناد
والتكبر والظاهر في فحاسبناها الى الجمل الاربعة ان ذلك في الدنيا لقوله بعدها اعد الله لهم
عذابا شديدا وظاهره ان المعد عذاب الآخرة والحساب الشديد هو الاستقصاء والمناقشة
فلم يغتفر لهم زلة بل اخذوا بالدقائق من الذنوب ۞ وقيل الجمل الاربعة من الحساب
والعذاب والذوق والخسر في الآخرة وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب
الجنة ويكون قوله اعد الله لهم تكريرا للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قال
اعد الله لهم هذا العذاب وقال الكلبي الحساب في الآخرة والعذاب النكر في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف ولما ذكر ما حل بالقرية العاتية امر المؤمنين بتقوى الله
تحذيرا من عقابه ونبه على ما يحض على التقوى وهو انزال الذكر والظاهر ان الذكر هو
القرآن وان الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فاما ان يجعل نفس الذكر مجازا لكثرة ما
يتذكر منه الذكر فكانه هو الذكر ويكون بدلا على حذف مضاف اي ذكر رسول وقيل
رسولا نعت على حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول وقيل المضاف محذوف من الاول
اي ذا ذكر رسولا فيكون رسولا نعتا لذلك المحذوف او بدلا وقيل رسول بمعنى رسالة
فيكون بدلا من ذكرا ويبعده قوله بعد يتلو عليكم والرسالة لا تسند التلاوة اليها
الا مجازا وقيل الذكر اسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الذكر الشرف كقوله
وانه لذكر لك ولقومك فيكون رسولا بدلا منه وبيانا له وقال الكلبي الرسول
هنا جبريل وتبعه الزمخشري فقال رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا
لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه
انتهى ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل
اشتمال وهذه الاعاريب على ان يكون ذكرا ورسولا لشيء واحد وقيل رسولا
منصوب بفعل محذوف اي بعث رسولا او ارسل رسولا وحذف لدلالة انزل عليه
ونحا الى هذا السدي واختاره ابن عطية وقال الزجاج وابو علي الفارسي يجوز
ان يكون رسولا معمولا للمصدر الذي هو الذكر انتهى فيكون المصدر مقدرا بان
والفعل تقديره ان ذكر رسولا وعمل منونا كما عمل في واطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وكما **قال الشاعر** ۞

۞ بضرب بالسيوف رؤس قوم ازلنا هامهن عن المقيل ۞

وقرئ رسول بالرفع على اضمار هو ليخرج يصح ان يتعلق بيتلو وبانزل الذين آمنوا اي
الذين قضى وقدر واراد ايمانهم او اطلق عليهم آمنوا باعتبار ما آل امرهم اليه وقال الزمخشري
ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله
غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ انتهى والضمير في ليخرج عائد على الله
او على الرسول او على الذكر ومن يؤمن راعى اللفظ اولا في الشرطية فافرد الضمير في يؤمن
ويعمل ويدخله ثم راعى المعنى في خالدين فجمع ثم راعى اللفظ في قد احسن الله فافرد
واستدل النحويون بهذه الآية على مراعاة اللفظ اولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ

واورد بعضهم ان هذا ليس كما ذكروا لان الضمير في خالدين ليس عائدا على من بخلاف الضمير
في يؤمن ويعمل ويدخله وانما هو عائد على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها
يدخله لا فعل الشرط الله الذي خلق سبع سموات لا خلاف ان السموات سبع بنص القرآن
والحديث كما جاء في حديث الاسرا وقوله عليه السلام لسعد حكمت بحكم الملك من فوق سبعة
ارقعة وغير ذلك من نصوص الشريعة وقرأ الجمهور مثلهن بالنصب والمفضل عن عاصم وعصمة
عن ابي بكر مثلهن بالرفع فالنصب قال الزمخشري عطفا على سبع سموات انتهى وفيه الفصل
بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو الواو والمعطوف وهو مختص بالضرورة عند ابي علي
الفارسي واضمر بعضهم العامل بعد الواو لدلالة ما قبله عليه اي وخلق من الارض
مثلهن فمثلهن مفعول للفعل المضمر لا معطوف وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على
الابتداء ومن الارض الخبر والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الاوصاف فقال
الجمهور المثلية في العدد اي مثلهن في كونها سبع ارضين وفي الحديث طوقه من سبع ارضين
ورب الارضين السبع وما اقللن فقيل سبع طباق من غير فتوق وقيل بين كل طبقة
وطبقة مسافة قيل وفيها سكان من خلق الله فقيل ملائكة وجن وعن ابن عباس
من رواية الواقدي الكذاب قال في كل ارض آدم كآدم ونوح كنوح ونبي كنبيكم
وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى وهذا حديث لا شك في وضعه وقال ابو صالح انها
سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار ويظل جميعها السما يتنزل
الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال
مقاتل وغيره الامر هنا الوحي فبينهن اشارة الى بين هذه الارض التي هي ادناها وبين
السما السابعة وقال الاكثرون الامر القضا والقدر فبينهن اشارة الى بين الارض
السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلا وقيل يتنزل الامر بينهن
بحيوة وموت وغنى وفقر وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره وقرأ الجمهور يتنزل
مضارع تنزل وقرأ عيسى وابو عمرو في رواية ينزل مضارع نزل مشددا الامر بالنصب
والجمهور لتعلموا بتاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة ۵

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم • قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم
وهو العليم الحكيم • واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله
عليه عرف بعضه واعرض عن بعض • فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني
العليم الخبير • ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو
مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير • عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات
وابكارا • يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون • يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ۵ هذه السورة مدنية وسبب
نزولها ما يأتي ذكره في تفسير اوائلها والمناسبة بينها وبين السورة قبلها انه

لما ذكر جملة من احكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي نداء اقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما
يقع فيه من ليس بمعصوم لم تحرم سؤال تلطيف ولذلك قدم قبله يا ايها النبي كما جاء
في قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ومعنى تحرم تمتنع وليس التحريم المشروع
بوحي من الله وانما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة ما احل الله
هو مباشرة مارية جاريته وكان الم بها في بيت بعض نسائه فغارت من ذلك
صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه منها واكتمها ذلك فافشته الى بعض نسائه
وقيل هو عسل كان يشربه عند بعض نسائه فكان يتناوب لذلك فغار بعضهن من دخوله
بيت التي عندها العسل وتواصين على ان يذكرن له ان رائحة ذلك العسل ليس
بطيب فقال لا اشربه وللزمخشري قبحه الله هنا كلام ضربت عنه صفحا كما ضربت
عن كلامه في قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وكلامه هذا ونحوه يحقق قولي فيه
ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا به فلو حرم الانسان على نفسه شيئا احله الله له لم يحرم
كشرب عسل او وطء سرية واختلفوا اذا قال لزوجته انت علي حرام والحلال
علي حرام ولا يستثني زوجته فقال جماعة منهم الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة
واصبغ هو كتحريم الماء والطعام فلا يلزمه شيء وقال تعالى لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احله الله وقال ابو بكر وعمر وزيد
وابن مسعود وابن عباس وعائشة وابن المسيب وعطا وطاوس وسليمان
ابن يسار وابن جبير وقتادة والحسن والاوزاعي وابو ثور وجماعة هو يمين يكفرها
وقال ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي في احد قوليه
فيه تكفير يمين وليس بيمين وقال ابو حنيفة وسفيان والكوفيون هو ما اراد
من الطلاق فان لم يرد طلاقها فهو لا شيء وقال آخرون كذلك فان لم يرد فهي
يمين وفي التحرير قال ابو حنيفة واصحابه ان نوى الطلاق فواحدة بائنة
او اثنتين فواحدة او ثلاثا فثلاث او لم ينو شيئا فيمين وهو مول او الظهار فظهار
وقال ابن القسم لا تنفعه نية الظهار ويكون طلاقا وقال يحيى بن عمر يكون
فان ارتجعها فلا يجوز له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار فما زاد من اعداده فان نوى
واحدة فرجعية وهو قول الشافعي وقال الاوزاعي وسفيان وابو ثور اي شيء نوى به
من الطلاق وقع وان لم ينو شيئا فقال سفيان لا شيء عليه وقال الاوزاعي وابو ثور
يقع واحدة وقال الزهري له نيته ولا يكون اقل من واحدة فان لم ينو فلا شيء وقال
ابن جبير عليه عتق رقبة وان لم يكن ظهارا وقال ابو قلابة وعثمن واحمد
واسحق التحريم ظهار ففيه كفارته وقال الشافعي ان نوى انها محرمة
كظهر امه فظهار او تحريم عينها بغير طلاق او لم ينو فكفارة يمين وقال مالك
هي ثلث في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فهو ما اراد من واحدة او ثنتين
او ثلث وقاله علي وزيد وابو هريرة وقيل في المدخول بها ثلث قاله علي ايضا وزيد
ابن اسلم والحكم وقال ابن ابي ليلى وعبد الملك بن الماجشون هي ثلث في الوجهين
ولا ينوي في شيء وروي ابن خويز منداد عن مالك وقاله زيد وحماد بن ابي سليمان انها

واحدة بائنة في المدخول بها وغير المدخول بها وقال الزهري وعبد العزيز بن الماجشون هي واحدة رجعية وقال ابو مصعب ومحمد بن عبد الحكم هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلث وفي الكشاف لا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النسا وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمن ظهار انتهى وقال ايضا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها انتهى وتبتغي في موضع الحال وقال الزمخشري تفسير لتحرم او استيناف مرضات رضى ازواجك اي بالامتناع مما احله الله لك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم الظاهر انه كان حلف على انه يمتنع من وطء مارية او من شرب من ذلك العسل على الخلاف في السبب وفرض احالة على آية العقود ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الآية وتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم وليس مصدرا مقيسا والمقيس التحليل والتكريم لان قياس فعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل واصل تحلة تحللة فادغم وعن مقاتل اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن لم يكفر انتهى فيدل على انه لم يكن ثمة يمين وبعض ازواجه حفصة والحديث بسبب مارية فلما نبات به اي اخبرت عايشة وقيل الحديث انما شرب عسلا وقال ميمون بن مهران هو اسراره الى حفصة ان ابا بكر وعمر يليان امر امتي من بعدي خلافة وقرا الجمهور فلما نبات به وطلحة انبات والعامل في اذا اذكر وذكر ذلك على سبيل التانيب والعتب لمن اسر اليه فافشاه ونبا وانبا الاصل ان يتعديا الى واحد بانفسهما والى ثان بحرف الجر ويجوز حذفه فقوله نبات به المفعول الاول محذوف اي غيرها ومن انباك هذا اي بهذا قال نبأني اي نبأني به او نبانيه فاذا ضمنت معنى اعلم تعدت الى ثلثة مفاعيل نحو

قول الشاعر

نبيت زرعة والسفاهة كاسمها ... تهدي الي غرايب الاشعار

واظهره الله اي اطلعه عليه اي على افشايه وكان قد تكلم فيه وذلك باخبار جبريل عليه السلام وجات الكناية هنا عن الغيبة والحذف للمفعول اليها بالترحياطة وصونا عن التصريح بالاسم اذ لا يتعلق بالتصريح باسمه غرض وقرا الجمهور عرف بتشديد الرا والمعنى اعلم به وانب عليه وقرا السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وابو عمرو في رواية هرون عنه بتخفيف الرا اي جازى بالعتب واللوم كما تقول لمن يوذيك لاعرفن لك ذلك اي لاجازينك وقيل انه طلق حفصة وامره الله بمراجعتها وقيل عاتبها ولم يطلقها وقرا ابن المسيب وعكرمة عراف بالف بعد الرا وهي اشباع وقال ابن خالويه ويقال انها لغة يمانية ومثاله بالالف قوله اعوذ بالله من العقراب الشايلات عقد الاذناب يريد من العقرب واعرض عن بعض اي تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفين ما زال التغافل من فعل الكرام ومفعول عرف المشدد محذوف اي عرفها بعضه اي اعلم ببعض الحديث وقيل

المعرف حديث خلافة الشيخين والذي اعرض عنه حديث مارية ولما افشت حفصة الحديث لعايشة واكتمتها اياه ونباها الرسول به ظنت حفصة ان عايشة فضحتها فقالت من انباك هذا على سبيل التثبت فاخبرها ان الله هو الذي نباه به فسكتت وسلمت ان تتوبا الى الله التفات من غيبة الى خطاب وبمعنى لالتفات والخطاب لحفصة وعايشة فقد صغت مال عن الصواب وفي حرف عبد الله زاغت واتى بالجمع في قوله قلوبكما وحسن ذلك اضافته الى مثنى وهو ضميرهما والجمع في مثل هذا اكثر استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع كما **قال الشاعر**

فتخالسا نفسيهما بنوافذ ... كنوافذ العبط التي لا ترقع

وهذا كان القياس وذلك ان يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا الى الجمع لان التثنية جمع في المعنى والافراد لا يجوز عند اصحابنا الا في الشعر كقوله حمامة بطن الواديين ترنمي يريد بطني وغلط من قال فيه من كتاب التسهيل ونختار لفظ الافراد على لفظ التثنية وقرا الجمهور تظاهرا بشد الظا واصله تتظاهرا وادغمت التا في الظا وبالاصل قرا عكرمة وبتخفيف الظا قرا ابو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية وبشد الظا والها دون الف قرا ابو عمرو في رواية والمعنى وان تعاونا عليه اي في افشا سره والافراط في الغيرة فان الله هو مولاه اي مظاهره ومعينه والاحسن الوقف على قوله مولاه ويكون وجبريل مبتدا وما بعده معطوف عليه والخبر ظهير فيكون ابتدا الجملة بجبريل وهو امين وحي الله واختتامها بالملايكة وبدي بجبريل وافرد بالذكر تعظيما له واظهارا لمكانته عند الله ويكون قد ذكر مرتين مرة بالنص ومرة في العموم واكتنف صالح المومنين جبريل والملايكة تشريفا لهم واعتنا بهم اذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل في الظهارة لا في الولاية ويختص الرسول بان الله هو مولاه وجوزوا ان يكون وجبريل وصالح المومنين عطفا على اسم الله فيدخلان في الولاية ويكون والملايكة مبتدا والخبر ظهير فيكون جبريل داخلا في الولاية بالنص وفي الظهارة بالعموم والظاهر عموم وصالح المومنين فيتناول كل صالح وقال قتادة والعلا بن زيد هم الانبيا وتكون مظاهرتهم له كونهم قدوة فهم ظهرا بهذا المعنى وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد المراد ابو بكر وعمر وزاد مجاهد وعلي بن ابي طالب وقيل الصحابة وقيل الخلفا وعن ابن جبير من بري من النفاق وصالح يحتمل ان يراد به الجمع وان كان مفردا فيكون كالسامر في قوله مستكبرين به سامرا اي سمارا ويحتمل ان يكون جمعا حذفت منه الواو خطا لحذفها لفظا كقوله سندع الزبانية وافرد ظهير لان المراد فوج ظهير وجمع ظهير وكثيرا ما ياتي فعيل نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد كانهم في المظاهرة يد واحدة على من يعا فما قدر تظاهر امراتين على من هو مولاه ظهراوه وذلك اشارة الى تظاهرهما او الى الولاية وفي الحديث ان عمر قال يا رسول الله لا تكترث بامر نسايك والله معك وجبريل معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت وروي انه قال لمزوجات النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن الآية فنزلت وقرا الجمهور طلقكن بفتح القاف وابو عمرو في رواية عباس بادغامها في الكاف وتقدم ذكر الخلاف في ان يبدله في سورة الكهف

والمبتدأ فيه محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره ان يبدله يكن خيرا منكن لانهن اذا طلقهن
كان طلاقهن لسوء عشرتهن واللواتي يبدلهن بهن الاوصاف يكن خيرا منهن وبدا في
وصفهن بالاسلام وهو الانقياد ثم بالايمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية
ثم بالتوبة وهو الاقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وهي التذلل ثم بالسياحة وهو كناية عن الصيام
قاله ابو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وقيل ان الرسول صلى الله عليه السلام فسر بذلك
قاله ايضا الحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن قال الفراء والقتبي
سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقال
زيد بن اسلم وبنات مهاجرات وقال ابن زيد ليس في الاسلام سياحة الا الهجرة
وقيل ذاهبات في طاعة الله وقرأ الجمهور سائحات وعمرو بن فائد سيحات وهذه
الصفات تجتمع واما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان فلذلك عطف احدهما على الاخر
ولو لم يات بالواو لاختل المعنى وذكر الجنسين لان في ازواجه عليه السلام من تزوجها
ثيبا ومن تزوجها بكرا والثيب الراجع بعد زوال العذرة يقال ثابت تثوب ثوبا
ووزنه فيعل كسيد ولما وعظ ازواج الرسول موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة
للمؤمنين واهليهم وعطف واهليكم على انفسكم لان رب المنزل راع وهو مسئول عن اهله
ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته والزامهم اداء ما فرض عليهم قال عمر يا رسول الله
نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا قال تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتامرونهن بما امركم
الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الاولاد في واهليكم وقيل
دخلوا في انفسكم لان الولد بعض من ابيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي
وقرئ واهلوكم بالواو وهو معطوف على الضمير في قوا وحسن العطف للفصل بالمفعول
وقال الزمخشري فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم
قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل
قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما
معا على لفظ المخاطب انتهى وتقدم الخلاف في فتح الواو في قوله وقودها وضمها
في البقرة وتفسير وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة هي الزبانية التسعة
عشر واعوانهم ووصفهم بالغلظ اما لشدة اجسامهم وقوتها واما لغلظتهم كقوله
ولو كنت فظا غليظ القلب اي ليس فيهم رقة ولا حنة على العصاة والنصب ما امرهم
على البدل اي لا يعصون امره كقوله افعصيت امري او على اسقاط حرف الجر اي فيما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون قيل كررا المعنى توكيدا وقال الزمخشري فان قلت
اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره
ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون لا يتثاقلون
عنه ولا يتوانون فيه لا تعتذروا خطاب لهم عند دخولهم النار اي لانه لا ينفعكم
الاعتذار فلا فائدة فيه ه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا

وماواهم

وماواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا
النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة
عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من
القانتين ه ذكروا في التوبة النصوح اربعة وعشرين قولا وروي عن عمر وعبد الله وابي
ومعاذ انها التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع ورفعه معاذ الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقرأ الجمهور نصوحا بفتح النون وصفا للتوبة وهو من امثلة المبالغة
كضروب وقتول وقرأ الحسن والاعرج وعيسى وابو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع بضمها
وهو مصدر وصف به ووصفها بالنصح على سبيل المجاز اذ النصح صفة التائب وهو ان ينصح
نفسه بالتوبة فياتي بها على طريقها وهي خلوصها من جميع الشوائب المفسدة لها من قولهم
عسل ناصح اي خالص من الشمع او من النصاحة وهي الخياطة اي قد احكمها واوثقها كما يحكم
الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه وسمع علي اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب
اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة
قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها
في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة
بحسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه انتهى ونصوحا من نصح فاحتمل وهو
الظاهر ان تكون التوبة تنصح نفس التائب واحتمل ان يكون متعلق النصح الناس
اي يدعوهم الى مثلها لظهور امرها على صاحبها وقرأ زيد بن علي توبا بغير تاء ومن قرأ بالضم
جاز ان يكون مصدرا وصف كما قدمنا وجاز ان يكون مفعولا له اي توبوا للنصح لانفسكم وقرأ
الجمهور ويدخلكم عطفا على ان يكفر وقال الزمخشري عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل
توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم انتهى والاولى ان يكون حذف الحركة تخفيفا وتشبيها
لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة تقول في قمع قمع وفي نطع نطع يوم لا يخزي منصوب
بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والنبي هو الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم وفي الحديث انه عليه السلام تضرع في امر امته فاوحى الله تعالى اليه ان شئت
جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال تعالى اذن لا اخزيك فيهم
وجاز ان يكون والذين معطوفا على النبي فيدخلون في انتفاء الخزي وجاز ان يكون مبتدا
والخبر نورهم يسعى فيكون النبي مخصوصا بانه لا يخزى بالنص عليه وتقدم في الحديد
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقرأ سهل بن شعيب السهمي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الهمزة
وتقدم في الحديد ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس والحسن يقولون ذلك اذا طفئ نور
المنافقين ه وقال الحسن ايضا يدعونه تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وهو
مغفور له وقيل يقوله من يمر على الصراط زحفا وحبوا وقيل يقوله من يعطى من النور مقدار
ما يبصر به موضع قدميه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين تقدم تفسير هذه الاية في التوبة
ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب تعالى المثل لهم بامراة نوح وامراة لوط في انهم لا ينفعهم

لا ينفعهم مع كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ الكفر قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن
وان كان المؤمن في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح كما لم ينفع نبينك المرأتين مع كونهما زوجتي نبيين وجاءت الكناية عن اسميهما العلم
بقوله عبدين من عبادنا لما في ذلك من التشريف بالاضافة اليه تعالى ولم يات التركيب
بالضمير عنهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله صالحين لان الصلاح هو
الوصف الذي يمتاز به من اصطفاه تعالى كقوله تعالى في خبر ابراهيم عليه السلام وانه
في الآخرة لمن الصالحين وفي قول يوسف عليه السلام والحقني بالصالحين وقول سليمن
عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فخانتاهما وذلك بكفرهما وقول
امرأة نوح هو مجنون ونميمة امرأة لوط بمن ورد عليه من الاضياف قال ابن عباس
وقال لم تزن امرأة نبي قط ولا ابتلي في نسائه بالزنا قال في البحر وهذا اجماع من
المفسرين وفي كتاب ابن عطية وقال الحسن في كتاب النقاش فخانتاهما بالكفر والزنا
وغيره وقال الزمخشري ولا يجوز ان يراد الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف
الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وقال الضحاك خانتاهما بالنميمة كانت
اذا اوحي اليه بشيء افشتاه للمشركين وقيل خانتاهما بنفاقهما وقال مقاتل اسم
امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة فلم يغنيا بيا الغيبة والالف ضمير نوح ولوط
اي على قربهما منهما فرق بينهما الخيانة وقيل ادخلا النار اي وقت موتهما او يوم
القيامة مع الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع من دخلها من اخوانكما
من قوم نوح وقوم لوط وقرأ مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء والالف ضمير المرأتين ومعنى عنهما
عن نفسهما ولا بد من هذا المضاف الا ان يجعل عن اسما كهي في دع عنك لانها ان كانت
حرفا كان في ذلك تعدية الفعل الرافع للضمير المتصل الى ضميره المجرور وهو يجري
مجرى المنصوب المتصل وذلك لا يجوز ٥ وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون
مثل تعالى حال المؤمنين في ان وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امرأة
فرعون واسمها آسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله
والمدعي الالهية بل نجاها منه ايمانها وبحال مريم اذ اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة
والاصطفاء على نساء العالمين من ان قومها كانوا كفارا اذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة هذا يدل على ايمانها وتصديقها بالبعث قيل كانت عمة موسى عليه السلام
وآمنت حين سمعت بتلقف عصاه ما افك السحرة طلبت من ربها القرب من رحمة
وكان ذلك اهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك بيتا ثم بينت مكان القرب
فقالت في الجنة وقال بعض الظرفاء وقد سئل اين في القرآن مثل قولهم الجار
قبل الدار قال قوله تعالى ابن لي عندك بيتا في الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا
في الجنة هو الدار وقد تقدم عندك على قوله بيتا ونجني من فرعون قيل دعت بهذه
الدعوات حين امر فرعون بتعذيبها لما عرف ايمانها بموسى وذكر المفسرون انواعا مضطربة
في تعذيبها ولم يثبت في القرآن انها عذبت وقال الحسن لما دعت بالنجاة نجاها الله
اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم وقيل لما قالت ابن لي عندك بيتا
في الجنة ارأت بيتها في الجنة يبنى وعمله قيل كفره وقيل عذابه وظلمه وشماتته

بالخيانة

وقال

وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر وقال مقاتل
القبط وفي هذا دليل على الالتجاء الى الله عند المحن وسؤال الخلاص منها فان ذلك
من سنن الصالحين والانبياء ومريم معطوف على امرأة فرعون ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا تقدم تفسير نظير هذه في سورة الانبياء وقرأ الجمهور ابنة عمران
بفتح التاء وايوب السختياني ابنه بسكون الهاء وصلاه اجراه مجرى الوقف وقرأ الجمهور
فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها كما في سورة الانبياء اي في الجملة وجمع تعالى في
التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن
وقرأ الجمهور وصدقت بشد الدال ويعقوب وابو مجلز وقتادة وعصمة عن عاصم
بخفها اي كانت صادقة بما اخبرت به من امر عيسى وما اظهر الله لها من الكرامات وقرأ
الجمهور وكلمات جمعا فاحتمل ان تكون الصحف المنزلة على ادريس عليه السلام وغيره وسماها
كلمات لقصرها ويكون المراد بكتبه الكتب الاربعة واحتمل ان تكون الكلمات ما كلم الله
به ملائكته وغيرهم وبكتبه جميع ما يكتب في اللوح وغيره واحتمل ان تكون الكلمات ما صدر
في امر عيسى وقرأ الحسن ومجاهد والجحدري بكلمة على التوحيد فاحتمل ان يكون اسم جنس
واحتمل ان يكون كناية عن عيسى لانه قد اطلق عليه انه كلمة الله القاها الى
مريم وقرأ ابو عمرو وحفص وكتبه جمعا ورواه كذلك خارجة عن نافع وقرأ باقي
السبعة وكتابه على الافراد فاحتمل ان يراد به الجنس وان يراد به الانجيل لا سيما ان فسرت
الكلمة بعيسى وقرأ ابو رجاء وكتبه قال ابن عطية بسكون التاء وكتبه وذلك كله مراد به
التوراة والانجيل وقال صاحب اللوامح ابو رجاء وكتبه بفتح الكاف وهو مصدر اقيم
مقام الاسم قال سهل وكتبه اجمع من كتابه لان فيه وضع المضاف موضع الجنس فالكتب
عام والكتاب هو الانجيل فقط انتهى وكانت من القانتين غلب الذكورية على التانيث
والقانتين شامل للذكور والاناث ومن للتبعيض وقال الزمخشري ويجوز ان تكون
لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى
صلوات الله عليهما وقال يحيى بن سلام مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة
في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامرأة
فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات على الدين انتهى
واخذ الزمخشري كلام ابن سلام هذا وحسنه وزمكه بفصاحته فقال وفي طي
هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما
من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشقه لما في التمثيل
من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان
من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكتمان فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا يتكلا
على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما
مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف
والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره انتهى وقال ابن عطية وقال بعض
الناس ان في المثلين عبرة لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم حين تقدم

٣



عقابهم وفي هذا بعد لان الظاهر انه للكفار بعد هذا ه

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء
قديرا الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق
سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا
بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ه
هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ضرب للكفار بتينك المرأتين المحتوم
لهما بالشقاوة وان كانتا تحت نبيين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما
بالسعادة وان كان قومهما كافرين كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق قضاؤه فقال
تبارك اي تعالى وتعاظم الذي بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر وكثيرا ما جاء
نسبة اليد اليه تعالى كقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون بيدك
الخير وذلك في حقه تعالى استعارة لتحقيق الملك اذ كانت في عرف الآدميين آلة
للتملك والملك هنا هو على الاطلاق لا يبيد ولا يختل وعن ابن عباس ملك الملوك
كقوله قل اللهم مالك الملك ولما ذكر الملك ذكر وصف القدرة والحيوة ما يصح
بوجوده الاحساس ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى
خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون وسمى علم الواقع منهم باختبارهم بلوى وهي الخبرة
استعارة من فعل المختبر وفي الحديث انه قرأ ايكم احسن عملا ايكم احسن عقلا
واشدكم خوفا واحسنكم في امره ونهيه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا وعن ابن عباس
والحسن والثوري ازهدكم في الدنيا وقيل كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع فيها وعن الآخرة
بالحيوة من حيث لا موت فيها فكانه قال هو الذي خلق الدنيا والآخرة وصفهما بالمصدر
وقدم الموت لانه اهيب في النفوس وليبلوكم متعلق بخلق وايكم احسن عملا مبتدأ
وخبر فقدر الحوفي قبله فعلا تكون الجملة في موضع معموله وهو معلق عنها تقديره
فينظر وقدر ابن عطية فينظر او فيعلم وقال الزمخشري فان قلت من اين تعلق
قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قال
ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة
واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا
تعليقا قلت لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك
علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين

بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان
كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا انتهى واصحابنا يسمون
ما منعه الزمخشري تعليقا فيقولون في الفعل اذا عدي الى اثنين ونصب الاول
وجاءت بعده جملة استفهامية او بلام الابتداء او بحرف نفي كانت الجملة معلقا عنها
الفعل وكانت في موضع نصب كما لو وقعت في موضع المفعولين وفيها ما يعلق الفعل
عن العمل وقد تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله لنبلوهم ايهم احسن
عملا وانتصب طباقا على الوصف لسبع فاما ان يكون مصدر طابق مطابقة وطباقا
لقولهم طابق النعل خصفها طبقا على طبق وصف به على سبيل المبالغة او على حذف
مضاف اي ذات طباق واما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب
والمعنى بعضها فوق بعض وما ذكر من مواد مبنى السموات ان الاولى من موج مكفوف والثانية
من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة
من ذهب والسابعة من زمردة بيضاء يحتاج الى نقل صحيح وقد كان بعض من ينتمي
الى الصلاح وكان اعمى لا يبصر موضع قدمه يخبر انه يشاهد السموات على بعض اوصاف مما ذكرنا
من تفاوت قال ابن عباس من تفرق وقال السدي من عيب وقال عطاء بن يسار من عدم
استواء وقال ثعلب اصله من الفوت وهو ان يفوت شيء شيئا مع الخلل وقيل من اضطراب
وقيل من اعوجاج وقيل من تناقض وقيل من اختلاف ه وقيل عدم التناسب والتفاوت
تجاوز الحد الذي يجب له زيادة او نقصانا وقال بعض الادباء ه

ه تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر ه

وقرأ الجمهور من تفاوت بالف مصدر تفاوت وعبد الله وعلقمة والاسود وابن جبير
وطلحة والاعمش بشد الواو مصدر تفوت وحكى ابو زيد عن العرب تفاوتا بضم الواو
وفتحها وكسرها والفتح والكسر شاذان والظاهر عموم خلق الرحمن من الافلاك وغيرها
فانه لا تفوت فيه ولا فطور بل كل جار على الاتقان ه وقيل المراد في خلق الرحمن
السموات فقط والظاهر ان قوله ما ترى استئناف انه لا يدرك في خلقه تعالى
تفاوت وجعل الزمخشري هذه الجملة صفة متابعة لقوله طباقا واصله ما ترى
فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب
سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك
الخلق المتناسب انتهى والخطاب في ترى لكل مخاطب او للرسول عليه السلام ولما اخبر
تعالى انه لا تفاوت في خلقه امر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال فارجع ففي
الفاء معنى التسبيب والمعنى ان العيان يطابق الخبر والفطور قال مجاهد الشقوق
فطر ناب البعير شق اللحم وظهر قال الشاعر ه

ه بنى لكم بلا عمد سماء وسواها فما فيها فطور ه

وقال ابو عبيدة صدوع وانشد قول عبيد الله بن عقيلة بن مسعود ه

ه شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليط فالتأم الفطور ه

وقال السدي خروق وقال قتادة خلل ومنه التفطر والانفطار وقال
ابن عباس وهن وهذه تفاسير متقاربة والجملة من قوله هل ترى من فطور في موضع نصب

بفعل معلق محذوف أي فانظر هل ترى أو ضمن فارجع البصر معنى فانظر ببصرك هل ترى فيكون معلقاً ثم ارجع البصر أي ردده كرتين هي تثنية لا تشفع الواحد بل يراد بها التكرار كأنه قال كرة بعد كرة أي كرات كثيرة كقولهم لبيك تريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض وأريد بالتثنية التكثير كما أريد بما هو أصل لها التكثير وهو مفرد عطف على مفرد نحو قوله

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم ... بيتاً وأبعدهم عن منزل الذام

يريد لو عدت قبور كثيرة وقال ابن عطية وعن كرتين معناه مرتين ونصبه على المصدر وقيل أمر برجع البصر إلى السماء مرتين إذ يمكن غلطه في الأولى فيستدرك بالثانية وقيل الأولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وقرأ الجمهور ينقلب جزماً على جواب الأمر والخوارزمي عن الكسائي برفع الباء أي فينقلب على حذف الفاء أو على أنه موضع حال مقدرة أي إن رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطوراً وشقوقاً أو خللاً أو عيباً رجع إليك مبعداً خاطئاً لانتفاء ذلك عنها وهو كليل من كثرة النظر وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد لأنه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين والحسير الكال قال الشاعر

لهن الوجى لم كن عوناً على النوى ... ولا زال منها طالع وحسير

يقال حسر بصره يحسر حسوراً أي كل وانقطع فهو حسير ومحسور قال الشاعر يصف ناقة ... وشطرها نظر العينين محسوراً أي وغورها وقد حسر حسير يعيي أعيي وكل قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض

السماء الدنيا هي التي يشاهدها والدنو أمر نسبي وإلا فليست قريبة بمصابيح أي بنجوم مضيئة كالمصابيح ومصابيح مطلق الأعلام فلا يدل على أن السماء الدنيا ليست فيها مصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين أي جعلنا منها لأن السماء ذاتها ليست للرجوم هذا إن عاد الضمير في قوله وجعلناها على السماء والظاهر عوده على مصابيح ونسب الرجم إليها لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها والكوكب باق في فلكه على حاله فالشهاب كقبس يؤخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع وأن الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب كما تقدم في سورة الحجر وسورة والصافات وقيل معنى رجوماً ظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون ينسبون إلى النجوم أشياء على جهة الظن من جهالهم والتمويه والاختلاق من أكاذيبهم ولهم في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ويعملون مواليد يحكمون فيها بأشياء لم يصح منها شيء وقد وقفنا على أشياء من كذبهم في تلك المواليد وما يحكونه عن أبي معشر وغيره من شيوخ السوء كذب يغرون به الناس الجهال وقال قتادة خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء ورجوماً للشياطين وليهتدى بها في البر والبحر فمن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلف وأذهب حظه من الآخرة والضمير في لهم عائد على الشياطين وقرأ الجمهور عذاب جهنم برفع الباء والضحاك والأعرج وأسيد بن أسيد المزني والحسن في رواية هارون عنه بالنصب عطفاً على عذاب السعير أي وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم إذا ألقوا فيها أي طرحوا كما

يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله حصب جهنم سمعوا لها أي لجهنم شهيقاً أي صوتاً منكراً كصوت الحمار تصوت مثل ذلك لشدة توقدها وغليانها ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي سمعوا لأهلها كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق وهي تفور تغلي بهم على المرجل تكاد تميز أي ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها ويقال فلان يتميز من الغيظ إذا وصفوه بالإفراط بالغضب وقرأ الجمهور تميز بتاء واحدة خفيفة والبزي بشدها وطلحة بتاءين وأبو عمرو بإدغام الدال في التاء والضحاك تمايز على وزن تفاعل وأصله تتمايز بتاءين وأبو عمرو بإدغام الدال في التاء وزيد بن علي وابن أبي عبلة تميز من ماز من الغيظ على الكفرة جعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ومثل هذا في التجوز قول الشاعر

في قلب يشتمني في جريه ... يكاد أن يخرج من إهابه

وقولهم غضب فلان فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء إذا أفرط في الغضب ويجوز أن يراد من غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج أي فريق من الكفار سألهم خزنتها سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذاباً إلى عذابهم وخزنتها مالك وأعوانه ألم يأتكم نذير ينذركم بهذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذر إليهم قال الزمخشري اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم فيما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده انتهى وهو على طريقة المعتزلة والظاهر أن قوله إن أنتم إلا في ضلال كبير من قول الكفار للرسل الذين جاؤوا نذراً إليهم أنكروا أولاً أن الله نزل شيئاً واستجهلوا ثانياً من أخبر بأنه تعالى أرسل إليهم الرسل وأن قائل ذلك في حيرة عظيمة ويجوز أن يكون من قول الخزنة للكفار إخباراً لهم وتقريعاً بما كانوا عليه في الدنيا أرادوا بالضلال الهلاك الذي هم فيه أو سموا عقاب الضلال باسمه لأنه ناشئ عن الضلال وقال الزمخشري أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله انتهى فإن كان الخطاب في إن أنتم للرسل فنذير أريد به الجنس ولذلك جاء الخطاب بالجمع وقالوا أي الكفار للخزنة حين حاوروهم لو كنا نسمع سماع طالب للحق أو نعقل عقل متأمل له لم نستوجب الخلود في النار فاعترفوا حين لم ينفعهم الاعتراف بذنبهم أي بتكذيب الرسل فسحقاً أي فبعداً لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصب على المصدر أي سحقهم الله سحقاً قال الشاعر

يجول بأطراف البلاد مغرباً ... وتسحقه ريح الصبا كل مسحق

والفعل منه ثلاثي وقال الزجاج أي سحقهم الله سحقاً أي باعدهم بعداً وقال أبو علي الفارسي القياس إسحاقاً فجاء المصدر على الحذف كما قيل

وإن أهلك فذلك كان قدري

أي تقديري انتهى ولا يحتاج إلى دعوى الحذف في المصدر لأن فعله قد جاء ثلاثياً كما أنشدناه وتسحقه ريح الصبا كل مسحق وقرأ الجمهور بسكون الحاء وعلي وأبو جعفر والكسائي بخلاف عن أبي الحارث عنه بضمها قال ابن عطية فسحقاً نصباً على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقراً أزلاً ووجوده لم يقع ولا يقع إلا في الآخرة فكأنه

كذلك في حيز المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا لزيد وبعدا والنصب في هذا كله باضمار فعل واما ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة الذين يخشون ربهم بالغيب اي الذي اخبروا به من امر المعاد واحوا له او غائبين عن اعين الناس اي في خلواتهم كقوله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه واسروا قولكم خطاب لجميع الخلق قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين قالوا لبعض اسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد الا يعلم من خلق الهمزة للاستفهام ولا للنفي والظاهر ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه ودق واحاط بخفيات الامور وجليا تها واجاز بعض النحاة ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه الانكار اي كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الاشيا واوجدها من العدم الصرف وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لا منة منه تعالى بذلك والذلول فعول للمبالغة من ذال تقول دابة ذلول بينة الذل ورجل ذليل بين الذل وقال ابن عطية والذلول فعول بمعنى مفعول اي مذلولة فهي كركوب وحلوب انتهى وليس بمعنى مفعول لان فعله قاصر وانما تعدى بالهمزة كقوله وتذل من تشاء واما بالتضعيف كقوله وذللناها لهم وقوله اي مذلولة يظهر انه خطا فامشوا في مناكبها امر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها قال ابن عباس وقتادة وبشر بن كعب اطرافها وهي الجبال وقال الفرا والكلبي ومنذر بن سعيد جوانبها ومنكب الرجل جانباه وقال الحسن والسدي طرقها وفجاجها قال الزمخشري والمشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك انتهى وقال الزجاج سهل لكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل واليه النشور اي البعث فيسال لكم عن شكر هذه النعمة عليكم ء أأمنتم من في السما ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ء **قرا** نافع وابو عمرو والبزي أأمنتم بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخل ابو عمرو وقالون بينهما الفا وقنبل بابدال الاولى واوا لضمة ما قبلها وعنه وعن ورش اوجه غير هذه والكوفيون وابن عامر بتحقيقهما من في السما هذا مجاز وقد قام البرهان

قوله عز وجل أأمنتم من في السما

العقلي على انه تعالى ليس بمتحيز في جهة ومجازه ان ملكوته في السما لان في السما هو صلة من ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه وهو استقر اي من في السما هو اي ملكوته فهو على حذف مضاف وملكوته في كل شي لكن خص السما بالذكر لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه وامره ونهيه اوجاء هذا على طريق اعتقادهم اذ كانوا مشبهة فيكون المعنى أأمنتم من تزعمون انه في السما وهو المتعالي عن المكان وقيل من على حذف مضاف اي خالق من في السما وقيل من هم الملائكة وقيل جبريل وهو الملك الموكل بالخسف وغيره وقيل في بمعنى على ويراد العلو بالقهر والقدرة لا بالمكان وفي التحرير الاجماع منعقد على انه تعالى ليس في السما بمعنى الاستقرار لان من قال من المشبهة والمجسمة انه على العرش لا تقول بانه في السما ان يخسف بكم الارض وهو ذهابها سفلا فاذا هي تمور اي تذهب وتتموج كما يذهب التراب في الريح وقد تقدم شرح الحاصب في سورة الاسرا والنذير والنكير مصدران بمعنى الانذار والانكار **وقال حسان** ء

فانذر مثلها نصحا قريشا ء من الرحمن اذ قبلت نذيري ء

واثبت ورش يا نذيري ونكيري وحذفها باقي السبعة ولما حذرهم ما يمكن احلاله بهم من الخسف وارسال الحاصب نبههم على الاعتبار بالطير وما احكم من خلقتها وعلى عجز آلهتهم عن شي من ذلك وناسب ذكر الاعتبار بالطير اذ قد تقدمه الحاصب وقد اهلك الله اصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به ففيه اذكار قريش بهذه القصة وانه تعالى لو شا لاهلكهم بحاصب يرمي به الطير كما فعل باصحاب الفيل صافات باسطة اجنحتها صافة حتى كانها ساكنة ويقبضن يضممن الاجنحة الى جوانبهن وهاتان حالتان للطائر يستريح من احداهما الى الاخرى ء وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه فاللاتي اغرن صبحا فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وعكسه ايضا جائز الا عند السهيلي فانه قبيح **نحو قوله** ء

ء بات يعشيها بعضب باتر يقصد في اسوقها وجائر ء

اي قاصد في اسوقها وجائر وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن **فان قلت** لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات **قلت** اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهوا كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجي بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى ء وملخصه ان الغالب هو البسط فكانه هو الثابت فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر عنه بالفعل ما يمسكهن الا الرحمن اي بقدرته قال الزمخشري وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبني الاجسام على شكل وخصائص قد تاتى منها الجري في الجو انه بكل شي بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب انتهى وفيه نزوع الى قول اهل الطبيعة ونحن نقول ان ثقل الاشيا اذا اراد امساكها في الهوا واستعلاها الى العرش كان ذلك واذا اراد انزال ما هو اخف سفلا الى ما منتهى ما ينزل كان وليس ذلك معذوقا بشكل ولا ثقل ولا خفة **وقرا** الجمهور ما يمسكهن مخففا والزهري مشددا **وقرا** الجمهور امن بادغام ميم

ام في ميم من اذ الاصل ام من وام هنا بمعنى بل خاصة لان الذي بعدها هو اسم استفهام
في موضع رفع على الابتداء وهذا خبر والمعنى من هو ناصركم ان ابتلاكم بعذابه وكذلك من
هو الذي يرزقكم ان امسك رزقه والمعنى لا احد ينصركم ولا يرزقكم وقرأ طلحة امن بتخفيف الميم
وثقلها الباقون كالجماعة قال صاحب اللوامح ومعناه اهذا الذي هو جند لكم
ينصركم ام الذي يرزقكم فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه التقريع والتوبيخ انتهى بل لجوا
تمادوا في عتو في تكبر وعناد ونفور شراد عن الحق لثقله عليهم وقيل هذا اشارة الى اصنامهم
افمن يمشي مكبا على وجهه قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار يمشون فيها
على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يمشي الكافر
على وجهه فقال ان الذي امشاه في الدنيا على رجليه قادر ان يمشيه في الآخرة على
وجهه فالمشي على قول قتادة حقيقة وقيل هو مجاز ضرب مثلا للكافر والمؤمن في الدنيا
فقيل عام وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك نزلت فيهما وقال ابن عباس ايضا
نزلت في ابي جهل والرسول وقيل في ابي جهل وحمزة والمعنى ان الكافر في اضطرابه وتعسفه
في عقيدته وتشابه الامر عليه كالماشي في انخفاض وارتفاع كالاعمى يعثر كل ساعة فيخر لوجهه
واما المؤمن فانه لطمانينة قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح البصر مستويا
لا ينحرف على طريق واضح الاستقامة لا حزون فيه فاله نظرة صحيحة ومسلكه لا صعوبة
فيه ومكبا حال من اكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار
والهمزة فيه للدخول في الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب
وقال الزمخشري ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب س
انتهى وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب س وكم من نص في كتاب س عمي بصره وبصيرته عنه حتى
ان الامام ابا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله
من نصوص كتاب س واهدى افعل تفضيل من الهدى في الظاهر وهو نظير العسل احلى ام الخل
وهذا الاستفهام لا يراد حقيقة بل المراد منه ان كل سامع يجيب بان الماشي سويا على صراط مستقيم
اهدى وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف وما زائدة وتشكرون مستأنف
او حال مقدرة اي تشكرون شكرا قليلا وقال ابن عطية ظاهره انهم يشكرون قليلا
وما عسى ان يكون للكافرين شكر وهو قليل غير نافع واما ان يريد به نفي الشكر جملة
فعبر بالقلة كما تقول العرب هذه ارض قلما تنبت كذا وهي لا تنبته البتة انتهى
وتقدم نظير قوله والرد عليه ذراكم بثكم والحشر البعث والوعد المشار اليه هو وعد يوم
القيامة اي متى انجاز هذا الوعد فلما راوه زلفة اي راوا العذاب وهو الموعود به زلفة
اي قريبا اي ذا قرب وقال الزمخشري الحسن عيانا وقال ابن زيد حاضرا وقيل
التقدير مكانا ذا زلفة فانتصب على الظرف سيئت اي ساءت رؤيته وجوههم وظهر
فيها السوء والكآبة وغشيها السواد كمن يساق الى القتل واخلص الجمهور كسرة السين
واشمها الضم ابو جعفر والحسن وابو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع
والكسائي وقيل القائل اي تقول الخزنة الزبانية ومن يوبخهم وقرأ الجمهور تدعون بشد
الدال مفتوحة فقيل من الدعوى قال الحسن تدعون انه لا جنة ولا نار وقيل
تطلبون وتستعجلون وهو من الدعاء ويقوي هذا القول قراءة ابي رجاء والضحاك

والحسن وقتادة وابن يسار وعبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب يدعون بسكون الدال
وهي قراءة ابن ابي عبلة وابي زيد وعصمة عن ابي بكر والاصمعي عن نافع روي ان الكفار كانوا
يدعون على الرسول واصحابه بالهلاك وقيل كانوا يتوامرون بينهم بان يهلكوهم بالقتل
ونحوه فامر ان يقول ان اهلكنا الله كما تريدون او رحمنا بالنصر عليكم فمن يحميكم من
العذاب الذي سببه كفركم ولما قال او رحمنا قال هو الرحمن ثم ذكر ما به النجاة
وهو الايمان والتفويض الى الله وقرأ الجمهور فستعلمون بتاء الخطاب والكسائي بياء
الغيبة نظرا الى قوله فمن يجير الكافرين ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر فقد ما به حياة
النفوس وهو الماء وهو عذاب مخصوص والغور مشروح في الكهف والمعين في قد افلح
وجواب ان اهلكني فمن يجير وجواب ان اصبح فمن يأتيكم وتليت هذه الآية عند بعض
المستهزئين فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه

المفردات

المهين قال الرماني
الوضيع لاكثاره من القبيح من المهانة وهي القلة الهمز اصله في اللغة الضرب طعنا
باليد او بالعصا او نحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه قال المنذر بن سعيد وبعينه
واشارته النميم والنميمة مصدران لنم وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس وقيل
النميم جمع نميمة يريدون به اسم الجنس العتل قال الكلبي والفراء الشديد الخصومة
بالباطل وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر

بعتل من الرجال زنيم ۞ غير ذي نجدة وغير كريم

وقيل الذي يعتل الناس اي يجرهم الى حبس او عذاب ومنه خذوه فاعتلوه قال
ابن السكيت عتلته وعتنته باللام والنون الزنيم الدعي قال حسان

زنيم تداعاه الرجال زيادة ۞ كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وقال ايضا

وانت زنيم نيط في آل هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها سمي الدعي
بذلك لانه زيادة معلقة بغير اهله وسمه جعل له سمة وهي العلامة تدل على شيء
قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ۞ وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

الخرطوم الانف والخرطوم من صفات الخمر قال الشاعر

قد اشهد الشرب فيهم مزهر رنم ۞ والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

قال الشنتمري او الخروج من الدن ويقال لها الانف ايضا وذلك اصفى لها
وارق وقال النضر بن شميل الخرطوم الخمر وانشد

تظل يومك في لهو وفي لعب ۞ وانت بالليل شراب الخراطيم

الصرام جداد النخل الحرد المنع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها وحاردت
السنة قل مطرها وخيرها قاله ابو عبيد والقتبي والحرد الغضب قال ابو نصر احمد
بن حاتم صاحب الاصمعي وهو مخفف وانشد

اذا جياد الخيل جاءت تردي ۞ مملوءة من غضب وحرد

وقال الاشهب بن رميلة

اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاساود

وقال ابن السكيت وقد يحرك يقول حرد بالكسر حردا فهو حردان ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد والحرد الانفراد حرد يحرد حرودا تنحى عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وكوكب حرود معتزل عن الكواكب وقال الاصمعي المنفرد المنفرد في لغة هذيل انتهى والحرد القصد حرد يحرد بالكسر قصدت ومنه حردت حردك اي قصدت قصدك ومنه قول الشاعر

اقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغلة

سورة ن والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون هذه السورة مكية قال ابن عطية ولا خلاف فيها بين احد من اهل التاويل انتهى ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وابي جهل ومناسبتها لما قبلها انه فيما قبلها ذكر اشياء من احوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شاء لخسف بهم او لارسل عليهم حاصبا وكان ما اخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وكان الكفار ينسبونه مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدا تعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم اجره على صبره على اذاهم وبالثناء على خلقه ن حرف من حروف المعجم نحو ص وق وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالاعراب تخرص وما يروى عن ابن عباس ومجاهد انه اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع وعن ابن عباس ايضا والحسن وقتادة والضحاك انه اسم الدواة وعن معاوية بن قرة يرفعه انه لوح من نور وعن ابن عباس ايضا انه اخر حرف من حروف الرحمن وعن جعفر الصادق انه نهر من انهار الجنة لعله لا يصح شيء من ذلك وقال ابو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسير نون حرف من حروف المعجم فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح السور انتهى ومن قال انه اسم الدواة او الحوت وزعم انه مقسم به كالقلم فان كان علما فينبغي ان يعرف فان كان مؤنثا منع الصرف او مذكرا صرف وان كان جنسا اعرب ونون وليس فيه شيء من ذلك فضعف القول به وقال ابن عطية اذا كان اسما للدواة فاما

ان يكون لغة لبعض العرب او لفظة اعجمية عربت قال الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم القت النون بالدمع السجوم

فمن جعله الحوت جعل القلم هو الذي خلق الله وامره بكتب الكائنات وجعل الضمير في يسطرون للملائكة ومن قال انه اسم للدواة جعل القلم المتعارف بايدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا المجموع امر الكتابة الذي هو قوام للعلوم وامور الدنيا والاخرة فان القلم اخو اللسان ومطية ونعمة من الله عامة انتهى وقرا الجمهور ن بسكون النون وادغامها في واو والقلم بغنة وقوم بغير غنة واظهرها حمزة وابو عمرو وابن كثير وقالون وحفص وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق والحسن وابو السمال بكسر النون لالتقاء الساكنين وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فاحتمل ان يكون حركة اعراب وهو اسم للسورة اقسم به وحذف حرف الجر فانتصب ومنع الصرف للعلمية والتانيث ويكون والقلم معطوفا عليه واحتمل لالتقاء الساكنين واوثر الفتح تخفيفا كاين وما يحتمل ان تكون موصولة ومصدرية والضمير في يسطرون عائد على الكتاب لدلالة القلم عليهم فاما ان يراد بهم الحفظة واما ان يراد كل كاتب وقال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وتسطيرهم انتهى فيكون كقوله كظلمات في بحر لجي اي وكذي ظلمات ولهذا عاد الضمير في قوله يغشاه موج وجواب القسم ما انت بنعمة ربك بمجنون ونظهران بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما يقول الانسان انت بحمد الله فاضل انتهى ولم يبين ما تتعلق به الباء في بنعمة وقال الزمخشري تتعلق بمجنون منفيا كما تتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قيل ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان تنسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمعزل انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من ان بنعمة ربك متعلق بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم به وذلك له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي يتسلط على ذلك المعمول فقط والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قائم مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى معه قول الزمخشري بوجه بل يؤدي الى ما لا يجوز ان ينطق به في حق المعصوم عليه السلام وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك لقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله ومنه قول لبيد

واخلفت في الدنيا بفقد عشيرتي وفارقني جار باربد نافع

أي وبوار بدا انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب وفي المنتخب ما ملخصه المعنى انتفى عنك
الجنون بنعمة ربك أي حصول الصفة المحمودة وزوال الصفة المذمومة بواسطة
إنعام ربك ثم قرر بهذه الدعوى ما هو كالدليل القاطع على صحتها لأن نعمه كانت
ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب
والاتصاف بكل مكرمة فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين في كونهم كاذبين
في قولهم إنه مجنون وإن لك لأجرا في احتمال طعنهم وفي دعاء الخلق إلى الله فلا
يمنعك ما قالوا عن الدعاء إلى الله وإنك لعلى خلق عظيم هذا كالتفسير لما تقدم
من قوله بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون أنه كذب وأخطأ وأن من كان بتلك
الأخلاق المرضية لا يضاف الجنون إليه ولفظه يدل على الاستعلاء والاستيلاء انتهى
وإن لك لأجرا أي على ما تحملت من أثقال النبوة ومن أذاهم مما ينسبون إليك مما
أنت لا تلتبس به من المعايب غير ممنون أي غير مقطوع مننت الحبل قطعته ه

وقال الشاعر

❁ غبسا كواسب لا يمن طعامها ه أي لا يقطع وقال مجاهد غير محسوب
وقال الحسن غير مكدر بالمن ه وقال الضحاك بغير عمل وقيل غير مقدر وهو معنى
قول مجاهد وقال الزمخشري أو غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك
وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال وإنك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد دين عظيم ليس دين أحب
إلى الله منه وقالت عائشة إن خلقه كان القرآن وقال علي هو أدب القرآن
وقال قتادة ما كان يأتمر به من أمر الله وقيل سمي عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق
فيه من كرم السجية وبراعة القريحة والملكة الجميلة وجودة الضرائب ما دعاه
أحد إلا قال لبيك وقال إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق ووصى أبا ذر فقال
وخالق الناس بخلق حسن ه وعنه عليه السلام ما من شيء يوضع في الميزان أثقل
من خلق حسن وقال أحبكم إلى الله تعالى أحسنكم أخلاقا والظاهر تعلق بأييكم
المفتون بما قبله وقال أبو عثمان المازني تم الكلام في قوله ويبصرون
ثم استأنف قوله بأييكم المفتون انتهى فيكون قوله بأييكم المفتون استفهاما
يراد به الترداد بين أمرين ومعلوم نفي الحكم عن أحدهما وتعيينه للوجود وهو أن
المؤمن ليس بمفتون ولا به فتون وإذا كان متعلقا بما قبله وهو قول الجمهور
فقال قتادة وأبو عبيدة معمر الباء زائدة والمعنى أيكم المفتون وزيدت الباء
في المبتدأ كما زيدت فيه في قولهم بحسبك درهم أي حسبك وقال الحسن والضحاك
والأخفش الباء ليست بزائدة والمفتون بمعنى الفتنة أي بأيكم هي الفتنة والفساد
الذي سموه جنونا وقال الأخفش أيضا بأيكم فتن المفتون حذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه ففي قوله الأول جعل المفتون مصدرا وهنا أبقاه اسم
مفعول وتأوله على حذف مضاف وقال مجاهد والفراء الباء بمعنى في أي في
أي فريق منكم النوع المفتون انتهى فالباء ظرفية نحو زيد بالبصرة أي في البصرة
فيظهر من هذا القول أن الباء في القول قبله ليست ظرفية بل هي سببية وقال

الزمخشري المفتون المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من
تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم انتهى وقرأ ابن أبي عبلة في أيكم المفتون
إن ربك هو أعلم وعيد للضلال وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقول لم
ينتفعوا بها ولا استعملوها في اتباع ما جاءت به الرسل أو يكون أعلم كناية عن جزاء
الفريقين فلا تطع المكذبين أي الذين كذبوا بما أنزل الله عليك من الوحي وهذا نهي
عن طواعيتهم في شيء مما دعوه إليه من تعظيم آلهتهم ودوا لو تدهن لو هنا على رأي بعض
النحويين مصدرية بمعنى أن أي ودوا إدهانك وتقدم الكلام في ذلك في قوله يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة ومذهب الجمهور أن معمول ود محذوف أي ودوا إدهانك وحذف
لدلالة ما بعده عليه ولو باقية على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابها
محذوف تقديره لسروا بذلك وقال ابن عباس والضحاك وعطية والسدي
لو تدهن لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس أيضا لو ترخص لهم فيرخصون لك
وقال قتادة لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك وقال الحسن لو تصانعهم
في دينك فيصانعون في دينهم وقال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقونك
ويراءونك وقال الربيع بن أنس لو تكذب فيكذبون وقال أبو جعفر لو تضعف
فيضعفون وقال الكلبي والفراء لو تلين فيلينون وقال أبان بن تغلب
لو تحابي فيحابون وقالوا غير هذه الأقوال وقال الفراء الإدهان التليين فيلينون
وقاله أبان وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل أهل اللغة
وما قالوه لا يخرج عن ذلك لأن ما خالف ذلك فهو تفسير باللازم فيدهنون
عطف على تدهن ه وقال الزمخشري عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ
محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بمعنى ودوا لو تدهن فهم
يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في إدهانك انتهى
وجمهور المصاحف على إثبات النون وقال هارون إنه في بعض المصاحف فيدهنوا
ولنصبه وجهان أحدهما أنه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت والثاني أنه على توهم
أنه نطق بأن أي ودوا أن تدهن فيدهنوا فيكون عطفا على التوهم ولا يجيء هذا
الوجه إلا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى أن ولا تطع كل حلاف مهين تقدم
تفسير مهين وما بعده في المفردات وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة
ونوسب فيها فجاء حلاف وبعده مهين لأن النون فيها مع الميم تواخ ثم جاء هماز
مشاء بنميم بصفتي المبالغة ثم جاء مناع للخير معتد أثيم مناع وأثيم صفة
مبالغة والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير وقيل الخير
هنا المال يريد مناع للمال وعبر به عن الشح معتد متجاوز الحد في الظلم وفي حديث
شداد بن أوس قلت يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما العتل الزنيم قال
الرحيب الجوف الوتير الخلق الأكول الشروب الغشوم الظلوم وقرأ الحسن
عتل برفع اللام والجمهور بجرها بعد ذلك قال الزمخشري جعل جفاءه ودعوته
أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن
الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها وبعد ذلك نظير ثم في قوله

شركان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل
عليه بعد ذلك انتهى وقال ابن عطية بعد ذلك اي بعد ما وصفناه به فهذا
الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه
عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه انتهى والزنيم الملصق في القوم وليس منهم
قاله ابن عباس وغيره وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال وعن ابن عباس
ايضا الزنيم الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة وما كنا نعرف المشار اليه حتى
نزلت فعرفناه بزنمته انتهى وروي ان الاخنس بن شريق كان بهذه الصفة
كان له زنمة وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف
الشاة بالزنمة وعنه ايضا انه المعروف بالابنة وعنه ايضا انه الظلوم وعن
عكرمة هو اللئيم وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب انه ولد الزنا الملحق في النسب
بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
من مولده وقال مجاهد كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام اصبع زائدة والذي يظهر
ان هذه الاوصاف ليست لمعين الا ترى الى قوله كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع
النهي عن طواعية من هو بهذه الصفات قال ابن عطية ما ملخصه قرأ النحويان والحرميان
وحفص واهل المدينة ان كان على الخبر وباقي السبعة والحسن وابن ابي اسحاق وابو جعفر
على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقيهم فاما على الخبر فقال
ابو علي الفارسي يجوز ان يعمل فيها عتل وان كان قد وصف انتهى وهذا قول كوفي
ولا يجوز ذلك عند البصريين وقيل زنيم لا سيما على قول من فسره بالقبيح الافعال
وقال الزمخشري متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان
ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا
بالبنين كذب آياتنا دلت عليه الجملة من معنى التكذيب انتهى واما على الاستفهام
فيحتمل ان يقدر عامل يدل عليه ما قبله اي ايكون طواعية لان كان وقدره الزمخشري
الطيعه لان كان او عامل يدل عليه ما بعده اي اكذب او جحد لان كان وقرأ نافع في
رواية الزبيري عنه ان كان بكسر الهمزة قال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع
كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى
ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الرجاء اليه في قوله لعله يتذكر انتهى وان كان
ذا شرط واذا تلي شرط فهو مما اجتمع فيه شرطان وليسا من الشروط المترتبة الوقوع فالمتاخر
لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني فهو كقوله

فان عثرت بعدها ان وألت نفسي من هاتا فقولا لا لعا

لان الحامل على عدم تدبر آيات الله كونه ذا مال وبنين فهو مشغول القلب بذلك غافل
عن النظر والفكر قد استولت عليه الدنيا وابطرته وقرأ الحسن ائذا على الاستفهام
وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله القرآن اساطير الاولين لما تليت آيات الله ولما
ذكر قبائح افعاله واقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال سنسمه على الخرطوم
والسمة العلامة ولما كان الوجه اشرف ما في الانسان والانف اكرم ما في الوجه
لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا احمى لوجه

الظاهر الزبيري

شامخ

شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه وكان ايضا مما تظهر السمات فيه
لعلوه قال سنسمه على الخرطوم وهو غاية الاذلال والاهانة والاستبلاء اذ صار
كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الانف واذا كان الوسم في الوجه شينا فكيف به
على اكرم عضو فيه وقد قيل الجمال في الانف وقال بعض الادباء

وحسن الفتى في الانف والانف عاطل فكيف اذا ما الخال كان له حليا

وسنسمه فعل مستقبل لم يتعين زمانه فقال ابن عباس هو الضرب بالسيف اي يضرب
به في وجهه وعلى انفه فيجي ذلك كالوسم على الوجه والانف وحل به ذلك يوم بدر وقال
المبرد ذلك في عذاب الآخرة في جهنم وهو تعذيب بنار على انوفهم وقال آخرون
ذلك يوم القيامة اي يوسم على انفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره وقال قتادة
وغيره معناه سنفعل به في الدنيا من الذم والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى
به فيكون ذلك كالوسم على الانف ثابتا بينا كما تقول سأطوقك طوق الحمامة اي اثبت
لك الامر بينا فيك ونحو هذا اراد جرير بقوله لما وضعت على الفرزدق ميسمي وفي
الوسم على الانف تشويه فجاءت استعارته في المذمات بليغة جدا قال ابن عطية
واذا تاملت حال ابي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا من سوء الاحدوثة رايت
انهم قد وسموا على الخراطيم انتهى وقال ابو العالية ومقاتل واختاره الفراء المراد
تسود وجهه قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه لان بعض الوجه يؤدي
عن بعض وقال ابو عبد الله الرازي انما بالغ الكافر في عداوة الرسول بسبب
الانفة والحمية فلما كان منشا هذا الانكار هو الانفة والحمية عبر عن هذا الاختصاص
بقوله سنسمه على الخرطوم انتهى وفي استعارة الخرطوم مكان الانف استهانة
واستخفاف لان حقيقة الخرطوم هو للسباع وتلخص من هذا ان قوله سنسمه على
الخرطوم هو حقيقة ام مجاز واذا كان حقيقة فهل ذلك في الدنيا او في الآخرة
وابعد النضر بن شميل في تفسيره الخرطوم بالخمر وان معناه سنحده على شربها ولما
ذكر المتصف بتلك الاوصاف الذميمة وهم كفار قريش اخبر تعالى بما حل بهم
من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث كما بلونا اصحاب الجنة المعروف
خبرها عندهم كانت بارض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدي حق الله
منها فمات فصارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فاهلكها الله
من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها وقيل كانت بصوران على فراسخ من صنعاء لناس
بعد رفع عيسى عليه السلام وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل
الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت
فكان يجتمع لهم شي كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق
علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية من المساكين
ولم يستثنوا في يمينهم والكاف في كما بلونا في موضع نصب وما مصدرية وقيل بمعنى
الذي واذ معمول لبلوناهم ليصرمنها جواب القسم لا على منطوقهم اذ لو كان على منطوقهم
لكان لنصرمنها بنون المتكلمين والمعنى ليجدن ثمرها اذا دخلوا في الصباح قبل خروج

المساكين إلى عادتهم مع أبيهم ولا يستثنون أي ولا يثنون عن ما عزموا عليه من منع
المساكين وقال مجاهد معناه لا يقولون إن شاء الله بل عزموا على ذلك عزم من يملك
أمره وقال الزمخشري متبعًا لقول مجاهد ولا يقولون إن شاء الله **فإن قلت** لم سمي
استثناء وإنما هو شرط **قلت** لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن
إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد انتهى فطاف عليها طائف **وقرأ** النخعي طيف
قال الفراء الطائف الأمر الذي يأتي بالليل ورد عليه بقوله إذا مسهم طائف من الشيطان
فلم يتخصص بالليل وطائفهم فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول
البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض
الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والأعناب غيرها وقال ابن عباس طائف أمر من ربك وقال
قتادة عذاب من ربك وقال ابن جريج عنق من نار خرج من وادي جهنم فأصبحت كالصريم
قال ابن عباس كالرماد الأسود والصريم الرماد الأسود بلغة خزيمة وعنه أيضًا
الصريم رملة باليمن معروفة لا تنبت فشبه جنتهم بها وقال الحسن صرم عنها
الخير أي قطع فالصريم بمعنى مصروم وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت
كالزرع المحصود وقال مورج كالرملة انصرمت من معظم الرمل والرملة لا تنبت
شيئًا ينفع وقال الأخفش كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد كالنهار
فلا شيء فيها وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن ذلك
وذاك عن هذا وقال الفراء ومنذر وجماعة الصريم الليل من حيث اسودت
جنتهم فتنادوا دعا بعضهم بعضًا إلى المضي إلى ميعادهم أن اغدوا على حرثكم قال
الزمخشري **فإن قلت** هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان الغدو
إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن
الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين
انتهى واستسلف الزمخشري أن غدا يتعدى بإلى ويحتاج ذلك إلى نقل بحيث
يكثر ذلك فيصير أصلًا فيه ويتأول ما خالفه والذي في حفظي أنه معدى بعلى

كقول الشاعر

وقد أغدوا على ثبة كرام ۞ نشاوى واجدين لما نشاء

وكذا أغدي مرادفه **قال الشاعر**

بكرت عليه غدوة فرأيته ۞ قعودًا لديه بالصريم عواذله

إن كنتم صارمين الظاهر أنه من صرام النخل وقيل ويحتمل أن يريد إن كنتم أهل عزم
وإقدام على رأيكم من قولك سيف صارم يتخافتون يخفون كلامهم خوفًا من أن يشعر
بهم المساكين أن لا يدخلنها أي يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها وأن مصدرية
ويجوز أن تكون تفسيرية **وقرأ** عبد الله وابن أبي عبلة لا يدخلنها بإسقاط أن على
إضمار يقولون أو على إجراء يتخافتون مجرى القول إذ معناه يسارون القول
والنهي عن الدخول نهي عن التمكين منه أي لا يمكنوهم من الدخول فيدخلوا وغدوا
على حرد قادرين أي على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم قال
معناه ابن عباس أي قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقال

أبو عبيدة والقتيبي على حرد على منع أي قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرها فجازاهم
الله بأن منعهم خيرها وقال الحسن على حرد أي حاجة وفاقة وقال السدي
وسفيان على حرد على غضب أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض وقيل
على حرد على انفراد أي انفردوا دون المساكين وقال الأزهري حرد اسم قريتهم وقال
السدي اسم جنتهم أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين
أن يتم لهم مرادهم من الصرام فقيل ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق لقوله
ومن قدر عليه رزقه أي مضيقين على المساكين إذ حرموهم ما كان أبوهم ينيلهم
منها فلما رأوها أي على غير الحالة التي كانوا عهدوها عليها من هلاكها وذهاب ما فيها
من الخير قالوا إنا لضالون أي عن الطريق إليها قاله قتادة وذلك في أول وصولهم
أنكروا أنها هي واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق إليها ثم وضح لهم أنها هي وأنه
أصابها من عذاب الله ما ذهب خيرها وقيل لضالون عن الصواب في غدونا على نية
منع المساكين فقالوا بل نحن محرومون خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم
أي أفضلهم وأرجحهم عقلًا ألم أقل لكم لولا تسبحون أنبهم ووبخهم على تركهم ما حضهم عليه
من تسبيح الله أي ذكره وتنزيهه عن السوء ولو ذكروا الله وإحسانه إليهم لامتثلوا ما
أمر به من مواساة المساكين واقتفوا سنة أبيهم في ذلك فلما غفلوا عن
ذكر الله وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وهذا يدل على أن أوسطهم كان قد تقدم
إليهم وحضهم على ذكر الله تعالى وقال مجاهد وأبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله
قال النحاس جعل التسبيح موضع إن شاء الله لأن المعنى تنزيه الله أن يكون شيء إلا
بمشيئته وقال الزمخشري لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض
إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم انتهى وقيل لولا
تسبحون تستغفرون ولما أنبهم رجعوا إلى ذكر الله تعالى واعترفوا على أنفسهم
بالظلم وبادروا إلى تسبيح الله فقالوا سبحان ربنا قال ابن عباس أي نستغفر
الله من ذنبنا فلما أقروا بظلمهم لام بعضهم بعضًا وجعل اللائمة في غيره إذ كان
منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت
على رضى منه ثم اعترفوا بأنهم طغوا وترجوا انتظار الفرج في أن يبدلهم خيرًا
من تلك الجنة عسى ربنا أن يبدلنا أي بهذه الجنة خيرًا منها وتقدم في الكهف
الخلاف في تخفيف يبدلنا وتثقيله منسوبًا للقراء إنا إلى ربنا راغبون أي طالبون
إيصال الخير إلينا منه والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا
معصية وتابوا قيل وكانوا من أهل الكتاب وقال عبد الله بن مسعود
بلغني أن القوم دعوا الله وأخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه العنقود وقال أبو خالد اليماني
رأيت الجنة وكل عنقود منها كالرجل الأسود القائم وعن مجاهد قال بدلوا خيرًا منها
وقال القشيري المعظم يقولون إنهم تابوا وأخلصوا انتهى وتوقف الحسن في
كونهم مؤمنين وقال أكان قولهم إنا إلى الله راغبون إيمانًا أو على حد ما يكون
من المشركين إذا أصابتهم الشدة كذلك العذاب هذا خطاب للرسول في أمر قريش

مجاهد م

تابوا ح

قال ابن عطية والاشارة بذلك الى العذاب الذي نزل بالجنة اي كذلك العذاب
الذي ينزل بقريش بغتة ثم عذاب الاخرة بعد ذلك اشد عليهم من عذاب
الدنيا وقال كثير من المفسرين العذاب النازل بقريش المماثل لامر الجنة هو الجدب
الذي اصابهم سبع سنين حتى راوا الدخان واكلوا الجلود انتهى وقال الزمخشري
مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الاخرة اشد واعظم منه انتهى وتشبيه بلاء قريش ببلاء اصحاب الجنة هو ان اصحاب
الجنة عزموا على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فقلب الله عليهم وحرمهم
وان قريشا حين خرجوا الى بدر حلفوا على قتل الرسول وصحبه فاذا فعلوا ذلك
رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور فقلب الله عليهم بان قتلوا واسروا
ولما عذبهم بذلك في الدنيا قال ولعذاب الآخرة اكبر ۞ ان للمتقين عند ربهم جنات
النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون
ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون
سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب
فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين
۞ لما ذكر تعالى انه ابتلى كفار قريش وشبه بلاءهم ببلاء اصحاب الجنة اخبر بحال
اضدادهم وهم المتقون فقال ان للمتقين اي الكفر جنات النعيم اضافها الى النعيم
لان النعيم لا يفارقها اذ ليس فيها الا هو ولا يشوبه كدر كما يشوب جنات الدنيا وروي
انه لما نزلت هذه الآية قالت قريش ان كان ثم جنة فلنا فيها اكثر الحظ فنزلت
افنجعل المسلمين كالمجرمين وقال مقاتل قالوا فضلنا الله عليكم في الدنيا فهو
يفضلنا عليكم في الآخرة والا فالمشاركة فاجاب تعالى افنجعل اي لا يتساوى
المطيع والعاصي وهو استفهام فيه توقيف على خطا ما قالوا وتوبيخ ثم التفت اليهم
فقال ما لكم اي اي شيء لكم فيما تزعمون وهو استفهام انكار عليهم ثم قال كيف
تحكمون وهو استفهام ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهام عن هيئة حكمهم ففي قوله
ما لكم استفهام عن كينونة مبهمة وفي كيف تحكمون استفهام عن هيئة حكمهم ثم اضرب
عن هذا اضراب انتقال لشيء آخر لا ابطال لما قبله فقال ام لكم اي بل الكم كتاب
اي من عند الله تدرسون انما تختارونه لكم يكون لكم وقرا الجمهور انكم بكسر الهمزة
فقيل هو استئناف قول على معنى ان لكم كتاب فلكم فيه متخير وقيل ان معمولة لتدرسون
اي تدرسون في الكتاب ان لكم لما تخيرون اي تختارون من النعيم وكسرت الهمزة من ان
لدخول اللام في الخبر وهي بمعنى ان بفتح الهمزة وقاله الزمخشري وبدا به وقال
ويجوز ان تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح

انتهى وقرا طلحة والضحاك انكم بفتح الهمزة واللام في لما زائدة كهي في قراءة من قرا
الا انهم لياكلون بفتح همزة انهم وقرا الاعرج ءان لكم على الاستفهام ام لكم ايمان
اي اقسام علينا بالغة اي متناهية في التوكيد يقال لفلان علي يمين اذا حلفت
له على الوفاء بما حلفت عليه والى يوم القيمة متعلق بما تعلق به الخبر وهو لكم اي ثابتة
لكم الى يوم القيمة او ببالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرا الجمهور بالغة
بالرفع على الصفة والحسن وزيد بن علي بالنصب على الحال من الضمير المستكن في علينا
وقال ابن عطية حال من نكرة لانها مخصصة تغليبا ان لكم لما تحكمون جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم قاله الزمخشري وقرا الاعرج ان لكم
كالتي قبلها على الاستفهام سلهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن بما يقولونه ويدعون
صحته وسل معلقة عن مطلوبها الثاني لما كان السؤال سببا لحصول العلم جاز
تعليقه كالعلم ومطلوبها الثاني اصله ان يتعدى بعن او بالباء كما قال تعالى يسالونك
عن الشهر الحرام وقال الشاعر

۞ فان تسالوني بالنساء فانني عليم بادواء النساء طبيب ۞

ولو كان غير اسم استفهام لتعدى ليسه بعن او بالباء كما تقول سل زيدا عن من ينظر في كذا
ولكنه علق سلهم فالجملة في موضع نصب وقرا الجمهور ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم
وعبد الله وابن ابي عبلة فلياتوا بشركهم فقيل والمراد في القرآءتين الاصنام او ناس
يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه اي لا احد يقول بقولهم كما انه لا كتاب لهم ولا عهد
من الله ولا زعيم بذلك فلياتوا بشركائهم هذا استدعا وتوقيف قيل في الدنيا اي
ليحضروهم حتى يرى حالهم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل في الآخرة على ان ياتوا بهم يوم يكشف
عن ساق وعلى هذا القول الناصب ليوم فلياتوا وقيل اذكر وقيل التقدير يوم يكشف عن
ساق كيت وكيت وحذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث والظاهر وقول الجمهور
ان هذا اليوم هو يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا اليوم هو في الدنيا لانه قال ويدعون
الى السجود ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما آخر ايام
الرجل في دنياه لقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى ثم يرى الناس يدعون الى
الصلوة اذا حضرت اوقاتها فلا يستطيع الصلاة لانه الوقت الذي لا ينفع فيه
نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والمعجزة وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون
الى السجود وهم سالمون مما بهم الآن فذلك اما لشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا
عند الموت واما من العجز والهرم واجيب بان الدعا الى السجود سبيلوا القدرة
عليه وحيل بينهم وبين الاستطاعة حتى يزداد حزنهم وندامتهم على ما فرطوا فيه
حين دعوا اليه وهم سالموا الاطراف والمفاصل وقرا الجمهور يكشف بالياء مبنيا
للمفعول وقرا عبد الله وابن ابي عبلة بفتح الياء مبنيا للفاعل وابن عباس
وابن مسعود ايضا وابن هرمز بالنون وابن عباس ايضا يكشف بفتح الياء مبنيا للفاعل
وعنه ايضا بالياء مضمومة مبنيا للمفعول وقرئ يكشف بالكاف والياء المضمومة
وكشف الشيء من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل انقلبت شفته
العليا وكشف الساق كناية عن شدة الامر وتفاقمه قال مجاهد هي اول ساعة

قوله عز وجل ان للمتقين عند ربهم

ليس على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل وعنده ما يدعون الى السجود محمد

على

من يوم القيمة وبئي افظعه وما جاء في الحديث من قوله فيكشف لهم عن ساق محمول ايضا
على الشدة في ذلك اليوم وهو مجاز شايع مشهور في لسان العرب ٥ قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الخيل عن ارزاقها
في سنة عن كشفت عن ساقها حمرا تبري اللحم عن عراقها

وقال الراجز

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال الراجز

صبرا امام انه شر باق وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الشاعر

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البوارح ويروى الطراح

وقال ابن عباس يوم يكشف عن شدة وقال ابو عبيدة هذه كلمة تستعمل في الشدة
يقال كشف عن ساقه اذا شمر قال ومن هذا تقول العرب لسنة الجدب كشفت عن
ساقها ونكر ساق للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المالوف كقوله يوم
يدع الداع الى شيء نكر فكانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
ظاهره انهم يدعون وتقدم ان ذلك على سبيل التقريع التوبيخ لا على سبيل التكليف
وقيل الداعي ما يرونه من سجود المؤمنين فيريدون هم السجود فلا يستطيعونه كما ورد
في الحديث الذي حاورهم فيه الله تعالى ثم يقولون انت ربنا ويخرون للسجود فيسجد
كل مومن وتصير اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا فلا يستطيعون
سجودا انتهى ونفي الاستطاعة للسجود في الاخرة لا يدل على ان لهم استطاعة في الدنيا
كما ذهب اليه الجبائي خاشعة حال وذو الحال الضمير في يدعون وخص الابصار بالخشوع
وان كانت الجوارح كلها خاشعة لانه فيه ابين منه في كل جارحة ترهقهم ذلة تغشاهم
ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود قيل هو عبارة عن جميع الطاعات وخص بالذكر
من حيث هو اعظم الطاعات ومن حيث امتحنوا به في الاخرة وقال النخعي والشعبي
اراد بالسجود الصلوات المكتوبة وقال ابن جبير كانوا يسمعون النداء للصلاة
وحي على الفلاح فلا يجيبون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث المعنى خل بيني وبينه
فاني ساجازيه وليس ثم مانع منه وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول
من امر الاخرة وغيره وكان تعالى قد قدم اشياء من احوال السعداء والاشقياء ومن في موضع
نصب اما عطفا على الضمير في ذرني واما على انه مفعول معه سنستدرجهم الى
متين تكلم عليه في الاعراف ام تسالهم اجرا الى يكتبون تكلم عليه في الطور روي
انه عليه السلام اراد ان يدعو على الذين انهزموا باحد حين اشتد بالمسلمين الامر وقيل
حين اراد ان يدعو على ثقيف فنزلت فاصبر لحكم ربك وتوانها لهم وتاخر نصرك
عليهم وامض لما امرت به من التبليغ واحتمال الاذى ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس
عليه السلام اذ نادى اي في بطن الحوت وهو قوله ان لا اله الا انت سبحانك

تشمر

ولك

وليس النهي منصبا على الذوات انما المعنى لا يكن حالك مثل حاله اذ نادى فالعامل في اذ هو
المحذوف المضاف اي كحال او كقصة صاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم مملوء غيظا على قومه
اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان واخرجوه الى استعجال مفارقته اياهم ٥

وقال ذو الرمة

وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم

وتقدمت مادة كظم في قوله والكاظمين الغيظ وقرا الجمهور تداركه ماضيا ولم تلحقه
علامة التانيث لمجاز التانيث وللفصل وحسن الفصل وقرا عبد الله وابن عباس
تداركته بتاء التانيث وابن هرمز والحسن والاعمش بشد الدال قال ابو حاتم
ولا يجوز ذلك والاصل في ذلك تتداركه لانه مستقبل انتصب بان الخفيفة قبله
وقال بعض المتاخرين هذا لا يجوز على حكاية الحال الماضية المقتضية اي لولا
ان كان يقال فيه تتداركه ومعناه لولا هذه الحال الموجودة كانت له من نعمة الله
لنبذ بالعراء ونحو قوله فوجد فيها رجلين يقتتلان وجواب لولا قوله لنبذ بالعراء
وهو مذموم اي لكنه نبذ وهو غير مذموم كما قال فنبذناه بالعراء والمعتمد فيه
على الحال لا على النبذ مطلقا بل بقيد الحال وقيل لنبذ بعراء القيامة مذموما
ويدل عليه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم اخبر تعالى
انه اجتباه اي اصطفاه وجعله من الصالحين اي الانبيا وعن ابن عباس رد الله
اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ولما امره تعالى بالصبر لما اراده تعالى ونهاه
عن ما نهاه اخبره بشدة عداوتهم لينتفي ذلك بالصبر فقال وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك اي ليزلون قدمك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة او ليهلكونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع والاكل
لفعله وقال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطي الاقدام

وقال الكلبي ليزلقونك ليصرفونك وقرا الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق
ونافع بفتحها من زلقت الرجل عدي بالفتحة من زلق الرجل بالكسر نحو شترت عينه
بالكسر وشترها الله بالفتح وقرا عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسى ليزهقونك
بالهاء بدلا للام وقيل معنى ليزلقونك بابصارهم لياخذونك بالعين وذكرات
اللمع بالعين كان في بني اسد قال ابن الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين
او ثلثة لا ياكل ثم يرفع جانب خبايه فيقول لم اركاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه
فما يذهب الا قريبا ثم يسقط طايفة او عدة قال الكفار لهذا الرجل ان يصيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم وانشد

فذكان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون

اي مصاب بالعين فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل عليه هذه الاية
قال قتادة نزلت لدفع العين حين ارادوا ان يعينوه عليه السلام وقال
الحسن دواء من اصابه العين ان يقرا هذه الاية وقال القشيري الاصابة
بالعين انما يكون مع الاستحسان لا مع الكراهة والبغض وقال ويقولون انه

تلك

المجنون وقال القرطبي ولا يمنع كراهة الشيء ان يصاب بالعين عدلوه حتى تهلك انتهى
وقد يكون في المعين وان كان مبغضا عند العاين صفة يستحسنها العاين فيعينه
من حيث تلك الصفة لا سيما من تكون فيه صفات كمال ولما سمعوا على قول من يقول
لما ظرف يكون العامل فيه ليزلقونك وان كان حرف وجوب لوجوب وهو الصحيح كان
الجواب محذوفا لدلالة ما قبله عليه اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك والذكر
القرآن ويقولون انه لمجنون تنفيرا عنه وقد علموا انه عليه السلام اتمهم فضلا
وارجحهم عقلا وما هو اي القرآن الا ذكر عظة وعبرة للعالمين اي للجن والانس

المفردات

فكيف ينسبون الى الجن من جاء به ◦ الحسوم قال الفراء التباع من حسم الداء اي تابع بالمكواة
عليه قال الشاعر ◦

فرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم

وقال المبرد حسما للشيء فصلته عن غيره ومنه الحسام ◦ قال الشاعر

فارسلت ريحا دبورا عقيما ◦ فدارت عليهم فكانت حسوما

وقال الليث الحسوم الشوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقال
في الصحاح صرعى هلكى الواحد صريع وهى الشيء ضعف وتداعى للسقوط قال ابن شجرة
من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم قول الراجز ◦

خل سبيل من وهى سقاؤه ◦ ومن هريق بالفلاة ماؤه

الارجاء الجوانب واحدها رجا اي جانب من حائط او بئر ونحوه وهو من ذوات الواو
ولذلك برز في التثنية قال الشاعر

كان لم تري قبلي اسيرا مقيدا ولا رجلا يرمى به الرجوان

وقال الاخر

فلا يرمى بي الرجوان اني اقل القوم من يغني مكاني

هاؤم بمعنى خذوا فيها لغات ذكرناها في شرح التسهيل وقال الكسائي وابن السكيت
العرب تقول هاء يا رجل وللاثنين رجلين او امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم
وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن قيل ومعنى هاؤم خذوا
ومنه الخبر في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه خذ وقيل تعالوا
وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف وهذا ضعيف الا ان كان عنى انها تحل
محلها في لغة من قال هاك وهاكما وهاكم وهاكن فيمكن لا انه بدل صناعي
لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها وقيل هاؤم كلمة وضعت لاجابة
الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه عليه السلام ناداه اعرابي بصوت
عال فجاوبه عليه السلام هاؤم بصولة صوته وزعم قوم انها مركبة في الاصل
والاصل ها امّوا ثم نقلت للتخفيف والاستعمال وزعم قوم ان هذه الميم ضمير
جماعة الذكور القطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمر ويقطف السلسلة معروفة
وهي حلق يدخل في حلق على سبيل الطول الذراع مؤنث وهو معروف ◦

قال الشاعر ◦

ارمي عليها وهي فرع اجمع ◦ وهي ثلاث اذرع واصبع

حض على الشيء حمل عليه فعله بتوكيد الغسلين قال اللغويون ما يجري من الجراح
اذا غسلت الوتين عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال
الكلبي عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما
العرق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ومنه قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادراك
ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما
عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى
الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة
وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ◦ هذه السورة مكية ومناسبتها
لما قبلها انه لما ذكر شيئا من احوال السعداء والاشقياء وقال فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث ذكر حديث القيامة وما اعد الله تعالى فيها لاهل السعادة واهل
الشقاوة وادرج بينهما شيئا من احوال الذين كذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون
ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون فقص عليهم ذلك الحاقة المراد
بها القيامة والبعث قاله ابن عباس وغيره لانها حقت لكل عامل عمله وقال
ابن عباس وغيره لانها تبدي حقائق الاشياء وقيل سميت بذلك لان الامر يحق فيها
فهي من باب ليل نائم والحاقة اسم فاعل من حق الشيء اذا ثبت ولم يشك في صحته
وقال الازهري حاققته فحققته احقه اي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة
لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم فتغلبه وقيل الحاقة مصدر
كالعاقبة والعافية والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر
عن الحاقة والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد وما استفهام لا يراد به حقيقته
بل التعظيم واكثر ما يربط بتكرار المبتدأ اذا اريد معنى التعظيم والتهويل وما ادراك
ما الحاقة مبالغة في التهويل والمعنى ان فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف من امورها
الشاقة وتفصيل اوصافها وما استفهام ايضا مبتدأ وادراك الخبر والعائد على
ما ضمير الرفع في ادراك وما مبتدأ والحاقة خبر والجملة في موضع نصب بادراك
وادراك معلقة واصل درى ان يعدى بالباء وقد يحذف على قلة فاذا دخلت
همزة النقل تعدى الى واحد بنفسه والى الاخر بحرف الجر فقوله ما الحاقة
بعد ادراك في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر والقارعة من اسماء القيامة
لانها تقرع القلوب بصدمتها وقال الزمخشري تقرع الناس بالافزاع والاهوال

والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار فوضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم انتهى وقرأ الجمهور فاهلكوا رباعيا مبنيا للمفعول وزيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل قال قتادة بالطاغية بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة ٥ وقال مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها وقال ابن عباس وابن زيد ايضا وابو عبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعافية فكانه قال بطغيانهم ويدل عليه كذبت ثمود بطغواها وقيل الطاغية عاقر الناقة والهاء فيه للمبالغة كرجل راوية واهلكوا كلهم لرضاهم بفعله وقيل بسبب الفئة الطاغية واختار الطبري وغيره ان الطاغية هي الصيحة وترجيح ذلك مقابلة سبب الهلاك في ثمود بسبب الهلاك في عاد وهو قوله بريح صرصر وتقدم القول في صرصر في سورة القمر عاتية عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار او على عاد فما قدروا على ان يستتروا منها او وصفت بذلك استعارة لشدة عصفها والتسخير هو استعمال الشيء باقتدار عليه فمعنى سخرها عليهم اي اقامها وادامها سبع ليال بدت عليهم صبح الاربعاء لثمان بقين من شوال الى اخر الثامن الاربعاء تمام الشهر حسوما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وابو عبيدة تباعا لم يتخللها انقطاع وقال الخليل شوما ونحسا وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم اي تلك الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل والحسام وقال الزمخشري وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعل مضمر اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او تكون صفة كقولك ذات حسوم او تكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن ٥ فترى القوم فيها اي في الليالي والايام او في ديارهم او في مهاب الريح احتمالات اظهرها الاول لانه اقرب ومصرح به وقرأ ابو نهيك اعجز على وزن افعل كضبع واضبع وحكى الاخفش انه قرئ نخيل بالياء خلت اعجازها بلى وفسادا وقال ابن شجرة كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام خلت ابدانهم من ارواحهم قال ابن جريج كانوا في سبعة الايام في عذاب ثم في الثامن ماتوا والقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقال ابن الانباري من باقية اي من باق والهاء للمبالغة وقال ايضا من فئة باقية وقيل من باقية من بقاء مصدر جاء على فاعلة كالعافية وقرأ ابو رجاء وطلحة والجحدري والحسن بخلاف عنه وعاصم في رواية ابان والنحويان وابان ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء اي اجناده واهل طاعته وتقول زيد قبلك اي فيما يليك من المكان وكثر استعمال قبله حتى صار بمنزلة عندك وفي جهتك وما يليك باي وجه ولي وقرأ باقي السبعة وابو جعفر وشيبة والسلمي ومن قبله ظرف زمان اي الامم الكافرة التي كانت قبله كقوم

نوح

نوح وفيه اشارة الى تبيين من حديثه بعد هذا والمؤتفكات قرى قوم لوط وقرأ الحسن والمؤتفكة على الافراد بالخاطئة اي بالفعلة او الفعلات الخاطئة قاله مجاهد او بالخطا فيكون مصدرا جاء على فاعلة كالعافية قاله الجرجاني فعصوا رسول ربهم رسول جنس وهو من جاءهم من عند الله كموسى ولوط عليهما السلام وقيل لوط عليه السلام اعاده على اقرب مذكور وهو رسول المؤتفكات وقال الكلبي موسى عليه السلام اعاده على الاسبق وهو رسول فرعون وقيل رسول بمعنى رسالة رابية اي نامية قال مجاهد شديدة يريد انها زادت على غيرها من الاخذات وهي الغرق وقلب المدائن انا لما طغى الماء اي زاد وعلا على اعلى جبل في الدنيا خمس عشرة ذراعا قال ابن جبير طغى على الخزان كما طغت الريح على خزانها حملناكم اي في اصلاب ابائكم وحملنا اباكم في الجارية هي سفينة نوح وكثر استعمال الجارية في السفينة ومنه قوله تعالى ومن اياته الجواري في البحر كالاعلام وقال تسعون جارية في بطن جارية وقال المهدوي المعنى في السفن الجارية يعني ان ذلك هو على سبيل الامتنان والمحمولون هم المخاطبون لنجعلها اي سفينة نوح لكم تذكرة بما جرى لقومه الهالكين وقومه الناجين فيها وعظة قال قتادة ادركها اوائل هذه الامة وقال ابن جريج كانت الواحها على الجودي ٥ وقيل لنجعل تلك الحملة في سفينة نوح لكم عظة تتذكرون بها نجاة ابائكم واغراق مكذبي نوح عليه السلام وتعيها اي تحفظ قصتها اذن من شانها ان تعي المواعظ وتعيه يقال وعيت لما حفظ في النفس واوعيت لما حفظ في غير النفس من الاوعية وقال قتادة الواعية هي التي عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله وفي الحديث انه عليه السلام قال لعلي اني دعوت الله تعالى ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته وقرأ وتعيها بكسر العين وابن مصرف وابو عمرو في رواية هرون وخارجة عنه وقنبل بخلاف عنه باسكانها وحمزة باخفاء الحركة ووجه الاسكان التشبيه في الفعل بما كان على وزن فعل في الاسم والفعل نحو كبد وعلم ونعي ليس على وزن فعل بل هو مضارع وعى فصار الى فعل واصله يفعل حذفت واوه وروي عن عاصم عصمة وحمزة الازرق وتعيها بتشديد الياء قيل وهو خطا وينبغي ان يتاول على انه اريد به شدة بيان الياء احترازا ممن سكنها لا ادغام حرف في حرف ولا ينبغي ان يجعل ذلك من باب التضعيف في الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب الى ذلك بعضهم وروي عن حمزة وعن موسى بن عبد الله العبسي وتعيها باسكان الياء فاحتمل الاستيناف وهو الظاهر واحتمل ان يكون مثل قراءة من اوسط ما تطعمون اهاليكم بسكون الياء وقال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين انتهى وفيه تكثير ولما ذكر تعالى ما فعل بمكذبي الرسل من العذاب في الدنيا ذكر امر الاخرة وما يعرض فيها لاهل السعادة واهل الشقاوة وبدا باعلام يوم القيامة فقال فاذا نفخ في

زا

الصور نفخة واحدة وهذه النفخة هي نفخة الفزع قال ابن عباس وهي النفخة الاولى
التي يحصل عنها خراب العالم ويؤيد ذلك قوله وحملت الارض والجبال وقال
ابن المسيب ومقاتل هي النفخة الآخرة وعلى هذا لا يكون الدك بعد النفخ والاولى اقرب
وروي ذلك عن ابن عباس رضه ولما كانت النفخة مرة اكدت بقوله واحدة وقرأ الجمهور
نفخة واحدة برفعهما ولم يلحق التاء نفخ لان تأنيث النفخة مجازي ووقع الفصل
وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لصح لان نفخة مصدر محدود
ونعته ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد وقرأ ابو السمال بنصبهما اقام الجار
والمجرور مقام الفاعل وقرأ الجمهور وحملت بتخفيف الميم وابن ابي عبلة وابن مقسم
والاعمش وابن عامر في رواية يحيى بتشديدها فالتخفيف على ان تكون الارض والجبال
حملتها الريح العاصف او الملائكة او القدرة من غير واسطة مخلوق ويبعد قول
من قال انها الزلزلة لان الزلزلة ليس فيها حمل انما هي اضطراب والتشديد على ان
يكون للتكثير او يكون التضعيف للنقل فيجوز ان تكون الارض والجبال المفعول الاول
اقيم مقام الفاعل والثاني محذوف وهو واحد من الثلاثة المقدرة وثني الضمير في فدكتا
وان كان قد تقدمه ما يعود عليه ضمير الجمع لان المراد جملة الارض وجملة الجبال
اي ضرب بعضها ببعض حتى تفتتت وترجع كما قال تعالى كثيبا مهيلا والدك فيه
تفرق الاجزاء كقوله هباء والدق فيه اختلاف الاجزاء وقيل تبسط فتصير ارضا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهو من قولهم بعير ادك وناقة دكاء اذا ضعفا فلم يرتفع لهما
سنامهما واستوت حدبتهما مع ظهريهما فيومئذ معطوف على فاذا نفخ في الصور
وهو منصوب بوقعت كما ان اذا منصوب بنفخ على ما اخترناه وقررناه واستدللنا
له في العامل في اذا انه الفعل الذي يليها لا الجواب وان كان مخالفا لقول الجمهور
والتنوين في اذ للعوض من الجملة المحذوفة ويجيء التقدير فيوم اذ نفخ في الصور
وجرى كيت وكيت والواقعة هي القيامة وقد تقدم في اذا وقعت الواقعة
ان بعضهم قال هي صخرة بيت المقدس وانشقت السماء اي تفطرت وتميز بعضها
من بعض فهي يومئذ انشقت واهية ضعيفة لتشققها بعد ان كانت شديدة أأنتم
اشد خلقا ام السماء او منخرقة كما يقال وهي السقاء انخرق وقيل انشقاقها
لنزول الملائكة كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل
انشقاقها لهول يوم القيامة والملك على ارجائها قال ابن عباس على حافاتها
حين تنشق والظاهر ان الضمير في حافاتها عائد على السماء وقال ابن جبير
والضحاك على حافات الارض ينزلون اليها يحفظون اطرافها وان لم يجر لها ذكر
قريب كما روي ان الله يامر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض
ثم ملائكة الثانية فيصفون حولهم ثم ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن والانس
وجد الارض احيط بها والملك اسم جنس يراد به الملائكة وقال الزمخشري فان قلت
ما الفرق بين قولك والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من
الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة
انتهى ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام

الجنسية قصاراه ان يراد به الجمع المحلى بهما ولذلك صح الاستثناء منه فقصاراه
ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الى آخره فليس دليلا
على دعواه لان من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق
فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة
فان من دخلت على جمع منكر يعم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد
فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان النفي
انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الآية
ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون اعم من جمع دخلت عليه من وانما جيء به مفردا
لانه اخف ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون
على ارجائها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها
لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها في اوقات وقال الزمخشري يعني انها تنشق
وهي مسكن الملائكة فيفيئون الى اطرافها وما حولها من حافاتها انتهى والضمير
في فوقهم عائد على الملك ضمير جمع على المعنى لانه يراد به الجنس قال معناه الزمخشري
وقيل يعود على الملائكة الحاملين اي فوق رؤوسهم وقيل على العالم كلهم والظاهر
ان التمييز المحذوف في قوله ثمانية املاك اي ثمانية اشخاص من الملائكة وعن
الضحاك ثمانية صفوف وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف وذكروا
في صفات هؤلاء الثمانية اشكالا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا يومئذ اي
يوم اذ كان ما ذكر تعرضون اي للحساب وتعرضون هو جواب قوله فاذا نفخ فان كان
النفخة هي الاولى فجاز ذلك لانه اتسع في اليوم فجعل ظرفا للنفخ ووقوع الواقعة
وجميع الكائنات بعدها وان كانت النفخة هي الثانية فلا يحتاج الى اتساع لان
قوله فيومئذ معطوف على فاذا ويومئذ تعرضون بدل من فيومئذ وما بعد هذه
الظروف واقع في يوم القيامة والخطاب في تعرضون لجميع العالم المحاسبين وعن
عبد الله رضي الله عنه في القيامة عرضتان فيهما معاذير وتوقيف وخصومات
وثالثة تتطاير فيها الصحف للايمان والشمائل وقرأ الجمهور لا تخفى بتاء
التأنيث وعلي وابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن مقسم عن
عاصم وابن سعدان بالياء خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا ۝ فاما
من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة
راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها
كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض
على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا
الخاطئون ۝ اما حرف تفصيل فصل بها ما وقع في يوم العرض ويظهر ان من قضي دخول
النار من الموحدين انه في يوم العرض ياخذ كتابه بيمينه مع الناجين من النار ويكون
ذلك بشرى له مدة العذاب وقيل لا ياخذه حتى يخرج من النار وايمانه انيسه مدة

قوله عز وجل
فاما من اوتي

العذاب قيل وهذا يظهر لان من يسار به الي النار كيف يقول هاؤم اقرؤا كتابيه
وسبب هذا الا استبشار وسرور فلا يناسب دخول النار وهاؤم ان كان مدلولها
خذ فهي متسلطة على كتابيه بغير واسطة وان كان مدلولها تعالوا فهي متعدية
اليه بواسطة الي وكتابيه يطلبه هاؤم واقرؤا فالبصريون يعملون اقرؤا
والكوفيون يعملون هاؤم وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل
والفعل وقراء الجمهور كتابيه وحسابيه في موضعيهما وماليه وسلطانيه وفي
القارعة ماهيه باثبات هاء السكت وقفا ووصلا لمراعاة خط المصحف
وقراء ابن محيصن بحذفها وصلا ووقفا واسكان الياء وذلك كتابي وحسابي
ومالي وسلطاني ولم ينقل ذلك فيما وقفت عليه في ماهيه في القارعة وابن ابي اسحق
والاعمش يطرح الهاء فيهن في الوصل لا في الوقف وطرحها حمزة في مالي وسلطاني
وماهي في الوصل لا في الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوي من ان اثبات
الهاء في الوصل لحن لا يجوز عند احد علمته ليس كما قال بل ذلك منقول نقل التواتر
فوجب قبوله اني ظننت اي ايقنت ولو كان ظنا فيه تجويز لكان كفرا فهو في عيشة
راضية ذات رضي وقال ابو عبيدة والفراء راضية مرضية كقوله من ماء دافق اي
مدفوق في جنة عالية اي مكانا وقدرا قطوفها اي ما يجنى منها دانية قريبة المتناول
يدركها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها كلوا واشربوا اي يقال هنيئا تقدم
الكلام عليه في اول النساء وقال الزمخشري هنا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم
هنيئا على المصدر انتهى فقوله اكلا وشربا هنيئا يظهر منه جعل هنيئا صفة للمصدرين
ولا يجوز ذلك الا على تقدير الاضمار عند من يجيز ذلك اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا بما اسلفتم
اي قدمتم من العمل الصالح في الايام الخالية يعني ايام الدنيا وقال مجاهد وابن جبير
ووكيع وعبد العزيز بن رفيع ايام الصوم اي بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله
والظاهر العموم في قوله بما اسلفتم اي من الاعمال الصالحة يا ليتني لم اوت كتابيه
لما راي فيه قبائح افعاله وما يصير امره اليه تمنى انه لم يعطه وتمنى انه لم يدر حسابيه
حسابه فانه انجلى عنه حسابه عن ما يسوءه فيه اذ كان عليه لا له يا ليتها اي الموتة
التي متها في الدنيا كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث ولم اعذب او يا ليت
الحالة التي انتهيت اليها الآن كانت الموتة التي متها في الدنيا حيث رايت تلك الحالة
التي يؤول فيها امري مما ذاقه من الموتة وكيف لا وامره آل الي عذاب لا ينقطع ما اغنى
عني ماليه يجوز ان يكون نفيا محضا اخبر بذلك متاسفا على ماله حيث لم ينفعه
ويجوز ان يكون استفهاما وبخ به نفسه وقررها عليه هلك عني سلطانيه اي
حجتي قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدي وقال ابن زيد يقول
ذلك ملوك الدنيا وكان عضد الدولة بن بويه لما تسمى بملك الاملاك غلاب
القدر لم يفلح وجن فكان لا يطلق لسانه الا بقوله تعالى هلك عني سلطانيه
خذوه اي يقال للزبانية خذوه فغلوه اي اجعلوا في عنقه غلا ثم الجحيم صلوه قال
الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس
يقال صلى النار وصلاه النار انتهى وانما قدره لا تصلوه الا النار لانه يزعم

ان تقديم

ان تقديم المفعول يدل على الحصر وقد تكلمنا معه في ذلك في اياك نعبد وليس ما قاله
مذهبا لسيبويه ولا الحذاق النحاة واما قوله لانه كان سلطانا يتعظم على الناس فهذا
قول ابن زيد وهو مرجوح والراجح قول ابن عباس ومن ذكر معه ان السلطان هنا هو الحجة
التي كان يحتج بها في الدنيا لان من اوتي كتابه بشماله ليس مختصا بالملوك بل هو
عام في جميع اهل الشقاوة ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا يجوز ان يراد ظاهره
من العدد ويجوز ان يراد المبالغة في طولها وان لم يبلغ هذا العدد قال ابن عباس
وابن جريج ومحمد بن المنكدر بذراع الملك وقال نوف البكالي وغيره الذراع سبعون
باعا في كل باع كما بين مكة والكوفة وهذا يحتاج الى نقل صحيح وقال الحسن الله اعلم
باي ذراع هي وقيل بالذراع المعروف وانما خاطبنا تعالى بما نعرفه ونحصله وقال
ابن عباس لو وضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص فاسلكوه اي ادخلوه لقوله
فسلكه ينابيع والظاهر انه يدخل في السلسلة ولطولها تلتوي عليه من جميع جهاته
فيبقى داخلا فيها مضغوطا حتى تعمه وقيل في الكلام قلب والسلسلة تدخل من فمه
وتخرج من دبره فهي في الحقيقة التي تسلك فيه ولا ضرورة تدعو الى اخراج الكلام
عن ظاهره الا ان دل الدليل الصحيح على خلافه وقال الزمخشري والمعنى في تقديم
السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه
السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت
ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي
المدة انتهى وتقدم ان مذهبه الحصر في تقديم المعمول واما ثم فيمكن بقاؤها على
موضوعها من المهلة وانه اولا يؤخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة
ثم جاء تصليه الجحيم فكان ذلك ابلغ في عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه
قليلا ثم جاء سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا في النار لكنه كان له انتقال
من مكان الى مكان فيجد بعض ذلك تنفس فلما سلك في السلسلة كان ذلك اشد
ما عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وانه يضيق عليه غاية
فهذا يصح فيه ان يكون ثم على موضوعها من المهلة الزمانية انه كان لا يؤمن بدأ
باقوى اسباب تعذيبه وهو كفره بالله وانه تعليل مستانف كان قائلا قال
لم يعذب هذا العذاب البليغ فقيل انه كان لا يؤمن وعطف ولا يحض على لا يؤمن
داخلا في العلة وذلك يدل على عظم ذنب من لا يحض على اطعام المسكين اذ جعل قرين
الكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف يكون ترك الاطعام والتقدير على طعام طعام
المسكين اذ جعل قرين الكفر واضاف الطعام الى المسكين من حيث له نسبة اليه
اذ يستحق المسكين حقا في مال الغني الموسر ولو بادنى يسار وللعرب في مكارمهم
وايثارهم اثار عجيبة غريبة بحيث لا توجد في غيرهم وما احسن ما قال القائل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وكان ابو الدرداء يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف
السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء
الله اطعمه يعني انه اذا نفي الحض انتفي الاطعام بجهة الاولى كما صرح به في قوله قالوا

من المصلين ولم نك نطعم المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم أي صديق
ملاطف وادّ لأن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وقيل قريب يدفع عنه ولا طعام
إلا من غسلين قال ابن عباس هو صديد أهل النار وقال قتادة وابن زيد
هو الزقوم أخبث شيء وأبشعه وقال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل
النار وقيل هو شيء يجري من ضريع أهل النار يدل على هذا قوله في الغاشية ليس لهم
طعام إلا من ضريع فهما شيء واحد ومتداخلان قيل ويجوز أن يكونا متباينين
وأخبر بكل واحد منهما عن طائفة غير الطائفة التي أخبر عنها بالآخر وطعاما وله خبر ليس
وقال المهدوي ولا يصح أن يكون هاهنا ولم يبين ما المانع من ذلك وتبعه القرطبي
في ذلك وقال لأن المعنى يصير ليس هاهنا طعام إلا من غسلين ولا يصح ذلك لأن
ثم طعاما غيره وهاهنا متعلق بما في له من معنى الفعل انتهى وإذا كان ثم غيره من الطعام
وكان الأكل غير أكل آخر صح الحصر بالنسبة إلى اختلاف الآكلين وأما إن كان الضريع هو
الغسلين كما قال بعضهم فلا تناقض إذ المحصور في الآيتين هو شيء واحد وإنما
يمتنع ذلك من وجه غير ما ذكره وهو أنه إذا جعلنا هاهنا الخبر كان له واليوم متعلقا
بما تعلق به الخبر وهو العامل في هاهنا وهو عامل معنوي فلا يتقدم معموله عليه فلو كان
العامل لفظيا جاز كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد فله متعلق بكفوا وهو خبر ليكن **وقرأ**
الجمهور الخاطئون بالهمز اسم فاعل من خطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك
والمخطئ الذي يفعله غير متعمد **وقرأ** الحسن والزهري والعتكي وطلحة في نقل بياء
مضمومة بدلا من الهمزة **وقرأ** أبو جعفر وشيبة وطلحة ونافع بخلاف عنه بضم الطاء
دون همز فالظاهر أنه اسم فاعل من خطئ كقراءة من همز وقال الزمخشري ويجوز أن يراد
الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله انتهى فيكون اسم فاعل من
خطا يخطو كقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فخطا
إلى المعاصي ۞ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول
شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو
تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد
عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على
الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ۞ تقدم الكلام في لا قبل القسم
في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقراءة الحسن لأقسم بجعلها لاما دخلت على أقسم وقيل
لا هنا نفي للقسم أي لا نحتاج في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك وعلى هذا فجوابه جواب
القسم قال مقاتل سبب ذلك أن الوليد قال إن محمدا ساحر وقال أبو جهل
شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله عليهم بقوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
قال قتادة عام في جميع مخلوقاته وقال عطاء ما تبصرون من آثار القدرة وما لا
تبصرون من أسرار القدرة وقيل وما لا تبصرون الملائكة وقيل الأجساد والأرواح
إنه أي إن القرآن لقول رسول كريم هو محمد صلى الله عليه وسلم في قول الأكثرين ويؤيده
قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ونسب القول إليه لأنه هو مبلغه والعامل به
وقال ابن السائب ومقاتل وابن قتيبة هو جبريل عليه السلام إذ هو الرسول

قوله عز وجل فلا أقسم بما تبصرون

عن الله

عن الله ونفى تعالى أن يكون قول شاعر لما باينه لضروب الشعر ولا قول كاهن لأنه
ورد بسب الشياطين وانتصب قليلا على أنه صفة لمصدر محذوف أو لزمان
محذوف أي تؤمنون إيمانا قليلا أو زمانا قليلا وكذا التقدير في قليلا ما تذكرون
والقلة هو إقرارهم إذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل
مضمر يدل عليه تؤمنون وما يحتمل أن تكون نافية فينتفي إيمانهم البتة ويحتمل أن تكون
ما مصدرية ويتصف بالقلة فهو الإيمان اللغوي لأنهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا
يغني عنهم شيئا إذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول
صلى الله عليه وسلم هو حق صواب انتهى أما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون
فلا يصح لأن ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون إما أن تكون ما نافية أو مصدرية
كما ذهب إليه فإن كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي
بما يكون منفيا فيكون التقدير ما تؤمنون قليلا ما تؤمنون والفعل المنفي بما لا يجوز
حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما أضربه على تقدير ما أضرب زيدا ما أضربه وإن كانت
مصدرية كانت إما في موضع رفع على الفاعلية بقليلا أي قليلا إيمانكم ويبقى قليلا
لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له وإما في موضع رفع على الابتداء فيكون
مبتدأ لا خبر له لأن ما قبله منصوب لا مرفوع وقال الزمخشري والقلة في
معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم انتهى
ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون إلا في أقل نحو أقل
رجل يقول ذلك إلا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك إلا زيد وقد يستعمل في قليل
وقليلة إذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في **قول الشاعر** ۞
قليل بها الأصوات إلا بغامها ۞ أما إذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت أو قليلا
ما ضربت على أن تكون ما مصدرية فإن ذلك لا يجوز لأنه في قليلا ضربت منصوب
بضربت ولم تستعمل العرب قليلا إذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثيرا وأما
في قليلا ما ضربت على أن تكون ما مصدرية فتحتاج إلى رفع قليل لأن ما المصدرية
في موضع رفع على الابتداء **وقرأ** ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بخلاف عنهما والحسن
والجحدري يؤمنون يذكرون بالياء فيهما وباقي السبعة بتاء الخطاب وأبي
بتاءين **وقرأ** الجمهور تنزيل بالرفع وأبو السمال تنزيلا بالنصب **وقرأ** الجمهور ولو تقول
والتقول أن يقول الإنسان عن آخر أنه قال شيئا لم يقله **وقرأ** ذكوان وابنه محمد
يقول مضارع قال وهذه القراءة معرضة بما صرحت به قراءة الجمهور **وقرئ**
ولو تقول مبنيا للمفعول وحذف الفاعل وقام المفعول مقامه وهو بعض إن كان
قرئ مرفوعا وإن كان قرئ منصوبا بعلينا قام مقام الفاعل والمعنى ولو تقول
علينا متقول ولا يكون الضمير في تقول عائدا على الرسول لاستحالة وقوع ذلك
منه فنحن نمنع أن يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه السلام والأقاويل
جمع الجمع وهو أقوال كأبيات وأبابيت قال الزمخشري وسمى الأقوال
المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحيك كأنها
جمع أفعولة من القول والظاهر أن قوله باليمين المراد به الجارحة فقال الحسن

العفاف

المعنى فقطعنا غيره ونكالا وابلاء على من اراده وقيل لاخذ على ظاهره قال الزمخشري والمعنى ولو ادعى مدع علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما تفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يلحقه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه انتهى وهو قول للمتقدمين حسنه الزمخشري بتكثير الفاظه ونصاعتها قالوا المعنى لاخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الاذلال كما يقول السلطان اذا اراد عقوبة رجل يا غلام خذ بيده وافعل كذا قاله ابو قريبا منه الطبري وقيل اليمين هنا مجاز فقال ابن عباس باليمين بالقوة ومعناه لنلنا منه عقابه بقوة منا وقال مجاهد بالقدرة وقال السدي عاقبناه بالحق ومن على هذا اصلة وقال نفطويه لقبضنا بيمينه عن التصرف ودقيل لنزعنا منه قوته وقيل لاذللناه واعجزناه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس هو نياط القلب وقال مجاهد حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع والموتون الذي قطع وتينه والمعنى لو تقول لاذهبنا حياته معجلا والضمير في عنه الظاهر انه يعود على الذي تقول ويجوز ان يعود على القتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجز عن ذلك ويدفعه عنه والخطاب في منكم للناس والظاهر في حاجزين ان يكون خبر الما على لغة الحجاز لان حاجزين هو محط الفائدة ويكون منكم لو تاخر لكان صفة لاحد فلما تقدم صار حالا وفي جواز هذا نظر او يكون للبيان او يتعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيدا راغبا ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبر ما وقال الحوفي والزمخشري حاجزين نعت لاحد على اللفظ وجمع على المعنى لانه في معنى الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجميع والمذكر والمونث ومنه لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء مثل بهما الزمخشري وقد تكلمنا على ذينك في موضعيهما وفي الحديث لم تحل   لاحد سود الرؤوس قبلكم واذا كان حاجزين نعتا فمن احد مبتدا والخبر منكم ويضعف هذا القول لان النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم فلا يتسلط على الحجز واذا كان حاجزين خبرا تسلط النفي عليه وصار المعنى ما احد منكم يحجزه عما يريد به من ذلك وانه لتذكرة اي وان القرآن او الرسول وانا لنعلم ان منكم مكذبين وعد مكذبين بالقرآن او بالرسول وانه لحسرة اي القرآن من حيث كفروا به ويرون من آمن به ينعم وهم يعذبون وقال مقاتل وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم عاد الضمير على المصدر المفهوم من قوله مكذبين كقوله اذا نهي السفيه جرى اليه اي للسفه وانه اي وان القرآن لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وسبق الكلام على اضافة حق الى اليقين في آخر الواقعة العهن الصوف دون تقييد او الاحمر او المصبوغ او المصبوغ الوانا اقوال الفصيلة قال ثعلب الآباء الادنون وقال

المقرات

ابو عبيدة

ابو عبيدة الفخذ وقيل عشيرته الاقربون لظى اسم لجهنم او للدركة الثانية من دركاتها وهو علم منقول من اللظى وهو اللهب ومنع الصرف للعلمية والتانيث الشوى جمع شواه وهي جلدة الراس وقال الاعشى

قالت قتيلة ماله قد حللت شيبا شواته

والشوى جلد الانسان والشوى قوائم الحيوان والشوى كل عضو ليس بمقتل ومنه رمي فاشوى اذا لم يصب المقتل والشوى رذال المال والشوى الشي الهين اليسير الهلع الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وقال ابو عبيدة الهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع الجزع الخوف قال الشاعر

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا عزين جمع عزة قال ابو عبيدة جماعات في تفرقة وقيل الجمع اليسير كثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وقال الاصمعي في الدار عزون اي اصناف من الناس قال عنترة

وقرن قد تركت لدى ولي عليه الطير كالعصب العزين

قال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي امسى سوامهم عزين فلولا

وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا

وقال اخر

ترانا عنده والليل داج على ابوابه حلقا عزينا

وقال اخر

فلما ان اتين على اضاخ ضرحن حصاه اشتاتا عزينا

وعزة مما حذفت لامه فقيل هي واو واصله عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون ويقال عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره وقيل لامها هاء والاصل عزهه وجمعت عزة بالواو والنون كما جمعت سنة واخواتها بذلك وتكسر العين في الجمع وتضم وقالوا عزى على فعل ولم يقولوا عزات

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون

قال الجمهور رح

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات
مكرمون ● هذه السورة مكية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الاية وقال الربيع بن انس في ابي جهل وقيل في جماعة من
قريش قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وقيل السائل نوح سال العذاب
على الكافرين وقيل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم سال الله ان يشدد وطأته
على مضر الحديث فاستجاب الله دعوته ومناسبة هذه لما قبلها انه لما ذكر وانا لنعلم
ان منكم مكذبين اخبر عما صدر عن بعض المكذبين بنعم الله وان كان السائل نوحا
او الرسول فناسب تكذيب المكذبين ان دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا
صدق ما جاءهم به وقرا الجمهور سال بالهمز اي دعا داع من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه
وطلبه فالباء على اصلها وقيل المعنى بحث باحث واستفهم فيكون الباء بمعنى عن وقرا
نافع وابن عامر سال بالالف فيجوز ان يكون قد ابدلت همزته الفا وهو بدل على غير قياس وانما
قياس هذا بين بين ويجوز ان يكون على لغة من قال سلت اسال حكاها سيبويه وقال
الزمخشري هي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان انتهى وينبغي ان
يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جاء في القرآن من باب السؤال هو مهموز او اصله
الهمز كقراءة من قرا وسلوا الله اذ لا يجوز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك
وسالوا الله مثل خافوا الامر فيبعد ان يجيء ذلك كله على لغة قريش وهم الذين نزل
القرآن بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم جاء في كلام الزمخشري وهما يتسايلان
بالياء واظنه من الناسخ وانما هو يتساولان بالواو فان توافقت النسخ بالياء
فيكون التحريف من الزمخشري وعلى تقدير انه من السؤال فسائل اسم فاعل منه وتقدم
ذكر الخلاف في السائل من هو وقيل سال من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال
سيل وقال زيد بن ثابت في جهنم واد يسمى سائلا واخبرنا عنه قال
ابن عطية ويحتمل ان لم يصح امر الوادي ان يكون الاخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب
قد استعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه وقال الزمخشري والسيل
مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب
فذهب بهم واهلكهم انتهى واذا كان السائل هم الكفار فسؤالهم انما كان على انه كذب
عندهم فاخبر تعالى انه واقع وعيدا لهم وقرا ابي وعبد الله سال سال مثل مال
بالقاء صورة الهمزة وهي الياء من الخط تخفيفا قيل والمراد سائل انتهى ولم يحك
من قرا بالهمزة او باسقاطها البتة فان قرا بالهمز فظاهر وان قرا بحذفها فهو مثل
شاك في شائك حذفت عينه واللام جرى فيها الاعراب والظاهر تعلق بعذاب
بسال وقال ابو عبد الله الرازي تتعلق بمصدر دل عليه فعله كانه
قيل ما سؤالهم فقيل سؤالهم بعذاب والظاهر اتصال للكافرين بواقع فيكون
متعلقا به واللام للعلة اي نازل بهم لاجلهم اي لاجل كفرهم او على ان اللام بمعنى
على قاله بعض النحاة ويؤيده قراءة ابي على الكافرين او على انه في موضع الصفة لواقع

كائن للكافرين وقال قتادة والحسن المعنى كان قائلا قال لمن هذا العذاب
الواقع فقيل للكافرين انتهى وقال الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين
ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر من توجيهيه في للكافرين هو كلام مبتدا
جواب للسائل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال تضمن معنى دعا فعدي تعديته
كانه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله
تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال
فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسائل اي هو للكافرين هذا لا يصح اخذ قول
قتادة والحسن وافسده والاجود ان يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له
دافع جملة اعتراض بين العامل والمعمول وقيل يتعلق بدافع اي من جهته اذا
جاء وقته ذي المعارج المعارج لغة الدرج وهنا استعارة قال ابن عباس
وقتادة في الرتب والفواضل والصفات الحميدة وقال ابن عباس ايضا
المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء وقال الحسن هي المراقي
الى السماء وقيل المعارج الغرف اي جعلها لاوليائه في الجنة تعرج قراءة الجمهور
بالتاء على التانيث وعبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الاعمش بالياء
والروح قال الجمهور هو جبريل خص بالذكر تشريفا واخر هنا بعد الملائكة وقدم
في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا وقال مجاهد هم ملائكة حفظة للملائكة
الحافظين لبني ادم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظتنا وقيل ملك غير جبريل
عظيم الخلقة وقال ابو صالح خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس وقال
قبيصة بن ذويب روح الميت حين تقبض اليه الضمير عائد على الله تعالى اي الى
عرشه وحيث يهبط منه امره تعالى وقيل اليه اي الى المكان الذي هو محلهم
وهو في السماء لانها محل بره وكرامته والظاهر ان المعنى انها تعرج في يوم من
ايامكم هذه ومقدار المسافة ان لو عرجها ادمي خمسون الف سنة قاله ابن عباس
وابن اسحق وجماعة من الحذاق منهم منذر بن سعيد فان كان العارج ملكا
قال مجاهد المسافة هي من قعر الارض السابعة الى العرش ومن جعل
الروح جنس ارواح الحيوان وقال وهب المسافة من وجه الارض الى
منتهى العرش وقال عكرمة والحكم اراد مدة الدنيا فانها خمسون الف
سنة لا يدري احد ما مضى منها وما بقي اي تعرج في مدة الدنيا وبقاء هذه البنية
وقال ابن عباس ايضا هو يوم القيامة فقيل طوله ذلك العدد وهذا ظاهر
ما جاء في الحديث في مانع الزكاة فانه قال في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري قدره في رزاياه وهوله وشدته
للكفار ذلك العدد وفي الحديث يخف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة
مكتوبة وقال عكرمة مقدار ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل
في خمسين الف سنة من ايام الدنيا وقال الحسن نحوه وقيل لا يراد حقيقة
العدد انما اريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد والعرب
تصف ايام الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر ○

رس

قال الشاعر يصف أيام الفرح والسرور ۝

ويوم كظل الرمح قصّر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر ۝

والظاهر أن قوله في يوم متعلق بتعرج وقيل بدافع والجملة من قوله تعرج اعتراض ولما كانوا قد سألوا استعجالا للعذاب وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وعدوا به أمره تعالى بالصبر ومن جعله من السيلان فالمعنى أنه أشرف على الوقوع والضمير في يرونه عائد على العذاب أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة ومعنى الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم ونراه قريبا أي هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر وكل ما هو آت قريب والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة يوم تكون منصوب بإضمار فعل أي يوم يقع يوم تكون أو بنراه أو بدل من ضمير نراه إذا كان عائدا على يوم القيامة وقال الزمخشري أو هو بدل من في يوم فيمن علقه بواقع انتهى ولا يجوز هذا لأن في يوم وإن كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تراعى في التوابع لأن حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كربّ وإنما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله

يا بني لينى لستما بيد ... إلا يدا ليست لها عضد ۝

ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على مراعاة موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو وأخاك على مراعاة الموضع فإن قلت الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة إعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين لأنه أضيف إلى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم إن كان استحضره وقصده كالمهل تقدم الكلام عليه في سورة الدخان وتكون الجبال كالعهن تجيء المنفوش كما في القارعة لما نسفت كطائرت في الجو كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح قال الحسن تسير الجبال مع الرياح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء وقرأ الجمهور ولا يسأل مبنيا للفاعل أي لا يسأله نصره ولا منفعته لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده وقال قتادة لا يسأله عن حاله لأنها ظاهرة وقيل لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيئا ليأسه عن ذلك وقيل شفاعة وقيل حميما منصوب على إسقاط عن أي عن حميم لشغله بما هو فيه وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي بخلاف عنه ثلاثتهم مبنيا للمفعول أي لا يسأل إحضاره كل من المؤمن والكافر له سيما يعرف بها وقيل عن ذنوب حميمه ليؤخذ بها يبصرونهم استئناف كلام قال ابن عباس في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم في النار وقيل يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب وقال الزمخشري ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين معرّفين إياهم انتهى وحميم حميما نكرتان في سياق النفي فيعمان ولذلك جمع الضمير وقرأ قتادة يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد أي يبصر المؤمن الكافر في النار قاله مجاهد وقال ابن زيد يبصر الكافر من أضله في النار عبرة وانتقاما وحزنا يود المجرم

أي الكافر وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذب وقرأ الجمهور من عذاب مضافا وأبو حيوة منونا والجمهور بكسرها والأعرج وأبو حيوة بفتحها وصاحبته زوجته وفصيلته أقرباؤه الأدنون تؤويه تضمه انتماء إليه أو لياذا به في النوائب ثم ينجيه عطف على يفتدي أي ثم ينجيه الافتداء أو من تقدم ذكرهم وقرأ الزهري تؤويه وينجيه بضم الهاءين كلا ردع لوداده الافتداء وتنبيه على أنه لا ينفعه إنها الضمير للقصة ولظى نزاعة تفسير لها أو للنار الدال عليها عذاب يومئذ ولظى بدل من الضمير ونزاعة خبران أو خبر مبتدأ ولظى خبر ونزاعة أي هي نزاعة أو بدل من لظى أو خبر بعد خبر كل هذا ذكروه وذلك على قراءة الجمهور برفع نزاعة وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى ولا أدري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا أنه ذكر بعد هذا أو ضمير القصة لحملت كلامه عليه وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم وحفص واليزيدي في اختياره نزاعة بالنصب فتعين أن تكون لظى خبرا لأن والضمير في إنها عائد على النار الدال عليها عذاب وانتصب نزاعة على الحال المؤكدة أو المبينة والعامل فيها لظى وإن كان علما لما فيه من معنى التلظي كما عمل العلم في الظرف في قوله أنا أبو المنهال بعض الأحيان ۝ أي المشهور بعض الأحيان أو على الاختصاص للتهويل قاله الزمخشري وكأنه يعني القطع فالنصب فيه كالرفع فيها إذا أضمرت هو فيضمر هنا أعني تدعو أي حقيقة يخلق الله فيها الكلام كما يخلقه في الأعضاء قاله ابن عباس وغيره تدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم قال الزمخشري وكما خلقه في الشجرة انتهى فلم يترك مذهب الاعتزال وقال الخليل مجاز عن استدنائها منهم وما توقعه بهم من عذابها وقال ثعلب تهلك تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وحكاه الخليل عن العرب ۝

وقال الشاعر ۝

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه ... وأعين من أهوى إليّ رواني ۝

وقال آخر ۝

ترفع للفتيان وكل فج ... طباه الرعي منه والخلاء ۝

طباه أي دعاه يصف ظليما والهوى والرعي لا يدعوان حقيقة ولكنه لما كانت فيهما ما يجذب صارا داعيين مجازا وقيل تدعو أي خزنتها جهنم أضيف دعاؤهم إليها من أدبر عن الحق وتولى وجمع فأوعى أي وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد حق الله فيه وهذه إشارة إلى كفار أغنياء وقال الحكم كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى إن الإنسان جنس ولذلك استثنى منه إلا المصلين وقيل الإشارة إلى الكفار وقال ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسيرا أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس انتهى ولما كان شدة الجزع والمنع متمكنة في الإنسان جعل كأنه خلق مجبولا عليهما كقوله خلق الإنسان من عجل والخير المال إلا المصلين استثناء كما قلنا من الإنسان ولذلك وصفهم بما

ووصفهم بها من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي حازوها وقرأ الجمهور على صلاتهم بالافراد والحسن جمعا وديمومتها قال الجمهور المواظبة عليها وقال ابن مسعود صلاتها لوقتها وقال عقبة بن عامر يقرون فيها ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا ومنه الماء الدائم وقال الزمخشري دوامهم عليها ان يواظبوا على اداءها ولا يشتغلون عنها بشيء ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها واداءها ويحفظوها من الاحباط باقتران المآثم والدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها انتهى وموجوا به لسؤاله فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون واقول ان الديمومة على الشيء والمحافظة عليه شيء واحد لكنه لما كانت الصلاة هي عمود الاسلام بولغ في التوكيد فيها فذكرت اول خصال الاسلام المذكورة في مدح السورة واخرها ليعلم مرتبتها في الاركان التي بني الاسلام عليها والصفات التي بعدها تقدم تفسيرها ومعظمها في سورة قد افلح وقرأ الجمهور بشهاداتهم على الافراد والسلمي وابو عمرو وحفص على الجمع ۞ فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ۞ كان عليه السلام يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن فكانوا يحتفون به حلقا حلقا يسمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت وتقدم شرح مهطعين في سورة ابراهيم عليه السلام ومعنى قبلك اي في الجهة التي تليك عن اليمين وعن الشمال اي عن يمينك وعن شمالك وقيل نزلت في المستهزئين الخمسة وقرأ الجمهور ان يدخل مبنيا للمفعول وابن يعمر والحسن وابو رجا وزيد بن علي وطلحة والمفضل عن عاصم مبنيا للفاعل كلا رد وردع لطماعيتهم اذ اظهروا ذلك وان كانوا لا يعتقدون صحة البعث ولا ان ثم جنة ولا نارا انا خلقناهم مما يعلمون اي انشأناهم من نطفة مذرة فنحن قادرون على اعادتهم وبعثهم يوم القيامة وعلى ان نستبدل بهم خيرا منهم وقيل فليس بنفس الخلق ومننه عليهم بذلك يعطي الجنة بل بالايمان والصالح وقال قتادة في تفسيرها انما خلقت من قذر يا ابن آدم وقال انس كان ابو بكر اذا خطبنا ذكر مناتن ابن آدم ومروره في مجرى البول مرتين وكذلك نطفة في الرحم ثم علقة ثم مضغة الى ان يخرج فيتلوث في نجاسته طفلا فلا يقلع ابو بكر حتى يتقذر احدنا نفسه فكانه قيل اذا كان خلقكم من نطفة مذرة فمن اين تتشرفون وتدعون دخول الجنة قبل المؤمنين وابهم في قوله مما يعلمون وان كان قد صرح به في عدة مواضع احاله على تلك المواضع ورأى مطرف بن عبد الله بن الشخير المهلب بن ابي صفرة يتبختر

قوله عز وجل فما للذين كفروا

في م

في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل عذرة فمضى المهلب وترك مشيته وقرأ الجمهور فلا اقسم برب المشارق والمغارب لا نفيا وجمعهما وقوم بلا ميم دون الف وعبد الله ابن مسلم وابن محيصن والجحدري المشرق والمغرب مفردين اقسم تعالى بمخلوقاته على ايجاب قدرته على ان يبدل خيرا منهم وانه لا يسبقه شيء الى ما يريد فذرهم يخوضوا ويلعبوا وعيد وما فيه من معنى المهادنة منسوخ باية السيف وقرأ ابو جعفر وابن محيصن يلقوا مضارع لقي والجمهور يلاقوا مضارع لاقى والجمهور يخرجون مبنيا للفاعل قال ابن عطية وروى ابو بكر عن عاصم مبنيا للمفعول ويوم بدل من يومهم وقرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحهما وابن عامر وحفص بضمهما والحسن وقتادة بضم النون وسكون الصاد والنصب ما نصب للانسان فهو يقصد مسرعا اليه من علم او بناء او صنم وغلب في الاصنام حتى قيل الانصاب وقال ابو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها مخافة ان ينفلت الصيد منها وقال مجاهد نصب علم ومن قرأ بضمهما قال ابن زيد اي انصاب منصوبة كانوا يعبدونها وقال الاخفش هو جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع يوفضون يسرعون وقال ابو العالية يستبقون الى غايات ۞ قال الشاعر ۞

۞ فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقر ۞

وقال الشاعر في معنى الاسراع ۞

۞ لانعتن نعامة ميفاضا خرجاء ظلت تطلب الاضاضا ۞

وقال ابن عباس وقتادة يسعون وقال الضحاك ينطلقون وقال الحسن يبتدرون وقرأ الجمهور ذلة منونا ذلك اليوم برفع الميم مبتدأ وخبر وقرأ عبد الرحمن بن خلاد عن داود بن سالم عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن عن التمار ذلة بغير تنوين مضافا الى ذلك واليوم بخفض الميم الاطوار الاحوال المختلفة قال الشاعر ۞

• فان افاق فقد طارت عمايته والمرء يخلق طورا بعد اطوار ۞

ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا سما لاصنام قوم نوح اعلاما لها ۞

سورة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني

المفردات

دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم
اطوارا ● هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما اقسم على ان
يبدل خيرا منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدوا به من العذاب
ذكر قصة نوح وقومه معه وكانوا اشد تمردا من المشركين فاخذهم الله
اخذ استيصال حتى انه لم يبق لهم نسلا على وجه الارض وكانوا عباد اصنام
كمشركي مكة فحذر تعالى قريشا ان يصيبهم عذاب يستاصلهم ان لم يؤمنوا نوح عليه
السلام اول نبي ارسل ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني وهو نوح بن لامك
ابن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث
ابن آدم عليه السلام ان انذر قومك يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون تفسيرية
عذاب اليم قال ابن عباس عذاب النار في الآخرة وقال الكلبي ما حل
بهم من الطوفان من ذنوبكم من للتبعيض لان الايمان انما يجب ما قبله من الذنوب
لا ما بعده وقيل لابتداء الغاية وقيل زائدة وهو مذهب كوفي قال ابن عطية
كوفي واقول اخفشي لا كوفي لانهم يشترطون ان تكون بعد نفي نكرة ولا يبالون
بما قبلها من واجب او غيره والاخفش يجيز مع الواجب وغيره وقيل
للنكرة والمعرفة وقيل لبيان الجنس ورد بانه ليس قبلها ما تبينه
قال الزمخشري فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع
تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان
آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم
آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه
لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك
الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لهم حيلة فبادروا في اوقات
الامهال والتاخير انتهى وقال ابن عطية ويؤخركم الى اجل مسمى مما تعلقت
المعتزلة به في قولهم ان للانسان اجلين قالوا لو كان واحدا محددا لما صح
التاخير ان كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة ان كان لم يبلغ قال وليس لهم في الآية
تعلق لان المعنى ان نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر او ممن يعاجل ولا
قال لهم انكم تؤخرون عن اجل قد حان لكم لكن قد سبق في الازل انهم اما
ممن قضي له بالايمان والتاخير واما ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة ثم تشدد
هذا المعنى ولاح بقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وجواب لو محذوف تقديره
لو كنتم تعلمون لبادرتم الى عبادته وتقواه وطاعتي فيما جئتكم به منه تعالى
ولما لم يجيبوه وآذوه شكا الى ربه شكوى من يعلم ان الله عالم بحاله مع قومه
لما امر بالانذار فلم يجد فيهم قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي
جميع الاوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت ولما ازدادوا اعراضا
ونفارا عن الحق جعل الدعاء هو الذي زادهم اذ كان سبب الزيادة ومثله

قرادتهم

فزادتهم رجسا الى رجسهم واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليتوبوا فتغفر لهم
ذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح في اعراضهم عنه جعلوا اصابعهم
في آذانهم الظاهر انه حقيقة سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم اليه
وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح
ويجوز ان يكون ذلك كناية عن المبالغة في اعراضهم عما دعاهم اليه فهم بمنزلة
من سد سمعه ومنع بصره ثم كرر صفة دعائه بيانا وتوكيدا لما ذكر دعاءه عموم
الاوقات ذكر عموم حالات الدعاء وكلما دعوتهم يدل على تكرار الدعوات فلم
يبين حاله دعائه اولا وظاهره ان يكون دعاؤه اسرارا لانه يكون الطف بهم
ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح في السر فانه جدير ان يقبل منه فلما لم يجد له
الاسرار انتقل الى اشد منه وهو دعاؤهم جهارا صلتا بالدعاء الى الله لا يحاشي
احدا فلما لم يجد عاد الى الاعلان والى الاسرار قال الزمخشري ومعنى ثم الدلالة
على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما
انتهى وكثيرا ما كرر الزمخشري ان ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره وانتصب جهارا
بدعوتهم وهو احد نوعي الدعاء ويجي فيه من الخلاف ما جاء في نصب هو يمشي الخوزلى
قال الزمخشري او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان تكون صفة لمصدر
دعا اي دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا ثم اخبر انه
امرهم بالاستغفار وانهم اذا استغفروا در لهم الرزق في الدنيا فقدم لهم
ما يسرهم وهو احب اليهم اذا النفس متشوفة الى الحصول على العاجل كما قال تعالى
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الآية
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم قال قتادة كانوا اهل حب للدنيا
فاستدعاهم الى الآخرة من الطريق التي يحبونها وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعاء
قحطوا واعقم نساؤهم فبداهم في وعده بالمطر ثم ثنى بالاموال والبنين ومدرار
من الدر وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث ومفعال لا تلحقه التاء الا نادرا
فيشترك فيه المذكر والمؤنث تقول رجل مجذامة ومطرابة وامراة مجذامة
ومطرابة والسماء المظلة قيل لان المطر ينزل منها الى السحاب ويجوز ان
يراد السحاب او المطر كقوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه الرجاء بمعنى الخوف
وبمعنى الامل فقال ابو عبيدة وغيره لا ترجون لا تخافون قالوا والوقار بمعنى
العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف وقيل لا تاملون له
توقيرا اي تعظيما قال الزمخشري والمعنى ما لكم لا تكونون على حال يكون
فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة
او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون
لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال
استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر
انتهى وقيل ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءه وقارا ويكون على هذا منهم

بعهم

كأنه يقول تؤدة منكم وتمكنا في النظر لأن الكفر مظنة الخفة والطيش وركوب الرأس انتهى وفي التحرير والتحبير قال سعيد بن جبير ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون عقابا وقاله ابن جبير عن ابن عباس وقال العوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابال انتهى لا ترجون حال وقد خلقكم اطوارا جملة حالية يحمل على الايمان بالله وافراده بالعبادة اذ في هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الانسان في اطوار لا يمكن ان تكون الا من خلقه تعالى قال ابن عباس ومجاهد من النطفة والعلقة والمضغة وقيل في اختلاف الوان الناس وخلقهم وخلقهم ومللهم وقيل صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفا ثم قويا وقيل معنى اطوارا انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا ۵ الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ۵ لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في انفسهم وكيف انتقلوا من حال الى حال وكانت الانفس اقرب ما يفكرون فيه منهم ارشدهم الى الفكر في العالم علوه وسفله وما اودع تعالى في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود وتقدم شرح طباقا في سورة الملك والضمير في فيهن عائد على السموات ويقال القمر في السماء الدنيا وصح كون السموات ظرفا للقمر لانه لا يلزم من الظرف ان يملأه المظروف تقول زيد في المدينة وهو في جزء منها ولم تتقيد الشمس بظرف فقيل هي في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة وهذا شيء لا يوقف على معرفته الا من علم الهيئة ويذكر اصحاب هذا العلم انه يقوم عندهم البراهين القاطعة على صحة ما يدعونه وان في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمة الله وقدرته وباهر مصنوعاته سراجا يستضيء به اهل الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج في بيوتهم ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الاضاءة ولذلك جاء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور والانبات استعارة في الانشاء انشاء آدم من الارض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم الى انهم انبتوا منها وانتصاب نباتا بانبتكم مصدرا

قوله عز وجل الم تروا كيف خلق الله

على حذف

على حذف الزائد أي انباتا أو على اضمار فعل أي فنبتم نباتا وقال الزمخشري المعنى انبتكم فنبتم او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم انتهى ولا اعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكره ثم يعيدكم فيها أي يصيركم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا أي يوم القيامة واكده بالمصدر أي ذلك واقع لا محالة بساطا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وظاهره ان الارض ليست كروية بل هي مبسوطة سبلا طرقا فجاجا متسعة وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج فلما اصروا على العصيان وعاملوه باقبح الاقوال والافعال قال نوح رب انهم عصوني الضمير للجميع وكان قد قال لهم واطيعون وكان قد اقام فيهم ما نص تعالى عليه الف سنة الا خمسين عاما وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في السنة مرتين واتبعوا أي عامتهم وسفلتهم اذ لا يصح عوده على الجميع في عبادة الاصنام من لم يزده أي رؤساؤهم وكبراؤهم وهم الذين كان ما نالوه من المال وما تكثروا به من الولد سببا في خسارهم في الآخرة وكان سبب هلاكهم في الدنيا وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والاعرج ومجاهد والاخوان وابن كثير وابو عمرو ونافع في رواية خارجة عنه وولده بضم الواو وسكون اللام والسلمي والحسن ايضا وابو رجاء وابن وثاب وابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر بفتحهما وهما لغتان كبخل وبخل وللحسن ايضا والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن ابي اسحاق وابو عمرو في رواية بكسر الواو وسكون اللام وقال ابو حاتم يمكن ان يكون الولد بالضم جمع الولد كخشب وخشب وقد قال

حسان بن ثابت ۵

۵ يا بكر آمنة المبارك بكرها من ولد محصنة بسعد الاسعد ۵

ومكروا الظاهر انه معطوف على صلة من وجمع الضمير في ومكروا وقالوا على المعنى ومكرهم احتيالهم في الدين وتحريش الناس على نوح وقرأ الجمهور كبارا بشد الباء وهو بناء فيه مبالغة كثيرة قال عيسى بن عمر هي لغة يمانية وعليه

قول الشاعر

۵ والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء ۵

وقول الآخر

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء ۵

ويقال حسان وطوال وجمال وقرأ عيسى وابن محيصن وابو السمال بخف الباء وهو بناء مبالغة ايضا وقرأ زيد بن علي وابن محيصن فيما روي عنه ابو الاخريط وهب بن واضح كبارا بكسر الكاف وفتح الباء وقال ابن الانباري هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل يعني فلذلك وصفه بالجمع وقالوا أي كبراؤهم لاتباعهم او قالوا أي جميعهم بعضهم لبعض لا تذرن لا تتركن آلهتكم أي اصنامكم وهو عام في جميع اصنامهم ثم خصوا بعد اكابر اصنامهم وهو ود ومن عطف عليه وروي انها اسماء رجال صالحين

ري

كانوا في صدر الزمان قال عروة بن الزبير كانوا ابني آدم وكان ودّ اكبرهم
وابرّهم به وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس كانوا بين آدم ونوح ماتوا
فصوّرت اشكالهم ليذكروا فعالهم الصالحة ثم هلك من صوّرهم وخلف من
يعظمهم ثم كذلك حتى عبدت قيل ثم انتقلت تلك الاصنام باعيانها وقيل
بل الاسماء فقط الى قبائل من العرب فكان ودّ لكلب بدومة الجندل وسواع
لهذيل وقيل لهمدان ويغوث لمراد وقيل لمذحج ويعوق لهمدان وقيل
لمراد ونسر لحمير وقيل لذي الكلاع من حمير ولذلك سمّت العرب بعبد ود
وعبد يغوث وما وقع من هذا الخلاف في سواع ويغوث ويعوق يمكن ان يكون
لكل منهما صنم يسمى بهذا الاسم اذ يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام فانما
بقيت الاصنام فسموا اصنامهم بها قال ابو عثمان النهدي رايت يغوث
وكان من رصاص يحمل على جمل اجرد يسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو
الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون
عليه بناء انتهى وقال الثعلبي كان يغوث لكهلان من سبا يتوارثونه
حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني ؎

؎ يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يغوث ولا يريش ؎

وقال الماوردي ودّ اول صنم معبود سمي ودّا لودّهم له انتهى وقيل كان
ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهذا مناف لما تقدم من انهم صوروا صور
ناس صالحين **وقرا** نافع وابو جعفر وشيبة بخلاف عنهم ودّا بضم الواو والحسن
والاعمش وطلحة وباقي السبعة بفتحها **وقال الشاعر** ؎

؎ حياك ودّ فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما ؎

وقال اخر ؎

؎ فحياك ودّ من هداك لفتية وخوص باعلى ذي فضالة هجد ؎

قيل اراد ذلك الصنم **وقرا** الجمهور ولا يغوث ويعوق بغير تنوين فان كانا
عربيين فمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة والعلمية
والاشهب ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا
فلذلك صرفهما فاما في العامة فانهما صفتان في الغوث من الغوث
والعوق يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الثقلين
اللذين هما تعريف ومشابهة الفعل المستقبل انتهى وهذا تخبيط اما اولا
فلا يمكن ان يكونا فعولا لان مادة يغث مفقودة وكذلك يعق واما ثانيا
فليسا بصفتين من الغوث والعوق لان يفعلا لم يجي اسما ولا صفة وانما
امتنعا من الصرف لما ذكرناه وقال ابن عطية **وقرا** الاعمش ولا يغوثا
ويعوقا بالصرف وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى
وليس ذلك بوهم ولم ينفرد الاعمش بذلك بل قد وافقه الاشهب العقيلي
على ذلك وتخريجه على احد وجهين احدهما انه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا

ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني
انه صرف لمناسبة ما قبله وما بعده من المنون اذ قبله ودّا ولا سواعا وبعده
ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقواريرا قواريرا لمن صرف ذلك للمناسبة
وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين
ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما
منصرفات ودّا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات
للازدواج انتهى وان الزمخشري لم يدر ان ثم لغة لبعض العرب تصرف كل ما لا ينصرف
عند عامتهم فلذلك استشكلها وقد اضلوا اي الرؤساء المتبوعون كثيرا من اتباعهم
وعامتهم وهذا اخبار من نوح عليه السلام عنهم بما جرى على ايديهم من الضلال
وقال الحسن وقد اضلوا اي الاصنام عاد الضمير عليها كما يعود على العقلاء
كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويحسنه عوده على اقرب مذكور ولكن
عوده على الرؤساء اظهر اذ هم المحدث عنهم والمعنى فيهم امكن ولما اخبر انهم قد
اضلوا كثيرا دعا عليهم بالضلال فقال ولا تزد وهي معطوفة على وقد اضلوا
اذ تقديره وقال قد اضلوا كثيرا فهي معمولة لقال المضمرة المحكي بها قوله
وقد اضلوا ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل قد يعطف جملة الانشاء
على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعي التناسب وقال الزمخشري ما ملخصه
عطف ولا تزد على رب انهم عصوني اي قال هذين القولين الا ضلالا لا
قال الزمخشري **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله
بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على
الكفر ووقوع الناس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن
الدعاء بخلافه انتهى وذلك على مذهبه الاعتزالي قال ويجوز ان يراد بالضلال
الضياع والهلاك كما قال ولا تزد الظالمين الا تبارا وقال ابن بحر الا ضلالا
الا عذابا قال كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل
الا ضلالا في امر دنياهم وترويج مكرهم وحيلهم **وقرا** الجمهور مما خطيئاتهم جمعا
بالالف والتاء مهموزا وابو رجاء كذلك الا انه ابدل الهمزة ياء وادغم فيها
ياء المد والجحدري وعبيد عن ابي عمرو على الافراد مهموزا والحسن وعيسى والاعرج
بخلاف عنهم وابو عمرو خطاياهم جمع تكسير وهذا اخبار من الله تعالى للرسول
عليه السلام بان دعوة نوح عليه السلام قد اجيبت وما زائدة للتوكيد
ومن قال ابن عطية لابتداء الغاية ولا يظهر لانها للتسبيب **وقرا** عبد الله
من خطيئاتهم ما اغرقوا بزيادة ما بين اغرقوا وخطيئاتهم **وقرا** الجمهور اغرقوا
بالهمز وزيد بن علي غرقوا بالتشديد وكلاهما للنقل وخطيئاتهم الشرك وما
انجر معه من الكبائر فادخلوا نارا اي جهنم وعبر عن المستقبل بالماضي لتحققه
وعطف بالفاء على ارادة الحكم او عبر بالدخول عن عرضهم على النار غدوا وعشيا
كما قال النار يعرضون عليها قال الزمخشري او اريد عذاب القبر
انتهى وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب

فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم على نصرهم. ودعاء
نوح عليه السلام عليهم بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن
قاله قتادة وعنه أيضاً ما دعا عليهم إلا بعد أن أخرج الله كل مؤمن من الأصلاب
وأعقم أرحام نسائهم وهذا لا يظهر لأنه قال إنك إن تذرهم الآية فقوله ولا
يلدوا إلا فاجراً كفاراً يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم وقاله أيضاً محمد بن كعب
والربيع وابن زيد ولا يظهر كما قلنا وقد كان قبل ذلك طامعاً في إيمانهم عاطفاً
عليهم وفي الحديث أنه ربما ضربه ناس منهم أحياناً حتى يغشى عليه فإذا أفاق
قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وديار من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي
وما أشبهه ووزنه فيعال أصله ديوار اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما
بالسكون فادغمت ويقال منه دوار ووزنه فعال وكلاهما من الدوران
كما قالوا قيام وقوام والمعنى معنى أحد وعن السدي من سكن داراً وقال الزمخشري
وهو فيعال من الدور أو من الدار انتهى قال الدار أيضاً من الدور وألفها منقلبة عن
واو ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً وصفهم بما هم حالة الولادة بما يصيرون إليه من
الفجور والكفر ولما دعا على الكفار استغفر للمؤمنين فبدأ بنفسه ثم بمن وجب
بره عليه ثم للمؤمنين فكأن هذه وهذه الدالة اندرجوا في المؤمنين والمؤمنات. وقرأ
الجمهور ولوالدي والظاهر أنهما أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش
وقيل هما آدم وحواء وقرأ ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال فإما أن يكون
خص أباه الأقرب أو أراد جميع من ولده إلى آدم وقال ابن عباس لم يكفر
لنوح أب ما بينه وبين آدم عليه السلام وقرأ الحسين بن علي ويحيى بن يعمر والنخعي
والزهري وزيد بن علي ولولدي تثنية ولد يعني ساماً وحاماً ولمن دخل بيتي قال
ابن عباس والجمهور مسجدي وعن ابن عباس أيضاً شريعتي استعار لها بيتاً كما قالوا
قبة الإسلام وفسطاط الدين وقيل سفينته وقيل داره وللمؤمنين والمؤمنات
دعا لكل مؤمن ومؤمنة في كل أمة والتبار الهلاك.

المفردات

الجد العظمة والجلال
وجد في عيني عظم وجل وقال أبو عبيدة والأخفش الملك والسلطان
والجد الحظ والجداء الأب. الحرس اسم جمع الواحد حارس كغيب واحده غائب
وقد جمع على أحراس قال الشاعر تجاوزت أحراساً وأهوال معشره
كشاهد وأشهاد والحارس الحافظ للشيء يرقبه. القدد السير المختلفة الواحد
قدة قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

وقال الكميت

جمعت بالرأي منهم كل رافضة إذ هم طرائق في أهوائهم قدد

تحري الشيء طلبه باجتهاد وتوخاه وقصده. الغدق الكثير. اللبد جمع لبدة وهو ما
تراكم بعضه على بعض ومنه لبدة الأسد ويقال للجراد الكثير المتراكم لبد ومنه اللبد
الذي يفرش يلبد صوفه يدخل بعضه في بعض

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم • قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن
فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه
تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله
شططاً وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً وأنه كان
رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً وأنهم ظنوا كما
ظننتم أن لن يبعث الله أحداً وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً
وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً
وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً وأنا منا الصالحون ومنا دون
ذلك كنا طرائق قدداً وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً
وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً وأنا منا المسلمون
ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم
حطباً •• هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر
وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان أول رسول إلى الأرض كما أن محمداً صلى الله عليه
وسلم آخر رسول إلى الأرض والعرب الذين هو منهم عليه السلام كانوا عباد
أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء وكان
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هادياً إلى الرشد وقد سمعته العرب
وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش
والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان إذ كانت الجن خيراً منهم وأقبل للإيمان
هذا وهم من غير جنس الرسول عليه السلام ومع ذلك فبنفس ما سمعوا القرآن استعظموه
وآمنوا به للوقت وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس بخلاف العرب فإنه
نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزاً وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسداً
وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. وقرأ الجمهور قل أوحي رباعياً
وابن أبي عبلة والعتكي عن أبي عمرو وأبو إياس جؤية بن عائذ الأسدي وحي
ثلاثياً يقال وحى وأوحى بمعنى واحد

قال العجاج وحى لها القرار فاستقرت. قرأ زيد بن علي وجؤية
فيما روى عنه الكسائي وابن أبي عبلة أيضاً أحي بإبدال الواو همزة كما قالوا في
وعد أعد وقال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة
انتهى وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولاً
وحشواً وآخراً ولكل منها أحكام وفي بعضها خلاف وتفصيل هو مذكور في النحو قال
الزمخشري وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح وإسادة وإعاء أخيه
انتهى وهذا تكثير وتبجح وكان يذكر هذا في وعاء أخيه في سورة يوسف عليه
السلام وعن المازني في ذلك قولان أحدهما القياس كما قال والآخر قصر
ذلك على السماع. وأنه استمع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله أي استماع
نفر من الجن والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف في قوله تعالى
وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن وهي قصة واحدة وقيل قصتان

والجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى والسورة
التي استمعوها قال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن ولم تتعرض الآية
لاههنا ولا في سورة الاحقاف الا انه رآهم وكلمهم عليه السلام ويظهر من الحديث
ان ذلك كان مرتين احداهما في مبدأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوقت
الذي اخبر فيه عبد الله بن مسعود انه لم يكن معهم ليلة الجن وقد كانوا افتقدوه
عليه السلام فالتمسوه في الاودية والشعاب فلم يجدوه فلما اصبح اذ هو جاء من
قبل حراء وفيه اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن فانطلق
بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم والمرة الاخرى كان معه ابن مسعود وقد استندب
الرسول من يقوم معه الى ان يتلو القرآن على الجن فلم يقم احد غير عبد الله فذهب معه
الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر عليه عليه السلام
امثال الحجل يجرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع
النسوة في دفوفهن حتى غشوه فلا اراه فقمت فاومأ الي بيده ان اجلس فتلا
القرآن فلم يزل صوته يرتفع واختفوا بالارض حتى ما اراهم الحديث ٥
ويدل على انهما قصتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل تسعة وعن زر
كانوا ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير القرية التي
بالعراق وعن عكرمة كانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل وابن سيعة من اثني عشر
الفا فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي قالوا لقومهم لما رجعوا اليهم وصفوا قرآنا
بقولهم عجبا وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة اي هو عجب في نفسه لفصاحة
كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة اسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه
مباينا لسائر الكتب والعجب ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد
اي يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان وقرأ الجمهور الرشد بضم الراء وسكون
الشين وعيسى بضمهما وعنه ايضا فتحهما فآمنا به اي بالقرآن ولما كان الايمان
به متضمنا الايمان بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا
وقرأ الحرميان والابوان بفتح الهمزة من قوله وانه تعالى وما بعده وهي اثنتا
عشرة آية آخرها وانا منا المسلمون وباقي السبعة بالكسر فاما الكسر فواضح لانها
معطوفات على قوله انا سمعنا فهي داخلة في معمول القول واما الفتح فقال
ابو حاتم هو على اوحي فهو كله في موضع رفع على ما لم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح
لان من المعطوف ما لا يصح دخوله تحت اوحي وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الا ترى انه لا يلائم اوحي الي انا كنا نقعد منها
مقاعد وكذلك باقيها وخرجت قراءة الفتح على ان تلك كلها معطوفة على الضمير
المجرور في به من قوله فآمنا به اي وبانه وكذلك باقيها وهذا جائز على مذهب
الكوفيين وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله وكفر به
والمسجد الحرام وقال مكي هو في الفتح اجود منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر
مع ان وقال الزجاج وجهه ان يكون محمولا على آمنا به لان معناه صدقناه
وعلمناه فيكون المعنى فآمنا انه تعالى جد ربنا وسبقه الى نحوه الفراء قال

فتحت

فتحت ان لو قوله الايمان عليه وانت تجد الايمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض
فلا يمنعك ذلك من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب فتح ان نحو قوله
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وتبعهما الزمخشري فقال ومن فتح
كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي انتهى ولم يتفطن لما تفطن له الفراء
من ان بعضها لا يحسن ان يعمل فيه آمنا وقرأ الجمهور جد ربنا بفتح الجيم ورفع الدال
مضافا الى ربنا اي عظمته قاله الجمهور وقال انس والحسن غناه وقال مجاهد
ذكره وقال ابن عباس قدرته وامره وقرأ عكرمة جد منونا ربنا مرفوع الباء كانه
قال عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد في اللغة العظيم وقرأ حميد بن قيس
جد بضم الجيم مضافا ومعناه العظيم حكاه سيبويه من اضافة الصفة الى الموصوف
والمعنى تعالى ربنا العظيم وقرأ عكرمة ايضا جدا ربنا بفتح الجيم والدال منونا
ورفع ربنا وانتصب جدا على التمييز المنقول من الفاعل اصله تعالى جد ربنا وقرأ
قتادة وعكرمة ايضا جدا بكسر الجيم والتنوين نصبا ربنا رفع قال ابن عطية نصب
جدا على الحال ومعناه تعالى حقيقة ومتمكنا وقال غيره هو صفة لمصدر محذوف
تقديره تعاليا جدا وربنا مرفوع بتعالى وقرأ ابن السميفع جدى ربنا اي جداو ه
ونفعه وقال الجمهور يقول سفيهنا هو ابليس وقيل هو اسم جنس لكل سفيه
وابليس مقدم السفهاء والشطط التعدي وتجاوز الحد ٥

قال الاعشى ٥

٥ اينتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل ٥

ويقال اشط في السوم اذا تعدى فيه اي قولا هو في نفسه شطط وهو نسبة
الصاحبة والولد الى الله تعالى ٥ وانا ظننا الآية اي كنا حسنا الظن بالانس
والجن واعتقدنا ان احدا لا يجترئ على ان يكذب على الله فينسب اليه الصاحبة
والولد فاعتقدنا صحة ما اغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبينا
كذبهم وقرأ الجمهور ان لن تقول مضارع قال والحسن والجحدري وعبد الرحمن
ابن ابي بكرة ويعقوب وابن مقسم تقول مضارع تقول حذفت احدى التاءين وانتصب
كذبا في قراءة الجمهور بتقول لان الكذب نوع من القول او على انه صفة لمصدر
محذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وفي قراءة الشاذ على انه مصدر لتقول
لانه هو الكذب فصار كقعدت جلوسا وانه كان رجال روى الجمهور ان الرجل
اذا اراد المبيت او الحلول في واد نادى باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني اعوذ
بك من السفهاء الذين في طاعتك فيعتقد بذلك ان الجني الذي بالوادي يمنعه
ويحميه فروي ان الجن كانت تقول عند ذلك لا نملك لكم ولا لانفسنا من الله
شيئا قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك
في العرب والظاهر ان الضمير المرفوع في فزادوهم عائد على رجال من الانس
اذ هم المحدث عنهم وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير فزادوهم اي الانس
رهقا اي جراءة وانتخاء وطغيانا وغشيان المحارم واعجابا بحيث قالوا سدنا

الانس والجن وفسروه الرهق بالاثم وانشد الطبري في ذلك **بيت الاعشي**

لا شي ينفعني من دون رؤيتها لا يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

قال معناه ما لم يغش محرما والمعني زادت الانس الجن مما لما انهم عظموهم فزادوهم استحلالا لمحارم الله وقال قتادة وابو العالية والربيع وابن زيد فزادوهم اي الجن زادت الانس مخافة يتخيلون لهم بمنتهي طاقتهم ويغوونهم لما رأوا من خفة احلامهم فازدادوهم واحتقروهم وقال ابن جبير رهقا كفرا وقيل لا يطلق لفظ الرجال علي الجن فالمعني وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي وهذا قول غريب وانهم اي كفار الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن يخاطب به بعضهم بعضا وظنوا وظننتم كل منهما يطلب ان لن يبعث فالمسألة من باب الاعمال وان هي المخففة من الثقيلة وقيل الضمير في وانهم يعود علي الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذه والتي قبلها مما من الموحي به لا من كلام الجن ان لن يبعث الله احدا الظاهر انه بعثه الرسالة الي الخلق وهو انسب لما تقدم من الآي ولما تاخر وقيل بعث القيامة وانا لمسنا السماء اصل اللمس المس ثم استعير للطلب والمعني طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت الظاهر ان وجد هنا بمعني صادف واصاب وتعدت الي واحد والجملة من ملئت في موضع الحال واجيز ان تكون تعدت الي اثنين فملئت في موضع المفعول الثاني **وقرا** الاعرج مليت بالياء دون همز والجمهور بالهمز وشديدا صفة للحرس علي اللفظ لانه اسم جمع كما **قال**

اخشي رجيلا او ركيبا غاديا ولو لحظ المعني لقال شدادا بالجمع والظاهر ان المراد بالحرس الملائكة اي حافظين من ان يقرب الشياطين وشهبا جمع شهاب وهو ما يرجم به الشيطان اذا استمع قيل ويحتمل ان يكون الشهب هو الحرس وكرر المعني لما اختلف اللفظ نحو وهند اتي من دونها النأي والبعد وقوله فوجدناها ملئت يدل علي انها كانت قبل ذلك يطرقون السماء ولا يجدونها قد ملئت مقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلي الله عليه وسلم صورة قعود الجن انهم كانوا واحدا فوق واحد فمتي احرق الاعلي طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الي الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة فمن يستمع الآن الآن ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما **قال**

سأسعي الآن اذ بلغت اناها فالمعني فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي يجد له شهابا رصدا اي مرصدة فيحرقه هذا لمن استمع واما السمع فقد انقطع كما قال تعالي انهم عن السمع لمعزولون والرجم كان في الجاهلية وذلك مذكور في شعراء الجاهلية ويدل عليه الحديث حين راي عليه السلام نجما قد رمي به قال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم **قال اوس بن حجر**

وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

فرق

فرد علينا العير من دون انفه او الثور كالدري يتبعه الدم

وقال بشر بن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

قال التبريزي وهولاء الشعراء كلهم جاهليون ليس فيهم مخضرم وقال معمر قلت للزهري اكان يرمي بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال الجاحظ القول بالرجم اصح لقوله فوجدناها ملئت وهذا اخبار عن الجن انه زيد في حرس السماء حتي امتلات ولما روي ابن عباس وذكر الحديث السابق وقال الزمخشري تابعا للجاحظ وفي قوله ملئت دليل علي ان الحادث هو الملء والكثرة فكذلك نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها انتهي وهذا كله يبطل قول من قال ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو احدي اياته والظاهر ان رصدا علي معني راصد وقال الزمخشري والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد علي معني ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ولما راوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشر ام اراد بهم ربهم رشدا فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الي الله تعالي وحين ذكروا الرشد اسندوه اليه تعالي وانا منا الصالحون اخبروا بما هم عليه من صلاح وغيره ومنا دون ذلك اي دون الصالحين ويقع دون في مواضع موقع غير فكانه قال ومنا غير صالحين ويجوز ان يريدوا ومنا دون ذلك في الصلاح اي فيهم ابرار وفيهم من هو غير كامل في الصلاح ودون في موضع الصفة لمحذوف اي ومنا قوم دون ذلك ويجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتي في الجمل قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام والجملة من قوله كنا طرائق قددا تفسير للقسمة المتقدمة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة اهواء مختلفة وقيل فرقا مختلفة وقال الزمخشري اي كنا ذوي مذاهب مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة **كقوله**

كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا علي حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهي وفي تقديريه الاولين حذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه اذ حذف ذوي ومثل واما التقدير الثالث وهو ان ينتصب علي اسقاط في فلا يجوز ذلك الا في الضرورة وقد نص **س** علي ان عسل الطريق شاذ فلا يخرج القرآن عليه وانا ظننا ان لن نعجز الله اي ايقنا في الارض اي كائنين في الارض ولن نعجزه هربا اي من الارض الي السماء وفي الارض هربا حال اي فارين او هاربين وانا لما سمعنا الهدي وهو القرآن امنا به اي بالقرآن فمن يؤمن بربه فلا يخاف اي فهو لا يخاف **وقرا** ابن وثاب والاعمش والجمهور فلا يخاف

وخرجت فانهما على النهي وقيل الفاء زائدة ولا نهي وليس بشيء وكان الجواب بالفاء
اجود من المجيء بالفعل مجزوما دون الفاء لانه اذا كان بالفاء كان على اضمار مبتدا
اي فهو لا يخاف والجملة الاسمية ادل واكد من الفعلية على تحقق مضمون الجملة بخسا
قال ابن عباس نقص الحسنات ولا رهقا قال الزيادة في السيئات وقيل ولا رهقا تحميل
ما لا يطاق وقال الزمخشري اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق
ظلم احد فلا يخاف جزاءهما ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان
يرهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة انتهى وقرا الجمهور بخسا بسكون الخاء
وابن وثاب بفتحها ومنا القاسطون اي الكافرون الجائرون عن الحق قاله
مجاهد وقتادة والناس القاسط الظالم ومنه قول الشاعر

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان ه

وجاء هذا التقسيم وان كان قد تقدم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ليذكر
حال الفريقين من النجاة والهلكة ويرغب من يدخل في الاسلام والظاهر ان فمن اسلم
الى اخر الشرطين من كلام الجن وقال ابن عطية الوجه ان يكون فمن اسلم مخاطبة من
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما بعده من الايات وقرا الاعرج رشدا بضم الراء
وسكون الشين والجمهور بفتحهما وقال الزمخشري وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا
ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعيدا اي فاولئك
تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط
ولا يثيب الراشد انتهى وفيه دسيسة الاعتزال في قوله وموجبه ه وان لو
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر
ربه نسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام
عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال انما ادعوا ربي ولا اشرك
به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن
اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له
نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم
واحصى كل شيء عددا ه وان لو استقاموا ان هذا من جملة الموحى المندرج تحت اوحي الي
وان مخففة من الثقيلة والضمير في استقاموا قال الضحاك والربيع بن انس
وزيد بن اسلم وابو مجلز هو عائد على قوله فمن اسلم والطريقة طريقة الكفر اي لو كفر
من اسلم من الناس لاسقيناهم املاء لهم واستدراجا واستعارة الاستقامة
للكفر قلقة لا تناسب فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير هو عائد
على القاسطين والمعنى على طريقة الاسلام والحق لانعمنا عليهم نحو قوله
ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية وقيل الضمير في استقاموا عائد
على الخلق كلهم وانها المخففة من الثقيلة لاسقيناهم ماء غدقا كناية عن

قوله عز وجل وان لو استقاموا

لوسعة

لوسعة الرزق لانه اصل المعاش وقال بعضهم المال حيث الماء وقرا الجمهور
غدقا بفتح الدال وعاصم في رواية الاعشى بكسرها ويقال غدقت العين
تغدق فهي غدقة اذا كثر ماؤها لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف يشكرون
ما انعم عليهم به او لنمتحنهم ونستدرجهم وذلك على الخلاف فيمن يعود عليه الضمير
في استقاموا وقرا الاعمش وابن وثاب بضم واو لو والجمهور بكسرها وقرا الكوفيون
يسلكه بالياء وباقي السبعة بالنون وابن جندب بالنون من اسلك وبعض
التابعين بالياء من اسلك ايضا وهما لغتان سلك واسلك قال الشاعر
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة وقرا الجمهور صعدا بفتحتين وهو مصدر صعد
وصف به العذاب اي يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد
من امره اي في مشقة وقال عمر ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح
اي ما شق علي وقال ابو سعيد الخدري وابن عباس صعد جبل في النار
قال الخدري كلما وضعوا ايديهم عليه ذابت وقال عكرمة هو صخرة ملساء
في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم فعلى هذا يجوز ان
يكون بدلا من عذاب على حذف مضاف اي عذاب صعد ويجوز ان يكون صعدا مفعول
نسلكه وعذابا مفعولا من اجله وقرا قوم صعدا بضمتين وابن عباس والحسن بضم
الصاد وفتح العين قال الحسن معناه لا راحة فيه وقرا الجمهور وان المساجد
بفتح الهمزة عطفا على انه استمع فهو من جملة الموحى وقال الخليل معنى الاية
ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لهذا السبب وكذلك عنده لايلاف قريش فليعبدوا
وكذلك وان هذه امتكم اي ولان هذه وقرا ابن هرمز وطلحة وان المساجد بكسرها
على الاستئناف وعلى تقدير الخليل فالمعنى فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها
لله خاصة ولعبادته والظاهر ان المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة
في كل ملة وقال الحسن كل موضع سجد فيه كان مخصوصا لذلك او لم يكن اذ الارض
كلها مسجد هذه الامة وابعد ابن عطاء في قوله انها الآراب التي يسجد عليها
واحدها مسجد بفتح الجيم وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان
عد الجبهة والانف واحدا وابعد ايضا من قال المراد المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد وقال انه جمع مسجد وهو السجود وروي انها نزلت حين تغلبت قريش
على الكعبة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت
وقال ابن جبير نزلت لان الجن قالت يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك
على نائينا عنك فنزلت الاية ليخاطبهم على ان المعنى ان عبادتكم حيث كنتم
مقبولة وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم اشركوا بالله
فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقرا الجمهور وانه لما قام
بفتح الهمزة عطفا على قراءتهم وان المساجد بالفتح وقرا ابن هرمز وطلحة
ونافع وابو بكر بكسرها على الاستئناف وعبد الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه اي يعبده كادوا اي كاد الجن قاله ابن عباس والضحاك ينقضون
عليه لاستماع القرآن وقال الحسن وقتادة الضمير في كادوا لكفار قريش

والعرب في اجتماعهم على رد امره وقال ابن جبير المعنى انها قول الجن لقومهم يحكون
والضمير في كادوا لاصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلوة قال
الزمخشري **فان قلت** هلا قيل رسول الله او النبي **قلت** لان تقديره واوحي
الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه
جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست
بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه
قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة
كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما راوا من عبادته
واقتداء اصحابه قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم
يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره انتهى وهو قول متقدم كرره الزمخشري بخطابه
وقرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة نحو كسرة وكسر وهي الجماعات
شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ومنه **قول عبد مناف بن ربع**
٭ صافوا بستة ابيات واربعة حتى كأن عليهم جانبا لبدا ٭
وقال ابن عباس اعوانا **وقرأ** مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه بضم اللام
جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن ايضا تسكين الباء وضم اللام لبدا **وقرأ** الحسن
والجحدري وابو حيوة وجماعة عن ابي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن او جمع
لبود كصبور وصبر **وقرأ** الحسن والجحدري بخلاف عنهما لبدا بضم اللام وتشديد
الباء جمع لابد وابو رجاء بكسرها وشد الباء المفتوحة قال الحسن وقتادة
وابن زيد لما قام الرسول للدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر
ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويتم نوره انتهى وابعد من قال عبد الله
هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم قاله
الحسن وابعد منه قول من قال انه عبد الله بن سلام **وقرأ** الجمهور قال
انما ادعوا ربي اي قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي اي لم
اتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على عداوتي
او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادة الله بامر
يتعجب منه انما يتعجب ممن يعبد غيره او قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله مترتب على الخلاف في عود الضمير في
كادوا **وقرأ** عاصم وحمزة وابو عمرو بخلاف عنه قل اي قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين
عليك وهم اما الجن واما المشركون على اختلاف القولين في ضمير كادوا
ثم امر تعالى ان يقول لهم ما يدل على تبريه من القدرة على ايصال خير او شر
اليهم وجعل الضر مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي اذ الغي ثمرته الضرر
يمكن ان يكون المعنى ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل ما يدل
مقابله عليه **وقرأ** الاعرج رشدا بضمتين ولما تبرا عليه السلام من
قدرته على نفعهم وضرهم امر بان يخبرهم انه مربوب لله يفعل فيه ربه ما
يريد وانه لا يمكن ان يجيره منه احد ولا يجد من دونه ملجأ يركن اليه قال

قريبا

قريبا منه قتادة وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض
وقيل ناصرا وقيل مذهبا ومسلكا ومنه **قول الشاعر**
٭ يا لهف نفسي ونفسي غير مجدية عني وما من قضاء الله ملتحد ٭
وقيل في الكلام حذف وهو قالوا له اترك ما تدعوا اليه ونحن نجيرك فقيل له
قل لن يجيرني وقيل هو جواب لقول وردان سيد الجن وقد ازدحموا عليه قال
وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي الا بلاغا
قال الحسن هو استثناء منقطع اي لن يجيرني احد لكن ان بلغت رحمني بذلك
والاجارة للبلاغ مستعارة اذ هو سبب اجارة الله تعالى ورحمته وقيل على
هذا المعنى هو استثناء متصل والمعنى لن اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ
واطيع فيجيرني الله فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحدا وعلى البدل وهو الوجه
لان قبله نفيا وعلى البدل خرجه الزجاج وقال ابو عبد الله الرازي هذا
الاستثناء منقطع لانه لم يقل ولن اجد ملتحدا بل قال من دونه والبلاغ من الله
لا يكون داخلا تحت قوله من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله
وباعانته وتوفيقه وقال قتادة التقدير لا املك الا بلاغا اليكم فاما الايمان
والكفر فلا املك انتهى وفيه بعد لطول الفصل بينهما وقيل الا في تقدير الانفصال
ان شرطية ولا نافية وحذف الفعل قبلها لدلالة المصدر عليه والتقدير ان لم
ابلغ بلاغا من الله ورسالاته وهذا كما تقول ان لا قياما فقعودا اي ان لم تقم
قياما فاقعد قعودا وحذف هذا الفعل قد يكون لدلالة عليه بعده او قبله
كما حذف في **قوله**
٭ فطلقها فلست لها بكفوء والا يعل مفرقك الحسام ٭
التقدير والا تطلقها فحذف تطلقها لدلالة فطلقها عليه ومن لابتداء الغاية
وقال الزمخشري تابعا لقتادة اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني
لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان
عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه
احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه انتهى ورسالاته قيل عطفا على بلاغا
اي الا ان ابلغ عن الله او ابلغ رسالاته والظاهر ان رسالاته عطف على الله
اي الا ان ابلغ عن الله وعن رسالاته ومن يعص الله ورسوله اي بالشرك
والكفر ويدل عليه قوله خالدين فيها ابدا **وقرأ** الجمهور فان له بكسر الهمزة
وقرأ طلحة بفتحها والتقدير فجزاؤه ان له قال ابن خالويه وسمعت ابن مجاهد
يقول ما قرأ به احد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط وسمعت ابن الانباري يقول
هو صواب ومعناه فجزاؤه ان له نار جهنم انتهى وكان ابن مجاهد اماما في
القراءات ولم يكن متسع النقل فيها كابن شنبوذ وكان ضعيفا في النحو وكيف
يقول ما قرأ به احد وهذا طلحة بن مصرف قرأ به وكيف يقول وهو لحن
والنحويون قد نصوا على ان ان بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر وجمع
خالدين حملا على معنى من وذلك بعد الحمل على لفظ من في قوله فان له

حتى اذا راوا حتى هنا حرف ابتداء اي يصلح ان يجي بعدها جملة الابتداء والخبر ومع
ذلك فيها معنى الغاية قال الزمخشري **فان قلت** بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية
له **قلت** بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة
ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر
واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا
واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار
له واستقلالهم لعدده كانه لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون
قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كاين لا ريب
فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فلا ادري
متى يكون لان الله لم يبينه لما راى في اخفاء وقته من المصلحة انتهى وقوله بم تعلق
ان عني تعلق حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتداء فما بعدها ليس في موضع
جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما انها اذا كانت حرف ابتداء فالجملة
الابتدائية بعدها في موضع جر وان عني بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها
وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره ان تتعلق بقوله يكونون
عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقال التبريزي
حتى جاز ان تكون غاية لمحذوف ولم يبين ما المحذوف وقيل المعنى دعهم
حتى اذا راوا ما يوعدون من الساعة فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا
اهم ام اهل الايمان والذي يظهر لي انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها
من الحكم بكينونة النار لهم كانه قيل ان العاصي يحكم له بكينونة النار
لهم والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون
فقوله فان له نار جهنم هو وعيد لهم بالنار ومن اضعف مبتدا وخبر
في موضع نصب لما قبله وهو معلق عنه لان من استفهام ويجوز ان تكون
من موصولة في موضع نصب بسيعلمون واضعف خبر مبتدا محذوف
والجملة صلة لمن وتقديره هو اضعف وحسن حذفه طول الصلة بالمعمول
وهو ناصرا قال مكحول لم ينزل هذا الا في الجن اسلم منهم من وفق وكفر من
خذل كالانس قال وبلغ من تابع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
سبعين الفا وفرغوا عند انشقاق الفجر ثم امره تعالى ان يقول لهم
انه لا يدري وقت حلول ما وعدوا به اهو قريب ام بعيد قال الزمخشري
فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا
الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا **قلت** كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل
ساعة ام مؤجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى
للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين يضاف
اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين

المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما
ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط انتهى وقال ابن عباس عالم
الغيب وقال الحسن ما غاب عن خلقه وقيل الساعة وقال ابن عباس
الا بمعنى لكن فجعله استثناء منقطعا وقيل الا بمعنى ولا اي ولا من ارتضى
من رسول وعالم خبر مبتدا محذوف اي هو عالم الغيب او بدل من ربي
وقرئ عالم بالنصب على المدح **وقرا** السدي علم الغيب فعلا ماضيا
ناصبا الغيب والجمهور عالم اسم فاعل مرفوعا **وقرا** الجمهور فلا يظهر من اظهر
والحسن يظهر بفتح الياء والهاء الا من ظهر الا من ارتضى من رسول استثناء
من احد اي فانه يظهره على ما شاء من ذلك فانه يسلك الله من بين يدي
ذلك الرسول ومن خلفه رصدا اي حفظة يحفظونه من الجن ويحرسونه في
ضبط ما يلقيه تعالى الى ذلك الرسول من علم الغيب وعن الضحاك
ما بعث نبي الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة
الملك وقال القرطبي قال العلماء لما يمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به
دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه
من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة
صادقة على نبوتهم ثم ذكر استدلالا على بطلان ما يقوله المنجم ثم قال
باستحلال دم المنجم وقال الواحدي في هذا دليل على من ادعى ان النجوم
تدل على ما يكون من حيوة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القرآن قال
ابو عبد الله الرازي والواحدي يجوز الكرامات وان الله يلهم اولياءه
وقوع الوقايع في المستقبل ونسبة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل
الاية دالة على المنع من احكام النجوم فليجعلها دالة على الكرامات على ما
قال صاحب الكشاف فجعلها تدل على المنع من الاحكام النجومية ولا تدل
على الالهامات مجرد تشه وعندي ان الاية لا تدل على شيء مما قالوه لان
قوله على غيبه ليس فيه صفة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه ان لا يظهر
خلقه تعالى على غيب واحد من غيوبه ونحمله على وقت قيام القيمة فلا يبقى
دليل في الاية على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ويؤكده انه ذكر هذه الاية
عقيب قوله ان ادري اقريب ما توعدون الاية اي لا ادري وقت وقوع
القيمة اذ هي من الغيب الذي لا يظهره الله لاحد والا من ارتضى استثناء منقطع
كانه قال فلا يظهر على غيبه المخصوص احدا الا من ارتضى من رسول فله حفظة
يحفظونه من شر مردة الانس والجن ثم قال ابو عبد الله الرازي واعلم انه لا بد
من القطع بانه ليس المراد من هذه الاية انه لا يطلع احد على شيء من المغيبات
الا الرسل والذي يدل عليه وجوه **احدها** انه ثبت بالاخبار القريبة من التواتر
ان شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع
اليهما كسرى في تعرف اخبار رسولنا عليه السلام **وثانيها** اطباق الامم على

صحة علم التعبير فيخبر المعبر عما يأتي في المستقبل ويكون صادقاً ۰ وثانيها أن
الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خراسان
سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت به ووقعت على وفق كلامها وقد رأيت أناساً
محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على
سبيل التفصيل وجاءت كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها
في كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت
أنها كانت تخبر عن المغيبات أخباراً مطابقة موافقة ۰ ورابعها أنا نشاهد
أصحاب الإلهامات الصادقة وليس هذا مختصاً بالأولياء ۰ فقد يوجد
في السحرة وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وإن كان الكذب
يقع منهم كثيراً وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن يدل
على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن وذلك باطل فقلنا إن التأويل الصحيح
ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسألة
لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه ۰ أما قصة شق وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار
بالغيب لأنه مما يخبره به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في
الحديث أنهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون إلى الكهنة ويزيد الكهنة
للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب إذ تكلمت به الملائكة وتلقفها الجني
وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب ۰ وأما تعبير المنامات فالمعبر
غير المعصوم لا يعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر والتخمين
فقد يقع ما يعبر وقد لا يقع ۰ وأما الكاهنة البغدادية وما حكي عنها فحسبه
عقلاً أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان في عقله
ما يجوز أنه لبس عليه هذا وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق وهو
الذي شكك في دلائل الفلاسفة وسامهم الخسف وأما حكايته عن صاحب
المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام وهو منتحل طريقة الفلاسفة وأما مشاهدة
أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثلاث وسبعين سنة أصحب
العلماء وأتردد إلى من ينتمي إلى الصلاح فلم أر أحداً منهم صاحب إلهام صادق
وأما الكرامات فإني لا أشك في صدور شيء منها لكن ذلك على سبيل الندرة وذلك
فيمن سلف من صلحاء هذه الأمة وربما قد يكون في أعصارنا من يصدر منه
الكرامة ولله تعالى أن يخص من يشاء بما شاء ۰ وقرأ الجمهور ليعلم مبنياً للفاعل
قال قتادة ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم
وحفظوا وقال ابن جبير ليعلم محمد أن الملائكة الحفظة الرصد النازلين
بين يدي جبريل وخلفه قد بلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد ليعلم من أشرك
وكذب أن الرسل قد بلغت وعلى هذا القول لا يقع لهم هذا العلم إلا في الآخرة
وقيل ليعلم الله رسله مبلغة خارجة إلى الوجود لأن علمه بكل شيء قد سبق
واختار الزمخشري هذا القول الأخير فقال ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات
ربهم يعني الأنبياء وحداً ولا على القطع في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع

على المعنى

على المعنى كقوله فإن له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي
محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين
انتهى وقيل ليعلم أي رسول كان أن الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم إبليس أن
الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه وقيل ليعلم
الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل
ومن معه إليه رسالة ربه وقيل ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل
إليهم ولم يكونوا هم المتلقين باستراق السمع وقرأ ابن عباس وزيد بن علي
ليعلم بضم الياء مبنياً للمفعول والزهري وابن أبي عبلة بضم الياء وكسر اللام
أي ليعلم الله أي من شاء أن يعلمه أن الرسل قد بلغوا رسالاته وقرأ الجمهور
رسالات على الجمع وأبو حيوة رسالة على الإفراد وقرأ الجمهور وأحاط بما لديهم
وأحاط مبنياً للفاعل أي الله وأحصى مبنياً للفاعل أي الله كل نصباً وابن أبي عبلة
وأحيط وأحصي مبنياً للمفعول كل رفعاً ولما كان ليعلم مضمناً معنى علم صار
المعنى قد علم ذلك فعطف وأحاط على هذا المضمر والمعنى وأحاط بما عند
الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء وأحصى كل شيء عدداً أي معدوداً
محصوراً وانتصابه على الحال من كل شيء وإن كان نكرة لاندراج المعرفة في
العموم ويجوز أن ينتصب نصب المصدر لأحصى لأنه في معنى إحصاء وقال
أبو البقاء ويجوز أن يكون تمييزاً انتهى فيكون منقولاً من المفعول إذ أصله وأحصى عدد
كل شيء وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف تزمل في ثوبه التف وزمل
لف قال امرؤ القيس كبير أناس في بجاد مزمل ۰
وقال ذو الرمة ۰
وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل ۰
تبتل إلى كذا انقطع إليه ومنه هبة بتلة وطلقة بتلة والبتول وبتل
الحبل قال الليث البتل تمييز الشيء من الشيء والبتول المرأة المنقطعة عن
الرجال لا شهوة لها ولا حاجة لها فيهم والتبتل ترك النكاح والزهد
فيه ومنه قول امرئ القيس ۰
يضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل ۰
ومنه النهي عن التبتل أي الانقطاع عن التزويج ومنه قيل للراهب متبتل
لانقطاعه عن الناس وانفراده للعبادة الغصة الشجى وهو ما ينشب بالحلق
من عظم أو غيره وجمعه غصص والفعل غصصت فأنت غاص وغصان قال
كنت كالغصان بالماء اعتصاري الكثيب الرمل المجتمع وجمعه كثب وكثبان
في الكثرة وأكثبة في القلة قال ذو الرمة ۰
فقلت لها لا إن أهلي جيرة لأكثبة الدهنا جميعاً وماليا ۰
المهيل الذي يمر تحت الرجل وهلت عليه التراب صببته وقال الكلبي
المهيل إذا وطئته القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال
وأهلت لغة في هلت الشيب جمع أشيب ۰

المفردات

سورة المزمل صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلاً او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلاً انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا • هذه السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الجمهور هي مكية الا قوله تعالى ان ربك يعلم الى اخرها فانه نزل بالمدينة وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور انه عليه السلام لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره رجع الى خديجة فقال زملوني زملوني فنزلت يا ايها المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل قالت عايشة والنخعي وجماعة نودي بذلك لانه كان في وقت نزول الاية متزملاً بكساء وقال قتادة كان تزمل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى يا ايها المستعد للعبادة وقال عكرمة معناه يا ايها المزمل للنبوة واعبائها اي المشمر المجد فعلى هذا يكون التزمل مجازا وعلى ما سبق يكون حقيقة وما رووا ان عايشة سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه عليه الى اخر الرواية كذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة في اوايل مبعثه وتزوجه عايشة كان بالمدينة ومناسبة هذه السورة لما قبلها ان في اخر ما قبلها عالم الغيب الايات فاتبعه بقوله يا ايها المزمل اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصايص وكفاه شر اعدايه وقراءة الجمهور المزمل بشد الزاي وكسر الميم اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي وقراءة ابي المتزمل على الاصل وعكرمة بتخفيف الزاي اي المزمل جسمه او كفه او نفسه وقراءة بعض السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم اي الذي لف وللزمخشري في كيفية نداه انتهو له بهذا الوصف كلام ضربت عن ذكره صفحا فلم اذكره في كتابي وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمايه عليه السلام يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام ولصق بجنبه التراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة وقراءة الجمهور قم الليل بكسر الميم على اصل التقاء الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للتخفيف قال ابن جني الغرض

بالحركة الهروب من التقاء الساكنين فباي حركة تحرك الحرف حصل الغرض وقم طلب فقال الجمهور هو على جهة الندب وقيل كان فرضا على الرسول خاصة وقيل عليه وعلى الجميع قال قتادة ودام عاما او عامين وقالت عايشة ثمانية اشهر ثم رحمهم الله فنزلت ان ربك يعلم الايات فخفف عنهم قم الليل الا قليلا بين لا استثنا انا للقيام المامور به يستغرق جميع الليل ولذلك صح الاستثنا منه اذ لو كان مستغرقا لم يصح الاستثنا منه واستغراق جميعه بالقيام على الدوام غير ممكن فلذلك استثني منه القليل لراحة الجسد وهذا عند البصريين منصوب على الظرف وان استغرقه الفعل وهو عند الكوفيين مفعول به وفي قوله الا قليلا دليل على ان المستثنى قد يكون مبهم المقدار كقوله ما فعلوه الا قليل منهم في قراءة من نصب ثم توليتم الا قليلا منكم قال وهب بن منبه القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث وقيل ما دون النصف وجوزوا في نصفه ان يكون بدلا من الليل ومن قليلا فاذا كان بدلا من الليل كان الاستثنا منه وكان المامور بقيامه نصف الليل الا قليلا منه والضمير في منه وعليه عايد على النصف فيصير المعنى قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص من نصف الليل قليلا او زد على نصف الليل فيكون قوله او انقص من نصفه الليل قليلا تكرارا لقوله الا قليلا من نصف الليل وذلك تركيب غير فصيح ينزه القران عنه قال الزمخشري في نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعنه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول لانه على تقديره قم اقل من نصف الليل كان قوله او انقص من نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه لانه يصير استثنا مجهول من مجهول اذ التقدير الا قليلاً نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلا فايدة في الاستثناء من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس ان يكون التركيب قم الليل نصفه وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثنا من البدل وهو نصفه وان التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى ان نصفه بدل من الا قليلا والضمير في نصفه عايد على الليل طلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يصير التقدير الا نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه او زد على النصف الذي لا تقمه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الاية قطعا وقال الزمخشري وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا فكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف من الليل قم اقل من نصف الليل

صح سقط من هنا فلينظر من الكشاف

رجع الضمير في منه وعليه الى الأقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل
او قم انقص من ذلك الاقل او زد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف
بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان يجعل قليلا
الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه ويجعل
المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه
ويجوز ان يجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف
والثلث والربع انتهى وما اوسع خيال هذا الرجل فانه يجوز ما يقرب وما يبعد
والقرآن لا ينبغي بل لا يجوز ان يحمل الا على احسن الوجوه التي تأتي في كلام
العرب كما ذكرناه في خطبة هذا الكتاب وممن نص على جواز ان يكون نصفه
بدلا من الليل او من قليلا الزمخشري كما ذكرنا وابن عطية اورده مورد الاحتمال
وابو البقاء وقال اشبه بظاهر الآية ان يكون بدلا من قليلا او زد عليه
والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير قم نصف
الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان
منه لا يتحصل انتهى واما الحوفي فاجاز ان يكون بدلا من الليل ولم يذكر غيره
وقال ابن عطية وقد يحتمل عندي قوله الا قليلا ان استثناء من القيام
فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الليالي التي يخل بقيامها عند العذر
البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب انتهى وهذا خلاف
الظاهر وقيل المعنى او نصفه كما تقول اعطه درهما درهمين ثلاثة يريد
ثلاثة او درهمين او ثلاثة انتهى وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه
وقال التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على
الثلثين من آخر الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على
المأمور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا ثم جعل نصفه بدلا من قليلا
فصار القليل مفسرا بالنصف من الثلثين وهو قليل من الكل فقوله او انقص
منه اي من المأمور به وهو قيام الثلث قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه
اي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين قال
ابو عبد الله الرازي قد اكثر الناس في تفسير هذه الآية وعندي فيه وجهان
ملخصان وذكر كلاما طويلا ملفقا يوقف عليه من كتابه رحمه الله
وتقدم تفسير الترتيل في آخر الاسراء قولا ثقيلا هو القرآن وثقله بما اشتمل
عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الاعمال الصالحة قال
الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقيل ٥ وقال ابو العالية والقرطبي
ثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعيده وقيل ثقله ما كان يحل
بجسمه عليه السلام حالة تلقيه الوحي حتى كانت ناقته تبرك به ذلك الوقت
وحتى كادت فخذه ان ترض فخذ زيد بن ثابت وقيل كلام له وزن ورجحان
ليس بالسفساف قال ابن عباس كلاما عظيما وقيل ثقيل في الميزان
يوم القيامة وهو اشارة الى العمل به وقيل كناية عن بقائه على وجه الدهر

لان الثقيل من شأنه ان يبقى في مكانه ان ناشئة الليل قال ابن عمر وانس بن مالك
وعلي بن الحسين هي ما بين المغرب والعشاء وقالت عايشة ومجاهد هي القيام
بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم فلم يقم ناشئة وقال ابن جبير وابن زيد
هي لفظة حبشية نشأ الرجل قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم
وقال ابن جبير وابن زيد ايضا وجماعة ناشئة الليل ساعاته لانها تنشأ
شيئا بعد شيء وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وابو مجلز ما كان بعد
العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة قال ابن عباس كانت
صلاتهم اول الليل وقال ابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة وقال
الكسائي ناشئة الليل اوله وقال الزمخشري ناشئة الليل النفس
الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من
نشأت السحاب اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض ٥

قال الشاعر

٥ نشانا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد ٥

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة
كالعاقبة انتهى وقرأ الجمهور وطأ بفتح الواو وسكون الطاء وابن عباس
وابن الزبير ومجاهد والعربيات بكسر الواو وفتح الطاء ممدودا وقرأ قتادة
وشبل عن اهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء والهمزة مقصورة وقرأ ابن محيصن
بفتح الواو ممدودا والمعنى انها اشد مواطأة اي يواطئ القلب فيها اللسان
او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ومن قرأ وطأ اي اشد ثبات قدم وابعد
من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار كما جاء اللهم اشدد وطأتك
على مضر وقال الاخفش اشد قياما وقال الفراء اثبت قراءة وقياما وقال
الكلبي اشد نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته وقيل اثبت للعمل وادوم
لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ فالعبادة تدوم واقوم قيلا
اي اشد استقامة على الصواب لان الاصوات هادية فلا يضطرب على المصلي
ما يقرؤه قال قتادة ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم
وقال عكرمة اتم نشاطا واخلاصا وبركة وحكى ابن شجرة اعجل اجابة للدعاء
وقال زيد بن اسلم اجدر ان يتفقه فيها القارئ وقرأ الجمهور سبحا اي تصرفا وتقلبا
في المهمات كما يتردد السابح في الماء وقال الشاعر

٥ اباحوا لكم شرق البلاد وغربها ففيها لكم يا صاح سبح من السبح ٥

وقيل سبحا سبحة اي نافلة وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخاء
المنقوطة ومعناه خفة من التكاليف والتسبيخ التخفيف وهو استعارة من
سبخ الصوف اذا نفشته ونشر اجزاءه فمعناه انتشار الهمة وتفرق الخاطر
بالشواغل وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل المعنى
ان فاتك حزب الليل بنوم او عذر فليخلف بالنهار فان فيه سبحا طويلا
قال صاحب اللوامح وفسر ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة وقال

معناه نوماً اي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد تحتمل بدنه القراءة غير
هذا المعنى لكنهما قرآها فلا تجاوزنه انتهى وفي الحديث لا تسبخي بدعائك أي
لا تخففي وقال الشاعر

قسبخ عليك الهم واعلم بانه اذا قدر الرحمن شيئاً فكائن

وقال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها وقيل التسبيخ المد يقال
سبخي قطنك اي مديه ويقال لقطع القطن سبائخ الواحدة سبيخة ومنه
قول الاخطل يصف قناصاً وكلاباً

فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف اوتار

واذكر اسم ربك اي دم على ذكره ليلاً ونهاراً وكل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما
وانتصب تبتيلاً على انه مصدر على غير المصدر وحسن ذلك كونه فاصلة وقرأ
الاخوان وابن عامر وابو بكر ويعقوب رب بالخفض على البدل من ربك وباقي
السبعة بالرفع وزيد بن علي بالنصب والجمهور المشرق والمغرب موحدين
وعبد الله واصحابه وابن عباس بجمعهما وقال الزمخشري وعن ابن عباس
على القسم يعني خفض رب فالك باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه
لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد انتهى ولعل هذا التخريج لا يصح
عن ابن عباس اذ فيه اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة الله
ولا يقاس عليه ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فلا تنفى الا
بما وحدها ولا تنفى بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيراً وبماض في معناه قليلاً نحو
قول الشاعر

ردوا فوالله لا ذدناكم ابداً ما دام في مائنا ورد لوراد

والزمخشري اورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون
هو نفيه بما نحو قوله

لعمرك ما سعد بخلة آثم ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر

فاتخذه وكيلاً لان من انفرد بالالوهية لم يتخذ وكيلاً الا هو واصبروا اهجرهم قيل
منسوخ باية السيف وذرني والمكذبين قيل نزلت في صناديد قريش المستهزئين
وقيل في المطعمين يوم بدر وتقدمت اسماؤهم في سورة الانفال وتقدم شرح
مثل هذا في فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اولي النعمة اي غضارة العيش
وكثرة المال والولد والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به وبالضم
المسرة يقال نعم ونعمة عين ومهلهم قليلاً وعيد لهم بسرعة الانتقام
منهم والقليل موافاة آجالهم وقيل وقعة بدر ان لدينا ما يضاد نعمتهم
انكالاً قيوداً في ارجلهم قال الشعبي لم يجعل في ارجلهم خوفاً من هربهم
ولكن اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال
الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الخنساء

دعاك فقطعت انكاله وقد كن قبلك لا يقطع

وجحيماً ناراً شديدة الايقاد وطعاماً ذا غصة قال ابن عباس شوك

من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل وقال مجاهد وغيره شجرة الزقوم
وقيل الضريع وشجرة الزقوم يوم منصوب بالعامل في لدينا وقيل بذرني
ترجف تضطرب وقرأ الجمهور ترجف بفتح التاء مبنياً للفاعل وزيد
ابن علي بضمها مبنياً للمفعول كثيباً اي رملاً مجتمعاً مهيلاً اي رخواً ليناً قيل ويقال
مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون الاتمام في ذوات الياء لغة
لتميم والحذف لاكثر العرب ولما هدد المكذبين باهوال القيامة ذكرهم بحال فرعون
وكيف اخذه الله اذ كذب موسى عليه السلام وانه تعالى اذا دام تكذيبهم اهلكهم
الله تعالى فقال انا ارسلنا اليكم والخطاب عام للاسود والاحمر وقيل لاهل
مكة رسولاً شاهداً عليكم كما قال وجئنا بك شهيداً على هؤلاء وشبه ارسال
الى اهل مكة بارسال موسى الى فرعون على التعيين لان كلاً منهما ربا في قومه واستحقروا
بهما وكان عندهم علم بما جرى من غرق فرعون فناسب ان يشبه الارسال بالارسال
وقيل الرسول بلام التعريف لانه تقدم ذكره فاحيل عليه كما تقول لقيت رجلاً فضربت
الرجل فلا يفهم منه الا ان المضروب هو الملقى والوبيل الردي العقبى من قولهم
كلأ وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله اي لا ينزل في المرئ فكيف تتقون ان كفرتم

قوله عز وجل فكيف تتقون

يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً ان هذه تذكرة فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلاً ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر
منه واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
يوماً منصوب بتتقون نصب المفعول به على المجاز اي كيف تستقبلون هذا اليوم العظيم
الذي من شانه كذا وكذا والضمير في يجعل لليوم اسند اليه الجعل لما كان واقعاً فيه
على سبيل المجاز وقال الزمخشري يوماً مفعول به اي فكيف تقون انفسكم يوم
القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحاً انتهى وتتقون
مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى
يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدر الزمخشري
تقون انفسكم يوم القيمة لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته
ودس في قوله ولم تؤمنوا وتعملوا صالحاً الاعتزال قال ويجوز ان يكون ظرفاً
اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا قال ويجوز ان ينتصب
بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة
والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه انتهى وقرأ الجمهور يوماً منوناً يجعل بالياء
والجملة من قوله يجعل صفة ليوم فان كان الضمير في يجعل عائداً على اليوم
فواضح وهو الظاهر وان عاد على الله كما قال بعضهم فلا بد من حذف ضمير
يعود الى اليوم اي يجعل فيه كقوله يوماً لا تجزي نفس وقرأ زيد بن علي يوم

بغير تنوين بجعل بالنون فالقرف مضاف الى الجملة والشيب مفعول ثان
ليجعل اي بصير الصبيان شيوخا وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم ويقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم اذا تفاقمت
اسرعت بالشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقال قوم ذلك حقيقة بشيب رؤسهم من شدة الهول كما قد يرى في الدنيا
من الهم المفرط كهول البحر ونحوه وقال الزمخشري ويجوز ان يوصف اليوم بالطول
وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة وقال السدي الولدان هنا اولاد
الزنا وقيل اولاد المشركين والظاهر العموم اي يشيب الصغير من غير كبر وذلك
حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار وقيل هذا وقت الفزع قبل ان
ينفخ في الصور نفخة الصعق السماء منفطر به قال الفراء السماء يعني المظلة
تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير ومنه قول الشاعر

فلو رفع السماء اليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى القول بالتانيث فقال ابو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر
الاخضر واعجاز نخل منقعر انتهى يعني انها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين
مفرده تاء التانيث وان مفرده سماءة واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتانيث
فجاء منفطر على التذكير وقال ابو عمرو بن العلاء وابو عبيدة والكسائي وتبعهم منذر
ابن سعيد مجازها السقف فجاء عليه منفطر ولم يقل منفطرة وقال ابو علي ايضا
التقدير ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع اي ذات رضاع فجرى على طريق النسب
وقال الزمخشري او السماء شيء منفطر فجعل منفطر صفة لخبر محذوف مقدر
بمذكر وهو شيء والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به الظاهر انه يعود على
اليوم والباء للسبب اي بسبب شدة ذلك اليوم او ظرفية اي فيه وقال
مجاهد يعود على الله اي بامره وسلطانه والظاهر ان الضمير في وعده عائد على اليوم
فهو من اضافة المصدر الى المفعول الى الله تعالى وعد عباده هذا اليوم وهو يوم
القيامة فلا بد من انجازه ويجوز ان يكون عائدا على الله تعالى فيكون من اضافة
المصدر الى الفاعل وان لم يجر له ذكر قريبا لانه معلوم ان الذي هذه مواعيده
هو الله تعالى ان هذه السورة او الانكال وما عطف عليه والاخذ الوبيل او آيات
القرآن المتضمنة شدة يوم القيامة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
فالتقرب اليه بالطاعة ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط لا انه من شرطية
اي فمن شاء ان يتخذ سبيلا اتخذ الى ربه وليست المشيئة هنا على معنى الاباحة
بل تتضمن معنى الوعد والوعيد ان ربك يعلم انك تقوم اي تصلي كقوله قم الليل
لما كان اكثر احوال الصلاة القيام عبر به عنها وهذه الآية نزلت تخفيفا
لما كان استمر استعمالهم امر قيام الليل اما على الوجوب واما على الندب
على الخلاف الذي سبق ادنى من ثلثي الليل اي زمانا هو اقل من ثلثي الليل واستعير
الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما

الشيب ح

اي م

من الاحيان واذا بعدت كثر ذلك وقرأ الجمهور من ثلثي بضم اللام والحسن وشيبة
وابو حيوة وابن السميقع وهشام ومجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل باسكانها
وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح وقرأ العربيان ونافع ونصفه
وثلثه بجرهما عطفا على ثلثي الليل وباقي السبعة وزيد بن علي بالنصب عطفا
على ادنى لانه منصوب على الظرف اي وقتا ادنى من ثلثي الليل فقراءة النصب
مناسبة للتقسيم الذي في اول السورة لانه اذا قام الليل الا قليلا صدق عليه
ادنى من ثلثي الليل لان الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين
فيصدق عليه قوله الا قليلا واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله او لا نصفه
واما وثلثه فان قوله او انقص منه قليلا قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون
الوقت ثلث الليل واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد على النصف قليلا
كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله
تعالى نصفه او انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا
وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جبير معنى تحصوه تطيقوه اي قدر تعالى
انهم يقدرون الزمان على ما مر في اول السورة فلم يطيقوا قيامه لكثرته وشدته
فخفف تعالى عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات
واما قراءة الجر فالمعنى انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من
النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان
مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله والبشر لا يحصون ذلك اي
لا يحفظون مقادير ذلك فتاب عليهم اي رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم
بقيام ما تيسر وعلى القراءتين يكون علمه تعالى بذلك على حسب الوقوع منهم لانهم
قاموا تلك المقادير في اوقات مختلفة قاموا ادنى من الثلثين ونصفا وثلثا
وقاموا ادنى من النصف وادنى من الثلث فلا تنافي بين القراءتين وقرأ الجمهور
وثلثه بضم اللام وابن كثير في رواية شبل باسكانها وطائفة معطوف على الضمير
المستكن في تقوم وحسنه الفصل بينهما وقوله وطائفة من الذين معك دليل
على انه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا عليهم لكان التركيب والذين معك
الا ان اعتقد انهم كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فيمكن اذ ذاك
الفرضية في حق الجميع والله يقدر الليل والنهار اي هو وحده تعالى العالم
بمقادير الساعات قال الزمخشري وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه
يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير انتهى وهذا مذهبه وانما استفيد
الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدأ لو قلت زيد يحفظ القرآن
او يتفقه في كتاب سر لم يدل تقديم المبتدأ على الاختصاص وان مخففة من
الثقيلة والضمير في تحصوه الظاهر انه عائد على المصدر المفهوم من قوله يقدر اي
من قدر اي انكم لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار ولا تحيطوا بها على
الحقيقة وقيل الضمير يعود على القيام المفهوم من قوله قم فتاب عليكم قيل
فيه دليل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل رجع بكم من الثقل الى الخف

ومن عسر إلى يسر ورخص لكم في ترك القيام المقدر فاقرؤا ما تيسر من القرآن
عبر بالقراءة عن الصلاة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع
والسجود أي فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل قيل وهذا ناسخ للأول
ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وهذا الأمر بقوله فاقرؤا قال الجمهور أمر
إباحة وقال ابن جبير وجماعة هو فرض لا بد منه ولو خمسين آية وقال
الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة وقيل هو أمر بقراءة القرآن
بعينه لا كناية عن الصلاة وإذا كان المراد فاقرؤا في الصلاة ما تيسر فالظاهر
أنه لا يتعين ما يقرأ بل إذا قرأ ما تيسر له وسهل عليه أجزأه وقدر أبو حنيفة
بآية حكاه عنه الماوردي وبثلاث حكاه ابن العربي وعين مالك والشافعي
ما تيسر بالاسم فاتحة الكتاب لا يعدل عنها ولا يقتصر على بعضها علم أن سيكون
منكم مرضى بيان لحكمة النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض
للتجارة والمجاهدين في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه كرر ذلك على سبيل التوكيد
ثم أمر بعمودي الإسلام البدني والمالي ثم قال وأقرضوا الله قرضا حسنا العطف
يشعر بالتغاير فقوله وآتوا الزكوة أمر بأداء الواجب وأقرضوا الله أمر بالصدقات
التي يتطوع بها وقرأ الجمهور هو خيرا وأعظم بنصبهما واحتمل هو أن يكون فصلا وأن
يكون تأكيدا لضمير النصب في تجدوه ولم يذكر الحوفي والزمخشري وابن عطية
في إعراب هو إلا الفصل وقال أبو البقاء هو فصل أو بدل أو توكيد
فقوله أو بدل وهم لو كان بدلا لطابق في النصب فكان يكون إياه وقرأ
أبو السمال وابن السميفع هو خير وأعظم برفعهما على الابتداء والخبر قال
أبو زيد هي لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون كان زيد هو
العاقل بالرفع وهذا البيت لقيس بن ذريح

٭ تحن إلى ليلى وأنت تركتها وكنت عليها بالملاء أنت أقدر ٭

قال أبو عمرو الجرمي أنشد سيبويه هذا البيت شاهدا للرفع والقوافي مرفوعة
ويروى أقدرا وقال الزمخشري وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين
لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة انتهى وليس ما ذكر
متفقا عليه ومنهم من أجازه وليس أفعل من واحكام الفصل ومسائله والخلاف
الوارد فيه كثيرة جدا وقد جمعنا فيه كتابا سميناه بالفصل في أحكام الفصل
وأودعنا معظمه شرح التسهيل من تأليفنا تدثر لبس الدثار وهو الثوب
الذي فوق الشعار والشعار الثوب الذي على الجسد ومنه قوله عليه
السلام الأنصار شعار والناس دثار النقر الصوت

المفردات

قال الشاعر

٭ أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض ٭

وقال ... أنا ابن ماوية إذ جد النقر ٭ يريد النقر فنقل الحركة
والناقور فاعول منه كالجاسوس مأخوذ من التجسس عبس يعبس عبسا وعبوسا
قطب والعبس ما يعلق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها

قال

قال أبو النجم

٭ كأن في أذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الإبل ٭

بسر قبض ما بين عينيه وأربد وجهه قال الشاعر

٭ صبحنا تميما غداة الجفار بشهباء ملمومة باسرة ٭

وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر إذا وقف وقد أبسرنا وتقول العرب
وجه باسر بين البسور إذا تغير واسود لاحه الشيء غير خلقته قال

٭ تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر ٭

وقال آخر

٭ وتعجب هند أن رأتني شاحبا تقول لشيء لوحته السمائم ٭

وقال الأخفش اللوح شدة العطش لاحه العطش ولوحه غيره قال
الشاعر سقتني على لوح من الماء شربة سقاها به الله الرهام الغواديا ٭
ويقال التاح أي عطش القسورة الرماة والصيادون قاله ابن كيسان أو الأسد
قاله جماعة من اللغويين قال

٭ مضمر تحذره الأبطال كأنه القسورة الريبال ٭ أو الرجال الشداد

قال لبيد

٭ إذا ما هتفنا هتفة في ندينا أتانا الرجال العائدون القساور ٭

أو ظلمة أول الليل لا ظلمة آخره قاله ابن الأعرابي وثعلب

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فإذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا
وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد
كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم
قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر
يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر
لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا
عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا
ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا ۞ هذه السورة مكية قال ابن عطية بإجماع وفي
التحرير قال مقاتل إلا آية وهي وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ومناسبتها لما قبلها
أن فيما قبلها ذرني والمكذبين وفيه إن هذه تذكرة فناسب يا أيها المدثر قم فأنذر
وناسب ذكر يوم القيامة بعد وذكر بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا
قال الجمهور لما فرغ من رؤية جبريل على كرسي بين السماء والأرض فرعب منه
ورجع إلى خديجة فقال زملوني زملوني نزلت يا أيها المدثر قال النخعي
وقتادة وعائشة نودي وهو في حال تدثر فدعي بحال من أحواله وروي أنه

كان تدثر في قطيفة قيل وكان سمع من قريش ما كرهه فاغتم وتغطى بثوبه مفكرا
فأمر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقال عكرمة معناه يا ايها المدثر
للنبوة واثقالها كما قال في المزمل وقرأ الجمهور المدثر بتشديد الدال واصله
المتدثر فادغم وكذا في حرف أبي على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الدال كما قرأ بتخفيف
الزاي في المزمل اي دثر نفسه وعن عكرمة ايضا فتح الثاء اسم مفعول وقال دثرت
هذا الامر وعصب بك قم فانذر اي قم من مضجعك او قم بمعنى الاخذ في الشيء كما تقول
قام زيد يضرب عمرا اي اخذ وكما قال على ما قام يشتمني لئيم ٥ اي اخذ والمعنى
قم قيام تصميم وجد فانذر اي حذر عذاب الله ووقائعه والانذار عام لجميع
الناس وبعثه الى الخلق وربك فكبر اي فعظم كبرياءه وقال الزمخشري واختص
ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر انتهى وهذا على مذهبه
من ان تقديم المفعول على الفعل يدل على الاختصاص قال ودخلت الفاء لمعنى
الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره انتهى وهو قريب مما قدره النحاة في
قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفاء هي جواب الامر
وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط بعده محذوف على الخلاف الذي
فيه عند النحاة وثيابك فطهر الظاهر انه امر بتطهير الثياب من النجاسات
لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح ان يكون ثياب المؤمن نجسة
والقول بان الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي ومن هذه
الاية ذهب الشافعي الى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي وقيل تطهيرها
تقصيرها ومخالفة العرب في تطويل الثياب وجرهم الذيول على سبيل الفخر
والتكبر قال الشاعر

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الارض هداب الأزر ٥

ولا يؤمن من اصابة النجاسة وفي الحديث ازرة المؤمن الى انصاف
ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار
وذهب الجمهور الى ان الثياب هنا مجاز فقال ابن عباس والضحاك
تطهيرها ان لا تكون تلبس بالغدر والفجور وقال ابن عباس وابن جبير ايضا
كني بالثياب عن القلب كما قال الشاعر وهو امرؤ القيس ٥

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ٥ اي قلبي من قلبك وعلى الطهارة من الغدر انشد
قول غيلان بن سلمة الثقفي ٥

فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع ٥

وقيل كناية عن طهارة العمل المعني وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد
وقال بن زيد اذا كان الرجل خبيث العمل قالوا فلان خبيث الثياب
واذا كان حسن العمل قالوا فلان طاهر الثياب ونحو هذا عن السدي
ومنه قول الشاعر ٥

لاهم ان عامر بن جهم اوذم حجا في ثياب دسم ٥

اي دنسة بالمعاصي وقيل كني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ٥

قال الشاعر فشككت بالرمح الطويل ثيابه وقال الشاعر

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران ٥

اي انفسهم وقيل كني بها عن الجسم قالت ليلى وقد ذكرت ابلا ٥

رموها باثواب خفاف فلا ترى لها شبها الا النعام المنفرا ٥

اي ركبوها فرموها بانفسهم وقيل كناية عن الاهل قال تعالى هن لباس لكم
والتطهر فيهن اختيار المؤمنات العفائف وقيل وطئهن في القبل لا في الدبر
في الطهر لا في الحيض حكاه ابن بحر وقيل كناية عن الخلق اي وخلقك فحسن
قاله الحسن والقرطبي ومنه قول الشاعر ٥

ويحيى ما يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الاثواب حر ٥

اي حسن الاخلاق وقرأ الجمهور والرجز بكسر الراء وهي لغة قريش والحسن
ومجاهد والسلمي وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وابن وثاب وقتادة
والنخعي وابن ابي اسحق والاعرج وحفص بضمها فقيل هما بمعنى واحد يراد بهما
الاصنام والاوثان وقيل الكسر للنقائص والفجور والضم لصنمين
اساف ونائلة وقال عكرمة ومجاهد والزهري للاصنام عموما وقال ابن عامر
الرجز السخط اي اهجر ما يؤدي اليه وقال الحسن الرجز كل معصية والمعنى
في الامر اثبت على هجره ودم لانه عليه السلام كان بريا منه وقال النخعي
الرجز الاثم وقال القتيبي الرجز العذاب اي اهجر ما يؤدي اليه وقرأ الجمهور
ولا تمنن بفك التضعيف والحسن وابو السمال بشد النون قال ابن عباس
وغيره لا تعط عطية لتعطي اكثر منها كانه من قولهم من اذا اعطى قال الضحاك
هذا خاص به عليه السلام ومباح ذلك لامته لكنه لا اجر لهم وعن ابن عباس
ايضا لا تقل دعوت فلم اجب وعن قتادة لا تدل بعملك وعن ابن زيد لا تمنن
بنبوتك تستكثر باجر او كسب تطلبه منهم وقال الحسن لا تمنن على الله
بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب وهذه الاقوال كلها من المن تعداد
اليد وذكرها وقال مجاهد ولا تمنن لا تضعف تستكثر ما حملناه من اعباء الرسالة
او تستكثر من الخير من قولهم حبل منين اي ضعيف وقيل ولا تعط مستكثرا رائيا
لما تعطيه وقرأ الجمهور تستكثر برفع الراء والجملة حالية اي مستكثرا قال
الزمخشري ويجوز في الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى
بالرفع انتهى وهذا لا يجوز ان يحمل القرآن عليه لانه لا يجوز ذلك الا في الشعر
ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال اي مستكثرا وقرأ الحسن وابن ابي عبلة
بجزم الراء ووجهه انه بدل من تمنن اي لا تستكثر كقوله يضاعف لهم العذاب
في قراءة من جزم بدلا من قوله يلق وكقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٥

ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لان
من شأن المنان ان يستكثر ما يعطي اي يراه كثيرا ويعتد به واجاز الزمخشري
فيه وجهين احدهما ان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا والثاني ان يعتبر

حال الوقف يعني فيجري الوصل مجرى الوقف وهذان لا يجوزان بحمل القرآن عليهما
مع وجود ما هو راجح عليهما وهو ابدال وقرأ الحسن أيضا والاعمش تستكثر بنصب
الراء على اضمار ان كقولهم مره يحفرها بنصب الراء اي بان يحفرها وقرأ ابن مسعود
ان تستكثر باظهار ان ولربك فاصبر اي لوجه ربك فاصبر على امرك بالصبر فيتناول الصبر على
تكاليف النبوة وعلى اداء طاعات الله وعلى اذى الكفار وقال ابن زيد على حرب الاحمر
والاسود فكل مصبور عليه ومصبور عنه يندرج في الصبر وقال الزمخشري والفاء
في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قيل فاصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون
فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه وقال الزمخشري والفاء في فذلك
للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت
انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين
والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم
عسير لان يوم القيمة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا
مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما
فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر
عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين وتسليتهم
ويجوز ان يراد به عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا
انتهى وقال الحوفي فاذا اذا متعلقة بانذر اي فانذرهم اذا نقر في الناقور
وقال ابو البقاء يجري على قول الاخفش ان تكون اذا مبتدأ والخبر فذلك
والفاء زائدة فاما يومئذ فظرف لذلك واجاز ابو البقاء ان تتعلق على الكافرين
بيسير اي غير يسير اي سهل على الكافرين وينبغي ان لا يجوز لان فيه تقديم
معمول العامل المضاف اليه غير على العامل وهو ممنوع على الصحيح وقد اجازه
بعضهم فيقول انا بزيد غير راض ذرني ومن خلقت وحيدا لا خلاف
انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي فروي انه كان يلقب بالوحيد
اي لانه لا نظير له في ماله وشرفه في بيته والظاهر انتصاب وحيدا على
الحال من الضمير المحذوف العائد على من اي خلقته منفردا ذليلا قليلا
لا مال له ولا ولد فاتاه الله المال والولد فكفر نعمته واشرك به واستهزأ
بدينه وقيل حال من ضمير النصب في ذرني قاله مجاهد اي ذرني وحدي
معه فانا اجزيك في الانتقام منه او حال من التاء في خلقت اي خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه لا احتاج الى ناصر في اهلاكه
وقيل وحيدا لا يتبين ابوه وكان الوليد معروفا بانه دعي كما تقدم في قوله
عتل بعد ذلك زنيم واذا كان يدعى وحيدا فقيل لا يجوز ان ينتصب على
الذم لانه لا يجوز ان يصدقه الله في انه وحيد لا نظير له ورد ذلك
بانه لما لقب بذلك صار علما والعلم لا يفيد في المسمى صفة وايضا فيمكن
حمله على انه وحيد في الكفر والخبث والدناءة وجعلت له مالا ممدودا
قال ابن عباس كان له بين مكة والطائف ابل وحجور ونعم وجنان

وعبيد

وعبيد وجوار وقيل كان صاحب زرع وضرع وتجارة وقال النعمان بن بشير
المال الممدود هو الارض لانها مدت وقال عمر بن الخطاب هو الريع المستغل
مشاهرة فهو مد في الزمان لا ينقطع وقيل هو مقدار معين واضطربوا في تعيينه
فقيل الف دينار وقيل الف الف دينار وكل هذا تحكم وبنين شهودا اي
حضورا معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم فهو مستأنس بهم او شهودا اي رجالا
يشهدون معه المجامع والمحافل او يسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه واختلف
في عددهم فذكر منهم خالدا وهشاما وعمارة وقد اسلموا والوليد والعاصي وقيس
وعبد شمس قال مقاتل فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقص من ماله
وولده حتى هلك ومهدت له تمهيدا اي وطأت وهيأت وبسطت له بسطا
حتى اقام ببلدته مطمئنا يرجع الى رأيه وقال ابن عباس وسعت له ما بين
اليمن الى الشام وقال مجاهد ومهدت له المال بعضه فوق بعض كما يمهد
الفراش ثم يطمع ان ازيد اي على ما اعطيته من المال والولد كلا اي ليس يكون
كذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره ثم يطمع ان ادخله الجنة لانه كان
يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي ثم يطمع قال الزمخشري
استبعادا لطمعه واستنكارا اي لا مزيد على ما اوتي كثرة وسعة كلا قطع لرجائه
وردع انتهى وطمعه في الزيادة دليل على جشعه وحبه للدنيا انه كان لآياتنا
عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقال
انه عاند آيات المنعم وكفى بذلك نعمة والكافر لا يستحق المزيد وانما جعلت
الآيات بالنسبة الى الانعام لمناسبة قوله وجعلت له مالا ممدودا الى آخر
ما آتاه الله والاحسن ان يحمل على آيات القرآن لحديثه في القرآن وزعمه انه
سحر سارهقه اي ساكلفه واغشيه مشقة وعسر صعودا اي عقبة في جهنم
كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم يعود والصعود في اللغة العقبة الشاقة
وتقدم شرح عنيد في سورة ابراهيم عليه السلام انه فكر وقدر روي ان الوليد
حاج ابا جهل وجماعة من قريش في امر القرآن وقال ان له لحلاوة وان اصله
لمغدق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى ونحو هذا من
الكلام فخالفوه فقالوا له هو شعر فقال والله ما هو بشعر قد عرفنا الشعر هزجه
وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان قالوا
هو مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وخنقه قالوا هو سحر
قال اما هذا فيشبه انه سحر ويقول اقوال نفسه وروي بهذا بالفاظ غير هذه
ويقرب من حيث المعنى وفيه وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب
فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما
رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر
يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله
متعجبين منه وروي ان الوليد سمع من القرآن ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك
مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام ودخل الى ابي بكر الصديق مرارا فجاءه ابو جهل

فقال يا وليد اشعرت ان قريشا قد ذمتك بدخولك الى ابن ابي قحافة وزعمت انك انما تقصد ان تاكل طعامه وقد ابغضتك لمقاربتك امر محمد وما يخلصك عندهم الا ان تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم ففتنه ابو جهل فافتتن وقال افعل انه فكر تعليل للوعيد في قوله سارهقه صعودا قيل ويجوز ان يكون انه فكر بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده وفكر اي في القرآن ومن اتى به وقدر اي في نفسه ما نقول فيه فقتل كيف قدر قيل فقتل لعن وقيل غلب وقهر وذلك من قوله بسهميك في اعشار قلب مقتل اي مذلل مقهور بالحب فلعن دعاء عليه بالطرد والابعاد وغلب وذلك اخبار بقهره وذلته وكيف قدر معناه كيف قدر ما لا يصح تقديره وما لا يسوغ ان يقدره عاقل وقيل دعاء مقتضاه الاستحسان والتعجيب فقيل ذلك لمنزعه الاول في مدحه القرآن وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه فيجري مجرى قول عبد الملك بن مروان قاتل الله كثيرا كانه رآنا حين قال كذا وقيل ذلك لاصابته ما طلبت قريش منه وقيل ذلك ثناء عليه على جهة الاستهزاء به وقيل ذلك حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله وهذا فيه بعد وقولهم قاتله الله مشهور في كلام العرب انه يقال عند استعظام الامر والتعجب منه ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي يحسد عليه ويدعي عليه من حساده والاستفهام في كيف قدر في معنى ما اعجب تقديره وما اغربه لقولهم اي رجل زيد اي ما اعظمه وجاء التكرار بثم ليدل على ان الثانية ابلغ من الاولى للتراخي الذي بينهما كانه دعي عليه اولا ورجي ان يقلع عما كان يرومه فلم يفعل فدعي عليه ثانيا ثم نظر اي فكر ثانيا وقيل نظر الى وجوه الناس ثم عبس وبسر اي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر اي رجع مدبرا وقيل ادبر عن الحق واستكبر فلم يتشارش مستكبرا وقيل استكبر عن الحق ووصفه بالهيئات التي تشكل بها حين اراد ان يقول ما قال كان ذلك على سبيل الاستهزاء وانه انما يقوله كذبا وافتراء اذ لو كان ممكنا لكان له هيئات غير هذه من فرح القلب وظهور السرور والجذل والبشر في وجهه ولو كان حقا لم يحتج الى هذا الفكر لان الحق ابلج يتضح يكاد بنفسه من غير اكداد فكر ولا ابطاء تامل الا ترى الى ذلك الرجل وقوله حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت ان وجهه ليس بوجه كذاب واسلم من فوره وقيل ثم نظر فيما يحتج به للقرآن فراى ما فيه من الاعجاز والاعلام بمرتبة الرسول عليه السلام ودام نظره في ذلك ثم عبس وبسر لذلك وكان العطف بثم في قوله ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر دلالة على تانيه وتمهله في تامله اذ بين ذلك تراخ وتباعد وكان العطف في وبسر وفي واستكبر لان البسور قريب من العبوس فهو كانه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر انه سبب للادبار اذ الاستكبار معنى في القلب والادبار حقيقة من فعل

الجثم فهما سبب ومسبب فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لانه الظاهر للعين وناسب العطف بالواو وكان العطف في فقال بالفاء دلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه لم يتمالك ان نطق به من غير تمهل ومعنى يوثر اي يروى وينقل قال الشاعر

لقلت من القول ما لا يزال يوثر عني يد المسند

وقيل يوثر اي يختار ويرجح على غيره من السحر فيكون من الايثار ومعنى الاسحر اي شبيه بالسحر ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله اي ملتقط من اقوال الناس ويظهر ان كفرا لوليد انما هو عناد الا ترى ثناءه على القرآن ونفيه عنه جميع ما نسبوا اليه من الشعر والكهانة والجنون وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قراء عليه السلام اوايل فصلت وقرا فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وكيف ناشده بالله والرحم ان يسكت ساصليه سقر قال الزمخشري بدل من سارهقه صعودا انتهى ويظهر انهما جملتان اعتقبتا كل واحدة منهما على سبيل التوعد العصيان الذي قبل كل واحدة منهما فتوعد على كونه عنيدا لايات الله بارهاق صعود وعلى قوله بان القرآن سحر يوثر باصلاء سقر وتقدم الكلام على سقر في اواخر سورة القمر وما ادراك ما سقر تعظيم لهولها وشدتها لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي على من القي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه لواحة للبشر قال ابن عباس ومجاهد وابو رزين والجمهور معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها والبشر جمع بشرة وتقول العرب لاحت النار الشي اذا احرقته وسودته وقال الحسن وابن كيسان لواحة بناها لغة من لاح اذا ظهر والمعنى انها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمسماية عام وذلك لعظمها وهولها وزجرها كقوله لترون الجحيم وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقراء الجمهور لواحة بالرفع اي هي لواحة وعطية العوفي وزيد بن علي والحسن وابن ابي عبلة لواحة بالنصب على الحال المؤكدة لان النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون الا مغيرة للابشار وقال الزمخشري نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر التمييز محذوف والمتبادر الى الذهن انه ملك الا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه ان المراد ملك حين سمعوا ذلك فقال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر كم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وانزل الله في ابي جهل اولى لك فاولى وقيل التمييز المحذوف صنفا من الملايكة وقيل صفا وقيل نقيبا ومعنى عليها اي يتولون امرها واليهم جماع زبانيتها فالذي يظهر من العدد ومن الاية بعد ذلك ومن الحديث ان هولاء هم النقباء الا ترى الى قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقوله عليه السلام يوتي بجهنم يومئذ لها سبعون

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقد ذكر المفسرون من نعوت هؤلاء
الملائكة وخلقهم وقوتهم وما أقدرهم الله عليه من الأفعال ما الله أعلم بصحته وكذلك
ذكر أبو عبد الله الرازي حكما على زعمه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المخصوص
يوقف عليه في تفسيره وقرأ الجمهور تسعة عشر مبنيين على الفتح على مشهور اللغة
في هذا العدد وقرأ أبو جعفر وطلحة بن سليمان بإسكان العين كراهة توالي
الحركات وقرأ أنس بن مالك وابن عباس وابن قطيب وإبراهيم بن قتة بضم
التاء وهي حركة بناء عدل إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولا يتوهم أنها حركة
إعراب لأنها لو كانت حركة إعراب لأعرب عشر وقرأ أنس أيضا تسعة
بالضم أعشر بالفتح قال صاحب اللوامح فيجوز أنه جمع العشرة على أعشر ثم أجراه
مجرى تسعة عشر وعنه أيضا تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة من أعشر واوا خالصة
تخفيفا والتاء فيهما مضمومة ضمة بناء لأنها معاقبة للفتحة فرارا من الجمع بين
خمس حركات على جهة واحدة وعن سليمان بن قتة وهو أخو إبراهيم أنه قرأ تسعة أعشر
بضم التاء ضمة إعراب وإضافته إلى أعشر وأعشر مجرور منون وذلك على فك التركيب
قال صاحب اللوامح ويجيء على هذه القراءة وهي قراءة من قرأ أعشر مبنيا أو معربا
من جمع أن الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا انتهى وفيه بعض تلخيص وقال
الزمخشري وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن انتهى وسليمان بن قتة
هذا هو الذي مدح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل

مررت على أبيات آل محمد ۝ فلم أرها أمثالها يوم حلت
وكانوا لنا لأكثر عادوا رزية ۝ لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي جعلناهم خلقا لا قبل لأحد من الناس
بهم وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا أي سبب فتنة ففتنة مفعول
ثان لجعلنا أي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سببا لفتنة الكفار فليس
فتنة مفعولا من أجله وفتنتهم هي كونهم أظهروا مقاومتهم في مغالبتهم وذلك
على سبيل الاستهزاء فإنهم يكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها ليستيقن هذا
مفعول من أجله وهو متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست الفتنة معلولة للاستيقان
بل المعلول جعل العدة سبب فتنة الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى
أن هذا القرآن هو من عند الله إذ هم يجدون هذه العدة في كتبهم المنزلة ويعلمون
أن الرسول لم يقرأها ولا أقرأها عليه أحد ولكن كتابه يصدق كتب الأنبياء
إذ كل ذلك حق متعاضد من عند الله قاله بهذا المعنى ابن عباس ومجاهد وتوارد
الحقائق من عند الله يزداد كل ذي إيمان إيمانا ويزول الريب عن المصدقين
من أهل الكتاب ومن المؤمنين وقيل إنما صار جعلهم فتنة لأنهم يستهزئون
ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد بالوجود
ويقولون هذا العدد القليل كيف يقوون بتعذيب أكثر العالم من الجن
والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة وقال الزمخشري فإن قلت
قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة

إيمان

إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت
ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا
وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم
إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة
الناقصة واحدا من عقد عشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل
ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة
الكافرين انتهى وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله إذ زعم
أن معنى إلا فتنة للذين كفروا إلا تسعة عشر وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا
من له أدنى ذكاء وكفى ردا عليه تحريف كتاب الله ووضع ألفاظ مخالفة
لألفاظ ومعنى مخالف لمعنى وقيل ليستيقن متعلق بفعل مضمر أي فعلنا ذلك
ليستيقن ولا يرتاب توكيد لقوله ليستيقن إذ إثبات اليقين ونفي الارتياب
أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام وليقول الذين في قلوبهم مرض
قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما المرض
في الآية الاضطراب وضعف الإيمان وقيل هو إخبار بالغيب أي وليقول
المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ماذا أراد
الله بهذا مثلا لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا فاستفهم بعضهم بعضا
عن ذلك استبعادا أن يكون هذا من عند الله وسموه مثلا استعارة من المثل
المضروب استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى أي شيء أراد الله بهذا
العدد العجيب ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله وتقدم إعراب
مثل هذه الجملة في أوائل البقرة ۝ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل
إذ أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم
أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين
وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما
تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر
مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا
بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله
هو أهل التقوى وأهل المغفرة ۝ الكاف في محل نصب وذلك إشارة
إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال
والهدى يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ويهدي المؤمنين
فيزيدهم إيمانا وما يعلم جنود ربك إلا هو إعلام بأن الأمر فوق ما يتوهمون
وأن الخزنة إنما هم عن بعض القدرة لا عن كلها والسماء عامرة بأنواع من الملائكة
وفي الحديث أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع إلا وملك واضع جبهته

قوله عز وجل كذلك يضل الله

منه ساجداً وهامي أي النار قاله مجاهد أو المخاطبة أو النذارة أو نار الدنيا
أو الآيات التي ذكرت أو العدة التسعة عشر أو الجنود أقوال راجحها الأول
وهي سقر ذكر بها البشر ليخافوا ويطيعوا وقد جرى ذكر النار أيضاً في قوله
وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة إلا ذكرى للبشر أي للذين أهلوا للتذكر
والاعتبار كلا قال الزمخشري كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى
لأنهم لا يتذكرون انتهى ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر
ثم ينكر أن يكون لهم ذكرى وإنما قوله للبشر عام مخصوص وقال الزمخشري أو ردع
لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيراً وقيل ردع لقول أبي جهل وأصحابه إنهم
يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة
وقال الفراء هي صلة للقسم وقدرها بعضهم بحقاً وبعضهم بالاستفتاحية وقد
تقدم الكلام عليها في أواخر مريم عليها السلام والقمر والليل إذ أدبر أي ولى
ويقال دبر وأدبر بمعنى واحد أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً
على ما ظهر فيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها وقرأ ابن عباس
وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابن يعمر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وقتادة
وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويان والابنان وأبو بكر إذا ظرف
زمان مستقبل دبر بفتح الدال وابن جبير والسلمي والحسن بخلاف عنهم
وابن سيرين والأعرج وزيد بن علي وأبو شيخ وابن محيصن ونافع وحمزة
وحفص إذ ظرف زمان ماض أدبر رباعياً والحسن أيضاً وأبو رزين وأبو رجاء
وابن يعمر أيضاً والسلمي أيضاً وطلحة أيضاً والأعمش ويونس بن عبيد ومطر
إذا بالألف أدبر بالهمز وكذا هو في مصحف عبد الله وأبي وهو مناسب لقوله
إذا أسفر ويقال كأمس الدابر وأمس المدبر بمعنى واحد وقال يونس
ابن حبيب دبر انقضى وأدبر تولى وقال قتادة دبر الليل ولى وقال
الزمخشري ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه
وقرأ الجمهور أسفر رباعياً وابن السميفع وعيسى بن الفضل سفر ثلاثياً والمعنى
طرح الظلمة عن وجهه إنها لإحدى الكبر الظاهر أن الضمير في إنها عائد على
النار قيل ويحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة فهو للحال والقصة
وقيل إن قيام الساعة لإحدى الكبر فعاد الضمير إلى غير مذكور ومعنى إحدى
الكبر الدواهي الكبر أي لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء والكبر
العظائم من العقوبات قال الراجز

يا ابن المعلى نزلت إحدى الكبر داهية الدهر وصماء الغير

والكبر جمع الكبرى طرحت ألف التأنيث في الجمع كما طرحت همزته في قاصعاء فقالوا
قواصع وفي كتاب ابن عطية والكبر جمع كبيرة ولعله من وهم الناسخ وقرأ الجمهور
لإحدى بالهمز وهي منقلبة عن واو أصله وحدى وهو بدل لازم وقرأ نصر
ابن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة وهو حذف
لا ينقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة أن يجعل بين بين والظاهر أن هذه

الجملة جواب للقسم وقال الزمخشري أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
انتهى وقرأ الجمهور نذيراً واحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار
فيكون تمييزاً أي لإحدى الكبر إنذاراً كما تقول هي إحدى النساء عفافاً كما ضمن
إحدى معنى أعظم جاء عنه التمييز وقال الفراء هو مصدر نصب بإضمار
فعل أي أنذر إنذاراً واحتمل أن يكون اسم فاعل بمعنى منذر فقال الزجاج حال
من الضمير في إنها وقيل حال من الضمير في إحدى ومن جعله متصلاً بقم في أول
السورة أو بفأنذر في أول السورة أو حالاً من الكبر أو حالاً من ضمير الكبر فهو بمعزل
عن الصواب قال أبو البقاء والمختار أن يكون حالاً مما دلت عليه الجملة تقديره
عظمت نذيراً انتهى وهو قول لا بأس به قال النحاس وحذفت الهاء من نذيراً
وإن كان للنار على معنى النسب يعني ذات الإنذار وقال علي بن سليمان أعني
نذيراً وقال الحسن لا نذير أدهى من النار قال ابن عطية وهذا القول
يقتضي أن نذيراً حال من الضمير في إنها أو من قوله لإحدى وقال أبو رزين
نذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب بإضمار فعل أي ادعوا نذيراً وقال ابن زيد نذير
هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب بفعل مضمر أي ناد أو بلغ أو أعلن وقرأ أبي
وابن أبي عبلة نذير بالرفع فإن كان من وصف النار جاز أن يكون خبراً وخبر مبتدأ
محذوف أي هي نذير وإن كان من وصف الله أو الرسول فهو على إضمار هو والظاهر
أن لمن بدل من البشر بإعادة الجار وأن يتقدم منصوب بشاء ضمير يعود على من
وقيل الفاعل ضمير يعود على الله أي لمن شاء هو أي الله تعالى وقال الحسن هو
وعيد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قال ابن عطية هو بيان في النذارة
وإعلام بأن كل أحد يسلك طريق الهدى والحق إذا حقق النظر أو هو بعينه يتأخر
عن هذه الرتبة بغفلته وسوء نظره ثم قوى هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت
رهينة وقال الزمخشري أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم
عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم
أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر انتهى وهو معنى لا يتبادر إلى الذهن وفيه حذف قيل والتقدم
الإيمان والتأخر الكفر وقال السدي أن يتقدم إلى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر
عنها إلى الجنة وقال الزجاج أن يتقدم إلى المأمورات أو يتأخر عن المنهيات
والظاهر العموم في كل نفس وقال الضحاك كل نفس حقيق عليها العذاب
ولا يرتهن تعالى أحداً من أهل الجنة ورهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم
وليست بمعنى مفعول لأنها بغير تاء للمذكر والمؤنث نحو رجل قتيل وامرأة قتيل
فالمعنى كل نفس بما كسبت رهن ومنه

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

أي رمس رهن والمعنى أن كل نفس رهن عند الله غير مفكوك وقيل الهاء في رهينة
للمبالغة وقيل على تأنيث اللفظ لا على الإنسان والذي أختاره أنها مما دخلت
فيه التاء وإن كانت بمعنى مفعول في الأصل كالنطيحة ويدل على ذلك أنه لما كان

خبرًا عن المذكر كان بغير هاء قال تعالى كل امرء بما كسب رهين فانث نري حيث كان
خبرًا عن المذكر اتي بغير تاء وحيث كان خبرًا عن المونث اتي بالتاء كما في هذه الاية فاما
الذي في البيت فانث على معنى النفس الا اصحاب اليمين قال ابن عباس هم الملائكة
وقال علي هم اطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعًا اي
لكن اصحاب اليمين في جنات وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون
ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وهذا كقول الضحاك الذي تقدم
وقال الزمخشري الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من
كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق انتهى فظاهر هذا انه استثناء متصل
في جنات اي هم في جنات يتساءلون اي يسال بعضهم بعضًا او يكون يتساءل
بمعنى يسأل اي يسالون عنهم غيرهم كما يقال دعوته وتداعيته بمعناه وعلى هذين
التقديرين كيف جاء ما سلككم في سقر بالخطاب للمجرمين وفي الكلام حذف المعنى
ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عمن غاب من معارفهم فاذا
عرفوا انهم مجرمون في النار قالوا لهم او قالت لهم الملائكة هكذا قدره بعضهم
والاقرب ان يكون التقدير يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعدما لتساول ما سلككم
في سقر وقال الزمخشري **فان قلت** كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال
للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك
لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم **قلت** ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم
وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى
بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه
انتهى وفيه تعسف والاظهر ان السائلين هم المتساءلون وما سلككم على اضمار
القول كما ذكرنا وسؤالهم لهم ما سلككم سؤال توبيخ لهم وتحسير والا فهم عالمون
ما الذي ادخلهم النار والجواب انهم لم يكونوا متصفين بخصال الاسلام من اقامة
الصلاة وايتاء الزكوة ثم ارتقوا من ذلك الى الاعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم
الجزاء كقوله فلا اقتحم العقبة ثم قال ثم كان من الذين امنوا واليقين اي يقينا
على انكار يوم الجزاء الى وقت الموت وقال ابن عطية واليقين عندي صحة
ما كانوا يكذبون من الرجوع الى الله تعالى والدار الاخرة وقال المفسرون اليقين
الموت وذلك عندي هنا متعقب لان نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي فانما
اليقين الذي عنوا في هذه الاية الشيء الذي كانوا يكذبون به وهم احياء في الدنيا
فيتيقنوا بعد الموت وانما يتفسر اليقين بالموت في قوله تعالى واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس المعنى انهم يشفع لهم
فلا تنفع شفاعة من يشفع لهم وانما المعنى نفي الشفاعة لهم فانتفى النفع اي
لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم من باب على لاحب لا يهتدي بمناره
اي لا منار له فيهتدي به وتخصيصهم بانتفاء شفاعة الشافعين يدل على انه
قد تكون شفاعات وينتفع بها وورد احاديث في صحة ذلك فما لهم عن

التذكرة وهي مواعظ القرآن التي تذكر الاخرة معرضين اي في الحال المنتظرة هذه
الموصوفة ثم شبههم بالحمر المستنفرة في شدة اعراضهم ونفارهم عن الايمان وايات
الله **وقرا** الجمهور حمر بضم الميم والاعمش باسكانها قال ابن عباس المراد الحمر
الوحشية شبههم تعالى بالحمر مذمة وتهجينا لحالهم **وقرا** نافع وابن عامر والمفضل
عن عاصم مستنفرة بفتح الفاء والمعنى استنفرها فزعها من القسورة وباقي السبعة
بكسرها اي نافرة نفر واستنفر بمعنى تعجب واستعجب وسخر واستسخر ومنه

قول الشاعر

امسك حمارك انه مستنفر ... في اثر احمرة عمدن لغرب

وبناسب الكسر قوله فرت وقال محمد بن سلام سالت اباسوار الغنوي
وكان اعرابيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة
فقلت انما هو فرت من قسورة قال افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن قال
ابن عباس وابو موسى الاشعري وقتادة وعكرمة القسورة الرماة وقال ابن عباس
ايضا وابو هريرة وجمهور من اللغويين الاسد وقال ابن جبير رجال القنص وهو
قريب من القول الاول وقال ابن عباس ايضا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل
والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء اشد نفارا من حمر الوحش ولذلك شبهت بها
العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها بل يريد كل امرء منهم اي من المعرضين عن عظات
الله واياته ان يؤتى صحفا منشرة اي منشورة غير مطوية تقرا كالكتب التي تتكاتب
بها او كتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك ونحوه لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وروي ان بعضهم قال ان كان يكتب في صحف ما يعمل كل انسان فليعرض تلك
الصحف علينا فنزلت هذه الاية **وقرا** الجمهور صحفا بضم الضاد والحاء منشرة مشددا
وابن جبير باسكانها منشرة مخففا ونشر وانشر مثل نزل وانزل شبه نشرت الصحيفة
بانشر الله الموتى فعبر عنه بمنشرة من نشرت والمحفوظ في الصحيفة والثوب
نشر مخففا ثلاثيا ويقال في الميت انشره الله ونشر ويقال انشره الله فنشر
سوى احياه فحيي كلا ردع عن ارادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح الايات بل لا يخافون
الاخرة ولذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف **وقرا** الجمهور يخافون
بياء الغيبة وابو حيوة بتاء الخطاب التفاتا كلا ردع عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة
فمن شاء ذكره في انه وفي ذكره لان التذكرة ذكر **وقرا** نافع وسلام ويعقوب تذكر بتاء
الخطاب ساكنة الذال وباقي السبعة وابو جعفر والاعمش وطلحة وعيسى والاعرج
بالياء وروي عن ابي حيوة يذكرون بياء الغيبة وشد الذال وروي عن ابي جعفر
تذكرون بالتاء وادغام التاء في الذال هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى ويخاف
واهل ان يغفر وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الاية
فقال يقول لكم ربكم جلت عظمته وقدرته انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله
غيري ومن اتقى ان يجعل معي الها غيري فانا اغفر له وقال الزمخشري في قوله

المفردات

تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله الا ان يقسرهم على الذكر ويلجيهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا ٥ **برق** بالكسر فزع ودهش واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ومنه **قول ذي الرمة** ٥

٥ ولو ان لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافرا كاد يبرق ٥

وقال الاعشى ٥

٥ وكنت ارى في وجه مية لمحة فابرق مغشيا على مكانيا ٥

وبرق بفتح الراء شق بصره وهو من البريق اي لمع بصره من شدة شخوصه **الوزر** ما يلجا اليه من حصن وجبل او غيرهما **قال الشاعر** ٥

٥ لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر ٥

النضرة النعمة وجمال البشر وطراوته **الفاقرة** الداهية التي تقصم فقار الظهر والفقر الحز والتاثير **قال الشاعر** ٥

٥ ابى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فاس فوق راسي فاقرة ٥

اي مؤثرة **التراقي** جمع ترقوة وهي عظام الصدر ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة **قال دريد بن الصمة** ٥

٥ ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي ٥

راق يرقي من الرقية وهو ما يستشفى به للمريض من الكلام المعد لذلك **يتمطى** يتبختر في مشيته واصله من المطى وهو الظهر اي يلوي مطاه تبخترا وقيل اصله يتمطط اي يتمدد في مشيته ويمد منكبيه قلبت الطاء فيه حرف علة كراهية اجتماع الامثال كما قالوا تقضى من التقضض واصله تقضض والمطيطاء التبختر ومد اليدين في المشي والمطيط الماء الخاثر في اسفل الحوض لانه يتمطط فيه اي يمتد وعلى هذا الاشتقاق لا يكون اصله من المطا لاختلاف المادتين اذ مادة المطا م ط و ومادة يتمطط م ط ط **سدى** مهملة يقال ابل سدى اي مهملة ترعى حيث شاءت بلا راع واسديت الشي اي اهملته واسديت حاجتي ضيعتها **قال الشاعر** ٥

٥ فاقسم بالله جهدا اليمين ما خلق الله شيئا سدى ٥

وقال ابو بكر بن دريد ٥

٥ لم ار كالمزن سوام بهلا تحسبها مرعية وهي سدى ٥

٥ سورة القيمة ٥

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت

التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ٥ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ان في آخر ما قبلها قوله كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة وفيه كثير من احوال القيمة فذكر هنا يوم القيمة وجملا من احوالها وتقدم الكلام في لا اقسم والخلاف في لا وفي قراءة لا او بلام فقط في اواخر الواقعة اقسم تعالى بيوم القيمة لعظمه وهوله ولا اقسم قيل لا نافية نفى ان يقسم بالنفس اللوامة واقسم بيوم القيمة نص على هذا الحسن والجمهور على انه تعالى اقسم بالامرين واللوامة قال الحسن هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وروي نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد قال تلوم على ما فات وتندم على الشر لم فعلته وعلى الخير لم تستكثر منه وقيل النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى قاله ابن عباس ايضا وقتادة هي الفاجرة الجشعة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها فهي على هذا مذمومة ويحسن نفي القسم بها والنفس اللوامة اسم جنس بهذا الوصف وقيل هي نفس معينة وهي نفس آدم عليه السلام لم تزل لائمة له على فعله الذي اخرجه من الجنة قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولا امارة بالسوء فانها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمانت خلصت وصفت انتهى والمناسبة بين القسمين من حيث احوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك في يوم القيمة وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيمة المقسم به وما بعده من قوله ايحسب الآية وتقديره لتبعثن وقال الزمخشري **فان قلت** قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي وكان قد انشد قول امرئ القيس ٥

٥ لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر ٥

وقول غوية بن سلمى ٥

٥ الا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي ٥

قال فهلا زعمت ان لا التي للقسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا نحو قولك لا اقسم بيوم القيامة لا يتركون سدى **قلت** لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم ثم قال الزمخشري وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن انتهى وهو تقدير النحاس وقول غيره قال جواب القسم هو ايحسب الانسان وما روي عن الحسن ان الجواب بلى قادرين وما قيل ان لا في القسمين لنفيهما اي لا اقسم على شيء وان التقدير اسألك ايحسب الانسان اقوال لا يصلح ان يرد بل تطرح ولا تسود بها الورق ولولا انهم سردوها

مرة

ذميمة

في الكتب لم أنبه عليه والإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث روي أن عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله هذه العظام فنزلت وقيل نزلت في أبي جهل كان يقول أيزعم محمد أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا وقرأ الجمهور نجمع بنون عظامه نصبا وقتادة بالتاء مبنيا للمفعول عظامه رفعا والمعنى بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وتطيير الرياح إياها في أقاصي الأرض وقوله أيحسب استفهام تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله على إعادة المعدوم بلى جواب للاستفهام المنسحب على النفي أي بلى نجمعها وذكر العظام وإن كان المعنى إعادة الإنسان وجمع أجزائه المتفرقة لأن العظام هي قالب الخلق وقرأ الجمهور قادرين بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدر وهو نجمعها وابن أبي عبلة وابن السميفع قادرون أي نحن قادرون على أن نسوي بنانه وهي الأصابع أكثر العظام تفرقا وأدقها أجزاء وهي العظام التي في الأنامل ومفاصلها وهذا عند البعث وقال ابن عباس والجمهور المعنى نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه أي في الدنيا فيقل منفعتها وهذا القول فيه توعد والمعنى الأول هو الظاهر والمقصود من رصف الكلام وذكر الزمخشري هذين القولين بألفاظ منمقة على عادته في حكاية أقوال المتقدمين وقيل قادرين منصوب على خبر كان أي بلى كنا قادرين في الابتداء بل يريد الإنسان بل إضراب وهو انتقال من كلام إلى كلام من غير إبطال والظاهر أن يريد إخبار عن ما يريده الإنسان وقال الزمخشري بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب انتهى وهذه التقادير الثلاثة لا تظهر وهي متكلفة بل المعنى الإخبار عن الإنسان من غير إبطال لمضمون الجملة السابقة وهي نجمعها قادرين ليتبين ما هو عليه الإنسان من عدم الفكر في الآخرة وأنه معني بشهواته ومفعول يريد محذوف يدل التعليل في ليفجر قال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي معنى الآية أن الإنسان إنما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا قدما راكبا رأسه ومطيعا أمله ومسوفا بتوبته وقال السدي أيضا ليظلم على قدر طاقته وعلى هذا فالضمير في أمامه عائد على الإنسان وهو الظاهر وعن ابن عباس ما يقتضي أن الضمير عائد على يوم القيامة إذ الإنسان في زمان وجوده أمام يوم القيامة وبين يديه ويوم القيامة خلفه فهو يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة وهو لا يعرف قدر الضرر الذي هو فيه والأمام ظرف مكان استعير هنا للزمان أي ليفجر فيما بين يديه ويستقبله من زمان حياته يسأل أيان أي متى يوم القيامة سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت وقرأ الجمهور برق بكسر الراء وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وابن مقسم ونافع وزيد بن علي

وأبان

وأبان عن عاصم وهرون ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو والحسن والجحدري بخلاف عنهما بفتحها قال أبو عبيدة برق بالفتح شق وقال ابن إسحاق حقت عند الموت قال مجاهد هذا عند الموت وقال الحسن هو يوم القيامة وقرأ أبو السمال بلق باللام عوض الراء أي انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته هذا قول أهل اللغة إلا الفراء فإنه يقول بلقه وأبلقه إذا أغلقه وقال ثعلب أخطأ الفراء في ذلك إنما هو بلق الباب وأبلقه إذا فتحه انتهى ويمكن أن تكون اللام بدلا من الراء فهما يتعاقبان في بعض الكلم نحو قولهم نثره ونثله ووجر ووجل وقرأ الجمهور وخسف مبنيا للفاعل وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد بن قطيب وزيد بن علي مبنيا للمفعول يقال خسف القمر وخسفه الله وكذلك الشمس قال أبو عبيدة وجماعة من أهل اللغة الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن أبي أويس الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة التأنيث لأن تأنيث الشمس مجاز أو لتغليب التذكير على التأنيث وقال الكسائي حمل على المعنى والتقدير جمع النوران أو الضياءان ومعنى الجمع بينهما قال عطاء بن يسار يجمعان فيلقيان في النار وعنه يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع بينهما في الطلوع من المغرب فيطلعان أسودين مكورين وقال علي وابن عباس يجعلان في نور الحجب وقيل يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فكأن المعنى يجمع حرهما وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار وقرأ الجمهور المفر بفتح الميم والفاء مصدرا أي أين الفرار وقرأ الحسن بن علي بن أبي طالب والحسن بن زيد وابن عباس والحسن وعكرمة وأيوب السختياني وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وأبو رجاء وعيسى وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزهري بكسر الفاء وهو موضع الفرار وقرأ الحسن بكسر الميم وفتح الفاء ونسبها ابن عطية للزهري أي الجيد الفرار وأكثر ما يستعمل هذا الوزن في الآلات وفي صفات الخيل نحو قوله

مكر مفر مقبل مدبر معا

والظاهر أن قوله كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر من تمام قول الإنسان وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الإنسان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وعبر المفسرون عنه بالجبل قال مطرف بن الشخير هو كان وزر فرار العرب في بلادهم فلذلك استعمل والحقيقة أنه الملجأ من جبل وحصن أو سلاح أو رجل أو غيره إلى ربك يومئذ أي إلى حكمه يومئذ إذ تؤول إلى المفر المستقر أي الاستقرار أو موضع استقرار من جنة أو نار إلى مشيئته تعالى يدخل من يشاء الجنة ويدخل من يشاء النار بما قدم وأخر قال عبد الله وابن عباس بما قدم في حياته وأخر من سنة يعمل بها بعده وقال ابن عباس أيضا بما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات وقال زيد بن أسلم بما قدم من ماله لنفسه وبما أخر منه للوارث وقال النخعي ومجاهد بأول عمله وآخره وقال الضحاك بما قدم من فرض وأخر من فرض والظاهر حمله على العموم أي يخبره بكل ما قدم وكل

ما اخر مما ذكره المفسرون ومما لم يذكروه بصيرة خبر عن الانسان اي شاهد قاله قتادة والهاء للمبالغة وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل انه لانه اراد به جوارحه اي جوارحه على نفسه بصيرة وقيل بصيرة مبتدا محذوف الموصوف اي عين بصيرة وعلى نفسه الخبر والجملة في موضع خبر عن الانسان والتقدير عين بصيرة واليه ذهب الفراء وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة ۞ بمقعده او منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ۞ من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وعلى هذا يختار ان تكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الانسان الا ترى انه قد اعتمد بوقوعه خبرا عن الانسان وعلى هذا فالتاء للتانيث وقال ابن عباس البصيرة بالجوارح او الملائكة الحفظة والمعاذير عند الجمهور الاعذار فالمعنى ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها قيل المعاذير جمع معذرة وقال الزمخشري قياس معذرة معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحو المناكير في المنكر انتهى وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جمع التكسير فهو كمذاكير وملاميح والمفرد منهما لمحة وذكر ولم يذهب احد الى انهما من اسماء الجموع بل قيل هما جمع للمحة وذكر على غير قياس او هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة وقال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وهو يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب وقاله الزجاج ايضا اي وان رمى ستوره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وانشدوا في ان المعاذير الستور قول الشاعر

ولكنها ضنت بمنزل ساعة ۞ علينا واطت فوقها بالمعاذر

وقيل البصيرة الكاتبان يكتبان ما يكون من خير وشر اي وان تستر بالستور واذا كانت من العذر فمعنى ولو القى اي ينطق بمعاذيره كذا لها وقيل ولو رمى باعذاره واستسلم وقال السدي ولو ادلى بحجة وعذر وقيل ولو القى بعضهم على بعض كقولهم لولا انتم لكنا مؤمنين والعذرة والعذرى المعذرة قال الشاعر

ها ان ذي عذرة ان لا تكن نفعت ۞ وقال ولا عذر لمحدود ۞ لا تحرك به لسانك الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب النزول انه خطاب للرسول عليه السلام على ما سنذكره ان شاء الله وقال القفال هو خطاب للانسان المذكور في قوله ينبؤا الانسان وذلك حال تنبيهه بقبائح افعاله يعرض عليه كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه عليك فاتبع قرانه بالاقرار بانك فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيانه اي بيان امر عقوبته وحاصل هذا القول انه تعالى يقرا الكافر على جميع اعماله على التفصيل وفيه اشد الوعيد في الدنيا واشد التهويل في الاخرة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس ان رسول الله عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان ربما يحرك شفتيه مخافة ان

التبيع

يذنب عنه مما يوحي اليه بجبينه فنزلت وقال الضحاك انه عليه السلام كان يخاف ان ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشق فنزلت وقال الشعبي كان يحرصه عليه السلام على اداء الرسالة والاجتهاد في ذات الله ربما اراد النطق ببعض ما اوحي اليه قبل كمال ايراد الوحي فامر ان لا يعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليه وحيه وجاءت هذه الآية في هذا المعنى والضمير في به للقرآن دل عليه مساق الآية ان علينا جمعه اي في صدرك وقرانه اي قراءتك اياه والقرآن مصدر كالقراءة قال الشاعر

ضحوا باشمط عنوان السجود به ۞ يقطع الليل تسبيحا وقرانا

وقيل وقرانه وتاليفه في صدرك فهو مصدر من قرات اي جمعت ومنه قولهم للمراة التي لم تلد ما قرات سلا قط قال الشاعر

ذراعي بكرة ادماء بكر ۞ هجان اللون لم تقرا جنينا

فاذا قراناه اي الملك المبلغ عنا فاتبع اي بذهنك وفكرك اي فاستمع قراءته قاله ابن عباس وقال ايضا هو وقتادة والضحاك فاتبع في الاوامر والنواهي وفي كتاب ابن عطية وقرا ابو العالية قرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف في الثلاثة ولم يتكلم على توجيه هذه القراءة الشاذة ووجه اللفظ الاول انه مصدر اي ان علينا جمعه وقراته فنقل حركة الهمزة الى الراء الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى واما الثاني فانه فعل ماض اصله فاذا قراته اي اردت قراءته فسكن الهمزة فصار قراته ثم حذف الالف على جهة الشذوذ كما حذفت في قول العرب ولو ترما الصبيان يريدون ولو ترى ما الصبيان وما رايته واما اللفظ الثالث فتوجيهه توجيه اللفظ الاول اي فاذا قراته اي اردت قراءته فاتبع قراءته بالدرس او بالعمل ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة ان نبينه لك ونحفظكه وقيل ان نبينه انت وقال قتادة ايضا ان نبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس ان علينا جمعه اي حفظه في حياتك وقراءته تاليفه على لسانك وقال الضحاك نثبته في قلبك بعد جمعه لك وقيل جمعه باعادة جبريل عليك مرة اخرى الى ان يثبت في صدرك فاذا قراناه قال ابن عباس انزلناه اليك فاستمع قرانه وعنه ايضا فاذا يتلى عليك فاتبع ما فيه وقال قتادة فاتبع حلاله واجتنب حرامه وقد نمق الزمخشري بحسن ايراده تفسير هذه الآية فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا

بيانه اذا اشكل عليك شي من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسوال عن المعنى جمعا
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه انتهى وذكر ابو عبد الله الرازي في تفسيره ان جماعة من قدما الروافض
زعموا ان القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه واحتجوا بانه لا مناسبة
بين هذه الآية وما قبلها ولو كان الترتيب من الله تعالى ما كان الامر كذلك ثم ذكر
الرازي مناسبات على زعمه يوقف عليها في كتابه ويظهر ان المناسبة بين هذه الآية
وما قبلها انه تعالى لما ذكر منكر القيمة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى
ومعجزاته وانه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يثابر
على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله اياها
فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها وبضدها تتبين
الاشيا ولما كان عليه السلام لمثابرته على ذلك كان يبادر للحفظ بتحريك لسانه
اخبره تعالى انه يجمعه له ويوضحه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة لما فرغ
من خطابه عليه السلام رجع الى حال الانسان السابق ذكره المنكر البعث وان همه
انما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة اذ هو منكر لذلك
وقرا الجمهور بل تحبون وتذرون بتا الخطاب لكفار قريش المنكرين البعث وكلا
ردع لهم وعلى قولهم اي ليس كما زعمتم وانما انتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات
الدنيا حتى تتركون معه الآخرة والنظر في امرها وقال الزمخشري كلا ردع وذكر
في كتابه ما يوقف عليه فيه وقرا مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن كثير
وابو عمرو بيا الغيبة فيهما ولما ذكر محبة العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة تخلص
الى شي من احوال الآخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة وعبر بالوجه عن الجملة وقرا
الجمهور ناضرة بالف وزيد بن علي نضرة بغير الف قال ابن عطية وجوه رفع بالابتدا
وابتدا بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها
ناظرة جملة هي في موضع خبر بعد خبر انتهى وليس يومئذ تخصيصا للنكرة فيسوغ
الابتدا بها لان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثث وانما يكون يومئذ معمولا لناضرة
ومسوغ جواز الابتدا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل وناضرة الخبر وناظرة صفة
وقيل ناضرة نعت لوجوه والى ربها ناظرة الخبر وهو قول سائغ ومسالة النظر ورؤية
الله مذكورة في علم اصول الدين ودلائل الفريقين اهل السنة واهل الاعتزال
فلا نطول بذكر ذلك هنا ولما كان الزمخشري من المعتزلة ومذهبه ان تقديم
المفعول يدل على الاختصاص قال هنا ومعلوم انهم ينظرون الى اشيا لا يحيط
بها الحصر في محشر يجمع الله فيه الخلائق فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا
اليه محال فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص والذي يصح معه
ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجا
ومنه قول القائل

۞ واذا نظرت اليك من ملك ۞ والبحر دونك زدتني نعما ۞

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين تغلق الناس ابوابهم ويأوون

الى مقايلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرا
الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه انتهى وقال ابن عطية ذهبوا
يعني المعتزلة الى ان المعنى الى رحمة ربها ناظرة او الى ثوابه او ملكه فقدروا مضافا
محذوفا وهذا وجه سائغ في العربية كما يقول فلان ناظر اليك في كذا اي الى
صنعك في كذا انتهى والظاهر ان الى في قوله الى ربها حرف جر يتعلق بناظرة
وقال بعض المعتزلة الى هنا واحد الالا وهي النعم وهي مفعول به معمول لناظرة
بمعنى منتظرة ووجوه يومئذ باسرة يجوز ان تكون وجوه مبتدا اخبره باسرة وتظن
خبر بعد خبر وان تكون باسرة صفة وتظن الخبر والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة
الظهر وتظن بمعنى توقن او يغلب على اعتقادها وتتوقع ان يفعل بها فاقرة فعل هو في
شدة داهية تقصم وقال ابو عبيدة فاقرة من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار
كلا ردع لهم عن ايثار الدنيا على الآخرة وتذكير بما يؤولون اليه من الموت الذي
تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الآجلة والضمير في بلغت عائد على النفس
الدال عليها سياق الكلام كقول حاتم

۞ لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ۞

وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يقولون السماء
وذكرهم تعالى بصعوبة الموت وهو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي
ودنا زهوقها وقيل مبني للمفعول فاحتمل ان يكون القائل حاضرو المريض طلبوا له من
يرقي ويطب ويشفي وغير ذلك مما يتمناه له اهله قاله ابن عباس والضحاك
وابو قلابة وقتادة وهو استفهام حقيقة وقيل هو استفهام استبعاد وانكار اي
قد بلغ مبلغا لا احد يرقيه كما عند الياس من الله الذي يقدر ان يرقى بهذا المشرف
على الموت قاله عكرمة وابن زيد واحتمل ان يكون القائل الملائكة اي من يرقى بروحه
الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب قاله ابن عباس ايضا وسليمان
التيمي وقيل انما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها
ويدل عليه قوله بعد فلا صدق ولا صلى الآية ووقف حفص على من وابتدا راق
وادغم الجمهور قال ابو علي لا ادري ما وجه قراته وكذلك قرا بل ران انتهى
وكان حفصا قصد ان لا يتوهم انها كلمة واحدة فسكت سكتا لطيفا ليشعر انهما
كلمتان وقال س ان النون تدغم في الراء وذلك نحو من راشد والادغام
بغنة وبغير غنة ولم يذكر البيان ولعل ذلك من نقل غيره من الكوفيين وعاصم
شيخ حفص يذكر انه كان عالما بالنحو واما بل ران فقد ذكر س ان اللام البيان
فيها والادغام مع الراء حسنان فلما افرط في بيان البيان في بل ران صار
كالوقف القليل وظن اي المريض انه اي ما نزل به الفراق فراق الدنيا التي
هي محبوبته والظن هنا على بابه وقيل فراق الروح الجسد والتفت الساق
بالساق قال ابن عباس والحسن والربيع بن انس واسمعيل بن ابي خالد استعارة
لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة في اول يوم منها لانه
بين الحالين قد اختلطا به كما تقول شمرت الحرب عن ساق استعارة لشدتها

وقال ابن المسيب والحسن وابو حنيفة والمراد ساقا الميت عند ما لفا في الكفن وقال الشعبي وقتادة وابو مالك التفافهما لشدة المرض لانه يقبض ويبسط ويركب هذه على هذه وقال الضحاك اسوق حاضرة من الانس والملائكة هؤلاء يجهزونه الى القبر وهؤلاء يجهزون روحه الى السماء وقيل التفافهما موتهما اولا اذ هما اول ما يخرج الروح منهما فتبردان قبل سائر الاعضاء وجواب اذا محذوف تقديره وجد ما عمله في الدنيا من خير وشر الى ربك يومئذ المساق الى موعود ربك المساق المرجع والمصير والمساق مفعل من السوق فهو اسم مصدر اما الى الجنة او الى نار فلا صدق ولا صلى الجمهور انها نزلت في ابي جهل وكادت ان تصرح به في قوله يتمطى فانها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم وكان يكثر منها وتقدم ايضا انه قيل في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه انه نزلت في ابي جهل وقال الزمخشري يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اي لا يومن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله يعني فلا زكوة انتهى وكون فلا صدق معطوفا على قوله يسأل فيه بعد ولا نفت الماضي اي لم يصدق ولم يصل وفي هذا دليل على ان لا تدخل على الماضي فتنفيه ومثله قول الشاعر

وأي خميس لا أفأنا نهابه ، وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

وقال الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما ، وأي عبد لك لا ألما

وصدق معناه برسالة الله وقال قوم هو من الصدقة وهذا الذي يظهر نفي عنه الزكوة والصلاة واثبت له التكذيب لقوله قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وحمل فلا صدق على نفي التصديق بالرسالة فيقتضي ان يكون ولكن كذب تكرارا والاولى ان يكون لكن استدراكا بعد ولا صلى لا بعد فلا صدق لانه كان يتساوى الحكم في فلا صدق وفي كذب ولا يجوز ذلك اذ لا يقع لكن بعد متوافقين وتولى اعرض عن رسول الله وكذب بما جاء به ثم ذهب الى اهله اي قومه يتمطى يتبختر في مشيته وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابا جهل يوما في البطحا فقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل القرآن على نحوها وقالت الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم ، فأولى لنفسي أولى لها

وتقدم الكلام على اولى شرحا واعرابا في قوله فاولى لهم في سورة القتال وتكراره هنا مرارا مبالغة في التهديد والوعيد ولما ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرر له احواله في بدايته ليتأملها فلا ينكر معها جواز البعث من القبور وقرأ الجمهور الم يك بياء الغيبة والحسن بتاء الخطاب على سبيل الالتفات وقرأ الجمهور تمنى اي النطفة بمنيها الرجل وابن محيصن والجحدري وسلام ويعقوب وحفص وابو عمرو بخلاف عنه بالياء اي يمنى هو اي المني فخلق اي الله منه بشرا مركبا

من اشيا مختلفة فسوى اي سواه شخصا مستقلا فجعل منه الزوجين اي النوعين او المزدوجين من البشر وفي قراءة زيد بن علي الزوجان بالالف وكانه على لغة بني الحارث ابن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنى بالالف في جميع اعرابه وقرأ ايضا بقدر مضارعا والجمهور بقادر اسم فاعل مجرور بالباء الزائدة اليس ذلك اي الخالق المسوي بقادر وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث وقرأ طلحة بن سليمان والفيض بن غزوان بسكون الياء من قوله ان يحيي وهي حركة اعراب لا تنحذف الا في الوقف وقد جاء في الشعر حذفها وقرأ الجمهور بفتحها وجاء عن بعضهم يحي بنقل حركة الياء الى الحاء وادغام الياء في الياء وقال ابن خالويه لا يجيز اهل البصرة سيبويه واصحابه ادغام يحيي قالوا لسكون الياء الثانية ولا يعتدون بالفتحة في الياء لانها حركة اعراب غير لازمة واما الفراء فاحتج بهذا البيت تمشي بسدة بيتها فتعيي يريد فتعيي الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل او مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي

وقال رؤبة

يطرحن كل معجل نشاج ، لم يكس جلدا من دم امشاج

وقال الهذلي

كان الريش والفوقين منه ، خلاف النصل سيط به مشيج

وقال الشماخ

طوت احشاء مرتجة لوقت ، على مشج سلالته مهين

ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط مزج الشيء بالشيء خلطه قال الشاعر

كان سبيئة من بيت راس ، يكون مزاجها عسل وماء

استطار الشيء انتشر وتقول العرب استطار الصدع في القارورة وشبهها واستطال ومنه قول الشاعر

فبانت وقد اسارت في الفؤاد ، صدعا على نأيها مستطيرا

وقال الفراء مستطير مستطيل يقال يوم قمطرير وقماطر واقمطر فهو مقمطر اذا كان صعبا شديدا وقال الراجز

قد كرت العقرب تزبئر ، نكسوا ستها الحما وتقمطر

وقال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ، ولج بها اليوم الشديد القماطر

وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة وقال اسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم ، باسل الشر قمطرير الصباح

واختلف في هذا الوزن واكثر النحاة لا يثبت افمعل في اوزان الافعال الزمهرير اشد البرد وقال ثعلب هو القمر بلغة طي وانشد

المفردات

وليلة ظلام قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

القاقوزة انا رقيق صاف توضع فيه الاشربة قيل ويكون من الزجاج **الزنجبيل**
قال الدينوري نبت في ارض عمان عروق تسري في الارض وليس بشجرة يوكل
رطبا واجوده ما يحمل من بلاد الصين كانت العرب تحبه لانه يوجب لدغا في اللسان
اذا مزج بالشراب فيلتذون به

قال الشاعر

كان جنيا من الزنجبيل بات بفيها واريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر

السلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة قاله
الزجاج وقال ابن الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القرآن ثم ظرف مكان للبعد

سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا
وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله
يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * هذه السورة
مكية في قول الجمهور وقال مجاهد وقتادة مدنية وقال الحسن وعكرمة
مدنية الا اية واحدة فانها مكية وهي ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل مدنية
الا من قوله فاصبر لحكم ربك الى اخرها فانه مكي حكاه الماوردي ومناسبتها
لما قبلها ظاهرة جدا لا تحتاج الى شرح * هل حرف استفهام فان دخل على الجملة
الاسمية لم يكن تاويله بقد لان قد من خواص الفعل فان دخلت على الفعل
فالاكثر انه ياتي للاستفهام المحض وقال ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد قيل
لان الاصل أهل فكان الهمزة حذفت واجتزي بها في الاستفهام ويدل على ذلك

قوله

سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل رأونا بوادي القف ذي الاكم

فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر وقيل هل هنا للاستفهام المحض اي يومن يسال عنه لغرابته اتى
عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال
المذكورة ولما تليت عند ابي بكر وقيل عند عمر رضي الله عنهما قال ليتها تمت
اي ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف والانسان
هنا جنس بني ادم والحين الذي مر عليه اما حين عدمه واما حين كونه نطفة وانتقاله
من رتبة الى رتبة حتى حين امكان خطابه فانه في تلك المدة لا ذكر له وسمي انسانا باعتبار
ما صار اليه وقيل ادم عليه السلام والحين الذي مر عليه المدة التي بقي فيها الى ان
نفخ فيه الروح وعن ابن عباس بقي طينا اربعين سنة ثم صلصالا اربعين ثم حما
مسنونا اربعين فتم خلقه في مائة وعشرين سنة وسمي انسانا باعتبار ما آل اليه
والجملة من لم يكن في موضع الحال من الانسان كانه قيل غير مذكور وهو الظاهر او في موضع
الصفة لحين فيكون العائد على الموصوف محذوفا اي لم يكن فيه انا خلقنا الانسان
هو جنس بني ادم لان ادم لم يخلق من نطفة امشاج اخلاط وهو وصف للنطفة فقال
ابن مسعود واسامة بن زيد عن ابيه هي العروق التي في النطفة وقال ابن عباس
ومجاهد والربيع هو ماء الرجل وماء المراة اختلطا في الرحم فخلق الانسان منهما
وقال الحسن اختلاط النطفة بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض وقال
ابن عباس ايضا وعكرمة وقتادة امشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة
الى غير ذلك الى انشائه انسانا وقال ابن عباس ايضا والكلبي هي الوان النطفة
وقيل اخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء والنطفة اربعة لجنس فلذلك
وصفت بالجمع كقوله على رفرف خضر او لتنزيل كل جزء من النطفة نطفة وقال
الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفرد غير جموع ولذلك
وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما
مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى وقوله مخالف لنص س والنحويين على
ان افعالا لا يكون مفردا قال س وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما
للجميع وما ورد من وصف المفرد بافعال تاولوه نبتليه اي نختبره بالتكليف في الدنيا
وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة فعلى هذا هي حال مصاحبة وعلى
ان المعنى نختبره بالتكليف فهي حال مقدرة لانه تعالى حين خلقه من نطفة لم يكن
مبتليا له بالتكليف في ذلك الوقت وقال الزمخشري ويجوز ان يراد ناقلين
له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة انتهى وهذا معنى قول
ابن عباس وقيل نبتليه بالايجاد والكون في الدنيا فهي حال مقارنة وقيل في
الكلام تقديم وتاخير الاصل فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلناه سميعا بصيرا
للابتلاء ولا حاجة الى ادعاء التقديم والتاخير والمعنى يصح بخلافه وامتن
تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين وهما كنايتان عن التمييز والفهم اذ آلتهما سببه
لذلك وهما اشرف الحواس تدرك بهما اعظم المدركات ولما جعله بهذه المثابة اخبر
تعالى انه هداه الى السبيل اي ارشده الى الطريق وعرفه مآل الطريق النجاة
ومآل طريق الهلاك اذ ارشدناه طريق الهدى وقال مجاهد سبيل السعادة
والشقاوة وقال السدي سبيل الخروج من الرحم وقال الزمخشري
اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا واذ دعوناه الى الاسلام بادلة السمع
والعقل كان معلوما منه انه يومن او يكفر لالزام الحجة انتهى وهو على طريقة
الاعتزال **وقرا** الجمهور اما بكسر الهمزة فيهما وابو السمال وابو العاج وهو كثير

ابن عبد الله السلمي شامي ولي البصرة لهشام بن عبد الملك بفتحها فيهما وهي لغة حكاها
ابو زيد عن العرب وهي التي عدها بعض الناس في حروف العطف وانشدوا

تلقحها اما شمال عرية واما صبا جنح العشي هبوب

وقال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا بتوفيقنا واما كفورا فبسوء
اختياره انتهى فجعلها اما التفصيلية المتضمنة معنى الشرط ولذلك تلقاها بفاء الجواب
فصار كقول العرب اما صديقا فصديق وانتصب شاكرا وكفورا على الحال من ضمير
النصب في هديناه وقال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه
السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجازا انتهى ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا
ولما كان الكفر كثر من يتصف به ويكثر وقوعه من الانسان بخلاف الشكر جاء كفورا
بصيغة المبالغة ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرأ طلحة وعمرو بن عبيد
وابن كثير وابو عمرو وحمزة سلاسل ممنوع الصرف وقفا ووصلا وقيل عن حمزة وابي عمرو
الوقف بالالف وقرأ حفص وابن ذكوان بمنع الصرف واختلف عنهم في الوقف وكذا
عن البزي وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلا وبالالف المبدلة منه وقفا وهي قراءة
الاعمش قيل وهذا على ما حكاه الاخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف الا افعل
من وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم وعلل ذلك بان هذا الجمع لما كان
يجمع فقالوا صواحبات يوسف ونواكسي الابصار اشبه المفرد فجرى فيه الصرف
وقال بعض الرجاز

والصرف في الجمع اتى كثيرا حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف ابي وعبد الله
وكذا قواريرا وروى هشام عن ابن عامر سلاسل في الوصل وسلاسلا بالف دون تنوين
في الوقف وروي ان من العرب من يقول رايت عمرا بالالف في الوقف من كاس من لابتداء
الغاية كان مزاجها كافورا قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل
هو على التشبيه اي طيب رائحة وبرد كالكافور وقال الكلبي كافور اسم عين في الجنة
وصرفت لتوافق الاي وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان
في الكلمة كقولهم عربي قح وكح وعينا بدل من كافورا او مفعولا بيشربون اي ماء عين
او بدل من محل من كاس على حذف مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب
على الاختصاص ولما كانت الكاس مبدأ شربهم اتي بمن وفي يشرب بها اي يمزج شرابهم
بها والباء للدلالة على الالصاق والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول
شربت الماء بالعسل او ضمن معنى يروى فعدي بالباء وقيل الباء زائدة والمعنى
يشربها وقال الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

قيل اي شربن ماء البحر وقرأ ابن ابي عبلة يشربها وعباد الله هنا هم المؤمنون يفجرونها
يثقبونها بعود قصب ونحو حيث شاءوا فهي تجري عند كل احد منهم هكذا ورد الاثر
وقيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمؤمنين

يشرب خ

يوفون

يوفون بالنذر قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون
وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك انتهى فاستعمل
عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بعد عسى بالمضارع غير مقرون بان وهو قليل او في شعر
والظاهر ان المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة انه نذر قال الاصم وتبعه الزمخشري
هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه
كان لما اوجبه الله عليه اوفى وقيل النذر هنا عام لما اوجبه الله وما اوجبه
العبد فيدخل فيه الايمان وجميع الطاعات على حبه اي على حب الطعام اذ هو محبوب
للفاقة والحاجة قاله ابن عباس ومجاهد او على حب الله اي لوجهه وابتغاء مرضاته
قاله الفضيل بن عياض وابو سليمان الداراني والاول امدح لان فيه الايثار على النفس
واما الثاني فقد يفعله الاغنياء اكثر وقال الحسن بن الفضل على حب الاطعام
اي محبين في فعلهم ذلك لا رياء فيه ولا تكلف مسكينا وهو الطواف المنكشف
في السؤال ويتيما هو الصبي الذي لا اب له واسيرا والاسير معروف وهو من الكفار
قاله قتادة وقيل من المسلمين تركوا في بلاد الكفار رهائن وخرجوا لطلب
الفداء وقال ابن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وقيل اسيرا استعارة
وتشبيه فقال مجاهد وابن جبير وعطاء هو المسجون وقال ابو حمزة اليماني
هي الزوجة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله هو على اضمار القول ويجوز
ان يكونوا صرحوا به خطابا للمذكورين منعا منهم عن المجازاة بمثله او الشكر
لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وهذا هو الظاهر
وقال مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن الله تعالى علمه منهم فاثنى عليهم به لا نريد
منكم جزاء بالافعال ولا شكورا اي ثناء بالاقوال وهذه الاية قيل نزلت
في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا
ظاهرة الاختلاق وفيها اشعار للمسكين واليتيم والاسير يخاطبون بها بيت
النبوة واشعار لفاطمة عليها السلام تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق
لسفساف الفاظها وكسر ابياتها وسفساطة معانيها يوما عبوسا نسبة العبوس
الى اليوم مجاز قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من عينيه
عرق كالقطران وقرأ الجمهور فوقاهم بخف القاف وابو جعفر بشدها ولقاهم
نضرة بدل عبوس الكافر وسرورا فرحا بدل حزنه ولا تكاد تكون النضرة الا مع فرح
النفس وقرة العين وقرأ الجمهور وجزاهم وعلي وجازاهم على وزن فاعل
جنة وحريرا اي بستانا فيه كل ماكل هني وحريرا فيه ملبس بهي وناسب
ذكر الحرير مع الجنة لانهم اوثروا على صبرهم على الجوع والعري لا يرون فيها اي في
الجنة شمسا اي حر شمس ولا شدة برد اي لا شمس فيها فترى فيؤذي حرها ولا زمهرير
يرى فيؤذي بشدته اي معتدلة الهواء وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر
ولا قر وقيل لا يرون فيها شمسا ولا قمرا والزمهرير في لغة طي القمر وقرأ الجمهور
ودانية قال الزجاج هو حال عطفا على متكئين وقال ايضا ويجوز ان يكون صفة

تد

س

الجنة فالمعنى وجزاهم جنة دانية وقال الزمخشري ما معناه انها حال معطوفة
على حال وهي لا يرون اي غير رائين ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان
لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال
عليهم وقرأ ابو حيوة ودانية بالرفع واستدل به الاخفش على جواز رفع اسم الفاعل
من غير ان يعتمد نحو قولك قائم الزيدون ولا حجة فيه لان الاظهر ان يكون ظلالها
مبتدأ ودانية خبر له وقرأ الاعمش ودانيا عليهم وهو كقوله خاشعا ابصارهم وقرأ
ابي ودان مرفوع فهذا يمكن ان يستدل به الاخفش وذللت قطوفها قال قتادة
ومجاهد وسفيان ان كان الانسان قائما تناوله وان قعد تناوله وان كان
قاعدا او مضطجعا فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك قال ما على
قراءة الجمهور ودانية بالنصب كان وذللت معطوفا على دانية لانها في تقدير
المفرد اي ومذللة وعلى قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية
ويجوز ان تكون في موضع الحال اي وقد ذللت رفعت دانية او نصبت ٥ ويطاف
عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر
لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل
فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله
كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما
٥ لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم وقدم ذكر الآنية
التي يسقون فيها والآنية جمع اناء وتقدم شرح الاكواب وقرأ نافع والكسائي
وابو بكر قواريرا قواريرا بتنوينهما وصلا وابدالهما الفا وقفا وابن عامر وحمزة
وابو عمرو وحفص بمنع صرفهما وابن كثير بصرف الاول ومنع الصرف في الثاني وقال
الزمخشري وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه
الاول انتهى وكذا قال في قراءة من قرأ سلاسلا بالتنوين انه بدل من حرف
الاطلاق اجرى الفواصل مجرى ابيات الشعر فكما انه يدخل التنوين
في القوافي المطلقة اشعارا بترك الترنم كما قال الشاعر
يا صاح ما هاج الدموع الذرفن ٥ فهذه النون بدل من الالف اذ لو ترنم لوقف
بالف الاطلاق ٥ من فضة اي مخلوقة من فضة ومعنى كانت انه اوجدها تعالى
في قوله كن فيكون تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة
بين بياض الفضة ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها ومن ذلك قوله
كان مزاجها كافورا وقرأ الاعمش قوارير من فضة بالرفع اي هي قوارير وقرأ

قوله عز وجل ويطاف عليهم

الجمهور

الجمهور قدروها مبنيا للفاعل والضمير للملائكة او للطواف عليهم او المنعمين
والتقدير على قدر الاكف قاله الربيع او على قدر الري قاله مجاهد وقال
الزمخشري قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها
في انفسهم على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروها وقيل
الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها
على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا
يعجز وعن مجاهد لا يفيض ولا يغيض انتهى وقرأ علي وابن عباس والسلمي والشعبي
وابن ابزى وقتادة وزيد بن علي والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير
وابو حيوة وعباس عن ابان والاصمعي عن ابي عمرو وابن عبد الخالق عن يعقوب
قدروها مبنيا للمفعول قال ابو علي كان اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لان
حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة اولي القوة ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزاء القى العود على الحرباء
وقال الزمخشري ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت
الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها
كما شاؤوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى وقال ابو حاتم
قدرت الاواني على قدر ريهم ففسر بعضهم قول ابي حاتم هذا قال فيه حذف
على حذف وهو انه كان قدر على قدر ريهم ما لم يسم فاعله فحذف الري فصارت الواو
مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما قبله وصار الواو مفعول ما لم يسم فاعله
واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت
من الهاء والميم حتى اقيمت مقام الفاعل انتهى والاقرب في تخريج هذه القراءة
الشاذة ان يكون الاصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو الري واقيم
الضمير مقامه فصار التقدير قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من
ووصل الفعل الى الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف
واتساع في المجرور والظاهر ان الكاس تمزج بالزنجبيل والعرب تستلذه
وتذكره في وصف رضاب افواه النساء كما انشدنا لهم في الكلام على المفردات
وقال الزمخشري تسمى العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها انتهى وقال
قتادة الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل
الجنة وقال الكلبي يسقى بجامين الاول مزاجه الكافور والثاني مزاجه
الزنجبيل وعينا بدل من كاس على حذف اي كاس عين او من زنجبيل على قول قتادة
وقيل منصوبة على الاختصاص والظاهر ان هذه العين تسمى سلسبيلا بمعنى توصف
بانها سلسة في الانسياغ سهلة في المذاق ولا يحمل سلسبيل على انه اسم حقيقة
لانه اذ ذاك كان ممنوع الصرف للتانيث والعلمية وقد روي عن طلحة
انه قرأه بغير الف جعله علما لها فان كان علما فوجه قراءة الجمهور بالتنوين المناسبة
للفواصل كما قال ذلك بعضهم في سلاسلا وقواريرا وحسن ذلك انه لغة
لبعض العرب اعني صرف ما لا ينصرف اكثر العرب وقال الزمخشري وقد زيدت

الياء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية وكان قد ذكرنا لك شراب سلسبيل
وسلسال وسلسبيل فإن كان عنى أنه زيد حقيقة فليس بجيد لأن الباء ليست من حروف
الزيادة المعهودة في علم النحو وإن عنى أنها حرف جاء في سنخ الكلمة وليس في سلسبيل
ولا في سلسال فيصح ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفًا في المادة وقال بعض
المعربين سلسبيلًا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسؤال التسبيل إليها
وقد نسبوا هذا القول إلى علي كرم الله وجهه ويجب طرحه من كتب التفسير وأعجب
من ذلك توجيه الزمخشري له واشتغاله بحكايته ويذكر نسبته إلى علي رضي الله عنه
وقال قتادة سيحت عين بنبع من تحت العرش من جنة عدن إلى الجنان وقال
عكرمة عين سلس ماؤها وقال مجاهد عين حديدة الجرية سلسة سهلة
المساغ وقال مقاتل عين تتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤوا وتقدم
شرح مخلدون وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم
في المساكن في خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب
إذا نثر من صدفته فإنه أحسن في العين وأبهج للنفس وجواب إذا رأيت نعيمًا
ومفعول فعل الشرط محذوف حذف اقتصارًا والمعنى وإذا رميت ببصرك هناك
وثم ظرف العامل فيه رأيت وقيل التقدير وإذا رأيت ما ثم فحذف ما كما حذف
في قوله لقد تقطع بينكم أي ما بينكم وقال الزجاج وتبعه الزمخشري فقال
ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك
الصلة انتهى وليس بخطأ مجمع عليه بل قد أجاز ذلك الكوفيون ولهم شواهد
من لسان العرب كقول الشاعر

٭ فمن يهجو رسول الله منكم . ويمدحه وينصره سواء ٭

أي ومن يمدحه فحذف الموصول وأبقى صلته وقال ابن عطية وثم ظرف العامل
فيه رأيت أو معناه التقدير رأيت ما ثم حذفت ما انتهى وهذا فاسد لأنه من
حيث جعله معمولًا لرأيت لا يكون صلة لما لأن العامل فيه إذ ذاك محذوف
أي ما استقر ثم وقرأ الجمهور ثم بفتح الثاء وحميد الأعرج ثم بضم الثاء حرف
عطف وجواب إذا على هذا محذوف أي وإذا رميت ببصرك رأيت نعيمًا والملك
الكبير قيل النظر إلى الله تعالى وقال السدي استيذان الملائكة عليهم وقال
أكثر المفسرين الملك الكبير اتساع مواضعهم وقال الكلبي كبيرًا عريضًا يبصر
أدناهم منزلة في الجنة في ملك مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه
وقال عبد الله بن عمر وقال ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف
غلام كلهم مختلف شغله من شغل أصحابه وقال الترمذي وأظنه الترمذي
الحكيم لا أبا عيسى المحدث صاحب الجامع هو ملك التكوين والمشيئة إذا أراد
شيئًا كان لقوله تعالى لهم ما يشاؤون فيها وقيل غير هذه الأقوال وقرأ عمر وابن عباس
والحسن ومجاهد والجحدري وأهل مكة وجمهور السبعة عليهم بفتح الياء
وابن عباس بخلاف عنه والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة
بسكونها وهي رواية أبان عن عاصم وقرأ ابن مسعود والأعمش وطلحة وزيد بن علي

بالتاء

بالتاء مضمومة وعن الأعمش أيضًا وأبان عن عاصم بفتح التاء وقرأ عليهم حرف جر
ابن سيرين ومجاهد وقتادة وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وأبان أيضًا
وقرأت عائشة علتهم بتاء التأنيث فعلًا ماضيًا فثياب فاعل ومن قرأ بالياء ساكنة
أو بالياء مضمومة فمبتدأ خبره ثياب ومن قرأ عليهم حرف جر فثياب مبتدأ ومن
قرأ بنصب الياء والتاء فعلى الحال وهو حال من المجرور في ويطوف عليهم فذو الحال
المطوف عليهم والعامل يطوف وقال الزمخشري وعاليهم بالنصب على أنه حال
من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوف
عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤًا عاليًا للمحسوبين ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك
عاليهم ثياب انتهى أما أن يكون حالًا من الضمير في حسبتهم فإنه لا يعني إلا ضمير المفعول
وهو عائد على ولدان ولذلك قدر عاليهم بقوله عاليًا لهم أي للولدان وهذا لا يصح
لأن الضمائر الآتية بعد ذلك تدل على أنها للمطوف عليهم من قوله وحلوا وسقاهم
وإن هذا كان جزاء لكم وفك الضمائر يجعل هذا لذا وذا لذا مع عدم الاحتياج والاضطرار
إلى ذلك لا يجوز وأما جعله حالًا من محذوف وتقديره أهل نعيم فلا حاجة إلى ادعاء
الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف وثياب مرفوع على
الفاعلية بالحال وقال ابن عطية ويجوز في النصب في القراءتين أن يكون على
الظرف لأنه بمعنى فوقهم انتهى وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج في إثبات كونهما
ظرفين إلى أن يكون منقولًا من كلام العرب عاليك أو عاليتك ثوب وقرأ الجمهور
ثياب بغير تنوين إلى الإضافة إلى سندس وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة عليهم ثياب
سندس خضر وإستبرق برفع الثلاثة ترفع سندس بالصفة لأنه جنس كما تقول
ثوب حرير تريد من حرير وترفع خضر بالصفة أيضًا لأن الخضرة لونه ورفع إستبرق
بالعطف عليه وهو صفة أقيمت مقام الموصوف تقديره وثياب إستبرق أي من
إستبرق وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص خضر برفعهما وقرأ العربيان ونافع في
رواية خضر بالرفع صفة لثياب وإستبرق جر عطفًا على سندس وقرأ ابن كثير
وأبو بكر بجر خضر صفة لسندس ورفع إستبرق عطفًا على ثياب وقرأ الأعمش وطلحة
والحسن وأبو عمرو بخلاف عنهما وحمزة والكسائي بجرهما ووصف اسم الجنس الذي
بينه وبين واحده تاء التأنيث بالجمع جائز فصيح كقوله تعالى وينشئ السحاب
الثقال وقال والنخل باسقات فجعل الحال جمعًا وإذا كانوا قد جمعوا صفة
اسم الجنس الذي ليس بينه وبين واحده تاء التأنيث المحكي بالجمع كقولهم أهلك
الناس الدينار الصفر والدرهم البيض فلأن يجمعوا صفة هذا أولى وقول ابن عطية
وهذا قبيح يشير إلى الدينار الصفر والدرهم البيض حيث جمع وصفهما ليس بجيد
بل هو جائز أورده النحاة مورد الجواز بلا قبح وقرأ ابن محيصن وإستبرق وقد تقدم
ذلك والكلام عليه في الكهف وقال هنا الزمخشري وقرئ وإستبرق نصبًا
في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول
الإستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضًا

لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبرة انتهى ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن
وقوله بعد وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح ان قراءة ابن محيصن هو بقطع الهمزة
مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراآت انه قرأ بوصل الالف وفتح القاف
وقال ابو حاتم لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا ويؤيد ذلك
دخول لام المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراؤه على قراءة الجماعة انتهى
ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن اكابر العلما
ويتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق يقول برق واستبرق
نحو عجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت
الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش اخبر ان في ذلك اللون بريقا وحسنا
يزيل غبشته فاستبرق فعل ماض والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضر
الدال عليه قوله خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم
ضابط ثقة اساور من فضة وفي موضع آخر من ذهب اي يحلون منهما على التعاقب
او على الجمع بينهما كما يقع للنسا في الدنيا قال الزمخشري وما احسن بالمعصم ان
يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة انتهى فقوله بالمعصم اما ان
يكون معمولا لاحسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون معمولا لاحسن وقد فصل
بينهما بالحال والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في
معمول فعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا وان كان
الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف فالمنقول عن س انه لا يجوز والمولد منا اذا تكلم
ينبغي ان يتحرز في كلامه مما فيه الخلاف وسقاهم ربهم شرابا طهورا طهور صفة
مبالغة في الطهارة وهي من فعل لازم وطهارتها بكونها لم يؤمر باجتنابها وليست
كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس او لكونها لم تدنس برجل دنسة ولم تمس بيد وضرة
ولم توضع في اناء لم يعن بتنظيفه ذكر با سقط من هذا الزمخشري ثم قال او لانه لا يؤول
الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك انتهى وهذا الاخير قاله
ابو قلابة والنخعي وابراهيم التيمي قالوا لا ينقلب الى البول بل يكون رشحا من الابدان
اطيب من المسك ان هذا اي النعيم السرمدي كان لكم جزاء اي لاعمالكم الصالحة
وكان سعيكم مشكورا اي مقبولا مثابا قال قتادة لقد شكر الله سعيا قليلا وهذا
على اضمار يقال لهم وهذا القول لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم
بضد ما يقال للمعاقب ان هذا بعملك الردي فيزداد غما وحزنا ولما ذكر اولا
حال الانسان وقسمته الى العاصي والطائع وامعن فيما اعد للطائع ذكر ما
شرف به نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال انا نحن الاية وامره بالصبر
لحكمه وجا بالتوكيدات لمضمون الخبر ومدلول الجبرية واكد الفعل بالمصدر
ولا تطع منهم آثما او كفورا قال قتادة نزلت في ابي جهل قال ان رايت
محمدا يصلي لاطأن على عنقه فانزل الله ولا تطع الاية والنهي عن طاعة كل واحد
منهما ابلغ من النهي عن طاعتهما لانه يستلزم النهي عن احدهما النهي عن طاعتهما لان
في طاعتهما طاعة احدهما ولو قال لا تضرب هندا وعمرا لجاز ان يكون نهيا

عن

عن ضربهما جميعا لا عن ضرب احدهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو والكفور وان كان
آثما فان فيه مبالغة في الكفر ولما كان يوصف الكفور مباينا للموصوف بمجرد الاثم
صلح التغاير فحسن العطف وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان
ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديدا لشكيمة
في العتو واذكر اسم ربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا الظهر والعصر ومن الليل
المغرب والعشا وقال ابن زيد وغيره كان ذلك فرضا ونسخ فلا فرض الا الخمس وقال
قوم هو محكم على وجه الندب ان هؤلاء اشارة الى الكفرة يحبون العاجلة يؤثرون
على الآخرة ويذرون وراءهم اي امامهم وهو ما يستقبلون من الزمان يوما ثقيلا
استعير الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب حامله وتقدم من
شرح الاسر في سورة القتال واذا شئنا اي تبديل امثالهم باهلاكهم بدلنا امثالا
ممن يطيع وقال الزمخشري وحقه ان يجي بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ان يشا يذهبكم انتهى يعني انهم قالوا ان اذا للمحقق وان للممكن وهو تعالى
لم يشا لكنه قد توضع اذا موضع ان وان موضع اذا كقوله افان مت فهم الخالدون
ان هذه اي السورة او آيات القرآن او جملة الشريعة ليس على جهة التخيير
بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله وقال الزمخشري لمن شا ممن اختار الخير
لنفسه والعاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل
بالطاعة وما يشاؤون الطاعة الا ان يشا الله تقسيرهم عليها ان الله كان
عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال وقرا العربيان وابن كثير وما يشاؤن بيا الغيبة وباقي السبعة بتا
الخطاب ومذهب اهل السنة انه نفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعاني في انفسهم
ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب وقال الزمخشري فان قلت ما محل الا ان يشا
الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قرأ
ابن مسعود الا ما يشا الله لان ما مع الفعل كان انتهى ونصوا على انه لا يقوم
مقام الظرف الا المصدر المصرح به كقولك اجيئك صياح الديك ولا يجيزون
اجيئك ان يصيح الديك ولا ما يصيح الديك فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري
يدخل من يشا في رحمته وهم المؤمنون وقرا الجمهور والظالمين نصبا باضمار فعل
يفسره قوله اعد لهم وتقديره ويعذب الظالمين وهو من باب الاشتغال
عطف جملة فعلية على جملة فعلية وقرا ابن الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة والظالمون
عطف جملة اسمية على فعلية وهو جائز حسن وقرا عبد الله وللظالمين بلام
الجر وهو متعلق باعد لهم توكيد ولا يجوز ان يكون من باب الاشتغال ويقدر
فعل يفسره الفعل الذي بعده فيكون التقدير واعد للظالمين اعد لهم وهذا
مذهب الجمهور وفيه خلاف ضعيف مذكور في النحو فنقول بزيد مررت به
ويكون التقدير مررت بزيد مررت به ويكون من باب الاشتغال والمحفوظ
المعروف عند العرب نصب الاسم وتفسير مررت المتاخر وما اشبهه من جهة
المعنى فعلا ماضيا فرجت التي فتحت فانفرج ٥

المفردات

قال الشاعر

الفار جواب الامير المبهم ۞ كفت ضم وجمع ومنه قوله عليه السلام واكفتوا صبيانكم ومنه قيل لبقيع الغرقد كفتة وكفتة والكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع الابواب ۞

وقال الصمصامة بن الطرماح ۞

۞ فانت اليوم فوق الارض حي ۞ وانت غدا تضمك في كفات ۞

وقال ابو عبيدة الكفات الوعا **شمخ** ارتفع **الشرر** ما تطاير من النار متبددا في كل جهة واحده شررة ولغة تميم شرار بالالف واحده شرارة **القصر** الدار الكبيرة المشيدة والقصر قطع من الخشب قدر الذراع وفوقه ودونه يستعد به للشتاء واحده قصرة والقصر بفتح الصاد اعناق الابل والنخل والناس واحده قصرة وبكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة كحلقة من الحديد وحلق ۞

۞ سورة المرسلات ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ۞ الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ۞ الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ۞ ويل يومئذ للمكذبين ۞ الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين ۞ هذه السورة مكية وحكي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها مدنية آية وهي واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه ذكر انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين فهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع وما كان المقسم به موصوفا قد حذفت واقيمت صفاته مقامه وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات فقال ابن مسعود وابو هريرة وابو صالح ومقاتل والفراء والمرسلات الملائكة ارسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحي وبالتعاقب على العباد طرفي النهار وقال ابن عباس وجماعة الانبياء ومعنى عرفا افضالا من الله على عباده ومنه

قول الشاعر ۞

۞ من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ۞ لا يذهب العرف بين الله والناس ۞

وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف او متتابعة تشبيها بعرف الفرس في تتابع شعره واعراف الخيل وتقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه متتابعين وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه وانتصابه على الحال وقال ابن مسعود ايضا وابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة الرياح وقال الحسن السحاب **وقرأ** الجمهور عرفا بسكون الراء وعيسى بضمها

فالعاصفات قال ابن مسعود الشديدات الهبوب وقيل الملائكة تعصف بارواح الكفار اي تزعجها بشدة او تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا في امتثال امره وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل والصواعق والخسوف والناشرات قال السدي وابو صالح ومقاتل الملائكة تنشر صحف العباد بالاعمال وقال الربيع الملائكة تنشر الناس من قبورهم وقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقال ابو صالح الامطار تحيي الارض بالنبات وقال الضحاك الصحف تنشر على الله باعمال العباد فعلى هذا تكون الناشرات على معنى النسب اي ذات النشر فالفارقات قال ابن عباس وابن مسعود وابو صالح ومجاهد والضحاك الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال مجاهد ايضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وقيل الرسل حكاه الزجاج وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفاروق وهي الحامل التي تخرج حين تضع وقيل العقول تفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد فالملقيات ذكرا قال ابن عباس وقتادة والجمهور الملائكة تلقي ما حملت من الوحي الى الانبياء وقال قطرب الرسل تلقي ما انزل عليها الى الامم وقال الربيع آيات القرآن المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم واختار الزمخشري من الاقوال ان تكون والمرسلات الى آخر الاوصاف اما للملائكة واما للرياح فللملائكة يكون عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين وللرياح يكون المعنى فالملقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت قال الزمخشري والذي اراه ان المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير بل هو موضوعه في لسان العرب واما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد كقوله والعاديات فالموريات فالمغيرات فانها راجعة الى العاديات وهي الخيل **وكقوله**

۞ يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ۞

فهذه راجعة لموصوف واحد وهو الحارث فاذا تقرر هذا فالظاهر انه اقسم اولا بالرياح فهي مرسلاته تعالى ويدل عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا وان العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن والقسم الثاني فيه ترق الى اشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون فالفارقات فالملقيات من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات والالقاء هو للذكر وهو ما انزل الله يصح اسناده اليهم **وقرأ** الجمهور فالملقيات اسم فاعل خفيف اي تطرحه اليهم وابن عباس مشددا من التلقية وهي ايضا ايصال الكلام الى المخاطب يقال لقيته الذكر فتلقاه **وقرأ** ابن عباس ايضا فيما ذكر المهدوي بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول اي تلقته من قبل الله تعالى **وقرأ** ابراهيم التيمي والحوفيان وحفص عذرا او نذرا بسكون الذالين وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وابو جعفر وابو حيوة وعيسى

يغفلون عن

ت

والحسن بخلاف والاعمش عن ابي بكر بضمهما وابو جعفر ايضا وشيبة وزيد بن علي والحرميان
وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا فالسكون على انهما مصدران مفردان
او مصدران جمعان فعذرا جمع عذير بمعنى المعذرة ونذرا جمع نذير بمعنى الانذار
وانتصابهما على البدل من ذكرا كانه قيل فالملقيات عذرا او نذرا او على المفعول
من اجله او على انهما مصدران في موضع الحال اي عاذرين او منذرين ويجوز مع الاسكان
ان يكونا جمعين على ما قررناه وقيل يصح انتصاب عذرا او نذرا على المفعول به بالمصدر
الذي هو ذكرا اي فالملقيات اي فذكر وعذرا وفيه بعد لان المصدر هنا لا يراد به
العمل انما يراد به الحقيقة كقوله او القي عليه الذكر والاعذار هو بقيام الحجة على
الخلق والانذار هو بالعذاب والنقمة انما توعدون اي من الجزاء بالثواب والعقاب
لواقع وما موصولة وان كانت قد كتبت موصولة بان وهذه الجملة هي المقسم عليها
وقرا الجمهور او نذرا بواو التفصيل وابراهيم التيمي ونذرا بواو العطف فاذا النجوم
طمست اي اذهب نورها فاستوت مع جرم السماء او عبر عن الحق ذلك بالطمس
وهو انتثارها وانكدارها او اذهب نورها ثم انتثرت ممحوقة النور واذا السماء
فرجت اي صار فيها فروج بانفطارها وقرا عمرو بن ميمون طمست فرجت بشد الميم
والراء والجمهور بخفهما واذا الجبال نسفت اي فرقتها الرياح وذلك بعد التسيير
وقبل كونها هباء وقرا الجمهور اقتت بالهمز وشد القاف وبتخفيف القاف والهمز
النخعي والحسن وعيسى وخالد وقرا ابو الاشهب وعمرو بن عبيد وعيسى ايضا وابو عمرو
بالواو وشد القاف قال عيسى وهي لغة سفلى مضر وعبد الله والحسن وابو جعفر
بواو واحدة وخف القاف والحسن ايضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت
والمعنى جعل لها وقت منتظر فحان وجاء او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره
وهو يوم القيمة والواو في هذا كله اصل والهمزة بدل وقال الزمخشري ومعنى
توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وجواب اذا
محذوف لدلالة ما قبله عليه وتقديره اذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون ○ لاي
يوم اجلت تعظيم لذلك اليوم وتعجيب مما يقع فيه من الهول والشدة والتاجيل
من الاجل اي ليوم عظيم اخرت ليوم الفصل اي بين الخلائق وهو بدل من لاي يوم
وما ادراك ما يوم الفصل مبالغة في عظم ذلك اليوم على الخلائق ويل تقدم
الكلام فيه في اول ثاني حزب من سورة البقرة يومئذ يوم اذ طمست النجوم
وكان ما بعدها وقرا الجمهور نهلك بضم النون وقتادة بفتحها قال الزمخشري
من هلكه بمعنى اهلكه وقال العجاج ○ ومهمه هالك من تعرجا ○
انتهى وخرج بعضهم هالك من تعرجا على ان هالكا هو من اللازم ومن موصول
فاستدل به على ان الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا وقرا
الجمهور نتبعهم بضم العين على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة ويقوي الاستيناف
قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين الاستقبال والاعرج والعباس عن ابي عمرو باسكانها
فاحتمل ان يكون معطوفا على نهلك واحتمل ان يكون سكن تخفيفا كما سكن وما يشعركم
فهو استيناف وعلى الاستيناف يكون الاولين الامم التي تقدمت قريشا اجمع ويكون

الآخرين

الآخرين من تاخر من قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون الاولين قوم نوح وابراهيم عليهما
السلام ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون ومن تاخر وقرب من مدة الرسول عليه السلام
والاهلاك هنا اهلاك عذاب ونكال ولذلك جاء كذلك نفعل بالمجرمين
فاتى بالصفة المقتضية لاهلاك العذاب وهي الاجرام ولما ذكر افناء الاولين
والآخرين ذكر ووقف على اصل الخلقة التي تقتضي النظر فيها تجويز البعث من ماء مهين
اي ضعيف وهو مني الرجل والمراة في قرار مكين اي الرحم هو الرحم الى قدر معلوم اي عند الله
وهو وقت الولادة وقرا علي بن ابي طالب فقدرنا بشد الدال من التقدير كما قال
من نطفة خلقه فقدره وباقي السبعة بخفها من القدرة وانتصب احياء وامواتا
بفعل يدل عليه ما قبله اي تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها واستدل بهذا
من قال ان النباش يقطع لان بطن الارض حرز للكفن فاذا نبش واخذ منه فهو سا
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى نكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال
من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس انتهى رواسي جبالا ثابتا شامخات مرتفعات
ومنه شمخ بانفه ارتفع شبه المعنى بالجرم واسقيناكم جعلناه سقيا لمزارعكم
ومنافعكم ○ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين
ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون
ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي
حديث بعده يؤمنون ○ يقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي من العذاب
انطلقوا الى ظل امر وقراه الجمهور مكررا وبيانا للمنطلق اليه وقرا رويس عن يعقوب
بفتح اللام على معنى الخبر كانهم لما امروا امتثلوا فانطلقوا اذ لا يمكنهم التاخير اذ صاروا
مضطرين الى الانطلاق ذي ثلث شعب قال عطا هو دخان جهنم وروي انه يعلو
من ثلثة مواضع بطن الكفار انه يعني من النار يرفعون اليه فيجدونه على اسواء وصف
وقال ابن عباس يقال ذلك لعبدة الصليب فالمؤمنون في ظل الله وهم في ظل
معبودهم وهو الصليب له ثلث شعب والشعب ما يفرق من جسم واحد لا ظليل نفي
لمحاسن الظل ولا يغني اي ولا يغني عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي الضمير في انها
لجهنم وقرا الجمهور بشرر وعيسى بشرار بالف بين الرائين وابن عباس وابن مقسم
كذلك الا انه كسر الشين فاحتمل ان يكون جمع شرر اي بشرار من العذاب وان يكون
صفة اقيمت مقام موصوفها اي بشرار من الخلق كما تقول قوم شرار جمع شر غير افعل
التفضيل وقوم خيار جمع خير غير افعل التفضيل ويؤنث هذا فيقال للمؤنث
شرة وخيرة بخلافهما اذا كانا للتفضيل فلهما احكام مذكورة في النحو وقرا الجمهور
كالقصر وابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح القاف والصاد
وابن جبير ايضا والحسن ايضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد وبعض القراء بفتح

رق

ت

قوله عزوجل
انطلقوا الى ما كنتم

الكاف وكسر الصاد وابن مسعود بضمهما كأنه مقصور من القصور كما قصروا النجم والنمر
من النجوم والنمور قال ... فيها عواسل أسود ونمر ۞ وتقدم شرح أكثر هذه القراءات
في المفردات وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب جمالات بكسر الجيم وبالألف والتاء
جمع جمال الجمع وهي الإبل كقولهم رجالات قريش وابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن
وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك إلا أنهم ضموا الجيم وهي حبال السفن الواحد منها جملة لكونه
جملة من الطاقات والقوى ثم جمع على جمل وجمال ثم جمع جمال ثانيا جمع صحة فقالوا جمالات
وقيل الجمالات قلوص الجسور وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو عمرو في رواية الأصمعي
وهارون عنه جمالة بكسر الجيم لحقت جمالا التاء لتأنيث الجمع كحجر وحجارة وقرأ ابن عباس
والسلمي والأعمش وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ورويس كذلك إلا أنهم ضموا
الجيم قال ابن عباس وابن جبير الجمالات قلوص السفن وهي حبالها العظام إذا اجتمعت
مستديرة بعضها إلى بعض جاء منها أجرام عظام وقال ابن عباس أيضا الجمالات قطع النحاس
الكبار وكان اشتقاق هذه من اسم الجملة وقرأ الحسن صفر بضم الفاء والجمهور بإسكانها شبهها
بشبه الشرر أولا بالقصر وهو الحصن من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وثانيا
بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان وهي القصور كما قال
الشاعر ۞ فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم ۞
ومن قرأ بضم الجيم فالتشبيه من جهة العظم والطول والصفرة الفاقعة
أشبه بلون الشرر قاله الجمهور وقيل صفر سود وقيل سود تضرب إلى الصفرة ۞
وقال عمران بن حطان الرقاشي ۞
دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى ۞
وقرأ الأعمش والأعرج وزيد بن علي وعيسى وأبو حيوة وعاصم في رواية هذا يوم لا ينطقون
بفتح الميم والجمهور برفعها قال ابن عطية لما أضاف إلى غير متمكن بناه فهي فتحة بناء
وهي في موضع رفع وقال صاحب اللوامح قال عيسى هي لغة سفلى مضر يعني بناءهم يوم
مع لا على الفتح لأنهم جعلوا يوم مع لا كالاسم الواحد فهي في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ
انتهى والجملة المصدرة بمضارع مثبت أو منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف
إليها البناء بوجه وإنما هذا مذهب كوفي قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نصبا
صحيحا على الظرف فيصير هذا إشارة إلى ما تقدمه من الكلام دون إشارة إلى يوم
ويكون العامل في نصب يوم نداء تقدمه من صفة جهنم ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون
فيكون يومئذ كلام معترض لا يمنع من تفريغ العامل للمعمول كما كانت فبأي آلاء ربكما
تكذبان كذلك من حيث إنها لم تمنع اتباع الصفة للموصوف في نحو ومن دونهما جنتان
فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان انتهى وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون ظرفا
وتكون الإشارة إلى رميها بشرر وقال الزمخشري ونصبه الأعمش أي هذا الذي
قص عليكم واقع يومئذ ومعنى نفي نطقهم وقد أخبر الله عنهم أنهم نطقوا في مواضع
من هذا اليوم وذلك باعتبار طول اليوم فيصح أن ينفي القول فيه في وقت ويثبت
في وقت أو نفي نطقهم بحجة تنفع وجعل نطقهم بما لا ينفع كلا نطق وقرأ القراء كلهم
فيما أعلم ولا يؤذن مبنيا للمفعول وحكى أبو علي الأهوازي أن زيد بن علي قرأ ولا يأذن

التاء

مبنيا للفاعل أي الله تعالى فيعتذرون عطف على ولا يؤذن داخل في حيز نفي الإذن
أي فلا إذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار متسببا عن الإذن فينصب وقال ابن عطية
ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي والوجهان جائزان انتهى فجعل امتناع
النصب هو تشابه رؤوس الآي وقال والوجهان جائزان فيظهر من كلامه استواء
الرفع والنصب وأن معناهما واحد وليس كذلك لأن الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا
بل صريح عطف والنصب يكون فيه متسببا فافترقا وذهب أبو الحجاج الأعلم إلى
أنه قد يرفع الفعل ويكون معناه معنى المنصوب بعد الفاء وذلك قليل وإنما جعل
النحويون معنى الرفع غير معنى النصب رعيا للأكثر في كلام العرب وجعل دليله ذلك
وهذه الآية كظاهر كلام ابن عطية وقد رد ذلك عليه ابن عصفور وغيره هذا يوم
الفصل جمعناكم خطاب للكفار والأولين قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم
زمانهم على زمان المخاطبين أي جمعناكم للفصل بين السعداء والأشقياء فإن كان لكم
كيد أي في هذا اليوم كما كان لكم في الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه
فكيدون اليوم وهذا تعجيز لهم وتوبيخ ولما كان في سورة الإنسان ذكر نزرا من
أحوال الكفار في الآخرة وأطنب في وصف أحوال المؤمنين فيها جاء في هذه السورة
الإطناب في وصف الكفار والإيجاز في وصف المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال
بين السورتين وقرأ الجمهور في ظلال جمع ظل والأعمش في ظلل جمع ظلة كلوا
واشربوا خطاب لهم في الآخرة على إضمار القول ويدل عليه بما كنتم تعملون
كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا أي زمانا قليلا إذ قصارى أكلكم
وتمتعكم الموت وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم وإذا قيل لهم اركعوا
من قال إنها مكية قال هي في قريش ومن قال إن هذه الآية مدنية قال
هي في المنافقين وقال مقاتل نزلت في ثقيف قالوا للرسول عليه السلام
حط عنا الصلاة فإنا لا نحني إنها مسبة فأبى وقال لا خير في دين لا صلاة فيه
ومعنى اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه وقيل الركوع هنا عبارة
عن الصلاة وخص من أفعالها الركوع لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود
وجاء في هذه السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لأن كل جملة منها
فيها إخبار الله تعالى عن أشياء وأشياء من أحوال الآخرة وتقريرات من أحوال الدنيا
فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الآخرة والضمير
في بعده عائد على القرآن والمعنى أنه قد تضمن من الإعجاز والبلاغة والإخبار
بالمغيبات وغير ذلك مما احتوى عليه ما لم يتضمنه كتاب إلهي فإذا كانوا
مكذبين به فبأي حديث بعده يصدقون به أي لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن
كذبوا بهذا الحديث الذي هو القرآن وقرأ الجمهور يؤمنون بياء الغيبة ويعقوب
وابن عامر في رواية بتاء الخطاب السبات قال ابن قتيبة السبات
أصله القطع والمد فالنوم قطع الأشغال الشاقة ومن المد قول
الشاعر وإن سبتته مال جثلا كأنه سدى وائلات من نواسج خثعما ۞
إذا أخذت شعرها ماله والتف كالتفاف السدى بأيدي نساء ناسجات

المفردات

الوهاج المتوقد المتلألئ. المعصرات قال ... السحاب الذي يحلب المطر ولما يجتمع مثل الجارية المعصر قد كادت تحيض ولما تحض، وقال نحوه ابن قتيبة.

وقال أبو النجم العجلي:

تمشي الهوينا مائلا خمارها ... قد أعصرت أو قد دنا إعصارها

الثج قال ثعلب أصله شدة الانصباب، وقال الأزهري مطر ثجاج شديد الانصباب. ثج الماء وثججته أنا ثجا وثجوجا يكون لازما بمعنى الانصباب وواقعا بمعنى الصب. قال الشاعر في وصف الغيث:

إذا رجفت فيه رحا مرجحنة ... تبعج ثجاجا غزير الحوافل

الألفاف جمع لِف بكسر اللام قاله جمهور أهل اللغة، قالوا والألف الجنة الملتفة بالأغصان. وقال الكسائي جمع لفيف. وقال الشاعر:

أحابيش ألفاف تباين فرعهم ... وجذمهم عن نسبة المتعرب

وقال ابن قتيبة هو جمع الجمع، جمع لفاء على لف ثم جمع لف على ألفاف. الكواعب جمع كاعب وهي التي برز نهدها ومنه كعب الرجل لبروزه ومنه الكعبة.

وقال قيس بن عاصم المنقري:

وكم من حصان قد حوينا كريمة ... ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر

الدهاق الملأى مأخوذ من الدهق وهو ضغط الشيء وشده باليد كأنه لامتلائه انضغط. وقيل الدهاق المتتابعة. قال الشاعر:

أتانا عامر يبغي قرانا ... فأترعنا له كأسا دهاقا

وقال آخر:

لأنت إلى الفؤاد أحب قربا ... من الصادي إلى كأس دهاق

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم. عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا.

هذه السورة مكية. وروي أنه عليه السلام لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر فبأي حديث بعده يؤمنون أي بعد الحديث الذي هو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون. وقرأ الجمهور عم، وعبد الله وأبي وعكرمة وعيسى عما بالألف وهو أصل عم، والأكثر حذف الألف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر أو أضيف إليها، ومن إثبات الألف قوله:

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد

وقرأ الضحاك وابن كثير في رواية عمه بهاء السكت، أجرى الوصل مجرى

الوقف لأن الأكثر في الوقف على ما الاستفهامية هو بإلحاق هاء السكت إلا إذا أضيفت إليها فلا بد من الهاء في الوقف نحو مجيء مه. والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب كما تقول أي رجل زيد وزيد ما زيد كأنه لما كان عديم النظير أو قليله خفي عليك جنسه فأخذت تستفهم عنه ثم جرد العبارة عن تفخيم الشيء فجاء في القرآن. والضمير في يتساءلون لأهل مكة ثم أخبر تعالى أنهم يتساءلون عن النبإ العظيم وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن. وقيل الضمير لجميع العالم فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر. وقيل النبأ العظيم البعث والاختلاف فيه. عم متعلق بيتساءلون ومن قرأ عمه بالهاء في الوصل فقد ذكرنا أنه يكون أجرى الوقف. وعن النبإ متعلق بمحذوف أي يتساءلون عن النبإ. وأجاز الزمخشري أن يكون وقف على عمه ثم ابتدأ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر لعمه يتساءلون وحذفت لدلالة ما بعدها عليه كشيء مبهم ثم يفسر. وقال ابن عطية قال أكثر النحاة قوله عن النبإ العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كأنه قال لم يتساءلون عن النبإ العظيم. وقال الزجاج الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبإ فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمحاورة اقتضاء للحجة وإسراعا إلى موضع قطعهم. وقرأ عبد الله وابن جبير يساءلون بغير تاء وشد السين، وأصله يتساءلون بتاء الخطاب فأدغم التاء الثانية في السين. كلا ردع للمتسائلين. وقرأ الجمهور بياء الغيبة فيهما، ومالك بن دينار وابن وثاب والحسن وابن عامر بخلاف عنهما وابن مقسم بتاء الخطاب فيهما، وعن الضحاك الأول بالتاء على الخطاب والثاني بالياء على الغيبة. وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل أي سيعلمون ما يحل بهم. ثم قررهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء فقال ألم نجعل الأرض مهادا فبدأ بما هم دائما يباشرونه والمهاد الفراش الموطأ. وقرأ الجمهور مهادا، ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين مهدا بفتح الميم وسكون الهاء ولم ينسب ابن عطية عيسى في هذه القراءة. وقال ابن خالويه مهدا على التوحيد مجاهد وعيسى الهمداني وبنو الحوفي، فاحتمل أن يكون قول ابن عطية وبعض الكوفيين كناية عن عيسى هذا الهمداني. وإذا أطلقوا عيسى أو قالوا عيسى البصرة فهو عيسى بن عمر الثقفي. وتقدم الكلام في المهاد في سورة البقرة في أول حزب واذكروا الله. والجبال أوتادا أي ثبتنا الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد كما قال الأفوه الأودي:

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

أزواجا أي أنواعا في اللون والصورة واللسان. وقال الزجاج وغيره مزدوجين ذكرا وأنثى. سباتا سكونا وراحة، سبت الرجل استراح وترك الشغل، والسبات علة معروفة يفرط على الإنسان السكوت حتى يصير ضارا قاتلا، والنوم شبيه

به الاذى الضر وقال قتادة النائم مسبوت لا يعقل كأنه ميت لباسا اي يستترون
به عن العيون فيما لا يحبون ان يظهر عليه وجعلنا النهار [illegible]
ذو فيه اليقظة معاشا وقت عيش وهو الحيوة يتصرفون فيه في حوائجكم سبعا
اي سموات شدادا محكمة الخلق قوية لا تتأثر لمرور الاعصار الا اذا اراد الله

وقال الشاعر

قلما جئته أعلى محلّي ... واجلسني على التبع الشداد

سراجا من الشمس وهاجا حارا مضطرما لاتقاد وقال عبد الله بن عمرو الشمس
في السماء الرابعة الينا ظهرها ولهبها يضطرم علوا من المعصرات قال ابي والحسن
وابن جبير وزيد بن اسلم وقتادة ومقاتل هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية
والربيع والضحاك السحاب القاطرة مأخوذ من العصر لان السحاب ينعصر
فيخرج منه الماء وقيل السحاب التي فيها الماء ولم تمطر وقال ابن كيسان سميت
بذلك من حيث تغيث فهي من العصرة ومنه وفيه يعصرون والعاصر المغيث
فهو ثلاثي وجاء هنا من اعصر اي دخلت في حين العصر فحان لها ان تعصر وافعل
للدخول في الشيء وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة الرياح لانها تعصر السحاب
جعل الانزال منها لما كانت سببا فيه وقرأ ابن الزبير وابن عباس والفضل
ابن عباس اخوه وعبد الله بن يزيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالباء بدلا من
قال ابن عطية فهذا يقوي انه اراد الرياح وقال الزمخشري فيه وجهان
ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان
الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده درهما ثجاجا منصبا
بكثرة ومنه افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وقرأ الاعرج ثجاجا بالحاء آخرا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا
ونباتا بدأ بالحب الذي يتقوت به كالحنطة والشعير وثنى بالنبات فيشمل كل
ما ينبت من شجر وحشيش وادخل فيه الحب الفافا ملتفة قال الزمخشري
ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد
انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ... وندامى كلهم بيض زهر

ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ولا حاجة
الى هذا القول وما الى وجاهته فقد ذكر في المفردات ان مفرده لِفّ بكسر اللام
وانه قول جمهور اهل اللغة ان يوم الفصل هو يوم القيمة يفصل فيه بين
الحق والباطل كان ميقاتا اي في تقدير الله وحكمه حدا يوقت به الدنيا
وتنتهي عنده اوحدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل
قاله الزمخشري او عطف بيان وتقدم الكلام في الصور وقرأ ابو عياض
في الصوَر بفتح الواو جمع صورة اي يرد الله الارواح الى الابدان والجمهور بسكون
الواو فتأتون من القبور الى الموقف امما كل امة بامامها وقيل جماعات مختلفة
وذكر الزمخشري حديثا في كيفيات قبيحة لعشرة اصناف يحشرون عليها وسبب

لانه ح

خلقة

خلقة من خلق على تلك الكيفية الله اعلم بصحته وقرأ الكوفيون وفتحت خفيفة والجمهور
بالتشديد فكانت ابوابا اي تنشق حتى يكون فيها فتوح كالابواب في الجدران وقيل تتقطع
قطعا صغارا حتى تكون كالالواح الابواب المعهودة وقال الزمخشري فتحت فكانت
ابوابا اي كثرت ابوابها لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا
الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط
فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا اي تصير شيئا كلا شيء لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها انتهى وقال ابن عطية عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد
كونها هباء منبثا ولم يرد ان الجبال تشبه الماء على بعد من الناظر اليها وقال الواحدي
على حذف مضاف اي ذات ابواب ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين
فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم
كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا
دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا مرصادا مفعالا من الرصد يرصد من حقت
عليه كلمة العذاب وقال مقاتل مجلسا للاعداء وممرا للاولياء ومفعال
للمذكر والمؤنث بغير تاء وفيه معنى النسب اي ذات رصد وكل ما جاء من الاخبار
والصفات على معنى النسب فيه التكثير واللزوم وقال الازهري المرصاد
المكان الذي يرصد فيه العدو وقال الحسن الا ان على النار المرصاد
فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز احتبس وقرأ ابو عمرو المنقري وابن يعمر ان
جهنم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها مآبا مرجعا وقرأ عبد الله وعلقمة وزيد
ابن علي وابن وثاب وعمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل وابن جبير وطلحة
والاعمش وحمزة وقتيبة وسورة وروح لبثين بغير الف بعد اللام
والجمهور بالف بعدها وفاعل يدل على من وجد منه الفعل وفعل على من شانه
ذلك كحاذر وحذر احقابا تقدم الكلام على ذلك في الكهف في قوله او امضي
حقبا والمعنى هنا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية
ولا يكاد يستعمل الحقب والاحقاب الا حيث يراد تتابع الازمنة

كقول ابي تمام

لقد اخذت من دار ماوية الحقب ... انحل المغاني للبلى هي ام نهب

ويجوز ان يتعلق للطاغين بمرصادا ويجوز ان يتعلق بمآبا ولابثين حال
من الطاغين واحقابا نصب على الظرف وقال الزمخشري وفيه وجه
آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه
الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين

قوله عز وجل ان جهنم كانت

حميمًا وقوله لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا تفسير له والاستثناء منقطع يعني
لا يذوقون فيها بردًا أو روحًا ينفس عنهم حر النار ولا شرابًا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميمًا وغساقًا انتهى وكان قد قدم قبل هذا الوجه ما نصه ويجوز
أن يراد لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا ثم يبدلون
بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب انتهى وهذا الذي قاله
هو قول المتقدمين حكاه ابن عطية قال وقال آخرون إنما المعنى لابثين فيها
أحقابًا غير ذائقين بردًا ولا شرابًا فهذه الحال يلبثون أحقابًا ثم يبقى العذاب
سرمدًا وهم يشربون أشربة جهنم والذي يظهر أن قوله لا يذوقون كلام مستأنف
وليس في موضع الحال وإلا حميمًا استثناء متصل من قوله ولا شرابًا وأن أحقابًا منصوب
على الظرف حملًا على المشهور من لغة العرب لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست
بمشهورة وقول من قال إن الموصوفين باللبث أحقابًا هم عصاة المؤمنين أو آخر
الآية يدفعه وقول مقاتل إن ذلك منسوخ بقوله فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا
فاسد والظاهر وهو قول الجمهور أن البرد هو مس الهواء القار أي لا يمسهم منه ما
يستلذ ويكسر سَورة الحر وقال أبو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد ومعاذ
النحوي البرد هنا النوم والعرب تسميه بذلك لأنه يبرد سَورة العطش ومن
كلامهم منع البرد البرد **وقال الشاعر**

فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم وفي كتاب اللغات في القرآن أن البرد هو النوم بلغة
هذيل والذوق على هذين القولين مجاز وقال ابن عباس البرد الشراب البارد
المستلذ ومنه **قول حسان بن ثابت**

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

ومنه **قول الآخر**

أماني من سعدى حسان كأنما سقتك بها سعدى على ظماء بردا

والذوق على هذا حقيقة والنحويون ينشدون بيت حسان بردى بفتح الراء
والدال بعدها ألف التأنيث وهو نهر في دمشق وتقدم شرح الحميم والغساق
وخلف القراء في شد السين وخفها وفاقًا أي لأعمالهم وكفرهم وصف الجزاء
بالمصدر لوافق أو على حذف مضاف أي ذا وفاق وقال الفراء هو جمع وفق **وقرأ** الجمهور
بخف الفاء وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة بشدها من وفقه كذا لا يرجون لا يخافون
أو لا يؤملون والرجاء والأمل مفترقان والمعنى هنا لا يصدقون بالحساب فهم لا يؤملون
ولا يخافون **وقرأ** الجمهور كذابًا بشد الذال مصدر كذب وهي لغة لبعض العرب يمانية
يقولون في مصدر فعل فعالًا وغيرهم يجعل مصدره على تفعيل نحو تكذيب ومن تلك
اللغة **قول الشاعر**

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

ومن كلام أحدهم وهو يستفتيني الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير يعني
في الحج وقال الزمخشري وفعال في باب فعّل كله فاش في كلام فصحاء من

العرب

العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارًا ما
سمع بمثله **وقرأ** علي وعوف الأعرابي وأبو رجاء والأعمش وعيسى بخلاف عنه بخف
الذال قال صاحب اللوامح علي وعيسى البصرة وعوف الأعرابي كذابًا كلاهما بالتخفيف
وذلك لغة اليمن بأن يجعلوا مصدر كذب مخففًا كذابًا بالتخفيف مثل كتب كتابًا فصار
المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل أعطيته عطاء انتهى

وقال الأعشى

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقال الزمخشري هو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتًا يعني وكذبوا بآياتنا
فكذبوا كذابًا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب
وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا
بها مكاذبين لأنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين
فبينهم مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر
فيبلغ فيه أقصى جهده انتهى والأظهر الإعراب الأول وما سواه تكلف وفي كتاب
ابن عطية وكتاب اللوامح **وقرأ** عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وفي كتاب ابن خالويه
عمر بن عبد العزيز والماجشون ثم اتفقوا كذابًا بضم الكاف وشد الذال فيتخرج على
أنه جمع كاذب وانتصب على الحال المؤكدة وعلى أنه صفة لمصدر أي تكذيبًا كذابًا
أي مفرطًا في التكذيب **وقرأ** الجمهور وكل شيء بالنصب وأبو السمال بالرفع وانتصب
كتابًا على أنه مصدر من معنى أحصيناه أي إحصاء أو تكون أحصيناه في معنى كتبناه
فالتجوز إما في المصدر وإما في الفعل وذلك لالتقائهما في معنى الضبط أو على
أنه مصدر في موضع الحال أي مكتوبًا في اللوح وفي صحف الحفظة وكل شيء عام مخصوص
أي كل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب وهي جملة معترضة فذوقوا مسبب
عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وقال عبد الله بن عمرو ما نزلت في أهل النار
آية أشد من طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم ولما ذكر شيئًا من حال
أهل النار ذكر ما لأهل الجنة فقال إن للمتقين مفازًا أي موضع فوز وظفر حيث
زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة وحدائق بدل من مفازًا أو فوزًا فيكون أبدل الجرم
من المعنى على حذف أي فوز حدائق أي بها دهاقًا قال الجمهور مترعة وقال مجاهد
وابن جبير متتابعة **وقرأ** الجمهور ولا كذابًا بالتشديد أي لا يكذب بعضهم بعضًا
وقرأ الكسائي بالتخفيف كاللفظ الأول في قوله وكذبوا بآياتنا كذابًا والحكاية
أنه مصدر كذب المخفف في لغة اليمن والمعنى لا يكذب بعضهم بعضًا أو لا يكاذبه
لأن كذابًا مصدر كذب ومصدر كاذب قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد
منصوب بمعنى قوله إن للمتقين مفازًا كأنه قال جازى المتقين بمفاز
وعطاء نصب بجازى نصب المفعول به أي جزاهم عطاء انتهى وهذا لا يجوز لأنه
جعله مصدرًا مؤكدًا لمضمون الجملة التي هي إن للمتقين مفازًا والمصدر
المؤكد لا يعمل لأنه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافًا
وقرأ الجمهور حسابًا وهو صفة لعطاء أي كافيًا من قولهم أحسبني الشيء أي كفاني

وقال مجاهد معنى حسابا بتقسيط على الاعمال او دخول الجنة برحمة الله والدرجات
فيها على قدر الاعمال فالحساب بموازنة الاعمال وقرا ابن قطيب حسّابا بفتح
الحاء وشد السين قال ابن جني بنى فعالا من افعل كدراك من ادرك انتهى فمعناه
محسبا اي كافيا وقرا شريح بن يزيد الحمصي وابو البرهسم بكسر الحاء وشد السين وهو
مصدر مثل كذاب اقيم مقام الصفة اي عطاء محسبا اي كافيا وقرا ابن عباس
وسراج حسنا بالنون من الحسن وحكى عنه المهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون السين
والباء نحو قولك حسبك كذا اي كافيك وقرا عبد الله وابن ابي اسحاق
والاعمش وابن محيصن وابن عامر وعاصم رب الرحمن بالجر والاعرج وابو جعفر
وشيبة وابو عمرو والحرميان برفعهما والاخوان رب بالجر الرحمن بالرفع وهي
قراءة الحسن وابن وثاب والاعمش وابن محيصن بخلاف عنهما فالجر على البدل
من من ربك والرحمن صفة او بدل من رب او عطف بيان وهل يكون بدلا من ربك
والرحمن صفة او بدل فيه نظر لان البدل الظاهر انه لا يتكرر فيكون كالصفات
والرفع على اضمار هو رب او على الابتداء وخبره لا يملكون والرحمن صفة او هما
خبران على البدل ورفع الرحمن على اضمار هو او على الابتداء وخبره لا يملكون
والضمير في لا يملكون عايد على المشركين قاله عطا عن ابن عباس اي لا يخاطب
المشركون الله اما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم وقيل عايد
على المؤمنين اي لا يملكون ان يخاطبوه في امر من الامور لعلمهم ان ما يفعله
عدل منه وقيل عايد على اهل السموات والارض والضمير في منه عايد عليه
تعالى والمعنى انهم لا يملكون من الله ان يخاطبوه في شي من الثواب والعقاب
وخطابا عام لانه في سياق النفي وقال الزمخشري اي ليس في ايديهم
مما يخاطب به الله في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه
تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون والعامل في يوم اما لا يملكون
واما لا يتكلمون وقد تقدم الخلاف في الروح اهو جبريل ام ملك اكبر الملايكة
خلقة او خلق على صورة بني ادم او خلق حفظة على الملايكة او ارواح بني ادم او القران
وقيامه مجاز يعني به ظهور اثاره الكاينة عن تصديقه او تكذيبه والظاهر عود
الضمير في لا يتكلمون على الروح والملايكة وقال ابن عباس عايد على الناس فلا يتكلم
الا باذن منه تعالى ونطق بالصواب وقال عكرمة الصواب لا اله الا الله اي قالها
في الدنيا وقال الزمخشري هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في
الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون
الا لمن ارتضى انتهى ذلك اليوم الحق اي كيانه ووجوده فمن شاء وعيد وتهديد
والخطاب في انذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم واندرج فيه من ياتي بعدهم
عذابا سوء عذاب الاخرة قريبا لتحقق وقوعه وكل ات قريب يوم ينظر المرء عام
في المؤمن والكافر ما قدمت يداه من خير او شر لقيام الحجة له وعليه وقال
الزمخشري وقاله قبله عطاء المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه

من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وقال ابن عباس
وقتادة والحسن المرء هنا المؤمن كانه نظر الى مقابله في قوله ويقول الكافر
وقرا الجمهور المرء بفتح الميم وابن ابي اسحاق بضمها وضعفها ابو حاتم ولا ينبغي
ان تضعف لانها لغة يتبعون حركة الميم بحركة الهمزة فيقولون مرء ومرءا
ومرء على حسب الاعراب وما منصوبة بينظر ومعناه ينتظر ما قدمت يداه
فما موصولة ويجوز ان تكون ينظر من النظر وعلق عن الجملة فهي في موضع نصب
على تقدير اسقاط الخافض وما استفهامية منصوبة بقدمت وتمنيه ذلك
اي ترابا في الدنيا ولم يخلق او في ذلك اليوم وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر
ان الله تعالى يحضر البهايم يوم القيمة فيقتص من بعضها لبعض ثم يقول لها
بعد ذلك كوني ترابا فتعود جميعها ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى مثله وقيل
الكافر هنا ابليس اذا راى ما حصل للمؤمنين من الثواب قال يا ليتني كنت ترابا
كادم الذي خلق من تراب واحتقره اولا وقيل كنت ترابا اي متواضعا لطاعة
الله لا جبارا ولا متكبرا ● أغرق في الشي بالغ فيه وانهاه واغرق النازع
في القوس بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل والاستغراق الاستيعاب والغرقى
قشرة البيضة نشط البعير والانسان ربطه وانشطه حله ومنه كانما
انشط من عقال ونشط ذهب من قطر الى قطر ولذلك قيل لبقر الوحش
النواشط لانهن يذهبن بسرعة من مكان الى مكان ومنه قول
الشاعر وهو هميان بن قحافة ●

اري همومي تنشط المناشطا ● الشام بي طورا وطورا واسطا ●

وكانت هذه اللفظة ماخوذة من النشاط وقال ابو زيد نشطت الحبل انشطه
نشطا عقدته انشوطة وانشطته حللته وانشطت الحبل مددته وقال
الليث انشطته بانشوطة اي وثقته وانشطت العقال مددت انشوطته
فانحلت ويقال نشط بمعنى انشط والانشوطة عقدة ينشتها انحلالها
اذا جذبت كعقدة التكة وجف القلب وجيفا اضطرب من شدة الفزع وكذلك
وجب وجيبا وفي كتاب لغات القران المروي عن ابن عباس واجفة
خايفة بلغة همدان الحافرة يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه
التي جاء منها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا وتوقعها
العرب على اول الامر يرجع اليه من اخره ومنه قول الشاعر ●

احافرة على صلع وشيب ● معاذ الله من سفه وعار ●

اي ارجع الى الصبا بعد الصلع والشيب الناخرة المصوتة بالريح المجوفة والنخرة
بمعناها كالطامع وطمع وحاذر وحذر قاله الفراء وابو عبيد وابو حاتم وجماعة
وقيل النخرة البالية المتعفنة الصايرة رميما نخر العود والعظم بلي وتفتت
فمعناه مغاير للناخرة وهو قول الاكثرين وقال ابو عمرو بن العلاء الناخرة
التي لم تنخر بعد والنخرة التي قد بليت ●
وقال الراجز لفرسه يوم ذي قار ●

المفردات

اذ من نجاح اتها الاساورة ولا يهولنك رجل نادرة

فانما قصرك ترب الساهرة ثم تعود بعدها في الحافرة

من بعد ما كنت عظاما ناخرة

وقال الشاعر

واخليتها من مخها فكانها قوارير في اجوافها الريح تنخر

ويروي تصفر ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته الساهرة وجه الارض والفلاة

وصفت بما يقع فيها وهو السهر للخوف

وقال امية بن ابي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به ابدا مقيم

وقال ابو كبير الهذلي

يرتدن ساهرة كان جميمها وعميمها اسداف ليل مظلم

والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وقال امية ابن ابي الصلت قمر وساهور يسل ويغمد

وقال اخر في وصف امراة او شقة اخرجت من بطن ساهور

يريد شقة القمر وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب تجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نايمة وقال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما

سمكت الشيء رفعته في الهواء وسمك سموكا ارتفع وقيل كل بني حمل شيئا من لبنا وغيره فهو سمك وبناء مسموك وسنام سامك سامك اي عال ويقال اسمك في الدرجة اي اصعد غطش اظلم وهو لازم غطش الليل ومتعد بالهمزة اي اغطشه الله

وقال الاعشى

عقرت لهم ناقتي موهنا فليلهم مذ لهم غطش

وغطش فهو ليل اغطش وليلة غطشاء وفي كتاب اللغات في القران واغطش بلغة انمار واشعار دحا يدحو دحوا ودحي يدحي دحيا بسط ويقال لعش النعامة ادحي وادحو لانه مبسوط على وجه الارض

وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم قطانها حتى التنادي

وقيل دحاها سواها قال زيد بن عمرو

واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها بايد وارسي عليها الجبالا

الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جري الوادي فطم على القري ويقال طم السيل الركية اذا دفنها والطم الدفن والعلو

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون اينا لمردودون في الحافرة ايذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى

هذه السورة مكية ولما ذكر في اخر ما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيمة اقسم في هذه على البعث يوم القيمة ولما كانت الموصوفات المقسم بها محذوفات واقيمت صفاتها مقامها وكان لهذه الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها فقال عبد الله وابن عباس النازعات الملائكة تنزع نفوس بني ادم وغرقا اغراقا وهو المبالغة في الفعل او غرقا في جهنم يعني نفوس الكفار قاله علي وابن عباس وقال الحسن وقتادة وابو عبيدة وابن كيسان والاخفش هي النجوم تنزع من افق الى افق وقال السدي وجماعة النفوس تنزع بالموت الى ربها وغرقا اغراقا في الصدر وقال السدي ايضا النفوس تحن الى اوطانها وتنزع الى مذاهبها ولها نزع عند الموت وقال عطا وعكرمة القسي انفسها تنزع بالسهام وقال عطاء ايضا الجماعات النازعات بالقسي وغيرها اغراقا وقال مجاهد المنايا تنزع النفوس وقيل النازعات الوحش تنزع الى الكلاء حكاه يحيى بن سلام وقيل خيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب قاله في الكشاف والناشطات قال ابن عباس ومجاهد الملائكة تنشط النفوس عند الموت اي تحلها وتنشط بامر الله الى حيث كان وقال ابن عباس ايضا وقتادة والحسن والاخفش النجوم تنشط من افق الى افق تذهب وتسير بسرعة وقال مجاهد ايضا المنايا وقال عطا البقر الوحشية وما جرى مجراها من الحيوان الذي ينشط من قطر الى قطر وقال ابن عباس ايضا النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج وقيل التي تنشط للازهاق والسابحات قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف في الافاق بامر الله تجيء وتذهب وقال قتادة والحسن النجوم تسبح في الفلك وقال ابو روق الشمس والقمر والليل والنهار وقال عطا وجماعة الخيل يقال للفرس سابح وقيل السحاب لانها كالعايمة في الهواء وقيل الحيتان دواب البحر فما دونها وذلك من عظم المخلوقات فيروى انه تعالى بث في الدنيا نوعا من الحيوان منها اربع مائة في البر وست مائة في البحر وقال عطاء ايضا السفن وقال مجاهد ايضا المنايا تسبح في نفوس الحيوان فالسابقات قال مجاهد الملائكة سبقت الملائكة بني ادم بالخير والعمل الصالح وقاله ابو روق وقال ابن مسعود انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد

غاية السرور شوقا إلى لقاء الله وقال عطاء الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق
الآمال فالمدبرات قال ابن عطية لا أحفظ خلافا أنها الملائكة ومعناها أنها التي
تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيه كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات
انتهى وقيل الملائكة الموكلون بالأحوال جبريل للوحي وميكائيل للمطر وإسرافيل
للنفخ في الصور وعزرائيل لقبض الأرواح وقيل تدبيرها نزولها بالحلال والحرام
وقال معاذ هي الكواكب السبعة وإضافة التدبير إليها مجاز أي تظهر بتقلب
الأحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك ولفق الزمخشري من هذه الأقوال
أقوالا اختارها وأدارها أولا على ثلاثة الخيل والملائكة والنجوم ورتب
جميع الأوصاف على كل واحد من الثلاثة فقال أقسم سبحانه بطوائف الملائكة
التي تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو
من البئر إذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به
فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم غرقا إغراقا في النزع
أي تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها
إلى آخر ما نقلناه عنه ثم قال من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جريها
فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه أو أقسم
بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط
من أقصى المغرب والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق
فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق
السهام والتي تنشط الأوهاق انتهى والذي يظهر أن ما عطف بالفاء هو من وصف
المقسم به قبل الفاء وأن المعطوف بالواو هو مغاير لما قبله كما قررناه في والمرسلات
على أنه يحتمل أن يكون المعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والمختار في جواب
القسم أن يكون محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفراء وقال
محمد بن علي الترمذي الجواب إن في ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى فيما اقتصصت
من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون قال ابن الأنباري وهذا قبيح لأن الكلام
قد طال وقيل اللام التي تلقى في القسم محذوفة من قوله يوم ترجف الراجفة
أي ليوم كذا تتبعها الرادفة فالمقسم عليه هو تتبعها الرادفة ولم تدخل نون التوكيد
لأنه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وقال أبو حاتم هو على التقديم والتأخير
كأنه قال فإذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الأنباري خطأ لأن الفاء
لا يفتتح بها الكلام وقيل التقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات
على التقديم والتأخير أيضا وليس بشيء وقيل الجواب هل أتاك حديث موسى
لأنه في تقدير قد أتاك وليس بشيء وهذا كله إعراب من لم يحكم العربية وحذف
الجواب هو الوجه ويقرب القول بحذف اللام من يوم ترجف قال ابن عباس
والحسن وقتادة ومجاهد هما الصيحتان أي النفختان الأولى تميت كل شيء
وفي الثانية يحيى وقال مجاهد أيضا الراجفة الزلزلة والرادفة الصيحة
وقال ابن زيد الأرض والرادفة الساعة والعامل في يوم اذكر مضمرة أو لتبعثن

المحذوف

المحذوف واليوم متسع تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك اليوم المتسع
وتتبعها حال قيل أو مستأنف وواجفة مضطربة ووجيف القلب يكون من الفزع
ويكون من الإشفاق ومنه قول قيس بن الخطيم ٥

إن بني جحجبى وأسرتهم ۝ أكبادنا من ورائهم تجف ٥

قلوب مبتدأ وواجفة صفته والخبر يومئذ أبصارها أي أبصار أصحاب القلوب
خاشعة مبتدأ وخبر في موضع خبر قلوب وقال ابن عطية رفع قلوب بالابتداء وجاز
ذلك وهي نكرة لأنها تخصصت بقوله يومئذ ولا تتخصص الأجرام بظروف الزمان
وإنما تخصصت بقوله واجفة يقولون حكاية حالهم في الدنيا والمعنى هم الذين
يقولون والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على النسب أي
ذات حفر والمراد القبور أي لمردودون أحياء في قبورنا وقال زيد بن أسلم الحافرة
النار وقيل جمع حافر بمعنى القدم أي أحياء نمشي على أقدامنا ونطأ بها الأرض وقال
ابن عباس الحافرة الحياة الثانية أي أول الأمر ويقول التجار النقد في الحافرة أي في ابتداء
السوم وقال الشاعر ٥

آليت لا أنساكم فاعلموا ۝ حتى يرد الناس في الحافرة ٥

وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة في الحفرة بغير ألف والجمهور بالألف فقيل هما
بمعنى واحد وقيل الأرض المنتنة المتغيرة بأجساد موتاها من قولهم حفرت أسنانه
إذا تآكلت وتغيرت وقرأ عمر وأبي وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق
ومجاهد والأخوان وأبو بكر ناخرة بالألف وأبو رجاء والحسن والأعرج وأبو جعفر
وشيبة والسلمي وابن جبير والنخعي وقتادة وابن وثاب وأيوب وابن مكة وشبل
وباقي السبعة بغير ألف قالوا تلك أي الردة إلى الحافرة إذا أي إن رددنا كرة خاسرة
أي قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث أي لو كان هذا حقا لكانت ردتنا خاسرة إذ هي
إلى النار وقال الحسن خاسرة كاذبة أي ليست بكائنة وهذا القول منهم استهزاء
وروي أن بعض صناديد قريش قال ذلك فإنما هي زجرة واحدة لما تقدم يقولون
أئنا لمردودون تضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستصعاب أمرها فجاء قوله
فإنما مراعاة لما دل عليه استبعادهم فكأنه قيل ليس بصعب ما يقولون فإنما هي نفخة
واحدة فإذا هم منشورون أحياء على وجه الأرض قال ابن عباس الساهرة أرض
من فضة يخلقها الله تعالى وقال وهب بن منبه جبل بالشام يمده الله
يوم القيامة لحشر الناس وقال أبو العالية وسفيان أرض قريبة من بيت
المقدس وقال ابن عباس أرض مكة وقال قتادة جهنم لأنه لا نوم لمن فيها
ورأى أن الضمائر قبلها إنما هي للكفار ففسرها بجهنم وقيل الأرض السابعة يأتي
بها الله يحاسب عليها الخلائق ولما أنكروا البعث وتمردوا شق ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقص عليه تعالى قصة موسى وتمرد فرعون على الله حتى ادعى الربوبية
وما آل إليه حال موسى من النجاة وحال فرعون إلى الهلاك فكان ذلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشيرا بهلاك من يكذبه ونجاة مؤمن إذا هم
فقال هل أتاك توقيفا له على جمع النفس لما يلقيه إليه وتقدم الكلام في

الوادي المقدس والخلاف في القراءات في طوى اذهب الى فرعون تفسير للنداء او على
اضمار القول فقل هل لك الى ان تزكى لطف في الاستدعاء لان كل عاقل يجيب مثل
هذا السؤال بنعم وتزكى تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل والزكوة هنا يندرج
فيها الاسلام وتوحيد الله تعالى وقرا الحرميان وابو عمرو بخلاف تزكى وتصدى بشد
الزاي والصاد وباقي السبعة بخفها وتقول العرب هل لك في كذا وهل لك الى كذا
فيحذفون القيد الذي تتعلق به الى اي هل لك رغبة او حاجة الى كذا او سبيل
الى كذا وقال الشاعر

٥ فهل لكم فيها الي فانني بصير بما اعيى النطاسي حذيما ٥

واهديك الى ربك فتخشى هذا تفسير للتزكية وهي الهداية الى توحيد الله ومعرفته
فتخشى اي تخافه لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة انما يخشى الله من عباده العلماء
وذكر الخشية لانها ملاك الامر وفي الكلام حذف اي فذهب وقال له ما امره
به ربه واتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فاراه الآية الكبرى وهي العصا
واليد جعلهما واحدة لان اليد كانها من جملة العصا لكونها تابعة لها او العصا
وحدها لانها كانت المقدمة والاصل واليد تبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له
ادخل يدك في جيبك فكذب اي موسى وما اتى به من المعجز وجعل ذلك من باب السحر
وعصى الله تعالى بعدما علم صحة ما اتى به موسى وانما اوهم انه سحر ثم ادبر يسعى قيل
ادبر حقيقة اي قام من مكانه فارا بنفسه وقال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان
يسعى يجتهد في مكايدة موسى فحشر اي جمع السحرة وارباب دولته فنادى اي قام فيهم
خطيبا او نادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه فقال انا ربكم الاعلى قال ابن عطية
نهاية في المخرقة ونحوها باق في ملوك مصر واتباعهم انتهى انما قال ذلك ابن عطية
لان ملك مصر في زمانه كان اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون فيه الالهية ملوكهم
وكان اول من ملكها منهم المعز بن المنصور القائم بن المهدي عبيد الله وآخرهم العاضد
وطهر الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
ابن شاذي رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا ٥ فاخذه الله نكال الآخرة والاولى
قال ابن عباس الآخرة قوله ما علمت لكم من اله غيري والاولى قوله انا ربكم
الاعلى وقيل العكس وكان بين قولتيه اربعون سنة وقال الحسن وابن زيد
نكال الآخرة بالحرق والاولى يعني الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب آخر
حياته واولاها وقال ابو رزين الاولى كفره وعصيانه والآخرة قوله انا ربكم
الاعلى وقال مجاهد عبارة عن اول معاصيه وآخرها اي نكل بالجميع وانتصب
نكال على المصدر والعامل فيه فاخذه لانه في معناه وعلى راي المبرد باضمار فعل
من لفظه اي نكل نكال والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وقال
الزمخشري هو مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال
الآخرة والاولى انتهى والمصدر الموكد لمضمون الجملة السابقة يقدر له عامل
من معنى الجملة ان في ذلك اي فيما جرى لفرعون واخذه تلك الاخذة لعبرة لعظة
لمن يخشى اي لمن يخاف عقوبة الله يوم القيامة وفي الدنيا ٥ أأنتم اشد خلقا

قوله عز وجل أأنتم اشد خلقا

امر السما

ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها
اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت
الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى
وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من
ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها ٥ الخطاب الظاهر انه عام والمقصود الكفار منكروا البعث وقفهم
على قدرة الله تعالى اشد خلقا اي اصعب انشاء ام السماء فالمسؤول عنه هذا يجيب
ولا بد السماء لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تاثرها ثم بين تعالى كيفية خلقها
رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام والسمك
الارتفاع الذي بين سطح السماء الذي يلينا وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها فسواها اي
جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض او تممها واتقن انشاءها بحيث انها محكمة
الصنعة واغطش اي اظلم ليلها واخرج ابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها وقوله
وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس واضيف الليل والضحى الى السماء لان الليل
ظلها والضحى هو نور سراجها والارض بعد ذلك اي بعد خلق السماء وما فعل فيها دحاها
اي بسطها لتخلق الارض ثم السماء ثم دحا الارض وقرا الجمهور والارض والجبال بنصبهما
والحسن وابو حيوة وعمرو بن عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال برفعهما وعيسى برفع الا
واضيف الماء والمرعى الى الارض لانهما يظهران منها والجمهور متاعا بالنصب اي
فعل ذلك تمتيعا لكم وابن ابي عبلة بالرفع اي ذلك متاع وقال الزمخشري فان قلت
فهلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحا
بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية
امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله
او جاؤكم حصرت صدورهم انتهى واضمار قد قول البصريين ومذهب الكوفيين
والاخفش ان الماضي يقع حالا ولا يحتاج الى اضمار قد وهو الصحيح ففي كلام العرب
وقع ذلك كثيرا انتهى ومرعاها مفعل من الرعي فيكون مكانا وزمانا ومصدرا
وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول كانه قيل ومرعيها اي النبات الذي يرعى وقدم
الماء على المرعى لانه سبب في وجود المرعى وشمل ومرعاها ما يتقوت به الآدمي
والحيوان غيره فهو في حق الآدمي استعارة ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء
والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء فاذا
جاءت الطامة قال ابن عباس والضحاك القيامة وقال ابن عباس ايضا
والحسن النفخة الثانية وقال القاسم وقت سوق اهل الجنة اليها واهل
النار اليها وهو معنى قول مجاهد يوم يتذكر الانسان ما سعى اي عمله الذي كان
سعى فيه في الدنيا وقرا الجمهور وبرزت مبنيا للمفعول مشددا الراء لمن يرى بياء
الغيبة اي لكل احد فيتذكر المؤمن نعمة الله وقيل لمن يرى هو الكافر وعائشة
وزيد بن علي وعكرمة ومالك بن دينار مبنيا للفاعل مخففا وتاء بجوز ان يكون

رض

ها

خطابا للرسول اي لمن يري من اهلها وان يكون اخبارا عن الجحيم فهي تا التانيث قال
تعالي اذا راتهم من مكان بعيد **وقرأ** ابو نهيك وابو السمال وهرون عن ابي عمرو برزت
مبنيا مخففا ويوم يتذكر بدل من فاذا وجواب اذا قال الزمخشري فان الامر
كذلك وقيل عاينوا وعلموا ويحتمل ان يكون التقدير انقسم الراؤن قسمين والاولي ان يكون
الجواب فاما وما بعده كما تقول اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاهنه واما الطايع
فاكرمه ٥ طغي تجاوز الحد في عصيانه وآثر الحيوة الدنيا علي الآخرة وهي مبتدا او فصل
والعايد علي من من الخبر محذوف علي راي البصريين اي الماوي له وحسن حذفه وقوع
الماوي فاصلة واما الكوفيون فمذهبهم ان ال عوض من الضمير وقال الزمخشري
والمعني فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام
بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوي وانه لا يغض الرجل طرف
غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوي والطرف للتعريف لانهما معروفان
انتهي وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد علي المبتداء اذ قد نفي مذهب الكوفيين
ولم يقدر ضميرا محذوفا كما قدره البصريون فرام حصول الرابط بلا رابط واما من خاف
مقام ربه اي مقاما بين يدي ربه يوم القيمة للجزاء وفي اضافة المقام الي الرب تفخيم
للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما قال ابن عباس خافه عند ما هم بالمعصية
فانتهي عنها ونهي النفس عن الهوي اي عن شهوات النفس واكثر استعمال الهوي فيما
ليس بمحمود قال سهل وبعض الصديقين وقال بعض الحكما اذا اردت الصواب
فانظر هواك فخالفه **وقال ابو عمران الميرتلي** ٥

فخالف هواها واعصها ان من يطع ... هوي نفسه ينزع به شر منزع ٥

ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع اي مصرع ٥

وقال الفضيل افضل الاعمال خلاف الهوي وهذا التفصيل هو عام في اهل النار واهل
الجنة وعن ابن عباس نزلت في ابي جهل ومصعب بن عمير العبدري وعنه ايضا فاما
من طغي فهو اخ لمصعب بن عمير اسر فلم يشدوا وثاقه واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا
حدثوا مصعبا فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا
ومالا فاوثقوه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقي رسول الله صلي الله عليه
وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتي نفذت المشاقص في جوفه وهي
السهام فلما راه رسول الله صلي الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك
وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب
قيل واسم اخيه عامر وفي الكشاف وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب
ابن عمير وقد قتل مصعب اخاه اباعزيز يوم احد ووقي رسول الله صلي الله عليه وسلم
بنفسه حتي نفذت المشاقص في جوفه انتهي يسالونك اي قريش وكانوا يلحون في
البحث عن وقت الساعة اذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك فنزلت هذه
الاية ايان مرساها متي اقامتها اي متي يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان
منتهاها ومستقرها كما ان مرسي السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت من ذكراها
قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يسال عن الساعة كثيرا

فلما نزلت هذه الاية انتهي والمعني في اي شيء انت من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذلك
في شيء انما انت منذر الي ربك منتهاها اي انتهاء علم وقتها لم يؤت علم ذلك احدا من خلقه وقيل
فيم انكار لسوالهم اي فيم هذا السوال ثم قال انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم
الانبيا واخر الرسل في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك
دليلا علي دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معني لسوالهم عنها انما انت
منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فايدة لهم في علمه
وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها انتهي وهذا
القول حكاه الزمخشري وزمكه بكثرة الفاظه وهو تفكيك للكلام وخروج عن
الظاهر المتبادر الي الفهم ولم يخله من دسيسة الاعتزال **وقرأ** الجمهور منذر من بالاضافة
وقرأ عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وشيبة وخالد الحذاء وابن هرمز وعيسي وطلحة
وابن محيصن وابو عمرو في رواية وابن مقسم منذر بالتنوين وقال الزمخشري **وقرئ**
منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس انتهي اما قوله
وهو الاصل يعني التنوين فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب
وفيما كتبناه في هذا ان الاصل الاضافة لان العمل انما هو بالشبه والاضافة
هي اصل في الاسما واما قوله فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة فهذا فيه تفصيل
وخلاف مذكور في علم النحو وخص من يخشاها لانه هو المنتفع بالانذار كانهم يوم يرونها
تقريب وتقرير لقصر مقامهم في الدنيا لم يلبثوا اي لم يقيموا في الدنيا الا عشية يوم او
بكرته واضاف الضحي الي العشية لكونهما طرفي النهار بدا بذكر احدهما فاضاف
الاخر اليه تجوزا واتساعا وحسن الاضافة كون الكلمة فاصلة **تصدي** تعرض
قال الراعي ٥

تصدي لوضاح كان جبينه ... سراج الدجي يحني اليه الاساور ٥

واصله تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد
داره اي قبالتها وقيل من الصدي وهو العطش وقيل من الصدي وهو الصوت
الذي تسمعه اذا تكلمت من بعد وخلاء كالجبل والمصاداة المعارضة **السفرة** الكتبة
الواحد سافر وسفرت المراة كشفت النقاب وسفرت بين القوم اسفر سفارة
اصلحت بينهم قال الفرا الواحد سفير والجمع سفراء **وقال الشاعر**

فما ادع السفارة بين قومي ... وما اسعي بغش ان مشيت ٥

القضب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة ويقال بالسين فاذا يبست
فهي القت قال والقضب اسم يقع علي ما يقطع من اغصان الشجرة ليتخذ منها
سهام او قسي **الغلب** جمع غلباء يقال حديقة غلباء غليظة الشجر ملتفة واغلو
لب العشب بلغ والتف بعضه ببعض ورجل اغلب غليظ الرقبة والاصل في هذا
الوصف استعماله في الرقاب ومنه قول عمرو بن معدي كرب ٥

يمشي بها غلب الرقاب كانهم ... بزل كسين من الكحيل جلالا ٥

الاب المرعي لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان ٥

قال الشاعر

جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع

وقيل ما يأكله الآدميون من النبات يسمى الحصيد وما يأكله غيرهم يسمى الأب ومنه قول بعض الصحابة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيدة والأبا

الصاخة قال الخليل صيحة تصخ الآذان صخا أي تصمها لشدة وقعتها وقيل مأخوذ من صخه بالحجر إذا صكه وقال الزمخشري أصاخ لحديثه مثل أصاخ له الغبرة الغبار القترة سواد كالدخان وقال أبو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة وقال الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة. هذه السورة مكية وسبب نزولها مجيء ابن أم مكتوم إليه عليه السلام وقد ذكر أهل الحديث وأهل التفسير قصته ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر إنما أنت منذر من يخشاها فذكر في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار وهم الذين كان الرسول يناجيهم في أمر الإسلام عتبة وربيعة وأبو جهل وأبي وأمية ويدعوهم إليه أن جاءه مفعول من أجله أي لأن جاءه ويتعلق بتولى على مختار البصريين في الإعمال وبعبس على مختار أهل الكوفة وقرأ الجمهور عبس مخففا أن بهمزة واحدة وزيد بن علي بشد الباء وهو والحسن وأبو عمران الجوني وعيسى آن بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققتين والهمزة في هاتين القراءتين للاستفهام وفيهما يقف على تولى والمعنى ألأن جاءه كان كذا وجاء بضمير الغائب في عبس وتولى إجلالا له عليه السلام ولطفا به أن يخاطبه لما في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى وجاء لفظ الأعمى إشعارا بما يناسب من الرفق به والصغو لما يقصده ولابن عطية هنا كلام ولأبي عبد الله الرازي كلام كثير رغبت عن ذكره يطالع في كتابيهما وكذا للزمخشري كلام أضربت عنه صفحا والضمير في لعله عائد على الأعمى أي يتطهر بما يتلقف من العلم أو يذكر أي يتعظ فتنفعه ذكراك أي

موعظتك والظاهر نصب يدريك على جملة الترجي فالمعنى لا يدري ما هو مترجى منه من تزكيه أو تذكره وقيل المعنى وما يطلعك على أمره وعقبى حاله ثم ابتدأ القول لعله يزكى أي تنمو بركته ويتطهر لله وقال الزمخشري وقيل الضمير في لعله للكافر يعني أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن انتهى وهذا قول تنزه عنه حملة القرآن عليه وقرأ الجمهور أو يذكر بشد الذال والكاف وأصله يتذكر فأدغم والأعرج وعاصم في رواية أو يذكر بسكون الذال وضم الكاف وقرأ الجمهور فتنفعه برفع العين عطفا على أو يذكر وعاصم في المشهور والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني بنصبها قال ابن عطية في جواب التمني لأن قوله أو يذكر في حكم قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا إنما هو ترج وفرق بين التمني والترجي وقال الزمخشري وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع إلى إله موسى انتهى والترجي عند البصريين لا جواب له فينصب بإضمار أن بعد الفاء وأما الكوفيون فيقولون ينصب في جواب الترجي وقد تقدم لنا الكلام على ذلك في قوله فأطلع إلى إله موسى في قراءة حفص ووجهنا مذهب البصريين في نصب المضارع أما من استغنى ظاهره من كان ذا ثروة وغنى وقال الكلبي عن الله وقيل عن الإيمان بالله قيل وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب النبوة ويدل على ذلك أنه لو كان من الثروة لكان المقابل وأما من جاءك فقيرا حقيرا وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السبعة تصدى بخف الصاد وأصله تتصدى فحذف والحرميان بشدها أدغم التاء في الصاد وأبو جعفر تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد أي يصديك حرصك على إسلامه يقال تصدى الرجل وصديته وهذا المستغني هو الوليد أو العباس وأمية أو عتبة وشيبة أو أمية أو جميع المذكورين في سبب النزول أقوال خمسة قال القرطبي وهذا كله غلط من المفسرين لأن أمية والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم بالمدينة ما حضر معهما وماتا كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد انتهى والغلط من القرطبي كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما وهو وهم كلهم من قريش وكان ابن أم مكتوم بها والسورة كلها مكية بالإجماع وكيف يقول وابن أم مكتوم بالمدينة كان أولا بمكة ثم هاجر إلى المدينة وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه السورة وابن أم مكتوم هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وأم مكتوم أم أبيه عاتكة وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وما عليك ألا يزكى تحقير لأمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به أي وأي شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر وأما من جاءك يسعى أي يمشي بسرعة في أمر دينه وهو يخشى أي يخاف الله أو يخاف الكفار وأذاهم أو يخاف العثار والسقوط لكونه أعمى وقد جاء بلا قائد يقوده تلهى تشتغل يقال لهي عن الشيء يلهى إذا اشتغل عنه قيل وليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو انتهى ويمكن أن يكون منه لأن ما بني على فعل من ذوات الواو تنقلب واوه ياء لكسرة ما قبلها نحو شقي يشقى فإن كان مصدره جاء بالياء فيكون من مادة غير مادة اللهو وقرأ الجمهور تلهى والبزي عن ابن كثير

عنه تلهى بادغام تاء المضارعة في تاء تفعل وابو جعفر بضمها مبنيا للمفعول اي يشغلك دعاء الكافر للاسلام وطلحة بتاءين وعنه بتاء واحدة وسكون اللام كلا انها اي سور القران او الايات تذكرة عظة ينتفع بها فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكر هذه الموعظة ذكره اي بالضمير مذكرا لان التذكرة بمعنى الذكر وهي جملة معترضة تتضمن الوعد والوعيد كقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا واعترضت بين تذكرة وبين صفته اي تذكرة كائنة في صحف قبل اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة وقيل صحف المسلمين فيكون اخبارا بمغيب اذ لم يكتب القران في صحف زمان كونه عليه السلام بمكة ينزل عليه القران مكرمة عند الله مرفوعة في السماء السابعة قاله يحيى بن سلام او مرفوعة عن الشبه والتناقض او مرفوعة المقدار مطهرة اي منزهة عن كل دنس قاله الحسن وقال ايضا مطهرة من ان تنزل على المشركين وقال الزمخشري منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرة سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح انتهى بايدي سفرة قال ابن عباس هم الملائكة لانهم كتبة وقال ايضا لانهم يسفرون بين الله وانبيائه وقال قتادة هم القراء وواحد السفرة سافر وقال وهب هم الصحابة لان بعضهم يسفر الى بعض في الخير والتعليم والتعلم قتل الانسان ما اكفره قيل نزلت في عتبة بن ابي لهب غاضب اباه فاسلم ثم استصلحه ابوه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى روي انه عليه السلام قال اللهم ابعث عليه كلبك حتى ياكله فلما انتهى الى الغاضرة ذكر الدعاء فجعل المربعة الف دينار ان اصبح حيا فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان ابوه يندبه ويبكي عليه وقال ما قال محمد شيئا قط الا كان والاية وان نزلت في مخصوص فالانسان يراد به الكافر وقيل دعاء عليه والقتل اعظم شدائد الدنيا ما اكفره الظاهر انه تعجب من افراط كفره والتعجب بالنسبة للمخلوقين اذ هو مستحيل في حق الله تعالى اي هو ممن يقال فيه ما اكفره وقيل ما استفهام توقيف اي اي شيء اكفره اي جعله كافرا بمعنى لا شيء يسوغ له ان يكفر من اي شيء خلقه استفهام على معنى التقرير على حقارة ما خلق منه ثم بين ذلك الشيء الذي خلق منه فقال من نطفة خلقه فقدره اي فهياه لما يصلح له وقال ابن عباس اي في بطن امه وعنه قدر اعضاءه وحسنا وذميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره اي ثم يسر السبيل اي سهل قال ابن عباس وقتادة وابو صالح والسدي سبيل النظر القويم المؤدي الى الايمان وتيسيره له هو هبة العقل وقال مجاهد والحسن وعطاء وابن عباس في رواية ابي صالح عنه السبيل عام اسم للجنس في هدى وضلال اي يسر قوما لهذا لقوله انا هديناه السبيل الاية وقوله وهديناه النجدين وعن ابن عباس يسره للخروج من بطن امه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا صيانة لجسده ان تاكله الطير والسباع قبره دفنه واقبره صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا والقابر الدافن بيده **وقال الاعشى**

لو اسندت ميتا الى نحرها ◦ عاش ولم ينقل الى قابر ◦

ثم اذا شاء انشره اي اذا اراد انشاده انشره والمعنى اذا بلغ الوقت الذي قد شاءه الله

وهو يوم القيمة

وهو يوم القيمة وفي كتاب اللوامح شعيب بن الحجاب شاء نشره بغير همز قبل النون وهما لغتان في الاحياء وفي كتاب ابن عطية **وقرأ** شعيب بن ابي حمزة شاء نشره ◦ كلا ردع للانسان عما هو فيه من الكفر والطغيان لما يقض نفي من اول مدة تكليفه الى حين اقباره ما امره به الله تعالى فالضمير في يقض للانسان وقال ابن فورك لله تعالى اي لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له ولما عدد تعالى نعمه في نفس الانسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وامره بالنظر الى طعامه وكيفيات الاحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد ان يطعم والظاهر ان الطعام هو المطعوم وكيف يسر الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة من صب الماء وشق الارض والانبات وهذا قول الجمهور وقال ابي وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم الى طعامه اي اذا صار رجيعا ليتامل عاقبة الدنيا على اي شيء يتفانى اهلها **وقرأ** الجمهور انا بكسر الهمزة والاعرج وابن وثاب والاعمش والكوفيون ورويس انا بفتح الهمزة والحسين بن علي رضي الله عنهما اني بفتح الهمزة ممالا فالكسر على الاستئناف في ذكر تعداد الوصول الى الطعام والفتح قالوا على البدل ورده قوم لان الثاني ليس الاول وقيل وليس كما ردوا لان المعنى فلينظر الانسان الى انعامنا في طعامه فترتب البدل وصح انتهى كانهم جعلوه بدل كل من كل والذي يظهر انه من بدل الاشتمال وقراءة انى ممالا على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا واسند تعالى الصب والشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب وصب الماء هو المطر والظاهر ان الشق كناية عن شق الفلاح بما جرت العادة ان يشق به وقيل شق الارض هو بالنبات حبا يشمل ما يسمى حبا من حنطة وشعير وذرة وسلت وعدس وغير ذلك وقضبا قال الحسن العلف واهل مكة يسمون القت القضب وقيل الفصفصة وضعف لانه داخل في الاب وقيل كل ما يقضب ليا كله بنو ادم غضا من النبات كالبقول والهليون وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله غلبا قال ابن عباس غلاظا وعنه طوالا وعن قتادة وابن زيد كراما وفاكهة ما ياكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين وابا ما تاكله البهائم من العشب وقال الضحاك التين خاصة وقال الكلبي كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطبها والاب يابسها الصاخة اسم من اسماء القيمة يصم نبأها الاذان وتقول العرب صختهم الصاخة وباتتهم النابئة اي الداهية وقال الحافظ ابو بكر بن العربي الصاخة هي التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة **كقوله**

اصم بهم اياما فرقتهم ◦ فهل سمعتم بسر يورث الصمما ◦

وقول الاخر

اصم بك الناعي وان كان اسمعا ◦

ولعمر الله ان صيحة القيمة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة انتهى يوم يفر بدل من اذا وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل انسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وفراره من شدة الهول يوم القيمة كما جاء من قول الرسل نفسي نفسي وقيل خوف التبعات لان الملابسة تقتضي المطالبة يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت

[illegible]

والبنون لم تغلبنا ولم ترشدنا وقرأ الجمهور بفتحه أي عن التطلع بشأن الآخرة الاغتنام والزهري وابن محيصن وابن أبي عبلة وحميد وابن السميفع بضمه بفتح الياء والعين المهملة من قولهم عنا بي الامر فهو في مسفرة بيضاء مضيئة من أسفر الصبح أضاء ترهقها تغشاها قترة أي غبار والأولى ما يغشاه من العبوس عند الهم والثانية من غبار الأرض وقيل غبرة أي من تراب الأرض وقترة سواد كالدخان وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت إلى الأرض والقترة ما ارتفع إلى السماء وقرأ الجمهور قترة بفتح التاء وابن أبي عبلة بإسكانها انكدرت النجوم انتثرت وقال أبو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب إذا كرت

قال العجاج يصف صقرا

أبصر خربان فضاء فانكدر ... تقضي البازي إذا البازي كسر

العشار جمع عشراء وهي الناقة التي مر لحملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع في تمام السنة التعطيل الترك والإهمال الوحوش حيوان البر الذي ليس في طبعه التأنس ببني آدم الموؤدة البنت التي تدفن حية وأصله من الثقل كأنها تثقل بالتراب حتى تموت ومنه اشتد أي توقر وأثقل ولا تخف الكشط التقشير كشطت جلد الشاة سلخته عنها الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء تقول خنس بين القوم وانخنس الكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس إذا دخل الكناس وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء والخنس ناحرا لا نفع عن الشفة مع ارتفاع قليل من الأرنبة عسعس قال الفراء عسعس الليل وسعسع إذا لم يبق منه إلا القليل وقال الخليل عسعس الليل أقبل وأدبر وقال المبرد هو من الأضداد

وقال علقمة بن قرط

حتى إذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال رؤبة

يا هندما أسرع ما تسعسعا ... من بعد ما كان فتى ترعرعا

التنفس خروج النسيم من الجوف واستعير للصبح ومعناه امتداده حتى يصير نهارا واضحا الظنين المتهم فعيل بمعنى مفعول ظننت الرجل اتهمته والضنين البخيل

قال الشاعر

أجود بمكنون الحديث وإنني ... بسرك عمن سالني لضنين

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو

بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور تكوير الشمس قال ابن عباس إدخالها في العرش وقال مجاهد وقتادة والحسن ذهاب ضوئها وقال الربيع بن خثيم رمي بها ومنه كورته فتكور وقال أبو صالح نكست وعن ابن عباس أيضا أظلمت وعن مجاهد اضمحلت وقيل غورت وقيل يلف بعضها ببعض ويرمى بها في البحر وقال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة وقال القرطبي من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها وجمعها فهي تكور ثم يمحى ضوؤها ثم يرمى بها وقال الزمخشري فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انتهى ومن طريقته أنه يسمي المفعول الذي لم يسم فاعله فاعلا ولا مشاحة في الاصطلاح وليس ما ذكر من الإعراب مجمعا على تحتمه عند النحاة بل يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الأخفش والكوفيين لأنهم يجيزون أن تجيء الجملة الاسمية بعد إذا نحو إذا زيد يكرمك فأكرمه انكدرت عن ابن عباس تساقطت وعنه أيضا تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها من قولهم ما كدر أي متغير وتسيير الجبال أي عن وجه الأرض وسيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب وهذا قبل النفخ وذلك في أول يوم من القيامة والعشار أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها مسيبة مهملة أو عن الحلب لاشتغالهم بأنفسهم أو عن أن يحمل عليها الفحول وأطلق عليها عشارا باعتبار ما سبق لها ذلك قال القرطبي وهذا على وجه المثل لأنه في القيامة لا تكون عشراء فالمعنى أنه لو كانت عشار لعطلها أهلها واشتغلوا بأنفسهم وقيل إذا قاموا من القبور وشاهدوا الوحوش والدواب محشورة وعشارهم فيها التي كانت كرائم أموالهم لم يعبؤوا بها لشغلهم بأنفسهم وقيل العشار السحاب وتعطيلها عن الماء فلا تمطر والعرب تسمي السحاب بالحامل وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل العشار الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع وقرأ الجمهور عطلت بتشديد الطاء ومضر عن اليزيدي بتخفيفها وكذا في كتاب ابن خالويه وفي كتاب اللوامح عن ابن كثير قال في اللوامح فقيل هو وهم إنما هو عطلت بفتحتين بمعنى تعطلت لأن التشديد فيه التعدي يقال منه عطلت الشيء وأعطلته فتعطل بنفسه وعطلت المرأة فهي عاطل إذا لم يكن عليها الحلي فلعل هذه القراءة عن ابن كثير لغة استوى فيها فعلت وأفعلت والله أعلم انتهى وقال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ... إذا هي نصته ولا بمعطل

حشرت أي جمعت من كل ناحية فقال ابن عباس جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر في القيامة غير الثقلين وعنه وعن قتادة وجماعة يحشر كل شيء حتى الذباب وعنه تحشر الوحوش حتى يقتص من بعضها لبعض ثم يقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا

فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقال
اي في الدنيا او الا الهوال تعريفا للارض وتجتمع الى بني آدم تانسا بهم **وقرأ** الجمهور حشرت
بخف الشين والحسن وعمرو بن ميمون بشدها واذا البحار سجرت تقدم اقوال العلماء
في سجر البحر في قوله في الطور والبحر المسجور وفي كتاب لغات القرآن سجرت جمعت بلغة
خثعم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على
الارض من الهول فتكون اللفظة ماخوذة من ساجور الكلب **وقرأ** ابن كثير وابو عمرو
بخف الجيم وباقي السبعة بشدها قال ابن عطية وذهب قوم الى ان هذه الاشيا المذكورة
استعارات في حال ابن آدم واحوال له عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه
وهذا قول ذاهب الى اثبات الرموز في كتاب الله تعالى انتهى وهذا مذهب الباطنية
ومذهب من ينتمي الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد اشرنا اليهم في خطبة هذا الكتاب
وانما هولاء زنادقة تستروا بالانتماء الى ملة الاسلام وكتاب الله جاء بلسان
عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا ايماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة
ولا اهل الطبايع ولقد ضمن تفسيره ابو عبد الله الرازي المعروف بابن خطيب الري
اشيا مما قاله الحكما عندهم واصحاب النجوم واصحاب الهيئة وذكر ذلك كله بمعزل
من تفسير كتاب الله تعالى وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما يفسره من الايات
من كلام من ينتمي الى الصوف ويسميه الحقايق وفيه ما لا يحل كتابته فضلا عن ان يعتقد نسال
الله السلامة في اديانا وعقايدنا وما به قوام ديننا ودنيانا واذا النفوس
زوجت اي المومن مع المومن والكافر مع الكافر لقوله وكنتم ازواجا ثلثة قاله عمر
وابن عباس او لنفوس المومنين بازواجهم من الحور وغيرهن قاله مقاتل بن سليمان
او الارواح بالاجساد قاله عكرمة والضحاك والشعبي **وقرأ** عاصم في رواية زووجت
على فوعلت والمفاعلة تكون من اثنين والجمهور بواو مشددة وقال الزمخشري واد يئد
مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب
انتهى ولا يدعى في واد انه مقلوب من آد لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر
والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شي من مسوغات ادعاء
القلب والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد
له بالاصالة والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الآخر وهذا على ما قرروا
حكم علم التصريف فالاول كيئس وايس والثاني طامن واطمان والثالث شوايع
وكشواع والرابع كالعمري ورعملي **وقرأ** الجمهور الموءودة بهمزة بين الواوين اسم مفعول
وقرأ البزي في رواية المؤودة بهمزة مضمومة على الواو فاحتمل ان يكون
الاصل الموءودة كقراءة الجمهور ثم نقل حركة الهمزة الى الواو وبعد حذف الهمزة
ثم همز الواو المنقول اليها الحركة واحتمل ان يكون اسم مفعول من آد فالاصل ماؤودة
فحذف احد الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف واو المد او الواو التي هي عين كمقول
مقوول حيث قالوا مقول **وقرئ** الموودة بضم الواو الاولى وتسهيل الهمزة
اعني التسهيل بالحذف ونقل حركتها الى الواو **وقرأ** الاعمش الموودة بسكون الواو
على وزن الفعلة وكذا وقف لحمزة بن مجاهد وعلة ذلك وعلة

كتاب ح

ذلك

ذلك

وقرأ الجمهور سئلت مبنيا للمفعول باي ذنب قتلت لذلك وخف الياء وبتاء
التانيث فيهما وهذا السوال هو لتوبيخ الفاعلين للواد لان سوالها يوول الى سوال
الفاعلين وجاء قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت
لقيل قتلت **وقرأ** الحسن والاعرج سيلت بكسر السين وذلك على لغة من قال سال
بغير همز **وقرأ** ابو جعفر بشد الياء لان الموودة اسم جنس فناسب التكثير باعتبار
الاشخاص **وقرأ** ابن مسعود وعلي وابن عباس وجابر بن زيد وابو الضحى ومجاهد سالت
مبنيا للفاعل قتلت بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها حين سالت وعن
ابي وابن مسعود ايضا والربيع بن خثيم وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل باي ذنب
قتلت مبنيا للمفعول بتاء التانيث فيهما اخبارا عنها ولو حكي كلامها لكان
قتلت بضم التاء وكانت العرب اذا ولد لاحدهم بنت واستحياها البسها جبة
من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم واذا اراد قتلها تركها حتى اذا صارت سداسية
قالوا لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمايها وقد حفر حفرة او بيرا في الصحرا
فيذهب بها اليها ويقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي
بالارض وقيل كانت الحامل اذا قرب وضعها حفرت حفرة فتمخضت على راسها
فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته وقد افتخر الفرزدق
وهو ابو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية لجده صعصعة اذ كان منع واد البنات
فقال ومنا الذي منع الوايدات فاحيا الوييد فلم يوءد
وفي الكامل لابي العباس المبرد

والصحف منشورة صحف الاعمال كانت مطوية على الاعمال فنشرت يوم القيامة
ليقرا كل انسان كتابه وقيل الصحف التي تتطاير بالايمان والشمايل بالجزاء وهي صحف
غير صحف الاعمال **وقرأ** ابو رجاء وقتادة والحسن والاعرج وشيبة وابو جعفر
ونافع وابن عامر وعاصم نشرت بخف الشين وباقي السبعة بشدها وكشطت السما
طيها كطي السجل وقيل ازيلت كما يكشط الجلد عن الذبيحة **وقرأ** عبد الله قشطت
بالقاف وكثيرا ما يتعاقبان كقولهم عربي قح وكح وتقدمت قراءته فافورا
اي كافورا **وقرأ** نافع وابن عامر وحفص سعرت بشد العين وباقي السبعة بخفها
وهي قراءة علي قال قتادة سعرها غضب الله تعالى وذنوب بني آدم وجواب
اذا وما عطف عليه علمت نفس ما احضرت ونفس نكرة تعم في الاثبات من حيث
المعنى ما احضرت من خير تدخل به الجنة او من شر تدخل به النار وقال ابن عطية
ووقع الافراد لينبه الذهن على حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه
انتهى وقريت هذه السورة عند عبد الله فلما بلغ القاري علمت نفس ما احضرت
قال عبد الله وا انقطاع ظهراه بالحشر قال الجمهور الدراري السبعة الشمس

[هامش: فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس قاله الزمخشري]

والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وقال علي الخمسة دون الشمس
والقمر يجري الخمسة مع الشمس والقمر ويرجع حتى يخفى مع ضوء الشمس قاله الزمخشري
وقال ابن عطية تخنس في جريها التي تتعهد فيما ترى العين وهي جوار في السما وهي
تكنس في ابراجها اي تستتر وقال علي ايضا والحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها
تخنس وتكنس بالنهار حين تختفي وقال الزمخشري اي تخنس بالنهار فتغيب
عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها انتهى وقال
عبد الله والنخعي وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش
لانها تفعل هذه الافعال في كناسها وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك
هي الظباء والخنس من صفة الانوف لانها يلزمها الخنس وكذا بقر الوحش عسعس
بلغة قريش وقال الحسن اقبل ظلامه ورجحه مقابلته بقوله والصبح
اذا تنفس فهما حالتان وقال المبرد اقسم باقباله وادباره وتنفسه كونه
يجي معه روح ونسيم فكانه تنفس له على المجاز انه اي هذا المقسم عليه اي ان القرآن
لقول رسول كريم الجمهور على انه جبريل عليه السلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
وكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها واثبات صفات المدح اللايقة به ذي قوة
لقوله شديد القوى عند ذي العرش اي كاين عند ذي العرش الكينونة اللايقة
من شرف المنزلة وعظيم المكانة وقيل عند ذي العرش متعلق بمكين مطاع ثم
اشارة الى عند ذي العرش اي انه مطاع في ملايكة الله المقربين يصدرون عن امره
وقرا ابو جعفر وابو حيوة وابو البرهسم وابن مقسم ثم بضم الثاء حرف عطف والجمهور
ثم بفتحها ظرف مكان للبعيد وقال الزمخشري وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا
لانها افضل صفاته المعدودة انتهى وقال صاحب اللوامح بمعنى مطاع وامين
وانما صارت ثم بمعنى الواو وبعدان مواضعها للمهلة والتراخي عطفا وذلك
لان جبريل عليه السلام كان بالصفتين معا في حالة واحدة فلو ذهب ذاهب الى
الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى مطاع في الملا الاعلى ثم امين عند انفصاله
عنهم حال الوحيه على الانبيا لجاز ان لو ورد به اثر انتهى امين مقبول القول يصدق
فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من وحي وامتثال الامر وما صاحبكم بمجنون نفي عنه
ما كانوا ينسبون اليه ويبهتونه به من الجنون ولقد راه اي راى الرسول جبريل
وهذه الروية بعد امر غار حرا حين راه على كرسي بين السما والارض في صورته
له ست ماية جناح وقيل هي الروية التي راه فيها عند سدرة المنتهى وسمي ذلك
الموضع افقا مجازا وقد كانت له عليه السلام روية ثانية بالمدينة وليست
هذه ووصف الافق بالمبين لانه روي انه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس
قاله قتادة وسفيان وايضا فكل افق في غاية البيان وقيل في افق السماء
الغربي حكاه ابن شجرة وقال مجاهد راه نحو اجياد وهو مشرق مكة وقرا
عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعايشة وعمر بن عبد العزيز
وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان
وابن كثير بظنين بالظا اي بمتهم وهذا نظير الوصف السابق بامين ۝ وقيل

معناه بضعيف القوة على التبليغ من قولهم بير ظنون اذا كانت قليلة الما وكذا
هو بالظا في مصحف عبد الله وقرا عثمان وابن عباس ايضا والحسن وابو رجاء والاعرج
وابو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة بالضاد اي ببخيل يشح به ولا
يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حين يعطي حلوانه قال الطبري وبالضاد
خطوط المصاحف كلها وما هو بقول شيطان رجيم اي الذي يترآى لهم انما هو مثلت
لامثال الذي يترآى للكهنات فاين تذهبون استضلال لهم حيث نسبوه مرة
الى الجنون ومرة الى الكهانة ومرة الى غير ذلك مما هو بري منه قال الزمخشري
كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في ثنيات الطريق اين تذهب مثلت
حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل انتهى ذكر تذكرة وعظة
بدل لمن شا بدل من العالمين ثم عذق مشية العبد بمشية الله قال ابن عطية
ثم خصص تعالى من شا الاستقامة بالذكر تشريفا وتنبيها وذكرا لتكسبهم افعال
الاستقامة ثم بين تعالى ان تكسب العبد على العموم في استقامة وغيرها انما يكون
مع خلق الله تعالى واختراعه الايمان في صدر المرء انتهى وقال الزمخشري وانما
ابدلوا منهم لان الذين شاوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون
بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاون الاستقامة
يا من يشاوها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاونها انتم يا من لا يشاوها الا
بقسر الله والجائه انتهى فسر كلا من ابن عطية والزمخشري المشية على مذهبه
وقال الحسن ما شات العرب الاسلام حتى شاه الله لها بعثرت المتاع قلبته
ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته هدمته وجعلت اعلاه اسفله ۝

۝ سورة الانفطار ۝

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا
البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شا ركبك
كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغايبين
وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس
شيا والامر يومئذ لله ۝ هذه السورة مكية وانفطارها تشققها وانتثار
الكواكب سقوطها من مواضعها كالنظام وقرا الجمهور فجرت بتشديد الجيم ومجاهد
والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري بخفها وتفجيرها من امتلائها فتنفجر من اعلاها
وتفيض على ما يليها او من اسفلها فيذهب الله ماها حيث اراد وعن مجاهد
فجرت مبنيا للفاعل مخففا بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان
لان البغي والفجور متقابلان بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدي
اثيرت لبعث الاموات وقال الفرا اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة
وقال الزمخشري بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث
مع را مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراة المبعثرة لانها

بعورات اسرار المنافقين انتهى فظاهر قوله انهما مركبان انهما ادتهما ما ذكروا ان الراء
ضمت الى هذه المادة والامر ليس كما يقتضيه كلامه لان الراء ليست من حروف
الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا من حيث المعنى اما ان احداهما مركبة
من كذا فلا ونظير ذلك قولهم دمث ودمثر وسبط وسبطر ما قدمت واخرت تقدم الكلام
على شبهه في سورة القيمة وقرأ الجمهور ما غرك فما استفهامية وقرأ ابن جبير والاعمش
ما اغرك بهمزة فاحتمل ان يكون تعجبا واحتمل ان تكون ما استفهامية واغرك
بمعنى ادخلك في الغرة وقال الزمخشري من قولك غر الرجل فهو غار اذا
غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا انتهى وروي
انه عليه السلام قرأ ما غرك بربك الكريم فقال الجهل وقاله عمر وقرأ انه كان
ظلوما جهولا وهذا يترتب في الكافر والعاصي وقال قتادة عدوه المسلط عليه
وقيل ستر الله عليه وقيل كرم الله ولطفه الكريم يلقن هذا الجواب فهذا لطف
بالعاصي المؤمن وقيل عفوه عنه ان لم يعاقبه اول مرة وقال الفضيل ستره المرخى
وقال ابن السماك

يا كاتم الذنب اما تستحي ۞ والله في الخلوة رائيكا
غرك من ربك امهاله ۞ وستره طول مساويكا

وقال الزمخشري في جواب الفضيل وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار
بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم
انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول
غرني كرم الكريم انتهى على عادته في الطعن على اهل السنة فسواك فعدلك
سويا في اعضائك فعدلك صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وطلحة والاعمش وعيسى وابو جعفر والكوفيون
بخف الدال وباقي السبعة بشدها وقراءة التخفيف اما ان تكون كقراءة التشديد
اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت واما ان تكون معناه
فصرفك يقال عدله عن الطريق اي عدلك عن خلقة غيرك الى خلقة حسنة
مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات والظاهر ان
قوله في اي صورة يتعلق بركبك اي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن
وطول وذكورة وشبه ببعض الاقارب او مقابل ذلك وما زائدة وشاء في موضع الصفة
لصورة ولم يعطف ركبك بالفاء كالذي قبله لانه بيان لقوله فعدلك وكون
في اي صورة متعلقا بركبك هو قول الجمهور وقيل يتعلق بمحذوف اي ركبك
حاصلا في بعض الصور وقال بعض المتأولين انه يتعلق بقوله فعدلك
اي فعدلك في صورة اي صورة واي تقتضي التعجيب والتعظيم فلم يجعلك
في صورة خنزير او حمار وعلى هذا يكون ما منصوبة بشاء كانه قال اي تركيب
حسن شاء ركبك والتركيب التأليف وجمع شيء الى شيء وادغم خارجة عن
نافع ركبك كلا كابي عمرو في ادغامه الكبير وكلا ردع وزجر لما دل عليه ما قبله
من اغترارهم بالله او لما دل عليه ما بعد كلا من تكذيبهم بيوم الجزاء والدين الجزاء

شأن اعضائك

او شريعة

او شريعة الاسلام وقرأ الجمهور بل تكذبون بالتاء خطابا للكفار والحسن وابو جعفر
وشيبة وابو بشر بالياء الغيبة وان عليكم لحافظين استئناف اخبار اي عليهم من يحفظ
اعمالهم ويضبطها ويظهر انها جملة حالية والواو واو الحال اي تكذبون بيوم الجزاء
والكاتبون الحفظة يضبطون اعمالكم لان تجازوا عليها وفي تعظيم الكتبة
بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وقرأ الجمهور يصلونها مضارع صلى مخففا وابن مقسم
مشددا مبنيا للمفعول يعلمون ما تفعلون فيكتبون ما تعلق به الجزاء قال
الحسن يعلمون ما ظهر دون حديث النفس وقال سفيان اذا هم العبد بالحسنة
او السيئة وجد الكاتبان ريحها وقال الحسين بن الفضل حيث قال يعلمون
ولم يقل يكتبون دل على انه لا يكتب الجميع فيخرج عنه السهو والخطأ وما لا تبعة
فيه وما هم عنها بغائبين اي عن الجحيم اي لا يمكنهم الغيبة كقوله وما هم بخارجين
من النار وقيل انهم مشاهدوها في البرزخ لما اخبر عن صليهم يوم القيمة اخبر بانتفاء
غيبتهم عنها قبل الصلي اي يرون مقاعدهم من النار وما ادراك تعظيم لهول ذلك
اليوم وقرأ ابن ابي اسحاق وعيسى وابن جندب وابن كثير وابو عمرو يوم لا تملك
برفع الميم اي هو يوم واجاز الزمخشري فيه ان يكون بدلا مما قبله وقرأ محبوب
عن ابي عمرو يوم لا تملك على التنكير منونا مرفوعا فكه عن الاضافة وارتفاعه
على هو يوم ولا تملك جملة في موضع الصفة والعائد محذوف اي لا تملك فيه
وقرأ زيد بن علي والحسن وابو جعفر وشيبة والاعرج وباقي السبعة يوم بالفتح
على الظرف فعند البصريين هي حركة اعراب وعند الكوفيين يجوز ان تكون
حركة بناء وهو على التقديرين في موضع رفع خبر المحذوف تقديره الجزاء يوم لا تملك
او في موضع نصب على الظرف اي يدانون يوم لا تملك او على انه مفعول به اي
اذكر يوم لا تملك ويجوز على راي من يجيز بناءه ان يكون في موضع رفع خبرا لمبتدا
محذوف تقديره هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا عام كقوله فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا وقال مقاتل لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ
لله قال قتادة وكذلك هو اليوم لكنه هنالك لا يدعي احد منازعته
ولا يمكن هو احدا مما كان ملكه في الدنيا التطفيف التنقيص واصله
من الطفيف وهو النزر الحقير والمطفف الاخذ في وزن او كيل طفيفا اي
شيئا حقيرا خفيا ران غطى وغشي كالصدأ يغشى السيف
قال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر ۞ فتاب من الذنب الذي ران فانجلى

واصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها وران الغشي
على عقل المريض قال ابو زبيد

ثم لما رآه رانت به الخمر ۞ وان لا يرينه باتقاء

وقال ابو زيد يقال رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه
الخروج الرحيق قال الخليل اجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الشراب
الذي لا غش فيه وقال حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل

المطففين

نافس في الشيء رغب فيه ونفست عليه بالشيء أنفس نفاسة إذا بخلت به عليه ولم تحب
أن يصير إليه. التسنيم أصله الارتفاع ومنه تسنيم القبر وسنام البعير وتسنمته
علوت سنامه. الغمز الإشارة بالعين والحاجب ٥

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم. ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على
الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد
أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون. ش هذه السورة مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل مدنية
في قول الحسن وعكرمة ومقاتل أيضا وقال ابن عباس وقتادة مدنية إلا من
الذين أجرموا إلى آخرها فهو مكي ثمان آيات وقال السدي كان بالمدينة رجل
يكنى أبا جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فنزلت وقيل إنها
أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف
بالمدينة لأنهم كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه
السورة وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى أمرهم قبل ورود رسوله
عليه السلام والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر السعداء والأشقياء ويوم
الجزاء وعظم شأن يومه ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من
المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته إذا
اكتالوا على الناس فقبضوا لهم وإذا كالوهم أو وزنوهم أقبضوهم قال الفراء
من وعلى يعتقبان هنا اكتلت على الناس واكتلت من الناس فإذا قال اكتلت
منك فكأنه قال استوفيت منك وإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال
أخذت ما عليك والظاهر أن على متعلق باكتالوا كما قررناه وقال الزمخشري
لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من
للدلالة على ذلك ويجوز أن تتعلق على بيستوفون أي يستوفون على الناس
خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها انتهى وكال ووزن مما يتعدى بحرف
الجر فيقول كلت لك ووزنت لك ويجوز حذف اللام كقولك نصحت لك
ونصحتك وشكرت لك وشكرتك والضمير ضمير نصب أي كالوا لهم أو وزنوا
لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل
والموزون وعن عيسى وحمزة المكيل له والموزون له محذوف وهم ضمير مرفوع
تأكيد للضمير المرفوع الذي هو الواو وقال الزمخشري ولا يصح أن يكون
ضميرا مرفوعا للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى
إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين
انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن

هم على

هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر انتهى
ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين أن يؤكد الضمير وأن لا يؤكد والحديث واقع في الفعل
غاية ما في هذا أن متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم أو وزنوهم
محذوف للعلم به لأنه معلوم أنهم يخسرون الكيل والميزان إذا كان لأنفسهم إنما
يخسرون ذلك لغيرهم وقال الزمخشري فإن قلت هلا قيل أو اتزنوا كما قيل
أو وزنوهم قلت كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل
دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون
في الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون
ينقصون انتهى ويخسرون معدى بالهمزة يقال خسر الرجل وأخسره غيره ألا يظن
توقيف على أمر القيامة وإنكار عليهم في فعلهم ذلك أي ليوم عظيم وهو يوم
القيامة ويوم ظرف لعامل فيه مقدر أي يبعثون يوم يقوم الناس ويجوز
أن يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى ليوم أي لحساب يوم وقال الفراء
هو بدل من يوم عظيم لكنه بني وقرئ يوم يقوم بالجر وهو بدل من ليوم حكاه
أبو معاذ وقرأ زيد بن علي يوم بالرفع أي ذلك يوم ويظن بمعنى يوقن وهو
على وضعه من الترجيح وفي هذا الإنكار والتعجيب ووصف اليوم بالعظم
وقيام الناس لله خاضعين ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا
الذنب وهو التطفيف كلا ردع لما كانوا عليه من التطفيف وهذا القيام
يختلف الناس فيه بحسب أحوالهم وفي هذا القيام إلجام العرق للناس
وأحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث والفجار الكفار وكتابهم هو الذي
فيه تحصيل أعمالهم وسجين قال الجمهور فعيل من السجن كسكير أي في
موضع ساجن فجاء بناء مبالغة فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف
وقال ابن مقبل ٥
٥ ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الأبطال سجينا ٥
وقال الزمخشري فإن قلت فما سجين أصفة هو أم اسم قلت بل هو اسم علم
منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف
انتهى وكان قدم أنه كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله فيه أعمال
الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم
مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه والمعنى أن ما كتب
من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان انتهى واختلفوا في سجين إذا كان
مكانا هو اختلافا فاضطربا حذفنا ذكره والظاهر أن سجينا هو كتاب
ولذلك أبدل منه كتاب مرقوم وقال عكرمة سجين عبارة عن الخسار
والهوان كما تقول بلغ فلان الحضيض إذا صار في غاية الخمول وقال
بعض اللغويين سجين نونه بدل من لام وهو من السجيل فتلخص من أقوالهم
أن سجين نونه أصلية أو بدل من لام وإذا كانت أصلية فاشتقاقه من السجن
وقيل هو مكان فيكون كتاب مرقوم خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب

وعني بالضمير عوده على كتاب الفجار او على سجين على حذف اي هو محل كتاب مرقوم
او كتاب جامع لديوان الشر فيه اعمال الاشقياء من الثقلين وكتاب مرقوم تفسير له
على جهة البدل او خبر مبتداء والضمير المقدر الذي هو عائد على سجين او كناية عن
الخسار والهوان وهل هو صفة او علم وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما
كنت تعلم مرقوم اي مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحي قال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد
فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال ابن عباس والضحاك مرقوم مختوم بلغة
حمير واصل الرقم الكتابة ومنه **قول الشاعر**

سارقم في الماء القراح اليكم على بعدكم ان كان للماء راقم

وتبين من الاعراب السابق ان كتاب مرقوم بدل او خبر مبتداء محذوف وكان
ابن عطية قد قال ان سجينا موضع ساجر على قول الجمهور وعبارة عن الخسار
على قول عكرمة ثم قال كتاب مرقوم من قال بالقول الاول في سجين فكتاب
مرتفع عنده على خبر ان والظرف الذي هو لفي سجين ملغى ومن قال في سجين بالقول
الثاني فكتاب مرفوع على خبر ابتداء مضمر التقدير هو كتاب مرقوم ويكون هذا
الكلام مفسرا لسجين ما هو انتهى فقوله والظرف الذي هو لفي سجين ملغى قول
لا يصح لان اللام التي لفي سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة على الخبر
فلا الغاء في الجار والمجرور بل هو الخبر ولا جائز ان تكون هذه اللام دخلت
لفي سجين على فضلة هي معمولة للخبر او لصفة الخبر فيكون الجار والمجرور ملغى
لا خبرا لان كتاب موصوف بمرقوم فلا يعمل ولان مرقوما الذي هو صفة لكتاب
لا يجوز ان تدخل اللام في معموله ولا يجوز ان يتقدم معموله على الموصوف فتعين بهذا
ان قوله لفي سجين هو خبر ان الذين يكذبون صفة ذم كل معتد متجاوز الحد
اثيم صفة مبالغة **وقرا** الجمهور اذا وقرأ الحسن ءاذا بهمزة الاستفهام والجمهور تتلى
بتاء التانيث وابو حيوة وابن مقسم بالياء قيل ونزلت في النضر بن الحرث بل ران
قرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار ووقف حفص على بل وقفا خفيفا يسيرا
لتبيين الاظهار وقال ابو جعفر بن الباذش واجمعوا يعني القراء على ادغام
اللام في الراء الا ما كان من سكت حفص على بل ثم يقول ران وهذا الذي ذكره
ليس كما ذكر من الاجماع ففي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام
عند الراء نحو قوله تعالى بل رفعه الله اليه بل ربكم وفي كتاب ابن عطية
وقرا نافع بل ران غير مدغم وفيه ايضا **وقرا** نافع ايضا بالادغام والامالة
وقال **سي** اللام مع الراء نحو اشغل رحمة البيان والادغام اجود وأميلت
الالف وفخمت انتهى وقال **سي** فاذا كانت يعني اللام غير لام المعرفة نحو لام
هل وبل فان الادغام في بعضها احسن وذلك نحو هل رايت فان لم تدغم فقلت
هل رايت فهي لغة لاهل الحجاز وهي عربية جائزة انتهى وقال الحسن
والسدي هو الذنب على الذنب قال الحسن حتى يموت قلبه وقال السدي
حتى يسود القلب وفي الحديث نحو من هذا وقال الكلبي طبع على قلوبهم
وقال ابن سلام غطى ما كانوا يكسبون قال ابن عطية وعلق اللوم بهم فيما كسبوه

حسان وقال الزمخشري
وقرئ بادغام اللام في الراء
وبالاظهار والادغام صح

وان كان

وان كان ذلك يخلق منه تعالى واختراعه لان الثواب والعقاب متعلقان بكسب العبد
والضمير في قوله انهم للكفار فمن قال بالرؤية وهو قول اهل السنة قال
ان هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه واحتج بهذه الاية مالك على مسئلة
الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لما اغنى هذا التخصيص وقال
الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ومن قال بانتفاء الرؤية
وهو قول المعتزلة قال انهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه انتهى وقال
انس بن مالك لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الزمخشري
كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم
الا الادنياء المهانون عندهم **قال الشاعر**

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس ما بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته انتهى وعن مجاهد المعنى محجوبون عن كرامته ورحمته وعن ربهم متعلق بمحجوبون
وهو العامل في يومئذ والتنوين تنوين العوض من الجملة المحذوفة ولم تتقدم جملة قريبة
تكون عوضا منها لكنه تقدم يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو عوض من هذه الجملة كانه
قيل يوم اذ يقوم الناس ثم مع الحجاب عن الله هم صالوا النار وهذه ثمرة الحجاب ثم يقال
اي يقول لهم خزنة النار هذا اي العذاب وصلى النار وهذا اليوم الذي كنتم به
تكذبون قال ابن عطية هذا الذي يعني الجملة مفعول لم يسم فاعله لانه قول بني له
الفعل الذي هو يقال انتهى وتقدم الكلام على نحو هذا في اول البقرة في قوله واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض ﻩ كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون
كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف
في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا
من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا
يفعلون ﻩ لما ذكر تعالى امر كتاب الفجار عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق
عليون جمع واحده علي مشتق من العلو وهو للمبالغة قاله يونس وابن جني وقال
ابو الفتح وسبيله ان يقال علية كما قالوا للغرفة علية فلما حذفت التاء عوضوا
منها الجمع بالواو والنون وقيل هو وصف للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون
وقال الفراء هو اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين
وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية قالوا في
المذكر والمونث بالواو والنون وقال الزجاج اعرب هذا الاسم كاعراب
الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وعليون الملائكة او المواضع العلية
او علم الديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين

قوله عز وجل
كلا ان كتاب الابرار

اوعلو في علو مضاعف اقوال ثلاثة للزمخشري وقال ابو مسلم كتاب الابرار كتابة اعمالهم
لفي عليين ثم وصف عليين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الابرار واذا كان هكذا نا
فاختلفوا في تعيينه اختلافا مضطربا رغبنا عن ذكره واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم
كاعراب لفي سجين وكتاب مرقوم وقال ابن عطية وكتاب مرقوم في هذه الاية خبران
والظرف ملغي انتهى كما قال في لفي سجين وقد رددنا عليه ذلك وهذا مثله والمقربون
هنا قال ابن عباس وغيره هم الملائكة اهل كل سماء ينظرون قال ابن عباس وغيره
وعكرمة ومجاهد الى ما اعد لهم من الكرامات وقال مقاتل الى اهل النار وقيل
ينظر بعضهم الى بعض وقرا الجمهور تعرف بتاء الخطاب للرسول عليه السلام او للناظر
نضرة النعيم نصبا وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب والزعفراني
تعرف مبنيا للمفعول نضرة رفعا وزيد بن علي كذلك الا انه قرا يعرف بالياء اذ تانيث
نضرة مجازي والنضرة تقدم شرحها في قوله نضرة وسرورا مختوم الظاهر ان الرحيق
ختم عليه تهمما وتنظفا بالرائحة المسكية كما فسره ما بعده وقيل تختم اوانيه من
الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقرا الجمهور ختامه اي خلطه ومزاجه
قاله عبد الله وعلقمة وقال ابن عباس وابن جبير والحسن معناه خاتمته اي يجد
الرائحة عند خاتمة الشرب رائحة المسك وقال ابو علي اي لذاذة المقطع وذكاء
الرائحة مع طيب الطعم وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وفي الصحاح
الختام الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم اناؤه بالمسك
بدل الطين وقال الشاعر

كان مشعشعا من خمر بصرى نمته البخت مسدود الختام

وقرا علي والنخعي والضحاك وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة والكسائي خاتمه بالف بعد الخاء
وفتح التاء وهذه بينة المعنى انه يراد بها الطبع على الرحيق وعن الضحاك
وعيسى واحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي كسر التاء اي اخره مثل وخاتم النبيين
وفيه حذف اي خاتم رائحته المسك او خاتمه الذي يختم به ويقطع من تسنيم
قال عبد الله وابن عباس هو اشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة
وقال الزمخشري تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر
سنمه اذا رفعه وعينا نصب على المدح وقال الزجاج على الحال انتهى
وقال الاخفش يسقون عينا يشرب بها اي يشربها او منها او ضمن يشرب
معنى يروى في اقوال المقربون قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وابو صالح
يشربها المقربون صرفا ويمزج للابرار ومذهب الجمهور ان الابرار هم اصحاب
اليمين وان المقربين هم السابقون وقال قوم الابرار والمقربون
في هذه الاية بمعنى واحد يقع لكل من نعم في الجنة وروي ان عليا وجمعا معه
من المومنين مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثا فنزلت ان
الذين اجرموا قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة هو لا
قيل ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والمومنون عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المومنين والظاهر ان الضمير في مروا عائد

على الذين

على الذين اجرموا اذ في ذلك تناسق الضماير لواحد وقيل للمومنين اي واذا مر
المومنون بالكافرين يتغامزون الكافرون اي يشيرون باعينهم فاكهين اي متلذذين
بذكرهم وبالضحك منهم وقرا الجمهور فاكهين بالالف اي اصحاب فكاهة ومزح وسرور
باستخفافهم باهل الايمان وابو رجا والحسن وعكرمة وابو جعفر وحفص بغير الف
والضمير المرفوع في راوهم عائد الى المجرمين اي اذا راوا المومنين نسبوهم الى
الضلال وهم محقون في نسبتهم اليه وما ارسلوا على الكفار حافظين فنفي
الاشارة اليهم بانهم ضالون اثارة للكلام بينهم وكانت في الاية بعض
موادعة اي ان المومنين لم يرسلوا حافظين على الكفار وهذا على هذا القول
منسوخ باية السيف وقال الزمخشري وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعايهم الى الاسلام وجدهم في ذلك ولما تقدم ذكر يوم
القيمة قيل فاليوم الذين امنوا واليوم منصوب بيضحكون اي ان كان قد ضحك
الكفار من المومنين في وقت ما في الدنيا فالمومنون يضحكون منهم في الاخرة وينظر
حال من الضمير في يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والعذاب
بعد العزة والنعيم وقال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى اهل النار وقيل
حجز شفاف بينهم يرون منه حالهم هل ثوب اي هل جوزي يقال ثوبه واثابه اذا
جازاه ومنه قول الشاعر

سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي

وهو استفهام بمعنى التقرير للمومنين اي هل جوزوا بافعالهم السيئة اي قد جوزوا بها
وقيل هل ثوب متعلق بينظرون وينظرون معلق بالجملة في موضع نصب بعد اسقاط
حرف الجر الذي هو الى وقرا الجمهور هل ثوب باظهار لام هل والنحويان وحمزة وابن محيصن
بادغامها في الثاء وفي قوله ما كانوا حذف تقديره جزاء وعقاب ما كانوا يفعلون
الكدح جهد النفس في العمل حتى تؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه
قال ابن مقبل

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

وقال اخر

ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت اكدح للحياة وانصب

جار رجع قال الشاعر

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس حين تاتي صلاة العشاء الاخرة قيل اصله من رقة
الشيء يقال ثوب شفق اي لا يتماسك لرقته ومنه اشفق عليه رق قلبه والشفقة
الاسم من الاشفاق وكذلك الشفق قال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا والموت اكرم نزال على الحرم

وسق ضم وجمع ومنه الوسق للاصواع المجموعة وهي ستون صاعا وطعام موسوق
اي مجموع وابل مستوسقة قال الشاعر

ان لنا قلايصا حقايقا مستوسقات لو يجدن سايقا

المفردات

ون

اتسق قال الفراء اتساق القمر امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق ويقال أمر فلان متسق أي مجتمع على الصلاح منتظم طبقا عن طبق حالا بعد حال والطبق ما طابق غيره والأطباق التي ما انطبق منه ومنه قيل للغطاء الطبق **وقال الأعرج بن حابس**

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره ... وساقني طبق منه إلى طبق

وقال امرؤ القيس

ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحرى وتدر

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة قال ابن عباس أيضا تنشق أي تتصدع بالغمام وقاله الفراء والزجاج وقيل تنشق لهول يوم القيامة لقوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية **وقرأ** الجمهور بسكون تاء انشقت وما بعدها وصلا ووقفا **وقرأ** عبيد بن عقيل عن أبي عمرو بإشمام الكسر وقفا بعدما لم يختلف في الوصل إسكانا قال صاحب اللوامح فهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الإشمام بيان أن هذه التاء من علامة تأنيث الفعل للإناث وليست مما تنقلب في الأسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فيمن وقف على ما في الأسماء بالتاء وذلك لغة طيء وقد حمل في المصاحف بعض التاءات على ذلك انتهى وقال أبو عبد الله بن خالويه إذا السماء انشقت بكسر التاء عبيد عن أبي عمرو وقال ابن عطية **وقرأ** أبو عمرو انشقت يقف على التاء كأنه يشمها شيئا من الجر وكذلك في أخواتها قال أبو حاتم سمعت أعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات وهي لغة انتهى وذلك أن الفواصل قد تجري مجرى القوافي فكما أن هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال كسرها في القوافي **قول كثير عزة**

وما أنا بالداعي لعزة بالردى ... ولا شامت إن نعل عزة زلت

وكذلك باقي القصيدة وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الأحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف أيضا موجود في الفواصل وأذنت أي استمعت وسمعت أمره ونهيه وفي الحديث ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن.

وقال

وقال الشاعر

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال قعنب بن أم صاحب

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا ... وما هم أذنوا من صالح دفنوا

وقال الجحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم

وأذن لها انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطيع إذا ورد عليه أمر المطاع أنصت وانقاد كقوله أتينا طائعين وحقت قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وحق لها أن تسمع وقال الضحاك أطاعت وحق لها أن تطيع وقال قتادة وحق لها أن تفعل ذلك وهذا الفعل مبني للمفعول والفاعل هو الله أي وحق الله عليها الاستماع ويقال فلان محقوق بكذا وحقيق بكذا والمعنى أنه لم يكن في جرم السماء ما يمنع من تأثير القدرة في انشقاقه وتفريق أجزائه وإعدامه قيل ويحتمل أن يريد وحق لها أن تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى وقال الزمخشري وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك انتهى وفي قوله القادر الذات دسيسة الاعتزال وما أولع هذا الرجل بمذهب الاعتزال يدسه متى أمكنه في كل ما يتكلم به وإذا الأرض مدت قال مجاهد سويت وقال الضحاك بسطت باندكاك جبالها ومنه الحديث تمد الأرض مد الأديم العكاظي حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه وذلك أن الأديم إذا مد زال ما فيه من تثن وانبسط فتصير الأرض إذ ذاك كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وألقت ما فيها وتخلت قال ابن جبير والجمهور ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء وقيل تخلت ممن على ظهرها من جبالها وبحارها وقال الزجاج ومن الكنوز وضعف هذا بأن ذلك يكون وقت خروج الدجال وإنما تلقي يوم القيامة الموتى وتخلت تخلت عما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء وجاء تخلت أي تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما تقول تكرم الكريم بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه ونسبة ذلك إلى الأرض نسبة مجازية والله تعالى هو الذي أخرج تلك الأشياء من باطنها وجواب إذا محذوف فإما أن يقدر الذي خرج به في سورة التكوير والانفطار وما يدل عليه إنك كادح أي لاقى كل إنسان كدحه وقال الأخفش والمبرد هو فملاقيه أي إذا انشقت السماء فأنت ملاقيه وقيل يا أيها الإنسان على حذف الفاء تقديره فيا أيها الإنسان وقيل وأذنت على زيادة الواو وعن الأخفش إذا السماء مبتدأ خبره وإذا الأرض على زيادة الواو والعامل فيها على قول الأكثرين الجواب إما المحذوف الذي قدروه وإما الظاهر الذي قيل إنه جواب قاله ابن عطية وقال بعض النحاة العامل انشقت وأبى ذلك كثير من أئمتهم لأن إذا مضافة إلى انشقت ومن يجيز ذلك يضعف عنده الإضافة ويقوي معنى الجزاء انتهى وهذا القول نحن نختاره وقد استدللنا على صحته فيما كتبناه والتقدير وقت انشقاق

السماء وقت مد الأرض وقيل الجواب لما أدي قد نصبت باذكر نصب المفعول به فليست شرطا وأذنت لربها أي في إلقاء ما في بطنها وتخليها والإنسان يراد به الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه وقال مقاتل المراد به الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة أي والذي خلقك لتركبن الطبقة ولتوافين العقبة فقال الأسود فأين الأرض والسماء وما حال الناس انتهى وكان مقاتلا يريد أنها نزلت في الأسود وهي تعم الجنس وقيل المراد أبي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا وإيذاء الرسول والإصرار على الكفر والأبعد من ذهب إلى أنه الرسول عليه السلام والمعنى أنك تكدح في إبلاغ رسالات الله وإرشاد عباده واحتمال الضرر من الكفار فأبشر فإنك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضائع عنده إنك كادح أي جاهد في عملك من خير وشر إلى ربك أي طول حياتك إلى لقاء ربك وهو أجل موتك فملاقيه أي جزاء كدحك أي جزاءه من ثواب وعقاب قال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير فأنت ملاقيه ولا يتعين ما قاله بل يصح أن يكون معطوفا على كادح عطف المفردات وقال الجمهور الضمير في فملاقيه عائد على ربك أي فملاق جزاءه فاسم الفاعل معطوف على اسم الفاعل حسابا يسيرا قالت عائشة تقرر ذنوبه ثم يتجاوز عنه وقال الحسن يجازي بالحسنة ويتجاوز عن السيئة وفي الحديث من حوسب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال عليه السلام إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وينقلب إلى أهله أي إلى من أعده الله له في الجنة من نساء المؤمنين ومن الحور العين أو إلى عشيرته المؤمنين فيخبرهم بخلاصه وسلامته أو إلى المؤمنين إذ هم كلهم أهل الإيمان وقرأ زيد بن علي ويقلب مضارع قلب مبنيا للمفعول وراء ظهره روي أن شماله تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها قال ابن عطية وأما من ينفذ عليه الوعيد من عصاتهم يعني عصاة المؤمنين فإنه يعطى كتابه عند خروجه من النار وقد جوز قوم أن يعطاه أولا قبل دخوله النار وهذه الآية ترد على هذا القول انتهى والظاهر من الآية أن الإنسان ينقسم إلى هذين القسمين ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار يدعوا ثبورا يقول واثبوراه والثبور الهلاك وهو جامع لأنواع المكاره وقرأ قتادة وأبو جعفر وعيسى وطلحة والأعمش وطلحة وعاصم وأبو عمرو وحمزة ويصلى بفتح الياء مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة وأبو الأشهب وخارجة عن نافع وأبان عن عاصم وعيسى أيضا والعتكي وجماعة عن أبي عمرو بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام بني للمفعول من المتعدي بالهمزة كما بني ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي بالتضعيف إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا أي فرحا بطرا مترفا لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبة لقوله لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين بخلاف المؤمن فإنه حزين مكتئب يتفكر في الآخرة إنه ظن أن لن يحور أي أن لن يرجع إلى الله وهذا تكذيب بالبعث

بلى

بلى إيجاب لما بعد النفي أي بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا أي لا يخفى عليه أفعاله فلا بد من رجوعه ومجازاته فلا أقسم بالشفق أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق تقدم شرحه وقال أبو هريرة وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة هو البياض الذي يتلو الحمرة وروى أسد بن عمرو أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى قول الجمهور وقال مجاهد والضحاك وابن أبي نجيح إن الشفق هنا النهار كأنه لما عطف عليه الليل قال ذلك قال ابن عطية وهذا قول ضعيف انتهى وعن مجاهد هو الشمس وعن عكرمة ما بقي من النهار وما وسق ما ضم من الحيوانات وغيرها إذ جميع ذلك ينضم ويسكن في ظلمة الليل وقال ابن عباس وما وسق أي ما غطى عليه من الظلمة وقال مجاهد وما ضم من خير وشر وقال ابن جبير وما ساق وحمل وقال ابن بحر وما عمل فيه ومنه قول الشاعر

فيوما ترانا صالحين وتارة ۞ تقوم بنا كالواسق المتلبب

وقال ابن الفضل لف كل أحد إلى بيته أي سكن الخلق إليه ورجع كل إلى مأواه لقوله لتسكنوا فيه وقرأ عمر وابن عبد الله وابن عباس ومجاهد والأسود وابن جبير ومسروق والشعبي وأبو العالية وابن وثاب وطلحة وعيسى والأخوان وابن كثير بتاء الخطاب وفتح الباء وقيل خطاب للرسول أي حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء في الإسراء وقيل عدة بالنصر أي لتركبن أمر العرب قبيلا بعد قبيل وفتحا بعد فتح كما كان ووجد بعد ذلك وقال الزمخشري وقرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان وقال ابن مسعود المعنى لتركبن السماء في أهوال القيامة حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق فالتاء للتأنيث وهو إخبار عن السماء بما يحدث لها والضمير الفاعل عائد على السماء وقرأ عمر وابن عباس أيضا بالياء من أسفل وفتح الباء على ذكر الغائب قال ابن عباس يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير الغائب يعود على القمر لأنه يتغير أحوالا من سرار واستهلال وإبدار وقال الزمخشري ليركبن الإنسان وقرأ عمر وابن عباس أيضا وأبو جعفر والحسن وابن جبير وقتادة والأعمش وباقي السبعة بتاء الخطاب وضم الباء أي لتركبن أيها الناس وقال الزمخشري ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس فالمعنى لتركبن الشدائد الموت والبعث والحساب حالا بعد حال أو تكون الأحوال من النطفة إلى الهرم كما تقول طبقة بعد طبقة قال نحوه عكرمة وقيل وعن نجي يعني بعد وقيل المعنى لتركبن هذه الأحوال أمة بعد أمة ومنه قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ۞ وضاءت بنورك الأفق

تنقل من صالب إلى رحم ۞ إذا مضى عالم بدا طبق

وقال مكحول وأبو عبيدة المعنى لتركبن سنن من قبلكم وقال ابن زيد المعنى لتركبن الآخرة بعد الأولى وقرأ عمر أيضا ليركبن بياء الغيبة وضم الباء فقيل أراد به الكفار لا الإنسان توبيخهم بعده أي يركبون حالا بعد أخرى من المذلة والهوان

في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود وابن عباس لتركبن بكسر التاء وهي لغة تميم وقيل
والخطاب للرسول وقرئ بالياء وكسر الباء على خطاب النفس وطبق الشيء مطابقة
لان كل حال مطابقة للاخرى في الشدة ويجوز ان تكون اسم جنس واحده طبقة وهي
المرتبة من قولهم هم على طبقات وعن طبق في موضع الصفة لقوله طبقا او في موضع الحال
من الضمير في لتركبن وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه فما لهم لا يؤمنون
تعجب من انتفاء ايمانهم وقد وضحت الدلائل لا يسجدون لا يتواضعون ويخضعون
وقال عكرمة لا يباشرون بجباههم المصلى وقال محمد بن كعب لا يصلون وقرأ الجمهور
يكذبون مشددا والضحاك وابن ابي عبلة مخففا وفتح الياء بما يوعون بما يجمعون
من الكفر والتكذيب كانهم يجعلونه في اوعية وعيت العلم واوعيت المتاع قاله
نحو ابن زيد وقال ابن عباس بما يضمرون من عداوة الرسول والمؤمنين وقال مجاهد
بما يكتمون من افعالهم وقرأ ابو رجاء بما يعون من وعى يعي الا الذين آمنوا اي سبق لهم في علمه
انهم يؤمنون غير ممنون غير مقطوع وقال ابن عباس ممنون معتد عليهم محسوب
منغص بالمن وتقدم الكلام على ذلك في فصلت ٥ الاخدود الخد في الارض ومثله
الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق
جرذان ٥

المفردات

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد
ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ
ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث
الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن
مجيد في لوح محفوظ ٥ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انه تعالى
اعلم بما يجمعون للرسول والمؤمنين من المكر والخداع واذاية من اسلم بانواع من الاذى
كالضرب والقتل والصلب والحرق بالنار واحماء الصخر ووضع اجساد من يريدون
ان يفتنوه عليه ذكر ان هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الامم يعذبون بالنار وان
اولئك الذين اعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان ما منعهم ان يرجعوا
عن دينهم او يحرقوا وان اولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذلك الذين
عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت
لمن يعذب ذات البروج قال ابن عباس والجمهور هي المنازل التي عرفتها العرب
هي اثنا عشر على ما قسمته وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين
يوما وقال عكرمة والحسن ومجاهد هي القصور وقال الحسن ومجاهد ايضا
هي النجوم وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقد

تقدم ذكر البروج في سورة الحجر واليوم الموعود هو يوم القيامة اي الموعود به وشاهد
ومشهود هذان منكران وينبغي حملهما على العموم كقوله علمت نفس ما احضرت وان كان
اللفظ لا يقتضيه لكن المعنى يقتضيه اذ لا يقسم بنكرة لا يدرى من هي فاذا لوحظ
فيها معنى العموم اندرج فيها المعرفة فحسن القسم وكذلك ينبغي وكذا ينبغي ان يحمل
ما جاء من هذا النوع نكرة كقوله والطور وكتاب مسطور لانه اذا حمل وكتاب
مسطور على العموم دخل فيه معينات الكتب الالهية كالتوراة والانجيل والقرآن
فحسن اذ ذاك القسم به ولما ذكروا اليوم الموعود وهو يوم القيامة بالاتفاق وروي
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ناسب ان يكون المقسم به من يشهد في ذلك اليوم
ومن يشهد عليه ان كان ذلك من الشهادة وان كان من الحضور فالشاهد الخلائق
الحاضرون للحساب والمشهود اليوم كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود كان موعودا به فصار مشهودا وقد اختلفت اقوال المفسرين
في تعيينهما فعن ابن عباس الشاهد الله تعالى وعنه وعن الحسن بن علي وعكرمة
الرسول عليه السلام وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار آدم عليه السلام وذريته
وعن ابن عباس ايضا والحسن الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة وفي كل قول منهما
المشهود يوم القيامة وعن علي وابن عباس وابي هريرة والحسن وابن المسيب
وقتادة وشاهد يوم الجمعة وعن ابن المسيب يوم التروية وعن علي ايضا
يوم القيامة وعن النخعي يوم الاضحى ومشهود في هذه الاقوال يوم عرفة وعن
ابن عمر يوم الجمعة ومشهود يوم النحر وعن جابر يوم الجمعة ومشهود الناس وعن
محمد بن كعب ابن آدم ومشهود الله تعالى وعن ابن جبير عكس هذا وعن ابي مالك
عيسى ومشهود امته وعن علي يوم عرفة ومشهود يوم النحر وعن الترمذي الحفظة
ومشهود عليهم الناس وعن عبد العزيز بن يحيى محمد عليه السلام ومشهود عليه
امته وعنه الانبياء ومشهود اممهم وعن ابن جبير ومقاتل الجوارح يوم القيامة ومشهود
اصحابها وقيل هما يوم الاثنين ويوم الجمعة وقيل الملائكة المتعاقبون
وقرآن الفجر وقيل النجم والليل والنهار وقيل الله والملائكة واولوا العلم
ومشهود به الوحدانية وان الدين عند الله الاسلام وقيل مخلوقات الله تعالى
ومشهود به وحدانيته وقيل هما الحجر الاسود والحجيج وقيل الليالي والايام
وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام وهذه اقوال سبعة وعشرون لكل
منهما متمسك وللصوفية اقوال غير هذه والظاهر ما قلناه اولا وجواب القسم
قيل محذوف فقيل لتبعثن ونحوه وقال الزمخشري يدل عليه قتل اصحاب
الاخدود وقيل الجواب مذكور فقيل ان الذين فتنوا وقال المبرد ان بطش
ربك لشديد وقيل قتل وهذا نختاره وحذفت اللام اي لقتل وحسن حذفها
كما حسن في قوله والشمس وضحاها ثم قال قد افلح من زكاها اي لقد افلح من زكاها
ويكون الجواب دليلا على لعنة من فعل ذلك وطرده من رحمة الله وتنبيها لكفار
قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على انهم ملعونون بجامع ما اشتركا
فيه من تعذيب المؤمنين واذا كان قتل جوابا للقسم فهي جملة خبرية وقيل دعاء

فيكون الجواب غيرها وقرأ الحسن وابن مقسم بالتشديد والجمهور بالتخفيف وذكر المفسرون في اصحاب الاخدود اقوالا نوق العشرة ولكل قول منها قصة طويلة كسلنا عن كتابتها في كتابنا هذا ومضمنها ان ناسا من الكفار خدوا اخدودا في الارض وسجروه نارا وعرضوا المومنين عليها فمن رجع عن دينه تركوه ومن اصر على الايمان احرقوه واصحاب الاخدود هم المحرقون للمومنين وقال الربيع وابو العالية وابن اسحق بعث الله على المومنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود فعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن ويكون خبرا عن ما فعله الله بالكفار الذين ارادوا ان يفتنوا المومنين عن دينهم وقول من تولاه مخالف لقول الجمهور ولما دل عليه القصص الذي ذكروه وقرأ الجمهور النار بالجر وهو بدل اشتمال او بدل كل من كل على تقدير محذوف اي اخدود النار وقرأ قوم النار بالرفع قيل على معنى قتلهم ويكون اصحاب الاخدود اذ ذاك المومنين وقيل على حقيقته وقرأ الحسن وابو رجاء وابو حيوة وعيسى الوقود بضم الواو وهو مصدر والجمهور بفتحها وهو ما يوقد به وقد حكى سيبويه انه بالفتح ايضا مصدر كالضم والظاهر ان الضمير في اذ هم عائد على الذين يحرقون المومنين وكذلك في وهم وعلى قول الربيع يعود على الكافرين ويكون وهم ايضا عائدا عليهم ويكون معنى على ما يفعلون ما يريدون من فعلهم بالمومنين وقتل اصحاب الاخدود محرق وآله حرف من بني تميم المائة ونما الكلام عند قوله ذات الوقود ويكون المراد بقوله وهم قريش الذين كانوا يفتنون المومنين والمومنات واذا العامل فيه قتل اي لعنوا او قعدوا على النار وعلى ما يدنو منها من حافات الاخدود كما قال الاعشى ٭

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق ٭

شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك انه لم يفرط فيما امر به او شهود يوم القيمة على ما فعلوا بالمومنين يوم تشهد عليهم جوارحهم باعمالهم وقرأ الجمهور نقموا بفتح القاف وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها اي ما عابوا ولا انكروا الايمان كقوله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ٭

وكقول ابن الرقيات ٭

ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا ٭

جعلوا ما هو في غاية الحسن قبيحا حتى نقموا عليه كما قال الشاعر ٭

ولا عيب فيه غير شكلة عينه ... كذلك عتاق الطير شكلا عيونها ٭

وفي المنتخب انما قال الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قال الا ان يدوموا على ايمانهم انتهى وذكر الاوصاف التي يستحق بها تعالى ان يومن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا تخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته له ملك السموات والارض وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي والله على

كل شيء شهيد وعيد لهم اي انه علم ما فعلوا فهو مجازيهم والظاهر ان الذين فتنوا عام في كل من ابتلى المومنين والمومنات بتعذيب او اذى وان لهم عذابين عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم وقال الزمخشري يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى تتسع كما يتسع الحريق او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم انتهى وينبغي ان لا يجوز هذا الذي جوزه لان في الاية ثم لم يتوبوا واولئك المحرقون لم ينقل لنا ان احدا منهم تاب بل الظاهر انهم لم يلعنوا الا وهم قد ماتوا على الكفر وقال ابن عطية ثم لم يتوبوا يقوي ان الايات في قريش لان هذا اللفظ في قريش احكم منه في اولئك الذين قد علم انهم ماتوا على كفرهم واما قريش فكان فيهم وقت نزول الاية من تاب وامن انتهى وكذلك قوله ان الذين امنوا المراد به العموم لا المطروحون في النار والبطش الاخذ بقوة يبدئ ويعيد قال ابن زيد والضحاك يبدئ الخلق بالانشاء ويعيده بالحشر وقال ابن عباس عام في جميع الاشياء اي كل ما يبدا وكل ما يعاد وقال الطبري يبدئ العذاب ويعيده على الكفار ونحوه عن ابن عباس قال تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا وقرئ يبدأ من بدأ ثلاثيا حكاه ابو زيد ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفورا ساترا لذنوب عباده ودودا لطيفا بهم محسنا اليهم وهاتان صفتا فعل والظاهر ان الودود مبالغة في الواد وعن ابن عباس المتودد الى عباده بالمغفرة وحكى المبرد عن القاضي اسمعيل بن اسحق ان الودود هو الذي لا ولد له وانشد ٭

واركب في الروع عريانة ... ذلول الجناح لقاحا ودودا ٭

اي لا ولد لها تحن اليه وقيل الودود فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون ذو العرش خص العرش باضافة نفسه تشريفا للعرش وتنبيها على انه اعظم المخلوقات وقرأ الجمهور ذو بالواو وابن عامر في رواية ذي بالياء صفة لربك وقال القفال ذو العرش ذو الملك والسلطان ويجوز ان يراد بالعرش السرير العالي ويكون خلق سريرا في سمائه في غاية العظمة بحيث لا يعرف عظمته الا هو ومن يطلعه عليه انتهى وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والاعمش والمفضل عن عاصم والاخوان المجيد بخفض الدال صفة للعرش ومجادته عظمه وعلوه ومقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام صورة وتركيبا ومن قرا ذي العرش بالياء جاز ان يكون المجيد بالخفض صفة لذي والاحسن جعل هذه المرفوعات اخبارا عن هو فيكون فعال خبرا ويجوز ان يكون الودود وذو العرش صفتين للغفور وفعال خبر مبتدا واتى بصيغة فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والمعنى ان كل ما تعلقت به ارادته فعله لا معترض عليه هل اتاك

حديث الجنود تقرير لحال الكفرة اي قد اتاك حديثهم وما جرى لهم مع انبيائهم وما حل
بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم
والجنود الجموع المعدة للقتال فرعون وثمود بدل من الجنود وكانه على حذف مضاف
اي جنود فرعون واختصر ما جرى لهم اذ هو مذكور في غير ما سورة من القرآن وذكر
ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدمة وذكر فرعون لشهرة قصته
عند اهل الكتاب وعند العرب الجاهلية ايضا الا ترى الى زهير بن ابي سلمة
وقوله ٥ الم تر ان الله اهلك تبعا واهلك لقمان بن عاد وعاديا ٥
٥ واهلك ذا القرنين من قبل ما يرى وفرعون جبارا طغى والنجاشيا ٥
وكان فرعون من المتأخرين في الهلاك فدل بقصته وقصة ثمود على امثالهما
من قصص الامم المكذبين وهلاكهم بل الذين كفروا اي من قومك في تكذيب حسدا
لك لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا انبيائهم والله من ورائهم محيط اي هو
قادر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون وثمود ومن كان محاطا به فهو محصور في غاية
لا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم ولما ذكر انهم في تكذيب وان التكذيب عمهم
حتى صار كالوعاء لهم وكان عليه السلام قد كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن
اخبر تعالى عن الذي جاء به وكذبوا به فقال بل هو قرآن اي بل الذي كذبوا به قرآن
مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في نظمه وصحة معانيه واخباره
بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه **وقراءة** الجمهور قرآن مجيد موصوف وصفة **وقراءة**
ابن السميفع قرآن مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن الانباري يقول
معناه بل هو قرآن رب مجيد كما **قال الشاعر** ولكن الغني رب غفور
معناه ولكن الغني غني رب غفور انتهى وعلى هذا اخرجه الزمخشري وقال ابن عطية
وقراءة اليماني قرآن مجيد على الاضافة وان يكون الله تعالى هو المجيد انتهى ويجوز ان يكون
من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا
وهذا اولى لتوافق القراءتين **وقراءة** الجمهور في لوح بفتح اللام محفوظ بالخفض صفة
للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الاشيا **وقراءة** ابن يعمر وابن السميفع بضم
اللام قال ابن خالويه اللوح الهواء وقال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء
السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه انتهى **وقراءة** الاعرج
وزيد بن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع صفة للقرآن كما قال
تعالى وانا له لحافظون اي هو محفوظ في القلوب لا يلحقه خطأ ولا تبديل **طرق** يطرق
طروقا اي ليلا **قال امرؤ القيس** ٥
ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ٥ واصله الضرب لان الطارق يطرق الباب
ومنه المطرقة وهي الميقعة واتسع فيه فكل جاء بليل يسمى طارقا وقال اطرق فلان
امسك عن الكلام واطرق بعينيه رمى بهما نحو الارض **دفق** الماء يدفقه دفقا صبه
وماء دافق على النسب ٥ ويقال دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت **الترائب**
موضع القلادة من الصدر **قال امرؤ القيس** ٥
٥ مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل ٥

المفردات

جمع ترائب حولها فقال تريبة **وقال الشاعر** ٥
٥ والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر ٥
وقال ابو عبيدة وجمع تريبة تريب **قال المثقب العبدي** ٥
٥ ومن ذهب يبين على تريب كلون العاج ليس بذي غضون ٥
الهزل ضد الجد **وقال الكميت**
تجد بنا في كل يوم ونهزل **المهلة** الرجل انظرته والمهل والمهلة السكينة ومهلته
ايضا تمهيلا ونمهل في امري اتاد واستمهلته انتظرته ويقال مهلا اي رفقا وسكوتا
رويدا مصدر ارود يرود مصغر تصغير الترخيم واصله ارواد وقيل هو تصغير رود
من قوله تمشي على رود ٥ اي مهل ويستعمل مصدرا نحو رويد عمرو بالاضافة اي امهال
عمرو كقوله فضرب الرقاب ونعتا لمصدر نحو سار سيرا رويدا وحالا نحو سار
القوم رويدا ويكون اسم فعل وهذا كله موضح في علم النحو ٥

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق
النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء
دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له
من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل
وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا
٥ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه هنا على حقارة
الانسان ثم استطرد منه الى ان هذا القرآن قول فصل جد لا هزل فيه ولا باطل
ياتيه ثم امر نبيه بامهال اولئك الكفرة المكذبين وهي اية موادعة منسوخة
باية السيف والسماء هي المعروفة قاله الجمهور وقيل السماء هنا المطر والطارق
هو الاتي ليلا اي يظهر بالليل وقيل لانه يطرق الجني اي يصكه من طرقت الباب
اذا ضربته ليفتح لك اتى بالطارق مقسما به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب
وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب اظهارا لفخامة ما اقسم به لما علم فيه من عجيب
القدرة ولطيف الحكمة وتنبيها على ذلك كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وقال ابن عطية معنى الاية والسماء وجميع ما يطرق فيه
من الامور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك على جهة التنبيه اجل الطارقات قدرا
وهو النجم الثاقب وكانه قال وما ادراك ما الطارق حق الطارق انتهى
فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعضا مما دل عليه والطارق اذ هو اسم جنس يراد
به جميع الطوارق وعلى قول غيره يراد به واحد مفسر بالنجم الثاقب والنجم الثاقب
عند ابن عباس الجدي وعند ابن زيد زحل وقال هو ايضا وغيره الثريا وهو الذي
تطلق عليه العرب اسم النجم وقال علي نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه
من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وقال الحسن هو اسم
جنس لانها كلها ثواقب اي ظاهرة الضوء وقيل المراد جنس النجوم التي يرمى بها

ويرجم والثاقب قيل المضيء يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اضاء اي يثقب
الظلام بضوءه وقيل المرتفع العالي ولذلك قيل هو زحل لانه ارفعها مكانا وقال
الفراء ثقب الطائر ارتفع وعلا وقرأ الجمهور ان خفيفة كل رفعا لما خفيفة فهي
عند البصريين مخففة من الثقيلة وكل مبتدا واللام هي الداخلة للفرق بين
ان النافية وان المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدا وعليها متعلق به
وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدا
وخبر والترجيح بين المذهبين مذكور في علم النحو وقرأ الحسن والاعرج وقتادة
وعاصم وابن عامر وحمزة وابو عمرو ونافع بخلاف عنهما لما مشددة وهي بمعنى الا
لغة مشهورة في هذيل وغيرهم تقول العرب اقسمت عليك لما فعلت كذا اي الا
فعلت قاله الاخفش فعلى هذه القراءة تتعين ان تكون نافية اي ما كل نفس
الا عليها حافظ وحكى هرون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب فاللام هي الداخلة
في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه ان سواء
كانت المخففة او المشددة او النافية لان كلا منها يتلقى به القسم فيتلقى
بالمشددة مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا
ان امسكهما وقيل جواب القسم انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض والظاهر
عموم كل نفس وقال ابن سيرين وقتادة وغيرهما ان كل نفس مكلفة عليها حافظ
يحصي اعمالها ويعدها للجزاء عليها فيكون في الاية وعيد وزاجر وما بعد ذلك
يدل عليه وقيل حفظة من الله يذبون عنها ولو وكل المرء الى نفسه لاختطفته
الغير والشياطين وقال الكلبي والفراء حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى
المقادير وقيل الحافظ العقل يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقيل حافظ
مهيمن ورقيب عليه وهو الله تعالى ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبع ذلك
بوصية الانسان بالنظر في اول نشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر
على اعادته وجزائه فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم
خلق استفهام ومن متعلقة بخلق والجملة في موضع نصب بفلينظر وهي معلقة
وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق من ماء دافق وهو مني الرجل والمراة لما امتزجا
في الرحم واتحدا عبر عنهما بماء وهو مفرد ودافق قيل هو بمعنى مدفوق وهي
قراءة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر اي ذي دفق
وعن ابن عباس بمعنى دافق لزج وكانه اطلق عليه وصفه لانه موضوع في
اللغة لذلك والدفق الصب فعله متعد وقال ابن عطية والدفق دفع الماء
بعضه ببعض تدفق الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح ان يكون
الماء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى وركب
قوله هذا على تدفق وتدفق لازم دفقته فتدفق نحو كسرته فتكسر وتدفق
ليس في اللغة معناه ما فسر من قوله والدفق دفع الماء بعضه ببعض بل المحفوظ
انه الصب وقرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من بين الصلب بضم الصاد وسكون
اللام وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وهما واهل مكة وعيسى بضم الصاد

واللام

واللام واليماني بفتحهما قال العجاج

في صلب مثل العنان المؤدم وتقدمت اللغات في الصلب في سورة النساء واعراب
صالب كما قال تنقل من صالب الى رحم قال قتادة والحسن معناه من بين
كل صلب كل واحد من الرجل والمراة وترائبه وقال سفيان وقتادة ايضا من بين
صلب الرجل وترائب المراة وتقدم شرح الترائب في المفردات وقال ابن عباس
موضع القلادة وعن ابن جبير هي اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وقيل ما بين
المنكبين والصدر وقيل هي التراقي وعن معمر عصارة القلب ومنه يكون الولد
ونقل مكي عن ابن عباس ان الترائب اطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه قال
ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة انتهى انه الضمير يعود على الخالق
الدال عليه خلق على رجعه قال ابن عباس وقتادة الضمير في رجعه عائد على الانسان
اي على رده حيا بعد موته اي من انشأه اولا قادر على بعثه يوم القيامة لا يعجزه شيء
وقال الضحاك على رده من الكبر الى الشباب وقال عكرمة ومجاهد الضمير
عائد على الماء في الاحليل او في الصلب وعلى هذا القول وقول الضحاك يكون العامل
في يوم تبلى مضمر تقديره اذكر وعلى قول ابن عباس وهو الاظهر فقال بعض النحاة
العامل ناصر من قوله ولا ناصر وهذا فاسد لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها
وكذلك ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها على المشهور المنصور وقال
آخرون ومنهم الزمخشري العامل رجعه ورد بان فيه فصلا بين الموصول ومتعلقه
وهو من تمام الصلة ولا يجوز وقال الحذاق والنحاة العامل فيه مضمر يدل
عليه المصدر تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت
من ان يكون العامل لقادر لان ذلك يظهر منه تخصيص القدرة في ذلك اليوم
وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر
وذلك انه قال انه على رجعه لقادر على الاطلاق اولا واخرا وفي كل وقت ثم ذكر تعالى
وخصص من الاوقات الوقت الاهم على الكفار لانه وقت الجزاء والوصول الى العذاب
ليجتمع الناس الى حذره والخوف منه انتهى تبلى قيل تختبر وقيل تعرف وتتصفح وتميز
صالحها من فاسدها والسرائر ما اكتنته القلوب من العقائد والنيات وما اخفته
الجوارح من الاعمال والظاهر عموم السرائر وفي الحديث انها التوحيد والصلاة والزكاة
والغسل من الجنابة وكان المذكور في الحديث هو معظم السرائر وسمع الحسن من ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في السماء والطارق والبيت للاحوص ولما كان الامتناع
في الدنيا اما بقوة في الانسان واما بناصر خارج عن نفسه نفى عنه تعالى ما يمتنع
به واتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر ولما اقسم ثانيا بالسماء
وهي المظلة قيل ويحتمل ان يكون السحاب ذات الرجع قال ابن عباس الرجع السحاب
فيه المطر وقال الحسن ترجع بالرزق كل عام وقال ابن زيد الرجع مصدر رجوع
الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزلة الى منزلة تذهب وترجع
وقيل الرجع المطر ومنه قول الهذلي

زباب سماء لا يأوي لقلتها الا السحاب والا الارب والسيل
ابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في محتفل يختلي
يصف سيفا شبهه بماء المطر في بياضه وصفائه وسمي رجعا كما سمي اوبا

قال الشاعر

رباب شماء لا يأوي لقلتها الا السحاب والا الارب والسيل

تسمية بمصدر آب ورجع تزعم العرب ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اذا ارادوا التفؤل وسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء

كالرجع في المدجنة السارية وقيل الرجع الملائكة سموا بذلك لرجوعهم باعمال العباد وقيل السحاب والمشهور عند اهل اللغة وقول الجمهور ان الرجع هو المطر والصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات ويناسب قول من قال الرجع المطر وقال ابن زيد ذات الانشقاق بالنبات وقال ايضا ذات الحرث وقال مجاهد الصدع ما في الارض من شقاق ولصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره وهي امور فيها معتبرة وعنه ايضا ذات الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور والضمير في انه قالوا عائد على القرآن فصل اي فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والقول بجوزات يعود الضمير في انه على الكلام الذي اخبر فيه ببعث الانسان يوم القيمة وابتلاء سرائره اي ان ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه ويكون الضمير قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الاخبار عن البعث وليس من الاخبار التي فيها هزل بل هو جد كله انهم اي الكافرون يكيدون اي في ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيدا اي اجازيهم على كيدهم فسمي الجزاء كيدا على سبيل المقابلة نحو قوله ومكروا ومكر الله انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ثم امر رسوله فقال امهلهم رويدا اي امهالا لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين على ان الاول مطلق وهذا الثاني مقيد بقوله رويدا وقرأ ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الامر الاول الغثاء مخفف الثاء ومشددها ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش

قال الشاعر

كان طمية المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل

ورواه الفراء والاغثاء على الجمع وهو غريب من حيث جمع فعالا على افعال الحوة سواد يضرب الى الخضرة قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب

وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبي الذي في ظهره خطان من سواد وبياض

قال الشاعر

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وفي الصحاح الحوة سمرة وقال الاعلم لون يضرب الى السواد وقال ايضا الشديد الخضرة التي تضرب الى السواد

المفردات

سورة سبح

بسم الله الرحمن الرحيم • سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هي مكية ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الانسان مم خلق كان قائلا قال من خلقه على هذا المثال فقيل سبح اسم ربك وايضا لما قال انه لقول فصل قيل هو سنقرئك اي ذلك القول الفصل سبح نزه عن النقائص اسم ربك الظاهر ان التنزيه يقع على الاسم اي نزهه عن ان يسمى به صنم او وثن فيقال له رب او اله واذا كان قد امر بتنزيه اللفظ ان يطلق على غيره فهو ابلغ وتنزيه الذات احرى وقيل الاسم هنا بمعنى المسمى وقيل معناه نزه اسم الله عن ان تذكره الا وانت خاشع وقال ابن عباس المعنى صل باسم ربك الاعلى كما تقول ابدا باسم الله وحذف حرف الجر وقيل المراد فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت قالوا الاعلى يصح ان يكون صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبا وهذا الوجه لا يصح على ان يعرب الذي خلق صفة لربك فيكون في موضع جر لانه قد حالت بينه وبين الموصوف صفة لغيره لو قلت رايت غلام هند العاقل الحسنة لم يجز بل لا بد ان تاتي بصفة هند ثم تاتي بصفة الغلام فتقول رايت غلام هند الحسنة العاقل فان لم يجعل الذي صفة لربك بل يرفعه على انه خبر مبتدا محذوف او تنصبه على المدح جاز ان يكون الاعلى صفة لاسم الذي خلق اي كل شيء فسوى اي لم يات متفاوتا بل متناسبا على احكام واتقان دلالة لانه صادر عن عالم حكيم وقرأ الجمهور قدر بشد الدال فاحتمل ان يكون من القدر والقضا واحتمل ان يكون من التقدير والموازنة بين الاشياء وقال الزمخشري قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به انتهى وقرأ الكسائي قدر بخف الدال من القدرة او من التقدير والموازنة وهدى عام بجميع المهدايات وقال الفرا فهدى واضل اكتفى بالواحدة عن الاخرى وقال الكلبي ومقاتل هدى الحيوان الى وطء الذكور للاناث وقال مجاهد هدى الانسان للخير والشر والبهائم للمراتع وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص الثدي وهذه الاقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص والظاهر ان احوى صفة لغثاء قال ابن عباس المعنى فجعله غثاء احوى اي اسود لان الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار احوى وقيل احوى حال من المرعى اي اخرج المرعى احوى اي للسواد من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريه وحسن تاخير احوى لاجل الفواصل

قال الشاعر

• وغيث من الوسمي حو تلاعه تبطنته بشيظم صلتان

رتّه

سنقرئك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك هذا في معنى لا تحرك به لسانك وعده الله
ان يقرئه واخبره انه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر فكان يحرك شفتيه مبادرة خوفا
من ان ينسى وهذه آية للرسول في انه امي وحفظ الله عليه الوحي وامنه من نسيانه
وقيل هذا وعد باقراء السور وامر ان لا ينسى على معنى التثبيت والتاكيد وقد علم
ان النسيان ليس في قدرته فهي نهي عن اغفال التعاهد واثبتت الالف في فلا تنسى
وان كان مجزوما بلا التي للنهي لتعديل رؤوس الآي الا ما شاء الله الظاهر انه استثناء
مقصود قال الحسن وقتادة وغيرهما معناه مما قضى الله نسخه وان ترتفع تلاوته
وحكمه وقال ابن عباس الا ما شاء الله ان ينسيك لتسن به على نحو قوله عليه السلام
اني لانسى او انسى لاسن وقيل الا ما شاء الله ان يغلبك النسيان عليه ثم يذكرك
به كما قال عليه السلام حين سمع قراءة عباد بن بشير لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة
كذا وكذا وقيل فلا تنسى اي فلا تترك العمل به الا ما شاء الله ان تتركه بنسخه اياه
فهذا في نسخ العمل وقال الفراء وجماعة هذا استثناء صلة في الكلام على سنة
الله تعالى في الاستثناء وليس ثمة شيء ابيح استثناؤه واخذ الزمخشري هذا القول
فقال او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه
انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة
في معنى النفي انتهى وقول الفراء والزمخشري يجعل الاستثناء كلا استثناء وهذا لا ينبغي
ان يكون في كلام الله بل ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان لا في فلا تنسى للنهي
للنهي والالف ثابتة لاجل الفاصلة هو قول ضعيف ومفهوم الاية في غاية
الظهور وقد تعسفوا في فهمها والمعنى انه تعالى اخبر انه سيقرئه وانه لا ينسى
الا ما شاء الله فانه ينساه اما النسخ واما ان يسن واما على ان يتذكر وهو عليه
السلام معصوم من النسيان فيما امر بتبليغه فان وقع نسيان فيكون على وجه
من هذه الوجوه الثلاثة ومناسبة سنقرئك لما قبله انه لما امره تعالى بالتسبيح
وكان التسبيح لا يتم الا بقراءة ما انزل عليه من القرآن وكان يتذكر في نفسه مخافة
ان ينسى فازال عنه ذلك وبشره بانه تعالى يقرئه وانه لا ينسى استثنى ما شاء
ان ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه انه يعلم الجهر اي جهرك بالقرآن وما يخفى اي
في نفسك من خوف التفلت وقد كفاك ذلك بكونه يكفلك باقرائك اياه واخبارك
انك لا تنسى الا ما استثناه وتضمن ذلك احاطة علمه بالاشياء ونيسرك معطوف
على سنقرئك وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض اي نوفقك للطريقة التي هي
ايسر واسهل يعني في حفظ الوحي وقيل للشريعة الحنيفية السهلة وقيل نذهب
بك الى الامور الحسنة في امر دنياك وآخرتك من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة
ولما اخبره تعالى بانه يقرئه وييسره امره بالتذكير اذ ثمرة الاقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع
من ارسل اليهم والظاهر ان الامر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى وهذا الشرط انما جيء
به توبيخا لقريش اي ان نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة ومعناه
استبعاد انتفاعهم بالذكرى فهو كما قال الشاعر

٭ لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي ٭

كما تقول قل لفلان واعذله ان سمعك فقوله ان سمعك انما هو توبيخ واعلام انه لن
يسمع وقال الفراء والنحاس والزهراوي والجرجاني معناه وان لم ينفع فاقتصر
على القسم الواحد لدلالته على الثاني وقيل ان بمعنى اذ كقوله وانتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين اي اذ كنتم لانه لم يخبر بكونهم الاعلون الا بعد ايمانهم سيذكر من يخشى
اي لا يتذكر بذكراك الا من يخاف فان الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه
فاذا نظر فاداه النظر الى التذكر الى الحق وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون كل على قدر
ما وفق له ويتجنبها اي الذكرى الاشقى اي المبالغ في الشقاوة لان الكافر بالرسول
عليه السلام هو اشقى الكفار لان المؤمن به وبما جاء به هو افضل ممن آمن برسول قبله
ثم وصفه بما يؤول اليه حاله في الاخرة وهو صلي النار ووصفها بالكبرى قال الحسن
النار الكبرى نار الاخرة والصغرى نار الدنيا وقال الفراء الكبرى السفلى من اطباق
النار وقيل نار الاخرة تتفاضل ففيها شيء اكبر من شيء ثم لا يموت فيستريح ولا يحيى
حياة هنيئة وجيء بثم المقتضية للتراخي ايذانا بتفاوت مراتب الشدة لان التردد
بين الحيوة والموت اشد وافظع من الصلي بالنار قد افلح اي فاز وظفر بالبغية من تزكى
من تطهر قال ابن عباس من الشرك وقال لا اله الا الله وقال الحسن من كان عمله
زاكيا وقال ابو الاحوص وجماعة وقتادة وجماعة من رضخ من ماله
وزكاه وذكر اسم ربه اي وحده لم يقرنه بشيء من الانداد فصلى اي الصلاة
المفروضة وما امكنه من النوافل والمعنى انه لما تذكر آمن بالله ثم اخبر عنه
تعالى انه افلح من اتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكوة واحتج بقوله وذكر
اسم ربه على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انه جائز بكل اسم من اسمائه تعالى
وانها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة
الافتتاح وهو احتجاج ضعيف وقال ابن عباس وذكر اسم ربه اي معاده
وموقفه بين يدي ربه فصلى له وقرا الجمهور بل تؤثرون بتاء الخطاب للكفار
وقيل خطاب للبر والفاجر يؤثرها البر لاقتناء الثواب والفاجر لرغبته
فيها وقرا عبد الله وابو رجاء والحسن والجحدري وابو حيوة وابن ابي عبلة
وابو عمرو والزعفراني وابن مقسم بياء الغيبة ان هذا اي الاخبار بافلاح من
تزكى وايثار الناس للدنيا قاله ابن زيد وابن جرير ورجح بقرب المشار اليه بهذا
وقال ابن عباس وعكرمة والسدي الى معاني السورة وقال الضحاك
الى القرآن وقال قتادة الى قوله والاخرة خير وابقى لفي الصحف الاولى
لم ينسخ افلاح من تزكى والاخرة خير وابقى في شرع من الشرائع فهو في الاولى وفي
اخر الشرائع وقرا الجمهور الصحف بضم الحاء في الحرف الثاني والاعمش وهرون
وعصمة كلاهما عن ابي عمرو بسكونها وفي كتاب اللوامح العتكي عن ابي عمرو الصحف
صحف باسكان الحاء فيهما لغة تميم وقرا الجمهور ابرهيم بالف وبياء والهاء
مكسورة وابو رجاء بحذفهما والهاء مفتوحة مكسورة معا وابو موسى الاشعري
وابن الزبير ابراهام بالفين في كل القرآن ومالك بن دينار ابراهم بالف
وفتح الهاء وبغير ياء وعبد الرحمن بن ابي بكرة ابراهم بكسر الهاء وبغير ياء في جميع

المفردات

القرآن قال ابن خالويه وقد جاء ابراهم يعني بالف وضم الهاء وتقدم في والنجم
الكلام على بحث ابراهيم وموسى الضريع قال ابو حنيفة واظنه صاحب النبات
الضريع الشبرق وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحما ولا لحما ومنه قول
ابن عزارة الهذلي

وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود

وقال ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وصار ضريعا بان عنه النحائص

وقال بعض اللغويين الضريع يبيس العرفج اذا تحطم وقال الزجاج مونيت
كالعوسج وقال الخليل نبت اخضر منتن الريح يرمي به البحر النمارق الوسائد
واحدها نمرقة بضم النون والرا وبكسرهما

وقال زهير

كهولا وشبانا حسانا وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق

الزرابي بسط عراض فاخرة وقال الفراء الطنافس المخملة وواحدها زربية
بكسر الزاي وبفتحها سطحت الارض بسطت ووطئت

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع
لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا يسمع فيها
لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم
بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا
حسابهم هي مكية ولما ذكر فيما قبلها فذكر وذكر النار والاخرة قال
هل اتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها
يعني القيامة قاله سفيان والجمهور وقال ابن جبير ومحمد بن كعب النار وقال
تعالى وتغشى وجوههم النار وقال ومن فوقهم غواش فهي تغشى سكانها وهذا
الاستفهام توقيف فائدته تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر وقيل المعنى هل كان
هذا من علمك لولا ما علمناك وفي هذا تعديد النعمة وقيل هو بمعنى قد وجوه يومئذ
اي يوم اذ غشيت والتنوين عوض من الجملة ولم تتقدم جملة يصلح ان يكون التنوين
عوضا منها لكن تقدم لفظ الغاشية وال موصولة باسم الفاعل فيتحلل للتي غشيت
اي للداهية التي غشيت فالتنوين عوض من هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية
اليها والى الموصول الذي هو التي خاشعة ذليلة عاملة ناصبة قال ابن عباس
والحسن وابن جبير وقتادة عاملة في النار ناصبة تعبة فيها لانها تكبرت عن العمل
في الدنيا قيل وعملها في النار جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار
كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود نار وهبوطها في حدور

منها

منها وقال ابن عباس ايضا وزيد بن اسلم وابن جبير عاملة في الدنيا ناصبة فيها
لانها على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار والآية في القسيسين
وعباد الاوثان وكل مجتهد في كفر وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا ناصبة
يوم القيامة وقرا ابن كثير في رواية شبل وحميد وابن محيصن عاملة ناصبة بالنصب
على الذم والجمهور برفعهما وقرا تصلى بفتح التا ابو رجاء وابن محيصن والاعرج
بضمها وخارجة بضم التا وفتح الصاد مشددا اللام وقد حكاها ابو عمرو بن العلاء
حامية متسعرة آنية قد انتهى حرها كقوله وبين حميم آن قاله ابن عباس
والحسن ومجاهد وقال ابن زيد حاضرة لهم من قولهم اني الشي حضر والضريع قال
ابن عباس شجر من نار وقال الحسن وجماعة الزقوم وقال ابن جبير حجارة
في النار وقال ابن عباس ايضا وقتادة وعكرمة ومجاهد شبرق النار
وقيل العشرق وقيل رطب العرفج وتقدم ما قيل فيه في المفردات وقيل
واد في جهنم والضريع ان كان الغسلين والزقوم فظاهر ولا يتنافى الحصر في الا من
غسلين والا من ضريع وان كانت اغيارا مختلفة والجمع بان الزقوم لطايفة
والغسلين لطايفة والضريع لطايفة وقال الزمخشري لا يسمن مرفوع
المحل ومجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شي ليس من مطاعم
الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه
تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منفيتان عنه وهما اماطة الجوع
وافادة القوة والسمن في البدن انتهى فقوله مرفوع المحل ومجرور على وصف
طعام او ضريع اما جره على وصفه لضريع فيصح لانه مثبت نفي عنه السمن والاغنا
من الجوع واما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام منفي ولا يسمن منفي فلا يصح
تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع
فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس
لزيد مال لا ينتفع به الا من مال لعمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال لعمرو
ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا
لانه في موضع رفع على انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كاين من ضريع
اذ لا طعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح
وقال الزمخشري او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس
بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما
بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد انتهى فعلى
هذا يكون الاستثنا منقطعا اذ لم يندرج الكاين من الضريع تحت لفظة طعام
اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله ولا طعام الا من غسلين لان
الطعام هو ما يتطعمه المرء وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه وما لا
يستلذ ولا يستكره وجوه يومئذ ناعمة هي الابتدا في هذا وفي قوله وجوه
يومئذ خاشعة بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة لحسنها ونضارتها
او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها في الدنيا بالطاعة راضية اذ كان ذلك

العمل جزاؤه الجنة في جنة عالية اي مكانا ومكانة وقرأ الاعرج واهل مكة والمدينة
ونافع وابن كثير وابو عمرو بخلاف عنهم لا تسمع بتاء التانيث مبنيا للمفعول
لاغية رفع اي كلمة لاغية او جماعة لاغية او لغو فيكون مصدرا كالعافية
ثلاثة اقوال الثالث لابي عبيدة وابن محيصن وعيسى وابن كثير وابو عمرو
كذلك الا انهم قرؤا بالياء لمجاز التانيث والفضل والجحدري كذلك
الا انه نصب لاغية على معنى لا تسمع فيها اي احد من قولك اسمعت زيدا والحسن
وابو رجاء وابو جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وابو عمرو
بخلاف عنه وباقي السبعة لا تسمع بتاء الخطاب عموما او للرسول او الفاعل الوجوه
لاغية بالنصب فيها عين جارية عين اسم جنس اي عيون او مخصوصة ذكرت تشريفا
لها فيها سرر مرفوعة من رفعة المنزلة او رفعة المكان ليرى ما خوله ربه من
الملك او النعيم او مخبوء من رفعت لك هذا اي خبأته واكواب موضوعة ٥
اي باشربتها معدة لا تحتاج الى ملء او موضوعة بين ايديهم او موضوعة على حافات
العيون ٥ ونمارق مصفوفة اي وسائد صف بعضها الى جنب بعض للاستناد
اليها والاتكاء عليها وزرابي مبثوثة متفرقة هنا وهنا في المجالس ولما ذكر
تعالى امر القيامة وانقسام اهلها الى اشقياء وسعداء وعلم انه لا سبيل الى اثبات
ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم اتبع ذلك بذكر هذه الدلائل وذكر ما العرب
مشاهدوه وملابسوه دائما فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وهي
الجمال فانه اجتمع فيها ما يعرف من المنافع في غيرها من اكل لحمها وشرب لبنها والحمل
عليها والتنقل عليها الى البلاد الشاسعة وعيشها باي نبات اكلته وصبرها على
العطش حتى ان فيها ما يرد الماء لعشر وطواعيتها لمن يقودها ونهضها وهي باركة بالاحمال
الثقال وكثرة حنينها وتاثرها بالصوت الحسن على غلظ اكبادها وهي لا شيء من الحيوان
جمع هذه الخصال غيرها وقد ابان تعالى امتنانه عليهم بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا انعاما الايات ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها دية القتل
ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن ارادوا اكرامه وذكرها الشعراء في مدح من
وهبها كما قال
اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية
وقال
الواهب المائة المعكاء زينها
وناسب التنبيه بالنظر
اليها والى ما حوت من عجائب الصفات ما ذكر معها من السماء والجبال والارض
لانتظام هذه الاشياء في نظر العرب في اوديتهم وبواديهم وليدل على ان الاستدلال
على اثبات الصانع ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام في كل موجود اته ٥
كما قال ٥ وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ٥ وقال ابو العباس
المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتي ارسالا كالابل
وترجى كما ترجى الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل والنعام ومنه
قول الشاعر ٥

كان السحاب دوين السماء نعام تعلق بالارجل

قال الزمخشري ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة

ولعله

ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير
ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها
السحاب على طريق التشبيه والمجاز انتهى وقرأ الجمهور الابل بكسر الباء وتخفيف
اللام والاصمعي عن ابي عمرو باسكان الباء وعلي وابن عباس بشد اللام وروي
عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من اهل اللغة وقال
الحسن خص الابل بالذكر لانها تاكل النوى والقت وتخرج اللبن وقيل له الفيل
اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه
ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والابل لا واحد له من لفظه وهو مؤنث وله اذا
صغر دخلته التاء فقالوا ابيلة وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا
تابل الرجل وتعجبوا من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما ابل زيدا وابل اسم جاء
على فعل ولم يحفظ س مما جاء على هذا الوزن غيره وكيف خلقت جملة استفهامية
في موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى والى كيف خلقت
على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم عرفت
زيدا ابو من هو على اصح الاقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف فحكي انهم قالوا
انظر الى كيف يصنع وكيف سوال عن حال والعامل فيها خلقت واذا علق الفعل عما
فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقد بينا ذلك في كتابنا المسمى بالتذكرة وغيره
وقرأ الجمهور خلقت رفعت نصبت سطحت بتاء التانيث مبنيا للمفعول وعلي وابو حيوة
وابن ابي عبلة بتاء المتكلم مبنيا للفاعل والجمع والمفعول محذوف اي خلقتها رفعتها نصبتها
سطحتها رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول
سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها وقرأ الجمهور سطحت خفيفة
الطاء والحسن وهرون الرشيد بشدها ولما حضهم على النظر امر رسوله بتذكيرهم
فقال فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا
البلاغ لست عليهم بمصيطر اي بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقرأ الجمهور
بالصاد وكسر الطاء وابن عامر في رواية ونظيف عن قنبل وزرعان عن حفص بالسين
وحمزة في رواية باشمام الزاي وهرون بفتح الطاء وهي لغة تميم وسيطر
متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسيطر وليس في الكلام على هذا
الوزن الا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر وهي اسماء فاعلين من سيطر وبيطر وبيقر
وجاء مجيمر اسم واد ومدبير ويمكن ان يكون اصلهما مدبر ومجمر فصغرا وقرأ الجمهور
الا حرف استثناء فقيل متصل اي فانت مسيطر عليه وقيل متصل من فذكر اي فذكر
الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
وقيل منقطع وهي اية موادعة نسخت بالسيف وقرأ ابن عباس وزيد بن علي
وقتادة وزيد بن اسلم الا حرف تنبيه واستفتاح والعذاب الاكبر هو عذاب
جهنم وقرأ الجمهور ايابهم بتخفيف الياء مصدر آب وابو جعفر وشيبة بشدها
مصدرا لفيعل من آب على وزن فيعال او مصدرا لفوعل كحوقل على وزن فيعال
ايضا كحيقال او مصدرا كفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فاصله اوواب

وفي نسخة

فقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البناء وا لبناء بن
قبله واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغم ولم يمنع
الادغام من القلب لان الواو والياء ليستا عينين من الفعل بل الياء في فيعل
والواو في فعول زائدتان وقال صاحب اللوامح وتبعه الزمخشري يكون
اصله اوابا مصدر آوب نحو كذب كذابا ثم قيل ايوابا قلبت الواو الاولى
ياء لانكسار ما قبلها قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل
بسيد يعني انه اجتمع ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء
وادغمت التاني الواو فاما كونه مصدر آوب فانه لا يجوز لانهم نصوا على
ان الواو الاولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا
فلا تقلب الواو الاولى ياء لاجل الكسرة ومثلوا باخرواط مصدر اخروط
ومثلوا ايضا مصدر آوب نحو آوب اوابا فهذه وضعت على الادغام فحصنها
من الابدال ولم يتأثر للكسرة واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم
لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان
اصل هذه الياء واو وايضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره
وقال ابن عطية ويصح ان يكون من آوب فيجيء ايوابا سهلت الهمزة وكان اللازم في الادغام
يردها اوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس انتهى فقوله وكان اللازم في الادغام
يردها اوابا ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت
ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل وواو وهي عين الكلمة واحداهما ساكنة
فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير ايابا ولما كان من مذهب الزمخشري
ان تقديم المعمول يفيد الحصر قال معناه ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على
الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير
ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة الحجر العقل قال الفراء العرب تقول انه لذو حجر
اذا كان قاهرا لنفسه حافظا لها كانه من حجرت على الرجل ارم امة قديمة وقيل
اسم ابي عاد كلها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل مدينة وعلى انه اسم
قبيلة قال زهير ن

• واخرين ترى الماذي عدتهم من نسج داود وهما او ورثت ارما ن

وقال ابن الرقيات ن

• مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبله ارما ن

جاب خرق وقطع تقول جبت البلاد اجوبها اذا قطعتها وجاوزتها ن

قال الشاعر ن

ولا رايت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت بها بلدا ن

السوط آلة للضرب معروفة قال بعض اللغويين وهو مصدر من ساط
يسوط اذا خلط وقال الليث ساطه اذا خلطه بالسوط ومنه

• احارث انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما ن

وقال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة اللم الجمع واللف

قال

المفردات

قال ابو عبيدة لممت ما على الخوان اذا اكلته جميع ما عليه باسره ن

وقال الحطيئة ن

• اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا ن

ومنه لم الشعث قال النابغة ن

• ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب ن الجم الكثير

سورة الفجر ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل
اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد
الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك
لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن
واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا يكرمون
اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين وياكلون التراث اكلا لما ويحبون المال
حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي • هذه السورة
مكية في قول الجمهور وقال علي بن ابي طلحة مدنية ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ
خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة اتبعه بذكر الطوائف المكذبين المتجبرين الذين
وجوههم خاشعة واشار الى الصنف الاخر الذين وجوههم ناعمة بقوله يا ايتها النفس
المطمئنة وايضا لما قال الا من تولى وكفر قال هنا ان ربك لبالمرصاد تهديدا
لمن كفر وتولى وقرأ ابو الدينار الاعرابي والفجر والوتر ويسر بالتنوين في الثلاثة
قال ابن خالويه هذا كما روي عن بعض العرب انه وقف على آخر القوافي بالتنوين
وان كانت فعلا وان كان فيه الف ولام قال الشاعر ن

• اقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابا ن

انتهى وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة اذا لم يترنم الشاعر وهو احد
الوجهين اللذين للعرب اذا انشدوا ولم يترنموا والوجه الاخر الوقف فيقولون
العتاب واصاب كحالهم اذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر وهذا ا
الاعرابي اجرى الفواصل مجرى القوافي وقرأ الجمهور وليال عشر بالتنوين
وابن عباس بالاضافة فضبطه بعضهم وليال عشر بلام دون ياء وبعضهم
وليالي عشر بالياء ويريد وليالي ايام عشر ولما حذف الموصوف المعدود وهو
مذكر جاء في عدده حذف التاء من عشر والجمهور والوتر بفتح الواو وسكون التاء
وهي لغة قريش والاغر عن ابن عباس وابو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة
والاعمش والحسن بخلاف عنه والاخوان بكسر الواو وهي لغة تميم واللغتان
في الفرد فاما في الذحل فالكسر لا غير وحكى الاصمعي فيه اللغتين ويونس عن ابي عمرو

بفتح الواو وكسر التاء والجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا وابن كثير باثباتها فيهما
ونافع وابو عمرو بخلاف عنه باثباتها في الوصل وبحذفها في الوقف والظاهر وقول الجمهور
منهم علي وابن عباس وابن الزبير ان الفجر هو المشهور اقسم به كما اقسم بالصبح ويراد به
الجنس لا فجر يوم مخصوص وقال ابن عباس ومجاهد هو يوم النحر وعكرمة هو يوم
الجمعة والضحاك فجر ذي الحجة ومقاتل فجر ليلة جمع وابن عباس وقتادة فجر اول يوم
من المحرم وعن ابن عباس ايضا الفجر النهار كله وعنه ايضا وعن زيد بن اسلم الفجر
هو صلاة الصبح وقرانها هو قران الفجر وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها وقال
ابن الزبير والكلبي وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وعطية العوفي هي عشر ذي
الحجة وابن عباس والضحاك العشر الاواخر من رمضان وقال ابن جريج
الاول منه ويمان وجماعة الاول من المحرم وفيه يوم عاشوراء ومسروق
ومجاهد وعن موسى التي اتمها الله قيل والاظهر قول ابن عباس للحديث المتفق
على صحته قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره
واحيى ليله وايقظ اهله قال التبريزي اتفقوا على انه العشر الاواخر يعني
من رمضان لم يخالف فيه احد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم وقال الزمخشري
واراد بالليالي العشر ذي الحجة **فان قلت** فما بالها منكرة من بين ما اقسم به **قلت**
لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة
ليست لغيرها **فان قلت** فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة
قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن
ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية انتهى
اما السؤال الاول فظاهر واما الجواب عنهما فلفظ ملفق لا يعقل منه معنى فيقبل
او يرد والشفع والوتر ذكر في كتاب التحرير والتحبير فيها ستة وثلاثين قولا فجرنا
من قراءتها فضلا عن كتابتها في كتابنا هذا وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها الوتر وروى ابو ايوب عنه عليه السلام
الشفع يوم عرفة ويوم الاضحى والوتر ليلة النحر وروى جابر عنه عليه السلام
الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وفي هذا الحديث تفسيره عليه السلام الفجر
بالصبح والليالي العشر بعشر النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس
وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر
شفع لانه عاشرها وذكر ابن عطية في الشفع والوتر اربعة عشر قولا والزمخشري
ثلاثة اقوال ثم قال وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون
اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه انتهى والليل
اذا يسري قسم بجنس الليل ويسري يذهب وينقرض كقوله والليل اذ ادبر
وقال الاخفش وابن قتيبة يسرى فيه فيكون من باب ليل نائم وقال
مجاهد وعكرمة والكلبي المراد به ليلة جمع لانه يسرى فيها وجواب القسم
محذوف قال الزمخشري وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله

نصبت عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري الجواب قوله ان ربك
لبالمرصاد والذي يظهر ان الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من اخر سورة الغاشية
وهو قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا
وقول مقاتل هل هنا في موضع تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع
جواب القسم قول لم يصدر عن تامل لان المقسم عليه على تقدير ان يكون التركيب ان في
ذلك قسما لذي حجر لم يذكر فيبقى قسم بلا مقسم عليه لان الذي قدره من ان في ذلك
قسما لذي حجر لا يصلح ان يكون مقسما عليه هل في ذلك تقرير على عظم هذه الاقسام
اي هل فيها مقتنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في ايات الله ثم وقف المخاطب
على مصارع الامم الكافرة الماضية مقصودا بذلك توعد قريش ونصب المثل لها
وعاد هو عاد بن عوص واطلق ذلك على عقبه ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم
تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة وقال مجاهد وقتادة هي
قبيلة بعينها وقال ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة
لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية
وقال ابن المسيب والمقبري هي دمشق وقال مجاهد ايضا ارم معناه القديم
وقرا الجمهور بعادٍ مصروفا إرَمَ بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوع الصرف للتانيث
والعلمية لانه اسم للقبيلة وعاد وان كان اسم القبيلة فقد يلحظ فيه معنى
الحي فيصرف او لا يلاحظ فيجيء على لغة من صرف هندا وارم عطف بيان
او بدل **وقرا** الحسن بعاد غير مصروف مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا وجدا
ومدينة والضحاك بعادَ أرَمَ بفتح الدال وما بعدها ممنوعي الصرف **وقرا**
ابن الزبير بعادِ بالاضافة أرِم بفتح الهمزة وكسر الراء وهي لغة في المدينة
والضحاك بعادٍ مصروفا وبعادَ غير مصروف ايضا أرْم بفتح الهمزة وسكون
الراء تخفيف أرِم بكسر الراء وابن عباس والضحاك أرَمَّ فعلا ماضيا
اي بلي يقال رم العظم وارم هو اي بلي وارمه غيره معدى بالهمزة من رم الثلاثي
وذات على هذه القراءة مكسورة التاء وابن عباس ايضا ارم فعلا ماضيا ذات
بنصب التاء على المفعول به وذات بالكسر صفة لارم وسواء كانت اسم قبيلة
ام مدينة وان كان يترجح كونها مدينة بقوله لم يخلق مثلها في البلاد فاذا كانت
قبيلة صح اضافة عاد اليها وفكها بجعلها بدلا او عطف بيان وان كانت
مدينة فالاضافة اليها ظاهرة والفك فيها يكون على حذف مضاف اي بعادٍ اهل
ارم ذات العماد **وقرئ** أرَمِ ذاتِ باضافة ارم الى ذات والارم العلم يعني
بعاد اعلام ذات العماد ومن قرا أرَمَّ فعلا ماضيا ذاتَ بالنصب اي جعل الله
ذات العماد رميما ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيينا لفعل واذا كانت ذات
العماد صفة للقبيلة فقال ابن عباس هي كناية عن طول ابدانهم ومنه قيل رفيع
العماد شبهت قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اي طويل وقال
عكرمة ومقاتل الاعمدة بيوتهم التي كانوا يرحلون بها لانهم كانوا اهل عمود وقال
ابن زيد الاعمدة بنيانهم واذا كانت صفة للمدينة فالاعمدة الحجارة التي بنيت بها

وقيل القصور العالية والابراج يقال لها عماد وحكي عن مجاهد ارم مصدر ارم
يارم اذا اهلك والمعنى كهلاك ذات العماد كان المعنى كيف فعل ربك بعاد كيف
اهلك عادا كهلاك ذات العماد وهذا قول غريب وذكر المفسرون ان ذات العماد
مدينة ابتناها شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة على اوصاف بعيد او مستحيل عادة
ان يبنى في الارض مثلها وانه تعالى بعث عليه وعلى اهله صيحة قبل ان يدخلها
هلكوا جميعا ويوقف على قصتهم في كتاب التحبير وشيء منها في الكشاف وقرأ
الجمهور لم يخلق مبنيا للمفعول مثلها رفع وابن الزبير مبنيا للفاعل مثلها نصبا وعنه
نخلق بالنون والضمير في مثلها عائد على المدينة التي هي ذات العماد في البلاد
اي في بلاد الدنيا او عائد على القبيلة اي في عظم الاجسام وقوة وقرأ ابن وثاب
وثمود بالتنوين والجمهور بمنع الصرف جابوا الصخر خرقوه ونحتوه فاتخذوا في الحجارة
منها بيوتا كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور
والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بالواد وادي القرى
وقيل جابوا واديهم وجلبوا ماءهم في صخر شقوه فعل ذي القوة والآمال ذي
الاوتاد تقدم الكلام عليه في سورة ص الذين صفة لعاد وثمود وفرعون او منصوب
على الذم او مرفوع على اضمارهم فصب عليهم ربك سوط عذاب ابهم هنا واوضح
في الحاقة وفي غيرها ويقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه واستعمل الصب
في السوط لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب ٥

وقال الشاعر

فصبت عليهم محصدات كانها شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

يريد المجلودين في قصة الافك وقال بعض المتأخرين في صفة الخيل ٥

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها ايد سراع وارجل ٥

وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره
وقال الزمخشري وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم
بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به والمرصاد
والمرصد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده
العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المرصاد في الآية
اسم فاعل كانه قال لبالراصد فعبر ببناء المبالغة انتهى ولو كان كما زعم لم تدخل
الباء لانها ليست في مكان دخولها لا زائدة ولا غير زائدة فاما الانسان ذكر تعالى
ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله تعالى واهانته لعبده فيرون
المكرم من عنده الثروة والاولاد والمهان ضده ولما كان هذا غالبا عليهم
وبخوا بذلك والانسان اسم جنس ويوجد هذا في كثير من اهل الاسلام وقال
الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك
لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما
يلذه وينعمه فيه انتهى وفيه التصريح بمذهب الاعتزال في قوله لا يريد من الانسان

الا الطاعة واذا العامل فيه فيقول والنية فيه التأخير اي فيقول كذا وقت
الابتلاء وهذه الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها وان كانت فاء دخلت
في خبر المبتدأ لاجل اما التي فيها معنى الشرط وبعد اما الثانية مضمر به وقع التوازن
بين الجملتين تقديره فاما هو اذا ما ابتلاه فيقول خبر عن ذلك المبتدأ المضمر
والابتلاء معناه اختبره ايشكر ام يكفر اذا بسط له وايصبر ام يجزع اذا ضيق
عليه لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقابل ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه
ولم يقابل فاكرمه بلفظ فاهانه لانه ليس من ضيق عليه الرزق كان ذلك اهانة له
الا ترى الى ناس كثير من اهل الصلاح مضيقا عليهم الرزق كحال في سليمان داود
ابي علي الاصبهاني وغيره وذكر تعالى لعبده في حالتيه هاتين اما في قوله فيقول ربي
اكرمن فلانه اختيار منه على انه يستحق الكرامة ويستوجبها واما في قوله اهانن فلانه
سمى ترك التفضل اهانة وليس باهانة او يكون اذا تفضل عليه اقر باحسان الله اليه
واذا لم يتفضل عليه سمى ترك تفضل الله اهانة لا الى الاعتراف بقوله اكرمن وقرأ
ابن كثير اكرمني واهانني بالياء فيهما ونافع بالياء وصلا وحذفها وقفا وخير في الوجهين
ابو عمرو وحذفها باقي السبعة فيهما وصلا ووقفا ومن حذفها وقفا سكن النون
فيه وقرأ الجمهور فقدر بخف الدال وابو جعفر وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه
وابن عامر بشدها قال الجمهور هما بمعنى واحد بمعنى ضيق والتضعيف فيه للمبالغة
لا للتعدي ولا يقتضي ذلك قول الانسان اهانن لان اعطاء ما يكفيه لا اهانة
فيه كلا رد على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله وتقديره الرزق سببه ما
ذكرتم بل اكرامه العبد تيسيره لتقواه واهانته له تيسيره للمعصية
ثم اخبر بما هم عليه من اعمالهم السيئة وقال الزمخشري كلا ردع للانسان عن قوله
ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون فيه
ما يلزمهم من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه
اكل الانعام ويحبونه فيشحون به انتهى وفي الحديث احب البيوت الى الله بيت
فيه يتيم مكرم وقرأ الحسن ومجاهد وابو رجاء وقتادة والجحدري وابو عمرو يكرمون
ولا يحضون ويأكلون ويحبون بياء الغيبة فيها وباقي السبعة بتاء الخطاب وابو جعفر
وشيبة والكوفيون وابن مقسم تحاضون بفتح التاء والالف اصله تتحاضون
وهي قراءة الاعمش اي يحض بعضكم بعضا وعبد الله وعلقمة وزيد بن علي وعبد الله
ابن المبارك والشيزري عن الكسائي كذلك الا انهم ضموا التاء اي تحاضون انفسكم
اي بعضكم بعضا وتفاعل وفاعل ياتي بمعنى فعل ايضا على طعام يجوز ان يكون بمعنى
اطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء والاولى ان يكون على حذف مضاف اي على بذل طعام
ويأكلون التراث كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الاولاد فيأكلون نصيبهم
ويقولون لا ياخذ الميراث الا من يقاتل ويحمي الحوزة والتراث تاؤه بدل
من واو كالتكلاة والتخمة من توكأت ووخمت وقيل كانوا يأكلون ما جمعه الميت
من الظلمة وهم عالمون بذلك يجمعون بين الحلال والحرام او يسرفون في انفاق
ما ورثوه لانهم ما تعبوا في تحصيله كما شاهدنا الوراث البطالين كلا ردع لهم

عن ذلك والانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه في دار الدنيا
دكا دكا حال كقوله بابا بابا اي مكررا عليهم الدك وجاء ربك وقال منذر بن سعيد
معناه ظهور للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الطامة والصاخة وقيل وجاء
قدرته وسلطانه وقال الزمخشري هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين
آثار قدرته وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره
من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه انتهى
والملك اسم جنس يشمل الملائكة روي انه ملائكة كل سماء يكونون صفا حول الارض
في يوم القيامة قال الزمخشري صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا
بعد صف محدقين بالجن والانس انتهى وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم
لمن يرى يومئذ يتذكر يومئذ بدل من اذا قال الزمخشري وعامل النصب فيهما يتذكر
انتهى ظاهر كلامه ان العامل في البدل هو العامل نفسه في المبدل منه وهو قول
قد نسب الى س والمشهور خلافه وهو ان البدل على نية تكرار العامل اي يتذكر ما فرط
فيه وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لانه وقت لا ينفع فيه التذكر لو اتعظ
في الدنيا نفعه ذلك في الآخرة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير لحياتي
المعينة وهي حياة الآخرة قاله الجمهور قال الزمخشري وغيره او وقت حياتي في
الدنيا كما تقول جئت لطلوع الشمس ولتاريخ كذا وكذا وقال قوم لحياتي في قبري
عند بعثي الذي اكذب به قال الزمخشري وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان
في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين
على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر انتهى وهو على طريقة الاعتزال
وقرأ الجمهور لا يعذب ولا يوثق مبنيين للفاعل والضمير في عذابه ووثاقه عائد
على الله تعالى اي لا يكل عذابه ولا وثاقه الى احد لان الامر لله وحده في ذلك او هو
من الشدة في حيز لم يعذب قط احد في الدنيا مثله والاول اوضح لقوله لا يعذب
ولا يوثق ولا يطلق على الماضي الا بمجاز بعيد بل موضوع لا اذا دخلت على المضارع
ان يكون مستقبلا ويجوز ان يكون الضمير فيهما عائدا على الكافر اي لا يعذب
احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقيل الى الله اي لا يعذب احد في الدنيا
عذاب الله للكافر ويضعف هذا عمل لا يعذب في يومئذ وهو ظرف مستقبل
وقرأ ابن سيرين وابن ابي اسحق وسوار القاضي وابو حيوة وابن ابي عبلة
وابو بحرية وسلام والكسائي ويعقوب وسهل وخارجة عن ابي عمرو بفتح الذال
والثاء مبنيين للمفعول فيجوز ان يكون الضمير فيهما مضافا للمفعول وهو الظاهر اي
لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه او لا
يحمل احد عذاب الانسان لقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ○ وعذاب
وضع موضع تعذيب وفي اقتياس مثل هذا خلاف وهو ان يعمل ما وضع لغير
المصدر كالعطا والثواب والعذاب والكلام فالبصريون لا يجيزونه
وان جاء منه شيء تأولوه على اضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ والكوفيون
يجيزونه ويقيسونه وقرأ ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم ووثاقه بكسر الواو

والجمهور

ابي ح

والجمهور بفتحها والمعذب هو الكافر على العموم وقيل هو امية بن خلف وقيل الجمحي
ابن خلف وقيل المراد به ابليس وقام الدليل على انه اشد من الناس عذابا
ويدفع هذا القول قوله يومئذ يتذكر الانسان والضمائر كلها مسوقة له ولما ذكر تعالى
شيئا من احوال من يعذب ذكر شيئا من احوال المؤمن فقال يا ايتها النفس وهذا النداء
الظاهر انه على لسان ملك وقرأ الجمهور يا ايتها بتاء التأنيث وقرأ زيد بن علي يا ايها
بغير تاء ولا اعلم احدا ذكر انها تذكر وان كان المنادى مؤنثا الا صاحب البديع
وهذه القراءة شاهدة بذلك ولذلك وجه من القياس وذلك انه كما لم يثن
ولم يجمع في نداء المثنى والمجموع فكذلك لم يؤنث في نداء المؤنث المطمئنة الآمنة
التي لا يلحقها خوف ولا حزن او التي كانت مطمئنة الى الحق لم يخالطها شك قال
ابن زيد يقال لها ذلك عند الموت وخروجها من جسد المؤمن في الدنيا وقيل
عند البعث وقيل عند دخول الجنة الى ربك اي الى موعد ربك وقيل الرب
هنا الانسان دون النفس اي ادخلي في الاجساد والنفس اسم جنس وقيل
هذا النداء هو الآن للمؤمنين لما ذكر حال الكفار قال يا مؤمنون دوموا وجدوا
حتى ترجعوا راضين مرضيين راضية بما اوتيته مرضية عند الله فادخلي في عبادي
اي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح والمعنى
فادخلي في اجساد عبادي وقرأ الجمهور في عبادي جمعا وابن عباس وعكرمة والضحاك
ومجاهد وابو جعفر وابو صالح والكلبي وابو شيخ الهنائي واليماني في عبدي على
الافراد والاظهر انه اريد به اسم الجنس فمدلوله ومدلول الجمع واحد وقيل هو على
حذف خاطب النفس مفردة فقال فادخلي في عبدي اي في جسد عبدي
وتعدى فادخلي اولا بفي وثانيا بغير في وذلك انه اذا كان المدخول فيه غير
ظرف حقيقي تعدت اليه بفي تقول دخلت في الامر ودخلت في غمار الناس
ومنه فادخلي في عبادي واذا كان المدخول فيه ظرفا حقيقيا تعدت اليه في الغالب
بغير وساطة في قيل ونزلت في عثمان بن عفان وقيل في حمزة وقيل في خبيب
ابن عدي **الكبد** الشدة والمشقة واصله من كبد الرجل كبدا فهو اكبد
اذا وجعه كبده وانتفخت ثم استعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة ○

المفردات

وقال لبيد ○

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد ○

وقال ابو الاصبع ○

لي ابن عم لو ان الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني ○

الشفة معروفة واصلها شفهة حذفت منها الهاء ويدل عليه شفيهة
وشفاه وشافهت وهي مما لا يجوز جمعه بالالف والتاء وان كانت تاء التأنيث
النجد العنق وجمعه نجود وبه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة
والنجد الطريق العالي قال امرؤ القيس ○

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب ○

الفك تخليص الشيء من الشيء ○

قال الشاعر

فيا رب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني

السغب الجوع العام وقد يقال سغب الرجل إذا جاع ترب الرجل إذا افتقر ولصق بالتراب وأترب إذا استغنى وصار ذا مال كالتراب وكذلك أثرى أوصدت الباب وآصدته إذا أغلقته وأطبقته

قال الشاعر

تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة هذه مكية في قول الجمهور وقيل مدنية ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل إليه حاله وحال المؤمن اتبعه بنوع من ابتلائه ومن حال النبي وما آل إليه في الآخرة والإشارة بهذا البلد إلى مكة وأنت حل جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به أي فأنت مقيم به وهذا هو الظاهر وقال ابن عباس وجماعة معناه وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة قال ابن عطية وهذا يتركب على قول من قال لا نافية أي إن هذا البلد لا يقسم الله به وقد جاء أهله بأعمال توجب إحلال حرمته وقال شرحبيل بن سعد يعني وأنت حل بهذا البلد جعلوك حلالا مستحل الأذى والقتل والإخراج وهذا القول بدأ به الزمخشري وقال وفيه بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ثم قال الزمخشري بعد كلام طويل فإن قلت أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى وحمله على أن الجملة اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا أولا أنها جملة حالية وبينا حسن موقعها وهي حال مقارنة لا مقدرة ولا محكية فليست من الإخبار بالمستقبل وأما سؤاله والجواب فهذا

لا بيا له

لا بيانه لأن مثله إذا في تعلق بالتحولات الأخبار فقد يكون بالمستقبلات لأن اسم الفاعل وما يجري مجراه حاله إسناده أو الوصف به لا يتعين حمله على الحال بل تكون للماضي تارة وللحال أخرى وللمستقبل أخرى وهذا من مبادئ علم النحو وأما قوله وكفاك دليلا قاطعا إلى آخره فليس بشيء لأنا لم نحمل وأنت حل على أنه يحل لك ما تصنع في مكة من الأسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا بل حملناه على أنه مقيم بها خاصة وهو وقت النزول كان مقيما بها ضرورة وأيضا فما حكاه من الاتفاق على أنها نزلت بمكة فليس بصحيح وقد حكى الخلاف فيها عن قوم ابن عطية ولا يدل قوله وأنت حل بهذا البلد على ما ذكروه من أن المعنى يستحل إذ ذاك ولا على أنك تستحل فيه أشياء بل الظاهر ما ذكرناه أولا من أنه تعالى أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها بإضافتها إلى الله تعالى وشرفها بحضور رسول الله وإقامته فيها فصارت أهلا أن يقسم بها والظاهر أن قوله ووالد وما ولد لا يراد به معين بل ينطلق على كل والد وقال ابن عباس ذلك فالكلام على العموم يدخل فيه جميع الحيوان وقال مجاهد آدم وجميع ولده وقيل والصالحين من ذريته وقيل نوح وذريته وقال أبو عمران الجوني إبراهيم وجميع ولده وقيل والوالد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ولد إبراهيم عليه السلام وقال الطبري والماوردي يحتمل أن يكون الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد أمته لقوله عليه السلام إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ولقراءة عبد الله وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم فأقسم تعالى به وبأمته بعد أن أقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام وقال الزمخشري فإن قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل وبمن ولده وبه فإن قلت لم نكر قلت للإبهام المستقل بالمدح والتعجب فإن قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن انتهى وقال الفراء وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وما خلق الذكر والأنثى وهو الخالق للذكر والأنثى انتهى وقال ابن عباس وعكرمة وابن جبير المراد بالوالد الذي يولد له وبما ولد العاقر الذي لا يولد له جعلوا ما نافية فتحتاج إلى تقدير موصول يصح به هذا المعنى كأنه قال ووالد والذي ما ولد وإضمار الموصول لا يجوز عند البصريين لقد خلقنا الإنسان في كبد هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على أن الإنسان اسم جنس وفي كبد يكابد مشاق الدنيا والآخرة ومشاقه لا تكاد تنحصر من قطع سرته إلى أن يستقر قراره إما في جنة فتزول عنه المشقات جميعها وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده وقال ابن عباس وعبد الله بن شداد وأبو صالح والضحاك ومجاهد في كبد معناه منتصب القامة واقفا ولم يخلق منكبا على وجهه وهذا امتنان عليه وقال ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن أمه فإذا أذن له في الخروج قلب رأسه إلى قدمي أمه وعن ابن عمر يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء وقال ابن زيد الإنسان آدم في كبد في السماء سماها كبدا وهذه الأقوال ضعيفة والأول هو الظاهر

ان الضمير في ايحسب عايد على الانسان اي بنو لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب انه
لايقاومه احد ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعدده يقول على سبيل الفخر اهلكت
مالا لبدًا اي في المكارم وما يحصل به الثنا ايحسب ان اعماله تخفى وانه لايراه احد
ولا يطلع عليه في انفاقه ومقصده ما يبتغيه مما ليس لوجه الله منه شي بل عليه
حفظة يكتبون ما يصدر منه من عمل في حياته ويحصونه الى يوم الجزاء وقيل الضمير
في ايحسب لبعض صناديد قريش فقيل هو ابو الاشد اسيد بن كلدة الجمحي وقيل
عمرو بن عبد ود وكل من هاذين له باس وشدة يحكى ان ابا الاشد كان يبسط
له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعًا
ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة وقيل الحارث بن عامر بن نوفل
كان اذا اذنب استفتى الرسول عليه السلام فيامره بالكفارة فقال اهلكت
مالا لبدًا في الكفارات والتبعات منذ تبعت محمدًا وقرا الجمهور لبدًا بضم اللام وفتح
البا وابو جعفر بشد البا وعنه وعن زيد بن علي لبدا بسكون البا ومجاهد
وابن ابي الزناد بضمهما ثم عدد تعالى على الانسان نعمه فقال الم نجعل له
عينين يبصر بهما ولسانا يفصح عما في باطنه وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على الاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين قال ابن مسعود
وابن عباس والجمهور طريق الخير والشر وقال ابن عباس ايضا وعلي وابن المسيب والضحاك
الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فلا اقتحم العقبة اي لم يشكر تلك النعم
السابغة والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل
مال تشبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وكان صعودًا فانه يلحقه مشقة
في سلوكها والاقتحام دخولها بسرعة وضغط وشدة والقحمة الشدة والسنة الشديدة
ويقال تقحم في الامر تقحمًا رمى نفسه فيه من غير روية والظاهر ان لا للنفي وهو قول
ابي عبيدة والفرا والزجاج كانه قال وهبنا له الجوارح ودللناه على السبيل
فما فعل خيرًا اي فلم يقتحم قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب
لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد كقوله فلا صدق ولا صلى وانما افردها
لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قايمًا مقام
التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقيل هو جار مجرى الدعا
كقولك لا نجا ولا سلم دعا عليه ان لا يفعل خيرًا وقيل هو تحضيض بمعنى الا
ولا نعرف ان لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة وقيل العقبة جبل في
جهنم لا ينجي منه الا الاعمال قاله الحسن وقال ابن عباس ومجاهد
وكعب جبل في جهنم وقال الزمخشري بعد ان يحكي مقالة الفرا والزجاج
هي بمعنى لا متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا
اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى ولا يتم له هذا الا
على قراءة من قرا فك فعلا ماضيا وقرا ابن كثير والنحويان فك فعلا ماضيا
رقبة نصب او اطعم فعلا ماضيا وباقي السبعة فك مرفوعا رقبة مجرورا
واطعام مصدر منون معطوف على فك وقرا علي وابو رجا كقراة ابن كثير

الا انهما قرا ذا مسغبة بالالف وقرا الحسن وابو رجا ايضا او اطعام في يوم
ذا بالالف ونصب ذا على المفعول اي انسانا ذا مسغبة ويتيما بدل منه او صفة
وقرا بعض التابعين فك رقبة بالاضافة او اطعم فعلا ماضيا ومن قرا
فك بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة والتقدير وما ادراك ما اقتحام
العقبة ومن قرا فك فعلا ماضيا فلا يحتاج الى تقدير مضاف بل يكون
التعظيم للعقبة نفسها ويجي فك بدلا من اقتحم قاله ابن عطية وفك الرقبة
تخليصها من الاسر والرق ذا مقربة ليجتمع صدقة وصلة واو مسكينا للتنويع ووصف
يوم بذي مسغبة على الاتساع ذا متربة قال هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا
على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب
وجهه اليه مستيقنا انه ليس فيه الا التراب ثم كان من الذين آمنوا هذا معطوف
على قوله فلا اقتحم ودخلت ثم للتراخي الايمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي
في الزمان لانه لابد ان يسبق تلك الاعمال الحسنة الايمان اذ هو شرط في صحة
وقوعها من الطايع او يكون المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين آمنوا وافى
على الموت على الايمان اذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات او يكون
التراخي في الذكر كانه قيل ثم اذكر انه كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر
اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي
وتواصوا بالمرحمة اي بالتعاطف والتراحم او بما يودي الى رحمة الله
والميمنة والمشامة تقدم القول فيهما في الواقعة وقرا ابو عمرو وحمزة
وحفص موصدة بالهمز هنا وفي الهمزة فيظهر انه من آصدت قيل ويجوز
ان يكون من وصدت وهمز على حد من قرا بالسوق مهموزا وقرا باقي
السبعة بغير همز فيظهر انه من اوصدت وقيل يجوز ان يكون من آصدت
وسهل الهمزة وقال الشاعر

قوما يعالج قملا ابناؤهم وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

طحا ودحا بمعنى واحد اي بسط ووطا ويانى طحا بمعنى ذهب
قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب

ويقال ما ادري اين طحا اي ذهب قاله ابو عمرو وفي ايمان العرب
لا والقمر الطاحي اي المشرف المرتفع ويقال طحا يطحو طحوا ويطحى طحيا
التدسية الاخفا واصله دسس فابدل من ثالث المضاعفات حرف علة
كما قالوا في تقصص تقصى وقال الشاعر

وانت الذي دسست عمرًا فاصبحت حلايله منه ارامل ضيعا

وينشد ايضا ودسست عمرًا في التراب دمدم عليه القبر اطبقه وقال
مورج الدمدمة اهلاك باستيصال وقال في الصحاح دمدمت الشي
الزقته بالارض وطحطحته

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها

والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من
دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
فسواها ولا يخاف عقباها ٭ مكية ولما تقدم القسم ببعض المواضع
الشريفة وما بعدها اقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي وبما هو
آلة التفكر في ذلك وهو النفس وكان آخر ما قبلها مختتما بشيء من احوال
الكفار في الاخرة فاختتم آخر هذه بشيء من احوالهم في الدنيا وفي ذلك بما لهم في الاخرة
الى النار وفي الدنيا الى الهلاك المستاصل وتقدم الكلام على ضحى في سورة طه في قوله
وان يحشر الناس ضحى وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله وقال مقاتل
حرها كقوله ولا تضحى وقال قتادة هو النهار كله وهذا ليس بجيد لانه قد اقسم
بالنهار والمعروف في اللغة ان الضحى هو بعيد طلوع الشمس قليلا فاذا زاد فهو الضحاء
بالمد وفتح الضاد الى الزوال وقول مقاتل تفسير باللازم وما نقل عن المبرد من ان
الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الحاء الثانية وكذلك الواو
في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية لعله مختلق عليه لان المبرد اجل من ان يذهب
الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى والقمر اذا تلاها
قال الحسن والفراء تلاها معناه تبعها دائبا في كل وقت لانه يستضيء منها فهو يتلوها
لذلك وقال ابن زيد يتلوها في الشهر كله يتلوها في النصف الاول من الشهر
بالطلوع وفي الاخر بالغروب وقال ابن سلام في النصف الاول من الشهر وذلك
لانه ياخذ موضعها ويسير خلفها اذا غابت يتبعها القمر طالعا وقال قتادة انما
ذلك ليلة البدر تغيب هي فيطلع هو وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلاء
واستدار فكان تابعا لها للمنزلة من الضياء والقدر لانه ليس في الكواكب شيء
يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر وقيل من اول الشهر الى نصفه في الغروب
تغرب هي ثم يغرب هو وفي النصف الاخر يتحاوران وهو ان تغرب هي فيطلع هو
وقال الزمخشري تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك في النصف
الاول من الشهر والنهار اذا جلاها الظاهر ان مفعول جلاها هو الضمير
عائد على الشمس لانه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل يعود على الظلمة وقيل على الارض وقيل على الدنيا والذي يجلي الظلمة
هو الشمس او النهار فانه وان لم تطلع الشمس لا تبقى الظلمة فالفاعل بجلاها ضمير
النهار قيل ويحتمل ان يكون عائدا على الله تعالى كانه قال والنهار اذا جلى الله
الشمس فاقسم بالنهار في اكمل حالاته والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس فبدخوله
تغيب وتظلم الافاق ونسبة ذلك الى الليل مجاز وقيل الضمير عائد على الارض
والذي تقتضيه الفصاحة ان الضماير كلها الى يغشاها عائدة على الشمس وكما
ان النهار جلاها كان النهار هو الذي يغشاها ولما كانت الفواصل
ترتبت على الف وهاء المؤنث اتى والليل اذا يغشاها بالمضارع لانه الذي

ترتب

ترتب ولو اتى بالماضي كالذي قبله وبعده كان يكون التركيب اذا غشيها فتفوت
الفاصلة وهي مقصودة وقال القفال ما ملخصه هذه الاقسام بالشمس في الحقيقة
بحسب اوصاف اربعة ضوؤها عند ارتفاع النهار وقت انتشار الحيوان وطلب المعاش
وتلو القمر لها باخذه الضوء وتكامل طلوعها وبروزها وغيبوبتها بمجيء الليل وما في وما
بناها وما طحاها وما سواها بمعنى الذي قاله الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره
الطبري قالوا لان ما يقع على اولي العلم وغيرهم وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد
والزجاج وهذا قول من ذهب الى ان ما لا يقع على آحاد اولي العلم وقال الزمخشري
جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه
ان تكون موصولة وانما اوثرت من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر
العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان
ما سخركن لنا انتهى اما قوله وليس بالوجه لقوله فالهمها يعني من عود الضمير
في فالهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي ولا يلزم
ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على الله اي وبنائها هو اي الله
كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمرا فقلت عجبت مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمرو هو كان
حسنا فصيحا جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير وقوله وما يؤدي
اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما
اوثرت الى آخره تاوله اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية وقال
الزمخشري **فان قلت** الامر في نصب اذا معضل لانك اما ان تجعل الواوات عاطفة
فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم
عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسه على استكراهه **قلت**
الجواب فيه ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف
شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء
سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه فحققن ان يكن عوامل
على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى اما قوله في واوات العطف فتنصب
بها وتجر فليس هذا بالمختار اعني ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل
بل المختار ان العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا لا نشاححه في ذلك
وقوله فتقع في العطف على عاملين ليس ما في الاية من العطف على عاملين
وانما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب
فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قائما وعمرو جالسا
وقد انشد سه في كتابه **قول الشاعر**

٭ فليس بمعروف لنا ان نردها ٭ صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا ٭

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة
مذاهب وقد نسب الجواز الى سه وقوله وفي نحو قولك مررت امس بزيد
واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت

زيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام
الخليل يدل على المنع قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا
تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء
والتاء انتهى واما قوله ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فليس
هذا الحكم مجمعا عليه بل قد اجاز ابن كيسان بفعل القسم مع الواو فتقول اقسم واحلف
والله لزيد قائم واما قوله والواوات العواطف نوائب عن هذه الى آخره فمبني على ان
حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار والذي نقوله ان
المعطوف هو بتقدير العامل في اذا بعد الاقسام كقوله والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر
والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشى وما اشبهه فاذا ظرف
مستقبل لا جائز ان يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشائي فهو في
الحال ينافي ان يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جائز ان
يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجيء الليل لانه معمول
لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان المعمول زمان
العامل ولا جائز ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان
جرما ولا جائز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل
في موضع الحال وتقديره والنجم كائنا اذا هوى والليل كائنا اذا يغشى لانه يلزم كائنا
ان يكون منصوبا بالعامل ولا يصح ان يكون معمولا لشيء مما فرضناه ان يكون عاملا
وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون احوالا عن الجثث
كما لا تكون اخبارا ونفس وما سواها ونفس اسم جنس ويدل على ذلك ما بعده
من قوله فالهمها وما بعده وتسويتها اكمال عقلها ونظرها ولذلك ارتبط به
فالهمها لان الفاء تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي لا تكون الا
بالعقل وقال الزمخشري فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان
احدهما ان يريد نفسا خاصة من النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة
من النفوس انتهى وهذا فيه بعد للاوصاف المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس
الا ترى الى قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها كيف يقتضي التغاير
في المزكي وفي المدسي فالهمها قال ابن جبير الزمها وقال ابن عباس عرفها
وقال ابن زيد بين لها وقال الزجاج وفقها للتقوى والهمها فجورها اي
خذلها وقيل عرفها وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى
وقال الزمخشري ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان
احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح
من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما
والتزكية الانماء والتدسية النقص والاخفاء بالفجور انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال قد افلح من زكاها قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت
اللام لطول الكلام والتقدير لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن

وقال

وقال الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام
تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في
شيء انتهى وزكاها طهرها ونماها بالعمل الصالح ودساها اخفاها وحقرها
بعمل المعاصي والظاهر ان فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من وقاله الحسن وغيره ويجوز
ان يكون ضمير الله تعالى قاله ابن عباس وغيره كانه قال قد افلحت الفرقة التي
زكاها الله وعاد الضمير مؤنثا باعتبار المعنى من مراعاة التانيث وفي الحديث ما يشهد
لهذا التاويل كان عليه السلام اذا قرا هذه الآية قال اللهم آت نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها وقال الزمخشري واما قول من زعم
ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس
فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون
لساويهم في محال فاحشة ينسبونه اليه انتهى على عادته في سب اهل السنة هذا
وقائل ذلك هو حبر الامة عبد الله بن عباس والرسول عليه السلام يقول وزكها
انت خير من زكاها وقال ثعلب دساها اي دس نفسه في اهل الخير بالرياء وليس منهم وحين
قال ونفس وما سواها اعقبه بقوله قد افلح من زكاها ولما قال وقد خاب من دساها
اعقبه بمثال الجنة ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك
ليعتبر بهم فقال كذبت ثمود بطغواها الباء عند الجمهور سببية اي كذبت ثمود نبيهم بسبب طغيانها
وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به حتى نزل بهم لقوله فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية **وقرا** الجمهور بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر وهو من الطغيان
قلبت فيه الياء واوا فصلا بين الاسم وبين الصفة قالوا فيه حربا وحديا وقالوا في
الاسم تقوى وشروى **وقرا** الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة بضم الطاء وهو
مصدر كالرجعى وكان قياسه الطغيا بالياء كالسقيا لكنهم شذوا فيه اذ انبعث
اي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والناصب لاذ كذبت واشقاها هو قدار بن
سالف وقد يراد به الجماعة لان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز
افراده وان عني به جمع وقال الزمخشري ويجوز ان يكونوا جماعة لتسويتك في افعل
التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها
انتهى فاطلق الاضافة وكان ينبغي ان يقول الى معرفة لان اضافته الى نكرة لا يجوز
فيه ذلك الا ان يكون مفردا مذكرا كحاله اذا كان بمن والظاهر ان الضمير
في لهم عائد على اقرب مذكور وهو اشقاها اذا اريد به الجماعة ويجوز ان يعود
على ثمود رسول الله هو صالح عليه السلام **وقرا** الجمهور ناقة الله بنصب التاء
وهو منصوب على التحذير مما يجب اضمار عامله لانه قد عطف عليه فصار حكمه بالعطف
حكم المكرر كقولك الاسد الاسد اي احذروا ناقة الله اي عقرها وعاقبة امرها
او ذروا عقرها وسقياها فلا تمنعوها من السقيا **وقرا** زيد بن علي ناقة الله
بضم التاء اي هذه ناقة الله وسقياها فلا تغفلوا ذلك فكذبوه الجمهور على
انهم كانوا كافرين وروي انهم كانوا قد اسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحا مدة ثم كذبوا

وعقروا واسند العقر الى الجماعة لكونهم راضين به ومتمالئين عليه وقرأ الجمهور فدمدم
بميم بعد الدال وابن الزبير فدهدم بها بينهما اي اطبق عليهم العذاب مكررا ذلك
عليهم بذنبهم فيه تخويف من عاقبة الذنوب فسواها قيل فسوى القبيلة في
الهلاك عاد عليها بالتأنيث كما عاد في بطغواها وقيل سوى الدمدمة اي سواها
بينهم فلم يفلت منهم صغيرا ولا كبيرا وقرأ ابي والاعرج ونافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء
وباقي السبعة ولا بالواو والضمير في يخاف الظاهر عوده على اقرب مذكور وهو ربهم
اي لا درك عليه تعالى في فعله بهم لا يسأل عما يفعل قاله ابن عباس والحسن
وفيه احتقار لهم وتعفية لآثارهم وقيل يحتمل ان يعود على صالح اي لا يخاف عقبى
هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم وحذرهم ومن قرأ ولا فيحتمل الضمير الوجهين
وقال السدي والضحاك ومقاتل والزجاج وابو علي الواو واو الحال والضمير في يخاف
عائد على اشقاها اي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه والعقبى
خاتمة الشيء وما يجيء من الامور بعقبه وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما
يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فانذرتكم
نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
ولسوف يرضى ⁂ مكية وقال علي بن ابي طلحة مدنية وقيل فيها مدني
ولما ذكر فيما قبلها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ذكر هنا من الاوصاف
ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن
يتجنبها ومفعول يغشى محذوف فاحتمل ان يكون النهار كقوله يغشي الليل النهار
وان يكون الشمس كقوله والليل اذا يغشاها وقيل الارض وجميع ما فيها بظلامه
وتجلى انكشف وظهر اما بزوال ظلمة الليل واما بنور الشمس اقسم بالليل الذي
فيه كل حيوان ياوي الى ماواه وبالنهار الذي ينتشر فيه ن

وقال الشاعر

⁂ تجلى السرى من وجهه عن صفيحة على السير مشراق كثير شحومها ن

وقرأ الجمهور تجلى فعلا ماضيا فاعله ضمير النهار وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير
تتجلى بتاءين يعني الشمس وقرئ تجلى بضم التاء وسكون الجيم اي الشمس وما خلق ما
مصدرية او بمعنى الذي والظاهر عموم الذكر والانثى وقيل من بني آدم فقط
لاختصاصهم بولاية الله وطاعته وقال ابن عباس والكلبي والحسن هما
آدم وحواء والثابت في مصاحف الامصار والمتواتر وما خلق الذكر والانثى
وما ثبت في الحديث من قراءة والذكر والانثى نقل آحاد مخالف للسواد فلا يعد
قرآنا وذكر ثعلب ان من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الذكر وذكرها الزمخشري

عن الكسائي

عن الكسائي وقد خرجوه على البدل من ما على تقدير والذي خلق الله وقد يخرج على توهم
المصدر اي وخلق الذكر والانثى كما قال الشاعر

⁂ يطوف العفاة بابوابه كما طاف بالبيعة الراهب ⁂

بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب بالبيعة ن ان
سعيكم اي مساعيكم لشتى لمتفرقة مختلفة ثم فصل هذا السعي فاما من اعطى الآية
روي انها نزلت في ابي بكر الصديق كان يعتق ضعفة العبيد الذين اسلموا وينفق
في رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وكان الكفار بضده قال عبد الله بن ابي اوفى
نزلت هذه السورة في ابي بكر الصديق وابي سفيان بن حرب وقال السدي نزلت
في ابي الدحداح الانصاري بسبب ما كان يعلق في المسجد صدقة وبسبب النخلة
التي اشتراها من المنافق بحائط له وكان الرسول ساوم المنافق في شرائها بنخلة
في الجنة وذلك بسبب الايتام الذين كانت النخلة تشرف عليهم فيسقط
منها الشيء فياخذه الايتام فمنعهم المنافق فابى عليه المنافق فجاء ابو الدحداح
وقال يا رسول الله انا اشتري النخلة التي في الجنة بهذه وحذف مفعولي اعطى
اذ المقصود الثناء على المعطي دون تعرض للمعطى والعطية وظاهره بذل المال
في واجب ومندوب ومكرمة وقال قتادة اعطى حق الله وقال ابن زيد انفاق
ماله في سبيل الله واتقى قال ابن عباس اتقى الله وقال مجاهد واتقى البخل
وقال قتادة واتقى ما نهي عنه وصدق بالحسنى صفة تانيث الاحسن
الاحسن فقال ابن عباس وعكرمة وجماعة هي الخلف في الدنيا الوارد به
وعد الله وقال مجاهد والحسن وجماعة الجنة وقال جماعة الثواب
وقال السلمي وغيره لا اله الا الله فسنيسره لليسرى اي نهيئه للحالة التي
هي ايسر عليه واهون وذلك في الدنيا والآخرة وقابل اعطى ببخل واتقى
باستغنى لانه زهد فيما عند الله بقوله واستغنى للعسرى وهي الحالة السيئة
في الدنيا والآخرة وقال الزمخشري فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى
تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء اذ سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر
العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما
في الآخرة للطريقين انتهى وفي اول كلامه دسيسة الاعتزال وجاء فسنيسره
للعسرى على سبيل المقابلة لقوله فسنيسره لليسرى والعسرى لا تيسير فيها
وقد يراد بالتيسير التهيئة وذلك يكون في اليسرى والعسرى وما يغني يجوز
ان تكون ما نافية وان تكون استفهامية اي واي شيء يغني عنه ماله اذا تردى تفعل
من الردى اي هلك قاله مجاهد وقال قتادة وابو صالح تردى في جهنم اي سقط
من حافاتها وقال قوم تردى باكفانه من الرداء ⁂

قال مالك بن الريب ن

وخطا باطراف الاسنة مضجعي وردا على عيني فضل ردائيا ه

وقال الآخر

نصيبك مما يجمع الدهر كله رداآن تلوى فيهما وحنوط ٭

أن علينا للهدى التعريف بالسبل ومنهم الادراك كما قال وعلى الله قصد السبيل وقال الزمخشري ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى اي ثواب الدارين لقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين **وقرأ** ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان ابن عيينة وعبيد بن عمير تتلظى بتاءين والبزي بتاء مشددة والجمهور بتاء واحدة وقال الزمخشري الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة وكأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة انتهى وقرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى **وقرأ** الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بادغام التاء في الزاي ويتزكى في موضع الحال فموضعه نصب واجاز الزمخشري ان لا يكون له موضع من الاعراب لانه جعله بدلا من صلة الذي وهو يؤتي ماله وهو اعراب متكلف وجاء تجزى مبنيا للمفعول لكونه فاصلة وكان اصله نجزيه اياها او نجزيها اياه **وقرأ** الجمهور الا ابتغاء بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لانه ليس داخلا في من نعمة **وقرأ** ابن وثاب بالرفع على البدل من موضع نعمة لانه رفع وهي لغة تميم وانشد بالوجهين **قول بشر بن ابي خازم**

٭ اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف ٭

وقول الآخر في الرفع ٭

وبلدة ليس بها انيس ٭ الا اليعافير والا العيس ٭

وقرأ ابن ابي عبلة الا ابتغا مقصورا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ابتغاء وجه الله مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة انتهى وهذا اخذه من قول الفراء قال الفراء ونصب على تأويل ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضاه **وقرأ** الجمهور يرضى بفتح الياء **وقرئ** بضمها اي يرضى فعله يرضاه الله تعالى ويجازيه عليه سجى الليل ادبر وقيل اقبل ومنه

٭ يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج ٭

وبحر ساج ساكن **قال الاعشى**

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يواري الدعامصا ٭

وطرف ساج ساكن غير مضطرب بالنظر وقال الفراء سجى الليل اظلم وركد وقال ابن الاعرابي اشتد ظلامه ٭

سورة الضحى ٭

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك

المفردات

يتيما

يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث ٭ هذه مكية ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الاتقى وكان سيد الاتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هنا نعمه تعالى عليه **وقرأ** الجمهور ما ودعك بتشديد الدال وعروة بن الزبير وابنه هشام وابو حيوة وابو بحر وابن ابي عبلة بخفها اي ما تركك واستغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع ووذر وعن اسم فاعلهما بتارك وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وقد سمع ودع ووذر **قال ابو الاسود** ٭

٭ ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه ٭

وقول الآخر

٭ وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر ٭

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وما قلى ما ابغضك واللغة الشهيرة في مضارع قلى يقلي وطي يقول يقلى بفتح العين وحذف المفعول اختصارا في قلى وفي فآوى وفي فهدى وفي فاغنى اذ يعلم انه ضمير المخاطب وهو الرسول عليه السلام قال ابن عباس وغيره ابطأ الوحي مرة وهو بمكة حتى شق ذلك عليه فقالت ام جميل امرأة ابي لهب يا محمد ما ارى شيطانك الا تركك فنزلت وقال زيد بن اسلم انما احتبس عنه جبريل لجرو كلب كان في بيته وللآخرة خير لك من الاولى يريد الدارين قاله ابن اسحق وغيره ويحتمل ان يريد حالتيه قبل نزول السورة وبعدها وعده تعالى بالنصر والظفر قاله ابن عطية احتمالا وقال الزمخشري **فان قلت** كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله **قلت** لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته ٭ ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الجمهور ذلك في الآخرة وقال ابن عباس رضاه ان لا يدخل من امته النار وقال ايضا رضاه انه وعده بالف قصر في الجنة بما يحتاج اليه من النعم والخدم وقيل في الدنيا بفتح مكة وغيره والاولى انه هذا موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الظفر ولما ادخر له من الثواب واللام في وللآخرة لام ابتداء وكذلك مضمونه للجملة وكذا في ولسوف على اضمار مبتدأ اي ولانت سوف يعطيك فلما وعده هذا الموعود الجليل ذكره بنعمه عليه في حال نشأته الم يجدك يعلمك يتيما توفي ابوه عليه السلام وهو جنين اتت عليه ستة اشهر وماتت امه عليها السلام وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب واحسن تربيته وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق قال الزمخشري ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير

آية

فآوى لك اليتيم وقرأ الجمهور فآوى رباعياً وأبو الأشهب العقيلي فأوى ثلاثياً
بمعنى رحم تقول أويت لفلان أي رحمته ومنه **قول الشاعر**

◦ أراني ولا كفران لله آية لنفسي

ووجدك ضالاً لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى لأن الأنبياء
معصومون من ذلك قال ابن عباس هو ضلاله وهو في صغره في شعاب مكة
ثم رده الله إلى جده عبد المطلب وقيل ضلاله من حليمة مرضعته وقيل
ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب وللبعض المفسرين أقوال فيها بعض
ما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ولقد رأيت في النوم أني أفكر في هذه الجملة
فأقول على الفور ووجدك أي وجد رهطك ضالاً فهداه بك ثم أقول
على حذف مضاف نحو واسأل القرية وقرأ الجمهور عائلاً أي فقيراً ○

وقال جرير ○

◦ الله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل ○

كثر لاختلاف اللفظ واليماني عيلاً كسيد بشد الياء المكسورة ومنه
قول الشاعر وهو أحيحة بن الجلاح

◦ وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل ○

عال افتقر وأعال كثر عياله قال مقاتل فأغنى رضاك بما أعطاك
من الرزق وقيل أغناك بالقناعة والصبر وقيل بالكفاف ولما عدد عليه
هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث كأنها مقابلة لها فلا تقهر قال مجاهد
لا تحتقر وقال ابن سلام لا تستذله وقال سفيان لا تظلمه بتضييع
ماله وقال الفراء لا تمنعه حقه والقهر هو التسليط بما يؤذي وقرأ الجمهور
تقهر بالقاف وابن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي بالكاف بدل القاف
وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور وأما السائل فظاهره المستعطي فلا تنهر أي تزجره
لكن أعطه أو رده رداً جميلاً وقال قتادة لا تغلظ عليه وهذه في مقابلة
ووجدك عائلاً فأغنى فالسائل كما قلنا المستعطي وقاله الفراء وجماعة
وقال أبو الدرداء والحسن وغيرهما السائل هنا السائل عن العلم والدين
لا سائل المال فيكون بإزاء ووجدك ضالاً فهدى وأما بنعمة ربك فحدث
قال مجاهد والكلبي معناه بث القرآن وبلغ ما أرسلت به وقال
محمد بن إسحاق هي النبوة وقال آخرون هي عموم في جميع النعم وقال الزمخشري
التحديث بالنعم شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء
وما عدا ذلك انتهى ويظهر أنه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة
أمره بثلاثة فذكر اليتيم أولاً وهي البداءة ثم ثانياً وهو العائل وكان أشرف
ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة
وإنما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لأنه بعد اليتم هو زمان التكليف
وهو عليه السلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله في القول والفعل
والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتم وحالة

التكليف

التكليف وفي الآخر ترقى إلى الأشرف فهما مقصدان في الخطاب ○

سورة ألم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً فإذا
فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ○ مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة والشرح
تنوير بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه قاله الجمهور والأولى العموم لهذا
ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله وحده واحتمال المكاره من أذية الكفار
وقال ابن عباس وجماعة إشارة إلى شق جبريل صدره في وقت صغره
ودخلت همزة الاستفهام على النفي فأفاد التقرير على هذه النعمة وصار المعنى
قد شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه الماضي وهو ووضعنا وهذا نظير
قوله تعالى ألم نربك فينا وليداً ولبثت وقرأ الجمهور نشرح بجزم الحاء لدخول
الجازم وقرأ أبو جعفر المنصور بفتحها وخرجه ابن عطية في كتابه على أنه ألم نشرحن
فأبدل من النون ألفاً ثم حذفها تخفيفاً فيكون مثل ما أنشد أبو زيد في نوادره

◦ من أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر ○

وقال آخر

◦ اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس ○

وقال قراءة مرذولة وقال الزمخشري وقد ذكرها عن المنصور وقالوا لعله
بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها انتهى ولهذه القراءة تخريج
أحسن من هذا كله وهو أنه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره وهي
الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وأنشد قول عائشة بنت الأعجم
تمدح المختار بن أبي عبيد وهو القائم بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما ○

◦ قد كان سمك الهدى ينهد قائمه حتى أتيح له المختار فانعمدا ○

◦ في كل ما هم أمضى رأيه قدماً ولم يشاور في إقدامه أحدا ○

بنصب يشاور وهذا محتمل ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته
من الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء
ذلك كما يقول القائل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على
طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه وقال أهل اللغة أنقض الحمل ظهر الناقة
إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل أي صريره ○

وقال عباس بن مرداس

وأنقض ظهري ما تطويت منهم وكنت عليهم مشفقاً متحننا ○

وقال جميل ○

وحتى تداعت بالنقيض حباله وهمت بواني زوره أن تحطما ○

والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ورفعنا لك ذكرك هو أن قرنه
بذكره تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب
وفي غير موضع من القرآن وفي تسميته رسول الله ونبي الله وذكره في كتب

الاولين والاخذ على الانبيا واممهم ان يومنوا به •

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه رضي الله عنه عليه السلام ن

• اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهود يلوح ويشهد ن

• وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ن

وتعديد هذه النعم عليه صلى الله عليه وسلم يقتضي انه تعالى كما احسن اليه بهذه المراتب فانه يحسن اليك بظفرك على اعدائك وينصرك عليهم وكان الكفار ايضا يعيرون المومنين بالفقر فذكره هذه النعم وقوى رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا اي ان مع الضيق فرجا ثم كرر ذلك مبالغة في حصول اليسر ولما كان اليسر يعتقب العسر من غير تطاول ازمان جعل كانه معه وفي ذلك تبشير الرسول بحصول اليسر عاجلا والظاهر ان التكرار للتوكيد كما قلنا وقيل تكرار اليسر باعتبار المحل فيسر في الدنيا ويسر في الاخرة وقيل مع كل عسر يسران من حيث ان العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالاول عين الثاني وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين وضم سين العسر واليسر فيهن ابن وثاب وابو جعفر وعيسى وسكنها الجمهور ولما عدد نعمه السابقة ووعده عليه السلام من تيسير ما عسر امره بان يداب في العبادة اذا فرغ من مثلها ولا يفتر وقال ابن مسعود فاذا فرغت من فرضك فانصب في التنفل عبادة لربك وقال ايضا فانصب في قيام الليل وقال مجاهد فاذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك وقال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء وقال الحسن فاذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة ويعترض قوله بان الجهاد فرض بالمدينة **وقرا** الجمهور فرغت بفتح الراء وابو السمال بكسرها وهي لغة وقال الزمخشري ليست بفصيحة **وقرا** الجمهور فانصب بسكون الباء خفيفة وقوم يشددها مفتوحة من الانصباب **وقرا** اخرون من الامامية فانصب بكسر الصاد يعني اذا فرغت من النبوة فانصب خليفة قال ابن عطية وهي قراة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم انتهى **وقرا** الجمهور فارغب امر من رغب ثلاثيا اي اصرف وجه الرغبات اليه لا الى سواه **وقرا** زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب امر من رغب بشد الغين

التين هو الفاكهة المعروفة والاسم حبل وباقي اقوال المفسرين فيه ن المفردات

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم • والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين • هذه مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة مدنية ولما ذكر فيما قبلها من كماله انه خلقا وخلقا وفضله على سائر العالم ذكر هنا حالة من يعاديه وانه يرده اسفل سافلين في الدنيا والاخرة واقسم تعالى بما اقسم به انه خلقه مهيئا لقبول الحق ثم نقله كما اراد الى الحالة السافلة والظاهر ان التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم وفي الحديث

مدرج

مدرج التين وانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنخعي وعطا بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وقال كعب وعكرمة اقسم تعالى بمنابتهما فالتين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايلياء فاقسم بالارضين وقال قتادة هما جبلان بالشام على احدهما دمشق وعلى الاخر بيت المقدس انتهى وفي شعر النابغة ذكر التينين وشرح بانه جبل مستطيل **قال النابغة** ن

صهب الظلال اتين التين عن عرض • يزجين غيما قليلا ماؤه شبما ن

وقيل هما مسجدان واضطربوا في مواضعهما اضطرابا كثيرا ضربنا عن ذكره صفحا ولم يختلف في طور سيناء انه جبل بالشام وهو الذي كلم الله موسى عليه ومعنى سينين ذو الشجر وقال عكرمة حسن مبارك **وقرا** الجمهور سينين وابن ابي اسحاق وعمرو بن ميمون وابو رجاء بفتح السين وهي لغة بكر وتميم قال الزمخشري ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب انتهى **وقرا** عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سيناء بكسر السين والمد وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد وهو لفظ سرياني اختلفت بها لغات العرب وقال الاخفش سينين شجر واحده سينينة وهذا البلد الامين هو مكة وامين للمبالغة اي امن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان او من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته حفظه من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشيا الابانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى ومنشاه والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى ومكة مكان مولد الرسول عليه السلام ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين في احسن تقويم قال النخعي ومجاهد وقتادة حسن صورته وحواسه وقيل انتصاب قامته وقال ابو بكر بن طاهر عقله وادراكه زيناه بالتمييز وقال عكرمة شبابه وقوته والاولى العموم في كل ما هو احسن والانسان هنا اسم جنس واحسن صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال عكرمة وقتادة والضحاك والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبرة حتى يصير لا يعلم شيئا اما المومن فمرفوع عنه القلم والاستثنا على هذا منقطع وليس المعنى ان كل انسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك وقال الحسن ومجاهد وابو العالية وابن زيد وقتادة ايضا اسفل سافلين في النار على كفره ثم استثنى استثناء متصلا **وقرا** الجمهور سافلين منكرا وعبد الله السافلين معرفا بالالف واللام واخذ الزمخشري اقوال السلف وحسنها ببلاغته وانتقاء الفاظه فقال في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه

خلقه وهم اصحاب النار واسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك
التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه
فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه
وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته
ضعف وشهامته خرف انتهى وفيه تكلف وعلى ان ذلك الرد هو الى الهرم
فالمعنى ولكن الصالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم
على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وفي الحديث اذا بلغ مائة ولم يعمل شيئا كتب له
مثل ما كان يعمل في صحته ولم يكتب عليه سيئة وفيه ايضا ان المؤمن اذا رد لارذل العمر
كتب له خير ما كان يعمل في قوته وذلك اجر غير ممنون وممنوع مقطوع او محسوب يمن به
عليهم والخطاب في فما يكذبك للانسان الكافر قاله الجمهور اي فما الذي
يجعلك مكذبا بالدين تجعل لله اندادا وتزعم ان لا بعث بعد هذه الدلائل
وقال قتادة والاخفش والفراء قال الله لرسوله فاذا الذي يكذبك فيما تخبر
به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت
أليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار واخبار بعدله تعالى **السفع** قال المبرد
الجذب بشدة وسفع بناصية فرسه جذب ۞

قال عمرو بن معدي كرب

قوم اذا كثر الصياح رأيتهم من بين ملجم مهره او سافع ۞

وقال مورج معناه الاخذ بلغة قريش **النادي** والندي المجلس ومنه قول
الاعرابية سيد ناديه وثمال عافيه **وقول زهير**

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... واندية ينتابها القول والفعل ۞

الزبانية ملائكة العذاب فعيل جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وقيل واحدهم
زبنية على وزن جذرية وعفرية قاله ابو عبيدة وقال الكسائي زبني وكانه نسب
الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم انسي واصله زباني قال عيسى بن عمرو والاخفش واحدهم
زابن والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه ومنه **قول الشاعر**

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى ... زبانية غلب عظام حلومها ۞

والزبن الدفع **قال الشاعر**

ومستعجب مما يرى من اناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم ۞

وقال عتبة بن ابي سفيان وقد زبنتنا الحرب وزبناها ۞

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت
ان كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله
يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه
سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب ۞ مكية وصدرها اول ما نزل

المفردات

من القرآن وذلك للنبي في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقول جابر اول ما نزل المدثر
وقول ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل اول ما نزل الفاتحة لا يصح وقال الزمخشري عن
ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل
ثم سورة القلم انتهى ولما ذكر فيما قبلها خلق الانسان في احسن تقويم ثم ذكر ما عرض له
بعد ذلك ذكر هنا منبها على شيء من اطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك
وما يؤول اليه حاله في الآخرة **وقرأ** الجمهور اقرأ بهمزة ساكنة والاعشى عن ابي بكر
عن عاصم بحذفها كانه على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا بقرا كسعى
يسعى فلما امر منه قيل اقر بحذف الالف كما تقول اسع والظاهر تعلق الباء باقرأ
ويكون للاستعانة ومفعول اقرأ محذوف اي اقرأ ما يوحى اليك وقيل باسم ربك هو المفعول
وهو المأمور بقراءته كما تقول اقرأ الحمد لله وقيل المعنى اقرأ في اول كل سورة وقراءة
بسم الله الرحمن الرحيم وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم الله كما قالوا في
قوله وقال اركبوا فيها بسم الله اي على اسم الله وقيل المعنى اقرأ القرآن مبتديا باسم ربك
وقال الزمخشري محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله
ثم اقرأ انتهى وهذا قاله قتادة قال قتادة المعنى اقرأ ما انزل عليك من القرآن مفتتحا
باسم ربك وقال ابو عبيدة الباء صلة والمعنى اذكر ربك وقال ايضا الاسم صلة والمعنى
اقرأ بعون ربك وتوفيقه وجاء باسم ربك ولم يأت بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى
الذي رباك ونظر في مصلحتك وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتأنيس اي ليس لك رب
غيره ثم جاء بصفة الخالق وهو المنشئ للعالم لما كانت العرب تسمي الاصنام اربابا اتى بالصفة
التي لا يمكن شركة الاصنام فيها ولم يذكر متعلق الخلق اولا فالمعنى انه قصد الى استبداده بالخلق
فاقتصر وحذف اذ معناه خلق كل شيء ثم ذكر خلق الانسان وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل
اليه وهو اشرف قال الزمخشري اشرف ما على الارض وفيه دسيسة ان الملك اشرف وقال
ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق
مبهما ثم فسره بقوله خلق تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته انتهى والانسان
هنا اسم جنس والعلق جمع علقة فلذلك جاء من علق وانما ذكر من خلق من علق لانهم مقرون به ولم
يذكر اصلهم آدم لانه ليس متقررا عند الكفار فسبق الفرع وترك اصل الخلقة تقريبا لافهامهم
ثم جاء الامر ثانيا لذكا نه قيل امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم
الذي لا يلحقه نقص والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم
التي لا تحصى ويحلم على الجاني ويقبل التوبة ويتجاوز عن السيئة وليس وراء التكرم بافادة الفوائد
العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم
عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا
ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في
صفة القلم ۞

ورواقم رقش كمثل اراقم ... قطف الخطا نيالة اقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها ... الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى من كلام الزمخشري ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بلقب الصفة التي هي صفة لله تعالى يسمون الأكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر ويدعونه بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الأكرم والشيخ الأسعد والشيخ الرشيد فيا لها مخزية على من يدعوهم بها يجدون عقباها يوم عرض الأقوال والأفعال ومفعولا علم محذوفان إذ المقصود إسناد التعليم إلى الله وقدر بعضهم الذي علم الخط بالقلم وهي قراءة تعزى لابن الزبير وهي عندي على سبيل التفسير لا على أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف والظاهر أن المعلم كل من كتب بالقلم وقال الضحاك إدريس وقيل آدم لأنه أول من كتب والإنسان في قوله علم الإنسان الظاهر أنه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها وقيل الرسول عليه السلام كلا إن الإنسان ليطغى نزلت بعد مدة في أبي جهل ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلوة في المسجد فروي أنه قال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه فروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده فقال أبو جهل أيتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم ناديا مني ويروى أنه هم أن يمنعه من الصلاة فكفي عنه ﴿كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه﴾ إن الإنسان ليطغى أي يجاوز الحد أن رآه استغنى الفاعل ضمير الإنسان وضمير المفعول عائد عليه أيضا ورأى هنا من رؤية القلب يجوز أن يتحد فيها الضميران متصلين فتقول رأيتني صديقك وفقد وعدم بخلاف غيرها فلا يجوز زيد ضربه وهما ضميرا زيد وقرأ الجمهور أن رآه بألف بعد الهمزة وهي لام الفعل وقنبل بخلاف عنه بحذف الألف وهي رواية ابن مجاهد عنه قال وهو غلط لا يجوز وينبغي أن لا يغلطه بل يتطلب له وجه وقد حذفت الألف في نحو من هذا قال وصاني العجاج فيما وصني • يريد وصاني فحذف الألف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة وهو حذف لا ينقاس لكن إذا صحت الرواية به وجب قبوله والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها إن إلى ربك الرجعى أي الرجوع مصدر على وزن فعلى الألف فيه للتأنيث وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه حيث ما آله إلى البعث والحساب والجزاء على طغيانه أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى تقدم أنه أبو جهل قال ابن عطية ولم يختلف أحد من المفسرين أن الناهي أبو جهل وأن العبد المصلي محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وفي الكشاف وقال الحسن هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة وقال التبريزي المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر قيل هي أول جماعة أقيمت في الإسلام كان معه أبو بكر وعلي وجماعة السابقين فمر به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا وأنشأ يقول

• إن عليا وجعفرا ثقتي • عند ملم الزمان والكرب •

• والله لا أخذل النبي ولا • من يكون من حسبي •

• لا تخذلا وانصرا ابن عمكما • أخي لأمي من بينهم وأبي •

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والخطاب في أرأيت كالظاهر أنه للرسول وكذا أرأيت الثاني والثالث والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم وقيل أرأيت خطاب للكافر التفت إلى الكافر فقال أرأيت يا كافر إن كانت صلاته هدى ودعا إلى الله وأمرا بالتقوى أتنهاه مع ذلك والضمير في إن كان وفي إن كذب عائد على الناهي قال الزمخشري ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن

الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد انتهى وقال ابن عطية إن كان يعني العبد المصلي وقوله إن كذب وتولى يعني الإنسان الذي ينهى انتهى فجعل الضمير في إن كان على المصلي عائدا على المصلي وقال الفراء وغيره قال الفراء المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدى وآمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر أي فما أعجب هذا ألم يعلم أبو جهل بأن الله يراه ويعلم فعله فهذا تقرير وتوبيخ انتهى وقال من جعل الضمير في إن كان عائدا على المصلي إنما ضم إلى فعل الصلوة الأمر بالتقوى لأن أبا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمران الصلاة والدعاء إلى الله تعالى ولأنه كان عليه السلام لا يوجد إلا في أمرين إصلاح نفسه بفعل الصلوة وإصلاح غيره بالأمر بالتقوى وقال ابن عطية ألم يعلم بأن الله يرى إكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها يجاء بها في نسق ثم جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصارا واقتضابا ومع كل تقرير تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها وألم يعلم دال عليها مغن وقال الزمخشري فإن قلت ما متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فإن قلت فأين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فإن قلت فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه فإن قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد انتهى وقد تكلمنا على أحكام أرأيت بمعنى أخبرني في غير موضع منها التي في سورة الأنعام وأشبعنا الكلام عليها في شرح التسهيل وما قرره الزمخشري هنا ليس بجار على ما قررناه فمن ذلك أنه ادعى أن جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الآخر وعندنا أن المفعول الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كقوله أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه وهو كثير في القرآن فتخرج هذه الآية على ذلك القانون ويجعل مفعول أرأيت الأول هو الموصول وجاء بعده أرأيت وهي تطلب مفعولين وأرأيت الثانية كذلك فمفعول أرأيت الثانية والثالثة محذوف يعود على الذي ينهى فيهما أو على عبدا في الثانية وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاث طوالب فنقول حذف المفعول الثاني لأرأيت وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام المتأخر لدلالته عليه وحذف المفعول الأول لأرأيت الثانية لدلالة الأول عليه وحذفا معا لأرأيت الثالثة لدلالة الأول على مفعولها الأول ولدلالة الآخر لأرأيت الثالثة على مفعولها الآخر وهؤلاء الطوالب ليس طلبها على طريق التنازع لأن الجمل لا يصح إضمارها فإنما ذلك من باب الحذف في غير التنازع وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء فلا أعلم أحدا أجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز حذفها إلا إن كان في ضرورة شعر كلا ردع لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله لئن لم ينته عما هو فيه وعيد شديد لنسفعا أي لنأخذن بالناصية ولنسحبن بها عن جميع الشخص أي يسحبا إلى النار لقوله فيؤخذ بالنواصي والأقدام واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة إذ علم أنها ناصية الناهي وقرأ الجمهور بالنون الخفيفة وكتبت بالألف باعتبار الوقف إذا لوقف عليها بإبدالها ألفا وكثر ذلك حتى صارت رويا فكتبت ألفا • كقوله • ومهما تشاء منه فزارة تمنعا وقال يحسبه الجاهل ما لم يعلما • ومحبوب وهرون

ابن عطية

لئن

بلا خلاف عن أبي عمرو بالنون الشديدة وقيل هو مأخوذ من سفعته النار والشمس إذا غيرت وجهه إلى حال
شديد وقال التبريزي قيل أراد لنسودن وجهه من السفعة وهي السواد وكفت من الوجه لأنها
في مقدمه وقرأ الجمهور ناصية كاذبة خاطئة بجر الثلاثة على أن ناصية بدل نكرة من معرفة قال
الزمخشري لأنها وصفت فاستقلت بفائدة انتهى وليس شرطا في إبدال النكرة من المعرفة أن توصف
عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ولا أن تكون من لفظ الأول أيضا خلافا لزاعمه وقرأ أبو حيوة
وابن أبي عبلة وزيد بن علي بنصب الثلاثة على الشتم وقرأ الكسائي في رواية برفعها أي هي ناصية كاذبة
خاطئة ووصف الناصية بالكذب والخطأ مجازا والحقيقة صاحبها وذلك أجرى من أن يضاف فيقال الناصية
كاذب خاطئ لأنها هي المحدث عنها في قوله لنسفعا بالناصية فليدع ناديه إشارة إلى قول أبي جهل
وما بالوادي أكثر ناديا مني والمراد أهل النادي وقال جرير
لهم مجلس صهب السبال أذلة ٥ أي أهل مجلس ولذلك وصف بقوله صهب السبال أذلة ومواخر
يجيء أي لا يقدر الله على ذلك لو عاد ناديه لأخذته الملائكة عيانا وقرأ الجمهور سندع بالنون
مبنيا للفاعل وكتبت بغير واو لأنها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى
مبنيا للمفعول الزبانية رفع كلا ردع لأبي جهل ورد عليه لا تطعه أي لا تلتفت إلى نهيه
وكلامه واسجد أمر له بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي
يكون العبد فيها أقرب إلى الله واقترب وتقرب إلى ربك وثبت في الصحيحين سجود رسول الله
صلى الله عليه وسلم في إذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهي من العزائم عند علي بن أبي طالب
وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه ٥

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر
ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع
الفجر * مدنية في قول الأكثر وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت
بالمدينة وفي الحديث أن أربعة عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا طرفة عين أيوب وزكريا
وحزقيل ويوشع فعجب الصحابة من ذلك فنزل جبريل فقال أعجبت أمتك من ذلك فقد أنزل الله
عليك خيرا من ذلك فقرأ إنا أنزلناه السورة فسر بذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال
اقرأ باسم ربك فكأنه قال اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا إنا أنزلناه في ليلة القدر
والضمير عائد إلى ما دل عليه المعنى وهو القرآن قال ابن عباس وغيره أنزله الله تعالى
ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة وقال
الشعبي وغيره إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك في ليلة القدر وروي أن نزول
الملك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان وقيل المعنى إنا أنزلنا هذه السورة
في شأن ليلة القدر وفضلها ولما كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما
وتحسينا فليست ليلة القدر ظرفا للنزول بل على نحو قول عمر لقد خشيت أن ينزل في قرآن
وقول عائشة لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن وقال الزمخشري عظم القرآن
من إسناد إنزاله إليه مختصا به ومن مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة
والاستغناء عن التنبيه عليه وبالرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه انتهى وفيه بعض
تلخيص وسميت ليلة القدر لأنه يقدر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العالم كلها

وتدفع

وتدفع إلى الملائكة لتمتثله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وقال الزهري معناه ليلة القدر
العظيم والشرف وعظم الشأن من قولك رجل له قدر وقال أبو بكر الوراق سميت بذلك لأنها
تكسب من أحياها قدرا عظيما لم يكن له قبل وترده عظيما عند الله وقيل سميت بذلك لأن العمل
فيها له قدر وخطر وقيل لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر لأمة ذات قدر وقيل
لأنه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر وقيل لأنه قدر فيها الرحمة على المؤمنين وقال الخليل
لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه أي ضيق وقد اختلف السلف
والخلف في تعيين وقتها اختلافا كثيرا جدا وبعضهم قال رفعت والذي يدل عليه
الحديث أنها لم ترفع وأن العشر الأخير تكون فيه وأنها في أوتاره كما قال عليه السلام التمسوها
في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وفي الصحيح من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه وما أدراك ما ليلة القدر تفخيم لشأنها أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها
ثم بين له ذلك قال سفيان بن عيينة ما كان في القرآن وما أدراك فقد أعلمه وما قال وما
يدريك فإنه لم يعلمه قيل وأخفاها الله عن عباده ليجتهدوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها
ويقصروا في غيرها والظاهر أن الألف شهر يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة
أعوام والعمل في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور والمراد خير من ألف شهر عار
من ليلة القدر وعلى هذا أكثر المفسرين وقال أبو العالية خير من ألف شهر رمضان لا يكون
فيه ليلة القدر وقيل المعنى خير من الدهر كله لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلها
قال تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني جميع الدهر وعوتب الحسن بن علي في تسليمه الأمر
لمعاوية فقال إن الله أري في المنام نبيه عليه السلام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة
فاهتم لذلك فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وهي خير من مدة ملوك بني أمية وأعلمه
أنهم يملكون هذا القدر من الزمان ٥ قال القسم بن الفضل الحداني فعددنا ذلك فإذا هي
ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما وخرج قريبا من معناه الترمذي وقال حديث غريب
انتهى وقيل آخر ملوكهم مروان الجعدي في آخر هذا القدر من الزمان ولا يعارض هذا بملك
بني أمية في جزيرة الأندلس مدة غير هذه لأنهم إنما كانوا في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب
بحيث كان في إقليم العرب إذ ذاك ملوك كثيرون غيرهم وذكر أيضا في تخصيص هذه المدة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر
فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي
وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن
أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقال أبو بكر الوراق ملك كل
من سليمان وذي القرنين خمسمائة سنة فصارا ألف شهر فجعل الله تعالى العمل في
هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما ٥ تنزل الملائكة والروح تقدم الخلاف في الروح
أهو جبريل أم رحمة ينزل بها أم ملك غيره أم أشراف الملائكة أم جند من غيرهم أم حفظة
على غيرهم من الملائكة والتنزل إما إلى الأرض وإما إلى سماء الدنيا بإذن ربهم متعلق بتنزل
من كل أمر متعلق بتنزل ومن للسببية أي تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة
إلى قابل وسلام مستأنف خبر للمبتدأ الذي هو هي أي هي سلام إلى أول يومها قاله أبو العالية
ونافع المقرئ والفراء وهذا على قول من قال إن تنزلهم لتقدير الأمور لهم وقال أبو حاتم

من بعض الباء اي بكل امر وقرأ الجمهور من كل امر وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ اي من اجل كل
انسان وقيل يراد بكل امرئ الملائكة اي من كل ملك تحية على المؤمنين العاملين بالعبادة وانكر
هذا القول ابو حاتم سلام هي اي هي سلام جعلها سلاما لكثرة السلام فيها قيل لا يلقون مؤمنا
ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة وقال منصور والشعبي سلام بمعنى التحية اي تسلم
الملائكة على المؤمنين ومن قال تنزلهم ليس لتقدير الامور في تلك السنة جعل الكلام تاما عند
قوله باذن ربهم وقال من كل امر متعلق بقوله سلام هي اي من كل امر مخوف ينبغي ان يسلم منه هي سلام
وقال مجاهد لا يصيب احدا فيها داء وقال صاحب اللوامح وقيل معناه هي سلام من كل امر
او امرئ اي سالمة او مسلمة منه ولا يجوز ان يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر
عاملا فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقديمها
على الموصول انتهى وعن ابن عباس تم الكلام عند قوله سلام ولفظة هي اشارة الى انها ليلة سبع
وعشرين من الشهر اذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة انتهى ولا يصح
مثل هذا عن ابن عباس وانما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله وقرأ الجمهور مطلع بفتح
اللام وابو رجاء والاعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وابو عمرو بخلاف عنه
بكسرها فقيل هما مصدران في لغة بني تميم وقيل المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر
عند اهل الحجاز

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم • لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها
اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه • هذه مكية في قول الجمهور وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية قال ابن عطية وفي كتاب
النحاس مدنية وهو قول الجمهور وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية واختاره يحيى بن سلام
ولما ذكر انزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكر ان هنا ان
الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما انزل عليه من الصحف المطهرة
التي امر بقراءتها وقسم الكافرين هنا الى اهل كتاب واهل اشراك وقرأ بعض القراء والمشركون
رفعا عطفا على الذين كفروا والجمهور بالجر عطفا على اهل الكتاب واهل الكتاب اليهود
والنصارى والمشركون عبدة الاوثان من العرب وقال ابن عباس اهل الكتاب اليهود
الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها
والمدينة وحولها قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة
وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد عليه السلام والتوكف لامره
حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك وقال الزمخشري كان الكفار من الفريقين يقولون
قبل المبعث لا ننفك مما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه وقال ابن عطية ويتجه
في معنى الاية قول ثالث بارع المعنى وذلك انه يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين

من امر الله

من امر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث الله اليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة
ويتم على من آمن النعمة فكانه قال ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب الله
تعالى انتهى وقيل لم يكونوا منفكين عن حياتهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة والظاهر ان المعنى
لم يكونوا منفكين اي منفصلا بعضهم من بعض بل كان كل منهم مقرا الآخر على ما هو عليه مما اختاره
لنفسه هذا من اعتقاده في شريعته وهذا من اعتقاده في اصنامه والمعنى انه اتصلت مودتهم
واجتمعت كلمتهم الى ان اتتهم البينة وقيل معنى منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المرأة
عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام
الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب انتهى ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي التامة
وليست الداخلة على المبتدأ والخبر وقال بعض النحاة هي الناقصة ويقدر منفكين عارفين
امر محمد او نحو هذا وخبر كان واخواتها لا يجوز حذفه لا اقتصارا ولا اختصارا نص على ذلك اصحابنا
ولهم علة في منع ذلك ذكروها في علم النحو وقالوا في قوله حين ليس مجير اي في الدنيا فحذف
الخبر انه ضرورة والبينة الحجة الجلية وقرأ الجمهور رسول بالرفع بدلا من البينة وابي وعبد الله
بالنصب حالا من البينة يتلو صحفا اي قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة
ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كل
ما يدل عنده على صحة قوله الا من بعد ما جاءتهم البينة وكان يقتضي مجيء البينة ان يجمعوا على اتباعها
وقال الزمخشري كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم
عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول وقال ايضا افرد اهل الكتاب يعني في قوله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب بعد جمعهم والمشركين قيل لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم
فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف والمراد بتفرقهم تفرقهم
عن الحق او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند وقال
ابن عطية ذكر تعالى مذمة من لم يؤمن من اهل الكتاب من انهم لم يتفرقوا في امر محمد عليه السلام
الا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته فلما جاء من
العرب حسدوه انتهى وقرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام والدين منصوب به والحسن بفتحها
اي يخلصون هم انفسهم في نياتهم وانتصب الدين اما على المصدر من ليعبدوا اي ليدينوا الله
بالعبادة الدين واما على اسقاط في اي في الدين والمعنى وما امروا اي في كتابيهما بما امروا
به الا ليعبدوا حنفاء اي مستقيمي الطريقة مائلين عن طريق الضلال الى طريق الهداية وذلك
دين القيمة اي الامة المستقيمة وقال محمد بن الاشعث الطالقاني القيمة هنا الكتب
التي جرى ذكرها كانه لما تقدم لفظ قيمة نكرة كانت الالف واللام في القيمة للعهد كقوله
كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة
فالهاء فيه في هذه القراءة للمبالغة او انث على ان عنى بالدين الملة كقوله ما هذه الصوت
يريد ما هذه الصيحة وذكر تعالى مقر الاشقياء وجزاء السعداء والبرية جميع الخلق وقرأ
الاعرج وابن عامر ونافع البريئة بالهمز من برأ بمعنى خلق والجمهور بشد الياء فاحتمل ان يكون
اصله الهمز ثم سهل بالابدال والادغام واحتمل ان يكون من البرا وهو التراب قال ابن عطية وهذا
الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وهو اشتقاق غير مرضي انتهى لا يجعله خطأ بل قراءة الهمز
مشتقة من برأ والقراءة الاخرى قد يختلفان في الاشتقاق نحو ننساها او ننسئها فهو اشتقاق

مرضي وحكم على الكفار من اهل الكتاب والمشركين بالخلود في النار وبكونهم شر البرية وبدأ باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم اعظم لانهم انكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام **وقرا** الجمهور خير البرية مقابل شر البرية وحميد وعامر بن عبد الواحد خيار البرية جمع خير كجيد وجياد وبقية السورة واضحة وتقدم شرح ذلك افرادا وتركيبا **الذرة** نملة صغيرة حمراء رقيقة ويقال انها تجري اذا اتى عليها حول **وقال امرؤ القيس**

شعر من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم • اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء مدنية في قول قتادة ومقاتل لان آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار وجزاء المؤمنين فكان قائلا قال متى ذلك فقال اذا زلزلت الارض زلزالها قيل والعامل فيها مضمر يدل عليه مضمون الجمل الآتية تقديره يحشرون وقيل اذكر وقال الزمخشري تحدث انتهى واضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها ولو لم تضف لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والفرق بين اكرمت زيدا كرامة وكرامته واضح **وقرأ** الجمهور زلزالها بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها قال ابن عطية وهو مصدر كالوسواس وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف انتهى اما قوله والمفتوح اسم فجعله غيره مصدرا جاء على فعلال بالفتح ثم قيل قد يجيء بمعنى اسم الفاعل فتقول قضقاض في معنى مقضقض وصلصال في معنى مصلصل واما قوله وليس في الابنية الى قوله فقد وجد فيه فعلال بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بفتح الخاء وليس بمضاعف • واخرجت الارض اثقالها جعل ما في بطنها اثقالا لها وقال النقاش والزجاج ومنذر بن سعيد اثقالها كنوزها وموتاها ورد بان الكنوز انما تخرج وقت الدجال لا يوم القيامة ومن قال ذلك يقول هذا الزلزال يكون في الدنيا وهو من اشراط الساعة وزلزال يوم القيامة كقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فلا يرد عليه بذلك اذ قد اخذ الزلزال عاما باعتبار وقتيه ففي الاول اخرجت كنوزها وفي الثاني اخرجت موتاها وصدق انها زلزلت زلزالها واخرجت اثقالها وقيل اثقالها كنوزها ومنه تلقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة وقال ابن عباس موتاها وهو اشارة الى البعث وذلك عند النفخة الثانية فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو من الاشراط وقال الانسان ما لها على معنى التعجب لما يرى من الهول والظاهر عموم الانسان فقال ذلك الكافر لانه لا يرى ما لم يقع في ظنه قط ولا صدقه والمؤمن وان كان مؤمنا بالبعث فانه استهول المرأى وفي الحديث ليس الخبر كالعيان وقال الجمهور الانسان هو الكافر يرى ما لم يظن يومئذ اي يوم اذ زلزلت واخرجت تحدث ويومئذ بدل من اذا فيعمل فيه لفظ العامل في المبدل منه او المكرر على الخلاف في العامل في البدل تحدث اخبارها الظاهر انه تحديث وكلام حقيقة بان يخلق فيها حياة وادراكا فتشهد بما عمل عليها من صالح او فاسد وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له ما جاء في الحديث فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر الا شهد له يوم القيمة وما جاء في الترمذي عنه عليه السلام انه قرأ هذه الآية ثم قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم فقال ان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها هو تقول عمل يوم كذا وكذا قال فهذه اخبارها هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الطبري وقوم التحديث مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرونه منه وقال يحيى بن سلام تحدث بما اخرجت من اثقالها وهو قول من زعم ان الزلزلة هي التي من اشراط الساعة وفي سنن ابن ماجه حديث في آخره تقول الارض يوم القيمة يا رب هذا ما استودعتني وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذ قال الانسان ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الآخرة قد اتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم وتحدث هنا تتعدى الى اثنين والاول محذوف اي تحدث الناس وليست بمعنى اعلم المنقولة من علم المتعدية الى اثنين فتتعدى الى ثلاثة بان ربك اوحى لها اي بسبب ايحاء الله فالباء متعلقة بتحدث قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين انتهى وهو كلام فيه عفش ننزه القرآن عنه وقال ايضا ويجوز ان يكون بان ربك اوحى لها بدلا من اخبارها كانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى واذا كان الفعل تارة يتعدى بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول من الذنب ولا اخترت زيدا الرجال الكرام بنصب زيدا الرجال وخفض الكرام وكذلك لا يجوز ان تقول استغفرت من الذنب العظيم بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول ما رأيت من رجل عاقلا لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على مراعاة جواز دخول من وان ورد شيء من ذلك فبابه الشعر وعدى اوحى باللام لا بالى وان كان المشهور تعديتها بالى لمراعاة الفواصل **وقال العجاج يصف الارض**

شعر اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

فعداها باللام وقيل الموحى اليه محذوف اي اوحى الى ملائكته المصرفين ان يفعلوا في الارض تلك الافعال واللام في لها للسبب اي من اجلها ومن حيث الافعال فيها واذا كان الايحاء اليها احتمل ان يكون وحي الهام واحتمل ان يكون برسول من الملائكة يومئذ يصدر الناس انتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورد فقال الجمهور هو كونهم في الارض مدفونين والصدر قيامهم للبعث واشتاتا جمع شتت اي فرقا مؤمن وكافر ومؤمن وعاص سائرون الى العرض

المفردات

وهذا

عفش

المفردات

ليروا اعمالهم وقال النقاش الصدر قوما الى الجنة وقوما الى النار وورودهم هو ورود الحشر فعلى الاول المعنى ليرى عمله ويقف عليه وعلى قول النقاش ليرى جزاء عمله وهو الجنة والنار والظاهر تعلق ليروا بقوله يصدر وقيل باوحى لها وما بينهما اعتراض وقال ابن عباس اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقال الزمخشري اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين انتهى ويحتمل ان يكون اشتاتا اي كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاضد كقوله ولقد جئتمونا فرادى وقرأ الجمهور ليروا بضم الياء والحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وابو حيوة وعيسى ونافع في رواية بفتحها والظاهر تخصيص العامل اي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من السعداء لان الكافر لا يرى خيرا في الآخرة وتعميم ومن يعمل مثقال ذرة شرا من الفريقين لانه تقسيم جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وقال ابن عباس هذه الاعمال في الآخرة فيرى الخير كله من كان مؤمنا والكافر لا يرى في الآخرة خيرا لان خيره قد عجل له في دنياه والمؤمن يعجل له سيئاته الصغائر في دنياه في المصائب والامراض ونحوها وما عمل من شر او خير رآه ونبه بقوله مثقال ذرة على ان ما فوق الذرة يراه قليلا كان او كثيرا وهذا يسمى مفهوم الخطاب وهو ان يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم واحد بل يكون المسكوت عنه بالاولى في ذلك الحكم كقوله ولا تقل لهما اف والظاهر انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدار وقيل بدلا من مثقال وقرأ الجمهور بفتح الياء فيهما اي يرى جزاءه من ثواب وعقاب وقرأ الحسين بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وابو حيوة وخليد بن نشيط وابان عن عاصم والكسائي في رواية حميد ابن الربيع عنه بضمها وهشام وابو بكر بسكون الهاء فيهما وابو عمرو بضمهما مشبعتين وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية والاسكان في الوصل لغة حكاها الاخفش ولم يحكها س وحكاها الكسائي ايضا عن بني كلاب وبني عقيل وهذه الرواية رواية يصره فالك النقاش ليست برؤية بصر وانما المعنى يصيبه ويناله وقرأ عكرمة يراه بالالف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة في حروف العلة حكاها الاخفش او على توهم ان من موصولة لا شرطية كما قيل في انه من يتقي ويصبر في قراءة من اثبت يا يتقي وجزم يصبر توهم ان من شرطية لا موصولة فجزم ويصبر عطفا على التوهم ٥ العاديات الجاريات بسرعة وهو وصف ويأتي في التفسير الخلاف في الموصوف الضبح تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب قيل ولا يصح عن ابن عباس لان الابل تضبح والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والقوس كلها استعملت العرب لها الضبح انشد ابو حنيفة في صفة قوس ٥

حنانة من نشم او تالب تضبح في الكف ضباح الثعلب ٥

وقال اهل اللغة اصله للثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه والضبح لونه تغير الى السواد قليلا وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو الشديد وكذا قال المبرد الضبح من اضباعها في السير القدح الصك وقيل الاستخراج ومنه قدحت العين اخرجت منها الفاسد والقداح والقداحة والمقدحة ما توري به النار اغار على العدو فصدع لنهب او قتل واسار النقع الغبار ٥

قال

قال الشاعر ٥

يخرجن من مستطار النقع دامية كأن آذانها اطراف اقلام ٥

وقال ابن رواحة ٥

عدمت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من كنفي كداء ٥ وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت ومنه قال لبيد ٥

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل ٥ الكنود الكفور للنعمة ٥ قال الشاعر

كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنودا لنعماء الرجال يبعد ٥

وعن ابن عباس الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل وقال الكلبي مثله الا انه قال وبلسان بني مالك البخيل ولم يذكر حضرموت ويقال كند النعمة كنودا وقال ابو زبيد في البخيل

ان نفسي لم اطب عنك نفسا غير اني امنى بدهر كنود ٥ حصل الشيء جمعه وقيل ميزه من غيره ومنه قيل للنخل المحصل وحصل الشيء ظهر واستبان ٥

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس وانس وقتادة لما ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديدا ووعيدا بيوم القيامة اتبع ذلك بتعنيف من لا يستعد لذلك اليوم ومن آثر امر دنياه على امر آخرته والجمهور من اهل التفسير واللغة على ان العاديات هنا الخيل تعدو في سبيل الله وتضبح حالة عدوها وقال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا ٥

وقال ابو عبد الله وعلي وابراهيم والسدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير العاديات الابل اقسم بها حين تعدو من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع الحاج وباهل غزوة بدر لم يكن فيها غير فرسين فرس الزبير وفرس المقداد وبهذا احتج علي ابن عباس حين تماريا فرجع ابن عباس الى قول علي رضي الله عنه وقالت صفية بنت عبد المطلب ٥

فلا والعاديات غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار ٥ وانتصب ضبحا على اضمار فعل اي يضبحن ضبحا او على انه في موضع الحال اي ضابحات او على المصدر على قول ابي عبيدة ان معناه العدو الشديد فهو منصوب بالعاديات وقال الزمخشري او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو انتهى واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى والعاديات معنى الضابحات فلا ينبغي ان يفسر به فالموريات قدحا الايراء اخراج النار اي تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار لصك بعض الحجارة بعضا ويقال قدح فاورى وقدح فاصلد وتسمى تلك النار التي تقدحها الحوافر من الخيل والابل نار الحباحب قال الشاعر

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٥ وقيل فالموريات قدحا مجاز واستعارة في الخيل تشعل الحرب قاله قتادة وقال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويقال حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وقال ابن عباس ومجاهد

وزيد بن اسلم الموريات الجماعة التي تمكر في الحرب والعرب تقول اذا ارادت المكر بالرجل والله
لايكون ذلك ولاورين لك وعن ابن عباس ايضا الجماعة التي توري نارها بالليل لحاجتها
وطعامها وعنه ايضا جماعة الغزاة تكثر النار ارهابا وقال عكرمة السنة الرجال توري النار
من عظيم ما تتكلم به وتظهر من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل فالمغيرات صبحا اي
تغير على العدو في الصبح ومن قال هي الابل قال العرب تقول اغار اذا عدا جريا اي من مزدلفة
الى منى او في بدر وفي هذا دليل على ان هذه الاوصاف لذات واحدة لعطفها بالفاء التي
تقتضي التعقيب والظاهر انها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار ولا يستدل على انها الابل
بوقعة بدر وانه لم يكن فيها الا فرسان لانه لم يذكر ان سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر ثم بعد
ذلك لا يكاد يوجد ان الابل جوهد عليها في سبيل الله بل المعلوم انه لا يجاهد في سبيل الله الا على
الخيل في شرق البلاد وغربها فاثرن معطوف على اسم الفاعل الذي هو صلة ال لانه في معنى الفعل
اذ تقديره فاللاتي عدون فاغرن فاثرن وقال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه انتهى ونقول اصحابنا هو معطوف على الاسم لانه في معنى الفعل وقرا الجمهور
فاثرن فوسطن بتخفيف الثاء والسين وابو حيوة وابن ابي عبلة بشدهما وعلي وزيد بن علي
وقتادة وابن ابي ليلى بشد السين وقال الزمخشري وقرا ابو حيوة بالتشديد بمعنى
فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة
وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهي مبالغة
في وسطن انتهى اما قوله او قلب فتمحل بارد واما ان التشديد للتعدية فقد نقلوا ان
وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وانهما لغتان والضمير في به عائد ان الاول على الصبح
اي هيجن في ذلك الوقت غبارا وفي به الثاني على الصبح قيل وعلى النقع اي وسطن
النقع الجمع فتكون الباء للتعدية او يكون به في موضع الحال اي وسطن ملتبسات
بالنقع جمعا من الاعداء ويكون وسطه بمعنى توسطه وقال علي وعبد الله فوسطن
به جمعا اي الابل وجمعا اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس وقال بشر بن ابي خازم
فوسطن جمعهم وافلت حاجب تحت العجاجة في الغبار الاقتم ه وقيل الضمير
في به معا يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وان لم يجر له ذكر لدلالة والعاديات
وما بعدها عليه وقيل يعود على العدو الدال عليه والعاديات ايضا وقيل المراد بالنقع
هنا الصياح والظاهر ان المقسم به هو جنس العاديات وليست ال فيه للعهد والمقسم
عليه ان الانسان لربه لكنود وفي الحديث الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب
عبده وقال ابن عباس والحسن هو الجحود لنعم الله وعن الحسن ايضا هو اللائم
لربه يعد السيئات وينسى الحسنات وقال الفضيل هو الذي تنسيه سيئة واحدة
حسنات كثيرة ويعامل الله على عقد عوض وقال عطا هو الذي لا يعطي في النائبات
مع قومه وقيل البخيل ه وقال ابن قتيبة ارض كنود لا تنبت شيئا والظاهر عود
الضمير في وانه على ذلك لشهيد اي يشهد على كنوده ولا يقدر ان يجحده لظهور امره
وقاله الحسن ومحمد بن كعب وقال ابن عباس وقتادة هو عائد على الله تعالى اي
وربه شاهد عليه وهو على سبيل الوعيد وقال التبريزي هو الاصح لان الضمير
يجب عوده الى اقرب المذكورين ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي انتهى ولا يترجح

بالقرب

الا اذا تساويا من حيث المعنى والانسان هنا هو المحدث عنه والمسند اليه الكنود وايضا
فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى اولى من جعلهما لمختلفين ولا سيما اذا توسط الضمير
بين ضميرين عائدين على واحد ه وانه اي وان الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي قوي في حبه
وقيل لبخيل بالمال ضابط له ويقال للبخيل شديد ومتشدد وقال طرفة
اري الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد ه
وقال عكرمة الخير حيث وقع في القرآن هو المال قال ابن عطية ويحتمل ان يراد هنا الخير
الدنياوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك
فاما الحب في خير الآخرة فممدوح مرجو له الفوز وقال الفراء نظم الآية ان يقال وانه
لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره
ولرؤوس الآي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا للايام كانه قال في يوم عاصف
الريح انتهى وقال غيره ما معناه انه ليس اصل ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة
اي وانه لاجل حب المال لبخيل او انه لحب المال وايثاره قوي مطيق وهو لحب عبادة الله
وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا
قال الزمخشري او اراد وانه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه افلا يعلم توقيف على ما
يؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف اي فلا يعلم ماله اذا
بعثر وقال الحوفي اذا ظرف مضاف اذا بعثر والعامل فيه يعلم انتهى وليس بمتضح لان المعنى
افلا يعلم الآن وقرا الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول وقرا عبد الله بحث بالحاء وقرا بحث
الاسود بن زيد وقرا نصر بن عاصم بحثر على بنائه للفاعل وقرا ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد
ابن ابي معدان وحصل مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول وقرا ابن يعمر ايضا ونصر بن عاصم
ايضا وحصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد والمعنى جمع ما في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل
ميز وكشف ليقع الجزاء عليه وقرا الجمهور ان بكسر الهمزة لخبير باللام وهو استئناف اخبار
والعامل في بهم وفي يومئذ لخبير وهو تعالى خبير دائما لكنه ضمن خبير معنى مجازيهم في ذلك
اليوم وقرا ابو السمال والحجاج بفتح الهمزة واسقاط اللام ويظهر في هذه القراءة تسلط
يعلم على ان لكنه لا يمكن اعمال خبير في اذا لكونه في صلة ان المصدرية لكنه لا يمكن ان
يقدر له عامل فيه من معنى الكلام كانه قال يجزيهم اذا بعثر وعلى هذا التقدير يجوز ان
يكون يعلم معلقة عن العمل في قراءة الجمهور وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها اللام ظاهر
اذ هي في موضع نصب بيعلم واذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة تقدير كما قلنا يجزيهم
اذا بعثر ن الفراش قال الفراء هو الهمج الطاير من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال
هو اطيش من فراشه وقال الشاعر
وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل ه
وقال فراشة الحلم ه نفشت الصوف والقطن فرقت ما كان ملتبدا من اجزائه ه

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم ◦ القارعة ما القارعة وما ادراك
ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما
من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك

صف

المفردات

ماهيه نار حامية سورة القارعة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لانه ذكر وقت بعثرة القبور وذلك
هو وقت الساعة وقال الجمهور القارعة القيامة نفسها لانها تقرع القلوب بهولها
وقيل صيحة النفخة في الصور لانها تقرع الاسماع وفي ضمن ذلك القلوب وقال الضحاك
هي النار ذات التغيظ والزفير وقرأ الجمهور القارعة ما القارعة بالرفع فما استفهام
فيه معنى الاستعظام والتعجب وهو مبتدأ والقارعة خبره وتقدم تقرير ذلك في الحاقة
ما الحاقة وقيل ذلك في فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وقال الزجاج هو تحذير والعرب تحذر
وتغري بالرفع كالنصب وقال الشاعر

اخو النجدة السلاح السلاح

وقرأ عيسى بالنصب وتخريجه على انه منصوب باضمار فعل اي اذكروا القارعة وما زائدة للتوكيد
والقارعة توكيد لفظي للاولى وقرأ الجمهور يوم بالنصب وهو ظرف لعامل فيه قال ابن عطية
القارعة فان كان عنى القارعة اللفظ الاول فلا يجوز الفصل بين العامل وهو في صلة ال
والمعمول بالخبر وهو لا يجوز وكذلك لو صار القارعة علما للقيامة لا يجوز ايضا وان كان
عنى اللفظ الثاني او الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وقال الزمخشري الظرف نصب
مضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس وقال الحوفي باتي يوم يكون وقيل
اذكر يوم وقرأ زيد بن علي يوم يكون برفع الميم اي وقتها يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
قال قتادة هو الطير الذي يتساقط في النار وقال الفراء غوغاء الجراد وهو صغيره الذي
ينتشر في الارض يركب بعضهم بعضا من الهول وقيل الفراش طير دقيق يقصد النار ولا يزال
يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق شبههم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجي
والذهاب على غير نظام والتطاير الى الداعي من كل جهة حتى يدعوهم الى ناحية المحشر بالفراش
المتطاير الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي

وقرن بين الناس والجبال تنبيها على تاثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش
فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في الاعراف
وعيشة راضية في الحاقة فامه هاوية قيل الهاوية دركة من دركات النار وامه
معناه ماواه كما قيل للارض ام الناس لانها تؤويهم وكما قال عتبة بن ابي سفيان في الحرب
فنحن بنوها وهي امنا وقال قتادة وابو صالح وغيرهم فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه
يطرح فيها منكوسا وقيل هو تفاؤل بشر واذا دعوا بالهلكة قالوا هوت امه لانه اذا هوي
اي هلك وسقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال الشاعر

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب

وقرأ الجمهور فامه بضم الهمزة وطلحة بكسرها قال ابن خالويه وحكى ابن دريد انها لغة واما
النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة او ياء انتهى وما ادراك ما هيه
هي ضمير يعود على هاوية ان كانت كما قيل دركة من دركات النار معروفة بهذا الاسم وان
كانت غير ذلك مما قيل فيها فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية والهاء
في ماهيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن ابي اسحاق والاعمش وحمزة واثبتها الجمهور
نار حامية خبر مبتدا محذوف اي هي نار

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون

ثم كلا

ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم هي مكية في قول جميع المفسرين وقال البخاري مدنية ومناسبتها لما قبلها
ظاهرة وسبب نزولها انه فيما روى الكلبي ومقاتل كان بين بني سهم وبين بني عبد مناف
لحاء فتعادوا الاشراف الاحياء ايهم اكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا الاموات فكثرهم بنو سهم
لانهم كانوا اكثر عددا في الجاهلية وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان
وبنو فلان اكثر من بني فلان وقال ابن زيد نزلت في بطن من الانصار الهاكم شغلكم فعلى ما روى
الكلبي ومقاتل يكون المعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر
فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وهذا معنى ينبو عنه لفظ
زرتم وقيل حتى زرتم اي متم وزرتم باجسادكم مقابرها اي قطعتم بالتكاثر والمفاخرة بالاموال
والاولاد والعدد اعماركم حتى متم وسمع بعض الاعراب حتى زرتم فقال بعث القوم للقيامة
ورب الكعبة فان الزائر منصرف لا مقيم وعن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الاعرابي وقيل هذا تانيب
على الاكثار من زيارة القبور تكثرا بمن سلف واشارة بذكره وكان عليه السلام نهى عن زيارة القبور
ثم قال فزوروها امر اباحة للاتعاظ بها لا لمعنى المباهاة والتفاخر قال ابن عطية كما يصنع
الناس في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة والرخام وتلوينها شرفا وبنيان النواويس عليها
وابن عطية لا يرى الا قبور اهل الاندلس فكيف لو راى ما يتباهى به اهل مصر في مدافنهم
بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى وباب النصر وغير ذلك وما يضيع فيها من الاموال
لتعجب من ذلك ولراى ما لم يخطر له ببال واما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين الى
الصوف ليس لهم شغل الا زيارة القبور زرت قبر فلان بكذا وقبر فلان بكذا والشيخ
فلانا بكذا والشيخ فلانا بكذا فيذكرون اقاليم طافوها على قدم التجريد وقد حفظوا
حكايات عن اصحاب تلك القبور واولئك المشايخ بحيث لو كتبت لجاءت اسفارا وهم
مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك وعوام الناس في تحسين
الظن بهم وبذل الاموال لهم واما من شدا منهم لان يتكلم للعامة فياتي بعجائب يقولون
هذا فتح هذا من العلم اللدني علم الخضر حتى ان من ينتمي الى العلم لما راى رواج هذه الطائفة
سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه
وتقبيل اليد ونحن نسال الله تعالى ان يوفقنا لطاعته وقرأ الجمهور الهاكم على الخبر
وابن عباس وعائشة ومعاوية وابو عمران الجوني وابو صالح ومالك بن دينار وابو الجوزاء
وجماعة بالمد على الاستفهام وقد روي كذلك عن الكلبي ويعقوب وعن ابي بكر الصديق
وابن عباس ايضا والشعبي وابي العالية وابن ابي عبلة والكسائي في رواية االهاكم
بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على قبيح فعلهم والجمهور على ان التكرير توكيد
قال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والانذار وثم دلالة على ان الانذار الثاني
ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف
تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وقال علي بن ابي طالب
كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث غاير بينهما بحسب التعلق
وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان وقال الضحاك الزجر الاول ووعيده
للكافرين والثاني للمؤمنين كلا لو تعلمون ما بين ايديكم مما تقدمون عليه علم اليقين

لب

أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين فأضاف الموصوف إلى صفته
وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ألهاكم التكاثر وقيل اليقين هنا الموت وقال
قتادة البعث لأنه إذا جاء زال الشك ثم قال لترون الجحيم والظاهر أن هذه الرؤية
هي رؤية الورود كما قال وإن منكم إلا واردها ولا تكون رؤية عند الدخول فيكون الخطاب
للكفار لأنه قال بعد ذلك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ثم لترونها عين اليقين تأكيد
للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله عين اليقين نفيا لتوهم المجاز في الرؤية
الأولى وعن ابن عباس هو خطاب للمشركين فالرؤية رؤية دخول وقرأ ابن عامر والكسائي
لترون بضم التاء وباقي السبعة بالفتح وعلي وابن كثير في رواية وعاصم في رواية بفتحها في لترون
وضمها في لترونها ومجاهد والأشهب وابن أبي عبلة بضمهما وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف
عنهما أنهما همزا الواوين استثقلوا الضمة فهمزوا كما همزوا في وقتت وكان القياس أن لا يهمز
لأنها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت
الحركة الأصلية فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو اشتروا الضلالة
فهمز هذه أولى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب
ومفرش ومركب فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف والكافر سؤال توبيخ وتقريع وعن ابن مسعود
والشعبي وسفيان ومجاهد هو الأمن والصحة وعن ابن عباس البدن والحواس فيم استعملت
وعن ابن جبير كل ما يتلذذ به وفي الحديث بيت يكنك وخرقة توار بك وكسرة تشد قلبك وما سوى
ذلك فهو نعيم ۞

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم • والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر مكية في قول ابن عباس وابن الزبير
والجمهور ومدنية في قول مجاهد و[illegible] وقتادة ومقاتل لما قال فيما قبلها ألهاكم
التكاثر ووقع التهديد بتكرار كلا سوف تعلمون بين حال المؤمن والكافر والعصر قال
ابن عباس هو الدهر يقال فيه عَصر وعُصر وعُصُر أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب
وقال قتادة العصر العشي أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة وقيل
العصر اليوم والليلة ومنه قول حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوم وليلة ۞ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما ۞

وقيل العصر بكرة والعصر عشية وهما الأبردان فعلى هذا والقول قبله يكون القسم
بواحد منهما غير معين وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطى أقسم بها ولهذا القول بدأ
الزمخشري قال لفضلها بدليل قوله والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة
وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله لأن التكليف
في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم
انتهى وقرأ سلام والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز
إلا في الوقف على نقل الحركة وروي عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء إشماما وهذا أيضا
لا يكون إلا في الوقف انتهى وفي الكامل للهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر
ما قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن أبي عمرو والباقون بالإسكان كالجماعة
انتهى وقال ابن خالويه وتواصوا بالصبر بنقل الحركة عن أبي عمرو وقال صاحب

يشهم

اللوامح عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الراء إلى الباء لئلا يحتاج إلى أن يأتي ببعض الحركة في الوقف
ولا إلى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك
دلالة على الإعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأدية حق الموقوف عليه من السكون انتهى
وقد أنشدنا في الدلالة على هذا في شرح التسهيل عدة أبيات كقول الشاعر

أنا جرير كنيتي أبو عمر ۞ أضرب بالسيف وسعد في العصر ۞

يريد أبو عمرو والعصر والإنسان اسم جنس يعم ولذلك صح الاستثناء منه والخسر الخسران
كالكفر والكفران وأي خسران أعظم من خسران الدنيا والآخرة وقرأ ابن هرمز وزيد بن علي وهارون
عن أبي بكر عن عاصم خسُر بضم السين والجمهور بالسكون ومن باع آخرته بدنياه فهو في غاية
الخسران بخلاف المؤمن فإنه اشترى الآخرة بالدنيا فربح وسعد وتواصوا بالحق أي بالأمر الثابت
من الذين عملوا به وتواصوا به وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي الحطمة أصله
الوصف من قولهم رجل حطمة أي أكول قال الشاعر قد لفها الليل بسواق حطم •

المفردات

وقال آخر •

أنا حطمنا بالقضيب مصعبا • يوم كسرنا أنفه ليغضبا ۞

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده
يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله
الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة مكية ولما
قال فيما قبلها إن الإنسان لفي خسر بين حال الخاسر فقال ويل لكل همزة ونزلت في الأخنس
ابن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف أقوال ويمكن
أن نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الأوصاف ۞ وقال السهيلي هو أمية
ابن خلف الجمحي كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبه ذكره ابن إسحق وإنما ذكرته وإن كان اللفظ عاما لأن الله
سبحانه تابع في أوصافه والخبر عنه حتى فهم أنه يشير إلى شخص بعينه وكذلك قوله في ن ولا تطع
كل حلاف مهين تابع في الصفات حتى علم أنه يريد إنسانا بعينه وتقدم الكلام في الهمز
في ن والقلم وفي اللمز في سورة براءة وفعلة من أبنية المبالغة كنومة وعيبة وسخرة
وضحكة وقال زياد الأعجم ۞

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا ۞ وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة ۞

وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما والباقر بسكونها وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك
منه ويشتم ويهمز ويلمز الذي بدل أو نصب على الذم وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والإخوان ن
جمع مشدد الميم وباقي السبعة بالتخفيف والجمهور وعدده بشد الدال الأولى أي
أحصاه وحافظ عليه وقيل جعله عدة لطوارق الدهر والحسن والكلبي بتخفيفها أي جمع
المال وضبط عدده وقيل وعددا من عشيرته وقيل وعدده على ترك الإدغام كقوله
إني أجود لأقوام وإن ضننوا ۞ أخلده أي أبقاه حيا إذ به قوام حياته وحفظه مدة عمره
قال الزمخشري أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته
وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت قيل وكان للأخنس أربعة
آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار كلا ردع له عن حسبانه وقرأ الجمهور لينبذن

فيه ضميرا الواحد وعلي والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد وهرون عن ابي عمرو لينبذان بالف ضمير اثنين الحطمة وماله وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال اي هو وانصاره وعن ابي عمرو لينبذنه وقرأ الجمهور في الحطمة وما ادراك ما الحطمة وزيد بن علي في الحاطمة وما ادراك ما الحاطمة وهي النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها قال الضحاك الحطمة الدرك الرابع من النار وقال الكلبي الطبقة السادسة من جهنم وحكى عنه القشيري انها الدركة الثانية وعنه ايضا الباب الثاني وقال الواحدي باب من ابواب جهنم انتهى نار الله الموقدة اي هي الحطمة التي تطلع على الافئدة ذكرت الافئدة لانها الطف ما في البدن واشده تالما باذى شي من الاذى واطلاع النار عليها انها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلوا الكفار في جميع ابدانهم لكن نبه على الاشرف لانه مقر العقائد وقرأ الاخوان وابو بكر في عمد بضمتين جمع عمود وهرون عن ابي عمرو بضم العين وسكون الميم وباقي السبعة بفتحهما وهو اسم جمع الواحد عمود وقال الفراء جمع عمود كما قالوا اديم وادم وقال ابو عبيدة جمع عماد قال ابن زيد في عمد حديد مغلولين بها وقال ابو صالح هذه النار هي في قبورهم والظاهر انها نار الآخرة اذ ييئسوا من الخروج باطباق الابواب عليهم وتمدد العمد كل ذلك ايذانا بالخلود الى غير نهاية وقال قتادة كنا نحدث انهم يعذبون بها في النار وقال ابو صالح هي القيود الفيل كبير ما رايناه من وحوش البر يجلب الى ملك مصر ولم نر بالاندلس بلادنا ويجمع في القلة على افيال وفي الكثرة على فيول وفيلة الابابيل الجماعات تجي شيئا بعد شي قال الشاعر

كادت تهد من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

وقال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله ... عليه ابابيل من الطير تنعب

قال ابو عبيدة والفراء لا واحد له من لفظه فيكون مثل عباديد وشماطيط وقيل واحده ابول مثل عجول وقيل ابيل مثل سكين وقيل اباله وذكر الرقاشي وكان ثقة انه سمع في واحده ابالة وحكى الفراء اباله مخففا

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول** مكية ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكافر في الآخرة اخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر ان الخطاب للرسول يذكر نعمته عليه اذ كان صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه السلام وارهاصا بنبوته اذ مجي تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين ايدي الانبيا ومعنى الم تر الم تعلم قدره على وجود علمه بذلك اذ هو امر منقول نقل التواتر فكانه قيل قد علمت فعل الله ربك بهولاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم واهلكهم باضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها ان تقتل وقصة الفيل ذكرها اهل السير والتفسير مطولة ومختصرة وتطالع في كتبهم واصحاب الفيل ابرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر انه فيل واحد وهو قول الاكثرين وقال الضحاك ثمانية فيلة وقيل اثنا عشر فيلا وقيل

المفردات

ألف

الف فيل وهذه اقوال متكاذبة وكان العسكر ستين الفا لم يرجع منهم احد الا اميرهم في شرذمة قليلة فلما اخبروا بما راوا هلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك ويوجه نحو اليمن والشام فيسرع وقال الواقدي ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ السلمي تر بسكون الراء وهو جزم بعد جزم ونقل عن صاحب اللوامح ترء بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الاصل وهي لغة لتيم اللات وتر معلقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب به وكيف معمولة لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه بقوله فعل ربك تشريف له عليه السلام واشارة من ذكره كانه قال ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا اصنام قريش اساف ونائلة وغيرهما الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا وقيل لامرئ القيس الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه وتضييع كيدهم هو بان احرق الله البيت الذي بنوه قاصدين ان يرجع حج العرب اليه وبان اهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة بان ارسل عليهم طيرا جاءت من جهة البحر ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سودا وقيل خضرا على قدر الخطاطيف وقرأ الجمهور ترميهم بالتاء والطير اسم جمع يؤنث القراءة ولقوله كالطير ينجون الشؤبوب ذي البرد ويذكر كقراءة ابي حنيفة وابن يعمر وعيسى وطلحة في رواية السمال عنه يرميهم بالياء وقيل الضمير عايد على ربك بحجارة كان كل طاير في منقاره حجر وفي رجليه حجران كل حبة فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه ينزل على راسه ويخرج من دبره ومرض ابرهة فتقطع انملة انملة وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت ابو يكسوم وزيره وطاير يتبعه حتى وصل الى النجاشي واخبره بما جرى للقوم فرماه الطاير بحجره فمات بين يدي الملك وتقدم شرح سجيل في سورة هود والعصف في سورة الرحمن شبهوا بالعصف ورق الزرع الذي اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود والتبن الذي اكلته الدواب وراثته وجاء على اداب القرآن نحو قوله كانا ياكلان الطعام او الذي اكل حبه فبقي فارغا فنسبه انه اكل مجاز اذ الماكول حبه لا هو وقرأ الجمهور ماكول بسكون الهمزة وهو الاصل لانه صيغة مفعول من فعل وقرأ ابو الدرداء فيما نقل ابن خالويه بفتح الهمزة اتباعا لحركة الميم وهو شاذ وهذا كما اتبعوا في قولهم محموم بفتح الحاء لحركة الميم قال ابن اسحاق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقيل هو اجابة لدعاء الخليل عليه السلام قريش علم اسم قبيلة وهم بنو النضر بن كنانة فمن كان من بني النضر فهو قرشي دون بني كنانة وقيل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي قال القرطبي والقول الاول اصح واثبت وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والالتيام ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا ... في حديث من دهرهم وقديم

كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا ومنه قول الشاعر

ابونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقال الفراء التقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع ومنه سميت قريش وقيل كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها والقرش التفتيش ومنه قول الشاعر

ميتة

المفردات

أيها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل لذاك بقاء ۞ وسأل معاوية ابن عباس لم سميت
قريش قريشا فقال لدابة في البحر اقوى دوابه يقال لها القرش تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى
ومنه قول تبع ۞

وقريش هي التي تسكن البحر ۞ بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا ۞ تترك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ۞ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ۞ يكثر القتل فيهم والخموشا

المفردات

وفي الكشاف نعت بالشعر ولا يطاق الا بالنار فان كان قريش من مزيد فيه فهو تصغير ترخيم
وان كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على اصل التصغير الشتاء والصيف فصلان معروفان
من فصول السنة الاربعة وهمزة الشتاء مبدلة من واو وقالوا شتا يشتو وقالوا شتوة والشتاء
مفرد وليس بجمع شتوة ۞

سورة لإيلاف قريش

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف
فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ۞ مكية في قول الجمهور مدنية
في قول الضحاك وابن السائب ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما ان جعلت اللام متعلقة
بنفس فجعلهم وهو قول الاخفش او باضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش وهو مروي عن الاخفش حتى
تطمئن في بلدها فذكر ذلك للامتنان عليهم اذ لو سلط عليهم اصحاب الفيل لتشتتوا في الاقاليم
ولم يجتمع لهم كلمة قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت
بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قرأهما
في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين
قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم
لهم الامر في رحلتيهم انتهى قال الحوفي ورد هذا القول جماعة وقالوا لو كان كذا لكان لإيلاف
بعض سورة ألم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال يعني الاخفش والكسائي
والفراء تتعلق باعجبوا مضمرة اي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة
رب هذا البيت ثم امرهم بالعبادة بعد واعلمهم ان الله هو الذي اطعمهم وآمنهم لا سفرهم
اي فليعبدوا الذي اطعمهم بدعوة ابيهم حيث قال وارزقهم من الثمرات وآمنهم بدعوته حيث
قال رب اجعل هذا البلد آمنا ولا تشتغلوا بالاسفار التي انما هي طلب كسب وعرض
دنيا وقال الخليل عليه السلام تتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى لان فعل الله بقريش هذا
ومكنهم من الف هذه النعمة فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلة قال الزمخشري
فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوا
لإيلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة
الواحدة التي هي نعمة ظاهرة انتهى وقرأ الجمهور لإيلاف قريش مصدر آلف رباعيا وابن عامر
لإلاف على وزن فعال مصدر ألف ثلاثيا يقال ألف الرجل الامر إلفا وإلافا وآلفه
غيره اياه ايلافا وقد يأتي آلف متعديا لواحد كألف قال الشاعر ۞

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ۞ شعاع الضحى في جيدها يتوضح

ولم يختلف

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة ايلافهم مصدرا للرباعي وروي عن ابي بكر عن عاصم انه قرأ بهمزتين
فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وان كان الاصل ابدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل
اجتماع همزتين ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة
فيه وهذا المروي عن ابي بكر عن عاصم هو من طريق الشموني عن الاعشى عن ابي بكر وروى محمد بن داود
النقار عن عاصم إإيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية
لما اشبع كسرتها والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية وانه قرأ كالجماعة وقرأ ابو جعفر
فيما حكى الزمخشري لإلف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية إلفهم وقال الشاعر ۞

زعمتم ان اخوتكم قريش ۞ لهم إلف وليس لكم إلاف ۞

جمع بين مصدري ألف الثلاثي وعن جعفر وابن عامر إلافهم على وزن فعال وعن ابي جعفر
وابن كثير إلفهم على وزن فعل وبذلك قرأ عكرمة وعن ابي جعفر ايضا ليلاف بياء ساكنة
بعد اللام اتبع لما ابدل الثانية ياء حذف الاولى حذفا على غير قياس وعن عكرمة ليألف
قريش وعنه ايضا لتألف على الامر وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الامر واجمعوا هنا
على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية
قال الشاعر ۞ وكفى قريش المعضلات وسادها ۞ جعله اسما للقبيلة
وقال سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحياء اكثر وان جعلتها اسما للقبائل
فجائز حسن وقرأ الجمهور رحلة بكسر الراء وابو السمال بضمها فبالكسر مصدر وبالضم للجهة التي
يرحل اليها والجمهور على انهما رحلتان فقيل الى الشام في التجارة ونيل الارباح ومنه

نيل

قول الشاعر ۞

سفرين بينهما له ولغيره ۞ سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وقال ابن عباس رحلة الى اليمن ورحلة الى بصرى وقال ايضا يرحلون في الصيف
الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى مكة للتجارة وسائر اغراضهم وقال
الزمخشري واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لأمن الالباس كقوله ۞
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ۞ فان زمانكم زمن خميص ۞ انتهى وهذا عند سيبويه لا يجوز
الا في الضرورة ومثله ۞ حمامة بطن الواديين ترنمي ۞ يريد بطني الواديين انشده
اصحابنا على الضرورة وقال النقاش كانت لهم اربع رحل قال ابن عطية وهذا قول
مردود انتهى ولا ينبغي ان يرد فان اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف
هاشم كان يؤلف ملك الشام اخذ منه حبلا فأمن به في تجارته الى الشام وعبد شمس يؤلف
الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس فكان هؤلاء يسمون المجيرين فتختلف تجر قريش
الى الامصار بحبل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة
فاذا كان كذلك جاز ان يكون لهم رحل اربع باعتبار هذه الاماكن التي كانت التجار في خفارة
هؤلاء الاربعة فيها وفيهم يقول الشاعر يمدحهم ۞

يا ايها الرجل المحول رحله ۞ هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها ۞ والراحلون لرحلة الايلاف
والرائشون وليس يوجد رائش ۞ والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ۞ حتى يصير فقيرهم كالكافي

ويكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد وللأكثر وإيلافهم بدل من لإيلاف قريش أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول به وهو رحلة أي لأن ألفوا رحلة تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه رب هذا البيت هو الكعبة ويكرر هذا اللفظ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها ومن هنا للتعليل أي لأجل الجوع كانوا قطانا ببلاد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله بهم وذلك بدعوة إبراهيم قال تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء وآمنهم من خوف فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حلوا فيقال هؤلاء قطان بيت الله فلا يتعرض إليهم أحد وغيرهم خائفون وقال ابن عباس والضحاك وآمنهم من خوف معناه من الجذام فلا يرى بمكة مجذوما قال الزمخشري والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقرأ الجمهور من خوف بإظهار النون عند الخاء والمسيبي عن نافع بإخفائها وكذلك مع العين نحو من علق وهي لغة حكاها س وقال ابن الأسلت يخاطب قريشا

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله ... على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

المفردات

سها عن كذا يسهو سهوا لهى عنه وتركه عن غفلة الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل تقول العرب ما له معنة أي شيء قليل وقاله قطرب وقيل أصله معونة والألف عوض من الهاء فوزنه مفعل في الأصل على وزن مكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد زيادة الألف عوضا مافعل وقيل هو اسم مفعول من أعان يعين جاء على زنة مفعول قلب فصارت عينه مكان الفاء فصار معوون ثم قلبت الواو الأولى ألفا كما قالوا في نوب تاب فصار ماعون فوزنه على هذا مفعول وقال أبو عبيدة والزجاج والمبرد الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وأنشدوا بيت الأعشى

بأجود منه بماعونه ... إذا ما سماؤهم لم تغم

وقالوا المراد به في الإسلام الطاعة وسيأتي أقوال أهل التفسير فيه إن شاء الله تعالى

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم. أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون. مكية في قول الجمهور مدنية في قول ابن عباس وقتادة قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاصي بن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق ولما عدد نعمه تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه ونزلت في أبي جهل أو الوليد بن المغيرة أو العاصي بن وائل أو عمرو بن عائذ أو رجلين من المنافقين أو في أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كل أسبوع جزورا فأتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا أقوال آخرها لابن جريج والظاهر أن أرأيت هي التي بمعنى أخبرني فتتعدى لاثنين أحدهما الذي والآخر محذوف فقدره

الحوفي

الحوفي أليس مستحقا عذاب الله وقدره الزمخشري من هو ويدل على أنها بمعنى أخبرني قراءة عبد الله أرأيتك بكاف الخطاب لأن كاف الخطاب لا تلحق البصرية قال الحوفي ويجوز أن تكون من رؤية العين فلا يكون في الكلام حذف وهمزة الاستفهام تدل على التقرير والتنبيه ليتذكر السامع من يعرفه لهذه الصفة والدين الجزاء بالثواب والعقاب وقال الزمخشري والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ولا يحض أي يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف انتهى وقرأ الجمهور يدع بضم الدال وشد العين وعلي والحسن وأبو رجاء واليماني بفتح الدال وخفة العين أي يتركه بمعنى لا يحسن إليه ويجفوه وقرأ الجمهور ولا يحض مضارع حض وزيد بن علي يحاض مضارع حاضضت وقال ابن عباس بالدين بحكم الله وقال مجاهد بالحساب وقيل بالجزاء وقيل بالقرآن وقال إبراهيم بن عرفة يدع اليتيم يدفعه عن حقه وقال مجاهد يدفعه ولا يطعمه وفي قوله ولا يحض إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر وهذا من باب الأولى لأنه إذا لم يحض غيره بخلا فلأن يترك هو ذلك فعلا وفي إضافة طعام إلى المسكين دليل على أنه يستحقه ولما ذكر أولا عمود الكفر وهو التكذيب بالدين ذكر ما يترتب على التكذيب من الإيذاء والمنع من النفع وذلك مما يتعلق بالمخلوق ثم ذكر ما يترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال فويل للمصلين والظاهر أن المصلين هم غير المذكور وقيل هو داع اليتيم غير الحاض وإن كان كل من الأوصاف الذميمة ناشئا عن التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله أعلم هم المنافقون أثبت لهم الصلاة وهي الهيئات التي يفعلونها ثم قال الذين هم عن صلاتهم ساهون نظرا إلى أنهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها إلى الله تعالى وفي الحديث عن صلاتهم ساهون يؤخرونها عن وقتها تهاونا بها قال مجاهد تأخير ترك وإهمال وقال إبراهيم هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا ملتفتا وقال قتادة هو التارك لها أو هم الغافلون الذين لا يبالي أحدهم أصلى أم لم يصل وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقال ابن عباس المنافقون يتركون الصلاة سرا ويفعلونها علانية وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية ويدل على أنها في المنافقين قوله تعالى الذين هم يراءون وقال ابن وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين وقال عطاء الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم وقال الزمخشري بعد أن تقدم فيما نقلناه من كلامه ما يدل على أن فذلك الذي يدع في موضع رفع قال وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قال أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين فإن قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن المراد به الجنس انتهى فجعل فذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك أكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن إلينا فالمتبادر إلى الذهن أن فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب يكون التقدير أكرمت الذي يزورنا فأكرمت ذلك الذي يحسن إلينا

مزكين أموالهم

فأما الإشارة في هذا التقدير غير متمكن بل نحن نقول هو فصيح إذ لا حاجة إلى أن يشار إلى الذي يزورنا
بل الفصيح أكرمت الذي يزورنا فالذي يحسن إلينا وأكرمت الذي يزورنا فيحسن إلينا وأما
قوله إما عطف ذات على ذات فلا يصح لأن فذلك إشارة إلى الذي يكذب فليسا بذاتين
لأن المشار إليه بقوله فذلك هو واحد وأما قوله ويكون جواب أرأيت محذوفا فلا يسمى جوابا
بل هو في موضع المفعول الثاني لأرأيت وأما تقديره أنعم ما يصنع فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها
على نعم ولا بئس لأنهما إنشاء والاستفهام لا يدخل إلا على الخبر وأما وضعه المصلين موضع الضمير
وأن المصلين جمع لأن ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي أن يحمل القرآن
إلا على ما اقتضاه ظاهر التركيب وفصيحه وهكذا عادة هذا الرجل يتكلف أشياء في فهم
القرآن ليست بواضحة وتقدم الكلام في الرياء في سورة البقرة وقرأ الجمهور يراءون مضارع
راءى على وزن فاعل وابن أبي إسحاق والأشهب مهموزة مقصورة مشددة الهمزة وعن ابن أبي إسحاق
بغير شد في الهمزة فتوجيه الأولى أنه ضعف الهمزة تعديه كما عدوا بالهمزة فقالوا في رأى رئى
فقالوا أرأى فجاء المضارع يرئي كيصلي وجاء الجمع يرؤون كيصلون وتوجيه الثانية أنه
استثقل التضعيف في الهمزة فخففها أو حذف الألف من يراءون حذفا لا لسبب ويمنعون
الماعون قال ابن المسيب وابن شهاب الماعون بلغة قريش المال وقال الفراء عن بعض
العرب الماعون الماء وقال ابن مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن والضحاك
وابن زيد ما يتعاطاه الناس بينهم كالفأس والدلو والآنية والمقص وفي الحديث سئل
عليه السلام عن الشيء الذي لا يحل منعه فقال الماء والملح والنار وفي بعض الطرق الإبرة والخمير
وقال علي وابن عمر وابن عباس أيضا الماعون الزكوة ومنه قول الراعي ○

أخليفة الرحمن إنا معشر ● حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله من أموالنا ● حق الزكوة منزلا تنزيلا
قوم على الإسلام لما يمنعوا ● ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني بالماعون الزكوة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب من أن أصله من المعن وهو الشيء
القليل فسميت الزكوة ماعونا لأنها قليل من كثير وكذلك الصدقة غيرها وقال ابن عباس
هو العارية وقال محمد بن كعب والكلبي هو المعروف كله وقال عبد الله بن عمر منع
الحق وقيل الماء والكلأ. النحر أمر من النحر وهو ضرب النحر للإبل بما يفيت الروح من
محدد. الأبتر الذي لا عقب له والبتر القطع بترت الشيء قطعته وبتر بالكسر فهو أبتر إذا
انقطع ذنبه وخطب زياد خطبته البتراء لأنه لم يحمد فيها الله ولا صلى على رسوله ورجل
أباتر بضم الهمزة الذي يقطع رحمه ومنه قول الشاعر ○

لئيم بدت في أنفه خنزوانة ● على قطع ذي القربى أحذ أباتر ○

والبترية قوم من الزيدية نسبوا إلى المغيرة بن سعد ولقبه الأبتر

المفردات

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم ● إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو
الأبتر ● مكية في المشهور وقول الجمهور مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة ولما ذكر فيما قبلها
وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكوة قابل في هذه السورة البخل بإنا
أعطيناك الكوثر والسهو عن الصلاة بقوله فصل والرياء بقوله لربك ومنع الزكوة بقوله

وانحر

وانحر أراد به التصدق بلحم الأضاحي فقابل أربعا بأربع ونزلت في العاصي بن وائل كان يسمي
الرسول عليه السلام بالأبتر وكان يقول دعوه إنما هو رجل أبتر لا عقب له لو هلك انقطع ذكره
واسترحنا منه وقرأ الجمهور أعطيناك بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني أنطيناك
بالنون وهي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التبريزي هي لغة للعرب العاربة
من أولي قريش ومن كلامه عليه السلام اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة ومن كلامه أيضا
عليه السلام وأنطوا الثبجة وقال الأعشى ○

جيادك خير جياد الملوك ● تصان الجلال وتنطى الشعيرا ○

قال أبو الفضل الرازي وأبو زكريا التبريزي أبدل من العين نونا فإن عنيا النون في هذه
اللغة مكان العين في غيرها فحسن وإن عنيا البدل الصناعي فليس كذلك بل كل واحد من
اللغتين أصل بنفسه لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا نقول الأصل العين ثم أبدلت النون
منها وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح هو ما فسر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب
من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
وفي صحيح مسلم واقتطعنا منه قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال نهر
وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم انتهى قال
ذلك عليه السلام عندما أنزلت هذه السورة وقرأها وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير
وقيل لابن جبير إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقال الحسن
الكوثر القرآن وقال أبو بكر بن عياش ويمان بن رئاب كثرة الأصحاب والأشياع وقال هلال
ابن يساف هو التوحيد وقال جعفر الصادق نور قلبه دله على الله وقطعه عما سواه وقال
عكرمة النبوة وقال الحسين بن الفضل تيسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال ابن كيسان الإيثار
وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لأن الكوثر غير منحصر في واحد منها والكوثر فوعل من الكثرة وهو
المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر ○

وقال الشاعر ○

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ● وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

فصل لربك وانحر الظاهر أن فصل أمر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل والنحر نحر
الهدي والنسك والضحايا قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فأمر بهذين قال
أنس كان ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة فأمر أن يصلي وينحر وقاله قتادة وقال ابن جبير نزلت
وقت صلح الحديبية قيل له صل وانحر الهدي فعلى هذا الآية من المدني وفي قوله لربك تنديد
بالكفار حيث صلاتهم مكاء وتصدية ونحرهم للأصنام وعن علي صل لربك وضع يمينك على شمالك
عند نحرك في الصلوة وقيل ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك وعن عطية وعكرمة
هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقال الضحاك استو بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحرك
وقال أبو الأحوص استقبل القبلة بنحرك إن شانئك أي مبغضك تقدم أنه العاصي بن وائل
وقيل أبو جهل وقال ابن عباس لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل
إلى أصحابه فقال بتر محمد فأنزل الله إن شانئك هو الأبتر وقال شمر بن عطية هو
عقبة بن أبي معيط وقال قتادة الأبتر هنا يراد به الحقير الذليل وقرأ الجمهور شانئك

بالالف وابن عباس شنيك بغير الف فقيل مقصور من شاني كما قالوا برد وبرد في بارد وبار
ان يكون بناء على فعل وهو مضاف للمفعول ان كان بمعنى الحال او الاستقبال وان كان بمعنى
الماضي فتكون اضافته لا من نصب على مذهب البصريين وقد قالوا حذر امورا ومزقون
عرضي فلا يستوحش من كونه مضافا للمفعول وهو مبتدا والاحسن الاعرف في المعنى ان يكون
فصلا اي هو المنفرد بالبتر المخصوص به لا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثل هذا الوصف هو
لشانيه المنسي ذكره واذا ذكر فباللعنة واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميع المؤمنين
اولاده وذكره مرفوع على المنابر والمنائر ومسرود على لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدا
بذكر الله ويثني بذكره وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ٭

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون
ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين ٭ مكية
في قول الجمهور وروي عن قتادة انها مدنية وذكروا من اسباب نزولها انهم قالوا له عليه السلام
دع ما انت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا ونملكك علينا وان لم تفعل هذا
فلتعبد الهتنا ونعبد الهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعا ولما كان اكثر شانيه
قريشا وطلبوا منه ان يعبد الهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة انزل الله هذه السورة تبريا
منهم واخبارا لا شك فيه ان ذلك لا يكون وفي قوله قل دليل على انه مامور بذلك من عند الله تعالى
وخطابه لهم بيا ايها الكافرون في ناديهم ومكان بسطة ايديهم مع ما في الوصف من الارذال
بهم دليل على انه محروس من عند الله لا يبالي بهم والكافرون ناس مخصوصون وهم الذين قالوا
له تلك المقالة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وامية وابي ابنا خلف
وابو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم ممن لم يسلم ووافى على الكفر تصديقا للاخبار في قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد وللمفسرين في هذه الجمل اقوال احدها انها للتوكيد فقوله ولا انا عابد ما
عبدتم توكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد
لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد اولا والتوكيد في لسان العرب كثير جدا وحكوا من ذلك
نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر وفائدة هذا التوكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار ب
موافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا والثاني انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الاخفش
المعنى لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون السنة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل
ما عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة
بزمان مغاير وقال ابو مسلم ما في الاولين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخريين
مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل
عبادتي المبنية على اليقين وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به
الآن ويبقى المستانف منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا
وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يؤمنون به ابدا كالذي
كشف الغيب فهذا كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اما ان هذا
في معينين وقوم نوح عموا بذلك فهذا معنى الترديد الذي في السورة وهو بارع الفصاحة
وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى وقال الزمخشري لا اعبد اريد به العبادة فيما

يستقبل

يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى
الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما
اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني
لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما
عبدتم في وقت ما انا على عبادته **فان قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم
كانوا يعبدون الاصنام قبل البعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت انتهى اما
حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد
ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك
مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يورد س ذلك باداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا
لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال واما ما فهو نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر
الغالب فيهما واما قوله في قوله ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف
ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابدا اسم فاعل قد عمل في ما عبدتم فلا يفسر بالماضي انما يفسر بالحال
او الاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز اعماله ماضيا واما
قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله
في ما اعبد فلا يفسر بالماضي واما قوله وهو لم يكن الى آخره فسوء ادب منه على منصب النبوة
وغير صحيح لانه عليه السلام لم يزل موحدا لله منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله مجتنبا لاصنامهم
يحج بيت الله ويقف بمشاعر ابراهيم عليه السلام وهذه عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله
ونبذ اصنامهم والمعرفة بالله من اعظم العبادات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبد ون
قال المفسرون معناه ليعرفون فسمى الله تعالى المعرفة به عبادة والذي اختاره في هذه الجمل
انه اولا نفى عبادته في المستقبل لان لا الغالب انها تنفي المستقبل قيل ثم عطف عليه ولا انتم
عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال
لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون
ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه عليه السلام لا يعبد ما يعبدون لا حالا
ولا مستقبلا وهم كذلك اذ قد حتم الله موافاتهم على الكفر ولما قال لا اعبد ما تعبدون فاطلق
ما على الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كانت يراد بها الله تعالى لان المقابلة
يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا يقع على آحاد من يعلم اما من جوز
ذلك وهو منسوب الى س فلا يحتاج الى استعذار بالتقابل وقيل ما مصدرية في قوله ما اعبد
وقيل فيها جميعها وقال الزمخشري المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق لكم دينكم ولي دين اي لكم شرككم ولي توحيدي وهذا غاية في التبري ولما كان الاهم
انتفاؤه عليه السلام من دينهم بدا بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب اليه ولما تحقق
النفي رجع الى خطابهم في قوله لكم دينكم على سبيل المهادنة وهي منسوخة باية السيف **وقرا**
سلام ويعقوب ديني بياء وصلا ووقفا وحذفها القراء السبعة ٭

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ٭ مدنية نزلت منصرفه عليه السلام

من غزوة وعاش بعد نزولها سنتين وقال ابن عمر نزلت في اوسط ايام التشريق بمنى في حجة الوداع
وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها صلى الله عليه وسلم ولما كان في قوله لكم دينكم موادعة جاء في هذه
بما يدل على تخويفهم وتهديدهم وانه آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملة الاصنام واظهار
دين الله قال الزمخشري اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من
اعلام النبوة انتهى وكذا قال الحوفي ولا يصح اعمال فسبح في اذا لاجل الفاء لان الفاء
في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بالعامل في اذا
الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية وقد استدللنا على ذلك في شرح
التسهيل وغيره وان كان المشهور غيره والنصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد
ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه نصر رسوله والمؤمنين على اعدائهم وفتح مكة
وغيرها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن وقيل نصره عليه السلام على قريش
وفتح مكة وكان فتحها لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومعه عليه السلام عشرة آلاف
من المهاجرين والانصار وقرأ الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا
للمفعول في دين الله في ملة الاسلام الذي لا دين له يضاف غيرها افواجا اي جماعات
كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين
اثنين قال الحسن لما فتح عليه السلام مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا
اما الظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وقال ابو عمر
ابن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام
بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده قال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة
الاوثان واما نصارى بني تغلب فما اراهم اسلموا قط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
لكن اعطوا الجزية وقال عكرمة ومقاتل المراد بالناس اهل اليمن وفد منهم سبعمائة
رجل وقال الجمهور وفود العرب وكان دخولهم بين فتح مكة وموته عليه السلام وافواجا
جمع فوج قال الحوفي وقياس جمعه افوج ولكن استثقلت الضمة على الواو فعدل الى
افواج كانه يعني انه كان ينبغي ان يكون معتل العين كالصحيح فكما ان قياس فعل صحيحها ان يجمع
على افعل لا على افعال فكذلك هذا والامر في هذا المعتل جاء بالعكس القياس فيه افعال
كحوض واحواض وشذ فيه افعل كثوب واثوب وهو حال ويدخلون حال او مفعول ثان
ان كان رايت بمعنى علمت المتعدية لاثنين وقال الزمخشري اما على الحال على ان رايت
بمعنى ابصرت او عرفت انتهى ولا نعلم رايت جاءت بمعنى عرفت فيحتاج ذلك الى استثبات
فسبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على هذه النعم التي خولك من نصرك على الاعداء وفتحك
البلاد واسلام الناس واي نعمة اعظم من هذه اذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه
وعن عائشة كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك قال الزمخشري والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام
امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا
لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انتهى وقد علم هو عليه السلام
من هذه السورة دنو اجله وحين قراها عليه السلام استبشر الصحابة وبكى العباس فقال

وما يبكيك

وما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها ستين انه
كان توابا فيه ترجية عظيمة للمستغفرين الحطب معروف وقيل لفلان يحطب على فلان اذا
وشى عليه الجيد العنق المسد حبل من ليف وقال ابو الفتح ليف المقل وقال ابن زيد هو شجر
باليمن يسمى المسد انتهى وقد يكون من جلود الابل ومن اوبارها قال الراجز
ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق اي مجدوله شديده ۝

المفردات

سورة تبت

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما
كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ۝ ولما ذكر
فيما قبلها دخول الناس في دين الله اتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه
اهل مكة من الايمان وتقدم التباب في سورة غافر وهنا قال ابن عباس خابت وقتادة خسرت
وابن جبير هلكت وعطاء ضلت ويمان بن رئاب صفرت من كل خير وهذه اقوال متقاربة في المعنى
وقالوا فيما حكى اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز واسند الهلاك الى اليدين لان
العمل اكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس كقوله ذلك بما قدمت يداك وقيل اخذ بيديه
حجرا ليرمي به الرسول فاسند التب اليهما والظاهر ان التب دعاء وتب اخبار بحصول ذلك
كما قال الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ۝

ويدل عليه قراءة عبد الله وقد تب روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال يا صفية
بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا اغني لكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما ثم صعد
الصفا فنادى بطون قريش يا بني فلان يا بني فلان وروي انه صاح باعلا صوته يا صباحاه
فاجتمعوا اليه من كل وجه فقال لهم ارايتم لو قلت لكم اني انذركم خيلا بسفح هذا الجبل اكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر
اليوم الهذا جمعتنا فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة وابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن محيصن وابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وفتحها باقي
السبعة ولم يختلفوا في ذات لهب لانها فاصلة والسكون يزيلها عن حسن الفاصلة
قال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم يعني بسكون الهاء في لهب
وضم الشين في شمس ويعني في قول الشاعر

اني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي وهو شمس بن مالك ۝

فاما في ابي لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء واما شمس بن مالك فلا يتعين ان يكون من تغيير
الاعلام بل يمكن ان يكون مسمى بشمس المنقول من شمس الجمع كما جاء اذناب خيل شمس قيل وكني
بابي لهب لحسنه واشراق وجهه ولم يذكره تعالى باسمه قيل لان اسمه عبد العزى فعدل عنه
الى الكنية او لان الكنية كانت اغلب عليه من الاسم او لان ماله الى النار فوافقت
حالته كنيته كما يقال للشرير ابو الشر وللخير ابو الخير او لان الاسم اشرف من الكنية فعدل
الى الانقص ولذلك ذكر الله الانبياء باسمائهم ولم يكن احدا منهم والظاهر ان ما في ما اغنى عنه
ماله نفي اي لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وما كسب هو بنفسه او ماشيته وما كسب
من نسلها ومنافعها او ما كسب من ارباح ماله الذي يتجر به ويجوز ان تكون ما استفهاما

في موضع نصب أي أي شيء يغني عنه ماله على وجه التقرير والانكار والمعنى أين الغناء الذي لماله
ولكسبه والظاهر أن ما في قوله وما كسب موصولة وأجيز أن تكون مصدرية وإذا كانت ما في ما أغني
استفهاما فيجوز أن يكون ما في وما كسب استفهاما أيضا أي وأي شيء كسب أي لم يكسب شيئا
وعن ابن عباس وما كسب ولده وفي الحديث ولد الرجل من كسبه وعن الضحاك وما كسب هو عمله الخبيث
في عداوة الرسول وعن قتادة وعمله الذي ظن أنه منه على شيء وروي عنه أنه كان يقول إن كان
ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي وقرأ عبد الله وما اكتسب بتاء
الافتعال وقرأ أبو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره وهو أيضا سيصلى بضم الياء وفتح
الصاد وشد اللام ومريئته وعنه أيضا ومريته على التصغير فيهما بالهمز وبإبدال الهمزة ياء
وإدغام ياء التصغير فيها وقرأ أيضا حمالة للحطب بالتنوين في حمالة وبلام الجر في الحطب
وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد وأبو قلابة حاملة الحطب
على وزن فاعلة مضافا واختلس حركة الهاء في وامرأته أبو عمرو في رواية والحسن وزيد
ابن علي والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن محيصن وعاصم حمالة بالنصب وقرأ الجمهور
سيصلى بفتح الياء وسكون الصاد وامرأته على التكبير حمالة على وزن فعالة للمبالغة
مضافا إلى الحطب مرفوعا والسين للاستقبال وإن تراخى الزمان وهو وعيد كائن إنجازه
لا محالة وارتفع وامرأته عطفا على الضمير المستكن في سيصلى وحسنه وجود الفصل
بالمفعول وصفته وحمالة في قراءة الجمهور خبر مبتدأ محذوف أو صفة لامرأته لأنه مثال
ماض فتعرف بالإضافة وفعال أحد الأمثلة الخمسة وحكمها كاسم الفاعل وفي قراءة النصب
انتصب على الذم وأجازوا في قراءة الرفع أن يكون وامرأته مبتدأ وحمالة الحطب خبر وفي
جيدها خبر ثان أو في موضع الحال من الضمير المستكن في حمالة واسمها أم جميل بنت حرب
أخت أبي سفيان وكانت عوراء والظاهر أنها كانت تحمل الحطب أي ما فيه شوك لتؤذي
بإلقائه في طريق الرسول عليه السلام وأصحابه لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حمالة
الحطب قاله ابن عباس فحمالة معرفة فإن كان صفة ولفظيا لما جاز فيه حالة الرفع
أن يكون عطف بيان وأن يكون بدلا وقيل وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس أيضا ومجاهد
وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بها يحمل الحطب بين الناس
أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر **قال الشاعر**

من البيض لم يصطد على ظهر لامة ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر **وقال الراجز**

إن بني الأدرم حمالو الحطب هم الوشاة في الرضى وفي الغضب

وقال ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره قال
تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس
أي يحمل الجناة على الجنايات والظاهر أن الحبل من مسد وقال عروة بن الزبير
ومجاهد وسفيان استعارة والمراد سلسلة من حديد في جهنم وقال قتادة
قلادة من ودع وقال ابن المسيب قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات
والعزى لأنفقنها على عداوة محمد قال ابن عطية فإنما عبر عن قلادتها بحبل

من مسد

من مسد على جهة التفاؤل لها وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث انتهى وقال الحسن
إنما كانت خرزا وقال الزمخشري والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك
الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف
وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب
بحمالة الحطب **فقال**

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجد سامية كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة
الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم أو الضريع وفي جيدها حبل مما مسد
من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه انتهى ولما سمعت أم جميل
هذه السورة أتت أبا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت
بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلن ولأفعلن وأعمى الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروي أن أبا بكر قال لها هل ترين معي أحدا فقالت أتهزأ بي لا أرى غيرك وإن كان شاعرا
فأنا مثله أقول مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا فسكت أبو بكر ومضت هي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرها وذكر أنها
ماتت مخنوقة بحبلها وأبو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال **الصمد**
فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه في الحوائج ويستقل بها

قال

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال آخر

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

الكفؤ النظير

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد هذه مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة مدنية
في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك ولما تقدم فيما قبلها عداوة
أقرب الناس إلى الرسول وهو عمه أبو لهب وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين
اتخذوا مع الله آلهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الأوثان والقائلين
بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد وعن ابن عباس أن اليهود قالوا
يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت وعن أبي العالية قال قادة الأحزاب انسب لنا
ربك فنزلت فإن صح هذا السبب كان هو ضميرا عائدا على الذي قالوا هو الله تعالى أي ربي الله
ويكون مبتدأ وخبرا وأحد خبر ثان وقال الزمخشري وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد انتهى
وإن لم يصح السبب فهو ضمير الأمر والشأن مبتدأ والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر هو
وأحد بمعنى واحد أي فرد من جميع جهات الوحدانية أي في ذاته وفي صفاته لا يتجزأ وهمزة
أحد هذا بدل من واو وإبدال الهمزة أولى مفتوحة من الواو قليل من ذلك امرأة أناة

يريدون وناة لانه من الوني وهو الفتور كما ان احدا من الوحدة وقال ثعلب بين واحد واحد
فرق الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله يقال الله احد ولا يقال زيد احد
لان الله خصوصية له الاحد وزيد تكون منه حالات انتهى ومما ذكر من ان احدا لا يدخله ما
ذكر منقوض بالعدد المعطوف تقول احد وعشرون واثنان وعشرون وثلثة وعشرون فقد دخله
العدد وقرأ ابان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن ابي اسحق
وابو السمال وابو عمرو في رواية يونس ومحبوب والاصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون
عنه احد الله بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب
واكثر ما يوجد في الشعر نحو قوله • ولا ذاكر الله الا قليلا • ونحو قوله •
عمرو الذي هشم الثريد لقومه ۝ الله الصمد مبتدأ وخبر والافصح ان تكون هذه جملا مستقلة
بالاخبار على سبيل الاستيناف كما تقول زيد العالم زيد الشجاع وقيل الصمد صفة والخبر
في الجملة بعده وتقدم شرح الصمد في المفردات وقال الشعبي ويمان بن رئاب هو
الذي لا ياكل ولا يشرب وقال ابي بن كعب يفسره ما بعده وهو قوله لم يلد ولم يولد
وقال الحسن الصمد المصمت الذي لا جوف له ومنه قول الشاعر

• شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا •

وفي كتاب التحرير اقوال غير هذه لا تساعد عليها اللغة وقال ابن الانباري لا خلاف
بين اهل اللغة ان الصمد هو السيد الذي ليس فوقه احد الذي يصمد اليه الناس
في امورهم وحوائجهم قال الزمخشري لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة
فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان
كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله
ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة انتهى ولم يكن له كفوا احد
يقال له كفو بضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء وبضم الكاف مع ضم الفاء وقرأ
حمزة وحفص بضم الكاف واسكان الفاء وهمز حمزة وابدلها حفص واوا وباقي السبعة
بضمهما والهمز وسهل الهمزة الاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية عنه ونافع ايضا
كفا من غير همز نقل حركة الهمزة الى الفاء وحذف الهمزة وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن
ابن عباس كفاء بكسر الكاف وفتح الفاء والمد كما قال النابغة
لا تقذفني بركن لا كفاء له ۝ قال الاعلم لا كفاء له لا مثل له وقال مكي س يختار
ان يكون الظرف خبرا اذا قدمه وقد خطأه المبرد بهذه الاية لانه قدم الظرف ولم يجعله خبرا
والجواب ان س لم يمنع الغاء الظرف اذا تقدم انما اجاز ان يكون خبرا وان لا يكون خبرا ويجوز
ان يكون حالا من النكرة وهي احد لما تقدم نعتها عليها نصب على الحال فيكون له الخبر على مذهب
س واختياره ولا يكون للمبرد حجة على هذا القول انتهى وخرجه ابن عطية ايضا على الحال
وقال الزمخشري فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير
مستقر ولا يقدم وقد نص س على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى
مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه
انتهى وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله ولم يكن له كفوا احد ليس

لضيفه

الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبرا لكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه
فالتقدير ولم يكن احد كفوا له اي مكافيه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم على كفوا
للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخر لان تاخر الاسم
هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال
من احد لانه ظرف ناقص لا يصلح ان يكون خبرا وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وقوله وس انما
تكلم في هذا الظرف الذي يصلح ان يكون خبرا ويصلح ان يكون غير خبر قال س وتقول ما كان
فيها احد خير منك وما كان احد مثلك فيها وليس فيها احد خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله
على قولك فيها زيد قايم اجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيد قايم نصبت تقول
ما كان فيها احد خيرا منك وما كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت الالغاء
فكلما اخرت الملغى كان احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن
والتقديم والتاخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا
احد وقال الشاعر ما دام فيهن فصيل حيا ۝ انتهى ما نقلناه ملخصا
وهو بالفاظ س فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله
مستقرا اي خبرا للمبتدأ او لكان فان قلت فقد مثل بالاية الكريمة قلت هذا الذي
اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد س ان الظرف التام وهو في
قوله ما دام فيهن فصيل حيا ۝ اجري فضلة لا خبرا كما ان له في الاية اجري
فضلة فجعل الظرف العامل ان يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبرا ولا
يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من قوله ولم يكن له احد بل لو تاخر كفوا وارتفع
على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر
الذي هو كفوا وله متعلق به والمعنى ولم يكن احد مكافيه وقد جاء في فضل هذه
السورة احاديث كثيرة ومنها انها تعدل ثلث القرآن وقد تكلم العلماء على ذلك وليس
هذا موضعه الفلق فعل بمعنى مفعول وياتي اقوال السلف في تفسيره ان شاء الله وقب
الليل اظلم والشمس غابت والعذاب حل قال الشاعر

• وقب العذاب عليهم فكانهم لحقتهم نار السموم فاحصدوا •

النفث شبه النفخ دون تفل بريق قاله ابن عطية وقيل نفخ بريق معه قاله الزمخشري
وقال صاحب اللوامح شبه النفخ من الفم في الرقية ولا ريق معه فاذا كان بريق
فهو التفل قال الشاعر

• فان يبرأ فلم انفث عليه • وان يفقد فحق له الفقود ۝

المفردات

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر
غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد • مكية
في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدنية في قول
ابن عباس في رواية ابي صالح وقتادة وجماعة قيل وهو الصحيح وسبب نزول
المعوذتين قصة سحر لبيد بن الاعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اخرج ما سحره
وهو مشط والجف قشر الطلع فيه مشاطة راسه عليه السلام واسنان مشطه

وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروز بالإبر فأنزلت عليه المعوذتان فجعل كلما قرأ
آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام في نفسه خفة حين انحلت العقدة الأخيرة
فقام كأنما نشط من عقال ولما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها شرح ما يستعاذ منه
بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته والفلق الصبح قاله ابن عباس وجابر
ابن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جبير والقرظي وابن زيد وفي المثل هو أبين
من فلق الصبح ومن فرق الصبح **وقال الشاعر**

يا ليلة لم أنم بها مرتقبا • أرعى النجوم إلى أن قدر الفلق

وقال الشاعر يصف الثور الوحشي

حتى إذا ما انجلى عن وجهه فلق • هاديه في أخريات الليل منتصب

وقيل الفلق كل ما يفلقه الله كالأرض بالنبات والجبال عن العيون والسحاب
عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقال ابن عباس أيضا
وجماعة من الصحابة والتابعين الفلق جب في جهنم ورواه أبو هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا لما اطمأن من الأرض الفلق وجمعه فلقان وقيل واد في جهنم وقال
بعض الصحابة بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره **وقرأ** الجمهور من شر
ما خلق بإضافة شر إلى ما وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف
وغير مكلف وجماد كالإحراق بالنار والإغراق بالبحر والقتل بالسم **وقرأ** عمرو بن فائد
من شر بالتنوين وقال ابن عطية **وقرأ** عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بأن الله
تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب
باطل الله خالق كل شيء انتهى ولهذه القراءة وجه غير النفي فلا ينبغي أن ترد وهو أن يكون
ما خلق بدلا من شر على تقدير محذوف أي من شر شر ما خلق فحذف لدلالة شر الأول عليه
أطلق أولا ثم عمم ثانيا والغاسق الليل ووقب أظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس
والحسن ومجاهد ونزلكه الزمخشري على قوله ثم قال والغاسق الليل إذا اعتكر
ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت
الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء انتهى وقال الزجاج هو
الليل لأنه أبرد من النهار والغاسق البارد استعيذ من شره لأن فيه تنبث الشياطين
والهوام والحشرات وأهل الفتك **قال الشاعر**

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقا • إذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

وقال محمد بن كعب النهار دخل في الليل وقال ابن شهاب المراد بالغاسق
الشمس إذا غربت وقال القتبي وغيره هو القمر إذا دخل في ساهوره فخسف
وفي الحديث نظر عليه السلام إلى القمر فقال يا عائشة نعوذ بالله من هذا فإنه
الغاسق إذا وقب وعنه عليه السلام الغاسق النجم وقال ابن زيد عن العرب
الغاسق الثريا إذا سقطت وكانت الأسقام والطاعون يهيج عند ذلك
وقيل الحية إذا لدغت والغاسق سم نابها لأنه يسيل منه والنفاثات النساء
أو النفوس أو الجماعات السواحر يعقدون عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين
وقرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وابن عمر والحسن أيضا وعبد الله بن القاسم

ويعقوب

ويعقوب في رواية النافثات والحسن أيضا وأبو الربيع النفثات بغير ألف نحو الحذرات
والاستعاذة من شرهن هو ما يصيب الله به من الشر عند فعلهن ذلك وسبب نزول هاتين
المعوذتين ينفي ما تأوله الزمخشري من قوله ويجوز أن يراد بهن النساء ذوات الكيادات
من قوله إن كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد واللاتي يفتن الرجال
بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك انتهى وقال ابن عطية وهذا
النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذى بذلك وهذا الشأن
في زماننا موجود شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمر
قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى
ذلك الفصيل إلى أمه في الحين فرضع انتهى وقيل الغاسق والحاسد بالظرف لأنه إذا لم
يدخل الليل لا يكون منسوبا إليه وكذا كل ما فسر به الغاسق وكذلك الحاسد لا يؤثر
حسده إلا إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه أما إذا لم يظهر الحسد فلا يتأذى به
سوى الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره قال الزمخشري ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه
وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره انتهى وعم أولا فقال من شر ما خلق
ثم خص هذه لخفاء شرها إذ يجيء من حيث لا يعلم وقالوا شر العداة المداجي يكيدك من حيث لا تشعر
ونكر غاسق وحاسد وعرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة وكل غاسق لا يكون فيه الشر
إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات
ومنه لا حسد إلا في اثنتين **وقال أبو تمام**

وما حاسد في المكرمات بحاسد • **وقال آخر** • إن العلى حسن في مثلها الحسد

وقول المنظور إليه للحاسد إذا نظر الحسن على عينيك يعني به هذه السورة لأنها خمس آيات
وعين الحاسد في الغالب لا تقع نعوذ بالله من شرها



سورة الناس



بسم الله الرحمن الرحيم • قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس
من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس • تقدم
أنها نزلت مع ما قبلها والخلاف فيهما أمكية أم مدنية وأضيف الرب إلى الناس لأن
الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم استعاذوا بربهم مالكهم وإلههم كما يستعيذ العبد
بمولاه إذا دهمه أمر والظاهر أن ملك الناس إله الناس صفتان وقال الزمخشري
هما عطفا بيان بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب
الناس كما قال اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس
وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان انتهى وعطف البيان المشهور
أنه يكون بالجوامد وظاهر قوله أنهما عطفا بيان لواحد ولا أنقل عن النحاة شيئا في
عطف البيان هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز وقال الزمخشري
فإن قلت فهلا اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة **قلت**
لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار انتهى والوسواس
قالوا اسم من أسماء الشيطان والوسواس أيضا ما يوسوس به شهوات النفس وهو الهوى
المنهي عنه والخناس الراجع على عقبيه المستتر أحيانا وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر

983

الله تأخروا أما الشهوات فيحترس بالآيات وبمدد الملك وبالحياء فهذان المعنيان يندرجان
في الوسواس ويكون يعني من الجنة والناس من الشياطين ونفوس الناس أو يكون الوسواس
أريد به الشيطان والمغري المزين من قرناء السوء فيكون من الجنة والناس تبيينا لذلك
الوسواس وقال تعالى عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول
غرورا وقال قتادة إن من الإنس شياطين ومن الجن شياطين فتعوذوا بالله منهم وقال
أبو ذر لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الإنس وقال الزمخشري الوسواس اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد
به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف
عليه أو أريد ذو الوسواس وقد تكلمنا معه في دعواه أن الزلزال بالفتح اسم وبالكسر
المصدر في إذا زلزلت ويجوز في الذي الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ومن
في من الجنة والناس للتبعيض أي كائنا من الجنة والناس فهي في موضع الحال
أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس وقال الزمخشري ويجوز أن يكون
من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة
ومن جهة الناس انتهى ولما كانت مضرة الدين وهي آفة الوسوسة أعظم من مضرة
الدنيا وإن عظمت جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث الرب
والملك والإله وإن اتحد المطلوب وفي الاستعاذة من ثلاث الغاسق والنفاثات
والحاسد بصفة واحدة وهي الرب وإن تكرر الذي يستعاذ منه كان عليه السلام
إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين
ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل
ذلك ثلاثا صلى الله عليه وسلم

تم الجزء المبارك من البحر المحيط من تفسير القرآن العظيم
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وله الحمد والمنة
وذلك في يوم الثلاثاء المبارك ثامن شهر جمادى الآخر
من عام أربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والزكوة والتحية

تم الكتاب بحمد الله ذي الجود رب العباد ومجري الماء في العود
يا قاري الخط قل يا الله مجتهدا اغفر لكاتبه يا خير معبود

كاتبه العبد الفقير إلى ربه الغني به عمن سواه أحمد بن السيد سليمان
ابن السيد أحمد بن السيد مومن بن السيد داود بن السيد علي بن السيد خضر بن السيد
عبد الرحيم بن السيد عبد السلام بن السيد علي بن السيد جامع بن السيد عبد الرحيم
المدفون بمدينة البحيرة تغمدهم الله بالرحمة والرضوان على مدى الأزمان
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Süleymaniye [illegible] Kütüphanesi
Beşir Ağa